العدد ١٢١ - ربيع الثاني ١٤٠٦هـ - يناير/كانون الثاني ١٩٨٦م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

● هل استفاد المسلمون من السيرة النبويّة؟
عبد القادر محمد العماري

● قصّة جديدة بقلم نجيب محفوظ

● أسرار لقائي مع عبد الناصر سنة ١٩٦٨
فدوى طوقان

لوحة وفنان



المعرض المتجوّل

• كان تاجر السجاد خلال القرن الماضى يطوف شوارع وحارات وأزقة المدينة حاملا بعض قطع السجاد ذات الألوان الزاهية والنقوش البديعة الغنية بزخارف الزهور والنباتات ..

وكان هذا الرجل النشيط ، الكثير التنقل والحركة ، بمثابة معرض متنقل يساهم فى التعبير عن عشق الناس للألوان وتنمية موهبة التذوق الفنى فى أحاسيسهم .

ووقتها كانت صناعة السجاد ــ التى انتشرت منذ أوائل العصر الفاطمى فى الوطن العربى ــ متنوعة تنوعا فنيا كبيرا ، ويتبارى صانعوها فى إبراز الزخارف الهندسية وكافة الرسوم الدقيقة ..

ومن وحى هذا المعرض الفنى المتنقل قدم لنا الفنان الإيطالى « فردريكو بارتولينى » تلك اللوحة ، مستخدما الألوان المائية ، أثناء رحلته الشهيرة إلى الجزائر وتونس ومصر ، محاولا ــ كعادته ــ الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة والأسلوب البسيط واللغة الفنية المباشرة التى تصل إلى قلبك وعقلك معا دون لف أو دوران !

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ — الدوحة

● **السودان :** دار التوزيع — ص . ب ٣٥٨ — الخرطوم .

● **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام — شارع الجلاء — القاهرة .

● **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات — برامكة ص . ب ٤٩٠٢ — دمشق .

● **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان — شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ — بغداد .

● **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان — فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ — طرابلس — فرع بنغازى — ص . ب ٣٢١ — بنغازى .

● **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ — عمان .

● **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ — المنامة .

● **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ — جدة

● **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ — الصفاة الكويت .

● **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ — بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ — صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع — ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى — عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع — شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط — سلطنة عمان

● **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج — ص . ب ٤٤٠ — تونس .

● **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف — ص . ب ٦٨٣ — الدار البيضاء .
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية — الجزائر .
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

الدوحة

العدد ١٢١ - ربيع الثاني ١٤٠٦هـ - يناير/كانون الثاني ١٩٨٦م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة — قطر .
العنوان البرقي :
المجلة — الدوحة
تيلكس : — 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقى دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

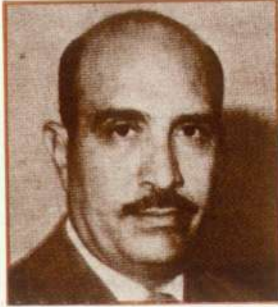
في هـــــــذا العـــــــدد



د . عيسى الناعورى : حياته وأدبه فى رسائل بخط يده (ص ٤٧)



د . عبـــد السلام العجيلى : جامعة لوزان الجديدة (ص ١٢)



محمـــود الشـــاهـــد : فكـــرة للتـــأمل (٢٠)



لـــوحـــة الغلاف الأول للفنـــان سعد كـــامل .. المقـــال (ص٩٢)

• دراسات ومقالات •

• شؤون الخليج •

• أدب وفنون •

• جميـــع المراســـلات ترسـل باسـم رئيس التحرير

• المقالات المنشـورة في المجلـة تعـبر عن رأي أصحابـها ولا تعـبر بالضـرورة عن رأي وزارة الإعـلام أو رأي المجـلـة

• أبواب •

المديرالفني: سلمان المالكي

كلمة

بعد ١٠ سنوات

مع صدور هذا العدد من « الدوحة » تكون المجلة قد أتمت العام العاشر من عمرها ، وبدأت عامها الحادي عشر ،وقد قامت الدوحة خلال الأعوام العشرة التي مضت بدورها الواسع في التثقيف والتنوير ، واستطاعت أن تصل إلى المقدمة ، فتصبح من مجلات الدرجة الأولى في الوطن العربي كله ، خلال هذه السنوات القليلة ، ولا شك أن المكانة التي تحتلها مجلة الدوحة الآن في كل الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط كانت بحاجة إلى أضعاف عمرها الحالي لكي تصل إلى ما وصلت إليه ، وتحقق ما حققته ، وقد أصبحت « الدوحة » تتمتع بثقة القارئ العربي في كل مكان ، وتتمتع إلى جانب الثقة بالمحبة ، فالقارئ العربي يحب الدوحة ويقبل عليها إقبالاً وجدانياً وعاطفياً إلى جانب إقباله العقلي والفكري ، وفي كل يوم نتلقى مئات الرسائل التي تكشف لنا عن العاطفة الطيبة التي تربط بين القارئ العربي ومجلته المحبوبة ، وفي كل يوم نتلقى من شركات التوزيع العربية طلبات تلح علينا بمضاعفة الكميات ، لأن الطلب على المجلة يتضاعف في كل مكان ، والنسخ تنفد بمجرد طرحها في الأسواق . وما كان شيء من هذا كله يمكن أن يتحقق إلا بتوفيق الله ورعايته ، فقد بارك الله لأسرة تحرير المجلة في جهودها ، لأن المجلة قامت منذ البداية على النية الخالصة لخدمة الإنسان والثقافة في الوطن العربي كله ، واستمدت المجلة روحها ومنهجها من شخصية قطر ، ومن شخصية قائدها ومؤسس نهضتها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، وبفضل هذه الروح العالية الطيبة ، اهتمت المجلة بالقضايا الجوهرية للإنسان العربي ، وابتعدت عن مناطق الخلاف والانقسام والتعصب ولذلك فقد شقت المجلة طريقها إلى كل العواصم العربية بسهولة ويسر ودون ضجيج أو افتعال ، ووجدت المجلة مكانها في كل القلوب العربية التي تبحث عن الكلمة المخلصة ، والعاطفة الصادقة والفكرة الصحيحة البعيدة عن الالتواء والتعقيد والغموض .

لقد كنا نود أن نحتفل احتفالاً أكبر بمرور عشر سنوات على صدور « الدوحة » ، ولكننا آثرنا في هذه المناسبة أن نضيء شمعة صغيرة ، احتراماً للظروف التي يمر بها عالمنا العربي بما يعانيه من هموم ومشكلات متعددة ، ومن هنا فإننا نكتفي بهذه الفرحة الهادئة ، ومعها الأمل الكبير في أن يحمل المستقبل « للدوحة » ، وللأمتين العربية والاسلامية كل خير وتقدم وصفاء .

إن « الدوحة » هي ثمرة من ثمرات النهضة القطرية المباركة التي يقودها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين ، وقد حظيت هذه الثمرة برعاية الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الإعلام في قطر ، منذ أن كانت المجلة فكرة إلى أن أصبحت عملاً ثقافياً وحضارياً ناهضاً يتجدد كل شهر ، فلم يبخل وزير الإعلام في يوم من الأيام على المجلة برعايته ومساعدته وتشجيعه واهتمامه ومتابعته الدقيقة لكل أمورها حتى استطاعت بفضل جهوده المستمرة أن تحقق أهدافها وتواصل المسير نحو الأفضل .

أما أجهزة وزارة الاعلام القطرية التي تصدر عنها « الدوحة » فقد أحاطت المجلة بكل العون والمساندة ، ويقف الأستاذ محمد عبدالرحمن الخليفي وكيل وزارة الإعلام على رأس الذين يمدون المجلة بالرعاية والتشجيع .

وأخيراً فإننا ندعو الله الذي لا يضيع في ميزان عدله أجر العاملين أن يجعل العام الحادي عشر لمجلة « الدوحة » عام خير ورخاء لقطر ، وشعبها الطيب الكريم ، وقيادتها الأمينة المخلصة ، ولكل العرب والمسلمين .

المحرر

مطلوب من المشاركة إعادة اكتشاف المغرب.. ثقافياً

شمس العرب هل تشرق من الغرب؟!

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

قمت مؤخراً بزيارة عمل ثقافي إلى تونس ، أتبعتها بزيارة عمل مماثلة إلى المغرب . وكنت قد زرت تونس قبل ذلك مراراً . أما المغرب فهذه زيارتي الأولى لربوعه .

وقد لمست في البلدين ، على قصر الزيارتين ، أن ملامح الحركة الثقافية بهما ليست بمثل ذلك الذبول أو التوتر أو التشنج أو الاحباط البادي على وجه الثقافة المشرقية الراهنة .. أو على بعض مظاهرها ..

في البلدين مهرجانات مسرحية وفنية تتوالى ، ولقاءات وندوات ثقافية وفكرية وحضارية تعقد .. وكتب مهمة وشائقة تؤلف وتنشر .. والناس يتحدثون في الفكر والأدب ، خاصة الأجيال الشابة التي تعاني بإخلاص ، وتتطلع وتفكر ، بل وتؤلف وتبدع ، دون انغماس مبالغ فيه في الحياة الاستهلاكية المسطحة كما في بعض مجتمعات المشرق العربي .

مؤشرات دالة

ولقد لاحظت أن المغرب العربي الكبير أخذ يعيد التعرف إلى روائع وثوابت تراثه العربي الاسلامي ، مع مواصلة ومواكبة الاطلاع على الفكر الحديث ، وخاصة في فروع العلوم الاجتماعية والفلسفية ذات الوظيفة النقدية والمنهجية اللازمة لاعادة صياغة الرؤية المنشودة نحو الذات والعالم . وبدأت تبرز في ساحة الثقافة العربية بالمغرب الكبير أسماء فكرية ذات وزن وذات نكهة فكرية متميزة تذكرنا بذلك الألق القديم الأصيل الذي رفد ثقافتنا العربية على يد ابن خلدون وابن رشد وابن حزم وابن طفيل .

وشد ما جذبني وأسعدني ذلك الاقبال المتحفز على الكتب في مكتبات الرباط بالذات ، حيث الكتب العربية المغربية الجديدة في الفكر الاجتماعي والتاريخي والفلسفي تجذب الآلاف من الشباب بصورة لم نعد نعهدها للأسف في كثير من عواصم المشرق . وقد أحضرت معي حصيلة لا بأس بها من تلك الكتب المغربية التي آمل أن تتاح لي فرصة قراءتها أولاً ، ثم عرضها ونقدها في مناسبات مقبلة ، على صفحات « الدوحة » التي أسعدني تواجدها الملحوظ في المكتبات التونسية والمغربية ومتابعة الأخوة الأشقاء هناك لما نكتبه على صفحاتها ، حتى أن البعض منهم في مدينة مراكش الواقعة في قلب المملكة المغربية ، أقبل علي مرحباً ترحيباً ينم عن معرفة حميمة ، وطلب مني إجراء مقابلة فكرية من منطلق كتاباتي في مجلة « الدوحة » — وهو حوار كنت أتطلع إليه بسعادة لولا ضيق الوقت وضغط مواعيد السفر الطويل .

إلا أن هذه اللفتة الحية في مدينة مراكش الرائعة هناك قرب جبال الأطلس الجميلة ، أعادت إلى ذاكرتي جميع رسائل الأخوة القراء في المغرب الكبير كله والتي تصلني تباعاً إلى البحرين تفاعلاً مع كتاباتي في « الدوحة » وتعليقاً عليها ، وتواصلاً معها ومع المجلة التي تمثل صلة الوصل معهم ، في ذلك الركن المغربي العربي العزيز . ولعل في مثل هذا التواصل الفكري والشعوري الذي أمكن تعهده بالرعاية والسقي بين الخليج العربي في أقصى المشرق وبين أشقائنا هناك في أقصى المغرب ما يؤكد ويثبت جدوى العمل الثقافي العربي الذي تبذله دول الخليج العربية ، كدولة قطر باصدارها لمجلة « الدوحة » ودولة الكويت باصدارها لمجلة « العربي » ، في سبيل أن تتواصل الكلمة العربية بين مشرق ومغرب في إطار الوطن الكبير .

وإذا كانت إقامتي القصيرة في كل من الجمهورية التونسية والمملكة المغربية ، تسمح لي بإبداء رأي أو انطباع قصير في وضع « الكلمة العربية » في مغربنا الكبير ، فإن ما سمعته من الاذاعتين التونسية والمغربية يدل على أن للعربية الفصحى مكانة تدعو للاطمئنان ، وأن المذيعين والمتحدثين يجيدونها بشكل يدعو إلى أن يغبطهم عليه بعض اخوتهم المشارقة !.

وهذا لعمري ما يبدد بعض التخوف السائد لدينا في الأوساط المشرقية من استمرار تغلب الفرنسية على العربية في أقطار المغرب ، وإن كان هذا الأثر الافرنجي ما يزال ملحوظاً في البرامج التليفزيونية التي يصعب انتاجها محلياً .

مصر كانت هناك

وعلى ذكر برامج الاذاعة والتليفزيون ، فإن الزائر العربي المشرقي للمغرب الكبير ، لابد وأن يلاحظ باغتباط استمرار انتشار الأغنية العربية المصرية ذات المستوى الرفيع — من مدرسة أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب — في سائر إذاعات الأقطار



معاناة واحدة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب : حوار بين د . جابر الأنصارى والأستاذ عبد الكريم غلاب المفكر والسياسى المغربى المعروف فى إطار لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية .

المغربية ، وشدة تذوق الأشقاء هناك لهذا اللون الرفيع والمتحضر من الأغنية العربية المشرقية بالاضافة إلى ولعهم الخاص باللحن الأندلسي الأصيل الذي مازالوا حماة له وورثة أمناء في النغمة والكلمة .

وفي هدأة الليل بجبال الأطلس الشماء عندما تسمع أم كلثوم تشدو في الأثير في أكثر من إذاعة ، يعاودك اليقين بأن مصر العربية العظيمة ، بفنها .. بتراثها .. بأصالتها .. بكلمتها العربية ذات النكهة المحببة مشرقاً ومغرباً .. وذات المعاني والايحاءات المفهومة مشرقاً ومغرباً ما تزال في القلب العربى ، على امتداد المسافة بين المغرب والبحرين ، وبين تونس وقطر ، من الخليج إلى المحيط ، وستبقى ذلك « النغم الساري بين المحيطين من مراكش للبحرين » كما تقول أغنيتها المجيدة في عهدها المجيد .

• • •

وإذا كانت اسرائيل قد تصورت أنها بغارتها على تونس ستضعف ارتباط أهل تونس والمغرب الكبير بالقضية العربية ، فإنها كانت على خطأ . بل إنها بعملها الذي تصورته ذكياً في حينه ، قد عمقت ارتباط تونس ومحيطها المغربى الواسع بالقضية العربي وفي صميمها قضية فلسطين ، وأيقظت الكثيرين من الأشقاء هناك ونبهتهم إلى خطورتها وطبيعتها العدوانية المنافية لأوهام السلام الذي تتشدق به .. وهذا يعني أن العمل الاسرائيلي على المدى البعيد سينقلب على فاعليه وسيؤدي إلى عكس ما كان منتظراً منه .. هذا هو الاستنتاج الذي يخرج به المرء من استماعه إلى المثقفين المتابعين لنبض التطورات والتخمرات في تونس ومحيطها المغربي .

وقد شهدت فى تونس ــ ضمن مهرجان قرطاج المسرحي ــ مسرحية كويتية ذات طابع انتقادي سياسي عربى ساخر .. ولم تكن المفاجأة في جرأة المسرحية في التشخيص والنقد ، فهذا مألوف في التجربة الكويتية ــ مسرحياً وسياسياً ــ لكن المفاجأة كانت في استقبال الجمهور التونسي لتلك المسرحية الكويتية وفهمه لدقائق لغتها وتلميحاتها وإيماءاتها ، خاصة السياسية والقومية منها ذات الطابع المعادي لاسرائيل ومن هم وراءها . وذلك تفاعل يؤكد أنه لا يمكن تقطيع الوشائج والصلات العربية ، ولا يمكن منع العرب من التفاعل كجسم واحد وشعور واحد وحقيقة إنسانية واحدة ، حتى لو بنوا ما يشبه سور الصين بين قطر عربى وآخر . وإذا انسدت سبل التواصل السياسي أو الرسمي بينهم فسيتواصلون وسيتفاعلون أدبياً ومسرحيا وفنياً إلى ساعة تحين وحدتهم المحتومة .

وأنت إذا ألححت في السؤال على الأشقاء هناك حول تأثيرات محاولات اسرائيل وأصدقائها الكبار على مدى تمسك أقطار المغرب بالقضية العربية ، سمعت منهم الجواب التالي : إذا كانت فرنسا بقوتها وهيمنتها الاستعمارية المباشرة على أقطار المغرب العربى التى امتدت قرناً وأكثر من قرن ، قد فشلت في فصل المغرب عن عروبته واسلامه رغم ما جربته من أساليب قمعية ضد اللغة العربية والثقافة الاسلامية في جذورهما وأصولهما ، وليس فقط ضد الاستقلال السياسي للمغرب ، فهل يعقل أن تتمكن اسرائيل بطبيعتها ومحدوديتها من التأثير على المغرب العربى فى انتمائه المصيري بغارة واحدة أو حتى بعشر غارات ؟ إذا كانت فرنسا بتأثيرها الثقافي العميق ، بالاضافة لتأثيرها السياسي والاقتصادى والتقني ، قد واجهت في النهاية ثورة المليون شهيد في قلب المغرب العربي ، في الجزائر الواقعة بين تونس والمغرب ، فهل يعقل أن تنجح اسرائيل حيث أخفقت فرنسا ومن ورائها حلف الأطلسي ؟

ذلك جواب سمعته من أكثر من مثقف بين تونس والمغرب ، وأعتقد أنه ــ بشهادة التاريخ ــ ينهي كل تساؤل حول هذا الأمر .

• • •

يبقى أخيراً ما يواجهه الزائر المشرقي من اشكالية شائقة وطريفة بشأن شعور إخواننا المغاربة حول « عقدة التفوق » في الثقافة المشرقية تجاه الثقافة المغربية منذ أيام الأندلس إلى يومنا هذا ..

سمعت أن هذه القضية أثيرت في لقاءات « أصيلة » الثقافية بالمملكة المغربية ..

وقرأت في كتاب الأستاذ محمد مزالي رئيس الحكومة التونسية (في دروب الفكر) الذي أحضرته معي من تونس ، مقالة تمس جوانب من هذا المعنى أيضاً ..

وأنا أعتقد أن لهذه القضية ــ الاشكالية ــ جوانب ووجوهاً أخرى قد تضيف أبعاداً جديدة للطرح الذي يبديه إخواننا أهل المغرب بهذا الصدد .. وأن المسألة ليست بالضبط مسألة عقدة تفوق ثقافي بين مشرق ومغرب ، كما تبدو في الطروحات المغربية ..

وسأتناول هذه القضية في العدد القادم من « الدوحة » بإذن الله .. حيث يلتقي على صفحاتها المغرب بالمشرق .. فإلى لقاء عربى آخر .. من الخليج إلى المحيط .

هامش

(١) في يناير ١٩٨٦ تكون مجلة « الدوحة » قد أطفأت عشر شموع من عمرها المديد . فقد صدرت في يناير ١٩٧٦ بمبادرة قطرية رائدة من أجل التواصل الثقافي العربي على المستوى الحضارى . فتحية بهذه المناسبة لدولة قطر ، وتحية لوزارة الاعلام القطرية ووزيرها النابه على هذه المبادرات المتميزة ، وتحية لأسرة تحرير الدوحة التي تعتز بالانتماء إليها معنوياً وعلى رأسها أديبنا الكبير رجاء النقاش .

هذا ما نَرُدّ بِهِ على المجادلين والمناورين من خصوم الإسلام

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوي

يقول بعض الناس : إذا كنتم تنادون بالحل الإسلامي ، والعودة إلى شريعة الإسلام ، ومنهج الإسلام . فأين هي برامجكم التفصيلية ، ومناهجكم الشاملة ، وأنظمتكم الدقيقة لكل شأن من شئون الحياة ، ولكل ناحية من نواحي المجتمع ؟ . وما حلولكم للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؟ . كيف تعالجون مشكلات البنوك وما يجري في عروقها من الربا ؟ وكيف تصنعون بشركات التأمين ؟ وما موقفكم من قضية المرأة والاختلاط والتبرج والأزياء ؟ وهل أعددتم قوانين جديدة تحل محل القديمة ؟أم تريدون أن تقودونا إلى متاهات لا يعرف فيها دليل ، ولا يهتدى فيها إلى سبيل؟ أو تخوضوا بنا بحاراً من التجارب ، لا ندري أين شواطئها ، ولا كيف عواقبها ؟ .

والذين يتساءلون هذا التساؤل أحد رجلين :

إما رجل غافل حسن النية ، خيل إليه ، أو ألقي في روعه أن الذي ذكر من الحلول والتفصيلات شيء متعذر أو متعسر ، فيظنه عقبة كئودا في سبيل الحل الإسلامي حقاً .

وإما رجل مدخول مضلل يعرف الحقيقة ، ولكنه يريد أن يشغل دعاة الاسلام بما ليس بمشغلة ، ويصعب عليهم الطريق بما ليس بصعب .

وجوابنا عن هذا الصنف وذاك يتمثل في بيان حقيقتين هامتين :

الحل الإسلامي واضح المعالم

الحقيقة الأولى : أن الاتجاه إلى الحل الإسلامي ليس اتجاهاً إلى مفازة ولا متاهة ، بل إلى حل واضح المعالم ، بين الحدود ، أصوله العامة معروفة ، وقواعده الكلية مدروسة ، وخطوطه العريضة بارزة ، وقد حكمت به أمة الإسلام الكبرى ثلاثة عشر قرنا ، فلم يضق بواقعة جديدة ، ولم يعجز عن تقديم العلاج لأي مشكلة ، وإذا جمد بعض علمائه في بعض العصور ، وأغلقوا باب الاجتهاد على أنفسهم ، فالذنب ذنبهم ، ومن ضيق على نفسه ضيق الله عليه (١) .

إنه حل له مصادره الثابتة من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة ، وله مصادره المتجددة من القياس والاستصلاح والاستحسان وغيرها من أوجه النظر والاجتهاد .

إن الأصول والخطوط الإسلامية العريضة التي يهدي إليها القرآن والسنة ، وبجوارها الثروة الفكرية والتشريعية التي خلفها لنا أئمة الإسلام وفقهاؤه على مدى الأعصار منذ عهد الصحابة ــ أفقه الناس للإسلام ــ فمن بعدهم ستكون هي المصابيح الهادية في طريقنا إلى العودة المنتظرة إلى الإسلام ، واستئناف حياة اسلامية صحيحة توجهها عقيدة الإسلام ، وتحكمها شريعته وتسودها مثله وأخلاقه وتضبطها آدابه وتقاليده .

وقد ذكرنا في كتابنا : « الحل الإسلامي فريضة وضرورة » ــ ما لابد من معرفته عن « معالم الحل الإسلامي » المنشود في شتى جوانب الحياة ، الفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها .

المكتبة الاسلامية غنية بالبحوث

وقد حفلت المكتبة الإسلامية الحديثة ــ وخاصة في السنين الأخيرة ــ بمجموعة قيمة من الكتب والدراسات العلمية الناضجة في شتى جوانب الحقل الإسلامي سدت فراغاً ملموساً في هذه الناحية ، ولا زالت العقول الإسلامية تبحث وتنتج ، وستظل تبحث وتنتج ، وسيزداد بحثها وانتاجها طولاً وعرضاً ، وعمقاً ، يوم تتبنى ذلك دولة مسلمة حقاً ، تخطط وتوجه ، وتجند وتشجع .

وإذا أخذنا مجالاً كالمجال الاقتصادي الإسلامي مثلاً ، نجد أن ثمة عشرات من الرسائل العلمية الأكاديمية ــ من رسائل الماجستير والدكتوراه ــ قدمت للجامعات والكليات والأقسام المعنية بالدراسات الإسلامية ، عالجت موضوعات شتى تدور حول الاقتصاد الاسلامي بفروعه المختلفة .

وهناك مئات من الكتب والبحوث المتنوعة ، منها البسيط والوسيط والوجيز ، كتبت بأكثر من لغة حول الاقتصاد الإسلامي .

وفي المؤتمر الإسلامي العالمي الأول للاقتصاد الاسلامي ، الذي انعقد بمكة المكرمة منذ نحو عشر سنوات ، قدم ــ أحد المشاركين فيه ــ الأستاذ الدكتور محمد نجاة الله الصديقي ــ دراسة ببلوجرافية ، أحصى فيها ما وصل إليه علمه مما كتب عن الاقتصاد الإسلامي باللغات العربية والأوروبية والانجليزية ، فبلغ مجموعها بضع مئات .

وبعد ذلك ظهرت كتب ودراسات أخرى كثيرة ، أشارت إليها مجلة (المسلم المعاصر) في أكثر من عدد من أعدادها .

وقامت مؤسسات مالية إسلامية : مصارف وشركات استثمار ، وشركات تأمين أو تكافل اسلامية ،حتى بلغ عدد البنوك الاسلامية أكثر من خمسين .

وقد أحيت هذه المصارف الإسلامية كثيراً من فقه المعاملات ، الذي كان مهجوراً أو مطموراً في بطون الكتب، وبدأت تظهر فتاوى ودراسات ، وتعقد ندوات خاصة ومؤتمرات عامة ، حول المصارف الإسلامية ، كما صدرت فتاوى لهيئات الرقابة الشرعية فيها مثل : فتاوى (بيت التمويل الكويتي) وفتاوى (بنك فيصل الاسلامي السوداني) (وبنك فيصل الاسلامي المصري) ومقررات وتوصيات ندوات (بنوك البركة) السنوية . وكذلك صدر عن بعضها مجلات تعنى بهذا الجانب مثل مجلة (الاقتصاد الاسلامي) عن بنك دبي ، ومجلة (النور) عن (بيت التمويل الكويتي) ، كما أنشئ المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، وصدرت عنه بحوث قيمة .

وأنشئ مركز آخر ، تابع لكلية التجارة بجامعة الأزهر .

وأنشئت جمعية الاقتصاد الاسلامي في القاهرة .

وكم عقدت ندوات وحلقات متخصصة في أكثر من بلد إسلامي عن الاقتصاد الإسلامي أو عن جانب منه مثل (التنمية) أو (الزكاة) أو (الموارد) أو (البنوك) في القاهرة وجدة والكويت ودبي وأبوظبي وقطر وباكستان وتركيا والخرطوم وغيرها ...

ومما له علاقة بهذا الجانب الدراسات التي تناولت موضوع التأمين مثل ما كتبه الأساتذة : مصطفى الزرقا ، وعلي الخفيف ، وحسين حامد حسان ، وعبدالرحمن عيسى ، والبهي الخولي ، وعيسى عبده وعبدالله بن زيد المحمود ، وداود حمدان ، ومحمد الدسوقي ، إلى غير ذلك من البحوث التي صدرت بعضها في كتب ونشر في المجلات .

وبعضها ألقي في مؤتمرات علمية كمجمع البحوث بالأزهر ، وأسبوع الفقه الإسلامي الذي عقده المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدمشق في عهد الوحدة بين مصر وسوريا ، وصدرت بحوثه في مجلد كبير . وكان موضوع التأمين يشغل نصف هذه البحوث إن لم يكن أكثر .

بقي اختيار رأي من هذه الآراء ، وذلك موكول إلى (جماعة المجتهدين) أو إلى الدولة المسلمة ممثلة في مجلس تشريعها أو شوراها .

وفي العالم الإسلامي الآن كفايات متنوعة تستطيع أن تصنع الحلول الجزئية ، والصور التفصيلية لكل مشكلة من مشكلات الحياة المعاصرة في ضوء الإسلام . ومن اليسير أن يتجمع أصحاب هذه الكفايات ، ويبدأوا العمل فوراً عند ما يجندهم حاكم مسلم ، وتستنفرهم دولة مسلمة .

المهم أن يصح منا العزم ، وتصدق النية في **العودة إلى الإسلام وتطبيق الشريعة فسرعان ما يتضح الطريق .**

ويمكن أن تقوم الآن مجامع الفقه الإسلامي في جدة ومكة ، أو البحوث الاسلامية بالأزهر ، بدور علمي في بيان ملامح المجتمع المنشود في ضوء اجتهاد معاصر قويم ، تحدثت عن معالمه وضوابطه في مقالات سابقة .

الحركات الكبرى لا تعنى بالتفصيلات

والحقيقة الثانية : أن الحركات الكبرى التي غيرت وجه الحياة ، وحولت مجرى التاريخ ، لم تقدم للناس إلا فلسفة أو هداية كلية ، ومفاهيم عامة ، تندرج تحتها أحكام وتعاليم جزئية كثيرة .

فالأديان حين ظهرت لم تدع إلا إلى مبادئ عامة ، تجدد بها وجه الحياة ،وتقوم بها عوج المجتمع ، كالتوحيد ، والإيمان بالجزاء ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق . ولم تقدم للناس مجموعات قانونية ، أو مجلدات في تطوير الآداب والفنون والإصلاح الاجتماعي .

كان مجرد نداء الرسل في أقوامهم المشركين : « أن أعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت » (٢) يشير إلى وجه المجتمع الجديد ، ويرسم تقاطيعه وقسماته . فإذا كان في المجتمع رذيلة معينة ندد الرسول بها ، وحذر منها وأنذر ،كقول لوط : « أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ؟ بل أنتم قوم عادون » (٣) وقول شعيب : « ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير » (٤) .

كان رسول الإسلام **يبعث إلى ملوك الأرض وأباطرة الدول الكبرى بهذه الآية الكريمة « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله » (٥) فيفهمون — بهذه الآية وحدها — أي حياة ينشد ، وأي مجتمع يريد . ثم لما قام المجتمع الاسلامي في المدينة ، جاء التشريع المفصل لكل نواحي الحياة .**

وليست الأديان وحدها هي التي اقتصرت على المفاهيم الكلية ، والمبادئ العامة . فكل الحركات (الايديولوجية) الكبرى كانت كذلك .

فالثورة الفرنسية الليبرالية ، إنما جمعت الناس حول مبادئ ثلاثة : الحرية ، والإخاء ، والمساواة . وفهم أنصارها وخصومها ماذا تعني هذه الكلمات ، وعرفوا من خلال هذا الشعار القسمات العامة لوجه المجتمع الجديد .

ولهذا أقول : إن مطالبة الدعاة إلى نظام الإسلام وحدهم بالحلول الجزئية ، والمناهج التفصيلية لكل شيء ، ضرب من التعسف والتزمت ، لا يقبله منطق ، ولا يرضاه منصف ، ولم تقدمه أية ايديولوجية جديدة ، فضلاً عن إيديولوجية قديمة أصيلة مرتبطة بعقيدة المجتمع ومشاعره وتراثه .

ولنأخذ « الماركسية » مثلا ، هل كانت أعدت لكل أمر عدته ، ووضعت لكل جانب من الحياة برنامجه المفصل ؟

كلا ، بل كانت ترفض ذلك ، وكان كل همها موجهاً إلى الجانب السلبي ، أي الجانب الذي يجب أن تزيله وتهدمه في الحياة القديمة . أما ماذا يجب أن تبنيه ، فلم يضع ماركس ، ولا لينين ، أي تفصيلات للمجتمع الذي ينشدانه .

وقد علقت على ذلك الكاتبة الماركسية « روزا لوكسمبرج » فقالت : « إننا نعرف ماذا يجب أن نزيل أولاً ، كي نحرر الطريق ، ونعدها لاقتصاد اشتراكي . ولكن عندما نتطلع إلى الخطوات الجزئية ، والعملية الضرورية ، لإشادة المبادئ الاشتراكية في الاقتصاد والقانون ، وجميع العلاقات الاجتماعية لا نجد مفتاحاً لذلك في أي من الكتب الاشتراكية . ليس في الأمر نقص ، بل ميزة تجعل الاشتراكية العلمية متفوقة على الاشتراكية المثالية . في إمكان المجتمع الاشتراكي أن يكون — بل يجب أن يكون — نتاجاً تاريخياً ينشأ عن تجارب الاشتراكية الخاصة ،ويظهر أثناء تحقيقها . فتطور التاريخ تطوراً حياً ينطوي دائماً على إنتاج الحل المناسب لكل حاجة اجتماعية حقيقية » .

ثم تنتهي « لوكسمبرج » إلى القول : « بأنه من الممكن تخطيط الوجه السلبي ، وجه الهدم ، وإعلانه بقرار ، ولكن ليس بالمستطاع تحقيق البناء — أي الناحية الإيجابية — عن طريق القرارات ! » (٦) .

ومن هنا يقرر « فدلوب ميلا » : أن « ماركس » كان « بخيلاً » جداً في تحديد المجتمع الجديد ، وفي امتناعه عن إعطاء أية صورة واضحة عنه (٧) .

أما « سوريل » فيقول : إننا لن نتهم بالترديد مهما كررنا القول بأن الماركسية تنقض أية فكرة عن المجتمع المقبل ، كما تصوره الاشتراكيون المثاليون ، لأن رفض أي تحديد له يشكل أحد العناصر الرئيسية الأولى في الماركسية »(٧) .

كتب « ماركس » عام ١٨٦٩ م إلى صديقه « بيسلي » — الذي نشر مقالاً عن مستقبل الطبقة العاملة — رسالة يقول فيها : « إنه كان يعتبره — قبل هذا المقال — الثوري الإنجليزي الوحيد ، ولكنه أخذ يعتبره رجعياً بعدئذ ، لأن أي اشتراكي يرسم خطة للمستقبل يكون رجعياً ! » (٧) .

كل ما أكدت عليه الماركسية هو تربية

هذا ما نـرُدّ بـهِ على المجادلـين والمناورين من خصوم الإسـلام

« البروليتاريا » تربية ثورية ، حتى إذا تولت هي زمام السلطة ، وتحققت دكتاتوريتها ، برز المجتمع الشيوعي آنذاك ، دون أي توجيه أو تنظيم أو مشروع ، لأن مشاريع من هذا النوع هي من صفات المثاليين !

اعتبر « ماركس » ـ كما يلاحظ سوريل وغيره ـ أن البروليتاريا لا تحتاج إلى دروس من مخترعي الحلول للمشاكل الاجتماعية ، بل تسلم الانتاج حيث تتركه الرأسمالية . فليست هناك أية حاجة لبرامج عن المستقبل ، لأنها تبتدئ تدريجياً في المعامل .(٨)

وهـذا الاتجـاه النظـري لمؤسس (الاشتراكيةالعلمية) يؤكده الواقع التاريخي لتطور الاشتراكية .

يقول مؤلفو « علم الاقتصاد الحديث » (٩) : « لقد ركز كل من « ماركس » ، و « لينين » ، اهتمامهما في العقائد الاقتصادية والاجتماعية . ولذلك عند ما تسلم « البولشفيك » زمام السلطة عام ١٩١٧م لم يكن أمامهم أي مخطط جاهز للنظام الاقتصادي الذي ستنشئه ديكتاتورية العمال ، وقد حاولوا لفترة قصيرة تطبيق نظرية ماركس في « القيمة المنبثقة من العمل » ولكنهم تخلوا عن هذه المحاولة . وأظهر « البولشفيك » براعة سياسية أمنت لهم البقاء في الحكم ، وأخذوا يطبقون التجارب على مر « السنين حتى أنشأوا النظام الحالي » .

والعجب بعد هذا كله أن نجد من يجادل دعاة الفكرة الاسلامية حول صور تفصيلية للمستقبل الذي ينشدون ، ويورطونهم في أسئلة متلاحقة عن الحلول الجزئية ، والبرامج المفصلة لكل صغيرة وكبيرة من شئون المجتمع ، ومناحي الاقتصاد والقانون والتعليم والآداب والفنون .. و .. و ..

وكثيراً ما سمعنا منهم هذه الأسئلة : ما موقفكم من البنوك : التجارية والصناعية والزراعية والعقارية والاستثمارية .. الخ ومارأيكم في مشكلات الاسكان والماء والكهرباء والصحة والمجاري .. والاستيراد والتصدير ، وأزياء النساء و (التواليت) و (المانوكير) وأزمة المواصلات ، وخطف الطائرات . و.. و.. الخ ؟؟ !!

إن بحسبنا أن نقول : إننا نحارب الإلحاد والإباحية ، والخلاعة والتهتك ، ونرفض الربا والاحتكار ، والخمر والميسر ، والإثم والبغي بغير الحق ، وسائر المنكرات التي حرمها الإسلام ، ولم تعد خافية على أي مسلم .

بحسبنا أن نعلن : أننا نريد مجتمعاً وصفه الله بقوله : « والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله » (١٠) وبقوله « وأمرهم شورى بينهم » (١١) .

بحسبنا أن نبين ملامح المجتمع المسلم المنشود ، ومعالم نظامه للحياة ، من الشورى في الحكم ، والعدل في توزيع الثروة . والمساواة في تطبيق قانون الشرع ، والإخاء بين أفراد المجتمع وفئاته . وحرية الاجتماع والقول والنقد في غير فحش ولا عدوان على حق الآخرين ، وسيادة القيم الايمانية ، والمثل الأخلاقية على كل قيمة في المجتمع ، وإعلاء رابطة الأخوة الاسلامية على ما سواها . والعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى بدءاً بالوحدة العربية ، فالعرب هم عصبة الاسلام ، واللغة العربية هي لسان عبادته ووعاء ثقافته ، وجعل الإيمان بالله وبالآخرة وبرسالة الإسلام الشاملة أساس التربية والتعليم ، ومحور التثقيف والاعلام ، وتطهير الثقافة من السموم الفكرية الغازية ، ومن رواسب عصور التخلف وإحياء التقاليد الاسلامية الأصيلة ، ومحاربة العادات والتقاليد الضارة الدخيلة ، من الميوعة والخلاعة والتحلل ، وتربية الشباب على معاني الجد والاستقامة ، والفتيات على معاني العفاف والحياء ، والشعب كله على معاني الحق والخيروالطهر والقوة والدعوة إليها والجهاد في سبيلها .

وبجوار هذا كله الاستفادة كل الاستفادة بـ « العلم الحديث » ووضع خطة للتفوق فيه ، والتبريز في كل ميادينه ، واستخدام أقصى « التكنولوجيا » المعاصرة ، لتطوير مجتمعنا ، واستغلال طاقاته الضخمة كلها المادية والبشرية ، وبناء اقتصاده وقواته المسلحة على أحدث الأسس العلمية العصرية .. إلى غير ذلك من الملامح والمعالم العامة .

وبحسبنا أن نعمل على تربية الجيل المسلم الجديد الذي يقود الاتجاه الجديد ، ويبني المجتمع الجديد على تقوى من الله ورضوان ، مستهدياً بهدي الإسلام .

أقول : هذا حسبنا ، وهو كاف للرد على المجادلين والمناورين من خصوم الاتجاه الإسلامي ، وبخاصة الماركسيون واليساريون منهم .

ومع هذا لم نكتف بالملامح والخطوط العريضة ، بل قدم الإسلاميون ـ كما ذكرت ـ كثيراً من الحلول والصور التي لا تخلو من تفصيل ، قطعاً للألسنة الممارية ، وزيادة في البيان والايضاح ، واقامة للحجة على المرتابين والمتوجسين من قدرة الفكر الإسلامي على مواجهة الحياة الحديثة ، والعلم المتطور ، والمجتمع المتغير ، بحلول وعلاجات تواكب تقدمه ، وتوائم تطوره ، وتهديه سبله ، وبعد هذا البيان لا عذر لمتخوف ولا مرتاب .

حقائق يجب أن تعلم

وأحب أن أنبه هنا على بعض أشياء قد تغيب عن بعض الناس :

أولها : أن كثيراً من المشكلات التي نعانيها اليوم ، ونشكو منها ، ونختلف في وصف علاج إسلامي لها ، قد لا تبرز أصلاً في ظل المجتمع الإسلامي الصحيح ، لأن بروزها الآن ثمرة لأوضاع غير إسلامية ، ونتيجة لمجتمع غير ملتزم بمنهج الإسلام ، ونظام الإسلام . فاذا تغيرت صفة المجتمع ، وتغيرت أوضاعه بظهور المجتمع المسلم المتوازن المتكامل ، بمقوماته وخصائصه وأوضاعه ، تلاشت تلك المشكلات أو انكمشت ، ولم تعد تكون مشكلة حقيقية .

مثال ذلك : أن غياب نظام التكافل الإسلامي بما فيه فريضة الزكاة ، وتخلي الدولة عن مسئوليتها تجاه رعاياها ، تلك المسئولية التي تتمثل في قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنا أولى بكل مسلم من نفسه ، من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً ـ أولادا صغاراً لا مال لهم ـ فإلي وعلي » (١٢) والتي جعلت عمر ابن الخطاب يفرض لكل مولود في الإسلام نصيباً في بيت المال .

أقول : إن غياب هذا النظام الإسلامي مع تعقد الحياة الحديثة ، وغلبة الأنانية على الناس ، وتفكك الروابط الأسرية ، جعل الناس يخافون على أنفسهم وعلى أولادهم من بعدهم ، مما جعلهم يرحبون بنظام التأمين الغربي على الحياة وغيرها .

وفي اعتقادي أنه لو طبق نظام التكافل الإسلامي ، وجمعت الزكاة كما يريد الإسلام ، وصرفت كما يريد الإسلام في المصارف الشرعية ، ومنها الفقراء والمساكين والغارمون ، وقد وضحتها بتفصيل في كتابي « فقه الزكاة » لاستغنى الناس عن اللجوء إلى التأمين الغربي ، بكفالة الإسلام ، وتأمين الإسلام .

ثانيا : إن من الناس من يتصور أن كل ما في مجتمعنا الحالي مخالف للاسلام ، وأن كل الأنظمة والقوانين والمؤسسات ستهدم وتبنى من جديد . وهذا ليس بتصور سليم . فأكثر الأنظمة والقوانين والمؤسسات القائمة ستبقى ، ولكن بعد أن تنقى من العناصر الغريبة المناوئة للاسلام ، وتطعم بالعناصر

الإسلامية الخالصة ، وبهذا تكتسب الشرعية ، وتستحق البقاء باسم الإسلام .

تأخذ مؤسسة (كالسينما) مثلاً ، فهل يهدم النظام الإسلامي دور (السينما) ؟ أو يبقيها مثلا لغير المسلمين ، ويحرمها على المسلمين ؟.

كلا . إن نظام الإسلام لا يمنع قيام دور للسينما ، لكن مع بعض القيود ، مثل :

١ ــ أن يكون عددها معقولاً وملائماً لمجتمع جاد ، لا مجتمع عابث .

٢ ــ ألا تكون أداة لإثارة الشهوات الدنيا ، وتحطيم القيم العليا ، وإفساد أخلاق الشبان والشابات ، وإفساد العقول بالأفكار الدخيلة المخالفة لعقائد الأمة ومفاهيمها ، ولهذا كان لابد من انتقاء (الأفلام) التي تعرضها ، وتوجيه المؤلفين والمخرجين والمنتجين إلى النافع منها ، سواء كانت توجيهية أم ترفيهية . أما (الأفلام) المخربة والغثة فلا موضع لها في مجتمع صاحب رسالة .

٣ ــ ألا تصادم مواقيت الصلوات ، فلا يجوز أن يبدأ عرض فيلم قبيل المغرب لينتهي بعد العشاء . حتى لا يكون المجتمع ممن أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات .

٤ ــ ألا تتخذ أعشاشاً للغرام ، وأوكاراً للمنفلتين والمنفلتات من قيود الفضيلة .

٥ ــ ألا تتخذ وسيلة لابتزاز أموال الشعب ، نتيجة لاحتكار طائفة من الناس لها ، وبيع تذاكرها بأغلى الأثمان ، دون رقيب ولا حسيب .

هذا مثل واحد أذكره هنا ، وهو كاف للتدليل على ما أريد .

ثالثاً : إن قيام نظام إسلامي في مجتمع لا يعني تغيير كل ما يراد تغييره فيه ما بين عشية وضحاها ، فمن الناس من يتصور أنه ــ بمجرد انتصار الاتجاه الاسلامي ، والعودة إلى تطبيق شريعة الله ــ لا يطلع صباح اليوم التالي ، إلا وقد صدرت الأوامر باغلاق المصارف (البنوك) ، وتسريح موظفيها ، وفرض الحراسة على ممتلكاتها ، .. الخ ، وتبعاً لهذا التصور يتوقعون زلزلة الاقتصاد ، وتعطيل المصالح ، واختفاء رؤوس الأموال ، وغير ذلك من النتائج والآثار .

وهذا التصور إنما جاء نتيجة القصور في فهم المنهج الإسلامي في علاج الواقع الفاسد ، وتغيير المنكر القائم ، وبناء المجتمع الصالح .

فهناك مبادئ ثلاثة لابد أن توضع في الاعتبار عند الاتجاه إلى تطبيق النظام الإسلامي ، وإقامة المجتمع المسلم المنشود :

أ ــ هناك مبدأ « الضرورات » التي اعترف بها الشرع ، وجعل لها أحكامها ، وتقرر ذلك في قواعد فقهية عامة هي : « الضرورات تبيح المحظورات .. الضرورة تقدر بقدرها .. الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة » . ولهذا المبدأ أدلته الكثيرة من الشرع في باب الأطعمة وغيره . وهو مبدأ مسلم به . *

ب ــ مبدأ السكوت على المنكر إذا ترتب على تغييره منكر أكبر منه ، دفعاً لأعظم المفسدتين ، وارتكاباً لأخف الضررين . وبناء على هذا المبدأ يقرر الفقهاء طاعة الإمام الفاسق إذا لم يمكن خلعه إلا بفتنة وفساد أكبر من فسقه . ومما يستدل به لهذا المبدأ حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعائشة : « لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة ، وبنيتها على قواعد إبراهيم » (١٣) ومن ذلك إبقاؤه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المنافقين ، وترك التعرض لهم ، مع علمه بنفاق بعضهم على التعيين ، وتعليله ذلك بقوله : « أخشى أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

وفي القرآن الكريم يذكر الله ــ تعالى ــ في قصة سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ : أن سيدنا هارون سكت على عبادة قومه للعجل الذي صنعه لهم

● مَـنْ ضَيَّـقَ علـى نفســه ضَيَّـقَ الله عليــه

● الحل الإسـلامي واضـح المعـالـم ولـيس متـاهـة غـامضـة

السامري ، وفتنهم به ، حتى يعود أخوه موسى ، ويفصل في الأمر ، وكان سكوته حفاظاً على وحدة القوم في هذه المرحلة حتى يجيء زعيمهم . وفي هذا يذكر القرآن هذا الحوار بين موسى وأخيه هارون « قال : ياهارون ، ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعن ، أفعصيت أمري ؟ . قال : يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول : فرقت بين بني اسرائيل ، ولم ترقب قولي » (١٤) .

ولم يعترض موسى على احتجاج أخيه بهذا العذر ، مما يدل على إقراره وموافقته . وليس شيء أعظم من السكوت على عبادة عجل ذهبي من دون الله ، ولكنه سكوت موقوت ، لاعتبار مقبول .

جـ ــ مراعاة سنة التدرج : المبدأ الثالث هو مبدأ « التدرج » الحكيم الذي نهجه الإسلام عند إنشاء مجتمعه الأول ، فقد تدرج بهم في فرض الفرائض كالصلاة والصيام والجهاد ، كما تدرج بهم في تحريم المحرمات كالخمر ونحوها .

وعند تجدد ظروف مماثلة لظروف قيام المجتمع الأول أو قريبة منها ، نستطيع الأخذ بهذه السنة الإلهية ، سنة « التدرج » إلى أن يأتي الأوان المناسب للحسم والقطع . وهو تدرج في (التنفيذ) ، وليس تدرجاً في (التشريع) فان التشريع قد تم واكتمل بكمال الدين ، واتمام النعمة ، وانقطاع الوحي .

ومن الشواهد التي تذكر هنا ما رواه المؤرخون عن الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ، الذي عده كثير من أئمة الإسلام خامس الراشدين ، أن ابنه عبدالملك قال له يوماً : مالك لا تنفذ الأمور ؟! فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق !

يريد الشاب التقي المتحمس من أبيه ــ وقد ولاه الله إمارة المؤمنين ــ أن يقضي على المظالم وآثار الفساد دفعة واحدة ، دون تريث ولا أناة ، وليكن بعد ذلك ما يكون . فماذا كان جواب الأب الصالح ، والخليفة الراشد ، والفقيه المجتهد ؟

قال عمر : « لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة ، فيدفعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة » (١٥) .

وهذا هو اليسر ، وتلك هي الواقعية في منهج الإسلام العظيم .

يوسف القرضاوي

هوامش :

(١) انظر : حقيقة « الوضوح » ــ من كتابنا : الخصائص العامة للاسلام . ط مكتبة وهبة ثانية .
(٢) سورة النحل : ٣٦
(٣) سورة الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦
(٤) هود : ٨٤
(٥) سورة آل عمران : ٦٤
(٦) عن كتاب : « الايديولوجية الانقلابية » تأليف د . نديم البيطار ص ٣٩٤
(٧) المصدر نفسه ص ٣٩٥
(٨) المصدر نفسه ص ٣٩٦
(٩) كتاب : علم الاقتصاد الحديث . ص ٤٤٥
(١٠) سورة التوبة : ٧١
(١١) سورة الشورى : ٣٨
(١٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة
(*) مجمع عليه . والضرورات الشرعية ليست كلها فردية ، كما قد يتوهم . فللمجتمع ضروراته ، كما للفرد ضروراته ، فهناك ضرورات اقتصادية ، وسياسية ، وعسكرية ، واجتماعية ، لها أحكامها الاستثنائية ، التي توجبها الشريعة ، مراعاة لمصالح البشر ، التي هي أساس التشريع الإسلامي كله .
(١٣) رواه البخاري
(١٤) سورة طه : ٩٢ ــ ٩٤ .
(١٥) النظر : الموافقات للشاطبي جـ٢ ص ٩٤ .

جامعة لوزان الجديدة

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

كانت مضيفتنا ، السيدة السويسرية الكريمة ، قد تجولت بنا في قلب مدينة لوزان ، فزرنا كاتدرائيتها التي بنيت في القرن الميلادي الثالث عشر ، وألقينا نظرة معجلة على أبنية جامعة لوزان القديمة . وفي طريقنا بالسيارة إلى جنيف أشارت بيدها إلى غابة كثيفة من الأشجار على أيمن الطريق ، تقوم فيها أبنية ضخمة متعددة ليس فيها أثر من الطراز القوطي الذي طبع لوزان بطابع العصر الوسيط . أشارت بيدها وقالت : هذه جامعة لوزان الجديدة ... لم تعد مباني القرون الوسطى كافية لاحتضان التقدم العلمي في كل مجال ، فأنشئت هذه الجامعة الحديثة لتحتضن علوم العصر الحاضر ، وسويسرا لا تقصر في ميادين البحث والتطبيق لهذه العلوم عن أكبر الدول وأغناها .

قلت أنا : ولكني أراها أبنية متباعدة . ليس فيها تمركز الأبنية الجامعية العريقة في القدم .

قالت : هذا صحيح . بنيت العمارات في الفسحات بين مجموعات الشجر احتراماً للأشجار المغروسة في المكان قبل أن يتقرر إنشاء هذه الأبنية . الحرص على الشجر واجب وطني لا يمكن أن يتهاون فيه إنسان . وإذا قضت الضرورة الملحة بقطع شجرة واحدة فان ذلك لا يتم إلا بعد أن يقوم استفتاء عام في المقاطعة عليه .

قلت مستفهما : استفتاء عام ؟!

أجابت : نعم ، يشترك فيه سكان المقاطعة ، أو على الأقل سكان الناحية المعنية بالأمر ، فيقررون إذا كان الأفضل قطع الشجرة للضرورة الملحة ، أو الإبقاء عليها . وغالباً ما تكون نتيجة الاستفتاء في صالح بقاء تلك الشجرة الوحيدة في مغرسها ...

فطنت إلى أن استفهامي المستغرب كان في غير محله . فأنا أعرف منذ زمن طويل أن هذه هي طريقة السويسريين في تقرير الأمور المتعلقة بالمصلحة العامة ، صغيرها وكبيرها . ففي إحدى زياراتي القديمة لمدينة زوريخ حضرت استفتاء من هذا القبيل دار حول مشكلة تتعلق بساحة في المدينة يتوسطها تمثال لعظيم من رجالات المقاطعة القدماء . كان قد جرى توسيع هذه الساحة من أحد جوانبها فلم يعد موقع التمثال يحتل الوسط الهندسي لها . ومن هنا نشأت المشكلة ... هل ينقل التمثال من موقعه الحالي وينصب في الوسط الهندسي للساحة مراعاة للتناسق العمراني ، أم يترك في مكانه مراعاة لوضعه التاريخي وما تعوده الناس من رؤيته حيث هو ؟

وحلت المشكلة بأن دعي سكان زوريخ إلى استفتاء يقررون ما يرونه في شأنها . وكان الرأي القائل بإبقاء التمثال في موقعه القديم هو الرأي الغالب ، وبه أخذ من كان بيده التنفيذ .

• • •

وبالطبع فإن الاستفتاء في سويسرة لا يطبق دوماً على نقل تمثال من مكانه أو على قطع شجرة لغابة معينة . إلا أن المواطن السويسري يشترك باستفتاء على أمور مثل هذين بجد واهتمام كجده واهتمامه بالاستفتاء الذي طرحته سلطات الجمهورية الكونفدرالية في ذات يوم حول ما إذا كان الواجب أن تتزود سويسرا بالسلاح النووي أو أن تقتصر في قوتها الدفاعية على الأسلحة التقليدية . ويكاد يكون أول ما يقوم به ذلك المواطن في أيام الآحاد ، قبل توجهه إلى الناحية التي ينوي قضاء عطلة الأسبوع فيها ، هو أن يمر على مركز الاقتراع ليلقي الورقة التي تحمل رأيه في الاستفتاء المطروح في ذلك الأسبوع .

وأذكر اليوم كذلك أن أمراً آخر ، غير الاستفتاء على نقل التمثال ، أثار في نفسي استغراباً كما ساق الابتسامة إلى شفتي ، في زيارتي القديمة تلك لزوريخ . ذلك أني قرأت آنذاك في إحدى صحفها إعلانا عن دعوة للترشيح لمنصب عضو في مجلس بلدية إحدى قرى المقاطعة . كان الإعلان يعدد الشروط التي يجب أن تتوفر في المرشح ، من عمر ودرجة تعليم وسواهما من المؤهلات ، ويضيف بعد ذلك هذه الجملة « ويفضل من يحسن العزف على الكلارينيت نظراً لافتقار فرقة القرية الموسيقية لعازف على هذه الآلة » !

بديهي أن ترتسم الابتسامة على شفتي لقراءة هذا الشرط التفضيلي . فما عودتنا الانتخابات في بلادنا ، ولا في بلاد العالم الأخرى ، على شروط من هذا اللون . ولكن السويسريين لهم نظرتهم الخاصة إلى الحياة وشؤونها . إنها نظرة شعب يبدو للمتطلع إليه من بعد مجبولاً على الاختلاف ، وذلك لتعدد لغات أبنائه وتباين مذاهبهم الدينية

• يُفَضَّل في عضوية مجلس المدينة من يُحْسِن العزف على آلة موسيقية

وانتماءاتهم التاريخية والجغرافية . ولكنه الشعب الذي نبذ مفهوم الاختلاف من سلوكه منذ زمن طويل . فقد مرت القرون عليه وهو يعيش في سلام وحياد ، متجنباً الانزلاق إلى محارق التهلكة وإلى الحروب التي انزلقت إليها البلدان المحيطة به ، وبلاد العالم الأخرى ، في ركضها وراء الأمجاد الزائفة والأطماع الجشعة أو بدافع الايديولوجيات الضيقة . ومن المعروف أن سويسرا ، على بعد عهدها بالحروب واحترام دول العالم لحيادها ، لا تنام على وعود السلامة والاطمئنان إلى المواثيق الدولية ، بل إنها تتجهز للحرب وتتسلح لها تجهز وتسلح من يرى تلك الحرب منه قاب قوسين أو أدنى .

وإذا أضفنا إلى سلام سويسرا وبعدها عن الاضطرابات من خارجية وداخلية ، إذا أضفنا إلى ذاك جمال طبيعتها الفاتن وبحبوحة العيش التي يرتع فيها سكانها ، والنظافة والأمانة والوداعة التي يتصف الناس بها فيها ، بدت لعين الزائر الغريب ، كما بدت لي في زيارتي الأخيرة لها ، كأنها جنة الله في أرضه ...

فهل سويسرا كذلك حقيقة ؟

• • •

كنا نتحدث في هذا حول مائدة الغداء في جنيف ، ورحت من ناحيتي أعدد النعم الدنيوية ، التي يتمتع بها السويسري والسويسرية في هذه الجنة الأرضية . قال أحد جلوس المائدة ، وهو سفير عربي سابق اختار العيش في جنيف بعد اعتزاله المنصب :

● استفتاء بين المواطنين للحصول على رأيهم في قطع شجرة من الأشجار

ــ كل ما عددته ، في حماس ، من النعم التي سميتها دنيوية في هذه البلاد ، صحيح . هل سمعت بخط الزلازل الذي يحيط بالكرة الأرضية مائلاً على خط الاستواء ؟

قلت : سمعت به ... خط وهمي يبدأ بالشيلي ماراً بأمريكا الوسطى والبحر الكاريبي ، ثم بساحل الجزائر وجنوبي إيطاليا ، ويخترق اليونان وشمالي تركيا حتى ينتهي بأرخبيل اليابان التي لا تهدأ فيها الاهتزازات الأرضية ، إذا لم تتحول الاهتزازات إلى زلازل لا تبقي ولا تذر . ولكن ... ما دخل هذا الخط بنعمة العيش في سويسرا ؟

قال السفير السابق : في سويسرا خط يشبه الخط الذي وصفته يدعى بخط الانتحار . خط وهمي يبدأ بجنيف ويمر إلى الشرق من لوزان مخترقاً « برن » العاصمة حتى يتلاشى في شمال البلاد . سمي هكذا لأن نسبة الانتحار بين سكان المدن التي تقع عليه تفوق كل نسبة ، لا في سويسرا وحدها ، بل في بلدان كثيرة غيرها .

قلت : الناس في جنيف وفيما حولها ينعمون بخير ما ينعم به الناس في أي بلد زرته في العالم . ما الذي يدفعهم إلى الانتحار ؟

قال : لا أحد يعلم الدوافع على التحقيق . جو هذه المدينة وأمثالها ، على خط الانتحار ، جو خانق من الناحية النفسية لمن يعيش فيها بصورة مستمرة . هناك جوانب في النفس الإنسانية تتأثر بمؤثرات يجهلها العلماء والباحثون ، غير كفاية الغذاء والأمن الاجتماعي والسياسي .

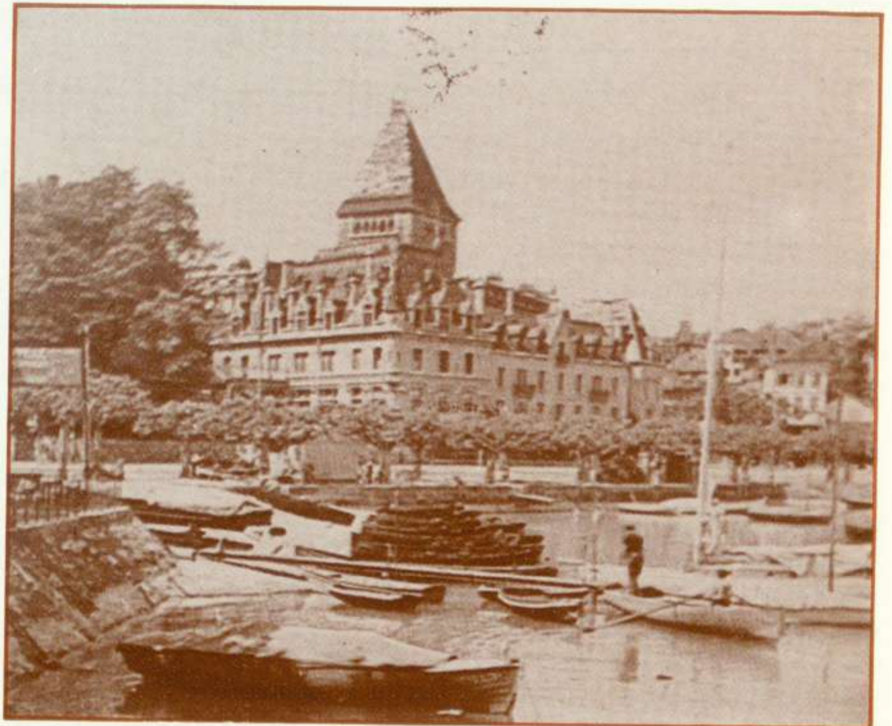
كان فيما قاله السفير العربي السابق جانب من الحقيقة غير قليل . وقد أكده لي حديث صديقي الطبيب السوري الأصل ، الذي يحمل جنسية سويسرية خولته العمل في مركز طبي مرموق في جنيف . زرت هذا الصديق في مقر عمله فغبطته على ما تحت يده من تجهيزات علمية في ذروة التقدم ، وعلى أناقة مكتبه ومقدرة سكرتيرتيه الجميلتين ، وهنأته على توفيقه في ملء هذا المركز بكفاءة . قال لي : بقي لي من العمل فيه هنا سنتان ، أستحق بعدهما راتب تقاعد مجز وأعود لأعيش في ... حلب ! قلت مستغرباً : في حلب ؟! أنت يا صاحبي سوري المولد حقاً ، إلا أنه ليس لك في سورية عشيرة أو أسرة تلزمك بالعودة إليها ... حتى أرومتك ليست عربية في أصلها ... ثم إن زوجتك الفاضلة سويسرية ولك منها ابنة وحيدة تزوجت من سويسري ، مدرس في الجامعة ، في مطلع الصيف الفائت ... فما الذي يدفعك إلى أن تهجر هذه البقعة التي نغبطك على الحياة فيها وتعود إلى مكابدة ما نكابده في شرقنا المسكين ؟

قال وهو يباعد ما بين ذراعيه علامة الضيق والتبرم : أنت لا تدري يا صاحبي ... الجو هنا لا يطاق .. لا يطاق !

• • •

ليس من شك إذن في أن في جو جنيف ، وفي العيش على ذلك الخط الوهمي الممتد منها إلى العاصمة برن ، رغم كل طيبات الحياة المتوفرة فيهما ، شيئاً لا يطاق ! ماهو سر ذلك الشيء ؟ لعل جامعة لوزان الجديدة التي رأيت أبنيتها مبثوثة بين مجموعات من الشجر لا تقطع واحدة منها إلا باستفتاء ، لعل هذه الجامعة ستكشف في يوم قريب هذا السر في مخابر أبحاثها وعلى أيدي علمائها الأفذاذ . أم تراه سيظل سراً مغلقاً لأن جنة الله الكاملة الأوصاف لا يمكن أن توجد على أرض البشر في هذه الدنيا ، ولو كانت هذه الأرض في سويسرا نفسها !؟

« الرقة ــ سورية »





من أوراقي المطوية

قصة لقائي مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٨



بقلم:
فدوى طوقان

عدوان حزيران عام ١٩٦٧ ، دماؤنا تقطر من حدي سكين الطعنة المباغتة ، الواقع الجديد يصيبنا بالشلل والذهول ، وأرواحنا تضطرب تحت الممارسات القمعية من قبل الجيش الاسرائيلي .

بضعة أسابيع ، شهران أو أقل بقليل ، نسترد بعدهما وعينا وتبدأ مرحلة الرفض والمقاومة ، ويبدأ تعاملنا مع التحديات الصعبة .

يظل الشعر هو الرد الأدبي الأسرع على الأحداث والتحديات ، ذلك أنه بطبيعته لغة الانفعال والاشتعال العاطفي : من هنا فهو بالتالي أكثر تلقائية من أشكال التعبير الأدبية الأخرى ، كالقصة ، والرواية مثلا ، فهذه أو تلك تحتاج إلى البعد الرابع ، البعد الزمني ، كما أنها تحتاج إلى حال من الهدوء ، ناهيك عن الاختمار الفكرى ، قبل أن تخرج عملاً أدبياً يقوم بالدور الفعال والدعوة إلى تغيير الواقع الجديد البشع .

وهكذا ، سرعان ما بدأ اندماجي بالجماهير فى لقاءاتي الشعرية معهم ، تلك اللقاءات التى كانت الهيئات الوطنية تنظمها سراً فى مختلف بلدان الأراضي المحتلة ، كالقدس ورام الله والبيره وبيت لحم وغزة وبيت جالا ، وكان يتم ذلك بحضور رؤساء بلديات تلك المدن لندواتي الشعرية .

في اليوم التالي لأمسيتي الشعرية فى بيت جالا ، تبين أن بعض اليهود الشرقيين من رجال المخابرات الاسرائيلية كانوا قد اندسوا بين الحضور ، وهؤلاء يصعب تمييزهم عن أبناء العرب . فقد فوجيء رئيس البلدية السيد « البندك » وبعض الرجال البارزين ممن حضروا الأمسية ، فوجيء هؤلاء بالحاكم العسكرى فى بيت جالا يستدعيهم واحداً واحداً ، حيث أنحى باللوم الشديد على رئيس البلدية لموافقته على تنظيم تلك الندوة وحضوره وحماسه لها . ثم التفت إلى المرحوم توفيق قطان أحد رجال الأعمال البارزين فى الضفتين ، التفت إليه قائلا : « وأنت أنت ابن السبعين عاما ، إذا كانت قصائدها قد أثارت حماسك إلى ذلك الحد ، فكيف بتأثيرها على جيل الشباب ؟ » .

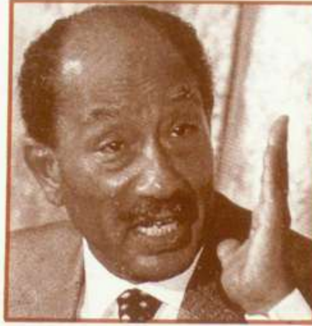
أما عضو البرلمان الأردنى السيد ربحي مصطفى ، فقد خاطبه الحاكم العسكرى بكلمات حادة ومما قاله : « أترى كان اندفاعك إلى المنصة ومصافحتك الحارة لها بدافع الاعجاب بشخصها أم بأشعارها ؟ » .

بعد ذلك بأيام قليلة قام وزير الدفاع موشيه دايان بجولة من جولاته ، وفى بيت جالا استدعي رئيس البلدية مرة أخرى إلى دائرة الحاكم ليستمع إلى دايان منذراً ومحذراً إياه من تكرار تنظيم مثل ذلك اللقاء الشعرى مع الجماهير فى بيت لحم أو بيت جالا حيث الهدوء واستتباب الأمن « فحذار من اللجوء إلى مسببات التهييج والإثارة فى هذه المنطقة » .

فى الأسبوع الأول من أكتوبر عام ١٩٦٨ اكتشف الاسرائيليون كمية هائلة من أنواع المتفجرات



جمال عبد الناصر



أنور السادات



جيهان السادات

المختلفة في أحد بيوت البلدية القديمة بنابلس ، فجاء وزير الدفاع يركض إلى نابلس غاضباً مستفزاً ، فقد كانت مدينة بيسان قد ضربت بشدة بصواريخ الفدائيين قبل اكتشاف المتفجرات بيوم واحد فقط . جاء دايان ليطلب من رئيس بلدية نابلس آنذاك ، حمدى كنعان ، استدعاء بعض رجالات المدينة .

قال دايان للمجتمعين : ما الذي تريدون يا أهالي نابلس ؟ هل تريدون مقاتلة اسرائيل ؟ إذن تفضلوا وافعلوا إن كنتم قادرين على ذلك . أنا لا أطالبكم بالتعامل معنا ، ولكن عليكم على الأقل أن تحرصوا على سلامتكم ، فهذه المتفجرات التى وجدناها اليوم لو أن لغماً واحدا منها انفجر لكان كافياً لتدمير نصف نابلس ، ثم هناك تلك الشاعرة التي تكفي كل قصيدة من قصائدها لخلق عشرة من الفدائيين .

هنا رد عليه رئيس البلدية قائلاً : ماذا تتوقعون غير ذلك ؟ إن ردة الفعل لدى أى بلد محتل ، وفى أى جزء من أجزاء العالم ، هى مقاومة الاحتلال ورفضه .

قبل مغادرته لدار البلدية التفت دايان إلى رئيس البلدية قائلاً : أريد مقابلة فدوى طوقان ، وبعد الظهيرة وفد علي ابن عمى قدري ليخبرنى بأننى مطلوبة لمقابلة وزير الدفاع . وبالفعل تم تحديد موعد المقابلة بين رئيس البلدية وديفيد فارحي مستشار دايان فى شؤون الضفة الغربية .

بعد ظهيرة اليوم المحدد للاجتماع ، انطلقت بنا سيارة رئيس البلدية فلفت نظرى أنها اتجهت غرباً ، وكان توقعي أن تتجه شرقاً حيث الطريق إلى القدس . سألت : إلى أين ؟ قال : إلى تل أبيب .

ساعة وبعض الساعة : عرجت السيارة بحي فى احدى ضواحي تل أبيب ، لتقف أمام أحد البيوت هناك ، وليفجأنى مرآى دايان وقد بسط راحتيه مرحباً بالقادمين .

انتفضت أعماقي استياءً واستغراباً .

فى بيته إذن ؟!

ياللتناقض ويا للمفارقة !

أنا التى أمثل بقصائدى الرفض ومقاومة الاحتلال أمضي إلى دايان فى بيته ، وكأنني أقوم بزيارة خاصة لوزير الحرب ممثل الاحتلال والعدوان ؟

ما العمل ؟ وكيف أتصرف ؟ مصيبتى الكبرى هى هذه الطبيعة الخجول وهذا العزوف الغريزى عن اتخاذ المواقف التى قد توهم الآخرين ، ممن لا يعرفوننى على حقيقتي ، بأنها مواقف استعراضية . فهل أعاند وأصر على رفض الدخول إلى المنزل ؟ أو ليس فى هذا ما يحرج رئيس البلدية والذى كان عليه أن يخبرنى سلفاً عن مكان اللقاء ؟

الله يشهد هنا أنني كثيراً ما أجدني قد ورطت نفسي فيما لا أحب من الأمور ، لأجنب الآخرين ما قد أسببه لهم من إحراج ..

تقدمنا دايان ليمضي بنا إلى غرفة الجلوس الغاصة رفوفها بالقطع الأثرية . هناك عرفني على اثنين من مستشاريه : ديفيد فارحي وديفيد زخريا . لم نكد نتخذ مقاعدنا حتى دخلت زوجته وابنتها يائيل دايان الكاتبة الروائية لتسلما علينا ببشاشة وترحيب .

لم يلبث دايان أن بدأ الحديث معى قائلاً ــ وقبل أن يجلس ــ : أنت تكرهيننا ، لقد قرأت قصائدك مترجمة إلى العبرية ، إنها تفيض بمشاعر الكراهية وبالكلمات العاصفة .

قال ذلك ثم اتخذ له مقعداً قريبا مني .

قلت : لست أكرهكم كيهود ، لكنى أكرهكم كمحتلين . إنني من الذين يؤمنون بحق اليهود في حياة كريمة بعد الذي عانوه فى أوربا ، نعم ، لقد عانوا كثيراً ، لكن لماذا نكون نحن الفلسطينيين من يدفع الثمن ؟ لقد ذهبت بعد الحرب إلى حيفا ويافا فهزني ما رأيت من بيوت العرب المهجورة ، ومن ركام الدور المهدمة ، والتى ما تزال أطلالها ماثلة منذ حرب ١٩٤٨ ، كما هزني ما رأيت من سوء حال العرب المقيمين هناك وفى اللد والرملة والقرى التى زرتها ، فلم أملك الا أن أعبر عن مشاعرى تجاه وطني وتجاه شعبنا ، أتراك تلومني على ذلك ؟

قال : كلا ، لست ألومك ، بل إنني أقدرك ، وأتمنى لو أن لدينا شعراء وطنيين مثلك ، لكن ما هى النتيجة ؟

قلت : أعتقد أنكم لو تنسحبون من أراضينا المحتلة فإنكم ستمهدون بذلك سبيلاً إلى الحل .

قال : كيف ننسحب وهناك لاءات جمال عبد الناصر فى الخرطوم : لا سلام ولا اعتراف ولا مفاوضات .

قلت : لقد ألغيت هذه اللاءات الثلاث تلقائيا منذ قبل عبد الناصر بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

قال : لقد انسحبنا من سيناء ومن غزة عام ١٩٥٦ ومع ذلك لم تحدث تسوية ، وبقيت المشاكل قائمة . لن يجلس عبد الناصر معنا على مائدة مفاوضات ، وعليكم أن تكونوا فخورين به . أنا متأكد أنه لا يوجد زعيم باستطاعته التأثير على جمال بهذا الصدد . ونحن باستطاعتنا التحدث مع بعض الزعماء لو أن فى مقدورهم التأثير على عبد الناصر . الفلسطينيون وحدهم هم القادرون على أن يؤثروا عليه .

هنا التفت إلى ابن عمي قدرى قائلة : هل تفعل ذلك ؟ فقال دايان : افعلي أنت ذلك . ورد عليه رئيس البلدية قائلاً : ما الذي سيقوله الفلسطينيون لعبدالناصر فيما أنتم ترفضون الانسحاب من القدس وسيناء وهضبات الجولان وو.. الخ ..؟

قال دايان : إنني الابن الروحي لبن غوريون ، وأتبنى أفكاره ، ولقد صرح بن غوريون قبل أسبوع فى الكنيست وفى مؤتمر صحفي ، قائلا : إنه لا يهمه حجم إسرائيل لو ظل صغيراً ، إن كل ما يريده هو حدود آمنة ومعترف بها .

قصة لقائي مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٨

عندئذ سألته : وماذا عن اللاجئين ؟

قال : في حال عودتهم لن يبقى هناك شيء اسمه اسرائيل .

قلت : حتى لو وافقتم على عودتهم فلن يرغبوا جميعاً في العودة .

قال : نحن نصر على رفض إعادة أي عدد منهم مهما قل ، وعلى فرض الموافقة فسوف نكون نحن من يختار أسماء العائدين .

انتقل الحديث بعد ذلك بينه وبين قدري حول مناهج التعليم في الضفة ، والتي كان في نية دايان تغييرها بعد الاحتلال مباشرة لولا تصدي قدري لهذا الأمر ، بحيث اقتنع دايان بحذف بعض الصفحات فقط وليس التغيير (أو التهويد) الشامل . كما دار الحديث بينه وبين رئيس البلدية حول شؤون البلدية في نابلس .

قبل انتهاء الاجتماع الذي استمر من الثالثة حتى الخامسة مساء سألني دايان : هل هناك شيء أستطيع أن أفعله ؟

قلت : أرجو أن تعيدوا السيدة زليخا الشهابي التي أبعدها الحكم العسكري إلى عمان ، إن شقيقها العجوز في القدس مريض وليس له من يرعى شؤونه سواها .

قال : أنا لا علاقة لي بالقدس ، نعم ، إن الشعب الاسرائيلي يحبني ، غير أني لا أعرف إذا كان لي قوة تأثير على المسؤولين في القدس لكني سأحاول المساعدة لإعادتها إلى بلدها . ــ وقد أعيدت فعلاً إلى القدس بعد أقل من عشرة أيام ــ .

وقلت له أيضاً إن السجينات الفلسطينيات في اسرائيل مثل عبلة طه ولطفية الحواري والآنسة جوده وسواهن ، يعانين من التعذيب والممارسات القمعية الرهيبة . فنفى ذلك قائلا إن هناك أوامر بعدم التعذيب في السجون .

هنا قالت ابنته يائيل : بلى هنالك تعذيب .. أنهم يضعون الفتيات العربيات مع السجينات اليهوديات « العاهرات » ولهؤلاء دورهن ، ويمارسن أساليبهن الخاصة في تعذيب الفتيات السجينات من العرب .

قبل مغادرتنا قدمت إلي يائيل روايتها Death Had Two Sons مع عبارة اهداء تقول فيها : « على أمل تفاهم أفضل على الأقل » . فأرسلت إليها بالمقابل احدى مجموعاتي الشعرية ، فلقد قدرت لها صدقها وصراحتها في تصديها لأبيها بشأن تعذيب السجينات الفلسطينيات حين أكدت حقيقة ذلك التعذيب .

في طريق عودتنا أخبرت ابن عمي قدرى ورئيس بلدية نابلس أنني لا أحب أن يبقى أمر ذلك اللقاء سراً مخفياً ، حتى لا تثار حوله في المستقبل الإشاعات والأقاويل ، إذ لابد من انتشاره في الأخير بطريقة أو بأخرى وعلى غفلة منا .. فلابد لي من توضيح الأمر على حقيقته وكما وقع . وهكذا تم لي اجتماع في مصبنتنا ببعض المهتمين بالشؤون الوطنية حدثتهم فيه عما جرى بين دايان وبيني ، فلم ير أحد منهم بأساً فيما جرى ، فقد سبق أن اجتمع دايان بعديد من رجال الضفة الغربية بقصد الحوار وجس النبض من خلال تبادل الأفكار وتتبع آراء المهتمين من أهالي الضفة بالقضية المعاشة وبالواقع الجديد .

• •
•

كان من عادتي قضاء بضعة أسابيع في القاهرة في بدايات فصل الشتاء بين عام وآخر وكلما تيسرت لي الظروف . لقد ظلت هناك علاقة نفسية قائمة بين القاهرة وبيني ، فمن خلال صحافة مصر الأدبية ، وبالذات مجلة « الرسالة » لصاحبها أحمد حسن الزيات رحمه الله ، انتشر شعري وعرفني قراء العالم العربي ، مما كان عاملاً مؤثراً شجعني على الثبات والاستمرارية في مسيرتي الشعرية ، ولسوف أظل مدينة لمصر العظيمة ، حافظة لها جميلاً لا ينسى . وإذا كانت قدمي لم تطأ أرض القاهرة منذ رحيل الزعيم العظيم جمال عبد الناصر ، فإن مصر عبد الناصر ستبقى في القلب وفي القلب أبداً .

في ديسمبر عام ١٩٦٨ توجهت إلى مصر في زيارة استجمام عادية ، دون أن يجري في بالي ولا حسابي السعي للاجتماع بعبدالناصر ، ولسوف تتضح الأمانة والصدق في قولي هذا بالحديث التالي عن الظروف التي عملت وهيأت للقائي به دون أية نية مسبقة لدي أو مبادرة مني .

كنت قد شرعت بعد الاحتلال الاسرائيلي في تسريب قصائدي إلى مجلة الآداب في بيروت ، وإلى الشاعر فاروق شوشة في مصر الذي راح يذيعها من خلال برنامجه المسائي الشهير (لغتنا الجميلة) . كما كانت السيدة سامية صادق كثيراً ما تنشد قصائدي في برنامجها (حول الأسرة البيضاء) . ويوم التقيت بزوجها في مؤتمر الكتاب الافريقيين الآسيويين ببيروت قبيل حرب حزيران بقليل نقل إلي إعجابها وحبها لشعري . وهكذا تملكتني وأنا في القاهرة رغبة في انتهاز الفرصة للقيام بالتعرف الشخصي عليها وعلى الشاعر العزيز فاروق شوشة والذي أحببت دائما شعره المتميز بالرهافة والصدق والجمال . وفي دار الاذاعة المصرية التقينا ، كما ضمت الجلسة بعض المذيعين والشاعر الكبير المرحوم صلاح عبد الصبور . وقبل أن أجيب على سؤالهم عن اجتماعي بدايان بادرني الشاعر فاروق شوشة بقوله إنه لم يلتفت لأحد موظفي الرصد الاذاعي حين هرع إليه فور إعلان الاذاعة الاسرائيلية لنبأ الاجتماع بدايان ، هرع إليه طالباً منه الكف عن إذاعة قصائدي .

وفي حفل عشاء دعاني إليه الأستاذ أحمد بهاء الدين في بيته سألني بعض المدعوين عن القصة فسردتها بحذافيرها .

لم يكد يمضي يومان على حفل العشاء حتى فوجئت بالسيدة جيهان السادات ترحب بي هاتفياً إذ علمت بوجودي في القاهرة من صديقتها السيدة ديزي زوجة الأستاذ أحمد بهاء الدين وقد دعتني الى تناول فنجان شاي برفقة السيدة ديزي ، ثم أردفت : وها هو أنور يضم صوته إلى صوتي ويقول لي « لا تكوني أنانية ، أنا كذلك أحب أن أراها » فشكرت للسيدة جيهان جميل ترحيبها معبرة عن سعادتي بتلبية دعوتهما الكريمة .

في اليوم التالي مضيت برفقة السيدة ديزي إلى بيت المرحوم أنور السادات ، وحول فنجان الشاي دار الحديث عن أوضاعنا في الضفة ، ثم تفرع ليدور حول قصة لقائي بدايان . وسألتني السيدة جيهان عما إذا كان قد سبق لي لقاء بالرئيس فأجبتها بالنفي . قالت : هل تحبين اللقاء به ؟

قلت : هذا حلم حياتي منذ حرب السويس ، بالرغم من أنني لم أسع يوماً إلى محاولة تحقيق هذا الحلم وذلك من منطلق ادراكي أن زعيماً مشغولاً مثله بقضايا مصيرية كبيرة ليس بامكانه مقابلة كل من رغب في لقائه .

هنا قال المرحوم أنور السادات : « سأقوم بترتيب موعد لك مع الرئيس » فشكرته من أعماقي .

مرت أيام قليلة ، اتصلت بي بعدها السيدة جيهان هاتفياً لتقول لي إن الرئيس سيكون في انتظاري في بيته بمنشية البكري في الساعة العاشرة صباح يوم الجمعة . كان ذلك اليوم المحدد أول أيام رمضان .

• •
•

في بيته المتواضع ، وفي غرفة الاستقبال البسيطة ، والخالية من أي مظهر من مظاهر الفخفخة ، جلست أنتظر ، تائقة ، متطلعة .

دقيقتان ، وأقبل على الراحل العظيم بخطواته الواثقة ، وإطلالته المهيبة الجميلة ، فنهضت مسرعة إليه ، وحين مددت يدي للمصافحة أخذ راحتي بين راحتيه مبتسماً مرحباً .



أحمد بهاء الدين



صلاح عبد الصبور



فاروق شوشة

جلس على مقربة منى ، وبدأ الحديث بالسؤال عن أحوالنا فى الوطن ، فرسمت له صورة شاملة عن تلك الأحوال ، كما حدثته عن تشبث الجماهير هناك بالرئيس عبد الناصر ، وهتافهم فى المظاهرات باسمه : ناصر ، ناصر ، ناصر ، غير هيابين ولا وجلين من الجيش الاسرائيلي الشرس . وهنا ذكر لي أنه ما كان ليقبل بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لولا حرصه البالغ على انقاذنا من قبضة الاحتلال الصهيوني ، كما ذكر لى أن دين رسك ، وزير خارجية أمريكا حينذاك ، كان قد حثه على الوصول إلى تسوية مع اسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من كل سيناء ، ولكنه رفض رفضا قاطعاً لخلو ذلك العرض من ذكر الضفة الغربية ، واستطرد رحمه الله قائلاً : « ان سيناء بكل ما فيها من نفط وثروات معدنية لا تهمنى بقدر اهتمامي بالضفة وبسكانها . فحين مر بى الملك حسين وهو فى طريقه إلى أمريكا لأول مرة بعد حرب حزيران ، قلت له أن يرضى بأي اتفاق مع المسؤولين هناك إذا كان فى ذلك ضمان استرجاعه للضفة الغربية ، ولكن أمريكا رفضت التوصل مع الملك حسين إلى أى اتفاق » .

ثم انتقل إلى الحديث عن همومه الداخلية ، كمشكلة اللاجئين من سكان مدن القنال والأزمة الاقتصادية . قال : وها هى المظاهرات تهب اليوم فى المنصورة . لقد مرضت بعد الهزيمة ، أحد عشرة يوما لم يغمض لي فيها جفن ولم أتناول فيها شيئاً من الطعام أو الشراب . مضيت إلى الاتحاد السوفيتي للمعالجة ، وطلبت من الروس سلاحاً لإعادة بناء الجيش ، ولكنهم رفضوا طلبى ، وتحت إلحاح مني وافقوا على أن لا يذهب السلاح ترانزيت إلى أيدى الاسرائيليين . وحين طلبت خبراء روسيين تشددوا فى الرفض ، لكنهم استجابوا فى الأخير ، فالجيش المصرى جاهز الآن ومكتمل ، انتظر فقط اللحظة المناسبة لضرب اسرائيل . إن لدى اسرائيل مشاكل كما لدينا . عندما كنا أطفالاً فى الصعيد كنا نلعب لعبة العض على الأصابع ، فيعض اثنان ، كل منهما على إصبع الآخر ، والذى يقول أخ قبل صاحبه يكون هو المغلوب ، ولو لم يقلها وانتظر لحظة أخرى فإن صاحبه سيقولها حتماً . إن الاسرائيليين يعانون من متاعب لا تقل عن متاعبنا ، المسألة تحتاج إلى صبر .

وكان يعلق بعض الآمال على نيكسون قال : إنه صديق متفهم ومتعاطف وكنت قد استضفته هنا فى هذا البيت ، وها هو قد فاز فى انتخابات الرياسة بالرغم من كون اليهود لم يعطوه إلا أقل الأصوات .

لقد تحدث رحمه الله أكثر مما تحدثت بكثير . أما موضوع الاجتماع بدايان فلم أتطرق إليه اطلاقاً ، ولا كان في نيتى أن أفعل إلا إذا سألني هو ذلك . لقد كنت على يقين من علمه بالأمر والشيء الوحيد الذى نقلته إليه هو قول دايان (عليكم أن تكونوا فخورين بعبد الناصر) .

استمر اللقاء بالرئيس ساعة وأربعين دقيقة ، ولم يحضر ذلك اللقاء أى انسان آخر . وحين نهض كلانا قلت له وأنا أصافحه وراحتي فى راحتيه : « ستظل أنت الرمز العظيم ، والأب الحاني للأمة العربية ، أنت كل شيء لنا ، وأسأل الله أن يحقق الآمال ويزيح عنك وعنا هذه الغمة » وخرجت من لدنه مشحونة بالأمل والتفاؤل .

• • •

كان من الطبيعي أن أتحدث لأقاربى وأصدقائى عن اجتماعي بالرئيس جمال عبد الناصر ، ولم يلبث النبأ أن ذاع وشاع . ولقد فوجئت ذات يوم بمستشار دايان ، ديفيد فارحي ، ينقل إلي على الهاتف رغبة الجنرال فى مقابلتى . سألت : أين ؟ ومتى ؟ فى الحادية عشرة من صباح غد وفى فندق الملك داود فى القدس . ستجدينني فى انتظارك لدى باب الفندق .

قال دايان : « عرفت عن اجتماعك بعبد الناصر ، لست أطالبك بمصارحتى بكل ما دار بينكما من حديث ، بوحي فقط بما تشائين البوح به ، وامسكي عما تشائين » . فأجبته بالحرف الواحد : « ان ذلك الاجتماع لم يدم أكثر من عشرين دقيقة ، سألني خلالها عن أحوالنا وأبدى اهتمامه بأوضاعنا ، وتأكيدا منه على اهتمامه بنا ذكر لى أنه لولا الضفة الغربية لما كان قبل بقرار مجلس الأمن ، ولما كان رفض وعد دين رسك وزير خارجية أمريكا بإعادة سيناء إليه مقابل تخليه عن التمسك بالضفة الغربية وبالقضية الفلسطينية العربية هذا كل شيء ولا أكثر من ذلك » .

والذى يبدو لى أن دايان لم يصدق بينه وبين نفسه أننى لم أتحدث إلى عبد الناصر عن اجتماعى به ، ولعله استنتج من قولي إن جلستى مع عبد الناصر لم تدم أكثر من عشرين دقيقة ، لعله استنتج من ذلك أن عبد الناصر لم يكن حفياً بي بسبب لقاء تل أبيب فقد نشرت جريدة Jerusalem Post مقالاً كبيراً بعد ذلك ذكرت فيه على لسان دايان قوله : « ... بعد شهرين قابلت فدوى ثانية ، هذه المرة فى فندق الملك داوود فى القدس . الشخص الوحيد الذى كان معنا هو ديفيد فارحي (لعل وزير الدفاع نسي أن ديفيد زخريا وشخصا ثالثا لم أعرف اسمه كانا حاضرين أيضا . ف) كانت فدوى قد زارت مصر ورأت جمال . قال لها جمال إن دين رسك وزير الخارجية الأمريكية قد حثه على الوصول إلى تسوية مع اسرائيل على أساس انسحاب الجيش الاسرائيلي من سيناء انسحاباً شاملاً لكن ناصر رفض ذلك لأن تلك التسوية لا تشمل الانسحاب من الضفة الغربية . فدوى قالت إنها أخبرت ناصر بحديثها معى (لم أقل ذلك ف) ولكنه عنفها (؟) على ذلك ، وهكذا لم تعد بأخبار إيجابية » !

فـدوى طـوقان

• عندما قال ديان : من حق العرب أن يفخروا بعبد الناصر

• قال لي عبد الناصر : لم أنَم لمُدّة ١١ يوماً بعد الهزيمة ولم أذُق الطعام

عبث النقاد..

في يوم من الأيام، زارني في بيتي صديقي الأديب العجوز الذي أثق بأصالة موهبته، ويحظى بتقديري أديباً وإنساناً، فرحبت به ترحيباً حاراً صادقاً، ولكنه تمتم بكلمات مبهمة، وجلس صامتاً مكتئباً، فدهشت، واستغربت سلوكه وسألته بقلق: «ما بك؟ منذ أن عرفتك لم أشاهدك يوماً عابس الوجه. لابد من أن أمراً خطيراً قد حدث».

فقال لي صديقي الأديب العجوز: «اطمئن. لم تحدث لي أية أمور خطيرة. أنا فقط أحس بملل أجهل سببه ويكاد يميتني».

قلت: «إذا كنت قد قرأت شعراً حديثاً للغاية، فمن السهل تحديد سبب مللك».

قال: «أنت تعرف أني منذ حرب حزيران أعلنت الإضراب عن قراءة الشعر، وأطلق عليه اسم: الشعر الأصلع».

ففكرت لحظات، ثم قلت له: «أنا صديقك، وأظن أنه لاشيء يزيل الملل كالتحدث إلى صديق، فتحدث إلي ولا سيما أن الكلام هو هوايتك المفضلة».

قال صديقي بنزق: «لماذا تبتسم بخبث كأن الكلام تهمة شائنة؟ أنا أقر وأعترف بأني أحب الكلام، وأتحداك أن تثبت أن الكلام حالياً ليس هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان».

قلت: «إذن ماذا تنتظر؟ هيا تكلم. أنا مستعد لأن أستمع إليك حتى الفجر».

قال: «رأسي خاو بسبب الملل، فاقترح موضوعاً نتحدث عنه».

قلت: «أنت تكتب منذ زهاء أربعين سنة، وتعرف الأدباء المعاصرين كما تعرف يدك، فهيا حدثني عن النقد والنقاد في البلاد العربية».

فبهت صديقي الأديب العجوز ونظر إلي بعداء وشك، ثم قال لي: «ما تطلبه شاق علي أكثر من السفر إلى الصين سيراً على الأقدام. لقد صرت عجوزاً، ولا قدرة لي على خوض الحروب على صفحات المجلات والجرائد».

قلت: «لا تذكر أي أسماء، وما ستقوله لي سيبقى سراً».

قال: «لا تحاول إقناعي فقد عاهدت نفسي منذ أعوام على ألا أنطق بكلمة واحدة معادية للنقاد».

قلت: «أنت حر، ولن أجبرك على قول ما لا ترغب في قوله، ولكني لن أنصت لأي حديث لك مهما كان مشوقاً مغرياً، ولك أن تختار الآن: إما التكلم عن النقاد وإما التحدث إلى أصم أبكم هو أنا».

ففكر صديقي متجهم الوجه، ثم تنهد، وقال: «أنت عنيد ماكر، سأتوكل على رب العباد، وأحدثك عن النقد والنقاد».

فقلت بغبطة: «هيا تحدث. كلي آذان صاغية مفتوحة الأبواب».

قال صديقي الأديب العجوز: «النقاد العرب أنواع، بعضهم ورد، وبعضهم شوك. بعضهم طيور تغرد وتطرب، وبعضهم طيور تنعب وتنعق. بعضهم يقطع الشجر المثمر ويمجد الشجر العقيم، وبعضهم يكتب بمسؤولية كأنه يمثل أمام محكمة وقد أقسم ألا يقول إلا ما هو صدق وحق، وينظر إلى النقد على أنه جسر بين الأثر الأدبي والقراء، ومهمته تبيان ما هو سلبي وما هو إيجابي، فيستفيد القارىء والكاتب في آن واحد».

فقلت لصديقي وأنا أتثاءب: «كف عن الكلام النظري وإلا نمت نوماً عميقاً. كلمني عن وقائع محددة ونماذج من النقاد».

قال صديقي بلهجة ساخرة: «سمعاً وطاعة يا مولاي. أذكر أن ناقداً كتب عن قصص كتبت ونشرت سنة ١٩٥٧، واتهمها بالتأثر بقصص كتبت ونشرت سنة ١٩٦٧».

قلت: «ما حدث أمر طبيعي، فالأديب لا ينشأ في فراغ، ولا نجاة له من التأثر بأدباء آخرين».

قال: «اسمع ما فعله أحد النقاد، ولا يزال يكرر فعلته. لقد عين نفسه مديراً للدعاية لإحدى الأديبات، فاذا ابتسمت له كتب عنها أنها أحسن من فرجينيا وولف وسيمون دي بوفوار، وإذا عبست في وجهه ندد بكتاباتها ونصحها بالذهاب سنوات إلى مدارس مكافحة الأمية أو البقاء في المطبخ، مستشهداً بأقوال مفكرين أجانب لا وجود لهم، تؤكد أن المرأة لم تخلق إلا من أجل إتقان فن الطهي».

قلت: «هذا ناقد عادل، فاذا أحسنت الأديبة قال لها: مرحى، وإذا أساءت قال لها: تبت يداك. ولا شيء في الحياة أقبح من أديبة جميلة لا تقدر النقاد الرجال».

قال صديقي: «بمناسبة الحديث عن الأديبات، تذكرت مأساة إحدى الناقدات، انتهت حياتها النقدية نهاية فاجعة».

قلت متسائلاً بفضول: «هل ماتت بالسرطان أم بالايدز؟».

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر



قال : « لا بل تزوجت من شاعر يشبه امرأة بلا أنوثة ، وكانت كتاباتها قبل الزواج تتصف بالنزاهة والعمق والرصانة ، فاذا زوجها يحولها إلى مجرد يدين تصفقان له ، وقلم يكيل له المديح بغير حساب ، فاذا مشى في شارع وصفت خطواته بأنها خطوات نحو قمم شعرية لم تطأها قدم شاعر من قبل ، وإذا تمطى كتبت هاتفة : الله ! هذا هو الشعر الحقيقي ، وهذا هو التجديد التاريخي ، وأكدت أن ماياكوفسكي انتحر غيرة منه » .

قلت : « من واجب الزوجة العاقلة المخلصة أن تحب زوجها ، والأسرة التي تخلو من الحب ، تنجب أطفالاً مشوهين نفسياً وعقلياً » .

قال صديقي مؤنباً : « لا تقاطعني ولا نسيت ما أنوي التحدث عنه . اسمع ما فعله ناقد آخر . كان ذلك الناقد مشهوراً باحتقاره لشاعر يكرس معظم شعره للموضوعات الوطنية ، ولم يكن الناقد يكتفي باحتقار الشاعر بل يتهمه بأنه عميل لدولة أجنبية كبرى . ولما تسلم الشاعر رئاسة تحرير مجلة تدفع مكافآت سخية لما ينشر فيها من نتاج ، بات الشاعر في نظر الناقد أروع من رامبو واليوت والمتنبي وأكثر تقدمية من لوركا ونيرودا وأرغون » .

قلت : « وهل تريد من الناقد أن يجوع ويقرع الأبواب مستجدياً ويسيء إلى السمعة السياحية للنقاد والعروبة ؟ » .

قال صديقي الأديب العجوز : « وثمة ناقد كتب مقالة مطولة مدعمة بالأدلة التي تثبت أن كتاباً لأحد الأدباء هو سطو علني على كتاب أجنبي ، فاضطر الأديب المتهم إلى السكوت أكثر من عشر سنوات ، ولم يعد يعتبر ذلك الكتاب من مؤلفاته ، ولكنه كان ذكياً ، وصبر حتى نجح في اصطياد الناقد بمغانم مادية ، وجعله ناقداً خاصاً له ، وبعدئذ أصدر طبعة جديدة من كتابه ، وبات يتحدث عنه بفخر ويطالب الجامعات بتدريسه لطلابها » .

قلت : « الصفقات في كل مجال تتم وتبرم وتنفذ ، فلماذا يحظر على النقاد ما هو مباح لغيرهم ؟ » .

فقال صديقي متابعاً كلامه كأني لم أفه بكلمة : « وهناك نقاد تأثروا بالأفلام السينمائية الغربية التي تتحدث عن العصابات ، فألفوا العصابات ، فكل من ينتمي إلى عصابتهم هو عبقري خالد ، وكل من لا ينتمي إليها تافه ولو كان تولستوي أو شكسبير » .

قلت : « التكتل ذو فوائد لا تحصى ، وآن للعرب أن ينبذوا الفرقة ويوحدوا الصفوف » .

قال صديقي : « وثمة نقاد محيرون . ثلاثة نقاد يؤمنون وينادون بالواقعية ، كتبوا عن قصة قصيرة واحدة . واحد قال إنها انجيل جديد في القرن العشرين ، والثاني قال إنها تبرر القهر وقمع الانسان ، والثالث قال إنها قصة غيبية لا علاقة لها بالواقع المعاش » .

قلت : « ما حكيته يثبت أن النقاد قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، وكل ناقد يكتب كما يشاء » .

قال صديقي بحماسة : « اسكت ودعني أتكلم . اصغ إلى هذه الحادثة الطريفة . جريدة صهيونية كتبت عن قصة أطفال عربية التأليف ، وتناولتها بالتحليل الذي أوضح كيف أنها تصلح لطفل أجنبي ولطفل عربي ولطفل فلسطيني سيصبح في المستقبل فدائياً ، واختتمت الجريدة الصهيونية مقالها بالقول : آن الأوان كي نتعلم من العرب . وترجم المقال من العبرية إلى العربية ، ونشر في غالبية الصحف والمجلات العربية ، ولكن ناقدة كتبت بعد شهور في مجلة أدبية فلسطينية جادة عن القصة نفسها قائلة : إنها قصة مملوءة بالرموز الجنسية » .

قلت : « التفرد ينبع من قول ما هو غير متوقع أو شائع ، وإذا كان يحق للشاعر ما لا يحق للناثر ، فمن الطبيعي أن يحق للمرأة ما لا يحق للرجل » .

قال صديقي : « تلك ناقدة قرأت القصة وفسرتها تفسيراً يتلاءم مع تجاربها الحياتية ، ولكن هناك نقاداً يقرظون كتباً صادرة حديثاً من غير أن يقرأوها ، ويكتفون بإلقاء نظرة سريعة على أغلفتها » .

قلت : « هؤلاء النقاد ذوو نظرات نفاذة ، وأنت بالطبع لا تجهل أن قدرة الإبصار تختلف من إنسان إلى آخر » .

قال صديقي : « لو بلغ عمري مئة سنة فلن أنسى ما فعله أحد النقاد . لقد كتب نقداً مراً لرواية من الروايات ، وعني بأن يظهر حماسة منقطعة النظير للغة العربية الفصحى ، وأورد نصوصاً من الرواية مكتوبة بالعامية ، ثم اتضح فيما بعد أن الرواية تخلو من أية كلمة عامية ، وأن الناقد هو الذي حور النص الفصيح إلى نص بالعامية » .

قلت : « النقد إبداع والإبداع تأليف » .

قال صديقي : « وثمة ناقد آخر كتب في جريدة يومية واسعة الانتشار مقالاً مسهباً عن عرض مسرحي قدمته في بلده فرقة مسرحية فرنسية ، وكان مقاله غنياً بالتفاصيل النقدية التي تناولت بالتقويم الديكور والموسيقى والتمثيل والإلقاء والإخراج والإضاءة وموقف الجمهور العربي . ولما ظهر المقال تبين أن الفرقة الفرنسية لم تقدم عرضها في الليلة المقررة لأنها لم تستطع المجيء من فرنسا لأسباب قاهرة » .

قلت : « الأسباب معروفة . لم تأت الفرقة المسرحية إلا لكي تسيء إلى سمعة ناقد محترم ، ولا تنس أن الفرنسيين يكرهون العرب وكانوا يستعمرون العديد من البلدان العربية » .

قال صديقي : « أعرف نقاداً متواضعي المطالب . يكفي أن تدعوهم إلى وجبة غداء أو عشاء حتى يكتبوا عنك مادحين » .

قلت : « ألا تعلم أنه ليس بالكتاب وحده يحيا الإنسان ؟ » .

قال صديقي : « والمصيبة الكبرى إذا كان الناقد لا يكتفي بكتابة النقد بل يكتب القصة والرواية والمسرحية والشعر ، فهو يكتب عن نفسه بأسماء مستعارة ممتدحاً ممجداً » .

قلت : « مثل هذا الناقد جدير بالإعجاب لحكمته ، فمن لا يمتدح نفسه لا يمتدحه الآخرون » .

فقال لي صديقي الأديب العجوز متسائلاً بحنق : « لماذا تقاطعني باستمرار مدافعاً عن النقاد ؟ هل أنت ناقد ؟ » .

قلت بهدوء : « أنت تدري أني لست ناقداً ، ولكنك لا تدري أني أتأهب كي أصبح ناقداً شهيراً ، وسأتخذ من النقاد الناجحين الذين تحدثت عنهم بحسد قدوة تحتذى » .

فغضب صديقي الأديب العجوز غضباً أحمق لا مبرر له ، وغادر بيتي وهو يقسم بأنه لن يكلمني ثانية طوال حياته ، فقررت أن أبدأ مسيرتي في النقد الأدبي بالكتابة عنه ، مقدماً البرهان على أنه أضاع أربعين سنة من عمره في مضمار الأدب بغير جدوى ، ولو استغل تلك السنين الثمينة في مطعم لاستفاد وأفاد ، والله الموفق .

فكرة للتأمل

مرض الإيدز الفكري

بقلم: محمود الشاهد

المجتمع الغربى على وجه العموم والأمريكي على وجه الخصوص في شغل شاغل وحديث متواصل عن المرض الجديد (الايدز) الذي اقتحم الديار ودخل دون استئذان عبر بوابة الفساد الاجتماعي والفجوة الأخلاقية التي باعدت بين الإنسان وإنسانيته وجعلت منه وحشاً تسيره أهواؤه وتتحكم فيه شهواته ونزواته . ولقد استنفرت جميع وسائل الإعلام من مسموعة ومرئية ومقروءة للحديث عن هذا المرض الخبيث وشرح أبعاده وتفسير مخاطره والتحذير من آثاره المدمرة للجسم المهلكة له . كما قامت المحافل الطبية العالمية بحملات مكثفة للوصول إلى طريقة توقف زحف هذا المرض عند حده وتعالج من أوقعهم فساد أخلاقهم أو سوء طالعهم بين براثن (فيروسه) القاتل الذي يفقد الجسم مناعته ويهلك كريات الدم التي يمكن أن تتصدى للأمراض وتقف بالمرصاد لجيوش الميكروبات التي يمكن أن تعصف بالمرء وتؤدى به إلى التهلكة .

ولست هنا مستعدا للحديث عن الايدز وآثاره المدمرة ، فكفانا ويكفينا ماتتحفنا به وسائل الإعلام كل يوم من أحاديث وأحداث وصور وحكايات حتى وتراشق بالاتهامات «فقد روت وسائل الإعلام السوفياتية أن التضخم في الحديث عن هذا المرض إنما هو من اختراع وكالة الاستخبارات الأمريكية وأنها هي التي أوجدت هذا الفيروس ليكون أحد أسلحتها في حرب الميكروبات وأول ما استعمله الأمريكان إبان الحرب الفيتنامية» .

مالي ولهذا كله ، فالحديث هنا ليس مخصصا لهذا المرض الذي يصيب الأعضاء ، وإنما خطر ببالي — وليس هذا بالخاطر العابر — ماذا لو أصابنا هذا المرض الخبيث في صميم أفكارنا وتمترس في عقولنا ينتزع منها المناعة ويهلك فيها الخلايا المفكرة ويخلخل فيها القيم والمبادىء ويزعزع فيها الايمان والثقة بالنفس !!.

ليس هذا خاطرا عابرا كما قلت ولكنه واقع لابد من تدارسه والتصدي له بكل أنواع التحصين ، وعزل من يتمكن من عقولهم ، ويسيطر على تفكيرهم ، عن مجتمعهم حتى لاتنتقل عدواهم إلى من سواهم وهنا تقع الطامة وتحصل المأساة .

هل نحن مهددون حقا بفقدان المناعة الفكرية والإصابة بالايدز الفكري ؟! نعم وألف نعم .... المحاولات مستمرة في مختبرات الغرب والشرق على حد سواء ، لإنتاج الفيروسات المدمرة التي يمكن أن تنصب علينا يوما بعد يوم ، وساعة إثر ساعة ،، لتصيب عقولنا وأفكارنا فتهلك فيها المقاومة ،،

وتدمر فيها قوة التصدي ، وتستبيح حرمتها موسعة الطريق لكل فكر مستورد مارق أو شاذ .

وتلعب الصهيونية العالمية بأفكارها ومبادئها التلمودية ، الدور الأكبر في هذه الحرب . إنهم يؤمنون كل الإيمان بأن السيطرة على الإنسان تتم عبر عقله وفكره ولقد نص التلمود فيما نص عليه ، أن الشهوة الجسدية وشهوة المال ، هما الوسيلتان المثليان لهذه الغاية الدنيئة ... (والغاية تبرر الواسطة) .. هكذا قال ميكيافيلي الذي هو في ظني أحد أنبياء التلمود .

والحضارة الحديثة وما أتاحته من مخترعات ومكتشفات ، قربت أجزاء المعمورة فطوت الأبعاد والمسافات ، ونفذت إلى الفضاء الخارجي وسخرته عبر أقمارها الاصطناعية وسفنها الفضائية لنقل المعلومة والصورة والكلمة ، وبالتالي السيطرة على العقول ، والتركيز على غرس أفكار ومبادىء وقيم جديدة تمهد للغزو ومن ثم الاستسلام الفكري الذي يفقد الارادة ويبدد المقاومة الجسدية والعقلية .

ولقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين انبعاث الكثير من الأمم التي تحررت من ربقة الاستعمار العسكرى ، وفقدت الامبراطوريات الاستعمارية التقليدية القدرة على الغزو العسكري والسيطرة بقوة السلاح وقهر الشعوب . ولكن التقدم التكنولوجي والعلمي والصناعي والزراعي والعمراني لبعض الأمم ، والتي كان لها قصب السبق في هذا التقدم الهائل ، مضافاً إليه خواؤها الروحي وشهوتها العارمة لامتصاص ثروات الشعوب واستغلالها لتزداد ثراء . كل ذلك أدى إلى نوع جديد من الاستعمار تلعب فيه المادة الدور الأساسي تساندها في ذلك وسائل الإعلام والاتصال المتطورة المكتوبة والمسموعة والمرئية .

وكما هو الحال في كل العصور والأزمان ، كان لابد من السيطرة بأية وسيلة ، وبأي سلاح مهما كان ، وأي سلاح أفتك من ذاك الذي يهزم العقل ويمزق النفس ويعطل قوة التفكير ويحطم الارادة .

وبدأت مختبراتهم تعمل ليل نهار وتجري التجربة تلو التجربة ، تنتج الأنواع المهلكة من المكروبات والفيروسات تمهيدا لتصفية العقول المعادية ! !

وبالتالي تدمير خلاياها وإصابتها بالشلل وإفقادها الإحساس ، وذلك بما يمكن أن يحقن فيها من أفكار ومفاهيم جديدة تتناسب مع متطلبات الاستعمار الحديث .

وكما أن أهم العوامل التي تساعد على ظهور وانتشار مرض الايدز الفسيولوجي الطبي ، الشذوذ والخروج عن المألوف في الطبيعة ، لذلك فإن مرض الايدز الفكري يكمن في التمازج الشاذ بين الأفكار المختلفة التي تنصب في الأذهان بحيث تخلق خلخلة في المفاهيم وزعزعة في القيم وتدميرا لموازين الحضارة الإنسانية والمجتمعات البشرية ، فتفقدها التوازن بين المادة والروح وتحط من سموها الأخلاقي واعتدالها السلوكي والمدى الذي توصلت إليه في إنسانيتها . وتحيل العلاقات بين الأفراد والجماعات إلى علاقات حيوانية وحشية يفتك فيها القوي بالضعيف وتبلغ بها الشراسة حد انتهاك كل ماهو معنوي محرم والاعتداء على كل تراث مقدس .

ولنا من الأمثلة على ذلك الشيء الكثير ، فهذا الدفق من الأفكار الهدامة والأخبار المضللة والمواد المبرمجة التي تحطم الروح قبل الجسد تصبها في أذهاننا وعقولنا وسائل الإعلام الحديثة ، والتي سنفقد السيطرة على سريانها ووصولها إلينا بعد زمن قصير ، حين تنتهك الأقمار الصناعية حرماتنا في كل لحظة وفي كل آن وتصب جام غضبها على أجيالنا عبر شاشات التلفزيون التي لانستطيع التحكم فيها آنذاك . وتزرع في العقول تفوق الدول المتطورة وسوبر مانيتها وضعفنا حيالها وبالتالي استسلامنا لكل ما تفرضه علينا ، والرضاء بكل ماتمتصه من خيراتنا ، وتبعتنا المطلقة لأعمالها ، وخضوعنا التام لأفكارها . فنفقد خصائصنا كأمة متميزة ذات حضارة منفردة .

ويمكننا أن نضيف إلى الأمثلة ما يبتلوننا به من كل ما يذهب العقل ويغيب طاقاته ويعطل إمكاناته ، وأبلغ ما يفسر ذلك ظاهرة انتشار المخدرات والمسكرات التي روجت لها حركات وفئات تحت شعارات مختلفة كالوجودية والهيبية والبانكس ونزعات التحرر من كل القيم والمفاهيم التي تتذرع بأعذار الخوف من الحروب الذرية وتحرير الروح والجسد من التقاليد البالية والسلام والحب لا الحرب وهكذا دواليك ..

والظاهرة الخطيرة من ظواهر حملة تهتك العقل تلك التي تتمثل في تعميم السطحية وعدم النفاذ إلى أعماق الفكر . فالثقافة باتت في الكثير من الأحايين مستقاة من المجلات والكتب التي لاتتجاوز عند مطالعتها حدود العين ولاتنفذ إلى العقل وبالتالي لاتحرك فيه ملكة البحث والتقصي وإعمال الفكر والتمحيص . وانما هي مواد مقروءة تمتّع البصر لا البصيرة وتداعب الخيال لا الحقيقة وتثير الشهوة الجسدية لا الشهية الفكرية . وبالتالي تقتل فيه الحصانة الفكرية التي تفرض حين تلقى أية نظريات وافدة مستوردة أن تثور كريات دمها البيضاء والحمراء .. وكل الألوان فيها لتقتل أية فيروسات ضارة وأية ميكروبات مهلكة .

وحري بنا ونحن نشارك هذا العالم في البحث عن علاج لمرض الايدز الجسدي ونشترك في الحملات المكثفة لدرء أخطاره وتبصير الناس بمضاره ، أن نسارع أيضا الى عقد الندوات المختلفة وإجراء الدراسات المكثفة وبذل الجهود والأموال للتوصل الى الأمصال الواقية المحصنة لعقول أجيالنا الحاضرة والمستقبلة من مرض الايدز الفكري الذي يدمر ولايرحم ويفتح الباب على مصراعيه أمام هؤلاء الذين يترصدوننا وينتظرون اللحظات التي نفقد فيها كل مناعة فكرية فينقضون علينا يدمرون قيمنا وتراثنا المقدس ويفتكون بمعتقداتنا وبالتالي يصلون من خلال ذلك إلى التحكم بمقدراتنا ونهب خيراتنا ، وتصدق نبوءة التلمود في السيطرة على هذا العالم وخلق مجتمعات نفوسها أوهى من خيوط العنكبوت وعقولها لاترقى الى عقل ذبابة .

واعذروني إذا كنت متشائما ..

هل استفاد المسلمون من السيرة النبوية؟

بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

لقد كانت الانسانية في حاجة ملحة إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عندما بعث لإنقاذها من الفوضى والجهل والطغيان .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... الا على صنم قد هام في صنم
فعاهل الروم يطغى فى رعيته ... وعاهل الفرس من كبر أصم عمى

ولعلنا نحن المسلمين اليوم أشد الناس حاجة إلى استلهام سيرته صلى الله عليه وسلم ، وإعادة صياغة حياتنا على منهجه ، فنبعث سيرة محمد من جديد في حياتنا بتطهير مجتمعاتنا من كل تراكمات الجهل والفساد والخرافة ، حتى نكون أهلا لحمل رسالة الاسلام إلى الانسانية من جديد ، نبعث ونطبق سيرته وأخلاقه في حياتنا ، فالحب الذى يكنه المسلمون للرسول عليه الصلاة والسلام يجب أن يترجم إلى اتباع لمنهجه ، واقتداء بسنته ، وتطبيق عملى لرسالته ، فتلك هى المحبة الحقيقية لله وللرسول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

لننظر إلى المجتمعات الاسلامية اليوم ماذا كان نصيبها من صفات وسلوك الرسول عليه الصلاة والسلام ومما يدعو إليه من الأمانة والصدق والإخلاص . سنجد أن هذه المجتمعات هى التي تفقد الأمانة والصدق والإخلاص أكثر من أى مجتمعات أخرى .

الرسول عليه السلام نشأ والأمانة أعظم صفاته ، حتى كان يلقب بالأمين بين قومه في الجاهلية ، فكانوا يودعونه أموالهم ، وحكموه فى رفع الحجر الأسود عندما اختلفت القبائل على وضعه . وخديجة بنت خويلد لم تخطبه وتعهد إليه بادارة تجارتها إلا لأمانته ، فكان تاجرا ناجحا بالأمانة والصدق وحسن المعاملة ، كما كان عاملا مجدا لا يأنف من الكدح والعمل ، فقد ثبت أنه رعى الغنم فى صدر حياته وقال : (كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) . وكانت نفسه دائما تتوق إلى الحق والعدل وترفض الظلم والبغى ، ولذلك كان يستجيب لأية بادرة من شأنها أن ترفع أى ظلم واقع على أحد ، فقد أيد حلف الفضول فى الجاهلية ، وهو الحلف الذي عقدته قبائل قريش فى دار عبد الله بن جدعان ، حين اجتمعوا وتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها ، أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته ، وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف ، وبعد أن بعث قال : (شهدت مع عمومتى حلفا فى دار عبد الله بن

جدعان ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت له فى الاسلام لأجبت) . ونرى خديجة تقول له عندما رأته مهموما مثقلا بما أحسه من ثقل الوحى : (والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر) .

فحياة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرته يجب أن تكون نبراسا للمسلمين ، والله سبحانه وتعالى لم يرسله إلا ليكون قدوة يحتذى به ، ولذلك كان بشرا من البشر لا ملكا من الملائكة . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك من أجل اثبات نبوته ، وقطع حجة الذين سيتهمونه بالتلقي عن الكتب السابقة ، ومع هذا فإن أول ما أنزل عليه الدعوة إلى العلم : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) .

ومن اهتمام دعوته بالعلم أنه فى غزوة بدر قرر بشأن الأسرى أن من يعلم منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة يعتبر ذلك فداؤه ، ويطلق سراحه .

تعالوا ننظر الآن : ان أكبر نسبة للأمية فى العالم هى فى المجتمعات الاسلامية ، فكأن ديننا لم يدع إلى العلم ، وكأن رسولنا لم يحثنا عليه ، إننا نسيء إلى الاسلام ، ونسيء إلى نبي الاسلام إذا بقينا على حالتنا من الجهل والتخلف . ألم تكن دعوة نبينا محمد عليه السلام غايتها إخراج الناس من الظلمات إلى النور ؟ فما بالنا نحن أتباع محمد اليوم نعيش فى ظلام الجهل والخرافة ونحتل أسوأ دركات التخلف ؟ ان النور فى الدنيا هو الذى يضيء لنا طريق الآخرة (فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) .

لقد قامت دعوة الاسلام على التوحيد ، فكل شيء فى الأرض أو فى السماء يخضع للواحد الأحد ، وملك له ، وليس هناك شفعاء ولا وسطاء ولا شركاء ، وما فى الكون كله مسخر لابن آدم لينتفع به لا ليعبده أو يتركه مهملا .

دعوة علم وخير وحضارة

إن العرب كانوا يعبدون الأحجار ، فجاءت رسالة الاسلام فرفعت الغشاوة عن بصائرهم ، فأصبحوا يرون الأمور على حقيقتها ، فخرجوا فعلا من الظلمات إلى النور ، فكان لهم شأن فى التاريخ ، نشروا رسالة الاسلام ، وأسسوا الحضارات ، وما قامت حضارة الغرب إلا على أساس من حضارتهم ، فكانت حضارتهم هى النواة لما نشاهده اليوم من تقدم فى الغرب ، فلا أحد ينكر فضل ابن الهيثم وابن النفيس والبارونى والرازى وابن سينا والزهراوى والخوارزمى وغيرهم من العلماء المسلمين الذين كانت أبحاثهم من أسس العلوم الحديثة . قال جوستاف لوبون : (ظلت ترجمات كتب العرب ، ولا سيما الكتب العلمية ، المصدر الوحيد تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمسة قرون أو ستة قرون ، ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب فى بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى أيامنا هذه ، فقد شرحت كتب ابن سينا فى مونبليه فى أواخر القرن الماضى) .

ودعا محمد صلى الله عليه وسلم الناس إلى كل أعمال البر والخير ، ونهاهم عن كل الشرور والآثام كما أمره الله قال تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام ١٥١ — ١٥٣ .

الذى يتأمل هذه الآية وما اشتملت عليه من وصايا ، يجد أنها تكاد تكون تلخيصا للعقيدة الاسلامية بأجمعها ، ابتداء من التوحيد وروابط الأسرة وطهارة المجتمع وعفته ومنع القتل وحماية الضعيف ، إلى العلاقات التجارية والمطالبة بالعدل والوفاء بالعهود ، فكل ذلك صراط واحد ، وطريق واحد هو صراط الله وطريق الله ، وما سوى ذلك سبل متفرقة ، لا توصل إلا إلى المهالك .

وقد أحدث رسول الاسلام تغييرا فى المجتمع ، وفى نفسيات الناس وأخلاقهم ، حتى جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، تأخذ زمام المبادرة فى الاصلاح والتغيير ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

وقد عانى رسول الاسلام ما عانى فى سبيل ذلك من صنوف الأذى والعذاب ، فقاطعه قومه وآذوه ، وأغروا به السفهاء والغوغاء ، واضطهدوا أصحابه من المستضعفين وأذاقوهم ألوان العذاب ، فاستباحوا حرماتهم وأموالهم وأعراضهم ، وأتهمه أعداؤه بالجنون تارة وبالسحر تارة أخرى ، وعلى الرغم من كل ذلك فهو يقول : (اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

هناك أناس ضالون ومجرمون يسخرون من الحق ، ومن الرجال الذين يحملون دعوة الحق ، لا يهمهم فى الدنيا شيء غير الهزل ، والتفكه والبطر والسرف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ، وما أرسلوا عليهم حافظين) المطففين ٢٩ ، ٣٣ .

صمود وتصميم

ولنحن رؤوسنا اجلالاً لرجال لم يبالوا بما يقع على أجسادهم ونفسياتهم من صنوف العذاب فى سبيل دعوة الحق ، لنحن رؤوسنا لهؤلاء الرجال ونحييهم ونترضى عنهم لما قاسوه من أجلنا نحن لتصلنا دعوة الاسلام ، لنذكر من هؤلاء ياسر وزوجته سمية اللذين ماتا تحت وطأة العذاب بسبب قسوة المجرمين ، ونذكر ابنهما عمارا الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، ونذكر بلالا الذي وضعه المجرمون فى الرمضاء تحت أشعة الشمس المحرقة ، وهو يتقلب من الألم ويهتف باسم ربه مصرا على إيمانه بالحق ورفضه للباطل قائلا : أحد أحد ، ونذكر خباب بن الأرت الذي ضاق ذرعا بما يصب عليه وعلى اخوانه من العذاب فيهرع إلى الرسول وهو فى الكعبة فيقول له (الا تنتصر لنا ، الا تدعو لنا) فيرد عليه قائلا : (قد

● تحمّل الأنصار في بيعتي العقبة مسئولية الدفاع عن الرسول ودعوته بكل الشهامة والرجولة

● عندما تأسست دولة الإسلام في المدينة أخذ اليهود يكيدون للدعوة ويعملون على تفريق كلمة المسلمين

هل استعاد المسلمون من

السيرة النبوية؟

كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعا إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

ترى ماذا يملك رسول الله أن يفعل وهو نفسه مضطهد ، ومحارب من أقرب الناس إليه ، وأساطين قريش يرون فى دعوته تهديدا لسلطانهم ؟ ماذا يستطيع أن يفعل وهو عندما ذهب إلى قرية قريبة من مكةوهى الطائف لعله يجد متنفسا ، أو من يستجيب لدعوته فيها ، رمي بالحجارة حتى سالت منه الدماء ، وشج رأس صاحبه زيد بن حارثة وهو يدفع عنه الحجارة ، حتى أوى إلى ظل شجرة وهو مثخن بالجراح يتوجه إلى ربه متضرعا قائلا : (اللهم أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هى أوسع لى) .

ان هدم الوثنية يتطلب تضحيات وعزائم قوية لا تتزعزع ، وعندما رأت قريش الصمود والتصميم من جانب صاحب الدعوة واصحابه ، ولم يزحزحهم عن معتقدهم كل صنوف العذاب والأذى ، لجأوا إلى أسلوب الاغراء بالمال والجاه والسلطان والملك لصاحب الدعوة ، فقالوا له إن كنت تريد مالا أعطيناك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، فرفض كل ذلك لأنه لا يسعى إلى شيء مما ظنوه هدفا له ، لأنه رسول مكلف باخراج الناس من الظلمات إلى النور ، إنه هدف سام لا يقابل بزخرف الدنيا ، ولا يساوم عليه بأى حال من الأحوال . وعندما وجدوا أن كل أساليب الترغيب والترهيب لم تثن محمداً وأصحابه عن هدفهم ، ضاعفوا الأذى والعذاب ضدهم ، وهنا نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، فهاجروا خفية ، ثم عادوا بعد أن سمعوا أن المشركين هادنوا الاسلام ، وأن وطأة العذاب قد خفت عن المسلمين ، ولكن تبين أن ذلك مجرد اشاعة ، وأن الواقع هو عكس ما بلغهم ، رجعوا إلى الهجرة إلى الحبشة ، وكان الفوج الثانى أكثر من الفوج الأول إذ بينما كان الفوج الأول ستة عشر شخصا ، كان الفوج الثانى ثلاثة وثمانين رجلا وتسع عشرة امرأة ، فأكرمهم النجاشي عندما وصلوا إليه وحماهم ، وعندما سمعت بذلك قريش أرسلت وفدا مكونا من عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة قبل أن يسلما ، وحمل الوفد معه إلى النجاشى هدايا كثيرة ، وكانت مهمة الوفد أن يطلب من النجاشى تسليم هؤلاء الذين لجأوا إليه من المسلمين ، وعندما قابل الوفد النجاشى وقدم إليه الطلب ، أشار عليه بعض مستشاريه أن يستجيب لطلب الوفد ، ولكن النجاشى استدعى هؤلاء اللاجئين وسألهم : ما هذا الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ، ولا في دين أحد من الناس ؟

فتكلم عن المسلمين جعفر بن أبى طالب فقال : أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألاّ نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، (وعدد عليه أمور الاسلام ، قال جعفر) فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعدى علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا الا نظلم عندك .

فقال النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله شيء ، قال : نعم . فقرأ عليه جزءاً من سورة (كهيعص) فقال النجاشي : (ان هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة) ، ثم التفت إلى وفد قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة قائلا لهما : انطلقا والله لا أسلمهم اليكما فخرجوا فقال عمرو لصاحبه والله لآتيه غدا بما يبيد خضراءهم ، فلما كان الغد جاء عمرو إلى النجاشى وقال له إن هؤلاء المسلمين يقولون فى المسيح بن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم النجاشى وسألهم عن قولهم في المسيح فقال جعفر نقول فيه الذى جاء به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال : ما عدى عيسى ما قلت قدر هذا العود فنخرت بطارقته فقال وان نخرتم وقال للمسلمين اذهبوا فأنتم آمنون ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى أذيت رجلا منهم ، ورد هدية قريش ، وقال ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه . فرجع الوفد إلى مكة بخفي حنين .

وفى الوقت الذي تشتد فيه عداوة أهل مكة للدين الجديد واتباعه ونجحت دعاياتهم الكاذبة في منع قبائل كثيرة من دخول الاسلام ، كانت الوفود التى تأتى من يثرب تقتنع بدعوة الاسلام ، ويعودون إلى بلادهم وقد تأثروا بالدعوة وآمنوا بها ، ومن أسباب اقبال أهل يثرب على الاسلام وتصديقهم بالنبى عليه السلام عندما يأتون لموسم الحج ، أن أهل يثرب كانوا مختلطين باليهود ، وكان اليهود ينقلون اليهم ما في كتبهم القديمة من وعد بقرب ظهور رسول من العرب ، ولكن اليهود عندما ظهر الرسول الموعود به فى كتبهم لم يؤمنوا به ، وآمن به العرب . وباشاعة أمر الاسلام بالمدينة وتزايد أنصاره فيها فكر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اشتداد الأذى والعداء على أصحابه ، أن يهاجر إليها مع أصحابه ، خاصة وقد بايعته وفود الأنصار على النصرة مرتين ، فقد عقد معهم البيعة الأولى المسماة بيعة العقبة الأولى ، وأرسل معهم أحد أصحابه هو مصعب بن عمير ليعلمهم الدين الجديد ، ثم جاءت البيعة الثانية المسماة ببيعة العقبة الكبرى ، فقد واعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم في شعب العقبة ، وحضر منهم سبعون رجلا ، بايعوه على (السمع والطاعة فى المنشط والمكره والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقوموا لله ولا يخافوا لومة لائم ، وعلى أن ينصروه إذا قدم اليهم ، فيمنعوا عنه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم) .

أنصــــار الحق

ولقد تحمل الأنصار فى هذه البيعة عبء الدفاع عن الرسول ودعوته ، وأعطوا فى ذلك المواثيق وهم يعلمون ثقل هذا العبء عليهم ، وما يتعرضون له من محن ومصاعب ، وقد تحملوا المسؤولية وهم يتوقعون كل الأخطار ، ونجد فى حديث أسعد بن زرارة فى اجتماع البيعة ما يوضح لنا ذلك ، تحدث أسعد بن زرارة فقال (رويدا يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكباد الأبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وأن اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة ، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فأما أنتم قوم تبصرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وأما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله) . فقالوا (يا أسعد امط

عنا بيدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها فقالوا إليه رجلا رجلا فبايعوه) .

وعندما أحست قريش بهذا الدعم الذي وجده الرسول من أهل يثرب ، صاح صائحهم (بأن محمداً والصباء معهم قد اجتمعوا على حربكم) وجاء إلى الانصار وفد منهم فقالوا لهم (إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وأنه والله ما من حي من العرب أبغض أن ينشب الحرب بيننا وبينكم) ، فلم يرد الأنصار على قريش وذهبوا إلى المدينة وكان سعد بن عبادة قد قال للرسول عندما رأى غضب قريش : والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ، وأمرهم بالهدوء والرجوع إلى منازلهم ، وعادوا إلى المدينة في انتظار قدوم الرسول وأصحابه اليهم . وكخطوة أولى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه الذين أشتد عليهم الضغط أن يتركوا مكة ويذهبوا إلى المدينة ، فكانوا يخرجون خفية واحدا بعد الآخر ، ولما شعرت قريش بخطورة هذه المرحلة من الدعوة الاسلامية ، وأحست أن هذا الخروج لأتباع محمد من مكة له ما بعده ، اجتمعوا في دار الندوة ، ودار النقاش بينهم حول احدى الطرق لمواجهة هذا الموقف فاستعرضوا عدة اقتراحات منها نفيه ومنها حبسه مقيدا بالسلاسل ، ثم قتله ، وأخيرا استقر رأيهم على اقتراح أبى جهل بأن يؤخذ من كل قبيلة شاب ويعطى سيفا صارما ويضربون محمدا ضربة واحدة ، فيتفرق دمه على القبائل فلا يستطيع بنو هاشم أن يطالبوا بدمه فيرضون بالدية ، وقد أشار القرآن إلى هذه المحاولات التي قامت بها قريش للتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال ٣٠ .

فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المؤامرات الخسيسة لاغتياله من أجل القضاء على دعوته ، وقد كان هو يخطط للهجرة بعد خروج أصحابه ، إلا أنه ينتظر أمر ربه له ، فأوحي الله اليه بقوله (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) الاسراء ٨٠ وأمره بالهجرة فاتفق مع عبد الله بن أريقط على أن يستأجره ليكون دليلا له في الطريق ، لأنه خبير بالصحراء وطرقها ، وهو من المشركين ، ولكن الرسول عليه السلام أطمأن إليه ووثق به ، فواعده أن يأتيه بعد ثلاث ليال إلى غار ثور ، وذهب إلى أبى بكر وأخبره بعزمه على الهجرة ، وهنا نترك عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها تحدثنا عن هذا الحدث ، قالت عائشة : (كان لا يخطىء رسول الله أن يأتي بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة واما عشيا ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه رسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة في ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله في هذه الساعة إلا لامر حدث ، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عند رسول الله إلا أنا وأختى اسماء ، فقال رسول الله أخرج عنى من عندك ، قال يارسول الله انما هنا ابنتاى . وماذاك . فذاك أبى ؟ وأمي ؟ . قال ان الله أذن لى في الخروج والهجرة ، فقال أبو بكر الصحبة يارسول الله . قال الصحبة قالت عائشة : ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى ثم قال يانبى الله هاتين الراحلتين كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجر عبد الله بن أريقط وهو مشرك يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد استبقى عليا وأبا بكر ، فأما علي فقد عهد إليه أن يتخلف بعد خروجه من مكة حتى يؤدي عنه الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته ، وأما أبو بكر فلكي يكون رفيقا له في السفر .

● مسألة السلام على غير المسلمين والموقف الإسلامي الحقيقي منها

● لماذا ابتعد المسلمون عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟

وبعد أن اتفق الرسول عليه الصلاة والسلام مع أبى بكر على تفاصيل الخروج عاد إلى بيته ، وأوعز إلى علي أن يرتدى برده الذي ينام فيه ، وأن ينام على سريره ، وفى هجعة من الليل وغفلة من أولئك الذين تجمعوا لتنفيذ خطة اغتياله ، تسلل إلى بيت أبى بكر ثم خرج مع أبي بكر من خوخة في ظهر الدار إلى غار ثور ، وكان أبو بكر قد أمر ابنه عبد الله أن يتسمع ما يقوله الناس فيهما ، ويأتي لهما بالخبر ليلا ، وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى الغنم ويأتى يريحها عليهما إذا أمسى في الغار فاحتلبا منها وذبحا فإذا عدى عبد الله من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه زيادة في الحيطة .

وقد ذهلت قريش بعد أن عرفت أن رسول الله وابا بكر قد تمكنا من الخروج ، وانطلقوا في أثرهما يرصدون الطرق ويفتشون الشعاب والوديان والكهوف ، حتى وصلوا قريبا من الغار الذى يختفيان فيه فكان أبو بكر يقول للرسول (لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) والقرآن أشار الى هذا الموقف في قوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة ٤٠ .

مرت ثلاث ليال والرسول صلى الله عليه وسلم يبيت في الغار ومعه أبو بكر ، وجاء عبد الله بن أريقط على الموعد ومعه الرواحل وتزود ثم واصلوا رحلتهم فساء ذلك قريشاً وطار صوابها أن أفلت منها الرسول وأبو بكر فجعلوا دية كل منهما جائزة لمن يجيء بهما حيين أو ميتين ، ولا شك أنها جائزة مغرية مئتان من الأبل ، ثروة ضخمة تستدعى ركوب الأخطار في سبيلها ، فجد الراغبون في الفوز بالجائزة في الطلب ولكن الركب لم يمر بالطريق المعتاد فسلك دروبا لا تعتادها القوافل ، وساعد على ذلك مهارة الدليل عبد الله بن أريقط .

وعندما مروا بحي من مدلج لحظهم رجل من الحي ، فقال رأيت أنفا أسوده بالساحل ما أظنها إلا محمداً وهنا سمعه سراقة بن مالك ، وطمع في انفراده بالجائزة ، فقال بل هم فلان وفلان قد خرجوا في حاجة لهم ، ومكث قليلا ثم طلب من خادمه أن يخرج بالفرس من وراء الخباء ، ثم ركب الفرس ولحق بالركب ، قال سراقة فأخذت رمحي وخرجت من ظهر البيت أخط بزجه الأرض حتى أتيت فرسى فركبتها ففرت بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت منها فقمت ،

هل استفاد المسلمون من

السيرة النبوية؟

وحاول سراقة مرة أخرى أن ينطلق بفرسه وراءهم ، فلما دنى منهم عرفه أبو بكر وكان يكثر الالتفات يتبين هذا الذى يجرى بفرسه وراءهم ، فقال للرسول هذا سراقة بن مالك قد لحقنا وما أن تم كلامه حتى سقط سراقه مرة أخرى من على ظهرها ، فشعر أنه هزم فقال معقرا ينادى بالأمان ، واستسلم للرسول وعرض عليهم الزاد فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا ولكن عَم عنا الطلب ، فقال قد كفيتم فرجع ووجد الناس جادين فى البحث عن محمد عليه السلام وصاحبه فلم يلق أحداً فى الطريق إلا رده وهو يقول كفيتم هذا الوجه ، أصبح أول النهار جاهدا عليهما ، وأمسى آخر النهار حارسا لهما .

ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه المدينة بعد رحلة محفوفة بالمخاطر . فى صحيح البخارى عن البراء بن عازب قال (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم به حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون هذا رسول الله قد جاء) .

نقطة تحول تاريخى

فكانت الهجرة من مكة إلى المدينة نقطة التحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، وأسست فى المدينة دولة الاسلام ودخل المسلمون فى صراع مع اليهود الذين بدأوا يكيدون للدعوة ويعملون على تفريق كلمة المسلمين ، ويحاولون إثارة الخلافات القبلية بينهم ، ثم تفاوضوا مع أهل مكة للتآمر على الرسول وأصحابه وحرضوهم على غزو المدينة للقضاء على الدولة الاسلامية الناشئة ، وظهر المنافقون بزعامة عبد الله بن أبى بن سلول الذي كان يحلم بالملك ، فجاء الاسلام وقضى على أحلامه ، وحال بينه وبين ما كان يزمع أهل يثرب من تتويجه ملكا عليهم ، فاستمرت المناوشات بين مكة والمدينة ، وقامت معارك بين المسلمين والمشركين ولم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم بداً من وضع حد لمؤامرات اليهود ومحاولاتهم القضاء على الدعوة الاسلامية واثارة الفتن والقلاقل فى الجزيرة العربية ، وقامت بينه وبينهم حروب حتى تمكن من اجلائهم عن المدينة ، وصادر ممتلكاتهم الثابتة من نخيل وحصون ، فاستقرت دولة الاسلام بعد اجلاء اليهود عن المدينة ، وانتصاره على المشركين ، وأطمأن المسلمون إلى أن الصراع بينهم وبين الوثنية قد انتهى وحسم لصالح الاسلام ، وخاصة بعد فتح مكة والطائف ، ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

غير أن هناك دولتين كبيرتين مجاورتين للجزيرة العربية وهما دولة الفرس ودولة الروم تهددان دولة الاسلام التى قامت فى جزيرة العرب تلك الجزيرة التى لم يعهد أن تكون فيها دولة ، وكان الفرس والروم مطمئنين إلى أن تفرق العرب إلى قبائل وانقسامهم على أنفسهم يبقيهم دائما تحت سيطرتهم ونفوذهم ، غير أن الأمر تغير الآن بعد قيام دولة الاسلام في الجزيرة العربية فلابد أن تفكر الدولتان فى القضاء على هذه الدولة خاصة وأن الفرس يحتلون اجزاء من جنوب الجزيرة والرومان يحتلون أجزاء من شمالها ، وعندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسائل إلى ملوك وأمراء الدول والولايات يبين لهم أنه رسول الله ويدعوهم إلى الاسلام تفاوتت ردود الفعل بين العنف واللطف ، فأما ملك فارس فقد مزق الكتاب الذي أرسله رسول الله إليه ، أصدر أمره إلى واليه باليمن ليحضر إليه هذا الرسول الذي تجرأ بالكتابة إليه ، وبعث الوالى رجلين إلى المدينة ليطلبا من الرسول الحضور إليه ، ولكن الرسول عليه السلام طلب من الرجلين عندما حضرا إليه أن يعودا إلى الوالى بخبر موت ملكه الذي بفارس ، وما كان من الوالى وأتباعه فى اليمن إلا أن أسلموا ، وانتشر الاسلام في اليمن ، ثم زالت دولة فارس كلها على يد خلفاء الرسول ودخل شعبها فى دين الاسلام .

وأما الروم فقد كان رد ملوكهم لينا ، ولكن الأمراء العرب المفوضين عنهم فى ولاياتهم كالحارث بن أبى شمر فكان ردهم عنيفا وقاسيا بل قام أحدهم وهو شرحبيل بن عمرو الغسانى باعتراض الحارث بن عمير الأزدى الذى كان يحمل كتاب رسول الله إلى أمير بصرى ، ولما علم أنه مبعوث من قبل رسول الله قتله ، فحز ذلك فى نفوس المسلمين ، وكانت هذه الحادثة سبب غزوة مؤتة ، وهى أول صدام مع الروم وعملائهم من نصارى العرب ، وقتل فيها ثلاثة من قادة جيش المسلمين وهم زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة وجعفر بن أبى طالب ، وتولى القيادة بعدهم خالد بن الوليد ، الذى كان جنديا فى ذلك الجيش وأعقبتها بعد ذلك صراعات ومعارك حتى كانت الفتوحات الاسلامية المشهورة والمعروفة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي لحق بالرفيق الأعلى وهو يجهز جيشا لغزوهم وجعل قيادته لأسامة بن زيد الذى قتل والده فى غزوة مؤته .

العلاقة بين المسلمين وغيرهم

والذى يستوقفنا هنا هو العلاقة بين المسلمين وغيرهم . ما طبيعة هذه العلاقة ؟ يتصور بعض الناس أن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هى الحرب الدائمة والعداء المستمر ، وأن الاسلام يفرض على الناس الدخول فيه بالاكراه ، وهؤلاء الذين يتصورون ذلك استندوا إلى فترات معينة فى التاريخ الاسلامي ، كانت فيه علاقات متوترة بين الاسلام والأديان الأخرى ، والواقع إننا إذا تأملنا سيرة الرسول صلى الله علية وسلم وآيات القرآن الكريم نجد أن هذا التصور خاطيء ، وفى غير محله فالرسول لم يطلب من أحد أن يدخل فى دينه بالاكراه ، وكان يتعامل مع أى إنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم معاملة « عادية » إلا فى حالة الحرب أو وقوف غير المسلم منه موقفا معاديا ومناصرا لمحاربيه ، وهذا أمر طبيعى ، فنجده مثلا استعان بعبد الله بن أريقط وهو مشرك ليكون دليلا فى رحلته من مكة إلى المدينة ، والعداء بينه وبين المشركين على أشده ، استعان به لأنه لم يكن من المحاربين له ، ولجأ الصحابة بأمر النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى فى الحبشة وهو وقومه نصارى فآووهم وأكرموهم ، ولم يجدوا غضاضة فى ذلك ، ورهن درعه عند يهودى ويزور جاره اليهودى عندما يمرض .

والواقع أن الدعوة الصحيحة للاسلام لا تكون إلا بالمعاملة الحسنة والقدوة الحسنة فى السلوك ، والعداء لا يكون إلا فى حالة الحرب القائمة كما هى الحال الآن بيننا وبين اسرائيل التى اغتصبت الأرض وأخرجتنا من ديارنا وقاتلونا فى عقر دارنا ، وهذا الأمر واضح فى القرآن ونص صريح فى هذا الموضوع قال تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إن الله يحب المقسطين) الممتحنة ٨ .

فالذي حصل من التوتر والعداء المستحكم بين المسلمين وغيرهم إنما كان نتيجة ظروف طارئة كانت أكثر أسبابها من الطوائف الأخرى ، لا من المسلمين فانعكست على المجتمعات الاسلامية التي فيها أعداد كبيرة من غير المسلمين ، فكانت لها آثار سلبية على بعض الفقهاء المسلمين الذين يفسرون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم متأثرين بما يجرى فى مجتمعاتهم ، ومع الأسف أنه لازال حتى اليوم فى هذا العصر الذي عجز المسلمون فيه عن الدعوة إلى الاسلام يثير بعضهم

مسألة السلام على غير المسلمين ، ويدخلون فى مناقشات حادة ، وبعضهم يبلغ بهم الجهل بأخلاق الاسلام إلى أن يتصرف تصرفا مشينا يسيء للاسلام باسم الاسلام ، مثل ذلك الشاب في إحدى البلاد الاسلامية أراد أن يكون عالما بمجرد أن عرف القراءة ، فقرأ حديثا فى صحيح مسلم نصه (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروه إلى أضيقه) وبعد أن فرغ من قراءة هذا الحديث خرج لتوه يريد أن يطبق السنة فى زعمه ، فقابل قسيساً فى الشارع فذهب إلى جانبه ودفعه بكتفه حتى يلجئه إلى الطريق الضيق ، فوقع القسيس على الأرض ونهض مندهشا من هذا الموقف ، وقال للشاب ما هذا التصرف ؟ قال له الشاب هكذا يجب أن نعاملكم فى الاسلام ، فاشتكى القسيس إلى الشرطة ، وعندما حضر الشاب قال : ما فعلته هو السنة لأنه قرأ ذلك فى كتب الحديث فحجزته الشرطة ، ولكن القسيس عفى عنه ، فخجل الشاب وخجل المسلمون الذين كانوا هناك .

وتلقيت سؤالا جاءنى بواسطة جريدة الراية ولعل السائل من نفس البلد التى كانت فيه هذه الحادثة . يقول السؤال : (من العادات السمحة التى تتوافر فى شخصي من عهد الطفولة أن أحيي جميع المارة دون فرز لأنى كنت فى بلد أعرف فيه المسلم من غير المسلم ، ولكن حضرت إلى الدوحة وبها عدد من الهنود المسلمين وغير المسلمين الذين منعنا الرسول من ابتدائهم بالسلام ، وأنا لا أعرف غير المسلم من المسلم وأحيي الجميع بالشارع العام) وقد نشر السؤال والجواب فى جريدة الراية بتاريخ (١٠ فبراير ١٩٨٣ م) ونص جوابى هو : (أن المسلم يحيي كل الناس بالسلام من عرفه ، ومن لم يعرفه ، فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم (أي الاسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف) متفق عليه ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها) النور ٢٧ . وعن أسامة رضى الله عنه (أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فسلم عليهم) . متفق عليه .

ويظهر أن مسألة ابتداء غير المسلمين بالسلام لم تكن مثار خلاف أيام الصحابة ، وإنما الخلاف حصل بعد عصرهم لأنه رويت أحاديث تدل على منع ابتداء غير المسلمين بالسلام كالحديث الذي في صحيح مسلم (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم فى الطريق فاضطروه إلى أضيقه) يرى بعض العلماء أن هذا الحديث فى قضية خاصة أو مع المحاربين فقط ، بدليل ما رواه أحمد عن عتبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى راكب غدا إلى اليهود فلا تبدأوهم بالسلام وإذا سلموا عليكم فقولوا وعليكم) إنما نهاهم أن يبدأوا بالسلام لأن السلام تأمين وما كان يجب أن يؤمنهم وهو غير آمن منهم ، لما تكرر من غدرهم ونكثهم للعهد ، وقد ذهب للحرب القائمة بينه وبينهم، وقالت طائفة : يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون له إليه أو خوف من أذى أو لقرابة أو بسبب يقتضى ذلك . يروى ذلك عن إبراهيم النخعى والحق أن على المسلمين أن يجذبوا الناس إلى دينهم بالخلق الحسن والمعاملة الطيبة ، وأن تحمل الاحاديث الواردة في المنع من الابتداء بالسلام على المحاربين فإن ظروف الحرب غير ظروف السلم ، والقرآن صريح فى وجوب البر والاحسان مع المخالفين فى الدين الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا ، قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) المتحنة ٨ .

ومن البر والقسط السلام عليهم وعدم مضايقتهم ، وعن الشعبى أنه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله تعالى ، فقيل له فى ذلك فقال أليس فى رحمة الله يعيش . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بافشاء السلام وقال البخارى فى صحيحه قال عمار رضى الله عنه « ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والانفاق من الاقتار » ، ومما يدل أن ظروف الحرب غير ظروف السلم وأن المنع من الابتداء بالسلام والالجاء إلى أضيق الطرق قضية خاصة ، أن اليهودى الذي سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله السام عليكم فرد عليه بقوله وعليكم وقالت عائشة وعليك السام واللعنة فنهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها إن الله يحب الرفق فى الأمر كله . فالرسول عليه السلام قد عرف أنه قال السام عليكم أى الموت ، ومع ذلك لم يغضب ورد عليه من غير أن يشعره أنه عرف قصده ، ولو كان لظروف حالة حرب لتغير الموقف ولن يسكت الرسول على قوله وخداعه ، كيف نقول بعد هذا إننا نلجئه إلى أضيق الطريق والرسول لم يشأ أن يرد عليه بما يشعره بالغضب . قال الشيخ محمد رشيد رضا أما جعل تحية الاسلام عامة فعندى أن ذلك مطلوب . وقد ورد فى الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم ، فكان من تحريفهم ما كان سببا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ وعليكم حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه ، ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام لأنهم لم يكونوا ليحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خلف من بعدهم خلف أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كل شيء يعمله المسلم . الخ وقال أما ما ورد من حق المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق : التحية ، وتأمين من تسلم عليه من الغدر والايذاء ، وكل ما يسيء . وقد روى الطبرانى والبيهقى من حديث أمامة (أن الله جعل السلام تحيةً لأمتنا وأمنا لأهل ذمتنا) وأكثر الأحاديث التى وردت فى السلام عامة وذكر بعضها المسلم وذكر فى بعضها غيره وقال الاوزاعى رحمه الله عندما سأله سائل عن السلام على أهل الكتاب (إن سلمت فقد سلم الصالحون وإن تركت فقد ترك الصالحون) .

لقد نقلنا هذه الفتوى على طولها لأنها تنبيء عن مدى بعد المسلمين عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنهم قد شغلوا أنفسهم بالأقوال وتركوا الأفعال ، وهذا ما جعلنا نتساءل : هل استفاد المسلمون من السيرة النبوية ؟

عبد القادر بن محمد العمارى

● لماذا أصبحت أكبر نسبة أُمِّيَّة في العالم توجد في المجتمعات الإسلامية؟

● لم يطلب الرسول من أحدٍ أن يدخل الإسلام بالإكراه

طرائف شرقية وغربية

الحب والعدالة

• قال عمر بن الخطاب لأبي مريم السلولي ـ وكان هو الذي قتل أخاه زيد بن الخطاب :
ـ والله إني لا أحبك حتى تحب الأرض الدم .
قال أبو مريم : أفيمنعني ذلك حقاً ؟
قال عمر : لا
فأجاب أبو مريم : إنما يأسى على الحب النساء .

جنون الذهب

• كان كريستوفر كولمبس مجنوناً بالذهب حتى أنه قال : « الذهب شيء مدهش ، ومن يمتلكه يصبح سيد كل ما يريد . » ..

حب الوحـدة

• سئل برنارد شو عن حبه للوحدة والابتعاد عن المجتمع فأجاب : أحب أن أكون وحيدا لسببين : أولهما أني أحب أن أتحدث إلى رجل ذكي ، والثاني لأني أحب أن أستمع إلى رجل ذكي !

الذليل من ظلم

• شكا رجل إلى جعفر الصادق أذية جاره ، فقال له : « اصبر عليه » . فقال الرجل : « ينسبني إلى الذل » فقال جعفر : « إنما الذليل من ظلم » ..

السرف وأهل الشرف

• قال المأمون لمحمد بن عباد : بلغني أن فيك سرفاً . فقال : يأمير المؤمنين .. منع الجود سوء الظن بالمعبود .. فقال المأمون : لا يحسن السرف إلا بأهل الشرف .

دعـــاء

• سمع عمر بن الخطاب غلاماً يبتهل إلى الله قائلاً : « اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه فحل بيني وبين خطاياي فلا أعمل بشيء منها » فسر منه عمر ودعا له بخير .

مســـافر

• قيل لزاهد :
ـ ما بالك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض ؟
فقال :
ـ إني أعلم أني مسافر وأنها دار بلغة . وأن العصا من آلة السفر .

عدالة حاكم فرعون

• وصف « أميني » أحد الحكام الفراعنة عدالته في بردية محفوظة فقال : « إني لم أسيء معاملة بنت أي رجل ، ولم أظلم أية أرملة ، ولا يوجد فلاح احتقرته ، ولا راع أقصيته » .

وصف العنقاء

• روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق طائراً في الزمان الأول من أحسن الطير ، وجعل فيه من كل جنس قسطا ، وخلق وجهه على مثال وجوه الناس ، وكان في أجنحته كل لون حسن من الريش ، وخلق له أربعة أجنحة من كل جانب منه ، وخلق له يدين فيها مخالب ، وله منقار على صفة منقار العقاب غليظ الأصل ، وجعل له أبناء على مثاله ، وسماها بالعنقاء » .

قـــال الأوّلـــون

• قال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال » .
• قال ابن مسعود : « الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة » .
• قال على بن أبي طالب رضى الله عنه : « إياك واتكالك على المنى فإنها بضائع الموتى » .
• قال أكثم بن صيفي : « الأمور تتشابه مقبلة فلا يعرفها إلا ذو الرأى فإذا أدبرت عرفها الجاهل كما يعرفها العاقل » .
• قال المهلب بن أبي صفرة : « أناة في عواقبها فوت ، أحب إلى من عجلة في عواقبها ظفر » .
• قال ذو النون المصرى : « الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالخلق غم واقع » .
• قال العتابى : « ما رأيت الراحة إلا في الخلوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة » .
• قال أبو على بن الهيثم : « الانسان مجبول على أن يتباعد ممن دنا منه ، ويدنو ممن تباعد عنه » .
• قال أبو القاسم الحسين : « من لم يتحصن بالشرع وعبادة الله تعالى فليس بإنسان » .
• قال بعض السلف : « الأيادى ثلاثة يد بيضاء وهى الابتداء ويد خضراء وهى المكافأة ، ويد سوداء وهي المن » .
• قال أنو شروان : « أربعة أيام لأربعة أعمال . يوم النسيم للصيد ، ويوم الريح للنوم ، ويوم المطر للمنادمة ، ويوم الصحو للكسب » .
• سئل أبو عمرو بن العلاء : « هل كانت العرب تطيل ؟ » فقال : « نعم ، ليسمع منها » قيل « فهل كانت توجز ؟ » قال « نعم ليحفظ عنها » .
• قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه إيمانه . حلم يرد به جهل الجاهل ، وعلم يمنعه عن المحارم ، وخلق يدارى به الناس » .
• قالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها : « إن سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان لأحد عليه إلا الله » .

جمال ملائكى

• قالت الزوجة ذات الأنف المشوه لزوجها :
ـ هل رأيت أجمل منى ؟
وأجاب الزوج :
ـ فى الواقع لم أر أجمل منك .. إنك ملاك وقع من السماء ولكن على أنفه ! ..

إن سعيكم لشتى

• مر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال :
ـ ما هذا ؟
قالوا :
ـ مسكين سرق منه رجل جبة ومر به آخر فأعطاه جبة
فقال :
ـ صدق الله « إن سعيكم لشتى » !

صديق أو عدو

• قال بعض الحكماء :
« ابنك ريحانك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، ووزيرك سبعاً ثم هو صديق أو عدو » ..

عقاب المذنبين

• عوتب أنوشروان على ترك عقاب المذنبين فقال :
ـ هم المرضى ونحن الأطباء فإذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم ؟! ..

العدل والشجاعة

• قيل لأحد حكماء الهند :
ـ ايما أفضل العدل أم الشجاعة ؟
فقال :
ـ إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة ..

من أين أتيت

• سأل الطفل أمه : من أين أتيت ؟ وأين عثرت على يا أماه ؟ ضمت الأم طفلها إلى صدرها ، وأجابته فى صيحة الفرح : لقد كنت سراً كامناً فى قلبى كأنك أمنية من أمانى يا عزيزى .. لقد كنت تتمثل لى فى عرائس الطفولة التى كنت أداعبها وأنا طفلة مرحة .

هـل تُصَدِّق ؟!

أفضل طريقة للقبض على السارق

أحد القضاة الأذكياء ، تقدم إليه رجلان يتنازعان على ملكية (عباءة) يدعى كل منهما أنه صاحبها وأن الآخر سرقها منه ، ويقيم الدليل ويسمى شهوداً . فأشكل الأمر على القاضى وفكر فى تأجيل القضية ريثما ينتهى إلى حقيقة يرضى عنها أو يوفق إلى حكم يرضى به . لكن سرعان ما أسعفته بديهته فقال لهما ، أمسكا العباءة من طرفيها ، كل من طرف ، ففعلا وتركهما على تلك الحالة لحظات شغل نفسه فيها بتقليب بعض الأوراق الموضوعة أمامه .. ثم .. وفجأة صاح أترك يارجل العباءة . فتركها أحدهما بحركة عصبية نمت على أنها ليست له ..

وهنا ظهر السارق الحقيقى بفضل ذكاء القاضى وحسن استنباطه بعد أن عجز عن إصدار حكم صحيح إذ كانت مواقفهما متكافئة أمام القانون والشهود .

الطفل المليونير

هل سمعتم عن بردونى آلن ريبى ؟

إنه طفل زنجى ، فى الخامسة من عمره ، يعمل فى الترويج لمختلف أنواع البضائع الاستهلاكية ، بواسطة الأفلام الإعلانية التى تعرض فى جميع محطات التليفزيون ودور السينما فى مختلف أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية .

إنه يتقاضى مبلغاً كبيراً من المال لقاء قيامه بهذا العمل نظراً لقدرته العجيبة فى إقناع المستهلكين بشراء هذه السلعة أو تلك ..

ومن الطبيعى أن يتمتع هذا الطفل الذكى المحظوظ بثروته ، بالطريقة التى تحلو له ، فهو لا يذهب إلى الأستديو إلا بسيارة أنيقة ثمينة ، يقودها سائقه الخاص كما أنه لا يتناول طعامه إلا فى أفخر المطاعم الموجودة فى نيويورك ، حيث يعيش .

الحـرية

قال الشاعر العراقى معروف الرصافى :

سمعت شعراً للعنــــــدليب
تلاه فـــــوق الغصن الــــرطيب
يــــا قــــوم إنــــى خلقت حـــرا
لــــم أرض إلا الفضا مقـــــرا
فإن أردتـــم أن تـــؤنســـونى
فى المبـــانــى لا تحبســـونى
وإن أردتـــم أن تنطقـــونـــى
فـــأطلقـــونــى .. أطلقـــونــى ..

الأمراض الوراثية

الأول : هل صحيح أن أمراض الإنسان تظهر فى أولاده ؟

الثانى : هذه أوهام ، فإن أبى مثلا « مات بسوء الهضم وأنا الآن أموت من الجوع ! » .

بـلا شـك

ـ هل تعتقد أنه سيتزوجها حقاً ؟

ـ بلا شك ، فهو لا يهديها إلا أدوات للمطبخ !

أعمار القواد

• قاد الاسكندر الأكبر جيوش اليونان وهو فى الخامسة عشرة وفى الثانية والعشرين انتصر على ملك الفرس .

• وقاد هانيبال جيوش قرطاجنة وهو فى السادسة والعشرين ، وكان عمره ٢٩ سنة عندما عبر جبال الألب فى ١٥ يوماً ..

• وانتخب يوليوس قيصر قائداً للجيش الرومانى وهو فى الثلاثين ولكنه بدأ عمله الحربى الحقيقى وهو فى الرابعة والأربعين ..

• وكان فردريك الأكبر فى الثامنة والعشرين عندما طالب بأقليم سليزيا وألحق الهزيمة بالنمساويين ..

بــدويّ الجبــل .. وإخاء أربعين ســــنة


الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

نحنُ كنّا الزّلزالَ نعصفُ بالشّرقِ نرجُّ الشّعُوبَ حتى تُفيقا

بقلم: أكرم زعيــــتر

وكان بدوي الجبل معجباً ، الاعجاب كله بفارس الخورى السياسي العربي السوري العالم ، الخطيب ، الشاعر ، الثائر ، الحقوقي ، الفقيه العبقري الذي يتحدّى كل من عرفه ألا يعجب به . وقد تراصفا في المجلس النيابي السوري في أربع دورات كان فيها « الفارس » رئيساً « والبدوي » عضواً وأمين سر ، كما كان البدوي وزيراً في وزارة الخوري .

فــارس الخوري

وتوفي فارس الخوري سنة ألف وتسعمئة واحدى وستين بينا كان البدوي يكابد المحنة في لبنان وقد أربكه نعي رئيسه ، فما استطاع رثاءه ، حتى إذا أطلّت الذكرى الثالثة للوفاة ، والبدوي في استانبول ، توقدت في صدره الحسرة ، وكان يعلم أن الآستانة عرفت « الفارس » نائباً نابغاً في « البرلمان » العثماني ، وأذكى الاغتراب قريحته ، وساعفه البيان فأرسل رائعته في رثائه ، بقصيدة أنافت على مئة بيت ، جعل عنوانها (غربة الروح) وجاءت من روائع المنظوم في أدب الرثاء .. ومطلعها :

أترعي الكأس أدمعاً ورحيقا ... حَقُّ بعض الهموم ألاَّ نُفيقا
سِلمَ الجمرُ لي وعاش بقلبي ... أريحيَّ اللهيب عَذباً انيقا

ولا أذكر أن البدوي رثي عظيماً من لداته الوطنيين إلاَّ تذكر اخوانه الراحلين وناجى قبورهم :

وسعت هذه القبورُ فؤادى ... كيف تشكو ـ وهى السماوات ـ ضيقا
كيف لا تنبت الرياحين والشوق ... وقلبي على ثراهــا أُريقـا
مقلتي يستحم في دمعها الطيفُ ... ونحنـو فلا يمـوتُ غريقاَ
ينزلُ الجُرحُ من فؤادي على الحُبِّ ... ويلقــى التـدليلَ والتشـويقاَ

وهات لي من يحسن وصف فارس إحسان البدوي :

(فـارس) المـجد لم تزغرد عذارى المجد الا انتخى وكان السبوقا
وله الطرفة المليحة تغني ... عن نقاش وتسكت المنطيقا
وبيان تـخالُهُ الوشيَ والأطيا ... بَ شتــى ، واللؤلؤ المنسوقا
فيه عمق البحار تزخرُ بالدُّر ... وفيه متــارفُ الموسيقـا
وضميرٌ يكاد يُسرف في الحس ... فيجزي حتى الخفيَّ الدقيقا
عالم يسكُبُ العذوبةَ في العلِم ... فتستاف عنبراً مسحوقاً
بالنسر تقحَّمَ الشمس حتى ... مَلَّ عزَّ الشموس والتحليقا
حَقُّ عبئين من سنينَ ومجد ... أن يكُفّا من شأوه ويعوقا
يهرم النسر فـالطريق عثارُ ... ذكرياتُ الصبا زَحَمْنَ الطريقا

وبعد وصف للنسر وذكرياته عاد يخاطبه ويشكو إليه لبنان الذي ألجأه إلى استانبول :

حال بيني وبين لقياك دهر سامني عبئه فكنتُ المطيقا
أنزلتني على فروق رزاياه فحيَّا عطر السماء (فروقا)[1]
ضاق لبنانُ بي وكان رحيباً وتنزىَّ حقداً وكان رفيقا
ما للبنان رُحْتُ أسقيه حُبي وسقاني مرارة وعقوقا
أنا أغليته بلؤلؤ أشعاري وطوّقت جيده تطويقا
وزرعت النجومَ في ليل لبنانَ فرفَّ الدُّجى ندياً وريقا

ثم عاد يناجيه :

يرد الخطب منك قلباً سرياً وبياناً عفّاً ووجهاً طليقاً
من يَعُلُّ النديَّ بعدك بالشهد المُصفىَّ ومن يسد الفتوقا

اغتراب القبور

وعاد فتذكر فراق أحبته وقبورهم واغترابه :

غربتنا العُلى قبوراً وأحياء وعاثت بشملنا تفريقا
وأغتراب القبور من حيل المو ت ليُخفي كُنوزه والعلوقا
ما لقومي غال الحِمامُ فريقاً منهمُ والعقوقُ غال فريقا

وليس أرضى لضميره في رثاء اخوانه من التجاهي بالبطولات ، والتغني بالتضحيات : وقد راح يهزج وكأنه يثوِّب تثويب الداعي إلى المجد ، في عزٍّ أموى وجهاد وطني يعربي :

نحن كنا الزلزال نعصف بالشرق نَرُجُّ الشعوبَ حتى تُفيقا
فابتدعنا من الرؤى واقع الحق ومن غمرة الظلام البريقا
نقحم الغامض الأشم من المجد ونأبى المُمَهَّد المطروقا
نحن عطر السجون عطر المنايا نحملُ الجرح مطمئناً عميقا
نحن كالشمس جُرحُها وهج الدنيا غروباً منوراً وشروقا
نحن والشام والفتوحاتُ والأحزانُ دنيا تزينت لتروقا
ما درى الشرق قبلنا سكرة الحق ولا خمرها ولا الراووقا

ابتهالات

وفي جنيف نظم « إبتهالاته » العظيمة البالغة الروعة . وأفضل عليَّ باتحافي بها ـ وأنا في طهران ـ وهي في نحو مئة وعشرين بيتاً ، وقد أهداها « إلى قبور حبيبته في دمشق وحمص وحلب واللاذقية وبغداد » رتلتُها فرنحتني ، وإذا لم يكن هذا هو السحر الحلال فما يكون ؟ إنها وحي غربة موحشة ، وحنين إلى الأهل وحنان على وطن ، ويا له حنوناً حناناً وهو يهتف :

يا شام : يا لدة الخلود وضم مجدكُما انتساب
من لي بنزرٍ من ثراكِ وقد ألحَّ بي اغتراب
فأشمُّه وكأنه لَعَسُ النواهد والملاب
وأضمه ، فترى الجواهر كيف يُكتنَزُ التراب
هذا الأديم أبي وأمي والبداية والمآب
أغلى عليَّ من النجوم ولا أُعار ولا أُعاب
الروح من غيب السماء ومنك قد نسج الإهاب

وأين من سحر دمشق كل ما في جنيف من جمال ؟ وهل لشمس دمشق شبيه في شمس جنيف تتواري في الضباب وخلف السحاب ؟

أشتاق شمسك والضُحى أنا والبحيرة والضباب
ومُضَفَّرات بالثلوج كأنما نَصَلَ الخِضاب
نعوي الرياح فما القساور في الفلاة ؟ وما الذئاب !
والثلج جُنَّ فلم تبنْ سُبلٌ ولم تُعرف شعاب
أخفى المعالم ، لا السفوح هى السفوح ولا الهضاب
يا شمس غبتِ ، فكيف نم ـ ولا طلوع لك ـ الغيابُ



بدوي الجبل تقبله حفيدته رنا في آخر أيامه



بدوي الجبل في سويسرا

نحن كنا الزلزال نعصف بالشرق
نرج الشعوب حتى تفيقا

إن كنت مُسلمةَ الهوى فتألقي رُفع الحجابُ
ملَّ السحابُ من السماء ومَرَّ في الأرض السحابُ

على أن غربته لم تثلم إباءه ولم تجرح كبرياءه :

في غربة أنا والإباء المر والأدب اللبابُ
طود أشمُّ فكيف ترشقني السهامُ ولا أُصاب
يخفى البغاث فلا تُلِمُّ به ولا يخفى العُقاب
الكبرُ عندي للعظيم إذا تكبَّر لا العتابُ
عندي له زهدٌ يُدلُّ على الكواكب واجتناب
يزهو الكريمُ وقلبه دام تمزقه الحرابُ
أغلى المروءة شيمة طُبعت وأرخصُها اكتساب

على أنه في تسابيحه وصلواته وابتهالاته لا يُرجي ولا يرتجي غير الله :

أنا لا أرجي غير جبار السماء ولا أهاب
بيني وبين الله من ثقتي بلطف الله باب
وإذا سألت عن الذنوب فإن أدمعي الجواب
هي في يميني حين ابسطها لرحمتك الكتاب

متى الأياب ؟

على أنه بعد استغفار ودموع ينهي ابتهالاته بهذه الأبيات الثلاثة المؤثرة :

أنا والربيع مشردان وللشذا معنا ذهابُ
لا الأيكُ بعد غيابنا غردُ الطيوب ولا الربابُ
والنور يسأل والخمائل والجمالُ: متى الأياب ؟

وأرَّقت « الابتهالات » قلب شاعر الشام شفيق جبري ، وأرسل من منسكه في بلودان ـ وكانت الهموم تتناجى في صدره ـ قصيدة جاءتني إلى طهران فشجاني منها ما شجاني من « ابتهالات » البدوي ، وكانت من ثورة العاطفة وسورة النقمة وشدة العتاب على الحال ، ما حال دون نشرها في الصحف حينئذٍ ، وفي ديوانه بعدئذٍ : وفيها يهاتف « البدوي » :

يا نائحاً خلف العباب أدموعُ عينك أم لهابُ؟
رفقاً بقلبك أن يذوب وقلب ربعك أن يذاب
ضَني الصحابُ من الحنين أما حنوت على الصحاب ؟

وفيها :

« العندليب » على البحيرة والجوانح في اضطراب
ملَّ المقام ـ وما يملُّ مقامه ـ فمتى الإياب؟

والقصيدة طويلة ، ومؤثرة ، وصف فيها دمشق في غياب البدوي وأنهاها باكيا :

ليست دموعاً ما سكبتُ شغاف قلبي في انسكاب

ورتلت القصيدتين وتذكرت أنني لم اجب على رسالته ذات الابتهالات ، ورأيتني ـ وقد اكتهل الليل ـ أكتب إليه رسالة لم أفرغ منها حتى مطلع الفجر :



مع الملك حسين في زيارته لدمشق عام ١٩٥٦م ، وعلى يساره الوزراء : علي بوظو ، بدوي الجبل ، بدري العبود ، عبد الوهاب حومد ، منير العجلاني .



في احتفال الملك فاروق بمندوبي الدول العربية في الجامعة بالألبسة الرسمية ويرى الملك فاروق وعلى شماله فارس الخوري رئيس وزراء سورية ، فالوزير بدوي الجبل ، وبينهما الوزير السعودي يوسف ياسين بالعقال ، فالنائب السوري يوسف الأطرش ، وعلى يمين فاروق : أرشد العمري رئيس وزراء العراق فجميل مردم بك سفير سورية في القاهرة.

وفيها أقول بعد أن أعربت عن تهيبي حين أهم بالكتابة إليه : « ولعل عاملاً يتصدر دواعي هذا التهيب هو أسلوبك الأرفع في إنشاء رسائلك الماتعة الرائعة ، رسائلك التي بلغت السدرة في الفصاحة وتزري في ديباجتها بأبلغ ما يمكن أن أكتبه إليك .. ورسائلك كنوز احتفظ بها ميراثاً أوصي أولادي بصيانه والاعتزاز به ولعل ما يغريني بالتكاسل عرفاني أنك سريع الرضى عن أخيك ، غافر لذنوبه ، وأنه ينعم منك بعاطفة أخويه تحملك أنت على الاعتذار عما يجترحه من تقصير .. ولكنني رأيتني الليلة أعذل نفسي وأهامسها : لا يحمل بك الامعان في التقصير اعتماداً على سراوة الأخ الأنبل وتناولت البراعة مستغفراً ومعرباً عن هذا الشوق الذي يتوقد في صدري ، وعن أثر « ابتهالاتك » في نفسي ، تلك « الابتهالات » التي كاد الكثيرون يحمدون بسببها ظلم الظالمين قائلين : نعم اضطهاد العبقريين إذا اجتنت الآدابُ الرفيعة من روائعهم « جنى » كابتهالات البدوي ، وحبذا غربة العبقري إذا هو نفح الأدب بمثل « البلبل الغريب » و« حنين الغريب » ! فأنت ترى ياشاعري الكبير أن الناس « أنانيون » وقد يبلغ بهم حب ذواتهم أن يرضيهم ظلم العبقريين .. وكم ترنح بالنشوة اديب أو متأدب أو ذواقه وهو يرتل قصائد للعبقريين هى نبات محنتهم وثمرات شقوتهم .. على أن العبقري يثأر لنفسه حين يجعل الظالم هُزأة بين الناس في التاريخ وظلمه مخزاة لاصقة به ، سُبة دهر وعار أبد ، ويثأر لنفسه بما يفرضه على الدهر من تخليد بخلود روائعه ومن تمجيد بمجادة بدائعه .

أما بعد فإن طهران اليوم في ربيع فاتن واشراقك عليها يجعلها في ربيعين ، ومثلك أدباً وشعراً لا متندح له عن اعتمار موطن الشعر ، والرأى أن تبادر إلى المنِّ بالزيارة قبل أن يهجم الحر علينا ، وإذا أنت لم تأنس بها أو ازعجتك حمَّارة تموز وقيظ آب ، فعد بسلامة الله إلى جنيف ولكن بعد أن تَتَنوَّر جمالات طهران وشؤاطئ قزوين ومساجد اصفهان وأن تزور ضريحي زميليك سعدي وحافظ في شيراز . أن صديقنا الحميم الدكتور مصطفى ياسين زار طهران مصطحباً وزير

روحاً وريحانا ، وتحنو في غمرة المحنة هدأة وأمانا ، ولك عندي من الذكريات دنيا ، بليلها ونهارها ، وشموسها وأقمارها ، وبسيطتها وبحارها ، وهذه الدنيا ـ على سعتها وشمولها ـ مكنوزة في خيالي ، موجزة في قلبي ، تضيق حيناً فإذا هي قارورة عطر ، وتتسع حيناً فإذا هي زرقة بحر ، وأنا أشم العطر منها إذا ضاقت ، وأملك البحر ولآليء البحار إذا اتسعت ، فاكتب يا أخي إذا شئت ، ولا تكتب إذا شئت ، وصل رحيماً أو أقطع ظلوماً ، فما يهم ذلك . الدنيا ذكريات .. وكلها ذكريات ، وأنا في الغربة والمحنة والسقم أعيش في الذكريات . بعضها أطيب من الكرى على العافية بعد السهد ، وبعضها لم يخلق النسيان إلاَّ رحمة من الله ليغفي عليه . وفي بعض هذه الذكريات أخوان طوتهم القبور واخوان طواهم الغرور ، وفي بعض هذه الذكريات اشتات من حسن ودمامة . منها غدر قريب وجفوة حبيب وتنكر صديق ، وتكبر عظيم ، ولكل واحدة من هذه الذكريات مكان في قلبي يتفق مع جوهرها وينسجم مع عنصرها ، فلذنب الصديق العذر ، ولخيلاء العظيم الكِبْر ، ولنعمة الله الشكر ، ولمحنة الأيام الصبر ، وذكرياتك بينها هي الصبيحة المليحة دائماً ، الوسيمة الكريمة أبدا ، الندية الوفية سجية » .

وعـــاد إلى دمشـــق

وعاد البدوي إلى دمشق بعد سنوات طوال من الغربة المضنية ، « نفساً شفافة .. شفها الوجد وبرتها النوى » كما قال الشاعر أبو سلمى في رسالة . وأبرق إليه شفيق جبري من بلودان يقول : « هنيئاً لجنة الدنيا عود العندليب إلى ظلالها ، متعها الله في حباته وملأ الآذان من تغريده » فأجابه : « سحر بيانك وسحر الغوطتين منبع الهامي وسر انغامي فمن حق أديمها المعطر أن يتزين له الوفاء ، ومن حق بيانك المنور أن يتبرج له الثناء » .

●

وتلقيت منه كتاباً يكاشفني فيه بجلية أمره ، ويعتب على صديق ذي شأن كبير ، بعض شؤونه ، وقد أفضل عليَّ بأن استشهد في مخاطبتي بقول شاعر :

ولي صاحب كالسيف أبيض مصلتاً وهيهات منه كل أبيض مصلتِ
رأى حاجتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلتِ

ومما استشهد به في كتابه من شعره قوله :

ولا وفاء لقلب حين نؤثره حتى تكون رزايانا رزاياه

وقوله :

الا أن خير الود ودٌ تطوعت له النفس لا ود أتى وهو مُتعَبُ

وقد اعتذرت عن تقصيرى وانتحلت لصاحب الشأن عذرا تقبله البدوي قائلاً :

« وقد عودنا الدهر أن نتلمس الاعذار لمن نحب » .

فخري البارودى

وعدت من طهران إلى عمان ، وفي الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٦٦ هتف بي صديق من دمشق ، ينعى إليَّ زعيم شبابها وصبيح وجهها ، وبشاشة محياها ، وآية أريحيتها وحيويتها صديقي فخري البارودي ، فروعني النبأ وفي اليوم التالي هرعت إلى دمشق ومثلت جلالة الحسين في تشييع البارودي بوصفي وزيراً لخارجيته وتلاقت في موكب التشييع عبراتي وعبرات البدوي .. وقد شيعت دمشق المولهة في نعش فقيدها تاريخاً حافلاً بالأمجاد الوطنية . ولما عدنا من التشييع راح « البدوي » يكتب بدمعه ودمعى رثاء للراحل . وما برحت دمشق حتى أتم الرثاء .



فخري البارودي وأكرم زعيتر

الخارجية العراقية ، واعطيته قصيدتك « البلبل الغريب » ثم جاءني صبح اليوم التالي يقول : « لكَ اللهُ يا أكرم ، ما صنعت بي ؟ أن قصيدة البدوى ابكتني وأرقتني ولا ازال أعيشها الساعة ، وراح يردد بعض ابياتها الشاجنة والدمع يترجح في مقلتيه » .

رائعـــة النثر

وأجابني البدوي بمقامة هي في ذمة الأدب الأرفع مثال للنثر الأروع ، وإذا نالني منها فخرها فإني ارجو ألا يفوت قارئي اليوم سحرها ، وفيها يقول بعد مقدمة وجدانية :

« إن الحياة على همومها وأحزانها وحرمانها وسيمة كريمة ، وأكرم ما فيها أنها جمعتني بأكرم ووصلت وجداني بوجدانه وإيماني بإيمانه ، ولا يُهم بعد ذلك أوَصَل أم جفا ؟ أذكر أم تناسى ؟ فهو على حالتيه زينة لسريرتي وحلية لقلبي ، وغبطة تشمل كياني ، وهناءة تبدد أحزاني ، كتابك بين يَدَيَّ ريحانة أشمها ، وحورية من حور الجنة ألثمها وأضمها ، وبعض البيان عطر وبعضه سحر ، والكتابة منك وإليك نعمة للنفس ونعمة للقلب ونعم للفكر ، وما عند دوحة البحيرة في جنيف ما يسكر كهذا الرحيق العربي المصفق بطيوب سعدى والخيام » .

« إن صداقتك واحة في صحراء ، وأنا المتعب المكدود أفيء إلى ظلالها ، وأعب من سلسالها ، فإذا بعدت بي المتاهات عن هذه الواحة ، وافتقدت شذاها لم افتقد رؤاها ولم أغب عن ذكراها ، والذكريات مُلْكُ يدي لا مُلك الدهر . إنها الكنز الذي لا يفني ، والنعيم الذي لا يبلى ، وما كان أقسى الحياة لولا هذه الذكريات الحبيبة تنور في صحراء العمر أفياء وأفناناً ، وترف في وقدة الهجير

نحنُ كنّا الزّلزالَ نعصفُ بالشّرقِ
نرجُ الشّعوبَ حتى تُفيقا

إن في نشر هذا الرثاء المنشور الذي لا نجده في ديوانه الشعري تكريماً لذكرى فخري وجيله ورعيله وهو اشراقة بليغة لتاريخ الكتله الوطنية التي قادت النضال نحو الحرية والاستقلال :

المَرِحُ الطروب ، المُترَفُ الساخر العابث ، حتى إذا جد الجد ، وحميت المعركة ، واضطربت الحلوم ، وزلزلت الأرض زلزالَها ، زأر وتنمرّ وتفحم السيوف ، وتحدى الحتوف وقاد الصفوف ، فتحوَّل المرح جهاداً والترفُ عناداً والعبثُ سكينة وإيماناً ، والطرب كبرياء وعنفواناً .

فيه شيم العربي الأصيل سماحة وصباحة وإباء ، وحياء وصبراً ووفاء ، ومصاولة الدهر زحفاً بزحف ، وعنفاً بعنف ، ومصاولته حينا آخر بالطرفة الساحرة ، والدعابة الآسرة ، ويضحك ، ويتندر في السلاسل والقيود ، والسجون والمنافي ، كما يضحك ويتندر في مجالس السمر . في ظل النعيم على أرائك الأرجوان .

يرنح أعطافه البيتُ الرائع من الشعر ، والقطعةُ الحنّانة من الموسيقا ، والتحفة الملهمة من الغناء .

في بيته القديم ، في الساحة الشاميّة المضيافة ، الناغمة بنوافير الماء : المُمَسَّكة بأطياب الرياحين ، المنفتحة على المجد ، وعلى الكرم ، وعلى النجوم . نشأت الكتلة الوطنية ، مباركة العدوات . ميمونة الروحات . منصورة اللواء ، منضّرة الفتوحات . وفي بيته القديم دوت أصوات الأتاسي وهنانو وسعد الله وجميل وفارس واخوانهم يبدعون أمة ، وينشئون تاريخاً ، ويبنون دولة . وفي بيته القديم تلاقت مساقط الثلوج وحضارة المدن ، وصفاء الريف ، وهجير البادية . أمة واحدة : الزعيم فيها هو المكافح . والأصيل فيها هو المنافح . والقائد فيها هو البطل . ومكان الزعامة ميسر لكل من أراد ، إذا تقحم غمرة الجهاد . فالشرف شرفُ المنون . وشرف السّجون . والثراء ثراء النضَال لا ثَراء الأموال .

عرف البارودي وأخوانه الميامين كل خطوب الحرية وكل غمراتها ، وتحدوا نار الفرنسي وحديده ، وعدته وعديده ، بالصبر والإيمان وقادوا معركة الحرية والاستقلال ثلاثين عاماً . يكرون حين يكون الكر سداداً .ويهادنون عندما تكون الهدنة سداداً . ويبادهون العدو بالثورة اللاهبة حيناً ، وبالحجة القاطعة حينا . والصوفية الوطنية طراز جهادهم وحليةُ أمجادهم ، والمعركة معركة ميدان ، ومعركة أذهان . حتى انتزعوا الاستقلال من نيوب الأسد وأظافره ، وتوثبه وزماجره . وزفوه إلى الأمة هدية بطولاتهم ، وذخائر مروءاتهم ، وعطر الجنة من أمواتهم شهداء ، وعطر الدنيا من أحيائهم شهداء : كل هذا التاريخ الضخم الفخم تضمه الآن قبور أو غربة أوكهولة حزينة أو ضني لا يريم .

ولقد نفضت اليوم على قبرك يا أبا الحسن حفنة من تراب ، بل من دموع ، بل من قطع قلب . ولو شمها العطر ، لشم فيها ما هو أغلى منه عبيراً ، وأذكى بخوراً . ذكريات أربعين عاماً قضيناها معاً في بؤسها ونعمائها .وها أنا ذا أرجع من جنازتك حزيناً موجعاً ثاكلاً لا أتكلف تجلداً في الحزن عليك . لم يبق لي منك ولا من اخوانك الذين سبقوك إلى رضوان الله إلا أطياف وذكريات ، وأحزان ودموع .

اللهم إليك أشكو فرقة الصديق ، ومرارة التجني والغربة في الوطن . اللهم ولا اعتراض على قضائك ولا ضيق بابتلائك . أسبغ الصبر على القلوب الملتاعة وضوِّء بالأنس بك السرائر الحزينة الموحشة . واللهم نَدِّ قبور النازحين منا والمقيمين برفيف أجنحة الملائكة ، وطيوب سدرة المنتهى . واللهم نَدِّ جوانح المقيمين منا والنازحين ، بنفحة قدسية من الكعبة الغراء ، ومن قبر أبي الزهراء .

اللهم لقد نزل على ساحة كرمك فخري البارودي بعد جهاد أغر محجل . وكفاح طويل الآماد ، عريض الأمجاد . اللهم فاجزه خير جزائك ، وشرفه بالغمر من عطائك . وليستأنف البارودي شبابه في جنتك ، مع لداته وأترابه ، ورفاقه وأصحابه . ويا ندي «٢» الأتاسي وسعد الله وإخوان الأتاسي وسعد الله في الخُضْلِ المُنَوَّرِ من روضات الجنة ،تزيَّنْ للقادم الجديد ، وأسكب قوارير العطر على كل منعطف . فرحة به وتأهيلاً وليكن هذا العطر من رياحين دمشق واقحوان الغوطتين ، وإن غارت رياحين الجنة واقحوانها . لنا الله نحن رعيل الحق والحرية والاستقلال . ننكر أحياء ونُكَرَّمُ أمواتاً ، وتلك سجية العظيم . ومزية العبقرية ، وقديماً قال الامام أحمد بن حنبل لمن زها عليه في محنته : « بيننا وبينكم الجنائز »

أين أين الرعيل من أهل بدرٍ   طُويَ الفتح واستبيح الرعيل

أكرم زعيتر

تصويبات :

في العدد ١١٩ في حلقة بدوي الجبل وإخاء أربعين سنة :
ورشح الحزب بدوي وزيراً وصحيحها البدوي .
وأهفو في الهجر إلى ظلاهم وصحيحها الهجير .
صورة أنيقة وسمة وصحيحها وسيمة .
الغني بالطوف وصحيحها بالطيوف .
الشاعر الثائر توفيق عواد وصحيحها الشاعر الناثر .

هوامش :

(١) فروق اسم (استانبول) أوالآستانة .
(٢) النّدي : المنتدى .

شفيق جبري يعود بدوي الجبل



ثورة فلسطين
تدخل عامها الثاني والعشرين



يوافق صدور هذا العدد من الدوحة ذكرى مرور واحد وعشرين عاما على بدء الثورة الفلسطينية التي أطلقت رصاصتها الأولى من أجل تحرير الأرض والإنسان في أول يناير «كانون ثاني» سنة ١٩٦٥ ، وقد واصلت الثورة طريقها المحفوف بالمتاعب والمصاعب ، والمفروش بدماء الشهداء ، من أجل تحرير القدس الشريف ، وكل الأرض العربية المقهورة ، التي أعطاها من لا يملك لمن لا يستحق ، وحرم منها أهلها من العرب الذي كانوا يملأونها بالزرع والعمران والعبادة منذ عشرات القرون ، جيلاً بعد جيل بعد جيل ، ولقد كانت الثورة الفلسطينية التي اندلعت شرارتها في أول يناير سنة ١٩٦٥ قوة مندفعة نحو الخير والحق والعدل ، ولن تتوقف هذه الثورة المباركة حتى تحقق شعارها الذي تعلنه وتلتزم به وهو : ثورة حتى النصر .

وفي هذا الملف تشارك مجلة الدوحة في الاحتفال الفكري ببداية العام الثاني والعشرين للثورة الفلسطينية العادلة ، تلك الثورة التي بدأت صغيرة ، ثم انطلقت وكبرت وأصبحت موضع الاعتراف والتكريم ، لا من العرب والمسلمين وحدهم ،بل من ثلاثة أرباع سكان العالم ، ولم يبق في صف المعارضة لهذه الثورة الكبرى إلا الصهيونية والقوى المؤيدة لها في أوروبا وأمريكا ، وهذه القوى مهما كان لها من الامكانيات فإن حسابها على ساحة الحق والعدل قادم وقريب .

ويشترك في هذا الملف عدد من كبار كتابنا المرموقين ، حيث يتناول كل واحد منهم جانباً من جوانب القضية الفلسطينية فيلقي عليه ضوءاً جديداً يكشف مجالاً للرؤية البعيدة :

من الإرهاب إلى مجازر الدولة

بقلم: فتحي رضوان

ايلان هاليفي هو كاتب يهودي فلسطيني ــ كما يعرف نفسه ــ وان كان قد ولد في فرنسا وربما في باريس . ولكنه اختلف مع زعماء الصهيونية منذ عام ١٩٦٦ ولمدة عشر سنوات ، وقد ضاقت بنشاطه ومواقفه وكتاباته وتصريحاته السلطات الاسرائيلية ، فطاردته بالاعتقال ، والمحاكمة ، والسجن ، فاضطر إلى ترك اسرائيل ، أي الأرض المغتصبة ، وعاد إلى البلد الذي ولد فيه وشب وتعلم ، أي إلى فرنسا ، وواصل حربه ضد العقيدة أو الايديولوجية الصهيونية ، وفضح السياسات الاسرائيلية ، وقدم للعالم حقيقة أحوال العرب في ظل الاحتلال الصهيوني ، ويصدر في باريس نشرة معنونة بـ « أبناء الداخل » باللغة الفرنسية ، وينشر « أوراق » اسرائيل ساجاك التي تدافع عن حقوق الانسان في فلسطين المحتلة .

وقد أصدر أخيرا كتابا كرسه للحديث عن مذبحة (صبرا وشاتيلا) وعن تقرير اللجنة التي شكلتها حكومة مناحم بيجن في أعقاب هذه المجزرة في سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٨٢ . والكتاب معنون : (اسرائيل : من الارهاب إلى مجازر الدولة) يحاول أن يثبت فيه أن (المجزرة) هي أسلوب من أساليب دولة اسرائيل ، وأنها تعتمد على هذا الأسلوب منذ بدأ عمل اليهود لانشاء دولة لهم على أرض فلسطين ، أي خلال مائة سنة ، وهى المائة سنة التي يسميها هاليفي حرب المائة سنة .

وقد قرأت هذا الكتاب ، ووجدته بطبيعة الحال جديرا بأن يقدم للقارىء العربى ، بل للقارىء في أي مكان ، لأن مذابح بني اسرائيل في العصور الحديثة ليست مذابح عربية بحتة ، وإن وقعت على العرب وحدهم ، ووقعت في أراض عربية ، ووقعت بهدف إبادة العرب لا في المنطقة التي يزعم بنو اسرائيل أن الههم قد منحهم إياها ، بدلالة نصوص وردت في التوراة ، بل في كل مكان في الشرق العربي ، مع سحق كل سلطة ووجود للعرب ، في أي مكان من المعمورة ، لأن زعماء اسرائيل سواء الذين دعوا لانشائها أو الذين ساهموا في هذا الانشاء بالمال واستغلال النفوذ ، وأخيرا بتسليح المقاتلين ثم اعدادهم وتدريبهم ، وتلقينهم روحيا مبادىء الصهيونية ، هؤلاء الزعماء الذين يؤمنون بدولة تقام لهم في أراضي العبرانيين ، يؤمنون في الوقت نفسه ، أن وجود العرب على أى وجه ، يهدد وجود دولتهم ، لأن العرب مهما قل عددهم أو ضؤل نفوذهم في أي بقعة في الأرض ، فهم مجبولون على السيادة ، وبالتالي سينشئون لهم دولة ، ستكبر على الأيام منتفعة بتقاليد وتجارب وماضي الأمة العربية على مدي أربعة عشر قرنا أو يزيد .

ولكن قبل أن أقدم لك هذا الكتاب ، أى جوهر ما جاء فيه لابد أن نتساءل سؤالا يلح على أي قارىء عربى ، وهو : هل يصدر ايلان هاليفي عن اقتناع صحيح وعقيدة صادقة وهو يتعقب الدولة الاسرائيلية ، والعقيدة الصهيونية بالنقد والمعارضة ، مثبتا سوء نيتها ، وإيمانها بالقتل وسفك الدماء ، وخروجها على ما يقضي به الدين ، وأعراف الأمم والشعوب الموصوفة بالتحضر والتمدن ، ويراها لهذه الأسباب خطرا على اليهود ومستقبلهم ، وعلى وجودهم وأمنهم بين غيرهم من بني البشر.. أم أنه خطير كمئات من اليهود ، تزيوا بأزياء عديدة ، وانتموا الى عقائد متباينة ليعرفوا داخل أبناء المذاهب والأديان الأخرى ، ويقفوا على باطن مداولاتهم وحقائق شخصياتهم ، فيشيرون لهم أن يفسدوا في مجال تلك المذاهب والأديان ، ويوقعوا الفتنة بين المؤمنين بها ، والآخذين بأصولها ، ويعرضوا عليهم أفكارا لا تخطر لهم على بال بحكم ايمانهم القوى بدينهم الذي فطروا عليه ونشأوا به . ولقد عانى الاسلام منذ مشرق نوره من هؤلاء الذين يحسنون الاندساس فيه ، والتظاهر بالعمل بأحكامه ، والتبحر في علومه ، وقد كان في مقدمة هؤلاء عبد الله بن سبأ وآخرون نشروا في الاسلام من الاسرائيليات ما بلبل الخواطر وألقى بذور الفتن ، لولا أن الله حمى الاسلام .

فهل ايلان هاليفي واحد من هؤلاء ، أم أنه رجل خالص العقيدة التي ينادي بها ، وأنه يرى فعلا وصدقا أن منهج الصهاينة وايمانهم بالمجازر الذي يملي عليهم انكار أنفسهم هو خطر يهدد الانسانية ، ويهدد اليهود اليوم فيمن يهدد أمنهم ومستقبلهم ؟

هذا سؤال يتعقبنا لأن للعرب في كل منحى في التاريخ رجلا يدعي أنه منهم ، وأنه يتبنى قضيتهم .

أما ايلان فقد نقل عن الكاتب الصهيوني آمنون كابلوك الذي وضع دراسة بعنوان : « تحقيق حول مذبحة صبرا وشاتيلا » ، فقال : بدأت المذبحة في الحال (يوم الخميس ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢ والساعة السادسة من بعد الظهر دخلت أول فرق القتل من المعابر التي أعدها لهم المحتلون الاسرائيليون إلى المخيمات .

ثم : « وبدأت المذبحة في الحال واستمرت أربعين ساعة دون انقطاع ، خلال الساعة الاولى قتل المسلحون مئات الأشخاص وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك بالأزقة ، وقد حطموا أبواب المنازل وصفوا أسراً بأسرها كانت تتناول العشاء .

وقد قتل بعض الأهالى في أسرتهم في لباس النوم ، كما وجد في العديد من المساكن أطفال في الثالثة أو الرابعة من العمر كانوا أيضا في لباس النوم ، تغطيهم بطانيات ملطخة بالدماء . في حالات عديدة كانوا يبترون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم . وكانوا يسحقون رءوس الأطفال والرضع على الجدران . نساء وصبايا اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلط . أحيانا كان الرجال يجرون من بيوتهم ليعدموا جماعات وعلى عجل في الشارع بالبلط والسكاكين . ولقد عثر على أيد انسانية بترت عند المعصم كي يمكن سرقة المجوهرات » .

ولكن لا تزال هناك بقية ألفاظ تصف المجزرة من الخير أن تذكر هنا ، لأنها تكشف جوانب من هذا الفعل الانساني الجنوني الذي يقودنا في دهاليز بعض النفوس الانسانية السوداء القاتمة ، فأنقل اليك :

« لا ضرورة اليوم للعودة إلى تفاصيل الفظائع ، إلا أن الصور التي لفتت أنظار العالم لم يكن من ضمنها تلك المعبرة عن ذروتها : الكراهية لما يحمله الآخر من الانسانية وارادة تجريده من كل ملامح الشبه بالانسان ، تركت توقيعها على كل السلوك الذي اتسمت به هذه المجزرة الهائلة . بعد مرور أيام تأمل العالم على شاشة التليفزيون وبالألوان مئات الجثث المعذبة والمبتورة والمعتدى عليها والرضع والفتيات والمسنين الذين قطعت رءوسهم ، وعندما استطاعت روايات الناجين خرق حاجز الجبل والتغلب على هيجان الذئاب ، والصفارات والصواريخ وكذلك على الارتجاف العصبى الذي أصاب مراسلي الصحف الذين راحوا يهذون وسط الروائح النتنة المتصاعدة من ركام الجثث الضخم ، حل كالثور المتأجج السريع والعابر ، احساس بالصدمة والتقزز والانكفاء والهول في الرأى العام الغربي قلب ، ولو للحظة واحدة ، ميزان الثوابت الايديولوجية الأكثر تصلبا ، وسقطت المحرمات الفكرية واللغوية ، وبدت البديهيات المكبوتة منذ زمن بعيد كأنها تحتل مركزها ، وإن كان ليوم واحد ، بين مستهلكي مواد الدعاية التي تبثها أجهزة الاتصال بالجماهير .

ذلك لأن صبرا وشاتيلا هما اسمان أطلقا على أول مجزرة سجلت وأذيعت بالتليفزيون ، وهذا ما أضفى عليها صفة الخصوصية ، وأبقاها لحظة مذهلة في التاريخ المعاصر . فقد دخل أول المصورين إلى المخيمين بعد مرور أقل من ساعة على خروج آخر فلول رجال الميليشيات من قبل هيئة الأركان الاسرائيلية » .

وهذا القدر من الألفاظ والكلمات يكفي لنعرف ماذا كانت هذه المظاهرة الانسانية التي مضت بنا إلى أعمق أعماق الشر في هذا المخلوق العجيب : الانسان . وما يجب أن نتخيله هنا ، وأن نفكر فيه أن هذا الانسان قد استحدث وسيلة لتسجيل كل ما يصدر عنه من الآن فصاعدا من الجرائم والمجازر ، فما حدث في الحرب الصليبية ، وفي



بعض الناجين من مذبحة صبرا وشاتيلا

مدينة القدس بالذات ، والتي خاضت الخيول فيها بحار الدم حتي الركب ، لم يسجل عن طريق التصوير التليفزيوني . ومنا من لا يصدق أن هذا قد حدث ، ولكن اليوم سيجد الانسان كل ما عمل حاضرا ، إلا أن هذه الصورة الرهيبة التي يصورها ايلان هاليفي ، يضاف اليها عنصر جديد يزيد من هول قبحها ، فالأحياء الذين نجوا من المجزرة ، ولو بجسد ناقص ، وأيد مبتورة ووجوه محروقة ، وسيقان محطمة ، حتى ليزحفوا على بطونهم كالزواحف ، والدم ينزف وهم يسبحون ـ على البطون ـ في برك من دم سائل ومتجمد تملأ الجو أسراب من الذباب تقدر بالملايين ، وتطن طنينا له تأثير غريب على الأعصاب ، يكاد يصل بالعقلاء إلى حالة الجنون ، وهذه الأسراب لا يلتفت إليها أحد ، ولا يحاربها إنسان ، وتترك تسقط على الجثث وتلاحق الأحياء ، وتنقل الأمراض ، وتطن .. تطن .. تطن .. وكأنها أرواح شريرة تطارد القتلة .

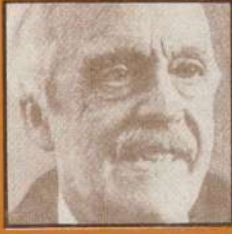
يتساءل ايلان هاليفي : ما هي غاية اسرائيل من هذه المذابح التى اتصلت فى حرب لبنان ؟ وينتهي إلى القول بأن اسرائيل لا تريد منظمة التحرير الفلسطينية معتدلة ، فإن منظمة معتدلة تدافع عن حق الفلسطينيين تكسب ثقة الغرب ، فلابد من دفع المنظمة إلى التطرف ، ويشك في أن يكون دافع اسرائيل لارتكاب هذه المجازر دافعا مجردا كهذا الدافع . وعند هذه النقطة ينقل عن ديفيد بن جوريون كلاما يبرر به حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، وإني أرى أن أجعله ختام هذا المقال .

يقول بن جوريون :

« كان الهدف الآخر من حملة سيناء هو النيل من مكانة الحاكم المصرى ، ولا يجب أن نخفف من قيمة هذا الانجاز . من موقعي كمسئول عن الأمن حتى قبل انشاء الدولة كانت تساورني دائما مخاوف كبيرة . نعلم جيدا درجة الانحطاط والفساد التي بلغها بعض العرب . وهذا ما يشكل أحد الأسباب الرئيسية لضعفهم في المجال العسكرى . وكنت دائما أخشى أن يبرز رجل من الصفوة ، مثلما حصل وسط القبائل العربية في القرن السابع ، أو مثلما حصل في تركيا بعد أن هزمت في الحرب العالمية الأولى ، حيث برز مصطفى كمال وصقل أذهان الشعب ، وأعاد إليه الثقة بنفسه وحوله إلى شعب مقاتل . هذا الخطر مازال موجودا ، وكان يبدو على (عبد الناصر) أنه سيكون هذا الرجل . ليس بالشيء القليل أن يحمل الأطفال صوره في بلدان عربية مختلفة ، والنيل من مكانة عبد الناصر هذا كانت عملية سياسية كبرى » ..

ولابد من أن نأخذ كلام (بن جوريون) على علاته ، فهو مزيج من فكر متزن ، ثم هذيان عجيب ، فهو يقفز قفزة واحدة لينتقل من عهد البعثة النبوية إلى القرن العشرين ، وهو يتجاهل أبطالا من العرب ، قادة وحكاما وشعوبا ، ومنشئي دول ، وزعماء حركات بعث وتجديد ، يزخر بهم تاريخ الأمة العربية .. على الأقل كان اسم صلاح الدين أحق الأسماء بأن يذكره بن جوريون ، ولكنه يتحاشى هذا كله ، ليكون البطل الذي يقدم نموذجاً له ، تركياً من جهة ، ومنحازا للغرب ومؤمنا بحضارته ثانيا .

المهم أن بن جوريون أفضى الينا بما يخالج عقله الباطن ، فهو يخشى أن يبرز من بين صفوف العرب قائد يفهمهم ، ويزعم أن سبب هزيمة العرب هو ضعف القيادة ، أما ما يفعله الغرب ، وما يتدفق على اسرائيل من سلاح ومال وتأييد سياسي وأدبي ، فلا يذكر ! !



وعد بلفور
وأضواء جديدة على مؤامرة دوليّة

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

إن تاريخ المشكلة الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي يبين بجلاء دور القوى الخارجية في كل مرحلة من مراحل تطور المشكلة ، وكان تطور الأحداث لا تحكمه الاعتبارات الاقليمية أو ما يحدث على أرض فلسطين وحسب بل إن البعد الخارجي أو الدولي كان يلعب فيها دوراً أساسياً ، ووعد بلفور الذي صدر منذ ثمانية وستين عاما ، والذي كان نقطة تحول هامة في جهود الحركة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين ، يكشف لنا هذا الدور الخارجي .

تنبهت الحركة الصهيونية منذ نشأتها إلى ضرورة الحصول على دعم القوى الكبرى ذات التأثير والنفوذ في فلسطين والمنطقة ، وحدد ذلك مؤتمر بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ الذي أنشأ الحركة الصهيونية ، والذي نصت مقرراته على أن احدى وسائل الحركة هي اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على ترخيص دولي Charter يدعم الهدف الصهيوني وتصدره عدة دول ، لا دولة واحدة . وكان هرتزل مؤسس الحركة يعطي للجانب الدولي أهمية كبيرة . وقبل انعقاد المؤتمر بعامين كتب في يومياته بتاريخ ٧ يونيو ١٨٩٥ يقول : « حالما يتم الاتفاق على الأرض وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود ، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع جميع الدول الكبرى للحصول على الضمانات » وفي ١٩ يونيو من نفس العام أرسل رسالة إلى بسمارك طالباً تأييده للمشروع الصهيوني .

وفي ابريل ١٨٩٦ قابل هرتزل مستشار قيصر ألمانيا للسعي من أجل الحصول على تأييد ألمانيا لأهداف الحركة الصهيونية .

ومنذ بداية الحركة الصهيونية حرص قادتها على عدم تركيز جهودهم على دولة واحدة ، والابقاء على خطوط الاتصال مع عدد من الدول الأخرى ، لذلك فانه مع تركيز هرتزل على ألمانيا ، فإنه سعى في نفس الوقت لدى انجلترا والامبراطورية النمساوية المجرية وبابا الكنيسة الكاثوليكية وروسيا وفرنسا ، كما سعى للاتصال بالسلطان العثماني . وفي يونيو ١٨٩٦ سافر إلى القسطنطينية عارضاً على المسئولين فيها تسهيل الاستيطان اليهودي في فلسطين مقابل مساعدة اليهود في حل المشكلات المالية التي كانت تواجه الدولة العثمانية وكذا مساعدتها في حل مشكلة الارض ، ولكن السلطان عبدالحميد رفض هذا العرض .

وقام حاييم وايزمان الذي خلف هرتزل في قيادة المنظمة الصهيونية بالسير على نفس الاتجاه .. وخلال الحرب العالمية الأولى نشط القادة الصهيونيون للحصول على تأييد كل من الحلفاء من ناحية ، وألمانيا وتركيا من ناحية أخرى فخلال السنوات الأولى للحرب ، كان عدد من أبرز قيادات المنظمة الصهيونية يعيشون في برلين والامبراطورية النمساوية المجرية ، مثل الدكتور تشلينوت ، واوتوابرج و د . ماكس بودينهايمر . ومن ناحية أخرى كان وايزمان ومجموعة أخرى من قيادة الحركة الصهيونية يسعون للحصول على التأييد البريطاني ، وسعوا لكسب تأييد عدد من رجال السياسة والصحافة والفكر للمطالب الصهيونية ، من هؤلاء ويزمان سكوت محرر جريدة المانشستر جارديان ، ولويد جورج وهربرت صموئيل .

وفي مارس ١٩١٥ بعث إدوارد جراي وزير الخارجية البريطاني إلى وزير الشئون الخارجية الروسي رأي بريطانيا حول العلاقة بين فلسطين واليهود ، وأن الحكومة البريطانية مهتمة بايجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء ، وعبر الروس عن تأييدهم للعرض ، ولكنهم أصروا على ضمان حماية المصالح الدينية الروسية في الأراضي المقدسة . وفي عام ١٩١٧ استطاع سوكلوف أن يحصل من جوليه كامبو ، الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية ، على رسالة تعرب عن عطف الحكومة الفرنسيةعلى القضية اليهودية .

وهكذا ، وبانتهازية سياسية نادرة ، سعت الحركة الصهيونية إلى الاستفادة من كل الدول ، وخاطبت كلاً منها باللغة التي تفهمها ، وبالحجج التي تستثيرها ، بحيث تخرج الحركة الصهيونية

●● الوعد لم يكن إنجليزياً فقط بل كان وثيقة دولية خارجة على القانون والأخلاق ومعادية لكل الحقوق العربية

مستفيدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أياً كانت نتيجة الحرب .

وعد بلفور والبواعث البريطانية

في ٢ نوفمبر ١٩١٧ – أي قبل أن يحتل الجيش البريطاني فلسطين – أصدر آرثر بلفور ، وزير خارجية بريطانيا ما يعرف اليوم بوعد بلفور ، وذلك في شكل رسالة موجهة إلى اللورد روتشيلد جاء فيها :

« إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية ، المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

وتعددت تفسيرات المحللين حول الأسباب التي دعت الحكومة البريطانية إلى اصدار هذا الوعد ، ويمكن الاشارة بالذات إلى ثلاثة عوامل .

أولها : مصالح الامبراطورية البريطانية ونجاح الحركة الصهيونية في طرح أهدافها ضمن إطار المصالح الاستراتيجية البريطانية المتعلقة بالسيطرة على الجانب الشرقي لقناة السويس والطريق البريطاني إلى الهند وإن الدولة اليهودية المزمع إنشاؤها ستكون حجر الزاوية في منطقة النفوذ البريطاني .

وثانيها : رغبة بريطانيا في تحسين أوضاعها في فترة ما بعد الحرب ، وما كانت تتوقعه من تنافس بين الدول المنتصرة على تقسيم مناطق النفوذ والسيطرة . ولذلك أرادت الحكومة البريطانية أن تكسب تأييد الحركة الصهيونية مبكراً . ويدعم هذا التفسير أن بريطانيا قامت خلال الحرب بمفاوضات سرية مع فرنسا وروسيا حول تقسيم مناطق النفوذ بينها بعد الحرب ، وهو ما تم اقراره في معاهدة سايكس بيكو التي تناقضت مع وعود بريطانيا للعرب وقتذاك ، وظلت هذه المعاهدة سرية حتى قامت الثورة الروسية في عام ١٩١٧ وأذاعت نصوصها .

وثالثها : التأييد الدولي الذي نجحت الحركة الصهيونية في الحصول عليه ، وتشجيعها لانجلترا على اصداره .

الوعد : وثيقة بريطانية أم غربية

مع أن وعد بلفور يشار إليه عادة على أنه وثيقة بريطانية ، إلا أنه في الحقيقة كان يعبر عن الموقف السياسي للدول الغربية الكبرى ، فقد لعبت الولايات المتحدة مثلاً دوراً أساسياً في اصداره ، واستشير الرئيس الأمريكي ويلسون بالنسبة لنص التصريح ، وكانت له تعديلات على المسودة الأولى له ، وأرسل خطابا بهذا المعنى إلى رئيس الوزراء البريطاني . وكان الموقف الأمريكي من العوامل المشجعة لبريطانيا على اصدار التصريح ، وخاصة مع ازدياد الدور العسكري والاقتصادي الأمريكي في دعم الحرب ، لذلك لم يكن من الغريب أن قال وايزمان : « كان هذا التأييد من أهم العوامل التي شجعت الحكومة الانجليزية على الموافقة على التصريح » .

وبعد صدور التصريح توالى التأييد الأوروبي والغربي لأهدافه ، فأيدته فرنسا رسمياً في فبراير ١٩١٨ ، وتبعتها إيطاليا في مايو من نفس العام ، ثم بقية دول الحلفاء .

وعندما عقد مؤتمر الصلح في باريس في يناير ١٩١٩ ، تقدمت الحركة الصهيونية بهدف الحصول على تلك « الرخصة الدولية » التي سعت من أجلها طويلاً بحيث تصدر عن المؤتمر وثيقة دولية تتضمن ما ورد في وعد بلفور ، وأيدت هذا المطلب كل من بريطانيا والولايات المتحدة . وعبر الرئيس الأمريكي ويلسون عن موقف حكومته في مارس ١٩١٩ بقوله : « قررت الأمم المتحالفة ، بالاضافة إلى التأييد القوي لحكومتنا وشعبنا ، وضع الأساس للدولة اليهودية في فلسطين » .

وأثمرت هذه الجهود عن نص وثيقة صك الانتداب البريطاني على فلسطين ، الصادر في ١٩٢٢ ، والذي تضمن مضمون وعد بلفور ، فتقرر مادته الثانية : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي » ، وتقرر المادة الرابعة : « يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ، ومصالح السكان اليهود في فلسطين » .

وبعد ... لعله لا توجد سابقة دولية أخرى تشابه ما تم وصفه في هذا المقال ، ولا توجد وثيقة فريدة في غرابتها مثل وعد بلفور . لقد وعدت الحكومة البريطانية بتقديم أرض لا تملكها ، وليس لها صفة قانونية فيها ، بل لم تكن حتى تسيطر عليها عسكرياً عند صدور الوعد ، ومن ثم يحتار الباحث في الأساس القانوني ، ناهيك عن الاعتبار الأخلاقي ، الذي يسمح بذلك . يزيد من غرابة هذا الوعد أنه ورد في شكل خطاب من وزير الخارجية الانجليزي إلى مواطن انجليزي ، وأخيراً فانه بمقتضى الوعد تعهدت الحكومة الإنجليزية أن تعطي أرضاً كانت تابعة للدولة العثمانية إلى « اليهود » الذين كانوا يعيشون في كل أنحاء الدنيا وقتذاك ولا يمثلون في فلسطين سوى أقلية ضئيلة تمثل أقل من ١٠ في المائة من السكان .

وصحيح أن البكاء على الأطلال لا ينفع بشيء ، ولكن تذكر ما حدث عام ١٩١٧ يمكن أن يفيدنا اليوم لكي ندرك ماذا تستطيع المناورات الدبلوماسية أن تحققه عندما تسود الغفلة أو يشتد الانقسام ، الأمر الذي يعطي للقوى الخارجية فرصة ذهبية للتغلغل ولتنفيذ ما تريد .

هرتزل



وايزمان



● ثورة فلسطين تدخل عامها الثاني والعشرين

مفكر صهيوني يعترض على حكومته

خطأ كبير : التفاوض مع الوجهاء لا مع الزعماء

بقلم : عصام شريح

بعد حرب عام ١٩٧٣ ، وحرب لبنان عام ١٩٨٢ ، وما تلا ذلك من أحداث ، بدأت تظهر في الكيان الصهيوني ، وبين صهاينة «الدياسبورا» «أى الذين يعيشون خارج اسرائيل» ، آراء تتسم بالاعتدال ، وتتسلح بالمنطق ، تنادي بوجوب القبول بتسوية سلمية للصراع العربي الصهيوني ، تقوم على انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، ومن هؤلاء الذين طرحوا آراء من هذا النوع ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي السابق ناحوم جولدمان ، وأوري أفنيري ، وآرييه ألياف ، وحديثاً «مئير مرحاف» الذي يعمل حاليا محرراً في صحيفة «الجيروزاليم بوست» الاسرائيلية .

فقد نشر «مرحاف» مقالة هامة في «الجيروزاليم بوست» تحت عنوان : «إجماع على السخف» ، تناول فيه مسألة المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية ، لتحقيق ما يوصف بحل سلمي للصراع العربي ـ الصهيوني في المرحلة الراهنة ، وما إذا كانت منظمة التحرير أو غيرها ، هي الجهة التي تملك صلاحية إبرام «التسوية المنشودة» .

ونظراً لأهمية هذه المقالة ، وما تنطوي عليه من آراء غير مألوفة ، عن الإسرائيليين ، فقد آثرنا تقديم ترجمة لها ، مع تعقيب عليها ، علماً بأن «مؤسسة السلام من أجل الشرق الأوسط» ، وهي مؤسسة خاضعة لسيطرة الصهاينة في الولايات المتحدة كما يبدو ، أعادت مؤخراً طبع مقالة «مرحاف» بنصها الانجليزي ، كما وردت في «الجيروزاليم بوست» ، بعد أن ضمت إليها مقالتين أخريين ، هما عبارة عن تعليق على مقالة مرحاف بناء على طلب هذه المؤسسة ، أما صاحبا المقالتين فهما «فليب كلوتزنك» الرئيس السابق لمنظمة «بناي بريث» ، وهي منظمة صهيونية أمريكية ، ثم السفير الأمريكي السابق لدى مصر «هيرمان فريدريك إيلتس» ، وقد أيد كل من كلوتزنك وإيلتس ، وجهة نظر «مرحاف» الداعية إلى التفاوض مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية ، دون غيرها ، باعتبارها الناطق الحقيقي باسم الشعب الفلسطيني .

لكن لنبدأ بمقالة «مرحاف» أولا :

هـراء وسخف

يقول مرحاف : هناك إجماع في الكيان الصهيوني على أن اسرائيل لن تخاطب منظمة التحرير الفلسطينية ، بيد أن هذا الاجماع بين الاسرائيليين كان دائما هراء وسخفاً مطبقا ، وعلى الأقل بالنسبة لأولئك الذين لا يريدون لاسرائيل أن تصبح «دولة» ثنائية القومية ، أو حتى أسوأ من ذلك : نظاماً عنصريا .

ويتساءل مرحاف : «أي فلسطينيين يمكن أن نقبل كشركاء في المفاوضات ؟! فإسرائيل لا تقبل بممثلين لمنظمة التحرير الفلسطينية ولا بأي فلسطيني ترشحه المنظمة .. و«المعتدلون» بين الإسرائيليين يقولون وهم في حالة ارتباك ، إننا لن نمعن النظر في الماضي السياسي لأي فلسطيني سيجلس معنا حول طاولة المفاوضات ، فهؤلاء المفاوضون قد يكونون متعاطفين مع منظمة التحرير ، وربما كانوا يتبنون مواقفها ، وفي أحسن الحالات قد يكونون مرشحين من قبل منظمة التحرير نفسها ، مع أنهم ليسوا أعضاء فيها ، ومع أنهم قد تخلوا عن «الأرهاب» ، ولا ينادون بتدمير «دولة اسرائيل» ، كما «ينص على ذلك ميثاق منظمة التحرير ، ولا يصرون على حق الفلسطينيين بمدينة القدس ، ولا يدعون أن للاجئين الفلسطينيين الحق في العودة ، أو أي مطالب من هذا النوع تنادي بها منظمة التحرير . لكن مرحاف يقول إنه يجب أن يكون واضحا لاسرائيل ، أنه يجب التفكير أولا فيما إذا كان بالامكان العثور على مثل هؤلاء الفلسطينيين وحتى في حال العثور عليهم فهل سيكون هؤلاء متمتعين بسلطة تسمح لهم بعقد اتفاقيات من شأنها أن تلزم الشعب الفلسطيني بها ؟.. ويجيب مرحاف : إن هذا ليس هو السؤال الحقيقي ، حيث أن العديد من الفلسطينيين هم دون شك اليوم ، على استعداد للتخلي عن «الإرهاب» ، والتنازل عن أسلوب الكفاح المسلح ضد اسرائيل ، وذلك بسبب إدراكهم بأن إلحاق هزيمة باسرائيل أمر بعيد المنال ، كما أن هناك آخرين ما يزال حلم العودة إلى يافا وحيفا واللد والرملة وبقية مدن وقرى فلسطين حيث ولدوا هم أو أجدادهم فيها ، حيا وفاعلاً .. وحتى يمكن أن

يوجد بعض الفلسطينيين الذين قد يوافقون على التخلي عن القدس «لا نعرف أين يوجد هذا الفلسطيني المتزحم»، كما أن قلة منهم يقبلون باحتفاظ إسرائيل ببعض أجزاء الضفة الغربية وقطاع غزة، باعتبارها «حيوية» لأمنها.. لكن لا يوجد فلسطيني واحد، حتى ولو كان «معتدلاً» في عيني إسرائيل، يمكن أن يقبل بالتخلي عن حق تقرير المصير، وحق السيادة الوطنية على وطن فلسطيني، حتى لو كان صغير المساحة، كما أنه لا يوجد فلسطيني يمكن أن يوقع على أي اتفاقية ملزمة، ما لم تلب الآمال والتطلعات الوطنية للفلسطينيين.

يعود مرحاف بعد هذا، ليطرح السؤال الذي أشرنا إليه آنفاً، فيقول: أي فلسطينيين إذن سنخاطب بعد كل هذا إذا كان الإسرائيليون يعنون حقاً ما يقولون عن المفاوضات؟

هل نتفاوض فقط مع فلسطينيين غير مخولين للتحدث باسم شعبهم؟ أو مع من يملكون بعض الصلاحيات، إلا مع الشعب الفلسطيني الذى سيبرأ منهم ـ إن لم يفعل بهم ما هو أسوأ من ذلك ـ في اللحظة التي يحيدون فيها عما هو مقبول من قبل منظمة التحرير الناطق باسم الغالبية العظمى من الفلسطينيين؟؟

هناك في إسرائيل منطق يبعث على السخرية حقا، حيث ينادي أصحاب هذا المنطق بالتفاوض مع مثل هؤلاء الفلسطينيين غير الأعضاء في منظمة التحرير، التفاوض مع هؤلاء الذين لا يمثلون إلا أنفسهم، من أجل التوصل إلى تسوية مع بعض «الوجهاء» الذين يجري انتقاؤهم بعناية، لكن ليكون مآل هذه التسوية في نهاية المطاف الرفض من الشعب الفلسطيني. ويقول مرحاف إن هذا المنطق سيمكن الإسرائيليين من إقناع أنفسهم وإقناع بقية العالم، بأنه لا يوجد حقيقة أي فلسطيني يمكن التفاوض معه!! ومثل هذا الأسلوب الساخر يتلاءم بشكل مدهش وعجيب مع منطق المنادين بضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى الكيان الصهيوني، والمتواجدين ليس في حزب الليكود فحسب، وإنما في صفوف حزب العمل أيضا، وهؤلاء لا يريدون في الحقيقة أن يتفاوضوا مع أي فلسطيني، سواء كان «معتدلا أو متشدداً»، ولا يريدون أي حل للقضية الفلسطينية لأنهم حتى اليوم لا يرون فيها المشكلة الحقيقية بالنسبة لوجود اسرائيل «كدولة يهودية ديمقراطية»!!

وجبهة الرفض الإسرائيلية هذه، ترى من ضمن إدراكها الضعيف، أن الرهان الحقيقي في الوقت الحالي، إنما هو في المقام الأول، اعتراف الفلسطينيين «بحق اسرائيل في الوجود»، لكن بطريقة أو بأخرى، فإن الحقوق المستمدة من التوراة ومن التاريخ ليست كافية تماما في مجال السياسة العملية، وهذا هو السبب في أن شخصاً مثل إسحق شامير يقول: إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية ستتخلى عن ميثاقها، الذي ينص على تدمير إسرائيل كوجود سياسي، وإذا كانت ستدير ظهرها «للإرهاب»، فإنها لن تكون حينئذ منظمة التحرير الفلسطينية، والاستنتاج الضمني من كلام شامير هذا أن منظمة التحرير التحرير ستغدو في هذه الحالة شريكاً مقبولاً في المفاوضات.

ومع ذلك، فإن هناك إسرائيليين يعتبرون أن القضية الفلسطينية هي قضية إسرائيل، وهؤلاء هم الذين لا يريدون أن تصبح إسرائيل، في أحسن الحالات، دولة ثنائية القومية، أو أن تبقى إلى الأبد، محاصرة ضمن قلعة، تنجو من حرب لتدخل حربا أخرى، وتدفع الضريبة المستحقة فيما بين كل حربين، إن هؤلاء الإسرائيليين مطالبون اليوم بأن يسألوا أنفسهم، فيما إذا كانت المفاوضات مع أي فلسطيني، وليس مع منظمة التحرير الفلسطينية، تعنى لهم شيئاً؟.

ويضيف مئير مرحاف: إنه سواء أحب الإسرائيليون ذلك أم كرهوه، فإنه من الواضح، أن منظمة التحرير هي الوحيدة التي باستطاعتها التكلم باسم الفلسطينيين.. وفي الحقيقة فأنه إذا وافق الإسرائيليون على الجلوس حول مائدة المفاوضات مع ممثلين رسميين لمنظمة التحرير الفلسطينية، فإنه لن تكون هناك حاجة للتأكيد، على أن اتفاقية سلام يمكن التوصل إليها مع هؤلاء، ستحترم من قبل جميع الفلسطينيين، أو على الأقل، من قبل معظم الفصائل الفلسطينية.. لكن المؤكد، هو أن أي ممثلين آخرين للفلسطينيين، لن يكونوا قادرين على التوقيع على اتفاقية لا تقبل بها منظمة التحرير.

وإذا كانت اسرائيل راغبة في تسوية صراعها مع العرب، فإنه يتوجب عليها أن تبلع جرعة الدواء المر، بالتفاوض مع أولئك الذين يمثلون الفلسطينيين، وفي الحقيقة، فإن منظمة التحرير الفلسطينية هي عدو إسرائيل اللدود، وهى ليست مستعدة تحت جميع الظروف، للاعتراف بشرعية المعتقدات الصهيونية، التي يقوم عليها وجود إسرائيل، بل إنها «تدعي»، وسوف تستمر في «إدعاءاتها» بأن للفلسطينيين حقوقا سياسية وتاريخية، ليس في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين في عام ١٩٦٧ فحسب، وإنما في الأراضي التى طرد منها الفلسطينيون في عام ١٩٤٨.

والاتجاه السائد، يمكن اليوم أن يكون مستعداً من خلال التجربة، للقبول بتسوية ضمن شروط أقل مما هو متخيل في الميثاق الفلسطيني، لكن مع ذلك، فإنه لا يوجد مايشير إلى أن منظمة التحرير قد تخلت عن أهدافها الاستراتيجية، كما أنه لا يوجد ما يؤكد أن تراجع المنظمة التكتيكي، واقتصار مطالبها على إقامة دولة فلسطينية في الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧، سيكون أمرا مقبولاً من الفصائل الفلسطينية «ودول الرفض العربية»، إضافة إلى أنه لا يوجد أيضا ما يؤكد أن إحراز منظمة التحرير لهذا الهدف التكتيكي، لن يكون نقطة انطلاق لإحياء هدفها البعيد المدى الرامي إلى تصفية دولة إسرائيل، وإنها لحقيقة كون المنظمة غير مستعدة للتخلي عن الكفاح المسلح.. ولكن إذا كان الاسرائيليون راغبين في السلام، فمع من يصنعونه، إن لم يكن مع عدوهم اللدود؟؟! ومع من يتفاوضون إذا لم يكن مع أولئك الذين من شأن التفاوض معهم أن يكون بديلا للقنابل وإطلاق النار.

وأكثر من ذلك، ألم تفعل إسرائيل كل ما في طاقتها منذ عام ١٩٦٧، لمنع الفلسطينيين في الضفة والقطاع المحتلين من أن يعبروا عن أنفسهم بشكل سياسي بأي طريقة من الطرق؟؟! ألم يؤد القمع الإسرائيلي لأي شكل أو تنظيم سياسي في الضفة والقطاع، لجعل منظمة التحرير الفلسطينية تحتكر التعبير عن الارادة السياسية للفلسطينيين؟؟! ألم ترحب الحكومات الإسرائيلية من حزبي العمل والليكود ـ على حد سواء ـ بأن لا يكون هناك شريك من الفلسطينيين للتفاوض معه؟!

ثم يصل مرحاف إلى النتيجة التالية: إن الوقت قد حان للتخلص من التعهدات القديمة.. فحتى مناحم بيجن، تخلى عن البيان المتغطرس لجولدا مئير، الذي تقول فيه: «إن الفلسطينيين غير موجودين».

ومع ذلك، فإنه إذا أعطي خيار انتقاء الفريق المفاوض لإسرائيل، فإن اختيارها سيكون الأسوأ من نوعه، فالممثلون أو الوكلاء عن الفلسطينيين الذين تختارهم اسرائيل، إذا لم يتبنوا الموقف الذي تقبل به منظمة التحرير نفسها، سيتبرأ منهم الفلسطينيون، لأنهم لا يرون فيهم ممثلهم الحقيقي، وبدلاً من اللجوء إلى ممثلين أو وكلاء عن منظمة التحرير، يملكون أو يدعون امتلاك صلاحية التفاوض مع إسرائيل، فإنه يتوجب على إسرائيل أن تصر على التفاوض مع أولئك المفاوضين المقبولين (منظمة التحرير الفلسطينية).

فأية حكمة سياسية، تكمن في ترك مثل هؤلاء «الوكلاء» أحراراً في وضع مطالب ينتزعون بواسطتها تنازلات من إسرائيل، دون أن يلزموا أنفسهم بأي شيء؟؟!

● الدواء المُرُّ الوحيد الذي ينبغي أن تبتلعه إسرائيل

خطأ كبير: التفاوض مع الوجهاء لا مع الزعماء

ويتساءل مرحاف أخيراً : كم من الوقت سيمر ؟ وكم من الحروب يتوجب على الإسرائيليين أن يخوضوا ؟ وكم من أرواح ستزهق ؟ وكم من عبء سيتحمله الاقتصاد الإسرائيلي .. لكي يدرك الإسرائيليون أن منظمة التحرير الفلسطينية ، بمظهرها الكريه ، هي الممثل الحقيقي للفلسطينيين ، وأنها القوة التي باستطاعتها وضع « فيتو » ضد أي صيغة تسوية توافق عليها أي دولة عربية ، أو أي مجموعة فلسطينية ؟ .

ما لم يقله مرحاف

قدمنا للقارىء العربي النص الحرفي تقريباً لمقالة مئير مرحاف في « الجيروزاليم بوست » ، كما جاءت في الكتيب الذي وزعته ما تسمى بـ « مؤسسة السلام من أجل الشرق الأوسط » ومقرها بواشنطن .

لكن .. إذا كان مرحاف قد طرح المبررات المنطقية ، لضرورة أخذ زمام المبادرة ، والتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الحقيقي والشرعي للشعب الفلسطيني ، فإن مرحاف تكلم في الواقع عن وجه واحد لقطعة العملة ، وترك الوجه الآخر ، معتقداً ربما بأنه استطاع وسط دخان المنطق التبريرى هذا ، أن يخفي الوجه الآخر لقطعة العملة ، وهو الوجه الإسرائيلي ، أو الأسباب الحقيقية والمكملة للتراجع الإسرائيلي كما يراه ، عن نفي وجود الشعب الفلسطيني فى هذا العالم كما كانت تقول جولدا مئير .

فما لم يقله مرحاف ، وهو السبب الحقيقي ، للآراء « الجريئة » التى وردت في مقالته ، هو أن اسرائيل قد وصلت في صراعها مع الفلسطينيين ، بل مع الأمة العربية ، إلى طريق مسدود ، ولم يعد باستطاعتها بعد اليوم ، أو في الظروف الراهنة ، والمستقبل القريب المنظور ، أن تتوسع في الأراضى العربية ، وتمضي قدماً لتحقيق الحلم الصهيوني : « حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل » ــ هذا الشعار محفور على مدخل مبنى الكنيست الصهيوني بالقدس المحتلة ــ وذلك بسبب النكسات المتلاحقة التى واجهتها خلال السنوات الثماني والثلاثين الماضية ، أي أنه إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية والأمة العربية تواجه مأزقاً في المرحلة الراهنة ، بسبب عدم القدرة على حسم الصراع عسكريا وتصفية الكيان الصهيوني ، فإن اسرائيل فشلت أيضا فى حسم الصراع عسكريا ، بل إنها في الواقع واجهت نكسات وهزائم ، ولم تستطع أن تقضي على إرادة القتال والاستمرار في الصراع لدى العرب ، كما حدث في حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ ، ثم كما حدث في الحرب المستمرة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل على الحدود المشتركة بين فلسطين ولبنان قبل الغزو الإسرائيلي للبنان في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ، ثم في غزو لبنان ، والنزيف المستمر في الجسد الاسرائيلي حتى اليوم بسبب هذا الغزو ، ناهيك عن الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ، والذي ليس في طبيعة الجيش الإسرائيلي ، وإنما حدث بسبب الخسائر الباهظة في الأرواح ، ثم ــ والأهم من كل ذلك ــ أن العملية العسكرية في لبنان ، والتي كان مقرراً لها أن تنتهى خلال أسبوع على أبعد تقدير على طريقة الحروب الخاطفة التى تعودها الجيش الإسرائيلي ، ما تزال مستمرة حتى اليوم في الجنوب اللبناني ، أى بعد انقضاء ثلاث سنوات وخمسة أشهر حتى الآن ، وهو ما يشكل عملية استنزاف لا تقوى إسرائيل ذات الملايين الثلاثة من اليهود على تحملها لفترة أخرى ، إضافة إلى أن العملية العسكرية في لبنان ، قد فشلت في القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، كوجود سياسي وعسكري ، حيث حافظت المنظمة على بنيانها السياسي ، وتمكنت من تصعيد الكفاح المسلح ضد الإسرائيليين داخل الأرضى المحتلة ، ناهيك عن تحرك عرب ١٩٤٨ ، وبدئهم مرحلة من المقاومة ، وإن كانت ما تزال في بداياتها الأولى ، إلا أنها تبعث الرعب في نفوس الإسرائيليين .

ألم يقرأ مئير مرحاف كتاب « المحدال » ــ « التقصير » الذي صدر في أعقاب حرب عام ١٩٧٣ ؟؟ ألم يقرأ ما قيل ويقال على لسان الجنود والضباط الإسرائيليين أنفسهم عن الحرب في لبنان ؟؟ .. بالتأكيد لقد قرأ ذلك ، وربما كان في حوزته من المعلومات ما هو أكثر من ذلك ..

إن قراءة الوجه الآخر لقطعة العملة ، وهو أمر تجاهله مئير مرحاف تماماً ، هو الذي يفسر عملياً ، مغزى أفكاره التى طرحها في « الجيروزاليم بوست » ، علماً بأن مرحاف نفسه يعترف بأن منظمة التحرير بقبولها بدولة فلسطينية تقتصر على الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، يشكل هدفاً تكتيكياً ، فيما لا تتوفر أية دلائل على أن المنظمة قد تخلت فعلاً عن الهدف الاستراتيجى فى تحرير فلسطين كلها .

إن قراءة الوجه الآخر لقطعة العملة يقودنا إلى الاستنتاج التالي : إن إسرائيل قد فشلت ، خاصة بعد حرب عام ١٩٧٣ ، وحرب لبنان في عام ١٩٨٢ وحتى اليوم ، في الاستقرار في أراضٍ عربية جديدة احتلتها ، بل إنها اضطرت في كلا الحربين إلى الانسحاب من بعض الأراضي التى كانت تحتلها منذ عام ١٩٦٧ ، كما حصل في هضبة الجولان (مدينة القنيطرة) وفى سيناء ، كما أنها فشلت ــ كما يعترف بذلك مرحاف نفسه ــ في القضاء على روح وإرادة المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، على الرغم من جميع أساليب القمع الوحشية التى لجأت إليها ، وأمام هذا الفشل فإن على اسرائيل أن تتخلى عن الهدف الاستراتيجي للصهيونية « حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل » ، وتلجأ إلى الحل التكتيكي ــ دون أن تعلن عن تنازلها عن الهدف الاستراتيجي ــ وهذا الحل التكتيكي يقوم على مواجهة الأمر الواقع ، وهو أن إسرائيل غير قادرة على استيعاب مليون وثلاثمئة ألف فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وإلا فإنها ستصبح في حال ضم هذه الأراضى إلى كيانها ، دولة ثنائية القومية ، ومعنى ذلك وصول الحلم الصهيونى إلى نهاية مأساوية تماماً ، وإزاء ذلك ، فلابد لإسرائيل من التفاوض مع الممثل الحقيقي للفلسطينيين ، القادر على إبرام تسوية ، يتم بموجبها إعادة الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ إلى الفلسطينيين لاقامة دولة « مصغرة » عليها .. وبمعنى آخر فإن الفلسطينيين والاسرائيليين على حد سواء قد وصلوا إلى نهاية الشوط في الصراع العسكري في المرحلة الراهنة مما يحتم تقدم الحل السياسى لوقف عملية الاستنزاف المستمرة في الأرواح والثروات ، ويفرض بالتالي الحل المرحلي أو التكتيكي .

إن هذا الاستنتاج الذي استقيناه من قراءة الوجه الآخر لقطعة العملة ، والذي تجاهله مئير مرحاف تماما ، وهو في رأينا السبب الحقيقى الذي يقف وراء آراء مرحاف التي تستدعي من العقل العربى ــ على محدودية التيار المؤمن بها بين الإسرائيليين ــ وقفة تأمل وتدقيق ، دون أن ننسى أن التسويات للصراعات والحروب هى النتيجة المنطقية ، لفشل الحل العسكرى ، ولتوازن القوى .

عصام شريح

هامش

ولد مئير مرحاف فى ألمانيا في عام ١٩٢٠ ، وهاجر في عام ١٩٣٣ إلى فلسطين التى كانت ترزح آنذاك تحت حكم الانتداب البريطاني ، وقد خاض حرب عام ١٩٤٨ كضابط في عصابة الهاجاناه . درس مرحاف العلوم الاقتصادية والاجتماعية في الجامعة العبرية ، ونال درجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية من إحدى جامعات نيويورك ، وعمل مرحاف في مناصب متعددة في « بنك اسرائيل » وفى الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، ومنذ عام ١٩٧٦ ، عمل محرراً في صحيفة « الجيروزاليم بوست » ، أما مقالته « إجماع على السخف » فقد ظهرت في هذه الصحيفة بتاريخ ١٠ ــ ٣ ــ ١٩٨٥ .

اعترافات كمال حداد سكرتير أمين الحسيني

صفحات مجهولة ومثيرة من الكفاح العربي والفلسطيني

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

عثمان كمال حداد شاب لبناني التحق كسكرتير خاص لمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني. وهو مطلع على أدق الأسرار العربية، ومن الواجب إذن الاهتمام بالتعريف بما ورد في مذكراته المحدودة، حتى لا يطوي ظلام التاريخ هذه الحقائق، وينبني التاريخ العربي المعاصر على أكاذيب يدسها الخصوم.

سياسة العراق في نوتة أمين الحسيني

كان مفتي فلسطين يحتفظ بنوتة يسجل فيها خواطره وينقل سكرتيره عن هذه النوتة أن المفتي كان يقسم سياسي العراق إلى ثلاث طبقات.

• طبقة تجري في سياستها مع بريطانيا «بالباع والذراع» وبدون قيد ولا شرط. وإذا تعارضت مصلحة بريطانيا مع العراق، ضغطوا على مصلحة الأخيرة بدون تردد. هذه الطبقة تشمل نوري السعيد، صالح جبر، شاكر الوادي.

• طبقة بعدهم أكثر تحفظاً ولكنها تمالئ بريطانيا اعتقاداً منها أن مصلحة العراق ذاتها تقتضي هذا، وتشمل توفيق السويدي وجميل المدفعي.

• طبقة وطنية لاتنظر إلا إلى مصلحة العراق والعرب. وتعتقد أن فرصة الحرب العالمية الثانية فرصة لاتتكرر لمحاولة الحصول على حقوق للعرب وللعراق ولفلسطين، وتشمل رشيد عالي الكيلاني، ناجي السويدي، ناجي شوكت، يونس السبعاوي، محمود الشيخ، علي موسى الشاه بندر.

ومن هذه الطبقة كان رشيد عالي الكيلاني وناجي شوكت، يؤمنان بأن الديموقراطية لا تتعدى حدود الحلفاء أنفسهم! وأن الدول العربية عامة خارج نطاق بحث الديموقراطية.

• يذكر حداد أن نوري السعيد سافر في أول الحرب العالمية الثانية إلى مصر ليستطلع بنفسه موقف الانجليز الحربي في الصحراء الغربية. وذهل إذ وجد المارشال غراسياني الإيطالي يحشد ٢٥٠ ألف جندي مقابل ٣٠ ألف جندي يحشدهم ويفل الإنجليزي. وعاد إلى العراق محسوراً وهو يطلب من أحد الفلسطينيين أن يسافر للاتصال بالمحور!! ووقف فريق الوطنيين — رشيد الكيلاني وصحبه — موقف الحذر من حركة نوري السعيد هذه متحسبين أن تكون حركة يراد بها كشف أمر المتصلين بالمحور من طرف فريق الأخيرين. ومن هنا بدأ هذا الفريق يبحث مع أمين الحسيني موضوع الاتصال بالمحور. قبل هذا لم يفكر في الاتصال!

حوادث أدت إلى ترجيح كفة الاتصال بالمحور

تكدست التمور في البصرة خلال الحرب لأن بريطانيا تمنع بيعها لأي دولة متحاربة معها وفي نفس الوقت هي لا تشتريها، حتى تأزمت الحالة الاقتصادية جداً. في نفس الوقت كانت بريطانيا تشتري من تركيا بأثمان فاحشة وخيالية الزبيب والتبغ مع أن تركيا بقيت تتعامل مع المحور في نفس الوقت تجارياً.

ثم حدثت حادثة فردية كان لها أثر في نفس أمين الحسيني: حكمت إحدى المحاكم البريطانية في فلسطين على مجاهد فلسطيني اسمه أبولبن بالاعدام واتصل أهل أبو لبن بالمفتي. وذهب المفتي إلى نوري السعيد يرجوه التوسط. فنظر نوري إلى رستم حيدر باشا وسأله ما رأيك. رد رستم حيدر «سوف تكون يا نوري باشا في أعين الإنجليز الحاج أمين الثاني! فتحلل نوري السعيد من الوساطة وأعدم المجاهد. وظل أمين الحسيني مؤرقاً عدة ليال.

من هنا قرر أمين الحسيني ومجموعة الوطنيين — الكيلاني وزملاؤه — الاتصال بالمحور وكلفوا أمين الحسيني بذلك. ولم يجد أمين الحسيني أصلح لهذا الغرض من سكرتيره عثمان كمال حداد الذي سافر بجواز سفر باسم توفيق علي آل شاكر. وأرسل رشيد الكيلاني برقية بالشفرة إلى أخيه كامل الكيلاني في أنقرة للاهتمام بأمره، ثم عين ناجي شوكت سفيراً في أنقرة حتى يكون على اتصال مع حداد وهو في برلين يتفاوض نيابة عن المجموعة. وفي أنقرة اتصل حداد «بفون بابن» ودبر هذا سفره إلى برلين تحت اسم «ماكس موللر» ونزل هناك في بنسيون «مدام فون سودو» وهي ذات اتصال بالخارجية الألمانية.

الأسماء الألمانية التي يتم الاتصال بها

«ريبنتروب» وزير الخارجية، «سزكر» سكرتير الدولة الأول، «فورمان» مدير السياسة الخارجية، «رينتلن» مساعده، «هنتيك» مدير القسم الشرقي بالخارجية، «جروبا» سفير ألمانيا السابق في بغداد، «ماشررز» مدير القسم الشرقي

في قيادة الجيش ، « شتولزه » مدير القسم العربي في قيادة الجيش .

وقد وجد عند الذين اتصل بهم تقارير ضد المفتي وضد رشيد الكيلاني وضد شكري القوتلي ! خلاصتها أنه لا فائدة من الاتفاق مع العرب ، وأنهم حتى لو أرادوا شيئاً فإنهم غير قادرين على تنفيذه . والذي أطلعه على هذه التقارير هو « جروبا » سفير ألمانيا السابق لدى بغداد وكان يحب العرب ، وكانت زوجته دائمة الالحاح على كمال حداد بأن يطلب العراقيون عودة « جروبا » سفيراً واتضح أن مصدر هذه التقارير كان هنتنج سفير ألمانيا في سوريا والذي سبق أن عمل في أفغانستان أيضاً .

وقد استعان كمال حداد بالأمير شكيب أرسلان في تبديد صورة العجز العربي التي رسمها هنتنج هذا .

وطلب منه الألمان مطالب محددة هي : إعادة العلاقات الدبلوماسية بين العراق وألمانيا ، وان يكون لألمانيا امتيازات اقتصادية خاصة في البترول ، وأن يحتفظ العراق بالحياد في الحرب العالمية هذه ، وأن يكون هناك امتياز للغة الألمانية والايطالية ، واشعال ثورة في فلسطين . وفيما عدا الطلب الأخير تبدو هذه الطلبات شروط إملاء أو اذعان . ووعدوه مقابل ذلك بأن تشتري اليابان وايران كميات كبيرة جداً من التمور وتقسيط ثمن السلاح الألماني للعراق عند إرساله .

وجادلهم بخصوص سوريا وأهميتها لأي ثورة في فلسطين ، حيث تكون هي قاعدة انطلاق السلاح إلى ثواره . وطالبهم باعلان استقلال سوريا من الآن . فرفضوا لأن شروط الهدنة الألمانية الفرنسية لم تخول ألمانيا فرض صورة نهائية للبلاد الخاضعة ولما طلب منهم على الأقل الافراج عن المعتقلين والمسجونين العرب في سجون سوريا ولبنان على يد السلطات الفرنسية المهزومة ، اتصلوا بحكومة فيشي التي اعترضت بأنهم مساجين عبثوا بالأمن الداخلي ، وأنه لا يحق لألمانيا إلا الإفراج عن رعايا ألمانيا فقط .

والطريف أنه لاحظ أنه في هذه الفترة كانت إيطاليا قد احتلت السلوم وسيدي براني فأصبحت تعتقد أنها فتحت مصر والسودان وانتهى الأمر . وزاد هذا في صلف المحور عامة .

ولاحظ أيضاً أن بابا روما أبدى للمحور إهتماماً بفلسطين يفوق اهتمامه بالحبشة باعتبار فلسطين مهد المسيحية .. وأن الموارنة اللبنانيين أوفدوا اثنين قابلا فون بابن في أنقره لطلب حماية دولة مسيحية عليهم .

غرور النصر

اجتمع ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا وشيانو وزير خارجية ايطاليا في روما ووضعا اتفاقاً عرف باسم اتفاق المجالات الحيوية ، بمقتضاه جعل البحر الأبيض مجالا حيوياً لإيطاليا وجعل البلقان مجالاً حيوياً لألمانيا ، وجعل الشرق الأقصى مجالاً حيوياً لليابان ، ومعنى ذلك أن الدول العربية أصبحت في اهتمام ايطاليا وحدها . وقد بذل كمال حداد جهوداً جبارةلمحاولة إبقاء ألمانيا متعهدة ضمنياً مع إيطاليا فيما يخص الدول العربية حتى صدر إعلان ١٩٤٠/١٠/١٥ بأن ايطاليا وألمانيا تعترفان باستقلال البلاد العربية ، ولما حاول تفصيل أسماء هذه البلاد العربية رفضوا . صدر هذا الاعلان من الراديو ، ولكنه عندما حاول أن يكون تصريحاً رسمياً من وزارتي الخارجية الألمانية والايطالية يحمل توقيعهما رفضت الدولتان وإن كانوا أبرقوا بأن هذا الإعلان خطوة أولى تتبعها مفاوضات . والطريف أنهم لفتوا نظر كمال حداد إلى أن الإعلان فيه كلمة « ستربنز » التي تفيد الكفاح والجهاد وأنهم يعطفون فقط على من يكافح للاستقلال ! وإنهم لا يمنحون وثيقة بالاستقلال إلا إذا كان إرسال سفير يعتبر اعترافاً بالاستقلال .

في روما

لم يكن هناك مناص من أن يذهب حداد إلى روما ، وهناك قابل رجال الخارجية الايطالية ثلاث مرات . ومما لاحظه واستغربه أنه وجد تأثير الإنجليز على رجالات إيطاليا لازال قوياً وأن العلاقة الألمانية الإيطالية لا تسير سيرها المطلوب فيما عدا موسوليني وفريق معه محدود العدد .

● لماذا فشل الألمان في مساعدة العرب خلال الحرب العالمية الثانية ؟

العودة إلى العراق

عاد حداد إلى تركيا من روما بصورة ذهنية مختلفة . في أنقرة ادعى مدير الفندق أن جواز سفره الذي استلمه منه ليلة قدومه إلى الفندق قد ضاع . أصبح واضحاً إذن أن المخابرات البريطانية تتبع الرجل وأنها أخذت الجواز . استخرج له كامل كيلاني وسفير العراق في أنقرة تصريح سفر دخل به العراق بديلاً عن الجواز المفقود .

التقرير

يتلخص التقرير الذي وضعه حداد عن هذه المهمة السرية في النقاط الآتية :

١ ــ أن الأمير شكيب أرسلان يرى التخلي عن الجمود وإدارة صراع جدي في فلسطين .

٢ ــ يرى حداد أن روسيا يجب أن تكون هي المحور الذي يرسمون عليه سياستهم ،وأن وجود اتفاق بين روسيا وألمانيا (في أول الحرب) ستار كاف للعمل مع روسيا .

٣ ــ يعزو حداد هزيمة فرنسا لا إلى ضعف الجيش الفرنسي ، فقد حارب هذا الجيش ببطولة ، ولكن سبب الهزيمة هو موقف الدفاع لا الهجوم ، ولو أن الجيش الفرنسي هاجم الألمان أثناء هجومهم على بولونيا لتغير الوضع . ثم إن هناك السبب الذي أثاره ديجول وهو ضعف الطيران والدبابات ، وهما ذراع أي حرب حديثة . أما حروب الخنادق والمشاة فقد انتهى عهدها تماماً .

٤ ــ الألمان يعتقدون بضرورة إخراج اليهود من كل أوروبا ، وتأسيس أوربا على أساس عنصرى . وما لم يتم تصفية القضية اليهودية تماما من أوروبا تظل أوروبا مهددة بالنسف .

٥ ــ يفسر التحالف الذى تم بين روسيا وألمانيا فى أول الحرب بأن روسيا كانت تعتقد أن فرنسا لن تهزم بسهولة ، وأن الحرب ستطول حتى تتمزق أوروبا فتنتشر فيها الشيوعية .

٦ ــ وهو يرى أن موقف روسيا أهم من موقف ألمانيا بالنسبة للعرب ، لأن السلاح يصل إلى العراق عن طريق روسيا فإيران أسهل كثيرا جدا من وصوله عن طريق تركيا أوروبا ، ولأن روسيا فى النهاية لابد أن تعقد مع بريطانيا تحالفا .

ولذلك شدد حداد في تقريره بأن تطلب العراق من روسيا الاعتراف باستقلال البلاد العربية ،



أمين الحسينى



هتلر



موسولينى

وفعلا طلب سفير العراق فى روسيا من السفير الروسى هذا الأمر ولكن روسيا سوفت الرد .

السفرة الثانية إلى المانيا

ثم سافر حداد مرة ثانية وعاد بتقرير آخر بين الحقائق الآتية :

١ ــ أن العلاقات بين ألمانيا وروسيا المتحالفتين أخذت تسوء بسبب تلكؤ روسيا في تموين ألمانيا بالقمح من اكرانيا .

٢ ــ أن الألمان يعتمدون أكثر على إيران وافغانستان فى توصيل أى سلاح محتمل إلى العراق .

٣ ــ أن إيطاليا بعد هزيمتها أمام شعب اليونان جاء موسولينى إلى هتلر وألقى سلاحه وغلواءه وكبرياءه وأصبح الاعتراف باستقلال الدول العربية من جانب إيطاليا وأيضا روسيا أقرب منالا .

٤ ــ إن احتلال مطار الحبانية بسرعة مفاجئة بواسطة الثوار العراقيين أهم خطوة عملية لتأمين الثورة .

٥ ــ طلبت ألمانيا من اليابان عدم إظهار أى نشاط فى المحيط الهندى حتى لا تتخذه أمريكا ذريعة فى دخول الحرب ولكن الألمان يشكون فى أن اليابان تستطيع أن تكبح جماح نفسها فى هذا المحيط .

٦ ــ أن روسيا رفضت اعطاء تصريح مكتوب باستقلال البلاد العربية خوفا من مناهضة بريطانيا .

الاصطدام

يبدو أن الخابرات البريطانية وكذلك أنصار بريطانيا فى العراق كانوا يراقبون هذه التحركات بدليل سرقة جواز سفر حداد من مدير فندقه فى أنقرة .

هنا قرر أعوان بريطانيا جر هؤلاء الثوار والاحتكاك بهم فصدر مرسوم بتثبيت قواد الجيش الأربعة بداية بكامل شبيب (الباقون هم صلاح الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد) وتخلى طه الهاشمى عن الحكم . فأصدر القواد الأربعة منشورا بتكليف رشيد عالى الكيلانى بالوزارة .

وهنا تلقى كل من المفتى أمين الحسينى ورئيس الوزراء الكيلانى خطابا من الخارجية الألمانية يقول : « إن ألمانيا التى لم تحتل قط أرضا عربية ولا تهدف إلى الاستيلاء على أى أرض عربية ترى فى الشعب العربى شعبا ذا ثقافة قديمة وإدارة راقية وفضائل عسكرية تجعله جديرا بأن يحكم نفسه بنفسه . إن الأمتين العربية والألمانية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك : الانجليز واليهود . ثم طلب الخطاب من المفتى إعادة ارسال سكرتيره الخاص عثمان كمال حداد للمباحثات فى تفاصيل العمل المشترك » .

تواكل أم خيانة ؟

على إثر ذلك اجتمع مجلس الدفاع الأعلى بعقدائه الأربعة . شدد فهمى سعيد أحد العقداء

● عندما عرض الانجليز الذهب على "حداد" لكشف أسرار المفتي فرفض الإغراء واحتمل السجن

الأربعة الذين أطلق عليهم اسم المربع الذهبى وقائد الآليات أى المدرعات على ضرورة احتلال مطار سن الدبان بأسرع ما يمكن قبل أن يستحيل عليهم هذا . ويلاحظ أن ألمانيا كانت طلبت منهم هذا الطلب نفسه كما طلبت تخزين كميات هائلة من بنزين الطائرات وقطع غيار السيارات حتى يمكنها أن ترسل لهم معونة عسكرية . ويقرر حداد أن رشيد الكيلانى رد على العسكرين قائلا : إن حكومتى لا يمكنها بوجه من الوجوه القيام بعمل عسكرى يفسر بأنه خرق للمعاهدة مع بريطانيا ، وأن كل ما بوسعى هو أن أطلب من الجيش إتخاذ موقف الدفاع ضد أى هجوم من البصرة ! !

نزل العقداء عند رأي الكيلانى ، ووزعت السفارة البريطانية منشورات فى شوارع بغداد ضد حكومة الكيلانى تتهمها بالنازية ! ! وأهم من هذا كله أن القوات البريطانية الصغيرة فى مطار سن الدبان هذا أغارت على الجيش العراقى الثائر وضربته من الجو . وانهارت أعصاب صلاح الدين الصباغ إنهيارا شديداً ، واستدعى هو والكيلانى عثمان حداد فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل طالبين منه الاتصال تليفونيا فى الحال مع ألمانيا ليستصرخ من أجل وصول نجدة ألمانيا مدعياً أن هناك ٤٠٠ طائرة بريطانية أغارت على الجيش العراقى . ولما راجعهم حداد في صحة هذا الرقم قال الصباغ إنها ٤٠ طائرة أغارت عشر مرات . سأله حداد وأين طائراتكم ؟ قال الصباغ أسأل سلمان (قائد السلاح الجوى) . رد سلمان بأن قواته ضعيفة وأنها دمرت وهى على الأرض ! ! ولاموا سلمان على أنه بدد الضباط الطيارين الاكفاء من قبل بدافع الوساطة والشللية .

وصلت الطائرات الألمانية عن طريق الموصل . أسقط الانجليز ١٨ طائرة منها . أول قاذفة وصلت سماء بغداد كانت بقيادة ابن الجنرال الألماني الشهير بلومبرج وقد أردته رشاشة انجليزية قتيلا داخل طائرته ! !

بعد هبوط الطائرات الألمانية تبين للألمان عدم وجود بنزين طائرات رغم أن المربع الذهبى قرر لهم أنه خزن بنزينا يكفى ١٧٠ طائرة لمدة ٦ شهور ، إذ تبين أن هذا البنزين هو بنزين سيارات لا ينفع للطائرات !

ولما أرسلت ألمانيا بنزين طائرات عبر تركيا تبين أن قدرة النقل لدى الجيش العراقى من حدود تركيا لا تتعدى ٣٥٠ طنا فقط .

كامل شبيب أحد العقداء الأربعة للمربع الذهبى والذى كان يعد باعادة « عهد خالد بن الوليد » ، لم يجرؤ على الذهاب إلى الجبهة . وجميع الضباط الذين سبق احالتهم للمعاش رفضوا التعاون . وطلب الألمان حفر خنادق متعرجة لا مستقيمة حتى تقل الخسائر من هجوم الطيران البريطاني ولكن الوقت كان قد فات بل أن صلاح

بك قائد المربع الذهبي رد على هذا الطلب : « نريد طائرات وأسلحة ، لا نريد نصائح » .

وأخيرا استنجد الثوار بفوزى القاوقجي لحماية الرطبة على الحدود مع فلسطين ولما فشل اتهموه بتسليمها . بعد سقوط الرطبة سقطت الفلوجة ومن بعدها بغداد .

على أن العامل الرئيسي فى هذه الهزيمة كان هو وجود مطار الحبانية (سن الدبان) فى يد الانجليز رغم كل التحذيرات المسبقة بضرورة استيلاء الثوار عليه .

الوساطة التركية

أثناء العمليات العسكرية وقبل وقوع الهزيمة كانت تركيا قد عرضت الوساطة على أساس أن بريطانيا تعترف بحكومة الكيلانى ، وعلى أن تقف الأعمال العسكرية تماما فى الحال .

يقول حداد إن هذه الوساطة عرضت فى ١٥ مارس أثناء اشتداد العمليات العسكرية ، وأن المفتي والكيلانى قبلا الاقتراح بدون تردد . ولكن العسكريين رفضوه . وغضب صلاح الدين الصباغ وأخرج مسدسه بعصبية لولا أن السبعاوى حال دونه . وكانت حجة الصباغ أن هناك هجوما ألمانيا الآن على جزيرة كريت وبعدها ستسقط سوريا في يد الألمان ثم يتقدمون نحونا فى العراق وكل المطلوب أن نصمد ٣ شهور فقط .

رشيد بك : لنفرض يا صلاح بك أنك لم تستطع الصمود !

صلاح الصباغ : رسمت خطة وسأطبقها .

رشيد بك : ما هى الخطة ؟

صلاح الصباغ : هدم السدود وإغراق الأراضي غربى العاصمة .

بعد ٣ أيام هدمت السدود ولم تغرق الأرض كما تصور الصباغ . إنهارت أعصاب صلاح الصباغ مجددا . واستنجد بالمجاهدين الفلسطينيين بقيادة عبد القادر الحسينى . وقد أخر هؤلاء زحف الجيش البريطاني عشرة أيام فقط .

سافر السبعاوى إلى الجبهة لعله يشد الأزر فاستدعاه على الشيخ محمود وزير المالية ليحاسبه عن أموال البنزين .

ولما أوشكت الهزيمة ذهب صلاح الصباغ إلى المفتى ورشيد يقول : ليس هناك مخرج إلا الانسحاب إلى إيران وترك الحرب .

المفتى : أنت الذى تقول هذا ؟ أنت الذى رفضت توسط تركيا . وهل تظن أنك تنجو بنفسك لو لجأت إلى ايران . ليس أمامنا إلا القتال والموت مع الجنود .

رشيد بك : لم تتركوا لنا حرية العمل السياسى . والآن العمل الحربى وهو اختصاصكم تهربون منه ؟ هنا دخل جروبا السفير الألماني وأبدى موافقته على إنهاء الحركة كلها . اتضح بعد ذلك أن دخول ألمانيا إلى روسيا كان هو السبب فى هذا الموقف الانسحابى للألمان .

هنا طلب رشيد الكيلانى من حداد أن يرد إلى جروبا مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه ذهب كان جروبا قد أمد القواد بهم . أخذ جروبا الذهب وانسحب إلى الموصل . ثم تركيا . وانسحب المفتى والكيلانى إلى إيران . وتقدم ارشد العمرى الذى بقى فى العراق ببيان بوقف القتال .

فى ايران

كان موجودا فى إيران من قبل : ناجى باشا السويدى وأمين بك التميمي فرحبا بالكيلانى والمفتى . ورغم أن الحكومة الايرانية اشترطت عليهما عدم مزاولة أى نشاط سياسي إلا أنهما اتصلا بالسفارات الألمانية والايطالية والتركية فى طهران . فقبلت تركيا سفر رشيد الكيلانى إليها ولكنها رفضت لجوء المفتى بتاتا بضغط من بريطانيا .

فى طهران أطلع السفير الألمانى المفتى وسكرتيره وأمين التميمي عن خطة وضعها لنقل ١٤٠٠ شخص منهم ٦٤ عراقيا يدخل فيهم المفتى والتميمي . ولكن بعد فترة قصيرة تلقت طهران انذارا فى ٣١ يوليو بتسليم الألمان الموجودين في ايران

● المفتي يختفي بالسفارة اليابانية في بغداد ، ومنها يتمكن من الهروب إلى ألمانيا

وعددهم ١٤٠٠ بحجة أنهم جواسيس ! فى حين أن معظمهم كانوا مهندسين مرتبطين بمشاريع ايرانية . وتمانعت حكومة ايران عن تسليمهم إلى أن وقعت الواقعة واجتازت جيوش روسيا وبريطانيا حدود ايران الشمالية .

وفى منتصف الليل أيقظ المفتى سكرتيره واستشاره فأشار عليه أن يهرب حالا الى السفارة اليابانية دون انتظار أحد من العراقيين وبدون السكرتير نفسه لأن المفتى هو الشخصية الهامة المقصودة . وأفهمه أنه دبر له الأمر من قبل خفية مع سكرتير السفارة اليابانية . وهرب فعلا أمين الحسينى إلى السفارة اليابانية ومنها إلى ألمانيا عبر أوروبا الشرقية .

وهكذا اختفى المفتى تماما ولم يعثر له الجيش الروسى الانجليزى الفاتح على أثر رغم القبض على حداد وباقى العراقيين .

النهاية فى المعتقل

وقبض البوليس الايرانى على حداد . وفى المعتقل عرف أن كامل شبيب أحد العقداء الأربعة أرسل كتابا إلى حكومة بغداد يتنصل فيه من الحركة كلها ويلقى اللوم كله على المفتى ورشيد عالى الكيلانى . فكان هذا أكثر ايلاما لحداد من السجن ذاته .

وفى المعتقل عرض الانجليز على حداد خمسة وعشرين ألفا من الذهب نظير إعطاء أى معلومات عن المفتى فلم يتزحزح .

وكلما سألوه عن علاقته بالمفتى إدعى أنها لم تتعد أكثر من إعطائه دروسا فى الفرنسية لابن المفتى وأحيانا للمفتى .

ولما سألوه عن اسم ماكس مولر (الاسم الذى انتحله فى سفره إلى ألمانيا قبلا) وواجهوه بصورة جواز سفره تلك الصورة التى التقطها لنفسه فى روما صمم على أنه أوفد لتصدير صفقة تمور إلى بريطانيا قبل قطع العلاقات الإيطالية العراقية .

وأخيرا نفوه إلى روديسيا فى وسط أفريقيا وهناك وجد فى المنفى ذاته أمين التميمي وموسى الشاه بندر وناجى السويدى وجمال الحسينى والدكتور داود الحسينى والدكتور أمين رويحة .

ظلوا فى المعتقل حتى انتهت الحرب فرفعوا قضية ضد السلطة البريطانية أمام محكمة سالسبوري فى روديسيا طالبين اطلاق سراحهم ، فأفرج عنهم إلا أن التميمي مات ودفن فى المنفى . وفى العام التالى ٤٦ التجأ المفتى إلى مصر والتجأ الكيلانى إلى السعودية .

هذا إذن ، كمال حداد : رجل وهب نفسه فداء لله والوطن وصدق ما عاهد الله عليه . ومن حقه علينا أن نذكره ونتذكره ونحييه حيا وميتا . ومن أولى من العرب بتحية الرجال ؟!

السيد فهمى الشناوى

الدكتور عيسى الناعوري
حياته وأدبه
في عشر رسائل بخطّ يده



بقلم : أسامة فوزي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب المعروف الدكتور عيسى الناعوري ، بعد أن ترك عشرات الكتب المطبوعة والمخطوطة في شتى ميادين الابداع ، وبعد أن حقق شهرة عالمية إثر منحه شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو الايطالية وكان بذلك العربي الثاني بعد طه حسين الذي يمنح هذه الشهادة من جامعة ايطالية ، وأغلب الظن أن الدكتور الناعوري وكتبه ومقالاته العديدة المنشورة في الصحف والمجلات العربية ستكون مجالاً لدراسات نقدية كثيرة ، بخاصة أن تعدد مجالات الابداع عنده تثير شغف الباحثين على اختلاف تخصصاتهم ، وحتى تكتمل الصورة عند الباحثين والنقاد رأيت أن أضع بين أيديهم عشر رسائل تبادلتها مع الناعوري خلال السنوات العشر الأخيرة وقد اخترتها من أصل ثمانين رسالة احتفظ بها في أرشيفي ، وهذه الرسائل تضيء جوانب هامة جداً في حياتنا الثقافية ـ بخاصة في الأردن .

ومع أن الناعوري لم يكن يمانع في نشر هذه الرسائل في حياته ، بل وخولني في احداها أن أتصرف بها على النحو الذي أراه مناسباً ، إلا أنني التزمت بسرية هذه الرسائل ، اللهم إلا فيما يتعلق ببعض الأخبار الأدبية والثقافية العامة التي طلب الناعوري نفسه نشرها ، إلى جانب فقرات منها نشرت في سياق دراسات عن الحياة الأدبية في الأردن ، لكنها المرة الأولى التي أنشر منها عشر رسائل كاملة ، راجياً أن أقدم كل الرسائل مع التعليق عليها في كتاب أنشره قريباً .

قبل أن أضع الرسائل في متناول الباحثين والمؤرخين للأدب في الأردن أحب أن أشير إلى ما يلي :

أولاً : سأنشر ما اخترته من رسائل الناعوري إلي دون أن أنشر رسائلي إليه ، وسأكتفي ـ للتوضيح ـ بإحالات وشروحات في الهامش لا غنى عنها لإضاءة الموضوع الذي قد تثيره الرسالة وعلى القارئ أن يعود مع كل إحالة إلى الشروح والتعليقات والتوضيحات فذلك يغنيه عن قراءة رسائلي كاملة .

ثانيا : في رسالته المؤرخة في ٤/نوفمبر/١٩٧٦ سمح لي المرحوم بنشر رسائله دون الرجوع إليه وقد ورد في رسالته بالنص « شكراً لك على تفضلك بنشر رسالتي في جريدة الفجر ولك أن تنشر من رسائلي ما تراه جديراً بالنشر دون رجوع إلي » ، وقد استثنى الناعوري رسالة واحدة بعث بها إلي في ٧٩/١١/١٦ حين طلب صراحة عدم نشرها لئلا توقعه في حرج مع المسئولين عنه في مجمع اللغة الأردني ، وقد أجبته إلى طلبه في حياته ، وأرى الآن أن هذه الرسالة قد أصبحت ملكاً للحياة الثقافية العربية بخاصة أنها ليست شخصية وانما تتعلق بضجة أدبية أثارها كاتب هذه السطور في الصحف الأردنية وكان رئيس المجمع بطلها .

ثالثاً : تزيد الرسائل عن ثمانين رسالة ، فضلاً عن بطاقات المعايدة ، وبعض هذه الرسائل يتضمن موضوعات شخصية تخصني أو تخص المرحوم وأرى أنها لا تهم القارئ في شيء لذا اسقطها كلها أو بعض فقرات منها كما سيلاحظ القارئ فيما ينشر منها لاحقاً ، وما أنشره اليوم هو الدفعة الأولى من هذه الرسائل وقد ذكرت في الهوامش عدد الأسطر التي حذفتها من كل رسالة على حدة للأسباب السابقة .

رابعاً : التعليقات والشروحات والأقواس وعلامات الترقيم التي ترد في السياق هي من وضع الناعوري نفسه .

خامساً : موضوعات الرسائل متعددة وقد حرصت أن أنشرها وفقاً لتسلسلها الزمني وليس تبعاً لموضوعاتها ، وسيلاحظ القارئ أن الناعوري كان يدرك بفطنته أنه يراسل صديقاً صحفياً ، ومن ثم كان يعلم أن رسائله ستنشر في يوم ما ، لذا حرص على أن يضعها في صورة مقالات مكتملة العناصر مع بعض الاخوانيات وكان يدقق كثيراً في لغته وأسلوبه وخطه وطريقة عرضه .

سادساً : تركزت معظم الرسائل في عامي ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ثم بدأت أعدادها تقل بعد ذلك وتقتصر أحياناً على بطاقات المعايدة أو الرسائل المختصرة المتباعدة ، وكان ذلك بسبب تكاسلنا في المتابعة ، وبسبب ظروف الحياة ومشاغلها ، لذا سيجد القارئ أننا تبادلنا خمس عشرة رسالة في عام ١٩٧٦ ، بينما لم نتبادل خلال الأشهر التسعة الماضية إلا رسالتين وبعض بطاقات المعايدة .

سابعاً : بقي أن يعرف القارئ أن لقائي الوحيد بالناعوري قد تم قبل عشر سنوات في إحدى أمسيات نادي الجامعة الأردنية ، وكان اللقاء ساخناً ، تبادلنا فيه الاتهام بتحيز كل واحد منا لجيله ، فالناعوري يكبرني بخمس وثلاثين سنة ، وقد هاجمته في كتابي الأول « آراء نقدية » ، لكن هذا لم يمنع أن تقوم بيننا صداقة قوية بعد ذلك .

الدكتور عيسى الناعوري

حياته وادبه

في عشر رسائل بخط يده

الرسالة الأولى

السبت ٣/يناير/١٩٧٦

عزيزي أسامة ،

أنا خجلان منك لثلاثة أسباب : الأول ، أنني لم أنجح في محاولة خدمتك لدى وزارة التربية ،(٢) والثاني ، أنك أجهدت نفسك كثيراً لكي تنقل إلي موجزما ورد في كتاب « فلسطين في الرواية العربية » حول روايتي « جراح جديدة » (٣) ، والثالث أنك تحتاج إلى الإطلاع على الرواية المذكورة ، ولست أملك منها سوى نسختي الخاصة الوحيدة ، وليس في أسواق عمان نسخة منها للبيع فأبتاعها ، والنسخ القليلة الباقية منها موجودة في بيروت لدى أحمد عويدات ، في بناية العازارية التي علمت أنها احترقت في الأحداث وانني لأستميحك العذر لهذه الأسباب كلها ، وأعدك بأنني إذا وجدت نسخة من « جراح جديدة »(٤) فلن أتأخر عن ارسالها إليك .

غير أن هنالك ملاحظة ، وهي أن الرواية تبدأ من حيث تنتهي سابقتها « بيت وراء الحدود » (٥) ، ولابد من الاطلاع على هذه ، لمقابلة تسلسل « الثنائية » كاملة ، وهذا ما يبدو لي أن السيد أبواصبع لم يفعله . ولعل السبب هو أن الرواية الأولى قد نفدت من سنين ولم أتمكن من إعادة طبعها مرة ثانية ، وهي مترجمة ومنشورة باللغة الاسبانية في مدريد .

ويبدو لي من هذا الذي تفضلت فلخصته لي أن المؤلف قد حاول أن يقلد مستشرقاً أمريكياً يدعى (هاوارد دوغلاس رولاند) قدم أطروحة ضخمة للدكتوراة في جامعة ميشيغان عام ١٩٧١ عنوانها (النزاع العربي الاسرائيلي كما تصوره الأعمال القصصية والروائية العربية) ــ وهي بالانكليزية طبعاً ــ وقد قرأ لأجل إعدادها ١٦٦ أقصوصة عربية ، و ١٢ رواية و ٩ مسرحيات ، وتناولها كلها بالتحليل المنصف الدقيق على عدة وجوه ، حسب اختلاف الفصول وعناوينها ، مع مقدمتين رائعتين ، ومع ترجمات انكليزية لعدد من الأقاصيص المختارة ، ومع التعريف بالمؤلفين . وقد أهدى إلي نسخة من أطروحته ، فكتبت عنها مقالين طويلين : في الأديب ، والآداب . ثم زرت سهيل ادريس ، وعرضت عليه أن يتصل بمنظمة التحرير ، أو بمؤسستي الأبحاث والدراسات للعمل على نشر هذه الدراسة الرائعة بلغتها الانكليزية ، وفي أمريكا ، لأنها أفضل دعاية للقضية بقلم مستشرق أمريكي . وفعلاً اتصل سهيل وأنا عنده بالسيد ابراهيم العابد (٦) ، فطلب هذا الاطلاع على الأطروحة ، فكتبت إلى الصديق رولاند فبعث إلى المؤسسة بنسخة ، على أمل نشرها على نفقة منظمة التحرير وانتهى الأمر هناك . وأنا الآن ــ بعد الذي قرأته من تلخيصك ــ أكاد أوقن بأن السيد أبا أصبع قد اطلع على الأطروحة ، فحاول أن يحذو حذوها » (٧) .

الرسالة الثانية

الاثنين ١٩/يناير/١٩٧٦

عزيزي الأخ أسامة

رسالتك المؤرخة ١/١٢ الجاري وصلت منذ ثلاثة أيام ، وقد تأخرت في الرد عليها بسبب ألم في عيني ،من أثر حساسية مزمنة أعاني منها منذ عامين .

يسرني أن رسالتي السابقة وضعت يدك على الحلقة المفقودة التي كنت تبحث عنها لمعرفة المرجع الذي أخذ عنه صالح أبو اصبع (٨) ، ولكنه أنكر صاحبه ، وادعى الفضل لنفسه . وعلى الرغم من أنني لم أطلع ــ ولا أدري متى سيتاح لي أن اطلع ــ على كتاب أبي اصبع هذا ، فأنا أشك كثيراً في أن يقوم في الكتاب العرب ، وفي أساتذة الأدب العربي في الجامعات ، من يستطيع أن يقدم عملاً في البحث والدراسة كالعمل الجبار الذي قدمه المستعرب الأمريكي الطيب الصديق هوارد رولاند .

ولكم أتمنى لو اهتمت مؤسسة الدراسات أو مؤسسة الأبحاث الفلسطينية بالانفاق على نشره بلغته الأصلية ، وفي قلب أميركا ، مهما تكن التكاليف المالية ، فهو من أفضل وسائل الدعاية للقضية التي قامت من أجلها منظمة التحرير ومؤسساتها الثقافية ، وهو أهم كثيراً من الترجمات العربية التي تنشرها المؤسستان ، الحاجة هي إلى الدعاية في الخارج ، وبأقلام الغربيين أنفسهم ، لضرب الدعاية الصهيونية في عقر دارها ، وليس محاربتها لدى القراء العرب ، الذين هم بطبيعتهم أعداء لها . ومصيبتنا الكبيرة أننا كلنا نكتب عن القضية الفلسطينية ، ولكن لأنفسنا ، مع أن الواجب أن نكتب للاخرين ، بلغاتهم ، وفي قلب بلادهم .

ما علينا من هذا ، فأنا أعرف أنني أنفخ في الرماد حين أقول هذا ، وقد نفخت طويلا في الرماد ، فما أحس بذلك أحد . وقد لمست حين ترجمت إلى الايطالية قصائد من شعر شعراء المقاومة في الأرض المحتلة ، ونشرتها في كتاب في روما ، كيف تلاحقت ثلاث طبعات من الكتاب ، في ثلاثين الف نسخة ، في مدى ستة أشهر فقط . ونفد الكتاب حتى لم يبق منه سوى نسختي الخاصة من الطبعات الثلاث : نسخة واحدة من كل منها . كانت أصداء هذا العمل رائعة حقاً . كما كانت أصداء محاضرتين لي بالانكليزية حول : ١ ــ الحركة الأدبية في ضفتي الأردن ، ٢ ــ حول الشاعر مصطفى وهبي التل . الأولى ألقيتها في لينغراد وموسكو وبودابست باللغة الانكليزية ، ثم نشرت في مجلة كلية الآداب في جامعة مالطة ، ثم ألقيتها بالايطالية في جامعة روما ، وجامعة البندقية ، وبالعربية في بنغازي وطرابلس وتونس . والثانية : القيتها في مؤتمر للمستشرقين في ايطاليا سنة ١٩٦٦ . كانت الأصداء في كل مكان رائعة حقاً ، ولا سيما أصداء الترجمات الشعرية التي تضمنتها المحاضرات .

لو فعل كل قادر على الكتابة بلغة أجنبية من الأدباء العرب مثل هذا في مجالاته ، لكانت لنا فرصة عظيمة للدخول إلى العقول الغربية عن طريق الأدب والشعر ، وهي أفضل ألف مرة من طرق السياسة ، الأدب يقبله الناس بسهولة وبقبول حسن ، أما السياسة فيرونها كشربة الخروع ، أو شربة الكيناء أو ربما أسوأ من ذلك كثيراً .

وتسألني أخيراً عن صمتنا هنا ازاء ما يقوم به بعض الشبان من أعضاء الرابطة من تشويه لوجه الأدب الأردني ، وتذكر لي اسم خليل السواحري واسم ابراهيم خليل ، وما يتقارضانه من المديح العجيب ،وما يصفعان به وجوه الآخرين من نقد أعوج أهوج (٩) وماذا ترانا سنفعل ؟ هل تريد من جيلنا أن يلعب مع هؤلاء الشبان لعبة القط والفأر ؟

لا ، ليس هذا من شأننا . لقد كنا حتى الآن الجيل الصامت على الأذى ، عن عفة وحفاظ على كرامته . كل كتاب الجيل الجديد حملوا علينا وأنكروا كل كفاحنا الطويل لشق الطريق وتعبيد وعرها أمام أقدامهم الطرية لكنهم تجاهلونا وأعلنوا أن الأدب في الأردن يبدأ من عندهم ــ حتى قبل أن يكون لأي منهم كتاب مطبوع وأنه لم يكن قبلهم أدب ولا أدباء .

الرسالة الثالثة

الخميس ١٩/فبراير/١٩٧٦

عزيزي أسامة

أكتب إليك هذه السطور لأشكرك على تفضلك بارسال الكتاب إلي (١٠) ، وكنت قد رجوتك أن تحتفظ به لنفسك ، ما دامت نسختك هذه هي الوحيدة التي يمكنك التصرف بها . أما وقد آثرتني على نفسك ، فحرمت نفسك منها ، وأرسلتها إلي ، فإن كلمة الشكر مني لهي أقل كثيراً من فضلك . لقد قرأت الكتاب ، ولمست فيه مدى السطحية في المعالجة ، لا في ما يتعلق بي وحدي بل في أكثر ما جاء في الكتاب ، وكان كله بين المجاملة والتحامل ، رغم أن المؤلف لم يستطع أن يبرهن على أنه اطلع فعلاً على كل الروايات التي يعالجها » .

الرسالة الرابعة

الأحد ٢٢/فبراير/١٩٧٦

عزيزي أسامة .

رسالتك الأخيرة المؤرخة في ١٩٧٦/٢/١٢ وصلت مساء أمس ، وكنت قد أرسلت إليك قبل بضعة أيام رسالة أشكرك فيها على تفضلك بارسال كتاب (فلسطين في الرواية العربية) إلي ، وأنا أكرر لك الشكر على ذلك ، راجياً أن تكون الرسالة قد وصلت إليك قبل الآن .

في رسالتك الجديدة استوقفتني أمور عديدة ، قد لا أستطيع تفصيلها الآن ، ولكنني سأحاول ، وسأحاول كذلك أن أعطيك انطباعاتي حولها . لم أكن أظن أن أحداً يعرف سر المرحوم الأيراني (١١) سواي ، ولكنك كشفت بشكل لم أتوقعه ، حين ذكرت أن « حملة الايراني علي كان دافعها الأول شعور المرحوم أن المنافس الحقيقي والأول له هو أنا ... والشبان الذين تألبوا علي هم أبناء الأيراني ، هو الذي أظهرهم على صفحات مجلته ، وهو الذي أوحى لهم ... وهو الذي عمل دائماً على تفريغ أي عمل لي من محتواه » .

كلامك هذا صحيح جداً ، وكنت أعرفه ، وأغضي عنه ، لقد كان المسكين يرى أنه (قمة شامخة) ويريد أن يكون (القمة الشامخة الوحيدة) وبقية الأدباء أقزاماً يسجدون حول صنمه ، ولكنه كان يحس كذلك احساساً مريراً يقلق حياته بأن هناك قمة أخرى أكثر شموخاً منه ، تحجب عنه أشعة الشمس ، تلك كانت « عيسى الناعوري » ... كان يرى أنني جدار هائل يمنع من وصول الامجاد إليه ، وأن كل مجد أدبي أناله هو مجد كان يحب أن يكون له وحده . وكان ينغص حياته أن يرى أنني الأديب الأردني الوحيد المعروف في العالم العربي كله ، وفي المهاجر ، ولدى المستشرقين ، والذي يكتب ويؤلف ويترجم بثلاث لغات ، والذي ترجم الكثير من أعماله الأدبية إلى لغات غربية متعددة . وكان الايراني يريد كل ذلك لنفسه ، ويعتقد أنني سلبت منه هذه الأمجاد ، وكان هو أحق بها مني وكنت أعرف ذلك . وكان أحياناً ينزلق لسانه معي ، فأبتسم وأسكت . ولذلك كان يتحين كل فرصة لينال مني بأي شكل كان . ولم يجد ما يعوض به النقص الهائل الذي يحس به أمامي غير أن يخلق مدرسة من الأتباع يشتمني أمامهم ، ويعلمهم شتمي . وساعده على ذلك عمله في تحرير مجلة (أفكار) (١٣) ولكن هل أنقص الايراني — وغير الايراني — شيئاً من قدري أو من سمعتي الأدبية في كل مكان ؟!

رحمة الله عليه ، لقد مات وحسرته الكبيرة في صدره ! لطالما طلب إلي أن أترجم إلى الايطالية أو الانكليزية شيئاً من أدبه ، كما فعلت لنفسي ، وكان ينعتني « بالأناني » لأنني أترجم لنفسي من دونه . وكنت أقول له إنه يعرف الفرنسية ، وهي أوسع نفوذاً من الايطالية ، فلماذا لا يترجم لنفسه بها ؟! ولكن الحقيقة أنه كان يجيد الحديث بالفرنسية والترجمة عنها ، ولكنه لم يكن يجيد الكتابة بها . وهذا كان نقصاً آخر يعاني منه كثيراً ، وكان يعاني من نقص آخر أيضاً ، وهو أنه لا يعرف من اللغات الأجنبية غير الفرنسية ،وأنا كنت أكتب بالايطالية والانكليزية وأترجم عن الفرنسية والاسبانية كذلك .وقد ربطت أنا جذوري بدنيوات واسعة ، ولم يستطع أن يربط جذوره حتى بالبلدان العربية القريبة ، كسوريا ولبنان . وكان لي في حياته نحو سبعة وعشرين كتاباً ولم يكن له غير خمسة كتب ، كل هذه كانت عوامل تنغص عليه حياته ، ولست ألومه حين كان يعوض عن ذلك بتأليب الأولاد علي .

أطلت الحديث عن موقف الايراني مني وما كنت لأفعل هذا لولا أنك كشفت لي بشكل أثار دهشتي ، إذ كنت أحسبه سراً لا يعرفه أحد » (١٤) .

الرسالة الخامسة

الجمعة/٥/مارس/١٩٧٦

عزيزي أسامة

ائذن لي بأن أخاطبك هكذا ببساطة ودون ألقاب ، أو مجاملات . وفي وسعك أن تناديني « أبا سمير (١٥) فقط ، فالألقاب لا تزيد في قيمة إنسان ، إلا من لم تكن له قيمة في نفسه ويحتاج إلى لقب ليعطيه قيمة — وأعيذك وأعيذ نفسي أن نكون من ذلك الطراز — ! !

من عادتي أن أرد على الرسائل دون تأخير . وها أنا أرد على رسالتك الأخيرة المؤرخة ١٩٧٦/٣/٣ ،والتي تسلمتها قبل أقل من ساعة من صندوق البريد . وفيها أشياء كثيرة جديرة بالرد والنقاش — النقاش الودي طبعاً — .

١ — شكراً لاعتبارك إياي « شابا » ، من حيث الحيوية وغزارة الانتاج (١٦) وأنا كذلك حقاً ، ولا أستطيع الاعتراف بالكهولة أو الشيخوخة . أما « جيلي الزمني » فهو الجيل الذي تأبى إلا أن تسحبني منه . وأنا أوافقك على أن أكثر رجاله قد هرم أدبهم وهم في عهد الشباب .

٢ — لو تمعنت قليلاً في قصيدة تيسير (١٧) ، التي تعتبرها دليلاً ينقض رأيي في انتحاره ، لوجدتها قصيدة يائسة — لا من الانتصار على الحياة — ولكنها يائسة من الحياة نفسها ، وفيها نبوءة بدنو الأجل . واعتبار الشاعر نفسه ولياً ليس بالشيء الجديد في الشعر ، سبقه إلى ذلك أبو القاسم الشابي ، وكان الاثنان يحاولان الصمود في معركة الألم ، والأمراض بواسطة التعاويذ الشعرية ، فمات الأول (طفلا) لأن المرض كان أقوى منه ، ومات الثاني انتحاراً ، لأن المرض كان أقوى منه كذلك (١٨) ، وكانت مقاومته له عاجزة عن منحه صموداً أطول .تعلات الشعراء في حالات العجز عن المقاومة ، تظل تعلات ، ولكنها لا ترقى مطلقاً إلى دور الحقائق ، الواقعة ، والحقيقة الواقعة في انتحار تيسير لم تكن الجبن في مقارعة الظلم أو التمرد على الواقع . هذا جبن لا ترضاه ولا أرضاه لتيسير ، لكن الحقيقة أن المرض كان أقوى منه كثيراً ،وحالات الصرع التي كانت تنتابه — وقد رافقت كل حياته — من جراء المرض في عينيه (١٩) ، لم تمنحه شيئاً من الراحة أو المهادنة ، فصرعته بعد أن قهرت عزمه وارادته .

ودعني أرجوك أن تبعد عن تيسير تهمة « الجبن » — الانتحار الفلسفي جبن وخسة ولا أخلاقية — ولم يكن كذلك تيسير . انتحاره كان رغم التعاويذ الشعرية — لعجزه عن مقاومة المرض أكثر مما قاومه . سقط في معركة كانت غولية الصراع والعنف . وحين تذكر ذلك عنه تكون قد أنصفته ، ووضعته في حدوده الانسانية — حدود طاقة الإنسان ، ولا سيما الشاعر ، الذي تكون عاطفته دائماً أقوى من عقله ومن قوته في الصراع — ودعك من « تخمينات » (النضالية والفلسفية ، والتمرد) وما إلى ذلك .

٣ — في حديثك عن الوقائع التي أوصلتك إلى استنتاجاتك الصحيحة لما كان في نفس الايراني مني ، نسيت أنه استغل بحثه في (ثقافتنا في خمسين عاما) (٢٠) لغرضين : الأول — تمجيد نفسه ، والثاني — محاولة تدمير الناعوري . وكان من نتيجة ذلك أنني كتبت في جريدة (الدستور) مقالاً طويلاً استغرق نحو خمسة أعمدة ، في فضح اجتراءاته على الحقيقة ، وكذلك نسيت ردوده علي في جريدة (الرأي) مستتراً وراء توقيع (فهمي شما) — الذي كان يومذاك مديراً بالوكالة لدائرة الثقافة والفنون — واضطراري إلى الرد عليه بعنف لفضح هذا التستر . وفعلاً لم أكتب في مجلة أفكار حرفاً واحداً طوال عهد الايراني بها ويعرف ذلك عبدالرحيم عمر (٢١) ، الذي طالما رجاني أن أكتب لها « اكراماً لخاطره هو » ، وكنت أقول له إنني لن أتعامل مع مجلة يشرف عليها الايراني .

رحمة الله عليه ! والله إنني لم أكن البادىء بالعداء ، ولقد صبرت كثيراً على ما كنت أعرف من أذى الايراني لي ، وتأليبه الآخرين علي دون ذنب ، حتى طفح الكيل ، ففاض بمقالات في

الدكتور عيسى الناعوري

حياته وأدبه

في عشر رسائل بخط يده

الرأي) ثم في (الدستور) لم أستطع أن أحبس قلمي عن أن أفيض بها .

٤ ـ حقاً ، إن مؤلفاتي عديدة ، أكثر من مؤلفات أي كاتب أردني آخر ، ومخطوطاتي الجاهزة للنشر أكثر منها عدداً ، فهي تزيد عن خمسة وثلاثين كتاباً (المخطوطات أعني) (٢٢) ، والمنشورات ثلاثون . وناشرو كتبي موزعون في الأردن ومصر ولبنان وسوريا وتونس وليبيا وايطاليا ومالطة ، ولولاهم لما ظهر لي حتى اليوم كتابان ، لأنني لا أجازف ـ ولا أملك المال ـ لطبع كتاب على حسابي ، ولو فعلت لما كان في وسعي أن أبيعه ، فأنا خجول وجبان في مجال الترويج

ـ ما قاله لك ابراهيم العابد عن عدم وصول نسخة رسالة هوارد رولاند إلى مركز الأبحاث يجعلني أعتقد أن سهيل ادريس قد استولى على النسختين ، فلدي رسالة من هوارد يقول فيها إنه مضطر ـ على أثر وصول رسالتي اليه ـ إلى أخذ صور فوتوغرافية لنسختين كاملتين من الرسالة ـ بصفحاتها الأربعمئة والستين ـ وأرسل النسختين إلى سهيل ادريس ليسلم احداها إلى مركز الأبحاث بناء على طلبي وكان يقيني أن النسخة قد وصلت إلى المركز فعلاً ، حتى نقلت أنت إلي نفي ابراهيم العابد لتسلمها . أما حديثه بالهاتف مع سهيل ادريس فقد كان وأنا أجلس إلى جانب سهيل في مكتبه وكنت أنا الدافع المباشر إلى هذه المكالمة » (٢٣) .

أسامة فوزي

بقية الرسائل في العدد القادم

الهوامش

(١) ترقيم الرسائل على هذا النحو يتبع تسلسلها في هذه المقالات ، ومن ثم فإن الرسالة الأولى هذه ، هي الأولى في هذا الموضوع وليست الأولى التي أتبادلها مع الناعوري ، فقد سبقتها رسائل لا أرى ضرورة لنشرها الآن .

(٢) كان الناعوري مسئولا في العلاقات العامة لدى وزارة التربية وقد طلبت منه تخليص أوراقي بعد أن تركت العمل فيها دون استقالة ، فاعتذر لأن القرار الذي اتخذ بحقي كان ممهوراً بختم رئاسة الوزراء .

(٣) صدرت عن منشورات مجلة السياحة / بيروت/ ١٩٦٧ م .

(٤) لم يكن الناعوري قد اطلع على كتاب الدكتور صالح أبو اصبع « فلسطين في الرواية العربية » ، وفيه نقد حاد لرواية الناعوري المذكورة ، ولأنني احتفظ بنسخة واحدة من الكتاب فقد اضطررت بناء على طلبه إلى نسخ وتلخيص الجزء الخاص بالناعوري وهو في الفقرة السابقة يشكرني على هذا الجهد .

(٥) صدرت عن دار عويدات للنشر لبنان ١٩٥٩ واعتبرت من أوائل روايات النكبة ، وذلك في دراسة كتبها الدكتور عبد الكريم الأشتر ونشرها في كتاب « دراسات في أدب النكبة » الصادر عن دار الفكر عام ١٩٧٥ ..

(٦) كاتب فلسطيني معروف كان نائباً لرئيس مركز الأبحاث قبل أن يلتحق عام ١٩٧٥ بالعمل في وزارة الاعلام بدولة الامارات كمدير لوكالة الأنباء فيها .

(٧) يختتم الناعوري الرسالة بفقرة من أحد عشر سطراً لا علاقة لها بالموضوع السابق . وقد اغفلت ذكرها لهذا السبب ..

(٨) لا أذكر أني تحدثت بهذه الصورة ، ولم أكن أبحث عن حلقة مفقودة كما توحي العبارة بخاصة أني كنت معجباً بالكتاب المذكور وقد عرضته فور صدوره في مجلة الظفرة الصادرة في الامارات في ١٥ نوفمبر ١٩٧٥ وقد نفى الدكتور صالح أبو أصبع أن يكون قد اطلع على المخطوطة المذكورة وذلك في حديث سريع دار بيننا قبل سنة واحدة فقط .

(٩) لقد كتبت للناعوري أسأله عن السر في صمته حيال ما يفعله عدد من الكتاب الشباب في الرابطة ، والتي تحولت الى رابطة لكل من لا علاقة له بالأدب حتى زاد عدد الأعضاء في الضفة الشرقية وحدها عن ثلاثمائة أديب ، فرد على الفقرة السابقة والأوصاف المذكورة له وليست من عندي كما قد يفهم البعض ، أما ابراهيم خليل وخليل السواحري فكاتبان يمارسان كتابة النقد والشعر والقصة بحكم عملهما في الصحف وهما يتبادلان المديح دائماً على صفحات الجرائد ، وتنتهي الرسالة بفقرة من سبعة أسطر في موضوع خاص لا يهم القارىء .

(١٠) يقصد كتاب « فلسطين في الرواية العربية » وكنت قد بعثت له بنسختي .

(١١) يقصد الأديب محمود سيف الدين الأيراني ، وهو كاتب قصة قصيرة ، وكان يناصب الناعوري العداء وينشر في مجلة أفكار التي يرأس تحريرها مقالات لعدد من الناشئين ، تجزية لهم على حملاتهم الدائمة على الناعوري في الصحف المحلية .

(١٢) الفقرة السابقة اقتطعها الناعوري فعلاً من رسالتي إليه ، وكنت أصف فيها مواقف الايراني من الناعوري ، وتصيده له في كل مناسبة . بخاصة في دراسة نشرها في كتاب « ثقافتنا في خمسين عاماً » ، نال منها الأيراني من الناعوري وجهوده المشتتة وسطحية ما يكتبه !!

(١٣) مجلة ثقافية شهرية صدرت عن دائرة الثقافة والفنون الأردنية في شهر يونيو حزيران ١٩٦٦ وتوقفت عن الصدور في يونية حزيران ١٩٦٧ ثم عادت إلى الصدور كمجلة فصلية برئاسة تحرير جديدة معقودة للايراني خصم الناعوري ، الذي لم ينشر في المجلة مقالة واحدة طوال عهد الايراني ، وما يقوله الناعوري في الفقرة المذكورة صحيح فقد استطاع الأيراني بحكم موقعه في المجلة الثقافية الوحيدة في الأردن ، **وبحكم حاجة الناشئين إليه أن يوظف هؤلاء للهجوم على الناعوري بمناسبة وبدون مناسبة ، ولم تنشر الصحف آنذاك كلمة واحدة بحق الأيراني ، رغم أن عيوب الريادة والتقليد الموجودة في كتابات الناعوري والتي كانت تجعله هدفاً للناشئين هي ذاتها التي يجدها القارىء المتفحص في كتابات الايراني .**

(١٤) نشرت الفقرة السابقة من رسالة الناعوري في دراسة مطولة لي بعنوان « رابطة الكتاب الأردنيين والتناسل غير المشروع » ، ظهرت على حلقتين في الملحق الثقافي لجريدة الفجر في الصيف الماضي وقد روجع الناعوري من قبل الكتاب المذكورين فأكد صحة ما كتبه إلي ودافع عنه ، وكان بعضهم يظن أنني ألفت على لسانه ، وعادة الشك في الآخرين على هذا النحو مستشرية في الوسط الثقافي الأردني ، ففي صيف عام ١٩٧٥ نشرت جريدة الرأي لقاء كنت قد أجريته مع نزار قباني ، واحتل اللقاء صفحة كاملة أثارت ضجة في الأردن ، بخاصة أن نزار قباني هاجم الرابطة ، وقد أصدرت الرابطة على الفور بياناً زعمت فيه أني ألفق على لسان نزار قباني حتى اضطررت إلى ارسال نسخة من الشريط المسجل بصوت نزار إليها .

(١٥) الناعوري متزوج وهو والد لخمسة أبناء وبنتين أكبرهم (سمير) وهو دبلوماسي معروف .

(١٦) كنت دائما أحسد الناعوري على حيويته وغزارة انتاجه الأدبي ، فهو من أغزر الأدباء العرب انتاجاً ، ولا تكاد تصدر مطبوعة إلا وله فيها اسهام بارز ، ففي يوم وفاته ، كانت أمامي الدوحة ، المجلة العربية ، دورية الكتاب ، جريدة الدستور ، وله فيها كلها مقالات وإسهامات متنوعة ولافتة للنظر .

(١٧) يقصد الشاعر تيسير السبول الذي انتحر عام ١٩٧٣ بعد أن ترك ديواناً شعرياً ورواية ، وكنت قد كتبت فصلاً ضافياً عن أسباب انتحاره في كتابي الأول « آراء نقدية » رأيت فيه أن انتحار تيسير سبول يرتبط بجذور فلسفية كان يؤمن بها ، وكانت هناك تفسيرات أخرى لانتحاره ، منها معاناته من مرض اللطخة الصفراء في عينيه وهو ما يقوله الناعوري ولكني احتفظ برسالة من الطبيب الشخصي المعالج للمرحوم وفيها ينفي هذا الاحتمال لأن المرض لم يكن مستفحلا أو مقلقاً للشاعر ولم يكن خطيراً أيضاً ، أما القصيدة التي يشير إليها الناعوري في رسالته فهي التي عرفت فيما بعد بالقصيدة الأخيرة لأنها وجدت إلى جانب الشاعر بعد انتحاره وفيها يقول :

أنا يا صديقي
أسير مع الوهم ، أدري
أيمم نحو تخوم النهاية
ولياً غريب الملامح أمضي إلى غير غاية
سأسقط لابد يملأ جوفي الظلام
ولياً ، قتيلاً وما فاه بعد بآبه
وأنت صديقي وأعلم
لكن قد اختلفت بي طريقي
سأسقط لابد ، اسقط يملأ جوفي الظلام
عذيرك بعد ، إذا ما التقينا بذات منام
تفيق الغداة وتنسى
لكن أنت تنسى عليك السلام .

(١٨) يكاد ينفرد الناعوري بهذا الرأي حول أسباب انتحار تيسير سبول ، رغم نفي الأطباء له .

(١٩) وهذه أيضاً ـ قضية الصرع ـ لم ترد في تقارير الأطباء أو معارف تيسير .

(٢٠) صدر هذا الكتاب عن دائر الثقافة والفنون عام ١٩٧٢ في ٣٩٦ صفحة من الحجم الكبير وقد تضمن ثماني دراسات عن الآثار ، الشعر ، القصة ، المسرح ، حركة النشر ، الفولكلور الغناء في الأردن كتبها على التوالي محمود العابدي ، هاشم ياغي ، الايراني ، عبد الرحمن ياغي ، الناعوري ، نمر سرحان ، هاني العمد وتوفيق النمرى .

(٢١) الشاعر المعروف ، كان رئيساً لدائرة الثقافة والفنون التي تصدر مجلة أفكار ، وتولى بعد ذلك رئاسة رابطة الكتاب قبل أن يتفرغ لعمله الصحفي .

(٢٢) زودني بقائمة مفصلة عنها تضمنت ٣١ كتاباً .

(٢٣) كنت قد راجعت ابراهيم العابد في حينه ، وبعد وصول رسالة الناعوري فلم يتذكر الواقعة .

صوت

مريـــم آل ســـعد

.. هل تُخَاطِب المرأةَ فعلاً؟!

المجلات النسائية .. هل تعبر فعلاً عن الوجه الحقيقي للمرأة العربية ..؟ هل تحمل بصماتها وملامحها الأصلية ..؟ هل تبوح بمعاناتها ..؟ وهل تجس النبض الصادق لواقعها ..؟

• بتصفح عدة نماذج مختلفة من المجلات النسائية ومن صفحات المرأة والأسرة في الصحف والمجلات العربية نكاد نحصر ما تدعي بأنه هموم المرأة العربية في الآتي :

• عدة صفحات كاملة وملونة(في بعض المطبوعات) تركز على ما تزعم المجلة أنه أحدث الصيحات العالمية في الأزياء ..!! بالطبع المجلة هنا لا تهتم بالعادات والتقاليد التي تنتمي إليها معظم أقطار الوطن العربي التي قد تحد من ارتدائها ولا بالأعراف السائدة التي تعاني فيها المرأة من موروثات اجتماعية أولى بالطرح والتفكير والنقاش ، وتود لو تجد من يركز عليها بدلاً من تغريبها وراء أفكار الموضات العصرية التي لاتكرس سوى السطحية والامعان في اللاوعي والابتعاد عن تحسس الوجع الحقيقي ومواجهته والصراع لأجل تغييره ومعالجته .

• صفحات مكررة تتغير أساليبها بينما يبقى مضمونها واحداً (كيف تعتني ببشرتك وتحتفظي بجمالك .. الخ) وتسهب خبيرات التجميل أو ما يتم نقله وترجمته من المجلات والصحف الأجنبية في الإمعان في مسخها وتحويلها الى دمية مليئة بالأصباغ والمعاجين ولكن .. ألا تدرك هذه المجلات النسائية بأن هناك نساء لم تترك لهن طاحونة الحياة متسعاً من الوقت لعجن بشرتهن بالزبادي أو الخيار أو التفاح ..؟ وبأن هناك سيدات لن تفلح صبغات الشعر أو الليمون أو الخل في إعادة البريق أو السواد إلى شعورهن التي تسلل اليها (الثلج الأبيض) وقد أهدرن شبابهن على سفح الإحباطات التي تحاصرهن في واقعهن المشبوب بالمحاذير والوصاية والنظرة التي تفتح الأبواب أمام المرأة (التمثال) لتصنع جمالها أو سطحيتها وتغلق النوافذ بالمتاريس أمام عقل المرأة المدركة التي تريد أن تغذي فكرها ، وتنمي عقلها ، وتشارك في تنمية مجتمعها وتواجه واقعها بوجه خال وواحد لا يحتمل الأقنعة والرتوش .. !

• زوايا (المطبخ) والصفحات المخصصة لعرض نماذج من (الأثاث العالمي) المقترح تنفيذه في البيت العربي ومساحة (الاعلانات) الهائلة لمعارض الأزياء والاكسسوارات والمجوهرات .. الخ .. كلها تنبئ بأنه ربما فات على هذه المجلات النسائية بأن العائلات الكادحة تمثل المجموعة العظمى من نسبة السكان إلا إذا كانت لا تتوجه إليهم أصلاً ..وانما هي تصدر فقط لأجل النساء المرفهات فقط.. فهذه إذن قضية أخرى .. !

• لمن تتوجه المجلات النسائية ..؟

للنساء المنتميات إلى الفئة الغنية القادرة على اقتناء الديكورات الفخمة والرياش الناعمة .. ؟ إذن .. فلماذا تسمى مجلة نسائية وتوحي بمخاطبة كل النساء .. ولم لا تسمى بمجلة الصفوة (كبعض المجلات النسائية التي تفهم المرأة العادية توجهها الحقيقي وذلك من سعرها الباهظ الذي يذيل غلافها الفاخر) .. !

• ضحالة الأفكار المطروحة للنقاش كتحقيقات أو دراسات والتي تحرص المجلة على عرضها بجدية على الغلاف ، وما إن يتصفح القارئ المجلة حتى يفاجأ أن هذا (العنوان الضخم) ما هو إلا عبارات مصفوفة ولقاءات جافة تدور حول القشور ، ولا تحاول الغوص أكثر في الداخل .. ولا تضيف أو تغير أو تطرح البديل أو تقدم الحل أو .. أي شيء يدفع بالقضية — على الأقل — إلى مرحلة أكثر نضجاً ووعياً بدلاً من المتاجرة بها وتحميلها أكثر مما تعاني منه ..!!

• ماذا تريد المجلات النسائية بالضبط ..؟ هل هي مجرد إعلان لوجود صحافة تعنى « بالمرأة » شأنها شأن أي مواطن آخر (وهنا تقع الطامة الكبرى لأن المرأة ستبدو أكثر حظاً من الرجل لأنها نالت شرف تخصيص مطبوعة تدعي التوجه لها .. !) أم أن التفكير التجاري هو الذي أوحى بخلق هذه الصحافة النسائية وفتح بذلك مورداً جديداً للكسب المادي أم أن المشروع في مجمله قصد به التسلية وقطع أوقات الفراغ ، ولم يقصد به التوغل في هموم وقضايا ومعاناة أية امرأة .. !

• ماذا تريد المرأة العربية ..؟

من الواضح أنها مسئولة بنوع ثقافتها ،بطريقة تعاطيها للأمور ، بدرجة نضجها عما يحدث حولها .. وعن الرداء الذي تصدر به هذه المجلات النسائية ، فهي التي أعطت الإشارة حتى توجهها — بهذه الصورة — هذه المطبوعات ، وهي التي اضاءت الضوء الأخضر لعملية تدجينها ، واستسلمت للأفكار التي تتلى عليها سواء باهتمام أو بلا مبالاة وأصبحت تتلقى حتى دون أن تحاول مجرد التعليق ..!

إن الدور الهامشي للمجلات النسائية سيستمر في وضعه حتى تفيق المرأة العربية ، وتشارك بوعي وإدراك في عملية خلق وجودها الحقيقي الفعال المنتج .. حينئذ ستكون لدينا مجلات نسائية بحجم وعطاء المرأة العربية ذاتها وسيكون التواصل متكافئاً ومتوازناً وذا جدوى ..

حديث شَعْرَة



شكل (١) مع أن الشعرة رقيقة وملساء ورفيعة ، الا أن تكبيرها آلاف المرات قد حولها إلى شيء آخر مختلف عما وقر لها في العقول .



شكل (٢) شريحة رقيقة في جلد انسان ، وبها تظهر مقاطع طولية للشعر ، بداية من بويصلاته أو جذوره ، ونهاية ببروزه من البشرة على هيئة جزء ميت .

لماذا يُحبُّ الناس سوادي ويكرهون بياضي ؟!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

« حياتي مشحونة بالمتناقضات ، ما في ذلك شك ، فأولها أنني حية ميتة ، أو بمعنى أدق حي في ميت ، أو ميت في حي ، وثانيها أنني قد أكون مرغوبة في حين ومكروهة في حين آخر ، وثالثها أن مظهري متناسق وناعم وجميل ، لكن باطني لا يسر الناظرين ، ورابعها يتركز في لوني ، فالناس تحب سوادي ، وتكره بياضي .. وخامسها أنني طبيعية ، لكن ذلك لم يمنع من وجودي بهيئة تقليدية أو صناعية .. وسادسها أنني تاج متألق على رؤوس الرجال والسيدات ، أو قد يكون مصيري القمامة « وسلة المهملات » إلى آخر هذه الأمور التي يتشعب فيها الحديث ويطول ..ورغم ضآلة حيلتي ، فلازلت أحظى باهتمام الناس على اختلاف بيئاتهم ، وتفاوت أزمانهم .. فما أكثر ذكري في أجهزة الإعلام ، وما أوسع انتشار الصالونات التي تهتم بشأني ، وما أضخم المستحضرات التي تفتقت عنها أذهان المهتمين بأمري ، ولهذا يكفيني فخراً أن الميزانية العالمية التي تستثمر باسمي ، وتصرف على العناية بشخصي ، تبلغ سنوياً بلايين فوق بلايين من الدولارات .. أنا شيء تافه .. أنا شيء مهم » .. أنا الشعرة !

لهذا أستسمحكم نيابة عن صاحبكم كاتب هذه السطور ، أن يخط قصة حياتي نيابة عني ، فربما كان أعرف بها مني ، ثم إن فيها ــ على حد اعتقادي ــ ما يستحق أن يكتب كلاماً ، ويعرض صوراً ، فالمعرفة بالشيء أفضل من الجهل به ، حتى ولو كان ذلك معرفة بقصة حياة شعرة !

أبدأ بتقديم نفسي فأقول : إنني أمثل عالمين .. الظاهر مني لعيونكم ميت ، والمدفون حي ، وما بين الميت والحي مراحل انتقالية تتحول فيها القوة إلى ضعف ، والحيوية إلى خمول ، والسواد إلى بياض ، والحياة إلى موت !

كلام غريب في ظاهره التناقض ، لكن عليه سيماء الحكمة والفلسفة ، فهل يمكن أن يكون ذلك حال شعرة جاءت لتتفلسف ؟! .. هكذا ربما تعقبون وتتساءلون ،ولكم في ذلك بعض الحق ، خاصة وأنكم لا تستطيعون رؤية حقيقتي بأبصاركم ، لهذا أسارع بعرض جزء من لب تكويني ، وليكن ذلك صورة مكبرة آلاف المرات ، وعندئذ سترون « مالا عين رأت » (شكل ١) .. ولتتأملوا فيها جيداً ، وعندئذ أعقب وأقول : من كان يظن أن شكلي اللامع ، وملمسي الناعم ، وقوامي الرقيق الدقيق سوف يكون بهذا المنظر المخيف الذي يبدو كجذع نخلة ، أو قلف على ساق شجرة ، أو اسطوانة محاطة بحراشيف خشنة ، أو كسف متداخلة ، أو أي تشبيه آخر مناسب لطبيعة صورتي المكبرة ؟

إنها على أية حال حدودكم في الحس والبصر ، فكما تعجز حاسة البصر عن رؤية تفاصيلي ، كذلك تعجز حاسة اللمس عن اكتشاف طبيعة تضاريسي ، ولهذا فما أكثر ما يخفي على السمع والحس والبصر والفؤاد !

هذه الكسف أو الحراشيف التي ترونها ، ليست إلا أجداث أموات ، أو رفات خلايا كانت في يوم من الأيام تنعم بالحياة في « أرض » خصبة أقصد في جلودكم ، وكان لها « رحم » يتولى تنشئتها وتغذيتها بفيض دائم من الغذاء يأتيها من تحتها في شعيرة دموية صغيرة ، ومنها تخرج النفايات في شعيرة أخرى ، وهذا في الواقع هو نصفي الحي ، أو هو ــ كما تسمونه ــ بويصلات الشعر أو جذوره ، وكل بويصلة في نشاط دائم أي أنها تظل « تلد » أجيالاً متعاقبة من الخلايا الحية ، بداية من الأجنة في بطون أمهاتها ، ونهاية بأرذل العمر في الانسان والحيوان .

بين حياتي وموتي

إذن فأنا دائمة النضارة والحيوية والشباب في نصفي الحي .. في بويصلتي التي ترى صورة مقطع



شكل (٣) هذا المنظر الغريب الذى يبدو على هيئة أشجار جرداء تنمو على أرضية غابة غير مستوية ، ليس إلا شعر رأس سيدة مكبر مئات المرات ، أما الأرضية فهى جزء ضئيل من بشرة رأس السيدة (هناك شعرة رفيعة واضحة تسمى الزغب أو هى واحدة من الشعر الخفيف الذى لا يكاد يرى) .



شكل (٤) إن غزارة ١٢٠ ألف شعرة على رأس هذه الطفلة تعطيك انطباعا بكثافة الشعر على رؤوسنا ، فما بالنا لو نمت الخمسة ملايين شعرة التى تنتشر على جلودنا بنفس هذا المعدل ؟ لو حدث ذلك ، لكان الانسان أكثف شعرا من الحيوان .. وحمدا لله أنه ما كان !

حديث شَعْرة

طولي مكبر لها وكأنما هي مزروعة في « أرض » خصبة (شكل ٢) عدا أن هذه الأرض ليست إلا أنسجة الجلد الحية ، ومن قاع البويصلة تنشأ الخلايا الوليدة النشطة ، ثم تزاح إلى فوق بعيداً عن منابتها ، ولا شك أن الجديد هنا يزيح القديم ، وكلما ازدادت الخلايا عمراً ، زادت قدماً ، وحلت بها علامات الضعف والشيخوخة ، وعندئذ تبدأ في تحويل مادتها إلى جزيئات بروتينية تعرف باسم « الكيراتين » ، ويتخذ البروتين شكل صفائح أو طبقات متتالية ، لتدخل الخلايا عالم الأموات ، لكن بعد أن تبني وتتلاصق بقوة ، لتصبح جزءاً من بناء متماسك في شعرة ، ثم تدفع هذه الصفائح إلى أعلى فأعلى ، حتى تبرز من البشرة ، فأبدو كشعر منسق على رأس سيدة ، أو في شارب شاب ، أو في لحية شيخ ، أو في رمش عين .. الخ ، وعندئذ أصبح علامة مميزة للأناقة والتناسق والوقار والجمال أو قد أكون دليلاً على الفوضى وسوء الحال ــ كل هذا يتوقف على حظي في الحياة ، فإما أن أكرم وأبقى ، وإما أن أهان وأزال !

ورغم أنكم تقولون إن « الله أمر بالستر » .. رغم ذلك فقد يعن لبعضكم أن يفضح أمري ، ويظهر ما خفي عن العيون مني ، فيرى أو ترون سوءاتي التي تخالف ظاهر أمري .. فلاشك أنكم ترونني في عالكم وأنا أنمو فوق بشرة ناعمة ، وأصطف في خصل متناسقة ، وأزهو في تسريحات منمقة لامعة ، وفي كل هذا رونق وجمال .. لكن ما بالكم في تلك الصورة التي تبدو كجذع نخل خاوية ، أو شجرة جرداء تنمو على أرضية غابة غير ممهدة ولا مستوية ؟ (شكل ٣)

الواقع أن التكبير لذاتي ولصويحباتي مئات المرات ، قد فضح بشرة فروة رأس سيدة ، فبدت كأرض مليئة بالمطبات ، أما شعرها المتناسق اللامع ، فقد تجلى كتكوين فوضوي لا يمت بصلة إلى الواقع ..

لكن ماذا أقول لمن فضح المستور ، فأظهر مالا يصح أن تطلع عليه العيون ؟ .. لا أملك إلا أن أقول كما تقولون « الله أمر بالستر » ــ حتى ولو كان ذلك لشعرة مثلي ، أو لبشرة تحسبونها ناعمة كالحرير ، لكن حالها قد تغير تماماً بالتكبير !

نمو وأطوال وأعمار

والشيء الملاحظ لكم دائماً أنني أنمو وأستطيل من المهد إلى اللحد ، ولهذا كان من واجبكم الاعتناء بشأني ، إذ لو تركتم لي الحبل على الغارب ، فقد أصبح فوضوية لا أسر الناظرين ، وقد أعود بكم إلى الأسلاف الأوائل ذوي الشعر الطويل الكث ، والهيئة المخيفة .. صحيح أن نموي بطيء ، لكن القليل مع القليل كثير ، فمعدل هذا النمو يتراوح ما بين ١٣ ــ ٢٥ ملليمتراً في الشهر الواحد ، وهما الحد الأدنى والأقصى لنموي ، يختلف ذلك باختلاف الأفراد ، وفي العام يصل طولي ما بين ١٥ ــ ٣٠ سنتيمتراً ، وعشرة أمتار في المتوسط إذا امتد العمر إلى ٧٠ عاما !

وطبيعي أن أحداً لم يشهد بشراً وقد حملونا خلفهم كثوب زفاف طويل ، حتى ولو بالغوا في رعايتنا والحفاظ علينا ، لأن الأطوال هنا تحكمها أعمار ، وأعمارنا تختلف باختلاف مواقعنا على الأجساد ، فعمر شعرة الرأس مثلاً يتراوح ما بين أربعة أو خمسة أعوام ، وبعدها يتوقف نمونا ، إلى أن تتخلى البويصلة عن شعرتها فتسقط ، ويبدأ عمر جديد لشعرة جديدة ، ولهذا فإن متوسط أطوالنا على رؤوسكم قد يصل إلى حوالي سبعين سنتيمتراً ، وقد يرتفع إلى ٩٠ سنتيمتراً ، يتوقف ذلك على معدل نمونا ، ومتوسط أعمارنا .. ثم يأتي شعر اللحى والشوارب في المركز الثاني ، أما شعر الجسم والأطراف ففي مركز ثالث .

والواقع أنه كلما جاء ذكري على ألسنتكم ، قفز شعر الرأس دائماً إلى مخيلتكم ، ولكم في ذلك كل الحق ، لأنه التكوين الواضح الذي يعتني به الصغار والكبار من الرجال والنساء ، على حد سواء ، أما لحى الرجال وشواربهم ، فأمر اختياري ، فمن شاء رعاني ، ومن شاء محاني !

هذا ويبلغ عدد بويصلات الشعر المنتشرة على بشرتكم عدا راحة اليدين وبطن القدمين والشفتين حوالي خمسة ملايين شعرة ، يخص شعر الرأس منها حوالي ١٢٠ ألف شعرة ، أي أن كثافتي على أجسامكم تقع في حدود مائة شعرة لكل بوصة مربعة ، وفي هذه الكثافة يستوي الرجال والنساء ، لكن نموي على أجسامهن أقل غزارة من أجسام الرجال .. ذلك أن العوامل الوراثية ، والهرمونات الأنثوية تكبح جماحي ، فلا أنمو فيهن إلا بقدر ضئيل ، لكن ذلك لا يمنع من وجود استثناءات تجعلني أنمو بدرجات ملحوظة فيها مضايقة للجنس اللطيف ، وفيها نفور للرجال ، وقد يزيد الاضطراب النفسي والهرموني عند النساء المسنات ، فيخشوشن الصوت منهن ، وأنمو بشكل واضح في أماكن متفرقة ، أهمها في موضع الشارب واللحية !

والواقع أن كثافتي على جسم الإنسان لا تختلف كثيراً على جسم الحيوان ، إذ لو كان معدل نموي على أجسامكم بنفس المعدل الموجود في الحيوان ، أو حتى بمعدل نموي على رؤوسكم ولحاكم وشواربكم ، لتغطت أجسام الرجال والنساء بشعور أكثف وأغزر من الحيوان (شكل ٤) .. لكن حمداً لله أن عمري على أجسامكم لا يزيد عن شهور أربعة ، فأسقط ليحل غيري محلي ، وكلما كان سقوطي كثيراً ، كان عددي قليلا ، وطولي ليس كبيراً ــ هذا ومعدل سقوطي من الرأس يتراوح ما بين ٥٠ ــ ١٠٠ شعرة كل يوم ، وعدة آلاف يومياً من الجسد الواحد ، وطبيعي أن يقل عدد سقوطي ، كلما انخفضت كثافتي ، لكن العدد المتساقط يزيد بتقدم الإنسان في العمر .

ثم إن التسمية التي أطلقها بعض علمائكم على الانسان بأنه المخلوق الوحيد الثديي العريان ، لها ما يبررها ، فحيث ننمو بغزارة على أجسام الحيوانات على هيئة شعر ووبر وصوف ... الخ لنصبح لها بمثابة الرداء الذي يحميها من تقلبات المناخ ، فإن الأمر يختلف مع الانسان الذي يولد عريان ، ومن أجل هذا استعان على ذلك بملابس يستر بها عورته ، ويحمي جسمه !

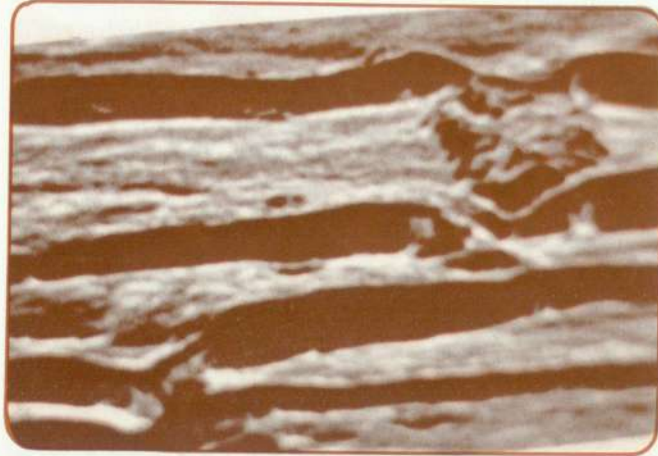
والواقع أن ذلك لا يعني أن الانسان غير مغطى بالشعر كالحيوان ، بل يعني فقط أن شعر جسده لا ينمو إلا قليلاً ، لكن بويصلاته موجودة ومنتشرة بغزارة مثل الحيوان ، وقد يبدو ذلك غريباً ، لكن لو عدنا إلى الأجنة في بطون أمهاتها ، لوجدنا جنين الانسان ــ فيما بين الشهر السادس والسابع ــ مغطى من أوله إلى آخره بزغب أو شعر خفيف (عدا راحة اليدين وبطن القدمين) لكنه يسقط في الشهر الثامن ، أو قد يولد به كثيفاً ، خاصة على الجبهة وما دونها ، ثم يسقط بعد الولادة ، ومع ذلك فقد تحدث ردة أو انتكاسة ،

شكل (٥) قد يولد الطفل وهو مغطى بشعر خفيف كالحيوان ، وبدلاً من سقوطه ، ينمو بشكل مخيف ، كما هو واضح في صورة هذا الصبي الذى يطلقون عليه اسم الولد الأسد ، نسبة لنمو الشعر الكثيف على وجهه ورأسه ورقبته وصدره مثلما يحدث في الأسد .



● إن مُعَدّل سقوطي من الرأس يتراوح مابين ٥٠ إلى ١٠٠ شعرة كل يوم ، وعدّة آلاف يوميًّا من الجسد الواحد!

● قد يحدث التلاعب في لوني .. ومن طبيعتي الاحتفاظ بالألوان إلى حين ليعود - بعد ذلك - كل شيء إلى أصوله!



شكل (٦) مقطع شعرة مكبر آلاف المرات وفيه تظهر صفائح الكيراتين التى خلفتها الخلايا الميتة على هيئة قوالب مرصوصة فى بناء دقيق ، يمكن التلاعب بصفائحه ، فيتغير شكل الشعر تبعا لذلك .



شكل (٧) نمو الشعر عند مدخل الأذن قد يكون مكروها عند البعض لكنه أمر مرغوب ، إذ يصد هذا الشعر – الذى جاء مكبرا عدة مرات – بعض الأوراق التى تتعرض لها فتحة الأذن .

فيولد الانسان وهو مغطى بالشعر ، وبدلاً من سقوطه ، يواصل نموه ، ويصبح شيئاً مخيفاً (ولقد أشارت المراجع إلى وجود عشرين حالة من هذا النوع) .. وعلى حسب النمط الذي تنمو به على وجهه ورقبته وصدره وما دون ذلك ، يسمى الانسان ، فيقال مثلاً الولد الأسد (شكل ٥) أو الإنسان الماعز ، أو الصبي الدب ... الخ .

أشكال وألوان

وكما أن لكم صفاتكم المميزة لشخصياتكم ، كذلك يكون معي ، ومع كل شعرة مثلي ، فكثيراً ما أكون شاهدة على جريمة وقعت ، وبها قد تتحدد هوية صاحبي ، إلا أن ذلك موضوع طويل لا مجال له هنا ، لكن يكفي أن أشير إلى أن الشيء الشائع عني بين الناس أنني أكون متجعدة في رؤوس الزنوج ، ومتموجة عند بعض الشرقيين ، وسوداء مسترسلة في السلالة الصفراء ، ناعمة كالحرير عند الشقر والشقراوات ، أو غير ذلك من طرازات متفاوتة الدرجات .

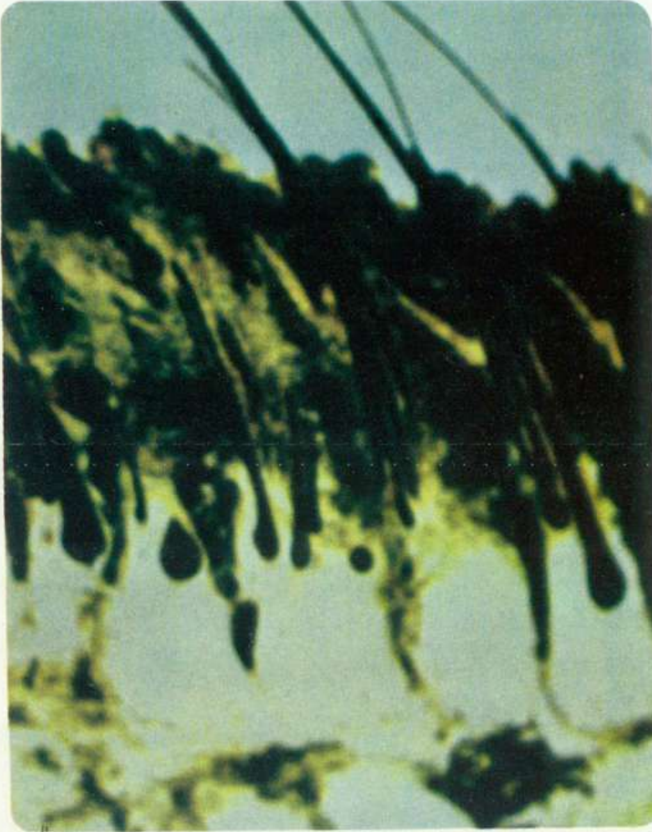
وطبيعي أن صفاتي متوارثة ، وهي حصيلة زمن طويل جداً من التفاعل بين عوامل البيئة وعوامل الوراثة ،حتى ينبت الشعر المناسب ، للون المناسب ، وللبيئة المناسبة ، فالذين يعيشون في المناطق الشديدة الحرارة ، تصطبغ بشرتهم باللون الأسود ، لتحميهم من أشعة الشمس (بالتحديد من الأشعة فوق البنفسجية) ، وفي الوقت ذاته يصبح الشعر قصيراً مجعداً ، حتى لا يكتم الحرارة على أدمغتهم ، بل يسمح بالتهوية المثلى ، والعكس صحيح مع سكان المناطق الباردة ، إذ يسترسل الشعر ويستطيل ، ليصبح لفروة الرأس مدفأة طبيعية !

والواقع أن كثافتي على رؤوس البشر ليست واحدة ، ولا كذلك في لحاهم وشواربهم وأجسامهم كما أن مقاطعي أو أقطاري ليست متساوية ، أي قد أكون شعرة سميكة ، أو رفيعة ، وقد أكون دائرية المقطع أو بيضاوية ، فإن كنت سميكة ، قل عددي (سمكي لا يتجاوز عشر ملليمتر – ٠,١ مم) ، وأنا أسمك أو أغلظ ما أكون في ذوي الشعور الحمراء أو البنية ، ولهذا يصل عددي في رؤوسهم إلى حوالي ٩٠ ألف شعرة ، لكنه يرتفع في الشقر والشقراوات إلى ١٥٠ ألف شعرة ، لأن سمكي ضئيل ، وما بين هذا وذاك تكون غزارة الشعر أو قلته ، وعموماً كلما زاد سمكي ، قلت كثافتي أو عددي .

ولاشك أن شكلي وقوامي يتحدد من مقطعي ، وأحياناً من شكل « جذوري » ، فإن كان مقطعي كامل الاستدارة ، جئت مستقيمة مسترسلة ، وإن كان بيضاوياً ، كنت متموجة ، وإن كان مجعداً أو « أكرت » فذلك يرجع إلى طبيعة انتظام طبقات الكيراتين في « جسمي » ، ومع ذلك فبمقدوركم تغيير طبيعتي ، وتحويلي من مجعد أو أكرت إلى مسترسل وناعم ، ومن مسترسل إلى متموج .. فاستخدام الحرارة والضغط والشد (كما في مكواة الشعر) يعيد تنظيم طبقات الكيراتين في تكويني (شكل ٦) ، ولهذا أدخل إلى محلات الحلاقين والمصففين بطبيعة ، وأخرج بطبيعة أخرى مختلفة ، لتناسب الأمزجة .. فأنتم فيما تعشقون مذاهب !

كذلك قد يحدث التلاعب في ألواني ، وعن هذه الألوان أو الأصباغ حدثوا ولا حرج ! فمن قديم الزمان استخدمت النساء الحناء لاخفاء عوامل الزمن التي تسحب مني لوني ، فأبدو شيباء ناصعة البياض ، وهو لون مكروه على أية حال ، لكن العلم قد قدم قائمة طويلة عريضة من أصباغ كيميائية أتقبلها قبولا حسنا ، لأن من طبيعتي امتصاص الألوان والاحتفاظ بها إلى حين ، لكن لابد أن يعود كل شيء إلى أصوله .. يستوي في ذلك شكل الشعر أو لونه . لأن بويصلاتنا تعطينا صفاتنا الموروثة ، وعندما ننمو منها ونستطيل ، فاننا نزيح الصناعي ونحل محله ولو كره الكارهون ، وحسنا أن عبر عن ذلك شاعركم الظريف محمد شفيق المصري بشعر يقول فيه :

حديث شَعْرَة



شكل (٨) مقطع طولى فى جلد كلب ، وفيه ترى منابت الشعر التى لا تختلف كثيرا بين حيوان وحيوان ، أو حيوان وإنسان (قارن هذا المقطع بالموجود فى شكل ٢ تجد الأصول تقريبا واحدة) .

ومـــن ظـــن الشبـــاب صبيـــغ شعر
فإن الصقـــر قـــد أمســـى غـــرابـــا
ومـــن يكـــتم حســاب سنيـــه يـــومـا
فصفحـــة وجـــهـــه تـــبدي الحســـابـــا

ولقد صدق .. فالأصباغ تمويه أو خداع لا يدوم ، كما أن الشيب هو نتيجة حتمية لاختلال في تكوين جذوري ، ويتوقف إمداد الشعرة منا بصبغة الميلانين التي تعطيها اللون الأسود (أو أية أصباغ أخرى طبيعية لا داعي لذكرها هنا) .. وهو نفس ما يحدث للإنسان الأمهق (أو عدو الشمس ـ كما يطلق عليه العامة) .. ففيه أيضاً خطأ وراثي يمنع تكوين صبغة الميلانين السوداء ، فلا تكتسب بشرته ولا شعره اللون المميز .. وبالاضافة إلى غياب هذه الصبغة ، يحدث خلل آخر في جذوري ، فيؤدي إلى تسرب فقاعات هوائية دقيقة غاية الدقة إلى صلبي أو جوفي ، فيعطيني لعتي المميزة في شيبي .. وطبيعي أن الاضطرابات التي تحدث في الأجسام كلما تقدم بها العمر ليست مقصورة على بويصلاتي ، بل يمتد « التمرد » إلى مرافق كثيرة ، وبهذا تختل الأجهزة ، وتضعف الأنسجة ، وتخور الذاكرة ، وتهن القلوب ، وتتجعد البشرة ، وتتساقط الأسنان ، ويشيب الشعر ، ونعتبر ـ لبياضنا ـ سوءاً يجب مداراته ، لكن ذلك محصلة حتمية تتفاقم بمرور الزمن ، إلى أن يحل الأجل ، وعند ئذ لن يكون شعر ولا جسد !

تخطيط متقن

وكثيرون منكم يحطون من قدري ، ويستهينون بأمري ، ويكرهون وجودي في مناطق معينة مثل تحت الابطين وعلى الأذنين وفي مدخل الأنف ، وعلى العانة والوجنتين .. الخ ، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » .. فنموي في فتحتي الأنف يدفع عنكم بلاءً كثيراً ، لأنني أقوم بترشيح الهواء الداخل من بعض أدرانه ، وكذلك عند مدخل الأذن (شكل ٧) فأكون بمثابة سياج طبيعي يحميها من حشرة صغيرة شاردة ، أو ألياف وحبيبات متطايرة ، كما أن وجودي على جفون العيون ليس ترفاً ، بل أنا عليها حارس يقظ ، فأحس بالبلاء قبل أن يقع ، وفي لحظة خاطفة تنسدل الجفون على العيون ، ولهذا فكثيراً ما تقولون « العين عليها حارس » .. وأنا هذا الحارس الذي ينقل رسالة الخطر ، لأخفف الضرر ، أو قد أمنعه في لمح البصر !

وطبيعي أن الرموش لا تحس ، ولا كذلك كل ما ظهر منا على بشرتكم ، لأنه هو الجزء الميت ، وليس لميت إحساس ، فكيف أدعي وأقول إنني أحس بالخطر ؟

وهو تساؤل وجيه ، لكن لو عرفتم السبب ، لبطل العجب .. والعجب يكمن في خلقي ، ذلك أنه رغم موتي ، إلا أنني لم أترك لقدري ، بل لي استحكامات خاصة أستطيع أن أؤدي بها رسالتي ، حتى ولو كنت ميتة !

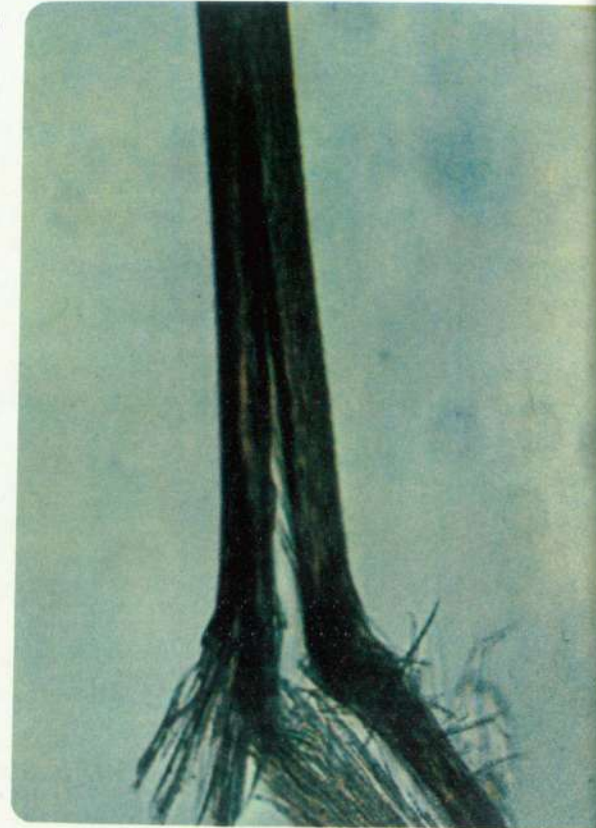
وقد تسخرون من شعرة تدعي أن لها رسالة ، وقد ترجع هذه السخرية إلى أن الساخرين يقيسون كل أمور الكون والحياة بنظرتهم القاصرة على أنفسهم ، وحسبوا أن هذا الكوكب لهم وحدهم ، وكأنما لا تشاركهم فيه مخلوقات أخرى هي أمم أمثالهم .. صحيح أنه لم تعد لي رسالة هامة على أجسامكم ، لكن لا تنسوا عالم الحيوان على هذا الكوكب ، فأصبحت له بمثابة المعطف الذي يحميه ، والملبس الذي يقيه .. ومع ذلك فقد أكون سبباً في موت بعض الحيوانات لأسباب خارجة عن إرادتي وإرادتها ، فنظراً لرونقي وجمالي ، راح الانسان يقتل ويصطاد الحيوانات بالآلاف من أجل فرائها الغالي ، لتصبح زينة للنساء ، ولهذا فإن من الجمال ما قتل ، حتى ولو كان جمال شعرة !

ذكرت فيما ذكرت أن ما يظهر مني على أجسام الكائنات هو الجزء الميت ، وما دفن في جلودها هو الحي ، وهو الذي يحس بأقل ضغط أو لمسة على الجزء الميت ، ولكي أبرهن لكم على ذلك ، فلا أقل من مسي بدبوس أو طرف أصبع ، ويستوي إن كنت هنا في حاجب أو رمش أو شارب أو رأس أو ذراع .. الخ ، وعندئذ سيحس الذي فعل بما فعل ، أو فعله غيره ـ أي الضغط الخفيف جداً الذي تلقيته لأنقله بدوري إلى جهاز « الانذار المبكر » الذي يمتلكه الجزء الحي من تكويني .

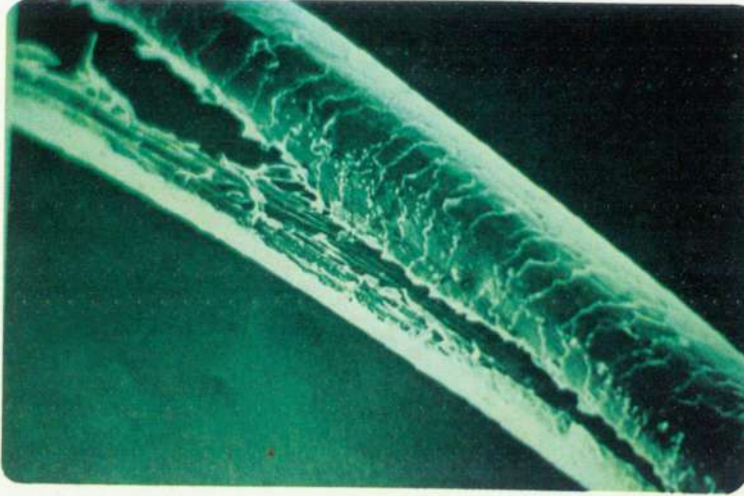
وقد تقولون بسخرية : تباً لهذه الشعرة التي تتحدث بلغة العصر ، وتدعي أن لها مثلما لنا من أجهزة الحرب الحديثة ، لكن وعسى أن تسخروا مني وأنا الصادقة فيما أقول ، ويكفيكم مثلاً رمش العين ، فهو خير شاهد على ما أقول ، ثم لا تنسوا عالم الحيوان ، فالاحساس بما يجري على جسمه ، يتم أولا عن طريقنا ، لأننا الوصلة التي تفصل بين عالمين : عالم خارجي وعالم الجسم الداخلي .

المهم أنني أمتلك في نصفي الحي « وصلة » هاتفية أتحدث بها إلى « قيادتي » في المخ العظيم ، ليتخذ في الأمر شيئاً ، فربما كان فيما نقلت إليه خطر عظيم ، وما الهاتف هنا إلا خلية عصبية واحدة ، وهي متصلة أيضاً « بفتلة » عضلية ضئيلة

أنا المعطف الجميل الذي قد يقتل صاحبه.. والذين يدعون أنني أشيب بين يوم وليلة مخطئون



شكل (٩) قد تفقد الشعرة قوامها وتتفسخ إذا عوملت بقسوة، كأن تمشط تمشيطا شديدا بفرشاة خشنة، وهو ما تراه واضحا في هاتين الصورتين.



ترتكز على جذعي، وبالتنسيق بين «الفتلة» و «العصب» أستطيع أن أقف وأن أرتخي أو أنسدل على البشرة — ومع أن وقوفي أو انسدالي ليس بذي أهمية لكم، إلا أنه بمثابة جهاز التدفئة والتهوية بالنسبة للحيوان، فعندما يشتد البرد، تضغط الخلية العصبية على الفتلة العضلية لأقف منتصبة، وبذلك أهيىء عزلاً حرارياً على جلد الحيوان، حتى لا تهرب الحرارة، والعكس صحيح إذا اعتدل الجو.. أضيفوا إلى ذلك أنني أعطي الحيوان حجماً أكبر من حجمه، خاصة إذا اضطرته الظروف أن يقابل عدواً، أو أن يخوض معركة، أو أن يتعرض لما يخيفه أو يثيره، وعندئذ يقف شعره أو ريشه.. أيضاً عن طريق الخلية العصبية والفتلة العضلية.

هذه الظاهرة ذاتها تحدث لبعضكم، وإن كانت فيكم غير محسوسة أو واضحة، فلو تعرض الجسم لجو بارد، لوجدتم «انتفاخات» جلدية ضئيلة (بثرات) تنتشر على بشرتكم عند منابتنا، وأحياناً ما يطلق بعضكم عليها اسم «جلد الأوزة».. لأن هذه البثرات تشبه جلد هذا الطير، وهي بالفعل نتيجة لشد الفتلة العضلية لتدوس علينا حتى نستقيم على جلودكم، وأحيانا ما يعبر بعضكم عن شدة الفزع أو الإثارة التي تعرض لها، فتراه يقول: «لقد كان موقفاً مرعباً وقف له شعر رأسي».. وهو قول صحيح، إذ أن الأصول هنا واحدة بين إنسان وحيوان (شكل ٨) لكن هذه الأصول قد فقدت معظم فاعليتها فيكم، إذ لا حاجة لكم فيها ولا مأرب.

بقيت نقطة أخيرة أوضح لكم فيها شيئاً عن العناية الإلهية التي أحاطتني، فلكي تبقى لي ليونتي وحسن قوامي، ثم حمايتي من التكسر والتقصف، منحت مع غيري ميكانيكية بيولوجية «لتزييتي» أو دهاني من خلال إفرازات غدة دهنية صغيرة تلتصق بي وتلازمني من مولدي حتى سقوطي.. ولهذا فقد ترون آثار هذا التزييت في المرضى الذين لم يغتسلوا لفترات طويلة، فتبدو شعورهم دهنية لامعة، فاذا غسلت بالصابون، ذهب بريقها ونعومتها، وربما يحدث التقصف والتهشم، خاصة إذا استعملت فرشاة خشنة (شكل ٩)، ولهذا فأنا رقيقة أحب المعاملة الرقيقة!

مفاهيم خاطئة

على أنه يجدر بي قبل أن أنهي حديثي، أن أصحح بعض مفاهيم خاطئة تتداول بين السواد الأعظم منكم.. فالذين يدعون أنني أشيب بين يوم وليلة، أو أنني أمسي بلون أسود أو أصفر، ثم أصبح بلون أبيض، هو بلاشك مفهوم خاطئ، لأن الاضطراب النفسي الشديد لا دخل له بما ظهر مني على البشرة، بل يبدأ الاضطراب في وضع بصماته على الجزء الحي مني، فيتغير تدريجياً إلى اللون الأشيب، ولن يتجلى ذلك إلا بعد بزوغي واستطالتي، ولاشك أن ذلك يحتاج لأيام طويلة.

والذين يقولون إن كثرة الحلاقة تقوي نموي، وتشد أزري، وتزيد كثافتي، هو قول غير صحيح، لكن الصحيح أنني أنمو بمعدلات أكبر في الصيف عن الشتاء، وربما أثناء الليل أكثر من النهار، لكن ذلك يحدث بمعايير ضئيلة وغير ملحوظة.

ومن الناس من يعتقد أنني أنمو بعد موت صاحبي، وهو اعتقاد خاطئ، وربما جاء هذا الاعتقاد من بروز شعر ذقن حليقة حديثاً لانسان مات فجأة، فبرزت قليلاً، لكن ذلك ليس بسبب نموي، بل لأن البشرة ذاتها قد انكمشت، فبرز ما خفي مني، فهيئ للقوم أني أستطلت، لكن كيف أنمو بلا غذاء يأتيني؟ الواقع أنني أتوقف كما يتوقف كل شيء في جسم صاحبي، إذ لاشيء يأتي من لا شيء.

وليس صحيحاً أن قوة الرجل منكم تتحدد بكثرة ما يحمله على جسمه مني، أي كلما كثف شعره، ظهرت رجولته، وزادت قوته، وهو ظن خاطئ ربما نبع من أسطورة شمشون الجبار، الذي فقد قوته عندما فقد شعره.

وأخيراً أستودعكم الله، فقد قلت لكم بعض ما عندي، عسى أن يكون حديثي — حديث شعرة قد وضع النقط فوق الحروف، ومع ذلك «وفوق كل ذي علم عليم».. والله أعلم.

عبدالمحسن صالح

الشرك..

قصة بقلم: صلاح عبد السيد

في تلك الليلة الأخيرة .. رأيت كل شيء .. أنا رأيت كل شيء ..

كنت أجلس تحت التوتة حين سمعت زعقة ابراهيم الامام ورأيتهم وراءه يجرون ..

كانوا كثيرين .. وكان هو وحده .. وكان يشتم: يا أولاد الـ .... يالصوص .. سمعته بإذني فاختبأت وراء التوتة .. ذلك أنني كنت وحدي .. وهم كانوا كثيرين ..

كنت أرى أقدامهم تدب على الأرض .. وهو يجري عارياً .. مذعوراً .. وهم وراءه يجرون .. العصي في أيديهم .. العصي والبنادق .. فاختبأت .. اختبأت .. ذلك أنني كنت وحدي .. وهم كانوا كثيرين ..

منذ تلك الليلة التي أمسك فيها بأبي حجاج وأنا أعرف أنهم ينتوون ذلك ..

في تلك الليلة ـ أذكر ـ كنت أجلس مع شيخ الخفراء .. وكنا في آخر الليل .. وكان القمر مخنوقاً .. تثاءب شيخ الخفراء وقال: هل ستمكث بعض الوقت ؟ قلت .. نعم سأمكث .. قال .. الفجر أوشك على الآذان .. قلت سأمكث .. قال .. يحسن أن تذهب .. قلت سأمكث .. لم أدر سبباً لتمسكه بذهابي .. فجلس .. لكنه بعد قليل تثاءب وقال: يحسن أن تذهب .. فأعدت عليه: سأمكث .. فتركني على مضض ومشى .. وكان القمر مخنوقاً .. ولم تكن بي رغبة للنوم .. فقلت في نفسي .. سأنتظر حتى آذان الفجر وبعدها أذهب للجامع وأصلي ..

وأنا أقول ذلك في نفسي .. شاهدت ابراهيم الامام يجري مهتاجاً .. معفراً في التراب بقدميه المفلطحتين .. نافر العروق .. منكوش الشعر .. يزوم .. يدخل في الحواري .. ثم يعود .. ثم يدخل زاعقاً: ـ نمت يا بلد .. شبعت ونمت يا بلد ـ

ذلك أنه حين يجوع يهتاج .. يزوم .. يدب في الأرض كوحش هائج وتحمر عيناه .. وفي الأيام الأخيرة كثر اهتياجه .. ذلك أن القرية ـ قريتنا ـ كانت قد ضاقت به وكفرت بكل ما يفعل ..

لم تعرف قريتنا كيف ترضي ذلك المهتاج .. كان يواجه ضعفها وخورها ليل نهار .. ويشتم رجالها: ـ هل أنتم رجال .. ؟ لم تسكتون على كل ما يحدث .. !! ؟ ـ فأغلقت قريتنا أبوابها في وجهه ..

في تلك الليلة ـ أذكر ـ ناديت عليه ـ يا ابراهيم ـ وكان يحبني .. يا ابراهيم .. فجاء إلي ..

مد رقبته ناحيتي يفتش بعينيه عني ..

يعرف صوتي ويحبني .. كان يبتسم لي حين يراني .. لكنه هذه المرة لم يبتسم لي .. وصدمتني رائحة عرقه .. وثوبه الممزق يبين لحمه .. وفتح فمه كأنه يتثاءب .. فبان .. كجمل عجوز يكاد يبكي ..

ـ اجلس يا ابراهيم ـ لم يجلس .. لكن شفتيه ارتعشتا .. ارتعشتا .. فرأيت أسنانه المحطمة .. ورقبته تجري فيها تفاحة آدم .. ـ اجلس يا ابراهيم ـ وظلت شفتاه ترتعشان .. ـ اجلس يا ابراهيم ـ وسمعت صفيراً خافتاً يخرج من بطنه ..

اجلس يا ابراهيم .. لكنه سحب رأسه ولملم جسده ومضى ..

مضى يدب في الحارة ..

يا ابراهيم ...

كانت بي رغبة لأن أذهب إلى بيتنا ومن وراء ظهر أمي أحضر له رغيفاً وقطعة جبن .. لكنه تركني ومضى ..

يا ابراهيم ..

وظللت أسمع صفير بطنه .. وأشم رائحة عرقه الثقيل ..

يا ابراهيم ..

كانت حال ابراهيم الإمام تقلقني .. تقلقني جداً .. كان وحيداً يضرب في الظلام .. لا أم .. لا أب لا أقارب .. لا أحد ..

والكل أوصد أبوابه في وجهه .. وهو ينزلق إلى الهوة .. فهل أستطيع أن أنقذه .. ؟

كنت أفكر في ابراهيم الإمام .. حين شق ذلك الصمت آهة ممدودة لرجل يسحق ..

فاجأني الصوت .. من أين ؟

قمت أجري .. لا أعرف إلى أين .. !! الظلام يسد الشوارع وأنا وحدي .. وقفت .. تسمعت ..

في آخر الشارع كان هناك في الظلام شبحان .. شبحان يقتتلان ..

من .. ؟

زعقت ..

عرفني ابراهيم الامام .. فزام ..

حدقت .. كان ابراهيم الامام قد انحنى على رجل آخر .. يربطه بحبل في يده ويشده في قوة .. يشده ويركله ـ يا ابن الـ .... يالص .

أشعلت عود ثقاب وقربته من وجهه ..

ـ من .. !؟ أبو حجاج .. ؟

شهقت ..

زام ابراهيم الامام

ـ أمسكته ابن الـ .... إنه يسرق ويقتسم معهم ..

ـ مع من ؟

غمغم

ـ معهم .. !!

وأخذ يقيده بالحبل والرجل يصرخ ـ سيقتلني . وابراهيم الامام يشد بكل قوته: ـ لن تفلت هذه المرة .. والرجل يصرخ .. وعلى صراخه اشتعلت لمبة .. وامتدت من فتحة الشباك .. ولمبة .. وتصاعد الدخان ..

وانفتحت الأبواب ..

و .. شهقوا

ـ أبو حجاج .. ؟

وجاء شيخ الخفراء يهرول

ـ من .. !! أبو حجاج .. !! من الذي أمسكه ؟

زام ابراهيم الامام: أنا الذي أمسكته .. فتمتم شيخ الخفراء

ـ إنه قادر أن يحرق القرية .. فلماذا تصديت له .. ؟

فاندفع ابراهيم إلى الامام صارخاً

ـ لقد أمسكته متلبساً بالسرقة

لكن شيخ الخفراء لم يرد ..

لحظتها كنت أنا واقفاً .. ورأيت عيني أبى حجاج تتسلقان وجه شيخ الخفراء .. ورأيت عيني



شيخ الخفراء تطمئنانه .. بعدها انحنى شيخ الخفراء يفك وثاقه ...

لحظتها اندفع ابراهيم الإمام صارخاً ..

ــ لقد أمسكته يا ناس متلبساً بالسرقة ..

لكن أحداً من الناس لم يرد ..

ــ لقد أمسكت بالذي يسرقكم يا ناس ..

لكن أحداً من الناس لم يرد ..

فاستدار يشتم في كل الناس

ــ كلكم شركاء .. كلكم لصوص ..

فانهال عليه شيخ الخفراء بالعصى ..

وجن ابراهيم الإمام واهتاج ..

ظل يجري في القرية يشتم ويسب

ــ كلكم شركاء .. كلكم لصوص ..

منذ تلك الليلة أدركت أنهم لن يتركوه .. وظللت أترقب .. إلى أن حدث ما حدث ..

في تلك الليلة الأخيرة .. حين رأيته يجري عارياً .. وهم وراءه يجرون .. في تلك الليلة ــ وأنا خائف فكرت أن أقوم .. أن أجري .. أن أزعق عليه ــ لا تخف ــ لكنني كنت خائفاً .. فأنا وحدي .. وهم كانوا كثيرين .. والأبواب موصدة .. كل الأبواب موصدة .. وهم كانوا كثيرين ..

منذ تلك الليلة اختفى ابراهيم الإمام .. ولم يعرف أحد أين اختفى .. والمصيبة أن القرية لم تعد تذكره على الاطلاق .. وكأنه لم يكن موجوداً ..

كانوا يتجنبون سيرته فلا يتحدثون عنه .. وإذا مرة جاءت سيرته هربت عيونهم إلى الفراغ البليد ..

بعد تلك الليلة .. لم أخرج في الليل .. ولم أجلس مع شيخ الخفراء .. كنت أنام مبكراً .. لكنني في الليل الأخير .. كنت أصحو مفزوعاً على صوت ابراهيم الإمام يصرخ : كلكم شركاء .. كلكم لصوص .. وأسمع وقع أقدامه .. وصفير بطنه .. وأشم ــ أكاد ــ رائحة عرقه الثقيل .. فأتسمع .. أتسمع .. لكنني لا أسمع غير هبة الريح ونحنحة شيخ الخفراء .. فأتنحنح .. وأدفن وجهي ــ باكياً ــ في الفراش ..

أيام قرطاج المسرحية

الدورة الثانية ـ تونس من ٥ إلى ١٦ نوفمبر ٨٥

بقلم: خالد زيارة

حدثان مسرحيان هامان شهدتهما الساحة العربية في فترة وجيزة ، فبعد مهرجان بغداد للمسرح الذي انعقد ما بين ١٠ ـ ١٨ أكتوبر الماضي ، احتضنت تونس الدورة الثانية لأيام قرطاج المسرحية التي انعقدت في الفترة من ٧ ـ ١٦ نوفمبر المنصرم لتؤكد من جديد على أن المسرح هو أحد المنابر الهامة في عالم الثقافة وهو الموطن الذي ينضج فيه الحوار ويسمو فيزدهر به الفكر ويتألق فيه الابداع .



مسرحية « أحبك يا متنبي » التي قدمها المسرح الوطني التونسي في افتتاح المهرجان



مسرحية « جلجامش » أو الرجل الذي رأى كل شيء

حقاً إن أيام مهرجان قرطاج سخية ، غنية بموادها وبرامجها المكثفة .. إنه مهرجان الافادة والاستفادة في ميادين الفكر والابداع وفرصة سانحة اطلع فيه ذوو الاهتمام من الفنانين والمتابعين عن كثب لما وصلت إليه الحركة المسرحية وما استجد فيها من ابتكارات وابداعات .. وكانت أيام قرطاج بطابعها الدولي وبخصوصيتها العربية والافريقية مجالاً خصباً لإسهامات المختصين بما وفرته خبرتهم وتجاربهم من عطاءات دعمت تطور الحركة المسرحية عموماً وكانت فرصة كبيرة لالتقاء المبدعين والمفكرين المسرحيين بمختلف جنسياتهم وانتماءاتهم واتجاهاتهم وأماكنهم الجغرافية لمد جسور التعاون وتوفير سبل التفاعل فيما بينهم وربط الصلات وخلق مجالات الحوار وتبادل الآراء في كل ما يتعلق بالثقافات المسرحية وغيرها .

وأعطت مسرحية « أحبك يامتنبي » للمسرح الوطني التونسي إشارة بدء المهرجان لأيام قرطاج المسرحية لتطل من جديد في دورة ثانية محملة بالجديد والطريف من ابداعات المسرحيين وبعدد هائل من المسرحيات التى تجاوزت الخمسين عرضاً موزعة على اثنتين وعشرين دولة شاركت في المهرجان أرهقت جمهور المتابعين الذين لم تسنح لهم الفرصة لكثافة العروض وتفرقها من متابعتها ورؤيتها ولضيق صالات العرض أحيانا أخرى .. وهذا ما يؤخذ على القائمين بتنظيم المهرجان خاصة وقد اعتمد عرض واحد لكل فرقة ، مما حدا بالكثير من المتابعين بالمطالبة في إعادة بعض العروض التي لاقت نجاحاً من الجمهور لعرضها المميز كما هو الحال لمسرح قطر الأهلي بمسرحية « المتراشقون » التي طالب الكثير ممن أعجبوا بالمستوى الطيب الذي ظهرت عليه بإعادة عرضها ، لكن دون جدوى وذلك لكثافة برامج المهرجان وتقيده بالمبدأ نفسه

محترفون وهواة

اتخذت الدورة الثانية من أيام قرطاج المسرحية



ديكور المسرحية القطرية «التراشقون».. وقد حصل الفنان عبدالرحمن المناعي من خلال هذا الديكور على جائزة أفضل تقنية ديكور للمسرحية

مساراً مختلفاً عما كانت عليه في دورتها الأولى قبل عامين، وأدخلت على طرق العمل المتبعة في الدورة السابقة تحويرات وأصنافاً جديدة من الأنشطة، كان من أهمها تقسيم الفرق المشاركة إلى هواة ومحترفين.

وأوضح الفنان المنصف السويسي، مدير المسرح الوطني التونسي ومدير أيام قرطاج المسرحية، أن انفراد كل من الهواة والمحترفين بمسابقة خاصة جاء بعد استشارة المعنيين بالأمر أنفسهم، وبعد أخذ موافقتهم «حتى نضمن حقوق كلا الجانبين». وقال.. إنه لا يعقل أن نجمع في مسابقة واحدة بين صنفين من الفنانين المسرحيين تختلف تجربتهم وظروف عملهم اختلافاً كبيراً، فنضع على قدم المساواة من لا يزال يقطع خطواته الأولى في الميدان، ومن رسخت أقدامهم فيه.

لجنة تحكيم دولية

وانطلاقاً من هذا المبدأ فقد تم اختيار لجنة تحكيم دولية لكل من مسابقتي المحترفين والهواة.. فقد تكونت لجنة التحكيم الدولية لمسابقة المحترفين من:

المخرج الزياني الشريف عياد (الجزائر) والمؤلف عبد الكريم برشيد (المغرب) والناقد عبد الستار ناجي (الكويت) والممثل والمخرج سعد أردش (مصر) والممثلة محسنة توفيق (مصر) والمؤلف سعد الله ونوس (سوريا) والناقد بول شاوول (لبنان) والناقد جبريل دياديو (السنغال) والممثل والمخرج جميل الجودي والمؤلف مصطفى الفارسي (تونس).

أما لجنة التحكيم الدولية لمسابقة الهواة فقد ضمت الممثلة السيدة كلثوم (الجزائر)، والمخرج حاتم السيد (الأردن)، والمؤلف والممثل يوسف العاني (العراق)، والمخرج سمير العصفوري والمخرج عبد الغفار عودة (مصر)، والناقد والكاتب عادل قرشولي (سوريا)، والناقد بيار أبو صعب (لبنان)، والناقد وليد أبوبكر (فلسطين)، والممثلة منى نور الدين، والناقد توفيق بو غدير (تونس).

اجتماع لجنتي التحكيم

وفي اليوم التالي لانطلاقة أيام قرطاج المسرحية وقبل موعد بدء العروض المسرحية عقدت لجنتا التحكيم للمسابقة الرسمية للعروض المسرحية الهواة والاحتراف اجتماعها الأول تحت اشراف المنصف السويسي مدير أيام قرطاج المسرحية لوضع مقاييس ومعايير التحكيم وهي أن:

- تعتمد لجنة التحكيم في كل مقاييسها مبدأ الأفضلية للعمل المسرحي المبتكر.
- الأصالة في الرؤية والمعالجة.
- النضج الفكري والحداثة الفنية.
- عمق التعبير الفني عن الواقع الاجتماعي والتطلعات المستقبلية.

وضمن هذه الجلسة تم انتخاب السيد سعد أردش رئيساً للجنة التحكيم الدولية لمسابقة المحترفين والسيد بول شاوول مقرراً لها.. كما تم انتخاب السيد يوسف العاني رئيساً للجنة التحكيم الدولية لمسابقة الهواة والسيد عادل قرشولي مقرراً لها.

عروض المسابقة الرسمية

تضمنت عروض فرق المحترفين الآتي:
أنا الحادثة (المسرح الوطني ــ تونس) ــ الأجواد (مسرح وهران الجهوي ــ الجزائر) ــ حال الدنيا (المسرح الأردني) ــ عكاز الطريق (تجربة المسرح الفردي ــ المغرب) ــ دايرو الرابع (المسرح الوطني ــ الكاميرون) ــ المتسولون الرافضون (المسرح الوطني ــ السنغال) ــ نحن نمثل (المسرح الوطني ــ مالي) ــ حكاية بلا نهاية (المسرح القومي ــ سوريا) صانع الأحلام (فرقة ريمون جبارة ــ لبنان) ــ الحافلة (المسرح الوطني ــ السودان) ــ مقامات أبي الورد (المسرح القومي ــ العراق) ــ خيوط من فضة (فلسطين) ــ كرنفال (المسرح المثلث ــ تونس) ــ المارضة (فرقة الديدنقا ــ ساحل العاج) ــ التربيع والتدوير (مسرح الطليعة ــ مصر).

أما عروض فرق الهواة فهي كالآتي:
شجرة الحب والموت (فرقة باجة ــ تونس) ــ التراشقون (مسرح قطر الأهلي ــ قطر) ــ غلط في غلط (مسرح الإمارات القومي) ــ المهابيل (الثقافة والعلوم ــ السعودية) ــ مأساة الحلاج (فرقة قصور الساف ــ تونس) ــ المؤلف (فرقة النادي الأهلي ــ البحرين) ــ رحلة حنظلة (المسرح العربي ــ الكويت).

وكانت فرقة المسرح العربي الكويتية التي رشحت مسرحيتها «رحلة حنظلة» ضمن المسابقة الرسمية «صنف هواة» حسب طبيعة الفرقة، قد تقدمت بطلب إلى إدارة أيام قرطاج المسرحية لإدراج هذه المسرحية ضمن البرمجة المخصصة إلى المسرحيات «صنف احتراف».

وقد استجابت إدارة أيام قرطاج إلى هذا الطلب بصفة استثنائية لحصول مسرحية «رحلة حنظلة» على الجائزة الأولى لأفضل انتاج مسرحي في مهرجان بغداد الأول للمسرح العربي.

نتائج المسابقات

في مساء يوم السبت الموافق ١٩٨٥/١١/١٧ م وفي الحفل الختامي لمهرجان أيام قرطاج المسرحية أعلنت نتائج مسابقة أيام قرطاج المسرحية.. وفي هذا اليوم أعلن عن حصول دولة قطر على جائزتين من لجنة التحكيم الدولية للمهرجان والتي اعتبرت الدولة الوحيدة التي فازت بجائزتين من بين ٢٢ دولة شاركت في المهرجان.

فقد حصل الفنان غانم السليطي لقطر على جائزة أفضل ممثل مسرحي عن دوره في مسرحية (التراشقون) التي مثلت دولة قطر في المهرجان وقدمتها فرقة مسرح قطر الأهلي ضمن تصنيف فرق الهواة.. كما فاز الفنان القطري المبدع عبد الرحمن المناعي بجائزة أحسن تقنية مسرحية لأسلوبه الفني المميز في تشكيل الخلفية الفنية لنفس المسرحية (التراشقون).

وبالاضافة إلى حصول الفنانيين القطريين على جائزتين في مسابقة فرق الهواة المسرحية، فقد

أيام قرطاج المسرحية



جانب من أعضاء لجنة التحكيم في المسابقة الرسمية للهواة.

حصل مختار المبروك (تونس) على جائزة الهواة لأفضل مخرج عن مسرحية مأساة الحلاج.

كما أعتبر أفضل عمل مسرحي للهواة لفرقة (الحبيب الحداد) التونسية عن عرض مسرحية (شجرة للحب والموت).

وقد حجبت لجنة تحكيم فرق الهواة جائزة أحسن ممثلة بسبب ضعف وجود العنصر النسائي في العروض المشاركة، وجائزة أفضل تأليف مسرحي لعدم توفر النصوص الجيدة في المسابقة.

أما عن مسابقة فرق المحترفين المسرحية فقد أعتبر سراج بومدين (الجزائر) أفضل ممثل عن أدائه المتميز في مسرحية الأجواد، أسياديا (السنغال) أحسن ممثلة عن دورها في مسرحية المتسولون الرافضون، أفضل تقنية مسرحية لمسرحية (أنا الحادثة) من اخراج المنجي ابراهيم وانتاج المسرح الوطني التونسي.

كما حصل الحبيب شبيل (تونس) على جائزة أفضل إخراج مسرحي عن مسرحية كرنفال لفرقة المسرح المثلث بتونس.

وكانت الجائزة الكبرى لمسابقة المحترفين مناصفة بين مسرحيتي (خيوط من فضة) لفرقة المسرح الوطني الفلسطيني و (صانع الأحلام) لفرقة المسرح اللبناني من اخراج ريمون جباره.

وتم منح جائزة تقديرية لأفضل عمل جماعي إلى فرقة المسرح القومي السنغالي — مسرحية (المتسولون الرافضون) — وحيت لجنة التحكيم هذه الفرقة على الروح الجماعية التي ظهرت في عرضها المسرحي.

كما أعطيت جائزة تقديرية للممثل الكويتي (سليمان الياسين) عن أدائه المتميز في مسرحية (رحلة حنظلة).

برامج منوعة

لم تقتصر أيام قرطاج المسرحية في دورتها الثانية على العروض الرسمية في المهرجان، بل إن برامج منوعة وفقرات مكثفة كانت في انتظار جمهور المسرح العربي المشارك في المهرجان، والجمهور التونسي المتعطش الى هذه المناسبة بروح عالية وذهن متوقد.. وقد كانت مشاركة المسارح التونسية بشتى أنواعها ومستوياتها دليلاً على ماتشكله هذه التظاهرة من أهمية بالنسبة إليه..

فبالنسبة للعروض التي اشتركت من خارج المسابقة الرسمية نجد من تونس مساهمات متعددة منها: برج الحمام (المسرح فو) ياثروة في خيالي، من أين هذه البلية، اسمع ياعبد السميع، أحبك يامتنبي، منطق الطير (المسرح الوطني) — المجنون رقم ٧ (فرقة قفصة) نوار الكلتوس (مسرح الأرض بجندوبة)، المهرجان (فرقة مدينة تونس) الانسان والظل (فرقة حمام الأنف)، ضربة قاضية (الشباب المسرحي) على نخبك يافريدة (فرقة الكاف)، محاكمة الرجل الذي لم يحاول (قدماء مدرسي التمثيل).

كذلك فإن الاهتمام من قبل المسئولين عن الثقافة في تونس بالمسرح عربياً وافريقيا خلال أيام قرطاج المسرحية أعطى دافعاً قويا لاندماج الشعوب العربية والافريقية.. وهذا ماتم في المهرجان وهذا ماجسدته الفرق المشاركة من أفريقيا ومن الفرق الأجنبية الأخرى.. وكما قال المنصف السويسي مدير المهرجان «اننا برمجنا ضمن هذه التظاهرة عدداً كبيراً من العروض المسرحية التونسية والعربية والافريقية وكذلك الأجنبية حتى نتيح أوسع مجال لتبادل التجارب والاحتكاك بين المسرحيين العرب والأفارقة وزملائهم من مختلف البلدان الأخرى ولتنمية الروابط وتوثيق الصلات بينهم وحتى يطلع جمهور المسرح التونسي عن كثب على أكثر مايمكن من تجارب مسرحية».

كما أن مسرح الطفل كان له نصيب كبير في هذه التظاهرة خاصة إذا علمنا أن كسب الجمهور وتنمية الإقبال على الفن المسرحي يبتديء من غرس عادة الاقبال على المسرح والشغف به لدى الطفل في سن مبكرة.. وبالطبع فقد احتل مسرح الطفولة مكانته المميزة في (رزنامة) عروض الدورة الثانية لأيام قرطاج المسرحية عبر ستة أعمال كاملة هي: —

(كائنات حية) لمسرح العرائس، (ضحكة صفراوية) لفرقه صفاقس (سنيا والأسد العجوز) و (ثعلب ثعيلب) للمسرح الوطني، (المفاتيح السبعة) لأضواء المسرح (البئر العجيبة) لفرقة سوسة.

تنظيم الدورات التدريبية

انطلاقاً من أهمية وشمولية ملتقى المبدعين المسرحيين في هذه التظاهرة الدولية في أيام قرطاج المسرحية في دورتها الثانية فقد قام قسم التكوين والبحوث والدراسات في المسرح الوطني التونسي بتنظيم دورة تدريبية خلال هذه المناسبة تشمل محاور مسرحية تتناول بالخصوص علاقات الممثل مع أبرز الوسائل الابداعية والتعبيرية في العمل المسرحي وذلك لفائدة المؤهلات الشابة التونسية منها والعربية والافريقية إسهاماً لتنشيط الاحتفال المسرحي الشامل.

وتضم الدورة أربع ورشات في اختصاصات مسرحية مختلفة حسب العناصر الآتية: —

١ — فن التمثيل الصامت: مدخل الى «المايم».

٢ — الإخراج المسرحي: الادارة الفنية (ادارة الممثل).

٣ — السينوغرافيا: تقنية الفضاءات المسرحية الحديثة.

٤ — القناع المسرحي: الصنع وتكنيك الاستخدام.

الندوة الفكرية

كان الاصرار واضحاً منذ البداية على أن تكون أيام قرطاج المسرحية حافلة بكل جديد فيما يختص بالفكر والفن والابداع، فمع بداية انطلاقة مهرجان أيام قرطاج المسرحية كانت الندوة الفكرية التي نظمها المسرح الوطني التونسي بالتعاون مع وزارة الشئون الثقافية قد اختتمت أعمالها بجملة توصيات وموضوعات لها أهميتها في الطرح والتفكير العميق فيما يختص بالمسرح كتحد حضاري في ظل المزاحمة غير المتكافئة مع السينما والتلفزيون والمارد الحديث (الفيديو) وغيرها في وسائل الاعلام الحديثة ووسائل التقنية المتقدمة.

وقد حضر الندوة الفكرية التي خصصت لدراسة «البنى الأساسية والتجهيزات المسرحية في


لجنة التحكيم في مسابقة المحترفين

علاقتها بأنماط الانتاج المسرحي ومسالك الترويج » والتي انعقدت في الفترة من ٥ – ٧ نوفمبر بمركز الفن الحي بالبيلفيدير نخبة من المسرحيين والكتاب والنقاد في البلدان العربية والافريقية .

وقد قدم خلال مناقشات الندوة العديد من الأبحاث والدراسات التي اعتمدت مدخلاً لاثراء الحوار حول القضايا المطروحة من خلال ثلاثة محاور رئيسية هي :

– الفضاء المسرحي في المجتمع .

– الأنماط المعمارية للفضاء المسرحي والخصوصية الحضارية للشعوب والأمم .

– الفضاء المسرحي ومتطلبات تحرر المسرح المعاصر .

واتفق المشاركون من خلال تقييم أعمال هذه الندوة على أهمية هذا اللقاء بين المسرحيين العرب والأفارقة لبلورة بعض المفاهيم أو القضايا التي تخص أوضاع المسرح في البلدان النامية وعلى نجاح مثل هذه التظاهرات في ارساء تقاليد الحوار الخلاق بينهم .. واتفقوا على تقديم التوصيات التالية :

١ – مطالبة الحكومات العربية والافريقية بمزيد من الاهتمام بالتنمية الثقافية .

٢ – التأكيد على ارتباط المسرح العربي والافريقي برؤية شمولية تنفذ الى الواقع بكل الحاحاته وتناقضاته .

٣ – التأكيد على خصوصية المسرح العربي والافريقي كتعبير نابع من عمق الممارسات الثقافية الحضارية .

٤ – مطالبة كافة المعنيين بالثقافة والفنون في كافة الأقطار العربية والافريقية بمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني بكل ظواهره .

٥ – السعي الى انشاء « اتحاد المسرحيين العرب » كاطار مشروع لتوحيدهم وتوحيد همومهم الفنية والثقافية .

٦ – يحث المسرحيون المجتمعون بالندوة على تقديم الدعم المادي والمعنوي للمسرحيين الفلسطينيين والفرق والتنظيمات المسرحية الفلسطينية .

٧ – المطالبة بالمحافظة على البنى المسرحية التقنية وتطويرها .

٨ – التأكيد على استقلالية الهياكل المسرحية .

٩ – المطالبة بالغاء الرقابة على المسرح والتضييق عليه ورفع كل أشكال الوصاية عن الفنانين المسرحيين .

١٠ – العمل على تشجيع الفرق ذات الانتاج المتميز فكريا وفنياً .

١١ – دعم المهرجانات واللقاءات المسرحية العربية والافريقية .

١٢ – وجوب تشجيع الطاقات المسرحية الشابة ودعم مسارح الهواة .

١٣ – ضرورة إعادة النظر في مناهج ومضامين المعاهد المسرحية .

١٤ – السعي الى إنشاء مراكز للبحوث والدراسات المسرحية .

١٥ – المطالبة بتقرير مادة التربية المسرحية ضمن مناهج التعليم الأساسية .

١٦ – المطالبة بمزيد من الاهتمام بقطاع « مسرح الطفل » .

١٧ – أن يتولى المشاركون في هذه الندوة تحديد موضوع الندوة التي ستعقد في نطاق مهرجان دمشق للمسرح العربي وأن يصبح هذا تقليداً في التعاون والتعامل بين المهرجانين .

لفتـة كريمـة

تتواصل مساء كل يوم في الساعة الرابعة بالطابق الثاني من دار الثقافة ابن خلدون خلال مهرجان أيام قرطاج في دورتها الثانية لقاءات المتوجين والمكرمين بأجيال المسرح وجماهيره بهدف قراءة سجل رحلتهم عبر عصرهم الدرامي .

واطلع المهتمون من خلال هذه اللقاءات على ملامح تاريخ معاناة الرواد والمتميزين من المسرحيين العرب الذين انصهرت في وجدانهم رغبة التضحية والبذل والعطاء وبذلوا من الجهد والعرق ماأوصل المسرح العربي إلى ملامحه الحاضرة واجتازوا به عقبات الطريق لوعورته وخطورته بشوكه الكثير وأزهاره القليلة .

لقد تذكرت أيام قرطاج المسرحية في دورتها الثانية مانسيته مهرجانات المسرح والفنون في عالمنا العربي ولسنوات طويلة وان جاءت متأخرة بعض الشيء إلا أنها جاءت مكللة لجهود سنوات طويلة لفئة تستحق منا كل التقدير لفعلها الواضح وسهرها ومتابعتها المتميزة ومساهماتها في إثراء الحركة المسرحية في الوطن العربي .

فمن هم هؤلاء الذين كرمتهم أيام قرطاج :

منى نور الدين : التي رسخت حضورها على المسرح التونسي منذ أوائل الخمسينات ، وفي السينما التونسية منذ أعمالها الروائية الأولى ..

دوتاساك : من السنغال وقد تواصلت أعماله المسرحية والسينمائيه على أكثر من خمس وثلاثين سنة لعب فيها أدواراً جذبت اهتمام الجمهور والنقاد على حد سواء .. عاش ومثل في باريس عدة سنوات ليعود سنة ١٩٧٢م الى داكار مستقراً بها .. وقد حصل دوتاساك على عدة جوائز محلية ودولية .

الطيب الصديقي : فنان من المغرب يعد من أحد أبرز الفنانين المسرحيين على المستويين المغربي والعربي وقد سعى الى الاغتراف من التراث الشعبي المغربي ومن الذاكرة الشعبية كما غاص في تراثنا العربي مستفيداً الى أقصى حد ممكن .

سميحة أيوب : تخرجت من معهد الفنون المسرحية سنة ١٩٥٣م عينت عضوة بالمسرح الحديث من ١٩٥٢ – ١٩٥٥م .. أشرفت على المسرح القومي سنة ١٩٧٠م ثم انضمت الى فرقة المسرح الكوميدي فمسرح الحكيم الذي سمي « المسرح الحديث » الذي أدارته سنة ١٩٧٢م .

دعيت لإدارة المسرح القومي مابين ٧٥ – ١٩٨٢م ثم عادت على رأسه سنة ١٩٨٤ ولاتزال به ..

الهادي السملاوي : من مواليد ١٩١٩م من أب مغربي وأم تونسية دخل عالم المسرح سنة ١٩٣٧م .

السيدة كلثوم : فنانة بمعنى الكلمة ...

ويعرفها المسرح الجزائري جيداً من خلال مشاركتها المكثفة فيه وتزداد قيمتها عندما نقرأ بشهادة غربية جاء فيها أن كلثوم عندما شاركت في أعمال سينمائية ومسرحية اجنبية تفوقت بامتياز على العاملين معها .

يوسف العاني : ولد في بغداد سنه ١٩٢٧ وتخرج في كلية الحقوق ليلتحق بفرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة .. أشرف كمعيد على النشاط الفني بكلية التجارة كما مارس النقد السينمائي والمسرحي ويشغل الآن مستشاراً فنياً في الاذاعة والتلفزيون العراقي ورئيساً لفرقة المسرح الفنى الحديث .. كما يتولى السكرتارية العامة للمركز العراقي للمسرح .. شارك في العديد من المؤتمرات العالمية حول المسرح وحصل عدة مرات على لقبي أحسن ممثل وأفضل كاتب سيناريو .. وله مؤلفات من بينها « مسرحياتي » و « شعبنا » و « هوليوود بلارتوش » .

وهكذا يسدل الستار على هذا العرس المسرحي العربي الافريقي ليتجدد اللقاء في مهرجانات أخرى تعطى هذا الفن حقه في ممارسة إبداعاته من خلال المخلصين له والمدافعين عن قضاياه ولتصبح هذه الذكرى الجميلة نبراساً ينير الطريق للعاملين في مجاله والذين يسيرون على هديه .

خالد زيارة

أصدقاء الفن التشكيلي في دول مجلس التعاون

بقلم: يوسف أحمد



لوحة العروس للفنان القطرى محمد علي

تنطلق الحركة الثقافية بتوجيهات من قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، نحو تشجيع انتقال الخبرات الثقافية والفنية بين دولها الست ، لابراز المواهب ، ودفع المسيرة الثقافية إلى الأمام وتنمية التذوق الفنى عند المواطنين .

وتأتي الظواهر الفنية التشكيلية كرد فعل طبيعى ، نحو رسم الأهداف والمعاني المشتركة بين الفنانين ، سواء كانوا تشكيليين أو مسرحيين أو مبدعين فى تلك المجالات الرحبة التي بدأ بريقها يلمع على الساحة الخليجية .

والمتتبع لدور المؤسسات الرسمية والأهلية والتي تشرف على نشاطات الفن التشكيلي في دول مجلس التعاون ، يجد أنها قد كرست جميع ما في إمكاناتها لانجاح الدور الكبير الذي تلعبه الفنون التشكيلية في الحياة العامة .

ولذلك وجدنا في الكويت المرسم الحر الذي تأسس عام ١٩٦٠ م ، والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية التي تأسست عام ١٩٦٨ م ، وفي البحرين وجدنا جمعية الفن المعاصر التي تأسست عام ١٩٧١ م ، والجمعية البحرينية للفنون التشكيلية والتي تأسست عام ١٩٨٣ م ، وفى قطر وجدنا الجمعية القطرية للفنون التشكيلية التي تأسست عام ١٩٨٠ م ، وفي سلطنة عمان المرسم الحر العماني الذي تأسس عام ١٩٨١ م ، وفي السعودية جمعية الفنون التي تأسست عام ١٩٧٣ م .

وجميع هذه المؤسسات الأهلية قامت بالتكاتف مع الجهات الرسمية كوزارات الاعلام والثقافة ووزارات التربية والتعليم ، تصب أهدافها فى مصب واحد ، وهو تذليل العقبات والتشجيع المستمر في دفع الحركة التشكيلية في المنطقة ، كما أن هناك أنشطة خاصة بالفنانين التشكيليين سواء بالعرض الداخلي أو الخارجي أو طباعة الكتب والدراسات حول الأساليب الفنية ، باعتبار أن نشاط الفنان الخاص ، أو نشر أسلوبه الفنى يعتبر الوجه الثالث لتحقيق نفس الأهداف السابقة .

وتأتي الجماعات الفنية بأهدافها المرسومة كدعامة أخرى للنهوض بحركة الفنون التشكيلية ، ولعلنا نذكر هنا جماعة الأصدقاء الثلاثة التي تكونت في قطر عام ١٩٧٨ لتحقيق الأهداف الفنية المرسومة ، وبالدرجة الأولى عرض اللوحات على المشاهدين في الأماكن العامة ومخاطبتهم بقدر ما يملكون من ثقافة فنية .

ولعل جماعة أصدقاء الفن التشكيلي في دول مجلس التعاون والتي تأسست عام ١٩٨٥ م ، أخذت على عاتقها هذا الدور الكبير في انطلاق الفنون التشكيلية من دول مجلس التعاون إلى الدائرة العربية ثم الدائرة الأوربية . وتأتى نشأة فكرة هذه الجماعة من خلال تكرار اللقاءات الفنية وتبادل المعارض بين أقطار دول مجلس التعاون ، وبخاصة مدينة الدوحة التي يرجع لها الفضل في انطلاق الشرارة الأولى ، ورسم الخطوط العريضة لهؤلاء وذلك عندما قامت وزارة الاعلام القطرية ، بدعوة الفنان الكويتي عبد الرسول سلمان لإقامة معرض شامل لأعماله بالدوحة في شهر مايو ١٩٨٥ م ، وتجمع كثير من فناني دول مجلس التعاون للاحتفال بهذا الافتتاح ، وطرح مثل هذه الفكرة في هذا اللقاء ، وجاء تعزيز هذا المشروع عندما استضافت الجمعية القطرية للفنون التشكيلية معرضاً فنياً لفناني المدينة المنورة فى شهر أغسطس ١٩٨٥ م ثم تبلورت الفكرة تماماً ، وبدأ الاتصال المباشر والكثيف بين أعضائها بالتنسيق مع الجهات الرسمية فى دول مجلس التعاون التي فتحت صدرها مرحبة بهذه الفكرة ودعمها إعلامياً ومادياً فانطلق الركب من المحطة الأولى فى أبو ظبى بدولة الامارات العربية المتحدة .

ولقد قام الأستاذ عبد الله النويس وكيل وزارة الاعلام بإفتتاح المعرض فى مبنى المسرح الوطني التابع لوزارة الاعلام ، وبعد مناقشات دامت الساعتين مع كل فنان مشارك فى اتجاهاته وأسلوبه ، أكد الاستاذ النويس في تصريح صحفي عقب الافتتاح قائلاً : ليس هناك فن خليجي ،



بدوية : للفنانة الكويتية ثريا البقصمي



من الأحياء الشعبية للمدينة المنورة للفنان السعودي فؤاد مغربل



من التراث : للفنان السعودي فهد الربيق

ولكن هناك فن عربي في الخليج ، والفن العربي في الخليج لابد أن يتمثل ويمثل بيئة . يتمثل في الحقائق ، والواقع والبيئة التي يعيشها والتي نبع منها ويمثل هذا الجزء من الوطن العربي في كل بقاع العالم . ونحن يجب أن ندخل العالم الفني بدون غربة وبدون استغراب . بدون غربة حتى لا نعالج قضايا الغير بل نعالج قضايانا ، وبدون استغراب أي أن لا نحجم عن النجاحات التي حققها العالم في أي مكان ولا نستحي ، ولكننا نحاول أن يكون رائدنا الصدق فى هذا الفن ، دون الخجل من حداثتنا ، ولكن مع عدم الخجل من الحداثة يجب أن يكون هناك اصرار على التساوي ، وعلى خوض غمار هذه الفنون حتى نصبح في يوم من الأيام خليجيين عرباً عالميين فى الثقافة والفكر .

ثم انتقل المعرض إلى إحدى الامارات الشمالية وهي عجمان تحت اشراف جمعية الامارات للفنون التشكيلية ، حيث لاقى نفس النجاح والانبهار من قبل المتتبعين للحركة التشكيلية في دول مجلس التعاون .

ثم جاء المعرض إلى مدينة الدوحة ، وهي العاصمة التي انطلقت منها فكرة المعرض وتحت اشراف الجمعية القطرية للفنون التشكيلية وبدعم كبير من قبل وزارة الاعلام ، وهنا في الدوحة جاءت الاجتماعات المتتالية ، وإقرار النظام الذي سوف تسير عليه خطط هذه المجموعة بعد أن لاقت صدى منقطع النظير من قبل المسئولين في وزارة الاعلام القطرية ، وذلك بتوفير كافة سبل النجاح لهذه الفكرة سواء الإمكانات المادية والمعنوية ، انطلاقا من إيمان وزارة الاعلام القطرية والمسئولين بها بتشجيع وتسخير كافة الإمكانات للعمل على تقارب شعوب منطقة مجلس التعاون في كافة المجالات العامة وبخاصة الفنية منها .

وقد ترتب على إنشاء هذه الجماعة : أولاً إرسال شحنة كهربائية في الفنانين وحثهم على العمل التشكيلي ومتابعة نشاط الاصدقاء .. وثانيا محاولات الانضمام إلى المجموعة بعد النجاح الذي حققته . ثم ثالثاً تنشيط الحركة التشكيلية العربية بصورة خاصة وعامة وإرساء قواعد صحيحة للعمل المستقبلي .

ولقد شارك فى تأسيس هذه المجموعة كل من الفنانين : عبد الرسول سلمان وجاسم بوحمد وثريا البقصمي وسامية السيد عمر من الكويت ، ومن قطر يوسف أحمد وحسن الملا ومحمد علي ، ومن السعودية محمد موسى السليم ، وعبد الرحمن السليمان وفؤاد مغربل ونبيل نجدي ومنيرة الموصلي وفهد الربيق ، ومن البحرين محمد صالح خميس ، ومن الامارات عبد الرحمن سالم ووفاء الصباغ ، ومن عمان رابحة محمود ، ولقد عرض كل من هؤلاء الفنانين مجموعة من لوحاته عكست تجارب الفنان الخاصة سواء بتناوله للموضوع المحلي أو العالمي وبمحاولات تقنية فريدة .

لا تلوميني..

شعر: عبدالمنعم الأنصاري



أسعى اليك.. وقُدَّامي قرابيني
على طريق إلى مغناكِ يدنيني
لكنني كُلَّما أفلتُّ من شَبَحٍ
يلوحُ لي شبحٌ أعتى فيقصيني
ياويلتي: لا حياتي اليوم مُنجيتي
من الهوانِ.. ولا حتى قرابيني

• • •

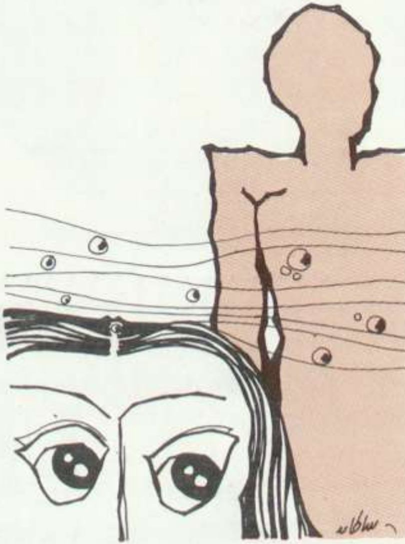
جَوْعَانُ.. من لي سواكِ الآن يطعمني
ظمآنُ.. من لي سواكِ الآن يسقيني
وليس الأَ إزارٌ منكِ يسترني
إذا رياحُ الأسى هَبَّتْ تُعرّيني
ثُمَّ انتهيتُ بأحزاني إلى جبلٍ
وليس يعصمني مما يلاقيني؟

• • •

حين ارتحلتِ وأغوتني شياطيني
وكاد جوعي إلى نُعماكِ يرديني
أكَلْتُ من خُبْزِ أعدائي فأورثني
جُبْنَ العبيد وإقدامَ المجانين
ورحتُ أختالُ في قيدي فيلعنني
والعارُ يَنْشُرني جَهْراً.. ويطويني
حتى هَتَفتُ: وأوزاري على كتفي
من أي منعطف ياموتُ تأتيني
تأتي كما أشتهي في زيٍّ غانيةٍ
تَبُثُّ سُمَّ لَماها في شراييني؟

• • •

أفديكَ ياحقُّ لكنْ مَنْ سيفديني
من قاتلي حينَ يأتي؟ من سيفديني
من حقكم أنْ تُغالوا في تنابذكم
وتنعموا بقيودِ الذُّلِ والهونِ

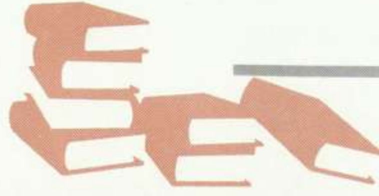


من حقكم ـ لو أردتم ـ بَيْعَ انفسكم
لمن تشاءون.. هذا ليس يَعْنِيني
لكنْ إذا عربدت في الأفقِ أغنيتي
وفجَّرت حولكم صَمْتَ البراكينِ
فليسَ من حقكم أنْ تقطعوا شفتي
وتمسحوا بتراب الأرض عِرْنِيني

• • •

تشابَهَ الدربُ في عينيَّ.. دُليني
فومضةٌ من جبينِ الطهرِ تكفيني
حتى أُميِّزَ ما بين الصقور وما
بين البغاثِ وبين الضَّعفِ واللينِ
وأستشفَّ الذي وارتْهُ أقنعةٌ
وما وراء احتراق النورِ في الطين
وأستعيدَكِ من قاع المنونِ فإن
لم تستجيبي لصوتي.. لا تلوميني

• • •



بقلم: الدكتور محمد البهي

البَيِّنَة

• يعبر القرآن الكريم باسم: البينة .. في آياته عن: الحجة، والدليل والأمارة التي يحملها الرسول ـ أي رسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الناس وبعضها موضع الاختبار في الإيمان والكفر بالله.

فهو يقص قصة صالح إلى ثمود، وما يحمله من أمارة الرسالة، ويكون تقبل هذه الأمارة علامة الإيمان بالله، بينما رفضها يكون دليلاً على الكفر به، في قول الله تعالى: «وإلى ثمود أخاهم صالحاً، قال: يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ـ قد جاءتكم بينة من ربكم (أي حملت لكم حجة وامارة على الرسالة من عند الله). هذه ناقة الله لكم آية، فذروها تأكل في أرض الله، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم» (الأعراف: ٧٣).. فالحجة التي أرسل بها صالح إلى ثمود من عند الله، وتعتبر آية صدقه على الرسالة ـ وفي الوقت نفسه تعتبر مجالاً لاختبار الإيمان والكفر في قومه ـ هي: الناقة التي صحبها معه، وطلب من قومه أن تأخذ قسطها في الرعي في المراعي والشرب من الآبار، أسوة بأنعام الأغنياء وأرباب السطوة في ثمود، الذين احتجزوا الرعي في الكلأ، والشرب في الآبار العامة لإبلهم وحدهم، دون الفقراء والضعفاء. فإن تركوا ناقة صالح تفعل كما تفعل إبلهم كانوا عندئذ مؤمنين برسالة الله، وهي رسالة: العدل والمساواة في الحقوق بين الناس جميعاً: لا فرق بين كبير وصغير، وبين قوي وضعيف، وإن هم منعوها من قسطها في الرعي والشرب كانوا كافرين بالرسالة الالهية، وبقوا على عتوهم واستكبارهم في الأرض، واستحقوا من أجل ذلك .. عقاب الله. فناقة صالح هي بينة وحجة .. وهي دليل الإيمان والكفر .. وبها يعرف المؤمن بالله من الكافر في ثمود.

.. ويقص أيضاً قصة شعيب إلى أهل مدين على الجانب الشرقي من خليج العقبة وما أتى به من أمارة الرسالة ودليل الإيمان والكفر بالله، فيقول: «وإلى مدين أخاهم: شعيباً، قال يا قوم: اعبدوا الله، مالكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم (أي حجة، وأمارة، وشاهد على الإيمان والكفر): فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا الأرض بعد اصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» (الأعراف: ٨٥).. فبينة شعيب وحجته إلى قومه في أهل مدين: كانت طلب الوفاء في المعاملات التجارية.. طلب العدل وعدم بخس الناس أشياءهم في الكيل والميزان فيما يتقوتون به .. كانت طلب الكف عن العبث والفساد في استغلالها المال وانتهاز حاجة المحتاجين من الناس. فإن قبلت هذه الحجة وهذا الدليل على رسالة شعيب من أهل مدين كانوا مؤمنين به وبرسالته. وهذه البينة أو هذه الحجة مجال الاختبار في الإيمان والكفر بالله، لأن الاستغلال السيء والضار للمال كان ظاهرة تسود مجتمع مدين، وهو مجتمع تجاري كان يتعامل بالخصوص في الحبوب المستوردة من مصر، ويختلف بذلك عن مجتمع ثمود الذي كان مجتمعاً زراعياً يعيش على تربية الحيوان. والضرر الذي كان شائعاً في مجتمع ثمود هو الضرر الناشيء عن احتكار الزعماء والأقوياء فيه للمراعي العامة والآبار العامة للمياه لما يملكون وحدهم من أنعام، دون بقية الناس، وهم سوادهم وكثرتهم من الفقراء والضعفاء.

.. ويقص كذلك قصة موسى مع فرعون وزملائه عندما جاءه ببينة من ربه، ويشير القرآن إليها على سبيل الإجمال في قول الله تعالى: «وقال موسى يا فرعون: إني رسول من رب العالمين. حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق، قد جئتكم ببينة من ربكم (أي بحجة ودليل ومخبر على الايمان والكفر بالله)، فأرسل معي بني اسرائيل» (الأعراف: ١٠٥).. وهنا أيضاً تختلف بينة موسى عن بينة صالح في ثمود، وبينة شعيب في أهل مدين. لأن الظلم الشائع في مجتمع فرعون وكبرائه وأعوانه لم يكن ظلماً ناشئاً عن اقطاع في المراعي وآبار المياه، ولا ناشئاً عن استغلال سيء لرأس المال، بل كان ناشئاً عن استعباد وإذلال لقوم هاجروا إلى مصر ودخلوا على أهلها، وشاركوهم في مجال الزراعة والتجارة، واستقروا معهم عدة قرون على هذا النحو، وهم قوم بني اسرائيل أي أولاد يعقوب من اليهود. أي كان قائماً على التفرقة العنصرية وكانت من أجل ذلك بينة موسى إلى فرعون هي، طلب فك الحصار عنهم، والإذن لهم بمغادرة مصر والعودة إلى مكانهم الذي هاجروا منه من قبل .. أي كانت بينة العمل على تحقيق الحرية السياسية.

وعن بينة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام يقول سبحانه: وهذا كتاب ـ أنزلناه ـ مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا (أيها المشركون) انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا (ويقصد بهما: اليهود والنصارى) وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا: لو أنزل علينا الكتاب (أي بدلاً من اليهود والنصارى من قبل) لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم (أي حجة وأمارة على الرسالة، ومجال اختبار للإيمان والكفر بالله ـ ويقصد بها القرآن) وهدى ورحمة (أي ومع كون القرآن بينة على الرسالة فهو في الوقت نفسه كتاب للسلوك المستقيم والعقيدة الصحيحة، ورحمة في الدنيا والآخرة لمن يؤمن به. (الأنعام: ١٥٥ ـ ١٥٧).. وكانت بينة الرسول عليه الصلاة والسلام وحجته في الرسالة، ودليله على الإيمان والكفر.. تختلف عن سنة الرسل الآخرين قبله. ولأن الظاهرة التي كانت تسيطر على مجتمع مكة ومجتمع العرب بصفة عامة كانت ظاهرة الأسلوب والقول في فصاحته وبيانه، ولذا كان أسلوب القرآن هو مجال الاختبار في الإيمان والكفر لدى العرب عند بعثته عليه السلام.

والبينة إذا كانت حجة الرسول ـ أي رسول ـ في رسالته .. فهي المدخل في الوقت نفسه للإيمان بمضمون الرسالة كلها: وبالأخص إذا كانت رسالة عقيدة، وشريعة معاً، كما: في القرآن، والتوراة قبله «فقد جاءكم بينة من ربكم، وهدى، ورحمة».. يعبر القرآن عن رسالته ..

بشائر العبقرية عند الأطفال



كيف نتعرّف عليها.. وكيف نستغلها؟

بقلم : الدكتور عزالدين فـــراج

العباقرة قلائل ، ولكن العبقرية كثيرة ، ذلك أن كثيرا ممن أوتوا ملكات الذكاء والنبوغ ، لم تتح لهم الفرصة الملائمة لإبداء مواهبهم وتنميتها واستثمارها . ومرجع الخطأ فى هذا ، فى غالب الأمر ، إلى الآباء والمربين الذين يعجزون عن تبين سمات العبقرية فى أبنائهم وتلاميذهم ، فيهملون ملكاتهم فتذبل وتذوي ، بدلا من أن يتعهدوها بما يذكيها وينميها .

ولهذا كان من واجب الآباء والمربين والمدرسين أن يدرسوا العلماء والعباقرة فى أدوار حياتهم الأولى ، ليتبينوا ما امتازت به من بشائر العبقرية وبوادرها ، فإذا وجدوا ما يشبهها فى أبنائهم وتلاميذهم ، عنوا بتوجيههم إلى حيث تؤتي ملكاتهم ثمارها .

والواقع أن العبقرية ، إن كانت غير محدودة إلا أن لها بشائر تبدو منذ الصغر .

عبقرية موزارت الموسيقى

كتب أول أعماله الموسيقية قبل أن يجاوز سبعة أعوام . وقد أخرجت أولى أوبراته وهو فى سن الرابعة عشرة ، ونالت نجاحا باهرا . وبدأ فى هذه السن يطوف عواصم أوروبا ويعزف فى دور الأوبرا الكبرى بها ، فيقر له أساتذة الموسيقى ونقادها بالتفوق والنبوغ ، بل إن المجامع العلمية فى إنجلترا شغلت بأمره منذ كان طفلا ، فقد ألف أربعا من أغانيه وإحدى سيمفونياته وهو فى سن الثامنة .

عبقرية لونجفلو الشاعر

كان يتذوق الغناء والموسيقى وله من العمر ثمانية أشهر . وكان فى طفولته تلميذا نابها ، فكان فى سن السابعة يتفوق فى دروسه وتفكيره على من بلغوا من العمر خمسة عشر عاما . وكان يؤثر القراءة على الألعاب الرياضية ، وقد طبعت أولى قصائده ومازال فى الرابعة عشرة .

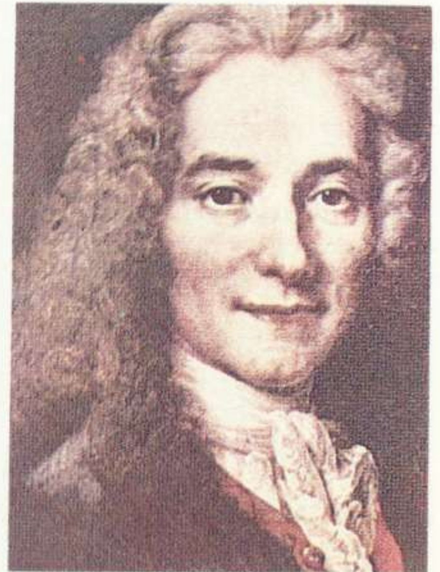
عبقرية أديسون المخترع الكبير

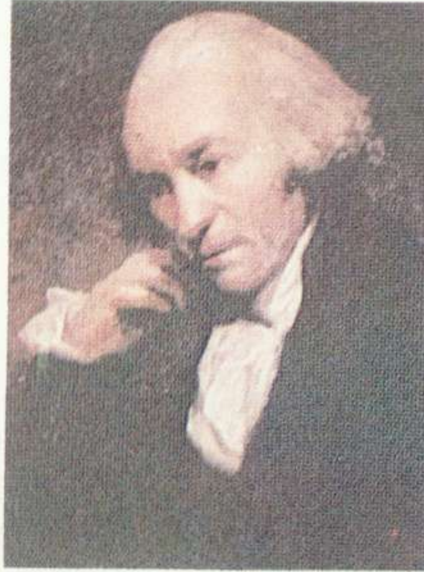
كان الطفل أديسون دائم الأسئلة يسأل عن كل شيء يراه ... لماذا يحدث كذا .. ومتى يحدث .. الخ . كانت له أسئلة كثيرة لا تنقطع . وكان يحاول أن يختبر بنفسه صحة ما يقرأ أو يسمع . وفى العام السابع ذهب الى مدرسة البلدة .. وفى يوم من الأيام قالت له مدرسته : « أنت غبى لا فائدة منك » . وعاد الى أمه غاضبا حزينا ، فشجعته وراحت تقوم بتعليمه بنفسها . شعر أديسون بتشجيع أمه ، فوثق بنفسه . ومضت الأم تشجع ميله للقراءة والبحث عن كل شيء ، وكان أبوه يقدم له كتب المخترعات وعمل الآلات .. وراح يقرأ .. ويقرأ حتى قال : « بالقراءة تعلمت كل شيء ، وبعملى الدائم أنجزت كل شيء » ، فاخترع المصباح الكهربي وأضاف الكثير إلى تحسين التليفون والبرق والتلغراف .

عبقرية جون ستوارت ميل

هو الفيلسوف الاقتصادى ، الذي بلغت قوته العقلية رقما قياسيا إذ قدرت بمائة وتسعين درجة ، بدأ دراسة اللغة الاغريقية وهو فى سن الثالثة ، ثم راح يتعلم اللغة اللاتينية ومازال فى الثامنة . وكان يبدو أنضج وأعقل من أقرانه فى السن ، فلم يكن يصاحب إلا من يكبرونه سنا ، وكان يناقش أباه كل يوم ، ومازال فى الثانية عشرة من عمره ، فى مسائل المنطق والفلسفة . وبعد ذلك بعام واحد درس مقررا كاملا فى مادة الاقتصاد السياسى . وأعجب من ذلك كله أن تاريخ روما ، الذى كتبه وله من العمر ست سنوات فحسب ، يعد من الكتب المعتمدة فى هذا الموضوع ، بل إنه استطاع قبل ذلك بسنة أى عندما كان فى الخامسة أن يتحدث إلى ليدى سبنسر زوج وزير البحرية حينذاك مقارنا بين مارلبرو وولنجتون فى منطق مرتب وتفكير بديع . ولكن أقوى ملكات الصبى بدت فى دراسة المنطق ، وفى مقدرته على نقد الأسس التى يقوم عليها علم الجبر .

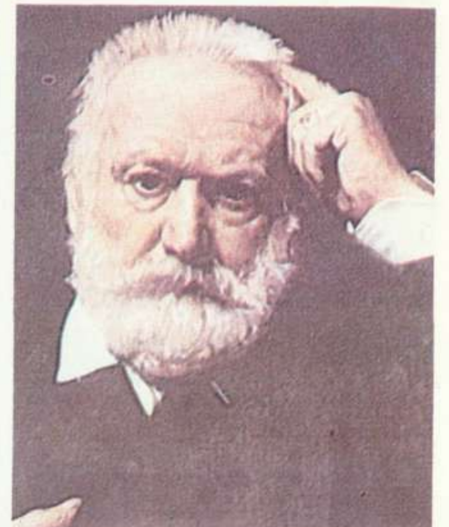
● طفل يتكلم وعمره أربع سنوات ويدخل الجامعة في التاسعة!


فولتير

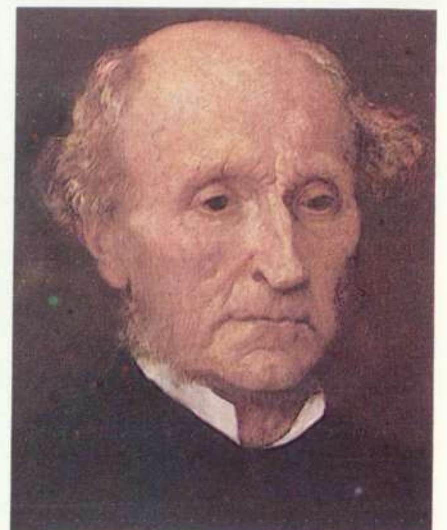

جيمس وات

تحذير

● إذا لم نتنبه لمواهب الأطفال ونعمل على تنميتها فمن الممكن أن يتحوّل الموهوبون إلى مجرمين ومنحرفين


فيكتور هوجو


موزارت فى السابعة من عمره


جون ستوارت ميل


ابراهام لنكولن

عبقرية فولتير

الكاتب الفرنسى المعروف ، أنشد الشعر ومازال طفلا ، ففى سن الثالثة حفظ قصيدة طويلة من نظم روسو . وكتب تراجيديا شعرية ومازال فى عامه الثاني عشر ، ولكنها لم ترقه فأحرق مسودتها . وقد تجلت مواهبه الأدبية وهو فى طور الدراسة ، حتى كان يتفوق على كثير ممن يدرسون له مادة الأدب واللغة . ولما بلغ السابعة عشرة أخذ يدرس القانون فى باريس . وفولتير من حيث القوة العقلية هو ثاني رجال هذه القائمة من العظماء ، إذ تبلغ قوته العقلية مائة وثمانين درجة ، ولا يتفوق عليه سوى جون ستوارت بعشر درجات .

عبقرية ابراهام لنكولن

وهو الزعيم الأمريكي الذي ألغى الرق وأمضى طفولته وصباه منصرفا إلى القراءة ، وكان مما قرأه فى بدء حياته الانجيل . وعندما كان يتعذر عليه الحصول على كتب جديدة يمضى وقته فى قراءتها ، كان ينكب على قاموس اللغة يستظهر

بشائر العبقرية عند الأطفال

مفرداته . وكان تلميذا نابها مجدا ، وقد كتب فصولا امتازت بجدها وعمقها ومازال في الرابعة عشرة من عمره . وكان معروفا بين أقرانه الطلاب باستقامة الفكر والخلق ، فكانوا يختارونه حكما يفصل بينهم فيما يجد من الخلاف .

عبقرية جيمس وات

كان هذا المخترع الكبير منصرفا عن دروسه إلى اشباع رغبته فى علوم الميكانيكا والرياضيات ، حتى أنه قرأ فى صغره كثيرا من كتبها ، ولم يبلغ الخامسة من عمره حتى قرأ كل كتاب وصلت اليه يده . وكان يقضى الساعات يراقب إناء الشاى على النار والماء فيه يغلى .. ليراقب بخاره المتصاعد ، وهو يرفع غطاء الإناء ويخفضه .. وقوة الملاحظة هذه هى التى دفعته الى استغلال البخار وقوته .

عبقريات أخرى

ومثال آخر « وليم سيديز » طفل الولايات المتحدة الامريكية العجيب أمكنه أن يقرأ ويكتب وهو فى الثانية من عمره ، وحين بلغ الثامنة تكلم الفرنسية والروسية والانجليزية والألمانية وبعض اللاتينية .

والأديب « فيكتور هيجو » مؤلف رواية « البؤساء » حصل وهو فى الثالثة عشرة من عمره على جائزة الأكاديمية الأدبية فى فرنسا .

أما الطفل الذي حير الجميع فهو « كينيت » من مدينة أوهايو بأمريكا ، فقد تكلم بطلاقة وعمره أربعة شهور فقط ، واستطاع أن يقرأ وعمره سنة واحدة ، ثم أصبح طالبا فى الجامعة وعمره تسع سنوات .

والأطباء يفسرون النبوغ المبكر عند الأطفال بأنه حصيلة نشاط شاذ للغدد ، مثل الغدة النخامية ، والغدة فوق الكلية ، وتلك الغدة الغامضة بالغة الصغر المسماة بالغدة الصنوبرية ، إذ أن هذه الغدد هى التى تسهم فى تنمية القدرة العقلية أو تعطيلها .

كيف نتعرف على الموهوبين من أطفالنا ؟

وتنبه العلماء إلى نقطة هامة جدا ، وهى أن الطفل الموهوب يجب أن يحظى برعاية خاصة بحيث لا تطمس موهبته ، وتكونت الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين بانجلترا عام ١٩٦٦ وأعضاؤها من كبار رجال الأعمال والمخترعين والعلماء والفنانين والمدرسين ، ومن آباء الصغار الموهوبين أيضا ، وقررت الجمعية أنه إذا لم يتمكن المجتمع من استغلال موهبة الصغار الخلاقة لصالحهم ، فإن هؤلاء الصغار يمكن أن يصبحوا من كبار الخارجين على القانون والمجرمين العتاة . وقد أشارت هذه الجمعية الى عدة ملاحظات يمكن عن طريقها معرفة الطفل الموهوب وتتلخص فى النقاط الآتية :

- الطفل الذي ينام لفترة قصيرة ويبدى اهتماما ملحوظا بكل ما حوله ويبدأ الكلام مبكرا أو المشي مبكرا ويسأل دائما : « كيف يعمل هذا الشيء ؟ » و« كيف عرفت ذلك ؟ » .
- الصغير الذي يحاول أن يعلم نفسه قبل أن يصل إلى سن المدرسة ولديه قدر كبير من حب الاستطلاع .
- الطفل الذي لديه قدرة غير عادية على التركيز ويميل إلى العمل بشكل ملحوظ من باقى زملائه .
- الطفل الذي لديه طاقة زائدة باستمرار ..
- الطفل الذي عنده كتلة من النشاط وقوة الملاحظة بكل شيء حوله .
- الطفل الذي لديه المقدرة على الصبر والتسامح وعدم التعصب ، والذي يملك الشجاعة فى الحديث حول دور كل من والديه ومدرسيه وزملائه فى المدرسة .
- الطفل الذي يكون أوفر صحة وأكثر طولا ممن هم أقل منه موهبة .

كل هؤلاء يكون تطورهم سريعا بسهولة وبلا أزمات انفعالية أو عقد نفسية .. وأحيانا يتمتع مثل هؤلاء الصغار بالحب والشعبية بين زملائهم ، وعادة ما يصبحون قادة طبيعيين لهم . وإذا ما أصيب أحدهم باحباط ، أو خيبة أمل ، أو خانته شجاعته في بعض المواقف ، فإنه عادة ما يلجأ إلى نفسه يعالج بها ما حدث له حتى يعود إلى حالته الطبيعية .

● لمـــاذا لا ننشىء جمعية وطنية لرعاية الأطفال الموهوبين ؟

من كل الطبقات

لقد ثبت أن مثل هؤلاء الصغار الموهوبين موجودون فى كل طبقات المجتمع وبصرف النظر عن المؤثرات الاقتصادية أو الاجتماعية ، وأنه تربطهم نفس الملاحظات السابقة .

وهناك اتجاه عام يميل إلى معارضة تجميع الأطفال الموهوبين فى مدارس خاصة بهم فى الموسيقى أو الباليه ، فهؤلاء لهم مواهب خلاقة من الضرورى تنميتها بتجميعهم فى جو واحد وتحت مؤثرات وتوجيهات موحدة .

ويقول اللورد بويل اوهاندروورت من المتخصصين فى التربية إنه كان من أوائل الأعضاء فى الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين ، وإن أولياء الأمور هم من العناصر الهامة جدا فى حياة الصغير الموهوب ، لأنهم أول من يشعر به أو بموهبته وعن طريقهم سوف يصل أو يضيع لو لم تلتفت إليه الأسرة .

العبقرية والبيئة

نجد ثمة اتفاق على أن العبقريات نشأت فى بيئات امتازت بالإثارة الذهنية والعقلية . ومن المرجح أن يكون ذلك من الأسس التى ساعدت العبقرى فيما بعد على الابداع والاخلاص لعمل علمى أو أدبى .

وكثيرا ما تمتاز الأسرة بتشجيعها لصغارها على الإثارة الفعلية بمظاهر منها : شيوع اهتمامات ثقافية أو علمية أو وجود أحد أفراد الأسرة المقربين ممن برزوا فى هذه الاهتمامات الثقافية والعلمية .

ذكر « برتراندرسل » أن والده كان يميل للفلسفة والدرس وكان متحرر الفكر ، وكان يملك مكتبة غنية ، وكانت أمه بالمثل تفيض بالحيوية والقدرة على الابتكار .

أما « جوته » الشاعر والمفكر الألمانى الكبير فقد اعتادت أمه أن تقرأ له بصوت عال فى طفولته المبكرة . وبهذه الطريقة استطاع « جوته » أن يلم بالأدب الانجليزى إلماماً كبيراً فى السنوات الأولى من عمره ، فقرأ معها شكسبير وملتون وكذلك مؤلفات « جين أوستن » وغيرهم .

والحافز الثقافى قد لا تمتد جذوره لأعمق من وجود كتب أو مثقفين فى الأسرة ، بل إن الخبرة كثيرا ما تعلمنا وهى غير خاطئة أن هناك نماذج من العباقرة نشأت فى أسر مختلفة عن ذلك اعتمدت على التشجيع العام للعبقرية المبكرة واحترام أفكارها مهما كانت تافهة ، وإبداء التفهم وتقديم التوجيه إن كانت فى حاجة إلى هذا التوجيه والتشجيع والمدح والثناء بين حين وآخر .

إن البيئة ، ونعنى بها المنزل والمدرسة والمجتمع ، تؤثر فى تنمية ذكاء الانسان باعتبارها مصدر التعليم والتنبيه والإثارة . فهناك فرق بين بيئة منعزلة أمية جاهلة وبين بيئة متحضرة متمدينة . والبيئة تؤثر من جهة أخرى من خلال تكييفها لشخصية الانسان وطباعه وأخلاقه وسلوكه وعاداته . وحب التعلم واكتساب المعارف والاستزادة منها يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية المرء . فهناك فرق كبير بين نمو أطفال العائلة السعيدة المحبة المتفهمة ، وبين أطفال العائلة المتفككة الأواصر والتى تسودها الشحناء والبغضاء . وهذا ما جعل الدكتور داتسون الانجليزى زعيم المدرسة السلوكية يقول : اعطنى اثني عشر طفلا وأنا كفيل بأن أجعل منهم ــ بلا تعيين أو انتقاء ــ واحدا طبيبا وآخر مهندسا وثالثا محاميا ورابعا موسيقيا ، أو إن شئت أجعل لك منهم لصا أو متشردا أو قاطع طريق . وهو يؤمن بأن للبيئة أكبر الأثر فى تطوير ذكاء الطفل وشخصيته وسلوكه .

والحرمان ــ وخاصة إن كان شديدا وطويلا ــ يعوق التطور والنمو . والحرمان الغذائى مثلا والحرمان العاطفى يؤديان إلى التأخر العقلى والنفسى بل والجسمى ، ويطبع سلوك الطفل بالعدوانية والأنانية والاضطرابات السلوكية الأخرى . والحرمان من التنبيه والإثارة ووسائل التعلم يؤدى إلى تأخر نمو الجملة العصبية والتطور العقلى .

دور المدرسة فى تعهد بشـــائر العبقرية

لابد أن نقف قليلا ونتساءل : كم هناك من الأطفال النجباء أمثال الذين مر ذكرهم أهملتهم بيئتهم وغفل مربوهم فى البيت أو فى المدرسة عن اكتشاف قابلياتهم الوراثية فضاعت عبثا دون أي توجيه . وكم كانت خسارة المدنية والعالم أجمع لو أضاعا طفلا كأديسون ؟ ذلك الطفل المعوز الذي لم يتمكن أبواه من إرساله الى المدرسة لأن الفقر ــ وهو عامل من عوامل البيئة ــ كان السبب فى تغيير وجهة أديسون عن الدرس وكان يحصل على معاشه من بيع الجرائد . ولو لم تساعده الصدف فى إنقاذ ابن أحد موظفى البرق من تحت عجلات القطار ومكافأة الأب له على صنيعه ، لما أصبح أديسون زعيم المخترعين الكهربائيين في التاريخ .

ومن أخطاء المدرسة ، كما يراها علماء الوراثة ، أنها لا تهتم بوراثة الطفل وما فيها من التباين العظيم بين مواهبه ومواهب غيره ، وأن جل خطتها غض النظر عن التباين الفردي وصهر الطلاب في بوتقة واحدة ليخرجوا على شكل واحد من حيث العمل واستنباط النتائج والتعليل . وهذا عكس الطبيعة التى من شأنها أن يدخل الأطفال المدرسة وهم متباينون فى مواهبهم العقلية والعملية ، ويتخرجون منها وهم أكثر تباينا .

● الوصـــايا الثمـــانية لمعـــاملة الطفـــل الموهـــوب .

ويمثل أحدهم المدرسة من هذه الناحية بطاحونة توضع فيها أنواع مختلفة من جيد القمح ورديئه ، فتطحن المزيج ، ويخرج منها طحين من نوع واحد ولون واحد . نقول : إن الوراثة الصالحة عند الطفل وديعة بأيدى المربين ، فعليهم أن يتعهدوها ، ويجدوا فى كشف ما انطوت عليه من ميول ويوجهوها فيما يفيد الناس ، ففى صلاحها صلاح الأمم وفى رقيها رقى الشعوب .

إن التبعة الملقاة على المدرس عظيمة جدا ، لأننا نعلم أن من واجبات المدرس الأساسية أن يفهم طلابه فردا فردا وأن يعالجهم كما يعالج الطبيب مرضاه . ولا نغالى إذا قلنا إن واجب المدرس أكثر صعوبة من واجب الطبيب ، لأن المدرس يعالج الأرواح ويعالج العقول .

تشجيع بشائر العبقريات

من هنا تنبع أهمية بعض المبادىء التربوية كالتشجيع التلقائى للطفل ، واحترام إثارة الأسئلة والأفكار بدلا من الرفض أو الصد أو التهرب . ويأخذ التشجيع أشكالا مختلفة منها التشجيع المعنوى والتشجيع المادى . ومن مظاهر التشجيع المعنوى : التأييد اللفظى ، والتقبل ، والحماس للفكرة والاضافة اليها ، أما التشجيع المادى فيتضمن المكافآت والهدايا المختلفة . وتبين البحوث أن التدعيم المعنوي ذو فعالية أقوى من التدعيم المادى فى إثارة بعض الدوافع التى ترتبط بالابداع . فالثواب وإظهار الاهتمام وكلمة مديح عندما يتصرف الطفل بطريقة مرغوبة تعتبر حافزا قويا للتفكير المستقل والتميز .

ولعل من أكثر الأخطاء التى يرتكبها الآباء هى تعمدهم واقتصارهم على إدراك أوجه القصور أو الضعف فى أفكار الأبناء ، فيعمدون إلى النقد والسخرية متناسين أنه ما من عمل من الأعمال أو فكرة من الأفكار تخلو فى بدايتها من نقطة ضعف أو جانب من جوانب القصور . والنقد الحاد الذي قد يوجه لنشاط الأطفال قد يجعل الطفل يتخلى عن أوجه الصواب ومواضع القوة متوقفا عن الاجتهاد وممارسة النشاط ربما كلية ، ولهذا يجب أن يكون موضع حب وتقدير وثقة من الموهوب حتى يؤمن بكل ما يقدم له من توجيه .

ومن الخطأ أيضا أن نتصور بأن المبدع والموهوب انسان لا يحتاج للتوجيه والارشاد لكى ينمى مواهبه ويطورها .. ومن الخطأ أن نتصور بأن الموهبة وحدها تقود الموهوب إلى أهدافها ، وأن المبدع قادر أن يختار بنفسه المصادر التى ستساعده على التعبير عن إبداعه مسترشدا بقوة الموهبة الطبيعية .

تشجيع الأطفال على الإبـــداع والابتكـــار

موهبة الإبداع والخلق والابتكار عند الأطفال يجب أن تلقى تشجيعا عند الوالدين والمربين ، بجانب إعداد الجو المناسب لإظهار مواهبهم وتنميتها وإبراز ما عندهم من مهارات يدوية وعقلية باتباع ما يأتى :

أولا : إظهار اهتمامنا بهوايات وابتكارات أطفالنا ومداومة تشجيعهم .

ثانيا : فى عيد ميلاده وفى أعياد الطفولة وعند كل نشاط يبديه نحرص على تقديم هدية ترتبط بهواياته ومشروعاته الصغيرة ، وهذه الهدايا لا تكلف شيئا مقابل تنمية مواهبه وإشعاره بالحب والتقدير لأفكاره وهواياته .

ثالثا : احرص على الاجابة على أسئلته وربطه بالخبراء والعلماء من أقاربك وأصحابك للإجابة على أسئلته إذا كانت أسئلته خارجة عن حدود ثقافتك .

رابعا : احترم آراء ولدك الصغير ، وعامله على أنه شخصية لها حقوقها الخاصة ، واحذر من خلق اليأس عنده والسخرية بأفكاره .

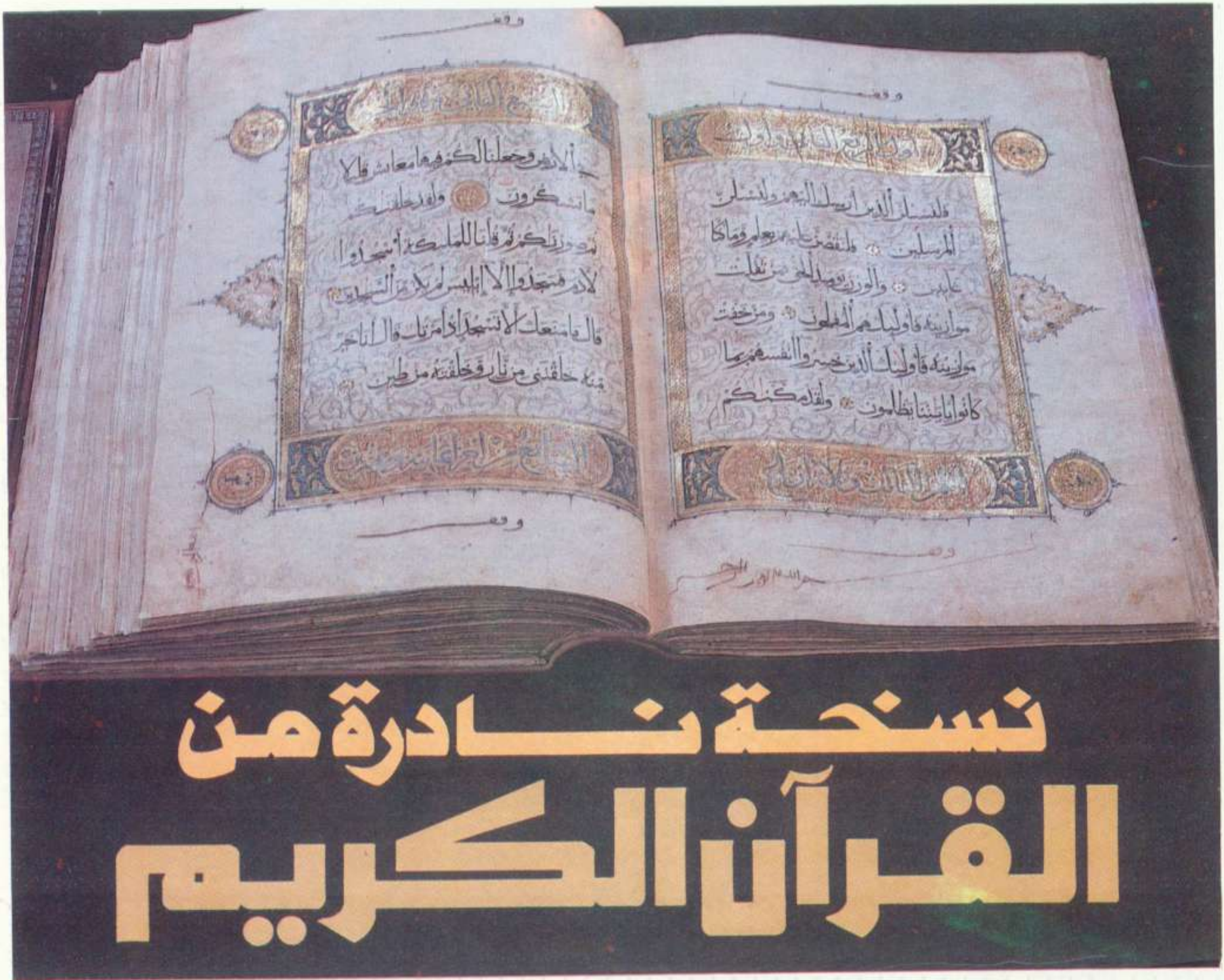
خامسا : شجع غريزة الابداع من غير ضغط على ميوله ، فإذا وجدت أنه يميل إلى الموسيقى أو أى نوع من الفنون شجعه على ممارستها ، ولا تجبره على القيام بأعمال لا يهواها .

سادسا : شجع أطفالك على أن يناقشوك حتى تشعرهم بالاحترام والثقة بأنفسهم .

سابعا : على المربى أو المدرس ألا يهزأ بأفكار تلاميذه .. بل يستمع إليهم باحترام ويشجع هواياتهم وميولهم العلمية والفنية .

ثامنا : على مدرسي الطفل أو التلميذ أن يسجلوا تقريرا فى نهاية العام عن حالته ومواهبه البارزة ، وأن يجتمع هؤلاء المدرسون بكتابة تقريرهم النهائى . وعندما يجمع المدرسون على هذه المواهب توضع فى ملف التلميذ أو الطفل .. مع إبلاغ آباء الأطفال بملاحظاتهم .. والخير أن يجتمع فى آخر العام أولياء الأمور مع مدرسي الأطفال الموهوبين للتعاون فى تشجيع هذه المواهب والبشائر .

عز الدين فراج



نسخة نادرة من القرآن الكريم

استطاعت مجلة « الدوحة » الحصول على الصورتين الوحيدتين من نسخة القرآن الكريم المعروفة باسم « نسخة قوصون » وهى نسخة فريدة من نوعها ، وقد وصلت الى احدى الدول العربية ، ورفض مشتريها الاعلان عن اسمه وجنسيته والمبلغ الذى دفعه ثمناً لهذه النسخة النادرة من القرآن الكريم

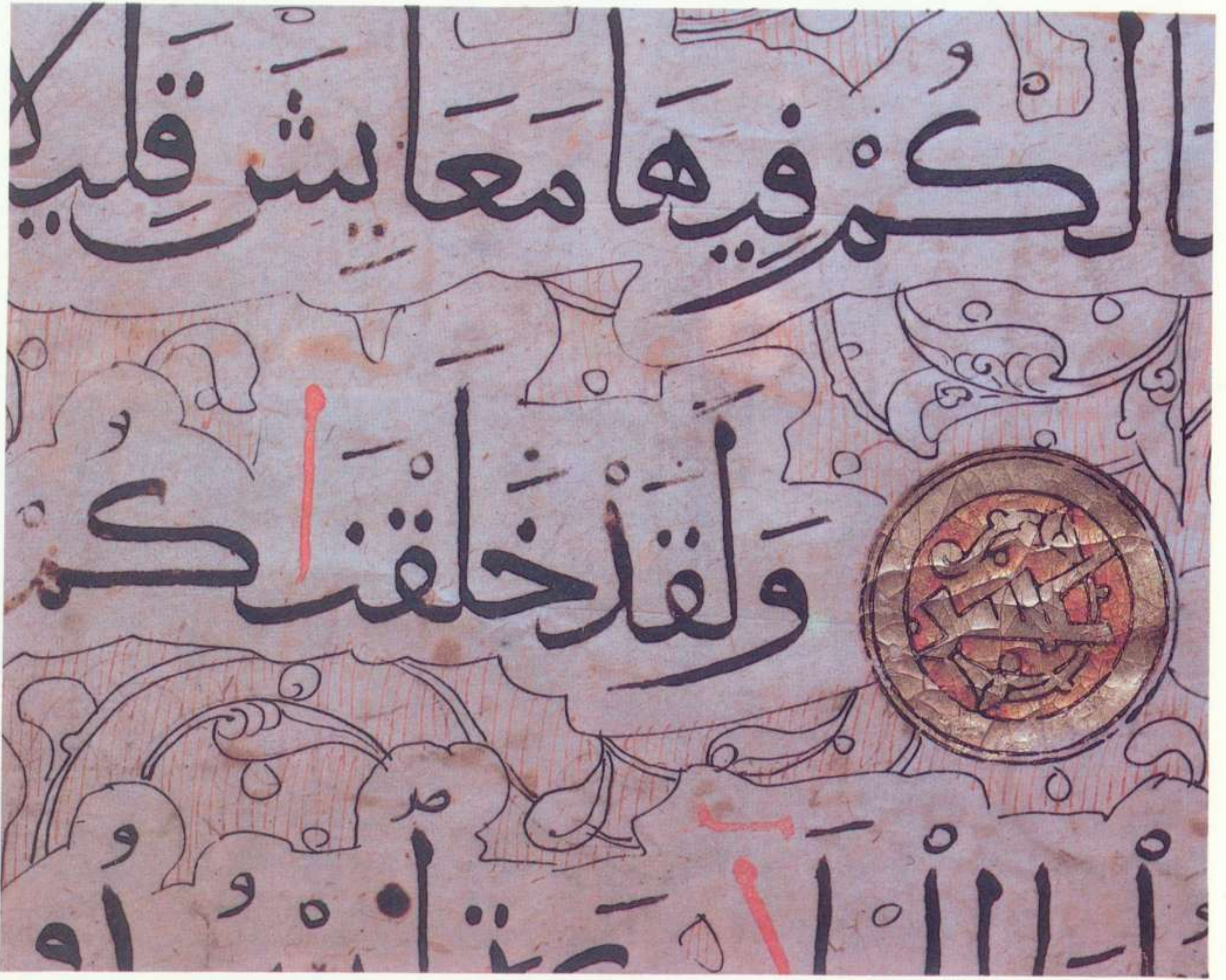
و« نسخة قوصون » تنسب الى الأمير سيف الدين قوصون الذى أتى الى القاهرة من منطقة تسمى « البركة » ومعه خوناد ابنة يزبك زوجة الحاكم الناصر محمد بن قلاوون . وكان هذا يوم ٢٣ من ربيع الآخر عام ٧٣٠ هـ . وقد خطط ليأخذ السلطة لنفسه بعد أن انضم الى قوات المماليك السلطانية ، وجعله السلطان أميراً على عشرة أفراد ، ثم على مائة ، ثم على ألف ، وواصل ترقيته حتى وصل الى أعلى الرتب ، وأرسله السلطان الى بلدته ، ليستدعى أخوته واخواته وأقارب آخرين ومنحهم جميعا رتبة الامارة . .

واستطاع « قوصون » فعلا أن يستولى على السلطة من أبي بكر المنصور الذى لم يستمر فيها أكثر من شهرين ، بعزله ونفيه فى مدينة قوص بصعيد مصر . ولكن أحمد بن السلطان المخلوع استطاع أن يجمع عدداً من الأمراء حوله ، وفوتوا على قوصون فرصة إلقاء القبض عليهم ، ودخلوا فى حرب ضده ، محاصرين القلعة التى كان يقيم فيها . وفعلا نجحوا فى القبض عليه ، وفى الليلة الأخيرة من شهر رجب عام ٧٤٢ هـ قاموا بنهب بيته وبيوت وأملاك أتباعه وأخذه الأمير قبلاى الى الاسكندرية .

هذه لمحة سريعة عن حياة قوصون التى سميت النسخة النادرة من القرآن الكريم . باسمه ، وقد عرف بالكرم ، حتى أنه كان يذبح ألف شاه وثلاثمائة بقرة فى عيد الأضحى ، وكان يوزع ثلاثين مقياسا من الذهب ، وكان يتبرع بأملاك كثيرة كل عام ، تقدر قيمة بعضها بثلاثين ألف درهم . وقد ترك قوصون عددا من الأبنية فى مصر من بينها معهد دينى ، بخلاف مسجده المعروف باسمه والموجود خلف باب زويلة فى القاهرة ، والذى شرع قوصون فى بنائه عام ٧٣٠ هـ .

نسخـة مملوكية

وهذه النسخة من القرآن الكريم كما يقول عنها ديفيد جيمس أمين المتحف الاسلامى بدبلن « مملوكية » وتاريخها يرجع في الغالب إلى القاهرة (٧٢٩ هـ) . وقد طمس التاريخ عليها وأعيدت كتابته ، ولكن هذا التاريخ صحيح من وجهة نظر أمين المتحف . فقد رأى عددا من النسخ المماثلة



على هاتين الصفحتين نرى الصورتين الوحيدتين من نسخة القرآن الكريم « نسخة قوصون » وقد استطعنا الحصول عليهما .

للقرآن الكريم ترجع الى فترة ١٣٣٠ م . أما اسم الخطاط على النسخة فقد أصابه التلف ، لكن يظهر أن اسمه الأخير هو « المندومى » وهو غير معلوم تماما . لكن من النادر العثور على أكثر من نسخة من القرآن المملوكى بخط شخص واحد . لذا فاحتمال اشتراك أكثر من خطاط في كتابة هذه النسخة النادرة وارد وقائم . وعلى كل حال فالخط من نوع جيد . أما الزخرفة والنقوش فلها صلة بزخارف ونقوش مخطوطات عديدة ..

ويرى أمين المتحف الاسلامى بدبلن أن هذا المخطوط أكثر قيمة من مخطوط آخر هو نسخة القرآن الكريم المسماة قرآن « قايتباي » ، والتى بيعت مؤخرا بمبلغ ضخم ، وهى موجودة فى مسجد ريجنت بارك بلندن . إن هذه النسخة النادرة ، نسخة قوصون ، مرتبطة بسلطان وكاتبها مذكور فى « مفاكهات الخلان » لابن طولون ، مما زاد من قيمتها ، وبرغم أنها تحتاج الى بعض الترميمات البسيطة جدا إلا إنها تعد مخطوطة هامة من نوعية جيدة حيث أنها مؤرخة وموقعة .. .

تقييم آخر

واذا كان هذا التقييم للنسخة يعطيها أهمية خاصة ، فان هناك تقييما آخر لها ، صادراً من مانيويل كين زميل ومدير متاحف زائر بدار الآثار الاسلامية . بمتحف الكويت الوطنى . إنه يرى أن مثل هذه النسخ الضخمة والفخمة نادرة جدا خارج المكتبة القومية فى القاهرة . ويضيف انه لم ير سوى نسختين فقط من هذه النوعية طوال عمله فى هذا المجال . ويقول أيضا إن هذه النسخة من القرآن الكريم تحتوى على نص يفيد بأنها وقف لجامع قوصون والذى لايزال جزء منه قائما فى شارع محمد على بالقاهرة . أما التعبير المستخدم فى هذا النص وهو «وقف جامع قوصون بالشارع » فيوضح تماما أن جامع قوصون هو المقصود ، فاستخدام كلمة « بالشارع » تميزه عن الجوامع الكثيرة الأخرى ضمن انشاءاته العديدة (مازالت معظم هذه الانشاءات قائمة ومدرجة ضمن سجل آثار القاهرة) .

كما يبدو أن الهدف من هذا التمييز هو التفرقة بين الجامع وبين الخانكة الموجودة فى مقابر القاهرة الجنوبية والتى كان من الأرجح تمييزها بتعبير مثل (الصحراء) أو بالقرافة ، أما معلومة أن قوصون كان أعظم أمراء هذه الفترة وانه كان زوج ابنة السطان محمد بن قلاوون ، وهى المعلومة التى وردت على النسخة ، فهى عادية ومعروفة .

ولكن يبقى مع ذلك أن هذه النسخة من القرآن الكريم نادرة كما يبدو من الصور التى استطعنا الحصول عليها ، وهى تعد من النسخ التى يجب المحافظة عليها ، والاهتمام بها ، لأنها تحمل بين دفتيها كلام الله ، إضافة الى الشكل المميز ، والخط الذى يشهد ببراعة الخطاطين ، والزخارف الاسلامية الفريدة .

مجدى نصيف

التعرض لدخان السجائر لا يقل ضرره بأى حال من الأحوال عن الممارسة الفعلية للتدخين ... ترى كم سيجارة يدخنها طفلك الرضيع الذي ينام معك في حجرتك ؟

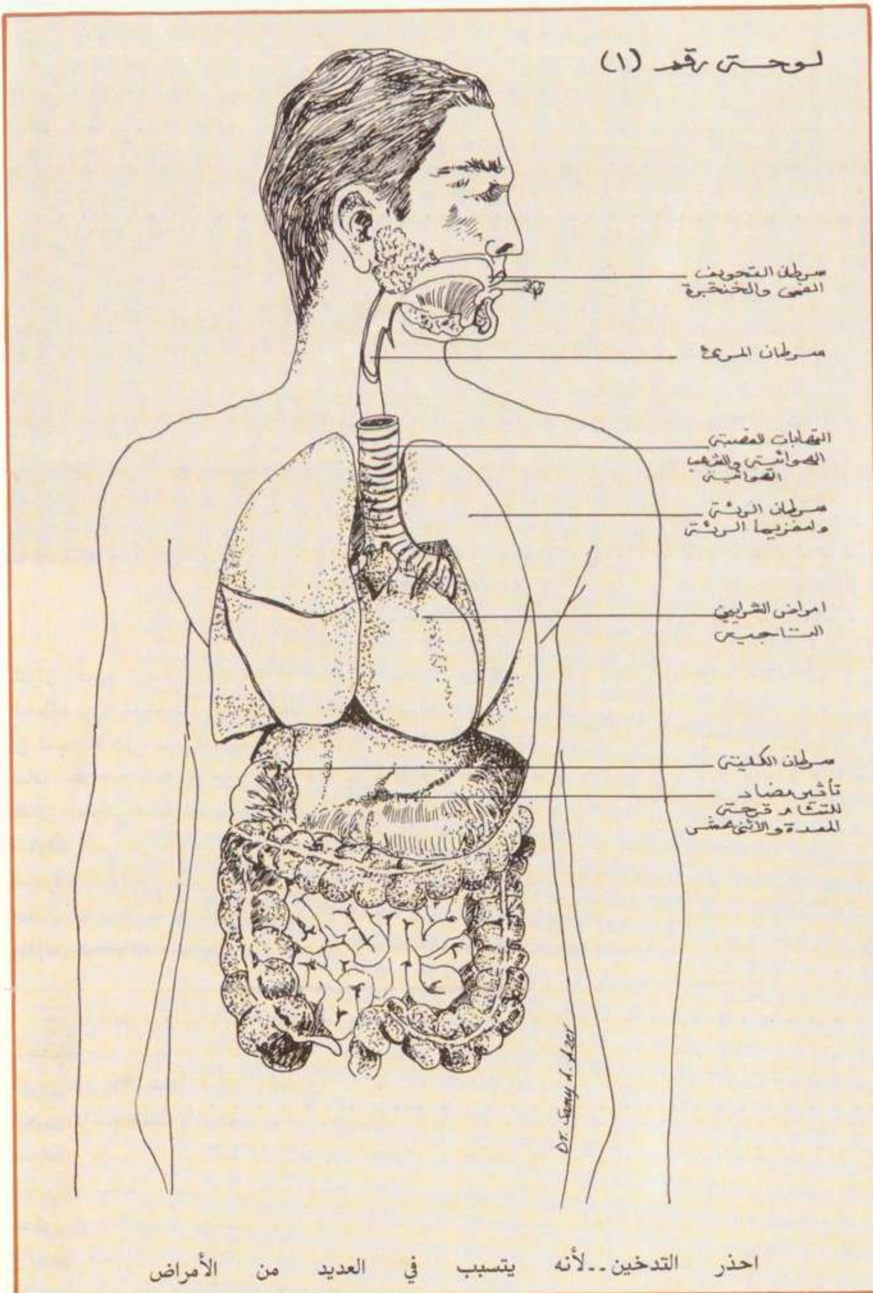
لماذا تدخن ؟

وأي نوع من المدخنين أنت ؟

هل لك رغبـة قويـة في ترك التدخين ؟

كم سيجارة يدخِّنها طفلك يوميًّا ؟!

بقلم : الدكتور سـامي عزيـز



احذر التدخين ..لأنه يتسبب في العديد من الأمراض

● أكثـر مـن ٤٠٠٠ مـادة كيميائيـة تمّ عزلهـا مؤخّـرًا من دخـان السجايـر !

● التدخين مسئول عن ٣٠٪ من حالات تصلب الشرايين و٧٠٪ من حالات التهاب الشُعب الرّئويّة و٨٠٪ من حالات أمفزيما الرّئة

توجد علاقة وثيقة بين التدخين والعديد من الأمراض . ويكفي أن تعرف أن أكثر من ٤٠٠٠ مادة كيميائية تم عزلها مؤخرا من دخان السجائر للتأكيد على الآثار البيولوجية الضارة التى تنتج عن التدخين . ودخان السجائر ما هو إلا خليط دخاني متغاير الخواص ينتج عن الاحتراق غير التام لورقة التبغ . ويتكون أساسا من أبخرة وغازات (مثل أول أوكسيد الكربون ، وغاز الهيدروسيانيد ، والأكرولين ، والاستالدهيد ، والأمونيا) . وتنتشر في هذه الغازات والأبخرة العديد من المواد الكيميائية كالقطران وبعض المواد الأروماتية والهيدروكربونية والنيكوتين والفينول والكريسول .

ويمكن تقسيم دخان السجائر إلى تيار أساسي يخرج من الطرف الفمي للسيجارة أثناء نفث الدخان ، وتيار جانبي يخرج من طرفها الخارجي (القلب المحترق) في الفترات التي تعقب نفث الدخان . وتتأثر مكونات الدخان بالعديد من العوامل مثل : نوع التبغ ، درجة حرارة الاحتراق ، طول السيجارة ، نوع المرشح الطرفي ، وجود مواد أخرى مضافة للسيجارة ، نوع الورق الداخل في صنع السيجارة . أما أهم مكونات ورقة التبغ فهي : مواد كربوهيدراتية ، أحماض عضوية غير دهنية ، مركبات يدخل في تكوينها عنصر النيتروجين وبعض الراتنجات . وتختلف درجة حرارة السيجارة من ٣٠ درجة مئوية عند الطرف الفمي إلى ٩٠٠ درجة مئوية عند القلب المحترق (الطرف الخارجي للسيجارة) . ومع الارتفاع الشديد لدرجة الحرارة تتحلل بعض مكونات التبغ إلى مواد طيارة تنتشر ذراتها في الأبخرة ، كما أن جزيئات المركبات غير الثابتة تعود مرة أخرى للاتحاد بغيرها ، مكونة بذلك العديد من المركبات الجديدة ويلاحظ أن بعض المواد الداخلة في تكوين التبغ تخرج كما هي بدون تغير وتنتشر في دخان السجائر .

وينتج عن السيجارة الواحدة ما يقرب من ٥٠٠ ملليجرام دخان (٩٢٪ غازات و٨٪ جزيئات غير غازية) ، ويكون النيتروجين والأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون ٨٥٪ من وزن الدخان المتصاعد . أما الغازات والأبخرة والجزيئات غير الغازية المتبقية فتمثل الجانب ذا الأهمية الطبية (جدول رقم ١) .

وتجدر الإشارة إلى أن المدخن الذي يستهلك ٢٠ سيجارة يوميا يكون في نهاية العام قد تعرض ٥٠,٠٠٠ مرة إلى نفث دخان السجائر في جهازه التنفسي معرضا بذلك أغشية الفم والأنف والبلعوم والقصبة الهوائية وشعبها إلى الغازات والأبخرة والمواد الكيميائية التى تنتج عن احتراق التبغ غير التام وبعض هذه المكونات يحدث تغيرات مباشرة في هذه الأغشية والبعض الآخر يمتص في تيار الدم أو يذوب في لعاب المدخن .

الأرقام تؤكد

ترتفع نسبة الوفيات بين الرجال المدخنين ــ في معظم الدول المتقدمة ــ بمعدل ٣٠ إلى ٨٠٪ بالمقارنة إلى غير المدخنين . وبالنسبة للسن وجد أن معدلات الوفيات ترتفع بين المدخنين في سن ٤٥ إلى ٥٤ سنة . وتعتبر أمراض الشرايين التاجية من أهم العوامل لارتفاع معدلات الوفيات بين المدخنين ، كما وجد أن الأمراض الرئوية المزمنة التى تنتج عن التدخين تؤثر على قدرات العامل الانتاجية ، إذ ارتفعت نسبة انقطاع العامل المدخن عن عمله ٤٥٪ بالمقارنة إلى زميله غير المدخن . وفي دراسة أجريت مؤخرا في انجلترا على الأطباء أنفسهم وجد أن ٤٠٪ من المدخنين بمعدل ٢٥ سيجارة يوميا ، ماتوا قبل سن ٦٥ سنة بالمقارنة إلى ١٥٪ فقط بين غير المدخنين .

وبالنسبة للسيدات تشير تقارير المركز القومي لأبحاث السرطان بالولايات المتحدة الأمريكية إلى ارتفاع معدلات التدخين بين السيدات الأمريكيات بالمقارنة إلى نسبتها سنة ١٩٥٥ (جدول رقم ٢) ، كما تقدر وفيات الأطفال المولودين قبل تسعة أشهر (الطفل الخديج) في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بحوالي ٣٢٥,٠٠٠ سنويا بسبب التدخين .

احذر التدخين ... لماذا ؟

بلغت وفيات سرطان الرئة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو ١٠٥,٠٠٠ حالة سنة ١٩٨١ . وتشير التقارير الطبية إلى أن التدخين مسئول عن ٨٠٪ من هذه الحالات . أيضا ثبت حديثا أن التدخين مسئول عن ٣٠٪ من حالات تصلب الشرايين ، و٧٠٪ من حالات التهاب الشعب الرئوية ، ٨٠٪ من حالات الإمفزيما (الانتفاخ الرئوي) (لوحة رقم ١) .

أمراض الشرايين التاجية

غالبا ما يؤدي التدخين إلى القصور المبكر للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب . والدليل على ذلك أن ٥٤٠ و٦٤٨ ماتوا سنة ١٩٧٥ في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بسبب قصور الشرايين التاجية ، واتضح أن التدخين مسئول عن ٣٥٪ من هذه الحالات .

وتشير الدراسات إلى أن التدخين يزيد من احتمالات الاصابة بقصور الشرايين التاجية ويتضاعف هذا الاحتمال في المدخنين المصابين بارتفاع ضغط الدم ، وزيادة نسبة الكوليسترول في الدم ، ومرض السكر (لوحة رقم ٢) .

كماثبت وجود علاقة بين معدل وفيات أمراض الشرايين التاجية ومتوسط عدد السجائر التي اعتاد المدخن على استهلاكها يومياً ، وغالبا ما تظهر هذه الوفيات في صورة موت مفاجىء بدون أى انذارات . (لوحة رقم ٣) .

التدخين والسرطان

تشير الأبحاث الطبية إلى وجود علاقة وثيقة بين التدخين وسرطان الرئة ، وسرطان التجويف الفمي والحنجرة ، وسرطان المرىء . كما أن تناول المشروبات الكحولية إلى جانب التدخين يضاعف من هذا الخطر . واثبتت الدراسات والأبحاث العلمية مؤخرا ارتباط التدخين بالعديد من السرطانات الأخرى كسرطان المثانة البولية ، وسرطان الكلية ، وسرطان البنكرياس .

ويهمنا أن نؤكد على خطورة التعرض لدخان السجائر أو التواجد في مكان مغلق مع المدخن بدون ممارسة فعلية للتدخين .. هذه الخطورة ثبت علميا أنها لا تقل عن ممارسة التدخين فعليا . من هنا يتضح مدى الضرر الذى يسببه المدخن لأسرته وأصدقائه والمقربين إليه ، إلى جانب ضرر نفسه . ويرتبط حدوث سرطان الرئة بكمية الدخان التي يتعرض لها الفرد ، فالشخص الذي يدخن ٢٠ سيجارة يوميا ترجح إصابته بسرطان الرئة ١٠ مرات بالمقارنة إلى غير المدخن . أما تدخين ٤٠ سيجارة يوميا فيزيد

كم سيجارة يدخّنها طفلك يوميًا ؟!

احتمالات الإصابة إلى ٢٥ مرة بالمقارنة إلى غير المدخنين ، كما أن التعرض للأسبستوس أو اليورانيوم بالإضافة إلى التدخين يزيد احتمالات الإصابة إلى ٤٠ مرة . وتؤكد التقارير إلى ارتفاع معدلات التدخين بين السيدات الأمريكيات بالمقارنة إلى نسبتها سنة ١٩٥٥ كما أن وفيات سرطان الرئة ارتفعت معدلاتها بين السيدات بالمقارنة إلى نسبة حدوثها في الرجال . ويتوقع العلماء مع مجيء سنة ١٩٨٦ أن يصبح سرطان الرئة السبب الرئيسي لوفيات السرطان بين السيدات الأمريكيات . ولما كانت معدلات الحياة لخمس سنوات بعد الإصابة بسرطان الرئة ، أقل من ١٠ في المائة .. من هنا كانت حتمية نشر برامج الوقاية . فالتوقف عن التدخين يصاحبه انخفاض تدريجي في معدلات الإصابة بسرطان الرئة ، وبعد ١٥ سنة تصبح احتمالات الإصابة بسرطان الرئة متساوية مع غير المدخنين .

الجهاز التنفسي والتدخين

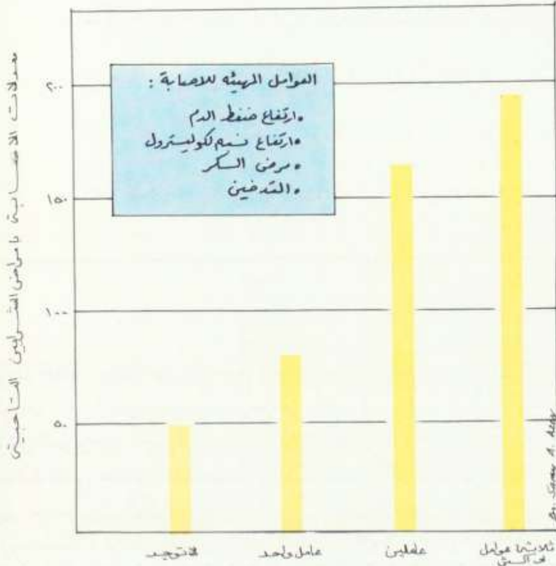
يعتبر التدخين المسئول الأول عن معظم الأمراض الرئوية المزمنة المصحوبة بضيق التنفس مثل الالتهابات الشعبية المزمنة وإمفزيما الرئة فمن بين ٥٠,٠٠٠ حالة وفاة سجلت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٣ بسبب الأمراض الرئوية المزمنة ، وجد أن ٧٠ ٪ منها ترجع إلى التدخين . كما يصاحب التدخين ارتفاع معدلات الإصابة بالتهابات الجهاز التنفسي المختلفة وأهمها التهابات الحلق والفم المزمنة والتهابات الشعب الهوائية والالتهابات الرئوية .

أقراص منع الحمل والتدخين

أما بالنسبة للسيدات اللاتي اعتدن تناول حبوب منع الحمل ، فإنه ثبت ارتفاع معدل الإصابة بأمراض الشرايين التاجية بينهن عند تدخين نحو ١٥ سيجارة يوميا .. وهذا التأثير الضار الناجم عن التدخين وأقراص منع الحمل المحتوية على هرمون الاستروجين يبدو واضحا في السيدات اللاتي استخدمن الحبوب لفترات طويلة وخاصة بعد سن ٣٥ سنة . كما ثبت أيضا أن التدخين مسئول عن ارتفاع معدلات الإصابة بجلط الأوردة ومضاعفاتها في السيدات اللاتي اعتدن تناول أقراص منع الحمل المحتوية على هرمون الاستروجين . (جدول رقم ٣) .

الحمل والتدخين

تشير الدراسات إلى أن المواليد الجدد لأمهات اعتدن على التدخين اثناء الحمل غالبا ما يكونون أقل وزنا بحوالي ١٧٠ جراماً عن المعدلات الطبيعية . كما أن التدخين أثناء الحمل مسئول عن بعض المشاكل كالإجهاض التلقائي ، وموت الجنين داخل الرحم ، ووفيات المواليد الجدد .. ويزيد خطر هذه المشاكل عند توافر العوامل الأخرى المهيئة لحدوثها بالإضافة إلى التدخين ، وقد وجد حديثا أن التدخين أثناء الحمل يؤثر بطريقة ضارة على النمو الجسماني والعقلي لهؤلاء الأطفال فيما بعد .



معدلات الاصابة بأمراض الشرايين التاجية بالمقارنة إلى عدد العوامل المهيئة للاصابة بها .

التدخين والجهاز الهضمي

ترتبط قرحة المعدة والاثني عشر بالتدخين ، كما أن مضاعفات القرحة ترفع من معدلات الوفيات بين الذكور المدخنين عن غير المدخنين . وللتدخين تأثير مضاد لالتئام القرحة كما أنه يثبط من إفراز غدة البنكرياس ذات التأثير القلوي ويقلل من فعالية الصمام الفسيولوجي الموجود بين نهاية المريء والمعدة مما يتسبب في ارتجاع العصارة المعدية الحامضية إلى المريء .

مشاعرك نحو التدخين

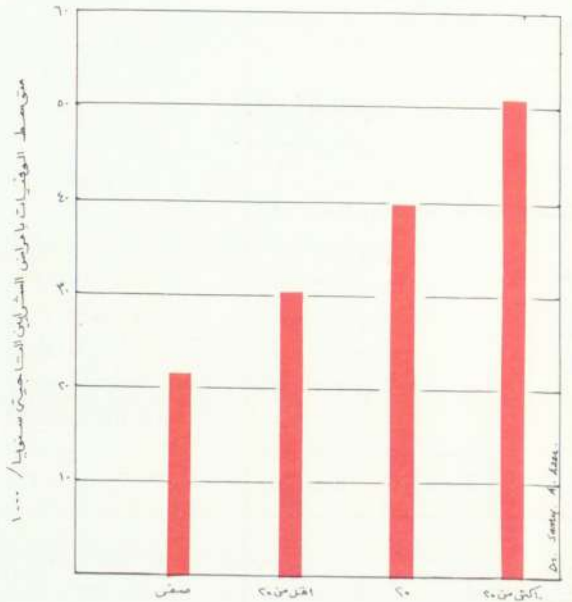
لماذا تدخن وأى نوع من المدخنين أنت ؟

الاختبار التالي ابتكرته « الجمعية الاسكتلندية للصحة والتعليم » وسوف يساعدك كثيرا في الإجابة على هذه الأسئلة .

يتكون الاختبار من عبارات مختلفة ، وعلى الدخن أن يختار منها ما يجده يعبر عن مشاعره نحو التدخين . ولكي تقوم باختبار نفسك ، فقط ارسم دائرة حول الرقم الذي يقابل كل عبارة والذي في نفس الوقت يعبر عن مشاعرك نحو التدخين :

الرقم (٥) يعني دائما .
الرقم (٤) يعني كثيرا .
الرقم (٣) يعني أحيانا .
الرقم (٢) يعني نادرا .
الرقم (١) يعني أبدا .

والآن تذكر أن كل الأسئلة إجبارية ، ولا مجال للاختيار .



متوسط الوفيات بأمراض الشرايين التاجية سنويا بالمقارنة إلى متوسط عدد السجائر التى اعتادوا تدخينها يومياً .

(أ) أدخن حتى أستمر في عملي بدون تباطؤ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ب) الظهور بالسيجارة بالنسبة لي يعتبر جزءا من متعة التدخين . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ج) التدخين يبهجنى ويجعلنى مسترخيا ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(د) أبدأ في التدخين عندما أشعر بالغضب لسبب ما . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(هـ) عندما ينضب ما معي من سجائر أشعر بأن الحياة لا تطاق وينتهي شعورى هذا عندما أبدأ في التدخين . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(و) أدخن بطريقة تلقائية وبدون أى تفكير . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ز) أدخن حتى أنبه نفسي وأشعر بالبهجة . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ح) تعتبر عملية اشعال السيجارة بالنسبة لي جزءا من متعة التدخين . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ط) التدخين عندي متعة . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ي) عندما أشعر بعدم الارتياح أو الضجر لسبب ما ، أشعل سيجارتي . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ك) أشعر أن الوقت يمر بصعوبة عندما أتوقف عن التدخين . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ل) أشعل سيجارة جديدة دون أن أدرك أن سيجارتي الأولى مازالت مشتعلة في المرمدة . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(م) أدخن السجائر حتى أبدو من طبقة راقية . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ن) النظر إلى الدخان المتصاعد يعتبر جزءا من متعة التدخين عندي . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

● الشخص الذي يدخّن ٢٠ سيجارة يومياً ترجح إصابته بسرطان الرئة ١٠ مرّات بالمقارنة إلى غير المدخنين

(س) أفضل التدخين عندما أسترخي بعيداً عن العمل . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ع) عندما أشعر بالاكتئاب أو القلق أبدأ في التدخين . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ف) أشعر بحاجة ملحة إلى التدخين عندما أتوقف عن التدخين ولو لفترات قصيرة . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

(ص) أنسى أن سيجارتي بين شفتى ولا أتذكر متى أشعلتها . ٥ ٤ ٣ ٢ ١

كيف تحسب رصيدك ؟

إبدأ أولا في كتابة الأرقام التى اخترتها في الأماكن المناسبة الخالية التى تعلو كل حرف (رقم السؤال) . ثم أجمع رصيدك في كل صنف . مثلا رصيدك في الصف الأول الذى يشتمل على الحروف (أ) ، (ز) ، (م) يعني : « التدخين بالنسبة لك منبه أو مثير لأجهزة جسمك » . ورصيدك في الصف الثاني (ب) ، (ح) ، (ن) يعني : « أنت تدخن بغرض الظهور بالسيجارة في يدك أمام الناس » وهكذا .

والآن أى رصيد يصل إلى ١١ أو أكثر = رصيد مرتفع
وأى رصيد يصل إلى ٧ أو أقل = رصيد منخفض

___ (أ) + ___ (ز) + ___ (م) = التدخين بالنسبة لك منبه أو مثير لأجهزة جسمك .

___ (ب) + ___ (ح) + ___ (ن) = أنت تدخن بغرض الظهور بالسيجارة فى يدك أمام الناس .

___ (ج) + ___ (ط) + ___ (س) = التدخين متعة واسترخاء

___ (د) + ___ (ى) + ___ (ع) = التدخين يحد من قلقك

___ (هـ) + ___ (ك) + ___ (ف) = أنت مدمن تدخين (حالتك خطرة)

___ (و) + ___ (ل) + ___ (ص) = التدخين بالنسبة لك عادة .

من هنا يتضح أن هذا الاختبار يهدف إلى تقييمك كمدخن على أساس أن هناك ستة أسباب أو عوامل تجعلنا ندخن . وتستطيع في النهاية أن تعرف لماذا أنت تدخن ؟ وماذا يعني التدخين بالنسبة لك ؟ وربما تجد نفسك تدخن لأكثر من سبب .

ويلاحظ أن الأسباب الثلاثة الأولى تمثل انفعالات إيجابية يشعر بها المدخن .

فالسبب الأول : التدخين منبه ومثير للجسم .

كم سيجارة يدخنها طفلك يوميا؟!

والسبب الثاني : التدخين بغرض الظهور بالسيجارة أمام الناس .
والسبب الثالث : التدخين بغرض الشعور بالمتعة والاسترخاء .

أما السبب الرابع : فيمثل انفعالا سلبياً كالتخلص من القلق وهموم الحياة . ويمثل السبب الخامس أخطرها ، إذ أن التدخين هنا وصل إلى درجة الادمان ولا يمكن ببساطة التوقف عنه . وأخر الاسباب : التدخين كعادة تلقائية نقبل عليها بدون سبب . ويلاحظ أن أي رصيد يصل إلى ١١ أو أكثر يؤكد أهمية التدخين بالنسبة لك لهذا السبب .. وكلما ارتفع رصيدك كلما تأكدت أهمية هذا السبب في استمرارك في التدخين .

ولمواجهة التدخين أمامك طريقان .. إما أن تعود نفسك على الحياة بدون تدخين ، أو أن تجد حلا يعطيك نفس المتعة التي تجدها في التدخين .. وفي السطور القادمة ستجد العديد من الحلول التي يمكن أن تجربها بنفسك للتخلص من التدخين وبالطبع كل طريقة ترتبط برصيدك الذى خرجت به من الامتحان السابق ، واكتشافك للسبب المباشر في استمرارك كمدخن . ويمكنك بعد ذلك أن تختار الحلول التى تناسبك وتضيف إليها خبرتك ومحاولاتك الشخصية في العلاج .

طريقك للتخلص من التدخين

(١) التدخين منبه لأجهزة جسمك :

ارتفاع رصيدك في هذا المجال (١١ أو أكثر) يؤكد أن التدخين بالنسبة لك منبه ومثير لأجهزة جسمك وأنك تشعر به يساعدك على الاستمرار نشيطا ، ويزيد من طاقاتك وقدراتك على العمل . لذلك عندما تشعر بحاجتك الشديدة للتدخين لماذا لا تحاول الحلول البديلة الآتية .

١ ــ حاول أن تمشى لفترة .
٢ ــ أو تقوم بعمل بعض التمرينات البسيطة .
٣ ــ أطلب أحد المشروبات المنبهة كالشاي أو القهوة .
٤ ــ خذ نفسا عميقا ببطء شديد ، وعندما تشعر بأن رئتيك ممتلئتان بالهواء ، اسكن لفترة ثم أخرج ما بهما من هواء ببطء شديد وكرر هذه الدورة ببطء شديد خمس إلى ست مرات .

(٢) الظهور بالسيجارة :

إذا حققت رصيداً مرتفعا في هذا المجال (١١ أو أكثر) فاعرف أنك من المغرمين بحمل علب السجائر القيمة ، وتجد لذة في اخراج السجائر واشعالها أمام الناس ، وتأمل الدخان المتصاعد منها وتحريكها بين أصابعك .
والحلول البديلة التى نعرضها عليك :

١ ــ أمسك قلمك وحركه بين أصابعك عند شعورك بالحاجة إلى التدخين .
٢ ــ أو أرسم به ما شئت من خطوط .

جدول رقم (١)

بعض مكونات دخان السجائر :

المـــادة	تـأثيـرها
(أ) مواد غير غازية :	
• القطران	تأثير سرطاني
• مواد أروماتية هيدروكربونية	تأثير سرطاني
• نيكوتين	تأثير منشط ومثبط للمشتبكات العصبية .
• فينول	تأثير سرطاني
• كريسول	تأثير سرطاني .
• بيتا نفثيل أمين	تأثير سرطاني .
• بنزوبيرين	تأثير سرطاني .
• بعض العناصر النادرة كالنيكل والبولونيوم ٢١٠	تأثير سرطاني .
• اندول	تأثير معجل بالنمو السرطاني .
• كربازول	تأثير معجل بالنمو السرطاني .
(ب) مواد غازية :	
• أول أكسيد الكربون	يؤثر على نقل الدم للأوكسجين وانتفاع أنسجة الجسم به .
• حامض الهيدروسيانيك	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• استالدهيد	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• أكرولين	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• أمونيا وفورمالدهيد	تأثير مهيج للأغشية المخاطية .
• اكاسيد النيتروجين	تأثير مهيج للاغشية المخاطية .
• نيتروز أمين	تأثير سرطاني .
• هيدرازين	تأثير سرطاني .

٣ ــ اخرج قطعة نقود معدنية وحركها بين أصابعك .
٤ ــ استخدم غليونة التدخين (البيبة) بدلا من السجائر لأنها تناسب احتياجاتك .. فالتدخين بالبيبة يتطلب تنظيفها وحشوها بالتبغ وإعدادها الاعداد الجيد للتدخين ثم الاشعال الذى قد يتطلب بعض المهارة وما إلى آخر ذلك .
٥ ــ ضع سيجارتك بين شفتيك واتركها بدون اشعال .

(٣) التدخين متعة واسترخاء :

ليس من السهل عادة تحديد ما إذا كنت تدخن لتشعر بالمتعة أم لتجنب نفسك الشعور بالضيق وعدم الارتياح . والحقيقة أن ما يقرب من ثلثي المدخنين يحققون رصيدا مرتفعا في هذا المجال . لذلك إذا كنت بالفعل تشعر أن التدخين سبب متعة بالنسبة لك .. لماذا لا تحاول هذه الوسائل البديلة ..

١ ــ تناول بعض الأطعمة بدون إكثار .
٢ ــ أو تناول شراباً مثلجا .
٣ ــ شارك في بعض الأنشطة الاجتماعية .
٤ ــ اعمل على تغيير ما اعتدت عليه يوميا .. مثلا توقف عن التدخين بعد الوجبات أو اقرأ كتابا بدل الجريدة اليومية .. توقف عن مراقبة برامج التليفزيون لفترة وهكذا .

جدول رقم (٢)

نسبة المدخنين بين الذكور والإناث في الولايات المتحدة الأمريكية من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٨٠ (تبلغ سن المدخنين ١٧ سنة فأكثر) .

السنة	ذكور	إناث
١٩٥٥	٥٢,٦	٢٤,٥
١٩٦٥	٥١,١	٣٣,٣
١٩٧٠	٤٣,٥	٣١,١
١٩٧٤	٤٢,٧	٣١,٩
١٩٨٠	٣٦,٧	٢٨,٩

جدول رقم (٣)

معدل الوفيات بين السيدات اللاتي اعتدن استخدام حبوب منع الحمل وتأثير التدخين في ارتفاع هذه المعدلات :

العمر (بالسنين)	معدل الوفيات بين السيدات اللاتي استخدمن حبوب منع الحمل لكل ١٠٠,٠٠٠ سيدة	
	حبوب منع الحمل فقط	بالاضافة إلى تدخين ١٥ سيجارة يوميا
٣٠ ـ ٣٤	٢	١٦
٣٥ ـ ٣٩	٤	٢٣
٤٠ ـ ٤٤	٧	٨٣

٥ ـ دخن سبع أو ثماني سيجارات في نفس الوقت وبسرعة حتى تفقد متعة التدخين .

(٤) التدخين يحد من قلقك :

غالبا ما يلجأ معظم المدخنين إلى الإكثار من التدخين عند الشعور بالضيق والقلق .. وبطبيعة الحال لن يغير التدخين من شىء كما أنه طريقة غير صحية لحل المشاكل ، ويمكنك التخلص من هذه العادة السيئة باتباعك الأساليب الآتية :

١ ـ ضع بعض أقراص النعناع عند شعورك بالقلق .
٢ ـ تناول بعض الأطعمة ذات السعرات الحرارية المنخفضة .
٣ ـ مرن نفسك على الهروب من الغضب والاحباط .

(٥) إدمان التدخين :

تحقيق رصيد مرتفع في هذا المجال يؤكد أن اشتياقك المتزايد لتدخين سيجارة جديدة يبدأ مع اطفاءك للسيجارة السابقة .. لذلك يتحتم عليك هنا أن تحطم هذه الرغبة المتزايدة نحو التدخين لأن الحلول الوسط هنا لن تفيد في شيء .. وتجدر الإشارة إلى أن أحد الأطباء النفسيين الأمريكيين كان يعاني من أدمان التدخين لعدة سنوات ، ويحكي في كتاب له نشر مؤخرا عن كيفية مواجهته لمشكلة التدخين من واقع تجربته الذاتية .. يقول الطبيب المؤلف :

* كيف تحطم الرغبة المتزايدة نحو التدخين .. وماهى الوسائل البديلة للتخلص من هذه العادة السيئة ؟

لقد مكثت في دار السينما ثلاثة أيام متواصلة أشاهد ما تعرضه من أفلام في حفلاتها المختلفة بدون تدخين سيجارة واحدة .. لأن التدخين ممنوع أثناء العرض .. واستطعت بعد ذلك أن أتوقف تماما عن التدخين .

ومدمنو التدخين عادة يجدون صعوبة ومرارة في التوقف عن التدخين ولو للحظات . ولكنهم لو تمكنوا من التوقف لعدة أيام نادرا ما يعودون مرة أخرى للتدخين .. لذلك ننصحك إذا ما كنت مدمنا أن تتبع أحد الوسائل الآتية :

١ ـ حاول أن تنمي في نفسك الشعور ببغض التدخين ومقته كأن تقرأ كتابا عن أضراره أو تشاهد فيلما في ذلك .
٢ ـ استخدم نوعا آخر من السجائر التى لا تفضلها .
٣ ـ اعزل نفسك بدون سجائر لمدة يوم أو يومين .

(٦) التدخين بالنسبة لك عادة :

التدخين هنا مجرد عادة لا تتبعها أى متعة ، فالمدخن مثلا يشعل سجائر كثيرة بدون أى ادراك لما يفعل ، والتوقف عن التدخين في هذه الحالة يحتاج إلى كسر هذه العادة أو استخدام بديل عنها ويمكن اتباع الوسائل الآتية :

١ ـ عندما تشعل سيجارة جديدة حاول أن تسأل نفسك : « هل أنا حقا في حاجة إلى هذه السيجارة ؟ » .
٢ ـ حاول أن تضع علبة سجائرك في جيب آخر ، أو تفرغ ما بها من سجائر وتكتفي بسيجارة أو اثنتين .
٣ ـ إذا ما كنت معتادا على تناول القهوة مثلا مع السيجارة .. استبدل القهوة بأى مشروب آخر .
٤ ـ لا تحمل معك عيدان ثقاب أو ولاعة .
٥ ـ حاول أن تضع في ذهنك دائما هذه العبارة : « التدخين يدمر صحتى ويتسبب في موتي » .

الاقتراحات السابقة قد تفيد كل من يرغب بعزيمة قوية التوقف عن التدخين .. أما إذا كنت تفكر في التخلص من التدخين بطريقة تدريجية فيمكنك اتباع الوسائل الآتية :

١ ـ لا تكمل تدخين السيجارة حتى نهايتها .
٢ ـ لا تستنشق الدخان بعمق .
٣ ـ استخدم السجائر التى تحتوى على أقل نسبة من القطران والنيكوتين .
٤ ـ تذكر يوميا أهمية تأجيل إشعال أول سيجارة لأطول فترة ممكنة .
٥ ـ إبدأ في استخدام ماركات أخرى من السجائر التى لا تعجبك . أما إذا فشلت معك كل الوسائل السابق طرحها فلا تيأس .. حاول مرة أخرى واستمر في محاولاتك ، فلابد أنك ستنجح في انقاذ نفسك من دخان السجائر القاتل طالما تسعى لحياة أفضل لك وللآخرين .

سـامي عزيز

● تذكار من فلسطين

خذوني إلى بَيْسَان

بقلم : يوسف الخطيب

تتجمع بعض مياه الأمطار ، والأودية والسيول الصغيرة ، من شعاب جبل « الدحي » المطل على « مرج ابن عامر » من شماله الشرقي ، لكي تشكل نهر « جالود » الصغير هذا ، شاقاً طريقه من شمالي قرية « زرعين » ، فمخترقاً سهل بيسان ذاتها ، جاعلاً جسد المدينة المأهول عن يمينه ، « وتل الحصن » الأثري المطل عليها عن يساره ، لينتهي أخيراً بانصبابه في مجرى نهر الأردن في فلع الغور ، دون أن يتعدى طوله الثلاثين كيلومتراً في أقصى امتداد له في فصل الشتاء ..

وعلى مقربة من نهير « جالود » هذا ، تقع قرية « عين جالوت » الفلسطينية ذات الخصوصية التاريخية والاستراتيجية المتميزة .. وإذا كنا لا نعلم أياً من تسمية النهر ، أو تسمية القرية ، هي الأصل في الثانية ، فإن ما هو أدعى من ذلك بكثير لأن يقع في عالمنا ، هو أن « عين جالوت » هذه تعلم الزاوية الجنوبية لمثلث صغير جداً ، ومتساوي الأضلاع تقريباً ، كثيراً ما أشرت إليه في بعض كتاباتي الأخرى بـ « مثلث الأمجاد » ، لأن على زواياه الثلاث المتقاربة ترتكز أقدس أقداس التاريخ العسكري العربي ،في ثلاث معارك مفصلية حاسمة غيرت مجرى التاريخ الإنساني الوسيط برمته .. فعلى زاويته الشرقية وقعت معركة « اليرموك » التي طردت الاحتلال البيزنطي من بلاد الشام ، وشقت الطريق أمام الفتوحات العربية الإسلامية ، من شطآن بحر الظلمات في الغرب ، حتى سور الصين العظيم في الشرق .. وعلى زاويته الشمالية دارت رحى معركة « حطين » التي حسمت موجة الطاعون الصليبي عن ربوع المشرق العربي .. ثم أخيراً على زاويته الجنوبية هذه في « عين جالوت » سحق الظاهر بيبرس ــ تحت إمرة السلطان قطز ــ الهجمة التتارية الكاسحة ، واستنقذ دمشق وبلاد الشام كلها من يد هولاكو وجراده الزاحف من الشرق .. ألا وهي المعركة الحاسمة الثالثة التي قد لا يتصور المرء أن رحاها الطاحنة قد دارت على ضفاف هذا النهير الفلسطيني الرائق ، المفعم بالعبير ، وزقزقة العصافير ..

كنت في عهد فتوتي في الأربعينات أطبق التعبير الفلسطيني الساحر في قولهم : « كمصطاف أريحا » !! .. فما كانت تجيء عطلة الصيف الدراسية إلا ويستبد بي الحنين إلى الإقامة عند أخي الأكبر « أبي غسان » ، هاهنا في قيظ بيسان .. فكنت أبرح جبل الخليل ، بأعاليه ودواليه ، وخمائله وعنادله ، وأندائه الصيفية ، ونسائمه البحرية التي أشهد أمام الله والناس أن رئتي لم تتنفسا فوق أية أرض ، أو تحت أية سماء ، ما هو أطيب منها ، ولا أعذب ولا أرطب ، شاقاً طريقي على خط شمالي مستقيم عبر بيت لحم ، فالقدس ، فبيرة رام الله ، فنابلس ، فجنين ، فالعفولة ، فمنعطفاً بعد ذلك بانكسار حاد إلى الجنوب الشرقي ، على موازاة هذا النهير ــ الذي يتراءى لي الآن مجرد قطرة دمع كبيرة مسفوحة على خد فلسطين ــ لأنتهي أخيراً إلى قلب أتون بيسان الملتهب صيفاً في وهدة الأردن ..

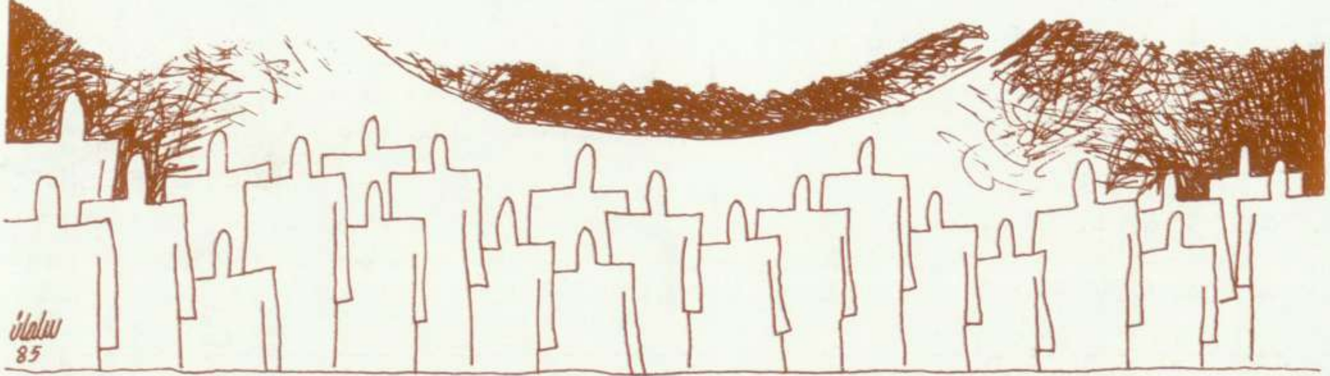
وأما عن مدينة بيسان ذاتها ، فزبدة ما كتبه عنها المقدسي ، والبكري ، والإدريسي ، وياقوت الحموي ، وأبو الفداء ، في مصنفاتهم البلدانية ، هي أنها باختصار بلدة النخيل ، والماء الثقيل ، والحر الوبيل .

ألا أعادنا الله لبيسان ، وأعادها إلينا ..



هرمُ النيلِ.. وأوراسُ الجزائر

شعر: فتحي سعيد



لستُ عبداً .. لست مغلولَ الفمِ
أنا إنسانٌ ولي روحٌ وعقلْ
وصناعاتٌ وحقلْ
وانتفاضاتُ دمي
لست وحدي بل معي كلُّ البشرْ
لي أرض وسماءٌ وقمرْ
لي قلب ..
فيه للآمال دربْ
ومواويلٌ وحبْ
فيه من أهوى ومن تسكبُ في روحي الضياءْ
لفْتةُ العصفور عيناها .. وعيناها سماءْ
فيها أبصرُ قلبي طائراً دون جناحْ
يتملّى الكون أفراحاً وأعيادَ كفاحْ
لي أطفالٌ لهم حقُ الحياه
وابتساماتُ الشفاه
أنا إنسانٌ وحرْ
أنا عند الخيرِ خيرْ
ولقاءُ الشر مُرْ
أنا عزْمٌ قد تحجَّرْ
أنا أكبرْ
من صواريخ الطغاه
أنا أكبرْ
من رصاص البندقيه
أنا صاعدْ .. أنا صاعدْ
بقلوبٍ وسواعدْ
محرقه .. من ثقه .. صاعقه
ترفع الساعد تُفْني كل قوه
تقذفُ الجلّاد في أعمقِ هُوّه
فاذا خرَّ شهيدٌ قامَ آخرْ
وإذا قيل شهيدٌ : فالجزائرْ
نصفُ مليونٍ ومليونُ شهيدْ
من دماهُمْ أوْرقَ الفجرُ الجديدْ
أطْلعَ الليلة عيد
موكباً للمجدِ سائر
أولُ الفاتح تشْرينُ الكواسرْ
عيدُ مِيلادِ الميامينِ الجبابرْ

* * *

كلُّنا في الجرح شرقْ
نَبْضُ عِرقْ
بيننا ألفُ أواصرْ
هرمُ النيلِ .. وأوراسُ الجزائرْ
علمَ اللهُ بما تطوي السرائرْ
وبما تحوي الضمائرْ
فإذا ما هامَ شاعرْ
يتغنّى بالأماني والبشائرْ
ومشى العيدُ على وقعِ المزاهرْ
هاتفاً : مصرُ الجزائرْ

الحياة والناس والأدب

في رأيه المتواضع



بقلم : عبد الله الشيتي

هو رأي سديد مفيد ، ساقه صاحبه الشاعر الدكتور غازى القصيبي على مدى ٩٢ صفحة من الحجم المتوسط وحمل كتابه الأنيق هذا العنوان المهذب - إن جاز التعبير - (في رأيي المتواضع) ..

وفي ذهني حكمة تقول :

- التواضع يرفع رأس الانسان والتكبر يخفضه !

ويشتمل كتاب القصيبي ستا وعشرين مقالة وخاطرة ورؤية فنية ، وتخللتها مقابلتان صحفيتان « شاعريتان » مع .. أبي الطيب المتنبي !

ويسارع المؤلف فيعلن في مقدمته المقتضبة السبب الذي حفزه إلى اختيار (التواضع) عنواناً لكتابه ، وسبيلاً لرأيه ، وهوية لذاته . هو ذا يؤكد :

- « عندما اخترت لهذا الكتاب اسم (في رأيي المتواضع) لم أفعل ذلك عبثاً أو حياء كاذباً أو استفزازاً .. بل ان ما أعرضه هنا هو مجرد رأي ، وهو رأي متواضع لأنه رأي شخصي لم يسبقه كثير أو قليل من البحث التطبيقي أو الميداني » .. ويستطرد قائلا : نحو مزيد من نقد الذات أو مواجهتها بحملة من الحقائق الدامغة :

« إنني أقول بملء فمي ، ان كل ما كتبته في هذه المقالات من قبيل الرأي الشخصي لا النظريات الدقيقة ، ولا الأبحاث العلمية وهو رأي يجري عليه ، ما يجري على آراء البشر جميعاً من خطأ وصواب !

• ويزداد تواضعاً فيرجح عنده كفة الخطأ على كفة الصواب ... ولسان حاله : قل كلمتك وامش .. !

بذلك يكون الدكتور الكاتب - لا الشاعر هنا - قد جنح إلى احترام وعي وإدراك القارىء وأوحى إليه بشكل مباشر أو غير مباشر ، أن يكون حراً طليقاً في أن يتبنى فكرة له أو رأياً ، أو يرفض ! وذلك من حقه .. إنما السؤال المطروح على دكتورنا الشاعر « المعترف » بين يدى قارئه : هل تراه يعود عن الخطأ .. ! أم ان الأمر قناعات حتى ولو جاز فيها التأويل ؟ وسبق لهذه المقالات أو الخواطر أن نشرت في مجلة (اليمامة) السعودية تباعاً ، ولم يخل بعضها من طرافة وممازحة وحكايات صغيرة فيها عبرة وفيها متعة وفيها تأملات في الناس والفن والحياة ..

وانظر هذه الحكمة عنده ، « تنسف » مناسف الكرم حين يدلنا المؤلف على ما هية الكرم الحقيقي ، نسبياً وممارسة وفطرة فيقول ص ١٨ :

- ان الشخص الذي يتبرع لجمعية خيرية بألف ريال ، أكرم في نظرى بكثير من الشخص الذي يدفع عشرة آلاف ريال فاتورة فندق لصديق ثري لا يحتاج هذا المبلغ ! ولا ينسى أن يعقب على ذلك ساخراً : مع الاعتذار لأحفاد حاتم الطائي !

وبين تلافيف الكتاب ، تفاجئك بعض (التعليقات) السياسية الساخرة والساخنة من خلال معاناة الكاتب والقارىء معاً ، مما يدور حوله أو أمامه أو داخل رأسه المثقل بالهم والغم واليأس القتال نتيجة لاستشراء أوضاع كثيرة متهرئة ، نتيجة ما حل في هذه الأمة من تفكك وتشرذم ونفور ..

وثمة ومضات « شاعرية » بمثابة مصابيح صغيرة ، أو نغمات قلب ودفقة وجدان .. فتحت عنوان (تذكرى) يقول القصيبي :

د . غازى القصيبي



« تذكرى ، أن الجرح عندما يتعب من البكاء يبدأ في الغناء ! ..

تذكري أن اليأس في سبيل الانسان أعلى مدارج الأمل .. » !

وتذكري ، أخيراً ، أن الجسد عاطفة قديمة ، ولكنها - لا تزال - عاطفة رخيصة !

• وانها لطريفة لطيفة تلك المقابلة الصحفية المستفيضة التى يسائل الشاعر خلالها أبا الطيب المتنبى على هذا النحو :

• من أنت ياسيدى ؟

- أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى .. !

• من هو أبوك ؟

ما بقومى شرفت - بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي !

وحين يستفسر منه ، عمن يعجبه من الشعراء - قدامى ومحدثين - يجيب المتنبي أو أننا نتخيله يجيب :

ودع كل صوت غير صوتى فإننى
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى !

ويستنصحه لشبابنا العربى اليوم ويهدر صوت المتنبى من قبل ألف عام يقول :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

سلام على المتنبي ، وسلام على الصحفى الشاعر حفيده القصيبي ..

ويقبس القصيبي بدوره ، من حمزه شحاته بعضاً من حكمه وأقواله المعبرة تكريماً وتخليداً واعزازاً له :

• الجمل حيوان مجتر .. وكذا الشاعر .

• ان أية امرأة واعية تهزأ بأن تضع فيها شعراً .

• دور الشعر انتهى قبل أن يخوض معركة وجوده .

وبعد

فإن « سندويشات » الدكتور القصيبي هي ولاشك بمثابة (وجبات) دسمة مع انها خفيفة .. رشيقة .. و« مهضومة » .

ومن مثل رأيه المتواضع ، نتواضع بدورنا ، ونستزيد ..

فهل من مزيد ، نحن الجياع و .. العطشى !

خطة بعيدة المدى

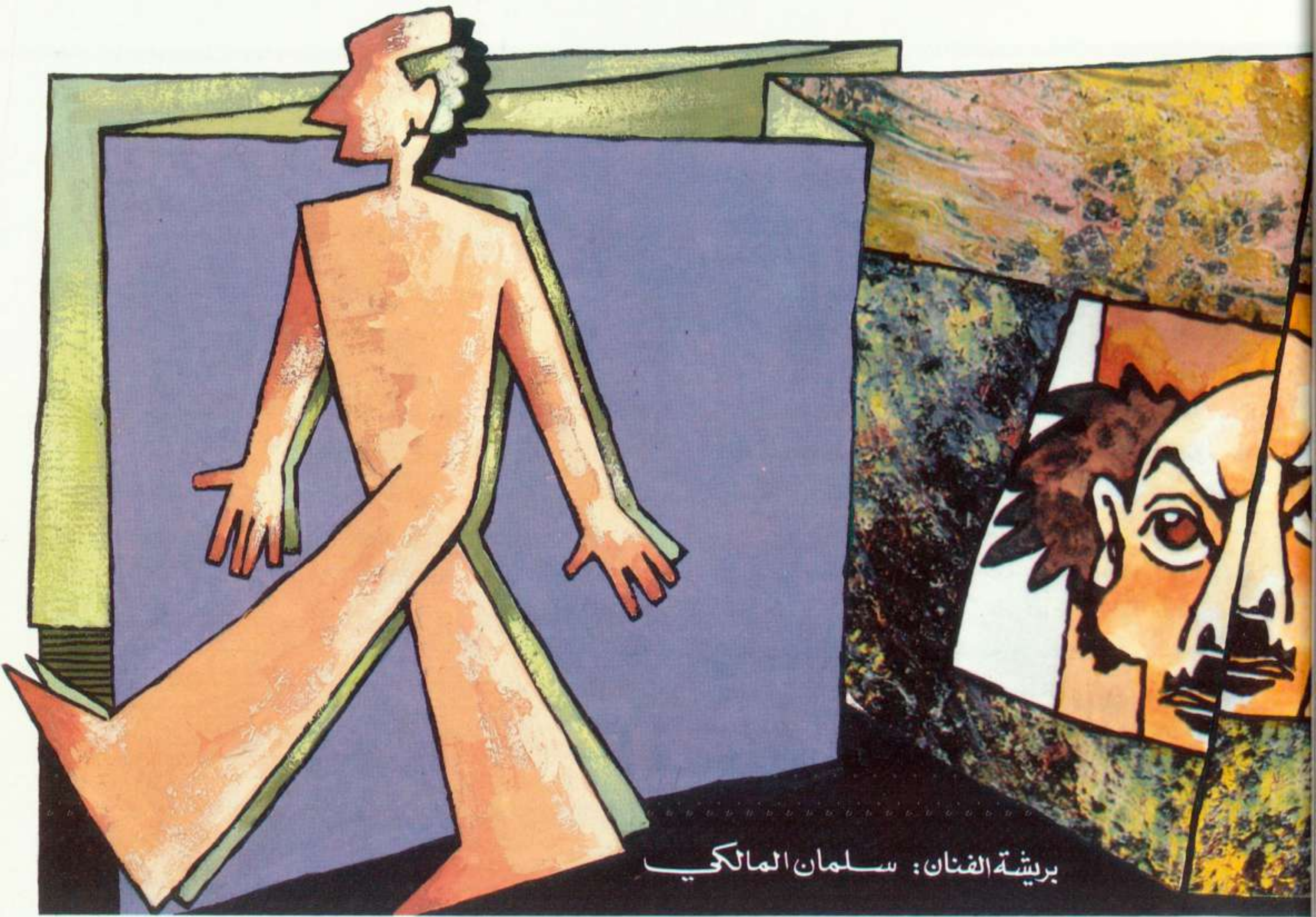


قصة جديدة

بقلم الكاتب الكبير

نجيب محفوظ

بالأمس تحديات الجوع والصعلكة واليوم تحديات الثراء الفاحش . بيت عتيق بنصف مليون ، خلق عصام البقلى من جديد ، خلق من جديد وهو فى السبعين من عمره . تملَّى صورته فى المرآة القديمة . صورة بالية ، تكالب عليها الزمن والجوع والحسرات . الوجه قالب من العظام البارزة والجلد المدبوغ الكريه ، جبهة ضيقة غائرة وعينان ذابلتان ورموش قليلة باقية . أسنان سود بلا ضروس ولغد من التجاعيد . ماذا يبقى من الحياة بعد السبعين ؟ . ولكن بالرغم من كل شئ فللثروة الهابطة سكرة لاتتبخر . أمور لاحصر لها يجب أن تنجز . المليونير عصام البقلى بعد الصعلوك المتسول عصام البقلى . كل من بقى على قيد الحياة من الأصدقاء القدامى هتف « أما سمعتم بما حصل للبقلى ؟ » ، « ماذا حصل للصعلوك ؟ » ، « البيت القديم اشترته شركة من شركات الانفتاح بنصف مليون ! » ، « نصف مليون ! ! » ، « وكتاب الله » . وينتشر الذهول ما بين السكاكينى والقبيسى والعباسية كإعصار . البيت كان يمتد بفنائه الواسع بشارع قشتمر ، ورثه عن أمه ، رحلت منذ عشر سنوات بعد أن حولها العمر إلى حطام ، تعلقت بالحياة بإصرار حتى تهتكت الخيوط فهوت ، لم يحزن عليها ، عودته الحياة على ألا يحزن على شىء . لم يكن للأسرة إلا معاش أمه الصغير والمأوى ، لم يحرز أي نجاح فى المدرسة ، لم يتعلم حرفة ، لم يؤد عملا أبدا ، صعلوك ضائع ، قد يربح قروشا فى النرد مع الغش بفضل تسامح الأصدقاء ، أصدقاء كثيرون جادت بهم المدرسة والجوار على أيام الطفولة والصبا والشباب ، فى روحه خفة كفرت عن سيئات كثيرة وغفرت أخطاء ، دائما يحظى بالعطف لشدة بؤسه وانغلاق مستقبله . الأب كان موظفا بالبريد وأمه ورثت بيت قشتمر بطابقه الواحد الصغير وفنائه الواسع المهمل ، فحق له أن يقول إنه ابن ناس طيبين ولكنه سئ الحظ . الحقيقة انه كان بليدا تنبلا وقليل الأدب فسرعان ماطرد من المدرسة . عاش حياته تقريبا فى مقهى ايزيس مدينا أو مسددا دينه بالغش وكرم الأصدقاء . فكر صديقه المحامى عثمان القلة أن يلحقه بمكتبه الكائن بميدان الجيش فأبى لأنه كان يكره العمل كره العمىٰ . وفى وحدته عند مايغيب الأصدقاء فى أعمالهم يمضى وقته فى الكسل وأحلام اليقظة . يبتل ريقه بشئ من اليسر فى مواسم الانتخابات والأفراح والمآتم . عاش دهره بفضل خفة روحه وكرم أصدقائه ، واحترف



التهريج ، يغني ويرقص وينكت ليفوز بأكلة فول أو قطعة بسبوسة أو نفسين حشيش ، وظلت غرائزه مكبوتة جائعة مجنونة . بيت قشتمر لا يعرف من ألوان الطعام إلا الفول والطعمية والباذنجان والعدس والبصارة والنابت ، أما أحلامه فتهيم دائما فى وديان من الولائم الغامضة والجنس المكبوت . وكانت له أساطيره عن غراميات مع أرامل ومطلقات ومتزوجات أيضا فلم يصدقه أحد ولم يكذبه أحد . طبع بصورة المتسول منذ شبابه الأول ببدلته المشتراة من سوق الكانتو وصلعته المبكرة وشحوبه الدائم . لم يصدق أساطيره أحد سوى مغامرة مع خادمة أرملة تكبره بعشر سنوات ، سرعان ما انقلبت إلى شقاق ونزاع عندما تبين له أنها تروم الزواج منه . بل اشترطت أيضا أن يجد لنفسه عملا لأن اليد البطالة نجسة ، ووقع الانفصال من خلال معركة تبودلت فيها الضربات على الوجه والقفا . تلك كانت المغامرة الوحيدة الحقيقية والتى شهدها جاره الأستاذ عثمان القلة فحدث في المقهى قائلا :

ـ فاتكم مشهد ولا السيرك ، امرأة مثل زكيبة الفحم ، فرشت الملاية لعزيزنا البقلي في فناء بيته الكريم ، على مسمع ومرأى من أمه الكريمة المذهولة ، ولم تفض المعركة إلا بطلوع الروح وتدخل أولاد الحلال ، وسرعان ما نشبت معركة جديدة مع أمه ..

عدا تلك التجربة الفاشلة جحظت عيناه من طول التطلع النهم إلى السائرات في الطريق واحترق قلبه كما احترقت معدته من الجوع . ولم يجد إلا أمه ليصب عليها جام غضبه وإحباطه رغم حبها الشديد له . حب عجوز لابنها الوحيد . وكلما حثته على العمل أو الاستقامة سألها متحديا :

ـ متى ترحلين عن هذه الدنيا ؟

فتقول باسمة :

ـ الله يسامحك ، وماذا تفعل إذا انقطع عنك معاشي ؟

ـ أبيع البيت .

ـ لن تجد من يشتريه بأكثر من خمسمائة جنيه تبددها في شهرين ثم تحترف الشحاذة ..

لم يسمعها كلمة طيبة قط ، ونصحه أصدقاؤه بتغيير سياسته معها حتى لا يقتلها هما وكمدا ويعرض نفسه حقا للشحاذة . وذكروه بما قال الله وما قال الرسول ولكن ضياعه اقتلع جذور الإيمان من قلبه المفعم بالجوع والحسرات . والتزم بموقفه الساخر الساخط من الأحداث التي تمر به كالمعارك الحزبية والحرب

خطة بعيدة المدى

العالمية ، بل دعا على الدنيا بالمزيد من الهلاك والفناء ، وتمادى في السخرية والاستهتار . ويئست أمه منه تماما وسلمت أمرها لله ، ويغلبها الأسى أحيانا فتسأله :

ــ لماذا تقابل حبي بالعقوق ؟

فيقول ساخرا :

ــ من أسباب النحس في هذه الدنيا أن يمتد العمر بالبعض أكثر من الضروري !

ومضت تكاليف الحياة في صعود . هل ثمة مزيد من الحرمان ؟ واقترح على أمه أن يسكّن فردا أو أسرة في حجرة نومه على أن ينام هو على الكنبة في حجرتها . فقالت المرأة في حيرة :

ــ نفتح بيتنا للأغراب !

فصاح بها :

ــ خير من الموت جوعا ..

وألقى نظرة على فناء البيت وتمتم :

ــ كأنه ملعب كرة ولكن لا خير فيه !

وجاءه سمسار بطالب ريفي فاستأجر حجرته بجنيه . وتندر الأصدقاء بالواقعة فقالوا إن بيت قشتمر أصبح بنسيونا . وأطلقوا على أمه «مدام البقلي» ولكن لم يكن يعتق نفسه من السخرية أمامهم ويغني :

وأيام تيجي على ابن الأصول ينذل

واستهان بالغارات الجوية بخلاف الكثيرين ، لم يستجب لزمارة الانذار أبدا ، ولم يغادر مجلسه بالمقهى ولا عرف طريق المخبأ . لا يهمه هذا ، ما يهمه أن العمر يجري وأنه يشارف الأربعين دون أن يهنأ بلقمة لذيذة أو امرأة جميلة . حتى الثورة لم يهتز لقيامها وقال ساخراً :

ــ يبدو أن هذه الثورة ضدنا نحن أصحاب الأملاك !

وهو لم يقرأ في حياته جريدة ويتلقى معلوماته دون اكتراث في مجالس الأصحاب . ويتقدم به العمر حتى يتجاوز الخمسين ، وطعنت أمه في السن ، وركبها الضعف وأخذت تفقد الاهتمام بالأشياء ، ومرت بها أزمة فتطوع صديق طبيب بفحصها ، وشخص علتها بالقلب ونصح بالراحة والدواء . كانت الراحة مستحيلة والدواء متعذرا ، ومضى يتساءل كيف يتعامل مع الحياة اذا حرم من معاشها . وراحت تقترب من الموت ساعة بعد أخرى حتى استيقظ ذات صباح فوجدها ميتة ! . نظر اليها طويلا قبل أن يغطي وجهها . خيل اليه أنه يتذكر قبسات من ماض بعيد وأنه يتوقف مرغما عن السخرية وأن تلك اللحظة من الصباح كئيبة حزينة . وقصد من توه أغنى أصدقائه السيد نوح تاجر العمارات فتكفل الرجل بتجهيز المرأة ودفنها . وحذره من بيع البيت ان يجد نفسه بعد حين مشردا في الشارع . ترى هل يكفي الغش في النرد وايجار الحجرة ؟! .. أوليس لكرم الأصدقاء حد ؟.. وغامر بتجربة الشحاذة في بعض أطراف المدينة ولم تكن تجربة عقيمة . وتتابعت الأيام فمات زعيم وتولى زعيم وجاء الانفتاح وهو يستقبل عامه السبعين ، عامه السبعين من الضياع واليأس . تمادى الغلاء حقا وعربد ، وزلزلت الموازين . لم يعد التسول بنافع وكرم الأصدقاء انحسر وتهاوى في بئر التلاشي ، رحل منهم نفر واسفاه ، وآوى الباقون الى شيخوخة هادئة تقنع بالسمر . ياله من عجوز بائس يائس وتنقشع ظلمات الوجود ذات يوم عن وجه السمسار وهو يهبط بأجنحة ملائكية من كبد السماء ! . وفي حضرة صديقيه المحامي وتاجر العمارات تمت الصفقة وأودع المبلغ الخرافي في البنك . وجلس الثلاثة في مقهى بلدي بشارع الأزهر يتوافق تواضعه مع منظر المليونير التعيس . تنهد عصام البقلي في ارتياح عميق يغني عن أي كلام . إنه سعيد سعادة كاملة لأول مرة في حياته ، ولكنه قال في حيرة :

ــ لا تتركانى وحدى

فقال عثمان القلة المحامى ضاحكا :

ــ لاحاجة بك لانسان بعد اليوم .

ولكن السيد نوح قال :

ــ إنه مجنون وفى حاجة الى مرشد فى كل خطوة .

فقال البقلى بامتنان :

ــ وأنتما خير من عرفت فى حياتى .

فقال السيد نوح :

ــ هنالك أولويات قبل الشروع فى أي عمل ، غير قابلة للتأجيل ، فى مقدمتها أن تذهب الى الحمام الهندى لتزيل القذارة المتراكمة وتكشف عن شخصك الأصلى ..

ــ أخاف ألا يعرفونى فى البنك ..

ــ وتحلق رأسك وذقنك ، ونشترى لك اليوم بدلة جاهزة وملابس فيمكنك الاقامة فى فندق محترم دون إثارة للريب ..

ــ هل أقيم فى الفندق بصفة مستديمة ؟

قال المحامى :

ــ إذا شئت ، ستجد خدمة كاملة وكل شىء ..

فقال السيد نوح :

ــ الشقة لها مزايا أيضا ..

فهتف البقلى :

ــ والشقة لاتكتمل إلا بعروس !

ــ عروس ؟ !

ـ لم لا ؟ .. لست أول ولا آخر عريس فى السبعين !
ـ إنها مشكلة !
ـ تذكر أن العريس مليونير ..
فقال المحامى ضاحكا :
ـ إغراء شديد ولكن لأولاد الحرام ..
فقال البقلى باستهانة :
ـ حرام أو حلال ، كله واحد فى النهاية !
فقال نوح :
ـ لا .. قد ترتد الى التسول بأسرع مما تتصور ..
وقال عثمان المحامى :
ـ فلنؤجل ذلك الى حين
فقال عصام البقلى :
ـ مسألة المرأة غير قابلة للتأجيل ، هي أهم من البدلة الجاهزة ..
ـ الفرص كثيرة والملاهي أكثر من الهم على القلب ..
ـ حاجتي اليكما في هذا الطريق أشد ..
ـ ولكنا ودعنا زمن العربدة منذ أجيال ..
ـ وكيف أسير وحدي ؟



ـ من ترافقه النقود لا يعرف الوحدة ..
وقال السيد نوح :
ـ لنا جلسة أخرى فيما بعد للتفكير في استثمار الثروة فمن الحكمة أن تنفق من الريع لا من رأس المال ..
فقال البقلي محتجا :
ـ تذكر أنني في السبعين وبلا وريث !
ـ ولو !
فقال المحامي :
ـ المهم أن نبدأ .
وعندما اجتمعوا مساء تبدى عصام البقلي في بشرة جديدة وبدلة جديدة . تلاشت القذارة ولكن بقيت تعاسة الكبر والبؤس القديم . وقال المحامى ضاحكا :
ـ فالنتينو ورب الكعبة !
ولما كان الأستاذ عثمان القلة على مودة وتعامل مع مدير فندق النيل فقد استأجر له حجرة ممتازة بالفندق ، وسرعان ما دعاهما البقلي للعشاء على مائدته . ودارت كئوس قليلة لفتح الشهية ، وجلسوا معا بعد العشاء يخططون للقاء الغد ، وأوصلهما حتى سيارة السيد نوح ولكنه لم يرجع الى الفندق . استقل تاكسيا الى شارع محمد علي ومضى من توه الى محل الكوارع المعروف . لم يعترف بذلك العشاء المرهف فاعتبره فاتحا للشهية ، وطلب فتة ولحمة راس وأكل حتى استوفى المزاج . وغادر المحل ليرمرم ما بين البسيمة والكنافة والبسبوسة وكأنما أصابه جنون الطعام . وعاد الى الفندق قبيل منتصف الليل وقد سكر بالطعام حتى كاد يفقد الوعي . وأغلق حجرته وثقل غير متوقع يزحف على روحه وأعضائه . خلع الجاكتة بمنتهى العناء ثم عجز عن الاتيان بأي حركة . استلقى فوق الفراش بالبنطلون والحذاء وحتى النور لم يطفئه . ماذا يجثم فوق بطنه وصدره وقلبه وروحه ؟ . ماذا يكتم أنفاسه ؟ . من يقبض على عنقه ؟ . يفكر أن يستغيث ، أن ينادى أحدا ، أن يبحث عن موضع الجرس ، أن يستعمل التليفون ، ولكنه عاجز تماما عن أى حركة . كبلت يداه وقدماه واختنق صوته . يوجد علاج ، يوجد إسعاف ، ولكن كيف السبيل اليهما ؟ . ماهذه الحال الغريبة التى تستل من الانسان كل إرادة وكل قدرة وتتركه عدما فى عدم ؟ . آه ، انه الموت ، الموت يتقدم بلا مدافع ولا مقاوم . ونادى بخواطره المحمومة المدير .. نوح .. عثمان .. الثروة .. العروس .. المرأة .. الحلم .. لاشىء يريد أن يستجيب .. لم كانت المعجزة اذن ؟ .. غير معقول .. غير معقول يارب ..

نجيب محفوظ

يقول الدم العربي ..

شعر: فاروق شوشة

أخيراً
يقول الدم العربيُّ : تساويتُ والماء
أصبحتُ :
لا لونَ ،
لا طعْمَ ،
لا رائحه !
أخيراً ..
يقول الدم العربيُّ : رخَصْتم
وأرخصتموني ..
أسيلُ ..
فلا يتداعى ورائي النخيلُ
ولا ينبتُ الشجرُ المستحيلُ ،
ولا يتراءى السبيلُ ..
أسيلُ ..
أُروّي الشقوق العطاشَ ،
وأسكب ذاكرتي للرمالِ ،
فلا يتخلّق وجهُ المليحةِ ،
أو وجه فارسها المستطارِ ،
وأنزفُ حتى النُّخاعِ ،
وينحَسِرُ المدُّ ،
تَنبتُ فوقي حجارتكُمْ ،
مُدناً تتمدَّدُ ،
أو تستطيلُ ..
ولكنها أضرحه !

° ° °

أخيراً ..
يقول الدمُ العربيُّ : اكتفيْتُ ،
تجاوزتُ جِسرَ الشرايينِ
أسرجتُ خيلي بقلب العراءِ ،
خيَّمتُ في نقطة الجدْبِ ،
أحكمتُ أغنيتي
وانتشيتُ لنفسي
وقلتُ :
أطاولُ كلَّ الدماء التي أنضجتْها الحرائقُ ،
كلَّ الدماءِ التي أهرقتْها الملاحمُ ،
كلَّ الدماءِ التي اعتصرتْها المآدبُ ،
فاخرتُ أنِّي الوحيدُ الذي جعلوا من بقاياهُ
خاتمةً للبكاء
وفاتحةً للغناء
ومن رئتي مذبحه !

° ° °

أغوصُ بذاكرة الرملِ ،
وجهي عروسٌ تخطَّفها الموتُ ، والقاتلُ الهمجيُّ ، تغيبُ ملامحهها ،
ويغيبُ الهوى العربيُّ
وقاوْمتُ ..
فانفلتت فيَّ فقاعةٌ ،
وانطفأتُ
تشاغلْتُ ،
أحكمتُ فوق ملامحها قبضتي ،
وارتخيْتُ



أغوصُ بذاكرةِ الرعبِ ،

وجهي سحابةُ يُتمٍ تُعشّشُ في كلِّ بيْتٍ
وتتركُ بعض عناكبها في تُرابِ الملامحِ ،
وجهي الذي يتشكلُ في كلِّ حالٍ مُسوخاً
ويلبس أقنعةً لا تبوحُ
وينظرُ في رحمِ الغيب :

ماذا تُجنُّ الغيومُ ؟
وماذا تقول البروقُ ؟
وماذا تخبىء عاصفةٌ في العروقِ ؟
ودمدمةٌ في الرءوسِ ؟
وأشبهتِ الليلةُ البارحه !

* * *

أخيراً ..
يقول الدم العربيُّ المسافرُ عبّر العواصمِ ،
والمتجمعُ خلْفَ الحواجزِ
والمتناثرُ في كلِّ أرضٍ :
تعبْتُ ،

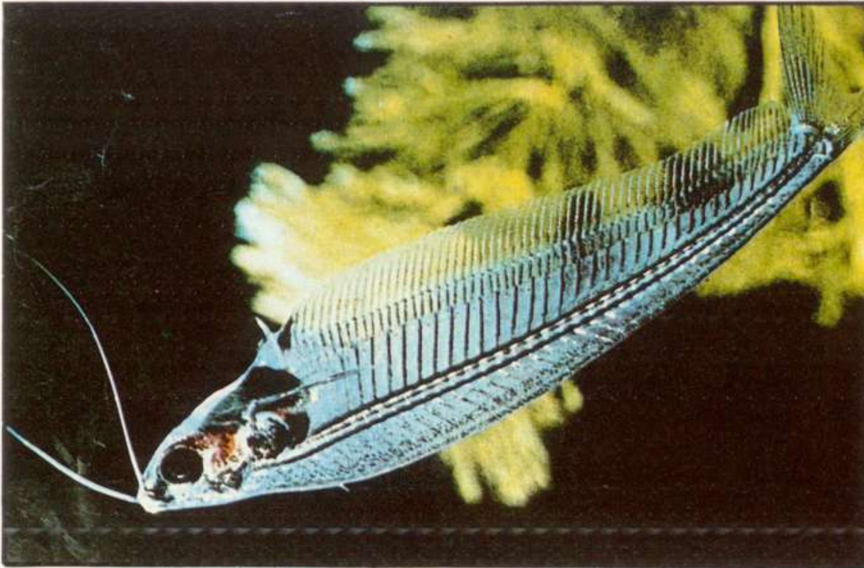
وهذي بقيةُ لحْمي
وهذي هُوّية جلدي
وبعضُ ملامحِ أرضي التي سكنت في العيونِ
تعبْتُ ،
فمن يحمل الآن عنيّ بقية يومي ؟
وأشلاء حُلْمي
ويمضي ،
تعبْتُ ،
الدروبُ يلاحقُها الموتُ ،
يسكُنها الصمتُ ،
والقلبُ يملؤهُ القهرُ ،
والشاحناتُ الرجيمةُ ترتدُّ عبّر الزوايا
شظايا ..
تعبْتُ ،
المدى .. لا يُبينُ
الصدى .. لا يُبينُ ،
ووجهي ما زال منسحقاً في جبين المرايا
تلاحقه اللعّنةُ الجامحه !



المائدة المستديرة

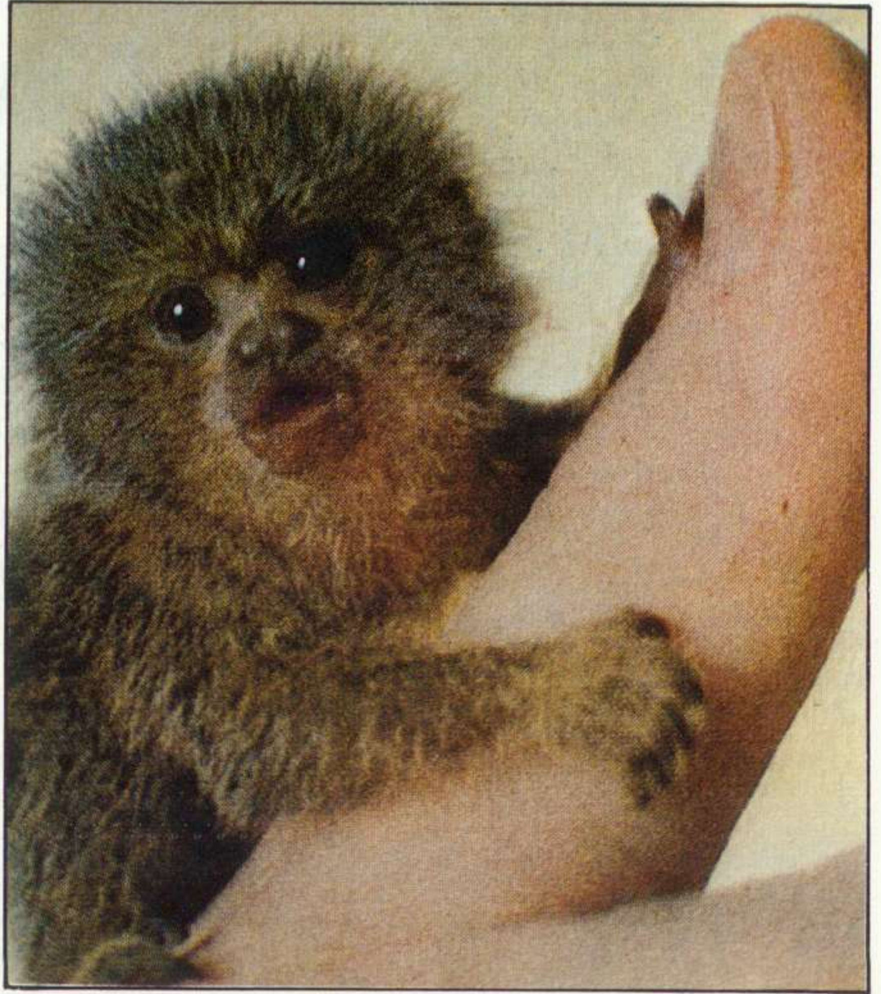
• كثيرا ما تقوم بعض الكائنات بعمل تشكيلات تتسم بالغرابة والإثارة ، ولقد جاءت هذه اللقطة لسلوك أربعة عشر « طفلا » حشريا بعد أن خرجت من بويضاتها ، لكنها عادت إليها في تنظيم مثير ، مما قد يثير في الذهن تساؤلاً : لماذا تراصت وسكنت على تلك الهيئة التى توارثتها عن أسلافها عبر ملايين السنين ؟.

الواقع أنها بهذا التشكيل تضرب عصفورين — أو ربما ثلاثة — بحجر واحد . فهذه الحشرة المعروفة باسم « المنتنة » ، تفرز مادة كيميائية نتنة ومنفرة (ومن هنا كانت التسمية) ، واجتماعها فى مكان واحد وهى لازالت فى هذا الطور من الضعف ، يمنحها القوة فى سلاحها الكيميائى ، لأن الافراز الجماعى يزيد من فاعليته ، ويصبح مفعوله مؤكدا فى طرد الأعداء ، كما أن تجمعها بهذه الطريقة التى تشبه البنيان المرصوص يوحى لها بشيء من الأمن والأمان ، وأخيرا فإن التفافها حول بويضاتها ييسر لها الحصول على بعض أنواع الميكروبات النافعة التى تركتها أمها على أغلفة البويضات ، وعندما « يلعقها » الصغار ، تنساب إلى أمعائها ، فتساعدها على تخمر أو هضم غذائها . ومن أجل هذا جميعه ، كانت تلك « المائدة الحية » المستديرة !



شفّ اللحم .. فانكشف العظم

• أطلقوا عليها اسم السمكة البلورية أو الزجاجية أو الشفافة .. اختلفت الأوصاف ، والمعنى واحد .. ذلك أن الناظر إلى هذه الصورة يستطيع أن يرى بوضوح الهيكل العظمى بكل تفاصيله ، وكذلك مخها وأحشاءها ، وهذا لا يتأتى إلا بواسطة الأشعة السينية التى تخترق موجاتها القصيرة اللحم والشحم ، وتظهر ما خفى عن عيوننا من مكونات صلبة (كالعظام والكسور والحصوات .. الخ) .. لكن لكل قاعدة شواذا ، فلحم هذه السمكة يشف عما تحته ، لدرجة أنه يمكن رؤية ما وراءها من أعشاب ، وكأنما العين تنظر خلال لوح من زجاج ، أى كأنما هذه السمكة الشفافة تعيد إلى أذهاننا ذلك الاعتقاد القديم الذى سيطر على عقول الناس ، وتصوروا وجود مخلوقات أثيرية أو شفافة ، وطبيعى أن أحداً لم يعاين مثل هذه المخلوقات ، لكن الحياة قدمت لنا مثالا حيا فى تلك السمكة التى تتبع عائلة أسماك القط (ومنها القرموط والرعاش والقرقار) .. وكم فى جعبة الحياة من أسرار غريبة وسبحان الله العظيم الذي أبدع هذا الكون العظيم .



القـــرود الترانزســـتور!

● هذه اللقطة قد لاتحتاج إلى شرح أو تعليق ، فمن أول نظرة إلى هذا القرد البالغ ، تتبين ضآلة حجمه ، ودقة تكوينه ، خاصة عندما نقارن رأسه باصبع الإنسان الذى وضعه على كفه . والواقع أن مثل هذه القرود التى تبدو كأطفال رضع ، ليست إلا قرودا بالغة ، ولقد أطلق على هذا النوع اسم « القشة » أو المتقزم ، نظراً لضآلته . وهو يعيش في غابات الاكوادور والبرازيل وبيرو ، ويبلغ وزن القرد البالغ من الوزن « الثقيل » ٨٠ جراما ، أما الخفيف فلا يزيد وزنه عن ٤٩ جراما ، هذا ويصل طول جسم القرد البالغ (بدون ذيله) إلى حوالى ١٥ سنتيمترا (أى أضأل من طول يد الإنسان المتوسط بحوالى ٣ ــ ٤ سنتيمترات) ، أما طول ذيله فمثل ذلك ــ أى حوالى ١٥ سنتيمترا .. وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل : وماذا عن أضخم أنواع القرود ؟.. هو القرد المفترس من نوع الميمون الذى يسكن غابات المنطقة الاستوائية بغرب أفريقيا ، إذ قد يصل وزن القرد الذكر البالغ إلى حوالى ٥٤ كيلو جراماً .. أى أن النسبة بين وزن أصغر وأكبر قرد هى نسبة واحد إلى ألف .. وما أغرب مفارقات الحياة .



جميــلة .. لكــن من الجمــال ماقتــل!

● هذا « الثوب » المزركش ــ الذى اكتسبته تلك السمكة الرقيقة المعروفة باسم « ماندارين » ــ قد يبدو للبعض بألوان صارخة أو فاقعة ، وقد يراه آخرون من الألوان المتناسقة الزاهية . وسواء حدث الاستهجان أو الاستحسان لهذا المهرجان المثير من الألوان ، فلقد جاء بهذا الطراز ليناسب حياة ذلك النوع من الأسماك الصغيرة الحجم ، والبطيئة الحركة ، ومن ثم فقد طمعت في لحمها الأسماك الكبيرة ، ومع ذلك فقد قاومت وصمدت لهذا البلاء ملايين السنين ــ رغم قلة حيلتها ، وضعف شأنها . ويرجع هذا الصمود إلى جمال ألوانها ، إذ ليس كل جميل مرغوب لجماله ، فقد يصبح هذا الجمال نقمة وهلاكا ، وتجارب الحياة الطويلة ــ التى استمرت ملايين السنين ــ قد دفعت كل الكائنات لممارسة الخطأ والصواب ، والصواب هو أن تتجنب الأسماك الكبيرة الأسماك ذات الألوان الزاهية لأن ألوانها بمثابة إعلان عن رداءة طعمها ، وفتك سمومها ، أضف إلى ذلك ان تلك الألوان الصارخة تتلاءم مع عالم صارخ من الألوان تشتهر به الشعب المرجانية بالمحيط الهادى ، حيث تعيش تلك الأسماك ، ومن امتزاج ألوان الأسماك بألوان الشعب ، تحدث عملية تمويه متقنة ، وكأنما أسماك الماندارين قد لبست « طاقية الاخفاء » وبهذا يصعب اكتشافها بعيون الأعداء .. وبتلك الحيل المتقنة ، تحول ضعفها إلى صمود وقوة .



من وحي الحكايات الشعبية

سعد كامل

رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي


الفنان سعد كامل

بقلم: صبحي الشاروني

قبل أن يتجه سعد كامل إلى استلهام الفن الشعبي ، لم يكن هناك من المثقفين من يعبأ بهذا الفن أو يلتفت إليه ، فالذين ينتجونه غير مثقفين أو دارسين ، وهم ضمن الفقراء الذين يستخدمون أبسط الخامات وأرخصها . وعبر تجربته الرائدة التي بدأها منذ أربعين عاماً أثبت الفنان سعد كامل أن الفنان العربي يستطيع أن يصنع ما هو أفضل من الأشياء الجميلة ، يستطيع أن يكون روحاً مرشدة للبيئة المحيطة به ولمجتمعه ، بايجاد مجالات جديدة تنمو فيها الفنون الشعبية وتتطور وتزدهر .. مما يحقق لنا فناً ناضجاً ، ذا طابع مميز وشخصية واضحة .

هناك موقفان من الابداع الشعبي .. الأول ينظر إلى الفنون الشعبية باعتبارها كنزاً تراثياً ثميناً يجب المحافظة عليه وتشجيعه ليواصل البقاء ، وحمايته من فنون المدينة الأوسع انتشاراً والأعلى صوتاً والأقوى تأثيراً ، والتي تهدده بالإختفاء ..

أصحاب هذا الموقف ينعون على الإذاعة أغانيها التي أصبح أهل الريف وسكان الأحياء الشعبية يرددونها عوضاً عن أغانيهم الشعبية المتوارثة ، ويهاجمون التلفزيون الذي شغل سكان المناطق البكر بإعلاناته الملونة .. فضلاً عن الإنتاج الصناعي الذي جعل العديد من الحرف والصناعات والفنون الشعبية اليدوية تتحول إلى منتجات سياحية ظريفة تستخدم في تزيين بيوت القادرين اقتصاديا ، وتشاهد بكثرة كجزء من ديكور المطاعم والفنادق ..

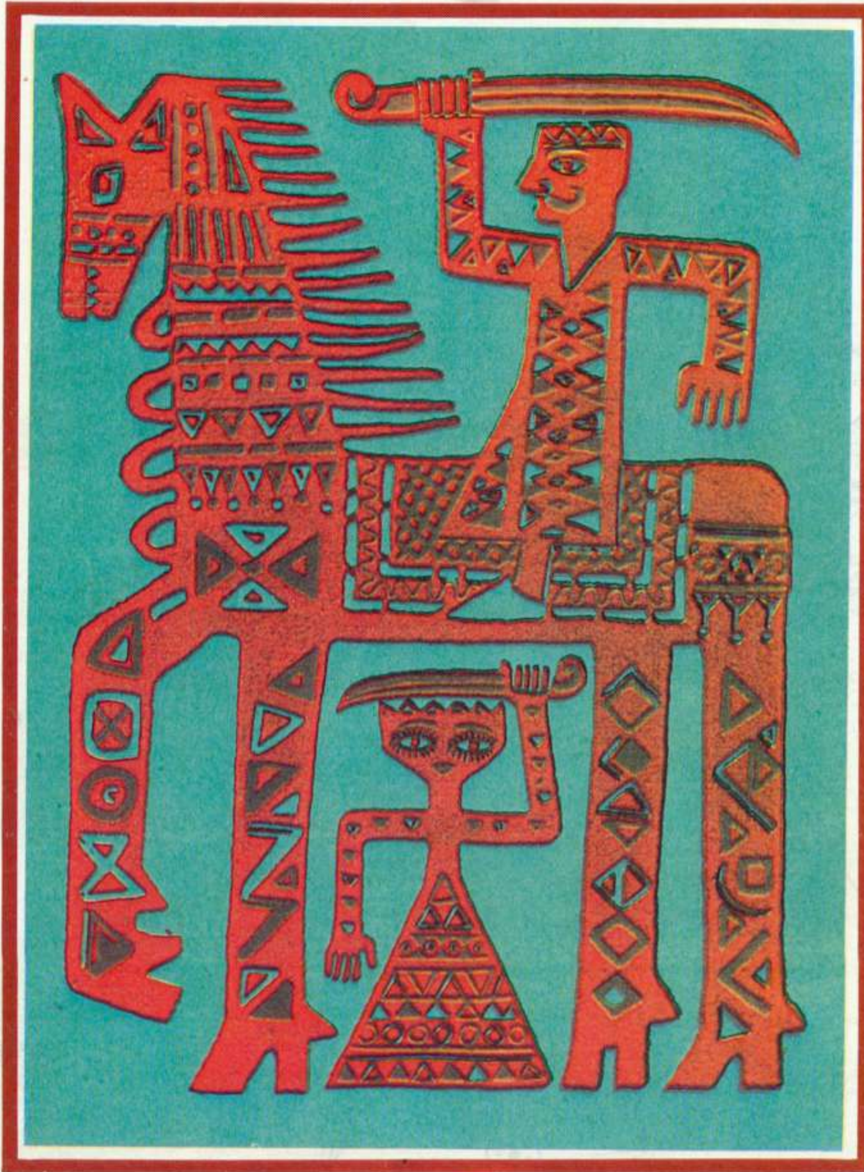
هذا الفريق الأول من المهتمين بالفنون الشعبية يعمل على جمع التراث الشعبي لوضعه في المتاحف ودراسته مقارناً بنظيره في البلاد أو المناطق الأخرى ، إنهم يعتبرونه مادة أكاديمية للدراسة النظرية ، ويعاملونه كتراث متحفي وينادون بحمايته أو جمعه وحسب .

أما الموقف الثاني فهو ينظر إلى الابداع الشعبي باعتباره تعبيراً فنياً متكاملاً عن سكان الريف والأحياء الشعبية في المدن خلال مرحلة من مراحل التحضر ، وأن واجب الفنانين ودارسي الفنون الشعبية هو العمل على الارتقاء بها وتطويرها بعد جمعها ودراستها وتصنيفها .. وذلك باكتشاف وانتخاب أفضل مستويات المبدعين وإعطائهم فرصة تقديم انتاجهم من خلال قنوات الاتصال الحديثة كالإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما والكتاب ... بهدف دمجها في فنون المدينة ، وتزويد الفنانين الشعبيين بخبرات ترتقي بانتاجهم وتفتح أمامهم آفاقاً جديدة ، مما يتيح لهذه الفنون الشعبية أن تحقق تأثيرها على فنون سكان المدن ، فيسير التفاؤل والتطور بنفس معدل عمليات تطوير وتحديث الريف والارتقاء بالمستوى الاقتصادي والثقافي في جميع المناطق الريفية والشعبية .

وكان الفنان الراحل زكريا الحجاوي أشهر المتحمسين للموقف الثاني في مجال فنون الغناء والموسيقى ، لأنه كان يعلن دائماً أنه من المستحيل الوقوف في وجه تطوير الريف ، بل على المثقفين أن يساهموا في الارتقاء به باكتشاف ما به من مواهب والتدخل في صقلها ثم تقديمها لسكان المدن في نفس الوقت الذي تنتقل فيه فنون المدينة إلى سكان الريف والأحياء الشعبية .

وفي ميدان فنون التشكيل الشعبية تبرز تجربة الفنان سعد كامل الرائدة ، التي بدأها منذ أربعين عاماً حتى أصبح مدرسة وعلماً على هذا الطريق ، رغم الهجوم الذي تعرض له من أصحاب الموقف الأول في بداية الطريق .

إن عدداً كبيراً من المثقفين في بلادنا العربية يعتبرون الفنون الشعبية أقل مرتبة من الفنون



لوحة إلى المعركة (١٩٥٦)

الرسمية ، والمقصود بالفنون الرسمية تلك التي كان يرعاها الحكام والأثرياء ، ويقابلها في عالمنا المعاصر فنون الرسامين المؤهلين أكاديمياً .. بينما الفنون الشعبية على مر التاريخ وحتى عصرنا الحاضر ينتجها حرفيون مجهولون يجملون بها منتجاتهم التي يستخدمها عامة الشعب .. وقبل أن يتجه سعد كامل إلى استلهام الفن الشعبي لم يكن هناك من المثقفين من يعبأ بهذا الفن أو يلتفت إليه ،فالذين ينتجونه غير مثقفين أو دارسين وهم الفقراء الذين يستخدمون أبسط الخامات وأرخصها .

لكن سعد كامل كشف عما في هذه الرسوم من طاقة تعبيرية وانفعالية هائلة ، بالإضافة إلى عمق تأثيرها في نفسية المشاهد الذي ينظر إليها متعاطفاً ، لامتدادها الطويل والمتواصل عبر التاريخ .. حتى نستطيع أن نلاحظ تشابها بين رموز الفنان الشعبي وأساليب عدد من الفنانين التعبيريين المشهورين .

إنه من طليعة الفنانين العرب الذين يستلهمون التراث الشعبي في إبداعهم الفني ، وهو يستخدمه استخداماً عصرياً ناضجاً ، فهو لا ينقل أو يقلد ، وإنما يطور ويضيف ، وهذا ينطبق على الوحدات التي يستلهمها ، كما ينطبق على الأسلوب الذي يستخدمه في تنفيذ هذه الوحدات مما يجعلها تبدو في مظهر سيريالي لاقترابها من عالم الأساطير الشعبية التي تعبر عن الأعماق الفكرية المتوارثة .

كما قضى سنوات مع الحرفيين يعلمهم ويشرف على تنفيذهم لتصميماته على النسيج فاكتسب العديد منهم الخبرات التي نقلها إلى صبيانه ليرتقي بهذه الحرفة ويسير بها خطوات إلى الأمام .

والآن يضم بيت الفنان سعد كامل في قلب



من وحي الخط العربي



الزير سالم

رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي

القاهرة متحفاً يحوي العديد من النماذج النادرة للفن الشعبي، إلى جانب نماذج من فنون مختلف الحضارات وخاصة الحضارة الاسلامية، من بينها – على سبيل المثال – أكبر مجموعة من الخزف الإسلامي الموقع بأسماء الفنانين الذين أبدعوه، وهذه المجموعة تزيد في عددها وقيمتها الأثرية عن مجموعة أي متحف في العالم، بالإضافة إلى الرسوم الشعبية التي جمعها من مختلف الأماكن والمناطق وقطع النسيج الأثرية التي يرجع تاريخها إلى عصر إزدهار فن (القباطي) في مصر، وغير ذلك من التحف الأثرية من إنتاج الفنان الشعبي.

وإلى جانب هذا المتحف نجد مرسم الفنان يضم مصنعاً يدوياً صغيراً للسجاد والكليم مع أدوات فن الجرافيك والطباعة، بالإضافة إلى أحواض الصباغة الخاصة بفن (الباتيك) وغير ذلك من أدوات، بينما تنتشر على جدران مسكنه نماذج لأعماله الفنية من السجاد والنسيج المرسوم ولوحات (الجرافيك) المطبوعة يدويا.. مع لوحات فن (الباتيك). أما نوافذ مسكنه فهي من الزجاج الملون المولف بالجبس وكل هذه الأعمال تعبر عن فلسفته وغرامه بالفن الشعبي كقيمة جمالية يستلهمها الفنان المعاصر في إنتاج أعماله الفنية، وهو يستخدم نفس الخامات والأدوات التي يستخدمها الفنان الشعبي والحرفي بعد تطويرها وتطعيمها بالخبرات الفنية الحديثة.

إنه يرى أن اللوحة الزيتية هي شكل أوربي مستورد، لا يمت بصلة إلى أصالتنا في المنطقة العربية، فالفنون الإسلامية وما قبلها خلال حضاراتنا المتعاقبة لم تعرف اللوحة الزيتية التي ترسم على حامل الرسم، إنما حضارتنا أبدعت فنها على العمارة وفي أدوات الاستعمال اليومي التي تملأ المتاحف العالمية.. وهكذا كان طريقه إلى تحقيق الأصالة الفنية هو الإندماج في الأشكال الفنية الشعبية والتراثية بنفس خاماتها وطريقة إنتاجها.

ولنبدأ قصة هذا الفنان من بدايته...

الغضبان

كان محمد عبيد ضابطا في جيش أحمد عرابي الذي هزم عام ١٨٨٢ أمام قوات الاحتلال الانجليزية. وعندما تم تسريح جيش الثورة العرابية، حصل محمد عبيد من حكومة «الخديوي» على قطعة أرض في محافظة القليوبية قرب الطريق الزراعي المؤدي إلى مدينة الاسماعيلية، وكان هذا هو المتبع مع الضباط المسرحين منذ ولاية (محمد علي باشا الكبير) على مصر.. لكن الضابط السابق وجد أن هذه الأرض أقل خصباً مما توقع، وبعيدة إلى حد ما عن قريته، فغضب عليها وامتنع عن تفقدها.. فاطلق عليه سكان المنطقة لقب (الغضبان).

ابنه كامل ورث الأرض واللقب، وتولى منصب العمدة في قريته التي اشتهر بين أهلها بسرعة الثورة والغضب.. لكن ابنه (محمد) عمل على التخلص من هذا اللقب، فدرس الهندسة، وهجر القرية ليعمل بالمساحة في مدينة شبين الكوم.

كانت هواية المهندس محمد كامل تتركز في كتابة لوحات الخط العربي الذي عشقه حتى أجاده، وقد ابتكر طريقة عجيبة ربما كانت منتشرة في عصره، لكن ما تبقى من لوحات مكتوبة بهذه الطريقة نادر للغاية، وهي الكتابة بواسطة طوابع البريد المستعملة (الكولاج).. لقد أنشأ منها لوحات مقروءة، لكنك إذا اقتربت منها تجدها مكونة من مئات الطوابع البريدية الملونة المتجاورة التي تستغرق المتأمل في الفرجة على جزئياتها.

وفي عام ١٩٢٤ أنجب محمد كامل ابنه سعداً الذي عرف في الحركة الفنية باسم (الفنان سعد كامل)، واشتهر بتمرده على أساليب الرسم التقليدية ورفضه التبعية للأساليب الفنية الأوربية بعد أن أجادها إجادة تامة، وهكذا أصبح حفيد الضابط الوطني محمد عبيد رائداً للاتجاه الفني الذي يستوحي المنابع الشعبية الأصيلة في الفن العربي.

في طفولته عاش في مباهج روضة الطفل الانجليزية التي أرسل إليها حيث وجد الأقلام الملونة وورق الرسم المتعدد الأشكال، لكن هذه المباهج لم تمنعه من السعي الدائم لاقتحام حجرة الهوايات التي تحوي الكثير من الأشياء العجيبة. إن الفضول كان يدفعه إلى انتهاز فرصة انشغال أبيه بعيداً عن حجرة (الهوايات)، فيتسلل إليها متطلعاً إلى الأدوات التي كان الوالد يستخدمها في إنشاء لوحات الخط العربي.. وحاول ذات مرة أن يتسلق إلى سطح المنضدة ليصل بنظره إلى ما عليها من أقلام وفراجين ومقصات ضخمة، فتميل المنضدة ويتساقط ما فوقها من أدوات وأحبار في ضجة مفزعة تستدعي أهل الدار وماتلا من صراخ وتأنيب وعقاب.

في السادسة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائية



عروسة البحر

فأحس أنه قزم بين عمالقة : لقد كان أصغرهم سناً وأدقهم حجماً ، ولم يكن أمامه من طريق لمنافستهم سوى التفوق في دروسه .

ورغم هذا فكانت سنوات الدراسة الابتدائية هي سنوات التفوق في دروس الرسم حيث انتسب إلى جمعية الرسم التي كان يرأسها « سرور أفندي » كما انضم إلى القسم المخصوص الذي يتيح لأعضائه العديد من الأنشطة الرياضية والرحلات ، وكان يقضي مع بقية أعضاء جمعية الرسم وقتاً طويلاً بحظيرة الدواجن بالمدرسة بعد انتهاء الدروس ، يرسمون ما بها من بط وأوز ودجاج .

بعد انتهاء المرحلة الابتدائية كان تفوقه يتيح له التمتع بمجانية التعليم الثانوي ، لكنه فاجأ أسرته برفضه الالتحاق بالتعليم الثانوي ، وإصراره على دخول المدرسة الصناعية .. وكانت صدمة لأبيه وكل أفراد العائلة ، فمدرسة (الصنائع) كان يلتحق بها من لا يطيقون تكاليف الدراسة الثانوية ، وهي لا توفر لخريجيها غير العمل الحرفي . لهذا كان اختيار سعد وإصراره ، فضيحة بالنسبة لهذه العائلة التي يتمتع عائلها بوظيفة محترمة وأرض يملكها بالقليوبية .

أما الفتى فقد وضع خطته على أساس ما عرفه من زملائه : إن طريق الفن يتحقق من خلال الالتحاق بمدرسة عليا اسمها (الفنون التطبيقية) ، وأن الالتحاق بهذه المدرسة يقتصر على خريجي المدارس الصناعية وبالتحديد قسم النقش والزخرفة .. وبالطبع لم يكن (سعد كامل) قد سمع في ذلك الحين عن مدرسة الفنون الجميلة العليا .. وإلا لتنازل عن عناده وإصراره في وجه رغبة الأسرة .

ويستمتع الفتى بدراسته الصناعية ويتفوق حتى يحصل على الدرجات التي تؤهله للالتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية التي حلم بها ..

وخلال انتظاره رد مدرسة الفنون التطبيقية التي تقدم إليها عام ١٩٣٩ ، تنشب الحرب العالمية الثانية وفي نفس الوقت ينقل الأب إلى مصلحة المساحة بأسيوط ، فترفض العائلة اقامته بمفرده في القاهرة خلال مدة الحرب .

وعندما يصل رد مدرسة الفنون التطبيقية بالقبول يخفي الأب الخطاب عن ابنه ، فيحس سعد بالمرارة تملأ نفسه كلما تصور أن مدرسة الفنون التطبيقية قد رفضت قبوله .. ولم يبق أمامه سوى أن يلتحق بالمدرسة الصناعية بأسيوط مستكملاً دراسته في طريق لم يفكر فيه من قبل .. واكتفى بالسمعة الواسعة التي حظي بها في مدرسته وبين جيران الحي كرسام ناجح ، يرسم صوراً مكبرة لوجوه الأشخاص بالفحم ويتقاضى الهدايا والمكافآت في مقابلها .

النسيج في أسيوط

خلال سنوات الإقامة في أسيوط ظهرت مجلة (مجلتي) التي كان يصدرها أحمد الصاوي محمد ، وكان الوالد يواظب على شرائها بانتظام فيقرؤها سعد كامل بنهم وخاصة الموضوع الثابت في كل عدد عن الفنون الجميلة .. ولا يزال يحتفظ الفنان بجميع أعداد هذه المجلة من بداية صدورها حتى توقفها ، ويذكر باعتزاز أنه تعرف من خلالها على فناني الجيل الأول والثاني أمثال : أحمد صبري ، وراغب عياد ، وجورج صباغ ، وهدايت ، وايمي نصر ، ومارجريت نخلة ... كما كانت تنشر « مجلتي » صوراً لبعض أعمالهم الفنية فشغف سعد بفن الرسم وراح يحلم أن يكون مثلهم في يوم من الأيام .

بالإضافة إلى ذلك كانت زيارته للحرفيين في أسيوط مصدر متعة وسعادة لا حدود لها ، كان يقضي الساعات الطوال متنقلاً بين صناع الأشكال المختلفة من العاج والعظم وسن الفيل ، منبهراً بأشكالها الزخرفية ، وبين صناع النسيج من الصوف والكتان الذين اشتهرت بهم أسيوط .

ويحصل سعد كامل على دبلوم المدارس الصناعية بتفوق ، ويقرأ ذات يوم بالجريدة الصباحية خبراً عن افتتاح قسم الدراسات الحرة بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، الذي يقبل الموهوبين بغض النظر عن مؤهلاتهم ، ولا يعطي شهادات لمن يتم دراسته به . فيسرع بالتقدم إلى هذه الدراسات الحرة متحدياً مخاوف الأسرة من ظروف الحرب التي لم تكن قد انتهت بعد .

يرافق الأب ابنه راضخاً ، ويسافران إلى القاهرة ، ثم يتوجهان إلى الفنان « فوزي حسين » رسام الكاريكاتير بمجلة « روز اليوسف » في ذلك الحين ، وهو صديق للأب من مدينة شبين الكوم ، كما كان مدرساً لسعد كامل . يقيم بالقاهرة ويسافر كل يوم خلال العام الدراسي إلى عمله ثم يعود في نفس اليوم .

وتلقى سعد كامل تدريباته على يدي هذا الفنان استعداداً لامتحان القبول بقسم الدراسات الحرة التي كان يتولاها الفنان الراحل « أحمد صبري » ـ أحد الفنانين الرواد السبعة الذين أسسوا حركة الفنون الجميلة العربية في مصر ـ وقد نجح سعد كامل ضمن خمسة فنانين في الالتحاق بالدراسات الحرة الصباحية ، وكان ذلك عام ١٩٤٢ عندما شعر لأول مرة أنه وصل إلى الدراسة التي كان يبحث عنها منذ سنوات طويلة .

وكان من زملاء الدراسة في « القسم الحر » الفنانون « سيد عبدالرسول » و « محمد صبري » و « وديع المهدي » وقد هاجر الأخير إلى كندا منذ سنوات طويلة حيث يعيش هناك كفنان ناجح .

واستمرت هذه الدراسة سبع سنوات أقبل خلالها على عمله بحماس وتلذذ ، حتى أتقن الأسلوب الكلاسيكي وتمكن من قواعده الأكاديمية .. ثم بدأ يتردد على مكتبة الكلية التي ظلت حتى منتصف الخمسينات أكبر وأشمل مكتبة في الفنون الجميلة بالشرق الأوسط ، فهي زاخرة بالمراجع الفنية لمختلف المدارس والاتجاهات .. وتجتذبه (المدرسة التأثيرية) ، وفي محاولة للتحرر من الأسلوب الأكاديمي يبدأ في رسم لوحاته بهذا الأسلوب ، لكنه لم يكن يجرؤ على عرضها أمام أستاذه « أحمد صبري » الذي عرف بحرصه على التقاليد الأكاديمية ورفضه مثل هذا التجاوز .

وفي عام ١٩٤٧ اشترك مع زميله الأرمني (هاجوب) في إنشاء مكتب خاص لتصميم





الطائر الخرافي

السمكة : من مجموعة الفنان سعد كامل التى أنجزها عام ١٩٦٩

رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي

الإعلانات والملصقات ، وذلك ليحققا دخلاً يتكسبان منه .. فحققا نجاحاً لم يتوقعاه ، حتى وصل ايراد كل منهما إلى أكثر من ١٥٠ جنيهاً شهرياً « وقد كان هذا المبلغ كبيراً جداً في ذلك الوقت ، وهو يوازي أكثر من عشرة أضعافه الآن » ، ويتصور سعد كامل أن مصيره قد ارتبط بهذا العمل الناجح ، لكن الظروف تتغير ويبدأ المشروع في الخسارة والكساد .

في هذا الوقت خاض الفنان مسابقة « مختار » حيث قدم لوحة تصور « زفة العروس » ، ففاز عنها بالجائزة الأولى ،وهكذا تأكد أن مستقبله في الانتاج الفني الخالص ، وترك تصميم الإعلانات ليسعى لاستكمال دراسته في أوربا .

إلى روما وباريس

عمل رساما بقسم الآثار العربية ، فكانت مهمته زيارة المساجد والمباني القديمة لتسجيل زخارفها ونقوشها بأمانة .. في هذه الفترة استوعب جوهر الفنون الاسلامية وتعرف على خصائصها .

في عام ١٩٥٠ مرض الفنان بعد حادث وفاة والدته ، وما أن تماثل للشفاء حتى اتخذ قراره بالسفر إلى ايطاليا . وأيد الطبيب هذا القرار لأنه أرجع سبب المرض إلى الأزمة النفسية أكثر من أي سبب عضوي .

وكان سعد كامل قد تقدم للالتحاق « بمرسم الأقصر » وهي بعثة داخلية لمدة عامين يحصل عليها المتفوقون في دراستهم بكلية الفنون الجميلة ، سواء الدارسين بالقسم النظامي أو بقسم الدراسات الحرة .. وكان يتحتم على الراغبين في الحصول على هذه البعثة الداخلية عمل لوحة أو عدة لوحات تسمى مشروع الرسم ،ويتقدم المتسابقون بهذا المشروع لتقرر لجنة التحكيم فائزا واحداً بهذه الجائزة مرة كل عامين .. وقد تقدم الفنان سعد كامل بمشروع عن الحدادين فلم يفز في المرة الأولى بالجائزة ، فتقدم مرة أخرى عام ١٩٥٠ بمشروعه عن احتفالات الربيع « شم النسيم » .. وعندما اجتمعت اللجنة برئاسة الفنان الرائد راغب عياد كان سعد كامل قد سافر إلى روما مع مجموعة من زملاء الدراسة بالقسم الحر .. وقررت اللجنة فوزه بالجائزة الأولى والتحاقه بمرسم الأقصر كعضو بعثة .. وقررت أيضاً تحويل مكافأة عضو المرسم إلى إدارة البعثات لمدة عامين لكي تصله في روما .. وكان هذا القرار يمثل تقديراً خاصاً للفنان دفعه إلى المزيد من الجهد والتحصيل .

وقد التحق بأكاديمية روما بالسنة الثالثة نتيجة لمستواه الفني المرتفع .. وتتلمذ على يدي الأستاذ الشهير « فراتسي » الذي تخصص في الرسوم الحائطية « الفرسك » ، وبالإضافة إلى هذه الدراسة التحق بدراسة مسائية ليتعلم « فن تصميم الميدالية » ، هذا فضلاً عن زيارة متاحف إيطاليا ومعارضها وآثارها الفنية متأملاً ودارساً ، حتى حصل على دبلوم أكاديمية روما للفنون الجميلة عام ١٩٥٣ في قسم التصوير الزخرفي .. واختيرت أعماله التي حصل عنها على درجة الدبلوم لتكون ضمن المعرض السنوي لأوائل خريجي أكاديميات الفنون الجميلة الإيطالية ، والذي يطوف على مدى سنة كاملة في جميع أنحاء إيطاليا .

عقب ذلك انتقل الفنان إلى باريس لزيارة متاحفها والتعرف على فنانيها .. وهناك شاهد متحف ومصنع « جوبلان » للسجاد الحائطي .. ووقع في غرام هذا النوع من الفن لأنه أعاد إلى ذاكرته فترة معايشته للحرفيين في أسيوط وطريقتهم في النسيج المملوء بالزخارف باستخدام الخيوط الملونة ، وأعتبر أن هذه هي اللغة الفنية التي يستطيع من خلالها أن يعبر عما يريد ، فكان يقضي معظم أوقاته بباريس في مصنع (جوبلان) يقضي الساعات الطوال بين الفنانين والحرفيين ، يرقب الفنان الذي يعمل على نول النسيج ليحول أعمال كبار الفنانين إلى سجاجيد مرسومة زاهية الألوان .. لقد قرر أن يمزج بين هذا التقدم الصناعي الذي شهده في باريس وبين صناعة الكليم الشعبي في مصر والذي يتميز بألوانه الصريحة الحمراء والخضراء والزرقاء والبرتقالية .. في هذه الفترة حدد طريقه بوضوح ، وهو الرجوع إلى فنون أبناء الشعب العريقة ، وقرر أن يدرسها ويطورها وينفذها بعد الاستفادة بالتجربة المتقدمة التي شاهدها وعايشها في مصنع (جوبلان) .

النول في « الجاراج »

ويعود الفنان سعد كامل إلى مصر ليجد أن أسرته قد اتخذت لها بيتاً بمنطقة (العمرانية) على الطريق إلى أهرامات الجيزة .. وأسعده أن تتضمن الفيلا الأنيقة « جراجاً » في أقصى الحديقة يقع بابه على شارع جانبي ..وبدأ يخطط ليستغل هذا الجراج ويحوله إلى مصنع صغير للنسيج ، بأن يضع فيه نولاً ويجري تجاربه على انتاج الكليم المرسوم .

وانزعج الأب لما وصل إليه ابنه العائد من بعثته في إيطاليا وفرنسا الذي كان يتوقع له مكاناً مرموقاً بين فناني القاهرة ، ولم يتصور أنه سينزوي في الجراج أمام النول ووسط مجموعة من النساجين الشعبيين يقضي جل وقته معهم .

لقد عاد الفنان إلى عمله بمصلحة الآثار ، لكنه كان يسرع بعد انتهاء ساعات العمل إلى مصنعه الصغير يتابع رسومه وهي تتحول إلى سجاد ملون

جميل . أما تلك الرسوم فقد أمضى عاماً كاملاً يجمعها ويسجلها خلال جولاته في الأحياء الشعبية بالقاهرة ، التي كان يقصدها راكباً دراجته البخارية الصغيرة .

ومن الرسوم التي يزين بها الحجاج واجهات منازلهم ، ومن الرسوم التي جمعها من محترفي الوشم الذين يعرضون خدماتهم على المترددين على سوق أمبابة ، بدأ يكون لوحاته المنسوجة .. لقد اختار لرسومه خامة جديدة عملية ونافعة ،لها امتدادها في تراثنا ، لهذا تتميز بأصالتها ، ولم يتأثر الفنان بردود الفعل الرافضة لتجربته من زملائه وأصدقائه ، وواصل الطريق مقتنعاً أنه يسير في اتجاه سليم .

ويتضاعف حماس الفنان ، فيشتري صفقة ضخمة من صوف الصعيد الملون ، وعندما تصل يخشى أن تتبدد أو تسرق لو تركها في الجراج ، ويطلب من الحمالين ادخالها إلى البيت ، ويأتي الوالد عندما يسمع ضجيج الحمالين أثناء عملهم فيثور ويغضب ويطردهم مع ابنه الذي خيب أمله .

ويرد سعد كامل على هذا الغضب بمقاطعة البيت والاقامة في الجراج مع خيوط الصوف التي كان يبسطها على الأرض كحشية تقيه برودة البلاط ، ويغطي نفسه بلوحات النسيج التي اكتملت .

وكان الفنان يخفي عن جيرانه أمر اقامته في الجراج ، لذا كان يبكر في الخروج متوجهاً إلى عمله قبل أن يستيقظ سكان الحي ، حتى تدخل إخواته ، يتوسطون بينه وبين والده الذي أدرك خطأ ثورته بعد أن رأى الأثر الواسع للمعرض الناجح الذي أقامه ابنه الفنان .

لقد أقام سعد كامل معرضه الأول عام ١٩٥٤ الذي افتتحه الدكتور عبدالرزاق صدقي وزير الزراعة في ذلك الوقت ، وهو أحد المهتمين بالفنون الشعبية ومن أنشط أعضاء (جمعية الفنون الشعبية المصرية) .. ويحظى المعرض باهتمام النقاد والفنانين وتقدير المتخصصين في الفنون والصناعات الريفية ، وكان هذا المعرض بمثابة اعتراف بتفوق الفنان .

التفـــوق

ويتم نقله ــ نتيجة لهذا المعرض ــ من عمله في مصلحة الآثار إلى « مؤسسة الثقافة الشعبية » ، ليعمل مفتشاً وموجهاً للصناعات والحرف الشعبية في فروع المؤسسة بالمحافظات .. خلال هذا العمل تعرف بدقة على الفنون الشعبية بكل أنحاء مصر ، فزادت معارفه وأضاف الجديد إلى منسوجاته التي واصل إنتاجها بعد ذلك ، وكانت تثير إعجاب كل من شاهدها ، فأقبلت المحال والفنادق على اقتنائها ، كما شارك بها في المعارض العامة بمصر والخارج ابتداء بالمعرض المصري الإيطالي الذي أقيم بالقاهرة عام ١٩٥٤ ثم معرض الفن المصري في بكين



الطائر والسمكة

رائد الاتجاه الشعبي في الفن العربي

عاصمة الصين عام ١٩٥٥ ، وفي عام ١٩٥٨ شارك في معرض (الارتيجيناتو) الدولي بفلورنسا حيث حصل على دبلوم شرف وشهادة تقدير عن معروضاته ، ثم في بينالي الاسكندرية الدولي الثالث لدول حوض البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٥٩ حيث فاز بالجائزة الأولى في فن الجرافيك على القسم المصري .. ثم المعرض التطبيقي العربي المتنقل الذي أقيم بموسكو وبراغ وبكين عامي ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ .

وقد أقام الفنان معرضاً لأعماله بمتحف بروكلين بنيويورك عام ١٩٦٤ ثم شارك في بينالي (لوبليانا) الدولي في يوغوسلافيا عام ١٩٦٧ ، وفي بينالي فينسيا الدولي عام ١٩٦٨ ثم معرض الفن المصري بباريس عام ١٩٧١ ، ثم أقام معرضاً خاصاً متجولا لأعماله في فن الحفر والباتيك بعدد من مدن ألمانيا الغربية عام ١٩٧٢ ، وفي عام ١٩٧٦ أقام معرضاً لأعماله في فينسيا بايطاليا ، كما شارك في مهرجان الفنون الإسلامية المعاصر الذي أقيم بلندن في نفس العام .

أما الجوائز التي حصل عليها فكانت أولها جائزة مختار المقدمة من (مسيو فيس) عام ١٩٤٩ ، كما حصل في نفس العام على جائزة « مرسم الأقصر » التي حولت إلى بعثة في روما ، كما فاز عام ١٩٦٢ بجائزة الإبداع للفنون الشعبية من وزارة الثقافة ، ثم الميدالية الذهبية من معرض الفن التطبيقي الذي كانت تنظمه « جمعية محبي الفنون الجميلة » عام ١٩٦٣ والجائزة الثانية من بينالي الاسكندرية الخامس عام ١٩٦٣ .. وقد حصل على منحة التفرغ للإنتاج الفني من وزارة الثقافة لمدة عامين ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، كما فاز بالميدالية الذهبية عندما شارك بأعماله في بينالي فلورنسا الدولي الثالث بإيطاليا عام ١٩٧٢ . وقد مثل « الاتحاد الدولي للفنون بنيويورك » في مصر منذ انشائه عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٨١ . كما أنه عضو شرف باتحاد فناني الجرافيك الإيطاليين ، وهو ممثل مصر الدائم في مجلس الحرف الدولي بجنيف منذ عام ١٩٦٢ ، بينما تقتني أعماله الفنية الكثير من المتاحف العالمية وتنتشر في المجموعات الخاصة بالعديد من البلاد العربية والأوربية والولايات المتحدة وكندا ، كما عمل خبيراً في صناعة النسيج المرسوم وتولى إدارة دار (النسجيات المرسمة) بحلوان عند انشائها ، وهو عضو بلجنة « الفنون الشعبية » بالمجلس الأعلى للثقافة منذ عام ١٩٨٣ . وله دراسات مطولة حول فنون النسيج الشعبية والقبطية والإسلامية نشرت معظمها ، كما نشرت عدة مجلات عربية صور لوحاته على أغلفتها ، ومن بينها مجلة الدوحة التى



حيوان أسطورى

نشرت أيضا صور العديد من لوحاته .. وفق الموضوعات التي تتعرض للفنون الشعبية .. وهو يشارك تحت إشراف الدكتور عبدالحميد يونس في تحرير موسوعة الفنون الشعبية بتكليف من الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة .

وهو يدير حالياً قاعة « مشربية » في قلب القاهرة التي يمتلكها ، وهي قاعة عرض تتكون واجهتها من مشربية واحدة كبيرة وتعرض أعمال كبار الفنانين المعاصرين والراحلين ..

ويستطيع المشاهد أن يتعرف على أعماله بسهولة .. وذلك من خلال العناصر الشعبية والتراثية التي تميزها .. ففيها نرى الأسد يمسك سيفا ، والفارس له شارب ضخم ويركب حصاناً أو أسدا له شوارب ضخمة تشبه شوارب الفارس .. كما نرى رقص الخيل ، وعرائس المولد .. والزير سالم وأبو زيد الهلالي والسمكة والحمامة والعصفور والنخلة .. مع حيوانات زخرفية خرافية ، وراقصات وعازفين .. أما الخلفيات فتمتلئ بالخطوط والأشكال الهندسية الاسلامية . وهنا لابد أن نشير إلى وجود دلالات رمزية في القصص والحكايات الشعبية لكل عنصر من هذه العناصر ، وهي الرموز التي يفيض في شرحها المتخصصون في دراسة هذه الفنون .

يقول عنه (كمال الملاخ) إنه رائد الفن الشعبي لأنه انصرف عن أسلوب اللوحات التقليدية واتجه ليبدع مبتكراته على عناصر جديدة من نسيج وحصير وحفر وطباعة ، فيبتدع منها أشكالاً تصل عبق جمال الماضي بواقع الحاضر .

بينما يقول عنه ناقد آخر تعليقاً على إنشائه لمبتكراته ورسومه على الكليم والنسيج : « لقد أعاد سعد كامل الروح إلى جسم محنط ، فأصبح له نبض وشهيق وزفير » .

ويقول عنه الناقد راجي عنايت : « إنه فنان لا يرضيه الوقوف عند تجربة ناجحة ، بل يروح يبحث من جديد عن خامات مبتكرة وأساليب فريدة يعبر بها عن أفكاره الفنية الجياشة .. يقين فني ووضوح رؤية واستقرارعلى طريق الفن مع مساهمة نشطة في كافة المناسبات الفنية » .

أما سعد كامل فيقول عن تجربته : « إن الفنان العربي يستطيع أن يصنع ما هو أفضل من الأشياء الجميلة ، يستطيع أن يكون روحاً مرشدة للبيئة المحيطة به ولمجتمعه ، بإيجاد مجالات جديدة تنمو فيها الفنون الشعبية وتتطور وتزدهر .. وهكذا نستطيع أن نحقق فناً ناضجاً ذا طابع مميز وشخصية واضحة » .

صبحي الشاروني

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

• الفقه الإسلامي ورعاية الصالح العام •• شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

• تنشر الدوحة فى أوراقها الخضراء لهذا الشهر موضوعين هامين للعالم الإسلامى الكبير المرحوم محمد محمد المدني أستاذ الشريعة فى الأزهر ، وقد كان إلى جانب أستاذيته فى الشريعة كاتبا ومفكراً وداعياً إسلامياً من الطراز الأول ، والأفكار التى يطرحها المدنى فى هذين المقالين الهامين هى أفكار مثيرة وملفتة للنظر ، وآراؤه التي يطرحها فى المقالين تصدر عن عقل واسع العلم وقلب عميق الايمان ورؤية شديدة الجرأة مما يفتح أمام جمهور المسلمين كثيراً من الآفاق الواسعة الطيبة •

الفقه الإسلامي ورعاية الصالح العام



بقلم : محمد محمد المدني

« الفقه الإسلامى » مستنبط من الشريعة الإسلامية ، وهذه الشريعة تمتاز بأنها شريعة الفطرة ، وشريعة العقل ، وشريعة الرحمة :

فهى تعترف بالحقائق ، ولا تحاول الخروج على السنن الكونية ولا تصطدم بالعلم ، ولا تضيق صدراً بالإصلاح ، ولا تكلف الناس ما ليس في استطاعتهم !

ذلك بعض ما كانت به الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل لها هذا الاعتبار العام ، ولم يكن فقهها معه شخصياً ولا موضعياً .

وليس معنى هذه الصلاحية أن كل جزئية من جزئيات الفقه التى استنبطت لا تقبل التغيير ولا التعديل ، فإن ما صلح للأولين لا يعقل أن يكون هو بعينه ، وفى جميع جزئياته ، ما يصلح للآخرين ، ذلك أن شريعة العقل والرحمة لا تجهل أن الأحوال دائماً فى تغير ، والدنيا في تقلب ، ولكل قوم عادة وعرف .

ولو كان هذا هو المعنى المقصود من قولهم : « إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » ، لوقعنا منه فى حرج عظيم ، وتكليف لا يحتمل .

أيجوز مثلاً أن نرجع بالمساجد إلى حالتها الأولى ، فنجردها من الفرش والبسط ، ونكتفى بأن نفرشها بالرمل أو الحصباء ، لأن سنة السلف فى مساجدهم كانت كذلك ؟

أيجوز مثلاً أن نلزم القاضى بأن يكون له فى المسألة الواحدة قضاء واحد من غير تفرقة بين أحوال المتقاضين وبيئاتهم ؟

الفقه الإسلامي ورعاية الصالح العام

لقد سمعت أن قاضيا شرعياً عرضت عليه قضية أهان الزوج فيها زوجته بألفاظ جارحة ــ وهما زوجان من وسط راق ــ فطلبت الزوجة التفريق ، فقضى لها به القاضي .

فهل يجوز للقاضي أن يقضي بمثل ذلك في قضية يكون الزوجان فيها من وسط قد ألف ذلك فيه ، بل ألف فيه ما هو أشد منه كالضرب مثلاً ؟

أيجوز لنا مثلاً أن نلزم وزارة الدفاع أن تلبس جنودها العمامة البيضاء تحقيقاً للخبر الذى يروون : « تعمموا فإن الشياطين لا تتعمم » ؟

إن هذا وما يماثله هو الحرج الذى لا يرضى الله به ، ولا يرضى به رسوله ، ولا تقول به شريعة العقل والرحمة !

يقول ابن القيم « إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل ! » .

فالمعنى إذن فى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان . أن الشريعة قد بنيت أحكامها على رعاية المصالح . ولما كانت المصالح تختلف باختلاف الناس . وتتكيف بتكيف الظروف والبيئات ، وتتغير بتغير العوائد ، اعترفت الشريعة بذلك ففتحت باب الاجتهاد وأباحت للناس أن يستنبط أولو الرأى منهم ما يصلح لهم ، وينهض بهم فى حدود ما رسمت وبينت .

وآية ذلك أن الشريعة الإسلامية تركت كثيراً من الفروع من غير نص على أحكامها . وأنها تعنى ــ قبل كل شىء ــ بالأصول العامة والمبادئ الأساسية ، دون التفاصيل والجزئيات !

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها . وحد حدوداً فلا تعتدوها . وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم . غير نسيان . فلا تبحثوا عنها » .

فهذه الأشياء هى موضع اجتهاد المجتهدين . وقوله « فلا تبحثوا عنها » اى فلا تطلبوا فيها نصا فتحرجوا أنفسكم . وهذا معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » .

وليس اعتبار الظروف والأحوال ، ورعاية الصالح العام ، فى الفقه والأحكام ، بالشىء المستحدث ، فقد وجد منذ وجد التشريع ، وكان حيث كان الفقه والاجتهاد .

وإننا نسوق أمثلة من أحكام الرسول ، صلوات الله عليه ، وأمثلة من أحكام الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والأمراء :

١ ــ فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ وهل يجترئ عليه إلا أسامة ؟ فلما كلمه أسامة قال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! » .

٢ ــ وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو .

فهذان حكمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء واحد هو الحد : تراه فى الأول يصر على إقامته ، ولا يقبل تعطيله ، مع أن السارق امرأة من أكبر القبائل وأشرف البيوت ، ومع أن أمرها أهم قريشاً وأزعجهم ، ومع أن الشفيع صاحب من أحب أصحابه إليه !

وتراه فى الثانى ينهى أن تقطع الأيدى فى الغزو ، فهل كان إصراره فى الأولى إلا لأن أمراً كهذا لو دخلته الشفاعة ، وقبلت فيه الوساطة ، وفرق بين الشريف والوضيع ، لضاعت الحكمة المقصودة فيه ، وبطلت الغاية المرجوة منه !

وهل كان نهيه فى الثانية إلا خشية أن يترتب عليه ما هو أضر على المسلمين ، وأبغض إلى الله ، وهو لحوق المقطوع بالعدو حمية وغضباً . ولكن التشديد فى الأولى ، والتسامح فى الثانية ، يدعو إليهما أمر واحد وإن اختلفا ظاهراً ، وهو الحرص على أمور المسلمين ، أن يفضى إليها الخلل ، أو يلحقها الاضطراب والفساد .

وقد روى مثل ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ ــ قال علقمة : كنا فى جيش فى أرض الروم ومعنا حذيفة بن اليمان ، وعلينا الوليد بن عتبة ، فشرب الخمر ، فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم ؟

فهل ترى فهم حذيفة ، ونصيحته للمسلمين حين فهم ونصح إلا فقها تمليه السياسة الرشيدة ، والنظر الصحيح ؟

٢ ــ وشبيه بهذا ما روى من أن سعد بن أبى وقاص كان قائد المسلمين يوم القادسية ، فأتى بأبى محجن ، وقد شرب الخمر ، فأمر به إلى القيد ، فلما التقى الناس قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا !

ثم قال لامرأة سعد : أطلقينى ، ولك على إن سلمنى الله أن أرجع حتى أضع رجلى فى القيد ، فإن قتلت استرحتم منى . فحلت وثاقه ، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ، وكانت بسعد يومئذ جراحة فلم يخرج ، ثم أخذ أبو محجن رمحاً وخرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون : هذا ملك ! لما يرون من صنيعه ، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة : الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبى محجن وأبو محجن فى القيد ! ! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجليه فى القيد ، وقصت امرأة سعد على سعد ما كان من الأمر ، فقال سعد : والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء للمسلمين ، فخلى سبيله ! فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد فأطهر منها ، فأما إذ أبطلته عنى فو الله لا أشربها أبداً .

قال فى أعلام الموقعين « إن سعداً قد اتبع فى ذلك سنة الله تعالى فإنه لما رأى من تأثير أبى محجن فى الدين ، وجهاده وبذل نفسه لله ما رأى درأ عنه الحد ، لأن ما أتى به من هذه الحسنات غمر هذه السيئة الواحدة ، لا سيما وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال ، إذ لا يظن بمسلم إصراره فى ذلك الوقت الذى هو مظنة القدوم على الله وهو يرى الموت .

وأيضاً فهو بتسليمه نفسه ، ووضع رجليه فى

القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال له : يا رسول الله ، أصبت حدا فأقمه على ، فقال : « هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فاذهب فإن الله قد غفر لك حدك ! » .

وهذا هو الفقه !

٣ ــ ولقد كان عمر بن الخطاب ، وهو فى الفقه والعلم من هو ، يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى المؤلفة قلوبهم ، وأن أبا بكر كان يعطيهم ، وأن الله يقول : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم .... الآية » ، ولكنه مع ذلك كله لا يعطيهم ، ويقول لهم : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف !

فهو قد علل الإعطاء بالمصلحة ، إذ كان الإسلام بحاجة إلى استرضاء هؤلاء وتأليف قلوبهم ، فلما ارتفعت هذه الحاجة بعزة الإسلام ، لم يبق إلى استمرار الحكم من سبيل .

يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور .

وإنك لتجد فى فقه المذاهب كثيراً مما علق الحكم فيه على العادة والعرف ، واعتبر فيه تغير الزمان :

١ ــ يقول المالكية : إن المرأة إذا مات عنها زوجها يستحب لها أن تلبس السواد زمناً ، رعاية لحقه ووفاء له ، ثم يقولون : إلا إذا كان السواد زينة قوم والبياض حدادهم ، فإن حدادها عليه حينئذ لبس البياض !

٢ ــ إن النبى صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من إقط ، وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة . فأما أهل بلد قوتهم غير ذلك ، فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك . فإن كان قوتهم من غير الحبوب : كاللبن واللحم والسمك ، اخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان ، وهذا قول جمهور العلماء .

وقد اجتهد علماء الأحناف إلى أبعد من ذلك ، فنظروا إلى العلة التى من أجلها فرضت الزكاة فى هذا اليوم ، وهى الترفيه عن الفقير وإغناؤه عن المسألة ، فأجازوا إخراج قدرها من المال ، لأنه أنفع له وأيسر لسد خلته !

٣ ــ وكثيرا ما تجد فى كتب الحنفية قولهم هذا : تغير عصر وأوان ، لا تغير حجة وبرهان . يقولون هذا تعليلاً لاختلاف المروى عن أمامهم أو أحد أصحابه فى المسألة الواحدة .

فالمسألة إذن مفروغ منها ، والأمر فيها بين واضح ، وأساسها المصلحة التى جعلها الله أساساً لكل شىء !

ولقد جنى على الشريعة الإسلامية حملتها فى بعض ما مضى من الزمان ، فأظهروها للناس بمظهر الشريعة الجامدة فى أحكامها التى يضيق صدرها بما يحدث للناس من نظم ، أو يرون الأخذ به من أسباب ، ولم يحاولوا أن يدرسوا هذه النظم والأسباب ليتبينوا أمرهما ، فإن وجدوا خيراً وصلاحاً فإن الله لا يأبى الخير والصلاح ، ولابد أن يكون فى الشريعة السمحة منفذ إليهما ، وإن كانت الأخرى أنذروا قومهم ، وأقنعوهم بالضرر فيما هم عليه مقبلون ، أو به آخذون .

لم يفعلوا ذلك ولكنهم اكتفوا بالصياح والشغب على الناس ، وتنكبوا طريق أهل العلم فى الإقناع أو الاقتناع ، والشغب والصياح لا يجديان شيئاً فى قضايا العلم ، ولا يصلحان أداة له فى هذا الزمان !

على الأزهر الحديث إذن أن يرأب ما أثأت يد الغفلات إذا أراد أن ينظر الناس إلى الفقه فيما يأخذون به من تشريع ، ويسنون من قانون .

على الأزهر الحديث أن يلبى مطالب الزمن ، وأن يعرف مواضع الحاجة القومية فيجتهد فى وضع حلول من الفقه الواضح الجيد لهذه المشاكل التى تعرض للناس فى حياتهم الاجتماعية : فى بيوتهم ، وتجارتهم واقتصادهم ، وقضائهم ، وعقوباتهم !

عليه أن ينظر فيما جد من الأقضية والأحداث والنظم ، فيعرض كل ذلك على الفقه ليعرف الوجوه التى كانت بها مخالفة له ، والوجوه التى يمكن بها أن توافقه أو يقنع الناس بأنها أشياء فى غيرها غنى عنها وعوض منها .

وها نحن أولاء نشهد طلائع ذلك على يد طائفة من مفكرى الأزهر وبقيادة شيخه المصلح العظيم .

ولن يمضى زمان طويل حتى يكثر فينا هذا الصنف من الفقهاء ، المنتجين المجددين ، وحتى يسحب الزمان ذيل العفاء على « فقهاء بيزنطة » الجامدين !

محمد محمد المدنى

١٩٤٠

شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

كان الفقهاء الأولون من المسلمين مثلاً عليا فى النشاط العلمى ، والتفكير العقلى ، والجرأة على الدراسة والشجاعة فى مواجهة الحقائق . درسوا كتاب الله وسنة رسوله ، وفهموا مقاصد الشريعة ، وأدركوا أسرارها ، وعرفوا أحوال عصرهم ، وعادات قومهم ، واجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد ، ولم يقصروا فى ناحية من نواحى النظر ، حتى ملأوا طباق الأرض علماً ، ووسعوا دائرة الفقه ، وجعلوا من مباحثه صوراً تمثل حياة الناس فى عصورهم تمام التمثيل ، ونشروا علمه الخفاق على دور الحكم والولاية والقضاء ، ومراكز الإدارة والسياسة ودوائر الأموال والأعمال !

ثم دار الزمان دورته ، وجاءت من بعد ذلك عهود ركدت فيها ريح الفقه ، وغلقت أبواب الاجتهاد ، وأصبح الفقهاء رواة لمن كانوا قبلهم يرددون أقوالهم ، ويشرحون عباراتهم ، ويدرسون ألفاظهم ، ويتعصبون لمذاهبهم ، وابتعدوا بالفقه عن الحياة الواقعية ، واحتفظوا منه بصور أثرية تتحدث عن عصور منقرضة وتصف أحوالاً مندثرة ، وكان من آثار ذلك نفور أهل الحكم والسلطان منه لشعورهم بأنه على صورته التى صار إليها لا يلبى حاجات الأمم ، ولا يصلح عيوبها ، ولا يحل مشاكلها . وكان من آثار ذلك أيضا أن انقطعت الصلة بين أهله وبين المجتمع ، إذ أصبحوا غرباء عنه ، يعيشون فى واد غير واديه ، ويدرسون أحوالاً غير أحواله . ثم كان من آثار ذلك أن دخلت التشريعات الأجنبية على بلاد

شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

المسلمين ، فأصبحت دستور الحكم ، وأساس الإدارة ، وقانون القضاء ، وعماد النظام فى كل ناحية من نواحى الأعمال !

هكذا كان الفقه وهكذا صار !

• • •

كثيرا ما أسائل نفسى : هل كان الفقهاء الأولون طرازاً غير طراز سائر الناس ؟ هل منحهم الله ما لم يمنحه أحداً من بعدهم فآتاهم من العقل ما لم يؤت العقلاء ، ورزقهم من صحة الفهم وقوة الإدراك ما لا ينبغى لأحد بعدهم من ذوى الفهم والإدراك ؟ هل فتحت كنوز العلم والمعرفة والنظر عنصراً من الزمان ثم غلقت أبوابها وأحكم رتاجها فلن تفتح بعد ذلك لأحد من العالمين ؟

إنى أحب هؤلاء الفقهاء وأجلهم ولكننى مع ذلك لا أستطيع أن أجيب عن هذه الأسئلة « بنعم » لأن فضل الله أوسع من أن يقصر على زمان دون زمان ، أو يختص بقوم دون آخرين .

لا أستطيع أن أجيب « بنعم » لأن كتاب الله خالد والخطاب به عام لجميع الناس سواء منهم المتقدمون والمتأخرون : كلهم مطالبون بأن يتدبروه ويعقلوا هدايته ، ويدركوا أسراره ، ويَلْقَنوا (١) منه حجة الله على عباده ، وينتفعوا فى دينهم ودنياهم . ولو جاز أن تقف العقول البشرية عن متابعة هداية الله ، وعن تدبر كلمات الله ، لما قامت حجة الله على المتأخرين من الناس كما قامت على المتقدمين منهم ، ولما كانت هناك فائدة عملية فى أن يضمن الله الحفظ والخلود لكتابه الكريم !

إذن فما بالنا قد حرمنا أنفسنا هذا المتاع العقلى . وهذه اللذة الفكرية فلم ننظر كما نظروا ، ولم نجتهد كما اجتهدوا ؟ بل لماذا رضينا أن نكون صدى لهم فى كل شيء حتى لنستشيرهم ولا نستشير عقولنا فى أحوال شهدناها وغابوا عنها ، ورأيناها رأى العين وتوهموها ؟ !

« شروط الاجتهاد » هى التى قضت علينا بذلك ! نعم شروط الاجتهاد التى تصورها أهل العلم من المتأخرين شيئاً هائلاً رهيباً ، وأسرفوا فى تقييد أنفسهم وتقييد الناس بها ، وأقاموا منها حجاباً بين العقول وما أوسع الله لها من مدى فى التأمل والتفكير !

أبى المتأخرون إلا أن يجعلوا للاجتهاد شروطاً ، ثم زعموا للناس أن هذه الشروط صعبة لا يستطيعها أحد ، كثيرة متشعبة لا تكاد تجتمع لأحد ، فأغلقوا باب الاجتهاد ، وأوجبوا على الناس أن يقلدوا ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى أوجبوا عليهم تقليد فقهاء معينين ينتسبون لهم ، ويزعمون أنهم أولى بالاتباع من غيرهم ، ولكن أقوالهم اضطربت فى ذلك اضطراباً يثير الظنون ، ويغرى بالتهم : فقالت طائفة منهم : لا يجوز لأحد أن يختار بعد أبى حنيفة وأبى يوسف وزفر . وقالت طائفة أخرى ، لا اختيار بعد الأوزاعى وسفيان . وقال قوم : ليس لأحد أن يختار بعد الشافعى . وقال آخرون : ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة ولما اشتهرت المذاهب الأربعة المعروفة وكان لها أتباع ومتعصبون يخشى بعضهم كيد بعض ، اصطلحوا فيما بينهم على أنه لا يجوز تقليد أحد سوى هؤلاء الأئمة ، فجعلوا لحكمهم أثراً رجعياً ينسحب على جميع الفقهاء الذين اجتهدوا ، فلم يعد لأحد أن يأخذ بقول الليث أو سفيان أو غيرهما من أصحاب المذاهب التى لم ترزق من الجد وحسن الطالع ما رزقته هذه المذاهب المعروفة ، فانقرضت ولم يبق لها أنصار يدافعون عنها ، ويدعون إليها .

فعلوا ذلك كله ، وألقوه فى روع العامة كأنه عقيدة من العقائد ، وشغبوا به على أصحاب العقول الراجحة ، والأفكار الحرة ، وأعلنوا عليهم حرباً طاحنة ، جيوشها العامة والدهماء ، وأسلحتها التكفير والرمي بالزندقة والخروج على إجماع الأمة ، والطعن فى الأئمة الذين ارتضاهم المسلمون ... الخ ، ثم عكفوا على كتب بخصوصها لا يعرفون غيرها ، ولا يعتمدون على سواها ، ولا يتلقون شريعة الله إلا منها ، ذلك بأنهم ألفت على هذه الشريطة فى عصور التأخر الفقهى ، وزعموا أن الدنيا خلت ممن يستطيع أن يخرج على هذه الكتب ، أو يتكلم فى العلم دون أن يعتمد عليها ، بل حرموا على الناس أن ينظروا فى كتاب الله أو سنة رسوله نظر العلماء المستنبطين ، وأوجبوا على العالم ألا يقضى ولا يفتى بشيء منهما حتى يعرضه على ما تنقله هذه الكتب من أقوال مذاهبهم ، فإن وافقها جاز الحكم به ، وإلا وجب رده وعدم قبوله !

تلك آثار بعيدة المدى ، لا يزال الفقه الاسلامى يعانيها ويحمل إصرها وأغلالها ، ويتعثر فى أشواكها وعقابها ، وهو الفقه الذي ورثناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه من بعده ، وعن الأئمة المهتدين ، قوياً لا يعرف الضعف ، ناشطاً لا يعرف الجمود ، واسعاً لا يضيق صدراً بالنوازل والأحداث !

شروط؟ ومتى كان للاجتهاد شروط؟ هل ذكرت فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ؟ هل كان الصحابة الذين اجتهدوا واختلفوا وتعددت آراؤهم يعرفونها ؟ وهل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهاهم عن الاجتهاد أو يشترط له شروطاً خاصة ؟

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم مع تفاوتهم علما وفهماً وإدراكاً لأسرار التشريع يجتهدون ويختلفون فيما بينهم ، وربما انفرد الواحد منهم بالرأى لا يراه غيره ، ولقد وجد من بعدهم عشرات بل مئات من المجتهدين ، وكانت لهم حرية فكرية واسعة المدى ، فأين فى هذا كله خبر تلك الشروط وأين حسها ؟ وهل زعم أحد أنهم أعدوا أنفسهم أولاً لنيل شروط معينة ، وأشهدوا الناس على أنهم حصلوها ثم أخذوا بعد ذلك ينظرون ؟ كلا فليس الاجتهاد منصباً تمنحه الأمة وتمنعه ، وانما هو رتبة علمية يشعر بها العالم من نفسه ، وليس كل أحد يدعى ذلك . ولم نسمع أن أحداً من أهل العلم قد التمسه أو أقدم عليه دون أن تكون له أداته الطبيعية ، وليس الناس ملزمين برأى من الآراء كأنه فريضة محكمة ، وإنما هو العلم أساسه الحجة والبرهان ، ولو اتفق الناس على أن رجلاً منهم صار من أهل الاجتهاد لما أعفاه ذلك من تمحيص العقول لآرائه ، والتثبت من حجته . ولو أنكر الناس على رجل منهم هذه المنزلة لما أعفاهم ذلك من الخضوع لرأيه حين تكون الحجة إلى جانبه .

فليس الأمر إذن أمر شروط تشترط ، وإنما هو العلم يجب أن تسمع كلمته من أى فم كان ، وأن تفهم وتقبل إذا كانت حقاً ، وأن ترفض وترد إذا كانت باطلاً ، والحق أحق أن يتبع !

• • •

ولكن ، لندع هذا كله جانباً ولننظر فى نفس

هذه الشروط كما يصورها الذين خوفوا الناس بها ، وحجروا على العقول من أجلها !

تصفح ما شئت من كتب الأصول التى وضعها المتأخرون ، واقرأ ما شئت من هذه الشروط ، تجده يبدو لك أول الأمر عسيراً لا يستطاع تحقيقه ، فإذا راجعت فيه الشروح والحواشي والتقريرات ، وجدت الأمر على خلاف ما بدا لك ، ووجدته شرطاً هيناً سهل الحصول .

قالوا : أول شروط الاجتهاد أن يكون المرء عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم جعلوا يضخمون هذا الشرط ، فحكوا لنا خلاف العلماء فيما يجب علمه من السنة ، فقالوا : ألفان ، وقالوا عشرة آلاف ، حتى زعم بعضهم أنه سأل أحمد بن حنبل : كم يكفى الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتى ؟ يكفيه مائة ألف ؟ قال : لا ، قال : ثلثمائة ألف؟ قال : لا ، قال : أربعمائة ألف ؟ قال : لا ، قال : أيكفيه خمسمائة ألف ؟ قال : أرجو !

لا تخف — أيها القارىء — ولا تستصعب الأمر ، فإن شارح التحرير يقول : « إن ذلك محمول على الاحتياط والتغليظ فى الفتيا (٢) » ، وإن الغزالى يقول : « لا يشترط معرفة جميع ما فى الكتاب ، بل ما تتعلق به الأحكام .. ولا يشترط حفظها عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عالماً بمواضعها بحيث يطلب منها الآية المحتاج إليها فى وقت الحاجة ، ولا يلزم حفظ السنة عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عنده أصل مصحح لجميع الأحاديث المتعلقة بالأحكام . ويكفيه أن يعرف مواقع كل باب فيراجعه وقت الحاجة (٣) » .

فانظر كيف بدأ هذا الشرط عسيراً هائلاً ، ثم عاد خفيفاً هيناً !

وقالوا : لابد أن يكون قادراً على التمييز بين الصحاح والحسان والضعاف من الأحاديث ، بحيث يعرف حال رجال الاسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد هذه الأوصاف ، والشوكانى يعلق على هذا الشرط فيقول : « وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال (٤) » ، وكذلك يقول صاحب مسلم الثبوت : « مع العلم

● كان الصحابة يجتهدون ويختلفون فيما بينهم .. وقد ينفرد أحدهم برأى لا يراه غيره

بحال الرواة ، ولو بالنقل عن أئمة الشأن (٥) » .

وقالوا : لابد أن يكون عالماً بمسائل الإجماع ، وبالناسخ والمنسوخ . ويقيد الشوكانى هذا الشرط بقوله : « إن كان ممن يقول بحجية الإجماع ويرى أنه دليل شرعى (٦) » .

ويقول الغزالى : « وليس معنى ذلك أنه يلزمه أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف بل فى كل مسألة يفتى فيها فينبغى أن يعلم أن فتواه ليس مخالفاً للاجماع . إما بأن يعلم أنه موافق مذهباً من مذاهب العلماء أيهم كان ، أو يعلم أن هذه واقعة متولدة فى العصر لم يكن لأهل الإجماع فيها خوض (٧) » .

أما الناسخ والمنسوخ فهذه كتب التفسير والحديث تعد بالمئات وقد تكفلت ببيان مواضع النسخ بياناً شافياً ، على أن جهابذة العلماء لا يرون القول بنسخ شيء من الكتاب الكريم .

شرطوا بعد ذلك أن يكون المرء عالماً بلسان العرب وعلم أصول الفقه ، ثم قالوا إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه الخ .

والأمر فى ذلك يسير وإن بدا متعسراً فعندنا من العلماء من يعرف لسان العرب كما كان يعرفه العرب أنفسهم ،ومن فاق الأولين بصراً بعلم أصول الفقه وقدرة على التصرف فيه ، وبين أيدينا جميع مؤلفات العلماء فى ذلك وفى قدرتنا أن نستخرج منها ما نريد ، وقد قربوها كما يقول الشوكانى أحسن تقريب !

هذه هى شروط الاجتهاد كمايراها المتأخرون ، وهى شروط فى المجتهد المطلق الذي ينظر ويستدل ويستنبط فى جميع أبواب الفقه ، فأما الذي ينظر فى باب دون باب ، أو فى مسألة دون مسألة فالأمر فيه أيسر ، وقد أجازوا له ذلك دون أن يشترطوا فيه إلا « أن يكون على بصيرة فيما يفتى » .

فأى شيء فى هذه الشروط يصعب تحقيقه ؟ وكيف يقال ذلك فى عصر العلم والمراجع والمكتبات والفهارس والمذياع وجمعيات المراسلات والمؤتمرات العلمية والصحف والمجلات والدراسات المنظمة ، وهو لم يقل فى عصور كانت العلوم فيها ناشئة ، وكان العلماء فيهايرحلون للحديث الواحد من بلاد إلى بلاد !

* * *

أما بعد فقد أتى على الناس حين من الدهر كان التدين فيه هو طابع الحياة ، وكانت مظاهر الورع والتقوى والصلاح تستطيع أن تغطى القصور والضعف وقلة الانتاج .

أما اليوم فإننا فى زمان هجمت علينا فيه الثقافات من كل جانب ، وأصبح الناس بحاجة إلى التوسع فى العلوم ، وتلبية مطالب الحياة ، وأصبح النضج الفكرى عنوان التقدم ووسيلة الاحترام .

فإذا التمس العلماء أن يعيشوا فى العصر الحديث بما كانوا يعيشون به فى العصر القديم فقد التمسوا المحال .

محمد محمد المدنى
المدرس فى كلية الشريعة
١٩٤٢

الهوامش

(١) لقن فلان الكلام من فلان : أخذه عنه مشافهة وفهمه .
(٢) شرح التحرير ج ٣ ص ٢٩٢
(٣) المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٣٥١
(٤) إرشاد الفحول للشوكانى ص ٢٣٤
(٥) مسلم الثبوت ، نسخة الشرح ، ج ٢ ص ٣٦٣
(٦) إرشاد الفحول ص ٢٣٤
(٧) المستصفى ج ٢ ص ٣٥١

أزمة المسرح العربي

يسرى الجندى



على سالم



سعد الدين وهبه



يوسف ادريس



شهادات حيّة يقدمها أربعة من كبار كُتّاب المسرح

رسالة القاهرة تكتبها : سارّة

نشرت الدوحة في العدد الماضي الحلقة الأولى من هذا التحقيق الواسع حول أزمة المسرح العربي وهذه هي الحلقة الثانية التي يجيب فيها أربعة من كبار كتاب المسرح عن السؤال الأساسي : كيف ترون أزمة المسرح وما هو الحل ؟

يوسف إدريس

"٨ مسرحيات"



- الفرافير هي أول ظهور للمسرح العربي المتكامل .
- كُتّاب المسرح في تونس والمغرب يرفضون الاعتراف بحقي في الريادة المسرحية ويشاركهم كثير من النقاد والمخرجين في مصر
- كان يجب أن أظهر منذ ٥٠٠ سنة حتى يعترفوا بحقي في خلق المسرح الشعبي العربي المتكامل .

• بداية وجود المسرح الفعلي كمسرح مؤلف كانت على يد يعقوب صنوع ، ولكنه لم يكن مسرحاً متكاملاً ، ولكن نستطيع أن نؤرخ به لظهور المسرح كفكرة أو كمبدأ ، وتتالى بعد ذلك تطور المسرح من محمد تيمور وجورج أبيض ويوسف وهبي حتى فترة الثلاثينات عندما بدأ توفيق الحكيم يكتب مسرحه الفكري ، وكان تطور المسرح في تلك الفترة يعتبر انعكاساً للمسرح الأوروبي وظل هذا قائماً إلى أن ظهر جيل من كتاب المسرح بعد الحرب العالمية الثانية وبعد ثورة ٢٣ يوليو عندما قدم نعمان عاشور مسرحيته المغناطيس .

• في اعتقادي أنا كمؤلف مسرحي يحمل

نظرية مسرحية خاصة به والتي أصبحت عامة في العالم العربي ، أنني بعد كتاباتي للمسرحيات التقليدية : « ملك القطن ، وجمهورية فرحات ، واللحظة الحرجة » ، والتي توقفت بعدها عن الكتابة المسرحية لأنني اكتشفت أنني كنت أعكس أيضاً الشكل والموضوع الأوروبي المسرحي ، لذلك توقفت عام ٦٢ ، ومنذ ذلك العام وحتى عام ٦٣ بدأت تنضج عندي فكرة ومحاولة العثور على المسرح العربي المصري الشعبي ، ولقد عارضني النقاد والكتاب بشدة ومنهم نعمان عاشور ، وقالوا إنه لا يوجد مسرح عربي أو مصري شعبي وإنما يوجد الشكل الأوروبي للمسرح والذي يتكون من ثلاثة جدران وخشبة وما علينا نحن إلا أن نصنع داخل هذا الإطار موضوعاً مصرياً ، ولكني رفضت كل هذه الآراء وأصررت على وجود شكل عربي للمسرح وقد اتخذ أشكالاً كثيرة منها الزار والعزاء في المآتم والسامر والأراجوز وأشياء أخرى كثيرة من الممكن استيحاؤها لخلق شكل مسرحي مصري عربي ، وعلى أساس نظريتي الخاصة كتبت مسرحية « الفرافير » عام ٦٣ ، وقدمت على المسرح عام ٦٤ ، وقد أحدثت ضجة كبيرة .

• إذن فإن مسرحية « الفرافير » هي أول مسرحية مصرية متكاملة . بعدها بدأ النقاد الاعتراف بوجود مسرح شعبي مصري ، وقال عنها توفيق الحكيم بأنها المسرحية المصرية الوحيدة في التراث المسرحي المصري ، وقال عنها أيضاً أحمد بهاء الدين بأنها جوهرة مسرح الستينات ، ولم أكتف بالبحث عن شكل ومضمون شعبي مصري وإنما ضمنت نظريتي في المسرح فكرة « التمسرح » والتي تعني إشتراك الجمهور داخل المسرحية .

• منذ ظهور « الفرافير » بدأ البحث عن أشكال مسرحية عربية في كل البلاد العربية وحتى في مصر ، وبعد عشر سنوات من نظريتي التي أثبتها في « الفرافير » بدأ « الطيب الصديقي » في المغرب يخلق ما سمي بمسرح التراث ، وبدأ مسرح « محمد الماغوط » « ودريد لحام » في سوريا ، ومسرح « تحية كاريوكا » في مصر ، والغريب أن إخواننا في المغرب وتونس ادعوا لأنفسهم حق الريادة في خلق المسرح العربي المحلي ، وتجاهلوا حتى مقالاتي التي كتبتها بعنوان « نحو مسرح مصري » والتي نشرت بمجلة الكاتب ، والتي احتواها كتابي « نحو مسرح عربي » .

• أستطيع أن أقول دون أن أتهم بالغرور والادعاء ، وبشهادة توفيق الحكيم أكبر كاتب مسرحي معاصر وبشهادة كبار النقاد د . الراعي ود . القط بأن الفرافير هي أول وجود للمسرح العربي المتكامل والتي لم تتكرر بعد ذلك إلا بأشكال استيحاء التراث والحواديت الشعبية في سوريا وتونس والمغرب ، وكذلك الكويت والعراق إلى حد ما .

• أنا لا أشكو من الجحود الذي بلغ إلى حد أنني لم أدع إطلاقاً إلى أي مهرجان أو مؤتمر مسرحي عربي ، لأن مشكلة الكتاب العرب والمشرفين على هذه المهرجانات أنهم دخلوا في تنافس شديد مع كل ما هو جديد في مصر بهدف إلغاء هذا الجديد ، وإلغاء الاعتراف به باعتبار أن القاهرة الثقافية قد اندثرت في اعتقادهم ، وتصور كتاب المسرح في تونس والمغرب أنهم حملة راية التجديد في المسرح العربي ، وتجاهلوا دعوتي خشية أن يتعرف الجمهور العربي على الأصل الذي تأثروا به ويرفضون الاعتراف به ، والمؤسف أن كتابنا المصريين يشاركونهم في عدم الاعتراف بحقي في الريادة وكذلك عدد كبير من المخرجين وجيل النقاد الشباب ، يبدو كعادتنا نحن العرب ونظراً لقرب المسافة الزمنية كان يجب أن أكون قد ظهرت منذ ٥٠٠ سنة حتى يعترفوا بحقي في خلق المسرح العربي الشعبي المتكامل .

• ازدهار المسرح في الستينات يعود إلى أن تلك الفترة كانت بداية المجتمع الجديد في مصر ، ولذلك كان هناك أولاً إطمئنان على « أكل العيش » ، وثانياً تبني الدولة وإنفاقها بسخاء على المسرح ، وثالثاً لم تكن هناك « هوجة » الانفتاح ، فاستطاع الكاتب أن يجد من الوقت ومن مناصرة رسمية للمسرح ما يستطيع به أن يخلق ويبتكر في عالم المسرح .

• أزمة المسرح المصري بدأت في منتصف السبعينات نظراً لتغير التركيب الطبقي للمجتمع المصري ، فظهرت طبقة الحرفيين وأصحاب الدخول غير المنظورة ، والذين يشكلون الآن غالبية رواد المسرح ، والذين رفضوا نظراً لعجزهم الثقافي ما يمكن أن نسميه بالمسرح الجاد ، حتى الكوميديا الجادة رفضوها ، وأحالوا مسرحنا إلى كباريه رخيص ، وهذا يؤكد نظريتي التي تقول إن الجمهور هو صاحب المسرح ، فبمقدار التغير الذي يحدث في نوعية الجمهور يحدث التغير في المسرح ، ولذلك ازدهر مسرح القطاع الخاص ازدهاراً خطيراً وأصبح لدينا ما يسمى بالمسرح السياحي .

• بالإضافة لذلك هناك مشكلة أخرى أدت إلى تفاقم الأزمة وهي انتشار التليفزيونات والمسلسلات العربية ، والتي من باب التنافس أصبحت تدفع مبالغ خيالية للممثلين ، فتكالب ممثلونا على هذه المحطات وهجروا المسرح ، وهذا كفيل وحده بانهياره .

• التليفزيون مسئول مسئولية مباشرة عن تدني ذوق الجمهور منذ بدايته ، لخلقه ما يسمى بفرق التليفزيون العشر ، وهذه الفرق هي التي انحدرت بالمسرح إلى الحضيض ، وهي التي أنتجت لنا نجوماً وأصحاب مسارح « الكباريه » الخاصة ، وقد كان هذا مخططاً متعمداً لهدم فكرة المسرح القومي باعتبار أنه كان يشكل خطراً ثقافياً حقيقياً بما كان يتضمن من آراء وأفكار .

• عندما عين كرم مطاوع رئيساً لهيئة المسرح ، طلب مني أحد الأصدقاء أن أهنئه على هذا المنصب ، وكان ردي أنه يستحق أن أعزيه لأنه لا أحد يستطيع اتخاذ أي إجراء لإنقاذ المسرح من انهياره ، فالأزمة معقدة ومتشابكة تبدأ كما قلت في كيفية استعادة الجمهور ، وفي التراخي الشديد في هيئة المسرح وعدم القدرة على السيطرة على الممثلين وتنتهي بوضع الممثلين الإقتصادي .

• الحل المعقول في رأيي هو في تشكيل فرق مسرحية طليعية صغيرة في الجامعات وفي مسرح الطليعة تأخذ على عاتقها تربية جمهور جديد من المتعلمين أو حتى من الفئات الأخرى التي تحتاج فعلاً لمسرح جاد ولا تجده ، المسرح الجديد الجاد يجب أن يقوم على أكتاف هواة لا يعبأون بالمادة كثيراً ، والذين يتجاوز طموحهم الفني طموحهم المادي ، وهذا هو الخلاص .

• لا توجد مسرحية جديرة بالتوقف أمامها خلال السنوات العشر الأخيرة ، بالنسبة لمسرحية « الوزير العاشق » لا يمكن أن تصنف كمسرحية لأنها عبارة عن خطب حماسية ، وأنا غير مغرم بمسرح نجيب سرور « منين أجيب ناس » لأن مسرحه مسرح خطابي أيضاً ، وأما مسرحية « عرابي » فهي مسرحية ملحمية ، وأنا غير مؤمن بالمسرح الملحمي والذي هو عبارة عن تقريظ مستمر للبطل ، فأنا لو كتبت مسرحية « عرابي » لاستخرجت بذور هزيمة عرابي من شخصيته وتكوينه الساذج الذي لم يرتفع لمستوى الثورة بدليل تردده في خلع الخديوي مما أدى إلى أن تدور الدوائر عليه وتفشل الثورة .

• لدينا عدد كبير من الممثلين الممتازين ، ولكن للأسف فإن فكرة الهواية وعشق المسرح قد اندثرت في أعماقهم ، وحلت محلها فكرة العائد المادي ، وكثير من الذين يدخلون معهد التمثيل اليوم يدخلون بحثاً عن النجومية والمكاسب المادية ، لم يعد حب المسرح هو السبب الرئيسي لدخول المعهد كما كان يحدث في الماضي ، لأن مهنة « التمثيل » أصبحت تدر دخلاً خيالياً ، يكفي أن ينجح ممثل في رواية ليصبح نجماً ويتقاضى في مسلسل واحد ضعف ما تقاضيته أنا ونعمان عاشور وتوفيق الحكيم طوال حياتنا !

• يسري الجندي وأبو العلا السلاموني وصلاح عبدالسيد مشاريع جيدة لكتاب مسرح جيد .

أزمة المسرح العربي



سعدالدين وهبة

"٢٠ مسرحية"

■ الستينات كانت فترة ازدهار للمسرح وسائر الفنون .

■ السبعينات كانت مرحلة الأزمات السياسية والاجتماعية وقد انعكست هذه الأزمات على المسرح وسائر الفنون .

■ لم يلفت نظري أحد من كتاب الجيل الجديد بعد محمود دياب وعلي سالم .

• المسرح كما هو معروف فن غير عربي وليس له جذور عربية ، بمعنى أنه فن وافد ، بدايته كانت في القرن التاسع عشر ، وإن كانت القاهرة قد عرفت العروض المسرحية مع الحملة الفرنسية التي صاحبتها بعض الفرق الفرنسية ، وفي عهد محمد علي حضرت أيضا بعض الفرق الايطالية وقدمت عروضها ، بعد ذلك ظهر يعقوب صنوع الكاتب المصري الذي يؤرخ بظهوره بداية المسرح المصري ، ثم تلا ذلك بعض الشوام الذين هاجروا إلى مصر مثل أبو خليل القباني وفرح انطون ، وباستثناء يعقوب صنوع كانت كل المسرحيات التي قدمت مترجمة أو معربة ، أما المسرحيات المؤلفة فكان أغلبها يدور حول أحداث تاريخية معارة من التاريخ سواء كانت حدثاً تاريخياً حقيقياً ، أو حدثاً تاريخياً متخيلاً مثل ألف ليلة وليلة كمصدر من مصادر الالهام لكتاب تلك الفترة .

• أستطيع أن أقول إن بداية المسرح المصري المتكامل الجاد كانت بوجود المؤلف والممثل والمخرج المصري ، وهي بالتحديد في ثلاثينات هذا القرن ، ولا أوافق على تحديد مسرح الستينات كبداية حقيقية متكاملة للمسرح المصري ، فقد سبق هذه المرحلة ، مرحلة الثلاثينات ، وكانت مرحلة ثرية ، كتب فيها توفيق الحكيم مسرحياته الممتازة مثل أهل الكهف وشهر زاد ، كما كان فيها مسرح شوقي وعبدالرحمن رشدي وعزيز أباظة ، ولا يمكننا تجاهل ثراء هذه المرحلة وغناها .

• مسرح الستينات اتخذ شكلاً خاصاً يختلف عن مسرح الثلاثينات ، ووجه الخصوصية أنه كان مسرح واقعية اجتماعية مثل مسرحي ومسرح نعمان عاشور ويوسف إدريس ، ومسرح الستينات ظهر في فترة تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وكان من البديهي أن تنعكس هذه التحولات على المسرح .

• الستينات كانت فترة ازدهار للمسرح وللفنون عموماً وحتى للسياسة والاقتصاد ، ففيها ظهرت مجموعة عدم الانحياز ، وزعامة عبدالناصر وتيتو ، وقامت ثورات في مناطق مختلفة من العالم ، واستقلت أكثر من ثلاثين دولة إفريقية وأكثر من ست دول عربية ، الستينات فترة خصبة في تاريخ إفريقيا والمنطقة العربية وهي فترة التحول الاجتماعي في مصر والقومية العربية وبداية تجربة الوحدة ، كل تلك الأحداث الكبيرة كان لابد من انعكاسها على الفن ،وأسرع الفنون إحساساً وتأثراً بالتغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هو المسرح ، إذن مرحلة الستينات حقبة خاصة في تاريخ العالم وليست فقط في تاريخ مصر أو في تاريخ المسرح المصري ، ولذلك ازدهر مسرح الستينات .

• مرحلة السبعينات كانت مرحلة الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي انعكست بدورها على المسرح والفنون عموماً ، السبعينات كانت فترة التمزق العربي وانعزال مصر ، والمشاكل الاقتصادية الداخلية والتي أعقبتها المشاكل السياسية ، وتلخصت كل هذه الأزمات في أحداث سبتمبر ١٩٨١ ، وكان من الطبيعي أن تنعكس كل هذه الأزمات على أوجه الحياة المختلفة ومساراتها بما فيها المسرح .



علي سالم

«٢٢ مسرحية»

■ المسرح الناجح هو دائماً مسرح البهجة .

■ لا أتصور مسرحاً بدون جمهور ... وإذا انصرف الجمهور عن المسرح فالمسئول هو المسرح وليس الجمهور .

■ ثقتي في جمهوري لا حد لها ، فأنا أعرف كيف يفكر وكيف يعيش وأعرف مقدار دخله ومقدار ما يمكنه الاستغناء عنه وأعرف متى ينام ومتى يستيقظ .. وإذا عرف الفنان جمهوره استطاع الوصول إليه .

• منذ العام الماضي استعدنا تجربتنا الديموقراطية ، وهي الطريق الوحيد لتجاوز كل أزماتنا بما فيها أزمة المسرح ، إن سنواتنا القادمة ستكون أفضل من التي مضت على كافة المستويات ، لأن المجتمع تخلص من جزء كبير من مشاكله السياسية وإن كانت مشاكله الإقتصادية ما زالت معلقة .

• لا أوافق إطلاقاً على التهمة الموجهة للتلفزيون بإفساد ذوق الجمهور ، إن رغبة الجمهور بمشاهدة عروض المسرح التجاري أمر طبيعي ، ففي كل دول العالم يقبل المتفرج على المسرح الجيد كما يقبل على المسرحيات السوقية أو المضحكة ، يوجد في لندن المسرح السياحي بجانب مسرح شكسبير ، وفي فرنسا يوجد مسرح الكوميدي فرانسيز ومسرح البوليفار والتسلية ، ولا تعارض في ذلك ، وإقبال جمهورنا على المسرحيات الضاحكةليست حالة فريدة تستحق الدراسة لأنها ظاهرة طبيعية كما قلت .

• البعض يعتبر أن جدية المسرح تعني « ثقل الظل » والكلام غير المفهوم ، ولا تناقض إطلاقاً بين المسرح الممتع والمسرح الجيد والمسرح الفكري ، والمسرح في كل دول العالم شيء جذاب أولاً ، وإنما لا يمكن أن آتي بفكرة عرجاء ثم أضعها في إطار مشوه وأقول إن الجمهور لا يقبل على المسرح الجاد .

• مسئولية الممثل تنحصر فقط في عدم تفرغه وتفضيله العمل التليفزيوني .

• في تاريخنا الأدبي منذ الستينات وحتى اليوم عدد من النقاد المتخصصين مثل لويس عوض والقط وعلي الراعي ، ومن الجيل الذي يليهم رجاء النقاش وأحمد عباس صالح وفؤاد دواره هؤلاء جميعهم نقاد مؤهلون لنقد المسرح لأنهم دارسون له ، أما الانطباعات التي تكتب في صحفنا اليوم فلا علاقة لها بالنقد ، والنقد الجيد مرتبط ارتباطاً مباشراً بوجود المسرح الجيد .

• لم يلفت نظري أحد من كتاب الجيل بعد محمود دياب وعلي سالم ، وبالنسبة للممثلين الممتازين فلدينا عدد كبير منهم .

• ظهور طبقة جديدة لها اهتمامات ومفاهيم خاصة لا يلغي إطلاقاً وجود الطبقة القديمة واهتماماتها .

• أغزر سنوات إنتاجي كانت في الستينات ، وآخر مسرحية طويلة كتبتها سنة ٧٤ بعد حرب أكتوبر ، وكتبت أيضاً بعدها مجموعة من المسرحيات ذات الفصل الواحد عام ٧٧ .

• البداية الحقيقية للمسرح الحديث المبهج في مصر كانت على يد يعقوب صنوع وهو « مسرحجي » مصري عبقري ، والمسرح المصري فيه صفات وبصمات أساسية تختلف عن بصمات المسرح الأوروبي وقوانينه ، وأبرز بصماته الخاصة أن يكون مهموماً ومهتماً ومبهجاً ، وأي مسرحية غير مبهجة فهي حتماً مسرحية غير مصرية ، يعقوب صنوع كان مسرحياً عظيماً بشهادة النقاد الغربيين الذين شاهدوه وكتبوا عنه ،بل هو أعظم المسرحيين طبقاً لما قرأته في شهادات المراسلين الأجانب الذين قالوا إنه كان قادراً على إضحاك الفلاح في نفس الوقت الذي كان قادراً على إضحاك الباشا ، وأنه كان ممثلاً حقيقياً للفلاح المصري بظرفه ووجهه النحيل ، يعقوب هو الذي أنشأ المسرح المصري العظيم بكل ما تحمله كلمة « إنشاء » من معنى .

• أما المسرح المصري بطبيعته فهو ممثل أعظم تمثيل في « المحبظاتيه » الذين كانوا يقدمون عروضهم في الأسواق ، وفي الشوارع والموالد والقصور ، وأستطيع أن أقول ككاتب كوميديا محترف ــ وأنا مسئول عن كلامي هذا ــ ان مسرحيتهم التي لخصها « إدوارد ليني » في كتابه « المصريون المحدثون عاداتهم وتقاليدهم » والتي تحكي عن خضرة وزوجها الفلاح المدان لضرائب الوالي بعشرة آلاف قرش ، أستطيع أن أقول إن

أزمـــة المسرح العربي

جميع كتاب الكوميديا عبر التاريخ كله لم ولن يستطيعوا أن يتخطوا هذه المسرحية التي وصفها « لين » في كتابه ، وأزعم أنني لم أقرأ في حياتي مسرحية بهذا النبل وهذا القدر من الفكاهة ، وإن التركيبة الدرامية لهذه المسرحية تثبت أن وراءها آلاف السنين من الخبرة ، هؤلاء هم « المحبظاتية » الذين يرفض الجميع الاعتراف بهم ، والذين تمنيت لو كنت واحداً من أحفادهم لأنهم قدموا أعظم كوميديا في التاريخ ، واستطاعوا خلق ما يسمى بالكوميديا النبيلة التي تضحك الآخرين وتشرح لهم ــ في نفس الوقت ــ المأساة التي يعيشها الناس ، لقد استطاعوا أن يحولوا المنشور السياسي النبيل إلى فكاهة جميلة جداً ومضحكة جداً ، وأزعم بأنه لا أحد من الكتاب المعاصرين قادر على أن يكتب مثل تلك المسرحية ، وأزعم أيضاً أنني أحاول مجرد محاولة لكتابة مثلها . ولقد اكتشفت مؤخراً أن أقدم إشارة « للمحبظاتية » وردت في كتاب د . الراعي الأخير عن « ابن دانيال » والذي جاء في حوار فيه « أنا محبظ الشيطان » ووجودهم يمتد إلى القرن الثاني عشر الميلادي ، ولذلك أعتقد أن تاريخ المسرح المصري يجب أن تعاد كتابته من جديد .

• أعتقد أيضاً أن تحديد مرحلة الستينات كبداية حقيقية متكاملة للمسرح المصري مجرد « نكته » ، مرحلة الستينات كانت مرحلة ازدهار للمسرح لسبب بسيط وهو ظهور إكتشاف تكنولوجي جديد ، ودائماً في حياة البشر يترتب على ظهور إختراع جديد تغييرات كثيرة نوعية وكمية ، كان لابد من إعداد مواد تغذي ساعات إرسال التلفزيون ، فأقيمت « بلاتوهات » في المسارح ، وتم إحضار الممثلين المتسكعين في المقاهي ، وتم تقديم رواية كل ثلاثة أيام ، واكتشف الناس أنهم بحاجة لهذا النوع من الفنون وهو المسرح لأنه غذى احتياجات حقيقية عندهم ، ولذلك ازدهر المسرح ، ولم يكن المسئولون من أهدافهم بالتأكيد هذا الازدهار ، لأن هذا الازدهار صنعه الناس بدافع ظهور مكتشف جديد ، تماماً كما ترتب على ظهور « الفيديو كاسيت » في أيامنا هذه أن الممثل الذي كان يستهلكه الناس في عشر سنوات ، يتم استهلاكه اليوم في عشرة أسابيع .

• هذه الضجة المثارة حول ما يسمى بأزمة المسرح المصري ضجة لا أهمية لها ، فالأزمة تنحصر في المبدعين الكتاب أنفسهم ، وعادة يتحدث المثقفون عن أزمة المسرح عندما يكونون عاجزين عن كتابة مسرحية أو إخراجها أو حتى مشاهدتها ، المسألة باختصار تتلخص في أن المثقف المصري غير عملي يكتفي بتذكير الدولة بواجباتها وإسداء النصائح والبكاء على انهيار مستوى الثقافة ، وأنا في رأيي أن المثقف الذي يمتلك حلاً عليه أن يقدمه لنا بصورة عملية ، القضية ببساطة تنحصر في المثقف العملي والمثقف النظري .

• ما معنى أن ينجح عمل ما ؟ أن ينجح عمل وخاصة في المسرح معناه أن يغذي هذا العمل احتياجات حقيقية عند شريحة أو شرائح من البشر ، يمتعهم في الأساس ، هذا هو مقياس النجاح الحقيقي ، أما كيف أستطيع أن أحدد أنني نجحت فإنني أدرك ذلك عندما يأتي الناس ويدفعون ويغطون تكلفة العمل المسرحي كي يستمر ، هذا هو المقياس ، طبعاً من الممكن أن تقولي قد ينجح عرض مسرحي هابط في تغطية تكلفته ، فهل من الممكن أن نعتبره عملاً مسرحياً ناجحاً ؟ أجيبك نعم ، وتظل بعد ذلك القضية نقدية .

• قد يتحمل الجمهور عملاً هابطاً لفترة ما ، ومن الممكن أيضاً أن يخدع الجمهور الفنان ، يضحك على كلمات أو حركات سخيفة ثم يقاطعه فجأة ويتركه متألماً محسوراً ، وهذا يفسر لك ما حدث في فترة الصيف ، وهو وقت حي جداً للمسرح بالنسبة للمصري والعربي القادم في إجازة ، ومع ذلك تم إغلاق مسرحيتين خلال يومين .

ملحوظة إعتراضية : تتبعت خبر توقف هاتين المسرحيتين ، وقد علمت أن إحداهما توقفت لسفر أحد نجومها لحضور مهرجان والأخرى لمرض بطلها ، وقد عاودت المسرحيتان نشاطهما خلال عشرة أيام بعد ذلك ، كما أنه حتى كتابة هذا الموضوع ٢ سبتمبر لم تغلق أية مسرحية أبوابها ، بل على العكس ستشهد الأيام القليلة القادمة افتتاح ثلاث مسرحيات : مونودراما « التربيع والتدوير » بطولة أحمد ماهر ، ومسرحية « الهمجي » بطولة محمد صبحي و « روميو وجولييت » بطولة عبدالمنعم ابراهيم .

• أنا لا أتصور عرضاً بدون جمهور ، وإذا حدث ذلك فهذا ليس ذنب الجمهور أنا ضد اتهام المتفرج بانحدار ذوقه ، إذا قاطع الجمهور مسرحية فهذا يعني أنها لا تلبي احتياجاته الحقيقية ، تماماً كالذي يفكر في إقامة مصنع للثلج في الإسكيمو ، ستكون حساباته جيدة جداً في عمل مصنع الثلج وفي تركيبه للآلات وسينتج ثلجاً بالفعل لكن حيث لا يريده الناس ، في رأيي أن اتهام المتفرج بانحدار ذوقه ووعيه يخفي عجزاً أو كسلاً عقلياً عند المبدعين ، فمستوى وعي المتفرج في مصر وفي المنطقة العربية هو أعلى مستوى وعي فوق الكرة الأرضية ، والحديث عن أمية الناس حديث « سخيف » وغير علمي لأن الجمهور لم يرفض عملاً جيداً حتى الآن ، ولا يجرؤ كاتب أن يقول لقد قدمت عرضاً عظيماً ورفضه الناس .

• ودليلي على ذلك مسرحيتي الجديدة « الكلاب وصلت المطار » ــ تم تسجيل هذا الحوار

■ كتبت مسرحية « مدرسة المشاغبين » وكنت أعرف أنها سوف تهاجم ... فكل عمل ناجح لابد أن يتعرض للهجوم .

■ كانت مدرسة المشاغبين في البداية عرضاً جميلاً ثم أفسده الممثلون .

قبل عرض المسرحية ـ فأنا سأقدمها ضد قواعد وحسابات السوق ، وثقتي في متفرجي لا حد لها ، فأنا أعرفه جيداً ، أعرف كيف يفكر ، كيف يعيش ، أعرف مقدار دخله ومقدار ما يمكنه الاستغناء عنه ، أعرف متى ينام ومتى يستيقظ ، وإذا عرف المبدع متفرجه استطاع الوصول إليه ، وأنا عندما أدعو متفرجي فإنما أدعوه لأدثره بعباءة من العذوبة والفن الجميل ، والعقل لا يرفض ذلك . لا أحد يرفض العطف والحب ، لا أحد يرفض العناية الإنسانية والفن عناية إنسانية بالآخرين ، وأنا أكتب لنفسي ولأصدقائي ولمن هم على شاكلتي وهم كثيرون ، والقضية قضية الأعمال المجهدة المعروضة في السوق المصري والتي تزعم لنفسها درجة من الحقوق لا تستحقها ، ومحاولة إلقاء فشلنا على عاتق المتفرج وسيلة للهرب من العمل وهي تهمة مهينة لأنه يترتب عليها أن يذهب المبدع خارج الحدود بحثاً عن جماهير أخرى . لم يحدث في التاريخ أن قدم أحد سلعة ما يحتاجها الناس وبارت .

● لقد انصرف المتفرج لأول مرة عن المسرح في القطاعين الخاص والعام ، وهذا أمر بالغ الخطورة ، هذا يعني أنه لم يعد هناك مصدر للبهجة ، لذلك نحن بحاجة لثورة حقيقية في المسرح المصري ، ثورة حقيقية يقوم بها ثوار حقيقيون ، وشروط هذه الثورة متوفرة عندي أنا ، وهذا ما أفعله في الوقت الحالي ، وأنا على وعي بأن ما أقوم به هو إنقلاب في المسرح المصري ، ثورة بكل المقاييس ، « الكلاب وصلت المطار » مسرحية بلا نجوم ولا حتى أنصاف نجوم ، مسرحية بها فن صارم جداً ومبهج جداً ، مسرحية أسعارها تتساوى مع أسعار هيئة المسرح ومع ذلك ستغطي نفقاتها ، كل ذلك يعني ثورة على كل المقاييس والمعايير الموجودة .

● هل احببت يوماً ؟ إذن لعلك تدركين ماذا تعني لحظة اللقاء بين عاشقين ، هذا هو إحساسي ونحن نعمل ليلاً ونهاراً ، ويبدأ العد التنازلي ترقباً ليوم الافتتاح ، فرحة الإنتظار تزداد لأن المتفرج الذي نحبه سوف يأتي لأننا على موعد معه ، فلا بد أن يأتي ، هذه حسابات خاصة ، حسابات خاصة بالعشاق الذين يحبون مهنتهم وأهلهم ، والمسرح المصري مبهج بطبعه وطبيعته ، وأي كاتب يقص قصته أو حكايته في غير إطار البهجة يعني أن هذا الكاتب لا يحب أهله بالدرجة الكافية .

● في عام ٧٥ ـ ٧٦ كتبت سلسلة من المسرحيات ذات الفصل الواحد للهواة ، مهم جداً أن نكتب لهم ، لأن الهاوي يبحث عن مسرحية يستطيع أن يمثل فيها بمتعة ، فإذا نجحنا في كتابة مسرحية تمنحه هذا الإحساس بالمتعة ، فإن هذا الإمتاع سينتقل للمتفرج ، ويبقى المسرح بدون خوف عليه .

● إن الشباب المنتشرين في آلاف القرى المصرية وفي مئات المدن والمراكز ، والذين يعشقون المسرح هم في أشد الحاجة لمن يثقون في فنيته وفي حرفيته ، يثقون في قدرته على كتابة مسرحيات تمتعهم عندما يقدمونها للناس ، وتمتع الناس عندما يقدمونها لهم ، وهؤلاء هم أحد الأسباب التي تدفع الكاتب للاستمرار في الكتابة ، وإذا اقتضى الأمر أن يقوم الكاتب بإخراج وإنتاج مسرحيته عليه أن لا يتردد حتى لو اضطر للاستدانة ما دام ذلك قد يحمي عمله من الفشل ، هذه ليست إرادة ـ يا سيدتي ـ ولكنه شرف المهنة ، من من حقه أن يتوقف عن اعتناق شرف مهنته ؟ هذا ضد الحياة ، فأنا أعمل منذ أربعين عاماً منذ أن كنت في العاشرة ، لقد ولدت في مدينة دمياط ، وفيها يعمل الأطفال حتى قبل سن العاشرة ، لقد عملت في كل المهن « اللي ربنا خلقها » وهأنذا أخيراً أعمل « مسرحجي » أفهم كل ماله علاقة بالمسرح حتى طريقة كنس خشبة المسرح .

● منذ الأسبوع الأول كنت أعلم أن « مدرسة المشاغبين » سوف تهاجم ، وكلما قدمت عملاً ناجحاً سوف أهاجم ، هذه المسرحية كانت في يوم ما عرضاً جميلاً أفسده الممثلون ، لقد عرضت لمدة شهور بمستوى جيد جداً ، ثم بدأ الممثلون كل يوم بإضافة ما هو كفيل بإفسادها وتسخيفها ، وأنا غير مسئول عما لحقها من سخف ، وعدم مسئوليتي أعلنته منذ اليوم الذي بدأت فيه المسرحية بالانحدار ، وأعلنت أن هذه المسرحية لا تمثلني . وإذا كان الأمر حسب إدعاء البعض أن هذه المسرحية قد أفسدت جيلاً ، فإنه بإمكاننا إذن أن نصلح هذا الجيل بمسرحية أخرى !

● لقد أصابت فنانينا « لطشة فلوس » ، فأعمالهم الفنية تطغى عليها رائحة الفلوس أكثر من رائحة العرق والابداع ، الفنان المصري مهتم بأن يأخذ أكثر مما يعطي سواء كانت هذه حقيقة أم لا ، ولكن الحقيقة المؤكدة أن الجمهور معبأ نفسياً ضده ، فهو يسمع بالمبالغ الخيالية التي يتقاضاها الفنان وعندما يتفرج على أعماله لا يجد شيئاً له قيمة ، نحن لم نكن نحقد على أنور وجدي لأنه كان يقدم لنا مقابل ما يأخذه ، ولم نكن نحقد على نجيب الريحاني لأنه كان يقدم لنا أكثر مما يأخذ .

● لدينا عدد كبير من الممثلين المميزين فعلاً لأن التمثيل لا يعتمد على التحصيل بقدر ما يعتمد على الموهبة ، وأنا أحلم بإنشاء مركز البهجة المصري لاستيعاب طاقاتهم . ومن أبرز المخرجين الشبان والذي لمع اسمه بقوة في الفترة الأخيرة منير مراد مخرج « منين أجيب ناس » ، أما بالنسبة للكتاب الجدد فأبرزهم يسري الجندي وأبو العلا السلاموني ، وكاتب جديد وموهوب اسمه يحيى جاد ، أما أفضل المسرحيات التي قدمت فهي : سهرة مع الضحك من تأليفي ، ومنين أجيب ناس ، ومسرحية ريا وسكينة .

● لو تسلمت مسئولية المسرح لأصدرت قراراً يمنع الدولة من صرف قرش واحد على أية مسرحية الكل يعلم أنها رديئة سواء كان كاتب هذه المسرحية وزيراً أو ابن خالتي !

● ستظل المسرحيات الرديئة تقدم طالما ظل بيننا من لا يتمتعون بالنزاهة العقلية .

● النقد شبيه بالمسرح ، ينشط أحياناً ، وييأس أحياناً .

■ إذا كانت مدرسة المشاغبين كما يقول البعض قد أفسدت جيلاً فمعنى ذلك أن بامكاننا أن نصلح هذا الجيل بمسرحية أخرى .

■ الفنانون عندنا أصابتهم لطشة « فلوس » وأعمالهم الفنية تطغى عليها رائحة الفلوس أكثر من رائحة العرق والإبداع .

أزمـــة المسرح العربي



يسري الجندي

«١٤ مســرحيــة»

■ الفرافير تجربة متميزة ... أما القول بأنها كانت بداية المسرح الشعبي المتكامل فهو قول فيه كثير من التعسف .

■ الأزمة ليست أزمة مسرح بقدر ما هي أزمة واقع تعرض لردة شديدة بعد النكسة التي أعقبها انهيار القيم وانحسار الآمال الكبيرة .

■ لم تعد هناك مشاكل من الرقابة لأن المسرح لم يعد مؤثراً بصورة تدعو للقلق .

■ أطالب بإقامة تجمعات مسرحية أهلية .

■ وفاة محمود دياب خسارة كبرى للمسرح العربي .

إن بداية المسرح المصري المتكامل بمعنى بداية الحوار مع الواقع بمتغيراته الحقيقية بدأت بواقعية مسرح نعمان عاشور مع احترامي لريادة توفيق الحكيم ، أما ما سبق ذلك فكان لبنات أضيفت للوصول إلى المسرح المصري التكامل ، والذي نجح نعمان عاشور في الوصول إليه واستطاع أن يفلت بالمسرح المصري من صفة التبعية إما بالاقتباس أو التمصير أو التقليد ، وقد يعترض البعض ويقول إن لتوفيق الحكيم محاولات في هذا الصدد ، ولكنى أقول ـ وهذا رأي خاص ـ إن علاقة الحكيم بالواقع كانت علاقة غريبة جداً وهامشية ، وأبلغ دلالة على ذلك كتابته « الأيدي الناعمة » إبان ثورة ٢٣ يوليو ، وقد حصر نفسه في فكرة فلسفية جامدة هي فكرة التعاون ، وأخذ يعزف عليها دون أن ينتبه إلى أن المسرح أساساً علاقة مع الجمهور ومع الواقع ، أما بقية كتاب الستينات مثل يوسف إدريس والفريد فرج فقد أقحموا المسرح في متاهات الدلالة والاسقاط والرمز ، مما عرقل إمكانية خلق مسرح شعبي ، ومع احترامي الكبير لهم وتأثري الكبير أيضا لعدد منهم ، لكن أحداً منهم لم يسع لخلق مسرح شعبي ، على العكس من ذلك فقد حقق الريحاني شعبية لمسرحه رغم أنه لم يكن مسرحاً شعبياً بالمعنى الحقيقي ، وهذا ما حققته أيضاً مسرحيات يوسف وهبي الميلودرامية ، ومن ناحية أخرى فقد كان حوار هؤلاء الكتاب مع السلطة حواراً اتخذ شكلاً تصادمياً ، ولكن هذا الحوار في جوهره كان نوعاً من التهادن ، كان توجههم لمخاطبة السلطة وطبقة المثقفين أهم من توجههم لمخاطبة الجماهير ، كما أن إحساسهم الذاتي كان يغلب على إحساسهم بالواقع العام ، وأعني الإحساس بتحقيق الذات فنياً ، ولكن نعمان عاشور استطاع النجاة من هذا المنزلق وظل وفياً لحواره مع الواقع ، حوار واضح يرصد التحولات ، ويضيء الاحتمالات بشكل سافر وصريح ، يشترك معه في ذلك محمود دياب الذي يتميز مسرحه بحساسية عالية جداً وأعتبره خسارة كبيرة للمسرح المصري والعربي .

• الفرافير كانت تجربة متميزة بشخصية الفرفور وهي شخصية أصيلة في الواقع المصري . وهي تجربة على الطريق ترد للمسرح المرتجل قيمته أما الزعم بأنها كانت بداية المسرح المصري الشعبي المتكامل ، فهذا زعم فيه كثير من التعسف بسبب بسيط جداً إذ أن هذه التجربة لم تجد امتداداً في أعمال الكاتب نفسه أو حتى في أعمال كتاب آخرين ، ولم نجد لها أثراً في واقعنا المسرحي المصري والعربي ، كما أن مفردات المسرح الغربي ما زالت مسيطرة ولم نستطع حتى اليوم الافلات منها بشكل كامل ، بحيث أستطيع أن أرد كثيراً من تجاربنا المسرحية التي اعتبرناها متميزة إلى مفردات المسرح الغربي أو جانب كبير منها .

• الأزمة ليست أزمة مسرح ، بقدر ما هي أزمة واقع تعرض لردة شديدة بعد النكسة التى أعقبها انهيار لكثير من القيم وانحسار لموجة الآمال الكبيرة التى عاشها الناس مع قيام الثورة فى مصر ، وفى أعقابها مباشرة أيضا تضخمت الهجمة الشرسة في محاولة لتمزيق هويتنا الوطنية والقومية ، وقد اشتدت هذه الأزمة في السبعينات ، فكان لابد لكل تلك التحولات أن تنعكس على الواقع وعلى قيمه

وعلى وعي المجموع مما أدى إلى أن محاولة الوصول للناس بالعمل الجيد محاولة تتطلب مشقة بالغة ، وتكاد تكون مستحيلة أحيانا كثيرة ، وأن الاختلال الشديد لكثير من القيم والمعايير أدى الى ما يشبه الحصار لوعي الجمهور ، وأدى بالتالي إلى ضعف إحساسه بالانتماء لأن دوافعه ضعفت ولم تعد ثمة قضية . إن الجمهور جزء من هذا الواقع المتأزم ، واقع أصبح المعيار الأساسي فيه هو معيار الكسب ، أصبح هذا المعيار هوالقيمة العليا والتي تتحكم في الغالبية فماذا تبقى لنا إذن ؟!

• إن أبسط مظاهر الأزمة هو حصاد ما يقدم الآن : الأعمال الجادة قليلة ، والإقبال عليها أقل ، والساحة — تقريباً — للمسرح الهابط يعربد فيها بشراسة ، وترتب على ذلك تفصيلات كثيرة ، أدت إلى تفسخ مسرح الدولة وانصراف الممثلين إلى اهتمامات أخرى ، وتوقف عدد من الكتاب عن الكتابة ، كل هذا في ظل مناخ ثقافي ميت ، وقد ساعد التلفزيون بتجاهله للمسرحيات الجادة — إلا نادراً — واهتمامه بتقديم مسرحيات القطاع الخاص في تفاقم هذه الأزمة ، لأن جمهور اليوم أصبح يتلقى معظم ثقافته من خلال هذا الجهاز ، وقد كانت بداية مسرح التلفزيون بداية جيدة ، لكنه ساعد دون وعي أو تخطيط في تفريخ نجوم المسرح الهابط الذين يسيطرون على حياتنا المسرحية اليوم ، ولم يكن هذا تخطيطاً لتشويه الوعي العام ، ولكن هذا الجهاز يحكمه تملق الحس العام وإرضاء الجماهير بالمعنى الذي يتفق مع القيم التي سادت ، ودليلي على ذلك أنه ما أن يوجه نقد حتى لوكان سطحياً للتلفزيون حتى نجد ردود فعل فورية تدل على عدم وجود خطة محددة لأهدافه وبرامجه .

• ولكن هناك جيل جديد من الكتاب المتميزين المؤمنين بقضية المسرح ، وهذا الجيل غائب عن اهتمام النقاد المصريين وخاصة من يكتبون في الخارج ، وهؤلاء يكتبون على أساس أن الحركة المسرحية قد انتهت مع نهاية مسرح الستينات ، وهذه النغمة المؤسفة استمرأها البعض دون أي محاولة منهم لتلمس ملامح هذا الجيل المسرحي الجديد وهذا ظلم لجيلنا الذي يعمل دون غطاء نقدي يحميه أو يرصده أو يقنن له ، وهذه نقطة ليست في صالحنا ولكنها بالتأكيد لن تمنعنا من الاستمرار في الكتابة .

• وأهم ما يميز كتاب مرحلة السّبعينات والثمانينات معاً هو اتجاههم للتراث لمواجهة قضية الهوية ، وهي قضية حضارية أساسية في مواجهة الكيان الصهيوني ، وهو تحد ظهرت ملامحه بعد النكسة واتضحت أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والحضارية بالدرجة الأولى . ومن أهم المحاولات التي تجري حالياً طمس هذه الهوية وتمزيقها لمن لهم صالح في هذا ، وتأكيد هويتنا أمام هذا الكيان مطلب شعبي مطروح وبشدة ، وجميع المحاولات التي تجري حالياً هي محاولات مسرحية في الاتجاه الصحيح ، محاولة خلق مسرح شعبي له علاقة حميمة بالواقع ، يعتمد على التراث لتقديم المسرحية الاحتفالية والطقسية ، وهي الطريقة المثلى لاسترداد وعي الجمهور ، ولكن كما قلت فإن جميع هذه الأعمال التي قدمت في مسارح الطليعة والمتجول والثقافة الجماهيرية قدمت بعيداً عن أية محاولة نقدية جادة ومتصلة لرصدها وتقييمها ، على الرغم من نتائجها المثمرة التي اتضحت في استجابة جماهيرية وإن كانت محدودة إلا أنها تعتبر مؤشراً جيداً على أن هذه المحاولات تمضي في الاتجاه الصحيح لخلق مسرح شعبي وسط ظروف بالغة الصعوبة ، ظروف تشكل تياراً ضد كل ما هو جاد وهادف ، ومن أبرز كتاب هذا الجيل أبو العلا السلاموني ، ناجي جورج ، نبيل بدران ، مصطفى بهجت — مات مؤخرا في الكويت — ومحمد الفيل ، ولعل أبرز الأعمال أيضاً التي قدمت في هذا الاتجاه : مآذن المحروسة — درب عسكر — سكة سفر — الحجر الداير — جحا باع حماره ، وهذه الأعمال في رأيي من أهم المسرحيات التي قدمت في السنوات الأخيرة .

• الممثل المسرحي جزء من هذا المناخ المتأزم ، فمن حق الممثل طبعاً أن يتساءل أين هو الجمهور الذي سيقدم له المسرح الجاد ، كما أنه من غير المعقول أن أضفي عليهم بطولة غير مفترضة في مقاومة كل عوامل الانحدار والتدهور وكل تلك الإغراءات التي تجرفهم بعيداً عن المسرح ، فهم بظروفهم الاقتصادية جزء من هذا الواقع المشوه ، صحيح هناك استثناءات لا يمكن إنكارها لفنانين يقاومون بجدارة من أجل مسرح متماسك ، منهم سميحة أيوب ومحسنة توفيق ، عبدالله غيث وأحمد ماهر ، لكن هؤلاء استثناء ، والاستثناء لا يكسر القاعدة .

• لم تعد هناك مشاكل حادة مع الرقابة بالنسبة للكاتب المسرحي ، وهذا راجع إلى أن المسرح لم يعد مؤثراً بالصورة التي تدعو للقلق لأنه لم يعد هناك جمهور تخشاه الرقابة .

• النقد حالياً لم يعد يشكل حركة نقدية ذات فعالية ، وإن كان فؤاد دواره من أبرز المتابعين وبنشاط للحركة المسرحية وكذلك فريدة النقاش ، أما لويس عوض والراعي فقد توقفا تماماً عن أية متابعة ، ومن الجيل الجديد عبلة الرويني وحسن عطية ، ونبيل بدران ، وسناء فتح الله ، ولكنهم جميعاً محاصرون في حيز صحفي لا يسمح بحوار مثمر .

• لقد أثر المناخ العام والزمن على قدرة المخرجين الكبار ، لأن توهج الفنان — في اعتقادي — مرهون بالزمن ، كما أن بعدهم عن الواقع المصري لسنوات طويلة كان له أثر سلبي ولكن هذا لا ينفي وجود جيل جديد من المخرجين يتميزون بنبضهم الحي وبأنهم أقرب إحساساً بأزمة الواقع ، منهم منير مراد ، فهمي الخولي ، عبدالرحمن الشافعي وعباس أحمد ، وبالنسبة للتميز في جيل الممثلين الشبان ما إن نلمحه حتى يختفي لأن الممثل اليوم لم يعد يؤمن بجدية فكرة طهر المسرح ، ولكن بلا شك هناك استثناءات ومنهم أحمد ماهر الذي ما زال يعطي الأولوية للمسرح ، وكذلك ابراهيم يسري ومحمود مسعود وعدد آخر في الثقافة الجماهيرية .

• إن أفضل الحلول لمواجهة الأزمة تتمثل في الدعوة التي وجهتها مع زملائي لإقامة تجمعات مسرحية أهلية . صحيح أن هذه الدعوة فيها قدر كبير من المغامرة لأنها ستضعنا في موضع المنتج ، ولكنها مغامرة تستحق الاقدام وتحمل المجازفة لمن يزعم أنه مهتم بقضية المسرح على أساس التفكير بشجاعة في إعادة النظر في مفردات العمل المسرحي سواء بمفهوم تحقيق مسرح شعبي أو بمفهوم عام للوصول إلى مسرح أكثر جماهيرية .

• كذلك إنشاء بيوت مسرحية مستقلة تتحمل مسئولية العمل المسرحي بكامله سينقذ المسرح من سيطرة الجهاز الإداري الذي يعوق حركته وسيقضي على هذا الجهاز العقيم .

• بالإضافة لذلك فإن الدعم الاعلامي والنقدي والإنتاجي لتجارب هذا الجيل سيؤدي إلى تشكيل تيار جاد ومميز يستطيع مواجهة تيار المسرح الهابط ، كما أن تشجيع الاتجاه لخلق مسرح شعبي سيقضي تماماً على مشكلة دور العرض التي يتطلبها المسرح التقليدي ، لأن طبيعة هذه الأعمال تحتمل التقديم فى ساحات أو قاعات مفتوحة أو فى الخلاء .

سارة

العدد القادم نجوم المسرح يتحدثون .

ثـورة جديـدة في حيـاة الإنسـان

مكاتب بلا أوراق ومصانع بلا عُمّال!

بقلم: الدكتور عامر شيخوني

توجهت نحو بناء الحكومة الفيدرالية مسرعاً وأنا مشغول البال عما سأواجهه من ازدحام ومعاملات وأوراق. كل ما أحتاج إليه الآن هو وثيقة أو تصريح واضح بسيط يفيد إقامتي في هذه المدينة في أمريكا، ولكن هل سيكون الحصول على هذه الوثيقة سهل المنال؟ ففي أمريكا أكثر من مئتي مليون مثلي، وفي مكاتب الحكومة مئات بل ربما آلاف من البشر، ويعلم الله وحده مدى صعوبة التعرف على الموظف المختص. وهل سأستطيع أن أوضح له ما أريد في غمرة الزحام؟ وهل سأتمكن من التعبير عما أرغب وأنا أرطن بلغة انكليزية متواضعة وسط ضجيج الآخرين؟ واحتجاجاتهم الصامتة؟ ويعلم الله وحده ما سيطلبه الموظف المتربع وراء مكتبه من دلائل وإثباتات.. المهم.. لابد من مواجهة الموقف عاجلاً أو آجلاً. توكلت على الله ودخلت البناء الأزرق الذي يبدو هادئاً رصيناً وأنا أتلو الآيات والتسبيح راجياً المولى تعالى أن يبث في نفسي الشجاعة والثقة والسكينة.

حمدت الله تعالى أنني وصلت في وقت مناسب إذ لم يكن المكان مزدحماً كما توقعت، وكان سروري عظيماً عندما وجدت إشارات ولوائح عديدة توجه المراجعين إلى المكاتب المختصة في كافة فروع الحكومة، وبعد بحث قصير عرفت أن مكتب الاقامة هو في الطابق الرابع في الغرفة رقم ٤١٢. دخلت المصعد الذي كان فارغاً إلا من رجل مسن وامرأة كانا في طريقهما نحو الخروج، وغمرني شعور بالارتياح إذ أن الأمور تسير بسهولة ويسر حتى الآن.. إلا أنني كنت متأكداً بأن الكفاح سيبدأ في الطابق الرابع في تلك الغرفة اللعينة.

كان الباب مغلقاً على غير العادة في مكاتب الحكومة. فتحت الباب على مهل. لم يكن في الغرفة الواسعة المبردة سوى سلسلة متتابعة من المكاتب الفارغة إلا مما عليها من أجهزة تشبه التليفزيون. لم يكن هناك أي إنسان سواي! بل إنني لم ألاحظ وجود أي كرسي مقابل تلك المكاتب الفارغة.! خرجت من الغرفة لأتأكد من رقمها وقرأت مدهوشاً الرقم ذاته ٤١٢.! عدت ومددت رأسي بحذر لأعيد النظر في هذه الغرفة الهادئة الغريبة، وفي هذه المرة فاجأني صوت نسائي لطيف قائلاً: تفضل.. ماذا تريد؟ وفي الزاوية البعيدة من الغرفة لمحت امرأة في منتصف العمر أو أكثر قليلاً، في شعرها شيء من الشيب وفي ثيابها البسيطة كثير من الجدية والهدوء. سألتها متردداً، هل هذا هو المكان الصحيح للحصول على وثيقة إقامة؟ أجابت بهدوء: أجل. وبعدها بأقل من دقائق كانت الوثيقة المطلوبة في يدي..! كل ما طلبته مني من معلومات هو اسمي ورقم الضمان الاجتماعي وتاريخ دخولي إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. وضربت هذه المعلومات على جهاز الكومبيوتر أمامها، وبعد ثوان امتلأت شاشة التليفزيون بسلسلة من الكلمات والأرقام احتوت كل المعلومات التي تتعلق بوجودي في أمريكا كما فهمت.. ثم انتقلت هذه المعلومات آلياً إلى آلة كاتبة اليكترونية قامت بطبع هذه المعلومات بسرعة هائلة على الوثيقة الرسمية المطلوبة وانتهى الأمر..!

تذكرت مكاتب الحكومة في بلدي: الازدحام والصراخ والضجيج والرشوة.. والموظف الذي لا يكاد يبين وراء الكتلة البشرية المتراكمة أمامه وحوله وفوقه، ورائحة الغبار والعرق، والأوراق المتناثرة، والأوراق المكدسة، والمعاملات التي تستمر أياماً وأسابيع... وجوازات السفر التي تلقى في الهواء، والهويات الشخصية التي تضيع، والسجل العدلي الذي وقفت من أجله وراء قضبان النافذة الحديدية ساعات وساعات تحت ضغط الآخرين في يوم صيف حار لكي أستطيع الحصول عليه وكأنه كنز ثمين..!

تذكرني مكاتب الحكومة في بلدي بكتلة متماسكة من الأوراق والبشر يلصقها مزيج من العرق والغبار. أين ذهبت الأوراق هنا؟ وكيف تستطيع موظفة واحدة أن تقوم بخدمة المراجعين هنا رغم أنهم دون شك أكثر منا عدداً بمرات عديدة؟ لاشك أن السر يكمن في تلك الآلة الجديدة التي حلت محل الأوراق والبشر في المكاتب الحديثة.. الكومبيوتر أو ما نسميه أحياناً العقل الالكتروني.

الآلة الذكية

لقد أدخل الكومبيوتر ثورة جديدة في حياة الانسان، ثورة تكنولوجية غيرت كثيراً من جوانب حياتنا اليومية. وأنا لا أتحدث الآن عن المستقبل وإنما أتحدث عن الواقع الحالي.. إن نظرة سريعة إلى العالم من حولنا توضح دون غموض مدى عمق التغييرات التي أدخلها الكومبيوتر في حياة الإنسان المعاصر بدءاً من أجهزة المطبخ ومروراً بأجهزة التليفزيون والهاتف والسيارة والطائرة ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية ومعاملات البنوك والمكاتبات، وإدارة الأعمال في الشركات الدولية، وفي المصانع وفي الأسلحة التقليدية والنووية، حتى نصل إلى الأبحاث العلمية ودراسات الفضاء.! لقد دخل الكومبيوتر حياتنا وبدأ في تغييرها حتى يصح أن يقال بأننا نشهد الآن ثورة تكنولوجية جديدة ستفوق آثارها على حياتنا ما قدمته الثورة الصناعية من قبل.

الكومبيوتر جهاز كهربائي بسيط في مبادئه، معقد في امكاناته التي تبدو الآن بغير حدود. واذا تجول الإنسان الآن في عالم هذه الأجهزة لوجد منها أنواعاً متعددة، فمنها ما يختفي ضمن أجهزة نستعملها كل يوم في بيوتنا مثل الهاتف والسيارة والفرن الكهربائي الحديث وغسالة الصحون الآلية. وقد نشاهد هذه الأيام في بعض البيوت والمكاتب أجهزة الكومبيوتر الشخصي الصغيرة والتي تشبه جهاز تليفزيون موصول بآلة كاتبة. يغزو هذا الجهاز الصغير الآن بيوت العالم الغربي

ويتقدم بسرعة ليحتل مكانة أساسية فيها لما يقدمه من خدمات جلي .

وكما يمكننا استعمال أجهزة التليفزيون المعقدة دون حاجة إلى معرفة طريقة صنعها وكيفية عملها فإننا نستطيع الآن استعمال الكومبيوتر لأغراض شخصية خاصة دون أن نحتاج إلى دراسة مستفيضة في تخطيط وبرمجة هذه الأجهزة ، إذ يمكننا أخذ برامج الكومبيوتر الجاهزة والتي تحقق ما نريد عمله ونغذيها إلى الجهاز الذي يقوم بتطبيقها كما نشاء ونأمر ، وتوجد برامج الكومبيوتر الجاهزة الآن بشكل أقراص أو أشرطة صغيرة تعلم الجهاز ما يجب عليه القيام به ، وهناك آلاف من هذه البرامج الجاهزة التي يمكنها القيام بعمليات عديدة مثل تسجيل أرقام الهاتف وعناوين الأصدقاء ، وتفصيلات الدخل اليومي والمصروف ؛ بالإضافة إلى كتابة مواضيع وكتب كاملة وتخزينها وتصحيحها ، بل وتصحيح الاملاء إذا أخطأ الكاتب ، كما تقوم بعمليات الإحصاء ووضع الجداول المختلفة بشكل مخططات بيانية حسب الطلب ، هذا بالإضافة إلى تعليم الأولاد القراءة والكتابة والرياضيات ، وتسلية العائلة بالألعاب الالكترونية التي فاق عددها وتجاوزت امكاناتها كل ما اخترعه الإنسان من ألعاب وتسلية منذ فجر التاريخ حتى الآن .!

ثم نخطو من أجهزة الكومبيوتر الصغيرة هذه إلى الأجهزة الشابة التي تستخدم في إدارة أعمال الشركات والمصانع وفي المستشفيات .. إلى أجهزة الكومبيوتر الضخمة التي تتمكن من إدارة عمليات البنوك والاتصالات الدولية وإطلاق الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية وتخزين الكميات الهائلة من المعلومات في المكتبات الرئيسية وفي دوائر الحكومة لشؤون الإحصاء والتخطيط والدفاع .. وما يخبئه لنا الكومبيوتر من استعمالات وخدمات في المستقبل القريب سيكون أكثر خطراً وأهمية دون شك .

ثورة في مكاتب العمل

لننظر مثلاً إلى مدى التغيير الذي حصل في مكاتب العمل نتيجة لاستخدام الكومبيوتر . لقد كادت الأوراق تختفي من الاستعمال ونقص عدد الموظفين والمراجعين كنتيجة مباشرة لكفاءة عمل الكومبيوتر وسرعته في الأداء . ولا عجب في ذلك فقد كادت مكاتب العمل التقليدية تختفي وراء أكداس الورق ؛ وامتلأت الغرف الخلفية والعلوية والسفلية بأكداس مكدسة من المعاملات القديمة والسجلات التي يعلوها التراب . يشغل الورق في مكاتب العمل حجماً كبيراً بالمقارنة مع سجلات الكومبيوتر الالكترونية ، فمثلاً يمكننا تخزين كل ما تحتويه الموسوعة البريطانية من كلمات في قرص واحد من أقراص التسجيل الالكترونية التي يستعملها الكومبيوتر ، ويمكن تسجيل كل البيانات العائلية لمدينة كاملة على شريط واحد يسهل تخزينه وحفظه ، وتسهل العودة إلى ما يحتويه من معلومات في دقائق قليلة .. ولعلنا نذكر جيداً تلك الساعات المضة الطويلة التي قضيناها ذات يوم في البحث عن سجلات قديمة أو مقالات أو أرقام مكتوبة على الورق ومحفوظة بالطرق التقليدية ، في حين أن سجلات الكومبيوتر صغيرة الحجم ، سهلة التخزين والحفظ ، وذاكرته القوية المنسقة سهلة الاسترجاع سريعة الأداء . ولا عجب في ذلك لأن هذا الجهاز يقوم بالبحث عن المعلومات المحفوظة في ذاكرته ويقدمها إلينا جاهزة في سرعة تماثل سرعة الضوء الهائلة قبل أن يرتد إلينا طرف البصر .

ثم لنفكر قليلاً بالوقت الذي نحتاجه لكي ننقل المعلومات المكتوبة على الورق ، هذا النقل الذي يتم عادة باليد أو بالبريد ، وما يحتاج إليه من جهد بشري وموظفين وأموال ، في حين أنه يمكننا نقل المعلومات بشكل ومضات كهربائية تسير بسرعة الضوء في أسلاك الهاتف أو حتى بشكل أمواج كهرطيسية تخترق الفضاء وتنعكس على الأقمار الصناعية وتقطع المسافات الشاسعة في أجزاء قليلة من الثانية وتستقبل في المكان الذي نريد ويحولها الكومبيوتر إلى كلمات تظهر على شاشته كلمح البصر .. وهكذا يعلم المدير في اليابان ما يقوم به ممثل شركته في أمريكا وأوربا فوراً ودون انتظار لأوراق البريد .. وإذا أضفنا إلى هذه السرعة في الأداء والكفاءة في عمل الكومبيوتر ما تحتاجه الأوراق والأقلام من مال وما تضيعه من جهد ووقت وما تحتاج إليه من موظفين لما استغربنا اتجاه الشركات والحكومات إلى التوسع في استخدام الكومبيوتر ، ليس في مهام التخطيط الرئيسية فقط وإنما نزولاً على طول الخط الاداري حتى المكاتب الصغيرة التي تتعامل مباشرة مع الناس .. لأن استخدام الكومبيوتر أرخص كلفة وأكثر كفاءة وسرعة في القيام بأعمال المكتب من الأقلام والأوراق .

دقـة وكفاءة عالية

الدقة في الأداء والكفاءة في العمل مقرونة بالسرعة والانتظام أدخلت الكومبيوتر إلى عالم الصناعة أيضاً ، ففي معامل السيارات الحديثة مثلاً في اليابان وفي أمريكا تجد الكومبيوتر يأخذ شكلاً آخر هو الذراع الآلية التي يقوم بتوجيهها وتنظيم حركتها جهاز الكومبيوتر ، وتستطيع مجموعة متناسقة من هذه الأذرع الآلية القيام بدور العمال في المصنع على شريط الانتاج المستمر ، إذ تقوم كل ذراع بتركيب أو تحريك جزء معين من مراحل صنع السيارة وهي تتحرك على شريط الانتاج ويقوم الكومبيوتر بتنظيم حركة هذه الأذرع بحيث تتكامل العملية إلى صنع السيارة المطلوبة .

تتمتع هذه الطريقة في الانتاج الآلي في المصانع بامتيازات كثيرة بسبب كفاءة هؤلاء العمال الآليين الذين يعملون باستمرار طيلة ساعات الليل والنهار وطيلة أيام الاسبوع والعطل والأعياد دون كلل أو ملل أو مرض . كما أن هؤلاء العمال الآليين يستطيعون العمل في درجات حرارة يصعب على الإنسان تحملها ، ويمكنهم العمل وسط الأبخرة الكيميائية والغبار والإشعاع دون خوف على صحتهم أو كفاءتهم في الانتاج مما يمكنهم القيام بالأعمال التي قد تشكل خطراً على صحة العمال من البشر .

وقد يخطر للمرء أن الذراع الآلية لا تستطيع القيام بغير عمل معين صنعت خصيصاً للقيام به مثل بقية الآلات الميكانيكية التقليدية الأخرى مما يجعل هذا الذراع الجديد محدود الإمكانات كثير التكاليف ، ولكن الكومبيوتر الذي يحرك هذه الأذرع يعطيها إمكانات كبيرة وإن تعليم وبرمجة الكومبيوتر الذي ينظم حركة الأذرع الآلية لا يحتاج إلى أكثر من يوم واحد يقوم بعدها هذا الطاقم من العمال الآليين بانتاج سيارات أخرى مختلفة حسب التصميم الجديد المطلوب . ولا عجب بعد معرفة هذه الامتيازات أن تقبل الشركات على استخدام الكومبيوتر وعماله الآليين في عمليات الانتاج بلهفة ونشاط .

ذراع لكل الأعمال

وأنا لا أتحدث الآن عن مصانع المستقبل وإنما أتحدث عن مصانع موجودة حالياً في كندا وأمريكا واليابان حيث يقوم العمال الآليون تحت إشراف وإدارة الكومبيوتر بكافة مراحل الانتاج في المصنع من استلام المواد الأولية حتى تسليم الجهاز المصنوع دون حاجة إلى العمل اليدوي الإنساني في أي مرحلة من مراحل الصنع اللهم إلا في برمجة الكومبيوتر والإشراف على سير العمل بشكل عام .. بل بلغ التقدم الآن في هذا المجال مرحلة حرجة إذ يقوم الكومبيوتر بتركيب وصنع هذه الأذرع الآلية ذاتها وإنتاجها أيضاً في مصانع آلية مشابهة ..! وهكذا تصنع الآلة الذكية آلة أخرى مشابهة تذكرنا بعملية الحمل والولادة في المخلوقات الحية ..!

هل تشكل هذه الثورة التكنولوجية الجديدة خطراً على مستقبل الإنسان ؟ لا شك أن هذه الثورة ستغير كثيراً من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ومن طرق العمل وأساليب الإنتاج والحياة اليومية .. ولكنني أعتقد بأنها ستمنح إنسان المستقبل مزيداً من الحرية ومتسعاً من الوقت .. إنها ستحرر إنسان المستقبل من العمل اليدوي ، وستمنحه مزيداً من الوقت لكي يفكر ويبدع ، ويزيد من استخدام امكاناته العقلية التي ميزته أساساً عن بقية المخلوقات الحية ، ويزيد من البحث والنظر في هذا الكون البديع حتى يتوصل إلى الحكمة وإلى إدراك آيات خالقه في الآفاق .

أمامنا جبل وقد نرى يافا

شعر: محمد القيسي

منْ مشهَدٍ للبَحرِ أجمعُ ما توفَّرَ للقصيدةِ من تَمامْ
كي يَستريحَ النائمونَ على ضُلوعي ،
هَلْ أمهدُ منْ يَديَّ وسادتَين ،
وَأسألُ الأمواجَ منديلاً ،
يُجفِّفُ ما يَسيلْ
أم أنَّ لا جَدوى مِنَ الكلماتِ
في هذا الغيابِ المُـرِّ ، لا جَدوى
وَسيفُ الريح يَكسرُ أو يُبعثرُ
ما تَبقَّى مِنْ قَصبْ ؟
أنا لا أقولُ جَنى الطَريقُ عليَّ
أو زادي قَليلْ
منْ مَشهدٍ للبحرِ أو وَصفٍ ليوم
لا يُبارحُني طَويلْ
يوم يُوزِّعُني فُتاتاً
فَوقَ مائدةِ المياهِ فَلا أرى
بَلَداً يقومُ ، وَلا أرى ، وَأرى العَجَبْ
في الكَوكبِ العَربيِّ يُمنعُ أنْ تَكونَ يَدي الشِراعَ
وَأنْ يكونَ دَمي الدَليلْ
منْ مَشهَدٍ لا قَمح فيه
لا خبزَ ، لا خيطاً منْ الحلوى لنَا
جاءُوا إلى قِرطاجَ ، وانتظروا النَبأْ :
أنْ يقرأونا في الرَمادِ
وَأنْ نؤولَ إلى سَبأْ
مَـرّوا إذنْ منْ فوقِنا
وَسَطَوْا على البحرِ المُحايدِ ،
هل أُهيىءُ مَشهداً لركامِ هَذا اليَومِ
أم لِدَمي عَلى الأنقاضِ ، مَـروّا
كيفَ أفتتحُ المَدى لنَشيدِيَ الضاري
أُرمِّمُ ما تَفتَّتَ منْ جِراري
أقطفُ البَحرَ الذي يَستلُّ منيّ وَجهَ أحبابي
وَيترُكُني قَتيلْ ؟
فالكوكبُ العَربيُّ يمنعُ أنْ تكونَ يدي الشِراعَ
وَأنْ يكونَ دَمي الدَليلْ

سأُهيءُ ، الآنَ النَهارْ
وَأُوظِّفُ الوقتَ الذي لم يَرتبكْ
وَسطَ الحَريقِ مَعي وَلمْ يَسقطْ جَريحْ
وَأوظِّفُ القلب الذي خَفقَتْ له الطُرقاتُ
وَانسابتْ جداولُها تُغني ، أو
تُلوِّحُ بالمناديلِ الرَقيقةِ وَالأيادي المُتعَبَةْ
وَأُهيىءُ البَحرَ الغَريقَ فقد نَرى يَافَا
ونَرسمُ قُرطُبَة
ولقدْ نَرى اليأس الذي ما بَعدَه يَأسٌ ، وقد ..
لكنَّنا لنْ نَشرَبَه
سَأُهيءُ ، الآنَ النَهارْ
للبحثِ عن هذا الفتي الآتي
مِنَ اليَرموكِ مثلَ حَمامَةٍ
غَضَّاً ،
أليفا .
هلْ حاصروكَ ، وَضيَّقوا الشُبَّاكَ
حتي لا ترى في القدسِ أُمكَ أو
شَقيقَتكَ الوَحيدةَ ؟
هل كُنتَ تَبكي بيننا صَمتاً ،
فلمْ نلحظْ دُموعَكَ ياسمينا ،
ثُمَ لم يأتِ الصَدى لِيَديكَ وَردا ؟
كُنتَ تَمزحُ دائماً ..
وَتقولُ سَوفَ أَموتُ بعدَ دقيقتينِ ،
فصوِّروني كي أعودُ
في مُلصَقٍ ،
وَلَكمْ بَكيتَ وَأنتَ تَضحكُ ،
كُنتَ تَحلمُ أنْ تَعودَ لَكَ الخُطى
وَترى السَماءَ بلا قُيودْ
وَترى المَساءَ مُناسباً ، ويليقُ أنْ نَحياهُ مثلَ النَاسِ
أنْ نَهوى وَنَعشقَ ،
أنْ نُغني
أنْ تَكونَ لنا حبيباتٌ كَقطفِ الوَردِ ،
أنْ نَمشي بلا خَوفٍ

نُسافرَ دونما خَوفٍ
نُقيمَ إذا رَغبنا في المَكانِ ،
وإن رَغبنا عَنه نَنشدُ غيرَهُ أفقا ،
ومثلَ النَاسِ نَأوي راجعين إلى الوَطنْ
لكنَّنا في الريحِ وَالمنفى الأخيرِ هُنا
نَتقاسمُ المَجهولَ والليلَ الطَويلَ هُنا
نَتقاسمُ الطَلقاتِ تَأتي منْ هُناكَ ومنْ هُنا
نَتقاسمُ الشَايَ اللذيذَ إذا أتانا والطَعامَ ونَبتسمْ
وَنعودُ نَنْهَدُ للجَديدِ ، وَلا جَديدْ
سأهيءُ ، الآنَ النَهارَ
فما وجدتُكَ في الرُكامِ
ومَا وجدتُكَ في الوُجوهْ
سأُهيءُ ، الآنَ النَهارْ
وَأستغيثُ الأرضَ أن تَهدي يَديَّ ،
لإصبعٍ لَكَ ، أو قَميصٍ أعرفُه
عَمَّا يَدلُّ دَمي عَليكْ
عَنْ خاتمٍ أحضرتَه بالأمسِ وَعداً منْ بعيد
وَعليه إسمُ حَبيبتِكْ
فِيرا هُناكَ وأَنتَ مَجهولٌ ، ولا جُثمانَ لَكْ
فيرا تُهاتفُنا وَتسألُ منْ بَعيدْ
مَاذا نَقولُ إذنْ لِفيرا ؟
وَبَحثتُ عَنكَ ، بَحثتُ عَنّي فَانسكبتُ عَلى الغُبارْ
وَبَحثتُ عَنكَ ، دَخلتُ مُستشفى ومُستشفى
وَقلتُ أراكَ ، أو
مَا قد تَبقَّى مِنكَ ، أو
مَا طَرَّزتكَ به القَذيفةُ وَالغُروبْ
وبحثتُ لكنْ ما وجدتُكَ في المَرايا
وَبحثتُ لكنَ ما وَجدتُكَ في الضَحايا
كَانوا وكُنتَ بلا جَسدْ
كَانوا نُثاراً في الحِجَارةِ وَالرمالِ
وفي البَريدِ إلى البَلَدْ
كانوا هَداياَنا إلى حَيفا التي فينا
إلى شَجرٍ يُغنِّينا هُنالكَ في صَفدْ



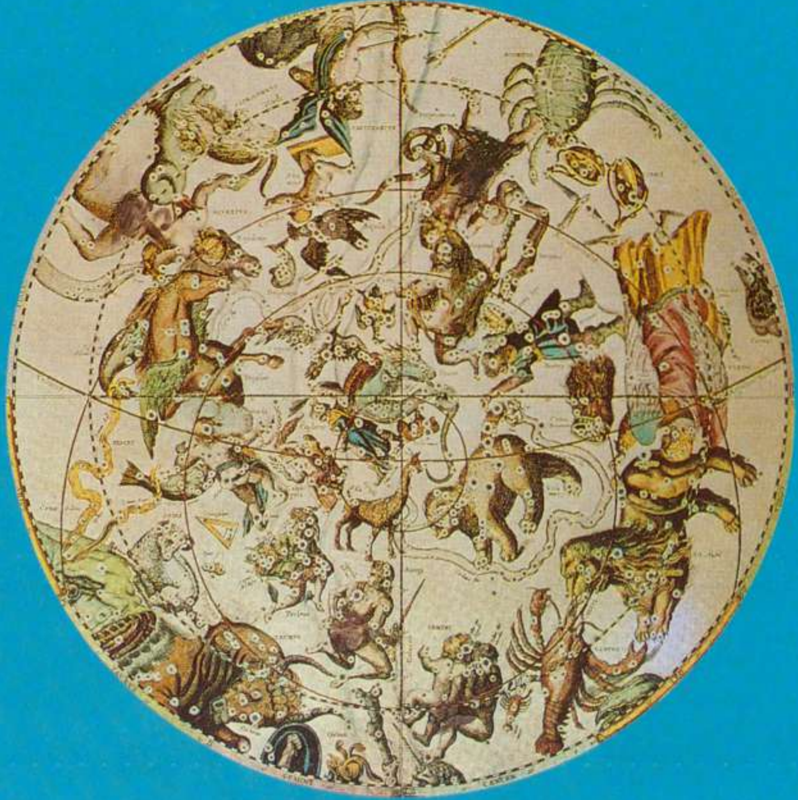
كَانوا وَكَانَ العُرْبُ مُزدحمينَ في الصَّحراءِ ،
كَانوا لا أَحدٌ
لا لَمْ تَضِقْ شُرُفاتُ صَدري ، إنَّما هَطَلَ الخَريفْ
هَطَلَ الخَريفُ وَنَازعتْ قُطعانُه ورقي
ولَمْ تَسلمْ يَدايْ
هَطَلَ الخَريفُ مُبكِّراً
هَطَلَ الخَريفُ فَأينعَ العِنَّابُ ، وَازدهرتْ دِمايْ
لا لَمْ تَضِقْ رُوحي
ولَمْ أَهبطْ إلى سَفحِ النَشيدِ وَلا نَسيتْ
جُمِّيزةً أو قُبَّرةْ

منْ أَولِ الحَقلِ المُدوَّنِ بالورود
إلى نهاياتِ الذُرَةْ
لا لَمْ تُغادرْ جُملةٌ مِمَّا لَعبْنَا
منْ حَصَى النَهرِ البَعيدِ
وَما كَتبنَا في البِدايةِ منْ نُجومٍ
أو قَطفنَا منْ عِنَبْ
هي خَطوةٌ سَنظلُ نتبعُها وَنمشيها
إلى أن ننتهي فِيها
تُراباً أو وَتَـرْ
لا لا وَرَاءَ لنا

وَلاَ نحتَاجُ في الدُنيا سَفَرْ
لا لا وَراءَ لَنا ، لِنلجأَ إنْ أَتانا المَوتُ ،
لا نَبكي مَواقعَ غادرتْنَا
هلْ كُنتَ تَسألُني إلى أينَ المَسيرْ ؟
هلْ كنتَ تَسألُني وكنتُ أُجيبُ لَيسَ سوى
اتجاهٍ وَاحدٍ للقافلَةْ ؟
أنْ لا اعوجاجَ إذا وضَعنَا نَصْبَ أعيننا
شَتَاتَ العَائلَةْ ؟
هلْ كنتَ تَعرفُ ..
كيفَ تَعرفُ أنَّ يومَكَ في ثُلاثاءِ الرَمادِ يَجيءُ ،
أنَّ سحابَ هَذا اليوم من أُكتوبرَ القَاسي
سيفصلُ بَيننَا ؟
وَبأنَّنا لنْ نلتقيكَ كَعهدنَا
طَلِقَــاً
وَفَيَّاضَــاً
وَعَذْبَــا ؟
هلْ كانَ طَعمُ الريحِ في شَفَتيكَ ، غامِضْ ؟
هل كَانَ طَعمُ اليومِ حَامضْ ؟
كيفَ انتظرتَ لِيقصفوكَ بلا تَعبْ ؟
هل كُنتَ تَرغبُ أنْ تَرى وَجهَ العَدوِّ ، وَقاتِلَكْ
وَقَدِ اقتربْ ؟
أَم كُنتَ تَحلُمُ في بِداياتِ النَهارِ ، وَأشْغَلَكْ
هَذا الضَجيجُ ،
فكانَ أَنْ أَخذوكَ مِنَّا ..؟
هَكذَا لنْ نَسألَكْ
سَنقولُ لَكْ
وَنقولُ للسَّارينَ من دَمِنَا إلى بَرقِ الخَليلْ
عُدنَا إلينا واستعدناكمْ قرنفل لِلندى
وَمَراكباً للمُستحيلْ
عُدنَا لِنحتَضِنَ الشَرارةَ وَالصَدى
فَأَمامنَا هَذا العَدوُّ ، أَمامنَا جَبلُ الخَليلْ .

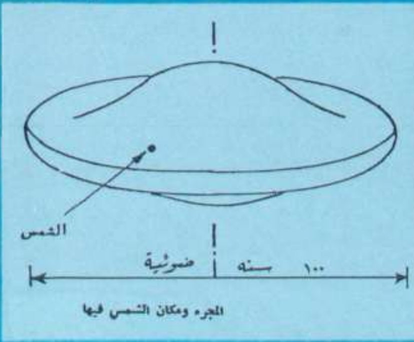
« تونس »

تخيل القدامى نجوم السماء على هيئة حيوانات وطيور



" وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ
وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ
وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ "
قرآن كريم

المجرة ومكان الشمس



المجره ومكان الشمس فيها

النجوم.. والبروج..

عبر كثير من الحضارات ، اهتم الناس باستطلاع صفحة السماء فوقهم ، وتحولوا بأبصارهم فى أرجاء القبة الكونية المحيطة بهم وأطلقوا على معالمها مختلف الأسماء .. وتناقلوا هذه الأسماء جيلا بعد جيل فى أساطير الصينيين ، وقصص الهنود ، وآثار الكلدانيين ونقوش قدماء المصريين ، ومخلفات اليونان والرومان ، وأتت من بعد هؤلاء تسجيلات العرب الذين ارتبطت بهم كثير من الاكتشافات الفلكية ، وإليهم يرجع الفضل فى رصد كثير من نجوم السماء وإطلاق الأسماء العربية عليها ، وما زالت الحضارة الأوروبية بشتى لغاتها تردد هذه الأسماء بمنطوقها العربى مع بعض التحريف فى النطق . ومن أشهر الأسماء العربية للنجوم التى لم ينلها هذا التحريف: آخر النهر ـ الغول ـ الغراب ـ الكأس ـ الطرف ـ الفرس ـ ابط الجوزاء ـ قيطس ـ الذنب ـ الدب ـ الراعى ـ مركب ـ قوس ـ صدر ـ عنق الحية ـ الزبان الحبوب ـ سهيل ـ سبيكه ـ ثعبان ـ منقار ـ سيف .

ولقد تخيل القدامى توزع النجوم على هيئة حيوانات أو حشرات أو طيور مما كانوا يألفونه فى حياتهم اليومية . وربطوا بين أشكال مجموعات النجوم وبين ما كانوا يرددونه عن الأساطير والقصص الخيالية . ومن ثم نجد أن كثيرا من مجموعات النجوم أو ما يطلق عليه اسم « المدن النجمية » تحمل أسماء مثل : الثور والحمل والدب والفرس والأسد والكلب والدجاجة والعقاب والسمكة والعقرب . أو أسماء أبطال الأساطير مثل : العذراء وذات الكرسى والمرأة المسلسلة والجبار وهرقل والراعى والساقى .

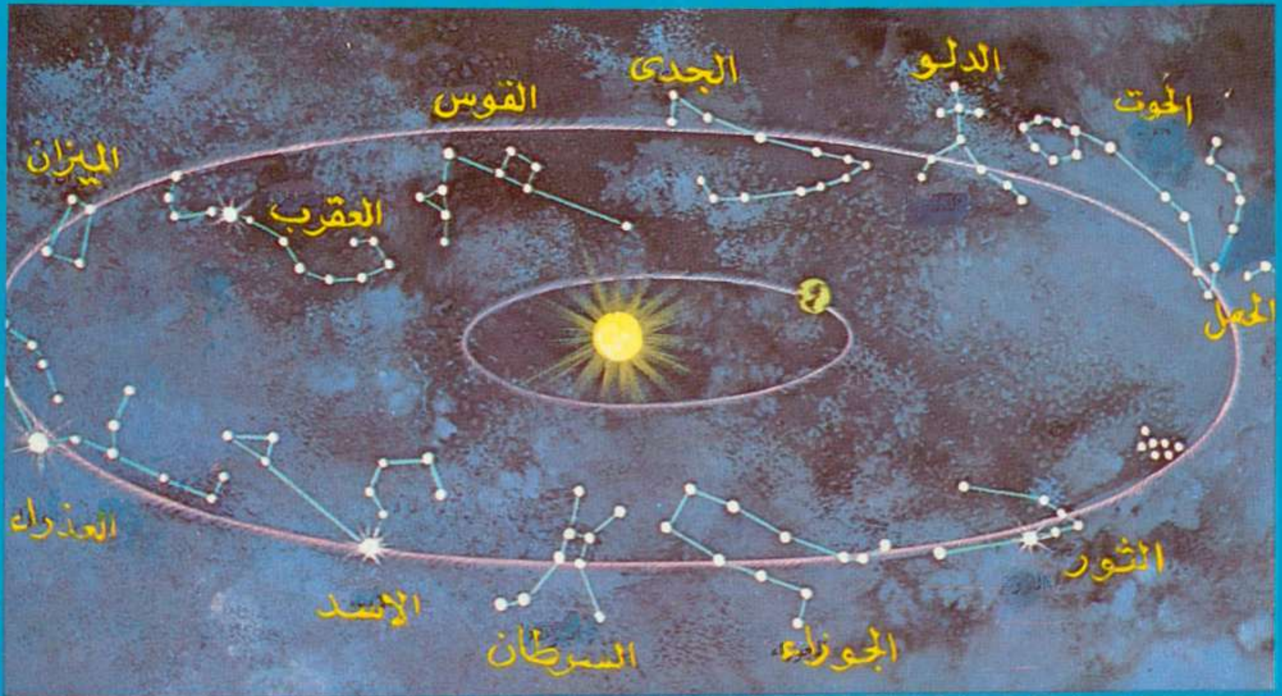
الكون الذى حولنا

لابد لنا قبل تفصيل ما يعنى بالأبراج من التجول فى معالم الكون المحيط بنا لنتبين أهم مكوناته ، وموقعنا منه . ولو صحبت القارىء معى فى رحلة كونية تبدأ من سطح الأرض وتنتهى غوصا فى أعماق الكون ، فإنه يمكننا أن نبدأ رحلتنا من الأرض التي هى أحد كواكب أسرة الشمس ، التى تسمى « المجموعة الشمسية » . وتتكون الأسرة من تسع أخوات باردة التكوين تمثل الشمس بينها دور الأم ، وهى حسب تسلسل بعدها عن هذه الأم وحسب المسميات التى انحدرت إلينا عبر التاريخ الطويل لمختلف الحضارات :

عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى زحل وأورانوس ونبتون وبلوتو .

ولكى نتصور ما بين هذه الكواكب وبيننا وبين الشمس من مسافات وأبعاد ، فإن أقربها وهو عطارد يبلغ متوسط بعده عن الشمس ٥٨ مليون كيلو متر ، بينما يبلغ بعد الأرض عن الشمس ١٥٠ مليون كيلو متر . أما أبعدها وهو « بلوتو » الذى اكتشف عام ١٩٣٠ فمتوسط بعده عن الشمس ٥٩٠٠ مليون كيلو متر . وتختلف هذه الكواكب فى أقطارها وبالتالى فى أحجامها ، فمنها الكبير مثل المشترى الذى يعادل حجمه ١٣٠٠ مرة مثل حجم الأرض ، ومنها الصغير الذى لا يتجاوز حجمه عشر حجم الأرض مثل بلوتو . وكلها كروية الشكل ولكن كثافة مادتها تختلف من كوكب لآخر .

وكثير من هذه الكواكب لها توابع أو أقمار تدين بولاء الجاذبية لها فتدور حولها وإن كانت الأرض هى أفقر الكواكب فى عدد التوابع إذ أن لها قمراً



توزيع نجوم البروج على مدار الشمس الظاهرى

والحظ..

بقلم : سعد شعبان

واحداً ، فإن كوكبا آخر مثل المشترى غنى بهذه الأقمار إذ أن له ١٥ قمراً ، بينما كوكب زحل له تسعة أقمار ، وكوكب أورانوس له خمسة .

وقمر الأرض هو أقرب الأجراء الكونية منا ، ومتوسط بعده ٣٩٠ ألف كيلو متر ، وهو بعد متواضع غاية التواضع بالنسبة للأبعاد الأخرى للكواكب ، لأنها تقاس بملايين الكيلو مترات .

وقبل أن نترك حلبة الكواكب ، لا يفوتنا أن ننوه أن الشمس هى مصدر الحرارة والضياء ، وهى فى تكوينها كرة نارية ضخمة يتوالى فيها انشطار نووى هائل يتم تحت سيطرة ضغوط هائلة تقع على سطحها فتنظم صدور الطاقة منها ، وهى فى حجمها تبلغ ١,٣ مليون مرة قدر حجم الأرض ، ولكن بعدها الكبير عنا يجعل الضوء والحرارة يصلان منها بقدر ، وأيضا إلى ما حولها من كواكب ونجوم أخرى .

ولا يمكن أن نحصى النجوم الأخرى عدا . لأنها فى عداد الملايين ، وهى فى طبيعتها شموس متقدة كشمسنا ، ولكنها تفوقها قطراً وحجماً ، ولكن لفرط بعدها عنا تظهر لنا صغيرة ودقيقة الحجم . ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقول الله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » . ولو شئنا إكمال رحلتنا الكونية عبر هذه الشموس أو النجوم الأخرى فإننا سنحتاج لملايين السنين لأنها موغلة فى الفضاء . ولا تصلح وحدات المسافات التى نستخدمها على الأرض للتعبير عن أبعادها عنا . وإلا فإنه يلزم لنا استخدام مئات الأصفار أمام هذه الأرقام . ولذلك استعاض الفلكيون عنها بوحدة طولية أخرى هى « السنة الضوئية » التى تعبر عن المسافة التى يقطعها الضوء باعتباره أسرع تموج نعرفه على الأرض خلال عام كامل . ولذلك يبلغ طول السنة الضوئية ٩,٥ بليون (مليون — مليون) كيلو متر (٣٠٠,٠٠٠ × ٦٠ × ٦٠ × ٣٦٥) .

ولكى نتصور أبعاد هذه النجوم ، نتطلع إلى أقربها إلينا بعد الشمس ، وهو نجم أطلق عليه العرب إسم « الأقرب القنطورى » فنجد أن بعده عنا ٤,٢ سنة ضوئية ، أى يبلغ ٤٠ بليون كيلو متر تقريبا ، أى ما يعادل بعد الأرض عن الشمس ٣٠٠,٠٠٠ مرة .

ولو تقدمنا أكثر فى رحلتنا الكونية ويممنا وجهنا شطر نجم آخر مثل « الف الجبار » مثلا نجد أنه يبلغ فى حجمه قدر حجم الشمس ٢٥ مليون مرة ، ويزيد بعده آلاف المرات عما سبق .

ولا ريب أن ذلك يصور لنا مبلغ ضآلة الأرض ، وأخواتها فى الأسرة الشمسية قياسا على تطلعنا خلال هذه الرحلة إلى ملايين النجوم الأخرى لأننا نجدها واقعة كلها داخل « جزيرة كونية » واحدة هى ما يطلق عليه إسم « المجرة » .

ومجرتنا تشبه قرصا كبيرا منتفخا عند منتصفه ، ويبلغ طول محوره الأكبر ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية ، وطول محوره الأصغر ١٠,٠٠٠ ، بينما تقع شمسنا وأسرتها على المحور الأكبر قرب حافته .

ولو تطلعنا فيما حول مجرتنا من أجرام أخرى ، فسنجد أن هناك آلافا من مجرات أخرى .. وكل منها فيه عشرات الملايين من النجوم .

النجوم.. والبروج.. والحظ..

دائرة البروج

تسمى مجموعات النجوم فى علم الفلك باسم « المدن النجمية » أو « الكوكبات » ، ولكن بعضا من هذه الكوكبات تظهر خلف « مدار الشمس الظاهرى » ونراها فى السماء ليلا ، وتختلف شهرا بعد آخر ، ويطلقون عليها إسما خاصا هو « البروج » . وحقيقة الأمر أن مدار الشمس الظاهرى يميل على خط الاستواء بمقدار ٢٣,٥ درجة ، والكوكبات التى تظهر خلف هذا المدار يسمى كل منها برجا لتمييزها عن سائر الكوكبات . وتقع البروج كلها داخل شريط وهمى فى القبة السماوية يحف بمدار الشمس من كلا جانبيه بعرض قدره ٩ درجة . فلو قسمنا هذا الشريط إلى إثنى عشر قسما حسب شهور السنة فإن كل قسم يحوى منظرا شائعا للنجوم تمثل فى شكلها البرج .

وشأن تجمعات النجوم الأخرى نجد أن « البروج » تحمل أسماء الحيوانات والطيور ، ولكنها تتغير من شهر إلى آخر وترتيبها حسب مواعيد مرور الشمس بها هو :

البرج	مرور الشمس	
الحمل	٢١ مارس	٢٠ أبريل
الثور	٢١ أبريل	٢١ مايو
الجوزاء (التوأمان)	٢٢ مايو	٢١ يونيه
السرطان	٢٢ يونيه	٢٢ يوليو
الأسد	٢٣ يوليو	٢٢ أغسطس
العذراء	٢٣ أغسطس	٢٢ سبتمبر
الميزان	٢٣ سبتمبر	٢٢ أكتوبر
العقرب	٢٣ أكتوبر	٢١ نوفمبر
القوس	٢٢ نوفمبر	٢١ ديسمبر
الجدى	٢٢ ديسمبر	٢٠ يناير
الدلو (الساقى)	٢١ يناير	١٨ فبراير
الحوت	١٩ فبراير	٢٠ مارس

البروج والحظوظ

رسخ فى أذهان كثير من الناس أن هناك علاقة بين حظوظ الناس وبروج السماء . وتولع بعض الصحف والمجلات فى عصرنا بشغل أذهان الناس بنشر التنبوءات عن الحظ فى المال والزواج وكثير من أوجه الحياة ، بالربط بين تاريخ ميلاد الشخص ووقوعه فى الشهر الذى يحدد كل برج . ولقد تعود كثير من الناس بدء يومهم بالنظر فى الصحف إلى هذه الجداول التى تحوى عبارات مطاطة ومعادة ، ولا ينطوى منطوقها على شىء ذى قيمة ، بل يتعامل مع العموميات التى يمكن أن تصادف كل البشر أو التى تحمل أكثر من معنى والتى يمكن لكل شخص أن يفسرها حسب ظروفه الخاصة .

وحقيقة الأمر أن هذه القضية لا تجد لها أى سند من العلم ، اللهم إلا أن علم التنجيم (Astrology) ارتبط ظلما بفعل كهنة العصور الوسطى ، بعلم الفلك (Astronomy) ومن ثم اشتق اسمه منه . وتوالت بعد ذلك أحداث جسدت هذا المعنى فى العقول ، مستندة على احتكار الكهنة للدراسات والقياسات الفلكية ، ومن ثم انسحب ذلك على التنجيم أيضا مرتبطا بأجرام السماء ، وظهر ذلك جليا فى تعصب ممقوت دعاهم إلى تكفير أى مجتهد فى هذا المجال ، أو أى عالم من خارج الكنيسة يجرؤ على تفسير أى ظاهرة فلكية أو القول بغير ما يقولون . وهذا ما انتهى إلى زجهم ببعض علماء الفلك فى السجون كما حدث لجاليليو لمجرد التجرؤ على القول بأن الأرض تدور ، وإلى حرق مؤلفات البعض الآخر كما حدث لكوبرنيكس الذى أعلن بأن الأرض ليست مركز الكون ، وأن الشمس لا تدور حولها كما كانوا يعتقدون ويقولون .

وللقضية طرف آخر فى ضوء ما أفاض به الاسلام على العقول من نور ، فقد نهى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن الربط بين الظواهر الكونية وأحداث الحياة ، وكان بعض أصحابه الذين استبد بهم الحزن لموت ابنه ابراهيم وتصادف كسوف الشمس فى هذا اليوم ، قد رددوا وقالوا بأن الكسوف حدث حزنا عليه . فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ..

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو لحياته » .

والذى لاشك فيه أن استقراء صفحة السماء للتنبؤ بأحداث المستقبل والرجم بالغيب أمر نهى الإسلام عنه عامة وأرجعه إلى عنصر الفراسة لدى قليل من الأشخاص .. وقال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم « كذب المنجمون ولو صدقوا » .

وحسبنا أن القرآن الكريم .. وردت فيه سورة سميت باسم « البروج » وفى مطلعها قسم بها : « والسماء ذات البروج .. واليوم الموعود .. وشاهد ومشهود .. قتل أصحاب الأخدود » .

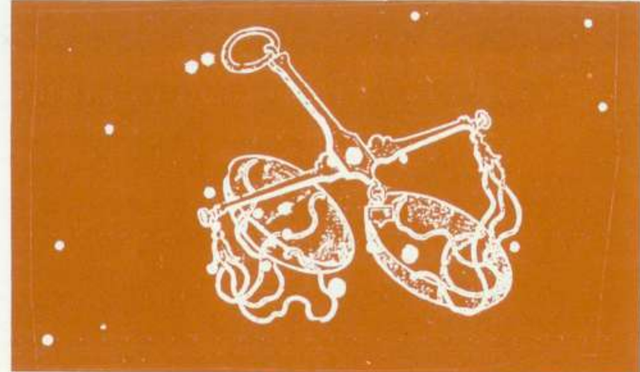
وكم أقسم القرآن بالظواهر الكونية وأجرام السماء فى مواقع أخرى مثل « والسماء والطارق .. وما أدراك ما الطارق .. النجم الثاقب » ..

« إذا السماء انفطرت .. وإذا الكواكب انتثرت » .

« والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها » .

« والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى » .

ولذلك يمكننا أن نخلص إلى أن الربط بين البروج وحظوظ الناس وسيلة تتلاعب بعقول



النجوم فى برج الميزان



النجوم فى برج العقرب

برج الحمل ٢١ آذار (مارس) ٢٠ نيسان (ابريل)	برج الأسد ٢٣ تموز (يوليو) ٢٢ اب (اغسطس)	برج القوس ٢٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ٢١ كانون الأول (ديسمبر)
برج الثور ٢١ نيسان (ابريل) ٢٠ ايار (مايو)	برج العذراء ٢٣ اب (اغسطس) ٢٢ ايلول (سبتمبر)	برج الجدى ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩ كانون الثانى (يناير)
برج الجوزاء ٢١ ايار (مايو) ٢١ حزيران (يونيو)	برج الميزان ٢٣ ايلول (سبتمبر) ٢٣ تشرين الأول (اكتوبر)	برج الدلو ٢٠ كانون الثانى (يناير) ١٨ شباط (فبراير)
برج السرطان ٢٢ حزيران (يونيو) ٢٢ تموز (يوليو)	برج العقرب ٢٣ تشرين الأول (اكتوبر) ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر)	برج الحوت ١٩ شباط (فبراير) ٢٠ اذار (مارس)

أشكال البروج وتواريخها

البسطاء من الناس وتستثير فيهم حاسة الفضول ، والشغف بحب معرفة المستقبل واستطلاع أحداث الغيب دون أى سند من العلم .

البروج والأساطير

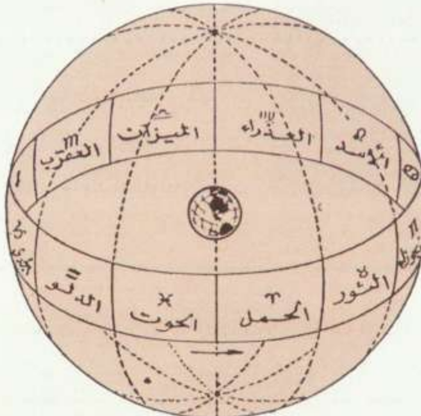
اختلفت أسماء بعض البروج لاختلاف تصور نجومها من عصر لآخر . فبرج « الجوزاء » أو « التوأمين » تخيله العرب كطفلين توأمين يقفان بجوار بعضهما ، وأطلقوا على أحدهما التوأم المقدم ، وعلى الآخر التوأم المؤخر . وشاركهما فى ذلك اليونان حيث نسب وجود طفلين إلى جوار أمهما الملكة ليدا زوجة ملك أسبرطه .

أما برج « السرطان » فقد تصوره الكلدانيون على هيئة سرطان بحرى يمسك بقدم هرقل فى كوكبة نجمية أخرى هى « الجاثى » أثناء صراعه مع ثعبان البحر . وتخيل الأقدمون توزع نجوم برج الأسد على هيئة ملك الغابة جالسا ويده ممتدة إلى الأمام ، ويقال إن قدماء المصريين شبهوا هذا البرج بأبى الهول ، بينما اعتقد اليونانيون أن هذا الأسد صرع هرقل فى الألعاب الأوليمبية .

ولكن نجد أن الحضارة العربية لها بصماتها على أسماء كثير من النجوم ومن أخصها النجوم التى فى ذنب الأسد ، حيث اطلق عليها العرب اسم « الذنب » ومازال اسمه باللاتينية كذلك إلى الآن .

وبرج « العذراء » عرف فى حضارة قدماء المصريين باسم « ايزيس » التى تحمل سنبلة قمح ، ولذلك يسمى فى بعض الكتب القديمة باسم برج « السنبلة » .

أما برج « الميزان » فترجع تسميته إلى الرومان ، وقد تصوروه كذلك فى حضارات الهنود



دائرة البروج

● رغم أن الصحف والمجلات تشغل أذهان الناس بالعلاقة بين حظوظهم وبروج السماء فإن هذه القضية لا يدعمها أي سند علمي !

والصينيين وقدماء المصريين وكأنه يمثل العدالة وهى تمسك فى يدها ميزانا ذا كفتين ، بينما لو أمعنا النظر فى نجومه نجد أشدها لمعانا أربعة نجوم تنتظم على هيئة معين . وفى كل الحضارات القديمة تخيلوا نجوم برج العقرب على هيئة عقرب يرفع زبانه إلى أعلى ، ولكن فى أساطير الصينيين أيام كونفوشيوس كانوا يطلقون على هذا البرج اسم « النار العظيمة » . وجدير بالذكر أن العرب أطلقوا اسم « شوله » على النجم الأخير الذى قرب ذيل العقرب .

وكذلك تصور القدامى نجوم برج « القوس » أو « الرامى » على هيئة رجل نصفه الأعلى انسان ونصفه الأسفل فرس ، وهو يمسك بيده قوسا مشدود الوتر يصوبه نحو قلب العقرب الذى يقع برجه بجواره . بينما تصور العرب نجوم هذا البرج على هيئة نعام يروح ويغدو لشرب الماء ، ويلمع بين نجوم هذا البرج نجم اسمه القوس الجنوبى .

ولقد ارتبط تشبيه نجوم برج « الدلو » أو « الساقى » بالماء منذ القدم ، فقد تصوره الكلدانيون على هيئة رجل يحمل جرة ينسكب منها الماء . وتصوره العرب على هيئة ساق كبير يحمل وعاءين للماء على كتفيه يربط بينهما عصا . بينما تخيله قدماء المصريين كدلو كبير تتجمع فيه المياه ويحدث فيضان النيل عندما يمتلىء بالماء .

ولقد تصور السريانيون نجوم هذا البرج فى صورة سمكة ، ووردت فى خرافات اليونانيين أسطورة تحكى كيف هربت الملكة فينوس وابنها فى مياه نهر الفرات عندما هاجمهما وحش مفترس ، فغيرا شكليهما إلى هيئة سمكتين .

سعد شعبان

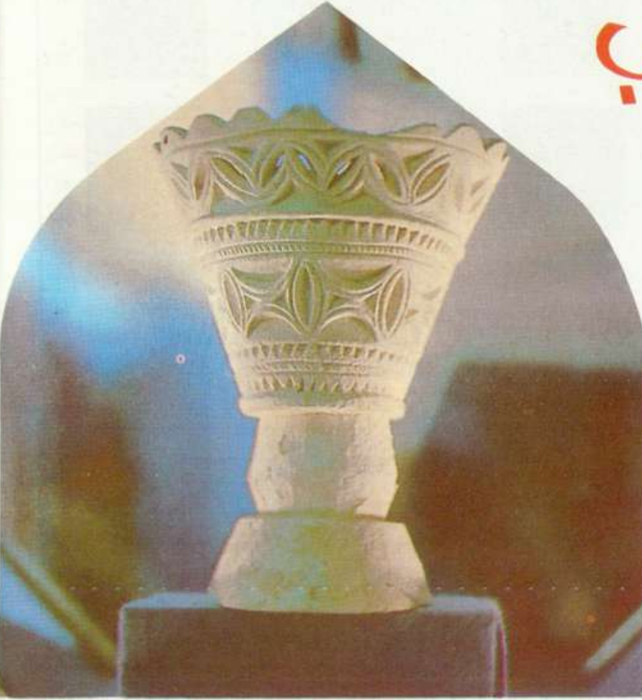
هامش :

المهندس سعد شعبان عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمى بالقاهرة ، وعضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس .

على طريق النهضة في قطر

المتحف والعطور والطِّيب

بقلم: درويش مصطفى الفار


وعاء لحرق البخور ، يصنعه أهل مدينة الخور في قطر

أشرنا في صدر هذه السلسلة من المقالات إلى إحتمال أن اسم دولة قطر ، قد يكون جاء من القَطْرْ ، بفتح القاف وسكون الطاء ، ومعناه وضعك البخور فوق الجمر المتقد في (المقطرة) لاستبيان جودته ومدى عبقه ، وذلك لأن قطر تقع في منطقة من المشرق العربي كان ينتهي اليها أحد فروع (درب البخور) الذي كانت تتخذه القوافل منذ قرون ممعنة في القدم ، من جنوب شبه الجزيرة العربية من ممالك ، سبأ ومعين ، وقتبان ، والحميريين ، وحضرموت ، حاملة اللبان والمر ، ومعهما المسك والعنبر والزباد ، وغيرها من الأفاويه والتوابل ، إلى بلاد الشام وجنوب غربي آسيا وإلى أوروبا عبر الجزيرة والأناضول ...

والناس في قطر ، بدواً وحضراً ، شأنهم شأن بقية هذه الأمة التي إليها ينتمون ، لهم مع الطيوب والبخور شأن واهتمام ، حتى أن هنا في قطر ، ضرباً من (المداخن) أو (المباخر) الفريدة في نوعها وزخرفتها ، يصنعها أهل مدينة الخور التي تقع إلى الشمال من الدوحة العاصمة على سيف الساحل بقرابة خمسين كيلومتراً ويتخذونها من طبقات حجرية جيرية يعرفونها على شاطئهم ، ويستخرجون منها ما يشاءون عندما ينحسر ماء البحر في ساعات الجزر ... ولكن هذه (المباخر) شأن كل صناعة تراثية أصيلة ، قد أصابها ما أصاب غيرها من انحسار ، من جراء هجمة المستوردات بأنواعها ، عبر القفار والبحار والأجواء ، فقل انتاجها ، وكاد الناس أن ينصرفوا عنها ، لولا بقية من صحوة يعتنقها من لا ينسون المثل القائل : « من فات قديمه ، تاه »

ومن منطلق فلسفة أن متحف قطر الوطني بالدوحة ، لابد وأن يكون صورة للتعبير عن البيئة القطرية ، بانتماءاتها ، عربياً وإسلامياً وعالمياً عبر التاريخ ماضيه وحاضره ، في البحر والبادية ، فقد أصبح فيه قسم خاص للعطور والطيب ...

ويتميز قسم الطيب والعطور عن بقية أقسام المتحف ، في أن الزائر يستطيع إلى جانب أن يرى المعروضات وأن يسمع شرحاً عنها أن يستخدم حاسة ثالثة ، حيث يتمكن من أن يشم بوسيلة خاصة ، لايوجد لها مثيل في أي متحف بالعالم كله ، روائح ما هو معروض هنالك من ضروب الطيب والعطر ، سواء أكانت ذات أصل نباتي أم حيواني ...

فهنالك خامات المسك والعنبر والزباد والجندبيد استر أو مسك القندس ، وزيوت الورد والياسمين والاذخر والصندل والزعفران والعود وغيرها مما يضيق به الحصر ، كما أن هنالك أنواع اللبان والمر والمحلب والزنجبيل والقرنفل والآس ، وخامات الكحل الحجري التي كانت جداتنا وأمهاتنا يتجملن بها قبل عصر الألوان الكيماوية الحديثة التي يقال إنها من أسباب سرطانات الجلد ولكن الناس يهـرعون إلى استخدامها دون حساب ...

كما يعرض هذا القسم تركيبات اشتهرت أيام الأمويين والعباسيين وطوائف الأندلس ومماليك مصر والشام ، أمكن التوصل إلى تركيبها من مصادر التراث كالغالية والخلوق والساهرية ... ويتخلل هذا كله في (دواليب) العرض ، مختارات من الشعر العربي القديم مما جاء فيه ذكر الطيب والعطور ، كقول المتنبي :

وإن تفق الأنـــــام وأنت منهـــــم
فـإن المسـك بعـض دم الغـزال

ولقد فاتت أبا الطيب ، غفر الله له ، الدقة العلمية ، فالغزال من الظباء ولكن حيوان المسك من (الأيائل) وكلاهما بالطبع من ذوات الظلف ولكن الظباء تحتفظ بقرونها مدى حياتها ، بينما تغير الأيائل قرونها كل عام ... وليس لأيل المسك قرون ، بل أبدله الله بهما نابين طويلين في الفك الأعلى يتميز بهما ذكره عن أنثاه ...

وقد ذكر العلامة زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد (ولد سنة ٦٠٠ هـ) الذي كتبه أيام كان قاضياً في بغداد حتى اجتاحها التتار أيام المستعصم سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨ م) تحت كلمة تبت (بضم التاء وفتح الباء مع التشديد) ما نصه :

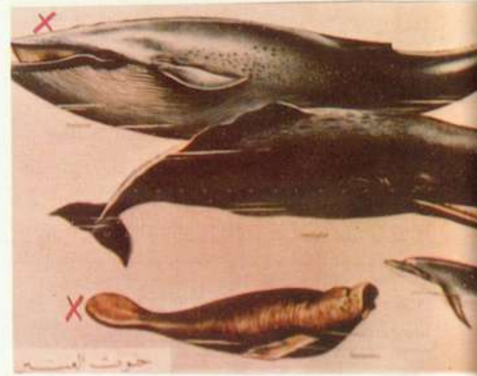
« وبها ظباء المسك ، وأنها في صورة ظباء بلادنا ، إلا أن لها نابين كنابات الخنازير ، وسرتها مسك . ومسك بلاد تبت أحسن أنواع المسك لأنها ظباء ترعى السنبل (؟) وأهل تبت لا يتعرضون للمسك حتى ترميه الغزال ، وذلك أنه



قط الزباد ، أشهر مواطنه شرق أفريقيا ، ولكن العلماء يسمونه (فيفيرا) أو (سيفيتكتس سيفيتا) . ويستخرج الزباد العطرى على هيئة سائل زيتى أصفر ثخين من غدة تقع تحت ذيل الحيوان ، الذى يبلغ من ٤٠ سم إلى ٨٥ سم من طرف ذيله إلى خشمه ، ويزن ما بين ١ ½ إلى ١١ كج . ويوجد من هذا الحيوان زهاء عشرين نوعا تنتشر من شرق أفريقيا إلى غربها ومدغشقر وجنوب أوروبا وآسيا ...



أيل المسك ، له نابان فى الفك الأعلى بدل القرنين . وتنمو له نافجة على شكل تورم أمام سرته ، يتوالد فيها المسك الذى تجذب رائحته الإناث فى موسم التزاوج من مسافات بعيدة .



حوت العنبر ، يقول العلماء ان مادة العنبر الشمعية القوام يفرزها هذا الحوت الضخم لتقى جدران أمعائه الآلام التى تسببها له أسنان (أم الحبر) والأخطبوط ، التى يتغذى على الآلاف منها . والعنبر إلى جانب أنه من مكونات العطور الغالية فهو أيضا دواء للدورة الدموية ، وقد اكتشف العرب هذا منذ قرون فكانوا يتخذون منه تركيبة سموها (الابليم) وذلك بخلطه على النار مع العسل .



« البيفر » من حيوانات الأصقاع الباردة ، وسماه العرب القندر أو القندس أو كلب الماء أو الجندبيداستر . له غدتان تفرزان مادة تسمى (مسك القندس) وتدخل فى صناعة العطور ، ويسميها الكيمائيون (الكستوريوم) .

يجتمع الدم في سرتها مثل الخراج فإذا تم ذلك الخراج تأخذ الغزال شبه الحكة ، فإذا رأت حجراً حاداً تحك به سرتها والدم ينفجر منها والغزال تجد بذلك لذة فتحك حتى تنصب المادة كلها من السرة ، وتقع على ذلك الحجر ، وأهل تبت يتبعون مراعيها ، فإذا وجدوا تلك المادة المنفجرة على الحجر أخذوها وأودعوها النوافج ، فإنها أحسن أنواع المسك لبلوغ نضجه وإن ذلك يكون عند ملوكهم يتهادون به وقل ما يقع منه بيد التجار » . وللقزويني عذره في أن يقع في بعض الخطأ منذ سبعة قرون ...

فالحقيقة أن ذكر حيوان المسك تنمو له (أمام السرة) نافجة كالجيب ينعقد فيها المسك فيحكه على الحجر فتجذب رائحته الإناث من بعيد ، لأن من عادة هذا الأيل أن يعيش وحيداً ، ولا يجتمع بأسرته إلا في موسم التـزاوج كل عام ...

ويسمي علماء الحيوان أيل المسك (موسكاس موسكيفيراس) ووجد علماء الكيمياء أن المادة الفعالة ذات الرائحة القوية الثابتة في المسك الذي قال فيه شاعرنا يصف غرام أبناء العرب بالمسك حتى في الجاهلية :

إذا التـاجر الهـنـدي وافى بغـارة
من المسك أضحت في مفارقهم تجري

تلك المادة ضرب من مركبات تعرف باسم (الكيتونات) قوامه ست عشرة ذرة من الكربون وثلاثون ذرة من الهيدروجين وذرة واحدة من الأوكسجين ، وسموه (المسكون) ..

وقارنوه بالمادة الفعالة في الزباد الذي يفرزه الحيوان المسمى قط الزباد ، وهو أفريقي ، فوجدوا أن المادة الفعالة في الزباد هي كيتون آخر سموه (السيفيتون) وقوامه الجزيئي مثل ذاك الذي للمسكون إلا أنه يزيد عنه ذرة كربون واحدة فقط ...

وتوغل الكيماويون في أسرار الروائح والعطور فوجدوا أن طائفة الكيتونات التي منها المسكون والسيفيتون تتدرج في الرائحة بعدد ما فيها من ذرات الكربون ، فعلى سبيل المثال حينما يكون عدد ذرات الكربون خمساً يتسم العطر أو الطيب برائحة اللوز المر ، فاذا صرن ستاً جاءت رائحة النعناع ، ومن سبع إلى تسع تكون رائحة أنواع الكافور ، ومن عشر إلى ثلاث عشرة تأتي رائحة الأرز (بفتح الهمزة) ويقرب الكيتون من رائحة المسك والزباد عندما تكون ذرات الكربون فيه من أربع عشرة إلى ست عشرة حتى يبلغ مداه عندما تكون ذرات الكربون فيه من خمس عشرة إلى سبع عشرة ، ثم تأخذ رائحة الكيتون في الأفول عندما يصبح عددها ثماني عشرة فما فوق . وقد استطاع الكيمائيون استحداث عطور صناعية مختلفة يطلقون عليها اسم المسك ...

وفي هذا القسم الخاص بالطيب والعطور ، يؤدي المتحف جزءاً من رسالته في تثبيت المعلومات الصحيحة القديمة ، وإطلاع الزائر على المستحدث مما عرفه العلم المعاصر ، حتى لا يصبح أمرنا علينا غمة ...

فنحن في حاجة إلى تجلية الجوانب الوضاءة التي لا تشوبها الأخطاء العلمية في معارفنا الموروثة في كتب العلم ، وجمعها مع ما أفاء الله به على خلقه من نعمة اكتساب المعارف والخبرات وفتق أسرار كيان الأشياء التي ذرأها الله لنا في الأرض لنتدبر آياته ونكشف النواميس التي أجراها سبحانه في بديع صنعه الذي منه لاشك الطيب والعطر والرائحة العبقة .

هواية كاتب

بقلم: سـليمان فيـاض

فى مجلة « ب » ، كان عملى بمطبخ التحرير . عمل متواضع بأجر قليل ، أتدرب فيه على الكتابة ، والصحافة ، أغرانى به الصديق « ر.ن » ، قال لى : تعال معى وسوف تكون كاتبا كبيرا . كنت قد تعاقدت على عمل بالتدريس فى الكويت . فتركت عقدى ، وذهبت معه .

فى نهار يوم ما من أيام الصيف ، جاءنا شاب ، وقدم لى نفسه ، وتحقيقا صحفيا عن حي بأسره من أحياء القاهرة . جلس الشاب « ع » . وشرعت فى قراءة الموضوع . الخط أنيق على ورق أصفر ، وسطور الكلمات مريحة للعين ، فانفتح قلبى . لا خطأ فى الإملاء ، ولا اللغة ، ولا التراكيب . الحي حى القلعة ، المجاور للحى الذى أسكنه . التحقيق يعرض ببراعة صحفية ، مدربة ، ومدهشة ، تاريخ الحى فى الزمان والمكان ، يتداخل فيه بيسر ، ودون تعقيد : الماضى والحاضر ، الوجوه التى صارت ذكرى فى ذمة التاريخ ، والوجوه التى ماتزال تعيش ، وروائح الزمن عبر العصور ، تفوح من السطور والكلمات . وانتهيت من قراءة التحقيق . قلت لـ « ع » بانبهار وحب :

ــ تسعدنا حقا معرفتك ، والتعامل معك .

لم يكن الصديق « ر » موجودا بالمكتب ، لأعرض التحقيق عليه ، وأقدم « ع » إليه . طلبت له شايا ، وذهبت بالتحقيق إلى الغرفة المجاورة . كانت أبدا نصف مظلمة ، ينيرها ، فى عزالنهار ، ضوء خافت من الخارج ، عبر الشيش والزجاج . طرقت الباب . وتقدمت إلى « س » سكرتير التحرير آنذاك . قدمت له التحقيق ، قائلا :

ــ أرجو أن تقرأه الآن . تحقيق مدهش .

أخذ « س » يقرأه بسرعة ، وجلست أرقب وجهه ، وأنتظر . كان وجهه كعادته محايدا تماما ، وهو يقلب الصفحات الصفراء . رفع وجهه ، ووضع الموضوع أمامه . وقال :

ــ موضوع جيد . ضعه فى هذا العدد . يحتاج لرسوم ، وعناوين مانشيتات .

قلت :

ــ كاتبه معى الآن . وأقترح تعيينه بالمجلة ، كمحرر .

قال « س ن » :

ــ لامانع . هاته لى .

وجه « ع »

عصر يوم آخر ، جاء « ع » ، ومعه تحقيق آخر ، عن قرية « سنباط » .. قرية أعرف أن سواد سكانها يشتغلون بالغناء والرقص ، فى الأفراح والموالد . كان التحقيق بخط غير الخط . لكنه كان مثل سابقه ، لا أخطاء به فى الإملاء ، ولا اللغة ، ولا التراكيب . بدا لي التحقيق ، وأنا أقرأه ، وبرغم اختلاف الخط ، يسير على نفس النسق ، وبنفس البراعة الصحفية المدربة . نظرت إلى ذيل التحقيق . وجدته موقعا باسم « م » . نظرت إلى « ع » ، فقال لى .

ــ إنه لصديق أديب ، وظروفه .... وهو ينتظر بالخارج ، فى الصالة .

نهضت ، وفتحت الباب . رأيت شابا نحيلا ، أسمر الوجه ، واسع العينين ، أليفا إلى القلب . دعوته للدخول . فوقف مبتسما . كان يرتدى بدلة شركسكين « موضة هذه الفترة » ، واسعة عليه ، الأكتاف والسواعد ، والساقان .

جلس « م » وقال :

ــ مارأيك ؟

طلبت من « ع » أن يتركنا وحدنا ، فنهض وغادر المجلة . فى وجه « ع » كانت ملامح غير مريحة . الوجه سمنى ، أملس ، من هذه الوجوه الشهوانية ، غير المعبرة . إذ أغلق الباب وراءه .

قلت لـ « م » :

ــ صارحنى . التحقيقات بقلم واحد ، ولكاتب واحد . دعنا من اختلاف الخط .

ضحك « م » بخجل ورقة ، أشعل سيجارة وقال بشجاعة :

ــ هذا صحيح . وأنا الكاتب . أنا كما ترى خجول ، وأخاف من ظلى .

وجاء الصديق « ر » فعاونه للعمل بالمجلة كمحرر مكتب مثلى . فرحت به حقا ، فهو ظريف ، وأنيس ، وحلو الدعابة ، وماهر مهارة بالغة فى إعادة كتابة موضوعات المحررين ، المليئة بالأخطاء من كل نوع ولون .

واكتشفت ، من « م » ، خلال العمل ، صداقته بـ « ع » ، وأنه يكتب له ، أو يعيد كتابة كل مايقدمه « ع » للمجلة من موضوعات ، فى البيت ، أو فى المقهى . يحدد له « م » المطلوب من معلومات لموضوعه ، فيجمعها هذا ، ويجلس « م » ويعبها باقتدار فى نسق تحقيق ، أو حديث . سألته وأنا أضحك :

ــ لم ؟ أتقتسم معه ؟

ــ لا .

ــ أله عليك أفضال ؟!

ــ ولا هذا .

عدت أقول بحيرة :

ــ لم إذن ؟

فأجابنى بكلمة واحدة وهو يضحك :

ــ هواية !!

دهشت ، وصمت ، وفى عقلى حيرة . أية هواية هذه التى يقدم بها شخص إلى الناس على أنه كاتب ، ولا مقدرة لديه على ذلك ، أكثر من أنه ، كسواد العاملين فى الصحافة ، جامع معلومات .

حديث مع نجمة

مع « س » نفسه ، اشتغلنا لشهور فى صحيفة « ج » ، أنا و « م » ، بمكافأة ، ودون عقد ، لاتزيد عن عشرة جنيهات ، كنا أيضا فى مطبخ صفحة « س » الأسبوعية ، وجهدت و « م » لزيادة المكافأة بعمل تحقيقات حراقة ، وتقديم أخبار ساخنة لكن الأجر ظل كما هو شهرا بعد شهر . الجنيهات العشرة هى هى . ولم يعجبنا الحال فخرجت أنا و « م » من المجلة . أنا إلى وزارة الأوقاف ، و « م » غطس ، ولم ألتق به إلا مصادفة . وفى إحدى المصادفات لقيته . سألته موعدا للقاء ، فحدد لى موعدا بكافيتريا ، فوق حلوانى ، بشارع القصر العينى .

ذهبت إلى « م » فى الموعد . وجدته يصب حديثا مع الممثلة النجمة الشهيرة « س ن » ، يضع الأسئلة ، ويضع الأجوبة أيضا ، ومن الذاكرة . وجلست أنتظر فراغه مما يكتبه بخط أفقى كنبش الفراخ ، لاماته وألفاته مثل نوناته . وحين انتهى أقرانى الحديث ، وهو يبتسم بسخرية ، وعيناه تبرقان ، كأنه يقدر سلفا انطباعاتى عما سوف أقرأه . كان بين الأسئلة والأجوبة :

ــ هل تحبين الملوخية ؟

ــ موت ؟

ــ يطبخها لك الطباخ ؟

ــ بل أطبخها بنفسي . ياسلام لو ذقتها . تأكل صوابعك وراءها .

وفى نهاية الحديث ، كان التوقيع : « ع.ص » .

قلت لـ « م » :

ـ حديث طيب ، لكنه مضحك . توقعت أن يكون التوقيع لصاحبنا « ع.ص » . أين سينشر ؟

ـ فى مجلة « إ . ت » . فصديقنا يعمل بها الآن

ـ ما زلت تمارس نفس الهواية .

ـ له بيت ، وأعيش معه . وأنتظر عملا فى مجلة « م » . صديقنا « س » وعدنى بتوسطه عند رئيس التحرير .

كاتب عبقرى

كنت قد عملت شهورا بوزارة الأوقاف ، وبدأت أنسل منها لضآلة المكافأة ، جنيهات عشرة أيضا ، واستأنفت الكتابة للإذاعة ، فى برنامجين إذاعيين وقدمت صديقى « م » إلى النجمة الإذاعية « س . ص » . واعتقدت أن « م » سيستغنى بأجور مواده الإذاعية عن هوايته ، ولكنه ، لدهشتى ، ظل يمارس هوايته لصالح « ع . ص » وبدا لى أن فى الأمر سرا ، قد يكون الخجل من الرد والرفض ، وقد تكون العادة ، وقد يكون الإشفاق على صديق . إلى أن أصبح صديقى « م » كاتب تمثيليات للتليفزيون ، لم يلبث أن صار فيها نجما ، مع المخرجة الصديقة « ع » فى السنوات التى هربت فيها من القاهرة ، ومن الصحافة والإذاعة والتليفزيون ، للعمل مدرسا بالسعودية .

التقيت بعد أعوام من العمل بالتدريس فى السعودية ، ثم فى البدارى ثم فى الاسكندرية ، بصديقى « م » ، وكنت قد انتقلت إلى القاهرة ، مدرسا أيضا . شكوت إليه ضآلة المرتب ، وعدم كفايته للمعيشة . فصحبنى إلى النجمة الإذاعية « س . ص » ، وقدمنى إليها ، فقد باعدتنى سنوات الانقطاع عن العمل من ذاكرتها ، أعطتنى « س.ص » نصا إذاعيا لـ « م » ، وقالت :

ـ اقرأه . واكتب مثله . إنه كاتب عبقرى .

نظرت إلى « م » وضحكنا بأسى ، وحب ، وقال : « م » لـ : « س.ص » إننى عمه وأستاذه ، فسجلتها عليه ، ولم أعرف ، إلى اليوم ، سبباً لهذا الوصف . سألته حين خرجنا من مكتب النجمة الإذاعية :

ـ أمازلت تمارس هوايتك ؟

فقال بتأكيد :

ـ نعم .

ـ لم ؟

ضحك وقال :

ـ هواية . ماذا أفعل ؟

عصر الزيف

شاهدت فى دور السينما أفلاماً جيدة ، عن روايات لكاتب شهير . أدهشنى أن يكون كاتب السيناريو لها هو : « ل. » وكان سبب الدهشة معرفتى بأنه كاتب ردىء . كان يقدم لنا ونحن نعمل بمجلة « ب » موضوعات صحفية ، غير متماسكة ، مليئة بأخطاء الكاتبين الصغار والناشئين . وكان « طبخ » موضوعاته يجهدنا غاية الاجهاد . ولقيت الصديق « م » . سألته فى دهشة :

ـ كيف يمكن أن يكتب « ل » مثل هذه السيناريوهات ، من أين له هذه الخبرة ، وتلك القدرة المفاجئة ؟

فابتسم « م » ، وقال وهو ينفخ دخان سيجارته ، بهدوء شديد :

ـ أنا كاتب هذه السيناريوهات .

صحت :

ـ لماذا ؟

فانفجر ضاحكا ، وقال :

ـ هواية .

صحت :

ـ هوايتك كانت مع : « ع.ص » . وسكت . قلت بينكما ود قديم . أفهم ذلك . لكن ، مع « ل » أنت ترتكب جريمة . تصنع منه كاتباً ، وستقدم له يوما ، بسبب ذلك منصبا يتحكم به فى رقاب العباد .

فقال بهدوء :

ـ إن لم أكن أنا ، سيجد غيرى . ويحقق ماسوف يصل إليه . نلت منه ألف جنيه عن كل سيناريو ، بعيدا عن الضرائب . ولو استطعت تسليك هذه السيناريوهات لنفسى وهذا عسير جدا لفعلت ، ودفعت الضرائب .

ثم نظر إلى ، وقال :

ـ نحن فى عصر الزيف . تذكر آلاف الأشياء والأمور من حولنا . وسوف ترى صدق ماأقول ، وتتفرج .

بداية .. الهواية

صدرت للكاتب القصصى : « .... » ، مجموعة قصصية عن الطبقات الشعبية أحدثت بعض الضجة ، وكتب عنها نقاد الأعمال الأدبية عن هؤلاء « البسطاء الشرفاء » . ولقيت صديقى « م » . وتحدثت معه عن المجموعة ، وقلت له عنها ، إنها لابأس بها ، فقال لى :

ـ كتبت يوما أول مانزلت القاهرة ، عددا من قصصها . أستطيع أن أسميها لك بالاسم .

ـ ضحكت ، وقلت غير مصدق :

ـ للهواية أيضا ؟

قال :

ـ ربما . حين كتبت له هذه القصص . عرفت الجوع . وفقد المأوى .

كان يصحبنى معه إلى بيته ، أتعشى ، وأبيت . أكتب له قصة . ينشرها باسمه ، وأقترض منه جنيها .

ظننت مع ذلك أنه يبالغ فى الحديث عن هوايته ، حتى لقيت الصديق الكاتب « غ.هـ » ، فاعترف لى بدوره ، أنه كتب له أيضا أكثر من قصة ، وأحيانا كان يكمل له قصة كتب منها نصف صفحة . ولقيت صديقا آخر ، شاعرا : « ج . ع » ، لاعهد لى بكونه كاتب قصة ، فأخبرنى أن خير قصص صاحب المجموعة ، التى تحمل المجموعة عنوانها ، كتبها هو . قال لى :

ـ أعطيتها له ، للنشر فى مجلة « ر » ، فهو يعمل بها . وإذا بى أفاجأ بأنها منشورة فى العدد التالى من المجلة باسمه . ثرت ، وذهبت إلى مجلة « ر » وفضحت الأمر . وحدث تحقيق . وبكى بحرقة أمام رئيس التحرير . أشفقت على مأساته ، وسحبت شكواى ، وأنهيت هذا الأمر .

نهاية هواية

فر الصديق « م » بقلمه إلى شركات التليفزيون العربية ، ثم هاجر مع قلمه بجسده . كان يسافر ويعود ، ويذهب ويأتى . صار كاتب مسرح ناجحاً وكاتب مسلسلات تليفزيونية ناجحا . لكنه عرف الصمت ، والحزن ، والشعور برغم عمله باللاجدوى . فثمرات فنه مسرحا وقصة ، لاتعرف طريقها إلى العرض فى وطنه الصغير : مصر . وأكاد أجزم عن يقين أنه قد فارق هوايته ، مع الزمن .



مسرحية العام ١٩٨٥

الملحمة الهندية

ماهاباراتا

أثارت مسرحية « ماهاباراتا » النقاد والجمهور في الغرب كما لم تثرهم مسرحية أخرى منذ سنوات .

المسرحية هي اقتباس فرنسي للملحمة الهندية التي كتبت باللغة السنسيكريتية منذ ٣٥٠٠ سنة . وهي أول عمل من التراث الانساني الشرقي يتسنم ذروة المسرح الغربي بنجاح مثير .

بقلم : الفريد فرج

مدة عرض المسرحية الفرنسية أكثر من عشر ساعات . وهي لذلك مقسمة إلى ثلاث سهرات .. الأولى بعنوان : « مباراة النرد » . والثانية عنوانها : « النفي إلى الغابة » . والثالثة عنوانها : « الحرب » .

والمسرحية مبادرة جريئة للمخرج الانجليزي الذي يعمل بباريس ، الفنان بيتر بروك ، ويعتبره الكثيرون أهم شخصية مسرحية في الغرب اليوم .

وكتبها في نصها الفرنسي الكاتب جان كلود كاريير .

رحلة بيتر بروك

قبل عشرين عاماً كان بيتر بروك أحد أبرز المخرجين لفرقة شكسبير الملكية ، ولمع اسمه في الغرب باخراجه مسرحية « الملك لير » التي اعتبرت في وقتها (١٩٦٨) أفضل اخراج للمسرحية في الجيل .

ومن الملك لير اقتحم بروك ميدان التجريب بالمسرحية السياسية الوثائقية التعبيرية ، والتي تنتمي للمسرح الشامل : « يو إس » ، وهي تعبر عن قلق الضمير الإنساني إزاء حرب فيتنام . (١٩٦٩) .

وقد استعان بروك في هذه المسرحية بأستاذ فن المسرح الفنان البولندي البازغ آنذاك جروتفسكي . ووضعت مسرحية « يوإس » بروك في الذروة من فناني المسرح ، وأصبح ظاهرة ساطعة .

وبعدها استطاعت فرنسا ، التي تنافس انجلترا بكل قواها على المركز الأول للمسرح الغربي ، أن تجتذب بيتر بروك إلى ساحتها عام ١٩٧٥ ، فمنحته وزارة الثقافة الفرنسية دعماً معتبراً ومسرحاً من مسارح الدرجة الأولى بباريس . وانتقل بروك إلى فرنسا وكون فرقة من الفنانين من جنسيات مختلفة بينهم إلى جانب الممثلين الأوروبيين ممثلة لبنانية الأصل وممثل مغربي الأصل وممثل من نيجيريا .

ولم يكن الضجيج الذي أحدثه انتقال بروك إلى فرنسا قد هدأ بعد ، ولا ما أثاره من سخط الانجليز عليه وعلى مؤسسات دعم الفنون في بلادهم قد انتهى بعد .. في الوقت الذي تعاقب فيه الصحفيون والمصورون لينظروا ماذا يفعل هذا الفنان الساحر المشغوف بالمعمار المسرحي الباريسي الأنيق الذي خصص له .

فعلى مرأى من الشهود وأمام العدسات نزعت الكراسي الوثيرة من صالة المسرح وأقيمت مكانها مقاعد خشبية مستطيلة غفل عن أي جمال ، ونزع الستار والكواليس ، وصار تحريق اطار فتحة المسرح وجوانب المنصة العارية وتشويه حوائطها !

على هذا المسرح سيجري التمثيل في « الأرض الخراب » ،طبقاً للوصف الذي أطلقه الشاعر الإنجليزي الكبير ت . س . إليوت على أوروبا



بيتر بروك .. أشهر المخرجين فى الغرب اليوم



بيتر بروك .. فى التدريبات

القرن العشرين أو عالم القرن العشرين في قصيدته الشهيرة بهذا العنوان .

بدعة فنية ؟! جنون الفنون .. أو فنون الجنون ؟! ..

قل ما تشاء . فإن بيتر بروك قد اجتذب جماهير الشباب الأوروبي ممن يتظاهرون بأعداد هائلة ضد التسليح النووي ، وضد تلوث البيئة وضد الاستقطاب الدولي ، ويتمردون على مجتمعاتهم وتقاليدهم في تيار « الهيبز » أو « البونك » أو أولئك الذين يثرثرون في المقاهي والنوادي حول الفلسفات الجديدة ، والثقافة الجديدة ،وبناء عالم جديد .. وقد أصبح مسرح بيتر بروك « بوف دي نور » في باريس من يوم افتتاحه من أغنى المسارح بجماهير الشباب .

كان المظهر المتقشف الجديدللمسرح أيضاً علامة على التيار الفني الجديد الذي كان بيتر بروك أحد علاماته .. التيار المتجه « نحو مسرح فقير » .

« نحو مسرح فقير » هي صيحة أولئك الذين رأوا أن المسرح يجب أن يتخلص من الزينة والزخرف والمحسنات ، وأن يبرز جوهر العمل المسرحي ونبضه الإنساني وقوة العرض من خلال الممثل والحركة والكلمة بلا تزيد .

المسرح الجديد نبذ الامكانات غير المحدودة للآلية أيضاً ، واستغنى عن ثقل الديكور والملابس وأبهة المجموعات البشرية فوق المنصة .. وعمد إلى البساطة واستند إلى قوة التمثيل التعبيري وقوة الموضوع والقوة التي تنطوي عليها حركة الممثلين .. في اطار مسرحي شفاف وبسيط ومباشر .

إن مسحة التقشف في المعمار المسرحي لبروك أثر من آثار هذا التوجه وطابع لرحلته الفنية .

وكانت رحلة مسرح بروك ، أو رحلته في مسرحه ، غريبة ومتميزة أيضاً . فقد بدأ بمسرحية مهملة لشكسبير من مؤلفاته المبكرة اسمها « تيمون الأثيني » ، فأعطاها حياة جديدة بأسلوبه التعبيري الجديد .. بحيث أصبحت المسرحية اليوم من المسرحيات الشكسبيرية المتداولة بين المسارح .

وبعدها قدم بروك « تقريراً للأمم المتحدة » ممسرحاً (!) وهو تقرير اجتماعي عن قبيلة من كينيا اسمها قبيلة « الأيك » كانت تعيش على حرفة الصيد ، وبعد استقلال كينيا وفي إطار الخطة الخمسية للتنمية قررت الحكومة الكينية نقل قبيلة الأيك إلى منطقة استصلاح زراعي وتعليمهم حرفة الزراعة .. ولكن أبناء القبيلة تسربوا فارين من قراهم النموذجية وتفرقوا عائدين إلى حرفة الصيد !

ومغزى التقرير والمسرحية هو العسف الذي ينطوي عليه تخطيط لا يراعي التقاليد المتوارثة والإرادة الحرة للإنسان .

ولكن مسرحية التقرير كانت نموذجاً للبراعة الفنية والحساسية الحرفية للفنان .. يذكرنا بمقالة الموسيقي العربي الخالد سيد درويش مرة أن بامكانه تلحين الصحيفة اليومية وامتاع الناس بغنائها !

وبعد الأيك قدم بروك قصة شرقية أبطالها جميعاً من الطيور ، بعنوان « الطيور » .. أقرب ما تكون لقصص كليلة ودمنة .

ثم قدم الفنان مسرحية « كارمن » عن الأوبرا الشهيرة بأسلوبه التعبيري الأخاذ . ثم جاء دور « ماهاباراتا » الهندية .



« الحرب » .. الجزء الثالث من ماهاباراتا

الملحمة الهندية

ماهاباراتا

جاذبية الشرق

يتميز بيتر بروك عن زملائه من كبار المخرجين الأوروبيين بذكاء خاص يجذبه لفنون الشرق .

وأول أثر أذكره من حب بيتر بروك للشرق هو أن الموسيقى التصويرية لمسرحية شكسبير « تيمون الأثيني » لم تكن إلا ايقاعات تونسية شعبية .

وقد التقيت بروك عدة مرات لقاءات عارضة فعلمت منه أنه زار أقطار الشمال الأفريقي ومصر وايران وأفغانستان عدة مرات ، وأنه يتذوق الفن الشرقي ويحب الفنون الموسيقية الصوفية .

لذلك لم يفاجئني اتجاهه للهند ، واختيار ملحمته القديمة الشهيرة .

وتروي الماهاباراتا مصائر فريقين من أولاد العم يتنازعان الحكم ، وتقع في ١٥ مجلداً كبيراً ، وقد كتبت باللغة السنسكريتية منذ ٣٥٠٠ عاما حسب أقوال الباحثين .

وتدور قصتها حول ملك يتزوج للمرة الثانية ، فيشترط عليه أبو العروس أن يكون ابن ابنته هو الملك من بعده فيتردد الملك حيث أن له ابنا من الزوجة الأولى .. ولكن هذا الابن يضحي بحقه في العرش من أجل أبيه ويقطع على نفسه عهداً ألا يعرف النساء أو ينجب أطفالاً .

الزوجة الثانية تنجب ولدين أحدهما أعمى والثاني أمهق (شديد البياض) . وينجب الأمهق خمسة أولاد بينما ينجب الأعمى مائة ولد .

وفي مباراة للنرد يفقد الأمهق كل حقوقه وحقوق أبنائه في العرش والإرث ، وقد راهن بماله ومصيره وخسر الرهان فأمره أخوه بأن ينفي نفسه في الغابة عشر سنوات ، وأن يتنكر هو وأهله بعدها بحيث لا يتعرف عليه أحد !

وبعد المنفى يعود الأولاد لاسترداد الحقوق واتخاذ الحلفاء ، فتشتعل الحرب التي تمزق الأسرة وتقسم الولاءات وتنذر « بدمار العالم » .

ومن هذه الزاوية ينفذ بروك إلى جمهوره ، إلى الواقع الأوروبي ، إلى الشباب المتوتر بالحياة تحت وطأة الخطر النووي الذي يهدد « بدمار العالم » .

القصة الهندية في إطار المسرحية الفرنسية تتجاوز حدود الهند ،وتتجاوز حدود التاريخ لتصور دراما العصر وقضية الحرب والسلام الكونية .

والملحمة الهندية في مجملها تشبه الملحمة العربية الشعبية « الزير سالم » التي تحكي بدورها قصة حرب البسوس ، والقتال الرهيب بين أولاد العم : بكر وتغلب ، وتمزق النفوس والولاءات في تلك الحرب الأهلية المدمرة .

إلا أن الملحمة الهندية تختلف عن الملحمة العربية الأحدث منها عهداً بشحناتها الرمزية والأسطورية ، وتختلط صور الصراع الواقعية في ملحمة الهند بالاشارات الدينية والخوارق السحرية والطقوس التقليدية .

ولعل هذه العبوءات الغامضة في الملحمة الهندية ، والرموز المغرقة في المحلية أن تكون قد حيرت الفنانين الأوروبيين الذين اضطلعوا بهذا العمل المسرحي الحديث .

فقد كان أمامهم مشكلتان في الصياغة الفنية للعمل : تعامل المسرح الحديث مع التراث القديم .. وتعامل العقل الأوروبي الحديث مع الموروث الأسطوري الشرقي .

ولأدع بيتر بروك نفسه يروي هذه التجربة في التعامل ومشاكله .

كتب بروك عن ذلك يقول :

« إحدى الصعوبات التي نواجهها أمام نص تقليدي أسيوي هي أننا نعجب به دون أن نفهمه . وبسبب عدم امتلاكنا كل مفاتيح الرموز نظل خارجه ، مسحورين بالتأكيد بظاهر العمل ، ولكننا غير قادرين على أن نلمس الحقائق الإنسانية التي من غيرها ما كانت هذه الأشكال الفنية المعقدة قد أنشئت وألفها المؤلفون والفنانون على الاطلاق . »

اقتراب الفنان من الموضوع

والأفضل أيضاً أن نقتبس مما كتبه بيتر بروك نفسه قصة اقترابه من الملحمة الهندية ، ثم حماسه لتقديمها إلى الجمهور الأوروبي .

فقد كتب في ذلك يقول :

« أول مرة عرفت اسم الماهاباراتا حين شاهدت راقصاً يقدم مقطعاً من الملحمة » .

« كان ظهوره المفاجئ من بين الستائر هزة لا تنسى ، وكان يرتدي رداء أحمر مذهباً ، وقد لون وجهه باللونين الأحمر والأخضر » .

ملحمة ماهاباراتا تشبه في مُجملها الملحمة العربية الشعبية "الزير سالم" !

« ومن خلال حركته العنيفة الرائعة قر في وهمي أن تلك لحظة تنبض بالتاريخ — ولكن أي تاريخ ؟ .. لم يكن بامكاني إلا أن أتصور أسطورة ما ، بعيدة جداً عني ، تتبدى لي من خلال ثقافة مختلفة ، ولا علاقة لها بحياتي .. فرويداً رويدا تهافت اهتمامي ، ونسيت هزة اللحظة الأولى ، ونسيت بعدها ما تركته الرقصة عندي من أثر ..

« الفضل في اطلاعي للمرة الثانية على تلك الملحمة الهندية يرجع إلى أستاذ اللغة السنسكريتية فيليب لا فاستين ، الذي حكى لي ولزميلي الكاتب جان كلود كاريير مجمل الملحمة بحماس وبحرارة .. وبفضله بدأنا نفهم لماذا كانت هذه الملحمة إحدى أكبر المؤلفات الأدبية الإنسانية ، ولماذا كانت — ككل الأعمال الأدبية الإنسانية الكبرى — بعيدة عنا ، وقريبة منا جداً مع ذلك .

« جان كلود وأنا سحرنا بها ، ووقفنا على الرصيف لشارع سانت أندريه في الساعة الثالثة صباحاً بعد سهرة تاريخية مع الأستاذ لافاستين ، واتخذنا قراراً ، وهو أن نجد وسيلة لنشرك معنا في هذا « التاريخ » جمهور المسرح الغربي » .

ومن هنا بدأت رحلات الفريق إلى الهند .

المؤلف والمخرج ..

ثم المؤلف والمخرج والموسيقي ومصمم الملابس والديكور ..

ثم الجميع مع الممثلين جميعاً ..

المرة بعد المرة .. يشاهدون الفن التقليدي بكل صوره ، يعايشون الفنانين الهنود ، يتحاورون مع أساتذة التاريخ والأدب وأساتذة الفن ..

يكتشفون ما تعنيه حركة الأصبع في الرقص والتمثيل ، ما تعنيه الكلمات ، والتنهدات ، وحركة الجسد ، ونبرات الصوت ..

يكتشفون ما تعنيه الألوان ، وقطع الملابس .

يقول بروك : « لم تعد الهند حلماً جميلاً بعيداً ، أصبحت حقيقة ، أصبحت واقعاً .. أغنى كثيراً جداً من الأوهام والأحلام » .

« لقد حاولنا استيعاب ذلك الفن في أصالته ، ونحن بكامل اليقظة .. نعرف أن تقليده حمق واستحالة . إننا لن نعمد إلى المحاكاة ، وإنما إلى الايحاء . لن ننزلق إلى تبجيل ما نراه أو إجلاله ، فالفن عدو التبجيل والاجلال . لقد فحصنا التقنيات الفنية الشعبية بعامة ولكننا لن نعتمد إلا على السليقة الأوروبية وطريقتنا في الارتجال ..

« قلت للفريق : إننا لا ندعي إحياء فن هندي ، عمره ثلاثون قرناً ، أو أننا سنعرض ما فيه من رموز وفلسفة . وفي المقابل لن ندعي أيضاً عكس ذلك . إننا نشاهد ونفكر فقط » .

النص المسرحي

ترجمت « ماهاباراتا » لأول مرة في أوروبا إلى اللغة الإنجليزية عام ١٧٨٥ بقلم تشارلز ويلكنز ، ثم ترجمها إلى الفرنسية عام ١٧٨٧ م . بارو عن الإنجليزية .



« مباراة النرد » .. الجزء الثاني من ثلاثية ماهاباراتا



« الحرب » .. مشهد من ماهاباراتا

وفي القرن التاسع عشر ترجمها إلى الفرنسية عن السنسكريتية مباشرة دكتور ل . بالين .

في عام ١٩٧٥ رواها البروفيسور فيليب لافاستين للمؤلف جان كلود كارييه والمخرج بيتر بروك ..

وفي الأعوام الخمسة التالية إلتقى المؤلف بالبروفيسير عدة مرات يدون الملاحظات . ولكنه خلال عام ١٩٧٦ كان قد نظم هيكلاً ممكنا للمسرحية ، وهو يقرأ الملحمة مع أستاذة للدراسات الهندية هي مادلين بياردو في جلسات منتظمة .

وكان المؤلف والمخرج يلتقيان أيضا خلال تلك الأعوام الخمسة في جلسات قراءة منتظمة .. بروك في الترجمة الإنجليزية وكارييه بيده الترجمة الفرنسية ، يقارنان بينهما ، ويحددان الخطوط الأساسية لعملهما .

ثم جاءت مرحلة الرحلات إلى الهند ، مع بروك ، ثم مع الفريق .. المشاهدات واللقاءات .

كتب كارييه عن تجربته يقول :

« كنت أجمع الانطباعات ، ولم أتأثر كثيرا بتحليلات الأساتذة . كنت أسلم نفسي لهذا النهر العارم للشعر يتدفق أمامي بجلال عميق وبثراء لا يقارن ، ويتحدى كل تحليل فني أو تاريخي أو سيكولوجي أو أدبي »

« إن أبواباً تنفتح لتفضي إلى أبواب تنفتح » .

« الملحمة تستطرد ، دون أن تفقد الخيط الرئيسي .. وكل إشارة فيها قوية » .

بدأ كارييه الكتابة التفصيلية في خريف ١٩٨٢ وطوال ١٩٨٣ .. إلى ١٩٨٤ ، وكان المثلون يتدربون في هذه الأثناء ويجري العمل على الموسيقى .

في خريف ١٩٨٤ بدأت التدريبات المتكاملة ، وكان النص قد انتهت كتابته ، إلا أن تعديلات أحدثت في النص أثناء التدريبات التي استمرت ٩ شهور ، وتم حذف بعض المشاهد الجانبية .

يقول كارييه : كنت حريصاً جداً على تثبيت إنسانية الشخصيات ونزع هالاتهم السحرية لنصل بهم إلى صميم المسرح » .

« الذين كانوا يتصفون في الأصل الملحمي بقوة العزم واستقامة التصميم .. جعلتهم في مسرحيتي أحياناً يتساءلون . والذين كانوا في الأصل الهندي يؤمنون بالمصير في استسلام .. جعلتهم في مسرحيتي يتأملون أعماق أنفسهم .. دون أن أنزلق إلى إقحام تحليلاتنا أو أحكامنا أو أي طرف من مفاهيمنا المعاصرة » .

اللغـة

وكتب كارييه : « نبذت كتابة الحوار بلغة أثرية أو بفرنسية العصور الوسطى المثقلة بالصور . كما أن اللغة الباريزية العادية كانت تبدو لي مستحيلة ، وكان علي أن أتجنب أيضاً كل عبارات المجاملة الدارجة في لغتنا الفرنسية . وبذلك أصبح اختيار اللغة المناسبة للحوار في مسرحيتي قضية .. تماماً مثلما كانت قضية ومشكلة للموسيقى والمصمم أن يختارا الموسيقى الملائمة والملابس والاكسسوار الذي يتعين أن يضفي الطابع الهندي على العمل ..

« لقد قررت أن أكتب حواري بلغة بسيطة ومباشرة ومتقشفة . أكتب بالفرنسية مسرحية غير فرنسية ، وأفتح لغتي لايقاعات جديدة وصور آتية من الشرق .. دون أن أقع في منزلق الآخر وهو تكريس الملحمة الهندية وتكريس الانقطاع للعلاقة مع الجمهور الأوربي » .

الدعـم

تكلفت هذه الثلاثية المسرحية كما لا يخفى نفقات كبيرة جداً ، إذا أضفت إلى الانتاج نفقات الرحلات إلى الهند والبحوث الكثيرة التي تمت .

ولكن المسرح الغربي عموماً يتمتع برعاية اقتصادية محيطة ، ومشروع مسرحي مثل مشروع بروك يتمتع أيضاً برعاية خاصة أوسع .

لذلك تقرأ في كتيب المسرحية أن المسرح كي يتم هذا العمل الرائع قد تلقى المساعدات المادية الخاصة من جهات متعددة في مقدمتها وزارة الثقافة الفرنسية ، ومقاطعة ساحل الأزور ، ومن مهرجان الهند ، ومن مجلس مدينة باريس ومن مؤسسة روكفلر ومن القناة الرابعة للتلفزيون البريطاني ..

أضف إلى ذلك الدعم توجه المسرح بالشكر إلى العديد من الأساتذة وأصحاب المشورة الذين ساهموا بعلمهم في إتمام العرض .

المسرحية تطوف العالم

عرضت المسرحية بباريس وفي مهرجان أفنيون ومهرجان أثينا ، ثم عادت إلى باريس وتستعد الفرقة للطواف بانتاجها في أنحاء العالم .

ومن الصعب طبعاً أن أقدم للقارئ تقييما حقيقياً للعمل المدهش الطويل الذي شاهدته ، وقد تكون انطباعاتي عنه مجرد تحصيل حاصل إن لم أوفه حقه من التحليل والوصف . ولكني يجب أن أسجل فحسب أن احتفال الجمهور والنقاد به كان في الذروة ،وربما أتاحت لي الظروف أن أتحدث عن العمل في فرصة أخرى .

الفريد فرج

بقلم: جمـــال قطـب



من روائـــع الفن العـــالـمي

البنتُ وقِطّتُهــا..

في لقاء الشهر الماضي ، عندما استعرضنا في عجالة مدارس الفن الشهيرة ، كمقدمة لحديثنا عن فناننا موضع الاهتمام في المقال السابق ، قلنا إن (التأثيرية) جديرة بأن نقف أمامها وقفة متأنية متأملة ، وذلك لما تميزت به من العودة إلى الفطرة واستلهام الطبيعة والتفتح على مباهج الحياة .. فمن ناحية الشكل ، فالتأثيرية هي إطلاق سراح الألوان وتسجيل ما (تبصره) عين الفنان من حيث هو ضوء ، مغفلاً ما (يعرفه) بذهنه من صور الأشياء ، أي أنه قد حصر اهتماماته في تصوير الإحساسات البصرية التي تعكسها النظرة الخاطفة مباشرة على شبكة العين ، علم البصريات قد اكتشف حينذاك أن هذه الاحساسات إنما ترجع فقط إلى الضوء الذي تعكسه المنظورات على عصب الإبصار ، ولهذا انتهج (التأثيريون) أو (الانطباعيون) هذه القاعدة لرسم ما يرى ، لا ما يعرف . أما لماذا تحظى التأثيرية (الانطباعية) منا بكل هذا الاهتمام في منطقتنا العربية ، فيرجع إلى ملاءمة نهجها الضوئي مع أجوائنا الرحبة وطبيعتنا الصافية وشمسنا الساطعة المتلألئة ، كما أن نهضتنا الفنية الحديثة قد انبثقت على أرضنا في أعقاب سيطرة التأثيرية على الابداع العالمي ، ولا غرو أن تكون أول مدرسة للفنون الجميلة قد افتتحت أبوابها في القاهرة عام ١٩٠٨ ، متخذة من أسلوب التأثيريين منهجاً لها في فن التصوير .. وظهر العديد من فنانينا الرواد ، وهم قادة التأثيريين العرب الأوائل ، من أمثال يوسف كامل وراغب عياد (في مراحل فنه الأولى) وأحمد صبري ومحمود حسن .. وغيرهم .. وظلت التأثيرية تستقطب المواهب الفنية وتثير الاهتمام والإعجاب حتى يومنا هذا ، لما لها من إبهارات بصرية وجماليات شكلية رائعة !

وقصة ظهور هذه المدرسة الفنية المتألقة ، هي قصة للكفاح والثبات والتصميم على الجديد في عوالم الفكر العالمي النابض بالحركة والحياة .. وحتى بعد إقامة المعرض التأثيري الأول في شهر ابريل من عام ١٨٧٤ بباريس ، لم ينل هؤلاء الفنانون من معرضهم إلا الاستهزاء بهم والتهكم على أعمالهم التي وصفت وقتها بالتهريج والإسفاف ، كما أطلقوا عليها اسم (الفن المنحط) إمعاناً في النيل من هؤلاء المجيدين . ولا نتصور أن هذا الرأي كان تقييماً خالصاً لوجه الفن .. ولكنه كان يرجع في المقام الأول إلى التمزق والصراعات السياسية التي سادت فرنسا في الربع الأخير من القرن الماضي عندما تحالفت بعض القوى وكونت حزبا سمته (حزب النظام) .. وقد وجد أنصار هذا الحزب في التأثيريين ثورة تحريرية تناقض التقاليد المتوارثة ، فوقفوا لهم بالمرصاد ، واصمين الفنانين بأبشع التهم والأوصاف ، وشوهوا سمعتهم لفترة طويلة من الزمن ، وبالرغم من ذلك لم يتوقفوا عن اقامة المعارض ، وما إن انقشعت الغمامة رويدا رويداً عام ١٨٧٩ ، حتى أقامت الجماعة معرضها التأثيري الرابع ، وعندئذ أقبل عليه الجمهور إقبالاً عظيماً ، وقد حل الاستحسان والتذوق والاستمتاع محل السخرية والاستهجان والاستنكار ! وتوالت المعارض .. حتى شهد عام ١٨٨٦ آخر معارض هؤلاء الرواد .. وكان المعرض الثامن في ترتيب معارضهم الجسورة !

أما زعيم الجماعة ، فإنه من الصعب علينا الفصل بين نصيب كل من فناننا (رينوار) و (مونيه) في نشأة التأثيرية ، ومن الشائع أن ينسب الفضل في استخدام الألوان القزحية إلى رينوار ، مستفيداً باكتشاف علم البصريات في تحليل ضوء الشمس وألوان الطيف أو ما يعرف بالألوان القزحية .إلا أنه كان ولوعاً دائماً برسم الأشخاص متخذاً من المرأة والطفولة موضوعاته المفضلة .. في حين كان مونيه ومعظم فناني التأثيرية يميلون إلى تصوير المناظر الطبيعية . ولكن الصورة الشخصية عند رينوار لم تكن مجرد تكليف أو عمل فرض عليه إنجازه ، ولكنها كانت وسيلة للتعبير عن بهجة الحياة ، مستخدماً عبقريته في تجسيد الأشكال والمعاني بلمسات متحررة مشحونة بالعاطفة والانفعال ، وكانت الأضواء والظلال التي يضعها بأسلوب تأثيري واع على مسطح لوحاته ، تكسب إبداعاته طابعها المشرق الوضاء الذي تألقت به في عالم الفن الرفيع .

وقد عرف عن رينوار أنه لم يكن صاحب نظريات وقوانين يرفع شعارها أو يلقنها لغيره ، بل كان الفن في نظره وقناعته صناعة بارعة وصياغة وجدانية مفعمة بالانفعال جياشة بالعاطفة .. كما كانت صلته الوطيدة بالتأثيرية تنبع من اتفاقها مع هواه حيث تعطي المشاهد صورة حسية وضاءة النور نابضة الحياة ، ليس فيها إيماءات الرومانسية الأدبية ولا جفاف الذهنية الواقعية .

وأيا كان الموضوع الذي صوره فناننا رينوار ، فإنه كان يؤمن بأن (الصورة) يجب أن تخرج إلى حيز الوجود وهي تبعث الجمال والسرور والبهجة في نفس من يراها !

وبين تاريخ ميلاده سنة ١٨٤١ ، وتاريخ وفاته سنة ١٩١٩ ، جرت حياة رينوار رحبة خصبة بهيجة مشرقة بالأمل والبهجة والألوان المتلألئة البراقة .. وكان حصاد هذه الحيوية العبقرية نتاجاً رفيع المستوى تجاوز خمسة آلاف لوحة ، تمثل اليوم كنزاً من أثمن كنوز المواهب البشرية الفذة عبر قرون التاريخ !

وعلى الصفحة المقابلة نرى إحدى روائعه التي رسمها في عام ١٨٨٧ وأسماها : الآنسة جولي مانيه مع قطتها .

فلنتأمل هذه اللوحة ، ولنتمثل إلهاماتها في بصائرنا .. ولنبحث في جنباتها ، ومع كل لمسة من لمساتها عن اشراقة الأمل وبسمة التفاؤل وبهجة الحياة !



العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي





أصغر ناسخة في العالم

اشتهر اليابانيون بقدرتهم الفائقة على تصغير الأجهزة الالكترونية ابتداء بأجهزة التليفزيون إلى الميكروكمبيوتر مرورا بجميع أجهزة الهاي فاي . وآخر الابتكارات اليابانية في هذا المجال جهاز لتصوير المستندات في حجم آلة الحلاقة الكهربية (١٧ في ٧ في ٤,٧ سم) ويزن ٤٠٠ جرام ، أي أقل من نصف كيلو جرام .

ولكن بالرغم من مظهره البسيط فإن هذا الجهاز مزود بوحدة ميكرو الكترونية تضم دوائر مدمجة لا تقل تطورا وتعقيدا عن تلك الموجودة في الأجهزة التقليدية لتصوير المستندات ، خاصة فيما يتعلق بتحليل ومعالجة الاشارات الالكترونية ، كما أنه يضم شاشة تظهر عليها صورة المستند المراد نسخه ، فيتم تحليلها كما في كاميرا الفيديو لتنتقل الاشارة الكهربية المعدلة الناتجة عن هذا التحليل إلى الطباعة لتقوم بطبع المستند .

ولاستخدام الجهاز يمسك به مثل آلة الحلاقة الكهربية ويمرر ببطء على المستند بسرعة ١ سم/ثانية تقريبا لتخرج النسخة تدريجيا على شكل شريط ورقي عرضه ٤,٦ سم .

ويعمل جهاز تصوير المستندات الصغير ببطاريات رقيقة تكفي لنسخ لفة كاملة من الورق طولها عشرة أمتار ، أي ما يوازي عشرين دقيقة من النسخ قبل اعادة شحنها .

ويعتبر هذا الجهاز عمليا جدا بالنسبة لتصوير أعمدة الصحف وإن كان يمكنه تصوير مستندات أعرض وذلك بتمريره على التوالي على المساحة المطلوب تصويرها ، فهو مزود بتدريج يضمن تحديدا دقيقا للمساحات التي يتم تمرير الجهاز عليها .

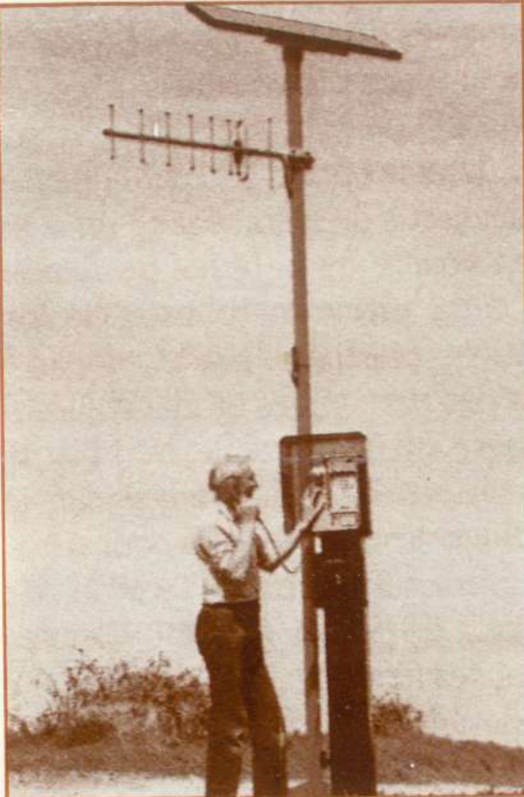
الهاتف الشمسي

قدمت احدى الشركات البريطانية أول هاتف يعمل بالطاقة الشمسية للاستخدام في المناطق النائية التي يصعب مد خطوط الهاتف إليها ، فهو لا يحتاج إلى أسلاك أو كابلات تقليدية .

وتتكون كابينة الهاتف الشمسي من عمود ارتفاعه ١,٢ مترا ، يعلوه صندوق الهاتف وملحقاته ، وأعلى هذا العمود صاري ارتفاعه ثلاثة أمتار يحمل في نهايته لوحة طولها ٧٠ سم وعرضها ٩٠ سم ، مغطاة بصفوف من الخلايا الشمسية .

وتقوم الخلايا الشمسية بشحن بطارية تتولى تشغيل جهاز ارسال لاسلكي ينقل صوت المتكلم إلى أقرب بدالة بحيث توصله بدورها بشبكة الاتصالات وبالتالي يستطيع مستخدم هذا الهاتف اجراء مكالمات محلية ودولية .

ويتم التحكم في تشغيل الهاتف الشمسي بواسطة ميكرو كمبيوتر يقبل عملات ٢٤ دولة كما أنه مبرمج كي يخبر البدالة عند امتلاء الصندوق بالعملات ، وإذا ما تعرض الهاتف لأي عملية سطو أو تخريب يقوم الميكروكمبيوتر باجراء مكالمة استغاثة اتوماتيكيا .



منظم ذكي لدقات القلب

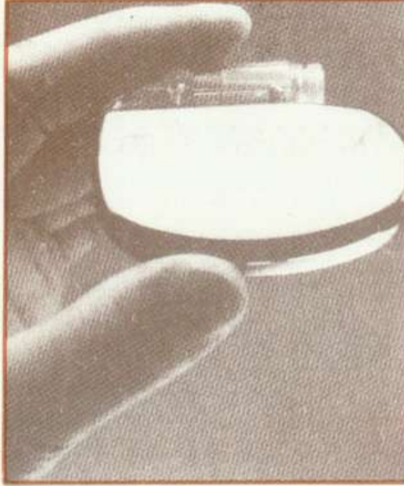
تشهد تقنيات أجهزة تنظيم دقات القلب تطورا سريعا ومدهشا ، فأحدث هذه الأجهزة ــ وهو أمريكي الصنع ــ لا يزيد حجمه عن حجم علبة الثقاب ، ويزن ٤٩ جراما فقط .

ويزرع المنظم الجديد أسفل عظمة الترقوة ويتصل بالقلب بواسطة سلك موصل للنبضات الكهربية يمر خلال أحد الأوردة ، وفى نهاية هذا السلك رأس معدنى يقوم بارسال المعلومات عن النشاط الكهربى للقلب إلى المنظم كما ينقل النبضات المرسلة من المنظم إلى عضلة القلب .

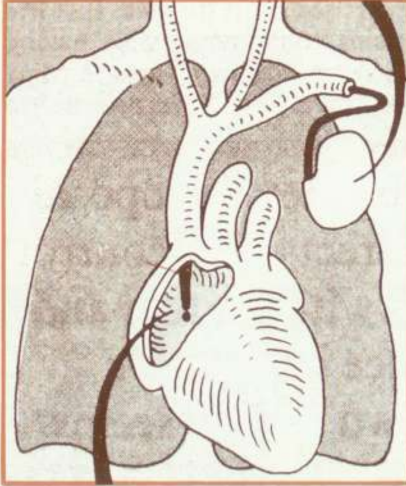
ويتميز هذا المنظم المتطور بأنه يضم ميكروكمبيوتر مبرمجا لرصد وتسجيل أى تغيير فى انتظام وقوة دقات القلب مهما كان هذا التغير طفيفا ، فضلا عن تقديم العون اللازم عند حدوث أى اضطراب ، فى شكل نبضات كهربية لا تزيد عن خمسين ميكروجول .

ويخزن الميكروكمبيوتر فى ذاكرته بآخر أنجح تدخل قام به المنظم لاعادة ضربات القلب إلى انتظامها حتى يمكن تكرار نفس العلاج إذا ما تكررت الحالة . كما يمكنه اختزان عدد مرات حدوث الاضطراب وكيفية مواجهة المنظم لها في كل مرة . وتفيد هذه المعلومات المختزنة فى ذاكرة الميكروكمبيوتر الطبيب المعالج ، إذ يستطيع عرضها على شاشة الكمبيوتر الموجود في عيادته بل ويمكن نقلها عبر خطوط الهاتف باستخدام جهاز ارسال خاص يوضع على صدر المريض .

ويستطيع هذا المنظم الذكى التمييز بين الاسراع المرضي لضربات القلب وبين تزايد سرعة دقات القلب التدريجية الناجمة عن التوتر العصبى أو المجهود العضلى .



المنظم الذكى



المنظم داخل الجسم

الكمبيوتر في خدمة الأمن



تقدم تقنيات الاعلاماتية خدمات حيوية لرجال الأمن لمساعدتهم على إلقاء القبض على المخالفين للقانون .

ففى اليابان ابتكر العلماء نظاما الكترونيا للتعرف على بصمات الجناة فى زمن قياسي إذ يقوم جهاز فحص اتوماتيكى بقراءة البصمات وتحليلها وتسجيل جميع تفاصيلها فى ثلاث ثوان فقط ، ثم يقوم المحقق بادخال هذه المعلومات فى جهاز مراقبة (مونتير) مزود بشاشة تليفزيونية لتظهر عليها صورة ملونة وشديدة الوضوح للبصمات التى تم رفعها من مكان الحادث . ويستطيع المحقق بواسطة هذا الجهاز ومساعدة الكمبيوتر اعادة تكوين بصمة كاملة ابتداء من جزء فقط منها ويحتفظ بصور جميع البصمات فى اسطوانة ضوئية .

ولمقارنة البصمات المرفوعة من مكان الحادث مع ملفات البصمات الموجودة لدى الشرطة ، يتم وضع الاسطوانة الضوئية فى محلل الكترونى للصور متصل بميكروكمبيوتر بحيث يقوم المحلل الالكترونى بتصفح آلاف الصور فى الدقيقة فهو يضاهى ٦٥٠ بصمة فى الثانية .

وفى النهاية يخبر المحقق بالبصمات الشبيهة لتلك التى تم رفعها من مكان الحادث ولا يبقى أمام خبير البصمات سوى اعطاء حكمه النهائى .







الطفل الصغير الذى يروى ويعلق على أحداث فيلم (بابا فى رحلة عمل) وهو في هذه اللقطة يخوض لأول مرة تجربة الاشتراك فى احتفالات ..

أوراق سينمائية ٨٥ ـ ٨٦

بقلم : رؤوف توفيق

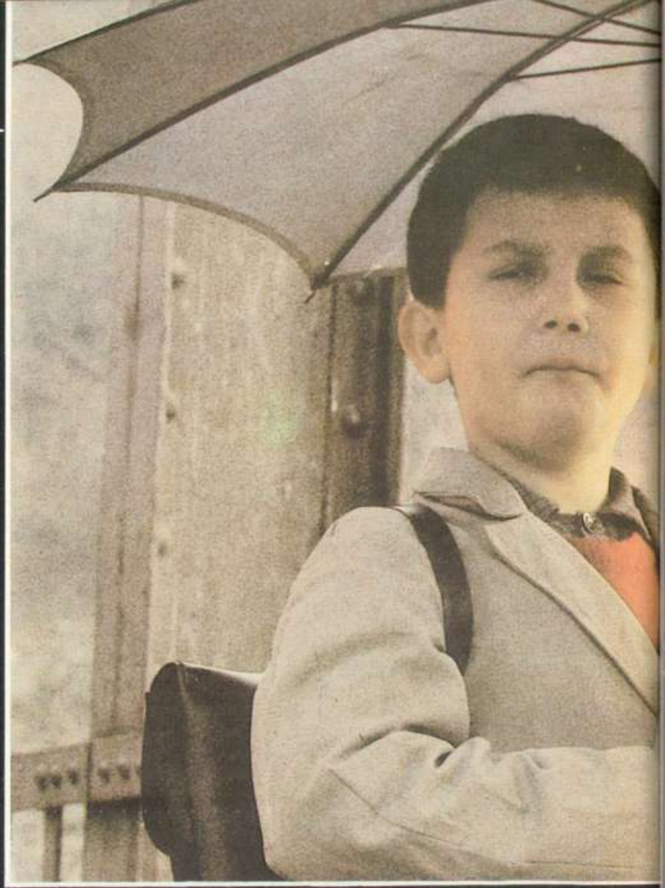


عندما أطفأوا الأضواء ، احتفالا بنهاية عام ٨٥ .. وبداية عام جديد .

وكان العالم كله مشغولا بعملية الجرد الختامى لعام انقضى .. وإعادة النظر فى خطط المستقبل .

عادة سنوية تفرضها دورة الأيام .. وتجسدها الصحف والإذاعة وشبكات التليفزيون ، فى هدير صاخب بين الاستفتاءات الهزلية والبحوث الجادة ، لتخلق هذا الإحساس « بالانتقال » من عام إلى عام !

ولا بأس بهذه الفرصة للتأمل .. ولنتوقف بالتحديد أمام السينما العالمية ، لنقلب فى أوراق عام مضى .. وانعكاسات هذا على العام الجديد .



الطفل الصغير في فيلم (بابا في رحلة عمل) مع ابنة الجيران التى كان يذهب للعب معها عندما كان يشعر بأن جو التعاسة يخيم على بيته

الورقـــة الأولى

سينما ناضجة .. غير أمريكية

أهم ما يميز سينما ٨٥ .. هو انكسار القبضة الأمريكية على جوائز السينما العالمية ..

فهناك سينما ناضجة ، ومتفجرة بالوعى والفن .. قادمة من دول صغيرة ليست لها إمكانات السينما الأمريكية .. وأيضا لا تقف وراءها مؤسسات الدعاية الضخمة .. وبالرغم من ذلك فإنها سينما قادرة على الاعلان عن نفسها من خلال ما تقدمه من مذاق جديد ، وفكر إنسانى شديد الواقعية ، وشديد الجاذبية .

سينما من أمريكا اللاتينية .. وسينما من أوربا الشرقية .. وسينما من آسيا وأفريقيا .

والمدهش أن هذه السينما .. تحصد أهم جوائز مهرجانات عام ٨٥ .. وتحصد أيضا اهتماما عالميا .

● فمثلا من يوغسلافيا .. يتقدم فيلم « بابا فى رحلة عمل » ليحصل على أهم جائزة فى أهم مهرجان عالمي .. وهو مهرجان كان لعام ٨٥ .. والجائزة هى النخلة الذهبية كأحسن فيلم !

وقد حصل الفيلم على تلك الجائزة بإجماع كل أصوات لجنة التحكيم .. وهذه مسألة لا تتكرر كثيرا ..

و « بابا فى رحلة عمل » هو الفيلم الثاني لمخرجه الشاب « أمير كوستاريتسا » ــ ٣٠ عاما ــ ويقدم من خلال رؤية سينمائية شاعرية .. طفلا صغيرا فى الثامنة من عمره يروى ويعلق على ما حدث لأسرته فى تلك الفترة من بداية الخمسينات ، عندما أعلن تيتو موقفه الشهير ضد ستالين رافضا سيطرة الاتحاد السوفيتى على يوغسلافيا .

فى تلك الفترة ، انتشر أعضاء الحزب فى يوغسلافيا ، بحجة حماية البلاد من عملاء ستالين .. وزادت موجة الاعتقالات والتشريد لكل من يتوهمون فيه الخطر !

وبحكم الثقة الممنوحة لأعضاء الحزب فى يوغسلافيا .. استغل بعضهم الفرصة لتحقيق مسائل شخصية ، وتصفية حسابات خاصة لا علاقة لها بالسياسة ..

وكان من بين هؤلاء الضحايا الأبرياء .. ذلك الأب الذى اختفى من البيت .. وكلما سأل عنه طفله الصغير .. تلقى نفس الرد « بابا فى رحلة عمل » .. ولم يكن هناك فى الحقيقة أى رحلة عمل .. بل كان

الأم وطفليها في انتظار نتيجة التحقيق مع والدهم : لقطة من الفيلم اليوغسلافي « بابا فى رحلة عمل » .





الممثل المجرى « كلاوس ماريا براندوير » الذى لعب دور « الكابتن ريدل » .. وهو فى لقطة النهاية وقد أجبروه أن يطلق الرصاص على نفسه لينتحر .. خلاصاً من فضيحته بالمؤسسة العسكرية المجرية .

سينما غير أمريكية .. تغزو العالم وتكتسب الاحترام

الأب معتقلا ، محكوما عليه بتقطيع الأحجار فى مكان ناء .. والمثير أن الأب لا يعرف ما هى تهمته .. ولا أحد فى الأسرة يتوصل لحل هذا اللغز المحير ..

والطفل الصغير يروى ويعلق على الأحداث .. بكل البراءة والعذوبة وخفة الظل .. ومن خلال سيناريو شديد الاحكام .. يناقش الفيلم تلك الفترة من تاريخ يوغسلافيا بجرأة وسخرية .. متنقلا مع الطفل الصغير الراوى ، بين أسرته ومجتمعه المحدود فى القرية ، عازفا على المشاعر الانسانية .. ومكتشفا لعلاقات الحب ، والغدر .. ولحظات الفرح والحزن .

ويصل بنا الفيلم إلى نهايته .. ليكشف عن لغز الاعتقال والتشريد الذى لحق بالأب .. ولم يكن سوى كذبة رخيصة اخترعتها زوجة عضو الحزب ووشت بها لزوجها حتى تعاقب الرجل الذى أحبته ولم تستطع الحصول عليه ! !
وهكذا .. لسبب غير أخلاقى .. كانت التهمة السياسية !

وينتهى الفيلم .. بعضو الحزب وقد انتحر ــ ندما ــ بدق رأسه على زجاجة مهشمة .. تحيط به كل الأسرة .. ينظرون إليه ، وكأن ما حدث هو النتيجة الطبيعية !
أما البطل الصغير ذلك الطفل الذى يرى كل شيء ، ويحاول أن يفهم ما هى الحقيقة .. فالفيلم ينتهى به ، وهو يمارس لعبته بالسير كالنائم ، فاردا ذراعيه ، مغمضا عينيه .. ثم يلتفت إلينا نحن المشاهدين .. ويبتسم .. كأنه يقول لنا .. إنه يعرف طريقه جيدا .. وإنه فهم الحياة !

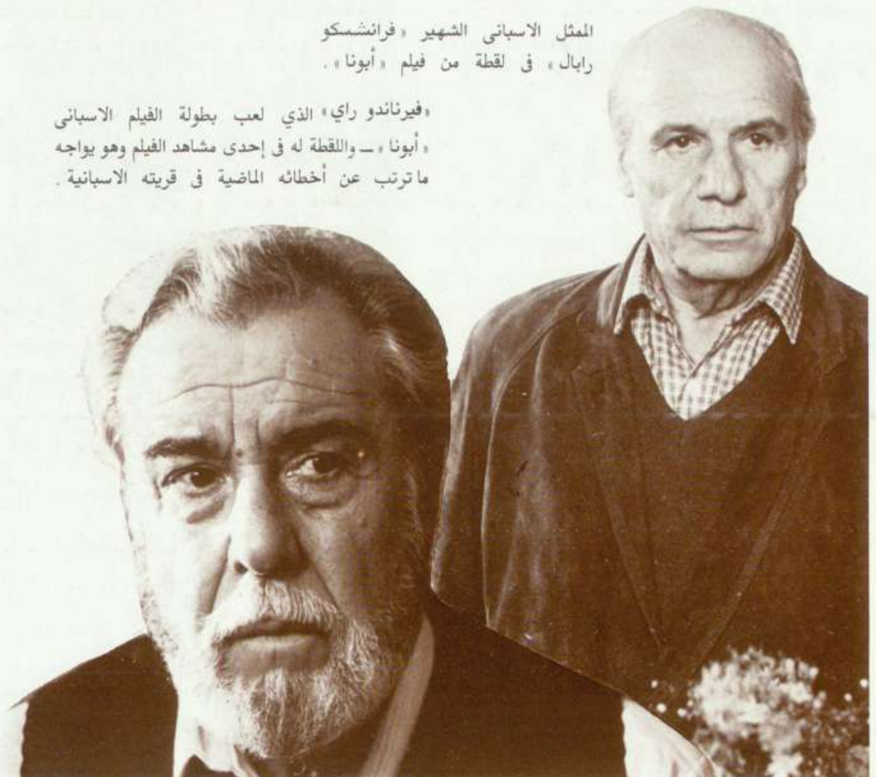
• ومن المجر .. يتقدم فيلم « كابتن ريدل » ليحصل على جائزة لجنة التحكيم فى مهرجان كان ٨٥ .. وليتأكد من جديد اسم مخرجه « استيفان زابو » ــ ٤٧ عاما ــ كواحد من ألمع وأنضج مخرجى السينما فى الكتلة الشرقية .. وهو الذي حصل على أوسكار أحسن فيلم أجنبى عام ٨٢ .. وكان عن فيلم « مفيستو » .. وحصل أيضا ذلك الفيلم على جائزة أحسن فيلم أجنبى من مهرجانات روما ولندن ونيويورك ووارسو .. ومن اتحادات النقاد فى كثير من الدول الأوربية .

ويواصل المخرج « استيفان زابو » فى فيلمه الجديد .. نفس القضية التى قدمها فى فيلم « مفيستو » .. وهى قضية الإنسان الوصولى ، الذى يتخلى عن كل انتماءاته وعلاقاته ، وصداقاته فى مقابل الارتباط بالسلطة ..

فى فيلم « كابتن ريدل » نرى على مدى ساعتين ونصف تفاصيل التسلق لطبقة أعلى باستخدام كل الطرق اللا أخلاقية .. ومن أجل تحقيق الذات ..

ويبدأ الفيلم بقصة ذلك الشاب .. منذ أن كان صبيا ، وكيف تسلل إلى الطبقة الأرستقراطية فى المجر .. من خلال صداقته لطفلة فى نفس عمره .. ووسط هذا الثراء الفاحش ، تولد بذرة التعلق بالطبقة التى تملك كل شيء ! !

وتنمو البذرة .. ويكبر الصبى .. لينضم الى الكلية العسكرية .. ويبدأ فى الوشاية بزملائه .. ويتسلق على أصدقائه .. حتى يتخرج ضابطا .. ويكرر نفس خططه الدنيئة حتى يصل ليكون قريبا من قائده ، ومن أهم معاونيه ..
وفى لحظة من لحظات الشهوة .. يبوح لأحد الجواسيس بأسرار بلاده العسكرية ويصدر الحكم بإعدامه .. وأن يتولى بنفسه اطلاق الرصاص على رأسه .. حتى تبدو المسألة وكأنها انتحار !
ويتمهل المخرج طويلا وهو يصور لنا مشهد الانتحار .. وقد أغلقت الأبواب على الضابط .. وهو يبكى ويثور ويرتعش والمسدس فى يده .. يلقيه بعيدا .. ثم يعود إليه .. فليس هنا من منقذ .. ويطلق الرصاص على رأسه ..
ويسدل الستار على قصة « الكابتن ريدل » الذى تخلى عن أمه .. وأصدقائه .. والذين أحبوه .. واقتنص كل الفرص ليعلو فوق جثث وأشلاء الآخرين ..
وقصة « الكابتن ريدل » مأخوذة عن وقائع حقيقية لضابط يحمل نفس الاسم .. انتحر فى مايو ١٩١٣ .. وكشف أحد الصحفيين فى براغ عن تفاصيل الانتحار فى كتاب نشر عام ١٩٢٤ ..
وقد روى المخرج « استيفان زابو » أنه لم يلتزم بكل التفاصيل فى القصة الحقيقية .. وإنما أراد أن يقدم نموذجا لانسان قد نراه فى أى مجتمع وفى أى زمان .. إنسان يسعى لتحقيق الآفاق لنفسه . بأن يمزق كل ارتباطاته القديمة .. ويتخلى عن جذوره الحقيقية لأنه يخجل منها ويكرهها .. ويحاول أن يكون شخصا يضع القناع على عينيه ، متوهما أن أحدا لن يعرفه .. فى تلك اللحظات يبدو على حقيقته .. إنسانا ضائعا .. مذعورا خائفاً ..
لقد خان عائلته .. وخان أصدقاءه .. واستحق أن تكون نهايته مأساوية !
• ومن أسبانيا .. يتقدم فيلم « أبونا » ليحصل على الجائزة الكبرى لمهرجان مونتريال (كندا) كأحسن فيلم .
وهذا الفيلم الأسبانى واحد من مجموعة أفلام متميزة وجريئة فنيا ، قدمتها السينما الأسبانية هذا العام .. وهناك ــ كما يقول المراقبون ــ موجة من النشاط الفنى والتدفق من مخرجي السينما فى أسبانيا .. وهناك ما لا يقل عن ستة أفلام جديدة انتهى العمل بها لتغزو المهرجانات العالمية فى العام القادم ..



الممثل الاسبانى الشهير « فرانشسكو رابال » فى لقطة من فيلم « أبونا » .

« فيرناندو راي » الذي لعب بطولة الفيلم الاسبانى « أبونا » ــ واللقطة له فى إحدى مشاهد الفيلم وهو يواجه ما ترتب عن أخطائه الماضية فى قريته الاسبانية .

وفيلم « أبونا » للمخرج الأسباني « فرانشيسكو رجيرو » يتعرض لقضية حساسة جدا ، وبجرأة شديدة .. **فالموضوع عن أحد كبار رجال الفاتيكان ظل ضميره غائبا لثلاثين عاما .. ولم يحاول** أن يصحح أخطاءه الشخصية التى ارتكبها فى شبابه .. وفى حق أقرب الناس إليه .. حتى شعر أن الموت يقترب منه .. فيقرر أن يعود إلى قريته الأسبانية ليصفى ماضيه وأخطاءه .. ولكنه كان أضعف من أن يواجه الحقائق بشجاعة !

ويصور لنا الفيلم هذه القرية الأسبانية .. قرية يخيم عليها الفقر والتعاسة .. وأضافت لها هذه الزيارة مزيدا من الأوجاع !

• ومن البرازيل .. تتقدم سينما جديدة مليئة بالحيوية والنبض .. وهى فى نفس الوقت سينما ذكية تعرف كيف تقتحم الأسواق الأمريكية .. عن طريق الاعتماد على نجوم السينما الأمريكية فى أفلام تنتجها استوديوهات البرازيل ، ومن خلال فنيين ومخرجين من البرازيل .

وهو نفس الأسلوب الذى تقوم عليه السينما الكندية .. ولكن بأفلام تشبه كثيرا الافلام الأمريكية ..

أما ما يميز السينما البرازيلية الجديدة .. أنها تستند إلى موضوعات ساخنة من واقع الصراع الدائر فى أمريكا اللاتينية .

ومن هذا المنطلق .. يجيء فيلم « قبلة المرأة العنكبوت » للمخرج الارجنتيني الأصل والذى نقل نشاطه إلى البرازيل « هكتور بابنكو » — ٤٠ عاما — .. وقد اختار رواية للأديب البرازيلي « مانويل بويج » تدور أحداثها داخل زنزانة سجن .. ورغم المكان الضيق الكئيب إلا أن المخرج استطاع أن يخلق منه عالما سينمائيا مثيرا ، متفجرا بالقضايا والمشاعر الانسانية ..

ففى تلك الزنزانة الكئيبة .. يتجاور مسجونان يقضيان مدة العقوبة .. أحدهما مسجون سياسى ، والآخر مسجون بتهمة أخلاقية .. وعليهما أن يواجها بعضهما ليل نهار .. ولا مفر ! !

ويبدو أنه من المستحيل أن يلتقى الرجلان فى أى شيء .. الشكل والسلوك ، وأسلوب الحياة ، والمشاعر والأفكار .. ولكن مع الأحلام المحبطة وظروف القهر والتعذيب الذى تمارسه السلطات ، يبدأ خيط إنسانى يصل بينهما ..

فكلاهما — رغم التناقض الواضح ضحية للظروف السياسية .. وتتحول تدريجيا العلاقة بينهما إلى صداقة حميمة .. ويخرج المسجون بتهمة اخلاقية إلى الحياة مرة أخرى بعد الافراج عنه .. لتكون أول مهمة له ، هى توصيل رسالة من المسجون السياسي إلى الجماعة التى ينتمى إليها .. ورغم علمه أن البوليس يراقبه ، إلا أنه يواصل مهمته ، وينجح فى توصيل الرسالة ، ويتلقى



« اورسون ويلز » أسطورة السينما .. فى لقطة حديثة قبل وفاته وكأنه يودع تلاميذه وعشاقه .



النجمة الفرنسية « سيمون سينوريه » التى أبكت فرنسا بخبر رحيلها .



ستيفن سبيلرج ،المخرج والمنتج الأمريكى الذى يحقق أعلى الايرادات منذ عام ٧٥ .. وحتى الأسابيع الأخيرة من عام ٨٥

بشجاعة طلقات الرصاص التى انهالت عليه من رجال البوليس .. فقد استطاع أخيرا أن يجعل لحياته معنى !

وقد استحق الممثل الامريكى « ويليام هيرت » — الذى لعب دور المسجون بتهمة اخلاقية — جائزة أحسن ممثل فى مهرجان « كان » هذا العام .. وللحقيقة استطاع المخرج « بابنكو » أن يفجر كل طاقات ممثليه ، سواء ذلك الممثل الأمريكى ، أو ممثليه من البرازيل : « سونيا براجا » و« راؤول جوليا » .

• والطاقات الفنية المتوهجة فى سينما أمريكا اللاتينية .. هى التى دفعت لجنة تحكيم مهرجان « كان » لأن تمنح جائزتها لأحسن ممثلة لعام ٨٥ .. للممثلة الأرجنتينية « نورما أليندرو » عن دورها فى الفيلم الأرجنتيني الرائع « قصة رسمية » والذى عرضت له بالتفصيل فى عدد « الدوحة » لشهر سبتمبر الماضى .

• وإذا انتقلنا للسينما العربية فى شمال أفريقيا .. نجد تلك المفاجأة الفنية للمخرج الجزائرى الشاب « مهدى شريف » وفيلمه « الشاى فى حريم أرشميدس » فى انتاج فرنسى بتشجيع من المخرج الشهير « كوستا جافراس » ..

وقد استقبل هذا الفيلم بترحيب شديد فى العواصم الأوربية .. رغم أنه العمل الأول للمخرج !

وفى مهرجان « فالنسيا » السينمائى (بأسبانيا) .. أعطى المهرجان جائزته الأولى للمخرج التونسى الشاب « ناصر خمير » عن فيلمه الشاعرى الجميل « الهائمون » .

وهذه هى المرة الثانية التى يعطى فيها هذا المهرجان الأسبانى جائزته الأولى لفيلم عربى .. **فقد حصل عليها في العام الماضي المخرج السورى محمد ملص عن فيلمه « أحلام مدينة »** .

وهذا ما يؤكد أن السينما العربية الجيدة تستطيع أن تخترق كل الحواجز ، وتعلن عن نفسها ، حتى ولو كانت بعض الأسواق العالمية لم تفتح لها .. إلا أنه مع الوقت سيصبح هذا أمرا محتما .

فالعشاق الحقيقيون للسينما ، والذين لا تحركهم الأموال الأمريكية .. يستطيعون التفرقة بين الجيد والرديء ، وبين الفن والتجارة .. وهم قادرون على التبشير والدعوة لاحتضان هذه المحاولات الفنية الجريئة .

• الورقة الثانية

• أسوأ فيلم يحقق أعلى الايرادات

فمن الظواهر المؤسفة للسينما في عام ٨٥ .. أن

● أسوأ فيلم يحقق أعلى الإيرادات .. والسبب الدعاية!

يحظى الفيلم الأمريكي « رامبو » بهذا القدر من الاقبال الجماهيري .. محققا أرقاما قياسية في الايرادات بلغت حتى بداية شهر ديسمبر الماضي ما يقرب من ١٥٢ مليون دولار في الولايات المتحدة فقط .. وانتقلت حمى « رامبو » الى العواصم الأوربية ـ وسط ضجيج إعلامي قوي ـ حتى بلغ رواد الفيلم في أول يوم عرضه بباريس خمسة وثمانين ألف متفرج .. وهو رقم لم يسبق أن حققه أي فيلم فرنسي أو أمريكي في يوم واحد !

وكما قلت من قبل في مقال سابق ـ عدد الدوحة لشهر نوفمبر الماضي ـ إن هذا الفيلم الرديء ، المليء بالعنف والسذاجة .. لم يصنع مجده سوى الدعاية الأمريكية المكثفة ابتداء من الرئيس « ريجان » وحتى أصغر تاجر للدمى ولعب الأطفال ..

وهذا ما يؤكد من جديد أن القوة الحقيقية للسينما الأمريكية تقوم على الدعاية والانتشار والإلحاح المستمر من خلال كل وسائل الاعلام .. ورغم أن السينما الأمريكية مليئة بالمواهب الفنية ومتجددة دائما .. إلا أن مؤسسات الدعاية الأمريكية ـ الصهيونية التمويل ـ تستطيع أن تروج لفيلم وترفعه إلى القمة .. وتستطيع في نفس الوقت أن تذبح فيلما وتفرض عليه جواً من التعتيم والإهمال .

والفرق بين هذا الفيلم وذاك .. محسوب تماما .. وهو أي الفيلمين يحقق مصالح المؤسسة الأمريكية في ذلك الوقت !

الورقة الثالثة

الأساتذة لا يتركون مواقعهم

وإذا كانت السينما العالمية في عام ٨٥ .. روعت بفقد عدد من ألمع نجومها : الممثلة الفرنسية « سيمون سينوريه » .. والممثلين الأمريكيين « روك هدسون » و« يول براينر » .. فإن الحزن كان أكبر لرحيل عملاق السينما وأسطورتها الخالدة « أورسون ويلز » ذلك الفنان الممثل والمخرج .. الذي قدم في عام ١٩٤١ فيلم « المواطن كين » ليصبح منذ ذلك الحين واحدا من أهم أفلام السينما على مدى كل تاريخها وحتى الآن !

وهذا الفنان العبقري ـ الذي أعاد الباحثون التنقيب في تاريخه بعد خبر وفاته ـ نموذج صارخ الوضوح لمدى جبروت حلف شركات السينما الأمريكية .. فقد أعلنت هذه الشركات عن عدم ترحيبها بهذا المخرج الذي لم يحقق النجاح التجاري المنشود .. وبدأت تضايقه وتختلق له المشاكل حتى قرر أن يترك أمريكا ليستقر في أوربا .. ليعيش من التمثيل في بعض الأفلام .. أو

التصميم الرائع للكادر السينمائي ، فن تميز به المخرج «كيراساوا» فهو يرسم كل كادر على الورق قبل أن يبدأ في التصوير



الأب العجوز وهو يرى أبناءه الثلاثة يتصارعون على السلطة ويتهمونه بالجنون ـ لقطة من الفيلم الياباني (ران)





المخرج « كيراساوا » ـ ٧٥ عاما أثناء تصوير فيلمه « ران »



الممثلة البرازيلية «سونيا براجا» كما ظهرت فى فيلم «قبلة المرأة العنكبوت».

إخراج أفلام لحساب شركة إنجليزية إمكاناتها محدودة .

ورغم هذه الظروف المعقدة .. فقد كان له هذا الحضور القوى الباهر سواء فى الأفلام التي أخرجها أو التى اشترك فى تمثيلها .. وكان عليه أن يتحمل «العقاب» الذى فرضته صناعة السينما الأمريكية .. وكان راضيا تماما بموقفه .. فهو من النوع الذى لا يستطيع أن يتنازل أو يرضى أن يصبح ترساً ، فى تلك الآلة الأمريكية !

وجاء خبر رحيل الفنان الأسطورة «أورسون ويلز» ليقلب الهموم فى صناعة السينما العالمية ..

ولكن تشاء الظروف .. أنه فى نفس التوقيت تقريبا .. يبدأ العرض العالمى لفيلم «ران» للمخرج اليابانى الكبير «اكيرا كيراساوا» .. الذي يبلغ من العمر ٧٥ عاما .. ولكنه كنز متدفق بالفن والجمال والوعى الاجتماعى ..

وكأن الصحافة الأمريكية تحاول أن تبرىء ذمتها أمام جمهورها الذى تأثر العديد من أفراده بالأفلام التجارية الصاخبة .. فكان رد الفعل أن أفردت الصحافة الأمريكية العديد من صفحاتها للترحيب بهذا العملاق اليابانى الأصيل الذى يكافح شيخوخته ويناضل كل الظروف الصعبة فى تمويل أفلامه وعدم التنازل عن أفكاره السينمائية . ويعود ليبهر عشاق السينما بفيلمه الجديد «ران» .

ويتقدم المخرجون الأمريكيون احتفالا بهذه المناسبة .. بالاعلان عن أفضال المخرج اليابانى «اكيرا كيرا ساوا» وكأنها أيضا عقدة الذنب تجاه هذا الرجل العظيم الذى لم ينحن فى حياته لمتطلبات السينما التجارية المعاصرة .

فمثلا نجد المخرج والمنتج الأمريكى الشاب «ستيفن سبيلبرج» الذى أخرج وأنتج أعلى الأفلام ايرادات فى تاريخ السينما الأمريكية .. منذ فيلم «الفك المفترس» ـ عام ٧٥ ـ وحقق إيرادات بلغت ١٣٠ مليون دولار .. وفيلم «غزاة القوس المفقود» ـ عام ٨١ ـ الذى حطم به كل الأرقام القياسية وبلغت ايراداته ٢١٠ مليون دولار . ثم فيلم إنديانا جونز والمعبد الملعون ـ عام ٨٤ ـ وحقق ١٠٩ مليون دولار .. وأخيرا الفيلم الذى أنتجه لحسابه هذا العام وعرض تحت عنوان «العودة إلى المستقبل» ليحقق خلال ١٣ أسبوعا من عرضه فى الولايات المتحدة فقط ، مجمل ايرادات بلغت ١٥٦ مليون دولار (!!) .

هذا الفنان الأمريكى صانع الذهب .. قال فى معرض حديثه عن المخرج اليابانى «اكيرا كيراساوا» : «إنه المخرج الرسام الذى لا أنكر تأثيره الضخم على أفلامى .. فيكفى أن نتأمل كيف يحرك ممثليه ويدفع بالمجاميع الهائلة على الشاشة» .

وقال مخرج أمريكى آخر «جورج ميللر» : «بشكل مباشر أو غير مباشر فإن المخرج كيراساوا له تأثير على كل المخرجين» .

وأكد ذلك العديد من النقاد .. «إن أسلوب كيراساوا فى العمل هو الأساس لعشرات الأفلام الأمريكية» .

وهكذا وقفت السينما الأمريكية ترحب بالفنان اليابانى الأصيل .. والمخرج «اكيرا كيراساوا» رجل اختبر الحياة .. وتعرض لهزة نفسية نتيجة توقفه عن العمل لعدة سنوات ، فكر بعدها فى الانتحار .. ثم استرد صلابته وإيمانه بفنه ورسالته ..

لهذا كله جاء فيلمه الجديد وكأنه ينعى زمن الأبناء الذين يأكلون آباءهم .

وقصة فيلم «ران» فيها بعض الملامح من مسرحية الملك لير لشكسبير .. ولكن المخرج «كيراساوا» أضاف إليها قصة حقيقية حدثت فى القرن السادس عشر باليابان .. بين أحد كبار أصحاب الأرض وأبنائه الثلاثة .. عندما قرر الأب الاعتزال لإصابته بالشيخوخة .. وتنازل عن كل ما يملك لأبنائه الثلاثة .. وبدأ الصراع بينهم ليصل إلى اتهام الأب بالجنون وطرده خارج البيت .. ولكن الأب الذى يشهد تفاقم الصراع بين أبنائه ، يصاب فعلا بالجنون .

وفيلم «ران» تكلف «مليون دولار» وهى أضخم ميزانية لفيلم يابانى .. واستغرق البحث عن تمويل الفيلم عدة سنوات .. وعندما اكتمل المبلغ وبدأ «كيراساوا» التصوير .. يومها قال : «اننى رسمت كل تفصيلة صغيرة عن الفيلم .. واستعددت لها تماما .. كل شيء يموج الآن فى رأسى ويشتاق للخروج» .

وبهذا الحب والفهم .. والاشتياق .. أخرج «كيراساوا» فيلمه .. ليطلق عليه بعد ذلك أنه «أهم عمل فى حياتى» ..

وطيرت وكالات الأنباء هذا التصريح على أنه آخر أفلام كيراساوا .. ولانه رجل دقيق ومحدد .. انتهز الفرصة ليعلن من جديد .. «لقد فهم البعض أن فيلم ران هو آخر أعمالى .. ولكنى أؤكد هنا أننى لست مستعدا للانسحاب .. طالما زلت قادرا على التنفس والحركة» !

وهكذا يعلن آخر العظماء فى السينما .. أنه لن يتخلى عن موقعه .. ومعنى هذا أنه سيواصل النضال من أجل تمويل فيلمه التالي ..

وهذا الايمان بالرسالة ، وهذا الصمود والتحدى .. إذا كانت بعض سمات جيل الأساتذة .. فإنها رسالة موجهة ـ لكل قادر على التلقى والفهم ـ بأن العشاق الحقيقيين للسينما .. لن يهزموا ..

وربما كانت هذه أبلغ رسالة .. وأهم ورقة من أوراق السينما لعام مضى !

رؤوف توفيق

أضواء ثقافية

يقدمها: طلعت الشـايب

علـى خُطَى «ج.ج ماركـيز» والواقعيـّـة السـحريـّـة



ايزابيلا الليندى

« منزل الأشباح » رواية جديدة قادمة من أمريكا اللاتينية للصحفية الشيلية ايزابيللا التي تعيش في كاراكاس ـ فنزويلا منذ أن أطاح الانقلاب العسكري بعمها سلفادور الليندي في ١٩٧٣ .

هذه الرواية ـ وهي الأولى لها ـ كانت قد نشرت بالأسبانية لأول مرة عام ١٩٨٢ ، وسرعان ما حققت انتشاراً واسعاً وأرقام توزيع قياسية في أسبانيا وأمريكا اللاتينية . (حيث اللغة الأسبانية هي اللغة الرسمية لعشرين دولة) .

وفي فرنسا بيع منها ٤٠٠,٠٠٠ نسخة في عام ١٩٨٤ ، ومنذ بداية ١٩٨٥ وهي تتصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعاً .. والآن بدأت الرواية تتصدر نفس القائمة في بريطانيا في سابقة هي الأولى بالنسبة لرواية أجنبية .

أمام هذا الانتشار الواسع لم تستطع السلطة العسكرية في شيلي أن تحول دون تسلل الرواية إلى داخل البلاد فسمحت الرقابة ـ على مضض ـ بتمريرها ، بل وسمحت بنشرها رغم ما بها من غمز ولمز وتعاطف مع الرئيس السابق سلفادور الليندي .

ورغم أن المؤلفة لم تحدد اسم البلد الذي تدور فيه أحداث الرواية ، إلا أن القارئ لا يحتاج إلى ذكاء كبير ليعرف أن الشخصية التي أطلقت عليها المؤلفة اسم « المرشح » ثم بعد ذلك « الرئيس » ليست سوى سلفادور الليندي ، نفسه ، وأن الشاعر الذي تردد جميع الشخصيات أشعاره ليس سوى رفيق نضاله « بابلو نيرودا » شاعر شيلي الكبير والحاصل على جائزة نوبل في ١٩٧١ .

والرواية تحكي بطريقة مؤثرة وساخرة في نفس الوقت عن أسرة غريبة تمتد إلى أجيال أربعة تعيش في أمريكا اللاتينية في منزل مليء بالأشباح وبالأحداث المجنونة التي تصنعها شخصيات هي مزيج معقد وغريب من الواقع والخيال ، وفيها ترسم ايزابيلا صورة كونية للطبيعة الإنسانية ، فتصبح الشخصيات مجرد استحضار لذواتنا جميعاً وهذا ما يعكسه نجاح الرواية واستحسانها من قبل ثقافات مختلفة لأن القارئ كما تقول المؤلفة « يجد صدى لعواطفه في شخصياتي .. فجميع البشر يحبون نفس الأشياء ويكرهون نفس الأشياء وبنفس الطريقة والأسباب متشابهة » . وكل شخصياتها مستوحاة من تجربتها في الحياة وخاصة أثناء عملها كصحفية . « أنا لا أخترع كثيراً ... ولكني أحاول أن أتغلغل في أعماق الناس » كما تقول عن نفسها إنها حينما تكتب فإنما « تكتب عن الرعب المعاش في أمريكا اللاتينية ، والعنف الذي يجني على كل الناس ولا يجد من يردعه أو يعاقبه في أي مكان أو في أي وقت من تاريخ الإنسانية . »

« الطاقة البشرية على الشر ليس لها حدود إذا ما واتتها الظروف ودفعت بها إلى مكان السيطرة » . ولكي تشجع اندماج القارئ مع روايتها تترك الفنان لخياله فلا تحدد مكاناً معيناً للأحداث فنجد أنفسنا في « بلد نصف منسي عند نهاية العالم . »

وايزابيلا الليندي التي كان نجاح روايتها الأولى مفاجأة لها ولأسرتها تقول : « ظللت أعاني من شلل المنفى عدة سنوات .. لقد كانت جذوري هناك في شيلي وكانت الحياة شبه متوقفة وأنا أنتظر العودة إلى بلادي .. ويوماً ما علمت أن جدي كان قد سئم الحياة ورفض الطعام والشراب ... وقرر أن يموت .. بذهاب جدي ذهبت البقية الباقية من شيلي فقد كان شخصية رئيسية في حياتي حيث نشأت في منزله بعد انفصال والدي في صغري ... كنت أحبه وكان يحبني ورغم اختلافاتنا كان كلانا يغفر أخطاء الآخر » .

وجدها هو شخصية « استيبان تروبا » كبير الأسرة في « منزل الأشباح » .

ولا شيء يضايق المؤلفة أكثر من اتهامها من قبل النقاد بأنها قد « فصلت رواية على نموذج تحفة ج . ج ماركيز « مائة عام من العزلة » والتي كانت هي نفسها تحمل الكثير من ملامح الرواية الجديدة في أمريكا اللاتينية التي تجلت بواكيرها في الخمسينات في أعمال « فونتيس » المكسيكي و « كورتاسار » الأرجنتيني .

ويبدو أن لدى النقاد ما يبرر هذا الاتهام .. فروزا الجميلة عند ايزابيللا هي « ريميديوس الجميلة » عند ماركيز ، كما أن « نيكولاس تروبا » الذي ينتقل من عمل لآخر في روايتها ليس سوى طبعة جديدة من المخترع المجنون « جوس أركاديو بيوديا » الذي حاول عند ماركيز أن يصنع حجر الفلاسفة .

وإذا كان ج . ج . ماركيز قد « أبدع مزيجاً شعرياً رائعاً من الفانتازيا والواقع حيث يختلط الخيالي بالواقعي وتمتاح الأساطير والخرافات في نسيج الحياة اليومية وتحدث الغرائب والمعجزات فلا تثير دهشة أحد .. ربما لأن واقع الحياة في هذا الجزء من العالم قد تجاوز أكثر الغرائب إمعاناً في الغرابة وربما لأن عبثية الحياة قد أفقدت إنسان هذا العالم حسه بالدهشة وبراءته ... وربما لأن الكاتب يريد أن يتحدى بعالمه الخلاق الصورة الزائفة التي تطرحها السلطات الرسمية للواقع وللتاريخ على السواء » كما يقول الناقد د . صبري حافظ ـ في العدد الأول من « ابداع » القاهرية يناير ١٩٨٣ ـ .. فإننا نجد أن ايزابيللا فعلت نفس الشيء وسارت على نفس طريق كتاب أمريكا اللاتينية الذين أفرزهم الإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي الفريد الذي يعيشون فيه يمزجون الواقع بالأسطورة والسحر والخرافة ويخلقون عالماً فينا يمجدون فيه الطبيعة ويتعاملون مع الانسان على أنه جزء منها . ففي « منزل الأشباح » كثيراً ما نواجه صوراً كهذه : « كان شوبان يعزف على البيانو بأيد



ج . ج . ماركيز

لا يراها أحد .. وإلى جواره يقف كلب ضخم في حجم الحصان له مخالب تمساح ... يأكل المربى ... كانت الكراسي ترقص والملاحات تقفز فوق مائدة الطعام » .

كذلك تقابلنا شخصيات غريبة مثل روزا الجميلة « ذات الشعر الأخضر » المعلق على رأسها مثل عباءة نباتية .. ، كما نقابل نيكولاس تروبا الذي يتنقل من عمل إلى آخر « ليقوم بتعليم رقص الفلامنكو ويبني منطاداً ويدير محلاً للسندويتشات ويسافر في أرجاء الهند مرتدياً حفاض طفل ويكتب رسالة عن اسماء الله التسعة والتسعين » .

كما يأتي عزفها على شخصية استيبان كبير التروبا وزوجته كلارا تصويراً مرحاً وساخراً للتنافر بين الشخصيتين . إذ بينما استيبان شخص بسيط ومعقول ومحكوم بالطبيعة أن يسبب لزوجته مضايقات كثيرة نجدها رغم بصيرتها التي تستطيع النفاذ إلى ما وراء الأشياء تسبب هي له إزعاجاً شديداً بحكم اتصالها الهامس والمستمر بالأشباح ... وحين يحاول استرضاءها ... « فلا يسبب سوى المزيد من الكوارث » . بعد زفافهما لا يجد هدية لزواجهما يقدمها لها سوى جلد « باراباس » كلبها الميت ، الذى كان عزيزا عليها ، فيحوله إلى سجادة أمام سريرها « وحدقت عيناه الزجاجيتان بنظرة يائسة .. نظرة حيوان محنط » .

ويمتد عدم احساس استيبان بزوجته وتبلد شعوره نحوها إلى ما بعد موتها .. فيبدأ هذا الأرمل في ارتداء تميمة من جلد تحت قميصه « بداخلها الأسنان الصناعية لزوجته وكان يعتبرها تعويذة لجلب الحظ الحسن وتكفير الذنوب » وفي واقع الأمر كان هو الذي حطم أسنانها في شجار سابق بينهما منذ سنوات » .

وسلوك الجيل الثاني من أسرة التروبا لا يختلف كثيراً .. « جيم » توأم يخلع قميصه ليعطيه لشخص معوز وفي مناسبة أخرى يخلع بنطلونه في ساحة عامة (!) أما أخته « بلانكا » فهي الشخصية الوحيدة العادية في الأسرة لأنها لا تبدي أي ميل نحو روحانيات أمها ولا أي اهتمام بنوبات الهياج العنيف التي تجتاح والدها ، وهي الوحيدة من نسل الأسرة التي تخرج عن طبقتها .

وتستمر رواية الأحداث الغريبة بفضل روح السخرية التي تتمتع بها المؤلفة يساعدها على ذلك موهبة فذة في تقديم صور موحية تغلفها بلمسات سيريالية حتى نصل معها إلى السبعينات .. وعند هذه النقطة تبدأ المواجهة الساخنة ، وبالطبع تنجرف أسرة تروبا إلى الصراعات التي ابتليت بها شيلي كلها ... وتستعرض المؤلفة مهاراتها الصحفية عندما تقوم باسترجاع الأحداث المضطربة التي شهدتها خلال سنوات الصعود والانهيار وببراعة شديدة تطور شخصياتها إلى نماذج أصيلة تمثل اليمين واليسار في أمريكا اللاتينية خاصة عندما تصف الانقلاب الدموي الذي أطاح بعمها والرعب الذي عقب استيلاء العسكريين على السلطة وأثر ذلك على شخصيات أسرتها الخيالية .

وإيزابيلا الليندي لاتنكر تأثرها بماركيز وبغيره : « لا شك أن جارسيا كان له أثر كبير علي ... ولكن أيضاً كان لنيرودا وفيرن وسالجاري وبلزاك تأثيرهم » وتعتقد أن هذا النوع من الكتابة ينتمي إلى مذهب « الواقعية السحرية » « نحن في أمريكا اللاتينية نغوص في عالم من العواطف الجامحة .. من الكوابيس والأحداث الغريبة والشخصيات الأكثر غرابة » ... وعن هذا المذهب يقول كاتب أمريكا اللاتينية الكبير « اليجو كاربنتيير » ، عندما يقارن بينه وبين السيريالية الأوربية :

« السيريالية اهتمام جمالي يضع ماكينة الخياطة والشمسية على طاولة التشريح ..! بينما الكاتب في أمريكا اللاتينية ليس في حاجة إلى اللجوء إلى هذا الأسلوب ... فقط عليه أن يراقب الواقع ويتأمله ويصف ذلك العامل الذاتي الذي يخلقه تمازج الأجناس مع ما يزيد عن ثلاثة قرون من الاستعمار والاضطهاد والعنف والاستغلال . »

قريـة "د. هـ لورانس" تُنكِرُه بعد مائة عام!

قبل موته بفترة قصيرة .. وعلى وجه التحديد في ٢ مارس عام ١٩٣٠ كتب د.هـ. لورانس إلى صديق له يحكى عن قريته فقال : « ولدت منذ ٤٤ سنة تقريبا في إيستوود ..، وهى قرية تقع في منطقة مناجم فحم ، ويبلغ عدد سكانها تقريبا ٣٠٠٠ نسمة .. وتبعد بمقدار ثمانية أميال عن نهر « إيرواش » الصغير الذى يفصل بين نوتنجهام وديربي شير ... ومنطقة إيستوود مليئة بالتلال وقد كانت بالنسبة لى فى طفولتى وشبابى هى انجلترا القديمة ذات التاريخ الزراعى والغابات ... لم تكن هناك سيارات .. وكانت المناجم تعتبر حدثا شاذا وسط جمال الطبيعة فى هذه المنطقة . »

و د.هـ. لورانس الذى يعتبر أشهر أبناء عمال المناجم الذين أنجبتهم ايستوود ... هو واحد من أشهر كتاب القرن العشرين وأكثرهم إثارة للجدل .. فقد كان المؤرخ الإخبارى عن الطبقة العاملة البريطانية خلال السنوات الأولى من هذا القرن ويرى نقاد كثيرون أنه عندما كتب عن أحوال عمال الفحم حول منزل أسرته « أحال الحياة فى تلك المناطق المجاورة بما فيها من فقر وقذارة إلى أدب عالمى يظل محتفظا بقيمه العالية حتى يومنا هذا » .

وقد بقيت حقول « تيفرشال » التى جاءت فى روايته « عشيق ليدى تشاترلى » ومناجم « ايستوود » التى ذكرها فى روايته « أبناء وعشاق » فى مكانها لفترة طويلة منذ أن كتب عنهما فى العشرينات .. وفى الصيف الماضى فقط أعلن المجلس الأعلى للفحم فى بريطانيا أن مناجم « مورجرين » أصبحت غير ذات جدوى اقتصادية وجاء القرار بإغلاقها متزامنا مع احتفالات المدينة بالذكرى المئوية لميلاد د.هـ. لورانس .

وفى مهرجان كبير بدأ فى ١٤ سبتمبر ١٩٨٥ واستمر لمدة ثلاثة أسابيع ... وعلى استحياء ومضض شديدين جرت احتفالات إيستوود بأشهر أبنائها والذى كانت أعماله ممنوعة فيها أيضا حتى عشر سنوات مضت . والسبب هو أن د.هـ. لورانس يعتبر حتى الآن فى نظر الكثيرين من أبناء بلدته كاتبا « ملوث السمعة » ، لأنه كما يقولون : « تنصل من مجتمعه وتعالى عليه ، وقام بنشر غسيله القذر أمام العالم بكتاباته التى امتلأت بمشاهد الجنس الفاضحة .. فلم يجلب لمسقط رأسه سوى العار » .

والمعروف أن معظم أعمال لورانس كانت عرضة للحظر فى بلدان كثيرة من العالم فروايته الأخيرة مثلا وهى « عشيق ليدى تشاترلى » لم ينشر النص الكامل لها فى أمريكا إلا سنة ١٩٥٩ وفى لندن إلا سنة ١٩٦٠ .

وفى شهر يوليو الماضى منعت السلطات المحلية فى « أدنبرة » نفسها تقديم دراما مأخوذة عن نفس الرواية ..

ومواطنوه الذين ينكرونه اليوم بعد مائة عام من مولده يقولون إن الشخصيات والأماكن والأحداث التى جاءت فى معظم أعماله يمكن التعرف عليها حتى اليوم فى إيستوود لأنه كثيرا ماكان يستخدم أسماء حقيقة . « تشاترلى » على سبيل المثال ينتسب إلى عائلة « باربر » التى كانت تمتلك منجم « برنسلى » والذى كان والد لورانس عاملا به .. ولايزال الاسم معروفا للسكان حتى الآن .. كما أن الجيل الحالى من أبناء أسرتي باربر وتشاترلى الذين يعيشون الآن فى إيستوود لايحملون للكاتب سوى كل حقد وكراهية . لذلك .. ورغم أن الاحتفالات جاءت لتضع ايستوود على الخريطة مرة أخرى ... ورغم التدفق الشديد على المكان من لندن واكسفورد للمشاركة .. إلا أن أبناء المدينة اعتبروا الاحتفالات بعثا جديدا لصفحات « غير جميلة » من تاريخهم كان يجب أن تظل مطوية ..

أما المدينة « إيستوود » فقد تغيرت كثيرا ، ماديا واجتماعيا ، عما كانت عليه فى سنة ١٩١٣ عندما صدرت « أبناء وعشاق » وان كان جمال الطبيعة لايزال كما هو كما سجله الروائى بأسلوبه الشاعرى . ولايزال هناك أيضا المنزل الذى ولد فيه د.هـ. لورانس وعاشت فيه أسرته فى شارع فيكتوريا فى منطقة « بريتش » التى خلدها فى روايته « أبناء وعشاق » تحت اسم « الحضيض » . هذا المنزل قررت السلطات المحلية أن تشتريه وتحوله إلى متحف .. ولم يأت هذا القرار إلا بعد ٤١ عاما من وفاته .


الصورة الأولى


الصورة الثانية

حاول أن تعرف

الصورة الأولى : لأحد المساجد الشهيرة فى المغرب العربى تم بناؤه فى سنة ٧٣٢ م وقد أعاد بناءه محمد بن الأغلب حوالى سنة ٨٤٠ م ولكنه لم يصبح جامعة حقاً ويزدهر فيه التعليم إلا في عهد الحفصيين فى القرن الثالث عشر إذ جلب إليه أبو زكريا الأول الأساتذة من الأندلس وصقلية لتدريس الفقه واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة والرياضيات والطب .

ومنذ القرن الثامن عشر تم الاقتصار على تدريس العلوم الدينية واللغوية والأدبية،وظل هذا الجامع ينشر الثقافة العربية والاسلامية وبه مكتبة تضم أكثر من ٤٠٠٠ مخطوط .

ما اسم هذا الجامع الشهير؟ ومن الذي أمر ببنائه ؟

الصورة الثانية : مخترع أمريكى ولد فى ١١ فبراير سنة ١٨٤٧ وتوفى فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٣١ . وقد حصل على أكثر من ألف براءة اختراع وهو بذلك يعد أغزر المخترعين إنتاجاً فى تاريخ العلوم والتكنولوجيا ، وهو بحق أبو الصناعات الكهربائية والسينمائية .

من هو؟ وما هى أشهر اختراعاته ؟

اخترنا لك

• وقف اعرابي أمام طبيب وهو يصف الأدوية للمرضى فقال له أيها الطبيب : أعندك دواء لداء الذنوب يرحمك الله ؟ فأطرق الطبيب برأسه إلى الأرض ، وأخذ يفكر ثم قال : اسمع دواء وإن عملت به كان الشفاء من عند الله تعالى .

خذ عروق الفقر وروح الصبر وامزجهما برقائق الفكر واجعل معهما قدرا مساويا من التواضع والخشوع ثم دق المخلوط في مهراس التوبة والخضوع وبلله بماء الدموع ــ ضعه فى وعاء التذلل إلى الله وأوقد تحته نار التوكل عليه ــ وحركه بملعقة الاستغفار حتي يظهر عليه زبد التوفيق والوقار ، وانقله إلى آنية المحبة ــ وبرده بهواء المودة ــ وصفه بمصفى الأحزان واجعل معه حقيقة الإيمان ــ وامزجه بخوف الرحمن ــ ودم على هذا ما عشت من الأيام ــ وإياك أن تقرب فى أيام دوائك شيئا من الآثام ، وتجنب الرياء والبس لباس الحياء ، واشدد على قلبك بالصدق والوفاء ، وإياك أن تدخل بيتك إلا من باب التوبة والصفاء .

فاذا داومت على هذا الدواء صفا قلبك من القلوب وزالت أوجاع ألم الذنوب .

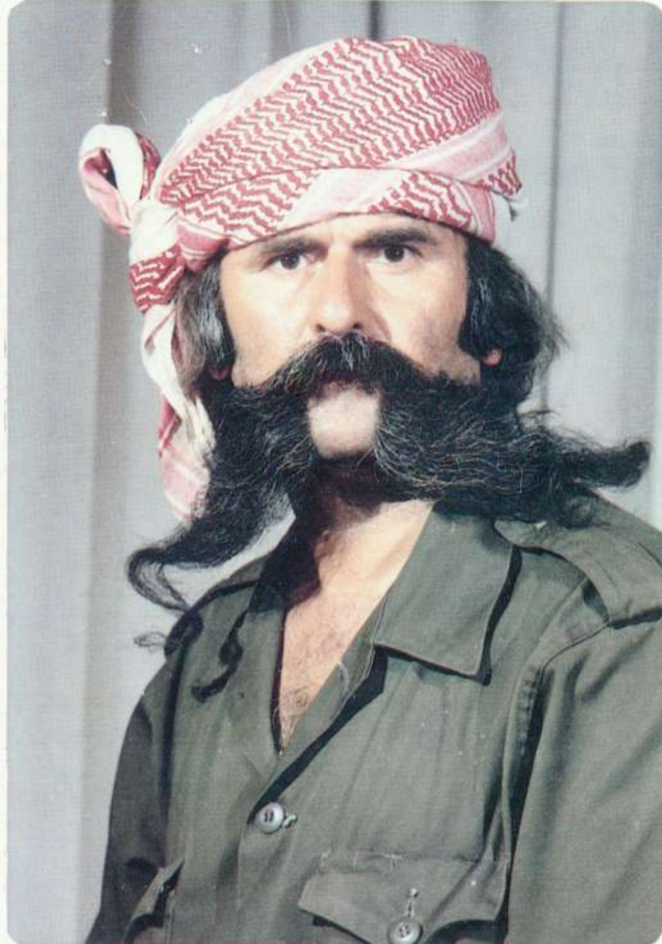
الفاضل السيد أحمد

السودان ــ بور سودان



لقطة الشهر

أجدع شنب!



• فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : محمد على سليمان ــ حلب ــ سوريا.

الفيتامينات

بين الضرورة والضرر

• الفيتامينات من العناصر الغذائية الأساسية والتى يجب أن يحتويها الغذاء الكامل والسليم للانسان ، ونقصها وغيابها يؤدى إلى الاصابة بأمراض سوء التغذية كالكساح والاسقربوط والبلاجرا .. وغيرها . وتوجد الفيتامينات فى الخضروات والفواكه بالكميات والنسب الضرورية للجسم .

ولكن ما هو الحال لو أفرط الانسان في تناول أقراص الفيتامينات بدون ضابط ولا رابط؟ سنرى كيف تتحول هذه النعمة إلى نقمة !! أو كما تقول القاعدة الذهبية : « إن الشيء إذا زاد عن الحد ، انقلب إلى الضد » .

وتعالوا نستعرض معاً بعض أضرار الافراط فى تناول الفيتامينات :

• وجد أن زيادة جرعات فيتامين (أ) عن الحد الضرورى تؤدى إلى فقدان الشهية والاصابة بالضعف العام ، كما تؤدى إلى تضخم الكبد والطحال وظهور الطفح الجلدى .

• كما أن تناول أقراص فيتامين (جـ) فى جرعات زائدة يتسبب فى ارتفاع درجة حموضة البول وزيادة احتمال الاصابة بحصوة الكلى فى الأشخاص ذوي الاستعداد للاصابة بمرض النقرس ، وتؤدى إلى التأثير على نمو العظام فى الأطفال . ومما يثير العجب والدهشة أن الافراط فى فيتامين (جـ) يؤدي إلى اصابة الحوامل بمرض الاسقربوط وذلك بعد الولادة ويؤثر فيتامين (جـ) على نتيجة تحليل البول فى مرضى السكر مما يدفعهم إلى زيادة جرعة الانسولين وينشأ عن ذلك انخفاض شديد فى مستوى السكر .

• الافراط فى تناول فيتامين (د) يؤدى إلى فقدان الشهية والنعاس والغثيان وآلام البطن والعطش والامساك وتكلس بعض أعضاء الجسم .

دكتور ابراهيم لبيب ابراهيم
كلية الزراعة جامعة الأزهر
القاهرة ــ مصر

عظة الدهر

• دخل محمد بن القاسم بن محمد بن أبى بكر رضى الله عنهم على الخليفة المنصور . فقال له المنصور : عظني يأبا القاسم . فقال محمد : بما سمعت أم بما رأيت يأأمير المؤمنين ؟ قال المنصور : بل بما رأيت .

قال محمد : لما توفي سليمان بن عبد الملك أحصيت تركته فكانت سبعة عشر مليون درهم (وكل اثني عشر درهما تعادل ديناراً) وكان له أحد عشر ولداً فأصاب كل ولد مئة وخمسة وعشرين ألف دينار .

ولما توفى عمر بن عبد العزيز ترك أحد عشر ديناراً وكان له اثنا عشر ولداً فأصاب الواحد منهم أحد عشر درهماً ، وقد عشت حتى رأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز يجهز متبرعاً من ماله الخاص في يوم واحد مئة فارس على مئة فرس في سبيل الله . ورأيت رجلاً من ولد سليمان بن عبد الملك يتكفف ويسأل الناس !! .

الصديق يحى طباش
حلب ــ سوريا



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين الكوفى المعروف بالمتنبي فى محلة كندة بالكوفة سنة ٣٠٢ هـ .. وفى سنة ٣٣٧ هـ ، اتصل بسيف الدولة الحمدانى وأصبح لسانا ناطقا يشيد بمدحه .. وله فى ذلك قصائد كثيرة .. كما كانت له قصائد فى الفخر حيث يقول فى إحداها :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير « المقصود »

وغنى به من لم يغن مغردا

المقصود « أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من خمسة حروف :

٤ ، ٣ ، ١ أعاد شيئا تالفا لحالته الأصلية

٥ ، ٢ ، ١ أتنسم الشيء بأنفى

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية مشهورة .. حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة فى جواز سفره .. والتى تلقى ضوءاً على جوانب من حياته :

ميلاده : سنة ٩٩٤ ميلادية .

مكان الميلاد : قرطبة بالأندلس .

أصله : كان من علية القوم حيث ينتمى الى بيت مجد عريق ، ولكن الزمن تنكر له فتعرض للاعتقال والتعذيب وفقد الاستقرار والاطمئنان .

المهنة : تعلم الفلسفة ونبغ فى علوم الدين والفلك والتاريخ والشعر .

مذهبه العلمى : كان يقول « وما مذهبى أن أمتطى مطية سواى .. ولا أتحلى بحلي مستعار » أى أنه كان مجدداً وكارها للتقليد .. كما وضع أسس نظرية « المعرفة » .

ميوله العلمية : وضع كثيرا من الكتب تعرض فيها لمشاكل دينية وفقهية عديدة أثارت عليه الناس ، وانتقد التوسل بالأولياء ومذاهب الصوفية وأنكر التنجيم .

أعماله ومؤلفاته : وضع مؤلفات ضخمة ، وكان صريحا صراحة أثارت عليه علماء عصره .. فحورب واضطهد وأحرقت كتبه ولم يبق منها إلا القليل مثل كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .

يتكون اسم صاحب هذا الجواز من ثلاثة مقاطع مجموعها أربعة عشر حرفا :

٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١ ، ٣ الوحيد الذى حمل الأمانة بعد رفض السماوات والأرض والجبال لها .

٥ ، ٤ ، ١ ، ٦ الكثرة من الناس .

١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ٢ يختلس أو يأخذ الشيء قهراً .

٩ ، ٢ ، ١١ ، ١٢ بمعنى غير .

٣ ، ٧ ، ٨ ، حصل على .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٩

• المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة فى مسرحية (الحسين ثائرا) لعبد الرحمن الشرقاوى هى : شامخة .

• لمن هذا الكتاب ، للأديب العالمى (ديستوفسكى) .

• جواز سفر : إسم صاحب الجواز الموسيقى الألمانى بيتهوفن .

• مسابقة مدن العالم : مدينة أسوان بجمهورية مصر العربية .

أسماء الفائزين

فازت بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارئة نسرين قاسم محمد الشلبى ــ الأردن .

فازت بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارئة رقية محمود عمر خطاب ــ جمهورية مصر العربية .

فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارىء : أحمد على مطالقة ــ قطر .

مسابقة مدن العالم

هذه المدينة عاصمة لاحدى دول جنوب أوروبا .. وتقع فى قلب هذه الدولة وسط هضبة جرداء .. ولكن الطبيعة داخل المدينة تختلف تماما عما حولها وذلك لكثرة ما بها من ينابيع المياه التى تغذيها بما يكفى للاستعمال المنزلى وري الأشجار والمتنزهات والحدائق المنتشرة فى كل مكان .

كانت هذه المدينة عند انشائها مدينة صغيرة إلى أن رأى أحد ملوك هذه الدولة سنة ١٥٦١ م أن يجعل منها عاصمة ملكه .. وكان سكانها حينذاك لا يزيدون على خمسة وعشرين ألف نسمة كان منهم كثير من الفنانين والكتاب .. وكان أشهرهم سرفانتيس مؤلف رواية دون كيشوت .

وقد وصل عدد سكانها فى نهاية القرن الثامن عشر إلى مائة وخمسين ألف نسمة .. وأصبح فيها الكثير من المبانى الكبيرة الجميلة .. وزاد تعدادها إلى نصف مليون نسمة سنة ١٩٠٠ م .

وقد عانت هذه المدينة من الحصار الطويل أيام الحرب الأهلية التى استمرت من خريف سنة ١٩٣٦ حتى ربيع ١٩٣٩ .

واسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد من خمسة حروف :

٤ ، ١ بمعنى بَحر

٢ ، ١ ، ٣ بمعنى حَطم

٥ ، ٤ ، ٣ مكان للعبادة

فهل عرفت هذه المدينة ؟

فى أيّة مسرحيّة هذه الأبيات؟

انظر الشعبَ « ديون »

كيف يوحون إليه

مَلأ الجو هتافا

بحياتى قاتليه

أثر البهتان فيه

وانطَلى الزور عليه

يا له من بَبغاء

عَقله فى أذنَيه

الأبيات الشعرية السابقة هى افتتاحية أول مشهد فى إحدى مسرحيات أمير الشعراء « أحمد شوقى » .. فهل تعرف اسم هذه المسرحية ؟ لتسهيل الأمر عليك عزيزى القارىء .. إليك

الحب

شعر: محمود صفر

ذاتَ صباحٍ غادرتْنا
فاجأتْنا بالسوادْ
أنبتتْ فينا الذهولْ
والمآقي اليابساتْ
فجّرتْ فينا الأسى
غادرتْنا وردةً تزهو
وأسرابَ حَمَامْ
غادرتْنا عمرُها عشرونَ عاماً أو يزيدْ
حلمُها كان فضاءً من رحيقْ
وشجيرات لآلىء
نزلتْ بركةَ دمْ
فنمتْ نخيلاتٍ وينابيعَ اغترابْ
تشهدُ أنّا قد فلقنا السنبلةْ
واحترقنا .
غادرتْنا
قتلتْنا في هدوء
تركتْ فينا بذورَ الحبِّ
للضاحك والباكي
لكلِّ الشرفاءْ
ننشرُ الظلَّ ونمضي
من مكانٍ مستحيلٍ
لمكانٍ مستحيلْ
حينما الشمسُ تغضُ الطرفَ وتمضي للرقاد
بلا قدمينِ آتيكِ
بلا كُمَّينِ آتيكِ
فأسقطُ بين عينيكِ .

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٩

١ ـ أصل وصورة : الذقن ـ الحاجبان ـ العين ـ الشعر ـ الأنف ـ الجبهة ـ الفم .
٢ ـ لوحة لم تتم : الفنان عماد حمدى .
٣ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم ٤
٤ ـ لأقوياء الملاحظة :
تفاحة ـ كمثرى ـ صندل ـ كلب ـ قلم ـ عنب .
٥ ـ دورى الكاريكاتير ـ رقم ١٠ .
٦ ـ المثل يقول : إلى يجيلك منه الريح سده واستريح .
لا يأتي من الغرب ما يسر القلب .
٧ ـ هات أجمل تعليق :
• والآن نقدم لكم برنامج النصف الآخر
• سيداتى وسادتى إنى اغرق تحت الماء .

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١١٩

١ ـ منى أحمد عثمان سعد .... مصر
٢ ـ على محمد عامر.................. ليبيا
٣ ـ زايد مختار يونسى .... قطر
٤ ـ ماجدة عز الدين صالح........... السودان
٥ ـ ابراهيم محمد باهويله ... اليمن الديمقراطية
٦ ـ الشفيع عبد الله تميم............ السودان
٧ ـ صلاح الدين على محمد .... السعودية
٨ ـ محمد سالم محمد مرشات .... ليبيا
٩ ـ عبد المنعم على محجوب......... السودان
١٠ ـ فوزية محروس محمد .... مصر
١١ ـ عبد المنعم ابراهيم حبيبي .... قطر
١٢ ـ محمد عمر سالم معاشر.................
اليمن الديمقراطية
١٣ ـ كريمة محمد شلبى .... مصر
١٤ ـ عائشة محمد على .... قطر

هذه المعلومات :
اسم المسرحية مكون من كلمتين مجموع حروفهما ثلاثة عشر حرفا :
٧ ، ١٠ ، ٥ ، ٦ بمعنى يتناول الطعام .
١٣ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ مقطعوع الذنب أو من لا ذرية له .
١ ، ٢ ، ٣ اسم إحدى الجمهوريات العربية .
٨ ، ٤ ، ٣ يطلق على الطريق المتعب كثير المرتفاعات والمنخفضات .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٩

• الصورة الأولى : مسجد القيروان بتونس وقد بناه القائد العربى عقبة بن نافع .
الفائز : عيسى على محمد على ـ البحرين
الفائز : على عثمان سالم ـ السعودية .

• الصورة الثانية : أول عربى حاول الطيران هو عباس بن فرناس .
الفائز : مهدى على العمرى ـ اليمن الديمقراطية .
الفائز : مصطفى الشيخ إدريس ـ السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ مسعود مجيب .... الهند
٢ ـ جميل مصطفى ذكر الله ....
الامارات العربية المتحدة
٣ ـ ماجد هاشم رجب............ السعودية
٤ ـ نفيسة عبد الحى موسى......... السودان
٥ ـ صالحة أمم سالم...... اليمن الديمقراطية
٦ ـ ليلى محمد نجم.................. العراق
٧ ـ محمد رشيد يوشع.............. غانا
٨ ـ مكامنقاشيما فاطمة............. المغرب
٩ ـ أمه الله محمد الخطيب ....
الجمهورية العربية اليمنية
١٠ ـ ابراهيم عثمان محمد عثمان...... ليبيا

استراحة الدوحة

أصل وصورة





• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى لساحر الكرة بيليه هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها، لتحصل على الجائزة ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة ..

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

مجموعـــة مسـابقات بالرســـوم بريشـــة : رؤوف

لعبة الظـــلال



• هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟.. إذا عرفت الحل .. أرسله إلينا لتحصل على جائزة ؟

هات أجمل تعليق



• هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟
.. حاول وأرسله إلينا لتفوز بجائزة .

المثل يقول



• ان هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. إذا عرفت هذا المثل أرسله إلينا فى انتظارك جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الفنان السعودى محمد عبده ، من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة ؟

الورقة الأخيرة

بقلم
الدكتور السيد أحمد تاج الدين



ابتسم للحياة

غاب عني مدة طويلة، بعد أن انقطعت أخباره، وشغلتنا الحياة بمشاكلها فلم أعد أراه، وكان يتردد عليَّ بين الحين والآخر، يستشيرني في بعض أموره الصحية والشخصية، وكانت تعجبني فيه روحه المرحة، يتقبل النكتة بصدر رحب، ولو أنه كان مفرط الحساسية، لا يجيد اللف والدوران، ولا فنون الرياء والنفاق، صريحا غاية الصراحة، لا يعرف الخبث إلى قلبه سبيلا..

والتقي معه مصادفة بعد طول غياب، فإذا به قد تغيرت أحواله، وضاعت الابتسامة من وجهه، الذى كسته تجاعيد الزمن، واشتعل رأسه شيباً قبل الأوان، فتعجبت لهذا التغيير الذى طرأ عليه، وبما فعلت به الأيام، وما ابتلى به من أمراض وأسقام، وفقدانه الثقة بأقرب الناس إليه، وابتدرني بقول أبي فراس الحمداني:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحرّ الكريم صحابُ
وقد صار هذا الناسُ إلا أقلَّهم ... ذئاباً على أجسادهن ثيابُ

فقلت له هوّن عليك نفسك، ولا تجعل الدنيا أكبر همّك، وغاية أملك، فالأيام يومٌ لك ويومٌ عليك، إن أقْبَلْتَ عليها أدبَرتْ عنك، وإن أعْرَضْتَ عنها جاءتك طائعةً مختارة، وازهد في الدنيا يحبُك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس..

ولن تجد من بين من تقابل من الناس الصديق الصادق الصدوق. الذى ترسم له صورة ملائكية في مخيلتك، والذى تجده في كل وقت طوع أمرك، ورهن إشارتك.

ألم تسمع بقول بشار:

إذا كنت في كلِّ الأمور معاتباً ... صديقَك لم تلقَ الذى لا تعاتبه
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه ... مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئتَ وأيّ الناس تصفو مشاربُه

قال لماذا يأكل الحسدُ قلوبَ الناس، ويعمي الحقدُ بصيرتهم، والله هو موزعُ الأرزاق؟

قلت له على قدر ما أصابك من نجاح، سوف تجد من يحقد عليك، وقد يكون الحسد من شخص أبعد ما يصل إليه الشك منك، وأقرب ما يكون إليك تودداً، وأكثر الناس استفادة منك:

« فمن الناس من يُعجبكَ قولُه في الحياة الدُنيا، ويشهدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألَدُّ الخصام. وإذا تولىَّ سَعَى في الأرضِ ليُفسدَ فيها، ويُهلِكَ الحرثَ والنسلَ واللهُ لا يحبُّ الفساد ».

والشاعر يقول:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرَكَ قاتله ... النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

قال والعجيب في الأمر أنه كلما زاد طغيان الإنسان، كلما زاد منصباً وجاهاً ومالاً، فيزداد في طغيانه..

قلت له ألم تقرأ قول الله تعالى:

« كُلاً نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عَطاء رَّبك، وما كانَ عطاءُ رَّبك محظوراً ».

والله تبارك وتعالى يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته..

« ولا تحسَبَنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخصُ فيه الأبصار مُهطعين مُقنعى رءوسهمْ لا يَرتدُ إليهم طرفُهم وأفئدتُهم هَواءٌ ».

فبقدر إيمانك بالقدر خيره وشره، وصفاء سريرتك، وعفوك عمّن ظلمك، والاستعاذة بالله من شر حاسد إذا حسد، بقدر ما يكفيك الله شركثير من أمراض العصر، لا أول لها ولا آخر..

وإذا استمرت بك الأحوال على هذا المنوال، تحمل همومَ الدنيا فوق قرنيك، وترى العالم مظلماً أمام عينيك، أصابك من الأمراض ما لا طاقة لك به، ووقعت فريسة بين براثن الأطباء، فإن ثلاثة أرباع أمراض هذا العصر، هى حصاد ما يعانيه الناس من فكر وكرب وهموم وشجون، وجرى وركض وراء المال حتى تنقطع بهم الأنفاس، ولعلك تسمع عن أمراض القلب كالذبحة الصدرية، والسكتات القلبية، وانسداد الشرايين التاجية، وارتفاع ضغط الدم، وجلطات الدماغ وانفجارات شرايين المخ، والشلل النصفي، ومرض السكرى، وقرحة المعدة، والسرطان، والقولون العصبي، وغير ذلك من الأمراض العضوية الخطيرة..

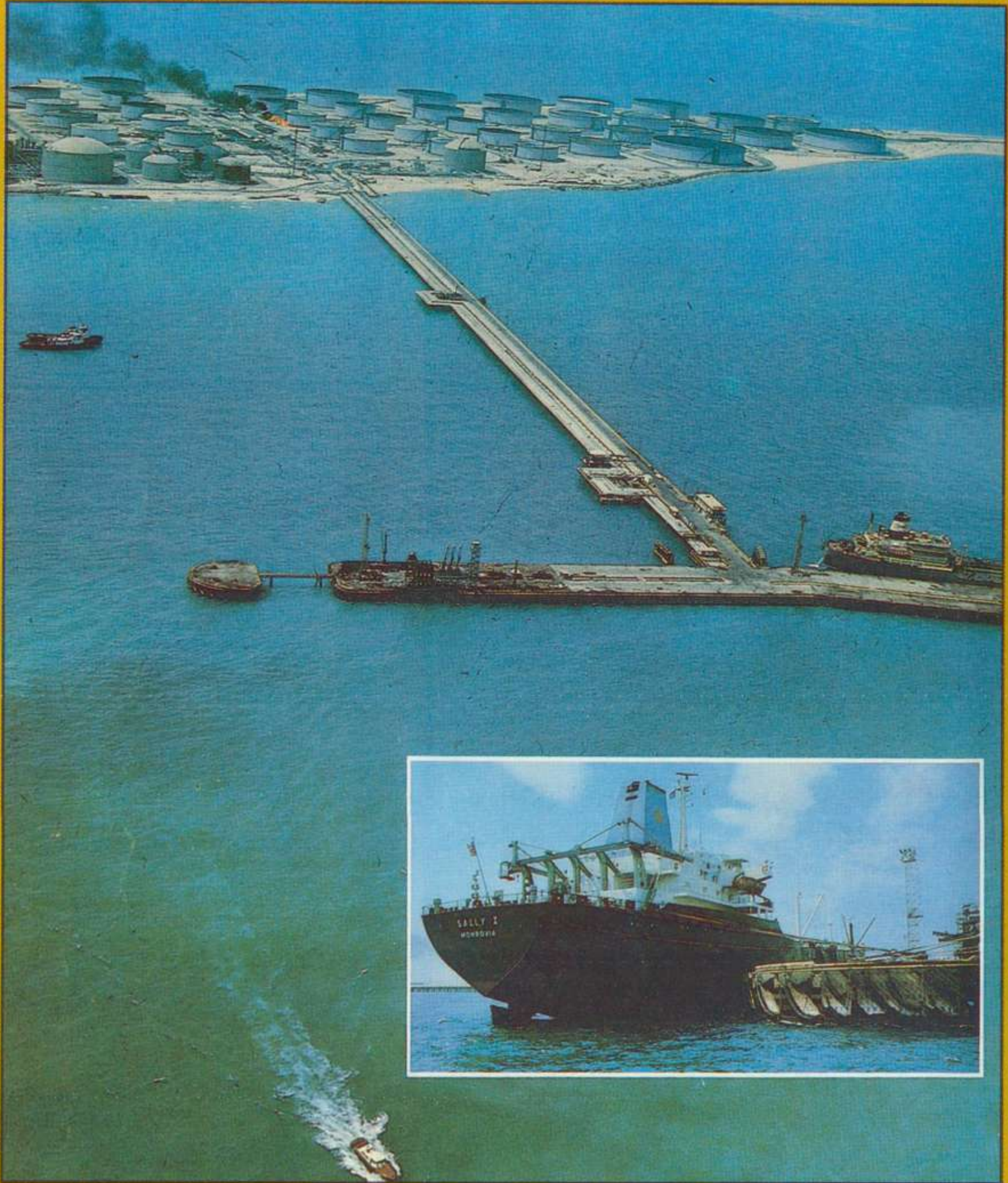
أما عن الأمراض النفسية فحدّث ولا حرج، فعندك الاكتئاب بأنواعه، وما يؤدى إليه من مآس تنعكس آثارها على جميع أعضاء الجسم كالصداع بأنواعه، وعسر الهضم، والإمساك، وفقدان الشهية..

ولا أريد أن أزيد في همومك، وإن شئت ملأت لك الصفحات من الأمراض والعلاّت، التي تصيب الإنسان إذا ترك نفسه فريسة للهموم والأحزان، ولم يبتسم للحياة، ولم ينْس نصيبه من الدنيا..

وحذار أن تسوّل لك نفسك بأن تصدق ما تعرضه الأفلام السينمائية، أو المسلسلات التليفزيونية، من حكايات وخرافات، فتصور البطل أو الحبيب، عندما تصيبه مصيبة في حبه، وتغدر به محبوبته، كأن الدنيا قد انقلبت على رأسه، وأصبح حزيناً مهموماً، يغني أغاني كلها نحيب وبكاء، ثم يزين له رفاق السوء، ارتياد الحانات والبارات، فيغرق حتى أذنيه في منقوع « الصَرم » بين الكأس والكأس، بحجة الهروب من واقع الحياة، ولكنه في واقع الأمر كالمستجير من الرمضاء بالنار، ويكون قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين..

وقد أثبتت إحدى البحوث التي أجرتها بعض كليات الطب الأمريكية على قطاعات مختلفة من الناس، أجريت لهم اختبارات نفسية وطبية، أن المتشائمين الذين ينظرون إلى الدنيا بمنظار أسود، أكثر إصابة بارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب، من نظرائهم الذين لا يحملون للدنيا ومصائبها همًّا ولا فكراً، ولذلك تكونت جمعيات وأندية مختلفة للترفيه عن أعضائها، واشراكهم في برامج وتمثيليات وندوات فكاهية ينسون فيها الدنيا وبلاويها..

لذلك أوصيك بأن تكون باشَّ الوجه، دائم الابتسامة، ودع التكشير والعبوس حتى لا تزداد تجاعيد وجهك، ولا تصيبه الشيخوخة قبل الأوان.. فالابتسامة تفتح لك جميع الأبواب، ولن يكون العبوس والتكشير مظهراً من مظاهر الوقار أو الاحترام، ورحم الله عبداً سمحاً في كل معاملاته وتصرفاته، فإنك لن تسع الناس بأموالك ولا جاهك، وإنما يسعُهم منك بسطُ الوجه وحسنُ الخلق.



من أهم الموانئ

• ميناء رأس تنورة على الخليج العربى ، وهو أحد الموانىء الهامة فى المملكة العربية السعودية ، حيث يقع بالقرب من مدينة الدمام التى تعتبر من أهم مدن المملكة على الخليج وتتوسط المنطقة الشرقية حيث حقول النفط .

ومن هذا الميناء يتم شحن الزيت الخام — بعد وصوله — إلى مختلف أنحاء العالم .

والمعروف أن المملكة العربية السعودية تواصل مسيرة التنمية الاقتصادية المتوازنة ، من خلال تطوير مواردها وزيادة دخلها من النفط فى المدى البعيد والحفاظ على الموارد القابلة للنضوب ، حتى تحقق لمواطنيها الرفاهية الاجتماعية ، وتحقق لمستقبلها القوة الاقتصادية عن طريق بلوغ الأهداف الأساسية للتنمية الشاملة التى تركز فى مقامها الأول والأخير على التخطيط .



فتاة خليجيّة

للفنان البحريني: أحمد غلوم

العدد ١٢٢ - جمادى الأولى ١٤٠٦هـ - فبراير/شباط ١٩٨٦م

الدوحة



مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

د. أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر:
المثقفون يتهمون والوزير يُدافع ويَرُدّ

الحساسية المغربية والثقافة المشرقية!
د. محمد جابر الأنصاري



تقدّم ولا تتردّد فقلبك اليوم مُجدَّد
د. عبد المحسن صالح

الدوحة في بيت السيّاب
حسن توفيق

مسرحية غنائية كاسحة في لندن
ألفريد فرج

قصة كتاب بغيض!
د. عبد السلام العجيلي

أسبوع سينمائي في الجزائر
رؤوف توفيق

لوحة وفنان



فتاة من الجزائر

كانت منطقة شمال أفريقيا عامة ومصر والجزائر والمغرب بخاصة مصدر إلهام لفناني الغرب الكبار الذين قاموا برحلات فى البلاد العربية خلال القرنين الماضيين .. وقد نهل هؤلاء الفنانون من كنوز الشرق وجماله وسحره على اتساع الوطن العربى كله .. كما شهد القرن الماضي ذروة هذه الهجرة الفنية من الفنانين الأجانب ، واصطبغ طابعهم الفنى بتلك السمات الشرقية ...

وكان الفنان الفرنسى « آنج تيسييه » أحد الذين رحلوا إلى الجزائر فى عام ١٨٦٠ ، ليقدم بعض لوحاته الفنية ذات الطابع الشرقي المتميز ، والتى كان من بينها تلك اللوحة التى أسماها « الفتاة الجزائرية ووصيفتها » لتصبح اليوم من أهم مقتنيات المتحف الوطني للفنون الشرقية بباريس .

وفى السنوات الأخيرة لاحظنا إقبالاً كبيراً على لوحات الفنانين الذين رسموا الشرق ، وأصبحت أعمالهم تمثل سوقاً رائجة ، بعد أن قفز ثمن اللوحة الواحدة إلى أرقام فلكية ، ولعل السر يكمن فى أن تلك اللوحات تعيد إلى أذهاننا الجمال الرومانسي الذى كان ومازال أحد معالم الحياة فى بلادنا العربية .

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازى ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع على بن على

الدوحة

العدد ١٢٢ ـ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ـ فبراير / شباط ١٩٨٦ م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

في هـــــــذا العـــــــدد


د. محمد جابر الأنصاري : الحساسية المغربية والثقافة المشرقية (ص ٦)


درويش مصطفى الفار : أقدم خريطة للبحـــــار السبعة ص (٦٤)


الفريد فرج : بؤساء هيجو مسرحية غنـائيـة كـاسحـة (ص ١٢٤)


السجاد الإسلامي : لوحات من الفن الرفيع بهرت العالم (ص ٩٢)

• دراسات ومقالات •

• شؤون الخليج •

• أدب وفنون •

• جميـــع المـــراســـلات ترســـل باســـم رئيس التحريــــر
• المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

● أبــواب ●

المدير الفني : سلمان المالكي

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

كلمة

مهنة الصحافة مهنة ممتعة حقا ، لكنها مهنة المتاعب والعذاب فى نفس الوقت ، ويمكننا أن نستخدم أسلوب طه حسين هنا فنقول إنها مهنة المتعة المعذبة ، أو مهنة العذاب الممتع ، وقد يبدو هذا الكلام غير واقعى ، فالمفروض أن تكون المتعة خالية من العذاب ، وأن يكون العذاب خاليا من المتعة . ومع ذلك فهذا ما عشناه خلال شهر يناير الذى مضى ، فقد توقفت مطبعة المجلة فى بداية الشهر لمدة عشرة أيام ، ووقفنا نحن المحررين أمامها كالأيتام ، ننتظر الخواجة القادم من لندن ، ليقوم بإصلاح المطبعة وإخراجها من صمتها التام ، وتأخر الخواجة لأن لندن كانت مشغولة بأعياد الميلاد ، وفى أعياد ميلادهم لا يقبلون العمل أبدا حتى لو جاءتهم التوسلات من أمهاتهم أو أبنائهم ، وبعد إجازة الأعياد جاء الخواجة ودبت الحياة فى المطبعة ، ولكننا كنا قد تعرضنا لتأخير لا بد من تعويضه ، وهنا ظهرت تلك الصفة التى نرى دائما أنها لابد أن تتوفر فى العاملين بمهنة الصحافة ، وأن تتوفر بدرجة عالية جدا ، هذه الصفة هى : الرجولة ، فالصحافة مهنة الموهبة ، ومهنة الرجولة الصلبة فى نفس الوقت ، وحتى النساء اللواتى عملن بالصحافة ونجحن فيها ، كن يتمتعن بإرادة الرجال ويتحلين بعزيمة لا تلين ، لقد كانت « روزاليوسف » ناجحة فى الصحافة ، لأنها كانت من هذا الطراز الذى يتمتع بقوة الارادة وكأنها جنرال عسكرى ألمانى ، وفى نفس الوقت كانت في غير ميدان العمل تفيض باللطف والحنان ورقة العاطفة ، وكذلك نجد نفس الصفات في الكاتبة الكبيرة أمينة السعيد ، أمد الله فى عمرها ومتعها بالصحة والعافية وغزارة الانتاج ، إن أمينة السعيد التى تبدو فى علاقاتها الإنسانية شديدة اللطف والرقة والحنان ، تتسلح فى عملها بإرادة ألف رجل ، فلا تتراجع عن حق ، ولا تتردد فى أمر واجب ، ولا تحيد عن هدف تؤمن به .

كنا بحاجة هذا الشهر إلى إرادة الرجال وعزيمتهم حتى نعوض ما ضاع علينا من وقت ثمين عندما سكتت المطبعة عن العمل المباح ، وذلك حتى تظهر الدوحة فى موعدها المحدد وفى مستواها المعروف ، وقد وجدنا هذه الصفة .. صفة الرجولة ، فى مجموعة العمل التى اخترناها لتتحمل مسئولية إصدار هذا العدد وانقاذه من الأزمة التى تعرض لها ، هؤلاء الزملاء هم : النور عثمان أبكر مدير التحرير وسلمان المالكى المدير الفنى ومكرم شحاته المشرف الفنى ومحمد الأمين المنفذ الفنى . وقد فوجئنا أن أكثرنا حماسا وسعيا إلى تحمل المسئولية وتقدم الصفوف هو أصغرنا سنا : سنان المسلماني ، سكرتير التحرير . لقد كان يعمل فى كل وقت .. فى الصباح والمساء ومنتصف الليل ، وحتى فى يوم الجمعة ، لم يكن يتأخر لحظة عن الوقوف إلى جانب صفحات المجلة حتى يضمن أن كل شيء يسير على ما يرام ، وكنا نحاول أن نريحه فى بعض اللحظات فيبتسم ابتسامته الانسانية الرائعة ويردد : سعادتي فى أداء واجبى وشقائى في السلبية واللامبالاة . وكنا نمزح معه أحيانا ونقول : لقد أثبت أنك قوى فعلا ، حيث كان سنان قد مثل أخيرا دور « القوى » الناجح الطريف فى مسرحية المتراشقين الجميلة نصا وإخراجا وتمثيلا .

خبر واحد أزعجنا عند الانتهاء من معركة هذا العدد ، وبعد ما بذلناه من جهد مضاعف حتى نعوض ما ضاع علينا من وقت ، هذا الخبر هو أن زميلنا العزيز محمد الأمين قد سقط مريضا بعد أن أنهينا العدد تماما فى موعده وبمستواه الذى حرصنا عليه ، واضطررنا لنقل محمد إلى المستشفى فإذا به ــ وهو فى عز شبابه ــ قد أصيب بجلطة فى القلب . والتففنا حوله ونحن نشعر بالذنب لأن محمدا قد عمل كثيرا وسهر كثيرا وأجهد نفسه كثيرا فى هذا الشهر ، فهل لا بد أن يسقط الجندى بعد النصر؟ .. لقد وجدنا « محمد الأمين » وهو راقد فى غرفة الانعاش بمستشفى حمد يبتسم فى لهفة ويقول « الحمد لله » ، ثم يسألنا : هل انتهى العدد بخير؟ .. نعم يا محمد ، انتهى العدد بخير ، وفوجئنا به مرة أخرى يقول وعلى وجهه فرحة الشفاء القريب إن شاء الله : لا تظنوا أننى هربت منكم ، كلها أيام وسوف أعود إليكم مثل « الجن » لنواصل العمل معا فى أقرب وقت .

كان الله فى عون محمد الأمين .. وكان الله فى عون الرجال العاملين المخلصين فى أى مكان من أرضنا المتعطشة لكل ما هو جميل وصادق .

المحـــرر

نحو تفاعل ثقافي أكثر عافية بين المغرب والمشرق

الحساسية المغربية والثقافة المشرقية

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

عندما يتأمل المرء ، الخلي البال ، في حدة مشاعر الاخوة من مثقفي المغرب العربي تجاه مايعتبرونه تجاهلاً مشرقياً ، أو عقدة تفوق (مركب علو كما يقولون هناك) ، من اخوانهم المثقفين المشارقة .. يصاب بالاستغراب ، وأكاد أقول الذهول ، من شدة هذه الظاهرة الشعورية لدى المغاربة ، واستشرائها في كثير من الأدبيات والتعليقات المتداولة لديهم بهذا الشأن .. مما يجعل مسألة دراسة هذه الظاهرة بشكل موضوعي أمراً لابد منه في مجال قضية الثقافة العربية المعاصرة ، والوحدة الثقافية والفكرية العربية ، وصولاً الى تصحيح شكل العلاقة المعنوية الأساسية بين جناحي الوطن الكبير من مغرب ومشرق في حقل التفاعل الثقافي والفكري والأدبي ، الذي نريده ـ كمؤمنين بوحدة العرب جميعاً من محيطهم الى خليجهم ـ تفاعلاً صحياً وموحداً ومثمراً ، باذن الله ، كما كان أيام ازدهار الحضارة العربية الاسلامية الواحدة ، عندما رد ـ مثلاً ـ ابن رشد المغربي في « تهافت التهافت » على الغزالي المشرقي في « تهافت الفلاسفة » ، في تفاعل فلسفي وديني من أرفع طراز ، دون أن يتداخل في أمر هذا التفاعل ميل مشرقي أو هوى مغربي ، او مركب نقص أو تعالٍ من هنا وهناك ، بل كانت المسألة مسألة بحث عن الحقيقة في اطار الايمان العربي الاسلامي الواحد .. وماأكثر ماتحمس مشارقة لابن رشد المغربي ، وتحمس مغاربة للغزالي المشرقي .. دون أن يعيروا مسألة الجهات ـ شرقاً أو غرباً ـ أدنى اهتمام ، بل كان ديدنهم ذلك المعنى البعيد الذي ألمح إليه العارف بالله محي الدين بن عربي (الأندلسي المغربي موقعاً وجذوراً .. المشرقي الدمشقي المكي هوى وحنيناً) عندما قال :

رأى البرق شرقياً فحَنَّ الى الشرق ... ولولاح غربياً ، لحَنَّ الى الغرب
فان غرامي بالبريق ولمحه ... وليس غرامي بالأماكن والترب !

أجل .. ليكن غرامنا ــ من مشارقة ومغاربة معاً بالبريق ولمحه .. بريق الحقيقة ولمح الاسلام والعروبة ، قبل أن يكون غراماً بالأمكنة والأتربة .. كما علمنا فيلسوف الاشراق المغربي ابن عربي .

• • •

ولكن لا بد قبل كل شيء من مقاربة الظاهرة في أعراضها ، لتشخيصها والنظر في تحليلها وتفكيكها ان أمكن ، أو البحث عن علاج لها ان تعذر التفكيك والرد الى العناصر الأولية ..

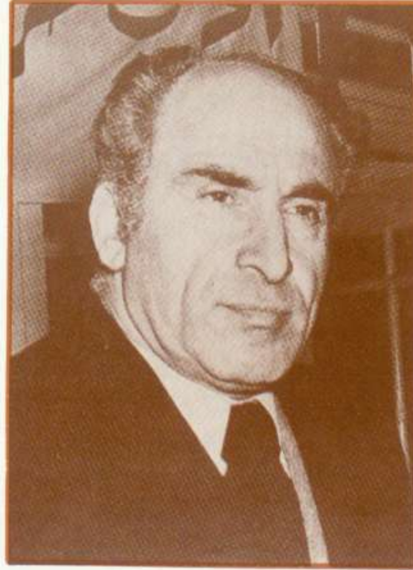
يقول الأستاذ محمد مزالي في كتابه « في دروب الفكر » ــ وهو من حصيلة رحلتي المغربية الأخيرة ــ تحت عنوان (وظلم ذوي القربى ..) الذى ينضح بالتألم من عبارته في حد ذاتها ، وهي شطر بيت طرفة بن العبد ، القائل :

وظلم ذوي القـــربـــى أشـــد مضاضة
على النفس مـن وقـع الحسام المهنـد !

فما هو هذا الظلم الفادح ياترى ؟

يوضح محمد مزالي ــ وهو من نعرف فكراً وعروبةً وموقفاً وقيادة ومكانة ــ فيقول ان بلدان المغرب العربي الكبير قد : « ظلت في الماضي مهضومة الجانب بسبب عقدة التفوق لدى الكثير من الكتاب والدارسين في المشرق ، ويأبى عدد من الاخوان المعاصرين إلا الاصرار على هذا الموقف السلبي الذي مهد إليه نفر من السلف .. ثم عمقه الاستعمار عندما شيد سوراً فصل به بين بلاد المغرب وبين المشرق العربي مدة تجاوزت القرن ، دون أن يهتدوا الى أن الأمانة العلمية والمصلحة الوطنية العلياوأدنى معاني الاخوة والتضامن تقتضي كلها تصفية الأجواء والتقارب والتعارف الحقيقي باستئصال كل أنواع المركبات (العقد) (١) » .

ويلمح الأستاذ مزالى الى الخلفية التاريخية لذلك في إشارة هامشية في الصفحة ذاتها حيث يقول : « يكفي كشاهد على ذلك ، التذكير بنظرة بعض الجغرافيين العرب الى المغرب العربي ، فهذا الاصطخري يعتبره على الخريطة « كم



محمد مزالي



أحمد شوقى

الثوب » ، وهذا ابن الفقيه يضعه بمثابة « ذيل الطائر » ، بينما يقول ابن حوقل والمقدسي والمسعودي عن مصر إنها « أحد جناحي العالم » وعن القاهرة أنها قبة الاسلام » (٢) .

ومن الجزائر يأتينا صوت الدكتور عبد الملك مرتاض الأستاذ بجامعة وهران في كتابه الممتع « الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق » ــ وهو كتاب عثرت عليه في مكتبة بالرباط ، وإن يكن مطبوعاً عام ١٩٨٢ في بيروت .. بيروت البطلة الصامدة رد الله عافيتها ، فقد كانت جسر التواصل الرحب بين مشرق ومغرب ، وبين تراث ومعاصرة ! ــ حيث يقول بلهجة مشابهة ــ من حيث عتبها وتألمها للهجة الأستاذ مزالى :

« هذا ، ولقد طال عتاب المغاربة للمشارقة دون أن يجدي عتابهم هذا فتيلا : فيلفت المشارقة إليهم لفتة حادة ، ويجعلهم يعنون بهم وبآثارهم على نحو ما هم أهل له .. فبقدر ما كان المغاربة ينحون باللوائم على المشارقة ، ويضجون من مواقفهم منهم ، بمر الشكوى ، كان المشارقة لا يزدادون إلا عزوفاً عنهم ، وتجاهلاً لهم ، وزهدا في كتاباتهم ، ورغبة عما يجرى بين ظهرانيهم ، فكانت كتاباتهم حين يكتبون (أى المشارقة) وما أقل ذلك ، مقتضبة ، خجولة ، تتسم بالأخطاء التاريخية والجغرافية ، في الوقت الذي كان المغاربة يعرفون فيه عن المشرق العربي كل شئ : رجاله ، وتاريخه ، وأدبه وفنونه » (٣) .

ويتنبه المتابع لهذه الظاهرة الشعورية لدى الأشقاء المغاربة الى أنهم قد احتفظوا في ذاكرتهم الثقافية التاريخية ــ في القديم والحديث ــ بملاحظات جزئية وتفصيلية قد تبدو هامشية للمراقب أو الراصد غير المغربي ، لكنها فيما يبدو كان لها أعمق التأثير في تعميق الاحساس بهذه الظاهرة ، وتضخيم الحساسية تجاهها لدى الأشقاء هناك .

فهل يعلم المثقفون المشارقة ، على سبيل المثال ، ان الشاعر الكبير أحمد شوقي زار مدينة : الجزائر في أوائل هذا القرن ، عندما كانت تحت سطوة الاستعمار الفرنسي في عنفوانه ، وأنه مكث فيها أربعين يوماً للاستشفاء ، وأنه كتب عنها بعد ذلك يقول : « .. ولا عيب فيها سوى أنها قد مسخت مسخاً ، فقد عهدت مساح الأحذية فيها يستنكف النطق بالعربية ، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسية » (٤) .

الحساسية المغربية والثقافة المشرقية

وأن ابن باديس، في ليلة الاحتفال بذكرى عام ١٣٥١ للهجرة، قد أشار الى عبارته هذه بقوله: «فاعجبوا للاستدلال على حالة أمة بمساح الأحذية فيها.. إلا أن فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا، لكان له في الجزائر رأي آخر.. ولعلم أن الأمة التي.. أنجبتها العرب.. لا تستطيع، ولن تستطيع أن تمسخها الأيام، ونوائب الأيام» (٥).

وهل أهتم المثقفون المشارقة بالرد على سلامة موسى عندما كتب عن الجزائر عام ١٩٣٠ بقوله: «إننا لا نجد في الجزائر أية حركة وطنية، بينما نجد في الهند حركة وطنية هي غاية في القوة، وذلك لأن الفرنسيين قتلوا الروح الوطنية في الجزائر بمقاومة اللغة» (٦)..

حيث يرى د. عبد الملك مرتاض أن ذلك حكم سطحي مبتسر يجهل صاحبه تنامي نهضة اللغة العربية بالجزائر، عندئذ، ويتجاهل تاريخ مقاومتها المستمرة للمستعمر منذ القرن التاسع عشر.

وبالإضافة الى ذلك، يتألم الأخوة المغاربة لتجاهل نتاجهم الثقافي عندما يصل الى بلاد المشرق. فعلى سبيل المثال أرسلت جمعية العلماء بالجزائر سجلها العلمي الذي طبع عام ١٩٣٥ ميلادية الى مجلات مشرقية عديدة، كي «يطلع أصحابها على صورة من النهضة القومية والأدبية في الجزائر، ولكن هذه الصحف لم تلتفت الى السجل، ولم تتفضل عليه بكلمة، اللهم إلا كلمة هزيلة جادت بها مجلة السياسة الأسبوعية» (٧).

ويلاحظ بهذا الصدد أن مجلة «الرسالة» للزيات ـ رغم اهتماماتها العربية الواسعة ـ لم تشر بشيء الى السجل المذكور، رغم أن صاحبها ـ كما يقول فرحات الدراجي في مقالة له بعنوان: كلمة عتاب الى اخواننا الشرقيين» ـ يفتح صدر رسالته الى الكتابة عن كلب العقاد، وسنور المازني.. مع أن المقدمة التحليلية التي وضعها الأستاذ الابراهيمي لهذا السجل، وحلل فيها عناصر نهضة الجزائر الفتية تحليلاً دقيقاً لا تقل في بلاغتها ودقتها عما ينشر في مجلة الرسالة» (٨).

وعندما يكتب الباحثون المشارقة عن الشئون المغربية يجدهم أشقاؤهم في المغرب واقعين في أفحش الأخطاء واكثرها سطحية. في الموسوعة العربية الميسرة الصادرة بالقاهرة عام ١٩٦٥، أى بعد استقلال الجزائر بثلاثة أعوام، لا تنال الصحافة العربية بالجزائر ذات التاريخ الطويل في مقاومة الفرنسية، سوى ستة أسطر بحجم العمود الصحفي يجهل كاتبها «في الحقيقة كل شيء عن هذه الصحافة» (٩)، حسبما يعتقده د. مرتاض.

ومثل هذا الاغفال والخطأ تكرر عن الموضوع ذاته في (معجم المعارف) للويس معلوف وأصحابه. وعندما كتب أحمد أمين كتابه الشهير «زعماء الاصلاح في العصر الحديث» لم يذكر من الجزائر أحدا، «مع أن الاصلاح الدينى المرتبط باصلاح المجتمع تفكيراً واعتقاداً وسلوكاً.. ما بلغ إلا في الجزائر ذروتـه» (١٠) حسب تعبير الباحث الجزائري.

وحتى ندرك عمق حساسية الأشقاء في المغرب العربي تجاه هذا الإغفال، علينا أن نتأمل ملياً في الملاحظة التالية للدكتور عبد الملك مرتاض على ما تحمله من ملحظ قد يبدو لنا هامشياً من ناحية، ومضخماً من ناحية أخرى، يقول: «وحتى لا يقع خرق لهذه القاعدة (قاعدة اغفال المشارقة للمغرب) فقد كان عهدنا بكتاب كلمات الأغانى أن يهملوا ذكر الجزائر إذا أوردوا أسماء بلدان عربية أخرى!» (١١).

وذهب الأمر ببعض أدباء المغرب الى طرح هذه المشكلة بالقول: «اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا.. لقد أسرفنا أخيراً في الاقبال على كل ما يرد علينا من طريق الشرق اسرافاً أفقدنا الثقة بأنفسنا..» (١٢) ـ وهكذا تصل هذه الإشكالية في الوعي المغربي الى درجة لوم النفس واتهامها بالتقصير واستكثار اهتمامها بالمشرق وكأنه جزء غريب وخارجى عنها، الأمر الذي يوضح لنا الأبعاد الخطيرة لهذه الاشكالية المشرقية في الوعي المغربي، بشكل أكبر مما نتصوره نحن في المشرق عندما تصادفنا الاشكالية لأول وهلة. ولابد لي أن أعترف أن هذه الابعاد تمثل نوعاً من المفاجأة لي شخصيا، رغم اشتغالي بتاريخ المغرب الثقافي عندما كتبت أطروحتي للماجستير عن ابن سعيد المغربي الذي يعتبر من رموز التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب في القرن السابع للهجرة، وذلك باشراف أستاذنا الكبير الدكتور إحسان عباس، حيث لاحظت نوعاً من التجاذب اللافت في المشاعر المغربية المشرقية المتبادلة، غير أني لم أتصور أنها مازالت قائمة من ناحية المغرب بهذه الصورة المعقدة والمتضخمة حتى أيامنا هذه. وحتى من يقرأ كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد (المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين)، لن يتيسر له أن يرى أبعاد المشكلة الراهنة، حيث الجذور التاريخية للظاهرة لا تبدو بمثل الحدة التي تبدو عليها من هذا العرض الذي أوجزناه لها في الحاضر، بالاعتماد على كتابين مغربيين لا أكثر، وهما كتاب الأستاذ محمد مزالي من تونس، وكتاب د. عبد الملك مرتاض من الجزائر، ولو وسعنا دائرة البحث لأدهشنا الكثير غير المتوقع..

* * *

هذه هي الإشكالية كما تطرح ذاتها. وعلينا الاعتراف بوجودها في الوعي، سواء كانت أسبابها موضوعية فعلية، أو شعورية ذاتية، أو مزيجاً من النوعين وبعد ذلك يحتاج الأمر الى تدارس مشترك بين الأشقاء المغاربة والمشارقة في لقاءات وندوات ومؤتمرات تتجاوز الاجتهاد الفردى والجهد الشخصى، لأن المسألة مسألة ثقافية عربية شاملة تحتاج الى مقاربة ومعالجة من عدة جوانب وزوايا لتفكيك مفاصلها وتعقداتها.

من جانبي، ومن موقعي كمهتم بالثقافة في منطقة الجزيرة العربية والخليج، سأكتفي، بداية بطرح التساؤلات التالية من باب التمهيد لمعالجات أوفى لها:

أولا: هل المسألة مسألة مشرق تجاه

المغرب ، ومسألة تجاهل مشرقي للشأن المغربي بهذا التقسيم العام الكاسح ؟ نسأل ذلك لأننا هنا في الجزيرة العربية والخليج عانينا من عزلة ثقافية ومن اغفال وشيء من اللامبالاة في عواصم المشرق الثقافية الكبرى كبيروت والقاهرة ، تجاه أدبنا وأدبائنا في الماضي ، وحتى وقت قريب . ومع ذلك فنحن مشرق وهم مشرق ! .. اذا كان المغربي يتصور أن اغفاله في صحافة بيروت أو القاهرة أو دمشق أو بغداد مسألة مشرقية مغربية .. فماذا يقول اليمني الذي ما يزال بعيدا عن اهتمام اخوانه في المشرق وفي المغرب أيضاً ، على حد سواء ؟! إذن فالمسألة ليست مسألة تقسيم جغرافي بين مشرق ومغرب . لابد من التأمل فيها من زوايا أخرى ، خاصة في ضوء ما تعانيه ثقافة الجزيرة ، واليمن ، وعمان ، والخليج من اغفال مشابه مشرقي .. ومغربي !

ثانيا : الملاحظ أنه عندما تطرح هذه الاشكالية في الأدبيات المغربية ، فإن الشواهد السلبية هي التي تتوالى وتتواتر ، أما الجوانب الايجابية في التفاعل بين المشرق والمغرب فلا تنال إلا حيزاً أقل بكثير من نقيضتها ومن دورها المشهود في التاريخ العربي المشترك .. فماذا عن رجال الثقافة العرب الذين ذهبوا لبلاد المغرب وأحسنوا الاطلاع والحكم والمشاهدة ، وقاموا بالتفاعل المنشود ؟ وماذا عن الدعم الذي قدمته مصر وسوريا والعراق والسعودية وبلاد الخليج لقضايا النضال والتعريب في مختلف مراحل النهضة الحديثة ضد الفرنسية والتغريب في بلاد المغرب العربي .. وحتى الآن ؟ وهي بلاشك قد قامت بواجبها في سبيل عروبتها بالمغرب ، ولكن لماذا يتم اغفال ذلك في اطار الصورة العامة للعلاقة المشتركة ؟

ثالثا : إذا كان قد تم اغفال وتجاهل عدد غير قليل من الأدباء والمفكرين المغاربة في المشرق لهذه الاشكالية المفترضة في الوعي المغربي ، فكيف نفسر ذلك الاستقبال الذي ناله في المشرق أمثال أبي القاسم الشابي ومالك



أبو القاسم الشابي



أحمد حسن الزيات

بن نبي ، والذي يناله عبد الكريم غلاب ومحمد مزالي والمسعدي وعبدالله العروي ومحمد عابد الجابري ؟ لماذا اهتم المشرق بهذه الشخصيات المغربية التي لا شبهة في أصالتها المغربية ، ويقال انه أهمل أو أغفل غيرها ؟ ألا يبدو هنا أيضا أن التعميم بشأن المغرب ، كما هو بشأن المشرق ، تعميم غير دقيق وقد يكون غير سليم ؟

رابعا : كما دخل كبار مفكري الاسلام المغاربة في صميم التراث المشرقي بلا أية حواجز اقليمية ، من ابن رشد الى ابن طفيل الى ابن حزم الى ابن خلدون ، فإن دراسة هؤلاء من قبل كبار المثقفين المشارقة المحدثين من ساطع الحصري وطه حسين الى أيامنا هذه ، هل يبدو للأشقاء المغاربة أنها دراسة مشوبة بأي استصغار مشرقي لتلك العبقريات المغربية التي نعتبرها عربية اسلامية قبل كل شيء ؟؟

هذه بعض الأسئلة التي أراها أساسية لتفكيك الاشكالية . وربما كان مفيداً أن نسمع وجهة نظر مغربية بشأنها . وأعتقد مخلصاً أن الاشكالية لا تخلو من مبالغة .. والحديث موصول بين مشرق ومغرب بإذن الله .

محمد جابر الأنصاري

هوامش ومراجع

١ ـ محمد مزالي ، في دروب الفكر ، الدار العربية للكتاب ، ص ١٥٦ .
٢ ـ المصدر ذاته ، هامش رقم (١) ، ص ١٥٦ .
٣ ـ د . عبد الملك مرتاض ، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق ، دار الحداثة ، بيروت ، ص ١١ ـ ١٢ .
٤ ـ المصدر ذاته ص ١٢
٥ ـ المصدر ذاته ص ١٢
٦ ـ المصدر ذاته ص ١٤
٧ ـ المصدر ذاته ص ١٧
٨ ـ المصدر ذاته ص ١٨
٩ ـ المصدر ذاته ص ١٩
١٠ ـ المصدر ذاته ص ٢١
١١ ـ المصدر ذاته ص ٢١
١٢ ـ المصدر ذاته ص ١٨
كما ويراجع كتاب د . صلاح الدين المنجد ، المشرق في نظر المغاربة والاندلسيين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، للاطلاع على الخلفية التاريخية للموضوع .

لغتنا العربية في خطر!

بقلم: الدكتور سيار الجميل

ما هذا الذى نسمعه ونقرأه اليوم في لغتنا العربية ؟

ما هذا الغثاء الذى يستخدمه أبناء اليوم في عربيتهم ؟ وإلى أين يمضى الجيل الجديد بتكوينه اللغوى، وسلوكه الثقافى ؟ وماذا سيحل بهذه اللغة العريقة في قابل ؟

أيها السادة: لغتكم العربية ــ اليوم ــ باختصار شديد هي في خطر شديد. فمن ذا الذى ينقذها من أتون هذا الحاضر الممزق: فكريا وسياسيا وحضاريا ؟. من يخلص عالمنا اللغوى العريق، من هذه الحرب الخفية التى يتعرض لها .. وعلى أيدى أبنائها ؟ إنها مأساة مروعة .. لا يتحسسها إلا من كان له نصيب علمي وأدبي من الأصالة والثقافة فيها وفي تاريخها.

هل يعلم أبناء لغة الضاد، أن لغتهم هي أعرق لغة في الوجود ؟ ومن دون تهويل .. فهي تحمل صفات القداسة والتجلة والسمو الانساني .. هل يدرون كيف انتشلها رجال الأمس القريب من الظلمات التي خيمت عليها ؟ رحم الله أولئك الرجال العرب الذين خدموا لغتهم، وتراثها العظيم .. وما كسبوا في حياتهم الا شظفا ومصاعب شتى، وقد تناساهم أبناء الحاضر! إنها حلقة واسعة الأبعاد تزداد شرخا وخرقا، وهي تفصل حاضر ثقافتنا عن ذلك الأمس القريب. ولا يجد المتأمل فيها إلا الألم لما حاق بالحاضر.. ولما سيؤول إليه الحال في قابل: نكوص وبعثرة وغرابة لم يألفها العرب في لغتهم من قبل على امتداد عمرهم الطويل.

الأمس القريب وعمالقته: عظماء وزعماء وخطباء وأدباء وكتبة وعلماء وفقهاء لغة. مؤرخون ومفكرون ونقاد وسدنة تراث عظيم.

وحاضر يمثله: صحفيون مهاجرون، وموظفون ببغاويون، وأكاديميون جامدون، وكتاب هائمون، وشعراء متمزقون .. وعقلاء ضائعون في خضم هذا الركام الغريب، وقد غدوا مادة دسمة للاستلاب!

حماة العربية

تعيش اللغة العربية في يومنا هذا في حالة لم تألفها من قبل أبدا. ولا يخال المرء أنها حالة تطور وتسام، بل هي حالة من التفكك والانحدار.. خلقتها شباب اليوم الذى تدفق في عالمه العربي بثقافاته الجديدة. فدخلت (اللغة) كأحد العناصر الأساسية في كيان العرب دوامة هذا العصر الممزق. والخوف من ضياعها في متاهات هذه الدوامة الغريبة!

تعد اللغة العربية من أقوى عناصر بناء الأمة. وقد حفظت وحدتها في جمعها لأبناء الضاد على امتداد تاريخى طويل جدا، قلما حظيت بذلك الأمم الأخرى. وتميزت العربية بالرصانة والمتانة والأحادية والقداسة والعمر الطويل على يد الاسلام .. كما واتصفت بالتجلة والسمو والخلود من خلال القرآن العظيم. وحملت اللغة العربية على كاهلها، تراث الاسلام الزاخر.. إذ خدمها وكتب فيها الآلاف المؤلفة من الرجال في مئات السنين، فأغنوها بمختلف البدائل والمرادفات والاشتقاقات الحية، اضافة الى ما كتب فيها من علوم وأفكار وآداب وفنون وفلسفة ومنطق.. كما وكان لها تأثيرها البالغ على لغات شتى في العالم.

أفاق العرب في العصر الحديث، ليكونوا حماة لها، يدافعون عنها، ويدفعون بها الى مراحل جديدة من التطور. وما كانوا بمنقطعين عن الجذور: يدرسونها ويحققون فيها، ويخلصونها مما علق بها. ولم يزل البعض من الرجال حتى يومنا هذا، ينافحون عنها، ويدفعون بالغوائل التي تحيق بها، ويحضرني منهم: الشيخ ابراهيم اليازجي، وحافظ ابراهيم، وجرجي زيدان، وانستاس مارى

الكرملي ، ومحمد كرد علي ، وفارس الخوري ، وعلي الجميل ، والدكتور حنا خياط ، وعبد العزيز الثعالبي ، وعبد الرحمن الشهبندر ، والدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور مصطفى جواد ، وجبران خليل جبران ، وساطع الحصرى ، ومارون عبود ، ومصطفى صادق الرافعي ، وعبد القادر المغربي ، وفؤاد افرام البستاني ، وأحمد حسن الزيات ، وعبد الحميد بن باديس ، ورئيف خورى ، وأحمد رضا ، وأحمد عبد الغفور عطار ، ويوسف السودا ، والدكتور عبد العزيز الاهواني ، وطه الراوى ، وعبد الرزاق محي الدين ، والدكتور عبد الرحمن البزاز ، والدكتور محمد حسين ، ومحمد خليفة التونسي ، والدكتور ابراهيم السامرائي ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وزكريا سعيد ، والدكتور احمد مطلوب ، وفاروق شوشه .. وغيرهم من الرجال .

الاشكالية والخصوم

ان أكبر المشاكل التي تعرضت لها لغتنا العربية في تاريخنا الحديث هي : مشكلة العامية والفصحى ، والتبشير باحلال الأولى محل الثانية .. ثم المناداة باستعمال الحروف اللاتينية كبديل عن الحروف الأبجدية ــ العربية . ولعل أبرز الأسباب التي دفعت أصحاب تلك الدعوة في حربهم على الفصحى ــ حسب زعمهم ــ : أن العامية ذات طواعية ومرونة في الفهم ، والتعبير الكتابي الأمثل عما يريده الناطق بها (كذا) . وان استخدام الحروف اللاتينية يتفق مع متطلبات العصر الحديث ، لأن الحروف العربية في نظرهم ، عاجزة عن مسايرة هذا العصر (كذا) .

ان صراع العامية مع الفصحى في لغتنا العربية ، ليس وليد حاضرنا اليوم ، بل إنه يمتد طويلا في حلقة ثقافتنا العربية الحديثة . وقد أعلنت العديد من الحملات والأدعاءات دون فهم علمي متكامل ، ووعي ناضج بالأصول والجذور .. وعلاقة ذلك بالنتائج التي كانوا يودون الوصول إليها . فمثلا ، لم يميزوا بين مصطلح (العامية) ومصطلح (اللهجة) ومصطلح (الهجين) ! كما وإنهم انساقوا وراء الآراء التي طرحها بعض المستشرقين في اللغة العربية .. دون رصد مسبق لطبيعة اللغة العربية ، ووزنها النوعي ، وثقلها الحضارى والانساني .. كما وانساق البعض الآخر وراء التجربة الفاشلة التي كان طبقها الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك في تركيا الحديثة ، في عبثه باللغة التركية ، وتقنينه للحروف اللاتينية بدل الأبجدية ــ العربية .

كان أشهر أولئك الدعاة العرب الذين حملوا على لغتهم وفصحاهم دون تعقل وتأمل وتبصر هم : الاسقف ميشال الغفالى ، والدكتور جبور عبد النور ، والخورى مارون غصن ، والدكتور انيس فريحة ، والشاعر سعيد عقل (وجميعهم من لبنان) ، وهناك سلامة موسى ولويس عوض (من مصر) ، ومؤخرا الجنيدى خليفة (من الجزائر) .. وغيرهم .

لو عدنا الى جذور المشكلة ، فإننا نجد أنها قد طرحت لأول مرة أثناء انعقاد مؤتمر اللغويين في لايدن بهولندا عام ١٨٨٣ م . وكان المستشرق الاسوجي كارلو لندبرك ، هو أول من قال بذلك ، ثم ناصره العديد من المستشرقين الانكليز والافرنسيين والألمان . في حين عرف الاستشراق رجالات منه ، ساهموا في اغناء اللغة العربية ، وغرموا فيها ، وتعبوا من أجلها ، وعشقوها عشقا جما ، أمثال : نيكلسون ، ونللينو ، وبلاشير ، وبراون ، واربرى ، ورايت .. وغيرهم .

اليازجي واللغة العربية

يعتبر الشيخ ابراهيم اليازجي من أقدم الرجال المدافعين عن اللغة العربية ضد خصومها . ونفهم من كتابات الرجل ، أنه تمتع بحس لغوى متوقد في نظرته الزمنية تجاه مايريده أولئك الخصوم من الأجيال العربية الجديدة . كتب اليازجي العديد من المقالات ، ونشرها تباعا في مجلته (الضياء) التى كان أصدرها في القاهرة ، تحت عنوان (اللغة العامية واللغة الفصحى) . ومما جاء فيها : « ان البعض ينشر من سنوات رسائل متتابعة يدعون فيها علماء العربية وكتابها الى استبدال اللغة العامية بالفصحى واعتمادها في الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفا جديدة تكتب بها هي الحروف اللاتينية ، وقد وضع لبعضها علامات خاصة للدلالة على المقاطع التى لا صور لها في اللغات الفرنجية . وقد انتهى الينا ما تنشره عن تلك الرسائل وفيه امثلة عن حكايات غيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعا من الكرشوني (أى العربية بالحروف السريانية) ، الا انه متفرنج كأكثر أهل الشرق في هذه الأيام . وإذا قرئت جاء لفظها أشبه بلفظ رجل افرنجي يتعلم العربية .. وزعم أن تعلم هذه الحروف أسهل تناولا على الأمي من أبناء مصر ، وأنها أفضل ذريعة لتعميم القراءة في القطر ، وكأنه توهم ابن مصر رجلا من أبناء أمته قد تعلم القراءة بحروف لغته ، فكان تعلم قراءة العربية بحرف يعرفه أسهل عليه وأقل كلفة من أن يتعلمها بحرف جديد .. والا فإن لم يكن بد لمتعلم القراءة من أن يتعلم أشكال ثمانية وعشرين حرفا ، فما الفرق بين أن يتعلمها بهذه الصورة أو تلك . وإن قيل إن صورة الحرف الواحد تختلف أحيانا بحسب موقعه في الكلمة . قلنا وهذا أيضا لا تخلو منه الحروف اللاتينية بل قد تكون صورة الحرف الواحد فيها أبعد مماثلة » .



ابراهيم اليازجي
أكبر المدافعين عن العربية ضد خصومها



جورجي زيدان
العربية كائن حي

ووضع المستر ولمور ، المندوب الانجليزى الذى كان يشغل منصب أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في عهد الاحتلال البريطاني لمصر .. وضع كتابا جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجه يقرب من الأجنبي تناولها والتكلم بها . وذهب المؤلف وآخرون الى ضرورة نسخ اللغة الفصحى من البلاد ، واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحروف اللاتينية . ويذكر اليازجي . أن الجرائد الانجليزية وولمور دعوا الى لزوم ادخال الطريقة في المدارس الحكومية مع جعل التعليم اجباريا ، حتى تكون الضربة قاضية على الفصحى وأسفارها . ويستطرد اليازجي قائلا : « .. ترى بعض كتابنا ممن قل رأس مالهم من اللغة ــ العربية ــ يرمونها بالقصور ، ويميلون الى استبدال العامي من الفصيح » . ويرى بأن اللغة العربية واقعة على مفصل طريقين لا محيد لها عن سلوك واحد منهما ، فإما أن تحيا وتستعيد ماضي شبابها حتى تكون كإحدى لغات أهل العصر ، وأما أن يسجل عليها بموت لا حياة بعده ولا مبعث منه . وكلا الأمرين منوط بالأمة معقود بهممها وسخائها .. فإن وجد في خاصتها وعلمائها وفي حكومتها من ينتدب لسد هذا الرمق والا فليؤبنها ذووها .. » . وهكذا ، وفي مصر

لغتنا العربية في خطر!

أيضا: وصف جورجي زيدان (العربية) بالكائن الحي.. ووصفها حافظ ابراهيم بالبحر المحشو بالأصداف والدرر.

في العراق وبلاد الشام

هناك أسماء لبعض العلماء والأدباء المشهورين من الذين حملوا مشعل تجديد اللغة العربية في كل من العراق وسوريا. فكان أول من نادى بأصالة اللغة العربية وتجديد تراثها الخالد في العراق هم: الأديب علي الجميل والدكتور حنا خياط والدكتور داود الجبلي (من الموصل)، واللغوى الأب انستاس مارى الكرملي (من بغداد). فقد عالج الأستاذ علي الجميل والدكتور خياط في محاضراتهما التي ألقياها في النادى العلمي بالموصل سنة ١٩١٩، تاريخ اللغة العربية، وأمجادها العريقة.. والأخطار التي تواجهها. وكيف حافظت على فصحاها الخالدة في قرونها المتوالية. في حين كان اللغوى الشهير انستاس مارى الكرملي يحرر مجلته الرصينة (لغة العرب) في بغداد. وقد عدت بحق، من أولى المجلات العلمية العربية التي أسدت للفصحى خدمات جلى.. وتربى عليها جيل عربي كبير. وساهم في تحرير الأعداد الأخيرة منها العديد من الكتاب العرب، وكان أبرزهم: الشاعر جميل صدقي الزهاوى، والأديب الصحفي روفائيل بطي، والدكتور مصطفى جواد.

أما في سوريا، فكان هناك العديد من الرجال الذين توفر لهم المجال الواسع الذى كرسوه في دعوتهم الى (التعريب). فقد ظهر العلامة عبد القادر المغربي ١٨٦٧ ـ ١٩٥٦. في حين كان أترابه وزملاؤه سنة ١٩٠٦، ينادون بتنقية اللغة العربية من المفردات الدخيلة، وقصر الاشتقاق على ما سار عليه القدماء، كان المغربي يخالفهم جميعا، في تأكيده: أن اللغة العربية تتطور مع الزمن تطورا سليما صحيحا تأخذ به من اللغات الحية ما تزيد به مفرداتها زيادة تجارى بها سير العلم، وركب الحضارة. ولكن ليس على حساب شخصيتها وفصحاها. وقد جرت مساجلات في هذا الشأن بينه وبين حفنى ناصف، وعبد العزيز جاويش والخضرى والاسكندرى، وأحمد زكي، وحسين والي. ولكن المغربى عاد من مصر الى سوريا ليدعو بدعوته فيها، وقد تحققت دعوته ١٩١٩، حين اشترك فارس الخورى وعبد الرحمن الشهبندر، ومحمد كرد علي في استبدال المصطلحات التركية بالمصطلحات العربية، أى وضع الكلمات العربية محل التركية (فالباء في العربية تدخل على المتروك) ووضع مع زملائه عددا كبيرا من المفردات المعربة.

تساؤلات

ان الخطر الذى يتهدد لغتنا العربية هذه الأيام، هو أكبر بكثير من أن تعالجه مقالات الشيخ اليازجي، أو آراء انستاس الكرملي، أو ملاحظات الحصرى، أو نقدات مارون عبود، أو أدبيات أحمد حسن الزيات.. في زحمة ما يتهدد العربية من حرب علنية، وأخطار خفية، وسموم هابة من دواخل حصونها.. وعلى أيدى أصحابها من أبنائها المعاصرين، نتساءل قائلين ومستفهمين عن الدور المسؤول الذى يجب أن تضطلع به المجامع العلمية العربية الشهيرة في اللغة العربية: مجمع الخالدين بمصر، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية الأردني؟ ثم ما هو دور أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية ومراكز البحوث اللغوية؟ وما هو دور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب) التابعة لجامعة الدول العربية، والتي تصدر مجلتها الرصينة (اللسان العربي) وأين هو دور الأساتذة المتخصصين في اللغة العربية كعلماء لهم مسؤولياتهم في العمل تجاه الأخطار المحدقة بلغتنا العربية في عالمنا المعاصر من أقصاه الى أقصاه؟ وهل تنفع مقالة نقدية صارخة كالتي أكتبها في أتون الأزمة؟ فما هي الا ورقة تواجه إعصارا هائلا، يزداد قوة ونقمة واكتساحا يوما بعد آخر؟ وهل من متسائل عن هذا الغثاء الذى نسمعه ونقرأه كل يوم عبر وسائل الاعلام الرسمية، وبين طيات المجلات الأسبوعية، والجرائد اليومية.. وعند المثقفين والأدباء المحدثين؟؟

مسارب الأخطار

١ ـ المؤسسات الاعلامية: لقد فشلت الحرب العلنية التي كان أشعلها خصوم اللغة العربية على فصحاها، باعتبار أن الأخيرة لا تفي ومتطلبات العصر الحديث. أما المحاولات التى زاوجتها في إحلال الحروف اللاتينية بدل الحروف الأبجدية العربية في الكتابة، فقد قبرت هي الأخرى دون رجعة! ولكن المرء الذى يتمتع بقدر واف من الثقافة اللغوية، والأصالة العربية.. يقف مندهشا أمام الحرب الخفية التي يمارسها البعض من أبناء اليوم ضد لغتهم وفصحاها. وتعتبر الصحافة، وأجهزة الاعلام، والمؤسسات الرسمية، وبعض دور النشر الأهلية... الخ هي الأرضية الجامعة المشتركة والصالحة لمثل هذه الحرب الأثيمة التي نبتت فيها. وعندما نعلم أن الاعلام والصحافة هما ميدانان أساسيان يلعبان اليوم دورا هاما وخطيرا في التكوين الثقافي واللغوى للجيل المعاصر.. أدركنا عمق المأساة!

٢ ـ الثقافة اللغوية: كان جيل الأمس القريب يقرأ في شبابه كثيرا من أجل أن يبني نفسه. كان شغوفا في قراءاته المتنوعة، ويجد فيما يقرأه متعة وثقافة وتعلما: كتبا وروايات وأدبا ودواوين شعر.. وقصصا عالمية. تاريخا وفلسفة، ونقدا أدبيا.. وصفحات من التراث.. الخ، فلو قورن جيل الأمس بجيل اليوم، لوقفنا على فجوة واسعة تفصل بين اهتمامات كل من الاثنين، وثقافتهما ومعلوماتهما، اضافة الى أسلوبهما في التفكير. لقد انغمر جيل اليوم في قضايا هي أبعد ما تكون عن تكوينه الثقافي واللغوى، فقد تكون تلك القضايا: معيشية يومية، أو اهتمامات رياضية، أو هموم سياسية! ان جيل اليوم لا يقرأ كثيرا، بل يتصفح قليلا!! وهو مشغول البال، ضعيف الحال، مشتت الأفكار.. لا يدرى من الثقافة الا مصطلحاتها، وكلمات يزوقها. لا يتمتع بجرأة علمية، أو شجاعة أدبية، أو موهبة لغوية... ولا يستطيع التخلص من عاميته المسيطرة عليه سيطرة عمياء. وعلى هذا الأساس، فإننا نلاحظ أن هناك آلاف المثقفين يعجزون عجزا كبيرا في ثقافتهم اللغوية. ومنهم ـ على سبيل المثال ـ الأساتذة وأعضاء الهيئات التدريسية والتعليمية، لا يستطيعون أن يجيدوا عملهم من خلال إلقاء دروسهم ومحاضراتهم شفهيا بلغة عربية مبسطة خالية من التعقيدات أو الأخطاء أو العاميات. أما رجل الاعلام والصحافة، فحدث ولا حرج لما يقع فيه من أخطاء لا تغتفر فيما يكتبه، وهزال في نوعية ما يكتبه!! أو تطغى العامية ـ عند البعض ـ على الفصحى.. وهناك السيل الجارف من الكلمات والمصطلحات الأجنبية.

٣ ـ رجال السياسة والتكوين اللغوى: لقد تعاظم خطر استعمال العامية كبديل للفصحى منذ بداية عقد الستينات، ولم يزل يتفاقم في خطره المروع حتى يومنا هذا وتتجسم ظواهره ليس عند بعض الافراد فحسب، وإنما في العديد من الأجهزة الاعلامية، والهيئات الصحافية ورجال السياسة، ومنذ الستينات.. عندما جنحوا في مذكراتهم وخطبهم وتصريحاتهم الى استخدام العامية وقد أدى هذا الوضع الى نتائج خطيرة على مستويات عديدة. خصوصا عند أبناء الجيل الجديد. لقد دخلت الى العربية العديد من


حافظ ابراهيم
العربية بحر محشو بالأصداف والدرر

■ ماذا فعلت المجامع اللغوية فى مواجهة الحرب الخفية على اللغة العربية ؟


كمال أتاتورك
اللاتينية بدلا من العربية


سعيد عقل
حمل على الفصحى دون تعقل

■ التدهور اللغوى يزداد كل يوم بين الأجيال العربية الجديدة


بــراون
مستشرق عشق العربية

الكلمات والتعابير الناشزة والغريبة على اللغة .. وغدت كمسلمات لغوية عند الجيل الجديد .

٤ ــ مناهج التدريس : لقد وجدت الأجيال العربية الحديثة صعوبات شتى في استيعاب قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها وبيانها .. في المدارس الرسمية والأهلية التي تربوا فيها ، وذلك بسبب ضعف المناهج التدريبية في مواد اللغة العربية .. ونتيجة لذلك كله ، فقد غدا المثقف العربي الجديد ، عدوا لدودا لنحو لغته وصرفها وبيانها .. ودفعه ذلك للايغال في استخدامه كل ما هو غريب وهجين وعامي فيها . ان أحد الأسباب الأساسية في حدوث هذا النكوص المخيف ، هو عقم المناهج لتدريس اللغة العربية في معظم المدارس العربية . وهكذا قاد ضعف المناهج الى ضعف في التكوين اللغوى والثقافة العربية .. ونجد اليوم بعد مراحل من تسيير تلك المناهج ، هوة واسعة بين اللغة العربية وبين أصحابها من الدارسين العرب ، سواء في سنواتهم الأولى أم في سنواتهم المتقدمة . وكانت هذه الهوة هى علة ومعلول فى آن واحد . وقد أدت الى انفصام وابتعاد الجيل الجديد عن استخدامه للفصحى بأسمى صورها ، وأجلى مظاهرها .. ومن ثم نجدهم ، يدخلون كمثقفين ومهنيين وصحفيين ومدرسين وأكاديميين ... فى مؤسسات تربوية وإعلامية وسياسية وثقافية ودبلوماسية وعلمية وفكرية .. لكى يتمرسوا في حرب خفية ضد لغتهم ، سواء كانوا يعلمون بذلك أم لم يكونوا يعلمون !

٥ ــ الفنون الأدبية : لم يقتصر الأمر على الصحافة ، وأجهزة الاعلام الرسمية والمؤسسات السياسية ، وأروقة الجامعات والمعاهد .. في استخدامها للخلط الغريب من العامي واللهجة والهجين ، كبدائل لمرادفات ومسميات في اللغة العربية ، وخصوصا الرواية والمسرحية والقصة والشعر الحديث . وقد اقتنع البعض لهذا الجنوح بحجة أنه دليل بارز لتمثيل الواقع أصدق تمثيل ، وشاهد فعلي على الانفتاح الحضارى ! ! في حين يراه المثقف العربى الأصيل من الأدلة البارزة على ضعف اللغة العربية ، وتهشيم قوائمها من خلال ذلك الخلط المضاد لعملية تطور اللغة ورفعتها . ويرى الخصوم في آراء هذا المثقف أنه رجل متزمت ، أو مفكر تقليدى .. ويعتبر مثل هذا الاتهام بحد ذاته ، جنوحا عن الحقيقة ، وحربا على اللغة . وكدليل بارز على عظم التبعية للأجنبي ، وحقيقة جلية فى تأثير الغزو الثقافي ــ الأوربى على أحادية لغتنا العربية ، ودعائمها القومية والتاريخية .. وخصوصا عن طريق الفنون الأدبية المشاعة . ومن العجيب أن يسكت أو يرضى بعض رجالات اللغة ، والمختصين فيها على ما فرضته هذه التبعات على مستويات الفنون الأدبية في ثقافتنا المعاصرة !

هذه هي المسارب الخمسة الخطيرة التى يجب أن تلتفت إليها الأنظار ، للحد من ايغالاتها المضادة تجاه اللغة العربية ، والعمل على رفع مستواها بما يخدم واقع ثقافتنا العربية المعاصرة . وفى هذا المجال ، يجب على الباحث والناقد واللغوى والمفكر والأديب .. أن لا يتيه بما يسمى اليوم بقضية (التراث والمعاصرة) . فمسألة اللغة هي قضية حيوية جامعة للبقايا والجذور . ويستوجب على من يتدارسها أن لا يعلق نفسه في برج عاجي ، لينظر فيها ، ثم يوزع الحلول ! ! بل ان ينزل الى أرض الواقع ، ويعالج جوانبها بحذر ومهل ودراية ونظرة واسعة .. ليرى كم تغص المؤسسات الاعلامية ، ودور النشر الاهلية ، ووزارات الثقافة والاعلام ، واروقة الجامعات والمعاهد والمدارس ، وهيئات الصحافة الرسمية وشبه الرسمية ، والاذاعات ومحطات التليفزيون ... الخ كم تغص بالآلاف من الكوادر المسؤولة عن أهم وأخطر الوسائل التعليمية والتثقيفية والدعائية .. وتكون (اللغة) أعظم وسيلة في الاتصال والافهام والتربية والعلوم والآداب والفنون . إنه جيل اليوم : طاقات عظمى لو كان لها الحظ الأوفى من الثقافة اللغوية الأمينة والرصينة والمتينة .. لأثمرت بشكل خلاق ، وخلقت ــ من بعدها ــ جيلا له سلامته اللغوية ، وثقافته الممتازة .. ولساهمت بأعظم قدر في تطور هذه الأمة .

وهناك ظاهرة أخرى واضحة جلية للعيان ، ولكن قل من يبصرها .. وهي تزداد رسوخا وتبعية وتأقلما .. الا وهي (الأساليب الاقليمية) ! إذ يظهر أن كل بلد عربي ، أو دولة عربية .. تستخدم بعض الألفاظ والأدبيات السياسية التي تكرسها في جرائدها ومجلاتها المحلية . فأصبح أبناء بعض البلاد العربية يعيشون في قوقعة لغوية ولفظية نتيجة لانغلاقهم الثقافي وحصارهم في اليوميات التي يقرأونها ويسمعونها من خلال الصحافة وأجهزة الاعلام . وهذه هي مأساة أخرى ، ستكون لها عواقب وخيمة على أجيال المستقبل لهذه الأمة التي عرفت بوحدة أساليبها وطابعها اللغوى المميز منذ أحقاب طويلة في التاريخ .

سيار الجميل
وهران ــ الجزائر

يشتد الحديث ويحتدم ، ويتحول إلى جدال عنيف قد يفضي إلى القطيعة وما يشبهها ، يشتد الحديث بين فريقين من مفكري الأمة العربية ، حول ما يسمى (بالتناقض أو الصراع بين الأصالة والمعاصرة) ثم حول معالجة آثار المشكلة الناجمة عن هذا التناقض أو الصراع . والذي يسمع هذا القول ، يتصور وربما يعتقد أن المجتمع العربي ، قد انقسم إلى معسكرين أحدهما يتشبث بالأصالة ، باعتبارها الوضع الطبيعي في أمة العرب ، وأن كل ما يخرج عن هذا الوضع ، يفتح ثغرات في بناء هذه الأمة ، أو الأسوار التي بناها الأجداد من العلماء والمفكرين ومفسري القرآن ، وجامعي الحديث ، وتنقيته من المنكر والضعيف والموضوع .

بين الأصالة والمعاصرة

موقف عربي بعيد عن التحجّر والجمود

بقلم : فتحي رضوان

ولذلك يجب دعوة أهل الرأي ليضعوا أنفسهم ، بحيث يصدون هجمات خصوم العرب ، الذين يودون أن ينقضوا نظرية الأصالة أو عقيدتها ، ويتركوا العرب ، في عراء حضاري وعقيدي ، وبهذا يخضعون لمن يريد أن يمسخ وجودهم ، وينزعهم من أصولهم ، فيستحيلون إلى أقوام ذوي طابع جديد ، وهوية منتحلة ، فتذوي عناصر قوتهم ، وتزول دواعي منعتهم .

أما المعسكر الثاني ، فلا يعتبر الأصالة درعاً يقي من عوادي الضعف وامحاء الشخصية ، ولا هي زاد من العلم وفهم الكون ، ولا مجموعة من قواعد وأصول ، أقامت في الماضي مجتمعاً قوياً منتجاً ، ومستنيرا ، ومبدعاً في كل ضرب : في مجال العلوم ، والفنون ، والآداب ، والصناعات ، وأصول الحكم ، ومناهج البحث ، بل هي طرائق ومناهج لحياة ، فقدت دوافع مجاراة العصر ، والتطور مع الزمن ، ومواجهة مشكلات هذه الأيام .

ومن ثم فالتشبث بالأصالة ، والاكتفاء بها ، جمود يؤدي إلى التحجر وتخلف نهايته الاستسلام للضعف .

والحق إذا نظرت طويلاً فيما يجري في حياة العرب اليوم ، وما يصدر عن مفكريهم وكبار كتابهم ، ثم حدث فنظرت إلى حياة العرب وهم يضطربون في مجال المعايش وتحصيل الأرزاق ، وتحسين أحوال العامة في بيوتهم ، ومع أولادهم وزوجاتهم . فلن تجد لا عند الصفوة ، ولا عند العامة ، من الأعراض التي تبيح لنا أن نتصور أن حياتنا في جملتها تعاني مشكلة عسيرة الحل ، تعترض سبيل تقدمنا بما يدعو إلى التسرع في تفسير الانقاذ والخلاص ، لنخرج من خطر يتهددنا وبلاء يتعقبنا . والواقع أن الذي أربك خصوم التحديث أو المعاصرة ، من عامة شعوبنا ، أن التحديث اقترن في الأذهان بمعان راحت تتصاعد حتى وصلت إلى مراتب ودرجات لا يقبلها أي شعب ، مهما كان نصيبه من العلم أو الجهل .

فالمعاصرة ، بدت في أول درجاتها دعوة اصطناع أساليب لم يألفها الآباء والأجداد ، الذين كانوا أقوياء وأغنياء وأتقياء وعلماء . فهل نفقد هذه الصفات الرائعة جميعاً ، حينما نتنكب طريقهم ، وننأى عن أساليبهم ، إما لغضب الله علينا ، وإما لأننا نحينا ما وجدنا عليه آباءنا ولم نهتد إلى خير منه .

واعتبر فريق آخر من أهلينا ، أن المعاصرة هي التغريب ، والتغريب هو الاقتداء بأهل الغرب . والاقتداء بأهل

الغرب مرفوض ومنكور لواحد من ثلاثة أسباب : إما لأن الغرب لا ينوي لنا الخير ، فاذا أسلمنا أنفسنا لمذاهبه ومعتقداته ، انزلقنا في مهاو لا نعرف لها نهاية ولا منها مخرجاً ، وإما لأن الغرب ، كأفراد على الأقل ، ايمانه برسالات السماء قد اهتز . فالتغريب هو دعوة للكفر أو للتهيؤ له ، وإما لأن الغرب حضارته مادية بحتة ، خالية من المضمون الروحي ، والتطلع إلى القيم الباقية ، ونحن نبهر بالنجاح المادي لهذه الحضارة ، ونقلل مما صاحبها من نشوء الجرائم ، وانتشار المعاصي . ولكن الحقيقة التي لا يسوغ لنا أن ننكرها ، أن شعوبنا نحن أبناء العالم الثالث — من أقصى الشرق في اليابان إلى أقصى الغرب في مراكش أو في الصحراء ، أو سهوب آسيا الوسطى ، لم يرفضوا أن يتناولوا أدوات الغرب ، باعتبارها رجسا من عمل الشيطان ، فأفلام الحرب أو أدوات التصوير ، أو أقراص الفونوغراف ، قبل ظهور الكاسيت (والترانزستور) أو ركوب السيارة أو الطيارة ، أو مطالعة الكتاب المطبوع بآلات الطباعة الجديدة ، لم يرفضه ذوونا مهما كان نصيبهم من الأمية ، وقلة الرزق ، فهم لم يترددوا أن يستعملوا كل هذه الأدوات ، ويقدموها على أدواتهم القديمة ، فاذا لم يقدموا على استعمالها فترة ، فمرد ذلك إما إلى خلو أيديهم من المال الذي يشترون به هذه الأجهزة الأغلى ثمناً من أدواتنا القديمة ، وإما لعدم الاحاطة بطريقة إدارتها ، وصيانتها ، بل ان الفلاح المصري ، لم يقل عزوفه عن معالجة زوجته وابنته عند الطبيب الرجل ، بل اعتاد أن يصحبهما إلى عيادته ، ويلتمس عنده الشفاء ، ويدفع كل ما يملك من أجل عملية جراحية مقرونة بالخطر . وكان علماؤنا أكثر الناس تردداً على هذه العيادات ، وتناول ما تصف من علاج أو دواء .

وما دمنا قد وصلنا إلى علمائنا ، فلابد أن نقرر هنا أن شيوخ الأزهر في مصر الواحد إثر الثاني ، أرسلوا أولادهم جميعا إلى المدارس المدنية غير الدينية ، بل ان الكثير من أبناء هؤلاء العلماء قد طلبوا العلم في أوربا وأمريكا ، بل ان الكثير منهم ، تزوجوا بأجنبيات اختلطن بأبناء الأسرة التي كانت أزهرية في السابق ، وحتى الجماعات الاسلامية التي حاربت الاستعمار ، وحرصت على التزام خصائص الحياة العربية لم يترددوا في شراء الأسلحة الأوربية والغربية والتدريب على استعمالها ، وأحسنوا الانتفاع بها في معاركهم ، وفي مقدمة هؤلاء الأمير عبدالقادر الجزائري في حربه سبعة عشر عاماً ضد الفرنسيين من سنة ١٨٣٠ إلى سنة ١٨٤٧ ، والأمير محمد بن عبدالكريم في ريف مراكش سنة ١٩٢٦ وما بعدها ، والسنوسية في صحراء ليبيا ثم عمر المختار أخيراً . وفي مصر قام طلاب مدرسة دار العلوم بتمرد في العقد الثاني من قرننا الحالي ، حينما حاولت إحدى الوزارات الزامهم بعدم ارتداء الزي العربي الذي عرفوا به عهوداً .

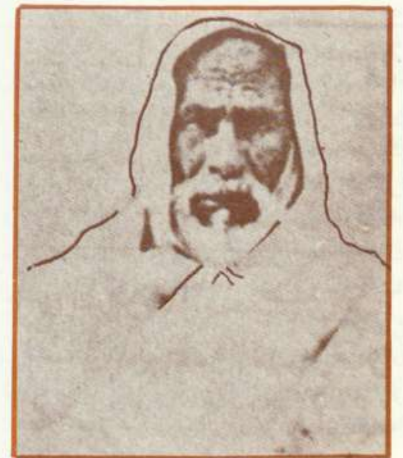
وعن حركة التحديث ، أو التطوير ، أو التغريب يحدثنا الأستاذ (ياسومازا اتوروده) وهو أستاذ في جامعة هاواي ، عن حركة التحديث التي بدأت في اليابان بعد فتح أبوابها للعالم الخارجي سنة ١٨٥٣ ، بعد أن سدت هذه الأبواب في وجه هذا العالم في ثلاثينات القرن السابع عشر . وحينما بدأ اليابانيون يعودون إلى العالم ، أخذوا منه كل شيء مادي ونفعي وعملي ، مع الاحتفاظ بكل شيء روحي وباطني ، وهو ما عبر عنه امبراطورهم حاجي سنة ١٨٦٨ . ويرى الاستاذ (ياسومازا) أن التحديث ليس فقط نقلاً عن الخارج أو محاكاة للغير ، ولا سيما إذا كان هذا الغير ، من الغرب ، بل إنه التطوير الداخلي ، لوسائل ، وأساليب وطرائق تفكير الشعب الموروثة بعقل التطور الداخلي المستقل ، المعتمد على موارد الشعب الروحية والنظر فيها ، واستنباط وسائل وطرائق منبعثة منها ، ومتفرعة عليها ، تجعل الحياة أكثر رفاهية ، والصعوبات العملية أقل تحجراً ، وقد قرر الأستاذ ياسومازا حقيقة هائلة ترينا أن التحديث ليس نقلاً ومحاكاة ، وليس تطوراً وافداً عن الآخرين ، بل يمكن أن يكون تطوراً من الداخل . ويقول الأستاذ عندما بدأت سياسة الباب المفتوح في اليابان في عهد الامبراطور حاجي سنة ١٨٦٨ كان نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة عند انتهاء عصر (طوكيوجاوا) .

والغريب أنه في هذا العهد نفسه ، أي في سنة ١٨٦٨ ، كان الخديوى اسماعيل ، قد أخذ يروج شعار أن مصر قطعة من أوربا ، ومع ذلك كان أكثر زعماء التطوير ، والتنوير ، والتحديث ، من علماء الأزهر وفي مقدمتهم حسن العطار ، رفاعة الطهطاوي ، أو علماء بدأوا حياتهم الفكرية في الأزهر مثل على مبارك ، وعبدالله فكري ، ثم اصطنعوا الحياة الغربية . ولاشك أننا نقر بفضل رفاعة الطهطاوي ، فيما فعله بكتابيه العظيمين (تلخيص باريز) و (مباهج الألباب) ، في تبسيط قواعد الحياة الأوربية الفكرية والسياسية والاجتماعية ، ولكني أؤكد أن الحياة المصرية كانت تتطور باصطناع أساليب التحديث ، دون أن يكون ذلك مفضياً إلى ضياع الشخصية العربية ، أو الذوبان في الشخصية الغربية . فان كل الذين مهدوا للحياة الحديثة قبل رفاعة الطهطاوي أو معه أو بعده ، حرصوا على أن يكونوا مصريين عرباً أقحاحاً ، دون أن يسعوا على المنهج الذي اتبعه اليابانيون ابتداء من سنة ١٨٦٨ حينما قالوا بالأساليب الحديثة مع الروح اليابانية .

جملة القول إن الأمة العربية لا تعاني انفصاما أو انقساماً روحياً بسبب مشكلة ما يسمى بالمعاصرة والأصالة :

أولا — لأن مقاومة الجديد ، هي ظاهرة انسانية وطبيعية ، وقد قوبلت كل دعوة للتطور بالرفض والتشكيك . ثانيا — ان الخوف من الجديد ، ومن التطور لا يؤدي دائماً إلى الحيلولة دون التطور .

ومن ثم ، فإن المشكلة — مشكلة الأصالة والتحديث — ليست في الحجم الذي نتخيله ، ولا على الصورة التي نتصورها فهي ظاهرة طبيعية ولعلها صحية ، والشعب العربي ، وقف منها موقفا معقولا بعيداً عن التحجر والجمود .


عمر المختار


رفاعة الطهطاوى

عرب النقب المنسيّون
في مواجهة الدّوريات الخضراء

الصهاينة يصادرون أراضيهم ومواشيهم ويجمعونهم في معازل عنصرية

بقلم: عصام شريح

عرب النقب .. أولئك المنسيون في زحام المعارك السياسية .. والخلافات العربية .. تطحنهم رحى الصهيونية يومياً .. وتلقي بهم خارج أراضيهم وديارهم وقراهم .. الى معازل عنصرية أقامتها لهم في أطراف الصحراء.

هؤلاء العرب .. بعض قومنا .. ألا يستحقون من بقية العرب، دفاعاً ودعماً لقضيتهم ؟! ألا يستحقون أن يصرف الاعلام العربي حيزاً للتعريف بهم وبالحيف الذي يحيق بهم ؟!

هنا .. محاولة في هذا الاطار .. لتعرف أجيالنا ماجرى ومايجري لعرب النقب تحت نير الاحتلال الصهيوني.

النقب

النقب إقليم يقع جنوب فلسطين، ويشغل مساحة تقل قليلاً عن نصف مساحتها، أي أن مساحة النقب تبلغ اثني عشر ألف كيلومتر مربع، امتداداً من مدينة بئر السبع في الشمال الى أم رشرش وخليج العقبة في الجنوب، ولهذه المنطقة شكل مثلث كبير قاعدته في الشمال، ورأسه في الجنوب، وضلعه الغربية حدود فلسطين مع مصر (سيناء)، وضلعه الشرقية حدود فلسطين مع الاردن على طول وادي عربة.

والنَّقَبُ والنُّقْبُ هو الطريق، وقيل الطريق الضيق في الجبل، والمنقبة هي الطريق بين الدارين، وتدل هذه التسمية على أهمية موقع النقب من الناحية الجغرافية، وعلى أنه ممر تعبره الطرق الى البلدان المحيطة به. وتوضح نظرة الى خريطة المنطقة، انطباق التسمية على الدور الجغرافي لموقع النقب، فهو يتصل من جهة الجنوب بسيناء وشمال شرق أفريقيا (وادي النيل ودلتاه)، وبشمال شبه جزيرة العرب براً أو عن طريق خليج العقبة ومياه البحر الأحمر بحراً، وأما في الشمال، فيتصل النقب بأرض فلسطين الأم، ومنها الى بلاد الشام، والنقب بوابة بلاد الشام الجنوبية الغربية لأية حركة أو هجرة أو تجارة أو غزو .. والنقب هضبة كبرى مكونة من هضاب أصغر، تعلوها في بعض المناطق، كتل جبلية بارزة فوق مستويات الهضاب شبه المنبسطة، والمناخ فيه مناخ صحراوي أو شبه صحراوي، أمطاره قليلة، وهي تنخفض من الشمال الى الجنوب، حيث يتقلص عدد الأيام المطيرة من ٢٥ يوما الى أقل من ١٠ أيام في السنة، لذا فان الأوضاع المائية في النقب سيئة، لاتسمح بقيام نشاط اقتصادي بشري، يتجاوز حدود الرعي وزراعة الواحات التي تعتمد في استمرارها على المياه الجوفية أحيانا، أو على المياه المجرورة من شمال فلسطين عبر الأنابيب أو الأقنية، لذلك فان العمران في النقب ضعيف على الغالب، وأهم التجمعات السكانية فيه تنحصر في الشمال وأجزاء من الوسط، وهي تقوم على شكل مدن صغيرة وقرى وخِرَب أهمها مدينة بئر السبع وبلدة العوجا. ومن الخرب: زويريتا وأرديحه وأم رجوم وأم رشرش، لكن النقب كان ومايزال مرتعاً لعدد من القبائل العربية، أهمها قبائل «الأحيوات» أو «اللحيوات»، والسعيديين، والعزازمه، والتياهه، والصبيحين والظلام، ومن العشائر المعروفة طرابين الصانع والعطاونه وأبو ربيع .. الخ، وفي النقب ثروات باطنية كالفوسفات والنحاس وبعض الأحجار الكريمة.

مزارعون لا بدو

وعرب النقب كانوا في جلهم مزارعين على الدوام، وقلة منهم ماتزال تجوب الصحراء بحثاً عن الكلأ والماء لرعاية مواشيها، بل ان النقب تحول الى مناطق تعرف بأسماء العشائر العربية التي تقطنها، ويقول رئيس عشيرة طرابين الصانع، ان العشائر لم تعد تذكر الأيام التي تحولت فيها الى الزراعة، فقد كان ذلك منذ أمد بعيد، وهنالك مصادر من عهد المماليك تتحدث عن العشائر التي كانت تزرع هذه المنطقة أو تلك من النقب، لكن الصهاينة، هم وحدهم الذين يصرون على تسمية عرب النقب، بالبدو، وبخاصة



وجهاء من عرب النقب

اوساطهم الرسمية ، وذلك ضمن مخططهم التهويدي ، الذي يرمي الى تصوير عرب النقب بالقبائل الرحل غير المستوطنة ، والفاقدة بالتالي لأي رباط بالأرض أو ملكية شرعية لها ، لأن البدو جماعة تبحث عن الماء والكلأ ، وليس لها موطن معين . ويستغل الصهاينة أحيانا التباين القائم بين المزارعين العاديين في بقية الأراضي الفلسطينية والمزارعين من عرب النقب ، حيث يعتمد هؤلاء الأخيرون على تربية المواشي ، وبخاصة الجمال والماعز ، بشكل أكبر من اعتماد القرويين العاديين عليها ، وذلك عائد الى طبيعة الأرض في النقب التي لاتسمح بالزراعة على نطاق واسع . فعشيرة « طرابين الصانع » مثلاً ، كانت لها قرية في منطقة « الحبيبات » ، جنوب المستوطنة الصهيونية المسماة اليوم « أوفكيم » . وفي عام ١٩٥١ ، قامت سلطات الاحتلال بتهجيرهم من مواطنهم تلك ، الى جنوب منطقة تعرف باسم « السغيب » ، بحجة اعتزام الجيش الاسرائيلي القيام بمناورات عسكرية في منطقة « الحبيبات » ، لكن أبناء العشيرة العربية ، تعرضوا مرة أخرى للتهجير الى منطقة تحاذي وادي الخليل ، حيث خصصوا لهم ٣٠٠ دونم من الأرض ، أما أراضي الحبيبات فقد ضمت الى المستوطنات الصهيونية في المنطقة ، ومع ذلك فان عشيرة طرابين الصانع ، تمارس الزراعة في موقعها الجديد ، حيث تزرع القمح والشعير والكرمة والبطيخ .

ألون .. والنقب

كان إيغال ألون ، وهو نائب رئيس وزراء ووزير خارجية سابق (متوفى) ، قائداً « للجبهة الجنوبية » في عام ١٩٤٨ ، وقد ذكر في كتابه « بناء جيش اسرائيل » ، أن اليهود استوطنوا بأعداد قليلة منطقة شمال النقب قبل عام ١٩٤٨ ، أي قبل قيام الكيان الصهيوني ، بيد أن الاحصاءات تشير بوضوح الى أن الصهاينة لم يكونوا يملكون من أراضي النقب في ذلك الوقت أكثر من نصف بالمئة . لكن دافيدبن غوريون ، أول رئيس للحكومة في الكيان الصهيوني ، ركز في كتاباته على أهمية النقب ، واستوطن هو نفسه في احدى المستوطنات في هذه المنطقة « سدية بوكر » وكان يقول إن خطته للمستقبل هي استجلاب خمسة ملايين يهودي لإسكانهم في النقب ، بعد شق قناة من شمال فلسطين الى جنوبها لجر مياه الأردن والليطاني الى النقب ، من أجل تحويل أراضيه الى مناطق زراعية ، ويضيف بن غوريون أنه لو تسنى اسكان خمسة ملايين يهودي في النقب ، فان « اسرائيل » ستصبح في منأى عن خطر الاجتياح العربي تحت جميع الظروف والأحوال ، وكان بن غوريون يستشهد بتقرير « سمبسون » البريطاني عن النقب ، والذي قال فيه « إنه لو تيسرت مياه الري في منطقة بئر السبع ، لكان فيها مورد لا ينضب معينه من الأراضي الصالحة للزراعة » .

لذلك ، عمدت حكومات العدو المتعاقبة على إيلاء أهمية بالغة لتهويد منطقة النقب والقضاء على الوجود العربي فيها بجميع الأساليب وشتى الوسائل ، وكان أول عمل قامت به في هذا السبيل ، تحويل مياه نهر جريشه من منطقة يافا الى النقب ، ثم حفر قناة لنقل جزء من مياه بحيرة طبريا ونهر الأردن في شمال شرق فلسطين الى تلك المنطقة ، ثم قامت ببناء المفاعل الذري الثاني في مستوطنة « ديمونا » بشمال صحراء النقب في عام ١٩٥٨ ، وهو بحسب تقديرات الخبراء ، قادر على انتاج ٨٧٦٠ غراما من مادة البلوتونيوم الضرورية لصنع قنابل ذرية .

الدوريات الخضراء ! !

في تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٧٦ ، اتخذت حكومة العدو قراراً بتشكيل مجموعات مسلحة ، مهمتها الاشراف على ماوصفته « بأراضي الدولة » . وقد جاء تشكيل هذه الدوريات ، التي يطلق عليها عرب النقب اسم « الدوريات السوداء » ، في أعقاب نشر التقرير الذي أعده إيغال ألون ، وجاء فيه أن عرب منطقتي « الجليل » و « النقب » ، يستولون على « اراضي الدولة » ، ويقطنون فيها بصورة غير قانونية ، وحذر ألون في تقريره ، مما أسماه « بالتوسع العربي في منطقتي الجليل والنقب » ، وقال : « إن من شأن هذا التوسع ، أن يشكل غالبية عربية ، ويعيد الوضع مرة أخرى ، الى ماكان عليه قبل قيام اسرائيل ! ! » وطالب ألون باتخاذ « اجراءات حاسمة وفورية لوقف هذا التوسع ، وطرد المواطنين العرب ، الذين احتلوا أراضي الدولة ، وأقاموا فوقها المباني والدارات الفخمة ! ! » .

وقد أثار تقرير ألون هذا ضجة في حينه في الكيان الصهيوني ، دفعت وزير الزراعة

عرب النقب المنسيّون في مواجهة الدّوريات الخضراء

آنذاك أهارون روزين، الى تشكيل لجنة خاصة برئاسة مئير زوريع «مدير دائرة أراضي الدولة»، لدراسة الوضع في منطقتي الجليل والنقب، وبعد انتهاء اللجنة من مهمتها رفعت توصية للحكومة، تقضي بتشكيل ما أسمته «بوحدة الرقابة على الأراضي المفتوحة»، أي الأراضي غير المستغلة من قبل اليهود، وقد ناقشت الحكومة هذه التوصية، وكان إيغال ألون ويسرائيل غليلي من أشد المتحمسين للفكرة، وطالبا بتنفيذها على الفور، واقترح اريئيل فيما بعد تسميتها «بالدوريات الخضراء»، وهكذا كان. وعندما أصبح شارون وزير الزراعة في عام ١٩٧٧ في حكومة الليكود الأولى، احتضن «الدوريات الخضراء» ومنحها صلاحيات مطلقة.. هنا بدأت مسرحية خبيثة للتغطية على الجرائم التي ترتكبها الدوريات الخضراء، ولامتصاص أي امتعاض أو اعتراض في الداخل والخارج، وكالعادة فقد برز من يدافع عن الدوريات الخضراء وممارساتها الوحشية، كما برز من يعترض على هذه الممارسات، ويعرب عن الأسف للأعمال غير القانونية التي ترتكب من قبل هذه الدوريات.

ألون غليلي

ألون غليلي هو قائد الدوريات الخضراء، وهو يبلغ من العمر حاليا ٤٦ عاما، وهو من أنصار حزب «هتحيا» اليميني المتطرف، وحركة «غوش ايمونيم» المعروفة بدعوتها الى طرد العرب من أراضيهم، غليلي هذا يشبه مواطني النقب العرب، بأعضاء العالم السفلي «العصابات» في تل أبيب، ويقول ان عرب النقب - يسميهم بالبدو - عبارة عن ضيوف جدد على هذه المنطقة، لأنه عندما كان يمر بنفسه في النقب في مطلع الخمسينيات، كان من الصعب عليه أن يعثر على أكثر من ثلاثة أشخاص من «البدو»، أما «البدو» الحاليون، فقد جاؤوا الى «اسرائيل» في عام ١٩٦٢ فقط، وذلك بموجب قانون جمع شمل العائلات، بشرط أن يعيشوا طبقا للقوانين المرعية في «اسرائيل»، وقد جمعوا في «وادي شخيب» في النقب، ويجب أن يبقوا في هذا الوادي!».

ويضيف ألون: إنه «ليس للبدوأية حقوق في النقب، لأن اليهود وصلوا الى هذه المنطقة قبلهم - على حد زعمه - لذلك فلن أترك عربيا واحداً في صحراء النقب، ولسوف أعمل على ترحيلهم جميعا من هنا..».

ويمضي ألون في مزاعمه التي نشرتها صحيفة «هعولام هزيه»، التي يرأس تحريرها «أوري أفنيري»، في شباط (فبراير) من عام ١٩٨٢، فيقول: «إن كل منطقة تتحرر من «الاستيطان العربي!!»، أكون فخوراً بها، ذلك لأنها أصبحت «نظيفة من العرب» - أي منطقة يهودية مطهرة.. وعندما أمر اليوم بالمناطق التي أخليت العرب منها، فإنني أشعر بالارتياح والسعادة، ذلك لأنني حررت أراض جديدة، أصبح بوسع اليهود استخدامها لجميع الأغراض.. وأنا عندما أنتهي من مهمتي هذه في النقب، سأتجه شمالاً الى منطقة الجليل، حيث سأعمل على تهويد الجليل وترحيل سبعمئة ألف عربي منه، وذلك سوف يعني الشيء الكثير لاسرائيل».

أما ابراهام يغي، الذي يوصف بأنه الناطق الرسمي باسم الدوريات الخضراء، فيقول: «إننا نعمل بموجب القانون، ولا يستطيع أحد أن يشك في ذلك، وإذا كانت هناك مخالفات يرتكبها أعضاء الدوريات الخضراء، فذلك لأن هؤلاء العرب لايفهمون سوى لغة القوة والعنف.. ثم منذ متى كان الاسرائيليون يحتجون على معاناة العرب في فلسطين.. إننا نفعل كل مانراه مناسبا، ولصالح إسرائيل والاسرائيليين، ولا حق للعرب في هذه الأراضي أو هذه المنطقة (النقب) لأنها جزء لايتجزأ من «اسرائيل».. ثم لماذا لاتكون ملايين الدونمات هذه ملكاً لليهود.. ان الوزير أريئيل شارون اتصل بالدوريات الخضراء مرات عديدة، أعرب لنا فيها عن ارتياحه التام لجميع الأعمال التي نقوم بها.. فهل كان شارون على خطأ مثلاً؟!

ويصف أحد أعضاء الدوريات الخضراء، العمل الذي يقوم به، فيقول «بنغي أدار» المفتش في الدوريات: «إنني أعمل في منطقة النقب منذ سنوات، وأي قطيع من الماشية العائدة للعرب، أجده داخل «أراضي الدولة»، أعمد الى مصادرته على الفور، ونقله إلى مدينة بئر السبع، حيث يباع هناك فوراً في سوق الكرنتينا، ولست ملزما بتحذير المواطنين العرب من مغبة إدخال قطعان ماشيتهم الى «أراضي الدولة». وعلى أية حال فان أفضل تحذير لهم، هو مصادرة قطعانهم وبيعها في السوق، وليذهبوا ويشتكوا لمن شاؤوا، فلن يستمع أحد لشكاواهم!!».

شموئيل توليدانو

وللتخفيف من ردود الفعل بين العرب أو على صعيد الرأي العام العالمي، إزاء هذه التصريحات، أوعزت حكومة العدو الى المستشار السابق لرئيس الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية «شموئيل توليدانو» الى «تمثيل» دور المحامي الذي يدافع عن عرب النقب، ويستنكر ممارسات «الدوريات الخضراء»، يقول «توليدانو»: «إن شكاوى مؤلة كانت تصلني يوميا من عرب النقب، يروون لي فيها حكايات عن اعتداءات إجرامية بشعة، يقوم بها رجال الدوريات الخضراء ضدهم، ولقد أرسلوا لي صوراً وأشرطة تسجيل، تثبت دون أي مجال للشك، أن ماكان يقوم به رجال الجستابو في عهد النازية الألمانية، يقوم به اليوم رجال الدوريات الخضراء في اسرائيل». ويضيف توليدانو أنه ماكان باستطاعته «قراءة تلك الشكاوى المؤثرة والمحزنة للغاية، فقد كان رجال الدوريات الخضراء، يعتدون على النساء الحوامل، وعلى الأطفال والرجال المسنين، وكثيرون من هؤلاء ماتوا متأثرين بالجروح التي أصيبوا بها من جراء اعتداءات رجال الدوريات الخضراء عليهم.. وكانت هناك شكاوى عن عمليات سطو مسلحة على منازل وخيام عرب النقب، سرق خلالها رجال الدوريات الخضراء مصاغ بعض النسوة، كما استولوا على قطعان ماشية، وعلى قطع أثرية قديمة.. وكل ماكان يصل الى أيديهم كانوا يصادرونه.. سرقوا قطعانا كاملة من المواشي وباعوها في أسواق بئر السبع بربع سعرها الحقيقي، واعتدوا بالضرب على العرب بشكل شبه يومي، لدرجة أن رجال الدوريات الخضراء، كانوا يجلدون هؤلاء المواطنين العرب بالسياط اللاسعة، ولا أعتقد بأن هناك مواطنا عربيا واحداً في النقب، ذكراً كان أم أنثى، مسناً كان أو يافعاً، قد سلم من عمليات الجلد والضرب هذه».

ويعرب توليدانو عن «تأثره» لهذه الانتهاكات لحقوق الانسان، لكنه يتنصّل كالعادة من المسؤولية عنها، ويقول إنه كان يرفعها لرئيس الحكومة اسحق رابين أو لنائبه إيغال ألون آنذاك، فكانا يعربان عن غضبهما، ويضيف توليدانو: «كنت أقول لرابين وألون، انني لا أحب هؤلاء العرب، وانني أكرههم، ولكن هناك قانون، ولا يعقل أن يحدث كل هذا دون أن تلجأ الحكومة الى



ما زالت اسرائيل تواصل سياسة قضم الأرض وتفريغها من السكان الأصليين ، وتجميعهم في معازل صهيونية .. هي عبارة عن بيوت من الصفيح فقط !

إجراء لوقف هذه الجرائم ، وهذه المجازر التي يذهب ضحية لها أطفال ونساء حوامل !! »

نماذج من الممارسات

تقدم صحيفة « هعولام هزيه » نماذج مؤلمة من ممارسات الدوريات الخضراء ضد عرب النقب ، ومن النماذج أن رجال الدوريات هؤلاء ، أقدموا على قتل فتاتين عربيتين ، وسرقوا كيلوجراماً من الذهب « حلي » ، وقاموا باختطاف أحد الصبيان .

ويروي المواطن العربي « فارس صروح » وهو من مواطني مدينة بئر السبع ، ويبلغ من العمر خمسة وستين عاما ، أنه تعرض مع مجموعة من زملائه الرعاة لضرب مبرح على أيدي رجال الدورية الخضراء ، حتى فقد وعيه ، وبعد أن عاد إليه رشده ، لم يجد قطيع الماشية ، ويقول فارس صروح « اني بعدما تعرضت للضرب والاهانة وسرقة ماشيتي ، أستدعيت الى مركز الشرطة الاسرائيلية بالمدينة (بئر السبع) للتحقيق معي ، وكأنني أنا المجرم ، وهناك أجبروني على التوقيع على ورقة لا أعرف مضمون ماكان مدوناً عليها ، لأنني لا أعرف القراءة والكتابة ، وبعد ذلك اكتشفت أنني وقعت على عقد ببيع ماشيتي دون أن أدري بذلك .. » ويضيف : « لقد فكرت بعد ذلك في الأمر ملياً لاسترجاع ماشيتي ، لكنني أدركت أنني لو توجهت الى القضاء بالشكوى ، فانني لن أنجح مطلقاً في مسعاي ، لأنني واثق من أن « القانون الاسرائيلي » لن « ينصفني » بل سيحولني الى مجرم ، ومن ثم فإنهم سيدفعونني بشتى السبل لمغادرة هذه المنطقة .. إلا أنني لن أغادرها ماحييت » .

ويروي المواطن العربي « نوري العقبي » ، وهو نجل الشيخ سليمان العقبي رئيس عشيرة العقبي ، أن مندوبا عن الحاكم العسكري الاسرائيلي زار والده في أواسط آب (اغسطس) من عام ١٩٥١ ، فأقام الشيخ سليمان العقبي مأدبة غداء فاخرة له ، وبعد الغداء أمر الضابط الاسرائيلي الشيخ سليمان بصفته شيخ العشيرة ورئيسها ، أن يمثل في اليوم التالي في مركز الحكم العسكري في كيبوتس شوفال . وبدون أي اعتراض أو سؤال ، اعتلى الشيخ العربي صهوة حصانه الأبيض ، وذهب الى المكان في الموعد المحدد ، وهناك طلب منه الحاكم العسكري الصهيوني ، أن يبلغ أفراد عشيرة العقبي ، بأن عليهم الرحيل من المنطقة ، والانتقال الى منطقة أخرى ، وعندما سأل الشيخ سليمان عن السبب ، أجابه الضابط الاسرائيلي : لاتسأل ، وإنما يتوجب عليك أن تنفذ أوامرنا ، لأننا بحاجة الى أرضكم لاجراء تدريبات ومناورات للجيش الاسرائيلي عليها ، ويضيف نوري العقبي ، أن الحاكم العسكري الاسرائيلي حول حياة والده طيلة أربعة أشهر الى جهنم ، حيث كان يستدعى للمثول في كيبوتس شوفال كل صباح ، وبعد الظهر في مركز الحكم العسكري بمدينة بئر السبع ، وبالاضافة الى ذلك ، فقد كانت سيارة محملة بجنود الجيش أو الشرطة ، تصل مع اشراقة شمس كل يوم الى مضارب العشيرة ، لكي تثير الرعب في قلوب المواطنين العرب ، حيث كان الجنود الاسرائيليون يطلقون نيران أسلحتهم الرشاشة على الحيوانات والمواشي والكلاب وأحيانا في الهواء ، لترويع العشيرة ، الأمر الذي لم تجد العشيرة أمامه بداً من النزوح الى مكان في الصحراء حددته السلطات الاسرائيلية . ولعل مما يزيد في آلام أبناء عشيرة العقبي ، أن سلطات الحكم العسكري سلمت الشيخ سليمان في تلك الفترة وثيقة حددت فيها الأراضي التي ستحصل عليها العشيرة عندما تعود الى منازلها بعد ستة أشهر فقط ، لكن .. وبعد مرور ٣٥ عاما ، فإن الأشهر الستة هذه لم تنته بعد !!

عصابة الدوريات السوداء

وفي الواقع فإن الدوريات الخضراء ، ليست أكثر من عصابة صهيونية ترتدي الطابع الرسمي ، وهي جزء لايتجزأ من الجيش الاسرائيلي ، فلا يعقل أن يكون الخمسمئة جندي العاملين في نطاقها ، مجرد متطوعين محليين ، خاصة وأن هؤلاء هم من أنصار العصابات المتطرفة مثل حزب هتحيا وحركة غوش ايمونيم وحركة كاخ وحزب الليكود ، وجميع هؤلاء يتحدثون العربية ، وقد أقامت لهم الحكومة الاسرائيلية مدارس خاصة لهذه الغاية .

فالهدف من وراء تشكيل الدوريات الخضراء — بل السوداء — واضح تماما ، ألا وهو تهجير عرب النقب بشتى السبل والأساليب القمعية ، وفي مقدمتها الوسيلة الاقتصادية التي تحرمهم من وسيلة عيشهم الأساسية ، أي مصادرة الأرض ، لمنعهم من الزراعة ، ثم مصادرة قطعان المواشي ، لحرمانهم من أود العيش فمن أصل مئتي ألف رأس من الماعز في عام ١٩٧٧ ، لم يتبق لعرب النقب اليوم أكثر من سبعة آلاف رأس من الماعز . ومن الطرائف التي تروى في هذا المجال ، أن المواطن العربي صاحب القطيع المصادر ، ملزم بدفع نفقات نقل المواشي حيث يتوجب عليه دفع عشرين ألف شيكل (بحسب سعر الشيكل في عام ١٩٨٢) لنقل مواشيه المصادرة الى سوق بئر السبع لبيعها هناك ، وإذا شاء استعادتها ، فعليه أن يشتريها مرة أخرى في السوق .

إذن .. هي سياسة التهجير .. أو سياسة قضم الأرض وتفريغها من السكان الأصليين ، وتجميع العرب في مناطق محددة ، تماما كما هو الحال بالنسبة للأفارقة في جنوب افريقيا العنصرية — أي في معازل صهيونية عنصرية .. فماذا يفعل عرب النقب في وجه كل هذا الويل النازل بهم ؟! .. ومن يخرج قضيتهم من الظلمة الى النور ؟!!

عصام شريح

حـــوار
مـــع

عاشق الزنوج

• العالم يضم ٣٠٠ مليون من الزنوج

• حقيقة حركة الإحياء الزنجي

أجرى الحوار: د. مصطفى كامل عبد الستار

إلتقيت به وكان أمامه مجموعة كبيرة من الكتب والمقالات والدوريات والمجلات الفرنسية والانجليزية والعربية وعدد كبير من الأسطوانات لأغان باللهجات الأفريقية، وكان منهمكا فى ترجمة بعضها والاطلاع على البعض الآخر، وعلى موسيقى الجاز التى يعشقها والتى يعتقد - ويحاول أن يقنعنى أنها موسيقى أفريقية الأصل مائة فى المائة - وجدت عنده كثيرا من المعلومات الطبية العجيبة والفريدة ليس عن الزنوج فحسب ولكن عن كثير من أجناس الأرض، فهو يعرف من قراءاته وأسفاره كيف يموت الزنوج وبأى الأمراض يصابون، والمساهمات الرائعة للزنوج فى مجال الطب فى أمريكا وأوربا الغربية، وتأثيرهم على الحياة فى الغرب ابتداء من قطعة الموسيقى وديوان الشعر والأغنية حتى عالم الأزياء.

ولقد حاولت أن أدخل أعماقه لأكتشف حبه للآداب والفنون الزنجية وما يطلق عليه اسم الحضارة الزنجية. إنه الكاتب والشاعر والمترجم الدبلوماسى محمد طنطاوى.

س: متى بدأت تتعرف على أهم ملامح الحركة الزنجية؟

جـ: عندما التحقت بالسلك السياسى عام ١٩٦٤ التحقت بقسم الدول الأفريقية بإدارة الأبحاث والمعلومات. وقد كان ذلك بالنسبة لى نافذة أطل منها على افريقية الحديثة الاستقلال. فعرفت ما يدور على أرضها سياسيا واقتصاديا، ثم سافرت عام ١٩٦٧ للعمل فى غرب أفريقيا، وهناك اكتشفت أن ما قرأته عن افريقيا لا يقاس بما يكتسبه الانسان من المعايشة اليومية للاخوة الافارقة حيث بهرتنى الطبقة المثقفة هناك، والذين حصل معظمهم على شهادات من فرنسا وانجلترا، ومن هنا بدأ اهتمامى بالبحث عن جذور هذه الحضارة العريقة التى يطلق عليها الزنوج حضارة الزنجية وحضارة الأربعة مليون عام (الزنجية Negritude).

س: كيف نشأت نظرية الزنجية وأين نشأت ومن الذي دعا اليها ومتى كان ذلك؟

جـ: من المعروف أن معظم الدول الأفريقية كانت مستعمرات انجليزية أو فرنسية أو المانية أو برتغالية أو أسبانية فى بداية هذا القرن، ولما قامت الحرب العالمية الأولى تراجعت ألمانيا والبرتغال عن معظم مستعمراتها واحتلتها انجلترا وفرنسا اللتان حاولتا نشر ثقافتيهما وفرض لغتيهما على هذه المستعمرات، وفى فرنسا كان ثلاثة من الشبان السود يدرسون اللغة الفرنسية وآدابها كغيرهم من أبناء المستعمرات الفرنسية، وكان من بينهم شاعر السنغال الكبير الرئيس ليوبولد سيدار سنجور ومعه الشاعر سيزار والمفكر الكبير داماس وكلهم من الزنوج، وقد لفت نظرهم نبوغ كثير من الشبان السود فى دراستهم ومحاولة فرنسا استجلاب أعداد كبيرة منهم لتعليمهم وتدريبهم للاستفادة منهم فى كافة المجالات العلمية والعسكرية وغيرها.

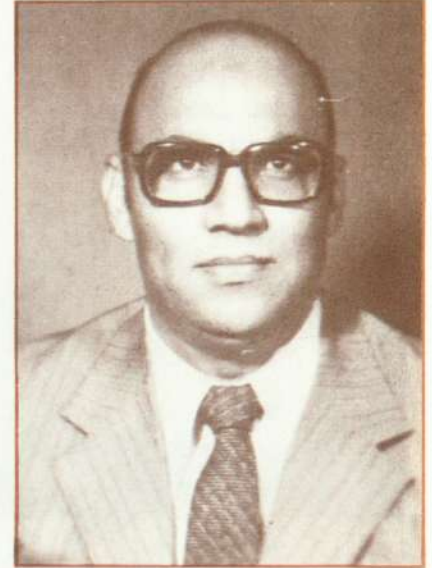
وقد اتفق هؤلاء الثلاثة (سنجور - وسيزار وداماس) على أن يقودوا حركة البعث الزنجى Negro Renaissance وظهر فيما بعد فى الجانب الآخر من المحيط الأطلسى قائد آخر للحركة الزنجية فى أمريكا يدعى «آلان لوك» استعار هذه التسمية واتخذها شعاراً للحركة الزنجية فى العالم الجديد، ومن هنا بدأ انبعاث حركة زنجية ذات مضمون أفريقى وثقافة أمريكية لاتينية. وهكذا يتضح البعد الانتشارى للحركة الزنجية وروادها المخلصين وحرصهم على إعطاء نشاطهم طابعا يتسم بالشمولية والدولية وبعث الانسان الزنجى أينما كان.

س: هل ظهرت على أرض أفريقيا قمم فكرية فى مجال الابداع الأدبى والعلمى مثلما ظهر فى فرنسا وانجلترا؟

جـ: أولا من ناحية انجلترا فإن الحركة الزنجية لم تستطع أن تجد أرضا مناسبة لكى تنمو فيها فى لندن كما حدث فى باريس، فقد كان الحى اللاتينى فى باريس معروفا بأنه يجمع قادة الفكر والثقافة ورواد الأدب والفن فى فرنسا مما شجع على نمو هذه النظرية وظهور روادها مثل سنجور وسيزار وغيرهما من مثقفى جزر البحر الكاريبى. كما ظهرت فى

● لماذا يموت أكثر الزنوج بالأمراض الصدرية؟

● ثلث المباريات الأمريكية يكسبها الزنوج



محمد طنطاوي

الخمسين عاما الأخيرة عدة أعمال فكرية وأدبية وشعرية وصلت إلى مستوى العالمية. وظهر شعراء كبار في كل من السنغال ونيجيريا والكنغو ومالاجاش حتى أن الشاعر السنغالى سنجور عندما بدأت ابداعاته الشعرية في الظهور ترك عمله كمدرس وعاد الى باريس لدراسة العلوم الانسانية والآداب حتى عين ممثلا عن السنغال في الجمعية الوطنية الفرنسية ثم عين فيما بعد عضوا في الأكاديمية الفرنسية التى تضم كبار رجال العلم والفكر والثقافة والأدب في فرنسا، وكان أول زنجي يشغل هذا المنصب في تاريخ فرنسا. كما ظهر في الخمسينات قادة أفارقة آخرون في الدول الأفريقية الناطقة بالانجليزية مثل جومو كينياتا في كينيا ونكروما في غانا ثم هوفيه بوانيه في ساحل العاج وموديبو كيتا في مالى وسيكوتوري في غينيا وهم جميعا من كبار المثقفين في بلادهم قبل أن يكونوا قادة سياسيين.

س: ما أهم المعلومات الطبية التى ترتبط بحياة الزنوج داخل أفريقيا وخارجها؟

جـ: يصل عدد الزنوج في العالم الآن إلى أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة ينتشرون في جميع القارات الخمس. وقد لاحظ الباحثون أن عددا كبيرا من هؤلاء الزنوج يموتون بالأمراض الصدرية، ولكن رد عليهم فريق آخر من الباحثين بأن الموت بهذه الطريقة لا يرجع لكونهم زنوجا ولكن لأن معظمهم يعيشون في أمريكا وأفريقيا داخل أكواخ وأماكن رطبة أو تحت الأرض كما أنهم لا يستطيعون بسبب انخفاض مستوى معيشتهم تناول الغذاء الصحى. فمثلا معظم اليهود يموتون بأمراض القلب بسبب الحياة المغلقة التى كان يحياها اليهود في «الجيتو» المغلق، كما أن اليهود كانوا يعملون دائما في مهنة التجارة مما يضعهم تحت ضغط المكسب والخسارة وهكذا.

وللزنوج ابداعات هائلة في مجال الرياضة فقد حصل الأبطال الزنوج على أكثر من ثلث البطولات الأمريكية في معظم الدورات الأوليمبية فضلا عن بطولاتهم المعروفة في مجال الملاكمة واستئثارهم بأوزان معينة. كما يوجد أطباء زنوج يعملون بأقسام الجراحات الخطيرة في أكبر المستشفيات الأمريكية ومنهم طبيب توجولى معروف يعمل نائبا لرئيس جراحة القلب في هيوستن وغيرهم كثيرون.

وأود أن أشير هنا الى ضخامة الاستثمارات الأمريكية في العقول حيث تقوم الولايات المتحدة مع غيرها من الدول الأوروبية بما يمكن أن نسميه «سرقة العقول» من دول العالم الثالث. وهو ما يمثل خطرا كبيرا على العالم النامى إذ يؤخر عملية التنمية فيه بينما يزداد الأغنياء في الغرب ثراء وتقدما.

فقد بلغ الأمر خلال النصف الأول من السبعينات، في أمريكا على سبيل المثال، أن الأطباء والجراحين القادمين من الدول النامية كانوا يمثلون ٥٠٪ والمهندسين ٢٦٪ من مجمل القوة البشرية المضافة إلى الرصيد القومى الأمريكى، كما تشير التقديرات إلى أن دولا ثلاث من دول الشمال هي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا تستأثر بنسبة كبيرة تصل إلى ٧٥٪ من جملة التدفق في العقول المهاجرة من العالم النامى. ويبلغ حجم هذا الاستثمار (الوفر في نفقات التعليم والتدريب) بالنسبة لهذه الدول الثلاث ٣,٥ مليار دولار سنويا.

وقد فقدت مصر أكثر من ٣٥٠ ألف مواطن، الغالبية منهم حاصلون على الماجستير والدكتوراه، وقد استقر معظمهم في الدول المتقدمة، وكان لأمريكا نصيب الأسد، يأتى بعدها بريطانيا واستراليا.

وأود أن أشير في النهاية إلى المطربين الزنوج والموسيقيين الكبار منهم ابتداء من أرمسترونج وملوك الجاز حتى مايكل جاكسون حديثا مما لا يتسع المجال لحصره.

وإذا كان الحديث قد جرنا إلى آفاق لم تكن محسوبة في حياة الزنوج ونظرية الزنجية، فإن الحضارة الزنجية التى تمتد إلى أربعة ملايين من السنين على حد قول الرئيس السنغالى السابق سنجور تحتاج إلى اهتمام الباحثين لكشف خبايا هذه الحضارة والتعرف على ابداعات الزنوج في مجالات الطب والعلوم والرياضة والشعر والرواية والفن لنكتشف أهم ملامح عطائهم الانساني قديما وحديثا.

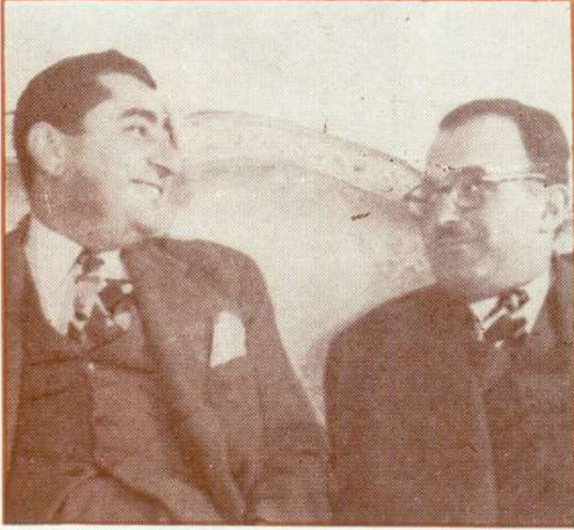
احمد سيكوتورى



ليوبولد سنجور



بدوي الجبل .. وإخاء أربعين سنة



الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

في موكب الأحباب

بقلم: أكرم زعيتر

وقضى السيد سمير الرفاعي ، رئيس الوزارة الأردنية السابق خريف سنة ١٩٦٥ ، وأقيم له حفل تأبيني في أربعينه بعمان ودعى «البدوى» إلى رثائه ، فلبى الدعوة ، وقد طاع له النثر حين تأبّى الشعر ، على أنه رثى جيلاً كاملاً ، وجعل عنوانه «دنيا القبور» أو «الكنوز الغالية» . وبعد أن وصف سميراً بكونه صارماً حازماً ، لا يهادن في رأيه ولا يصانع في عقيدته ، وهو جرىء إذا صمم تقحم ، وهو إلى صرامته عامر القلب بالحب والحنان والحزن – وحيث يكون الحزن يكون الحنان – فلا بدع إذا بدهته المنية عن طريق قلبه» قال : «ومرد كل ذى خطر في الحكم والسياسة والزعامة إلى التاريخ ، لا إلى أحقاد الحاقدين ولا إلى هوى المحبين ... والزمن طويل متأن في حساب رجل الدولة وقصير مسرع في حساب الجماهير . والصبر مزية رجل الدولة ، واللجاجة طبيعة الجماهير ..» ثم يقول : «ان العقل ليجور على القلب حتى يضنيه . حتى يمزقه ، وحتى يرزح القلب أخيراً – هذا الناعم الريان المدلل – تحت طغيان العقل وتحت طغيان الأحزان ، ولو شئت لقلت تحت ظلم الجماهير» .. وعلى هذا المنوال يسترسل حتى يهتف : «يا لكنوزنا الغالية ، كيف نودعها الثرى كنزاً بعد كنز ، وكيف نسلم تألقها إلى ظلمة قاسية في حفرة صغيرة ! يا لكنوزنا الغالية كيف أصبحت قبوراً ، وكانت زينة دنيا وحلية تاريخ وغالية فتح وأغرودة بطولة واستشهاد» . ثم يتذكر ويذكر إخوانه الراحلين : «كنوز في بغداد عطّرت الثرى ، وحن إليها الضحى ، وكنوز في حلب وفي الشام وفي لبنان وفي اللاذقية وفي عمان .. كنوز اسمها القبور نقشنا على بعضها الأسماء ونعم بزيارة الأبناء وحرم بعضها الآخر حتى الاسم وحتى الاشارة ، فواحر قلباه على المصارع المهجورة في رمال الصحراء لا يعرفها انيس ليسكب دمعة ، ولا قريب ليدل وحشة ؛ الضائعة ولكن يدل عليها عطر النبوة ! وواحر قلباه لرفات لا قبر له ، ولأشلاء مبعثرة تنزل على ضيافة الصحراء ، والصحراء كريم معسر ، تعتذر عن الجدب ، فتعلل بالنسمة الأرجة الساجية ، وتعتذر عن السقيا فتعلل بالسراب . وو ارحمتاه للمصارع الموحشة ، لا ترف عليها الرياحين ، ولكن كواكب السماء تتزين وتتبرج وتسأل من كرم الله أن يشرفها ، فيسمو النور حتى يصبح عطرا ، وتسمو النجوم حتى تصبح رياحين على تلك المصارع :

تلك المصارع رد الموتُ نجدتها
عني فكاد الأديم السمح يعتذر
أصبحتُ بعدهم حيران منفرداً
والريح عاصفة والليل معتكر
أحنو على كل قبر من قبورهم
أبكيه حتى بكى من لوعتي الحجر

وتتمثل نفسية البدوي ويتجلى شموخه بقوله : « لو طوى الردى من أحببناهم كوكباً بعد كوكب ، وفسح لنا في الأجل لنعاني غربة قاسية على أتراحنا وجراحنا ، وفينا على غروب الشباب وزحمة الخطوب ونزالجراح زهو العبقرية وخيلاؤها وعنفوانها . والعبقرى إذا لم يكفر بعبقريته ولم يكفر بنعمة الله عليه يرى نفسه نداً لكل عظيم ، حتى ولو انبسطت راية هذا العظيم على نصف الدنيا » .

« ويسرف في لومنا قوم ، وفي وسع شبابي وشباب إخواني وحده أن يعتب ويلوم ، فقد أنضينا رواحله حرماناً وغربةً وظلمة سجون ، ونحن لا نمن على وطننا بما أسلفنا ، ولا على من أحببناهم ووفينا لهم ، ولكننا ــ وهذا شأننا ــ لا نقبل أن يمن علينا إنسان فى الدنيا مهما بلغ في جاهه وسلطانه . المنة علينا للوطن وحده ، ولإخواننا الذين سبقونا إلى سدرة المنتهى في جنة الله .. » ويسترسل على هذه الوتيرة جياش العاطفة : « ولو شئنا أن نمن على الناس ــ حتى على بعض الكبار منهم ــ لكان ذلك من حقنا ، ولكنه الحياء ، ولكنه الاباء ، ولكنها مروءاتنا ، وهي مروءات ليست كغيرها مجهدة ولا مكدودة ، يطرح أصحابها عن أكتافهم أعباء المجد ، عبئاً بعد آخر ليتخففوا منها في طريقهم إلى العدم » .

وبعد أن يجعل دنيا القبور دنياه حتى ليستطيع أن يتعرف فيها على شبابه ، وعلى أيامه ولياليه ، بل على أصائله وأسحاره وعشياته ، وعدد أسماء أصحابه الراحلين ، في سورية وشواطىء لبنان ، وفي الأرض الخضيبة بالدماء ، الخضيبة بالاستشهاد ، وعلى شطآن دجلة والفرات ومتاهات الصحراء وفي قريته الوادعة الغافية بين البحر والجبل « أعيش مع أبى وأمي وابنتي وإخوتي ، أعيش مع كل هذه الطيوف الحبيبة وأصحابها في القبور كما كنت أعيش معهم ، وهم يغدون ويروحون من جهاد إلى سجن ، ومن غربة إلى حرمان ومن



صورة عائلية بمناسبة بلوغ حفيده « محمد » السنة الأولى من عمره ،ويرى « عدنان » الثاني من الشمال .



بدوي الجبل : كان دائما جياش العاطفة عندما يتحدث عن الأصدقاء الذين فقدهم

صحة إلى ضنىً ، ومن قسوة الزمان إلى قسوة الخصم حيناً ، وإلى قسوة الولي أحياناً ــ وهذه أدمى وأوجع ــ إنني أعيش مع الأسارير الحبيبة تطالعني مع كل إشراقة شمس ، ومع كل اغفاءة ليل ، وفي السمر وفي الصمت ، ففي قلبي عالم واحد ، ولكنني لا أعلم هل هو عالم الموت أم عالم الحياة ، إنهم هنا في قلبي ، وهذا العطر في أغاريدي عطرهم . إنهم هنا في خيالي ، وهذا السحر في بياني سحرهم ، إنهم هنا في شمائلي ، وهذا الكبر على الدنيا كبرهم . اننا نتشاكى ونتناجى ، لم تحل المنية بيني وبينهم . إنهم عند ربهم وعند قلبي . ان موكب أحبابي الموتى لينمو في قلبي يوماً بعد يوم بمن ينضم إليه من لدات الشباب ولدات الجهاد ، وسيظل هذا الموكب ينمو في قلبي وتتسع له حناياه وزواياه مدلهة حزينة حنّانة حتى يضمني الموت إلى أحضانه الرحيمة فنستأنف لقاءنا ووفاءنا في قلب حنون آخر » .

مصرع نابغة الصحافة

وعاد الشاعر إلى دمشق بعد أن طَوَّف فى الآفاق وقد بَرّح به الشوق وأضناه الحنين . على أنه ما لبث حتى فجع بمصرع أحب أصدقائه إليه وآثرهم لديه ، نابغة الصحافة كامل مروة .

وهرعتُ من عمان إلى بيروت لأشيع صديقى الراحل ، وافتقدت « بدوى الجبل » بين المشيعين ، فقيل لى انه لا يقوى على السير في جنازة « كامل » وأنه ابرق من دمشق يقول : « قلبي الممزق المسحوق يلجأ بجراحه واشلائه وحرقته إلى كنف الله ورحمته ولطفه » وأقبل رسول من دمشق يقول : « ان بدوي الجبل غريق همومه ودموعه » وحمل الرسول مرثاة .. كتبها البدوي بدموعه :

« لا دموعي طوع يدي ولا بياني : خطبك يا ابا جميل (كامل) رجَّ نفسي ثم حولها أشلاء ثم أشاع فيها الموت .. ثم غمرها بالفناء .. وهأناذا بعدك منية تبكي منية ، بل خلود يرثي خلوداً ، ومن رأى قبلنا منايا تبكي منايا وخلوداً ينوح على خلود .. » « كان قلبي كعهدك به يا أبا جميل خميلة من خمائل الله فيها صبابات السماء وأشواق النجوم ، في كل زاوية من قلبي روضة تبدع الربيع وأفياء تنبت الحُب . هنا وردة زاهية ، وهنا نرجسة حانية وألف دله وألف نعيم ، وألف طيب وألف شميم . وأنغام فردوس وأحلام ملائكة ، ونبعة من النور تتموج هنا وهناك على وشي خيال وزخرفة جمال . ثم أقبل القدر ، وانياً حيناً ، مسرعاً حيناً فأتلف الورد ، قانيةً بعد قانية ، وأذبل الأقحوانات حالية بعد حالية ، وعصف بالحب والنعيم ، وبالطيب والشميم . ثم عصف بنبعة النور فحولها شفاهاً ظماء ، وبأغاريد الفردوس فحولها رثاء ! وتعرت خميلة قلبي من نورها ونوارها . »

وواصل نجواه في بيان عبقري واعتذر عن حرمانه زيارة قبره : « ما جزعت حين حرمني لبنان من زيارة قبرك ، فقبرك في سريرتي ،

في موكب الأحباب

وسريرتي ملكي لا ملك لبنان . وسأسكب عليه من عطري ما لا تحلم به عطور لبنان . هنا في سريرتي قبرك . أحنو عليه بكل حبي وحنيني وبكل أشواق روحي ، وأسكب عليه ألف دمعة فتنبت ألف اقحوانة ، وفي ظل كل أقحوانة كوكب من السماء ، وحورية من حوريات الجنة . ثم أجمع قوارير الدموع من زوجك وبنيك ، ومن إخوانك ومحبيك ، وبعضها سافر وبعضها حيي خفي ، فأهرقها في قلبي ، فيعود الأيك في جوانحي مخضلاً كما كان ، ملتفاً متموجاً ، ولكن قارورة من هذه الدموع ينسكب نصفها على قبرك في قلبي ويسمو نصفها الآخر إلى السماء .. تلك هي دموع أمك .. وليس بين دموع الأمهات الثاكلات وبين الله حجاب » وختم مرثيته : « لقد كنت تترنح لشعرى وتسكر لبياني ولقد كنت أرجو أن أكون مرثياً منك لا أن أكون راثياً ، ومبكياً منك لا باكياً ، وأنا الآن لا استطيع أن أرثيك شاعراً ولا كاتباً .. فهذا ليس شعراً وليس بياناً إنها عبرات ثاكل ملتاع ، منسحق القلب ، ولكن كما ينسحق العنبر : تَعَبُّدُ شاعر ، وتأمل صوفي ، وايمان مفجوع وصلاة حزين » .

وقد أطلعني صديقى المفضال المرحوم الأستاذ ظافر القاسمى على رسالة من بدوى .. تلقاها وهو فى السعودية وفيها يقول : « مصرع كامل أذهلني وضعضعني . أتلفت يميناً ويساراً لمن يلتاع معي . الحزانى عليه من اخواننا عديدون ، ولكنه حزن فيه من المروءة ومن التقدير أضعاف أضعاف ما فيه من الحرقة واللوعة ، وأنا اريد من يحترق قلبه مع قلبي الحزين لا الحزن المحنط المهذب . تقطعت صلتى بلبنان . إن في نفسي من القنوط ما يجعلني ـ حلفة بالله غير متأول ولا حانث ولا متزيد ، أتمنى الموت على أن يكون سكتة قلبية رحيمة لا تطيل أوجاعي ولا آلام أسرتى ... » .

ثكل الأمومة

ويبدو أن عتاباً خفياً ظل يهاتف البدوي : « أين الشعر في رثاء حبيبك ؟ » وفي الذكرى الثالثة لوفاة كامل .. فوجئت وأنا في بيروت برسول يحمل إليّ قصيدة بخط البدوي نيفت على تسعين بيتا جعل عنوانها « ثكل الأمومة » رتلتها مرات ثم دفعتها إلى جريدة « الحياة » فنشرتها في صدرها .

واني أختار من ابياتها ما يصح أن تكون في السائرات ، وفيها :

دعوت خدنَيَّ من دمع ومن جَلَدٍ
فأسعف الدمع لكن خانني الجَلَدُ
أرد رشق الظُبى عن مهجتي بيدٍ
وتمسحُ الدمعَ من نزف الجراح يدُ
والعبقري غريب في مواطنه
يدور حيث يدور الحقد والحسدُ
ورب شاك فساد العصر يظلمه
لم يفسد العصر ، لكن أهله فسدوا
يا مبدع السحر الا أنه كَلِمٌ
وساقيَ الرأي الا انه شَهَدُ
يا مانح النور من تاهت دروبهمُ
ومانح الحُب والغفران من حقدوا

وأما ثكل الأمومة ، وهو عنوان القصيدة ففيه يقول :

ثكل الأمومة عند الله حُرمتهُ كحرمة الحق لا سِترٌ ولا بُعُدُ
ثكل الأمومة عند الله فاتحةٌ من الكتاب وإيمان ومعتقد
ثكل الأمومة حف الأنبياء به يهدهدون من الآلام واحتشدوا
يدعو فتفتح أبواب السماء له ويمسحُ الدمعتين الواحدُ الأحدُ


كامل مروة

وقد ترجح الدمع في مقلتي وأنا أتلو ما في القصيدة عن ولده عدنان وكان قد توفي وهو في رونق صباه بحادث سيارة فَجلّت لوعةُ البدوي عليه عن رثائه ، وها هو ذا يتذكره ويخاطب كاملاً :

أبا جميل ـ وقربى بيننا اتصلت
إلى الجنان فدانٍ وهو مبتعد
« عدنان » عندك في النعمى ولي كبد
عليه بالجمر والأحزان يتقد
أحبابنا في جنان الله قد نعموا
لقد شقينا بهم لكنهم سعدوا
هشّوا إلى ابن أخيهم وهو بينهمُ
بحاليات صباهُ كوكبٌ يَقِدُ
حمّلتُ عدنانَ أطيابَ الحنين فهل
أدى أمانة ما أشكو وما أجدُ
لم أرثه وهو روحي فارقت جسدى
وكيف يبكي ويرثى روحه الجَسَدُ

ويوم نشرها هتف بي الصديق السفير الوزير الأديب الأستاذ جوزيف أبو خاطر يقول : اعجبتني القصيدة ولكن شاعرنا قد استعار بيتاً من قصيدة شوقي في رثائه عبد الخالق ثروة باشا وهو :

أبا عزيزٍ سلامُ الله لا رُسُلٌ إليك تحمل تسليمي ولا بُرُدُ

والبدوى يقول :

أبا جميل سلام الله لا كتُبٌ إليك تحمل أشواقي ولا بُرُدُ

● محاولة آثمة لاغتيال الشاعر بعد هزيمة ١٩٦٧ .. بسبب قصيدته عن النكسة

● السنوات الأخيرة للشاعر كانت مليئة بالأحزان لفقدابنه عدنان وفقد أصدقائه في كل مكان

نفقة متبرعين لم يستشيروا البدوي في نشرها . وتناقلها الرواة وتناشدها المحزونون . وهذه القصيدة أو الديوان أثارت نقمة البعض فكان الاعتداء عليه ، يوم هوى شرير على رأس البدوي بطعن دراك أفقده وعيه ونقل محطماً إلى مكان خفي ، وباءت بالاخفاق جهود موصولة للعثور عليه ، ولكن إنذاراً صارماً وجهه وزير الدفاع السوري يومئذ ، اللواء حافظ أسد للآثمين باعادته فوراً أدى إلى طرحه خفية في احد المستشفيات ، وبذلت جهود لانقاذه حتى أفاق من غيبوبته ، وتماثل وئيداً وئيداً من علته ، فدفعت كما قلتُ عن تاريخ العربية معرة اغتيال شاعرها ، على أن مدبر الاغتيال مالبث حتى انتحر مما يذكرني بآخر بيت من قصيدته :

لم أهادن ظلماً وتدري الليالي   في غـــد أينـــا المدحـــور

وإني مقتبسٌ من هذه القصيدة ما هو لسان حال اللاجىء المشرد :

أنا حزنٌ، شخصٌ يروح ويغدو   ومسائي مع الأسى والبُكور
أنـا حزنٌ يمـر في كل بـاب   سائلٌ مثقل الخطى منهـور
طردتني الأكواخ ـ والبؤس قربي ـ   وتعالت على شقائي القصور
يحتويني الهجير حيناً ولا يرحَمُ   أسمال فقريَ الزمهرير
وعلى الجوع والضنى والرزايا   في دروبي أسير ثم أسير
نقلتني الصحراء حيناً .. وحيناً   نقلتني إلى الشعوب البحور
حاملاً محنتي أجر أقدامي   ويومي سمح الغمام مطير
حاملاً محنتي أوزعها في كل   دنيا وشرها مستطير
محنتي الغيث إن أرادوا وإلاّ   فهدير البركان والتدمير
حاملاً محنة الخيام فتزورٌ   وجوهٌ عني وتُغلق دور
الخيام المزقات ، وأمٌّ   في الزوايا وكسرة وحصير
وفتاة أذلها العُرْيُ والجوع   ويلهو بالرمل طفل صغير
كلما أنَّ في الخيام شريد   خجل القصرُ والفراش الوثير

وأما هيئة الأمم فهي :

هيئة للشعوب تمعن في الذنب   ولا توبةٌ ولا تكفيرُ
شارك القوم كلهم في أذانا   ومن القوم غُيَّبٌ وحضورُ
من قوانينها المداراة للظلم   ومنها التغريب والتهجير
ويقام الدستور أضحوكة الساخر   منا ويُوأدُ الدستور
كل علم يغزو النجوم ويغزو   بالمنايا الشعوبَ علمٌ حقير
والحضارات بعضهن بشيرٌ   يتهادى وبعضهن نذير
نعميات الشعوب شتى ، فنُعمى   حمدت ربها ونعمى كَفورُ

وهذا الصهيوني الغازي :

لن يعيش الغازي وفي الأنفس   الحقد عليه ، وفي النفوس السعير
يحرق المدن ، والعذارى سبايا   وصغير لذبحه وكبير
دينه الحرق والإبادة والحقد   وشتم الأعراض والتشهير
صورته التوراة بالفتك والتدمير   حتى ليفزع التصوير
من طباع الحروب كَرٌّ وفرٌّ   والمُجَلّيٌ هو الشجاع الصبور
ليس يُبنى على الفجاءات فتحٌ   عَلَمي في غدٍ هو المنشور
تنتخي للوغى سيوف مَعَدٍّ   ويقوم الموتى وتمشي القبور
عربيٌّ فلا حمايَ مباحٌ   ـ عند حقدي ـ ولا دمي مهدور

ويصف نفسه في نهاية القصيدة :

مسلم كلما سجدت لربي   فاح من سجدتي الهدى والعبير
ومع الشيب والكهولة قلبي   ـ كعهود الصبى ـ بريءٌ غريرُ
لي حريتي وإيماني السمح   فحُلمي هانٍ وجفني قرير
لم أهادن ظلماً وتدري الليالي   في غدٍ أينا المقهور

وضاقت الدنيا في وجه الشاعر المريض المحطم وتقطعت الأسباب ، فكتب لي ـ وأنا في عمان رسالة أراني الآن أتردد كثيراً في نشرها ، لا لما أسبغ عليَّ فيها من ثناء ، ولكن لما يستروح فيها من شبه رجاء ! ثم



سمير الرفاعي



الحاج أمين الحسيني



بدوي الجبل في ندوة اتحاد المجامع العربية بدمشق بين رئيس الاتحاد الدكتور ابراهيم مدكور وأمينه العام المساعد الدكتور عدنان الخطيب

ورجعت إلى ديوان شوقي وقرأت قصيدته في رثاء عبد الخالق ثروة وهي في ستين بيتاً .. والقصيدتان من وزن واحد وقافية واحدة ولا تشابه إلا في هذين البيتين ، وفي آخرين : فشوقي يقول :

نشأت في جبهة الدنيا وفي فمها
يدور حيث تدور المجد والحسد

والبدوي يقول :

والعبقري غريب في مواطنه
يدور حيث يدور الحقد والحسد

ولما علم البدوي بالملحوظة أبدى دهشته لهذا التوافق وتساءل : أيكون الأمر محض توارد خواطر؟ وأكد أنه لم يخطر على باله بيت شوقي وهو ينظم القصيدة ، وقرر أن يتدارك الأمر ، قلت : لعله اللاوعي !

من وحي الهزيمة

ووقعت الكارثة القومية الكبرى في حزيران « يونيو » ١٩٦٧ وأرمضت شاعرنا واستفزته فنظم قصيدة في مئة وسبعين بيتاً كان عنوانها « من وحي الهزيمة » طبعت مستقلة طبعات متعددة ، وعلى

في موكب الأحباب

اقر نشرها لأن فيها ما ينم على معرفة الشاعر الكبير قدر نفسه ويقينه انه خالد بخلود شعره :

أخي الأعز الأغلى

والله ماتمثلت بَيْتي الشاعر العربي القديم :

ولي صاحبٌ كالسيف أبيض مصلتاً وهيهات منه كل ابيض مصلتِ
رأى حاجتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّتِ

إلا ذكرتك ، وعنيتك بين كل من أعرفهم . يؤيد ذلك طريف مجدك وتليده ، وقديم سؤددك وجديده ، ويزكي ذلك متين ود وصادق وعد . والأريحية فيك طبع لا تَطَبُّع . والفضل منك صنع لا تصنع ، وعبئى الصغير لا يزيد الأعباء الكثيرة ثقلاً ، بل يهديها جمالاً ونبلا .

وبعد فالمحنة قاسية ، والتعجيل في تفريجها كرم على كرم ، وأنت مهوى رجاء اذا تحقق شكرتك ، واذا لم يتحقق عذرتك . والكرام عند الشدائد اخوان ، فكيف اذا كانوا اخواناً في الأصل .

كتابي هذا اليك هو اليوم عندك وديعة وقنية ، وهو لمجدك في الغد البعيد زينة وحلية ، واعذرني إذا جاء أخرس البيان . فقد كتبته وأنا في سرير المرض ، والعيون أرقة ، والخواطر قلقة ، وسقمٌ وهمومٌ ، وتفكيرٌ ووجومٌ ، والثقة بالله والايمان به هو كل ما نملك إزاء الغاشية ، وبعد كل ظلمةٍ فجر ، وامام كل عسر يسر .. واخاك اخاك ..

ولم اطلع على هذه الرسالة احدا سوى كبير ضمد الكلم عاداً البدوى هو المتفضل على كل حال . ولست أنسى قوله في رسالة أخرى « لقد كانت ذكرى اكرم ترافقني وانا بين الموت والحياة . اسأل الله ان يمهد لنا لقاءً نسترد فيه سعادة قلب وسناءة وجدان » .

عوني عبد الهادى

وقضى سنة ١٩٧٠ صديقي وصديق البدوي الوطني العربي الكبير والمجاهد الاستقلالي الشهير الاستاذ عوني عبد الهادى ، فاتفق رأي اخوانه على تأبينه ، والحفاوة بذكراه في اربعينه . ودعوت البدوى الى رثائه ، وفي اليوم الموعود تلقيت منه برقية تغني عن خطاب هذا نصها :

في ذكرى المغفور له عونى عبد الهادى ستكون الجنة ونعيمها ، والسماء ونجومها ، ومواكب الشهداء ، وعطر الفداء ، وتاريخ منضر ، وجهاد منور وذكريات جليلة وامجاد اصيلة . وفي ذكراه عُرْس عند سدرة المنتهى ، ومأتم في الدنيا . ولاخوانه الذين سبقوه الى رضوان الله عند هَلّته عليهم ألفُ لُبانة . ونَفْحُ أقحوانة لأقحوانة . حرمني المرض الحضور والكتابة . انت يا ابا سري تعبِّر عن عاطفة إخوانك بصادق إيمانك ووسيم احزانك وسحر بيانك فقل باسمنا ما يصلح للذكرى رضى الله عن صاحب الذكرى » .

وكان الاستاذ عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) شاعر الحفلة فتلا ملحمته في ستين بيتاً وقد ختمها هاتفاً بعوني :

يـا أبـا مـازن : على الدَّرب والعهـد حفاظا حـتـى يُلَم الشـتـاتُ
يتحدّى شراعُنا الريح حتى ترتمي فوق أرضنا المرساة
وتغني للعائديـن فلسطيـن وتشدو السفـوح والـهـضـبـات

ويبدو ان ابا سلمى اخبر البدوي أن برقيته لم تذهب بعتبي عليه فبادر الى الابراق إليَّ بالبرقية التالي :

أنا البريء ولكن حرمة وهوىً اقر بالذنب كي ترضى واعتذرُ

إخـوان البـدوى

وكنت مقيماً في بيروت سفيرا للأردن فرئيساً للمركز الثقافي الاسلامي فيها وكان البدوي مقيماً في دمشق زاهداً في زيارة بيروت لاعتبارات نفسانية ، مما يحملني على اعتمار دمشق لأراه ولنتباثث بعض ما يهجس في قلبينا من امور . وكانت لقاءات دمشق تتيح لي الاجتماع بصفوة من اخوانه الذين كانوا يؤنسون وحشته ، ويبددون بمودتهم ووفائهم كربته ، اذكر منهم : الدكتور عدنان الخطيب وابا سلمى وسهيل فارس الخوري ، وفي معرض الثناء على وفاء الدكتور عدنان الخطيب ، علمت أنه كان وعقيلته في زيارة اكرم الخلق عليه الصلاة والسلام ، وقد رأت رؤيا فيها بشارة بغلام ، ولم يكن ذلك في الحسبان ، ولما رزق ولداً ارتجل البدوي قصيدة يقول فيها :

لقد زرت ياعدنان قبر محمد وحولك من اصحابه الشمس والبدر
ومن روضة قدسية نَبَوية أطَلَّ عليك الحسنُ والنور والعطر
وفي الكعبة الزهراء افق مُنَوَّرٌ تُسَبِّحُ للخلاق أنجمه الزهر
هواتف بعد الله باسم نبيِّه فاسماؤها عقد واحرفها دُرُّ
وبورك بالايمان لولاه ما انطوى ظلام ولا غالى بزينته فجر
أعوذ به من عنجهية كافر وشر الصفات العنجهية والكفر
وهونتُ من عسر الزمان ولم يضع حيائي لا عسر الزمان ولا اليسر
وقبلك أصفاني أبوك وداده فصحبته نعمي ونائله غَمْرُ
تهنَّأ بدل الطفل ما شئت إنه هو السحر ، بل أغلى وأحلى ، هو الشعر

الشهـيد وائل زعيتر

واغتال الصهيونيون ابن شقيقي وائل عادل زعيتر ممثل منظمة التحرير في روما . واقبل الصحب يعزونني ، وابرق إلى البدوي ببرقية تعزية ، مجد فيها الشهيد وتخيل أباه عادلاً يستقبل في الفردوس ولده الشهيد ، ويؤسفني الا تكون البرقية الرائعة قريبة المتناول الآن وقد ابرقت إليه اقول : « تعزيتك طاقة ريحان على ضريح الشهيد . حسبي وقد لعج الحزن فؤادي وأضلعتني الهموم الدعاء أن يطيل لنا الرؤوف الرحيم بقاءك وأن يحفظك لامامة الشعر الأصيل ولجمال الإخاء الحنون النبيل ولأخيك الذاكر الشاكر اكرم زعيتر » .

أمين الحسيني

وفي الرابع من تموز سنة ١٩٧٤ توفي في بيروت الزعيم الفلسطيني الكبير رئيس مجلسها الاسلامي الأعلى وهيئتها العليا سماحة الحاج امين الحسيني وجرى له تشييع عظيم ، وبينا كنا نتبادل التعازي به في دار الافتاء اللبنانية حمل إلى ساعي البرقيات برقية من بدوي الجبل تلوتها في المأتم وهذا نصها :

« التعزية بالزعيم العظيم المجاهد الخالد محمد امين الحسيني تعزية لجده محمد رسول الله والخلفاء الراشدين وللتاريخ العربي الاسلامي الأصيل ، ولكل عظيم في هذا التاريخ وانني كتلميذ من عشرات الملايين من تلاميذه أنحني على قبره فابلله بدموعي وتبلله الملائكة والشهداء والصديقون وتتزين الجنة للعظيم القادم ولقائه وتحنو أفياء سدرة المنتهى على أفيائه .

انت يا اخي اكرم صديقه ورفيق جهاده وأمجاده ، فاحمل تعزيتي الحزينة الملتاعة الى أهله وذويه وكل مؤمن مكافح مجاهد في الدنيا العربية الاسلامية من اهله وذويه . الكسر الذي أصابني يحرمني شرف توديعه وتشييعه فنب عن اخيك بهذا الواجب المقدس .

اللاذقية « بدوى الجبل »

أكرم زعيتر

المارد الأفريقي

مهداة إلى الشعب الافريقي البطل

شعر: محمد التهامي



ماردُ الأدغالِ ألقى قُمقُمَه — افتحوا البابَ وإلاّ حطّمَه
لا تظنّوا الأمنَ في جدرانكم — إنْ تصدّى لجدارٍ هدّمَه
لا تُطيلوا القولَ في تضليلكم — لم تعُدْ أرضي بلاداً مُظلمَه
لم تعُدْ دارَ الأساطير التي — صُغتموها والأحاجي المُبهمَه
لم تعُدْ فيها ظلالٌ تختفي — في حناياها الأيادي المُجرمَه
حقّنا والله قد حلّلَه — في حمانا وعليكم حرّمَه
همسةُ الحقّ لدى إفريقيا — قد تعالتْ ثمّ صارت همهمَه
ثمّ غطّتْ كلَّ صوتٍ حولها — حين ضجّتْ واستحالتْ دمدمَه
وانبرى العملاقُ من أعماقها — يملأُ الإنذارُ للدنيا فمَه
لم تعُدْ إفريقيا الدارَ التي — يبتغي الأفّاقُ فيها مغنمَه
ماتَ الاستعمارُ في أنحائها — وأقاموا في حماها مأتمَه
والذي نلقاهُ من ضجّاتِه — تلك رقصاتُ الذبيحِ المؤلمَه
والصراعُ المرّ من غيلانِه — صحوةُ الموتِ الذي لن يرحمَه
حربُنا ندري قصارى أمرها — وقصارى أمرِها أن نهزمَه
جوّنا يلقي شواظاً فوقَه — وثرانا ظامىءٌ يبغي دمَه
والجبالُ الشمُّ في أوطاننا — تستحثُّ الصخرَ حتى يرجمَه
والروابي إنْ جرى فيها دمٌ — من دمانا أوشكتْ أن تلثمَه
أو دفنّا في حماها بطلاً — إننا فيها غرسنا جمجمَه
تُنبتُ الآلافَ من أمثالِه — والثرى في أرضنا ما أكرمَه
نحنُ أهلُ الدارِ والأمرِ الذي — نحنُ أولى وحدنا أن نحسمَه
نحنُ أهلُ الحقّ في إفريقيا — لم تعُد إفريقيا بعدُ أَمَه
إنّها الحرّةُ من لم يرضها — فعلينا وحدنا أن نرغمَه
قصّةُ الماضي(١) وما أعجبَها — سرُّها قد فاتنا أن نفهمَه
حين قيل: الذئبُ يرعى حملاً — يا لَذئبٍ زهدُهُ قد كمّمَه!!
فانخدعنا وتركنا أمرنا — واسألوا العالمَ عمّا قدّمَه
سلّحَ العاصين في أوكارهم — واجتبى العصيانَ حتى نظّمَه
ورأى الخلفَ قليلاً بينهم — فاحتفى بالخُلفِ حتى جسّمَه
ورأى الظلمَ ضئيلاً قاصراً — فاعتنى بالظلمِ حتى عمّمَه
عادَ الاستعمارُ في أوطانهم — مستعيناً بالذي قد حرّمَه

° ° °

أيها الطاغون ردّوا نابَكم — جرحُكم فينا عرفنا بلسمَه
إننا نحمي حمانا وحدنا — وحدةً نسعى صفوفاً محكمَه

هامش:

(١) استعان الكونغو بالأمم المتحدة فى الستينات للانقاذ فكرست التقسيم ومكنت للاستعمار.

كتاب بغيض



بقلم : الدكتور
عبد السلام العجيلي

ماقولك ياصاحبي في كتاب اقتنيته أنا منذ عشرة أعوام ، في عام ١٩٧٥ ، متلهفا على اقتنائه ، حريصا على تلاوة محتواه باهتمام وروية ، ومع ذلك فان قراءته استغرقت مني عشرة أعوام كاملة ، فلم أطبق الغلاف على صفحته الأخيرة إلا منذ فترة وجيزة ، في مطلع الشهر العاشر من السنة الفائتة ، سنة ١٩٨٥ ؟

قد تظن الكتاب الذى أعنيه كتابا ضخما ، أو سفرا يتألف من عدد كبير من المجلدات ، أو تحسبه مخطوطا احتجت في قراءته الى تدقيق وتحقيق حتى أخذت تلاوته مني هذا الزمن الطويل . ليس الواقع كما تظن أو تحسب . إنه ، أعني هذا الكتاب ، يقع في مجلد واحد . صحيح أن صفحاته من القطع الكبير وأن حروفها أميل الى الدقة ، إلا أن عدد تلك الصفحات لايتجاوز الثلاثمائة إلا بقليل . فليست ضخامة الكتاب هي التي أخرتني عن اتمام قراءته ، ولا لغته التي هي الفرنسية مترجمة عن الانكليزية ، ولاحتى ثقل الأسلوب في الترجمة ، وإنما هو سبب آخر ستعرفه مما أبينه لك بعد قليل .

يحسن بي أن أخبرك في البدء بأني لم أشتر هذا الكتاب من مكتبة في بلد من بلداننا العربية ، فما من كتبي عربي يفكر في أن يستجلب هذا الكتاب أو يعرضه للبيع . جئت به من أوروبا في أحد أسفارى إليها ، وحرصت في عودتي منها على أن لاتقع عليه نظرة جمركي عربي أو رجل أمن على الحدود . مجرد قراءة اسم مؤلفه المكتوب بأحرف بيضاء كبيرة على غلافه الأزرق سيسيء الظن بحامل هذا الكتاب ، وربما عرضه الى أن يتلقى درسا في السلوك القويم والاحساس السليم من ممثل السلطة البسيط الرتبة على الحدود حين يصادر الكتاب ويرفع به تقريرا الى رؤسائه الأعلين .

أنت تتساءل الآن عن كتابي هذا وعن مؤلفه . لا ... لايذهبن بك الظن الى ممنوعات الكتب من طراز معين . الكتاب الذى أعنيه مجرد مؤلف في ماتستطيع أن تسميه التاريخ السياسي . عنوانه كلمة واحدة : « بلادى » . أما كاتبه الذى قلت لك ان قراءة اسمه تسيء الظن بالحريص على اقتناء مؤلفاته فهو أبا إيبان . نعم أبا إيبان ، وزير خارجية اسرائيل لفترة طويلة وسفيرها في واشنطن قبل ذلك ، وممثلها في هيئة الأمم المتحدة في أشد فترات الصراع السياسي والعسكرى بين العرب والصهيونية .

لابد لي من القول ان كتاب « بلادى » ، البغيض كما وصفته في رأس هذا الكلام ، ليس أول ماأقرأه من مؤلفات أبا إيبان . فقبله قرأت له كتابا سابقا لهذا ، باللغة الفرنسية المترجمة عن الانكليزية كذلك ، وعنوانه « شعبي » . وأنا أستبعد أن تكون واحدة من مؤسساتنا الفكرية المهتمة بالقضية الفلسطينية قد ترجمت هذا الكتاب أو ذاك الى العربية ، بغية أن يعرف العربي عقلية عدوه من خلال فكر مساهم كبير في نكبة العرب الكبرى في هذا القرن . ويحسن بنا أن نعلم أن أبا ايبان نفسه لم يتخلف في يوم ما عن التعمق في معرفة العرب الذين أعد نفسه لاستلاب أرضهم ، وذلك بتعلم لغتهم ودراسة نتاجهم الأدبي والفكري . فالمعروف أن واحدا من أوائل مؤلفاته كتاب عنوانه « الحركة الأدبية العصرية في مصر » ، وأن من بين تلك المؤلفات ترجمته لرواية توفيق الحكيم « يوميات نائب في الأرياف » من العربية الى الانجليزية .

وأنت ياصاحبي تتساءل الآن بلاشك ، بعد أن عرفت عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، عما جعلني أنفق في قراءته عشر سنوات كاملة ، مع تصريحي لك بأني كنت متلهفا على اقتنائه حريصا على قراءته باهتمام وروية . الصحيح أني لم أكن أتابع باستمرار قراءة ماسجله أبا إيبان في مؤلفه هذا ، على الرغم من حرصي الذى ذكرته . لم أكن قادرا على تلك المتابعة . ذلك أني في تلاوة ماتحمله صفحات الكتاب كنت مثل من يلوك الحنظل في فمه ويدير به لسانه . صفحات محشوة بالوقائع التي لامجال لانكارها ، وبالأكاذيب المموهة بالحقائق وبالحقائق المبطنة بالأكاذيب . وكل هذه وهاتيك وتلك ، في ضوء ماتعيشه أمة العرب في هذه الأيام ، وضوء ماعاشته منذ نشوء محنة فلسطين ، أمور جارحة أو أنها تذر الملح على الجروح الحية . ما ان أقرأ منها صحيفتين أو ثلاثا حتى أجدني فقدت الاحتمال فالقيت الكتاب من يدى ، مؤجلا قراءته الى فرصة أخرى أو الى يوم آخر .

نعم ان الكتاب مليء بالوقائع وبالأكاذيب المموهة ، وفيه مع ذلك من الحقائق ما لايستطيع المرء تجاهله على الرغم من مرارتها وعلى رغم ادراكنا ماتبطنه من افتراء ودس . نحن نعرف الوقائع التي يرويها أبا إيبان ، نعرفها جملة أحيانا وأحيانا تفصيلا ، إلا أن إيراده لها في كتابه بلهجة التقرير والوثوق والاستعلاء يحيلها حرابا في صدورنا وأشواكا واخزة في أعيننا . حين يقول مثلا : ان عدد اليهود في فلسطين في آخر القرن الفائت كان خمسة وعشرين ألفا بين أربعمائة وخمسين ألف عربي ، يردنا هذا القول الى واقع عدد



MAZE OF JUSTICE

by
Tewfik el Hakim

Translated by
A. S. Eban

قام أبا إيبان ، وزير خارجية إسرائيل السابق والذى يجيد العربية إجادة تامة ، بترجمة كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم إلى الانجليزية ، فى الأربعينات . وفى الصورة الغلاف الخارجي والصفحة الأولى لهذه الطبعة الانجليزية



أبا إيبان

اليهود في أرضنا المحتلة اليوم ، وهي الأرض التي يجعلها أبا إيبان في عنوان كتابه بلاده ، فلا نملك غير أن نطلق من أعماقنا حسرة تحرق أنفاسنا . ومثل ذلك نفعل حين نقرأ في إحدى صفحات الكتاب نص ماهو منقوش على أحد أقواس الملعب الروماني في القدس من أن القيصر تيتوس فيسبازيان قد استعبد العرق اليهودى وهدم أوريشيليم على رؤوس أهلها ، ثم نقرأ تعليق أبا إيبان على هذا النص قائلا إن انتصار جيوش روما ذاك حدث في عام ٧٠ للميلاد ، وان تسعة عشر قرنا قد فصلت بين زوال اسرائيل وبعثها من جديد . بعثها ؟ نحن نعرف أنه ليس بعثا ، وإنما هو استلاب أرض من شعبها وتزييف دولة جديدة باسم مجتمع مضى على امحائه من عالم الوجود تسعة عشر قرنا . ومع ذلك فان هذا الاستلاب واقع مرئي لأعيننا ، نعجز منذ ما يقارب أربعين عاما عن تغييره أو عن اضعافه ...

وعن الأكاذيب التي يوردها أبا إيبان ، ملبسا إياها ثوب الصدق الذى لايرقى اليه شك ، لن أقول شيئا . لعل معرفتنا بأنها أكاذيب ملفقة كانت جديرة بأن تجعلنا لا ننزعج منها لولا أنه يطلقها من موقف القوة التي زوده بها ضعف العرب في تفرقهم وتخاذلهم ، فتبدو كأنها حقائق لمن ليس له قرب من الأحداث .

تبقى الحقائق التي تضمنها كتاب أبا إيبان وقلت إن الانسان لايستطيع تجاهلها على الرغم من مرارتها وعلى الرغم من الباطل الذى بنيت عليه . من المؤلم أن أكثر هذه الحقائق لايستطيع الواحد منا ، في مختلف البلاد العربية ، روايتها في مقال مكتوب أو في حديث على جمهور ، حتى تلك التي مضى مايقرب من أربعين عاما على وقوعها . أما عن الحقائق الحديثة فإن أبا إيبان نفسه يتحدث عن بلبلة المشاعر حول مايسوقه عنها ، متظاهرا بالموضوعية ولكن في استعلاء يملأ نفس القارىء العربى حنقا . لقد أصدر كتابه بعد عام واحد من حرب تشرين ــ أكتوبر ، وهو يقول عنها في آخر صفحات هذا الكتاب مايلي :

« ... سيجزم المختصون بالتاريخ العسكرى أن الحملة العربية ، بعد كسبها للحرب خلال بضعة أيام ، انتهت بالانسحاب والفشل ، بينما حولت اسرائيل وضعها الفاجع البدئي الى انتصار نهائي . ومع ذلك فان هذه الوقائع ، على صحتها من الناحية التكنيكية المجردة ، ليس لها علاقة بردود الفعل عند الجانبين المتحاربين . وها نحن بعد مضي أشهر عديدة على تلك الحرب نجد العرب لايذكرون غير انتصاراتهم الأولى ناسين فشلهم النهائي ، بينما تتصرف اسرائيل باتجاه معاكس : فالناس فيها يحسون بمرارة بالمخاطر التي كانوا عرضة لها ويرفضون بعناد التسليم بالانتصار الذى أعقب تلك المخاطر . وحتى هذه اللحظة لانزال نجد عربا يحتفلون بانكسارهم واسرائيليين يلبسون الحداد على انتصارهم ! »

هل تلومني إذن ياصديقي إذا وصفت لك كتاب أبا إيبان بأنه كتاب بغيض ؟ إنه بغيض بوقائعه التي يرويها ، وبأكاذيبه ، وبحقائقه . ولكن لم يكن لي بد من إتمام قراءة كتاب كنت أتحاشاه فترة بعد فترة ثم أضطر إلى العودة إليه . ووجدت في النهاية أن أضمن طريقة لاتمام قراءته هو أن أصطحبه حين أسافر في غير سيارتي ، وقلما يحدث لي ذلك ، فأعود إليه مقسورا حين لايكون تحت يدي ماأقطع به وقت السفر في المسافات الطويلة غيره . وهكذا قرأت الكتاب بكل الاهتمام ، وبكل المضض والأسى ، في عشر سنوات كاملة ...

لن أتركك ياصاحبي قبل أن أقول لك إن مؤلَّف أبا إيبان السابق ، الذى عنوانه « شعبي » ، والذى أخبرتك أني كنت قرأته قبل هذا ، كان كهذا كتابا بغيضا . لابغيضا فحسب ، بل إنه بما أثَّره بي في إحدى فقراته جعلني ألقيه من يدى وأهرع مسرعا الى حيث قئت مافي جوفي . صدقني أن هذا ماجرى لى بعد قراءة واحدة من فقرات أحد فصول ذلك الكتاب . لعلي أروى لك في مرة قادمة مقاطع من تلك التي آلمتني وبلغ بها اشمئزازي ، لامن أبا إيبان ذاته بل من بعض مراحل تصرفات أبناء أمتي العرب ، الى أن أصاب بالدوار والغثيان .

الى مرة قادمة إذن ياصديقي العزيز إذا أردت مشاركتي في معرفة طرف من طرق تفكير العدو وأساليب تصرفه ، ومعرفة طرف من طرق مقابلتنا لذلك التفكير والتصرف ، ومعرفة ما جرته هذه وتلك علي وعليك من النقمة والتألم ، ومن الاشمئزاز حتى الغثيان .

الرقة ــ سورية

العالم سنة ٢٠٠٠

جنين بلغ من العمر تسعة أشهر ، وحان وقت خروجه من بطن أمه الى العالم كي يظفر باسم وحارة ومدينة ووطن أهل وأصدقاء ، ولكنه لم يصدر عنه ماينم عن عزمه على مغادرة بطن أمه الذى يقيم به ، وبدا كمحتل لا يأبه لارادة الشعوب ، فقالت له أمه متسائلة بغيظ وسخرية : « الى متى ستبقى فى بطني ؟ هل تنتظر حتى تصبح رجلا ذا شاربين ؟ ينبغي لك أن تشفق علي فقد صرت ثقيل الوزن الى حد أني بت لا أستطيع المشي » .

قال الجنين : « أنا لا أحب السير فى الظلام ، ولن أغادر بطنك إلا اذا عرفت أولا أي نوع من الحياة ينتظرني في العالم الذي سأصبح واحدا من أفراده » .

فكرت الأم قليلا ، ثم قالت لجنينها : « أتريد كذبا يخدعك ويسعدك أم تريد صدقا يقول لك الحقيقة ويشقيك ؟ » .

قال الجنين فورا : « أريد الصدق وحده ولاسيما أن الصدق ينجي والكذب يردي » .

قالت الأم : « اذن انصت لما سأقوله » .

قال الجنين : « قولي ماتشائين ، فكلي آذان صاغية » .

قالت الأم : « العالم الذي ستحيا فيه معتوه فظ قاس لايرحم ولا يشفق » .

قال الجنين : « ما من قوي إلا وفوقه من هو أقوى منه ، وما من قاتل نجا من قاتل آخر أهرق دمه » .

قالت الأم : « ستزرع الورد ، ولكنك لن تقطف سوى الشوك وحده » .

قال الجنين : « لن أزرع إلا الشوك كي أقطف الورد » .

قالت الأم : « من السهل أن تحزن ، ومن الصعب أن تفرح » .

قال الجنين : « لن أحزن ولن أفرح » .

قالت الأم : « ستحلم وتتمنى وتحب ، فلا تحصد إلا الخيبات وموت الأحلام والآمال » .

قال الجنين : « سأطعم قلبي لهررة جائعة أو أحوله الى صخر بارد » .

قالت الأم : « إن تكلمت ندمت ، وإن صمت ندمت » .

قال الجنين : « سأعرف متى أتكلم ومتى أصمت ، وسيندم غيرى » .

قالت الأم : « الشجرة ذات الثمار الطيبة محكوم عليها بالهلاك بسبب طيب ثمرها » .

قال الجنين : « لن أكون شجرة بل سأكون فأسا » .

قالت الأم : « الأنهار تظل عذبة الماء حتى تصب فى البحار المالحة ، والأنهار أقلية والبحار أغلبية » .

قال الجنين : « بحر كبير مالح خير من نهر صغير عذب المياه » .

فقالت الأم : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » .

قال الجنين : « لا فائدة في العلم لا في الصغر ولا في الكبر » .

قالت الأم : « واجب العاقل إصلاح عيوب نفسه قبل انتقاد عيوب الآخرين » .

قال الجنين : « عيوبى محاسن يليق بها الثناء ، وفضائل الآخرين عيوب شائنة » .

قالت الأم : « قد تضطر في أحيان كثيرة الى أن تغضب ، والغضب من شيم الحمقى » .

قال الجنين : « أن أغضب ويقال علي أني أحمق أفضل من أن أصبح طعاما لكل الأفواه » .

قالت الأم : « من افتقر قلبه لم ينفعه غناه » .

قال الجنين : « هذا كلام لايؤبه له ، وأزدرى قائله الذي لابد من أنه كان فقيرا يوشك أن يموت جوعا ، ويده قصيرة وعينه بصيرة » .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

قالت الأم : « ستلتقي أناسا يدفنون الحسنة ويظهرون السيئة » .

قال الجنين : « الكلب إذا أكل وشبع إشتد نباحه » .

قالت الأم : « وقد تفقد أصدقاءك صديقا بعد صديق ، ولا غم يشابه غم فقد الأصدقاء » .

قال الجنين : « الأصدقاء هم أصدقاء في أيام الرخاء وأعداء في أيام البلاء » .

قالت الأم : « اللئام كثيرون ، واللئيم كالحية لايوجد عندها إلا السم » .

قال الجنين : « لن أكون الطبيب الذى يشرب السم اتكالا على ماليديه من أدوية » .

قالت الأم : « تنبه الى أن الغالب بالشر مغلوب » .

قال الجنين : « الماء مهما سخن يطفىء النار إذا صب عليها » .

قالت الأم : « لانفع في لؤلؤ لايخرج من بحره » .

قال الجنين : « من طمع إلى امتلاك اللؤلؤ فليدفع الثمن للبحر » .

قالت الأم : « سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده » .

قال الجنين : « سعادة المرء أن يكون رزقه من غير تعب » .

صاحت الأم بنزق : « اذا كانت لك هذه الآراء فما مبرر بقائك في بطني ؟ » .

قال الجنين : « أنا أنتظر أن تطلقي أبي الفقير وتتزوجي من آخر ذي ثراء وجاه ونفوذ » .

فركضت الأم الى أقرب مستشفى مشمئزة مستثيثة .

الأديـب وكلماته

أحد الأدباء ، قال يوما لكلماته وهو يحس أنه شحاذ مبتدئ : « كوني مرحة ، فالهم والغم مسيطران ، والناس يحتاجون الى ضحكة أو ابتسامة » .

قالت الكلمات : « هل أكذب وأقول إن الليل نهار وإن المشانق شجيرات ورد ؟ » .

قال الأديب : « لا تقولي للأعور : أنت أعمى » .

قالت الكلمات : ماذا يحدث إذا ذهب رجل الى ناد ليلي وأخذ يقرأ الإلياذة بصوت مرتفع ؟

قال الأديب : ستتعالى صيحات الرواد هازئة به .

قالت الكلمات : وماذا يحدث إذا ذهب الرجل الى المتحف البريطانى وحاول أن يسكر ؟

قال الأديب باستنكار : هناك وسائل متنوعة صارمة كفيلة بتوجيهه وإرشاده إلى الطريق الصحيح .

قالت الكلمات : إذن .. إياك أن تقلد ذلك الرجل .

فامتنع الأديب عن الحكي مع كلماته ، وقرر أن الكتاب وحده خير جليس ، وتناول كتابا ، وفتحه ، فقرأ الجملة التالية : « إنك تُقتل إن يقتل أخوك » ، فرمى الكتاب الى الأرض بحركة حانقة ، وتطلع فيما حوله ، فاذا السفن تحترق والعدو أمامه والبحر من ورائه ولا مفر له .

الكاتب عربي واللص انجليزى

قالت مصادر الشرطة البريطانية إن لصوصا مجهولين اقتحموا بيتا تسكنه أسرة عربية ، وسرقوا مليون جنيه استرليني .

وأضافت المصادر نفسها قائلة إن اللصوص لم يتنبهوا الى أحجار كريمة كانت موجودة في البيت ذاته وتقدر قيمتها بخمسة ملايين جنيه .

عندما اطلعت على هذا النبأ ، حزنت حزنا شديدا ، فأنا أقيم بلندن منذ أكثر من أربع سنوات ، ولكني لم أحظ بزيارة أي لص .

العائلة المسروقة عربية ، وأنا أيضا عربي ، فلماذا هذه المعاملة العنصرية المقيتة ؟

ولماذا هذا التمييز الطبقي البشع ؟

ولقد حاولت الخلاص من حزني مستخدما أساليب ووسائل متنوعة كثيرة .

إستمعت الى أغنيات عربية تزعم أنها فرحة مرحة ، فأصبحت مقتنعا أن لون العشب في الربيع أسود .

قرأت أشعارا يقال عليها إنها طليعية ، فأوشكت أن أقدم على الانتحار شنقا .

تابعت أخبار الوطن العربية اليومية ، فتمنيت لو كنت أرمنيا مولودا في آسيا ايام المجازر .

طالعت مجلات عربية الحروف ، فرغبت في البكاء كأن أمي ماتت من دون أن يتاح لي توديعها .

تذكرت أجمل أيام في حياتي ، فاذا هي رماد وسحاب بلا مطر وقوارب خدعها المستنقع زاعما أنه البحر .

ولما أخفقت محاولاتى هذه ، وبقي الحزن مقيما بقلبي يأبى الجلاء مقلدا اسرائيل ، لجأت الى الخيال ، وتخيلت لصا انكليزيا عريقا ذا تاريخ مجيد في مهنته يدخل بيتي في النهار لا في الليل .

وها هوذا اللص يباغت برؤيتي ، فيشهر في وجهي مسدسا شبيها بمدفع مضاد للطائرات ، فأقول له متسائلا بشجاعة وصوت مرتجف : « ماذا تريد ؟ » .

فيجيب بايجاز بليغ يجهله الأدب العربي المعاصر : « أموالك » .

فأسارع الى افراغ جيوبي من كل ما فيها من نقود ، فاذا المبلغ المتجمع لايوافق متسول يحترم نفسه على أخذه ، فيغضب اللص ، ويقول لي : « أنت حتما اتعظت بتجارب غيرك ، وأودعت أموالك في المصارف » .

فأهز رأسي موافقا ، فيطالبني بسجل لأرصدتي في المصارف ، فأبادر الى تقديمه إليه مزهوا ، ولكنه ما إن يطلع عليه حتى يرميه نحوي باحتقار قائلا : « أُسلقه واشرب ماءه » .

فأعاهده على العمل بنصيحته ، فلا يأبه لي ، ويشرع في التجوال في أرجاء البيت منقبا عما يستحق أن يسرقه ، ثم يعود الي خائبا حانقا ليسألنى : « ألا تملك شيئا ما ثمينا ؟ » .

أقول دونما تردد : « إني أملك طفلين صغيرين هما الآن في المدرسة ، وتستطيع أخذهما حالما يعودان » .

يقول اللص بلهجة ساخرة : « ألا تملك شيئا غيرهما ؟ » .

فأفكر مقطب الجبين ثم أقول : « إني أملك أيضا قبرين في بلدي ، وأسعارهما باتت أغلى من أسعار القصور في مونت كارلو » .

فيتأملني اللص مليا ، ثم يسألني بفضول : « أأنت بلا عمل ؟ » .

فأقسم له باللغتين العربية والانكليزية أني أعمل ليل نهار ، فيقول لي : « ماذا تشتغل ؟ » .

أقول : « أنا كاتب » .

فيضع اللص مسدسه في جيبه ، ويبتسم ابتسامة أب مفعم بالحنو والحب ، ويقول لي : « أنا أشفق عليك » .

فأشكر له عواطفه ، ويهم بمغادرة بيتي ، ولكنه يتوقف فجأة ، ويقول لي : « لدي اقتراح . اترك مهنة الكتابة واشتغل معي » .

فأوافق بحماسة ، مؤكدا إيماني بفوائد التعاون بين الشعوب ، ونجلس معا نفكر في مشروعات المستقبل ، ونتبادل الآراء بوصفنا شريكين وزميلين ، فاقترح السطو على الخزينة البريطانية تقليدا لما يفعله بعض الزملاء العرب بخزائن بلادهم ، فيرفض اللص باستنكار قائلا : « صحيح اني لص ، ولكني لص وطني » .

وهكذا اضطررت الى الاستمرار في مهنتي كاتبا لا يملك من متاع الدنيا سوى كلمات ، والكلمات إذا كانت نزيهة قليلا لا تجلب إلا المرض والخوف والجوع .

وثيقة أدبية



عيسى الناعوري في رسائله الأدبية

بقلم: أسامة فوزي

نشرت الدوحة فى عددها الماضى القسم الأول من هذه الوثيقة الأدبية الهامة، والتى تضم مجموعة رسائل كتبها الأديب العربى الأردنى الراحل الدكتور عيسى الناعوري إلى الناقد الشاب أسامة فوزي، وتناول فيها كثيرا من الشئون الأدبية والقضايا الفكرية فى صراحة وجرأة، وهذا هو الجزء الثانى من الوثيقة الأدبية مع التعليقات التى كتبها أسامة فوزي عليها، ويشمل هذا الجزء خمس رسائل أخرى، وتكون الدوحة بذلك قد نشرت عشر رسائل من بين ثمانين رسالة يقوم أسامة فوزي بإعدادها للنشر فى كتاب يظهر خلال الشهور القليلة القادمة.

الرسالة السادسة

الثلاثاء ١٦/مارس/١٩٧٦

عزيزي أسامة

رسالتك الأخيرة المؤرخة ٣/١١ وصلت هذه الساعة، وأكتب إليك حال عودتي من البريد، شاكراً لك سرعة ردك، واهتمامك الجاهد في الوصول إلى الحقيقة في قضية الصديق العزيز الراحل تيسير سبول. اهتمامك هذا دليل جدية في البحث عن الحقيقة، وهو لذلك فضيلة تستحق عليها التقدير.

القضية في اعتقادي أهون من أن نطيل النقاش فيها، وألخصها فيما يلي: ــ

١ ــ تيسير كان ثائراً على أوضاع عربية لم تكن ترضي مثله وتيسير انتحر شاباً.

٢ ــ الانتحار جبن وهزيمة، والثائر لا ينهزم مختاراً، لأنه لا يمكن أن يكون جباناً بل يتحدى إلى النهاية.

٣ ــ انتحاره إذن لم يكن انتحاراً فلسفياً (٢٤)، ولو كان كذلك لما كان تيسير يستحق أقل اهتمام، لأن الذي ينتحر لعدم رضاه عن الواقع، إنما يترك لهذا الواقع أن ينتصر، بدلاً من أن ينتصر عليه، وبدلاً من أن يساند الآخرين على الانتصار وتغيير الواقع وحين انتحر تيسير لم يؤثر انتحاره على الواقع، ولا على حياة الآخرين البائسة، أثر على نفسه فقط وأساء إليها لهذا كله لا أرضى أن يكون تيسير انهزامياً ولا جباناً ولكن حين ضعف أمام قوة المرض التي طال أمدها ولم يكن له منها خلاص، وضع حداً لصراعه مع المرض الذي لم تكن له طاقة لمقاومته، فهو إذن لم يكن جباناً ولا انهزامياً، بل كان «إنساناً» ككل الناس، ذا طاقة جسدية محدودة على المقاومة في صراع المرض، وهذا تبرير إنساني لانتحاره، ولهذا يجب أن نفرق بين فلسفته الطموحة الباحثة عن تغيير الواقع لخدمة الانسانية وانتحاره لضعف مقاومته الجسدية للمرض.

أتراني قلت كلاما مقنعاً؟! أرجو أن أكون قد فعلت هذا!

والآن... لقد أتعبتني كثيراً في البحث عن المقالات التي تطلبها مما كان بين الايراني وبيني في جريدة (الرأي) و (الدستور)، وها قد وجدتها أخيراً بين ملفاتي العديدة، الملأى بألوف الأوراق القديمة والجديدة.. سامحك الله! ولكن: دعني أرجوك رجاء حاراً أن تحافظ على هذه الأوراق لتردها إلي

● الأسباب الحقيقية وراء انتحار شاعر أردني

● دكتوراه فخرية من إيطاليا ينالها الناعوري بعد طه حسين

بأسرع وقت بعد أن تنسخ حاجتك منها ، فهي النسخ الوحيدة لدي وأنا حريص على أن أحتفظ بها وأنت قد وعدتني في رسالتك بردها حالاً ، وأنا أثق بوعدك مع أنه ليس من عادتي أن أخرج مثل هذه الأوراق العزيزة من بيتي حتى الى خارج باب البيت ولهذا أرجو أن أعود من ايطاليا في أوائل الشهر القادم فأجدها في انتظاري في منزلي ، ومع خصوماتي مع الايراني تجد كذلك قصاصة عزيزة جداً جداً وهي مقالتي في (أخبار الأسبوع) حول العزيز الراحل « تيسير سبول انساناً » وهذا سيهمك حتماً ، وهذا أيضاً أرجو رده مع بقية الأوراق لأنني لا أملك منه نسخة أخرى وأنا حريص على الاحتفاظ به . اكتفي بهذا متمنياً لك التوفيق والسعادة وعلى أمل أن أعود من رحلتي فأجد ردك ـ مع القصاصات ـ في انتظاري .

الرسالة السابعة

الاثنين ١٢/ابريل/١٩٧٦
عزيزي أسامة

عدت منذ أربعة أيام من رحلتي الايطالية الأخيرة ، التي نلت فيها شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة باليرمو(٢٥) وألقيت ست محاضرات ولقاءات أدبية ، في باليرمو وروما ، لقيت اهتماماً كبيراً من الجمهور ومن الصحافة الايطالية . وكان أكثر هذه المحاضرات عن الشعر العربي الحديث والمعاصر ، وما دخل عليه من عوامل التجديد ، وشعر المقاومة في الأرض المحتلة . وهذا المساء تلقيت رسالتك الأخيرة المؤرخة ٤/١ الجاري ، ومعها القصاصات التي كنت قد أرسلتها إليك قبل سفري الى ايطاليا . فشكراً على تفضلك بردها وعلى ملاحظاتك على (شريطي الأسود) (٢٦) وكنت أود لو أنك كتبت تعليقاتك هذه في إحدى الصحف الخليجية أو العربية .

أود أن أجيب عن ملاحظاتك وتساؤلاتك بما يلي :

١ ـ لعلك لاحظت أنني وقفت في اعترافاتي عند حد معين من عمري ، قبل أن أدخل حياتي العملية وقبل أن تعرف حياتي طعم الاستقرار . كان ذلك عام ١٩٣٦ أو ١٩٣٧ وعمري ١٨ أو ١٩ سنة فقط .

وكنت في تلك السن لاهم لي غير البحث عن الرغيف والكساء . وحين يطالبني إنسان بأن أدخل السياسة والنضال القومي والقضية الفلسطينية(٢٧) في تلك الاعترافات فهو يظلمني ويظلم الاعترافات . أنا فيها أصور إنسانية كاملة مكافحة في شخص شاب ـ هو أنا ـ يبحث عن نفسه بين ركام البشر ، ويبحث عن دربه في زحمة الدروب . لم أصل باعترافاتي الى شيء من حياة العمل والأدب والاستقرار البيتي . لهذه كلها جزء آخر أو أجزاء ، لا أدري متى أكتبها ولا من سينشرها .

٢ ـ حياتي كلها مصورة في مؤلفاتي ، ولا سيما الشعرية ، والقصصية والروائية ، أنا كلي هناك ، مع الناس الذين أصورهم وأتحدث عنهم وما أسهل أن يراني الناس أسير معه بين السطور ، ويسمعني أتحدث إليه عن نفسي ، وعن الآخرين . أما السياسة والنضال الفلسطيني فهما كل ما كتبت حتى صدور روايتي (جراح جديدة) : طريق الشوك ـ خلي السيف يقول ـ عائد الى الميدان ـ بيت وراء الحدود ـ جراح جديدة ـ أناشيدي ـ أخي الإنسان ـ بطولات عربية من فلسطين ، إضافة الى عشرات أو مئات من المقالات في صحف العالم العربي والمهاجر الأمريكية ، لعلي بين أدباء العرب جميعاً أغزرهم انتاجاً ـ شعراً ونثراً ، قصة ورواية ـ في القضية الفلسطينية وآخر أعمالي ـ ولعله أهمها في هذا الموضوع ـ كتابي الايطالي الذي ترجمت فيه أربعين قصيدة إلى اللغة الايطالية من شعر (محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد وفدوى طوقان) وطبع ثلاث طبعات في روما عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ ونفدت منه ثلاثون ألف نسخة . فهل تطلب مني أكثر من هذا ؟!

وتسألني عن « الاحساس الطبقي »(٢٨) وهل خلفت اعترافاتي منه في نفسي شيئا ، أو رغبة في الالتزام ؟.. لا ياأسامة ، الطبقية حقد ورذيلة ، وأنا أكره الحقد لأنني إنسان ، ولأن أدبي للانسان ، لا لطبقة ولا لحزب . والالتزام عندي هو الانسان ـ كل انسان ـ لحريته وكرامته وأحاسيسه الخاصة . الأدب الذي ليس للانسان لا يمكن أن يكون أدباً . لا تدير رأسي كليشيهات العصر السخيفة ، ليتشدق بها من يشاء ، أنا لا أومن بها ، ولو آمنت بها ، أو لو التزمتها في أدبي لفقدت عنصر أدبي الأساسي : الانسان والانسانية . منظر عصفورين يتناجيان على غصن يوحي الي بما توحي به كل مرافسات الحمير والبغال من أجل العلف والحشيش ، ومن أجل الانتصار والاستئثار بالمزود والأسطبل . ومنظر جندي في قلب المعركة ، رفع يده عن الزناد لكي يخرج من جيبه صورة زوجته أو ابنه أو حبيبته ، ثم يقبلها ويعيدها الى جيبه ، تثير في نفسي من المشاعر المرهفة مالا تثيره حرب طاحنة : هناك الانسان في لحظة من لحظات إنسانيته ، وهنا البهيمة في فورة من فورات وحشيتها . وهل لا يكون الانسان إنسانا إلا إذا كان فقيراً ، ومكافحاً للعيش فقط؟!

أرجو أن أكون قد أعطيتك حقيقة نفسي في هذه السطور وأجبت عن أسئلتك بإيجاز .

عيسى الناعوري
في رسائله الأدبية

اكتفي الآن وأرجو ان نستأنف مزيدا من الدردشة في رسائل قادمة.

الرسالة الثامنة (٢٩)

الجمعة ٣٠/ ابريل/ ١٩٧٦

ياعزيزى فوزي . أنا أكره رابطة الكتاب الأردنيين ، لأنها رابطة (متسيسين) لا يفهمون الاداب ، ويريدون أن يكونوا (أدباء) عن طريق العقائد السياسية(٣٠) .. وأنا أفهم أن دخول الأدب فى السياسة مفسدة للسياسة ، مثل دخول السياسة في الأدب وإما أن يكون المرء سياسياً وأما أن يكون أديباً والجمع بين الأثنين لعب على الحبال وبهلوانية . ومع ذلك يبدو لى أن مفهوم (السياسة) بينك وبينى (غير مفهوم) .. أعنى أنه (فهم غير متفق عليه) ولا تحديد له .. لقد قلت لك فى رسالتى السابقة إن واجب الأدب أن يحارب الشر فى الناس ، لا أن يحارب الأشرار أنفسهم ، لأن الناس كلهم أشرار بطبعهم ولا تستطيع أن تحارب كل الناس .(٣١) .

الرسالة التاسعة(٣٢)

الخميس ٢٠/ مايو/ ١٩٧٦

« الحقيقة أن كل ما كتب حول دوافع انتحار تيسير سبول كان ضرباً من العبث وانتحال العلل غير الصحيحة. فلم ينتحر تيسير « رفضاً للواقع » ولا « تمرداً على الحياة » ولا بدوافع فلسفية أو شعرية . تيسير انتحر لأن آلام الصرع الرهيبة التى كان يعانيها من وجع عينيه ، والتى رافقت حياته كلها ، ولم تنفع بها علاجات الأطباء ، وانتهت به إلى بداية عمى ، بحيث لم يعد يرى على مسافة عشرة أمتار ، هذه الآلام كانت أقوى وأقسى من احتماله ، ولا سيما بعد أن أعلن له الأطباء عجزهم عن شفائه ، ويأسهم من بقاء بصره ، هذه الحقيقة عرفتها حين زاملته في مؤتمر الأدباء فى بغداد عام ١٩٦٩ . كنا زميلين في غرفة واحدة طوال مدة المؤتمر ، وأحببته وأحبنى بكل اخلاص ، كانت الحبوب في جيبه باستمرار ، وكا ينهض فى وسط الليل ليلهم منها لهماً ، وحين كنت أسائله ، كان يقول : « ياأخوي يا أبو سمير ، بتصيبني حالات صرع من وجع عيوني ، ومش نافع فيهم لا طب ولا دوا » . والذي يعرف تيسيراً يعرف كيف كانت عيناه جاحظتين وصحراوين باستمرار. لهذا انتحر تيسير ، وأي تفسير فلسفي أو شعري أو عقائدى آخر هو ضرب من العبث والهذيان . لو انتحر تيسير « رفضا أو تمرداً » لكان جباناً لا يستحق الاحترام ، ولا أن يكتب أحد فى رثائه . لقد انتحر لأنه « إنسان » ضعيف أمام مأساة عينيه ، مأساة حقيقية ، ولقد كتبت في ذلك مقالاً طويلا في (أخبار الأسبوع) فى الوقت الذي كنتم تكتبون وتملأون الصحف مقالات عن انتحاره (الرافض) وانتحاره (المتمرد) وانتحاره (الفلسفي) أو العقائدي » .

الرسالة العاشرة

الجمعة الأول من أكتوبر ١٩٧٦
أخي أسامة

هذا الصباح وجدت في صندوق البريد رسالتك المؤرخة ٧٦/٩/٢١ ومعها قصاصة من « ملحق السياسة الأسبوعى » الصادر بتاريخ ٧٦/٩/١٩ والذي تفضلت فراجعت فيه كتابى (الشريط الأسود) مراجعة موجزة ولكنها وافية . فشكراً على المراجعة والرسالة .. استغرب كثيراً كيف لم تصل إليك في القاهرة رسالتى المؤرخة ١٩٧٦/٧/٢٢ ، التى رددت بها على رسالتك القاهرية المؤرخة ٧٦/٧/١٦ ، وحسب رغبتك ، وجهت الرسالة إليك على أحد العنوانين الذين ذكرتهما لى ، وهو عنوان (مجلة الثقافة الجديدة ، ٣٢ شارع صبرى أبو علم وبواسطة السيد عبده جبير) إذا لم تخنى الذاكرة أو هو العنوان الثانى (مجلة صباح الخير بواسطة منير عامر) لا أذكر تماماً لبعد الزمن ، وكانت رسالتى تلك مطولة ، وقد ذكرت لك فيها أنني كنت أنا أيضا في القاهرة فى مطلع الشهر السابع عينه ، وأنني قضيت هناك أكثر من أسبوع وسلمت إلى دار المعارف كتابين جديدين سيصدر أحدهما فى سلسلة (اقرأ) وعنوانه نظرات (سريعة فى الآداب الغربية) ويصدر الثانى فى سلسلة أخرى من منشورات الدار وعنوانه (في ربوع الأندلس) مزوداً بالعديد من الصور وكذلك اتفقت معهم على اصدار الطبعة الثالثة من كتابى (أدب المهجر) وأنى لأعجب كيف لم تصل اليك رسالتى تلك ، واعذرك لاستبطائك ردي كما أننى ايضا استبطأت رسالتك ، وكنت أتساءل ان كنت قد عدت من مصر ، أم طابت لك العيشة هناك فآثرت المقام بجوار صحافتها الأدبية والسياسية ونهضتها الفكرية الكبيرة الغنية ، ولو أنك فعلت لما لامك أحد على هذا الاختيار . (٣٣)

● إمَّـا أن يكون المَرءُ سياسيًّا
وإمَّـا أن يكون أديبـًا ..
والجمع بين الإثنين لَعِبٌ على الحبال

اسامة فوزى

الهوامش

(٢٤) وهو ما خلصت إليه فى كتابى « آراء نقدية » ويرد عليه الناعوري فيما يلى من أسطر .

(٢٥) ويكون الناعوري بذلك العربى الثانى الذي يحصل على الشهادة من هذه الجامعة فقد منحت قبله للدكتور طه حسين ، والجدير بالذكر أن الناعوري لم يتلق دراسات عليا ومن ثم لم يكن يحمل شهادات ، غير شهادة الثانوية القديمة من المدرسة الامريكية اللاتينية في القدس ، وقد تلقب بالدكتور بعد حصوله على الدكتوراه الفخرية وبدأت رسائله إلى توقع باللقب الجديد .

(٢٦) يقصد روايته « الشريط الأسود » وهي من أدب الاعترافات وقد صدرت عن دار المعارف بمصر عام ١٩٧٣ .

(٢٧) في رسالتى السابقة إليه ، حول روايته « الشريط الأسود » عجبت من تجاهل الناعوري للأحداث المحيطة به ، بخاصة القضية الفلسطينية ، والتى كانت في زمن اعترافاته تؤثر على الجميع وتكاد تكون زاد الناس اليومي .

(٢٨) كنت قد لاحظت في رسالتى إليه أنه لم يحسن توظيف الصراع الطبقى الذي يصوره في روايته لخدمة البناء الدرامي للرواية .

(٢٩) تقع هذه الرسالة فى صفحتين فولسكاب اخترت منها الفقرة المذكورة لأهميتها وأهملت الباقى .

(٣٠) كان الناعوري الأديب الثانى الذي يترك الرابطة بعد أشهر من إنشائها ، فقد سبقه كاتب هذه السطور إلى الاستقالة ، وما يذكره الناعوري صحيح فقد تضخمت الرابطة خلال أشهر حتى زاد عدد الأعضاء في الضفة الشرقية وحدها عن ثلاثمائة ، لا علاقة لأكثرهم بالأدب وقد تسربوا إلى العضوية من خلال الشلل المتصارعة التى كانت تبحث عن أصوات من غير الشارع الأدبي لدعمها وقد وصل عدد من الناشئين فعلاً إلى مراكز قيادية فيها .

(٣١) يشير الناعوري في هذه الفقرة إلى حوار مطول بيننا حول مفهوم الكاتب والسياسي وعلاقة السياسة بالأدب !!

(٣٢) اخترت من هذه الرسالة ما يتعلق بانتحار تيسير سبول فقط.

(٣٣) هذا جزء فقط من رسالة طويلة أشاد فيها الناعوري بالحياة الثقافية فى مصر ، ومما يجدر ذكره أن علاقات الناعوري بالوسط الثقافي المصري ودور النشر علاقات قوية وبعض أشهر كتبه صدر عن دور نشر مصرية مثل روايته (مارس يحرق معداته) ــ صدرت عن دار المعارف فى سلسلة اقرأ عام ١٩٥٥ ــ و(أدب المهجر) ــ صدر فى ثلاث طبعات عن دار المعارف بمصر (١٩٥٩ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٦) وروايته (الشريط الأسود) وهي من اصدارات دار المعارف أيضاً .

شوقاً إلى ..

شعر : فتحي سعيد

لو راشَ سهمُ العشقِ لي سَهْما
لرشقْتُه سهما
ونزعتهُ من مُهْجةِ كلْمىَ
ونزفتُ فيه قصيدتي حُلْما
وتركتهُ خلف الرُبا يدْمىَ
يَسْقي بظاهرِ كفِّها وشما

° ° °

لو سامني هذا الهوى سَوْما
وأذاقني من كأسهِ سُمَّا
وركضتُ في صدرِ السما نجْما
أطأ السحابَ وأعتلي الغيْما
وركبتُ متْنَ نجيبةٍ عُظْمى
حاذيْتُ هودَجَها وما ضمَّا
وعقرتُ ظهْرَ بعيرها .. لثْما
ونظمتُ حبَّةَ رملها نظْما

وأشُمها شَما
وأرودُها ..
فتصُدَّني رغما ..

لم أرتكبْ جُرماً ولا إثما .!
عجْلانَ لمَّا أقبلتْ همَّا
ما همَّهُ واشٍ ولا اهتما
ظمأى تكتَّمت الظما كتْما



وتذودني عمَّا
وتذمُّني ذمَّا
وأنا لعطرِ لمَاتها أظْمى !

° ° °

أهواكِ .. ،
لكن .. ، أكرهُ الظُلْما
وأصدُّهُ ،
لو سَهمُه أصْمى
وأعافُ وِرْدَ إنائِها لمَّا
تَلِغُ الذئابُ وتنهشُ الكَرْما
ولقد هجرتِ فلم أمُتْ غمَّا .. !
وبلوتُ فيكِ السُهْدَ والسُقْما
وعشقتُ قبلكِ في الهوى هندا . ،
وعشقت بعدكِ مرةً سلْمى ..
وبَرى هواكِ اللحمَ والعظما
لم أحتسبْ غُرْما ولا غُنْما . !
فإذا وصلْتِ .. ظفرتُ بالنعمى
وعصيتُ فيكِ الخالَ والعمَّا
ومضيْتُ جذلانَ الخُطا يَعْمى
كالطفل لمَّا فارقَ الأمَّا
واستقبلَ اليُتْما
ذهلانَ لا يدري له إسما
أو يعرف العنوانَ والرسما
شوقاً إلى الأسمى
شوقاً .. إلى الأسمى !

مهرجان ثقافي حافل في:

معرض الدوحة للكتاب



جانب من معرض الدوحة للكتاب

تحقيق: السيد حجازي

شهدت دولة قطر مؤخراً مهرجاناً ثقافياً كبيراً ، تمثل في اقامة معرض الدوحة للكتاب .. ولقد كان ذلك المعرض حدثاً فريداً من نوعه حقاً ..

فقد لقى اقبالاً منقطع النظير ، لدرجة أن المسئولين عن اقامته وتنظيمه قرروا تمديده ، لمواجهة الحشد الهائل من الجمهور في ساعات النهار والليل ، وتلبية لكل طلباتهم ..

ولقد أثبت المعرض أيضاً حقيقة حية لا تقبل الجدل والمناقشة هي أن الجمهور من الجنسين متعطش للثقافة والقراءة والمعرفة ، ومن مصادرها الأصلية وهي الكتب ..

فكيف كانت صورة استقبال الكتاب من جانب الناس ، وما هي القضايا الفكرية والثقافية التي طرحها المعرض الذي أقيم تحت رعاية الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، وافتتحه السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام ؟

بداية الفكرة

لقد لمست عدة حقائق هامة من خلال تجولي بالمعرض ، ومن خلال حديثي مع السيد راشد النعيمي المشرف العام على اقامة المعرض ..

ولقد بدأت الفكرة في رأسه — كما يقول — منذ مدة طويلة .. فقد بات الناس في قطر في حاجة إلى معرض للكتاب ، بعد أن طالت المدة التي مضت على اقامة آخر معرض في الدوحة ، وهي خمس سنوات تقريباً .. ومن هنا لم يكن معقولاً في رأيه ألا يتابع المواطنون والمقيمون هنا عن قرب أحدث ما صدر من كتب في شتى مجالات الفكر والأدب والعلوم والفنون ..

وهكذا خرجت إلى الوجود فكرة اقامة المعرض ..

ولأول مرة ينهض بهذه المسئولية القطاع الخاص ، تأكيداً لدوره في العمل على نشر الكتاب ، واحياء الثقافة الأصيلة ..

فلقد سبقت هذا المعرض كما يقول السيد راشد النعيمي ثلاثة معارض أخرى في الدوحة ، كان آخرها في عام ١٩٨٠ ، وكانت تنظم هذه المعارض وزارة التربية والتعليم ودار الكتب القطرية ..

وحدث اتصال بالناشرين العرب لاقامة المعرض الجديد .. وكان ترحيبهم وتجاوبهم لا يوصفان ، الأمر الذي شجع عل سرعة تنفيذ الفكرة ، وتحويلها إلى واقع ملموس ..

ولقد تسابق الناشرون في تلبية الدعوة ، وإرسال عينات من الكتب ، والكميات التي ستعرض منها ..

وبلغ عدد دور النشر التي اشتركت فعلاً مائة وعشرين ، ووصلت نوعية الكتب حوالي خمسة عشر ألف نوعية .. أو تزيد ..

وكان الاقبال على الشراء كما يقول السيد راشد النعيمي .. يفوق كل التوقعات ..

وكانت الظاهرة اللافتة للنظر هى إقبال المرأة بالذات على الشراء بشكل يدعو إلى الدهشة والاعجاب معاً ..

وهي لا تشتري فقط كتب الطهو والتريكو وتربية الطفل ، بل انها تقبل بشكل خاص على القصص والروايات ودواوين الشعر .. وكان هذا مثار تعليق طويل من الناشرين..

أعلى درجة

وتسألني — هكذا يضيف محدثي — عن أرقام المبيعات ، وهذه في الواقع ما زالت تدرس من جانب محاسبين قانونيين يتولون الاشراف على حسابات المعرض ومبيعاته .. ولكن بشكل عام الاقبال يؤكد أن الأرقام وصلت إلى أعلى درجة ، ولم يكن متوقعاً لها ذلك بأي شكل من الأشكال



محمد عبدالرحمن الخليفي ، وكيل وزارة الاعلام ، أثناء جولته في المعرض

● إقبال من الجمهور منقطع النظير والمرأة تشتري أربعة أضعاف الرجل

● الناشرون يناقشون مع "الدوحة" المعوّقات أمام انتشار الكتاب العربي



راشد النعيمي

أما نوعيات الكتب التي لاقت اقبالاً أكثر من غيرها ، فهي في رأي المشرف العام على المعرض ، الكتب الدينية ، ثم تأتي بعد ذلك النوعيات المختلفة ..

وترك لي محدثي أن أطلع بنفسي على ذلك من الناشرين إذا أردت ، حتى تكون الصورة من خلال الواقع الحي ..

لكنه أضاف أنه من الملاحظ أن هناك اقبالاً بشكل واضح على الكتب الدراسية الجامعية ، وقصص وروايات كبار الكتاب ، وقصص الخيال العلمي ، ودواوين الشعر ، والكتب التي تتناول شتى الفنون التشكيلية بالعرض والشرح والتفسير ..

ويتطرق الحديث بيني وبين السيد راشد النعيمي الى عدة نقاط أخرى ، فأسأله : إذن أين تكمن أزمة الكتاب العربي في واقع الأمر ؟ ..

وتجيئني اجابته بالكثير من التفصيل الذي يلخص وجهة نظره في هذه القضية الهامة ..

ان الذين يتحدثون عن أزمة الكتاب العربي مبالغون فيها إلى حد بعيد ..

لكن دعنا أولاً نحدد هل هي أزمة قراءة ، أم هي أزمة تواجد ..

إذا كان المقصود أنها أزمة قراءة ، فهذا الاقبال ماذا يعني .. انه يعني بكل تأكيد أن هناك رغبة في الاستزادة من المعارف ، ومن البحث في كافة المجالات .. ولاشك أن هناك نسبة تحاول الاقتناء لمجرد الاقتناء .. هذه حقيقة لا سبيل إلى نكرانها .. ولكن يكفي أن الكتاب مازال مقصد الكثيرين ، بل الأكثرية .. وهذا يؤكد أنه في مواجهة الوسائل الأخرى العديدة ، والسهلة ، ما زال الكتاب قادراً على الصمود .. وسيظل كذلك إلى أبعد وقت ..

الشباب والقراءة

ونحن في الواقع — والكلام مازال للسيد راشد — نظلم الأجيال الجديدة إذا قلنا إنها تنصرف عن القراءة والرغبة في المعرفة ..

ان هذا لا يمثل الحقيقة التي لمسها بنفسه ولمسها الكثيرون معه ..

لقد كان اندفاع الشباب إلى الشراء لا يوصف .. وكانت الرغبات من جانبهم تمثل توجهات جادة ، وبناءة ، ونافعة ..

انهم يقرأون في علوم التكنولوجيا والفلك والطب ، إلى جانب كتب الأدب ، والفلسفة ، والفن .. وهم لا يكتفون بالشراء فقط ، ولكن يناقشون ، ويدققون ، ويجمعون الكتب من أكثر من مصدر .. وهذا يبشر بالخير ويعطي مؤشراً حقيقياً لاتجاهات الشباب ، بعد أن أصبحنا نوجه له كثيراً من الاتهامات بالسطحية واللاثقافية ، والاستهلاك ، وندق فوق رأسه بكثير من العنف والقسوة ..

ولا شك أن هذه التوجهات من جانب الشباب في حاجة إلى دراسة ، بل إلى مزيد من التوجيه والتأكيد والتأصيل .. وهذه مهمة عدة جهات مسئولة ..

ويواصل السيد النعيمي الحديث قائلاً : ولكن إذا كان المقصود بأزمة الكتاب أنها أزمة تواجد ، فالكتاب موجود وبكثرة ، وفي شتى المعارف .. فالأزمة إذن بكل أبعادها هي في خيالات الذين يطلقون هذه الدعاوي ..

لكن والحق يقال إن القراءة الحرة هي التي تبرز كظاهرة في حاجة إلى مناقشة ..

والحل على كل حال يحتاج إلى نظرة شاملة في تفكيرنا ، وإلى خطوات تنفيذية بناءة ، تشكل موقفنا المطلوب نحو الثقافة ..

هذا هو السؤال

فأي ثقافة نريد نحن : ثقافة مدرسية ضيقة الأفق ، أم ثقافة واسعة رحبة الآفاق ؟ ..

الأمر في الحقيقة يحتاج إلى طموح أشمل ، وأوسع ، وأعمق ، وربما لسنوات طويلة ، حتى نصل إلى النتيجة المبشرة ، التي تدفع بنا إلى مزيد من التقدم ، والتطور ، والانطلاق الهادف ..

وأعود في ختام لقائي بالسيد راشد النعيمي لأسأله مرة أخرى :

لكن إذا كان هذا هو المطلوب ، ألا يجدر أن نطرح بصراحة المعوقات التي تقف في طريق الكتاب العربي ، حتى يمكن التغلب عليها ، ومن ثم تحقيق ما نصبو إليه ؟ ..

وأكد الرجل على هذا الطرح وأضاف أنه ضروري وهام .. وقال أن بعض الناشرين لا كلهم — وهذا من أهم المعوقات في الواقع — يظنون أن عملية النشر هي عملية تجارية بحتة ، وليست قضية ثقافية قومية هامة جداً للمواطن العربي .. ولذلك فانه ما لم توضع ضوابط من قبل الجهات التي تصدر تراخيص

معرض الدوحة للكتاب

لدور النشر، فان هذه العملية قد يزداد خطرها يوماً بعد يوم..

إن الناشر لابد أن يتفهم أن نشر الكلمة أمانة في عنقه، وأن المواطن الذي يقرأ هذه الكلمة هو أمانة في عنقه أيضا، فيجب أن يقدم له ما هو مفيد وهام، بغض النظر عن الربح التجاري.. وهذا لا يعني ألا يربح الناشر، ولكن الموازنة مطلوبة بين الربح والهدف..

وهنا فان اتحاد الناشرين العرب يستطيع أن يلعب دوراً كبيراً في قضية الكتاب العربي، وتنظيمه وانتشاره وتوزيعه، إذا ما استطاع أن ينظم علاقته مع الجهات الرسمية في الوطن العربي..

إنه يستطيع في هذا المجال أن يشرف بشكل أفضل على اقامة جميع معارض الكتاب في الوطن العربي، فربما تكون هنالك بعض الملاحظات خاصة بعدم التنسيق وغيره، على اقامة معارض الكتاب في الوطن العربي..

ولو أن جهة مثل اتحاد الناشرين العرب استطاعت أن تنظم هذه المسألة لكانت النتائج أفضل بكثير.. وهذا كله في مصلحة الكتاب ومصلحة المواطن العربي..

وأخيراً قال السيد راشد النعيمي وبنص كلماته:

— وفي هذا المجال فان الشكر واجب لوزارات الاعلام والتربية والتعليم والداخلية، وجميع الجهات الأخرى الرسمية، التي تفهمت تماماً منذ البداية المعاني النبيلة التي تقصد اليها اقامة مثل هذا المهرجان الثقافي في دولة قطر..

لقد قدمت كل هذه الهيئات والجهات بلا تردد كل التسهيلات الممكنة لاستقبال الناشرين العرب في بلدهم الثاني قطر، وأكد الجميع على ضرورة نجاح المؤتمر، انطلاقاً من أهمية الكتاب والعمل على انتشاره وتداوله بشكل واسع وعميق..

وقال أيضاً:

— وإننا نرجو أن يكون هذا المعرض هو علامة على طريق الحركة الثقافية البارزة والمضيئة في دولة قطر بقيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي عهده الأمين.

وإلى هنا كان السيد راشد النعيمي قد وصل إلى نهاية حديثه معي، فتركته بعد أن هنأته على نجاح التجربة، لأتجول في المعرض، والتقي بوجوه عديدة فيه، تتحمل مسئولية العمل، وتحرص على تكامله بكل ما لديها من جهد، ووقت، ونشاط ملحوظ..

من هذه الوجوه سائد درويش مدير المعرض..

إنه في الحقيقة يعتبر شعلة من نشاط وحركة دائبة لا تهدأ..

أخذ يحدثني عن الناشرين العرب ورأيه في الدور الذي يقومون به، وملاحظاته على نشاطات البعض منهم..

وهو يرى والحق معه أن الناشرين العرب في لبنان ومصر وسوريا هم أكثر الناشرين غزارة في الانتاج، ويضيف أن الكويت الآن أصبحت مركزاً جديداً ومهماً للنشر والصحافة بشكل عام.. لكن لبنان يتميز بقلة تكاليف النشر.

وقد قادنا هذا الحديث إلى التطرق إلى بعض المعوقات في طريق انتشار الكتاب العربي..

وكان من رأيه أن هناك أكثر من عقبة..

مثلاً ارتفاع تكلفة الطباعة في معظم البلاد العربية، وذلك بسبب الضرائب المفروضة على أدوات الطباعة ومستلزماتها.. كما أنه لا يوجد في كثير من الدول العربية تدعيم لصناعة الكتاب من قبل المؤسسات الرسمية..

ومن ناحية ثالثة هناك استغلال من بعض الناشرين أو المكتبات فيما يتعلق بتسعير الكتاب..

إذ يتم تسعير الكتاب بأكثر مما ينبغي بالنسبة لسعر التكلفة.. كما أن المكتبات التي تصلها الكتب أحياناً بأسعار رخيصة جداً، تحاول ان ترفعها بشكل كبير تحقيقها لعائد ضخم..

يضاف إلى ذلك نقطة هامة تتعلق بعملية شحن الكتب..

فلو أن شركات الطيران العربية الوطنية قد خفضت تسعيرة شحن الكتب بشكل أكبر، لساهمت في تخفيض سعر الكتاب، والعمل على انتشاره..

وهنا فان الاشارة واجبة إلى بادرة بناءة وطيبة.. إن الخطوط الجوية التونسية على سبيل المثال تقدم خصماً لشحن الكتاب التونسي يصل إلى خمسة وسبعين في المائة..

فلو أن الشركات الوطنية الأخرى خطت هذه الخطوة، فلاشك أن ذلك سيكون له تأثير كبير..

٧٥٠ ألف كتاب و٦٠ ألف زائر

حسب آخر الاحصائيات عن معرض الدوحة للكتاب، والتى حصلنا عليها من السيد فواز زغل نائب مدير المعرض، فقد بلغ عدد الكتب التى وصلت فعلا للعرض حوالى ٨٥٠ ألف كتاب، وكانت الاصدارات الحديثة منها (أى التى صدرت بعد عام ١٩٨٢) تمثل نسبة ٦٠٪ من الكتب المعروضة.

وقال فواز أيضا ان حجم مبيعات الكتب فى الساعات الأربع الأولى التى تلت الافتتاح مباشرة بلغت ما يعادل مبيعات يوم كامل خلال أيام المعرض. وهذه الظاهرة فى رأيه نادرة الحدوث فى المعارض المماثلة.

كما وأن عدد زائرى المعرض خلال أربعة عشر يوما بلغ ما يقارب ٦٠ ألف زائر. ومن ناحية أخرى فقد كانت النساء تمثل ستين فى المائة من هذا العدد.

.. وأرقام أخرى عن المعرض

- بلغ عدد العاملين فى المعرض ما بين موظف وادارى وعامل خمسة وسبعين شخصا، وكان من بينهم خمس عشرة عاملة فى كل الأقسام، سواء فى المحاسبة أو التدقيق أو الادارة.
- كانت المساحة التى أقيم عليها المعرض فى حدود ثلاثة آلاف متر مربع، وتم استهلاك ما يزيد على ١٥٠ ألف كيس من النايلون المطبوع والخاص بالمعرض.
- كان شعار المعرض: من الناشر الى القارىء مباشرة، والكتاب بين يدى الجميع.
- كان عدد النسخ الموزعة على الزوار من دليل المعرض فى حدود ١٢ ألف دليل.
- بلغ عدد الملصقات «البوستر» الخاصة بالمعرض والتى وزعت فى مختلف أنحاء قطر حوالى ١٥ ألف بوستر.
- بلغت تكاليف الحملات الاعلانية والاعلامية عن المعرض فى مختلف الوسائل المحلية والخارجية فى حدود ٢٥٠ ألف ريال قطرى.

ماذا يقول الناشرون ؟

وكان لابد من الالتقاء ببعض الناشرين المشاركين في المعرض ، لطرح الكثير من القضايا معهم ، ومعرفة آرائهم في وضع الكتاب العربي ، وكيف يمكن النهوض به ، والعمل على زيادة انتشاره ، تدعيماً للثقافة ، وتأصيلا لفكر المواطن العربي ..

وكان اللقاء الأول مع الناشر أحمد ابراهيم مغنية ، الذي اشترك في المعرض بمئتين وخمسين نوعية من الكتب التي تتناول شتى ألوان المعرفة ..

انه لا يعتقد أن الكتاب يمر بأزمة ، وإذا كانت هناك أزمة بالمعنى الحقيقي فهي تتركز في التوزيع .

هو يؤكد أن القطاع الوحيد الذي لا يزال يعمل بكل قوته في لبنان ، برغم كل الصعوبات ، هو قطاع النشر .. وهذا في رأيه يعود إلى المبادرة الفردية التي يتمتع بها الناشر اللبناني ، والذي اعتاد أن يعتمد على قدراته الذاتية ، لانعدام مساعدة الدولة له ..

إن ظروفاً صعبة تواجه الناشر اللبناني ومع ذلك يعمل من خلالها بكل طاقاته وامكانياته ..

.. وكتب الأطفال

وهناك نهضة ملحوظة بالنسبة للأسرة ..

إنها تعتني بتوجيه وترشيد الطفل ، ومن ثم بدأت في اقتناء الكتب لأبنائها ، ومن هنا أخذ توزيع كتب الأطفال يكبر وينمو باستمرار ، وهذا يبشر بالخير ..

وقد لاحظ الناشر هنا في قطر الاقبال المتزايد من جانب السيدات بشكل خاص ..

فالمرأة تحاول أن تنمي ثقافتها ، وتشتري تقريبا الكتب في شتى المجالات ، وتنتقي لأولادها كل المناسب لهم حسب أعمارهم ..

وهو يعتقد أن التليفزيون ووسائل الاعلام الأخرى أثرت إلى حد ما على الكتاب ، ولكن برغم ذلك يبقى الكتاب هو المرجع الأول والأخير ، والقاعدة الأساسية لتطوير شعب يريد أن يسهم في بناء وطنه ..

تكاليف الطباعة

إن مشكلة التكاليف تنعكس بكل تأكيد على سعر الكتاب ، ومن هنا يتحمل القارئ كل الفروقات .. كما أن مشكلة المؤلف صاحب الكتاب نفسه تواجه الكثيرين ..

إن المؤلف المعروف والجيد يطلب العائد المادي الكبير ، وهذا حقه ، لكن هذا أيضاً ينعكس على الثمن ..

أما المؤلف غير المعروف فهو يشكل بالنسبة للناشر مشكلة هو الآخر ..

صحيح أنه يتقاضى عائداً أقل ، ولكنه يحتاج إلى وقت طويل في توزيع كتبه ، وفي الترويج لاسمه ..

ويعتقد الناشر الكويتي أن الكتب الدينية يزداد الاقبال عليها يوماً بعد يوم ، ثم تأتي بعد ذلك الكتب السياسية ..

ومن رأيه أن المرأة قد أخذت تقبل على شراء الكتب في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ ، ولعل ذلك مرده إلى زيادة تعليمها ، وعملها . ولقد لاحظ مثلاً أنه في اليوم المخصص للمرأة في معرض الدوحة ، فان العائد يكون أربعة أضعافه في اليوم المخصص للرجل وللجمهور بشكل عام ..

ويقول أيضاً إن كتب الأطفال ذات مردود جيد ، ولكن تكاليفها باهظة من حيث الطباعة المميزة ، والرسوم والصور ذات المواصفات الخاصة ..

ومن رأيه أن الكويت كسوق داخلية بالنسبة للنشر ذات مردود أفضل ، لكن تبقى السوق الخارجية بالنسبة للكتاب الكويتي مفتوحة بشكل جيد ، وأهم نافذتين في الواقع هما الجزائر ومصر ..

الكتاب السياسي

والتقى بعد ذلك بالناشر السوري زياد تنبكجي الذي يعتقد أن الكتاب السياسي مازال يحتل الصدارة في قائمة اهتمامات القارئ العربي ، ويؤكد على أهمية المعارض في خدمة الثقافة العربية ، والمواطن العربي ..

ومن رأيه أن تكون هناك دراسة شاملة لاقامة المعارض بحيث لا يقوم مثلاً معرضان في وقت واحد ، وأن تكون هناك فترة زمنية معقولة بين المعرض والآخر ..

فخلال عام ١٩٨٥ كان هناك تعارض في الوقت مابين معرض صنعاء ومعرض الشارقة ..

وجاء معرض قطر مباشرة بعد معرض الكويت ..

وهو يقترح أن تكون الفترة الزمنية بين المعرض والآخر لا تقل عن سنتين ، حتى يستطيع القارئ العربي الاطلاع على كل ما هو جديد بالفعل ..

ومن رأيه أن الكتاب يبقى يؤثر ولا يتأثر ، وأن الاقبال على الثقافة في دول الخليج العربي تطمئن على مستقبل الشباب العربي ، ومستقبل الثقافة العربية ..

مشكلة عالمية

ويقول الناشر المصري حسن أحمد عبدالعزيز إن من رأيه أن الاقبال على الكتب العلمية المدرسية والجامعية في معرض الدوحة كان ضئيلا ، بينما تركز الاقبال بشكل واضح ومكثف على الكتب الاسلامية وعلى الشعر ..

ويؤكد هو الآخر الاقبال المتزايد من جانب المرأة أكثر من الرجل ..

ويرى أن إرتفاع أسعار الورق والطباعة أدى إلى زيادة أسعار الكتب ، وأن هذه مشكلة عالمية ..

ومن رأي الناشر المصري حسين عبد العزيز أيضاً أن يكون هناك معرض دولي واحد كل سنة في كل دولة عربية ، وأن يكون هناك تنسيق في هذا المجال ، حتى لا يحدث التضارب ، ومن ثم الارهاق الذي يتحمله الناشرون كما هو حادث الآن ..

توجهات الناس

وكان اللقاء الأخير مع الناشر السعودي عبدالعزيز ابراهيم الشبانات ، الذي يعتقد أن الاشتراك في المعارض ليس مربحاً للناشر أو دار النشر ، بقدر ما يلقي الضوء الاعلامي على الكثير من الكتب المعروضة ..

واضافة إلى ذلك فان الكتب تتواجد في مناطق جديدة ، وتوزع على أكبر عدد من طالبيها ..

كما وأن المعارض هي في الحقيقة فرصة لمعرفة توجهات الناس ورغباتهم بالنسبة لنوعية الكتاب المطلوب ، ومواصفاته من ناحية الشكل والمضمون ..

وفي رأيه أن أبرز وأهم مشكلة تواجه الناشر هي تزوير الكتب .. بمعنى أنه إذا اشتهر كتاب أو زاد الاقبال عليه ، تراكضت مافيا الكتب على طباعته ، وتوزيعه ، بغض النظر عن حقوق المؤلف والناشر ، أو أية اعتبارات أخرى ..

• • •

وبعد فلقد كانت هذه هي حصيلة الجولة في معرض الدوحة للكتاب الذي أقيم في دولة قطر في الفترة من الرابع عشر من ديسمبر وحتى السابع والعشرين من نفس الشهر ، وهي حصيلة مفيدة من كل النواحي ..

فقد أبرز المعرض عدة مؤشرات وحقائق هامة في مجال النشر والكتاب ، وأظهر مدى الحاجة إلى اقامته سنوياً ، وطرح العديد من القضايا الفكرية والثقافية التي تحتاج إلى مزيد من إلقاء الضوء ، والبحث ، والدراسة ، باعتبارها علامات في الطريق نحو ثقافة عربية حقيقية وبناءة للمواطن العربي في الحاضر والمستقبل ..

السيد حجازى

رسالة ثقافية ساخنة من القاهرة

تكتبها: سارة

يسعد الدوحة أن تنشر هذا الحديث الممتع الخصب، في صراحته وجرأته وشموله ... والحقيقة أن الدوحة لم تسع إلى إجراء هذا الحديث وفتح صفحاتها له لمجرد أنه يعرض آراء لأحد المسئولين العرب في المجال الثقافي، بل كان سعي الدوحة وترحيبها بالحديث قائمين على أساس واضح، فالحوار يجري مع كاتب وأديب وفنان ومثقف كبير هو الدكتور أحمد هيكل، الذي كان واحداً من أعلام الحركة الثقافية العربية قبل أن يتولى منصبه الجديد كوزير للثقافة في مصر، وفرحة المثقفين به مثل فرحة المثقفين في الجيل الماضي عندما تولى طه حسين وزارة المعارف في ١٢ يناير ١٩٥٠ ... فالتحية للأديب والعالم الدكتور أحمد هيكل، والأمل كبير في أن يكون وجوده على رأس وزارة الثقافة فاتحة خير للثقافة العربية في مصر وخارجها ... ولنترك المجال بعد هذه الكلمة القصيرة الواجبة في تحية رجل من فضلاء هذه الأمة، لهذه الصفحات الساخنة من الحوار والاتهام والردود المختلفة بين الوزير الأديب وبين المثقفين الذين صارحوه ولم يجاملوه، وفي مثل هذا الجو من المصارحة تبدو الحقيقة في وجهها الناصع، والحقيقة الثقافية – كما نتصور – واحدة بمشاكلها وهمومها في مصر وكل أنحاء الوطن العربي، ومن هنا كان هذا الحوار الخصب موجهاً إلى كل عربي، فالجمهور والشهود وأصحاب القضية هنا هم كل المثقفين العرب في كل جزء من أجزاء الوطن العربي الكبير.

وأخيرا، فإن صفحات «الدوحة» مفتوحة لمناقشة كل الآراء المطروحة.

«رئيس التحرير»

د. أحمد هيكل .. وزير الثقافة في مصر



حوار مع الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر

احمد بهاء الدين



د. أحمد عتمان



فاروق شوشه



تعلمت قبل أن أرسو على شاطئ قلب ينبض ، وقبل أن أطأ بقلمي سهوله ووهاده ، وقبل أن أحاول « القبض » على ملامحه الإنسانية الصغيرة في محاولة لتعريضها للشمس والمطر والريح ، تعلمت أن أهاجر في عيون من عرفوه ، بحثاً عن الشجيرات البكر التي قد تطمسها الأضواء والضجيج والمنصب و.. أعترف ، كانت الرحلة شاقة وطويلة في محاولة لاعتقال « الهيكل » داخل هذا الحيز من الصفحات ، و.. لذت في بداية الرحلة بذاكرة اسماعيل النقيب في « بيته » الشهير بقصر « الكلاملك » .

و.. على حصيرته الشهيرة أيضاً ، جلست أصغي ، وجلس « النقيب » بعباءته ، متربعاً على الأرض ، يغزل بلهجته « الشرقاوية » ملامح « الهيكل » كما استظل بها .

قال لي اسماعيل النقيب

• ترجع معرفتي بالدكتور أحمد هيكل إلى أكثر من ربع قرن ، وإن كان سبق لي أن لقيته لقاء خاطفاً قبل ذلك في الزقازيق ، فنحن بلديات ، هو من « الزقازيق » ، وأنا من « القنيات » التي تبعد عنها خمسة كيلومترات ، وقد كنت أتلقى تعليمي في مدرسة الزقازيق الثانوية عندما سمعت بكوكبة من أهل الشعر والفكر والعلم أطلقوا على أنفسهم « جماعة الضحك القديم » ، كان من بينهم ، د. هيكل ، مرسي جميل عزيز ، صلاح عبدالصبور ، عبدالحليم حافظ ، علي رفعت المحامي ، ابراهيم شاهين الشاعر ، والدكتور وجيه اسكندر. وكنت قد سمعت على البعد « طراطيش » كلام عن تلك الكوكبة ، ولكن بحكم سني الصغيرة في ذلك الحين لم أكن مؤهلاً للجلوس على مائدة قدامى الجالسين في جماعة الضحك القديم ، وقد تعرفت على مرسي جميل عزيز عندما حضر احتفالاً خاصاً بيوم الخريجين أقامته المدرسة ، وكنت أنا ولد كلمنجي ورئيس تحرير مجلة المدرسة ، فاختاروني لأتحدث في ذلك اليوم ، فلفت الأنظار ودعاني مرسي جميل عزيز إلى بيته ، ومنه عرفت بأمر « جماعة الضحك القديم » ، ورأيت عنده الدكتور هيكل لأول مرة ، وكان ذلك في أوائل الخمسينيات .

• في بداية عملي بالصحافة أثيرت قضية كان طرفاً فيها ولم يكن ، ووقع عليه ظلم بين ، فقد صدر في ذلك الحين ديوان « ناجي » الذي حققه أحمد رامي وصالح جودت ، وكتب مقدمته د. هيكل بوصفه عالماً أكاديمياً ، وأستاذاً بكلية دار العلوم ، وكان يومها مدرساً للأدب الحديث وحافظاً لشعر ناجي ومدرساً لخصائصه ، ولذلك كتب المقدمة دون الرجوع إلى القصائد التي احتواها الديوان ، وصدر الديوان شاملاً قصائد للشاعر كمال نشأت ، التي كانت موجودة في مكتب ناجي عند وفاته ، وقد جمعها شقيقه ظناً منه أنها قصائده ، ولم يتنبه المحققان لهذا الخطأ ، ولم يكن لهيكل جريرة في ذلك لأن دوره كان محدوداً ، وأثيرت القضية « وطلعوا هيكل وسط الخلق جاهل » فاعتراه حزن كبير ، ولأنه شديد الاعتداد بنفسه وشديد الانفعال أيضاً وفيه عنف الاستقامة ، التزم الصمت ، وقد أنصفه بعد ذلك عدد من الكتاب الذين عرفوا الحقيقة .

• فاز عام ١٩٦٩ بجائزة الدولة التشجيعية عن كتابه « تطور الأدب الحديث في مصر » . وفي العام نفسه أيضاً فاز نجيب محفوظ بجائزة الدولة التقديرية ، ومنحت جائزة العلوم الاجتماعية لاسم الدكتور السنهوري ، وقد كان رئيسا لمجلس الدولة ، وناصب الثورة العداء منذ بدايتها ، فغضب المسئولون ، فما كان من يوسف السباعي ارضاء له إلا أن « كتَّم » على أخبار الفائزين بجائزة الدولة ، وألغى الاحتفال بعيد العلم ، وتسلم د. هيكل خطاباً يُعلن فيه بجائزة الدولة ، وفي أيام السادات جاءه خطاب آخر فيه شيك بمبلغ ٥٠٠ جنيه قيمة الجائزة ، فحزن هيكل لأنه كرم « يا ولداه كُتّيمي » وقد كان

ومحاكمة فكريّة له
المثقفون يتهمون ويهاجمون
والوزير يُدافع ويَردّ

الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر
حوار معه

هناك قول يردده : « إن هذا الوسام لا يتجاوز كونه حتة صفيح لأن التكريم في ركن العلانية » .

● جمع بين الحسنيين الأصالة والمعاصرة ، فهو أزهري النشأة ، تعلم في الكتاب والتحق بالمعهد الديني ، وظل فيه شيخاً معمماً يلبس الجبة والقفطان حتى حصل على الثانوية الأزهرية ، ودخل دار العلوم أفندياً أنيقاً ، فهو إذن ذلك الأزهري وهو أيضاً الحاصل على الدكتوراه في الأدب الأندلسي ، والذي قضى سنوات من عمره متنقلاً بين العواصم الأوربية ، فجمع بين الثقافة العربية والحضارة الإسلامية والعلوم الحديثة الأوربية ، واختلط بالفكر الغربي معايشاً وليس قارئاً فقط .

● أصر في ديوانه « أصداء الناي ـ ٨٣ » أن يطل شعره على الناس مسربلاً بعباءة العميد « ما تعرفيش ليه » ولم يشأ أن يطل بوجهه الحقيقي كشاعر كبير ، استبعد القصائد التي فيها عذوبة وطفولة وعفوية ، وأبقى القصائد التي بلغت سن الرشد ، وقد رأيت السيدة زوجته وعيناها تدمعان وهي تراه يمزق قصائده العاطفية ، حاولت أن تثنيه ، فكان يقول لها : « كيف يخرج العميد على الناس بقصائد يقول فيها ما يقوله العاشق لمحبوبته ؟ » .

● كنا مسافرين عام ٦٩ لحضور مهرجان الشعر في بغداد ، وتعرضت الطائرة لمتاعب ومطبات هوائية فوجدته يقرأ القرآن ، كان خائفاً ، ولقد كنت أنا خائفاً أيضاً « لكني كنت زي اللي ماشي في الظلمة وبيصفر علشان يونس روحه . » ووجدته منصرفاً عني « خبر إيه يا دكتور . انت خايف كده ليه . » فقال لي : « يا اسماعيل أنا مش خايف على روحي ، أنا خايف على الأولاد يتيتموا بعدي ، يرضيك يا اسماعيل عزة وعلا يشتغلوا خدامين في البيوت . » و .. بكى متأثراً .

● زوجته هي تلميذته السيدة « عطيات حافظ » ناظرة مدرسة جمال عبدالناصر الإعدادية للبنات ، وهي حفيدة أحد الباشوات المعروفين ، ولديه من الأبناء عزة معيدة في كلية الآداب قسم انجليزي ، وعلا دكتورة صيدلية ، وأشرف الذي تخرج هذا العام من كلية الهندسة قسم عمارة ، أما آخر العنقود فهو أيمن في السنة الثالثة كلية الطب بجامعة القاهرة ، وهيكل رجل عطوف ، كريم ، وعفيف ، وهو ليس ثرياً ، لكنه مستور « الداخل زي الخارج » وليس له دخل سوى مرتبه وما يأتيه من بيع كتبه ، ولعلني لا أذيع سراً إذا قلت إن مرتبه كوزير ينقص عن مرتبه كنائب رئيس للجامعة بمئتي جنيه .

● حالة الكآبة التي تظلل حياته أحياناً باعثها رحيل الأصدقاء ، محمد غنيمي هلال ، والدكتور عبدالحكيم بلبع ، مرسي جميل عزيز ، صلاح عبدالصبور ، عبدالحميد قطامش المحامي ، وكان من أغلى وأعز أصحابه أيضاً د . محمد العلائي ، وهو جامعي كفيف ، كان شاعراً كبيراً ، مات وهو صغير السن ، يقول عنه إنه أظرف ظرفاء مصر لأنه لم يلتق بكامل الشناوي ، وأنا أقول عن كامل الشناوي إنه أظرف الظرفاء لأنني لم ألتق بالعلائي ، وإذا كان في عنق هيكل دين يستحق السداد فهو الكتابة عن العلائي الذي يروى لنا طرائفه ونوادره كلما التقينا .

● لقد شارك مع نظرائه في تجنيب البلاد فتنة محققة باشتراكه في الندوات التي أقيمت لمناقشة أعضاء منظمة الجهاد ، وتبصيرهم بحقائق الدين وسماحته بعيداً عن التطرف والغلو .

● لا يريد د . هيكل أن يطل على الناس بوجه جهم بإلغاء الرقص مثلاً من مؤسسات الوزارة ، وفي الوقت نفسه لا يريد أن تكون وزارة الثقافة هي وزارة الرقص ، بل يريد أن تطل بوجهها المشرق ، والمستنير من خلال ثقافة رفيعة ، وخدمات تؤدى للناس كتعليم الأميين القراءة والكتابة في قصور الثقافة ، وأن تكون أيضاً أماكن لعقد ندوات للتعريف بمصر وحضارتها ، بالاضافة لمهامها الأخرى ، يريد أن يزاوج ويعقد أواصر القربى والمودة بين أوجه الثقافة المختلفة ، وهذه مهمة صعبة .

قال لي فاروق شوشة

● عندما أحاول التنقيب في الصفحات القديمة بحثاً عن الملامح الأولى لوجود د . هيكل في حياتي ، أتذكر عام ١٩٥٤ ، عندما التحقت بكلية دار العلوم والتي كان يسودها قدر كبير من العتمة والقتامة والتخلف ، كان معظم أساتذتها ممن انغمسوا في التراث العربي دون أن يستطيعوا رفع رؤوسهم فوق موج هذا التراث ، فغرقوا تحته إلا ندرة منهم ، وأذكر أننا كنا ملتفين حول د . محمد غنيمي هلال ، الذي جاء من جامعة السوربون ليقتحم الحياة المصرية الثقافية رائداً في الدراسات الأولى في مجال الأدب المقارن ، بعدها بعام سمعنا عن مدرس شاب جديد قادم من أسبانيا يحمل الدكتوراه في الأدب الأندلسي ، كان ذلك الشاب هو د . هيكل ، سرعان ما التففنا حوله ، ليصبح نقطة تجمع ، وضوءاً لأصحاب الاهتمامات الأدبية في عتمة الكلية إلى جانب د . غنيمي هلال ، تلك كانت بداية دخوله إلى وجداننا كشباب ، دخوله كرافد جديد من المعرفة التي كنا نبحث عنها وننشدها ، وأذكر أنه كان من أول الأصوات المتحمسة لقضية الشعر الجديد ، كان يستمع إلينا كأصوات انجرفت في هذه الحركة بين معاقل المحافظة على القديم والتجمد في إطار الكلية .

● حالة الكآبة التي تنتابه ليس سببها فقط أن معظم من أحبهم من الأصدقاء قد رحلوا ، بل إحساسه بخلخلة العلاقات في المجتمع ، يبدو لي أن الفترة التي عاشها في أسبانيا ـ عندما كان طالباً ـ نجحت في أن تغسله تماماً من أوضار المجتمع الشرقي والبيئة الأزهرية ، وكانت أيضاً مسئولة عن صدمة ما أحسه عقب العودة إلى مصر ، بالاضافة إلى أن جو الكلية في السنوات الأولى من عودته لم يسمح له بالانطلاق وتحقيق الذات ، وأذكر أن جمعية المناظرات بالكلية عام ١٩٥٥ أثارت جدلاً حول موضوع : هل الثقافة الغربية خطر على كياننا القومي ؟ .. كان هذا هو السؤال القضية ، وأذكر أنه جاء قبل بداية المناظرة ، وقرأ ذلك السؤال مكتوباً على السبورة ، فانفعل بشدة وقال :

● هل انتقلت زعامة الأدب العربي من مصر إلى الكويت ؟

● لماذا مزّق الوزير الشاعر قصائده العاطفيّة ؟

«أرجوكم أن تمسحوا هذا السؤال لأن إثارته بهذه الطريقة فضيحة ثقافية .»

• صادف أن زرته وهو منغمس في التحضير للمؤتمر العام الاسلامي المسيحي في قرطبة ، والذي أدهشني صموده لكثير من لحظات التوتر والقلق التي تصاحب مثل هذه المؤتمرات ، فكان بصفته الأمين العام لذلك الملتقى يتعامل مع كل لحظات التوتر المهددة بالانفجار بصبر شديد واعتدال .

• سمعت من دارسين مصريين كثيرين أنه المدير الوحيد في تاريخ المعهد المصري للدراسات الإسلامية الذي لم تمتد يده إلى المكتبة الحافلة بكنوز التراث الأندلسي على كثرة ما نهبت هذه المكتبة على أيدي من تولوها قبله ، كما أنه المدير الوحيد الذي كان حريصاً على أن يترك أثراً تمثل في معجم أسباني عربي ، وفي كتب تعلم الأسبان مداخل للغة العربية ، مع أن هذا ليس تخصصه ، فاهتماماته أدبية وليست لغوية .

• حينما كان مقرراً «للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة» كان عليه الاختيار بين اثنين من الشعراء الراحلين تصادف أن كانت ذكراهما في شهر واحد ، محمود حسن اسماعيل وأمل دنقل الذي لم تكن تربطه به علاقة طيبة ، وعلى الرغم أيضاً من أن محمود حسن اسماعيل يعبر عن نموذجه الشعري إلا أنه قرر بأن تكون الأمسية لتكريم أمل دنقل .

• أنا أحس أن وجدانه الشعري أكبر مما يكتبه كشاعر ، وأن إحساسه الشعري هو أغنى ما فيه ، وأحياناً نقول عن إنسان إنه أروع قصائده .

• أذكر أنه اندفع في نشيج حاد لحظة تأبينه للشاعر فوزي العنتيل وكانت تربطه به صلة خاصة ، ولعلني أستطيع أن أقول إن عاطفيته الشديدة هي إحدى سماته ، وهي صفة ايجابية ، لكنها في بعض الأحيان قد تكون مقتلاً للانسان .

• أول وزير ثقافة نابت من التراث العربي منذ بدأت الوزارة في منتصف الخمسينات ، له نسيج يميزه عن الآخرين ، بدأ بالكتاب وانتهى ببعثة الدكتوراه في أسبانيا ، وزير مرتبط بالكتاب ، أو خارج من صفحات كتاب ، مؤلف أساساً وهذا ما يكمل تميز نسيجه .

• كتب أحدهم عندما تم اختياره وزيراً للثقافة أنه لم يتصوره إلا عميداً لإحدى كليات الأزهر ، ربما لأنه أطل على الناس من خلال التلفزيون — في إحدى المراحل — مشاركاً في بعض البرامج الدينية ومنها برنامج ندوة الرأي الذي كان هدفه الأساسي مخاطبة الجماعات الإسلامية .

• الصدمة الأولى التي تلقاها بعد تسلمه العمل كوزير كانت في كثرة من دخلوا مكتبه لكي يقدم كل منهم تقريراً سيئاً عن الآخر ، ولكي يثبت كل واحد منهم أنه الوحيد الذي يفهم في السينما أو المسرح أو غيرهما .

• مشكلة وزارة الثقافة خلال السنوات الماضية كانت محاولة قتل المجلس الأعلى للثقافة عن عمد خشية أن يبرز دوره ويلغي دور الوزير ، كانت المشكلة دائماً أيهما الأبقى ، وأيهما يكون صاحب الصوت الأول والرأي الأول . لذلك تحول المجلس في العديد من اللجان إلى ما كنا نسميه «مكلمات» جمع «مكلمة» وأعتقد أن في ذهن د . هيكل دوراً إيجابياً لهذا المجلس .

خبر ثقافي هام

سلسلة «ألف كتاب» تعود إلى الحياة الثقافية من جديد

الكتاب .. الأزمة .. والانفراج

و.. في قصر «الكلاملك» «بيت اسماعيل النقيب» من جديد ، التقيت بالدكتور هيكل ، كان مرهقاً ، بدا لي مثقلاً بهموم الثقافة والمثقفين ، تذكرت ما كتبه يوسف جوهر بالأهرام : «د . هيكل صاحب وجه مريح ، ولكني أرسه الآن مهموماً ، وكأنه فقد راحة البال منذ تسلم قيادة العمل الثقافي ، ومشاكل الثقافة مزمنة ومتراكمة ، والمسئولية فريدة وصعبة تستعصي على المقاييس والموازين التي تستعين بها وزارة التموين مثلاً وهي تدبر طعام الشعب .»

قلت للدكتور هيكل : نبدأ بالأسئلة التي طرحتها عليك مجموعة من المثقفين المصريين .

قال . على بركة الله .

و.. بدأنا معاً رحلة الهموم :

• كنتم شهوداً على النشاط الثقافي في الستينات والسبعينات ، ما هي الفوارق في الملامح إذا أضفنا عقد الثمانينات الذي نحياه ؟

ـ الفوارق بين ما كنا عليه وما صرنا إليه واضحة ومختلفة جذرياً ، فقد طرأت على الحياة الثقافية سلبيات أصابتها بالإنكماش والفتور ، وكانت نكسة ٦٧ سبباً في ذلك بالاضافة إلى تمزق العالم العربي ومقاطعته لمصر التي خاضت أربع حروب أثرت على اقتصادها ، ومع ذلك بدأنا مرحلة إعادة البناء بعد حرب أكتوبر ، ووضعنا لخطة البناء أولويات أثرت بدورها اقتصادياً على الازدهار الثقافي ، ولعل من أبرز الفوارق ضمور توزيع الكتاب المصري بسبب المقاطعة ، وقيام بعض الجهات غير المسئولة بإعادة طبع الكتاب المصري بطريق غير مشروع ، كما أن الظروف الاقتصادية أدت إلى تقلص عدد مجلاتنا الأدبية ، وأبعدت الهموم الناس عن القراءة ودفعتهم إلى الاكتفاء بالتليفزيون والأذاعة ، وانحسرت الحركة العارمة التى كان يضج بها المسرح لهجرة الفنانين الى استديوهات البلاد العربية ، ولاحتياج بعض المسارح إلى إعادة البناء أو الترميم ، هذا الظرف أوذاك ، أوهما معاً أثرا في الحركة المسرحية على الرغم من وجود أعظم الفنانين والكتاب والمخرجين ، الوضع يحتاج فقط إلى

• حقوق المؤلفين تتعرض للنهب والسرقة والمسئول هو : الناشر

• الكتاب الصغير ثمنه أقل من ثمن زجاجة المياه الغازية والكتاب الكبير ثمنه أقل من ثمن كيلو اللحم !

حوار معه

الدكتور أحمد هيكل
وزير الثقافة في مصر

إعادة تنظيم البيت وبعض الرخاء الاقتصادي الذي يسمح بتحقيق الأحلام.

• في الأربعينيات أطلق طه حسين عبارته المشهورة «زعامة الأدب تنتقل من القاهرة الى بيروت»، وفي الثمانينات تتردد هذه العبارة مع شيء من التغيير ليصبح منطوقها «زعامة الأدب تنتقل الى الكويت» فماذا يمكن عمله لكي تعود زعامة الأدب الى القاهرة؟

ــ أنا لم أسلم يوماً بأن زعامة الأدب انتقلت الى بلد عربي غير مصر، لا أقول هذا تعصباً، بل أقر حقيقة، وأعتقد أن طه حسين حينما قال هذا الكلام كان هدفه أن يحمس الكتاب المصريين ويثير غيرتهم ليدفعهم الى مزيد من الجهد والعمل، ومع احترامي لكل الأدباء العرب فإن زعامة الأدب والفن والعلم لا تزال في مصر، لأن الريادة والبداية والازدهار انبثقت من أرض مصر، ولن تسقط من يدها الراية رغم هذه الدعاوى التي تقال أحياناً بحسن نية وأحياناً بسوء نية، إن بلداً لا يزال يكتب فيه توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي وثروت أباظه ويوسف إدريس، بلداً لا يزال يكتب فيه كبار الشعراء وفيه اثنتا عشرة جامعة مليئة بأساتذة الأدب والنقد والفن القولي على وجه العموم، لا يمكن أن تنتقل منه الزعامة الأدبية لمجرد أن بلداً آخر فيه مطبوعات أكثر جمالاً وأناقة (!).

• أسجل اعتراضاً: قال الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين رداً على سؤال يحمل المعنى نفسه في برنامج أمسية ثقافية:

«لقد كان من الطبيعي أن ينتهي مفهوم الزعامة في الأدب والفن والعلم بانتشار الجامعات في العالم العربي، وانتشار المجلات والصحف ودور النشر، وهذا لا يقلل من قيمة القاهرة الفكرية والفنية بل يرفدها ويثريها.»

• كانت لكم آراؤكم الشخصية في تطوير النشاط الثقافي، ما هو الأصلح للتطبيق من تلك الآراء بعد تسلمكم الوزارة؟

ــ كل الآراء صالحة للتطبيق، لكن هناك أولويات من الأفضل أن نبدأ بها لأهميتها ولظروفها الميسرة، من هذه الأولويات إصلاح الحال في قطاع الثقافة الجماهيرية، كان من أحلامي أن يضاف الى نشاطها لون من التثقيف الحر الذي يتناول أصول المعرفة أو المعارف الإنسانية بحيث لا يقتصر دور بيوت الثقافة وقصورها على النشاط الفني فقط، بل يتاح للمواطنين الذين لم تساعدهم ظروفهم دراسة اللغة العربية وآدابها، الفكر الإنساني وقضاياه، التاريخ والحضارة المصرية، الفن ومذاهبه، وقد أعددنا هذا المشروع ونفذناه، بدأنا بخمسة قصور ثقافية موزعة بين الوجه القبلي والبحري والقاهرة.

• المجلات الثقافية المصرية دون مستوى المجلات في العالم العربي تحريراً وطباعة وتوزيعاً بالاضافة الى أن شلة بعينها تحتل أجهزة التحرير في هذه المجلات، فماذا يمكن عمله لتحريرها من مثل هذه السيطرة لتصبح مجلات للكل وليست لفئة، ولكي تكون بالتالي في مستوى مجلات العالم العربي؟

ــ أيضاً أنا لا أسلم بأن كل المجلات المصرية دون مستوى مجلات العالم العربي (!)، مجلة «فصول» على مستوى رفيع تنافس به أعظم المجلات، لكنها ليست على المستوى من حيث الانتشار للحصار الذي فرض عليها وعلى الكتاب المصري بعد المقاطعة العربية، بل إن قائمة المقاطعة تضم عددا من كبار كتابنا، فكان لابد ــ لهذا الموقف المتعمد لحصار المجلة المصرية ــ أن ينعكس على انتشارها، أما بالنسبة للشللية فهي ظاهرة موجودة في كل مكان، ونحن في مصر نتيح الفرصة للجميع ونرفض تصنيف الناس، فإذا حدث مصادفة أن استقطب رئيس تحرير أو مسئول عن مجلة طائفة من أصدقائه أو القريبين منه فكرياً، وزاد الأمر عن حده، فيجب تصويب هذا السلوك، لكنه في الواقع ليس بالحدة التي يطرحها سؤالك.

• أسجل اعتراضاً:

قال لي د. أحمد عتمان أستاذ الدراسات الكلاسيكية ونائب رئيس تحرير مجلة القاهرة:

«تقف مجلة «فصول» فعلاً على مستوى بعض المجلات العربية المتخصصة المميزة، وهي حتماً لا تعاني من أي حصار خارجي، وعدم انتشارها يعود الى أنها مجلة تخاطب الخاصة، بل إن بعض الخواص يجدون صعوبة في متابعتها ربما لأنها لم تصل بعد الى الأسلوب البسيط الذي يجمع من حولها دائرة أوسع من القراء، عموماً عدم انتشار المجلة والكتاب المصري يعود الى غلائهما، فمجلة فصول مثلاً تباع بجنيه ونصف بينما تباع مجلة الفكر بـ ٢٥ قرشاً. وعالم المعرفة الكويتية تباع بخمسين قرشاً، بينما يصل سعر بعض كتب هيئة الكتاب الى خمسة جنيهات، المقارنة بين المجلة المصرية ونظيرتها العربية غير عادلة لأن معظم المجلات المصرية التابعة للوزارة ليس لها ميزانية خاصة وإذا كانت فهي ضعيفة تهددها بالتوقف. ونظراً لقلة المكافآت التي تدفعها المجلة المصرية لكتابها فإننا نجد معظم الأقلام السيالة

• مشكلة الرقابة على الفن والحدود التي لا يصح أن تتجاوزها حتى تؤدي دورها المنشود

تهجرها إلى نظيرتها العربية وبالاضافة لذلك تأخر الامكانات الطباعية، و.. وأخطر من داء الشللية ما تعانيه صحافتنا الأدبية من أن بعض أصحاب المساحات الثابتة يستغلونها كمركز للنفوذ والسيطرة، ويقومون بالدعاية لأنفسهم ويجاملون البعض في سبيل الحصول على خدمات معينة، وهكذا يخلقون من أنفسهم نجوماً لامعة على غير أساس، وهذا هو الداء الحقيقي الذي يجب أن نتصدى له، وهذه المهمة تقع على عاتق النقاد المخلصين لا عاتق وزارة الثقافة.»

• رغم كل الوعود والتصريحات فإن أزمة الكتاب لا تزال قائمة ليس بالنسبة للتصدير إلى الخارج فحسب. فهذا البعد من المشكلة هو ما يلح عليه الناشرون، ولكن أيضاً بالنسبة لارتفاع أسعاره بصورة مذهلة، وهذا ما يعني القارئ العادي، بالاضافة إلى بقية عناصر المشكلة مثل حفظ حق المؤلف، والمساهمة في اعادة تكوين عادة القراءة المفتقدة؟

ــ لقد أنهينا تماماً مشكلة التصدير، أما بالنسبة لسعر الكتاب فهو مرتفع بعض الشيء في القطاع الخاص، لأن الكتاب سلعة كبقية السلع تحتاج إلى عمالة فنية، وهذه العمالة مرتفعة الأجر، تحتاج إلى ورق وأدوات طباعية معظمها مستورد، ولا يستطيع أحد أن يطالب القطاع الخاص بالخسارة، أما بالنسبة للقطاع العام الممثل في الهيئة المصرية العامة للكتاب، فالدولة تدعم الكتاب ولا تتعامل معه تجارياً ولذلك فإصداراتها تبدأ من خمسة وعشرين قرشا، وهي قيمة زجاجة مياه غازية، ولا يمكن للكتاب أن يكون أرخص من ذلك، ويتدرج السعر حسب حجم الكتاب حتى يصل إلى خمسة جنيهات، أي لم يصل بعد إلى ثمن كيلو من اللحم، وإذا قارنا هذا السعر بما كان عليه الحال في الأربعينات والخمسينات سنجده مرتفعاً جداً، ولكن لكي نكون منصفين يجب أن نقارن كل أسعار السلع اليوم بما كانت عليه في ذلك التاريخ سنجد أنها تضاعفت عشرة أمثال، وأجزم أنه لا يوجد كتاب تضاعف سعره عشرة أمثال كبقية السلع على الأقل في القطاع العام، ومع ذلك سنحاول جاهدين أن نعمل على أن يباع الكتاب بسعر أرخص، وذلك بالسعي لدى وزارة المالية لاعفاء الورق وأدوات الطباعة من الجمارك، والسعي لدى المجلس الأعلى للصحافة ووزارة الإعلام لاعفاء الإعلان عن الكتب من الأجر الباهظ، وهذا من شأنه أن يخفض تكلفة الكتاب وسعره بالتالي، والكتاب المصري في كل الظروف يعد من أرخص الكتب في العالم.

أما بالنسبة لحفظ حقوق المؤلف فقد سعينا للإشتراك في الهيئات الدولية، ونحن بسبيلنا إلى إنجاز ذلك، وأظن أنه مهما سعينا لحفظ حقوق المؤلف فلن ننجح نجاحاً كاملاً، لأن القضية أساساً قضية أخلاقية.

أما كيف نعيد للكتاب صدارته إلى حياة الناس، فذلك يتم بالتنسيق مع أجهزة الإعلام لإعداد ندوات تناقش الكتب، ومسابقات لقرائها، وأن تزود مكتبات قصور الثقافة والمكتبات العامة بكل جديد وشائق، وعلينا ــ إذا جاز التعبير ــ استدراج الشباب المهتم إلى هذه المكتبات باستضافة شخصيات مرموقة تتحدث عن كتبها وعن تجربتها في التأليف، وأظن أن هذا عامل جذب لعله يجدي، وإن كان علينا الأعتراف بأن جهاز التلفزيون والفيديو وجميع المستحدثات الثقافية تحارب تلقائياً ودون قصد عادة القراءة.

• هل لدى الوزارة خطة لإعادة طبع كتب التراث أو تصويرها مثل الأغاني وصبح الأعشى وغيرهما، وهي الكتب التي تباع في السوق السوداء الآن أو يسرقها الناشرون اللبنانيون مما يقطع بأن هناك طلباً متزايداً عليها؟ ومتى ينتهي تحقيق وطبع كتب مثل نهاية الأرب ويتيمة الدهر، وما هي خطة الوزارة لنشر التراث العربي؟

ــ في الوزارة خطة لإعادة طبع كتب التراث التي نفدت، وكتب المكتبة الثقافية والعربية وكل السلاسل الجيدة التي نفدت، وقد بدأنا بتنفيذها فعلاً بالنسبة للمكتبة العربية والثقافية وكتب الأطفال، وسنثني بكتب التراث وإن كانت تحتاج إلى ميزانية باهظة وتكاليف كبيرة.

• متى تنوي وزارة الثقافة أن تبعث من غيابة الأدراج والأضابير قصاصات القاموس الإنجليزي العربي الذي قطع فيه صفوة من الباحثين شوطاً طويلاً وبذلوا سنوات من عمرهم؟

ــ توجد لجنة تشرف على القاموس، وقد أوشكت على الفراغ منه.

• هناك اقتراح بعودة مشروع الألف كتاب لترجمة الانتاج المعاصر في مختلف الميادين.

ــ كلفنا لجنة في هيئة الكتاب باختيار ما يناسب هذا المشروع، وخلال الأسابيع القليلة القادمة سنبدأ بنشر سلسلة الألف كتاب الجديدة.

• واقتراح آخر بتحويل معرض الكتاب إلى سوق دائمة للكتاب يستورد بصفة متجددة أفضل انتاج الكتب العربية والغربية والمجلات الثقافية الجادة.

ــ لا يوجد في العالم معرض تحول إلى سوق دائمة، السوق الدائمة موجودة في كل المكتبات، أما أهمية هذا المعرض فتأتي من كونه معرضاً موسمياً له ملابسات وظروف تدفع إلى الحماس لإقدام الناشرين على تضحيات في الأسعار تغري بالشراء، ولدينا مكتبات عظيمة تقوم بالنشر وتستقبل ما في العالم، مثل النهضة، هيئة الكتاب، دار المعارف، ودار الأهرام التي يوجد بها أرقى المطبوعات العلمية، وإن كنا للأسف ننظر للكتاب على أنه الكتاب الأدبي فقط.

• ألا ترون أن المشروع القومي للترجمة قد تأخر كثيراً، وأن القارئ العربي يعاني من فجوات خطيرة في المعرفة بالثقافة العالمية، هل لديكم خطة لترجمة أمهات الكتب الكلاسيكية والحديثة؟

ــ كلفنا لجنة في هيئة الكتاب لاختيار الحصاد العالمي في مجال الفكر والانسانيات والأدب لترجمته ونشره وجزء من هذا سيكون ضمن مشروع الألف كتاب.



● محسنة توفيق:

مرتبي أقل من مرتب سائق في جمعية تعاونية، وكلما تفرغت للمسرح عانيت من ضائقة مالية عنيفة، وأنا أطالب بمساواة مرتبات الفنانين بمرتبات الصحفيين وأساتذة الجامعة

حوار معه
الدكتور أحمد هيكل
وزير الثقافة في مصر

اتحاد الكتاب لمن ؟

• عملتم لفترة طويلة أستاذاً جامعياً ، فما رأيكم في الصورة الحالية والمستقبلية لمشاركة الجامعة في العمل الثقافي العام ؟

ـ تشارك الجامعة في العمل الثقافي على أعلى مستوى ، لكن حصاد الجامعيين لا يخرج إلى الناس لأن هناك شبه قطيعة بين الأساتذة المتخصصين وبين أجهزة الإعلام ، فمؤلفاتهم ورسائل الماجستير والدكتوراه العظيمة الشأن محصورة داخل أسوار الجامعة ، لأن صحافتنا الأدبية لا تستكتب هؤلاء الكتاب الكبار ، وتكتفي عادة بأسماء معروفة ، أو بمن يحررون أدباً وفكراً من محرري وكتاب الصحيفة نفسها وربما أيضاً لأن الكتاب الجامعي الأكاديمي المؤلف جيداً ، ربما يكون ثقيلاً الى حد ما على المثقف العربي الذي تعود أن يقرأ ثقافة أكثر يسراً وبساطة ، طبعاً سيقفز إلى ذهنك فوراً لماذا إذاً كان جيل طه حسين أكثر شاركة في الحياة العامة ، لأن هذا الجيل من الرواد كان يستكتب في الصحف كجزء أساسي من عملها وعملهم ، كتب أحمد أمين وعزام والعقاد ومصطفى عبدالرازق ، واستمر هذا الوضع إلى جيل د . مندور ورشاد رشدي ، بعدها بدأت الصحافة تستقل بكتابها ، وبدأ الجامعيون ينطوون داخل أسوار الجامعة ، فحدثت هذه الفجوة والجفوة التي حجبت الانتاج الجامعي عن القارىء العادي ، وأرى أن تستكتب المؤسسات الصحفية أساتذة الأدب والنقد وتفسح لهم المجالات وتكافئهم مكافآت مرضية .

• أسجل اعتراضاً :

قال لي د . فتحي عبدالفتاح المشرف على الصفحة الأدبية بجريدة الجمهورية :

في السبعينات لم تكن هناك صفحات أدبية بالمعنى المتعارف عليه ، وإن كانت فهي مجرد صفحات اخبارية ، ولا يمكن أن نعتبر جميع أساتذة الجامعة مهتمين بالأدب ـ حتى ولو كانوا يدرسونه ـ وفي العامين الماضيين أصبحت هناك صفحات محددة للأدب وإن كانت محكومة بضيق المساحة لكنها أكثر ثراء ، وقد حاولت عند إشرافي على صفحة الأدب بالجمهورية ـ منذ عام ـ أن استكتب قدر الإمكان أساتذة الجامعة المهتمين مثل د. طه وادي ، د. تليمه ، د . سيد النساج ـ د . سعد ظلام .

• تفتقد لجان المجلس الأعلى للثقافة القدرة على المشاركة الحقيقية في تنشيط الحياة الثقافية لعدم وضوح دورها ، وعدم محاولتها الاستفادة من تجمع المثقفين في مصر ، وتجاهلها الشخصيات ثقافية لها ثقلها الخاص ، ما هو الدور الذي تتصورون أن تقوم به هذه اللجان في ظل سياستك كوزير جديد للثقافة ؟

ـ اقتصار لجان الثقافة على بعض الشخصيات وضع تحتمه التنظيمات ، فلكي تستطيع اللجنة أن تجتمع وأن تدير حواراً وتتخذ قراراً ، يجب أن تكون محدودة العدد ، لقد كانت لجنة الشعر تتكون من أربعة وعشرين عضواً ، فوجد أن العدد الكبير لا يمكّن من الاتفاق على رأي بسهولة ، فاقتصر العدد في القانون الأخير على إثنى عشر عضواً ، المهم أن هؤلاء الأعضاء يمثلون أهم الاتجاهات الشعرية وأهم الأجيال في نظر من اختارهم على الأقل . وبقاء آخرين خارج نطاق اللجنة لا يعني إطلاقاً أنهم أقل قيمة ومنزلة ، والاختيار يتم على أسس : أحياناً تصيب وأحياناً تخطىء ، المهم أن تسعى كل لجنة لوضع خطة ، وأن تسعى من خلالها لصالح الفن الذي تنتمي إليه لا لصلحة أفراد اللجنة ، وهذا ما أطمح إليه وقد اجتمعت بأعضاء المجلس الأعلى للثقافة في محاولة للقضاء على الركود الأدبي والثقافي واستمعت لكل الشكاوى ، ولمست كل السلبيات وأهمها ضعف الميزانية الذي حال دون ظهور مشاريع هامة للنور ، وقد قررت زيادتها ، والمجلس الأعلى الذي هو قمة العمل الثقافي في الوزارة كان لا يجتمع إلا مرة أو مرتين في العام إحداهما لتوزيع جوائز الدولة ، فأمرت بأن يجتمع المجلس كل هرين لمناقشة أعمال اللجان ومتابعة ما ينفذ منها ، ولتقديم المقترحات والمشورة للوزارة باعتبار أن المجلس هو العقل المفكر الذي يخطط ويحلم ويتخيل ، وما على الوزارة إلا أن تنفذ هذه الأحلام العظيمة وتترجمها إلى انتاج وعمل ثقافي بقدر الامكان ، لكن هذا لا يعني أن نضغط على زر ليتحول المجلس إلى خلية نحل ثقافية ، أو أن يحول المجلس مصر إلى سوق عكاظ جديد ، المهم أن يكون اليوم أحسن من أمس .

• هل هناك خطة أو خطوات اتخذت لتحويل متحف الآثار المصرية من مخزن واسع ومزدحم بالآثار إلى متحف حديث به أنظمة العرض العلمية ؟

ـ يقم الآن في أرض الجزيرة متحف يسمى متحف الحضارة ، وسوف يضم أهم الآثار التي تمثل الحضارة في مصر ، وقد اعتمدت له ملايين الجنيهات ، أما بالنسبة لمتحف الآثار فهناك خطة لتحويله إلى متحف حديث لا تكدس فيه الآثار ، وإنما تعرض عرضاً فنياً يليق بجلالها وعظمتها ، لقد أعددنا الدراسات والرسوم اللازمة لذلك ، لكننا سنرجىء التنفيذ ، لأن ما يحكم كل مشاريعنا وأحلامنا وله الأولوية في مثل ظروفنا هو أحوالنا الاقتصادية .

• اقترحتم ذات يوم انشاء لجنة أو نحوها تضم الفائزين بجوائز الدولة التقديرية تسهم بجهد أعضائها في تطوير العمل الثقافي ، هل ستضعون هذا الاقتراح موضع التنفيذ ؟

• هنالك جفوة وفجوة بين الجامعيين المتخصصين وبين أجهزة الإعلام

– أرجو أن أستطيع .

• هل يمكن في ظروف اتحاد الكتاب أن تجري انتخابات حرة ، وهل يمكن تنقية قوائمه من الموظفين والمستوظفين وتقتصر على الكتاب أصحاب الرأي والكلمة ؟

– أنا لن أحرم موظفاً من اعطاء صوته ما دام مقيداً في الاتحاد ككاتب ، والاتحاد لا يقبل في عضويته إلا الكتاب سواء كانوا موظفين أو أطباء أو مهندسين أو متفرغين ، وأنا شخصياً لم أشارك في أي انتخاب على الرغم من كوني عضواً في الاتحاد ، وأظن أن عملية الانتخاب تجري بدقة وموضعية وإن كانت هناك بعض الأخطاء فأرجو أن لا تحدث مستقبلاً .

• أسجل اعتراضاً :

قال لي الشاعر فتحي سعيد عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب :

« مشكلة اتحاد الكتاب تنحصر في ثلاث نقاط رئيسية :

أولاً : أساس لائحة الاتحاد كما تم التصديق عليها جمهورياً يجعل منه نقابة خدمات فقط ، وليس اتحاداً بمعنى بروز قوة مستقلة جديدة لها رأيها المؤثر في قضايانا الوطنية والسياسية .

ثانياً : لجنة القيد التي فتحت الباب على مصراعيه لأشباه الكتاب ومن ليس لهم علاقة بالكتابة ، وهؤلاء يشكلون مركز قوة لا يستهان بها ، وهم أكثر المنتفعين بخدمات النقابة ، وأكثر الأعضاء مواظبة للادلاء بأصواتهم ، ولا يمكن تصفيتهم قانوناً إلا بقانون جديد .

ثالثاً : اكتفاء الكتاب الحقيقيين برفع الشعارات والثرثرة والادانة بدلاً من الحضور للادلاء بأصواتهم وإثبات وجودهم الحقيقي على أمل التغيير ، وفي الاتحاد أعضاء كان لهم دور مرجو مثل د . يوسف إدريس ، فاروق خورشيد ، د . النساج ، لطيفة الزيات ، لكنهم لم يفعلوا شيئاً واكتفوا بالانسحاب ، ويوجد الآن أعضاء في المجلس لهم صوتهم النقدي والاجتماعي مثل د . القط ود . حسين نصار ، ود . سهير القلماوي ، ومع ذلك فنحن لا نسمعهم يرفعون صوتهم النقدي أبداً . »

• هل تنوي الوزارة متابعة وتطوير المؤتمرات العربية الثقافية التي حققت نجاحاً على غرار مؤتمر حافظ وشوقي ومؤتمر الابداع ، هل هناك تفكير في تطويرها على محورين : محور الاتصال بالكتاب في العالم الغربي والشرقي ، ومحور عقد مؤتمرات متخصصة للكتاب المصريين ، وما هي خطة الوزارة لتطوير العلاقات الثقافية مع العالم العربي ؟

– أقول لك بصراحة شديدة إن المقاطعة العربية الرسمية غير المبررة وغير المفهومة لدى رجل الشارع في مصر تقف حائلاً دون عقد مثل هذه التجمعات التي إذا تمت ستكون لوناً من التحايل على واقع مرير ، ومحاولة للدخول من طريق خلفي . أنا أتعجب مع رجل الشارع من هذه المقاطعة ، فالحديث يدور حول مصر الأم ، ودرع الأمة العربية وضرورة عودتها ، ثم لا عودة ولا خطوة إيجابية نحو هذا ، ما أهمية عقد مثل هذه اللقاءات ؟ هل نلتقي لنتكلم عن الشكل والمضمون ، والبنائية والبنيوية ، ولا نتطرق لهذه المقاطعة لأنها موضوع شائك ، وإذا ما تكلمنا يقال ان مصر تستجدي عودة الأمة العربية ، ونحن نرفض كل صور الاستجداء والتحايل ، ولكي تكون لقاءات كتابنا أكثر فعالية وأكثر شمولاً ووضوحاً ، لابد أن تكون علاقتنا الرسمية واضحة ومحددة وصريحة ، أنا لا أرفض اللقاء بالكتاب العرب لأنهم قومي وأهلي ، ولكني لا أفضل عقد مثل هذه اللقاءات في مثل هذا المناخ غير الصحي . أما بالنسبة للقاءات المحلية الخاصة بالكتاب المصريين فقد كنا منذ فترة في مؤتمر لفناني الجيزة وكتابها وطرحنا قضايا هامة جداً ، ومن قبل كنا في مؤتمر خاص بالسينما مكلف بعمل بحوث ودراسات من جانب الجامعة الدولية التابعة للأمم المتحدة ، ومثل هذه اللقاءات ستتم كلما حانت الفرصة .

• أسجل اعتراضاً :

قال لي الروائي مجيد طوبيا :

« أنا مع اللقاء بالكتاب العرب مهما كانت الظروف لأننا لسنا طرفاً في خلافات الحكومات ، لأن لكل كاتب منا شخصية قومية تعلو فوق الظروف السياسية ، وهذه اللقاءات تعني عندي ككاتب – وعند كل كاتب عربي – محاولة جادة لاجتياز سدود الفرقة ، ولرتق الثقوب في الثوب العربي ، والحوار المباشر هو أقصر الطرق وأعمقها ، وهذه اللقاءات أيضاً تتخطى بنا صعوبة انتقال الكتاب من بلد إلى آخر للاجراءات البيروقراطية العقيمة ، وقد تمردت يوماً كما تمرد صلاح عبدالصبور وآخرون على الحظر الرسمي للكتابة في المجلات العربية لأنه من المستحيل أن نهجر قارئنا العربي الذي أحبنا وأحببناه ، وإذا كان البعض في مصر – وهم قلة – قد ينظرون لعقد مثل هذه المؤتمرات على أنها لون من التحايل ، ومحاولة للدخول من طريق خلفي ، على أن المطلوب على الجانب الآخر عدم جرح مشاعر رجل الشارع في مصر كما حدث في مهرجان أدبي أخير عندما أعلن أحد كبار الشعراء موت الشعر في مصر وهو يعلم ان هذا غلو وافتراء ، والمطلوب من أمثاله قدر


اسماعيل النقيب


يوسف القعيد


فتحي سعيد

الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر
حوار معه

من الحب والاحترام ليسير القارب في أمان ، كما أن عقد المؤتمرات ليس مهمة الوزارة ، لكنه مهمة اتحادات الكتاب والجمعيات الأدبية ، وأنا على ثقة تامة من أن د . هيكل أستاذ معروف بايمانه الشديد بعروبة مصر ، وبأن العالم العربي كيان واحد لا يتجزأ .

المسرح ، التوهج ، والأفول

• تضاءلت فرق هيئة المسرح أمام فرق القطاع الخاص ، وتوارى المسرح الرسمي أمام المسرح التجاري ، فهو مسرح بلا جمهور ، وبالتالي فهو مسرح بلا خطة ولا تخطيط ، فهل يمكن تصحيحاً لمسار الوضع المسرحي : الدخول في منافسة مع القطاع الخاص ، أو عقد مهادنة في صورة انتاج مشترك بين القطاعين أم أنه لا مفر من الاعتراف بالأمر الواقع والاكتفاء بمسرح واحد يكون واجهة للدولة مع ترشيد المسرح التجاري ؟

ــ لا هذا ولا ذاك ، وإنما أن تضع كل فرقة مسرحية تابعة للقطاع العام خطة جادة ، وأن تتهيأ لها الفرصة المادية والمكانية لكي تقدم عروضها الجادة ، ولتكون المثل الذي يحتذى في فنية النص وجديته ، وفي روعة التمثيل وأدائه ، وفي عظمة الاخراج وإمكانيته ، ويترك المسرح الخاص للمنافسة مع هذه الأعمال الجادة ، وسوف نعمل في القريب العاجل على وضع خطة لفرقنا المسرحية الثمانية ، وسترصد ميزانيات تسمح لها بالعمل ، ونقوم حالياً بتجديد وترميم المسارح المغلقة ، بعدها ستشهدين ازدهاراً مسرحياً عظيماً .

• وهل من ضمن الخطة زيادة الحوافز والمرتبات التي تجبر فنان المسرح على أن يهجره ويسعى وراء رزقه في استديوهات أثينا وقبرص وبعض البلاد العربية ؟

ــ لا توجد فكرة إطلاقاً لزيادة مرتباتهم وحوافزهم ، والفنان الذي يطالب بالزيادة في مثل هذه الظروف ، فنان لا يفكر إلا في نفسه ، أمامهم أبواب الرزق واسعة ومتاحة لهم طوال العام في التليفزيون والبلاد العربية ، ومقابل هذا هم مطالبون بتقديم عرض أو عرضين لمصر بهذا المرتب الضئيل كرد جميل منهم للبلد الذي علم وأنشأ وأعدّ ، بل أتصور أن عليهم أن يقدموا هذه العروض مجاناً وهم سعداء ، وما عليهم فقط إلا أن يزيد انتماؤهم وعطاؤهم ، مع احترامي وتقديري لهم .

• وماذا عن القرار القديم بإنشاء بيوت مسرحية مستقلة مادياً وادارياً وفنياً ؟

ــ هذه ليست مشكلة : أن يكون البيت المسرحي مستقلاً أو غير مستقل ، المهم وجود فنانين يريدون العمل ، ونصوص جيدة ، ومكان صالح للتقديم . وميزانية مناسبة ، وأن تكون هذه الميزانية في يد وزارة الثقافة أو في يد بيت مسرحي مستقل ليست قضية ، لقد أضعنا زمناً طويلاً في اختيار التسميات ، المهم أن نعمل ضمن خطة منظمة وجادة .

• أسجل اعتراضاً :
قالت لي الفنانة محسنة توفيق :

« مرتبي أنا كفنانة كبيرة عليها التزامات نجمة كبيرة يتساوى مع مرتب سائق جمعية تعاونية ، وعندما قدمت « منين أجيب ناس » تفرغت لها تماماً موسمين كاملين ، مما أدى إلى اهتزاز وضعي الاقتصادي ، وامتد أثر هذا التفرغ طوال هذه المدة على وجودي في الساحة الفنية بعد ذلك ولفترة طويلة ، لأن المنتجين لم يضعوني في خارطة أعمالهم ، أقول هذا لأني أكثر المضحين والمتحمسين والمتعرضين للضرر ، ولا أستطيع أن أطالب زملائي بهذه التضحية ، بل أطالب الدولة بدعم فنان المسرح الفقير ، وأتساءل لماذا يقل كادرنا عن كادر الصحفي وأستاذ الجامعة ؟

• ما تصوركم لمدى تدخل الدولة في عملية الانتاج السينمائي ؟ هل بإنتاج الأفلام مباشرة كما كان الحال في الستينيات ، أو بالتمويل أو بتخصيص الجوائز ؟

ــ يمكن أن تتدخل الدولة بعدة وسائل أهمها : وجود رقابة جادة على النصوص بحيث لا يمر من الرقابة إلا النص الجيد فنياً ، وأن تكافئ الدولة الفيلم الجيد بجوائز تقديرية وتشجيعية تغري الآخرين بالانتاج الجيد ، وأن يقتصر العرض في الدور التابعة للدولة على الفيلم الجيد ، وأن يمنح من ينتج عملاً جيداً قرضاً من صندوق دعم السينما ، أما تبني الدولة ومشاركتها في عملية الانتاج فأمر سبق فشله وإخفاقه .

• أسجل اعتراضاً :
قالت لي الناقدة حسن شاه :

« تدخل الدولة بالصورة التي طرحها د . هيكل ليس كافياً في المرحلة الحالية على الأقل ، بل يجب أن تنتج الدولة فيلماً أو اثنين في العام لتعمل على النهوض بالسينما المصرية التي تدهورت ، ودعمها لا يقل أهمية عن دعم الرغيف والكتاب ، وتدخلها في الانتاج سيعطي فرصة للجيل الجديد الذي لا يجد فرصته مع المنتجين المهتمين فقط بمقدار الربح والخسارة ، وأنا ضد أن تكون مهمة الدولة انتاج فيلم وطني بقدر ما أنا مع انتاج فيلم يحمل قيمة فنية كبيرة ، مهمة الرقابة ــ في

• لماذا يأكل المسرح الخاص الأخضر واليابس في مسارح القطاع العام ؟

رأيي – تنحصر في أن لا يمس الفيلم الآداب والنظام العام ، أما إذا تجاوزتها إلى التقييم الفني فأرى في هذا تدخلاً خطيراً » .

• ألم يحن الوقت لتعديل قوانين الرقابة على المصنفات الفنية ، بحيث يتسع المجال أمام المبدعين لتنويع موضوعاتهم ، وفي الوقت نفسه يقيد الانتاج الهابط؟

– قوانين الرقابة مهمتها الحد من انتاج الأفلام الهابطة التي تسئ إلى التقاليد والقيم ، وكل ما من شأنه أن يثير فتنة ويهدد الوحدة الوطنية . وكل ما يسئ إلى طائفة لها احترامها كالقضاة وغيرهم ، وكل ما يهز قيمة الحكم والسلطة ، ويجعل الناس تسخر من الحاكم ، إن لم يؤد الفيلم وظيفة ثقافية ترقي بالوجدان والسلوك ، وتزيد المتعة الجمالية ، فهو فيلم ساقط فنياً ، والنظام الجديد في الرقابة سيضيف إلى ما عنده الضابط الفني الذي ذكرته ، والذي لا يسمح بتعرية المجتمع وابراز عوراته بطريقة مسيئة ، وبما أن هذه هي قوانين الرقابة التي أعرفها فما هي المصلحة إذن في تغييرها ؟

• أسجل اعتراضاً:

قال لي كاتب السيناريو عبد الحي أديب :

« كل فنان يرفض أية رقابة على ضميره وفنه ولكن لأنه يؤمن بالديمقراطية فقد ارتضاها على مضض لأنها رغبة الأغلبية ، ونظام الرقابة حق أريد به باطل ، فهو في ظاهره حماية للآداب العامة التي يحميها في الواقع كل فنان ومبدع ، وفي جوهره حماية للسلطة ، وجذور الأزمة جذور ثقافية ، في بلد تتفشى فيه الأمية ، يقوى سلطان الرقابة ، وانتشار التعليم والوعي الثقافي ينفي تماماً ويلغي رقابة السلطة ، و.. الزكاة الثقافية في رأيي لا تقل في حياة المسلم عن زكاة المال ، وأعني بها تقديم وتيسير سبل الثقافة وإعلاء قيمتها في حياة الناس » .

• يقول الفنانون ان أهم انجازات وزارة الثقافة في الستينات كان نظام التفرغ ، انهار هذا النظام بسبب تثبيت مرتبات الفنانين على ما كانت عليه في الستينات ، فأصبح التفرغ أكذوبة شكلية ، هل ترون أهمية فتح ودراسة ملف التفرغ بشكل عاجل ؟

– إذا كان ما تقولين حقيقة ، فهو خطأ ، ويجب أن يعاد النظر بحيث تزيد مكافأة التفرغ بالنسبة التي زادت بها الرواتب ، إذ أنه ليس من المعقول أن يقف راتب التفرغ على ما كان عليه في الستينات.

• الاقتناء في الحركة التشكيلية يشوبه الكثير من العيوب . اقترح الفنان عدلي رزق الله على صفحات الجرائد ووجه الدعوة للجنة المقتنيات لاقامة معرض سنوي لما تقتنيه الدولة ، الاقتراح يجعل كل شئ يتم علناً حتى تحس اللجان أن هناك رقابة شعبية ، ألا ترون أن هذا الاقتراح يستحق التنفيذ ؟

د . أحمد هيكل في سطور :

• من مواليد الزقازيق عام ١٩٢٢
• خريج كلية دار العلوم عام ١٩٤٨
• حصل على الدكتوراه في الأدب الأندلسي من جامعة مدريد ١٩٥٤ .
• نال جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٩ وجائزة الدولة التقديرية ١٩٨٥
• منح وسام الاستحقاق المدني من طبقة فارس من ملك اسبانيا
• شغل منصب :
١ – المستشار الثقافي المصري في أسبانيا
٢ – مدير المعهد المصري للدراسات الأسلامية في مدريد
٣ – عميد كلية دار العلوم
٤ – نائب رئيس جامعة القاهرة ورئيس جامعة الفيوم .
• منذ عدة سنوات عمل محاضراً لمدة فصل دراسي في جامعة قطر .
• عضو مجلس الشعب.
• يرأس لجنة التعليم والبحث العلمي في مجلس الشعب
• صدر له :
١ – الأدب الأندلسي
٢ – تطور الأدب الحديث في مصر
٣ – الأدب القصصي والمسرحي في مصر
٤ – دراسات أدبية
٥ – أصداء الناي « شعر »

– اقتراح جيد ، وسأحاول أن أعمل على تنفيذه .

• هل فكرت أجهزة الوزارة في اقامة معارض شاملة للفنانين الرواد من أمثال محمود سعيد وراغب عياد ، بحيث تجمع صورهم من مختلف المجموعات العامة والخاصة ، وتقام حولها الندوات ؟

– كل هذه أمنيات يمكن تحقيقها ، لكن هناك أولويات ، لا بأس أن نفعل هذا حينما تتاح الفرصة ، لكن حسبنا الآن أن عندنا معارض كثيرة ثابتة ، ومعارض متنقلة تسافر إلى العالم العربي وأوروبا ، وعندنا حركة تشكيلية لا بأس بها ، أما أن أقيم معارض للرواد ، فهذا غير متاح لضعف الامكانيات .

• هل لدى الوزارة خطة ينبغي إعدادها من الآن لعرض أوبرات مصرية لم تعرض حتى الآن لمؤلفين مثل عزيز الشوان وكامل الرمالي ، وهل هناك خطة للتشجيع تأليف وعرض باليهات مصرية ؟

– دار الأوبرا تبنى الآن والعمل فيها يمضي على قدم وساق ، وبعد أن يتم بناؤها خلال السنوات الثلاث القادمة ، أو قبلها بسنة سنضع خطة لذلك .. النصوص الفنية أمرها ميسور ، المهم أن تنهض الأوبرا .

• هل هناك خطوة أو خطوات اتخذت للسيطرة على نشاط المراكز الثقافية الأجنبية في مصر ، والتي تغلغلت في مختلف مناحي الحياة ، ومحاولة الحد من تأثيرها ؟

• الفنان المخلص مُطالب بأن يَرُدَّ لبلاده الجميل ولو قدَّم عروضه الفنية مجاناً وبغير مقابل مادّي

الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة في مصر

حوار معه

ـ أنا لا أظن في حدود معرفتي أن هذه المراكز تمثل خطراً ، وكل ما يتم فيها ، يتم تحت عين إدارة العلاقات الثقافية بالوزارة وأجهزة الأمن المعنية ، وتقوم الوزارة بالاشراف الفني الكامل على مايقدم ، وعلى سبيل المثال فقد جاء منذ أيام فنان ألماني كبير ليقيم معرضاً للوحاته في القاهرة ، وعندما قمنا بفحص وفرز اللوحات وجدنا أن بعضها يسئ إلى مصر والعروبة ، فرفضنا أن يقام هذا المعرض ، وأقنعنا السفارة الألمانية بوجهة نظرنا ، وإن كانت قد قبلتها على مضض . ما أريد قوله ان السيادة الثقافية في مصر هي لوزارة الثقافة المصرية .

• نحن نعلم مدى عمق واهتمام وزير الثقافة بدراسة مشكلات الثقافة ، ولكن ألا ترون أنه من حقنا أن نرى نتائج هذه الدراسة في لقاءات عملية في فروع الأنشطة المختلفة ؟

ـ هذا ما يحدث في اجتماعات المجلس الأعلى للثقافة ، وأرحب بأي رأي يطرح ، أما أن أترك العمل وأتفرغ لعقد لقاءات فهذا أمر لا أحبذه . لاشك أن لمثل هذه اللقاءات فوائد ، لكنها في كثير من الحالات مضيعة للوقت .

• أنتم تتولون وزارة الثقافة في مرحلة يرتفع فيها شعار تخفيض النفقات ، ويتخوف البعض من أن تكون الثقافة ضمن خطة الترشيد .

ـ ولماذا لا تكون الثقافة ضمن خطة الترشيد ، هل هي شيء مقدس ؟ ... ، يجب أن لا ننفق إلا في ما يجدي ويعود بعائد ثقافي ، ويكون الترشيد وضغط الانفاق في ما يكون لهواً وعبثاً ، وكثير من الانفاق كان في أمور لا علاقة لها بالثقافة .

• ما هي المجالات الثقافية التي يمكن ترشيدها ؟

ـ بدلا من طباعة كتاب بورق كوشيه يكلف عشرة جنيهات ليباع بعشرين ، أطبعه على ورق الساتان الأبيض بجنيه ، وبدلاً من ارسال وفد ثقافي يتكون من عشرة أفراد ، أكتفي بواحد يؤدي نفس المهمة ، وبدلاً من ارسال وفد لحضور اجتماعات اليونسكو ، أكتفي بمندوب مصر الدائم هناك ، وبدلاً من أن تمثلنا فرقة رضا بأربعين راقصاً ، اكتفي بعشرين ، وبدلاً من استقبال الوفود الثقافية في فندق ماريوت مثلاً ، استقبلهم في فندق أكثر اقتصاداً ، وبدلاً من أن يركب الوزير عربة بعشرين ألف جنيه ، يركب عربة بعشرة آلاف ، وهذا كله انفاق ثقافي من جيب وزارة الثقافة .

• يتهمك البعض أن فترة الدراسة قد طالت أكثر مما ينبغي وأنك لم تنزل إلى الشارع الثقافي لتلمس عن قرب أمراض الحياة الثقافية ، مما أدى إلى إصابة بعض المتفائلين بالاحباط .

ـ الشارع الثقافي ـ يا سيدتي ـ هو عمري كله ، لقد قمت في أقل من شهرين بتنظيم الوزارة ، والتقيت بكل القيادات الثقافية ، ودرسنا معاً وضع الخطط وكيفية تنفيذها ، وأنجزت ما يحتاج إلى سنوات لانجازه ، قمت بتنحية اسرائيل عن معرض الكتاب ، أضفت قسم الدراسات إلى الثقافة الجماهيرية ، أعدت مشروع الألف كتاب والمكتبة الثقافية ، نطبع المفقود الذي نفد من الكتب التي أصدرتها الهيئة ، أصدرنا سلسلة كتب عن المخدرات والسموم البيضاء تباع بعشرين قرشاً ، قدمنا عدة ليال موسيقية لم تشهدها مصر منذ سنوات طويلة على مسرح الجمهورية دعونا أكبر فرق سيمفونية في اليابان ، شاركنا في مهرجان الفنون الشعبية الذي أقيم في الاسماعيلية وقد حضرته بنفسي ، كما ان الفرق التي شاركت في المهرجان جاءت وقدمت عروضها أيضاً في القاهرة ، مثل فرقة الأكروبات الصينية ، وفرقة الباليه الأسباني ، والباليه الألماني ، والأهم من ذلك أننا تسلمنا المسرح القومي ، وقد أوشكنا أيضاً أن ننتهي من تجديد معمل ستديو مصر ، فما الذي طال يا سيدتي ؟

انتهت الرحلة ـ ولم تنته الهموم .

أسجل لكم ما كتبه د . يوسف إدريس بالأهرام : « قلبي معك يا دكتور هيكل في وزارة اختلط فيها كل شيء بكل شيء » .

و .. أسجل لكم أيضاً خروجنا ـ د . هيكل والنقيب وأنا ـ من قصر « الكلاملك » ـ مقر إقامة النقيب ـ إلى قصر « الحرملك » ـ مقر أسرته ـ كان الشارع يتدثر بالليل ، وكان الليل يرتعش برداً ، وكنا نرتعش شوقاً لدفء ، ودفء ، وكان « الهيكل » ملتحفاً بعباءة النقيب يردد من شعر محمد العلائي :

لك الأمر لا يدري عبادك ما بيا
لك الأمر لا للناصحين ولا ليا

« سارة ـ القاهرة »

• أعد الأسئلة :

١ ـ إدوار الخراط
٢ ـ اقبال بركة
٣ ـ جلال العشري
٤ ـ رؤوف توفيق
٥ ـ سعد أردش
٦ ـ سمير العصفوري
٧ ـ صنع الله ابراهيم
٨ ـ عدلي رزق الله
٩ ـ فاروق شوشة
١٠ ـ محمد ابراهيم أبوسنه
١١ ـ محمود الحديني
١٢ ـ محمد جلال
١٣ ـ محمد جبريل
١٤ ـ د . نعمات فؤاد

• سجل الاعتراضات :

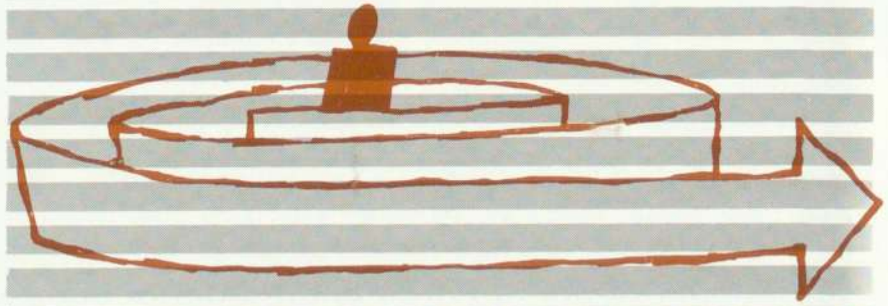
١ ـ أحمد بهاء الدين
٢ ـ د . أحمد عتمان
٣ ـ حسن شاه
٤ ـ عبدالحي أديب
٥ ـ فتحي سعيد
٦ ـ د . فتحي عبدالفتاح
٧ ـ مجيد طوبيا
٨ ـ محسنة توفيق


صنع الله ابراهيم


مجيد طوبيا

وردية ليل

بقلم : إبراهيم أصلان



كانت ورديتي الليلية الأولى ، وكنت قد لاحظت كيف أن زملاء العمل القدامى يغيبون ، ثم يعودون وقد حمل كل منهم كوباً من الشاي . وعندما سألت ، أخبرني محمود أن عامل البوفيه ، في الليل ، يكون وحده . لذلك فهو يكتفي باعداد الطلبات دون النزول بها . وهكذا طلبت منه أن يراقب الدائرة . غادرت القاعة الممتلئة بماكينات التيكرز ، وفتحت الباب ، وعبرت الصالة الطويلة حتى نهايتها ، في طريقي إلى الطابق الآخر .

التفت إلي وهو يجلس عند النافذة الكبيرة في صدر المكان ، ثم اقترب حتى وقف وراء الطاولة الرخامية التي تفصل بيننا . بدأ يعد خليط السكر والشاي الجاف في قاع الكوب ، وصب الماء الساخن من البراد الثقيل الأزرق ، وتناول الملعقة الصغيرة . لاحظت أن النافذة من هنا كانت تطل على مجمع المحاكم الكبير ، وبرج الكنيسة البيضاء ، والمدخل الأمامي لمصلحة السجون . تأملت جانب وجهه الأسمر الذي لا أعرفه . بدا غاضباً من تقليب الشاي حتى انتهى ، وضرب بالملعقة على الحافة الزجاجية مرتين ، وتطلع إلى وجهي ، ثم ابتسم .

شممت رائحة الشاي وأنا أحمل الكوب بين ابهام وسبابة يدي اليمنى من الحافة الخالية الباردة ، واستدرت في حذر حيث غادرت المكان ، ونزلت مجموعة الدرجات الأولى درجة درجة ، ثم نزلت مجموعة الدرجات الثانية ، ومشيت أمام المصلى ودورة المياه حتى أول الصالة الطويلة الضيقة ، وأخذت مكاني إلى جوار الجدار المطلي ، وما أن جاوزت المدخل الأول حتى انتبهت على وقع أقدام تتبعني ، واهتز الكوب فجأة وانسكبت رشفات منه ولسعتني ، لسعتني دفعة واحدة وتوقفت مرتبكاً وقد تلاحقت كميات الشاي التي حرقت أصابعي . ملت بسرعة ووضعته على البلاط ومسحت يدي في رجل بنطلوني . لاحظت أن الخطوات التي تتبعني قد توقفت بدورها . استدرت . كان أحد زملاء الليل يقف ورائي وهو يحمل كوباً آخر من الشاي ، يحمله بكلتا يديه . انحنيت وتناولت الكوب بين ابهام وسبابة يدي اليمنى ، إلا أنني فعلت مثله . صنعت من ابهام وسبابة يدي اليسرى ما يشبه الحلقة المفتوحة تحت قاعدة الكوب السميكة ، وبدأت أتقدم في حذر ، وبدأت الخطوات البطيئة تتبعني . وازنت خطوتي معها حتى لم أعد أسمعها . ولم يمر وقت طويل إلا ولمحت زميلاً يأتي من الاتجاه المعاكس وهو يحمل كوبه . وما أن لاحظت أنه يحمله بكلتا يديه حتى عاد الكوب يهتز مني على نحو غريب . ورغم أن الشاي في هذه المرة لم يصب شيئاً من يدي اليمنى ، إلا أنه أصاب إبهام وسبابة يدي اليسرى عند القاعدة الباردة ، وآلمني تماماً في مكان الوصل بينهما . توقفت بهدوء وأنا أغالب الألم . واستعنت مسرعاً بإصبعي الوسطى التي كانت تشارك ، على نحو ما ، في سند قاعدة الكوب من أسفل . جعلت هذه القاعدة تستقر عليه أكثر ، وأفسحت من الحلقة بالقدر الذي سمح للشاي الساخن أن يتسرب ويبرد ، وهكذا استعدت هدوئي على نحو واضح وتوقف الكوب عن الاهتزاز ، وتوقف الألم ، وبدأت أتقدم بنفس الخطوة القديمة . فعلت ذلك كله دون ابطاء لأنني أدركت من ملامستي لحافة الكوب والقاعدة ، أن المشوار ليس قصيراً ، وأنهما معرضتان مع الوقت لامتصاص حرارة الشاي ، وخايلني قادم آخر إلا أنني لم أرفع عيني وتشبثت بوقع قدمي ونجحت تماماً في ذلك . وخطر لي أن الكوب لن يعاود الاهتزاز في يدي . حتى لو حدث فإن الشاي لن يكون بنفس السخونة الماضية . وحين تزايد الزملاء الذين يتتابعون من الاتجاه المعاكس ، خطوت نصف خطوة ثم خطوة كاملة . غيرت ايقاع قدمي ، وأمكنني سماع الخطوات العديدة التي تتبعني حين بدأت تتوقف على نحو متوال ، ثم وهي تواصل سيرها ، وتوازن وقعها على وقع قدمي . مرة أخرى لم أعد أسمعها حتى انتهيت ، وتوقفت على بعد خطوة واحدة من مدخل مكتبي المردود . أعطيته جانبي الأيمن وهيأت نفسي . ثنيت ركبتي حتى لامست خشب الباب ، وجعلت من يدي اليمنى في وضع أفقي دون أن أغير من وضع أصابعي أو أهز الكوب ، ولامست الباب من أعلى بمرفقي . وعندما ملت بثقلي على الركبة والمرفق فاتحاً الباب ، كنت يقظاً ، فقد يكون أحدهم خارجاً الآن ويصطدم بي . ثبت زاوية الباب السفلى بمقدمة حذائي ، وابتعدت بجسمي جيداً ، وسحبت قدمي تاركاً الباب يعود إلى مكانه . كان محمود نائماً عند الدولاب الحديدي المفتوح . وكانت ماكينات التيكرز قد كف معظمها عن العمل . خطوت على الشريط الورقي المكوم أمام دائرتي ، ووضعت الكوب على قاعدة النافذة الطويلة المفتوحة ، وجلست أدخن وأشرب من كوب الشاى ، وأرى كيف أنها ، من هنا ، كانت تكشف قدراً آخر من سماء الليل ، وتلك المساحة الكبيرة الخالية ، والجانب الآخر من جريدة الأهرام .

عنوان هذه الدراسة ـ لاشك ـ غريب ، لكنه ـ في الواقع ـ إشارة لما جرى بين مريض وطبيب ، أو هو قصة انسان كتبت له النجاة ، بعد أن خاض معركة طويلة مع القاتل رقم واحد ، أو القاتل الأول ـ كما يطلقون عليه هذه الأيام ، وهو وصف له مايبرره ، لأن ضحاياه من البشر أكثر من ضحايا أى مرض آخر .. هذا القاتل الشرس هو مرض القلب .. وإذا كانت قصة هذا القاتل قد حدثت مع كاتب هذه الدراسة ، الا أنها لاتعنى أنها قصته هو ، بل هى قصة مئات الألوف من مرضى القلب الناطقين بالضاد ، أو قصة الملايين من سكان هذا الكوكب الذين لايزالون يعانون من قلوبهم المعطوبة ، ولعل هذه الدراسة تضع لهم النقط فوق الحروف ، فتكون نقطة مضيئة على الطريق ، فى رحلة من المرض الى الشفاء !

تقدَّم ... ولاتتردَّد فقلبك اليوم مُجَدَّد!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



شكل (١) عيناه دائما على شاشة تليفزيونية تظهر عليها خطوط مضيئة ترتفع وتنخفض فتكون مؤشرا حقيقيا لحالة قلب مريض يوجد فى حجرة العناية المركزة ، ومثل هذه الأجهزة الاليكترونية المتطورة هى احدى انجازات التزاوج بين الطب والعلم والتكنولوجيا الحديثة فساعدت على انقاذ حياة ملايين المرضى .

شكل (٢) صورة لجزء من القلب مجهز بطريقة خاصة لاظهار الأوعية الدموية ، وفى اعلاه يظهر الأورطى (اللون الأحمر) .. لاحظ كيف تخرج منه بعض الشرايين التاجية من اسفله لتنتشر وتغذى القلب (التفرعات غير الملونة هى الأوردة) .. ان اصابة احداها (أو أكثر) بالجلطة أو التصلب يسبب أزمات قلبية قد تؤدى الى الوفاة .

كان طبيب القلب (ولنرمز له بحرف س) يجلس مع بعض أصدقائه فى شرفة منزله فى انتظار انطلاق مدفع الافطار ، وقبيل انتهاء نهار هذا اليوم من شهر رمضان ، صرخ من ألم رهيب حل به فجأة ، ثم انتشر فى صدره ، وعرف بخبرته أن القاتل ـ أزمة القلب ـ قد زاره على حين بغتة .. ولقد كان طبيبنا هذا فى قمة صحته وشبابه ، لكن القاتل لا يفرق بين عليل وسليم ، أو شيخ وشاب .. المهم أن أصدقاءه قد أسرعوا بنقله الى أقرب مستشفى تخصصى ، لكن طبيب القلب لفظ أنفاسه فى الطريق !

هذا الطبيب أعرفه تمام المعرفة ، فلقد توطدت بيننا صداقة استمرت خمس سنوات أو ست ، اذ كنت أتردد عليه لاجراء كشف دورى بعد أن حلت بى أزمة قلبية ، شخصها على أنها جلطة فى أحد الشرايين التاجية ، لكنها مرت بسلام ، وهكذا قد يأتى القاتل ليقتل ، أو ليترك بصماته التى لا يمحوها الزمن على قلوبنا ، لأن الجلطة تعنى عدم سريان الدم الى جزء من عضلة القلب ، فيموت هذا الجزء من الجوع والاختناق ، ويتحول الى نسيج ليفى لا فائدة فيه ولا مأرب ، بل ينقص من كفاءة عضلة القلب !

ثم حلت بى أزمة ثانية وثالثة ، وأدخلت حجرة العناية المركزة .. أيضا للمرة الثانية والثالثة ، وكنت أتردد لسنوات على أستاذ فى أمراض القلب ، وعندما ذهبت اليه فى العام الماضى ، علمت أنه طريح الفراش من أزمة قلبية مفاجئة ، وأن حاله أصبح مثل حالى ، وعندما عدت الى عملى ، قيل لى أن فلانا الموظف الادارى قد نقل الى المستشفى بسبب أزمة قلبية ، وأن الزيارة ممنوعة ، وقبل ذلك بشهور ، جاءنى نبأ وفاة عامل فنى فى معملى ، رغم أنه كان فى اليوم السابق سليما معافى ، لكنه فى صباح اليوم التالى ، وبينما هو يستعد للخروج الى عمله ، داهمته أزمة قاتلة فى التو واللحظة .

مثل هذه القصص ـ التى عشت جزءا منها ـ تتكرر كثيرا مع من نعرفهم ومن لا نعرفهم ، ولا شك أن أحدا من قراء هذه المجلة لابد وأن يكون له أحد أقربائه أو أصدقائه أو معارفه قد أصيب بأزمة (أو ربما بعض القراء أنفسهم) .. ولهذا فان سرد بعض المعلومات فى هذه الدراسة لها ما يبررها ، فهى بمثابة مؤشرات أو توجيهات نسوقها كنوع من الترشيد ليس الا .. خاصة وأن كاتبها قد عايش أحداثها ، حتى انتهى به الأمر الى مايحب ويرضى .. أى أنه يعيش الآن بقلب مجدد !

احصاءات عالمية ودولية

الذين أطلقوا على أمراض القلب عامة ، وأزماته المفاجئة خاصة اسم القاتل الأول ، لم



تقدم ... ولا تتردد فقلبك اليوم مجدداً!

يجانبهم الصواب ، اذ يرتكزون فى ذلك على احصائيات طبية لها وزنها .. ففى مجلة العلم الأمريكية تشير بعض هذه الاحصائيات الى أن حوالى ٥٥٠ ألف أمريكى يموتون سنويا من جراء أمراض القلب ، وخاصة الناتجة من الجلطات وتصلب الشرايين التاجية ، لكن الذين تحل بهم الأزمات ، وتمر بسلام ، يكلفون الحكومة الأمريكية حوالى ٣٠ ألف مليون دولار سنويا .

وفى مجلة ديسكفر (أى الكشف — وهى مجلة علمية أمريكية) جاء أن حوالى ٢٠٠ ألف أمريكى سيتقدمون خلال العام الحالى الى مراكز علاج القلب ، بغرض اجراء عمليات جراحية ، لاستبدال شرايين القلب التالفة ، هذا وتبلغ تكلفة الجراحة للفرد الواحد حوالى ٢٢ ألف دولار فى المتوسط ، وهو مايعادل تكلفة اجمالية تقدر بحوالى ٤.٤ بليون دولار .. هذا غير تكلفة ساعات العمل الضائعة .

ومن منظمة الصحة العالمية صدرت احدى نشرات عام ١٩٨٥ ، وفيها كتب خمسة من الأطباء الروس مقالا عن أمراض القلب فى الاتحاد السوفييتى ، ولقد ذكروا فى ذلك المقال أن حوالى نصف الوفيات التى تحدث عندهم سببها أمراض القلب ، وفى عام ١٩٧٨ تسببت هذه الأمراض فى موت ٥١ ٪ من كل الأمراض الأخرى .

لكن المؤشرات تشير الى أن دول العالم المتقدم هى أكثر الدول اصابة بالأزمات القلبية ، ولهذا اعتبروه من أمراض العصر أو أمراض المدنية الحديثة ، لكن ذلك لايعنى أنه لم يكن موجودا قبل ذلك ، بل يعنى أن الحياة العصرية تختلف عن حياة الأجيال السابقة ، لأن المدنية بتعقيداتها الكثيرة ، وضغوطها الشديدة ، يصاحبها عادة مزيد من التوتر والقلق الذى ينعكس على البشر ، فيصيبهم بأزمات قلبية ، وأمراض نفسية وغير ذلك من أمراض العصر التى لم تكن منتشرة بين الأجداد الذين عاشوا فى القرون الماضية .

وماذا عن الدول النامية عامة ، والعربية خاصة ؟

للأسف لا توجد لدينا احصاءات دقيقة عن عدد المتوفين من أزمات القلب ، أو عدد الذين لايزالون يعيشون بأزماتهم .. ففى المكان الذى أعمل فيه أحصيت الذين أصيبوا بأزمات قلبية ، فتبين أن عددهم خمسة ، بالاضافة الى كاتب هذا المقال .. أى ستة من بين كل ٤٠٠ فرد ، وهذا يعنى أن النسبة أكثر من واحد بالمائة لكن دعنا نفترض أنها نصف بالمائة فقط ، وعندئذ فان عدد من يعيشون بأزماتهم القلبية فى جمهورية مصر وحدها يبلغ حوالى ربع مليون فرد (هذا غير الذين يموتون فجأة) . ولا شك أن العدد فى الدول العربية يربو على المليون ، وهو آخذ فى الزيادة ، لأن هذه الدول بدورها قد حذت حذو الدول المتقدمة ، أى أنها أخذت عنها بعض طرق حياتها ، ولابد — والحال كذلك — أن ينالها من أمراضها بقدر التقدم والضغوط الحياتية التى أخذتها عنها .

ورغم أن عدد الذين يصابون بالأزمات القلبية فى اليوم الواحد — على مستوى سكان العالم — يصل الى الآلاف أو ربما عشرات الآلاف ، الا أن هذا العدد المخيف ليس مدعاة للفزع ، لأن معظم هؤلاء الضحايا يمكن انقاذهم من أزماتهم ، خاصة اذا حدث التشخيص المناسب ، فى الوقت المناسب ، ونقل المصاب الى المكان المناسب ، ليتلقى العلاج المناسب .. ولا أحد يستطيع الآن أن ينكر التقدم الطبى والعلمى والتكنولوجى الذى يساعد كثيرا على انقاذ مايمكن انقاذه (شكل ١) ، عدا الحالات التى تباغتها أزمة قاتلة ، وهى التى تعرف باسم «السكتة القلبية» ، فيموت المصاب فى التو واللحظة فى مكانه .

بين اختيارين

والواقع أن كاتب هذه الدراسة من الفئة الأولى التى أصيبت مرارا بأزمات قلبية ، فنتج عنها جلطات سدت بعض الشرايين التاجية ، ورغم ذلك فقد عاش بها ثلاثة عشر عاما ، وطبيعى أنه كأى مريض بالقلب (وهم كثيرون جدا — كما ذكرنا) لابد أن يتبع نظاما خاصا من العلاج ، سواء من جهة أدوية مرضى القلب التقليدية ، أو من تغيير أسلوب حياته .. الى آخر هذه الأمور المعروفة .

لكن قد يحدث أن يستجيب مريض لهذا النوع من العلاج ، ولا يستجيب آخر .. صحيح أن العلاج مفيد ، لكنه — مع ذلك — لم يصل بالمريض الى النتيجة المرجوة ، بل قد يحدث العكس ، اذ يحس أن حركته محسوبة عليه ، بمعنى أنه لايستطيع أن يجابه موقفا أو مأزقا قد فرض عليه رغم أنفه ، وعندئذ قد يحس وكأنما هناك صخرة جاثمة على صدره (يختلف هذا الاحساس بين مريض وآخر) ، وهذا انذار بأن القلب واقع تحت اجهاد ، أى أن ورود الأوكسيجين اليه ليس كافيا ، أو بمعنى آخر قصور فى الدورة التاجية ، فلا تحصل عضلة القلب على القدر الكافى من الدم ، حتى تجابه الأعباء الكبيرة الملقاة على عاتقها ، ثم انها لاتستطيع أن تستريح حتى ولو للحظات قصار ، اذ لو فعلت ، فقل على الحياة السلام !

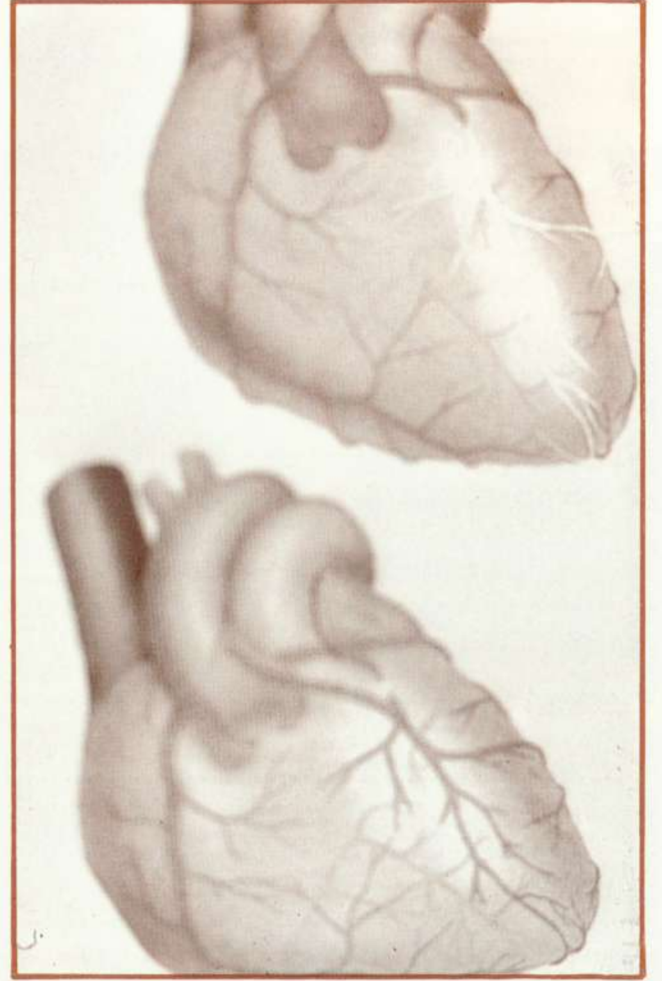
ان القلب بمثابة مضخة ماصة كابسة ، ولابد أن تضخ الدم النقى الى جميع أجزاء الجسم ، وهى تبذل فى ذلك مجهودا كبيرا ، حتى ولو سكن الانسان الى الراحة .. فرغم أن القلب فى حجم قبضة يد الانسان ، الا أنه يضخ فى كل نبضة حوالى ٦٠ سنتيمترا مكعبا من الدم ، أى حوالى خمسة لترات فى الدقيقة ، أو سبعة آلاف لتر فى اليوم الواحد (حوالى ١٦٠٠ جالون) يضخها من خلال شبكة هائلة من الأنابيب الكبيرة والمتوسطة والدقيقة تصل أطوالها مجتمعة الى حوالى ٩٦ ألف كيلومتر !

ان هذا المجهود الكبير — الذى يزيد مع زيادة نشاط الانسان — يتطلب فيضا دائما وميسرا من الدم النقى الذى يحمل له الوقود (السكر) وشعلة الاحتراق (الأوكسيجين) ، ومن أجل هذا تحصل عضلة القلب الأساسية على أنقى دم من الأورطى قبل ان يوزعه على جميع أعضاء الجسم ، وطبيعى أن يسرى هذا الدم فى شبكة من الشرايين التاجية التى تتفرع وتدق (شكل ٢) .. ولهذا فان أى ضيق أو انسداد فيها — خاصة عند منابعها أو بداياتها — كفيل باحداث اختناق فى العضلة ، فتظهر علاماتها على هيئة أعراض تعرف أحيانا باسم الذبحة الصدرية ، وقد تتفاقم الأمور ، مالم يخلد الانسان الى الراحة ، أو يضع حبة دواء تحت لسانه ، فتنفرج شرايينه ، وتسمح بمرور مزيد من الدماء ، فيحس براحة ، لكن الألم قد يعود ، اذا عاد الاجهاد .. وهذا يعنى ببساطة شديدة أن خطر حدوث مضاعفات قد لاتحمد عقباها — هى بمثابة تهديد مستمر لحياة الانسان ، أو كأنما هى كالقيود غير المنظورة التى تشل حركته ونشاطه .

ثم قد يأتى الاختيار الآخر الذى لا مفر منه ولا مهرب ، خاصة اذا كان العلاج بالعقاقير قد أصبح غير مفيد ، وهنا لابد من التدخل الجراحى اذا نصح الطبيب المعالج بذلك ، واذا رغب المريض فى ذلك أيضا .

عين ترى مالا تراه عيوننا

وفى حديثنا عن هذا النوع من الجراحة ، سوف نتعرض هنا فقط لحالات الجلطات التى أصابت الشرايين التاجية ، فأثرت على كفاءة القلب ، ويعنى هذا أن أمراض القلب متعددة .. فمنها العرضى ، ومنها الخلقى (أى خطأ أو أخطاء فى القلب أثناء تكوينه) ، ومنها الوظيفى أو الميكروبى ... الخ .



شكل (٣) شكلان للقلب يوضحان كيف يحدث الانسداد (الصورة العليا) من بداية تفرع أحد الشرايين التاجية فيتوقف فيه سريان الدم (ولهذا يظهر باللون الأصفر بدلا من الأحمر).. أما الذى الى أسفل فيوضح عملية زرع وريد بين الأورطى والجزء غير المسدود، متخطيا بذلك الجلطة، وبهذا يسرى الدم فيه من جديد.

وطبيعى أن أحدا لايستطيع أن يحدد مواقع الانسداد أو الضيق أو الجلطات بخبرته أو سماعته أو برسام القلب الكهربى .. الخ، ومع ذلك فهناك عين من عيون العلم تستطيع أن ترى مالا تراه عيوننا، وتحدد بالضبط أين حدث الانسداد، وفى أى شريان .. والطريق الى ذلك يحتاج الى قسطرة تدخل عن طريق وعاء دموى أساسى، ثم تدفع حتى تصل الى الأورطى، وأحيانا الى داخل القلب لتؤدى مهام لاتهمنا هنا فى موضوعنا، وعلى صدر المريض تنطلق الأشعة غير المرئية من جهاز خاص ـ هو أحد الانجازات العلمية والتكنولوجية العظيمة، لأنه ينقل صورة القلب وهو ينبض الى شاشة تليفزيونية، كما يوضح للطبيب أين يتجه بطرف قسطرته، وبدقته وكفاءته وخبرته الحساسة يوجه هذا الطرف الى بدايات الشرايين التاجية أثناء خروجها من الأورطى الى عضلة القلب لتغذيها، وفى كل شريان ينساب من طرف القسطرة محلول خاص (يود)، فيظهر فى الشريان التاجى كصبغة (لون داكن) .. ثم يحرك الطبيب القسطرة الى شريان ثان وثالث، وفى كل مرة تنتشر الصبغة فيه وفى فروعه، ويسجل كل هذا على فيلم حساس.

هذا ويمكن أن ترى بنفسك على الشاشة سريان الصبغة فى شرايين قلبك، فان سرت دون عائق، فالشريان سليم، وان توقفت عند منطقة من الشريان، أو كان سريانها ضعيفا لايكاد يبين، فمكان الانسداد أو الاختناق يكون حيث يتوقف سريان الصبغة (شكل ٣) .. المهم أن هذا الكشف يستغرق مابين ٤٠ ـ ٥٠ دقيقة، ويتكلف حوالى ٤٠٠ جنيه فى احدى مستشفيات القاهرة المتخصصة، وهى تكلفة قليلة اذا ماقورنت بأى بلد آخر (فى أمريكا مثلا تتكلف حوالى ألفى دولار) .. والواقع أن هذا الكشف مأمون العواقب، فنسبة الخطورة فيه لاتتعدى واحدا بالألف، أو ربما أقل، هذا رغم مايثار حوله من مخاوف وأقاويل تجعل مرضى القلب ينفرون منه دون داع لذلك.

جراحة القلب المفتوح

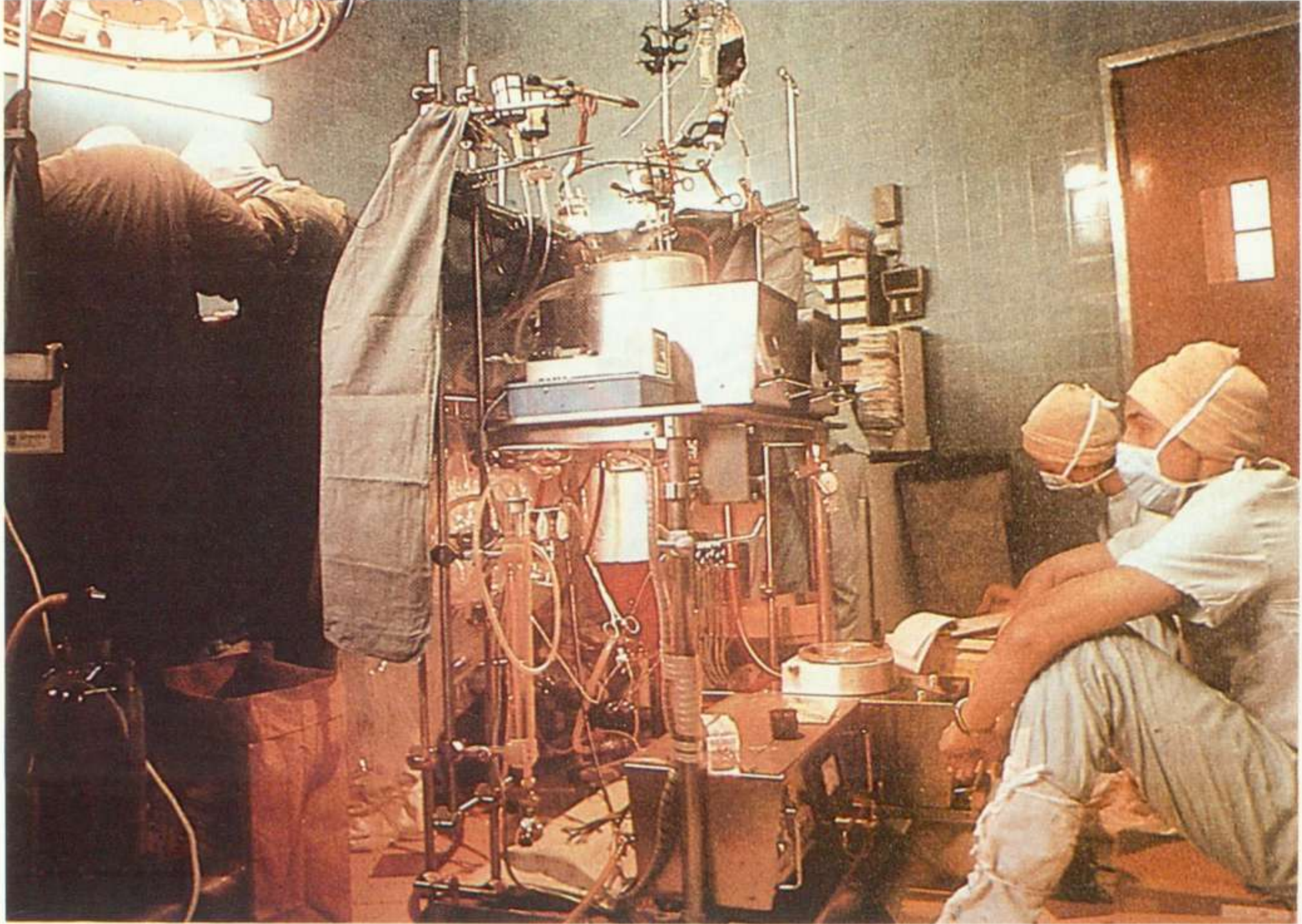
بعد أن حددت تلك العين العلمية الطريق لمبضع الجراح، وكأنما هى قد رسمت له خريطة دقيقة يعرف منها من أين يبدأ، والى أين ينتهى، فان الأمر بعد ذلك يتوقف على رأى المريض، فاما أن يحزم أمره ويتوكل على الله، واما أن يفضل أن يعيش بما يتبقى له من كفاءة قلبه، ويعتبر أن الأعمار بيد الله .. لكن معظم المرضى يقدمون على عملية جراحة كبيرة، وغالبا ماتتم فى أحد المراكز الجراحية المتقدمة، والعملية ذاتها مجهدة ومكلفة، وتتطلب رعاية مركزة، وتجريها هيئة طبية متعاونة ومتخصصة، والتمريض فيها يحتاج الى أيد مدربة ومنضبطة ويقظة، ومن أجل هذا ينصح الأطباء فى الدول النامية اجراء مثل هذه العمليات فى دول متقدمة، لكن مصاريفها باهظة، وقد لاتتحملها ميزانية الفرد العادى، وأحيانا ماتتولى الحكومات أو الهيئات نفقاتها (هى فى دول أوربا نصف تكاليفها فى أمريكا تقريبا ـ ففى أمريكا شىء من الرفاهية).

وعندما يخدر المريض، تتسلمه فرق من المتخصصين، فهناك مثلا جراح متخصص فى شق الفخذ والساق ليعزل منهما وريدا كبيرا يعرف باسم الوريد الصافينى، ولابد أن يكون مستقيما، أى بدون تعرجات أو التواءات، ثم يجزأ الى قطع مناسبة لتعامل فى محاليل خاصة، وفى هذه الأثناء تشق عظام الصدر، فيظهر التجويف الصدرى بكل تفاصيله، وبهذا يستطيع الجراح أن يعمل على حريته، لكن القلب ينبض، ولايمكن والحال كذلك أن يقوم باجراء الوصلات السليمة محل المعطوبة، خاصة وأنها عملية دقيقة وحساسة للغاية، ولابد من مخرج من هذا المأزق!

ولقد جاء الفرج على هيئة بديل، وبه يمكن ايقاف القلب عن النبض حتى تنتهى العملية، ولقد ظهر هذا البديل لأول مرة فى عام ١٩٦٧ على هيئة جهاز يعرف باسم القلب والرئة الصناعيتين (شكل ٤) .. وفى هذا الجهاز يتم تحويل الدم من القلب ومن الرئتين، فيدور فيه ليزوده بالاوكسيجين، ويخلصه من ثانى أوكسيد الكربون، ثم يدفعه فى تيار مستمر الى الجسم (وليس على هيئة دفقات كما يحدث فى القلب الطبيعى) .. وطبيعى أن يلاحظ هذا الجهاز الصناعى درجة حرارة الدم الذى يدور فيه عند معدلاتها الطبيعية.

القلب والرئتان متوقفان الآن عن العمل، ولابد أن تنتهى عملية «ترقيع» أو أحلال الشرايين فى غضون ساعة على أكثر تقدير، ففى هذه الساعة الحرجة قد تضار عضلة القلب وتختنق، فلا دماء ولا غذاء ولا أوكسيجين يصل اليها، كما أن دوران الدم فى جهاز القلب والرئة الصناعيتين ليس بالوسيلة المأمونة أو المناسبة، لأن الدم حساس لملامسة أى سطح غريب، وقد يؤدى ذلك الى احتمال تجلطه (لهذا يضاف اليه مادة الهيبارين

تقدم ... ولا تتردد
فقلبك اليوم مجددا!



شكل (٤) جهاز القلب والرئة الصناعيين، وإليه يتحول دم المريض كلية أثناء اجراء عمليات القلب المفتوح، فيدفئه ويزوده بالاوكسجين ويخلصه من غاز ثاني أكسيد الكربون، ثم يعيده الى الجسم.. ولقد ساعد هذا الجهاز على اجراء مئات الألوف من مثل هذه العمليات، وبدونه لا يستطيع الجراح أن يتم مهمته.

المضادة للتجلط).. أضف الى ذلك أن نسبة من كرات الدم الحمراء تتحلل بمرور الوقت، وغير ذلك من أمور قد تكون في غير صالح المريض، لكن مهارة الجراح، وسرعته مع دقته وحساسيته لمن الأمور الضرورية في مثل هذه العمليات الدقيقة.

أدق مرحلة.. مرحلة زرع الأوردة

كل العيون الآن مركزة على الجراح الأساسي في العملية، ومركزة أيضا على الزمن.. وتبدأ أدق مرحلة عندما يقدم اليه مساعده جزءا مناسبا من الوريد المعزول، فيزرعه في الشريان المسدود، متخطيا بذلك الجلطة التي منعت سريان الدم في بقية فروع الشريان، وتعرف هذه العملية باسم تخطى الجلطة أو الانسداد (أنظر شكل ٢، ٥).. ويمكن تبسيطها بمثال من عالمنا، وليكن ذلك في أنبوبة مسدودة لا يمكن تسليكها، لكن يمكن تخطى هذا الأنسداد بعمل وصلة قبل وبعد الانسداد، فيسري السائل فيها، وتعود الأمور الى مجاريها.

لكن عملية زراعة أو وصل الأوردة السليمة بالشرايين المعطوبة ليست سهلة كعملية وصل المواسير المسدودة، بل هي من أدق العمليات التي تحتاج الى جراح ذي كفاءة عالية، وحساسية بالغة، ومهارة هائلة.. لأنه يتعامل مع أنسجة حية وحساسة، فمن ناحية يقطع الشريان المسدود بعد الجلطة مباشرة، ثم يدخل الوريد في الجزء المفتوح، ويحيكه حياكة دقيقة، ويفعل نفس الشيء مع باقي الشرايين المسدودة، وعندما ينتهي من ذلك، يبدأ في تدفئة القلب تدريجيا، وفي هذه الاثناء يزرع الأطراف الأخرى من الأوردة (التي لازالت متحررة) في الأورطي، وطبيعي أن يشق لكل طرف ثقبا مناسبا، ويدخله فيه حتى تجويف الأورطي، ثم يحيكه بدقة بالغة.

كل الوصلات الآن قد تمت في الوقت المحدد، وآن للدورة الدموية أن تعود الى سابق وضعها، فتندفع الدماء الى القلب والى الرئتين، لكن القلب لم ينبض، ولابد من «ايقاظه» بصدمة كهربية مفاجئة، وفي التو واللحظة ينقبض القلب، ثم ينبسط.. ثم ينقبض وينبسط.. لقد دبت فيه الحركة، وتتركز العيون عندئذ على الأوردة المزروعة، وعلى آثار الدماء التي «تنز» منها، فكلما كانت قليلة، دل ذلك على مهارة الجراح، لكنها سوف تتوقف إن آجلا أو عاجلا، فهي ــ كأي نسيج مجروح ــ سوف تلتئم عندما يكون الدم

حولها شبكة منيعة (تشبه الجلطة الدموية التى تتكون على جروحنا لتمنع انبثاق الدم).

وعندما يطمئن الجراح الأول أن كل شيء على مايرام، يعود كل شيء الى سابق وضعه، بعد أن تكون هذه العملية قد استغرقت مابين ٤ ـ ٦ ساعات متواصلة، وينقل المريض بعد ذلك الى حجرة العناية المركزة، وقد لا يفيق الا بعد يوم، أو يوم ونصف يوم، وكأنما هو لم يلبث الا ساعة أو بضع ساعة، لكنه يعود الى نوم جديد، ويظل يستيقظ وينام، الى أن يعود تماما الى وعيه، فينقل الى حجرته بعيداً عن جو العناية المركزة بما فيها من أجهزة كثيرة تستقبل وتسجل وتحلل وتوضح، وكأنما هى بدورها عيون ترقب مايخفى عن عيوننا.

مناقشة مفيدة .. وتنويه واجب

على أنه من المفيد هنا أيضا أن نقدم جانبا من تلك المناقشة التى دارت بين كاتب هذه الدراسة وبين الجراح الذى قابلته أول مرة، ودون سابق معرفة، وبناء على توصية من لجنة جراحة القلب المصرية (إذ أنه اختير ليجرى لى جراحة القلب المفتوح) .. والجراح هو الدكتور محمد ذهنى فراج (٤١ سنة) الذى يعمل مستشارا لجراحة القلب بمستشفى وستمنستر الجامعي بلندن.

سألته قبل اجراء العملية عن مدى استفادة مريض القلب بمثل هذا النوع من الجراحة، فابتسم وأجاب: إن ذلك يتوقف على مدى سلامة عضلة القلب الأساسية .. فمثلها كموتور السيارة مع توصيلات البنزين (يقصد طبعا بتوصيلات البنزين الشرايين التاجية التى تغذى العضلة) .. فما دام الموتور سليما، أو فى حالة معقولة ومناسبة، فلاشك أن مشكلته تكمن فى عدم سريان الوقود الكافى اليه، وعندئذ تصبح السيارة بطيئة الحركة .. أبدل التوصيلات المسدودة، بأخرى مفتوحة، تجد الموتور يشتغل ويحس السائق أن السيارة تنطلق بكفاءة .. لكن اذا كان الموتور ذاته ليس على مايرام، فما يفيده البنزين؟

إن هذه المحادثة تعنى أن الخطأ يكمن فى إهمال مرضى القلب لقلوبهم، مما يؤدي إلى إنهاك العضلة الأساسية، ونقص كفاءتها بالتدريجية، نتيجة لتليف جزء من وراء جزء، بسبب عدم سريان الدم اليها، ومحصلة هذا التلف على مر السنين هو عجز الجسم عن الحركة، نتيجة لعجز القلب عن الضخ .. قارن ذلك بحالة البنزين وموتور السيارة .. تخرج بنفس النتيجة.

«اطمئن .. سوف تستفيد من البنزين، لأن الموتور سليم» .. قالها وهو يربت على كتفي، وأدركت المعنى، فعضلة القلب عندي سليمة أو تكاد، لكن العيب في انسداد ثلاثة شرايين .. ولقد استفدت ـ والحمد لله ـ من «العمرة» التي تمت بزرع ثلاثة أوردة سليمة بدلاً من المسدودة!

لكننا لا نسوق هذه المناقشة من قبيل تحصيل الحاصل، بل هي نوع من الترشيد لذوي القلوب المريضة حتى يتقوا الله في قلوبهم فلا يجهدوها، إلى أن يأذن الله لهم بالفرج، فيستفيدون من «العمرة» التي استفاد منها مئات الألوف في شرايينهم، وعادوا لممارسة حياتهم العادية.

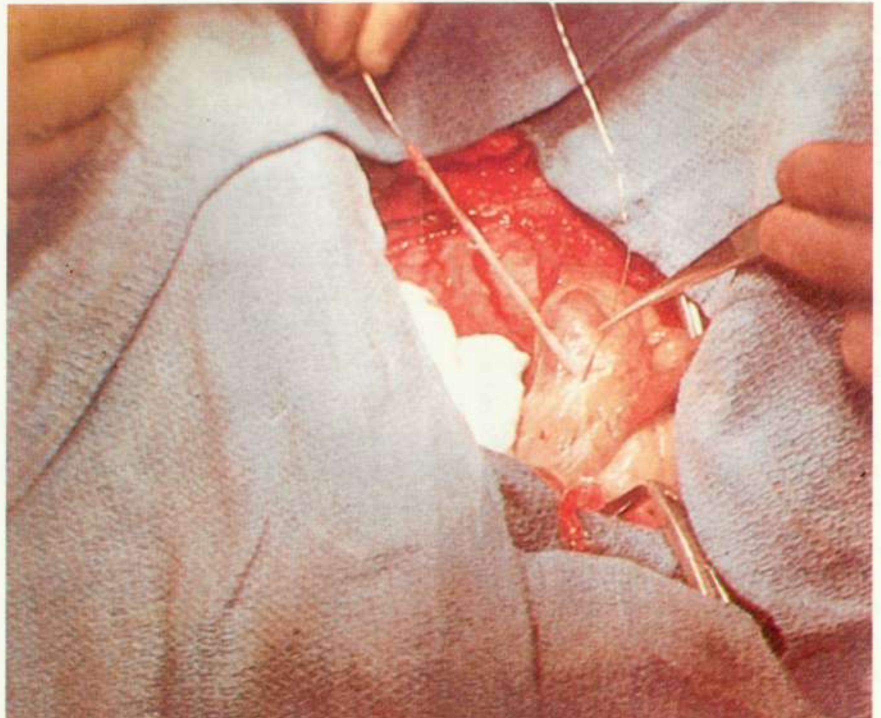
وأخيراً .. فقد يطرأ على الذهن هنا تساؤل: ما سبب حدوث هذه الجلطات المفاجئة، وهل يمكن تجنبها؟ .. إن هذا السؤال كبير، وسوف نؤجل الاجابة عليه لدراسة قادمة، فلعل فيها ترشيداً وفائدة.

لكن لا يفوتنا ـ في نهاية هذه الدراسة ـ أن نشكر الله على ما أفاء من نعمة الشفاء، وأن ننوه بما يحققه الدكتور ذهني فراج من انجازات عظيمة في هذا المجال، وهو ـ بلاشك ـ وجه مشرف لأمته العربية، فلقد استطاع أن يشق طريقه بالجهد والمثابرة والتحصيل، حتى أثبت وجوده عن جدارة، وهو لم يتخط من العمر الثلاثين، فكان أن منحته جامعة أدنبرة زمالة كلية الجراحين الملكية، ثم حصل على نفس الزمالة من جامعة لندن وعمره بالكاد ٣١ عاما!

لكن ما أسعد المريض الذي يتقابل وجهاً لوجه مع الجراح الذي انتشله من أزمته، ثم يتحدثان بلغة مشتركة، ويتطلعان إلى آمال مشتركة .. ولا أنسى بسمته وقوله عندما رآني أتحرك بعد العملية في حجرتي بثلاثة أيام .. «ما شاء الله، اليوم أنت زي الفل» .. فينشرح الصدر، وتطمئن النفس .. ولاشك أن العامل النفسي يساعد على سرعة الشفاء، وقد كان، اذ عدت إلى أرض الوطن بعد أسبوعين من اجراء الجراحة، رغم أنه من المفروض أن يبقى المريض شهراً .. لكنها رعاية الله، واستجابة المريض، ومهارة الجراح، «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» صدق الله العظيم.

عبدالمحسن صالح

شكل (٥) أدق مراحل العملية: مرحلة زرع الأوردة. وفى الصورة تظهر بعض أيدى الفريق الجراحى. وقد بدأ كبيرهم زرع الوريد (الى اليسار) فى الأورطى. بينما يعاونه مساعده فى ذلك.



قصّة المِجْهَر

"الميكروسكوب" وفضله على العلم والطب والبشرية



رونالد دوس



باستير



بقلم : الدكتور عزالدين فراج

بـدأت قصة اختـراع المجهـر « الميكروسكوب » منذ أكثر من ثلاثمائة عام ، وذلك في بلاد هولندا ، حيث كان أهلها يتقنون صناعة العدسات . وكان في طليعة هؤلاء « هانزيانس » .

قام « هانز » بوضع عدسة في منظار ، وراح يفحص بها البراغيث ، فرأى البرغوث مكبراً ، فعجب مما رأى ، وأخبر الناس به ، فجاءوا مسرعين إلى منظار البراغيث ، مدفوعين بحب الاستطلاع .

وجاء « فان لوفينهوك » واستطاع أن يصنع أول مجهر صغير عام ١٦٧٠ ، وفحص شعيرات صوف الماعز ، فبدت له كأنها خيوط خشبية ، ثم قام بفحص قطرات من ماء المطر فوجدها صافية تماماً ... وترك ماء المطر على النافذة وأعاد فحصه ، فوجده مملوءاً بكائنات حية غاية في الصغر ، تتحرك في هذا الماء وكتب (فان لوفينهوك) إلى الجمعية الملكية البريطانية ، يصف لها كشفه الجديد ، فطالبته هذه الجمعية باستمرار العمل في هذا المجال .

والمجهر في أبسط أنواعه يعتمد على عدستين محدبتين ، أولاهما أكثر تحدباً من الثانية ، تسمى العدسة الأولى (العدسة الشيئية) وهذه العدسة القريبة من الشيء المراد فحصه ، وهي تكون صورة مكبرة ومقلوبة للجسم الدقيق الموضوع في المجهر والمراد مشاهدته . وتسمى العدسة الثانية « بالعدسة العينية » .

لقد استطاع العلماء بالمجهر وعدساته أن يشاهدوا عالماً جديداً من كائنات غاية في الصغر ، كان من الصعب أن يشاهدوها بالعين العادية .

ولولا المجهر وقدرته على تكبير هذه الميكروبات الخطرة والضارة لما استطعنا أن نحمي أنفسنا من أخطارها .

وبفضل المجهر « الميكروسكوب » عرف باستير وأعوانه أنواعاً كثيرة من الكائنات الحية الدقيقة التي لا ترى بالعين العادية . راقبوا تحركاتها وأطوارها وأضرارها ومواضع وجودها وطرق تكاثرها ووسائل انتقالها ، وكانت هذه الدراسات طريقاً إلى درء أضرارها وأخطارها .

روبرت كوخ وميكروب الكوليرا

دخل « روبرت كوخ » ، ذات ليلة على زوجته ، وقد غابت الابتسامة عن وجهه وهو يقول :

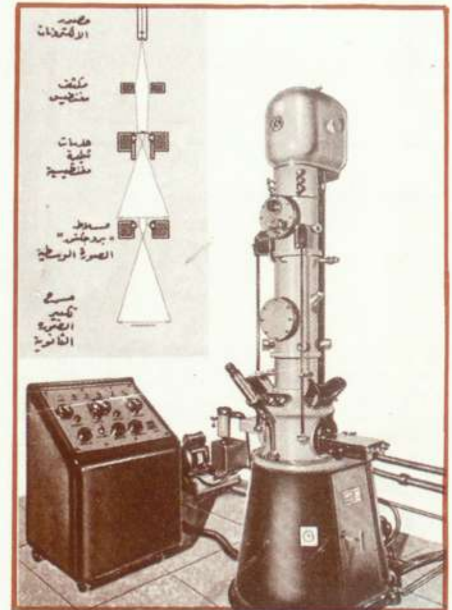
لقد غدوت أمقت عملي الطبي ، فهأنذا أرى كل يوم أطفالاً يموتون بين يدي .. وأرى أمهات يأتين إلي باكيات راجيات أن أنقذ أطفالهن وأولادهن من شبح الموت الذي كان يخيم حولهن .. في مقدوري أن أقدم لهؤلاء الأمهات الارشادات والتوجيهات ، وأكتب لهن دواء يوقظ فيهن الأمل في شفاء فلذات أكبادهن .. كنت أشعر عندما أفعل ذلك بأنني أتقاضى أجراً على أمل أمنحه لمرضاي ، فتقول له زوجته :

وما ذنبك أنت ؟

فيقاطعها روبرت كوخ بقوله :

لابد من عمل بحث دقيق ... لابد من عمل علمي كبير ، لكي أكشف عن موطن العلة ومنبع الداء . إذا أردت علاج هؤلاء المرضى علاجاً أطمئن إليه من أعماق قلبي .

وفي عيد ميلاد روبرت كوخ الثامن والعشرين دخلت عليه زوجته تحمل بين يديها هدية .. وهي لاتدري أنها بهديتها هذه قد خلقت له مجالاً مليئاً بالمغامرات ، وهي لاتدري أيضا أنها فتحت أمامه آفاقاً جديدة لخدمة البشر والبشرية ، وهي لا تدري أنها بهذه الهدية جعلته يفكر في أن يترك طريق الفحص التقليدي للمرضى ، ويبحث عن الأسباب الحقيقية المسببة للمرض .



مجهر الكتروني مبكر

كانت هذه الهدية مجهراً .. والمجهر للطبيب الباحث كالمدفع في يد الجندي ، به بدأ يغزو عالم الكائنات الدقيقة المسببة للأمراض .

وفي عام ١٨٨٣ فرت الكوليرا من مخابئها في الهند إلى وادي النيل بحالة وبائية مخيفة أيقظت أوربا في خوف بالغ . فقرر « روبرت كوخ » أن يأتي إلى وادي النيل بحثاً وراء ميكروب الكوليرا الذي يفتك بالبشرية من غير رحمة أو هوادة .

قال له أهله :

نخشى عليك يا روبرت من هذا العدو المجهول الذي لا نعرف له شكلا ولاأين يختبئ . فأجابهم على الفور : لابد من الرحيل .. إما أن يختطفني هذا المرض أو أكشف عن حقيقته وكيانه وسببه . وجاء روبرت كوخ إلى القاهرة وكان وباء الكوليرا قد بلغ مداه ، واندفع في هذا الجو الخطر ، يبحث عن ضالته المنشودة ليلاً ونهاراً ، ومن غير انقطاع .

وسافر بعد ذلك إلى كلكتا بالهند ، وهناك كشف ميكروب الكوليرا ، وأثبت أنه ميكروب واوي الشكل لا يتكاثر إلا في أمعاء الانسان والماء الراكد القذر ، وشرح خواص الميكروب ووسائل الوقاية منه .

المجهر وكشف طريق انتقال عدوى الملاريا إلى السليم

وجاء سؤال كان يشغل اهتمام الأطباء وقتئذ يقول :

« كيف ينتقل الطفيل المسبب للملاريا إلى دم السليم ويسبب العدوى ؟ » .

تقدم الدكتور « رونالد روس » للاجابة على هذا السؤال ، فانتقل الى الهند حيث كان يموت الملايين بالملاريا كل عام ، وكان « روس » يرى آلاف المرضى يموتون ويتساقطون حوله كالذباب .

أخذ « روس » يواصل البحث لكي يصل إلى الطريقة التي ينتقل بها الطفيل وينتشر بها المرض ، ولم يكن يملك من أدوات البحث سوى مجهر صغير ، ولكن كان يحمل بين جنبيه عزيمة قوية وإرادة صلبة .

وظل « روس » يتابع تشريح البعوض دون ملل ، وفي يوم ٣١ أغسطس ١٨٧٨ شاهد بعوضة من صنف لم يره من قبل ، فأمسكها وفحصها ، فوجدها من فصيلة تعرف « بالانوفيلس » ، وهذه الكلمة معناها المؤذي أو الضار ، وأخذ « روس » يعمل على تشريح هذا البعوض الجديد ، الواحدة بعد الأخرى ، حتى تهتدىإلى طفيل الملاريا في أنسجة هذا البعوض .

وأخذ الدكتور « روس » يتعقب حياة هذا الطفيل المسبب لمرض الملاريا بمجهره خطوة بعد خطوة ، من معدة هذا البعوض حتى فمه ولعابه فعرف الطريق الصحيح لانتقال عدوى هذا المرض .

وعلى ضوء هذه النتيجة العلمية ، رسم العلم طريق الوقاية من طفيل المسبب للملاريا والذي يحمله بعوض الانوفليس ، كان هذا كله بفضل المجهر « الميكروسكوب » الذي أضاء الطريق أمام هؤلاء العلماء .

وبهذه المجاهر « الميكروسكوبات » غزا العلم عالم الميكروبات وحاصرها وأخضعها لارادته ولخير الانسانية .

المجهر الالكتروني

واستمر التحسين في المجاهر « الميكروسكوبات » حتى اخترع الميكروسكوب الالكتروني الذي يقوم على فكرة استخدام أشعة من الالكترونات ، بدلاً من استخدام الأشعة الضوئية ، لتوضيح الأشياء الدقيقة جداً واضاءتها أمام العين وقد بلغت قوة تمييز هذا المجهر أزيد من أحسن مجهر ضوئي بخمس مرات .

وتمكن العلماء في عام ١٩٤١ من استخدام المجهر الالكتروني في تصوير فيروس الانفلونزا لأول مرة .

وتقوم فكرة المجهر الالكتروني على حقيقة مؤداها أن الالكترونات موجاتها أقصر بكثير من الموجات الضوئية مما يزيد في قوتها زيادة كبيرة ، ومعنى هذا أن استخدامها يؤدي إلى اظهار المزيد من الجزيئات الصغيرة جداً في الكائنات الحية المتناهية الصغر بل وفي الجوامد أيضاً .أما « العدسات » فهي مكثفات أو ملفات تعمل عمل العدسة الشيئية وعمل جهاز ضبط البؤرة ، أما العدسة العينية فهنالك شاشة وهاجة تقوم مقامها .

هذه هي الطريقة التي يسلكها شعاع الكتروني صادر من مهبط متوهج ليكبر أشياء متناهية الصغر . هكذا يكبر جرثومة موضوعة على شريحة . عندما تلقي الالكترونات الأجزاء الصلبة نسبياً من الجرثومة تتوقف عندها . أما الأجزاء اللينة فانهاتجتازها وتصل إلى الشاشة الوهاجة أو سطح لوح حساس للتصوير الفوتوغرافي .ولما كانت الالكترونات لا تتحرك إلا في وسط مفرغ من الهواء ، وتعجز عن اختراق الزجاج ، فلابد أن يخلو طريقها من الهواء ومن الزجاج .

وقد تعددت أشكال المجاهر الالكترونية وتطورت وتنوعت ودخلت قطاع البحث العلمي في ميادين العلوم الطبيعية والكيماوية وفي العلوم الطبية وميادين الصناعات المختلفة .

المجهر والبحث العلمي والبحث عن الجناة

ولا يقف فضل المجهر « الميكروسكوب » عن فضله في مجال الطب وفروعه ، بل هو سلاح للباحث والعالم في كل المجالات ، حتى أننا نستطيع أن نتعرف بفضل المجاهر « الميكروسكوبات » فيما وصلنا اليه من حقائق علمية وماأدت إليه هذه الحقائق من اختراعات .

وللمجهر فضل مشهود في مجال البحث عن الجريمة ومرتكبيها ، فبفضله عرفنا الجناة بفحص بقع دمائهم وبصماتهم وبقايا شعورهم وكل ما تركوه في مكان الجريمة حتى أن الجناة يعملون له كل حساب قبل أن يفكروا في ارتكاب جرائمهم والاقلاع عنها

لهذا كله فالمجهر للباحث والعالم خير صديق ، وهو في يده كالقلم في يد الكاتب وكالسلاح في يد الجندي .



من روائـــع
الفن العالـــمي

بقلم: جمـــال قطـب

فتنة الربيع

في استعراضاتنا المتتالية لمدارس الفن العالمي من خلال إبداعات الفنانين العظام، رأينا أن القرن التاسع عشر كان أكثر فترات التاريخ ازدحاما بتحولات المسار الفني وظهور المدارس والتغيرات الجديدة المتعاقبة، وما إن حل النصف الثاني من ذلك القرن حتى وجدنا سيلا من النزعات المستحدثة: التأثيرية ومابعدها من الأساليب التعبيرية والرمزية والمستقبلية والوحشية .. ثم ظهرت مع مطلع القرن العشرين الأساليب ذات الطابع الخاص، أو بمعنى آخر، طغت شخصية الفنان وعالمه الخاص على حركة الابداع، وبذلك بدأت مرحلة (الفن للفنان)، وتوالت عوالم التكعيب والتجريد والسيريالية ومتاهات ماوراء الطبيعة واللاشعور والأحلام وغيرها من الأبحاث الذاتية الغارقة في الفردية ..

وقد يظن أن هذه الاجتهادات والتسابق الفردي اللاهث كانت هي طابع المناهج الفنية عند جميع الفنانين في مختلف أنحاء المعمورة .. وهذه فكرة خاطئة ــ وإن كانت ترسخ في أذهان الكثير من الفنانين ذوي الثقافات المحدودة ــ لأن أي بحث في أي فرع من فروع المعرفة يحمل بصمات صاحبه، يدخل في تاريخ الفكر الإنساني، ولكن ليس بالضرورة أن يفرضه على غيره ممن يعنون بنفس اهتمامه .. فمدارس الفن كلها ــ قديمها وحديثها ــ تسير في خطوط متوازية، وتكون بمثابة روافد لنهر الإبداع الكبير .. ولكل فنان حقه في حرية إختيار أسلوبه ومنهجه الذي يحسه ويرتضيه لنفسه .. وليس في الفن قديم أو حديث أو متخلف أو متطور، طالما كان تعبيرا مخلصا جادا معالجا بتقنيات فنية واعية مدروسة .. لأن الصراعات في هذه النزعات المستحدثة ماهي إلا اجتهادات في طريقة الأداء (التكنيك)، أما المضمون الذي تحتوي عليه الفنون، فهو ذات الفنان وثقافته وتأثراته ونفسيته وفلسفته ورؤيته الخاصة .. يعبر بها بأي أسلوب وبأية طريقة دون افتعال أو تصنع أو تقليد، وحينئذ يكون إنتاجه فنا خالصا ليس في ذلك شك ..

ومما حدا بي إلى أن أسوق هذه التقدمة، أننا بصدد الحديث عن فنان من ألمع فناني التاريخ وأكثرهم نصيباً من الشهرة والتألق .. ومع ذلك، وبالرغم من أنه عاش فترة التحولات الخطيرة في النصف الثاني من القرن الماضي وأوائل القرن العشرين، إلا أنه لم ينزع إلى أي من المدارس الفنية المستحدثة التي توالى ظهورها في تلك الفترة الخطيرة.

إنه الفنان، هولندي الأصل، بريطاني الثقافة والابداع والانتساب العضوي حتى أصبح يمثل الفن الفيكتوري البريطاني في القرن التاسع عشر أروع تمثيل، إنه لورانس ألما تاديما.

ويذكر قراؤنا أننا عندما استعرضنا سويا روائع الفنانين الانجليز على هذه الصفحات من قبل، قلنا إن الفن البريطاني ــ بصفة عامة ــ كان ملتزما كطبيعة الانجليز أنفسهم .. وليس من اليسير أن يقتني هذا الفن أثر النزعات الحديثة التي كانت تتمركز في فرنسا آنذاك دون أن ينبع التجديد من داخل الفنانين أنفسهم، ولذلك رأينا لورانس ألما تاديما «اسمه الهولندي الأصلي ألما تاديما، وقد أضاف إليه اسم لورانس عرفانا بفضل الوطن البريطاني الجديد» رأيناه ملتزما أشد الالتزام بأسلوبه الواقعي الطبيعي دون أي شطط أو لجوء إلى المعالجات التأثيرية أو التجريدية أو غيرها .. بل إنه أقرب إلى الكلاسيكيات الجادة الرصينة وجماليات الفنون الاغريقية الرشيقة، بل أضاف إليها رقة ودقة وتأنيا في رسم التفاصيل والدقائق المذهلة .. ومن شدة ولعه برسم المسطحات الرخامية الملساء بواقعية معجزة، أطلق عليه اسم Marble Artist

ولكن مايميز فناننا من بين عباقرة الفنانين الكبار، هو ميله إلى دراسة قصص التاريخ القديم، وبخاصة حياة الاغريق والرومان والفراعنة .. حتى انه في عام ١٨٦٣، حصل على الجائزة العالمية (الميدالية الذهبية) عن أحد معارضه الخاصة التي عرض فيها خمسا وعشرين لوحة تمثل الحياة الفرعونية .. ومازالت هذه الروائع تعتبر مرجعاً فنيا تاريخيا لتجسيد الواقع الفرعوني في أروع صورة عرفها تاريخ الفن الحديث. وعندما سئل الفنان عن سبب شغفه بالجمال الفرعوني وتسجيل الحضارة الفرعونية، كانت إجابته الشهيرة: «إن أول مايلقن للطفل في دراسته عن الحضارات الأولى هو الحضارة المصرية القديمة، بل إننا كلما درسنا منابع العلم أو الفن، وجدنا أن هذه المنابع ماهي إلا روافد لنهر النيل العظيم حيث ظهرت الحضارة الفرعونية كمنارة لحضارات العالم الأخرى!».

وتوالت إبداعات تاديما عن فنون الحضارات القديمة، وتألق اسمه كفنان عالمي يعيش في العصر الحديث بعد أن تلاشت إبداعات العمالقة في عصور النهضات الفنية التاريخية الكبرى، وحصل على الجائزة الذهبية الكبرى مرات عديدة كان أولها عن معرضه الفرعوني في عام ١٨٦٣، وآخرها في أوائل هذا القرن عام ١٩٠٦..

ولاغرو أن استأثر لورانس ألما تاديما بمتحف لأعماله يحمل اسمه الشهير في قلب العاصمة البريطانية .. ويعتبر متحفه هذا مزاراً فنياً عالمياً بجانب المتاحف الكبرى التي تحوي آيات العبقرية الانسانية عبر عصور التاريخ.

وعلى الصفحة المقابلة .. لنتأمل سويا ملامح فنه الرومانسي الرائع الجميل .. ولنتمثل في أذهاننا جماليات الفن التشكيلي .. التي هي أولا وأخيرا لمسة حانية متألقة في وجدان البشرية!



تنشر الدوحة هنا الكلمة البديعة والقيمة التى ألقاها الأديب العربى الكبير الطيب صالح فى مهرجان التليفزيون العربى الذي أقيم فى تونس فى الشهر الماضى ، وقد فازت قطر فى هذا المهرجان بجائزتين عن المسلسل التليفزيونى « الدالوب » وعن مسرحية العرائس من « كليلة ودمنة » .

وقد كان الطيب صالح رئيسا للجنة التحكيم فى المهرجان التى تكونت من الفنانة الكويتية سعاد عبد الله والناقد التونسى صالح الحاجة ، والأستاذ رياض نعسان أغا :

الطَّيِّب صَالح :

أمَّتُنا تَتُوق إلى التّواصُل وليس إلى القطيعَة

أما بعد فإن الواجب الذي كلفنا به اخواننا في اتحاد اذاعات الدول العربية كان واجبا جسيما ، إذ من ذا الذي يرضى طواعية واختيارا أن يتولى مسؤولية الحكم ، أقصد الحكم في المسابقات ، وقد أسمونا المحكمين ، وفي رواية : المحكمون ، يعني الحكام . ورغم أن الحكم الذي آل الينا ليس فيه حكم بالغرامة أو بالحبس أو بدفع الضرائب أو... وهذا يحدث في حالات نادرة بالطبع ، الحكم بالاعدام ، أقول رغم ذلك فهو حكم على كل حال .

ثم نجمت مشكلة أخرى ، هؤلاء الجماعة ، الأخت والاخوة في لجنة الحكام ، عقدوا أمرهم بليل وتواطأوا بعضهم مع بعض على أن يجعلونى رئيسا لهم ، « ياسبحان الله » ، يا جماعة هذا « ما يصير » .. يا جماعة انني لا أملك أية مؤهلات للحكم ، ناهيك أن أكون رئيسا للحكام . وهكذا صرت حاكما بلا قانون .

نحن من أطراف العالم العربى ، وأنتم القلب ، أنتم مراكز الاشعاع ، ونحن وإياكم كما كان بين المهاجرين والأنصار حين قالوا لهم : « منكم الوزراء ومنا الأمراء » .

وهكذا مضت أحوالنا من « مملكة سنار» نخط في سطور التاريخ العربى على استحياء ، ونهمس في آذان اخواننا في مشرق العالم العربى

لقطة من مسلسل « الدالوب » الذى صور فى قرية « المغير»



ومغربه همسا لا يكاد يبين ، بعد كل عشرة أو عشرين عاما تقوم عندنا ثورة : « هكة صغيرة وزوينة » كما يقول اخواننا التونسيون ، يقتل فيها الرجل والرجلان والعشرة لا أكثر ، ثم نعود لسيرتنا الأولى .

نسارع بذراعنا وقدحنا ، كما نقول بلهجتنا ، في أفراح الأمة العربية وأتراحها من بعيد لبعيد . وقد قال شاعرنا : العاقل من يأخذ منها ما تعطيه على استحياء : لعله يقصد الأمة العربية ، والغافل من ظن الأشياء هي الأشياء .

أما أن نكون زعماء ورؤساء .. أعوذ بالله .

مرة واحدة خرج أحد حكامنا في العهود المتأخرة أيام دولة المهدية — عن طوره فكتب الكتب وأرسل الوفود الى الملوك والرؤساء العرب يدعوهم الى بيعته ، حتى الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى تلقت كتابا من الخليفة عبد الله التعايشي يدعوها الى الاسلام والبيعة ، فتحفظ بذلك دمها ومالها ، وطبعا لم تكترث به الملكة فكتوريا ، ولا اكترث به الملوك والرؤساء .

طبعا توجد شواذ لهذه القاعدة مثل الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . إنما الدكتور محيي الدين هذا نسيج وحده . ولا كل من لبس العمامة يزينها ولا كل من ركب الحصان خيال ، ولا كل سوداني محيي الدين صابر .

هذا وثمة سر لابد أن أبوح به : الأمانة تقتضي أن أبوح به . ذلك أن اخواننا فى اتحاد اذاعات الدول العربية حين جاءوا بي الى هذا المهرجان لعلهم كانوا يقصدون شخصا آخر . البعض منكم يعلم بحكم دواعي المهن ، على الأقل : أن ثمة شخصا ما من السودان يعمل في حقل الاعلام وهو الآن موظف فى منظمة اليونسكو « ذاكم » هو أنا ، ويوجد شخص آخر يكتب و« الله أعلم » الروايات أو الشعر .

أذكر أننى كنت فى لندن حين كتب الناقد المصرى الكبير رجاء النقاش مقالة عن هذا الكاتب ، وقابلنى انسان لطيف يعرفنى ، أو هكذا خيل لى ، قال لى : هل أنت صالح أبو الطيب ؟ قلت لا والله ، أنا الطيب صالح ، ولكن لماذا ؟ قال لى : قرأت فى « المصور » مقالة عن شاعر سودانى اسمه صالح أبو الطيب صدر له ديوان شعر عنوانه : « هجرة الجنوب الى الشمال .. أو شيء من هذا القبيل .

لذلك أرجو ألا يكون اخواننا فى اتحاد اذاعات الدول العربية قد أرادوا صالح أبو الطيب ، فجاءهم الطيب صالح وحينئذ يكون حالي وأنا أقف بينكم الآن كحال المرأة البدينة في برنامج شهير في التليفزيون البريطانى . هذه السيدة ليس لها أي دور ، ولا تظهر في البرنامج اطلاقا ، ولكنها في نهاية البرنامج تظهر فجأة وتبعد كل الممثلين والممثلات



الفنانة الكبيرة سعاد عبدالله

وتتلقى هي تحية الجمهور .

ان الواجب الذي كلفنا به اخواننا في اتحاد اذاعات الدول العربية كان واجبا جسيما ، لكن سرنا ما لقينا من اخواننا فى الاتحاد واخواننا في مبنى الاذاعة والتلفزة التونسية الذين هيأوا لنا المناخ المناسب للمشاهدة .

وسوف يسعدنا أكثر ويجعل لمهمتنا مغزى ومعنى أن تتقبلوا أحكامنا بصدر رحب ، وبروح رياضية ، ولا حاجة بي الى التأكيد أننا توصلنا الى النتائج التي توصلنا إليها حسب اجتهاداتنا بموضوعية كاملة دون اغراض أو هوى .

ما هو الهدف أصلا ؟

ليس الهدف كما أتصور أن يفوز التليفزيون الفلاني بالجائزة الفلانية ، هذا حسن في حد ذاته ، ولكن الأحسن منه هو أن يتكون مع مرور الزمن من هذه الملتقيات حسٌّ عربي متجانس ووعي مهني يحسن استغلال هذه الوسيلة الاتصالية الخطيرة في خدمة المثل العليا والأهداف الكبرى للأمة العربية .

هذه الأمة من الواضح جدا أنها تتوق الى التواصل وليس الى القطيعة ، الى التجمع وليس الى الشتات ، الى التعاطف والتراحم وليس الى البغضاء واثارة المحن والأحقاد ، الى النهوض والعمل وتنسم هواء الحرية الطلق ، الذي دعا إليه شاعر تونس العبقرى أبو القاسم الشابى :

« ومن يتهيب صعود الجبال
يعش ابد الدهر بين الحفر »

ويسعدني أن أقول اننا وجدنا في كل ما شاهدناه من أعمال دون استثناء هذه الدعوة الى الخير ، ولقد أحزننا غياب بعض التليفزيونات العربية في هذا المهرجان ، لبنان مثلا للظروف المؤلمة التي نعرفها جميعا ، واسمحوا لي أن أحيي لبنان في شخص ممثلته سميرة بارودي التى أضفت عليه روحا وسيمة بحضورها .

واسمحوا لي أن أحيي لبنان في شخص المخرج انطوان ريمي الذي تشرفت بالعمل معه في هذه اللجنة ، واننا واثقون ان لبنان الذي أخرج جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وفيروز سوف يقوم من عثرته ، ويعيد اكتشاف طريقه المضيء على قمم جباله الشماء ، ان كلمات المحبة والعطاء والاخاء والتسامح كلمات اكتسبت عمقا جديدا في لغتنا المعاصرة بفضل لبنان ، وأحرى باللبنانيين الا يحرموا أنفسهم مما أعطوه لغيرهم .

كذلك فإننا للأسف لم نشاهد أعمالا من اليمن شمالا وجنوبا ولا من السودان ولا من الصومال ولا من موريتانيا ، ولا شك أن لدى هؤلاء الاخوة ما يستحق أن يشاهد .

سيداتي وسادتي : بعض الأعمال التي شاهدناها كان النص فيها بمثابة شخص نحيل ، يرتدي ثوبا فضفاضا . وقد أحزننا أحيانا أن نجد قدرات هائلة في التمثيل والتقنيات المساعدة تذهب هدرا لأن النص لم يرق الى مستواها .

أيها الجمع الكريم أرجو أن تسمحوا لي قبل اعلان النتائج أن أحيي باسم لجنة التحكيم وباسمكم جميعا ولا شك فنانة ذات موهبة كبيرة أضفت على هذا المهرجان من روحها وألقها وروائها حيوية ولطفا ، وطوال وجودها في هذا المهرجان كانت تستقبل اعجاب المعجبين والمعجبات بفنها بتواضع ، ورغم كل ما قدمت من أعمال متميزة فهي ما تزال تنتظر العمل الذي يتسع لموهبتها الكبيرة .. إنها سعاد عبد الله .

وقد كان بودي أن أحيي أصدقاء عزيزين في هذا الجمع لولا ضيق الوقت مثل أستاذنا وإمامنا حجة عصره في فنون الاعلام والاتصال سعد لبيب ، ومثل أخينا حسين العويدات الذي يجمع الى العلم روح الفكاهة ويصدق فيه قول الحسن بن هانئ ، وليس أبى الطيب أحمد بن الحسين :

وخدين لذات معلل صاحب
تقتات منه فكاهة ومزاحة

لقد صحبته في بنغازي ، ودمشق فكان نعم الرفيق ، وهو الى جانب مواهبه المتعددة خير من يصوغ القرارات والبيانات الختامية وبوسعه أن يصوغ القرارات لأي اجتماع قبل أن يبدأ .

وأخيرا بهذا أعلن أن الحكومة التى تشرفت برئاستها ولم تدم مدة حكمها الا بضعة أيام قد أنهت مهامها ، وأعلن لكم استقالتها .

ونحن كسائر الحكومات لابد أننا أرضينا بعض الناس وأسخطنا بعض الناس ، لكننا لم نفعل هذا عن عمد ، إنما المهم هو أننا نسير الى الأمام . التليفزيون العربى مثل الأمة العربية قد وجد الطريق الصحيح وهو سائر عليه ، ولابد أن نبلغ الهدف ، والله سبحانه وتعالى يثبت أقدامنا على طريق الخير والحق والعدل .

على طريق النهضة في قطر

أقدم خريطة للبحار السبعة

بقلم: درويش مصطفى الفار

أهل هذه البلاد ، بدواً وحضراً ، جزء أصيل من الأمة العربية الاسلامية منذ أن وصلتهم نعمة الرسالة الخالدة ، فى ركاب الصحابى الجليل ، العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه ، سنة ست (أو ثمان) بعد هجرة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكان ملكهم حينذاك ، المنذر بن ساوى ، من بنى تميم ، أسلم وحسن إسلامه ودعا القوم فتركوا عبادة النار والأوثان والخيل وكل طقوس الأديان التى سبقت الاسلام ....

ومنذ فجر التاريخ ، صاغت مشقات حياة البحر ، نقلا للتجارة ، وصيداً للسمك وغوصاً على اللؤلؤ ، وصعوبات حياة الصحراء ، جرياً وراء الكلأ ، واجتيازاً بالقوافل دروب الجزيرة العربية على سعتها ، وأطرافها للتجارة ، قبل الاسلام وبعده ، فاكتسبوا تهذيب الطباع وحسن المعشر والوداعة ، والانتماء بالوفاء للعروبة والاسلام والأسرة الإنسانية قاطبة ...

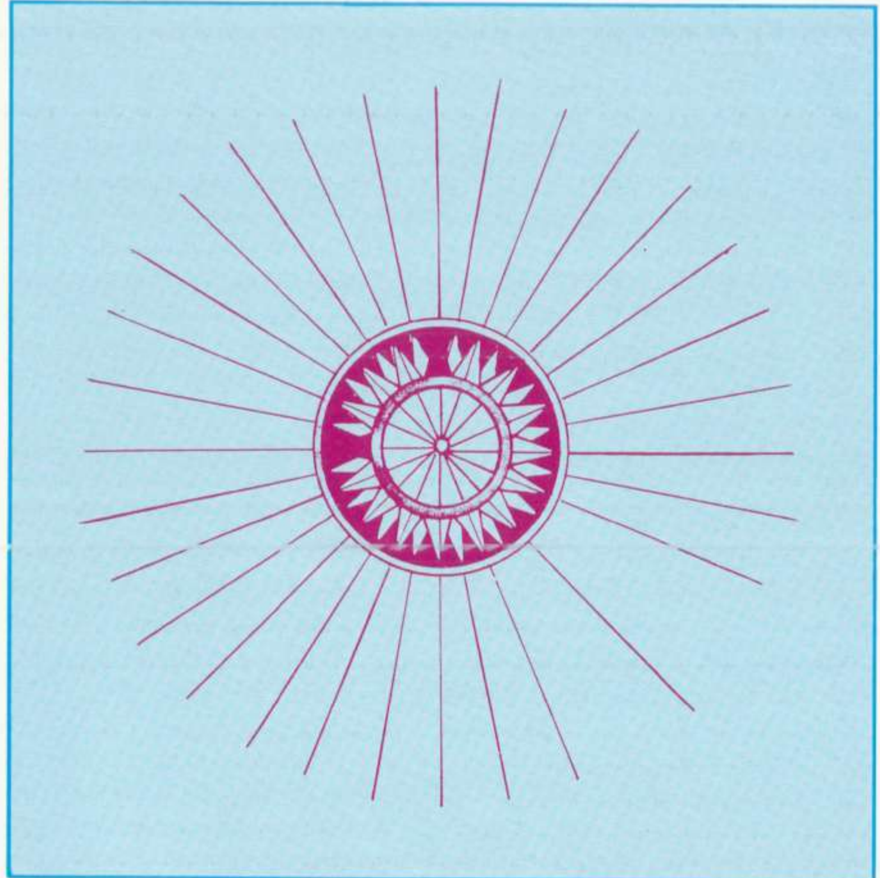
ومن هنا نجد الدولة فى قطر ، تجسيداً لهذه الطباع ، لا تألو جهدا ، ولاتدخر وسعا ، فى مضمار تنمية علاقاتها الحضارية البناءة ، مع مختلف شعوب الأرض وخاصة الجماعة العربية والاسلامية ...

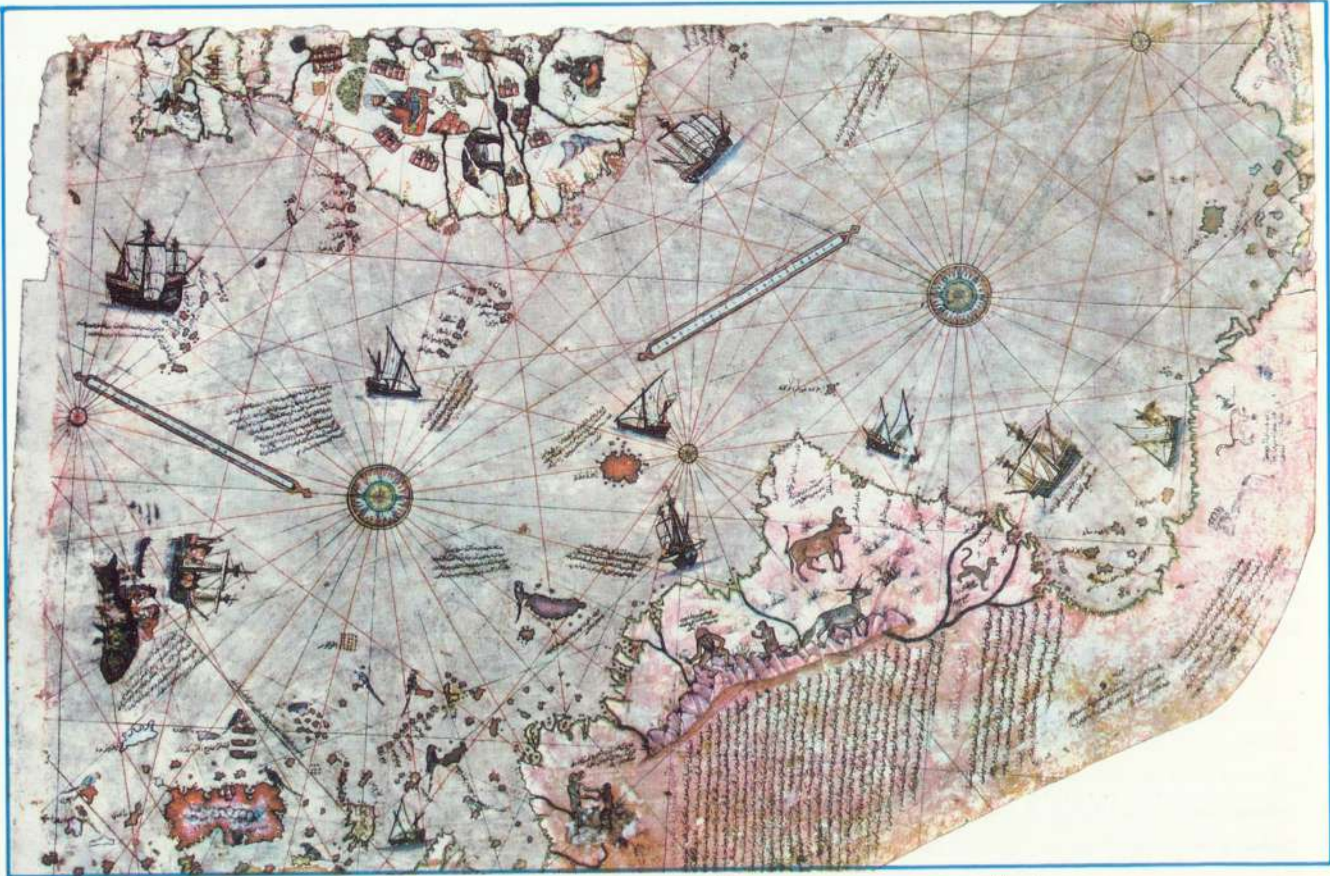
فكانت زيارة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر للجمهورية التركية فى ربيع سنة ١٩٨٥ ، تدعيما لتلك الفلسفة ، وإحياء للعلاقات الأخوية بين شعبين مسلمين ، على طريق النهضة والأخذ بالأسباب لإقالة شيء من عثار هذه الأمة .

وعقب تلك الزيارة الكريمة ، أهدت السفارة التركية بالدوحة — مشكورة — مجموعة من المؤلفات العلمية القيمة ، الى مكتبة متحف قطر الوطنى ...

وكان من بين ما أهدى ، رقعة من خريطة للعالم ، رسمها ضابط بحار تركى سنة

وردة الرياح كما وردت فى خارطة « بيرى رايس » للساحل الأمريكى





جزء من خريطة «بيرى رايس» يبين المحيط الأطلنطى بشاطئيه .. لاحظ الكتابة التركية بالحروف العربية

١٥١٣م ، تشتمل على منطقة المحيط الأطلنطى بشاطئيه ، الأفريقى الأوروبى ، والأمريكى ، مرسومة بطريقة علمية ، أجمع الباحثون والمدققون فى وثائق التاريخ ، على أنها ، غير مسبوقة ، وأنها تمتاز عن كل ماسبقها بالدقة المتناهية وصحة القياسات ، وأن ذلك البحار التركى المسلم الشاب ، محيي الدين بيرى بن الحاج محمد ، والذى اشتهر فيما بعد باسم (بيرى رايس) كان بلا منازع ، أبرع أهل زمانه فى رسم الخرائط..

ولد محيي الدين بيرى رايس بن الحاج محمد فى (غاليبولى) فيما بين سنة ١٤٦٥ و سنة ١٤٧٠ ...

وأهل غاليبولو ، التى يسميها الأوروبيون (غاليبولى) إثر هزيمة الحلفاء المنكرة فيها فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ينشأون فى الماء كالتماسيح ، مهودهم السفن والقوارب ، لاينام الطفل منهم إلا بعد أن يشهد هذه الأمواج وتملأ أذنيه بأنغامها ، فلا غرابة أن يكون منهم بحار يرسم أول خريطة دقيقة للعالم ..

التحق محيي الدين بالعمل البحرى مع خاله (كمال رايس) فأخذ اسمه بعد أن ثبتت جدارته ، وكان التحاقه وهو فى سن الثانية عشرة ، وظل يعمل تحت إمرة خاله القائد البطل زهاء أربعة عشر عاما متصلة ، جاب فيها كل المعروف من الطرق البحرية فى زمانه ، وألّف كتابه عن (البحرية) ورسم خريطة العالم من حصيلة أعماله الشخصية فى التخريط ، وماجمعه من أعمال من سبقه من مشاهير رواد البحار السبعة ..

ولعل ظهور رجل مثل (بيرى رايس) دليل لكل ذى عقل ولب ، على أن الدولة العثمانية لم تكن مجرد دولة سيف وحرب وغزو ، بل انها بكل تأكيد كانت دولة حضارة ، تأخذ بالأسباب ، وتقدر العلم حق قدره ، وتشجع المعرفة ، وتتيح الفرصة لكل إنجاز علمى أو تقني أو فنى ، حتى اذا اعتراها مايعترى الدول والأمبراطوريات من شيخوخة وهرم ومؤامرات ، انتهت ... فنحن نعلم أن الدولة العثمانية قامت لتحمل لواء المسلمين على أثر ما أصاب دولة السلاجقة من تدهور ، وأنها خلال ستة قرون من الزمان مرت فى أربعة أطوار ، لكل طور مايميزه ..

الأول : طور الإنشاء والتكوين فيما بين سنة ١٢٩٩ ، ١٤٥٣م ، وهو عام فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح رحمه الله رحمة واسعة ..

الثانى : طور النمو والازدهار فيما بين سنة ١٤٥٣ ، عام فتح استانبول ، ١٥٧٩ وفى غضون هذا الطور ظهر (بيرى رايس) صاحب أول خريطة (صحيحة) للعالم ببحاره السبعة ، بما فيها المحيط الأطلنطى (بحر الظلمات) بشاطئيه ...

الثالث : طور الاضمحلال والترهل ، بسبب الترف والإفساد والنزاعات الداخلية والمؤامرات الخارجية والانكماش الفكرى ، فيما بين سنة ١٥٧٩ ، ١٧٩٢ ...

الرابع : طور التحلل والنهاية ، فيما بين سنة ١٧٩٢ ، ١٩٢٠ ...

والذى يدلك على روعة الطور الثانى ، طور الازدهار ، أن بيرى رايس أهدى خريطته عندما فرغ من إنجازها الى رأس الدولة ، سلطان البرّين وخاقان البحرين ، السلطان سليم سنة ١٥١٧ ، كما أهدى مؤلفه الموسوعى (البحرية) الجامع لعلوم البحار وفنون الملاحة ، الى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٨ ، ولاقى من كل منهما كل مايلقاه العلماء الممتازون من الحكام المستنيرين العظماء ، على مر التاريخ ، من تبجيل وتقدير واحترام ...

ويرجع الفضل فى اكتشاف خريطة بيرى رايس سنة ١٩٢٩ الى الأستاذ خليل إيلديم ، مدير المتاحف الأثرية بتركيا ، عندما كلفته حكومة الجمهورية بتحويل (قصر توبكابو) الى متحف ..

وتصادف وجود الأستاذ (بول كاله) الذى كان أستاذا للاستشراق فى جامعة بون الألمانية ، والذى كان أول من حقق هذه الخريطة علميا فى مؤتمر للمستشرقين فى

أقدم خريطة للبحار السبعة

سبتمبر سنة ١٩٣١ بمدينة لايدن الهولندية .. وكتب عنها الأستاذ كاله تحقيقا علميا ثانيا سنة ١٩٣٢ ، وتبعه الأستاذ الألماني دايزمان بتحقيق أعم وأشمل فى برلين سنة ١٩٣٣ .

ولقد رفعت بيرى رايس جدارته وعلمه فى رتب البحرية العثمانية حتى أصبح (أمير البحر) أو الأدميرال القائد للأساطيل العثمانية فى البحر الأحمر والبحر العربى الجنوبى وخليج عمان ...

لوّن بيرى ريس خريطته ، بعد أن رسمها على الرق (جلد الغزال المدبوغ) وكتب عليها ملاحظاته ، وجملها بالرسوم ، التى كانت مألوفة فى زمانه على الخرائط فيقول فى كتابه البحرية ، إنه بعد أن حول مقاس الرسم للخرائط التى سبقت زمانه الى مقياس رسم واحد ــ وهذا يدل على سعة علمه فى الرياضيات والفلك ــ اتّخذ ما اصطلح عليه الناس فى زمانه من رسم المدن والقلاع باللون الأحمر ، والأماكن الخالية من الناس بخطوط أو نقاط سوداء ، والشواطىء والبحار الضحلة بنقاط حمراء ، والصخور التى تحت سطح الماء بعلامات مصلبة ... ومن الغريب الملفت للنظر فى خريطة بيرى رايس ، أن كثيرا من الأماكن على الساحل الأفريقى للأطلنطى تحمل أسماء تركية من مثل (اكبورون) أو الرأس الأبيض و (يزلـبـورون) أو الـرأس الأخضر و (كيزيلبورون) أو الرأس الأحمر وغيرها ...

كتب بيرى رايس فى ملاحظاته على خريطته :

« هذه الخريطة رسمها بيرى بن الحاج محمد وابن أخت كمال رايس فى غاليبولو فى شهر محرم سنة ٩١٩ هـ ، أي فيما بين ٣/٩ ، ٤/٧ سنة ١٥١٣ م »

وكتب فى ملاحظاته على الشاطىء الأمريكى الجنوبى مايلى :

« هذه السواحل أكتشفت سنة ٨٩٦هـ (١٤٩٢م) واكتشفها أحد (الكفار) من جنوا . وكان اسمه (كولومبو) . وكان قد وقع فى يده كتاب قديم مكتوب فيه أن هنالك فى آخر البحر الغربى (الاطلنطى) من الغرب توجد سواحل وجزر زاخرة بكل أصناف المعادن والأحجار الكريمة . ولما استوعب هذا الرجل ماذ ذلك الكتاب جيدا ذهب الى أمير جنوا ومعاونيه وطلب منهم تجهيز سفينتين ليذهب الى تلك البلاد الغنية فقالوا له : أيها الرجل المجنون ان البحر الغربى ليس له نهاية وان أبخرته مليئة بالظلمات . فلما يئس كولومبو من معونة أهل جنوا ذهب الى ملك أسبانيا وشرح له ماعلم من الكتاب القديم ، ولكن الملك لم يستجب له بادىء الأمر ، ولكنه ظل يلح عليه حتى وافق وجهز له سفينتين قائلا : ياكولومبو ، اذا كان ماتقول صحيحا فلسوف أجعلك (قبودانا) على تلك البلاد . وكان الغازى كمال رايس (خالد بيرى) قد أسر بحارا اسبانيا ممن رافقوا كولومبو فى رحلات ثلاث . وقال ذلك الأسير ان الرحلة بدأت من جبل طارق فى اتجاه جنوبى غربى لمسافة أربعة آلاف (ميل) فشاهدنا جزيرة فى مواجهتنا وكان البحر هادئاً ، وكان النجم القطبى الشمالى يختفى رويدا رويدا ، وبدأت تظهر لنا مجموعات من النجوم لم نعرفها من قبل ورسونا على شاطىء الجزيرة تلك فجاء أهلها وأمطرونا بوابل من السهام ومنعونا من النزول الى البر ، وكان الرجال والنساء يتعاونون فى قذفنا بالسهام وكانت رءوس سهامهم مصنوعة من عظام الأسماك ، وكانوا كلهم عراة ، فأبحرنا صوب الشاطىء الآخر للجزيرة حيث وجدنا قاربا ، كان أصحابه قد فروا منه عندما شاهدوا سفينتنا الضخمة فأخذنا ذلك القارب ، فوجدنا فيه لحم آدميين ، فعرفنا أن أصحاب القارب من الناس الذين يتصيدون البشر ليأكلوا لحومهم . وشاهد كولومبو جزيرة أخرى فاقتربنا منها حيث وجدنا ثعابين هائلة فلم نجرؤ على النزول الى البر ، وظللنا فى سفينتنا راسين حوالى سبعة عشر يوما ، فلما شعر أهل الجزيرة أننا لانريد بهم سوءا جاءونا بكمية من السمك اصطادوها بقوارب لهم صغيرة ، فأعطيناهم بعض (الخرز) الزجاجى ثمنا له ، وكان كولومبو قد قرأ فى الكتاب القديم أن أهل تلك الأصقاع مغرمون بالخرز . وواظب السكان على مدنا بالأسماك نظير الخرز . وفى يوم شاهدنا سوارا من الذهب مع امرأة فأعطيناها بضع خرزات وأعطتنا ذلك السوار ، ففرح الناس وعادوا لنا بكميات من الذهب ليأخذوا بدله الخرز ، فاستدللنا على أن جبالهم غنية بمعدن الذهب . وفى يوم آخر رأينا مع أحد الأهالى بعض اللؤلؤ فاستبدلناه منه بشىء من الخرز أيضا فسر سرورا بالغا وتكاثر علينا من يستبدلون اللؤلؤ الثمين بالخرز الزجاجى !!! وأكتشفنا أن محار اللؤلؤ يوجد بكثرة فى مياه ضحلة حول تلك الجزيرة !!! وأحضر الأهالى لنا أيضا كمية من الأخشاب الفاخرة ، وكنا نفهم لغتهم فكنا نتفاهم بالاشارات ، وحملنا كل ماأخذناه الى الملك فى اسبانيا . وأرسل الملك معنا فى الرحلة الأخرى نفرا من القساوسة والشعير . وكان الناس هنالك بلا دين ويمشون عراة وينامون كالبهائم . وقد أطلق كولومبو أسماء مختلفة على الأماكن هنالك » ... ولما كان كولومبو من الخبراء المرموقين فى القياسات الفلكية ، فلقد أخذت عنه فى خريطتى هذه مواقع السواحل والجزر المختلفة ...





بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الصفحة الأولى من كتاب « البحرية » الذى كتبه « بيرى رايس » فى القرن السادس عشر الميلادى .

وبذلك يؤكد بيرى رايس أمانته العلمية ، ويعطي كل ذى حق حقه .. كما أنه لم ينس أن يذكر بعض الخرافات متهكما مما وجده على خرائط للبحارة البرتغاليين حيث يصفون الغيلان والثيران ذوات القرون الستة والثعابين التي لامثيل لها والحيوانات وحيدة القرون !!!

ثم يختم ملاحظاته فيقول :

« فى هذا القرن (يقصد أوائل القرن ١٦ الميلادى) لاتوجد خريطة كهذه فى العالم . ولقد رسمتها يد هذا العبد الفقير وتمت بحمدالله . ولقد استقيتها عن حوالى عشرين مصدرا ابتداء من (المابا موندى) المنسوبة للاسكندر ذى القرنين الى مارسمه البحارة العرب الأفذاذ و (الكفار) البرتغاليون كمارسمه كولومبوس للشاطىء الغربى للبحر الغربى » ...

وأعجب مافى خريطة (بيرى رايس) حتى الآن هو أن المسافات عليها تطابق أحدث الخرائط المعروفة فى أيامنا هذه ... والمطلوب الآن التحري والتدقيق لمعرفة ماهو الكتاب الذى ذكر بيرى رايس أن كولومبوس قد استدل بقراءته على سر وجود أمريكا وماحول شواطئها جنوبا وشمالا من الجزر ، لأنه ليس من المعقول أن يظل العرب زهاء سبعة قرون فى الأندلس دون أن يحركوا سفنهم لسبر أعماق ونهاية المحيط الأطلنطى ، بحر الظلمات ، وأن اكتشاف الدنيا الجديدة سنة ١٤٩٢م (وهى سنة اندحار العرب من الأندلس) هكذا صدفة . فلابد وأن كولومبوس قد أخذ شيئا من تراثنا لم نتعرف عليه بعد !!!

درويش مصطفى الفار

بقلم: الدكتور محمد البهي

الـــروح

• يرى بعض المفسرين أن كلمة « الروح » ترد في بعض آيات القرآن الكريم بمعنى: « النفس » أو القوة الخفية في الانسان، التي تقابل البدن، ويعطى هذا البعض من المفسرين .. المثل على ذلك: فيما جاء في سورة الاسراء في قول الله تعالى: « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (الاسراء: ٨٥).

ولكن اذا استعرضنا مفهوم: « الروح » في آيات الذكر الحكيم .. نرى أنه لا يعطى هذا المعنى الذي ذهب إليه بعض المفسرين من أنه: القوة الخفية في الانسان والمدبرة لبدنه، لأنه معنى جاء به الفكر الاغريقي وعرف استعماله بين المسلمين، بعد القرن الثالث الهجري. وإنما يعطى هذا المفهوم — الروح — في الكثير الغالب .. معنى: الوحي. أو معنى: الملك الخاص الذي أرسل بالوحي، وهو: جبريل.

• ففي الآية السابقة: « ويسألونك عن الروح .. » .. يراد بالروح: الوحي. إذ بقية هذه الآية، وكذلك مابعدها من آيات ثلاث، تفيد: أن الروح هنا هي وحي الله بالقرآن الكريم، نقرأ — لتوضيح ذلك — قوله تعالى: « ... قل: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا. ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك، ثم لاتجد لك به علينا وكيلا (أي لاتجد لك من يقوم وكيلا ونائبا عنا في شأن الوحي واستعادته بعد أن نذهب به ونمحوه)، إلا رحمة من ربك، إن فضله (أي بالوحي بالقرآن اليك وتثبيته في نفسك) كان عليك كبيرا. قل: لئن اجتمعت الانس والجن (أي القوى الظاهرية والمرئية، والأخرى الخفية التي لاتعرف في الوجود) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (أي سندا وساعدا) ... » (الاسراء: ٨٥ — ٨٨).

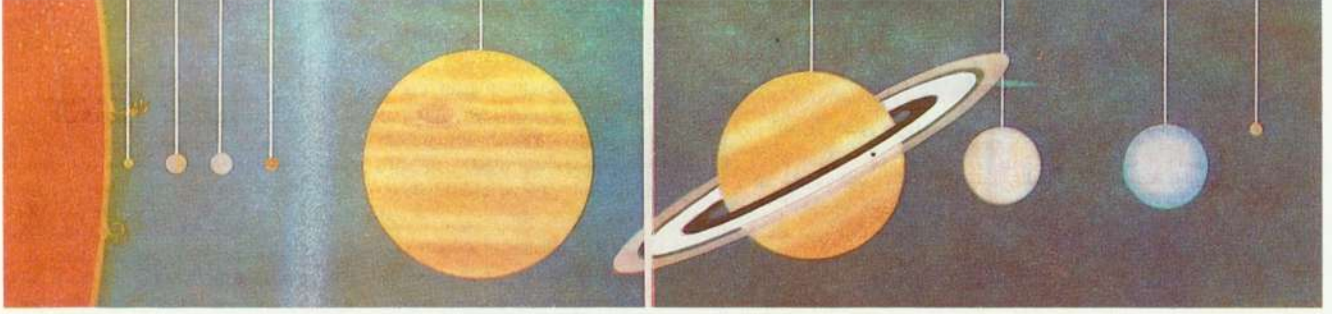
فالتنصيص على أن الروح من أمر الله، واقتران ذلك بالحديث عن علم الانسان وأنه قليل بالقياس الى علم الله، ومصاحبة هذا وذاك: لذكر فضل الله بالوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم، وإعلان تحدى كل القوى في الوجود في أن تأتي بمثل القرآن الموحى به، مهما تساندت واشتركت متعاونة فيما بين بعضها بعضا، هذا كله يرجح في وضوح: أن المعنى بالروح هنا، هو: الوحي بالقرآن الكريم.

ونظير ذلك قوله تعالى: « ينزل الملائكة بالروح من أمره (أي بالوحي) على من يشاء من عباده: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون. خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون » (النحل: ٢، ٣). وقوله: « ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم (يخاطب المشركين الماديين في يوم الجزاء) وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير. هو الذي يريكم آياته، وينزل لكم من السماء رزقا، وما يتذكر إلا من ينيب. فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، رفيع الدرجات، ذو العرش، يلقي الروح من أمره (أي يلقى الوحي وينزله) على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ... » (غافر: ١٢ — ١٥) وقوله: « وآتينا عيسى بن مريم البينات (أي الآيات والأمارات الدالة على رسالته) وأيدناه بروح القدس (أي بالوحي بالانجيل) ... » (البقرة: ٨٧).

• وتأتي « الروح » أيضا بمعنى: الملك. ويقصد به جبريل عليه السلام. على نحو ماورد في قول الله تعالى: « نزل به الروح الأمين (أي الملك جبريل) على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين » (الشعراء: ١٩٣ — ١٩٥).

وفي قوله: « يوم يقوم الروح (أي جبريل) والملائكة صفا، لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال: صوابا. ذلك اليوم الحق، فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا » .. (النبأ: ٣٨ — ٣٩). وفي قوله: « إنا أنزلناه في ليلة القدر (أي أنزلنا القرآن). وماأدراك ماليلة القدر؟ ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح (أي جبريل) فيها بإذن ربهم من كل أمر (القدر: ١ — ٤) ... » وفي قوله « فاتخذت (أي مريم) من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا (أي جبريل) فتمثل لها بشرا سويا. قالت: إني أعوذ بالرحمن منك، إن كنت تقيا (أي متخفيا) قال إنما أنا رسول ربك، لأهب لك غلاما زكيا (يعني به عيسى عليه السلام) ... » (مريم: ١٧ — ١٩).

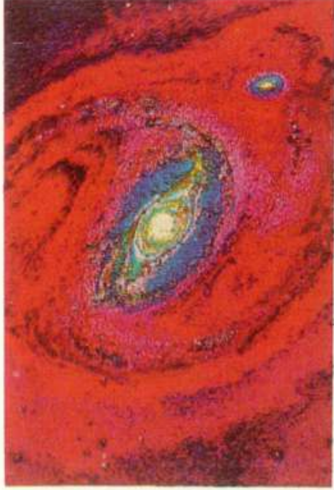
... وهكذا يتردد معنى: « الروح » في آيات القرآن الكريم بين: الوحي بالكتاب، وملك الوحي ورسوله، وهو جبريل، إذ الحديث عن الروح بمعنى النفس أو القوة المدبرة للبدن لا شأن له بالهداية الإلهية حتى يكون من تعاليم القرآن. إنما هو من شأن الانسان عندما يفتش في ذاته، ويختلف في تحديد عناصر الذات، حسب ثقافته ومدى إدراكه.



رسم توضيحي لكواكب المجموعة الشمسية ، يعطي فكرة مقارنة عن أحجامها وعن ابعادها من الشمس



تصور القدامى النجوم المتقاربة مثل لبن مسكوب على الأرض تلمع قطراته فسموها «الطريق اللبنية»



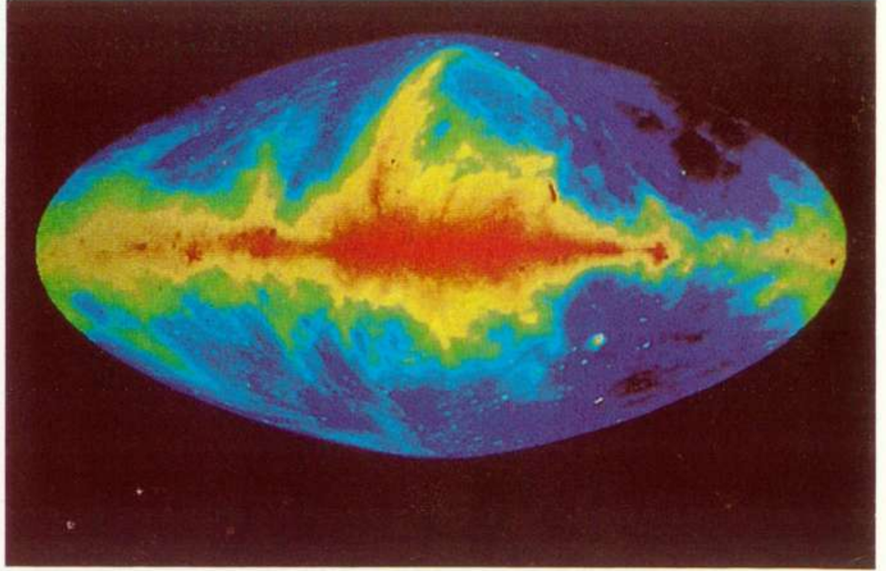
مجرتان في أعماق الكون

الإنســـان يتـــطــلع إلى ..
أعماق الكون

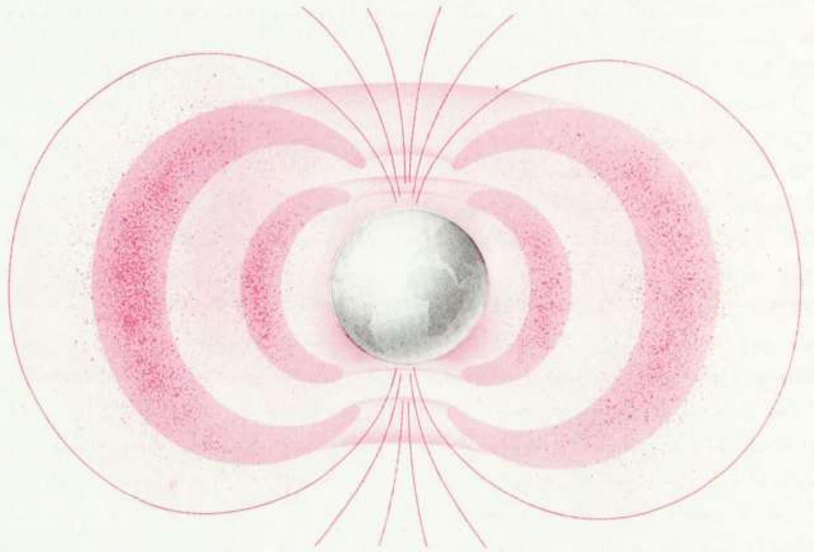
بقلم : المهندس سعد شعبان

منذ تطلع القدامى إلى السماء ، وأجرامها ، وهم يستشعرون أنها تحوي كثيراً من الأسرار ، لأن أعماقها الغائرة بعيدة عن الأنظار تسرح حولها الخيالات ولا يعرف الإنسان عنها إلا القليل . ولذلك ارتبطت في الماضي أشكال أجرام السماء بالأساطير والقصص الخيالية . لكن في كل العصور إهتم بالتطلع إلى أعماق الكون العقلاء والحكماء ، وسرحوا بفكرهم في أصلها وتكوينها ونهايتها .

- جهود علمية خارقة لمعرفة أسرار الكون
- رسالة من البشر إلى سكان المرّيخ لغتها الرسم والإشارة
- أول تلسكوب للفضاء ينطلق سنة ١٩٨٦



الطريق اللبنية مجمعة بالأشعة اللاسلكية على مدى خمسة عشر عاماً



أدى اكتشاف « حزامي فان آلن » إلى أثر عميق في تفسير كثير من الظواهر العلمية تفسيراً صحيحاً

ولقد عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » .

ولم تخل حضارة من الحضارات من تصور القبة الكونية المحيطة بأرضنا . فعلى سبيل المثال تصور قدماء المصريين السماء على هيئة المعبود « توت » وهو ينحني على الأرض التي يمثلها معبودهم « سب » ويفصل بينهما سيد النور والهواء « شو » .

وعلى هذا النحو عاش القدامى في حيرة وتخبط يرصدون أجرام الكون ويربطون حياتهم بدوران ما يظهر منها وهم لا يدرون من أمرها إلا القليل . ولذلك ارتبطت دراسة علم الفلك على مدى عصور طويلة بأفكار كهنوتية وحرمت على غير رجال الدين في أغلب الدول التي انتشرت فيها المسيحية .

ورغم أن الاسلام حرك أفكار المسلمين إلى حقائق كثيرة إلا أن هذه الشحنة من الحقائق لم يقيض لها الإنتشار السريع في أوربا المسيحية ، حتى ظهر إلى الوجود في القرون الوسطى أعلام حركوا الفكر الانساني باكتشافاتهم ونظرياتهم فبدلوا كل الأفكار التي كانت سابحة مع الأوهام عن حركة الأجرام الكونية وارتباط الأرض بها والظواهر الفلكية التي نراها من الأرض . ونخص بالذكر منهم الفلكي البولندي « كوبرنيكس » الذي نفى في عام ١٥٤٣ ميلادية أن تكون الأرض مركزاً للكون ، كما كان يشاع من قبله . ونفى أن تكون الشمس والسيارات الأخرى في حركة دائرية حول الأرض . بل عكس الفكرة وقال بأن الأرض تدور هي والسيارات الأخرى حول الشمس ، فعرفت من بعده « المنظومة الشمسية » وعلى هذه الأسس الجديدة عرفت قوانين حركة الكواكب .

وأتى من بعده بسنوات قليلة « تيخو براهي » الفلكي الدانمركي الذي تحول بعلم الفلك من الخيالات إلى احترام الحقائق التي تعتمد على الرصد والقياس والاحصائيات وظل يتابع الرصد عمراً طويلاً بلغ ٣٥ عاماً حتى توفى عام ١٦٠١ ميلادية . وتبعه تلميذه الرياضي الألماني « كبلر » الذي استنتج من قياسات سابقة أدق القوانين عن حركة السيارات ، وحصرها في ثلاثة قوانين تحدد معالم هذه الحركة ، فأطاح بكل الأفكار الخاطئة عن دوران الكواكب وكان أهم ما توصل إليه أن السيارات تدور حول الشمس في مدارات بيضاوية وليست دائرية ، وأن سرعاتها على هذه المدارات ليست منتظمة ، بل تتغير بتغير قرب أو بعد الكوكب عن الشمس وما زالت قوانين « كبلر » الذي توفى عام ١٦٣٠ ميلادية راسخة وثابتة بلا تبديل ولا تعديل حتى الآن .

وكان العالم الفيزيائي الايطالي « جاليليو » قد توصل عام ١٦١٠ ميلادية إلى صناعة المنظار المقرب باستخدام العدسات والمرايا واستطاع أن ينفذ به إلى رصد القمر فأكد عدم استواء سطحه ، ووجهه إلى الكواكب المعروفة آنذاك وكانت عطارد والزهرة والمريخ وزحل والشترى . فاكتشف أن حول بعض هذه الكواكب أقمار أصغر منها حجماً وأن كوكب زحل يتمنطق بحزامين يبعدان عنه قليلاً كما رصد للقمر وجهاً واحداً ، وقال بأن الآخر لا يمكن أن يظهر لأهل الأرض نتيجة لدورانه حول محوره . ونتيجة جرأته في إعلان أفكاره على مجمع كرادلة روما فقد زج به في السجن حتى كف بصره وتوفى عام ١٦٤٢ ميلادية ، وظل يردد قبل موته « وستظل الأرض رغماً عن ذلك تدور » فقد كان الاعتقاد حتى ذلك الحين

أعماق الكون

أن الأرض لا تدور ، ولكن الشمس هي التي تدور حولها .

وأتى من بعده « نيوتن » الذي أثرى الحياة بنظرياته عن الجاذبية الأرضية والتجاذب بين السيارات ، فأرسى قواعد دوران السيارات حول الشمس ، حتى توفى عام ١٧٢٧ .

وخلف نيوتن الفلكي الألماني « هرشل » الذي عني بتجويد صناعة العدسات الزجاجية والتدقيق في صقلها ، ولقد كشف هرشل عام ١٧٨١ ميلادية عن وجود كوكب جديد لم يكن معروفاً من قبله أطلق عليه « أورانوس » فكان أول السيارات العليا . وكشف هرشل عن مزيد من الأقمار حول الكواكب . غير أنه فتح باباً في الاكتشافات الفلكية لم يغلق بعد . وهو أن « النجوم » التي نراها من الأرض ليست ثابتة كما كان يظنها سابقوه ولكنها تتحرك في الفضاء نحو هدف بعيد مجهول وبسرعة كبيرة . وكشف أن ذلك يتم داخل إطار المجرة أو الجزيرة الكونية التي تعيش فيها ، وقد خلف هرشل بعد وفاته عام ١٨٢٢ ميلادية ثروة علمية كبيرة .

كل هؤلاء العلماء كونوا مسيرة علم الفلك والرصد الفلكي فأضاؤوا بنور العلم على الدنيا ما بدد ظلمات الجهل وأطاحوا بالمعتقدات الخاطئة من ارتباط الفلك بالتنجيم وحظوظ الناس وفضوا الاشتباك الذي كان قائماً بين الفلك والخرافات ، وجعلوا منه علماً مجرداً يعتمد على الحقائق والقياس .

رحلة في أعماق الكون

لكي يمكننا النفاذ بفكرنا إلى أعماق الكون للتعرف على أسراره ومكوناته فلنتصور أنفسنا في رحلة عبر أجرام الكون ، وعندما نريد أن نبدأ الرحلة من الأرض ، فلابد أن نحدد لأنفسنا وجهة لنعرف نهاية رحلتنا ، ولكن الحقيقة أننا سننفذ في أعماق الكون قدماً ، حتى الحد الذي لا يمكننا بعده التقدم ، فلا يكون أمامنا إلا التوقف ، ذلك أن غايتنا هي أن نتعرف على حافة الكون ونعرف أين نهايته .

والحقيقة أننا لو بارحنا سطح الأرض ، صعوداً في السماء فسنجد أن محطتنا الأولى هي القمر فهو أقرب الأجرام الكونية إلينا ، وهو بمثابة الباب على الفضاء الشاسع ، فبعده عنا لا يزيد عن (٣٩٠) ألف كيلو متر وهو بعد متواضع كما سنرى بالنسبة لأبعاد الأجرام الكونية الأخرى ، وسنجد أن الغلاف الجوي

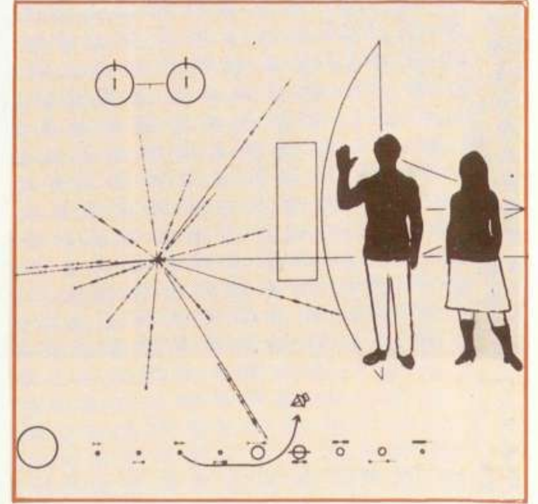


الشقوق والأخاديد على سطح المريخ

المحيط بكرتنا الأرضية هو النعمة التي تحفظ على أهلها الحياة ففيه غاز الاوكسجين وهو بمثابة الأكسير الذي بدونه تتوقف الحياة البشرية بعد دقائق معدودة . وفيه أيضاً بخار الماء الذي هو أصل الحياة مصداقاً لقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولا يمتد الغلاف الجوي فوق سطح الأرض كثيراً ، لأنه يتخلخل كلما زاد صعودنا الى أعلى ، وتبدأ جزئيات الهواء في التباعد عن بعضها البعض ، ويبدأ تدريجياً وجود الفضاء حيث لا يوجد شيء ، أو حيث لايوجد إلا العدم تقريباً ، ومن ثم أطلق عليه اسم « الفضاء » . ويجب ألا يسيطر علينا تفكير قاصر ونتصور أن هناك حداً فاصلاً بين الغلاف الجوي للأرض ، والذي يملؤه الهواء بمكوناته الغازية وبين هذا الفضاء ، لأن الحقيقة أن الفضاء يملأ الكون كله ويحيط بالغلاف الجوي للأرض من كل جوانبه . وفي الفضاء تتوزع الأجرام الكونية كلها ولا يشذ منها إلا بعض الكواكب ومنها الأرض فهي لحكمة إلهية تحتفظ حولها بغلاف جوي له تكوين خاص . ولو واصلنا الرحلة عبر هذا الفضاء صعداً فسنجد أن « قمر » الأرض ليس إلا جرماً صغيراً لا يزيد قطره إلا قليلاً عن (ربع) قطر الأرض . لكنه يدين بولاء الجاذبية لأمه الأرض ، ويدور حولها وكأنه طفل صغير في وقت يعادل نفس وقت دورانه حول نفسه ، فلا يستطيع أهل الأرض أن يروا منه إلا وجهاً واحداً وهو المقابل لهم . ولو واصلنا رحلتنا من القمر ميممين شطر الكواكب أخوات الأرض فسنجد أن كلاً منها يدور حول الشمس في مدار (اهليليجي) أي بيضاوي ، ولا بد أن تتملكنا الحيرة لأننا سنجد أن الكواكب الثمانية تتوزع على هذه المدارات في مواضع مختلفة ، لأنها تشكل أسرة غير متجانسة فبعضها قطره يقرب من قطر الأرض لكن بعضها الآخر يزيد قطره

عشرات أو مئات المرات ، وكلها مشدودة إلى الشمس التي تمثل بينها دور الأم التي يلتف حولها أفراد الأسرة ولذلك اطلقوا عليها اسم « المنظومة الشمسية » ، وسنجد أن الاختلاف بين الكواكب لا يتمثل في الحجم فحسب ، بل يتضح أيضاً في البعد عن الشمس وسنجد أن الأرض تحتل المركز الثالث في تسلسل هذه الأبعاد عن الشمس إذ يسبقها قرباً كوكبا عطارد والزهرة ثم يلي الأرض كواكب المريخ والمشترى وزحل وهي الكواكب التي عرفها القدامى باسم السيارات السفلى . ويليها ثلاثة كواكب أخرى اكتشفت في العصر الحديث هي « أورانوس » « ونبتون » « وبلوتو » الذي اكتشف عام ١٩٣٠ . ويبلغ متوسط بعد عطارد أقرب هذه الكواكب من الشمس (٥٧,٩) مليون كيلو متراً ، بينما أبعدها وهو بلوتو متوسط بعده عنها (٥٨٩٩) مليون . وتختلف أعداد الأقمار التابعة لكل كوكب ، بل نجد أن الأرض أفقرها في هذا المضمار فالمشترى له اثنا عشر قمراً وزحل له تسعة أقمار بينما أورانوس له خمسة وكل من المريخ ونبتون له قمران .

ولو واصلنا رحلتنا وتركنا حلبة « المنظومة الشمسية » فسنجد أننا يمكن أن نستهدف محطات أخرى ، يمكن أن نعتبرها مماثلة ، فكما تعتبر الشمس واسطة العقد في منظومتنا ، فالنجوم هي بمثابة شموس أخرى ، لكن الأبعاد بيننا وبينها شاسعة ، وهي لفرط بعدها نراها دقيقة وصغيرة لا تكاد تزيد عن رؤوس الدبابيس وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في بلاغة بقوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » . وربما يكون حول كل نجم منها أسرة كأسرة الشمس لكننا لا نستطيع أن نراها . غير أن كثيراً من هذه النجوم تفوق نجمنا (الشمس) في الحجم مئات أو آلاف أو ملايين المرات . ولو تخيرنا أقربها إلينا وشرعنا في التطلع إليه لنجعل منه



رسالة من أهل الأرض إلى سكان المشترى

● أقرب محطة فضائية إلينا هي القمر

● القمر يبعد عن الأرض ٣٩٠ ألف كيلومتر

محطتنا التالية في رحلتنا فسنجد أنه نجم « الأقرب القنطوري » كما سماه العرب أو « الفا سنتورس » كما حرف الاثينيون اسمه من بعدهم . وسنجد أن بعده عن الأرض يبلغ ٢٥ مليون مليون ميل ، ولو ترجمنا هذا البعد فسنجد أن بعد هذا النجم يزيد ٣٠٠,٠٠٠ مرة عن بعد أرضنا عن الشمس . ولهول كبر هذه المسافات وعدد الأصفار الكثيرة التي يضطر الفلكيون لاستخدامها في قياساتهم فقد أوجدوا لأنفسهم وحدة فلكية للمسافات أسموها « السنة الضوئية » وهي المسافة التي يقطعها شعاع الضوء خلال سنة كاملة ، ولما كانت سرعة الضوء أكبر سرعة تعرف على الأرض وتعادل ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية الواحدة ، فان السنة الضوئية تعادل ٣٠٠,٠٠٠ × ٣٦٥ يوما × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية = ٦ مليون مليون ميل = ١٠ مليون مليون كيلومتر تقريبا)

وبهذه الوحدة للمسافات نجد أن محطتنا التالية وهي نجم « الأقرب القنطوري » تقع على بعد ٤,٢ سنة ضوئية من الأرض أي ٤٢ مليون مليون كيلومتر تقريباً ! . ترى أي مسافات يشغلها الفضاء حولنا . ولو تطلعنا إلى غيره من النجوم فسنجد أن بعضها موغل في البعد أضعاف أضعاف ذلك وسنلاحظ أن أغلبها يحمل أسماء عربية مثل « الطائر » الذي يبعد عنا (١٤,٥) سنة ضوئية « النسر » الذي بعده (٣٠) سنة ضوئية ونجم « السماك » الذي بعده (٥٠) أما نجم « الشعري اليمانية » وهو ألمع نجوم السماء ويطلق عليه الغربيون اسم « سيرس » (Sirus) فبعده تسع سنوات ضوئية فقط . ولو قارنا ذلك بالشمس فسنجد أن شعاع الضوء يصل إلى الأرض منها خلال ثماني دقائق وثلث دقيقة فقط . ولو حاولنا أن نحصي نجوم السماء فسنعجز ، لأنها لا تعد بالآلاف ولكن بالملايين . غير أننا سنجد أنها تتوزع في مجموعات كما تتوزع القرى والمدن على الأرض فتتكون منها المحافظات أو الأقاليم ، ولذلك فقد اعتاد الفلكيون على القول بأنها تتقارب في « مدن نجمية » . ولقد تخيل القدامى أشكال المدن النجمية على هيئة حيوانات وطيور وأبطال الأساطير التي كانت شائعة وقتهم ونسجوا من ذلك القصص الخيالية . وما ذلك إلا أشكال وهمية للربط بين مواقع النجوم وأبعادها بالنسبة لبعضها البعض . ولذلك تحمل المدن النجمية أو الكواكب أسماء حيوانات أو حشرات كالجدي والسرطان والدب والأسد والفرس والعقرب والثور والدجاجة والحوت أو أسماء أساطير كهرقل وأوريون وفرساوس .

المجرة وحافة الكون

عند هذه المرحلة من رحلتنا يمكن أن نتصور آلاف المدن النجمية التي حولنا والتي تضم ملايين الملايين من النجوم ونتعرف إلى أنها تقع كلها داخل « جزيرة كونية » واحدة أطلق عليها الفلكيون اسم « المجرة » .

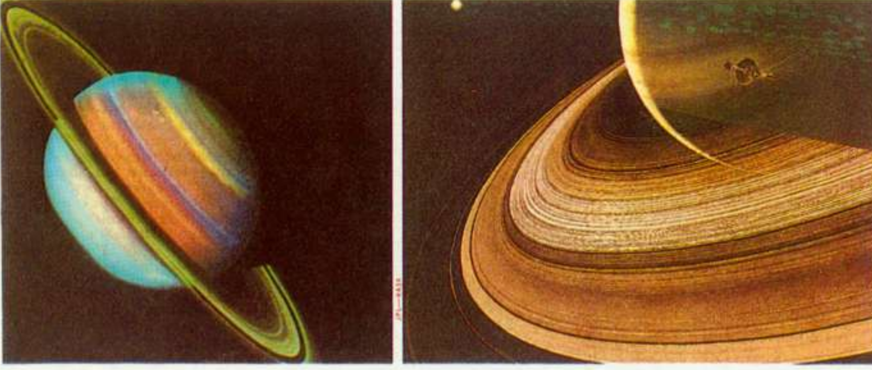
ولقد تعرف القدامى على حواف المجرة من ملاحظة الحشد من النجوم الدقيقة الحجم والمتقاربة والتي تبدو لشدة تقاربها كوشاح لامع وكأنه يلفع بعض أرجاء السماء ولكي نحيط بمدى اتساع جزيرتنا الكونية المجرة ، فقد قاس العلماء الأبعاد بين طرفيها ، لأنها كحبة العدس مفلطحة في طولها قصيرة في سمكها ولذلك فان لها محورين ، فمحورها الطولي بين طرفيها طوله ١٠٠ مليون سنة ضوئية ، أما محورها الرأسي وطوله ١٠ مليون سنة ضوئية . ولا تقع شمسنا في مركز المجرة بل تبعد عنه بما يقسم محورها الطولي بنسبة ١ : ٤ فهي تقع قرب أحد طرفيها . لذلك فإن أهل الأرض عندما ينظرون إلى الحافة الأخرى البعيدة عنهم ، فانهم يشاهدون ازدحاماً في النجوم التي يقع بعضها من خلف بعض ، ولقد ظهرت النجوم المتقاربة لأجدادنا فتصوروها الشرقيون كحبات التبن التي تتناثر على الأرض فتلمع في ظلام الليل ، فأسموها « سكة التبانة » . بينما تصورها الغربيون كلبن انسكب على الأرض فلمعت قطراته عند سقوط الضوء عليها . ولذلك أطلقوا عليه اسم « الطريق اللبنية » . ولقد ظن القدامى أن وشاح « درب التبانة » يمثل نهاية الكون لأن عدسات المراصد الأرضية لم تكن تستطيع رصد النجوم من خلفه . ولذلك خلق الرياضيون في القرن الماضي زعم « اللانهاية » التي كانت تعبر عن عجزهم عن تصور وجود نهاية ما للكون . ولذلك أطلقوا هذه الوحدة المبهمة « اللانهاية » كما فسر الحائرون الماء بعد الجهد بالماء ! وكم شغل الرياضيون أنفسهم لعدة قرون بوهم اللانهاية وتصوروها تمتد خلف درب التبانة بغير ماحد . ولكن زاد وهم اللانهاية وزادت حيرة العلماء عندما قويت عدسات المراصد واستطاعت الكشف عن وجود عدد من النجوم الأخرى خارج مجرتنا . وتمخضت الحقيقة سافرة عن وجود مجرات ومجرات ، وأن خارج « جزيرتنا الكونية » جزرا أخرى في كل اتجاه ، وكل منها تحوي ملايين النجوم . ولك أن تتصور عمق الفضاء المترامي بين المجرات عند معرفة أن أقرب المجرات الخارجية إلى مجرتنا وهي تلك الموجودة بمحاذاة المجموعة النجمية المسماة « المرآة المسلسة » تبعد عنا (٧٠٠,٠٠٠) سبعمائة ألف سنة ضوئية .

وتتوزع في كل اتجاه مجرات أخرى بل تتعدد في الاتجاه الواحد ، فمثلاً توجد مجرات في اتجاه المجموعة النجمية المسماة « ذات الشعور » قدر عددها بأنه (٣٠٠) مجرة رغم أن ما نراه من هذه المنطقة من السماء لا يزيد عن قطر القمر . وزادت حيرة العلماء وعجزوا عن تصور وجود يمكن أن يكون « حافة الكون » ، أو تصور كيف يكون المحتوى الذي يضم هذه المكونات التي تعد بالبلايين . وكثيرون منهم أمام عظمة هذا الخلق ، آمنوا بقصور العقل البشري أمام دقة القدرة الخالقة وأيقنوا أن سمة الإنسان الأولى ضعفه وصدقوا بما قاله رب العالمين « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

وظل التخبط سائداً حتى أعلن العالم المبرز « اينشتين » نظريته عن النسبية الخاصة والعامة في عام ١٩١٦ ، ١٩٢٥ وربط بين المفهوم القديم للمادة والطاقة ، وأضاف إلى الوجود بعداً أسقطه العلماء من حساباتهم السابقة في غفلة هو بعد « الزمن » . وكان أروع ما توصل إليه اينشتين بمعادلات رياضية بسيطة ، أن الكون ليس له نهاية لأنه ليس له

الإنسان يتطلع إلى..

أعماق الكون



حلقات زحل

بداية . لذلك فلابد أن يكون محدوداً على نفسه كالكرة تنثني وتتكور على نفسها ، فلو سرت عليها في خط مستقيم فستعود حتماً الى حيث بدأت . وكذلك الملاحة عبر الكون ، فأنت لو انطلقت عبر أجرامه في اتجاه ثابت ، فلابد لك من عود إلى حيث بدأت . وصدق الله العظيم « هو الأول والآخر والظاهر والباطن . وهو بكل شيء عليم » وقوله « الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » .

سفن الفضاء تكشف الأسرار

اعتمد الكشف عن أسرار الكون على علم الرصد الفلكي بواسطة العدسات أي المناظير المقربة « التلسكوبات » المستخدمة في المراصد الأرضية والتي تنفذ إلى الأجرام الكونية من خلال « نافذة الضوء » أي بالرؤية البصرية . ولقد كبرت عدسات المراصد حتى بلغ بعضها أكثر من ٦٠ متراً . وأقيمت المراصد الفلكية في كل أرجاء الكرة الأرضية لتكشف عن مزيد من النجوم والمجرات . لكن كانت نافذة التطلع إلى أعماق الكون مشوبة بالقصور لأن ظلام الليل كانت تبدده أضواء المدن القريبة من المراصد فتحد فعاليتها ، والرؤية كانت تتوقف عند تلبد السماء بالغيوم ، وتتعرض العدسات لقصور الانكسار والزغللة البصرية .

حتى فتحت نافذة تطلع جديدة على أسرار الكون عام ١٩٣٣ تمثلت في استقبال اشارات لاسلكية من الكون الخارجي ونشأ علم « الفلك الراديوي » (Radio Astronomy) الذي يستخدم هوائيات أرضية كبيرة الحجم لتستقبل الإذاعات الكونية التي تصل من العالم الخارجي . ومن خلالها أمكن رصد أحداث الفضاء الخارجي كانفجار بعض النجوم . أو اصطدام المجرات ببعضها . ولأن ما يصلنا من أصوات يعبر في الفضاء مسافات شاسعة وترتحل إلينا بسرعة الضوء ، فإنها تعبر عن أشياء حدثت في الماضي البعيد . وعلى سبيل المثال فانه في عام ١٩٥١ استقبلت بعض المراصد الفلكية أصواتاً تنبىء عن حدوث صدام بين مجرتين على بعد ٢٧٠ مليون سنة ضوئية .

وعندما بدأ عصر الفضاء عام ١٩٥٧ بدأت الأقمار الصناعية دورها في الكشف عن مزيد من أسرار الكون . ولذلك أطلق عليها الاسم العلمي « مجسات الفضاء » (Space Probes) ولقد لعبت الأقمار الصناعية في فجر عصر الفضاء دوراً هاماً في الكشف عن المجهول لدى العلماء . وكان أروع الاكتشافات التي تحققت عام ١٩٥٨ بواسطة القمر الصناعي الأمريكي الأول « اكسبلورر ــ ١ » أو (الكاشف) كشفه عن وجود تركيز شديد في الأشعة الكونية في طبقات الفضاء العليا .

● بخار الماء والأوكسيجين في الغلاف الجوّي هُما سِرّ الحياة على الأرض

● السَّنة الضوئيّة الواحدة تساوي عشرة بلايين كيلومتر

وتتمثل في حزامين منفصلين ينحنيان حول الكرة الأرضية أطلق عليهما اسم « حزامي فان آلن » الداخلي منهما يبدأ على ارتفاع ٢١٠٠ كيلومتر ويمتد بعمق ٤٨٠٠ كيلو متر بينما يبدأ الحزام الخارجي على ارتفاع ١٣٠٠٠ كيلو متر ويمتد بعمق ٦٥٠٠ كيلو متر . وكان لاكتشاف وجود هذين الحزامين من الأشعة الكونية التي هي في كنهها قذائف ذرية ضعيفة وما يصاحبها من اشعاعات . آثار عميقة في تفسير كثير من الظواهر العلمية تفسيراً صحيحاً . وأعقب ذلك تصوير السوفييت للوجه المختفي للقمر بواسطة « القمر » لونيك ــ٣ » عام ١٩٥٩ . وبواسطة تكنولوجيا الفضاء المبهرة توالي الكشف عن مزيد من أسرار الكون الخاصة بعد أن تعدد إطلاق « سفن الفضاء » . فقد تركزت البحوث على معرفة المزيد من المعلومات عن الكواكب . ولقد كانت المعلومات قد توافرت عن القمر بعد أن تم الهبوط عليه في برنامج أبوللو الأمريكي سبع مرات بدءاً من يوليو حتى ديسمبر ١٩٧٣ . وتفنن الأمريكيون في جعل سيارات قمرية تقطع مسافات طويلة على سطحه . كما أرسل السوفييت المركبة « لونخود » لتتحرك على سطحه بتحكم من الأرض . ولذلك أمكن القول بأن المعلومات توافرت عن القمر بقدر كاف وبدأت الأنظار تتجه إلى الكواكب . غير أن استراتيجية الدولتين الكبيرتين روسيا وأمريكا اختلفتا في هذا المضمار إذ اهتم السوفييت بغزو كوكب الزهرة باعتباره أقرب الكواكب من الأرض . بينما ركز الأمريكيون اهتمامهم على كوكب المريخ باعتباره يستأثر بأغلب الاحتمالات عن وجود لون من ألوان الحياة العاقلة عليه نظراً للتأكد من وجود مياه على سطحه واحتفاظه بغلاف جوي حوله . وتأكد ذلك في وجود طواقي من الثلج الأبيض قرب قطبيه ولقد ظهرت أجيال متعاقبة من سلاسل سفن الفضاء من طراز « مارينر » الأمريكية لغزو المريخ والزهرة بدأت منذ عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٧٣ مثل سلسلة سفن « فينوس » (Venus) الغربية التي وجهت إلى كوكب الزهرة بدءاً من

عام ١٩٦١ حتى ١٩٧٣ ثم عمد الأمريكيون إلى إطلاق محطة الفضاء الكبيرة « فايكنج » (Viking) إلى المريخ فهبطت عليه برفق عام ١٩٧٦ وعمدت إلى اقتباس عينة من تربته بواسطة ذراع آلية وقامت بتحليلها كيماوياً داخل معمل على ظهر السفينة نفسها . ولقد عمدت روسيا إلى اطلاق سلسلة سفن « فيترا » إلى كوكب الزهرة . كما عمدت الولايات المتحدة إلى اطلاق سلسلة سفن « بيونير » بدءاً من عام ١٩٧٣ نحو كواكب الزهرة والمشترى . وانفصلت منها قرب سطحه مظلة حملت لوحة معدنية تحمل رسالة بلغة الرسم موجهة إلى أي عقلاء قد يكونوا عليه . وتشير إلى أن هذه الرسالة قادمة من كوكب الأرض الذي ترتيبه الثالث من حيث البعد عن الشمس نحو الكوكب ذي الترتيب الخامس . وأن الحياة على الأرض تتألف من ذكر وانثى .

وأعقبت ذلك اطلاق سفينة أمريكية أخرى هي « فواياجير » أو « الرحالة » التى أطلقت فى أغسطس عام ١٩٧٧ وكانت مهمتها الاقتراب من أربعة كواكب هى زحل والمشترى واورانوس ونبتون . لكى تصور سطوحها وتجرى القياسات فى الفضاء القريب منها . ومازالت هذه السفينة تواصل رحلتها حتى اليوم . وعمد الاتحاد السوفيتى مؤخرا فى عام ١٩٨٤ الى اطلاق سفينتين من طراز « فيجا » لتصورا سطح الزهرة وانزال مظلة تحط على سطحه برفق . وفى نفس الوقت تتوجهان لتصوير مذنب هالى عام ١٩٨٦ .

والجدير بالذكر أن الصور المستقبلة من سفن الفضاء السوفيتية والأمريكية قد كشفت عن أسرار كونية وفلكية لم تكن معروفة من قبل من أهمها :

« أن عدد الحلقات حول كوكب « زحل » ليست ثلاثا بل تسعا إذ لم تكن المراصد الفلكية الأرضية قادرة على تصوير الفواصل الدقيقة بينها .

« أن عدد الاقمار التابعة لكوكب « المشترى » ليست (١٢) قمرا بل (١٥) .

« أن الخطوط المتقاطعة على سطح كوكب « المريخ » ليست قنوات وترع كما كان يظن من قبل ، بل هى شقوق داخلية وأن سطحه ملىء بالفجوات والقنوات وفوهات البراكين الخامدة . كما أن له جوا تثور فيه الرياح وتسقط فيه الأمطار وتلعب فيه عوامل التعرية دورا ، وتعمم طواقى الثلج الأبيض منطقتيه القطبيتين .

« أن سطح كوكب « أورانوس » يغلب عليه اللون الأخضر وأن درجة حرارته باردة .

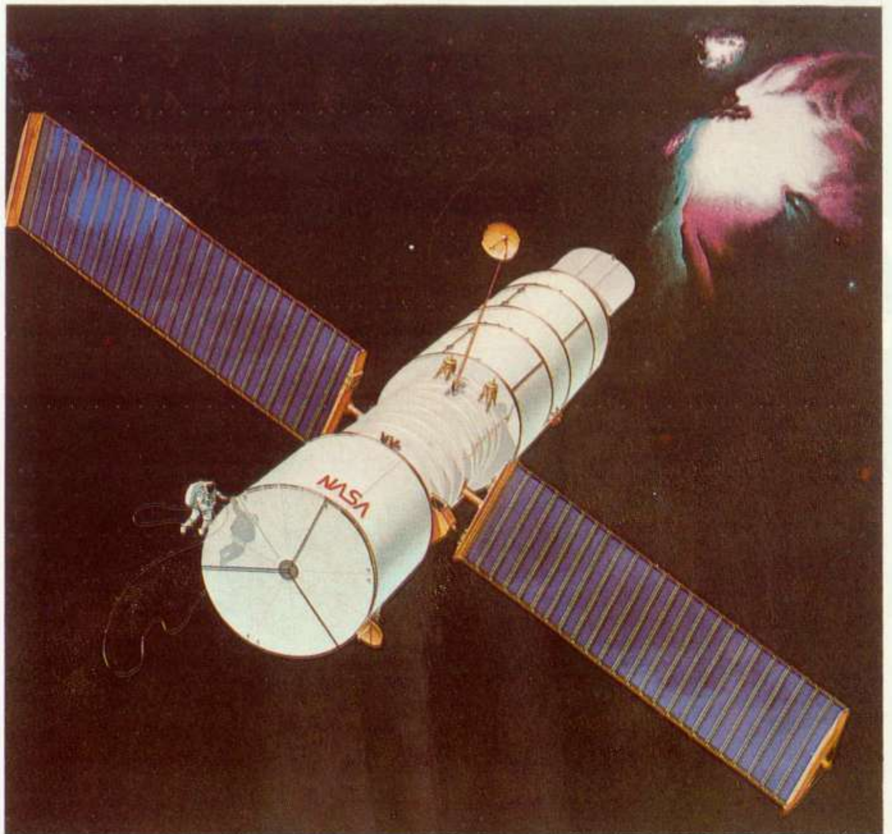
من كل ذلك تجمع لدى العلماء ثروة علمية عن الكواكب ، أهلت العلماء لبلورة فكرة واضحة عن تكوين المنظومة الشمسية ونشأتها من أصل واحد . حتى أخذت خطوة جديدة فى مجال كشف أسرار الكون بإطلاق معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » عام ١٩٧٣ وهو يحمل على متنه مرصدا فلكيا ضخما كان يمكنه التطلع منه إلى أعماق الكون بواسطة ثمانى عدسات . والتقطت بواسطته آلاف الصور من الفضاء على ارتفاع ٤٣٥ كيلو مترا حيث يسود ظلام متصل ، وحيث لا ليل ولا نهار وحيث تنعدم السحب والظواهر الطبيعية المعروفة كانكسار الضوء . وخلال هذه العدسات أمكن رصد مذنب كان يقترب من الأرض هو « كهوتيك » .

وفى حقبة الثمانينات توالت رحلات مكوك الفضاء الأمريكى . وفى رحلتين من رحلاته خلال عامي ١٩٨٤ . ١٩٨٥ حمل معمل الفضاء الاوروبى (Space Lab) الذى تضافرت فى صنعه جهود علماء سبع دول أوروبية تحت لواء منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية « ايسا » (ESA) . وقد حوى المعمل عددا كبيرا من الأجهزة العلمية الدقيقة ، منها أجهزة لقياس وتصوير المجرات بوسائل مستحدثة منها الأشعة السينية ، والرادار وتجميع الصور بالحواسب الالكترونية . وكان يصاحب المعمل اثنان من العلماء ولم يكلف بمهام فضائية بل كانت مهمتهما تشغيل الأجهزة وإجراء القياسات العلمية . ولقد أصبح لدى علماء الأرض ثروة تتألف من ملايين الصور عن أجرام الكون القريبة ، وتصور أكثر وضوحا عن المكونات البعيدة وتكشف الأمر عن رؤية مزيد ومزيد من المجرات .

وفى نفس المضمار أعلنت الولايات المتحدة أنها بصدد اطلاق تلسكوب للفضاء فى النصف الثانى من عام ١٩٨٦ ، ليكون أول مرصد فضائى يسبح فى الفضاء شأنه شأن سفن الفضاء ، ولاشك أن صوره ستثرى البحث العلمى فى هذا المجال ، لأن قدرته على النفاذ الى أعماق الكون ستكون أكبر من قدرة المراصد الفلكية الأرضية عشر مرات تقريبا .

سعد شعبان

تلسكوب الفضاء الذي سيطلق في صيف عام ١٩٨٦



هامش

انظر « الدوحة » (١٢٠) ديسمبر ١٩٨٥ .

الدم .. ينطق شعراً..

دعني مِنَ الحُزْنِ الذي ،
يغتالُ ذاكرتي ، وينزفُ في الوريدْ
دعني من الصَّمْتِ المُؤرقِ ،
وامنح الأرق المُتيَّم شرفةً ممتدَّةً ما بين وجهِكَ والقمر
واصعد دمي
يا أيُّهـا العَطَشُ المُوَلَّـهُ ... ،
مثلما صعـد الشَّجر
حين احتواهُ البرقُ أجفانَ المطر
وافتح كتاب فمـي ،
تُثرثـر بالهوى شفتـي ...
وتعرفُ ما أُريد

• • •

أمتدُّ فيكَ ،
وفي سفوح المقلتين غدي يُسافر للبعيد
لا ينتهى سفري ،
يطولُ الدَّرْبُ ،
أين ستنتهي هذي المسافةُ
بين عينيكَ المؤرقتين والقمر الشَّهيد ؟
يا أيُّها الأرق المعربد في جذوري ،
أيّها الأرق المعربد في ضميري ،
خُـذْ دمـي
واكتبْ بـهِ
شعراً على الشَّجر العنيد

• • •

يا أيَّهـا الأرقُ المعربدُ ،
رُدَّ عن شفتـي رمادَ الْحـُزْنِ ،
كيفَ يُحاصِرُ الشَّفَـةَ المُتيَّمَةَ الرَّمـادُ ؟
وكيف ينطفيء الضِيّاءُ أمامَ عيني ،
حين ينهمر السّوادُ ؟
وكيف يُذبح ثغر عصفورٍ يُغنّي ؟
حين ينهمرُ الشَّذى مِنْ صَوْتِهِ ،
تقف البـلادُ ،
تَضجُّ ،
ينفجر الحماسُ بها ، ويصطخب النَّشيد
وأرى الحجارَة تنتشي فرحاً ،
تُهرِّب فوق أجنحة العصافير الصغيرة عشقها حجراً حجر
وتهزُّ يُمناها المدى ،
فيهبُّ ، ينفض ما تناثر من وقار في عباءة صمتهِ
ويخوض تجربة الغناءِ ،
فتسكرُ الدُّنيا
وينتفض القدر
وغداة دبَّ بِـهِ الحَماسُ ،
بكى ، وأوغلَ في البكاء ، وما شعر
حين استفزَّ دمَ الطُّغاة بشعرهِ
ثـاروا عليـهِ ،
وصادروا جُرح الصَّدى في ثغـرهِ
وكما يذوبُ الثلجُ ذابـوا ،
لحظـةَ انهمر الصَّهيلُ على الوتر.

• • •

مَرُّوا على الجَسَدِ المُمَـزَّقِ فانفجـرْ
هذا هو الجسد المقاتـلُ ،
يسقطـون كما الذُّبـاب إذا عبر

• • •

يا أيُّهـا الأرقُ المعربدُ ،
رُدَّ عن شفتـي رَمادَ الحُزْنِ ،
يذبحنـي على الشَّفـةِ الرّمـادُ ،
وما يُطيق الثّغـرُ قيداً ،
عندما يعلو صداه الى السّمـاء ،
تذلُّ أعنـاقُ السَّنابل للصَّدى
وغداة ينسكب النّدى ،
تَثِبُ السّنابلُ ،
يستفيق النّهـرُ ،
ينتفض احتجاجـاً ،
حين يمنعه الجليد عن التدفّقِ ،
حين يرغمـه الجليد على التمزّقِ ،

شعر: محمود حـــامد

حين يقهره الجليدْ
يا أيُّها الأرقُ المعربدُ في جذوري ،
خذ دمي ، واكتب بـه
شعراً على الشّجر العنيد

* * *

قل للنّوى : طال البعـادُ
وما هوى هذا العنادُ ،
أمـام جمر المستحيل
يمشي وترتطم السّلاسلُ بالسّلاسلِ ،
تنـزف القدمانِ ،
ترتجف الأصابع حين تلتصق البلاد
بلحمها ،
وغداة يضحك طائرُ الذكرى على باب
الجليل
ويهبُّ من عطش الثرى جسد المُقاتلِ ..
ثمّ يُنشـد للوطن
يقف الحمام عن الغنـاء مدى الزّمن
وتغادر العنقاء ساحتها ،
يغادرنا عذابُ النَفْـي ،
لا يبقى للون الجرح في أعماقنا أبداً أثر
والصّدر ينفض صمت غربته المريرة ،
تضحك الشّفة القتيلة كبرياءً ،
حين تنكسر القيودُ ،
علـى القيـودِ ،
وحين تنهمر الرّعـودُ ،
يجـيءُ صوتـى غاضبـاً مثل الرُّعـودِ .
وصاخبـاً مثل الرُّعـودِ ،
ويلبس الجسد الممـزّق برقَهُ الناريَّ ،
تنتفض الدّمـاءُ ،
تفور ، تصهل في الدّمـاء هنا الجيادُ ،
فكيف يلبسنـي حداد الذكرياتِ ؟
وقد تناثر تحت نَعْلَـيَّ الحِـدادُ ،
غـداة كنت أهـمّ يوماً بالسَّفـر .

* * *

يا من أحبّـكَ ،
لا أحبّك مترعاً باليأس ،
مُلتحفَ الرّدى
وزماننـا زمن التحدّي ،
أن نكـون ، وفى الذرى هاماتنا ،
أو لا نكـونْ
فاخلع ضباب الليل عن جسدي ،
وأشعله الطريقَ أمام عيني ،
كي يَمُرَّ دمـي إلى وطنـي فأول خطـوةٍ .
هـي حين يجتاز البصر
حقلاً من الألغام مندسّـاً بأوردة الهواءِ ،
وماثلاً في الرّيح ، ممتزجاً بلون الماءِ ، ثُمَّ
محاصراً كُلَّ العُيون
يا أيُّها الجبل المُعانق شَهْقَةَ البَرْقِ ،
انتفضْ ، وإليكَ خُذْنِـي ،
حين تغسلني الرِّيَاحُ على جبينك ،
والمطـر
سيهبُّ من جسـدي رمـادي
ثمّ ينفجر الصَّهيلُ على السُّكون

* * *

بُثَّ الحمـاسَ بكبريائـي ،
ها أنا مازلت أبعث في الذين أحبّهم
وهجي ،
وما مات الذي صلبوه فوق المشرحة
وعلـى المـدى ،
أشرعتُ كلَّ نوافذي ،
يا مُستحَمـاً بالشُّموسِ ،
أما دريتَ بأنهـا
من نزف حنجرتي تجيءُ ،
وأنّهـــا ،
أبداً على مـدّ السّمـاء ملوّحـة
وهي النّسـور ، إذا مضيتُ لهـا أغنّـيء
من صبابتهـا تعانقنـي ،
وتحملني إلى الفردوس فوق الأجنحـة

* * *

وطنـي يُجـاور مقلتيكَ ،
وأنت نهر العشق يحفر في العظام مصَّبـهُ
ويغوص في لحمـي هنا ،
وأحبُّـــــهُ
ويظلُّ يشعلنـي ويقتلنـي ويذبحنـي هوى ،
وأحبُّـــــهُ
وكما تغلغـل في دمـي
ومضى يُذَوِّبُ نبضَ قلبي في هواهُ ،
فإننّـي وجْداً أموت غداة أُشعل قلبَهُ

* * *

جرحي يناضل في الخنادقِ ،
قل : هل الصوت المقاتل كان أقوى
أم هـو الصّخب الذي حشروه في عقب البنادقِ ؟
إن صوتي سوف يبقى
والذي قبلي ، مشـى قبلي
وبعدي من يجيء ،
فسـوف يمضي ،
والذي يبقـى ، أنا
جيلٌ تقاسـم والدَّهـور خلودها ،
والبدء دوماً من هنـا .

* * *

أرِّخْ على شفـة العواصفِ ،
أن صدراً كان مستعر العواطفِ ،
لا يمـوتُ ،
وأن نبضاً مثلما أعطى صباه لعشقـهِ
أعطـى صباه لساحـهِ
وكما ينزُّ دم علـى هذا الثرى
يُذكي لهيب جراحـهِ
فهناك نبض هوى يثورُ ،
كما اللّظـى في عرقـهِ
وكلاهما :
نـزق الشّمـوس على جبين صباحـهِ

* * *

الـريـاض

قصة الأوراق التي تملأ حياتنا بالسعادة والخوف

النقود

كيف نشأت العُمْلة الورقيّة، وكيف تتم حمايتها من التزوير .. وماهي الصور والرسومات التي تستخدمها الحكومات المختلفة .. وماهي أقدم عُمْلة ورقية .. وماهي أكبر عُمْلة؟

بقلم: عبود عطية

إننا نمسك بها ، نعطيها ونأخذها ، نضعها في جيوبنا وننسقها بعناية في محافظنا ، إنها الأوراق النقدية التي باتت تشكل جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية ، ومع ذلك فإننا نجهل عنها كل شيء . إذ باستثناء القدرة الشرائية التي تحملها ، فاننا لا نعرف شيئاً عن هذه الأوراق الصغيرة الملونة التي باتت محرك الحياة الحديثة ووقودها ، والقادرة على دفع الانسان إلى ارتكاب أكثر الأعمال جنوناً .

يبدأ عالم الأوراق النقدية عادة في المصارف المركزية التي تحدد مواصفات القطع التي تنوي اصدارها ، وقيمتها الاسمية ، وشكلها ومقاييسها ، والرسم الذي يجب أن تحمله . وتضع المصارف المركزية دفاتر تحوي شروطها وتتعلق بالمسائل التقنية مثل نوعية الورق وسماكته ومدى الضمانة المطلوبة ضد التزوير ... الخ . وبعد أن ينجز فنانو الحفر الكليشيه حسب المواصفات المطلوبة ، وبعد أن يحصل الكليشيه على موافقة المصرف المركزي والمطبعة ، يتم طبع الأوراق النقدية على ملازم تتضمن الواحدة منها ٣٢ قطعة نقدية . وتدور آلات الطبع بسرعة كبيرة تصل إلى حدود طبع ما يتراوح بين ٥٠٠٠ و ٩٠٠٠ ملزمة في الساعة

● سنة ١٩٣٤ تمّ إصدار ورقة نقدية قيمتها ألف دولار

الواحدة وذلك تحت ضغط عالٍ يسمح بنقل كل التفاصيل الصغيرة الموجودة على الكليشيه إلى الورق .

قيمة الأوراق النقدية

لكل ورقة نقدية قيمة محددة . وهذه القيمة تتراوح ما بين حد أدنى وحد أقصى . وبشكل عام تضم مجموعة الأوراق النقدية في كل دولة ما بين ٤ و ٦ فئات . وباستثناء الولايات المتحدة التي تضم مجموعتها ١٠ فئات ، فان الدول التي تتداول أكثر من ٨ فئات من الأوراق النقدية تعتبر من الدول التي تعاني من حالة تضخم كبيرة كالأرجنتين مثلاً



كل ورقة من أوراق النقود تمثل موضوع لوحة فنية صغيرة ، وهذا ـ بالطبع ـ إضافة إلى دورها في الحياة الحديثة

حيث كان يتم تداول أوراق تتراوح فئاتها ما بين البيزوس الواحد والمليون بيزوس . وهنا تجدر الاشارة إلى أن القطع الصغيرة من هذه الفئات لم تكن تحمل أية قوة شرائية الأمر الذي دفع الأرجنتين مؤخراً إلى استبدال البيزوس بعملة جديدة هي « الأوسترال » .

أما أثمن ورقة نقدية تم طبعها حتى الآن فهي من فئة مئة الف دولار أمريكي تم اصدارها سنة ١٩٣٤ ، إلا أن تداولها بقي محصوراً على المصارف الاتحادية في أمريكا . وأما أكبر الأوراق النقدية التي تم تداولها فهي أمريكية أيضاً من فئات ١٠٠٠ و ٥٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ دولار . وعلى الرغم من أن اصدار هذه الأوراق قد توقف في ١٤ تموز « يوليو »

● كانت بعض الحكومات تقوم بتزوير النقود لهدم اقتصاد الأعداء

١٩٦٩ ، فانها ما تزال تحتفظ بقيمتها ويتداولها الناس . إلا أنها في كل مرة تقع في أيدي المصارف الاتحادية ، يتم سحبها من التداول واتلافها .

المساحة والشكل

لقد تغيرت مقاييس الاوراق النقدية باستمرار . وكان هذا التغيير يتجه في معظم الأحيان من المقاييس الكبيرة نحو المقاييس الصغيرة .

فأقدم ورقة نقدية معروفة اليوم هي ورقة صينية من عهد الأسرة مينغ وقيمتها ألف « سابيك » ، وهي أكبر قطعة معروفة من

قصــة الأوراق التي تملأحياتنـا بالسـعادة والخوف

النقود

حيث المقاييس اذ يبلغ طولها ٣٤,٤ سم وعرضها ٢٣ سم . وفي أوربا وبعدما كانت المقاييس الكبيرة سائدة في مطلع القرن ، بدأت تصغر تدريجياً ، وذلك لأسباب عديدة منها أن الأوراق الكبيرة الحجم تفرض طيها عدة مرات مما يعجل في اتلافها ، إضافة إلى أن الطيات المتتالية قد تحجب الأرقام التي تشير إلى قيمة الورقة الإسمية وتسمح بالتالي بالوقوع في الأخطاء خلال التداول ، كما أن تطور نوعية الورق وازدياد تقنيات الطبع تعقيداً رفعا سعر كلفة اصدار الأوراق بشكل كبير ، مما فرض تصغير مقاييس القطع للسماح بطبع عدد أكبر من القطع على الملزمة الواحدة .

وبشكل عام يمكن القول إن هناك ثلاثة أنواع من المقاييس المعتمدة حالياً وهي :

ــ المقاييس الموحدة .

ــ المقاييس التي تكبر أحجامها تدريجيا ، أي تكبر مع ارتفاع قيمة القطعة .

ــ المقاييس التي تبقى نفسها من ناحية العرض ، إلا أنها تكبر بالطول .

وإن كانت معظم دول العالم قد اعتمدت المجموعات التي تكبرمقاييسها تدريجياً فذلك يعود إلى سببين :

أولا : تلافي الوقوع في أخطاء خلال تداول الأوراق وعدم الخلط بين الفئات المختلفة .

ثانياً : أن الأوراق الكبيرة في هذه الحالة تتميز بكبر مساحتها التي تسمح باضافة الكثير من التعقيدات الطباعية والعقبات التقنية في وجه المزورين .

الموضوع

لكل قطعة من هذه اللوحات الفنية الصغيرة موضوع . وحتى مطلع الثلاثنات ، كانت أوراق النقد الأوربية تحمل رسوماً رمزية تمثل التجارة ، الفنون ، العلوم ، الزراعة ، العمل وما شابه ... وهذا النمط كان قد رأى النور في أواخر القرن التاسع عشر واستمر حتى منتصف القرن العشرين ولكن ، وتدريجياً ، تغيرت الأذواق والأفكار ، وتغيرت بالتالي مواضيع الأوراق النقدية . وهكذا ، وفي النصف الثامن من القرن العشرين تبنت معظم الدول الغربية صور الشخصيات الكبيرة التي لعبت في وقت من الأوقات أدواراً مهمة في تاريخها . قد تكون هذه الشخصيات رؤساء جمهوريات كما هي الحال على الدولارات الأمريكية ، أو رجال علم وفن وأدب كما هي الحال على الأوراق الفرنسية والايطالية والانكليزية والسويسرية وغيرها .

وبصورة عامة ، تقوم الدول التي حصلت على استقلالها حديثاً بطبع صور زعماء حروبها التحريرية ، وحتى رؤساء جمهوريتها الذين يصرون على الظهور على الأوراق النقدية (وفي بعض الأحيان لاضفاء مزيد من الشرعية على سلطاتهم) وهذه هي حال عدد كبير من الدول الافريقية مثل أنغولا ، بوتسوانا ، سيراليون ، كينيا ، زائير ، تانزانيا أو الدول التي يحكمها ديكتاتوريون كما كانت الحال في أوغندا ، وأفريقيا الوسطى . ولكن يجب الاعتراف أن هذا التيار بدأ بالاختفاء تدريجياً في السنوات الأخيرة ، وذلك بسبب عدم استقرار الأنظمة السياسية في هذه البلدان ، والتكاليف الكبيرة لعمليات استبدال الأوراق النقدية بأخرى . في السنوات الثلاث الأخيرة لم تظهر على الأوراق النقدية الأفريقية أية شخصية سياسية معاصرة ، بل مجرد رسوم تمثل الفن الأفريقي والثقافة الأفريقية والتطور الصناعي والتجاري .

أما بلدان شرق أوروبا فيبدو أنها تميل إلى المشاهد التي تمثل فضائل العمل والجهود التي يبذلها الحكام في ميادين التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهكذا نرى على أوراقها عمالاً وعاملات يمارسون مهنهم في شتى الحقول ، وهذه هي حال الصين وعدد كبير من الدول الافريقية واللاتينية . وهناك دول تزين أوراقها بصور أبطال نهجها السياسي ، ودول تعرض مصادر ثروتها الوطنية وأسباب نهضتها الاقتصادية كما هي الحال بالنسبة للعراق والمملكة العربية السعودية .

أما البلدان التي لها ماض ثقافي وحضاري عريق ، فتنكشف صور العظماء عن أوراقها النقدية أمام مشاهد الآثار المشهورة كما هي الحال على الأوراق المصرية واللبنانية والأردنية التي نرى عليها صور آثار وخرائب باقية من العصور الغابرة ، أو تايلاند التي تفضل تكريم معابدها المشهورة .

وأخيراً هناك البلدان التي ليس عندها ما تعتز به أكثر من طبيعتها الجغرافية ، والتي تتطلع إلى السياحة كصناعة وطنية أولى .

● أقدم ورقة نقدية معروفة هي ورقة صينية طولها ٣٤ سنتيمتراً

والأوراق النقدية في هذه البلدان تحمل مناظر طبيعية تبدو وكأنها التقطت في الفردوس : عصافير ، أزهار ، حيوانات ، أشجار ... وهذه هي حال دول البحر الكاريبي والباهاماس وسري لانكا ونيوزيلانده وسينغافورة .

الرسم الضوئي

إضافة إلى الرسم الملون الذي تحدثنا عنه ، هناك رسم آخر . فعندما ينتابنا الشك أمام ورقة نقدية في ما إذا كانت مزورة ، فأول ما نقوم به هو تعريض الورقة إلى النور والتطلع إلى الرسم الضوئي .

يتم انجاز الرسم الضوئي بواسطة تغيير كثافة الورق وسماكته في بقعة معينة . وهناك أربعة أنماط من الرسم الضوئي : الرسم الذي يمثل حيواناً أو زهرة ، أو الذي يمثل شعار البلاد صاحبة الاصدار ، أو الذي يمثل شخصية رمزية أو أسطورية ، أو الذي يمثل شخصية معروفة ، وفي معظم الأحيان تكون صورة هذه الشخصية مرسومة بالألوان في مكان آخر من القطعة النقدية أو على قطعة أخرى .

وعلى الرغم من أن توفير الضمانات ضد التزوير يعتبر من مهمات الرسامين وصانعي الحبر ، والحفارين ، ومصانع الورق الذين يقومون جميعاً بانتاج القطعة النقدية ، فان الرسم الضوئي ما يزال يشكل حتى الآن أكبر ضمانة ضد التزوير ، وعلى الأقل من وجهة نظر الانتربول . في أواخر الحرب العالمية الثانية ، كانت ٦٠ بالمائة من دول العالم تستعمل أوراقاً نقدية مزودة برسم ضوئي ، وارتفعت هذه النسبة في الوقت الحاضر إلى حوالي ٧٨ بالمائة .

خيط الأمان

بعد الرسم الضوئي تمكنت مصانع الورق من اكتشاف وسائل جديدة توفر ضمانات اضافية مثل « خيط الأمان » . وهو خيط رفيع كان أصلاً من الفضة ابتكره صانع الورق الانكليزي بورتان بعد الحرب العالمية الثانية بناء على طلب الحكومة البريطانية التي رغبت في وسيلة تسمح لها برصد الأوراق النقدية التي كانت تهرب ضمن الرسائل البريدية . ولكن الخيط الفضي تسبب في مشاكل كبيرة خلال عملية الطباعة إذ كان يتسبب في تمزيق الأوراق ، وفي تخريب الكليشيه الذي كان يمر عليه . وتدريجياً تم استبداله بخيط من البلاستيك الذي يمكن ملاحظته على معظم الأوراق المتداولة اليوم .

الورق : سميك ورقيق

أما الورق الذي تطبع عليه الأوراق النقدية فينقسم إلى نوعين : سميك ويستعمل في البلدان الانكلوساكسونية وفي الدول التي تعرف تقلبات مناخية كبيرة . ورقيق ويستعمل في بعض

● قصـــة
خيـط الأمـــان الذي يكشـف عمليات التـزويـر في النقـــود



هذه الورقة النقدية وغيرها من النقود في العالم لابد أن تتوفر لها الضمانات الكافية ضد التزوير

الدول مثل فرنسا وبعض دول أفريقيا الغربية .

وفي الواقع ، فإن الورق الرقيق يتمتع بدرجة عالية من الشفافية مما يسمح بمراقبة سهلة ، واكتشاف عمليات التزوير . وقد ثبت في السنوات الأخيرة أن الورق الرقيق يوفر للأوراق النقدية ضمانات أكبر ضد التزوير . وهو في الوقت نفسه متين بما فيه الكفاية ليحتل آلات المطابع السريعة جداً . إلا أن سلبيته الرئيسية تكمن في صعوبة استعماله وتعرضه للتلف بسرعة .

التزوير

كل حديث عن الأوراق النقدية غير كامل ما لم يتم التطرق إلى موضوع التزوير .

وفي الواقع ، فإن العملة المزورة تعتبر توأماً للعملة الصحيحة وذلك منذ أقدم العصور وحتى اليوم . فالتاريخ ينقل إلينا أن بوليقراطيس اليوناني خدع الاسبارطيين سنة ٥٤٠ ق . م . بنقود ذهبية مزورة . وكان ظهور الأوراق النقدية دافعاً « شجع » المزورين على المضي في مهمتهم . في القرن الثالث قبل الميلاد ، حملت الأوراق النقدية الصينية تحذيراً للمزورين جاء فيه : « يتم تداول الورقة النقدية الثمينة مينغ العظيم إلى جانب النقود البرونزية . المزورون يعدمون . وكل من يقدم معلومات تؤدي إلى توقيف المزورين وادانتهم يحصل على مكافأة مقدارها ٢٥٠ مكيال من الفضة إضافة إلى أملاك المجرم » .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وعندما شاع استعمال الأوراق النقدية ، وشاع تزويرها أيضاً ، تداعى عدد من الدول الأوروبية للبحث في كيفية معالجة هذه الآفة . وتقرر في العام ١٨٨٨ وضع مشروع يسمح بضبط التزوير ومكافحته . إلا أن هذا المشروع لم ير النور إلا في ٢٠ نيسان ١٩٢٩ عندما تقرر انشاء « المكتب الدولي للشرطة الجنائية » أي « الانتربول » . أما العقوبة التي كانت تنزل بالمزورين فكانت حتى مطلع القرن العشرين الاعدام . وبقيت العقوبة نفسها في البلدان الاشتراكية حتى يومنا الحاضر ، أما في دول الغرب فقد استبدلت هذه العقوبة بالسجن المؤبد .

ويعتمد المزورون بشكل رئيسي في عملهم على جهل الناس للتفاصيل الموجودة على الأوراق النقدية التي يتداولونها . حتى أن الكثيرين منا لا يستطيعون أن يتذكروا الموضوع الموجود على الأوراق التي يتعاملون بها يومياً . وتعتبر الأوراق من ذوات القيمة المتوسطة كالعشرين دولار الأمريكية غالية على قلوب المزورين لأن القطع الصغيرة تقلل من الأرباح ، والقطع الكبيرة جداً قد تلفت الأنظار .

وإن كانت هناك أوراق نقدية مزورة يسهل اكتشافها فوراً ، فهناك أوراق تكاد تطابق الأوراق الصحيحة مثل تلك التي طبعها بارزارسكي سنة ١٩٦٠ والتي حيرت مصرف فرنسا حيث رفض المسؤولون فيه في البدء الاعتراف أن الأوراق التي طبعها هذا الرجل كانت مزورة . واليوم ، يقدر عدد القطع النقدية المزورة المتداولة حالياً في الدول الصناعية بقطعة واحدة مقابل كل مئة ألف قطعة صحيحة . وبشكل عام ، فإن الأوراق النقدية التي تزورها عصابات لا يمكنها أن تشكل خطراً على عملة دولة . ولكن التزوير الذي يحظى بدعم الحكومات التي تملك التقنيات اللازمة ، يمكنه أن يشكل سلاحاً خطراً لجأت إليه في الماضي العديد من الحكومات لتدمير اقتصاد أعدائها .

عمر الأوراق النقدية

للأسف الشديد ، لا تعيش الأوراق النقدية طويلاً ، وعمرها مرتبط بتداولها . في الولايات المتحدة على سبيل المثال تعيش الأوراق من فئة دولار وخمسة دولارات حوالي ١٨ شهراً فقط . أما الأوراق من فئات ١٠ و ٢٠ و ٥٠ دولاراً فتعيش ما بين سنتين وثلاث ، أما ورقة المائة دولار فتعيش حوالي ٦ سنوات .

وفي الغرب مراقبة شديدة على نظافة الأوراق . وخاصة في بريطانيا وألمانيا الاتحادية وفرنسا ، وتستهلك كل من هذه الدول حوالي ٦٠ طناً من الورق سنوياً لطبع أوراق جديدة تحل محل القديمة . وفي الولايات المتحدة يتم طبع ١٦ مليون قطعة نقدية كل يوم لاحلالها محل الأوراق القديمة .

في كل مرة يتلقى مصرف ما مبلغاً من المال يقوم بفرز القطع الممزقة أو القذرة أو ما شابه ويسلمها إلى المصرف المركزي الذي يقوم باتلافها . ومهما طالت مدة استعمال الأوراق النقدية ، فاسباب استبدالها هي عادة نفسها أينما كان في بريطانيا والبلاد العربية وأوربا وأفريقيا . فهناك ٨١ بالمائة من الأوراق التي تستبدل لانها قذرة ، و ٩ بالمائة لانها ممزقة ، و ٥ بالمائة لان ورقهاتعرض للاهتراء ، و ٤ بالمائة لأن الأوراق تحمل كتابات يدوية .

الأوراق باقية

عندما ظهرت الشيكات وبطاقات الاقتراض ، اعتقد الكثيرون أنها ستلغي الأوراق النقدية ، أو ستضعف من حجم تداولها . ولكن ما حصل كان عكس ذلك . فالولايات المتحدة ، الأولى في العالم من حيث تطور نظام الشيكات وبطاقات الاقتراض ، تزيد من عدد القطع النقدية التي تتداولها حوالي ٦ أو ٧ بالمائة سنوياً . ومنذ العام ١٩١٤ ، وحتى اليوم ، تضاعف عدد الأوراق النقدية المستعملة في العالم ٢٩ مرة . وفي سنة ١٩٥٠ استهلك العالم ٦٠٠٠ طن من الورق لطبع العملة ، وفي العام ١٩٨٠ ارتفعت هذه الكمية إلى ١٥,٠٠٠ طن . كل هذا يؤكد أن هذه الأوراق الصغيرة الملونة ، وهذه الأعمال الفنية الصغيرة التي لا يرفضها ناقد ستبقى موجودة ما بين أيدينا وفي جيوبنا وخزائننا حتى وقت طويل .

عبود عطية — بيروت

الحرم الابراهيمي

• إذا كان المسجد الأقصى بالقدس الشريف ثالث مكان إسلامي مقدس على سطح المعمورة، بعد كل من بيت الله الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، فلا ريب أن الحرم الابراهيمي بالخليل المحتلة هو من أهم المساجد التي يجب أن تنال اهتمام المسلمين في كل بقاع الأرض.

وقد كرّم الله صفيه وخليله ابراهيم بأن جعله أبا الأنبياء وأول المؤمنين .. وثمة ، — في اعتقادي المتواضع — أكثر من داع فقهي إسلامي لأن نزلزل نهائياً بعض قناعتنا الراكدة، الخاملة، والمقبوسة أساساً عن أساطير التوراة الوضعية، المؤلفة بشرياً بمزاعم اليهود عن الخليل ابراهيم وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: «ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» ..

كما أن الآيات البينات توضح دين أنبياء الله في قوله تعالى:

«ووصى بها ابراهيم بنيه، ويعقوب (أي هو الذي وصى بنيه أيضا)، يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم، واسماعيل، واسحق، إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون .. البقرة ١٣٢/١٣٣».

على أية حال، تقوم الديانة اليهودية، من أساسها على مبدأ انتحال نسبتها العرقية، وبنوتها الروحية أيضاً، لابراهيم، واسحق، ويعقوب، عليهم السلام .. ومن هذا المدخل يجأر الصهيونيون المعاصرون، ويتشدقون، بدعواهم التاريخية الباطلة في فلسطين كوطن، وفي مقدساتها الإسلامية العريقة في غور الزمان منذ عهد إبراهيم، كمواقع دينية ذات أصول يهودية، فهل الذين يزعمون أنهم يهود اليوم ينتسبون إلى نبي الله يعقوب ؟..

أما وأن الغزاة اليهود المعاصرين لا يترددون مطلقاً في الجهر بعزمهم على تهويد الحرم القدسي الشريف — أولى القبلتين، وثالث الحرمين — بزعم أنه ينهض على موقع الهيكل السليماني الذي ما من أية قرينة علمية، آثارية، تدل على حقيقة حجمه، أو موقعه، حتى الآن، فإن هؤلاء الغزاة الكفرة القتلة سفكة الدماء، قد قاموا بعدة حفريات أثرية، شكلية، عند أساسات المسجد الأقصى، وهم موقنون سلفاً بأنهم لن يصادفوا أية لقية أثرية تشير إلى هيكلهم السليماني المزعوم من قريب أو بعيد، وإنما لمجرد إختبار وقياس ردة الفعل العربية والاسلامية إن هم أقدموا أخيراً على اقتراف جريمتهم المروعة، والمتوقعة أيضاً، بهدم الأقصى، أو بتحويله إلى كنيس يهودي، ما دام الحال العربي على هذا المنوال !! ..

وفي هذا المجال الاختباري أيضاً، تدرج الغزاة الصهيونيون في تهويدهم للحرم الابراهيمي بالخليل، خطوة، إثر خطوة، منذ أن احتلوه في نكبة حزيران الأسود عام ١٩٦٧، وتحت ستار رهيب من الصمت والتغاضي العربي والاسلامي، كأن شيئاً لم يكن على الاطلاق !! ..

فألف معذرة، عزيزي قارئ «الدوحة» الغراء ..

فإن هذا المشهد، على يسار الكلام، يفترض فيه أنه من أهم المساجد في أرض الله، وقد تستطيع أن ترى فيه منبر صلاح الدين الأيوبي الذي نقله إليه من عسقلان .. إلا أنك، عزيزي، قد تعلم، أو لا تعلم، أنه لم يعد كذلك الآن ..

فلقد أصبح كنيساً يهودياً خالصاً .. والسلام !! ..

بقلم: يوسـف الخطيب



هذا مكاني

شعر
عيد صالح

وكنتُ
أحاول شد انتباهك ..
بالصمت حينا
وبالضجة المستعارة حينا
أحاصر عينيك ..
أضْربُ حولك سورا
وأزأر حين يمدُّون نحوك طـرفا
يفرون يأسا وخوفا
وكنتُ
أراك تحثين خطوك ..
ترتبكين
فيسقط منديلك الأرجوانيّ ..
ألقطه مسرعا بالحنايا
أمدّ عيوني إليك
أراني خلف العيون
برغم التجاهل والكبرياء المزيف
.. والضحكة العصبية

وكنتِ
تروغين
ـ تنْشقّ أرضٌ وتخفيك عني ـ
فأحفر فى الأرض طولا وعرضا
أقيم الحواجز فى الطرقات
وأعلن عن جائزة
لمن قد رآك
وكنتِ وحيدة
تمدين عبر زجاج القطار عيونك
فيهرب سرب الطيور .. النخيل
قطيع المواشى
نساء القرى يغْترفْنَ مياها رواكد
وأعمدة البرق تجري
تسابق ظل السحاب ..
السماء القريبة تسقط ..
عند التلال

وكنتِ وحيدة
برغم الزحام المسافرِ
بكاء الصغار .. الوجوه الكليلة ..
ضجة بعض الرجال ..
ـ هذا مكاني
ـ ولكنه مقعدٌ وعجوز
ويقطع عنف الحوار
زئير القطار .



سباعيّتان

شعر: حسن طلب

(١)

عندما كنت أمارس
مهنة التعليم في إحدى المدارس
وقفت تلميذة تسأل في نبرة يائس
كيف صار الشهر عاماً؟ ثم عامين؟ وهذا العام سادس؟!
فتبادلنا سكوت المتخارس
وبحثنا في الفهارس
عن جواد صادق العينين .. عن سيف وفارس

(٢)

عندما استلقيت منهوك القوى فوق الحشائش
حام من حولي غراب قال: ما حالك؟ غمغمت: الذي لم يخترمه الموت عائش
فاصطفاني .. حط كالسهم على صدري .. وأهوى بين عَيْنَيَّ بمنقار شديد البطش طائش
فاقشعر الجلد مني .. وهوى منكمشاً قلبي .. تأوهت بصوت خافت النبرة راعش
وهوى كل على صاحبه .. حتى سقطنا بين منهوش وناهش
فبحثنا في الهوامش
عن جراح لم تزل تنزف همّاً .. عن دم ما زال في الشريان جائش

اتجاهات الفن التشكيلي في قطر

● نظرة نقدية في المعرض السنوي الأخير للجمعية القطرية للفنون التشكيلية

بقلم
صبحي الشاروني

لم أتردد في قبول دعوة الجمعية القطرية للفنون التشكيلية لزيارة مدينة الدوحة بمناسبة معرضها السنوي الخاص ، خلال النصف الثاني من شهر ديسمبر الماضي .. فقد اعتبرت هذه الدعوة تقديراً عملياً وملموساً لما أنشره في مجلة « الدوحة » من دراسات حول الفنانين وأعمالهم .

واعتذرت عن كل ما ارتبطت به من مواعيد في تلك الفترة .. وبعد أقل من أسبوع من ابلاغي بهذه الدعوة حملت حقيبتي وسافرت ، لأشاهد هذا المعرض وأعيش بين ٦١ عملاً تمثل آخر ما أبدعه ٢٨ فناناً قطرياً .

ولأن المعرض أقيم في نفس الفندق الذي نزلت به ، فقد عشت مع هذه الأعمال أسبوعاً كاملاً أراها كل يوم صباحاً ومساء ، أتأملها وأناقشها مع أصحابها ، أسجل ملاحظاتي ،أستمع وأتحدث وأسأل وأحاضر عن الفنون الجميلة .. لقد كان أسبوعاً من العمل الممتع ، أحسست خلاله أنني أفدت واستفدت .

كان لقائي الأول بالحركة الفنية القطرية عام ١٩٧٤ ، عندما شاهدت أعمال عدد محدود من فناني قطر في معرض السنتين العربي الأول (البينالي) الذي أقيم في بغداد عام ١٩٧٤ وقد نظمه اتحاد الفنانين التشكيليين العرب .

وكان اللقاء الثاني عام ١٩٧٧ من خلال الكتاب الذي أصدره في ذلك التاريخ الفنان الراحل جمال السجيني بعنوان الفن التشكيلي في قطر وقدم عشرة فنانين فقط حتى بدا لي أنهم كل فناني قطر في ذلك الوقت .

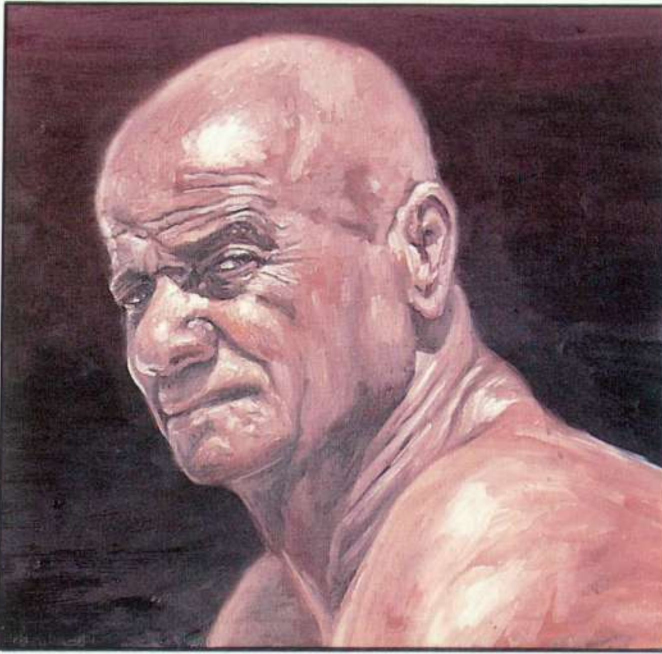
أما اللقاء الثالث فكان من خلال تقرير أعده تفتيش التربية الفنية بوزارة التربية والتعليم عن الفنون التشكيلية في دولة قطر مقدم الى مؤتمر الفنون التشكيلية في الوطن العربي الذي عقد في دمشق عام ١٩٧٥ وصدر في كتاب عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة عام ١٩٧٩ يضم التقارير المقدمة لهذا المؤتمر من مختلف الأقطار العربية .

أما اللقاء الرابع فكان عام ١٩٨٤ في صالون الفن العربي (بينالي القاهرة) وقد شارك في هذا المعرض عشرة فنانين قطريين .

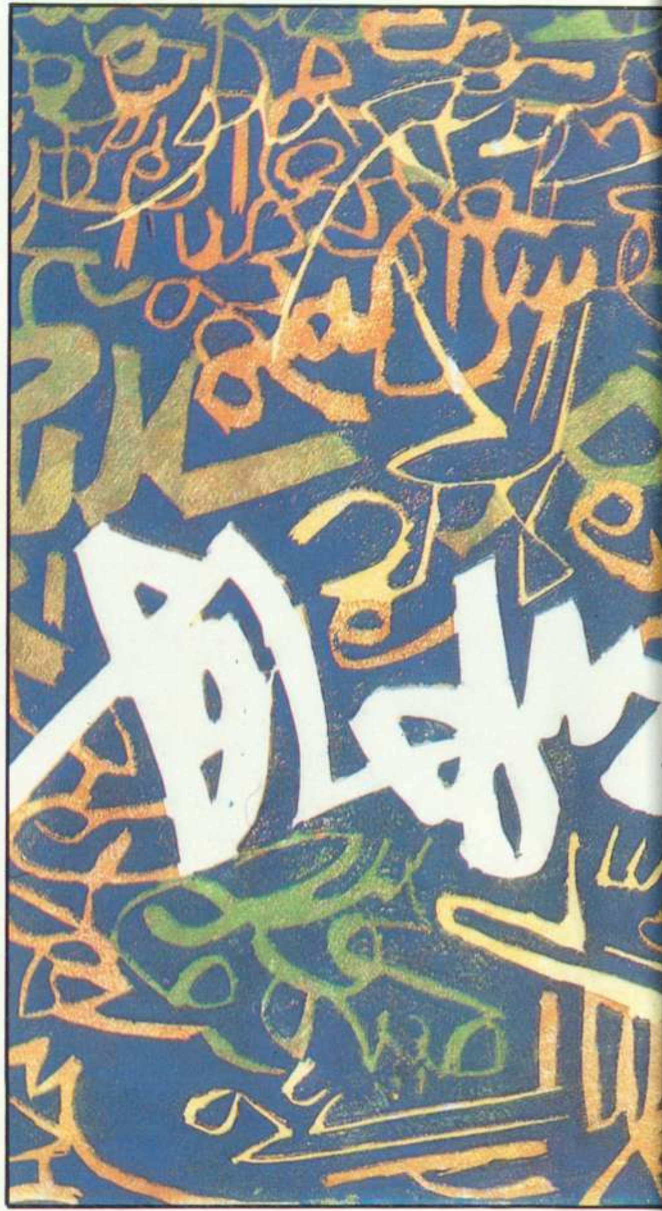
كان الانطباع الذي تركته هذه اللقاءات الأربعة غير محدد الملامح ، حيث احتلت الحركة التشكيلية في قطر موقعاً متواضعاً بين الحركات الفنية الأكبر سناً والأكثر أعضاءاً والأوسع شهرة في أقطار عربية أخرى حتى كان لقائي الخامس في شهر ديسمبر الماضي ، لأعيش متفرغاً مع الفن القطري عام ١٩٨٥ .. فتعرفت عن قرب على عدد أكبر من الفنانين وعدد أكبر من الأعمال ، واستوعبت صورة تكاد تكون كاملة عن الفنون الجميلة القطرية ، لا ينقصها إلا التعرف على البدايات واستيعابها عند كل فنان من حيث تطوره السابق ومسار انتاجه الفني .. وقد تحقق هذا الأمر أيضاً بالنسبة لفنانين أو ثلاثة .

تعدد الأساليب

من الملاحظات الملفتة للنظر فى هذا المعرض تعدد الأساليب .. وأنا لا أقصد تنوع أساليب الرسم عند الفنانين القطريين فهذا أمر منطقى فى معرض عام يضم نماذج من أعمال ٢٨ فناناً ، بل ان التنوع أمر ايجابي ودليل خصب الحركة الفنية وثرائها .. ولكن الملاحظة التي لفتت نظري هي تعدد الأساليب لدى الفنان الواحد في لوحاته المعروضة والتي رسمت في نفس المرحلة وتحمل كلها تاريخ ١٩٨٥ ..



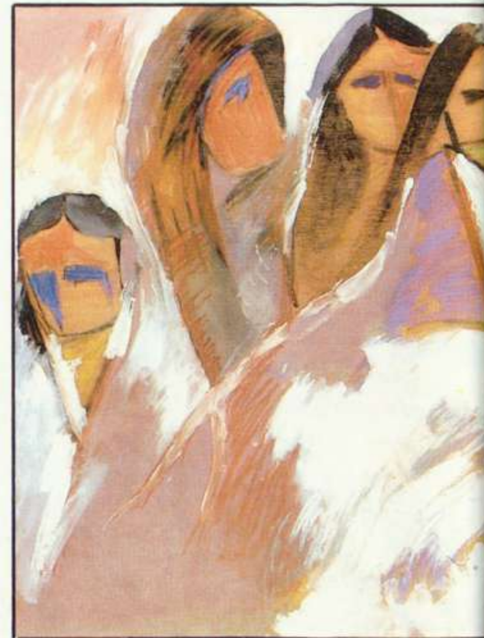
يوسف الشريف



علي حسن



سنان المسلماني



عيسى الغانم

حتى تحسبها لفنانين مختلفين لشدة التباين في طرق الرسم ..

تنطبق هذه الملاحظات على لوحات الفنانين : سلمان المالكي ، ووفيقة سلطان سيف ، وسلطان السليطي ، وحسن الملا ، وأحمد السبيعي ، وسنان المسلماني ، وخولة المناعي ، ووفاء الحمد ، ويوسف الشريف .

الاتجاه التسجيلي

الاتجاه التسجيلي هو الاتجاه الغالب في المرحلة الحالية على فناني قطر ، وأقصد بالاتجاه التسجيلي الاهتمام بتسجيل البيئة وتأكيد الملامح الخليجية عن طريق تصوير عناصر موجودة في الطبيعة أو كانت موجودة ثم اندثرت . في هذه اللوحات نحس ما يختلج في وجدان الفنانين من أسى على ضياع ما اندثر من الماضي تحت وطأة المدنية الحديثة .. فهناك اهتمام عام بتسجيل التراث القديم والبيئة الفطرية عندما كانت المهنة الرئيسية للسكان هي صيد اللؤلؤ .

وإنني أعتقد أن هذا الطابع العام المميز لاهتمامات الفنانين القطريين يمثل الطريق السليم لتطبيق أسلوب خاص وطابع مميز لفناني قطر ، وربما كل فناني الخليج .

كما أن هذا الاتجاه يلقى تأييداً وتشجيعاً من الجمهور ومن المسئولين الذين يرحبون بالطابع الخليجي ، فنجد أن أكبر لوحات المعرض مساحة تدخل في هذا الاتجاه ، وعلى رأسها لوحة الفنان سلطان الغانم التي تصور الجامع الكبير ذي القباب الذي اندثر ، ولوحة محمد الجيدة الصيد باستخدام الصقور .

اتجاهات الفن التشكيلي في قطر


سلمان المالكي

ولوحتا سلمان المالكي وأعمال وفيقة سلطان سيف وسلطان السليطي وأحمد هلال ويوسف الشريف ، وحتى لوحات أحمد عبدالله التي تصور وجه اعرابي مع جماله هي من هذا الاتجاه وإن كان الفنان قد استخدم الأسلوب التأثيري الذي يهتم بالأضواء والظلال وانعكاسات الألوان ليعالج بها موضوعه التسجيلي .

وتدخل في هذا الاتجاه أيضاً لوحات الفنانة سلوى شريم ، وأحمد زيني وأحمد الملا ، وأمينة المناعي ، وسيف الكواري .

كما تمثل لوحة الفنان عيسى الغانم تسجيلاً للأزياء الوطنية ولكن بطريقة فيها تبسيط شديد ، تتميز بلمسات الفرشاة الحرة وطزاجة الألوان وخشونة الرسم مما يعطي حيوية شديدة للموضوع .

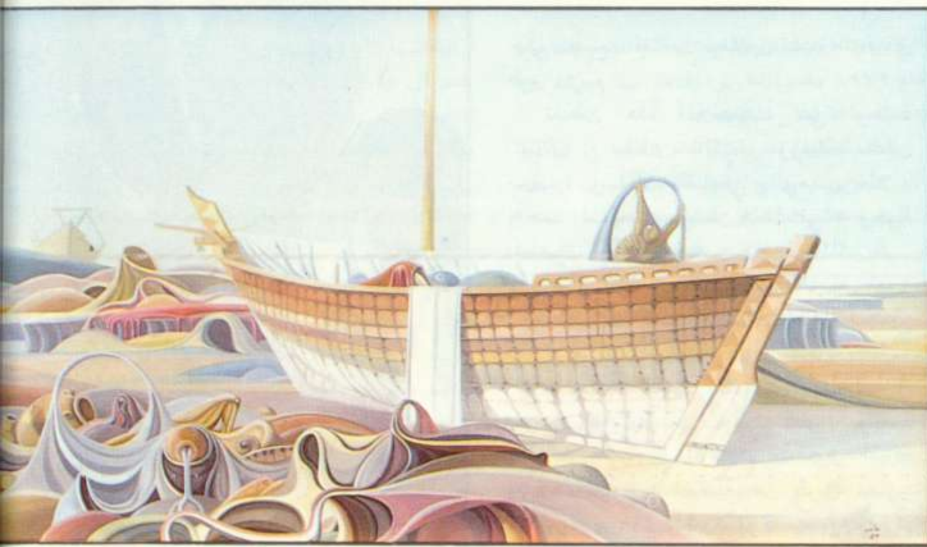
وتجدر الاشارة هنا إلى أن الرسم بالأسلوب التأثيري يمكن استخدامه في لوحات تسجيلية الموضوع وليس شرطاً أن تكون اللوحات التسجيلية مرسومة بأسلوب أكاديمي طبيعي ، فالاهتمام بالاضاءة في اللوحة والانعكاسات الناتجة عن الظل والنور ليست هي موضوع العمل الفني وإنما هي اسسلوب في الرسم لابراز موضوع معين كتسجيل مشهد طبيعي أو منظر داخل الجدران أو وجه رجل قوي التعبير كوجه الغواص المعبر عن التحدي للفنان يوسف الشريف .

فن البورتريه

يندرج تحت هذا الاتجاه فنانان اهتما بتسجيل ملامح الوجوه (فن البورتريه) ، الأول هو فرج دهام الذي يعرض خمس لوحات قوية التعبير كلها تصور وجه امرأة سمراء ، يخيل للمشاهد أنها لوحات افريقية ، ثم لا نلبث أن نكتشف طابعها القطري ، فبمهارة واضحة أوحى للمشاهد بالتجسيم من خلال المناطق المضيئة اللامعة حتى في الشعر ، بينما الخلفية الداكنة أبرزت الوجوه وجعلتها تبدو كالنحت البارز ، وكأنها خارجة من الجدار .

أما الفنان الثاني فهو ابراهيم خلفان الذي عرض لوحتين لوجهين في أوضاع معبرة ، أحدهما منهمك في اصلاح شيء ما والثاني يلتفت نحونا محتجاً صارخاً .

ولاشك أن لوحة الغواص أو التحدي ليوسف الشريف تشترك معهما في تسجيل ملامح الوجه المعبرة (أي فن البورتريه) .


ماجد هلال



وفاء الحمد



أحمد السبيعي



وفيقة سلطان



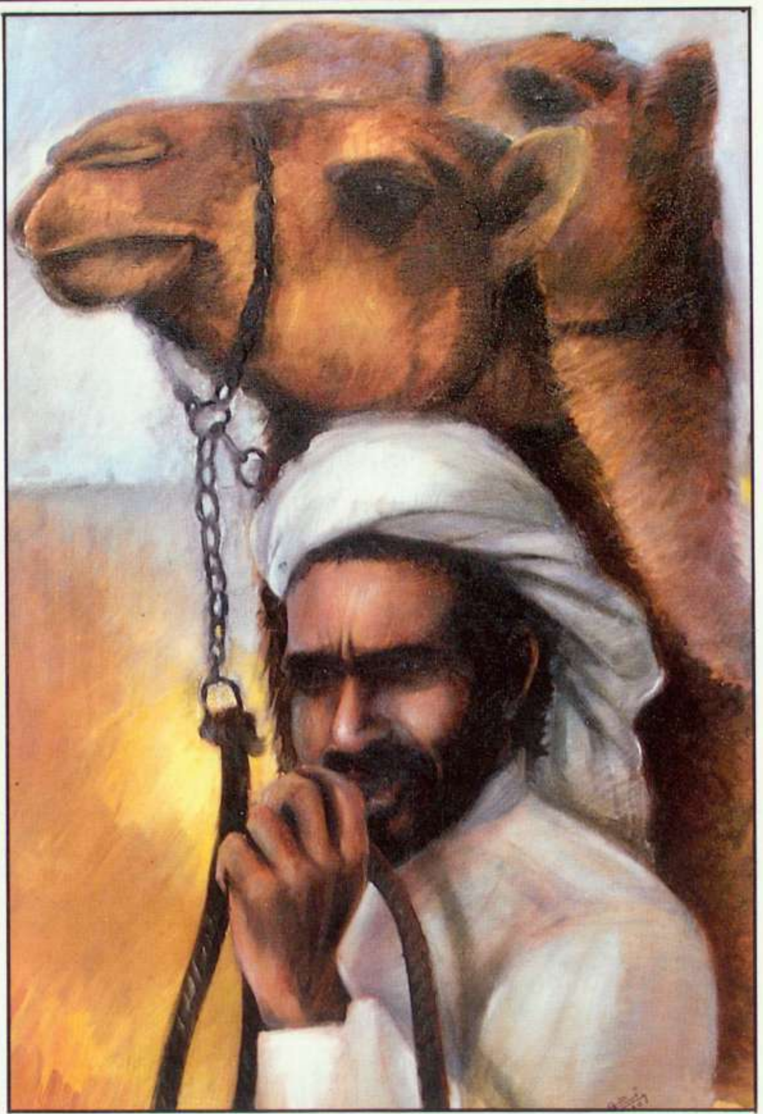
سلوى شريم

الاتجاه الزخرفي

الاتجاه التالي الذي يحتل مساحة كبيرة على خارطة الفن القطري هو الاتجاه الزخرفي الذي يبرز بوضوح في لوحة الفنانة بدرية الكبيسي التي تمتلئ لوحتها بالدوائر الملونة بألوان ساخنة هي الأصفر والأحمر والبرتقالي، وتبرز من بين هذه الدوائر حروف جملة «من جدّ وجد» بألوان باردة هي الأزرق والبنفسجي.. وتنضوي تحت هذا الاتجاه الزخرفي تماثيل الفنان سيف الكواري الذي يحور الأشكال ويبسطها ويلخصها حتى تبدو تماثيله الخشبية كعناصر جمالية مجردة، وإن لم تفقد صلتها بالشكل الأصلي الذي تعبر عنه، فهو يحتفظ بالقيمة الزخرفية محترماً خصائص خامة الخشب التي ينحت فيها تماثيله.

تدخل أيضا تحت هذا الاتجاه لوحة الفنانة خولة المناعى المرسومة بالحبر الأسود وبها تماثل واضح بين نصفي اللوحة، إنها تصور عيون امرأة مبرقعة. وتحمل فوق رأسها ما يشبه قارباً أو مركباً وتحيط بهذا الوجه خطوط زخرفية ربما تمثل شعر تلك المرأة أو زينتها.

اتجاهات الفن التشكيلي في قطر



أحمد عبد الله



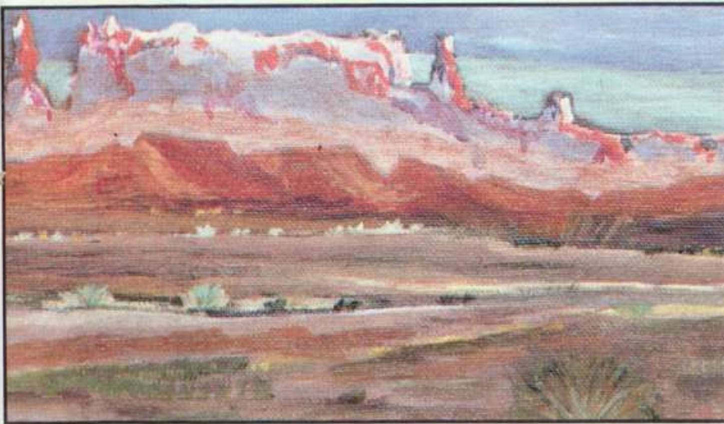
فرج دهـام

هناك أيضاً لوحات وفيقة سلطان الزخرفية للبيوت القطرية القديمة وهي لوحات ناجحة وموضوعها تسجيلي وإن كان الطابع الزخرفي جعلها تلح تماماً كعناصر ديكورية.

الاتجاه الحروفي

وأقصد بهذا الاتجاه استخدام حروف اللغة «العربية» في إقامة تشكيل ملون تجريدي المظهر، ويقف على رأس هذا الاتجاه الفنان علي حسن الذي تفصح لوحاته الخمس عن خبرة طويلة في كتابة الخط العربي التقليدي قبل أن يتجه إلى تشكيل لوحاته ذات الجماليات المطلقة من حروف الخط الفارسي، وهو يستخدم أساليب الجرافيك لطباعة عدة نسخ فنية من بعض تكويناته ذات المظهر التجريدي.

تدخل في هذا الاتجاه أعمال الفنان يوسف أحمد التجريدية التي قامت في أصلها على خبرات في اللوحات الحروفية.. لكنها في أعماله التي شارك بها في هذا المعرض وأصبحت أشكالاً تجريدية مطلقة، لا تظهر قيمتها إلا إذا استخدمت تطبيقياً في الطباعة على غلاف كتاب أو ورق حائط أو غير ذلك.

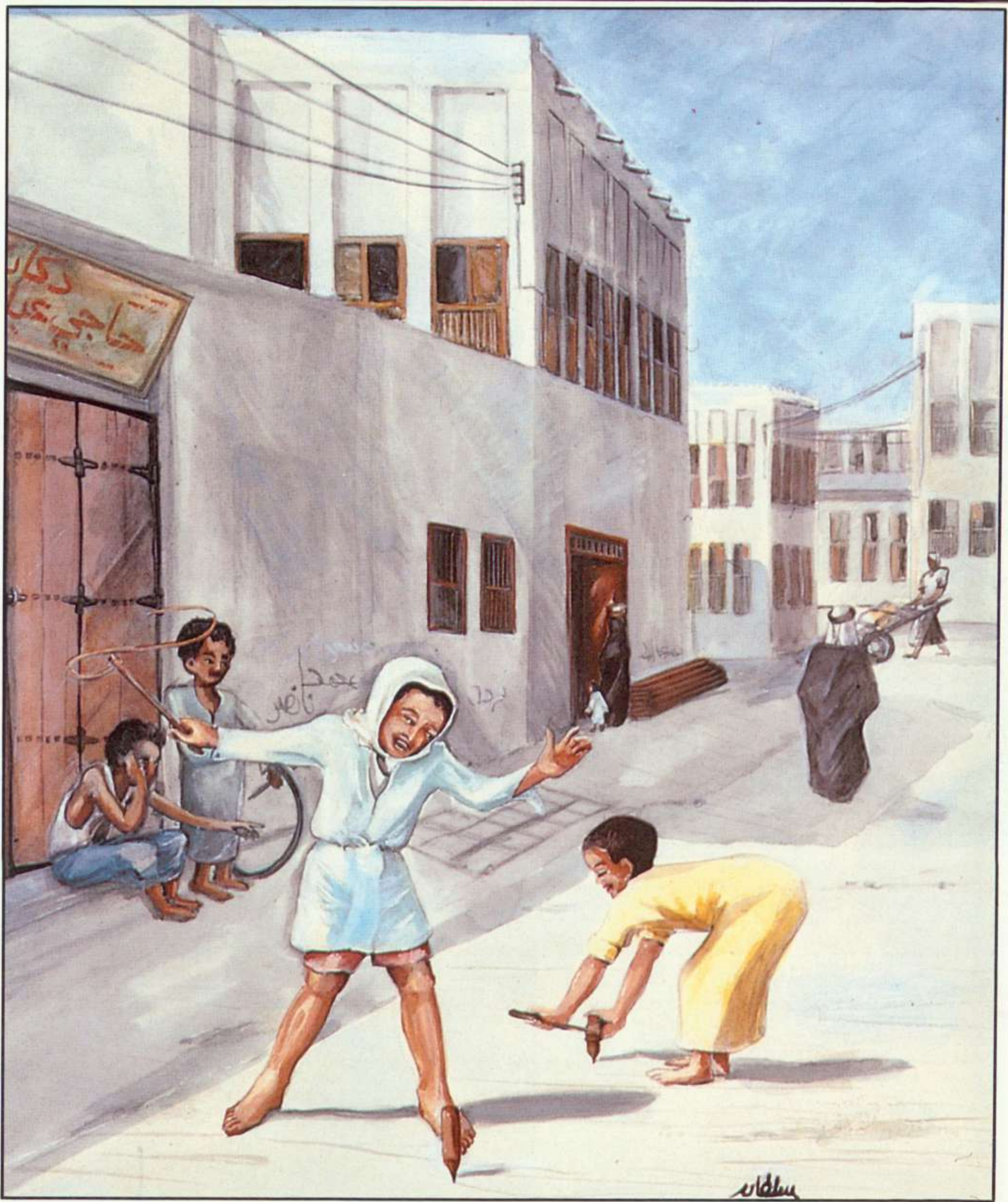


أحمد المـلا

الاتجاه الخيالي

هو اتجاه ينطلق فيه الفنان مع خياله فيرتب العناصر ترتيباً خيالياً يتميز بالرقة والألوان المبهجة، كالمشاهد التي تعرضها أفلام الرسوم المتحركة، على رأس الأعمال التي تسير في هذا الاتجاه لوحة للفنان سلمان المالكي التي تضم عناصر زخرفية من التراث الخليجي مع فرسين في بؤرة اللوحة يؤكدان الأصالة العربية والفروسية. وهناك لوحتان للفنان سلطان السليطي رغم صغر حجمهما إلا أن الفانتازيا والرومانسية تشعان منهما، ثم لوحة أحمد السبيعي التي تصور قباباً في أوضاع خيالية.

ويتربع على رأس هذا الاتجاه الفنان ماجد هلال، فأعماله الخيالية تشعرنا بالتلافيف المعقدة وكأننا على كوكب آخر، وفي نفس الوقت قد توحي هذه التراكيب اللينة بأنها شعر امرأة مسترسل.


سلطان السليطي

الموضوعات السياسية

لم يخل المعرض من أعمال تعرض بشكل مباشر للأحداث السياسية وتأثيرها على الفنان المرهف الحساسية في هذه المنطقة الساخنة من العالم ، على رأس هذه الأعمال لوحة جاسم زيني عن حرب ناقلات البترول في الخليج ، وهو يستخدم الرموز المباشرة في التعبير عن موضوعه مثل الكرة الأرضية والمصباح الذي يرسل الظلمة عوضاً عن النور وصحيفة ذات عنوان مثير فضلاً عن مشهد الطائرات والناقلات المشتعلة .. إنها من اللوحات الكبيرة الهامة في هذا المعرض . وفي نفس هذا الاتجاه قدم حسن الملا لوحة تصور ثلاثة أشخاص يقفون على تل يضيئه وهج القنابل ، بينما قصاصات الصحف في مقدمة اللوحة وعنوان ضخم : «الدول العربية تستنكر» إنها من اللوحات السياسية المباشرة الواضحة الهدف .

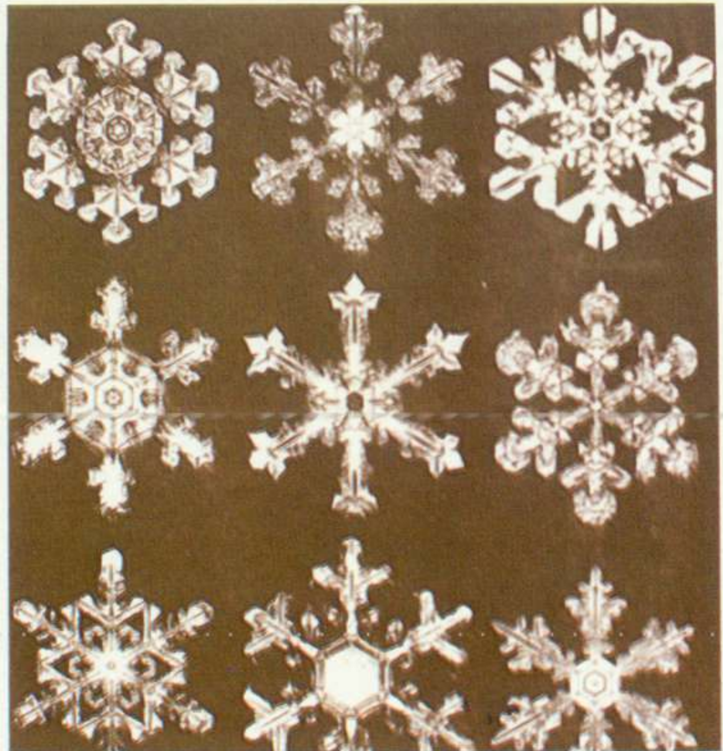
بقيت لوحتا الفنان محمد علي عبدالله وتصوران هيكلاً عظمياً مقيداً يتلوى ، إن الفنان يعبر بأسلوب مسرحي عن مأساة باطنية .. حتى أن المشاهد الحساس لهاتين اللوحتين يمكن أن يذرف الدموع لشدة تعبيرهما المبالغ فيه عن التعذيب ، وهو بلا شك رمز غير مباشر للعذاب النفسي وتعبير عن العجز أمام الأحداث الكبرى التي لا يملك الإنسان الفرد أن يغير مسارها .

صبحي الشاروني



اضبط .. حيوان غريب اسمه «شاعز»

تأمل فى هذه اللقطة جيدا ، لتكتشف أن الوجه وجه ماعز ، لكن الجلد جلد شاة ، لأنه يحمل صوف خراف بدلا من شعر معيز ، وكأننا نحن أمام شاة فى ماعز ، أو ماعز فى شاة ، ومن أجل هذا أخذنا حرفين من كل اسم ، فكان « شاعز » ، وفى هذا الحيوان الجديد صفات وراثية من خراف ومعيز ، وهو نتيجة بحوث طويلة أجراها علماء معهد فسيولوجيا الحيوان بجامعة كيمبريدج بانجلترا ، ولقد نجحوا أخيرا فى دمج خليتين من جنينى ماعز وشاة ، ثم زرعوا الخلية الهجين الحاملة لصفات هذه وتلك فى رحم ماعز أو شاة مهيأة للحمل ، وعندما خرج الوليد ، جاء بهذه الصفات التى تراها فى تلك الصورة .. والغريب أن ذلك لم يكن الحيوان الوحيد الذى انتجوه ، بل تمكنوا من انتاج سبع شواعز (أى شاة فى ماعز) أخرى تحمل بعض صفات الاثنتين .. وهكذا فقد نجح علماء الحيوان فيما نجح فيه علماء النبات من قبل إذ توصل هؤلاء الى انتاج نبات هجين من خلايا الطماطم والبطاطس ، وأطلقوا عليه اسم بطاطم أو طماطس ، وكأنما هذه البحوث الغريبة تعيد الى أذهاننا أساطير القدماء التى تصوروا فيها إمكان وجود مخلوقات خرافية ، كأن تكون مثلا برأس انسان ، وجسم أسد ، وذيل حية .. ومن يدرى ؟ .. فربما تتمخض بحوث العلماء عن انجازات قد تكون أغرب من الأساطير ومن الخيال !



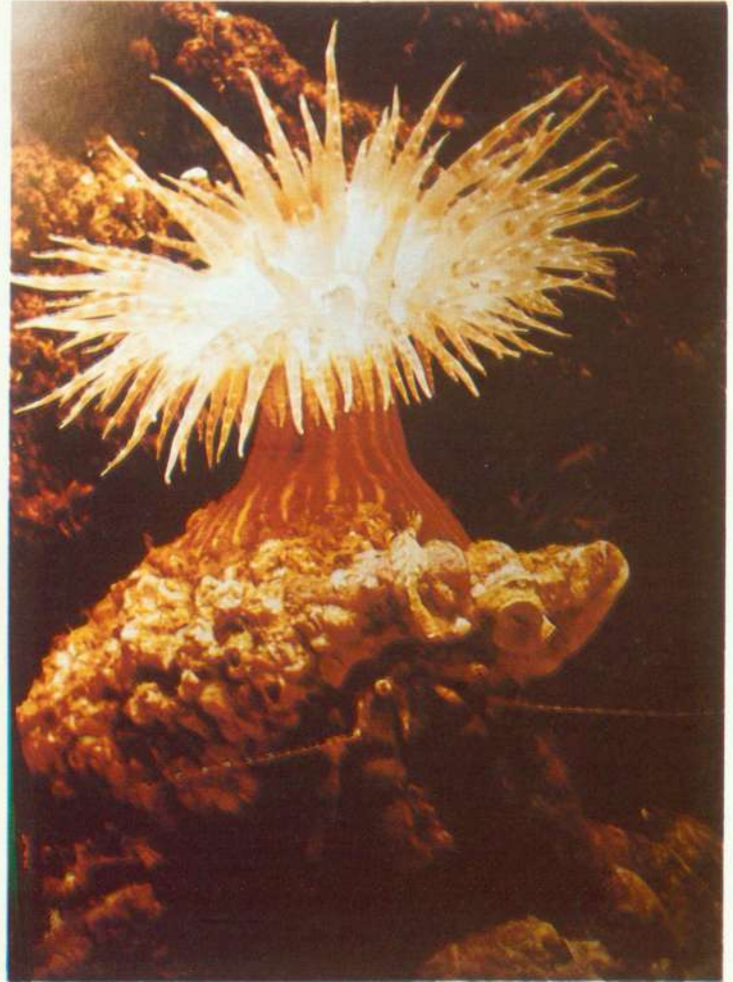
فن بدون فنان

للعلماء عالمهم الخاص الذى يرون فيه مالا يرى الناس .. فى هذا العالم الخاص ، يتجلى لهم تناسق الخلق بصور أبدع ، ونظم أروع ، وتكوينات أدق وأجمل .. فهذه التشكيلات المتناسقة الجميلة هى جزء ضئيل من العالم الخاص الذى يتاح للعلماء دون عامة الناس ، ولهذا فلن يفطن أحد لمغزى هذه اللوحات المتقنة إلا إذا كان على خبرة ودراية بأصول علم البلورات .. لكن الغريب أن هذه البلورات لن تعيش إلا لوقتها ، إذ سرعان ماتذوب وتختفى ، مالم تكبرها وتصورها تحت ظروف خاصة ، لتحتفظ بأشكال آلاف فوق آلاف من هذه التحف المختلفة والمتناسقة والتى لايتشابه منها اثنان على الاطلاق .. والواقع أنها تذوب ، لأنها ببساطة بلورات ثلج ، أى بخار ماء متكثف على سطح صلب ، وفى درجة حرارة مادون الصفر ، أما لماذا جاءت بهذه الأشكال الجميلة ، فذلك ما حير العلماء ردحا طويلا من الزمان ، وأيا كانت التفسيرات ، فإن هذه البلورات تجىء كتعبير مجسد عن التناسق الشامل الكامن فى خلق الله ، يستوى فى ذلك صور الجماد ، وصور الحياة .. « ولكن أكثر الناس لايعلمون » .



ديدان في ثعبان

أحيانا ماتأتى بعض الكائنات بسلوك غريب يحير الانسان ، ويجذب اهتمامه ، فيحاول جاهدا أن يجد له تعليلا يريح به عقله ، أو يتعلم شيئا جديدا عن الأسرار التى أودعها الله فى خلقه ، ولقد جذب سر هذا الخيط الأبيض انتباه ذلك الانسان ، لكنه – فى الواقع – خيط يتحرك ويسير الى هدف معين ، وقد يحسبه من يراه من بعيد ثعبانا ، فاذا اقترب منه وجده ديدانا ، (هى فى الواقع يرقات فراشة) .. لكن المثير أن كل دودة قد أمسكت بفمها ذيل أختها ، فكان هذا المهرجان الصغير المتحرك بحركات ترتفع وتنخفض ، وكأنما هى موجات بحر .. والى هنا قد يبرز سؤال هام : لماذا سلكت اليرقات مثل هذا السلوك الغريب ؟ .. الواقع أن الأمر محير ، فالبعض يعتقد أن التجمع والتلامس بين أفراد النوع الواحد ، يوحى بأنه ليس وحيدا ، فيحس ببعض الأمان ، وهو أمر معروف فى أسراب الحيوان ، لكنه غريب فى عالم الديدان .. ومع ذلك فهناك رأى آخر يقول : إن هذا التشكيل يوحى للكائنات المهاجمة بأنه لحية أو ثعبان ، وليس لديدان ، وهو نوع من الخداع أو التمويه الذى قد يصيب ، أو قد يخيب .. والله أعلم !



بيت فريد ذو حرس شديد

لاشك أن الحياة تنطوى على حرص وحذر وتنمر ، ولهذا فمن لا يأخذ منها حذره ، فلا يلومن إلا نفسه ، وفى ذلك تستوى كل المخلوقات ، وبدون تحيز أو استثناءات ، واللقطة تعبير متواضع عن معنى الحرص الذى تنشده بعض الكائنات الصغيرة التى جاءت بدون عقل أو فكر ، وهى تكوين غريب من ثلاثة كائنات ، أحدهما قدمات ، وترك بيته الصلب الذى تراه هنا كقوقع ، وفى داخل القوقع المهجور يسكن أحد أنواع السرطانات (الكابوريا) ، وهوالذى ترى منه مقدمة رأسه وقد برز منها العينان واللامسان الطويلان ، ولقد احتمى بهذا البيت الغريب ، لأنه أتى الى الحياة بدون قشرة صلبة تحمى جسمه الغض ، ومن هنا قد يصبح صيدا سهلا ، ولهذا هدته غريزته الى البحث عن بيت مناسب يحتمى فيه ، ويحمله معه أينما سار .. لكن الأغرب من ذلك أن معظم أفراد هذا النوع من السرطانات تنتقى قواقع يلتصق عليها كائن آخر يشبه الزهرة ، وماهو بزهرة ، بل نوع من الحيوانات المعروفة باسم شقائق النعمان البحرية ، وعلى أذرعه الكثيرة تنتشر آلاف الابر الدقيقة المزودة بمادة كاوية ، فاذا اقترب منه عدو ، انطلقت عليه القذائف ، فتجعله يترنح ، فكأنما السرطان هنا قد أحسن الاختيار ، فأصاب عصفورين بحجر واحد : بيت يسكن فيه ، و « ترسانة » دفاعية تحميه .. وأنعم بها من أفكار ، تحميه من الأخطار !



سجادة من منطقة «قاشان» بايران ، وفي وسطها تصوير للصيد بالصقور ، وعلى حافاتها كتبت قصة الصيد كاملة



سجادة طولية من القرن التاسع عشر مازال صوفها محتفظا بلونه الطبيعي

كتاب الشهر

السجاد الإسلامي

لوحات من الفن الرفيع بهرت الدنيا

عرض وتقديم : حسني شحادة



سجادة نادرة من النوع المعروف بذات الزهريات وتعود الى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى



سجادة من الحرير الخالص من جنوب القوقاز تعود الى بداية القرن الثامن عشر

تفتقر المكتبة العربية إلى تغطية علمية شاملة للفنون الاسلامية . التي شهدت ازدهاراً ، أعطى لتلك العصور ، صور العبقرية العربية الاسلامية ، التي تجلت في كافة علوم المعرفة ، في وقت كان الجهل سائداً ، والظلام دامساً ، في البلاد التي لم يشرق عليها الاسلام بنوره ، هادياً ومعلماً . وعندما انفتحت تلك البلاد على بلاد المسلمين ، انبهروا بما حققه علماء المسلمين من إنجازات إبداعية ، فانكبوا ينهلون من هذا السلسبيل العذب ، في الوقت الذي أصاب الوهن دولة الخلافةالاسلامية ، فظهرت طائفة من علماء الغرب ، حاولت إنصاف الحضارة العربية الاسلامية ، فصدرت دراسات رصينة عن وجوه ومناحي الحضارة الاسلامية ، وكان منها هذا الكتاب الذي نقدمه ، وهو كتاب « السجاد الاسلامي » لمؤلفه « فريدرش سبهلر » مدير متحف الفن الاسلامي ببرلين ، والذي يلقي الضوء على هذا الفن الاسلامي العريق .

السجاد الإسلامي



سجادة من شمال غرب ايران



سجادة اسلامية محلاة بآيات قرآنية

السجاد من الصناعات الفنية المحببة الممتعة ، فصناعته لها ماض معروف ، وعراقة في التاريخ البشري ، فكما أن فن العمارة يمكن أن يوصف بأنه تاريخ مكتوب على الأحجار ، ففن السجاد ، تاريخ مدون على الصوف .

نشأت صناعة السجاد عندما احتاج الانسان القديم لغطاء يحفظه من الحرارة والرطوبة أثناء نومه وملامسته الأرض ، واتقاء لما ينتابه من علل ، من خشونة الأرض وصلابتها ، مما جعله يفكر في صنع فراش ودثار . وغطاء يحمي به جسمه .

لقد أمدنا التاريخ بقصص كثيرة نستمد منها عراقة هذه الصناعة ، فمقبرة « سيروس » (١) ، مؤسس المملكة الفارسية القديمة ، كانت مفروشة بسجادة بابلية رائعة ، وذكرت هذه القصص أيضاً ، أنهم حملوا « كليوبترا » ملفوفة بسجادة نفيسة في حضور القيصر ، وهناك امرأة من وراء عصور التاريخ تقول : نسجت فراشي من العقاد ، وغطيته بنسيج مزركش من مصر » .

ودلت الأبحاث أن الأقدمين استعملوا الكليم قبل السجاد ، وذكر أنهم كانوا يثبتون مفروشاتهم بأوتاد خشبية أو حديدية ، وهذا الوصف ينطبق على الكليم لخفة وزنه ، ولكن حاجة الانسان الى مفروشات ثقيلة ، لا يعبث بها الهواء ، وتحتفظ في المكان المفروشة فيه ، جعلته يفكر في إضافة بعض العقد الى هذا النسيج ، حتى تؤدي الغرض المنشود من ناحية ثقل الوزن ، كما أن العقد تتيح له الفرصة لعمل نقوش جميلة ذات ألوان متعددة .

الرواد الأوائل

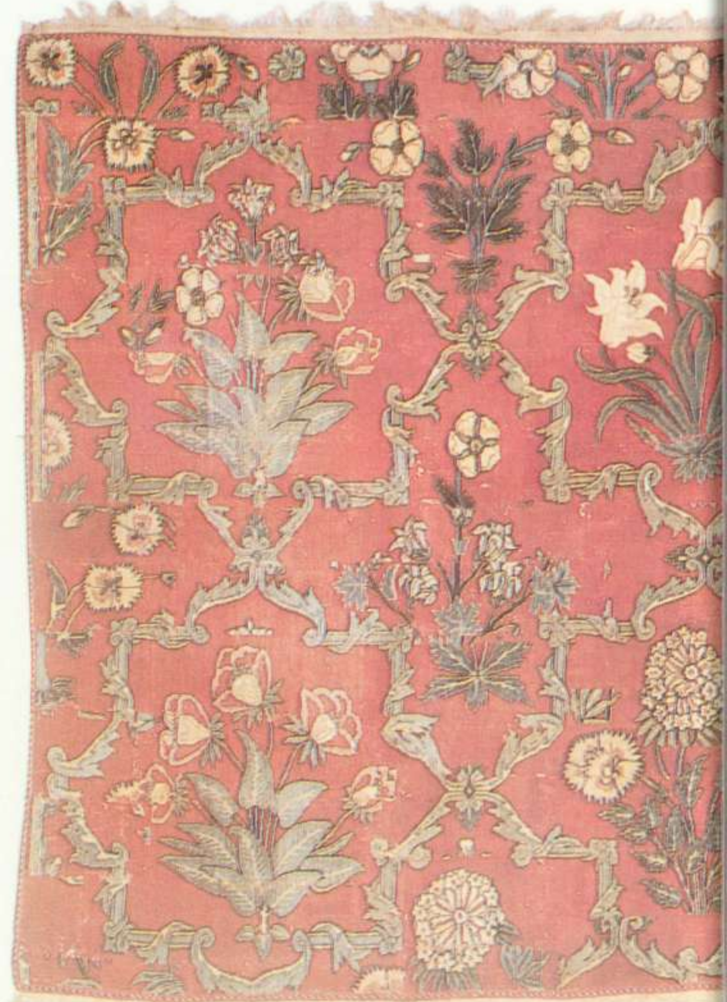
• المصريون : تقول بعض المصادر ان المصريين القدماء ، توصلوا في عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد ، الى صناعة أنوال السجاد ، ونسجوا عليها حصراً من نبات البردي ، إذ كانت تضطرهم الحالة الى تغطية أرض معابدهم ، ويدلنا على ذلك ما وجد محفوراً على مقابر « بني حسن » ، يمثل نساء تنسج السجاد على أنوال شبيهة الى حد كبير بالأنوال الموجودة في الشرق في الوقت الحاضر .

• الصينيون : تقول المصادر ان الصينيين هم أول شعب صنع السجاد ، وأخذ عنهم البابليون ، ثم الفرس ، وقد كانت الصين هي المركز العام لهذه الصناعة . فأصبح الشرق قبلة الوافدين والباحثين عن السجاد .

ان تفوق الشرق في هذه الصناعة ، يرجع لأسباب كثيرة ، أهمها طبيعة الأرض التي تكثر فيها المراعي ، فتوجد الحيوانات التي يوجد من شعرها ووبرها الخامات التي يصنع منها السجاد ، كما ساعد على ذلك عادات السكان ، الذين يجيدون الصناعات اليدوية ، بالخامات المتوفرة لديهم . وقد انتشرت هذه الصناعة بين النساء والأطفال ، وتسابقوا لانتاج نماذج جديدة ، تفننوا فيها في أساليب الابتكار ، حيث كان الاشراف والأغنياء يعجبون باقتناء التحف ويدفعون فيها الكثير .

السجاد الاسلامي

كان إنتاج المنسوجات الاسلامية ، من أهم مميزات الفنون الجميلة الاسلامية ، واشتهرت بذلك مصر والشام ، وايران ، وبلاد الأناضول ،



سجادة مغولية تتميز بتصوير الطبيعة



جزء من سجادة يبرز نقوشاً بالذهب على ستان أخضر

والهند، وغيرها، وقد كان اهتمام الخلفاء(٢) بصناعة النسيج عظيماً، فكانت وظيفة «صاحب الطراز» لا يتولاها إلا أحد كبار المقربين النابهين، وكان لإنشاء دور الطراز(٣) في جميع ولايات دولة الخلافة الاسلامية، أهمية في العصر الأموي والعباسي وما تلاهما من العصور.

وجدت صناعة السجاد في الأقاليم والولايات الاسلامية منذ القرن الثاني الهجري في مصر وايران وأرمنيا.

وقد نهج المؤلف في تقسيم كتابه إلى ستة أبواب، عارضاً التطور القديم، وهو الباب الأول، ثم تلاه السجاد في بلاد الاناضول إبان الدولة العثمانية، ثم ايران، ثم المغول فالقوقاز.

والمعروف أن بلاد الأناضول، بلاد وفيرة المراعي، يجود فيها الصوف لجوها البارد، وأرضها الجبلية، ومياهها عذبة خالية من الأملاح، إذا غسل فيها الصوف جادت صباغته.

نسج السجاد في آسيا الصغرى قديم، فقد أشار الرحالة «ماركوبولو» في القرن الثالث عشر الميلادي، إلى السجاجيد السلجوقية القديمة الجميلة، وذكرها «ابن بطوطة»(٤) في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ولا تزال ثلاث سجاجيد تركية قديمة في متحف الأوقاف باستانبول، ترجع إلى عهد السلاجقة، صنعت في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

للسجاد التركي ميزات وسمات خاصة، حيث توجد ساحة متوسطة في السجادة، عليها الرسم الرئيسي، ويحيط بها إطار به أشرطة يختلف عددها حسب حجم السجادة، أما النسيج، فهو غليظ سميك بعض الشيء، أما تنسيق الألوان الحمراء والزرقاء والصفراء، فيشهد على مهارة فنية، وذوق رفيع.

أما المنطقة الرئيسية لنسج السجاد في تركيا، فهي منطقة النجاد الواقعة في الأناضول على مسافة غير بعيدة عن شاطئ البحر الأبيض المتوسط، فلا تزال مناطق «عشاق» و«كوردهس» و«قولا»، تنتج كمية كبيرة من السجاد التركي، وأصبحت أزمير منذ القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، قاعدة هامة لتصدير تلك الطنافس إلى أوروبا، فقصور المدن الايطالية، وكنائسها، تحتوي حتى يومنا هذا، على تحف ثمينة من السجاد التركي القديم. وقد رسم كثير من الفنانين الايطاليين، والهولنديين، لوحات فنية، لتلك الطنافس التركية، أمثال «جيوتو» و«دوميكودي بارتولو» و«فراانجلكو» و«هولباين» و«فان ايك» و«مملنج».

سجاجيد الصلاة التركية، ذات شهرة رائعة، وأبدعها تلك التي صنعت في المناطق الجبلية من الأناضول، في القرن الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، فنسيجها دقيق، وأرضيتها حمراء، أو زرقاء، أو بيضاء، ومساحتها صغيرة في أغلب الأحيان، ويمتاز معظمها برسم يمثل محراباً في أرض السجادة، وقد تكون له أعمدة، وربما حل محلها بعض الزخارف. أما رسوم المحاريب، فمختلفة، فمنها ما له قوس مدبب، ومنها ما له قوس فارسي، وتتناسب رسوم الأعمدة مع المحاريب، فقد تكون سلاسل، وقد تكون زخارف من الزهور والنباتات، والاطار غالباً ما يكون من أشرطة رفيعة فيها رسوم زهور ووريقات محرفة من الطبيعة، ومكررة في نظام دقيق.

السجاد الإسلامي



سجادة عثمانية نادرة



سجادة صلاة ، نادرة للغاية ، من منطقة «عشاق» بالأناضول

ان معظم سجاجيد الصلاة التركية النفيسة ، تنسب الى مدينة «كوردهس» أو «جوردس» و«قولا» أو «كولا» ، كما ينسب البعض الآخر الى «لاذريق» من أعمال قونية ، أو الى «نيلاس» و «مودجور» و «يرغمة» . ولكل بلد من هذه البلدان ، أسلوبه الخاص في صناعة وزخرفة تلك السجاجيد .

فلا عجب فقد كان السجاد التركي يصدر بكميات كبيرة الى مختلف بلاد العالم ، وكانت بعض ضروبه من أبدع السجاجيد الشرقية .

السجاد فى مصر

وقد كشفت دار الآثار العربية فى حفائرها بالفسطاط قطعاً من السجاد ، جميل الصنعة ، زاهى الالوان ، ومن بينها قطعة عليها بقية تاريخ يرجح أنه «ست ومائتين بعد الهجرة» حوالى ٨٢١ م (٥) ، وفى المتاحف قطع من السجاد تشهد أن صناعة السجاد كانت معروفة فى مصر فى القرن الثالث الهجرى ، التاسع الميلادى .

ازدهرت صناعة السجاد فى مصر الفاطمية ، وقد أشار «المقريزى» (٦) الى شهرة مدينة «أسيوط» فى صنع السجاد ، كما ذكر «اليعقوبى» (٧) ذلك فى تاريخه قبل ذلك بعدة قرون .

وقد أشار الرحالة الاوروبيون الذين زاروا مصر فى أواخر عهد المماليك . وأوائل العصر العثماني ، الى وجود مصانع لنسج السجاد في القاهرة ، كما أن المؤرخين العثمانيين الأتراك كتبوا أن صناعاً من الاختصاصيين فى صناعة السجاد قد نقلوا من مصر الى استانبول لتطوير صناعة السجاد العثمانى .

ويمتاز السجاد المصرى ، بأرضية حمراء ، فيها اللون الأخضر الناصع ، ومواضع قليلة موشاة باللون الأزرق ، ولها صوف لامع ، معقود على سداة من الحرير ، وقد كانت بعض هذه السجاجيد مصنوعة أيضا من الحرير .

أما قوام زخرفة السجاجيد المصرية ، فأشكال مختلفة ، تضم رسوماً هندسية تارة ، ورسوم أزهار ، وأشجار ، محورة من الطبيعة ، وهذه الزخارف ذات شبه كبير بالرسوم الموجودة على كثير من التحف التى ترجع الى عصر المماليك ، ولاسيما على جلود الكتب ، وعلى الفسيفساء الرخامية . وهذا ماحسم الخلاف بين بعض مؤرخي الفنون الاسلامية ، عندما نسبوا صناعة بعض هذه السجاجيد الى دمشق ، تارة ، والى مراكش تارة أخرى .

السجاد فى إيران

ترجع شهرة إيران فى صناعة السجاد الى العصور القديمة ، فقد كانت تصدره الى بلاد الاغريق ، ثم الى الامبراطورية البيزنطية ثم الى بلاد الغرب .

وتكمن شهرة السجاد الايراني وجماله ، الى بديع ألوانه ، وتناسقها ، وحسن توزيعها من جهة ، والى متانة صناعتها من جهة أخرى ، ومن جهة ثالثة الى العناية بالصوف . حتى أن الغنم كانت تربى خصيصاً لتلك الصناعة حيث يُعنى بنظافة صوفها لينسج منها السجاد . وكثيراً ماكانت تدخل خيوط الحرير ، وخيوط الذهب والفضة فى صناعة السجاجيد الشاهانية النفيسة .

وأهم مراكز صناعة السجاد فى إيران ؛ مدن أصفهان ، وقاشان وتبريز ، وكرمان ، وهراة ، وشيراز ، وهمذان ، ويزد .

وأهم أنواع السجاجيد الايرانية ، السجاجيد ذات الصّرة ، وكانت تصنع فى شمالى إيران ، ولاسيما فى «تبريز» وفى «قاشان» ، وأحسن هذه

السجاجيد من هذا النوع ، ترجع إلى القرن العاشر الهجرى ، وتتكون زخارفها من « صرة » أو « جامة » في الوسط ، ذات أشكال مختلفة وقد يمتد من طرفي الصّرة أو الجامة العلوى والسفلى ، موضوع زخرفى ، وتكون الأرضية من رسوم الأزهار وفروع النبات ، واستعملت فيها الألوان الحمراء والزرقاء والصفراء والرمادى والأبيض .

ومن أبدع السجاجيد المشهورة من هذا النوع سجادتان شهيرتان ، إحداهما محفوظة في متحف « فينا » والأخرى في متحف الفنون الزخرفية في باريس .

ويلاحظ في سجاجيد « هراة » ، المصنوعة في القرن الحادي عشر الهجري ، أن رسوم المراوح النخيلية فيها أكبر حجماً ، وأنها تحتوي فضلاً عن الزخارف المعروفة ، على وريقات طويلة .

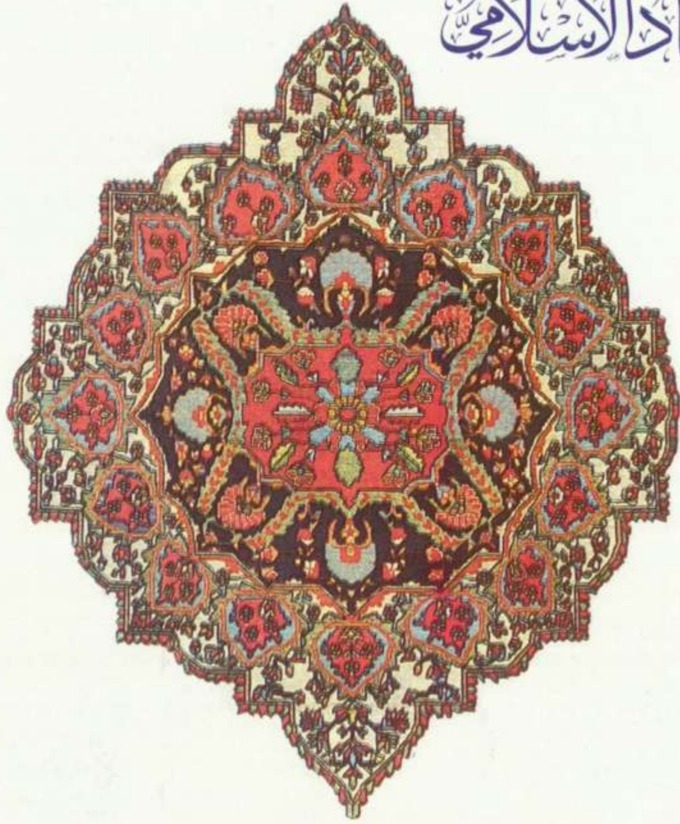
وهناك نوع من السجاجيد الايرانية ، مزخرفة بفروع نباتية ملتوية ، ومتثنية تتكرر ، فتضفي على السجادة رونقاً وشكلا بديعاً ، فتغطي مساحة السجادة كلها ، ومن أمثلة هذا النوع سجادة محفوظة في القسم الاسلامي من متحف برلين ، وهي من صناعة شمال إيران ، وأرضيتها زرقاء .
ومن أجمل أنواع السجاجيد الايرانية ، السجاجيد ذات الزهريات ، والراجح أنها كانت تصنع في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة أي السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، ولا سيما في الاقاليم الوسطى من إيران ، وتمتاز هذه السجاجيد بمتانتها ، ودقة صناعتها ، وكثافة وبرها ، وضيق إطارها ، وأرضيتها الزرقاء والحمراء . أما حجمها فيمتاز بأن طولها يزيد على عرضها ، فقد يبلغ الطول ثلاثة أمثال العرض .

ومن السجاجيد الايرانية ماتظهر فيه رسوم الأشجار ، وقد تكون رسوم الأشجار هي العنصر الغالب في زخرفة السجادة ، ويرى ذلك في سجادة محفوظة في القسم الاسلامي من متحف برلين ، ومساحتها ١٣٠ في ١٩٧ سم ، وأرضيتها حمراء ، وقوام الزخرفة فيها ، أربعة صفوف أفقية من رسوم الأشجار ، وترجع الى القرن السابع عشر الميلادي .

وهناك نوع نفيس من السجاجيد الايرانية ، مصنوعة من الحرير ، ومحلاة بخيوط من الذهب ، ومن الفضة ، وقد غلب عليها اسم السجاجيد البولندية ، لأنها كانت تصنع في بولندا حيناً من الزمن . ولكن الراجح أنها من منتجات مصانع البلاط بأصفهان ، في حوالى نهاية القرن العاشر الهجري . أما زخارفها ، فخليط من الزخارف النباتية المستعملة في أنواع السجاد الايراني ، وفي اكثر الاحيان لاتكون الأرضية كلها ذات لون واحد ، بل تكون السجادة ذات أرضيات مختلفة ، وأهم الألوان المستعملة في هذا النوع ، الأصفر ، والأخضر ، والبرتقالي ، والأزرق ، والفيروزي ، والأحمر القرمزي . ومن أقدم هذه السجاجيد ، واحدة بين الكنوز الغنية المحفوظة في كاتدرائية « سان مارك » بمدينة البندقية في


نموذج للسجاد الذى يعود إلى بداية صناعة السجاد على أيدى القبائل البدوية

السجاد الإسلامي



زخرفة هندسية رائعة في وسط السجادة

ايطاليا، أهداها سفير الشاه عباس الى الدوق حاكم البندقية سنه ١٦٠٣م.

أما سجاجيد الصلاة فقد كانت تصنع في شمال غرب إيران، ولاسيما تبريز، وقد امتازت بالآيات القرآنية المكتوبة بخط النسخ، أو الخط الكوفي. ويتوسط السجادة عقد يمثل المحراب، ومن أبدع السجاجيد المعروفة من هذا النوع، سجادة حريرية، محلاة بخيوط من الفضة، وترجع الى نهاية القرن العاشر الهجري، وهي موجودة في مجموعة السيدة «بارافنشيني» الايطالية.

السجاجيد المغولية

قامت صناعة السجاد المغولي أو الهندي الاسلامي، على أكتاف صناع من الايرانيين (٨)، فقد أقبل الأباطرة المغول منذ عصر الامبراطور أكبر، على استقدام أولئك الصناع، وتشجيعهم على الاستقرار في الهند. لذلك كانت السجاجيد المغولية في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، متأثرة بزخارف السجاجيد الايرانية وألوانها، حتى أنها كانت تحسب خطأ من السجاجيد الايرانية، ولكنها كانت تمتاز بلون برتقالي، وبلون بني مائل الى الحمرة.

وبعد لأى استطاع الصناع المغول التحرر من التأثيرات الايرانية، وأقبلوا على رسم صور الطيور والحيوانات والزهور على السجاد، ولكن رسوم الإطار، لازالت تحتفظ ببعض الموضوعات الزخرفية المشابهة للسجاد والمنسوجات في العصر الصفوي.

أما الصفة المميزة في السجاجيد المغولية، فهي في رسومها الأقرب الى صدق تمثيل الطبيعة، ويلاحظ ذلك جلياً، في السجاجيد المغولية الهندية المصنوعة من الصوف في عصر «شاه جيهان». فإن وبرها من الدقة والنعومة بحيث تبدو وكأنها صنعت من الحرير. أما نسجها فدقيق، وعقدها متلاصقة، بحيث تبدو وكأنها مصنوعة من المخمل، ويقال إن إحدى هذه السجاجيد بها ٢٥٥٢ عقدة في البوصة المربعة الواحده.

سجاجيد القوقاز

أقبلت القبائل الرحل في بلاد القوقاز، على نسج السجاد منذ قرون طويلة. ولعل أهم السجاجيد القديمة في بلاد القوقاز تنسب الى أرمينيا، وأحياناً الى إقليم «كوبا» (٩) جنوبي شرقي القوقاز، وتعرف باسم سجاجيد «التنين»، نسبة الى الرسوم الرئيسية في زخارفها، وقوام هذه الزخارف رسوم معينات من أوراق الشجر الكبير، المحورة عن الطبيعة، وتضم أيضاً رسوماً نباتية، ومراوح نخيلية، محورة عن الطبيعة، في أسلوب تخطيطي ذي زوايا، تشبه المعين. أما ألوانها فبراقة، وهذا مايزيد في مظهرها الزخرفي، الذي يميزها عن غيرها من السجاجيد.

ويمكن تقسيم السجاجيد القوقازيه الى عدة أنواع، حسب المراكز التي صنعت فيها، ومن أهم هذه الأنواع، سجاجيد «كازاك»، تلك التي صنعت في الجزء الجنوبي الغربي من القوقاز، ومنها سجاجيد داغستان، وتمتاز بألوانها البراقة، وزخارفها الهندسية الكبيرة، ووبرها اللامع، ومعظم هذه السجاجيد سميكة. ويغلب عليها اللون الأحمر والأزرق، كما أن هناك نوعاً ثالثاً من السجاجيد القوقازية، تنسب الى «شروان ذكوبا». أما سجاجيد شروان، فوبرتها قصيرة، وصوفها قليل اللمعان، والأحمر والازرق هما اللونان السائدان، وقد يرى فيها اللون البنفسجي، أما زخارفها النباتية، فهي محورة عن الطبيعة تحويراً كبيراً، ويلاحظ أن إطارها، قوامه زخارف شبه كتابية.

وهناك نوع آخر يصنع في شرقي القوقاز، في «دربند»، وهو سجاد بغير وبر، ويعرف باسم «سوماك»، ومن فروعه سجاجيد تعرف باسم «سيلي»، وتمتاز بزخارفها الملونة.

كلمة أخيرة

لعل كتاب السجاد الاسلامي، من الكتب النادرة التي تلقي الأضواء على هذا الفن الاسلامي العريق، وقد زين بلوحات من صور السجاد في العصور الاسلامية، والبلاد الاسلامية، تأخذ بالألباب، صنعة، وجمالاً، وذوقاً، فهو كتاب جدير بالمطالعة وحري بالترجمة الى العربية، ليسد فراغاً في المكتبة العربية، وليضفي جديداً، ويكون في متناول أيدي الأجيال العربية الآتية.

حسني شحادة

هوامش

(١) فن السجاد اليدوي لأحمد فواد نور الدين ص ٨
(٢) الاسلام في حضارته ونظمه لأنور الرفاعي ص ٤٦١
(٣) الفنون الجميلة في العصور الاسلامية لعمر رضا كحاله ص ٢٥٠
(٤) كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاشعار المعروف برحلة ابن بطوطة
(٥) فنون الاسلام جـ٣ لزكي حسن
(٦) كتابه الخطط المقريزية
(٧) كتابه تاريخ اليعقوبي
(٨) فنون الاسلام جـ٣ زكي حسن ص ٤٣٩
(٩) كوبا وتقع جنوب شرقي القوقاز

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● العِـــزّة ●● تراثنا العربي القديم .. ما يجب لتنظيم إحيائه

لو وضعت أنا « قائمة » الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت فى أعلاها « العزة » ولأخذت من الأخلاق مايبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولأ قللت جدا من الكلام فى التواضع والزهد والخوف وما إلى ذلك .

العِزّة

بقلم :
أحمد أمين



استعملت العرب كلمة « العزة » في مقابل « الذلة » فقالوا رجل عزيز ورجل ذليل . وجاء استعمال « العزيز والذليل » في القرآن متقابلين ، فقال تعالى : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » . وحكى عن المنافقين أنهم قالوا في حرب الغزوات : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، وهي كلمة قالها ابن أبّي ، ويريد بالأعزة نفسه وصحبه ، وبالأذلة محمداً ﷺ وصحبه ، فرد عليهم الله بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » . وقد تصدى بعض المسلمين لابن أبيّ وسل سيفه عليه ومنعه من دخول المدينة ، وقال : والله لا أغمده حتى تقول : « محمد الأعز وأنا الأذل » فقالها . والسبب في كل هذا أن العرب في الجاهلية كانوا يفهمون العزة في المال والجاه والرياسة والولد ونحو ذلك ، فجعلها الاسلام في الدين الحق ، وأداء الواجب للناس والله .

وأكثر العرب من استعمال هذه الكلمة في الجاهلية والاسلام ، فكان أبو جهل يقول : «أنا أعز أهل هذا الوادي وأمنعهم» ، وقال الشاعر :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
في كل نائبة عزاز الآنف

وفسر الراغب الأصفهاني «العزة» بأنها حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب ، وجعل اشتقاقها من قولهم أرض عَزاز أي صلبة ، وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب .

والحق أن تحديد معنى العزة في منتهى الصعوبة ، وأصعب ما في ذلك رسم الحد الفاصل بين العزة والكبر ، وبين الذل والتواضع ، وقديماً حاول الناس أن يفرقوا بينهما ، فقد روي أن رجلاً قال للحسن بن علي : «إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً» فقال : «ليس بتيه ولكنه عزة» . وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال : «اخْشَوْشِنُوا وتَمَعْزَزُوا» كأنه خشي إذا أمر الناس بتعود الخشونة أن يلجئهم ذلك إلى احتقار النفس وذلها فاستدرك ذلك بطلب المحافظة على العزة .

وحاول السهروردي أن يفرق بين العزة والكبر فقال : «العزة غير الكبر لأن العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وإكرامها ، كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها» .

ولست أدري لم أهمل علماء الأخلاق من المسلمين هذا الخلق فلم يكثروا الكلام فيه إكثارهم في غيره من الصدق والعدل والكرم والتواضع .

ولو وضعت أنا «قائمة» الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت في أعلاها «العزة» ، ولا خترت من الأخلاق ما يبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولأقللت جداً من الكلام في التواضع والزهد والخوف ونحو ذلك ، لأن قائمة الأخلاق يجب أن تخضع في ترتيبها وتقويمها لعاملين : روح العصر ، وموقف الأمة إزاء بقية الشعوب ، بل أحياناً تنقلب الفضيلة إلى رذيلة ، ويكون الحث على هذا النوع من الفضائل داعية إلى الاجرام . فاذا أفرطت أمة في التواضع كانت الدعوة إليه إجراماً ، وإذا أفرطت أمة في الزهد كانت دعوة الأخلاقيين إليه دعوة إلى الموت والفناء .

كنت زمناً قاضياً في «الواحات الخارجة» وهي بلاد في منتهى الفقر والبؤس ، أغناهم من ملك نخيلات وسُوَيعات في عين من عيون الماء ، بؤس شامل ، وجهل شائع ، وضنك يستذرف الدمع ، ويستوجب الرحمة . ذهبت يوماً إلى صلاة الجمعة في مسجدها البائس الفقير أيضاً .. فما كان أشد عجبي من خطيب يخطب من ديوان مطبوع يستحث الناس على ألا يقضوا صيفهم في أوروبا ، وأنا على يقين أن الخطيب والسامعين لم يعرفوا أوروبا ، ولم يفهموا لها إلا معنى غامضاً ، ولم تحدث أحداً منهم نفسه بالسفر إلى مصر فضلاً عن أوروبا .

وأوكد أن أكثر المتكلمين في الأخلاق من المسلمين في مثل حال هذا الخطيب ، لا يعرفون زمانهم ، ولا يعرفون أمتهم ، ولا يعرفون موقف أمتهم من زمانهم . يرونهم أذلة فيدعون إلى الذلة ، ويرونهم متواضعين فيلحون في طلب التواضع ، ويرونهم زهاداً بالطبيعة لا يجدون الكفاف من العيش فيمعنون في طلب الزهد فان هم تلطفوا قليلاً طلبوا منهم الرضا بالبؤس وألصقوه بالقدر ، وجعلوا ذلك كله ضرباً من التقوى والايمان ، وهم بذلك يداوون جوعاً بجوع ، وجرحاً بجرح ، وسماً بسم ، وكان يجب أن يداووا جوعاً بشبع ، وجرحاً بضماد ، وسماً بترياق .

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا ندعوا إلى خلق يزيد الأمة ضعفاً ، فلا ندعوها إلى الرضا بالقليل وفي إمكانها الكثير ، ولا ندعوها إلى الاستسلام للقدر وفي وسعها مكافحة الصعاب ومواجهة الشدائد ، ولا ندعوها إلى الذلة وفي استطاعتها أن تعز . والواقع أن أبيات العزة وأدب العزة وأمثال العزة وقصص العزة إنما تكثر في الأمة أيام عزتها وتختفي أيام بؤسها ، فلما كان العالم الاسلامي عزيزاً أنطقتهم بالعزة رماحهم ، ثم غلبوا على أمرهم فنطقوا بالتواضع ، وتواسوا بالاستكانة ، وألفت الكتب والخطب من ذلك الحين تروّح على البائسين حتى لا يشعروا ببؤسهم ولا يملوا شقاءهم ، وما زال الحال على هذا المنوال حتى صار الداء صحة والدواء مرضاً .

وليس غريباً أن يسير الناس على هذه الخطة ، ولكن غريباً أن يسير القادة عليها ، وكان المفروض أن يكونوا أبعد نظراً ، وأطهر قلباً ، وأعرف بحقائق الأمور .

° ° °

أريد بالعزة أن يشعر كل إنسان بكرامة نفسه ويشعر بما لها من حقوق ، فلا يسمح لمخلوق كائناً من كان أن ينال منها مثقال ذرة ، كما يشعر بما عليه من واجبات فلا يسمح لنفسه أن يعتدي على حقوق الناس مثقال ذرة أيضاً .

وللعزة مظاهر متعددة ووسائل مختلفة ، فالناس كثيراً ما يتطلبون الغنى وسيلة من وسائل العزة ، وآخرون يطلبون المنصب الحكومي أو العضوية البرلمانية أو العضوية في الجمعيات الراقية أو صداقة العظماء أو حسن الملبس على أنها وسائل للعزة ، والمتعلمون يطلبون العزة من طريق الشهادات من ليسانس ودكتوراه ودبلوم ونحو ذلك ، وهذه كلها عزة شخصية ، وهناك عزة أخرى قومية وهي اعتزاز الفرد بنسبته إلى أمته كاعتزاز الانجليزي بانجليزيته والفرنسوي بفرنسيته والألماني بألمانيته ، ولهذه كذلك مظاهر متعددة كاحترام كل أمة أعلامها والمحافظة على بعض تقاليدها والافتخار بلغتها والفخر بآثارها ونحو ذلك ، وليس يهمني الآن هذا ولا ذاك ، إنما يهمني نوع من الشعور يتملك المرء ويشعر منه بأنه إنسان في الحياة لا يمتاز عنه أحد في الوجود في انسانيته . قد يمتاز الناس عنه في المال أو في الجاه أو في المنصب ولكن لا يمتاز عليه أحد في أنه انسان ، فسائق السيارة وصاحب السيارة سيان في احترامهما أنفسهما وشعورهما بحقوقهما وواجباتهما .

ويسوءني أن أرى الشرقي لا يشعر بالعزة الشعور الواجب ، ولا ينزل هذه الفضيلة من نفسه المنزلة التي تستحقها ، وأكبر ما يؤلمني في ذلك مظهران :

الأول : استخذاء الشرقي أمام الأجنبي الأوربي وشعوره في أعماق نفسه كأنه خلق من غير طينته ، وكأن الطبيعة جعلت أحدهما سيداً والآخر عبداً ، ترى هذا الشعور في المصالح الحكومية وفي الحوانيت التجارية وفي المجتمعات وفي الشوارع ، وفي كل معاملة وفي كل خطوة. بالأمس كنت في محطة السكة الحديدية فذهبت إلى شباك التذاكر وسألت الموظف – في أدب – هل هنا محل صرف التذاكر إلى بلدة كذا ؟ فلم يجب ، وأعدت السؤال فلم يجب ، فتولاني شعور ممتزج من غضب وخجل واحتمال لبرودة السؤال وغير ذلك ، وما لبث أن جاء أجنبي فسأل مثل هذا السؤال بلغته الأجنبية ، فترك الموظف ما في يده وأقبل عليه بكله ، وأجابه إجابة فيها كل معنى التبجيل والتعظيم ، واختتم كل جملة من جمله بكلمة « سيدي » ! فدهشت من هذا الحال وثارت نفسي ، وتجمع الدم في وجهي ، ونلت من الموظف بقدر ما نال مني ، ولم أكسب من ذلك كله إلا أن أكتب هذا المقال

وموقف هذا الموظف تقفه كل الأوساط على اختلاف في مقدار اللباقة والكياسة ولكن الجوهر واحد ، فذلك هو الشأن في الأوساط العلمية والتجارية والسياسية ، يتكلم الأجنبي كلمة عادية فتكون المثل ، وتكون الحكمة ، وتكون القول الفصل ، ويبدي الرأي فيكون الرأي الناضج والقول الحكيم والغاية التي ليس وراءها غاية ، ويطلب الطلب فلابد أن يجاب ، وإذا لم يمكن فالاعتذار الحار والوعد بإجابته في ظرف آخر ، ويدخل المحل التجاري أو يركب القطار أو يدخل النادي فموضع رعاية خاصة ، ويعمل العمل فيقدر التقدير الغالي في قيمته الأدبية ومكافأته المادية إلى ما يطول شرحه .

وفي هذا من غير شك مذلة للشعور وكبت للنفس واستعباد للمُواطن ، ومع هذا يطالبنا السادة الأخلاقيون بالتواضع ! لابد أن يفهم الناس في كل مناسبة وفي كل الظروف أن القوم أناس مثلنا لهم مالنا وعليهم ما علينا ، وأن هؤلاء القوم على أحسن تقدير ضيوفنا لا سادتنا ، ومن لحم ودم كلحمنا ودمنا ، ولهم عقل ولكن كعقلنا ، وسلوك في الأخلاق كسلوكنا ، وتصدر منهم الفضيلة والرذيلة كما تصدر عنا ، وأنهم ككل البشر يستذلون من أذل نفسه ، وأن واجبنا أن نحترمهم في غير مذلة ، ونحترمهم لا على حساب احتقار المواطن ، وأننا نبادلهم احتراماً باحترام واحتقاراً باحتقار ، وأنه إذا حدثتهم أنفسهم بالاعتداء علينا لم نمكنهم ، وأن الحكَم بيننا وبينهم دائماً أن لنا حقوقاً وعلينا واجبات كحقوقهم وواجباتهم ، فإذا طلبوا المساواة فالسمع والطاعة ، وإذا طلبوا الاذلال قلنا « لا » بملء أفواهنا .

والأمر الثاني من مظاهر الذلة الذي لا يقل خطراً عن هذا ، فهمُ الرئيس لمعنى الرياسة ، فهو يفهمها على أنها غطرسة من جانبه ، وذلة من جانب مرءوسه ، وإلا لم يكن المرءوس مؤدباً . فرئيس المصلحة ليس لأحد رأي بجانب رأيه ، لا لوكيله ولا لمديري إدارته ، عليهم أن يسمعوا في ذلة والعزة له وحده ، ثم يتكرر تمثيل هذا الدور مِنْ أعلى فنازلاً ، فكل من بعد الرئيس الأعلى رئيس من جانب ومرءوس من جانب ، فهو كمرءوس حاله ما بينا ، وهو كرئيس يقلد تقليداً تاماً رئيسه في اعتزازه وإذلاله ، وهكذا دواليك ، حتى يصل الأمر إلى ما نرى من الباعة في الشارع والجندي ، فمثلهم كالقاطرة تصدم العربة التي تقابلها ثم كل عربة تصدم ما بعدها إلى آخر القطار .

● لابُدّ من فهم العِزّة بمعناها الدّقيق وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد

● ليس من حقّك أن تنادي بائع الجرائد بـ"ولد".. ولا خادمك بأحقر الأسماء ولا فرّاش المصلحة بما يُشعِرُه باحتقاره

° ° °

ليس لهذا من علاج إلا فهم العزة بمعناها الدقيق ، وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد ، وأن تقف موقفاً له جانبان ، فان نظرت إلى من هو أعلى منك في المنصب والجاه والجنسية فلا تمكنه أن ينال من نفسك ولو ذرة ، ولا أن يتعدى حدوده ولو شعرة ، وإذا نظرت إلى من هو أسفل منك فلاتتعد حدودك ، وإذا شعرت باستخذائه وذلته فارفع مستواه ما استطعت حتى يصل إلى الحدود .

على أنه ليس هناك أسفل ولا أعلى إلا في مواضعات سخيفة ، فمن الذي قال إن كناس الشارع وضيع وفراش المصلحة وضيع ، والخادم في المنزل وضيع ؟ نعم إن الحالة الاجتماعية فرقت بين الناس في الرتب ونحوه ، ولكن القيمة الحقيقية للانسان وهي ما له من حقوق وواجبات قدر مشترك بين الجميع .

فليس من حقك أن تنادي بائع الجرائد « بولد » ولا خادمك بأحقر الأسماء ، ولا فراش المصلحة بما يشعره باحتقاره ، وهو مطالب بالأدب معك ، وأنت مطالب بالأدب معه ، وليس للجندي حق أن يرفع عصاه على بائع لم يتجاوز حدوده ، ولا لأي رئيس أن يخرج عن الأوضاع الأدبية في مخاطبته مرءوسه .

فاذا فرغ الرئيس والمرءوس من العمل ، وفرغ سائق السيارة ومالكها ، وفرغ الضابط والجندي والمعلم والتلميذ فكلهم سواء في الحياة الاجتماعية ، وكلهم سواء في الحقوق ، لا ذلة لأحد على أحد ، ولا اعتزاز من أحد على أحد « مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! » .

أحمد أمين

١٩٣٦

إن الحق فى نشر آثارنا القديمة ملك للدولة ، وهى الأمينة عليها ، ولا يجوز أن يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة

تراثنا العربى القديم
ما يجب لتنظيم إحيائه

بقلم: محمد عبدالله عنان

كان تراث العربية حتى أوائل القرن الماضى لايزال مغموراً محجوباً فى ظلمات المكتبات والمجموعات الخاصة ، وكانت المطابع قد ظهرت فى أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وطبعت فى رومة بعد ذلك بنحو قرن بعض الكتب والوثائق العربية ، منها : مختصر كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الإدريسي (سنة ١٥٩٨) ، وفى القرن السابع عشر طبعت فى مدينة ليدن التى مازالت منذ أربعة قرون مركزا هاماً لنشر الآثار العربية ، عدة مراجع عربية تاريخية ، منها : « تاريخ المسلمين » لابن العميد (المكين) (سنة ١٦٢٥) ، وكتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » ، لابن عربشاه (سنة ١٦٣٦) ، وكتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبرى (سنة ١٦٦٣) ، وظهرت هذه الكتب بالعربية لأول مرة مقرونة بتراجم لاتينية كانت منذ ظهورها مستقى خصباً لمؤرخى الغرب .

ولم يظهر فى أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر من الكتب العربية سوى طائفة قليلة من الكتب قد لاتعدو عشرات ، وإلى أواخر القرن الثامن عشر لم تكن مصر قد عرفت المطبعة العربية ، وقد عرفتها لأول مرة فى سنة ١٧٩٨ ، حينما وفد نابليون على رأس حملته الفرنسية ، وحمل معه مطبعة عربية كاملة استعملت بالقاهرة لطبع البيانات والأوامر التى كانت تصدرها القيادة العليا ويصدرها الديوان الفرنسى لأهل مصر ، وكان فى مقدمة الكتب التى أصدرتها هذه المطبعة كتاب عن محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر يضم خلاصة التحقيقات والاجراءات بالعربية والتركية والفرنسية ، وذلك سنة ١٨٠٠ .

ولما بدأ محمد على فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى لم تفته هذه الناحية الهامة من تعضيد الحركة الفكرية والثقافية ، فأنشأ فى سنة ١٨٢١ مطبعة بولاق الأميرية ، وعني باعدادها وتجهيزها عناية عظيمة ، فكانت أول وأعظم صرح للطباعة العربية فى الشرق ، ولم تقتصر مطبعة بولاق على إخراج الجريدة الرسمية (الوقائع) التى أنشئت بعد ذلك ببضعة أعوام ، وإخراج الوثائق والمنشورات الرسمية ، بل أعدت منذ إنشائها لاخراج الكتب العربية ، فطبعت فيها لأول عهدها عدة من الكتب التى ترجمها بعض أعضاء البعثات العلمية فى مختلف العلوم والفنون التى درسوها ، فكانت باكورة أعمالها فى نشر الكتب العربية .

على أن مطبعة بولاق لم تقف عند هذا الحد المتواضع فى إخراج الكتب العربية ، وكانت المطابع العربية الأوربية — ولاسيما فى ليدن وباريس — قد نشطت منذ أوائل القرن التاسع عشر لاخراج طائفة كبيرة من الآثار العربية النفيسة على يد جماعة من أعلام المستشرقين ، فاتجهت الأنظار فى مصر إلى العناية بهذه المهمة ، ونشطت مطبعة بولاق إلى إحياء التراث الاسلامى بهمة فائقة ، وعكفت طوال القرن التاسع عشر على نشر الموسوعات والآثار العربية الجليلة ، وأسدت فى ذلك أعظم الخدمات للآداب العربية والثقافة الاسلامية ، ونظرة واحدة إلى ثبت الآثار الحافلة التى أصدرتها مطبعة بولاق تدل على فداحة المهمة التى اضطلعت بها ، وإلى مدى التوفيق الباهر الذى حققته فى إنجازها .

وإلى جانب مطبعة بولاق ، قامت مطابع أهلية كثيرة ، ونشطت أيضاً إلى إخراج الكتب العربية ، وقد كان ميداناً جديداً يغرى بالكسب ، فأقبل الكثيرون على استثماره ، وأخرجت هذه المطابع الأهلية ، إلى جانب بولاق ، مئات من الكتب والآثار العربية الضخمة فى كل أنواع العلوم والفنون ، وأعادت طبع كثير مما نشرته بولاق فى طبعات رخيصة يسهل اقتناؤها ، وساهمت بذلك مساهمة قيمة فى إحياء الآداب العربية ونشرها .

وهذا مانريد أن نعرض إليه فى هذا المقال ، فقد انقطعت مطبعة بولاق منذ أوائل هذا القرن عن نشر الآثار العربية القديمة ، وحلت محلها فى ذلك دار الكتب المصرية ، ولكن دار الكتب تقوم فى هذا السبيل بمجهود بطيء جداً ، أما المطابع ودور النشر الأهلية فما زالت على نشاطها القديم فى إخراج الموسوعات والآثار العربية ، ومنها كثير لم ينشر من قبل ، ومن المحقق أنها مازالت تؤدى بذلك خدمات قيمة لاحياء الآداب العربية .

ولكن هذا النشاط إذا كان يحمد من بعض الوجوه . فانه يثير اليوم كثيراً من وجوه الاعتراض والمؤاخذة ، وإذا كان قد ترك فى الماضى حراً طليقاً من كل قيد ، فان الظروف تقضى اليوم بضبطه وتنظيمه وتوجيهه بطريقة تحقق الغاية منه .

بدأ هذا النشاط فى أواخر القرن الماضى ، والحركة الأدبية الثقافية فى مستهل نهضتها ، فكان هذا النشاط فى بعث الكتب العربية وإحيائها بالنشر والتداول من عوامل تعضيدها وتغذيتها ، ولم يكن من المستحسن يومئذ أن يعرض هذا النشاط لشىء من القيود التى يمكن أن تؤثر فى سيره ونمائه ، وذلك رغم ماكان يعتوره من أوجه النقص سواء فى اختيار الكتب التى يراد نشرها ، أو فى الصور المزرية التى كانت تنشر بها . ورق أصفر رديء ، وطباعة حقيرة ، وأخطاء علمية ومطبعية لاحصر لها .

أما الآن فقد تغيرت الظروف تغيراً واضحاً ، وازدهرت الحركة الفكرية ازدهاراً عظيما ، وظفرت مصر بطائفة كبيرة من المعاهد والمنشآت العلمية الراقية ، وغصت بالشباب المتعلم ، وأضحى مما لا يلائم ذوق العصر وأحواله ، بل مما يضر بسير الحركة الفكرية ذاتها ، أن يترك أمر نشر تراثنا العربى القديم فوضى دون ضابط ودون اشراف .

فهناك موسوعات وآثار قيمة سبق نشرها فى طبعات جيدة وأضحت نادرة لقدم عهدها ، وهناك بدار الكتب المصرية مئات الآثار المخطوطة التى لم تنشر من قبل ، وهذه جميعاً يقوم على نسخها ونشرها جماعة من الناشرين المحترفين العاطلين من كل مؤهلات علمية أو أدبية ، والذين لاهم لهم سوى الكسب الوفير ، فيخرجونها فى نفس الأثواب والصور المزرية التى ألفناها منذ القرن الماضى ، ويتقاضون فيها أثماناً فاحشة لا مبرر لها ، منتهزين فرصة ندرتها إن كانت مما نشر ، أو ظهورها لأول مرة إن كانت مما لم ينشر من قبل .

وقد اتسع نطاق هذه الحركة فى العهد الأخير اتساعا واضحاً ، وألفى الناشرون المحترفون فيها سوقا رابحة ، فكثر تهجمهم على الآثار النفيسة مخطوطة وغير مخطوطة ، وأخذوا ينشرونها فى استهتار وجرأة ، ممسوخة مشوهة ، مشحونة بالأخطاء الشائنة لايتكلفون فى إخراجها سوى الطباعة الرديئة ، ثم يبيعونها بأثمان فاحشة ، كأنهم هم الذين ألفوها وأجهدوا أنفسهم فى وضعها وكتابتها .

ولا يخفى مالهذا النشر المشوه لآثارنا القديمة من نتائج سيئة ، فهو خلو من كل ضمانة أو غاية علمية أو أدبية ، ولاتحدوه سوى روح الكسب المجرد ، ومن ثم كانت الصور المثيرة المزرية التى تصدر بها أجل آثارنا الأدبية ، والتى كثيرا ماتصد الشباب المتعلم عن تناولها ، وهو من جهة أخرى عامل كبير فى إحجام علمائنا وأدبائنا عن المساهمة فى هذا المجهود مع رغبة الكثيرين منهم فى القيام على نشر بعض الآثار القديمة التى توفروا على دراستها وتحقيقها ، ذلك لأن جهودهم العلمية الغالية ، وحرصهم على نشر هذه الآثار فى أثواب مقبولة لائقة ، وماينفقونه فى هذا السبيل من الجهد والمال ، كل ذلك يقعد بهم عن مجاراة هذا النشاط التجارى المحض ، العارى عن كل درس وتحقيق .

ونحن نعرف مايتكبده العلماء المستشرقون من الجهود القادحة فى إخراج آثارنا القديمة ، والتوفر على دراستها وتحقيقها والتعليق عليها بدقة تثير الاعجاب ، وإخراجها دائما فى أثواب أنيقة محترمة .

ولهذا كله نرى أن الوقت قد حان لتعنى السلطات المختصة بالعمل على مراقبة حركة إحياء الآثار العربية القديمة ، وتوجيهها وتنظيمها تنظيما يتفق مع مالتراثنا القديم من كرامة علمية ، ويلائم فى نفس الوقت حاجات العصر وذوقه وروحه . ويلوح لنا أن دار الكتب المصرية ، وهى وريثة بولاق فى الاضطلاع بإحياء الآداب العربية ، هى أول سلطة أدبية يمكن أن تضطلع بمثل هذا الاشراف العلمى . ذلك أنها هى مستودع تلك الآثار الجليلة المخطوطة التى ترنو اليها أنظار الناشرين المحترفين من كل صوب ، فيقبلون عليها بالنسخ المحرف ، والنشر المشوه ، لايتكلفون فى ذلك شيئا ، ولا يصدهم قيد أو إشراف ، وقد تكون هذه الآثار مما حصلت عليه دار الكتب من الخارج بالتصوير ، وأنفقت فى سبيله كثيرا من الجهد والمال .

ونحن لانطلب أن تقوم دار الكتب بمنع النسخ والنشر ، ولكننا نطلب اليها فقط أن تقوم بالاشراف عليها إشرافا فعلياً ، وأن تضع لذلك نظاماً يكفل تحققها من وجود بعض الضمانات العلمية والمالية فى الناشرين أنفسهم ، فاذا لم تتوفر الضمانات العلمية ـ وهى غالبا غير متوفرة ـ اشترط أن يقوم بالاشراف على النشر شخص تتوفر فيه مثل هذه الضمانات . ويجب أن تمتد هذه الرقابة حتى صدور الكتاب ، وأن يراعى صدوره فى ثوب لائق ، وأن يحدد ثمنه بعد صدوره بنسبة معقولة من تكاليفه ، ويصح أن تتولى دار الكتب الاشراف العلمى على الكتاب ذاته لقاء أجر معين ، ويصح لها أن ترفض التصريح بالنسخ والنشر إذا لم تتوفر مثل هذه الضمانات ، ويجب على أى حال أن يشمل هذا الاشراف كل أثر مخطوط ينشر فى مصر ، سواء استنسخ من دار الكتب ذاتها ، أو من أى مكتبة أخرى عامة أو خاصة ، فى الداخل أو الخارج ، لأن الغرض هو الاشراف العلمى على حركة إحياء الآداب العربية فى مصر ، ويجب أن يكون هذا الاشراف كاملاً شاملاً .

ويمكن من جهة أخرى أن تتعاون المعاهد العلمية مع دار الكتب فى هذه المهمة ، فتشترك الجامعة المصرية والأزهر فى تنظيم هذا الاشراف .

هذا ولا بأس أن تفرض الحكومة ضريبة معينة على نسخ الكتب المخطوطة التى لم تنشر من قبل ، وعلى نشرها إذا كان النشر لغاية تجارية ، وتقدر هذه الضريبة بحسب حجم الكتاب أو أهميته ، ويعفى العلماء من أدائها فى جميع الأحوال ، ويرصد دخلها لتوسيع حركة إحياء الآداب العربية التى تقوم بها دار الكتب .

إن الحق فى نشر آثارنا القديمة ملك للدولة ، وهى الأمينة عليها ، وإذا كان مما يرغب فيه دائما أن يشجع الاقدام على نشر هذه الآثار ، فان مما يرغب فيه أيضاً ألا يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة ، وألا يحاط بكل الضمانات المعقولة التى تكفل تحقيقه على الوجه اللائق المرضى .

هذه ملاحظات واعتبارات حان الوقت لبحثها ، وقد أصبح من واجب السلطات المختصة أن تنشط لحماية تراثنا الأدبى من تلك الفوضى المثيرة ، أن تعمل لصونه من ذلك الابتذال الشائن ، وأن تقوم أخيراً على تنظيم نشره ، وتوجيهه بطرق موقرة مستنيرة .

محمد عبدالله عنان

١٩٣٦

محمد عبد الملك

من الواقعيَّة النقديَّة إلى التعبيريَّة والرّمزيَّة

بقلم: أحمد محمد عطية


محمد عبد الملك
قصاص البحرين الكبير

محمد عبد الملك هو قصاص البحرين . فهو كاتب شعبي فى البحرين ، يتابع القراء قصصه وكتاباته بشغف وحب لأنهم يجدون فيها أنفسهم وقضاياهم وأشواقهم وتطلعاتهم .. إن عالمه القصصي هو عالمهم ، إنه يتحدث إليهم ببساطة وعفوية ومهارة دون حذلقة أو تعالي المثقفين . لذا فمحمد عبد الملك هو أكثر الكتاب حظوة لدى القراء فى البحرين . وبالرغم من وعيه الفكرى والقومى إلا أن قصصه لا تنطلق من أطر نظرية أو فكرية ، بل تنبع من خبرة عميقة بواقع الحياة والناس ، ومن حب غامر لبلده الجميل البحرين ، ومن حسن توظيفه للتراث الشعبي والعربى عبر عن نهجه الفنى والموضوعى فى قصصه بتأكيده على ضرورة الوصول إلى القراء لا الكتاب وعلى المضمون وليس الشكل . فمحمد عبد الملك كاتب لديه خبرة عميقة بقضايا ومشكلات الرجل البسيط فى البحرين ، ويتميز بوعى فكرى وحساسية فنية تجعله يجيد إبداع هذا الفن الأدبى ، فن القصة القصيرة .

فقد استبعد عبد الملك المغامرة والبهرجة فى الشكل وركز على أهمية المضمون والوعى والعفوية في الابداع ، كما كتب في شهادته لمجلة « كلمات » البحرينية قائلا : « الكثير من الكتاب الشباب العرب يعتنون بالشكل أكثر من المضمون .. الوقت ، وقت انتشار هذه المغامرة الأدبية ، سيىء أيضا ومثير للريبة .. وقت مرضي ، انحسار سياسى رهيب .. تراجع بعد المد القومى العظيم .. حياة استهلاكية ، ترف ، نكبات ، هزائم سياسية وعسكرية ، وتصور أن كل ذلك في غياب الوعي ، وعي تاريخى بكل ما يحدث . إذن فقرارى فى اختيار الشكل والنمط لم يحدث بشكل عفوي .. العفوية لها لحظة واحدة فقط هى لحظات الابداع ، وحتى هذه العفوية مشروطة بالوعي ، الكتابة فعل وتأثير ، لا أريد أن أكتب لزملائى الكتاب فقط ، لذلك التركيز على المضمون عندى كبير ، ولذلك لم أكترث للمغامرة فى الشكل كثيرا ، ولم تكن هذه المغامرات بؤر إبهار ودهشة لى ، تبدو لى هذه المغامرات كالألعاب النارية ، والزمن أفاض فى اقتناعى ، بدأت الحواجز تكبر بين القصة والقارىء ، هناك خطأ ما » (كلمات ، العدد الأول خريف ١٩٨٣) .

ومحمد عبد الملك هو رائد الواقعية فى القصة البحرينية ، كما يجمع نقاد الأدب العربي فى البحرين . فهو « البداية الفعلية للقصة الواقعية » ، كما يقول الناقد البحرينى أحمد المناعي فى دراسته عن الحركة الأدبية فى البحرين . (مجلة « الكاتب العربى ، دمشق ، العدد الرابع ـ السنة الأولى ١٩٨٢) ، ويصفه الباحث البحرينى ابراهيم عبد الله غلوم ، فى كتابه « القصة والمجتمع فى الخليج ـ البحرين والكويت » بأنه « أكثر كتاب القصة القصيرة تأصيلا للمقولات الجمالية فى الواقعية النقدية » (ص ٥٨٠) وكتب الشاعر البحرينى قاسم حداد ، فى دراسته « عن واقع القصة القصيرة في البحرين » ، قائلا : « إن محمد عبد الملك هو أول من كتب القصة الواقعية الجيدة فى البحرين . » وأضاف قاسم حداد : « ومحمد عبد الملك يعتبر من أنشط كتاب القصة فى البحرين وأكثرهم قلقا فى مجال الفن الذي يمارسه» . (مجلة الأقلام ، بغداد ، عدد ابريل ١٩٧٥) .

إنتاج غزير

ومحمد عبد الملك هو أغزر أدباء البحرين المحدثين إنتاجا فى مجاله القصصى ، فله خمس مجموعات قصصية تشكل عالمه القصصى المتميز ، هى : « موت صاحب العربة » (١٩٧٢) ، « نحن نحب الشمس » (١٩٧٥) ، « ثقوب فى رئة المدينة » (١٩٧٩) ، « السياج » (١٩٨٢) ، و« النهر يجرى » (١٩٨٤) ، مع رواية « الجذوة » (١٩٨٠) ، بالإضافة إلى عدد كبير من الدراسات النقدية والمقالات الأدبية نشرت بالصحف الخليجية والدوريات العربية . وسأقتصر فى هذه الدراسة على عالمه القصصى كما تجسد فى مجموعاته القصصية الخمس ، مؤجلا الحديث عن روايته الوحيدة إلى دراسة مستقلة عن الرواية في البحرين ، حسبما يسمح المجال .

وقد تقدم محمد عبد الملك بالقصة البحرينية من الحكاية التقليدية والخطابية والسرد التقريرى والرومانسية إلى الواقعية النقدية والتعبيرية والرمزية . وقد تطورت

واقعيته النقدية من الواقعية التقليدية فى مجموعاته القصصية الأولى الى الواقعية الجديدة والتعبيرية والرمزية فى أحدث مجموعاته القصصية .

نشر محمد عبد الملك أولى قصصه بعنوان « رحلة الصقور » بجريدة « الأضواء » البحرينية فى آخر مارس ١٩٦٧ ، ولكنه لم يضمها لمجموعته القصصية الأولى « موت صاحب العربة » أو لأي من مجموعاته التالية . وهى تصور رحلة إحدى السفن للغوص على اللؤلؤ وتستخدم تراث البحر الشعبي ومواويل البحر القديمة فى تصوير المرحلة الماضية من تاريخ البحرين ، في حياة البحر والغوص على اللؤلؤ قبل كساد تجارته وظهور النفط . ولكن يبدو أنه استبعدها لأنها من قصص البدايات الضعيفة فنيا ، فقد سيطرت عليها « الغنائية » وافتقرت لكثير من الضرورات الفنية في بناء الحدث الفني للقصة وتحريكه مع حركة الشخصية ونموها .. » كما يذكر الناقد ابراهيم غلوم في كتابه « القصة والمجتمع في الخليج .. » (ص ٣٨٠ و٣٨١) .

أما قصص مجموعته الأولى « موت صاحب العربة » ، فتغص بالسرد التقريرى والوصف الخارجى والشخصيات المسطحة ، غير أنها تجمع بين واقعية الحدث والتعبير عن الشخصيات المعذبة والمطحونة التى تستعين على حل مشاكل حياتها بقواها الايجابية وتراثها الشعبى والبحرى والاسلامي والعربى . ومع ذلك فقد قدمت هذه القصص الأولى رؤية محمد عبدالملك الاجتماعية والسياسية ، واغتنت بخبرته الواقعية والتراثية ، وصورت مرحلة التحول الاجتماعى فى البحرين من اقتصاد البحر إلى الاقتصاد المرتبط بظهور النفط وبيوت المال والتجارة . كما أنها بشرت بميلاد أديب واقعى صاحب رؤى وقضايا تلح عليه للكتابة ، وكاتب يمارس الكتابة كرسالة من أجل بث الوعى والتقدم بالحياة والناس والمجتمع نحو غد أفضل . لذا أهدى مجموعته الثانية « نحن نحب الشمس » إلى الذين يحملون مشعل الحب العظيم للناس » .

وفى مجموعته القصصية الثانية « نحن نحب الشمس » تقدم محمد عبدالملك بشخصياته ، النابعة من حوارى وأزقة وأحياء المنامة الشعبية ، صوب الهموم النفسية والروحية . ومن ثم تقلصت مساحة الوصف الخارجي والسرد التقريرى فى بعض القصص ، التى لجأ فيها الكاتب إلى استبطان شخصياته والجوس فى أعماقها . وهى شخصيات معذبة أيضا ، ولكن عذابها روحى ونفسى ومعنوى ، كعذاب بطل قصته « الانتظار » الذى يعانى الوحدة بعد وفاة زوجته وغياب ابنه الوحيد .

غير أن الكاتب لم يتخل عن تدخله بالتعليقات المباشرة كقوله : « وعجبت أى حزن مدمر يعيشه منذ حادث ابنه » (ص ١٣) .

وتضم مجموعته الثانية قصة ريفية منفردة تصور واقعة الاستيلاء على أراضى الفلاحين وتحولهم إلى مزارعين أجراء فى أراضيهم ، وذلك من خلال إبداعه لشخصية طريفة لفلاح عجوز قابل الأمر بالسخرية والضحك حتى ظنه أهل القرية الحزانى قد فقد عقله ، أما هو فقد واجه « الحاج رضوان » مغتصب الأرض قائلا : « لن تحتاج إلا لخمسة أقدام من الأرض يا رضوان .. !! » (ص ٢٤) وعندما صفعه المغتصب بادره بضربة قاتلة بالمنجل . ويعلق الكاتب بتعليقاته المباشرة قائلا : « وكانت وجوه الفلاحين مشرقة .. كالشمس .. وكانت ابتسامة رضى .. كالهلال فى السماء والمناجل فى أيديهم تصعد وجوههم جميعا .. » (ص ٢٤) إنه ختام خطابى حقا ، ولكنه يوحى بإيجابية . وقد سبق أن تناولت بعض قصص مجموعتيه الأولى والثانية بالدراسة فى مقال قصير بمجلة العربى عنوانه « الواقعية النقدية فى عالم محمد عبدالملك القصصي » ، عدد مايو ١٩٨٥ .

حرص على التجويد

فى سنة ١٩٧٩ أصدر محمد عبدالملك مجموعته القصصية الثالثة « ثقوب فى رئة المدينة » ، فدل على مدى حرصه على التقدم بعالمه القصصى نحو التجويد فى المفردات والعبارات الشعرية فى إطار الواقعية النقدية ، نهجه الأصيل ، مغترفا من تراث البحر قصص الغوص على اللؤلؤ ومن شخصيات البحارة المعذبين من السادة النواخذة ربان السفن . فيصور عبد الملك أحد هؤلاء البحارة الجوعى « مرجان السعيد » فى قصته « الرحلة » مسقطا الصراع القديم بين البحارة والنواخذة ، كصورة من صور الاستغلال لشقاء هؤلاء الرجال الأشداء الجوعى العراة الذين يغيبون فى رحلات البحر إلى مغاصات اللؤلؤ . ويجسد القاص الفنان أزمتهم في إحدى رحلات صيد اللؤلؤ عندما لا تجود المغاصات باللؤلؤ المطلوب ، وينفد الطعام والماء ، ومع ذلك يصر السيد النوخذا على البقاء فى البحر لمزيد من الغوص على اللؤلؤ مستعينا بمسدسه رابطا عنق أحد البحارة الجوعى رغم أنه محموم ومتعطش للماء .

ويصور الفنان هذه اللحظة بدقة وشاعرية قائلا : « ومنذ يومين كان أحدنا مصابا بالحمى ، ومنذ يومين دارت الحبال حول عنقه ، والصارى أضحى ثقيلا يحمل جسد إنسان يتألم ، ويئن ، ويقول ماء . وظل الرجل بلا زاد ، وقد خلفه عطش الظهيرة واليوم الثالث جسدا هزيلا . وكنا لا نملك حولا ولا قوة ، فالنوخذا سيد الجميع والنوخذا يحمل مسدسا ، ونحن بحارة عراة . وموسم الغوص انتهى منذ أيام ، ولم يخفق جناح طير فوق رؤوسنا ، وغادرت السفن كل المغاصات . كان حظنا من الصيد فى تلك المرحلة بخيلا فأصر النوخذا على البقاء . وكففنا عن الغناء أياما ، وأرسل طير غريب من بعيد صوتا مشئوما ، وزحف الحزن على قلوبنا زحف الظلام . وكان القمر يرسل ضوءه ويدنو منا وقد غلبه الأسى » (ص ٨ و٩) .

وينمى القاص الحدث فيدفع بطله البحار « مرجان السعيد » إلى العمل الايجابى ، فيشحذ خنجره ويضعه على رقبة السيد النوخذا ، ويجعله يأمر بفك الحبل عن رقبة زميله البحار المريض ، ويأمر البحارة بالعودة إلى الشاطىء . بهذا الفعل الايجابي يكشف محمد عبدالملك الامكانيات الايجابية فى شخصياته البسيطة التى تتحرك فى مواجهة الظلم والاستغلال والقهر ، وفى نفس الوقت يعرى موت البحار المحموم طابع الاستغلال البشع فى عمليات الغوص على اللؤلؤ . هكذا يتقدم عالم محمد عبدالملك القصصي صوب توظيف الحدث وتنميته ومحدوديته ، متخليا عن التعليقات المباشرة والخطابية والتقريرية ، مكتفيا بدلالة الحدث ، مغترفا من تراث الغوص فى البحرين .

وفى قصة « الطائر الأخضر » يصور محمد عبدالملك ، بشاعرية تتدفق فى نسيج القصة وعباراتها وشخصياتها وأغنياتها الشعبية ، توق نساء البحارة وأهاليهم لعودتهم من رحلاتهم البحرية الطويلة الشاقة ، مجسدة ذلك فى شخصية البحار « مختار القادرى » الأخاذة الذى تفخر به الحارة وتترقب النساء والفتيات عودته ، عودة « الطائر الأخضر » . وحين يتأخر الطائر الأخضر عن العودة يهرع البحارة العجائز ورجال الحارة إلى الشاطىء يترقبون عودته من البحر وسماع زغاريد زوجته وأغانى الصبيان وشدو البنات . وعندما لا يحضر الطائر الأخضر يسود الحزن ويردد الأطفال على الشاطىء « غناء حزينا حزينا : ياطير لخضر وين بتبات الليلة ؟ » (ص ٢٠) وتمضى الأيام والشهور حزينة حتى تجىء البشارة برسالة وصورة للقادرى إيذانا بعودة الطائر الأخضر . « وشاع الخبر . وفتحت الشبابيك كل الشبابيك ، وفتحت الأبواب كل الأبواب ، وأضيئت المصابيح ، وخرج سرب الأطفال الحفاة فى حارة الوفاء كالعصافير الصغيرة يغنون ويدورون فى الزقاق ، والقمر يتفاخر معهم فى الأعالى ويلف خصره الجميل . وكان غناء . أروع غناء : ياطوير لخضر وين بتبات الليلة . بابات عند أهلى .. والقمر بان

الليلة . قهقه البحارة نفس القهقهات التي هزموا بها كبرياء البحر في شبابهم . أما البنات فعدن يتراشقن بالياسمين من النوافذ .. » (ص ٢١) .

في هذه القصة الشاعرية الرقيقة ، التي تمثل نوعية التطور في عالمه القصصي ، يجمع محمد عبد الملك بين الشاعرية والخبرة بعالم البحر والبحارة وبين التراث الشعبي . وقد كتب محمد عبدالملك عن توظيفه للتراث الشعبي في هذه القصة ، وهو بصدد تحديد مفهومه للتراث ، في مقال نشرته مجلة « كلمات » البحرينية (عدد سبتمبر ١٩٨١) بعنوان « التراث ظاهرة وسلوك وفعل » ، قائلا إن « الراوي الشعبي يعلمنا أن الانسان ناقص بالعلم وحده ! وليت يستفيد من هذه العبرة الكثير من المتعالين من الناس بعلمهم . نحن في طبيعة التكوين الخيالي اللا منطقي للأسطورة والحكاية الشعبية ، وهذه الحالة هي مشابهة تماما لتكوين الأقصوصة أو الرواية أو الشعر ، وفي الأفكار المزاوجة في التكنيك بين الأثنين وربما حاولت ذلك في أغنية « الطائر الأخضر » التي وظفت بها أغنية كنا نغنيها ونحن صغار في ليالي رمضان :

يـــاطـــويـــر لخضر ويـــن بـــتـــبـــات الليلة
بـــابـــات عـــنـــد أهلي والقمـــر بـــان الليلة

أما التوظيف الأكبر للتراث في الأدب فيكون في نجاح الكاتب في زرع القيم والأفكار والمثل القديمة الجديدة في وجدان القارىء .

إن محمد عبد الملك يتألق عندما يبدع قصصه البحرية الشاعرية والتراثية . في هذه القصص يجيد عبد الملك توظيف تراث البحر والتراث الشعبي والطبيعة الساحرة لعالم البحر والشاطىء والنخل في عالم البحرين الجميل ، وينتقي محمد عبد الملك شخصياته المعذبة من البحارة والحمالين والصيادين الأشداء بمقاومتهم للأنواء والأحمال والجوع والفقر ، مثل « مرزوق » الحمال بطل قصة « اللقمة » الذي أدركته الشيخوخة المبكرة في سن الأربعين بسبب معاناته الشاقة في حمل الأكياس من البواخر إلى شاطىء الميناء ، وصورت القصة لحظة حمله الأخير وإصراره على هذا الحمل الأخير .

في سماء التحول

ومن أبدع قصص هذه المجموعة من القصص البحرية قصته « تحت سماء المدينة » التي تصور أزمة بطلها الصياد « جبران » في لحظات التحول من اقتصاد البحر إلى اقتصاد النفط ، من صراع الأمواج بفتوة ورجولة إلى الحياة في مكاتب المدينة . غير أنه رفض الحياة المدنية الناعمة ، وفضل الالتحاق بالعمل الشاق « فجبران لم يجلس فوق مقعد قط في حياته ، جسده لاصق الأرض ، ولاصق ماء البحر المالح ، وصدر السفينة ، ثابتتين وظلت قدماه ثابتتين » (ص ٨٤) .

غير أنه إذا كان محمد عبد الملك قد تقدم بمجموعته القصصية الثالثة « ثقوب في رئة المدينة » صوب الشاعرية وتوظيف الحدث والتراث الشعبي وتراث البحر والغوص ، إلا أن القصص افتقرت لمحدودية الزمن ، وظل طابع الحكاية الممتدة عبر الزمن هو الطابع الغالب على معظم القصص ، مثل قصص المجموعة الأخرى : « الفزاعة » و« القمر وجهه أزرق » ، وغيرها من قصص المجموعة الثالثة .

« السياج » هي رابع المجموعات في عالم محمد عبد الملك القصصي . تستهل المجموعة بقصة « الحزين يغني » ، وهي قصة حب جميلة يبدعها قلم الأديب الفنان ويقدم فيها إحدى شخصياته الشعبية المعذبة المنتقاة من واقع الحياة المعاشة في أحياء البحرين الشعبية ، ويمزج فيها مزجا بديعا موحيا بين معاناة بطله المغني الشعبي « الحزين » المادية والروحية ، والحزين هو اسمه وهو اسم على مسمى .

وقد برع القصاص في أسلوب المقابلة بين صور الحزن والفرح وبين لحظات ابداع المغني الفنان وحزنه وحبه من جانب واحد ، وذلك عن طريق تتابع الصور التي تصور ليلة « العرس » وأفراح الناس وتقاليد الزواج القديمة والكراسي المستعارة من بيوت « أعيان المنامة » ، في حين ينشد الحزين أغنيات حبه الصادق ويذرف الدمع على هذا الحب المستحيل لأنه من جانب واحد . ولأنه يحلم بتحقيقه وأن يكون له بيت وزوجة حبيبة وعرس ككل الناس ، ولكنه يعلم أن حلمه مستحيل ، وأنه سيمضي يغني في الأفراح ويغسل الأواني ويساعد في الطبخ لقاء « اللقمة » و« المكسرات » وبعض المال . ويصور الفنان شخصية بطله الوحيد ومدى معاناته من التشرد والبؤس والوحدة ، وحتى عندما أدركه الحب فإنه لم يقو على الاتصال بحبيبته أو البوح لها رغم أنها تقف أمامه في العرس ، فاكتفى بالغناء الصادق لها دون أن يكترث به أحد ، « وكان الحزين يغني بانفعال شديد فاغرورقت عيناه بماء صاف نظيف ، وكانت النسوة منشغلات بالحديث عن العرس والعروس » (ص ١١) .

ويركز الأديب الحساس على وحدة بطله بين جموع الناس ، قائلا : « وكان الحزين يدير رأس الأغنية وينعطف بها وحيدا من دروب العشق إلى سهوبه ثم يحط على صفحات وجه امرأة حلم بها في الخفاء وأخفى سرها وسره عن الناس وغنى الحزين .. وشده الغناء وحده .. » (ص ١٤) .

إنها قصة بديعة فاتنة ومعبرة حقا ، قدمت شخصية معذبة منفردة متميزة ومزجت بين همها الخاص والهم الاجتماعي العام . غير أن عبد الملك لم يتخلص في هذه القصة من الختام التقريري المباشر لقصصه ، فكأنه لا يريد أن يترك الفرصة لقارئه لكي يعرف ويفهم من أحداث القصة وصورها ما يستهدفه الكاتب ، كقوله في نهاية القصة : « وكانوا جميعا على علم أن عشق الحزين كقبض الريح والفراغ والسراب ، وكذلك الكلام ، والنهاية ، وأنه عشق من طرف واحد لا حد له ولا لقاء ولا نهاية إلا مع الحزن ، والوحدة والمسكنة ، والجوع في غرفة صغيرة يغزوها الفراغ » (ص ٢١) .

ويحافظ عبد الملك على البعد الاجتماعي في قصص مجموعته الرابعة « السياج » ، من خلال أحداث واقعية مغلفة برموز شفافة تكشف أكثر مما تغطي وتوحي أكثر مما تصرح . كما في قصتيه « الرجال الثلاثة » و« روى » . ففي القصة الأولى يتبرع العمال الثلاثة العطاش المنفردين في الصحراء بآخر كوب ماء في قريتهم لسيدة ثرية تستنجد بهم وتشرب الماء ثم تلقي إليهم بورقة نقدية بازدراء وتطير الورقة مع عجلات سيارتها الفخمة .

وفي القصة الثانية يترهل الكلب « روى » القادم من أحياء الفقراء إلى قصر أحد الأثرياء وتضعف قوته وشدته ، وعندما يسرق اللصوص القصر ، يطلق الثرى رصاصة على « روى » فيفر الكلب عائدا إلى الحي الشعبي حيث يستقبل بحنان ومحبة وحفاوة ويبني له كوخا صغيرا كتبوا عليه اسمه . وترمز القصتان لمشاعر الفقراء الانسانية الجياشة وجفاف ينبوع الحب الانساني لدى بعض القادرين .

كما ترمز قصته « السياج » ، التي حملت المجموعة الرابعة عنوانها ، للبعد الاجتماعي والحاجز القائم بين مجتمع القادرين ومجتمع الفقراء ، بالرغم من تقدم الجيل الجديد من الشباب في المجتمعين محاولا بالحب اجتياز الحواجز بين المجتمعين . فالأب الثرى يرفض الشاب المثقف الوسيم الموظف بشركة التأمين عندما يتقدم للزواج من ابنته لأنه « بلا أصل ولا مال .. كيف تحب من لا أصل له ولا مال ؟ » (ص ٦٨) ولكن علاقة الحب تستمر . ويجوس القاص بمهارة في باطن الأب الثرى ليصور عذابه وضعفه وخوفه من العار وتراه الزوجة بضعفه أقرب إلى ضعفه القديم عندما كانوا فقراء ، ولكن الابنة تعود فيرق قلب الأب

ويعلن موافقته على الزواج ، ولأنه زواج مستحيل تقرر الابنة : « فات الأوان » إذ فر الشاب وهجر البلد كلها . فالفوارق تقتل الحب ، وتقيم في وجهه السياج .

وفي قصته « الأشجار » يموت مغنى الفقراء « العجيل بن الأسود » ويكف عن الغناء والعزف على الناى عندما يستجيب لدعوة السيدة الثرية للحياة في قصرها والغناء لها . وتمثل هذه الرموز الشفافة تطورا جديدا في عالم محمد عبد الملك القصصي تزيده ثراء وتنوعا وإيحاء .

تكثيف الواقع

تشكل أحدث مجموعاته « النهر يجرى » (مايو ١٩٨٤) ذروة التطور والتقدم في عالم محمد عبد الملك القصصي ، ففي قصص هذه المجموعة الخامسة طور أديبنا الفنان عالمه الواقعي من الواقعية النقدية إلى التعبيرية والرمزية ، ومن التصوير الفوتوغراف والنقل الدقيق من الواقع إلى إعادة خلق الواقع وصياغته ، أى من نقل الواقع إلى التعبير عنه وفقا لتصور الكاتب الفنان ومزج تفاصيل الواقع بخيال الفنان في مركب جديد به حوار وتفاصيل متخيلة تحافظ على التصور الواقعي غير أنها تكثف الواقع وتنطلق منه إلى صور جديدة أكثر ثراء وإيحاء . وبدلا من العبارات التقريرية والختام الخطابي المباشر والسرد المطول والوصف الخارجي ، تقدم محمد عبد الملك نحو التكثيف والتركيز والايماء والرمز والتعبير . فلا كلمات زائدة أو مباشرة ولا أحداث مطولة في زمن غير محدود ولا مناقشات عامة ينوء بحملها قالب القصة القصيرة الشاعرى المكثف كما كان يفعل في قصصه الأولى . بل أن كل كلمة في القصة موظفة بفنية ومهارة لخدمة رؤية الكاتب التى لم يتخل عنها قط ، ولكنها في مركبه القصصي الجديد صارت أكثر شمولية وتركيبا ووعيا وإيماء ، كما فعل في قصته البديعة « النجوم » ففي هذه القصة وبمهارة الفنان وحرصه على التجدد ، يتقدم محمد عبد الملك نحو الذروة في عالمه القصصي ، بمزجه بين الهم العام والهم الخاص ، وتتألق برؤية واقعية ورؤيا فكرية تشكل في صفحاتها المحدودة بانوراما الحياة والانسان في المجتمع الخليجي الحديث . وذلك من خلال صور متتابعة وأحاديث حوارية سريعة ومحدودة الكلمات وسخرية ممتعة وحدث ثرى ينمو ويتصاعد ويتطور بفنية ودربة .

فمحمد بطل قصة « النجوم » يعود الى مدينته بعد سبع سنوات من الغربة ليجد نفسه غريبا عن المدينة وزائدا عن الحاجة ومرفوضا من الجميع ، وليجد كل شيء قد تغير في المدينة ، فلم يجد أصدقاءه ولا بيته ولا أهله ، ولم يجد أحدا يحدثه ليروى له ذكريات الغربة ، وعندما أراد أن يسأل عن بيته لم يجد جيرانه ، فاضطر لسؤال الآسيويين الغرباء عن البيت ، فأنكروا معرفتهم به . وهده التعب فذهب لينام في الحديقة العامة ولكن الحارس منعه من النوم واتهمه بمخالفة القانون وأطلق رصاصته في الهواء لارهابه ، وهنا يدير الفنان حواراً تعبيريا ذكيا بين الحارس ومحمد بطل القصة ، يحذر فيه البطل الحارس من اصابة النجوم الجميلة التى تنير السماء ، فيقول له الحارس « سنستعين بالنفط » فيجيبه محمد : « سينضب النفط يا أبا الحسن » ويستمر الحوار الدرامي بين البطل والحارس ، مصورا غربة البطل المتعب المعذب ماديا وروحيا ، فيسأل محمد الحارس سؤالا عميق المغزى : « هذه الأرض النائمة .. ما اسمها ؟ » فيجيبه الحارس متسائلاً بدوره : « ألا تعرف مسقط رأسك ؟ » فيرد محمد قائلا : « كل شيء تغير يا أبا الحسن .. الطرقات تبدلت .. الوجوه تبدلت .. » .

واستمرارا لتجسيد الأزمة ينصح الحارس « محمد » بالابتعاد عن الحديقة . ويأتى الجوع ليرسم جانبا آخر في لوحة الأزمة ، فالرجل لم يأكل منذ يومين ونصف يوم ، ومع ذلك فإنه يرفض خبز الحارس وتمره . ويمضى القاص في تصوير تناقضات المدينة الحافلة بالمنازل والعمارات الجميلة والمطاعم ودور السينما والديسكو ، بينما هو لا يملك حجرة واحدة تأويه أو نقودا يدفعها لفندق . وعندما يذهب لأحد الفنادق يطلبون منه الدفع مقدما كما ينص القانون .

وعضه الجوع ورأى الدجاج المشوى يدور أمامه ، والناس يأكلون وهو لا يأكل والناس يضحكون وهو لا يضحك ، والناس يدخلون ويخرجون وهو لا يستطيع أن يدخل أو يخرج . فنام واقفا بباب المطعم . ويصور الفنان بحساسية وعمق هذه الأزمة في كلمات وعبارات مكثفة ومعبرة : « نام محمد وهو واقف عند مطعم النهر الذهبي . ثم محمد الجوع ، ورأى الشبع والنجوم بعيدة وتمنى أن يعود الى بطن أمه ، والى طفولته وبيته ، وداره القديمة » .

لقد آثرت أن أنقل هذه الفقرة الطويلة من قصة عبد الملك الجميلة لأهميتها في التعبير عن مدى التطور في عالم محمد عبد الملك القصصي وفي عمق رؤيته وتحذيره من خطورة الأزمة التى تهدد وجود الانسان العربى .

قضايا الانسان العربى

هذا التقدم نحو التعبيرية والرمزية في عالم محمد عبد الملك القصصي يصاحبه تقدم في الوعى الفكرى والسياسي والاجتماعي للكاتب ، يبين فيه التزام الكاتب بقضايا الانسان العربى في الوطن العربى كله دون مبالغة . وفي هذه العالم القصصي الجديد يمضى محمد عبد الملك معبرا عن أزمات المجتمع العربى ، كأزمة العقل وحرية الفكر في قصة « الأقفاص » حيث يتهم المفكر بالانحراف والجنون ، ويوضع في الأقفاص بمستشفى الأمراض العقلية ، ويربط بالسلاسل الحديدية ، وتحبس كتبه في الخزائن الحديدية أيضا .

وفي قصة « الغزاة » يدور حوار رمزى ذكى بين الأشجار والطيور ، ويستخدم الكاتب مكونات عالم البحر ، من طيور النورس والأمواج والرياح للتحذير من خطورة الاستكانة والاستخفاف بالغزاة الذين يهددون الوطن ، ولكن الأزهار الجديدة ، الأجيال الجديدة ، لم تلبث أن تحولت « إلى رجال حملوا البنادق » . وهنا قال الغزاة : « هذه بلاد غريبة » (ص ٥١) واضطروا للرحيل ، فالواقع أليم والخطر داهم ، والفنان ينبه إلى خطورته بتنويعات فنية ، ولكنه لا يدع اليأس يسيطر ، بل يدعو إلى اليقظة وإمكانية التصدى للغزاة .

وفي هذا العالم التعبيري يصور محمد عبد الملك مأساة الوطن العربي دون استخدام كلمات مباشرة أو خطابية أو تقريرية ، بل من خلال استخدام الأقنعة في « حفلة تنكرية » ، وهو اسم القصة .

وفي قصة « النهر يجرى » ، التى منحت عنوانها لمجموعة محمد عبد الملك الخامسة يواصل هذا الفنان نسج عالمه التعبيرى وواقعيته الجديدة ورمزيته الشفافة المؤسسة على مفردات الواقع الممتزج بخيال الأديب المبدع ، حيث يتحدث النهر والطيور مع البشر ليصب الجميع في النهر الذي يمضى متدفقا دون توقف . أما النموذج الايجابى الوحيد في القصة فهو « محمد بن يقظان » ، وهو اسم معبر بالدلالات ، فيتحدث عن « أصحاب الكهف » و« الليل الأسود » وعن الخيول التى لازالت تصهل بداخله ، لذا ظل وحيدا بلا أصدقاء .

فمنذ كتب محمد عبد الملك أول كلمة في عالمه القصصي ظل أمينا في احتضانه لقضايا البسطاء والمعذبين ، وقد اغتنى عالمه القصصي على امتداد أعوام الستينيات والسبعينيات والثمانينيات ، وتعددت قضاياه واتسعت رؤاه ، ولكن ظل الرجل البسيط ، أنموذج الانسان العادى ، هو المحور الرئيسى الذى يدور حوله عالمه القصصي الجميل .

أحمد محمد عطيه

اكتشاف قصيدة مجهولة لشكسبير!

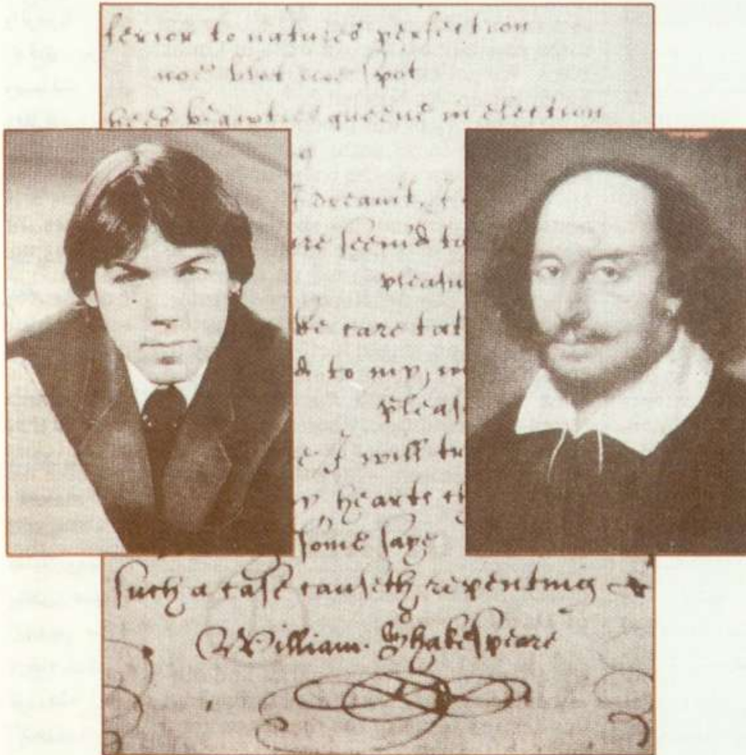
يقدمها: طلعت الشايب

منذ عام ١٩٧٧ تواصل مطبعة جامعة أكسفورد مشروعها الضخم لإصدار الطبعة الجديدة للأعمال الكاملة لشيكسبير. تكلف المشروع حتى الآن مليون دولار ويعكف عليه فريق عمل كبير من الأساتذة والباحثين يعملون تحت اشراف د. ستانلي ويللز الذي يساعده باحث أمريكي شاب هو جاري تيلور ـ٣٢ سنة ـ هو أيضاً من أشهر المحللين الأكاديميين لنصوص شيكسبير.

في شهر نوفمبر الماضي وبينما كان جاري تيلور يقوم بتدقيق بعض النصوص من مراجعها الأصلية في مكتبة بودليان بأكسفورد، استرعى انتباهه ـ وهو يطالع ثبتاً ببدايات قصائد شيكسبير ـ مطلع قصيدة لم يسبق له أن سمع به. وكانت المفاجأة الكبرى، عندما طلب المرجع الأصلي، أن يجد نفسه أمام قصيدة مجهولة يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر.

« طالعتني نفس الوجوه المألوفة حيث توقعت أن أجدها، ولكن بينها كان هناك وجه غريب.. قصيدة منسوبة إلى شيكسبير ضمن مجموعة قصائد لشعراء آخرين في مخطوط يعود إلى عام ١٦٣٠ »

وبمجرد أن قرأها، كان عليه أن يعرف كل التفاصيل وبأقصى سرعة ممكنة.. فعلى حد تعبيره « بدأ عقله ينبض » بأسئلة كثيرة: كم يا ترى عمر الوثيقة؟ ما مصدرها؟ هل القصيدة مجهولة بالفعل حتى اليوم؟ هل توجد بالمكتبة مخطوطات أخرى مماثلة؟ وكانت جميع الأسئلة تصب في اتجاه واحد وهو الرغبة في التثبت من صدق الوثيقة.



شكسبير وجاري تيلور مكتشف القصيدة

من البداية كان الباحث يعلم تماماً أن كثيرين سوف يشككون في الوثيقة ذاتها، فتاريخ دراسة شيكسبير مليء بمحاولات التزييف ومحاولات نسبة مسرحيات كثيرة إليه، حيث على مدى القرون الثلاثة الماضية نسبت ٨٠ مسرحية مجهولة إلى الشاعر، كان من المحتمل أن تكون واحدة منها فقط تعود إليه، والباحث يعرف الموقف المتشدد للأكاديميين الذين يرفضون بشدة إضافة أي جديد إلى تراث شيكسبير المعروف، مما جعل أحد أساتذة جامعة أكسفورد يقول في معرض تعليقه على الاكتشاف:

« إن البعض لن يصدق أن هذه القصيدة لشيكسبير إلا إذا نهض من القبر ليوقعها أمامهم ».

المهم أن الناقد الشاب كان أمام قصيدة ينسبها شخص ما، عاش في القرن السابع عشر، إلى شيكسبير.. أما كيف وصلت القصيدة إلى المكتبة ... فهذه هي القصة:

كان ريتشارد رولينسون ــ أحد خريجي كلية سان جون ، والذي كرس حياته لجمع الكتب والمخطوطات ــ قد أوصى بإهداء مجموعة ضخمة من الكتب والوثائق إلى مكتبة بودليان بعد وفاته ، وهكذا بين مئات الكتب والوثائق التي يعلوها التراب في مخازن المكتبة ، كان هناك مجلد يحمل عنوان « مخطوطات أشعار رولينسون ــ ١٦٠ » منذ عام ١٧٥٦ بين القصائد كانت هناك واحدة أخرى لشيكسبير بالإضافة إلى قصائد لجون دون و روبرت هيرك وبن جونسون .

قام المكتشف بالتأكد من أن المخطوط كان فعلاً لدى المكتبة منذ أهداه صاحبه ، وقام بفحص طريقة الكتابة المدون بها اسم الشاعر تحت القصيدة ليتأكد أن أحداً لم يقم بإضافته بعد ذلك ، فوجد نفس طريقة الكتابة ونفس نوع الحبر ، كذلك راجع القصائد الأخرى (٥٠ قصيدة) فوجدها جميعها معروفة ، ووجد نسبتها إلى أصحابها صحيحة .

بعد ذلك انتقل إلى مرحلة يسميها مرحلة تشريح جسم القصيدة « ليبحث في داخلها عن شخصية الشاعر » ، تماماً كما يقوم الطب الشرعي بتشريح جثة ما لمعرفة أسباب الوفاة ، ولكي يكتشف « بصمات الأسلوب » ، كما يقول .

وتم ذلك بمراجعتها على الكمبيوتر المبرمج عليه قاموس الكلمات والعبارات التي استخدمها شيكسبير في جميع أعماله المعروفة ، وعدد مرات استخدامها ومكان كل منها . وكانت دهشته كبيرة حين وجد تشابهات كثيرة ومثيرة بين القصيدة وبين أعمال أخرى للشاعر ، وعلى وجه التحديد مسرحية « روميو وجوليت » .

والنص مكتوب باللغة الانجليزية القديمة ، والقصيدة غنائية تتكون من ثماني مقطوعات كتبت بأسلوب العصر الإليزابيثي ، علامات الترقيم قليلة ، كما وجد أن الشاعر قد استخدم تقريباً مائة عبارة لها ما يشبهها في أعمال أخرى ، ومن المعروف أنه كانت لدى شيكسبير أكبر حصيلة من المفردات توفرت لأي كاتب آخر كتب بالإنجليزية ، كما أن كل قصيدة أو مسرحية له كانت تحتوي على بعض كلمات لم يستخدمها سواه ، وفي ذلك يقول جاري تيلور : « كان شيكسبير يحاول دائماً أن يخلق لغة جديدة .. أسلوباً جديداً للتعبير ، فالكتاب المتوسطون مثلي ومثلك هم فقط الذين يستخدمون اللغة التي اخترعها من قبلهم » .

Is this by Shakespeare?

1

Shall I die? Shall I fly
Lovers' baits and deceits,
sorrow breeding?

Shall I fend? Shall I send?
Shall I shew, and not rue
my proceeding?

In all duty her beauty
Binds me her servant for ever.
If she scorn, I mourn,
I retire to despair, joying never.

2

Yet I must vent my lust
And explain inward pain
by my love breeding.

If she smiles, she exiles
All my moan; if she frown,
all my hopes deceiving–

Suspicious doubt, O keep out,
For thou art my tormentor.
Fly away, pack away;
I will love, for hope bids me venter.

3

'Twere abuse to accuse
My fair love, ere I prove
her affection.

Therefore try! Her reply
Gives thee joy – or annoy,
or affliction.

Yet howe'er, I will bear
Her pleasure with patience, for beauty
Sure will not seem to blot
Her deserts, wronging him doth her duty.

4

In a dream it did seem–
But alas, dreams do pass
as do shadows–

I did walk, I did talk
With my love, with my dove,
through fair meadows.

Still we passed till at last
We sat to repose us for our pleasure.
Being set, lips met,
Arms twined, and did bind my heart's treasure.

5

Gentle wind sport did find
Wantonly to make fly
her gold tresses.

As they shook I did look,
But her fair did impair
all my senses.

As amazed, I gazed
On more than a mortal complexion.
Them that I love can prove
Such force in beauty's inflection.

6

Next her hair, forehead fair,
Smooth and high; next doth lie,
without wrinkle;

Her fair brows; under those,
Star-like eyes win love's prize
when they twinkle.

In her cheeks who seeks
Shall find there displayed beauty's banner;
Oh admiring desiring
Breeds, as I look still upon her.

7

Thin lips red, fancy's fed
With all sweets when he meets,
and is granted

There to trade, and is made
Happy, sure, to endure
still undaunted.

Pretty chin doth win
Of all the world commendations;
Fairest neck, no speck;
All her parts merit high admirations.

8

A pretty bare, past compare,
Parts those plots which besots
still asunder.

It is meet naught but sweet
Should come near that so rare
'tis a wonder.

No mishap, no scape
Inferior to nature's perfection;
No blot, no spot:
She's beauty's queen in election.

9

Whilst I dreamt, I, exempt
From all care, seemed to share
pleasures in plenty;

But awake, care take–
For I find to my mind
pleasures scanty.

Therefore I will try
To compass my heart's chief contenting.
To delay, some say,
In such a case causeth repenting.

William Shakespeare

نص القصيدة المنسوبة لشكسبير

بعد اقتناع الباحث أن النص لابد وأن يكون لشيكسبير ، انتقل بتحرياته إلى المكتبة البريطانية في لندن ومكتبة فولجر بواشنطن ومكتبة روزنباخ بفيلادلفيا ومجموعة هنتنجتون بكاليفورنيا ثم إلى جامعات هارفارد وييل ، وجميعها مؤسسات علمية تحتفظ بمخطوطات تعود إلى نفس الفترة الزمنية ، كان الهدف هو التأكد عما إذا كان لدى أي من تلك الجهات فكرة عن تلك القصيدة الاكتشاف .

عندما جاءت جميع الأبحاث بالنفي ، أعلن عن الاكتشاف الذي سيكون ضمن الطبعة الجديدة من الأعمال الكاملة التي تصدر في الخريف القادم .

والمعروف أن هذا الاكتشاف ــ إذا كان صحيحا ــ سيكون أول اكتشاف لأحد أعمال شيكسبير في هذا القرن ، وربما منذ القرن السابع عشر .

بمجرد الإعلان عن الاكتشاف قامت قيامة الأكاديميين ، وانقسمت الآراء بين مؤيد ومتشكك ، وإن كانت الأغلبية تجمع على أن النص ضعيف ، وأنه عمل من الدرجة الثانية بمقاييس العصر الفيكتوري .

البروفيسور « صامويل شوينبوم » مستشار المشروع وأكبر المتحمسين للاكتشاف بالطبع يقول : « طالما لم يقم دليل قوي على عكس ما نقول .. فالقصيدة فعلاً لشيكسبير » .

أما الباحث المكتشف جاري تيلور فيرى عالم الدراسة الأكاديمية مسرحاً كبيراً ويرى جميع الدارسين ممثلين ..



الدوحة في بيت الشباب

حين أكملت المرحلة الثانوية ، كنت قد أكملت ــ عن ظهر قلب ــ حفظ قصائد الشاعر الرقيق الدكتور ابراهيم ناجي ، المبثوثة فى ثنايا دواوينه الثلاثة « وراء الغمام » ــ ١٩٣٤ ، « ليالى القاهرة » ــ ١٩٥١ ، « الطائر الجريح » ــ ١٩٥٧ . وكنت أحس أن قصائده بمثابة كنز مخبوء فى صدرى . وأدركت ــ فيما بعد ــ أنى تعلقت بشعر ناجي ، لأني ــ وفقا لتفسير الدكتور محمد مندور ــ واحد من الشباب المحرومين من متع الحياة ، على الرغم من تفتح وعيهم عليها ، ولذا يلاقى شعر ناجي المترقرق باللهفة والعطش الروحي استجابة فى نفوسهم الظمأى .

بقلم : حسن توفيق

وحين كبرت .. وانطلقت إلى الجامعة .. كبر معى حبى لناجي ، لكن شاعرين كبيرين من رواد حركة الشعر الحر فى وطننا العربى أخذا يزاحمانه فى قلبي مزاحمة شديدة . أولهما : بدر شاكر السياب — من العراق ، وثانيهما : صلاح عبدالصبور — من مصر . وأتذكر أني كنت أقلب صفحات مجلة « الآداب » البيروتية ، بحثا عن قصائد منشورة لكليهما أو لأى منهما ، فإذا وجدت كنت أشترى المجلة وإلا فلا !

لم ألتق بناجي خلال حياته بالطبع ، وان كان أبى يؤكد لى أنه قد عالجني فى عيادته بحى شبرا ذات مرة ، وأن ناجى لم يتقاض منه أجرا ، لأنه كان يعالج أبناء الفقراء بالمجان فى أغلب الأحيان ... كما أن أستاذى الشاعر د. كمال نشأت كان يسعدنى كثيرا عندما كان يحدثنى عن لقاءاته العديدة بناجى .

أما السياب .. فانى كنت أحلم بأن يزور مصر ، لكى يقدر لى أن ألقاه ، لأن فكرة السفر إلى العراق للقياه كانت أمنية عسيرة المنال ، وقد اكتشفت — فيما بعد — أن السياب نفسه كان يحلم بزيارة مصر ، لكى يلتقى بأدبائها وشعرائها ، مثلما قدر له أن يلتقى بأدباء لبنان خلال فترة مرضه ، وهذا مايتضح فى بعض رسائله التى نشرت بعد رحيله . وكنت — إمعانا فى تأكيد تعلقى به — أسجل اسمه هو فى كشوف المترددين على دار الكتب المصرية عندما أرتادها ، وأذكر أنى زرت الشاعر هلال ناجى (وكان مقيما بالقاهرة فى الستينات) لكى يزودنى بما يعرفه عن السياب ، فوجئتُ بقوله : لماذا لا تذهب للسياب نفسه ، خاصة أنه موجود فى القاهرة ، بدليل أنه يسجل اسمه فى كشوف المترددين على دار الكتب التى اطلعت عليها بنفسى ؟!

وفى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٦٤ رحل السياب عن عالمنا بعد صراع مضن وطويل مع المرض الذى افترسه ، وأقعده مشلولًا فى أخريات أيامه ... رحل دون أن يتحقق حلمى بلقياه . لكن القدر الذى حرمنى من لقيا السياب ومن قبله ناجى ، شاء أن يسعدنى ، لأنى تعرفت بصلاح عبدالصبور منذ أن كنت طالبا بالجامعة ، وتعلقت به إنسانا مثلما تعلقت به شاعرا ، وعملت معه سكرتيرا ثم مديرا لمكتبه فى الهيئة العامة للكتاب بمصر منذ أن تخرجت ، ومنذ أن قيل لى ان صلاح عبدالصبور قد رحل عن دنيانا فى الثالث عشر من أغسطس عام ١٩٨١ ، وأنا أرفض هذا الذى قيل ، مكذبا كل القائلين ، لأنى أحس بأن غيابه الجسدى لايشكل لى عائقا فى استحضاره فى أى وقت أشاء .

ولنعد إلى السياب ...

حين تهيأت للدراسات العليا بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، كنت مصرا وقتها على أن تكون أطروحتى لنيل درجة الماجستير عن بدر شاكر السياب ، وبالفعل فقد تم تسجيل الأطروحة عام ١٩٦٦ بعنوان « شعر بدر شاكر السياب — دراسة فنية وفكرية » ، وكان الدافع لإصرارى على تسجيل هذا الموضوع بالذات هو حبى العميق للسياب ، وكان هناك دافع آخر قومى ، هو الايمان بوحدة الثقافة العربية فى مختلف أقطار الوطن العربى الكبير ، خلال العصور المختلفة التى مرت بها ، ومن هنا فإننى اخترت أن أدرس شاعرا عربيا ينتمى إلى قطر عربى (العراق) غير القطر العربى الذى أنتمى إليه (مصر) نتيجة هذا الإيمان بوحدة الثقافة العربية فى جوهرها .

كان من حسن حظى أنى استطعت الحصول على نسخة من كتاب « بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة فى العراق » ، وهو الكتاب الذى أصدره الكاتب والمحامى العراقى محمود العبطة عام ١٩٦٥ أى بعد رحيل السياب بعام واحد ، فكان هذا الكتاب أول دراسة متكاملة عنه ، وتنبع أهمية هذا الكتاب من ارتباط صاحبه بأواصر صداقة وطيدة بالسياب ، ومن اهتمامه برصد النتاج الشعرى فى العراق فى بداية حركة الشعر الحر ، ومن ناحيتى فإننى بذلت محاولات مضنية ومتأنية للحصول على دواوين الشعراء العراقيين الذين رصد نتاجهم محمود العبطة ، وكان أن حصلت — ضمن ماحصلت عليه — على ديوانين لشاعرة عراقية من جيل السياب ، وكشفت لى دراسة هذين الديوانين عن وجود علاقة حب قوية بين تلك الشاعرة وبين السياب ، وهذا مالم يتحدث عنه دارسو السياب الذين أصدروا دراساتهم عنه بعد دراسة محمود العبطة ، لسبب بسيط يتمثل فى أنهم لم يهتموا بالحصول على الديوانين اللذين استطعت الحصول عليهما .

وإذا كان الدارسون والنقاد العرب لم يهتموا بدراسة شعر السياب خلال حياته المضطربة القصيرة التى لم تتجاوز ثمانية

■ إقبال — الزوجة : لم يكن تكريم الشعراء فى الحسبان خلال حياة بدر .

■ غيداء — الإبنة الكبرى : ذكرياتى معه مجرد أطياف فقد كنت صغيرة .

■ آلاء — الإبنة الصغرى : شعر السياب فى القمة وأقرأ لفدوى طوقان .

■ السياب تعرض للمتاعب فى حياته ، وتمثاله تعرض للقصف بعد رحيله !



الدوحة في بيت السياب

وثلاثين عاما ، فإن كثيرين درسوا جوانب حياته ومقومات عطائه الشعرى بعد رحيله عن دنيانا .

هناك من درسوه ضمن دراساتهم عن شعراء آخرين ، ومن هؤلاء : د. جليل كمال الدين فى كتابه « الشعر العربى الحديث وروح العصر » ، د. ابراهيم السامرائى فى كتابه « لغة الشعر بين جيلين » ، جبرا ابراهيم جبرا فى كتابه « الرحلة الثامنة » ، محي الدين اسماعيل فى كتابه « ملامح العصر » ، د. لويس عوض فى كتابه « الثورة والأدب » ، رجاء النقاش فى كتابه « أدباء معاصرون » .

وهناك من أفردوا له دراسات مستقلة ، متناولين فيها حياته وشعره ، وأول من أصدر كتابا كاملا عن السياب كان محمود العبطة عام ١٩٦٥ كما أشرت من قبل ، وفى عام ١٩٦٦ أصدر عبدالجبار البصرى كتاب « بدر شاكر السياب رائد الشعر الحر » وأصدر سيمون جارجى كتاب « السياب - الرجل والشاعر » ، وفى عام ١٩٦٨ صدر كتابان آخران هما « بدر شاكر السياب والمذاهب الشعرية المعاصرة » لمحمد التونجى و « بدر شاكر السياب - حياته وشعره » لنبيلة الرزاز اللجمى ، ثم أصدر الدكتور احسان عباس كتابه الضخم « بدر شاكر السياب - دراسة فى حياته وشعره » عام ١٩٦٩ ، وفى عام ١٩٧٠ أصدر محمود العبطة كتابه الثانى عن السياب بعنوان « أضواء على شعر وحياة بدر شاكر السياب » ، وأصدر خالص عزمى عام ١٩٧١ كتاب « صفحات مطوية من أدب السياب » ، أما الكتاب العاشر من هذه الكتب التى أفردها أصحابها لتناول السياب فكان كتاب « السياب » الذى أصدره عبدالجبار عباس عام ١٩٧٢ .

ومن خلال هذه الدراسات مجتمعة ، والتى تتباين بالطبع فى مستواها العلمى ، وفى مدى تعاطف أصحابها مع السياب ، ومن خلال الجرائد والمجلات الأدبية العربية التى كان السياب ينشر فيها قصائده أو مقالاته ، تكونت لى حصيلة وافرة ، استطعت بها أن أنجز دراستى عن الشاعر الكبير ، وكان هذا عام ١٩٧٨ ، حيث نوقشت بإشراف الدكتورة سهير القلماوى ، وصدرت فى كتاب عام ١٩٧٩ . لكننى - على الرغم من الجهد والتأنى والصبر فى جمع مادتى عن السياب - كنت أحس بينى وبين نفسى بغصة كبيرة . لأنى لم أزر العراق ، وبالتالى لم أزر البصرة ، ولا قرية « جيكور » التى شهدت ميلاد السياب عام ١٩٢٦ ، ولا نهر « بويب » الذى حفظت اسمه نتيجة تغنى السياب به فى قصائده .

وفى سبتمبر عام ١٩٨٠ قدر لى أن أزور العراق لأول مرة ، ولكن بعد أن كانت دراستى قد صدرت ، ولم يقدر لى فى تلك الزيارة أن أزور الجنوب ، فزرت وقتها الشمال وردت بمدنه « الموصل » و « آربيل » و « كركوك » ، وعدت من زيارتى وقد ازددت تعطشا لزيارة جنوب العراق ، وهذا مالم يتحقق لى إلا منذ نحو شهرين ، وبالتحديد يوم الخميس ٢٨ نوفمبر من العام الماضى (١٩٨٥) ، حيث زرت « البصرة » ضمن وفود الشعراء العرب الذين استضافهم مهرجان « المربد » الشعرى السادس . بل إنى سعدت وانتشيت ، لأنى كنت الوحيد ، من بين جميع الشعراء العرب ، الذى زار بيت الشاعر العراقى الكبير ، وكان لى لقاء مع أسرته فى هذا البيت .

• • •

لم تكن فكرة زيارتى لبيت بدر شاكر السياب واردة فى ذهنى ، لأن برنامج زيارة ضيوف « المربد » للبصرة كان محددا من قبل . بدأت الفكرة - ببساطة وبشكل عفوى - عندما قدمنى من يعرفونى إلى « آلاء » الابنة الصغرى للسياب ، صافحتها محييا قرب قاعدة تمثال الشاعر الكبير ، وسألتها عن « غيداء » ، فقالت لى : « هل تعرفها ؟! » ... أجبتها قائلا : « نعم ... فهى أختك الأكبر منك ، وقد ولدت عام ١٩٥٦ ، أما أنت فقد ولدت عام ١٩٦١ » ... ابتسمت « آلاء » فى دهشة ، ثم استأذنت لتنادى « غيداء » ... تصافحنا بحرارة ، وبقينا نتحدث قرب قاعدة تمثال السياب ، وبين الحين والحين كنت أتطلع إلى التمثال ، وتتصارع فى أعماقى مشاعر شتى ..

أمام السياب ... شعرت بالنشوة تتملكنى ، وخيل لى فى لحظة من لحظات الوهم أنه سيقبل لكى يصافحنى ، ولكى يربت على كتفى « غيداء » و « آلاء » ، مانحاً إياهما عواطفه الأبوية العميقة . وأمام السياب ... احتوتنى مرارة مالحة ... حين سألت نفسى : ألا بد للشاعر العربى أن يموت ، لكى يكرمه الآخرون ، ويوفيه حقه النقاد والدارسون ؟!

أعادتنى « غيداء » إلى الواقع ، وأبعدتنى عن مشاعرى التى كانت تصطخب فى أعماقى ، حينما قالت لى : « ألم تلاحظ هذه الثقوب ؟! » ... آه ... إنها شظايا القصف من جراء الحرب التى دخلت عامها السادس ... الشظايا لاتستطيع أن تميز بين الأشياء ... إنها تقتحم فى اندفاعها النبيل والرذيل ، والجميل والقبيح على السواء ... إنها لاتميز ... وهكذا قدر لتمثال السياب أن تقتحمه الشظايا ... وكأن الشاعر العربى الكبير الذى تعرض للمتاعب والمصاعب فى حياته ، لم يسلم أيضا من التعرض للقصف بعد رحيله الجسدى عن دنيانا !!

قرأت ماهو مكتوب على اللوحة الرخامية عند قاعدة تمثال السياب ... هذا هو اسمه ... وهذا عام مولده وذاك عام رحيله عن دنيانا ، وفقا للتقويمين الميلادى والهجرى ... وهذه سطور من قصيدته الرائعة التى كنت - ومازلت - أحفظها منذ سنوات ... قصيدة « غريب على الخليج » التى يضمها ديوانه العظيم « أنشودة المطر » ... والسطور المختارة ، تصور مشاعر السياب عندما كان هائما على وجهه ، خارج العراق ، يعانى الغربة والضياع عام ١٩٥٣ ... انها سطور يتكشف منها مدى إحساس السياب بالوحشة وهو بعيد عن شمس العراق ، وبعيد كذلك عن ظلام الليل فى العراق ...

الشمس أجمل فى بلادى من سواها والظلام
حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق
واحسرتاه متى أنام
فأحس أن على الوسادة
من ليلك الصيفى ظلا فيه عطرك ياعراق ؟
بين القرى المتهيبات خطاى والمدن الغريبه
غنيت تربتك الحبيبه ..

عندما انتهيت من القراءة مرة .. ومرات .. قلت لنفسى : « واحسرتاه .. إن الشظايا التى لاترحم أسقطت العديد من النقاط من فوق الحروف ... وعلى سبيل المثال فإن نقطة الجيم فى « الشمس أجمل ... » قد سقطت ... ، وتنبهت أيضا إلى أن رقم (٩) من عام مولده بالتقويم الميلادى قد سقط هو الآخر ... لكنى اندهشت حين قرأت أن عام مولده - وفقا لما هو مكتوب على قاعدة التمثال - هو عام ١٩٢٥ . إن كل الدارسين والباحثين قد ذكروا أن السياب ولد عام ١٩٢٦ ، بمن فيهم محمود العبطة فى كتابه الأول عن السياب ، لكنه فى كتابه الثانى حاول أن يثبت أن السياب قد ولد عام ١٩٢٥ ، حيث يذكر أنه راجع مجلات المدرسة المحمودية الابتدائية ، وقد عثر على معلومات خاصة بالشاعر نقيها من السجل رقم (٦) وصفحة السجل ٧٥٧ » والمعلومات هى : المحلة : قرية جيكور - تاريخ الولادة ١٩٢٥ - آخر مدرسة كان فيها قبل دخوله المحمودية مدرسة باب سليمان - أبيض الوجه - أسود العينين - أحواله الصحية جيدة وسيرته فى المدرسة جيدة » .

إذن فإن من اختاروا ماهو مكتوب على اللوحة الرخامية قد استشاروا محمود العبطة بشأن تاريخ ميلاد الشاعر ، مع أن السياب نفسه - خلال حياته - كان قد أشار فى مواضع عديدة إلى أنه ولد عام ١٩٢٦ ، ولم يذكر مطلقا

أنه ولد عام ١٩٢٥ . وبالمناسبة فإن بلند الحيدرى وعبدالوهاب البياتى قد ولدا أيضا عام ١٩٢٦ ، وهما ـ كما نعرف ـ من جيل السياب .

انصرف الشعراء قاصدين فندق شيراتون ـ البصرة ، للراحة ، واكتشفت أنه لم يبق سوای وغيداء وأختها آلاء وشاب رقيق من البصرة هو أياد سعيد مزعل ، وحين انطلقت سيرا على الأقدام إلى الفندق سألت غيداء أن تسمح لى بزيارة البيت ... بيت السياب رحبت بطلبی الذى كنت أهدف من ورائه إلى إلقاء نظرة على مكتبة السياب ، وعلى ماقد يكون موجودا من قصائد مخطوطة أو رسائل موجهة له من الأدباء العرب ، إلى جانب لقائى بزوجته السيدة إقبال طه العبد الجليل .

• • •

أحسست وأنا أدخل بيت السياب أنى إنما أدخل بيتى ، وأنه كان يتعين على أن أدخل هذا البيت منذ سنوات . وإستقبلتنى السيدة « إقبال » بترحاب شديد ، أضاف إلى ألفتى الروحية المسبقة ألفة روحية جديدة ، لكنى لاحظت أن أعماقها تشى بالحزن المقيم ، الذى تحاول أن تخفيه عن ملامح وجهها دون أن تفلح ، فهى تعرف أن الشعراء العرب ضيوف « المربد » قد حضروا الى البصرة ، ليضعوا إكليل الزهور على قاعدة تمثال زوجها الغائب عنها منذ إحدى وعشرين سنة .

زاد من ألفتى الروحية مع المكان ذاته ، أنى لاحظت أن جدران غرفة الاستقبال مطلية باللون الأزرق الفاتح ، وأن الأرائك والمقاعد خضراء اللون ... إننى أحب هذين اللونين ... الأزرق يعنى عندى البحر والسماء ، والأخضر عندى يعنى الحقول والغابات ... والبحر والسماء والحقول والغابات تريح النفس برحابتها وامتداداتها .

أقبلت الابنة الصغرى « آلاء » بالمشروبات الغازية أولا ، لكنى لم أشرب ، بصراحة كنت محتاجا لكوب من الشاى .

... كان السياب يحب الشاى كثيرا ، ويروى أصدقاؤه ومخالطوه أنه كان يجلس فى الأمسيات فى العديد من المقاهى الشعبية ، ومن بينها مقهى « الزهاوى » ، وكان لايشاهد إلا وأمامه كوب الشاى « الاستكان » بينما هو منهمك فى قراءة أبى تمام ... كان هذا فى بغداد خلال أواخر الخمسينيات ...

أقبلت « آلاء » مرة أخرى ، حاملة صينية كبيرة تحوى أطباقا مملوءة بالكعك المحشو بالتمر العراقى ، ولم آكل إلا بعد أن علمت أن الصناعة محلية ... فالسيدة « إقبال » والدتها هى التى تصنع هذا الكعك ... أعترف بأنى أكلت منه بشهية مفتوحة .

أطلعتنى « غيداء » على مخطوطة الديوان « شناشيل ابنة الجلبى » وهو الديوان الذى صدر فى أوائل يناير ١٩٦٥ ، أى بعد رحيل صاحبه الشاعر الكبير بأيام قلائل ... وأطلعتنى على بعض القصائد الأخرى بخطه ... لكن مفاجأتى كانت كاملة حين اكتشفت أن إحدى هذه القصائد لم تنشر من قبل ، وبالتالى فهى اكتشاف أدبى ، حتى لو لم يكن مستواها هو نفس مستوى قصائد السياب الشهيرة ... استأذنتها فى تصوير القصيدة ، لكى يتسنى نشرها فيما بعد .

القصيدة بعنوان « نبوءة حزينة » ، وهى من حصاد عام ١٩٤٨ ، وهى مؤرخة ـ على وجه التحديد ـ بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٨ . وهذا العام هو الذى شهد نهاية قصة الحب بين السياب وشاعرة عراقية معروفة ، وكنت قد أفضت فى الحديث عن هذه القصة فى كتاب عن السياب ... وأدركت بعد قراءة القصيدة أنها من القصائد الموجهة إلى الشاعرة ، لكنها ليست فى مستوى قصائده الأخرى التى وجهها إليها ، ولعل السياب لم ينشر القصيدة ضمن ديوان « أساطير » الذى أصدره عام ١٩٥٠ لهذا السبب . ومن هنا فإن نشر القصيدة فى « الدوحة » يدخل فى إطار احترام تراث الشاعر الكبير .

• • •

.. دار الحديث بينى وبين السيدة « إقبال » ، وسرعان ماتشعب ليصبح حديثا جماعيا ، بعد أن انضمت « غيداء » و « آلاء » ...

• فى البداية قلت للسيدة إقبال : هل لك تحدثينا عن ذكرياتك مع الشاعر الكبير ؟ ... أنا أعلم أنكما قد تزوجتما عام ١٩٥٧ ...

ـ قاطعتنى السيدة إقبال ... قائلة : « عام ١٩٥٥ » (وحين رجعت إلى كتابى تأكدت أن ذاكرتي قد خانتنى ، فقد سجلت فى كتابى عن السياب أن عقد الزواج قد تم توقيعه فى ١٩ يونيو ١٩٥٥ ... إذن فالاعتماد على الذاكرة وحدها قد يضلل ..) .

• شكرت السيدة إقبال على تصحيحها لما ذكرته بشأن عام زواجها من السياب ... وبدأت هى تتحدث لتضيف إلى ما كنت أعرفه أشياء جديدة ...

ـ ... فى الشهر التاسع (سبتمبر) عام ١٩٥٥ كان زواجنا .. ولعلك تعرف أن هناك صلة قرابة بين عائلة السياب وعائلتى .. كان عقد القرآن فى البصرة ، لكننا تزوجنا فى بغداد فى دار من دور محلة « الكسرة » ، وأقمنا فى « الكسرة » عاما واحدا ، ثم انتقلنا إلى « الأعظمية » ، وبقينا بالأعظمية فترة من الزمن ، إلى أن فصل السياب من عمله فى زمن عبدالكريم قاسم ، فكان أن رجعنا إلى « البصرة » ، وبعد فترة صعبة أعيد إلى العمل ، وكان عمله فى مصلحة الموانىء ، وسكنا نحن فى مساكن تلك المصلحة ... وجاءت الفترة الأصعب ... حين ألم به المرض ، فانتقلنا إلى بيروت ، لكى يعالج هناك ، ومكثنا ثلاثة شهور ، وحين عدنا ازداد عليه المرض ، ودخل مستشفى الموانىء بالبصرة .. وفى خاتمة رحلاته بحثا عن الشفاء ، إنتقل فى الشهر السابع (يوليو) عام ١٩٦٤ ، ليعالج فى الكويت ، سافر زوجى وحده فى البداية ، ثم التحقت به بعد ذلك لفترة ليست كبيرة ، لأنى كنت مرتبطة بالدوام باعتبارى معلمة فى المدارس ، وكان لابد أن أعود نتيجة ظروف



غيداء وآلاء بدر شاكر السياب تتحاوران مع الشاعر حسن توفيق فى « بيت السياب » فى قرية « جيكور » بالبصرة

الدوحة في بيت السياب

عملي ... وبقي هو هناك الى أن توفي يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ .

... لم أشأ — من ناحيتي — أن أصحح للسيدة «إقبال» تاريخ وفاة السياب ، فالصحيح أنه توفي يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ ووصل جثمانه الى البصرة ، حيث دفن في مقابر «الحسن البصري» في اليوم التالي ... أي يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ ، وربما ظل التاريخ في ذهن السيدة «إقبال» (٢٥) لا (٢٤) لأن جثمانه ووري التراب يوم ٢٥ ...

• قلت للسيدة «إقبال» ... وماذا عن ذكرياتك معه ؟ ... كيف كانت تبدو شخصيته في نظرك ؟.. وكيف كان يعاملك ؟ وماذا عن لحظات غضبه ولحظات سروره هنا داخل البيت ؟

— لا أذكر أنه كان يغضب أبدا ... لحظات الغضب التي تتحدث عنها لم تمر به هنا أمامي ... كان دائما متسامحا رقيقا ... يحب الكل ... ويحب الهدوء .

• وماذا عن شعورك بعد أن كرمته الدولة وكرمه الجميع بعد رحيله عن الدنيا ؟.. ولماذا لم يحصل على هذا التكريم في حياته ؟

— أشعر بالراحة النفسية ... مثل الراحة التي يحس بها أي إنسان عندما يجد أن إنسانا غاليا وعزيزا عليه ينال حقه من التكريم .... وأنا أشكر الحكومة العراقية على هذا التكريم لزوجي . والحقيقة أنه خلال حياة السياب ، لم يكن هناك اهتمام بالأدب ولا بالأدباء ، وبالتالي فلم يكن هناك أي مظهر من مظاهر التكريم له أو لغيره من الشعراء .

• وماذا عن معاناتك أنت «وغيداء وآلاء» إزاء الباحثين الذين يحضرون الى البيت ، لكي يحصلوا على مصادر أو كتب تدور حول السياب ... لكنهم لايهتمون بعد ذلك بإعادة هذه المصادر أو الكتب إليكم .؟

— نحن دائما نكون مسرورين بقدوم أي ضيف الى دارنا ، فنحن نشعر أن قدومهم هو تكريم للسياب ، ولهذا نرحب بهم دائما ، ولانجد أية مضايقة من أحد منهم .

• ولكن ماذا بشأن من يحصلون على كتب أو مصادر ، ولايعيدونها مرة ثانية لكم ؟

— نحن نتسامح ... نحن ....

... لم تستطع السيدة «إقبال» أن تكمل ماتود أن تقوله ... اكتشفت أن عبراتها تختلج ... وكأنها على وشك الاجهاش بالبكاء ... وتمالكت أنا الآخر نفسي بصعوبة .. وأدركت «غيداء» برقتها وذكائها صعوبة الموقف ، وصعوبة أن تتحدث أمها بعد ذلك ... فتدخلت هي لكي تكمل الإجابة ...

— غيداء : دائما نبدو متسامحين .. روح التسامح تسيطر علينا ... ونقول «على الله العوض ..» ... ونعزي أنفسنا بأن هذه الكتب عزيزة على من أخذها مثلما هي عزيزة علينا .. والحقيقة أن بدر شاكر السياب ليس ملكا لنا ... للأسرة ... فحسب ، لكنه ملك لكل العراقيين ، بل لكل العرب الذين يقدرونه ويحبونه . والحقيقة أننا نعرف الضعف البشري عند الناس ، لأنه موجود في طبيعتنا جميعا باعتبارنا من البشر ... ولذا فإننا نتسامح كما قلت لك .

• قلت لغيداء : أود أن أعرف مدى اهتمامك بالشعر ، على الرغم من أنني علمت منك أثناء حديثنا في الطريق الى الدار انك تخرجت من كلية الهندسة — جامعة البصرة ؟

— إهتمامي بالشعر ينحصر في قراءته فقط ، وللأسف فإنني لاأملك الموهبة التي تتيح لي ممارسة كتابة الشعر وبالتالي أكتفي بالقراءة ، وأجد فيها متعتي .

• ومارأيك في شعر والدك ؟

— بدر شاكر السياب في رأيي قمة ... لكني — في مرات كثيرة — أحس بالتعب وأنا أقرأ له ... والحقيقة أن انتمائي له ومايسببه هذا الانتماء يمكن أن يكون له تأثيره بالنسبة لرأيي ... ولكن يبقى بدر شاكر السياب سارية علم .

• كنت صغيرة عندما توفي والدك — رحمه الله — ولكن هل تستطيعين أن تحددي أية مواقف أو ذكريات معه خلال حياته ؟

— الذكرى الوحيدة التي ستبقى في نفسي ، لأني — كما قلت — كنت صغيرة ... هي ذكرى رجوعه من الدوام بعد العمل ... كان يأتي متوكئا على عكازه الخشبي ... وجيوبه مليئة بالشكولاتة والسجائر ... للشكولاته لي ولغيلان وآلاء ... أما السجائر فله . هذه هي الذكرى الوحيدة التي ستبقى في نفسي ... أما بقية الأشياء فإنها مجرد أطياف حلوة ... أو مجرد آمال أتخيلها وأتوهم أنها حقيقة من شدة شوقي إليه ... الى بدر شاكر السياب .

... تخيلت كم كان يعاني وهو يتوكأ على عكازه الخشبي ، وكم كان يعاني معاناة أشد ، وهو يحاول أن يدبر نقودا لكي يشتري «الشكولاته» لغيلان وغيداء وآلاء ... والسجائر له ... تخيلت هذه المعاناة ، لأني تذكرت رسائله التي كان يرسلها لأصدقائه ، وكلها تدور حول هذه المعاناة ... رجعت — فيمابعد — الى هذه الرسائل ... وهذه فقرة من رسالة كان قد أرسلها لجبرا ابراهيم جبرا من لندن ، أثناء إقامته هناك للعلاج ، والرسالة مؤرخة بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٦٣ ، أي قبل رحيله عن دنيانا بما يقرب من عامين ...

يقول السياب لجبرا في رسالته :

« .. فوجئت عندما علمت أمس من السفارة العراقية أن رمضان قد حل . لكن هما أصابني . سيأتي العيد وليس هناك من يشتري ملابس جديدة لأطفالي . إن راتب أمهم لايكفي لأكثر من إطعامهم . أفلا تستطيع إقناع الدكتور محمد الأمين بارسال ماأستحقه عن ترجمة جزء من كتاب الأدب الأمريكي الى زوجتي . إن ذلك سيجعلني مرتاحا ويزيل القلق من أفكاري . إذا لم يستطع فلتتفضل أنت بارسال أربعين أو ثلاثين دينارا إليها وسأعطيك إياها حين تعود أو تأخذها مما أستحقه عن الترجمة ... » .

• سألت آلاء التي كانت تصغي لحديثي مع غيداء عن اهتماماتها بالقراءة ، ومن الذين تقرألهم من الأدباء ؟ ... وبالمناسبة فإن آلاء لم تدرس الأدب شأنها شأن غيداء ، وشأنهما شأن غيلان ... فغيلان يدرس الهندسة في أمريكا على نفقة الدولة تكريما لوالده ... وغيداء سبق أن ذكرت أنها درست الهندسة ... أما آلاء فقد درست التجارة والمحاسبة ...

— على رأس قائمة قراءاتي يأتي بدر شاكر السياب ... وأقرأ كذلك لفدوى طوقان ... ولشعراء المقاومة الفلسطينية وأذكر منهم سميح القاسم ومحمود درويش ... كما أقرأ لنزار قباني وصلاح عبدالصبور وخليل خوري .

• وماذا عن قراءاتك في الرواية ؟

— قرأت أكثر روايات نجيب محفوظ ، وأحيانا أعيد قراءة بعض ماقرأته منها .

• .. وماذا تعملين الآن ؟ ... إن غيداء ذكرت لي أنها تعمل في محطة ضخ الكهرباء بالبصرة .. أنت ؟

— أعمل محاسبة بدائرة الإحصاء في البصرة .

• هل لك هوايات أخرى غير القراءة ؟

— أحب أن أستمع الى الموسيقى والى الأغاني .

• من من المطربين تفضلينهم ؟ ... إن والدك — مثلا — كما يروي أصدقاؤه كان مغرما بالاستماع الى أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب ... وأنت ؟

— عبدالوهاب ... اعتيادي أتصور ... إن ماكو شخص مو مغرم بعبد الوهاب ... وأحب أصيف فريد الأطرش .

... كان جوابها هذا بالعامية العراقية ... وقد تركته كما هو ... لأنها كانت متحمسة وهي تجيب ..

• هل تحدثينني عن غيلان ، لأنه ليس موجودا معنا الآن ؟.. لقد سمعت أنه يكتب الشعر وينشره ...

— عفوا ... لاأتصور أن غيلان قد نشر شيئا من شعره ... إنه يكتب ، لكنه يحتفظ بقصائده لنفسه ... ولكني أتصور أن غيداء

● نَصُّ قصيدة مجهولة بخطّ السيّاب تنشر لأول مرّة ●

نبوءة حزينة

مقطع من القصيدة بخط السياب

الظلالُ المقمرات الشحبُ
والسكون الخائفُ المضطربُ
غابة ثكلى .. وأشباحٌ حزانى
وجذوعٌ كلها كانت زمانا
وجذوعٌ في غدٍ تلتهبُ
ورياحٌ سوف تذروها دخانا

• • •

والفراشات النقيات الظماءُ
خفقةٌ بيضاء وشاها بنجمين المساء
المساءُ الأسمرُ المعطار.. وارتجت ليالي
في قرار القبة السوداء.. تهوى كالظلال
وربيعٌ وخريفٌ وشتاءٌ !
وجناحٌ باردٌ فوق الرمالِ

• • •

وتصافحنا.. وظلان.. وظلاّن ونور
ويدٌ.. في غرفةٍ زرقاء : والنجم الصغير
أوقد الشباك.. فامتدت يدٌ من كل بابِ
إبتسام رنَّحَ الأهداب.. مجهول الرغابِ
واحتراق.. وانطفاء واحتراق
ونجوم وفراق
أنا لا أهواك « لا ..امضي » سأمضي في ذهول
« سوف تأتين ».. وأقدام على نور الأصيل
بعد يومين.. غداً... حان اللقاء
أمسِ ماذا كان ؟.. أيامٌ بطاء

وحديثان وصبح ومساء
أكذا الحب ؟؟ أحاديثُ ملول لملول
الهوى.. كالغابة السوداء.. أشباح حزانى
ورياحٌ سوف نذروها دخانا..
وفراشاتٌ على الحقل ظماء..
وخريف.. وشتاء
وتصافحنا.. و غمغمنا وداعاً..
ووداعاً.. ووداعا
رقصة الموتى وأنغام تخطين الغناء
والشحوب الرّاعبُ المكسوفُ يُلقيه الهلال
في رقاد الليلة العشرين.. حزناً لا ضياء
وكؤوس لثمتهن الظلال..
حطمتها قبضة سكرى وقَرَّتْ مقلتان
بالشظايا ؟؟.. وتوارى عاشقان

١٩٤٨/٢/٢

يمكن أن تفيدك أكثر مني ، بصفتها أختي الكبيرة ، فضلا عن تقارب السن بينها وبين غيلان .

« غيداء : أرى أن غيلان يمكن أن يسير على خطى بدر شاكر السياب ، لأنه يبدو متأثرا به الى حد كبير ، ومع ذلك فإن قصائد غيلان تظل مجرد بدايات ... لايزال غيلان في السفح ... أما بدر شاكر السياب فإنه في القمة .

ـ في تقديري أن هذا طبيعي ... فأنا أذكر لك مثلا أن « حسين » وهو ابن « أمير الشعراء » أحمد شوقي يكتب الشعر ، بل له ديوان مطبوع ، ولكن شتان مابين شعر أحمد شوقي وشعر ابنه ...

حان انصرافنا من البيت ... غيداء ... والشاب العراقي إياد الذى تطوع لتوصيلنا للبيت بسيارته ... وأنا .. شكرت السيدة « اقبال » وشكرت « آلاء » ... وانطلقنا لحضور فقرات برنامج زيارة ضيوف « المربد » للبصرة .

يهمني الآن أن أذكر أن « غيداء » قد ولدت يوم ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٦ ، أى في نفس اليوم الذى رحل فيه السياب عن دنيانا بعد ثماني سنوات من ميلادها ... وقلت لنفسى أية آلام سببتها المصادفة وحدها ... حين تتذكر « غيداء » الانسانة الرقيقة أن يوم ميلادها يصادف يوم رحيل أبيها ...

ويهمني كذلك أن أذكر أن غيداء وآلاء لم تشيرا مطلقا الى أبيهما بكلمة « والدى » أو « أبى » ... كانتا عندما تشيران إليه تقولان : « بدر شاكر السياب » ... كأنما يحلو لكل منهما ترديد الاسم بالكامل .

أما غيلان فقد ولد يوم ٢٣ نوفمبر عام ١٩٥٧ وقد فرح به السياب ... ورأى في ميلاده امتدادا حيا لوجوده ، على نحو ما يذكر في قصيدته « مرحى غيلان » .

يا سلم الدم والزمان : من المياه الى السماء .
غيلان يصعد فيه نحوى ، من تراب أبى وجدى .
ويداه تلتمسان ، ثم ، يدي وتحتضنان خدى .
فأرى ابتدائي في انتهائي .

... وتبقى « آلاء » ... ولدت آلاء في البصرة يوم ٧ يوليو ١٩٦١ .

واذا كنت قد حلمت كثيرا ـ عندما كنت طالبا بالجامعة ـ أن يأتي السياب ليزور مصر ، وبالتالي يقدر لى أن ألقاه ... وإذا كنت قد دخلت بيته ولكن بعد رحيله بإحدى وعشرين سنة ... فإن السياب نفسه ـ كما يتضح من إحدى رسائله ـ كان يحلم وهو في بريطانيا بأن يزور قرية شكسبير ويزور الشاعرين اللذين أفاد منهما في شعره ، وهما ت . س . إليوت وايديث سيتويل ... حيث يقول في رسالة لجبرا ابراهيم جبرا بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٦٣ :

« ... لو كنت قد نلت الشفاء لزرت قرية شكسبير على نهر الآفون ـ ستاتفورد ـ على الآفون ، ولعملت على أن أزور الشاعرة الانكليزية العظيمة ايدث سيتويل وشاعر العصر ت.س. إليوت . لعل ذلك سيتحقق مرة أخرى ... من يدرى ؟ ... »

... لكن ذلك لم يتحقق ... ولن يتحقق أبدا ...

حسن توفيق



كيف تواجه التكنولوجيا المتطورة في مكتبك؟..

إنذار مبكر لمواجهة المشاكل الصحية في العمل!



بقلم
الدكتور عبدالله الباكر

تطور العالم في العشرين سنة الأخيرة بفضل تقدم التكنولوجيا في الدول المتقدمة ، وبتصديرها للدول الأخرى والميسورة منها بالذات حدثت تطورات ملحوظة فى مختلف المجالات ، وكان رصيد الإدارة التى أثرى تحديثها هذا التطور واضحا سواء بالنسبة لممارستها أو بالنسبة للمكان الذي تمارس فيه وهو المكتب .. إلا أن هذا التطور بالرغم من ايجابياته العديدة فى هذا المجال ، شأنه شأن التطورات السريعة فى هذا العصر ، فقد كانت له من النتائج والمخلفات ما دعا الهيئات الصحية إلى التدخل لبيان بعض المشاكل المترتبة على ذلك فى شكل دراسات وثائقية أو بالإنذار المبكر أو بالتصدي لهذه المشاكل بفرض قوانين للحماية عن طريق المؤسسات الحكومية والمهنية .

لقد تغير شكل المكتب من حيث التصميم والإضاءة والتهوية والتبريد والتسخين والتنفيذ والتسرب الهوائى وتغير الأثاث فيه والمواد التى يصنع منها ، وتغير حجم المكتب في البنايات الضيقة وتغيرت الأدوات المستعملة لتحقيق أغراض العمل ، كما تغير أسلوب ممارسة وتنفيذ العمل .

وبالطبع فإن كل هذه التغيرات لها تأثيرات عضوية جسمانية وعقلية ونفسية على الموظف في المكتب ، خاصة بعد سلامته من عوامل الخطورة في منزله وسلامته من عوامل الخطورة في الطريق الذي يسلكه للوصول إلى مكتبه .

إن الاهتمام بصحة العاملين في المكاتب والاستماع إلى شكواهم لم يصبح حقيقة واقعة إلا حديثاً ، وبعد تاريخ طويل من المعاناة والرفض والصد والاتهام بالكسل ، وقد ساهم في هذا الاهتمام كل من العاملين في قطاع الصحة وأرباب العمل ، ولذلك فإننا سنرى اليوم وبعد أن توفرت إمكانيات الدراسة والأبحاث أن الصحة فى مكتبك بكل المقاييس النظرية العلمية الحديثة بدأت تشغل أذهان المسئولين فى القطاعات الصحية والمهنية المختلفة .

وهنا يمكننا أن نتساءل : ماهى المشاكل الصحية التى يتعرض لها الموظفون وما هي مصادرها ؟

مصادر المشاكل الصحية

ان أول تلك المشاكل الصحية تأتى من أدوات المكاتب الحديثة مثل محطات العرض البصرى (V.D.TS) أو وحدات العرض البصرى (V.D.US).

وهذه الوحدات استعملت للأغراض التجارية لأول مرة في الستينات على اعتبار أنها أحدث الوسائل لتوفير الخدمات عن طريق تقليل العمالة ، وكان استعمالها لا يتعدى حجز التذاكر في شركات الطيران ، ومنذ أوائل السبعينات دخلت في أمور كثيرة في المكاتب ، وفي وسائل الحياة الأخرى كالبيوت والمستشفيات وغيرها .

ولهذه الوحدات منافع عديدة ، إلا أن لديها القدرة على توليد وبث أنواع مختلفة من الأشعة الموجودة في الحزمة الكهرومغناطيسية ، حيث أن هذه الأشعة تتولد أثناء عملية انتاج الصورة على الشاشة (الجدول رقم ١ يبين أنواع الأشعة الصادرة منها) .

وفى الوقت الحاضر نجد أن هناك حدودا مقبولة لما ينبعث منها من أشعة ، ولقد اتفق على حدود تلك الأدوات وأقرت في مؤتمر دولي للاتحاد التجارى عقد في عام ١٩٨٤ في جنيف ، ورغم أن الحالات المسجلة عن زيادة تسرب الأشعة قليلة إلا أن السلطات الصحية والمهنية تلتزم جانب الحذر للأسباب التالية :

• أسباب في الصناعة : حيث يتضح أن عينة صغيرة فقط من الوحدات المصنعة قد تم الكشف عليها ، ويمكن القول أكثر من ذلك ان المنتجين يكشفون على النموذج الأولى للتأكد من سلامته ، وعلى سبيل المثال فإن شركة (I.B.M.) تفحص على جهازين كل شهر ، بينما تنتج « ٥٠٠ » خمسمائة وحدة فى اليوم ، وهذا بالاضافة إلى أهمية صيانتها التي تحتاج إلى خبرة جيدة !

• أسباب صحية : يدور جدل كبير فى الخمس سنوات الأخيرة حول علاقة هذه الوحدات بصحة العاملين بالنسبة للأمور التالية .

١ ــ التأثير على العيون : بينت بعض الدراسات أن العمل على الوحدة يؤثر على العين ، بظهور أعراض إجهاد وتعب ، مصاحبة فى بعض الأحيان بحرقان فى العيون ، ويتضح أن سبب ذلك هو الحملقة المستمرة في الشاشة أو بسبب اضاءتها أو بإضاءة المكان ،



هكذا يصور الغرب « الكمبيوتر » على أنه شجرة الحياة الحديثة

إنذار مبكر لمواجهة المشاكل الصحية في العمل!

أضف الى ذلك أن الجو الجاف داخل المكتب وقلة إغماض العين لهما دور في ذلك ، وعلى هذا الأساس ينصح أن يكثر العاملون من اغماض العين وأن لا تقل نسبة الرطوبة في المكتب عن ٤٠٪ ، وقد اتضح أن تلك الأعراض السابقة تزداد بوجود انحراف في الرؤية ، ولذلك ينصح باصلاحه ولا ينصح باستعمال النظارات ذات النصف عدسة أو ذات العدستين ، أما البعض ممن يشعرون بظهور ألوان وردية عندما ينظرون بعيداً عن الشاشة الخضراء اللون فإن ذلك أمرٌ فسيولوجي طبيعي . المهم أنه لا توجد أدلة حتى الآن على أن هذه المحطات تؤدي الى ضرر دائم في النظر .

٢ ـ التأثير على الجلد : حدوث طفح جلدي من جراء التعرض لهذه المحطات يعتبر نادرا ، إلا أن ذلك قد سجل بالذات في النرويج حيث ظهرت حالات من الطفح الجلدي على الخدود والتى غالباً ما تختفي بعد يوم أو يومين من عدم التعرض ، ويعتقد أن الجفاف مع وجود درجة عالية من الكهرباء الاستاتيكية سببها فرش السجاد غير المعامل في المكاتب ، حيث أن معاملة السجاد مع زيادة الرطوبة تساعد على اختفاء هذه الظاهرة !

٣ ـ الصرع : هناك نوع من أنواع الصرع بسبب الحساسية الضوئية ، وهو نادر الحدوث ، حيث يحدث مرة في كل ٥٠٠٠ شخص قبل سن العشرين ، ويحدث في ٥٠٪ من الحالات لأول مرة أثناء مشاهدتهم للتليفزيون ، ولقد سجلت حالة واحدة حدثت نتيجة للتعرض لوحدة العرض البصرى ، لذلك يجب التأكد طبيا من هؤلاء قبل السماح لهم بالعمل .

٤ ـ الأعراض العضلية الهيكلية : هذه الأعراض تشمل آلام الرقبة والظهر والعمود الفقرى والفخذين ، ولها علاقة بالوضعية في الجلوس والحركة ووضع الآلة في المكان غير المناسب ، وتدخل الطاولات والكراسي وأشكالها في أسباب هذه الأعراض ، وبالامكان منع حدوثها بالتصميم الجيد للمكاتب وأثاثها .

أما التهاب غمد الوتر العضلي والوتر العضلي فيحدث بسبب كثرة استعمال لوحة المفاتيح والآلة الكاتبة أو بشكل غير صحيح كذلك الحال بالنسبة لمتلازمة النفق الرسغى C.T.S

٥ ـ التأثير على المرأة: يبدو القلق واضحاً في الأوساط العلمية حتى الآن من تأثير هذه المحطات على المرأة بالنسبة لجهاز الإنجاب والخوف بالذات على المرأة الحامل بالرغم من عدم وجود تأكيدات واضحة بذلك ، حيث بينت بعض الدراسات أن عددا غير عادي من حالات التشوه الخلقي قد حدثت في أجنة مجموعة من العاملات في هذين المجالين ، وهناك دراسات أخرى ربطت بين هذا العمل وزيادة نسبة الاجهاض في النساء العاملات ، ويعتقد أن الأشعة الكهرومغناطيسية « ١٥ ـ ٢٠ كيلو هرتز» لها دور في هذا .

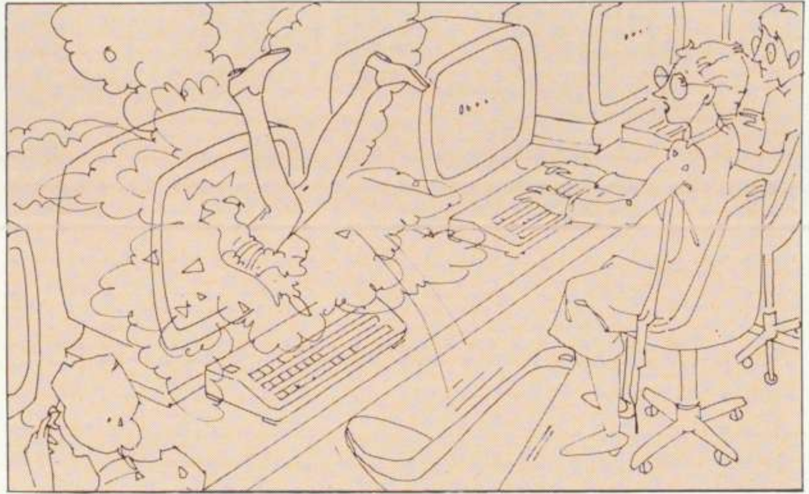
إن تأكيد حدوث تلك التعقيدات في الحامل ، محتاج الى دراسات مكثفة ، خاصة وأن القلق والخوف بدآ يسيطران على الكثير من النساء العاملات ، ولذا فإن قرار نقل المرأة الحامل من مكان عملها يجب أن يعتمد على قرار حكيم ، يضع في الحسبان ما هو متوفر والوضع النفسي للمرأة ، ففي السويد ـ مثلا ـ يسمح للمرأة الحامل بطلب نقلها أثناء الحمل الى قسم آخر ، كذلك الحال في بريطانيا ، استنادا على أن الارتباك النفسي في حد ذاته قد يشكل خطراً على سير الحمل !

وبناءً على المعلومات المتوفرة تنصح الشركات المنتجة جميع المستهلكين بقراءة التعاليم الخاصة بوضع الشاشة وإضاءتها وعلاقتها بالشبابيك والإضاءة المحلية وبعد الشاشة عن أعين القارىء وغير ذلك ، فإذا تم تطبيق ذلك بدقة مع الاهتمام بالصيانة فإن الأضرار المحتملة تصبح ضئيلة جداً ونادرة .

وقد تحدث الأدوات المكتبية الأخرى بعض الأضرار البسيطة كإثارة العيون والأغشية المخاطية للأنف والجهاز التنفسى ولكنها قليلة ، ويحدث ذلك في آلات النسخ بسبب المواد الكيميائية المستعملة كالمذيبات والكحول وحتى ورق النسخ بدون كربون تبين أنه يمكن أن يؤدى الى نفس الأعراض في الناس الحساسين .

تهوية المكاتب الحديثة

ثم تأتى عملية تصميم وتهوية المبانى والمكاتب الحديثة ، حيث التحكم والتوفير في استهلاك الطاقة في تصميم المبانى الحديثة ، الأمر الذي أدى الى تصميم مكاتب ضيقة مغلقة المنافذ ، وحتى الفواصل في النوافذ مختومة مع استخدام العازل الحرارى المصنوع من مواد كيميائية مختلفة ، إضافة الى استعمال أجهزة التبريد والتسخين التى أدت الى الانتقال من مرحلة التهوية الطبيعية الى التهوية الصناعية ، وإمعاناً ـ أيضا ـ في الاقتصاد والتوفير في الطاقة استعملت طريقة إعادة



لقد نصحوها كثيرا بتغيير نظارتها الطبية



كل هذا الاجهاد والفوضى لأنني لم أنظم أوقاتي

دوران الهواء عدة مرات ، فقل اختلاط الهواء الداخلي بالهواء الخارجي ، بالإضافة إلى تلوثه وقلة نسبة الرطوبة فيه ، ومع ظهور هذا النوع من البنايات والمكاتب ظهرت على السطح عدة شكاوي من العاملين عن أعراض مرضية تم تعريفها مجتمعة باسم « متلازمة البناية الضيقة » (Tight Building Syndrome) .

ومن خصائص حدوث هذه الظاهرة أنها تحدث في مجموعة من العاملين في نفس المكان وأن الأعراض تبدأ لأول مرة بعد العمل في نفس المكان وأن التحسن يطرأ بمجرد الابتعاد لفترة عن هذا المكان أيضاً وحتى لمدة ١٥ دقيقة ، وأن غالبية المصابين يقولون إن اعراضهم تزداد سوءاً مع امتداد اليوم لتصبح أصعب في فترة الظهيرة .

هذا وقد وصلت نسبة ظهور الأعراض في احدى البنايات إلى ٧٠٪ من العاملين (الجدول رقم ٢ يبين الأعراض الشائعة لهذه الظاهرة المرضية) .

أسباب هذه الظاهرة

حتى الآن لا يوجد سبب واحد لهذه الأعراض ، ويتضح أن مجموعة من الأسباب مشتركة تلعب دوراً في ذلك ، وحتى هذه الأسباب التى سنوردها لا يمكن الجزم بمسئوليتها .

• الأحياء الدقيقة : بينت بعض الدراسات أن جهاز التهوية في بعض المكاتب سواء في جهاز مرطب الهواء أو في المبردات ووحدات المراوح أو وحدات توزيع الهواء في المكيفات ، يوجد بها تجمعات ميكروبية وأنواع مختلفة من الفطر أدت بعضها إلى الإصابة بما يسمى « حرارة مرطب الهواء » (Humidifiers Fever) حيث ترتفع درجة الحرارة في الشخص المصاب ، وقد يؤدى إلى اصابة الرئة وتدميرها في بعض الحالات ، وهذه الحالة تختلف عن مرض المحاربين القدماء (Legionnaire's Diesease) .

الذي يحدث بنفس الطريقة .

• نوعية الإضاءة : وخاصة النيون الذي يشع كميات مختلفة من الأشعة فوق البنفسجية ، وله دور في الصداع ، ويؤثر على النظر ، وبالذات النوع المثبت بقرب المخارج الهوائية .

• الغازات والمواد الكيميائية : كأول وثاني أكسيد الكربون ، حيث وجد أن نسبة هذه


هل تقولون إن التدخين ضار بالصحة ؟!!

الأشعة غير الأيونية ← | → الأشعة الأيونية

الذبذبات الرباعية (موجات هرتز)		الموجات غاية القصر	الأشعة دون الحمراء	الأضواء الشديدة	الأشعة فوق البنفسجية	الأشعة السينية	
القصيرة	المذياعية					الضعيفة	القاشية + اشعة جاما
الخطوط المائية اطراف الرائى للبث المركزى	المذياع الرائى أطراف الرائى للبث المركزى	الرادار افران الميكروويف	الشمس اطـــراف البث		الشمس أطراف الرائى للبث المركزى	• الأشعة السينية الطبية • الرائى • اطراف الرائى للبث المركزى	التساقط النووى
← ذبذبات قليلة						ذبذبات عالية →	

الجدول رقم (١) يوضح أنواع الاشعاعات الصادرة من مجموعة الحزمة الكهرومغناطيسية

إنذار مبكر لمواجهة المشاكل الصحية في العمل!

الغازات في البنايات التى أجريت فيها الدراسات تزداد في نهاية النهار، وغاز الأوزون كذلك قد يؤدى الى نفس الأعراض.

• الفورمالدهايد: حيث تدخل هذه المادة التي يصدر منها غاز نفاذ في مواد الحفظ والألوان والسجاد والملابس وبعض أنواع الخشب ومجموعة لا بأس بها من المصنوعات، فهى تبقى في المواد المصنوعة منها حتى بعد شهور من تثبيتها.

• نقص الأيونات السالبة: بينت الدراسات أن الأيونات السالبة لها دور صحي ومنشط على الانسان، وأن الغرف المكيفة تقل فيها الأيونات السالبة وتكثر الأيونات الموجبة فتؤدى إلى نفس الأعراض، وهناك دراسات حديثة الآن حول إمكانية استخدام الأيونات السالبة في العلاج.

• التدخين بمختلف أشكاله: بالنسبة للمدخنين أنفسهم أو لغير المدخنين «التدخين السلبي» ويحدث نفس الأعراض في الغرف السيئة التهوية، بل ويحدث أكثر من تلك الأعراض على المدى البعيد.. وتزداد خطورة التدخين في حالة وجود غازات أو مواد كيميائية أخرى في جو المكتب حيث تتفاعل معها وتؤدى إلى زيادة ضررها بالنسبة للأغشية المخاطية والقصبات أو الحويصلات الهوائية.

إن أخطار التدخين الصحية تشمل جميع أجهزة الجسم بدون استثناء، وأعداد المرضى والوفيات بسببه تفوق الكثير من الأسباب، لذلك فإن أهم خطوة لسلامة المكاتب هو منع التدخين.

• أسلوب التهوية: لقد بينت الدراسات المنشورة حديثا أن المكاتب ذات التهوية الطبيعية أكثر ملاءمة للصحة من المكاتب ذات التهوية الصناعية، وبالذات النوع الذي يعتمد على إعادة دوران الهواء الداخلي، مع إضافة نسبة من الهواء الخارجي عليه رغبة فى المحافظة على برودة أو سخونة الهواء وتوفيرا للطاقة، لذلك فإن جمعية المهندسين الأمريكيين للتدفئة والتبريد وتكييف الهواء (Ashrae) أوصت في دراسة عام ١٩٧٧ بأن يكون نصيب كل فرد ٢,٥ لترا فى الثانية من الهواء الطلق كحد أدنى، لكن هذه الجمعية نفسها غيرت هذه المواصفات عام ١٩٨١ فقررت أن نصيب كل فرد يجب أن يكون ١٠ لترات في الثانية خاصة إذا كان التدخين مسموحاً، فقد اتضح من تلك الدراسات أن الأعراض تستمر الى حد ما في عينات الدراسة حتى نسبة ٧ لترات في الثانية من الهواء الطلق وتختفى تقريباً عند نسبة ١٠ لترات في الثانية.

وهكذا نرى أن العوامل السابقة مجتمعة ـ بالإضافة إلى عامل سوء التهوية تلعب دوراً في هذه الظاهرة، وأن وجود الملوثات بأشكالها المختلفة وتكرار الهواء في المكاتب المكتومة يجب أن نضعهما في الحسبان عند تصميم تلك المكاتب (الجدول رقم ٣ يبين ملوثات الهواء التي أمكن التعرف عليها في تحقيقات الأبنية).

الحالة النفسية للموظف

إن الاهتمام بصحة الموظف النفسية ضرورى للغاية حتى يستطيع أداء مهمته في الأوضاع الإدارية الحديثة باتقان وبنجاح، فالتوتر والقلق نتيجة للضغوط التى يواجهها الانسان هي من سمات هذا العصر، ولقد كثرت الأبحاث والدراسات على الضغوط اثناء العمل (Stress at work) ويربط الكثير منها بين هذه الضغوط والإصابة بأمراض القلب أو الوفاة المبكرة منها والسكتة الدماغية وقرحة «الإثنا عشر» والصداع النصفى والأرق وغير ذلك من الأمراض.

وقد اتضح أن الجماعات المعرضين لذلك هم المدراء المتوسطون والذين لا يسمح لهم العمل بتحقيق تطلعاتهم، وبتكرار إصابتهم بخيبة الأمل وعدم الرضا من قرارات رؤسائهم، ولهؤلاء سمات كثيرة أبرزها الاستعجال لتحقيق مجموعة من الأمور في وقت واحد، والطموح المفتقر إلى مقومات النجاح، والتطرف في محاولة السيطرة على الأشياء وقلة الصبر والانتظار، وحب المنافسة والميل إلى الأسلوب العنيف في المعارضة، وهناك الكثير من الكتب التى تعدد هذه السمات وطرق اختبارها في الشخص وحتى طرق التخلص منها، وهناك دراسات لم تؤيد فحوى هذه الطرق لتغيير مجموعة من الأنماط السلوكية في شخص ما، ورغم ذلك فإن هناك إمكانية لترويضها على المدى الطويل.

التهاب العينين	ضيق بالصدر
اختناق الجيوب	عطس
الصداع	غثيان
تعب	دوران
صعوبة استعمال العدسات اللاصقة	التهابات جلدية

الجدول رقم (٢) الذي يوضح الأعراض الشائعة لمرض الأبنية الضيقة

المادة	التركيز بالميكروجيم/ م٣
غبار كلى	٢٠ ـ ٤٠
غبار متنفس	١٠ ـ ٢٥
مواد تتطاير من قطران الفحم	٠٥,٠ ـ ٢,٠
فوريالدهيد	٥ ـ ٤٠
كولوين	١٠ ـ ٣٠
او ـ ام ـ بى زبين	١٠ ـ ٢٠
ايثل البنزين	٥ ـ ١٥
هكسان	١٠ ـ ٢٥
ثلاثى كلور الاثيين	٥٠ ـ ١٠
١,١ و٢,٢ ـ بيركلور الاثيلين	٤٠ ـ ٨٠
الالكان ٢,٠ ـ ٢	١٠ ـ ٥٠
أوزون	٥ ـ ١٠
× ٢ ق	٢٠٠
أول اكسيد الكربون	٢ ـ ٥ جزء لكل المتر
ثانى اكسيد الكربون	٠٥,٠٪ ـ ٠٩,٠٪

جدول (٣) يوضح ملوثات الهواء التى أمكن التعرف عليها فى تحقيقات الأبنية الضيقة

ان ضغوط العمل التى يتعرض لها الموظفون الذين يخضعون لمراقبة مشددة تؤثر على أعصابهم وتزيد من قلقهم وتوترهم ، وهذه الضغوط لا يتعرض لها هؤلاء وحدهم ، ولكن يتعرض لها – أيضا – الذين يلزمون بكمية محدودة من الانتاج أو الذين لا سيطرة لهم على عملهم ، الأمر الذي يخلق عندهم نوعا من عدم الاكتراث لعدم قناعتهم بالعمل الذي يؤدونه ، إذ أن الباحثين في أمريكا والسويد ذكروا بأن العمل في مهن صغيرة قد يكون أكثر خطورة من التدخين والأكل الزائد عن الحاجة .

أما معهد الضغط العصبي الأمريكي فقد قدر الخسارة الناتجة عن الأمراض المتعلقة بهذا الضغط بمئة مليار دولار في السنة مقسمة على التغيب عن العمل وتناول العقاقير وعدم الانتاج .

ان هذه الضغوط تحدث بشكل طبيعي في الإنسان ، لأنها الأسلوب الذي يحرك كياننا الداخلي لمواجهة الموقف حتى نستعد إما « للحرب أو الهرب » ، لكنها بزيادتها في حالة عدم الرضا عن العمل تؤدي إلى حالة مزمنة من التوتر القلق الخطر على الصحة ، وينصح الكثيرون بأن تغيير العمل في هذه الأحوال أمر ضروري لزوال هذه الضغوط حيث يؤكد العلماء بأن السيطرة على العمل وتوجيهه بطريقة تشبع الرغبة في العمل لها دور كبير في الابتعاد عن التأثير المزمن لهذه الضغوط ، وتقول الدكتورة « ماريان فرانكينهوزر » أن موجه عازفي السيمفونية يعمر طويلاً لأنه يملك السيطرة والتوجيه في عمله .

هذا ولا يغيب عن اعتبارنا أن نتذكر أن الضغوط المنزلية والاجتماعية قد تزيد من حدة تأثير الضغوط المكتبية ، فالمرأة التي تحتمل أعباء المنزل والتربية تتعرض للضغط ومؤثراته أكثر أثناء العمل بالذات ، إذا علمنا أن أكثر النساء يقعن تحت طائلة التفرقة والعزلة ويعملن في وظائف مختارة لهن ، وهي في الغالب وظائف أقل إرضاءً لطموحاتهن .

الجلوس الدائم والخمول

إننا نقضي ما يقرب من ثلث يومنا في المكاتب ، وفي أغلب الأحيان نكون جالسين على « كرسي » لم يصمم ليلائم وضعيتنا في الجلوس ولم يتم اختيارنا له ، وهذا الجلوس إذا استمر يؤثر عضوياً على جهازنا العضلي الهيكلي ، ومعروف أن آلام الظهر بالذات – المنطقة السفلى منه – تؤدي إلى غياب الكثير من العاملين وسببها الوضعية الخاطئة أثناء العمل ، وذلك إضافة إلى أن الضغط الدائم على الأوردة يؤدي إلى تخفيف سريان الدم بل واختناقه في بعض الأحيان ، وهذه إحدى العوامل في حدوث الجلطة الوريدية ، وقد يؤدي الجلوس الكثير إلى حدوث مرض الدوالي في السيقان بالذات عند النساء .

ثم يبقى الخطر الأكبر لقلة الحركة وعدم تحرك الدورة الدموية ، وهو الاصابة بأمراض القلب والسمنة والضغط ، فلقد بينت الدراسات على مجموعات متجانسة وغير متجانسة من البشر – على مدى سنوات عديدة – في أغلبها أن نسبة الأصابة بأمراض القلب والشرايين والوفاة منها أكثر منها في الذين يعملون في أعمال خاملة عن الذين يعملون في وظيفة تدعوهم للحركة ، وأن الذين يقومون بأي تمرين رياضي ، حتى ولو كان المشى يعمرون أكثر ونسبة الوفاة فيهم أقل .

وسائل السلامة الأخرى

ان ما ينطبق من موضوعات على البنايات والبيوت بالنسبة لوسائل السلامة وموضوعاتها ، يجب أن ينطبق على المكاتب ، والحديث هنا يقودنا إلى وسائل السلامة من الحريق ، فلقد بينت دراسات أجريت في بلدان متطورة أن بعض البنايات لم تكن فقط تنقصها وسائل السلامة بل وصفتها بأنها مصيدة للحريق ، واتضح للجنة مكلفة بمعاينة إحدى البنايات في منطقة « وينبج » في أمريكا بأن هذه البناية تحتاج إلى تعديل ٧٠ بنداً أو مفردة لكي تطابق الحد الأدنى من المواصفات المضادة ، لذلك ينصح دائماً بالتأكد في المكاتب العالية بالذات من وجود مخارج النجاة ووجود أسطوانات إطفاء الحرائق مع التأكد من سلامتها ومعرفة طرق استعمالها ، والاصرار على وجود أجهزة انذار الحريق التي بينت جميع الدراسات المنشورة أنها أنقذت أرواحاً كثيرة برنينها القوي المتواصل .

إننا نعمل ونكافح من أجل لقمة العيش ، إلا أننا في خضم هذا الكفاح اليومي المتواصل ننسى الكثير من الأولويات التي تهم صحتنا ، ولذلك علينا ونحن نعمل أن نتذكر أن العمل والوظيفة نعمة وهبها الله لنا ، وأن علينا أن نحافظ على تلك النعم لأن في البطالة نقمة وضرراً كبيراً على الفرد والأسرة والمجتمع .. وقانا الله من شرها .

عبدالله الباكر



في زحام المنافسة حول أدوات المكاتب الحديثة تتفنن شركات الانتاج في اغراء عملائها من رجال الأعمال

لا .. ليس من حقك ..

قصة بقلم : وداد عبد اللطيف

قضت فاطمة حياتها مستسلمة لذويها استسلاماً تاماً ، هم يحددون برنامجها اليومي ، يحددون خطواتها ، وقتها ... علاقاتها بزميلاتها في المدرسة ، ولو كان بوسعهم التحكم في خفقات قلبها لفعلوا ، حتى عواطفها لم تكن ملكاً لها ، لم تستطع يوماً أن تعترض على أمر أصدره والدها أو ترفض القيام بعمل كلفها به أخوها الأصغر ، دائماً مستسلمة ، واستسلامها التام في البيت امتد إلى المدرسة إذ لم تستطع يوماً أن تعترض على طلب لزميلة أو مدرسة ، كانت تقضي أوقات فراغها القليلة في كتابة واجبات زميلاتها المدرسية ، حتى عندما طلبت منها زميلتها هند أن تكتب على لسانها رسالة غرامية لم تعرف كيف تحتج رغم خبرتها المحدودة في كتابة هذا النوع من الرسائل ، انها لا تعرف كيف تقول لا ، لم تتعود قولها !!

أحياناً كثيرة تتمنى لو تقولها حين تتهمها والدتها بشيء لم تفعله ، أو حين تعاقبها إحدى مدرساتها لتقصير لم يحدث منها ، ، فتكتفي بتلقي العقاب على ذنب لم ترتكبه بقلب كسير وعين دامعة ! اعتقدت دائماً أن استسلامها لصالحها ، فأبوها يعرف مصلحتها أكثر منها ، إنه رجل والرجل دائماً يعرف ماذا يريد ... بتجربته ... بعمله .. وبحكم وضعه في المجتمع ، حتى « علي » الذي يصغرها بعامين يعرف أكثر منها . أليس رجلاً ؟

لم تكن تغضب منه ولا من والدها الذي أعطاه حقوقاً عليها لا حصر لها ، ضربها مرة بالمقلاة لأنها تأخرت في احضار كوب الماء الذي طلبه ، فشج رأسها !! لم تصرخ ، لم تبك ! كانت مذهولة فقط وهي ترى دمها لأول مرة ، دماً وردياً يسيل على جبهتها الصغيرة فتشربه مريلتها الزرقاء ... وجاءت أمها وخوفها عليها يشجب دموعها وسكبت في الجرح العميق كثيراً من القهوة المطحونة ، وقالت لها وهي تربط الجرح بيد واجفة :

ــ لا عليك يا فاطمة ، أخوك رجل والرجل تفور دماؤه بسرعة . اذهبي واعتذري له .

إن والدتها تشبهها كثيراً ، مستسلمة مثلها ، بل ربما أكثر منها .. تزوجت أباها وهي في الثالثة عشرة وكان هو في الثلاثين .. سلبها طفولتها وحياتها ولم يكتف بذلك ، فسلبها شخصيتها ، ربما أمها على حق ، فدماء أخيها التي فارت بداخله دماء من فصيلة أخرى غير التي سالت على جبهتها ، وذهبت إليه في حجرته لتعتذر .. لم تفكر وكلمات الاعتذار الذليلة تتساقط من شفتيها فيبصق أخوها عليها .. لم تفكر بكرامتها كامرأة في الرابعة عشرة ، وبدمائها المختلطة بالقهوة المطحونة ، فتصل إلى أنفها مشحونة بالأسى ، بأنها لم تجن ذنباً لتعتذر ، كل ما شغل تفكيرها هو أن علياً لم يصفح عنها ، وأن والدها سيؤنبها لاغضابها رجل البيت الصغير .. وعادت إلى حجرتها لتبكي وتبكي وتبكي وشعور جديد عليها يثقل أنفاسها : الشعور بالمذلة .

عام آخر مر عليها وهي مستسلمة راضية باستسلامها ، وهي لم تشعر أبداً أنها فقدت شيئاً لتندم عليه فالمرء منا يبكي ويندب حظه حين يفقد شيئاً كان ملكه ، أما هي فلم تملك حريتها ولا شخصيتها يوماً فعاشت لا تملك شيئاً ولا تبكي على شيء ، حتى عاد أبوها ذات ليلة إلى البيت بعد صلاة المغرب وكانت هي تجلس في حوش المنزل منكبة على دروسها استعداداً لدخول الامتحان للشهادة الاعدادية والهواء يعبث بشعرها ويزيد من التصاق القميص الخشن بصدرها وقف أبوها وسط الحوش ويداه الاثنتان تحركان حبات المسبحة وكأنه يتعوذ منها ، وقف صامتاً للحظات يتأملها ثم اندفع إلى حجرته وعبارات غير مفهومة تتناثر من شفتيه ، لقد كبرت ، لم يكتشف أنها كبرت وأصبحت مشروع امرأة إلا منذ دقائق ، حقاً إن السنين تركض بسرعة ، منذ الغد ستمكث في البيت فلا حاجة لها بعد بالدراسة ووجع الرأس ، سوف يبلغ قراره إلى أم علي وهي ستنقل إليها القرار الذي اتخذه رب الأسرة .

مرفوض حق المناقشة مرفوض ، وهي ما تعودت على المناقشة فكيف إذن برفض قرار اتخذه الرجل الكبير ، ولأول مرة تهتز صورة الرجل في عينيها ، الرجل إذن يخطئ ، لم تكن تعرف ذلك . كانت تعتقد أن والدها يعرف مصلحتها . لكن قراره الأخير بعيد عن مصلحتها بل ومجحف بحقها .. ولكن منذ متى كان لها حق ، لم يكن لها أبداً حق من أي نوع فكيف تطالب بشيء لم تملكه . وخضعت كما كانت تخضع دائماً ، ودفنت أحلامها في صدرها وصمتت ... رجال البيت يفضلونها صامتة . خاضعة . وهي مستسلمة لكل ما يريدون ، طلبات لا تنتهي ... لسان أبيها لا يكل عن صفعها بأقسى الشتائم ويده أيضاً إذا لاح منها أي تقصير ، وهي مذعنة لأوامرهم والشعور بالذل يكبر في داخلها يوماً بعد يوم ، أمها المسكينة لا تجرؤ على النظر في عينيها حتى لا ترى مأساتها فيهما . إنها لا تريد أن تعيش كوالدتها ، لا تريد أن تقضي عمرها خادمة في البيت الكبير لا تكافأ حتى بكلمة طيبة ، لا تريد للصمت أن يحتويها كما احتوى خالاتها وأمها من قبل .

ويموت الرفض الصامت في أعماقها حين تزف للرجل الذي اختاره والدها زوجاً لها ، اختاره كما يختار لها دائماً ثيابها ومصيرها ، رجل في الأربعين تزف إليه الأعوام الخمسة عشر ليرشف من صباها النضر ويروي عطش الأربعين ، يروي عطشاً لا ينضب وهي مستسلمة لكل ما يريد كما تعودت دائماً ، يأخذ أكثر مما يعطي ، ولم لا ؟ لقد دفع ثمنها كاملاً ، مائة وخمسين ألفاً بالتمام تحولت بقدرة قادر إلى سيارة فخمة يملكها أخوها علي والباقي لا تدري عنه شيئاً .

وتغرق فاطمة نفسها في أمومتها المنتظرة علها تنسى ذلها وأحلامها المذبوحة ، وتنسى الرجل في حياتها بعد والدها وأخيها ، تنسى إهماله لها والحوار المشروخ الذي يدور بينهما أحياناً ! وجاء بكرها ولداً حمدت ربها كثيراً أن جاء ولداً ، هي لا تريد أن تكون لها ابنة قد ينزف دمها أمامها فلا تملك لها إلا قهوة مطحونة بلون التراب تداويها بها .

ورزقت بولد آخر وآخر ... محمد وعلي وعبدالرحمن ، لم تختر اسم أي منهم . حلمت بأن اسم واحد من هؤلاء الثلاثة أحمد ... أحبت هذا الاسم منذ صباها المسلوب ، ولكن زوجها رفض وأبلغها بأن لا حق لها في اختيار أسماء أولاده ، وكأنهم أولاده وحده !

ومرت سنوات طويلة ، وبقدر ما كانت تلتصق بأولادها كانت الفجوة بينها وبين زوجها تزداد اتساعاً ، لم يعد يرى فيها الفتاة التي اشتراها بوجهها الجميل وقوامها المتناسق . آثار الحمل والولادة تعلن عن نفسها في كل جزء من جسمها . وهي كالعادة مستسلمة حتى لعامل الزمن ...

لا تعترض ، لا تشكو .. لا ترفض ، حتى

جاء اليوم الذي قالت فيه لا بأعلى صوتها !!

كان ذلك هو أحد أيام الأسبوع لا تذكر بالتحديد ما إذا كان الأحد أو الاثنين فالأيام متشابهة بالنسبة لها وإن اختلفت أسماؤها، ما تذكره جيداً هو رائحة العفونة المنبعثة من حشية الفراش إثر القيء المستمر.. الشيء الوحيد الذي يلفظه زوجها أثر عودته آخر الليل دون سباب، فيتشبع الفراش وتتسلل الرائحة حتى تبلغ عظام جمجمتها فتلوذ بحجرة أولادها بصمت من اعتاد الأمر. أجل كان ذلك اليوم الذي قالت فيه لا يوماً عادياً لا يختلف عن غيره وكانت آنذاك منكفئة على وجهها تدعك الفراش بقطعة قماش مشبعة بالصابون ولم تشعر بزوجها وهو يقف خلفها... جاءها صوته خشناً غليظاً: ماذا تفعلين ؟

قفزت مجفلة، شيء ما في صوته أشعرها بأن هناك أمراً ما سيحدث، أمر له رائحة غير مستحبة، لقد تعودت أن تميز رائحة الأصوات وتشمها بأنفها دائماً وباغتها رجلها قبل أن تعود لعملها بجملة قصيرة لا معنى لها قال: اسمعي لقد تزوجت...

وكأنه تزوج بالأمس فقط... كانت تحادث نفسها. انها تعلم بزواجه منذ اليوم الأول. أولاد الحلال تكفلوا بابلاغها النبأ فور حدوثه، وعلمت أيضاً بأنها - أي الأخرى - طالبة لا تزال، وصغيرة وحلوة! اشتراها إذن. ترى كم دفع هذه المرة مع موجة الغلاء المتزايدة؟ هذا الرجل معتاد على شراء البشر. يوم أن علمت بالنبأ لأول مرة شعرت بالغثيان وأسرعت تفرغ ما في معدتها وما بقي من الحب القليل لأبي أولادها في المرحاض. ودفنت جرحها الجديد في أعماقها، بلا صراخ أو عتاب، فلا الصراخ ولا العتاب سيعيدان لها الاحساس بالأمان الذي فقدته، ومرت أيام تلتها أسابيع دون أن يطلعها زوجها على فعلته، كل ما في الأمر أنه أصبح يكثر في المبيت هناك عند الأخرى في الأيام الأولى.

وبعد أسبوع نقل كل حاجاته إلى هناك وادعى أنه مسافر، ولم يذكر سبب سفره فهذا ليس من شأنها واكتفى بتوصية أخيه الأصغر بجلب ما يحتاجه البيت من مؤونة وبذا أراح ضميره وقام بكل مسئوليته تجاهها وتجاه أولادها. والحقيقة أنها لم تهتم كثيراً بغيابه فقد أراحها هذا الغياب من صراخه وطلباته الكثيرة ورائحة القيء التي يكافئها بها على تعبها آخر الليل..

وتفرغت لبيتها وأولادها أكثر!! آه منهم هؤلاء الأولاد لا يحترمونها كما يجب وكيف يفعلون وهم يرون أباهم قدوتهم الأولى في الحياة يخسف بها الأرض لأقل هفوة ودون رحمة، لكنها لم تيأس في اصلاحهم مازالوا أعواداً طرية يمكن تقويمهم بقليل من الصبر وكثير من الحب. وجنت أولى الثمار بعد ثلاثة أسابيع ونصف على سفر زوجها المزعوم حين جاءها ولدها البكر محمد وابتسامة عريضة على وجهه وقال لها:

— أمي انظري، وقدم لها ورقة واستطرد: «هذه أول مرة أحصل على هذه العلامة الجيدة، الأستاذ جعل التلاميذ يصفقون لي والفضل لك يا أمي لم أكن أعلم بأنك تفهمين في الحساب» شعرت لحظتها بسعادة طاغية، كانت تلك الكلمات أجمل ما سمعته في حياتها وأعظم هدية تلقتها منذ وجدت على ظهر الحياة، اذن بامكانها أن تكون نافعة حين تعطى لها الفرصة، وزادها هذا الإحساس قوة وصلابة لم تكن تملكها في السابق وازداد التصاقها بأولادها أكثر والتصاق أولادها بها، وبعد الأسبوع الثاني كف أولادها عن السؤال عن والدهم وقل عصيانهم لها وباتوا أكثر احتراماً لها.

ونسيت كل شيء عن ذلك الرجل الذي ساعد في تحطيمها، الشيء الوحيد الذي كان يدور في ذهنها ومتعلق به هو لماذا تحرج من اخبارها بزواجه؟ ليس احتراماً لمشاعرها بالطبع فهي شيء بالنسبة له ليس إلا...

ولا خوفاً منها بالتأكيد، ترى هل لأنها لا تستحق أن يطلعها على أسراره؟ ربما الأمر كذلك.

وها هو الآن يقف على رأسها يزف إليها البشرى منتظراً لا تدري ماذا، رفعت رأسها.. نظرت اليه لم يطرق برأسه ولم يهتز صوته وهو يعيد:

قلت لك تزوجت ؟

ثم ماذا! ماذا يريد منها الآن، هل ينتظر أن تهنئه.. أن تهلل فرحة.. ثم ماذا!

قالت له مرة أخرى وقدماها ثابتتان في الأرض لا تهتزان كالسابق كلما وجه إليها حديثاً أشبه بالصراخ وعيناها تجوسان في وجهه دونما خوف!! ولم الخوف ماذا بمقدوره أن يفعل بها أكثر مما فعل. اشتراها وحبسها لا تزور، ولا تزار مزق كرامتها، خنق صوتها، وأخيراً هجرها، ثم ماذا؟ جاءها الرد سريعاً جازماً وبارداً ولا يخطر ببال:

— سأحضرها لتعيش هنا!

— تحضر من!

— زوجتي الجديدة ستعيش هنا معنا في الطابق الأول وعليك تنظيفه!!

— لا! لا! لا!!

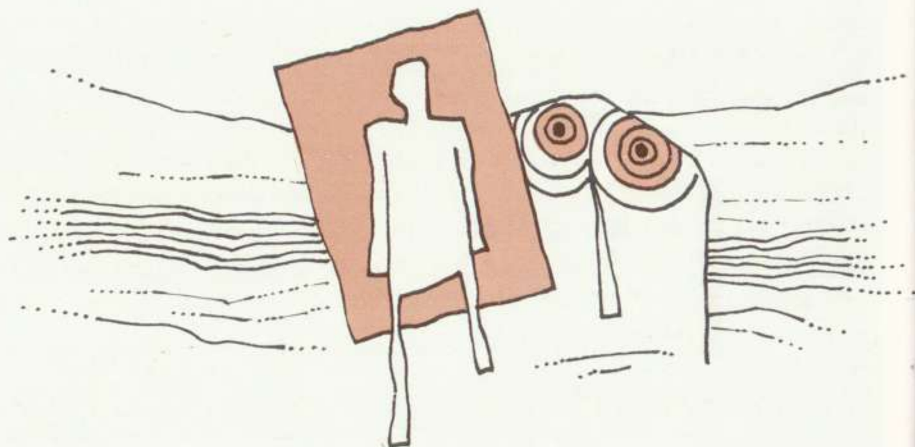
صرخت بملء فيها وشعرت وهي تكررها بأن العالم كله اتحد وتقلص وتمثل في كلمة لا.. وبأن خوفها وخضوعها يتسربان من جسمها ويتساقطان تحت قدميها!!

ما أسهلها! كيف لم تسل إلى لسانها قبل اليوم؟ وهل كان يجب أن ينتظر حتى يعلن اليها زوجها بعد العمر الطويل الذي قضته معه انتفاء صفتها كزوجة وتحويلها إلى خادمة لزوجته الجديدة؟ هل كانت بحاجة حقاً إلى هذا الانتظار المرير لتنفض عنها بوادر الشقاء والاستسلام وتعلن بأنها انسانة من أبسط حقوقها الاعتراض على ما لا تطيقه ؟

عادت تصرخ: لن أعيش معك بعد اليوم لن أعيش معك!!

صفعها، مزق جسدها بأظافره لكنها لم تتراجع! لم تضعف! ولن تدع أحداً أياً كان بعد اليوم أن يخنق أنفاسها ويعيدها إلى قوقعة الصمت مرة ثانية. وأمام تصميمها الشديد أعادها سيدها الزوج إلى بيت أهلها ومعها أطفالها الثلاثة، فزوج أبيهم لا تريد أن تبدأ حياتها الزوجية كأم، وهو لم يعد يجد فيها ما يجذبه كالسابق وما يجعله يتمسك بها، وعادت إلى أهلها امرأة أخرى!! وحين أراد أخوها أن يصفعها والغضب يتأجج في عينيه للعار الذي جلبته للعائلة بطلاقها، أمسكت بيده بكل قوتها وقالت بهدوء:

— لا ليس من حقك أن تضربني بعد اليوم.



بؤساء فيكتور هيجو
مسرحية غنائية كاسحة



بقلم: الفريد فرج

وصفها ناقد النيوزويك بأنها علامة في تاريخ المسرح ، ووصفها ناقد التايمز بأنها « أوبرا مذهلة » ووصفها ناقد البي بي سي بأنها مسرحية العشر سنوات القادمة .

ويتوقع لها أكثر النقاد أن يتجاوز نجاحها المسرحية الغنائية « إيفيتا » التي يقترب عرضها بلندن من السنة العاشرة .

هذه هي مسرحية « البؤساء » الغنائية التي اقتبست من الرواية الشهيرة بنفس الاسم لفيكتور هيجو (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) .. الشاعر والروائي والكاتب المسرحي الفرنسي ، مؤلف « أحدب نوتردام » ومسرحية « هيرناني » .

وقد عرفنا رواية « البؤساء » في اللغة العربية بترجمة وتلخيص شاعر النيل حافظ ابراهيم منذ أكثر من نصف قرن ، وبانتاجها للسينما العربية ببطولة « عباس فارس » في الأربعينات المبكرة ، بعد انتاجها في هوليود ببطولة « تشارلز لوتون » و « فريدريك مارش » .



فيكتور هيجو

وهي قصة فقراء فرنسا والأحياء الرثة لباريس وثورة الفقراء ١٨٣٢ .. قصة البؤس والشقاء والحرمان والتمرد .

وإني لأعجب أحياناً من الجمهور الأوروبي .. لم يعد في بلادهم ذلك الحرمان والجوع والضياع الذي عاناه فقراء الانجليز والفرنسيين بأحياء لندن وباريس الرثة خلال القرن التاسع عشر ، لم يعد له أثر في بيئتهم .. ومع ذلك يتأثرون ويحبون القصص والأفلام والمسرحيات التي تروي عن ذلك الفقر والشقاء التاريخيين !

لماذا ينجح النجاح الساحق فيلم مثل « تس » (ثلاث ساعات) عن قصة توماس هاردي (١٨٤٠ ـ ١٩٢٨) ، أو مسرحية « أوليفر » عن رواية تشارلز ديكنز المشهورة « أوليفر تويست » ، أو مسرحية « البؤساء » المقتبسة من رواية فيكتور هيجو .. وكلها روايات تصور بنبرة ميلودرامية حزينة الفقر والبؤس الأوروبي إبان عصر التحول الصناعي وما نجم عنه من شقاء ؟!

أعجب من ذلك أحياناً لأن الشائع عندنا في ساحات النقد أن تغيُّرَ الظروف الاجتماعية يغير بالتالي الذوق العام ، ويبدل فنوناً بفنون وآداباً بآداب ..

الشائع أيضاً أن القصص الميلودرامية الحزينة القديمة لا يمكن أن تجتذب الشاب الواقعي العصري في نهاية القرن العشرين .

ومن هذا الافتراض قد حرمنا أنفسنا من

موت « ايبونين » على المتراس



بؤساء

فيكتور هيجو

مسرحية غنائية كاسحة

اعادة طبع أعمال المنفلوطي القصصية أو إعادة تمثيل مسرحيات يوسف وهبي وأمين صدقي وإسماعيل رمزي ومعالجتها بتقنيات مسرحنا الحديث . إن هذا الافتراض لا أثر له في أوروبا . والأفكار الشائعة عندنا ليست أفكاراً صحيحة عند الأوروبيين .

ولعلنا أن نكون على خطأ ..

ولعل الآداب الرفيعة والفنون الجيدة هي في الواقع قمم عالية تسمو دائماً فوق الظروف المتغيرة ، ولا تبرح مكانتها أو تعدم حب الجمهور لها أبداً .

قدمت للقارئ هذه المقدمة قبل أن أعرض له مسرحية « البؤساء » عن رواية فيكتور هيجو التي يقدمها المسرح التجاري بلندن .

المجرم والشرطي

تدور قصة البؤساء حول بطلين متناقضين : جان فالجان المجرم الخارج من اللومان ، والهارب من المراقبة بعد ذلك ، وجافير رجل الشرطة الذي يمثل القانون .

جان فالجان يخرج من السجن بعد قضاء عقوبة الأشغال الشاقة عشر سنوات لسرقة رغيف خبز .

يسلمه رجل الشرطة جافير بطاقة هوية صفراء هي بطاقة المشبوهين الموضوعين تحت الرقابة ، وهي عار لمن يحملها .

عام ١٨١٥ ببلدة « ديين » .. لا يجد جان فالجان عملاً إلا بالكاد ، وبنصف أجر ، بسبب البطاقة الصفراء ، فلا يستطيع أن يقيم أوده ويطرد من العمل .

يعطف عليه قسيس فيستضيفه ويطعمه ، ولكن جان فالجان يسرق آنية فضية ويهرب .. فتضبطه الشرطة وتعيده إلى دار القسيس فيزعم القسيس أنه أهداه الآنية ويهديه شمعدانين من الفضة أيضاً .

يتأثر جان فالجان بكرم الرجل وطيبته ، فيقرر أن يغير اسمه ويهرب من المراقبة ويبدأ حياة جديدة شريفة في بلاد أخرى .

تمضي السنوات ورجل الشرطة يبحث عنه عبثاً . كان فالجان قد عمل ونجح وأصبح صاحب مصنع نسيج وعمدة ببلدة « مونتري » في المصنع فتاة عاملة تكتشف زميلاتها أن لها ابنة غير شرعية فيطلبن من رئيس العمال أن يطردها ، فتتضور جوعاً ، وتبيع قلادة كانت تملكها ، تبيع شعرها .. ثم لا تجد سبيلاً إلا احتراف بيع جسدها .

يقبض عليها رجل الشرطة جافير ولكن العمدة يأمر باطلاق سراحها وايداعها المستشفى للعلاج .

ويحدث أن عربة تدهم عابر سبيل فيسقط تحتها ويستغيث بالناس ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يرفع العربة إلا العمدة الذي ينقذ المسكين فيتذكر جافير أنه لم ير في حياته رجلاً بهذه القوة إلا المجرم الهارب جان فالجان الذي كان يحمل رقم ٢٤٦٠١ ، ويذكر جافير للعمدة أنه كان من الممكن ان يشك في أن العمدة ذاته هو جان فالجان لولا أنه قد قبض على المجرم الهارب بنفسه وقدمه للمحكمة .

« من أنا ؟ » يناجي جان فالجان نفسه . إذا تكلمت واعترفت بالحقيقة أنقذ الرجل من ظلم مبين وأدين نفسي .. وإذا سكت أدين البرئ وتلحقني اللعنة ! .. فأي الناس أنا ! ..

يذهب العمدة إلى المحكمة ويعترف أنه هو جان فالجان الهارب ويطلب قبل القبض عليه مهلة يزور فيها الفتاة « فانتين » في المستشفى .. حيث يجدها تموت ، وتوصيه بابنتها غير الشرعية « كوزيت » التي أودعتها عند صاحب حانة ..

ولما يصل جافير للقبض على جان فالجان .. يكون هذا قد فر .

وكانت كوزيت تعيش عند « تيناندييr » صاحب الحانة وزوجته ، يعذبانها ويرهقانها بالعمل ، ولهما ابنة مدللة في مثل عمرها هي « إيبونين » .

يدفع جان فالجان لصاحب الحانة مالاً ليأخذ الطفلة « كوزيت » ويفر بها إلى باريس .

ثورة باريس ١٨٣٢

باريس ١٨٣٢ .. الطلبة في ثورة ، وقد قتل الجنرال لامارك الوزير الذي يحبه الفقراء والمدينة حاشدة بالفقر والجريمة ، وقد أفلس « تيناندييr » صاحب الحانة وأتى إلى باريس ليكون قاطع طريق وزعيم عصابة للصوص .

يكاد تيناندييr أن يقع في أيدي الشرطة فيشي بجان فالجان إلى جافير ، ويؤكد له أنه موجود بباريس .

« ماريوس » من الطلبة الثائرين يحب كوزيت ، بينما تحبه ايبونين ابنة تيناندييr ، وترضى من حبها له أن تدله على عنوان كوزيت ..

ماريوس على المقهى مع الطلبة الثائرين يقررون اقامة المتاريس واعلان الثورة ، فيكتب ماريوس إلى حبيبته كوزيت رسالة يعلمها بمكانه ويرسلها مع « ايبونين » فتقع الرسالة في يد جان فالجان الذي يقرر اللحاق بماريوس وحمايته من القتال .

تعود « إيبونين » لماريوس على المتراس ،



انتحار « جافير »

ولكنها أصيبت برصاص الشرطة وتموت بين ذراعيه وهي تناجيه :

« لا تخش علي مسيو ماريوس فأنا لا أشعر بأي ألم .. » .

يضبط الثوار رجل الشرطة جافير وهو يتجسس عليهم على المتراس ويتظاهرون بأنه منهم ، فيقررون قتله ويكلفون جان فالجان بذلك ، ولكن جان فالجان يطلقه ويتظاهر بأنه قتله .. ولما يكتسح الهجوم المتراس يحمل « جان فالجان » الشاب ماريوس وهو في اغماءة ينزف الدم ، ويفر به من انفاق مجاري بارس حتى يصل إلى بيته .

« أي شيطان هذا الرجل ! » يناجي جافير نفسه ..

« كان يملك الانتقام ولكنه وهبني الحياة فاللعنة عليّ إن عشت مديناً للص » ..

« أنا القانون . والقانون لا يهزأ منه أحد » .

« سأبصق رحمته في وجهه » .

« فلا يمكن أن يشاركني عدوي أي شيء » .

« إما جان فالجان أو جافير » .

ويلقي جافير بنفسه في السين منتحراً ، في مشهد مسرحي ساخر .

ويقرر جان فالجان أن يزوج كوزيت من ماريوس ويفر بعدها خارج البلاد .

ولكن تينانديير يكشف لماريوس حقيقة جان فالجان وحقيقة علاقة كوزيت به ، ويكشف له أن فالجان هو الذي حمله جريحاً في المجاري وأنقذ حياته ..

عندئذ يذهب العروسان إلى الشيخ المحتضر .. حيث يلتقي حوله كل ضحايا الظلم ، أشباحاً تغني للخلاص وللرحمة بعد الموت .

في المقهى وفي لحظة احتضار جان فالجان يذكر ماريوس كل أصدقائه الذين ماتوا ويغني للغائبين :

« كراسي فارغة وموائد فارغة .. »

« سامحوني ياأصدقائي إني أعيش بعدكم »

« ففي الدنيا حزن لا يمكن التعبير عنه

في الدنيا ألم يعصر ويعصر النفس » .

كيف يفكر القطاع التجاري

« كاميرون ماكنتوش » منتج مسرحي انجليزي ينتمي لأسرة صانعي الشيكولاته المشهورة بذات الاسم .

وقد أنتج ماكنتوش مسرحية « القطط » الغنائية المؤلفة من قصائد للشاعر البريطاني الكبير ت . س . اليوت كتبها للأطفال عن القطط . والمسرحية تعرض بلندن بنجاح منذ خمس سنوات .

كما أنه أنتج في السابق « أوكلاهوما » و « سيدتي الجميلة » الانجليزية ، و « أوليفر » عن رواية تشارلز ديكنز « أوليفر تويست » وينتج حالياً « شبح الأوبرا » والمسرحية الموسيقية « قهوة بوتشيني » عن حياة الموسيقي الشهير بوتشيني ، فضلاً عن انتاجه « البؤساء » .

ورواية البؤساء كان قد اقتبسها في ألبوم غنائي بفرنسا الشاعر ومؤلف الأغاني « ألان بوبليل » والموسيقي « كلود ميشيل شونبرج » .. فوقع اختيارهما على عشرين لحظة درامية هامة في رواية هيجو وصاغاها في أغان فردية أو ثنائية أو جماعية وسجلا الأغاني في أسطوانة .

وزعت الأسطوانة توزيعاً واسعاً ، وأعجب بالفكرة المخرج السينمائي الفرنسي الشهير « روبير حسين » فقرر اخراج الأغاني كمسرحية غنائية على مسرح « قصر الرياضة » بباريس (٤٥٠٠ مقعد) ، وعرضت المسرحية ثمانية اسابيع وامتدت ثمانية اسابيع بعدها ، ولكن توقف العرض بعد ذلك لوفاء المسرح بعقود حجز سابقة ولأن العرض الذي أخرجه روبير حسين كان من الضخامة بحيث يتعذر نقله على مسرح عادي .

استمع ماكنتوش للأسطوانة وقرر على الفور أن ينتج العرض بالانجليزية ، وقال : « لم أكن قرأت رواية هيجو ولكني كنت قد شاهدت باعجاب فيلم البؤساء لتشارلز لوتون وفريدريك مارش ، فعلى الفور اتصلت بالمؤلف الفرنسي بوبليل وكلفت جيمس فنتون بترجمة النصوص الفرنسية ثم اتصلت بالمخرج « تريفورنان » .

المخرج تريفورنان هو مدير فرقة شكسبير الملكية ، وقد نال عدة جوائز آخرها كان عن اخراج « القطط » . درس المسرح بجامعة كمبردج وأخرج بنجاح كبير في السنوات الأخيرة هاملت وهيدا جابلر وروميو وجولييت ودائرة الطباشير القوقازية وتاجر البندقية .

واقترح نان على ماكنتوش أن ينتج « البؤساء » مشاركة مع فرقة شكسبير الملكية .

رحب ماكنتوش بالفكرة وقال للصحفيين : « أدركت أن مشاركة فرقة شكسبير معي في الانتاج ستضمن للعرض المسرحي مستوى خاصاً . كما أن فكرة التعاون بين القطاع المسرحي التجاري وبين المسرح المدعوم من الدولة هي فكرة مبدعة » .

العرض المسرحي الانجليزي

تقرر أن تعاد صياغة النص للجمهور الانجليزي الذي لم يدرس رواية البؤساء في المدارس كالفرنسيين الذين يعرفون سياق قصة هيجو عن ظهر قلب . وعمد المؤلفان إلى تأكيد عناصر القصة من خلال الأغاني ، وأضافا اليهما الشاعر الغنائي الانجليزي هيربرت كريزمر ، وأضيفت أغان جديدة للنص .. وبمرور الوقت تغير النص كثيراً بالتعاون بين الفريق الانجليزي والفريق الفرنسي .

وقد أفتتحت المسرحية الغنائية « البؤساء » بمسرح « باربيكان » ، البيت المسرحي لفرقة شكسبير الملكية ، ثم انتقل العرض المسرحي إلى حي المسرح التجاري بالوست إند .

والعرض الانجليزي لا يختلف عن العرض الفرنسي في أنه يقدم لحظات درامية حاسمة في رواية هيجو الطويلة ، ويعبر عن هذه



الأحياء الرثة في باريس

بؤساء

فيكتور هيجو

مسرحية غنائية كاسحة

اللحظات بالغناء الفردي أو الثنائي أو الجماعي، ويقوم الديكور بدور جوهري في ابداع السياق المسرحي، ويتحرك الديكور حركة آلية دقيقة، إلا أنها أيضاً في غاية الجمال.

وتتمثل مهارة التصميم في أن الحي الشعبي الرث دار دورة على المسرح فتحول إلى متراس الثوار الذي دارت عليه المعركة. كما أن مشهد انتحار جافير قد صمم بحيث يرتفع الجسر المقام على نهر السين فيبدو جافير كأنه يهبط إلى قاع النهر بحركة بارعة من الممثل المبدع.

كما أن صدق التعبير في الغناء وانسجام الأصوات وبراعة التمثيل مع انضباط الألحان هو مستوى لا يمكن أن تصل اليه مواهب الفنانين المبدعين في المسرحية إلا من خلال تدريبات شاقة وطويلة استغرقت في الواقع سبعة شهور كاملة.

المؤلف وحكايته

قصة «البؤساء» يعتبرها دارسو الآداب من أروع القصص الروائية في التاريخ الأوروبي كله. ولكن بعض الناس يقدرون أن قصة حياة الكاتب فيكتور هيجو هي أحسن القصص التي أبدعها وأكثرها تشويقاً.

فقد ولد هيجو عام ١٨٠٢ لأب من ضباط جيش بونابرت. وترقى أبوه حتى حصل على رتبة الجنرال.. ثم سرح من الجيش بعد هزيمة نابليون وعودة لويس الثامن عشر ملكاً لفرنسا.

وقد بدأ هيجو حياته شاعراً ملكيا وأرستقراطياً، برغم انتماء أبيه للنابليونيين. ولمع اسمه وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره حيث كتب قصيدة حول مقتل ابن أخي الملك الدوق دي بيري فنال عنها جائزة من الملك لويس ومعاشاً سنوياً قدره ٣٠٠٠ فرنك، ثم نال مرتبة الليجيون دونير وهو في الثالثة والعشرين من عمره من الملك شارل العاشر.

وتزوج هيجو وأنجب أربعة أولاد وكان يبدو في شبابه رب أسرة مثالي، فكان أصدقاء أبيه يتعجبون من حاله، وأبوه يقول لهم: «انتظروا عليه. فالولد يفكر كما تفكر أمه، ولكنه حين يكبر فسيفكر كأبيه»!

أعوام ١٨٢٨ ــ ١٨٣٠ كانت مرحلة حاسمة في حياته، حيث صار الاتجاه نحو نزع الألقاب التى منحها نابليون لرجال دولته، فشن هيجو حملة ساخنة ضد ذلك الاتجاه وكتب مسرحية «هرناني» التي قدمت على المسرح لأول مرة أبطالاً لا من السادة والنبلاء وإنما من الصعاليك أهل المجون والفتوة، فأحدثت المسرحية الرومانتيكية الأولى في المسرح في العالم ضجة كبرى، وكانت حالة المسرح طوال ليالي عرضها المائة هي بذاتها ميدان قتال وتشاتم وتماسك بين أفراد الجمهور ممن أسخطتهم المسرحية وممن استثارت حماسهم المسرحية.

ولكن الرومانتيكية كانت تغزو أوروبا كلها بالشعر والموسيقى.. فكان هيجو رائد الفن الجديد في المسرح..

وفي غمرة هذا الضجيج أحبته الممثلة «جولييت درويه»، وتبعته طول حياته بعدها أينما ذهب، وظلت تكتب له خطاباً واحداً على الأقل كل يوم إلى أن مات.

تغيرت حياة هيجو، فلما كبر اكتسب طفولة وبراءة الرومانسيين وعنفهم العاطفي.. وصار يكتب بغزارة، فألف رواية «أحدب نوتردام» ومسرحية «روي بلاس» التي تعتبر أفضل مسرحياته، ونهراً هادراً من القصائد والأشعار، فلما بلغ سن الثلاثين اعترف له النقاد بالاجماع بأنه أعظم كتاب فرنسا، ونال لقب النبالة «البير»، وشرع يكتب «البؤساء».

بعد سقوط لويس فيليب عام ١٨٤٨ صار هيجو نائباً في الجمعية الوطنية الفرنسية، وظل على صلة باليمين ولويس نابليون نفسه، ولكنه اهتم كثيراً بالقضايا الاجتماعية والسياسية وصار يكتب المقالات المثيرة عن

الطفلة المضطهدة: كوزيت





جان فالجان وجافير.. مواجهة



الديكور.. جزء من ابداع العرض

ضرورة تغيير مناهج التعليم ، وعن حقوق الانسان ، وعن الظلم وعن التشريع .

وحين توج لويس نابليون نفسه امبراطوراً على فرنسا باسم نابليون الثالث خرج هيجو عليه والتحق بالثورة على المتاريس في شوارع باريس مع الطلبة والشباب .

ويتعجب النقاد دائماً من ذلك التحول المعكوس في حياة هيجو ، فقد قضى شباباً هادئاً وبعد أن تجاوز منتصف العمر تحول إلى شاب ملتهب مجازف .

وبعد فشل الثورة هرب هيجو وعاش في المنفى بين بروكسل (بلجيكا) وجيرسي (جزيرة انجليزية في بحر المانش) .

وفي عام ١٨٥٩ أصدر نابليون الثالث عفواً عنه ، ولكنه لم يعد لفرنسا واستمر يعارض نابليون وأتم رواية البؤساء التي استغرقت كتابتها عشر سنوات .

برقيتـــــــان

من الحكايات التي ترويها كتب سيرة الشاعر أنه بعد طبع « البؤساء » أرسل من منفاه للناشر برقية لا تتعدى علامة الاستفهام : « ؟ » فرد عليه الناشر ببرقية لا تتعدى علامة التعجب : « ! ».. فقد تجاوز رقم التوزيع للرواية كل أحلام الناشر والمؤلف .

وفي عام ١٨٧٠ هزمت ألمانيا فرنسا ، فعاد هيجو إلى باريس التي غادرها نابليون الثالث ، وانتخب الشاعر عضواً في الجمعية الوطنية لكوميونة باريس الجمهورية قصيرة العمر التي رفضت شروط الصلح المجحفة مع الألمان وأعلنت الثورة . وكان هيجو في بروكسل لوفاة أحد أولاده الأربعة هناك فهاجمته المظاهرات الساخطة على حكومة الكوميون الفرنسية وألقوا الحجارة على بيته وقررت الحكومة البلجيكية إبعاده تحت الحراسة المشددة .

أصيب هيجو بأزمة قلبية عام ١٨٧٨ .

وفي عام ١٨٨٢ قررت فرنسا كلها أن تحتفل بعيد ميلاده الثمانين ، فنظمت الحكومة مع الهيئات والنقابات والفنانين مسيرة تمر ببيته وتهتف له ، وسماه نقاد الصحف كلها أشهر رجل فرنسي في العالم على الاطلاق .

وكانت هذه المسيرة بمثابة « بروفة » لجنازته استمتع في حياته بمشاهدتها . فلما مات فيكتور هيجو عام ١٨٨٥ وضعوا جثمانه تحت قوس النصر بباريس نهاراً وليلاً كاملين حتى يطوف محبوه ومريدوه بالتابوت ، واستغرق مرور مشيعيه في اليوم التالي بشارع الشانزيليزيه ست ساعات متصلة .

والفرنسيون لا يعتبرون هيجو أشهر الكتاب الفرنسيين فقط ، وإنما يعتبرونه أيضاً ضمير فرنسا وروح شعبها .

تعليق المؤلف على روايته

ولفكتور هيجو رأي في روايته « البؤساء » .. فقد علق عليها بقوله :

« إذا دفعت الناس إلى أقصى الحرمان ، فقد ألزمتهم كذلك باستنزاف قدراتهم الانسانية إلى آخر قطرة فيها . وعندئذ ويل لمن يعترضون طريقهم . إذا ضاع العمل والأجر والطعام والدفء .. ضاعت الشجاعة والطيبة ، والنهار يصبح في عيون المحرومين ظلالاً ، وتملأ قلوبهم الظلمة . وفي أحشاء هذه الظلمة يستغل الانسان ضعف المرأة وضعف الطفل ويجبرهما على العار . ويصبح لا وجه للفزع يمكن استثناؤه ، فكل شيء في الدنيا يقود هؤلاء المحرومين إلى الرذيلة وإلى الجريمة » .

وبهذه الفقرة المقتبسة من هيجو نفسه يقدم الفنانون مسرحية « البؤساء » في الوست إند بلندن .

الفريد فرج
لنـــدن

العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي

لتضليل أجهزة التصنت

• مع تطور أجهزة التصنت وصغر حجمها ، أصبحت الحياة الخاصة للمواطنين مهددة من قبل المتطفلين ، ولقد دفع ذلك صناعة الالكترونيات إلى ابتكار مجموعة كبيرة من الأجهزة التي تساعد على رصد وكشف وجود دخلاء على خطوط الهاتف وتضليلهم .

وأحدث هذه الأجهزة جهاز إرسال صغير يستطيع خلط المعلومات المرسلة خلال خطوط الهاتف بحيث لا يستقبلها إلا الشخص المعني فقط .



الجهاز في حالة إرسال الرسالة عبر خطوط الهاتف



الجهاز نفسه عند الاستقبال

ويتكون هذا الجهاز من ميكروكمبيوتر في طول شريط الفيديو ، ولكن سمكه نصف بوصة وعرضه أربع بوصات فقط . وهو مزود بلوحة مفاتيح وشاشة تتسع لأربعين حرفاً . وتستطيع ذاكرة الميكروكمبيوتر اختزان خمس صفحات من المعلومات .

ويتعين قبل إرسال أية رسالة عبر الهاتف ضرب شفرة تتكون من ١٦ حرفاً على لوحة مفاتيح الجهاز ثم الضغط على مفتاح الشفرة ليتم تحويل الرسالة المكتوبة إلى نبضات رقمية تخلط بعد ذلك مع تيار عشوائي يولده مولد إلكتروني في شكل رقيقة داخل الميكروكمبيوتر .

ولإرسال هذه الرسالة يضرب رقم هاتف الشخص المطلوب بعد أن يكون المرسل قد قام بتوصيل سماعة هاتفه بزري توصيل من المطاط مثبتين في الجانب السفلي من الجهاز (كما توضح الصورة) . وعندما يفتح الخط يضغط المرسل على زر الارسال في لوحة المفاتيح ، فيتم نقل الرسالة المكودة في شكل معلومات رقمية لتستقبل بواسطة جهاز مماثل على الطرف الآخر من الخط .

ويقوم الجهاز المستقبل بتخليص الرسالة من التيار العشوائي وفك الشفرة لتظهر مكتوبة على شاشته . ويمكن تسجيل هذه الرسالة كتابة ، وذلك بتوصيل الجهاز بطباعة ، كما يمكن تسجيلها على شريط تسجيل .

وإذا حاول أي كمبيوتر الدخول في الخط وفك شفرة الرسالة يضطر لتجربة ألف توليفة كل يوم لفك هذه الشفرة والاستمرار في المحاولة لمدة ألف عام قبل التمكن من اكتشاف شفرة الجهاز .

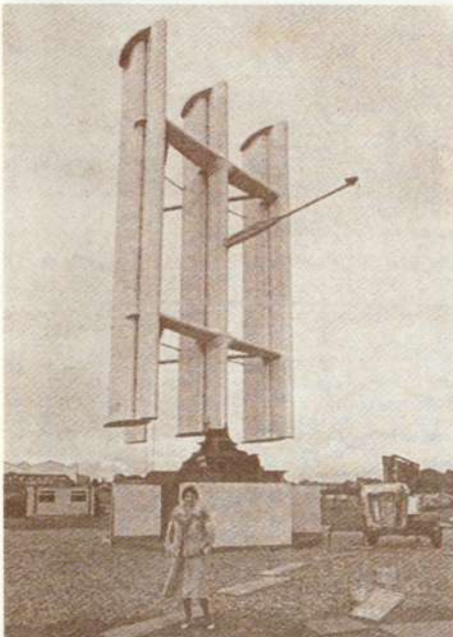
شراع من البلاستيك لبواخر الشحن

• قدم مهندس طائرات بريطاني شراعاً مبتكراً لبواخر المستقبل . ويتكون هذا الشراع الجديد الذي يبلغ ارتفاعه ١٣,٥ متر من أسطح من البلاستيك يحيط بها إطار من السبائك المعدنية الخفيفة ، والكل مثبت على صاري من الصلب .

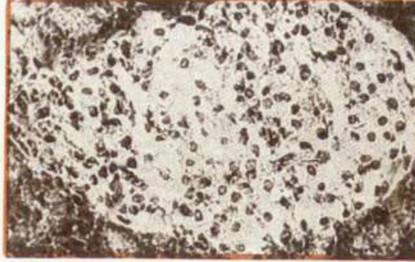
ويقوم هذا الشراع بدور مساعد للمحركات التقليدية وليس كبديل لها فاستخدامه يخفض استهلاك الوقود بنسبة تصل إلى ٣٠٪ سنوياً ، كما لن تحتاج باخرة الشحن المزودة بمثل هذا الشراع إلا لمحرك صغير ، مما سيحقق وفراً في الصيانة أيضاً .

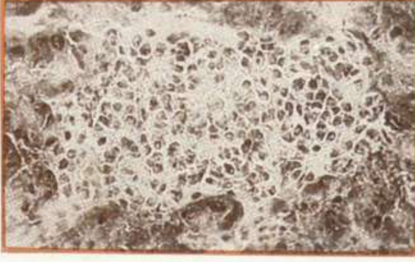
وحرص المهندس البريطاني على أن يكون شراعه شراعاً تكنولوجياً بحيث لا يحتاج إلى عمالة اضافية للعناية به فهو يعمل طبقاً لنفس الأسس التي تعمل بها أجنحة الطائرة مع اختلاف وحيد ، وهو أن تدفق الهواء على الأسطح الانسيابية للأشرعة يحدث قوة دفع أمامية بدلاً من قوة الرفع في حالة الطائرة . ويقوم الكمبيوتر في كابينة القيادة بالتحكم في زاوية مقابلة الأشرعة للهواء .

ولقد استغرق تصميم وتنفيذ هذا الشراع العجيب أربع سنوات ، وبعد نجاح جميع التجارب التي أجريت عليه على البر ، زودت به باخرة شحن حمولتها ٦٥٠٠ طن .



يحمل الإنسان جينات السرطان


جينة بنكرياسية سليمة


خلايا سرطانية فى البنكرياس

• تميز عام ١٩٨٥ باكتشافات جوهرية في مجال أبحاث السرطان . فلقد تمكنت ثلاث فرق بحث أمريكية من التوصل الى نتائج قلبت رأساً على عقب كل المعلومات المعروفة حتى الآن عن أسباب الإصابة بالسرطان .

أول هذه الاكتشافات أن هناك جينة مسئولة عن إصابة الخلية بالسرطان مثلها مثل أي جينة في الشبكة النووية للخلية ، فهي جزء من الحامض النووي المسئول عن حمل الصفات الوراثية ومكون أساسي من مكونات الكروموسومات أو الصبغيات .

وعادة ما تكون هذه الجينة في حالة خمول ، أي لا تعبر عن وظيفتها السرطانية ، وتظل غير ضارة في قلب الخلية . ولقد تمكن الباحثون من تحديد هوية حوالي ثلاثين جينة سرطانية تعتبر كل واحدة منها مسئولة عن نوع خاص من السرطان ، كما اكتشفوا سمة هامة لهذه الجينات : فهي جينات بنائية ، أي أنها مسئولة عن تكوين البروتينات التي تنتجها الخلية ، على عكس جينات التحكم الموجودة في مقدمة الجينات البنائية ، وتقوم بكبح أو تحفيز عمل الأخيرة .

ولكن قد تستيقظ جينة السرطان الخاملة في لحظة من لحظات الحياة وتصبح نشطة وتحدث انقلاباً في عمل الخلية . ويأتي هذا النشاط غير المتوقع نتيجة تحول أو تغير كيميائي — حيوي تحت تأثير المواد المسببة للسرطان والاشعاعات المؤينة فتتحول الجينة الى عامل مساعد لتكون الأورام وخاصة الخبيثة منها .

إلا أن أغرب هذه الاكتشافات هو ما أثبته فريق من العلماء الأمريكيين من أن الجسم يفرز بعض المواد المسببة للسرطان . والأغرب هو أن هذه المواد يفرزها نوع معين من خلايا الدم البيضاء ، وهي المسئولة عن الدفاع عن الجسم من أي غزو خارجي لأنها تمثل جهاز المناعة في الانسان . فمن المعروف أن هناك أنواعاً عديدة من خلايا الدم البيضاء ، وأكدت التجارب أن نوعاً معيناً من هذه الخلايا يفرز مواداً ذات قوة مؤكسدة كبيرة قادرة على تنشيط جينات السرطان الموجودة في خلايا الجسم .

ويبقى أمام العلماء التوصل الى السبب الذي يجعل هذا النوع من خلايا الدم البيضاء دون غيره يفرز هذه المواد المسببة للسرطان .

تصوّرات لمنزل المستقبل

• تتنافس الشركات الأمريكية واليابانية من أجل توفير أكبر قدر من الراحة والأمان في منزل المستقبل ، وسبيلهم الى ذلك نظام تحكم مركزي يعمل بالكمبيوتر .

وتقدم إحدى الشركات الأمريكية نظاماً لمراقبة جميع أجهزة المنزل ، يتكون من ميكروكمبيوتر صغير يثبت في مؤخرة جهاز التلفزيون مثلما تثبت توصيلة ألعاب الفيديو . وباستخدام جهاز للتحكم عن بعد يمكن استدعاء رسم تخطيطي يمثل كل الأجهزة والأنظمة الكهربية في البيت على شاشة التلفزيون . وبالضغط على شفرة رقمية في جهاز التحكم يمكن إيقاف أو تشغيل هذه الأجهزة أو ضبط الإضاءة أو التدفئة الخ ..

ويتم ذلك عن طريق ارسال إشارات مبرمجة خلال التوصيلات الكهربية للمنزل الى أجهزة استقبال صغيرة مثبتة في أجهزة وأنظمة المنزل الكهربية بحيث يمكن إضاءة النور وتعديل درجة تبريد المكيفات وتشغيل الأجهزة الكهربية الموجودة في البيت تبعاً لجدول زمني محدد مسبقاً .

وباستخدام لغة اشارات متطورة ستتمكن الأجهزة من التحاور فيما بينها كأن تخبر آلة غسل الملابس سخان المياه أن يخفض من درجة حرارة الماء بعد انهاء دورة الغسل .

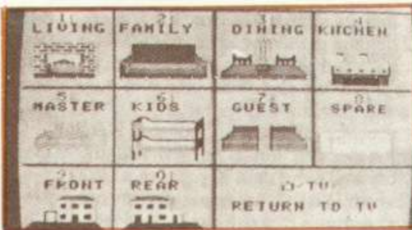
أما اليابانيون فيخططون لبناء منازل أكثر ذكاء يمكنها التنبه لاحتمالات الصدمة الكهربية والحرائق . في هذه المنازل ستتكون شبكة التوصيلات الكهربية من نوع واحد من الكابلات يمكنه حمل كل النبضات الكهربية اللازمة لتشغيل مختلف الأجهزة والأنظمة الكهربية الموجودة في المنزل بغض النظر عن نوع وكمية ما تحتاجه من طاقة كهربية .

ويضم نظام التحكم جهاز كمبيوتر مركزي يتولى ارسال نوع الطاقة المناسبة لكل جهاز ، ولكنه لن يرسل هذه الطاقة الى أي مأخذ للتيار إلا إذا تلقى إشارة الكترونية من الجهاز فعند توصيل القابس الكهربي للمكواة مثلاً فإنها ترسل إشارة للكمبيوتر لكي يرسل إليها كمية محددة من الكهرباء من خلال المأخذ المتصلة به .

ويوفر هذا النظام الكثير من الطاقة ، فهو يزود الأجهزة المستهلكة للطاقة مثل آلة غسل الملابس أو الصحون بما تحتاجه من الطاقة الكهربية الكبيرة في حين لا تمد الأجهزة الالكترونية مثل المذياع والمسجل إلا بقدر صغير من التيار المستمر دون حاجة الى استخدام محولات للتيار .

كما يوفر هذا النظام قدراً أعلى من الأمان ، فلن يصعق مثلاً الطفل الذي يضع اصبعه الصغير في مأخذ التيار ، لأن هذا المأخذ لن يزود بالتيار إلا إثر تلقى الكمبيوتر المركزي لاشارة تطلب منه ذلك .

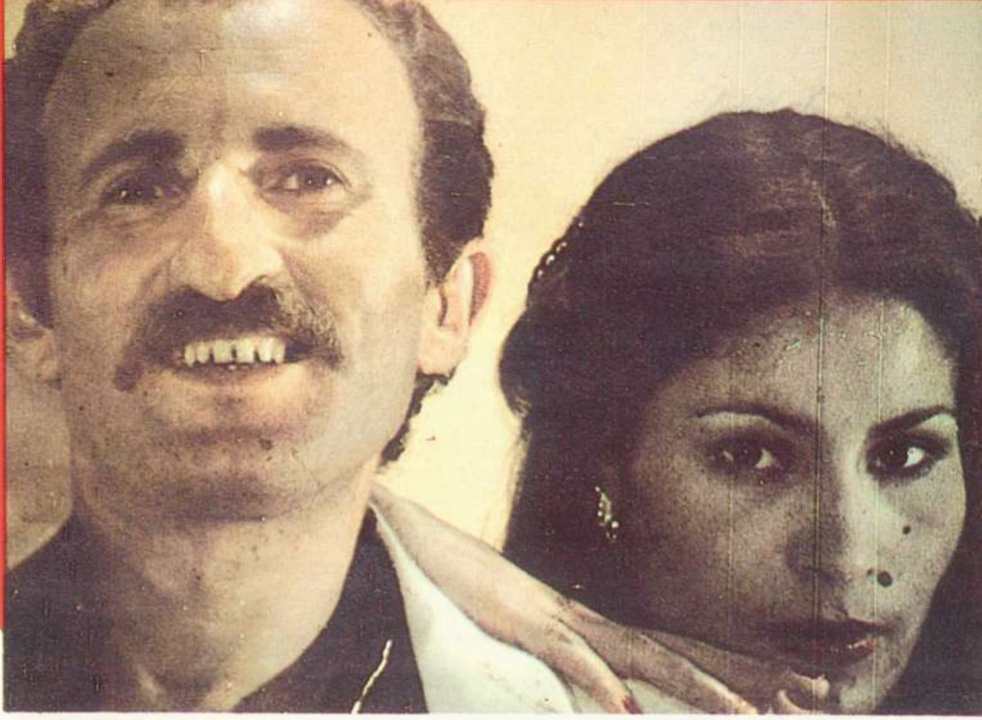
ومن المتوقع إقامة أول نموذج لهذا المنزل الذكي خلال عام ١٩٨٦ .





أسبوع سينمائي في الجزائر

• سينما الشباب عندهم وعندنا





بقلم: رؤوف توفيق

أمضيت أسبوعا فى الجزائر، أشارك فى «بانوراما» السينما والشباب، التى أقامتها محافظة «قسنطينة» فى المدة من ١٤ الى ٢٠ ديسمبر الماضى، ودعت إليها عددا من السينمائيين والنقاد يمثلون ١٦ دولة عربية وأفريقية وأوروبية.

كانت أيام اللقاء حافلة بالمناقشات عن السينما العربية، والأفلام التى تدور حول مشاكل الشباب.

وفى الطائرة من الجزائر الى القاهرة.. تجولت بيننا المضيفة تحمل الجرائد والمجلات العربية والعالمية.. واسترعى انتباهى غلاف مجلة «نيوزويك» الأمريكية، وعليها صورة الممثل السينمائى «سيلفستر ستالونى» فى لقطة من أحدث أفلامه: «روكى ـ الجزء الرابع».. وعلى غلاف المجلة عنوان ضخم: «روكى، أمريكا.. ماذا تقول الأفلام عن المزاج الأمريكى»؟

وكانت صدفة توقيت هذا السؤال الأمريكى.. هى أبلغ تأكيد لحصيلة مناقشات وندوات ملتقى «قسنطينة» السينمائى.

فالسينما الأمريكية مهما غزت أسواق العالم، وسيطرت على أذواق المتفرجين.. إلا أنها ليست هى السينما النموذج أو القدوة.. فموضوعات أفلامها تخضع غالباً لاعتبارات كثيرة: سياسية واقتصادية ونفسية من داخل المجتمع الأمريكى نفسه.

أما السينما العربية ـ كما أجمعت مناقشات قسنطينة ـ فيجب أن تكون لها شخصية مستقلة ومتميزة تنبع من الواقع المحلى بكل مشاكله وطموحاته.

وقد حان الوقت، لأن يلتقى صناع السينما العربية فى اتحاد قوى، ليبحثوا معا، العقبات التي تواجه انطلاق السينما العربية.

لحظة الانتصار على وجه « روكى » في فيلمه الجديد .. وقد أصبحت هذه اللقطة هى حلم كل شاب أمريكى



« روكي » الأمريكي يستعد لمواجهة منافسه السوفييتي

الملاكم السوفييتي العملاق يدخل حلبة الملاكمة وسط الأضواء الباهرة



« الحلم الامريكى .. بالانتصار

والسؤال الذى طرحته مجلة « نيوزويك » .. يدور حول نفس الظاهرة التى توقفت عندها في مقال السينما لعدد شهر نوفمبر الماضى فى « الدوحة » .. وكان بعنوان « تصدير العنف فى شرائط ملونة » .. حيث تناولت تيار العنف الذى يسيطر على الأفلام الأمريكية الجديدة ، ويقف على قمة هذا التيار الفيلم « رامبو » لنفس الممثل « سيلفستر ستالونى » ، والذى حقق نجاحا تجاريا كاسحا ، دعمه الرئيس الأمريكى « ريجان » عندما أشار إليه فى تصريحاته أيام أزمة اختطاف الطائرة الأمريكية في بيروت !

وقلت فى مقالى : « إن الاشادة بهذا النموذج من الأفلام ، كان على أساس أنه يقدم الحلم الأمريكى الجديد ، لصورة البطل الذى يتحدى الصعوبات ، ويقهر الأعداء بلا خوف أو تردد .. والذى لا يعرف لغة للحوار ، سوى العنف وسفك الدماء .. أحيانا بقبضة اليد الفولاذية ، وأحيانا بالمدفع المتدفق بالنيران .. والحل دائما يبدأ وينتهى بمنطق القوة » .

وقلت : « ها هو البطل الأمريكى ينتصر على شاشة السينما ، ليعوض الهزيمة فى الواقع .. وكأن المطلوب هو خلق هذا « الوهم » بالانتصار والقوة » .

« فبعد هزيمة الجيش الأمريكى فى فيتنام .. والاحساس بالمأساة والتورط داخل كل بيت أمريكى .. كان لابد من كسر حدة هذا الحزن والمرارة .. وبدأت السينما تخلق انتصارات وهمية ، لاعادة الاحساس بالقوة » !

وتؤكد مجلة « نيوزويك » هذا التحليل فى تحقيقها الصحفى المنشور على خمس صفحات فى عدد ٢٣ ديسمبر الماضي .. والذى أشترك فى تغطيته الصحفية عدة مراسلين من ولايات أمريكية .. رصدوا حالة « الهوس » بشخصية « رامبو » حتى أن هناك مطاعم ومحلات تجارية ظهرت فى أمريكا تحمل اسم « رامبو » ، تستخدم نفس الديكورات والأسلحة والملابس التى ظهر بها « رامبو » .. بالاضافة الى لعب الأطفال التى أسرعت المصانع بتقديمها للسوق ، على هيئة مدافع رشاشة مائية من نفس الطراز الذى كان يستخدمه « رامبو » فى تحرير الأسرى الأمريكيين من المعسكر الفيتنامى المزعوم !

وظهرت فى الشوارع الأمريكية .. مجموعات من الشباب تتقمص شخصية

أسبوع سينمائي في الجزائر

« رامبو » بأسلحته وملابسه ، وحتى فى طريقة تصفيف الشعر ! !

وتبشر مجلة « نيوزويك » بالنجاح المتوقع لفيلم « روكى ـ الجزء الرابع » ، الذى بدأ عرضه فى الولايات الأمريكية فى منتصف ديسمبر الماضى .. وذكرت المجلة أنه إذا كان فيلم « رامبو » قد حقق ايرادات ٣٢ مليون دولار فى مبيعات التذاكر خلال الأيام الستة الأولى لعرضه .. فإن فيلم « روكى ـ الجزء الرابع » حقق نفس الرقم (٣٢ مليون دولار) فى الأيام الخمسة الأولى فقط من عرضه .. وتوقع الخبراء أن يحطم روكى الجديد الأرقام القياسية للايرادات فى تاريخ السينما الأمريكية .. فقد تسابقت ألفان ومئتا دار عرض فى الولايات المتحدة على تقديم الفيلم فى أعياد رأس السنة .. وأعلنت دور العرض فى باريس ولندن عن فتح باب الحجز لمشاهدة الفيلم الذى بدأ عرضه هناك من منتصف يناير ! !

واستندت مجلة نيوزويك على رأى مدير التسويق لشركة متروجولدين ماير التي توزع الفيلم .. والذى قال : « لقد كانت أمريكا محتاجة دائما الى بطل تستطيع أن تتشبه به .. وكان هناك فى السينما « جون واين » ، والآن أصبح سيلفستر ستالونى » .

وعلقت المجلة : « إن البطل الأمريكى يعود للظهور بعد اختفاء طويل .. بطل مستعد لاقتحام العالم بالمسدسات .. والسكاكين وقفازات الملاكمة » !

وعندما سألوا طفلا فى العاشرة من عمره عما يعجبه فى « روكى » .. قال ببساطة شديدة : « إنه دائما يكسب » .

وهذا هو المطلوب تغذيته فى المواطن الأمريكى : الاحساس الدائم بالتفوق .. والقدرة .. والانتصار ..

ومن هنا اختارت المجلة الامريكية أن تضع على صدر تحقيقها ، هذه العبارة : « تحبه أو تكرهه .. ولكن سيلفستر ستالونى بفيلميه الساحقين الأخيرين .. استطاع أن يعيد تقديم البطل للأسطورة الأمريكية » !

ملاكم يعلن الحرب العالمية الثالثة !

وفيلم « روكى ـ الجزء الرابع » هو امتداد لنفس السلسلة من أفلام « روكى » ذلك الملاكم المغمور من كاليفورنيا الذى وجد نفسه متورطا فى تمثيلية دبرها بطل العالم فى الملاكمة حتى يبعد الأنظار عن الشرخ الذى يعانى منه فى عظمة الكتف .. فقد نصحه مستشاروه ألا



المخرج الجزائري المولد « مهدى شريف » الذى قدم أول أعماله السينمائية من انتاج « كوستاجا فراس »

يغيب طويلا عن عيون معجبيه والأخبار والأضواء .. ولهذا اتفقوا على خطة لاكتشاف ملاكم مغمور له اسم طنان ، ليمنحه بطل العالم شرف الملاكمة معه .. ويقع اختيارهم على « روكى » .. لا لسبب .. إلا لأن اسمه مثير وجذاب .

ويبدأ مستشار بطل العالم في تخطيط الدعاية المناسبة .. والبحث عن هذا الملاكم المغمور « روكي » لابلاغه بالنبأ السعيد : ان بطل العالم اختاره لأن ينازله في مباراة ضخمة .. وعندما يذهب « روكي » لمقابلة مدير الدعاية حسب طلبه ، يسأله روكي في براءة شديدة عن السبب في اختياره هو شخصياً لمنازلة بطل العالم .. فيرد مدير الدعاية بأوداج منتفخة : « إنه يريد أن يلاكم المجهول .. وأنت المجهول .. » !

وهكذا يمضي الفيلم الأول لروكى .. مستعرضا الاحباطات التي يعيشها .. وانقضاض أقاربه وأصدقائه على الشهرة القادمة له من منازلة بطل العالم .. وهو وحده يحاول أن يكون جديرا بهذه الفرصة ، تسانده صديقته « ادريان » ، تحاول ان تدفع بداخله الأمل .. وبين القلق والخوف والرغبة فى تأكيد الذات .. يدخل روكى حلبة الملاكمة لينتصر على بطل العالم .

ويسجل الفيلم تجاوبا جماهيريا شديدا .. هاهو واحد من المغمورين ، المطحونين ، الضائعين وسط الزحام .. يحقق انتصارا .

ويحصل الفيلم أيضا على ثلاث جوائز أوسكار عام ٧٧ .. جائزة أحسن فيلم ، وأحسن اخراج وأحسن مونتاج ..

ويستثمر « سيلفستر ستالونى » هذا التجاوب ليقدم بعد ذلك سلسلة أفلام روكى .. نفس الملاكم وصديقته أدريان فى مواجهة القوى الأكبر .. حتى يصل بفيلمه الجديد « روكى ـ الجزء الرابع » ليجعل المنازلة فى حلبة الملاكمة بين البطل الأمريكى والبطل السوفيتى ..

وقد أطلق النقاد على هذه المنازلة تعبير : « الحرب العالمية الثالثة » .

وبالطبع لابد أن ينتصر البطل الأمريكى على منافسه الضخم ، الفارع الطول ، صاحب الضربات الحديدية .. ولابد أن يكون الانتصار مدويا ، ومحققاً لرغبة المواطن الأمريكى فى التميز والقوة .

لقد عثر « سيلفستر ستالونى » ذلك الممثل ، وكاتب السيناريو ، والمخرج .. على الوتر الذى يعزف عليه لاستقطاب الشباب حوله .. إنه يقول لهم ، ان بداخل كل منهم بطلا ، ومن السهل اكتشافه ، فالأمر لا يحتاج إلا لمزيد من الاصرار والقوة والعنف ! !

وهكذا يفكرون ..

وهكذا يستعدون الآن لتقديم فيلم « رامبو ـ الجزء الثالث » .. وفيلم « روكى ـ الجزء الخامس » ! !

• الشباب العربى .. كيف نعبر عنه ؟

واذا كان هذا هو المنطق الذى يديرون به أعناق الشباب الأمريكى ، ويجذبونهم به الى دور السينما ، فإن الأمر بالتأكيد يختلف بالنسبة للشباب العربى . فالواقع يختلف .. والمشاكل تختلف .. والطموحات أيضا تختلف !

فالشباب الأمريكى ـ أو الغربى عموما ـ يعيش ظروف المجتمع الصناعى ، واحتكارات رءوس الأموال ، وسيطرة الآلة ، وانزواء الجانب الدينى والروحى .. و.. وكل هذا يختلف تماما عن واقع الشباب العربى .

ومن هنا .. اذا أرادت السينما العربية أن تكون لها شخصيتها المميزة والمستقلة ، فعليها أن تبحث فى الواقع المحلى لتستخلص منه موضوعاتها وقضاياها ..

ولهذا .. فإن اهم ما طرحته مناقشات وندوات ملتقى « قسنطينة » السينمائى .. هو الخروج من « غواية » السينما الأمريكية سواء فى الأفكار أو الأسلوب .

لقد انتشر الفيلم الأمريكى فى دور العرض بالعواصم والمدن العربية ، وأيضا دخل الى البيوت من خلال شاشات التليفزيون .. ولكن هذا لا يعنى أن نقف مكتوفى الأيدى نتفرج ، ونشكو من « الغزو الأمريكى » .

ولابد للمثقف والفنان العربى أن يسعيا



لقطة من فيلم «الشاى فى حريم أرشميدس» تجمع بين الشاب الجزائري وصديقته الفرنسية

بدأب واصرار على تأكيد الشخصية العربية واطلاق الصوت العربى من مخبئه.

وهذا لن يأتى إلا اذا ملكت السينما العربية ـ والفن العربى عموما ـ القدرة على التعبير الحر عن المشاكل الحقيقية للمجتمع.

وهذا بالتالى لن يستمر ويقوى.. إلا اذا فتحت الأسواق العربية أمام الفيلم العربى.. وتحققت له حرية الانتشار.

وهنا نأتى ـ كما يقولون ـ الى مربط الفرس!

• ما هو الحل!؟

المشكلة الحقيقية التى تواجه السينما العربية هى أنها سينما ليس لها حق التنقل والعرض فى الوطن العربى..

فهناك أفلام جزائرية وسورية وعراقية وتونسية ومغربية تكاد لا تعرض الا داخل حدود أرضها.. ولا يعلم المتفرج العربى عنها شيئا إلا فى حالات محدودة، منها أن تعرض داخل مهرجانات السينما فى بلاده.. أو أن يسافر للخارج ليراها على بعض شاشات دور العرض الأوروبية!!

وهذا الوضع بالتأكيد، يخنق صناعة السينما المحلية، ويعطل دوران عجلة الانتاج.

فما دام ليس هناك جمهور للأفلام.. فالنتيجة تترجم الى هزال العائد المادى.. وعدم قدرة صناع السينما فى تلك الدول العربية على الاستمرار فى صنع الأفلام.. سواء أكان هذا على مستوى مؤسسات السينما الحكومية، أو شركات القطاع الخاص من الأفراد..



الممثل الجزائرى «سيد علي كويرات» فى فيلم «أحلام»

فالأفلام لا تصنع لكى تحفظ فى المخازن.. أو تعرض فقط فى المناسبات!! وانما الأفلام تتنفس مع الجمهور.. تكتسب الحياة أو تموت بقرار من الجمهور..

واستمرارية انتاج الأفلام.. هى التى تتيح لها الفرصة للتجويد، والابداع.. وتدفع بداخلها مزيدا من الجرأة والقوة.

وكل هذه الحقائق معروفة.. قيلت مرارا على مدى سنوات طويلة.. ولم يتغير شيء.. ولم يحدث أى جديد فى الموقف!

وفى الملتقى السينمائى بمحافظة «قسنطينة» بالجزائر.. تكرر نفس الكلام..

السينما العربية مفككة.. هذا صحيح ومعروف!

السينما المصرية، هى الأكثر انتشارا فى المنطقة.. ولكن انتاجها الجيد لا يتعدى نسبة محدودة.. هذا صحيح ومعروف!

السينما فى شمال افريقيا (الجزائر ـ تونس ـ المغرب) ونتيجة لتعذر الانتشار والتوزيع فى المنطقة العربية، رأت أن تتجه للمتفرج الأوروبى.. وتكاد تصنع الأفلام لارضاء ذوق ذلك المتفرج.. هذا صحيح ومعروف. وأمام كل هذه الحقائق المعروفة.. هل نكتفى بترديد نفس الكلام، ونفس الشكوى؟!

ما هو الحل للخروج من هذه المياه الراكدة؟!

أعتذر بأن أعود لأوراقى القديمة.. ولمقال نشرته مجلة «الدوحة» فى مارس ١٩٨٠.. قلت فيه:

«حلمى الخاص الذى طالما أشتاق لرؤيته واقعا عربيا مجسدا.. أن يتجمع السينمائيون العرب فى شبه اتحاد ـ لا يهم أين يكون مقره ـ المهم أن يصبحوا كتلة واحدة، يملكون أدواتهم الفنية المختلفة.. وهم بذواتهم الشخصية والفنية هم رأس المال الفعلى.. ومن خلال هذا الاتحاد يخططون لانتاج سينمائى عربى، عن طريق التمويل بالأسهم والتى تطرح فى الأسواق العربية.. ويقومون أيضا بتوزيع أفلامهم عربيا وعالميا.. بمعنى توحيد الفن العربي، وظهور الفيلم العربى فى المهرجانات والأسواق العالمية.

والوطن العربى لا تنقصه الكفاءات أو المواهب الفنية!

ولا تنقصه الموارد المالية!

ولا تنقصه قوة الارادة.. إذا أراد..!!

من الذي يمنع من تحقيق هذا الحلم؟

وكنت فى ذاك المقال أحاور الفنان المخرج يوسف شاهين، الذى أبدى حماسة لفكرة هذا

أسبوع سينمائي في الجزائر

الاتحاد .. وقال « إنه سيكون عملا عظيما .. وأنا مستعد منذ هذه اللحظة أن أساهم فيه » ثم تردد قليلا ، وفي ذهنه كل الحسابات العربية ، أو بمعنى أدق كل الحساسيات .. وقال : « ولكن هناك بعض المخاوف .. أولا .. الفروق الايديولوجية بين الدول العربية تتسع وتضيق في مساحات متفاوتة ، ولابد من الاتفاق أساسا على الحد الأدنى من حرية التفكير الفنى ..

« ثانيا .. الذى سيساهم فى تمويل هذا الاتحاد .. الى أى حد سيفرض سيف التمويل على حرية الابداع الفنى ! » .

ثم عاد يوسف شاهين لحماسه وهو يقول : « هناك اتفاق تام على الاحتياج لمثل هذا الاتحاد .. ومن الممكن التوصل بعد اجتماعين أو ثلاثة الى الحد الأدنى من الاتفاق على نصوص التفكير والتعبير الفنى » .

ويومها طرحت الفكرة للنقاش على صفحات « الدوحة » . كان هذا فى مارس ٨٠ .. ومضت الشهور والسنوات .. وعاد نفس الاقتراح للظهور فى مهرجان القاهرة السينمائى الذى عقد فى بداية ديسمبر الماضى ، من خلال ندوة السينما العربية والتى شارك فيها عدد من السينمائيين العرب .. ودارت مناقشات طويلة أكدت مدى الاحتياج لمثل هذا الاتحاد السينمائى .. وكاد الكلام يلتهم بعضه .. لولا إلحاح البعض على عدم ضياع هذه الفرصة ، والبدء الفعلى فى تشكيل لجنة تحضيرية لتكوين اتحاد السينمائيين العرب ..

وتشكلت بالفعل لجنة تحضيرية . وتحدد مارس ٨٦ لاجتماع هذه اللجنة التحضيرية ، لوضع اللائحة التأسيسية للاتحاد .

هل سيتحقق الحلم هذه المرة ؟!

فى ملتقى « قسنطينة » السينمائى .. وفى ندوة أيضا عن السينما العربية .. قبلت الدعوة لاتحاد السينمائيين العرب .. وتشعب الحوار فى تفصيلات كثيرة .. وانتهى الوقت دون أن أشعر أننا نمسك شيئا محددا بين أيدينا !!

ربما عذر السينمائيين الجزائريين ، أنهم يعيشون قلقا خاصا بعد الأنباء التى ترددت عن تفكير الحكومة الجزائرية فى التخلى عن الانتاج السينمائى (القطاع العام) .. وترك السينما للقطاع الخاص .

وإن كنت أعتقد أن مثل هذه الظروف — لو صحت — فهى أدعى للإهتمام بتشكيل اتحاد السينمائيين العرب !

ذلك لأن وجود الفنان الجزائرى بين



لقطة من الفيلم الكوميدي الجزائري « حسن تاكسي »

زملائه العرب .. يتيح له فرصة أكبر للانطلاق والتعبير .. بدلا من البحث عن تمويل أوروبى — فرنسى بالذات — قد يفرض ذوقا معينا ، أو اتجاها مقصودا فى التفكير !!

• « شاى بالنعناع » .. ودعوة للمهاجرين

وأقرب مثال لذلك الاتجاه المقصود فى التفكير .. هو فيلم « شاى بالنعناع » للمخرج الجزائرى عبد الكريم بهلول .. وقد قامت فرنسا بتمويل الفيلم تماما ..

والفيلم يدعو المهاجرين الجزائريين المقيمين فى فرنسا للعودة الى بلادهم .. ليس حبا فى الجزائر .. ولكن رغبة فى تصفية المهاجرين !

وهى نفس الرغبة التى تعلنها بشكل واضح وكريه ، القوى اليمينية فى فرنسا !!

وفيلم « شاى بالنعناع » يقدم صورة المهاجر الجزائرى من خلال ذلك الشاب العاطل — وهو عاطل بمزاجه الخاص وليس نتيجة ظروف العمل فى فرنسا — والذى يهوى لعب الثلاث ورقات ومصادقة الفتيات والتردد على المقاهى .. وعندما تزوره أمه القادمة من الجزائر ، تدعوه للعودة معها الى الوطن .. يتهرب منها بل يحاول التخلص من وجودها .. وتفهم الأم تلك اللعبة .. وتؤنب ابنها على جرح كرامتها وامتهانها .. ولكن الابن يتمادى فى قساوة مشاعره .. ويترك أمه وحيدة بالمنزل الصغير ، ودون خبرة منها بالتعامل مع المجتمع الفرنسى .. حتى يقرصها الجوع فتخرج للشارع وتتسول !!

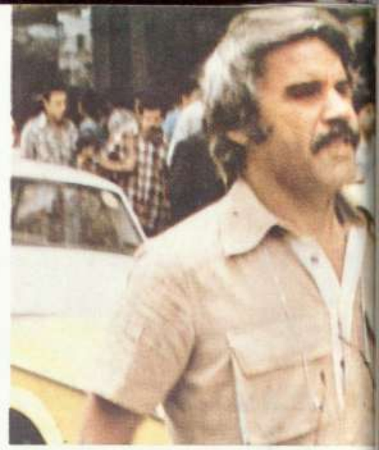
هنا فقط يستيقظ ضمير الابن .. ويرضخ لرغبتها .. وينتهى الفيلم وهما يتقدمان ناحية المطار للسفر الى الجزائر .. والابن يحاول أن يقاوم حتى اللحظة الأخيرة !

وقد لعبت دور الأم فى هذا الفيلم ، الممثلة الجزائرية القديرة « شافية بودراع » .. ولكن لم يشفع هذا الأداء الجيد للمعنى الملتوى الذى يقصده الفيلم .

• وشاى آخر .. أكثر توازنا

وحول نفس موضوع المهاجرين الجزائريين فى فرنسا .. يتبنى المخرج الفرنسى اليونانى الأصل « كوستا جافراس » تمويل فيلم « شاى فى حريم أرشميدس » للشاب الجزائرى







المزج بين الواقع والسينما .. فى فيلم «أحلام» الذى صورت بعض مشاهده فى شوارع العاصمة الجزائرية

«مهدى شريف» والذى يخوض تجربة الاخراج السينمائى لأول مرة بهذا الفيلم الذى كتب له أيضا القصة والسيناريو ..

ويتعرض الفيلم لشاب جزائرى وصديقه الفرنسى من نفس عمره ، ونفس تمرده .. يعيشان الضياع على هامش الحياة فى باريس .. يمارسان السرقة والنشل وفرض الأتاوات والبلطجة .

والشاب الجزائرى يعيش مع أمه ووالده المريض الذى لا يقوى على الكلام أو الحركة .. أما الأم فهى دائما تحثه على العمل .. ولكنه لا يرغب فيه .. وإذا رغب مضطرا فهو يواجه بالتفرقة بين الفرنسى الأصل .. والمهجر ! .. وتطالبه الأم بالعودة الى الوطن والأهل .. ولكنه يثور عليها ، فهو لا يفهم ماذا تقول .

هى تتحدث بالعربية .. وهو لا يفهمها بالفعل !

والفيلم يتعرض لنماذج التفكك والانهيار العائلى فى الجانب الفرنسى .. ولا ينحاز لجنسية ضد جنسية .. وإنما يقدم حالة الضياع التى ربطت بين صديقين فى قاع المدينة .

وربما كان هذا الفيلم .. من أفضل الأفلام الأخيرة التى تنتسب للسينما الجزائرية ..

● السينمائيون الشبان .. والأمل

أما السينما الجزائرية الخالصة (فكرا وتمويلا) .. فإننا نذكر بكل تقدير فيلم المخرج مرزاق علواش والذى كان يحمل عنوان «عمر قتلته الرجولة» والذى يحكى فيه يوميات شاب جزائرى يعمل فى إحدى الوظائف الصغيرة ويعيش حياته مع أسرته المكدسة فى منزل صغير .. ويحلم بأن تكون له علاقة مع الفتاة التى أحبها من النظرة الأولى ويمنعه الخجل والتردد من لقائها أو التحدث إليها ..

ونذكر أيضا بكل الاعجاب فيلم «سقف وعائلة» للمخرج الجزائرى «رابح لعراجى» .. والذى يتعرض أيضا لمشكلة الشاب الجزائرى البسيط الذى يعيش مع عائلته المتعددة الأفراد داخل مسكن صغير .. وتقوم أمه بالبحث له عن عروس .. لندخل فى مأزق البحث عن سكن .. وفيلم «أحلام» للمخرج «جان بيير ليدو» الذى يربط بين عالم السينما والمجتمع الجزائرى .. الحلم والواقع .. وحيث ينكمش الحلم ليفرض الواقع نفسه بكل تناقضاته .. وأحدث انتاج للسينما الجزائرية فيلم «الطاحونة» للمخرج «أحمد راشدى» .. والفيلم يقوم على فكرة جديدة تتعرض لها السينما الجزائرية لأول مرة .. لتحكى عن فترة التأميمات التى لجأت إليها الثورة الجزائرية للتحكم فى وسائل الانتاج .. وكل سلبيات تلك الفترة .. ولكن ما أفسد الفيلم ذلك الايقاع البطىء أحيانا كثيرة .. واللاهث فى أحيان أخرى دون مبرر .. والدخول فى تفصيلات جانبية أفقدت الموضوع سخونته ووحدته .

وقد شارك فى بطولة ذلك الفيلم اثنان من نجوم السينما المصرية «عزت العلايلى» و«حسن مصطفى» ، ولكن دون أن يستفيد الفيلم من امكانياتهما الفنية ..

وإذا كان هذا الفيلم الأخير .. هو نموذج لما وصل إليه أحد كبار مخرجى السينما الجزائرية .. فإننا نقول إن الأمل الحقيقى هو فى السينمائيين الشبان .

وبقى أن تخرج هذه الأفلام للجمهور العريض فى كل البلاد العربية .. حتى نتعرف على بعضنا البعض .

رؤوف توفيق

طرائف شرقية وغربية

في حديقة الحيوان

• اقتربت سيدة ثرثارة من الحارس تسأله : هل عجل البحر هذا ذكر أم أنثى ؟

فقال لها الحارس في ضيق : هذه مسألة لا تهم إلا عجول البحر الأخرى !

مصاهرة

• توجه شيخ من سكان الجبال وبصحبته شاب الى عيادة أحد الأطباء وقال للطبيب : « أرجوك يا دكتور أن تعالج ساق صهرى فقد أطلقت عليه النار أمس » فقال الطبيب : « تباً لك .. كيف تطلق النار على صهرك ؟» فأجاب الشيخ قائلاً : « لم يكن صهرى حين أطلقت النار عليه » .

صراحة

• علم الضابط البحرى أن أحد بحارته ينفق ماله في إسراف جنونى ، الى حد أنه بدد مرتبه في يومين ، فاستدعاه لمقابلته وسأله : « أتستطيع أن تخبرنى ماذا فعلت بمرتبك هذا الشهر ؟ » فأجاب البحار قائلاً : « لقد أنفقت بعضه في السهر والترفيه عن نفسى ، وأما الباقى بعد ذلك فقد أنفقته ـ بصراحة ـ إسرافاً وإتلافاً ! » .

لغز

• عاد كاتب اشتهر برواياته البوليسية المثيرة ، الى شقته في لندن بعد إجازة أمضاها في إحدى الضواحى ، فوجد جماعة من اللصوص قد اقتحموا الشقة وسرقوا كل ما بها من مال وثياب ، ورأى على مكتبه بطاقة هذا نصها : « هذا لغز .. فهل لك أن تحاول حله في أوقات فراغك .. أيها الكاتب الكبير ؟ »

زال الخطر

• جلست سيدة متصابية في إحدى الحفلات ، تتحدث عن التنجيم والمنجمين ، ثم التفتت الى صديقها الذى كان يجلس بجانبها وقالت :

ـ لقد تنبأت لى إحدى المنجمات بأننى سأموت في « عز شبابى » .. فقال لها الصديق : « لعلك مطمئنة الآن .. بعد أن زال الخطر منذ أمد بعيد » .

يستاهل

• ترملت السيدة الحسناء .. ولم تكد تمضى بضعة أشهر حتى خلعت ثياب الحداد وتزوجت وبعد أسابيع رأتها إحدى صديقاتها ، ترتدى ثوباً أسود اللون ، فسألتها في دهشة :

ـ هل مات زوجك الثانى أيضاً ؟

ـ كلا .. ولكن بعد أن عاشرت زوجى الجديد ، رأيت أن أرتدى ثياب الحداد مرة أخرى على زوجى الأول !

من فكاهات العرب

• دفع أبو الطيب الطبرى خفه الى إسكافى ليصلحه ، فكان كلما مر عليه يسأله عنه ، وكان الإسكافى كلما رأى أبا الطيب أخذ الخف وغمسه في الماء وقال :

ـ بعد ساعة .. بعد ساعة ... !

فلما تكرر الأمر جملة مرات ، قال أبو الطيب ثائراً :

ـ إنما دفعته إليك لتصلحه ، ولم أدفعه إليك لتعلمه السباحة .. !

إقناع .. وإقناع

• كان رجل يزور صديقاً له في بيته ، عندما لاحظ أن بعض المحال التجارية الكبرى قد أرسلت له فواتير بعشرات الجنيهات ، قيمة ما اشترته زوجته من هذه المحال !

ورثى الرجل لصديقه وقال له : لماذا لا تمنع زوجتك من شراء كل هذه الأشياء ؟ كيف ستدبر أمورك ؟

فرد الزوج في هدوء :

ـ إنه لمن الأسهل لى ياعزيزى أن أقنع مديرى هذه المحال بتأجيل الدفع من أن أقنع زوجتى بعدم الشراء !!

معقول

• قبل أن يغادر الطفل الصغير البيت الى المدرسة قرص أخته حتى أبكاها ، فهددته أمه بالضرب ، عند رجوعه من المدرسة .. ولم تمض دقيقتان ، حتى رجع الطفل الى البيت ، وذهب الى أمه مباشرة ، وقال لها :

قال الأولون

• قال على رضى الله عنه : « إن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله » .

• قالت أم المؤمنين أخت عمر بن عبد العزيز : « لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكتها » .

وكانت تعتق كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول : « البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة » .

• قال أبو الحسن بن سنان : « البدن بناء ، وحفظ الصحة عماده ، ولا غنى للبيت عن الأساس والعماد » .

• قال أبو الحسن الضميرى : « بالبر تذهب الوحشة » .

• قال أبو حامد أحمد : « لا تبالغ بإفراط الهشاشة والبشاشة ، فإن ذلك من السخف كما أن قلة الكلام من الكبر » .

• قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجوف ، مؤدية الى السقم » .

• قال أبو على الصاغاني : « ليس شيء أبغض الي من خمسة : قراءة مكتوبى وامتناع من دعوته الى مؤاكلتى ورؤية متكبر ورؤية شيخ يتصابى وامرأة تتأمر » .

• قال أبو الفرج عبد الله بن الطيب : « الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء ، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر » .

• سأل الحجاج ابن القبعثرى : « ما أوجز الكلام ؟ » فقال « ألا تبطىء ولا تخطىء » .

• قال أبو عيسى بن يحيى : « لا يؤثر القليل الفانى على الكثير الباقى » .

• قال معاوية : « ما رأيت تبذيراً قط إلا والى جانبه حق مضيع » .

• قال الحسن على بن سهل الطبرى : « طول التجارب زيادة في العقل » .

• قال أبو الريحان البيرونى : « لا تحقر الأمر الصغير ، فللأمر الصغير موضع ينتفع به ، وللأمر الكبير موقع لا يستغنى عنه » .

« اضربيني الآن يا أمي ، فأنا لا أريد أن أقضي النهار ، خائفاً مرعوباً » ! !

ليوم أحر منه

• قال الحجاج بن يوسف الثقفي لراع رقيق الحال :

— اجلس يا أخا العرب وكل معي

— دعاني من هو أكرم منك فأجبته :

— ومن هو ؟

— الله تبارك وتعالى ، دعاني للصوم فأنا اليوم صائم .

— أتصوم في مثل هذا اليوم على حره الشديد ؟

— نعم ، صمت ليوم هو أحر منه .

— تعال وكل معي اليوم وصم غداً .

— إن فطرت اليوم فهل يضمن لي الأمير الجليل أن أعيش غداً ؟

— ليس ذاك لي .

— فكيف تسألني عاجلاً بآجل ليس لك إليه سبيل ؟

ولا بزفرة !

• جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

— يارسول الله . إن لي أما أنا مطيعها : أقعدها على ظهري ولا أصرف عنها وجهي ، وأرد إليها كسبي .. فهل جزيتها وأديت واجبي نحوها ؟

فقال الرسول (ﷺ)

— لا .. ولا .

قال الرجل :

— ولم يارسول الله ؟

— لأنها كانت تخدمك وهي تحب حياتك .. وأنت تخدمها وتحب موتها .

لذة الدنيا

• قال معاوية لعمرو بن العاص : ما بقي من لذة الدنيا تلذه ؟

قال : محادثة أهل العلم ، وخبر صالح يأتيني من ضيعتي .

هل تصدق ؟!

• سقط طوربيد من طائرة حربية فارتشق في إحدى أشجار النخيل في بحار الجنوب ، وظل في مكانه سنين طويلة ثم نزعوه مؤخراً ..

• تعود الشاعر الأمريكي « جاكين ميلر » أن لا يدخن أقل من سيجارين معاً !

• يبلغ ارتفاع المعزة ، من ماعز الانجوراه — الذي يربى في مراعي ولاية كاليفورنيا — ٨٠ سنتيمتراً ، ويبلغ طول صوفها ١٦٠ سنتيمتراً .

• يبلغ طول رموش « كالي سنج » وهي فتاة صينية حسناء عشرة سنتيمترات !

• صنع أحد أهالي « بيستون كاسيل » في انجلترا خلية نحل على هيئة منزل مصغر يبلغ ارتفاعه ٣ أمتار وثبتها على ظهر فيل يطوف بها خلال الحقول معاوناً النحل على الانتشار لامتصاص رحيق الزهور .

• تلزم العاقر في بعض قبائل الصحراء الافريقية الكبرى بأن تحمل على رأسها قطعة من الحجر لا يقل وزنها عن ٩ كيلو جرامات ، وذلك حتى ترزق بولد !

• يحمل الحمال في الصين ٢٠٠ كيلو جرام من الشاي المضغوط في هيئة قوالب على ظهره ويقطع بها مسافة ٢٠٠ كيلو متر في رحلة تستغرق ٢٠ يوماً ، ويستريح خلالها ٢٣٨٠ مرة ولا يأخذ عن هذا العمل كله أجراً يزيد على مائة قرش .

• عندما يأتي الربيع تنظم اليابانيات في هذا الفصل قصيدة شعرية ويعلقنها في أوراق بفروع الشجر ، فيقرأها كل من يأتي ليشاهد الزهور ، ثم يسجل رأيه فيها بصراحة ، وعلى نفس الورقة التي تتضمن القصيدة !

• يزرعون في مدينة « ساكورا » باليابان نوعاً من الفجل الكبير تبلغ زنة الواحدة منه ١٠ كيلو جرامات .

• يستطيع « جيرار جاننج » من « بريدج سيتي » بولاية كونكتيكت الأمريكية ، أن يعزف « فالس برامز » وسواه من المقطوعات الكلاسيكية على البيانو رغم أن سنه لا تتعدى ٣٩ شهراً !

حق النقد

المؤلف : لا ياعزيزتي ليس من حقك نقد كتابي لأنك لست مؤلفاً .

الفلاحة : وأنا أيضاً لا أضع بيضاً ومع ذلك أستطيع الحكم على البيض من طعمه .

بالحساب

• قالت الزوجة لزوجها وهما يحسبان دخلهما ومصروفهما :

— لو استمررنا في الادخار على أساس ما نفعل الآن ، فإننا عندما نصل إلى سن التقاعد ، سنكون مدينين بمليون جنيه !

إعلان

• في إعلان نشر أخيراً في إحدى الجرائد اليومية الأمريكية قال المعلن : إنه شاب لطيف يوشك أن يقدم على الزواج ، يرغب أشد الرغبة في مقابلة رجل مجرب يستطيع إقناعه بالعدول عن هذه الخطوة .

نصيحة

• قال أستاذ ينصح تلميذه : « تعلّم قول (لا أدري) ، فإنك إن قلت لا أدري ، علموك حتى تدري وإن قلت أدري ، سألوك حتى لا تدري ! » .

فلسفة الحياة

• دخل أعرابي جاوز المائة على معاوية ذات يوم .. وأراد الخليفة أن يتعرف منه تجربته للحياة فقال :

— صف لي الدنيا ..

فأجابه الأعرابي :

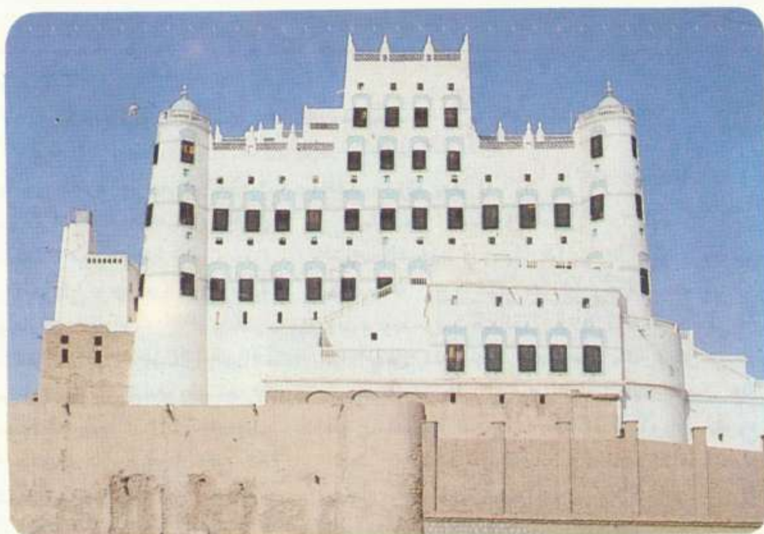
— سنة رخاء ، وسنة بلاء ، يولد مولود ويهلك هالك ، فلولا المولود باد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الأرض !

ذكاء أثري

• سأل سائح نرويجي أحد الأدلاء وهويشير إلى تمثال أثري : « كم عمر هذا التمثال ؟ » فأجاب الدليل : « خمسة آلاف سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام ! »

فضحك السائح وقال : « ولكن لماذا أضفت هذه الأشهر وهذه الأيام ؟ ! »

فأجاب الدليل : « لأن عمر التمثال كان خمسة آلاف سنة حينما استلمت عملي هنا ، ولي الآن في هذا المكان خمسة أشهر وأربعة أيام بالضبط ! » .



الصورة الأولى



الصورة الثانية

حـــاول أن تعـــرف

الصورة الأولى :

من إحدى دول شبه الجزيرة العربية الكائن بها هذا المبنى العريق والذى يطلق عليه قصر السلطان ، وهو مقام فى مدينة « سيئون ». فى أى دولة عربية يقع هذا القصر البديع ؟

الصورة الثانية :

يعتبر من أشهر ملوك الحيرة ، إمتد حكمه قرابة ٢٨ عاما ، وبنى أشهر قصورها « الخورنق » على مرتفع يشرف على النجف .. ترى من هو؟

حـــــــوار

قدم هشام بن عبدالملك حاجا أيام خلافته فقال : ائتونى برجل من الصحابة . فقيل قد تفانوا . قال : فمن التابعين ، فأتوا بطاووس اليمانى . فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطة ، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ، بل قال : السلام عليك . ولم يمكنه . وقال : كيف أنت ياهشام .. فغضب هشام غضبا شديدا ، وقال: ياطاووس ماالذى حملك على ماصنعت ؟

فقال : وماصنعت ؟ .. فازداد غضبه وقال : خلعت نعلك بحاشية بساطى ، ولم تسلم على بامرة المؤمنين ، ولم تكنني ، وقلت كيف أنت ياهشام ...

فقال طاووس : أما خلع نعلي بحاشية بساطك ، فإني أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ، فلا يغضب علي لذلك . وأما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بامرتك ، فكرهت أن أكذب . وأما قولك لم تكنني ، فإن الله تعالى سمى أولياءه فقال : ياداود ويايحيي وياموسى ، وكنى أعداءه فقال : تبت يدا أبي لهب .

سالم محمد شعوير

« أدكو — جمهورية مصر العربية »

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة الدوحة
ص ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر

لقطة الشهر

براءة الطفولة

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : عبد القادر نصير القرم ـ جامعة الزقازيق ـ ج . م . ع .



من كل بستان زهرة

• قال « الخليل بن أحمد » :
الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري ، فذلك عالم فاسألوه . ورجل يدري ولايدري أنه يدري ، فذلك ناس فذكروه . ورجل لايدري ويدري أنه لايدري ، فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لايدري ، فذلك جاهل فارفضوه .

• أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رميت عن قوس واحدة . قال كسرى : لم أندم على مالم أقل ، وندمت على ماقلت مراراً . وقال قيصر : أنا على رد مالم أقل أقدر مني على رد ماقلت . وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ، وإذا لم أتكلم بها ملكتها .

وقال ملك الهند : عجبت ممن يتكلم بالكلمة إن رفعت ضرته ، وإن لم ترفع لم تنفعه ...

• لقي رجل حكيماً فقال : كيف ترى الدهر؟ قال : يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرب المنية ، ويباعد الأمنية . قال : فما حال أهله ؟ قال : من ظفر به منهم تعب ، ومن فاته نصب .
قال : فما الغنى عنه ؟ قال : قطع الرجاء منه ...

محمد نور السراج
دمشق ـ سوريا

الحكمة

إن أعظم كلمة تدق فى عالم الحياة هى الحكمة ، فبها تقاس قيمة الإنسان ، فهى اتجاه عقلانى أصيل واستجابة للمواقف بروح موضوعية ، وتتمثل فى السعي نحو الكمال الانسانى فأساسها المعرفة والعلم بأمور الحياة ومعالجتها بتناسق نفسي ورؤية فاحصة .

فالإنسان الحكيم ينشد قيم الحق والجمال والخير وهذا ما تبحث فيه علوم الجمال حيث تبحث فى ترقية الأذواق ومعانى النظام والرشاقة والانسجام فى الطبيعة والفن .

وعلم المنطق يبحث فى قيمة الحق والتزام الصواب وتجنب الخطأ ، وعلم الأخلاق يبحث فى قيمة الخير وتمييز معايير الفضيلة والرذيلة ومفهوم الواجب والضمير الإنسانى .
وتصادفنا فى حياتنا كثير من المواقف التى تتطلب الحكمة .

ومن الحكم الحياتية الصبر ، فهو دلالة على ضبط النفس والاتزان والتسليم لأمر الله فيما يعترض الإنسان من مصاعب . والعفو عند المقدرة وهو دلالة الخير ، والتأمل المستفيض وهو دلالة العقلانية والمثالية ، والعفة دلالة على احتكام العقل وسيطرته على العاطفة مصدر الخطأ ، فالحكيم لاتأخذه لذة عاجلة عقباها ضرر فادح .

ولعلنا ندرك تلك الحكمة الإلهية فى قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » لتدل على مكانة الحكمة عند الله وفى الحياة ..

والحكمة النبوية التى تقول « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .
واعلم أن رأس الحكمة مخافة الله » .

عطيه محمد الصالحين
بنغازى ـ ليبيا

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

في أوائل العقد العاشر من القرن الأول للهجرة .. وفي مدينة البصرة .. ولد بشار بن برد .. وكان أبوه فارسيا فقيرا يعمل في ضرب اللبن ويعيش عيشة الكفاف .. وقد ولد بشار فاقدا بصره .. ولما شب عن الطوق ، إتجه الى المساجد يطلب فيها العلم على يدى أهله .. كما كان مولعا بالاستماع الى الشعراء .. فنمت عنده ملكة الشعر .. ومن أقواله :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا
« المقصود » لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

المقصود « أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من خمسة حروف :

٢ ، ٥ بمعنى هدم
١ ، ٢ ، ٤ عكس كذب
٣ ، ٢ ، ٤ بمعنى يطرق

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية شهيرة .. حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة في جواز سفره .. والتى تلقى ضوءاً على جوانب من حياته :

تاريخ الميلاد : ١٧ مارس سنة ١٨٩١ وكان أصغر إخوته .

مكان الميلاد : الاسكندرية بحى « كوم الدكة » الشعبى .

طفولته : كان أبوه يملك محلا صغيرا للتجارة .. وفي أوقات فراغه كان يأخذ طفله الصغير ويذهب إلى المقهى القريب من منزله ليجالس أصدقاءه ويتبادلون الأحاديث السياسية والوطنية .. وقد توفى أبوه وهو لم يزل في السابعة من عمره .. وبعدها التحق الصبى بمدرسة صغيرة .. وكانت هوايته حفظ الأناشيد وألحانها وغنائها .. ثم ألحقه أهله بالمعهد الدينى ليحفظ القرآن .. ويجوده .. ولكنه أهمل الدراسة بسبب اهتمامه بحفظ الأغانى والألحان ففصل من المعهد بعد أقل من عامين ، فاضطر أن يشتغل عامل بناء .. وأثناء عمله كان يردد ما يحفظه من ألحان .. فلفت إليه أنظار أحد كبار الفنانين ، فتعاقد معه على الغناء بين فصول المسرحية التى تقدمها فرقته بالقاهرة .. ومن هناك بدأت رحلته الحقيقية مع الموسيقى والألحان .. وبالرغم مما قابله من صدمات وإحباطات إلا أنه استمر في طريقه حتى أصبح من أشهر الملحنين وخاصة للمسرحيات الغنائية .

وفاته : توفى في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ بعد أن ترك فناً رائعا مازال يتردد على أفواه الشعوب العربية حتى اليوم .

يتكون اسم صاحب هذا الجواز من مقطعين مجموعهما ثمانية حروف :

٢ ، ١ ، ٣ ، ٤ يدفع ما عليه من ديون .
٢ ، ٣ ، ١ بمعنى يخفى (في التراب مثلا) .
٦ ، ٥ ، ٣ بمعنى حضر .
٨ ، ٧ ، ٤ . أقام مبنى .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢٠

١ ــ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر أبى الطيب المتنبى هى مشمرا .

٢ ــ من هو هذا الفنان الشهير : الفنان الايطالى مايكل أنجلو .

٣ ــ جواز سفر : اسم صاحب الجواز الكاتب العربى عبد الرحمن الكواكبى .

أسماء الفائزين

١ ــ فازت بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارئة : فاطمة مصطفى الأمين ــ السودان .

٢ ــ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارئ : عبد النور خليل رزق ــ مصر .

٣ ــ فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارئة : سمر أحمد الحريرى ــ لبنان .

مسابقة مدن العالم

هى عاصمة إحدى الدول الأوربية .. وكان الرومان قد أنشأوها عنداحتلالهم لهذه الدولة قبل الميلاد .. واستمرت أهمية هذه المدينة بفضل تحصيناتها الرومانية وطرقها بعد انسحاب الرومان .. ومرت قرون طويلة .. وأصبحت هذه المدينة من أهم مدن أوروبا .. وكان بها عدد كبير من التجار على جانب كبير من الثراء .. ورغم هذا فقد كانت الأحياء الشعبية بطرقاتها الضيقة مزدحمة بالمنازل الخشبية التى تفوح منها رائحة الرطوبة والأوحال والقذارة تملأ الطرقات .

وفي عام ١٦٦٥ م انتشر مرض الطاعون فجأة بشكل وبائى ، ولم يستطع السكان ولا الحكومة مقاومته .. فهلك عشرات الألوف من سكان المدينة ..

ولم يكد ينتهى هذا الوباء حتى شب بها حريق هائل أتى على ما يزيد على ١٣٠٠٠ (ثلاثة عشر ألف) منزل .. كما احترقت إحدى الكاتدرائيات الكبرى وكذلك ٨٧ كنيسة ومبان أخرى كثيرة .. ولم يتم إخماد الحريق إلا بعد هدم جميع المنازل المحيطة بمناطق الحريق لايقاف امتداده ، وعينت لجنة لإعادة بناء المدينة .

وبعد عشر سنوات قامت المدينة الجديدة وكانت منازلها من الطوب والحجارة بدلا من المنازل الخشبية .

وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) أصاب المدينة دمار كبير من جراء الغارات الجوية وماتبعها من حرائق كثيرة .

اسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد من أربعة حروف :

٣ ، ٢ واحد الدنان .
١ ، ٣ ، ٤ بمعنى طرِىّ .

فهل عرفتها ؟

لمن هذا الكتاب ؟

يتناول هذا الكتاب « نشأة العقيدة الإلهية » .. وهى أجل موضوع من الموضوعات الروحية والعلمية .. وقد اختار له مؤلفه اسما جليلا هو « الله » .

ومؤلف هذا الكتاب من كبار المفكرين العرب الأفذاذ .. وبالإضافة الى ما أثرى به المكتبة العربية من مؤلفات رائعة من أشهرها

سلسلة « العبقريات » .. فقد كان كاتبا صحفيا وسياسيا جريئا وشاعرا مطبوعا وناقدا لاذعاً .
وهو من مواليد أسوان .. ولم يتلق من التعليم فى صغره إلا القليل .. ولكنه دأب على القراءة والاطلاع حتى صار من أشهر كتاب العرب .. وكان اسمه يذكر دائما مسبوقا بلفظتى .. الكاتب الكبير ..
وإسمه مكون من ثلاثة مقاطع مجموع حروفها خمسة عشر حرفا :
٢ ، ١٤ ، ٤ ، ٧ ضاحك من غير صوت .
١ ، ١٣ ، ٩ بمعنى قلادة .
٥ ، ٩ ، ٦ بمعنى أثنى .
١٢ ، ١٣ ، ١٥ بمعنى رجع .
١٠ ، ٨ ، ١١ بمعنى قَسَرَ .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٠

• الصورة الأولى :
انعقد المؤتمر الأول لقادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى ٢٥ مايو سنة ١٩٨١ بمدينة أبو ظبى عاصمة دولة الامارات العربية المتحدة .
الفائز الأول : أحمد محمود حسين الزغبى ـ الأردن .
الفائزة الثانية : فردوس حسنى حسن ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
• الصورة الثانية :
اسم صاحب الصورة الجنرال الانجليزى مونتجومرى ومنافسه القائد الألمانى روميل وجمعت بينهما معركة العلمين .
الفائز الأول : احسان عبد الجليل دياب ـ السودان .
الفائز الثانى : عبد الحق ماستر ـ باكستان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ ناصر حامد حمودة .... المملكة العربية السعودية
٢ ـ عبد الله مواردى .... المغرب
٣ ـ عمر محمود حسين .... الأردن
٤ ـ قصى أحمد الحايك .... سوريا
٥ ـ عبد اللطيف بن صريتى .... ليبيا
٦ ـ حمود ناصر على الشرق .... الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ سمية محمد محفوظ .... اليمن الديمقراطية
٨ ـ مالك سيد أحمد .... الهند
٩ ـ عامر جاسم محمد .... العراق
١٠ ـ سعيد البشرى .... تونس

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢٠

(١) أصل وصورة : الجبهة ـ الحاجبان ـ الأنف ـ الشارب ـ الذقن ـ العينان ـ الأذن .
(٢) لوحة لم تتم : الفنان سيد بدير
(٣) لأقوياء الملاحظة :
قط ـ حقيبة ـ كمثرى ـ طماطم ـ عصفور ـ دجاجة
(٤) يخلق من الشبه أربعين : رقم ٤ .
(٥) لعبة الظلال : رقم ٣ .
(٦) هات أجمل تعليق : الأسد ده مكشرى زى ما بابا بيكشر وهو داخل البيت .
(٧) المثل بيقول :
• إتلم المتعوس على خايب الرجا .
• عند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١٢٠

١ ـ شيَراز حنا .... سوريا
٢ ـ هالة ابراهيم شحاته .... البحرين
٣ ـ السيد أحمد سرور .... مصر
٤ ـ بن لمبارك نبيل .... الجزائر
٥ ـ علاء جابر على حسن .... مصر
٦ ـ تماضر على محاسنه .... السعودية
٧ ـ أبو بكر زعبيه .... ليبيا
٨ ـ خالد الخضرى ..... المغرب (اشتراك)
٩ ـ أحمد محمد على ابراهيم .... مصر
١٠ ـ ثريا عثمان محمد .... السودان
١١ ـ محمد يوسف ناصر .... قطر
١٢ ـ مسعد بدوى رضوان .... مصر
١٣ ـ شريف عبد السميع محمد .... قطر
١٤ ـ نهاد حسين نصر .... السودان

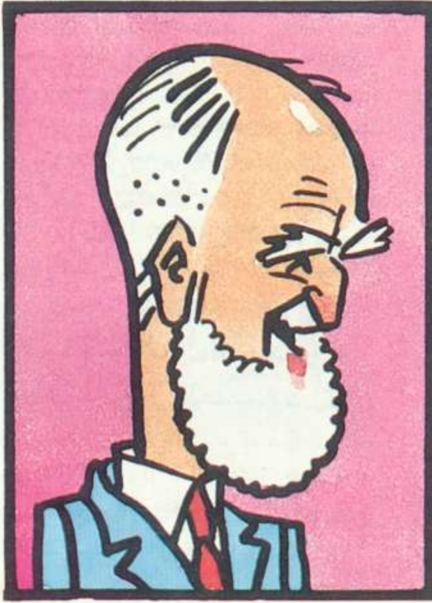
نورس قديم

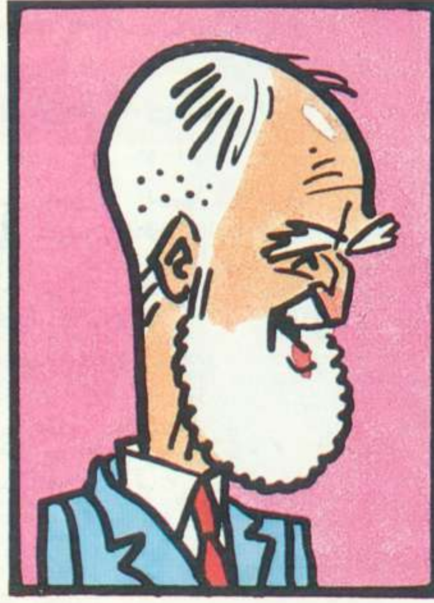
شعر : محمود صفر

أراكِ حباً مورقاً يجرح الحقيقة
أراكِ دمعة ظليلة ،
غابةً من الزهور
جزيرةً نائية جميلة
يلفها شعورى الموقوتُ بالأكيد
بالنوارس القديمة .
أراك رحلةً ملغيةَ الإياب
لاتكترى قواربَ الأفول
أراكِ شمعداناً يراقصُ الشموعَ
كل ليلة ، يأكل فيها الحوتُ
أطرافَ القمر .
أراكِ يابحرَ احتمالي
واحةً منِ الغُدرانِ .
أديماً ينتشي بنوايانا البسيطة
أو مايرى الهائمُ من رؤىً
مرعبةٍ رقيقة ،
أو كما تنبضُ في القلب ثقوبٌ
تَفْرِزُ الحياةَ في الجروح
والجروح في الحياة
أراكِ إذ أراكِ ساحراً
يحيل عمرَنا الرتيبَ
موسيقى صاخبةً
وجرحَنا العميقَ زفةً ،
وفتحَ هامتي البطيءَ سهرةً
ويجعل الأنينَ ماء
والهوى فناء .

استراحة الدوحة

أصل وصورة





بين أصل وصورة الكاتب المسرحي البريطاني جورج برنارد شو (١٨٥٦ – ١٩٥٠) هناك سبعة اختلافات طفيفة ، إذا استطعت التعرف عليها فلك جائزة.

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حاول أن تحدد صاحب هذا الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة.

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التى لم تتم لمطربة عربية اشتهرت بصفاء الصوت والأداء المتميز فى الأغنية .. حاول أن تكمل اللوحة وتتعرف على شخصية المطربة لتحصل على جائزة.

لعبة الظلال



• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى حتى يمكنك الحصول على جائزة.

هات أجمل تعليق



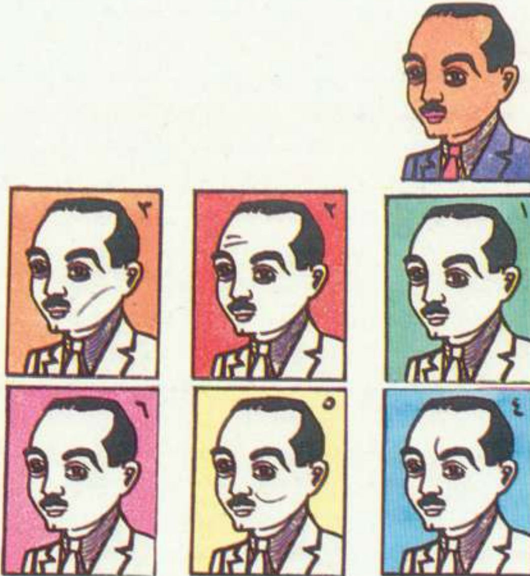
• هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة.

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. أرسل لنا هذا المثل الشعبى فى انتظارك جائزة.

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية عبد القادر المازنى ، ومن أشهر أعماله « ابراهيم الكاتب » .. ومن بين اللوحات واحدة تشبهه ، هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

صوت

بقلم: مريم آل سعد

لماذا لا يقرأون؟!

الكثير من الناس يحفظون أسماء الشعراء والكتاب وربما يعرفون شيئاً من أسرار حياتهم الشخصية ، ولكنهم لا يستطيعون البرهنة على أنهم قد قرأوا شيئاً من إنتاجهم أو آثارهم .

فالشهادة المدرسية أو الجامعية لا تبرز نسبة الثقافة التي يتمتع بها الشخص ، والقسم التخصصي لا يمكن أن يكشف عن مدى استيعاب الشخص للمراجع التي احتاج لمطالعتها أثناء إعداد بحوثه الدراسية ، إذن .. كيف يمكن خلق عادة القراءة المترسبة تحت جلود الناس وتبيان أهميتها لقيمتها ومردودها في توازن شخصياتهم ، وليس رضوخاً تحت ضغوط الدرس أو العمل ..؟

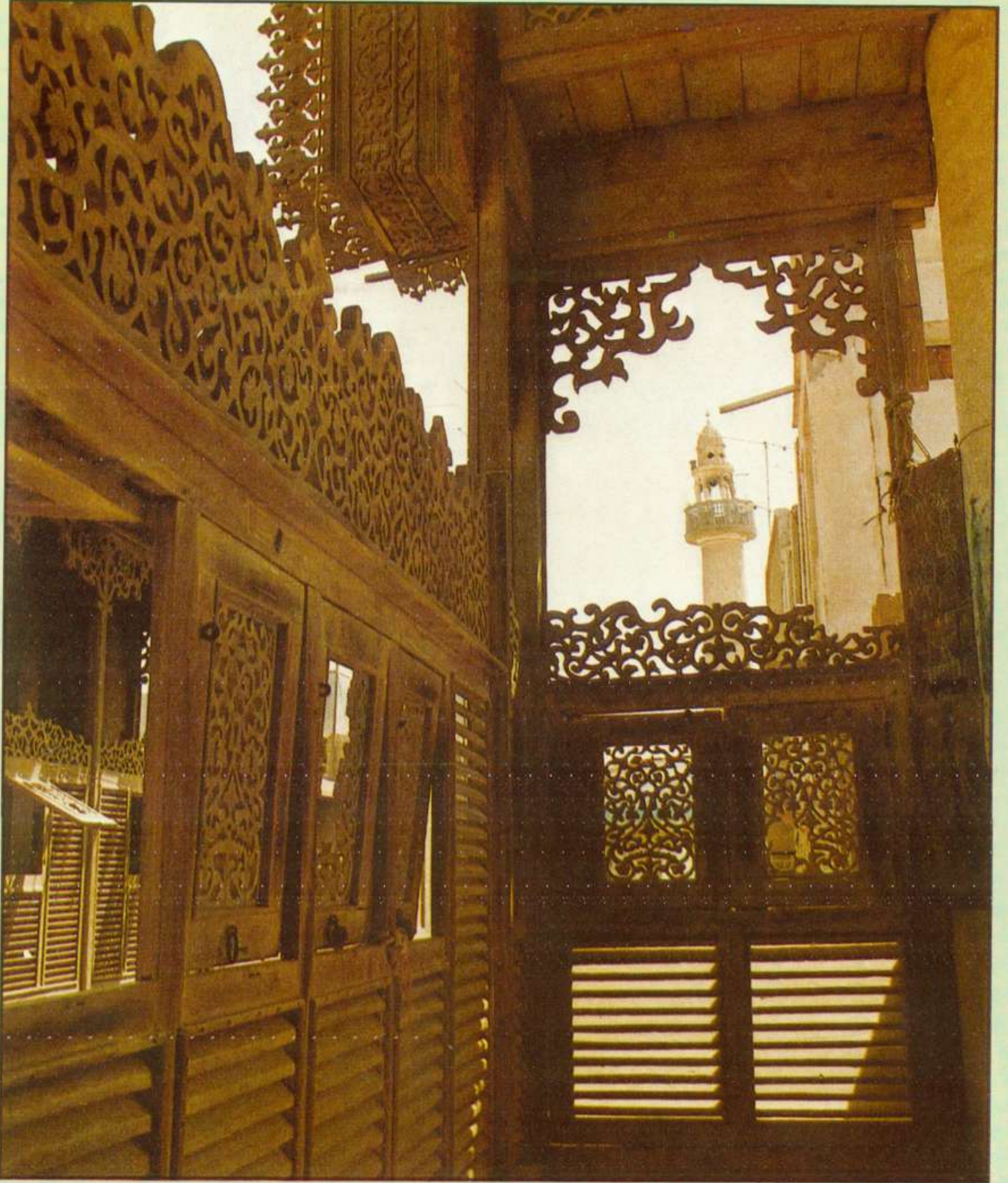
هل هي مهمة النقاد .. ؟ وهل هي دعوة لصحوة نقدية عليها أن تحمل هم التأسيس ، وإلهاب وعي الناس ، وتملك توجيههم نحو مطالعة الأعمال المؤثرة بتشويق يجذب القارئ في نفس الوقت الذي لا يغرقه برموز وطلاسم يعجز الفرد العادي عن متابعتها .. ؟ أم أن هذه المهمة تعتبر الأولى من واجبات وسائل الإعلام وخصوصاً ـ المطبوعات منها ـ التي توقفت معظمها عند مرحلة عقد اللقاءات وإجراء الحوارات مع أو عن هؤلاء المبدعين دون إكمال الرسالة ونشر إبداعهم وتعميمه وإيصاله إلى الجمهور ، ودون السعي إلى تخصيص بعض الصفحات الجادة التي تعود القارئ على متابعة الكتابات الملتزمة ، وتشركه في النقاش الفكري المطروح أو القضية المثارة .

إن انفلات المطبوعات من الدخول إلى أجواء الطرح المسئول ، وتحولها إلى مساحات ملونة تبيع التسلية أدى إلى فرز فئة من القراء لا تتواصل إلا مع كل طريف ومباشر ومسطح لدرجة أنها أصبحت لا تقوى على مواصلة قراءة مقال جاد في الصحف اليومية وتعتبره معقداً غير قابل للاستيعاب .. !

هل تغيرت قيم هذا العصر ، وأدى الانكسار الخطير الذي أصاب معنى ومضمون الثقافة بالاضافة إلى ضغوط الحياة اليومية وما ورثته من ثقافة استهلاكية ، إلى عدم ايمان الناس بجدوى تأسيس واقع ثقافي جديد يرتقي بالروح وبالناس وبالمجتمعات وبالأمم .. ومن هنا تم اختيار الوجه المرادف لهذه المرحلة فراجت تجارة الفيديو للأفلام المحنطة ، وتعددت المجلات الرخيصة المحتوى ، وكان الانتشار للكتابات السطحية ، وتأزمت بذلك ظاهرة (أمية المتعلمين) وأصبحت هناك مساحة شاسعة بين الكتاب كقيمة واتجاه وتيار وبين كتب الحظ والتنجيم وكيف تتسلى في أوقات فراغك .. !

ومهما تكن الأدوار المسئولة التي تقف وراء تأكيد هذا (القصور الثقافي) لدى الناس إلا أنها تكاد تتلاشى عندما تكون بذرة القراءة منقوشة في نفس الانسان ، وتمثل له هاجساً ملحاً يخزه بدبابيسه اللحوح إذا ما شغله أمر أبعده عنها ، ولا يفتأ يحس بنقص يملأ جوانحه حتى يتراجع عن جحوده ويلبي النداء . إن تكوين هذا الباعث الداخلي المنسوج بنسغ النفس قد لا يكون ناتجاً مباشراً للمؤسسات التي تخدم هذا الهدف بقدر ما هو تعويد الفطرة على هذا المبدأ .. فمن الغريزي أن يطلب الطفل المعرفة ، ولو نمت وترعرعت هذه الخاصية ، وتعهدها الجو التربوي ـ في البيت والمدرسة ـ الذي يحترم القراءة وينحني للاكتشاف والبحث لكان هناك الفرد الذي لا يفرق بين كونه إنساناً وبين كونه قارئاً .

إن مهمة خلق ثقافة جديدة يجب أن تَنْطَلِق من إدراك كل انسان لقيمة القراءة وضرورتها في تكوين شخصيته وأسلوب تفكيره ومن اعتقاده الجازم بجدواها كعنصر بديهي لا مجال للاختيار بين وجوده من عدمه . ثم يأتي بعد ذلك دور المؤسسات والهيئات المسئولة لتعميق هذا الايمان وترشيده وتقنينه حتى يتحرر الإنسان العربي من موروثاته التي تكبل أقدامه وتؤخر تطوره .



من التراث الإسلامي

من التراث في العمارة الاسلامية في البحرين .. ونرى بوضوح دقة زخارف الخشب الاسلامية المتأثرة بالطابع المحلى الذى كان سائداً وقتئذ.. وقد ابتكر العرب أساليب جديدة فى الحفر على الخشب منها الحفر بطريقة مائلة أو مشطوفة ، والشطف المستدير ، وإنتاج الحشوات المحفورة المتعددة الأشكال . وذلك بخلاف استخدام الخشب الخرط على النوافذ (المشربيات) أو جمع الحشوات على شكل أطباق نجمية .

وكما نعرف فقد كانت منطقة الخليج العربى ــ عموما ــ تتمتع بعصر ذهبى من الرخاء طوال فترة ازدهار العصر الاسلامى ، وكان دورها بارزاً فى نشر الاسلام . الذى استطاع الملاحون الخليجيون أن يحملوه إلى كل مكان ، بما فى ذلك ساحل أفريقيا الشرقى ..

ولذلك فإن تراث العمارة الاسلامية فى دول الخليج يمثل مجالاً رحيباً لفنون الزخارف الاسلامية التي تألقت فى عهود الازدهار .


ملامح خليجية
للفنان : سلمان المالكي

العدد ١٢٣ - جمادى الثانية ١٤٠٦هـ - مارس/آذار ١٩٨٦م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير

من أجل تفاعل بلا عُقد بين المشرق والمغرب
د. محمد جابر الأنصاري

التراث منارة تهدي وليس قيداً يعوق
د. يوسف القرضاوي

يوم الوداع
قصة جديدة
للكاتب الكبير
نجيب محفوظ

الطُغراء..
قمّة الجمال في الخطّ العربي



الاقتــراب من المــديـنــة

لحظة الوصول إلى مشارف المدينة ، حيث الاستراحة من عناء الرحلة ، والاستمتاع برؤية معالم المدينة العربية من مكان مرتفع .. وقد كان االعرب شغوفين بالتنقل من مكان لآخر بقصد التجارة أو الرياضة الذهنية أو التعرف على أنماط الحياة والعمران فى المدن الجديدة.

ومن وحي حب العرب للتنقل والرحلات كانت تلك اللوحة التى رسمها الرسام الايطالى « جوليو روساتى » (١٨٠٠ ــ ١٨٩٥) ، واستخدم فى رسمها الألوان المائية ، ويتضح فيها مدى قدرته الفنية واهتمامه بالتفاصيل.

وقد ترك هذا الفنان معظم انتاجه فى إيطاليا ، ليجد طريقه إلى المجموعات الخاصة التى اقتناها هواة جمع اللوحات الشهيرة.. كما حاول ابنه « ألبرتو » أن يصل إلى مستوى والده الفنى ، ولكن النقاد لم يهتموا بإنتاجه ، فركن إلى الظل ، وظلت لوحات أبيه ــ حتى اليوم ــ فى دائرة الضوء !

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ ـ الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازي ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازي .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد أبو ظبي ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

العدد ١٢٣ ـ جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ ـ مارس / آذار ١٩٨٦ م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هــــذا العـــــدد


١٤ عـامـا على انـطلاقـة الخيــر جزء خـاص عن ٢٢ فـبـرايـر : (ص ٨٣)


د . محمد جابر الأنصاري : من أجل تفاعل بلا عقد بين المشرق والمغرب (ص ٦)


فهمي هويدى : عريضة أتهام مغربية ضد المشارقة (ص ١٠)


مبارك بن سيف آل ثاني : حلم شـرقـي الألـوان ـ شعر (ص ١٩)

دراسات ومقالات

شؤون الخليج

أدب وفنون

● جميـع المـراسـلات ترسـل باسـم رئـيس التحريـر
● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

أبواب

المدير الفني : سلمان المالكي

كلمة



القائد الأب

في يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٢ تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم في دولة قطر ، وقد جاء هذا الحدث التاريخي بعد خمسة شهور من إعلان استقلال قطر ، وظهورها في المجال العربي والاسلامي والعالمي كدولة لها صوتها الخاص وكلمتها الواضحة ورايتها المرفوعة الخفاقة . ومنذ أن تولى الأمير المفدى مقاليد الحكم وسفينة قطر تمضي في اتجاه واضح محدد نحو التقدم ، لا تتردد أمام مشكلة ، ولا تنحني أمام عاصفة ، ولا تستعين بغير الله كلما عزمت على المسير نحو هدف من الأهداف . وخلال أربعة عشر عاما من الحكم والقيادة والمسئولية استطاع الأمير الأب أن يحقق لبلاده وشعبه ماكان بحاجة إلى مئات السنين ليتحقق بهذه القوة والكفاءة والسرعة . فقد نهض التعليم في قطر نهضة واسعة وأصبح الآلاف من أبناء قطر من خريجي الجامعات الكبرى في أوروبا وأمريكا والعالم العربي . واتسعت قاعدة التعليم الابتدائي والثانوي فشملت كل أبناء قطر وأبناء العاملين فيها على السواء . وفي مجال الصحة أقيمت أحدث مستشفى في العالم العربي وهي مستشفى حمد ، وخلال فترة قصيرة سوف يتم افتتاح الامتداد الكبير لهذه المستشفى وهو الامتداد الذي يتمثل في مستشفى الولادة التي أصبحت على وشك الانتهاء لتصبح هي الأخرى واحدة من أكبر المستشفيات وأحدثها في العالم . ان روح النهضة تضيء كل جوانب الحركة والنشاط والانتاج في دولة قطر . فالمصانع الحديثة تعمل في أم سعيد ، وحقول البترول لا تتوقف عن الحركة المدروسة ، التي تضع أمامها هدفا واحدا واضحا هو أن كل قطرة بترول تخرج من الأرض القطرية لابد أن تعود إليها وإلى أهلها بالخير والسعادة . وفوق ذلك كله يرفرف علم الأمان في البلاد ، فالعيون الساهرة التي لا تنام تمنح الأرض القطرية أعلى درجة من الأمن يمكن أن تتحقق في أي دولة حديثة . كل ذلك يتم لهذه الأرض الطيبة وشعبها الكريم برعاية الله وبالخير الذي أودعه الله في هذه الأرض ، وبالجهود التي يبذلها القائد الأب والذي يعمل بالنهار والليل على تحقيق التنمية والنهضة والعدل والرخاء في كل بيت قطري وعلى كل بقعة من بقاع هذه الأرض الكريمة ، فلا يمر يوم واحد دون أن يتحقق شيء جديد للوطن والمواطنين ، ولا يمر يوم واحد دون أن تخطو البلاد خطوة جديدة واثقة إلى الأمام .

ولا تملك مجلة « الدوحة » وهي ثمرة من الثمرات الناضجة التي تولاها برعايته واهتمامه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلا أن تدعو الله بدوام التقدم والنهضة لقطر حتى تتحقق كل الآمال الكبيرة التي يضعها الشعب القطري أمامه ويسعى إلى الوصول إليها في ظل رعاية القائد الأب الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى وولي عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

فليبارك الله في قطر وشعبها .

وليبارك الله لهذه الأرض الطيبة ، ولكل ما أودعه في باطنها من أسرار الرخاء والتقدم .

وليبارك لنا جميعنا في قائد المسيرة الأب العادل الرحيم وولي عهده الأمين .

« الدوحة »

المشكلة من وجهة نظر خليجية

من أجل تفاعل بلا عقد بين المشرق والمغرب

مراكز الثقافة.. أهملت أريافها في مشرق ومغرب!

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب وهي مشرق المشرق!
عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية؟!
لنبدأ ـ إذن ـ في تفكيك هذه العقدة.. سواء كانت عند المشارقة.. حقيقة واقعة.. أو كانت عند المغاربة تصوراً ذهنياً ونفسياً.. أو كانت خيوطها متشابكة متداخلة هنا وهناك.

وفي تصوري، أنّ الانطلاق في مقاربة الموضوع وملامسته من وجهة نظر كاتب في الجزيرة العربية والخليج، يخرج المسألة ـ بعض الشيء ربما ـ من طابع المواجهة الحدية.. ذلك أن الأخوة في المغرب العربي ينصب عتبهم، أكثر ماينصب، على لامبالاة أشقائهم في المشرق المركزي الأوسط، أي في مصر وبلاد الشام ـ بمعناها التاريخي ـ وربما العراق..

ونحن هنا في منطقة الجزيرة والخليج العربي، لنا عتبنا أيضاً على أشقائنا مثقفي المشرق الأوسط، خاصة في بيروت والقاهرة.. فنحن هنا أيضاً ـ في مشرق المشرق! بقيت ثقافتنا وأدبنا وأدباؤنا وأمور بلادنا عموماً في حكم الإغفال، أو عدم الإلمام على الأقل لدى أكثر الأوساط الثقافية البيروتية والقاهرية المنشغلة بنفسها وبأضوائها وبنجومها وبتوجهاتها الأوربية وسفراتها الغربية.. وبتأنقها العصري، ومسلكها المتفرنج شبه الأرستقراطي.. وذلك منذ بدايات هذا القرن حتى الستينات عندما أصبح بترول الجزيرة والخليج له رائحة تحرك قرائح أهل الأدب والصحافة والاعلام.. الخ!

وهذ لايقلل طبعاً من جهد الأشقاء العرب في لبنان ومصر ـ أو على وجه التحديد في بيروت والقاهرة، فالحديث ينصب هنا على عواصم التأليف والنشر وليس على تلك البلاد كلها لأن أطرافها الريفية وجهاتها القروية ظلت تشكو الاهمال هي ذاتها كما نشكو نحن ويشكو أهل المغرب ـ نقول هذا لايقلل من جهد الرواد من أدباء بيروت والقاهرة الذين اهتموا بمناطقنا العربية في مشرق ومغرب، بدافع عروبتهم وإسلامهم وحبهم لحقيقة البحث والعلم، عندما كانت الأهمية الوحيدة لمناطقنا كونها جزءاً من وطن العرب الكبير، لاأكثر.. وأمثال هؤلاء الأشقاء الرواد مازال لهم نظراء الى اليوم ممن يهتمون بمنطقة الخليج العربي والجزيرة العربية بدافع الالتزام العربي، قبل كل شيء.. وبدافع الرغبة في التواصل الثقافي والفكرى والشعوري، لكن الظاهرة العامة تبقى كما أشرنا من حيث الاغفال العام لشئون المشرق في الجزيرة

والخليج، وشئون المغرب في الوقت ذاته، من جانب الأوساط الأدبية والصحفية بعامة في العواصم الكبرى ببلاد المشرق الأوسط، أو المشرق المتوسطي، أي المطل على شرق البحر الأبيض المتوسط، كبيروت والقاهرة، والى حدٍّما دمشق وبغداد.. هكذا ليرى الأخوة في المغرب أن «عقدة التفوق المشرقية» –إذا صح التعبير– يعاني منها مشرق المشرق وأصل المشرق التاريخي!، مثلما عانوا منها هم، وهذا يستدعي في واقع الأمر إعادة صياغة مصطلح المشكلة بتعبير آخر، غير (عقدة التفوق المشرقية ضد الثقافة المغربية) الذي يبدو لي أنه مجرد تبسيط مكاني وجغرافي، ومن وجهة واحدة فقط، لمشكلة أكبر ومن نوع آخر وطبيعة مغايرة.

فما رأى أخوتنا المغاربة، أن نقوم نحن (أي مشارقة الجزيرة والخليج في مشرق المشرق)، وهم في المغرب العربي –معاً– «بتصفية حساب» ثقافي تاريخي مع أولئك الإخوة «الأفندية» من المثقفين البيارتة والقاهريين، والى حدٍّما وبمسئولية أقل، الدمشقيين والبغداديين، الذين انشغلوا بأضواء مدنهم في العشرينات والثلاثينات والأربعينات من هذا القرن، وكان همهم «ليالي الأنس في ڤينا»، قبل ليالي البؤس.. والمعاناة والعزلة في أطرافنا البعيدة عن أضواء المراكز والعواصم السباقة للتمدين اللماع؟!!

ريف ثقافي

وحتى أضع المشكلة في إطارها المباشر والكلي والصريح فاني أتصور أن العالم العربي في تلك الحقبة من السنين كان بمثابة ريف ثقافي واسع قاحل يتوجه نحو «سوقين» من أسواق تصريف الانتاج الثقافي وتوصيله ونشره والتعريف بشأنه.. وهما بيروت والقاهرة– كمركزي تأليف وطباعة ونشر.. وحرية فكرية أيضاً– فمن استطاع الوصول الى أحد المركزين من أدباء الريف المغربي أو المشرقي، أو من أدباء الريف المصري والريف اللبناني الشامي


ابراهيم العريض

● في العشرينات والثلاثينات ماكان ممكناً لصحف القاهرة أن تصل إلى موانئ الخليج إلا عن طريق حكومة الهند الشرقية البريطانية في بومبي!

ذاتهما، تمكن من التعريف بنفسه، ونشر انتاجه، وتطوير مستواه الثقافي أيضاً.. ومن لم يستطع – لظروف العزلة أو الاستعمار أو التخلف أو الفقر أو القمع – فإنه يبقى في الظل والعتمة، أو في دائرة ضيقة جداً من الضوء في بلده – إلى أن يصاب بالاعياء، فيلجأ الى الصمت، أو ينتهي بما هو أسوأ من الصمت.

وفي جانب آخر، يكفي أن نشير الى أن صحف القاهرة ماكان ممكناً أن تصل الى موانيء الخليج في العشرينات والثلاثينات، إلا إذا مرت عن طريق حكومة الهند الشرقية البريطانية في ميناء بومبي الهندي، ونالت الموافقة –(حتى مجلة العروة الوثقى للأفغاني ومحمد عبده كان يجب أن تسافر براً وبحراً من باريس الى بومبي قبل أن تصل البحرين والكويت ودبي والشارقة) –كما أشار الى ذلك المؤرخ الأدبي البحريني مبارك الخاطر في تأريخه للثقافة في الخليج مطلع القرن.. وعلى الجانب الآخر يشير د. عبد الملك مرتاض في كتابة «الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق»، الى الجدار الحديدي الفولاذي الذي أقامه الاستعمار حول الجزائر، والى الكيفية التي كانت السلطات الفرنسية تعامل بها الصحف العربية المشرقية المرسلة للجزائر وجاراتها المغربيات.

حصار من استعمار وتخلف

وهذه حقيقة لابد أن نأخذها بعين الاعتبار لدى معاتبتنا لاخوتنا مثقفي العواصم العربية المشرقية الكبرى، لأنهم بقدر ماكانوا مبتعدين عنا ومنجذبين لأضوائهم وأضواء الغرب، كان الاستعمار والتخلف، من ناحية أخرى، يشدان الحصار حول أطرافنا العربية في المغرب والمشرق القصي، وكان يستحيل على أي أديب أو صحفي عربي زيارة أي بلد في المشرق أو المغرب بلا مباركة المعتمد البريطاني، أو المفوض الفرنسي هنا أو هناك.. وإن كان هذا الاعتبار– بطبيعة الحال – لايلغي عنهم المسئولية كلها، ولا يرفع العتب كله، فكم من

من أجل تفاعل بلا عقد بين المشرق والمغرب

أديب وصحفي ورحالة من أوربا وأمريكا دخلوا أقطاراً شرقية ومغربية وجاسوا خلالها، وتوغلوا في عمقها الاستراتيجي، ومروا بممراتها الضيقة الخطرة، ووصلوا إلى أحصن قلاعها ومراكزها ومؤسساتها.. وكتبوا بعد ذلك كله باسهاب وتدقيق، دون أن تكون لديهم أية (فيزا) من معتمد أو مفوض أو قنصل..

بل إن المفوضين والقناصل كانوا يعتمدون على تقاريرهم فيما بعد، ويعدونهم عيوناً لصالح دولهم في تلك البلدان. وربما كان مجيء أمين الريحاني الى الجزيرة والخليج في الثلاثينات استثناء عربياً لذلك، غير أن هذه الرحلة والمعلومات التي نتجت عنها، ماكانت ممكنة، لولا أن استعان الريحاني بأصدقاء أمريكيين وبريطانيين كثيرين، وكان يحمل جواز سفر أمريكياً، لاتستطيع السلطات البريطانية رفضه، وإن كان القناصل البريطانيون لم يقصّروا في «نصح» الريحاني بعدم الإيغال في الجزيرة واليمن، حيث أن القبائل في الداخل – حسب زعمهم – كانت «ستذبحه» لو اكتشفت أنه (نصراني).. حسبما كشف لنا الريحاني نفسه في كتابه القيم (ملوك العرب).. بلهجة تهكم قارصة لأولئك القناصل!

وأياً كان الأمر، فإن العالم العربي – مشرقاً ومغرباً – قد عاش لحقبة من الزمن بمثابة ريف ثقافي لاتوجد به إلا عاصمتان ثقافيتان هما بيروت والقاهرة، تتبعهما مدينتان أخريان هما دمشق وبغداد. وحتى أدباء هاتين المدينتين ماكان متيسراً لهم نيل الشهرة الكاملة في العالم العربي والحصول على «التعميد» أو الاعتراف الثقافي الأكيد إلا بعد وصولهم واستقرارهم في القاهرة أو بيروت.

القاهرة وبيروت

فأنا أعتقد على سبيل المثال لو أن الشاعرين العراقيين الزهاوي والرصافي قد عاشا في ذلك الوقت بصفة دائمة في القاهرة أو بيروت لكانت لهما شهرة أعظم مما تيسر لهما. فالاثنان لايقلان شاعرية عن حافظ ابراهيم إن لم يتجاوزاه عمقاً وقوة. لكن حافظاً وجد في أضواء القاهرة معيناً كبيراً لشاعريته على امتداد العالم العربي، ودخلت أشعاره حتى في الكتب المدرسية المقررة للمرحلة الابتدائية ووصلتنا الى هنا في البحرين والدوحة والكويت والشارقة، في حين لم نسمع بعد بالزهاوي أو الرصافي، الأقرب مسافة جغرافية إلينا، لأن الصحف المصرية، والكتب المدرسية المصرية هي التي كانت تقرأ وتدرس لا في الخليج فحسب، وإنما في بغداد والعراق أيضاً. وهذا ما استفاد منه جبران وميخائيل نعيمه والريحاني عن طريق المجلات والصحف اللبنانية والكتب الدراسية والكتب العامة القادمة من بيروت الى بلاد عربية عدة، فدخل أدبهم، قبل أدب زملائهم العرب الآخرين، في وعي الأجيال العربية الجديدة، وأصبحوا تراثاً أدبياً مؤسساً وثابتاً بسبب هذا السبق في الايصال، وإن كان ذلك لايقلل بطبيعة الحال من القيمة الذاتية لأدبهم، لكنها قيمة ماكانت ستظهر وتعرف لو لم تكن بيروت قادرة على النشر والتأثير، والدليل على ذلك أن إخوانهم الشعراء المهجريين السوريين، من الداخل السوري، لم تتيسر لهم الشهرة ذاتها رغم مشاركتهم لهم في حركة أدبية واحدة، هي الحركة الرومانسية السورية اللبنانية من مقيمة ومهاجرة.

ولا أظننا مبالغين إذا افترضنا أن الشاعر الشهير نزار قباني ماكانت ستحقق له هذه الشهرة الذائعة الواسعة في العالم العربي من مشرق ومغرب، لو لم يغادر حيه الدمشقي العتيق، ويأت الى بيروت، ويقم بها ويفتح دار نشر تحمل اسمه فيها، ويتواصل من خلالها، ومن خلال صحفها ودورها وجسورها، مع مشرق ومغرب. ومرة أخرى هذا لايقلل على الاطلاق من شاعرية نزار في حد ذاتها، لكن شعر نزار مع أجواء بيروت ونكهتها المتميّزة، تحوّل إلى سحر كيميائي، وتفاعلات كيميائية شعورية، على امتداد المختبر العربي الجماهيري، بحيث لو استبعدنا بيروت من معادلة نزار الكيميائية، لكان الحاصل على الأرجح شيئاً مختلفاً ومغايراً تماماً!

أم ترانا نتصور أن الكاتب علي أحمد باكثير كان سيعرفه العالم العربي ويتنبه إلى موهبته ومشاعره العربية الاسلامية، لو لم يستوطن القاهرة، ويطبع كتبه في دورها، كدار المعارف وغيرها؟ وهل كان من الممكن أن تصلنا كلمته من موطنه الحضرمي أو مهجره

● ثقافتنا العربية الحديثة لم تصل بعد إلى مستوى الثقافة العالمية العلمية التي تتصف بالإحاطة والشمول في تغطية المساحات الجغرافية المختلفة

الأندونيسى ... قبل أن تطيب له الإقامة ويحلو له العيش فى قاهرة المعز المتلألئة المشعة.

ثم ألا تعتقدون معي أن ابراهيم العريض. شاعر البحرين الكبير، لو كان شاعراً قاهرياً أو بيروتياً، مولداً أو إقامة، لنال من الشهرة العريضة والسريعة في عالمنا العربي ما ناله قبله حافظ ابراهيم أو خليل مطران أو محمود حسن اسماعيل؟ وهل كنتم ستعلمون أن فى البحرين شاعراً كبيراً، اسمه ابراهيم العريض، لو لم يفتح عليكم نوافذ بيروتية أو قاهرية، كمجلة العروبة للحوماني ومجلة الأديب والآداب ببيروت، ومجلة الرسالة بالقاهرة؟!

هذا فقط للتذكير والتدليل ببعض الأمثلة، ودعونا لا نجركم إلى دواخل اليمن وعمان. والى ذخائر اليمن وعمان، وإبداعات اليمن وعمان التي ظلت مجهولة ومغمورة الى يومنا هذا لأنه لم تتوفر لها الوسيلة أو الحيلة التى توصلها إلى مسارح الأضواء ومنابر النشر والصيت الذائع في بيروت أو القاهرة، إلا ماندر أو توفرت له الصدفة المحض.

عتاب مشرقى مغربي

أتينا بكل هذه الأمثلة المشرقية.. لنبيّن ونوضّح للإخوة المغاربة الجانب الآخر من الصورة، والبعد الثاني لها.. فهاهنا نتاجات مشرقية.. في أصل المشرق.. في مشرق المشرق، ظلت بعيدة عن دائرة الضوء، مغمورة مهملة، أو محاطة بالغموض والعرض المخل المبتسر في أحسن الأحوال، لأنها تقع — مثلما وقعت ثقافاتكم ونتاجاتكم المغربية — في طرف من الصورة، في جانب قصي معزول عنها حينئذ، ولم يتح لها الاقتراب، باعتبارها جانباً من الريف الثقافي، من العاصمتين الثقافيتين العتيدتين.. اللتين نعاتبهما — مشرقاً ومغرباً — لكنا لن ننكر جهدهما وجهادهما في الأمس واليوم والغد المأمول المشترك إن شاء الله.. لكنها حقيقة نراها متعلقة بسسيولوجية الثقافة العربية


نزار قباني

● هل كان نزار ليُحقّق شهرته الذائعة الواسعة لَوْلَمْ يتواصل من خلال صحف ودور نشر بيروت مع المشرق والمغرب؟

الحديثة أردنا بسطها من جانبنا المشرقي القصي، أيضاً، هنا في الجزيرة والخليج واليمن وعمان؛ في مجال محاولتنا المتواضعة هذه، تفكيك (عقدة الاستعلاء المشرقي تجاه المغرب)، كما تنطرح لدى أشقائنا المغاربة، لنشير الى أن ماحدث من إغفال وإهمال مرجعه ذلك الوضع العربي العام بين مشرق ومغرب، وأنه ليس مقصوداً أو موجهاً تجاه المغرب بالذات كمغرب في حد ذاته. أضف إلى ذلك أن ثقافتنا العربية الحديثة، حتى في مراكزها المتقدمة المركزية الوسيطة، لم تصل بعد إلى مستوى الثقافة العالمية العلمية التي تتصف بالإحاطة والشمول والدقة في تغطية المساحات الجغرافية المختلفة من قصية نائية أو قريبة سهلة المتناول، إذ ماتزال تظهر كتب ودراسات في عاصمة القطر العربي المعني ذاته، ومع ذلك تجدها تفتقر إلى المعلومية والدقة والنفاذ بالنسبة لشؤون ذلك القطر الصادرة به؛ فما بالك بأقطار عربية أخرى في مغرب أقصى أو مشرق أبعد؟!

هذه — إذن — حقيقة أرجو أن يأخذها إخواننا المثقفون والباحثون في المغرب الكبير، بعين الاعتبار، عندما يتناولون مشكلة الإغفال والإهمال لشؤونهم في منابر عواصم الوسط العربي المحسوبة في بوصلتهم الجغرافية مشرقاً.. !.

أما نحن، في الجزيرة والخليج وعمان واليمن، فهذه الأقطار العربية المركزية في الوسط تبدو في بوصلتنا مغرباً..! لوقوعها بطبيعة الحال إلى الغرب منا.. وهكذا فنحن من حقنا — إذن — أن نتحدث عن «عقدة» استعلاء مغربية تجاه مشرقنا القصي!.. وتعالوا حلّوها لنا..! وما ذلك.. كذلك. ونرجو أن نكون قد سللنا خيطاً واحداً متداخلاً فى «العقدة».. وللحديث صلة لنتأمل في بقية الخيوط.

محمد جابر الأنصاري

البحرين

عريضة اتهام مغربية ضد المشارقة

الدعوة التى أطلقتها مجلة «الدوحة» فى عدد أول يناير ٨٦، بعنوان «مطلوب من المشارقة إعادة اكتشاف المغرب ثقافياً» فى مقال الدكتور محمد جابر الأنصارى، جديرة بأن تؤخذ مأخذ الجد، ليس فقط فيما يتعلق بالواقع الثقافى الراهن، ولكن أيضا بالنسبة للتاريخ الذى مضى وانقضى.

بقلم: فهمي هويدي

يبدو أن ثمة قدرا من المرارة لا نعرف مداه، يستشعره أخواننا المغاربة تجاه المشارقة بشكل عام. وقد كنا نسمع «ملاحظات» فى ذلك الاتجاه من جانب بعض المثقفين المغاربة، الذين نلتقي بهم فى مختلف المناسبات الثقافية. غير أننى واحد ممن لم يدركوا خلفيات تلك الملاحظات، ومدى عمقها، إلا بعد أن اطلعت على كتاب اقتنيته من الجزائر، عنوانه «الجدل الثقافى بين المغرب والمشرق»، للدكتور عبدالملك مرتاض، الأستاذ بجامعة وهران.

وقد لا نبالغ كثيرا إذا قلنا ان هذا الكتاب الذى لا تزيد صفحاته على ١٤٠ هو بمثابة عريضة اتهام للمشارقة، تدعونا بصوت عال، لأن نراجع موقفنا ومعلوماتنا عن المغرب والمغاربة.

فنحن نقرأ فى صدر الكتاب، الذى صدر عن دار الحداثة في بيروت، عام ١٩٨٢، قول مؤلفه: لقد طال عتاب المغاربة للمشارقة دون أن يجدي عتابهم هذا فتيلا، فيلفت المشارقة إليهم لفتة حادة. ويجعلهم يعنون بهم وبآثارهم على نحو ما هم أهل له. فبقدر ما كان المغاربة ينحون باللوائم على المشارقة، ويضجون من مواقفهم منهم بمر الشكوى، كان المشارقة لا يزدادون إلا عزوفا عنهم وتجاهلا لهم. وزهوا فى كتاباتهم، ورغبة عما يجرى بين ظهرانيهم فكانت كتاباتهم حين يكتبون — وما أقل ذلك — مقتضبة خجولة، تتسم بالأخطاء التاريخية والجغرافية، فى الوقت الذى كان المغاربة يعرفون فيه عن المشرق العربى كل شيء، رجاله وتاريخه وأدبه وفنونه.

وهذا المعنى — ينبهنا المؤلف — أشار اليه الأديب الجزائرى فرحات الدراجى فى مقال شهير له، نشر عام ١٩٣٧، بعنوان «كلمة عتاب إلى اخواننا الشرقيين»، نعى عليهم فيه أنهم لا يعنون بالمغرب وشئونه، أدباً وجغرافية وتاريخا. مما كان يجعل كتاباتهم هذه محشوة بالأخطاء والزلات. ومما لاحظه الكاتب الجزائرى فى مقاله: أن إعراض اخواننا الشرقيين عنا، أفضى بهم الى الجهل بنا، وببلادنا جهلا مطبقا. فإنك قلما تجد لهم كتاباً فى الجغرافيا أو التاريخ، وتجده سالما من الأخطاء الواضحة فى الأسماء والبلدان».

وذكر المؤلف أن أديبا جزائريا، هو أبو يعلي الزواوى، ذهب إلى المشرق أثناء الحرب الأولى، وشارك فى تحرير صحفه، ثم عاد إلى الجزائر ونشر فى مجلة «الشهاب» مقالا بعنوان: «اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا!»، هاجم فيه المغاربة عامة، والجزائريين خاصة، على تقصيرهم فى حق أنفسهم، وعدم التعريف بما لديهم، بدل الانتظار من المشارقة أن يفعلوا ذلك. وقرر أن



● إن تأثير مالك بن نبي في المشرق يفوق بكثير تأثير أي كاتب أو مفكر جزائري أو مغربي ظهر في العصر الحديث

المشارقة أنفسهم لن يسرهم هذا الموقف « المتخاذل » الذى كان الأدباء الجزائريون يقفونه من أنفسهم ، ومن أدبهم . ونقل عن الزواوي قوله : « لقد أسرفنا أخيرا فى الاقبال على كل ما يرد علينا من طريق الشرق اسرافا أفقدنا الثقة بأنفسنا . فكل ما يلفظه بريد الشرقيات ينال لدينا كل الاعجاب والتقدير . وان كان لا يحمل الينا بعض الأحيان الا شرورا ومفاسدا وسموما . أما ما يظهر لدينا ، وينبت فى حقلنا ، فلا يستحق شيئا من ذلك . وما ذنبه إلا ظهوره في ربوعنا ، لا في ربوع الشرق » .

وقائع طواها النسيان

ويبدو أن الذاكرة المغربية مازالت تعى وقائع طواها النسيان عندنا فى المشرق ، وهم يعززون بها مختلف اتهاماتهم للمشارقة ، وقد سجل الكتاب جانبا من تلك الوقائع ، التى من بينها :

● ما كتبه الشاعر أحمد شوقى عن الجزائر ، بعد زيارة لها فى بداية القرن الحالى ، حيث قصدها للاستشفاء ومكث بها أربعين يوما . وكان مما قاله « .. ولا عيب فيها (الجزائر) سوى أنها قد مسخت مسخا . فقد عهدت مساح الأحذية فيها يستنكف النطق بالعربية . وإذا خاطبته بها ، لا يجيبك إلا بالفرنسوية » .

فقد أثارت تلك الكلمات استياء الجزائريين ، ومازالت ، حتى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس فقيه الجزائر الكبير ، رد على مقولة شوقى فى خطبة ألقاها بمناسبة احياء ذكرى وفاته فى ٢٧ شوال ١٣٥١ هـ ، وقال أمام حشد من الناس اجتمع بنادى الترقى فى العاصمة الجزائرية « .. فاعجبوا للاستدلال على حال أمة بمساح الأحذية .. ألا ان فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا ، لكان له فى الجزائر رأى آخر .. ولعلم أن الأمة التى أنجبتها العرب لا تستطيع ، ولن تستطيع أن تمسخها الأيام ، ونوائب الأيام » .

● ما نشره الكاتب المصرى سلامة موسى فى عام ١٩٣٠ ، بعد زيارة قام بها للجزائر ، عاد بعدها يقول : « اننا لا نجد فى الجزائر أية حركة وطنية . بينما نجد فى الهند حركة وطنية هى غاية فى القوة . وذلك لأن الفرنسيين قتلوا الروح الوطنية فى الجزائر بمقاومة اللغة ! » .. ومما قاله سلامة موسى فى مقاله أيضا إنه « ليس بالجزائر أية نهضة ، ليس فيها نهضة للاستقلال ، أو لاحياء القومية ، أو أى نهضة أخرى ثقافية .. فالشباب المتعلم هناك واحد من اثنين ، فهو إما فرنسى اللغة والثقافة لا يعرف من العربية غير الألفاظ التى يتكلم بها فى البيت .. وإما عربى اللغة والثقافة

قد تعلم في معهد يشبه المعاهد الدينية عندنا . يقرأ الكتب القديمة ، ولا يتصل بالحضارة الحديثة بأي نسب .. وهو يعيش في انزواء عن العالم الحاضر . يؤمن بحجاب المرأة ، ويقاطع كل شيء أوروبي ، فيبقى مهزوما طول حياته » .

ومؤلف الكتاب يعبر عن دهشته وبالغ سخطه وانكاره لكلام سلامه موسى . وهو يسوق عديدا من الشواهد التي يدلل بها عن فساد رأي الكاتب المصري ، حتى يتهمه بسوء النية و« التشفي » في الجزائر ومثقفيها .

• يلتقط المؤلف أخطاء لبعض المشارقة في كتابة أسماء المدن الكبرى في الجزائر ، حتى يصف تلك الأخطاء بأنها « من مظاهر العجمة » فيذكر أن بعض الجغرافيين المشارقة كتبوا وهران على أنها آوران ، وقسنطينه ، قسنطين . مع أن الكلمتين ذكرتا في الموسوعات العربية القديمة باسميهما العربيين الحقيقيين ، كما فعل ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان . حتى تساءل المؤلف دهشا : كيف يعنى المشارقة القدامى بنا ، أفضل مما يعنى أخواننا المعاصرون لنا ؟ !

• أخذ الأديب فرحات الدراجي على صحافة المشرق أنها لما أهديت سجل جمعية العلماء الجزائريين في سنة ١٩٣٥ وهو وثيقة لها قيمة ثقافية ونضالية كبيرة — فإن هذه الصحف لم تلتفت إليه . « ولم تتفضل عليه بكتابة كلمة ، اللهم إلا كلمة هزيلة جادت بها مجلة السياسة الأسبوعية » .

وفي مقاله « كلمة عتاب إلى اخواننا الشرقيين » ، انتقد الدراجي موقف مجلة الرسالة وصاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات ، لأنها تجاهلت السجل .. ونعى عليه أنه كان يعنى « بالكتابة عن راقصات أوروبا ، ويفتح صدر رسالته الى الكتابة عن كلب العقاد ، وسنُّور المازني » !

ظاهرة عدوانية ؟!

بعد سرد أمثال تلك الوقائع ، يقول المؤلف ان تجاهل المشارقة للمغرب ، استمر حتى بعد استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢ ، واستدل على ذلك بشواهد أخرى منها :

• ما ذكرته « الموسوعة الميسرة » ، التي صدرت بالقاهرة سنة ١٩٦٥ ، وتعرضت فيه للصحافة الجزائرية ، فلم تكتب سوى ستة أسطر فقط ، « والأسوأ من ذلك والأقبح — يقول المؤلف — أن حضرة كاتب السطور الستة كان يجهل في الحقيقة كل شيء في هذه الصحافة » . إذ أشار إلى مجلتين احداها أصدرها الجيش الاستعماري الفرنسي ، والأخرى لم يسمع بها أحد من الجزائريين . في حين ذكر أن جريدة المجاهد الناطقة باسم الدولة والحزب — تطبع في تونس — وكان مجموع المطبوعات الصحفية التي تضمنتها « الفقرة » ، سبعا فقط ، بينما صدرت في الجزائر خلال الفترة ما بين ١٩١٣ و١٩٥٦ ، حوالي خمسين صحيفة ومجلة باللغة العربية وحدها ، وعلق مؤلف الكتاب على ذلك بقوله : « وإننا لا ندري أهي حملة مقصودة ، أم هو جهل على الحقيقة ، وكلا الأمرين مرفوض » ؟!

• « مثل هذه الظاهرة العدوانية » — يضيف المؤلف — تكررت تارة أخرى في « معجم المعارف » للويس معلوف وأصحابه . فقد خصص المعجم حيزا للحديث عن الصحافة العربية ، وأفاض في التفصيل عن صحافة المشرق ، بينما لم يذكر صحيفة واحدة من الجزائر ، وإن اشار إلى صحف قليلة في بلدان المغرب العربي . في حين أن الجزائر عرفت في القرن الأخير ٩٠ دورية .

• كذلك فعل الأستاذ أحمد أمين في مؤلفه « زعماء الاصلاح » فلم يذكر أحدا من الجزائريين ، بل إن كتاب الأغاني حين يشيرون إلى الدول العربية ، فإنهم يسقطون اسم الجزائر ، فضلا عن أن الكتاب المشارقة إذا ما تعرضوا للأدب العربي المعاصر ، فإنهم يعنون لبنان وسوريا ومصر ، دون أية اشارة إلى المغرب .

• أما الدكتور طه حسين ، فإنه لم يشر إلى الأدب الجزائري إلا مرة واحدة ، عندما أهداه مولود معمري روايته « الوجوه المنسية » . وفي حين قال الدكتور طه حسين في تقديمه للرواية إن العناية باللغة العربية لا تكاد تذكر في الجزائر ، فإن أول رواية عربية جزائرية كانت قد صدرت (غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو ، كما كانت محاولات قصصية ومسرحية كثيرة تروج في سوق الأدب الجزائري . وفضلا عن ذلك فان طه حسين عندما تحدث عن الكاتب الفرنسي البير كامي ، فإنه قال كلاما يفهم منه أنه كان جزائريا « وغلبت عليه الفرنسية » .


طه حسين

يعقب مؤلف الكتاب على مجمل تلك الوقائع بقوله إنه « يمكن لهذا العتاب أن تطول أذياله وتتعدد أشكاله .. ولكن لا يفضي إلا إلى شيء واحد ، لا ثاني له ، هو اهمال المشارقة لنا ولأدبنا ، من حيث يشعرون ، أو من حيث لا يشعرون » ، ثم أضاف إنه سئل في حديث صحفي : ما علّة عزوف المشارقة عن أدب المغاربة ؟ .. فأجاب « إن ذلك يعود إلى مركز العلو لدى المشارقة ، ومركب النقص لدى المغاربة ، من حيث يجب أن تزول هذه النظرة » .

من محمد عبده الى الشوا

لا يغفل المؤلف الزيارات التي تمت بين المشرق والمغرب ، على الصعيد الثقافي . فهو يذكر رحلة الامام محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة في سنة ١٩٠٣ ، والصدى الكبير الذي أحدثته زيارته ، اضافة إلى كتاباته في المنار والعروة الوثقى ، التي كانت لها مكانتها بين مثقفي المغرب حتى أن الشيخ البشير الابراهيمي اعتبر أحاديث الأستاذ الامام من العوامل الكبرى التي أسهمت في قيام الحركة الاصلاحية بالجزائر .

وهو يتحدث عن الحماس والترحيب الذي قوبلت به زيارة فرقة جورج أبيض — المصرية — للجزائر في عام ١٩٢١ . حيث قدمت مسرحيتين باللغة الفصحى (شهامة العرب — وصلاح الدين الأيوبي) . وتولى الأمير خالد ، حفيد الأمير عبد القادر ، الدعاية بنفسه لعرض ثالث قدمته الفرقة بالعاصمة بعنوان مجنون ليلى ، حتى أنه قام ببيع ٧٠٠ تذكرة لصالح الفرقة . وأفضت تلك الزيارة إلى تكوين أول فرقة تمثيل في تاريخ المسرح الجزائري ، عرفت باسم (جمعية الآداب والتمثيل العربي) .

في العام ذاته — ١٩٢٢ — زارت الجزائر « فرقة عز الدين » المسرحية المصرية ، التي حققت نجاحا ، واستقبلت بحرارة بالغة ، خاصة وأن عروضها كانت مطعمة بالأغاني والمواويل الشرقية ، التي لقيت استحسانا وإقبالا من الجزائريين .

مر المؤلف سريعا على زيارة الشاعر أحمد شوقي التي قال عنها إنها لم تؤت أكلاً طيباً .

ثم أشار إلى زيارة قامت بها الفنانة المصرية فاطمة رشدى سنة ١٩٣٢ ، كانت خلالها موضع حفاوة الجزائريين .

فى العام ذاته (١٩٣٢) زار الجزائر سامى الشوا ، الموسيقار المصرى المعروف ، الذى لقى بدوره استقبالا حافلا ، إذ اقام له الأدباء الجزائريون احتفالا كبيرا . وكان ممن تحدث فيه أحمد توفيق المدنى ــ المؤرخ المعروف ــ حيث دعاه إلى أن يتعرف بموضوعية على المجتمع الجزائرى . مؤكدا أن الجزائريين لا يزالون محافظين على قوميتهم وكرامتهم وعربيتهم ، على نقيض ما كان يتهمهم به المشارقة (مشيرا إلى ما كتبه سلامة موسى) كما تحدث فى الحفل الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الأمين العمودى ، الذى قال إن تكريم الفن العربى ، إنما هو اسهام فى احياء الأمة العربية .

ويبدو أن الفنان المصرى يوسف وهبى قام بعدة زيارات للجزائر فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات غير أن المؤلف توفرت له مادة جيدة عن زيارة له فى سنة ١٩٥٠ ، على رأس فرقته التى ضمت حوالى ٤٠ شخصا ، وكان يساعده الفنان زكى طليمات . وقد وصف صدى تلك الزيارة بقوله إن استقبالات يوسف وهبى « جاوزت الطور الذى يمكن أن تستقبل به فرقة مسرحية ضيف ، إلى إقامة الاحتفالات الضخمة التى تشبه احتفالات الاعياد » .

وقد كان فريد الاطرش ، ابرز فنان عربى زار الجزائر بعد يوسف وهبى . غير أن أهم زيارة تمت للجزائر فى سنة ١٩٥٠ ، قام بها وفد صحفى مصرى مكون من ١١ شخصا ، كان فى مقدمتهم عزيز ميرزا رئيس تحرير الاهرام ، وحبيب جاماتى عن الهلال ، وانطون نجيب رئيس تحرير « المقطم » ، والدكتور عبد الحميد يونس الذى كان ممثلا لكلية الآداب جامعة القاهرة (فؤاد الأول وقتذاك) . وكان لتلك الرحلة أثرها البعيد ، فى أوساط الحركة الوطنية بقدر ما كان لها أثرها السلبى على صعيد السلطة الاستعمارية الحاكمة .

لماذا تجاهل بن نبي ؟

من ناحية أخرى ، فإن المؤلف رصد أهم رحلات قامت بها الشخصيات الجزائرية الى المشرق من بداية القرن ، وحتى الاستقلال ، وركز على طمس شخصيات هى :

• الشيخ حمدان الونيسى المعلم والفقيه ، وأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الذى هاجر إلى الحجاز ، احتجاجا على السياسة الاستعمارية بالجزائر ، وبقى فيها إلى أن توفاه الله .

• الشيخ عبد الحميد بن باديس المجدد ورئيس جمعية العلماء الجزائريين ، الذى قام بجولة فى الحجاز والشام ومصر ، التقى خلالها بعلماء ومثقفى تلك الأقطار ، ثم عاد إلى بلاده .

• الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، الفقيه والأديب الكبير ، الذى نزح إلى الحجاز والشام والخليج ومصر ، معلما ومحاضرا ، ومعرفا بالقضية الجزائرية ، وداعيا إلى استقلال بلاده .

• الفضيل الورتلاني ، من أبرز المثقفين الجزائريين ، وقد زار أكثر دول أوربا ، ثم ركز نشاطه فى المشرق ، وأقام فى القاهرة سنة ١٩٣٨ ، حيث أسهم فى انشاء العديد من المنظمات للدفاع عن حقوق شعوب المغرب العربى ضد الاستعمار الفرنسى .

• أحمد رضا حوحو وهو من أبرز الأدباء الجزائريين الذين نزحوا إلى المدينة المنورة للدراسة ، وزار مصر فى طريقه ، ونشر فى مجلاتها وواصل كتابة القصة القصيرة فى مجلة المنهل المكية وكان لرحلته المشرقية تأثيرها على نتاجه الأدبى ، حتى أن قصته « غادة أم القرى » ، التى طبعها فى تونس سنة ١٩٤٧ ، كانت تتحدث أساسا عن المجتمع الحجازى . ومن آثار زيارته لمصر ، كتابه « مع حمار الحكيم » ، الذى ألفه بعد قراءة كتاب الاستاذ توفيق الحكيم « حمارى قال لى .. » .

غير أن الصورة التى رسمها المؤلف لحركة الشخصيات الجزائرية ينقصها أمران ، أولهما أنه لم يشر إلى الاسهام الذى قام به الفضيل الورتلاني فى ثورة اليمن عام ١٩٤٨ ، وكان للرجل دوره الأساسى فى تجميع قوى الثورة وتحريكها . وثانيهما أنه تجاهل تماما رحلة مالك بن نبى المشرقية ، واستقراره فى القاهرة عام ١٩٥٦ ، حيث أصدر منها بعضا من أهم كتبه ، التى أحدثت تأثيرا لا ينكر فى فكر الحركة الاسلامية منذ الخمسينيات وإلى الآن . وقد لا نبالغ كثيرا إذا ما قلنا ان تأثير مالك بن نبى فى المشرق يفوق بكثير تأثير أى كاتب أو مفكر جزائرى أو مغربى ــ آخر ظهر فى العصر الحديث .

حتى نسد الثغرات

لا نريد أن نخوض فى تقييم الكتاب ، حتى لا يطول بنا الكلام . مكتفين بأهمية القضية التى يثيرها ، واللهجة التى يتحدث بها عن المشارقة ، التى لم تخل من شطط فى بعض المواضع ، بالأخص اشاراته إلى سوء النية الذى نسب إلى بعض المشارقة .

وإذ نتفق تماما فى أن تجاهل المغرب ثقافيا يظل خطأ فادحا وجسيما بكل المعايير ، فإننا لا نؤيد مقولة « الاستعلاء » المنسوبة إلى المشارقة . وبنفس القدر ، فإننا لا نؤيد ما يذهب إليه بعض المشارقة عندما يردون التهمة ذاتها إلى المغاربة ، الذين يحسب بعضهم أن اتصالهم بالثقافة الفرنسية أعطاهم رصيدا من التفوق لم يبلغه غيرهم من أهل المشرق .

وإذ نحمد الله أن جسور الاتصال الثقافى باتت الآن أقوى وأمتن ، فإننا نرجو أن يتحقق اليوم الذى نتجاوز فيه تصنيف « المغاربة » و« المشارقة » ، بحيث ننطلق من مفهوم الأمة الواحدة ، ليصب الجميع عطاءهم بغير حساسية ، فى المجرى الثقافى الواحد .

ولعلنا ونحن ننطلق فى هذا السعى ، نصحح خطأ آخر وقعنا فيه ونحن نقرأ التاريخ الاسلامي . ذلك اننا نكاد نقف فى قراءة التاريخ عند العصر العباسى الثانى ، بعد أن نبدأ بالعصر الراشدى ، وننتقل إلى الأموى . بحيث يبدو أن التاريخ الاسلامى هو تاريخ المشرق وحده . الأمر الذى غيب عن العقل العربى صفحات كثيرة من التاريخ ، سجلت فى المغرب ، وفى آسيا ، وفى أفريقيا . وقد لا نبالغ إذا قلنا إن أكثر خريجى جامعاتنا يقفون بمعارفهم عند الحدود التى ذكرناها ، وإنهم لا يعرفون شيئا ــ مثلا ــ عن الأدارسة أو الأغالبة ، أو المرابطين والموحدين ، فى منطقة المغرب .

إن جهدا كبيرا يجب أن يبذل لنقوّم مسارنا الثقافى بحيث نسد ما يعتوره من ثغرات ، ونعالج ما يتصل به من جراح وحساسيات .

فهمى هويدى

محمد عبده



التراث

مَنارة تهدي.. وليسَ قيدًا يعُوق!

بقلم: الدكتور يوسف القرضاوي

في ديارنا فئة تخلع على نفسها رداء (التقدمية) وهى بإسمها تريد أن تنسلخ من تراثها، وتبرأ من ماضيها، كأنما هى مبتوتة الجذور، ليس لها تاريخ، كل حديثها عن اليوم والغد كأن الزمن ليس فيه (أمس)! وكأن اللغة ليس فيها (فعل ماض)! وكأن الله لم يخلق الانسان مزودا بذاكرة تستوعب أحداث الماضى، كما خلق له مخيلة تستشف المستقبل!!

وعيب هؤلاء (التقدميين) فيما يزعمون أنهم يجهلون تراثهم ولا يعرفون عنه إلا قشوراً، أو أجزاء متناثرة مشوشة، كثيرا ما أخذوها عن مراجع استشراقية، أو عن مراجع غير موثقة، أو عن مراجع لا يفهمون لغتها، ولا يميزون بين المقبول فيها والمردود.

وكان الأولى بهؤلاء — وهم ينتمون إلى فئة المثقفين — أن يبذلوا بعض الجهد في دراسة تراثهم، ومعرفة هذا الدين الذى ورثوه عن أهليهم، كما تورث العقارات! والذي أدخل هذه الأمة التاريخ من أوسع أبوابه، وصنع لها حضارة بزت الحضارات، ومن أوليات الثقافة أن يدرس المرء المكونات الأساسية لشخصية أمته، وأولها الدين المؤثر الأول فى تفكيرها ووجدانها وسلوكها. على أن يعرف ذلك من منابعه الصافية. ومن مصادره الموثقة لا من مراجع خصومه أو المتحاملين عليه، أو الجاهلين به.

لقد جهل هؤلاء تراثهم — والدين جزء منه — فخافوه وعادوه. وقديما قالوا: من جهل شيئاً عاداه. وهذا ما ذكره القرآن عن موقف المشركين من الاسلام فقال: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله» (سورة يونس).

كما أنهم قرأوا عن الغربيين أنهم لم ينهضوا إلاّ بعد أن تحرروا من تراثهم، وفكوا عن رقابهم ربقة الماضى بما فيه من عوائق وأغلال. ومن ذلك تحررهم من ربقة الدين، وسيطرة رجاله الذين باركوا ظلم الملوك، وتسلط الاقطاع، وأقاموا محاكم التفتيش لتعذيب العلماء والمفكرين.

وحسب هؤلاء أن ماضينا كماضيهم، وتراثنا كتراثهم، وأن لدينا كنيسة مثل كنيستهم وكهنوتا مثل كهنوتهم، وأن عندنا من يصدر قرارات الحرمان، أو من يبيع صكوك الغفران!

وان من أظلم الظلم أن يؤخذ الاسلام فى الشرق، بجرائم الكنيسة فى الغرب، وأن يقاس تاريخنا على تاريخ القوم هناك، وأن يحكم بالاعدام على تراثنا من أجل جناية تراث آخر لقوم آخرين.

ثم ان هؤلاء يتوهمون أن الرجوع الى التراث يجعلنا سجناء الماضى، يضع قيدا على حركتنا وانطلاقنا إلى الامام.

والواقع أن تراثنا ليس — كما تصوره هؤلاء — قيدا فى الأرجل، أو غلا فى الأعناق، إنما هو منارة تهدى، ونور يضيء.

خصائص تراثنا

ان التراث الذي ندعو إليه ليس تراث أمة بدائية أو جماعة خرافية، وليس تراثا مغلقا ولا متعصبا، بل هو تراث رسالة خالدة، وحضارة ضخمة، وأمة كبرى.. تراث أمة عالمية، جمعت بين العلم والايمان، ووصلت الأرض بالسماء. تراث يتسم بهذه الخصائص، التى لا تخفى على دارس متعمق منصف، مسلما كان أم غير مسلم:

اولا — الانسانية: فهو — وان كتب

بالعربية، وانطلق من المفاهيم والقيم الاسلامية – تراث انسانى، يهدف إلى تحرير الانسان، ويعمل على كرامة الانسان، كل انسان، ويطالب له بالحقوق، كما يطالبه بالواجبات. يحفظ له حريته المدنية، كما يحفظ له حريته الدينية «لا إكراه فى الدين»: شعاره: «ولقد كرمنا بنى آدم».

ثانيا – الاخلاقية: فهو تراث يؤمن بالقيم، فى كل جوانبه، فقها كان أو أدباً أو علماً أو فناً، أو عمارة وحضارة، ولا يؤمن بفصل الأخلاق عن العلم، ولا عن الفن ولا عن السياسة، ولا عن الاقتصاد، ولا عن الحرب. فهو تراث يعبر عن رسالة هدفها أن تتمم مكارم الاخلاق.

ثالثا – التكامل: فهو يجمع بين أحكام الوحى الإلهى ونتاج العقل البشرى، وفى ظلّه التقى العلم والايمان، وامتزجت الدنيا بالدين، واتصلت الشريعة بالحكمة، ولم ينفصم قلب عن فكر، ولا روح عن مادة، ولا دين عن دولة، ولا أدب عن علم، ولا عقل عن نقل.

رابعا – التوازن: فهو تراث وسط لأمة وسط، لا يقف فى طرف ضد طرف. فهو ليس تراث المثاليين ضد الواقعيين، ولا الواقعيين ضد المثاليين. وليس تراث الروحيين وحدهم، ولا الماديين وحدهم – إنه تراث التوازن بين المثالية والواقعية، بين الروحية والمادية، بين الفردية والجماعية. فهو فى أسسه وأصوله يمثل وسطية الاسلام.

خامسا – التنوع: فهو تراث دينى ودنيوى، فقهى وصوفى، علمى وأدبى، فلسفى وتطبيقى وفنى وعمرانى، نجد فيه فقه الشافعى، ورواية البخارى، وتفسير الطبرى، وكلام الأشعرى، ومعجم الخليل، ونحو سيبويه، وأدب الجاحظ، وشعر المتنبى، وفلسفة ابن رشد، وتصوف الغزالى، وطب ابن سينا، وفيزياء ابن الهيثم، وألحان الموصلى، وخط ابن مقلة، وتحليل ابن خلدون، جنبا إلى جنب.

سادسا – التسامح: فهو وإن كان تراثاً اسلامياً – أنتجته العقول الاسلامية بدوافع إسلامية، على أرض إسلامية – يتسع لكل الأديان، ويؤمن بكل الكتب التى أنزلها الله، وبكل الرسل الذين بعثهم الله. كما يؤمن بأن اختلاف الناس واقع بارادة الله، وسيحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ولا غرو أن شاركت فيه فئات من غير المسلمين، وسعتهم دار الاسلام، وحضارة الاسلام.

سابعا: المرونة: فهو – برغم أصوله الدينية، وجذوره الأخلاقية – قادر على مواجهة التطور، وفيه من الثراء والخصوبة الداخلية ما يجعله صالحاً للنماء والتجدد الذاتى – جامعاً بين الثبات على الأصول والغايات، والمرونة فى الفروع والوسائل.

وأحب أن أبين هنا أننا – نحن دعاة الحل الاسلامى – لا ندعو إلى تقديس التراث كله، وأخذه بعُجَره وبُجَره، وصوابه وخطئه. ولهذا كان لابد لنا من تحديد معنى «التراث».

فكلمة «التراث» تشمل مجالين أو مستويين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا كليا وجذريا.

المستوى المعصوم من التراث

المستوى الأول: ما كان مصدره الوحى الإلهى متمثلا فى القرآن الكريم الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وفيما ثبتت صحته من سنة النبى ﷺ التى هى البيان النظرى والتطبيق العملى للقرآن.

ونعنى بهذا المجال، ما كان قطعي الثبوت والدلالة من كتاب الله وسنة رسوله، ولا مجال فيه لاجتهاد أو تفسير. ولذا يعتبر رفضه رفضا للدين نفسه وكان التمرد عليه تمردا على شرع الله جل شأنه.

فهذا لا يسعنا إلا أن نذعن له، وننقاد إلى حكمه، راضين مسلمين، بمقتضى عقد الايمان، وحكم الاسلام، وليس لنا أمامه خيار، إلا إذا راجعنا أصل الايمان ذاته.

وهذا ما يؤكده القرآن بصراحة وقوة فى الكثير من آياته. لنقرأ هذه الآيات: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيَرَة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» سورة الأحزاب.

«إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون» سورة النور.

«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حَرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما» سورة النساء.

وهذا الجانب من التراث هو الذى يمثل فلسفة النظام، وأساس مشروعيته العليا ويحدد اطاره وأسسه العامة، واتجاهاته الأساسية فى مختلف جوانب الحياة.

وتسمية هذا الجانب (تراثا) من باب التساهل والاتساع فى التعبير. والا فإن الاسلام ليس تراثاً ولا ماضياً، إنه الماضى والحاضر والمستقبل. وهو رسالة الله العامة الخالدة التى تخاطب الانسان وتهديه فى كل زمان ومكان.

المستوى البشرى من التراث

والمستوى الآخر من التراث هو المستوى البشرى، وهو يمثل عمل العقل الانسانى فى فهم الجانب الإلهى المعصوم من التراث، وفى شرحه وتفسيره، والاستنباط منه، وفى تطبيقه وتنفيذه، وفى شتى جوانب الحياة العقلية والأدبية والحضارية، وهذا المستوى يضم كل علوم الدين من التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث والفقه وأصوله، وعلم التوحيد، والتصوف.. فهذا الجانب من التراث له أهميته ومكانته الخاصة لاتصاله بعقيدة الأمة، وسر وجودها، ووحى الله إليها. كما يشمل علوم العربية وآدابها وهى خادمة لعلوم الدين ووسيلة لفهمها.

ويشمل أيضا العلوم العقلية وما يتعلق بها، والعلوم الكونية من الطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات ونحوها. والعلوم المتعلقة بالفن والجمال والتعبير عنه.

فهذه كلها – على تفاوت مراتبها – تراث إسلامى، وهى – على كل حال – إنتاج عقول لم تضمن لها العصمة من خالقها، ففيها الصواب والخطأ، وفيها الحق والباطل، وفيها الجد والهزل، وفيها الثمين والغث.

وموقفنا هنا هو موقف الانتقاء والاختيار. وهذا يعنى قبول التراث – وبخاصة ما يتعلق بالدين والعربية منه – فى جملته لا فى تفصيلاته، فى مجموعه لا فى جميعه، وبعد هذا القبول والتسليم العام تبدأ عملية الانتقاء والاختيار.

والانتقاء هنا ليس عملا عشوائيا تأتى به

التراث

منارة تهدي.. وليس قيداً يعوق!

المصادفات ، والاختيار ليس اختيار تشهّ أو هوى ، تحكمه الانفعالات العاطفية أو المواقف الشخصية ، بل هو عمل عقلي يستند إلى موازين علمية وإلى أدلة من اصول الشرع ، ومصالح الأمة ، وحاجات العصر.

وليس من حق أحد ولا فئة ولا مدرسة أن تفرض علينا فكرة أو رأياً أو حكماً معيناً مما حفل به التراث الفنى ، وأن تضرب بغيره عرض الحائط.

فموقف كل عالم أو مفكر هنا هو موقف أبى حنيفه رضى الله عنه حين قال فى شأن من سبقه ومن عاصره من علماء التابعين : هم رجال ونحن رجال !

وهو موقف ابن القيم رحمه الله حين شرح رسالة شيخ الاسلام اسماعيل الهروى الأنصارى فى التصوف « منازل السائرين إلى مقامات « إياك نعبد وإياك نستعين » وكان الهروى حنبليا موافقا لابن القيم فى مشربه السلفى فى الأسماء والصفات ، ولكنه خالفه وانتقده فى جملة مواضع من كتابه « مدارج السالكين » ، فلما سئل فى ذلك قال : شيخ الاسلام حبيب إلينا ، ولكن الحق أحب إلينا منه !!

قد يكون هذا الرأى الذى نتبناه لإمام مشهور أو لعالم مغمور ، فلن تزيده شهرة الأول ، ولا ينقصه خمول الآخر ، وقد قال الامام على رضى الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال ، إعرف الحق تعرف أهله.

وقد يكون هذا الرأى الذى ننتقي ونختار من الآراء المهجورة ، مما طوته بطون الكتب ، ومما اعتُبر فى عصره شاذاً أو متروكاً . فلا جناح علينا أن ننشر المهجور ونحيي المقبور.

فرب ملابسات جدت ، ووقائع نزلت ، وأعراف تغيرت ، جعلت الضعيف يقوى والمتروك يظهر ، والشاذ يصبح هو الموافق والملائم.

وها هو شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه : ابن القيم وابن عبد الهادى وغيرهما يحيون آراء في فقه الشريعة ـ وخصوصاً فى الطلاق وشئون الأسرة ـ كانت تعد قبلهم شاذة ، وقد هجرت حتى ماتت ، فما زالوا يجادلون عنها باللسان والقلم : فى دروسهم وفى كتبهم ورسائلهم ، وفتاويهم ، حتى حييت بعد موات ، واستعلنت بعد اختفاء.

وقد اتهم العلماء المقلدون والجامدون الشيخ فى زمنه بأنه خرج عن المذاهب الأربعة ، وخرق الاجماع السابق ، وكادوا له عند ذوي السلطة حتى أدخل السجن أكثر من مرة من أجل رأيه ، ومات رضي الله عنه في سجنه.

وها نحن اليوم فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى نختار ما اختاره ، ونرجح ما رجحه فى عدم وقوع طلاق الغضبان ، والطلاق الذى يراد به الحمل على شىء ، أو المنع منه ، وفى وقوع طلاق الثلاث بلفظ واحد أو فى مجلس واحد طلقة واحدة ، وغير ذلك من الاجتهادات والاختيارات.

ومن ثم ينبغى أن نبحث عن أجود الآراء ، وأقوم الأفكار ، وأصح المعلومات وأجمل التعبيرات ، حيثما وجدناها فى تراثنا العريض.

عبقريات في عصور التخلف

قد نجد الرأى الجيد ، والفكرة الصالحة ، والتعبير الجميل ، فى خير قرون هذه الأمة ، فى فجر الاسلام ، فى عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان.. فى العصر الأموى أو العباسى.. فى العصور الذهبية للحضارة الاسلامية أو فى عصور التخلف والركود ذاتها على ما بها من علل وأوصاب . فما من عصر من هذه العصور إلا طلعت فى سمائه كواكب تضيء وتسطع وتبهر الأبصار.

ومن ذا الذى يجهل مثل أبى اسحاق الشاطبى (ت ٧٩٠ هـ) وتجديده فى أصول الفقه ؟ وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وتجديده فى فلسفة التاريخ والاجتماع ؟ ، وابن الوزير (ت ٨٤٠ هـ) وتجديده فى علوم العقيدة والسنة ؟ وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) ، وخدمته لعلوم الحديث والرجال ، ووقوفه حكما بين المذاهب ؟ والسيوطى (ت ٩١١ هـ) وخدمته لعلوم الدين واللغة والتاريخ ودعوته للاجتهاد المطلق ؟ والدهلوى (ت ١١٧٦ هـ) وتجديده فى الحديث والفقه وبيان اسرار الشريعة ؟ والصنعانى (ت ١١٨٢ هـ) صاحب « سبل السلام » واجتهاداته واستقلاله فى الفقه واتباع الدليل والتفقه على القرآن والحديث ؟ والشوكانى (ت ١٢٨٥ هـ) وتجديده فى الفقه والاصول وبناء فقه قائم على الدليل لا على التقليد ؟ وصديق حسن خان (ت ١٣٠٧ هـ) تلميذ كتب الشوكانى ، والسائر على دربه فى الاجتهاد والترجيح ؟.

بل أقول : قد تكون الفكرة أو الحكمة أو الكلمة من شعر أمرىء القيس ، أو زهير بن أبى سلمى ، أو عنترة العبسى ، فلا يمنعنا أن نتمثل بها أنهم من أهل الجاهلية فالجاهلى قد يوفق فينطق بالحكمة ، كما أن المسلم قد يزيغ فيتكلم بالباطل والنبى ﷺ قال : « أصدق كلمة قالها شاعر ، كلمة لبيد » :

« ألا كل شـيء خلا الله باطل ! »

وقد قالها فى جاهليته قبل أن يسلم.

ومن منا لا يتمثل بقول امرىء القيس :

وحسبك من غنى شِبَعٌ وَرِيٌ !

أو بقول زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

أو بقول السموءل ، وهو يهودي جاهلى :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

وأبو نواس على مجونه كم استشهد العلماء والمربون والمتصوفة بأبيات له مثل قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق
وما الناس الا هالك وابن هالك
وذو نسب فى الهالكين عريق

ومثل ذلك بشار بن بُرد ، على ما اتهم به من الزندقة ، من ذا الذى لا يروى قوله :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاربه ؟
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه !

الاستفادة من كل المدارس الفكرية

كما أحب أن أوكد هنا : أن اختلاف المذاهب أو المدارس الفقهية أو الكلامية لا يمنع من الاستفادة مما عند الآخرين ، فالحق لا يشتمل عليه مذهب واحد ، ولا مدرسة واحدة.

وخطأ انسان فى ناحية لا يعنى إلغاء نواحيه الايجابية الأخرى .

وقد رأينا علماء أهل السنة جميعها يستفيدون من « تفسير الكشاف » للزمخشرى ، وينقلون عنه وهو معتزلى صريح فى اعتزاله ، ولا يدع مناسبة يؤيد فيها مذهبه إلا فعل ومع هذا أخذ منه كل من بعده من المفسرين : الرازى والبيضاوى والنسفى وغيرهم .

ولم يمنعهم ذلك أن يردوا عليه أو يتعقبوه فى مؤلفاتهم « التفسيرية » أو غيرها أو فى مؤلف خاص كما فعل ابن المنير فى كتابه « الانتصاف من الكشاف » وهو مطبوع على هامش الكشاف .

وابن حجر خرَّج أحاديثه وبيَّن مقبولها من مردودها فى كتاب سماه « الكافى الشاف فى تخريج الكشاف » وقد سبقه إلى ذلك العلامة جمال الدين الزيلعى صاحب (نصب الراية لأحاديث الهداية) .

وابن تيمية وابن القيم استفادا من بعض ما كتبه المعتزلة فى الحسن والقبح وأفعال العباد ونحوها . وأخذا ببعضه ، ولم يسلما بكل ما قاله الأشاعرة هنا ، بل أخذوا منهم وردوا عليهم .

وفى هذا المعنى يقول ابن القيم :

« وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب . وبعضهم أقرب إلى الصواب وبعضهم أقرب إلى الخطأ ، وأدلة كل منهم وحججه ، إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى ، لا على إبطال ما أصابوا فيه .. وأهل السنة وحزب الرسول ، لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، وهم مع أولئك فيما أصابوا فيه . فكل حق مع طائفة ، فهم يوافقونهم فيه ، وهم براء من باطلهم .. فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه على بعض ، والقول به ونصره .. ونفى باطل كل طائفة وكسره ... الخ[1] . أ هـ

وهذا يقتضى منا أن نعمل على إحياء التراث ، ونشر كنوزه نشرا علميا عصريا محققا يقرب الانتفاع به ، والاقتباس منه ، وألا ندعه مطموسا مبعثرا فى مكتبات الغرب والشرق ، على حين نفتش على فلسفات وآداب عند هؤلاء وأولئك مما نبت فى أرض غير أرضنا لقوم غير قومنا .

والأولى لمن يملك رصيداً فى مصرف أن ينفق منه أولاً قبل أن يمد يده إلى غيره يسأله صدقة أو هبة أو قرضا !

ولا يكفى أن نقف عند نشره وتحقيقه ثم التغني به والمباهاة بأصالته ، بل لابد أن نحلله وندرسه دراسة الفاحص الناقد ، حتى نكشف عن جواهره ، ونستخرج روائعه ، ونستفيد من إيجابياته ، ونتفادى سلبياته .

ولابد لنا أن نبني عليه ، ونضيف اليه ، ونضفى عليه من روحنا ، مما صنعته عقولنا ، ومما عملته أيدينا ، حتى يعبر عنا ، ويلبس ثوب عصرنا ، ويتجاوب مع حياتنا ومع زماننا ومكاننا وحالنا .

وبهذا نجمع بين الأصالة والمعاصرة حقا . فلا نبخس الماضى ولانجور على الحاضر . فهل ينقم علينا منصف هذا الموقف من تراثنا ؟ أم يراد منا – لكى نكون عصريين – أن نهيل التراب على الماضى بكل مافيه ، ونبدأ من جديد ، من الصفر ، بحجة أننا نعيش مع الأحياء لا مع الأموات ؟

فليت شعرى هل تموت الأفكار بموت أصحابها ؟ ان الأشخاص يموتون ، ولكن أفكارهم لاتموت ، ورب فكرة مضت عليها آلاف السنين يأتى من يحييها ويحيي بها أمة بأسرها . ولولا أن اللاحق يكمل مابدأه السابق ، ويبنى على ماأسسه ، ماتقدمت العلوم ، ولا ارتقى العمران ، ولا علا صرح الحضارة .

والذين يقولون : دعونا من الأموات لايفتأون يتحدثون عن أموات آخرين مثل ماركس وانجلز ، أو فولتير وروسو ، أو ديكارت وكانت ، أو شكسبير وهوجو ، بل عن سقراط وأفلاطون وارسطو ، ويعتبرون أنفسهم مع هذا معاصرين ومجددين !

بين القديم والجديد

ولابد لنا من كلمة هنا حول ماسمى « القديم » و « الجديد » وموقف الناس منهما .. ما القديم ؟ وما الجديد ؟ وما القدم ؟ وما الجدة ؟ ولماذا يرفض بعض الناس القديم لمجرد قدمه ؟ ولماذا يتعلق اخرون بالجديد ويدعون اليه لمجرد جدته ؟؟

والواقع ان قضية القديم والجديد والمفاضلة بينهما قضية شغلت الناس منذ زمن بعيد . فمن الناس من يستمسك بالقديم ويعتز به ولا يحيد عنه ، ولا يفرط فيه ، كأنه يرى فيه أصوله وجذوره الممتدة ، ومنهم من يعشق الجديد بأى جديد – ويباهى به ولا يرضى به بديلا ، كأنما يرى فيه فرعه وثماره .

تعظيم السابقين للقديم

ولقد كان الناس منذ عدة قرون يمجدون القديم ، ويباهون به ، فالقديم فى نظرهم يعني الأصالة والعراقة والمجد ، والقدماء هم السابقون الى كل خير ، المتفوقون فى كل فن ... والمتأخرون عالة عليهم ، سواء فى العلم أو الادب أو الفن . وفى الشعر قرأنا قولهم :

ما أرانا نقول الا معاراً
أو معاداً من قولنا مكروراً !

أما الجديد فكان فى حاجة الى ان يثبت وجوده حتى يعترف له بمجاراة القديم وكان النوابغ والعباقرة يحاولون – بشتى الوسائل – بأن يبرروا نبوغهم – كما كان الأوائل قبلهم ، وان تأخر بهم الزمن عنهم . وخصوصا بعد ما شاع قول بعضهم : ماترك الأول للآخر شيئاً ! وأنشد بعضهم :

أو ماترى أن النبى محمدا
فاق البرية وهو آخر مرسل ؟!

وأبو العلاء حينما قال فى « لاميته » بيته المشهور :

وإنى – وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل !

كان ينفى وهما شائعاً ، بل اعتقاداً راسخاً بأن الأواخر لايمكنهم أن يفوقوا الأوائل ، وأن الجديد عالة دائما على القديم . بل كلامه يدل بوضوح على أن الشاعر الفيلسوف نفسه يؤمن بأن هذا هو الأصل والقاعده ، فهو يرى أن المتأخر فى الزمان لايستطيع أن يجارى الأوائل أو يتفوق عليهم ، الا اذا كان ذلك من باب الفلتات والخوارق ، فهو نفسه جاء شاذاً عن القواعد ، خارقاً للعوائد ، وهذا ما توحى به

التراث

منارة تهدي.. وليس قيداً يعوق!

الجملة الاعتراضية فى البيت : « وان كنت الأخير زمانه » ولعل ذلك لارتباط القديم حينئذ بعصر النبوة وعهد الراشدين . وامتداد الاسلام ، وازدهار حضارته ، وظهور الأئمة الكبار ، ونبوغ العباقرة الأفذاذ فى كل علم وفن ، وتفرد الأمة الاسلامية بالتربع على القمة لعدة قرون .

على حين كان المتأخرون الذين برز نبوغهم ، وظهر تفوقهم ، فى مجالاتهم العلمية والدينية والأدبية ينتسبون الى عصور التخلف والانحطاط ، تلك العصور التى فقدت الاجتهاد فى الشريعة ، والابداع فى العلم ، والأصالة فى الأدب ، والابتكار فى شتى نواحى الحياة !

وهذا ما جعل نوابغ المتأخرين فى العصور الإسلامية يحاولون أن يقيموا الأدلة لقرائهم من معاصريهم ومن بعدهم ــ على أن تأخر زمانهم لايعنى حرمانهم من الفضل الذى أحرزه السابقون من قبلهم .

نقرأ فى خطبة (القاموس) للعلامة الفيروزابادى هذا المعنى فى قوله :

« ولكنى أقول كما قال أبو العباس المبرد فى (الكامل) وهو القائل المحق : ليس لقدم العهد يفضل القائل (أي المخطىء) ولا لحدثانه يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل مايستحق » .

قال العلامة الزبيدى شارحه :

ومثل هذا الكلام فى خطبة (التسهيل) مانصه : واذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين . قال الزبيدى : والمعنى : أن تقدم الزمان وتأخره ليست له فضيلة فى نفسه لأن الأزمان كلها متساوية ، وانما المعتبر الرجال الموجودون فى تلك الأزمان فالمصيب فى رأيه ونقله ونقده لايضره تأخر زمانه الذى أظهره الله فيه ، والمخطىء الفاسد الرأى ، الفاسد الفهم ، لاينفعه تقدم زمانه . وانما المعاصرة كما قيل حجاب ، والتقليد المحض وبال على صاحبه وعذاب .

أنشدنا شيخنا الأديب : عبدالله بن عبدالله بن سلامة المؤذن :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً
ويرى للأوائل التقديما
ان ذاك القديم كان حديثاً
وسيمسي هذا الحديث قديما !

وأنشدنى أيضا لابن رشيق :

أولع الناس بامتداح القديم
وبذم الجديد غير الذميم
ليس إلا لأنهم حسدوا الحى
ورقوا على العظام الرميم !

وأنشدنى أيضا :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى
خبثاً ولؤماً فاذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة
يكتبها عنه بماء الذهب !

والمراد من ذلك كله النظر بعين الإنصاف من المعاصرين وغيرهم ، فان الإخلاص والإنصاف هو المقصود من العلم (٢) .

وهكذا كان (القديم) هو المنظور اليه بعين الإكبار والتعظيم وكان (الجديد) أو (المتأخر) أو (المعاصر) يجهد كل الجهد كى يقدم المبررات لإثبات وجوده .

ظاهرة التعظيم للجديد

أما ظاهرة التعظيم للجديد والتشبث به ، واعتقاد صلاحه ونفعه ، والنفور من القديم ، والدعوة الى الاعراض عنه ، فهى ظاهرة جديدة فى الأمة الإسلامية . وهي ثمرة من ثمرات الإستعمار والتأثر بالفكر الغربى ، وبالحضارة الغربية .

ومما أيد هذه النزعة الى تعظيم الجديد ، واحتقار القديم عدة أشياء :

ــ ان الحضارة الغربية الوافدة كانت فى أوج مجدها ، وقمة انتصاراتها ، عسكرياً وسياسياً وعلمياً ، وقد غلبت على العالم كله تقريبا ، ومنه العالم الاسلامى . وهى ترفع شعارات براقة جذابة مثل الحرية والإخاء والمساواة .

فكانت هى الجديد الذى فتن به من فتن من أبناء المسلمين ، وولعوا بمحاكاته ، وولع المغلوب بتقليد الغالب ، كما قال ابن خلدون .

ــ ان حضارتنا كانت فى عصر أفولها وإدبارها ، وكان قديمنا ــ عند صدمة اللقاء بالحضارة الغربية المنتصرة ــ موسوما فى أذهان الكثيرين بالتخلف والجهل والضعف والتمزق ، وفقدان الابداع فى كل المجالات .

ــ ان كنوز القديم وجواهره النفيسه كانت مطمورة مجهولة لأهله أنفسهم . على حين كان الجديد ظاهراً ، بيّن المعالم ، واضح الحدود . وما عرض من هذا القديم فقد كان عرضهُ فى صورة منفرة ، وفى أوعية تنكرها الأنفس والعقول .

ــ ان نظم التعليم الجديدة بفلسفتها ، ومناهجها ، وكتبها ، كانت تغرس فى الأجيال المتعلمة حب الجديد ، وهو يعنى الحضارة الغربية ، والنفور من القديم ، وهو يعنى تراث الإسلام . هذا الى من يبعثون الى الغرب لينهوا دراستهم هناك . وبعبارة أخرى : ليصنعوا على أعين السادة المخططين والموجهين !

الخلاصة

والخلاصة أن المفاضلة بين القديم والحديث غير علمية ، ولامعنى لها .

أولا : لأن القدم والحدوث من الأمور الإعتبارية غير الحقيقية . فرب حديث عند قوم يعتبر قديماً عند غيرهم . والعكس كذلك .

ثانيا : لأن القدم والحدوث من الأمور غير الثابتة ، فقديم اليوم كان حديثاً وحديث اليوم سيغدو قديماً .

ثالثا : لأن القدم أو الحدوث لايحمل فى ذاته حقاً ولا باطلا ، ولا خيراً ولا شراً ، وولع بعض الناس بالحديث ، يقابله شغف آخرين بالقديم .

فليكن بحثنا عن الحق . قديماً كان أو حديثاً ، فلن ينفع الباطل أن يكون وليد اليوم ، ولن يضر الحق أن تمضى عليه ألوف السنين . والعكس صحيح أيضا .

يوسف القرضاوي

هوامش

(١) من كتاب ابن القيم (شفاء العليل)
(٢) من مقدمة (تاج العروس) فى شرح خطبة صاحب (القاموس) .

حلم شرقي الألوان

شعر :
مبارك بن سيف آل ثاني

سمعتُ الحبيب
فقالوا ظنون
وأيُّ الأحِبَّةِ ذاك الحنون ؟
يقول وقد كابرتْ مقلتاه
وهل مقلتاه علينا تهون ؟
سأبنى لكِ زورقا ساحرا
تطوفين حيث تكون النجوم
سأبنيه من ألف لون ولون
وفى كل لون تَحارُ العيون
يسيره حلمٌ نحو أفق ...
نعطر أحلامنا بالغيوم
وعزفٌ يطوقنا حيث سرنا
يباهي الربابَ ورَجْعَ الصَّبا
وتغريدَ طيرٍ شجيٍ الحنين
إلى حيث يمضي السحابُ ..
سنمضـــــي
هناك نعانق أبهى السنين

° ° °

يقول الحبيب
سأبنيه من همسات الفؤادِ
ورَجْعِ السهادِ
سأبنيه حلماً لكِ ياحبيبه
يضيءُ على جنبه الياسمين
سأجعـــلُ ...

قلت ...
كفاني رؤاكَ .. وجودُك قربي
فقال يعاتب قلباً هواه
أبي تهزئين ؟!
فقلـــتُ :
وماذا يتوِّجُ أغلى النســاء ؟
فــؤاد محبٌ صبورٌ أمينْ
وإني أراك حبيبا بعيني
ومن نور عينيك إنى أراك
عرفتُ هواك
وعشت رؤاك
ولم يزهر القلبُ حبًا سواك
فقـــال :
ـ بعينيٌ لو تدركين
جعلتك أنت الحياة
وفيها لحيظاتك ساكنات
لأجل اللحيظات تمضي السنين
فقالت :
ـ بقلبك أُمْضي الحياة
وبين يديك
رهينة قلب مُحِبٍ ضنين
فقال وقد كابرت مقلتاه
ـ وعينكِ .. إني المحبُّ الرهين .

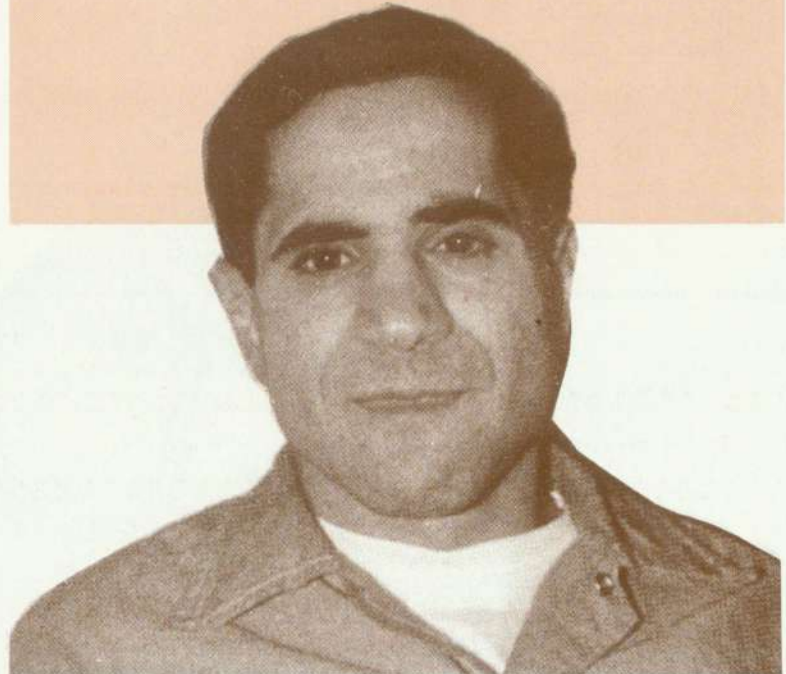


سرحان بشارة سرحان هل طواه النسيان في الذاكرة العربية ؟!

بقلم :
عصام شريح

سرحان بشارة سرحان .. هل طوى النسيان قضيته فى ذاكرة العرب ؟؟ فما عاد فى العالم العربي من يحسّ بآلامه ، أو يتعاطف معه ، أو يسعى لردّ الأذى عنه ؟!

لقد أمضى سرحان بشارة سرحان ، المواطن الفلسطيني سبعة عشر عاما في السجن حتى الآن ، من أصل حكم بالسجن مدى الحياة ، بتهمة قتل السناتور روبرت كيندى أثناء حملة انتخابية رئاسية في لوس أنجيلوس في عام ١٩٦٨ ، وهذه المدة الطويلة من السجن ، كافية بحسب القانون الأمريكي ، لمنح صاحبها عفواً مشروطاً ..



عفـوٌ .. ولكن ..

كان من المفروض أن يمنح سرحان عفواً مشروطاً ، بناء على التماس جديد قدمه محاميه إلى هيئة محلّفين عقدت جلسة لهذا الغرض في لوس أنجيلوس في حزيران (يونيو) الماضي ، لكن تلك الجلسة أسفرت عن فضيحة مُطَنْطَنَة في القضاء الأمريكى ، لم تملك سلطات ولاية كاليفورنيا أمامها سوى الاعتراف بما حصل من مهازل خلال تلك الجلسة ، وإنْ كان هذا الاعتراف قد جاء متأخرا ستة أشهر .

في مطلع كانون الثاني (يناير) الماضي ، صرح رئيس مجلس العفو بولاية كاليفورنيا « غلبرت سوسيدو » ، بأن هيئة المحلّفين تلك ، التي رفضت طلب سرحان بالعفو المشروط ، لم تتبع أوامر المحكمة العليا في كاليفورنيا ، وقال إنّ هيئة محلّفين جديدة ، ستعقد جلسة خاصة خلال الشهر الجاري ، للنظر فى منح سرحان بشارة سرحان عفواً مشروطاً ، وذلك بعد أن تبيّن أن هيئة المحلّفين السابقة كانت « تافهة ومتحيزة » .

وقد كشف محامي سرحان « لوك ميساك » بدوره النقاب عن تفاصيل هذه الفضيحة ، فقال إن مكبراً للصوت ، ترك يعمل عن طريق الخطأ ، خلال مناقشة هيئة المحلّفين السابقة للالتماس الذي تقدم به سرحان ، وقد سُمع أحد أعضاء الهيئة وهو يقول : « سنرسله إلى السجن لأطول مدة ممكنة » ، وأضاف ميساك « أن أعضاء هيئة المحلّفين سمعوا وهم يضحكون كالضباع وهي تأكل فريستها ، بعد أن رفضوا سابع التماس قدمه سرحان لمنحه عفواً مشروطاً » .

وكان شقيق سرحان قد اتهم في تشرين



رئيس لجنة العفو بكاليفورنيا:
"هيئة المحلّفين السابقة التي نظرت في طلب سرحان لمنحه عفوًا مشروطًا.. كانت تافهة ومتحيّزة"!

الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٨٢ النائب العام في لوس أنجيلوس « جون فان دو كمب » ، باستغلال قضية سرحان لأغراضه السياسية الخاصة ، سعياً وراء حصوله على منصب المدّعي العام في ولاية كاليفورنيا ، حيث ساهم في الضغوط التي مارستها أوساط صهيونية وأخرى أمريكية عنصرية ، على مجلس السجناء في الولاية ، لاصدار قرار يقضي بإعادة النظر في التاريخ المحدّد للافراج عن سرحان ، والذي كان مقرراً أن يتم في عام ١٩٨٤ . وقد عقب عادل بشارة سرحان على هذا القرار الجائر بقوله : « ان الأمر لم يعد يتعلق بقضية شقيقي سرحان ، بل ان المسألة أصبحت تتعلق بالدستور الأمريكي ، واللوائح القانونية لولاية كاليفورنيا ، والتلاعب بها من قبل « فان دو كمب » وأتباعه » .

وفي الواقع فإن قضية سرحان بشارة سرحان ، قد أصبحت مادة انتخابية بين المتنافسين على المناصب العامة والرسمية في هذه الولاية ، فكلما أراد طامع بالفوز بمنصب معيّن ، أو الحصول على مكاسب سياسية ، فما عليه إلا أن يستخدم اسم سرحان وعائلة كيندي ، ليتصدّر اسمه نشرات الأخبار وأعمدة الصحف . والجدير بالذكر أن سرحان قضى حتى الآن ، كما قلنا آنفاً ، سبعة عشر عاما في السجن ، وهي مدة أكثر بسبعة أعوام من أي شخص آخر حُكم عليه بالاعدام ثم السجن المؤبّد ، وفق القوانين المعمول بها في ولاية كاليفورنيا .

عـودٌ على بـدء

ونعود الى قصة سرحان بشارة سرحان من بدايتها ، ففي الخامس من حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٨ ، أي بعد سنة واحدة ، على ذكرى الهزيمة العربية المرّة في الخامس من حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، أقدم سرحان ــ الشاب العربي الفلسطيني المهاجر الى الولايات المتحدة ــ على قتل المرشح لمنصب الرئاسة في الولايات المتحدة الامريكية روبرت كيندي أمام جمع غفير من أنصاره ، في فندق أمباسادور في مدينة لوس أنجيلوس ، بأن أطلق عليه النار من مسدس كان يحمله ، وعندما هوى كيندى الى الأرض ، وأطبق الجميع على سرحان ، صاح قائلا : « إنني أستطيع أن أوضح .. دعوني أوضح .. لقد فعلت ذلك في سبيل بلادي .. إنني أحب بلادي » .

وكانت الفوضى قد دبّت في الفندق ، وشاع الفزع بين الحاضرين ، وبعد دقائق كان رجال الشرطة يقتادون سرحان بشارة سرحان الى غرفة التحقيق ، ونقل روبرت كيندي في سيارة اسعاف الى المستشفى ، لكنه بعد ست وعشرين ساعة فارق الحياة .

وفي الحقيقة ، فإن الاغتيال السياسي ، كان على الدوام أمراً مكروهاً ومُداناً ، لأنه يعبّر عن لغة اليأس في أغلب الأحيان ، والتاريخ حافل بحوادث الاغتيال لأسباب سياسية ، فقد قُتل يوليوس قيصر طعناً بالخناجر بيد أقرب الناس إليه « بروتوس » وأنصاره ، في مجلس الشيوخ الروماني ، وأطلقت النيران على الرئيس الأمريكي ابراهام لنكولن داخل دار الأوبرا ، وعلى الملك الكسندر عاهل يوغوسلافيا السابق ، وعلى الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندي (شقيق روبرت كيندي) ، وأقدمت مجموعة إرهابية صهيونية على قتل اللورد موين في مصر ، كما اغتالت مجموعة صهيونية أخرى الكونت برنادوت ، الوسيط الدولي في فلسطين ، وقتل رئيس وزراء مصر النقراشي باشا بالرصاص بينما كان يدخل المصعد ، وقتل المهاتما غاندي في إحدى الحدائق على يد أحد المتعصبين الهندوس ، واغتيل الرئيس المصري السابق أنور السادات في السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢ ، خلال عرض عسكري للجيش المصري بهذه المناسبة .

ولقد كان لعمليات الاغتيال السياسي ــ التي نستنكرها شخصيا ــ مبررات لدى المنفّذين لها أو الواقفين وراءها . وفي هذا الاطار ، فقد كان لدى سرحان بشارة سرحان ، مبررات قوية ، كانت كافية لاحداث إحباطات نفسية حادة لديه ، دفعته بالتالى الى اغتيال السناتور روبرت كنيدي ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه ، أنه لم يحاول الهرب بعد ارتكاب عملية الاغتيال ، ولم يحاول أبداً التنصل من المسؤولية بشكل كامل من هذا العمل ، بدليل أنه صاح في وجه الجمهور الذي أطبق عليه ، أنه فعل فعلته هذه « لأنه يحب بلاده فلسطين » .

سرحان والقضية الفلسطينية

ولد سرحان بشارة سرحان في القدس في عام ١٩٤٤ ، لكن والده بشارة سرحان كان من أهالي قرية الطيبة القريبة من المدينة المقدسة ، وقد فتح سرحان عينيه على الحياة ، في الفترة التى كان الخطر الصهيوني يتعاظم فيها على فلسطين ، ويتزايد تواطؤ حكومة الانتداب البريطانية مع الصهاينة ، لتهويد البلاد وتشريد شعبها عنها ، وكان والد سرحان آنذاك موظفاً في دائرة الاشغال العامة وهو مثال لذلك النوع من الرجال الذين يخافون الله ، ويلتزمون بالقانون والنظام والأخلاق ، ولاشك أن هناك مفارقة صارخة بين الأب الذي كان يحب الحياة البسيطة الوديعة في المنزل الحجري الذي بناه في « الطيبة » ، قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وبين الابن الذي دفعته المعاناة القاسية والاحباطات المتلاحقة بسبب فلسطينيته لأن يصبح قاتلاً .

سرحان بشارة سرحان هل طواه النسيان في الذاكرة العربية ؟!

لقد تعرض سرحان لاحباطات نفسية عديدة منذ نعومة أظفاره ، وكان لمّا يبلغ الرابعة من عمره ، عندما بدأت لغة العنف والقتل ، تُجلْجل في كل مكان من حوله ، ففي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، وقعت حوادث عنف في تل أبيب وحيفا واللّد ، وعددت صحيفة « بالستاين بوست » اليهودية الحوادث التالية : في الأول من هذا الشهر ، أُلقيت حجارة على بيوت يهودية قرب بوابة يافا ، وفي الثاني منه ، أحرق الفلسطينيون المركز التجاري اليهودي ، وفي الثالث منه جرح ثلاثة من اليهود عندما أطلق الفلسطينيون النار على الحي اليهودي في القدس ، وفي العاشر من الشهر نفسه ، أطلقت النار على سيارة يهودية قرب بوابة يافا ، وكانت حصيلة هذه الحوادث ، مقتل يهوديين وجرح ثلاثة آخرين .

وفي ثلاثة حوادث أُلقيت فيها قنابل كردّ انتقامي من اليهود في ١٣ من كانون الأول (ديسمبر) و٢٩ من الشهر نفسه ، والسابع من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، قتل اليهود ٣٥ فلسطينياً ، وجرحوا ١٢٣ آخرين طبقاً للأرقام الرسمية .

وقد نجا سرحان ووالده بشارة من الموت بأعجوبة ، في حادث إلقاء القنبلة في ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، وقد حملت صحيفة « نيويورك تايمز » الأمريكية في اليوم التالي (٣٠ كانون الأول – ديسمبر) العنوان : « قنبلة الارغون تقتل ١١ عربياً وبريطانيين » ، أما الوصف اليهودي في صحيفة « بالستاين بوست » في نفس اليوم ، فقد جاء على الشكل التالي : « أسفر إلقاء قنبلة على بوابة دمشق ظهر أمس عن مقتل ١٥ عربيا وإصابة حوالي ٥٠ آخرين بجروح .. فقد مرت سيارة تاكسي خضراء اللون ، وبداخلها ثلاثة من اليهود ، بجانب الحرس الوطني العربي على الباب الجديد ، وواصلت سيرها في طريق سلمان ، حيث ألقى ركابها قنبلة قرب موقف للحافلات ، فتحول الشارع الذي كان يعجّ بالعرب ، إلى مجزرة ، حيث قتل ستة من العرب على الفور ، وبين أسماء القتلى الذين أوردت الـ « بلستاين بوست » أسماءهم ، سعاد عماشة (١٠ أعوام) ، وأمل شماعة (١١ عاما) من القدس ، ولم يتم التعرف على جثتي طفل ورجل وذكرت صحيفة « فلسطين » العربية أن عدد الضحايا بلغ ١٨ قتيلاً بينهم طفلان ، و٢٧ جريحاً .

وأما بشارة سرحان ، فقد روى الحادث كما يلي : « كنت ذاهباً إلى السوق لاشتري قهوة وبعض الحاجيات الأخرى ، وكان ولدي سرحان بصحبتي ، فما كدنا ندخل البوابة (بوابة دمشق بالقدس) ، حتى سمعت الناس يصرخون فنظرت إلى الخلف ، فرأيت شيئا أسود يُلقى من سيارة ، ثم أخذ يتدحرج على المنحدر حتى انفجر ، مُحدثاً دوياً هائلاً ، فحملت سرحان وركضت به عبر البوابة ، وظهر لى أن سرحان كان مغمى عليه ، فاشتد غضبي ، حيث كانت عيناه مغلقتين ، لكنه لم يكن مصابا بأذى ، ففركت وجهه ويديه ، وبعد دقائق فتح عينيه ، فسألته : سرحان .. هل تشعر بألم ؟ فأجاب : لا ياأبي ، فمضيت أفرك يديه وجسده ، إلى أن نهض ، وعندما سألني : لماذا يفعل اليهود هذا .. ألا يُؤمنون بالله ؟؟! » . ويمضي بشارة سرحان في سرد وقائع ما حدث فيقول : « وحين خرجنا من البوابة ، راعنا ما شاهدناه ، فمع أن سيارات الإسعاف حملت القتلى والجرحى ، فقد بقيت آثار الدماء وبعض الجرحى على الأرض ، ورأينا لحماً وعظاما متناثره ، وكان الجميع يصرخون ويبكون ، فقال سرحان : لا أريد أن أرى هذا يا أبي ، فأخذت منديلي ، وعصبت عينيه وعدت به إلى البيت » .

كانت هذه الحادثة ، أول جرح عميق أصاب نفس سرحان بشارة سرحان وهو لما يبلغ الرابعة من العمر ، وقد تتالت الأحداث بعد ذلك في فلسطين ، لتترك بصماتها بقوة على تلك النفس الفلسطينية الغضة ، ويروي والد سرحان أن أحداث العنف تصاعدت خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٤٨ ، وفي « حي المُصْرارة » كان هناك كرٌّ وَفرٌّ بين العرب واليهود ، باعتباره حيّاً مشتركاً بينهم ، وكان سرحان يذهب إلى حديقة للأطفال في الجوار ، وفيما كان يهم بدخول منزل والديه في أحد الأيام ، أنفجرت قنبلة مورتر في الطريق ، فوقع سرحان أرضاً ، وأصيب بجرح طفيف في وجهه .

ويروى أيضا « أن سرحان جاء من المدرسة إلى البيت راكضاً يوماً ، وبدا عليه الاضطراب والاهتياج ، وقال لنا : رأيت يهودياً يجرح امرأة عربية » ويصف الوالد معركة ساخنة جداً ، ظلّ اليهود يطلقون النار والقنابل خلالها ودون انقطاع ، طيلة ليلتين كاملتين في حيّ المصرارة ، ولم يتوقف اليهود عن ذلك ،

إلا بعد أن أجبروا العرب على النزوح من ذلك الحيّ ، ويقول بشارة سرحان : إنه نزح مع عائلته من منزله في الحيّ دون أن يترك اليهود لهم فرصة حتى لانتعال أحذيتهم . وفي أحداث القتال بين العرب واليهود في أيار (مايو) ١٩٤٨ ، شارك شقيقا سرحان ، وهما سعد الله وشريف ، في القتال .

وهكذا كانت الأحداث في فلسطين ، ترسم وتحفر طريقها على تلك الصفحة البيضاء النقية في نفس سرحان ، ولم ينس سرحان نزوحه مع أفراد العائلة الآخرين من منزلهم في « المصرارة » ، فكان دائم السؤال لوالده بعد سنوات من تلك الأحداث : « أبي ، لماذا فعل اليهود بنا هكذا ؟ ولماذا كان عليّ أن أترك ألعابي ، التي لا أشك في أن اليهود يلعبون بها الآن » ، أو « أي نوع من الناس هم أولئك اليهود ، الذين يُلقون القنابل على الآخرين ؟ ألا يخافون من الله ؟ »)

الهجـرة إلى أمريكـا

في أعقاب معارك أيار (مايو) ١٩٤٨ ، أغلق بشارة سرحان باب منزله ، وشدّ الرِّحال

إلى الولايات المتحدة الامريكية ، دون أن ينسى أن يأخذ معه مفتاح البيت ، لكنه لم يعد إليه

أبداً حتى اليوم . وبعد ثماني سنوات من المعاناة في أمريكا بسبب شظف العيش ، وصعوبة التأقلم ، عاد بشارة سرحان إلى قريته الطيبة (وليس إلى حيّ المصرارة بالقدس) ،

ليبنى فيها مسكناً جديداً من الحجر ، بيد أنه ما لبث أن عاد ثانية إلى أمريكا .. أما سرحان فكان يردّد غداة الهجرة : « أردتُ أن أبقى في وطني وبين أبناء شعبي ، لأنني كنت أعرف أن الولايات المتحدة ضدّ العرب وهي صديقة لإسرائيل » .

وفي الولايات المتحدة ، لم تعرف عائلة سرحان رَغَد الحياة ، لأن قيمها ما كان لها مكان في تلك البلاد على الاطلاق ، وأما سرحان فقد كان جاداً في حياته ووقوراً مثابراً ، وشاباً

مطيعاً وهادئاً ، ومتمسكا بزمام الأخلاق إلى أبعد الحدود . وعلى الرغم من أن العائلة استقرت في الولايات المتحدة ، إلا أنها رفضت باستثناء أحد الأبناء ، أن يصبح أفرادها

مواطنين أمريكيين ، وأصروا على الاحتفاظ بهويتهم الفلسطينية ، وذلك على الرغم من المضايقات وحجب الاعانات الحكومية المترتبة على هذا الموقف . كما أن سُمرة بشرتهم عرّضتهم للتمييز العنصري . بيْد أنهم كانوا

جميعاً مفرطي الحساسية والكبرياء ، ولم يشعروا إطلاقاً بالانتماء لغير فلسطين والعروبة .

وقد عمل سرحان في وظائف مهينة ، في كنس محطة للبنزين ، وتنظيف المراحيض ، ولدى أحد البقّالين ، لكنه بقي متمسكاً بفلسطينيته وعروبته ، ثم ما لبث أن بدأ ينتابه شعور متصاعد بالغربة عن المجتمع الأمريكي ، ويروى أحد أصحاب حوانيت البقالة ، الذي عمل سرحان لديه لفترة من الزمن ، (المستر وايدْنر) ، أن سرحان انتقد الولايات المتحدة لمساعدتها لإسرائيل ضدّ العرب ، ثم قال : « أنا عربي .. فكيف أصبح أمريكياً ؟! » ، وقال المستر وايدنر : « نعم ..

إنني أستطيع أن أقول إن سرحان كان يحب بلاده » ، ويروى عنه أنه وصف لزوجته حادثة شاهد خلالها بأمّ عينيه ، جندياً يهوديا يقطع صدر امرأة عربية في القدس » .

وكان سرحان يرى أن العرب على حق ، وأن اسرائيل هي أصل الشرّ في منطقة الشرق الأوسط ، وأنه يتوجب لذلك على العرب أن يبنوا أنفسهم ، وأن يحاربوا اسرائيل .

وبينما كان سرحان يعيش في عالمه الخاص ، متمسكاً إلى أبعد الحدود بحبه

لبلاده وأمته ، كان يرى ويسمع التضليل الصهيوني ضد العرب يوميا من خلال أجهزة الاعلام الامريكية . وكان يرى ويسمع أيضا ، كيف ينجرف الساسة الأمريكيون مع التيار الصهيوني ، ويتزلفون لليهود وفي هذا الجو المتصهين ، كان روبرت كينيدي ، المرشح للرئاسة الأمريكية في عام ١٩٦٨ ، يُبدي إعجابه بإسرائيل ، بمناسبة ودون مناسبة ، ويُطلق التصريح تلو الآخر ، للاعراب عن تأييده لها ، وضرورة مدّ الصهاينة بأحدث الأسلحة الأمريكية وبالأموال والمساعدات الاقتصادية ، في حين كان روبرت كينيدي يُظهر هزءاً بالعرب ، وسخرية بعاداتهم وتقاليدهم ، ولم يتورّع قبيل اطلاق الرصاص عليه من قبل سرحان ، عن القول : إنه إذا أصبح رئيساً ، فسيُعطي إسرائيل طائرات فانتوم المتطورة ، كما أعطاها شقيقه جون كينيدي صواريخ هوك ، وكانت تلك التصريحات تثير سرحان ، وتشكل لديه إرضية صلبة ، للانطلاق في عمل ، كان يعتقد أنه قد يُغيِّر مجرى الأحداث ، وكانت قمة الإثارة لدى سرحان بشارة سرحان ، عندما قرأ تصريح روبرت كينيدي الذي قال فيه خلال إحدى حملاته الانتخابية ، وأمام حشد من اليهود : « لقد شربتُ لتوّي قهوة عربية مُرَّة ، ولم يُتَحْ لي الوقت الكافي لغسل فمي منها !!! » في هذا الجوّ من الانفعال الشديد والجارف ، صَمم سرحان بشارة سرحان على منع روبرت كينيدي من تقديم طائرات فانتوم لإسرائيل ، ومنعه من السخرية بالعرب ، فرأى من وجهة نظره ، أن أقصر طريق لتحقيق ذلك ، هو قتل كينيدي نفسه ، ظانّاً بأن هذا العمل المثير ، سيفتح عيون الأمريكيين على واقع القضية الفلسطينية ، ويجعل الشعب الأمريكي وقادته ، يتراجعون عن إغراق اسرائيل بمساعداتهم .

عضو في هيئة المحلّفين:
«سنرسله إلى السجن لأطول مدّة ممكنة»!



كلمة أخيرة

يبقى أن نقول إننا وان كنا لا نقرّ أُسلوب الاغتيال السياسي ، وبالتالي لا نقرّ أسلوب سرحان بشارة سرحان في التعبير « عن حبّه لوطنه فلسطين ولأمته العربية » ، إلا أننا لا نملك إلا أن نحترم ضميره وتفكيره ، ونعتقد أن سرحان يستحق المساعدة والاهتمام من كل عربي في محنته الراهنة في السجن .

عصام شريح

مشكلة تهدد المجتمعات العربية

الهجرة من الريف إلى المدينة

بقلم: الدكتور جلال عبدالله معوض

تشهد العديد من الأقطار العربية مايمكن تسميته «بالتضخم الحضرى»، فى ظل النمو المتزايد لنسبة السكان فى المناطق الحضرية ــ وخاصة العواصم والمدن الكبرى ــ من اجمالى السكان، وفى ظل انتشار المدن المكتظة سكانياً والتى تتجاوز فى كثير من الأحيان المليون نسمة ــ خاصة «القاهرة» التى لايقل عدد سكانها حالياً عن عشرة ملايين نسمة، فضلاً عن الامتدادات العشوائية للعديد من تلك العواصم والمدن.

وعلى سبيل المثال فى عام ١٩٨٢ بلغت نسبة سكان الحضر من اجمالى السكان (٧٧٪) فى لبنان و(٧٠٪) فى العراق و(٦٠٪) فى الأردن و(٥٤٪) فى تونس و(٤٩٪) فى سوريا و(٤٥٪) فى كل من مصر والجزائر و(٤٢٪) فى المغرب. وفى عام ١٩٨٠ بلغ عدد المدن العربية التى تتجاوز كل منها المليون نسمة (١٩) مدينة، من بينها أربع مدن بالمغرب وثلاث مدن بالعراق واثنتان بكل من مصر وسوريا.

وتقدر إحدى المصادر أنه من المتوقع زيادة نسبة سكان الحضر من اجمالى السكان فى الأقطار العربية من (٤٦,٨٪) فى عام ١٩٨٠ إلى (٥٩,٩٪) فى عام ٢٠٠٠.

ويرجع هذا التضخم الحضرى إلى عدة عوامل من أهمها موجات الهجرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية. ومن هنا نلقى الضوء على طبيعة وعوامل تلك الهجرة وآثارها سواء على المناطق الحضرية أو المناطق الريفية، وكذا ضرورة التنمية الريفية للحد من موجات تلك الهجرة.

طبيعة وعوامل الهجرة من الريف

يرجع تدفق أعداد كبيرة من سكان المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية بالأقطار العربية إلى التدهور فى أوضاع المناطق الريفية والتى يعانى معظم سكانها من البطالة والقصور فى الخدمات المختلفة. ولاتقتصر موجات الهجرة من الريف إلى الحضر ــ وعادة مايكون دافعها الأساسى البحث عن فرص عمل ــ على الهجرة إلى العواصم والمدن الكبرى، ولكنها تشمل أيضاً الهجرة إلى المدن الصغرى والوسطى. وإن كان نصيب العواصم والمدن الكبرى من هذه الهجرة يفوق نصيب ماعداها من مدن، بل ومن الملاحظ أن هجرة الريفيين إلى المدن الصغرى عادة ماتعقبها هجرة العديد منهم إلى العواصم والمدن الكبرى. ومن هنا نجد أن نسبة كبيرة من سكان هذه الأخيرة من المهاجرين الريفيين.

وعلى سبيل المثال نجد أكثر من ثلث سكان «القاهرة» من الوافدين إليها من المناطق الريفية وقد زاد عدد الريفيين المهاجرين إليها من (٧٠١,٥٠٣) في عام ١٩٤٧ الى (١,١٩٤,٢٦٦) نسمة في عام ١٩٦٠ الى (١٣٦٠١٣١) نسمة في عام ١٩٧٦.

وفي عام ١٩٧٩ بلغ عدد سكان العاصمة التونسية (٩٩٤) ألف نسمة، من بينهم (٣١٩) ألف نسمة من المهاجرين إليها من المناطق الريفية.

وفى الفترة ١٩٧٤ ــ ١٩٧٧ زاد عدد سكان المناطق الحضرية بالجزائر، وخاصة العاصمة، بحوالى (١,٣٦) مليون نسمة، من بينهم (٥٢٠,٨٠٠) نسمة من المهاجرين من المناطق الريفية إلى المدن.

آثار الهجرة الريفية الحضرية

تطرح ظاهرة الهجرة من الريف إلى الحضر فى الوطن العربى عدة آثار تمس مختلف أوجه الحياة الاجتماعية ــ الاقتصادية، وكذا السياسية، ومن بين هذه الآثار مايلى:

١ ــ إن الدافع الأساسى لهجرة الريفيين إلى المدن عادة مايكون البحث عن عمل، ولكن ضآلة فرص العمل المتاحة بالمدن تجعل هؤلاء الريفيين على استعداد لممارسة أية أعمال ولو كانت من الأعمال الهامشية ذات الأجور المتدنية، وقد لايجد العديد منهم فرصة ممارسة أى عمل.

وعلى سبيل المثال ظهر من دراسة مسحية قامت بها احدى المراكز البحثية التونسية فى عام ١٩٧٨ أن (١٧،٨٪) من الريفيين الذين هاجروا إلى العاصمة « تونس » خلال العامين السابقين يعملون لمدة أربعة أيام أو أقل فى الأسبوع وبأجور منخفضة .

ومن هنا تزداد حدة معدلات البطالة فى العديد من العواصم والمدن العربية ، بكل مايترتب على انتشار البطالة من آثار اقتصادية واجتماعية سلبية ، فمن الناحية الاقتصادية تؤدى البطالة إلى عدم الاستخدام الفعلى الكامل للقوى البشرية النشطة اقتصادياً لصالح التنمية الاقتصادية ، ومن الناحية الاجتماعية تؤدى البطالة إلى انخفاض مستويات معيشة هؤلاء العاطلين وزيادة حدة معاناتهم نتيجة لانعدام الفرص أمامهم للحصول على أى دخل ـ فضلاً عما يتمخض عن انتشار البطالة من تزايد معدلات الجريمة والانحراف الاجتماعى .

٢ ـ إن لجوء العديد من هؤلاء الريفيين إلى الاستقرار فى المناطق والأحياء الفقيرة والتى عادة مايُشار إليها « بمدن العشش والأكواخ وبيوت الصفيح » ، تعبيراً عن النفايات والمواد الرخيصة المستخدمة فى بناء « المساكن » بهذه المناطق والتى يقطنها أساساً العاطلون والفقراء من سكان المدن ، يؤدى إلى زيادة أعداد قاطني هذه المناطق الفقيرة التي تحيط بالعديد من المدن والعواصم العربية أو تتخللها ، وبحيث صارت تلك المناطق تضم مايقرب من (٣٠٪) من اجمالى سكان تلك المدن والعواصم .

والواقع أن انتشار هذه المناطق الفقيرة ، والتى تتناقض أوضاع سكانها تناقضاً كبيراً مع أوضاع سكان المناطق والأحياء الراقية بالمدن والعواصم العربية ، يمثل عاملاً هاماً من عوامل تفجر الاضطرابات الشعبية النابعة من تزايد الشعور بالحرمان النسبى ، وهى الاضطرابات المعروفة باسم « اضطرابات الخبز » والتى شهدتها بعض المدن والعواصم العربية خلال السنوات القليلة الماضية احتجاجا على ارتفاع الأسعار وإلغاء أو تخفيض الدعم المقرر للسلع الأساسية وعلى رأسها « الخبز » .

٣ ـ وبالاضافة إلى مايترتب على نزوح الآلاف من الريفيين إلى المدن والعواصم العربية من تفاقم حدة المشكلات التى تعانى منها المرافق والخدمات المختلفة فى هذه المدن والعواصم ، فإن الصعوبات العديدة التى تواجه معظم هؤلاء الريفيين فى الاندماج فى الأنشطة الحضرية ، الاقتصادية والاجتماعية وفى التكيّف النفسي والسلوكي مع أساليب وقيم الحياة الحضرية ، هذه الصعوبات تدفعهم إلى الاحتفاظ بقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم الريفية ، ويساعدهم فى ذلك تمركزهم الجغرافى فى مناطق معينة بالمدن والعواصم .

ومن هنا ينتهى الأمر بهؤلاء الريفيين إلى إضفاء الطابع الريفى على المدن والعواصم من خلال عملية عادة مايشار إليها « بترييف المدينة » Ruralizing the City ، وهى عملية تؤدى إلى جعل هذه المدن والعواصم ـ كالقاهرة وغيرها ـ مجرد قرى ضخمة من الناحية الاجتماعية والسلوكية وليست مدناً بالمعنى الاجتماعى الحقيقى .



● استمرار الهجرة من الرّيف إلى المدينة مرتبط باستمرار الفجوة في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

● هجرة المتعلمين من الريف بحثاً عن فرصة عمل وحياة في المدينة يحرم الريف من الكوادر القادرة على تطويره

٤ ـ وإذا كانت النواحي الثلاث سالفة الذكر تبين تأثيرات الهجرة الريفية ـ الحضرية فى المدن والعواصم العربية ، فثمة ناحية أخرى تتعلق بتأثيرات هذه الهجرة فى المناطق الريفية العربية ذاتها . ونعنى بذلك وجود عدد ليس بالضئيل من بين المهاجرين الريفيين إلى المدن من المتعلمين الباحثين عن فرص عمل وحياة اجتماعية غير متاحة فى المناطق الريفية ، فلا شك أن حرمان المناطق الريفية من هذه العناصر المتعلمة يشكل على المدى البعيد عقبة ضخمة تعترض أية سياسة إنمائية تستهدف تنمية وتطوير هذه المناطق ، خاصة فى ظل النفور وعدم الرغبة فى العمل بهذه المناطق من جانب معظم قطاعات المتعلمين فى المناطق الحضرية .

أهمية التنمية الريفية فى الأقطار العربية

يتضح مما تقدم أن الهجرة الريفية الحضرية فى الأقطار العربية ، بكل مايترتب عليها من آثار ومشكلات ، تنبع بالأساس من استمرار الفجوة بين المناطق الريفية والحضرية فى الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وهى الفجوة التى تجعل من المناطق الريفية مراكز « طاردة » للعديد من سكانها نحو مراكز « الجذب » بالمناطق الحضرية .

ومن هنا تبرز ضرورة تبنى الأقطار العربية لسياسات فعالة للتنمية الريفية . ومن الأهمية بمكان التعامل مع قضية التنمية الريفية باعتبارها عملية متكاملة تستهدف تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق الريفية ، وذلك عن طريق تحسين الخدمات الاجتماعية الاساسية فى هذه المناطق (الانارة ـ المياه النقية ـ الصرف الصحى ـ الاسكان ـ التعليم ـ الرعاية الصحية ... الخ) ، وزيادة نصيب التنمية الزراعية من الاستثمارات الانمائية العامة ، توفير فرص عمل للريفيين ـ من المعدمين خاصة أو محدودى الملكية ـ سواء فى المشروعات المرتبطة بالانشطة الزراعية (شق الترع والمصارف وتطهيرها) أو فى الصناعات المعتمدة على الناتج الزراعى ، التطبيق الفعال لقوانين الإصلاح الزراعي ودعم التعاونيات الزراعية .

هكذا كما أتاح الله للإنسان المسلم أن يحظى بنعمة الصلاة عندما خرج صوت المؤذن من مكة المكرمة إلى ربوع العالم وليبشر بالإسلام .. وليشهد الناس أن لا اله إلاّ الله .. كذلك أتاح الله للإنسان المسلم فى رحلة اغترابه إلى واشنطن .. قلب الولايات المتحدة وعاصمتها .. ليؤدى الصلاة .. وليعبد ربه .. وليطهر نفسه ..

منارة للإسلام فى العالم الجديد

المركز الإسلامي في واشنطن

بقلم : فوزي تادرس

هكذا الايمان أمر قائم مع الانسان أينما نبض قلبه .. والمكان يبرحه ويتركه كلما تمكنت قدماه أن تحملاه . فما هى قصة لقاء الانسان المسلم فى واشنطن مع اخوته المسلمين من ربوع العالم .. والذين يعيشون معه فى رحلة اغترابهم .. تربطهم جميعا شهادة ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله .. وكيف يتاح لأبنائهم أن يتعلموا مبادىء دينهم الحنيف .. حتى أقيم أول مسجد فى واشنطن .. العاصمة الأمريكية .. ليضم المسلمين قاطبة .. وما هى قصة بناء ذلك المسجد .. وكيف جاءت فكرة بنائه وليدة لحظة حزن .. جاءت معها بالفرح ..

هكذا أصبحت قصة بناء المسجد نفسه بالقرب من الكنيسة الوطنية الأمريكية .. معجزة تمت فى قلب امريكا .. وحتى اختيار المكان نفسه .. وموقعه .. وطرازه الذى برع الفنان المسلم فى إظهار قدراته حيث استخدم الكتابة العربية .. لغة القرآن الكريم .. فأصبح لطراز المسجد .. وشكله .. وتصميمه .. وروعة بنائه .. وظيفة رمزية تؤكد العطاء الروحى الذى يقدمه الاسلام ..

هناك قليل من الناس الذين يعرفون المجهودات العظيمة التى قام بها بضعة من الأفراد لتحقيق حلم طالما راود المسلمين الذين يعيشون فى واشنطن .. قليل من الناس الذين يعرفون الطريق السهل المتنع الذى تكبده نفر من الناس أراد الله أن تتم معجزة بناء المسجد على أيديهم .. وأن يتم تشييد هذا الصرح الروحى الذى يشهد بعظمة الاسلام وبجلاله .. لقد قضى الله أن تتم معجزة البناء على نفر من الناس لايزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة .. وشاءت قدرة المولى أن يهبهم الصبر الذى يقويهم .. أن يمنحهم القوة التى تشد أزرهم .. الأمل الذى يصبون الى تحقيقه .. فأعطوا من أنفسهم .. ومن ذواتهم .. ومن وقتهم .. ومن جهدهم .. ابتغاء مرضاة الله .. بدون أن يكون هناك فى أنفسهم سوى أمل واحد عاشوا من أجله فترة من الزمن لتحقيق ذلك الحلم .. لبناء مسجد فى عاصمة الولايات المتحدة .. يؤمه الناس للصلاة .. ويؤمه الزائرون ليشهدوا منارة الاسلام تخفق عالية .. ينبعث منها صوت المؤمنين وهم يتهجدون فى خلواتهم .. متعبدين .. خاشعين ..

لقد تولدت فكرة إقامة المسجد فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٤ عندما اجتمع أعضاء السلك الدبلوماسى فى قاعة أحد المبانى لتوديع جثمان السفير التركى منير ايرتجون الذى وافته المنية فى واشنطن .. ولما كانت المواصلات الجوية مضربة إبان الحرب .. فلقد أمر رئيس الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت أن يرحل جثمان الفقيد الراحل الى تركيا على متن طائرة حربية أمريكية .. وكان من بين الحاضرين السفير المصرى محمود حسن باشا .. والمستر جوزيف هوار .. وهو أحد رجال الاقتصاد وصاحب شركات المقاولات والصديق للسفير التركى الراحل .. واذ بالمستر هوار يهمس فى أذن السفير المصرى محمود حسن باشا (أليس من العار أن لاتقام الصلاة على جثمان الراحل فى مسجد ؟) فأجاب السفير المصرى فى ذكاء : (هل أنت مستعد أن تساهم اذا بدأت مشروع بناء مسجد ؟) أجاب هوار : (بكل تأكيد .. وسأساعد ماديا وفنيا ومعماريا) .

هكذا فى فترة حزن تولد الأمل .. فى فترة فراق تولد اللقاء .. فى فترة كآبة تولدت الفرحة .. فى فترة ضيق جاء الفرج .. فى فترة صمت طويل خرج بعدها نداء (الله أكبر) فى سماء واشنطن .. وفى خلال أسابيع تم إنشاء (جمعية مشروع بناء مسجد واشنطن) تحت رئاسة السفير المصرى فى ٢ فبراير ١٩٤٥ .. ولقد أوحت فكرة إنشاء الجمعية على رغبة عارمة نحو إقامة بيت الله .. لإتاحة الصلاة بعد حرمان طويل لعشرات الآلاف من المسلمين الذين عاشوا فى واشنطن وحرموا من نعمة لقاء مولاهم فى صلاة روحانية تجمعهم مع خالقهم فى أرض اغترابهم ..

لقد قضت لائحة الجمعية على أنها جمعية دينية لتتيح مكانا للعبادة لأفراد الجالية الاسلامية عامة .. ولشراء الأرض لإقامة مسجد فى مدينة واشنطن .. وكانت الخطوة الثانية هى تأسيس صندوق جمع التبرعات .. ولقد لعبت الصحافة الأمريكية دورا كبيرا للدعاية لهذا المشروع .. ولطلب المساعدات المالية .. وكان على رأس هذه الجرائد جريدة الهدى وجريدة السائح وهما الجريدتان اللتان أوسعتا صدريهما للكتابة عن هذا المشروع .. ومن خلال الدعاية التى قامتا بها توالت التبرعات المادية .. ليس فحسب من الأفراد والمؤسسات الاسلامية .. ولكن أيضا من الهيئات الأمريكية والكنائس الشرقية الموجودة فى أمريكا .. ولقد كان السفير المصرى يوقع خطابات الشكر للمتبرعين بهذه المبالغ .. ولقد

بذل السفير المصرى كل جهده لانجاح هذا المشروع وراح يخصص المكان .. والموظفين بالسفارة المصرية للتفرغ للأعمال الادارية اللازمة للمشروع .. وفى نهاية عام ١٩٤٥ كان المبلغ الذى تم جمعه ٤٧،٨٧٦ دولارا .. وسافر السفير المصرى للقاهرة ليطلب من الملك فاروق مساهمته فى هذا المشروع فتبرع الملك بمبلغ ٤١،١٢٦ دولارا .. وساهمت الحكومة المصرية فى ذلك الوقت بمبلغ ١٢٣،٣٨٢ دولارا .. وبقيت هذه المبالغ كاملة بدون أن تمس إذ تعهدت السفارة المصرية بتولى تكاليف الأعمال الادارية والنفقات النثرية من كتابة خطابات .. دعاية .. إعداد اجتماعات .. مكالمات تليفونية داخل وخارج الولايات المتحدة ..

وراحت الجمعية تبحث عن قطعة أرض تليق بالمسجد .. وتفيد السجلات بأن هناك قطعة أرض قدمت للجمعية مجانا لبناء المسجد .. ولكن الجمعية رفضت ذلك لبعدها عن قلب العاصمة وأخيرا تم اختيار قطعة الأرض التى أقيم عليها المسجد بمبلغ ٩٥،٠٠٠ دولارا ..

كانت سنوات ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ سنوات قحط بالنسبة للتبرعات .. فلم تتقدم أية حكومة عربية أوإسلامية بالمساعدات المالية .. وحتى المساعدات المالية من أمريكا نفسها كانت قليلة .. ومتقطعة .. وفيها أيضا انتهت مدة خدمة السفير المصرى محمود حسن باشا .. وجاء خلفه السفير محمد كامل عبدالرحيم ..

لقد لعب السفير المصرى الجديد محمد كامل عبدالرحيم دورا هاما فى تاريخ إنشاء المسجد .. اذ تولى تنشيط همم باقى الحكومات العربية والاسلامية .. وتنشيط رجال السلك الدبلوماسى العربى والاسلامى الموجود فى واشنطن .. وتوليد الشعور لديهم بأن هذا المسجد لايخص مصر .. أو الدول العربية .. ولكنه لكل المسلمين المؤمنين من قاطبة الدنيا وأسرها .. وهكذا فى احتفال عظيم .. فى ربيع الأول ١٣٦٨ هـ الموافق ١١ يناير ١٩٤٩ فى الساعة الثانية والنصف تم إرساء حجر الأساس للمسجد .. وكان حجر الأساس مغطى بصندوق يحتوى على نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية .. وبعض العملات الفضية المتداولة فى أمريكا .. وقام السفير المصرى بإلقاء كلمة الافتتاح والتى جاء فيها :

(هذا المسجد لاينتمى الى شخص واحد . أو شعب واحد . أو دولة معينة .. إنه بيت الله الذى يفتح أبوابه لكل مسلم .. وكلنا فيه سواء .. إن الاخلاص فى الايمان بالله ورسوله هو الذى يميز الداخلين للصلاة فى هذا المسجد .. فلن يكون هناك شرف لشخص واحد أو دولة معينة للعمل فى إنجاح هذا المشروع العظيم .. ولكن الشرف لنا جميعا .. نحن المسلمين المؤمنين بالله .. ورسوله)

وفى سنة ١٩٤٩ وصلت من وزارة الأوقاف المصرية الرسوم المعمارية التى قام برسمها المهندس الايطالى ماريو روس الذى تخصص فى عمارة أهم المساجد الاسلامية الموجودة فى القاهرة والاسكندرية .. ومن فرط ولع هذا المهندس الايطالى بالاسلام .. فانه قد أشهر إسلامه وتسمى باسم محمد مهدى وحج الى بيت الله الحرام فى ١٩٦١ قبل وفاته . ولقد اتصل السفير المصرى بالأزهر الشريف لتعيين أمام للمسجد ملم باللغة الانجليزية ولقد أجاب الأزهر الشريف فى اليوم نفسه وتم تعيين الدكتور محمد حب الله إماما للمسجد .. وكان الدكتور حب الله قد تخرج من انجلترا وسافر الى كثير من البلاد الافريقية والآسيوية وهكذا تحمل الأزهر الشريف نفقات سفر ومرتب الدكتور حب الله .. واجتمع مجلس إدارة الجمعية ووافق على قبول تعيين الدكتور حب الله .. ووافق أيضا على شراء فدان أرض لإقامة مدافن للمسلمين فى ولاية فرجينيا التى يفصلها عن واشنطن نهر البوتمك .. ووافق المجلس على تسمية المسجد باسم المركز الاسلامى . وتم وضع اللائحة .. وكانت أهم بنودها :

ــ تأسيس مكتبة إسلامية متخصصة .
ــ تعليم اللغة العربية للأطفال المسلمين .
ــ تنظيم سلسلة من المحاضرات خارج وداخل المركز للتعريف بالاسلام .
ــ إقامة متحف إسلامى لعرض الفنون الاسلامية .
ــ إعداد المحاضرات والندوات الاسلامية والثقافية .

انتهت مدة خدمة الدكتور حب الله وعاد للقاهرة .. وخلفه الدكتور محمد بيصار .. وكانت فترة عمل الدكتور بيصار هى فترة المسئولية الكبيرة المتعلقة بإنهاء العمارة داخل المسجد .. وبداية النشاط الثقافى الاسلامى .. وفى ٢٨ يونية ١٩٥٧ تم افتتاح المركز الاسلامى ووصلت تكاليف بنائه ١،١٤٠٣٣٥ دولارا . أقيمت حفلة الافتتاح .. وحضرها كبار المدعوين من بينهم رئيس الولايات المتحدة ايزنهاور والسيدة قرينته .. وبدأ الحفل بتلاوة الفاتحة .. وقام الرئيس ايزنهاور بإلقاء كلمة الافتتاح .. وفى نهاية كلمته أعلن افتتاح المركز رسميا ..

وهكذا وصل الاسلام الى العالم الجديد .. وهكذا تبزغ الشمس صباح كل يوم لتسطع مشرقة على قلب العاصمة الامريكية . وفيها نسمع الآن صوت القرآن الكريم عندما يتهدج بتلاوته المصلون فى قيثارة واحدة تنبض بالرجاء .. وتدعو للاخاء .. تذكرنا بصوت بلال مؤذن الرسول عندما كان يدعو للصلاة .. ويتردد هذا الصوت الذى يبدد ظلام النفس مع طلائع الفجر التى تبدد ظلام الحس فيلتقى النوران : نور الفجر .. ونور الوحى .. ويمر الوقت خاشعا حفيا .. والمكان ببسمة الضياء وروعة النداء عطر ندى .. فيلتقى جمال الضياء .. بعطر النداء : حي على الصلاة .. حي على الفلاح .



المركز الاسلامى فى واشنطن

الشـــاعـــر

أحمد العاصي

أضواء جديدة على مأساته ورواية مجهولة له

بقلم: رابح لطفي جمعة

كتب الأستاذ رجاء النقاش مقالاً بمجلة الدوحة الغراء عن «الشاعر العاصى ومأساته» تناول فيه بعض جوانب حياة هذا الأديب البائس والشاعر اليائس الذى أقدم على الانتحار فى الثلاثينيات من هذا القرن حيث مات في حجرته محترقاً بلهيب النار التى اندلعت في الحجرة واستمرت في اشتعالها البطيء أكثر من أربع وعشرين ساعة ، وذكر الأستاذ النقاش أن مؤرخ حياته الوحيد محمد محمود زيتون قال إنه كان قد دهن جسمه بمادة كاوية لعلها ما نسميه بماء النار ثم آوى إلى فراشه ، وظلت هذه المادة تأكل جسمه بالتدريج وتحرق الفراش ببطء حتى قضت على الشاعر وأحالته فحمة محترقة ، وكان إذ ذاك فى السابعة والعشرين من عمره وكان قد أصدر ديواناً واحداً من الشعر أسماه «ديوان العاصى» وأصدر رواية واحدة أيضاً اسمها «غادة لبنان» .

وقد اهتم الأستاذ رجاء النقاش بإلقاء بعض الأضواء على حياة هذا الشاعر ونشأته وتعليمه وأزمته النفسية لما يمثله أدبه من تجربة حية نادرة شديدة الصدق . فقال إنه ولد سنة ١٩٠٣ بمدينة فارسكور وماتت أمه وهو فى السادسة من عمره وتزوج والده بغير أمه وبعد أن تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى دخل كلية الطب إلا أنه أصيب وهو فى السنة الثالثة بالكلية بأزمة نفسية فسافر إلى لبنان حيث أمضى بها ثلاثة أشهر عاد بعدها إلى مصر وقرر ترك دراسة الطب واتجه إلى كلية الآداب حيث التحق بقسم الفلسفة حتى حصل على ليسانس الفلسفة سنة ١٩٢٩ .

وإن كان لنا أن نضيف شيئاً إلى ما جاء بمقال الأستاذ رجاء النقاش خدمة للأدب والتاريخ فنقول إن أول من كتب عن هذا الشاعر ومأساته هو محمد لطفى جمعه حيث كتب سنة ١٩٣٠ فصولاً ضافية بجريدة «المساء» عقب وفاة الشاعر تناول فيها بالتحليل والدراسة حياة العاصى وأزمته الفاجعة وألقى الأضواء على فكرة الموت التي سيطرت على ذهنه وعقله وظلت تراوده وتساوره ويعبر عنها فى كل ما كتب من شعر وقصة حتى أقدم على تنفيذها .

وقد تحدث لطفى جمعه فى هذه الدراسة عن تأثر العاصى بكتابات الشاعر اللاتينى لوكريس (٩٥ ـ ٥٣ قبل الميلاد) صاحب ديوان «عن طبيعة الأشياء» ، فقد وضع العاصى خطاً أحمر تحت بيت الشاعر اللاتينى الذى يقول فيه «عندما يصيبنا الانحلال الذي ندعوه موتاً فمثلنا كالنبيذ الذي فارقه عطره أو كالطيب الذى طار عبقه» .

ويذكر الأستاذ رجاء النقاش أن العاصى كتب الرسالة التالية على الصفحة الأولى من كتاب شيشرون المعروف باسم «كتابات من روما» ـ «إلى من يهمهم أمرى . جبان من يخشى الموت ومن لا يرحب بهذا الملك الكريم الذى هو لى كالرائحة الزكية» . ومعنى هذا أن الموت عند العاصى جميل ويجب على الإنسان أن يسعى إليه وأن يصبح عاشقاً له .

أسباب انتحار العاصى

وقد حاول الأستاذ رجاء النقاش أن يتعرف على أسباب إقدام العاصى على الانتحار وتحليل موقفه من الحياة ونظرته إلى الموت فذكر أن أول هذه الأسباب هو حرمانه من الأم فى طفولته فقد ترك هذا الحادث أثراً عميقاً على شخصيته ودفعه إلى الدخول فى عالمه الخاص وعمق لديه الإحساس بالوحدة وبعمق مأساة الحياة كما عبر عن ذلك تعبيراً شعريا مباشراً فى كثير من قصائده . أما السبب الثانى فهو دراسته الفلسفة واستعداده للقلق مما طرح فى أعماقه أسئلة كثيرة عن مشكلة الموت والمصير.

ولاشك عندنا فى صدق حدس الأستاذ النقاش حول السبب الرئيسى لإقدام العاصى على الانتحار وهو حرمانه من عطف الأم وزواج والده بغير أمه وبالتالى شعوره بالوحدة وإحساسه بالضياع .

رواية تفسر المأساة

يؤكد ذلك أن العاصى لم يؤلف رواية واحدة فقط هى « غادة لبنان » كما جاء فى دراسة الأستاذ زيتون عنه وإنما له رواية أخرى لازالت مخطوطة بخطه موجودة لدى بين ما تركه لطفى جمعه هى رواية « الأديب المنكود » وقد بدأها العاصى سنة ١٩٢٥ وأتمها سنة ١٩٣٠ وقال فى مقدمتها ما يلى :

> « أيها القارىء . كتبت هذه الرواية سنة خمسة وعشرين ثم شغلتنى عنها الشواغل الحين بعد الحين حتى عدت إليها اليوم وأعملت فيها قلمى فهذبتها ورأيت أن أطلع الغير معى عليها فنشرتها فإن كان فيها نفع لطالب أو عظة لراغب كنت قد أديت بعض الواجب والسلام »
> أحمد العاصى ٢٠ مارس سنة ١٩٣٠

وتدور أحداث هذه الرواية فى إيجاز شديد حول أديب اسمه « الوحيد » ماتت أمه عقب ولادته مباشرة فتشاءم الكثيرون منه ومن بينهم والده الذى دفع به إلى مرضع قاسية القلب متحجرة العواطف ، ثم تزوج بأرملة لها طفلة



صورة نادرة للشاعر أحمد العاصى الذى انتحر سنة ١٩٣٠

تحليل أعمال الأدباء المنتحرين

ولقد حاول النقاد أن يستخدموا منهج النقد الأدبى القائم على التحليل النفسى « Psychocritique » لدراسة الأعمال الأدبية للأدباء الذين أقدموا على الانتحار للوقوف منها على أسباب انتحارهم ، اعتباراً بأن كل ما يصدر عن الانسان إنما يعبر ويرمز إلى مكوناته النفسية وأعماقه اللاشعورية كما فعل البعض بالنسبة للأديبة الانجليزية فيرجينيا وولف (١٨٨٢ ــ ١٩٤١) والأديب الامريكى ارنست هيمنجواى (١٨٨٩ ــ ١٩٦١) اللذين ماتا منتحرين ، فتناولوا بعض أعمال هذين الأديبين الروائية بالتحليل والتفسير مستخدمين منهج التحليل النفسى .

وإذا كان هناك فرق كبير بين الانتحار والموت الطبيعى فإن أول ما يثور من اسئلة عندما يقدم أديب على الانتحار هو معرفة سبب انتحاره .

الشـــاعـــر

أحمد العاصي

صغيرة من زوجها الأول تدعى « علياء » ، ونشأ الوحيد في حجر المرضع محروماً من حنان الأم وعطف الأب . ثم أعادته المرضع لأبيه بعد أن وقر في ذهنها من بعض الأحداث أنه « ولد مشئوم منكود » ولكن الطفلة أقبلت على الوحيد تلعب وتلهو معه وتوثقت بينهما العلاقة بمرور الأيام بينما لم يجد من والده إلا الإهمال والإعراض عنه ومن زوجة أبيه سوء المعاملة . ودخل الوحيد المدرسة حتى أتم مراحلها بعد أن لقي صنوفاً من العنت والاضطهاد مما « ملأ نفسه نقمة وحسرة وجعله مزورا عن الجميع » ويقرر الوحيد أن يعيش وحيداً لا يقترن بزوجة ولا يبعث إلى العالم بأبناء ربما نالهم من الاضطهاد والظلم ما ناله ويتجه إلى الأدب وكتابة الشعر والقصة ويفاتح علياء فيما عزم عليه أمره ثم يرحل عن قريته وهو يقول « إليك عني أيها البلد الذي لم ترني لذة الطفولة ولا مرح الصبا ولم تمنحني عطف الأم ولا حنان الأب ولم ترني أحداً من ذويَّ حادباً عليَّ . وتمضي أحداث الرواية ويقيم الوحيد بمنزل رجل يمتلك صحيفة يومية يعمل بها محرراً وتسوء حالة الفتاة علياء وترفض كل من يتقدم للزواج منها وينزل بها المرض ويذوي جسمها وتذبل زهرتها ثم لا يلبث والد الوحيد أن يموت . ويفكر الوحيد في حياته ووحدته وخطته التي سلكها في الحياة وكيف أنها ضد الطبيعة البشرية فلا تروقه الحياة التي يحياها ويقرر أن « ينغمس في اللذات أياً كان سبيلها وينتهب المتعة أياً كان نوعها » . أما علياء فقد ذبل عودها وذوى جسمها وفاتها الزمن الذي يطمع فيه مثلها في الاقتران .

واضمحلت صحة الوحيد وأصيب بذات القلب فصمم على أن يقضي بقية حياته في غرفته معتزلاً جميع الناس ولذات الحياة . ويهتف به هاتف ذات يوم أن يزور علياء فينهض ليبحث عنها في بلدتها ويهتدي إلى الدار ويطرق بابها فينفرج عن عجوز يعرف فيها علياء فيعانقها عناقاً طويلا ثم يعلم أن والدتها قد توفيت ويقترح عليها أن ترحل معه ليعيشا في قريته بعيدين عن الأنظار ، وتوافق علياء على اقتراحه على أن تلحق به بعد أن تهيىء نفسها للرحيل .

وعاد الوحيد إلى قريته متضعضع الجسم منهوك القوى ولاح أمام عينيه شبح الموت يغدو ويروح في الغرفة فخشي أن ينقض عليه قبل وداع علياء ، ولكن ملك الموت أخذ يرفرف في الحجرة بجناحيه وأخذ الوحيد ينتزع من نفسه كلمة كلمة ليسمعها صديقه صاحب الجريدة ويقول له :

« لقد كنت مضطهداً من يوم قدمت هذا الوجود وسخرت في الحياة وكان أول اضطهاد نالني أن اختطف الموت والدتي ولم أنعم بحنانها ولم أتذوق عطفها ثم رميت إلى مرضع لقيت بجانبها الهم والأسى ثم ألقيت في منزل أبي فلم ألق إلا الجفاء ثم برمت بالناس جميعاً وقضيت دراستي وما بعد دراستي وأنا لا ألتصق بهم فليس في الناس إلا خائن غدار ثم أنضجني الزمن قبل أواني فرأيت أن أحيا وحيدا في الحياة وكنت أجد من نفسي ولعاً بالكتابة فاتخذتها مهنتي ... وغلبتني على قلبي فتاة نشأت وإياها في منزل واحد ولم يعطف عليَّ في الحياة سواها وأحبتني حيث كنت لاهياً بوضع خطتي الشاذة في الحياة فهجرتها هجراً غير جميل وقمت بخطتي إلا أن نزعات الجسم ومطالب النفس غلبتني على أمري فوهنت إرادتي وأنا أودع الشباب وغمست نفسي في حوض اللذات فأنهكت قواي وما كنت أبقى على شيء في يدي لأني لا حاجة بي إلى شيء ثم أحاطت بي الأمراض وقهرني داء القلب وعزلني في منزلي ثم تقويت عليه بعض الشيء وذهبت لأبحث عن حبيبتي وسر وجدي فلقيتها قد بقيت على الحب والوفاء فانصب الهم في نفسي من أجلها انصباباً ثم اتفقنا أن تأتي لتشاركني فيما بقي لي من أيام الحياة إلا أنه يظهر أن الموت سيغلبني على أمري ... »

ولا يلبث الوحيد أن يقضي نحبه وفي تلك اللحظة تقبل علياء ولكن بعد أن قضي الأمر وودع الوحيد الحياة ثم لا تلبث علياء أن تموت هي الأخرى وترقد بجوار حبيبها » فقد جمعهما الموت بعد أن فرقتهما الحياة » !

وهذه الرواية تلقي أضواء كثيرة على أسباب إقدام العاصي على الانتحار وخاصة تركيزه على حرمان البطل فيها من حنان الأم وعطف الأب وشعوره بالاضطهاد وامتلاء نفسه بالحسرة والنقمة وعزوفه عن الزواج وتكوين أسرة وإنجاب أبناء قد يلقون في الحياة ما لقي أبوهم من عذاب .

خطابان يتضمنان أسباباً أخرى لانتحار الشاعر

ولكن شخصاً اسمه رفعت عماد الدين اللواني أرسل إلى لطفي جمعه خطاباً سنة ١٩٣٠ زعم فيه أن العاصي أقدم على قتل نفسه بسبب اضطراب نفساني وأن الاطلاع على رواية « غادة لبنان » يوضح أثر هذا الاضطراب واضحاً ويزعم كاتب الخطاب أن أهم أسباب هذا الاضطراب النفسي هو النقص في الجسم ويقول :

« وأظن ــ وظني يقارب العقيدة ــ أن أحمد العاصي ما اختار لموته إلا طريقة تخفي عن الأعين هذا النقص الجسماني ... والعاصي لم يقدر أن ينشد الحب واللذة بسبب نقصه الجسماني وكانت النتيجة أن استولت عليه فكرة الموت ... وأذكر أنك دونت في أحد أبحاثك عن العاصي تضجره من علم التشريح عندما كان طالب طب ، وعندي أن هذا التبرم جاء من اشمئزازه من جسمه ... وقد شهد الأستاذ محمود صادق وكيل أمين المكتبة أن العاصي كان متبرماً بالحياة لأسباب مجهولة وكان العاصي مسروراً مستبشراً قبل موته بقليل ، وهذا يدل على اضطرابه النفساني ... وهذا الاضطراب نتيجة لنقص جسماني ، فأحمد كان يعيش لوحده في القاهرة فماذا كان يمنعه من أن يتمتع بقوة شبابه ؟ ولمَ اختار الأرملة القبيحة الشكل كخادمة ؟ ولم اطلع أنه ابتلى بعاطفة لقي فيها خيبة لا في شعره ولا في حياته الخاصة وزبدة القول إنني أرى أن أحمد العاصي انتحر

بخط أحمد العاصى

أحمد العاصى

بعدما عانى ماعانى من اضطرابه النفسانى الذى أمرضه وهذا الاضطراب نتيجة لنقص فى الجسم » .

كذلك هناك شخص آخر يدعى سيد على أرسل خطاباً إلى لطفى جمعه بمناسبة مقالاته عن أحمد العاصى يذكر فيه سبباً آخر لانتحار الشاعر يقول فيه :

« إن هناك سراً من الأسرار النفسية جداً لم يعلمها أحد مطلقاً إلا بعض أفراد لا يزيدون على أصابع اليد وأولئك هم الذين يعلمون مبدأ تكوين أو غرس فكرة الموت عند المرحوم العاصى .

ويرجع تاريخ هذه الفكرة التى غرسها فى نفسه وقواها عنده إنسان عادى يشتغل الآن بالمعرض الزراعى الصناعى ويعتبر هذا الإنسان المصدر الوحيد فى زعزعة أفكار الشباب وإلباسهم سواد المبادىء ولا يزال بهم حتى يعترفوا بأن الموت غاية الحياة والوسيلة التى يسعى إليها كل إنسان . وقد يعلم ذلك الأديب الذى يعيش بيننا اليوم كثيرا أو قليلا من الأسرار ولكنها تعتبر من أدق المصادر فى تاريخ أحمد العاصى ... هذا الأديب لم أكتب لك عنه إلا بعد أن تأكدت أنه يشتغل الآن بالجمعية الزراعية الملكية وهو محمود العزب موسى (١) فلعلك تقدر ما قد كتبت للحقيقة والتاريخ » .

ونحن إذ ننشر أهم ما جاء بهذين الخطابين بخصوص الأسباب التى دفعت بأحمد العاصى إلى الإقدام على الانتحار ، لا نستطيع أن نتناولهما بالتعليق كما لا نستطيع أن نتبين مقدار الصحة فيهما . فأولهما يشير إلى إصابة العاصى باضطراب نفسانى نتيجة لنقص جسمانى ، فى حين أن الخطاب الثانى يعزو غرس فكرة الانتحار وترسيخها فى ذهن العاصى إلى موظف شاذ التفكير بالجمعية الزراعية الملكية .

شهادة من زميل العاصى فى العمل

ولكننا نشير فى هذا الصدد إلى أن أمين مكتبة الجامعة المصرية التى كان العاصى يعمل بها أرسل خطاباً لمدير الجامعة فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٠ يطلب فيه صرف مرتب شهر لتشييع جنازة العاصى وقد جاء فى هذا الخطاب :

« إن المرحوم أحمد افندى السعيد العاصى الموظف بمكتبة الجامعة قد توفى أمس محترقاً بمنزله فى ظروف تثير أشدّ مشاعر الأسف والحزن حيث قضى وحيداً بعيداً عن أهله وذويه حتى أتاحت الصدفة العثور على جثته هامدة بعد أن أخذت منها النيران كل مأخذ وقد بادرت بالقيام باسم الجامعة بكل واجب تقتضيه هذه الظروف المحزنة بالنسبة لأحد موظفيها عرف بكرم النفس ودماثة الخلق والوداعة ولين الجانب والجد والاستقامة فى عمله والأمانة والإخلاص فى معاملته فضلا عما كان عليه من مواهب جديرة بالتقدير من علم وسعة فى الأدب والاطلاع بما يشهد بها ديوان شعره المهدى إلى المكتبة وغيره من المؤلفات والبحوث القيمة . والفقيد حاصل على إجازة الليسانس بقسم الفلسفة عام ١٩٢٩ والتحق بخدمة المكتبة منذ شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ واستمر قائماً بعمله على أتم ما يجب القيام به حتى وافاه القدر المحتوم أمس بعد أن انقطع عن العمل منذ الثالث والعشرين من هذا الشهر [سبتمبر سنة ١٩٣٠] » .

أدب العاصى

أما عن أدب العاصى ــ شعره وروايتيه غادة لبنان والأديب المنكود ــ فليس هذا المقال محل الحديث عنه ، وحسبنا أن نشير فى هذا الصدد إلى أن أمير الشعراء أحمد شوقى نظم قصيدة فى تقريظ شعره ، كما أن العاصى شدّ انتباه الأستاذ الأديب الناقد رجاء النقاش لما يمثله أدبه من تجربة حية نادرة شديدة الصدق أمينة على ما كان يعانيه الجيل الرومانسى العربى من آلام بالغة العمق والصدق .

ومن قبل الأستاذ النقاش شدّ أحمد العاصى بأدبه وحياته القصيرة ومأساته انتباه محمد لطفى جمعه الذى كتب عنه فصولاً ضافية بجريدة المساء حتى لقد نفس بعضهم على العاصى أن يكتب عنه كاتب مثل لطفى جمعه وادّعوا أن لطفى جمعه قد بعثه من العدم وأنه لولا ما كتبه عنه ما كان أحد ليسمع بالعاصى ولا بأدبه فاضطر لطفى جمعه الى أن يكتب بجريدة المساء يقول : « أرانى مضطراً للتمثل بقول الشاعر : « حتى على الموت لا أخلو من الحسد » ... والتصريح بأن هذا القول صدق وحق وأنه يوجد بين أهل الدنيا أناس يحسدون الموتى على موتهم ! فقد لفت نظرى أحد الأدباء إلى نبذة ... تنتقد المبحث الأدبى الذى عقدته للمرحوم أحمد العاصى ، وادّعى كاتبها أننى بعثته من العدم وأنه لولا ما كتبته ما كان أحد ليسمع بالعاصى وأدبه ... إننى كنت أود أن تطول حياة العاصى وأن يستمر فى عمله وأدبه ولا أحتاج للبحث فى تاريخ حياته وشعره » .

رابح لطفى جمعه

هامش

(١) تركنا الاسم كما جاء فى مقالة الأستاذ رابح لطفى جمعة ، حرصا على عدم التدخل فى حرية الكاتب الفاضل ، أما معلوماتنا الخاصة عن الأستاذ محمود العزب موسى ، فهى أنه كان كاتبا وصحفيا معروفا ولامعا فى جيله ، وكانت سمعته طيبة فى جميع جوانب السلوك والعلاقات الانسانية ، وله كتاب مشهور ظهر فى سلسلة اقرأ هو « طرائف من الصحافة » ، وأغلب الظن أن ماجاء عن « محمود العزب موسى » فى المقال إنما هو كلام صادر عن بعض الأشخاص الذين فى نفوسهم هوى خاص .

(الدوحة)



بقلم : عبد الرزاق البصير

لحظات مع السفير اليماني المتجوِّل

كل المثقفين أو معظمهم على الأقل وكل الجماهير العربية أو معظمها على الأقل، ساخطة أشد السخط، على الأوضاع فى الوطن العربى، وقد عبر شعراؤها وكتابها عن هذا السخط بأساليب شتى منها المباشر بطريقة قوية يمكن أن توصف بالقسوة، ومنها ما جاء بطريقة غير مباشرة ولكنها واضحة الدلالة. وآخر ماوقفت عليه فى هذا الخصوص مقالات ساخرة، سماها كاتبها الأستاذ أحمد المعلمي : « قصص ساخرة ». وله الحق فى أن يسمى ماكتب قصصاً أو مقالات أو غيرها من الأسماء، لأن أديبنا يرى من حقه أن يزعم لنفسه أموراً حتى ولو لم تكن مألوفة.

فقد زعم أنه ولد مرتين ! وهذا أسلوب طريف مبتكر ساخر، فهل سمعتم أحداً يزعم لنفسه مثل هذا الزعم ؟ ولكن أديبنا نهج هذا النهج ليوضح أن حياة الناس كانت أهنأ قبل قرنين من الزمن، وأسعد مما هى عليه الآن، فإن القلق يسيطر على نفوس الناس لأن الحياة قد تعقدت أعظم التعقيد فى هذه الأيام. أما قبل قرنين من الزمن فإنها كانت بسيطة، إذ كان الفرد يفرح حين تلد بقرته (تبيعاً) أكثر مما يفرح فى هذه الأيام عندما يظفر بسيارة أنيقة ! ويرى مؤلفنا أن نومه على فراش خشن فى قريته الصغيرة اليمانية، أكثر راحة من نومه فى (شيراتون باريس) التى زارها أكثر من مرة، وهذا رأي قد يروق للكثيرين لشدة مايشعرون به من إنزعاج جعلهم كارهين لهذه الحياة.

ولكن مما لاشك فيه أن لكل عصر حسناته وسيئاته، فإننا فى هذه الأيام نحيا حياة تكتنفها الأخطار، وهي تزداد فى كل يوم. وهذه الأخطار تصدر عن هذه الأدوات التى سهلت لنا الحياة كالسيارات والطائرات، اننا نشاهدها تحصد كثيراً من الأرواح، ولكننا مع ذلك لانستطيع أن نستغنى عن إصطناعها. والذى يزيدنا كراهية لحياتنا أن البعض منا يصطنع العنف للتعبير عن رفضه وسخطه معتمداً على العلم غير مبالٍ بما يشيعه من رعب فى نفوس بريئة لاناقة لهم فيها ولا جمل كما يقولون كاختطاف الطائرات وزرع المتفجرات فى صورة حقائب وأقلام ورسائل وما إلى ذلك من أمور لاتكاد تخطر على البال حتى صار الانسان يتوقع كل شيء، ولكن هذا كله ينبغى ألاَّ ينسينا ماكان يعانيه الناس فيما مضىٰ من الزمان. ولعلَّ أستاذنا المعلمي كاتب هذه القصص الساخرة من أعظم الناس معرفة، أو إن شئت الدقة فى التعبير فقل إنه من أشد الناس معاناة لهذا اللون القاتم من الحياة، لكن الفنان يسعى دائماً إلى الأفضل، لذلك نجد أديبنا يضيق أشد الضيق بالنظم التى لا تعتمد على عقل أو منطق، وإنما تعتمد علىٰ تقليد أجوف لاعتقاد أصحابه أن ذلك من نهج الحضارة الحديثة. وأديبنا يرسم لهذا التقليد صوراً طريفة يجعل قارئها ينجذب إليه، لما فيها من حرارة الصدق والواقعية.

من هذه الصور ماحدث له حينما أراد أن يلقح نفسه، ضد بعض الأمراض، فلا تسأل عما حدث له من تعب وإرهاق ؛ فقد ذهب إلى مركز صحة العاصمة وقدم بطاقة الصحة الدولية، وإذا بالموظف يقول له : ينبغي أن يكون معك الآن واحد وعشرون شخصاً لأن علبة اللقاح مخصصة لهذا العدد من الناس، وإذا فتحت لأقل من هذا العدد، فسد مابقى منها ونحن لا نستطيع إلا أن نحافظ على أموال المواطنين. أما إذا أردت أن تتخطى هذا النظام فإن عليك أن تذهب إلى المدير. فذهب أديبنا

● عندما أقرَّ مجلس الأمن تلقيح زعماء بعض الدول بمَصْل ضدّ الحماقة

● نابغة عربي يرفض عروضاً للعمل بجامعات أمريكيَّة وأوروبيَّة!

إلى المدير . فقيل له إنه خارج ليوصل إبنته إلىٰ المدرسة . وذهب إلى نائبه فوجده مشغولا عنه . وهكذا اضطر إلى أن يقضي عدة أيام فى الذهاب من دائرة إلى دائرة ، ولم ينقذه من هذا التعب إلا سائق تاكسي الذى أخذ بطاقته وجاء بها مختومة من غير تلقيح . وقد عارض أديبنا هذه الطريقة لأنها تعرض صحة المجتمع إلى الخطر ، ثم ان الرشوة والواسطة سموم تهدم المجتمع .

ومن هذه الصور قصة تروي لنا حكاية نابغة عربي عرضت عليه جامعات أوروبية وأمريكية أن يعمل لديها ، ولكن أبى أن يستجيب ، لايمانه أن واجبه الوطني يحتم عليه أن يعمل فى وطنه ، خاصة بعد ماتلقىٰ دعوة من رئيس حكومته . يدعوه بالحاح إلىٰ القدوم فاستجاب للدعوة مصطحباً زوجته وإبنته ولاتسل عما حدث له من مضايقات جعلته غير قادر على البقاء فى بلاده ، لأنه وجد نفسه فى سجن معنوى يفرض عليه قيوداً تمنعه عن العمل فى الميدان المتخصص فيه .

ولا ينسى أديبنا أن يرسم صورة تشتمل على ماينشأ من رعب فى النفوس ، عندما يسخرُ من لا ضمير له بأن يزرع لغماً فى حافلة ، أو قطار أو طائرة مما يُودى بحياة أناس بريئين ، وكثيراً مايكون فيهم شيوخ ، وأطفال رضع ، وهذه ظاهرة لم تعرفها العصور السابقة ، وعلى كل حال فإن هذه الصورة تكمن فى أن أباً سعيداً بعائلته ، عاد ذات يوم من عمله وكان يشعر بضيق شديد ، لايعرف مصدره وإذا بالخبر يأتيه بأن الحافلة التى فيها بعض أبنائه قد اصطدمت بلغم وهي فى طريقها من المدرسة إصطداماً مزق جميع ركابها أشلاء ، ولفداحة المصيبة فقد صوابه ، فصار يلملم الأشلاء ويقبلها وتجمدت الدماء على شفتيه ووجهه ويديه وثيابه . وقد بلغ من أمره أنه تأثر تأثراً بليغاً ، إضطر أقاربه إلى أن يأخذوه إلى مستشفى الأمراض النفسية ، حيث بقي إلى أن شفي من علته . ثم حدث أن اثنين من أبنائه أخذا يتحاوران فى المحاضرة التى سمعاها فى الجامعة عن بشاعة القنبلة الهيدروجينية ، وأن أحد العلماء السويسريين اخترع مصلاً بعد دراسة استغرقت أربعين سنة ، وهذا المصل ضد الحماقة البشرية . وقد ذهب ذلك العالم السويسرى بهذا الإختراع إلىٰ هيئة الأمم المتحدة ، فأقر مجلس الأمن أن يلقح زعماء بعض الدول بذلك المصل ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية استعملت حق « الفيتو » ، فندد مندوب روسيا بالمعارضة الأمريكية . ولما رجعت أمريكا عن معارضتها ، إستعملت روسيا حق « الفيتو » لكي لاتكون لأمريكا صورة مقبولة فى نفوس العالم ، عندها جُنَّ ذلك الأب المسكين ونُقل إلى مستشفى الأمراض العقلية فلم يجدوا له مكاناً لكثرة المرضى .

وبقي عليَّ أن أشير الى أني أوجزت القول ايجازاً شديداً لأنى أقصد أن أشوق القارئ إلى الوقوف على هذه الصور الرائعة التى رسمها قلم هذا الكاتب الشاعر الذى ناضل فى سبيل وطنه وأمته العربية قرابة نصف قرن من الزمن . ومايزال قلمه يفيض بالتعبير عن الأغلبية الصامتة شعراً ونثراً . ومن بديع قدرة هذا الكاتب أنه يعطي كل قضية أسلوبها المناسب لها ؛ فهو فى هذه المجموعة القصصية يصطنع أسلوباً مبسطاً يصلح لعامة الناس ليثير فى نفوسهم مايضيق به من تعقيدات فى كثير من الإدارات والمؤسسات ، وفيما يحيط بالبشرية من أخطار تهدد حياة الجميع . على أنك ملاق فى هذه القصص الشعبية إشارات إلى بعض القضايا الفلسفية يصبها فى قالب قصصي مبسط ليغرسها فى نفوس عامة الناس .

تصحيح مفاهيم خاطئة

قصة المطابع الأولى في العالم العربي

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

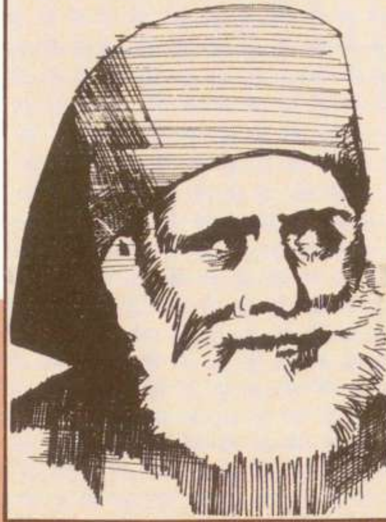
هناك مبالغة عظيمة تصل إلى درجة الوهم فى تقييم أثر حملة نابليون على مصر واعتبارها عاملا أساسيا فى النهضة العربية فى القرن ١٩ . وأصل هذا الرأى فرنسى نشره بيننا من تعلم فى المدارس الفرنسية أو من كان غافلا حتى بهرته أوروبا أو من كان طائفي الفكر. وحتى هؤلاء فإنهم يتعصبون للبلد الذى ينتمون إليه أو المدرسة التى تعلموا بها أو الأمة الأجنبية التى أحبوا آدابها . فالذى تعلم منهم فى المدارس اليسوعية ينسب إحياء الأدب العربى إلى مدرستهم ومطبعتهم ، والذى تعلم عند الأمريكان ينسبه إلى الكلية السورية الأنجيلية (الجامعة الأمريكية ببيروت فيما بعد) وإلى المطبعة الأمريكية ، وجميع هؤلاء وهؤلاء ينسون المدارس الوطنية سواء كانت اسلامية أو مسيحية وينسون المطابع الوطنية . ولو أنصفوا لقالوا إن النهضة تعود إلى عوامل عديدة ومدارس عديدة ومطابع عديدة أقلها جدا هى الأجنبية كما سنبين بعد حين .

ويبالغ البعض فى تقدير قيمة المعهد الفرنسى وعلماء الحملة الفرنسية الذين استصحبهم نابليون . وغاب عنهم أن هذا المعهد وبحوث هؤلاء العلماء كانت بغرض زيادة معرفتهم ومعرفة فرنسا ومعرفة أوروبا بمصر ولكنهم لم يزيدوا المصريين معرفة لا بأنفسهم ولا بالتمدن الأوربى .

وهؤلاء الذين يكررون القول دون تحقق بأن الحملة الفرنسية كانت عامل النهضة الشرقية لا يسألون أنفسهم هل كانت هى عامل النهضة الأوربية نحو الاستعمار وغزو الشرق ، وهل يعقل أن تسبب هذه الحملة يقظة حضارية مع أنها دامت فى مصر أقل من ثلاث سنوات ، وفى الشام أقل من أربعة شهور ، وأن هذه المدة القصيرة جدا استغرقت كلها فى ثورات وحروب وطاعون وأوبئة ؟ إن الادعاء الجوهرى والأساسي لدى أصحاب هذا الرأى أو هذه النظرية هو القول بأن التحرر من النفوذ العثمانى والاستقلال العربى عنه ومن ثم بناء الكيان العربى المستقل والشخصية العربية والقومية العربية المستقلة إنما يعود إلى الاهتمام باللغة العربية ، ذلك الاهتمام الذى يرجعونه إلى المطابع العربية الأولى وإلى المبشرين الأولين فى المنطقة ، وأن هذا كله كان الشرارة الأولى التى أوقدت بعد ذلك الوطنيات المختلفة والتى انبعثت منها القومية العربية والصحوة العربية والأحزاب المعاصرة فى كل بلدان الوطن العربى المعاصر. وتكررت هذه الدعاوى فى كثير من الكتب فى الشرق والغرب وفى كثير من المؤلفات وكثير جدا من الرسائل الجامعية . وصادف هذا توقيتا كان قد بدأت فيه الحركات الوطنية جهادها المقدس للتحرر من الاستعمار، مما ولد مولودا مشوها بعد الاستقلال وهو أن هذه المجتمعات بعد الاستقلال ظلت مرتبطة وخاضعة وتابعة ذهنيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا للغرب .

وكمثال لتوضيح ذلك نقول إنه فى عام ١٩٣٤ أصدرت المطبعة الأمريكية رسالة ، بمناسبة مرور ١٠٠ سنة على نقلها من مالطة إلى بيروت ، جاء فيها أن المطبعة خصصت لخدمة اللغة العربية فى وقت كانت فيه صناعة الطباعة مجهولة فى البلاد ، وأن المطبعة كانت العامل الأول فى اليقظة والصحوة من الرقاد الطويل وفى النهضة الأدبية المعاصرة فى الشرق الأدنى . وفى سنة ١٩٤١ كتب « ستيفن بنروز» رئيس الجامعة الأمريكية فى بيروت كتابا عن قصة الجامعة هذه ، فقال إن هذه


نابليون


محمد علي باشا


جرجي زيدان

المطبعة مع غيرها من نشاطات المبشرين والأمريكان قد أحيت الثقافة العربية التى كانت على زعمه منسية !

ويرد نفس هذا الشيء فى سجلات المبشرين الأمريكان المحفوظة فى جامعة هارفارد وفى مقر جمعيتهم فى مدينة بوسطن ، ونيويورك ، ومن هارفارد ينعكس هذا الزعم فى كثير من الكتب والمحاضرات الجامعية والرسائل الجامعية . وتجدر الاشارة أنهم فى هذه الأوساط الجامعية لا يشيرون إشارة واحدة إلى جهود المبشرين الانجليز مثلا . والعكس بالعكس .

وإذا كان هذا هو الحال مع هذه المراكز العلمية «العريقة» فى الغرب ، فإن تطبيل بعض كتابنا العرب على هذه النغمة لا ينقطع ، ويؤسفنى ألاّ أذكرهم بالاسم لسيطرتهم الحالية على مراكز الثقافة والنشر فى العالم العربى وأدع ذكرهم لفطنة القارىء .

إذن هم يقولون ويقول وراءهم الكثير منا إن الطباعة كانت مجهولة عندما أسس الأمريكان مطبعتهم فى بيروت أو عندما أحضر نابليون مطبعته مع الحملة الفرنسية . دعنا نبحث : ان أول حروف طباعة عربية ظهرت فى بلدة فانو فى ايطاليا فى القرن السادس عشر (لغاية الآن ليس لايطاليا بيننا من يدعو لها !) ثم انتشرت من فانو إلى بلدان أخرى فى أوروبا . وكانت الغاية الوحيدة منها هى نشر الكتاب المقدس فقط . ثم انتقل فن الطباعة إلى عاصمة السلطنة العثمانية ثم الشام فى حلب ولبنان ، وكانت تستعمل لأغراض دينية فى الغالب .

وفى اسطنبول كانت أول المطابع في أيدى المسيحيين واليهود لنفس السبب السابق . ثم صدرت إرادة سلطانية وفتوى شيخ الاسلام اشترط فيهما عدم جواز طبع القرآن أو الحديث أو التفسير . ثم بعد فترة أخرى صدرت إرادة وفتوى بجواز ذلك كله . وهذه الارادة والفتوى الأخيرة . فضلا عن سابقتها قد صدرت قبل حملة نابليون . أى أنه كان هناك حرية طباعة كاملة شاملة قبل مجيء مطبعة نابليون . وكانت هذه الطباعة خالية من أى رقابة أو رقيب .

وكانت مطبعة محمد على باشا فى بولاق عام ١٨٢٠ أول مطبعة حديثة على نطاق كبير جدا بمقاييس تلك الأيام . ولم يكن لينشئها بهذا الحجم وهذه القدرة ما لم تكن الطباعة وصلت إلى شوط بعيد .

ومن أول يوم طبعت هذه المطبعة البولاقية كتبا كثيرة دينية ولغوية وأدبية وعلمية باللغة العربية واللغة التركية واللغة الفارسية واللغات الأخرى الأوروبية .

وحتى أوائل القرن التاسع عشر ، إذا استثنينا الكتب أو الكتيبات المتداولة بين الطوائف المسيحية وكلها كتب دينية فقط ، نجد أن معظم الكتب الأخرى باللغة العربية كانت تصدر من مطابع اسطنبول والقاهرة ، وقليل منها صادر من مطابع شرق أوروبا . وظل هذا الوضع حتى منتصف القرن التاسع عشر هو الوضع السائد . ولم يصدر من المطبعة الأمريكية ولا من المطبعة اليسوعية شيء من الكتب العربية أو آدابها أو ثقافتها أو الدين الاسلامى حتى ذلك الحين .

تقييم الكتب

دعنا الآن نقارن بين الكتب التى طبعتها مطابع اسطنبول وكتب مطابع بيروت ومالطة الأولى : الكتب الأخيرة غير موجودة فى دور الكتب العامة . ولكنها محفوظة فى سجلات المبشرين فى أمريكا (هارفارد ، بوسطن ، نيويورك) وفى انجلترا (المتحف

● الحملة الفرنسية دامت أقل من ثلاث سنوات فى مصر وأقل من أربعة شهور فى الشام ، فكيف تكون هذه الحملة سببا لنهضة العرب ؟

● العلماء الفرنسيون كانوا يعملون على زيادة معرفة فرنسا وأوروبا بالشرق ، ولم يكن من أهدافهم زيادة معرفة العرب بأنفسهم أو بالتمدن الغربي

قصة المطابع الأولى في العالم العربي

البريطاني) . وتنحصر هذه الكتب في الآتي :

١ ــ كتب دينية تبشيرية مثل : الابن الضال المهتدى (طبع مالطة ١٨٣١) وكتاب تعليم مسيحى (بيروت ١٨٤٢) وكتاب ذخيرة الايمان (بيروت ١٨٤٣) وكتاب نبذة المرأة على البير (لا ذكر لمكان ولا سنة الطبع) وهو عن قصة الاصحاح ٤ من انجيل يوحنا .

٢ ــ كتب تعليم القراءة ولكن لأغراض دينية ومن خلال الدين المسيحى : كتاب تعليم القراءة للأطفال الصغار (مالطة ١٩٢٨) وكتاب تعليم القراءة (بيروت ١٨٤٦) وكل ما فى هذه الكتب التعليمية هو عن نص الصلاة الربانية والوصايا العشر والمزامير وأقوال لموسى وسليمان والمسيح عليهم السلام .

٣ ــ كتاب خبرية أسعد الشدياق وهو عن كيفية اعتناق أسعد الشدياق مذهب البروتستانت وسبب تركه لمذهب أهله .

وحتى هذه المطبوعات المحددة نوعا وكمية يبدو من التجاوز تسميتها باسم « كتب » لأن كل واحد منها يتروح بين ١٦ صفحة الى ٧٠ ، وبعضها يدل على مستوى تفكير مؤلفها : فى كتاب تعليم القراءة للأطفال الصغار يورد هذه القصة : « حمارا اشتكى بأن لا قرون له . فاشتكى القرد أيضا بأن لا ذنب له فقال لهما الخلد أما تنظرانى بلا عينين . هذا يعلمنا بأنا إذا لم نقنع بحظنا فننظر أولئك الذين هم أقل منا فنصير قنوعين » .

هذه أمثلة تفصيلية من مادة هذه الكتب وهذه المطابع التى ينسبون إليها نهضة الشرق الحديثة !!!

ولنتتبع نفس هذه المطابع وهذه الكتب حتى بعد ظهور محمد على باشا وحكمه لسوريا : كتاب تواريخ مختصر ينبى عن ممالك وبلاد عديدة (١٣٦ ص طبع سنة ١٨٣٣ وسوريا تحت حكم محمد على) هذا الكتاب بطريقة السؤال والجواب يبدأ بمملكة بابل وينتهى بتاريخ بريطانيا وأمريكا . ص ١٨ ــ ١٩ عن سوريا .

س : متى رفعوا أيديهم الرومانيون عن هذه المملكة ؟

ج : فى سنة ٦٤٠ لما غزوا عليها العرب . لكنهم ما قدروا على امتلاكها (هكذا ؟؟) من أجل أن نصارى أهل تلك البلاد اشتعلوا حمية وقاموا عليهم (أى على العرب) وضربوهم وخلصوا القرا (بقصد القرى) من أياديهم . وفى انتها (يقصد انتهاء) الدهر الثانى عشر اجتهدوا وفكوا اورشليم من يدهم (!) وفى سنة ١٧١٨ مسيحية انثنوا عليها العرب أيضا بقوة سلاطينهم وفتحوها وتسلطوا عليها(!) وبعد ذلك تسلط آل عثمان . والآن خاضعة لمملكة مصر » .

وأما عن تاريخ فلسطين (ص ١٩ ــ ٢٢) فيقول الكتاب « لما ضعفت قوة الرومانيين واضمحلت مملكتهم انطلقوا إليها جيوش آل عثمان وفتحوها (هكذا ليس للعرب أى وجود ما بين الرومان والعثمانيين !!!) ولأجل أنهم جاروا على نصارى تلك البلاد وظلموهم أرسلوا ملوك أوربا جيوشا وافرة صحبة كودفرى رئيس العساكر . الذى اختار فيما بعد وصار ملكا على مدينة أورشليم . وضربوهم وأخرجوهم من تلك البلاد (!) بالكلية . وكان خروجهم منها فى سنة ١٠٩٩ مسيحية وفى سنة ١٠٦٨ التفتوا إليها وحاصروها وتملكوها والآن هى تحت حكم مملكة مصر !!! » .

هذا هو كل ما ورد فى كتاب تاريخ من لدن من ينسب اليهم البعض منا أنهم هم مصدر اليقظة العربية الحديثة والفكر العربى واللغة العربية والاستقلال العربى .

قارن هذا الكتاب التاريخى بما كتبه الجبرتى فى نفس الفترة واحكم بنفسك أيها القارىء .

نخلص إلى أن أقصى ما أفادت منه هذه الكتب هو تعليم مدارس أولية على أحسن الفروض ، وأنها مليئة بالأغلاط اللغوية والاملائية ولغتها سقيمة وتاريخ ماورد فيها يرد الى جهل والى تعصب والى تصميم على طمس الحقيقة وبالتالى فهو خانق لحرية المعرفة وحرية العلم وحرية الثقافة .

ان ضرر هذه الكتب قطعا يفوق فائدتها . وهكذا من المطابع ما يضر أكثر مما ينفع !

ثم من الجدير بالملاحظة أن هذه الكتب كانت قاصرة على مدارس البروتستانت فقط وأن معظم الطوائف الأخرى كانت على خصام معها ، وأن هذه الكتب لم تصل أبدا الى مدارس المسلمين .

دعنا نقارن هذه الكتب بما أصدرته مطبعة بولاق فى المدة نفسها حتى نعرف مدى صحة مقولة ان الحملة الفرنسية كانت هى مصدر النهضة الى جانب ما ندعيه نحن من أن نهضة محمد على هى سبب اليقظة . وقبل أن نعرض لهذه الكتب نقول إنها أرسلت الى سوريا سنة ١٨٣٩ بناء على طلب سوريين فى حلب ودمشق واللاذقية وطرابلس ويافا وغزة كما هو وارد فى قوائم موجودة فى دار الوثائق القومية فى القاهرة ــ وثائق قصر عابدين محفظة رقم ٢٥٧ مع كتاب مؤرخ ٢٤ جمادى الأخرى سنة ١٣٥٥ من شريف باشا حاكم سوريا .

كتاب الحكمة . كتاب الجراحة . كتاب فسيولوجية . كتاب باتولوجية . كتاب الطاعون تطعيم الجدرى تشريح بشرى . القانون البيطرى أتربإذين . كتاب الطبيعة . كتاب جر الأثقال . كتاب المعادن . قانون الصناعة . قانون الزراعة . أصول الهندسة . الهندسة الوصفية . عقرب الساعة . الجغرافية الطبيعية . علم الحساب . اللوغاريتمة . متن الألفية . الكفراوى . ابن عقيل . ابن مالك . جملة النحو . أجرومية . القاموس

أول حروف عربية ظهرت في إيطاليا في القرن السادس عشر

● دعاوى خاطئة تروّجها الجامعات الغربية لإثبات أن نهضة العرب بدأت على أيدي الأجانب

● أمثلة من الكتابات الركيكة التي ينسبون إليها نهضة الشرق

(الفيروزبادى) كليلة ودمنة. كتاب المنطق. رحلة الشيخ رفاعة (الطهطاوى) إنشاء العطار (حسن العطار) تاريخ مصر. تاريخ اسكندر. تاريخ بونابرته تاريخ بنزو (بطرس الأكبر) تاريخ ايتالية. تاريخ أمريكا. قدماء الفلاسفة. التاريخ العام. تاريخ الأديان. هذا الى جانب كتب فارسية وتركية.

مهاترات لا مطبوعات

هناك بيانات سنوية عن مطبوعات المطبعة الأمريكية والمطبعة اليسوعية فى بيروت. وهذه البيانات محفوظة فى المتحف البريطانى. هذه البيانات تكشف عن مهاترات الطرفين. ارسلت المطبعة رسالة بقلم ميخائيل مشاقة الذى اعتنق البروتستانتية هاجم فيها مذهبه القديم فردت المطبعة اليسوعية برسالة عنوانها قوس الحلاقة فى ذقن مشاقة. وفى سنة ١٨٧٦ طبعت المطبعة الأمريكية رسالة وصفها حاكم بيروت المسلم (الذى جاء الغربيون ليثقفوه ويوقظوه) بأنها طعنة لايليق توجيهها الى البطرك المارونى بصفته رجل دين يجب احترامه!!

هؤلاء هم رواد اليقظة!.. ولا تعليق!

أما عن طبع الكتب العلمية والطبية باللغة العربية فلم تنفرد بها المطبعة الأمريكية كما يزعم بعضنا خطأ، بل طبع عدد منها فى المطابع الأهلية لأن ذوي الشأن فى أمريكا أرادوا تخصيص المطبعة لنشر الكتاب المقدس والكتب الدينية والكتب التبشيرية كما ورد فى نص خطاب مؤرخ بتاريخ ١٤ حزيران ١٨٦٨ محفوظ فى مكتبة جامعة هارفارد ABC 16.8.1 vol 8 «يجب حصر عمل المطبعة فى التبشير فقط!!».

وفيما عدا الكتب التبشيرية لم تطبع المطبعة الأمريكية سوى خمسة كتب مدرسية فى قواعد العربية والحساب والجغرافيا والجبر والهندسة ثم كتاب فى الكيمياء للدكتور فان ديك على نفقة مؤلفه شخصيا، ثم كتاب فى التشريح وآخر فى الفسيولوجيا للدكتور يوحنا ورتبات. ويجب ملاحظة أن الكتب المصرية سبقت هذه المطبوعات بثلاثين سنة كاملة بمعنى أن فان ديك وورتبات استفادا منها فى المعلومات وفى الترجمة ذاتها الى الألفاظ العربية (ومن أسف أن أحد أساتذة الطب المصريين وهو الدكتور عمر عسكر قال عن كتاب ورتبات بأنه كتاب رائد فى الترجمة الى العربية واستشهد به فى إمكان تدريس الطب بالعربية ولم ينسب الفضل الى المطبعة البولاقية السابقة له بثلاثين عاما).

وقد أصدرت الجامعة الأمريكية فى بيروت كتابا تذكاريا بمناسبة مرور ١٠٠ عام فى ١٩٦٧ بالانجليزية وفى مقالة منها للدكتور الطيباوى يقدر أن مطبعة الجامعة يمكن وصف انتاجها اجمالا بأنه لايشمل شيئا من اللغة العربية ولا آدابها ولا التراث العربى الإسلامى. واذن فالفضل فى هذا العدد فى كل مانشر فى هذه الأبواب يعود الى المطابع الأهلية بعد مطابع اسطنبول والقاهرة. ومن جملة ماصدر منها احياء علوم الدين للغزالى والأغانى للأصفهانى والأمثال للميدانى ومقدمة ابن خلدون وديوان المتنبى وأمثال ذلك.

ولقد أنصف جورجى زيدان هذا الموضوع عندما قال: «بناء على حقائق ثابتة فإن مصر سبقت المبشرين الأمريكان والكلية السورية الانجيلية فى نقل كتب الطبيعة والرياضة والطب» ولكنه أخطأ عندما قال «ان الكلية امتازت بإحياء آداب العربية وخدمة الجامعة العربية لأنها منذ نشأتها تعلم العلوم بالعربية». فاحياء الآداب العربية لم يحدث لأن أحدا من أساتذتها لم ينشر شيئا فى الأدب وأما من الناحية السياسية لقوله «الجامعة العربية» فانه ثابت أيضا أن أحدا منهم لم يكتب فى علوم السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع. وحتى تعليمهم العلوم باللغة العربية فانه توقف سنه ١٨٧٩ فى القسم العلمى وفى ١٨٨٤ فى القسم الطبى وأصبح التعليم بالإنجليزية. وقل أو انتهى الاهتمام بالترجمة ولو كانت علمية.

ولقد خدمت هذه المدارس الفكر التغريبى بتخريجها أعدادا ممن تولوا بعد ذلك وظائف هامة أو مناصب وزارية أو إعلامية أو سياسية وخدمت هذا الفكر سلبيا بما كسبته من أرض فكرية من النظام العثمانى السابق وخدمت نشر التوراة وخدمت الغرب بتعريفه بالشرق وتحبيب استعماره الى أهله.

أما أكثر من ذلك.. فلا.

السيد فهمى الشناوى

هامش

استفدت كثيرا من مقالات د. الطيباوى وكتبه ود. بنروز عن تاريخ الجامعتين الأمريكية واليسوعية.

بـدويّ الجبـل .. وإخاء أربعين سـنة


الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

يواصل عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

بين العقل والعاطفة

في قلب الشاعر ووجدانه تلمسون الغضب والرضا

بقلم: أكرم زعيتر

في صيف سنة ألف وتسعمئة وأربع وسبعين قضى في بيروت السيد محمد أمين الحسيني مفتى فلسطين وقائد نضالها ورئيس هيئتها العليا وهو أثير البدوي وصديقه ، وكان يحفظ بعض شعره ويستشهد به في أحاديثه ، وهو الذي أطلق عليه لقب « متنبي العصر » حين نظم قصيدة (كافور) .

وكان البدوي في اللاذقية ، قد أصيب بكسر في يده أقعده عن الشخوص إلى بيروت لتشييع الراحل الكبير ، فأبرق إليَّ يقول :

« التعزية بالزعيم العظيم المجاهد الخالد السيد محمد أمين الحسيني تعزيةٌ لجده محمد رسول الله وللخلفاء الراشدين وللتاريخ العربي الاسلامي الأصيل ، ولكل عظيم في هذا التاريخ ، وانني كتلميذ من عشرات الملايين من تلاميذه أنحني على قبره فأبلله بدموعي وتبلله الملائكة والشهداء والصديقون وتتزين الجنة للعظيم القادم ولقائه ، وتحنو أفياء سدرة المنتهى على أفيائه ، وأنت يا أخي أكرم صديقه ، ورفيق جهاده وأمجاده ، فاحمل تعزيتي الحزينة الملتاعة إلى أهله وذويه وكل مؤمن مكافح مجاهد في الدنيا العربية الاسلامية من أهله وذويه . الكسر الذي أصابني يحرمني شرف توديعه وتشييعه ، فنُبْ عن أخيك بهذا الواجب المقدس . بدوى الجبل » .

وحدث أن أصبت بعارض صحي في القلب فأدخلت مستشفى الجامعة الأميركية ببيروت وبينا كنت أتلقى باقات الزهور من كرام الأصدقاء والرصفاء أقبل موزع البرقيات يحمل إليَّ هذه الطاقة من الأزاهير :

« الآن علمت بالوعكة التي ألمت بأديب الأمة وخطيبها ومجاهدها . أنت في حمى الله وفي حمى مروءتك وأريحيتك وإيمانك . روحي فداك : بدوي الجبل » .

ولم أكد أبرح المستشفى حتى فوجئت بالصحف تحمل نبأ نقلي إلى المركز في عمان ، فآثرت الاستقالة وآثرت البقاء في بيروت . وعلم البدوى أن هذه المفاجأة قد آلمتني وأنا لما أبلّ من المرض فتلقيت منه كتاباً بالغ فيه برفع قدري و« فضفض » ثوب الثناء ، وأجمل التأساء ، ولعل نشري هذا الكتاب ينم على ضعف إنساني تأنس النفس فيه بالمدح وان تجاوز الاعتدال ، أو هى أزمة تواضع استغفر الله منها ؛

تحتم عليَّ ألاّ أغفل كرامة نفحني بها شاعر خالد تشدني إليه آصرة صداقة حميمة . قال : « أخي وسيدي أبا سَريّ أطال الله بقاءك : أنت عظيم بأخلاقك . عظيم بماضيك وحاضرك ومستقبلك . وميزان كل عظيم في هذه الأمة تقديره لعظمتك وحبه لها وتدليله اياها ، فإذا أنكر ذلك فإنه ينكر أنه كان عظيماً ، وإذا تنكر لذلك فهو يتنكر لنفسه وتبقى أنت أنت عظيماً جليلاً تقدرك الأمة بنخبتها وتحبك وتدللك : البدوي » .

ويا لاغتباطه حين علم أنه ليس في كل ما كان إساءة أو ما ينم على انتقاص ، وأنني لا أزال أنزل من ولى الأمر مكانة التكرمة والاحترام .

• • •

وتُفجع دنيا العرب بغياب الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، وبلغ التياع البدوي عليه مبلغه ، والبدوي وفيٌّ لأمته وفاءه لسجاياه ، وكان الفيصل قد ساعفه في محنته ، فأرسل في تأبينه رائعته النثرية وجعل عنوانها : حزن الايمان وفيها يقول : « الملك العظيم المتواضع ، الهادىء المتقحم الصامت الذي تتفجر البلاغة من صمته بياناً ساحراً ، وإشراقاً باهراً . وكرماً على الشعوب غامراً ، وتحدياً للطغاة قاهراً . والوديع الذي تتزلزل الدنيا ولا يتزلزل ، وتتحول الأقدار ولا يتحوّل ، هوى بلمحة عابرة عاثرة وعلى وجهه مسحة الحزن التي رافقت أساريره في صباه وفي شبابه وفي كهولته . وما أحبها وما أجملها وما أعذبها هذه المسحة من الحزن على وجه فيصل بن عبد العزيز يحمل بها في صلواته وعبادته أحزان أمته إلى الله ، وما أنقاها وما أغلاها مسحة حزن هى أغلى وأحلى من كل أفراح الدنيا :

وما أكرم الصحراء تصدى ونمنمت
لنا برد ظل كالنعيم رطيب
ويغفو بها التاريخ حتى ترجه
بداهية صلب القناة أريب
وتعتز من عبد العزيز بمنجب
ومن فيصل حامي الحمى بنجيب


من اليمين : اكرم زعيتر - الرئيس تقي الدين الصلح - بدوي الجبل - النائب السوري فرزت المملوك - الموسيقار سامي الشوا وقد التقطت هذه الصورة في القاهرة عام ١٩٥١


البدوي يتوسط زوجة ابنه وزوجته ونجله منير

والمرثاة طويلة ، وفيها يخاطب فيصلاً : « وكان قلبك ريان بالحب والحنان والدولة لاتُبنى إلاّ على الحب والحنان ، فكنت الإنسان الملك قبل أن تكون الملك الانسان . لقد كنت هدية الله لدنيا العرب ولدنيا الاسلام فزيّن الله بك هذه الدنيا وهذه الدنيا » وفيها : « وجمع استشهادك العرب والمسلمين كما لم يجتمعوا في عصر من العصور ، جمعهم الحزن عليك وجمعتهم الذكريات . شمائلك السمحة الوديعة المتواضعة طيف معطر منور ، بليل بالدموع في عين كل عربي أو مسلم . شمائلك يا فيصل اقحوانة أرجة فينانة في قلب كل عربي أو مسلم . الحزن يا فيصل حزن الايمان يؤلف شعوباً وأمماً . دمعة حزينة مؤمنة تجدد عهداً وتبدع مجداً . وحزن المؤمن يافيصل أغنى حزن عرفه التاريخ فقد جمع ووحد ، وجدد عهداً وأبدع مجداً . ولقد كان من سجايا العبقريات العظيمة أن يتلاقى على متارفها الجهاد والاستشهاد ، ولا أريد أن أطيل : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وفيصل بن عبد العزيز » .

• • •

وحدث أن زاره صديقه الشاعر المبدع الأستاذ عبد الكريم الكرمي الذى يكنى بأبي سلمى ، وكان يشرف على صفحة « دنيا الأدب » في مجلة « المضحك المبكي » الشامية ، وجرى حديث حول الشعر بين العقل والعاطفة فآثره البدوي بمقامة أدبية رائعة جعل مفتتحها : ان الصراع بين العقل والقلب قديم ، وقد آمنت بالقلب كما آمنت به كل رسالة وكل ابداع في الحق والخير والجمال .. وإنني لأفر من خيالي هولاً ورعباً عندما أتصور الدنيا منطلقة من ملك القلب إلى ملك العقل ، وعندما أتصور الرسالات خاضعة لحكم العقل وحده . بل عندما أتصور العقل نفسه خاضعاً لحكم نفسه . إن العقل عندما يقطع الصلة بينه وبين نوازع القلب من رحمة وحب وجمال وزهو وطموح ورجاء ولعة عين كحيلة ، ووهج خد أسيل ، ورنوة حييّة وهمسة ندية ، وسهد أحلى من الكرى ليصبح كشمس الصحراء في وقدة الظهيرة جباراً عاتياً قاسياً تفر الحياة منه روحاً ونباتاً وخيراً وجمالاً » .

وينهي تلك الرائعة قائلاً : « أيها الذين يسعدهم رضى الناس ويشقيهم غضب الناس ، هنا في قلبي وحده ، أتلمس الغضب والرضى وما أنعم به وما أشقى ، ويا حسرتا على الفقراء — والكنوز لو أرادوا في سرائرهم — ويالوعتا على الضعفاء والقوة — لو فطنوا — في ضمائرهم . هذه عبقرية الشاعر وخيلاؤه وواقعه لا تغضي كبرياؤه إلا أمام كبرياء الله وإلاّ أمام كبرياء الحسن الرفيع المترف ، فإذا هوى الشاعر عن سمائه ، ونزل عن كبريائه ، وإذا غنىَّ أعراس الطغيان أو توارى فى صراع الحرية مع الظلم ، أو استخذى مجده لمجد حاكم أو قوي أو عظيم فقد تنكر لنعمة الله ، وتغرب عن جمال الله ، ويالوحشة الملائكة عندئذ ويالوعة الحور العين » .

بين العقل والعاطفة

وما فتئت منذ عشرين سنة ألح على البدوي في طبع ديوانه فيعتذر بأعذار لم أكن أتبينها منها أن أوان النشر لم يأن ، واقتنع ذات يوم بحجتي واشترط أن أقدم الديوان ، وأعطانيه مطبوعاً على الآلة الكاتبة وقدمه بخط يده تقدمة كريمة ، وبعد أن حرثت الديوان وجهت إليه أسئلة جمة لأفيد منها في وضع المقدمة .. ولكنه أرجأ الإجابة وآثر طيَّ الموضوع الى حين .

وحدث أن جمع صديق للبدوي بعض قصائده واتفق ودارا للنشر في بيروت على نشرها في كتيب عنوانه (قصائد من بدوي الجبل) وقدم لها بمقدمة مفاضة من دون اطلاع البدوى على الأمر ، وفوجيء البدوي بإحدى المجلات البيروتية تعلن أن دار العودة للنشر قد انتهت من الاعداد لنشر ديوان بدوي الجبل فهاج هائجه وثار ثائره وفوجئت ببرقية منه تحثني على تدارك الأمر ، وأبرق إلى رئيس الجمهورية اللبنانية السيد سليمان فرنجية وإلى الرئيس حافظ أسد ينكر ويستنكر إصدار الديوان بغير إذنه .. فأجريت اتصالات بدار العودة وتبين أن بعض أنصار البدوي سيترجمون نقمتهم من الدار عنفاً ، وعلم صاحب الدار بصلتي الوثقى بالبدوي وأعلمني أنه مستعد لأن يتلف العشرة الآلاف نسخة من الكتيب ولكنه يرجو أن تتولى الدار نشر الديوان فيكون ذلك تعويضاً من الخسارة .. ويممت دمشق وذاكرت البدوي في الاقتراح فوافق عليه مشترطاً أن أضع المقدمة وأن أشرف على الطبع .

وانصرفت إلى إعداد المقدمة حريصاً على أن تدنو من الديوان منزلة ومكثت في البيت اسبوعين لا أبرحه حتى أنجزتها .. وهرعت إلى دمشق وكان صديقي مريضاً ، فلما تلوتها عليه تطلقت أساريره واستنار وجهه ، وأثنى على المقدمة في عبارة سمت بها إلى السماء . وكانت دموعه التي تنحدر من مقلتيه أشبه بقصائد تشجيع وأناشيد ثناء ورحنا ننظر في قصائد الديوان فيشير بحذف بعضها ، وتعديل بعضها ، وقد فوض إليَّ ــ وهو مرتاح الخاطر مطمئن الضمير ــ أن أحذف أي بيت يستروح منه شطط عقائدي ، أو نزوة إلحادية شاردة يبرأ إلى الله منها . وارتأى أن تكون قصيدة الكعبة الزهراء ذات المئة البيت فاتحة الديوان « مهداة إلى أعتاب أبي الزهراء صلوات الله عليه » ولم أتمالك وأنا أراجعها أن أستدمع حنيناً وحناناً وهات شاعراً كالبدوي يقول :

أرى بخيال السحب خطو محمد
على مُخْصِبٍ من بيدها وجديب
وسُمْر خيام مزق الصمت عندها
حماحم خيل بُشِّرتْ بركوب
وناراً على نجد من الرمل أوقدت
لنجدة محروم وغوث حريب
وتكبيرة في الفجر سالت مع الصَّبا
نعيم فياف واخضلال سهوب

ورأى أن يقدم الديوان إلى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز واقتبس عبارة الإهداء من مرثاته وما أروعها قبسة : « لقد حرمك استشهادك أن تصلي في المسجد الأقصى ، ولكن استشهادك سيكتب في لوح القدر أن يصلي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها في المسجد



الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية

الاقصى . وستكون ذكراك وأحزانك وإيمانك النغمة السمحة الساجية عندما يؤذن المؤذن فيه : الله أكبر . الله أكبر وعندما يتابع المؤذن : وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله » .

وقبل أن أودعه راجعاً إلى بيروت لمشارفة طبع الديوان قال : دونك هذين البيتين وهما آخر ما نظمت وأرجو أن يكونا ختام الديوان :

سيذكرني بعد الفراق أحبتي ... ويبقى من المرء الأحاديث والذكر
ورُودُ الرُّبى بعد الربيع بعيدة ... ويدنيك منها في قواريره العطر

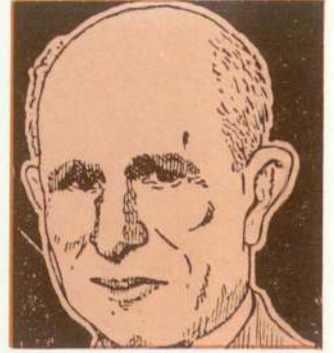
وفي بيروت سألني رئيس الوزارة اللبنانية الصديق الأستاذ تقي الدين الصلح عن صديقه البدوي وصحته وأخبرني أنه رفع بوصفه رئيساً للوزارة اقتراحاً إلى رئيس الجمهورية السيد سليمان فرنجية بمنح بدوي الجبل وساماً رفيعاً وأن الرئيس استجاب للاقتراح ووقع المرسوم مشكوراً .

وتوالت زياراتي دمشق أحمل للبدوي أنباء الديوان وفي إحداها رافقت الزعيم المغربي التطواني المرحوم الطيب بنونه الذي قال له : جئت من المغرب الأقصى لرؤية شاعرنا الأكبر .

• • •

ومع ان البدوي كان مريضاً وبدا مرضه عياء فما مرضت قريحته وظل ذهنه متقداً وحدث أن استأثرت رحمة الله بصديقه المجاهد السوري صبري العسلي وقد عرفته الثورة السورية منافحاً باسلاً ، وترأس الوزارة السورية في عهدي القوتلي والأتاسي ، وأسرة العسلي عرفت بما قدمته للقضية العربية والثورة السورية من شهداء ومجاهدين بسلاء . وبكى البدوى صديقه صبري ــ وكنيته أبو

● في طرطوس سألت عنه : بدوي الجبل فقلت ، لا محمد سليمان الأحمد ، لأنه على أجنحة الشعر جاء ، وبالاسم الذي جاء به يُعْرَف



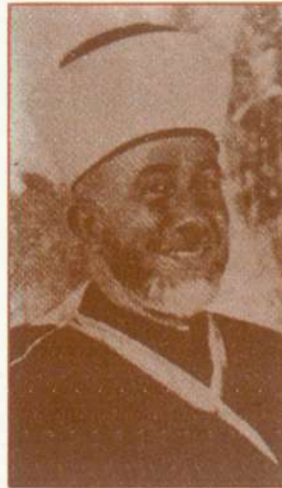
الشاعر عبدالكريم الكرمي (أبو سلمى)



صبري العسلي



تقى الدين الصلح



الحاج امين الحسيني

شجاع ـ وعلى الرغم من نهكة المرض فقد أرسل يقول : « رضي الله عنك أبا شجاع . لقد حرمني المرض من شرف رثائك ولكنه لم يمنع عيني من البكاء ، ولا قلبي من اللوعة والوفاء ، ولا سريرتي من ذكرياتك وذكريات اخوانك :

كـأنـهـا أقحـوانـات منضّرة في مُخْصِبٍ عَبِق الريحان ممطور

وتبتدىء هذه الذكريات بالبطولة والألمعية ، والكبرياء والأريحية ، وتنتهي في قبور موحشة حزينة في دمشق وفي حمص وفي حماة وفي حلب وفي اللاذقية :

كم مـن أخٍ لي مـاجـدٍ وسَّـدتـه بـيـديَّ لحـدا
ذهب الـذيـن أحـبـهـم وبقـيـت مثل السـيـف فـردا

فيا أخي أبا شجاع ، يا أخي الأصيل الأصيل ، والنبيل النبيل ، والشهيد الشهيد ، ياوريث الجهاد ووريث الأمجاد ووريث الاستشهاد تضم الى ماورثته جهاداً جديداً ، ومجداً طريفاً تليداً ، ومئة استشهاد واستشهاد . حاربت الفرنسيين بعدتهم وعديدهم ، ونارهم وحديدهم ، صفاً بعد صف ، وزحفاً بعد زحف ، تتصدى للمنية وكأنها أمنيّة ، وأنت واخوانك المجاهدون عُزل إلاَّ من بندقية أو خنجر ، تجوعون وتظمأون ، وتنامون في مشارف الغوطتين على الأديم . فراشكم الغبراء ، وغطاؤكم السماء . حاربت الفرنسيين يا أبا شجاع واستشهدت بالغربة ، واستشهدت بالمنافي ، واستشهدت بالسجون ، كل ذلك إلى شباب يغمره النور والعطر ، وكهولة يغمرها النور والعطر . وبيان مصفّى منوَّر وحديث كأنه أطياب الجنة . ويا أخي أبا شجاع بحق ذكرياتنا ـ وهي كما تعلم ـ أطياف بطولات ومروءات وأريحيات ، بحقها يا أخي أبا شجاع قَبِّلْ ـ وأنت في الرفيق الأعلى من الجنة ـ قَبِّلْ عني أخوانك وأخواني : هاشم الأتاسي وابراهيم هنانو وسعد الله الجابري وفارس الخوري وشكري القوتلي ولطفي الحفار ومظهر رسلان وسليمان المعصراني وعبد الواحد هارون وعبد القادر شريتح . وقبِّل عني قبلة ندية زكية أخي وصديقي ورفيق شبابي الشهيد فائق العسلي .

اخواني الصيد شَلَّ الموتُ سرحَهمُ وقد حنَنْتُ إلى الوِرد الذي وردوا

ويا أخي أبا شجاع ، وداعاً وداعاً وفي عيني الدموع ، وفي قلبي الخشوع ، مستعيناً على المحن كلها بالله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله :

غاب عند الثرى أحباءُ قلبي فالثرى وحده الحبيب الخليل
خيَّمتْ وحشةُ الفراغ على الأ حباب ، فالقبر وحده المأهول
ألف هيجاء خضتها ولم تجدّ لك أحقاً أنت الصريع الجديل ..

• • •

وصدر الديوان وقوبل بالترحيب البالغ وأجمعت الصحف ، جرائد ومجلات ، على الإشادة به وتألفت في دمشق لجنة لتكريم البدوي باحتفال عربي كبير ، ولكن البدوي المريض الذي لا يقوى على السير اعتذر للجنة شاكراً وكان لا يفتأ يقول متواضعاً : « شفيق جبري شاعر الشام أحق بالتكريم .. » ويبدو أن اشتداد مرضه حال دون الاحتفال المنشود .

• • •

وصباح العاشر من تشرين الأول (أكتوبر) سنة ألف وتسعمئة وثماني وسبعين اعتمرت دمشق وهرعت إلى بيت البدوي .. فوجدته قد نهكه المرض ، ضاوي الجسم ، وعانقته ثم حدثته عن الديوان وجميل وقعه في الصحف والأندية الأدبية .. وأجابني وقد تعثر نطقه فكانت زوجته ورفيقة حياته تفصح لي عما استبهم من كلماته ، اما بشاشته فكأنه وصفها حين وصف بشاشة هنانو :

تلك البشاشة أبلى الداءُ نَضْرتها فراح يُلمح في نعمائها الكمد

وزرته في المساء زيرة الوداع فنهض ليعانقني وأوشك أن يتهاوى لولا أن احتضنته عقيلته ، وأجلسته على مقعده ، ورحت أحدثه حديثاً لا يتطلب جواباً . وجاء يعوده صفياه وصديقاه الأثيران الدكتور عدنان الخطيب وسهيل فارس الخوري وقد حرصا على تسليته بالطريف الأخاذ من الأحاديث ، ولما أردت الانصراف أبى إلاَّ أن ينهض ويمشي وئيداً وئيداً متكئاً على ذراع رفيقته وأوشك بعد خطوات أن يتهاوى لولا أن بادر سهيل إلى احتضانه وإسناده ظهيراً له ، والدمع يترجح في مُقلنا ، ووالله ما برح بريق عينيه في ذلك اللقاء ينبىء عن صفاء مودته ونقاء سريرته وكهربية ذهنه وسراوة عاطفته ، وقد تذكرت وأنا ألمح بريق عينيه قوله عن هنانو في مرضه :

يروع في مقلتيه بارق عجبٌ وعالم عبقريٌّ السحر منفردُ
يغالبُ البشْرُ أسقاماً نزلن به يأبى له الكبرُ أن يأسى له أحدُ

وسألته قبل أن أقبله مودعاً عما يأمر فأجاب بصوت هامس : رضاك رضاك فكانت أعذب كلمة وداع من أخي الحميم وحبيبي الصميم .

بين العقل والعاطفة

وفى حفل عشاء لقيت الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية ، وهي سيدة أديبة مفضال ، ذات ذوق رفيع ، واطلاع واسع ، وزكانة ولقانة ، ودار الحديث حول بدوي الجبل وظهور ديوانه فأعربت عن عظيم اغتباطها بالديوان ومما قالت : « قبل أن أدخل الوزارة أعددت دراسة مفاضة عن الشاعر العظيم بدوي الجبل وسيحفزني صدور الديوان إلى استكمال الدراسة ونشرها في كتاب » وكانت مناسبة اطلعت فيها على مقال نشرته الدكتورة الأديبة قبل خمس سنوات في إحدى المجلات وجعلت عنوانه : (بدوي الجبل وبيته في السلاطه) . وهو من أبلغ ما قرأت وقد افتتحته قائلة :

« فى طرطوس سألت عنه : بدوي الجبل قلت ، لا محمد سليمان الاحمد ، لأنه على أجنحة الشعر جاء ، وبالاسم الذي جاء به يعرف وعبثاً كل السجلات المدنية . ويختصرونه : البدوي ! ونفهم ويفهمون ، كما لو قلت المتنبي ، وبعدها لا تكون بحاجة إلى نسب . مجد الشعر مجد في النسب . وكذلك العظمة : كلمة هي الدنيا ثم لا تزيد لأنها في ذاتها كل الزيادة .

ولكن البدوي مع نسب الشعر ، له نسبٌ في العلم . بيته بيت علم . كما قالوا قديماً ، والوجاهات كل الوجاهات علماً كانت وعلماً تبقى . ولم أجد عسراً في الاهتداء إليه ... وعلى طول الشاطىء استسلمت إلى نوع من الحلم المخدر . كأنني محمولة على بساط من بهجة وسكينة ، وكأن زرقة البحر وشمس الأصيل ورهو الريح جاءت لتستقبلني وتواكبني . وربما عجب الذين معي لأمري ، كما عجب القرويون من أهل « السلاطه » لسيدة تأتي من بعيد فتقف سعيدة متأملة ، أمام صخور معلقة وبيت مقفل وأجمة من شجر السنديان والعرعر ظليلة وهادئة وموحية .

ولم تكن الرحلة طويلة أو مجهدة قدر ما كانت مفرحة وملهمة . إنها بما اختزلته من معان ، وغنيت به من رؤى ، كانت قطاعاً من التاريخ ينبسط زماناً ، وينسرب معه الخيال عبر الطريق الملتوي الصاعد أبداً . ينفتح في بعض منعطفاته الأفق مدى بلا حدود ، وينغلق حتى لتحس أنك متروك وحدك في أمتار من الأرض تدحرجت واستقرت فيها صخور عذراء ونباتات برية نمت كيفما شاءت لها التربة والمطر والفطرة دون أن تعبث بها أقدام العابرين أو تشوهها فؤوس الحاطبين » .

ثم استرسلت : « سأل واحد من الركب : لماذا نصعد إلى قمة هذه الرابية والطريق موحل ممتلىء بالحصى الصغيرة؟ أكل هذا لأنك تودين أن تزوري بيتاً كان مأهولاً يوماً ، وقبة ليست للأحياء الآن ؟ ولم أشأ أن أرد . الصمت عالم أحياناً ! وكيف له أن يفهم أنني أعيش هذه اللحظات في رحاب الشعر والذكرى ، وأن المكان بالنسبة إليّ صار زماناً وجواً وعبيرا ، استعاد قدسية الحياة التي كانت ، وترددت فيه الأصداء ، وانبعثت الأمسيات ، إلهاماً وأناشيد وجال في الخاطر أكثر من بيت ، فالشعر هنا أبدعه الجمال ، هنا توجه ، هنا كانت مرحلة من حياته وذروة منها ، وهنا كان السامر والسمار الذين مر بهم الزمان :

السامر الحلو قد مرَّ الزمان به فمزق الشمل سماراً وندمانا

ووصفت الطريق حتى تبلغ القمة ثم وصفت طريق العودة ، وكبرياء التاريخ تنام في ثنيات الصخور ، صمتاً يتكلم وترسو عنده أحلام عهود وشقاء عهود ، والأشجار البرية فى صلفها وبراءتها وعزلتها عن الانسان ، ينبعث من حفيفها صوت أسوان شفاف .. أنين خافت أحياناً أو همس حنون ، والفكر يبدأ سبحاته ، ويتجاوز ذاته ، فى محاولة ارتباط أوثق بالأرض ، بالناس ، بالحياة وعلى شفتى للبدوي بيت :

هذى مراعيه عطل من بشاشته حنَّت لشبَّابة الراعي مراعيه ..

السلاطة كانت حلماً ووعداً ، وغدت في الخيال حقيقة ، أحييها من بعيد كفاء ما صنع شاعرنا الكبير البدوي في تحياته لدمشق وأعلن عجزي عن رد بعض صنيعه لعجزي عن مثل قصيده » .

• • •

وفي بيروت ، في مطلع سنة ١٩٨٠ دعاني وعقيلتي السيد محمد معروف ابن أخت بدوي الجبل إلى الاحتفال بزفاف كريمته فى فندق السمرلاند ، وفي الاحتفال بينا كنت أقول للسيد معروف : « آه ليت خالك البدوي يكون بيننا » أقبل علينا السيد منير الأحمد ابن البدوي وقال : « الآن جئت من دمشق .. ودَّ أبي لو كان غير مريض يقوى على الحضور .. وقد شاركم الفرح .. أملى عليَّ قصيدة ارتجلها لهذه المناسبة وناولنيها » فتلوتها متأثراً وقد هجس في خاطري أنها آخر ما نظم الشاعر وفيها يشدو :

سميّي بيننا قربى وحب على الأيام معروف قديم
إذا ما راح يحبسني سقامٌ فحبي لا الحبيس ولا السقيم
تألق بدرَ تمٌ في سماء فما رضيت عن البدر الغيوم
يهون الكون آفاقاً وأرضاً إذا ما هان شاعره العظيم
لي الأنغام هام بها الندامى فما بنت الكروم وما الكروم !
بعثت بها وليس لها نظيرٌ إذا انتمت الجواهر أو غريم
ترف على عروسينا صلاة يسلسل طهرها مَلَكٌ كريم
فلازلت حياتهما حياة على نعمائها يجري النعيم
وأعراساً تميس بها الأماني وتحتفل الأغاني والنجوم
وحباً مثل زنبقةٍ نقاءً وحُلماً كالفراشة إذ تحوم
وعطراً قد تنزّل من سماء ولم يحمله من روض نسيم
زها بهما شباب أريحي كما يزهو بشاعره نظيم
وقد فتشت عن حَسَنٍ وحُسْنٍ وأحلى اثنين «بسام وريم»

أكرم زعيتر

تصويبات

فى العدد ١٢١ في حلقة بدوي الجبل واخاء أربعين سنة :
الشاعر الثائر وصحيحها الشاعر الناثر
قبور حبيبته وصحيحها قبور حبيبة
نبات محنتهم وصحيحها بنات محنتهم
وتفحم السيوف وصحيحها وتقحم السيوف
مباركة العدوات وصحيحها مباركة الغدوات

حتى لا يهرب منك الأقارب والأصدقاء وأنت غارق في النوم!

عندما تستغرق فى النوم ، وتتوه مع الأحلام فى عالم ملىء بالأحداث ورؤى العقل الباطن ، ويصدر منك ذلك الصوت « الشهيقى » الذى اصطلحنا على تسميته « بالشخير أثناء النوم » .. هل فكرت ـ وقتئذ ـ أن تعرض نفسك على طبيب أخصائى ، أم اكتفيت بالتسليم بالأمر الواقع ، واعتبرت المسألة عادية ولا خطورة منها ؟ . هذه الدراسة العلمية تحاول أن تلقى الضوء على تلك الظاهرة التى تجعل أعز الأقارب يهربون منك وأنت غارق فى أحلى ساعات النوم وهى فترة الأحلام !



ولكن ماهو هذا الصوت وما علاقتنا به ؟

نحن جميعا فى يوم ما .. في مرحلة ما .. وفي مكان ما .. والى حد ما قد أحدثنا هذا الشخير ، فجميع البشر معرضون لذلك ، ولكننا نختلف عن بعضنا البعض في عدة أمور هامة :

شدة قوة الشخير : وتتراوح هذه الشدة من شخص الى آخر ، حيث بلغت قوة الصوت في أحد الاشخاص « ٨٠ ديسبل » وتم تسجيل هذه القوة من على بعد خمسة أقدام ، وهي تعادل ضجيج حفار الطرق الهوائى الذى تبلغ قوته « ٧٠ ـ ٩٠ ديسبل » .

• الجنس والسن : ويعتبر الشخير اجمالا « عادة بشرية مقارنة بمملكة الحيوانات ، فالحيوانات الطبيعية لاتشخر ، أما كلب « البولدج » Bull Dog فإنه يشخر بشدة لأنه

هل هناك خطورة على حياتك من هذا "الصّوت الشهيقيّ" المُرتفع ؟!



بقلم
الدكتور عبد الله الباكر

حتى لا يهرب منك الأقارب والأصدقاء وأنت غارق في النوم!

حيوان مشوه «ولاديا» وليس طبيعيا.. أما الانسان فهو يشخر في مختلف الأعمار ولدرجة معينة ويزداد الشخير كما «ونوعا» بتقدم العصر، فلقد وجد لوجاريزى ومجموعته Lugaresi et al بعد دراسة أجراها في ايطاليا «سان مارينو» على ستة آلاف شخص أن ٤٠٪ من الرجال و٢٨٪ من النساء يشخرون، ويزداد حدوث الشخير مع العمر حتى يصل الى ٦٠٪ من الرجال و٤٠٪ من النساء في العقد السابع من العمر أما بعد السبعين فان الشخير يقل تدريجيا.. وفي دراسة أخرى من نورتن ومجموعته من كندا تبين أن الشخير يحدث في أكثر من نصف الناس هناك، وأن ٨٦٪ من الزوجات سجلوا في الدراسة شخير الأزواج بينما سجل ٥٧٪ من الأزواج عن زوجاتهم ذلك.

• التكوين الجسماني: يزداد الشخير في الأشخاص الذين يزداد وزنهم عن المعدل أو الذين يعانون من السمنة المفرطة، لكن هذا لايعني أن النحيف لايشخر. اذ أن توفر أحد الأسباب التي سنذكرها بعد ذلك يؤدي الى حدوثه. إن الشخير والسمنة من الأمور التي يجب ملاحظتها بدقة اذ أنه الى جانب خطورتهما لايوجد حتى الآن تبرير علمي لارتباطهما وهل ينتج أحدهما عن الآخر أو أنه مكمل له. ولكن المقبول بالنسبة للشخير أن ترسب كميات الدهن في اللسان وكبر حجمه وفي الأغشية المحيطة بالبلعوم والرقبة يفسر ذلك، اذ أن من المعروف أن الشخص السمين ذا الرقبة القصيرة الممتلئة يشخر أكثر، فلقد بينت الدراسة الأيطالية أن ٥٤٪ من ذوي الوزن العالي يشخرون عادة مقارنة بـ ٣٤٪ من ذوي الوزن العادي. وبينت أكثر الدراسات أن تخفيف الوزن غالبا ما يؤدي الى تقليل الشخير والى القضاء على الأعراض الأخرى المصاحبة.

• الوضع أثناء النوم: انه من المتعارف عليه بين الناس أن النوم على الظهر يؤدي الى الشخير أو زيادة حدته، وهذا أمر معقول الى حد ما، لذلك كثيرا مايتوقف أو يقل عند قلب الشخص الى وضع آخر.هذا الأمر يظهر بوضوح أكثر عندما يكون مصاحبا بالعوامل الأخرى، هذا ويقول العالم الطبيعي الألماني «املمان» ان الحيوانات المفترسة تنام اما على بطنها أو على جنبها مع وجود فكها متدل الى الأسفل، وهو الوضع الذي يمنع اللسان من السقوط الى الخلف لذلك فهي لاتشخر. ولفهم هذه العلاقة انظر شكل (١).

• العوامل السلوكية الأخرى: هناك عوامل سلوكية أخرى تؤدى لهذه الحالة مثل:

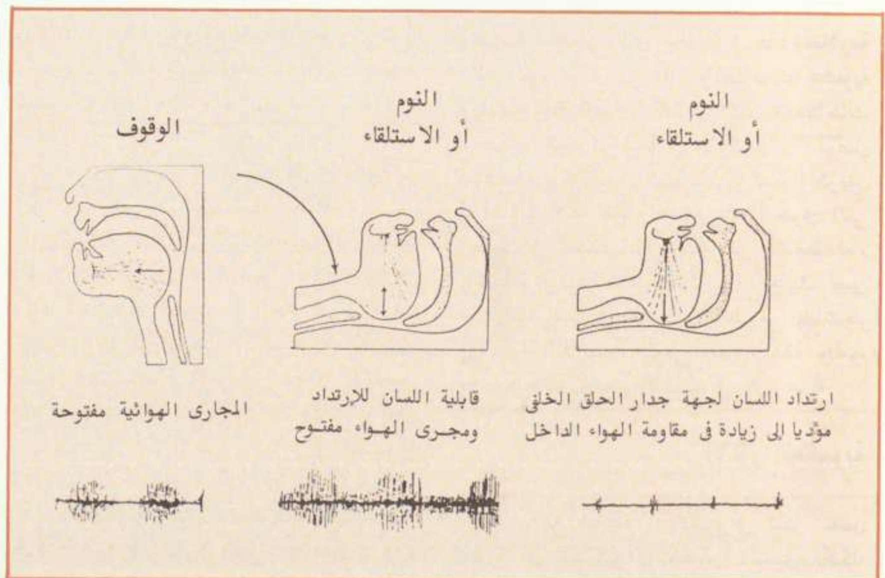
١ ـ الكحول: يعتبر الكحول من العوامل المساعدة لحدوث الشخير، وهو غالبا ما يكون قويا ومن النوع المختنق، ويظهر ذلك الأثر في الساعات الأولى من النوم، وقد يطول معتمدا على كميته في الدم، لذلك تحذر السلطات الصحية من استعماله في الجماعات التى لها العوامل الأخرى والأمراض التي سنذكرها، ولقد قام سولفان Sull Ivan في مختبره باجراء أبحاث كثيرة في هذا المجال وتوصل الى أن الاختناق من جراء الشخير الشديد وانقطاع النفس أثناء النوم ربما يؤدى الى الاضرار بالمخ بعد الإسراف في تناول الكحول.

٢ ـ الحبوب المنومة والمهدئة: لقد انتشرت هذه العقاقير في العالم بشكل مخيف ولها دور في موضوعنا هذا، فهي تزيد من حدوث الشخير والعوامل الأخرى المتعلقة به، اذ أنها تؤدي الى تثبيط عزم جهاز التنفس وتبطىء من سرعة الانفعال به فتساعد على اطالة فترة وقف النفس، الأمر الذي يؤدي الى هبوط نسبة الأكسجين فى الدم، لذلك ينصح أخذ جانب الحذر في استعمال هذه الأدوية بالذات بالنسبة للمسنين وبالأخص المصابين منهم بالتهاب القصبات الهوائية المزمن أو أمراض الرئة الأخرى.

الجدول رقم (١) يوضح المشاكل الصحية وعلاقتها بتلك الأصوات الشهيقية

الحال	الجميع	بدون	أحياناً بشخير	الذين يشخرون ليلياً تقريباً	الذين يشخرون كل ليلة
زيادة الوزن	٧,٢	٢,٣	٨,٩	١٦,٩	٢٢,٨
المدخنين	١٧,٩	١٠,٣	٢٤	٣٢,٩	٣٣,٩
ارتفاع ضغط الدم	٦,٢	٢,٣	٨,٨	١٢,٢	١٨,٥
الأرق	١,٣	٠,٦	١,٧	٥,٦	١,٦
مرضى الصدر	٢,٢	١,٤	٢,٧	٤,٧	٥,١
مرضى القلب	٤,٢	١,٧	٥,٥	٩,٩	١١,٨
الكآبة	٠,٨	٠,٢	١,٣	٢,٨	٢
مدمنو الكحول	٠,٥		٠,٢	٢,٣	٢
السكري	١,٥	٠,٨	٢	٢,٣	٣,٥
نوم النهار	١,٣	٠,٢	٢	٤,٧	٣,٢
الروماتيزم	٤,٤	٢,١	٧,١	٨,٥	٩,١
الحساسية	١١,٢	٩,٦	١٣,٨	١٤,١	١٤,٢
الربو	٢,٩	٢	٥	٣,٨	٢
حالات أخرى	٧,٣	٤,٦	٨,٩	١١,٧	١٥
مجموع الحالات لكل مجموعة	٢٦٢٩	١٣٧٩	٦٣٨	٢١٣	٢٥٤
الرجال ٪	٥٣,٧	٤٥,٤	٦٤,٢	٦٩	٧٣,٢
الأزواج ٪	٢٠,٩	١١,٧	٣٤,٩	٤١,٨	٣٧





شكل (١) رسمان يوضحان إرتداد اللسان أثناء النوم وانفتاح المجارى الهوائية فى حالة الوقوف

٣ ـ العوامل الحياتية الأخرى : تنعكس الأمور الحياتية اليومية بما فيها من آثار نفسية وارهاق عضلي وتعب عام وما تتركه من أثر على حركة النوم الطبيعى ، وهذه تؤدى الى النوم في أوضاع مختلفة وتحت توتر داخلي مختلف فتزيد من قوة الشخير ونسبة حدوثه .

٤ ـ التدخين : لابد لهذا السم من علاقة بالشخير حيث أن له علاقة بجميع الأمراض المرتبطة به ، هذا الى جانب أن السيجارة تزيد من حدة وخطورة اللانفس الانسدادى بتأثيرها على الممرات الهوائية العليا بزيادة احتقانها وتهيئتها للالتهابات اضافة الى تأثيرها المزمن على الرئة والقصبات الهوائية .

الوضع العائلى والحالة الصحية

والشخير لاينتقل بالوراثة ، ولكن حدوث نوع منه مرتبط باللانفس الانسدادى أثناء النوم قد سجل في بعض العائلات ، في دراسة قام بها الدكتور ستروهل Strohl et al على احدى العائلات التي يعاني أفرادها من أعراض هذا المرض وجد أن اثنين من الأبناء الذين لديهم الأعراض قد فقدوا حركة توتر عضلة اللسان في المرحلة الأولى من النوم ، بينما الابن الثالث الذى لاتوجد به أعراض قد فقد هذه الحركة في المرحلة الثانية من النوم . كذلك تم تسجيل حالتين من الوفاة الفجائية في هذه العائلة .

وبالرغم من أن الشخير حدث عام وغير مضر عادة وفي غالب الأحيان يؤذى الآخرين أكثر من الشخص نفسه ـ لأنه لايحس به ولا يسمعه ـ إلا أن الاتجاه الأخير في الأوساط العلمية يدعو الى عدم التقليل من شأنه ، فلقد شهدت الخمس عشرة سنة الأخيرة دراسات مركزة على هذا الحدث بالذات ، بعد أن توفرت في بعض البلدان المتقدمة مختبرات النوم والأجهزة المتطورة الخاصة بمختلف القياسات للنوم العادي والمضطرب ، وقد تبين أن هناك من الأمراض في الانسان ما يؤدي الى حدوث الشخير كما وكيفا في شكل تعود ، وقد تكون بعض الأحيان مؤشرا مهما يدعونا الى البحث وتقديم العلاج اللازم ، كما وبينت بعض الدراسات أن استمرار الشخير العالي أو الأسباب التي تؤدي الى حدوثه تعتبر من عوامل الخطورة في احداث أو تعقيد الأمراض الخطرة والمزمنة الأخرى كالقلب والضغط وغيره ، وهناك اتجاه باعتباره أحد الأسباب التي لها علاقة بمتلازمة « ظاهرة » وفاة الرضع الفجائية (Sleep Apnea Syndrome)

وفي هذه الحالة تطول فترة اللانفس من ١٥ ـ ٦٠ ثانية ، ويصبح عدد النوبات أكثر من ٣٠ ـ ٤٥ نوبة وفى هذه المرة تصاحب النوبات إفاقة من النوم سريعة ، وقد تطول للاحتياج الشديد للأوكسجين ثم عودة للنوم مرة أخرى ، وهذا التتابع من اللانفس ، ثم الإفاقة ثم التنفس الطبيعي ، ثم اللانفس وهكذا ، قد يحدث في بعض الحالات من ٤٠٠ ـ ٥٠٠ مرة في الليلة ويعتبر من العلامات المميزة لهذه الظاهرة ، والغريب أن الاستيقاظ لايشعر به الشخص ، وقد يقول انه نام ليلة طويلة ولكنه يستغرب من تعبه فى النهار ، إذ أن دوره كما قدمنا هو تخطي الانسداد في النفس ويزداد بزيادتها وغالباً مايصاحبها كعلامة مرضية أخرى زيادة في النعاس والنوم أثناء النهار ، إلى جانب العلامات الأخرى الناتجة غالباً كتعقيد لهذا المرض .

ولهذه المتلازمه ثلاثة أسباب رئيسية :

• سبب مركزى : وهو قليل الحدوث ، وينتج بسبب الأحوال المرضية التى تصيب الجهاز العصبى من الاصابات الميكروبية والفيروسية والنزيف والسرطان والحوادث وغيره .

• وسبب انسدادي : وهو الأكثر حدوثاً ، وينتج عادة من أمراض تصيب منطقة الرقبة والممرات الهوائية العليا مثل :

ـ تضخم اللوزتين والغدد المجاورة سواء كان توزماً حميداً أو خبيثاً .
ـ نقص هرمون الغدة الدرقية خاصة عند الرجال .
ـ تضخم الغدة الدرقية داخل الصدر .
ـ صغر الفك الأسفل .
ـ ضعف التوتر العضلي .
ـ ضخامة النهايات Acromegaly
ـ أمراض مفصل الفك السفلي .
ـ السمنة .
ـ تضخم اللسان .

• سبب مشترك : أي وجود السبب المركزى والانسدادى ، وهو يبدأ بالأسباب المركزية ، ثم يتبعه انسداد في ممرات الهواء

حتى لا يهرب منك الأقارب والأصدقاء وأنت غارق في النوم!

العليا ويحدث بنسبة أقل من السبب الانسدادى، المهم أن السبب الانسدادى يحدث نتيجة لتغيرات في ممرات الهواء العليا أهمها :

١ ـ فشل استمرار فتح المر الهوائي أثناء النوم نتيجة لارتخاء جدران البلعوم ، وفتحته بسبب ارتخاء العضلات وقلة توترها .

٢ ـ يقابل ذلك زيادة في مقاومة الهواء الداخل ، الأمر الذي يزداد في وجود أحد الأسباب الموجودة في الجدول ولاسيما اللسان الذي يسقط إلى الخلف ليسد البلعوم نتيجه لقلة توتر عضلة اللسان الرئيسية Glucoglossus Muscle بالذات عند النوم على الظهر .

٣ ـ زيادة الضغط السلبي في الممرات الهوائية والمرىء نتيجة لمحاولة سحب الهواء إلى الداخل عن طريق حركة الحجاب الحاجز ، مما يؤدي إلى جذب عضلات البلعوم المرتخية فيزيد من الانسداد .

الأسباب والأعراض

إن معرفة سبب وأعراض هذه الحالة ، مسألة هامة جداً ، إذ أن الشخير العالي المستمر والمصاحب غالباً بفترات صامتة من اللانفس يعتبر من العلامات المنذرة الأولى ، ويتفق العلماء فى هذا المجال على أن المرحلة مابين الأصحاء والمرضى هى مرحلة الشخير العالي ، والتى غالباً يرجع تاريخها إلى فترة الطفولة . إن حدوث هذه المتلازمة واستمرارها دون تدخل يظهر واضحاً في الأعراض والمظاهر السريرية المرافقة مثل : ـ

الوسن الزائد فى النهار ، الشخير الرنان ، كثرة الحركة أثناء النوم ، السمنة ، ازدياد الوزن بشكل واضح قبل بداية الوسن ، السمنة ليست موجودة بالضروره دائما ، نقص القابلية الذهنية ، تغير في الشخصية ، العنة الجنسية ، التبول اللاارادي المتقطع ، صداع الصباح ، غثيان الصباح ، زيادة عدد الكرات الحمراء ، عدم انتظام ضربات القلب والتي قد تؤدي الى الوفاة ، ارتفاع ضغط الدم ، ارتفاع ضغط الرئتين المصحوب بتضخم القلب ، هبوط القلب .

مشاكل الأطفال

يكثر الانسداد في الممرات الهوائية العليا عند الأطفال بسبب اصاباتهم بالالتهابات في الأغشية المبطنة للأنف أو الغدد المنتشرة فى الحلقوم واللوزتين ، هذا بالاضافة إلى التكوين العضوي للأنسجة في الممرات الهوائية والبلعوم اثناء النمو فى هذه المرحلة ، فالأطفال الرضع مثلاً يتنفسون من الأنف اجبارياً في الشهور الأولى ، وأي انسداد في الممرات الأنفية يؤدى إلى زيادة المقاومة وخلق منطقة ضغط سلبية كما ذكرنا ، فيؤدي ذلك إلى ظهور اللانفس ، وفي بعض الأحيان إلى انقطاع النفس ، بالاضافة إلى أن اللهاة عالية في الرضع واللسان في وضع خلفي أكثر من الكبار ، لذلك تبرز اهمية وضع الأطفال على بطونهم أثناء النوم بدل تنويمهم على الظهر بالذات بالنسبة للممتلئين .

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن ضحايا متلازمة موت الرضع المفاجىء « SIDS » من المصابين بالالتهابات في الجهاز التنفسى !

ولكن امكانية علاج الأطفال والتحفظ الذى يبديه الأطباء هذه الايام فى تعاملهم مع الغدد الليمفاوية واللوزتين حيث الاتجاه إلى الابقاء عليهم قدر الإمكان لأهميتهم لجهاز المناعة يدعونا إلى التذكر بأهم الأعراض التي قد تبدو على الأطفال لعرضهم على الطبيب .

إن هذه الأعراض تظهر في شكل شخير عال ومتتابع أثناء النوم ، نعاس خفيف أثناء النهار ، التقلب في الفراش أحياناً ، تبول لا ارادي في السرير غالباً ، كوابيس ليلية في الغالب مع صداع في الصباح أحياناً .

العلاقة بالأمراض الأخرى

كثرت الدراسات عن علاقة الشخير أو بالأحرى المشخرين بالأمراض المختلفة ، حيث أن علاقته بمتلازمة اللانفس النومي

● من أسباب تلك الظاهرة الشائعة النقص الواضح في الأوكسجين وزيادة ثاني أكسيد الكربون في الدم!

واضحة ، إذ أن الذي يحدث في هذه المتلازمة أثناء النوم يؤدي إلى آثار وانعكاسات عضوية ونفسيه واجتماعية ، كما أن أكثر الانعكاسات سببها النقص الواضح في الأوكسجين الموصل للأنسجة والزيادة في كمية ثانى أكسيد الكربون في الدم وعلاقة هؤلاء بالتغيرات الأخرى التى تحدث في مختلف الأعضاء مثل الضغط العام والضغط الرئوي أنظر الشكل « ٢ » حيث يبين تلك المتغيرات في الشخص الطبيعي والمشخر وفي حالة اللانفس النومي أثناء اليقظة والنوم مع ملاحظة حجم الأسهم في كل حالة .

الآثار العضوية

١ ـ على الدماغ : وتظهر في شكل نقص القدرة على التركيز وانخفاض مستوى الذكاء والقدرة على حل المشاكل وضعف في الذاكرة مع تغيرات في الشخصية سواء بالقلق أو بالهبوط ، هذه الأمور تؤثر على الأداء الوظيفي للشخص وتعرضه للحوادث بالذات النوم اثناء السياقة .

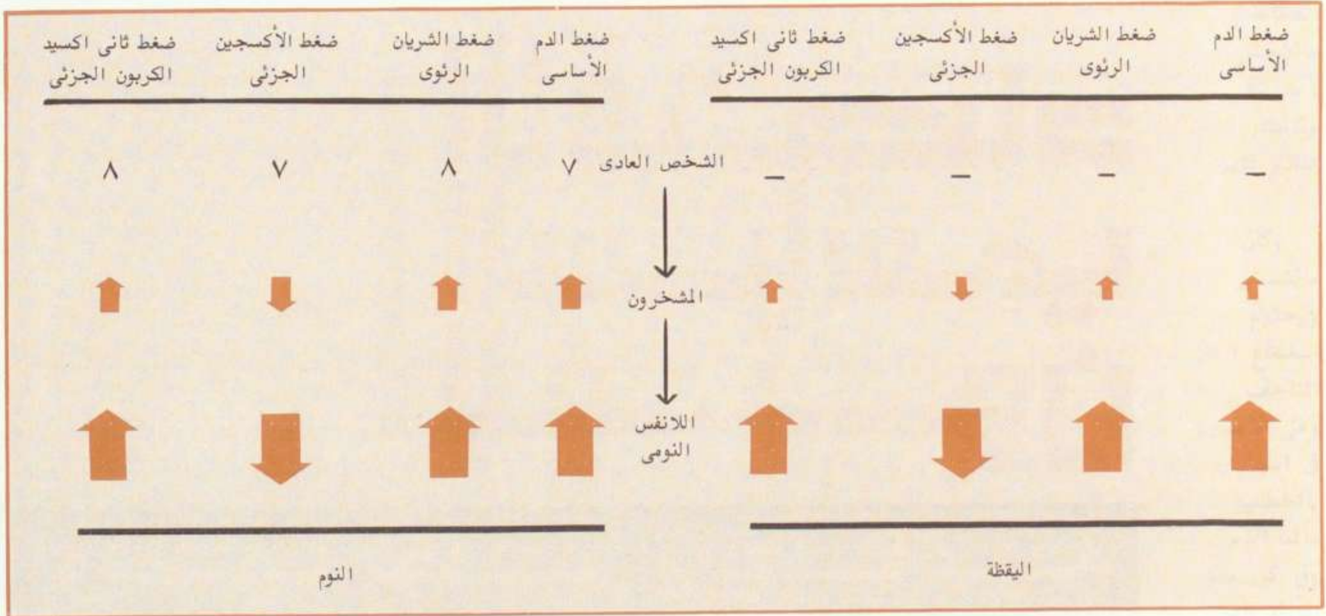
٢ ـ أمراض القلب والشرايين : إن حدوث ارتفاع الضغط الرئوي والضغط العام من الأمور المدونة علمياً ، وكذلك حدوث اللانظمة التى قد تكون خطرة على الحياة ، وتعتبر عملية شق القصبة الهوائية فى هؤلاء الأشخاص مهمة لتقليل هذه الخطورة .

إن الدراسات فى هذا المجال كثيرة ، وبالذات دراسة « لجريزى » « ايطاليا » ودراسة نورتون ومجموعته (Norton et al) من كندا التى نشرت أخيراً وكانت على ٢٠٠١ حالة وتناولت علاقة ١١ مشكلة طبياً بالشخير ، هذه الدراسات جميعها بينت أن هناك ارتباطا وثيقا بين الشخير وأمراض القلب والأوعية الدموية ، وخاصة ارتفاع ضغط الدم وأن الشخير ايضاً له علاقة بالتدخين والوزن الزائد وهذان العاملان لهما علاقة ايضاً بزيادة أمراض القلب والأوعية الدموية ، فلقد وجد أن الرجال الذين يشخرون ويدخنون ووزنهم زائد عن المعدل يعانون من ارتفاع ضغط الدم ٤,٢ مرة أكثر من غير المشخرين . الجدول رقم (١) من دراسة نورتون يبين المشاكل الصحية وعلاقتها بالشخير .

٣ ـ الآثار الأخرى وتشمل تغيرات ميكانيكية في الجهاز التنفسى ونقص سريان الهواء في الحويصلات الهوائية ، زيادة الكريات الدموية الحمراء « داء الكريات الحمراء » ، ارتجاع الحموضة من المعدة إلى المرىء وضعف القدرة الجنسية .

الآثار الاجتماعية

إن الكثير من النساء فضلن قبول الوضع على ماهو عليه حتى بالنسبة للأزواج الذين



شكل (٢) هذا الرسم التوضيحي يبين المتغيرات في الشخص الطبيعي والشخص الذي تصدر منه الأصوات الشهيقية وفي حالة اللانفس النومي أثناء اليقظة والنوم

يشخرون بقوة ولجأن إلى مختلف الأساليب والطرق والحيل للتغلب على ذلك ، لكن البعض بعد تعب ومشقة سهر الليل الطويل فضلن النوم في غرف منفصلة ، أما البعض فقد انتهى بهن الأمر إلى طلب الطلاق ، ويعزى ذلك إلى أن النساء أكثر حساسية للشخير من الرجال إذ أن قدرتهن على الاستيقاظ السريع والاستجابة للأصوات أسرع .

الطرق العلاجية

كان العلاج الذي كان يقدم للمشخرين يتخذ طرقا متعددة وكثيرة قبل التعرف على دور الشخير كعامل في إحداث الأمراض أو ظهورها كأحد أعراض ، وتلك جميعها قد تفيد في بعض حالات الشخير العادية أو البعض من الحالات المرضية في بدايتها أو كعامل مساعد لوسائل العلاج الأخرى ، ومن ضمن ذلك تخفيف الوزن وترك التدخين والكحول والحبوب المنومة والمنشطة وعدم النوم على الظهر لمنع سقوط اللسان إلى الخلف وسد ممرات الهواء العليا . وأخيراً تدخلت الصناعات في ذلك فطورت الفكرة القديمة التي تسمى « كرة الشخير » وهي عبارة عن ماده خشنة توضع وتثبت في ظهر المشخر حتى تمنعه من النوم على ظهره !

وقد استعملت بعض الأدوات التي تساعد على استمرار مرور الهواء بأدوات تمنع سد الفم ورباط مثبت للذقن والفك وتم ادخال أنابيب في المنخار لتسهيل التنفس ، كما تم استعمال رباط عنق (ياقة) حتى يمنع انثناء الرقبة .

كما قامت الشركات المختلفة بصنع آلات كهربائية والكترونية لتعطى بعض الأوامر أو موسيقى معينة في أذن المشخر في حالة شخيره أو أن هذه الآلات تصدر أضواء أو تصدر صفيراً كسيارات النجدة . وأخيراً نشر عن آلة تحول صوت الشخير إلى موسيقى بالنسبة للشخص الآخر في الغرفة .

ومع أننا نجد أن هذه المحاولات هامة جدا ، إلا أننا يجب أن نعرف أن الشخير ظاهرة لاإرادية ولا يمكن تطويع المشخرين على طريقة « بافلوف » أو أقلمتهم وإن كل ماسنصنعه لهم بهذه الآلات هو ايقاظهم ومنعهم من النوم .

وهناك طرق علاجية تتبع لعلاج الشخير مثل :

• العقاقير : ا ــ منشطات الجهاز التنفسي مثل الامينوفبلين والالمترين .

ب ــ الهرمونات مثل البروجيسترون الذي استعمل في المناطق الجبلية العالية لتقوية جهاز التنفس .

• الأوكسجين : يستعمل خاصة في حالات الشخير المصحوب بهبوط في القلب ولكن يجب أن يعطى بحذر حيث أنه قد يؤدى الى زيادة فترات اللانفس .

• طرق ميكانيكية : وذلك بدفع الهواء تحت ضغط معين للتغلب على تقلص الممرات الهوائية ، ونتائجها جيدة ولكن الكثيرين لا يطيقون استعمالها وهذه الطريقه ليست ضارة ويمكن استعمالها في المنزل ورخيصة ويمكن النوم بها إذا أمكن تحملها .

• الجراحة : ١ ــ الاصلاح الجراحي لأعطاب الجهاز التنفسي العلوي مثل الحاجز الانفي واللهاة والحلق والبلعوم وبالذات في الأطفال .

٢ ــ شق القصبة الهوائية وإحداث فتحة دائمه للتنفس Tracheostomy يلجأ لهذه الطريقة في الحالات الشديدة والتي لا تفيدها العلاجات الأخرى مثل : عدم القدرة على النوم ، أمراض القلب التي تهدد الحياة ، ونقص تركيز الاوكسجين عن ٤٠٪ في الدم .

ويحتاج القرار لعملها كما يقال إلى امرأة قاسية وجراح شجاع .

٣ ــ ترميم اللهاة والحنك والبلعوم Nvulopato Phaeyngoplasty

وذلك باستئصال اللوزتين والغدد اللمفاوية المجاورة ، وازالة الأنسجة الزائدة في ثنيات الحنك واستئصال اللهاة . هذه الجراحة تمنع الشخير في معظم الحالات ولكنها تحسن حالة اللانفس أثناء النوم بنسبة ٦٠ ــ ٧٠٪ فقط وفي بعض المراكز تجرى هذه العملية بالاضافة الى فتح القصبة الهوائية الدائم .

ونعود أخيرا للقول ، ان الشخير ظاهرة طبيعية ولكنها عامل من عوامل الخطورة على حياة بعض الأشخاص ، الذين يشخرون عاليا وبشكل مستمر منذ الصغر ووزنهم يزيد عن المعدل ، ويدخنون ، ويتعاطون المخدرات ، والمنومات ، والمهدئات ، ظنا منهم أنها ستجلب لهم النوم والراحة .

عبدالله الباكر

الاقتصاد السياسي للفنون

وجهة نظر بريطانية

بقلم : الفريد فرج

ألقى رئيس مجلس الفنون البريطاني .. « سير ويليام ريس موج » محاضرة ضمن البرنامج الثقافي لشركة آى . بى . أم (I.B.M) للعقول الالكترونية ، بعنوان « الاقتصاد السياسي للفنون » .

وقد أردت بترجمة مقتطفات مطولة من المحاضرة أن أقدم للقارىء العربي نموذجا للمنهج الذي يفكر فى إطاره مجلس الفنون البريطاني ، والجدل الذي تطرحه الحركة الثقافية في قضية الفنون ودعمها .

ومع أن أقطارنا العربية لا تقصر فى إرسال البعثات من شباب الفنانين إلى أوروبا لدراسة الفنون المختلفة ، فمن النادر أن يكون من بينها بعثات لدراسة إدارة المسارح أو لدراسة اقتصاديات الفنون أو أساليب إدارة وسياسة الدعم الحكومى للفنون .. وهى كلها علوم هامة فى أوربا ، ومواد رئيسية في المعاهد الفنية وفى أقسام الفنون بالجامعات .

ومجلس الفنون البريطاني الذى يرأسه سير ويليام ريس موج هو هيئة مستقلة تتألف من نخبة من وجوه المجتمع محبى الفنون ، ويتلقى مجمل دعم الحكومة للفنون ليوزعه على المسارح والمتاحف والبحوث الفنية والتجارب الفنية المبتكرة على أساس خطة يتفق عليها أعضاء المجلس سنويا ترتب الأولويات والاحتياجات .

وسير ويليام ريس موج يملك شركة تختص بالتجارة في الكتب الأثرية النادرة ، وهو بنفس الوقت نائب رئيس مجلس الإدارة للاذاعة والتليفزيون البريطانى BBC ، وأحد مديرى شركة جنرال إلكتريك .

وقد ولد عام ١٩٢٨ وتعلم في أكسفورد واشتغل مدة طويلة محررا بالتايمز وكان أحد من تولوا رئاسة تحريرها ، كما كان رئيسا لجمعية الصحفيين وأستاذا زائرا بكلية نوفيلد بأكسفورد ، فضلا عن رئاسته لمجلس الفنون .

استهل سير ويليام محاضرته فى تحديد الراعي العصرى للفنون .. قال :

ألقى جون راسكين[1] محاضرتين تحت عنوان « الاقتصاد السياسى للفن » فى مانشستر عام ١٨٥٦ ، وكان لمكان وزمان المحاضرتين دلالة خاصة .

ذلك أن سنة ١٨٥٦ كانت ذروة التفوق الاقتصادى الذي ترتب على أن بريطانيا كانت أول دولة اختبرت الثورة الصناعية في العالم .

كما كانت مانشستر هى مركز صناعة القطن . وكانت صناعة القطن هى طليعة

الصناعات الكبرى الحديثة ، كما كانت مانشستر مدينة التجارة الحرة التى احتضنت « مدرسة مانشستر للعلوم الاقتصادية » .. وكانت التكنولوجيا والاقتصاد والايديولوجيا تتقدم كلها فى صف واحد كالحال دائماً .

وكان راسكين بمحاضرته يحث تجار مانشستر الأثرياء لينفقوا المال على الفن ، ويحثهم على أن يعملوا على توسيع فرص استمتاع الناس بالفنون وذلك بالتبرع لانشاء المتاحف ودعم المسارح وتشجيع الفنانين ، وعلى الاضطلاع بمسئولياتهم العالمية والقومية فى المجال الثقافي . لقد كان المحاضر يتوجه بالخطاب إلى ملاك الثروة الحقيقيين ، وهم دائما الذين يدعمون الفنون بالمال فى كل زمان وفى كل مكان ، ولذلك ترونني اليوم أحث الدولة وأدعوها للاضطلاع بواجبها نحو الفن بنفس الروح كما كان راسكين يخاطب ملاك مانشستر . ولا أعلم هل كانت دعوته للتجار منذ أكثر من مائة سنة أصعب من دعوتى للدولة ، أم كانت أسهل ..

أمس واليوم يترتب الاقتصاد السياسى للفنون على نظام الاقتصاد السياسى للأمة ، ويقترن به . فى زمن راسكين جرى الصراع الكبير الذي شهدته مرحلة التصنيع الأولى ، واليوم يدور صراع جديد في البلاد المتقدمة صناعيا ، ويشمل هذا الصراع ميادين التكنولوجيا والاقتصاد والسيكولوجيا والايديولوجيا والطبقات . وهذا الصراع لن يحدد منهج تمويل الفنون فحسب ، وإنما سيحدد أيضا مقومات الفنون والقيم الفنية في المستقبل .

نصيب الدولة ونصيب الأفراد من الدخل

أطروحة القرن العشرين ، إذا تمت مقارنتها فى شمولها بأطروحة الاصلاح الذى حققه المذهب البروتستانتى ، أو بأطروحة جون لوك[٢] عن الحرية الفردية .. فلابد أن تتضح أشكالها الشمولية في الانتاج وفى القوة . وهذه الأطروحة للقرن العشرين قد فتحت الأبواب فى أسوأ حالاتها للتطرف .. وان كانت قد اتخذت فى الغرب شكلا جديدا هو ـ الانتاج الصناعى المكثف ، ودولة الخدمات

سير ويليام ريس موج



الموسعة ، والانفاق العسكرى العملاق ـ وقد تضخمت أداة الدولة بذلك التطور أربعة أو خمسة أضعاف . وارتفع نصيب الدولة من الدخل القومى كله من مقدار ١٠٪ إلى ما يتراوح بين ٣٠٪ و٥٠٪ ..

وحسب تقدير البروفيسور اللورد كالدور قد وصلت إيرادات الدولة البريطانية فى عام ١٩٨٢ إلى ٤٧,٧٪ من كل الدخل القومى للشعب البريطاني[٣] .

وقد دأبت الحركة الشمولية على اتباع أسلوب العمل فى المناجم ، أى استخراج الخام من الطبقة الأعلى ثم التحول إلى الطبقة الدنيا . وبامكاننا أن نشهد اليوم عملية المقايضة بين الدخل والتكلفة من مختلف زوايا النظر . فحين كانت الدولة تنال ١٠٪ من الدخل القومى ، كان بالامكان مواجهة الاحتياجات المتزايدة للخدمات .. المعاشات والصحة والتأمين ضد البطالة والتعليم بمجرد زيادة نصيب الحكومة من الدخل القومى إلى ١٥٪ . وكانت كل الشرور الاجتماعية قابلة للعلاج بزيادة طفيفة فى الانفاق الحكومى وزيادة طفيفة فى الضرائب . وكانت عملية مقايضة الدخل بالتكلفة آنذاك مواتية للمواطن .

ولكن حين وصل الانفاق الحكومى وبالتالى ايرادات الحكومة إلى ٥٠٪ من الدخل القومى اختلفت الصورة . وأصبحت مناسيب الضرائب تثقل كاهل كل المواطنين بما فيهم الفقراء .

وأصبحت الضرائب ذاتها سببا من أسباب التدهور الاقتصادى والفقر الاجتماعي . وكل مواطن اليوم يشعر بوطأة الضريبة عليه ، وبما وصلت إليه التزامات الانفاق الحكومى من زيادة مفرطة .

وبلغة الانتخابات تغير الميزان أيضا تغيرا حتميا . ففى عهد الـ١٠٪ يمكن للحكومة اكتساب رضا الملايين بفرض الضرائب على الآلاف . وفى عهد الـ٥٠٪ تتعرض الحكومة لخاطر إغضاب الملايين فى سبيل دعم الآلاف .[٤]

ونصيب الفنون

وقد نالت الفنون دائما النصيب الضئيل فى هذا التطور الذى شهده القرن العشرون .

فلم يكن لها أى نصيب على الاطلاق فى المرحلة الأولى للتطور فى سياسات لويد جورج فى مجال الخدمات الصحية والمعاشات وإعانات البطالة .

ونال الفن نصيبه فى المرحلة الثانية حين قررت حكومة تشرشل الائتلافية ـ التى ضمت المحافظين والعمال[٥] ، ثم الحكومة التى أعقبتها برئاسة أتلى بعد نجاح حزب العمال الساحق عام ١٩٤٥ ـ بدء المرحلة الثانية لتطوير « دولة الرفاهية » بتعميم الخدمات . فمبدأ دعم الدولة للفنون وإنشاء مجلس الفنون يرجع إلى منتصف الاربعينات مع إنشاء الخدمات التعليمية الحديثة ، والخدمات الصحية ونظامي الضمان الصحى والضمان الاجتماعى . ومجلس الفنون جزء ـ صغير جدا ـ من صرح « دولة الرفاهية » (Welfare state) التى اعتمدت مبدأ أن الفنون كالتعليم وكالصحة وكالتأمينات الاجتماعية لابد أن تتاح للجميع بغض النظر عن قدرة المواطن على الحصول عليها بالشراء .

وبانشاء مجلس الفنون عام ١٩٤٥ برئاسة لورد كينس بدأت عملية توسيع قاعدة الدعم للفنون . وكان الدعم ضروريا . ففى المرحلة التى أعقبت الحرب ، وبرغم تناقص النفقات العسكرية ، صار نصيب الدولة من الدخل القومى يتزايد باستمرار وكان يمكن أن يؤدى ذلك إلى تدهور الفنون وانكماش الجمهور لولا أن اعادت الدولة للفنون نصيبا صغيرا من أموال الضرائب المحصلة .

وقد نجح مجلس الفنون فى تشجيع الجهود لتطوير الأوبرا والبالية والمسرح والموسيقى بلندن وفى الأقاليم ، وهى جهود لم تكن لتتم لولا الدعم . إن الفنون المدعومة فى بريطانيا تمثل انتصارا للقدرة على الانجاز الكبير بموارد قليلة .

ولكن هذا لا يعنى أن أولويات الدولة كانت تميل فى جانب الفنون ، أو أن الدولة قد أنفقت على الفنون قسما معقولا من مالها يتناسب مع ما ينفقه الاستثمار الخاص فى هذا المجال ، مع أن الدولة تملك من الدخل القومى نصيبا يساوى نصيب كل الأفراد .

الاقتصاد السياسي للفنون

الأرقام تتحدث

فالأرقام هي التي تروى هذه القصة .
إن مجمل انفاق الدولة في كل أوجه الانفاق يبلغ ١٣٠ مليار جنيه .. منها ١٠٠ مليون جنيه تدعم بها الدولة الفنون . وهذا يعنى أن الدولة تنفق جنيها واحدا على الفنون من كل ١٣٠٠ جنيه تنفقها في كل الوجوه .

وهذا إذا تم قياسه على حال مواطن واحد - من الأثرياء أو أصحاب الأملاك مثلا - دخله السنوى يبلغ بعد أداء كافة الضرائب ١٣٠ ألف جنيه .. ويشترى مدفعين جديدين كل عام ، وقد دفع مائة جنيه تبرعا لدعم مهرجان الفنون المحلى .. لابد أن أهل الناحية سيصفون ذلك المواطن بصفات مرذولة كثيرة ، وقد لا يصلح في نظرهم إلا مجرد زينة في مجلس اللوردات ، ولكنه لن يحظى عندهم أو عندنا أبدا باعتباره راعيا عظيما للفنون .

وأولويات الانفاق في أية دولة تتجدد بناء على عديد من الضغوط ، بما في ذلك ضغط الناخبين . ولم يحدث أبدا في بلادنا أن توجهت الضغوط لصالح الفنون . ولعل مقارنة أخرى أن توضح لنا أين تتجه الضغوط في الواقع .

فدعم الدولة للفنون ، والذي يتولى توزيعه مجلس الفنون ، يساوى في مجموعه مجرد قيمة الفائدة البنكية السنوية للاعتماد المخصص لمشروع « صواريخ ترايدنت » هذه هي قيمة الدعم في هذا البلد للفن الذي يسحر الروح الانسانية (!) .

إنني في الواقع مؤيد جدا للسياسات العسكرية الدفاعية ، ولكن هذا لا يصرف نظرى عن طبيعة الأولويات التي تقررها الدولة لمختلف ميادين الإنفاق .

بين الفن والمال

والجفوة بين الفنون وبين وزير المالية يمكن تقصيها من نواح أخرى . وتتضح هذه الجفوة أكثر مما تتضح في علاقة التناقض بين ميزانية الدولة للفنون وبين قروض الدولة للقطاع العام الصناعي والتجارى . ففى العام ١٩٨٤ - ١٩٨٥ كانت ميزانية دعم الفنون ١٠٠ مليون جنيه ، وهى مساهمة الحكومة في تمويل استثمارات في الفن بلغت ٢٥٠ مليون جنيه . ومن جملة المبلغ الإجمالى البالغ قدره ٢٥٠ مليون جنيه دفعت السلطات المحلية دعما لا بأس به وتلقت الفنون هبات من الأفراد والشركات والهيئات الخاصة ، وحصلت على ١٠٠ مليون جنيه من عائد التذاكر المباعة .

ومن جملة هذه الميزانية أنفقت المسارح مبلغ ٢٠٠ مليون جنيه كمرتبات وأجور للفنانين . وهذا معناه أن الفنون تساهم في مجال العمالة بما يربو على ٢٥ ألف وظيفة . وهؤلاء قد دفعوا ضرائب وتأمينات للدولة يبلغ مقدارها ٦٠ مليون جنيه ، ومن حصيلة بيع التذاكر التي بلغت ١٠٠ مليون جنيه كان نصيب الضريبة الحكومية ١٥ مليون جنيه ، وهكذا عاد إلى وزير المالية ٧٥ مليون جنيه من الضرائب من مبلغ الدعم الذي اختص به الفنون والبالغ ١٠٠ مليون جنيه .

ويمكنك أيضا أن تضيف إلى هذه الأرقام مبلغ ٥٠ مليون جنيه كانت الحكومة تدفعها كإعانات بطالة للفنانين الذين كانوا سيفقدون أعمالهم لولا دعم الحكومة للفنون وعددهم ٢٥ ألف فنان وفنى وإدارى .

وهذا يعنى أن وزير المالية لو لم يدعم الفنون بمبلغ المائة مليون جنيه لواجه خسارة قدرها ٧٥ مليون جنيه فضلا عن ٥٠ مليون جنيه زيادة في اعباء الوزارة .

انني أثق في الموازنة الدقيقة وأومن بضرورة ضغط النفقات الحكومية بوجه عام ، ولكنى لا أفهم أبدا لماذا تريد وزارة المالية أن تمارس هذا الضغط في النفقات على حساب الفنون .

إن الدولة تتمتع أيضا بدخل غير منظور من السياحة التي تعتبر مسارحنا إحدى جاذبياتها . فالفنون بالنسبة للسياحة في بريطانيا تعادل الشمس بالنسبة للسياحة في أسبانيا . والسياحة تدر على بريطانيا خمسة آلاف مليون جنيه . ولا بد من احتساب أن جانبا من هذا الدخل قد تم بفضل المسرح (٦) .

لذلك فلا تناقض في موقفي إذا كنت أحبذ أن تضغط الحكومة نفقاتها إلى أقصى حد ممكن وأن تزيد بنفس الوقت إنفاقها على الفنون .

ولكن الفنون ليست لها هذه الحظوة .

فحين تضاعفت ميزانية الخدمات للدولة - الصحة والتعليم والضمان الاجتماعى - لم يكن للفن أصوات إنتخابية يمكن للاحزاب أن تشتريها بالوعود ، ولم يكن للفن مدافع يمكن أن تردع الأعداء .. ولذلك جاء دعم الفنون متأخرا ، وكانت حصيلته ضئيلة . كان الفن آخر من يدخل ميزانية الدولة ، وسيكون أول من يخرج منها .

جمهور الفنون

إن مراحل ازدهار الفنون قد اقترنت دائما في العصر الحديث بارتفاع شأن الطبقة الوسطى ، فهذه الطبقة في الواقع هي التي استهوتها التطورات الفنية . الطبقة الوسطى الفرنسية هي التي اشترت لوحات الفن التأثيرى (Impressionist) .. مديرو البنوك والتجار ، لا الارستقراطية القديمة . فالفن تغذيه دائما الطبقات الجديدة .

والطبقة الوسطى في مرحلتنا هذه من أواخر القرن العشرين هي طبقة المشتغلين بالتقنيات الحديثة التي تتعلق بوسائل الاتصال والنظم الالكترونية الجديدة .

ان الطبقة الوسطى الالكترونية - إن صح هذا التوصيف لها - هي التي ترفد اليوم قاعدة جماهير المسرح ، وهى التي سترفدها في السنين الباقية من القرن العشرين . فإحساس أفراد هذه الطبقة بالفردية وفضولهم العلمى واعتمادهم الاقتصادي على التعليم المستمر وعلى اكتساب المهارات المتقدمة يجعل منهم جمهورا مهما ومشجعا للفنون وللتحديث في أساليبها .

إلى الآن يتلقى الجيل الالكتروني أكثر معارفه عن الفن من التليفزيون ، وما يزال التليفزيون وسيظل أكبر معلم للفنون ، ولكن أولئك الذين يكسبون معاشهم من مراقبة الوحدات الالكترونية ستزدادا حاجتهم لمشاهدة الابداع الفنى الحي ، وتضعف شهيتهم للابداع المنقول الكترونيا (٧) .

ولا أعرف أى علاقة جديدة سينظمها الفنانون مع هذا الجيل الالكتروني ؟ إن كل الفنانين يتأثرون بالضرورة بطبيعة جمهورهم .

والطبقة الجديدة لابد أن تتطلع إلى فن متجدد وحديث . ومن أسف أن الفن الحديث اليوم لا يعدو أن يكون فن الأجداد ، ومعظم رواده قد ماتوا .. أودين وبيكاسو وشابلن .. الزمن يمشي ..

ومع ذلك أتعجب من أن الفنانين ما يزالون يظنون أن المستقبل الطبيعى للفنون سيقترن دائما بتزايد في ميزانية الدعم بلا نهاية . وأن مجلس الفنون ستتضاعف مسئولياته باطراد .. وهو ما أشك أنا فيه .

فالقوى السياسية والاقتصادية التي



فى لندن وحدها أكثر من مائة فرقة مسرحية وفى الأقاليم مثلها .. ومجلس الفنون يدعم ثلث الفرق الفنية تقريبا

تعارض دعم الفنون قوية جدا ، والحكومة تتعرض بوجه خاص لضغوط متزايدة لخفض نفقات الخدمات فى كل مجال [8] . فنحن الذين ننعى على مارجريت تاتشر اليوم ضآلة ميزانية دعم الفنون ، سنجد أنفسنا فى الغد نشعر بالحنين إلى أيامها التى مضت وإلى سخائها فى دعم الفنون .

الفنون لن تكون آمنة فى الغد إذا استمرت على التعويل على دعم حكومى متزايد أو الاعتماد على الظن بأن الدعم سيتزايد باطراد .

سياسة مجلس الفنون

لقد أعطانى مرة أحد رجال بلدية شيفيلد نصيحة جيدة حين قال لى : « إذا كانت كمية المال محدودة بين يديك ، لا يحل مشكلتك غير كيفية الإنفاق » . وهذه بالذات هى سياسة مجلس الفنون .

وكيفية الإنفاق التي نراها أنسب في الموقف الراهن ، ومع كمية الدعم الضئيل الذي نحصل عليه للفنون ، هى تطوير الإنفاق فى اتجاه الأقاليم — فرق الأوركسترا والأوبرا والمسارح والباليه والفنون الاقليمية خارج العاصمة . إننا نريد أن نستخدم ما بأيدينا من المال أفضل استخدام . وأخطر شيء فى الفن هو أن تلتزم بتكريس النظام الفنى القائم ، أى بتكريس طغيان فن العاصمة والفقر فى فن الأقاليم .

وإننى أشعر بالغضب لأننا لم نستطع زيادة الدعم لفنون الأقاليم هذا العام إلا بنسبة ٣٪ حولناها من ميزانيات الدعم التقليدية لفنون العاصمة .

وهو تحول من دعم الأغنياء إلى دعم الفقراء ، من دعم المتفرج الغني إلى دعم المتفرج الفقير من دعم مسارح تنال الملايين إلى دعم مسارح تنال عشرات الألوف .

إننى أحب المسرح القومى وأعطف عليه ، وأعرف أن معماره الخراسانى العملاق على ضفاف نهر التايمز بلندن ليس سفينة محصنة ضد الخروق .. ولكنى أعطف أكثر على مسرح « إيفريمان » في ليفربول ، وهو مسرح ينشر ضياء الفن فى منطقة تعانى اجتماعيا أسوأ آثار الأزمة الاقتصادية .

والمسرح القومى ينال دعما يقرب من ٧ ملايين جنيه من مجلس الفنون ، ومسرح « إيفريمان » قد بلغ الدعم الذى خصص له بعد الزيادة الأخيرة أقل من ٢٥٠ ألف جنيه .

ومجلس الفنون يرى ضرورة زيادة الدعم الحكومى بمقدار ٢٠٪ عن مستواه اليوم . ولكنى أنظر للمستقبل وأفضل أن تتجه الحكومة إلى إلغاء الضريبة على تذاكر المسرح ، بديلا للنظر فى زيادة مطردة للدعم . فالضريبة على تذاكر المسرح أو المتحف أو الضرائب المحصلة على عمليات بيع التحف الفنية بالمتاحف ليست إلا عبثا في عبث . فحصيلتها ترجع الى الخزانة ثم تعود على هيئة الدعم إلى نفس المصدر من خلال مجلس الفنون .. عبر ثلاثة أجهزة إدارية كبيرة النفقة تلتهم نصيبا منها بغير داع منطقى .

الثقافة كالتعليم يجب أن تعفى من الضريبة . وأنا أفضل أن ينقص الدعم للمسارح بمقدار إعفائها من الضرائب على التذاكر ، وأرحب أيضا بخفض أو بإلغاء الضرائب بالنسبة للمسارح التجارية وغير المدعومة .

إن مستقبل الفنون مستقر دائماً فى أيدى الفنانين والمديرين . والدنيا تتغير . ولقد مات ستالين ومات فورد ، والمستقبل مفتوح للوحدات الإنتاجية والفنية الصغيرة ، وليس مفتوحا بنفس القدر للمؤسسات العملاقة .

والصفات التى تضمن البقاء فى المستقبل للمؤسسات الفنية هى بالضرورة الاعتماد على النفس وسعة الخيال والقدرة على التكيف واتساع فرص الاختيار والاتجاه نحو الإكثار من الفرق الفنية المسرحية الصغيرة .

إن الدولة يجب أن تستمر فى دعم الفنون . ولكن الفنون يجب أن تتوجه إلى أنفسها وإلى جمهورها وإلى فهم ظروف المستقبل وهى تخطط لدعم أزدهارها .

° ° °

انتهت المحاضرة .

ومع أن ظروف المسرح والفنون البريطانية تختلف كثيرا عن ظروف مسرحنا وفنوننا .. ومع أننا قد نخالف رأى المحاضر فى بعض نواحى بحثه وتوقعاته ..

فإننا نجد فى منهجه ونظرته الشاملة للسياسات الفنية واقتصاديات الفنون ما يمكن أن يحفزنا لطرح مشاكلنا الفنية فى إطار الاقتصاد السياسى وبنظرة إلى المستقبل .

لذلك أحببت ترجمة هذه المقتطفات المطولة من محاضرته ، والتي تلقى من جانب آخر أضواء كاشفة على طبيعة الأجهزة المسرحية القائمة خلف كواليس المسرح البريطانى ، والمؤسسات التى ترفد المسارح الأنجليزية بالفكر والتوجيه والسياسات والمنهج .

إن المسرح البريطانى يعتبر ذروة المسرح فى العالم ، ومن ثم أهمية اكتشاف آلياته المحركة لنشاطة الإبداعى الكبير .

الفـريد فـرج

هامش

(١) جون راسكين (١٨١٩ — ١٩٠٠) كاتب ومفكر انجليزى اشتهر بمقالاته فى نقد الأدب وفى الاقتصاد وفى الاصلاح الاجتماعى . وكان أستاذا للفنون الجميلة بجامعة أكسفورد .

(٢) جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) فيلسوف بريطانى دعا إلى الحرية الفردية والسماحة فى الرأى والمعرفة عن طريق التجربة ومنطق الاستدلال .

(٣) المحاضر يؤمن مع حزب المحافظين بأن الدولة فى المجتمع الرأسمالى الحر يجب أن يتضاءل دورها وتنكمش أدواتها وتقتصد فى فرض الضرائب لتدع المجال لازدهار النشاط الاقتصادى الفردى والخاص . بينما يقف حزب العمال البريطاني الموقف النقيض ويؤمن بزيادة نصيب الدولة من الثروة القومية وضرورة التوسع فى الخدمات وفى مؤسسات القطاع العام والمرافق .

(٤) هذا رأى حزب المحافظين الذي يناقضه رأى حزب العمال . وفى الواقع تدور الانتخابات البريطانية دائما حول هذه الجدلية .. تخفيف الضرائب وضغط الإنفاق الحكومى أو زيادة الضرائب والتوسع فى الخدمات .

(٥) حكومة الحرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ .

(٦) الفرق المسرحية البريطانية الكبرى مشهورة دوليا وغالبا ما تكون زيارتها جزءا من برامج الشركات السياحية خاصة بالنسبة للسياح الأمريكيين والأوروبيين .

(٧) هذه الطبقة من العمال والمهندسين المشتغلين بالآلات الالكترونية تتسع جدا فى الغرب اليوم ، ويجرى تحويل المصانع الى نظم الحركة والتحكم الالكتروني فى معظم المجالات ، كما يجرى تعميم هذه المهارات الجديدة فى كل المدارس .

(٨) كما سبق أن بينت فهذه الضغوط تأتى من صفوف حزب المحافظين وتقابلها ضغوط مضادة لزيادة ميزانية الخدمات من صفوف حزب العمال .

يوم الوداع

قصة جديدة

بقلم

الكاتب الكبير



نجيب محفوظ

سلمان 86

الحياة ماضية بكل جلبتها كأن شيئا لم يكن . كل مخلوق ينطوى على سره وينفرد به . لا يمكن أن أكون الوحيد . لو تجسدت خواطر الباطن لنشرت جرائم وبطولات ، بالنسبة لى انتهت التجربة . من جراء حركة عمياء . لم تبق الاجولة وداع . عند مفترق الطرق تحتدم العواطف وتنبعث الذكريات ما أشد اضطرابى . تلزمنى قدرة خارقة للسيطرة على نفسى . وإلا تلاشت لحظات الوداع . أنظر وتملَّ كل شيء ، وانتقل من مكان إلى مكان ، ففي كل ركن سعادة منسية يجب أن تذكر . يالها من ضربة قاضية مفعمة بالحنق والغيظ والكراهية . اندفعت بقوة طائشة ونسيان تام للعواقب . تطايرت حياة لا بأس بها . أنظر وتذكر واسعد ثم احزن . لأسباب لا وقت لاحصائها انقلب الملاك شيطانا . شد ما يلحق الفساد بكل شيء طيب . واقتلع الحب من قلبى فتحجر . لنتناس ذلك فى الوقت القصير الباقى . يالها من ضربة قاضية . ما الأهمية ؟ . هذا شارع بور سعيد يتحرك تحت مظلة من سحب الخريف البيضاء . الأبخرة المتصاعدة من صدرى تغبش جمال الأشياء . وغمزات الحنين من الماضى البعيد تطرق أبواب قلبى ، قدماى تجراننى إلى زيارة أختى . وجهها الهادىء الشاحب يطالعنى من وراء شراعة الباب . يشيع فيه السرور وتقول :

ـ خطوة عزيزة على غير توقع ، فى هذا الوقت الباكر ..

ذهبت لتعد القهوة وجلست فى حجرة المعيشة أنتظر . نظر إلى الوالدان والأخوة الراحلون من صورهم القائمة فوق المناضد . لم يبق لى إلا هذه الأخت الأرمل المحرومة من الذرية التى وهبت موفور حبها لى ولسميرة وجمال . هل جئت لأوصيها بابنتى وإبنى ؟ . رجعت بالقهوة ومن داخل روبها الأبيض تساءلت :

ـ لم لم تذهب إلى الشركة ؟

ـ اجازة لوعكة .

ـ واضح ذلك من وجهك ، نزلة برد ؟

ـ نعم

ـ لا تهمل نفسك

بدأ وجهى يفضحنى . ترى ماذا يجرى فى شقتى التعيسة الآن ؟

ـ زارنى أمس سميرة وجمال

ـ إنهما يحبانك كما تحبينهما ..

ـ وكيف حال سهام ؟

ياله من سؤال برىء !

ـ بخير ..

ـ ألم يتحسن الجو بينكما ؟

ـ لا أظن

ـ دائما أنصحها وأشعر بأنها تضيق بى ..

غلبنى القهر فسكت ، فقالت :

ـ زماننا يحتاج للصبر والحكمة ..

أود أن أوصيها بسميرة وجمال ولكن كيف ؟ . سوف تدرك مغزى زيارتى فيما بعد . هل تغفر سميرة وجمال لى ما فعلت ؟ ما أشد اضطرابى .

ـ ما رأيك فى أن أصحبك الآن إلى طبيب ؟

ـ لا ضرورة لذلك ياصّديقة ، سأذهب الآن لإنجاز بعض الأعمال .

ـ وكيف أطمئن عليك ؟

ـ سأزورك غدا !

غدا ؟! . ها هو الطريق من جديد . انظر وتمل وانتقل من مكان إلى مكان . شاطىء اسبورتنج وحيد أيضا . خال من البشر وأمواجه تصطفق منادية بلا مجيب . القلب يخفق تحت غلاف الهموم المحكم . ساعة خرجت من الماء بجسمها الرشيق مخضبة الاهاب بلعاب الشمس . تلفعت بالبرنس وهرعت إلى الكابينة لتجلس عند قدمي والديها . كنت أتمشى فى بنطلون قصير فالتقت عينانا . غمرنى ارتياح ابتهج له قلبى . ونادانى صوت فلبيت فوجدتنى فى مجلسها وكان المنادى خالها وزميلى فى الشركة . وتعارفنا وجرى حديث عابر ولكن ما كان أمتعه . لحظات من السعادة الصافية لا تشوبها شائبة . لا تتكرر ، تأبى أن تتكرر . تطوف بقلبى الآن على هيئة حنين طائر . له وجوده الدافىء رغم تمزق الخيوط التى ربطته يوما بالواقع . وقولها ذات يوم قلبك طيب والقلب الطيب لا يقدر بثمن . حقا ؟ . من إذن القائلة لا يوجد من هو أخس أو أحقر منك . ومن القائلة ربنا خلقك لتعذيبى وتعاستى . كان على الحب أن يصمد أمام خلافات الأمزجة ولكن الخلافات قضت على الحب . كلانا عنيد شعاره كل شيء أو لا شيء . أنت مجنونة بالمظاهر الفارغة فتصرخ فى وجهى بل أنت متخلف . سميرة وجمال يلوذان بحجرتيهما مذعورين . شد ما أسأنا اليهما . عانى الحب بيننا ساعة بعد أخرى ويوما بعد يوم حتى لفظ أنفاسه . اختنق فى لجة الجدل والخصام المستمرين . والشتائم المتبادلة . ولكن فى هذا الكازينو ، فى هذا الركن بالذات ، كاشفت خالها باعجابى بها .

ـ إنها متعلمة ، لم تدخل الجامعة . أبوها له سياسة خاصة ، بعد التعليم الثانوى يعد الفتاة للبيت إكتفاء بدخل لا بأس به ..

يوم الوداع

ــ قلت : هذا مناسب جداً . دعانا ــ أنا وهى ــ إلى عشاء فى سانتالوشيا . التقينا فى حديقة البجعة بعد ذلك . أيام الخطوبة والأحلام والسلوك المثالى . أسمع نغمة جميلة تهيم رغم تقصف جميع الأوتار التى عزفتها . يالها من ضربة قاضية . ماذا يحدث فى الشقة الآن ؟ . لم لا تكون الحياة أيام خطوبة دائمة ؟ . آه يا أقنعة الأكاذيب التى نتوارى خلفها . لا غنى عن وسيلة ناجعة لمعرفة النفس .

ــ أستاذ مصطفى ابراهيم ؟

نظرت إلى المنادى فإذا به مفتش بالشركة ماضياً ولا شك إلى عمل .

ــ أهلا عمرو بك

ــ إجازة ؟

ــ متوعك

ــ واضح جدا .. تحب أوصلك إلى أى مكان ؟

ــ شكرا ..

لعله أول شاهد . كلا . رآنى جارى الدكتور وأنا أغادر الشقة . هل لاحظ شيئاً غير عادى ؟ رآنى البواب أيضا . لا أهمية لذلك . لم أفكر فى الهرب قط . فى الإنتظار حتى النهاية . لولا هيامى الأخير بالوداع لذهبت بنفسى . لم أسع إلى نبذ الحياة باختيارى . أنتزعت من بين يدي عنوة . ما قصدت هذه النهاية أبداً . بينى وبين الخمسين خمس . ورغم المعاناة فالحياة حلوة . لم تستطع سهام أن تبغضها إلي . هل أزور سميرة وجمال بكلية العلوم ؟ . ذهبا دون أن أراهما ولم أكن أتوقع ما حدث . ولن أجد الشجاعة للنظر فى عينيهما . ويعز على أن أتركهما لمصيرهما . أتصورهما يطرقان الباب دون أن تهرع ماما لفتحه . سيخلف هذا اليوم أثره حتى نهاية العمر . وإذا لعنانى فلهما الحق . متى أتناسى كربتى وأخلص للوداع ؟ . أنظر وتمل وانتقل من مكان إلى مكان . السوق .. يوم سرنا فى السوق لنبتاع الدبلتين . ويشعر من يمتلك العروس أنه يتحفز لامتلاك الدنيا ويشعر بأن السعادة قد تكون أى شيء إلاّ أن تكون كالكحول . وأقول لها بوجد :

ــ إلى سان جيوفانى

فتقول مشرقة :

ــ أتلفن لماما

الرقة والعذوبة والملائكية فى أيامنا الأولى . متى وكيف ظهرت المرأة الجديدة ؟ . بعد الأمومة ولكن دون تحديد حاسم . كيف هيمن علي شعور بخيبة الأمل ؟ . قالت لى سميرة مرة ما أشد غضبك يابابا وما أسرعه . واعترفت لسهام مرة قائلا :

ــ قد أنسى نفسى وقت الغضب ولكننى لا أغضب إلا لسبب !

ــ وبلا سبب .. إنه سوء الفهم ..

ــ تهدرين حياتنا فى السفاسف ..

ــ السفاسف ؟ .. إنك لا تفهم الحياة

ــ أنت مستبدة ، لا وزن للعقل عندك ، وما فى رأسك يجب أن يتم دون اعتبار لأى شيء ..

ــ لو احترمت آراءك لحقت علينا اللعنة ..

أنظر وتمل وانتقل من مكان إلى مكان . أبو قير مصيف الفطرة . ليكن الغداء سمكاً . أملأ بطنك وحركه بشيء من النبيذ الأبيض . هذا المكان جلسنا فيه سويا ، وعلمنا فيه سميرة وجمال السباحة وهما صغيران . أهدأ يا اضطرابى فاليأس إحدى الراحتين . ألم يكن الأفضل أن أطلقها ؟

ــ طلقنى وخلصنى ..

ــ عز المنى لولا اشفاقى على سميرة وجمال .

ــ بل تشفق على نفسك بعد أن وضح لك أنك شخص لا يطاق ..

الحق أني تمنيت كثيرا موتك . بيد الأقدار لا بيدى . أى متاعب تهون إلى جانب جحيم الكراهية . نتبادل الكراهية دون خفاء . بعد تبادل أقسى الألفاظ وأفظعها . كيف تناولت طعامى بشهية ؟ حقا لليأس سعادة لا يستهان بها . وترامت من راديو أغنية أنا والعذاب وهواك فارتجف قلبى . أغنية أحببتها كثيرا فى ذلك الشهر المراوغ شهر العسل . كيف تتلاشى السعادة بعد أن تكون أقوى من الوجود نفسه ؟ . تتطاير من القلوب لتعلق بأجواء الأماكن بعد اندثار مصدرها ، ثم تقع كالأطيار على الأرض الجافة فتزخرفها بوشي أجنحتها ثواني من الزمن . أنا والعذاب وهواك وهذه الضربة القاضية . لعله اليوم الذى انقضضت فيه على سميرة بجنونك ففزعت أدفعك عنها فسقطت على رأسك يومها

اشتعلت فى عينيك نظرة غير إنسانية تمج سماً :
ــ إنى أكرهك
ــ فى داهية
ــ أكرهك حتى الموت
ــ إلى الجحيم
ــ إذا تعكر قلبى فهيهات أن يصفو

هى الحقيقة للأسف . ياذات القلب الأسود . لم يجد اعتذار أو مجاملة أو توادد . ولم يجر بيننا حديث بعد ذلك إلا عن الواجبات والميزانية . واختلط الانتقام بتكاليف المعيشة . ونضب معين الرحمة . حامت أحلامى حول الهروب كالسجين أو الأسير . جفت رغبات قلبى وأطبقت عليه الوحشة . وراحت تتصرف تصرف المرأة الحرة فتذهب وتجىء بلا إذن أو اخطار . يلفها الصمت فلا تند عنها كلمة إلا للضرورة . وانطوت على سرها كبرياء فلم تشكنى إلا لأختى صدّيقة . ولما لم تقم بما توقعته منها وقصدت التوفيق كرهتها بدورها . وقالت إنه ليس بجنون رجل ولكنه جنون متوارث عن أسرة . وانتهزت فرصة انفرادى بسميرة وجمال سألت عن رأيهما فيما يشهدان من أحوالنا . قال جمال :

ــ حالكما لا يسر يابابا ، كحال بلدنا أو أسوأ ، لذلك فإنى سأهاجر فى أول فرصة ..

أعرف الكثير عن تمرده أما سميرة فبنت عاقلة ، متدينة وعصرية فى آن ، ولكنها قالت :

ــ معذرة يابابا لا تسامح من ناحيتك أو ناحيتها ..
ــ كنت أدافع عنك ياسميرة .
ــ ليتك ما فعلت ، كانت ستصالحنى بعد ساعة ، لكنك سريع الغضب يابابا ..
ــ لكنها غير معقولة ..
ــ بيتنا كله غير معقول !
ــ اخترتك قاضية .
ــ كلا .. لا يحق لى هذا أبدا
ــ لم أجد عندكما أى عزاء .

فقال جمال :

ــ لا عزاء عندنا ولا عزاء لنا .

إذا لم يحبنى هذان الاثنان كما أحبهما فأى خير أرجو فى هذا الوجود ؟! . آه . أنظر وتمل وانتقل من مكان إلى مكان . بحق الحياة الضائعة عش الساعة التى أنت فيها وانس الماضى تماما . املأ عينيك فما تغادره لن تراه مرة أخرى . كل لحظة هى اللحظة الأخيرة . من دنيا لم أشبع منها ولم أزهد فيها وانتزعت من بين يدى فى هوجة غضب . أى شارع من هذه الشوارع لم يشهدنا معا ؟ أو يشهد أسرتنا الكاملة وسميرة وجمال يتقدماننا . ألم تكن توجد وسيلة لاصلاح ذات البين ؟ . أقسى عقوبة أن تودع الاسكندرية فى مجلى خريفها الأبيض . وفى عنفوان الرجولة والرشاد . وهذا هو البحر الصامت فى الناحية الأخرى من أبو قير . ونغنى معا ياللنعيم اللى انت فيه ياقلبى . فى حوار غنائى بين قلبين يقظين . وسميرة وجمال مبهوران بعدّ قوارب الصيد الراسية فوق شعاع القمر .. هل يكفى يوم واحد للطواف بمعالم ربع قرن ؟ . لم لا نسجل الاعترافات العذبة فى ابانها لعلها تنفعنا وقت الجفاف ؟ . الذكريات كثيرة مثل أوراق الشجر والمدة الباقية قصيرة مثل السعادة . السعادة تغيب الوعى حين حضورها وتراوغنا بعد زوالها . ومن لى بمن يجمعنى بدولت ؟ . لا سبيل إلى ذلك اليوم . ولو تيسر لزادنى ارتباكا وفضح أمرى قبل الأوان . وما جدوى ادعاء حب لا وجود له ؟ اليأس وراء انزلاقى فيه . ولم تكف أبدا عن التلويح لى بالزواج دون اكتراث لمصير سميرة وجمال . ليس هو بحب ولكنه نزوة انتقام . ليتنى وقفت عنده ولم أعبره للضربة القاضية . المساء يهبط والبحث عنى يشتد ولا شك . فلأنتظر فى استريا أحب أماكن المساء إلىَّ . مجمع الأسر والعشاق والأحلام الوردية .الجعة والعشاء الخفيف والمرطبات . ربما أكون المنفرد بنفسه الوحيد . معذرة ياسميرة معذرة ياجمال ، استقبلت الصباح بنية صافية ، ولكنه الغضب يطوح بنا فوق المحاذير . ضرعت إلى الساعة أن تتأخر دقيقة واحدة . ولما تلاشت التوترات العنيفة لم يبق إلا اليأس بوجهه الثلجى الأبكم . وجلت جولة الوداع يتبعنى الموت حينا ويتقدمنى حينا آخر . أختزل العمر فى ساعات فعرفت الحياة أكثر من أى وقت مضى . ما أسعد الناس من حولى ولو وقفوا على سرى لسعدوا أكثر . ويسألنى النادل مجاملا :

ــ أين الهانم ؟
ــ فأجيبه باكتئاب خفى :
ــ مسافرة .

لم يعد فى الوقت بقية . عما قريب سيقترب منى رجلان أو أكثر :

ــ حضرتك مصطفى ابراهيم
ــ نعم يافندم ..
ــ تسمح تتفضل معنا !
ــ أقول بهدوء كامل :
ــ كنت فى انتظاركم ..

نجيب محفوظ



شكل (٢) صورة مكبرة لشريان تاجي متفرع ، وفيه تظهر
الترسبات الدهنية الغنية بالكوليسترول ، وبمرور الزمن ت
الحدود التى يصبح فيها القلب عاجزا عن تقبل أي مج

الثلاثي القاتل

شكل (١) القلب تغذيه الشرايين التاجية ، وترى بعضها فى الصورة ببثور صفراء .. هذه البثور هى الخطر الأول فى قصور الشرايين وتصلبها (لمزيد من التفاصيل أنظر شكل ٢)



للمدنية الحديثة وجهان متناقضان : وجه مشرق ، وبه تبدو جميلة ومريحة وجذابة ، ووجه آخر مقبض ينطوى على القلق والتوتر والخوف والأرق وهموم الحياة المعقدة والشائكة .. ورغم أن التقدم العلمى والطبى قد أراح الناس ، وقضى على الكثير من الأوبئة التى كانت فيما مضى تحصد الناس حصدا ـ رغم ذلك فقد حلت محلها أمراض أخرى نتيجة للعادات السيئة التى صاحبت المدنية الحديثة ، فلا أحد ينكر مثلا أن ظاهرة الأزمات القلبية آخذة فى الزيادة ـ ليس ذلك فى الدول المتقدمة فحسب ، بل صار واضحاً فى الدول النامية ، لأنها بدأت تدخل عصر المدنية الحديثة ـ ولا شك أن هناك علاقة وطيدة بين الحياة العصرية ، والأزمات القلبية .. وهو ما سوف نتناوله فى هذا المقال ، لنضع به النقط فوق الحروف .

الكوليسترول
تصلب الشرايين
الأزمات القلبيّة

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



شكل (٣) رسم توضيحي يبين مرحلة من المراحل المتأخرة التي يترسب فيها الكوليسترول مع المواد الدهنية في أحد الشرايين التاجية ، وبمرور السنين ، يزيد الترسيب ، ويضغط على الطبقة المبطنة للشريان ، فيعوق سريان الدم ، وقد يؤدي الى تكوين جلطة (البقع الصفراء الموجودة في الدم تمثل الكوليسترول)

عندما يسقط انسان ضحية لأزمة قلبية مباغتة (وما أكثرها هذه الأيام) ترى الناس من حوله يتساءلون : لماذا تأتي هكذا فجأة ودون أن تسبقها علامات تنذر بوقوعها مثلما يحدث في الأمراض الأخرى ؟ .. وهل عجزت العلوم الطبية ــ رغم التقدم الهائل الذى تحقق في كثير من مجالاتها ــ عن التوصل إلى طريقة يمكن بها كشف هذا البلاء قبل حدوثه ، حتى يمكن تجنبه ؟

الواقع ألا شيء يأتي من لا شيء ، بمعنى أن الأزمات القلبية لا تأتي من فراغ ، بل هناك عوامل أو أسباب تؤدى إليها ، لكن معظم الناس عن هذه الأسباب لاهون ، فماذا يهم مادام التنفس عظيما ، والقلب سليماً ، والهضم مريحاً ، والجسم شديداً .. إلى آخر هذه العلامات المطمئنة التى توضح أن كل شيء على ما يرام .. ورغم ذلك فقد تسمع من يقول : ان « فلانا » قد مات فجأة وهو يؤدى عمله بنشاط واضح ــ لقد كان مكتمل الصحة ، موفور العافية ! .. أو أن « علانا » قد نقل إلى إحدى المستشفيات بين الموت والحياة ، عندما داهمته أزمة قلبية ، رغم أنه لم يكن يشكو من علة أو مرض ، بل كانت تظهر عليه علامات الحيوية والقوة والشباب .. أو غير ذلك من تعليقات تتردد بين الناس ، لكنها غالبا تشير إلى حقيقة لا مفر منها ولا مهرب .. فكثير من الأزمات القلبية تحدث فجأة ، ودون سابق إنذار ، وهذا ما يجعلها من أخطر أمراض العصر على الاطلاق !

لكن مما لاشك فيه أن لهذه الأزمات أسباب تعمل في الخفاء ودون أن يتنبه إليها أحد ، لكنها أحيانا قد تبعث بانذاراتها التى تتخذ أنماطاً شتى ، وكأنما لسان حالها يقول : ان الشرايين التاجية (التى تغذى عضلة القلب) قد ضاقت ، وهذا يعني قصوراً في دورتها الدموية ، « فيتألم » القلب « ويتوجع » ، لأن ملايين فوق ملايين من خلاياه العضلية تكاد تختنق ، فالأوكسجين الواصل إليها مع الدم لا يكفيها ، خاصة إذا بذل الانسان مجهودا ، لأن المجهود يحتاج إلى طاقة ، والطاقة تنتج من احتراق السكر والأوكسجين ، وفي كليهما قصور ، فينعكس ذلك على أوجاع وآلام لا يحسها الانسان مباشرة في قلبه ، لكن الاحساس يظهر وكأنما هناك كابوس جاثم على الجزء الأوسط من صدره ، وقد ينتقل إلى كتفه ثم ذراعه الأيسر ، أو أحيانا إلى الظهر والذراعين ، والرقبة وتحت الفك الأسفل ، وقد يصحبها ضيق في التنفس ، وعرق غزير بارد .. المهم أنه بزوال المجهود ، تزول الأزمة ، ثم قد تعود إذا عاد المجهود ، أو إذا تعرض الانسان لما يغضبه ، أو عندما يتناول وجبة ثقيلة دسمة ، ومثل هذه الأعراض التى تروح وتجيء تعرف باسم الذبحة الصدرية ، لأن آلامها قد تصل إلى الدرجة التي يتصور فيها الانسان أن هناك خناجر تطعنه في صدره !

ورغم أن الذبحة هي بمثابة انذار للانسان لكي يأخذ حذره ، إلا أن كثيراً من الناس قد يخدعهم ذلك ، فيتصورون أن هذه الآلام التى تجيء وتروح ، هى من علامات عسر الهضم ، أو امتلاء المعدة ، وقد لا يبالون ، حتى تحدث الكارثة ، وتتحول إلى أزمة قاتلة ، خاصة عندما تنحشر في أحد الشرايين التاجية الرئيسية جلطة دموية ، فيتخبط القلب ، ويفقد سيطرته على نفسه ، وقد يؤدى ذلك إلى الوفاة ، ما لم يُسعف المصاب بعلاج فوري تتولاه إحدى المستشفيات المتخصصة ،

الثلاثي القاتل

وأحيانا قد لايجدى ذلك ، فيسبق السيف العزل .

عندما تتصلب الشرايين

وطبيعى أن يطرأ هنا على الأذهان تساؤل وتساؤل : ما الذى يسبب القصور فى الدورة التاجية ؟.. ولماذا تحدث فى أفراد دون أفراد ؟.. أو فى مجتمعات دون أخرى ؟

القصور فى الدورة التاجية يرجع إلى ترسيبات من جزيئات حيوية تدور مع تيارات الدم ، ثم هى تتجمع ببطء شديد على جدر الشرايين من الداخل ، وبمرور عشرات السنين تبدو كبثور صفراء اللون ، ولهذا تضيق الشرايين ، وتفقد مرونتها أو تتصلب ، والواقع أن مثلها هنا كمثل الأنابيب التى تترسب على جدرها الشوائب العالقة فى السوائل التى تسرى فى داخلها ، وكلما مر الزمن ، زاد الترسيب ، وضاقت الأنابيب ، وانخفض معدل التدفق ، مع الفرق طبعا بين ما يجرى فى أنابيب وشرايين ، إذ ليس الترسيب فى الشرايين بالصورة التى نعرفها فى حياتنا العادية ، بل يخضع لديناميكية التفاعلات الحيوية ، ولنوع الجزيئات الكيميائية ، ولطبيعة الشحنات الكهربية ، ولتركيز المركبات الدموية ، وللتوازن البديع الذى تسيطر عليه شرائع الجسم الحي ، ليسرى فيه كل شيء بحساب ومقدار !

كل هذه العوامل التى ذكرناها والتى لم نذكرها ، تتداخل فى شبكة من المتاهات التى لا نستطيع أن نتعرض لها هنا ، إما لضيق المجال ، أو لعدم مناسبة الحال ، (فذلك يستدعى من القارىء أن يكون ملماً بحصيلة لا بأس بها من الأسس العلمية) لكن تكفينا هنا المحصلة النهائية التي يمكن استيعابها من الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، ففيها فصل الخطاب (أنظر أشكال ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

لكن .. ما هى طبيعة تلك الترسيبات أو البثور الصفراء التى تنتشر في الشرايين ؟

الواقع أنها تجمعات من مواد دهنية بروتينية بها نسبة كبيرة من الكوليسترول ، ويقال ان هذا الكوليسترول (مادة كيميائية شبه دهنية) هو أس البلاء ، أو هو المتهم الأول فى ضيق الشرايين وتصلبها ، فحيث يوجد بترسيباته ، توجد الاختناقات فى تدفق الدم ، وقد تتسبب هذه الاختناقات فى إحداث جلطة دموية ، تؤدى إلى انسداد الشريان ، فيموت جزء من عضلة القلب ، نتيجة لانقطاع الدم عن المساحة التى يتفرع فيها هذا الشريان .. وذلك بلاء عظيم !

ولا شك أن كل خلق مقدر أعظم تقدير ، فلو أنك استطعت أن ترى « بطانة » الشريان من الداخل ، لوجدته مبطنا بطبقة من الخلايا التى تتراص الواحدة بجوار الأخرى فى سطوح انسيابية غاية فى الاستواء والنعومة ، وبهذا يسرى الدم بحرية وسهولة ، ودون أن يتقابل أو يحتك بسطوح غير سوية ، لكن ذلك قد يحدث أحيانا إذا حدثت تعرية فى البطانة ، نتيجة وجود بثور الكوليسترول ، فيؤدى ذلك إلى التصاق الصفائح الدموية عليها ، وتبدأ سلسلة من التفاعلات المحكمة التى تتمخض عن جلطة تسد الشريان ، فإن كان ذلك الشريان يقوم بتغذية مساحة من عضلة القلب ، فإن الجزء الذى حجز عنه الغذاء يموت ، وقد يؤدى ذلك إلى عجز فى حركة المصاب ونشاطه ، أو قد يموت من شدة الاصابة ، لكن أحيانا تكون الجلطة فى أحد الشرايين التى تغذى المخ (شكل ٥) ، وعندئذ يموت الجزء الذى منع عنه الأوكسجين والغذاء ، فيؤدى ذلك إلى شلل تختلف درجته وموقعه حسب حجم الجزء الذى أضير فى المخ ، أو قد تحل الجلطة بأحد الشرايين التى تغذى الساق ، فيحس الانسان بآلام رهيبة ، وإذا لم يسعف بالعلاج ، فإن بعض أنسجة ساقه تموت ، وتصبح مرتعا سهلا للميكروبات ، وقد يتبع ذلك غرغرينا مميتة (تسمم الدم) .

الكوليسترول .. سلاح ذو حدين

وإذا سلمنا بأن الكوليسترول هو أس المصائب المؤدية لتصلب الشرايين ، وضيق أقطارها ، والمقاوم لسريان الدم بمعدلاته الطبيعية فيها ، فما الذى يمنع من تخفيض تركيزه فى الدم إلى حد السلامة ؟

وهذا تساؤل وجيه ، فلقد أصبح من المسلمات الآن أن ينصح الطبيب مريض القلب بالاقلال ــ قدر المستطاع ــ من الأطعمة الدسمة الغنية بالكوليسترول ، وهو مطلب يمكن تنفيذه ، خاصة وأن حياة المريض بالقلب تتوقف عليه ، لكن الكوليسترول ــ رغم سمعته السيئة ــ لا يمكن الاستغناء عنه ، إذ تحتاج أجسام الإنسان والحيوان إليه كخامة هامة لتصنيع عدد من الهرمونات الحيوية التى تنظم الكثير من العمليات الفسيولوجية (ومنها هرمونات الجنس) وهو أيضا بداية لانتاج أملاح الصفراء (المرارة) اللازمة لعمليات الهضم ، ثم هى لبنة هامة من لبنات البناء فى أسوار الخلايا (الأغشية البلازمية) ، ومنه يبدأ تصنيع فيتامين د .. إلى آخر هذه العمليات التى قد يتشعب فيها الحديث ويطول .

ومع فرض أننا قد تناولنا أطعمة خالية من الكوليسترول ، فإن الجسم يستطيع أن يجهز منه لذاته التركيزات المطلوبة فى خلايا الكبد ، هذا وتقدر كمية ذلك المركب التى يكونها الجسم بحوالى جرام واحد يومياً .

لكن الجسم يتعامل دائما مع مركباته بمعايير مضبوطة ، فإذا زاد الشيء عن حده ، فقد ينقلب إلى ضده ، وإذا نقص ، كان الخلل .. ولا شك أن الكوليسترول واحد من هذه المركبات ، فتركيزاته الطبيعية تتراوح بين ٢٠٠ ــ ٢٢٠ ملليجرام فى كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم (الملليجرام ــ جزء من ألف جزء من الجرام) ، فإذا زادت بشكل واضح (أى أعلى من ٢٨٠ بالتقريب) كان ذلك نذيرا بحدوث مالا يحمد عقباه .

ومع أن معظم الباحثين يشيرون بأصابع الاتهام للكوليسترول ، نرى فريقا من المتحفظين يبرئونه من ذلك .. إذ ليس الكوليسترول هو المتهم الأول فى إحداث الأزمات القلبية .. وطبيعى أن لكل فريق أدلته ، فأيهما نصدق ؟

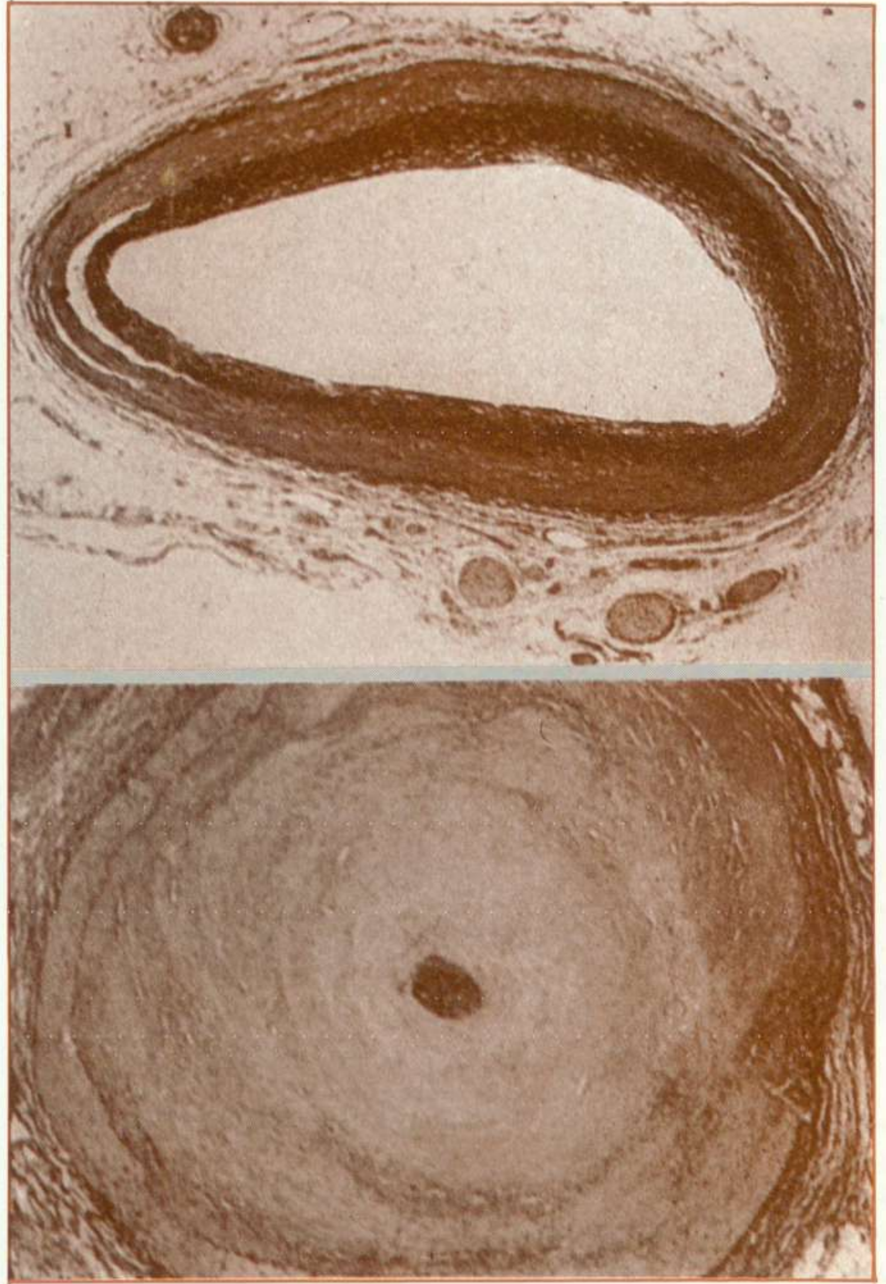
الواقع أن الجدل فى هذا الموضوع قد حسم بعد اجراء بحوث مستفيضة قامت بها عشر مراكز طبية فى كل من الولايات المتحدة وكندا ، واستمرت عشر سنوات كاملة ، ووصلت ميزانية هذه البحوث إلى ١٥٠ مليون

الأمريكى لأمراض القلب والرئة والدم نتائج هذا البحث الضخم ، وأمكن تلخيصها فى ٣٩ صفحة ، وهى تشير فى مجملها إلى أن إنقاص كمية الكوليسترول فى الدم بنسبة ١٪ فقط يقابله انخفاض فى احتمال الاصابة بالأزمات القلبية بنسبة ٢٪ ، لكن الأهم من ذلك أن الرجوع بالكوليسترول إلى معدلاته الطبيعية يقلل من احتمال الاصابة بنسبة ٥٠٪ .

الكوليسترول : مذنب أم غير مذنب ؟

مذنب ـ لكن أكثر من يد تشترك معه فى « الجريمة » .. فكاتب هذا المقال ـ على سبيل المثال ـ كان دائما ذا كوليسترول معتدل ، ومع ذلك فقد أصيب بثلاث أزمات قلبية ، تمخضت عن ثلاث جلطات فى الشرايين التاجية ، ويعنى ذلك أن الكوليسترول ـ بالنسبة له ـ كان بريئاً من هذه التهمة ، لكن لا يجب أن نستخلص أحكاما عامة من حالات فردية ، بل يقتضى الأمر أن نحصل على النتائج من أكبر عدد ممكن من الحالات ، وكلما كان العدد كبيرا ، كان الحكم أكثر صواباً واطمئناناً ، وهو هنا ـ كأى مسألة أخرى ـ يخضع لمبدأ الاحتمالات . فلا شيء فى العلم يقينى ، لأن اليقين لله وحده ، فعلمه مطلق ، وعلم الانسان نسبى ، ثم إن للعقل حدوداً مهما بلغ تقدمه وعلمه .

فالذين يقولون إن احتمال الاصابة بسرطان الرئة أكبر بين المدخنين عنه فى غير المدخنين ، لم يجانبهم الصواب .. فليس حتما أن يصاب كل مدخن بالسرطان ، ولا أن ينجو منه كل من لا يدخن ، بل أن حدوثه فى الفئة الأولى أكثر احتمالا من الفئة الثانية .. وكذلك الحال مع الكوليسترول .. فإذا كان معتدل التركيز ، ثم حدثت الأزمة القلبية ، فلابد من البحث عن عامل أو عوامل أخرى ، فربما كانت هى المسئولة عن ذلك .. ومن هنا يتعين علينا أن نتعرض لها ، حتى تتضح الأمور ، فلا يقع بعض الناس فى المحظور .. لكن قبل أن نفعل ذلك ، كان لزاماً أن نوفى موضوع الكوليسترول حقه ، وبقدر ما يسمح المجال .



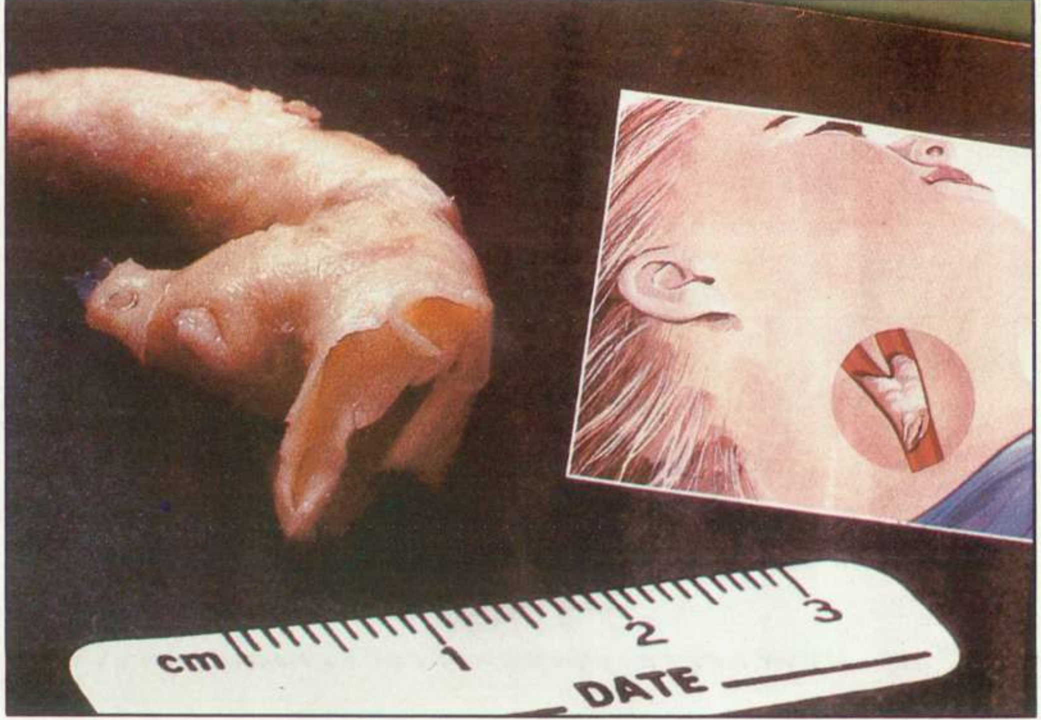
شكل (٤) مقطع عرضي فى شريانين : أحدهما عادى أو سليم (أعلى) والثانى متصلب وشبه مسدود (تحت) ، فينقطع بذلك سريان الدم عن جزء من عضلة القلب ، ويؤدى ذلك الى أزمات قلبية قد تكون مميتة

دولار ، وتطوع لها أكثر من ٤٠٠ ألف أمريكى وكندى ممن تتراوح أعمارهم بين ٣٥ ، ٥٩ عاما ، ولقد تم اختيار ذوى النسب المرتفعة من الكوليسترول ـ أى من هم أعلى من ٢٦٥ ملليجرام ، واستبعدت السيدات من هذا البحث ، لأنهن أقل عرضة للأزمات القلبية من الرجال ، وفى النهاية تمت التصفية والاختيار ، ووضعت أربعة آلاف حالة تحت الملاحظة والاختبار ، وجميعهم ممن لم يسبق لهم التعرض لأزمات قلبية .

وبدون الدخول فى التفاصيل ، فلقد عاش نصف هؤلاء على نظام خاص من الغذاء ـ أى أن قيمة الكوليسترول فيه كانت منخفضة ، ووضع النصف الآخر تحت العلاج بدواء خافض للكوليسترول (اسمه كوليستيرامين ، وهو غالى الثمن ، إذ يتكلف الفرد منه شهريا ١٥٠ دولارا) ـ وطبيعى أن تقارن نتائج الحالات التى تم فيها خفض الكوليسترول مع نتائج الحالات التى تركت لشأنها ـ أى دون أن تدخل التجربة ، لكنها كانت تحت الملاحظة .

فى العام الماضى أعلن المعهد القومى

الثلاثي القاتل



شكل (٥) أحد الشرايين التى تمر بالرقبة (كما هو موضح الى اليمين) لتغذى المخ ، وقد ظهر تصلبه وضيقه واضحا قبل تفرعه الى شريانين صغيرين (الصورة مكبرة قليلا كما هو موضح بالمقياس المجاور)

شكل (٦) الغذاء دسم ووفير ، والتنوع فى الطعام كثير ، والشهية على مايرام ، لكن كثرة الطعام بلاء عظيم ، وهو من العوامل التى جعلت الأمريكيين من أكثر شعوب العالم إصابة بالأزمات القلبية

لاشك أن معظم الدراسات الكبيرة والمكلفة تتم فى الولايات المتحدة ، لأنها دولة غنية وقادرة على تمويل البحوث ، ولأن لديها جيشاً كبيراً من العلماء والأطباء والباحثين ، ولأن مشاكلها مع مرض القلب هى أولى المشاكل بين كل الأمراض ، فآخر إحصاء قدمته جمعية القلب الأمريكية يشير إلى وجود حوالى ١٧ مليون أمريكى يعيشون بقلوب غير سليمة (أى حوالى ٧٪ من السكان) يموت منهم مليون بالأزمات القلبية كل عام ، وهى حصيلة تساوى حصيلة الموت من الحوادث ومن كل الأمراض الأخرى ، ويعنى ذلك أن مرض القلب هو السفاح الأول الذى يقتل الأمريكيين ، وغير الأمريكيين بطبيعة الحال .

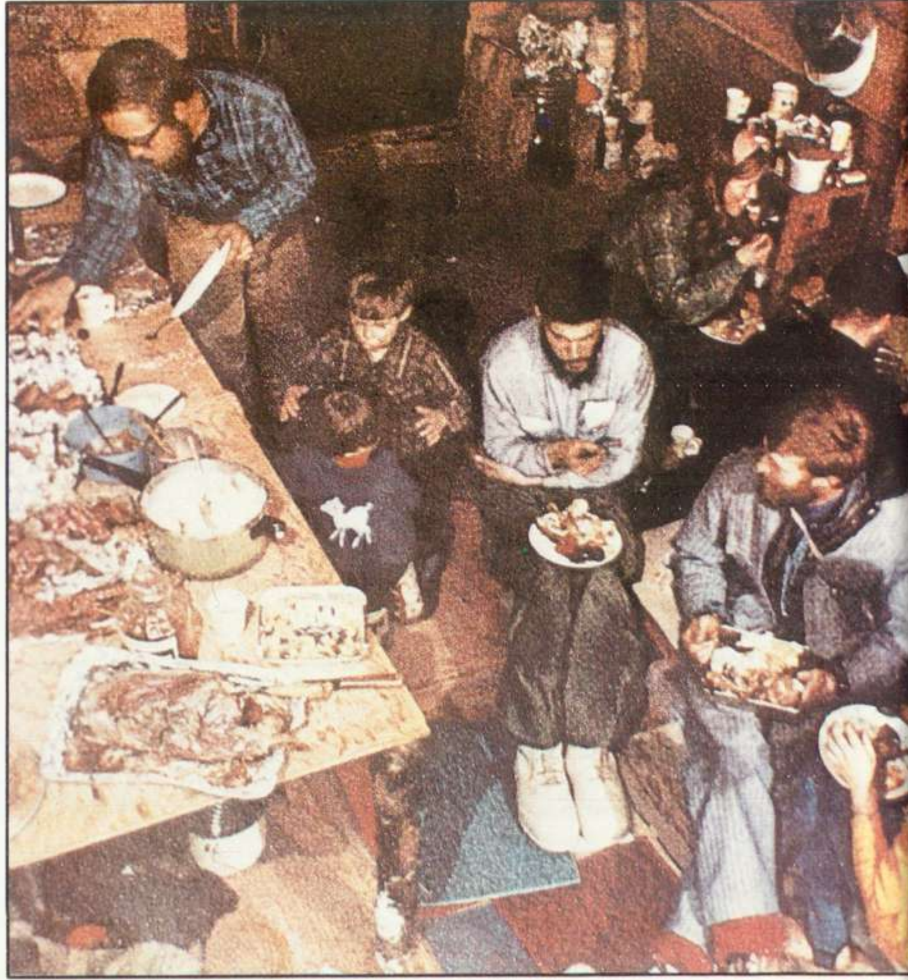
وقد يتساءل هنا البعض معترضين ما شأننا نحن وشأن الأمريكيين وبحوثهم وأمراضهم وقلوبهم ؟ .. أليس من الأوفق أن نتحدث عن واقعنا نحن ؟

وقد يبدو هذا الاعتراض وجيهاً ومقبولا ، لكن العنصر الانسانى واحد فى كل زمان ومكان ، وهو ــ بلاشك ــ قد اكتسب من المدنية الحديثة عادات جديدة قد نحسب أن فى ظاهرها نعمة ، ولكن فى باطنها نقمة ، ثم أن هذه العادات قد بدأت تنتقل إلينا فى عالمنا العربى خاصة ، ودول العالم الثالث عامة .. والنتيجة أن الأزمات القلبية بدأت تتزايد تدريجياً ، إذ كلما انغمسنا فى حضارة هذا العصر ورفاهيته ، زادت مشاكلنا الصحية تبعاً لذلك .

ونحن فى ذلك لا ندعو إلى العودة لحياة الفقر والتقشف ، ولا أن نهجر حضارة عصرنا ، فهذا ــ فى حد ذاته ــ دعوة إلى التخلف ، لكن ما نعنيه أن طرق الحياة العصرية أهم الأسباب الكامنة وراء الأزمات القلبية ، أضف إلى ذلك أن الاستفادة من بحوث الأمريكان أو غيرهم فى هذا الميدان لا غبار عليها ، فالعلم لا وطن له ، ثم أن البحوث الكبرى ليست من نصيب الدول النامية بعد ، ويوم تكون عندنا إحصائيات على نفس المستوى ، فإن الرجوع إليها لاشك أجدى ، لكنك تستطيع أن تعرف أن الأزمات القلبية فى الدول العربية بدأت تشكل عبئاً كبيراً على حكوماتها .. لهذا استفسر من أية وزارة صحة ، أو معهد من معاهد القلب ، أو مستشفى تخصصى لمعالجة الأزمات فى أية دولة عربية ، تجد أن مايرد إليها سنوياً من حالات مرضى القلب فى ارتفاع ينذر بأخطار لابد من توضيح أسبابها فى هذا المجال .

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »

هناك إذن أدلة قوية على أن تصلب الشرايين ، وضيق أقطارها ، ثم ما يتمخض عن ذلك من عبء زائد على القلب ، وما يؤدى إليه من أزمات ، انما مرده إلى الدهون والكوليسترول الزائد عن الحاجة ، والزيادة



تأتي من الطعام ، والطعام من صنع الانسان واختياره ، وكلما زادت رفاهيته ، زاد تنوع طعامه ، وزاد نهمه ، وقد تكون أشهى الأطعمة عند البشر ، أغناها في مادة الكوليسترول (شكل ٦) .. ومن هنا تبدأ المشكلة ، لتسير في حلقات ، حتى تنتهى بترسيب في جدر الشرايين ، وبها تبدأ متاعب القلب .

والواقع أن الشعب الأمريكي من أعظم الشعوب رفاهية في تنوع الأطعمة ، خاصة تلك التي تحتوى على الكوليسترول ، ومن أجل هذا تنتشر بينهم أعلى نسبة من الأزمات القلبية ، وعلى العكس من ذلك يكون الشعب الياباني ، فرغم أنه قد أصبح من أغنى شعوب العالم ، وأكثره رفاهية ، إلا أنه يعيش على أطعمة أقل كثير في الكوليسترول من الأطعمة الأمريكية ، ولهذا فإن الأزمات القلبية أقل بين اليابانيين ، أو هكذا تشير الإحصائيات التى جمعت في هذا المجال .

وما من مريض يذهب إلى الطبيب ، ويكتشف أن وزنه لا يتناسب مع طوله أو عمره ، فلابد من نصحه بالإقلال من كمية الطعام ، وخاصة الأطعمة الدسمة والغنية بالكوليسترول .. ذلك أن زيادة الوزن بعد سن الثلاثين غير مرغوب فيها ، لأن الزيادة تعنى دهونا مختزنة ، وتعنى أعباء جديدة على القلب والشرايين ، وتعنى إضافة أوعية وشعيرات دموية كثيرة تنتشر في هذه الدهون لتعطيها وتأخذ منها ، حتى لقد قيل إن كل كيلو جرام من الدهن يحتاج إلى تكوين حوالى ثلاثة آلاف متر من تلك الشعيرات ، فما بالنا بزيادة قد تصل إلى ٥ أو ١٠ كيلو جرامات أو أكثر ؟ .. في هذه الحالة قد ينطبق عليها المثل « الفئران النحيفة تدفن السمينة » ـ وهى إشارة تعنى أن ذوى البدانة لا يعمرون !

على الانسان الذى يخشى من زيادة الكوليسترول في دمائه ، أو الذين يثبت أن الكوليسترول في دمائهم عالى التركيز ـ عليهم الإقلال ـ قدر المستطاع ـ من تناول أطعمة غنية بهذه المادة ، مثل المخ والكلية والكبد واللحوم الدسمة والجمبرى والدهون الحيوانية والبيض .. الخ (البيضة الواحدة تحتوى على حوالى ٢٧٥ ملليجرام كوليسترول !) وأن يستعيضوا عن ذلك جزئيا بالأسماك والدجاج والألبان أو مشتقاتها (على أن تكون منزوعة الدسم) واللحوم الحمراء قليلة الدهن والزيوت والدهون النباتية والفواكه والخضراوات .. الخ .

والواقع أن التجارب التى أجريت على الحيوانات تؤكد أن للكوليسترول دخلا في تصلب الشرايين ، خاصة لو عاشت في طعامها على الطريقة الأمريكية أو العصرية .. أضف إلى ذلك أن كثيرين جدا من سكان الدول العربية الذين تيسرت حياتهم ، قد أخذوا عن الغرب عادات غذائية ، وهذا يفسر لنا ـ جزئياً ـ سبب الزيادة المضطردة في الأزمات القلبية ـ لكن ليس الغذاء وحده هو المسئول عن حدوث أمراض القلب والشرايين ، بل هناك أيضا سبل الحياة العصرية ، وفيها يتشعب الحديث ويطول ، ولهذا فسوف نفرد لها دراسة مستقلة .

لكن قبل أن ننهي هذه الدراسة التى كان لنتائج البحوث فيها النصيب الأكبر ، مع تركيزنا فيها على بعض النصائح « المستوردة » ، كان لابد أن نشير إلى أن لدينا مالو استرشدنا به ووعيناه ، لكان صحة وخيراً وبركة .. ففي القرآن الكريم « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .. وفي الأحاديث النبوية « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » .. وفي الأثر « المعدة بيت الداء والحِمْيَة أُسُّ الدواء » .. « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإن أكلنا لا نشبع » .. والحق أن هذه الحكم وغيرها تحوى مبادىء عامة تقى الجسم من كثير من الأمراض ، أو هى ما نطلق عليه اسم الطب الوقائى « فدرهم وقاية ، خير من قنطار علاج » .. وفى هذا الكفاية لقوم يدركون فيرشدون .

عبد المحسن صالح

حتى لا يفاجئنا المستقبل

السكان قنبلة موقوتة في عالمنا المعاصر

أعلنت الأمم المتحدة فى يناير ١٩٨٦ أن عدد سكان العالم قد زاد ٧٩ مليون نسمة بنسبة ١,٧٪ خلال الفترة ما بين منتصف عام ١٩٨٤ ومنتصف عام ١٩٨٥ ، ليصل إلى رقم ٤,٨٤٢ مليار نسمة . ويثير ذلك فى الأذهان القضايا المختلفة التى تتناول العلاقة بين السكان والبيئة ، وبين الإنسان والموارد وبين الزيادة المطردة فى عدد السكان والآثار الاجتماعية والسياسية لذلك وبالذات فى الدول النامية ، وكل ذلك ينبه إلى ضرورة إهتمام الحكومات بموضوع السكان وبلورة سياسات سكانية ، تماما مثل اهتمامها بالسياسة الاقتصادية أو الإجتماعية .

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

بالطبع لا توجد لدينا إحصاءات دقيقة عن تطور سكان العالم عبر مراحل التاريخ المختلفة ، ويقدر المؤرخون عدد السكان عند إكتشاف الزراعة بأنه قد تراوح بين ٥ ــ ٨ مليون نسمة وأنه عند مولد السيد المسيح كان حوالى ٣٠٠ مليون واستمر فى الزيادة البطيئة ، فقد كانت الأمراض والأوبئة تفعل فعلها فى القضاء على أعداد كبيرة من البشر . وفى عام ١٥٠٠ أصبح العدد ٦٠٠ مليون إنسان ، وفى عام ١٧٥٠ بلغ ٨٠٠ مليون . وبدأ معدل الزيادة في الإرتفاع ، ففي عام ١٨٥٠ وصل العدد إلى ١٣٠٠ مليون (١,٣ بليون) ، وفى عام ١٩٠٠ إلى ١,٧ ثم ارتفع إلى ٢,٥ بليون فى عام ١٩٥٠ ، وبعدها بخمس وعشرين سنة ، أى فى عام ١٩٧٥ ، وصل عددنا إلى ٤ بليون وفى عام ١٩٨٢ أصبح العدد ٤,٨ بليون . وتبدو دلالة هذه الأرقام عندما نتأمل فى عدد السنوات التى استغرقها البشر لكى يضاعفوا عددهم ، فإذا أخذنا بداية التاريخ الميلادى فإن البشرية استغرقت ٢٠٠ سنة لتحقق نفس الشيء ، واليوم فإنها تستغرق أقل من أربعين سنة .

ففى صباح كل يوم يولد حوالى ٢٢٠,٠٠٠ فم جديد ، وفى كل سنة يزداد العالم مابين ٧٦ ــ ٨٠ مليون نسمة .

وحسب تقديرات المتخصصين حول الزيادة السكانية فإنه يتوقع أن يصل عدد سكان العالم إلى ٦,٢ بليون فى عام ٢٠٠٠ ، أى أن العالم سوف يشهد ٢ بليون إنسان جديد قبل أن يصل أطفال اليوم إلى سن العشرين . كما يتوقع أن يصل العدد إلى ٨,١ بليون فى عام ٢٠٢٥ ، وإلى ٩,٨ بليون فى عام ٢٠٥٠ .

السكان فى الدول النامية

تتضح الدلالة السياسية لازدياد عدد السكان عندما نحلل توزيع هذه الزيادة بين القارات المختلفة ، وندرك أن هذه الزيادة تتركز فى الدول النامية ، فوفقا للأرقام عن حقبة ١٩٧٥ ــ ١٩٨٥ فإن أعلى معدل للزيادة كان فى أفريقيا بنسبة ٣٪ ليصل عدد سكانها إلى ٥٥٣ مليون ، تليها أمريكا الجنوبية بنسبة ٢,٣٪ ليصل عدد سكانها إلى ٣٦٩ مليون ، ثم القارة الآسيوية بنسبة ١,٧٪ ليصل عدد سكانها ٢,٨٢٤ بليون ، ثم أمريكا الشمالية

والوسطى بنسبة ١,٥٪ ليصل عدد سكانها ٤٠١ مليون . أما أقل نمو سكانى فقد كان فى أوربا بنسبة ٠,٤٪ ليصل عدد سكانها إلى ٤٩٢ مليون نسمة .

وإذا ترجمنا ذلك إلى أرقام محددة يمكن القول أن الحجم الأكبر من الزيادة التى تحدث سنويا يتم فى الدول النامية والفقيرة ، فمن بين الثمانين مليون طفل الذين يشهدهم العالم كل عام تقريبا فإن ٧٥ مليون منهم يولدون فى قارات أفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى والجنوبية ، أما العالم المتقدم والذى يستطيع موضوعيا إستيعاب اعداد أكبر عن البشر فإنه لا يستقبل سنويا إلا حوالى ٢ مليون مولود . ويمكننا أن نتفهم النتائج المترتبة على ذلك إذا تذكرنا أن حوالى ثلاثة أرباع سكان العالم يعيشون فى دول الجنوب الفقير ، وأن أكثر من نصف سكان العالم يعيشون فى آسيا ، وأنه إذا استبعدنا اليابان وسنغافورة وهونج كونج فإن ٢ بليون إنسان آسيوى يعيشون على مساحة من الأرض أقل من مساحة أفريقيا .

ويمكن إرجاع ذلك إلى أن الدول الصناعية قد أنهت مرحلة التحول السكانية الخاصة بها ، وانتقلت من وضع شهدت فيه نسباً عالية للمواليد والوفيات ، كما حدث فى القرن الثامن عشر ، إلى مرحلة انقاص نسبة الوفيات نتيجة التقدم فى الخدمات الطبية ومكافحة الأوبئة ، إلى مرحلة إنقاص نسبة المواليد أيضا ، وهكذا فإن عدد سكان الدول المتقدمة سوف يتجه إلى الاستقرار دون زيادة تذكر .

فى مقابل ذلك فإن دول الجنوب مازالت فى قلب مرحلة التحول السكانى ، فبينما شهدت هذه الدول انخفاضا واضحا فى معدلات الوفيات فقد ظل معدل الزيادة فى المواليد كما هو ، ففى أفريقيا على سبيل المثال كان متوسط عمر الإنسان فى العشرينات لا يتجاوز ٢٧ سنة ، وفى عام ١٩٤٥ إرتفع ألى ٣٢ سنة ويصل الآن إلى حوالى ٤٤ سنة .

تنظيم الأسرة أم سياسة تنموية

إزاء هذه الأوضاع لجأ عدد من الدول النامية إلى إنشاء هيئات ومؤسسات لتنظيم الأسرة وتشجيع المواطنين على الحد من زيادة السكان وبهدف تنظيم الأسرة . وتراوحت مناهج وأنشطة هذه الهيئات بين المدخل الطبى والمدخل الاجتماعى للتعامل مع القضية .

أنصار المدخل الطبى ينظرون إلى المشكلة أساسا باعتبارها قضية توفر الوسائل الطبية لمنع الحمل ويتصورون أن جعل هذه الوسائل فى ميسور البشر سوف يجعلهم يقومون باستخدامها ويتحقق الهدف . ولكن سرعان ما يتبين أن التوافر أمر وأن الإستخدام أمر مختلف تماما ، وأن القضية ليست مسألة طبية ، ولكنها مسألة تتعلق بالقيم والعادات الإجتماعية السائدة وكذلك بمدى الإعتقاد فى إيقاف ذلك مع المعتقدات الدينية .

لذلك إنتقل الاهتمام بالموضوع من الدائرة الطبية إلى الدائرة الإجتماعية الأكثر إتساعا وشمولاً وازداد الإدراك بأن قضية تنظيم الأسرة هى مسألة إجتماعية فى المقام الأول وأنها تتطلب تغييرات فى المفاهيم والمدارك السائدة .

● مُعدّل الزيادة السكانية ينبئ بأن العالم سيشهد ٢ بليون إنسان جديد قبل أن يبلغ أطفال اليوم سنّ العشرين

● زيادة عدد السكان وإن كانت تُمثّل عبئًا اقتصاديًا واجتماعيًا إلّا أنّها بمثابة رأس مال يمكن توظيفه واستثماره

وجاء فريق ثالث ليطرح رأيا مؤداه أن ازدياد السكان لا يمكن مواجهته إلا بالإسراع بمعدلات التنمية والتعليم بحيث يرتفع مستوى معيشة البشر اقتصاديا ويزداد وعيهم إجتماعيا فقد لوحظ أن أعلى معدلات لزيادة النسل تكون بين الأكثر فقرا وجهلا وأنه كلما ازداد المستوى الاقتصادى أو التعليم ، قامت الأسرة بتنظيم عدد أعضائها .

وهكذا أدخل الموضوع فيما يشبه الدائرة المفرغة ، فالإزدياد الكبير فى عدد السكان يفرض قيودا على جهود التنمية .. ويضع ضغوطا على كل الخدمات الإقتصادية والاجتماعية . من ناحية أخرى فإن المواجهة الحقيقية لهذا الإزدياد لا تكون إلا بإرتفاع معدلات التنمية فى كل جوانبها . وبسبب ذلك فإن جهود الدول النامية لم تسفر بعد عن نتائج واضحة فى هذا المجال واضطر بعضها إلى اللجوء إلى أساليب غير مقبولة شعبياً ، مثل التعقيم ، وهو ما أدى إلى هزيمة السيدة أنديرا غاندى فى انتخابات مارس ١٩٧٧ وتم العدول عن هذه السياسة .

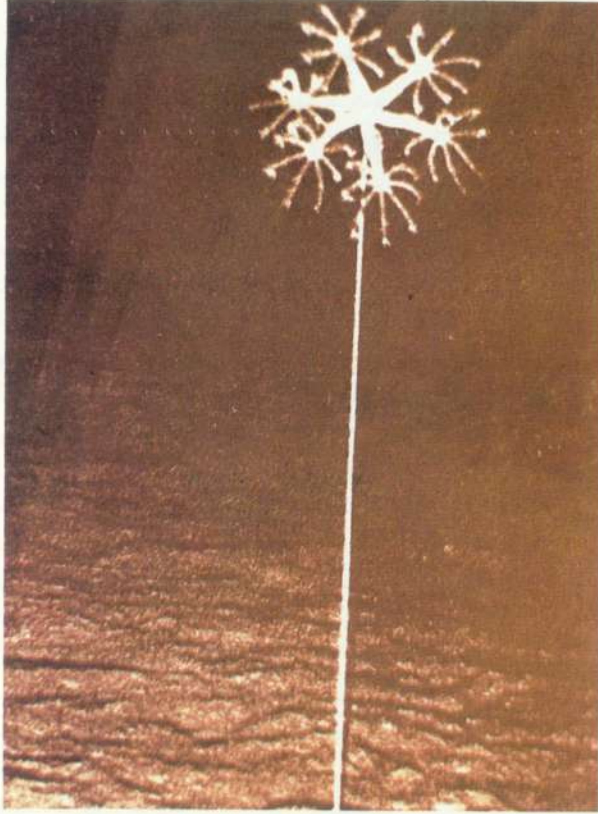
السكان والسياسة

يمكن النظر لعدد السكان في مجتمع ما بطريقتين ، فهو يمثل عبئا إقتصاديا وإجتماعيا يحتاج إلى خدمات ، وهو من ناحية أخرى بمثابة رأس مال يمكن توظيفه واستثماره ، والعنصر الحاكم فى هذا المجال هو شكل التنظيم الإجتماعي والإقتصادى ، وهل يوفر للمواطنين فرصاً إنتاجية حقيقية أم أنه يستنزف مواردهم فى أعمال غير إنتاجية وغير مفيدة ، ومن ثم لا يسهمون في عملية التنمية .

وهناك اعتبارات سياسية داخلية وخارجية ، فازدياد عدد السكان غير المرتبط بالتنمية يقود فى أغلب الحالات إلى عدم الإستقرار الإجتماعي والسياسى ، وبعض الدول تنظر بعين القلق إلى التطورات السكانية لدى جيرانها فبعض المفكرين في الأرجنتين قد دعوا إلى مضاعفة عدد السكان في بلادهم خوفا من إحتمال ازدياد نفوذ البرازيل نتيجة تفوقها السكانى ، ونفس الشيء حدث فى الاتحاد السوفيتى مع دول أوربا الشرقية التى شجعت إزدياد السكان فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لتعويض الجيل الذى استهلكته الحرب ، بل وقدمت هذه الحكومات حوافز مالية للأسر الكبيرة العدد . من ناحية أخرى أدركت الصين ضرورة التحكم فى عدد السكان وقامت بجهود خارقة لذلك ، أدت إلى خفض نسبة النمو السكانى إلى ١,٦٪ .

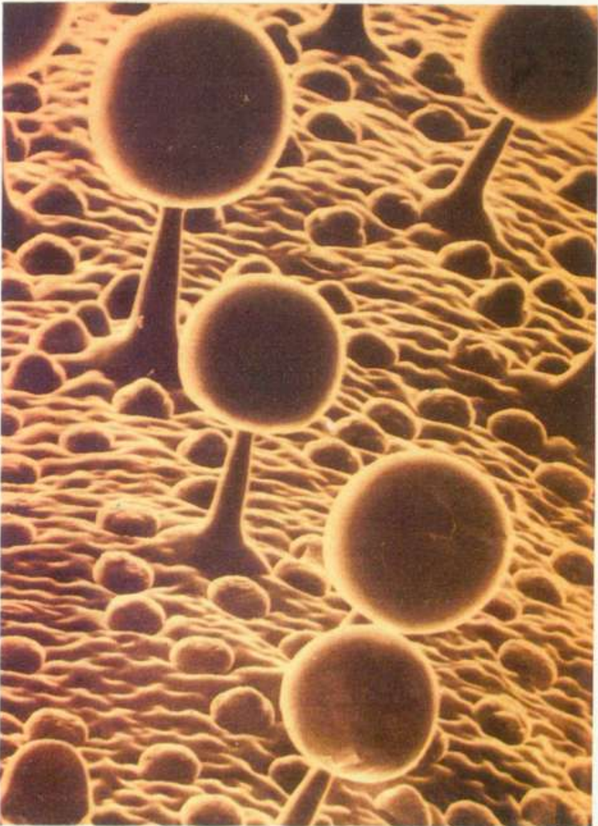
وبعد ...

إن قضية السكان لا يمكن النظر إليها على أنها مسألة أعداد فقط ، بل إنها ترتبط بتوزيع الأعداد بين الشمال الجنوب ، أى بين الدول المتقدمة صناعيا والدول النامية ، وكذلك بارتباط هذه الأعداد بالتكنولوجيا والموارد والبيئة المحيطة أو بآثارها على الإستقرار فى البلاد الفقيرة وتداعيات ذلك على العلاقات بين الدول والشعوب ومن مظاهرها قضية اللاجئين فى العالم واحتمالات قيام الدول التى تواجه مثل هذا الإنفجار السكانى بسياسات خارجية مغامرة وآثار ذلك على عدم الاستقرار الدولى .



كائن مروحي القوام !

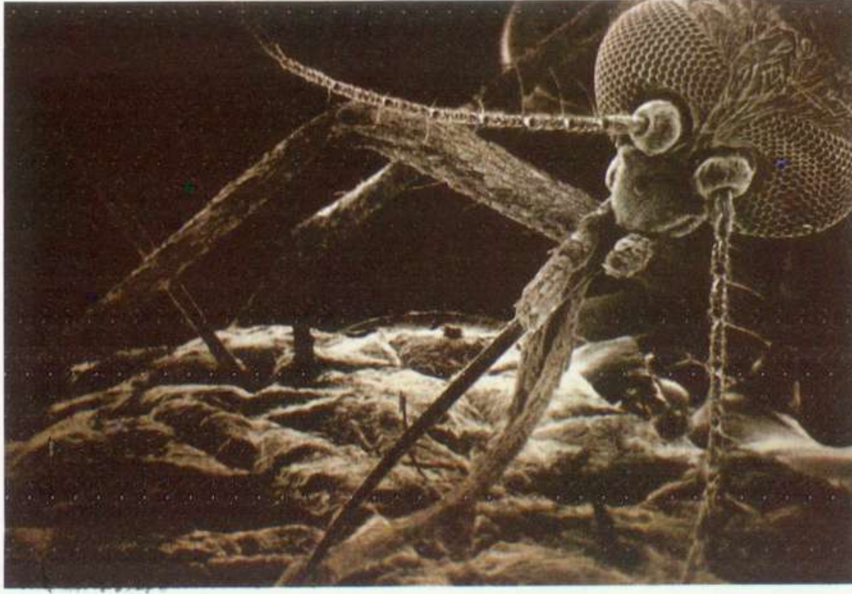
نبات هو أم حيوان ؟ .. الواقع أن الشكل شكل نبات ، فلهذا الكائن الرقيق ساق طويلة تنتهى بمحاور تشبه الفروع التى تحمل فى نهاياتها الأزهار والأوراق الابرية ، ومن أجل هذا أطلق عليه العلماء الذين اكتشفوه حديثا فى أعماق البحار اسم زنبقة الماء ، تشبيها له بزنابق الأرض ، وهى نباتات ذات زهور منسقة وجميلة ، ورغم أن القوام يوحى بشكل النبات ، إلاّ أن الكائن حيوان من رتبة الهيدرات (نسبة الى حيوان الهيدرا المعروف) ، ولقد جاء التكوين متناسقا ومتآلفاً من ستة كائنات هيدرية كونت فيما بينها مستعمرة ، واتخذت شكل المروحة ، ورغم أن أبناء عمومة هذا الكائن المثير تعيش فى المياه السطحية ، إلا أن كائننا هذا يعيش فى ظلمات البحار ، وعلى أعماق تقدر بآلاف الامتار ، فالسكون هناك رهيب ، والجو كئيب ، والظلام شديد ، والضغط ساحق ، لكن زنبقة الماء الرقيقة قد أثبتت ـ رغم كل ذلك ـ وجودها ، وكأنما الحياة تتحدى تلك الظروف البالغة القسوة .. بقى أن نعرف أن هذا الكائن يصطاد رزقه بأذرعه من « رذاذ » الكائنات الدقيقة الميتة المنهمرة عليه من سطح الماء فى رحلة طويلة تقدر بآلاف الأمتار ، حيث مآلها القاع ، أو أفواه هذا الكائن الرقيق الجوعان !



مصيدة ومعدة هاضمة

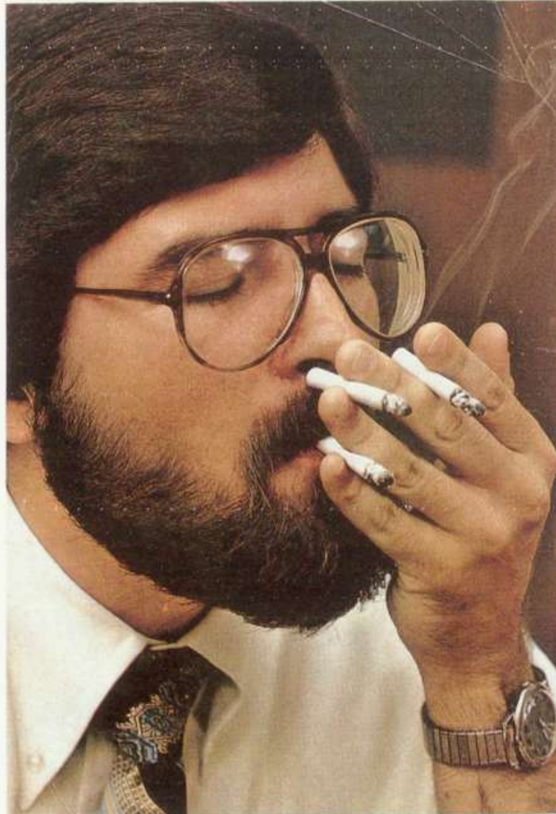
كأنما هى بالونات .. البالونات على محاور .. المحاور على قواعد .. القواعد محاطة بتشكيلات تشبه الحصى .. الحصى ينتشر على أرضية متموجة غير مستوية ـ أو ربما أى تصور آخر قد يطوف بخيالك .. لكن الشىء الذى لا يختلف عليه اثنان اننا أمام تشكيلات غريبة ، تنطوى على فكرة جديدة ومثيرة .. فنحن فى الواقع ننظر الى سطح ورقة نبات من النباتات آكله الحشرات ، مكبرة عشرات المرات .. النبات اسمه « بنجويكيولا » ـ هيأته الحياة ليعيش بأرض فقيرة فى المواد النيتروجينية التى يصنع منها بروتيناته ، ويكون بها خلاياه ، لكنها قدمت له البديل .. والبديل أن يأكل لحم الحيوان ، ولهذا تحورت أوراقه الى مصائد مزودة بعصارات هاضمة ، فكأنما هى قد أصبحت معدة مكشوفة لهضم لحم الحشرات .. فكل بالونة مزودة بمادة لزجة ، وهى لذلك تشل كل حشرة بطريق اللصق على سطوح البالونات ، وبينما الحشرة تصارع الموت ، تنطبق عليها حواف الورقة ، حتى تخفيها ، ثم تنطلق عليها العصارات الهاضمة من الغدد التى تشبه الحصى ، فتذيب بروتيناتها ، لتمتصها سطح الورقة ، وأنعم بها من فكرة ، وهنيئا للنبات بالوجبة الدسمة !

حراب في الجراب



عندما ننظر الى تفاصيل التكوينات التى تنتشر فى الكائنات الصغيرة ، تتجلى لنا فيها مناظر مثيرة ، فبعضها قد يجذب لجماله انتباهنا واعجابنا ، والبعض الآخر قد يثير اشمئزازنا ونفورنا ، فنحمد الله ان خفيت عن عيوننا تفاصيله المخيفة .. واللقطة ـ كما تبدو ـ لبعوضة تخرج ابرتها الحادة من جرابها ، لتغرزها فى الجلد .. تماما كما نغرز الحقنة ، ثم تبدأ الحشرة فى سحب وجبتها الدموية ، فاذا شبعت ، سحبت ابرتها ونظفتها مما علق بها ، ثم تحفظها داخل جرابها (كما نحفظ نحن سيوفنا فى أغمادها) ، لأنها ـ أى الابرة ـ رأس مالها ، وبدونها تموت .. لاحظ أيضا كيف ظهرت عيونها المركبة ، وقرنا استشعارها وهما يخرجان من محورين سهلي الحركة ، ثم لا تنس كذلك تفاصيل أرجلها ، وما ظهر من وجهها ، أما هذا السطح الذى ترتكز عليه ، ويبدو كتضاريس ومطبات ، فهو جزء من بشرة الانسان .. ولاشك أن كل هذه التفاصيل قد وضحت ، لأن تكبير المنظر كان فى حدود ثلاثين مرة لاغير .. بقى أن نعرف أن الاناث هنا هى التى تلدغ وتمتص الدماء ، أما ذكور البعوض فتعيش على امتصاص رحيق الأزهار !

مُدخِّن رغم أنفه



لاتعنى هذه الصورة أن الرجل ينشد « تقليعة » جديدة فى التدخين ، ولا هو ايضا من غلاة المدخنين ، بل يعمل كيميائيا فى شركة ر . ج . رينولدز للسجائر ، وهى أكبر شركة أمريكية فى هذه الصناعة ، وعمل هذا الرجل الأساسى هو اصدار الحكم على نكهة أية سيجارة جديدة تريد الشركة تصنيعها ، لتطرحها فى الأسواق . والصورة للكيميائى « روف جريمز » وهو يسحب أنفاسا من ثلاثة أنواع من السجائر ، واحد منها للمقارنة بتوليفتين جديدتين تريد الشركة انتاجهما ، وهو بحاسته المتمرسة فى هذا المضمار ، والدقيقة فى الحكم والاختيار ، يستطيع أن يصدر حكما بالموافقة ، أو الرفض ، او بادخال تعديلات يراها لازمة فى هذا المجال . ورغم أن هذا الكيميائى يدرك خطورة التدخين وأضراره على الصحة العامة ، إلا أن عمله يحتم عليه الاستمرار فى إجراء هذه التجارب !



النيل ليس النيل

شعر: حسن طلب

يَا أيها النيلُ يارَجائى
قضيتَ شيئاً من القضاءِ
رَوَيْتَ غيرى بحُرِّ مائى
شفيتَ خَصْمى .. فمن لِدائى ؟
ليسَ النيلُ رجاءً
فالسائلُ فى هذا المجرَىٰ
ليسَ الماءَ

يا أيُّها النيلُ يا وجُودِى
جاوزْتَ حداً من الحدودِ
أجريْتَ دمعى على خُدودِى
عانقتَ خَصمى .. فمن لِجيدِى ؟
نيلٌ كانَ هنا موجوداً
يوماً ..
كانَ الماءُ يغطِّى هذا الطَّمَى الناشِفَ ،
كان المجرَىٰ هذا الأُخْدودا

يا أيها النيلُ يامصيرِى
أتيْتَ أمْراً من الأمورِ
غَلَّبتَ غَيْبى على حُضورِى
نصرتَ خَصْمى .. فمن نَصيرِى ؟
ما أقْساهُ مصيراً !
فلكمْ يانيلُ تكلَّمتَ قليلاً
وصمتَّ كثيرا

يا أيها النيلُ يا صديقِى
هضمتَ حقاً من الحقوقِ
قدَّمتَ غربى على شروقِى
سقيتَ خصمى .. فمن لِريقى ؟
ما عادَ النيلُ صديقاً
فإذا شئتَ فدونَك والبحر :

اتَّخذِ الماءَ المالِحَ
واصطنعِ الأنبيقاَ

يا أيها النيلُ يا عزيزى
هدمتَ رمزاً من الرموزِ
أظهرتَ بيدِى على كنوزِى
أجَزْتَ خصمى فمن مُجيزى ؟
ليس النيلُ عزيزا
ما دامتْ ضِفَّتُهُ عوجاءَ ،
وقِسمتُهُ ضِيزَىٰ

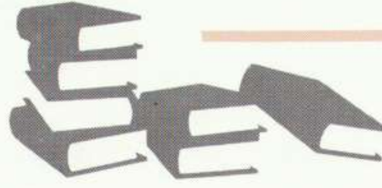
يا أيها النيلُ يا عدوِّى !
بلغتَ شأواً وأىَّ شأوِ
فَضَّلتَ بُعدِى على دُنوِّى
أوْهنتَ رُوحى .. فمن يُقوِّى ؟

• • •

سامِحْنى يانيلُ ، وخذْ بيمينى
أنت أمامِى وأنَا المأمُومْ
من غيرِكَ يا نيلُ سيَحْمينى
وأنا المنتَبَذُ المذمومْ ؟
كَمِهتْ يا نيلُ عيونى
وطَعِمْتُ الزَّقُّوم
إن كنتُ خدعتُكَ أوخنتُكَ يا كلَّ يقينى
وسواكَ تهاويمْ
كم أنتَ عظيمٌ يا نيلُ بدونى !
وبدونَكَ يا نيلُ أنَا محضُ يتيمْ

....

سامحنى
مِثلك ليس بجبَّارٍ يا نيلُ ..
ومثلى ليسَ بمعصُومْ



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

مشيئة الإنسان

يقول الله تعالى فى شأن طبيعة الانسان : « إنَّا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج (أى من نطفة مختلطة من الذكورة والأنوثة) .. نبتليه (أى والغاية من خلقه هى : ابتلاؤه واختباره فى اتجاهه فى السلوك ، والاعتقاد ، والعمل) فجعلناه سميعا بصيرا (ولكى يمكن من أن يحقق هذه الغاية فيه ، جُعِلَ كائنا مُدركا عن طريق حواسه ، وبالأخص حاستى السمع والبصر) . إنَّا هديناه السبيل (أي ولكى يساعد على استخدام إدراكه وعقله استخداما سليما كانت هداية الله فى رسالة الرسل) : إمَّا شاكرا ، وإمَّا كفورا (وهو بعد إعداده بالعقل والادراك ، وبعد مساعدته بالهداية الالهية .. له المشيئة فى الايمان بالله تعبيرا عن شكره ، كما أن المشيئة فى الكفر به تعبير عن نكران فضل الله ونعمته عليه » (الانسان : ٢ ، ٣) .. فهاتان الآيتان تتحدثان عن ثلاث حقائق فى الطبيعة البشرية :

الأولى : إنها طبيعة مختلطة مما للذكورة والأنوثة ، وهى حقيقة مادية نوعية ،

والثانية : إنها طبيعة معدة بالادراك العقلى ، ومزودة بسبيل الرشد الانسانى فى اتخاذ المواقف المختلفة التى تعبر عن تميز الانسان دائما فى سيادته فى هذه الأرض وتفوقه على الكائنات الأخرى عليها ، وهى حقيقة عقلية أو معنوية ،

والثالثة : إنه أضيف الى سبيل الرشد الطبيعى فيه ــ وهو العقل ــ نوع آخر من الهداية تتضمنه رسالة الله ، وهى حقيقة إلهية .

ويصور الحقيقة العقلية فى الانسان ومنزلتها فى اتقاء الأخطاء ، قوله تعالى فى سورة الأعراف فى مواجهة بنى آدم جميعا : « يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشاً (ويقصد بـاللباس : العقل فى سترنقائص الانسان بابعاده عن الزلل والأخطاء ، فهو زينة فى الوقت نفسه .. كريش يتزين به الانسان . لأنه طالما أنه من شأنه أن يقلل من أخطاء الانسان .. فإنه من غير شك يظهر الانسان فى صورة جميلة مقبولة) ولباس التقـوى ذلك خـير (أي وهذا العقل فى الانسان الذى يتقى به الأخطاء ما أمكن ، وهو أشبه باللباس فى الستر .. هو خير من عند الله ونعمة من نعمه الكبرى) ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (وهو لهذا : نعمة من نعم الله على بنى آدم . ويرجى منهم لذلك : أن يتذكروا هذه النعمة باستخدامها فى وضعها الصحيح ، وعدم تعطيلها بالوقوع تحت تأثير الاتجاهات المادية التى تحيل مستوى الانسان الى مستوى مادى بحت ، وتعزله عن العقل وحكمته فيه ، كما تعزله عن هداية الله وارشاده فى رسالته (الأعراف : ٢٦) .

وهداية الله فى رسالته إذن لا تقف من الانسان موقف الالزام والاكراه وإنما تقف منه موقف المساعد فقط عند طلب المعاونة . وهذا هو ما تسجله الآية الثالثة السابقة فى سورة الانسان : « إنَّا هديناه السبيل ، إمَّا شاكرا ، وإمَّا كفورا » . فوضع الانسان هنا إزاء هداية الله هو : وضع المختار بين الايمان والكفر بها .. هو وضع صاحب المشيئة .. هو وضع البعد عن الاكراه والالزام . ويؤيد هذا الوضع قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » .

وهنا تبدو صلة الله بالانسان ، كما تبدو صلة الانسان فى الايمان والكفر ، وفى العمل الصالح ، والسيىء ، وفى استقامة السبيل فى الحياة ، وارتكاب الجرائم والمعاصى فيها . فالانسان صاحب مشيئة مبدئية فى ذلك كله . وهداية الله للانسان هى : فى توفيقه إلى الأخذ برسالته .. هى فى مساعدته بالميل على الانتفاع بها .. هى في ارسال الرسول بهذه الهداية : « قل : إن ضللت فإنما أضل على نفسى ، وإن اهتديت فبما يوحى إلىَّ ربى » (سبأ : ٥٠) .. « وقل : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » (الكهف : ١٩) .

وعندما اقترف آدم وزوجه حواء معصيتهما فى الجنة اعترفا : بأنهما هما باشراها من أنفسهما : « قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا » (الأعراف : ٢٣) .. واعتبر سلوكهما معصية لأنهما خالفا فيه أمر الله فقط ، ولكنه لم يخرج عن كونه باختيارهما : « ويا آدم : أسكن أنت وزوجك الجنة ، فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (أى لنفسيكما) » (الأعراف : ١٩) .

والغاية من عقل الانسان التى تكمن فى الابتلاء والاختبار ، تتحقق بالابتلاء بالخير والنعمة ، والشر والحرمان على السواء : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » (الأنبياء : ٣٥) .. « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم : أيُّهم أحسن عملا » (الكهف : ٧) .. « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات » .. (البقرة : ١٥٥) .. ومعنى ابتلاء الانسان واختياره : أن يوضع أمام متع الدنيا مرة ، وأمام الحرمان منها مرة أخرى ، ليعرف مدى قدرته على ضبط نفسه : هل سينجرف فى تيار الترف والعبث بالمتع المادية إن واتته ، وهل سيضيق ذرعا بالحياة وتتملكه روح اليأس عندما يحرم منها ؟ ونداء عقله فى الحالين ، هو : الصبر وضبط النفس ، وهو نفسه رسالة الله للانسان لأن أيا من الأمرين ــ اليسر ، والعسر ــ لا يدوم ، وإنما التعاقب بينهما هو قانون الحياة . والباقى للانسان أبدا : هو محافظته على مستوى إنسانيته ، باتباع عقله ، وهداية الله وهي تساوق العقل فى طريقه الصحيح .

.. وهذه بيت لحم

ها هنا من تراب فلسطين الطهور ، حيث تقوم كتلة البناء الرئيسية في أقصى يسار المشهد ، انتبذت مريم مكاناً قصيا .. « فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا . وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا .. سورة مريم : ٢٣ — ٢٥ » ..

فنحن الآن إذن ، أمام مشهد « بيت لحم » ، مسقط رأس سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .. ولكن الرحالة الاسكتلندى « روبرتس » الذى رسم هذا الليثوغراف عام ١٨٣٩ قد اقتصر لوحته على هذا القدر المحدود ، والأبنية المعدودة ، من حجم المدينة ومساحتها العامة .. وقد يصح القول أيضاً بأن المدينة ربما كانت فعلاً بهذا الحجم الضامر في ذلك الحين ، حيث سبق زيارة « روبرتس » لها بخمس سنوات — أي فى عام ١٨٣٤ — أن وقع بالمدينة زلزال أتى على معظم أبنيتها ، فلم يبق إلا هذا القدر الضئيل من جسدها العام ..

وإذا أمعن القارىء النظر ، كرة أخرى ، في موقع ميلاد السيد المسيح ، (في أقصى يسار المشهد) ، فلن يسهل عليه أن يتصور أن مهد رسول المحبة والسلام هذا ، كان السبب المباشر الذى انقدحت منه شرارة « حرب القرم » عام ١٨٥٣ ، ملتهمة في أوراها المسعور عشرات الألوف من أرواح الناس ، لغير ما أي سبب ذي بال ، سوى التناحر الطائفي المسيحي (بين اللاتين الكاثوليك من جهة — والروم الأرثوذكس من جهة أخرى) على ملكية ، أو خدمة الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين .. فلقد حدث ببساطة متناهية أن اختفت فجأة « نجمة المهد الفضية » من مكانها عام ١٨٥٢ .. قال اللاتين الكاثوليك المنتصرون عادة بفرنسا ، إن الروم الارثوذكس المنتصرين بدورهم بروسيا القيصرية ، هم الذين سرقوها .. ثم زاد اللاتين على ذلك بأن وضعوا نجمة جديدة مكان النجمة المفقودة .. اعتبرت روسيا القيصرية أن ذلك اعتداء كاثوليكى صارخ على حقوق الأرثوذكس في كنيسة المهد .. وفى إطار الدوافع والمنافع المادية الباطنة التي تشكل فى الحقيقة جوهر « المسألة الشرقية » ، بكل ما انطوت عليه تلك المسألة من تذابح أوروبى استعماري شرس حول اغتنام أكبر قدر مستطاع من « تركة الرجل العثمانى المريض » حتى منذ ذلك الحين ، بادرت روسيا إلى توجيه مطالب مذلة للدولة العثمانية بأحقية الأرثوذكس وحدهم في كامل كنيسة المهد ، وبأن تكون روسيا هي حامية الأرثوذكس أينما وجدوا في الامبراطورية العثمانية .. اهتاجت فرنسا الكاثوليكية ، وجرّت وراءها سردينيا ، وحتى بريطانيا البروتستانتية ، ضد مطالب روسيا التي رفضتها الآستانة بطبيعة الحال .. واشتعلت حرب القرم !! ..

على أن أدل مثال على حديّة ، وجدية هذا التناحر الطائفى المزمن ، هو ما يتعلق بمفتاح « قيامة القدس » التي تعتبر أقدس مكان مسيحى إطلاقاً على سطح المعمور .. فلئلا يظل هذا التناحر الدموى قائماً حول أي الطوائف المسيحية يكون لها الشرف في حيازة مفتاح « كنيسة القيامة » ، وبالتالي شرف فتحها ، وإغلاقها ، يومياً ، فلقد رأت جميع هذه الطوائف أن خير حل لذلك النزاع هو أن يتسلم مسلمو القدس هذا المفتاح ، فعهد به إلى عائلة « نسيبة » المقدسية التي تحتفظ به منذ مئات السنين الغابرة ، وإلى عائلة « الجودة » المقدسية أيضاً التى يقوم أحد أبنائها بفتح الكنيسة صباحاً وإغلاقها مساء ، دون أن يتبدل هذا التقليد حتى فى فترة الانتداب البريطانى على فلسطين ، وحتى يوم الناس هذا ..

بقلم: يوسف الخطيب



ذكريات عن راحل عزيز



بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

تلقيت في نهاية العام المنصرم من صديقي الأستاذ و. رسالة يصف فيها حزنه لوفاة صديق مشترك لنا كلينا، ويعدد فيها أسماء معارفنا وأصحابنا الذين طويت صفحات حياتهم في السنة الفائتة، ويبثني فيها ألمه من أن الأيام لم تعد تحمل إليه غير أخبار فقد الأحبة والعشراء. أجبته على رسالته معزياً بصديقنا المشترك وبمن فقدناهم، ومذكراً إياه بما لا أظنه يفوته من أن هذه سُنّة الحياة مع من هم في مثل عمرنا وفي مثل شأننا. وأضفت في جوابي بأن أمرنا في رحيل الذين تربطنا بهم أواصر المودّة أو المعرفة عن هذه الدنيا كأمر ذلك الملك الذي رأى في منامه أن أسنانه تساقطت حتى لم تعد في فكيه سن واحدة. أقلقت الملك تلك الرؤيا فراح يبحث عن تعبيرها عند المفسرين. قصّها على المفسر الأول فخط هذا الخطوط على صفحة رمل بسطها على الأرض أمامه، ثم قال للملك وقد ارتسمت على وجهه أمائر حزن بالغ: تعبير رؤياك يا ملك الزمان بالغ الايلام، ولكن لابد لي من أصدقك القول فيه.. ستدفن أعزاءك كلهم بيدك، لأنهم سيموتون جميعا في حياتك! إستشاط الملك لهذا التعبير غضبا وأمر بزج المفسر في السجن وبأن يأتوا إليه بمفسر آخر أعاد عليه قص حلمه. بسط المفسر الجديد لفة أوراق أمامه وراح يكتب عليها أرقاما ويرسم أشكالا، ويجمع ويطرح، ثم ما لبث أن رفع إلى الملك رأسه ووجهه يتألق سرورا وقال: عندى لك يا ملك الزمان بشرى عظيمة بهذه الرؤيا.. سيطول عمرك حتى يتجاوز أعمار كل الذين يحيطون بك، وستمتد حياتك إلى ما بعد مغادرة الآخرين هذه الدنيا!

نعم هذا أمرنا أمام فقد من سبقنا في الخروج من هذه الدنيا بين رفاق الدرب. يملأ الأسى قلوبنا ويتملكنا الحزن، ولكن التفلسف في حالنا وحالهم جدير بأن يحمل الى نفوسنا بعض العزاء حين ندرك أن قدرنا سمح لنا بأن نكون شهود فقدهم. ولهذا كتبت لصديقي الأستاذ و. أعزيه وأقول إنه ما دام حيا فسيظل يتلقى أخبار رحيل من يعرفه، فلا يستعجلن اليوم الذي ينقطع فيه عنه تلقى تلك الأخبار. كتبت هذا معزيا، وأنا أعرف أن تعزيتى هذه لن تخفف شيئا من الحزن الذى يشعر به هو، والذى ساقه إليّ أنا، حين نعى اليّ في رسالته صديقنا العزيز الراحل.

والراحل العزيز الذى نعته لي رسالة صديقي أمرؤ ليس مجهولا عند الكثيرين من قراء هذه السطور. إنه ألبير أديب، صاحب مجلة الأديب الذى رحل عن دنيانا في أواخر ايلول ـ سبتمبر من عام ١٩٨٥ الفائت. رحل بعد أن ظل شاهدا ممزقا بالحزن لما وقعت عليه عيناه في عشرة أعوام من الحرب الأهلية في بلده لبنان، ومنكوبا بما أنزلت به تلك الحرب من خسارة في ما يملك ومن نوائب في ما آمن به وعمل له في الأربعين سنة الأخيرة من عمره، أو أكثر من الأربعين. ولقد تناقلت مختلف الصحف والدوريات خبر مبارحة ألبير أديب لهذه الحياة، وترحمت له، وأقيمت له في بيروت حفلة أربعين عدد فيها الخطباء ما يعرفونه من مآثره. يكاد ما قيل فيه يحيط بكل جوانب حياته. إلا أن إنسانا مثل كاتب هذه السطور، ربطته بألبير أديب عرى مخالطة طويلة يظل يفتقد حرارة العاطفة الحميمة في كل ما قرأه عن صديقه الراحل، فلا يجد مفرا من أن يستعيد بينه وبين نفسه ذكريات تلك المخالطة القديمة ولا من أن يترك لقلمه أن يفيض بالحديث عن بعض تلك الذكريات.

• • •

فى يوم من أيام عام ١٩٤٨ حمل صديقى رياض طه، وكان صحفيا ناشئا في أول الطريق التي قادته بعد ذلك إلى أن يكون نقيب صحافة لبنان ثم انتهت به إلى مصرعه غيلة وهو في أوج نشاطه وقمة ما يرتجى منه، أقول حمل صديقى رياض مخطوط أولى مجموعاتي القصصية إلى ألبير أديب لتظهر بين منشورات دار مجلة الأديب، فرحب بها الرجل ورأى فيها نحوا جديدا في كتابة القصة العربية في ذلك الزمن. وكان أول لقاء لي بألبير أديب في مكتبه في محلة باب إدريس، في ذلك البناء البسيط المطل على ما سمي بعدئذ بشارع البنوك في بيروت. لقيت فيه رجلا ربع القامة عريض المنكبين أسمر المحيا، يتردد في كلامه بين لهجة أهل بيروت واللهجة المصرية، ويقطع أحاديثه بابتسامات تتراوح معانيها بين براءة الأطفال ومكر العابثين. كان لابد لي في زياراتي المتتالية لبيروت في تلك الأيام، وبعد ظهور كتابى «بنت الساحرة» في منشورات دار مجلة الأديب، من المرور بمكتب ألبير أديب ذاك أكثر من مرة في كل زيارة، أحمل إليه فيها أشعارى وقصصي ومقالاتي، وتجمعني المصادفات فيها بالمترددين عليه من ذوى الأسماء اللامعة من شيب وشبان، ممن لم يكن يتاح لي لقاؤهم في دمشق التي أقيم فيها أحيانا أو أتردد عليها دوما. في ذلك المكتب التقيت بكمال جنبلاط والدكتور نقولا فياض وصلاح الأسير، وسواهم ممن غادر أكثرهم هذه الدنيا وبقي أقلهم فيها. ومن ذلك المكتب استطعت أن أصل بما أكتبه إلى القراء العرب في كل مكان، إذ كانت مجلة الأديب مجلة المتأدبين العرب في كافة أقطارهم تتلاقى فيها أقلام الأدباء من المحيط إلى الخليج، قبل أن يصبح هذا التعبير على كل لسان.

وعلى أن القصة كانت أول ما لفت نظر ألبير أديب إلى شخصي وأول ما نشر لي، فقد كان مصرا على اعتبارى شاعرا، فهو يسبق اسمي دوما في مجلته، أو يلحقه، بصفتي الشعرية. واستمر في ذلك حتى بعد أن توقفت أنا عن نظم الشعر أو عن نشره في الأديب وغير الأديب.

ذلك لأن ألبير أديب كان يقدم الشعر على سائر فنون الأدب ولأنه كان شاعرا قبل كل شيء ، مع أن أثره الشعرى الوحيد كان ديوانه « لمن » في الشعر المنثور . كان شاعرا في نظرته إلى الحياة وفي سلوكه فيها ، وأن خفي ذلك عمن سمع به ولم يخالطه ، أو عمن خالطه ولم تكن له نظرة نافذة إلى دوافع تصرفاته ومكنونات نفسه . ساقه طبعه الشاعري إلى التخلي عن كل ما شغل به نفسه وتاقت إليه في أول حياته ، من تنقل بين الوظائف المختلفة في مصر والسودان ولبنان ، ومن ممارسة للسياسة بعد ذلك في مجالات التنظيم والتنظير ، ودفعه ذلك الطبع إلى إصدار مجلة مبتكرة في تكوينها وفي طموحاتها على الرغم من ادراكه أن تفرغه لهذه المجلة سيسد أمامه سبل الثراء والشهرة والنفوذ . أقنعه طبعه الشاعرى ذاك بأن الثراء والشهرة والنفوذ ليست شيئا أمام أن يعمل الانسان بصمت فيما يؤمن به ويحبه . وما كان يؤمن به ألبير أديب ويحبه هو أن يجمع مثقفي العرب في مختلف مواطنهم في ساحة واحدة يتعارفون فيها فكريا ويتبارون فيها في الابداع ، ويجددون فيها في فنون الأدب دون أن يتنكروا في تجديدهم للغتهم وتراثهم الفكرى . وهذه الساحة كانت مجلة الأديب .

وهكذا طلعت الأديب على القراء في بداية عام ١٩٤٢ حدثا فريدا في أناقة مظهرها وغنى محتوياتها وبطرافة التجديد في تلك المحتويات . كنت لا أزال طالبا جامعيا حين فتنت بالجديد المبتكر الذي حملته هذه المجلة شكلا ومضمونا ، فكان من الطبيعي بعد ذلك أن أغتبط بأن أصبحت واحدا من كتابها ، ثم صديقا لمنشئها وصاحبها . صداقة أتاحت لي أن أعرف عن كثب بأية روح شاعرية ومتصوفة كان ألبير أديب يحضن مجلته ، فيهيؤها ويصدرها فى أشق الظروف عابرا بها الأزمات والمآزق . قليلون أولئك الذين علموا في أى عسر مادي كانت تعيش تلك المجلة الطائرة الشهرة الواسعة الانتشار في أوساط الفكر والثقافة . وقد ألجأت الضائقة ألبير أديب في ذات مرة إلى أن يبيع مكتبته الثمينة والعزيزة على نفسه ، كي لا يتأخر يوما واحدا عن اصدار الأديب في موعدها المحدد . فعل ذلك دون أن يرفع صوته بالشكوى لأحد ، وحين كان يذكر ذلك لأصدقائه كان يذكره والابتسامة تعلو شفتيه كأن تصرفه ذاك كان أمرا طبيعيا مغنمه فيه أكثر من خسارته .

رجوته في ذات مرة أن يلغي من مجلته زاوية كان يحيطها بإطار بين برقياته الأدبية ، في آخر الصفحات ، ويورد فيها أسماء من يرسلون إليه اشتراكاتهم بأكثر من قيمتها العادية ، معتبرا أياهم أنصارا للمجلة . قلت له : أما ترى فلانا ، وهو صاحب دار صحفية معروفة ، قد بنى دار مجلته ناطحة السحاب من هبات أثرياء معروفين ، ثم انقلب عليهم يهاجمهم في مجلته ؟ وأنت لأن إنسانا أرسل إليك بخمسة وعشرين ليرة بدلا من اثنتي عشرة ليرة تظل تثبت اسمه بحروف ثخينة ولعدة شهور على صفحات مجلتك كأنه أكبر المحسنين .. الغ هذه الزاوية أرجوك ! واستجاب ألبير أديب لإلحاحي أخيرا ، فألغى تلك الزاوية المؤطرة من آخر صفحات المجلة ، وذلك بعد تردد واستحياء من أن يعتبر جاحدا للفضل وناكرا للجميل ..

وانتقل ألبير أديب بإدارة مجلته من ذلك البناء البسيط في محلة باب ادريس ، في قلب بيروت ، الى منزله في فرن الشباك في أول طريق الشام . كان دافعه إلى الانتقال حاجته إلى ضغط النفقات التي كانت تثقل كاهله ، كما كان مدفوعا إليه برغبته في الابتعاد عما يصرفه عن التفرغ لمجلته ورسالتها . وهكذا اعتزل بانزوائه في داره المدينة وألوان النشاط والمخالطات فيها ، واعتزل بصورة خاصة رفاقه في التنظيمات السياسية ، وهى تنظيمات قومية بالدرجة الأولى ، كان عنصرا فعالا في تأسيسها كما تولى فيها مراكز مرموقة . مساهمته في تلك التنظيمات كانت دوما مساهمة المنظر والمفكر . في عصبة العمل القومي كان مفوض دعايتها ، وفي الحزب التقدمي الاشتراكي الذى أسسه مع كمال جنبلاط كان أمينا للسر . وكذلك كانت مساهمته في كتلة التحرر الوطني التي تزعمها عبد الحميد كرامي ، الزعيم الطرابلسي واللبناني الكبير . ومع ذلك فقد وجد ألبير أديب في النهاية أن السياسة كممارسة عملية ، بأجوائها العكرة وخلفياتها ومناوراتها ، أبعد ما تكون عن طبيعته الشاعرية وتجرده ، فانزوى عنها بمجلته في منزله ، خالطا هذه المجلة بحياته الشخصية والعائلية .

لم ينقص هذا الانزواء شيئا من فائدة قراء الأديب ومتعتهم بمجلتهم . أما أصدقاء ألبير أديب الشخصيين فقد كسبوا به دفء الجو الحميم الذي أصبحت تحاط به لقاءاتهم به . وذلك في منزل تضفي عليه رعايتها زوجة كريمة وفاضلة وتترعرع فيه فتاتان موهوبتان فنا وأدبا ، رافق أولئك الأصدقاء نموهما إلى أن أصبحت ندى ربة بيت كريم قضى فيه ألبير أديب أخريات أيامه ، وإلى أن نبغت هدى كعازفة بيانو مبدعة وشاعرة ملهمة باللغتين العربية والفرنسية . أما المنزل نفسه ، فعلى أنه كان مبعدا عن مركز المدينة ومقر نشاطات بيروت المختلفة ، من أدبية وغيرها ، فقد أصبح محجا لكل من يلم بالعاصمة اللبنانية من الكتاب والمستشرقين والمهتمين بالثقافة والفكر وشؤونهما ، إلى أن وضعت الحرب الأهلية هذا المنزل في ذات يوم ، لدهشتنا وأسانا جميعا ، على خط التماس بين مختلف القوى المتناحرة في تلك الحرب .

زرت ألبير أديب فى ذلك المنزل مرة فى غمرة الأحداث فأشار لى فى غرفة الجلوس إلى أعلى الجدار قريبا من السقف وقال : من هنا دخل الصاروخ ومن هناك خرج ، ولم يصب أحد منا بسوء والحمد لله ! كانت قذيفة صاروخية قد اخترقت داره ، قبل بضعة أيام ، في مستوى الطابق الرابع من العمارة وانفجرت خارج البناء . وقص عليّ أخبار أيام الرعب والحرمان والجوع التي مر بها وأسرته تحت التراشق بنيران الرشاشات والمدافع ، مهددة بالموت كل من يخطو خارج باب شقته فى ذلك الحي . كما قص عليّ حكايات التعاطف التي تبدت من سكان عمارته والعمارت المجاورة ، على اختلاف مذاهبهم الدينية وأهوائهم السياسية ، في المحنة التي أجج نارها متحاربون أبعد ما يكونون عن الإنسانية ودوافعها النبيلة . وظل ألبير أديب مصراً على البقاء بين أكداس الكتب والأوراق في داره في تلك المنطقة الخطرة ، فلم ينتقل منها إلى منزل ابنته قرب الجامعة الأمريكية إلاّ حين أصبح البقاء في تلك الدار ضربا من الجنون أو اصرارا على الانتحار .

آخر عهدى بصاحب الأديب كان في منزل السيدة هدى أديب حداد في صيف عام ١٩٨١ ، في فترة هدوء طارئة بين المتحاربين في بيروت . كان صديقي الكبير والقديم وراء مكتبه يستعين بنظارته المعظمة في قراءة أصول المقالات التي يعدها لعدد جديد من المجلة . لم تعد الأديب تصدر منتظمة في أول كل شهر كما ظلت في الأربعين عاما الماضية . لقد حال دون انتظام صدورها ، لا كبر سن ألبير أديب ورجفة يديه وتضاؤل قدرته البصرية ، بل حال دون ذلك تناحر الأخوة وسوء حظ العرب وعجز ساستهم وقادتهم . حقا لقد بعدت هيئة هذا الشيخ الهم عن هيئة ألبير أديب كما رأيته أول مرة ، عندما كان في زهوة العمر رياضي التكوين يتفجر صحة وقوة ، إلا أني لم أر في نظرته التي أصبحت كابية بعض الشيء استسلاما ولا يأسا ، وإنما رأيت فيها الأسى والاشفاق مما يراه حل بجزء من الأمة التى أحبها وعمل لقيمها السامية .

وكان لابد لألبير أديب أن يموت ، كما لابد لكل منا أن يموت ، ولاسيما في مثل سنه المتقدمة ، كما كان لابد لنا من أن نحزن لمفارقته إيانا . إلا أن الذي يؤسينا ، فوق الحزن الشديد ، هو أن يفارق الحياة مجاهد في ميدان الثقافة الرفيعة والقومية الصادقة ، مثل ألبير أديب في جده وتجرده ، وهو منكوب لا بداره وما يملكه فيها وبمجلته التي قصر عمره على رعايتها ، وإنما بآماله في رفعة قومه وعزتهم وفي استرداد ما ضاع من حقهم وما سلب من رقاع أرضهم .

بعد أربعة وأربعين يوما ــ ١١ أبريل ١٩٨٦ ــ سوف يكون المذنَّب هالى فى أقرب نقطة إلى الأرض يمكنه أن يصل إليها ونستطيع جميعا أن نراه بالعين المجردة.



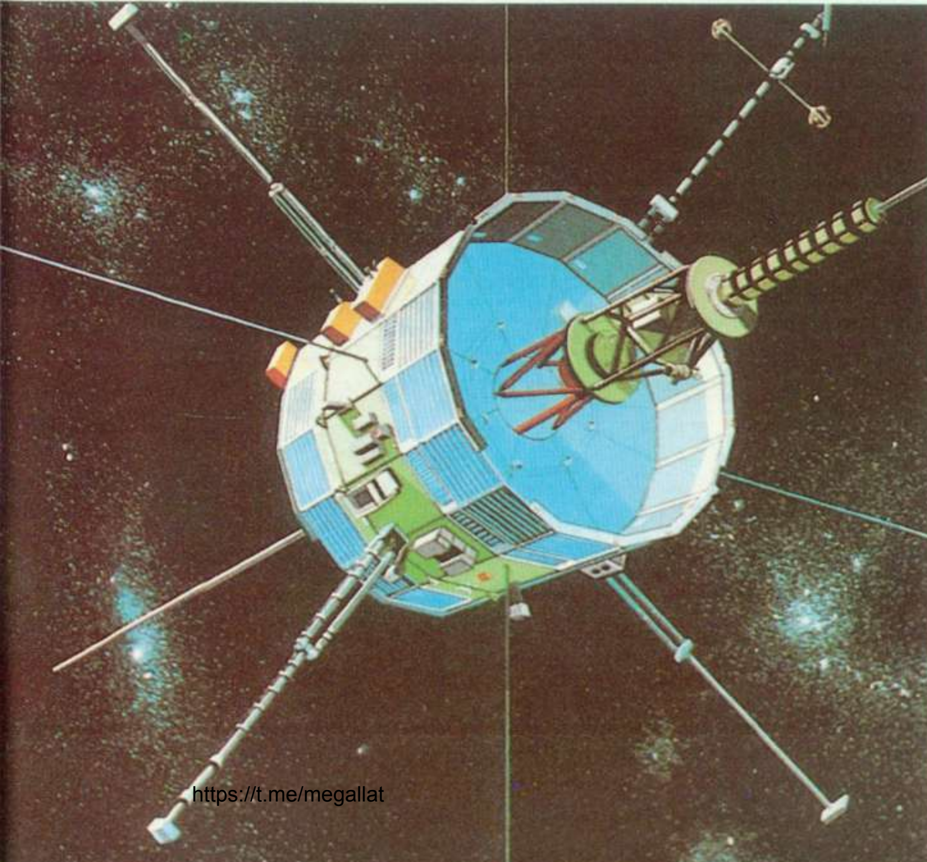
المُذنَّب هالي

تراه مرَّة واحدة في العُمر

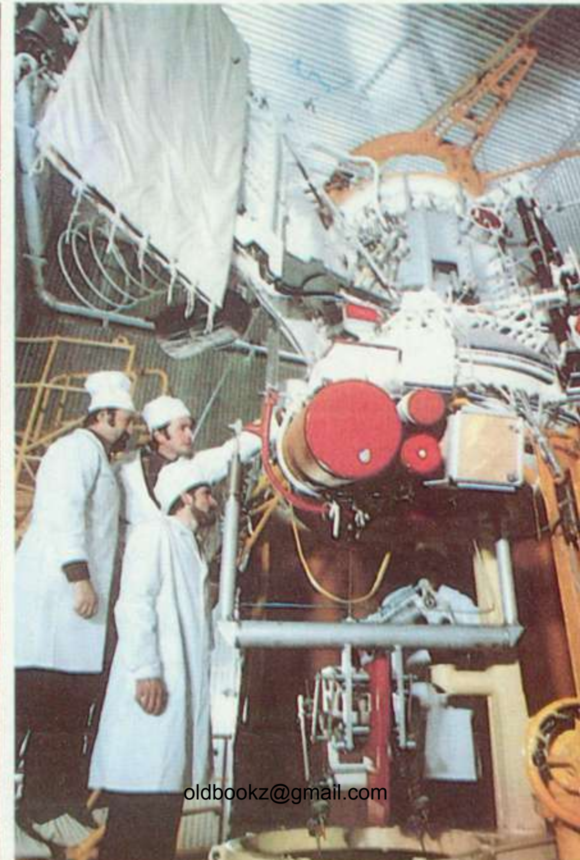
بقلم: المهندس سعد شعبان

منذ فجر التاريخ ارتبطت بعلم الفلك علوم أخرى كثيرة من أهمها لدى العرب «علم الهيئة». وفى بعض الأمم الأخرى كانت هناك علوم كثيرة أغلبها يمت إلى التنجيم بكثير من الأسباب.

سفينة الفضاء الامريكية ايسى ــ ٣

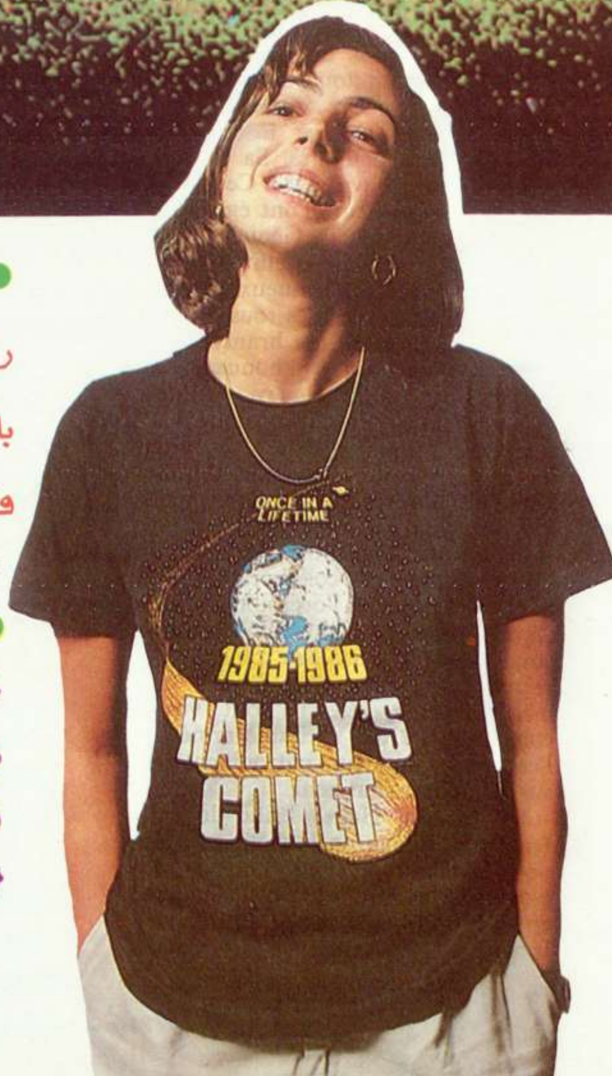


سفينة الفضاء السوفيتية فيجا



الاشعاعات الصادرة من نواة المذنب هالي

في قديم الزمان احتكر المعلومات الضئيلة التى كانت معروفة عن أجرام الكون وظواهره ، نفر من الناس أغلبهم من كهنة الدين المسيحى . منهم من ادعى لنفسه حق الافتاء فى شؤون الكون وظواهره ، وحرم على غيره البحث أو الاجتهاد أو الادلاء برأى فيها . إلى الحد الذي دفع بعض رجال الدين فى العصور الوسطى إلى إحراق الذين خالفوهم في الرأي بشأن كروية الأرض أو دوران الكواكب . فقد كان الاعتقاد الخاطيء المسلم به ، أن الأرض مركز الكون كله وأن ما سواها من كواكب ونجوم وشمس وقمر يدور حولها كمركز ، ولقد اخمد رجال الكنيسة فى أوروبا كل رأى مخالف لذلك ، واشتطوا فى حكمهم على كل من سولت له نفسه معارضتهم ، إلى حد رميه بالكفر والحكم بحرقه ، نكالا لما



● العلماء يُحدّدون إمكانية رؤية المُذنَّب "هالي" بالعين المجرَّدة خلال فبراير وأبريل ١٩٨٦

● التشاؤم من ظهوره وربطه بالكوارث والأوبئة قضية لاقدم لها ولاساق



سولت له نفسه من اجتراء عليهم .

ولئن كان علم الفلك قد ظفر مؤخرا فى أوربا مع النهضة العلمية والصناعية التى سادتها وشملت مختلف العلوم والفنون ، فإن ذلك لم يكن التطور الوحيد الذي أصابه . فقد لقي هذا العلم على مختلف حلقات الحضارة دفعات قوية إلى الأمام . ومن أقدمها أفكار الصينيين قبل الميلاد بآلاف السنين ، وتجارب الكلدانيين ، وتطبيقات قدماء المصريين ، واستنباطات الهنود واليونانيين . ومن بعد ذلك قياسات وتسجيلات العرب الذين ارتبطت بهم نظريات حديثة ، وأسماء للأجرام والنجوم لم تكن معروفة قبلهم ، وتناقلها عنهم غيرهم .

ولقد تحطمت مع الزمن الأفكار المشوشة التى تخبط فيها القدماء وأوضح العلم الحديث ما استغلق على الناس فهمه من ظواهر الكون بفضل رجال وهبوا حياتهم للبحث . ورغم ذلك فما زلنا ــ في القرن العشرين ــ نعاني حتى في حياتنا اليومية من عوائق التدجيل والتنجيم التي ارتبطت بعلم الفلك ظلما وبدون منطق أو علم .

انتهى الأمر إلى تقدم شمل العالم فى نظرياته ووسائل تحقيقه على أيدى كثير من العلماء الأوروبيين فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، فلقد حطم هؤلاء أفكارا واهية ونظريات قديمة عاش فى ظلماتها القدماء قبلهم حقبا طويلة منذ زمن بطليموس .

ومن أعلام من نادوا بالأفكار الفلكية الجديدة الفلكى البولندى « كوبرنيكس » والفلكي الدانمركي « تيخو براهي » والفيزيائى الإيطالى « جاليليو » والرياضي الألمانى « كبلر » والرياضي الإنجليزى « نيوتن » والفلكي الألمانى « هرشل » .

ويمكن القول بأن « نيقولاى كوبرنيكس » حمل لواء الثورة على الموروث القديم من الأفكار الفلكية الخاطئة . وأهم ما أعلنه فى ثورته العلمية أنه نفى أن الأرض مركز للكون ، وأن الشمس والسيارات والنجوم تدور حولها كما عرف الناس من قبله وفقا للنظام البطليموسي . ولقد فسر الحقيقة بأن الأرض ــ شأنها شأن السيارات الأخرى تدور حول نفسها وتدور حول الشمس ــ التى تعتبر مركزا لدوران الأرض مع سائر السيارات ــ وسماها « الأسرة الشمسية » . ولم يجرؤ كوبرنيكس على إعلان آرائه خوفا من رجال الكنيسة ــ رغم أنه منهم ــ إلا بعد التحقق مما توصل إليه بنحو ثلاث عشرة سنة في كتاب أسماه « دوران الأجرام السماوية » نشره عام ١٥٤٣ ، ورغم أنه أتم تأليفه عام ١٥٣٠ ميلادية . وقدر له أن يتوفى فى نفس العام .

إدموند هالى يشرب نفس الكأس

رغم رسوخ علم حركة السيارات الكونية على يدى « يوهانس كبلر » الذى وضع قوانين حركة السيارات ، وعلى يدي « اسحق نيوتن » الذي قنن قوانين الجاذبية والتجاذب بين الأجرام الكونية ، فقد ظلت ظلال الماضى تكبل كثيرا من العلماء وتدفعهم إلى الخشية من إعلان آرائهم . ووضح ذلك فيما توصل إليه الفلكي البريطاني « إدموند هالي » الذي كان له فضل اكتشاف « المذّنب » الذي أطلق اسمه عليه .

ولقد دلته دقة الملاحظة بعدما درس حركة الأجرام السماوية الغريبة الشكل واستنتج أن المذنب الذي رصده الفلكيون فى أعوام ١٥٣٠ ، ١٦٠٧ و١٦٨٢ هو مذنب واحد ، يكرر دورته كل ٧٦,١ سنة ولذلك تنبأ بظهوره فى عام ١٧٥٨ . وكان هذا التكهن يحمل في طياته تثبيتا لنظرية أستاذه « اسحق نيوتن » بشأن القانون العام للجاذبية الذي يحكم حركة الكواكب السيارة ، كما يحمل برهانا علميا على صدق نظريات الفلكي الألماني « يوهانس كبلر » الذى يقرر فيها أن الكواكب والسيارات تدور على مدارات إهليليجية أى بيضاوية ، ولذلك تضامنت أفكار « اسحق نيوتن » مع نظرية « إدموند هالي » وشجعه على إعلان استنتاجه عن ظهور المذنب .



ولقد تربّص الناس لظهوره عام ١٧٥٨ ، فصدقت نبوءة « إدموند هالي » ولكنه كان قد توفى قبل ذلك ببضع سنوات ، فأطلقوا على المذنب اسمه وصار لصيقا به .

ورغم وجود ملايين من المذنبات غيره فى الكون إلا أن المذنب « هالي » تفرد بالشهرة لدى أهل الأرض لأنه يقترب اقترابا شديدا منها ويمكن أن يرى لبضعة أيام بالعين المجردة .

ويتميز مذنب هالي بأنه يستطيع الاقتراب من الأرض حتى يمكن رؤيته بالعين المجردة . ولقد اكتشف العلماء أن أول ظهور له كان عام ٢٤٠ قبل الميلاد وأنه حتى عام ١٩١٠ رؤي بالتأكيد ما يقرب من ٢٤ مرة .

ولقد وجد أن رساما إيطاليا يدعى « جيوتو » قد سجل صورة للمذنب على جدران أحد الكنائس عام ١٣٠١ ميلادية ، وصور الفزع والهلع الذى أصاب الناس لغرابة شكله .

طبيعة المذنّبات ودورانها

« المذنبات » أجسام مضيئة ونحن نراها من الأرض فى بعض الظروف الشاذة فى السماء ، على أبعاد كبيرة تبلغ ملايين الكيلومترات وتتميز بأنها تجر خلفها ذيلا طويلا أقل لمعانا من رأسها . وقد يستمر ظهورها فى السماء عدة أسابيع ، وأحيانا عدة شهور .

وتظهر المذنّبات كسيارات تدور حول الشمس فى مدارات خاصة بها ، حتى يكاد المتتبع لحركتها يظنها ستصطدم بالشمس ، وهى فى حركتها قد تقطع مدارات بعض كواكب المجموعة الشمسية وقد تدنو منها ، ويميزها عن سيارات المجموعة الشمسية أى الكواكب ، الذيل الذى يمتد منها إلى عدة آلاف ، وأحيانا عدة ملايين من الكيلو مترات .

ولذلك سماها بعض العامة « النجمة ذات الشعور » . والمذنب يتكون أساسا من ثلاثة أجزاء هى :

ــ النواة
ــ الرأس
ــ الذيل

والنواة تتكون من مادة صلبة تماثل مادة الشهب فهى ليست مواد مشتعلة ذاتيا ، ولكن تنعكس عليها أشعة الشمس ، كما أن جزيئاتها لها القدرة على امتصاص قدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية من الشمس ، وإعادة إشعاعها فى صورة الألوان المختلفة التى نراها

منبعثة منها. وفي خلال عملية الامتصاص والاشعاع، تتفكك بعض هذه الجزئيات ويصدر منها الضوء.

ويحيط الرأس بالنواة، وهو يمثل الوعاء الذى تتجمع فيه إشعاعات النواة، وتتركز فيه الأضواء المنبعثة من تفكك جزيئاتها.

ومن الرأس يبدأ الذيل ممتدا فى الفضاء بعيدا عنه مكونا الشكل المميز للمذنب.

وقد يطول الذيل أو يقصر، وتظهر فيه الانعكاسات المنطلقة أو الصادرة من الرأس.

ويكون دوران المذنب حول الشمس على مدار خاص ولا يمكن أن يرى عندما يقترب منها، ولكنه يتميز أنه يجر الذيل خلفه أو يدفعه أمامه باستمرار، فى الناحية البعيدة عن الشمس. بمعنى أن الذيل يمتد باستمرار فى الناحية البعيدة عن الشمس، ممتدا على الخط الواصل من الشمس إلى رأس المذنب.

ومن الملاحظ أن الذيل يزيد طوله عندما يقترب المذنب من الشمس، بينما يقل حجم الرأس، وقد يبلغ طول الذيل حدا خياليا، فمذنب «بينسلر» الذى ظهر عام ١٩٣٧، بلغ طول ذيله أربعة ملايين كيلو متر بينما بلغ طول المذنب الكبير، الذى ظهر عام ١٨٤٣ ما يقرب من ٢٨٠ مليون كيلو متر.

ومادة الذيل خفيفة للغاية، بل شفافة إلى الدرجة التى «يمكن» رؤيتها به فى حالة عدم وجود الذيل، ولقد مر أكثر من ثلاث مرات، ذيل من ذيول المذنبات بالأرض، ولم ينتج عن ذلك أى آثار.

ولقد لاحظ العالم «برنارد» تغيرا لونيا طفيفا فى السماء نهارا عند مرور ذيل المذنب هالي بالأرض فى ١٩ مايو ١٩١٠، بيد أنه تعدد من قبل ذلك مرور ذيول بعض المذنبات بالأرض دون ملاحظة شيء ظاهر.

وأحيانا يقسم ذيل المذنب إلى ذيول ثانوية، كما حدث فى مذنب «دوناتي» الذى ظهر عام ١٨٥٨، فقد تفرع ذيله إلى ثلاثة ذيول ثانوية. وكما حدث فى المذنب «شيسوكس» الذى ظهر عام ١٧٤٤، وانقسم ذيله إلى ستة ذيول ثانوية.

ومن البديهى أن المذنبات ترى ليلا بوضوح، ويمكن تصويرها وتمييز ذيلها، ولكن من المذنبات ما يمكن تمييزه فى وضح النهار كما كانت الحال بالنسبة للمذنب الكبير عام ١٨٤٣، ١٨٨٢.

وفى كل عام تكتشف مذنبات عديدة، وبالتلسكوبات الحديثة يكاد يندر عدم رؤية أحدها أو أكثر كل ليلة، على أن أكبر عدد اكتشف خلال عام واحد كان عام ١٩٣٩،



الفلكى البريطانى ادموند هالى

حيث تم اكتشاف اثنى عشر مذنبا، وعادة يطلق عليها أسماء مكتشفيها.

ولقد عرف عدد كبير من المذنبات إلى الآن، من أهمها مذنب «إنكى» الذى قطع مدار كوكب المشترى، ومذنب «بيالا» الذى قطع مدار كوكب زحل، ومذنب «بروك»، ثم أخيرا مذنب «هالي» الذى رآه آباؤنا وأجدادنا فى مايو ١٩١٠ بالعين المجردة، والذى رصدته بعض المراصد الفلكية بوضوح ومنها مرصد حلوان بالقاهرة.

ولقد تجمع وقت اقتراب مذنب «هالي» من الأرض عام ١٩١٠ علماء كثيرون لمحاولة قياس شيء ما أو مشاهدة أى ظاهرة تفيد الدراسة فلم يثبت لهم إلا أن مادة ذيله خفيفة، لا تحجب النجوم خلفها، وكتلتها بسيطة للغاية.

ومذنب «هالي» يمتد مداره ذو الشكل البيضاوى الذى تقع الشمس فى إحدى بؤرتيه، إلى خارج مدار كوكب «نبتون»، ويتم دورته حول الشمس فى مدة ٧٥ عاما و١١ شهرا على وجه التقريب.

ولكن ليست كل المذنبات ذات دورة متكررة حول الشمس، فمنها ما يظهر بين كواكب المجموعة الشمسية مرة واحدة، ثم يختفى فى الفضاء لأن لها مدارات تغوص فى الفضاء الشاسع عدة مئات أو آلاف من السنوات.

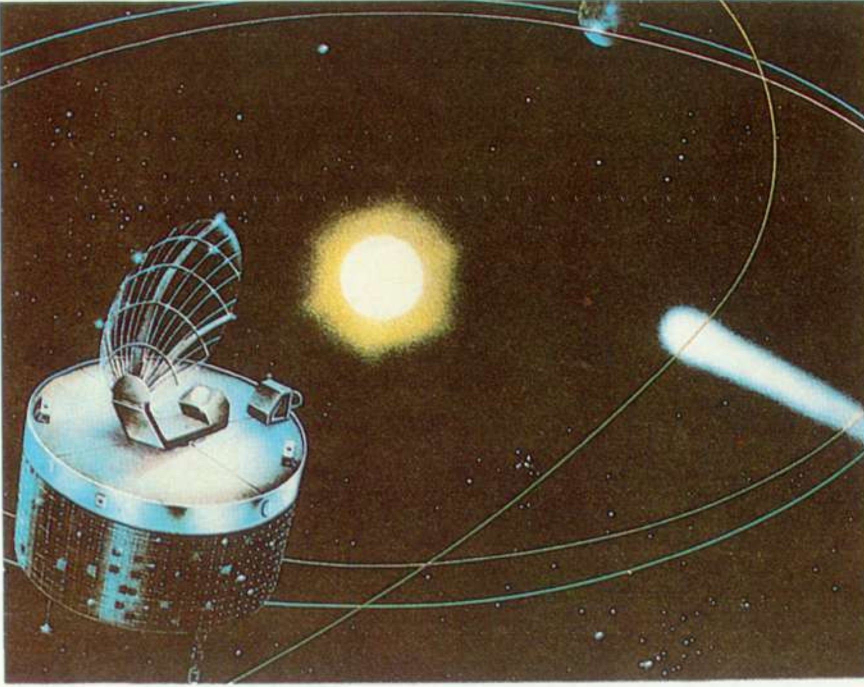
مصدر المذنَّبات

المذنبات إذن أجرام كونية لا هى بالكواكب، ولا هى بالنجوم، وقد لاحظ العلماء أن مداراتها تميل على مدارات كواكب المجموعة الشمسية بزوايا مختلفة «تتراوح بين (٠، ٩٠°) فتخبط كثيرون منهم فى ردّ المذنبات إلى أصلها، وتفسير وجودها، فمنهم من رجح السبب باقتراب الشمس قديما من سديم من السدم المشهورة، فانفصلت منه المذنبات، ولكن ثبت خطأ هذا التفسير، لأنه لو صح ذلك لأتتنا المذنبات من اتجاه واحد، بينما الحقيقة أنها تأتى من اتجاهات متعددة.

ورجح آخرون أن تكون المذنبات قد لفظتها براكين كواكب كبيرة كالمشترى وزحل. ولقد ثبت خطأ ذلك لأن دراسة سطح هذه الكواكب لم يثبت منها وجود براكين، وإفلاتها من جاذبية هذه الكواكب ذات الأحجام الكبيرة صعب للغاية.

وظن آخرون أن مصدرها يكون من الشمس، تقذف بها مثلما تقذف بألسنتها المندلعة، لكن دحض هذا التفسير أيضا لأن مثل هذه الاندلاعات لابد أن ترتد إلى الشمس نفسها، ولا تنفصل عنها لتدور حولها.

وأخيرا ظهر تفسير مقنع للعالم الفلكى الهولندى «جان أوورت» عام ١٩٥٠، والذى أطلق عليه اسم «نظرية الثلاجة الكونية». وموجز هذه النظرية أن المذنبات توجد متجمدة فى تجمع هائل خارج المجموعة الشمسية على أبعاد تتراوح بين ١٠٠,٠٠٠، ١٥٠,٠٠٠ وحدة فلكية (الوحدة الفلكية هى المسافة بين الأرض والشمس وتعادل ١٤٩ مليون كيلو متر تقريبا). ومعنى ذلك أنها توجد فى حالة تجمد فى حشد يشبه السحابة داخل المجرَّة التى تحوى مجموعتنا الشمسية، ويقدر عدد المذنبات فى هذه السحابة التى أطلق عليها (سحابة أوورت) بما يقرب من ١٠٠ مليون مذنب، وتترك بعض المذنبات هذه السحابة عندما تنجذب نحو بعض الكواكب الكبيرة أو النجوم كشمسنا مثلا. وتتحرك لتدور حولها ثم تعود من حيث أتت إلى مكان تجمعها. ولم يستطع «أوورت» أن يعلل سبب الايقاع المنتظم لدوران بعض المذنبات كمذنب «إينك» الذي يكرر دورته كل ٣,٣ سنة، ومذنب «هالى» الذي يكررها كل ٧٦,١ سنة. ولكنه فسر تكوين مادة المذنب تفسيرا يبدو منطقيا، وهو أن المذنب عندما ينجذب نحو المجموعة الشمسية ويصبح على بعد يقرب من ٤٨٠ مليون كيلو مترا منها، فإن حرارة الشمس تبدأ فى تحويل الثلوج المائية المتجمدة فى النواة إلى بخار، وبالتالى تتحرر الذرات الصلبة وتتطاير مع بخار الماء على هيئة سحب من الغبار تحلق حول النواة مكونة الهالة التى تحيط برأس المذنب. وكلما اقترب المذنب من الشمس فإن الرياح الشمسية المتأينة والتى يطلق عليها اسم



سفينة الفضاء اليابانية بلانت

المُذنَّب هالي
ثراه مرة واحدة في العمر

« البلازما » والتى تصل فى سرعتها إلى ما يقرب من ٤٨٠ كيلو مترا فى الثانية تدفع بالذرات المتأينة أى المشحونة كهربيا والموجودة فى الرأس بعيدا عن اتجاه الشمس ، فتكون ذيل المذنب ، ولذلك يظهر الذيل شفافا وهو لذلك ليس ثابت الطول فهو يتزايد حتى يبلغ أقصاه عندما يكون رأس المذنب أقرب ما يمكن للشمس ، فإذا ابتعد المذنب عن الشمس يبدأ طوله فى التناقص . ويبدو هذا التفسير مقبولا عن طريقة تكوين المذنبات ، وعلى ضوئه تمكن العلماء من دراسة تكوين مادتها كيماويا بالتحليل الطيفى ، وتوفر لديهم الاعتقاد بأن رأس المذنب يعتبر بمثابة المصنع الكيماوى لكل أجزائه وأن ذرات النواة تتحول إلى مركبات كيماوية وأيونات متكهربة من الماء والغبار الكونى .

من ذلك يمكننا أن نخلص إلى أن مادة المذنَّبات ــ دوناً عن سائر الأجرام الكونية ــ تتكون من غازات متجمدة يختلط بها الغبار الكونى ، وأنها أثناء دورانها تتحول بالتسامى إلى غازات متطايرة تكون الهالة والذيل الشفاف .

ولقد ثبت صحة هذه النظرية خلال يناير عام ١٩٨٦ إذ راقب لفيف من العلماء المذنب هالي وقاموا بتصويره من طائرة نقل عسكرية عليها منظار طيفى وتلسكوب قطره ١٠٠ سنتيمتر طوال شهر ديسمبر ١٩٨٥ . وقدر هؤلاء العلماء أن المذنب يفقد أربعة أطنان من الماء فى الثانية الواحدة نتيجة لارتفاع درجة الحرارة .

كما كشفت الصور التى استقبلت من سفينة الفضاء الأمريكية « بيونير » فى يناير ١٩٨٦ أن المذنب يتكون من كرة كربونية مغطاة بالثلج .

حركة هالـي فى الفضاء

من المتوقع أن يصل المذنب هالي إلى أقرب نقطة من الشمس يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ ومن المقدر وقتئذ أن يعكس المذنب كميات من الضوء تزيد بما يتراوح بين ٣٠ ، ١٠٠ مرة عن الكمية التي يعكسها حاليا . ولذلك يمكن رؤية المذنب بالعين المجردة فى النصف الأول من شهر فبراير ، كما سيكون أقرب ما يمكن من الأرض يوم ١١ ابريل ١٩٨٦ .

ولقد استطاعت كثير من المراصد الفلكية الأرضية أن ترصد بدء اقترابه بوضوح منذ شهر نوفمبر ١٩٨٥ ، ويمكن أن يستمر ذلك حتى شهر مايو ١٩٨٦ . وإن كانت بعض المراصد الفلكية مثل مرصد جبل بالومار فى الولايات المتحدة قد سجل اقترابه منذ أكتوبر ١٩٨٢ وهو حاليا يشق طريقه إلينا بسرعة مذهلة تقطع مئات الكيلو مترات كل ساعة ، ولو تطلعنا إلى مدار المذنب « هالي » فى جولته بين كواكب منظومتنا الشمسية فسنجد أنه قد بدأ رحلة الاقتراب من الأرض منذ عام ١٩٤٨ حيث بلغ النقطة القصوى على هذا المدار ، ولكى نتصور مدى اتساع أبعاد هذا المدار فإن هذه النقطة تبعد ٥,٢٥ مليار كيلو مترا من الشمس .

وسرعة المذنَّب على مداره ليست سرعة ثابتة ، فهى تزيد باضطراد كلما اقترب من الشمس ، ولذلك فهو يقع تحت تأثير قانون التجاذب العام مع الأجرام الكونية التى يتحرك وسطها ، وفى عام ١٩٨٥ تجاوز « هالى » كوكبى « نبتون وأورانوس » وبدأ يدور حول كوكب « زحل » ويستعد للدخول فى مجال التجاذب مع كوكب « المشترى » . ولأن هذا الكوكب هو أكبر كواكب منظومتنا الشمسية حجما ، إذ يبلغ حجمه قدر حجم الأرض ١٣٠٠ مرة ، فقد تعارف الفلكيون على تسميته باسم « عقبة المذنَّبات » .

وفى فبراير وأبريل عام ١٩٨٦ عندما يكون المذنب « هالى » واضحا فى السماء ويمكن تمييزه بالعين المجردة .. عندئذ فإن سرعته ستكون حوالى أربعة ملايين كيلو مترا فى اليوم .

المذنَّبات .. والأوهام .. والتجارة

ارتبط ظهور المذنَّبات على مر التاريخ فى أذهان كثير من الناس بقدر هائل من الخرافات ، وربط عامة الناس بين ظهوره وحدوث الكوارث كالفيضانات والزلازل والقحط وظهور الأمراض ، حتى بلغ الأمر أن استغل بعض الجشعين هذا الجهل عام ١٩١٠ وباعوا للناس أقراصا تقيهم الأمراض الخبيثة التى يجلبها المذنَّب الذي اقترب ذيله من الأرض آنذاك اقترابا شديدا .

وسبب هذه المزاعم الخاطئة هو تزامن أحداث عالمية حزينة مع وقت ظهور المذنَّب « هالي » فقد مات أحد القواد الرومانيين عام ١٢ قبل الميلاد ، وعندما عاد المذنَّب للظهور عام ٦٤ ميلادية حذر أحد مشاهير المؤرخين من أن ظهوره لابد أن يصاحبه دمار وحرب ، فسقطت بعد شهور قليلة مدينة (القدس) . وفى العصور الوسطى وفى عام ١٠٦٦ ميلادية ظهر « هالى » وسقط مع ظهوره عرش بريطانيا بهزيمة الملك هارولد ، واعتلاء غليوم العرش . بينما فى عام ١٤٥٦ ميلادية كانت جيوش

العثمانيين الأتراك تغزو بلغراد وظهر المذنب في السماء كالسيف المسلول وتشاءم منه الأوروبيون وتصوروا ذيله كأنه سيف وأطلقوا عليه اسم « سيف العثمانيين » . وفي عام ١٦٠٧ ميلادية ظهر « هالي » وقت أن كان المستوطنون الأمريكيون يقاسون أشد الأهوال على أيدى السكان الأصليين من الهنود الحمر ، ومع ظهور المذنب هالي عام ١٩١٠ سقط عرش الملك إدوارد السابع في بريطانيا بموته .

ولقد ورد ذكر المذنَّبات عامة في كثير من المراجع التاريخية كإلياذة « هوميروس » حيث وصفت بأنها نجوم ذات شعور تسقط منها الأوبئة والجرب ! . أما في المراجع العربية فقد ذكرت في كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير الذى سجل به أحداث عام ٢٢٢ هجرية التى كانت توافق عام ٨٣٨ ميلادية وقال فيها « في هذه السنة ظهر على يسار القبلة كوكب بقي يرى نحو أربعين ليلة وله ذنب كان طويلا جدا ، فهال الناس ذلك وعظم عليهم وتطيروا منه » .

ووصفها « ابن إياس » في تاريخ أحداث عام ٨٦٠ هـ الموافقة ١٤٥٦ ميلادية « ظهر في السماء نجم بذنب طويل جدا من جهة الشرق ودام يطلع نحوا من شهرين وزاد الكلام السيىء بسببه » .

ولأن مثل هذه الخرافات لا تستند إلى علم ولا منطق وتتلاعب بعقول البسطاء فقد برع بعض الجشعين في استغلال الفرصة وباعوا للناس قرب ظهور المذنَّب حبوبا تقيهم المرض والأوبئة التى زعموا أن المذنَّب يجلبها منه .

واليوم ولأننا نعيش عصر الفضاء فإنه يصعب أن يروج أحد هذه الأوهام والخرافات لأنه قد مضى أوانها ، غير أن بعض الأذكياء استغلوا فرصة قرب ظهوره عام ١٩٨٦ ، ليبيعوا للشباب فانلات « تى شيرت » وحقائب ومضارب تنس عليها رسوم تمثل المذنب وذيله الطويل ، كما راجت سوق بيع المناظير المقربة « التلسكوبات » الصغيرة الحجم لتستخدم بواسطة الهواة ، وبدأت بعض شركات السياحة في الولايات المتحدة واليابان تعلن عن تنظيم رحلات جوية بطائرات جامبو العملاقة للطيران على ارتفاعات تسمح بمشاهدة المذنَّب من السماء .

ولأن قضية التطير والتشاؤم لا يرضى عنها الإسلام ولا يرضى عن ربطها بالظواهر الكونية ، فإننا نذكر أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نهى عن التشاؤم من ظهور الأجرام الكونية ، وعلق على كسوف الشمس وخسوف القمر وما حدث من تزامن كسوف الشمس مع وفاة ابنه إبراهيم ، فقال ﷺ « الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد أو لحياته ، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا » .

هالي فى عصر الفضاء

لقد كانت آخر مرة ظهر فيها « هالي » لأهل الأرض عام ١٩١٠ ، ولكنه في عام ١٩٨٦ يزور الأرض والأمور عليها قد تغيرت تماما ، فقد دخلت البشرية عصر الفضاء منذ ما يقرب من ٢٨ عاما وأصبح للعلماء وسائلهم التى تختلف تماما عما كان يستخدمه آباؤهم وأجدادهم من أجهزة للرصد الفلكى والتحليل الضوئى ، والقياس العلمى بكل أبعاده .

ولأن تاريخ ظهور المذنَّب معروف مسبقا بادرت كثير من الدول المتقدمة في الأبحاث الفضائية إلى الاستعداد لهذا الحدث العلمى النادر منذ سنوات . فبعضها أقام مراصد أرضية فلكية جديدة تماما كما حدث في استراليا وبعضها طور عدسات ومرايا مراصده القائمة حاليا كما حدث في الولايات المتحدة . وتحفز أكثر من ٨٠٠ عالم في شتى بقاع الأرض للتعاون بالقيام بمهام مختلفة لرصد المذنب هالي ونظموا أمورهم في مؤتمر عقد عام ١٩٨٤ في بودابست .

ولكن الأهم من ذلك أن الدول المتقدمة في مضمار الفضاء أطلق بعضها أقمارا صناعية أو سفن فضاء لتصوير القمر ورصد أبعاده وتحليل الضوء الصادر من مكوناته عن قرب من الفضاء . ولا غرابة في ذلك فقد سبق إطلاق مرصد فلكى كامل على متن معمل الفضاء الأمريكى سكاي لاب عام ١٩٧٣ وظل يرصد الأجرام الكونية ، وكان وقتها يدور على مقربة من الشمس مذنَّب آخر اسمه « كهوتيك » قام برصده وتسجيل قياسات علمية عنه . واليوم أصبحت الأقمار الصناعية وسفن الفضاء قادرة على احتواء عديد من الأجهزة العلمية التى تخدم هذا الغرض .

وإذا استعرضنا الجهود الدولية التى أعدتها الدول المتقدمة فضائيا فسنجد أن قصب السبق قد انعقد للاتحاد السوفيتى الذى أطلق سفينتى فضاء : الأولى « فيجا — ١ » (VEGA - I) في ديسمبر ١٩٨٤ والثانية لحقتها لكى تقتربا لمهمة خاصة إلى كوكب الزهرة ثم تتحولا بعد ذلك في أواسط شهر يونيو ١٩٨٥ لتكونا على مقربة من المذنَّب هالي في مارس ١٩٨٦ ، حتى تصبحا على بعد ١٠,٠٠٠ كيلومترا منه . ولا شك أن مثل هذا البعد سيتيح للسوفييت التقاط عديد من الصور التى يمكن أن تغنى البحث العلمى وتكشف النقاب عن مكونات المذنَّب .

وكذلك فعلت الولايات المتحدة ، بتوجيه السفينة الفضائية « بيونير » التى تحلق في الفضاء بين الكواكب منذ عام ١٩٧٨ ، لتقترب من المذنَّب هالي في شهر فبراير ١٩٨٦ . وسيقوم جهاز الطيف في هذه السفينة بتحليل الأضواء الصادرة من رأس المذنب وهالته وذيله بالأشعة تحت البنفسجية ، كما وجهت الولايات المتحدة السفينة « ايسى — ٣ » في سبتمبر ١٩٨٥ لنفس الغرض . وربما يستطيع المرصد الفلكى الأمريكى المقرر إطلاقه في أغسطس عام ١٩٨٦ من اللحاق بالمذنَّب وتصويره في رحلة ابتعاده عن الشمس .

أما اليابان فقد أطلقت قمرين صناعيين في أغسطس ١٩٨٥ باسم « بلانت أ ، ب » لقياس شدة الرياح الشمسية المتأينة والتى تلفح مادة ذيل المذنَّب وتطوحه بعيدا عن الرأس ، كما قامت منظمة أبحاث الفضاء الأوروبية « ايسا » بإطلاق سفينة فضاء أوروبية تحت اسم (جيوتو) — نسبة إلى الرسام الايطالى الذى أشرنا إليه — لتخترق ذيله على بعد ٥٠٠ كيلو متر من رأسه في يومى ١٢ ، ١٣ فبراير ١٩٨٦ .

كما أن هناك جهدا بذلته ألمانيا الاتحادية ، فقد أطلقت قمرا صناعيا في يناير ١٩٨٥ قام بتجربة فريدة هى ذر محتويات أربع عبوات مملوءة بمسحوق الباريوم المشع المخلوط بذرات النحاس لكى تكون مذنبا صناعيا على ارتفاع ١٠٠ ألف كيلو متر . وقام قمران آخران أحدهما بريطانى والآخر أمريكى بتصوير الاشعاعات الصادرة منه ودراسة تأثرها بالرياح الشمسية . كل ذلك في إطار الاستعداد للمذنَّب هالي عندما يهل على الأرض .

لذلك فإن الاستعدادات لرصد « هالي » في عصر الفضاء قد اختلفت تماما عما كان يتبعه أجدادنا ، كما أن بعض الدول قد تضافرت جهودها لتقوية أو تجديد عدسات مراصدها الفلكية الأرضية لنفس الغرض .

لذلك ليس عجبا أن تكشف هذه الجهود عن مزيد من أسرار الكون بعد أن يتم تحليل ما يتجمع منها من معلومات عن المذنب « هالي » .

سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بالقاهرة — عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر



لماذا ضحك طه حسين؟

زعموا أن الأديب المصري الدكتور طه حسين كان يضحك بفرح حقيقي وهو يحتضر، فقيل له: «أتحب الموت إلى هذا الحد؟».

قال طه حسين: «لا شيء أكرهه كالموت».

فقيل له: «إذن لماذا تضحك وأنت توشك أن تموت؟ هل المسألة مسألة شجاعة نادرة؟».

قال طه حسين: «لا أضحك بلا سبب. وأنا ضحكت وأضحك لسببين لا لسبب واحد».

فسئل عنهما بفضول، فأجاب: «السبب الأول هو أنني في بداية حياتي كنت أستطيع أن أكون أعمى أو مبصراً، فآثرت أن أحيا أعمى، وعشت حياتي من غير أن أبصر وجوه من يؤلفون كتبا أشد ضررا من طاعون، ولو أبصرتها لصرت نزيل سجون ولما صرت أديبا شهيرا، أما السبب الثاني فهو أنني كنت أظن أني سأعيش مئة سنة، فاذا ظني مخطئ، وإذا بي أعيش ٨٤ سنة فقط، ونجوت من ذلك اليوم الذي يعاقب فيه القارئ القتيل، ويبجل الأديب القاتل، ويكتب اسمه في سجل الخالدين».

وبدا على وجه طه حسين زهو أغضب المحيطين به، فقالوا له متسائلين بنزق: «هل رأيت نساء جميلات؟ سماء زرقاء؟ أغصان أشجار ترتجف؟ طيوراً تطير؟ قمراً؟ نجوما؟ نهراً؟ عشبا أخضر؟ أمواج بحر؟ شارعاً مبتلا بمطر ربيع مغموراً بضياء شمس؟ غيمة بيضاء؟ خبزاً ساخناً؟ أنت ترفض الجبل لأن ذبابة حطت عليه، ولا يضر الأشجار إذا صنعت مشنقة من خشبها، فالمسؤولية مسؤولية الأيدي الصانعة، وليست مسؤولية الأشجار».

ويقال ان طه حسين لم يكترث بما سمع، وتابع ضحكه حتى مات، ويقال أيضا إنه قد أنصت لما قيل له ثم مات حزنا على مافقده.

النار والعقرب

نار اشتهرت بحبها لقراءة الكتب الفكرية الرصينة الجادة، قابلت عقربا ذاع صيت آرائها الحكيمة.

قالت النار للعقرب: «أنت تتلسعين وتميتين ضحاياك بسمك».

قالت العقرب بهزء: «ماقلتيه ليس سراً عسكريا، وهو معروف أكثر مما ينبغي».

قالت النار: «ما قلته مجرد تمهيد السؤال لا أعرف جوابه».

قالت العقرب: «وما هو ذلك السؤال الذي تجهلين جوابه؟».

قالت النار: «سؤالي هو: لماذا تقتلين ما دمت لا تأكلين ضحاياك؟».

قالت العقرب: «أنا أقتل بسمي كل من أظن أنه يهدد حياتي، ومن المؤكد أنه يحق لكل مخلوق الدفاع عن نفسه وبمختلف الوسائل والأسلحة».

فبدت النار كأنها اقتنعت بما سمعته، ولكنها لاحظت أن العقرب حزينة حزنا غريبا، فسألتها بحنو: «مابك؟».

فتنهدت العقرب بأسى، وقالت: «تذكرت أني عقرب تنتمي الى جيل متخلف من العقارب». فبهتت النار، وقالت: «وهل في عالم العقارب أيضا تخلف وتقدم؟».

قالت العقرب: «في المستقبل، ستظهر عقارب متطورة، لاتختلف في المظهر عن أكابر الناس، وستتميز بأنها إذا لم تجد من تقتله فإنها تقتل نفسها بسمها».

قالت النار: «من الجلي أنك غريبة الأطوار ومشتتة التفكير. سألتك عن سلوك العقارب فإذا بك تتحدثين عن أدباء».

فقالت العقرب للنار: «أنا معروفة بتفكيري المنظم، ولكنك أنت التي لاتسمعين جيدا وتحتاجين الى علاج طبي سريع. أنا حدثتك عن عقارب، فإذا بك تدعين أني تحدثت عن أدباء».

وتبادلت النار والعقرب الاتهامات، ولم تصلا إلى اتفاق.

نحن العُزل

القطط المريضة تكتب وصاياها بأيد غير مرتعشة ، وتقصد المستشفيات تشجيعاً للعلم ، ودعماً للصاميين من الأطباء المفترسين .

الجائعون يقصدون مالكي الطعام طالبين الشهادة او النصر .

الأدباء يقصدون دور النشر خجلين كأن نتاجهم الابن غير الشرعي .

أما نحن العزل الذين مازلنا نتصف بقليل من الصدق والفضول ، فنقصد أبا معشر الفلكي مستغيثين ، واثقين بأنه الوحيد القادر على تلبية استغاثتنا ، فلم يطردنا أو يزدرينا خفية مثلما يفعل مع الناس بعض الطارئين من ذوي المناصب بل رحب بنا بحرارة ، وقال لنا : « احككوا عما تشاؤون ، واسألوا أي سؤال ، وستكون خبرتي في التنجيم وتفسير المنامات خادماً مطيعا لكم » .

لم نبادر الى الكلام فورا ، فمن تهطل فوقه القنابل والصواريخ والقوانين والقيود لا يشبه من تهطل فوقه أمطار الربيع ، ولذا فقد تريثنا وفكرنا فيما سنقوله على الرغم من اننا سبق لنا أن ناقشنا مطولاً ما نريد قوله ، واتفقت آراؤنا وتوحدت حتى بات صوت كل واحد منا هو أصواتنا كافة .

ولما تكلمنا ، قلنا لأبي معشر الفلكي باكتئاب : « نحن نزرع القمح ، ولكننا في موسم الحصاد لا نظفر إلاّ بقشر البصل ، فمن المسؤول ؟ » .

فقال أبو معشر : « اسألوا التراب ، فهو وحده الذي يعرف الجواب » .

فقلنا : « نحن نبتهج حين نأكل حتى الشبع ، وحين نحكي من دون أن نسجن ، وحين ننام تحت سقف ، فمتى نعرف ذلك الفرح العظيم الذي يجعلنا نحس بأن الكرة الأرضية أصغر من قبضة رضيع ، وبأن مايجري في شراييننا ليس دماً أحمر حاراً إنما هو غناء وموسيقى ؟ » .

فابتسم أبو معشر ابتسامة ساخرة ، وقال : « لكل أمة فرحها الخاص بها والمستمد من أحوالها . والفرح المسموح به حيث ولدتم ليس أكثر من كلام جميل مطبوع على ورق مصقول ، ولا وجود له حقيقيا . ومن يطمح الى نيل ماهو غير موجود يفترسه الاخفاق والشقاء » .

فقلنا : « بيوتنا خاوية ، جيوبنا خاوية ، رؤوسنا خاوية ، قلوبنا خاوية » .

فقال أبو معشر : « الخاوي أفضل من الملآن ، فالخروف حين يكون هزيلا ، ينتقم من آكليه إذ يفسد شهيتهم ، ويضطرون الى مضغ لحمه على مضض » .

قلنا : « أولادنا كسالى لا يحبون مدارسهم ، ويبيعون كتبهم الدراسية ، ويشترون بثمنها سكاكين » .

فقال أبو معشر : « إنهم يعرفون الواقع أكثر منكم » .

قلنا : « وهم يأبون اطاعة نصائحنا وتوجيهاتنا وارشاداتنا » .

فقال أبو معشر : « لا تكونوا قساة معهم لأنهم سيُرغمون في المستقبل على إطاعة ما لا يطاع ومن لا يطاع » .

قلنا : « وزوجاتنا يطالبن بالمساواة » .

فقال أبو معشر : « سيندمن بعد الفوز » .

قلنا : « ما الفوارق بين الأحياء والموتى ؟ » .

فقال أبو معشر بتأنيب : « هذا سؤال لا يليق بكم أن تسألوه لأنكم أبناء مجتمعات تفخر بأنها لا تعترف بالفوارق بين الأجناس والألوان والطبقات » .

قلنا : « ماذا نفعل كي نظفر بالطمأنينة والراحة ؟ » .

فقال أبو معشر : « لا تطلبوا مالا ينال ، فاذا مشيتم تعبت أقدامكم واهترأت أحذيتكم ، وإذا قعدتم تعبت رؤوسكم ، وإذا نمتم اتهمتم بالتخاذل والتهرب من أداء واجبكم تجاه الوطن » .

قلنا : « في كل ليلة نرى مناماً واحداً لا يتبدّل . نرى أننا نطير في الهواء بلا أجنحة ، فما تفسيره ؟ » .

فقال أبو معشر : « عما قريب ، ستفرض عليكم ضرائب جديدة بحجة شراء المزيد من الطائرات لحماية سماء البلاد » .

قلنا : « متى ننبذ التناحر ونتحد ؟ » .

فقال أبو معشر : « ما الفائدة من الحياة اذا ربحتم الوئام والاتحاد وخسرتم رضى الأعداء ؟ » .

قلنا : « من هو المسئول الظالم ؟ » .

فقال لنا أبو معشر : « ماذا قلتم ؟ لم أسمع سؤالكم » . فكررنا سؤالنا ، ولكن أبا معشر قال لنا : « لن أستطيع سماعه لأني في كثير من الأحيان أصاب بصمم مباغت » .

قلنا : « انصحنا نصح العالم الصديق » .

فقال أبو معشر بثقة ودون تردد : « اشتروا خياما وتأهبوا لما سيأتي » .

الشوقيّات

الصحافي : « مابك غاضب غضباً شديدا ؟ أنت غاضب الى حد أنك انتزعت طربوشك عن رأسك وقذفته الى الأرض ودعسته بقدميك » .

أحمد شوقي : « لو كان في مقدوري لقذفت أيضا رأسي معه » .

الصحافي : « وما سبب غضبك ؟ أأنت غاضب من الخنوع العربي السائد ؟ » .

أحمد شوقي : « ما تتكلم عنه هو مشكلات تخص الأحياء ، وأنا ميت ومشكلاتي مشكلات ميت » .

الصحافي : « وماهي مشكلاتك ؟ كنت أعتقد أن الموتى هم بلا مشكلات » .

أحمد شوقي : « مشكلاتي كلها نابعة من أنه لا وجود في دنيا العرب لشيء اسمه العدل » .

الصحافي : « سأجرؤ على مخالفتك في الرأي ، فالعدل مهيمن في البلاد العربية قاطبة » .

أحمد شوقي : « وأين هو ذلك العدل الذي تتحدث عنه ؟ أمن العدل أن أُسمى أميراً للشعراء ؟ » .

الصحافي : « هذا لقب نلته عن جدارة ، وتليق به ويليق بك » .

أحمد شوقي : « العدل يتطلب أن أسمى ملكاً للشعراء ولاسيما أن ماينشر حاليا من هراء يسمى شعراً ، وترشحه الصحف لنيل جوائز عالمية . وما يثير حنقي هو أن هذا الهراء هو كتابات غلمان مازالوا تلامذة في مدارس لا تعلم سوى الجهل والادعاء » .

الصحافي : « هل أفهم من كلامك أنك تعني الشعر الحديث ؟ » .

أحمد شوقي : « شعركم الحديث يصلح لأن يكون حديث حشاشين فقط » .

الصحافي : « موقفك المعادي للشعر الحديث غير مستغرب ، فأنت من أنصار الشعر التقليدي الموزون المقفى » .

أحمد شوقي : « وحتى شعركم الموزون المقفى يميت الميت قرفاً فهو مملوءٌ بالضجيج والصياح والصفير والنعيق والنعيب والبعيق » .

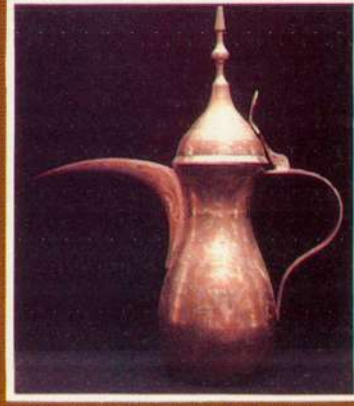
الصحافي : « مادمت سلبياً تجاه الحياة الأدبية العربية الى هذا الحد ، فلابد من أن يكون ماسمعته عنك هو مجرد شائعة » .

أحمد شوقي : « أنا أرغب حقاً في العودة الى الحياة كي أختطف طائرة يكون ركابها كلهم من الشعراء » .

من تاريخ القهوة

بقلم: درويش مصطفى الفار

من منطلق الحفاظ على التراث والبحث فى أصوله والتعرف على مسيرته خلال القرون ، خصص متحف قطر الوطنى ركنا خاصا للقهوة العربية واهتم بتجميع المراجع ، من مطبوع أو مخطوط مما يتعلق بتاريخ هذا الشراب العربى الطهور ... وذلك لأن للعرب مع القهوة شأن ، أى شأن ، فهم الذين عرفوا خواصها حيث تقول أرجح الروايات أو الأساطير ، ان راعى غنم عربى يسمى (خالدى) قد اكتشفها فى منطقة كيفا بالحبشة فى حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى ، بينما كان يرعى غنمه هنالك ...


دلة من نحاس مصنوعة فى الهند



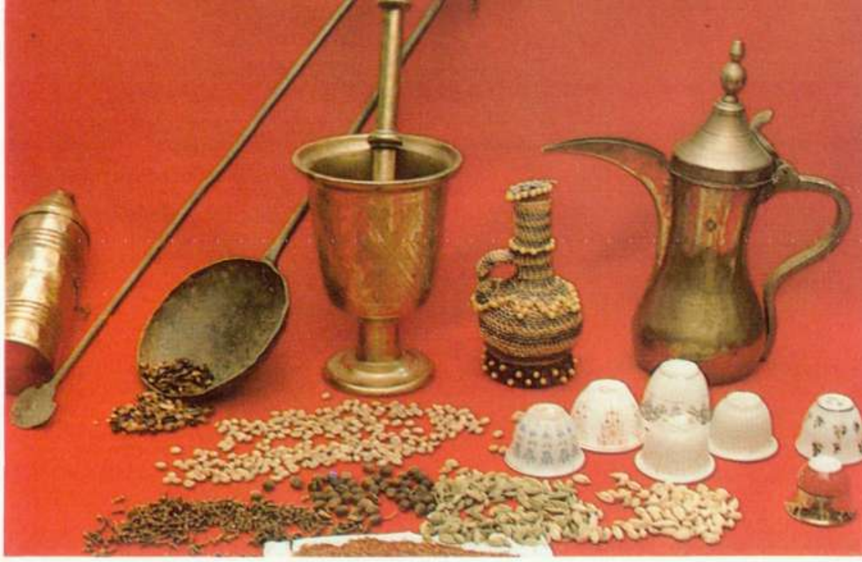
يقول الفقيه الشيخ عبد القادر بن محمد الأنصارى الحنبلى ، وهو من علماء اليمن فى القرن العاشر للهجرة ، فى كتابه « عمدة الصفوة فى حل القهوة » مانقتبس منه : وأما مبدأها ، فقال الشيخ شهاب الدين ابن عبد الغفار ، إن الأخبار قد وردت علينا بمصر أوائل هذا القرن ، بأنه قد شاع فى اليمن شراب يقال له القهوة تستعمله المشايخ الصوفية وغيرهم للإستعانة به على السهر فى الأذكار التى يعملونها على طريقتهم المشهورة . وان ظهورها وانتشارها كان على يد المفتى جمال الدين أبى عبدالله محمد بن سعيد المعروف بالذبحانى . وسبب اظهاره لها أنه كان عرض له أمر اقتضى الخروج من عدن الى بر العجم فأقام به مدة فوجد أهله يستعملون شرابا اسمه القهوة . وقال العلامة فخر الدين بن أبى يزيد المكى ، إنه يقال إن أول من أنشأها وأشاعها بأرض اليمن الشيخ العارف بالله على بن عمر الشاذلى » .

ولعل لذلك يرجع اطلاق البدو فى سينا والصحراء الشرقية بمصر إسم « الشاذلى » على القهوة الى يومنا هذا ...

ولا ندري لماذا أطلق العرب كلمة « قهوة » على هذا الشراب الطهور . فالقهوة كما جاء فى المحيط للفيروز بادى وفى فقه اللغة



ملكة بريطانيا في معرض أدوات القهوة بمتحف قطر الوطني



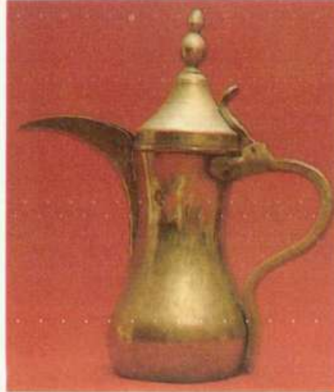
من أدوات صنع القهوة العربية ، الدلة النحاسية ، الجبنة الفخارية السودانية ، الهاون ، المقلاة ، المحمسة ، والعَمْرة التي يحمل فيها البدوي فناجيله كالتي توجد إلى اليمين أماماً وبجانبها حب الهيل والبن والزعفران .



دلّة فضيّة من الكويت



دلّة نحاسية مصنوعة يدوياً في الشام



دلّة نحاسية من طراز (رسلان)



دلّة نحاسية عمانية مصنوعة يدوياً

للثعالبي نقلا عن الكسائي إنما هي اسم من أسماء الخمر!!!
ونقل الأتراك القهوة عن العرب ، وأشاعوها في اوروبا ، بعد أن سموها بلكنتهم « كاهفا » .

وظهرت كلمة (كوفي) في اللغة الانجليزية سنة ١٥٩٨ م .
وافتتح أول مقهى في لندن سنة ١٦٥٢ وفي بوسطن بأمريكا سنة ١٦٨٩ ... ولقد ظلت اليمن المصدر الوحيد للبن حتى القرن السابع عشر إذ بدأت زراعته في سرنديب (سيريلانكا) سنة ١٦٥٨ ، وفي جاوة وغيرها من الأرخبيل الأندونوسي سنة ١٦٩٦ ، وفي هايبتي وسان دومنجو سنة ١٧١٥ وفي سورينام سنة ١٧١٨ وفي جزر المارتنيك سنة ١٧٢٣ وفي البرازيل (وهي الآن زعيمة إنتاج البن في العالم) سنة ١٧٢٧ وفي جامايكا سنة ١٧٣٠ وفي كوبا سنة ١٧٤٨ وفي المكسيك سنة ١٧٩٠ وفي جزر هاواي سنة ١٨٢٥ وفي السلفادور سنة ١٨٤٠ ...

ومن طريف مايروى أن الحكومة الفرنسية سنة ١٨٢٠ ، أرسلت ثلاث شجيرات بن من تلك التي كانوا يستنبتونها في بيوت زجاجية بحديقة النبات في باريس لزراعتها في جزر الأنتيل . وهلكت ثنتان من الثلاث وبقيت واحدة ، فأخذ الربان (دكليو) يتقاسم مع الشجيرة الباقية نصيبه من الماء حتى تمكن من الوصول بها حية الى الأنتيال حيث زرعها .

ويسمى علماء النبات شجيرة القهوة (كافيا أرابيكا) وهي الأصل الذي عرف في اليمن . وهنالك نوع آخر أشد مقاومة للآفات وأغزر محصولا هو (كافيا روبوستا) ، كما أن هنالك نوعا يسمى (كافيا ليبيريكا) نسبة الى جمهورية ليبيريا بغرب افريقيا .
والروبوستا هي التي تغمر الأسواق على الرغم من أنها ليست في جمال ولا نكهة قهوة الأرابيكا اليمانية الأصل ...

وجاء في تاج العروس أن (البن) بضم الباء ، كلمة مولدة استعملها أصحاب العقاقير ، وقد وردت في كلام داود الحكيم : قال هو ثمر شجر باليمن يغرس حبه في آذار وينمو ويقطف في آب .
فهل المقصود بذلك هو (بن) القهوة؟ تلك مسألة تحتاج الى زيادة في التحري والاستقصاء العلمي ...

فنجد الناس بين النيل والخليج ، في الصحراء الشرقية المصرية (والسودانية) وفي شبه جزيرة سينا وفي فلسطين والأردن وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن (بشطريها) وعمان والامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين والكويت يهتمون بالقهوة

من تاريخ
القهوة

أكثر من إهتمامهم بالشاى ، بينما نجد العرب فيما بين النيل والمحيط الأطلسى يعنيهم شرب الشاى المزوج بالنعناع أكثر من القهوة.

وفى البلاد العربية الشاربة للقهوة ، نجد أيضا شيئا من إختلاف . ففيما بين مصر والسودان ، نجد اخواننا العبابدة والبشاريين ، يضيفون الى قهوتهم الشئ الكثير من التوابل كالقرنفل والقرفة والزنجبيل وحتى الفلفل الأسود ، حتى لتكاد قهوتهم أن تكون مرقا !!!

وهم كذلك يختلفون عن بقية العرب ... فإذا أقبل المساء وأناخت القافلة تجد كل رجل يجمع حطبا ويوقد نارا ، ويحمس قهوته ويطحنها ثم يغليها فى (الجبنة) المصنوعة من الفخار أو الصفيح ، ثم يجلس وحده منفردا ليشرب قهوته .

بينما نجد القوم فى غير ديار العبابدة والبشاريين ، يحافظون على شرب القهوة فى جماعة ، ولايضاف إليها إلا حب الهيل (أو القناد) مع قليل من القرنفل (المسمار) والزعفران ، وقد يضيف البعض شيئا من دهن الورد .

وكلما ازداد المرء قربا من الشاطىء العربى للخليج يجد أن نسبة (الهيل) أو (القناد) تزداد فى القهوة ، حتى أنك لترى القهوة هنالك صفراء لونها فاقع تسر الشاربين ، بينما هى أصلا سمراء بنية فى ماعدا أقصى المشرق العربى . ويصنع القوم قهوتهم فى وعاء من النحاس الأصفر يسمونه (الدلة) أو (البكرج) وهى صناعة يدوية اشتهرت بها كثير من المدن العربية كدمشق الشام والعقبة فى الأردن وعمان والمنطقة الشرقية من السعودية .

وللقهوة آداب وتقاليد مرعية ...

فلا تتعامل فى شربها إلا بيدك اليمنى أخذا وإعطاء ...

وفى منطقة الخليج خاصة لايتوقف الساقى عن صب القهوة للضيف حتى يعيد له الفنجال الفارغ (بيده اليمنى) بعد هزه عدة مرات . أما فى ماعدا منطقة الخليج فان للضيف ثلاثة فناجيل تباعا ...

وليس من اللياقة أن تملأ فنجال القهوة للضيف أو تضع فيه سكرا . ولقد اكتشف البدوى فى صحرائه بالتجربة والممارسة أمورا تتعلق بشرب القهوة لم يدركها العلم إلا حديثا . ومن ذلك :

١ ـ أن حفظ البن أخضر لمدة طويلة يزيد نضج المواد الفعالة فيه وذلك خير من حفظه محمصا أو مطحونا .

٢ ـ أن شرب كمية القهوة على هيئة جرعات صغيرة متتابعة أفضل من شرب تلك الكمية جرعة واحدة كما يفعل الفرنجة !!

٣ ـ أن تحضير القهوة تحميصا وطحنا وغليا وشربا فى حلقة واحدة أفضل من تباعد العمليات تلك ...

وكان العلماء يظنون الى عهد قريب أن المادة الفعالة فى القهوة هى (الكافائين) أو (القهوين) ولكن أبحاثا تجرى فى أستراليا تشير الى وجود مادة فعالة أخرى لم يتم تحديدها بعد .

ومن عجب أن القوم الذين علموا بقية خلق الله شرب القهوة ، وأولئك هم أهل اليمن يفضلون شرب مغلى (قشور البن) ويقولون إنها أزكى شرابا ... وهنا نعود الى كتاب عمدة الصفوة ، ونستزيد منه اقتباسا حيث يقول ....

« إن أول ظهور القهوة بمصر ، فى حارة الجامع الأزهر ، فى العشر الأوائل من القرن العاشر (الهجرى) ، وكانت تشرب فى نفس الجامع (برواق اليمن) كل ليلة اثنين وجمعة ، ويضعونها فى ماجور كبير من الفخار الأحمر ، ويأخذ منها النقيب بسكرجة صغيرة ويسقيهم الأيمن فالأيمن . » ثم يقول بعد سطور : ـ « ثم حدث عليها الإنكار بمكة الشريفة فى سنة سبعة عشر وتسعمائة فقام الأمير (فايربك) بإغراء من الشيخ شمس الدين الخطيب فى مكة المكرمة باصدار أمر بإبطالها ومنع الناس من شربها ، ثم جاء قرار من السلطان بالقاهرة بإباحتها مرة أخرى . » ثم يقول : ـ « وبلغ الشيخ العارف بالله محمد بن عراق لما قدم الى مكة المكرمة فى ذى القعدة سنة ٩٣٢ ، أنه كان يفعل فى بيوت القهوة (المقاهى) أشياء من المنكرات ، فأشار على الحكام بإبطال بيوتها ، ولكنه لم يقل بحرامها ذاتها ... ولما توفى الشيخ بمكة فى خامس صفر سنة ٩٣٣ رجع الحال لما كان عليه !!! وفى سنة ٩٣٩ أفتى الشيخ شهاب الدين السنباطى الشافعى بحرمتها ... وفى سنة ٩٤١ خرج قوم الى بيوتها وكسروا أوانيها وضربوا جماعة ممن كان هناك ، فقامت لذلك فتنة واحتاج الأمر الى استفتاء ... فأفتى الشيخ محمد بن الياس الحنفى بحلها بعد أن جربها واكتشف أنها لاتضر ولا تسكر ... ولكن حدث سنة ٩٤٥ أن داهم (صاحب العسس) جماعة فى بيوت القهوة واعتقلهم ليلة وأطلق سراحهم بعد أن جلد كل واحد منهم (سبع عشرة) ضربة !!! ثم لم يلبثوا أن ظهر الحق وعاد الحال لما كان عليه أولا ، بعد يومين !!! وفى سنة ٩٥٠ ورد الى مكة المكرمة صحبة ركب الحج الشامى مرسوم من السلطات بمنع القهوة وإبطالها ، ولكن بيوت القهوة تعددت على غير مبالاة من الولاة وشربت فى تلك السنة جهارا ودام استمرارها !!!

وكذلك منعت بالقاهرة مرارا فلم تطل المدة ، وعلا منارها ، ولم يزل أمرها ظاهرا وتعداد بيوتها وافيا مشتهرا ، ويشربها العلماء والصلحاء وأماثل الفقهاء ويقر عليها أهل الإفتاء والتدريس ، ويواظب على شربها من وصف بالفضل وكل رئيس بالجامع الأزهر والبقاع وفى سائر الأيام والأوقات !! »

هذه مجرد شذرات من تاريخ القهوة ، ولاجدال فى أن تاريخها جزء من تراثنا العربى الشعبى ، يحتاج ، الى مؤلف شامل يلم بأطراف قصتها عبر القرون ...

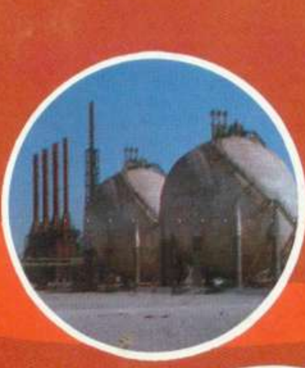
فهل نطمع فى أن يتصدى نفر من الباحثين لكتابة قصة القهوة خلال التاريخ بطريقة جديدة تجمع بين عقلانية العلم ورقة الأدب وجمال الفن ... لو كان الأمر بيدى لمنحت أعلى شهادة جامعية عربية لمن يتصدى لكتابة هذه القصة ولخلعت عليه أرفع الجوائز ...

وهل نطمع فى أن يعود الوطن العربى ، وخاصة فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربية ، الى زراعة القهوة (العربية) الأصيلة ، بدلا من سيطرة غير العرب اليوم على سوق القهوة العالمى ؟؟

ولاننس فى الختام أن نذكر أن للقهوة اليوم (منظمة) تقوم على توزيع انتاجها ، وتجارتها عالميا ، وهى تشبه منظمة (الأوبك) بالنسبة للنفط ، وتسمى منظمة (الايكو) ، وهى نفس المنظمة التى تحكم على كل زيادة فى محصول القهوة (بالاعدام) حرقا أو إغراقا فى أعماق البحار ، حتى لاتنخفض أسعارها !!!

درويش مصطفى الفار

٢٢ فبراير







”إن مَسْئوليَّة القيام بواجباتنا تحقيقاً لأهدافِنا الوطنية والقوميَّة مَسْئولية جماعيّة يتحمَّلها الشعبُ وَالحكومةُ جَنْباً إلى جَنْب. ولا يمكن متابعة جهودنا المشتركة البنّاءة في سبيل تحقيق تلك الأهداف إلا بمواصلة ممارستنا هَذه المسْئولية ممارسةً إيجابيّةً واعية في جَوٍّ من التضامُن المخلص الذي يسُودُ بحَمْدِ اللهِ مُجتمَعَنا كأسْرة واحدة متماسِكة تماسُكَ البُنْيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً“

من كلمات سموّ أمير البلاد المفدى

الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

بمناسبة افتتاح الدور العادي الرابع عشر لمجلس الشورى "١٤ من صفر سنة ١٤٠٦هـ الموافق ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٨٥م"

١٤ عاماً على انطلاقة الخير



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة



٢٢
فبراير

تتميز سياسة قطر الخارجية ، بوضوح مقاصدها وأهدافها ، ناهيك عن وضوح مبادئها ومنطلقاتها ، وتنبع هذه المبادىء والمنطلقات ـ كما حددها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، وكما جاءت خطوطها الرئيسية في النظام الأساسي المؤقت والمعدل للحكم ـ من التزام دولة قطر القومي بوحدة المصير والهدف للأمة العربية وللشعوب الاسلامية ، وتوثيق جسور التعاون والصداقة مع جميع الدول والشعوب المحبة للسلام في المجال الدولي ، على أساس ميثاق منظمة الأمم المتحدة .

سياسة قطر الخارجية نجاح واضح على كل صعيد

على الصعيد الخليجي ، أرسى النظام الأساسي المؤقت والمعدل للحكم ، بدولة قطر ، دعائم هذه السياسة التي تنطلق من نقطة الارتكاز الطبيعية جغرافياً وسياسياً وتاريخياً وحضارياً ، ألا وهى منطقة الخليج العربي ، الى العمق العربي والبعد الاسلامي فالمجال الدولي .

ومن المرتكز الخليجى هذا ، ثم الارتباط العربي العضوي ، والتضامن الاسلامى ، تتكون الصيغة ، وتتشكل اللغة التى تتحدث بها دولة قطر مع دول العالم ، وتقيم على أساسها علاقاتها بهذه الدول .

وقد حدد سمو أمير البلاد المفدى ، سياسة قطر نحو مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، بقوله : « إنه لما يدعو الى الاغتباط حقا ، أنّ الجهود التي نبذلها وتبذلها شقيقاتنا دول الخليج العربية الأخرى ، فى سبيل إدراك هدفنا المشترك ، في رفع مستوياتنا جميعاً ، في كل مجال ، أصبحت بطبيعة الحال ، أكثر فعالية ، وأطيب نتاجاً ، منذ أن غدت تلك الجهود ، تتضافر في إطار مجلس التعاون وأنظمته ، من أجل بلوغ الهدف ، وليس من شك في أنّ ما أنجزه هذا المجلس من خلال التعاون الايجابي البنّاء بين دوله ، كان الحافز لنجاحه في توطيد أركانه في خدمة غاياته النبيلة الوطنية والقومية والاقليمية والدولية على حد سواء . »

المجال العربي

وتنطلق سياسة قطر الخارجية في المجال العربي ، من ايمان الدولة العميق بارتباطها الجذرى والأصيل بتراث الأمة العربية ، والتحامها بمصيرها ومستقبلها ، ومن هنا كان حرص هذه السياسة على توحيد المواقف ، وضمّ الصفوف ، وتجاوز الخلافات الهامشية ، لمعالجة قضايا الأمة العربية ، ومجابهة التحديات الخطيرة التي تواجهها ، وفي مكان الصدارة منها القضية الفلسطينية ، التي توليها دولة قطر كل عنايتها وجلّ اهتمامها ، فلا يكاد خطاب لسمو أمير البلاد المفدى في المناسبات الهامة ، يخلو من الاشارة الى القضية الفلسطينية ، باعتبارها قضية العرب الأولى ، التي تستوجب منهم حشد الطاقات ، وجمع الصفوف ، من أجل استخلاص الحقّ المهدور في فلسطين العربية ، وقد حدد سمو الأمير سياسة البلاد من القضية الفلسطينية بقوله :

« لقد استقر اجماع العالم على أن قضية فلسطين الشقيقة العربية هى محور مشاكل الشرق الأوسط . وأن حلها حلا عادلا شاملا هو وحده الكفيل بضمان الاستقرار والأمان فى منطقتنا وبالتالى الأمن والسلام الدوليين ، الأمر الذى أصبحت معه هذه القضية تحتل قمة الاهتمامات الدولية ، وطبيعى أن تكون هذه القضية ، من باب أولى ، شغلنا الشاغل وأن يكون لها مكان الصدارة فى تفكيرنا ، بوصفها قضيتنا العربية المصيرية الأولى » .

من هذا التحديد ، يتضح أن موقف السياسة الخارجية لدولة قطر من القضية الفلسطينية ، انما يقوم على الايمان المطلق بوجوب استرجاع الأراضى العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، ومنها حقّه في تقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة على أرضه .

اما بالنسبة للقضايا العربية الأخرى ، فإن السياسة الخارجية لدولة قطر انتهجت على الدوام ، موقف التأييد والداعم لهذه القضايا على الصعيد الدولي ، والدعوة الى التضامن العربي لمساندة هذه القضايا وايجاد الحلول العملية والسريعة لها ، فبالنسبة للبنان الشقيق ، تنبع سياسة قطر الخارجية من الايمان بعروبة لبنان واستقلاله ووحدة أراضيه ، وتسعى الدولة فى هذا المجال ، وبالتنسيق مع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، الى توفير كافة الظروف



سمو أمير البلاد المفدى في اللقاء السادس لقادة مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذى عقد في سلطنة عمان



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى مع الرئيس الفرنسى ميتران أثناء الزيارة الهامة لفرنسا ويبدو فى الصورة سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول ، وسعادة الشيخ أحمد بن سيف آل ثانى وزير الدولة للشؤون الخارجية ، ورئيس الوزراء الفرنسى

والأجواء ، لكي يسترد لبنان وحدته وعافيته ، ولكي يعود لبنان سيرته الأولى ، وطنا للمحبة بين أبنائه ، وواحة للسلام والديمقراطية والتقدم ، وإن من مواطن اعتزاز السياسة الخارجية لدولة قطر وفخرها ، ما تبذله من طاقات وامكانيات لنجدة الشعبين الشقيقين الفلسطيني واللبناني ، في مواجهتهما للعدوان الاسرائيلي الغاشم ، وفي حرصها المخلص على نصرة اخوانها المجاهدين بما يشدّ أزرهم ويخفّف من معاناتهم الناجمة عن الهجمة الصهيونية الشرسة .

وبالنسبة للتضامن العربي ، فان لدولة قطر ، موقف ثابت من هذه المسألة ، حيث تعتبر التضامن العربي ، الباب الذي تدخل منه الأمة العربية الى الوحدة والقوة والنهضة الحقيقية ، وقد أعرب سمو امير البلاد المفدى عن هذا الموقف بقوله : « إننا ونحن نطالب المجتمع الدولي بالقيام بواجبه ، وتحمّل مسؤولياته في الحفاظ على قيمه ومبادئه ، وصوْن أمنه وسلامته ، لا يمكن أنْ نُغفل حقيقة أن خلافاتنا فيما بيننا ، كانت ولا تزال من شأنها أن تؤدي للأسف الشديد ، الى تفككنا على نحو هوَّن على اسرائيل مواصلة ارتكاب آثامها ، وعلى المجتمع الدولي السكوت على تماديها اللاإنساني في اقتراف هذه الآثام . »

وفي اطار جامعة الدول العربية ، فإن دولة قطر تلعب دوراً نشطاً ، لترجمة هذا الموقف الى قرارات عملية ، من شأنها استعادة التضامن العربي ، وتجاوز الخلافات الهامشية بين بعض الدول الأعضاء في الجامعة ، من أجل الانصراف الى معالجة القضايا العربية المصيرية والجوهرية .

الساحة الاسلامية

إن أحد الملامح الأساسية لسياسة قطر الخارجية ، هو الملمح الاسلامي ، حيث تؤيد هذه السياسة الى أبعد الحدود قضايا الشعوب الاسلامية الشقيقة باعتبار دولة قطر دولة عربية ، ترتبط بأمتها الاسلامية ارتباطاً وثيقاً تاريخياً ومصيرياً . وفي هذا المجال قال حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني : « إن أمتنا الاسلامية ، تنعم بحمد الله بوفرة من مقومات القوة الذاتية التي تتمثل فيما تملكه من الطاقات البشرية والاقتصادية والفكرية والروحية والاستراتيجية ، ولا شك في ان امتلاكها هذه الطاقات ، مايكفل لها اعتلاء المكان اللائق بها في الصف الأول من أمم العالم ، قوةً ومنعة وارتقاءً . » وقال سموه « إنه ليس هناك من سبيل للنهوض بالأمة الاسلامية إلاّ » بتضامننا الشامل وتوحيد صفناً ، أداءً لواجبنا المقدس ، واجب الارتفاع الى مستوى مسؤولياتنا العظام ازاء الأخطار الجسام التي تحيط بنا من كل حدب وصوب . »

وبالنسبة للنزاع العراقي الايراني ، ترى دولة قطر ـ كشقيقاتها في مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ أن الحرب التي دخلت عامها السادس بين البلدين المسلمين والجارين ، تشكل استنزافا لطاقاتهما ، وهدراً لاطائل من ورائه لقدرات منطقة الخليج بأسرها ، كذلك دعت دولة قطر وسعت السياسة القطرية على الدوام لوقف هذه الحرب المدمرة ، وعودة علاقات الاخوة والجوار الى العراق وايران .

الساحة الدولية

وعلى صعيد الساحة الدولية ، فإن دولة قطر التزمت على الدوام بمبادئ وأهداف الأمم المتحدة ، وميثاق حركة عدم الانحياز ، وساندت بقوة قضايا الشعوب المقهورة والمستعمرة والمبتلاة بالنظم العنصريه ، وعملت السياسة الخارجية لدولة قطر بثبات على تحرير طاقات الشعوب في العالم الثالث وثرواتها لصالح تقدم ابنائها ونهوض مجتمعاتها ..

زيارات سمو الأمير

وأخيراً .. لا آخراً .. فان الزيارات التي قام بها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني لكل من تركيا وبريطانيا وفرنسا ، في العام الماضى ، ثم زيارة الرئيس التركى كنعان ايفرين لدولة قطر في ٢٢ من شهر يناير الماضي ، انما جاءت لتكرس نجاح السياسة الخارجية لدولة قطر ، وتمكنها من بناء علاقات بناءة وايجابية مع هذه الدول الثلاث التي تحتل مواقع مؤثرة على صعيد السياسة الدولية .

٢٢ فبراير



لقد شهد بلدنا الحبيب « قطر » في السنوات الأخيرة ، نهضة حقيقية شاملة ، وقد تجلت مظاهر هذه النهضة في كل القطاعات والميادين ، فنحن نستطيع أن نلمسها في ميدان الصناعة كما نلمسها في ميدان العمران ، ونستطيع أن نتعرف على ملامحها العامة في مجال الإدارة والتنظيم بنفس القدر الذى نستطيع أن نتعرف عليها به في مجال الإعلام والعلاقات الخارجية والأنشطة الدولية .

النهضة التربويّة التعليميّة المُعاصرة في قطر



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

وليس من شك في أن ميدان التربية والتعليم ، يعد واحداً من أهم الميادين التى تجلت فيها مظاهر النهضة القطرية المعاصرة كأوضح ما تكون ، فهذا الميدان دون غيره ، هو الذى يتعلق مباشرة ببناء الإنسان القطرى عقليا ووجدانيا وثقافيا ، وقد أدركت « دولة قطر » هذه الحقيقة منذ بواكير نهضتها المعاصرة ، فعمل حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، على توفير كافة الإمكانات المادية والمعنوية من أجل تشييد صرح التربية والتعليم على دعائم وأسس راسخة ، حتى يمكن الوصول بالإنسان القطرى إلى ما يستحقه وما يراد له من دور حيوى وفعال فى نهضة بلاده .

وفى سبيل تحقيق هذه الغايات ، قامت استراتيجية التربية والتعليم فى قطر ، على مبادىء هامة أساسية ، تتمثل فى ضرورة مواكبة التطور العلمى والتكنولوجي والثقافى الذى يشهده العالم المتقدم فى الغرب ، والحرص على الاستفادة بثقافات الأمم الأخرى والاطلاع على تجارب الشعوب والانفتاح على كافة الخبرات الدولية المتاحة ، مع مراعاة التقاليد الاسلامية العريقة التى يعيشها مجتمعنا العربى المسلم ، ويتخذ منها مصدرا مباشرا لقيمه ومثله العليا .

وعلى هدى من هذه الاستراتيجية التربوية الشاملة ، مضت مسيرة العمل التربوى فى بلدنا الحبيب ، فاستطاعت فى أعوام معدودة أن تحقق نهضة تعليمية فعلية بالقياس إلى الزمن القصير الذى يشكل عمر هذه المسيرة .

وربما كانت الأرقام أقدر على تجسيد هذه النهضة التعليمية التى تمت فى زمن قياسى ، فبينما نجد أن التعليم بنظمه العصرية المعروفة لم يبدأ فى « قطر » إلا فى مطلع الخمسينيات بمدرسة واحدة وأعداد متواضعة جدا من البنين ، سنفاجأ بأن عدد الطلاب والطالبات فى مراحل التعليم المختلفة قد وصل مجموعه فى العام الدراسى الحالى ١٩٨٥ ــ ١٩٨٦ إلى ٥٢٧٨٨ طالبا وطالبة ، موزعين على النحو التالى :

- المرحلة الابتدائية : ٣٢١٧٠ تلميذا وتلميذة ، عدد القطريين منهم ١٧٩٥٧ تلميذا وتلميذة ، أى بنسبة ٥٥،٨٪ .
- المرحلة الاعدادية : ١٢٣١٦ تلميذا وتلميذة ، عدد القطريين منهم ٧٨٧٧ تلميذا وتلميذة ، أى بنسبة ٦٣،٩٪ .
- المرحلة الثانوية : ٧٥٩٩ طالبا وطالبة ، عدد القطريين منهم ٤٦٨٨ طالبا وطالبة ، أى بنسبة ٦١،٧٪ .

وفضلا عن ذلك ، فقد تم التوسع النوعى فى عملية التعليم ، فأنشىء المعهد الدينى وأنشئت مدرسة الصناعة ومدرسة التجارة ، التى وصل أعداد طلابها فى العام الدراسى الحالى ١٩٨٥/١٩٨٦ إلى :

- المعهد الدينى : ٤١٤ طالباً من بينهم ١١٩ قطرياً أى بنسبة ٢٨،٨٪ .
- مدرسة الصناعة : ١٧٦ طالباً من بينهم ١٦٥ قطرياً أى بنسبة ٩٣،٨٪ .



احتفالات يوم العلم

• مدرسة التجارة : ١١٣ طالباً من بينهم ٩٢ قطرياً أى بنسبة ٨١٫٤٪ .

ويقوم الآن على تسيير هذه الثورة التعليمية الكبرى ٣٨٢٥ مدرساً ومدرسة ، من بينهم ١٤١٣ من القطريين ، ومعهم ١١٨٠ إدارياً وإدارية ، من بينهم ٦٣٤ من القطريين ، فضلا عن ٢٥٢٦ عاملا وعاملة فى خدمة مرافق الوزارة المختلفة .

أما عن البعثات التعليمية القطرية في الخارج ، فقد جرى تنظيمها بحيث تلائم تخصصات أعضائها حاجات البيئة ، وقد وصل عدد المبعوثين والمبعوثات فى العام الحالى الى ١٠٠٣ عضواً فى البلاد العربية والأوربية ، بينهم ٧٣٥ مبعوثاً و٢١٨ مبعوثة .

ولاشك فى أن مثل هذه العملية التربوية الضخمة نسبيا ، تحتاج إلى إمكانات مادية هائلة ، والدولة تحرص كل الحرص على توفير هذه الإمكانات ، فقد وصلت ميزانية التربية والتعليم للعام الدراسى الحالى إلى ١٠١٢٣٥٨٩٠٠ ريال قطرى ، أى أن متوسط تكلفة الطالب بلغت فى هذه الميزانية ٢٠٥١١ ريالاً قطرياً فى العام .

وفوق ذلك كله ، فقد روعيت شمولية العملية التربوية ، بحيث لا يقتصر التعليم على الصغار المتدرجين من المرحلة الابتدائية إلى الاعدادية إلى الثانوية فحسب ، بل لقد امتد أيضا ليشمل تعليم الكبار ومحو أمية الأميين منهم ، حيث بلغ عدد الدارسين من الكبار فى العام الدراسى الحالى ٦٧٥٩ دارساً ودارسة ، من بينهم ٣٩٥٦ من الذكور و٢٨٠٣ من الإناث ، ولعل الإصرار على محو أمية الكبار ، لم يأت إلا من خلال إيمان عميق بحق من فاتهم قطار التعليم فى الماضى ، فى أن يلحقوا بغيرهم ويدخلوا الى عالم النور ودنيا المعرفة .

ولم تكن رعاية المعوقين بأقل حظا ، فقد قامت الوزارة على تدريبهم وإعدادهم لمواجهة الحياة بأفضل النظم والأساليب الحديثة ، حتى يتمكنوا من أن يكونوا أعضاء نافعين فى مجتمعهم ، قادرين على تجاوز مشكلاتهم وقهر ظروفهم ، وقد أنشئت لهذا الغرض مدرستان ، إحداهما للبنين والأخرى للبنات .

فإذا تركنا ذلك إلى ما حققه التعليم العالى من خلال جامعة قطر من سد الكثير من حاجات البيئة ، وإلى ما تقوم به إدارات الوزارة وأقسامها المختلفة من نشاط متصل فى سبيل خدمة العملية التربوية ، من توفير لأحدث الوسائل السمعية والبصرية ومن تدريب مهنى ، ومن دار للكتب ومكتبات مدرسية تحرص على تثقيف الطلاب وتزويدهم بما يناسب أعمارهم من مناهل المعرفة ، لعرفنا جانبا آخر من الجهد الكبير الذى تقوم به وزارة التربية لاستكمال أوجه النهضة التربوية المعاصرة ، تحت رعاية حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ، جزاهما الله عن وطنهما ومواطنيهما خير الجزاء ، بما قدماه ويقدمانه من رعاية دائمة ودعم متصل للنهضة التربوية التعليمية القطرية .

محمد بن حمد آل ثاني

٢٢
فبراير



تهدف السياسة المالية لدولة قطر إلى تكريس كافة الجهود لمضاعفة برامج التنمية ، وذلك بالتوظيف الأمثل للعائدات البترولية فى الأنشطة الاقتصادية ، بهدف تكوين قاعدة انتاجية متنوعة وموسعة ، تضمن استمرار ونمو الدخل الذي يحقق مردودا أفضل نتيجة للخطوات الهامة التى تخطوها البلاد على سلم الاكتفاء الذاتى .

الملامح الرئيسيّة للسّياسة المَاليّة والبتروليّة في قطر

والواقع أن الدور الهام الذى تقوم به وزارة المالية والبترول فى دولة قطر يتلخص فى تولي مسؤولية الإشراف على السياسة المالية فى البلاد ، وتوجيه الشؤون البترولية فى الدولة ، والمساهمة ــ من خلال الصلاحية الواسعة ــ فى موضوع خطط الإنفاق العام وطرق التمويل وبرامج الاستثمار ، ومراجعة مشروعات الميزانية لوزارات ومؤسسات الدولة ومراقبة تنفيذها وإعداد الحساب الختامى لها ، وهذا إضافة إلى تنظيم التعاون الفنى مع المنظمات الدولية المتخصصة ، ورعاية الحقوق المترتبة للدولة ، وتنفيذ التزاماتها المرتبطة بها فى معاملاتها الدولية .

ومن واقع هذا الدور نجد أن تفاصيل بيان الموازنة العامة لدولة قطر الذى أصدره معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى ٢٤ ابريل ١٩٨٥ ، يوضح أهم المرتكزات الأساسية والملامح الرئيسية للميزانية ، التى قدمت ــ فى مجملها ــ خلال العام الماضى رؤية دقيقة للواقع الاقتصادى وأثر الاقتصاد العالمى عليه ، وكيف تأثر دخل الدولة من البترول ــ السلعة الرئيسية ــ نتيجة للعرض والطلب وانخفاض الأسعار بسبب التخمة النفطية وعوامل أخرى عديدة ..

وقد روعي فى تلك الموازنة عند إعدادها ــ فى ذلك الوقت ــ أن يكون تقدير أرقامها على أسس واقعية ، تقوم على التحفظ فى تقدير الواردات وضغط النفقات وترشيدها دون الإخلال بمستوى الخدمات والإنتاج ، مع تنشيط القطاع الخاص .. إدراكا من الدولة لما لذلك من أهمية قصوى على مسيرة الاقتصاد القطرى ..

ويمكننا أن نلخص أهم بنود الموازنة العامة (١٤٠٥/ ١٤٠٦ هـ) فى التالى :

• بلغت الإيرادات الحكومية المقدرة ٩٧٣٧ مليون ريال في حين بلغت المصروفات العامة المقدرة ١٥،٦٠٧ مليون ريال ، يضاف إليها التزامات خارج الموازنة مقدرة بمبلغ ١٤٤١ مليون ريال .

• أولت الحكومة المشروعات الرئيسية العامة عناية خاصة ، باعتبارها المحرك الرئيسى لعجلة الاقتصاد الوطنى ، فتم رصد مبلغ ٣٨٠٠ مليون ريال لتلك المشروعات ، يضاف إليها مشروعات خارج الموازنة تبلغ قيمتها ١٣٤١ مليون ريال للمؤسسة العامة القطرية للبترول والشركات والمؤسسات المساهم بها وقروض للاسكان وقروض عقارية ، وبذلك يصبح الإجمالى ٥١٤١ مليون ريال .

• روعى فى تحديد مخصصات المشروعات الرئيسية توزيعها على عدد كبير من المشروعات التى تخدم البيئة القطرية من ناحية ، وأن تكون عاملا مساعدا على تنشيط الحركة الاقتصادية فى البلاد من ناحية أخرى ، حيث تم التركيز على المشروعات التى لا تحتاج إلى تخصصات أو خبرات نادرة حتى تكون الأولوية فى تنفيذها للمقاولين المحليين .

• حظيت كافة الأنشطة المختلفة فى الدولة من اسكان ومبان عامة وصحة وتعليم وطرق ونقل ومواصلات وكهرباء ومياه وزراعة وصناعة وأمن ودفاع بالاهتمام البالغ حيث رصد لكل نشاط ما يناسبه من اعتمادات ، استكمالا لمشروعات تحت التنفيذ ، أو ابتداء لمشاريع جديدة ذات أولوية ، إضافة لمشاريع التنمية والتطوير التى تشهدها البلاد منذ سنوات .

السياسة البترولية

إن الاقتصاد القطرى يعتمد أساسا على استغلال البترول والغاز الطبيعى ، وما يدور حول ذلك من صناعات تكميلية ..

والسياسة التى تتبعها البلاد فى هذا المجال هي سياسة بترولية وطنية بتوجيه من سمو

أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ..

فمنذ أن أصدر قائد المسيرة قراره التاريخي الذي يقضي بالسيطرة الوطنية الكاملة على ثروات البلاد الطبيعية وعلى رأسها البترول والغاز الطبيعي ، حظي قطاع البترول بأهمية خاصة في مجال بناء الاقتصاد السليم الذي يعتمد على أنجح الوسائل من المصادر البشرية والموارد الطبيعية التى نملكها .

وقد استهدفت السياسة النفطية في دولة قطر في السنوات الأخيرة إنشاء الشركات الوطنية ومشروعات المنتجات البترولية من أجل رفع مستوى معيشة المواطنين والانطلاق السريع بمناهج التنمية الشاملة لتواكب ركب التقدم العالمى في مجال التصنيع .. كما أدت تلك السياسة الرشيدة إلى قيام الصناعات التكميلية كالتكرير والأسمدة الكيماوية والغاز الطبيعي وتصنيعه ومجمع البتروكيماويات ومشروع حقل الشمال للغاز الطبيعي ، وهذا إضافة إلى حرص دولة قطر على تنمية الثروة البترولية بتشجيع عمليات البحث والتنقيب لتحقيق المزيد من الخير والرخاء .

وقد شهدت أوضاع صناعة النفط والغاز في دولة قطر في مطلع عام ١٩٨٤ ونهايته حدثين ايجابيين بارزين تمثل أولهما في إنشاء مصفاة مسيعيد بطاقة انتاجية قدرها ٦٣ ألف برميل يوميا ، أما الحدث الثانى فقد تمثل في البدء بتنفيذ مشروع حقل الشمال بهدف استغلال احتياطياته الكبيرة من الغاز الطبيعي ، وقد كان من ثمار الإنجاز الأول تحقيق الاكتفاء الذاتي من المنتجات البترولية ، إضافة الى أن المصفاة توفر فائضا للتصدير الخارجي .. أما الانجاز الثانى وهو حقل الشمال فهو يعتبر أكبر تجمع منفرد للغاز الطبيعي غير المصاحب يتم اكتشافه حتى وقتنا الراهن ، وهناك جهد متواصل يبذل الآن لتنفيذ هذا المشروع الحيوى الهام الذي سيكون دعامة جديدة للاقتصاد الوطني ، وضمانا لمستقبل البلاد وخيرها ، فالمرحلة الأولى من انتاج هذا المشروع ، من المتوقع أن تبدأ في نهاية عام ١٩٨٨ ..

ومن كل ذلك وغيره تتضح أمامنا معالم السياسة البترولية لدولة قطر ، التى تركز على خطط التنمية في البلاد وتكريس جزء من الدخل القومى للبحوث التقنية ، من أجل تطوير المجتمع وترشيد استهلاكه ، وتطوير وتعميق أواصر التنسيق والتعاون على كافة المستويات العربية والإسلامية والدولية ، حتى يتحقق للبلاد ما تهدف إليه من خير لأبنائها وخير للعالم أجمع .



سعادة الشيخ عبدالعزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول



٢٢ فبراير

منذ بداية المسيرة المباركة المشرقة فى دولتنا الفتية بقيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ، ودولة قطر تمضى فى خططها الطموحة ألتى تركز على أهمية تحقيق التنمية الاقتصادية والإجتماعية وتوجيه الطاقات البشرية والمادية من أجل تحقيق الارتقاء والنهضة والتطور الأمثل فى البلاد .

التّنميَة الاجْتماعِيَّة في مَسِيرة التطوّر وَالنهْضة



بقلم : علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

لقد أولت دولة قطر قدرا كبيرا من الاهتمام للتنمية الاجتماعية ، باعتبارها من المعالم الرئيسية فى التقدم والتطور ، فقامت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بتوظيف كافة الإمكانات والوسائل الحيوية الكفيلة بانطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية إلى أقصى حد ممكن ، محققة بذلك خطوات هامة جديدة من أجل توفير شتى الخدمات الإجتماعية للمجتمع القطرى الكريم .

وإذا مانظرنا إلى ماتم خلال السنوات الماضية من أجل توفير كافة الخدمات الاجتماعية لكل مواطن ومقيم على أرضنا الطيبة ، لوجدنا أنه ــ وبكل المقاييس ــ يعتبر عملا قياسيا ، استهدف فى المقام الأول والأخير تحقيق كل مايمكن تحقيقه فى المجال الاجتماعى حتى يواكب المواطن القطرى تطورات هذا العصر ، وحتى تنطلق كل طاقات الإنتاج لتساهم بدورها الهام فى كافة مجالات النهضة والتطور التى تجرى فى البلاد .

ومنذ البداية ، كان لزاما علينا أن نهتم بتطوير أجهزة الوزارة حتى تواكب هذا التحول الاجتماعى الكبير ، وحتى تتمكن من ملاحقة المتطلبات الجديدة فى المجال الاجتماعى .

ومن واقع هذا الإهتمام المتزايد بعمليات الاصلاح الإدارى والتنمية الادارية ، تم تطوير إدارات الوزارة وتعزيز الأقسام التابعة لها ووضع الضوابط الكفيلة بتنظيم سير العمل فيها ، وكان صدور القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ هو التتويج القانونى لتنظيم وزارة العمل والشؤون الإجتماعية بتحديد أهدافها وصلاحيتها ونظامها الداخلى ، بصورة تكفل تيسير وتنسيق العمل الادارى فى الوزارة حتى تقوم بمسئولياتها على أكمل وجه .

توفير القوى العاملة

لقد أولت الدولة اهتماما خاصا بشؤون العمل والعمال ، وأصدرت عدة قوانين وتشريعات لخدمة المواطنين على مختلف مستوياتهم وتأمين حياة آمنة ومستقرة لهم ، ولهذا اهتمت الوزارة بإنشاء إدارة العمل لتوفير القوى العاملة فى البلاد وتدعيم العلاقات الودية بين العمال وأصحاب الأعمال ، وأصبحت تلك الإدارة مكونة من ثلاثة أقسام : قسم الاستخدام الذى يصدر بطاقات العمل وترشيح العمال فى الشركات والمؤسسات العاملة فى البلاد .. وقسم السلامة والصحة المهنية الذى يقوم بالتفتيش الدورى على المؤسسات والشركات العاملة فى البلاد للتأكد من سلامة العمال وصحتهم ضد أمراض المهنة ووسائل الوقاية من مخاطر العمل ، ويتم ذلك ــ بالطبع ــ بالتعاون مع الجهات المختصة فى وزارة الصحة .. ثم قسم التفتيش العمالى الذى يقوم بالعمل على حل القضايا والمنازعات العمالية وفقا لأحكام قانون العمل ، ويقوم بتنظيم طلبات استقدام العمالة العربية والأجنبية التى بلغت فى العام الماضى ٢٤١٦ طلبا ، وفى إطار احتياجات البلاد من تلك العمالة ، عقدت الوزارة خمس اتفاقيات للتعاون الفعال بين قطر وشقيقاتها العربيات وذلك مع مصر وتونس والمغرب والسودان والصومال .. أما بالنسبة لطلبات إعارة العمال

من مؤسسة إلى أخرى فيتم ذلك طبقا لقانون تنظيم دخول إقامة الأجانب في قطر.

الرعاية الاجتماعية

ومن منطلق ايمان دولة قطر بأن الاصلاح الاجتماعي هو ركيزة التطور الحضاري، أصبحت المفاهيم والمبادىء الاجتماعية التي تم إرساؤها في البلاد بمثابة ثورة في التشريع الاجتماعي، بحيث وضعت وطننا الغالى في مقدمة الدول التي توفر لمواطنيها قسطا موفورا من الخدمات والرعاية الاجتماعية.

وقد بلغت جملة مبالغ المساعدات الاجتماعية التي قدمتها الوزارة في العام الماضي حوالى ٧٩ مليون ريال شملت ٧٠٥٠ حالة، كما أن المكتبين الفرعيين والمراكز الاجتماعية التابعة لهما في كل من مدينتي الخور والشمال يقومان بتنفيذ سياسة الوزارة وتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين في أماكن اقامتهم الدائمة.

وقد زود قسم المساعدات الاجتماعية بالمحققين والمحققات ذوى الكفاءة، وأنشىء مركز التدريب والتأهيل الاجتماعي للسيدات القطريات.. وانتشرت في كل انحاء البلاد مكاتب الخدمات الاجتماعية ومراكز التدريب على الحرف والمهارات للمرأة القطرية التي لم تنل حظاً وافرا من التعليم، وذلك لرفع كفاءتها واعدادها للمساهمة في مسيرة النهضة والتنمية، وقد تم تخريج الدفعة الثالثة بالنسبة لمركز الدوحة والدفعة الثانية لمركزي الخور والشمال، وأقيمت المعارض لعرض إنتاج الخريجات وتسويقها، ولاقت تلك المعارض إقبالا من قبل المواطنات.

وحتى يتم تحسين مستوى الأداء لخدمة الرعاية الاجتماعية التي تقدمها الدولة للفئات المحتاجة كالأرامل والمطلقات والأيتام والمعوقين والعجزة وغيرهم، اهتمت الوزارة بتدعيم الجهاز الوظيفي والإداري المشرف على خدمة الرعاية الاجتماعية، كما تعاونت الوزارة مع بعض المواطنين من ذوى المكانة المرموقة المتطوعين بإنشاء جمعية لرعاية المعوقين لكي توفر لهم أكبر قدر من الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية.

الإسكان الشعبي

ومن أجل تحقيق الاستقرار للمواطنين وفرت الدولة للمواطن القطري المسكن الصحي المناسب، وبحيث يلائم حجم أسرته وتقاليدها وعاداتها الاجتماعية، وقد قامت إدارة الاسكان الشعبي في الوزارة بدورها في هذا المجال الهام بتطبيق قانون الانتفاع بنظام المساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود، إضافة إلى دراسة الحالة الاجتماعية، وتقوم الدولة بتقديم عدة تسهيلات ومزايا للمواطنين تتمثل في منح المنتفع قطعة أرض بدون مقابل وقرض بدون فوائد، يسدد المنتفع قيمته على أقساط تتراوح مدتها مابين ٢٠ ــ ٢٥ سنة حسب دخل المنتفع، بالإضافة إلى إعداد الخرائط والإشراف والتنفيذ وتوصيل كافة الخدمات الضرورية كالكهرباء والماء والمجاري والهاتف بدون مقابل وإعطاء منحة للتأثيث قيمتها عشرون الف ريال قطري.. وقد بلغت المساكن التي وزعت خلال العام الماضي ٥٥٩ مسكنا شعبيا بالمجان، وبلغت المساكن الشعبية والمجانية التي قيد الإنشاء حاليا والتي ستوزع قريبا ٦٣٥ مسكنا.

وفي مجال التعاونيات تولي الدولة اهتماما كبيرا بالحركة التعاونية في البلاد وتقدم المساعدات الممكنة لها، كما تقوم بالدعوة لإنشاء وتأسيس جمعيات تعاونية جديدة في كافة المناطق، ونتيجة لتلك السياسة انتشرت هذه الجمعيات في أماكن عديدة وأصبح عددها هذا العام عشر جمعيات تعاونية تعمل بكل طاقاتها لتقدم خدماتها للجمهور، ويجرى العمل الآن في تحضير جمعية الهلال في منطقة النعيجة وتحضير جمعية أخرى في الوكرة.

العلاقات الدولية

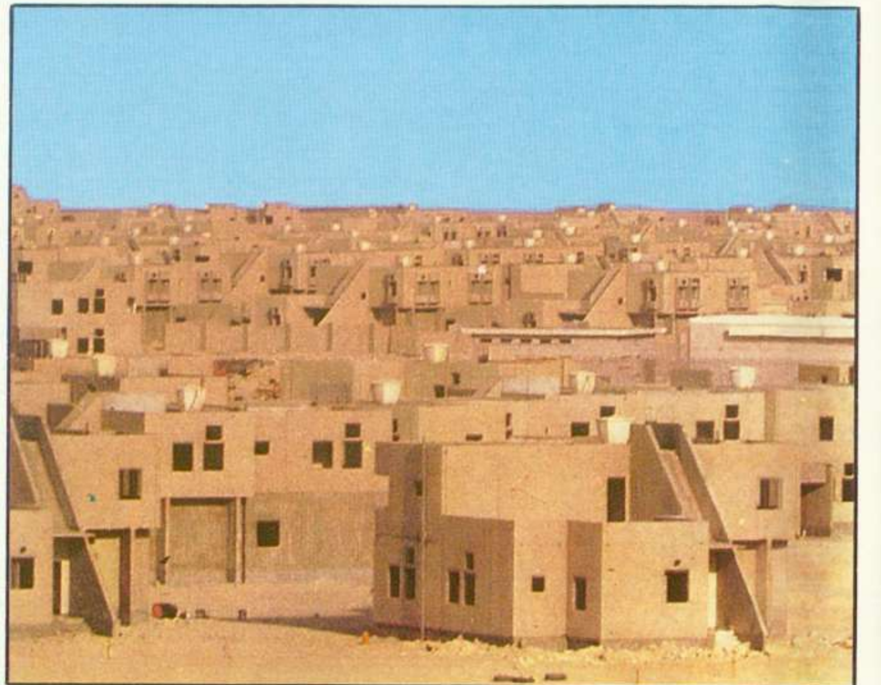
وتسعى الوزارة من خلال مشاركتها في اللقاءات العربية والدولية إلى إسماع صوت قطر إلى العالم الخارجي من خلال التواجد والمشاركة في المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية واللجان التي تقع ضمن اختصاصها، وتحرص على الاستفادة من هذه اللقاءات وما تتيحه من فرص للإطلاع على تجارب الدول الأخرى في مجالات العمل والشؤون الاجتماعية والإسكان الشعبي والتعاونيات..

وقد انضمت دولة قطر إلى العديد من الهيئات والمنظمات العربية والدولية العاملة في المجال الاجتماعي. وشاركت الوزارة خلال العام الماضي في عدة مؤتمرات واجتماعات هامة، كما أن هناك تعاونا مثمرا ومستمرا بين أجهزة الوزارة وغيرها من الجهات العالمية، من أجل التشاور والبحث والاطلاع والدراسة في كل مايفيد الأجهزة المعنية.

ومن كل ذلك وغيره نجد أن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تقوم بدورها الحيوى في البلاد في ظل رعاية وقيادة قائد المسيرة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى، وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، ونسأل الله جميعا أن يوفقنا لخدمة هذا البلد الغالي.

علي بن أحمد الأنصاري

المساكن الشعبية





٢٢
فبراير

بدأت الدولة العصرية فى قطر بتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى مقاليد حكمها فى ٢٢ فبراير عام ١٩٧٢م، بعد أن كان قد تم استقلالها فى ٣ سبتمبر عام ١٩٧١، فقد بدأ المجتمع القطرى بعد هذين الحدثين خطوات التحول الى مجتمع حديث.. فمقومات الدولة كانت قد توفرت فى المجتمع القطرى منذ منتصف القرن التاسع عشر وكانت المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية قائمة وموجودة، ولكنها كانت فى مرحلة النمو وفى حاجة الى مايدفعها الى مسايرة العصر والعمل بخطى توائم متطلباته.

الصَّحافة القطريّة في ركب التقدّم

بقلم: عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

وسوف نقصر حديثنا هنا على احدى مؤسسات المجتمع القطرى وهى الصحافة لنرى ماحققته من تطور خلال سنوات باعتبار أنها مرآة المجتمع، تنعكس عليها وتظهر فيها جميع متغيراته، ولنرى من خلالها مالحق المجتمع القطرى من تقدم خلال تلك الفترة.

ولقد بدأت الصحافة خطواتها الأولى عام ١٩٦١ صحافة حكومية وشبه حكومية، فقد صدرت فى ذلك التاريخ مجلة «المشعل» عن شركة نفط قطر، وكانت عبارة عن نشرة تهتم بشئون البترول، وفى عام ١٩٦٤ صدرت مجلة «تجارة قطر» عن غرفة تجارة قطر، وكانت أيضا نشرة تحمل أخباراً اقتصادية.

وفى عام ١٩٦٩ صدرت مجلة «الدوحة» وكانت أشبه بنشرة تهتم ببرامج الاذاعة والتلفزيون، وفى عام ١٩٧٠ صدرت أول مجلة أهلية باللغة العربية هى مجلة «العروبة» وكانت بدايتها قوية إذ عالجت موضوعات سياسية واجتماعية وثقافية متنوعة، وصدرت فى نفس العام مجلة «جلف نيوز» باللغة الانجليزية عن نفس الدار التى تصدر «العروبة» وكانت تحمل أخبارا محلية وعربية وعالمية وبعض الأبواب، وفى نفس العام صدرت مجلة «التربية» عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لوزارة التربية والتعليم وكانت على شكل نشرة تهتم بشئون التعليم.

وفى حقبة السبعينات وماتلاها تضافرت عدة عوامل محلية وخارجية لتلقى بانعكاسها على الصحافة القطرية كماً ونوعاً، شكلاً ومضموناً، فقد شهدت أوائل السبعينات الانسحاب البريطانى من منطقة الخليج العربية واستقلال قطر فى ٣ سبتمبر عام ١٩٧١، كما تولى حكمها فى ٢٢ فبراير من العام الذى تلاه حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى والذى يؤمن ايمانا عميقا برسالة الصحافة ودورها الذى طالما مد إليها يد المعاونة والمساندة والتشجيع، والذى بدأ بناء قطر الحديثة على أسس من التخطيط السليم والتنويع لمصادر الدخل والاستغلال الأمثل لثروات البلاد وما نتج عن ذلك من حركة اقتصادية ناشطة، كذلك بدأت طلائع المتعلمين من أبناء البلاد يتولون قيادة العمل فى جميع المجالات، وأنشئت الجامعة وانتشرت معاهد التعليم فى جميع التخصصات فى أنحاء قطر، كما صدر أيضا فى تلك الفترة قانون المطبوعات والنشر رقم (٨) لسنة ١٩٧٩ الذى أرسى القواعد للحرية المسئولة للصحافة القطرية.

وفى عقد السبعينات أيضا حدث أول انتصار للعرب على اسرائيل فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ والذى شاركت فيه دول الخليج العربية بسلاح البترول والذى أصبح بعدها سلاحاً له ثقله فى موازين السياسة العالمية، كذلك بدأت الدول الصناعية فى نفس الفترة حربا اقتصادية مضادة تستهدف تحجيم دور النفط وأثره على مجريات السياسة الدولية، بل إن الأمر تعدى ذلك الى التهديد باحتلال آبار البترول فى الخليج.

وفى هذا العقد ــ أيضا ــ اشتعلت الحرب الأهلية اللبنانية، ورأينا عقب ذلك الحرب بين الشقيقتين المسلمتين العراق وايران، وكان لابد لتلك العوامل أن تؤثر فى الصحافة فتطور ماكان قائما وظهر جيل جديد منفعل بتلك الأحداث مستوعباً لابعادها متفاعلا معها.

وفى خلال فترة السبعينات ظهرت فى دولة قطر أربع صحف يومية هى جريدة العرب



الصحف والمجلات القطرية


عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام


محمد عبد الرحمن الخليفي
وكيل وزارة الاعلام

والراية والجلف تايمز والخليج اليوم ، كما صدرت حوالى إثنتى عشر مطبوعة صحفية مابين أسبوعية وشهرية وفصلية ، الى جانب ماكان قائما من قبل ، وهى الدوحة والتربية والمشعل وتجارة قطر والعهد والجوهرة وأسواق الخليج وديارنا والعالم والأمة والصقر والدورى ومجلة الريان ومجلة قطر الطبية وصوت الجامعة ومجلة الجامعة ومجلة الشئون البلدية ومطبوعة هذه قطر ودليل المرشد ومجلة أخبار الأسبوع التى ستصدر بمشيئة الله خلال الأيام القادمة .

وتتميز بعض تلك المجلات باتجاهها للتخصص سواء فى الثقافة أو الشوءون الدينية أو غير ذلك فمجلة الدوحة أدبية فكرية،ومجلة الأمة تعالج الشئون الاسلامية،وأسواق الخليج وتجارة قطر تعالج الشئون الاقتصادية والجوهرة مجلة نسائية والمشعل وديارنا والعالم متخصصة فى شئون البترول والصقر والدورى مطبوعات صحفية رياضية ومجلة صوت الجامعة والجامعية تعالجان شئون الجامعة ومجلة الشئون البلدية تتعرض لشئون البلديات ومجلة الريان مجلة علمية ومجلة قطر الطبية تتعرض لشئون الطب والعلاج ومطبوعة هذه قطر ودليل المرشد تقدم معلومات سياحية .

ومن الظواهر التى لمسناها خلال السنوات الماضية خروج الصحافة القطرية من النطاق المحلى الى النطاق الخليجى العربى الاسلامى ، أبرز مثال على ذلك مجلة الدوحة والأمة والصقر والتى توزع كل واحدة منها فى جميع أنحاء الوطن العربى والعالم الاسلامى ، ويتلهف القراء على اقتنائها لما تحمله من مادة فكرية متميزة ، كذلك ارتفاع أرقام توزيع هذه المجلات بصورة متناسبة بحيث أصبحت كل منها توزع حوالى مائة الف نسخة شهريا ، كذلك مالحق المطبوعات الصحفية التى كانت تصدر قبل الفترة التى نتحدث عنها من تطور ، فمجلة الدوحة التى كانت أشبه بنشرة لبرامج الاذاعة والتلفزيون أصبحت ملتقى الابداع والفكر فى العالم العربى ومنبرا رفيعا لأبرز أدباء وشعراء وعلماء ومفكرى لغة الضاد ، ومجلة المشعل التى كانت نشرة للعلاقات العامة أصبحت مجلة متخصصة تتوافر فيها كل مقومات المطبوعة الصحفية من حيث الشكل والمضمون ، ويصدق ذلك بالنسبة لمجلة التربية .

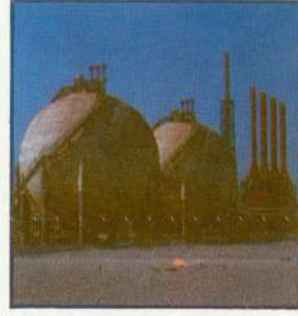
وقد لحقت الأجهزة التحريرية والفنية العاملة فى الصحف عدة تطورات . فلقد كانت الصحف تعتمد فى بدايات النشأة على عدد محدود من المحررين المتفرغين بينما كان الاعتماد الأكبر على محررين غير متفرغين وأصبح الآن لكل مطبوعة صحفية جهازها التحريرى المتفرغ .

وبينما كانت غالبية المطبوعات الصحفية تقوم بطباعة أعدادها فى المطابع الأهلية الموجودة فى البلاد أصبح الآن لكل مطبوعة صحفية مطابعها الخاصة والتى تستورد لها بصفة مستمرة أحدث آلات الطباعة . كذلك فإن طرحها للمسائل والقضايا التى تهم الوطن والمواطن أصبح يتسم بجرأة التناول .

وبعد أن كانت مؤسسات إصدار الصحف منشآت صغيرة الحجم ضئيلة رأس المال أصبحت الآن مؤسسات كبيرة تحتوى الى جانب إصدارها للصحف على شركات للاعلان والتوزيع .

ومما يجدر ذكره فى النهاية أن الصحافة وإن كانت قد نشأت حكومية إلا أنها أصبحت الآن صحافة أهلية . فالقطاع الخاص هو الذى يتولى اصدار غالبية المطبوعات الصحفية ، وقد كان ذلك حافزا للصحافة لكى تكون موصلا حيا لنبض المواطن القطرى ومعبراً أمينا عما فى صدره وحافزاً حضاريا لكل مسئول كى يؤدى واجبه فى سبيل رفعة وطننا العزيز.

٢٢
فبراير



يمثل حقل الشمال ــ الذى تم اكتشافه فى السنوات الأخيرة ــ أكبر تجمع منفرد للغاز الطبيعى فى العالم حتي الآن ، حيث تقدر احتياطياته المثبتة بحوالى مائة وخمسين ترليون قدم مكعب (٤,٢ ترليون متر مكعب) من الغاز الطبيعى غير المصاحب ، أى الذى لايرتبط انتاجه بانتاج النفط الخام ، كما أن الاحتياطيات المحتملة لانتاج حقل الشمال من الغاز الطبيعى غير المصاحب تقدر حاليا بحوالى ثلاثمائة وثمانين ترليون قدم كعب ، « ١٠,٧ ترليون متر مكعب » .

مُستقبَل الغاز الطّبيعيّ في قطَر

بقلم : الدكتور محيى الدين على عشماوي

تتقدم دولة قطر دول العالم قاطبة فى أكبر مشروع حيوى لإنتاج وتصنيع الغاز الطبيعى ، أحد مصادر الطاقة فى عصرنا الحديث ، والذى لاغنى لدول العالم عنه ــ بجانب مصادر الطاقة الأخرى ــ فى تنمية صناعاتها ، وتغذية مشروعاتها على مدى السنوات القادمة .

ويرجع تاريخ اكتشاف حقل الشمال إلى عام ١٩٧١م حيث تم اكتشافه فى مجال عمليات الاستكشاف والتنقيب عن النفط الخام والغاز الطبيعى وانتاجهما واستغلالهما فى التصدير والصناعات الهيدروكربونية للحصول على العائد والدخل القومى الذى يستخدم فى تنمية اقتصاديات البلاد وتحقيق طموحات وآمال الشعب القطري والأجيال المقبلة فى التقدم والرفاهية والازدهار ، وبناء دولة قطر الحديثة ودعم مسيرتها بين دول العالم على قدم وساق .

ويقع حقل الشمال فى المنطقة البحرية الواقعة إلى الشمال الشرقى من دولة قطر ، وتبلغ مساحة هذا الحقل (٦٠٠٠) ستة آلاف كيلومتر مربع (حوالى ٢٣٠٠ ميل مربع) . وقد تم اكتشاف الغاز الطبيعى غير المصاحب فى مساحة هذا الحقل فى إحدى الطبقات التى تقع تحت البحر فى الأعماق والتى يطلق عليها اسم (طبقة الخف) .

وقبل أن نتطرق الى بيان طرق وكيفية استغلال حقل الشمال ، يجدر بنا أولا أن نتعرف على أهمية الغاز الطبيعى كمصدر عالمي للطاقة ومستقبل هذا المصدر فى القرن الحالى والقرن القادم .

ومن المعروف أن استعمال الغاز الطبيعى كمصدر للطاقة المقارنة مع النفط قد بدأ متأخرا بعض الوقت ، نظرا لما كان يلاقيه من مشاكل خاصة بعمليات النقل والتخزين ، وهذه كانت عمليات فنية معقدة وتحتاج إلى تكاليف كثيرة نسبيا إذا ماقورنت بعمليات نقل وتخزين النفط الخام ، إلا أن الأمر قد تغير والحال قد اختلف منذ أمكن فنيا التغلب على هذه المشاكل والقيام بعمليات تسييل الغاز الطبيعى ونقله فى أنابيب عبر شبكات ضخمة تقطع مسافات طويلة بين القارات المختلفة بريا وبحريا كما هو الحال الآن بالنسبة لنقل الغاز الطبيعى المسال من سيبيريا فى الاتحاد السوفيتى الى أوروبا الغربية بأنابيب برية ، ونقل الغاز الطبيعى المسال من الجزائر إلى ايطاليا بأنابيب بحرية تمر فى قاع البحر الأبيض المتوسط.

مجمع البتروكيماويات





خريطة توضح موقع حقل الشمال

كما أن ارتفاع أسعار النفط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ واستمرار هذا الارتفاع بالنسبة لسعر البرميل من النفط الخام والذى وصل فى وقت من الأوقات إلى ٣٤ دولارا للبرميل الواحد ، هذا الارتفاع ، دفع الدول المستهلكة للنفط والشركات الموزعة له إلى الاهتمام بالغاز الطبيعي والتحول إلى انتاجه واستغلاله كمصدر ثان للطاقة أرخص من النفط الخام ، وذلك بجانب مصادر الطاقة البديلة الأخرى ، كالفحم والطاقة الشمسية والطاقة النووية التى بذلت جهود كبيرة وأموال طائلة فى الأبحاث الخاصة بها بغرض التقليل من الاعتماد على النفط الخام كمصدر رئيسى للطاقة . وهكذا بدأ دخول الغاز الطبيعي كمصدر هام من مصادر الطاقة ، وبدأ انتاجه على مستوى كبير واستغلاله ، وأصبح يغطي مايقرب من خمس احتياجات الطاقة العالمية ، ثم تزايدت الحاجة إلى استخدامه من القطاع الصناعى والقطاع التجارى وقطاع الاسكان وتوليد الكهرباء وغير ذلك من القطاعات التى يستخدم فيها الغاز الطبيعي فى تغذية البتروكيماويات وانتاج الطاقة .

وتبين الاحصائيات عن تطور استخدام الغاز الطبيعي وتزايد الاعتماد عليه كمصدر للطاقة مايلى :

١ ـ الولايات المتحدة الأمريكية وقد تزايد استعمال الغاز الطبيعي فيها إلى نسبة ٢٨ ٪ بالنسبة لقطاع الاسكان ، وإلى ٢٩ ٪ بالنسبة لقطاع الصناعة ، وإلى ١٦ ٪ بالنسبة لقطاع توليد الكهرباء . ويقدر إجمالى ماتستهلكه من الغاز الطبيعي سنويا مايقرب من ٥٧٠ بليون متر مكعب .

٢ ـ اليابان : ويقدر اجمالى ماتستهلكه سنويا من الغاز الطبيعي كمصدر للطاقة حوالى ٢٦ بليون متر مكعب ، تستخدم منها نسبة ٧٠ ٪ فى توليد الكهرباء ، ونسبة ٣٠ ٪ فى قطاع الصناعة والقطاع المنزلى والقطاع التجارى .

٣ ـ دول أوروبا الشرقية : ويقدر اجمالى ماتستهلكه سنويا من الغاز الطبيعي حوالى ٤٦٠ بليون متر مكعب ، تستخدم فى قطاع الاسكان والصناعة وتوليد الكهرباء .

٤ ـ دول الشرق الأوسط : ويقدر اجمالى ماتستهلكه من الغاز الطبيعي سنويا بحوالى ٣٩ بليون متر مكعب ، تستخدم فى الاستعمال المنزلى وتوليد الطاقة الكهربائية وتحلية مياه البحر والوقود الصناعى والصناعات البتروكيماوية وصناعة الأسمدة وتسييل الغاز .

وتتضح أهمية الاعتماد على الغاز الطبيعي فى القطاع الصناعى إذا ماعلمنا أنه يستخدم كلقيم تصنيع فى انتاج الأسمدة كالأمونيا واليوريا ، كما يستخلص منه البروبان والبيوتان ، والتى تستعمل كوقود أو كلقيمات صناعية لصناعة البتروكيماويات والبلاستيك والمطاط الصناعى وغيره ، كما يستخدم الغاز الطبيعي لانتاج الألومنيوم والحديد والفولاذ والاسمنت والزجاج ، وكوقود فى توليد الكهرباء ، وفى مصافى البترول ومحطات ازالة ملوحة مياه البحر بالاضافة إلى الاستعمالات فى القطاع المنزلى بغرض التبريد والتدفئة والطهي وغير ذلك .

ولقد تطورت وسائل نقل الغاز الطبيعي المسال من مناطق انتاجه إلى مناطق استهلاكه واستخدامه وذلك بصناعة شاحنات النقل البرية وعربات السكك الحديدية والأنابيب الواسعة وكذلك الاسطوانات المحمولة ذات السعة الكبيرة ، والتى صممت خصيصا لنقل الغاز المسال إلى مسافات بعيدة بسهولة ويسر وبتكاليف نقل معقولة .

ومن هذا المنطلق بدأت دول العالم تتجه إلى الحصول على الغاز الطبيعي لاستخدامه كمصدر للطاقة ، وبدأت الحاجة تزداد إليه كمصدر هام يتناسب فى تكلفة انتاجه وتخزينه ونقله واستهلاكه مع الحاجة اليه فى القطاعات المختلفة ، وذلك بالمقارنة مع مصادر الطاقة الأخرى .

كما ازدادت تجارة الغاز الطبيعي وامتدت فى كل أرجاء المعمورة فشملت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية وأوروبا الشرقية ودول الشرق الأقصى والشرق الأوسط ، وارتفعت نسبة عدد الدول المستوردة للغاز ، حيث بلغت حوالى ٢٥ دولة بالمقارنة مع الدول المصدرة للغاز ، والتى بلغت حوالى ١٦ دولة ، منها ثلاث دول عربية هى الجزائر وليبيا والامارات العربية المتحدة ، وستصبح فى الصدارة الآن دولة قطر عند بدء الانتاج والتصدير من غاز حقل الشمال .

وسيشهد النصف الثانى من عقد الثمانينات ازدهاراً كبيراً فى تجارة الغاز الطبيعي ، وستزداد حاجة الدول الأوربية واليابان وبعض دول آسيا وأفريقيا إلى الغاز

مستقبل الغاز الطبيعي في قطر

الطبيعي ، الذى سيصبح مصدرا رئيسيا للطاقة يتميز بالنظافة وعدم وجود آثار ضارة بالبيئة عند استخدامه فى الصناعة ، بالاضافة إلى سهولة نقله وتخزينه ومناسبة تسعيره بالمقارنة مع مصادر الطاقة الأخرى .

ومن كل هذه العوامل السابق ذكرها أصبحت الآفاق مفتوحة أمام الغاز القطرى غير المصاحب والذى سينتج من حقل الشمال ويصدر إلى دول العالم ومناطق الاستهلاك الرئيسية التى سترتبط مع دولة قطر بعقود طويلة الأجل تتعلق بتسويق الغاز المنتج من حقل الشمال .

ولقد قامت الدولة بالخطوات الفعالة اللازمة لتطوير حقل الشمال ، ومن أجل ذلك اتخذت الخطوات التالية :

١ ــ قامت بعمل الدراسات الفنية والاقتصادية المتعلقة بتنمية حقل الشمال واستغلال الغاز المنتج منه وذلك بالاستعانة بالخبرات العالمية المتخصصة والخبرات والكوادر القطرية التى تعمل فى مجال البترول والغاز الطبيعى فى المناطق البرية والمناطق البحرية بدولة قطر .

٢ ــ تشكيل لجنة تسيير مشروع حقل الشمال برئاسة معالي الشيخ عبدالعزيز بن خليفة آل ثاني ، وزير المالية والبترول ورئيس مجلس ادارة المؤسسة العامة القطرية للبترول ، وقد تحددت اختصاصات هذه اللجنة بالاشراف على كافة الشؤون التنفيذية الخاصة بمشروع حقل الشمال وأعمال المراقبة واجراءات التنسيق الشامل بين المؤسسة العامة القطرية للبترول وشركة قطر للغاز .

٣ ــ تأسيس شركة قطر للغاز المسال المحدودة (قطر للغاز) وذلك بمقتضى المرسوم الأميرى رقم ٤٤ لسنة ١٩٨٤ الصادر فى الأول من نوفمبر ١٩٨٤ ، كشركة مساهمة قطرية وبرأسمال قدره خمسمائة مليون ريال قطرى . وتمتلك المؤسسة العامة القطرية للبترول ٨٥ ٪ من رأسمال الشركة ، وشركة البترول البريطانية ٧,٥ ٪ ، والشركة الفرنسية للبترول ٧,٥ ٪ . وقد حددت أغراض هذه الشركة بانشاء وتملك وتشغيل مصنع تسييل الغاز والمنشآت المتعلقة به فى أم سعيد ، وكذلك تسويق وتصدير الغاز المنتج . ويترأس مجلس ادارة هذه الشركة معالى الشيخ عبدالعزيز بن خليفة آل ثانى .

٤ ــ وقد اشتمل مشروع حقل الشمال على مشروعين رئيسيين هما :

• مشروع تنمية الحقل واستخلاص السوائل

ويتضمن هذا المشروع اقامة المنشآت والمرافق اللازمة لانتاج ٢٤٠٠ مليون مكعب قدم فى اليوم من الغاز الطبيعى من المنطقة المغمورة على بعد حوالى سبعين كيلومتراً من الشاطىء ونقله إلى أم سعيد ومعالجته لانتاج مايزيد عن خمسة ملايين طن فى السنة من المكثفات والنافثا والبيوتان والبروبان ، بالاضافة إلى حوالى ٢ بليون قدم مكعب فى اليوم من الغاز الخفيف و ١٤٠ ألف طن فى السنة من الكبريت .

• مشروع الغاز الطبيعى المسال

ويهدف هذا المشروع إلى اقامة المنشآت اللازمة لانتاج وتصدير ستة ملايين طن سنويا من الغاز الطبيعى المسال . وتشرف على هذا المشروع شركة قطر للغاز المسال المحدودة (قطر للغاز) .

وختاما ... فانه يمكن تلخيص أهم النتائج التى ستعود من استغلال حقل الشمال لانتاج الغاز الطبيعى فيما يلى :

١ ــ زيادة دخل الدولة القومى من عائدات بيع وتصدير الغاز الطبيعى المنتج ، بجانب دخلها من بيع وتصدير النفط الخام ، وبذلك يتم دعم اقتصاد الدولة فى المستقبل القريب والبعيد وتعزيز مسيرة التنمية الشاملة للبلاد .

٢ ــ انتاج الغاز الخفيف اللازم لتلبية الاحتياجات المحلية المتزايدة ولاستخدامه كوقود فى قطاعات صناعة الأسمدة والأسمنت والحديد والصلب والبتروكيماويات واحتياجات قطاعات البترول وتكريره وتوليد الكهرباء وتحلية المياه وغيرها .

٣ ــ انتاج المكثفات والنافتا والبيوتان والبروبان والكبريت وتصديرها إلى الأسواق العالمية وزيادة الدخل القومى من عائداتها.

٤ ــ فتح الباب أمام مشاركة الشركات القطرية الوطنية فى عمليات إقامة المنشآت والمرافق وخطوط الأنابيب وجميع الأعمال والتسهيلات الخاصة بانتاج وتصنيع وتسييل ونقل وتخزين وتصدير الغاز المنتج ، وذلك بما يعود بالنفع الكبير والخير الزائد على القطاع الخاص الوطني فى دولة قطر ويودى إلى انتعاشه .

٥ ــ فتح الباب أمام الشباب القطرى للعمل والتدريب واكتساب المهارات اللازمة فى مجال إنتاج وصناعة الغاز الطبيعي ، وكذلك المشاركة فى تنفيذ وتشغيل مرافق ومنشآت وتسهيلات ومصنع تسييل الغاز وهذا المشروع الكبير الهام .

إن الأمل الكبير معقود على هذا المشروع الكبير الذى سيدفع بدولة قطر إلى الأمام ويجعلها تتصدر مكانها المرموق فى هذا الحقل بجانب ماحققته من انجازات عظيمة فى شتى المجالات منذ استقلالها .

مجمع الأسمدة الكيماوية



الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● الطين الضعيف ●● سلاميش

الطين الضعيف

بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

ولقد قال لى مرة طبيب حاذق شكوت إليه أني لا أهدأ – إن بنائى كله من الأعصاب ، وأن جسمى ليس أكثر من شبكة أعصاب ركبت لها العظام لتمسكها ووضع لى هنا قلب وهناك معدة إلى آخر ذلك ، ثم كُسِيَ هذا كله جلدا رقيقا ليمكن أن يقال إن هذا جسم إنسان ، ولكن المهم هو هذه الأعصاب ، فإذا كنت أشكو شيئا فى بعض الأحيان فيحسن بي أن أعرف أنه من الأعصاب ليس إلاّ ، « فأرحها حين تتعب ، تعد كما كانت فإنها متينة » .

سألني صديق عن شيء لماذا أفعله أو أتركه – فقد نسيت – فكان مما أذكر أنى قلته له إنى أعيش الآن كما أحب لا كما يجب ، فقد جاوزت الأربعين ، والذى بقى لى من العمر ستفسده الشيخوخة المتهدمة لا محالة حين ترتفع بي السن فلا يبقى لى حينئذ من لذة الحياة إلا الوجود بمجرده لو أن هذا يفيد متعة ، فمن حقى فى هذه الفترة – التى أرجو أن تطول قبل أن يدركنى الذوى والذبول – أن أعتصر من الحياة كل ما يدخل فى الطوق اعتصاره من المتع واللذاذات ، فأنا أقرأ ما أشتهى ، وأذهب إلى حيث أريد ، وأجالس من آنس به ، ولا أبالى من غضب ممن رضى ، فما فى الحياة فسحة لمبالاة ذلك ، وأطلق نفسى على السجية كلما وسعنى ذلك ، وليس للناس عليَّ أكثر من أن أؤدى واجباتى فيما عدا هذا .

ودخل عليَّ وأنا أقول هذا لصديقي شاب مهذب فحيا وقال إنه يقرأ الآن ديوانى ، ففزعت ولكنى ابتسمت له وقلت « كان الله فى عونك . ومن الذى ابتلاك به .. » .

فأهمل السؤال وجوابه وأقبل علي يسألنى : « إنك تكتب بسرعة » فقلت « إن الذى أعرفه أنى أكتب فى غرفة تحيط بها جدران من الحجارة لا تنفذ العين منها على خلاف ما كان يصنع ديماس الذى كان يكتب على ما يقال فى دكان فيجيء الناس وينظرون إليه من وراء الزجاج .. أريد أن أعرف يا صاحبى ماذا تعنى بالسرعة » .

قال « أعنى أنك تكتب إلى مجلات كذا وكذا وكذا .. وتكتب فى صحيفة يومية أيضاً .. هذا كثير .. فمتى تستطيع أن تكتب كل ذلك .. إنه نشاط عجيب .. » .

فقلت « جواب السؤال أنى أكتب وأنا

الطين الضعيف

نائم ، فالذى تقرأه لى هو أضغاث أحلامى .. وأما النشاط يا صاحبى فذاك أنى مازلت فى شبابى » .

فتركنى وهو يقول إنه يدرس ما أكتب وإنه ينوى أن ينشر بحثا ، فاستعذت بالله وحاولت أن أصرفه عن هذا العناء الباطل فما أفلحت ، فتوجهت إلى الله عسى أن يصرف عنى هذا السوء بطريقة ما .. وهل كثير على الله أن يشاء أن تشب النار فى كتبى التى عند هذا الشاب ، أو تنقلب الدواة كلما همَّ بالكتابة ، أو تجمد أصابعه أو يحدث له غير ذلك من أسباب التعويق والتعطيل ؟

وانفض هذا المجلس ، ولكن خاطرا ثقيلا ألح عليَّ وظل يدور فى نفسى ، ذلك أن كل من ألقاهم من إخوانى يذكرون هذا النشاط . ولا يكتمون تعجبهم . فلم يسعنى إلا أن أتعجب مثلهم وإلا أن أسائل نفسى : « أكان هذا يبدو لهم منى مستغربا لو أنهم كانوا يروننى شابا فى العشرين من عمرى مثلا ؟ أتراهم يستغربون لأنى فى ظنهم خلفت شبابى ورائى فالمنتظر من مثلى فى اعتقادهم هو الفتور .. » ولم يعجبنى هذا التأويل فإنه ثقيل على النفس ، وآثرت أن أقول إنهم هم معدوموا النشاط ولذلك يتعجبون لى ثم إنى لا أحس إلا أنى مازلت شابا ، والعبرة بالاحساس لا بهذه الشعرات البيضاء التى يقول عنها ابن الرومى إنها تزيد ولا تبيد فهى مثل نار الحريق .. وما قيمة هذه الشعرات .. لقد ابيضت وأنا فى العشرين من عمرى ، وكنت يومئذ بها فرحا مزهوا ، كنت أعدها مظهراً للرجولة ومدعاة للاحترام ، فماذا حدث حتى صرت أبغضها .. أولا أبغضها وإنما أنظر إليها فى المرآة فأزوم ، وتقول شفتاى « هممممم » .. ثم أنى أرانى أجلد من أبناء العشرين ، وأصبر على العناء والجهد ، وأقدر على العمل والحركة ، وأحسن تلقيا للحياة ، وأسرع استجابة لدواعيها ، فما قيمة هذا الذى تطالعنى به المرايا ؟ . وما حاجتى أنا إلى المرايا ؟ . ومتى كنت أنظر فيها حتى أنظر فيها اليوم ؟ . كلا .. إن أمامى بإذن الله حياة طويلة وليست الحياة أن أظل باقيا فى الدنيا والسلام ، وإنما هى أن أظل قادرا على العمل وكفؤا للأعباء . وهذا ما أعتقد أنه سيكون شأنى فما أشعر بدبيب الفتور ولا أرى أية علامة على ابتداء النضوب .

وضحكت وأنا أقول ذلك فقد تذكرت أنى قلت مرة لصاحب كان يحدثنى فى هذا الموضوع أو يسألنى على الأصح « هل تعرف حكاية الذى أراد أن يتزوج بنت السلطان .. لقد زعموا أن رجلا من الغوغاء زعم أنه سيتزوج بنت السلطان ، فلما سألوه كيف يتسنى له ذلك : قال المسألة بسيطة فقد رضيت أنا بزواجها ولم يبق إلا أن يرضى السلطان . وكذلك أنا فقد عزمت أن أعيش إلى التسعين والمائة أيضا وأنا موافق على ذلك وراض بهذه القسمة وليس باقيا إلا أن يمالئني الحظ ويساعفنى القدر .. » .

ويتفق لى كثيرا أن أقف بالسيارة حيث يطيب لى الوقوف ، ويسرنى حين أفعل ذلك أن أنظر إلى الناس وهم يروحون ويغدون وأنا أتأمل ما يكون منهم وكيف يمشون وكيف يتحدثون ويميل بعضهم على بعض وكيف يذهلون عما يكون أمامهم لأن ماهم فيه من الحديث يستغرقهم فيصطدمون أو يحدث غير ذلك مما يضحك ويشرح صدر المتفرج . وأنظر أيضاً إلى الفتيات وهُنَّ يمشين وعيونهن دائرات فى الرجال فإذا نظروا إليهن أغضين كأنما كن ينظرن عفوا ، إلى آخر ما لا يسع المرء إلا أن يراه فى الطريق . فحدث يوما أنى اشتريت شيئا من دكان ثم دخلت السيارة وقعدت فيها وشرعت أدخن وأجيل عينى فى الناس فكان الرجال يمضون ويمرون بى ولا يعيروننى التفاتا . أما الشبان فكانت عيونهم ترمقنى خلسة ، وأما الفتيات فكن يحدقن فى وجهى صراحة ، فكنت أبتسم مسرورا بهذه المناظر . فمرت بى فتاتان بارعتا الجمال فلما بلغتا حيث كنت واقفا مالت إحداها على الأخرى جدا وهمست وهى تنظر إلى : « ده عجوز » ومن الغريب أنى سمعت الهمسة الخافتة على بعد مترين ، وأحسب أنى ما كنت لأسمع ما تقول لو أنها صاحت بأعلى صوت « ما أحلاه وأجمله وأبرع شبابه » وأكبر الظن أن الترام كان يمر حينئذ فيغرق هذا الثناء بضجته فيفوتنى ما يسرنى ، أو تسقط عمارة فيفزع الناس ويذهلون ويشغل الخلق بذلك وأنا فى جملتهم .. وأنا أتكلم أولا ثم أفكر بعد ذلك ، والأولى العكس . ولكن هذا ما أصنع غير عامد . فلما سمعت الهمسة الثقيلة رأيتنى أصيح بالفتاتين « فشرت . فشرتما . فشرتن » فضحكتا وتثنتا وذهبتا تعدوان .

ولم يسؤنى قول الفتاة إنى « عجوز » فما كانت سنها تزيد على الرابعة عشرة وأنا فوق الأربعين بسنوات فهى طفلة بالقياس إلى وليس فى وسعها إلا أن تحس هذا الفرق . وغير منتظر أن تدرك أن صباها صبى جسم لا أكثر ، وأن شبابها الذى تزهى به طراوة ولين وملاسة ونعومة وعزيت نفسى بلهجة المتشفى به بأنها ستفقد ذلك كله حين تناهز الأربعين وأنها لن تجد يومئذ عوضاً عما فاتها وأن نفسها ستسبق جسمها إلى الذوى . على حين أظل أنا فيما أرجو شاب النفس لا يضيرنى أن الزمن يكون قد حفر على وجهى وجلدى أخاديد عميقة . ومن العدل أن تباهي الفتاة وتزهى بما لا عوض عنه وليس من الانصاف أن أنكر عليها ذلك أو أكرهه منها .

ثم رجعت أقول لنفسى ولكن ما قيمة شباب النفس وحده .. ؟ ما جدواه إذا فقد الجسم شبابه .. ؟ وتذكرت أبياتاً من قصيدة طويلة كنت قلتها منذ عشرين عاماً ولم أنشرها ــ بل نشرت بضع مئات منها فى صحيفة أسبوعية ــ

أيــهــا الــطــيــنُ مــا تــرى بك أبغى
لست ــ فــيــمــا أرى ــ لشــيء كفــاء
إن طلبتُ الســمـــــاء قلت لــيَ الأر
ض ــ أو الأرض كنتَ لــى عصَــاء

إلى آخر هذا الهراء .. ولم يكن هذا الطين يستعصى عليه شيء يومئذ . وما قلت ذلك إلا فى ساعة فتور شديد جعلني كاليائس أو انسياقا مع المعانى التى ولدتها روح القصيدة وأنا أنظمها . ولم يكن يخطر لى أنى سأذكر هذه الأبيات التى رميتها وأهملتها حتى مرت الفتاتان بعد عشرين عاماً ونظرت إحداهما ــ وأحلاهما ــ إلى الشيب فى فودى وقالت وهى تميل على صاحبتها « ده عجوز » .

وإنى لأحس الحياة ثقيلة الوطأة على كاهل الصبر .. وإنى لأعود فى الليل إلى دارى فتقول لى زوجتى ألا تستريح ؟ فأقول كلا .. لا راحة لحي .. وأمضى إلى مكتبى وأجلس إليه وأهم بالكتابة فأرى النعاس يثنى رأسى على صدرى ، فأنهض متبرماً ، ساخطاً على هذه البلادة ، وأقول لنفسى وأنا أرتمى على الفراش أترى لو كنت فى مجلس لهو وطرب أكنت أفتر هذا الفتور ؟

ويغلبنى النوم قبل أن أسمع جواب النفس .. وإنى ليكون أمامى الطعام الجيد المشتهى فأمد إليه يدى محاذراً وأتناول منه مترفقاً وعلى قدر مخافة الكظة أو الانتفاخ ، ولم أكن أبالى ذلك قبل سنوات .. وإنى لأهم بزيارة الصديق فيصدنى أن درجات سلمه كثيرة فأرتد

والعن أصحاب العمائر الذين لا يتخذون المصاعد ..

ولا يرضنى هذا السخط على نفسى فقلت وأين هذا الفتور؟ ومن ذا الذى لا يكل أحيانا؟ . إنى أعمل كالحمار بالليل والنهار وأكتب فى اليوم الواحد فصولا ثلاثة أو أربعة لأكثر من صحيفة واحدة . وأقطع بالسيارة أكثر من خمسين كيلو فى نهارى ، وأسهر إلى منتصف الليل ، ثم أقوم فى الفجر مع الديكة والعصافير وأقصد إلى مكتبى وأروح أدق على آلة الكتابة حتى لقد غير جارى غرفة نومه لكثرة ما أزعجه وأطير النوم عنه فى الصباح الباكر .. وأنا أجالس الناس وأحادثهم وأفعل ما يفعله المرء بشبابه ولا أرانى أكل أو أهي أو أمل أو أفتر .. وإن رأسى لدائب لا يكف عن العمل فى يقظة أو نوم ، ولو كنت أقيد ما يدور فى نفسى لوسعنى أن أملأ الدنيا كلاماً ، ولكن المصيبة أنى لا أقيد شيئاً وأنى أنسى ، فالذى يبقى لى لا يعدل جزءا من مائة مما يخطر لى ، وإذا كانت لى شكاة فتلك أنى أفتر ولا أرانى أقنع بما أستطيع وما يدخل فى وسعى . ولقد قال لى مرة طبيب حاذق شكوت إليه أنى لا أهدأ – إن بنائى كله من الأعصاب ، وأن جسمى ليس أكثر من شبكة أعصاب ركبت لها العظام لتمسكها ووضع لى هنا قلب وهناك معدة إلى آخر ذلك ، ثم كسى هذا كله جلداً رقيقاً ليمكن أن يقال إن هذا جسم إنسان ، ولكن المهم هو هذه الأعصاب ، فإذا كنت أشكو شيئا فى بعض الأحيان فيحسن بى أن أعرف أنه من الأعصاب ليس إلا « فأرحها حين تتعب تعد كما كانت فإنها متينة . وأكبر الظن أن هذه ليست أعصاباً وإنما هى « جنازير من الحديد » ويكفى أنها تتحملك كذلك قال . ودليل صدقه أنى لم أشك شيئاً قط مذ سمعت منه هذا ، ولو كان بى شيء غير هذه الأعصاب لما نفعنى كلامه . ولقد خرجت من عنده إلى صيدلية فيها ميزان فوقفت عليه فإذا بى بثيابى الشتوية لا أزن أكثر من سبعة وأربعين كيلو ، فضحكت وقلت « كم ترى يكون وزنى فى الحمام . بغير هذه الثياب .. أو فى الصيف الذى يستدعى التخفيف .. صدق الطبيب الحاذق فما هذا بجسم إلا على المجاز .. ولكن هذا البناء الواهى يحتمل النوم على الرمال وتوسد الحجارة . نعم فإنى كثيرا ما أخرج الى الصحراء فأرتمى على رمالها ساعة وساعتين وتحت رأسي حجر صلد كبير وفى بيتى أترك الفراش الوثير الى الكراسى الخشنة التى لا راحة لمخلوق عليها .. وأفتح النوافذ وأقعد أو أنام بين تيارات الهواء ولا أرى ذلك يضيرنى . وأحسب هذا وراثة ، فقد كانت أمى رحمها الله تنام وأنفها الى النافذة المفتوحة – صيفا وشتاء . نعم أزكم أحيانا ولكن الفيل يزكم .. وساقى مهيضة ولكنى لا أتعب من المشي وإنما أتعب من الوقوف .. ولم أتخذ المدافىء قط ، فإذا أوقدوا فى بيتنا نارا تركت لهم الغرفة إلى أخرى لا نار فيها .. وما لبست معطفا إلا فى أعقاب مرض وعلى سبيل الوقاية الى حين .. وإنى لأرى مناعة جسمى تزداد عاماً فعاما وأرانى كلما علت سنى أحس أنى صرت أقوى وأصح بدناً وأقدر على العمل والحركة والجهد .. فلست بعجوز يافتاتى الصغيرة وإنى وحياتك لأصبى من ابنى . وأن الذى فى عروقى لنار سائلة لادماء جارية ، وقد أحسنت بالانصراف بعد تلك الضحكة الفضية التى ستظل فى مسمعى تذكرنى بك وتصبينى إلى أترابك والسلام عليك والشكر لك وإلى الملتقى « وأين منى يهرب الهارب ؟ » ...

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧

هامش

توفى المازنى رحمه الله بعد كتابة هذا المقال باثنى عشر عاما « فى سنة ١٩٤٩ » ، أما ماأشار إليه فى المقال من أنه « يدق على الآلة الكاتبة » فيعود إلى ماكان معروفا عن المازنى بين كل كتاب جيله من أنه لم يكن يكتب مسودات لكتبه أو مقالاته ، ولم يكن يكتب بالقلم وإنما كان يكتب على الآلة مباشرة وبنفسه .

سلاميش

بقلم : محمد فريد أبو حديد



قد كان ذلك أثناء الحرب الصليبية التى ثار لهيبها فى الشام نحو قرنين طويلين ، وكانت جنود مصر العظيمة تحاصر مدينة انطاكية إحدى المدن التى كانت لاتزال باقية فى يد الصليبيين . وكانت جيوش مصر تحارب ببسالتها المعروفة لايعرف أحد من جنودها مامعنى الخوف بل يهوى بفرسه كالصاعقة وهو يصيح صيحة الحرب فيوقع بعدوه الفشل فيتفرق ويتبدد ، ثم يشيط فى رماحه وسيوفه .

وكان منظر هذه الجنود مما يروق الأعين ويبهر الأنظار ، فقد كان الفرس وراكبه قطعتين من آيات الفن ومبدعات الصناعة ، فالفارس فى ملبسه الحربى عليه العلامة الصفراء تبرق فى شعاع الشمس وفوق جسده الدروع والسلاح يحسبها الناظر إليها من عسجد مصفى وإن كانت من صافى الحديد والفولاذ ، وكانت ملابسه من تحت تلك الغواشى لاتظهر منها إلا أطراف مزركشة بالذهب أو أذيال من صافى الحرير والقصب ، وكان الفرس يختال تحت راكبه كأنما هو

سلاميش

يزهى بما عليه من زينة وحلية ويفاخر بمن عليه من نجد مغوار.

ودافع المحصورون فى أنطاكية دفاع الأبطال ، لم يتركوا الأسوار حتى لم يبق بها ركن غير مثلوم ، ولم يدعوا الضرب حتى لم يبق لمجانيقهم حجر يقذفون به أو نار يلقون بها على أعدائهم . وانتصرت جنود السلطان العظيم بيبرس . ودخلت المدينة فى أبهة النصر واختيال القوة . وكانوا وهم يدخلون المدينة لا ينسون أنهم يلجون أكبر معقل بقى للصليبيين فى الشام بعد أن كانوا قد بسطوا أيديهم على ذلك القطر كله .

كان قائد الجند شابا فى مقتبل العمر اسمه سلاميش لو رآه أحد فى غير لباس الحرب لظنه أحد أبناء الملوك المنعمين . وجه مشرق إشراق الزهرة اليانعة ، وقوام ممشوق كأنه رمح رديني ، وعينه تلمع كأنها ثريا بفرند سيف دمشقى . ولكنه كان عدة الحرب عليه اللأمة والدروع وفى يده الرمح وفى منطقته السيف ، ودخل على رأس الجنود فوق جواده الكريم ناظراً إلى الأمام معبساً حاداً والجنود من ورائه لا يلتفت أحد منهم إلى يمين أو إلى يسار . ولا يتخلف أحد منهم عن طاعة الأمر بمقدار همسة هامس أو طرفة عين . وكانوا كلما نظروا إلى قائدهم الشاب زادت قامتهم استقامة ، فإن هم بعضهم ببسمة وقفت البسمة على شفتيه حذر أن يطلع عليها إذا هو التفت .

وكان يوم دخول انطاكية يوماً مشهوداً ، فكان نساء المدينة وصبيانها أسرى ينتظرون حكم الفاتح فيهم ، وكان رجالها وشبابها بين مقيد فى الأصفاد ، وجريح فى مثاوى العلاج ، وقتيل طريح على جانب الأسوار أو عرض الطريق . وبلغ القائد وجيشه ميدان المدينة الأكبر وقد احتشد فيه الأسرى والضعفاء يتطلعون جميعاً إلى من فى يده الحكم فى مصائرهم ، وخمدت الأنفاس ، وهدأت الأصوات ، وأومأ القائد للجيش بالوقوف حول الميدان ، فوقف الجند ينظرون إلى أكوام الغنائم التى سيقسمها السلطان الأعظم بينهم وهى من كل نفيس ونادر من تحف الأمراء والأغنياء وقد وقف حولها جماعات من سبايا الحرب بين صبية وعذارى أو كهول وشبان ينظرون إلى قيودهم حانقين ، أو يبكون ويندبون معولين .

وتقدم نحو سلاميش وفد من كبار المدينة وأمرائها حتى إذا ماصاروا منه على بضع خطوات ركعوا له ووقفوا يطلبون الإذن للكلام ، فأذن لهم وهو معبس على عادته لا تفارقه تلك النظرة الجامدة التى فى عينيه ، وجعلوا يتكلمون بلسانهم وقد وقف رجل منهم يترجم مايقولون . وطلبوا إليه أن يمن عليهم بالفكاك وأن يهبهم نساءهم وذراريهم تقربا إلى الله الذى نصره بعد أن وضعت الحرب أوزارها ودانت المدينة لحكم السلطان الأعظم ، وقالوا له فيما قالوا « حسبك من تقتل من شباننا وكهولنا ، وما تخرب من ديارنا ومعاهدنا ؛ فلئن كانت بنا كبرياء لقد ذلت ، ولئن كانت فينا عزة لقد هانت ؛ وكفاك من الحرب النصر فلا تضم إليه دموع المساكين ، ولهيب الفراق بين الأبناء والوالدين ، غير أن سلاميش بقى على تعبيسه ووجومه ولم يجب إلا بإشارة لجنوده أن يعيدوا الأسرى إلى حيث كانوا وأن يستعدوا لنقل الغنائم والأسرى إلى مخازن السلطان أو إلى خيامه ، فلم يكن للوفد إلا أن ينصرف والحسرة تأكل قلوبه .

ثم أمر القائد جنوده بالمسير إلى مخيمه وسار فى الطليعة يتقدمه لولا أن استوقف نظره جماعة من الجند يجرون شخصا وهو يمانع ويجاهد ، فتأمل الشخص فلاح له عن بعد شخص امرأة ، فوقف وأمر الجنود بالوقوف ، ثم أسرع إلى مكان الجند ليرى ما هناك فوقعت عينه على فتاة بين أذرع جنديين يدفعانها ويترددان فى حملها . ولما اقترب منها رأى شابة نحيلة ممشوقة فارعة ، بوجهها صفرة قد غطتها حمرة ، وفى عينيها حلاوة قد غشيتها صرامة ، وهى تنظر إلى الجنديين مرفوعة الرأس كأنها تزهى ، جامدة العينين كأنها تتحدى . وقد تمزق ثوبها وتلوث من آثار الوسخ والدماء ، لا يكاد يستر من جسمها إلا ما يستر ظل أوراق الشجر من صفحة الجدول .

وقد انسدل على كتفيها غطاء من شعرها الفاحم وهو يلمع فى ضوء الشمس الغاربة . فدخلت الرحمة قلبه برغمه ، وتمهدت عبسته ولانت نظرته وأشار إلى جنوده بالكف عنها ، ثم نزل إليها وأخذ بذراعها فأسلست له وسارت معه حتى اقترب من شيخ فقيه كان فى صحبة الجيش وأمره أن يترفق بها حتى تذهب إلى خيمته . ثم عاد وقد أطرق قليلا حتى علا صهوة جواده . ثم ركض إلى حيث ترك جنوده واستعاد نظرته وعبسته . وألقى إليهم الأمر بالمسير وقضى سائر اليوم فى شغل من أمر جيشه حتى أوغل الليل وعلا البدر وحان وقت العودة فآب إلى سرادقه .

وتذكر الفتاة التى كانت أعمال اليوم قد أنسته ذكراها ، فأمر غلاما أن يحضرها إليه ، وجلس يستعيد صورتها ويتمثلها وهى تناضل على ضعفها وتتكبر على ذلها ، ولم يتمالك أن ربت الرقة إلى قلبه ، ولم يستطع قهر عبرة ترددت فى عينه . وغاب الغلام قليلا ثم عاد وحيدا فنظر إليه سلاميش كأنما يستفهم عما أتى به ، فقال الغلام بعد التحية « إنها لا ترد بكلمة ولا ترفع إلى بصرها » فصرفه سلاميش وجلس هنيهة يفكر ، ثم نهض متثاقلا وسار إلى خيمتها حتى إذا دخل ألفاها على الأرض وقد وضعت رأسها بين كفيها .

فدنا منها ووضع يده على رأسها وتبسم ابتسامة ضئيلة وقال : « يحزنني أنهم أساءوا إليك » .

فانتفضت الفتاة كأنما لسعتها جمرة ، ثم رفعت رأسها وقامت تنظر إليه والحقد مرتسم على محياها ، ونار الغضب تضطرم فى عينيها ، وكانت الملابس الرثة التى أتت بها قد تبدلت وألبست حلة من الحرير الأسود جعلت وجهها المصفر وعليه آثار الدموع يبدو كالزنبقة المبللة بالندى ، ودفعت يده التى مدها نحوها وقالت وفى صوتها بحة : « أبعد يدك عنى أيها القاتل السفاك . أدر وجهك الكريه عنى فأنت قاتل أبى وأخى ، وأنت سافك دماء قومى ، وأنت المعتدى على وطنى . أبعد عنى وأفعل بى ما شئت من عذاب أو قتل تكمل به وحشيتك وفظاعة جندك » .

وكانت وهى فى ثورتها هذه تقذف بنظراتها إليه كالسهام النافذة ، وكان صدرها يعلو ويهبط فى هياجها ، وشعرها الطويل الأسحم يضطرب بعضه فوق كتفيها وبعضه على صدرها أو جوانب جسمها .

ودهش سلاميش من قولها ولم تفته فصاحة فى لفظها ولا رخامة فى صوتها ، ولكنه لم يجب بكلمة ، بل رفع حاجبيه وانثنى راجعا إلى خيمته يسير فى بطء ويثور به شيء يشبه الحزن .

وأرسل إلى الشيخ الفقيه يستحضره ، وأتى إليه فجعل يسأله عن المدينة وأهلها ، وعن تلك الفتاة وبيتها ، فلقد كان ذلك الفقيه من أهل المدينة قبل الفتح يعيش بين أهلها ويعاشرهم ويخالطهم ، فعلم منه أن تلك الفتاة بنت أكبر أغنياء أنطاكية ، وأن أباها كان شديد الولع بتثقيفها ، وأنها قرأت أدب العرب كما قرأت أدب الفرس ، وكان لها أخ قتل فى أثناء الحصار ، ومات أبوها يوم الفتح ، وكان يدعو قومه إلى المصالحة قبل أن تفتح المدينة عنوة ، وأراد أن يحمل قومه على تدارك الأمر قبل انفراطه فاتهموه بالجبن ، وصاحوا فى وجهه ، أنه آثر السلامة ، فحملته الحفيظة

مع كبر سنه على الركوب فى وجه الجيش الفاتح ، ومات عند أبواب المدينة تحت سنابك الجيش الظافر .

وسمع سلاميش تلك القصة فأفلتت منه زفرة لم يستطع كتمانها ، وبات الليلة والأحلام تتخلل نومه حتى لاح الفجر ، فصحا وهو مضطرب النفس قلق البال .

ولكن أعمال اليوم لم تترك له متسعا للتفكير فى الفتاة ولا فى همومها ، وكان كلما تذكر كلماتها له نازعته نفسه إلى القسوة عليها ، ثم لا يلبث أن يلين ، وتعاوده رحمته . حتى إذا انقضى اليوم وعاد فى المساء إلى خيمته رأى نفسه يسير نحو مكانها ، وتقرب إليها وهو يتردد ويترفق ثم وقف إلى جوارها هنيهة وقال بصوت خفيض :

« لعلك اليوم أهدأ مما كنت بالأمس » .

فلم ترفع إليه بصرها ، بل بقيت جالسة ، ورأسها بين كفيها .

والتفت إلى خوان بالقرب منها ، فرأى عليه طعاما لم يمسس . فقال وهو يتكلف الهدوء والجفاء : « وهل تريدين أن تموتى جوعا ؟ » .

فلم تجب على قوله ، بل حاولت كتم نحيبها .

فقرب منها ، وحاول أن يضع يده على رأسها ليرفعه وهو محترس متلطف ، ولكنه ما كاد يلمسها حتى نفرت منه وصاحت به قائلة :

« أقول لك اتركنى » .

فلم يستطع أن يخالفها ، فأبعد يده عنها ، وتراجع ، ناظرا نحوها ، ثم تنفس نفسا طويلا وخرج وفى قلبه حزن وقلق .

وقضى ذلك اليوم موزع القلب كئيبا ، حتى لحظ أصحابه كآبته ، وعجب جنوده لجفائه ونفرته ، فكان لا يأمر إلا متبرما غاضبا ، ولا يسمع إلا متجهما ساهما ، حتى عجب الناس من ذلك الغضب ، فى عقب الانتصار ، ومن ذلك الضجر لمن كان مثله مكللا بالمجد والتوفيق . وما انتهى من عمله حتى أسرع إلى سرادقه ، ووقف هذه المرة مترددا وجلا ، ودخل فى رفق وخشوع إلى مكان الفتاة ، فأبصرها على ما كانت عليه فى الصباح ، والخوان لا يزال إلى جانبها ، قد تبدل طعامه ، ولا يزال كاملا لم تنل منه شيئاً .

ونظر إليها مليا ثم قال برفق : « أما تكلمينني ؟ إننى أرجوك أن تنظرى إلى وتنطقى بما يجول فى نفسك ولو كان قاسيا » .

ثم مد يده إلى رأسها ومسح عليه متلطفا — ولكنها هذه المرة لم تثر ولم تغضب . وكأن نبرات صوته قد حملت إليها ما فى فؤاده من حزن من أجلها . على أنها بقيت ساكنة ، وهى جالسة فى مكانها كئيبة .

فجلس إلى جوارها يحاول محادثتها وهى لا تجيب الا بدمعة تثور بين حين وحين فى عينيها فتمسحها بمنديل ثم تعود إلى وجومها وسكونها . فقال لها ولسانه ينم عن مقدار عطفه وحزنه :

« إننى لا أريد إيلامك — لأننى لا أستطيع أن أراك متألمة — ولو كان ذهاب ألمك بابعادك عنى لفعلت . ألك أهل فى عكا أو فى مدينة أخرى من المدن فأرسلك إليهم ؟ إن السلطان لن يرد لى طلبا إذا طلبت منه شيئا » .

فلم تجبه حتى أعاد عليها القول راجيا مستعطفا — وكان أول ما قالته له أن هزت رأسها نحوه وقالت : « ليس لى أهل — قد قتلتهم جميعا » ثم شهقت بالبكاء واسترسلت فى هزة مريرة من الحزن .

ولم يملك سلاميش نفسه من أن تجيش بالحزن ولكنه تمالك بعد قليل وهدأ من جأشه وقال لها :

« إننى أرحمك فى حزنك ولكنى لا أملك دفعه . فقد كان أهلك أعدائى وكنا معا فى ميدان قتال يسعون فيه إلى قتلى كما كنت أسعى إلى قتلهم . وهل للشجعان مصير إلا الموت فى ميدان الحرب ؟ وهل كان أولى بأهلك أن يشهدوا مدينتهم تحطم وتسلب وهم بين هؤلاء الأسرى ؟

إنهم لو كانوا بين هؤلاء الأسرى لما ترددت فى أفتدائهم من أجلك ولكنهم فى غير حاجة إلى ولا إليك . إننى رأيتك وبهرنى حسنك ، ثم رأيت حزنك فآلمنى حزنك . ثم تكشفت لى كبرياؤك فقهرت كبريائى ، ولو شئت أن تبعدى إلى مكان تختارينه لما رفضت لك مشيئة — وإن أحببت المقام هنا — كنت عندي ولا أقول لى حتى تقولى ذلك أنت » .

فنظرت الفتاة نحوه وقد زال من عينيها ذلك البريق القاسى الذى كان يلوح منهما كلما نظرت نحوه من قبل ، وأطالت نظرتها إليه ثم أغضت بعد أن طبعت فى خيالها صورته .

ولم يذهب سلاميش ذلك المساء إلى خيمته حتى كان قد قاسمها بعض الطعام الذى قدم إليها فى ذلك اليوم ولم تنل منه قبل ذلك شيئا .

وفى ذلك المساء وفد إلى سلاميش بريد السلطان يحمل إليه أمر الارتحال إلى دمشق بمن معه من الجند . ويأمره فيه بتقسيم الغنائم بين أمرائه وجنوده وبتوزيع الأسلاب من أموال وسبايا . ووهبه نصيبه من ذلك كله جزاء له على بسالته واعترافا له بما كان من نضاله .

وبكر سلاميش فذهب فى الفجر إلى خيمة الفتاة وهو خفيف الخطوة متهلل النفس إذ كان قد عزم على خطة أملاها عليه قلبه فرأى الفتاة راقدة على أريكة قضت عليها الليلة لم تذق للنوم طعما ، فلما وقع نظرها عليه جال على وجهها طيف ابتسامة واعتدلت فى مكانها ونظرت إليه وهو قادم نحوها . ولما حياها تحية الصباح ردت تحيته ، ثم جلس قريبا منها ولم يكن عند ذلك على عادته من اعتداده بنفسه وكبريائه بل كان فى حديثه خفيض الصوت مهتز الأنفاس .

قال لها : « قد أمرنى السلطان أن أتحرك اليوم إلى دمشق بعد أن انتهى الأمر هنا » .

فلم تجبه بل نظرت نحوه ، كأنما تسأله عن مصير وطنها . ومن فيه من رهطها ، وكأنه أحس بما فى نفسها من التساؤل فقال : « وقد أراد السلطان العظيم حفظه الله أن يجعل لى حظه من هذه المدينة » فصاحت الفتاة ومدت نحوه يديها : « إذن فالمدينة فى يديك » فقال لها : « بل نصيب السلطان منها وسأجعل نصيبى من الغنيمة من فى المدينة من الأسرى تاركا للجند أموالها وتحفها » .

فصاحت الفتاة ووقفت أمامه قائلة « وماذا تفعل بهم ؟ » .

فتبسم سلاميش نحوها وقال « هم لك » .

فصاحت وصوتها يتهدج من الفرح « هل تفعل ؟ » .

فقام ومد يديه نحوها وقال « لقد أكرمنى السلطان العظيم بنصيبه وسيكون أقر عينا إذا علم أين ذهبت به » .

فمدت يديها وأمسكت بيديه الممدودتين وقالت « ما اسمك ؟ » قال باسما « سلاميش » فنظرت إلى وجهه لحظة ثم تركت يديه وأطرقت إلى الأرض فقال « وإننى أود أن أعرف ما تحبين فأنفذه لك فإن دارك هنا لم يمسها أحد من الجنود . لقد عرفت دارك وعرفت أهلك من بعض أهل المدينة وأعدت كل ما أخذ منها إلى مقره ، ولك أن ترجعى إلى دارك إذا شئت عزيزة فى ظل السلطان العظيم » .

فنظرت الفتاة نحوه وترددت قليلا ثم قالت فى حياء « وأنت ؟ » .

فقال سلاميش وهو يمانع نفسه من الاضطراب :

« سأذهب إلى دمشق كما أمر مولاى » .

فسكتت الفتاة لحظة ثم مدت يديها بحرارة وقالت :

« سلاميش ! وأنا كذلك إلى دمشق أسير » .

محمد فريد أبو حديد

١٩٣٧

ثرثرة

أبنـــاء الصمت

في مشهد طريف يروي فيه « جارثيا ماركيز » كيفية تولد تصوراته الأولى لقصصه ، يقول : إنها تبدأ لديه بصورة مرئية تبرز في خياله ، وتلح على ذاكرته ، فلا يملك إلا أن يشدها مثل طرف الخيط ، فتسحب وراءها مجموعة صور أخرى ، تمثل دائماً النواة الأولى لرواياته .

وعندما نقرأ المجموعة القصصية الأخيرة للأديب المصري « مجيد طوبيا » « أبناء الصمت » المنشورة في سلسلة « كتاب اليوم » بالقاهرة ، عدد مايو ١٩٨٥ ، تتجلى أمامنا هذه الرؤية في الطرف العكسي للتلقي ، إذ تترسب لدى القارئ جملة من الصور المتكررة ، تمثل البذرة الأخيرة المتبقية لديه بعد استيعاب مسافاته الأدبية بكل أبعادها . بيد أنه لا يستطيع أن يقصر تذوقه عليها ، بل لعلها على وجه التحديد هي التي تستعصي على الكسر والتفتيت . ومن ثم يتعين علينا أن نمر بالطبقات المختلفة التي تفضي إليها ، محاولين تأمل مذاق الثمرة ونكهتها ، ومدى نضجها أو عطبها ، لنتعرف عليها دون حاجة إلى التحليل الكيماوي لبذرتها الداخلية ، سواء كانت واحدة أو متعددة .



مجيد طوبيا

بقلم : الدكتور صـــلاح فضــل

الإطار العام

تتكون مجموعة « أبناء الصمت » من مقدمة عن مؤلف الكتاب وخاتمة عن كتبه وبينهما عشر قصص قصيرة تعقبها قصة طويلة هي التي تعطي للمجموعة عنوانها وتستغرق نصف المساحة الكلية للكتاب . غير أن هناك رابطاً موضوعياً متيناً يشد كلاً من القصة الأولى « منديله » والثانية « شئون عائلية » إلى الأخيرة ، إذ تدور الثلاث في فضاء واحد ، وتعبر عن تجربة حرب الاستنزاف خلال السنوات الست وانعكاساتها الفردية والاجتماعية ، بينما تقع القصص السبع الأخرى في تجويف داخلي يتراوح كما سنرى بين التنقيب والأنثروبولوجي ، واللمحات الخاطفة ، والممارسات الكتابية الموسومة ابتغاء الطليعية حيناً ، والطرافة حيناً آخر ، إلا أن للمجموعة في جملتها كياناً متماسكاً سيتضح تشكيله عندما نتبين بسرعة التوزيع الداخلي لمستوياته . وكنا نتمنى أن نعثر في صفحة تقديم المؤلف على بعض البيانات الأساسية عن حياته ومكوناتها الجوهرية ، لكننا لا زلنا نتصور في عالمنا العربي أن تاريخ الميلاد ومكانه ، والتربية التي تلقاها الكاتب ، والأعمال التي مارسها ، واللغات التي يجيدها ، والبلاد التي زارها ، أن كل ذلك وغيره مما يمكن إيجازه في سطور قليلة أقل أهمية من الجوائز التي حصل عليها ، ومازلنا نلهث وراء اعتراف الآخرين بنا فنبرز الترجمات الفعلية والمزعومة ، في محاولة للتأثير الساذج على القارئ ، فيقوم الناشر ـ متواطئاً مع الكاتب الذي لا يستنكر ذلك ـ بشن حملته الدعائية البريئة على الصفحتين الأولى والأخيرة من الكتاب ، دون حد أدنى من التصور العلمي لضرورات التعريف الموجز المنظم المتواضع بالمؤلف الذي يقدمه .

هذا بالرغم من أن مجيد طوبيا فنان متميز ، له عالمه المتبلور وأسلوبه

● مجيد طوبيا فنان متميز، له عالمه المتبلور، وأسلوبه الخاص، ومكانته التي ظفر بها بجهده وإبداعه في لغته العربية

● "أبناء الصمت" تزخر بالإشارات الخصبة للعادات والتقاليد الأصيلة لدى الشعب العربي في مصر

الخاص، ومكانته التي ظفر بها بجهده وإبداعه في لغته العربية، إلا أن عادة ابتسار البيانات الشخصية ونقص المعلومات الأساسية عن المؤلفين العرب من أسوأ ما درجنا عليه في كتبنا الأدبية، وينبغي التنبيه لها، لعل الناشرين لدينا يعنون بهذه التفصيلات ذات الأهمية الحاسمة في تحديد المستوى الحضاري للحركة الثقافية.

حزمة اللوازم

فإذا توغلنا بشيء من الرفق في أعمال المجموعة، عثرنا على حزمة من اللوازم المتكررة، التي يمكن اعتبارها في جملتها عناصر التجذير الواقعي لها، مع قدر من التوسع في مفهوم الواقع، ليشمل المنظور والباطن، في قلب الماضي والحاضر. من هذه اللوازم ما يؤدي وظيفة الموقعة المكانية والزمانية في عالم مجيد طوبيا الروائي، وهي موقعة يحرص عليها بشكل واع منتظم ومضطرد. نجد ذلك مثلاً في وصفه لمسيرة طابور الأطفال في قصة «إغماض العين» وهم يمضون خلف الجدة في جوقة غريبة منشدين أغاني «السبوع» للوليد الجميل. يقول «ساروا في محاذاة السور الشرقي، فجاء تل المقطم من خلفهم ممتداً على الضفة الأخرى، في بطن صخوره توجد قبور موتانا.. وتساقط الملح مرة ثانية إلى النهر. استداروا إلى السور البحري فأطلوا على حقل القصب الكبير الذي لم يعد به قصب، والذي يتحول إلى بيوت زاهية الألوان يسكنها الأثرياء وكبار الموظفين. وبعد السور البحري جاء السور الغربي، ومن أسفله ديار الأهالي باهتة كالحة، والشوارع ضيقة مكتظة تسير السيارات فيها بسرعة المشاة. وفي أقصى كل ذلك الشريط الحديدي يحصر المدينة بينه وبين النيل.

ثم اتجهوا إلى السور القبلي والبيوت التي تمتد في القدم، الحي العتيق المتلاصق المتداخل، وديار الأجداد القريبين تتساند بيوتهم ويتساقط الصف منها بتساقط أحدها.. ومن بعدها أرض الكلأ وخيام الغجر وأغنامهم، ثم أصنام الفراعنة البعيدين، يأكل الماعز الكلأ ثم يلهو قافزاً فوق صخور المعبد».

في هذا المشهد يركز القصاص بلون من المسح الجغرافي المستقصي للجهات الأربع الأصلية للمكان في معظم رواياته، والتغيرات التي تنتابه، وهو يستجيب كما نرى لمواصفات مدينة صغيرة في صعيد مصر، تقع بيوت الأحياء فيها على إحدى ضفتي النيل، وتقع على الضفة الأخرى دائماً «قبور موتانا» التي يعبر عنها على مدار المجموعة بنفس هذه العبارة، وتقوم من حولها أرض الكلأ وخيام الغجر وأغنامهم بكباشها وماعزها، ثم «أصنام الفراعنة» التي تتردد أيضاً بنفس هذه العبارة، ومن الجلي أن حساسية المؤلف لا تنفر من استخدام كلمة الأصنام الموسومة بالادانة في المعجم الاسلامي، مما يجعل غيره من الكتاب يستخدم مكانها كلمة تماثيل أو غيرها، أما هو فلا يجد حرجاً من تكرارها بيسر وسهولة. وتتراءى لنا هذه العناصر كلوازم ثابتة في أشكال مختلفة، مثل الصور التي يتحدث عنها «جارثيا ماركيز»، وربما لا أبعد في الظن إن حسبتها جزءاً حميماً من ذكريات مجيد طوبيا ترتبط لديه دائماً ببيئة صعيد مصر، فنجد بعضها في قصة «رحيل» على الوجه التالي: «وتذكرت أمي وهي تهتف حانقة: الولد الشيطان، غافلني مرة أخرى وذهب يلعب عند الغجر، ثم وهي تطلب مني أن أحضره، فتوجهت جنوباً ووجدته عند المعبد القديم منكوش الشعر يتقافز مع الماعز ويحاورها بين الكلأ، ومن حوله أصنام الفراعنة المتهدمة».

وفي قصة «شئون عائلية» يقول: «في الأيام التي تلت ذلك انتقل مكان لعبنا إلى أرض الكلأ، حيث كنا نتسلق صخور المعبد الفرعوني، ونجلس فوق أعلى بقعة فيه.. وسحبنا (زميلنا) من فوق رأس الفرعون، وألقينا به وسط مجموعة من ماعز الغجر ونحن نضحك» وفي «الوليف»: مضي عابراً شريط القطار مخترقاً أرض الكلأ قرب أبراج الكهرباء الشاهقة.. وعند أصنام الفراعنة رأى ماعز الغجر وكباشهم فظل يلاعبها ويحاورها حتى شبع لهواً».

كما ترد نفس هذه العناصر في إشارات أخرى متفرقة لا تخرج عن ذلك، وترتبط دائماً بفكرة تحديد المكان التي يتمسك بها الكاتب ويقيم حولها أحداثه وتصوراته.

الشهادة التاريخية

أما الحرص على الموقعة الزمانية فهو العصب الآخر الحساس في أعمال مجيد طوبيا، إذ أنه شديد الوعي بوظيفته التسجيلية، ملتزم دائماً بذكر السنوات والأحداث بالأرقام والوقائع والأسماء، وكأنه يهدف إلى كتابة تاريخ فني لعصره، يقتصر فيه على ابراز ما يواجهه هذا الجيل فحسب بأمانة فائقة، ولعل هذا الهدف يتجسد في اختياره لعنوان مجموعته، فهو عن جيل الأبناء الذين شبوا في العقود الأخيرة، وكتب عليهم أن يفتحوا عيونهم في طفولتهم على حرب فلسطين، وفي مراهقتهم على حرب السويس، ثم تجرعوا مرارة يونيو ١٩٦٧ بكاملها، ودفعوا ثمنها غالياً في حرب الاستنزاف حتى العبور. لقد جعلت هذه الحروب منهم جيلاً صامتا أخرس ليس من حقه أن يوجه مصيره، أو يرفع صوته «فوق صوت المعركة»، ولا يلبث أن ينتهي من العبور حتى يفثأ غضبه، ويكسر صمته، وينهمر في ثرثرة داخلية مدوية، ثرثرة تجعله يصر على كتابة هذه السنوات، وتنسيه أحيانا أصول هذه الكتابة الفنية، كما نجد لدى مؤلفنا في قصة «شئون عائلية» التي تقترب من منطقة الذكريات القومية العامة، ولا تقوى على تكوين عالم فني روائي مستقل، فبالرغم من أنه يريد

ثرثرة

أبناء الصمت

أن يقول لنا فيها إن الأحداث العامة قد عاناها هذا الجيل بصفة شخصية في عظمه ولحمه ، تداخلت حتى النخاع في حياته الخاصة الحميمة ، وأصبحت من شئونه العائلية . وهذا حق وصدق إلى أقصى درجة ولكن التعبير الفني لا يمكن أن يتم عبر مجموعة من الفقرات التاريخية المباشرة التي تطغى على حكاية التوأمين في القصة وتعتمد على ما هو معروف من وقائع . ولسنا بحاجة إلى أن نتذكر المبادئ الجمالية الواقعية نفسها في العلاقة بين العام والخاص ، وضرورة أن يتم ذلك من خلال النموذج ، سواء كان نموذجاً شخصياً في البطل ، أو زمنياً في الموقف ، ومن الواضح أن بنية « شئون عائلية » لم تنهض بمهمة تقديم أي نموذج حقيقي . وهذا ما حاول مجيد طوبيا تلافيه في قصته الرئيسية « أبناء الصمت » فقدم « ملجأ النجفة » على ضفة القناة كوعاء لمجموعة من الجنود المحاربين يذكرنا بشعب توفيق الحكيم في « عودة الروح » خاصة وأن « ورك الوزة » الشهير قد تحول لدى قصاصنا الحديث إلى « وزة أم صابر » بأكملها ، ولكي يعطي لهذه النماذج حياتها الخاصة وضعها في مقابل نماذج أخرى من المدينة ، تنتمي إلى مجال وثيق الصلة بالجبهة المقاتلة وهو المجال الصحفي بكل ما يدور فيه من زيف ، ومحاولات مجهضة دائماً للارتفاع إلى مستوى الأحداث الجادة .

ويتداخل المستويان عندما تتولى الصحفية الشابة « نبيلة » خطيبة المحارب الشهيد « مجدي » إعادة بناء الوقائع في تحقيق صحفي تقوم به تكريماً رمزياً لذكرى خطيبها ، ومن الحق أن نشهد لمجيد طوبيا بالتوفيق في تكوين نماذجه من جانب والتدرج الماهر في الكشف عن الجوانب المختلفة للأحداث وإثرائها من جانب آخر في عملية متنامية ذات إيقاع فني مضبوط . وإذا كانت بؤرة الملجأ الحربي إفادة عصرية من فكرة الكل في واحد التي تبناها توفيق الحكيم في فجر الرواية العربية الحديثة فإن صالة التحرير الصحفي والمناقشات السياسية والاجتماعية فيها وشخصية رئيس التحرير الوطني المرتد ارتزاقاً ومجاراة لتيار الوظيفة التبريرية ، وشخصية الممثلة المتهالكة وسهرة الهواء الطلق عند الهرم ، كل ذلك يعد إفادة ممتازة ، باستحضار المناخ الأثير لدى نجيب محفوظ ، واستثماراً شاباً لاكتشافاته الفنية والإنسانية في أعمال عديدة ، بل ربما كان أسلوب مجيد طوبيا الروائي مديناً لنجيب محفوظ كذلك في توزيع الجمل والتراوح النشط بين السرد والنجوى واللغة القوية الرائعة التي تشف عن الحركة النفسية والمستوى الاجتماعي للشخصيات في نفس الوقت .

الإشارات الأنثروبولوجية

كذلك تتميز مجموعة « أبناء الصمت » باحتوائها على مادة انثروبولوجية غنية ، تتمثل في جملة من الإشارات الخصبة للعادات والتقاليد الأصيلة لدى الشعب العربي في مصر ، وهي إشارات تدخل حيويا في بنية الأعمال ، وربما تمثل محورها الرئيسي في بعض الأحيان ، فالحسد مثلاً محور قصة « إغماض العين » ، ومنذ السطر الأول فيها حيث يتحدث الكاتب عن « الغربال » تطالعنا هذه العناصر على الشكل التالي : « ولما كان اليوم السابع ، وفيه تناثرت بلورات الملح في الهواء تحرق عين الحسود جاءوا بالغربال فوق الأرض ، وفوق الغربال فرشوا حبات الفول لتسد الثقوب بين الأوتار .. ومن فوق الفول نثروا حبات الذرة الصفراء .. ومن فوقها القمح والأرز والشعير .. وقرب الحافة الدائرية بعض الحلوى في أغلفة براقة من لون الذهب ولون الفضة » .

والتي تقوم بممارسة هذه الشعائر لدفع الحسد ناظرة مدرسة القرية . وعندما يلومها زوجها لمبالغتها في الايمان الشديد بالحسد ، مما يكاد يودي بالطفل ترد عليه قائلة : « دعك من مهنتي ، هل نسيت الشوطة التي جاءت للأرانب عام أول » فالشوطة وباء يصيب الطيور الداجنة ولا سبب له في معتقدات أهل الريف المصري – خاصة في الصعيد الذي يقول « عام أول » – إلا ضربة العين الحسود ، وهي ترد بوسائل يشير إليها المؤلف أيضاً بالتفصيل ، من إطلاق البخور المتصاعد من أطباق الجمر ، ووضع فردة حذاء قديمة على باب المنزل وغير ذلك من الإجراءات الوقائية لدفع الحسد .

كما أن القصة تحتوي على عناصر أخرى من المعتقدات الشعبية سوى الحسد ، منها تأثير القمر الذي يعزى ضرره لمن يدمن التعرض له ، فيقول المؤلف « طلع القمر كامل الاستدارة ، بدر شديد النصوع .. فغادرت جدتي الشرفة ، مؤمنة بأن إطالة القعود في طلعته تصيب الانسان بلطشة في العقل » ، ومن الطريف أن نفس هذه الفكرة موجودة في الريف الأندلسي باسبانيا ، وكثيراً ما استخدمها « لوركا » في أشعاره بل إن اللغة الاسبانية تشتق من كلمة « Luna » بمعنى القمر وصفاً هو « Lunatico » يدل على المسرف في الخيال والوهم و « ملطوش » العقل أيضاً . ويشير المؤلف كذلك إلى بعض التأثيرات الأخرى للقمر في قوله من نفس القصة « في الليلة التي كان القمر يستدير فيها علقت بعض سنابل القمح أعلى الباب وقالت : وهذا يجلب الرزق والخير » ومن الأفكار الشعبية التي يعرض لها مجيد طوبيا في هذه القصة أيضاً فكرة « الوحم » ، ويلخصها بقوله : « إن الحامل إن اشتهت شيئاً ارتسم على بدن مولودها » وخرج على شكل بقعة تحتل نفس المكان الذي تلمسه الحامل من جسمها عند شعورها بهذه الرغبة ، ومن الغريب أنها فكرة مضطردة لم يعرف تفسيرها العلمي حتى الآن . ويختم المؤلف هذه القصة بتلخيص موجز لأسطورة « ايزيس » ودموعها التي تؤدي كل عام إلى فيضان النيل .

وتدور قصة أخرى وهي « الوليف » عن عقيدة شعبية بأن لكل ثعبان وليفاً ، وانه لو قتل فإن وليفه يظل يتشمم الناس حتى يعثر على القاتل ولو بعد سنوات ويلدغه انتقاماً منه ، ويحكي المؤلف قصة صبي قتل ثعباناً بالصدفة ، ثم وجدها فرصة لادعاء الشجاعة والبطولة « وعندما هبط إلى الحارة مختالاً وجد إحدى الجارات تخطو فوق ثعبانه رائحة آتية عدة مرات » فلما سأل أمه عن سبب ذلك أخبرته بأنها عاقر وتريد أن تلد ، ثم وضعت له مجمرة البخور ليخطو فوقه ، فلما استنكر ذلك بشدة ونفى رغبته في أن يلد مثل الجارة شرحت له أمه أن البخور لمنع الحسد ، وأنه تضع له فيه هذه المرة حبات « الشيح » لأن رائحتها هي الكفيلة بطرد الثعابين ، ومنع الوليف من أذاه . ويلاحظ على كل هذه العناصر أنها تذوب في بنية القصة بشكل تلقائي ، فتقربها من منطق الواقع ، وتضفي عليها صبغة محلية صميمة ، فتصبح لوناً من التسجيل الأمين للجانب الباطني في حياة الناس ، ووسيلة لكشف مدى تأثيره على مصائرهم .

لكن مؤلفنا لا يلبث أن يمضي في هذا الاتجاه حتى يصل إلى نوع من التجريد الانثروبولوجي في قصته « دموع » التي تحكي عن شاب كان يعيش في العصر الفرعوني حيث يعتقد الناس بأن دموع « رع » هي التي أدت إلى وجود الكائنات . ويعاني الشاب من الأسى والجوع والحرمان فتنسكب دموعه مدراراً ، فيسأل عمه الكهل الحزين لماذا لا تتخلق من دموعه هو الآخر أية كائنات ، فيجيبه بأن دموع البشر لا تصنع شيئاً ما داموا

منفردين . فإذا اجتمعوا يمكنها أن تفعل وأن تغير ، إلا أن الشاب يعجز عن إدراك ما ترمي إليه كلمات عمه ، ويمضي إلى شاطئ النهر المقابل لقصر الفرعون حيث يسقط منهكاً من الاعياء . وتلتقطه الأميرة الحسناء في محفتها الفاخرة وتحمله إلى القصر في شبه حلم وردي حيث يطعم ويرتوي وينعم ، إلا أنها تلفظه في اليوم التالي لاعتراضه طريقها عندما تهم بالخروج إلى نزهتها اليومية . فيعود إلى موقعه على الشاطئ حيث يبتلعه التمساح المتربص به والذي يعد « ليسترخي فوق الشاطئ » وقد تجمعت حول عينيه بضع قطرات بدت تحت أشعة المغيب كالدموع الذهبية بينما عند أقصى غروب الأفق كان « رع » يسارع بإغماض عينيه ليعم الظلام فوق أرجاء المعمورة .

والقصة على إيجازها تحفل بالشاعرية المركزة ، والبعث الطريف لبعض الملامح الشاحبة من الميثولوجيا الفرعونية ، دون أن تقوى على تكوين شيء ذي بال من الوجهة الفنية ، لمحاولتها المباشرة الهجوم على مشكلتين كبيرتين ، إحداهما ذات طابع اجتماعي وهي مشكلة الجوع والأخرى ميتافيزيقية تستعصي على فهم الشاب المسكين ، مما يحيلها إلى تجربة تجريدية فقيرة مقحمة على سياق واقعي في جملته ، عبر مغامرة خاطفة فيما قبل الزمان والتاريخ ، ليس لها من دلالة أخيرة سوى التعبير عن رغبة المؤلف في تجذير انتمائه الأدبي حتى هذه العصور ، مما يجعل هذه القصة تلمع وحدها في فضاء المجموعة مثل قطرة الماء التي تعكسها أشعة الغروب حول فم التمساح الكبير .

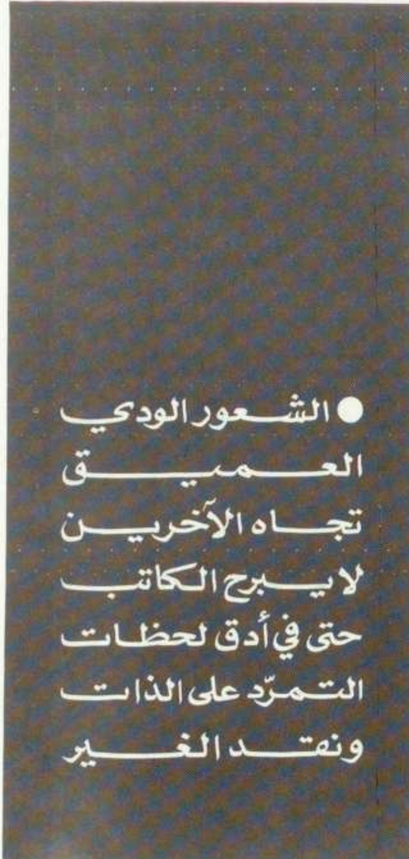
حرارة العلاقات

يتعدد المنظور الذي يرصد به مجيد طوبيا مجالاته الروائية في هذه المجموعة ، إذ يستخدم أسلوب المتكلم في ست منها وضمير الغائب في خمس ، وينتقل من البيئة القروية إلى المدنية ، ويقترب من أعمار ومهن واهتمامات مختلفة ، لكن تياراً دافئاً حنوناً يظل يسري في شرايين عالمه الروائي ينبعث دائماً من شعوره الودي العميق تجاه الآخرين . هذا الشعور المصري العربي الشرقي لا يبرحه لحظة واحدة حتى في أدق لحظات التمرد على الذات ونقد الغير . فالإنسان لديه لا يمكن أن يسعد بالوحدة والانفراد ، ولا تخالجه أدنى رغبة في إزاحة من حوله ، فهم الذين يمنحونه وجوده .إنه دائماً يحتضنهم ، معذباً بنفسه وبهم ، لكنه شديد الالتحام بدنياهم ، لا يتصور للحياة مذاقاً بدونهم .

وإذا كان معظم الأبطال الذين تدور حولهم قصصه من جيل المؤلف تقريباً فإن شبكة



جارثيا ماركيز



● الشعور الودي العميق تجاه الآخرين لا يبرح الكاتب حتى في أدق لحظات التمرّد على الذات ونقد الغير

العلاقات العائلية والاجتماعية التي ينسجها حولهم تتراوح دائماً في مستوياتها المختلفة بين حب الأمومة الطيب الخالص العميق كما نرى في « منديله » و« شئون عائلية » ، والجزع الملهوف من فكرة فقد الابن التي تتجلى في « إغماض العين » والرعاية المحبة الودود في « الوليف » والتضامن الصادق الملهب للحماس في « أبناء الصمت » كما تبرز الأخوة كقيمة عائلية واجتماعية مؤثرة في مختلف القصص ، متدرجة من الزمالة القوية في « منديله » إلى لون من التعاطف العميق في « رحيل » ، وتؤدي إلى تشكيل كيان معنوي متكامل في « أبناء الصمت » ثم تصل إلى ذروتها متجسدة في فكرة التوأمين في « شئون عائلية » ..

وحتى في الأعمال التي يحاول المؤلف فيها أن ينسلخ من جلده ، ليلقي نظرة نقدية على مجتمعه ، لا تنطفئ لديه جذوة هذه الحرارة الاجتماعية المتقدة ، ففي قصة « النظرة والابتسامة .. والعمر القصير » التي يحاول فيها نقد التحفظ في العلاقات العاطفية في مجتمعاتنا ، بمعارضته بتجربة الحب الحر السهل في إحدى البيئات الغربية ينزلق مجيد طوبيا إلى السطح ، فلا يستطيع رؤية الطبقات النفسية ولا التعقيدات الاجتماعية لهذه البيئات الغربية عنه وعن مشاعره ، ويظل أسير فكرة وهمية عن أن الناس هناك بهذه السهولة « يعيشون بحق » ، بينما لو أتيحت له فرصة التعرف الحميم على طبيعة حياتهم لكان له منها موقف آخر . وهو على أية حال لا يستطيع أن يكره خطيبته لأنها لا تطاوعه في نزقه وترد يده عنها ، بل لعلها تزيد في قلبه محبة وفي نفسه إعزازاً بما يتضح لديها من خصوبة المشاعر وعمق الممارسة المسئولة للحياة .

وفي محاولة تجريبية أخرى بعنوان « الجاحظون » يغرق مجيد طوبيا في كابوس ثقيل ، يحتد فيه تمرده على نفسه . وتستيقظ لدى بطله بعض مشاعر العداء المخفف تجاه عمله ومن يحيطون به ، لكنه يظل يدور في إطار كاريكاتيري عبثي يمعن في اللامعقول ، إذ يتابع جثة الغريق وهي تنتقل من نهر إلى بحر ، ومن بطن حوت إلى علبة سردين حتى تنتهي الدعابة الثقيلة دون معنى متماسك أو بناء فني منتظم ، فيتأكد لدينا أنها تجربة الشذوذ في عالم مؤلفنا الروائي ، وأنها ربما كانت تبرز بشذوذها خطوطه الجوهرية المتسقة المفعمة بالود والحنان ، وتمثل صورة فريدة من خيط الصور التي يجرها القارئ من هذه المجموعة المتميزة .

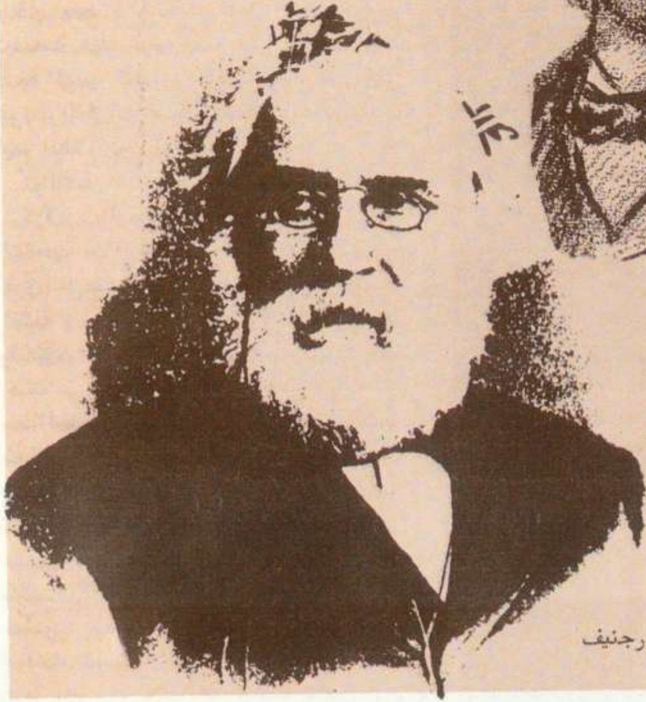
صلاح فضل

أضواء ثقافية

يقدمها: طلعت الشـــايب

رسائل فلوبير وتورجنيف


جوستاف فلوبير


ايفان تورجنيف

عندما التقى « جوستاف فلوبير » و« إيفان تورجنيف » للمرة الأولى فى أحد الأماكن العامة التى كان يتردد عليها الكتاب فى باريس عام ١٨٦٣ كانا قد أصبحا بالفعل كاتبين مشهورين يكن كل منهما للآخر إعجابا شديدا قبل أن يراه .

كان فلوبير مؤلف « مدام بوفارى » حينذاك فى الحادية والأربعين من عمره ، وكانت « سالامبو » قد صدرت له منذ وقت قصير . أما « تورجنيف » فكان فى الرابعة والأربعين ، وكانت أشهر أعماله حينذاك « آباء وأبناء » .

وفى أول لقاء جمع بينهما استشعرا تقاربا فكريا جمع بينهما وإن كانا لم يبدآ مراسلاتهما بانتظام إلا بعد خمس سنوات .

وفى كتاب نشر فى أمريكا فى الشهر الماضى يضم رسائلهما المتبادلة تتكشف لنا جوانب كثيرة من حياة عملاقين من عمالقة الرواية فى القرن التاسع عشر ، وخاصة عندما يتقدم بهما العمر ويواجها متاعب الشيخوخة ، وتهتز ثقتهما بأشياء كثيرة ، وتتنازعهما الشكوك فى الأدب وفى العصر كله .

فى تلك الرسائل المتبادلة نفسًا عن آراء ومشاعر ونزوات فكرية ، فعلى سبيل المثال تبادلا نقد زميلهما « زولا » ، ولوم الطبقات المتعلمة فى روسيا وفرنسا لاعتقادهما أنها فشلت فى تحقيق الاصلاح الاجتماعى .

تورجنيف .. « أو ذلك البربرى اللطيف كما كان يحلو لأصدقائه أن يصفوه » ، يبدو فى رسائله إنسانا حكيما متزنا يتجنب بقدر الإمكان التطرف السياسى سواء كان إلى اليمين أو إلى اليسار ، ويفضل أن يقوم بدور سلبى فى الحياة ، فيصف نفسه بأنه مجرد « ضفدعة عجوز تعيش فى جحر رطب » .

ونجد فى رسائله نفس الجو الكئيب الذى يظلل « الحب الأول » و« آباء وأبناء » ، فهو يائس من مستقبل روسيا ، خائب الأمل فى الحب وفى الفن ، كثير الشكوى من تدهور صحته ، وكلها أمور جعلت رؤيته للحياة قاتمة .

كذلك كان فلوبير أيضا يميل إلى التشاؤم فى أواخر الأيام ، وإن كان تشاؤمه أقل فلسفة وأكثر خصوصية . كانت تحاصره المتاعب المالية والمشكلات العائلية ، والقلق البالغ بخصوص عمله الأخير — غير المكتمل — « بوفارد وبيكوشت » كما عبر عن ذلك فى إحدى رسائله إلى تورجنيف فى عام ١٨٧٨ :

« أشعر أن هذا العبء يثقل كاهلى ، ويبدو أنه لم يعد هناك نخاع فى عمودي الفقري ... وإن كنت أواصل كما يواصل الشوط جواد بريد عجوز » .

إن رسائل فلوبير وتورجنيف المتبادلة بينهما كانت زاداً ثقافيا قدمه كل منهما للآخر طوال سنوات من الصداقة الحميمة .. كما هى زاد ثقافى لقارىء هذه الأيام .

وداعا لكل ذلك

روبرت جريفز

١٨٩٥ - ١٩٨٥



صباح السابع من ديسمبر ١٩٨٥ دقت الأجراس على جزيرة مايوركا لحن أغنية حداد قديمة معلنة وفاة روبرت جريفز، الدارس الانجليزى الكلاسيكى «وأحد أربعة، هم أعظم شعراء هذا القرن» كما يقول الشاعر والناقد الانجليزى دينس إنرايت.

وروبرت جريفز كان صوتا متميزا فريدا لم يندفع وراء موجة جديدة ولم يخلف طرزا ثابتة بل كان صاحب عقل أشبه بمختبر الكيميائى تدخل إليه المادة فتخرج بحالة جديدة مختلفة.

كان جريفز (٩٠ سنة) يعيش حياة بسيطة بعيدا عن توترات المجتمع الحديث، وبمنأى عن عواصف العصر، ومنذ أن تدهورت صحته وتوقف قلمه عن الكتابة منذ عشر سنوات كان قد انطوى على نفسه فى عزلة تامة.

روبرت جريفز كاتب غزير الانتاج، متعدد الاهتمامات، ترجم عن اليونانية واللاتينية والفرنسية والألمانية والأسبانية.. وكان يدلى بدلوه فى كل شيء «من عيش الغراب والبطاطا الى الأساطير» كما يروى عنه.

ضمن موضوعاته الأثيرة تجد «روما الامبراطورية»، «انجلترا كرومويل» «أسبانيا الفاتحين» و«لورانس العرب».

وكشاعر لم يحاول جريفز أن يوجد لنفسه مكانا بين جماعات الشعراء الجدد الذين ظهروا فى العشرينات والثلاثينات، ولكنه فى سنة ١٩٥٠ وما تلاها من سنوات كان يرى كثيرٌ من النقاد والشعراء والقراء فى أعماله بديلاً لإيليوت وأودن.

ولد جريفز فى ٢٤ يوليو ١٨٩٥، والده هو الفريد بيرسيفال - شاعر ايرلندى - وأمه ابنة أستاذ ألمانى وتربطها قرابة مباشرة بليوبولد فون رانك المؤرخ الألمانى الشهير.

وعندما نشبت الحرب فى أوروبا قطع جريفز دراسته وتطوع للخدمة العسكرية، وخدم كضابط فى نفس الفوج الذى تصادف أن كان به الشاعر سيجفريد ساسون، والذى شجعه على كتابة الشعر، وقبل أن تضع الحرب أوزارها كان قد أصدر ثلاثة مجلدات.

عاش ويلات الحرب كقائد فصيلة وكقائد سرية على الخطوط الأمامية ورغم شفائه من جراحه إلا أن الرعب ظل يطارده لمدة عشر سنوات بعدها.. «كانت الكوابيس تقض مضجعه، والقنابل تنفجر على فراشه، والجثث والأشباح تملأ الشوارع».

غيرت تجربة الحرب المروعة نظرته إلى العالم، وأصبح يشارك فى الرأى هؤلاء الذين يؤمنون بأنهم ينتمون إلى «جيل باعه الجنرالات وأصحاب الثروة».

تخرج جريفز من كلية سان جون - اكسفورد عام ١٩٢٦ وعين أستاذا للأدب الانجليزى بجامعة القاهرة* التى كانت قد أنشئت حديثا وكان هذا هو العمل الرسمى الأول والأخير له، إذ قرر أن يعود إلى انجلترا فى ١٩٢٧، وعكف لمدة شهرين - ١٨ ساعة يوميا - على كتابة قصة حياة صديقه ت. اى. لورانس T. E. L awrence المعروفة باسم «لورانس والعرب» والتى كان يباع منها ١٠,٠٠٠ نسخة أسبوعيا فى نهاية العام، وقد حققت له هذه السيرة ثروة لم تحققها أشعاره رغم الترحيب الشديد والاستقبال الجيد الذى كانت تحظى به.

بعد زواجه الثانى فى ١٩٢٩ وقبل أن ينتقل الى منفاه الاختيارى على جزيرة مايوركا بالبحر الأبيض والتى عاش فيها حتى مات - باستثناء سنوات الحرب الأهلية الأسبانية والحرب العالمية الثانية - كان قد انتهى من كتابة سيرته الذاتية والتى نشرت فى نفس العام (١٩٢٩) بعنوان «وداعا لكل ذلك».

وقد ظل هذا العمل محتفظا بقيمته الأدبية الكلاسيكية لمدة ٥٦ سنة. ومن أشهر أعمال جريفز «أنا كلوديوس» - ١٩٣٤ - وتكملته «كلوديوس» وقد لقيا استحسانا كبيرا كإبراز جيد وجديد وصياغة فريدة للعصور الرومانية بعد أن استطاع فيهما أن يبعث الحياة فى مجموعة قديمة من الشخصيات.

ومن أشهر أعماله التى أثارت جدلا كبيرا فى الأوساط الدينية فى الغرب، كتابه عن المسيح - عليه السلام - (١٩٤٧) وقال فيه إن المسيح لم يمت على الصليب.

وفى ١٩٤٨ أصدر رواية كان موضوعها كما يقول: «تكريس الشعراء أنفسهم للنساء الحقيقيات مهما كان شكلهن»... وفيها يعلن جريفز أن الشعر الحقيقى كله يحتفى بجانب من حياتهن.

لمدة ثلاثة عقود من الزمان ظل جريفز شاعر حب وعشق، فأصبحت قصائده أكثر همسا وأكثر بهجة بمرور السنين.. وطوال حياته على الجزيرة كان يزور انجلترا من وقت لآخر ليحاضر فى كمبردج عن الشعر (١٩٥٤) ويفتح النار على كل المحدثين.. ييتس، إليوت، أودن، د. هـ. لورانس، ويحاضر فى أكسفورد (١٩٦١ - ١٩٦٦) وليتسلم ميدالية الملكة الذهبية للشعر (١٩٦٨) وليزور كلية سان جون التى درس فيها وتخرج منها فى أيام الشباب الأول.

وجريفز كان يرى نفسه شاعرا أولا وأخيرا، فإذا كانت الكتابة هى قدره الذى لا فكاك منه (١٣٠ مجلدا على مدى أكثر من نصف قرن) فإن كل كتاباته النثرية لم تكن سوى «كلاب يربيها ويبيعها لينفق منها على قطته المدللة.. الشعر...!».

---

* تقول جريدة «صنداي تايمز» (Sunday Times) العدد الصادر فى ٨/١٢/٨٥ إن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان من بين طلاب جريفز فى جامعة القاهرة.

تواصل فتح الحوار حول:

أزمة المسرح العربي

رسالة القاهرة

تكتبها: سارة

● شهادتان جديدتان من: سميحة أيوب وعبدالله غيث

● مسرحية "التربيع والتدوير" لعزالدين المدني من تونس تثير ضجّة فنيّة واسعة عند عرضها بالقاهرة

● علي سالم يقوم بإخراج مسرحيته الجديدة "الكلاب وصلت المطار" فماذا كانت نتيجة التجربة؟!

● مسرحيتان لهما طعم متميز جدًا "الهلالية" ليسري الجندي و"هنا عرايس بتترص" لصلاح عبدالسيد



سميحة أيوب



عبد الله غيث

نشرت الدوحة فى عدد ديسمبر ١٩٨٥ وعدد يناير ١٩٨٦ الحلقتين الأولى والثانية من هذا التحقيق الواسع عن أزمة المسرح العربى ، كما تبدو هذه الأزمة فى مواقع الساحة المسرحية العربية فى مصر.. وهذه هى الحلقة الثالثة من هذا التحقيق الفنى الواسع ، وفى هذه الحلقة نستمع إلى شهادة الفنانة الكبيرة سميحة أيوب مديرة المسرح القومى ، والفنان الكبير عبد الله غيث .. وفى العدد القادم ننشر الحلقة الأخيرة من هذا التحقيق .

المحطة الأولى :

« أكلكم ضيق ، شرابكم ضيق ، مرتبكم ضيق ، تفكيركم ضيق ، مطمحكم ضيق ، أفقكم ضيق ، عدلكم ضيق ، موتكم ضيق » .

« هذه هي شكوى العبد الفقير إلى ربه تعالى أحمد بن عبد الوهاب للخليفة الواثق بالله العباسى ، أيده الله ، يرفعها بعين باكية دامية هتانة ، وبفؤاد مفجوع مهموم ، يقطر لوعة وأسى وحسرة وأسفا إلى رب العالمين العادل المنصف ، الحكم الحكيم الرحمن الرحيم ، ويرفعها كذلك إلى مجلس المظالم وقضاته السادة النجباء الجلة الفضلاء ، كتب دفاع الشاكي ونحيبه عزالدين المدني العربي الأصل من تونس الخضراء ليلاطم ويقاوم ويعارض رسالة مولانا الأديب سيال الحبر « أبو عثمان عمرو بن محجوب » المعروف بالجاحظ في القرن الثالث للهجرة في هجاء أحمد بن عبد الوهاب » .

هذه هى الصرخة المغموسة بأحزاننا جميعاً التي دوت في أرجاء قاعة « صلاح عبد الصبور » بمسرح الطليعة فى مصر ودوت من قبل في مهرجان قرطاج فى تونس ، صرخة تقف على حافة الجنون ونهاية العقل ، ويقف معها كما أشار محمد عثمان « أحمد بن عبد الوهاب يتأجج بالغضب ويضطرم صدره بنيران الحقد المخيف .. « التربيع والتدوير » مرثية طويلة شديدة الحزن للإنسان الذي يضيع نفسه ولا يكسب العالم ، ولذا يصبح كل ما يمثله الجاحظ قذىً في أعينهم لأن ضميرهم الملتهب الذي يجب التخلص منه وتمزيقه حتى تستريح نفوسهم الخربة ، ولقد نجح سمير العصفورى ـ المخرج ـ في إحالة هذه المرثية الطويلة إلى عرض مسرحي متكامل من خلال استخدام بعض المؤثرات الصوتية وديكور متناهي البساطة ، وتعديلات قليلة في النص ، وإضافة قصيرة في المقدمة ، وحركة نسجت بذكاء محسوب ، فأعطى لهذه القطعة الأدبية حياة كاملة ، ونجح مع الفنان « أحمد ماهر » في السيطرة على إيقاع العمل ، وأكد الفنان « أحمد ماهر » خلال الـ ٧٥ دقيقة التى استغرقها تقديم هذه المونودراما تمكنه من الشخصية وفهمه لجزئياتها » .

لقد شهد كل من رأى العرض بتميزه وتفرده وبنجاح الثلاثي سمير العصفورى وأحمد ماهر ومهندس الديكور مصطفى الشرقاوي الذي استطاع بديكوره البسيط والمعبر والشديد الذكاء أن ينقلنا حال دخولنا القاعة إلى جو المسرحية الخاص ، والأهم أنه لم يتجاوز رؤية المخرج والمؤلف ، بل شكل معهما اتحاداً فكرياً وفنياً يحتمل ويحوي الإضافة الثرية لتحديد الرؤية وإيضاحها وتقديمها بلمسة فنية راقية وكما كانت قدرات الفنان أحمد ماهر المميزة مفاجأة متجددة للروائى والكاتب الصحفي محمد جلال كما أشار في افتتاحية مجلة الإذاعة والتليفزيون ، كانت كذلك أيضاً مفاجأة للكاتب الصحفي مفيد فوزي والذي قال : « وللعصفوري المحلق دائماً ، بطل واحد يمثل مونودراما على مدى ساعة ونصف كأنه يعزف على جيتار ويمس قلبك ، ويسكن بأشجانه داخل الضلوع ، هذا هو أحمد ماهر ممثلاً ، هذا هو القنوع بأقل من مائة متفرج لكنه شديد الثراء بالإحساس ، لقد وقف بعض الحاضرين يصفقون له ، ومنهم أنا بحماس بالغ ، فكان ينحني وهو غائب لأنه لم يستطع أن يخرج بعد من إهاب الشخصية ، لقد فرحت بالثنائى العصفوري وأحمد ماهر مثلما فرحت بكرم النجار وسناء جميل وأحمد زكي » .

المحطة الثانية :

مسرحية « الكلاب وصلت المطار » والتى قال عنها كاتبها ـ في حوار نشر في العدد الأسبق من الدوحة ـ بأنها ستكون ثورة حقيقية في المسرح العربى .. عند مشاهدتي للعرض لم أفاجأ بالمقاعد الخالية ، وقد برر لي « على سالم » ندرة المتفرجين بأن الظروف أجبرته على اختيار موعد ومكان غير مناسبين للعرض ، وأن قيمة هذه المسرحية لن تعرف إلا بعد مرور فترة من الزمن (!) وفي رأيي الخاص أن المسرحية لا تحمل أي ملمح من ملامح الثورة ، وإن كان يحسب لمؤلفها إصراره وتحديه على أن يخرج هذا العمل « النظيف » بوجوه شابة وسط مناخ مسرحي غير سليم ، وأن يكون هو المنتج والمخرج والممثل أيام « الزنقة » وفي اعتقادي أن خطأ علي سالم الجسيم أنه أحاط المسرحية بهالة ضخمة من خلال تصريحاته للصحف والمجلات جعلتنا نتوقع ونطمح في أن نرى عملاً فذاً ونادراً ، ولذلك كانت خيبتنا بقدر توقعاتنا الكبيرة التي خلقها وضخمها بتصريحاته ، والمسرحية كما قالت عنها عبلة الرويني : « مغامرة لا يستند فيها على سالم إلا على إبداعه فقط كمؤلف مسرحي ، وقد أخطأ علي سالم بإصراره على دور المخرج حيث لم يسمح لأي عنصر فني آخر أن ينافس النص ويطاول قامة المؤلف فيه ، فسقط منه الإيقاع وفقد العرض حيويته ، وتعامل بشكل مباشر مع مفردات اللغة دون تجسيدات بصرية ، ونسي تماماً الإضاءة ، وتعامل مع ديكورات هزيلة وملابس وإكسسوارات فقيرة ، ثم اختار مجموعة من الممثلين معظمهم يقف للمرة الأولى على خشبة المسرح فظل النص ـ برغم اجتهاداتهم ـ أكثر بريقاً منهم » .

المحطـــة الثالثـــة :

مسرحية « الهلالية » ليسري الجندي الحائز على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨١ ، وهذه المسرحية المميزة تعتبر امتدادا لمسرحياته المستوحاة من التراث الشعبى وهو فى محاولاته لتأصيل شكل مسرحي عربى استطاع أن يحتل مكاناً هاماً بين كتاب المسرح المصري والعربي المهتمين باستلهام التراث ، وقد قام المؤلف كما كتب سامي خشبة « بالمزج بين ما هو تاريخي وموروث في السيرة الأصلية وبين ماهو معاصر ، وقد ركز على معنى مأساة الصراعات الداخلية للأمة ، ونتائجها الفادحة بالنسبة لمستقبلها ، وشبع هذا الجانب بالخطوط الدرامية الأصلية التي تبدأ من موقف كل شخصية فتتشابك مصائر الأبطال مع مصير الجماعة ، وخفف المؤلف من التوتر المأساوي وتجنب الخطب الطنانة عن طريق العنصر الفكاهي وهو في نفس الوقت عنصر التعليق الساخر » أخرج المسرحية الفنان القدير عبد الرحمن الشافعي ، والذي أعترف ـ وهذا أول عرض أشهده له ـ أن أسلوبه في إخراج العرض كان مفاجأة لي بما حواه من ثراء في الإحساس وتدفق فني راق ينبض بالحياة ، مفاجأة لم أتوقعها بعد خيبات متكررة في

أزمة المسرح العربي

عروض مسرحية كثيرة، وعبد الرحمن الشافعي كما قال عنه علاء دواره «المتخصص الأول في المسرح الشعبي أو السامر الشعبي»، وهو يحاول أن يعقد قراناً بين النص والراوي الشعبي الأصلي ويرد السيرة إلى أصولها، لذلك ذهب إلى صعيد مصر وأحضر رواة السيرة الأصليين ومجموعة شعراء الربابة حيث يصبحون القاسم المشترك الهام في أداء العرض لتأكيد تأصيل السيرة الشعبية. وبالتأكيد كانت «الهلالية» المسرحية الأولى التي شعرت فيها بمعنى الإستمتاع الحقيقي بالمسرح، لذلك لم يدهشني امتلاء المقاعد في مسرح السامر، كان المخرج بطلاً صفقنا له بحرارة كما صفقنا للمؤلف، وكما صفقنا أيضا بحرارة لمجموعة الممثلين الجديرين بإعجابنا وتقديرنا، ابراهيم عبد الرازق، عزيزة راشد، محمد الطوخي، جمال قاسم، فاروق عطية، مصطفى القط، وآخرين استحقوا تصفيقنا الحار.

المحطة الرابعة:

مسرحية «هنا عرايس بتترص» والتي أغراني صديق بمشاهدتها بقوله: «إنها أشبه بقطعة الدانتيلا المشغولة بنعومة وفن»، ولقد كانت كذلك بالفعل دون أدنى مبالغة، مسرحية تخاطب عقلك وعينيك وأذنك، تحتويك بنعومة، وتدينك بنعومة، وتعاتبك بنعومة، وتستحثك بنعومة، وتنتزعك من طمأنينتك بنعومة.

«هنا عرايس بتترص» صرخة هامسة، لا تلجأ للضجيج ولا إلى رفع الشعارات، وهي أيضاً نموذج راق للبطولة المسرحية الجماعية، التي تمثلت في نص المسرحية المميز، وفي إخراج جلال توفيق المتقن والمعبر، وفي الديكورات البسيطة والموحية التي نفذها مجدي رزق بالإضافة إلى أشعار كمال عمار وموسيقى وألحان عبد العظيم عويضة واستعراضات مجدي رزق، والبطولة كانت لأحمد عبد الوارث ومديحة كامل وسامي العدل، والمسرحية كما كتب خيري رمضان «صرخة واعية في زمن غاب الوعي فيه، وصرخة احتجاج ضد تغلغل القوى العظمى في مصير الدول النامية، فهي لا تمنح بدون مقابل — كما تقول المسرحية — فإنها تحول هذه الدول إلى عرائس تحركها كما تريد، وصلاح عبد السيد هو العراف الذي جاء ليخبرنا بما سيحدث ويحذرنا منه، والمسرحية تحمل رفضاً لفكرة السفر للخارج وعواقبها الجسيمة سواء في الإنحلال الأسري أو الفكري، كما أنها تحذر من الإنفتاح الإستهلاكي الذي سيستهلك كل القيم والمبادىء.

و.. يبقى أن أقول إن موقف كاتبها صلاح عبد السيد وإصراره على مقاومة كل عوامل الإحباط لكي تخرج هذه المسرحية إلى النور بعد عامين من العراقيل موقف يستحق التقدير والاحترام.

و...

ينتهي تجوالنا.

لِنُصْغِ إلى آراء نجوم المسرح المصري حول ما سمي بأزمة المسرح المصري وإلى شهادات فنانيه.



سميحة أيوب:

- أغزر وأهم سنوات حياتي المسرحية هي السنوات الممتدة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٨

- التمثيل بالنسبة للجيل الجديد أصبح سلعة يشتريها من يدفع أكثر

● بعيداً عن البدايات التاريخية فإن البداية الحقيقية المتوهجة للمسرح المصري كانت في الستينات، وهي بداية أصيلة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بأصالة وإنجازات ثورة ٢٣ يوليو، وبالمناخ الثقافي والفني والسياسي الذي ساد في تلك الفترة، ويكفي للدلالة على مدى مساندة الثورة للحركة المسرحية منح الممثل ولأول مرة وساماً تقديراً لجهوده، وبكل فخر أستطيع أن أقول إنني أعتبر نفسي إبنة لمسرح الثورة، وأستطيع أن أقول أيضاً أنني لو ظهرت في مرحلة أخرى غير مرحلة الثورة ما وجدت سميحة أيوب بكل تاريخها المسرحي، ومرحلة الستينات هي أغزر وأهم سنوات حياتي المسرحية وبالتحديد منذ عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٨.

● كل ذلك الوهج والثراء الذي صاحب الحركة المسرحية في الستينات تعرض للأفول بعد النكسة، وهذا أمر طبيعي، ولكننا لا نستطيع أن ننكر ظهور مسرحيات مميزة عبرت عن تلك المرحلة القاتمة في حياتنا مثل مسرحيتي «سبع سواقي» و«المسامير» لسعد الدين وهبة.

● الكاتب المسرحي مظلوم لأن غياب الممثلين المبدعين عن الساحة يدفعه إلى تقديم تنازلات مستمرة

● تليفزيونات العالم العربي تمتص طاقات الممثلين الموهوبين

● مسرحية "لعبة الزمن" هي صورة طبق الأصل من مسرحية تيمور "كليوباترا في خان الخليلي"

● بداية الصحوة المسرحية في مصر مسرحيتان هما: "الوزير العاشق" لفاروق جويدة .. و"منين أجيب ناس" لنجيب سرور

• أزمة المسرح المصري تنحصر في الوضع الاقتصادي للممثل .. لقد تحول التمثيل اليوم على يد الجيل الجديد إلى سلعة، ولم يعد يحتفظ بجلال وقيمة العمل المسرحي إلا شوامخ المسرح وهم قلائل، والذين مازالوا يمارسونه بعشق وهواية وإيمان، أما الجيل الجديد فالتمثيل بالنسبة له سلعة «حلوة» يمنحها لمن يدفع أكثر، وهذا ليس إدانة لهم بقدر ما هو إدانة لظروفهم الإقتصادية، نحن جيل يختلف عنهم اختلافاً كبيراً في ظروفنا وأساتذتنا وتربيتنا المسرحية وفي المناخ الذي نشأنا ونمونا من خلاله.

• الكاتب المسرحي مظلوم لأن غياب الممثلين المبدعين عن الساحة يدفعه إلى تقديم تنازلات مستمرة حتى يظهر العرض بممثلين أقل كفاءة، وبالنتيجة سقوط العمل، حياتنا المسرحية ثرية بالمخرج والمؤلف المميزين، ولكن الأزمة هي في غياب الممثل الذي تمتص طاقته تليفزيونات العالم العربي، ولكني واثقة من عودتهم لأن حمى المسلسلات بدأت تخفت، وسوف يعودون إلينا وسيزدهر المسرح من جديد.

• اختيار المكان الذي تعرض عليه المسرحية عامل أساسي في نجاحها أو فشلها، فلو عرضت «الوزير العاشق» في المسرح العائم لكان مصيرها الفشل لأن جمهور هذا المسرح جاء «ليقزقز لب ويتسلى» هناك مسرحيون يمتازون «بقرون إستشعار» وهناك مسرحيون ينحصر إحساسهم فقط بعملهم الفني دون الإحاطة بالظروف المحيطة به، وأنا أعتبر نفسي من النوع الأول، أعرف بدقة شديدة متى وأين يجب أن تعرض المسرحية.

• قبل تقديم «الوزير العاشق» كنت ضمن من يتهمون الجمهور بفساد ذوقه، وقد وافقت على تقديم هذه المسرحية لأراحة ضميري الفني، ولكي لا يقال إننا تركنا الساحة للغث والرخيص، وقد قلت لعبد الله غيث إن «الوزير العاشق» ستعرض فقط لثلاث ليال، وكانت المفاجأة ذلك الإقبال الجماهيرى الذي كذب ظننا والذي أدركنا خلاله أن جمهورنا «مازال بخير».

• «الوزير العاشق» كلمة ملتهبة وصادقة وصلت للناس لأنها لمست جرحاً في نفوسهم، صحيح أنها ليست مسرحية متكاملة بالمعنى الدرامي، ولكن لي رأيي الخاص الذي يخالف رأي المثقفين في الشروط الدرامية التي يجب أن تتوفر في العمل المسرحى، فهناك مسرحيات توفرت فيها كل شروط العمل المسرحي الناجح ولكنها فشلت لأنها عجزت عن الوصول للناس، في لحظة من اللحظات وفي سنة من السنوات نحن بحاجة إلى عمل مسرحي مباشر بعيد عن التكلف والرموز، يستند على الكلمة الحارة الصادقة التي تصدم الناس وتستفزهم وتدفعهم للتفكير وهذا ماحدث في «الوزير العاشق»... فلتكن المسرحية كما قال البعض مجرد خطابة أو حتى مقالة، لكن الأهم أنها وصلت لكل الناس.

• لم أحاول كمديرة للمسرح القومي تحجيم أي كاتب ولامحاربة أى مسرحية، لأن نجاح أي مسرحية يعني نجاحي كمديرة مسرح، وشهرة أي كاتب مسرحي لاتجبرني على قبول عمل أنا غير مقتنعة به، وأنا لست «الحاكم بأمري» فهناك لجنة قراءة هي التي تقرر، ونتناقش لإختيار الأصلح، كوني مديرة مسرح هذه أمانة «وأنا عندي فلوس حكومة» وجمهور يجب أن أحرص عليهما.

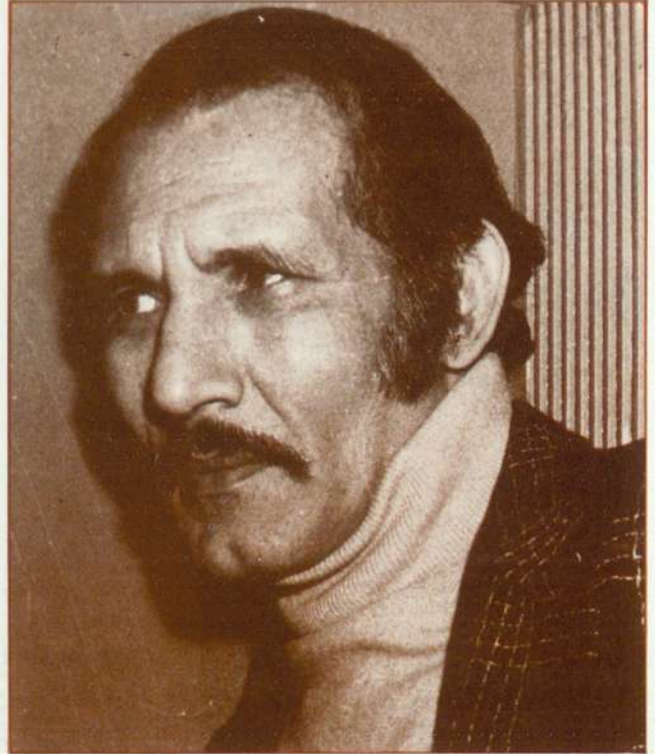
• مسرحية نعمان عاشور «لعبة الزمن» لاتصلح للعرض في هذه المرحلة، قد تصلح مستقبلاً، كما أنني وجدتها تكاد تكون تقريباً صورة طبق الأصل من مسرحية «كليوباترا في خان الخليلي» لمحمود تيمور، ولست أنا التي رفضت تقديمها فقط، بل إن جميع المسارح رفضتها، وقد قدمت في الكويت وفشلت كما كتبت الصحف هناك.

• كمديرة مسرح لاأواجه أية مشاكل، أستطيع العمل في حدود إمكانياتى، ولكن أكبر وأقصى مشاكلي مع الممثل الذي يتخلف أو يرفض العمل، أنا لم أفكر في إتخاذ أي إجراء قانوني ضد الممثلين، ولكن بكل أسف سوف أضطر لذلك إبتداء من هذا الموسم والذي سوف أفتتحه بمسرحية «مجنون ليلى» تليها «لعبة السلطان» للدكتور فوزي فهمي وبعدها «رجل فى القلعة» لأبى العلا السلامونى، ولكن ميزانيتي حالياً تغطى نفقات مسرحية واحدة.

• أستطيع أن أقول بأنني «وأعوذ بالله من أنا» قدمت جيلا جديدا من الكتاب المسرحيين الجديدين مثل د. فوزي فهمي، د. سمير سرحان، لينين الرملي، يسري الجندي، منصور مكاوي، وسوف أقدم أبو العلا السلاموني، ومن المخرجين قدمت توفيق عبد اللطيف، فهمى الخولي، شاكر عبد اللطيف، عبد الغفار عودة، وقد لامني بعض أساتذتي الزملاء على حماسي وتقديمى لهم، واتهموني بأنني أخوض مغامرة خاسرة، ولكني كنت مدركة وواعية بأن هؤلاء الكتاب والمخرجين يتميزون بموهبة حقيقية، وحس فني عال... بالنسبة للممثلين فلدينا جيل جديد عظيم، وهناك عدد كبير منهم لم يحظ بعد بفرص كافية للشهرة واللمعان، أما أميز المسرحيات التي قدمت خلال السنوات الخمس الأخيرة فهي «الوزير العاشق» «ومنين أجيب ناس» وهما بداية الصحوة المسرحية، أما بالنسبة لمسرحية «عرابي» التى كتبها عبدالرحمن الشرقاوى فأنا لا أستطيع الحكم عليها لأنني لم أشاهدها بسبب وجودى خارج القاهرة أثناء عرضها، ولكني سمعت أن بطلها أحمد ماهر والمجموعة التي قدمت العمل كانوا متفوقين في أدائهم، وسمعت أن الإخراج كان ضعيفاً.

• أهم قرارات يجب أن يتم اتخاذها لإنقاذ المسرح تقديم ميزانية تسمح لى بإرضاء الممثل والمؤلف لكى لايهربا منى إلى إغراءات التلفزيون، وتنفيذ القرار الصادر منذ عشر سنوات بإنشاء بيوت مسرحية مستقلة ماديا وفنيا وإداريا.

أزمة المسرح العربي



عبدالله غيث :

• مسرح الستينات مرتبط بشخصية الزعيم العظيم عبد الناصر الذي فجر الكبرياء العربي ، وبفضله تغيرت مفاهيم كثيرة ، ولولا شخصية البطل عبدالناصر ماظهرت شخصية البطل عبدالله غيث في المسرح والسينما والتلفزيون ، لأن مفهوم البطل نفسه قد تغير ، قبل عبدالناصر كانت صورة البطل محددة بـ « الواد الحليوه ، الشيك الحبوب » كأنور وجدي مثلاً ، لأنه كان على رأس القائمة « واحد اسمه فاروق » إنسان لايشبهنا في شيء ، لذلك كان البطل أيضاً من نفس النوع وعلى نفس الصورة ، وبظهور عبد الناصر تغيرت صورة البطل ، أصبح فلاحاً ابن فلاح ، لونه لون التربة ، فظهر جيل عبدالله غيث ، وفي ظل ٢٣ يوليو ، في ظل ذلك الكبرياء العربي العظيم ازدهر المسرح ووقفنا أبطالاً شامخين على خشبته ، وعندما غاب البطل وخفتت الروح الوطنية ، انطفأ كل شيء في حياتنا .

• بمعنى آخر فإن ازدهار الفنون مرتبط ارتباطاً وثيقاً بفترة الألق السياسي والإقتصادي وبالذات في مرحلة الإنتفاضات الوطنية العظيمة ، فكل انتفاضة تخلق كوادرها الفنية ، ثورة ١٩١٩ أفرزت لنا عملاق الموسيقى سيد درويش وأم كلثوم وعبدالوهاب ويوسف وهبي وزكي طليمات وعلى صعيد آخر أفرزت لنا طه حسين وتوفيق الحكيم وزكي مبارك وهذا ماصنعته ثورة ٢٣ يوليو أيضاً حينما خلقت جيلا جديدا من العظماء في مختلف المجالات .

• البدايات المسرحية العظيمة تخلق جيلا مسرحيا عظيما ، كان من حظي أنني وقفت على خشبة المسرح ولأول مرة كممثل محترف عام ٥٦ في مسرحية « دنشواي الحمراء » أثناء العدوان الثلاثي حيث كنا نقدم مسرحيات وطنية في حفلات نهارية تشحذ الروح القومية ، لقد فتح باب المسرح القومي مجاناً للجمهور ، وكانت تلك بداية المسرح القومي ولا أعني به المسرح القاهري ولكن المسرح العربي النضالي .

• في الستينات كنا نقدم في الإسكندرية موسماً مسرحياً يستمر

• ليكن مسرحنا واقعيًّا حتى لو كان مباشرًا

• النصوص المسرحية هايفة .. والسينما أكثر هيافة

• التليفزيون يختلف .. فقد قدّمت فيه "ابن تيمية" و"موسى بن نصير" و"طارق بن زياد".. وغيرها من الأدوار العظيمة

• أصابني الإحباط والاكتئاب بعد إلغاء مسرحية "الحسين" فاتجهت للمسرح التجاري !

• أنور وجدي كان من الممكن أن يظهر في عصر فاروق ، أما أنا فلم يكن بالإمكان أن أظهر إلا في عصر عبد الناصر ، حيث أصبح وجهي مقبولاً عند جماهير الفن الجديدة

ثلاثين ليلة ، كل ليلة مسرحية جديدة ، كانت جميع الأجيال تعمل جنباً إلى جنب ، هذا لم يعد يحدث الآن .

• السبعينات كانت فترة التمزق العربي ، ترهلت الحياة السياسية فترهلت الحياة الفنية ، في تلك المرحلة كنا نبحث عن نصوص تعبر عن همومنا وقضايانا المتشعبة فلم نجد ، فلجأنا إلى المسرح العالمي المترجم ، وأنا لست ضد اللجوء إليه ، لأنه هو المسرح الحقيقي ، مسرح أساتذتنا الذين يجب أن نتعلم منهم ونقدمهم بين الحين والآخر ، ولذلك ظهرت مسرحية « فيدرا » عام ٧٦ . وكانت مسرحية عظيمة لاقت نجاحاً عظيماً لأن الجمهور كان متعطشاً لعمل جاد بعد أن إكتسح اللون المسف الرخيص كل المجالات الفنية ، ومن يومها توقفت عن تقديم أي عمل مسرحى على الرغم من تشوقي للوقوف على خشبة المسرح ، لقد رفضت كل النصوص التي قدمت إليّ لأنها كانت نصوصاً هزيلة .

• حتى جاء عام ٨٤ عندما قدم لي « فاروق جويده » مسرحيته الأولى « الوزير العاشق » ووجدتها كلمة جريئة جداً ، صرخة احتجاج عنيفة ضد الواقع العربي المتردي ، لم أهتم إذا كانت المسرحية تخضع للقواعد الدرامية أم لا ، ماهمنى هو ماأحسسته فيها من صدق وقوة . أنا لم أكن أمثل فيها ، ولم أخضع أدائي لقواعد الأداء الدرامي ولكني كنت أصرخ موجوعاً ، لقد اعتبرت نفسي في هذه المسرحية مقاتلاً بالكلمة إلى جانب من يقاتلون بالبندقية .

• لا أدري ماذا حدث لكتابنا الكبار ، هذا مايحيرني ، هل انتهوا ككتاب ؟ الفريد فرج أعظم من كتب للمسرح يعيش في لندن « ماعرفش بيعمل إيه » ولكن قطعاً وهو على أرض غريبة لن يكتب وإن كتب فلن يكون صادقاً لأنه بعيد عن مشاكلنا « اللي إيده في الميه مش زي اللي إيده في النار » و .. يوسف إدريس توقف ، ومسرحيات سعد الدين وهبه الأخيرة ليست بمستوى مسرحياته الأولى ، أين سعد الدين وهبه صاحب المحروسة وسكة السلامة وكوبرى الناموس التي حقق فيها المعادلة الصعبة في الفن بالجمع بين جماهيرية العمل والفن الجاد ، ولطفي الخولي في الستينات كتب « قهوه مصر » و « القضية » لكن « هو دلوقتي فين » وميخائيل رومان مات ، ونجيب سرور مات ، قحط ، قحط كامل في النصوص ، هذه هي الأزمة الحقيقية .

• عام ٧١ قدمت أعظم أدواري سواء في المسرح أو السينما أو التلفزيون شخصية البطل في ملحمة الشرقاوي الشهيرة الحسين ثائرا وشهيدا » لقد بلغت درجة عشقي لهذه الشخصية أنني كنت على إستعداد للإعتزال بعد تقديمها ، لقد تفرغت لسيد الشهداء وإمام الملتزمين سبعة شهور لدرجة أنني أفلست واضطررت لبيع عربتي وعشت بثمنها ، ولكن الأزهر فاجأنا باعتراضه على تقديم المسرحية ، ولكي لاتضيع جهودنا سدى تحايلنا بذكاء وفتحنا الأبواب للجمهور بدعوى إجراء بروفات ولدة شهر كامل وكان الواقفون من الجمهور أكثر من الجالسين ، بعدها أصبت بحالة اكتئاب وتخبط مما دفعني للإشتراك في مسرحية « هلس » في القطاع الخاص في الإسكندرية ، كانت محاولة للهروب من الإحساس بالإحباط الذي حاصرنى كنت أغني وأرقص ولدة ثلاثين ليلة ، لقد قلت لنفسي بما أن كل محاولة منا لتقديم عمل عظيم وجاد تصادر « فلا مانع أن نهلس زي غيرنا » .

ملحوظة إعتراضية :

قال لي الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي إن المسرحية سترى النور قريباً بعد أن وافق الأزهر على تقديمها .

• الأزمة أيضاً أزمة حرية ، وأعتقد أننا في مرحلة الثمانينات بدأنا نحس بانفراجة حقيقية وهذا ليس مجاملة لأي نظام ولا أي حاكم ، لكنها حقيقة ويجب الإعتراف بها ، ودليلي على ذلك تقديم مسرحيات كانت مصادرة مثل « الوزير العاشق » « ومنين أجيب ناس » .

• نحن بحاجة لمسرح خاص يهز هذا الكيان الهامد والتردى الاجتماعي ، لسنا بحاجة لمسرح ذهني ولا لتطبيق مذاهب المدارس المسرحية الحديثة ، التي تبحث عن متفرج مدلل لايعاني ، ليكن مسرحنا مسرحا واقعيا « وإن شاء الله يكون حتى مباشر » .

• التلفزيون هو النافذة الوحيدة التي أستطيع أن أقدم من خلالها فناً أرضى عنه ، أقول ذلك عن تجربة شخصية ، فالنصوص المسرحية « هايفه » وما يعرض عليّ في السينما « أكثر هيافه » أما التلفزيون فقد قدمت فيه ابن تيمية ، موسى ابن نصير ، طارق بن زياد ، وغيرها من الأدوار العظيمة .

• بالنسبة للجيل الجديد فهناك من الكتاب يسري الجندي وأبو العلا السلاموني ، ومن المخرجين منير مراد وفهمي الخولى وتوفيق عبد اللطيف ، أما بالنسبة لجيل الممثلين ، فهناك جيل عظيم يثبت أن هذه الأرض قادرة على العطاء بسخاء وعظمة منهم مثلاً أحمد ماهر « وأحمد من السكة بتاعتنا » ومحمود مسعود وإبراهيم يسري وغيرهم كثير .

• الأمل في تحقيق فكرة البيوت المسرحية بحيث يكون لكل فرقة مجموعتها الإدارية والفنية والتي يديرها مكتب فني يتكون من الفنانين أنفسهم وتكون له الصلاحيات المادية والفنية بعيداً عن الروتين الحكومي ، وأن تكون الرقابة من داخل البيت المسرحي ، وهذا لايعني أنني أطالب بإلغاء الرقابة ، ولكن لابد أن تكون من داخل البيت ممثلة في عناصر تنضم إليه من الكتاب والأدباء ، ومع ذلك يجب أن أعترف أن يد الرقابة قد ارتفعت عنا مؤخرا إلى حد كبير .

ســـــارة

في العدد القادم شهادات : فؤاد دوارة ، فاروق عبدالقادر ، محسنة توفيق ، أحمد ماهر ، سامى خشبة .

الطغراء

قمة الجمال في الخط العربي

بقلم: الدكتور حسن عبد المجيد المعايرجي

الطغراء، ذلك الشكل التجريدى، والذى أعتبر قمة جمالية من جماليات الخط العربى، لا يتقنه إلا خطاط قاصد. وكان الطغرائى يعتبر واحدا من أصحاب المناصب الستة الرفيعة فى البلاط العثماني.



طغراء محمد الثانى



طغراء بايزيد الثانى



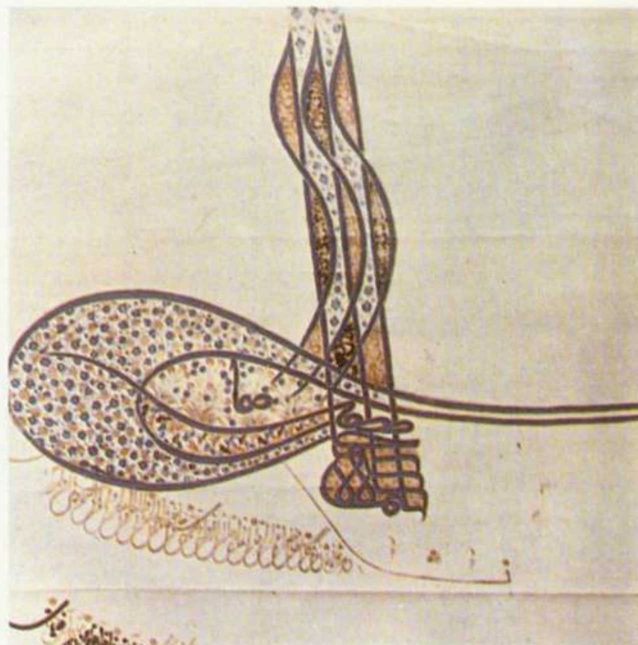
طغراء السلطان مصطفى الرابع
(١٨٠٧ — ١٨٠٨)

إن أصل كلمة طغراء غير معروف على وجه التحديد ، ويبدو أنها ليست من أصل تركى وقد تكون مشتقة ، كما ذكر محمود بن حسين الكشغرى فى ديوان لغات الترك ، من كلمة طغراغ أو من كلمة طغراى ، وكاتب الطغراء يسمى طغرائى . وذكر « زنكر » الألمانى فى قاموسه « تركى — عربى — فارسى » أن الكلمة قد تكون تحريفا لكلمة ترغاى التركية (الشرقية) بمعنى « الواقف » أو « المرفوع » أو « المنتصب » . وقد تكون تحريفا لكلمة طغرل بمعنى صقر ، أو طائر أسطورى كان يقدسه سلاطين الأوغوز ، والطغراء ظل جناح هذا الطائر .

وورد فى الموسوعة الإسلامية ذكر كلمة « طوغ » أو « طغ » بمعنى شعر الخيل . وعند التتار هى الشارة من شعر ذيل الحصان . فقد كانت الجيوش ترفع خصلة من ذيل الحصان على عصا منتصبة فى المقدمة . كما أنها تطلق على خصلة الشعر التى تشبك فى دبوس مرصع وترشق فى عمامة « الخاقان » .

وهذه الطوغ التى تثبت على العمائم فوق الرؤوس هى شارة عز ، وتدل على المكانة الرفيعة . ولعل المقولة العامية « على رأسه ريشة » ، والتى تستعمل للدلالة على التعالى ، لها علاقة بالطوغ المثبتة على عمائم السلاطين والخاقانات والأمراء .

وقد تكون الطغراء كتوقيع سلطانى مكتوبة على الوثائق ، نظيراً للطوغ كشعار سلطانى مرفوع على العمائم . وكلمة طغراء تساوى النيشان الفارسية ، أو التوقيع العربية . وهى



طغراء السلطان سليمان الأول (١٥٢٠ — ١٥٦٦)



طغراء السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧)

الطغراء
قمة الجمال في الخط العربي

التوقيع السلطاني الذى يصعب تقليده ، ويعبر عنها العثمانيون بأنها توقيع رفيع همايون ، أو نيشان شريف عالى الشأن سلطانى وطغرائى غرائى صميم مكان خاقانى أو علامة شريفة .

وقد أورد العلماء والمؤرخون والمشتغلون بهذا الموضوع من الآراء ما هو أقرب الى الأساطير منها بالتاريخ المحقق ؛ فمن قائل بأنها تشبه بصمة يد أحد السلاطين بحيث بدت أصابعه الثلاثة الوسطى متلاصقة ، بينما انفرج الابهام والخنصر بعيدا فيما يشبه شكل الطغراء ؛ ومن قائل انها تشبه الصقر .

ولعل أقدم طغراء عرفت حتى الآن هى طغراء أورخان غازى (١٣٢٤ ـ ١٣٦٠ م) ، وهو ثانى سلاطين الدولة العثمانية . وظلت الطغراء تكتب للسلاطين الى نهاية عام ١٩٢٢ . فكان لكل سلطان طغراؤه الخاصة التى يوقع بها على الفرمانات والمعاهدات والرسائل والبراءات والأوامر السلطانية ، كما كانت ترسم على بوابات القصور ودور الحكومة ، واستعملت على الأعلام وعلى النقود والمسكوكات والطوابع والسجلات والسفن الحربية والمدافع التى كانت تصب فى ترسانة الدولة .

وقد استعمل السلاجقة فى خراسان وسلاطين المماليك فى مصر الطغراء فى أغراض مشابهة .

كيف بدأت كتابة الطغراء ؟ ومن هو أول طغرائى رسمها ؟ وما هى المؤثرات التى دفعته لاختيار هذا الشكل ؟ كلها أسئلة لا يستطيع المحققون الاجابة عليها إلا ظنا واجتهاداً .

فأقدم الطغراءات كان لها شكل بدائى تطور مع الزمن ، ودخلها كثير من التهذيب والتحوير والاتقان حتى بلغت قرب نهاية حكم سلاطين آل عثمان قمة فى الاتقان والجمال وتحددت ملامحها النهائية . وأصبح ذلك الشكل التجريدي قمة جمالية من جماليات الخط العربى ، لها فنانون فى الخط يتقنون كتابتها ، فلا يتعلم هذا الفن إلا قاصد . ومن أتقنها وأصبح طغرائيا فقد أعد نفسه لمنصب خطير فى الدولة فى ذلك الحين .

فوظيفة الطغرائى هى واحدة من المناصب الستة الرفيعة فى البلاط العثمانى . فالفرمانات والبراءات والمعاهدات وغيرها من الأوراق الرسمية الهامة تدقق من قبل الدفتردار ورئيس الكتاب ثم تعرض على الصدر الأعظم الذى يقوم بدراستها ؛ فإذا أجازها وأشر عليها بكلمة « صح » ، اختصارا لكلمة « صحيح » ، أرسلها الى الطغرائى أو النيشانجى الذى يقوم بتدقيقها ، فاذا اطمأن لموافقتها للقوانين والمعاهدات السارية يقوم برسم الطغراء عليها بشكلها الذى وافق عليه السلطان عند اعتلائه العرش وفى المكان المحدد لها ، وهو أعلى النص . ولا يكتفى الطغرائى برسم الطغراء السلطانية ، بل كان يزينها بالأزهار والتذهيب والنقوش لتبدو فى أبهى رونق .

والطغرائيون أعضاء فى الديوان السلطانى كالصدر الأعظم والوزراء وقاضى عسكر ، ثم أصبح لهم مساعدون يدعون « طغراكش » ، وكانت وظيفتهم تشبه ما يسمى هذه الأيام بحامل أختام الملك .

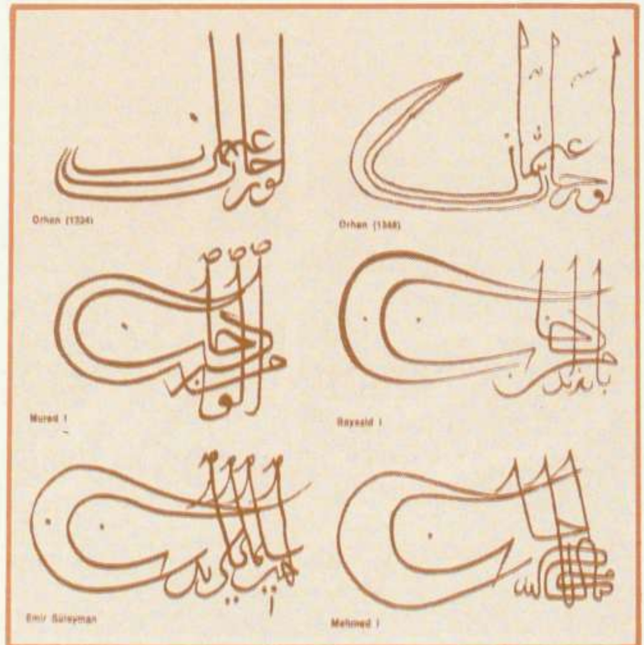
وبعد أن فقدت هذه الوظيفة أهميتها فى نهاية القرن الثامن عشر ، احتل الخطاطون مكان الطغرائيين واقتصرت وظيفتهم على رسم الطغراء فقط .

شكل الطغراء :

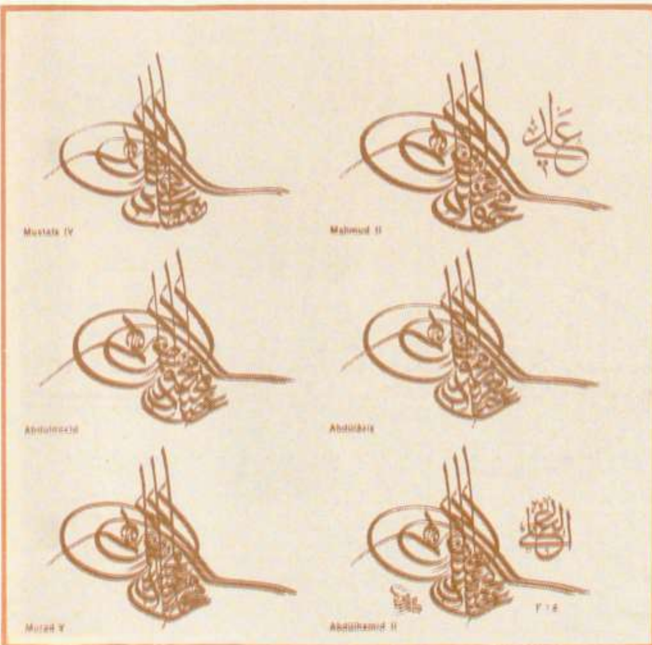
واذا نظرنا الى الطغراء فى صورتها المتطورة نجدها تتكون من أربعة أجزاء رئيسية وهى : ـ

أ ـ السَّرْأة : وهى كرسى الطغراء أو الجزء السفلى منها والذى يبدأ منه النص الأصلى ، ولها شكل كمثرى ؛ وكانت فى المراحل الأولى أقرب للاستطالة ، ثم أخذت تضيق من أعلا فى عهد السلطان سليم الثانى . واقترب شكلها من المثلث ثم استدارت قاعدة السرأة حتى استقرت على شكلها الحالى ، كما فى طغراء السلطان عبد الحميد خان بن عبد المجيد . والنص يكتب متراكبا فى رشاقة وتداخل غير مخل من أسفل الى أعلى وأحيانا تكتب الأسماء متشابكة أو على سطر واحد .

ب ـ بيضة الطغراء : وتطلق على القوسين



نموذج لطغراوات أوائل السلاطين



نموذج لطغراوات أواخر السلاطين

الناتجين غالبا عن كتابة حرفي النون فى كلمتي « خان » و « بن » . والقوس الخارجي يسمى البيضة الخارجية ، والقوس الداخلي يسمى البيضة الداخلية . وتقع بيضة الطغراء فى الجهة اليسرى ، ولها استدارة رائعة تتناسب مع السرأة فى اتزان جميل .

وبعد أن أضيف لاسم السلطان كلمة « مظفر » ، مد حرف الراء بشكل يقطع قوسى البيضة فزاد من إبراز الجمال الانسيابى لهما . كما يكتب فى وسطها كلمة « دائما » وتسمى (دايمه) وهى دعاء للسلطان بأن يكون مظفرا دائما .

جـ ـ الطوغ : أو الطغ ، ويطلق على الخطوط الناتجة عن مد حروف الألف أو اللام أو الطاء أو الظاء فى أعلى الطغراء والتى منها اشتق الاسم . وأحيانا نجد أن الطوغات لا تمثل أى حرف وانما هى عبارة عن خطوط مكملة لشكل الطغراء . ويتدلى من كل طوغ مايشبه الأعلام التى تخفق فى الهواء وتسمى الواحدة « زلفة » .

وفى الطغراء ثلاثة طوغات وثلاث زلف ، وان كان لبعض الطغراوات المبكرة أكثر من ثلاثة طوغات .

والطوغات الثلاثة متوازية وتميل ميلا خفيفا الى جهة اليمين وكأنها بيارق محمولة تخفق منها زلف من شعر الخيل فى مقدمة الجيش .

د ـ قول : ويطلق هذا الاسم على ذراع الطغراء الأيمن الذى يمتد بشكل خطين متوازيين مع انحناءة لطيفة تكمل الصورة الموسيقية لهذا التجريد الرائع .

وعلى جانب الطغراء الأيمن والمقابل للبيضة شعر الخطاطون بأن هناك فراغا فشغلوه بألقاب خاصة بالسلطان ، فكتبوا كلمات مثل الغازى أو رشاد أو عدلى . وتسمى هذه الكلمات « مَخْلَص » ، وكانت تُشغل فى الصور المبكرة برسم بعض الأزهار .

وكان للأمراء من أبناء السلاطين طغراوات خاصة بهم ، يستعملونها فى أثناء أعمالهم فى ادارة الألوية فى داخل الامبراطورية . وغالبا ما كان يستمر الأمير فى استعمال طغرائه بعد تولى السلطنة واعتلاء العرش . أما الوزراء فقد كانت لهم طغراوات خاصة تسمى « بنجه » ، ويمكن تمييزها عن طغراء السلطان بأن البيضة ذات قوس واحد ، وأن مكانها لا يكون فى أعلى الخطاب أو الوثيقة بل على الهوامش الجانبية .

وعلى امتداد ستة قرون تجمعت مئات بل ألوف من الوثائق والمعاهدات والفرمانات محفوظة فى المتاحف والمكتبات ودور الوثائق ، وعند دراستها ظهرت أهمية الطغراوات كوسيلة للتعرف على العهود المختلفة والتواريخ التقريبية للوثائق غير المؤرخة أو التى فقدت بعض أجزائها .

فبمعرفة اسم السلطان أو الوزير أو الصدر الأعظم من قراءة طغرائه أمكن تحديد العهد الذى كتبت فيه ، وأصبح من الممكن وضع الوثيقة فى مكانها التاريخى الصحيح . وأصبح تحليل الطغراء وقراءتها ضرورة للمؤرخين والباحثين فى العصور العثمانية (انظر الشكل) .

وأحيانا كانت تظهر صعوبات لتشابه أسماء السلاطين الذين بلغ عددهم ستة وثلاثين سلطانا ولكنهم يحملون خمسة عشر اسما مختلفا فقط .

ومن أشهر من كتب الطغراء مصطفى الراقم واسماعيل حقى وسامى أفندى وحامد أيتاش ومحمد زهدى والخطاط المعاصر حسن شلبى .

وبعد أن كان هذا الفن قاصرا على كتابة الطغراوات للسلاطين كتب الخطاطون بعض الآيات القرآنية الكريمة بنفس الطريقة ، لما وجدوا فيها من جمال ، فكانت نماذج رائعة للخط الجميل الذى زاد جمالا بما فيه من تحد وبراعة فى تداخل النص وتراكمه فى رشاقة تتراوح بين الصراحة والغموض .

حسن عبدالمجيد المعايرجى
جامعة قطر

هامش

1 — Die Grossherrliche Tughra - von Franz Babinger, Leipzig - Istanbul 1975.

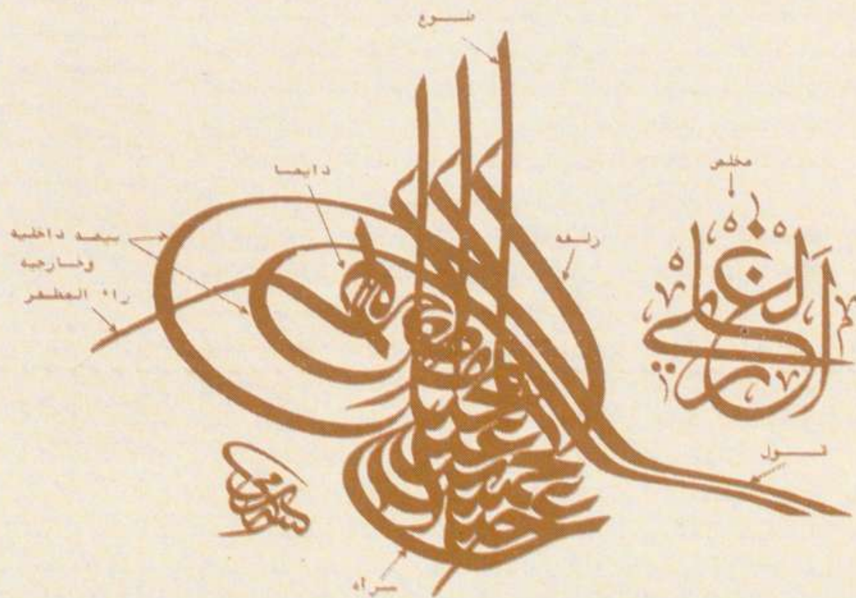
2 — Tarih Deyimleri ve Terimleri Vol. 3, P. 525-529.

3 — Osmanli Padishah Tugralari - Suha Umur, Istanbul 1980.

وقد ترجم مختصرا له إلى العربية السيد تحسين عمر طه من مركز الابحاث للتاريخ والثقافة والفنون الاسلامية باستانبول .

٤ ـ روح الخط العربى ـ كامل البابا ـ بيروت ١٩٨٣م .

٥ ـ مصور الخط العربى ـ ناجى زين الدين ـ بيروت ١٩٧٤م .



طغراء تحمل اسم السلطان عبدالحميد خان بن عبد المجيد ، كتبها الخطاط سامى ، مؤرخة سنة ١٣٢٣ هـ . ويمكن ملاحظة أجزاء الطغراء المختلفة على الرسم



من روائـــع
الفن العــالـــمي

بقلم: جمـــال قطـب

ســارة .. الفنّ والأسطورة

طالما استعرضنا سويا على هذه الصفحات كثيرا من روائع الفن العالمى من إبداع أساطين الفن العظام .. وكثيرا ماحظيت اللوحة بشهرة غامرة طغت على شخصية الفنان ومكانته فى التاريخ .. وعلى سبيل المثال فإن لوحات: الجيوكوندا، والجيرنيكا، ومارى انطوانيت، ومدام دى بمبادور، ومدام ريكامييه وغيرها، قد ذاعت حتى لانكاد أن نذكر أو نتذكر اسم مبدعها. وذلك لأهمية موضوع هذه اللوحات عالميا، أولأن التاريخ قد ركز على الشخصية التى رسمها الفنان مستلهما تلك المكانة المرموقة الجديرةبأن تكون موضع التسجيل والابداع الرفيع.

ومن هذه الشخصيات الفذةالتى استلهمها الفنانون فى أعمالهم، سارة برنار، نجمة المسرح العالمى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. كانت ظاهرة فذة فى عالم التمثيل والإلقاء والثقافة والأناقة والجمال والمغامرات. ومن أسعده الحظ وعاش عصرها، أو استمتع بأدائها المسرحى ولو مرة واحدة، أوشهد موكبها عند الاستقبال أو الترحال فى أي عاصمة من العواصم التى كانت تفتح لها ذراعيها بالترحيب والتكريم، أو من أتيحت له الفرصة وكتب دراسة واعية عن شخصيتها أو نقد أعمالها .. كان يقول دائما عن إيمان بما يقول: إنها ولدت قبل عصرها بمئات السنين! ولاغرو أن كان مسرحها (مسرح روزين برنار) ـ وهذا اسمها ـ أو سارة برنار ـ وهو الاسم الذى اشتهرت به ـ أكثر مسارح فرنسا بل وأوروبا كلها، جرأة وتطورا وأخذاً بأسباب المستقبلية والتقدم، ولذلك عرف عصرها فى التاريخ بالعصر الذهبى للمسرح العالمى!

كانت سارة برنار أشهر نجوم المسرح الفرنسى على الاطلاق .. وقصتها طويلة، طويلة مثيرة .. حتى أصبحت ملء الأسماع والأبصار على مدى نصف قرن تربعت خلاله على عرش الأضواء والتألق. ولم تكتف بأمجادها الأوروبية آنذاك، بل رحلت عبر المحيطات إلى الدنيا الجديدة ـ إلى الأمريكتين ـ مبتدعة أسلوبا مسرحيا جديدا يجمع بين الشاعرية والإثارة .. كما سحرت ألباب الناس بطريقتها الرائعة فى إلقاء الشعر والمأثورات الأدبية العالمية بصوتها الموسيقى الشجي الدافىء!

وتبارت الأقلام في وصف فاتنة الجماهير: قلب مستعر يذيب جليد القارة المتجمدة ـ كأنها علم خفاق وقد تحولت جموع الناس إلى جيش يلتف حوله يحيونه ويمجدونه ـ ببغاء جميل الألوان فاتن الأوصاف في قفص ذهبي صيغت أسلاكه من خطوط الطول والعرض من حول الكرة الأرضية ـ إذا سارت خفقت القلوب على وقع أقدامها وهى تتهادى فى مشية لولبية حالمة تثير الحواس الخمس عند الرجال والنساء على السواء ـ يداها قد خلقتا لتحتضنا قلوب البشر وتستقبلا ملايين المعجبين في أنحاء المعمورة ـ وجه معبر ساحر متكبر وعينان واسعتان نافذتان فى لون البحر ولكنهما تحتويان على أسرار أعمق من كل البحار! هذه هى سارة برنار!

كانت إذا رحلت في إحدى جولاتها الفنية إلى أحد الموانىء، استقبلها الناس رجالا ونساء بالزهور والرياحين والهتاف وصنعوا لها مناديلهم المطرزة بساطا تسير عليه حتى تستقل عربتها المذهبة التى تصنع خصيصاً لها، وتتحول المدينة المضيفة إلى مهرجانات رسمية وشعبية لتكريم (المعجزة) كما كان يطلق عليها!

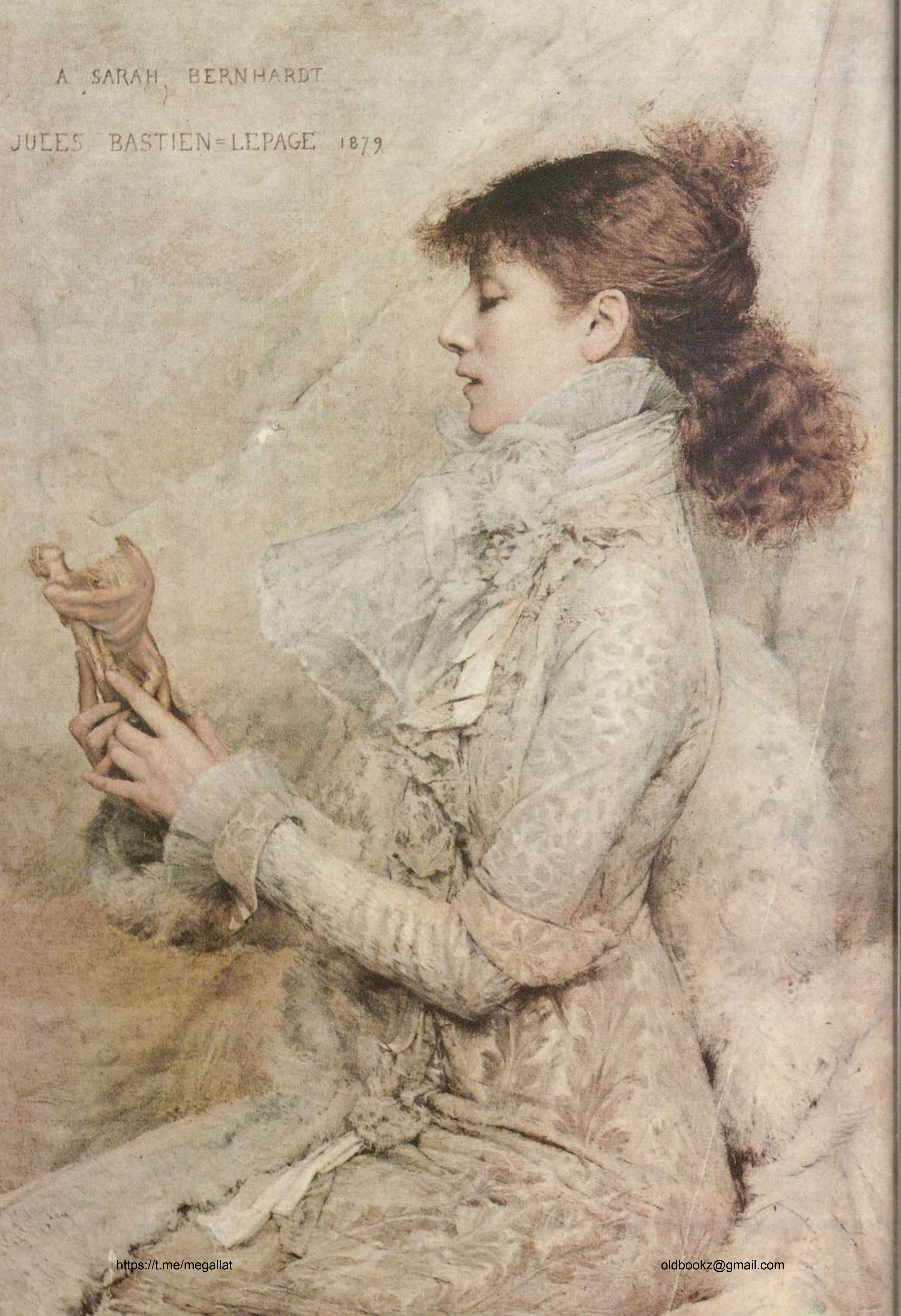
عندما همت سارة بالانحناء أمام قيصر الروس عندما دعاها إلى قصره ذات مساء، منعها القيصر قائلا: «لا ياسيدتى .. هذا واجب علىّ وأنا أحظى بلقاء سارة برنار»! وهكذا كان يفعل الملوك والقياصرة وهى فى ضيافتهم الخاصة محاطة بالإعجاب والتقدير.

وكان مشاهير الأدباء والشعراء والفنانين، يتبارون فى التقرب إليها ونظم القصائد ورسم اللوحات من أجلها. وممن شغفوا بها حبّاً وهياما أديب فرنسا الأشهر (بيير لوى) وشاعر انجلترا الكبير (أوسكار وايلد)، أما (فيكتور هوجو) فكان أن كتب لها مسرحيته الشهيرة (روى بلاس) التى كانت حديث العالم وقتها، وقد رحلت إلى كثير من دول العالم برفقة (هوجو) بناءً على طلب شعوب تلك الدول ..

ومن هؤلاء الذين اقترن اسمهم باسم هذه الفاتنة الأسطورية، رسّامنا الفرنسى (ليباج) واسمه الكامل: جول باستيين ليباج، فقد رسم لها عدة لوحات لصورتها الشخصية في أوضاع مختلفة .. لكن أشهرها جميعا هى تلك اللوحة الرائعة التى يراها قراؤنا على الصفحة المقابلة، وقد كتب الفنان فى أعلى الصورة: الى سارة برنار ـ جول باستيين ليباج ـ ١٨٧٩. وما أكثر ما أذيع عنهما من قصص وروايات رواها من عاشوا فى عصرها .. ولكن مثل هذه الروايات قد أذيعت عن العشرات والمئات من الشخصيات المرموقة فى عصر سارة .. ولم تقتصر على المفكرين والفنانين فقط، بل وعن الملوك والحكام والقادة العسكريين وغيرهم من رجالات المجتمع الأوروبى والأمريكى الكبار ..

وقد نشر مؤخرا في باريس مُجلد يحوى أسماء كبيرة للعشرات من هؤلاء، من بينها: الفونس الثالث عشر ملك أسبانيا، وفرانسوا جوزيف امبراطور النمسا ونابليون الثالث امبراطور فرنسا، وفردينان فوشيه قائد جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى، وغيرهم كثيرون.

وحلت نهاية تلك الرحلة المثيرة .. ورحلت سارة برنار عن عالمنا فى مثل هذا الشهر من ثلاثة وستين عاما، فقد ماتت فى ٢٦ من مارس عام ١٩٢٣ وودعتها فرنسا عن بكرة أبيها كما تودع عظماء التاريخ ..


A SARAH BERNHARDT
JULES BASTIEN=LEPAGE 1879

إبنة خالتي الغائبة

بقلم: وليد إخلاصي

ولدت ابنة خالتي الثالثة في فجر يوم من آخر أيام الشهر الأخير من شتاء قارس لم تشهد المنطقة مثله منذ نصف قرن ، وكان الوقود شحيحا والثلج غزيرا حاصر المدينة وكأنه وقع في غرامها فأتلفها تعبا وجوعا وخوفا . وكانت الصغيرة هزيلة لم تملأ يد القابلة بالبركة كما ادعت ، وقيل إن رئتي الوليدة لم تتفتحا للهواء الا بصعوبة . وقد سماها والدها بعد تفكير طويل (شتاء) ، ليس تيمناً بفصل تأتي الأمطار فيه خيرا ، بل إبعادا لعين الحاسد الذى سيقول لنفسه دون ريب : « كيف عاشت هذه المخلوقة في زمن البرد والفقر » !.

وظلت سيرة شتاء في مجالس العائلة يتناولها الكبار عندما يأتي ذكر الشؤم أو النحس ، حتى اقترنت بهما . كان زوج خالتي الموظف في ديوان المحافظة قد اقتيد الى السجن في نهاية العام الأول لولادة شتاء ، وخرج منه في بداية العام الرابع كسيحاً لايقوى على المشي دون عكازات ، وبالرغم من ثبوت براءته فإنه فقد وظيفته ، وظلت أجهزة الأمن لاتطمئن الى صمته الذي لازمه بعد ذلك . وفي عامها الثاني أصيب أخوها الوحيد والذى يكبرها بسبع سنوات بالجدري فأكلت البثور وجهه ونهشت عينه اليسرى . وعندما بلغت شتاء عامها السادس انتشرت مجاعة في المدينة بسبب أحوال الحرب والجفاف فاختفى القمح في أقبية التجار والأغنياء ، فسمعت لأول مرة عجوزا تقول :

« بعض البنات نحس على أهلهم وبلادهم » .

وبالرغم من أنني ولدت في العام نفسه الذى ولدت فيه ابنة خالتي ، فقد استطعت أن أفهم قول العجوز المتجهمة بأنه لايعني الصبيان أمثالي . ولكني لم أشعر بالفخر.

وإذ يتفتح جسدها الناحل أنوثة مبكرة ، يصبح جمالها لعنة بعد أن ابتدأت بوادر الصراع عليها من رجال جعلوا يتقربون من زوج خالتي الذى قبع خلف كوة صغيرة في كوخ يبيع فيه الدخان والحلوى للصغار والجرائد والمجلات القديمة التي كان يسلي نفسه بقراءتها ، وكان لايرد طلبا لواحد من الطالبين يد شتاء فيردد مجيبا على التقرب بصوت حيادى :

« الخير فيما اختاره الله » فيظن السامع أن الدعاء هو الموافقة . ولكن الخاتمة لم تكن خيراً ، بل حملت مأساة لاتنسى ، فقد قام مالك الشاحنات البرية الذى أقسم على الزواج من شتاء بأي ثمن ، بدهس تاجر النوفوتيه الذى اشتهر بصبغ شعره الأبيض بالحناء ، وكان قد حلف بأولاده الستة في السوق وأمام جمع من البشر ، بأنه سيتزوج من الصبية ولو ضحىّ بثروته كلها من أجل عيون أجمل البنات في كل الدنيا .

لقد حاول (زعيم البوزينغ) كما كان يحلو لمالك الشاحنات أن يسمي نفسه منذ أن سيطر على الطرق البرية في معظم أرجاء البلاد فكانت له مهابة وشكل القاطرة والمقطورة ، حاول أن يُبعد الخطاب المتكاثرين عن ابنة خالتي التي لم تعلم بعد أهمية جمالها الغريب ، والذى يمكن وصفه وفقا لأقوال نسوة العائلة والحي على أنه من صنع ابليس نفسه ، وهو في الحقيقة هبة من الله . ويبدو ، كما سيقال بعد ذلك ، ان زعيم البوزينغ قد وضع لائحة بأسماء المتنافسين ، والذين لم يكن أحدهم لينقص عمره عن الأربعين ، وهو سن النضج والرجولة كما يذكر دوما . فكان اسم تاجر النوفوتيه الكبير على رأس القائمة . وقد انتظرت المنافس الأول شاحنة عند رأس الشارع حيث داره يعود اليها مساء كل يوم ، وما إن هم الرجل بدخول الدار حتى تدحرجت السيارة الثقيلة فسوت جسده المكتنز بالأسفلت وهربت بعد ذلك بسرعة مجنونة ، فلم يستطع أحد أن يلتقط رقمها أو يجرؤ على تقديم أي وصف لها ، فقيدت الحادثة ضد مجهول . ولكن القضية سرعان ماباتت معروفة لدى من له علاقة ، فشتاء الجميلة هي سبب للعنة التي أصابت أهلها ، وهي الدافع الى جنون الرجال . ويبدو أن ملك الشاحنات أخافه الاستمرار في تنفيذ مخططه ، ثم انه تناسى طموحه في ضم الصبية الى حريمه إذ تغيب شتاء نهائيا عن الدار والحي ، فلا يبقى منها سوى ذكريات غائمة في الأذهان ، وحسرة في قلب من أحبها حقا .

كانت ابنة خالتي متفوقة في دراستها ، ولكن المديرة التي وقعت في غرامها فقربتها منها ، كانت تحس بالضيق كلما رأت علاماتها العالية أو الكاملة في الامتحانات والوظائف ، فتظن أن المعلمات يردن مشاركتها في حب الصبية . وهكذا لم تعد المديرة العانس بقادرة على الفصل بين حبها الجامح لشتاء وخوفها عليها من الأخريات ، فاختلط الحب بالكره وتمازج الحنان بالقسوة ، فما عادت المسكينة تعرف حقيقة موقعها من المديرة أو في الصف اذ تزعمت حملة الكراهية ضدها تلميذة شقراء لكنها غبية الملامح ، وجعلت تشهر بفقر شتاء واختلقت أكاذيب لاحدود لها عن سلوكها ، فكانت شتاء التي تعلمت الصبر والدهشة تعود الى الدار كل يوم لايميز الحزن في وجهها من الوداعة ، وتجلس الى الدمية التي صنعتها من الخرق البالية عمة لها لتغرس في جسد اللعبة دبابيس كان لكل واحد منها غرض في ابعاد الشر والحسد عن شتاء . لم يكن للدمية وجه واضح ولكنه على مايبدو كان قادرا على فهم أحزان شتاء الصامتة .

وبالرغم من أن الصبية باتت الابنة الوحيدة لأبويها بعد زواج أختيها واختفاء أخيها في سفر بعيد لكسب الرزق والابتعاد عن العيون التي لم تنقطع عن التحديق في وجهه المجدور ، بالرغم من ذلك فقد ملأت شتاء دار أهلها حياة وخيرا ، فهي التي ما إن تنتهي من دروسها حتى تقوم الى المطبخ تعد الطعام أوتنظف الغرف وصحن الدار أو تساعد والدها العاجز في استخدام العكازين برفق تلمع له عيناه فيتمتم بالدعاء لها ان يحميها من الذئاب ، فتتساءل شتاء عن الذئاب التي

لاتعرف عنها شيئا الا من خلال الكتب المدرسية أو الروايات التي أغرمت بها منذ أن تعلمت القراءة والكتابة في سن مبكرة ، ويكون جواب زوج خالتي كعادته مبهما وحياديا فكأنما السجن علمه أن يلزم الحذر في كل مايقول ويفعل .

وكان أخي الاكبر ، والذى تحول فجأة من شاب مستهتر يدخن السجائر ويلاحق الفتيات في المدينة الجديدة ، ويخيف شباب الحارة بسكينه التي صنعها بنفسه من عظام ديك رومي احتفلنا بالتهامه في واحد من الأعياد القليلة التي عرفنا فيها السعادة ، أخي الذى تحول فجأة الى طالب مجد يقرر أن يعيد دراسة البكالوريا لكي يدخل الجامعة ويكون رجلا محترما ، كان هو المتضرر الآخر من غياب شتاء الذى لم نحسب له من قبل أى حساب .

كانت أولى بوادر اهتمام أخي بابنة خالته ، قد ظهرت يوم زارتنا بعد غياب ، ولعبت مع البنات في صحن الدار ، وتطايرت ضفيرتها كذيل فرس حرة ، فتفتحت يومها أزهار الفل وتجمعت العصافير على أغصان شجرة النارنج وتدفق الماء من أطراف البركة التي كانت خاملة منذ زمن . وأصيب أخي بحالة من الوجوم استمرت ثلاثة أيام بلياليها ، وسمعته في الظلام يتقلب على الفراش المجاور ويردد في نومه « شتاء .. ياشتاء » .

فكتمت السر عن الجميع خوف أن يبطش بي ، كما وأني أخفيت عن نفسي في البداية ذلك الانجذاب المبهم الى ابنة خالتي ، فلم أعد أفكر بها الا وأنا نائم فتظهر علي دوما من خلف شلال من الماء المتدفق ، فتبتسم في وجهي وتمد لي ذراعيها فأركض نحوها لاهثا ، واذ بالحلم ينتهي دون رحمة ، فاستيقظ تحرقني الرغبة المبهمة ويربطني الخوف من أن يقرأ أحد صفحة أو سطرا من حلمي الذى لم يتغير أو يتبدل طوال فترة الصبا .

أما أخي فقد هتف ذات مرة في وجه أمي التي كانت منكبة على الطشت تعارك الغسيل :

« أريد أن أخطب » !

فقالت له وهي تفرك بيديها شرشفا زادته الرقع سماكة :

« من يخطب يعني أنه يريد أن يتزوج »

فقال بشراسة وهو يدق بلاط الحوش المنخور بقدمه :

« هذا صحيح . من يخطب يعني أنه يريد أن يتزوج » .

ثم قال برقة مفاجئة وقد سقطت عيناه على شجرة الياسمين :

« ابنة خالتي »

« ابنة خالتك ! من تقصد ؟ »

« ابنة خالتي شتاء »

آنذاك نفضت أمي عن ساعديها ماء الصابون ، ثم رفعت عينيها نحو أخي تتأمله وكأنها لم تفهم بعد قصده ، وكان هو بقامته الطويلة التي كنت أحسده عليها ، قد بدا كفارس أو مقاتل ينتظر الرد على تحديه . هتفت أمي فجأة :

« هي ابنة أختي ، من لحمي ودمي . ولكنها نحس على أهلها ياولدى »

فصرخ أخي بعنف العشرين الذى يتجمع في عروق رقبته ، فارتجفت لصوته حبال الثوم والقديد : « لن أسمح بعد اليوم لكلمة سوء أن تقال عن شتاء » .

فعادت أمي الى الغسيل وهي تتمتم :

« أو تحبها أكثر مني ! »

فأفلتت من أخي اعترافاته التي شعرت بالضيق الهائل منها وان كنت لم أجرؤ على فعل شيء : « أحببها وسأظل أحبها ، وأريدها ، ولن تكون لغيرى ، والويل لمن يقف في طريقي » .

في امتحانات (الكفاءة) العامة ، كانت شتاء الأولى على طلاب وطالبات المدينة ، وكانت أصغر الجميع سنا ، فوسوست جارة — لم ينجح ابنها — في أذهان أهل الحي أن الفتاة لم تنجح الا لفتنتها التي لم يقاومها رجال الامتحان ونساؤه ، كما أن الصحافة المحلية لم تنشر صورة شتاء كعادتها في تكريم الأوائل ، إذ لم تعثر على عنوان دارها الكائنة في حي مهمل من المدينة القديمة .

وكانت الأولى دون ريب بين الصبايا في الجمال ، بل كنا نقطع بذلك الأمر أنا وأخي ، هو جهرا وأنا بالسر ، ولانسمح بالحديث عن جمال أنثى بعد شتاء ، ولكن نجاح الصبية الذى حقق تقدما لم يسبق لأحد من قبل أن سجل مثله ، كان هو الوبال على الحب المعلن والمكبوت .

اختفت شتاء فجأة ، وكان أول من شعر بغيابها هو أخي الذى حفزه نجاحه غير المتوقع في امتحانات (البكالوريا) الى زيارة بيت خالته بشجاعة ، وفي نيته أن يعلن عن حبه بعد أن صار مؤهلا لطلب يدها ، ضارباً بذلك عرض الحائط كل تحذيرات أمه والعائلة ومتحديا كل من يفكر في الحصول عليها .

في المرة الأولى ، لم يجرؤ أخي على الاستفسار عن وجود شتاء ، بل ظل يحادث خالته عن ذكريات الطفولة وطموحات المستقبل . وفي الثانية ، تساءل إن كانت شتاء في الدار ، فلم يلق تصريحا يوضح أى أمر . ولكنه في المرة الثالثة أخرج من عبه الهدية التي كانت صندوقا صغيرا من العظم صنعه لشتاء كي تضع فيه الحلي والهدايا الثمينة التي ستأتيها في المستقبل ، وقال باصرار : « أريد أن أعطيه لشتاء ، وأريدها أن تستلمه هي بيدها » .

فقالت خالتي بجفاء لم يتوقعه :

« مسافرة »

بعد فترة طويلة عرفت الحقيقة ، فشتاء سافرت الى بلاد بعيدة ، أعلن عنها بعد فترة أخرى على أنها أمريكا . جاء خال أمها المهاجر الذى حضر بعد غياب طال ثلاثين سنة ليتفقد الأهل والأقارب ، ففوجيء بتلك القريبة الصبية التي لها من الجمال ما لم تقع له عين على مثله ، والتي فيها من الذكاء مالا يشبه ذكاء شاهده في بلاده القديمة أو الجديدة ، فهتف من فرح ودهشة وهو الذى لم يرزق من قبل ولدا من زوجته الأميركية التي ستفتنها شتاء أيضا . قال المهاجر :

« أريدها بنتا لي وسأعطيها الفرصة للعلم والثروة »

ثم أضاف كما صرحت بذلك خالتي بعد سنوات :

« أنتم هنا لاتستطيعون تقدير ثروة عظيمة كشتاء . تفرطون بالكنوز فكيف الحال مع صبية كهذه ! »

وقال زوج خالتي العاجز الذى لم يأسف على غياب ابنته :

« ستجد شتاء من يقدر الجوهرة التي فيها ، وكما قال خال زوجتي فنحن نقتل أجمل مالدينا بأيدينا » .

ومل أخي الانتظار ، وبعد تخرجه من الجامعة تزوج من أرملة قريبة لنا خلف لها زوجها دارا ودكانا فجعل أخي يعمل فيه بنفسه بعد يأس من وظيفة . وبقيت أنا أفكر بلا انقطاع في شتاء التي انقطعت أخبارها عنا بعد وفاة أبويها . وكنت أحلم أحيانا بأني سأشاهدها ذات مرة في فيلم أو مسلسل أمريكي على شاشة التلفزيون ، تعمل طبيبة أو مغنية مشهورة أو زوجة رجل أعمال مرشح لمنصب سياسي . وكنت لا أمل من التدقيق في الشاشة حتى أدمنت مشاهدة التليفزيون ، ولكنني لم أستطع مرة أن أعثر على امرأة تظهر في حكاية أميركية تفوق جمال شتاء بأي حال من الأحوال . ومع كل ذلك الهوس الذى مازال يركبني ، فان أحدا لم يطلع بعد على السر الذى أخفيته في أعماقي ، حرصي على جوهرة ثمينة ، طوال السنين كلها ..

الفنانة صفية..

تعيش لفنها كل الوقت

الانسان هو العنصر الأساسي في جميع أعمالها : إنها تصوره في واقعه وخلال حياته اليومية . معبرة عن همومه وأحلامه ونظرته للأمور . بأسلوب واقعي موضوعي يحمل نبض البيئة وحياة البسطاء بأسلوب البسطاء أنفسهم في الرسم .

بقلم : صبحي الشاروني

يرتبط اسم الفنانة صفية (صفية حلمي حسين) بأتيليه حلوان الذي أسسته مع المثال هجرس عام ١٩٦٥ ..

كان لقاؤها مع الفنان محمد حسين هجرس عام ١٩٦٣ في وكالة الغوري بحي الأزهر ، وأصبح مرسمهما مكانا يقصده العديد من المثقفين الشباب من بينهم الشاعران سيد حجاب وعبدالرحمن الأبنودي اللذان كانا كلما أتم أحدهما قصيدة أسرع ليقرأها عليهما أولاً قبل أن يدفعها لإحدى دور النشر .

في تلك الفترة بدأ اهتمامهما المشترك بفن الخزف ، واتخذ هذا الاهتمام شكلاً مثيراً ، إذ اتفقا على تخصيص يوم من أيام الأسبوع يقيمان فيه (حفلة خزف) ، فكانا يشتركان في عمل تماثيل وأوان خزفية طوال ذلك اليوم .. لكنها كانت تظل من الطين دون تسوية لعدم وجود أفران للخزف في وكالة الغوري في ذلك الوقت ، وقد قامت بشراء فرن صغير لكنه لم يكن صالحاً لتسوية الفخار .

وعندما عرض عليهما الفنان الراحل محمد شفيق استئجار منزل بضاحية حلوان أسرعا إليه ، وأنفقا عامين وبضعة آلاف من



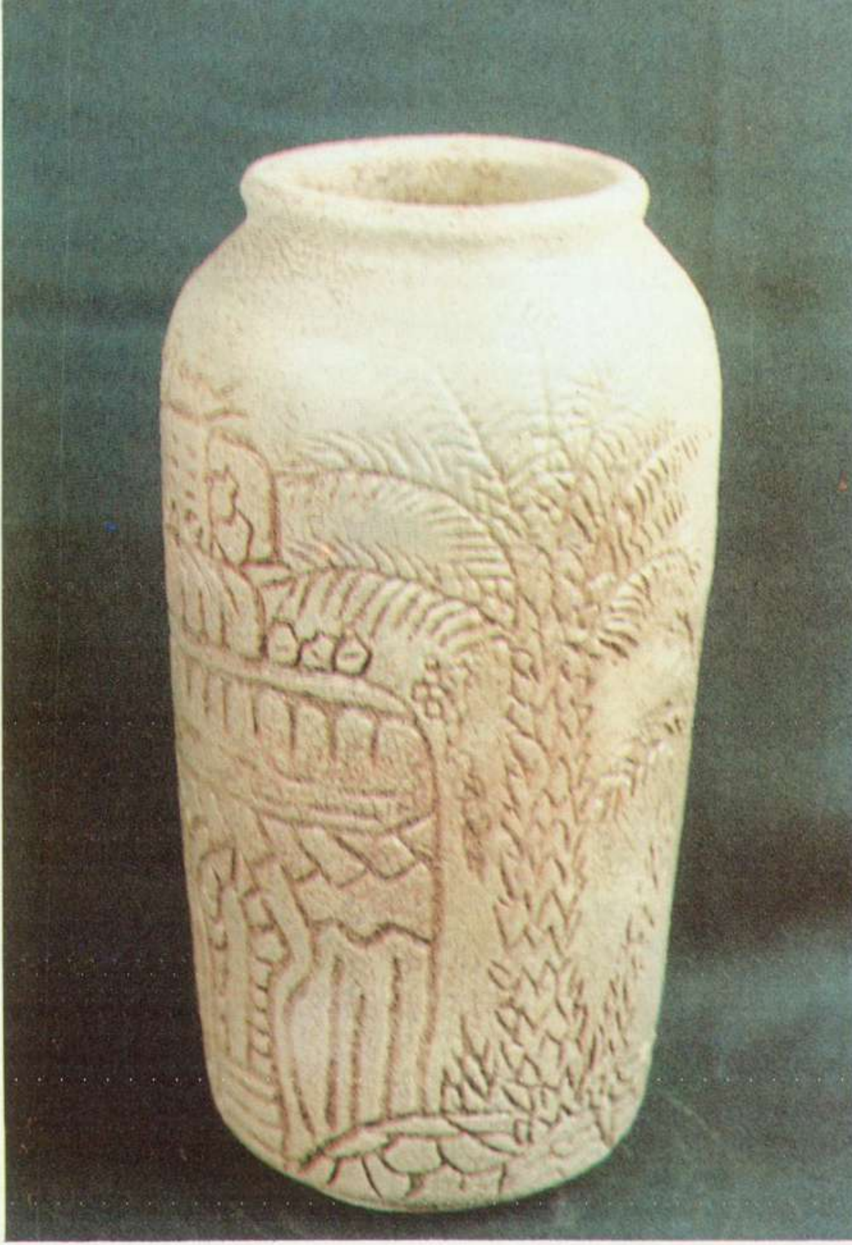
طبق من الخزف .. للفنانة صفية .. فيه تبسيط للخطوط يعطى احساسا بالقوة ..

الجنيهات لترميمه وبدأ العمل به عام ١٩٦٥ وهو المعروف حالياباسم باسم (أتيليه حلوان لهجرس وصفية) .

كانت الفكرة من اقامة أتيليه حلوان هي توفير مكان يستطيع أن يتجمع فيه الرسامون والموسيقيون والشعراء والكتاب والنقاد حيث يجدون مناخاً يتصف بحرية المناقشة وعرض الانتاج الفني للتشاور حوله قبل تقديمه للجمهور ..

أما عن انتاج أتيليه حلوان فكانت صفية تتجه إلى فن الخزف ، بينما هجرس ينحت تماثيله الخشبية .. في البداية حاولت انتاج أوان خزفية للاستخدام اليومي كالأطباق والمزهريات والأكواب ، مع العناية باخراجها في تصميم جميل يعبر عن وظيفته الاستعمالية وليس باعتبارها أشكالاً جميلة فقط وتزيينية ، كما هي الحال عند معظم الخزافين المصريين .

لكن هذه الأهداف تغيرت وهاجر هجرس إلى الخارج وبقيت الفنانة صفية لتدير أتيليه حلوان حيث تنتج أعمالها الخزفية ، بينما تقوم برسم لوحاتها في مرسمها بوكالة الغوري . ولنبدأ القصة من أولها ..



● كانت في صغرها تحبّ الموسيقى وتحلم بالسفر والترحال وتتمنى لو عملت في تنسيق الحدائق

● أعمالها مقابل "تشكيلي" للشعر والموسيقى، وتعبير مؤثّر عن المشاعر الإنسانيّة



مراكب



عمال البناء

الفنانة صفية..

تعيش لفنها كل الوقت

النجارة أو تنسيق الحدائق

ولدت عام ١٩٢٣ بالقاهرة ونشأت في أسرة تضم اثنى عشر فرداً. كان والدها حقوقياً ويعمل رئيساً للادارة الأوربية في مجلس الوزراء، حكى لأبنائه أن جده كان يمتلك سبعة آلاف فدان، لكنه ضيعها بتهوره وتطاوله على الخديوي الذي أمر بمصادرة أطيانه.. وكان الوالد يحمد الله أنه لم يرث هذه الأموال الحرام، مؤكداً أنه ليس هناك من يستطيع استخلاص سبعة آلاف فدان بالطرق المشروعة.

ذات يوم عام ١٩٤٢ عندما تولت وزارة مصطفى النحاس مقاليد الحكم في مصر أحس الوالد بأنه ظلم بتخطيه وعدم ترقيته إلى منصب سكرتير عام مجلس الوزراء.. فاستقال ببساطة ليعمل مترجماً في السفارة الفرنسية بالقاهرة.

صفية هي رقم (خمسة) بين الأبناء العشرة الذين يكونون مع الأب والأم أفراد الأسرة.. وقد تعلم الجميع حتى أنهوا دراستهم الجامعية.. فالجو العائلي يقدس العلم ويحرض الأبناء على تعلم كل الأشياء وعلى رأسها اللغات والقراءة والسفر.. والأم تجيد التحدث بالانجليزية والفرنسية إلى جانب العربية.

من بين أخوتها من شغف بالعلوم، فكان يواظب على شراء مجلة الهوايات (هوبي)، وهي تعرض الأشغال اليدوية والصناعات المنزلية وتعلم النشء العديد من المهارات، فكانت (صفية) تتابع هذه المجلة بشغف حتى ترسبت في أعماقها خبرات وجهت أحلامها وهي طفلة أن تعمل في النجارة أو تنسيق الحدائق!

القاموس يقيد الحركة

ومن ذكريات الفنانة أن والدها كان يقيدها وقت الظهيرة ليتيح لبقية أفراد الأسرة أن يناموا في هدوء، كان يستخدم أسلوباً غريباً لقيد حركتها دون أن يؤذيها، بل كانت تستمتع بهذه الفترة، فكان يضعها في كرسي كبير (شيزلونج) ويضع على ساقيها كتاباً ضخماً فلا تستطيع أن تغادر مكانها بسبب ضخامة ذلك الكتاب.. ولم يكن هذا الكتاب الضخم سوى قاموس (لاروس) الفرنسي، فكانت تقضي هذا الوقت في تقليب هذا القاموس والفرجة على الصور والرسوم التي به.. كانت هذه هي البداية التي وجهتها إلى حب القراءة، فقد كان أهل البيت يدمنون القراءة، وكانت صفية تقلد الكبار وتواصل النظر في الكتب وتقليبها قبل أن تفهم كلماتها..

وعلى سبيل المثال عندما كان عمرها عشر سنوات قرأت عن نظرية النسبية، وإن لم تفهمها في ذلك السن.

صحيح أنها كانت تحصل على أرقام عالية في مادة الرسم، لكنها لم تتصور أنها ستكون رسامة.. كل ما في الأمر أنها كانت تحب الموسيقى وتحلم بالسفر والترحال وتتمنى لو عملت في تنسيق الحدائق.

الدراسة

إلتحقت بالقسم الحر في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٥١ وأنهت دراستها به عام ١٩٥٧، وفي خلال تلك الفترة التحقت ببعض المراسم الخاصة، في البداية ترددت على مرسم الفنان الأرمني الأصل (جرابديان) لمدة عامين ٥٣، ٥٤ وكان مرسمه في حي شبرا.. ثم التحقت بمرسم الفنان حامد عبدالله الذي كان مقاماً في بيت الفنانة تحية حليم ــ زوجته في ذلك الوقت ــ لمدة العامين التاليين ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦، وبعد سفره إلى أوربا مهاجراً استمرت تتردد على الفنانة تحية حليم حيث كانت مع انجى افلاطون وغيرها من فناني وفنانات هذا الجيل.

في كلية الفنون الجميلة قام الفنان (بيكار) في البداية بالاشراف عليها، وهي تذكر دروسه لها وتوجيهاته باعجاب شديد، حيث كان يتركها وزملاءها يرسمون طوال الأسبوع، ثم يعقد حلقة مناقشة لأعمالهم كل يوم خميس. وكانت هذه الطريقة تدفعهم إلى العمل باجتهاد شديد حتى تظهر نتيجة جهدهم في اجتماع آخر الأسبوع.

كما التحقت فترة بمعهد معلمات الفنون حيث درست على يدي الفنانة الايطالية المولد (ايما كالي عياد) زوجة الفنان الرائد الراحل (راغب عياد) وكان وقتها يعمل مديراً لمتحف الفن الحديث بالقاهرة، وقد تولى الاشراف على القسم الحر بعد استقالة بيكار وتفرغه للصحافة.

الفنان الراحل (عبدالعزيز درويش) ثم (حسني البناني) توليا العمل بالقسم الحر بعد إحالة راغب عياد إلى المعاش.. الأول علمها كيف تهتم بالمكتبة وتستفيد بالكلمة المكتوبة عن الفن، والثاني علمها رسم المناظر الخلوية.

كما استفادت من الفنان حامد عبدالله عندما وجهها إلى معرفة المدارس الفنية المختلفة وشجعها على ممارسة الأسلوب الذي يناسبها.. وكان هذا الأمر موضع خلاف بين أساتذتها في قسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة وأستاذها حامد عبدالله.. وقد نتج عن هذا الخلاف عدم حصولها على جائزة مرسم الفنون الجميلة بالأقصر، فتركت كلية الفنون الجميلة وبدأت تتفرغ تماماً لحياتها الفنية.

وكانت تريد أن تستعيد ثقتها بفنها فتقدمت لمعرض صالون القاهرة عام ١٩٥٧ ببعض لوحاتها، ففازت بجائزة التصوير الثانية عن بعض الأعمال التي تقدمت بها للحصول على جائزة مرسم الأقصر في كلية الفنون الجميلة.. وقد أعادت هذه الجائزة ثقة الفنانة بنفسها وبأسلوبها، وبدأت تستعد لإقامة المعرض الأول لأعمالها.

وهكذا تفرغت الفنانة صفية للفن من البداية باعتبارها فتاة وغير مطالبة بأن تعمل طبقاً لتقاليد تلك الفترة.. وقد حصلت على شهادة الثقافة عام ١٩٤٢ واكتفت بهذا القدر من الدراسة المنظمة.

سافرت إلى جميع أنحاء مصر سواء لمناظرها الخلابة أو لآثارها.. وهي تهتم بقضاء شهر كل عام بين آثار البر الغربي لمدينة الأقصر.. كانت تعيش حياة رخية لم تحس بضغوط الحاجة الاقتصادية.. كانت تلعب التنس وتشتري ما تشاء ولم تعرف قيمة النقود إلا في وقت متأخر.

إستأجرت مرسماً في شارع شريف باشا كان يشغله الفنان ممدوح عمار ثم سافر في بعثة إلى الخارج فحلت الفنانة مكانه.. وكان المبنى أشبه ببيت للفنانين حيث كان يسكنه موسيقيون ورسامون من بينهم منير عامر الصحفي وآخرين.

وتذكر الفنانة أنها التقت ذات يوم بالفنان سعيد الصدر رائد فن الخزف المصري المعاصر في حدائق الأورمان بكلية الفنون التطبيقية، وكان ذلك قبل عشرين عاماً من بداية ممارستها لفن الخزف، وقد تركت هذه المقابلة رواسب في أعماقها دفعتها إلى حب هذا الفن والتفوق فيه.

وتعرفت على الفنان صلاح طاهر الذي شجعها لتقيم المعرض الأول لأعمالها في متحف الفن الحديث بمقره القديم.. ولم يلبث أن شجعها وعاونها في الحصول على مرسم خاص في مبنى وكالة الغوري بحي الأزهر عام ١٩٦٢.. وهو من المراسم التابعة لوزارة الثقافة في المباني الأثرية.

وأقامت معرضها الثاني الكبير عام ١٩٦٥ في صحن وكالة الغوري وكان يضم ٧٥ لوحة تصوير زيتي واكليريك وألوان مائية مع لوحات تصوير جداري (فرسك) بالإضافة إلى أعمالها في فن الجرافيك.

بعد هذا المعرض أقامت الفنانة معارض مشتركة مع فنانين آخرين وواظبت على الاشتراك في المعارض الجماعية، ثم توقفت عن هذه المشاركة عندما وجدت تقديراً خارجياً لفنها وإهمالاً محلياً لاعمالها.

ذات يوم قصدتها إحدى صديقاتها تطلب منها معلومات عن فن الخزف بعد أن رفض

كانت تطلب من محمد مندور تشكيلها على دولاب الخزف الدوار ثم تقوم هي بتلوينها ، وانتهت هذه المرحلة باتجاهها إلى ابتداع أعمالها الخزفية بعد أن هضمت هذه الخبرات ، لكن الفنان هجرس أعتقل عام ١٩٦٩ ، وأصبح عليها أن تواصل العمل في مرسم حلوان بمفردها ، لكن هذا لم يستمر طويلا .

وسافرت صفية عام ١٩٧٠ إلى استكهولم ثم باريس وزارت تشيكوسلوفاكيا ثم النمسا ثم ايطاليا . وفي استكهولم شاركت في المعرض الدولي للحفر الذي أقيم سنة ١٩٧٠ حيث عرضت ٥ لوحات ، وأقبلت الجاليريهات الخاصة على احتجاز بقية أعمالها ، وعندما انتقلت إلى باريس لم يكن معها إلا عدد محدود من لوحات الألوان المائية لا تكفي لإقامة معرض رغم عرض المركز الثقافي المصري بباريس عليها إقامة معرض لأعمالها في قاعة المركز بشارع (سان ميشيل) . وتوفى عبدالناصر في تلك الفترة فأكملت جولتها وعادت إلى مصر . لتعيد الحياة إلى اتيليه حلوان وتواصل انتاج أعمالها الخزفية مع محمد خليل مندور حتى عاد محمد هجرس من غربته .

الرحلة إلى لندن وبرلين

في عام ١٩٧٤ سافر فنانو مرسم حلوان الثلاثة هجرس وصفية ومحمد مندور لمدة أسبوع بالأقصر ، وفي البر الغربي إلتقيا بأحد المستشرقين الألمان .. وقد دعته الفنانة لزيارة مرسمها في وكالة الغوري بعد انتهاء جولته في الأقصر وأسوان .. وقد زار مرسم صفية في وكالة الغوري ثم اتيليه حلوان ، وبعد عودته إلى برلين الغربية أرسل إلى صفية وهجرس دعوة للعرض في برلين الغربية .. في تلك الفترة وجه المجلس البريطاني إليهما الدعوة للسفر والاقامة في انجلترا ، فسافرا إلى لندن أولاً عام ١٩٧٦ حيث التقيا (ببرنارد ليتش) أستاذ الخزف العالمي وعدد من الرسامين المعاصرين بالاضافة إلى لقائهما مع المثال الانجليزي العالمي « هنري مور » .

بعد زيارتهما لبريطانيا التي استغرقت شهرين سافرا إلى برلين حيث أقاما معرضهما في الأكاديمية البروتستانتية ، وأقيم المعرض في قاعة إحدى الكنائس ذات الطراز المعاصر .

وبعد عودتهما عام ١٩٧٦ من هذه الجولة الناجحة أحس هجرس بالاضطهاد الشديد من إدارة الفنون الجميلة التي قطعت راتبه ، فسافر إلى العراق عام ١٩٧٧ ثم انتقل إلى لبنان ليعمل بتدريس الخزف لأبناء اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات ، واستمرت صفية وحدها في مرسم حلوان تنتج أعمالاً خزفية يومين كل أسبوع ، وترسم لوحاتها في وكالة



إنـــاء مزخـــرف برسوم محفورة وأخرى مفرغة على الغطـــاء ــ مـــن الفخـــار الزلـطي الأسود

وتحت إلحاح فكرة الانتاج الغزير تعرف الفنان هجرس عام ١٩٦٧ على محمد خليل مندور (الخزاف المعروف حاليا) وكان يعمل في مصانع الفخار بمصر القديمة ، وكان عمره وقتها ١٢ عاماً ، أقنعه بالعمل في اتيليه حلوان ليشكل الأواني على دولاب الفخار الدوار بعد أن كانت مهمته هي تشكيل (أصص الزرع) ، فقد أتاح له العمل في اتيليه حلوان التجويد والدقة بدلاً من السرعة والانتاج الكمي .

في هذا المكان حصل محمد ثم أخوه خليل على التعليم المدرسي على أيدي مدرسين خصوصيين بين فترات العمل ابتداء من القراءة والكتابة إلى اللغات وغيرها من العلوم التي يحصل عليها تلاميذ المدارس فقد كانت ابنة الفنان هجرس تكبره بسنوات قليلة ، فتدرج معها في الدراسة حتى مستوى الثانوية العامة .

أما خطة الفنانة صفية فكانت تهدف إلى دراسة الخزف القبطي والاسلامي والشعبي ، ثم استنباط أشكال معاصرة من هذه الدراسة ، فكانت تقوم بزيارات منتظمة إلى متحف الفن القبطي بمصر القديمة ومتحف الفن الاسلامي بباب الخلق ، وكانت ترسم أشكال الخزف والأواني المتحفية ، وعندما تعود إلى حلوان

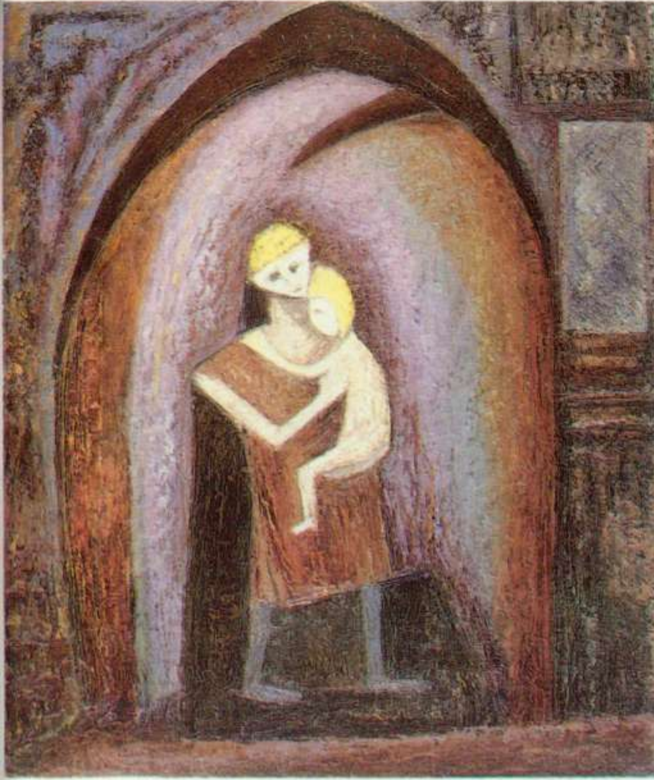
بعض الخزافين المصريين الذين لجأت إليهم مساعدتها باعتبار أن هذا الفن يتضمن أسرار لا يمكن إباحتها .. فأحضرت كتاباً أجنبياً وقامت بترجمته في شكل مذكرات ومعادلات واحتفظت بنسخة من الترجمة وقدمت الأخرى لزميلتها .

لقد بدأت الفنانة بفرن يعمل بالوقود الخشبي واستعانت بعمال الفخار من مصانع مصر القديمة .. ولكن عندما ارتفعت أسعار الخشب وأسعار العمالة اتجهت إلى الأفران الكهربائية وتعمقت في أبحاث الألوان الخزفية .

وقد تصادف في ذلك الوقت عند انشاء اتيليه حلوان أن الفنان كمال عبيد كان يصنع أفراناً لتسوية الخزف لمن يطلبها .. وفعلاً قدم لهما فرناً ومعه ورقتين حول أهم شروط تسوية الخزف وطريقة عمل الطلاءات الزجاجية ، وبدأ العمل ، بالطبع صادفتهما بعض المتاعب وقام البعض باستغلال جهلهما بمصادر الخامات لكنهما بعد فترة تعرفا على تلك المسالك وأصبح في امكانهما عمل انتاج غزير ، ثم تبينا أن ظروفهما لا تسمح بالانتاج التجاري فاقتصرا على الانتاج الفني .

الفنانة صفية..

تعيش لفنها كل الوقت



أمومة



نخيل مرسوم بالطلاءات الزجاجية على إناء من الخزف



السقاء (حامل الماء)

الغوري ، أما محمد خليل مندور فقد استقل عام ١٩٨١ عندما أقام مرسمه الخاص في مدينة الفخار بحي مصر القديمة ..

وفي عام ١٩٨٥ سافرت الفنانة صفية إلى فنلندا لتقيم معرضاً لأعمالها في فن الخزف بالاضافة إلى انتاجها في فنون التصوير الزيتي والجرافيك بدعوة من إحدى قاعات العرض ، وقد أمضت بصحبة هذا المعرض شهراً توجهت بعده إلى بولندا لتعرض مجموعة لأعمالها في فن الجرافيك بدعوة من هيئة الفنون في وارسو وبعد أن أمضت شهرا بصحبة هذا المعرض سافرت إلى ألمانيا حيث أمضت شهراً آخر عادت بعده إلى القاهرة لتواصل حياتها كفنانة متفرغة بين مرسمها في وكالة الغوري بحي الأزهر واتيليه الخزف بضاحية حلوان .

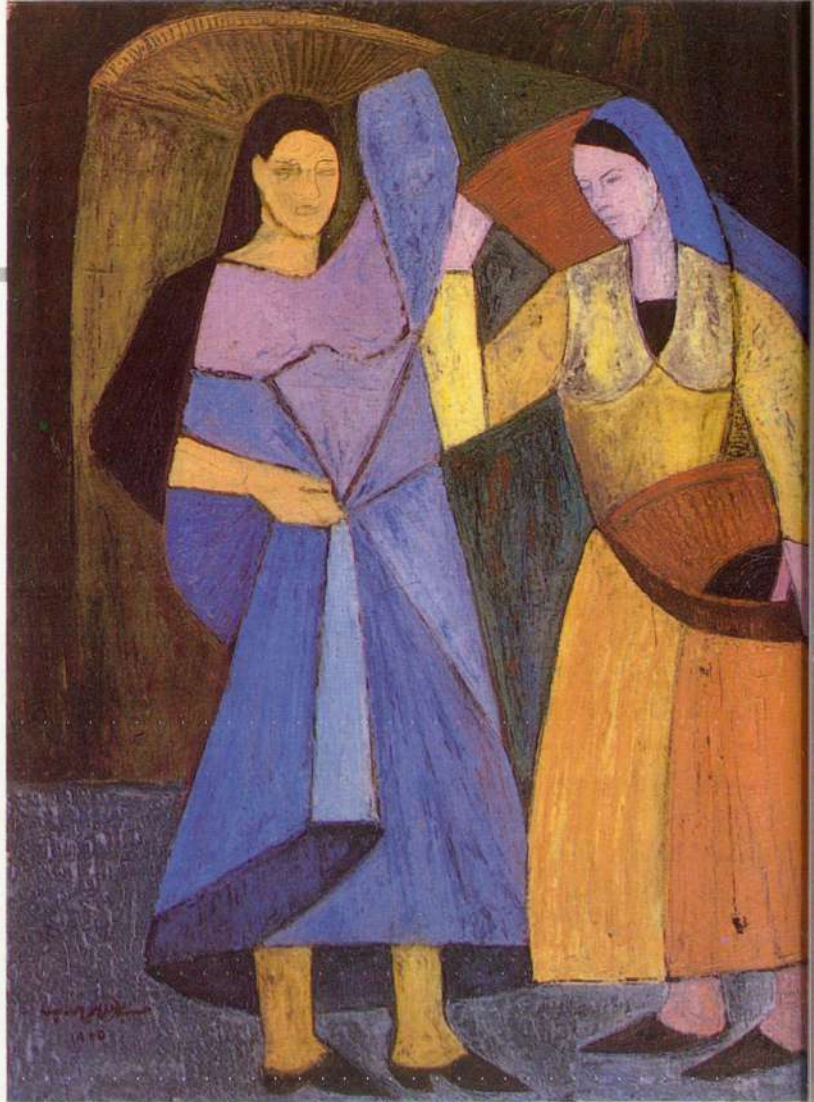
مميزات فنها

الإنسان هو العنصر الأساسي في جميع أعمال الفنانة ، إنها تصور الانسان في واقعه وخلال حياته اليومية ، معبرة عن همومه وأحلامه ونظرته للأمور بأسلوب واقعي موضوعي يحمل نبض البيئة المحلية والروح المصرية .. معبرة عن النقاء وعن حياة البسطاء بأسلوب البسطاء أنفسهم في الرسم ، فهي تتبع أسلوباً فطرياً يستمد جذوره من المرحلة القديمة في أعمال الفنان حامد عبدالله قبل هجرته من مصر في منتصف الخمسينات .

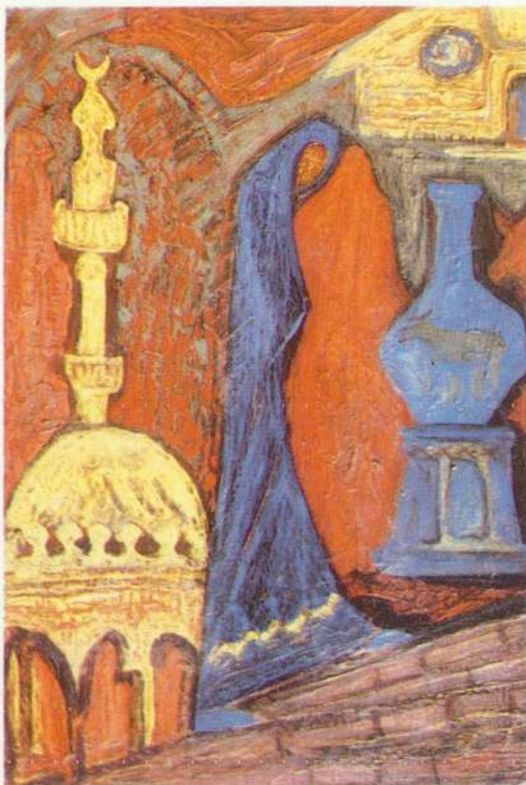
وتتميز الفنانة بمهارات عالية من مختلف فروع الرسم ابتداء من الصورة الشخصية إلى تصوير الجماهير في حركتها أو الموسيقيين خلال عزفهم على الآلات البسيطة ، وتعبر عن هذا في بضعة خطوط أحسنت اختيار أماكنها .. وتتميز ألوانها بالنضج حيث تستخدم لوناً سائداً في كل لوحة وتقيم تكويناً متماسك البنيان .

وهي تعشق استخدام الخامات المختلفة التي تتنقل بينها ، من ألوان الرسم الحائطي الجيرية إلى الألوان المائية أو الطباشيرية ، ثم الرسم على الأواني والأطباق الفخارية والخزفية ، بالاضافة إلى اللوحات الزيتية ، وعندما تستخدم أي خامة من هذه الخامات فإنها تراعي خصائصها وتخضعها لأسلوبها المتميز في الرسم .

وقد وصف الناقد مختار العطار أعمالها بأنها مقابل تشكيلي للشعر والموسيقى .. وقد



سيدتان



المئذنة

كانت تعبر عن مضمون اجتماعي واضح في أعمالها الأولى خلال الخمسينات ثم اتجهت إلى التعبير عن المشاعر الانسانية خلال انطلاقها في العمل الفني بحرية .

ولا يخفى على المشاهد مدى عمق خبرتها وثقافتها التي اكتسبتها من قراءاتها المتشعبة في الفنون والآداب منذ صغرها ، لهذا تتميز أعمالها بالحيوية والحس الدرامي رغم بساطة الأداء لكن بقوة تعبير بليغة .

إنها تعيش مع الكادحين من عامة الناس بوجدانية ، فهم موضوع أعمالها ، تلمس مشاكلهم وتعبر عن حياتهم برمزية في الألوان وتنوع في الملامس .. وهي لا تخضع في رسمها لقواعد علم المنظور ، ومع هذا تكتسب عناصرها مظهراً واقعياً يؤكد مضمون المعاناة والصلابة والصبر والجلد .. إنها تحترم سطح اللوحة وتوزع عناصرها على هذا السطح دون إيهام بالعمق ، خطوطها بسيطة وألوانها محددة لكنها موضوعة بمهارة ودراية .. وتتميز لوحاتها بدسامة وثراء في السطح يجعلها بليغة التعبير ومؤثرة عاطفيا فيستمتع المتلقي باستقباله لشكل العمل الفني ثم المضمون الإنساني ، دون أن يصرفه عن ذلك الانشغال بمهارة المحاكاة .

وتقول الفنانة : (لماذا أقيد نفسي بنقل ومحاكاة الواقع ؟ إنني أحاول الوصول إلى



رسم محفور للريف على إناء من الخزف

أقوى شكل تعبيري يحقق استخراج المعاني من العناصر بطريقة أفضل من تقليد الواقع .. وذلك لتحقيق الشكل المعبر ، فأنا ألجأ أحياناً إلى التحوير ، لكن هذا لا يحدث إلا عند الضرورة ، وليس التحوير من أجل التحوير أبداً ..)

في أعمالها الأولى تبسيط للخطوط يعطي إحساساً بالقوة وكانت تكسو لوحاتها مسحة من القتامة .. وفي تلك الفترة حاولت ذات مرة أن ترسم لوحة مبتهجة الألوان (لعروسة المولد) ، لكنها لم تلبث أن أحست بغربتها أمام تلك اللوحة فأعادت رسمها في لوحة قاتمة الظلال .

والفنانة ترجع ميلها في تلك المرحلة لهذا النوع التراجيدي من الرسم إلى الموضوعات التي كانت تتناولها وهي الحياة القاسية للفلاح المصري والعمال وغيرهم من الفئات الكادحة .. وهي تقول إنها أحست بهم وأدركت أن الفن ليس تعبيراً ذاتياً وحسب لكن الموضوع والعناصر المرسومة لها تأثيرها أيضاً على الرسام .

وفي عام ١٩٦١ انتقلت صفية بموضوعاتها من الشغيلة إلى الموسيقيين ، وواظبت على حضور حفلات أوركسترا القاهرة السيمفونية ، ورسمت عازفيها واحداً بعد الآخر ، وقد تغير الموضوع ولكن الأسلوب استمر كما كان من قبل ، فقط ابتهجت مجموعتها اللونية شيئاً فشيئاً ، واتجهت إلى التخلي عن الألوان القاتمة ، وتوقفت عن استخدام الألوان الزيتية لبضعة سنوات لتجرب الألوان المائية والحبر الشيني وألوان الباستيل ... كل الخامات ما عدا الألوان الزيتية في محاولة لاكتشاف أسلوبها الخاص ، واختفت الجوانب التراجيدية وظهرت في أعمالها بعض المناظر الطبيعية ..

صبحي الشاروني

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

الهاتف المرئي قادم



سيشهد الاتصال الهاتفي ثورة جديدة فى المستقبل القريب ؛ فلقد بدأت شركات الالكترونيات اليابانية والأمريكية فى انتاج الهاتف المرئى أو « الفوتوفون » وهو عبارة عن وحدة مكتبية تقوم بضغط الصورة وتحويلها الى اشارات رقمية بحيث يمكن نقلها بسهولة عبر خطوط الهاتف العادية .

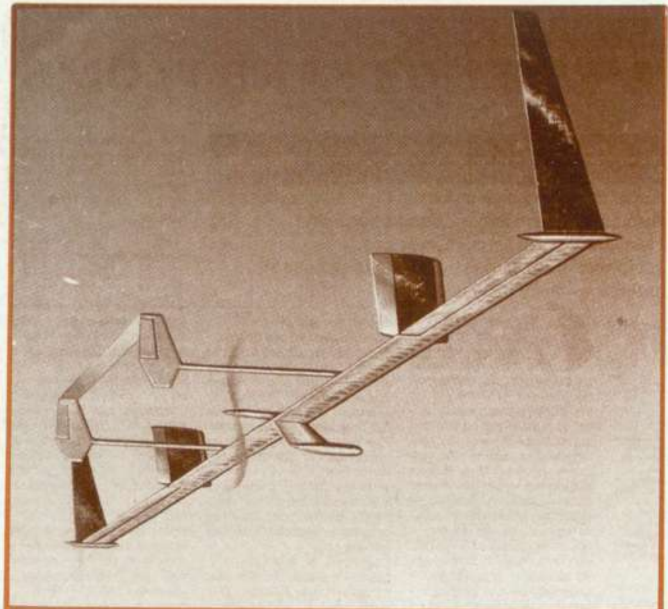
وهناك نوعان من الهاتف المرئى ، النوع الأول يكتفى بنقل صور ثابتة ، وهو عبارة عن هاتف عادى متصل بشاشة تلفزيونية وكاميرا فيديو بحيث يوجه المتحدث الكاميرا الى الشىء أو المستند أو الشخص المراد ارسال صورته ، ثم يضغط على زر خاص فى لوحة أزرار الهاتف فتبدأ الدوائر الالكترونية داخل الوحدة المتصلة بالهاتف بضغط المعلومات المرئية المرسلة حتى يمكن ارسالها خلال خط هاتفى واحد .

ولا يستغرق نقل الصورة سوى خمس ثوان ، إلا أن الحديث ينقطع للسماح ببث المعلومات المرئية خلال الخط نفسه . وتتميز الصور المرسلة بدرجة عالية من النقاء والوضوح وإن كانت غير ملونة . كما يستطيع هذا الجهاز اختزان حوالى ٢٠ صورة لإرسالها فى وقت لاحق . وبإمكان صاحب هذا الهاتف المرئى الاتصال بأى جهاز مماثل فى أى مكان فى العالم . أما إرسال الصورة المتحركة فهى عملية أكثر تعقيدا إذ يتعين استخدام جهاز خاص لتحويل الاشارات الكهرومغناطيسية المعبرة عن الصورة المتحركة الى اشارات رقمية لاتشغل حيزا من الأثير ، ويمكن ارسالها عبر خطوط الهاتف .

وأكثر هذه الأجهزة تطورا يتكون من هاتف وكاميرا فيديو وشاشتين ملونتين مساحة كل منهما سبع بوصات كما تتصل به كاميرا ثابتة مثبتة رأسيا على حامل لنقل الصور والمستندات الثابتة .

ويستطيع المتحدث مشاهدة الصورة المرسلة على الشاشة السفلية قبل إرسالها فى حين يستقبل الرد من الطرف الآخر على الشاشة العلوية ولكن يعيب هذا الهاتف المرئى الملون أن صورته غير واضحة فهى تبدو كصور رواد الفضاء المرسلة من الفضاء الخارجى .

الطيران الشمسي



تستطيع هذه الطائرة الشمسية الجديدة التحليق بدون طيار على ارتفاع عشرين ألف متر لمدة عام كامل دون أن تحتاج للهبوط من أجل التزود بالوقود ؛ فالخلايا الشمسية تغطى مساحة ألف متر مربع من سطحها لتمدها بالطاقة اللازمة لطيرانها .

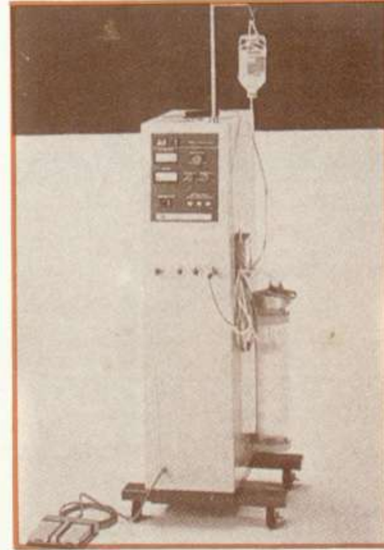
تقوم هذه الخلايا بتحويل الطاقة الشمسية الى كهرباء لتشغيل محرك كهربى قوته ١٥ حصانا مصنوع من السمريوم ــ وهو عنصر فلزى نادر ــ والكوبالت ، ويتولى المحرك تدوير مروحة سرعتها لاتتعدى ١٥٠ لفة فى الدقيقة وهو مايكفى لتصل سرعة الطائرة الى مائة كيلومتر فى الساعة .

أما الطاقة الكهربية الزائدة فتستخدم لشحن بطارية مائية تقوم بتحويل الماء الموجود بها الى غازي الهيدروجين والأوكسجين ، ولكن بعد غروب الشمس وانقطاع الطاقة الكهربية ينعكس التفاعل فيتحد الغازان ليكونا ماء مرة أخرى ، وتنطلق الطاقة الكهربية المخزونة وتتولى تشغيل المحرك .

وبما أن الطيران الشمسى على ارتفاع عال ولمدة طويلة يتطلب طائرة خفيفة الوزن ، بنيت هذه الطائرة من مادة خشبية مركبة ، خفيفة للغاية . فبالرغم من أن المسافة بين طرفى جناحيها تصل الى مائة متر ، أى ضعف هذه المسافة فى الطائرة « البوينج ــ ٧٤٧ » ، فإنها لاتزن سوى ٩٠٠ كيلوجرام إذ يتعين أن تكون نسبة وزن الطائرة لمساحة أجنحتها عند الاقلاع أصغر مايمكن ، مما يعطى قوة دفع قصوى بأقل طاقة ممكنة .

ويتوقع المهندسون المتحمسون للطاقة الشمسية أن تكون لهذه الطائرة استخدامات متعددة فى مجال مراقبة الحدود والسواحل .

المشرط الصوتي


جهاز توليد الموجات فوق الصوتية والمشرط الصوتى ومضخة الشفط

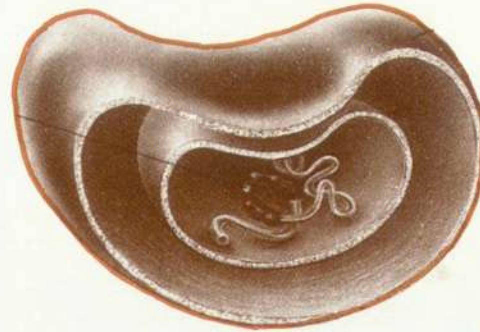
بدأ استخدام أول مشرط جراحى يعمل بالموجات فوق الصوتية ، فهو يفتت الأنسجة الخبيثة والأورام ثم يشفطها كما يسكب مادة معقمة على مكان الجراحة قبل وبعد عملية التفتيت والشفط.

ويتكون هذا المشرط الجديد من مجس جراحى مصنوع من سبيكة من التيتان يتذبذب طوليا بسرعة عشرات الترددات فى الثانية الواحدة ، ولا تزيد سعة كل ذبذبة عن ٢٥٠ مم . أما عملية شفط الأنسجة المفتتة فتتم بواسطة مضخة متصلة بالمجس ، وتتجمع هذه الأنسجة فى إناء معقم فى نهاية أنبوب المضخة .

ويتميز هذا المشرط الصوتى بمرونة استعماله ، إذ يمكن تعديل تردده طبقا لكثافة الأنسجة المطلوب التخلص منها (عضلات ـ أعصاب ـ أوعية دموية ـ أورام أو حتى عظام) كما يتفوق هذا المشرط الذى يعمل بالموجات فوق الصوتية على المشرط الضوئى الذى يعمل بأشعة الليزر ، فهو يحافظ على الأوتار والأعصاب والغدد الليمفاوية والأوعية الدموية الموجودة فى المنطقة المجاورة لمكان الجراحة ، فى حين يتسبب شعاع الليزر ـ مهما كانت دقته ـ فى حرق الأنسجة المحيطة بمنطقة الجراحة .

ويمثل المشرط الصوتى قفزة فى مجال الجراحة الدقيقة ، فمن أهم استخداماته جراحة المخ والأعصاب لاستئصال الأورام التى يصعب الوصول اليها بالوسائل الجراحية التقليدية ، وجراحة الجهاز الهضمى والكبد ، كما سيستخدم المشرط الصوتى قريبا فى جراحة العظام .

نجاح أول عملية زرع للجينات


الخلايا المكونة لخلايا الدم الحمراء والكروموسوم الذى تقع عليه الجينة الشاذة

كانت عملية زرع جينة فى مكانها الصحيح على الكروموسوم المحدد فى نواة الخلية حلما صعب المنال الى أن تمكن باحثان أمريكيان من تحقيقه بهدف معالجة بعض أنواع الأنيميا الوراثية الخطيرة.

وتعتبر هذه التجربة أول خطوة حقيقية نحو العلاج الجينى ـ أى على مستوى الجينات ـ للأمراض الوراثية .

وترجع صعوبة هذه العملية الى أنه يتعين تحديد مكان الجينة الشاذة المسببة للمرض من بين مئات الآلاف من الجينات التى تحتويها نواة الخلية ، ثم التعرف على مكونات هذه الجينة وتركيبها حتى يمكن باستخدام تقنيات الهندسة الوراثية تكوين الجينة السليمة .

وبعد ذلك تأتى المهمة الصعبة ، وهى زرع الجينة السليمة فى نواة الخلية المناسبة وفى المكان الصحيح والتأكد من أنها سوف تقوم بدورها على الوجه الأكمل . وتعد هذه المرحلة أصعب المراحل جميعا .

ولقد تناولت التجربة الأمريكية عملية زرع الجينة السليمة التى تتحكم فى تكوين إحدى بروتينات خلايا الدم الحمراء والمسئولة عن نقل الأوكسجين فى الدم وهى « البيتاجلوبين » . وتمكن الفريق الأمريكى من زرع هذه الجينة فى مكانها الصحيح من أنوية خلايا حيوانات ثديية .

ويستعد الباحثون للقيام بعملية الزرع على مرضى حقيقيين لاعادة خلايا الدم الحمراء إلى وظيفتها وذلك باستبدال الجينة الشاذة بنسخة صحيحة منها .

سيتم أخذ عينة من النخاع العظمى للمريض ، تحتوى على الخلايا المكونة لخلايا الدم الحمراء ، وبمعالجة هذه الخلايا بتقنيات متطورة فى وجود النسخ السليمة للجينات الشاذة ستحل الجينات الطبيعية محل جينات البيتاجلوبين المصابة وبعد ذلك سيجرى اختيار الخلايا التى قبلت الجينات الجديدة ، وهى مهمة ليست بالسهلة اذا عرفنا أن هناك أقل من خلية لكل مليون خلية تنقل الجينة الجديدة . ثم تعمل مزرعة من هذه الخلايا المعدلة للحصول على عدد كبير منها ويتم حقنها فى وريد المريض حيث تتوجه الى نخاعه العظمى وهو مصنع تكوين الخلايا الحمراء ، ولكن بعد أن يكون قد تم معالجة هذا النخاع بالاشعاعات أو بالوسائل الكيميائية لتدمير الخلايا الشاذة المكونة للخلايا الحمراء المسببة للمرض .

واذا سارت الأمور كما هو مخطط لها ، فإن النخاع سيبدأ فى تكوين خلايا حمراء طبيعية ومن ثم يشفى المريض .

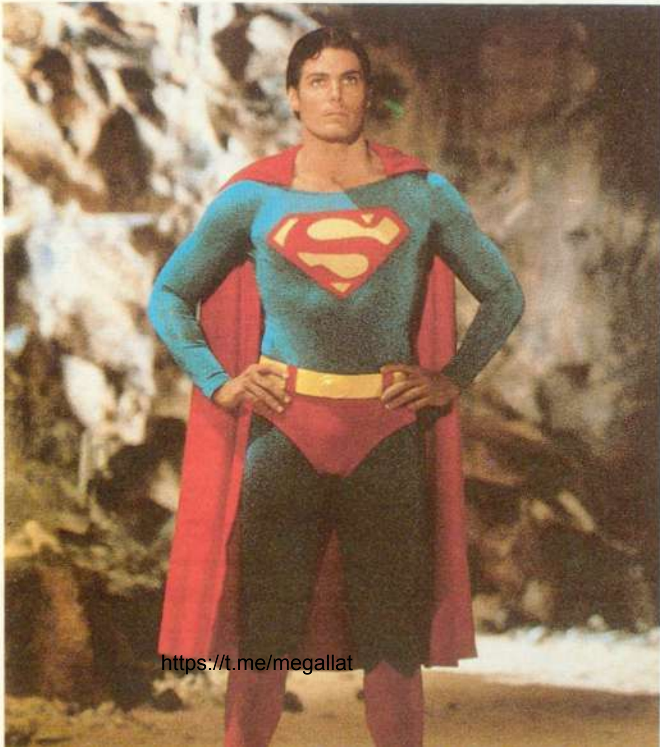
سينما

تسعون عاماً من السينما

بقلم : رؤوف توفيق

على اليمين ملصق « بوستر » لفيلم كوميدى للثنائى لوريل وهاردى .. واللقطة الأخرى لسوبرمان الجديد الذى يمثله كريستوفر ريف







« روجر مور » فى دور جيمس بوند الذى لايخذل أبدا

تسعون عاما مضت على ظهور اختراع السينما ومازالت السينما أكثر الفنون إثارة للخيال والاهتمام . واذا كان العالم ، وسط أحداثه الحالية المتلاحقة ، قد تذكر ذلك اليوم منذ تسعين عاما ــ ٢٨ ديسمبر عام ١٨٩٥ ــ عندما نجح الأخوان « لوميير » فى إقامة أول عرض سينمائى فى مقهى « لوجران » بشارع « الكابيسين » بباريس .. فإن العالم يتذكر هذا اليوم ، ليؤرخ به رحلة مئات الألوف من الفنانين والفنيين ، الذين شاركوا فى تطوير ونشر هذا الفن واستمراره ، رغم كل التحديات والمنافسات .

ذلك .. لأنه كانت هناك أكثر من فترة ، أعلن خلالها بعض صناع السينما عن يأسهم من الاستمرار ، وإفلاس الاستوديوهات ، وإغلاق دور العرض أو تقلص عددها ..

ولكن رغم هذا .. فإن فن السينما لم يتوقف .. بل كانت هذه الظروف دافعاً قويا لمزيد من التحدى والابداع !

والدليل على هذا .. عدد الأفلام المنتجة سنويا .. وكمية الأموال التى تنفق فى صناعة السينما .. وعدد الصفحات التى تكتب يوميا بكل اللغات عن السينما .. وعدد ساعات الارسال التليفزيوني التى تغطى بالأفلام السينمائية .. وعدد الكليات والمعاهد المتخصصة فى فن السينما .. وعدد المهرجانات السينمائية التى تقام سنويا فى عواصم متعددة من العالم .

وكأنّ فن السينما يحمل بداخله مقومات المناعة ضد الشيخوخة والعجز !

وليس هناك من سر سوى أن العشاق الحقيقيين لهذا الفن .. متيقظون دائما لكل المتغيرات التى تحيط بهم .. مدركون لتقلب أذواق الجماهير ومتطلباتهم .. مستعدون للتجديد وتقديم البدائل الفنية ، أى أنهم فى حالة استعداد وتأهب مستمر ، خصوصا بعد غزو وانتشار التليفزيون ، وتعدد قنواته .. وكذلك انتشار أجهزة الفيديو كاسيت داخل المنازل .

شارلى شابلن .. الفيلسوف الضاحك



جاك نكلسون فى لقطة من فيلم شروق



تسعون عاماً من السينما

لماذا كانت السنوات الأولى .. أكثر ثراءً فى الفن ؟

ولا شك أن السنوات الخمسين الأولى من عمر السينما .. كانت أكثر ثراءً فى الفن ، عن السنوات اللاحقة لها .

فهذه السنوات الأولى ، شهدت مايمكن أن نسميه مرحلة تأسيس الفن .. بما فى هذه المرحلة من وضع القواعد الأساسية ، والدخول فى تجارب واختبارات حادة ، تماما .. كمرحلة تربية الطفل .. وتدريبه على النطق والحركة .. وتلقينه القيم والعادات ، وتهذيب سلوكه وتصرفاته .. وفى نفس الوقت حمايته من الاضطرابات النفسية ، والانحرافات .. وتطعيمه ضد الأمراض .

كذلك كانت بداية السينما .. منذ تلك الليلة التى أعلن فيها الأخوان « لوميير » نجاح تجربة عرض الشرائط القصيرة التى صوراها بكاميرا .. هى فى نفس الوقت تصلح كآلة عرض .

ففى تلك الليلة ، كان يجلس ضمن المتفرجين « جورج ميليس » الذى تقدم من الأخوين « لوميير » يطلب منهما شراء آلة سينمائية ، كالتى شاهدها .. ولكنهما رفضا .. استنادا الى تعليمات والدهما ، بأن هذه الآلة (السينما توغراف) اختراع علمى ، وليس له أى صفة تجارية .

فما كان من المتفرج « جورج ميليس » الا أن اعتكف فى منزله ، يحاول أن يصنع آلة سينمائية مشابهة . وبعد أقل من عام ، استطاع أن ينجح فى محاولته . وبدأ يصور بعض الشرائط السينمائية ، ويبيعها للتجار فى أسواق باريس ليعرضوها فى المقاهى . ثم أسس شركة سماها « ستار فيلم » واستعان لأول مرة بممثلى المسرح ، وصمم بنفسه الديكورات واعلانات الفيلم . وقادته الصدفة أثناء تعطل ماكينة التصوير ، لأن يكتشف بداية الطريق لصنع الحيل السينمائية واستخدامها فى الأفلام !

وهكذا سجل تاريخ السينما .. اسم « جورج ميليس » كأول رائد سينمائى يقدم أفلاما لها قصة (قضية درايفوس) .. أو مستوحاة من أسطورة (سندريللا) .. أو يشطح به الخيال والجرأة ليقدم تصورا لرحلة الى القمر ، فى فيلم يحمل نفس العنوان !

وكان هذا الفيلم سبب شهرته التى طارت الى أمريكا .. حيث قامت ثلاث شركات أمريكية باعادة طبع هذا الفيلم ــ دون أن يدفعوا له أى مقابل ــ فقد كانت حقوق النشر ، غير معروفة فى ذلك الوقت . وهكذا انتقلت آلاف النسخ داخل أمريكا وأوربا .. وخسر « ميليس » كل أمواله التى أنفقها فى صنع الفيلم .. وكسبت الشركات الأمريكية العائد كله .

ومنذ ذلك التاريخ .. بدأ فن السينما يدخل مرحلة التجارة .. ويتعرض لظروف السوق ، وأذواق المشاهدين ، وقانون العرض والطلب !

لحظة تأمل .. للمحاولات الأولى فى السينما

ومع النهم الشديد لاغراء هذا الفن الجديد الذى وجد طريقه بين الجمهور .. بدأت محاولات الفنانين فى التعبير بالسينما .. حتى توجت هذه المحاولات بفيلم « مولد أمة » ــ عام ١٩١٥ ــ الذى أخرجه « د . و . جريفيث » الأمريكى الجنسية ، الايرلندى الأصل .



« ليزا منيللى » فى لقطة من فيلم : « نيويورك .. نيويورك » ثم لقطة أخرى لجين كيلى ، ومحاولة للعودة الى الأفلام الموسيقية القديمة





وقد كان هذا الفيلم الصامت .. هو أول بشير لقوة السينما وسحرها الخاص .. والبداية الحقيقية للسينما الامريكية .

واستقبل فيلم « مولد أمة » بحفاوة جماهيرية .. وفي العام التالي – ١٩١٦ – قدم « جريفيث » فيلمه الضخم « التعصب » .. وظهرت في هذا الفيلم براعة المخرج في سرد أربع قصص من عصور مختلفة في التاريخ .. بدءا من القرن السادس قبل الميلاد .. وحتى الاضرابات الأمريكية في عام ١٩١١ .

واستخدم « جريفيث » أعدادا هائلة من الممثلين والكومبارس – وصل عددهم في مشهد واحد الى ستة عشر ألفا من الكومبارس – وبنى ديكورات ضخمة ، وتكلف الفيلم وقتها مليونين من الدولارات ..

ورغم الاقبال الجماهيري على الفيلم .. الا أنه لم يتمكن من تغطية نفقاته .. وخسر الفيلم حوالي المليون دولار ..

ولكن هذا الفيلم ، ومن قبل فيلم « مولد أمة » ، سجل اسم « جريفيث » كعملاق الفيلم الصامت ، وأبي الفن السينمائي .. ومازالت أفلام هذا المخرج تدرس حتى الآن في معاهد السينما العالمية .. كأساس للغة السينمائية .

ونطقت السينما

ثم يدخل شارلي شابلن الى السينما .. ليحدث هذ الدوى الذى مازال مؤثرا وعبقريا حتى هذه اللحظة .

وسجل المؤرخ السينمائي « جورج سادول » في قائمة روائع السينما العالمية .. أنه في الفترة من ١٩١٦ الى ١٩٢٠ قدم « شابلن » سبعة أفلام تعتبر كلها من أهم الأفلام في تاريخ السينما .. هذا بخلاف باقي مجموعة أفلام شارلي شابلن ، سواء التى أخرجها للسينما الصامتة .. أو السينما الناطقة ..

وفي تلك الفترة الأولى من عمر السينما .. تفتحت زهور كثيرة في حديقة الفن السينمائي .. ولعبت تجارب في السينما السويدية والألمانية والفرنسية والروسية .

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى .. أكدت هوليود قدرتها على الانتشار في الأسواق الخارجية .. وبدأت تضارب للاستحواذ على كل موهبة سينمائية ، مهما كان موقعها على الخريطة .. لتدعم بها انتاجها ، ولتؤكد أنها قلعة السينما في العالم .

وانتعش سوق السينما .. وبدأ الفن والصناعة يتقدمان بخطى واسعة وسريعة .. وكان ميلاد أول فيلم ناطق « مغني الجاز » الذى عرض بأمريكا في ٦ أكتوبر ١٩٢٧ .. بمثابة دخول عصر جديد للسينما ، شهد تجارب هامة ، ومنافسات خطيرة بين تقدم الصناعة وقوة رأس المال في أمريكا .. وبين سينمائيين موهوبين يتحدون الامكانيات في كل من فرنسا وألمانيا وانجلترا والاتحاد السوفيتي ..

حتى ظهرت المدرسة الواقعية في السينما الايطالية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ،

جين فوندا وجيمس بريدجز في لقطة من فيلم « أعراض صينية »

المخرج « رومان بولانسكي » مع المصور السويدى العبقري « سيفن نكفيست » .. وأمامهما الممثلة الفرنسية « ايزابيل أدجاني » .. في لقطة قبل التصوير من فيلم : « المستأجر »



تسعون عاما من السينما



« جون واين » الذى اشتهر بأدواره فى أفلام الحرب ..



ملصق من أفلام الجريمة .. من تاريخ السينما



لقطة من فيلم « أماديوس » للمخرج ميلوش فورمان تظهر الموسيقار العبقرى موزار

لتعلن عن التحول الخطير فى الفكر واللغة السينمائية .

كيف كانوا يفكرون ؟

وهكذا نرى أن السنوات الخمسين الأولى من عمر السينما كانت سنوات خصبة ، غنية بتجاربها وأن هذا الجيل من الرواد .. اقتحم المجهول .. وأضاء الطريق .. وأرسى العلامات .. لتصبح المهمة أكثر يسرا بالنسبة للأجيال التالية من السينمائيين .. سواء بالاضافة أو التعديل .

والآن .. ونحن نقلب صفحات تاريخ السينما .. يجدر بنا أن نتوقف قليلا .. عند هؤلاء الذين أثروا الفن السينمائى .. لنعرف كيف كانوا يفكرون ..

فيلسوف السينما وصعلوكها الضاحك « شارلى شابلن » له مقولة شهيرة يكشف بها عن فكره السينمائى .. يقول :

« إننى لأضحك المتفرجين على نماذج انسانية فقيرة أو مطحونة .. ذلك لأننى أعرف أن تسعة أعشار الناس من الفقراء .. ولهذا أضحك جمهورى بأن أسقط الآيس كريم فى عنق سيدة ثرية سمينة .. وأجعل رجل الأعمال المتكبر يتزحلق على قشرة موز .. ولكن لا أضع شخصا فقيرا فى نفس الموقف » !

المخرج الايطالى « روسيلليني » مؤسس تيار الواقعية الجديدة فى السينما الايطالية .. رفع شعارا يقول :

« قبل كل شىء .. علينا أن نعرف الناس كما هم » .

ولمزيد من الايضاح .. ضرب روسيلليني مثالا بقوله : « يكفى أن تخرج الى الطريق .. وتقف فى أى مكان .. وتلاحظ مايدور بعيون يقظة ، لكى تخرج فيلما حقيقيا » .

وحتى يبدو الأمر محددا .. شديد الوضوح .. قال روسيلليني : « ان مايثير انتباهى فى هذا العالم هو الانسان .. وتلك المغامرة الوحيدة لكل منا فى الحياة .. فكل كائن بشرى يتميز بشىء خاص .. مع أن الجميع يبدون متشابهين !

« والواقعية الجديدة عبارة عن تتبع كائن بشرى ، بحب ، فى كل تحركاته واكتشافاته .. وانا لا أسمح لنفسى بأن أصدر حكما على شخصياتى .. إننى أكتفى فقط بمراقبتهم ورصد أفعالهم .. والاقتراب من هذا الشىء الثقيل الذى يرزحون تحته .. » !

واهتم « روسيلليني » بالشارع الايطالى الفقير المزدحم .. وخلق من هذا الشارع بعض أفلامه ..

وهكذا اكتسبت السينما الايطالية هذا المذاق الخاص والمتميز .. عندما خرجت من أسر جدران الاستوديوهات لتبحث عن الواقع الحى الملموس .. فمهما كان هذا الواقع مؤلما ومليئا بالتناقضات .. الا أنه الواقع الانسانى الصادق .

أخرج روسيلليني فيلم « روما مدينة مفتوحة » سنة ١٩٤٥ .. ثم أخرج المخرج الايطالى « فيسكونتى » فيلم « الأرض تهتز » سنة ٤٨ .. ثم قدم المخرج « فيتوريو دى سيكا » فيلم « سارق الدراجات » أيضا فى سنة ٤٨ .

وبهذه الأفلام الثلاثة .. خرجت شهادة الميلاد للسينما الواقعية الايطالية التى غيرت مسار السينما فى العالم كله .

الانسان العادى .. هو البطل

واذا توقفنا هنا قليلا .. وقارنا بين ماقاله « شارلى شابلن » فى تلخيص فلسفته السينمائية .. وما قاله « روسيلليني » فى قيادته لمدرسة الواقعية الجديدة .. نرى أن الخط الأساسى الذى يجمع بينهما هو الاهتمام بالانسان العادى ، الذى قد تراه فى الطريق العام ، والذى قد يبدو ــ للوهلة الأولى ــ أنه لايميزه شىء عن الآخرين .. ولكن الاقتراب منه والتعرف عليه يفتح لنا أبواب المعرفة والفهم والتآلف .. وهو مايجعل المتفرج مرتبطا بفيلم ، مندمجا مع شخصياته وأحداثه .

فالانسان .. هو المادة الحقيقية للفيلم .

وقد عبر كثير من المخرجين ــ من مختلف أنحاء العالم ــ حول هذا المفهوم البسيط ، والذى قد يتوه عن عمد أو تجاهل .. أو جريا



اسكتش لفنان الديكور « منسيس » مرسوم بالألوان المائية لمشهد فى فيلم « لص بغداد »



ملصق من الأفلام الموسيقية ـ من تاريخ السينما



فريق مغامرات الفضاء فى عودة جيداي »..



ولقطة أخرى لسدس فى يد « كلينت إيستوود »

وراء جماليات شكلية أو اختراعات اليكترونية لزغللة عيون المشاهدين .

وخلال كل مراحل تطور السينما .. كان هناك من يخرج للتنبيه على هذه البديهية الغائبة ..

الانسان .. هو المادة الحقيقية للفيلم .

مثلا .. المخرج الفرنسى « رينيه كلير » الذى بدأ يخرج للسينما من منتصف العشرينات .. كان له رأى يقول : « ان الاحساس بالتعاطف والتآلف الانسانى الذى ينشأ بين المتفرج وبطل الفيلم .. يتمدد حتى ينقطع ، حينما يصبح هذا البطل فى عالم مافوق الواقع .. فالمتفرج فى حاجة دائما الى الاعتقاد بأن مايراه قد حدث فعلا أو يمكن حدوثه له » .

ونقفز عبر السنوات .. لنصل الى منتصف الخمسينات .. ونتوقف أمام البيان الذى أصدره المخرج الانجليزى « لندسى أندرسون » ، والذى يعتبر من السينمائيين الغاضبين الذين أسسوا حركة السينما الحرة فى انجلترا ، وله دراسات سينمائية متعددة ، وشغل لفترة منصب مدير معهد الفيلم البريطانى .

يقول بيان المخرج « لندسى أندرسون » الذى وضع له عنوانا : « الى الخارج .. والى الأمام » .. وقد ظهر هذا البيان عام ١٩٥٧ :

« ان عدد الأفلام البريطانية التى حاولت أن تدور أحداثها فى وسط شعبى ، لم يتجاوز أصابع اليد الواحده . وعلى هذا يمكن القول بأن السينما البريطانية لم تعالج الموضوعات الشعبية ، ومن السخف الشديد أن نحترم سينما تتجاهل ثلاثة أرباع سكان البلاد .. ولكن الأسوأ من هذا ، أن هذا الجزء الضيق من المجتمع (يقصد البورجوازية) نجح فى فرض رؤيته المشوهة على جمهور كبير ، نتيجة تحكمه فى صناعة السينما .. ولهذا كانت هذه السينما كاذبة .. لأنها تعيش على وهم غير حقيقى بأن بريطانيا العظمى بلد بدون مشاكل .. ومازالت هى الامبراطورية التى لاتغرب عنها الشمس » !

والمخرج الايطالى « فيتوريو دى سيكا » له عبارة يركز فيها خلاصة تجربته فى السينما .. قال فيها !

« أستطيع أن أؤكد استنادا الى خبرتي الطويلة .. أن الجمهور يتقبل أى موضوع طالما أن الموضوع انسانى وأصيل .. فنحن نروي على الشاشة قصصا انسانية .. أو قصصا عن الانسان .. فإذا كان هذا الانسان مجردا من انسانيته ، فإن الجمهور ينصرف عن مثل هذا العمل » .

ما الذى يسجله التاريخ ؟

لقد اختفى معظم هؤلاء المخرجين .. ماتوا .. ولكن رؤيتهم لفن السينما بقيت .. لتتردد فى كل المعاهد المتخصصة .. والكتب الفنية .. وشهادات المؤرخين .

وجرت أحداث كثيرة ومثيرة فى عالم السينما ..

اخترعوا الشاشة العريضة (السكوب) .. واخترعوا الشاشة الدائرية .. واخترعوا أفلاما مجسمة .. وأفلاما لها رائحة (!!) .. و .. و ..

ولكن بقيت الحقيقة البديهية : ان الفن الذى لايقوم على الواقع ، ومشاكل الانسان المصيرية .. هو فن باطل !

لقد قاوم الكثير من الفنانين ، سيطرة الصناعة وضغوط رءوس الأموال على فن السينما .. نجحت محاولاتهم أحيانا .. وفشلت فى أحيان أخرى .. والمعركة مازالت مستمرة وتشتد ضراوة ..

والشىء المؤكد .. أن تاريخ السينما سيتذكر دائما هؤلاء الفنانين ، وأفلامهم الرائعة التى تناولت قضايا الانسانية .. أما تلك الأفلام التى تعتمد على اثارة غرائز الخوف والرعب والجنس .. والأفلام التى تختلق الكوارث والأشباح .. فهى كلها مجرد بالونات ملونة سرعان ماتذروها الرياح ولايتبقى منها شىء .. لا فى الوجدان .. ولا فى التاريخ !

رؤوف توفيق

طرائف شرقية وغربية

القصير بين الطوال

حضر الدكتور «أوليفر وندل هولمز» ذات مرة اجتماعاً كان كل أعضائه من طوال القامة فكان هو الوحيد بينهم القصير القامة..

ومال عليه صديق خبيث يقول:

ـ كيف تشعر بقصرك بينهم؟

فأجاب الدكتور:

ـ كما يشعر الجنيه الذهبي بصغره بين «الشلنات»

وكما هو معروف فإن الشلن أكبر حجماً من الجنيه الذهب...

جـواب

التقى الحسين بن علي رضي الله عنه بالفرزدق وهو في طريقه إلى الكوفة فسأله عن الناس: أمعه أم مع يزيد؟ فقال الفرزدق:

«قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل مايشاء!».

سمعها مرتين

القاضي: ـ هل سمعت صوت الرصاصة؟

الشاهد: ـ نعم.. سمعتها مرتين، الأولى عندما مرّت بجواري والثانية عندما أسرعت جرياً ومررت بها.

أحسن بأحسن

مدح شاعر أحد الأغنياء بقصيدة فأمر الغني ببردعة حمار ولجام أخذهما الشاعر على كتفه وانصرف إلى السوق فسأله الناس عما يحمل. فأجاب: لقد مدحت فلاناً بقصيدة من أحسن شعري فخلع على خلعة من أحسن ملابسه.

عواد المريض

مرض أحد حكماء العرب ولكنه أمر بألا يؤذن لأحد من زواره بالدخول عليه فلما شفي أنكر عليه أصحابه ذلك فقال:

عوادي ثلاثة: صديق وعدو وثالث ليس بعدو ولا صديق، أما الصديق فإنه يتألم لرؤيتي مريضاً وهذا مالا أرضاه له، وأما العدو فإنه يشمت بي وهذا مالا أرضاه لنفسي، وأما الثالث فلا حاجة به ولا بي لزيارته!

إعجاب وكراهية

أصيب الشـاعـر «ادوارد توماس» إصابة بليغة في الحرب الماضية أقعدته عن كسب عيشه فكتب إلى اثنين من الأدباء يستنجد بهما، ورد عليه الأول برسالة طويلة يمجد فيها شعره ويشيد بأدبه.. واكتفى بذلك. أما الآخر، وكان جورج برنارد شو، فقد أرسل إليه يقول:

«عزيزي توماس.. إنني أكره شعرك ولم استسغه قط في حياتي وقد أرفقت بهذا الخطاب حوالة بمائتي جنيه»...

سهر الليالي

سئل إفلاطون كيف بلغ مكانه من الحكمة والعلم فأجاب: أفنيت من الزيت أكثر مما أفنيت من الشراب.

عـار... وعـار

اشـتـدت المنافسة بين انخرسيس الفيلسوف الصقلي وبين أحد حكماء اليونان. فعيره اليوناني بنعته بابن صقلية فرد الفيلسوف قائلاً: إذا كان عاري هو جنسي،.. فانك أنت عار جنسك!

تداوى بدمه

تعرف «مايكل روناستا» من مدريد بأسبانيا، البالغ من العمر ٣٨ عاماً في إحدى الحفلات على الأرملة الحسناء «ليزا مال روس» البالغة من العمر ٢٨ عاماً...

وفي اليوم الثاني وحينما تم اللقاء بينهما على موعد طلبت «ليزا» من «مايكل» أن يذهبا إلى أحد بنوك الدم ويهديا كمية من دمهما إليه: تعجب «مايكل» من الطلب ولكنه وافق عليه.

وبعد أيام وبينما كان ذاهباً في مهمة إلى باريس اصطدمت سيارته قبل الخروج من مدريد، وأصيب بجراح ونقل بسرعة إلى المستشفى ولكنه فقد في الطريق كمية من دمه، وقد تبين للأطباء في المستشفى أن فئة دمه نادرة ولايوجد منها لديهم، وبعد الاتصال بعدد من بنوك الدم استطاعوا العثور على الدم الذى يحتاجون إليه وأرسلت اليهم الكمية التى لم تكن سوى ماتبرع به قبل مدة، وأنقذ من موت محتوم.

سـؤال وجواب

ماهي نوتردام؟

نوتردام (كلمة فرنسية معناها «سيدتنا»، ويقصدون بها العذراء مريم) وهي أثر هام في باريس، وضعت أحجار أساساته في سنة ١١٦٣، بجزيرة المدينة Ile de la cité الواقعة في نهر السين.

ويشتهر هذا الأثر بجمال بنائه الذي استغرق حوالى ١٥٠ سنة ليكتمل. وقد بني على الطراز الغوطي، وتدعم حوائطه المزخرفة في بذخ، قوائم جميلة.

توّج هنري السادس ملكاً لفرنسا في نوتردام، في سنة ١٤٣١. ولما تزوجت الملكة ماري الأسكتلندية ولي عهد فرنسا، عقد القران في نوتردام أيضاً.. واستعمل الكاتب الروائي الشهير فيكتور هوجو، نوتردام منظراً لروايته «نوتردام دي باري» (سنة ١٨٣١). وهي الرواية التي اشتهرت باسم «أحدب نوتردام»، وأخيراً حولت إلى فيلم سينمائي، مثّل فيه شارل لاوتون، شخصية كازيمودو ذلك الأحدب الأصم الأعور، الذي كان يعيش في نوتردام.

من اخترع أول سيارة؟

يمكنك أن تتبع تاريخ السيارة إلى الوراء، إذا طاب لك ذلك، إلى

تقديم وإعداد: أمين سلامة

العربة البخارية، التى صنعها فى سنة ١٧٧٠ رجل فرنسى اسمه نيقولا كونيوه.

والسيارة، كما نعرفها الآن، كانت من عمل رجلين ألمانيين، لم يعرف أحدهما الآخر واسماهما ديملر، وبنز... أنتج بنز، فى سنة ١٨٨١ عربة تسير بوقود من الكحول. وفى سنة ١٨٨٥ أنتج ديملر عربة أفضل من السابقة، استعملتها فى سنة ١٨٨٧ مؤسسة فرنسية لتجر عربات شكلها الأساسى يشبه كثيراً سياراتنا الحديثة.

وعلى هذا، سرعان ماحلت السيارة التى تسير بالبترول، محل العربة البخارية.. كانت أصغر منها حجماً، وأجمل شكلا، وأسهل قيادة، وأكثر أمناً... وقد صدر قانون فى بريطانيا، سنة ١٨٦٥، يحدد سرعة السيارات بأربعة أميال فى الساعة، ويصر على أن يسير أمام السيارة رجل يحمل راية حمراء.. فووفق على هذا القانون، بسبب معارضة السكة الحديدية، وشركات عربات السفر «الأمنيبوس» للعربة البخارية، وكذلك بسبب ذعر الناس من العربات التى تحدث أصواتا... واستؤنف هذا القانون فى سنة ١٨٩٦.. ومع ذلك فقد ثبط هذا القانون من عزيمة المخترعين الذين يعملون فى اختراع السيارة.

سرعان ماحُسِّن شكل السيارة، وخصوصاً فى فرنسا، فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.. بعد ذلك، فى سنة ١٩٠١، بدأ ا. أولدز Olds طريقة خط التجميع لصنع السيارات فى الولايات المتحدة.

كانت السيارات تتحرك داخل المصنع فوق عربة. وكل عامل، بدوره، يُرَكِّب جزءاً منها. كل واحد يصنع قطعة معينة.. فعمل هذا النظام على رخص انتاج السيارات.. وفى ١٩٠٩، أخذ هنرى ت. فورد هذه الفكرة، وقرر إنتاج سيارات أرخص بعمل نموذج واحد ليس غير، من السيارات.. وفى سنة ١٩١٣، انتقل من العربة حاملة السيارة، إلى السير المتحرك، الذى جعل الانتاج أسرع وأرخص وبذامهد الطريق لإنتاج سيارات العائلات الرخيصة، التى تراها اليوم فى الشوارع.

مامعنى فبراير؟

جعل يوليوس قيصر فبراير، الشهر الثانى من السنة. بعد أن كان الشهر الثانى عشر، وحتى عصر قيصر، كان فبراير ثلاثين يوماً. فأخذ قيصر يوماً منه، وأضافه على شهر يوليو المسمى باسمه، وبعده جاء أوغسطس، وأخذ يوماً آخر من فبراير، وأضافه على شهر أغسطس المسمى باسمه. وبذا صار فبراير ٢٨ يوماً فقط.. إلا أن فبراير يحظى بيوم آخر كل أربع سنين — كل سنة كبيسة — للمحافظة على التقويم متمشياً مع فصول السنة.

أتى اسم فبراير من اللفظ اللاتينى Febraarius بمعنى «يطهر» فقد كان قدماء الرومان يحتفلون سنوياً بعيد التطهير استعداداً للعام القادم. فالتصق هذا الاسم بهذا الشهر حتى بعد نقله من الشهر الثانى عشر إلى الشهر الثانى من التقويم.

قال الأولون

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «أين من سعى واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد».

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «لاتسأل عما لم يكن، فإن فيما قد كان شغلاً عما لم يكن».

عن ابن عباس: «لاتمار سفيها ولا حليماً فإن السفيه يؤذيك، والحليم يقليك».

قال ابو الوفاء البوزجانى: «إن غلبك غيرك فى الكلام فلا يغلبك أحد فى السكوت».

قال أبو الريحان البيرونى: «السنن الصالحة علامات الخير والحق».

قال أكثم بن صيفى: «كل سؤال وإن قل، أكثر من كل نوال وإن جلّ».

قال بزرجمهر: «سوسوا أحرار الناس بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والأسافل بالمخافة».

قال أبو الفرج بن الطيب: «الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر».

قال يعقوب بن اسحاق الكندى: «اعتزل الشر، فإن الشر للشر خُلق».

قال أبو الدرداء: «الشرف كف الأذى وبذل الندى».

قال ناصر الهرمزدى: «الشرير يباهى بالشر، والخير يستحيى من الخير، فما أبعد أحدهما عن الآخر».

قال الفضل بن سهل: «من أحب الازدياد من النعم فليشكر، ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء وعزه فليسقط دالته ومكره».

قال لقمان يعظ ابنه: «يابنى شاور من جرب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ماحصله بالجهد والمال، وأنت تأخذه بالمجان».

قال صدقة السامرى: «صبر العفيف ظريف».

عن ابن مسعود: «ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب».





حـــاول أن تعـــرف

الصـــورة الأولــــى

الصورة لأحد المساجد الشهيرة بمدينة الاسكندرية التى أنشأها الاسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وقد لعبت هذه المدينة دوراً عظيما فى التاريخ فقد كانت عاصمة لمصر حتى سنة ٦٤١ م ، وقد كانت مركزاً ثقافيا وحضارياً حيث كانت بها أعظم مكتبة فى العالم فى ذلك الحين . وقد كانت أكبر عاصمة إقليمية فى الامبراطورية الرومانية إلى أن فتحها عمرو بن العاص فى سنة ٦٤١ ونقل العاصمة منها إلى الفسطاط ــ ولقد كانت بها إحدى عجائب الدنيا السبع .

ما اسم هذا المسجد الشهير؟

وإسم الأعجوبة السابعة التى كانت بمدينة الاسكندرية ؟

الصـــورة الثــانيــة

الصورة لــطــبــيب إنجليزى شــهــيــر . يرى البعض أنه هو الذى اكتشف الدورة الدموية وعمل القلب . وقد ولد عام ١٥٧٨ ، وتوفى عام ١٦٥٧ . وقد نشر أبحاثه سنة ١٦٢٨ فى كتابه : « مقالة تشريحية عن حركة القلب والدم فى الحيوانات » . ويعد هذا الكتاب بحق من أعظم الكتب فى تاريخ علم الفسيولوجيا وألف هذا الطبيب كتابا آخر عن « علم الأجنة » عام ١٦٥١ ، ويعتبر هذا الكتاب بداية الدراسة الحديثة لعلم الأجنة .

فمن هو هذا الطبيب ؟

مـــن الأمثـــال العـــربيـــة

• سبق السيف العزل : ويضرب لمن فاتته الفرصة التى كان يرجو تحقيقها .

• بلغ السيل الزبى : ويضرب للأمر الذى يجاوز الحد .

• إن البغاث بأرضنا يستنسر : ويقال عن الضعيف يصير قويا ، والذليل يعز بعد الهوان .

• يداك أوكتا وفوك نفخ : ويضرب لمن يقع فى سوء عمله .

• قبل الدماء تملأ الكنائن : ويضرب للاستعداد للأمر قبل الإقبال عليه .

• مكره أخاك لا بطل : يقال لمن يحمل على ما يكره .

• إن غدا لناظره قريب : ويضرب للتريث والانتظار وقرب المأمول .

• عند جهينة الخبر اليقين : فى معرفة الشيء فى مصدره الحقيقى .

• إن ترد الماء بماء أكيس : ويضرب فى عدم التفريط بما فى اليد انتظارا لغيره .

• إن الحديد بالحديد يُفْلَحُ : ويضرب فى مواجهة القوة بالقوة

• إن اخاك من آساك : ويوصف به الصديق المخلص .

وجدى محمد أبو المتولى

قرية بلقينا ــ مصر

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة الدوحة
ص ب ٢٣٢٤ ــ الدوحة ــ قطر

لقطة الشهر



السّلام للأطفال الأبرياء!

فاز بالجائزة وقدرها اشتراك لمدة سنة القارىء : أدواب ابراهيم ــ الدار البيضاء ــ المغرب .

كلمات مضيئة

- كل شيء يصعب فى البداية
- متى يبلغ البنيان يوم تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم .
- أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر بهم .
- ما أروع أن تبتسم حين ينتظر الجميع أن تبكى .
- ضد الشر الخيرُ ، فعليك بفعله ، ففيه سعادتك وسعادة الآخرين من حولك .
- يصيبنا بالملل كل من لا يعرف متى يسكت عن الكلام .
- إذا شئت أن تُعَدَّ صادقا ، فقل الحقيقة دائما .
- من الغريب حقا أن الأشياء المهمة لا نراها بالعين ، مثال ذلك النفس البشرية والجاذبية الأرضية ونظام الفلك الدوار .

عمر برك بلسعد
محافظة عدن

اخترنا لك

المقارنة العجيبة

تم إختيار الرئيس ابراهام لنكولن لرئاسة الولايات المتحدة سنة ١٨٦٠ ، وتم اختيار الرئيس جون كيندى لهذا المنصب سنة ١٩٦٠ ، وكلاهما مات مقتولا والذى تولى الرئاسة بعد لنكولن إسمه جونسون ، وكذلك كان جونسون من تولى بعد كيندى ، أولهما أندرو جونسون ولد سنة ١٨٠٨ وثانيهما ليندون جونسون ولد سنة ١٩٠٨ ، قاتل لنكولن ولد سنة ١٨٣٩ ، وقاتل كيندى ولد سنة ١٩٣٩ ، كلا القاتلين أغتيل قبل محاكمته ، حدث للرئيس لنكولن قبيل إغتياله أن نصحه سكرتيره الخاص ــ وكان إسمه كيندى ــ بالا يذهب تلك الليلة الى المسرح ، وكذلك حدث للرئيس كيندى قبيل اغتياله أن نصحه سكرتيره الخاص ــ وكان إسمه لنكولن ــ بألا يذهب إلى مدينة دالاس (التى اغتيل فيها) ، فر قاتل لنكولن من المسرح الذي إقترف فيه جريمته ، واختبأ فى متجر ، وفر قاتل كيندى من المتجر الذى إقترف منه جريمته ، وأختبأ فى مسرح .

والآن صديقى القارىء ؛ ما رأيك فى هذه المقارنه العجيبة .

- من كتاب الدكتور زكى نجيب محمود مجتمع جديد أو الكارثة .

شوكت محمد على
ج . م . ع .

المسابقة الشعرية

انتشرت الثقافة الاسلامية فى عصر الدولة الفاطمية انتشاراً كبيراً .. وذلك بفضل تشجيع الخلفاء والأمراء والسلاطين لرجال العلم والأدب واتساع أفق الفكر الاسلامي بانتقال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .. فراجت الثقافة ونشطت الحركة الفكرية .. وزخر بلاط الدولة بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم .. يضاف إلى ذلك ظهور كثير من الفرق التى اتخذت من الثقافة والأدب وسيلة لتحقيق مآربها الخاصة .

وكان الشعراء هم أصحاب النصيب الأكبر من الهبات والمكافآت والعطايا .. الأمر الذى جعلهم يهجرون أوطانهم ويستقرون فى مصر ليكونوا إلى جانب مقر الخلافة .

وكان من هؤلاء الشعراء أبو العباس أحمد بن مفرج الذى عاش فى عهد الخليفة الحافظ الفاطمى ... وكان هذا الخليفة قد أمر الشعراء أن يختصروا فى قصائدهم ... فنظم الشاعر قصيدة فى مدحه كان مطلعها :

أمـرتَنَـا أن نصوغ المدح مختصراً   لم لا أمرتَ ندا كَفيكَ يَخْتَصِرُ
والله لابـد أن تجـرى « المقصود »   حتـى يَـبِـيـنَ لـهـا مـن مدحِكَ الأثَرُ

المقصود أو « الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من سبعة أحرف :
٦ ، ٥ ، ٤ بمعنى بَحَثَ
٤ ، ٧ ، ١ بمعنى قُوَّة
٦ ، ٢ ، ٥ إِنَاث الجمال
٦ ، ٤ ، ٣ بمعنى أَخْبَر

جــــوازســــفــر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية مشهورة .. حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة فى جواز سفره .. والتى تلقى ضوءاً على جوانب من حياته :

سنة الميلاد : ٣٧٠ هجرية .

مكان الميلاد : قرية قريبة من مدينة بخارى فى « أُزْبكستان » شرق بحر قزوين .

ملخص حياته : أقام فى بخارى .. وأتم حفظ القرآن الكريم بأكمله عندما بلغ العاشرة من عمره .. كما تقدم كثيراً فى دراسة الأدب .. ثم بدأ بعد ذلك فى دراسة الفقه والمنطق .. ثم اتجه إلى دراسة الطب حتى توصل إلى كثير من وسائل علاج بعض الأمراض فى السادسة عشر من عمره .. واستمر فى دراساته وتجاربه وعلاجه للأمراض حتى تولىّ رئاسة الوزارة فى هَمَذَان على عهد الأمير شمس الدولة .. وما أن توفى الأمير حتى لُفقت له تهمة وألقى به فى السجن .. وفى السجن ألّف كتاب « القَوْلَنْج » عن علاج الامعاء الغليظة ..

وقد توفى عام ٤٢٨ هجرية فى همذان .

وهذا العالم العربى الكبير له اسم اشتهر به مكون من مقطعين من أحد عشر حرفا :
١ ، ٢ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ لو أضيف لآخرها حرف « م » تكون بمعنى الدنىء الأصل أو الشحيح النفس .
٣ ، ٨ ، ١١ بمعنى سيء الخُلُق .
٦ ، ٧ ، ٥ ، ٤ ، ٢ جماعة الأفراس .

مسابقة مدن العالم

هذه المدينة من المدن الأثرية القديمة .. أقيمت حوالى سنة ١٢٧٥ قبل الميلاد على قمة أحد التلال المطلة على شاطىء بحر إيجه وفوق أنقاض مدن سبقتها .. وقد ذكر الشاعر اليوناني القديم هوميروس قصة هذه المدينة فى كتابه « الألياذه » ...

كان لهذه المدينة ملك اسمه « بريام » وابنه اسمه « باريس » .. وكانت هذه المدينة غنية بمواردها وخيراتها .

وكان يحكم اليونان فى ذلك الوقت الملك « أجاممنون » ... وكان لأجاممنون هذا شقيق يدعى « منيلاوس » وهبه الله زوجة رائعة الجمال تدعى « هيلين » ...

وحدث أن سافر « باريس » فى زيارة إلى بلاد اليونان .. وشاءت الأقدار أن تقع عيناه على « هيلين » زوجة منيلاوس ففتن بجمالها كما وقعت هى أيضا فى غرامه .. واتفق معها على أن تهرب معه ... وقد نجحت خطته وفر بها إلى مملكة أبيه فى تلك المدينة .. ولم يكد الملك « أجاممنون » يعلم بما حدث من شقيقه .. حتى أعد جيشه وتوجه لتخليص زوجة أخيه والانتقام من خاطفها وأبيه ، ولكن المدينة كانت محصنة تحصينا قويا فلم يستطع اقتحامها .. فاستمر فى حصارها سنوات طويلة بلغت عشر سنوات .. وأخيرا استطاع بالحيلة أن يدخل فريقا من جنوده في جوف حصان خشبي ضخم فُتِحت له أبواب المدينة على أنه هدية للملك بريام .. ولم يكد يدخل الحصان حتى خرج الجنود اليونانيون منه وفتحوا الأبواب لبقية الجيش .. وبذلك انتهى الحصار الطويل واستولى أجاممنون على المدينة وانتقم أشد الانتقام لأخيه .

يتكون اسم هذه المدينة من مقطع واحد من ستة أحرف :
٥ ، ٦ ، ٢ بمعنى زمان
٣ ، ١ ، ٤ بمعنى داسَ (الأرض مثلا)

اسم الشهرة

ولد محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم أبو عبد الله اللَّواتى الطنجى فى ١٤ رجب سنة ٧٠٤هجرية فى طنجه .. وعندما بلغ الحادية والعشرين سافر وحده من طنجه لأداء فريضة الحج.. فاتجه من شمالى إفريقيا إلى صعيد مصر ومنه إلى ساحل البحر الأحمر.. ولم يجد هناك طريقة آمنة لعبور البحر.. فاتجه شمالا إلى القاهرة.. ومنها إلى سيناء وفلسطين وانحدر جنوباً إلى مكة حيث أدّى الفريضة .. ثم اتجه بعد ذلك من الحجاز إلى العراق ومنها إلى بلاد العجم.

فى رحلة أخرى زار جنوب الجزيرة العربية وعبر خليج عدن إلى شرق أفريقيا ومنها عاد إلى الخليج العربى .. ومن هُرْمُز توجه شمالاً حتى وصل إلى آسيا الصغرى ثم اتجه شرقاً إلى خُوارِزْم وبُخَارَى وأفغانستان فى طريقه إلى الهند ومنها إلى الصين عن طريق جزيرة سيلان والبنغال.. ثم عاد حيث وصل إلى بلاد العرب عند ظفار وكان ذلك فى المحرم سنة ٧٤٨ هجرية . وكانت رحلته الأخيرة إلى السودان ومالى عامى ٧٥٣ ــ ٧٥٤ هجرية .. وعاد إلى مراكش عن طريق الواحات . وقد توفى سنة ٧٧٠ هجرية .

هذه الرحالة له إسم مشهور معروف به مكون من مقطعين من ثمانية حروف :
٢ ، ٧ ، ٣ لا يهمُّهُ إلاَّ بَطْنه
٧ ، ٦ ، ٢ الآجر المحروق المستعمل فى البناء
٣ ، ٦ ، ٥ بمعنى وسام
٥ ، ٤ ، ٨ بمعنى عَالَجَهُ
٨ ، ٦ ، ٣ بمعنى سَهَّلَ أو خَفَّفَ
فهل عرفت هذا الاسم ؟

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢١

● المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة فى قصيدة المتنبي هى : مشمرا
● جواز سفر : اسم صاحب الجواز ابن حزم الأندلسى
● فى أية مسرحية هذه الأبيات : مسرحية مصرع كليوباترا
● مسابقة مدن العالم : مدينة مدريد عاصمة أسبانيا

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء عبد العظيم عبد الحليم عبد الله السودان.

فازت بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارئة إيمان عبد المحسن قاسم ــ مصر

فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارئة رقيا أحمد شبيلى ــ السعودية

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ــ آدم عبد الله بلال .... تشاد
٢ ــ محمد يحيى سعد القطاع .... الجمهورية العربية اليمنية
٣ ــ زهير صبحى يوسف سلامه .... قطر
٤ ــ حمود العلى الزعبى .... سوريا
٥ ــ فردوس حسنى حسن .... دولة الامارات العربية المتحدة
٦ ــ سميرة سالم عوض خميس .... جمهورية اليمن الديمقراطية
٧ ــ منيب محمد على الرشدان ... الأردن
٩ ــ هشام بن حسن بن سعيد .... تونس
١٠ ــ عائشة عيسى .... المغرب

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢١

الصورة الأولى : جامع الزيتونة بتونس ، وقد أمر ببنائه الوالى عبد الله بن الحبحاب

الفائزة : فوزية محمد حسن ــ السودان

الفائز : أحمد نمر محمد بدران ــ الأردن .

الصورة الثانية : المخترع الأمريكى هو توماس أديسون ومن أشهر اختراعاته المصباح الكهربائى . جهاز التلغراف .

الفائز : عبد الكريم محمد أحمد السلق الجمهورية العربية اليمنية

الفائز : محمد حنفى عبد المحسن ــ مصر

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢١

١ ــ أصل وصورة : الشعر ــ العين اليسرى ــ الأنف ــ الأسنان ــ الذقن ــ الأذن ــ الرقبة .
٢ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم ٥
٣ ــ لعبة الظلال : رقم ٣
٤ ــ دورى الكاريكاتير : رقم ٥
٥ ــ لأقوياء الملاحظة : جرس ــ بقرة ــ حذاء ــ أرنب ــ عصفور ــ طائر الغراب .
٦ ــ هات أجمل تعليق :
ــ حبيبى يابابا نفسي أشوفك من ٩ شهور .
ــ بابا أعرفك بنفسى أنا باكورة إنتاجك .
المثل يقول :
ــ إنفق ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب
ــ أقرع ونُزَهي .

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١٢١

١ ــ طه ناصر أحمد .... مصر
٢ ــ سيما جعفر حبيب .... البحرين
٣ ــ كمال الدين حسين مصطفى ..... قطر
٤ ــ أحمد حسنى أحمد سلمان . البحرين
٥ ــ ضياء قاسم محمد البصرى ... العراق
٦ ــ صابر شعبان البنا .... مصر
٧ ــ جلال محمود الحسينى .... الجمهورية العربية اليمنية
٨ ــ باشرى عوض الكريم .... السودان
٩ ــ عدنان أحمد حسن على ... السعودية
١٠ ــ أميرة صديق عبد السلام .. السودان
١١ ــ بلعير محمد .... ليبيا
١٢ ــ زاوى محمد .... الجزائر
١٣ ــ محمود عبد الرازق حسين ... مصر
١٤ ــ أحمد عبد القادر أحمد ... السودان

استراحة الدوحة

أصل وصورة





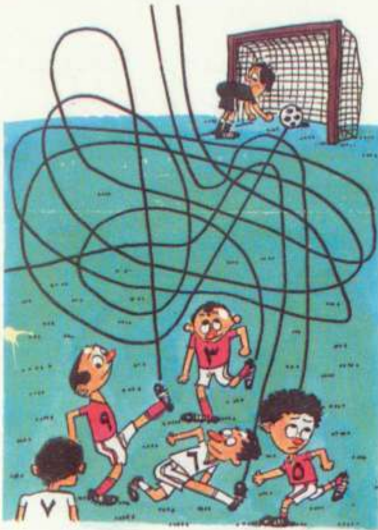
• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى لبطل الملاكمة السابق محمد على كلاى الذى ظل متربعا على عرش البطولة لسنوات عديدة، هناك سبعة اختلافات طفيفة .. حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. تعرَّف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة.

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رؤوف

لعبة الظلال



• مازال هذا اللاعب يحاول العثور على ظله الحقيقى .. حاول أن تساعده فى حل مشكلته لتحصل على جائزة

هات أجمل تعليق



• تأمل هذا الرسم الكاريكاتيرى جيدا ، وحاول أن تجد تعليقا خفيف الظل لتفوز بجائزة

المثل يقول



• حاول أن تكتب لنا المثل الشعبى العربى الذى يعبر عنه هذا الرسم الكاريكاتيرى ، فى انتظارك جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التى لم تتم لأديب عربى كبير نجد دائما فى أدبه متعة وعمقاً وأصالة .. أكمل اللوحة ، وتعرف على شخصية الأديب الكبير لتحصل على جائزة

صوت

بقلم: مريم آل سعد

ضوء أم حريق؟

في الخليج محاولات أدبية راقية تتأجج بالجدية والطموح وتشق طريقها بصلابة وثبات نحو التمرس والابداع ، وهناك أيضاً محاولات وارهاصات جديرة بالتبرعم والنمو ولكنها أجهضت قبل الأوان وما زالت تحت وطأة الاحتضار البطيء المتراوح بين الرغبة في الخروج الى السطح وبين السطحية في طرح وتناول المواضيع والقضايا ، ذلك أن البعض يعتقد بأن مجرد نشره لعدة محاولات في الصحف أو قدرته على طبع كتاب أو ديوان أو رواية معناه أنه قد عمّد نفسه بماء الذهب في قائمة الكتاب والمبدعين ، وأنه قد أنهى معركته مع الاجادة والابداع ، وأنه قد صنع تاريخه الأدبي ولا يلتفت ـ بعد ذلك ـ الى القيمة الفنية والفكرية للنتاج أو إلى مدى مايضيفه الى الحياة الثقافية ، أو على مردوده في الوسط الاجتماعي والثقافي المعاصر ، أو مدى مايحمله من هم أو فكر أو قضية أو أي ملمح آخر غير رغبة الكاتب الشخصية في نشر مخطوطاته الوجدانية التي قد لا يعني أحداً غيره الاطلاع عليها وإن صبها على شكل قصائد أو قصص ـ الخ !

هذه الرغبة بين التطلع الى الابداع وبين التهالك على النشر لا تصنع موهوباً متواضعاً بل تحوله الى مسخ راغب في الانتشار على حساب موهبة محدودة الاطلاع أصابها الاهتراء والتمزق من كثرة المراهنة عليها .. وتخسر ـ بذلك ـ الحياة الثقافية في محيطه عنصراً لو أنه عمل بصمت وقناعة على بناء عصبه الثقافي وحاول باجتهاد صياغة منهج مميز لخرجت محاولات جديرة بالاحترام ، ولاستطاع أن يحمي اسمه من الانحدار والتسويف وربما استطاع يوماً أن يخرج بنتاج له قيمته الفنية ، ولكنه بالتأكيد ـ في كل الحالات ـ سيحتفظ دائماً باسمه نقياً لم تلطخه مقاولات حب الانتشار وعشق الظهور اللا متناهي .

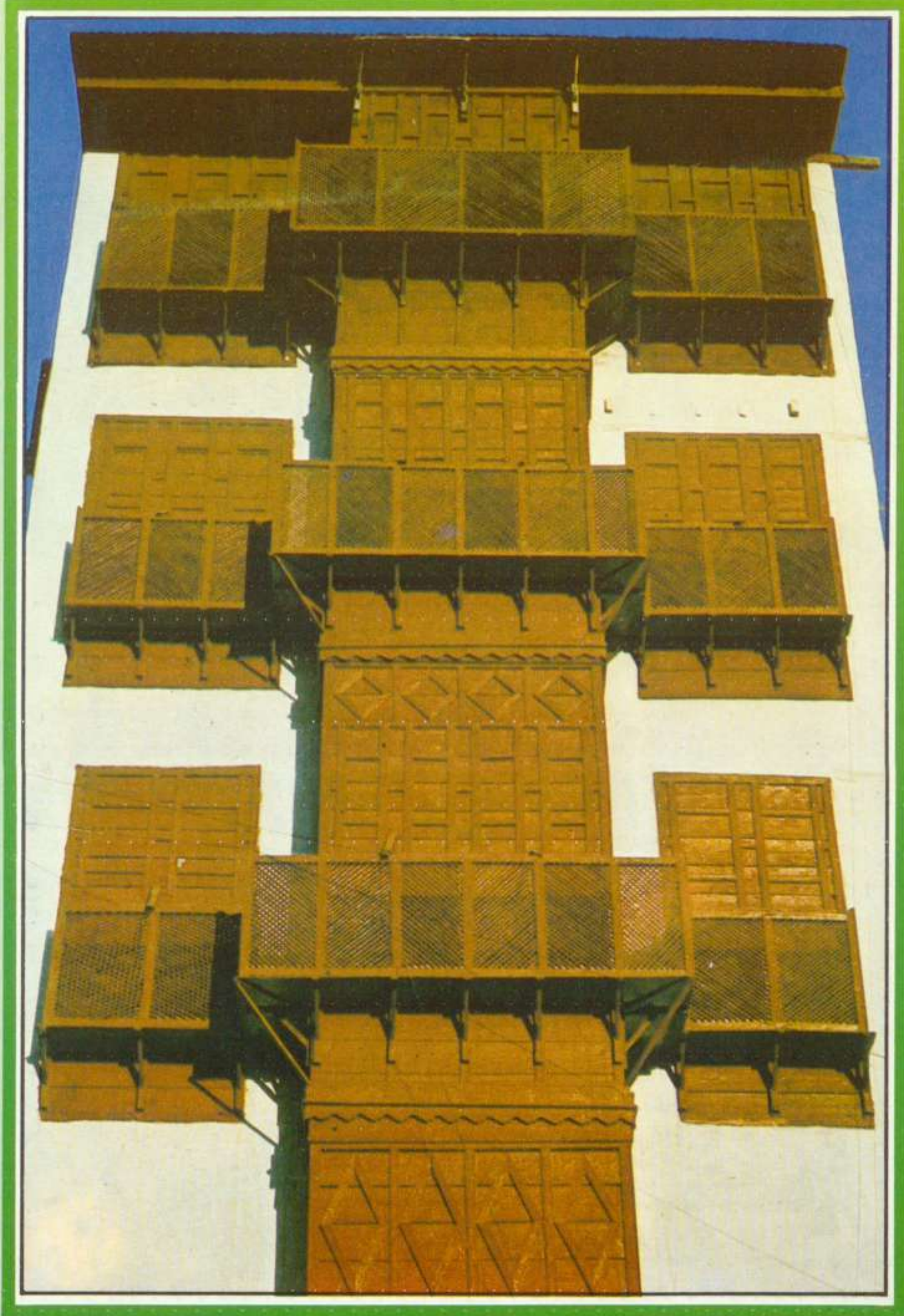
وربما أن جدّة الحياة الثقافية في الخليج وتفتحها المفاجيء على ثقافات وتيارات متعددة ، وقلة الاسهامات الخليجية الحديثة في كثير من المجالات ولدّ على السطح الكثير من الأدعياء وأثّر على مسيرة الكثيرين من الموهوبين الذين تأثروا بالأجواء الموجودة التي توزع ألقاباً كثيرة لشخصيات خاوية الا من المركز الوظيفي المرموق ، والذي يعتقد البعض بأنه يكفي ليقلد الشخص امارة الشعر أو مملكة القصة أو عرش المقالة .. ! مما أوحى للكثيرين بأن مجرد طرح مالديه هو نصر في حد ذاته ، ومأثرة لم يسبقه اليها أحد ، وريادة يسجلها التاريخ باسمه في المستقبل .. !

وتؤيد هؤلاء المتسرعين جوقة من المنشدين الهاتفين بمسوغ ودون مسوغ وبالأغلب ارضاءً لمصالحهم الشخصية ، فتكاد تغرق في بحر الغرور والتسرع مواهب قد يكتب لها النجاح لو تأنت ودرست وصبرت وهذبت معظم ما أنتجته .. !

والمدهش أنه بين تراكم الكثير من المطبوعات الهجينة تخرج محاولات ناضجة مرهفة متأججة لكتاب خليجيين كأنهم قد جاؤوا في الزمن الخطأ .. وكأنهم مولودون قبل الأوان ، فنراهم متوهجين أحاديين كالسيف القاطع تحبطهم الغربة وسط هذا القطيع المتناسل من أواسط الموهوبين .

ان تعجل الشهرة والاستسلام لمدّ الغرور الجارف سيلغي دور الكثيرين من الواعدين الذين سينتهون قبل أن يبذلوا ولو اليسير مما اعتقدوا أنهم قدموه .. !

لقطات من الخليج



رائحة التاريخ

مازال العمران القديم فى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية يجذب أنظار الزائرين للمدينة ذات التاريخ العريق ، فرغم زحف المبانى الحديثة على كل مكان ، فإن هذا النوع من المبانى له نكهة خاصة تدفع الكثيرين إلى تأمل دقة الصانع وأصالة فنونه أثناء الحفر على الخشب .

وتعتبر مدينة جدة ـ ذات الأصالة والتاريخ ـ من أكبر المراكز التجارية فى المملكة ، وبها ميناء هام يستقبل أعداداً كبيرة من البواخر العملاقة ، كما تصلها بأنحاء المملكة طرق حديثة ، وهى ثانى مدن المملكة من حيث الحجم ، وقد اكتسبت شهرتها العالمية من وصول الحجاج إليها بحراً وبرا عند القيام بمناسك الحج .



أفـــــراح
للفنان البحريني : عبـد الله المحـــرَّقي

العدد ١٢٤ - رجب ١٤٠٦هـ - أبريل/نيسان ١٩٨٦م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

حول عقدة التفوق بين المغرب والمشرق في الثقافة العربيّة
د. محمد جابر الأنصاري

احذر القاتل الصامت وعملاءه
د. عبد المحسن صالح

هل توجد حضارات عاقلة في الفضاء؟
سعد شعبان

الإنسان والعطور منذ أقدم العصور



لوحة وفنان

أهــــــلاً بالضيــــــف

من وحى الكرم العربى الذى امتلأت به قصص التاريخ وقصائد الشعر على مر العصور، سجل الفنان العالمى « بول آنجر » (١٨٢٤ ـ ١٨٨٨) هذه اللوحة التى تمثل وصول الضيف إلى مضرب القبيلة ، ليستقبله كبيرها فى ترحاب وسرور وبعبارة مألوفة فى حياتنا العربية تقول : « أهلا وسهلا » !

وحتى يومنا هذا يقال للعربى الكريم إنه فى كرمه يشبه حاتم الطائى ، وهو ذلك الشاعر الذى عاش فى العصر الجاهلى ، ورويت عن كرمه قصص كثيرة كما كان شعره ـ فى معظمه ـ يدور حول الجود والخلق القويم .

وقد استطاع الفنان « بول آنجر » بما أعطى من تفاصيل فى لوحته ، وبألوانه الجذابة ، أن يبرز إحدى الصفات العربية النبيلة وهى : الترحيب بالضيف وإكرام وفادته !

الدوحة

العدد ١٢٤ - رجب ١٤٠٦هـ - أبريل/نيسان ١٩٨٦م

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .

العنوان البرقي : المجلة - الدوحة

تيلكس : 4521 MAGDO DH -

تليفونات :

رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١

التحرير : ٤٤١٢٧٥

المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨

القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطرياً

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطرياً

باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها

فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطرياً

للدوائر الحكومية والشركات :

داخل قطر ١٥٠ ريالا قطرياً

بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطرياً

فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطرياً

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **قطر :** در الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة
- **السودان :** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .
- **الأردن :** وكلة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد أبو ظبي ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC : SOCHEPRESS B. P. No 683 CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE S. N. E. D. 20 RUE DU LIBERTE ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

في هـــــــذا العـــــــدد



د . محمـد جـابـر الانصاري : ايـن عقـدة التفـوق رغم هـذا الاعجاب المشرقي بالمغرب ؟ (ص ٦)



محمـد العربي الخطابي : قنوات الثقافة بين المشرق والمغرب (ص ١٠)



أكرم زعيتر : الحلقة الأخيرة من بدوي الجبل وإخاء ٤٠ سنة (ص ٣٨)



د . روبـرت جـارفـيك وهـو يحمل القلب الآلي جـارفـيك ٧٠ (المقال ص ٤٦)

دراسات ومقالات

أدب وفنون

أبــواب

المدير الفني : سلمان المالكي

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

كلمة

سلاح ذو حدين ..

تمتلئ الحياة الأدبية العربية بالاشاعات التي تمس حياة الكتاب والفنانين في سلوكهم ومواقفهم المختلفة ، وقد كنا نظن أن هذه الظاهرة مؤقتة ، وأن صفحتها سوف تنطوي بسرعة ، خاصة وأن الوطن العربي يعاني من هموم كبيرة وقضايا حقيقية ، مما كان يفرض على أهل الأدب والثقافة قبل غيرهم أن ينصرفوا إلى الأمور الجدية ، ويبتعدوا عن المشاكل الثانوية الملفقة ، فالأدباء والمفكرون والفنانون هم ضمير الأمة ، وهم الذين يعبرون عن كل ماتعانيه هذه الأمة من آلام ، وهم الذين يفتحون أبواباً للمستقبل تحمل الأمل وتشير إلى طريق الخلاص من الأزمات . فإذا غرق هؤلاء الأدباء والمفكرون في مناخ الاتهامات الشخصية ، وإثارة الإشاعات التي لاتقوم على دليل ساطع أو تستند على برهان ثابت ، فإن ذلك كله يعني أن أهل الكلمة قد تخلوا عن دورهم وانصرفوا بجهدهم إلى مالا ينفعهم ولا ينفع أمتهم . وإذا ألقينا نظرة إلى نوعية الاتهامات التي يتبادلها المثقفون فإننا لانملك إلا أن نشعر بالألم العميق . فهذا أديب يتهم أديباً آخر بأنه يشرف على حملة مدبرة لتدميره والقضاء عليه ، وأن هذه الحملة تشمل العالم العربي وأوروبا ، وأن السبب في ذلك هو المنافسة القائمة بين الأديبين ، حيث يحاول الأديب الذي يسعى بالشر أن ينال من مكانة زميله وأن يزحزحه إلى الصفوف الخلفية بدلاً من الصف الأول الذي يقف فيه . وعندما يبذل الباحثون المدققون الأمناء عن أساس لهذه الإشاعة فإنهم لايجدون شيئاً يمكن أن تقوم عليه ، بل يجدون العكس تماماً ، فالأديب المتهم من ذوي المواهب العالية ، والأخلاق العالية في نفس الوقت ، وهو لايضمر شراً لأحد من زملائه ، بل يسعى إلى مساندتهم كلما أتيحت فرصة لمثل هذه المساندة . وهناك إشاعة أخرى تنطلق في الأوساط الأدبية تقول عن أديب مشهود له بالموهبة والوطنية معاً إنه سافر سراً إلى اسرائيل عن طريق إيطاليا . وعندما نبحث عن أي دليل يؤكد هذه الإشاعة فإننا لانجد أمامنا شيئاً على الإطلاق ، وإنما الأمر كله قائم على الرغبة في التشهير والإيذاء وخلق مناخ أدبي وثقافي مليء بالأعاصير والسموم في أجواء الفكر العربي المعاصر .

وما أكثر ماتنطلق الإشاعات التي تقول إن هذا الأديب أو ذاك إنما يعمل في مخابرات دولة أجنبية ضد مصالح أهله ووطنه . ويكون الاتهام كله قائماً على غير أساس من الصدق أو دقة المعلومات .

فلماذا نستسلم في حياتنا الأدبية والثقافية لمثل هذه الإشاعات المسمومة ؟ ولماذا تكثر الصفحات الأدبية في الصحف من نشر مثل هذه الإشاعات ؟ ... هل أفلسنا روحياً إلى هذا الحد الذي لم يبق فيه أمام كل أديب وكاتب إلا أن « يأكل لحم أخيه ميتاً » دون أن يكره ذلك أو ينفر منه ؟ ... هل خلت حياتنا العربية من الهموم الجدية حتى نصطنع هموماً لاقيمة لها ولاصدق فيها وليس لها أقدام تمشي عليها ، وإنما هي وهم وخيال وحديث مجالس فارغة غير جادة ؟

إن ظاهرة الاشاعات الأدبية تكبر وتنتشر يوماً بعد يوم ، وعلينا أن نقف في وجه هذه الإشاعات بحزم وقوة ، وأن نطالب كل من يروج لها أن يقدم الدليل الساطع والبرهان الذي يحمل اليقين ، وإلا عاملناه معاملة المجرمين والخارجين على القانون . كما أن من الضروري أن ينفض كل الأدباء والكتاب والمفكرين كل الغبار الذي يعلق بأثوابهم ، حتى تبدو هذه الأثواب كما ينبغي أن تكون – نظيفة وطاهرة .

وفوق ذلك فإن على أصحاب الأقلام أن يتقوا الله في أنفسهم وفي شعبهم ، فالمسألة كلها هي سلاح ذوحدين وكل من يطلق إشاعة ضد الآخرين يمكن أن يكون فريسة لإشاعة أخرى تؤذيه وتلوث سمعته وتفرض عليه حصاراً لايستطيع الفرار منه ، والأهم من ذلك كله أن الوطن العربي الآن ، بمشاكله المتعددة والأليمة ، يحتاج إلى كل جهد وخاصة جهد أصحاب الاقلام الذين أعطاهم الله العلم والموهبة ليقوموا بالبناء ومعالجة مشاكل الأمة الحقيقية ، لا ليهدموا بعضهم البعض أو يفرضوا على الناس هموماً غير حقيقية وعلى الوطن قضايا فارغة ، وعلى صفحات الصحف أحقاداً تؤذي وتجرح وتتجاهل كل مانعاني منه في الوطن العربي كله في هذه المرحلة الصعبة من التاريخ .

علينا أن نستيقظ ونلقي في سلة المهملات كل ماهو كاذب وآثم ولايقوم على دليل ، وأن ننصرف إلى الجد لعلنا نجد لأنفسنا ولأهلنا حلولاً جذرية لمايعانون منه ويتألمون .

« الدوحة »

بين المشرق والمغرب

وقفة ختامية

مرة أخرى وأخيرة.. هل هي عقدة تفوق مشرقية ضد الثقافة المغربية ؟

أشرنا فى « مرافعتنا » السابقة فى هذه القضية إلى ما يمكن تسميته بالتوزيع الجغرافى للإهمال مشرقاً ومغرباً . ولاحظنا ـ ولعل الإخوة فى المغرب العربى شاركونا الملاحظة والاقتناع ـ كيف أن ذلك التوزيع كان « عادلاً » في إهماله للمغرب والمشرق على حد سواء وبالقسطاس المستقيم !

وأن اليمن وعمان والجزيرة والخليج لم تكن بأسعد حظاً من المغرب وتونس والجزائر وليبيا ، في دائرة اهتمام أوساط النشر والتأليف والصحافة فى عواصم المشرق الأوسط.. لدى أولئك الاخوة « الأفندية » العصريين من البيارته والقاهريين ، والدماشقة والبغداديين ، خاصة فى تلك العقود من السنين ذات الجاذبية الأوربية ـ حيث اجتذبتهم ليالى الأنس فى ڤيينا ـ فصرفتهم عن الاهتمام بليالي البؤس في قرى الريف العربي الكبير ، مشرقاً ومغرباً ، بما فى ذلك أرياف أقطارهم ذاتها (ضمن ظاهرة الجفاء وتبادل اللامبالاة بين الريف والمدينة في عالمنا العربى حتى يومنا هذا ..)

أين عقدة التفوّق رغم كل هذا الإعجاب المشرقي بالمغرب؟

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

وحتى نصل الى فصل المقال فى هذا الإشكال ، دعونا نخرج من محور المقابلة بين المشرق والمغرب تماماً ، وننظر إلى اقليم وادي النيل فى حد ذاته كمثال محايد ، ونتأمل فيما يناله جنوب الوادي ـ أي السودان بما في ذلك عاصمته الخرطوم ـ من اهتمام الأوساط الأدبية والصحفية والعلمية فى عاصمة الشمال ، أي القاهرة.. ليس فى الثلاثينات والأربعينات .. وإنما فى أيامنا هذه .. وفى إطار التكامل بين قطرى وادي النيل .. إن آخر مواجهة صحفية شهدناها بين الجنوب والشمال ، وليس بين المغرب والمشرق هذه المرة ! هي المواجهة التى جرت قبل بضعة أشهر فقط ودارت حول عتب الأشقاء السودانيين فى جنوب الوادي على صحافة وصحف العاصمة الشمالية ، وكيف أنها لا تنشر عنهم إلا النزر اليسير ، ولا تعرف عنهم وعن شؤونهم وشجونهم إلا أقل القليل ، بينما هم يقرؤونها من ألفها الى يائها ويعرفون كل شيء عن نجومها .. وهمومها .. على حد سواء !

فتلك هي قصة أزلية ، ومشكلة عربية باتجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب ! .. إنها عقدة الجهات الأربع تجاه المركز . لا عقدة المغرب تجاه المشرق .. فحسب .

ثم هى أخيرا قضية معرفة النفس لدى الانسان العربى والعقل العربي ، والأمة العربية كمجموع . هل عرفت العاصمة ذاتها ، معرفة ثاقبة شافية ، حتى تعرف ريفها .. وتعرف شقيقاتها .. وتعرف مشرقها ومغربها ، وشمالها وجنوبها ؟

ان ما تكتبه العواصم الأجنبية عنا وعن عواصمنا ـ مشرقا ومغرباً ـ يفوق ما نكتبه عن أنفسنا في كل عواصمنا من حيث الدقة والاحاطة والشمول والنفاذ . فليعرف مشرقنا نفسه أولاً معرفة وثيقة ، وليعرف مغربنا نفسه بالمثل معرفة أكيدة.. ثم لنتعاتب فى مجال التعريف والتعارف فيما بيننا . أما أن نتعاتب في مسألة التوزيع الجغرافى للإهمال المتبادل بين الجهات الأربع .. وكل منا لا يعرف نفسه أي حقيقته العلمية والحضارية والانسانية ـ معرفة حميمة .. فما جدوى العتاب .. فى

تشاكي الأحباب ؟!!

. . .

من ناحية أخرى ، أعتقد أن إعطاء الحساسية بين المغرب والمشرق ، في المجال الثقافي ، بعداً تاريخياً تراثياً كأن يرى بعض الاخوة من مثقفي المغرب في قولة الاصطخري عن المغرب بأنه « كم الثوب » ، أو قولة ابن الفقيه بأنه « ذيل الطائر » ـ كما يذكرنا الأستاذ الكبير محمد مزالي في أحد هوامش كتابه الشائق في « دروب الفكر » ـ أعتقد أن إيصال المسألة الى هذا العمق التاريخي المتخيّل ، يزيدها تعقيداً ولا يسهم في تيسيرها وحلها ، فضلاً عن كون هذه الاشارات التاريخية التراثية إشارات نسبية محكومة بظروف الزمان والمكان ومحدودية نظرة القائل . ونحن لو فتحنا هذه « السيرة » في كتبنا الأدبية التاريخية لوجدنا أهل غرناطة يتفاخرون على أهل قرطبة ، وأهل فاس على أهل مراكش ، وأهل مراكش على أهل القيروان ناهيك بمدن المشرق ..

ولو أخذنا ما يقوله أولئك الأسلاف المصنفون المتفاخرون وأكاد أقول الفشارون مأخذ الجد ، فيما ينسبونه لأنفسهم من مفاخر ولمنافسيهم ـ من الجيران الأشقاء ـ من مثالب ومعايب .. لدخلنا في مسلسل جديد من حروب داحس والغبراء .. وبصورة كاريكاتيرية هذه المرة !

ثم لو سمح لنا أولئك الاخوة المغاربة بقلب الآية ، وباستعراض بعض ما قاله الرحالة المغاربة القدماء عن أقطار المشرق ومدنها وأهلها وطباعهم وأخلاقهم ، فما ترانا قائلين .. عن « ظلم ذوي القربى »[1] في هذه الحالة ؟ .

وكيف نعيب على أحمد شوقي قولته المائلة عن الجزائر بأنه .. حتى ماسح الأحذية بها « يستنكف النطق بالعربية وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسوية »[2] ، ولا ننظر ـ بالمقابلة المتوازنة وعلى سبيل المثال لا الحصر ومن باب رؤية الشيء من زاويته الأخرى فحسب ـ الى مقولة الرحالة المغربي أبو الصلت أمية الأندلسي وهو يعمم حكمه على أخلاق بلد مشرقي كبير بأكمله : « أما أخلاقهم فالغالب عليهم اتباع الشهوات ، والانهماك في اللذات ، والاشتغال بالترهات ، والتصديق بالمحالات »[3] !! هل يستقيم حكم كهذا ؟؟ .

● ليالي الأنس في فيينا تصرف عدداً من الأدباء عن الاهتمام بليالي العناء في الريف العربي الكبير

● طه حسين يقرر كتاباً عن «الأدب التونسي المعاصر» على طلبة المدارس في مصر


د . محمد مزالي


د . طه حسين

أعتقد أن الدخول في هذه المتاهة ، وأخذها على مأخذ الجد ، كالدخول في الجدل العقيم الذي دار بين المذاهب والفرق الاسلامية تفسيقاً وتجريحاً وتكفيراً .. من زوايا الماضي الضيقة .

فتلك الأحكام والانطباعات تبقى مرهونة بظروفها الزمانية والمكانية والذاتية والمعرفية ، وهي ظروف تاريخية متشابهة في المشرق والمغرب على حد سواء .. وليست تكراراً لعقدة قابيل وهابيل بين الجانبين !!

.. وأرجو ألا ندعها تصبح كذلك .. وأعتقد أنها بشيء من التروي وسعة الصدر وحسّ الدعابة ، يمكن أن تكون ـ لمبالغتها وإقذاعها وتهويلاتها المضحكة ـ مصدراً لطرافة كبيرة بمنظارنا المعاصر إذا جلسنا نتبادلها حول مواقد الشتاء ، بتشويق ساخر ، سواء بالشاي المغربي الأخضر ، أو بالشاي العراقي الأحمر الداكن ، أو بالشاي المصري .. فيما بينهما !

. . .

ثم ننتقل الى بعد آخر من أبعاد النظر في هذه العقدة ، بقصد تفكيك خيوطها المتداخلة .

وهو بعد الابداع المغربي الذي استطاع الوصول الى وعي المشرق واهتمامه ، مقارنة بذلك النتاج المغربي الذي لم يصل ..

والذي نقصده في هذا الطرح هنا ، على وجه التحديد ، توجيه السؤال التالي : كيف استطاعت نتاجات مغربية أساسية لفت انتباه الوعي المشرقي والاستحواذ على إعجابه أو تفهمه أو تذوقه .. في عصور وظروف مختلفة .. ولم تستطع نتاجات مغربية أخرى أن تصل أو تؤثر أو تنال الاعجاب أو الاعتراف أو التقدير .. وهذا النوع الثاني من النتاجات الثقافية المغربية هو الذي تدور حوله المشكلة ـ العقدة .. وطارحوها يغفلون ذلك النوع الأول .

وتفريعاً لهذا السؤال : إذا كانت المسألة مسألة عقدة مشرقية تجاه الثقافة المغربية ، فلماذا تقبّل المشرق بالاعجاب نتاجات النوع الأول ، ولم يتقبل النوع الثاني .. ألا تتعلق المسألة ـ إذن ـ بإبداع حقيقي قادر على تخطي الحدود ، والوصول الى المشرق ، والى ما هو أبعد من المشرق .. عندما يكون النتاج المغربي بالفعل إبداعاً حقيقياً .. ؟ وأن ما لاينال الاهتمام من نتاج المغرب إما أنه نتاج عادي غير متميز كالنتاج المشرقي العادي الذي لا يثير انتباهاً حتى في أقطار المشرق المتجاورة ، وإمّا أنه لم يحظ بالنشر والتعريف الكافيين فبقي

أين عقدة التفوّق رغم كل هذا الإعجاب المشرقي بالمغرب؟

حبيس البيئة المحلية كبعض ابداعات اليمن وعمان .. مثلاً ؟

وأعتقد أن الابداع المغربي الذي احتضنه المشرق بالاعجاب والتقدير ، فى القديم ، لا يحتاج الى تفصيل كثير ، لشهرته والاتفاق بشأنه مشرقاً ومغرباً ..

فالمشرق أعجب بالشعر الأندلسي ، وبالموسيقى الأندلسية ، وبالعمران والزخارف والمنمنمات الأندلسية والمغربية ..

أما تأثير فلسفات ابن رشد وابن خلدون وابن طفيل وابن عربى وابن حزم فى الثقافة المشرقية فأمر لا يحتاج الى بيان ، وربما كان هذا التأثير في المشرق أكثر منه فى المغرب .. والمسألة لم تكن مسألة تقابل ثنائي بين جسمين منفصلين ، بل كانت دورة واحدة متكاملة .. حيث تنشأ بذرة الابداع فى المشرق لتنضج وتزدهر فى المغرب ، أو تبدأ فى المغرب لتكتمل فى المشرق .. وهكذا .. فموسيقى زرياب تسافر من بغداد لتحط الرحال في قرطبة وتدخل فى صلب الموسيقى الأندلسية ، وموقف الغزالي من الفلاسفة فى « التهافت » يخلق تلك الجدلية الابداعية لدى ابن رشد فى « تهافت التهافت » ، وكم من متصوفة وزهاد مشارقة ساروا على درب ابن عربي ، وكم من مفكرين مشارقة سعدوا واحتفوا بابن خلدون ــ وهو التونسي الذي صار قاضي القضاة في القاهرة قديماً ــ وأصبح الرائد الفكرى لأبرز المفكرين والمصلحين المشارقة حديثاً من الشيخ محمد عبده .. الى ساطع الحصري .. الى طه حسين ولا أعتقد أن هؤلاء عندما نهلوا من إبداع ابن خلدون فكروا في موطنه الجغرافي .. بقدر ما جذبهم وشدهم ابداعه الأصيل الذي هو المحك في نهاية المطاف فى نيل الاعجاب والانتشار .. فى كل مكان فى العالم .

وإذا كان هذا التفاعل بيناً وواضحاً فى الأعصر الاسلامية بين الابداع المغربى والوجدان المشرقى ، فإن لدينا من الأمثلة فى العصر الحديث ما يوحي أن هذا التفاعل استمر ، فيما تعلق بالابداع المغربى الحقيقي ، حتى عندما أقام الاستعمار أسواره وحواجزه بين المشرق والمغرب ، وانتشرت الأمية والتخلف فيهما معاً ، وانعدمت وسائل التعريف والنشر بينهما أو كادت .

أليس من دلائل عمق هذا التفاعل أن يهتز المشرق كله من مصر الى البحرين بشعر الشاعر التونسى المبدع أبى القاسم الشابي ؟ ومتى ؟ فى ذروة سيطرة الاستعمار على المغرب والمشرق سواء بسواء ..

ألم يصبح مطلعه الخالد في قصيدته الرائعة :

إذا الشعبُ يوماً أرادَ الحياة
فلابدَّ أن يستجيب القدر
ولابُدَّ لليل أن ينجلي
ولابُدَّ للقيد .. أن ينكسر

.. ألم يصبح هذا المطلع نشيد الوطنيين والاستقلاليين العرب فى كل مكان من الأرض العربية ؟

وديوان الشابي كله (أغاني الحياة) الذي قدم له بدراسة جميلة الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ، ألم يصبح بمثابة ذلك الديوان السري الذي تخفيه الشبيبة العربية بين طيات ثيابها لتستمد منه صوت الحياة الجديدة ، فى مشرق الوطن قبل مغربه ؟

فما الذي أوصل الشابي الى المشرق في زمن العزلة ؟ وأدخله فى صلب الوجدان المشرقي ؟ أليس هو عامل الابداع الحقيقى المؤثر ، المقتحم ، الساري رغم الحواجز ، وبلا استئذان من غفلة مشرقية أو حساسية مغربية ؟!

هذا مثال للابداع الشعري الحقيقي الآتى من الركن المغربى .. أما النثر .. فعندما اكتمل نضجه فى رواية « السُد » المتميزة للأستاذ محمود المسعدى فإنه فرض نفسه على الاهتمام الأدبي والنقدى فى المشرق .

فالمعروف أن « السُد » وهى بضم السين ، كما في الكتابات التونسية ، صدرت عام ١٩٥٥ . ولم يكد ينقضي عام ونيف حتى كان عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين يستقبلها بنقد إيجابى مستطاب ضمن أحاديثه الأدبية في جريدة (الجمهورية) القاهرية بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٥٧ . ولقد رفعها فى نقده الى مصاف الشعر والفلسفة ووضعها في مصاف « حي بن يقظان » لابن طفيل وقال عنها إنها نوع من أدب الخيال الرمزي الذي : « لا عهد لنا بمثله فى الأدب العربى إلا أحياناً قليلة حين يرمز الفلاسفة الى بعض ما يريدون تصويره من ألوان الحكمة »[٤] .

واللافت للنظر أن الدكتور طه حسين ، رحمه الله ، يقدم لنقده هذا بكلمة فى التفاعل بين الأدب المشرقى (المصري) ، والأدب المغربى (التونسى) هي أبعد ما تكون عن عقدة التفوق أو النقص أو الانتقاص ، وأقرب ما تكون الى معنى التطلع والتلهف لأدب الاخوة فى المغرب العربى ..

لنستمع الى هذا الصوت ــ الشهادة بما فيه من صفاء ومحبة وانفتاح : « جثم الاحتلال الفرنسي على هذا الوطن العربى الكريم (تونس) ، وتعمد أن يقطع الصلة بينه وبين أشقائه من الأوطان العربية الشرقية وأتيح له نُجحٌ كثير فيما أراد . فلم تكن كتب التونسيين تصل إلينا من طريق مباشرة إلا نادراً . ولم تكن كتبنا وآثارنا الأدبية تبلغ تونس إلا مهربة الى أهلها عن طريق فرنسا نفسها ، وربما جاء تونسي كريم الى مصر يحمل إليها بعض الآثار التونسية وعاد الى وطنه ببعض الآثار المصرية ، ومع ذلك فقد حاولت وزارة المعارف المصرية فى يوم من الأيام أن تحقق الصلة بين الأدب العربى الشرقي والأدب العربى في تونس ، فنشرت للأستاذ الجليل حسن حسنى عبد الوهاب عضو مجمع اللغة العربية فى مصر كتاباً صغيراً قيماً عن الأدب التونسى المعاصر ووزعته على تلاميذ المدارس الثانوية منذ أكثر من عشر سنين (أي حوالى عام ١٩٤٥) ــ ثم انقطع هذا الجهد ولم يتجدد . ووصل الى مصر شيء من الشعر التونسى المعاصر فتلقاه المصريون لقاء تجاوز الرضا الى الاعجاب ، ولكن الأمر وقف أو كاد يقف عند هذا الحد . وقد انجلت عن تونس أو كادت تنجلي غمرة الاستعمار الفرنسي البغيض وجعلت الصلة تستأنف بيننا وبين أخواننا التونسيين فى شيء من النظام نرجو أن يضطرد ويزداد » .

ويلاحظ الأستاذ نور الدين صمود الذي أورد مقالة الدكتور طه حسين بنصها الكامل فى كتابه (محمود المسعدي وكتابه السُد) ، أن الطبعة الثانية لكتاب حسن حسنى عبد الوهاب في (الأدب التونسي المعاصر) قد ظهرت بمبادرة الدكتور طه حسين نفسه عام ١٩٤٤ عندما كان مشرفاً على الثقافة المصرية وإنه قد : « تكرم وأذن بإعادة طبعه تشجيعاً للتعارف الثقافي بين الأمم العربية وتوثيقاً لعرى الوحدة بين الناطقين بالضاد »[٥] .

فأي عقدة تفوّق أو انتقاص فى هذا المسلك ؟ وإذا كان طه حسين بذاته قد أمر بتوزيع كتاب عن الأدب التونسي على تلاميذ المدارس الثانوية المصرية عام ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ . فأي

(عقدة) هذه التي تتحدث عنها بعض الأوساط الأدبية المغربية .. غير عقدة المحبة الشديدة لدى أهل المشرق لأهل المغرب ؟!!

وإذا كنا قد استشهدنا بالشابي في الشعر، وبالمسعدى في النثر، كنماذج وأمثلة لحالات كثيرة. فلنذكر أيضاً بالمكانة الرفيعة التي احتلها ويحتلها فكر الأستاذ مالك بن نبي المفكر الاسلامي الجزائري الكبير، لدى مفكري ومثقفي المشرق العربي. رغم أن الأستاذ مالك رحمه الله (توفي ١٩٧٣) أصدر كتبه الفكرية بالفرنسية، ولم تترجم إلى العربية إلا في وقت متأخر نسبياً، وبجهود مشكورة في مصر ولبنان، وعلى يد عالم مصري كبير هو الدكتور عبد الصبور شاهين.

وليس بإمكان هذه الدراسة العامة تغطية مختلف مظاهر الأثر الطيب الذي خلفه مالك بن نبي بفكره الحضاري الاسلامي النيّر المشرق، لكنى اكتفي بالاشارة إلى كتاب مكثف بعنوان « ثغرة في الطريق المسدود »[٦] أصدره الأستاذ الدكتور محمود محمد سفر والأستاذ الدكتور سيد دسوقي حسن، وهو على ما فيه من جهد فكرى ذاتي مبين، يحمل تقديراً بيّناً لمفكرنا الجزائري المسلم بما يتجاوز حدود المكان، بل بما لا يدخلها في حسبانه مطلقاً.

والقصد من هذه الشواهد كلها أن الابداع المغربي سرعان ما يجد له آذاناً صاغية في المشرق حالما تتيسر له أبسط سبل النشر، وها هو ذا المشرق في أيامنا هذه يتابع كتابات الأستاذ عبد الكريم غلاب والدكتور عبد السلام الهراس والدكتور عبد الله العروي والدكتور محمد عابد الجابرى .. على اختلاف بينها في المنزع والتوجه .. لكن المتابعة المشرقية .. جارية .. وتستزيد.

أما النتاجات المكرورة التي تقلد الأقدمين، أو تنقل عن أوروبا دون إبداع، أو ترد على المشارقة بضاعتهم المشرقية .. فهذه نتاجات أعتقد أن اخوتنا في المغرب العربي لا يتوقعون أن تقام لها الاحتفالات في مشرق .. أو شمال .. أو جنوب .. أو حتى في بلاد المغرب ذاتها .. !

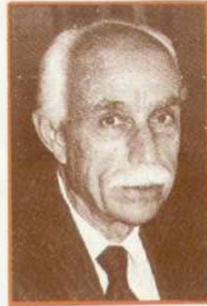
اللهم إلا إنْ كان ثمة نتاج متميز لم ينل حقه من الايصال والنشر، فهذه مشكلة عامة بين مغرب ومشرق .. وحلها غير مستحيل.

وبعد : فهكذا أرى المسألة في عمومها .. بين مشرق ومغرب .. وأرجو ألا نخلط معها

● أشعار "الشابيّ" عن الحرّية تصبح نشيد الوطنيّين والاستقلاليّين العرب في كل مكان من الأرض العربيّة

● الإبداع المغربي سرعان ما يجد آذاناً صاغية في المشرق حالما تتيسّر له أبسط سُبُل النشر


أبو القاسم الشابي


عبد الكريم غلاب

مسائل المنافسة بين قطر عربي وآخر في القيادة العربية .. أو في الخلاف الايدولوجي .. أو ما يصدر أحياناً من أفراد مأزومين أو متوترين أو محدودي المعرفة هنا .. وهناك .. فهذا ما يحدث كثيراً في هذا الزمن العربي بين أقطار المشرق فيما بينها .. وبين أقطار المغرب أيضاً فيما بينها .. وهذه قصة أخرى لا تدخل في موضوع التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب .. وهو الموضوع الذي فتحنا ملفه على صفحات (الدوحة) ، على مدى الشهور الأربعة المنصرمة، من أجل أن يكون التفاعل فيما بيننا أعمق .. وأجمل .. وأرحب.

وتحية لأستاذنا الكبير محمد مزالي الذي دفعنا عتبه على (ذوي القربى) لطرح هذا الموضوع ونرجو أن يتقبل وجهة النظر هذه من رجل من ذوي قرباه .. وإن تناءت الديار وبعد المزار ..

محمد جابر الأنصاري
البحرين

هــوامش :

(١) محمد مزالى ، في دروب الفكر ، ١٥٥ ــ ١٦٦ ، وقد عنون المؤلف مقالته في الكتاب بشأن هذه الاشكالية بـ « ظلم ذوي القربى » ..

(٢) د . عبد الملك مرتاض ، الجدل الثقافي بين المشرق والمغرب ، ص ١٢ .

(٣) د . صلاح الدين المنجد ، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين . ص ٥٩ . وفي الكتاب نماذج عديدة ومتباينة من هذه الانطباعات غير القابلة للتعميم واستخراج الأحكام التاريخية القاطعة . وكذلك الأمر عندما يخرج حديثاً علينا كاتب متفرنس من بلد مغربي ليقول إنّ العروبة والاسلام هما سبب تخلف منطقة المغرب العربي .. فهل نحسب ذلك على مثقفي المغرب جميعاً ؟ وهل نرى في الانحراف الفردي أو الفئوي المحدود مؤشراً على وجود عقدة مغربية تجاه المشرق ؟ .. لا أتصور أن مشرقياً ينظر هذه النظرة .

(٤) أنظر هذه المقالة لطه حسين وتعقيب الأستاذ المسعدى عليها . في كتاب الاستاذ نور الدين صمود الموسوم (محمود المسعدي وكتابه السُّد) ط٣ . الدار التونسية للنشر . ص ٤٥ ــ ٤٦ هـ والكتاب يتضمن مختارات نقدية أخرى حول الموضوع .

(٥) المرجع السابق أعلاه . ص ٤٥ ــ ٤٦ .

(٦) تراجع الإشارات إلى فكر مالك بن نبي في هذا الكتاب ــ وهو صادر عن دار آفاق الغد بالقاهرة عام ١٩٨١ ــ في الصفحات : ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ على سبيل المثال . ويشار إليه في الأغلب بكلمة : استاذنا مالك بن نبي .. كما تراجع مقالة الأستاذ فهمي هويدى في « الدوحة » عدد أول مارس ١٩٨٦ . حيث أشار أيضا وبوضوح إلى الدور الذي لعبه مالك بن نبي في التأثير على فكر المشرق المعاصر .

قنوات الثقافة بين المشرق والمغرب

بقلم: محمد العربي الخطابي

تناول الكاتب الألمعي الدكتور محمد جابر الأنصارى في مجلة الدوحة (العدد ١٢٢، فبراير ١٩٨٦) موضوعاً حساساً لا يخلو من أهمية وطرافة، وكان عنوان مقاله: «الحساسية المغربية والثقافة المشرقية»، وقد أعجبت بالطريقة الهادئة والبنَّاءة التي عالج بها الكاتب موضوعه من حيث إنه طرح في أعقاب تحليلاته طائفة من الأسئلة تحمل في ثناياها بذورَ الجواب.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع رأيت أن أدلي فيه برأي أوَّلي لا فصل فيه ولا قطع، وإنما قصدي أن أسهم في تجلية بعض جوانب القضية بدافع الغيرة على وحدة الثقافة العربية التي هي الهدفُ الأول من كتابة هذا المقال.

وأُحبُّ أن أبين، أولاً، أنني أقصد هنا بالثقافة نشاط الفكر ومقومات الإبداع في ميادين الآداب والفنون والعلوم.

إن النهضة الفكرية والثقافية العربية حديثة العهد نسبياً وروادها الأوائل ما زالوا يذكرون بيننا وكأنهم أحياء يرزقون، وهؤلاء الرواد على قسمين: طائفة يعترف بها العالم العربي كلّه ولا ينازع أحدٌ في مكانتها المتميّزة وأثرها العميق في نهضتنا الثقافية والفكرية الحديثة، وطائفة لا يُعترفُ بريادتها إلا في محيط قُطْري، أي في هذه الجهة أو تلك من بلاد الوطن العربي، وقد يكون السبب في ذلك راجعاً إلى أمرين اثنين: الأمر الأول يرتبط باختلاف مفهوم الإحياء عند هذه الطائفة أو تلك من الرواد ونظرة كلّ منهما إلى الغرب الأوربي، والثاني يتَّصل بمنهج حركة الإحياء هل يكون على أساس العودة إلى السلفية الإسلامية والأصالة العربية أمْ ينطلق من مواجهة الزَّحف الأوربي الكاسح ومقاومته بسلاحه الثقافي والفكري والعلمي الذي هو مصدر قُوَّته وتفوُّقه، وهنالك بطبيعة الحال مواقفُ وُسطى تتأرجح بين المذهبين.

والطائفة التي تهمُّنا هنا هي التي تتألف من روّادٍ أجمعَ العالم العربي، أو كاد، على الاعتراف بمكانتهم المتميزة البارزة في حركة الإحياء والتَّجديد، وهم جميعاً من دعاة التفتح مع التمسك بالأصالة والقيم الإسلامية والعربية. وقد أنجب هؤلاء الرواد طائفةً من المفكرين والمجدِّدين ظهر معظمهم في ديار مصر، وبدرجة أقل في الشام بالمفهوم الواسع لهذه التسمية.

وكانت مصر قد تبوأت، منذ البداية، مكانَ الصدارة في حركة إحياء الثقافة العربية


د. محمد جابر الأنصاري


الشيخ محمد خضر حسين


شكيب أرسلان

وتوجيه مسارها. وذلك راجع الى عدّة أسباب موضوعية أقتصر على ذكر بعضها:

ـ مكان مصر في قلب العالم العربي ورصيدها التاريخي في ميادين الثقافة الإسلامية العربية.

ـ سَبْقها في الاحتكاك بالغرب الأوربي وذلك منذ عهد واليها محمد علي وحَمْلة نابليون الشهيرة.

ـ انفتاح مصر على الوطن العربي والعالم الإسلامي، واستقبالها لعدة من الدعاة والمفكرين والمثقفين النازحين إليها من أوطانهم بسبب الاضطهاد أو ضيق مجالات العمل الثقافي والسياسي فيها. ومما لاشك فيه أن هؤلاء النازحين الى مصر من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية كان لهم ـ الى جانب المصريين ـ أثرٌ كبير في تنشيط الحركة الثقافية وإنشاء المجلات والصحف ودور النشر والمسارح والأندية والجمعيات، وأسماء هؤلاء معروفة لاتحتاج الى ذكر، وقد يندهش المَرء حينما يعلم أن نازحاً من المغرب الأقصى هو الشيخ حسن العطار استطاع أن يصبح في مصر شيخاً أكبر لجامع الأزهر في فجر عصر النهضة، كما تقلّد هذا المنصب في وقت متأخر نازح آخر من تونس هو الشيخ محمد خضر حسيْن، وكان الشيخ عبدالعزيز الثعالبي ـ وهو تونسي أيضاً ـ مقيماً في مصر حيث كان يحظى بالاحترام والإعزاز في أوساطها الثقافية لعلمه الواسع وبلاغته الفَذّة، وقد يندهش المرء أكثر حينما يعلم أن عالماً لغوياً كبيراً من شنقيط، من أقصى بلاد المغرب، ـ وهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ كان مقيماً بمصر، وكان محلّ إكرام وتكريم من علمائها ومثقفيها، وأنه كان معلماً لبعض رجالها الأعلام البارزين. ولا أذهب بعيداً في ذكر أعلام آخرين احتضنتهم مصر وأكرمت مقامهم كرشيد رضا، وجرجي زيدان، وتقلا، وآل صروف، وشكيب أرسلان، ومحمد عبدالكريم الخطابي، ومحمد علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني، والبشير الإبراهيمي وغير هؤلاء كثير.

إن هذا الانفتاح الكبير المتواصل الذي تجلى في قبول رجالات الفكر والسياسة والقيادة من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية وفي استقبال بعثاتها الطلابية جعل مصر تتبوأ مكان الصدارة والريادة في العالم العربي ثقافياً وسياسياً كما أوضحنا.

ـ أضف الى ذلك أن مصر قد نبغ فيها، بفضل انفتاحها المبكر على العالم الخارجي، عدد من أقطاب الثقافة والفكر والصحافة تجاوزت شهرتُهم حدودَ بلادهم، وانتشرت مؤلَّفاتهم وصحفُهم ومجلاتهم في شتّى الأقطار العربية، وكان لهم قراء ومُعجبون في كل مكان، وذلك في وقت كانت أقطار عربية أخرى ما تَزال تناضل في سبيل حريتها واستقلالها أو ترسم معالمَ نهوضها الثقافي والعلمي.

هذا وإن عدداً غير قليل من أقطاب الفكر وحَمَلة القلم من مختلف الأقطار العربية لم يَنْبُه ذكرُهم ولم يُعرَفوا إلا من خلال صحافةِ مصر ومطابعها ودور النشر فيها، وذلك إذا استثنينا حالاتٍ نادرة خاصة. فالجيل الذي

● انفتاح مصر واستقبالها لرجالات الفكر والسياسة والقيادة من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية، جعلها تتبوأ مكان الصَّدارة والرِّيادة الثقافية

أنتسب إليه عَرف من طريق مصر كثيراً من أعلام العرب المعاصرين من مختلف الأقطار كشكيب أرسلان، وإسعاف النشاشيبي، وعادل زعيتر، وأكرم أخيه، وخير الدين الزركلي، وخليل مردم، وعلي الطنطاوي، وجميل صدقي الزهاوي، وإبراهيم طوقان، وفؤاد صروف، وأبي القاسم الشابي، وعادل الغضبان، ومعظم أعلام المهجر... والقائمة طويلة.

كان العالم العربي من أقصاه الى أقصاه يقرأ مجلات المقتطف، والهلال، والثقافة، والرسالة، ويقتني ما تنشره مطابع دار الكتب المصرية ودار المعارف ولجنة التأليف والترجمة والنشر وغيرها. وقد نستثني من ذلك ما كان يصلنا مباشرة من بيروت ودمشق والقدس وبغداد وهو نَزْر يسير بالقياس الى ما كان يَصدر في مصر.

وقد أُولع جيلٌ كامل من أبناء المغرب العربي بتتبع كل ما يُكتب ويُنشر في المشرق ـ ولا سيما في مصر ـ من مقالات ومؤلفات أدبية وبحوث علمية واجتماعية، يُقبِلون عليها بروح عربية متفتحة همُّها تنشيطُ الاتّصال والتّجاوُب وبناءُ أسس الوحدة الثقافية العربية بناءً جديداً يواكب العصر. وكان في المغرب العربي، بطبيعة الحال، عددٌ من قادة الفكر والرأي لايقلّون نبوغاً ونَباهة عن زملائهم في مصر وفي سائر بلاد المشرق العربي كعبد الحميد بن باديس والثعالبي وعلال الفاسي، إلا أنهم كانوا يصارعون الاستعمار الغاشم ويوجهون أقلامهم وأفكارهم ووجدانهم لكسب معركة الوجود وتأكيد الذات، ولم يكن هَمُّهم أن يَعترف لهم أقطابُ المشرق العربي بالنباهة في ميدان الفكر والعلم والثقافة، بل كان مطمح آمالهم أن يجدوا من هؤلاء استجابةً وتجاوباً بمدّ يد العون إليهم في معركة المصير التي يواجهون فيها استعماراً استيطانياً كان هَمّه الأكبر أن يطمس في بلادهم معالمَ الإسلام والعروبة وأن يحول اتّجاه مسيرتهم

قنوات الثقافة
بين المشرق والمغرب


اسعاف النشاشيبي


د. فؤاد صروف

التاريخية، وهو مازلنا نقاوم مخلفاته السلبية إلى الآن في أقطار المغرب العربي.

وليس من موضوع هذا المقال أن أبحث في مدى مالقيه أهل المغرب العربي من تجاوب إخوانهم في المشرق، وهو تجاوب بدأ بشكل واضح حينما قرّر الاستعمارُ الفرنسي في الثلاثينات أن ينفذ مايعرف بالسياسة «البربرية» تمهيداً لفصل جزء من السكان بدعوى أنهم «بربر» لاصلة لهم بالإسلام والعروبة. وقد فشلت هذه السياسة العنصرية البغيضة بفضل مقاومة أهل المغرب قاطبة لها وتلاحُم سكانه في سبيل إحباط مخططات الاستعمار التي أعربت عن نفسها بضراوة وبأشكال مختلفة في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا.

قد يقال إن هذا الكلامَ كلَّه بعيد عن الموضوع الذي أثاره الأستاذ محمد جابر الأنصاري في مقاله، غير أنني أقول إن الأمور تظهر أعقابُها إذا اتَّضحت مقدّماتها، وقد مرَّ زمان على العالم العربي لم تكن فيه حدود فكرية ووجدانية بين جناحيه إلا ما رُسِم على الخرائط وقرَّرته كتب الجغرافية الطبيعية، غير أن الأمور تختلف الآن عمَّا كانت عليه في السابق لأسباب ليس هذا مكان ذكرها.

ونصل إلى ما سَمَّاه الأستاذ الأنصارى «بالظاهرة الشعورية» لدى المغاربة الناجمة عما «يعتبرونه تجاهلاً مشرقياً أو عقدة تفوّق من إخوانهم المثقفين المشارقة.» مستشهدا على ذلك بقول للأستاذ محمد مزالي — من تونس — وأقوال للدكتور عبد الملك مرتاض — من الجزائر.

وقبل أن أدلي برأيي في مسألة هذه «الظاهرة الشعورية» أود أن أقول، أولاً، إنني أتفق مع الأستاذ الأنصاري فيما ذهب إليه من «أن التعميم بشأن المغرب. كما هو بشأن المشرق، تعميم غير دقيق وقد يكون غير سليم»، كما أقول إن ماسمي بالتجاهل المشرقي للمثقَّفين المغاربة تعبيرٌ لا يستقيم من الناحية الموضوعية، لأن «التجاهل» ينطوى على القصد والإصرار وسوء النية، وكل هذا غير موجود بطبيعة الحال وإلا فلا معنى للكلام على وحدة الفكر والوجدان في الوطن العربي الكبير، نعم، قد تكون هنالك عوامل متعدِّدة تجعل النخبة المثقفة في قطر عربي ما تجهل الكثيرَ أو كلَّ شيء عن مثيلاتها في قطر عربي آخر، وقد تكون بعض الملابسات الخاصة سبباً في هذا «الجَهْل» المفروض.

وقبل أن أبحث في هذه العوامل والملابسات أرى من الضروري توضيحَ أمرٍ هام له ارتباط بما نحن فيه، وهو أن المسألة تتعلق أولاً وقبل كل شيء بالتألّق والاستحقاق والنباهة في ميدان الفكر والثقافة والعلم، فليس كل من حمل القلم أوأجهد الفكر وعانى البحث بمستَحِقٍ أن تفتَح له أبواب الذكر والشهرة في المشرق أوفي المغرب، بل لابدَّ أن تكون هنالك موهبةٌ صادقة وقدرة على الابتكار لاختراق الحواجز النفسية والجغرافية القائمة أو المتوَهمة.

ونعود إلى العوامل الفاعلة فيما سُمِّيَ بالتجاهل فنذكر منها على سبيل المثال فقط:

> ● شرطان لاختراق الحواجز النفسية والجغرافية: الموهبة الصادقة والقدرة على الابتكار

أولاً — توافر أو غياب الوسائل المادية الضرورية التي لايكون تواصلُ حقيقي بدونها كالصُحف والمجلات ودور النشر ومؤسسات التوزيع. ووسائل الإنتاج السينمائي والتلفزيوني. والمغرب العربي في هذه الناحية دون عدد من الأقطار الأخرى كمصر ولبنان وبغداد ودول الخليج العربي التي أحكمت وسائل النشر والانتاج والتوزيع وأولتها كبيرَ الاهتمام والرعاية. ومع ذلك فمن الإنصاف أن نقول إن عدداً من المجلات والصحف ودور النشر في أقطار عربية «مشرقية» قد أفسحت المجالَ لمثقفي المغرب العربي ورحَّبت بما يكتبونه ويؤلفونه. وأبرزت الجيد من إنتاجهم. كما أن مثقفي المغرب العربي يُساهمون مساهمةً ملموسة في الندوات العلمية والأدبية وفي مختلف أوجه النشاط الفكري إلى جانب زملائهم المشارقة، في شتى العواصم العربية، وأن عدداً من أولئك أعضاء في المجامع العلمية واللغوية بعواصم المشرق، والعكس أيضاً صحيح.

ثانياً — إن النقد الأدبي، والفنّي والعلمي هو محكُّ الجودة أو الرداءة في كل عمل فكري يريد صاحبه أن يقتحم به ساحة الابداع وحَلْبَة السبق. والنقد بجميع أشكاله بضاعة تكاد تكون كاسدةً في معظم أقطار الوطن العربي، وحتى إذا كان النقد موجودا فهو على قلَّته يخلو أحياناً من المعايير الموضوعية البنَّاءة. وبذلك يبقى المؤلف والأديب والفنان والعالم في يد القارئ الحر الذي يعجبه أو لا يروقه مايقرأ دون أن يتعدى ذلك إلى الإعراب عن رأيه فيه. ويبدو لي أن غياب النقد من ساحة الفكر في البلاد العربية جعل مزايا الإبداع والتفوّق تبقى محصورة في «السابقين الأولين» من جيل الأدباء والمفكرين الذين نضب معينهم وتجاوزهم الزمن وكان حقّهم أن يدخلوا مجال التاريخ الثقافي. لكن الأوهام



الشيخ رشيد رضا



عادل زعيتر



ابراهيم طوقان

بقيت عالقةً بهم . وهذه لَعمري ظاهرة لا أجد لها مثيلاً في أقطار العالم الأخرى حيث تتعاقب أجيال النُّبهاء والعباقرة . وكل جيل جديد يُعبِّر عن عصره وجيله بينما تُكْتَب أعمال الطبقات السالفة في سجلّ التاريخ الثقافي بحيث لاتستمر في الحياة إلا من خلاله .

ولا شك عندي أن « الوثنية الفكرية » التي يعتنقها كثير من الناس في بلادنا العربية إنما تؤدي إلى التحجُّر والجمود . وقد تكون من أكثر الأسباب إثارة لحساسية بعض المثقفين العرب في المَغرب أو في المشرق مما يجعلهم يشتكون من التجاهل ويضجرون من نكران حقيقة تعاقب الأجيال وتداول الدول في مملكة الفكر .

ثالثاً ـ إن مثقفي المغرب العربي قد توَزَّعتْهم الثقافات وتعدَّدت بينهم المنازع . فمنهم مَنْ آثر لغة المستعمر القديم وارتضاها لنفسه يُعبِّر بها عن أفكاره ويروم أن يتواصل بواسطتها مع غيره . فهذه الطائفة لاتجد لها مكاناً في أوساط المثقفين بأقطار المشرق العربي إلا من طريق ترجمة الآثار الصادرة عنها . والتَّرجمة لاتكون دائماً في مستوى الذوق العربي العام . وطائفة أخرى أتيحَ لها التمكُّن من لغة الضاد مع المعرفة بلغة أجنبية أو أكثر . فهذه الطائفة تُعرب عن رأيها باللغة العربية وتحاول أن تشقّ طريقها في عالم الفكر والابداع . فتعوزها الوسائل أحياناً . وتفتقد الصبر وروح المواظبة في أحيان أخرى . ومنها من يستعجل الشهرة فلا تُسرع إليه فيصاب بالضَّجر والإحباط فيتخلى في وسط الطريق .

رابعاً ـ إن العَالم العربي يتجاذبه العديد من المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ويسود بعض أقطاره ظروف نفسية أو مذهبية معينة ينشأ عنها كثير من التناقض والتوتُّر فيعقب ذلك خلافات وخصومات تصل أحياناً إلى القطيعة والجفوة مما يؤثر في التَّواصل الفكري والثقافي والعلمي تأثيراً سلبياً بليغاً . وقد يؤدي أحياناً إلى انقطاع الروابط بين الرجال المفروض فيهم أن يكونوا أسباباً للتواصل الخلاّق .

هذا في الحاضر . أما في الماضي فإني أُؤيد ماقاله الأستاذ الأنصاري من أن التواصل العلمي والثقافي والروحي بين مشرق الوطن العربي ومغربه كان قوياً سليمَ المقاصد وطيد البنيان بما قام عليه من وحدة الوجدان وحرص على تبادل الأخذ والعطاء مع التسليم بما يتيحه تنوُّع البيئات الفكرية والثقافية من فائدة وثراء ونماء يستفيد منها الجميع . وليس أدلّ على ذلك من السرعة التي كانت تنتقل بها المؤلفات العلمية واللغوية بين جهات العالم العربي شرقاً وغرباً فتُقْرأ وتُهضَم ويُعقَّب عليها . فهذا الصاحب ابن عباد لم يكد يقرأ كتاب « العِقد الفريد » لأبي عمر بن عبدربّه . بمجرد وروده إلى المشرق . حتى علّق عليه قائلاً : « هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا » . ولم يكن هذا الكلام في باطنه وحقيقته ذمًّا بل مدحاً يُبرز وحدة الثقافة العربية شرقاً ومغرباً والدليل على ذلك أنّ كتاب « العقد الفريد » مالبث أن تبوأ مكانته بين أمهات كتب الأدب واللغة . كالبيان والتبيين . وعيون الأخبار . والكامل . وكذلك كان مصير كتاب « العمدة » لابن رشيق ـ وصاحبه من القيروان ـ ومصير كلّ الآثار التي كانت تستحقّ البقاء والانتشار مشرقاً ومغرباً ويتألف منها في أيامنا هذه تراثنا العظيم الأوحد .

● غياب النقد من ساحة الفكر جعل مزايا الإبداع والتفوق محصورة في الـرُّوَّاد الأوائل

وأخيراً أودُّ أن أقول إن السر في هذه القضية كلّها إنما يكمن في شعور كلّ عربي بوحدة الثقافة والوجدان . ثم في اقتناع جميع القادة العرب بأنّ هذه الوحدة تتوقف إلى حدمّا على القرار السياسي ومايمكن أن يفعله هذا القرار في هدم جدار الجهل أو التَّجاهل الذي مايزال قائماً بين أقطار العرب . ذلك أن التعارف الحقيقي إنما يبدأ في المدرسة والمعهد والجامعة حيث يَجب أن يتلقى الطالب أوسع المعلومات عن مختلف الأقطار العربية تاريخاً وجغرافية وحضارة وثقافة . فهذه هي أسس الوحدة الفكرية التي ينبغي أن يقام عليها البناء الشامخ المتجسد في رسالة الصحيفة والمجلة والكتاب ووسائل الإعلام وتوزيع المطبوعات . وفي الندوات والمؤتمرات . وأعمال المجامع والمعاهد العلمية . فبذلك وحده تزول الحساسيات ويرتفع الاشكال وينفسح المجال أمامَ الموهبة والابداع والطاقة الفكرية بعيداً عن هذا التقسيم المصطنع الذي يقيم في الوطن العربي حاجزاً يفصل معنوياً بين الشرق والغرب . وهما في الحقيقة شِقّان من جسم واحد .

محمد العربي الخطابي
المغرب ـ الرباط

دعائم الجهاد في الإسلام

بقلم: الدكتور محمد الدسوقي

مفهوم الجهاد فى الاسلام مفهوم شامل لكل جوانب الحياة ، وهناك دعائم أساسية للجهاد الاسلامى هى : نصرة الحق ، وحماية السلام ، وتحريم الاعتداء ، ومقاتلة المقاتلين دون غيرهم من المدنيين ، واحترام آدمية الانسان مهما كان لونه أو جنسه أو دينه .

ليست كلمة الجهاد فى الاسلام مرادفة لكلمة قتال أو حرب ، ولكنها أعم منها ، إذ تصدق تلك الكلمة ـ بجميع مشتقاتها اللغوية ـ على بذل الجهد قدر الوسع مطلقا ، وإن كان الأغلب والأشهر استخدام الكلمة فيما يبذله الانسان ، احقاقا لحق وازهاقا لباطل ، فقد وردت مادة « جهد » بصيغها واشتقاقاتها المختلفة فى الكتاب العزيز احدى وأربعين مرة ، منها مرتان بصيغة واحدة فى بذل الجهد فى المنكر والشر ، قال تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » . (١)

فهذا جهاد آثم ظالم ، جهاد فى سبيل الشرك ، وما أقبحه من جهاد . أما بقية ماورد من مادة جهد فى القرآن الكريم ، وهو تسع وثلاثون مرة ، فهو لايخرج عن معنى بذل الجهد ، إنتصارا للخير ، ومقاومة للأهواء على تنوعها وتباينها .

وتحدثت السنة النبوية عن الجهاد بهذا المفهوم الغالب الذى ينسحب على كل بذل مبرور ، وعمل صالح كثيرا ، فقد ورد الأمر بمجاهدة الأهواء كما نجاهد الأعداء ، وأن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وأن أفضل الجهاد حج مبرور ، وورد أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد ، فقال له . « أحي والداك ؟ قال : نعم ، قال ففيهما فجاهد » (٢)

وطبقا لهذا المفهوم كان الجهاد ماضيا الى يوم القيامة ، وكانت الأمة المسلمة أمة مجاهدة دائما . لايفتر كل أبنائها عن السعي الدائب فى سبيل البناء والعطاء ، وكان كل من يقصر فى عمله مهما يكن نوعه مضيعا لمعنى الجهاد ، وعونا لأعداء الأمة على أن تنال منها وتسىء إليها .

ولعل هذا الجهاد العام هو ماتشير إليه الآية الكريمة التى تتحدث عن الأمر بإعداد القوة المعنوية والمادية « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم » .(٣) فاعداد القوة التى ترهب الأعداء لاسبيل اليها بغير جهاد ، لاسبيل إليها الا إذا أدرك كل فرد فى الأمة أنه مسئول عن سواه ، وأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وأن عليه ألا يدخر وسعا فى البذل وتقديم كل مايستطيع أن يقدمه ، وبذلك تتلاقى جهود الأفراد جميعا وتتكامل لتصب كلها نحو هدف واحد ، وهو قوة الأمة واستعدادها الكامل للنفير فى أى وقت ، دفعا لأى عدوان ، ومنعا للاضطهاد والفساد فى الأرض .

الأخذ بكل أسباب القوة

فالجهاد إذن بمدلوله العام ، وهو الذى لاينقطع الى يوم القيامة هو قيام كل مسلم ومسلمة بأمانة التكليف على أحسن وجه ، وهذا الجهاد عماد الجهاد بمعناه الاصطلاحى الخاص وهو العمل المسلح ، أو القتال ، وهو ماسينصرف اليه عند اطلاق كلمة «جهاد» ، بحيث أصبح هذا المعنى الخاص هو أول مايتبادر الى الذهن إذا أطلقت هذه الكلمة ، وكاد المعنى العام أن ينسى أو لايلتفت إليه ، مع أنه مقدمة ضرورية للمعنى الخاص ، فالقتال فى ميادين الحرب ، لايكفل النصر إلا إذا كانت له عدة من مجاهدة النفوس ، ومقاومة لمظاهر السلبية والاتكالية فى كل شئون الحياة ، وأخذ بكل أسباب القوة التى تلائم الزمان والمكان .

إن الأمم لاتظهر على أعدائها بكثرة المقاتلين فيها ، وإنما تحرز هذا الظهور بما يتمتع به هؤلاء المقاتلون من روح معنوية عالية ، وبما يحمى ظهورهم من نفير عام فى الأمة يفرض على كل فرد فى موقع عمله أن يكون جنديا مجاهدا ، يعطى أكثر مما يأخذ ، ويعمل فى صمت ولا يعنيه إن أشاد الناس بما قدم أو غفلوا عنه ، فهو فى شغل عن ذلك بالجهاد فى إحسان ، إعلاء لكلمة الله .

والجهاد بعد هذا قد يكون فرضا كفائيا اذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن سواهم ، وذلك إذا لم يكن عدوان مسلح على المسلمين ، وهو فى هذه الحالة ليس إلا درع حماية لصوت الحق ودعوة الله العامة الخالدة حتى تبلغ الى كل إنسان ، وتتحقق الحرية الدينية فى كل مكان ، ليؤمن بها من يشاء ، وليكفر بها من يريد .

وقد يكون الجهاد فرضا عينيا واجبا على كل قادر على حمل السلاح إذا ماتعرضت الأمة الى عدوان مسلح عليها ، فيجب على كل مكلف أن يجاهد بنفسه وماله ، وكل من تقاعس عن الجهاد لصد العدوان ، وحماية الأوطان ، فليس مسلما صادق الايمان ، وربما خرج بهذا السلوك من جماعة المسلمين .

وما دام الجهاد قد يصبح واجبا عينيا فان مالايتم الواجب إلا به فهو واجب ، أى أن الاستعداد للجهاد يكون مفروضا على كل أفراد الأمة ، بحيث إذا حان وقت النفير العام فان الجميع يكونون قادرين على القتال واستخدام أسلحته ، وفقا لظروف العصر ، لأن العدو لن ينتظر حتى نعد أنفسنا لملاقاته ، إنه يحاول أن يغتنم فرصة الضعف فينا لينال منا مايريد ، ولا ينبغى لمسلم أن يمكن عدوه منه ، وذلك بمحاربة الضعف أيا كان لونه : ضعف العقيدة ، وضعف الأبدان ، وضعف الاستعداد لرد العدوان بمثله ، ومن هنا كان التدريب على حمل السلاح فريضة مقدسة ، وواجبا عينيا ، وكان صنع السلاح أو توفيره عن طريق الشراء واجبا كذلك ، لتكون الأمة دائما قوية الجانب ، مرهوبة الكلمة ، لاترضى بالدنية فى دينها ودنياها .

وسواء أكان الجهاد فرض عين ، أو فرض كفاية فهو فى الحالتين دفاع ، وليس اعتداء ، إنه دفاع عن النفس ، والعرض ، والمال ، والوطن ، دفاع عن المستضعفين والمظلومين ، دفاع عن الدعوة الى الله إذا اعترض أحد سبيلها ، فعذب المؤمنين بها ، أو منع الدعاة من تبليغها ، أو صد من أراد الدخول فيها . (٤)

ولأن الجهاد فى أروع صوره بذل للأنفس ، والانسان بفطرته يحرص على الحياة ويكره القتال ، كان أمر الاسلام بالجهاد مقرونا بما كتبه الله للمجاهدين فى سبيله من أجر عظيم وثواب جزيل : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٥) » « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (٦) » .

فالجهاد لذلك لايعدله شىء من الطاعات والقربات ، والمؤمن الصادق من ثم يسارع الى القتال ، وأمله أن يفوز بالشهادة ، لينعم بما أعده الله للشهداء من نعيم فى الجنة ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :

« لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا عنا أننا أحياء فى الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم وأنزل الله : « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين » .(٧)

فلسفة الجهاد ورسالته

أما دعائم الجهاد فى الاسلام فعديدة ، وهى غير مايتصل بالحرب من حيث أسلوب ممارستها ، وماينبغى أن يكون عليه من التخطيط العلمي الذى يراعى ظروف الزمان والمكان ، ووسائل القتال ، وذلك فى نطاق الدعائم التى تكشف عن فلسفة الجهاد ورسالته فى الاسلام .
وأهم تلك الدعائم مايلى :
أولا : نصرة الحق .
ثانيا : حماية السلام .
ثالثا : تحريم الاعتداء .
رابعا : مقاتلة المقاتلين دون غيرهم .
خامسا : احترام آدمية الإنسان .

والدعامة الأولى تشير الى الغاية من الجهاد فى الاسلام ، فهى ليست غاية نفعية مادية ، وإنما هى غاية سامية جليلة ، إنها من أجل نصرة الحق وهزيمة الباطل ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » (٨) فالاسلام قد فرض الجهاد فى سبيل الله ، أى فى سبيل إعلاء كلمته ، والتمكين لها فى دنيا الناس ، فلا يعلو سلطان فى الأرض فوق سلطان الحق ، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وقد تكرر الأمر بالقتال فى الكتاب العزيز ، وفى كل مرة ينص فيها صراحة أوضمنا على الغاية من هذا القتال ، فهو دائما فى سبيل الله « وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم (٩) » . « فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (١٠) » .

وروى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « الرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليغنم ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله عزوجل (١١) » .

ومن الجهاد فى سبيل الله حماية أماكن العبادة كلها سواء أكانت اسلامية أم يهودية أم مسيحية ، يشهد لذلك أول مانزل من القرآن آذناً بالقتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (١٢) » . ففى هذه الآيات بيان واضح لتعليل الإذن بالقتال ، وهو يدور فى نطاق مايلى :

(١) مناهضة الظلم الذى وقع على المسلمين ، فأخرجوا من ديارهم بغير حق ، الا

دعائم الجهاد في الإسلام

أن يؤمنوا بدين الحق .

(٢) التمكين لكلمة الله فى الأرض ، بحماية أماكن العبادة التى يذكر فيها اسم الله وحده كثيرا ، وإقامة التشريعات التى كتبها الله على عباده .

ويلاحظ هنا أن الصلوات والبيع والصوامع قدمت على المساجد ، ذلك لأن المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن أماكن عبادته ، ولكنه قد لايدافع عن بقية أماكن العبادة ، ومن ثم قدمت الآية الصوامع والبيع والصلوات حتى لايغفل المسلم عن الدفاع عنها ، ويوقن بأن حمايتها جزء من رسالته فى الحياة . (١٣)

وهذه الحماية لأماكن العبادة غير الاسلامية تدل على سماحة الاسلام ، وأنه مع نسخه لكل دعوات الأنبياء ، الذين خلوا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لايكره أحداً على الايمان به ، بل يحمي هؤلاء الذين أبوا أن يصدقوا بدعوته من الاعتداء عليهم أو ظلمهم ، أو انتهاك حرمات أماكن عبادتهم ، ماداموا لايمكرون بالاسلام والمسلمين .

وإذا كانت تلك الآيات قد أذنت بالقتال ، دفعا للظلم والاعتداء ، فإن الأمر ليس مقصورا على ظلم يتعرض له المسلمون ، وإنما يشمل كل ظلم يقع على أى إنسان دون نظر إلى جنس أو لون أو لغة أو دين ، فالاسلام قوة تنصر الحق فى كل مكان قوة تدك قواعد الظلم والاسترقاق والاستغلال ، حيثما كانت (١٤) ، ومن هنا وجب على الأمة الاسلامية أن تقف بالمرصاد للطغاة فى أية بقعة من بقاع الأرض ، تنقذ المستضعفين والمقهورين من العسف والجور ، فهؤلاء القاسطون يخذلون الحق ، ويناصرون الباطل ، فهم بذلك لايمكنون لكلمة الله ، وإنما يمكنون لسلطان الهوى ، فكان على المسلمين محاربتهم ، وتحرير الانسان من بطشهم وظلمهم « ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » . (١٥)

نصرة للحق وحمايته

وكانت الحروب الاسلامية وستظل من أجل نصرة الحق ، وحماية المستضعفين ولم تكن أبدا وسيلة لفرض الدين ، وحمل الناس على اعتناقه قسرا ، كما أنها لم تكن حروبا استعمارية بالمفهوم الحديث للاستعمار ، وذلك أن عالمية الاسلام تفرض على المؤمنين به أن يبلغوه إلى سواهم دون أن يلزموهم به ، وهم فيما يبلغون قد يمنعهم أولياء الشيطان من القيام بمهمتهم المقدسة ، فكان لا مفر من تأمين طريق الدعوة ، كى تتحقق الحرية الدينية لكل انسان ، ويصبح من ثم مسئولا عن اختيار العقيدة التى يدين بها .

وسارت الجيوش الاسلامية ، فى ركاب الدعاة الى الله ، وماكانت تستخدم السلاح أو تمارس القتال الا حين يقف الطغاة يسدون طريق الدعوة ، ويحولون دون القيام بفريضة البلاغ ، ومن ثم كان يسبق الحرب أمران إذا ووفق على أحدهما فلا قتال .

(الأمر الاول) : البدء بالدعاء الى الاسلام ، فان آمن القوم اختيارا ورغبة فهم إخواننا لهم مالنا وعليهم ماعلينا ، فإن أبوا ولم يستجيبوا فليس على المسلمين اكراههم ، على الايمان بالاسلام ، ولكن عليهم أن يدعوهم إلى (الأمر الثانى) : وهو أن يدخل هؤلاء القوم مع المسلمين فى عهد وميثاق ليصبحوا أهل ذمة ، لايتعرض لهم فى عقائدهم الدينية ، ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية فى مقابل فريضة مالية يسيرة لاتجب على غير القادرين منهم ، وذلك العهد لغرض واحد ، وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء ، حتى لايظاهروا غير المسلمين على المسلمين . فإن أبوا أن يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق ، فقد جاهروا بهذا الرفض بالعداء ، وكأنهم يعلنون وقوفهم ضد تبليغ الدعوة الاسلامية الى الناس ، فتصبح الحرب فى هذه الحالة لاخضاعهم وتحرير الناس من تسلط المتجبرين ، ومن يفرضون على غيرهم عقائد خاصة ، إرضاء لأطماعهم وأهوائهم .

ومادامت الحرب الاسلامية لنصرة الحق وحمايته فإنها ترفض كل ألوان الحروب التى تسعى للتخريب والتوسع والاستغلال وسرقة حرية الشعوب وثرواتها « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين » . (١٦)

هذه هى الدعامة الأولى للجهاد فى الاسلام ، وتكاد تكون دعامة الدعائم ، ومنها يبدو جليا أن الحرب فى هذا الدين ضرورة ، وأنها ليست أصلا من أصوله ، وأنها لحماية الحق ونصرته فحسب . فهى من ثم حماية للأمن والسلام والاستقرار بين الناس ، لأن مهمتها مقصورة على مناهضة الذين يفتنون الضعفاء ، أو يريدون علوا فى الأرض . وهؤلاء أعداء السلام ، فحربهم والقضاء عليهم حماية للسلام ، وتدعيم لبنيانه .

إن الاسلام دين السلام ، يدعو اليه ، وينافح عنه ، ولا يلجأ الى الحرب إلا مكرها ، وليست القوة التى يدعو اليها للبغي والاستعلاء ، ولكنها قوة رحيمة عادلة ترهب أعداء الله ، فلا يعتدون ، أو يثيرون المشكلات التى تحمل على سفك الدماء وازهاق الأرواح ، فهى قوة تحمى السلام ، وتطهر المجتمع الانسانى من الطغاة وتجار الحروب .

سلام العزة والكرامة

فالسلام الذى يدعو إليه الاسلام ، إذن هو سلام العزة ، هو السلام الذى لايرضى بالهوان والدون من العيش ، « فلاتهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » (١٧) . أى أنتم الأعلون عقيدة وعبادة وخلقا وأدبا وعلما وعملا فلا ينبغى لكم أن تهنوا وتذلوا لغيركم ، ويجب أن تكون حمايتكم للسلام مردها الى قوتكم ، وكف العدو عنكم ، وتمتع كل انسان بحريته وكرامته .

وتؤكد الدعامة الثالثة أن الحرب ليست غاية فى ذاتها وليست كذلك وسيلة للمغنم المادى أو الاستعلاء فى الأرض . وإنما هى ضرورة لمنع الشر ، ومن ثم كان الاعتداء

محرما ، وكان أخذ العدو غدرا وغيلة ليس من أسس الجهاد فى الاسلام ، فالمعتدون لن يكونوا أبدا حماة للحق والخير ، ولا دعاة للسلام والحرية ، والغادرون ليسوا أهلا لحمل رسالة الاخاء والقسط « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث اخرجوكم . والفتنة أشد من القتل ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » . (١٨)

وقد تضمنت هذه الآيات البينات المبادىء التالية : —

(١) الأمر بقتال الذين يبدأون بالعدوان ، ومقاتلة المعتدين ، لكف عدوانهم « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

(٢) أما الذين لايبدأون بعدوان فانه لايجوز قتالهم ابتداء ، فقد نهى الله عن الاعتداء « ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين » .

(٣) وتعليل النهى عن العدوان بأن الله لايحب المعتدين دليل على أن هذا النهى محكم غير قابل للنسخ ، لأن هذا إخبار بعدم محبة الله للاعتداء والأخبار لايدخلها النسخ ، لأن الاعتداء هو الظلم ، والله لايحب الظلم أبدا .

(٤) أن لهذه الحرب المشروعة غاية تنتهى اليها ، وهى منع فتنة المؤمنين والمؤمنات بترك إيذائهم وحرياتهم ليمارسوا عبادة الله ويقيموا دينه ، وهم آمنون على أنفسهم من كل عدوان (١٩) » .

تعمير الحياة

فالجهاد الاسلامى مع غايته السامية فى نصرة الحق ، وكفالة الأمن جهاد شريف نظيف لايعتدى ولا يغدر ، لأن هذه الغاية تمنعه من أن يكون أداة غصب وظلم ، فهو دائما أداة عدالة وكرامة وإخاء انسانى .

ومادام الجهاد فى الاسلام لايعرف جورا ولايسعى لمغنم مادى وإنما يحرص كل الحرص على منع الشر واقامة الحق ، فان من دعائمه الأساسية مقاتلة المقاتلين وحدهم ، أى أن الحرب تصبح مقصورة على المحاربين ولاتتجاوزهم الى غيرهم ممن ألقوا السلاح ، أو لايمارسون القتال ، كذلك لاتتجاوز الأهداف العسكرية الى الأهداف المدنية ، فالجهاد الاسلامى للتعمير لا للتدمير ولحماية الحياة لا لتخريبها ونشر الهلاك فى ربوعها .

إن الذين لايقاتلون لاينبغى أن يتعرض لهم بأذى ، وكل أسباب الحياة من زروع وثمار وحيوانات ومصانع ودور وجسور ونحو ذلك لايجوز أن تكون أهدافا عسكرية فالحرب فى الاسلام أشبه ماتكون بعملية جراحية يجب الا تتجاوز موضع المرض بمكان (٢٠) ، ومن هنا حرم الاسلام قتل النساء والشيوخ والأطفال والمرضى والعباد ، كما حرم إفساد الزروع والمياه ، وابادة الحيوانات ، وهدم البيوت وغير هذا من وسائل العيش ، قال تعالى : « ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها (٢١) » .

وحدث نافع عبدالله بن عمر : ان امرأة وجدت فى بعض مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر ذلك ، ونهى عن قتل النساء والصبيان . « وكان عليه الصلاة والسلام كلما بعث جيشا أو سرية قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر الله ، اغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا وليدا (٢٢) » .

وجاء فى وصية ابى بكر الصديق رضى الله عنه لأسامة حين بعثه الى الشام .. « لاتخونوا ولاتغلوا ولاتغدروا ولاتقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ولاتعقروا نخلا ولا تحرقوه ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، ولاتذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وكان من وصايا عمر بن الخطاب لأمراء الجنود :

« ولاتقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات » .

تقوى فى الحرب والسلم

فالحرب الاسلامية حرب بناء لاتتخذ من الأهداف المدنية سبيلا للنصر ، لأن رسالتها حماية هذه الأهداف ، وهى أيضا حرب علاج لشذوذ لم تنفع فيه الحكمة والموعظة الحسنة (٢٣) ، فلا يصلى بحرها إلا الذين

● مفهوم الجهاد لايقتصر على العمل العسكري بل يمتد إلى كل عمل صالح في الأسرة والمجتمع

● من أهم دعائم الجهاد في الإسلام احترام حقوق الإنسان

● الموقف الإسلامي الصحيح يرفض الحروب الذرية والنووية

دعائم الجهاد في الإسلام

يخوضون غمارها ، ويحملون أوزارها وغير هؤلاء لاينالهم سوء .

واذا كانت أسلحة الحرب فى العصر الحاضر يتجاوز خطرها المحاربين فإن المبدأ الاسلامى ثابت وصحيح ، وهو أن السلاح لايوجه الى غير مقاتل أو الى هدف غير عسكرى ، فاذا نجم عن استخدام هذه الأسلحة قتل من لا يقاتل أو تدمير بعض الأهداف المدنية فان هذا لايؤثر فى سلامة المبدأ ، واستمرارية الالتزام به ، لأن ما لايمكن التحرز منه لايقدح فى أصل التشريع وصحته ، وتطبيقه ، فلا تكليف إلا بما يطاق .

ولا مراء فى أن جهاداً يقوم على هذه الدعائم ، ويتفيا تلك المثل يكون على مافيه من ازهاق للأرواح رحمة ونعمة ، ويكون فى جوهره حماية للانسان أيا كان من كل اعتداء على كرامته ، أو امتهان لحريته ، أو غبن لحقوقه ، ويكون مع أعدائه المحاربين رؤوفا عادلا يترفع عن الوحشية والهمجية والانتقام ، ومن ثم يحرم الاسلام التمثيل بالقتلى ، والاجهاز على الجرحى ، وتتبع المدبرين والفارين ، ولا يبيح إساءة معاملة الأسرى ، ولا التنكيل بهم فضلا عن قتلهم ، وقد وضع فى معاملتهم قاعدة انسانية فاضلة « فإما منا بعد وإما فداء » (٢٤) وجعل اطعامهم من صفات الأبرار المقربين الى الله « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » . (٢٥)

إن الأسير فى الاسلام انسان محقون الدم محترم الحقوق ، يلقى كل رعاية وعناية فلا يقتر عليه فى اطعام ، ولايهمل فى علاج ، ولا يكره على الايمان بما لايرضاه ، ولايعذب للحصول على معلومات منه ، ويظل هكذا حتى يبت فى أمره بالمن أو الفداء أو تبادل الأسرى .

واذا كان الاسلام يبيح للمسلمين أن يردوا على الاعتداء بمثله فإنه قد قرن هذا الرد بتقوى الله ، لكى نكون فى رد الاعتداء رحماء نخشى الله ، ولانهبط فى سلوكنا ولو كان العدو قد انحط فى أفعاله ، فارتكب أبشع الجرائم والمنكرات فاذا كان العدو قد مثل بالقتلى ، أو قتل الأبرياء ، أو عذب الاسرى مثلا فاننا لانفعل كما فعل ، وإنما نعاقب المجرم على مااقترف ، ولاتمتد أيدينا الى سواه بالاذى والاعنات .

وهكذا يكون الجهاد المسلح فى الاسلام ضرورة تنصر الحق وتحمى السلام ، وتنقذ الناس من دياجير الاضطهاد والفساد ، وهوالى هذا قوة لاتظلم ولا تدمر ، فهى تحرر وتعمر وتحترم آدمية الانسان ، وارادته ، فلا تلزمه بما لايرغب فيه ، ولاتمتهن كرامته بصورة ما ، وبذلك لا تصح مزاعم الذين يذهبون الى أن الاسلام انتشر بالسيف ، وأن الفتوحات الاسلامية كانت احتلالا واسترقاقا للشعوب ، فما كانت الحرب فى الاسلام ولن تكون الا سلاحا يحمى الحقوق ، ويكفل الحريات ، دون أن يكره أحد على شيء .

ولا وجه للموازنة بين الحرب الاسلامية وغيرها من الحروب ، فهذه لاضمير لها ، انها لاتفرق بين من يقاتل ومن لايقاتل ، وتدمر الأهداف المدنية قبل الأهداف العسكرية ، وتسعى لقهر الضعفاء لا لنصرتهم ، وتستخدم اليوم أسلحة رهيبة تفتك بكل كائن حي ، وتدمر وسائل الحياة جميعها ، ولهذا تعيش البشرية فى حاضرها حالة من الهلع والفزع ، فالحرب الكونية تهدد وجودها ، وتنذرها بالعودة الى عصور البدائية الأولى ولن ينقذها من هذا الكابوس الرهيب إلا الاسلام بمبادئه وقيمه ، والمسلمون دون غيرهم ، إن فقهوا دينهم ورسالتهم هم الذين يجنبون البشرية ذلك المصير المحتوم .



الخلاصة

ان الجهاد الاسلامى يحمى الحياة كل الحياة ، ويحرس الأحياء كل الأحياء فلا يبغى حي على حي ، ولايستعلى مخلوق على مخلوق ، ولاتبطش أمة بأمة ، ولا تتكتل كتلة ضد أخرى ، ولايستبد قوى بضعيف ، ولاتمكن الأحلاف المسعورة من اطلاق الموت الجماعى والفناء المستأصل والدمار الشامل والتلاعب بالأسلحة « الذرية » و « النووية » و « الهيدروجينية » و « النتروجينية » وسائر مصادر الشقاء والتعاسة والإبادة لهذه الانسانية وحضارتها (٢٦)

محمد الدسوقي - جامعة قطر

هوامش

١ ـ الآية : ٨ فى سورة العنكبوت .
٢ ـ رواه الامام مسلم .
٣ ـ الآية : ٦٠ فى سورة الانفال .
٤ ـ انظر فقه السنة للشيخ سيد سابق المجلد الثالث ص ٢٢ ط دار الفكر بيروت .
٥ ـ الآية : ٧٤ فى سورة النساء .
٦ ـ الآية : ١١١ فى سورة التوبة .
٧ ـ الآية : ١٦٩ ـ ١٧١ فى سورة آل عمران .
٨ ـ الآية : ١٨ فى سورة الانبياء .
٩ ـ الآية : ٢٤٤ فى سورة البقرة .
١٠ ـ الآية : ٧٦ فى سورة النساء .
١١ ـ رواه الامام النسائى .
١٢ ـ الآية : ٣٩ ـ ٤١ فى سورة الحج .
١٣ ـ انظر مجلة « منار الاسلام » العدد الثانى من السنة الثامنة ص ١٨ .
١٤ ـ انظر فلسفة الجهاد فى الإسلام للاستاذ السيد عبدالحافظ عبدربه ص ٥٨ ط بيروت .
١٥ ـ الآية : ٧٥ ، ٧٦ فى سورة النساء .
١٦ ـ الآية : ٨٣ فى سورة القصص .
١٧ ـ الآية : ٣٥ فى سورة محمد .
١٨ ـ الآية : ١٩٠ ـ ١٩٣ فى سورة البقره .
١٩ ـ انظر فقه السنة ـ المرجع السابق ص ٢٣ .
٢٠ ـ المصدر السابق ص ٦٠ .
٢١ ـ الآية : ٥٦ فى سورة الاعراف .
٢٢ ـ رواه الامام مسلم .
٢٣ ـ انظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص ٤٧٤ ط دار الشروق .
٢٤ ـ الآية : ٤ فى سورة محمد .
٢٥ ـ الآية : ٨ فى سورة الإنسان .
٢٦ ـ انظر فلسفة الجهاد ص ٨٧ .

خطوة للوراء .. خطوة للأمام

شعر: محمد ابراهيم أبوسنّة

خطوةٌ للوراء
خطوةٌ للأمام
لم نعد نستطيع قراءة
أسمائنا فى الظلام
لنعرف من نحن ؟
ماذا نخبىء بين ملامحنا
وردة أم حسام
لم نعد نستطيع إذابة أرواحنا
فى الغمام
واليمام .
آهِ هذا اليمام
كان ملء الفضاء
انطوى ميِّتاً فى الرغام
لم نعد نستطيع السكوت
لم نعد نستطيع الكلام
لم نعد نستطيع تبين موضع
أقدامنا
وسط هذا التردد حول المسافة ..
.. بين الحلال وبين الحرام
وحدنا نسلك الآن درب القنوط
وحدنا فى فراغ الزحام
لم نعد نستطيع البكاء
لم نعد نعرف الابتسام
ياترى هذه لحظة الابتداء
أم تُرى لحظة للختام
كل هذى العيون التى
حدَّقت فارقت جفنها
ـ دهشةً ـ
بعد حين تنام
والبلاد التى فى شغاف الفؤاد
ليس تعرف كيف تشد الزمام
وكيف تميز بين مصائبها
وبين قلوب تمدُّ لها الحب
بين قلوب تؤجج نار الخصام
لم نعد نستطيع سوى أن نعدد أوجاعنا
ثم نمضى إلى غير ما وجهة
فوق نفس الطريق بغير اهتمام
خطوةٌ للوراء
خطوةٌ للأمام
لم نعد نستطيع القعود
لم نعد نستطيع القيام
لم نعد نستطيع الحروب
لم نعد نستطيع السلام
« عاجل هذا وهام »
ليس هذا الضجيج الكلام
ليس هذا السكوت انهزام
خطوةً للأمام
خطوةً للأمام

استلهام كليلة ودمنة في الأدب العربي الحديث

بقلم: أحمد محمد عطية

منذ أبدع عبد الله بن المقفع تعريبه لكتاب « كليلة ودمنة » ، فى القرن الثانى الهجرى ، اتخذ العرب والعالم كله من قصصه وحكاياته وحكمه ونهجه وأسلوبه منبعا غزيرا للاغتراف والترجمة والتقليد والاقتباس والاستلهام والابداع الأدبى والفكري والفني .

فقد ترجم الكتاب إلى اللغة العربية أكثر من مرة ، ومع ذلك ظلت ترجمة ابن المقفع بصياغتها العربية وإضافاتها الإسلامية هى المصدر الوحيد الذي نقل عنه العالم كله ، بما فى ذلك الفرس ، وعرف منه حكايات « كليلة ودمنة » . كما تعددت صياغات « كليلة ودمنة » فى العربية شعرا ونظما ونقلا وتقليدا ، كما فعل ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » وابن الهبارية فى « نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة » ، وأبو العلاء المعري فى « القائف » ، واخوان الصفا فى الرسالة السابعة عشرة من رسائلهم ..

كما ترجم الكتاب الى أكثر من أربعين لغة ، اعتمادا على النسخة العربية ، وصار مصدراً للتقليد والالهام والإبداع لدى عدد كبير من الأدباء والفنانين ، وتجلى ذلك فى الأدب القصصى وفن الرسم . فمنه استوحى الكاتب القصصى الفرنسى الشهير « لافونتين » حكاياته الخرافية وجعل من قصص الحيوان موضوعا لبعض قصصه ، كما فعل ذلك أيضا أديب إيطاليا الكبير « بوكاشيو » فى عمله المعروف « ديكاميرون » .

استلهام حديث لكليلة ودمنة

وها هم أربعة من الأدباء العرب المحدثين ، ينتمون إلى أقطار عربية مختلفة ، يتجهون من جديد الى هذا العمل الهام فى التراث العربي والانسانى ، وأحد أقدم درر النثر الفنى العربى ليستلهموه في ابداع أدبى حديث متنوع ، ويشحنوه بقضايا ومفاهيم عصرية ، مما يؤكد وحدة التراث العربي والثقافة العربية وسريانهما فى الوجدان العربى الواحد . كما يبرز صلاحية التراث العربى للاستلهام والابداع فى عصرنا وفى كل العصور .

أما الأدباء الأربعة ، فهم : الأديب الفلسطينى الدكتور اسحق موسى الحسينى فى روايته « مذكرات دجاجة » ، والكاتب التونسى الطاهر قيقة فى مجموعته القصصية « نسور وضفادع » ، والروائى المصرى ابراهيم أصلان فى روايته « مالك الحزين » ، والكاتب المصرى أحمد بهجت فى كتابه « حوار بين طفل ساذج وقط مثقف » .

ومعروف ان كتاب « كليلة ودمنة » يتضمن حكايات هندية صيغت فى قالب قصصى يبرز الحكمة بالرمز على ألسنة الحيوانات والطيور ، لتعليمها للملوك والحكام . غير أن الحكايات الهندية ، المنقولة عن كتاب « البنجاتنترا » أو « الأسفار الخمسة » بإضافات فولكلورية ، شغلت بعض أبواب الكتاب فحسب ، ثم جاءت الإضافات للكتاب عند ترجمته من اللغة السنسكريتية (الهندية) إلى اللغة البهلوية (الفارسية) ثم إلى اللغة العربية بترجمة عبد الله بن المقفع ، وهى ترجمة بتصرف وتعريب بإضافات وصياغات عربية وإسلامية تتفق مع البيئة العربية والدين الإسلامي والأخلاق الاسلامية . فقد أضاف ابن المقفع إلى الكتاب « باب عرض الكتاب » . ويذكر محمد حسن نائل المرصفى ، فى تقديم المحقق لكليلة ودمنة (طبعة مؤسسة الزين بيروت سنة ١٩٨٠) ، أن « هناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية : وهى مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلى بن الشاه الفارسى ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن أمر دمنة ، وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطة ، وباب الحماقة والثعلب ومالك الحزين » . (ص ٧) وقد فقد الأصلان الهندى والفارسى معا ، فى حين حفظ العرب نصوص « كليلة ودمنة » بترجمة ابن المقفع وصياغته العربية التى عرف عنها العالم كله بكليلة ودمنة وترجمها كتابه ، ونقلوا منها واستلهموها فى أعمالهم الأدبية والفنية ، وهذا هو فضل العرب .

ولا تتمثل الإضافات العربية لكليلة ودمنة فى الترجمة أو إضافة بعض الأبواب فحسب ، ولكنها تمتد أيضا إلى صميم الشكل والموضوع والأسلوب والفكر . وقد أجرى الأستاذ الكبير الدكتور عبد الحميد يونس دراسة مقارنة بين الأصل الهندى والنسخة العربية ، ألحقها بترجمته الفريدة للبنجاتنترا ، (صدرت عن هيئة الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٠ بعنوان « الأسفار الخمسة أو البنجاتنترا ») ، توصل فيها إلى أن الصياغة العربية للحكايات الهندية تشكل ابداعا عربيا بإضافاتها العربية والإسلامية إلى النصوص الهندية . هذه الإضافات التى غايرت العمل الهندى كله وإن أبقت على التفاصيل . وأوضح الدكتور عبد الحميد يونس أن وجوه الاختلاف بين الأصل الهندى والنص العربى متعددة ، مثل « أن

الأصل السنسكريتي إنما كان موجها إلى رجال يفتقرون إلى الفطنة ورجاحة العقل . أما كليلة ودمنة فأحاديث موجهة إلى أحد الملوك ، لكى يعتصم بالوسط الذهبى فى السلوك ، وألا يندفع إلى التهور والشطط ببساطة الحكايات والأمثال المستخلصة منها . وهذا التطور يشبه ، بل يطابق الحكاية المحورية فى كتاب ألف ليلة وليلة ، وهى المجموعة القصصية العربية ، التى كانت بمثابة البؤرة ، تتجمع فيها حكايات العالم ، ثم تنعكس بعد ذلك عن طريق الشعب العربى إلى أوروبا متناثرة حينا ومجموعة بهذه اللغة أو تلك أحيانا » (ص ٢٢ ، ٢٣) .

ويضيف الدكتور عبد الحميد يونس ، فى دراسته المقارنة الرائدة لأوجه الاختلاف بين الأصل الهندى والنص العربى ، اختلاف الجو الدينى والسياسى ، فبينما تتعدد الآلهة فى الهند يتوحد الله فى الاسلام ، وينعكس ذلك على أجواء الحكايات الدينية والاجتماعية والسياسية وعلى أنواع الحيوانات المختلفة باختلاف البيئات ، بل ان الاختلاف امتد أيضا إلى تسمية الحيوانات وتشخيصها واستخدامها ورؤيتها للمخلوقات الخارقة أو غير المنظورة ، حتى وصل الاختلاف إلى اسم الكتاب ، فهو فى « البنجاتنترا » « كرطاكه ودمنكه » أى « ذو العواء المخيف » و« المنتصر » ، بينما أطلقت النسخة العربية اسمى « كليلة ودمنة » على ابني آوى . وقد عرف العالم الكتاب بعنوانه العربى .

ولعل أهم اضافة عربية اسلامية تتمثل فى تأثير شخصية ابن المقفع وثقافته الاسلامية ومعارفه الواسعة باللغات والفلسفة والمنطق ، وأسلوبه البديع الواضح والسهل والموجز ، فى عرض الحكايات وتغيير أسماء الأماكن والحيوانات ، مبدعا عملا عربيا يجمع بين فن الأدب وجمالية التعبير والغايات التعليمية ، و« يعد من معالم الأدب العربى والأدب العالمى فى وقت واحد » ، كما وصفه بحق الدكتور عبد الحميد يونس .

مذكرات دجاجة

تستلهم رواية « مذكرات دجاجة » ، للأديب الفلسطينى الدكتور اسحق موسى الحسينى شكلها ونهجها من شكل ونهج كتاب « كليلة ودمنة » ، بتقديم الحكمة والموعظة رمزا ومباشرة على ألسنة الطيور والحيوانات فى قالب قصصى ، وتنطلق منه إلى آفاق أدبية



غلاف كتاب « حوار بين طفل ساذج وقط مثقف »

غلاف رواية « مذكرات دجاجة »

وفكرية وفلسفية واجتماعية عصرية ، على لسان دجاجة . وهى « دجاجة عاقلة مفلسفة .. تدرس شؤون الاجتماع فى كثير من التعمق وتدبر الرأى ، فتصل إلى استكشاف بعض الأدواء الاجتماعية وتصف لها الدواء » كما وصفها الدكتور طه حسين فى تقديمه للرواية ، وأضاف الدكتور طه حسين رابطا بين الرواية وبين « كليلة ودمنة » : « وكذلك كشفت لنا هذه الدجاجة عن نظراء يشاركوننا فى لذاتنا وآلامنا وفى محاسننا وعيوبنا . وهى فى ذلك تشبه تلك الحيوانات التى تحدثت فى كليلة ودمنة منذ قرون طوال . ومن يدرى ؟ لعلها تتحدث كما تحدثت تلك الحيوانات جاعلة من نفسها رمزاً لنا معربة عما لا نستطيع نحن أن نعرب عنه حين نريد أن نصور حياتنا ونصف ما فيها من العيوب والأدواء » (« مذكرات دجاجة » الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ ، نشر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ص ١٧ و١٨) .

وجدير بالذكر أن مقدمة د . طه حسين لهذه الرواية تؤكد رؤيته القومية العربية البادية فى ترحيبه بنشر رواية « لأخ من أهل فلسطين » لأول مرة فى سلسلة « اقرأ » سنة ١٩٤٣ ، « كوسيلة من وسائل التعاون الثقافى وتحقيقا للوحدة الفكرية بين أهل الوطن العربى كله » . وقد عدت هذه الرواية من التراث الثقافى الفلسطينى ، وأعيد نشرها فى سلسلة إحياء هذا التراث .

فى البداية تروى الدجاجة حدثا هاما فى حياتها ، وهو إجبارها على الرحيل من بيتها القديم . ويستخدم الروائى أسلوب الارتداد للماضى (الفلاش باك) لتصوير عملية الإجبار على الرحيل . كما تتحدث الدجاجة ، عن طريق السرد والمونولوج الداخلى ، لتعبر عن مشاعرها الحزينة ازاء هذا الحدث ، وتمزج ذلك بالحوار الموجز المتبادل مع زميلاتها ثم تؤرخ الدجاجة لحياتها فى البيت الجديد ، وتتأمل فى أسباب انتزاعها من أحضان أهلها . فتنساب مشاعر الأسى للرحيل عن البيت القديم ومشاعر الغربة فى البيت الجديد ، وتسوق الحكمة والموعظة كما تفعل حكايات « كليلة ودمنة » ، مسلمة بسيطرة القدر وضرورة القناعة والرضا واستبعاد الطموحات المعذبة . ومن ثم تتزوج الدجاجة وتسعد بالحياة مع الزوج الجديد فى البيت الجديد . وتعبر الدجاجة عن حبها لزوجها الجديد بعبارات شاعرية جميلة تفلسف فيها الحب ، وتكبر فى الزوج شجاعته وتصديه للمعتدى على الدجاج .

وبينما الدجاجة تلهو مع رفيقاتها وتنعم ، كما يفعل البشر ، بالرقص والغناء والدعة والسلام ، تفاجأ بحادث عدوان يزلزل كل مفاهيمها السابقة ويوقظ فيها قواها الايجابية ، عندما هبط عليهم عدو مخيف ، تصدى له الزوج القوى « فانقض على العدو مصاولا مقاتلا » حتى قضى عليه بعد صراع رهيب .

وينمي الروائى هذا الحدث ، ويتابع تأثيره على الدجاج بتفتح وعيه ويقظته من « الغيبوبة » والاستسلام للدعة ، وهى يقظة محدودة لم تدم « أكثر من نصف ساعة ، حتى

استلهام كليلة ودمنة في الأدب العربي الحديث

خرجنا من طور اليقظة إلى طور التخدير » غير أن الدجاجة العاقلة لم تلبث أن أخذت تفكر فى مصيرها إذا انتصر العدوان ، وقررت تناول الأمور بجدية ومسئولية دون استسلام للقدر أو اعتماد على دفاع الزوج القوى ، وذلك بالتسلح بالقوة ، ووجهت حديثها إلى الأجيال الجديدة بضرورة تجاوز « حدود الأمانى إلى حدود العمل » ، وأكدت بإصرار وحزم : « نحن بين أمرين : إما أن نعيش عيشة الأيم والبؤس والشقاء عند فقد ذكورنا ، وإما أن نسلح أنفسنا ضد العوادى والخطوب منذ نشأتنا ، وفى أيام صبانا ، فنخفف من قسوة الدهر ، ونقلم من أظافر المصائب » (ص ٣٩) .

هكذا تصوغ الدجاجة نداء الدعوة للمقاومة المسلحة ، والاستعداد العلمى لمواجهة الأعداء والعدوان ، بهذا الرمز البسيط الشفاف يوجه الروائى الفلسطينى نداءه لليقظة والنضال فى الوطن الفلسطينى المحتل بالقوات البريطانية والعصابات الصهيونية فى وقت كتابة الرواية (بالقدس سنة ١٩٤٣) ، مستلهما نهج « كليلة ودمنة » بالرمز والموعظة والحكمة على ألسنة الطيور والحيوانات ، والإيماء من خلالها إلى قضية سياسية عربية معاصرة .

نســور وضفادع

والطاهر قيقة أديب عربى أصيل من تونس ، نشأ فى قرية « تاكرونة » ، « مراتع أحفاد بنى هلال » ، حيث البادية والزرع والحيوان ، وارتبط بها وأخلص لها وعبر عنها ، كما صاغ « ملحمة بنى هلال » بالعربية الفصحى وحققها ثم ترجمها أيضا إلى الفرنسية وقدمها بعنوان « أقاصيص بنى هلال » . وهو أديب عربى مجدد يجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين الجمالية والاجتماعية .

وتضم مجموعته القصصية الفريدة « نسور وضفادع » ، التى صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٧٣ ، نوعين من القصص ، قصص البشر وقصص الحيوان . وقد كتبت القصص على مرحلتين : الأولى من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٦ ، وهى مرحلة اسكتشات أو استكشاف ، وتضم بعض اللوحات والأقاصيص المعبرة عن رؤية الكاتب لهموم المجتمع التونسى الحديث ، فلا صلة لها بدراستنا عن استلهام قصص الحيوان فى « كليلة ودمنة » . أما المرحلة الثانية فهى من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣ ، وهى التى تضم قصص الحيوان . وقدم المجموعة الأديب والفنان التونسى عز الدين المدنى بدراسة مقارنة بين حيوانات « كليلة ودمنة » وحيوانات الطاهر قيقة ، وانتهى فيها إلى أن « كليلة ودمنة كتاب حيوانى يرمز إلى البشر ، أما قصص الطاهر قيقة الحيوانية فلا ترمز إلا لنفسها .. » (« نسور وضفادع » ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ ، الدار التونسية للنشر ، ص ٢٥ و٢٦) غير أن المدنى لم يستطع تجاهل إنسانية قصص قيقة الحيوانية ، فعاد ليؤكد عنايتها بالأوضاع الإنسانية ، متناقضا فى هذا مع أقواله السابقة المنكرة لترميزها للبشر . وذلك بقوله إن القصص توجد بها « جميع الأمور الانسانية طبعا ! أى الأوضاع الملتبسة ، والمشاعر المتقلبة ، والمواقف الحركية ، والقضايا الفكرية المهمومة » . وأضاف عز الدين المدنى موضحا : « أن الاستاذ الطاهر قيقة أراد أن يبين الأوضاع الإنسانية من خلال دنيا الحيوان » (ص ٢٧ و٢٨) .

فقد قصد هذا الأديب العربى الأصيل والمجدد إلى الحداثة من مدخل الأصالة مستلهما حكايات « كليلة ودمنة » بألسنة الحيوان والطير فى أشكال قصصية حديثة ومفاهيم عصرية ، مومئا من خلالها ورامزا إلى هموم الانسان العربى وقضايا الانسان فى كل مكان . فنطالع فى قصص الطاهر قيقة حيوانات حقيقية مصورة فى صور دقيقة متتابعة مرسومة بقلم كاتب خبير بعالم الحيوان وأنواعه وطباعه . والابداع الذى يضيفه خيال الكاتب يتمثل فى إضافته رؤية الحيوان لعالم البشر وتقديمه لمشاعر الحيوان فى صور إنسانية ، ومن خلال ذلك يتصاعد الرمز والحكمة والعظة .

مالك الحزين

أما القصاص والروائى المصرى ابراهيم أصلان فقد استلهم روح « كليلة ودمنة » فى روايته الحديثة « مالك الحزين » ، فتخلى عن حيواناتها واكتفى باتخاذ اسم أحدها « مالك الحزين » عنوانا للرواية ، وأقام شكلها على منوال الحكاية الشعبية العربية فى « كليلة ودمنة » ، ورسم أهم شخصياتها ، « يوسف النجار » ، على هديها .

وقد جاء ذكر « مالك الحزين » ، بكتاب « كليلة ودمنة » ، فى « باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين » ، « وهو باب من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه » . وقيل إن هذا الباب لم يرد فى الأصل الهندى ، وانه من الإضافات الموجودة فى النسخة العربية . وقد ضرب بمالك الحزين المثل على أنه هو الذي ينصح غيره ولا يطبق النصيحة على نفسه ، مما أورده حتفه .

وكما وقف « مالك الحزين » ، فى « كليلة ودمنة » ، أمام النهر المتناقص صامتا عاجزا عن الحركة والفعل ، رافضا الشرب من ماء النهر بالرغم من ظمئه القاتل ، كذلك فعل « يوسف النجار » ، فى رواية « مالك الحزين » ، بتوقفه وعجزه الدائم عن الحركة والفعل والمشاركة والابداع ، وتردد الرواية ذكر النهر مع كلمات الاحباط واليأس وانهيار الأحلام .

وتتمثل الإضافة التى يقدمها ابراهيم أصلان ، فى استلهامه لشخصية « مالك الحزين » التراثية ، فى أنسنة هذه الشخصية وعصرنتها وتزويدها بمبررات موضوعية اجتماعية وسياسية ، لأزمتها وصمتها وحزنها . فيشير ابراهيم أصلان ، فى غلاف الرواية الداخلى ، باستنكار ، إلى الحكاية المعروفة عن حمق « مالك الحزين » وموقفه الصامت الحزين من نقص الماء فى النهر ويتمثل استنكار ابراهيم أصلان فى استهلاله عبارة الغلاف المحورية بكلمة « زعموا » قائلا : « لأنهم زعموا أنك تقعد بالقرب من مياه الجداول والغدران فإذا جفت أو غاضت استولى عليك الأسى وبقيت صامتا هكذا وحزينا » (« مالك الحزين » ، الطبعة الأولى ، مطبوعات القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١) ومن ثم يومىء الروائى إلى رؤية جديدة لمالك الحزين ، تلك التى يضمنها روايته الحديثة وشخصيته



غلاف رواية « مالك الحزين »



غلاف المجموعة القصصية « نسور وضفادع »

الحزينة » يوسف النجار . فنهجه فى استلهام « كليلة ودمنة » نهج مضاد للمفهوم التراثى لمالك الحزين وأسباب صمته وحزنه ، فقد نفى عنه صفة الحمق . ومع أنه استقى منه اسمه وأهم ملامحه ، إلا إنه أعاد تركيبه فى مركب عصرى جديد يجمع بين أصالة الحكاية الشعبية العربية والشخصية التراثية وبين الهموم الاجتماعية والسياسية والانسانية المعاصرة ، فى ابداع روائى متخيل وواقعى ورواية حديثة تقع أحداثها فى يوم واحد ولكنها تجوس فى عدة أزمنة وأمكنة عن طريق الاسترجاعات وتيار الوعى والمونولوج الداخلى وتعدد أصوات الشخصيات وتنوع رؤاها .

قـط مثقف

وإذا كان الروائى المصرى ابراهيم أصلان قد حوّل طائر « مالك الحزين » ، فى روايته التى حملت اسمه ، إلى شخصية انسانية عصرية ، فإن الكاتب المصرى أحمد بهجت جمع . فى كتابه « حوار بين طفل ساذج وقط مثقف » . بين صورة القط الحيوانية وفكر الانسان المثقف .

وكما نفى ابراهيم اصلان صفة الحمق عن مالك الحزين ، كذلك فعل أحمد بهجت بنفيه « العبارة الشائعة عن القطط أنها حيوانات خائنة وغادرة » . وجاء نفيه مستمدا من روح الاسلام التى تتغلغل فى كل سطور الكتاب وتميزه : « لا تحتقر أحدا لأن الله اختار أن يخلقه حيوانا .. تعلم أن تتعلم من خلق الله . ان الصورة ليست إلا ظلا .. ولا يعلم حقيقة الكنه والمعنى سوى الله » (ص ٧ و ٨) .

وفى قصته الحوارية يروى الكاتب تجربته مع القط المثقف مستلهما نهج « كليلة ودمنة » فى انطاق الحيوان وإبراز الحكمة فى قالب قصصى يجمع بين الحوار الدرامى والحكايات المتفرعة من القصة الأصلية . فهو قط حكيم يقرأ ويفكر ويناقش بمنطق مقنع ، وهو قط معتد بنفسه وبحريته ، يرفض ان يمتلكه أحد لأنه يطعمه أو لأنه يحبه : « إنما أنا وأنت مماليك لمالك الملك » (ص ١٨) .

ويستخدم أحمد بهجت نهج الحكاية الشعبية العربية فى تفريع القصة من القصة .

أما رؤية القط للحب والحياة والدنيا فهى رؤيا فلسفية إسلامية خلاصتها أن « الكل باطل وقبض الريح » ، وأن الكمال لله وحده وعلى الخلائق أن تسعى إليه . و« بقدر ما تقطع من رحلتك إلى الله ، بقدر ما تقترب من جوهر الحقيقة وترتفع » (ص ٦٥ و ٧٠) ويعلق الطفل الساذج على حكمة القط قائلا : « أدهشتنى حكمته » ، ويقرر أن يراقبه كقط حكيم ، فيجده قطا عاديا ، يموء ويصرخ إذا جاع ويسرق السمك واللحم ، دون اعتبار للحكمة والأخلاق . وحين يراجعه فى ذلك التناقض بين أقواله الحكيمة وأفعاله اللئيمة ، يومىء القط إلى ما يفعله البشر فى فصلهم بين أقوالهم وسلوكهم قائلا : « نحن ننتمى إلى فصيلة الحيوان .. ومن الطبيعى أن تكون أقوالنا غير أفعالنا .. المأساة ان البشر يفعلون ما نفعله بغير حياء ، ويجدون ما يبررون به جرائمهم من المنطق » (ص ٧٢) ويصف سلوك القط الحكيم قائلا : « أدركت أن القط يتفلسف .. كانت تصيبه موجات من الفلسفة لا أعرف السر فيها ، وكان يقول بالصمت أحيانا ، أو بنظرة عينيه ، آلاف الأشياء الصعبة التى لا أفهمها » (ص ٨٤) .

ويتغنى القط بأشعار الصوفى جلال الدين الرومى فى « المثنوى والمعنوى » . وهو لا يعترف بقيمة الحب البشرى ، فالحب لله الخالق المصور وحده : « الحب البشرى طفولة قلب ، هو حماقة إذا تجاوز حدوده .. وإنما يصير نضجا وحكمة إذا كنت تحب المصور لا الصورة ، وترى كل ما تراه من جمال بشرى أثرا من آثار إبداعه » (ص ١١٣) .

وهو قط سياسى وواقعى صريح يعترف بأنه « صوفى الباطن وفيلسوف وحكيم وأنانى ونفعى فى نفس الوقت » وأن مذهبه هو النفعية ، وأنه هو نفس مذهب أمريكا ، ويتساءل بحكمة : « أليست النفعية هى المسؤولة عن قيام المدنية الأمريكية والمجتمع الأمريكى .. ان هناك دولة نفعية تحكم العالم دون أن تلقى بالا لرغباته ، على أساس انها تعرف ما فيه خير العالم أكثر مما يعرفه العالم .. كيف تقاوم القطط هذا النموذج الناجح الذى تقدمه أمريكا .. كيف تقاوم القطط إذا كان البشر لا يقاومون » (ص ١١٥) .

هكذا يستلهم الكاتب الإسلامى المصرى أحمد بهجت روح « كليلة ودمنة » ونهجها ، فى كتابه « حوار بين طفل ساذج وقط مثقف » ، فينطق الحيوان بالحكمة فى قالب قصصى حوارى مشحون بالفكر المعاصر والرؤى الإنسانية والاجتماعية والسياسية الحديثة ، ويمزج هذا كله بالمفاهيم الإسلامية والثقافة الإسلامية .

وبعد ، هذه أربعة طرق لإحياء التراث واستلهامه ، قد تتنوع أو تتباين فى الرؤية والتناول ، ولكنها تتفق فى تمثلها للتراث وهضمه وفى تجديده بإبداعه ومزجه بالثقافة الحديثة والقضايا العصرية . وهذا هو الطريق الأمثل لبعث التراث .

أحمد محمد عطية

ليس بالمتنبي وحده
يحيا الشعر العربي



بقلم : عبد الرزاق البصير

أبو تمّام .. أيضًا
شاعرٌ ملأ الدنيا وشغل النّاس

ليس أبو الطيب المتنبي بالشاعر الوحيد الذى استحق ذلك التعبير السائر على ألسنة الأدباء والذي يقول « بأنه شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس » ، فإن عصره كان يحتضن مبرزين من الشعراء يستحقون أن يوصفوا بما وصف به أبو الطيب المتنبي أمثال أبى تمام وبشار ، وابن الرومى ، وأبى العلاء المعرى وغيرهم كثير.

ذلك أن شاعرنا المتنبي أصبح شعره ميداناً أدبياً فسيحاً جرت فيه خصومات واسعة بين النقاد فى عصره وبعد عصره بزمن طويل وقد حدث مثل ذلك لمن ذكرناهم من الشعراء ، وإذا أردت أن تقف على ذلك فإن عليك أن تتأمل البحث المفصل الذى قام به الأستاذ عبد الله محارب والذي جعل عنوانه « أبو تمام بين ناقديه قديماً وحديثاً » وأود أن تعرف بأن تأمل هذا البحث ليس بالأمر اليسير. ذلك أن كاتبه قد تبسط فيه ، حيث أنه عالج عديداً من القضايا الأدبية وناقش فيه آراء أكابر النقاد من القدامى والمحدثين مما يجعل عرضه بصورة متكاملة ، أمراً يخرجنى عن القصد ويحسن بى أن أشير إلى أنى قد ظفرت بمتعة كبيرة وبفوائد أدبية عديدة ، فغرضي إذن هو أن أشرك القراء فى بعض ما ظفرت به من متعة وفوائد . وهذا لا يعنى بأني أوافق المؤلف على ما جاء فيه من آراء فأنا أخالفه فى رأيه القائل « بأن عرب الجاهلية يعيشون فى الصحراء وأنهم أمة ثروتهم بيانهم ، يتحركون بالقلوب أكثر مما يتحركون بالعقول ، ويعيشون بالأهواء لا بالتبصر والتروى ، كل شيء عندهم بديهة وارتجال ، فلا صبر لهم على الأناة ولا جلد لهم على التحليل والإستنباط» .

وقد أطال الحديث حول هذا الرأي ، فأين المؤلف من آثار الشاعر « الأفوه الأودى » و« أمية بن أبى الصلت » و« زهير بن أبى سلمى » و« طرفة بن العبد » و« قيس بن ساعدة » . وغيرهم من الشعراء والحكماء الذين جاء فى آثارهم ما يدل على الكثير من التبصر والروية والتفكير ، والغريب فى الأمر أن المؤلف يوافق الدكتور « زكي مبارك » على رأيه القائل : « ان العصر الجاهلي لم يوصم بالجهل إلا فيما يختص بالدين ، أما الأدب فكان عصر نور وعلم وعرفان كما تشهد بذلك آثار القدماء » . فكيف يتأتى لأمة أن يكون لها نور وعلم وعرفان وهم يعيشون من غير تبصر ولا روية ولا تفكير ، ووصف الاسلام لهم بالجاهلية ، وصف جاء لينبههم أن الدين الصحيح هو الدين الإسلامي ، وإلا فإنهم أصحاب أديان وعقائد ، وقد ناقش هذا الأمر جماعة من العلماء كالدكتور « جواد على » فى كتابه المفصل وغيره ، وأين المؤلف أيضاً من المدن التى أقاموها جنوب الجزيرة وشمالها والتى شيدوا فيها القصور الشاهقة ذات الطبقات المتعددة وبنوا سدودا عظيمة ، واصطنعوا الفضة والذهب والحرير فى حياتهم ، وهذه لغتهم وأشعارهم تدل على أنهم يملكون فنوناً ومعارف تناسب عصرهم ، ولقد كنت أتمنى أن لا يغفل الباحث عن هذا كله ، لأننا في عصر يطيب للكثيرين أن ينقصوا من شأن هذه الأمة في ماضيها وحاضرها ، ولست أشك بأن أديبنا لم يكن من هذا النوع من الناس ، ولكنه رأي شاع بين الناس فمشى المؤلف فيه .

محافظون ومجددون

ولم يشأ المؤلف أن يناقش آراء القدماء والمحدثين حول الشك فى الشعر الجاهلي. وربما كان سبب ذلك أن هذا باب واسع يخرجه عن القصد ، لهذا وجدنا المؤلف يأخذ فى حديث مجاراة الشعر الجاهلي لسليقتهم وطبيعتهم البسيطة الصافية ، فليس هناك تعقيد في المعنى ، وإن كان المعروف أن هناك فئة من شعرائهم من تكون مفرداته صعبة الفهم ،

لبعدها عن السلاسة كشعراء « هذيل » وبعضهم ينتقى المفردات اللينة كزهير بن أبي سلمى ، وعمرو بن كلثوم ، والأعشى ، وعدى ، وغيرهم ، ذلك أن البعض منهم قدر له أن يسيح فى الأرض ويختلط بالفرس والروم ، على أن المؤلف يرى بأن الذين يطيلون النظر حين ينظمون أشعارهم كزهير بن أبي سلمى والنابغة وغيرهم من الشعراء لا ليتعمقوا في التفكير وإنما ليحكموا التركيب ، وفي تقديرى أن القصة بعكس ما ذهب إليه المؤلف ، فنحن نجد فى أشعار زهير وطرفة والنابغة أفكاراً أكثر مما نجدها فى غيرهم من الشعراء ، ومن يقرأ آثار هؤلاء الشعراء يتضح له ذلك فإنك تجد الحكم مبثوثة في أشعار هؤلاء الشعراء على نحو ما قاله الأفوه الأودى :

والخير يزداد منه ما لقيت به
والشر يكفيك منه قل ما زادُ
والبيت لا يبتنى إلا له عمد
ولا عماد إذا لم ترسوا أوتاد

وقول زهير :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم
ومن لم يظلم الناس يظلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

ويمضي المؤلف فى حديثه إلى أن يصل إلى العصر الأموى والعصر العباسى ، فنجده يقسم الشعراء إلى مجددين ومحافظين ، ومن الغريب أنه جعل المتنبى وابن الرومي من جملة المحافظين فى حين أن آثار هذين الشاعرين بوجه خاص تؤكد أنهما من الشعراء المجددين فما نظن أن أحداً يتصور بأن المعاني التى جاءت في مراثي المتنبي وغزله ومديحه كانت تسير على نسق الشعراء الجاهليين بصورة عامة ، ذلك أنها تحتوى على كثير من الفلسفة التى توصلت إليها العقول بسبب تطور الثقافة واتساع أفق التفكير ، نتيجة إمتداد الفتوحات الاسلامية وامتزاج العرب بغيرهم من الأمم ونقل الكثير من آثار الأمم الفلسفية والعلمية وتتمثل هذه الفلسفة فى كثير من قصائده على شاكلة قوله :

وإذا خامر الهوى قلب صب
فعليه لكل عين دليلُ
زودينا من حسن وجهك مادام
فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا
فإن المقام فيها قليل

ومنها قوله :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

وقوله :

إذا ما خلا الجبان بأرض
طلب الطعن وحده والقتالا

وقوله :

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

وأبياته الفلسفية كثيرة لا يحتمل ذكرها المجال ، ويقال شبيه بذلك عن ابن الرومي وأبى تمام وغيرهم ، فإن لهم من الشعر المتطور الكثير والشواهد على ذلك ساطعة فى رثائه لابنه محمد ، وفى حديثه عن المغنية « وحيد » .

أما آثار المعرى الفلسفية فإنها معروفة لدى الجميع ، على أنى لا أجهل أن هناك من تصدى ليبين أن المتنبى اقتبسها من غيره من الشعراء والحكماء . ولكنى مع ذلك أعتقد أن هذه النظرات ليست موجودة فى عصر ما قبل الإسلام ويقال مثل ذلك لكثير من شعراء العصر الأموى والعباسي ، على أن الحديث حول هذه القضية يطول لو أردنا تفصيله ، ولكننى نوهت بذلك لأن المؤلف قال في معرض حديثه « لقد مضت القرون وتعاقبت ، والشعر العربي فى لفظه ومعناه وصورته وموضوعه كما كان قديماً ، لم ينله من التطور شيء إلا هذا المقدار الضئيل الذى أشرنا إليه » . وكيف يقال ذلك بعدما أتحفنا شعراؤنا العظام بنظرات فلسفية عميقة إمتلأ بها شعر الكثيرين من الشعراء منهم حبيب بن أوس الطائي هذا الشاعر الذى أصبح شعره نبعاً غزيراً أمدّ العلماء والنقاد بساحة فسيحة جالت فيها أقلامهم وأفكارهم ومنهم المؤلف الذى بلغ من إعجابه به أنه أفرد له هذا البحث الطويل الذى نود أن نشير إليه إشارات مختصرة ، فقد رسم المؤلف لهذا الشاعر العربي المبرز صورة يستبين من ملامحها أن معظم النقاد واللغويين القدامى ، وكثيراً من النقاد فى العصر الحديث ، قد بذلوا عناية فائقة بآثار هذا الأديب كلّ منهم من الناحية التى اجتذبت إهتمامه .

على أن المؤلف بنى قبل الحديث عن أبى تمام مدخلاً مطولاً عالج فيه كثيراً من القضايا الأدبية منها موقف علماء اللغة من الشعر الحديث الذي فاضت قريحته على مسلم بن الوليد وبشار بن برد وأبى نواس وأبى تمام وغيرهم من الشعراء المجددين . وكيف أن بعض علماء اللغة سلكوا طريق التعصب للشعر القديم ، وكيف أن بعضهم كان يتظاهر بذلك أمام العامة لإدراكهم أن كثيراً من الناس يميلون إلى القديم ويكرهون التغيير فى كل شيء .

تحيّز

وقد أورد المؤلف أخباراً طريفة ممتعة في هذا الخصوص ، من ذلك قول ابن الأعرابى « إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبى نواس وغيره ـ مثل الريحان يشم يوماً ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته إزداد طيباً » . ومعنى هذا أن الأديب يمكنه أن يكتفى بقراءة آثار البحترى ومسلم وأبى نواس وغيرهم مرةً واحدة فهي لا تستحق أن يعود الانسان إلى قراءتها لضعف ما فيها من فكر وفن ، وهذا غير صحيح بطبيعة الحال ، وأشد من ذلك تعصباً ما حكاه ابن الحسن الطوسي قال : وجه بى أبى إلى ابن الأعرابى لأقرأ عليه أشعاراً . وكنت معجباً بأبى تمام على أنها لبعض شعراء هذيل .

وعاذل عذلته فى عذله
فظن أنى جاهل من جهله

حتى أتممتها فقال : أكتب لي هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هى ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ، قلت : إنها لأبى تمام ، فقال : خرِّق خرِّق .

ومن المؤكد أنك لا تستطيع أن تقنع الذي نهج مثل هذا النهج المتحيز لأن الانسان إذا لم يكن متجرداً من هواه فإن أبواب بصيرته تنغلق عن الحق فلا تنفع معه تقديم أي حجة أو برهان ، وهو أنه يملك حافظة قوية وذكاءً مفرطاً يكفى أن تعلم بأن كتاب « الحماسة » المشهور بين المثقفين والذي شرحه أكثر من أديب ألفه من حافظته دون أن يرجع إلى كتاب ، لذلك استطاع أن يغوص على المعاني ليستخرج منها صوراً ما تزال تعجب كل ذى ذوق سليم حتى الآن ، وقد فصّل الباحث فى رواية أخباره ما يؤكد هذه النعمة الكبرى .

ويبدو أن الباحث يرى بأن أكثر النقاد القدامى مخطئون فى نقدهم لأبى تمام لأن شاعرنا رسم في آثاره صوراً غير مألوفة لديهم ، فهم يرون أن شر الشعر ما سئل عن معناه ولابد للشاعر أن يلتمس له من الكلام ما سهل ، ومن القصد ما عدل ، ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يعرف بديهياً ويحضون الشاعر على الابتعاد عن التعقيد فى التراكيب وأن يقصد منها ما كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم ، وهذه قضية أدبية ما يزال الجدل حولها من عصر أبى تمام حتى عصرنا الحاضر ، ونظن أنها ستظل كذلك إلى ما شاء الله . على أن

أبو تمام.. أيضاً
شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس

الباحث يميل إلى نهج أبي تمام . ولولا هذا الميل لما اختاره لهذا البحث الذي بذل فيه جهداً مضنياً شأنه في ذلك شأن الباحثين الذين يستسهلون الصعب في سبيل ما يميلون إليه . فتراهم يلمون بأطرافه وأبعاده كما نجد ذلك واضحاً في هذا البحث القيم حيث نجد المؤلف يتابع ما قاله أنصار أبي تمام وخصومه متابعة دقيقة . غير مكتف بذكر أقوالهم . ولكنه يناقش آراءهم ذاكراً ما قاله القدامى والمحدثون بصورة مفصلة . فنحن نعلم أن الخلاف بين أنصار أبي تمام وخصومه ، كان خلافاً واسعاً عنيفاً كوّن مادة غزيرة دفع العلماء إلى تأليف كتب فيها كأبي بكر الصولي ، والآمدي .

مستحسنون ومستهجنون

أما منشأ هذا الخلاف فإنه يعود إلى أن حبيب بن أوس يجتهد في أن يكون له مذهب جديد في الشعر يرتكز على البديع ، وقد يكلفه ذلك سلوك نهج الغموض . من هاهنا نشأ الخلاف بين المستحسنين لهذا المذهب والمستهجنين له . فقال أنصار الشاعر ان هذا المذهب من إبداع الشاعر وقال خصومه انه أخذه من غيره . ويأخذ المؤلف في التبسط في الحديث ذاكراً ما ذهب إليه المتعصبون له والمتعصبون عليه وفي مقدمتهم أبو بكر الصولي حيث كان يرى بأن شعر أبي تمام خالٍ من العيوب . أما المتعصبون عليه كالمرزباني ودعبل بن علي الخزاعي والقاضي الجرجاني فإنهم يستعجلون بسيئاته قبل حسناته ، يدفعهم بذلك التعصب عليه . ونحن حينما نستعرض حجج خصوم أبي تمام نجدهم أخذوا عليه تعسفه في طلب البديع وتكلفه للغريب . لكن أثقل تلك الحجج على النفس هي إتهامهم له بالكفر أو رقة الدين معتمدين في ذلك على روايات محرفة مؤداها بأنه كان يعبد شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد في حين أن العقل يقول بأن أبا تمام لا يرى أن منزلته تقل عن منزلة هذين الشاعرين ، بل ربما يرى أن منزلته أعظم من منزلتهما . لكنه التعصب واللجاج يفضي بأصحابهما إلى إتهام الخصم بأمور ما أنزل الله بها من سلطان .

مـــزيـــة

ومما يعد مزية من مزايا هذا البحث استقصاء كاتبه للنقاد الذين كتبوا عن أبي تمام وشرحوا ديوانه وهم كثر يحتاج المتتبع لأسمائهم والوقوف على آثارهم إلى جهد كبير . ومهما يكن من أمر فإن خصومة أبي تمام والإنتصار له قد أثمر منهجاً نقدياً إنتفع به أدبنا العربي أعظم الإنتفاع ويتضح ذلك في كثير من الآثار الأدبية كان من أقدمها وأبرزها الموازنة بين الطائيين لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي . فقد كان قاضياً حقاً لم يعط حكماً لأن لا يقلده قارؤه إنما أبان مزايا كل من أبي تمام والبحتري ، كما أظهر عيوبهما وسرقاتهما ، ثم ترك الحكم للقاريء في نهج محكم غاية الإحكام . ولكني ألاحظ أن كاتب البحث أطال في النقل عن الآمدي إطالة لم تكن مألوفة ، فكان من الأفضل لو أوجز في نقله لأن لا يسأم القارىء ويتيه في هذه الأحكام النقدية المتعددة ، ذلك أن الباحث قد نقل من موازنة الآمدي عدة صفحات شملت آراء وأفكاراً نقدية وأدبية مختلفة . ولا أستبعد أن يرد المؤلف على هذه الملاحظة بقوله : إني أريد مناقشة الآمدي في نهجه ، ويقتضي الإنصاف مني أن أطيل في النقل لتكون مساجلتي للآمدي مساجلة منصفة ، وهو رد لا يخلو من قوة .

وعلى كل حال فإن المؤلف قد درس إهتمام أبي تمام بالبديع دراسة مستفيضة قارن فيها بينه وبين مسلم بن الوليد ، وأبي نواس . مفضلاً أبا تمام بعبارات تنم عن تقدير عظيم وإعجاب كبير للشاعر ، على شاكلة قوله : على أن تفرد أبي تمام بهذا الاستخدام الحي لفنون البديع اللفظي لم يكن إلا تعبيراً عن رغبته في تجديد آفاق الشعر العربي ، ليلج به إلى مستويات حضارية أرحب ، وقد أورى زنده الذكاء الوقاد والثقافة العريضة والموهبة المتدفقة .

صدق فني أم صدق واقعي

وهنا نأتي مع المؤلف إلى قضية أدبية يحسن بنا أن نقف قليلاً عندها ، ونعنى بها ما يطلق عليه الصدق الفنى والصدق الواقعي .

ونعنى بالصدق الفنى أن يكون الشاعر متمكناً من نظم شعره يصرفه في ما يشاء من المقاصد والأغراض ، فهو لا يعبر عن طبيعته وإنما يعبر عن مصلحته ، أما الصدق الواقعي فهو بعكس ما تقدم ، أعنى به أن يعبر الشاعر عن أحاسيسه وطبيعته تعبيراً صادقاً ، فالمؤلف يرى بأن شعراءنا جميعاً ومن جملتهم أبو تمام مرغمون على تسخير فنّهم للمديح في مدح ذوى الجاه والسلطان وإن كانوا يقولون خلاف ما فيه ، ولكنى أعتقد أن تعميم المؤلف في هذا الحكم لا يخلو من خطأ . فإن هناك شعراء عرفوا بمدح الخلفاء والوزراء والأغنياء كأبى نواس ، وأياس بن مطيع ، وأبى عبادة البحترى ، وغيرهم كثير ، ولكنهم مع ذلك استجابوا لطبيعتهم الشعرية فعبروا عن ما يشعرون به أصدق تعبير وأجمله ، تعبيراً فنياً ما يزال يعجب كل ذى ذوق سليم ، وهل ينسى أحد قصيدة البحترى حين وقف على ايوان كسرى ، وقصيدته التى يتغنى بها في وصف الربيع ، أو هل ينسى أحد قصيدة أبى نواس التى يصف بها بعض مجالسه مع أصحابه والتى مطلعها :

يا شقيق النفس من حكم
نمت عن ليلي ولم أنم

وقصيدته السينية التى يصف بها رحلته مع أصدقائه التى استغرقت خمسة أيام ومطلعها :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جرّ الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جَنيٍّ ويابس .

والحق أني أعجب أشد العجب من أي فنان يخنق طاقته الفنية لأجل مصالحه المادية ولكن الواقع يقول لنا بصوت عالٍ بأن للمصالح المادية أثرا قويا على أصحابها ، ولولا ذلك لكانت الحركة الثقافية أقوى وأخصب بكثير مما هي عليه ، وهناك لأبى تمام جوانب أخرى ألّم بها الباحث تمنعنا الخشية من الخروج عن القصد أن نقف مع المؤلف حولها . فقد تحدث الباحث عن سبب إجادته في الرثاء وضعفه في الغزل وعن تشككه في تشيعه كما تحدث عن آراء النقاد القدامى والمحدثين في شعره ، فأنت ترى أن مناقشة ما ذكره المؤلف من الآراء حول هذه الجوانب تشكل حديثاً مفصلاً ، آمل أن تتاح لي فرصة للكتابة في هذه النواحي الأدبية الهامة .

عبد الرزاق البصير



الشاعر والربيع العائد

شعر
أحمد محمد آل خليفة

ان الربيع أتى على الأبواب … وأنا كسرت على الصخور ربابي
أنا لم أعد ذاك المغني في الربى … من بعدما خلع الزمان شبابي
وغدوت كهلاً همه في قوته … لا بالحسان ولا بكأس شراب
أرنو الى الماضي البعيد بمقلتي … فأراه مرسوماً على أهدابي
وكأن حشد الذكريات جميعها … أضغاث احلام ولمع سراب
وإذا الصبا ولّى ذوت كلُ المُنى … وشكى المتيّم من جفا الأحباب
جئت المناهل والرياض أظنها … كالأمس لكن الخيال كبا بي
فتغيّرت أزهارها لنواظري … فنواظري مكسوةٌ بضباب
شاهدتها مصفرّةً وكأنما … نغمات بلبلها نعيب غراب
فكأنها تشكو كما أشكو لها … فمصابها من دهرها كمصابي
يا مترع الأقداح من خمر الهوى … أرأيت في تلك الكؤوس رغابي؟
اني أحس بها تحوم عليكم … وترونها بكؤوسكم كحباب
فأنا بجسمي نازح عن جمعكم … والروح ساجدةٌ على الأكواب!
قد كنت ارتاد الرياض مغرداً … بالحب بين مفاوز وهضاب
روحي تهيم على الرياض كأنها … نشوى من الأزهار والأطياب
واليوم يعروني الذهول لحالةٍ … صعبت من الشكوى على الأصحاب
ورأيت أطيار الربيع حزينةً … أفلا تحس بحسها لعذابي
وكأنها رغم الشرود تهيب بي … لأرتلَّ الألواح في المحراب
والفجر يرنو لي بمقلة واله … إذ كان يلقي الضوء فوق ثيابي
وزنابق الوادي ترش عباءتي … بعطورها في جيئتي وذهابي
وإذا صحوت من الكرى شاهدتها … في الليل راقدة على أعتابي
أنا كنت خدناً للربيع ومهجتي … وثباتها من روحه الوثّاب
حيث الطبيعة معبدي وجمالها … سحر تراه العين دون حجاب
ياشدَّ ما أوحى جمال ربيعها … لي ما هتفتُ به الى الأحباب
واليوم غرّيد الطبيعة واجمٌ … ماتت أغاني عوده المطراب
نَسِيَ القصائد وانمحت من صدره … حتى بكته بلابل الأعشاب
هل في صحاب الأمس من متذكرٍ … أم صارت الأصحاب غير صحاب
حسبي من الذكرى عتاب موجعٌ … أفلا يرد الموجعات عتابي؟!

النّازيّة الجديدة تطارد النّازيّة القديمة

ديمجانجوك في قبضة النازيين الجدد

بقلم : عصام شريح

قيل عنه إنه كان جلاداً ، أو تخفيفاً ، أحد الجلادين في معسكر اعتقال أقامه النازيون في بولندا خلال الحرب العالمية الثانية .. لكنه لم يكن في الواقع سوى أحد الحراس في معسكر تريبْلينكا ، أما الصهاينة فيقولون إنه مسؤول عن اعدام ٨٧٥ ألف يهودى ، ويطلقون عليه اسم « إيفان الرهيب » ، ويقول هو : لقد كنت مجرّد جندي في جيش هتلر .. وماذا يفعل الجندي غير تلقّي الأوامر وتنفيذها .

إنه جون ديمجانجوك ، المواطن الأكراني سابقا ، الذي لجأ إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٥٢ ، وعاش هناك حتى ١٩٨٦/٢/٢٨ ، باسم آخر ، وعندما اكتشف « الموسّاد » هويته ، أخذت اسرائيل تلّح على الولايات المتحدة لتسليمها إيّاه ، بحجة أنه مجرم نازي ، كان مسؤولاً عن فتح صنابير الغاز في معسكر اعتقال تريبْلينكا ، وقتْل ألوف من اليهود ، وبعد جدل دام عامين ونصف العام ، جردَّته امريكا من جنسيته المكتسبة بدعوى اخفاء الحقيقة ، والتضليل حول حقبةٍ من عمـــره . ويـــوم ١٩٨٦/٢/٢٨ ، وصل ديمجانجوك إلى « اسرائيل » ليواجه محاكمة صورية ، ثم يتمّ إعدامه بعد ذلك كسلفه « أدولف آيخْمان » الذى أعدمه الاسرائيليون شنقاً في عام ١٩٦٢ ، بتهمة قتل الآلاف من اليهود في عهد النازية ، أو اختصاراً بتهمة « اللاّسامية » كما يطيب للصهاينة القول .

عَودٌ على بدء

وإذا كانت هذه المقالة غير مخصصَّة لتوثيق العلاقة الآثمة بين الصهيونية والنازية ، وهي علاقة ثبت قيامها ، وكان اسحق شامير وزير خارجية العدو الحالي أحد أركانها ، فإننا لابّد وأن نشير إلى أنّ الصهاينة وجدوا في « اللاسامية » أو بالأحرى « كراهية أوروبا لليهود » ، سلاحاً قوياً لدفع اليهود إلى الهجرة من أوطانهم الأصليّة والحقيقية إلى فلسطين العربية تمهيدا لتهويدها ، فراحوا يُذكون « اللاسامية » هذه ، ويتآمرون على اليهود الأوروبيين مع النازيين الهتلريين ، لارتكاب مذابح بحق يهود أوروبا ، من أجل بثّ الرعب في صفوفهم ، واستجلابهم إلى فلسطين .

وفي الواقع فإن الحركة الصهيونية ، تنبّهت « لسحر » اللاسامية قبل نشوء النازية ، وحتى قبل أن يولد هتلر زعيمها ومؤسسها ، ففى خطاب ألقاه مؤسس الصهيونية « تيودور هرتسل » أمام الجمعية الملكية البريطانية فى عام ١٩٠٢ ، قال جوابا على سؤال حول كيفية ارغام يهود أوروبا خاصة ويهود العالم عامة ، على الهجرة من أوطانهم لتأسيس « دولة يهودية » في فلسطين بقوله : اللاّسامية !!

وعقّب هرتسل بعد ذلك في مذكراته : « في باريس اتّسعت آفاق نظرتى إلى اللاسامية ، التى بدأت أفهمها الآن ، وأغفر لها كل شيء ، وأكثر من هذا ، فإنني أعترف بتفاهة وعدم جدوى النضال ضدها ، ثم إن هذه القوة الجبارة المتمثلة فيها ، لن تجلب الضرر لليهود ، بل أعتبرها حركة مفيدة لتطوير الشخصية اليهودية ! » .

وقد وجد قادة الصهيونية خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، في « رؤيا » هرتسل بالنسبة للاّسامية ، برنامج عمل للتعاون مع النازيين ، من أجل تهجير أكبر عدد من يهود أوروبا ، حتى لو أدى هذا التعاون إلى التضحية بعشرات الألوف من اليهود . وقد نشرت صحيفة « حيرُوت » في عددها الصادر يوم ١٩٦٤/٥/٢٥ ، مقالاً بعنوان « التاريخ سيُدين زعماء الوكالة اليهودية » ، جاء فيه : « كيف لنا أن نوضح حقيقة التزام قادة الوكالة اليهودية وزعماء الحركة الصهيونية جانب الصمت حيال المذابح التي ارتكبها النازيون ضد اليهود .. إنهم بصمتهم هذا قد تعاونوا مع الألمان بشكل لا يقل عن أولئك السفلة الذين سلموهم قوائم اليهود الذين كان مصيرهم الابادة ! » .

الصدام بين النازيتين

في الحقيقة ، لا تختلف الصهيونية كحركة عرقيّة عنصرية شوفينيّة ، عن الحركة النازية ، بل إن الحركتين صنوان في واقع الحال ، حيث للنازية الهتلرية نظريتها في صفاء العرق الجرماني ، وتفوقّ السلالة

الجرمانية ، عن غيرها من السلالات البشرية ، مما يؤهلها لحكم الأعراق أو الاجناس الأخرى ، والسيادة عليها ، تماماً كما للصهيونية نظريتها فى « الشعب المختار » الذي هو أيضا أرقى الشعوب ، والذي لا يجوز أن يختلط دمه المميّز بدماء « الغوييم » أو الشعوب الأخرى الأدنى في سلّم الاجناس والسلالات ، ليبقى سيّداً أبداً على « الأغيار » ! ومن هنا ، وبصرف النظر عن انتهازية الصهاينة إبّان العهد الهتلري ، وتعاونهم الخفيّ مع النازيين لتهجير اليهود الأوروبيين إلى فلسطين ، فان التناقض بين النازية الهتلرية والنازية الصهيونية كان قائما وسيبقى . ولذلك فإن مطاردة الصهاينة للنازيين القدامى ، حتى ولوْ كانوا مجرّد جنود أو مجنّدين ، ستبقى مستمراً لفترة طويلة ، لأن الصهيونية بحاجة ماسة على الدوام لإذكاء نيران « اللاسامية » ، وتذكير اليهود « في الشتات » أنهم لن يكونوا في مأمن من المذابح مستقبلا على يد « اللاساميين » ، أي غير اليهود ، إلاّ إذا هاجروا إلى فلسطين المغتصبة من أجل توسيع رقعة الكيان الصهيوني : « كلما ازداد عدد المهاجرين » .

من هذا المنطلق يكون ديمجانجوك الضحية الجديدة للصهيونية النازية ، التي يُراد من ورائها تذكير اليهود الذين ما يزالون في أوطانهم ، بمذابح محتملة في المستقبل ضدهم على غرار المذابح الهتلرية .

أما ضحايا الصهيونية من الألمان النازيين ، فقد كانوا كُثُراً ، وقد كتب الدكتور « بارزوهار » كتاباً بعنوان « المنتقمون » ، روى فيه تفاصيل الصدام بين النازيتيْن الصهيونية والهتلرية ، ومطاردة الصهاينة للنازيين الألمان وقتلهم وذبحهم في كل مكان يتمّ فيه العثور عليهم ، نورد فيما يلي بعض ما جاء فيه .

دافيد وَولهلم

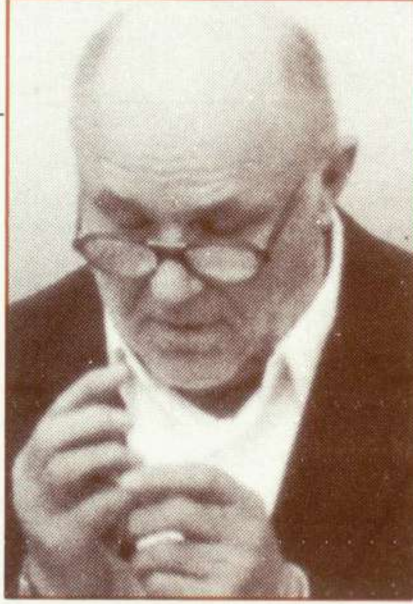
يقول بارزوهار : بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يعد اليهود خرافاً ، بل أصبحوا ذئاباً ، وأخذت التصفيات الجسدية ضد النازيين الألمان طابع الانتقام ، فعشية انتهاء الحرب ، بدأ دور « المنتقمين » اليهود ، وقد بدأ النازيون الصهيونيون فى أيار (مايو) ١٩٤٥ ، بتشكيل الفرقة الأولى من « المنتقمين » تحت اسم « الفرقة اليهودية » ، التي رفعت الشعارات التالية :

— تذكّر أنك تنتقم من أجل شعب محارب .

— وتذكّر أنّ انتقامك هو جزءٌ من مهمتك ، التي هي إنقاذ اليهود ، وتحقيق الهجرة إلى فلسطين ثم « تحرير » فلسطين !!

وكانت هذه الفرقة تابعة « للهاغاناه » ، ثم انشأت « الهاغاناه » فرقة ثانية من « المنتقمين » .

وقد أخذ هؤلاء النازيون الصهاينة ، يجوبون الشوارع والقرى والمدن في ايطاليا والنمسا وجنوب المانيا ، ويقتلون النازيين الألمان وكل من تعاون معهم ، كما قاموا بتفجير قنابل داخل صالات السينما ، وأشاعوا جوّاً من الارهاب في هذه الدول .



ديمجانجوك

● إسرائيل تسعى باستمرار لإذكاء نيران "اللاسامية" من أجل دفع يهود العالم للهجرة إلى الكيان الصهيوني

وفي عام ١٩٤٥ ، شُكِّلت فرقة ثالثة من « المنتقمين » الصهاينة ، عُرفت باسم « الفرقة الألمانية » ، وكان صاحب الفكرة هنا موشي دايان ، أما رئيس هذه الفرقة فقد كان « سيمون كوش » ، وقد صدرت الأوامر لأفراد الفرقة بالتوجه إلى المانيا ، فركبوا سيارات عسكرية تحمل نجمة داوود ، ويروي أحدهم ، وهو الآن مستوطن في حيفا ، أن الطرق كانت غاصّة بالألمان الذين يركبون الدراجات « فقرّرنا أن نصطاد هؤلاء الالمان واحداً واحدا ، وهكذا كانت السيارة تقترب من الدراجة ، ويفتح أحدنا الباب بعنف ، فيقع الالماني تحت عجلات السيارة ويموت ، ولقد اصطدنا العشرات منهم بهذه الطريقة » وقد بلغ عدد الألمان الذين قتلوا على أيدى « الفرقة الألمانية » الصهيونية ، خمسمئة شخص ، يصفهم « بارزوهار » بأنهم من الذين تسلموا مراكز هامة أيام هتلر !! ويروي أحد أعضاء هذه الفرقة « الجنرال لاسكوف » وهو حاليا يشغل منصب المدير العام للمرافىء في الكيان الصهيونى ، كيف قامت الفرقة بتسميم المعتقلين النازيين بسجن مدينة نورنبرغ ، والذي كان يضم ٣٦ ألف معتقل .

يقول « لاسكوف » ، أن الخطة الصهيونية كانت تقضى بتسميم جميع النازيين المعتقلين ، وعلى التوّ بدأ « المنتقمون » بالتخطيط لتنفيذ هذه المهمة ، وسرعان ما اكتشف عملاء الفرقة ، أن المعتقل كان يزوّد بالخبز من فرن صناعي كبير فى المدينة ، وكان الخبز على نوعين ، أسمر للنازيين ، وأبيض للحراس ، وقد استطاعت « الفرقة » معرفة طريقة تحضير الخبز ، فقامت بارسال نماذج منه الى بعض الخبراء ، لتحليلة ودراسة كيفية مزج السمّ به من غير أن يشعر أحد بذلك ، ومن غير أن يكون مفعول السمّ سريعا ، وبالفعل فسرعان ما توصل « المنتقمون » الصهيونيون إلى الفكرة التالية :

يُدهن الرغيف بمادة شبيهة بالطحين ، لكنها تحتوى على الزرنيخ القاتل ، وقد استطاع ستة من أعضاء « الفرقة » أن يحفروا دهليزاً تحت موقع الفرن ، وأن يدهنوا بالسم ألفيْ رغيف أسمر فقط ، لأن الحراس كادوا أن

ديمجانجولك في قبضة النازيين الجدد

يكتشفوا العملية ، وفي اليوم التالي قضى ألفا ألماني نحبهم بالزرنيخ .

أما « مجموعة الخمسين » التي تشكلت بعد ذلك ، فقد وضعت مخططات أخرى للانتقام من جميع الألمان دون تمييز ، وكان بين هذه المخططات واحدٌ يهدف إلى حرق عدة مدن ألمانية ، وآخر يهدف لتسميم أهالي برلين وأهالي مدينة ميونيخ (مهد النازية) ، وكذلك مدن نورنبرغ وهمبورغ وفرانكفورت عن طريق مياه الشرب ، لكن صعوبة تنفيذها ، جعلت « مجموعة الخمسين » تعدل عنها ، وتكتفي بتنفيذ خطة لتسميم مدينة نورنبرغ ، التي شهدت انتصار النازية ، ويروي أحد الذين أشرفوا على وضع هذه الخطة ، تفاصيل تنفيذ العملية :

« دخل عدد من رجالنا كموظفين وفنيين في شركات المياه ، ودرسوا نظام توزيع المياه ، ثم وضعوا خطة دقيقة ، تقضي بقطع المياه ، عند ساعة التنفيذ ، عن الاماكن والاحياء التي تضم قوات الحلفاء والسكان غير الألمان ، ولكن .. شاءت الأقدار أن تفشل الخطة ، وأن تنجو نورنبرغ من هذه المؤامرة ، إذ باع اليهود بعضهم بعضا ، وقبض على عدة أشخاص ، لكننا لم نأسف أبدا على وضع هذه الخطة » .

لكن « مجموعة الخمسين » ، قامت بتنفيذ أعمال انتقامية أخرى على صعيد فردى ، منها قتل احد الألمان أثناء احتفاله بزواجه : « تقدمنا ببطء ، حاملين رشاشاتنا وسط المدعوين الذين أصيبوا بدهشة شديدة جعلتهم يكتمون أنفاسهم .. ووقفنا أمام العريس الذى أخذ يرتعد من شدة الخوف ، أما العروس فقد رمت بنفسها على أقدامنا ، وأخذت تتوسل إلينا أن نعفو عن ذلك النازي ، ولو لمدة شهر واحد ، لكننا .. رفعنا رشاشاتنا وصوبناها نحوه ، وقتلناه ! » وقبل حوالى ربع قرن ، اختفى في وارسو عاصمة بولندا ، بوغادان بياسيكي (١٧ سنة) ، وهو نجل بوليسلاف بياسيكي ، مؤسس منظمة (باكس) الكاثوليكية المؤيدة للحكومة البولندية ، وبعد بحث استمر عدة أشهر ، عثر على جثة الشاب بوغادان مدفونة داخل جدار ، وتبيّن فيما بعد أن الصهيونية تقف وراء هذه الجريمة ، وكانت آخر مرة شوهد فيها الشاب ، عندما استقل سيارة تاكسي من مدرسة « أوغستين » للاهوت التى كان أحد تلاميذتها ، ثم اختفت آثاره تماماً ، وظلت قضية اختفائه محاطة بالغموض ، إلى أن كُشف النقاب في وارسو ، عن أن الشاب بوغادان ذهب ضحية مؤامرة حاكتها الاستخبارات الاسرائيلية بالتعاون مع يهود بولندا ، للقضاء على بوغادان ، انتقاماً من والده الزعيم الكاثوليكي ، بسبب ما ينسبه إليه الصهاينة من تعاونه مع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ، واضطهاده لليهود ، وكان الخيط الأول الذي قاد إلى اكتشاف هذه الجريمة ، معلومات أدلى بها سائق بولندي يهودي ، اعترف فيها أنه هو الذي نقل الشاب المغدور بسيارته من مدرسة اللاهوت ، ثم ما لبثت خيوط المؤامرة أن تجمّعت بعد ذلك ، ليتضح أنّ اختطاف ومقتل بوغادان بياسيكي ، كان عبارة عن مؤامرة صهيونية ، كما اتضح أن الرأس المدبّر لهذه الجريمة ، هو الدكتور سيمون ويسنتال رئيس ما يعرف باسم « مركز التوثيق » في فيينا ، وهو مركز تابع لجهاز الموساد الاسرائيلي ، ومهمته الرئيسية هي مطاردة النازيين الالمان والقضاء عليهم .

مؤامرة أخرى : « ليون ديغرل » ، كان من قادة الحركة القومية الاشتراكية في بلجيكا قبل الحرب العالمية الثانية ، اتهمه الصهيونيون بالتشيّع للنازية ، وقد اختفى ديغرل في شباط (فبراير) ١٩٧٠ في اسبانيا حيث كان لاجئاً سياسيا . وكان قد تعرض لمحاولة اختطاف قبل ذلك في عام ١٩٥٣ ، وروى ظروف تلك المحاولة فقال : « في عام ١٩٥٣ كنت في مدريد ، حين أقبل عليّ عدد من الضباط وأبلغونى أن هناك خطة مدبرة ضدي ، وقد يتم اختطافي بين ساعة وأخرى ، ثم أقاموا خمسة رجال على حراستي ، وقيل لي أن اخبار الاختطاف جاءتهم من ألمانيا ، وهي تقول ان الاستخبارات الاسرائيلية تتعقبني .. وكانت الخطة مدبرة بشكل محكم ، فقد علم هوريازيمان رئيس المجلس الوطنى الرومانى الأسبق ، وهو صديق لي ، وعلى اتصال وثيق بالأمريكيين في ألمانيا ، أنّ ثمة محاولة لاختطافي ، فأبلغ المسؤولين في مدريد .. ومضت أيامٌ ثمانية بعد ذلك ، تلقيت بعدها رسالة من كاتب سويسرى يُدعى فرانسوا غينو ، روى لي فيها تفاصيل غريبة ، وكان مما قاله لقد تناولت طعام العشاء في مطعم بمدينة لوزان السويسرية ، وكان يجلس بالقرب منى رجل يهودي ، أخذ يشرح لشخص آخر كان معه ، كيف سيقوم غدا باختطافك ، وقد تبين أن هذا الرجل يُدعى زواي البوبي ، وبعد يومين كانت سيارة « لنكولن » فخمة ، تقف عند الحدود الاسبانية ، وقد ترجّل منها احدهم ، وقدم جواز سفره ، فإذا به نفس الشخص اليهودي المذكور آنفاً ، فاعتُقل مع آخرين ، وفتّشت سيارته ، فاذا بسبعة مسدسات كانت مخبأة فيها ، إضافة إلى صندوق خشبي كبير يشبه النعش إلى حدّ كبير ، كما عثر داخل الصندوق على معدات للتخدير ، كانت مهيأة لكي تُحقن في جسدي ، تمهيدا لنقلي مخدّراً داخل الصندوق إلى اسرائيل ، وعلم رجال الشرطة الاسبان ، أن كمية وفيرة من النقود كانت ستدفع إلى عملاء في أسبانيا ، كما كشفت التحقيقات مع المعتقلين ، عن أن باخرة كانت تنتظر الصندوق في مدينة برشلونه لنقلي إلى اسرائيل ، أما سبب اهتمام الاستخبارات الاسرائيلية باختطافي ، فلأنني على علاقات طيبة مع زوجة الزعيم النازي غورنغ وابنتها ، ونحن الثلاثة الوحيدون الذين يعرفون ما إذا كان الزعيم النازي « مارتن بورمان » ما يزال حيّاً يرزق أو ميتاً ، واسرائيل تبحث عن بورمان بكل السبل ، ويهمها أن تتقصى أخباره مهما كلفها ذلك من جهود » . وكان آيخمان قد أفاد قبل اعدامه ، أنّ بورمان حيّ يُرزق ، كما أفاد هنريش لينو ، أنه رأى بورمان في أحد القطارات بتاريخ ١٩٤٥/٦/٢٦ بألمانيا ، لكنه هرب من وجهه لئلا ينكشف أمره .

أما الدكتور جوزيف منجل طبيب معسكر أوشويتز ، فقد أشيع أنه أختطف ونقل إلى الكيان الصهيونى ، لكن قضية الدكتور منجل أثيرت قبل شهرين مجدداً ، وقيل إنه مات في البرازيل مؤخرا .

ونشرت صحيفة « جويش كرونيكل » بتاريخ ١٩٦٠/٩/٢٣ ، قصة مطاردة رجال الاستخبارات الاسرائيلية للنازي الألماني « فرانز راد يماشر » ، الذي عمل عام ١٩٤٣ ، في القسم الخاص لشؤون اليهود بحكومة هتلر ، والذي ادعت الصحيفة الصهيونية ، أنه ساعد على قتل ٢٠٠ ألف يهودي في معسكر أوشويتز ، وقد حكم على راديماشر بالسجن لمدة ٤١ عاما ، إلا أنه استطاع الهرب من سجنه بألمانيا إلى الأرجنتين كما يعتقد ، وما تزال

اسرائيل حتى اليوم مشغولة في البحث عنه .

أما قضية أدولف آيخمان ، فقد كشف الرئيس الأسبق لجهاز « الموساد » الاسرائيلي « اسير هاريل » ، النقاب بتاريخ ١٩٨٢/١/٢٠ ، عن زوايا جديدة في هذه القضية ، حيث قال ان « فرنز باور » المدعي العام لمقاطعة هيس بألمانيا الغربية ، وبتأييد من رئيس وزراء المقاطعة « أوغست زن » ، هو الذي وضع الاسرائيليين على الطريق ، لتعقّب أثر آيخمان ، الذي يعتبره الصهيونيين أحد العقول المدبرة لما يسمى بمذابح اليهود في العهد النازي ، فقد ذكر « هاريل » في شهادته للمؤرخ والأكاديمي الفرنسي « ألان ديكو » ، في برنامجه التليفزيوني « التاريخ موضع بحث » (التليفزيون الفرنسي ـ القناة الثانية) ، أنّ المدعي العام « فرنزباور » ، كان قد تلقى رسالة مفادها أن آيخمان كان ما يزال حيّاً ، ويعيش في « بوينس ايرس » عاصمة الأرجنتين ، ويضيف رئيس « الموساد » الاسبق ، أن المدعي العام لمقاطعة « هيس » قرر آنذاك أن يرجع مباشرة في هذا الامر إلى رئيس وزراء المقاطعة ، ولما رأى الرجلان ، أنّ السلطات الارجنتينية لن تسلم قط آيخمان لاسرائيل ، وأنّ بدء اجراءات الدعوى ضده سوف تنبّهه إلى الاخطار المحدقة به ، وتجعله يجدّ في البحث عن مأوى آخر ، قررا بدلاً من ابلاغ هذا الامر غير العادي إلى شرطة وقضاء المانيا الغربية ، إبلاغ الاسرائيليين الذين كانوا وحدهم كفيلين بالقيام بعملية اختطاف آيخمان (الرئيس السابق لتشكيلات الشرطة العسكرية النازية) .

ولما نجحت عملية الاختطاف ، أعلن رئيس حكومة العدو آنذاك دافيد بن غوريون عنها على الملأ يوم ١٩٦٠/٥/٢٢ ، وقد حكم على آيخمان بالاعدام شنقاً ، ونُفّذ فيه الحكم يوم ١٩٦٢/٥/٣١ .

بيْد أنّ « بارزوهار » ، قدّم رواية أخرى ، تجاهل فيها تماماً دور المدعي العام ورئيس الوزراء بمقاطعة « هيس » الالمانية الغربية ، ومع أن بارزوهار قدم الرواية حول خطف آيخمان على لسان الجنرال « هاريل » ، إلا أنه حاول إضفاء هالة من المجد والذكاء غير العادي على الصهيونيين قال بارزوهار في روايته : في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ، أثناء إحدى جلسات محكمة نورنبرغ التي حاكمت مجرمي الحرب من النازيين ، عرف الصهيونيون دور ايخمان في قتل اليهود ، إذ استشهد أحد المتهمين النازيين ، في معرض دفاعه عن نفسه ، بعبارة للزعيم النازي « غورنغ » قال فيها « إن آيخمان هو الخنزير الكبير المسؤول عن عمليات قتل اليهود » .

وسرعان ما بدأت فرقة صهيونية بالبحث عن آيخمان ، وبعد عدة اسابيع ، اعتقد « المنتقمون » ، أنهم عثروا على الرجل ـ ضالّتهم في منزل ريفيّ صغير بقرية تقع بالقرب من مدينة سولزبورغ ، وسألوا أهالي القرية عن ذلك المنزل ، فعلموا أن أربعة رجال يقيمون في المنزل الذي يحرسه ثلاثة كلاب ، وتوجه خمسة من « المنتقمين اليهود » نحو المنزل ، وقد تراءى لهم أن آيخمان كان فيه بالتأكيد ، واتجه أحدهم نحو الغابة المحيطة بالمنزل ، ونبح ، فهجمت الكلاب عليه ، لكنه سمّمها بقطعة من اللحم ، ثم هجم الخمسة على آيخمان ، وضربوه بمسدس على رأسه ، وحملوه إلى سيارتهم ، وابتعدوا به إلى مكان ناءٍ ومنعزل ، وبعدما أنزلوه من السيارة ، قال له « روفن » رئيس الفرقة الصهيونية : « نحن يهود يا آيخمان ، وسنصفّي حسابك الآن » لكن الرجل ضحك بسخرية وقال : « لا تستطيعون الاساءة إليّ مطلقا ... » ، وقبل أن يتابع كلامه ، قتله أحد الصهاينة بمدفع رشاش ، ثم نزع خبيرٌ أسنان الرجل وفحصها ، فإذا بها كما قال « اسنان آيخمان .. » وبقي الاعتقاد سائداً بان آيخمان قد مات وانتهى ، حتى عام ١٩٥٩ ، حيث اجتمع « ايسر هاريل » بدافيد بن غوريون ، وابلغه بتوفّر معلومات لديه عن أنّ آيخمان ما يزال حياً يُرزق ، وانه يعيش في الارجنتين ، فردّ عليه بن غوريون : « أريده حياً أو ميتاً ، ولكنني أفضّله حيّاً .. هذا مهم جداً » . وبدأت مطاردة آيخمان ، ويروى « هاريل » أن آيخمان كان قد تنكّر تحت اسم ريكاردو كليمنت ويعمل في مصنع لسيارات مرسيدس في بوينس آيرس ، فقام رجال « الموساد » باستئجار منزل مقابل لمنزل آيخمان ، وبدأوا يصورون تحركاته ويرصدون جميع خطواته ، ويرسلون الصور إلى اسرائيل ، وفي شباط (فبراير) ١٩٦٠ ، انتقل آيخمان مع زوجته وأولاده الثلاثة إلى منزل آخر ، وانتقل معه رجال الموساد بآلاتهم التصويرية ، وفي ٢١ آذار (مارس) ١٩٦٠ ، لاحظوا أن آيخمان اشترى باقة من الزهور قبل أن يتوجه إلى منزله ، وبعد البحث في ملفّ آيخمان ، إتضح أنه تزوج في ٢٩ آذار (مارس) ١٩٣٥ ، وإذن فقد كانت الباقة لمناسبة ذكرى مرور ٢٥ سنة على زواجه ، وهكذا تأكد هاريل من شخصية آيخمان ، وجاءت الفرصة في ايار (مايو) ١٩٦٠ ، حيث كانت الارجنتين ستحتفل بمرور ١٥٠ عاماً على استقلالها ، وكان من المنتظر وصول وفد اسرائيلي برئاسة أبا إيبان إلى هناك ، وقد اعلنت الحكومة الاسرائيلية وشركة « العال » للطيران ، انهما ستحتفلان بهذه المناسبة ، بتدشين خط جوى بين اسرائيل والأرجنتين ، وتقرر أن تكون الطائرة الخاصة التى ستقل أبا ايبان والوفد المرافق ، هي التي ستعود بآيخمان إلى « اسرائيل » ..

يقول « هاريل » : « عندما وصلت إلى بوينس آيرس لمتابعة العملية عن كثب ، أثار وصولي تساؤل السلطات الارجنتينية ، لكني اقنعتهم بانني هنا لكي أؤمّن زيارة أبا ايبان ، وفي ١١ أيار (مايو) خطفنا آيخمان ، وبقي حتى ٢٠ من الشهر نفسه في منزل أحد اثرياء اليهود بالارجنتين ، وفي هذا التاريخ وصلت الطائرة التي كانت تُقلّ الوفد الاسرائيلي ، وقد عادت في الليلة نفسها إلى تل ابيب ، وعلى متنها ادولف آيخمان ، وفي اليوم التالي ، وقف بن غوريون أمام الكنيست ، وأعلن وسط تصفيق حاد ، القبض على آيخمان ... » .

الانتقام عملية مستمرة !

ولقد استمرت عمليات الانتقام ضد النازيين الالمان ، ويقول البروفسور بارزوهار : أن عمليات انتقام فردية مختلفة قد تمّت ، وبلغ عدد ضحاياها ألفاً من الألمان ، لكنه يضيف أن الانتقام الأكبر إنما تمّ في عام ١٩٤٨ ، (١٥ آيار ـ مايو) ، بخلق « دولة اسرائيل » ، ويصف « أحد المنتقمين » ذلك بقوله : « إن أكبر وأجمل انتقام حققناه في حياتنا ، هو مولد اسرائيل » !! .. لكن الانتقام الأكبر هذا لم يكن من النازيين الالمان ، بل كان ويا للهول من عرب فلسطين الذين لا ناقة لهم ولا جمل في الصراع الدائر بين النازيتين : الصهيونية والهتلرية !! .

عصام شريح

وجــوه من الذاكــرة

قوس قزح

بقلم: سـليـمان فيــاض

دعابة ثقيلة

عرفت صاحبنا « قوس قزح » أول مرة ، وأنا أغادر مبنى الإذاعة القديم بشارع الشريفين . سألنى ، ولم أكن أعرفه معرفة تذكر ، سوى بالاسم ، كما لا أعرف عنه سوى أنه كاتب ، ولم أكن حتى تلك اللحظة ، قد قرأت له شيئا ، وأنه أحد المتواجدين في حياتنا الثقافية ، والإعلامية ، وكان شخصه ، آنئذ ، مرتبطا في ذهنى أبدا بربطة عنق لا تفارقه في صيف أو شتاء ، وبدلة يختلف دائما لون « جاكتتها » عن « سروالها » . قال :

ــ أين كنت ؟

قلت بدهشة لنوع السؤال ، ووقته :

ــ كنت فى هذا المبنى .

قال ببساطة مستفزة :

ــ من هناك ؟

أجبته ببساطة عمن كنت معهم ، أمام استوديو ١٢ ، فى ركن الجلسة الدافىء المخصص لزوار النجوم من المذيعين . وكانت بينهم فيما ذكرت ، مذيعة نجمة ، اسمها من جهة « اللقب » هو نفس اسم « لقبه » فضحك وقال بهدوء شديد :

ــ أتعرف مَن هذه ؟

قلت :

ــ لا .

فقال ببساطة بالغة ، كمن يتنفس بيسر :

ــ إنها زوجتى .

وظننت لغفلتى ، أو طيبتى ، أن زوجته قريبة له أو أنها تحمل اسم زوجها ، على الطريقة الفرنسية ، بعد اسمها . وفيما بعد ، فى اليوم الثانى ، أو العاشر ، سألت صديقا لى ، وزميلاً لها يعمل مذيعا معها ، عن « فلانة » : هل هى زوجة « فلان » ؟ فضحك ، وقال :

ــ من قال لك ذلك ؟

فقلت له :

ــ هو .

فقال لى :

ــ كيف ، وهى زوجة زميلنا « فلان » .. المذيع معنا .

ووجمت ، ففلان هذا أعرفه ، كما أعرفها . وفكرت أن صاحبنا « قوس قزح » كان يهزل ، أو ربما كان يعطى نفسه حجما ، ونفوذا ما ، فى عينىّ لسر لا أعلمه ، ولم أعلمه قط حتى الآن .

استعــــارة

ذهبت لزيارة أستاذ جامعى ، ناقد ، أو بالأحرى مؤرخ نقد ، وواحد من قلة قليلة فى بلادنا ، تحسن دراستها للأدب المقارن ، كان الاستاذ صديقا بقدر ما تكون الصداقة بين أستاذ وتلميذه . قيل لى إنه معتكف ، وقيل لى إنه مريض ، وكنا فى فصل الشتاء . سألنى عن « قوس قزح » وأنا أعوده :

ــ أتعرفه

قلت :

ــ أجل .

وأردفت بدهشة ، وتخوف ، لا أدري سببه :

ــ هل وصل إليك ؟

توقعت فى نفس اللحظة ، أن يكون قد ألحق به أذى ما ، لا أدرى : لم ؟ . قال لى الأستاذ الصديق :

ــ أجل ، لم أكن أعرفه من قبل ، حتى تلفن لى ، وطلب مقابلتى ، فحددت له موعدا وجاء .

وكأن سؤالى قد رابه . فقال لى :

ــ أليس هو معيدا بقسم اللغة الفرنسية . بكلية الآداب ؟

ضحكت ، وقلت :

ــ هل قال لك ؟

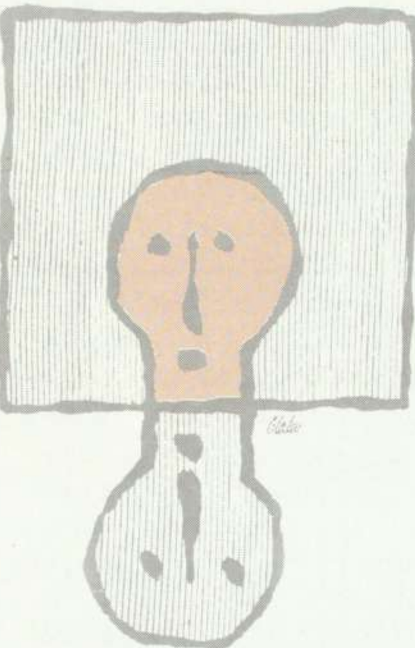
فشحب وجهه قليلا ، وقال ، كأنه شعر بأنه قد وقع فى فخ :

ــ لكنه قدم لى بطاقة ، عليها اسمه ، وتحت اسمه : معيد بقسم اللغة الفرنسية ، بكلية ... ، جامعة ...

قلت مقاطعا :

ــ لا صلة له يا أستاذنا بأى قسم ، ولا بأى كلية ، ولا بأى جامعة .. حتى الآن . وجم الأستاذ الجامعى الصديق ، وتمتم :

ــ قال لى إنه يعد رسالتيه الماجستير ، والدكتوراه عن الأدب المقارن . وطلب عونى ، وقال إنه سيستشيرنى كلما واجه مشكلة فى رسالة ، فهو لا يثق بأساتذة القسم ، ولا بالمشرف عليه ، بقدر ثقته بشخصى وعلمى . تصور .



قلت بتخوف :
– هل أعطيته كتباً ؟
قال للفور :
– صفوة ما عندى من كتب ، حتى الكشاكيل التى كنت أدون فيها ملاحظاتى وتعليقاتى ، وأنا فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، لا أستطيع أن أغادرها .. طول ست سنوات . أعطيتها له .
قلت :
– كم مضى على أخذه للكتب والكشاكيل ؟
فقال . وهو يجهد للتذكر :
– عامان أو أكثر .
قلت بيأس من أية قدرة على معاونته فى استرداد كتبه ودفاتره :
– لن يعيدها إليك . استعوض الله فيها . ولا أعرف حتى الآن إن كان قد أعادها إليه ، أو طلبها الصديق الاستاذ منه . لكننى أكاد أجزم أن كلا الاثنين لم يحاول شيئا نحو الآخر ، وربما لم ير أحدهما وجه صاحبه .

فيما بعد ، عرفت أن هذه الاستعارة ، غير المردودة ، كانت فى حينها . فصاحبنا « قوس قزح » يحسن الاستفادة من الكتب ، والملاحظات ، والتعليقات . فيما يكتبه من كتب ، ومقالات ، بالقص ، واللصق ، والمونتاج ، وحسن الصوغ لأفكار الغير ، بطريقة يحسن إخفاءها ، عن أى معرفة لنسبتها ومصدرها .

وصديقنا الأستاذ الجامعى ، مرض بذات الكبد ، مرضا طويلا ، وودع الدنيا ، وما بقى عنده من كتب ، بل ودفاتر ، ورسائل جامعية للطلاب الذين كان يشرف عليهم ، بيعت من بعده ، بأرخص الأثمان ، على الأرصفة مع باعة الصحف ، وأسوار الكتب الشعبية ، ومكتبات الكتب القديمة ، فحدثت نفسى : هل كان صاحبنا « قوس قزح » على صواب ، حين أخذ ما أخذه من كتب ؟!

زيـــــارة

زارنى صديقنا الكاتب ، المغترب الأبدى ، وقال لى ؟! إن صاحبنا « قوس قزح » مريض ، وأجريت له عملية جراحية ، لا أذكر إن كانت زائدة دودية ، أو بواسير . وإنه ذاهب لزيارته وجاء ليصحبنى معه . فصحبته إلى بيته .



دخلنا غرفة مكتبه ، وطلب منا الانتظار ، فصاحبنا « قوس قزح » بالحمام ، فأدركت أنه الآن بخير . وفى فترة الانتظار التى طالت ، جيء لنا بالشاى . ولما كانت الكتب ليست أسرارا خاصة ، وكانت الأوراق المكتوبة من الأسرار الخاصة ، حتى تنشر ، أو يطلعك كاتبها عليها ، قبل نشرها ، فقد تجافيت عن أوراقه على المكتب ، ورحت أقلب فى الكتب الموضوعة على مكتبه . كانت كلها كتباً نقدية ، ضخمة الحجم ، وصدرت خارج القاهرة ، وبعضها كان مترجما هذه الترجمات المتعجلة ، غير الأمينة ، التى تصدر فى العاصمة « الترانزيت » . وكانت بين صفحات الكتب ، بين بعض الفصول ، أو صفحات بالفصول ، قصاصات أوراق مستطيلة . ولفتت نظرى خطوط طولية ، مقوسة على فقرات بعينها قد تستغرق صفحات ، وقد كتب صاحبنا « قوس قزح » بجانبها بالقلم الرصاص أيضا : « تنفع فى فصل كذا ، بكتاب كذا » ، وهكذا كانت كل الكتب ، بجانب كل الخطوط ، فى عديد من الكتب والصفحات . أطلعت صديقنا الكاتب ، المغترب الأبدى ، عليها . وقلت ، فيبدو أننى ولدت مسحوبا من لسانى :

–أرأيت . صاحبنا يكتب بطريقة القص ، واللصق . وأشك أنه يسطو ، ويحسن الصياغة ، وفن الإخفاء .

فلم يعلق صديقنا الكاتب ، المغترب الأبدى ، بشيء . وفكرت أن كلاهما ينتمى إلى الآخر ، ذلك الانتماء الذى يوقع فى الانحياز ، والتعصب الذى يُحسن كلاهما إخفاءه .

وجاء صاحبنا « قوس قزح » مستحما ، ضاحكا ، متورد الوجه كعادته ، وقلت له ضاحكا ، بعد السؤال عن الصحة :

– كنا ننم عليك .

وأريته ما رأيته ، وأعدت عليه ما قلته . فضحك ، ولم أشعر أن ضحكه مراعاة لكرم الضيافة ، وقال :

– ياسيدى . (بمعنى : لا شيء يهم ، أو : لا تأخذ فى بالك ، أو ..)

بوتيـــك

فى سنوات الهجرة الكبرى لأصحاب الأقلام بأقلامهم ، أو بأقلامهم وأبدانهم معا ، إلى الاقطار الشقيقة ، والأجنبية ، مع أصحاب الحرف والمهن من الزراع والصناع ، هاجر صاحبنا « قوس قزح » بقلمه وشخصه إلى عاصمة عربية ، من هذه العواصم « الترانزيت » و « البوتيك » الكبير لكل شيء : الفكر والمادة معا ، الذى تصب فيه كل الروافد . وبين حين وآخر ، كنا نقرأ له ، مقالات وكتبا ، كانت شجاعتها تثير العجب ، والخوف ، لو أنها صدرت له وهو فى القاهرة . كان صداها يمكن أن يكون عندئذ أكبر ، حتى لدى السلطة التى كانت تسير آنذاك فى شجْب عهد مضى ، بين المثقفين والسياسيين وغيرهم ، لكن الوافد من كتب صاحبنا « قوس قزح » وصحفه كان قليلا ومحدودا ، لا يثير ردود فعل داخلية تذكر .

وللدهشة ، فوجئنا بصاحبنا « قوس قزح » ، يعلن عن إصدار مجلة فكرية « نارية » ، ويَبْلُغنا أنه كتب لهذا ، أو لذاك ، يطلب منه التعاون معه بالمقالات فى تحرير المجلة ، وأنه سيدفع أجرا جزيلا . وزاد فى

وجـــوه من الذاكـرة

قوس قزح

دهشتنا أننا لا نعرف أية دار نشر ستصدر عنها هذه المجلة الفكرية «النارية»، أو من سيمّولها، فصاحبنا «قوس قزح» فيما نعرف، يعيش بالكاد من قلمه، وربما بسبب ذلك كانت هجرته بشخصه وقلمه معا.

وصدر من المجلة الفكرية «النارية» عددان، رفيعا التحرير، والطباعة، والمادة، والمستوى، وعلى غير انتظار توقف صدور المجلة الناجحة، لسبب لا نعلمه. وجاءتنا الأخبار بأن صاحبنا «قوس قزح»، ارتحل إلى مدينة النور، وقيل لنا (والعهدة على الرواة من مروجي الاشاعات): إن صاحبنا «قوس قزح»، قد أخذ عشرين ألف (كذا) من عاصمة عربية، زاعما لها أن المجلة الفكرية «النارية» مجلتها، وأخذ عشرين ألف (كذا) أخرى، من عاصمة عربية ثانية، زاعما لها أن المجلة الفكرية «النارية» مجلتها. وخلال ذلك أصدر العددين بما تيسّر من تكلفة، وحمل بقية المبلغين معه، وارتحل إلى عاصمة النور، والأمل!!

منــــازع كاتب

كم سنة مرت، وصار صاحبنا «قوس قزح»، مشرفا على صفحات أدبية، أحسن حقا الاشراف عليها، وتحريرها، تحرير متابعة للواقع الأدبي، والفنى، وبأقلام رفيعة المستوى. لكن صاحبنا «قوس قزح» سقط من عينى فجأة، إذ كتب مقالا، من هذه المقالات التى ترصد حصاد الواقع الثقافى لعام مضى، فلم يتوقف إلا عند عطاء الكبار (دون غيرهم من الموهوبين)، وعند عطاء اثنين ينتميان إليه، وينتمى إليهما. وجاء المقال مثيرا للامتعاض، والشعور بعدم الحياد، والأمانة. ولم يغفر له ذلك فى نفسى قط، بالنسبة إلى نفسى، وإلى غيرى، من جيلى، ومن الأجيال الصاعدة. ولم تشفع له عندى تحيته النقدية لأول مجموعة قصصية صدرت لى، وإطراؤه لحوارها، واستثمارها للأسطورة، وعدّى واحدا من بضعة كتاب يعدون على أصابع اليدين، باخت فى داخلى تحيته، وأيقنت أنه يسير فى طريق آخر، تحدوه المجاملة والتقرب، أو يدفعه الانحياز الانتمائى إليهما.

فى تلك الأثناء، راح صاحبنا «قوس قزح» يصدر كتبا عن كبار الكتاب، متخطيا مسؤليته الأولى عن جيله، والأجيال التالية، ومهتدياً بالحكمة القائلة «من ليس معه يؤخذ منه، ومن معه يعطى ويزاد». كان حريصا، مثل كثيرين غيره من كتاب جيله المشتغلين بالنقد، على دعم أواصره للعمل الوظيفى، وللتواجد المهنى، بنجوم ورواد، حتى بعد موت أحدهم، من أعمدة الأدب وعمدها.

انتهز فرصة موته، ونشر حديثا، أو محاورة مطولة، معه، قال انها تمت معه قبل موته، فى مرضه الأخير، وكنا نعرف، أنه معزول، فى مرضه هذا، عن كافة الخلق، إلا من أهله، وأنه، على ضيق ذهنه، يعانى من تتابع القول، والجهد المبذول للقول.

وثارت الأوساط الثقافية ولم تقعد.

وانكفأت على قراءة الحديث المحاورة، علّى أن أرى جديدا فيه، يقوله عمدة الأدب الراحل، وخرجت بانطباع واحد، لا رادّله فى نفسى، بغض النظر عن كل ما قاله أو كتبه غيرى آنذاك، أن هذا الحديث المحاورة «مفبرك» من ألفه إلى يائه. فالمقولات، على لسان عمدة الأدب، فى الحديث المحاورة، هى نفسها التى قرأتها له فى كتبه من قبل. فقط، الاختيار موفق، والصياغة ماهرة وقديرة وماكرة، لم أجد الشجاعة، آنئذ، أو ربما الدافع، لأقول رأيى، فى حديث محاورة، اختلقه، فيما أعتقد كاتب مهاجر بالقلم وبالبدن، ينتمى إلى بلدى، وانتمى إليه، وينتمى إلى انتماء الوطن.

زوبعة .. فى فنجان

هبت على القاهرة، عاصفة أخرى، من عواصف صاحبنا «قوس قزح»، البشوش الوجه، الواسع العينين، الذى لم أره ثائرا أبدا، ولا غاضبا مرة.

تناقل النمامون والمغتابون، من رواة الإشاعات (والعهدة على الرواة) خبر انقضاض صاحبنا «قوس قزح»، على مطار عاصمة عربية، فألقى القبض عليه، والعهدة على الرواة، لأنه سبق أن وجع هذه العاصمة، فى مال أخذه لمجلته الفكرية «النارية»، و(العهدة على الرواة)، فطلب مقابلة سياسي كبير، (والعهدة على الرواة) لأنه جاء على عجل لمقابلته (والعهدة على الرواة)، فأذن له بالمقابلة إثر مكالمة تليفونية، (والعهدة على الرواة)، وجلس صاحبنا «قوس قزح» إلى السياسي الكبير (والعهدة على الرواة)، وفاجأه بأنه قرأ نظريته عن الكون والانسان والحياة (والعهدة على الرواة)، وآمن بكل ما فيها (والعهدة على الرواة)، ففاجأه السياسي الكبير بأن طلب منه أن يعلن ذلك على الملأ كافة (والعهدة على الرواة)، واتصل السياسي الكبير بتليفزيون بلاده، وحجز له ساعة على الشاشة الصغيرة، يقول فيها رأيه الذى آمن به فى نظريته الكونية هذه (والعهدة على الرواة)، ولم يجد صاحبنا «قوس قزح» مفرا من الذهاب إلى التليفزيون، والتحدث فيه ساعة عن نظرية السياسي الجديدة البكر (والعهدة على الرواة)، ويعلن صاحبنا «قوس قزح» فيما يعلن عن تغييره لانتمائه (والعهدة على الرواة)، ويعود إلى السياسي الكبير فيعطيه (والرقم مبالغ فيه فيما أرى) ربع مليون مرة واحدة (والعهدة على الرواة) لكى «يبشر» بانتمائه الجديد فى بلاد الخواجات، بهذه الفلوسات، (والعهدة على الرواة) وتعس كل الرواة!!

ويعود صاحبنا «قوس قزح» إلى القاهرة، وأسأله عن كل ما قاله الرواة فى غيبته (نما وحقدا)، فيضحك، ويقول فقط:

ــ وأنت .. هل تصدق؟

ولكم أود إلى الآن، أن أعرف: هل أصدق فأصدق؟ أم هل أكذب فأصدق أيضا؟!

والحق أقول لكم اننى حيال صاحبنا «قوس قزح» أخشى أن أظهر إعجابى به، فيسخر منى الرواة، أو ضيقى به، فأفقده، وهو ما سوف يحدث إثر قراءتكم عن هذا الوجه.

كلما تذكرته، تذكرت ما أعرفه عن ألوان «قوس قزح» فى واد ضيق كالأخدود، بين قمتى جبل، من قمم جبال السلط بالأردن، فى يوم شتوى، ضاحى الشمس، لبخره ندى، ألوان تثير الانبهار والخوف، والاعجاب والرعدة، تسرى جميعا فى منابت الشعر.

سليمان فيــاض

تعقيب على حديث الدكتور هيكل

لقاء الكُتَّاب العرب

بقلم : عباس خضر

قرأت الحديث الممتع المستفيض الذى أدلى به الصديق الكريم الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة المصرية الى السيدة « سارة » التى أحسنت عرض الحديث وشققت أمام الوزير نواحى الثقافة المختلفة فى مصر ذات الاشعاعات الممتدة الى سائر الوطن العربى ، ففجرت ينابيع الأديب المثقف حتى أتى بما عهدناه فيه من فيض غزير.

أفضى الدكتور هيكل بما فعله كوزير وما يزمع أن يفعله لهز شجرة الثقافة حتى تؤتى أكلها .

شيء واحد استوقفنى من بين حديثه ، وهو قوله جوابا على سؤال « سارة » : هل تنوى الوزارة متابعة وتطوير المؤتمرات العربية الثقافية التى تدور على محاور منها الاتصال بالكتاب فى العالم العربى وتطوير العلاقات مع العالم العربى ؟ قال :

« أقول لك بصراحة شديدة : ان المقاطعة العربية الرسمية غير المبررة وغير المفهومة لدى رجل الشارع فى مصر تقف حائلا دون عقد مثل هذه التجمعات التى اذا تمت فستكون لونا من التحايل على واقع مرير ، ومحاولة الدخول من طريق خلفى . أنا أتعجب مع رجل الشارع من هذه المقاطعة . فالحديث يدور حول مصر الأم ودرع الأمة العربية وضرورة عودتها ، ثم لاعودة ولا خطوة إيجابية نحو هذا » .

لا يادكتور هيكل ، ليس هذا ماجرينا عليه ونشأنا فيه منذ عهد « الرسالة » التى كنا نجول فيها ونصول لا نعبأ برسميات ولا بدسائس الاستعمار الذى كانت جيوشه لاتزال فى معظم البلاد العربية ، فلا تعبأ بشيء من ذلك ، بل تستمر وتجد فى سيرها نحو الأهداف المشتركة ، وكانت بذلك ملتقى الأفكار العربية والأقلام العربية الحرة ، وقد برزت فيها كتابات ساطع الحصرى الداعية الى القومية العربية . كان كتاب العرب يجتمعون فيها بأقلامهم وبأشخاصهم أحيانا ، لايعبأون بأى حاجز مهما كان ، وكان فى ادارة الرسالة غرفة مؤثثة مفروشة لبعض اللاجئين العرب الفارين من بطش الطغاة فى بلادهم .

وقد تمثلت بذلك وحدة ثقافية عربية استمدت غذاءها من الجذور الأولى وامتدت فروعها مورقة الى يومنا هذا لاتستطيع أية رسميات ممزقة أن تنال منها . وحيا الله مجلتنا هذه « الدوحة » وزميلتها « العربى » الكويتية ، فانهما تؤديان رسالة « الرسالة » الخالدة مع تطوير مناسب للزمان المتجدد ، وهذه الرسالة تيار قوى يسرى فى عروق الأمة العربية لا يمكن أن يقف فى طريقه شيء مهما اختلف الحكام ومهما لعبت السياسة ألاعيبها المجوجة .

وأنا لم أقتنع بأن لقاءات الكتاب العرب وتجمعاتهم تؤول بأنها لون من التحايل على واقع مرير ومحاولة للوصول من طريق خلفى .. كيف يكون ذلك ؟ ولنفرض أنها كذلك فماذا فى أن يتحايل الأخ للوصول الى أخيه ؟ ولنفرض أنه أفلت من أحد كلام ، أليس من الممكن أن يدفع بالتى هى أحسن ويجرى الحوار للتصحيح وتقويم مافى النفوس من اعوجاج ؟

ان مجرد اجتماع الأدباء وتعارفهم وتبادل الآراء والأفكار والتعبير عن الهموم والأمانى هو فى ذاته كسب كبير . لقد جربنا ذلك فعلا فى لقاءات مؤتمرات الأدباء العرب ومهرجانات الشعر التى كان يقودنا اليها طيب الذكر المرحوم يوسف السباعى وهو سكرتير عام للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وهو وزير للثقافة ، كان يقودنا اليها شرقا وغربا ويدعو اليها أدباء العرب مشارقة ومغاربة ، وكان الواحد منهم يحمل بعض مؤلفاته ويهديها الى الآخرين . وبهذا كان يتم التعارف والتجاوب الأدبى ويتصل ما كان من قبل مقطوعا . أذكر أن كنا فى أحد هذه المؤتمرات ببغداد ، وعند الانصراف والمغادرة شرع موظفو الطيران يزنون مانحمل من كتب ويحسبون ، فكان حسابهم عسيرا من الناحية المالية ، فشكا الجمع من ذلك ، فصدر الأمر بالاعفاء ، فكان لذلك وقع حسن وأثر كبير .

ان تجمعات الأدباء فى أى بلد عربى تقضى على كثير من الحساسيات والإشكاليات مثل التى تحدث عنها الدكتور جابر الأنصارى فى مقاله بالدوحة (عدد ١٢٢) بعنوان « الحساسية المغربية والثقافة المشرقية » ولولا دعوات المغرب لكتاب المشرق وذهاب هؤلاء الى لقاء اخوانهم فى الغرب ماظفرنا بهذه الكتابات فى « الدوحة » وغيرها عن الحياة الأدبية والفنية فى تلك البلاد الشقيقة .

لقد كنا نشكو من الحواجز التى يصنعها الاستعمار ومحاولة التفريق بين الاخوة ، ونجاهد لتخطى هذه الحواجز ، فما بالنا اليوم وقد تحررنا من الاستعمار نتقاعس ونتخاذل أمام عقبات هى مع الأسف من صنع بعض أهلينا .. ؟

أما مسألة الإنفاق على لقاءات الكتاب فيمكن تدبيرها بأية وسيلة . فى مصر مثلا يُستجلب لاعبو (التنس) ومدربو الكرة الأجانب وتغدق عليهم آلاف الدولارات .. أليست الثقافة أولى بذلك ؟ أولا يمكن أن نلعب بدون الخواجات والدولارات ؟

لابد أن وزير الثقافة يعاني ويجاهد ليأتى للثقافة بالمال ، كان طه حسين يقول وهو وزير المعارف : علىّ أن أعلّم وعلى وزير المالية أن يدبر المال .

قد يكون كلام الدكتور أحمد هيكل ذاك من أثر هذه المعاناة والمجاهدة ولايدل على اقتناع حقيقى .. أنا أعلم علم اليقين أن النزعة العربية والرغبة فى لقاء الإخوة الأدباء من سائر الوطن العربى ــ كامنة فى أعماقه ، والدليل على ذلك مابدر منه وهو يتحدث فى هذا الموضوع إذ قال : « أنا لا أرفض اللقاء بالكتاب العرب لأنهم قومى وأهلى » وإن أردف ذلك بقوله : « ولكنى لا أفضل عقد مثل تلك اللقاءات فى مثل هذا المناخ غير الصحى » وهذه معاناة أخرى ، كان الله فى عونه .

ان لقاء الكتاب العرب يجب أن يكون فى كل مناخ ، بل ان اللقاء نفسه يصحح غير الصحى .

وفقك الله يادكتور أحمد ومنحك القدرة على مواجهة مشكلات الثقافة والذود عنها ، لا فى داخل وزارة الثقافة فحسب ، بل كذلك فى خارجها .. والله المستعان .



بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

حمداً لله...

في زيارتي الأخيرة لعاصمة بلادنا التقيت في الشارع بصديقي الدكتور عبدالرحمن. قال لي بعد أن تبادلنا التحية:

ـ لم أرك منذ شهور... منذ استمعت الى محاضرتك التي جعلت عنوانها «صدّق أو لاتصدّق». لاأريد أن أطريك فأقول لك كم استمتعت بها. بعض الغرائب التي رويتها والتي دهش لها المستمعون لم تدهشني شخصيا. ولكن حكاية مظاهرة طلاب طوكيو التي شهدتها أنت بعينك أعجبتني حقا. كانت ضربة معلم أن ختمت بها المحاضرة.

من ناحيتي فهمت لماذا أعجبت تلك الحكاية هذا الصديق. فهو قبل أن يصبح أستاذا جامعيا كان مدرسا في الثانويات، وقد عذبت وجدانه وأثارت أعصابه خلال حياته المسلكية تظاهرات الطلاب التي يغتنمون بها كل مناسبة لتعطيل الدراسة والتملص من متابعة المقرر في المناهج. والحكاية التي أشار إليها والتي ختمت بها محاضرتي حين ألقيتها منذ بضعة شهور تتلخص بأني خرجت ذات مرة من سهرة في أحد مرابع طوكيو عاصمة اليابان، وكان ذلك بعد منتصف الليل، فلاحظت أن سيارات الشرطة كانت تملأ الحي وأن أفرادا من البوليس يلبسون الخوذات ويحملون الهراوات كانوا يطاردون فلولا من الشباب ويتعقبونهم في الأزقة الجانبية المتفرعة من الجادة الكبيرة التي كنا فيها. سألت مرافقي الياباني عن أولئك الشباب وعن تجمعهم وسبب تعقب رجال الشرطة لهم فقال: هذه مظاهرة طلاب.. إنهم يتظاهرون احتجاجا على سياسة الدولة وتصرفاتها في بعض جوانب الحكم التي لم تعجبهم. قلت أنا متسائلا: مظاهرة طلاب في منتصف الليل؟ لماذا لايتظاهرون في النهار؟ فتطلع صاحبي الياباني إليّ مستغربا تساؤلي وقال: في النهار؟ كيف؟ في النهار هم في المعاهد والكليات يتابعون دراستهم، فكيف تريدهم أن يتظاهروا في ذلك الحين؟!

• • •

تابعت مع صديقي الدكتور عبدالرحمن سيرنا في الشارع من حيث لقيته وقلت له، وأنا أعني تلك المظاهرة وتعليق مرافقي الياباني:

ـ إنها واقعة بسيطة، إلا أن من أرويها لهم يعجبون منها. القضية، كما قلت في محاضرتي إذا كنت تذكر، هي في أن كثيرا من الأمور العادية عندنا تُستغرَب في بلاد أخرى، مثلما نستغرب نحن أمورا تعتبر عادية في تلك البلاد الأخرى. ألم يقل باسكال: حقيقة مادون البيرينه خطأ ماوراءها؟ لاتزال في بالي وقائع كثيرة من هذا القبيل مما مرّ بي في زيارتي لليابان، وغير اليابان من مدن الشرق الأقصى، على الرغم من مضي نحو خمسة عشر عاما على تلك الزيارة. وقائع على بساطتها أثارت انتباهي في حينها، وساقتني إلى أن أقارن سلوك الناس هنا وسلوكهم هناك أكثر من مرة.

قال صاحبي مستفسرا: مثلا؟

قلت: إليك مثالا واحدا. أنت تعرف كم يقدس اليابانيون امبراطورهم هيروهيتو. ولايستحل أيّ منهم، مهما كانت منزلته من السمو، أن يرفع رأسه إليه إذا حظي بمقابلته، لئلا تلتقي عيناه بعيني جلالة الامبراطور. هذا واقع يعرفه العالم كله، لذلك كان عجبي كبيرا حين عدت إلى غرفتي في فندقي في طوكيو ذات مساء وأدرت زر التلفزيون فشاهدت ماشاهدته من صور مذلة لذلك الامبراطور يعرضها التلفزيون الرسمي على المشاهدين في كل أنحاء بلاده.

سألني الدكتور عبد الرحمن: صور مذلة للامبراطور؟

قلت: نعم. في الوقت الذى زرت أنا فيه طوكيو كان الامبراطور وزوجته يقومان بجولة في أوروبا، زارا فيها عددا من بلدانها واستقبلا في تلك البلدان بحفاوة رسمية تليق بمقامهما الامبراطوري. كانا في اليوم الفائت قد زارا هولندا ولاحقهما في تلك الزيارة مصورو التلفزيون في كل تنقلاتهما. أن يعرض التلفزيون صور الاستقبال الرسمي كان أمرا منتظرا. ولكن غير المنتظر كان أن يعرض صور مابعد الاستقبال الرسمي. لاتنس أن اليابان في الحرب العالمية الثانية، وتحت حكم هيروهيتو نفسه، كانت احتلت المستعمرات الأوروبية في جنوب شرقي آسيا وطردت هولندا من جزر اندونيسيا. لم ينس الهولنديون هزيمتهم المريرة ولاخسارتهم الفادحة في تلك الحرب، ولاكون هيرو هيتو هو رأس الدولة التي أذلتهم وأفقرتهم، فتجمعت جماهير من سكان امستردام في طريق

● لم ينس الهولنديون هزيمتهم المريرة ولاخسارتهم الفادحة في تلك الحرب ، ولاكون "هيروهيتو" هو رأس الدولة التي أفقرتهم وأذلتهم !

موكب الامبراطور الياباني في عودته من الاستقبال وراحت تقذف سيارته بالبيض الفاسد والبندورة العفنة وتصرخ في وجهه بالهتافات المعادية والعبارات المشينة . كل ذلك كان التلفزيون الياباني يعرضه بتفاصيله على المشاهدين له في كل مكان من جزر اليابان ...

قال صاحبي كالمتعجب مما أرويه له : أما كان للمشرفين على ذلك التلفزيون أن يوفروا على امبراطورهم ، وعلى أنفسهم ، تلك المناظر المذلّة ؟ يبدو أن اليابانيين يدينون بمبدأ سقراط في قوله : افلاطون عزيز عليّ ، ولكن الحقيقة عزيزة عليّ أكثر !

نحمد الله على أن أحدا في البلاد الكثيرة التي يزورها رجالنا البارزون لايتعرض لهم بهذا الذى تعرض به الهولنديون لهيرو هيتو..

قلت أنا : ومن يقول لك هذا ؟ لعل الأصح أن نحمد الله على أن الموكلين بالاعلام عندنا ليسوا في تعلقهم بالحقيقة مثل اليابانيين . إنهم يوفرون علينا سماع ما يقال عن رجالنا البارزين ورؤية ما يقابلون به في تلك البلاد . إن لهم أذناً عن الفحشاء صماء . وعيناً عن المزعجات عمياء .

* * *

قادنا الحديث عن اليابان وامبراطورها هيرو هيتوإلى دورالأخير في استسلام بلاده في الحرب العالمية الأخيرة ، بعد سقوط القنبلتين الذريتين الأمريكيتين على هيروشيما وناغازاكي . قال الدكتور عبدالرحمن :

ــ قرأت في المدة الأخيرة شيئا عن هذا الدور فيما قرأته . قرأت أن عددا كبيرا من القادة اليابانيين ، وجماهير لاتحصى في صفوف الشعب ، كانوا يؤثرون الفناء وامحاء اليابان من الوجود على الاستسلام المهين . ولكن الامبراطور ، وهو في العادة يملك ولايحكم ، قال كلمته فتوقفت كل معارضة للاستسلام التام ، وانتهت الحرب بذلك . إلا أن ذل الهزيمة لم يكن أمرا تقبل معه الحياة عند اليابانيين صغاراً وكباراً . تجلى هذا في موجات الهاراكيرى ، وهو الانتحار على الطريقة اليابانية ، التى تلت نزول الحكومة على طلب الامريكيين الاستسلام بدون قيد أو شرط . وزير الدفاع الياباني ، واسمه الجنرال أنامي على ماأذكر ، ركع في اتجاه القصر الامبراطورى وبقر بطنه بسيفه بعد أن غرسه في خاصرته اليسرى . قبل أن ينتحر ذلك الوزير خط على قطعة ورق كلمات اعتذار عن الاساءة التي سببها بانتحاره لجلالة الامبراطور ، كما خط على ورقة ثانية مقطوعة شعر يودع بها الحياة...

قاطعت صديقي قائلا : شعر؟

قال : نعم . ليس قصيدة مطولة كالتي رثى بها مالك بن الريب نفسه بعد أن لدغته الحية ، وإنما ثلاثة أبيات من نوع الهايكو. ليس وزير الدفاع وحده الذى انتحر ، بل ان مجموعات كبيرة من الضباط انتحرت برمتها في وحداتها ، كما توجه الكثيرون من المدنيين إلى القصر الامبراطورى وفتحوا بطونهم هاراكيرى أمام شرفاته . سفير اليابان في سويسرا ، وهو الذى كان وسيط مفاوضات الاستسلام بين حكام طوكيو وواشنطن ، قتل نفسه بعد أن أتم الوساطة . حتى الصبيان لم يتحملوا عار الهزيمة . فقد تقدم أربعة أصدقاء في الخامسة عشرة من عمرهم إلى ذويهم وأعلنوهم بأنهم سينتحرون تحت شجرات الصنوبر قرب قصر الامبراطور لكي يعينوا جلالته على تحمل فاجعة الاستسلام . عقدت أمهات أولئك الفتية أكفهن على صدورهن علامة الرضوخ وأحنى الآباء رؤوسهم قبولا بقرار الأبناء ، وتقدم هؤلاء..

قاطعت هنا الدكتور عبدالرحمن بقولي له : كفى ياصاحبي . أعرف ما ستقول ... لقد تقدموا نحو واجهة القصر ورفعوا أنظارهم إلى حيث تصوروا أن امبراطورهم يقف وغرسوا سيوفهم في خواصرهم ثم شقوا بها بطونهم ! لابد لي أن أودعك الآن ، ولكن ليس قبل أن أقول لك إن علينا أن نحمد الله على أننا لسنا يابانيين . تصور لوكنا كذلك مع صنوف المذلة التي مافتئنا نذوقها منذ أربعين عاما إلى اليوم ! أترى يبقى أحد من سادتنا وقادتنا ، أو منا جميعا ، على قيد الحياة لو طبقنا الهاراكيرى على أنفسنا كما يطبقه اليابانيون ؟ الحمد لله إذن . ضحك صاحبي وقال وهو يشد على يدى مودعا :

ــ الحق معك . علينا أن نحمده على ذلك حمدا كثيرا ، فهو الذى لايحمد على مكروه سواه .


الشاعر الكبير بدوي الجبل في آخر صورة له

يختتم عميد الأدب العربى القومى الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

أزاهير الوفاء على ذكرى الشاعر العظيم

بقلم: أكرم زعيتر

وأقبل ولدي (سري) ممتقعاً ، وهمس إلى أمه بكلمات ، فاكتأب وجهها ، وتمعَّر لونها ، فتطيَّرتُ من ذلك ، وأدوكت أنهما يحاذران صدعي بنبأ أليم ، وسألتهما عما يفزعهما فلبثا واجمين ثم دفعا إليَّ جريدة « النهار » البيروتية وفى صدرها مقال بقلم صديقي الرئيس تقي الدين الصلح جعل عنوانه « بدوى الجبل » وكدت أصرخ : مات بدوى الجبل لولا هتاف أوس بن حجر :

أيـــتـهـا النفس أجملي جزعـا إن الـــذي تحـذريـن قـد وقعا

واستنجدت بالعبرات فما أسعدت ، وبالآهات فما أسعفت ، وأقمت له في خاطري مأتما ، وفيه تنافست مما أحفظ له من القصائد الراثية ، أبكت فؤادي ولكنها جففت عيني ، وأورت كبدى ولكنها عصبت لساني ..

ثم تناولت مرثاة أخي تقي الدين الصلح ورحت أترشف معه من سطورها الحزن الوديع على أخي الكبير وشاعرى الأثير وقد بوأه تقي الدين أعلى مراتب الصدارة بين شعراء العربية على الاطلاق غابرين ومعاصرين : « ومن حقه أن يحشر في موكبهم الزاهي الفخم بدءاً بأصحاب المعلقات الى شعراء صدر الاسلام والعصرين الأموي والعباسي حتى النهضة الحديثة وعمالقة شعرائها الذين تودع اليوم آخرهم . هو الشاعر لكنه الثائر أولاً . هو لسان الثورة ونغمها .. ولكنه هو محرك ومطلق موقظ ومُشعل . ملهم وملهب لجماهيرها » ثم وصف هَلَّة البدوي على إخوانه السابقين فى الفردوس الأعلى : « وتراه عينى حائراً .. وقد حيَّره الاختيار : إلى جانب من يأخذ مقعده ؟ ألى جانب المتنبي والمعري أم إلى جانب شكري وهنانو وسعد الله ورياض ؟ وكل منهم يتجاذبه إليه ليسمعوا من فمه المبدع آخر ما غنَّى وأنشد ويتعرفوا أين موضع قومهم وأين موضع حلمهم أصبح ، أنه خالد في الخالدين . يموت سيف الدولة ويخلد المتنبي ، وإن بقى من سيف الدولة ما بقى فما أراده شعر المتنبي أن يبقى .. والبدوي يبقى ويحيا بعد الموت ، وينمو ويكبر ويتعاظم قدره وذكره مع نمو أمته وتعاظم شأنها وقدرها»

« وبدوى الجبل يبقى طرباً للعاشقين ، وفتنة للمثقفين ، وزاداً للمفكرين وغذاءً للعاطفيين ولكنه يبقى ويجب أن يبقى شعلة على درب النضال ومحركاً للطاقات ومدرسة للطموح وأحلام المجد لكل جيل من أجيال هذه الأمة كما كان في جيله ولجيله » .

وطويت الجريدة ورأيتني أرتل بلسان البدوي من شعر البدوى :

أحبة قلبي ان بعدتم فما نأى — عن القلب لا الذكر الملح ولا الحب
على طيفكم أغمضت عينيَّ والتقى — صِياناً له في مقلتي الهُدْبُ والهُدْبُ

* * *

وعدت من عمان الى بيروت وقد عز عليَّ ألاَّ أكون في مشيعيه الى مرقده في مقام والده في السلاَّطة في جبل اللاذقية . وجاءتني بطاقة من اللاذقية من الدكتور عدنان الخطيب كتبها بعد التشييع وفيها يقول : « أكتب اليك هذه الكلمات ناعياً إليك صديقنا الغالي البدوي العظيم وقد وُري الثرى أول أمس (٨١/٨/١٩) يالهفي عليه وهذه دموعي كعفو الله عوضه الله جنان الخلد وعوض العربية خيراً » .

وبادر اخوان البدوي في بيروت الى الابراق الى آل الفقيد الكبير يقولون : « شيعنا معكم أخانا ورفيق دربنا وشاعرنا الأكبر بأرواحنا وحسراتنا وأغلى ذكرياتنا ، نبادلكم العزاء ، له الرحمة والخلود ولكم طول البقاء » . وقد وقعها الأساتذة : نصوح الأيوبي ومحمد شقير وزهير عسيران وواصف كمال ومحى الدين رسلان وأكرم زعيتر و(المرحومان) ظافر القاسمي وعرفان الجلاد .

اتحاد
المجامع اللغوية العلمية العربية
مكتب
الأمين العام المساعد

دمشق في ١٤ / ١١ / ١٩٨٥

سيدي الأخ الأعز الأكرم

انتهيت الساعة من قراءة الحلقة السابعة من روائع سلسلتك الذهبية عن فقيدنا الغالي شاعر العربية الفذ، وقد سحرني بيانك الجلي وأمتعني أسلوبك الطلي، وأعجبني تواجدك في نسج ما دفع، وراقتني محاولتك في تدوين ما سيفوت التاريخ تدوينه لولاك بسمت بيانك وحفظك المولى ذخراً للعربية وكنزاً من الوفاء لها ولإخوانك، دمت مشكوراً، أنت ومن تحب، بعين عنايته وجميل رعايته

المحب الشاكر
عدنان الخطيب

رسالة الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع اللغوية ونائب رئيس المجمع العلمي بدمشق الى كاتب المقال يقرظ فيها الحلقة السابعة من « بدوي الجبل .. وإخاء اربعين سنة »



الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري يعود بدوي الجبل في مرضه الأخير ويرى في الصورة من اليمين : صابر فلحوط . الدكتور أحمد سليمان الأحمد (شقيق البدوي) وحفيدته رنا متعلقة بجدها بدوي الجبل ، ثم السيدة حسيبة زوجة ابنه منير ، ثم الشاعر الجواهري ، ثم جهينة حفيدة الشاعر وقد سماها باسم بنته الفقيدة . وفي الوسط (لما) حفيدة الشاعر .

أيَّتُها النَّفْسُ أجْمِلي جزَعـاً
إنَّ الَّذي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعـا

● كان شاعرنا واحداً من الثالوث الشعري العظيم : المتنبّي وشوقي وبدوي الجبل

أزاهير الوفاء
على ذكرى الشاعر العظيم

ـ وهذه آراء للبدوى كان ينثرها لدى عواده في مرضه تدور حول الشعر.. قال : « ان المدرسة والثقافة والمجتمع والتاريخ قد تخلق عالماً وقد تخلق فيلسوفاً وقد تخلق فاتحاً وقد تخلق مخترعاً وقد تخلق أنواعاً متعددة من العظمة ولكنها لن تستطيع أن تخلق شاعراً فالله وحده هو الذى يخلق الشاعر » .

ـ « الجمال والشعر أخوان لا يفترقان ، فالشعر تعبير عن الجمال والجمال ملهم للشعر » .

ـ « الوزن في الشعر العربي قطعة لاتتجزأ منه ، وكل عبث بالأوزان هو عبث بالشعر وعبقريته والهامه » .

ـ « أنا لا أقرأ الشعر الحديث إلاَّ إذا كان لمن أحبه وأعتقد فيه الشاعرية كأدونيس ونازك الملائكة . أقرأ شعرهما الحديث بحسرة ولوعة لأن كليهما شاعر رائع أضاع نفسه ويسعدني أن نازك الملائكة رجعت إلى طابعها الأصيل وسأكون مغموراً بالسعادة أنا والشعر عندما يعود أدونيس إلى طابعه الأصيل » .

ـ « لا حديث ولا قديم في الشعر . هناك شعر والشعر الحق هو حديث أبداً مهما امتد به الزمان » .

ـ « هناك خاتمة للأنبياء وليس هناك خاتمة للشعراء » .

ـ « إذا فقد الشعر ديباجته الصافية لم يبق شعراً . ان الديباجة الصافية وطن الشعر إذا صَحَّ التعبير وبدونها يكون الشعر غريباً أو بالأحرى لا يكون شعراً على الاطلاق » .

ـ « أنا لا أؤمن بوحدة الشعر لأن المعاني هى التى تفرض نفسها أما الالتزام بوحدة الشعر ففيه نوع من الصنعة وقد يجافيه الابداع . والصنعة مهما تأنقت لا تكون الهاماً ولا ضوءاً ولا عطراً » .

ـ « هناك متنبي واحد فقط » .

ـ « الاسلام الصحيح وحده يمكن أن يعيد لهذه الأمة كرامتها وعزتها وصفاءها وكبرياءها ، كبرياء الحق لا كبرياء الباطل » .

• • •

ولعل أكرم ما أختم به هذه الذكريات أن أورد آراء أعلام في الشعر والأدب في البدوى وشعره وهى آراء أئمة تصُفّهُ فى صف أكابر شعراء هذه الدنيا .

وأود قبل ذلك أن أقول ، إنني ما سمعته يتلو قصيدة أو قرأت له قصيدة إلا تمثلت بقول الأمير شكيب ارسلان في أحمد شوقي :

أتلو قصائده فتملأ مهجتي فرحاً   يزيل همومَها وعناءها
وأظل مفتخراً بها فكأن لى   دون الأنام ثناؤها وسناؤها

• • •

ـ قال الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) : « ... جزالة نظم البدوى لا تناسب لطف نفسه إلاَّ أحياناً . في نفسه شاعران إذا انتصر أحدهما للقديم اعترضه نصير للجديد فما خرجت القصيدة من نفسه إلاَّ وعليها طابع الشاعرين . هذا هو بدوي الجبل فى شفق عمره فكيف به وهو في رأد الضحى ؟ .. » .

ـ قال الشاعر محمد مهدي الجواهري : « إنما أخشى من شعراء العصر وأحسب حسابه هو بدوي الجبل . أكبر شاعر في هذا العصر بدوي الجبل وشاعر آخر » .

ـ قال الشاعر نزار القباني : « إنه السيف اليماني الوحيد المعلق على جدار الشعر العربى في عباءته ألف لبيد وألف شريف الرضي وألف أبو تمام » .

ـ قال الشاعر أدونيس ـ وللبدوي في مدرسته الشعرية رأى سلبى ـ « ان بدوى الجبل هو أكبر شاعر كلاسيكي حي ، وواحد من كبار شعراء العربية في مختلف عصورها ، وصدور ديوانه حدث شعري كبير وأرى أنه مما يليق به أن يتحول هذا الحدث الشعري إلى حدث قومي .. أن يكون عيداً للعرب جميعاً .. »

ـ وقال الشاعر سعيد عقل : « البدوي هو واحد من قلائل شعراء العرب وهنيئاً لك ياعصر » .

ـ وقال الشاعر أمين نخلة : « بدوي الجبل أمير الشعراء وأوفى الأوفياء » .

ـ وقال الشاعر الياس خليل زخريا : « البدوى شاعر جيل ـ كاتب تراث ـ رحالة قديم في مجاهل النفس ومذاهب القومية وخلجان الموت » .

ـ وقال العلامة الشيخ عبد القادر المغربى : « لو أن الأصمعي القائل فى شعر أبى العتاهية : إنه كساحة الملوك يقع فيه الخزف والذهب استشف ما سيبدعه بدوى الجبل لقال : هذه ساحة لا خزف فيها . إنها سوق للذهب واللؤلؤ والمرجان . وعهدنا بكل شاعر أن يتدرج إلى النبوغ في الشعر تدرجاً فهو يقول أولاً فيسمع ويشجع ثم يتقدم إلى الانشاء فيقبل في المحفل والمجمع ، ثم يجرى فى الحلبة فيسبق ويبرع ، أما بدوي الجبل فقد تمردت عبقريته على ناموس التدرج ، فلم نعتم أن رأيناه فى السابقين ومعدوداً على حداثة سنه بين الفحول المقرمين » .



نجمات الشعر الثلاث : الشاعرة فدوى طوقان وعلى يمينها الشاعرة نازك الملائكة وعلى شمالها الشاعرة سلمى الخضراء



الأمير فهد بن عبدالعزيز (الملك فهد حالياً)،ومأمون الكزبري الوزير السوري ، والوزير محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)[التقطت الصورة عام ١٩٦٣]

ـ وقال سامي الكيالي أديب حلب الشهباء : « ان مرتبة بدوي الجبل تأتي بعد شوقي مباشرة » .

ـ وقال علامة العراق بهجة الأثري : « كان بدوي الجبل وفياً للعرب والعربية والاسلام ، صادق الشعور ، واسع أفق الفكر والعقيدة ، وما أنس لا أنس رثاءه البليغ العجيب في طراوة شبيبة أستاذي الأكبر الأمام الألوسي والكاتب الأشهر المنفلوطي سنة ١٩٢٤ وهو عندي من يومه ذاك في الطليعة التي تلي شوقي مع خير الدين الزركلي والأخطل الصغير في الطبع الشعرى والديباجة البحترية » .

ـ وقال الدكتور ابراهيم مدكور رئيس اتحاد المجامع المصرية ورئيس المجمع المصري : « بدوى الجبل كان من القلة الباقية من شعرائنا الشوامخ الذين حفظوا على الشعر العربي أصالته ورونقه وبهاءه » .

ـ وقال محمد كرد على رئيس المجمع العلمي بدمشق ، وكان البدوي فى العشرين من عمره : « الشعراء في الأمم اليوم رسل الإصلاح ودعاة النهضة وحملة النور إلى العقول ، ولا شك ان بدوي الجبل هو في مقدمة شعراء العرب الذين يحملون لواء وحدتها ويقودونها الى سبيل سلامتها وعظمتها . يدعو إلى الاعتقاد بهذا ما يبدو من سيره وسيرته وغرامه بصنعته » .

ـ وقال عيسي الناعوري الأديب الأردني : « وبدوى الجبل هو خليفة شوقي في شعره الجزل المدوي مثلما كان شوقي خليفة المتنبي من قبله . المتنبى وشوقى والبدوي ثالوث شعري عملاق صنع الشعر على أمتن بنيان وأجمله وأجزله وأجدره بالخلود » .

ـ وقال الأديب الناقد جهاد فاضل : « شعر بدوي الجبل شعر أولاً شعر فى زمن النضوب والندرة والعقم . شعر فى زمن انحطاط الشعر العربى وتقليد الشعر الغربي الذي هو في انحطاط ايضاً . وسواء تغزل بدوي الجبل أو غنى أفراح بنى قومه أو مآتمهم فهو في كل شعره العبقري والإمام والاستاذ » .

ـ وقال حسنى فريز الأديب الشاعر الأردني الناقد : « في ديباجة شعر البدوي نفحات الصياغة البحترية وطلاوة ابن زيدون وموسيقا ابن هاني . وأما معانيه التي يخترعها ويبتدعها فإن لها في النفس ألواناً من روعة التأثير . أرأيت إن كنت في هدأة الليل وسمعت الناي يناجى الحبيب فذهبت فى الخيال كل مذهب ؟ أرأيت إن كنت في شوق مستكن مستكين وطلع عليك الحبيب الهاجر بوجهه المشرق وثغره البسام ؟ أرأيت ان كنت لاهياً عن ظمئك الشديد وجاءت إليك عفو الخاطر بكأس روية ، مياسة القد مجنونة الصبا ؟ كذلك تطلع عليك معانيه رائعة حتى لتقول إنه لا عهد لي بمثلها في دواوين عمالقة الشعر في مطلع هذا القرن ! » .

ـ ويقول الدكتور عدنان الخطيب الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع اللغوية العربية : « ما أحسب شاعراً بعد المتنبى بلغ مبلغه في كثرة الأبيات التى ترقى إلى الأمثال الأخاذة والحكم البليغة أو ليس لشاعر قبل بدوي الجبل أن يفخر أكثر من فخره بالشعر المطبوع المتدفق وبالحكمة البالغة تجري على لسان بلا تكلف ولا عناء أو يفخر بعدد الأبيات التى يمكن الاستشهاد بها في القصيدة الواحدة مع اللفظ الواضح كل الوضوح وفي التركيب المشرق كل الاشراق » .

• • •

وبعد فهذه أزاهير الرحمة والوفاء نثرتها على ذكرى شاعرنا العظيم ، وما أجزل شكري للكثيرين الذين أعربوا عن ترحيبهم البالغ بها ، وما أعظم اعتزازي « بالدوحة » الفينانة التي أتاحت لي تقديم كبير شعرائنا إلى دنيانا العربية التى تظللها دوحتنا القطرية !

أكــرم زعيتــر

حتى لا يفاجئنا المستقبل

في أزمات عالمنا المعاص

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

منذ بداية السبعينات صدرت عدة دراسات تتعلق بمستقبل العالم وتطرح بدائل مختلفة لمسار تطوره، وتراوحت هذه الدراسات بين التشاؤم الذى عبر عنه التقرير الأول لنادى روما بعنوان «حدود النمو» (١٩٧٢) وبين التفاؤل الذى يركز على الامكانات الجديدة التى تقدمها الثورة العلمية والتكنولوجية وبالذات فى مجال الهندسة الوراثية وتطبيقاتها في الزراعة والغذاء عموما.

حدود المشكلة

وجاءت أزمة الجفاف التى واجهت إحدى وعشرين دولة افريقية فى السنوات الأخيرة لتطرح من جديد قضية الغذاء، ولتذكر العالم بأن الأخطار المترتبة على اهمال البيئة عند التخطيط لعملية التنمية لها نتائجها وتداعياتها الخطيرة التى لاتقل عن أخطار انتشار الأسلحة النووية والدمار الذري.

إن المشكلة البيئية التى يواجهها العالم اليوم تتسم بأنها تشمل الكرة الأرضية بأسرها، وأنها ـ في نظر البعض ـ تمثل تهديدا للاستقرار فى العالم. هذه المشكلة البيئية ذات أبعاد مختلفة، وهى نتيجة عدة تطورات تتضمن الانفجار السكاني في العالم، وسوء توزيع الغذاء بين الدول الغنية، والدول الفقيرة، ونضوب الموارد الأساسية، وتجريف البيئة (مثل تدمير الغابات فى البرازيل التى تعد رئة طبيعية للعالم)، واحتمالات سوء استخدام الأسلحة النووية، والتقدم المخيف فى العلم والتكنولوجيا بما يفتحه من آفاق.

وكل هذه التطورات تطرح على المجتمع الانساني تحديات جديدة من الواضح أن التنظيم السياسي لعالمنا المعاصر غير قادر بعد على الامساك بتلابيبها ناهيك عن تقديم حلول فعالة لها.

هذه المشكلة ليست سياسية وحسب، بل انها حضارية ومفهومية. لقد قدمت الحضارة الأوربية الحديثة نموذجا للتنمية ومفهوما للتقدم أصبحا عبئا على الجنس البشري اليوم. وهما يقودان الى عالم مفعم بأشكال عدم المساواة. عالم تعيش أقليته في رخاء مادى ويطحن أغلبيته الحرمان والفقر. عالم تعددت فيه مظاهر عدم العدالة بشكل عميق وصريح حتى انها أصبحت خطرا يهدد الاستقرار والأمن فيه.

جنون السرعة

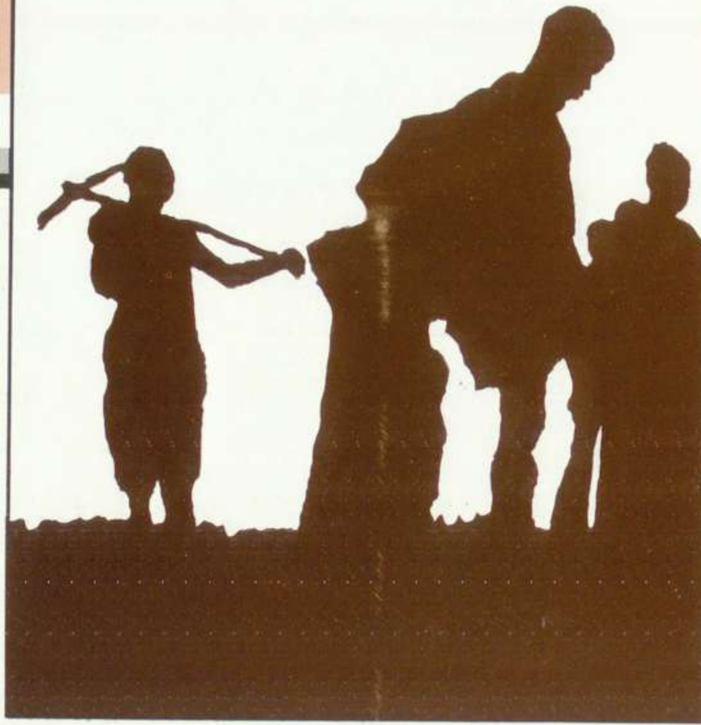
واحدى السمات الرئيسية لهذا العالم هى السرعة، سرعة التغير بشكل متزايد حتى أن بعض المفكرين الاجتماعيين مثل ألفن توفلر أثار التساؤل حول قدرة الانسان على التكيف مع هذه الدرجة من السرعة. وهذه السرعة تمتد الى كافة جوانب الحياة التى نعيشها: فالتزايد السكانى مثلا وهو فى المتوسط ٢٪ يبدو معقولا ومتواضعا، ولكن إذا تذكرنا أن هذا يعني تضاعف عدد سكان الكرة الأرضية في ست وثلاثين سنة فإنه يصبح أمراً يجب التوقف عنده وعند دلالته ونتائجه.

وفى هذا القرن العشرين تضاعف عدد السكان، وحجم الانتاج والاستهلاك، وسرعة الاتصال والمواصلات بين المجتمعات وفى داخلها، وعدد العلماء. ولكى تتضح هذه الصورة لابد أن نتذكر حداثة وقصر عمر عدد كبير من المخترعات التى نتعامل معها اليوم وكأنها معطيات كانت موجودة دائما. لقد بدأ هذا القرن مع المركبات التي كانت تشدها الجياد والدواب ويوشك أن ينتهى مع مركبات الفضاء.

بدأ بمذياع بدائى محدود القدرة على البث، وانتهى بأجهزة التلفاز التى تنقل لنا صورة رجال الفضاء وهم يصلحون أجهزتهم في الجو، وتنقل لنا أصواتهم وهم يتحدثون مع بعضهم البعض.

وأغلبنا ينسى أن أول عرض للسينما كان فى عام ١٩٠٥، وأن إنتاج السيارت على نطاق تجارى بدأ فى عام ١٩٠٨، وأن البلاستيك أخترع فى عام ١٩١١، والاذاعة العامة فى عام ١٩٢٠، وأن أول بث تلفزيونى كان فى عام ١٩٢٧، وأن ماكينات تصوير الورق والنايلون ظهرت في عام ١٩٣٨، وأن المذياع الترانزستور كان في عام ١٩٤٨، وأن أشعة الليزر استخدمت فى عام ١٩٦٠.

وحدث نفس الشىء فى التكنولوجيا العسكرية، فأول مدفع رشاش فعال استخدم فى عام ١٩١٤، وأول سفينة أغرقت بواسطة



● نموذج التنمية بالمفهوم الغربي أصبح عبئاً على الجنس البشري!

● إن لم نخطط لمستقبلنا خططه لنا الآخرون!

الغواصات كانت فى سنة ١٩١٥ ، وهو نفس العام الذى شهد مولد الدبابات ، وأن أول قذف جوى لمناطق سكنية مدنية كان فى عام ١٩٣٨ فى اثيوبيا واسبانيا.

وارتبط بذلك ازدياد القدرة التدميرية لدى الدول الكبرى ، ويقدر الخبراء العسكريون أنه منذ عام ١٩٦١ زادت هذه القدرة ثلاث أو أربع مرات . كما ارتبطت بازدياد عدد الحروب ، وفى الكتاب السنوى لمعهد ستوكهلم لبحوث السلام عن عام ١٩٧٦ ورد أن عدد الحروب الأهلية والدولية فى الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٧٥ بلغ ١١٩ حربا شملت أقاليم ٦٩ دولة وجيوش ٨١ دولة . وبالمقارنة فإن الفترة ١٩٠٠ ـ ١٩٤١ لم تشهد سوى ٢٤ حربا . وخلال نفس الفترة (١٩٤٥ ـ ١٩٧٥) كان هناك ٣٠٠ انقلاب عسكرى أو محاولة انقلابية تم اخمادها بالقوة .

الطريق المسدود

وفى عام ١٩٦٩ وقف السيد يوثانت أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قائلا : « إننى لا أرغب أن أبدو دراميا ، ولكننى لا أملك بحكم المعلومات المتوفرة لى باعتبارى سكرتيرا عاما للأمم المتحدة إلا أن أصل الى نتيجة مؤداها أن على أعضاء الأمم المتحدة أن يواجهوا موقفاً صعبا للغاية مالم يتناسوا خلافاتهم التقليدية ويبدأوا مشاركة عالمية من أجل وقف سباق التسلح ، وتحسين البيئة الانسانية ، ومواجهة الانفجار السكانى ، واعطاء دفعة لجهود التنمية » .

ورغم انصرام عقود التنمية التى أعلنتها الأمم المتحدة فإن أوضاع الدول النامية لم تتحسن كثيرا ، بل زادت مديونيتها واعتمادها على الخارج ، وهو الأمر الذى يرتبط بمفهوم التنمية ذاته واتخاذ معايير الانتاج المادى وتزايد الاستهلاك ومتوسط دخل الفرد باعتبارها المعايير الأساسية للتقدم . وهو ما ارتبط أيضا بتصور أن كل مشكلة لها حل تكنولوجى وأن الحل هو استيراد الآلات من الدول المتقدمة ، وان هذه الآلات كفيلة بحل مشكلة التخلف . وأهمل هذا المفهوم للتنمية الهدف الأساسى للعملية ، وهو الوفاء بالاحتياجات الأساسية للبشر ، وأهمل موضوع التكنولوجيا الملائمة ، وموضوع علاقة الانسان بالبيئة .

نحن والمستقبل

وغير صحيح أن الاهتمام بالمستقبل يعد أمرا من قبيل الترف أو الهروب ، فالمستقبل يولد اليوم تحت أبصارنا ، والقرارات التى نتخذها اليوم سوف تحدد شكل المجتمع والحياة التى سوف يعيشها أولادنا والأجيال القادمة ، ومعرفة مشاكل المستقبل لابد أن تدفعنا إلى العمل لمواجهته من الآن ، وهذه المعرفة ينبغى أن تؤثر على سلوكنا ، على كيف ننفق أو نستهلك ، فى أى القطاعات نستثمر ونركز الجهد . فالمستقبل ليس أمرا حتميا أو مفروضا علينا بواسطة قوى خارقة ، ولكن الانسان صاحب الارادة ، والتى يعرف مايريد ، هو أيضا عامل أساسى فى المستقبل وفى التأثير على شكله . أما اذا تجاهلنا ذلك وتصرفنا بمنطق « وبعدى الطوفان » فإن ذلك يضعنا فى موقف صعب للغاية ، لا يمكن تبريره أخلاقيا ومعنويا .

وكما كتبت مرة من قبل فإن دراسة المستقبل ليست هروباً من مواجهة الحاضر ، بل هى تنبيه إلى أن مشاكلنا تتخطى هموم الحاضر الثقيلة ، وأن علينا فى تخطيطنا وفى ممارساتنا عدم الاكتفاء بمواجهة ماهو آني وعاجل ، بل أن نضع فى حسباننا أيضا تحديات المستقبل وأزماته ، فإذا لم نخطط نحن لمستقبلنا فسوف يخططه لنا الآخرون .

ولنتذكر أن السعى لمعرفة مشاكل المستقبل هو أيضا سعى للتأثير فى شكل هذا المستقبل ، وأن الذين يثيرون أسئلة حول المستقبل يضعون فى نفس الوقت جدول أعمال الغد .

رسالة عاجلة من القنيطرة إلى خالد ابن الوليد

شعر : محمود حامد

قُمْ مِنْ تُرابِكَ ،
لا مَجالَ لِغَفْوَةٍ أُخْرى ،
نُريدُكَ عاجلاً يا ابْنَ الوليدْ
خَيْلُ التَّتارِ عَلَى رُبى اليَرمُوكِ تَزحفُ مِنْ جَديدْ
فاخْلَعْ تُرابَ القَبْرِ عَنْكَ ، وَعُدْ إلَيْنَا ،
نَحْنُ في وَطَنِ العُرُوبَةِ بِانْتِظارِكَ ،
والدِّماءُ تُحيطُ بالْقَتْلَى ،
وَفُرْسَانُ الصُّمُودِ يُجابِهُونَ المَوْتَ وَالأَعْداءَ في عَزْمٍ مجَيدْ
صَوْتي يَجيؤُكَ مِنْ بَعيدٍ ، مِنْ بَعيدٍ ، مِنْ بَعيدْ
فَأَمامَهُ الأَسْلاكُ شائكَةٌ ، وَيَنْهمِرُ الرَّصاصْ
فَافْتَحْ بِسَيْفِكَ لِي طَريقاً لِلْخَلاصْ
سُحُبُ الفَواجعِ في سَمائي ،
والجَماجِمُ حَوْلَ خاصِرَتي ،
وَتَمْتَدُّ الحَرائِقُ في الجَبينِ .
وَرُحتُ أَصْرخُ : أَنقذُوني ،
ضاعَ صَوْتي في الحِصارْ
وَتَلفَّتَتْ عَيني فما أَلْفَيتُ غَيْرَ دَمي يُصاحِبُني إِلَيْكَ ،
وَنَهْرَ حُزْنٍ يَقْتَفي أَثري ، وَأَشْباحَ التَّتارْ
حَوْلِي وَأَعْناقَ السُّيُوفِ تَلُوحُ مُتْعَبَةً ،
صَرخْتُ شَعَرْتُ أَنَّ الصَّوتَ يَبْلَعُهُ الدَّمارْ ،
وَأَنَا أُراوحُ في مَكاني ،
بَيْنَ كابُوسِ الهَزيمَةِ وَالدُّوَارْ
جَسَدي تَمزَّقَ تَحْتَ أَعْقَابِ الْبَنادِقِ ،
والدِّماءُ تَسيلُ مِنْ وَجْهي .. ،
وَأَرْفُضُ أَنْ أَمُوتْ
في ظِلِّ أَعقابِ البَنَادِقِ ،
أَيُّ عارٍ قَدْ يُداهِمُني إِذا ما مِتُّ كالْجُبَناءِ ،
في ظِلِّ الهَزيمَةِ ، أَيُّ عارْ
مَوْتُ الخَنادِقِ أَشْتَهيهِ ،
فَضُمَّني يا ابْنَ الوَليدِ إِلى جُيُوشِكَ ،
رُدَّ لِي غَضَبَ الْبَيارقِ ،
رُبَّما كَفُّ القُنَيْطِرَةِ الأَبيُّ يَصُوغُ يَوْمَ الانتِصارْ
أَوْقَفْتُ زَحْفَ الغاصِبينَ ،
فَلاَ تَقُلْ :
لَيْسَتْ نِساءُ الشَّامِ خَوْلَةَ ،
كُلُّنَا مِنْ نَسْلِ سَيْفٍ يَعْرُبِي







أَوْقَفْتُ زَحْفَ الغاصِبينَ ،
وَمَجْدِيَ الأُمَوِيُّ يَبْقَى ذَلِكَ الْمَجْدَ الأَبِيّ
مَوْتُ الخَنَادِقِ أَشْتَهِيهِ ،
وإنَّهُ دَيْنٌ عَلَيّ
فَاجْعَلْهُ يومَ الثَّأْرِ لي ،
واتْرُكْهُ في الأيَّامِ أَجْمَلَ ما لَدَيّْ
صَدْري وَمَنْ يَشْتاقُ غَيْرُكَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ صَدري ،
لا أُريدُ سِواكَ يَحْضُنُ جَبْهَتي ،
حينَ العَواصِفُ تَسْتَفيقُ ،
وَحينَ تَنْتَفِضُ الصَّواعِقُ في يَدَيّْ
ضَجَّ الهُتافُ مَدَى الحَناجِرِ يا دِمَشْقُ ،
أَتَسْمَعينَ صَدَى الدَوِيّ
شَقَّ الفَضَاءَ ،
أَتَسْمَعينَ خُطَى الرِّجَالِ ،
وَصَوْتَ مَوْجي حينَ يَهْدُرُ ،
والجِباهُ الشَّاهِقاتُ إِلَى السَّماءِ ،
وَكَيْفَ تَحْضُنُها شُمُوسُ النَّصْرِ في الأَبَدِ القَصِيّ
قُولي لِمَنْ شاءَ اقْتِحامي ،
ما أَلَنْتُ لِغَاصِبٍ جَنْبِي ، وَلاَ
عَبَرَتْ شَبابيكي خَفافيشُ الظَّلامْ
قُولي لِمَنْ شاءَ اقْتِحامي ،
هاهُنا الْمَوْتُ الزُّؤَامْ
وأَنا السَّلامُ لِمَنْ يُريدُ لِيَ السَّلامْ

* * *

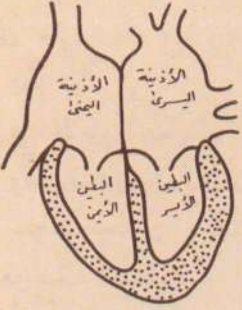
كانَتْ شِفَاهِي مُلْتَقَى كُلِّ البَلابِلِ ،
عِشْتُ أَحْلُمُ بِالْغِنَاءِ ... ،
أُنادِمُ الأَشْجارَ والأَحْجارَ ،
أَسْهَرُ في بَساتينِ الهَوَى حَتَّى الصَّباحِ ،
ولا أَنامْ
كانَتْ عَصافيرُ الدُّروبِ تُحِبُّني ،
تَأْوي إِلَى رُكْنٍ قَصِيٍّ تَحْتَ أَجْنِحَتي ،
تُغازِلُني ، وأَسْقيها حَنَاني ،
أَسْتَضيفُ عَلَى جَبيني تارةً وَهْجَ الشُّمُوسِ ،
وَتارَةً ضَوْءَ القَمَرْ
والرِّيحُ تُنْشِدُني قَصائِدَهَا ،
وَتَهْمِسُ لي حَكايا حُبِّها شَفَةُ الشَّجَرْ
كانَ الأَمانُ يُحيطُ بي ،
والحُبُّ يَسْكُنُ هاهُنَا
عَبْرَ الجُذُورِ ، وَعَبْرَ أَكْوامِ العُصُورِ ،
يَجيءُ حيناً في السَّحابِ ،
وَقَدْ يَجيءُ مَعَ المَطَرْ
والأَرْضُ تَضْحَكُ ،
كُلُّ شَيْءٍ كانَ يَضْحَكُ هاهُنَا حتَّى الحَجَرْ
ثُمَّ انْتَبَهْتُ عَلَى الخَطَرْ
فَنَفَضْتُ عَنِّي كُلَّ أَحْلامِ النِسَّاءِ ،
بَعَثْتُ خَوْلَةَ في الدِماءِ ،
وَعِنْدَ قَبْرِ ابْنِ الوَليدِ ،
هُنَاكَ أَقْسَمْتُ اليَمينَ ،
أَنَا القُنَيْطِرَةُ الحَزينَةُ ، والأَبِيَّةُ ،
قَدْ خَلَعْتُ أُنُوثَتي ،
وَلَبِسْتُ أَكفاني وَمَوْتي ،
وامْتَشَقْتُ السَّيْفَ ، سَيْفَ أُمَيَّةَ المُضَرِيَّ ،
ثُمَّ وَقَفْتُ أَصْرُخُ في الرِّجَالِ :
أَنَا الْقُنَيْطِرَةُ الصَبِيَّةُ ، غادَةُ الدُّنْيَا ،
وَسَيِّدَةُ الْبَشَرْ
أَيُّ الرِّجَالِ يَكُونُ يَوْماً سَيِّدي
هُوَ مَنْ يَشُقُّ الصَّعْبَ قَبْلي لِلظَّفَرْ

العمر الافتراضي للإنسان أكثر من مائة سنة

هل يستطيع الطِّبُّ إطالة عُمْر الإنسان وتخليصه من الأمراض الخطيرة؟

بقلم: الدكتور عامر شيخوني

لا تيأسوا .. قالها المريض بصوت متهدج متعب وهو في حالة بين السبات واليقظة، لا تيأسوا .. ولاحت في عينيه نظرة ملؤها الشكر والامتنان رغم سكرات الألم، وعلى بعد خطوات قليلة من سريره جلس رجل في السبعين من عمره قضى أكثره في البحث عن المعرفة. ولا شك بأن هذه الكلمة قد أثارت في أعماقه كثيراً من الذكريات مع شيء من الفرح والاستغراب، فمنذ حوالي شهرين كاد هذا المريض أن يكون في عداد الأموات، والآن بعد أن أنقذه القلب الآلي من الموت مازال يتحدث عن الأمل والإصرار. هذه الكلمات التي تصدر من إنسان مريض متعب مشحونة بالشكران والأمل تدفع الطبيب المسن إلى مزيد من العطاء ومزيد من البحث والاستقصاء، وفي مثل هذه الكلمات والنظرات يجد الطبيب خير مكافأة لسنوات العمر الطويلة التي قضاها في عمل متعب وبحث مستمر.



رسم توضيحي للقلب الطبيعي يبين الأذينتين في الاعلى والبطينين في الاسفل، والصمامات التي توجه دوران الدم بينهما.

المريض

رن جرس الهاتف في مكتب جراح القلب الشاب ويليام ديفريز William De Vries في جامعة يوتا Utah ولم يقل المريض أكثر من كلمتين: أنا مستعد. وكان ديفريز بانتظار هذا الإقرار من مريضه بارني كلارك Barney Clark كي يتابع إجراءات الاستعداد للعملية المنتظرة: زرع القلب الآلي في صدر هذا المريض الذي أنهكه مرض القلب. وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٨٢ وصل كلارك إلى المستشفى وهو في حالة سيئة، كان يبدو شاحباً مزرقاً وهو يحاول جاهداً أن يلتقط أنفاسه رغم قناع الأوكسجين الذي وضع على وجهه، وكان واضحاً لنظرة الطبيب المتفحصة أن كلارك في وضع صحي سيّئ خاصة بعد أن لاحظ تورم ساقيه ووجود مزيد من التورم في بطنه ورئتيه. وبعد إجراء قسطرة قلبية سريعة تبين له أن قلب كلارك لا يضخ أكثر من ليتر واحد من الدم في كل دقيقة في حين أن قلب رجل في مثل وزنه يجب أن يضخ من خمسة إلى سبعة ليترات من الدم في الدقيقة كي يؤمن دوران الدم في الجسم وينقل إلى كافة الأعضاء ما تحتاجه من الغذاء والأوكسجين. وأكدت الفحوص المخبرية سوء حالة الكليتين والكبد نتيجة لنقص كمية الدم التي تصلهما من قلب كلارك المنهك. هل فات الوقت؟ هل انتظرنا أكثر مما يجب؟ أحس ديفريز بشيء من اليأس والقنوط وانتابه شعور مرير بأنه ربما قد تأخر في النصح بإجراء هذه العملية ولم يكن عند حسن ظن صديقه المريض.

كانت إجراءات الاستعداد لهذه العملية الأولى من نوعها قد بدأت منذ شهور عديدة عندما جاء طبيب الأسنان المتقاعد بارني كلارك إلى جامعة يوتا في الولايات المتحدة الأمريكية كي يأخذ رأي أطباء القلب هناك في حالته المستعصية. كان قلب كلارك مصاباً بوهن العضلة القلبية Cardiomyopathy وهو مرض مجهول السبب ربما كان عائداً لإصابة سابقة بالحمات الراشحة (الفيروسات) أو بسبب التهاب مزمن في عضلة القلب أدى إلى تخريبها بشكل بطيء مستمر رغم العلاج بمقويات القلب والكورتيزون والأدوية المضادة للالتهاب والعلاجات المناعية الحديثة. وبعد حوالي سنتين من المرض وجد كلارك نفسه على أبواب جامعة يوتا في حالة من قصور القلب تسير من سيّئ إلى أسوأ دون أن يستطيع أحد أن يوقف تدهورها. جاء كلارك إلى هذه الجامعة بالذات بسبب تقدم أبحاث القلب الآلي فيها، فقد بلغ ضعف قلبه مداه وحان الوقت لاتخاذ القرار الصعب فقد استهلك المرض المزمن ألياف عضلة قلبه ولم يعد باستطاعة قلبه المريض أن يضخ الدم لتروية

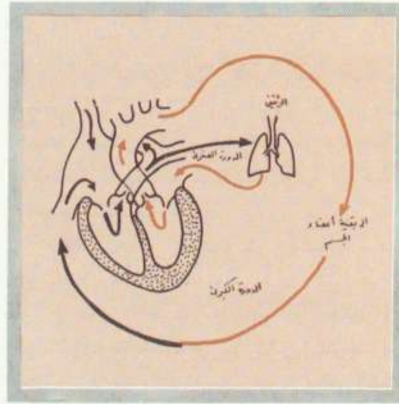
● في سنة ١٩٥٧ تم زرع قلب آلي في صدر كلب ، وكانت هذه أول عملية ناجحة ، وقد عاش الكلب ساعة ونصف ساعة بعد العملية

● في سنة ١٩٧٠ تم زرع قلب آلي لأحد العجول ، واستمرت حياة العجل تسعة شهور بعد زراعة القلب الجديد

● سبعة شروط أساسية يجب أن تتوفر في القلب الصناعي حتى ينجح في أداء دوره ..



رسم توضيحي للقلب الطبيعي يبين الأجواف والصمامات الأربعة ، وتشير الأسهم الى اتجاه دوران الدم في القلب .



مخطط توضيحي للقلب الطبيعي ودوران الدم في الرئتين (الدورة الصغرى) وفى بقية اعضاء الجسم (الدورة الكبرى) .

جسده رغم العلاج والأدوية ، ويبدو أن الأمل الوحيد المتبقي هو في الحصول على قلب جديد .. !

هل يمكنه الحصول على قلب جديد عن طريق زرع قلب إنسان آخر في صدره ؟ ان زرع القلب البشري عملية قد أثبتت نجاحها في مراكز عديدة في العالم منذ أن أجريت لأول مرة في عام ١٩٦٧ . ولكن هذا الأمل الجديد الذي فتحه العلم أمام كلارك كان قصير المدى فقد بلغ كلارك من العمر إحدى وستين سنة في حين أن أطباء زرع القلب البشري لا ينصحون بالقيام بهذه العملية لمن هم في سن جاوزت الخمس وخمسين سنة وذلك بسبب ندرة المتبرعين بالقلوب ! وهكذا وجد كلارك نفسه على أبواب جامعة يوتا حيث يقبع أمله الأخير ممثلاً في قلب آلي لم يستخدمه إنسان قبله . هل يصبح كلارك أول إنسان يعيش بقلب آلي ؟ أم يجبن عن هذه المواجهة ويترك تقرير مصيره لقلبه المريض ؟ كان اختيار كلارك بين احتمال الحياة مع قلب آلي جديد أو الموت المؤكد مع قلب منهك مريض . واختار الحياة .. ولا غرابة في إقدام هذا الطبيب المتقاعد على هذا الخيار وهو الرجل العصامي المكافح ، فقد كان طفلاً في الثانية عشرة من العمر عندما توفى والده ، فاضطر بدوره إلى العمل كبائع متجول كي يساعد والدته واخوته ، بل واستطاع بجهوده وعمله أن يتابع دراسته حتى أصبح طبيب أسنان ناجح . ترك كلارك انطباعا ممتازاً لدى الاطباء النفسيين والأخصائيين الاجتماعيين الذين تفرغوا لدراسة حالته النفسية والعقلية والاجتماعية لتقرير فيما إذا كان كلارك مرشحاً مقبولاً لهذه العملية الجديدة وكان تقريرهم مشجعاً للغاية فقد وجدوا فيه الثقافة المناسبة والشخصية المرحة الحازمة والشجاعة والمحبة للمغامرة ، كما وجدوا في زوجته وأولاده الثلاثة خير دعم وسند في الظروف الصعبة التي مر بها أثناء مرضه الطويل . وهكذا تلاقت الظروف المناسبة بين المريض الذي يحتاج إلى قلب جديد وبين مجموعة المهندسين والأطباء في جامعة يوتا الذين كانت دراساتهم وأبحاثهم في مجال القلب الآلي تبشر بالنجاح .

وراء القلب الآلى

لم تكن دراسات القلب الآلي جديدة على الأطباء والمهندسين في قسم الأعضاء الصناعية بجامعة يوتا فقد كانوا يعملون على تصميم القلب الآلي منذ سنة ١٩٦٧ تحت إشراف وليم كولف Willem Kolff مخترع الكلية الصناعية وأول من قام بتصميم قلب آلي ناجح ، ففي كليفلاند كلينك Cleveland Clinic سنة ١٩٥٧ قام كولف بزرع قلب آلي في صدر كلب عاش لمدة ساعة ونصف وكانت هذه أول عملية ناجحة في هذا المجال ، وقد ظل كولف بعدها رائداً من رواد دراسات القلب الآلي في العالم . انتقل كولف الى جامعة يوتا في عام ١٩٦٧ ، وفى عام ١٩٧٠ انضمَّ روبرت جارفيك Robert Jarvik إلى مجموعة الباحثين في قسم الأعضاء الصناعية ، وتحت إشراف وخبرة كولف قام جارفيك الطبيب والمهندس الحيوي الشاب بتصميم عدة نماذج من القلب الآلي تم تطبيق بعضها بنجاح على الأبقار والخراف ، وكان أكثر تصميماته نجاحاً هو نموذج القلب الآلي جارفيك رقم ٧ الذي نجح بالمحافظة على حياة أحد العجول لمدة تسعة أشهر وهي أطول فترة مسجلة لحيوانات التجربة إثر عملية زرع قلب آلي .

المضخة الطبيعية الرائعة

يواجه تصميم القلب الآلي تحديات عديدة قبل أن يصبح بديلاً مقبولاً للقلب الطبيعي ، لأن القلب الطبيعي مضخة عالية الكفاءة معقدة التنظيم تتألف من أجواف أربعة : جوفين سفليين (البطينين) وظيفتهما الأساسية هي القيام بدفع الدم وضخه في الجسم ، ولأن ذلك يحتاج إلى طاقة كبيرة فليس من الغريب أن يكون جدارهما مؤلفاً من عضلة قوية سميكة ، أما الجوفين العلويين (الأذينتين) فوظيفتهما الأساسية هي تخزين الدم وتنظيم نبضات القلب والقيام بدفع الدم نحو البطينين ، ولأن هذه الوظيفة لا تحتاج إلى طاقة كبيرة فجدار الأذينتين أقل سماكة من جدار البطينين . ويمكننا فهم عمل القلب بشكل واضح إذا تابعنا دوران الدم : يصل الدم إلى القلب عن طريق

الأوردة الرئيسية داكن اللون محملاً بغاز الفحم، وهو أحد النواتج الرئيسية للتفاعلات الكيميائية الحيوية التي تتم في أنحاء الجسم المختلفة، كما يصل الدم إلى القلب فقيرا بالأوكسجين اللازم لاستمرار هذه التفاعلات الكيميائية التي تشكل أساس الحياة ذاتها. يدخل الدم أولاً إلى الأذينة اليمنى التي تضخه إلى البطين الأيمن الذي ينقبض بقوة دافعاً الدم الداكن إلى الرئتين حيث يتم استخلاص غاز الفحم من الدم وتحميله من جديد بالأوكسجين الموجود في هواء التنفس، ويعود هذا الدم المنقى بعد دورته الصغيرة هذه أحمر اللون إلى الأذينة اليسرى التي تضخه بدورها إلى البطين الأيسر القوى الذي يقوم بدفع الدم في الشريان الأبهر الذي يوزع الدم النقي إلى كافة أنحاء البدن في دورة كبيرة يعود الدم بعدها إلى الأذينة اليمنى داكن اللون محملاً بغاز الفحم وفقيراً إلى الأوكسجين من جديد. يحتوي القلب على أربعة صمامات توجه دوران الدم إلى الأمام دائماً وتمنع هذه الصمامات بانغلاقها بشكل متكامل عودة الدم في الاتجاه المعاكس أثناء انقباض البطينين وارتخائهما. ويزداد إعجابنا بهذه المضخة الطبيعية الرائعة إذا تصورنا التكامل والانسجام التام الذي يتم بين كافة حجراتها وصماماتها في كل دفقة من دفقاتها المتلاحقة، إذ يقوم القلب بدفع الدم إلى الجسم في حالة الراحة حوالى سبعين مرة في الدقيقة يضخ خلالها حوالي خمسة ليترات من الدم، وإذا تطلب الجسم مزيداً من الدم وسرعة أكبر في دورانه كما يحدث في حالات الغضب والانفعال أو في حالة الجري أو السباحة مثلاً فإن هذه المضخة الرائعة تستطيع أن تزيد من فعاليتها بشكل متكامل الانسجام حتى تدفع الدم حوالى ١٥٠ مرة في الدقيقة تضخ خلالها أكثر من عشرة ليترات من الدم! كل هذا الانسجام والتكامل وكل هذه القوة مجمعة في عضو لايزيد حجمه على قبضة اليد..! وإذا سلمت هذه المضخة الطبيعية من الأمراض ومن أذيات التدخين والسمنة وارتفاع الضغط فبإمكانها العمل بكفاءة تامة أكثر من سبعين عاماً تمتد طيلة حياة الانسان منذ بداية تشكله في رحم الأم حتى يضمه الثرى.

ولهذا يتحتم أن تتوفر الصفات التالية في القلب الآلي النموذجي:

١ : أن يكون حجمه مشابهاً لحجم القلب الطبيعي حتى يتمكن الجراحون من زرعه في الصدر مكان القلب الطبيعي.

٢ : أن يقوم بدفع الدم في الدورتين: الصغرى إلى الرئتين، والكبرى إلى بقية أنحاء الجسم.

٣ : أن يكون مجهزاً بصمامات جريان الدم في الاتجاه الصحيح دائماً.

٤ : أن يتمكن من ضخ ٥ ـ ١٠ ليترات من الدم في الدقيقة.

٥ : أن يكون من الممكن تغيير سرعة نبضاته وتغيير قوتها بحيث يزيد من قدرته على ضخ الدم بحسب حاجة الجسم وتغيرها بين الراحة والعمل.

٦ : أن يكون مصنوعاً من مواد لا يرفضها جسم الانسان ولا تحرض على تخثر الدم أو تحلله.

٧ : أن يتمكن من العمل بشكل صحيح ومضمون فترة طويلة من الزمن في ظروف الجسم الطبيعية ورغم تعرضه لمختلف النشاطات الحيوية والمواد الكيميائية الموجودة في جسم الانسان.

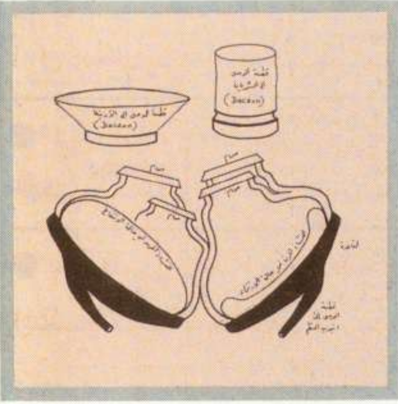
وتشكل هذه المواصفات معضلة صعبة الحل قام العلماء بمحاولة حلها على طريق طويلة من الجهد والعمل والاختبارات المتواصلة المختلفة بكثير من الفشل وفترات من النجاح تزيد من الاصرار والأمل، وبعد جهود مضنية وتجارب عديدة توصل الأطباء والمهندسون إلى تصميم مقبول لقلب آلي يمكن أن يحقق بعض هذه المواصفات بحيث بدت أخيراً بوادر أمل حقيقي بالوصول إلى القلب الآلي النموذجي المطلوب.

جارفيك رقم ٧

يتألف هذا القلب الآلي من مضختين مصنوعتين من البلاستيك والألمنيوم: مضخة يسرى تقوم بعمل البطين الأيسر من القلب

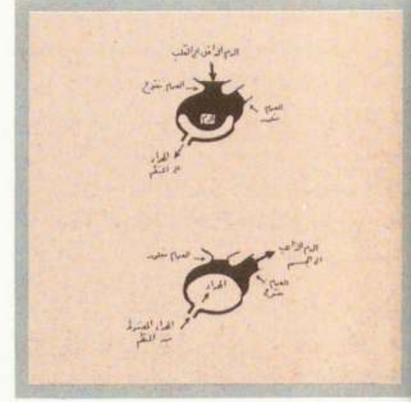
● القلب الآلي له مستقبل والتجارب مستمرة

● كل علماء الدنيا يتعاونون الآن لتحقيق النجاح الكامل للقلب الآلي



رسم توضيحي للقلب الآلي جارفيك رقم ٧

الطبيعي، ومضخة يمنى تقوم بعمل البطين الأيمن. وفي هذا القلب الآلي أربعة صمامات تقوم بعمل مماثل لصمامات القلب الطبيعي. تتألف كل مضخة في هذا القلب من قاعدة صلبة من الألمنيوم وجدران من البلاستيك، وتحتوي في داخلها على غشاء مرن رقيق من مادة بلاستيكية (Polyurethane)، يشكل هذا الغشاء مع القاعدة المعدنية تجويفاً يتصل بمنظم لعمل القلب عن طريق أنابيب بلاستيكية تمرر خارج جسم الانسان إلى المنظم، ويتم ضخ الدم بأن يقوم منظم القلب بتمرير نفخات من الهواء المضغوط إلى تجويف القلب الآلي تدفع الغشاء المرن الذي ينتفخ دافعاً أمامه ما يحتويه القلب من الدم، ثم يسحب المنظم الهواء من القلب الآلي فيعود الغشاء المرن إلى قاعدته ويسمح بذلك بامتلاء القلب بالدم من جديد، وهكذا يقوم المنظم بدفع الهواء المضغوط وسحبه من القلب الآلي بمعدل ٥٠ ـ ١٥٠ مرة في الدقيقة بحسب ما يحتاجه المريض. وهكذا نلاحظ أن هذا القلب الآلي لا يمثل بديلاً كاملاً للقلب الطبيعي وإنما هو في الحقيقة مضخة هوائية تقوم بعمل البطينين في القلب الطبيعي، كما أن طاقة الضخ التي يقوم بها هذا القلب الآلي مستمدة في الحقيقة من جهاز موجود خارج جسم المريض وهذا يحتم بالضرورة وجود أنابيب تصل القلب الآلي الموجود داخل صدر المريض بالمنظم الموجود خارج جسمه، وإن وجود مثل هذه الأنابيب يعني بالضرورة تحديد مجال حركة المريض كما يعني احتمال وصول الجراثيم إلى القلب الآلي داخل جسم المريض وبالتالي حدوث التهابات قد تؤدى إلى الوفاة كما حدث فعلاً في حيوانات التجربة. لا يمثل هذا القلب الآلي بديلاً مثالياً للقلب الطبيعي ولكنه على كل حال بديل مقبول في هذه الفترة من التقدم العلمي ومازالت الأبحاث مستمرة في سبيل الوصول إلى صنع قلب آلي يزرع في صدر المريض ويستمد

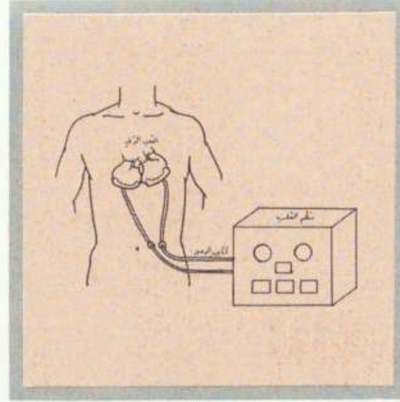


رسم توضيحي يبين آلية عمل
القلب الآلي جارفيك رقم ٧

طاقة الضخ من جهاز صغير يمكن حمله في نطاق يلبسه المريض حول صدره ويتمكن بذلك من القيام بالنشاط الانساني المعتاد . وقد حاول بعض العلماء في أمريكا استخدام الطاقة النووية والطاقة الكهربائية لتحقيق هذا الهدف ،إنما مازالت النتائج المبدئية غير مشجعة ومازالت التجارب مستمرة .

الحالة تزداد سوءاً

كان من المقرر أن يقوم الجراح ديفريز بإجراء عملية زرع القلب الآلي في صدر كلارك في صباح الخميس اليوم الثاني من شهر كانون الأول سنة ١٩٨٢ إلا أن حالة كلارك تدهورت بشكل سريع مساء الأربعاء وتسارعت دقات قلبه بشكل غير منتظم وراح في غيبوبة عميقة . قرر ديفريز إجراء العملية فوراً بشكل إسعافي في تلك الليلة إلا أن غرفة العمليات رقم ٤ المخصصة لعمليات القلب كانت مشغولة وفيها الطاقم الفني والجراحي الذي يساعد ديفريز في عملياته الجراحية . ومر الوقت بطيئاً ثقيلاً وحالة المريض كلارك تزداد سوءاً . وأخيراً في الساعة العاشرة والنصف من ليلة الأربعاء الأول من كانون الأول سنة ١٩٨٢ بدأت عملية زرع القلب الآلي ، وكان ديفريز ومساعدوه في حالة التعقيم الجراحي التام على استعداد لاجراء التداخل الجراحي الاسعافي إذا توقف قلب كلارك عن النبضان أثناء بدء التخدير واستمرت التحضيرات اللازمة للتخدير في حين كان الفنيون يحضرون مضخة القلب والرئة وجارفيك بينهم يتابع تحضير القلب الآلي وصوت الجهاز الالكتروني الذي يتابع دقات قلب كلارك يزيد من توتر الأعصاب وحساسية الموقف . تمت المرحلة الأولى من التخدير بنجاح واستطاع المخدر ناثان بيس Nathan Pace أن يمرر أنبوب التنفس في



مخطط توضيحي يبين اتصال القلب الآلي الموجود داخل صدر المريض بمنظم القلب الموجود خارج الجسم

القصبة الهوائية بأمان تام دون أن يسبب أي ضرر لقلب كلارك المنهك وبعدها بلحظات بدأ صوت جهاز التنفس الآلي الرتيب ليزيد من توتر الموقف . ورغم أن هؤلاء الأطباء والفنيين قد قاموا بمثل هذه الاجراءات مرات عديدة من قبل في عمليات القلب المفتوح وفي عمليات زرع القلب الآلي في حيوانات التجربة إلا أن الموقف هنا يختلف تماماً فهذه أول مرة يقومون بهذه التحضيرات لزرع قلب آلي في صدر إنسان شارف على الوفاة ، إنسان يموت الآن بين أيديهم ولن ينقذه شيء من الموت المحتم سوى نجاحهم في زرع هذه الآلة الصغيرة التي لم تختبر في إنسان من قبل ! وأخيراً حوالي منتصف الليل بدأ الجراحون عملهم على قلب كلارك وأتموا وصله بمضخة القلب والرئة ، تنفس ديفريز الصعداء وتابع العملية بهدوء على أنغام موسيقى رافيل Ravel . قطع ديفريز نقطة اللاعودة عندما استأصل البطينين المريضين من قلب كلارك وكانت تلك لحظة حرجة فقد أصبح كلارك الآن بلا قلب وفي حكم الموتى بشكل مؤكد إذا لم ينجح القلب الآلي في عمله . تناول ديفريز القلب الآلي من المرضة المساعدة وبدأ في خياطة توصيلاته إلى الأذينتين في قلب كلارك وهي خياطة تحتاج إلى كثير من الدقة والهدوء خاصة وأن أنسجة كلارك كانت ضعيفة متهتكة تحت تأثير العلاج الطويل بالكورتيزون ، واستمرت الخياطة مدة ساعتين كاملتين وحان الوقت لوصل القلب الآلي بالمنظم إلا أن المضخة اليسرى لم تعمل ..! وساد الموقف شيء من اليأس إلا أن ديفريز لم يفقد الأمل وقام فوراً بتغيير المضخة اليسرى من القلب الآلي بمضخة أخرى مماثلة .. ونجحت العملية .

مفـــاجـــأة

بعد عملية استمرت طوال الليل نقل كلارك إلى غرفة العناية المشددة في الساعة السابعة من صباح يوم الخميس وهو في حالة جيدة ولا شيء يدعم دوران الدم في جسمه سوى القلب الآلي . وبدا الوضع مبشرا بالأمل فقد تحسن دوران الدم في جسم كلارك إلى حوالي سبعة ليترات في الدقيقة وانتعشت كليتاه وكبده من جديد مع وصول مزيد من الدم إليهما . بلغ التفاؤل مداه بعد حوالي يومين من العملية وقالت زوجة كلارك : « هذه فرصة ثانية للحياة بالنسبة لنا » .. وفي ذلك اليوم بالذات ظهرت بوادر انتفاخ في الجانب الأيسر من صدر كلارك ، ولدى دراسة حالته ودراسة الصور الشعاعية تبين أنه يعاني من تجمع الهواء في أنسجة صدره . ما هو مصدر هذا الهواء : هل هو أنابيب الهواء المضغوط التي تصل المنظم بالقلب الآلي ؟ أم هو تسرب من رئتي كلارك ؟ إزداد الانتفاخ بسرعة تنذر بالخطر مما استدعى إجراء عملية جراحية ثانية تبين خلالها أن الهواءالذي سبب الانتفاخ صادر عن ثقوب صغيرة في الرئة اليسرى تم إغلاقها بسرعة وتحمل كلارك هذه العملية الثانية بكفاءة تامة وتحسن بعدها بسرعة بشرت بالتفاؤل من جديد .

مفاجأة غير سارة

مر يومان على إغلاق تسرب الهواء من رئة كلارك الذي كان يتحسن باستمرار وبدأ يسترجع قواه ويلقي بعض التعليقات المرحة . اقتربت الساعة من السادسة صباحاً وكان ديفريز كعادته في غرفة العناية المشددة بجانب سرير كلارك بعد أن قضى ليلته في المستشفى ساهراً على العناية بمريضه العزيز ، وفجأة بينما كان كلارك يتحدث إلى ديفريز انتابته اختلاجات شديدة عمت كافة أنحاء جسمه وراح في غيبوبة عميقة . واستمرت الاختلاجات طيلة ساعات ثلاث رغم الأدوية والعلاجات . الفشل ؟! راود ديفريز شعور مرير بخيبة الأمل فلابد أن سبب هذه الاختلاجات هو جلطة دموية انطلقت من القلب الآلي إلى الدماغ أو نزيف دماغي حاد نتج عن الأدوية المضادة للتخثر التي أعطيت لكلارك كي تمنع تخثر الدم في قلبه الآلي . وكلا الحالتين تعتبر مشكلة خطيرة حصلت مباشرة نتيجة لوجود القلب الآلي ، وهذا يعني بدوره فشلاً ذريعاً لهذه المحاولة ومأخذاً هاماً على هذا النموذج من القلب الآلي وتدهوراً خطيراً في حالة كلارك الصحية . إلا أن الدراسات الشعاعية وتخطيط الدماغ أظهرا عدم وجود جلطة أو نزيف في الدماغ .! وقرر الأطباء آنذاك أن هذه الاختلاجات ما هي إلا نتيجة لاضطراب التوازن الكيميائي في جسم كلارك

هل يستطيع الطب إطالة عمر الإنسان وتخليصه من الأمراض الخطيرة؟

زادت من حدته بعض الأدوية التي كان يتعاطاها والتوتر الذي عاناه خلال العمليات الجراحية . ساد الموقف شيء من الحزن واليأس لأن كلارك لم يسترجع كامل وعيه بعد تمام السيطرة على الاختلاجات إنما راح في حالة بين السبات واليقظة تنذر باحتمال حدوث ضرر بالغ بدماغه .

الفشــل !

استمر كلارك على حالته السيئة طيلة اسبوع كامل دون تحسن يذكر في حالة وعيه ، ورغم هذه الحالة المتأزمة فقد كان فيها بعض الأمل فقد أثبت القلب الآلي حتى الآن جدارته في دعم دوران الدم في جسم كلارك خلال الاجهاد الكبير الذي تعرض له أثناء الاختلاجات ورغم سوء حالة كلارك الصحية بشكل عام . إلا أن القدر لم يترك للأطباء في جامعة يوتا حتى هذا الشعور الخفي بالنجاح المتواضع ! في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الأول وبعد مرور اسبوعين على زرع القلب الآلي تدهورت حالة كلارك بشكل مفاجيء خطير وانخفض ضغط دمه إلى حالة مترديه تنذر بالوفاة . ومن جديد اندفع الأطباء مع كلارك إلى غرفة العمليات ، ولدى إجراء العملية الجراحية الثالثة تبين ديفريز أن سبب المشكلة هذه المرة هو فشل أحد الصمامات في المضخة اليسرى من القلب الآلي ، فقد انفصلت بعض أجزاء هذا الصمام تحت تأثير الضغط المتواتر في القلب الآلي ، وسمح انكسار هذا الصمام بضخ الدم في اتجاه معاكس مما أدى إلى فشل القلب الآلي في دعم دوران الدم في جسم كلارك . ومرة أخرى قام ديفريز باستبدال المضخة اليسرى من القلب الآلي بمضخة جديدة مماثلة ، ومن جديد عاد كلارك إلى التحسن بعد هذه العملية الثالثة .

النجــاح

جلس كلارك على كرسي مريح بجانب سريره في غرفة العناية المشددة وهو يتناول وجبة طعامه . لقد مر وقت طويل منذ أن تناول آخر وجبة طعام حقيقية ، حوالي شهر كامل على وجه التحديد منذ أن زرع القلب الآلي في صدره في تلك الليلة التي رأى فيها شبح الموت وطافت على وجهه المتعب ابتسامة خفية . لم يكن يدور في خلده قط ولا حتى في أكثر أحلامه تطرفاً وجنوحاً أنه سيحيا ذات يوم وفي صدره قلب آلي . آلة صماء خالية من الحياة والشعور تقوم بعملها بدقة وانتظام وصوتها الرتيب المبهم يذكره بوجودها في كل لحظة من لحظات حياته . ونظر إلى الانبوب الطويل الذي يمتد من صدره إلى المنظم الذي يقبع بجانب سريره صامتاً بارداً ومن خلفه أنابيب الهواء المضغوط التي تمد قلبه الآلي بقوة الحياة .. ! هذا هو قلبه الحقيقي .. ! إنه يكمن الآن خارج جسده في هذا الصندوق الصغير الذي ينظم دفقات الهواء المضغوط إلى قلبه الآلي ، وهذا الانبوب الذي يصله بالمنظم هو خيط الحياة .. ! فهو يعتمد الآن في حياته على هذا الانبوب مثلما يعتمد الجنين على الحبل السري الذي يصله برحم الأم لا يستطيع عنه انفكاكاً ولا فصلاً . لقد اتحد الآن في حياته مع هذه الآلة الصماء .. إنما لا بأس فلاشك بأن مجرد وجوده الآن على قيد الحياة أشبه بالمعجزة ، كما أنهم قد أخبروه بأنه ربما يغادر المستشفى حالما تتم الاستعدادات اللازمة لتجهيز بيته بالهواء المضغوط والمعدات وأجهزة الانذار والاسعاف ، بل وأنهم يقومون باجراء بحث مكثف وسريع بالتعاون مع خبرات ألمانية لتصغير حجم منظم القلب وجعله خفيف الوزن بحيث يمكنه حمله والتجول به وبذا يتمكن من تحرير حركته ، وأن هذه الأبحاث تسير الآن في تقدم حثيث بعد أن أمدها المتبرعون بالأموال اللازمة إثر انتشار الأخبار المشجعة عن حالته .

« إنه مغامر شجاع يعيش في رحلة ، رحلة بالغة التأثير على حياته وحياة الآخرين » قال صديقه بسرور واضح في حين قام ديفريز وأولاده السبعة بالغناء في غرفة كلارك في وحدة العناية المشددة واحتفلوا مع عائلته على أنغام أغاني أعياد الميلاد التي أعادت إلى ذاكرته أيام الطفولة والشباب . كانت هذه الفترة من أسعد لحظات حياته مع قلبه الآلي لأن حالته عادت بعدها إلى التدهور البطيء ، ورغم أن قلبه الآلي مازال يقوم بعمله بكفاءة وأمان إلا أن بقية أعضاء جسمه وخاصة دماغه ورئتيه مازالت تعاني من آثار سنين المرض الطويلة . إلا أنه مازال على قيد الحياة ، ومازال في إصراره بقية من قدرة دفعته إلى القول بصوت ضعيف متهدج : لا تيأسوا .. قالها للعالم الجليل كولف الذي قضى عمره متأرجحاً بين اليأس والأمل في الطريق نحو تطويع الآلة في خدمة الانسان .

وهكذا دخل بارني كلارك التاريخ كأول انسان يعيش بقلب آلي ، ورغم أن عملية ، زرع القلب الآلي كانت قد أجريت على الانسان من قبل في سنة ١٩٦٩ . ومرة أخرى في صيف سنة ١٩٨١ إلا أن تلك العمليات أجريت بهدف المحافظة على حياة المريض بشكل قصير مؤقت حتى تتاح الفرصة المناسبة لزرع القلب الطبيعي . في حين أن القلب الآلي الذي زرع في صدر كلارك يمثل الطريقة الوحيدة في العلاج وقد زرع هذا القلب للمحافظة على حياة المريض طوال الفترة المتبقية من عمره . عاش المريض الأول ٦٤ ساعة في حين عاش المريض الثاني ٤٨ ساعة فقط بعد زرع القلب الآلي ، ولم ينجح زرع القلب الطبيعي بعدها لدى أي منهما .

توفي بارني كلارك بعد حوالي ثلاثة شهور من زرع القلب الآلي ، ليس بسبب فشل هذا القلب وإنما بسبب تدهور حالة بقية أعضاء جسمه وكانت النهاية إثر حصول نزيف شديد في الأمعاء وحدوث الالتهابات الجرثومية في الرئتين . وقد تم زرع القلب الآلي بعده لدى ستة مرضى آخرين مازال اثنان منهم فقط على قيد الحياة ، وقد عانى كلاهما من الجلطات الدماغية التي سببت تدهوراً شديداً في حالتهما الصحية والعقلية . وهكذا فمازال القلب الآلي يعتبر في بدايات سيره كما تعثرت كثير من اختراعات الانسان في اختباراتها الأولية ، ومازلنا نذكر مصاعب الطيران والصواريخ في أوائل هذا القرن ولننظر الآن أين وصل الانسان في تطوير هذه الآلات .. ولننظر إلى القلب الآلي بعين الأمل والمستقبل كما نظر ذلك المريض الذي دخل التاريخ .

أثبت بارني كلارك وفريق الجراحين والعلماء في جامعة يوتا إمكانية نجاح القلب الآلي في دعم دوران الدم في الجسم ، ورغم أن تصميم هذا القلب الآلي قد تم على يد الخبراء في جامعة يوتا الأمريكية ، فقد تضافرت في تصميمه جهود علماء كثر من كافة أنحاء العالم في إضافات مستمرة على مر الزمن كما هو شأن بقية علوم الانسان .. فقد تراكمت المعلومات والخبرات دون تمييز في مصدرها بين قومية أو دين أو عرق أو حضارة أو دولة .. فالعلم الانساني ليس ملكاً لأية دولة أو حضارة بل هو نتيجة لجهود البشر في كل زمان ومكان ، ورغم أن زرع أول قلب آلي في صدر انسان قد تم في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان وراء هذا الانجاز العلمي الهام جهودٌ ساهم فيها ابن النفيس العربي وهارفي الانجليزي وكاريل الفرنسي وليندبرج الألماني وايك الروسي وستار الأمريكي وكولف الهولندي وآكوتسو الياباني وسلسلة طويلة من الأطباء والمهندسين والعلماء الذين درسوا وظائف القلب ودوران الدم ودرسوا الخواص الفيزيائية والحيوية للمواد وصمموا مضخات وصمامات عديدة وقاموا بتجارب لا حصر لها .. ولم تكن عملية زرع القلب الآلي التي تمت في جامعة يوتا في أواخر عام ١٩٨٢ إلا خطوة أخرى ناجحة .

عــامر شيخوني

وَأُنَقِّي قمحي مِنْ رَمْلِ الوزنِ

شعر: محمد القيسي

وأُنَقِّي قَمحي مِنْ رَمْلِ الوَزْنِ ، أُنقِّي الهَوْدَجَ والرُمحَ ، لِيَسْرحَ في بَهوِ الفَلَواتِ غزالاً ، أَو مَوجاً يَتَشكَّلُ في هَدْهَدَةِ نخيلٍ يبتعدُ ، أُنقيه فلا يَلتقطُ سنابلَهُ الطيرُ أُنقّي قَمحي إلاّ ما فَلَتَ هُنا وهُنالكَ رَغْماً عنّي وأنا أَعبرُ أَنفاقاً غامضةً ، أَو أَصعدُ جَبَلَ النَّرجسِ ، في مَطْلَعِ هذي الزَفرةِ ، أَو خَلَلِ صُراخي في بَرِّ اللُّغةِ المُوحشَةِ حَناناً كالقتلِ ، فلي ميزاني .

أَسْلَمتُ قيادي للكلماتِ تُلَوِّحُ بي دونَ عَروضٍ أَو سَقْفٍ رَسميٍّ ، وَتُطوِّحُني ، تُسرجُني برنينِ قبائلِ روحي الخاسرةِ ، وتلقيني في الأَبيضِ طفلاً لم ينطقْ بعدُ أَمامَ بكارةِ مخلوقاتي الأُولى ، حيث يُتاحُ فضاءٌ آخرُ لي ، تَتَشابكُ فيه خُيوطٌ شتَّى وأَراني

فوقَ جسورٍ عائمةٍ تَتَحَرَّكُ بي ، فأُجيزُ لها حُرِيَةَ أَنْ تَقْلَعَ أَو تزرعَ ، أو تنسابَ كموسيقى أَو طيرٍ بَحريٍّ . قلتُ لها أَيَّتها الفوضى المَوزونَةُ كُوني ، أَيَّتها الطُرُقاتُ المُلغومةُ بالوردِ أَجيريني يا كلماتُ لقد جُعتُ وَطَوَّفتُ قُراكِ ، وضعتُ على أَطرافِ صَحاريكِ ، هَجعْتُ ولم أَنطقْ بَعدُ بمعجزةٍ ، في حَضرتكِ نَزفتُ وفصَّلتُ دَمي آنيةً وَحريراً لِيقيني حَرَّ الهاجرةِ ، طَويلاً عُذْتُ مِنَ العُزْلَةِ ، مِنْ شَرِّ الصَمتِ ، بفاكهةٍ من نارٍ ، وأَعوذُ بِكِ الآنَ ، لِيخرجَ عنترةُ رشيقاً ومُعافى كالأُغنيةِ البَيضاءِ العَارِيةِ ، كماالأَعشاب بلا وزنٍ ، تتهادى كالطعنةِ كالقبلة تَخطِفُ كالقُبلةِ أَلواني

ها أَنَذا أَسلكُ هذا الوَعْرَ الغَسَقِّي إليكِ ،

فلم يبقَ على رَفْرافِ البيتِ سوى خمسِ حماماتٍ وبريدٍ لا يأتي ، وَعَرفتُ فَلا ملجأَ لي ، قُلتُ أَجيءُ وأَقطفُ ما لا يُقطَفُ مِنْ أَثماري الحجريَّةِ ، هُمْ مالوا برقابٍ يابسَةٍ وَدَعوني لِلرَمْضاءِ ، دَعوني ثانيةً للأَسفارِ ، دعوني

في جمهوريةِ هَذا الوَلَهِ الدافقِ ، أُنشدُ وأُصدِّرُ أَقواساً وبَيَاناتٍ لا تَصِلُ إلى أَحدٍ ، وهُرِعْتُ إلى النهرِ فما بلَّ جَفَافي ، وَوَصلتُ إلى كَرمٍ ، فَاسْتَيقَظَ مِنْ غَفوتهِ ، الحارسُ وَرَماني

لم أَقْطِفْ منْ ثَمرِ الكرم سَفرْجَلَةً واحدةً ، كُنتُ إِذنْ أَتأَملُ روحَ الأَشجارِ وصبوتها ، أَهمسُ في وحدتها المتأَلقةِ بما يُوجعُ مِنْ أَسرارِ الكون ، وَأَنتظرُ يَديكِ ، فَما هَطَلَ الغَيمُ ، وَلا هَدأَتْ قُطعاني

وَوَحيداً ظَلْتُ أَجولُ ، وَحيداً عَنترةُ يُغنّي ، وَيجُودُ في السَّهمِ ، وَحيداً ينتظرُ جَواداً وَيَداً لِيَفكَّ غُبارَ الصَدْرِ ، وَيَمسحَ ما عَلِقَ به منْ طينِ سُلالتهِ الغَاربةِ ، وما طوَّقَ دَمعتَه منْ هَمٍّ وَسَلاسِلَ ، والهَودجُ ينأى ، القافلةُ تُهوِّمُ في مَلَكوتِ الريحِ ، وَيَنأى في الأَسرِ حصاني

وَوَصلتُ إلى هَذا الطَقْسِ ، فَأَطْلَقتُ لِساني .

وَأَردْتُ حَصَاداً مُختلفاً ، وَأَردتُ لِعبلةَ ميلاداً آخرَ ، فأَقمتُ الأَعراسَ ، وَشَاعتْ في الخَلقِ أَناشيدي المُلتاعةُ قالوا كيف يجوزُ خروجُ العبدِ على سيِّدهِ ، كيف تؤولُ إلى يَدهِ مُلكيَّةُ أَنْ يَحلَمَ بالهَودجِ وَيغنّي ! تلك بدايةُ رُمحي ، أَوّلُ خيطٍ لوَّنَ ظُلماتي وَدَعاني

كَيما أَنثرَ روحي أَمواجاً ، وأُحرِّرَ خُطُواتي من وَعْثاءِ السَفرِ المألوفِ ، أُنقِّ موتي في إيقاعٍ لا بحرَ له ، وكما يحلو للصرخةِ والأَنَّةِ أَنْ تمتزجا دونَ رِباطٍ ، أَو تَشْتَجِرَا في وَهَجِ التَجربةِ غسلتُ يَدي مِمَّا كَانَ وَسَوَّاني .

وَخَرجتُ إلى مَا سَيكونُ ، خَرجتُ إليَّ ، أَمامَ عيونِ الأَشهادِ ، فَها هيَ عَبلةُ ، ها هَودجُها ينهضُ ، وَيَضوعُ عَراراً في الأَنحاءِ ، وَهاأَنذا عَنترةُ الثاني .

تـونس

السلطان عبد الحميد امام محكمة التاريخ

بقلم: فتحي رضوان

لا يزال العرب بحاجة إلى الوقوف طويلاً أمام تاريخ السلطان عبد الحميد، الخليفة العثمانى. الذى شغل الناس فى أوربا، وفى آسيا، وربما فى أمريكا بما فعل، وبما نسب إليه عن حق وعن حقد، وبعلم وبعد درس، وبجهل سوغ لكثيرين أن يتحاملوا على (عبد الحميد الثانى) ويتنافسوا فى رسم صورة له، لعلها أقبح مارسم لرجل ولحاكم.

وحاجة العرب إلى هذه الوقفات، ان صورة عبد الحميد التى انطبعت فى أذهانهم، واستقرت فى وجدانهم، لايقف أثرها على (عبد الحميد) السلطان والخليفة وحده، بل تجاوزته إلى الدولة الضخمة التى قادها زمنا غير قصير، ثم تجاوزت الدولة العثمانية، إلى الأمة العربية، ثم تجاوزت هذا كله الى العرب أنفسهم والمسلمين قاطبة. فقد اعتبر عبدالحميد رمزا على العرب والترك والمسلمين، وعد تاريخه تاريخ هؤلاء جميعاً فى الفترة التى امتدت من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٩٠٩ حين عزل هذا السلطان من عرشه، بعد أن ثار عليه الجيش التركى فى يوليو سنة ١٩٠٨.

ولا بد لنا أن نقول إن السلطان عبدالحميد تولى الحكم فى بلاده فى فترة كانت فيها الدول الاستعمارية تتزعمها انجلترا وفرنسا، وتليهما ألمانيا وايطاليا، وتتبعهما بلجيكا وهولندا، ثم اسبانيا والبرتغال، قد قررت أن تهجم هجمتها الكاسحة للشرق الأقصى، وللشرق الاسلامى، وللشرق العربى، وكانت هذه الدول فعلت كل مافى وسعها، تمهيداً لهذه الهجمة، وتوسيعاً لنطاقها، وتعميقاً لآثارها. فقد أطلقت سفراءها وقناصلها، ومعاهد للتعليم، ومراكز للبحوث وشركات ضخمة للتجارة، وجواسيس فى شكل علماء، وفى زى ساسة، وفى صورة مراسلى صحف. وكانت غاية هذه الجماعات المتعددة، والمتنوعة، هي زرع كل أسباب الفتنة، وكل دواعى الضعف، وكل أجواء التحلل والتفكك ولذلك كان لابد أن يكون رجلاً على رأس أكبر دولة غير أوربية تقع فى أعلى بقعة من الأرض بين أوربا وآسيا، وفي طريق أخطر خطوط الملاحة هدفاً لحملات الغرب الضارية، لتحرمه من كل فضيلة، ولتلصق به كل رذيلة، ليخرج شيطانا، وسفاكا للدماء، وملاكا للموت بأنواعه ووسائله: الخنق والشنق، والحرق، حتى امتلأ البوسفور بضحاياه، وسد بعظام قتلاه وجثثهم.

وتهيؤ الاستعمار للانقضاض على الشرق كله: الشرق الاسلامى والشرق البوذى والبرهمى، والكونفوشيوسي، تحول الى انقضاض كامل وغزو تام، فبريطانيا بعد أن أخمدت ثورة الهنود المغول فيما بين سنتى ١٨٥٧ ــ ١٨٥٨، التى كادت تنتزع الحكم البريطانى من أساسه، انطلقت الجيوش البريطانية كالاعصار تكتسح أمامها الهنود كأعواد القصب، وتقتل الآلاف، وتذبح الرجال والأطفال والنساء، وتدمر وتحرق، ولم يعد للمسلمين الهنود حاكم يدعون له فى مساجدهم بعد صلواتهم فى أعيادهم، فاتجهوا الى الخليفة العثمانى. وفى نفس الوقت غزا الروس القياصرة طشقند وسمرقند سنة ١٨٦٨، وأحالوا إمارة بخارى الى دويلة صغيرة لاحول لها ولاقوة، اضطرت الى أن تدور فى فلك الامبراطورية الروسية، وجاءت الحرب الروسية التركية فى سنة ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨، فهددت وجود الدولة العثمانية إذ وصلت جيوش القيصر الروسي حتى حدود استانبول، ثم ازداد الخطب وعمت المصيبة

فاستولت فرنسا على تونس سنة ١٨٨١ وأعلنت عليها حمايتها ، ثم دخلت جيوش بريطانيا القاهرة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ .

فى هذا الجو الملىء بالشعور بالهزيمة والضعف ، والاحساس بالأخطار المحدقة بدولة تركيا ، جاء السلطان عبدالحميد ليرتقى عرش بلاده ، وكان عليه أن يمسك بأطراف ملك يتفكك ، وتنحل أواصره ، ويحمى دولة يود مئات الأعداء أن يستولوا عليها ويلتهموها أشلاء .

ولذلك كان مما يكمل الخطة الموضوعة ، أن تشتد الحملات على رأس هذه الدولة التعسة التى أفل نجمها ، وانحدرت من عز وصولة ، الى الغروب . وفى وجه هذه الرياح العاصفة وقف السلطان عبدالحميد ، يحاول أن يعمر فى الداخل وأن يحمى الذمار فى الخارج .

ولم يكن ممكنا وسط إعصار هذا الغزو الجامح أن يذكر لرأس الدولة العثمانية أعظم أمبراطورية شرقية عرفها العالم ، واستمرت سداً فى وجه السيل المكتسح ، فضل واحد ، ولكن فى السنوات الأخيرة ظهر من المؤرخين الغربيين من اعترف بما أسداه السلطان عبدالحميد لبني قومه .

وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى فى موسوعته التاريخية العظيمة الموسومة باسم «الدولة العثمانية دولة مفترى عليها» ، وأسمى مؤرخين معاصرين أنصفا السلطان عبدالحميد وهما ستانفور شو وزوجته ايزال كوراك فى كتابهما تاريخ الامبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة ، الذى أتبعاه بكتاب آخر عنوانه الاصلاح والثورة والجمهورية ، نشوء تركيا الحديثة .

وهناك مؤرخ اسمه برنارد لويس الذى ألف كتابه المعنون (ظهور الدولة التركية الحديثة)

هذان المؤرخان الغربيان ومعهما مؤرخون عرب فى مقدمتهم الاستاذ الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى ، سردوا مآثر ومناقب السلطان المغبون عبدالحميد الثانى ، ونحن ننقل عن هؤلاء بعض ماأسداه هذا الحاكم المظلوم ، ليعرف جيلنا بعض الذى نهض به ، وأداه هذا


السلطان عبدالحميد

الرجل الذى رفض فى إباء وتصميم ، أن يسمح لحركة الاستيطان الصهيونية أن تتسلل الى فلسطين العربية ، وقد أشرت الى موقفه هذا فى مقال بالدوحة .

كان التعليم أول ماشغل بال السلطان عبدالحميد رحمه الله وغفر له ، وكان ذلك منه فطنة وبعد نظر وحسن تقدير ، فالأمة التى تريد أن تنهض لابد أن تتسلح بالعلم وان تلتمسه فى جميع مظانه وتنفق عليه الشىء الكثير من الجهد والمال ، فالتعليم هو السبيل للقوة والنظام ، ولإصلاح أداة الحكم ، ولتهيئة الشعب للرقابة الصالحة المستنيرة للحكام ، ولاستنباط موارد جديدة للدولة ، ولاحسان استغلال مواردها القديمة .. الى آخر مايعرفه كل عاقل فى هذه الدنيا ، وكل داع للاصلاح ، وكل حريص على مصلحة أمته وذويه .

إهتم السلطان عبدالحميد بايجاد توازن بين التعليم العسكرى والتعليم المدنى ، فأنشأ كليات ومدارس عليا ومعاهد فنية لتخريج رصيد بشرى من ذوي الخبرة يهتمون بالنهوض بالدولة ، مع اهتمامه فى ذات الوقت بالتعليم العسكرى والمعاهد العسكرية (١) .

ومنذ سنة ١٨٧٧ ، أى السنة التالية لارتقائه العرش بدأ بالمدرسة الملكية وهى أول مدرسة ملكية (أى مدنية غير عسكرية) أنشأتها الدولة سنة ١٨٥٩ فى عهد السلطان عبدالمجيد ، فأعاد عبدالحميد تنظيم هذه المدرسة وأضاف الى مناهجها التقليدية القديمة مناهج حديثة وفتح أبوابها للطلبة ، الوافدين من الأقاليم العثمانية غير التركية كالبلاد العربية مثلا والبلاد الأوربية الواقعة فى شرق تركيا .

وقد قفز عدد خريجى هذه المدرسة من ٣٣ الى ٣٩٥ فى عهد عبدالحميد .

ومن المدارس العليا التى أنشأها عبد الحميد : المدرسة السلطانية للشئون المالية ومدرسة الحقوق أو مكتب الحقوق الشاهانى الذى كان يعرف باسم (مكتبى حقوق شاهانى) ومدرسة الفنون الجميلة سنة ١٨٧٨ ، والتجارة سنة ١٨٨٢ ، والهندسة المدنية سنة ١٨٨٤ ، والطب البيطرى سنة ١٨٨٩ ، والشرطة سنة ١٨٩١ ، والجمارك سنة ١٨٩٢ ومدرسة طب حديثة يعلم فيها أساتذة كبار غربيون من كل دولة كبريطانيا وألمانيا وفرنسا سنة ١٨٩٨ . وقد توج عبدالحميد نشاطه الواسع فى مجال التعليم بانشاء جامعة استانبول ، وكان مشروع الجامعة ، أملاً قوميا فى تركيا ابتداء من سنة ١٨٤٥ ، وقد درس هذا المشروع فى عهد عبدالحميد دراسة طويلة ، تناول كل جوانب المشروع الفنية والعلمية والمالية والادارية ، وبدأ عملها النافع والمؤثر فى أغسطس (آب) سنة ١٩٠٠ ، وكانت تتبع وزارة المعارف التى كانت تعرف بالتركية باسم (معارفى عمومى نظارتى) . وقد ضمت هذه الجامعة أربع كليات فى مقدمتها كلية للعلوم الدينية العالية من فقه وتفسير وحديث وأصول دين فى حين كانت كلية الآداب تدرس اللغات التركية والعربية والفارسية والفرنسية وآداب هذه اللغات ، والتاريخ العام ، والتاريخ التركى ، وإلى جانب هاتين الكليتين قامت كليتا العلوم وشعبتان للرياضة والعلوم الطبيعية ، وكانت جامعة استانبول أول جامعة تنشأ فى العالم الأسلامى .

وكان لابد لهذه النهضة الشاملة فى مجال

السلطان عبد الحميد
امام محكمة التاريخ

التعليم أن تؤسس على المعلم التركى العالم بأصول التربية الحديثة فأنشئت لذلك دور للمعلمين ، وكان واجبا كذلك توفير مورد مالى دائم للانفاق منه على مختلف المعاهد والكليات والمدارس التى زاد عددها وتعددت درجاتها ، ففرض عبدالحميد ضريبة خصص حصيلتها لهذا الغرض السامى . ولم يفرق عبدالحميد بين التعليم المدنى وإقامة جامعة ودور للمعلمين مع الاكثار من المدارس الثانوية التى هى العمود الفقرى للتعليم فى كل بلد ، عن التعليم العسكرى ، فقد أنشأ كليات حربية على الطراز الحديث فى مدن أدرنه ومناستر ودمشق وبغداد وغيرها من المدن الكبيره المنتشرة فى انحاء الامبراطورية المترامية الآفاق كما أنشأ مدارس للبحرية العسكرية والبحرية التجارية . وكانت المدارس الحربية ، مدارس للعلم المدنى نفسه فقد كانت هناك مدرسة للهندسة العسكرية والطب العسكرى ، وخريجو هذه المدارس كانوا علماء يساهمون فى المجهودات المبذولة لبناء الدولة وتنميتها روحيا ومادياً .

والطريف الذى يجب أن يسجل لعهد عبد الحميد الذى رمى بالتعصب الشديد وكراهية أبناء الأديان الأخرى والجاليات غير المسلمة ، أنه فتح أبواب المدارس العسكرية للمواطنين العثمانيين غير المسلمين ، فكان من هؤلاء الخريجين يهوداً ، ويونانيين ، وأرمن ، وكانت بين تركيا وهذه الجاليات خصومات أفضت الى مذابح دبرها وعمل لها وهيأ أسبابها الاستعمار الغربى الأمر الذى سنشير إليه فى حديث تال باذن الله .

أما المكتبات العامة فقد انتشرت فى أنحاء الامبراطورية ، فكانت معاهد مكملة للمدارس والكليات كما امتلأت بالكتب بكل اللغات القديمة والحديثة من انجليزية وفرنسية وألمانية وايطالية وقد أظهرت الاحصاءات أن أكثر هذه المكتبات كان مزدحماً بالرواد من طالبى العلم وواضعى الرسالات الجامعية والبحوث العلمية ، وطالبى الثقافة العامة .

وفى هذا الموضع يجب أن يذكر هنا اسم سياسى تركى وصل الى أعلى سدة للحكم ، وهى رياسة الوزارة التى كان يسمى شاغلها باسم (الصدر الأعظم) أربع مرات ، ذلك هو كوجول سعيد ، وكان محمد سعيد باشا هذا مصلحاً نشيطا ، وصل الى رياسة الوزراء كما قلنا ، وكان وصوله لهذا المكان الخطير لأول مرة فى أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٨٧٩ .

ولم يكتف بالسلطة يسخرها للاصلاح ونشر التعليم ، وشق الطرق ، واقامة المبانى العامة واصلاح قوانين الادارة ، وقد وضع الرسائل داعيا الى رعاية ثلاثة مرافق يراها أساس الملك ، وقاعدة السلطان هى التعليم والقضاء والمال .

وقد شرع عبدالحميد يتأثر خطى هذا المصلح ، فنجح نجاحا باهرا فى مجال التعليم كما سبق القول ، وشرع يصلح المحاكم ، ويسعى فى تخريج قضاة درسوا القانون ، وعرفوا الشريعة ، وتهيَّأوا لأداء مهمة القضاء الثقيلة ، ولكن الدول الأجنبية أصرت على التمسك بامتيازاتها القضائية التى منحها السلطان التركى أول مامنحها لرعاية الفرنسيين تبعا لطلب الملك فرانسوا الأول وكانت مقصورة فى البداية للتجار التابعين لهذا الملك ، ولكن مالبثت الدول الغربية ان جعلت من تلك الامتيازات قيداً فى عنق الدولة التركية ، وغلا فى أقدامها ، وقد حال ذلك بعض الاصلاح القضائى المرجو لكى تبقى الدولة العثمانية متعثرة فى خطاها نحو الاصلاح المنشود .

وقد كان تعدد الجهات التى تتبعها المحاكم من عيوب النظام القضائى التركي فى عهد عبد الحميد ، وعهد الذين خلفوه حتى قام الحكم الكمالى بقيادة أتاتورك وألغى الامتيازات ، فقد كانت المحاكم الملية التى تفصل فيما عرف بالأحوال الشخصية تابعة لوزارة الخارجية ثم اتبعت لرئيس الوزراء (أى الصدر الأعظم) وذلك لحساسية ماتتعرض له هذه المحاكم فى بعض القضايا وإن بدا أن قضاياها قليلة الشأن لأنها تدور أصلاً حول الزواج والطلاق ونفقات الزوجات والمطلقات والأولاد ، ولكنها كانت تنظر أيضا فى الوصايا والأوقاف ، وبعض المنازعات .

وقد عرفت مصر ــ وعدد من الدول العربية ــ نظام الأقليات الأجنبية وعانت منه معاناة شديدة . ومع ذلك كان الاحتلال البريطانى يشكو منها أيضا لأنها كانت تتيح لعدد من الدول الأجنبية أن تعترض على بعض التشريعات التى يود المحتلون فرضها لصلحتهم ، ولذلك كان الانجليز يضغطون على بعض الحكومات المصرية لتطلب إلغاء الامتيازات ، ولكن حزب مصطفى كامل فطن الى مايسعى له الاحتلال البريطانى فرفض الدعوة لالغائها إلاَّ مع الجلاء البريطانى . ولذلك ماكاد المصريون يقبلون توقيع معاهدة مع الاحتلال البريطانى سنة ١٩٣٦ حتى كان من أول شروطها أن تساعد بريطانيا مصر فى الحصول على معاهدة مع الدول صاحبة الامتياز فى مصر لالغاء الحكم فى عهد عبدالحميد على هذه الجوانب الفكرية والروحية من تعليم وثقافة بل اتجه الى مايسمى اليوم بالبنية الأساسية للدولة ، يعنى السكك الحديدية ، والمواصلات السلكية واللاسلكية والقناطر والجسور . وقد حقق فى هذا المجال عهد عبد الحميد تقدماً غير قليل .

ولكن لعل أهم مافعله السلطان عبد الحميد ، هو اصداره دستور سنة ١٨٧٦ فى الثالث والعشرين من ديسمبر (كانون أول) ويسمى هذا الدستور عند الأتراك (المشروطة) لكن روسيا أعلنت الحرب على تركيا فى فبراير ١٨٧٨ ، وقد توالت هزائم تركيا ، فأوقف السلطان هذا الدستور ، فى ١٤ من فبراير شباط ١٨٧٨ ، أى عقب الحرب الروسية التركية ولكن هذا حديث آخر ــ نعود اليه فى حديث تالٍ باذن الله .

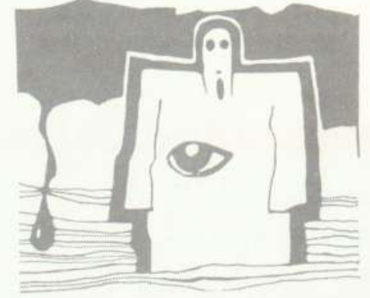
فتحى رضوان

هامش

(١) الأستاذ عبد العزيز الشناوى ص١١٥٨

قصيدتان

شعر: كمال نشأت

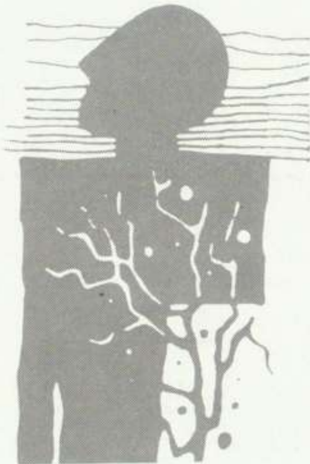


القُطيطة والعجوز

تسكعت أشعة الشمسِ
ورقدت قطيطة نحيلةٌ
إلى جوار بابْ
والباعة الذين يزعقونَ
والحوار.. والسبابْ
وكان يمشي..
حاملا رجليه..
في عينيه..
دمعةٌ يابسةٌ
وحفنةٌ من العذابْ
أولاده
تشردوا في المدنِ البعيدةِ الكئيبة الضبابْ
وزوجه
لمّا تعدْ تلقاهُ عند البابْ
وحينما استراح فوق حافة الرصيفْ
تقدمت قطيطةٌ نحيلةٌ
قَاسَمها بقيةَ الرغيفْ

في المطار

وازدحم المطارْ
الناس في انتظارْ
القلق الذى ينفسونه ثرثرةً
قد انتهى
ونام بعضُهم مفتّح العيونْ
وقام بعضُهم
يسأل.. والسؤالْ
يُسأل بعد حينْ
والطائره
قد أعلنوا غيابها
للواحده
وأنتَ والسيجارة العشرونْ
ترقبٌ مجنونْ
للواحده...





كان « س . ص » رجلا جادا متزمتا ، يسكن مدينة مزدحمة . ويمـتلك سيارة حديثة ، ويعمل مديرا باحدى الادارات الحكومية ، ويعيش مع عائلته الصغيرة فى رفاهية معقولة .. لكن زوجته ماتت وهو فى سن الأربعين ، وتركت له أطفالا لم يتجاوز أكبرهم الرابعة عشرة، فزادت أعباؤه وهمومه بين عمله وبيته ، وذات يوم حدثت مشادة حامية بينه وبين أحد مرؤوسيه ، وبعد أن خرج المرؤوس ، دخل آخر ليجد « س . ص » بين الموت والحياة ، وتبين فيما بعد أنه قد أصيب « برصاصة » أحدثت له نزيفا فى مخه ، ومن هنا تبدأ التحريات .. فمن الذى قتله ؟ ..

احذر القاتل الصامت وعملاءه!

بقلم : د . عبدالمحسن صالح

ان قصة « س . ص » تتكرر يوميا بطريقة أو بأخرى ، وهو ــ بلاشك ــ ضحية من ملايين الضحايا .. ضحية لقاتل صامت قد يزوره فجأة فيقتله أو يصيبه بالشلل ، لكن القاتل يأتيه هذه المرة من داخله .. أما « الرصاصة » التى أحدثت النزيف فهى ارتفاع ضغط الدم !

لكن ارتفاع ضغط الدم لا يقتل عن طريق المخ فحسب ، بل تمتد يده الآثمة الى القلب فينهكه ، والى الكلية فيحدث فيها فشلا كلويا يعانى منه الملايين .. لكن المصيبة أن كل هذا وغيره قد يحدث دون أن يحس الضحية أنه مصاب بارتفاع ضغط الدم !

أذكر منذ ست سنوات أننى كنت فى زيارة لأخى ، وقضيت الليل عنده ، وفى الصباح كان كل شىء هادئا ومريحا وعاديا ، وبعد الافطار ، تمددت لأحتسى فنجانا من القهوة ، وأدخن سيجارة ، وفى أثناء ذلك أحسست كانما هناك خناجر تتحرك فى صدرى ، وأسرع أخى باستدعاء طبيب ، فوجد نبضى مرتفعا ، وضغطى عاليا على غير العادة ، ورسم القلب يشير الى حدوث جلطة فى أحد شرايينه (كانت الثانية حتى ذلك اليوم) ، ولقد تأكد ذلك عندما أدخلونى حجرة العناية المركزة لأقضى بها تسعة أيام .

الغريب أننى لم أكن أشكو اطلاقا من ارتفاع ضغط الدم ، ولا كذلك أشارت اليه أية فحوص سابقة ، كما أن ارتفاعه الفجائى كان غير محسوس عندى ــ انما جاءنى الاحساس عندما انطلقت « رصاصته » الخفية الى القلب لتقاوم النبض وضخ الدم ، وكان من الممكن أيضا أن تطيش أخرى فى المخ ، لكن الله سلم !

ليس معنى ذلك أن كل من ارتفع ضغط



شكل (١) جلست هذه السيدة الى جهاز ضغط الدم الذى زودت به الأماكن العامة ، ليقيس لها ضغطها بعد ان تضع فيه نصف دولار .. فالأمريكيون أكثر شعوب العالم ارتفاعا فى ضغط الدم .



شكل (٢) فى مثل هذا الزحام تتوتر الأعصاب ، خاصة اذا كان الانسان على موعد هام ، أو ممن يواظبون على الذهاب الى أعمالهم فى مواعيد مضبوطة ، أضف الى ذلك أن كثرة استخدام السيارة يزيد الخمول فى الدورة الدموية ويساعد على ترسيب الكولسترول فى الشرايين

دمه يصاب بجلطة فى القلب ، أو نزيف فى المخ ، أو فشل فى الكلى .. الخ ، بل يعنى أن حدوث هذه الأعراض قد تكون أكثر احتمالا فى وجود هذا الضغط عنه فيمن كان ضغطهم معتدلا .

احصائيات مخيفة

ولاشك أن معظمنا يعرف المعدلات الطبيعية لضغط الدم ، وكيف يقاس بجهاز الضغط .. ان هذا المعدل المضبوط يقع فى أغلب الأحيان عند ١٢٠/٨٠ ـ فالرقم الأول يشير الى الضغط أثناء انقباض عضلة القلب ودفع الدم خلال الشرايين ، والثانى يوضح الضغط عند انبساط العضلة تماما ، ومن الميسور قياس ذلك بنفسك بأجهزة الضغط الحديثة التى تنبهك الى القراءة الأولى والثانية دون عناء .. لكن هذا المعدل يتأرجح قليلا زيادة ونقصا ، إذ يكفى تدخين سيجارة لرفعه ، او طعام به ملح زائد ، أو مشادة كلامية مثيرة ، أو الوقوع تحت توتر واجهاد ، أو بذل مجهود بدنى ، أو حتى أثناء ممارسة الجماع .. وكل هذا وغيره يعتبر من الأمور العارضة التى ترفع الضغط ، ثم يعود الى توازنه بزوال المؤثر .. أى أن ذلك ظاهرة طبيعية وليست مرضية ، اللهم الا اذا زاد المؤثر عن حدوده ، فيرتفع الضغط الى درجات تنذر بخطر داهم ، مالم يتنبه الانسان لذلك .

لكن ضغط الدم يعتبر مرضا اذا ارتفع معدله باستمرار عن ١٤٠/٩٠ ، وان كان معظم الأطباء لايعتبرون ذلك نذير خطر ، بل هو على شفا الحدود المسموح بها ، فهناك مثلا من يعيشون سنين طويلة وضغطهم يرتفع عن تلك الحدود (أى قد يصل الى ١٨٠/١١٠ أو أكثر) .

وأيا كانت الأمور ، فلا أحد يعرف بالضبط الميكانيكية البيولوجية التى تؤدى الى ارتفاع الضغط ، لكن العوامل أو المؤثرات التى تتسلط على الانسان فترفعه معروفة أسبابه التى تؤثر علينا ، وهى التى قدمناها فى بداية المقال مع « س . ص » على هيئة قصة تصورية ، لكنها تحمل بعض العوامل التى تؤثر على الفرد ، فتحدث فى داخله تفاعلات لم تكن فى الحسبان ، وهى ـ مع ذلك ـ تختلف بين انسان وانسان ، فالحساس ينهار ، وبليد الحس أو الصامد يقاوم .. وأنت ـ بلاشك ـ تستطيع أن تستخلص من قصة « س . ص » (وهو ليس واحدا بعينه ، بل يرمز لكل من يتعرض لارتفاع الضغط) أن ضغطه كان نتيجة عوامل أرغمته المدنية الحديثة أن يعيش فيها ، أو يتعايش معها .. لكن قبل ان نتعرض لهذه العوامل ، كان من الأوفق أن نسوق هنا بضع احصائيات عالمية تشير الى أمور لم تكن لترد على الخاطر .

فمن هذه الاحصائيات مايشير الى أن المجتمعات الحضرية أكثر اصابة بارتفع ضغط الدم من المجتمعات الريفية والبدوية والبدائية ، وتعليل ذلك لايحتاج الى فراسة ، وان كنا سنتناول ذلك فى سياق المقال .. لكن المجتمعات الحضرية درجات ، ولهذا فان

احذر القاتل الصامت وعملاءه!

أرقاها درجة ، يكون أكثرها ضغطا ، يستوى فى ذلك ضغوط الحياة وضغوط الدم (فالأولى – على أية حال – تسبب الثانية) .. وعموما فهناك إحصائية تشير الى وجود فرد واحد من بين كل خمسة أفراد (فى الدول المتقدمة) مصاب بارتفاع ضغط الدم (أى أن ٢٠٪ منهم مصابون) – لكنها أكثر قليلا من ذلك بين الأمريكيين ، على حسب ما ورد فى مجلة مختارات العلم الأمريكية ، إذ يوجد مابين ٥٥ – ٦٠ مليونا من الأمريكيين (من بين ٢٣٠ مليونا) يزيد ضغطهم عن ١٤٠/٩٥ ، ومن ثم يعتبرون من المرضى بارتفاع الدم ، لكن نصف هؤلاء المصابين يعرفون انهم كذلك ، والنصف الآخر لايعرف ذلك .

وعلى هذا البلاء الذى يتسلط على الأمريكان يعلق دينيس جرادى فى دراسته المنشورة بمجلة « اكتشف » العلمية الأمريكية : « ان ارتفاع ضغط الدم يصيب الأمريكان بدرجة لم يكن يتوقعها أحد ، لكن العلاج منه قد أنقذ أرواحا كثيرة لم يكن يتصورها أحد » !

ان التقدم العلمى والتكنولوجى والحضارى لاشك يحتاج الى فكر وعرق ومثابرة وتنافس وجدية وأعصاب ، ولكل هذا ثمن ، ومن أجل ذلك كانت الولايات المتحدة أغنى وأقوى دولة فى العالم ، لكنها – فى الوقت نفسه – تمتلك أعلى نسبة من ارتفاع ضغط الدم ، ومن هنا فقد اختار الأمريكيون شهر مايو من كل عام ليصبح « شهر ارتفاع ضغط الدم » .. ولقد ذهب الهوس والخوف الى مداه ، لدرجة أن وضعت أجهزة اليكترونية فى الأماكن العامة لقياس الضغط مقابل نصف دولار (شكل ١) .

حلقات متشابكة

لكن ارتفاع ضغط الدم ذاته قد يكون محتملا ، لأنه فى أغلب الأحيان لايسبب شعورا بالألم أو المضايقة ، ومع ذلك فخطورته تكمن فى أنه غير محسوس ، اذ انه يدمر ويقتل فى الخفاء ... فمعظم حالات تصلب الشرايين ، وما قد ينتج عنها من أزمات قلبية (تؤدى أحيانا الى الوفاة) قد يساعد ارتفاع ضغط الدم على حدوثها ، واذا حدث التصلب ، أدى الى ارتفاع الضغط ، ويعنى ذلك أيضا أن علاج ارتفاع ضغط الدم يخفض نسبة احتمال حدوث هذه الأزمات ، وهذا ما أثبتته بالفعل دراسة فرامنجهام التى استمرت ثلاثين عاما على ٥٢٠٩ شخصا مصابين بهذا المرض .

ثم ان ارتفاع ضغط الدم يعنى عبئا على القلب ، لأن اندفاع الدم منه أثناء النبض يجد مقاومة ، وطبيعى أن يزيد هذا العبء بزيادة الضغط ، والضغط نفسه يزيد بزيادة تصلب الشرايين ، إذ من المفروض أن تكون الشرايين مرنة ، لتستوعب تدفق الدم من القلب ، أما تصلبها فشىء فى غير صالح الكائنات الحية ، ومنها الانسان بطبيعة الحال .

لكن تصلب الشرايين أساسه العادات الغذائية السيئة .. أى الاسراف فى الطعام ، وتناول الوجبات الدسمة الغنية بالكوليسترول (لمزيد من التفاصيل ، أنظر مقالنا فى العدد السابق من هذه المجلة) .. وأساسه أيضا عدم تنشيط الدورة الدموية ، وهذا من سيئات المدنية الحديثة ، لأنها منحت الانسان سبل الراحة ، فالسيارة تحمله ، والمصعد يرفعه ، والعمل المكتبى يأسره ، ومشاغل الأسرة ترهقه ، والزحام يؤرقه .. الى آخر هذه الأمور التى لم تكن موجودة فى العصور السابقة ، ففى مثل تلك العصور لم يعرف الناس ارتفاع ضغط الدم ، ولا الأزمات القلبية بنفس الصورة الوبائية التى نعرفها فى ايامنا الحاضرة .

« س . ص » مثلا يذهب الى عمله بسيارة ، وهو يسكن مدينة مزدحمة ، ويريد أن يكون منضبطا فى مواعيده ، لكن اشارات المرور تلعب بأعصابه ، فيصيبه القلق والتوتر (شكل ٢) .. وعندما يصل الى عمله ، فقد لايجد موقفا لسيارته ، أو قد يجده ، فيسبقه اليه آخر ، وتثور أعصابه ، أو قد يجد مالا يسره أثناء قيادة السيارة ، فيزاحمه على الطريق متهور ، فتثور الدماء فى عروقه ، وهذا فى حد ذاته ارتفاع أكيد لضغط دمه – أى أن التوتر يلازمه فى طريقه ، وفى عمله ، وفى قيادته ، وربما أيضا فى بيته ، وكل هذه ضغوط نفسية لها ثمنها الذى ينعكس دائما على دمه وشرايينه وقلبه وضغطه .. الخ .. انها محصلة سيئة يعيش فيها اهل المدن المزدحمة ، ومن اجل هذا كانت أمراضهم أعظم .

خذ على سبيل المثال ذلك البحث الذى أجراه بعض الأطباء الانجليز على عدد كبير من سائقى ومحصلى أوتوبيس النقل العام بلندن ، وفيه تناولوا احتمال حدوث الأزمات القلبية والاصابة بارتفاع ضغط الدم ، بين هؤلاء ، مع أخذهم فى الاعتبار العوامل الأخرى مثل السن والحالة الاجتماعية وما شابه ذلك .. ولقد جاءت النتائج متوقعة ، اذ كان معدل الازمات وارتفاع الضغط بين السائقين أعلى من المحصلين – وتعليل ذلك لايخفى على لبيب .. فجلوس السائق أمام عجلة القيادة لساعات طويلة ، وتوتر أعصابه ، من حركة الطريق امامه ، يختلف عن المحصل الذى يتحرك باستمرار بين الركاب ، ومن أسفل الى أعلى وبالعكس (أوتوبيسات لندن من دورين) ، ودون أن يشغله شاغل كما هو الحال عند السائق .

يؤكد ذلك التجارب التى أجراها العلماء على الحيوان ، إذ عندما تعرضت مجموعة منها لعوامل الخوف والتوتر والخمول والزحام ، ظهرت عليها نفس العلامات التى يمكن أن تظهر على الانسان ، فى حين أن المجموعة الأخرى التى عاشت فى مكان فسيح ، وجو مريح ، ونشاط مباح ، لم تظهر



شكل (٣) عندما عرف الأمريكيون أن حياة الركود والخمول من الأسباب المؤدية الى أمراض الدورة الدموية ، بدأوا فى ممارسة النشاط الرياضى بأنواعه ، ومن هذا النوع رياضة الجري ، وفيها تنطلق جموع غفيرة من كل الأعمار ، ومن النساء والرجال ، ولعدة كيلومترات ، وكل حسب قدرته .. لاحظ ذلك الانسان الكسيح فى أسفل يسار الصورة ، وهو يمارس الرياضة ، لكن بساعديه

ـ بلا شك ـ يختلف عن بشر دائمى التنقل والترحال فى أجواء مفتوحة (كالمجتمعات البدوية مثلا) ، او الذين يعملون فى الحقول والبساتين ، فهذه الحياة الخلوية غير المقيدة بقيود المدنية قلما تجد فيها ضغط دم مرتفع ، أو أزمات قلبية .. وهذا ماعبر عنه الشاعر جون دريدن فى مروياته على لسان حال الحيوان ، ننقلها هنا بتصرف :

أفضل لك أن تصطاد فى الخلاء من أجل صحة لاتشترى

لأن ذلك أوقع من زيارة طبيب قد تعطيه من جيبك كل ماحوى

فالحكمة فى الشفاء تعتمد على النشاط الذى فيك قد خبا

الله لم يخلق هذا الجمال فى الآفاق الا لكل من سعى

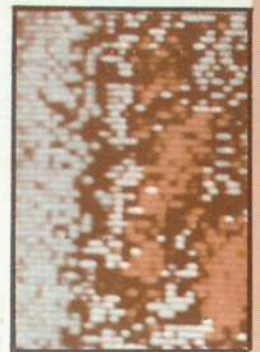
وهو يقصد طبعا هجر الناس للطبيعة الجميلة التى خلقها الله لكى يتمتع بها الانسان ، ويشرح بها صدره ، الى هذه التكدسات السكانية التى تشبه الأقفاص ، وتخنق الأنفاس .. انها دعوة تحمل الترويح عن النفس والبدن بالانطلاق فى الطبيعة الفسيحة لبعض الوقت ، وهذا بالفعل ماينصح به الأطباء الآن مرضى القلب وارتفاع الضغط وتوتر النفس او غير ذلك ، اذ لابد من مزاولة رياضة المشى او الجرى لمن يقدر عليه (شكل ٣) فى أماكن خلوية ، وبعيدا عن هواء المدينة الملوث ، ولمدة ساعة على الأقل كل يوم لمن استطاع ، أو لفترتين يوميا ـ كل فترة نصف ساعة ، أو على قدر مايتحمل مريض القلب.

وطبيعى أن هذه النصائح لم تنبع من فراغ ، بل جاءت نتيجة للقياسات الكثيرة ، والبحوث الموجهة التى أجريت على الانسان والحيوان (شكل ٤) .. فهناك دراسة تشير الى أن الانسان الجلوسى (أى المرتبط بالأعمال المكتبية او الجلوس طويلا) يبذل مجهودا يستهلك فيه حوالى ٣٠ سنتيمترا مكعبا من









شكل (٤) يختلف أداء القلب باختلاف طبيعة حياة الانسان ، وهذا ماتوضحه تلك الصورة التى يتبين منها أن القلب تزيد قدرته على ضخ الدم (الصورة السفلى الى اليسار) كلما زاد نشاط الانسان ، أما الخمول فتوضحه الصورة التى الى اليمين (أسفل) .. المهم ان هناك اختلافا كبيرا بين حياة النشاط والخمول ، فتنقله تلك الكاميرا التليفزيونية التى تتسلط على قلب الانسان ، وترينا « مالا عين رأت »

حركة ونشاطا من المجتمعات الريفية أو الرعوية ، وقديما عرف الناس خشونة ابن البادية ، وطراوة ابن الحضر من صفات لاتحتاج الى فراسة .. لهذا اذا سمعت أن أمراض ضغط الدم ، أو الأزمات القلبية ، او الفشل الكلوى ، أو حتى السرطان اللعين ينتشر بين المجتمعات المتحضرة أكثر من المجتمعات الريفية ، فان ذلك أمر لايدعو للدهشة .. فكثير من عادات أهل المدن ، وما يحيط بهم من عوامل بيئية سيئة (كالزحام والتلوث والضوضاء.. الخ) تؤدى الى ذلك ، وهذا

عليها نفس الأعراض التى ظهرت على أترابها من المجموعة الأخرى .

ساعة من نشاط

لكن ليس معنى ذلك أننا ندعو لهجر السيارات أو سبل المواصلات المريحة ، بل يعنى أن يكون لبدنك عليك حقا ، لأن النشاط البدنى ، ينشط القلب ويقويه ، فتنشط تبعا لذلك الدورة الدموية ، فلا أحد ينكر أن المجتمعات الحضرية أكثر خمولا ، وأقل

احذر القاتل الصامت وعملاءه!



شكل (٥) على الفئران أو غيرها من أنواع الحيوان تجرى التجارب أولا، لتحديد مايمكن أن يسببه النشاط أو الخمول من تأثير على الدورة الدموية. وفى الصورة فأر يجرى على جهاز ليقيس كفاءة قلبه وشرايينه، ثم نسبة الكوليسترول فى دمه

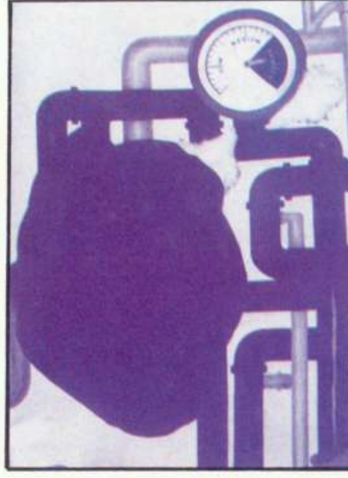
الأوكسيجين لكل كيلوجرام من جسمه فى كل دقيقة، وأنه يستطيع أن ينتج طاقة تقدر بحوالى ١١٠٠ وات .. لكن ضع هذا الانسان تحت أى نوع من التدريبات البدنية المنظمة والمستمرة، تجد تغيرات واضحة. فالقلب ينبض أقوى، وعضلته تتخذ حجما أكبر، والرئتان تكتسبان صحة واتساعا، وضغط الدم أثناء الراحة ينخفض (اذا كان ضغطه مرتفعا قليلا)، ولو حافظ على نفس كمية الطعام التى كان يتناولها قبل هذا البرنامج الرياضى (حتى ولو كان رياضة المشى) فإن وزنه ينقص، والعبء على قلبه يقل، واحتمال حدوث أزمة قلبية تنخفض.

دراسة أخرى أجريت على الفئران والخنازير (الأخيرة لاحتوائها على دهون كثيرة، وخاصة فى الشرايين) فى جامعة كاليفورنيا بسان دييجو (شكل ٥)، ففى الحيوانات الأخيرة تم تضييق الشرايين التاجية بوسائل صناعية، وبهذا تأثرت عضلة القلب وكأنما حلت بها ازمة، ثم قسمت الى مجموعتين: مجموعة بقيت خاملة، والأخرى دربت على الحركة بحيث تقطع كل أسبوع حوالى ١٥٠ كيلومترا فاتضح أن النشاط قد أدى الى تفرع شرايين جديدة لتغذى عضلة القلب المنهكة، وبهذا استردت حوالى ٤٢٪ من كفاءتها، أما الخنازير الخاملة، فقد كانت أقل حظا، اذ وصلت الكفاءة الى ١٧٪ .. ولقد تبين أيضا أن نسبة الكوليسترول فى هذه الحيوانات قد انخفض بشكل واضح، وان الشرايين قد بدت أكثر ليونة بعد ان اصابها التصلب .. الى آخر هذه البحوث الكثيرة التى تشير الى دخول عامل جديد فى الأزمات القلبية ــ عامل الخمول او الركود الجسدى جنبا الى جنب مع ارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين، وزيادة فى الوزن .. الخ.

لعنة التدخين

ثم تجيء عادة التدخين لتضيف حلقة جديدة الى سلسلة العوامل التى تسبب قصورا فى الدورة الدموية وخاصة عند ذوى القلوب المريضة .. صحيح أن خطر التدخين يتضح أكثر فى زيادة حالات الاصابة بسرطان الرئة، لكنه أيضا قد ينهك القلوب، فيزيد أعباءها، ويختصر حياتها.

أذكر أننى كنت فى زيارة لطبيب كبير متخصص فى أمراض القلب، وأثناء سرد نصائحه على أخرج سيجارة، ووجه لى الكلام محذرا: هذه هى الخطر رقم واحد بالنسبة لقلبك، ثم أشعلها، وعرفت أنه من المدخنين، ثم عرفت أيضا أنه أصيب بعد ذلك



بأزمة قلبية ونجا منها ، ولقد كنت أنا من المدخنين ، وداهمتني أزمة ، وعدت للتدخين ، فداهمتني أخرى ، وتوقفت ، ومنذ حوالى ١٢ سنة مضت ، مات طبيب قلب آخر (كان يعالجنى) بأزمة قلبية ، وكان من المدخنين الشرهين ، ورغم أن ما سردناه حالات فردية ، الا ان احصائيات فى كل دول العالم تشير الى أن احتمال اصابة المدخنين بالأزمات القلبية أكثر منها فى غير المدخنين .

وفى تقرير لجمعية القلب الأمريكية يجىء : إن عدد الذين يموتون سنويا بامراض القلب فى امريكا حوالى نصف مليون ، لكن ثلث هؤلاء قد دفعوا حياتهم ثمنا للتدخين .. فالسيجارة تسرع بضربات القلب ، وترفع ضغط الدم ، وتحدث انقباضا فى الشرايين ، وتدمر بعض الصفائح الدموية ، وقد يؤدى ذلك الى تشابكها والتصاقها على جدر الأوعية الدموية ، فتشارك فى عملية تصلب الشرايين ، كما ان غاز أول اوكسيد الكربون السام يحل محل الأوكسيجين فى جزيئات الهيموجلوبين الموجودة بكرات الدم الحمراء ، فيؤدى ذلك الى خفض الاستفادة من هذا الغاز بنسبة ١٥٪ .. الى آخر هذه المآسى التى تتمثل فى سيجارة ، ومن أجل هذا ، ونظرا للدعايات المركزة عن أضرار التدخين ، هجر حوالى ٣٠ مليون امريكى السيجارة ، رغم أن هجرها ليس بالأمر الهين ، لكن يبدو أن ارادة الحياة عندهم أقوى من ارادة الموت .. هذا فى الوقت الذى ترتفع فيه نسبة التدخين فى العالم الثالث ، وهو الآن السوق الرائجة لشركات الدخان ، بعد أن انخفضت مبيعاتها فى كثير من الدول المتقدمة !

المحصلة المحزنة

أخيراً فقد يقول قائل : إن العلماء يبحثون ويقدرون ويحذرون ، ولكن يقدرون فتضحك الأقدار ، ثم ان الأعمار بيد الله ، وهذا صحيح ، لكن الصحيح أيضا : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .. بل الانسان على نفسه بصيرة .

ان الانسان العادى يستطيع — من خلال ملاحظته مايجرى حوله — أن يتوصل الى بعض النقاط التى تشير اليها البحوث ، فتأكيدا ان معظم الذين يموتون من أزمات قلبية مدخنون ، ومعظم ذوى البدانة لايعمرون ، وأخطار ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين لهما ضحايا كثيرون .. الى آخر هذه العوامل التى تتسلط على الانسان فتنال منه ، وتصيبه بالمرض ، وله بالتأكيد دخل فيها .. فالإفراط فى الطعام ، والاسراف فى الدهون ، واجتلاب الهموم ، واللجوء الى التدخين ، والركون الى الخمول — كلها عوامل يقوم بها الانسان بمحض ارادته ، كما أنه يستطيع — اذا عقد النية وقويت الارادة — أن يتجنب أضرارها .

ثم ان اجتماع عاملين من هذه العوامل الضارة فى انسان واحد ، قد يضاعف مشاكله ، خاصة اذا سبق وأصيب بأزمة قلبية .. خذ على سبيل المثال تلك الدراسة التى أجريت فى سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة على عدد كبير من السكان ، وتعرضت لعاملين ضارين : التدخين وضغط الدم — فوجود كليهما فى الانسان يضاعف احتمال حدوث الأزمات القلبية بمقدار عشر مرات عن انسان لا يدخن ، وضغطه معتدل ، فاذا أضيف الى هذين العاملين عامل البدانة ، فلاشك أن احتمال حدوث أزمة قلبية سوف يتضاعف مرة أخرى .. وهكذا .

وقد يثار هنا سؤال هام : هناك أشخاص يأكلون كثيرا ، ويتحركون قليلا ، ويدخنون طويلا ، والكوليسترول فى دمهم مرتفع ، ومع ذلك يعيشون حتى الستين أو السبعين دون أن يصابوا بأزمة قلبية واحدة ، فى حين ان هناك أشخاصا آخرين يتريضون ولا يدخنون ولا يميلون للبدانة لكنهم يصابون بأزمة قلبية قد تودى بحياتهم .. فما تعليل ذلك .

لا أحد — فى الواقع — يستطيع أن يجيب على ذلك إجابة مؤكدة ، أو بالدليل القاطع حتى الآن ، ذلك أن البحوث العلمية والطبية لم تصل الى نهاية المطاف فى إدراك أسرار الجسم البشرى ، ففى كل يوم نكتشف فيه جديدا ، ومع ذلك فلسنا طبعة واحدة بالكربون من بعضنا .. أى أن هناك اختلافات بين تكوين انسان وآخر ، وكذلك فى البيئة التى يعيش فيها كلاهما .. ولهذا فمن المحتمل — كما يقول دكتور جان بريسلوا أستاذ علم الوراثة بجامعة روكفلر الامريكية ، وهو الذى حدد جينة أو مورثة فى الجهاز الوراثى للانسان ، وأوضح أنها مسئولة عن عدم ضبط تركيز الكوليسترول فى الدم — من المحتمل أن تكون هناك عوامل وراثية من وراء الأحداث التى تؤدى الى الأزمات القلبية ، ويقدرها بنسبة تتراوح ما بين ٥٪ — ١٠٪ من بين السكان حتى ولو عاشوا حياة معتدلة ، ونفس النسبة تقريبا لايصابون حتى ولو دخنوا ولم يتريضوا وأسرفوا فى الطعام والشراب .. الخ ، أما الغالبية العظمى من البشر فيخضعون للعوامل التى تؤدى للاصابة بالأزمات .. أى ضغط الدم وأعوانه : الكوليسترول وتصلب الشرايين والتدخين والميل الى البدانة ونوع الطعام وعدم التريض أو تنشيط الدورة الدموية والتوتر والقلق ، أو أية عوامل أخرى لازالت مجهولة ، فلا يزال الانسان يتعلم ويكتشف « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

عبدالمحسن صالح

طرائف شرقية وغربية

فكـــرة

حكم القاضي الانجليزي «وليام روبرت» بالحبس شهرين على تاجر باع سلعة بأزيد من التسعيرة ، ومن الطريف أنه نص فى الحكم على أن يتم تنفيذه يوم السبت والأحد من كل أسبوع وذلك حتى لا يقضى على مستقبله باضطراره إلى غلق متجره !

ازدحـــام العلوم

قال عربى لمؤدب ولده : «لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن اصطكاك العلم فى السمع وازدحامه فى الوهم مضلة للفهم» .

آخر كلمات فولتير

قضى «فولتير» الأديب الثائر نحبه وهو فى الثالثة والثمانين ، وكان ذلك فى مايو عام ١٧٧٨ ، وكانت آخر كلماته التى أملاها على سكرتيره هى : «إننى أموت وأنا أعبد الله ، وأحب أصدقائى ، ولا أكره أعدائى وازدرى الخرافات» .

إلى أن ... ملّـه من

قال ابن السماك لجارية له تصغي إلى كلامه : كيف تجدين كلامى ؟ قالت : ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده قال : «إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه» قالت : «إلى أن يفهمه من لم يفهمه ، ملّه من قد فهمه» .

الحلـم والغضـب

قال رسول الله ﷺ : «ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله : مرنى بعمل ، وأقلل» قال : «لا تغضب» ثم أعاد عليه فقال : «لا تغضب» .

معركة حول اللذة

بعث «الرشيد» وزيره «تمامة» إلى دار المجانين لتفقد أحوالهم ، فرأى بينهم شاباً حسن الوجه كأنه صحيح العقل .. فأحب أن يكلمه ، فقاطعه المجنون بقوله : أريد أن أسألك فى مسألة .

فقال الوزير : هات سؤالك .

فقال الشاب : متى يجد النائم لذة النوم ؟

فأجاب الوزير : حين يستيقظ .

فقال الشاب : كيف يجد اللذة وقد فارقه النوم ، والمعدوم لا توجد له لذة ..

فقال الوزير : بل يجد اللذة قبل النوم .

فاعترضه الشاب بقوله : كيف يتلذذ وهو لم يقارب النوم بعد وهل توجد لذة الشيء قبل الحصول عليه .

فقال الوزير : بل يجد اللذة فى حالة النوم .

فرد عليه الشاب بقوله : إن النائم لا شعور له ، فكيف تكون اللذة بلا شعور !

فبهت الوزير : ولم يستطع جواباً ، وانصرف مزمعاً ألا يجادل مجنوناً أبداً !!

ثلاثة أقمصـــة

أجرى الله تعالى أمر يوسف ـ عليه السلام ـ من ابتدائه إلى انتهائه على ثلاثة أقمصة : أولها : قميصه المضرج بدم كذب والثانى : قميصه الذى قُدَّ من دبر والثالث : قميصة الذى ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا .

ماذا يفعل ؟

سئل ابن الشاعر جرير :

ما كان أبوك صانعاً حيث يقول : لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل ، فعلت ما لم أفعل .

فقال : كان يفقأ عينيه ولا يرى رحيل أحبابه .

ديمقراطية الاسلام

قال عليه الصلاة والسلام : «لا يقولن أحدكم لمملوكه : عبدى وأمتى ، ولكن يقول : فتاي وفتاتي . ولا يقول المملوك : ربى وربتى ، ولكن يقول : سيدى وسيدتى» .

علاج المكاره

المكاره قسمان : قسم فيه حيلة فالاحتيال دواؤه ، وقسم لا حيلة فيه فالصبر شفاؤه .

أصول المعاشرة

وصفت الممثلة الانجليزية الشهيرة «جريسى فيلدز» عدة قواعد لأصول المعاشرة وآداب المجتمعات فيها : «إذا أراد الانسان أن يكون عضواً محبوباً فى المجتمع ينبغى عليه قبل كل شيء أن يخفى مواهبه وأن يكتم مبلغ احتقاره للناس» !

الطين للشاعر ايليا أبى ماضى

نسي الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى ... وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخى لا تمل بوجهك عنى ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت لا تأكل النضار إذا جعت ... ولا تشرب الجمان المنضد
أنت فى البردة الموشاة مثلى ... فى كسائى الرميم تشقى وتسعد
أنت مثلى من الثرى وإليه ... فلماذا يا صاحبى التيه والصد

تقديم وإعداد: أمين سلامة

المرأة بين الحب والزواج

• ما من امرأة تكره الحب إلا من شقيت من الحب (سيروس).
• تضيع سعادة المرأة إذا كانت لا تستطيع أن تعتبر زوجها كأفضل صديق لها (جورج صاند)
• إذا ذاقت المرأة طعم الحب ، لم تستلذ الصداقة (لارشفوكو).
• في إمكان الرجل أن يعكر صفاء الحياة الزوجية ولكن ليس في إمكانه أن يجلب لها الصفاء ، فهذا من اختصاص المرأة.

أحلى كلام

• إذا رأيت رجلاً يمدحك بما ليس فيك ، فلا تعجب أن يذمك بما ليس فيك.
• ينبغى لمن ينثر الشوك ، أن يحذر المشي وهو حاف.
• المثل العليا كالنجوم ، تهتدى بها ولا تراها وجهاً لوجه.
• التجارب هى الحكمة الحقيقية عند الأمم

هل تعلم ؟

• أن الكلية الواحدة يمر فيها نصف لتر من الدم كل دقيقة فى حالة الراحة.
• أن الانسان يتنفس بين ١٢ ألف إلى ١٥ ألف لتر من الأوكسجين والهواء كل يوم ، وتحوى الرئتان ٣٥٠ مليون خلية رئوية تقريباً.
• أن القلب أشد وأقوى رافعة فى العالم بالنسبة لحجمه.
• أنه يوجد في جسم الانسان من الخلايا نحو ٣٢ بليون خلية.

قالوا فى المحبة

• المحبة هى النار التى تصهر الزوجين ببوتقتها لتجعل منهما جسداً واحداً يتقاسمان السراء والضراء !
• المحبة هى الأنشودة الخالدة أنشودة الغبطة والسعادة ، والأمن والسلام !

قال الأولون

• قال عمرو بن معد يكرب :
« إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع ».
• قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : الرغبة مفتاح النصب ، والحسد مطية التعب ».
• قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ما رفق أحد بأحد الا رفق به يوم القيامة ».
• قال سليمان الملك : « مالك روحه خير من يأخذ مدينة ».
• قال التهامى : « ثوب الرياء يشف عما تحته : فإذا التحفت به فإنك عار ».
• قال الفارابي : « اللهم إنى أسألك يا واجب الوجود . وياعلّة العلل . يا قديماً لم يزل ، أن تعصمنى من الزلل ، وأن تجعل لى من الأمل ، ما ترضاه لى من عمل ».
• سأل معاوية الأحنف عن الزمان فقال : « أنت الزمان فإن صلحت صلح وإن فسدت فسد ».
• قال أبو المعالى مجدود : « الزهادة فى اللذات الناقصة مفتاح الرغبة فى السعادة الكبرى ».
• قال بعض الحكماء : « شيئان يتزين بهما الانسان : نشر البشر وترك الكبر ».
• قال أبو الحسن الأنبارى : « الساعى غاشّ وإن قال قول النصيح ».
• قال أبو مضر محمود : « كمال السخاوة قطع الطمع عما فى أيدى الناس مع بذل ما فى يدك.
• قال أبو محمد العدلى : « قطع الكلام بعد افتتاحه سخف ، والسخف دناءة ».
• قال أبو زيد البلخى : « من طلب لسره حافظاً أفشاه ».
• قال المنصور : « الملك يحتمل كل شيء من أصحابه إلا ثلاثاً : إفشاء السر التعرض للحرم والقدح فى الملك ».
• قال أبو العباس : « نقل المسرور إلى غير مسرورك أهون من نقل المهموم إلى غير همه ».
• قال حسنين بن اسحاق : « من خاف شقاوة الدنيا ، ما اكتسب سعادة العقبى ».
• قال الفارابى : « تمام السعادة بمكارم الأخلاق كما أن تمام الشجرة بالثمرة ».
• قال محمد الحارثان : « لا سفر أحسن من سفر العقل فى الملكوت الأعلى ».

كانت الكاتبة الفرنسية المعروفة فرانسواز ساجان ضمن وفد إعلامي مع الرئيس ميتران في رحلته إلى كولومبيا في أمريكا اللاتينية ، وأصيبت هناك بأزمة قلبية كادت تقضي على حياتها .. فماذا حدث بعد ذلك ؟ وكيف تصرف ميتران ؟ .. إن وقائع هذه القصة الحقيقية تقدم إلينا نموذجا حيا لمكانة الأديب في المجتمعات المتقدمة .. وهذه هي التفاصيل .

بين الأدباء والرؤساء

ميتران ينقذ فرانسواز ساجان من الموت

منذ فترة اعتقد الجميع أنها على حافة الموت ، كانت قد سافرت إلى كولومبيا ضمن الوفد المرافق لفرنسوا ميتران في رحلته الرسمية إلى هناك . وقعت في غيبوبة عميقة في غرفتها بأحد فنادق العاصمة بوجوتا إثر اصابتها باستسقاء رئوي . ونقلت على الفور على متن طائرة ميستير ــ ٥ تابعة للرئاسة إلى مستشفى « فال دى جراس » بباريس حيث تلقت عناية مركزة لمدة ١٥ يوما . وتستجم فرنسواز ساجان حاليا في المنزل الذي ولدت فيه في « كاجارك » ولكنها فترة نقاهة واستجمام نشيطة فهي تعد كتابا جديدا .

تحظى فرنسواز ساجان بشعبية كبيرة ، إلا أن تواضعها الطبيعي يمنعها من استغلال هذه الشعبية . إن الحادث الذي تعرضت له في بوجوتا وقلق الفرنسيين عليها عندما علموا بأنها في غيبوبة والزهور والبرقيات والخطابات التي تدفقت دون توقف على بيتها والاتصالات الهاتفية التي لم تتوقف من أصدقائها ومن معجبين مجهولين كشفوا لكاتبة « صباح الخير أيها الحزن » أنها لا تتمتع فقط بتقدير وتدليل الفرنسيين ولكنها تحظى بحبهم أيضا . لقد تأثر الجميع لفكرة فقدان فرنسواز ساجان ابتداء من القارىء المخلص الذي ينتظر كل كتاب من كتبها بفارغ الصبر إلى كل من يحبونها دون أن يعرفوها . ومن بينهم الصديق الدائم الذي جاء خفية وبدون موكب ليراها بمجرد عودته لباريس . كان هذا الشخص الذي قدم بتواضع كأي مواطن عادي ليطمئن على اخبارها هو فرنسوا ميتران شخصيا الذي وضع تحت تصرفها عند وقوع الحادث طائرة رئاسية ميستير ــ ٥ معدة لتكون طائرة طبية لاعادتها إلى فرنسا ، أوضح الرئيس بهذا التصرف مدى الاهتمام الذي يوليه للكاتبة . فنظرا لتحفظ وكتمان فرنسواز كان أغلب الناس يجهلون هذا الاهتمام ولولا هذا الحادث لما اكتشف الناس هذا الاهتمام .

في هذا الصباح بمستشفى فال دى جراس كان الرئيس كاسف البال ولكن لم تكن مشكلات فرنسا هي التي تثير قلقه ،كان موضوع

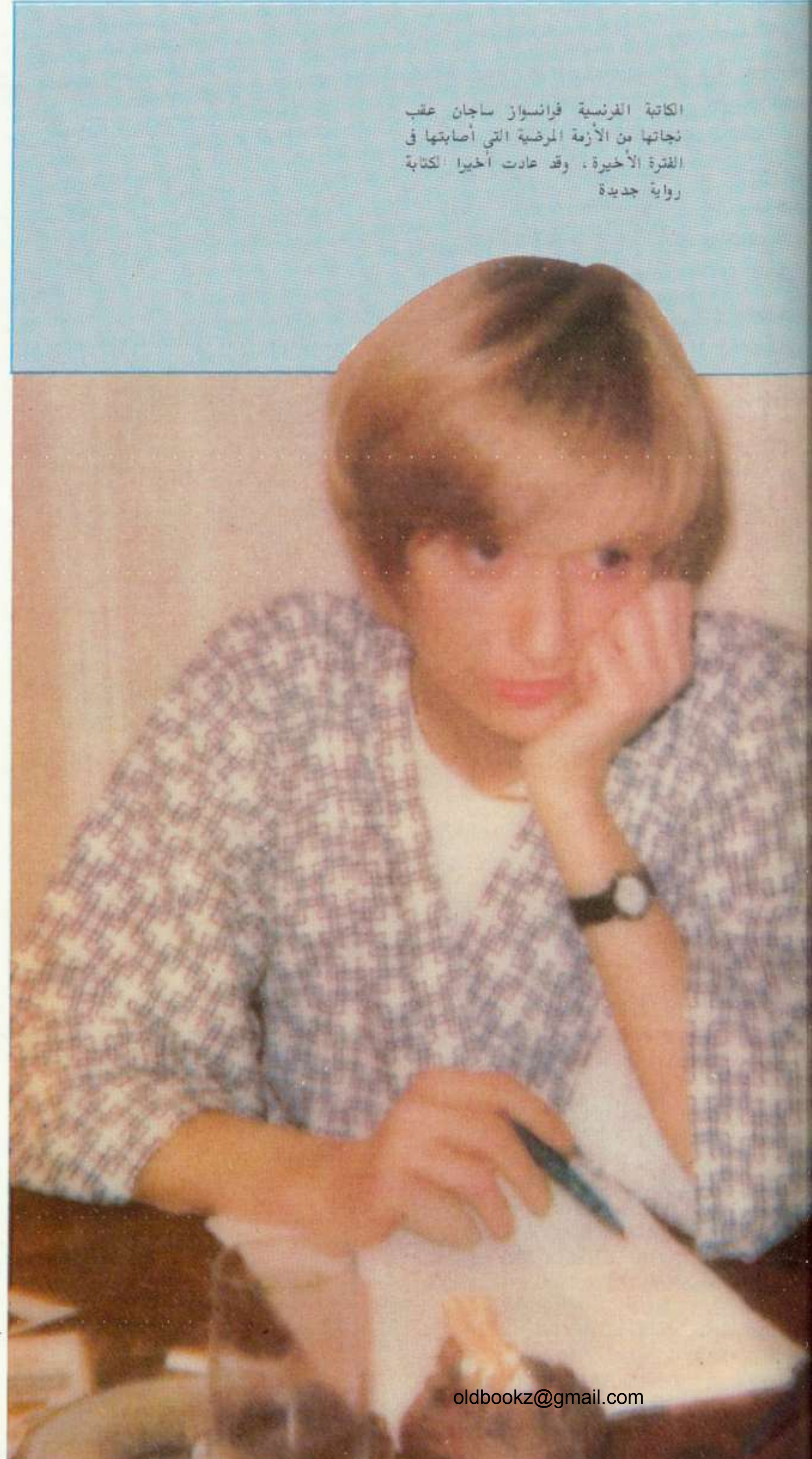
● عندما ابتسمت للرئيس وهي في نصف غيبوبة، شعر بأنها انتصرت في معركتها مع الحياة

واحد يشغل باله وله الأولوية على قضية سفينة السلاح التابعة لحركة الخضر وعلى مناظرة فابيوس مع شيراك وعلى استطلاعات الرأى العام التى لا تثبت على حال ، فهناك فى فراشها بالمستشفى كانت فرنسواز ساجان ضعيفة وشاحبة محاطة بالأنابيب تخوض معركة الحياة ضد الموت فى منتصف الطريق بين هذا العالم والعالم الآخر الذى لا يعود منه أحد . وفى مواجهة هذه المعركة يبدو كل شيء تافها . لعدة لحظات تركز كل انتباه فرنسا على محيط هذه الغرفة المحدود وأصبح الرئيس إنسانا مثل غيره يعانى من فكرة فقد شخص عزيز ، فهو يراقب على الشفاه الساكنة أولى علامات العودة إلى الحياة . وكان يتساءل بينه وبين نفسه أيمكن أن تكون قد انتهت إلى الأبد لقاءات الغداء فى منزلها حيث كانا يتقاسمان حبهما للبط بالبرتقال التى كانت تطلبه خصيصا له من مطعم فى شارع « سيفر » وشغفهما بالآداب ؟ وكان يتأخر معها حتى الساعة الخامسة بعد الظهر يتبادلان انطباعاتهما عن آخر ما نشر من كتب. واستطرد متسائلا أيمكن الا تأتى بعد ذلك إلى الاليزيه لتزعج بوجودها المتحدى وضحكتها المشاكسة قاعات الاستقبال الفخمة الباردة؟

ورحل مرة أخرى بعد أن استعلم عن حالتها من البروفسير الذى يتولى علاجها . وكان يستفسر منه يوميا عن أخبارها . وذات يوم تعرفت عليه وابتسمت له وهى فى نصف غيبوبة وشعر فى هذا اليوم بنفس الاثارة السعيدة التى شعر بها غداة الانتخابات : لقد انتصرت فرنسواز فى معركتها .

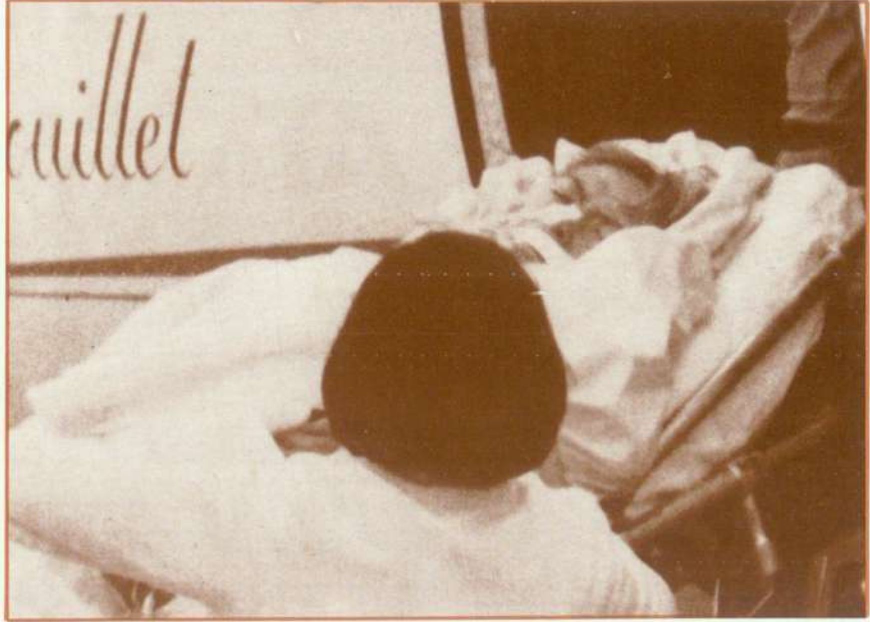
وعندما قالت فرنسواز لصديقتها الحميمة « بيجى لاروش » (التى أمضت يومين وليلتين معها لتهدئتها ومنعها من مغادرة المستشفى) إنها رأت الرئيس ،اعتقدت « بيجى » أن صديقتها فرنسواز تهذى وان هذه الرؤية من آثار غيبوبتها الطويلة . وأثارت هذه الكلمات فزعها فذهبت لمقابلة البروفسير الذى يتولى علاج فرنسواز وطمأنها على الفور وأكد لها أن الرئيس جاء لزيارة مدام ساجان وكان يسأل بانتظام عن أخبارها .

وهو موقف مدهش بلاشك من رئيس جمهورية مشغول مثل ميتران ينوء تحت كل أنواع الأعباء ولكنه كصديق مخلص ومجامل يقدر صداقة ٢٥ عاما كانت فرنسواز تطلبه على خطة المباشر ولم يغير توليه الرئاسة شيئا فى سلوكه . ويقال إن ميتران هو الذى نصحها



الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساجان عقب نجاتها من الأزمة المرضية التي أصابتها في الفترة الأخيرة ، وقد عادت أخيرا لكتابة رواية جديدة

ميتران ينقذ
فرانسواز ساجان من الموت



فرانسواز ساجان محمولة إلى الطائرة الطبية المخصصة للرئيس الفرنسي

بالظهور على شاشة التليفزيون لكي تطمئن الفرنسيين عليها. وفي الجانب المقابل فان فرنسواز لا تحتمل أن ترى أحدا يهاجم أو يعارض ميتران فهي تصبح عنيفة جدا إذا تعلق الأمر به، فبعد خروجها من المستشفى بقليل وأثناء عشاء عند أحد أصدقائها انزلق الحديث إلى قضية «سفينة السلام» التابعة «لجماعة الخضر» فانبرت فرنسواز قائلة إن الفرنسيين يسخرون من هذه القضية التي لا تمس الرئيس، فميتران رجل نظيف وأضافت أن هذه القضية ليست مثل بعض القضايا التي وقعت في ظل أنظمة أخرى فهي تتعلق بعملية مؤسفة لأجهزة المخابرات ولكنها ليست فضيحة سياسية تخفي وراءها قصة رشوة.

وعندما قال لها أحد المدعوّين إن هذه القضية أثارت بلبلة لدى الفرنسيين أكفهر وجهها واختفى مرحها في الحال. وكانت قد كتبت منذ فترة بأسلوب خلاب في جريدة «لوموند» تدافع عن صديقها وذلك ردا على مقال كتبه «جان دانيال» اعتبرته مقالا فظا بالنسبة للحكومة والرئيس. وكثيرا ما تقول إنه من الطبيعي أن ترتكب حكومة ميتران بعض الأخطاء فهي حكومة فتية ونظام جديد يتعين منحه الوقت لكي يتدرب على السلطة أما عن ميتران فهي تقول هو أشرف رجل قابلته فهو لا يستطيع الكذب وهي صفة أساسية بالنسبة لي. إني أقدر سعة أفقه وتسامحه. إنه رجل مخلص ومثل هذا الرجل لا يمكن إلا أن يكون طيباً.

ولكن ليست الصداقة وحدها هي سبب هذا الحماس وانما قناعات فرنسواز الفكرية التي ساهمت في التقارب بينها وبين ميتران وكذلك حبهما المشترك للآداب.

فرنسواز ساجان مخلصة وأمينة وكريمة أكثر مما يجب في بعض الأحيان، ولكنها تصبح شريرة إذا ما هاجم أحد من تحبهم فعندئذ تصبح قادرة على توجيه الضربات المعنوية والمادية أيضا وإن كانت غير قادرة على الضغينة فهي من العناصر النادرة التي تعرف معنى العطاء ولذلك فإن الجمهور يمنحها كل هذا الحب مثلما فعل مع «سيمون سينوريه».

ولا يقتصر عطاؤها على من تعرفهم وانما يمتد إلى من لا تعرفهم، ويقدر الأصدقاء هذا الاخلاص السخي حق قدره. ولذلك كان أول عشاء لها بعد خروجها من المستشفى مفاجأة أعدتها صديقاتها الحميمات فلقد ذهبن إلى بيتها وكل منهن تحمل معها طبقا من أطباقها المفضلة وأعددن لها عشاء نسائيا مرحا. ومنذ ذلك الحين والدعوات تتدفق من كل جانب وباقات الورد والبرقيات التي تتمنى لها شفاء سريعا. وتجد سكرتيرة فرنسواز نفسها أمام مهمة غاية في الصعوبة وهي الرد على هذه التمنيات التي لا حصر لها.

وعندما تخرج ساجان للسوق يحيط الناس بها ويستوقفونها ويشدون على يدها ويسألون عن صحتها ويعربون عن مدى الخوف الذي سببته لهم. وعندما ذهبت لتناول الغداء في مطعم «ليب» مؤخرا وقف كل الموجودين بمجرد ظهورها. ويحمر وجه ساجان محرجة من هذه التعبيرات الوردية وتكاد أن تعتذر عن أنها سببت كل هذا القلق لجمهورها. وتخفي في حياء تأثرها وراء خصلات شعرها الحريرية المتدلية على جبهتها.

وبالرغم من ادراكها انها كانت على وشك الموت وانها محظوظة لأنها عادت إلى الحياة فهي لا تقدر ما حدث لها حق قدره فبمجرد أن استعادت وعيها بعد غيبوبة طويلة فكرت في مغادرة المستشفى بالرغم من العناية الكبيرة التي كانت محاطة بها والتي أعربت عن سعادتها بها.

وفي الأسبوع الماضي وبعد اجراء مجموعة من الفحوصات الناجحة غادرت باريس متوجهة إلى منزلها العائلي في «كاجارك» حيث يمكنها الراحة في هدوء وسلام بصحبة وصيفتها وكلبيها. فهي ترفض أي لقاء صحفي حتى مع معارفها القدامى من الصحفيين ولا تستقبل سوى الأصدقاء المقربين الذين يتناوبون في زيارتها على امتداد شهر كامل.

وتستمتع هناك بمتع الريف الصحية والبسيطة فهي توزع وقتها بين القراءة وركوب الخيل والتنزه في الغابات وشاي الساعة الخامسة والكتابة فهي لا تفكر إلا في روايتها القادمة.

إعداد لبنى الزيدي
عن «باري ماتش»



بقلم: الدكتور محمد البهي

كسب الإنسان

يسند القرآن الكسب إلى الانسان . وهو كسب مال ، أو قوة ، أو كسب عمل سيء أو صالح . ففي جانب كسب المال يقول تعالى في سورة المسد كجزاء لأبي لهب « ما أغنى عنه ماله وما كسب (أى لم يجد نفعا له : ما كان يملك من رأس مال وما حصل عليه من أرباحه .. في وقايته من عذاب الله له في دنياه وفي آخرته) » (المسد : ٢) .. ويقول : « يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض » (البقرة : ٢٦٧) .. فهو في الوقت الذى يضيف فيه عمل الله إلى المؤمنين وإلى نشاطهم : كسب المال ــ بجانب مساعدتهم على إنبات ما في الأرض ــ يحثهم على أن ينفقوا للمحرومين وأصحاب الحاجة من طيبات ما كسبوا ، ولا يقصدوا الخبيث منه والردىء ، فيخرجون منه .

وفي جانب كسب المال ، والقوة المادية يذكر القرآن قول الله تعالى : « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا في الأرض ، وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (الروم ٨) .. والقصد بكسبهم : ما أعدوا به أنفسهم من قوة العدد ، والعدة ، وقوة المال والبنيان والعمارة في الأرض ، وقوة السلطة والتمكن .

ويأتي الكسب بمعنى السعي في تحصيل العمل السيء ، أو في تحصيل العمل الصالح : « تلك أمة قد خلت (وهى أمه ابراهيم وبنيه) : لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » (البقرة : ١٣٤) .. أى كل أمة لها شأنها لها في مسئولية العمل الذى تأتى به . وكما أن كل فرد : له ــ أو عليه ــ نوع ما يحصله من عمل .. كذلك كل أمة وجماعة مسئولة عن كسبها الخاص في العمل . ثم يأتي ذلك المبدأ العام : « كل امرىء بما كسب رهين » (الطور : ٢١) .. ويأتي ما وجهه الرسول عليه السلام إلى أهله : « يابنى هاشم : لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم » .

فللانسان كسب ، وإرادة خاصة به مستقلة : في تحصيل المال .. أو في اعداد القوة .. أو في السلوك السيء ، أو في السلوك الحسن . وبسبب إرادته المستقلة في كسبه .. كانت مسئوليته الشخصية ، وكان جزاؤه بالسوء ، أو بالحسنى : على توجيه ما يكسبه في تحصيل المال .. أو في إعداد القوة .. أو في التمكن من السلطة ، إنْ في سبيل الخير أو سبيل الشر .. وكذلك على ما يكون عليه كسبه : أن يباشر عملا سيئا ، أو غير سيء .

والانسان ــ في نظر القرآن إذن ــ ليس سلبيا ، ولا متواكلا . والآية التى عبرت سابقا بقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا : انفقوا من طيبات ما كسبتم .. ومما أخرجنا لكم من الأرض » .. فميزت بين عمل الانسان .. وعمل الله : فاسندت إلى الانسان : كسبا .. وإلى الله إخراج ما في الأرض .. هذه الآية تحدد النظرة الواضحة إلى الانسان : على أنه ايجابي ، وعلى أنه صاحب مسئولية في العمل من أجل معيشته ورزقه .. وصاحب مسئولية كذلك : فيما يباشره من عمل سيء ، أو صالح .

وما جاء في بعض الآيات التى تجعل الله متكفلا برزق الانسان ، في مثل : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها » .. فإن الآية ذاتها تنطوى على عمل خاص بالانسان كذلك ، إذ الدابة ــ وهى كل ما يدب على الأرض ويتحرك فيها من مخلوقات الله ــ لا تستحق هذا الوصف ، بالدابة .. إلا إذا تحركت بالفعل . وليست حركتها إلاّ السعى أو العمل . وإلاّ لم تكن دابة ، بل كانت جمادا .

وما جاء في بعض الآيات الأخرى التى تنسب الضلال ، والهداية إلى الله : « يضل من يشاء ، ويهدى من يشاء » ... وبذلك يبدو الانسان مسلوب المشيئة نحو الايمان والكفر ، ونحو العمل السيء والعمل الصالح .. ماجاء على هذا النحو لايرفع مسئولية الانسان ، ولا كسبه الارادى . فتدخل مشيئة الله في ايمان من يؤمن أو في كفر من يكفر : عن طريق رسالته التى يوحى بها إلى رسوله .

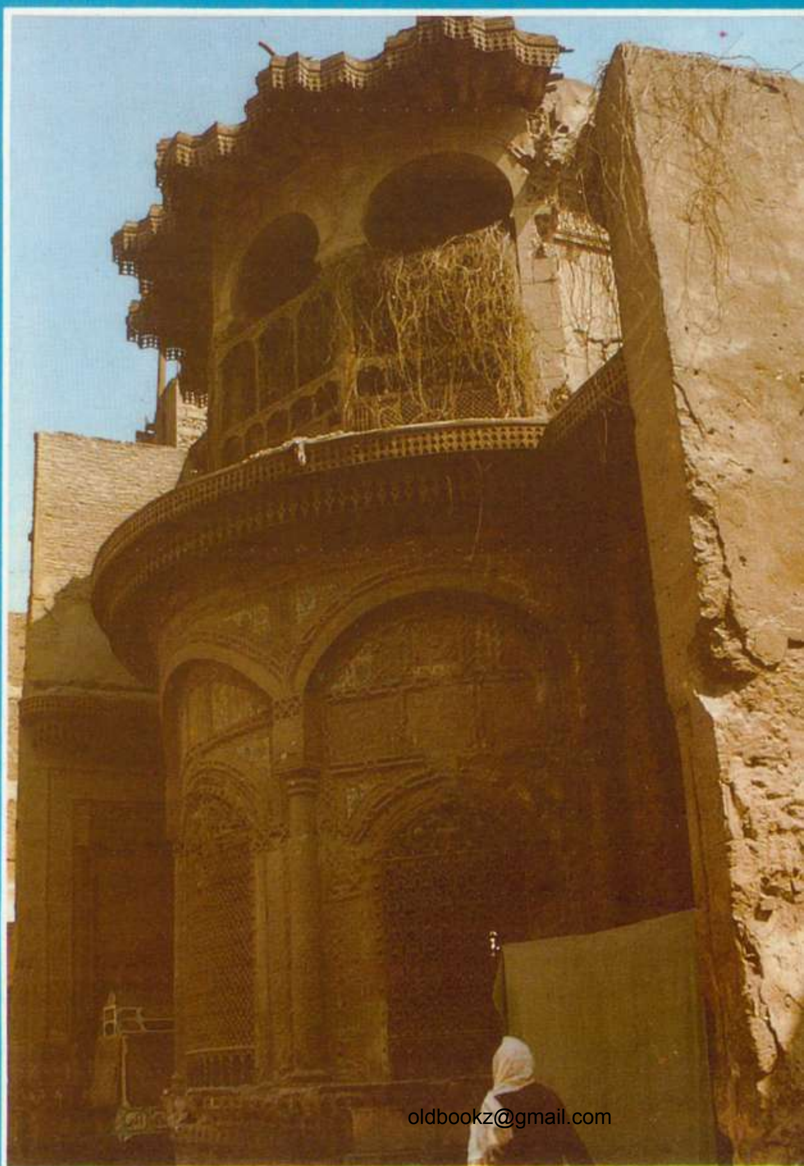
والانسان في قبولها أو في رفضها : حر ، وصاحب اختيار ومشيئة . وليست للرسول المرسل عليه ولاية الالزام بالهداية . وايمان من يؤمن : يرجع إلى تحكيم المنطق وعدم التأثر بجو البيئة ، وكفر من يكفر : يعود إلى المصالح الخاصة التى يفيدها بسبب كفره ..

سبيل العطشان

مهبط إلهام الشعراء ونبع أغاني المحبين
صفحة مشرقة في تاريخ العمارة الإسلامية

بقلم: فاروق أباظة

سبيل رقية دودو بشارع سوق السلاح (١١٧٤هـ - ١٧٦١ م)



سبيل القاضي عبد الباسط (٨٢٣ هـ - ١٤٢٠ م)





سبيل أم عباس

تغنى به شعراء الهوى كنبع يروى العطاشى من ظمأ الحب ، واتخذه القصاصون محورا تدور حوله أحداث أعمالهم ، وأبدع الفنانون فى تصميمه وتزيينه وزخرفته .. إنه السبيل مقصد الظمآن من لفح الهجير عندما تصبح جرعة الماء هى إكسير الحياة ... ومن تعاليم الاسلام كدين يحضّ على الإنسانية والعطف والقيام بالعمل الصالح لكسب الثواب الكبير ، أن يوفر المسلم لأخيه النجدة من العطش . ورغم مرور مئات السنين بقي السبيل شاهدا ليحكى أحداث التاريخ وليضفى قيمة رائعة على جماليات العمارة الإسلامية .

● السّبيل الإسلامي يُتَرجم حضارة لم تعرفها أوروبّا لتمجيد الإنسان

حادى القافلة ورحلته القاسية عبر الصحارى المقفرة ، والجيوش الراجلة والراكبة فى الزمن القديم تتسابق حول مورد الماء ، والمحبون الذين أضناهم العشق والشوق الى الحبيب .. كلهم كانوا يبحثون عن الارتواء ، فتغنوا بالماء . ولأن بلادنا العربية تغدق عليها الشمس حرارتها طوال العام ، أصبح للماء أهميته الكبرى ، ولمن يمتلك عيونه وموارده الحق للفخر على بقية القبائل ، ولن ننسى قول عمرو بن كلثوم فى موضع فخره بقومه :

ونشــــرب ان وردنـــــا الماء صفواً
ويشــرب غيــرنــا كــدرا وطــينــا

وفى العصر الحديث ومن تراثنا فى الغناء الشعبى الذى بقي متألقا يردده الناس فى كل مكان ، واستخدمه الفنانون فى الغناء وصياغة اللحن بل والأعمال التشكيلية ، وأيضا الجملة الشعبية الخالدة : عطشان ياصبايا دلونى على السبيل ..

وعندما تغرّب الشاعر الشعبى المبدع بيرم التونسى منفياً الى ميناء مرسيليا الفرنسى

سبيل العطشان

مهبط إلهام الشعراء ونبع أغاني المحبين
صفحة مشرقة في تاريخ العمارة الاسلامية

ليعيش غربة فرضتها عليه السلطة لأنه أدان الاستعمار بكل أشكاله ، تجلت عبقريته التى إختصه بها الله وكتب زجلا أودع فى كلماته الصادقه حنينه إلى الوطن جاء فيه :

عطشان ياصبايا
عطشان يامصريين
عطشان والنيل فى بلادكم
متعكر مليان طين
ولا نهر الرين يروينى
ولامية نهر السين
ودموع العين ماتروى
نار القلب الحزين
يابنت املى واسقينى
كاسات البندكتين
فاضل على العتبة الخضرا
خمسين يوم بالهجين

السبيل والكوثر

لقد وضحت أهمية السبيل الإسلامى للقيمة التى أضفاها القرآن الكريم على المياه فى بعض الآيات مثل « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » و « إنَّا أعطيناك الكوثر » و « وخلقنا من الماء كل شيء حي » . وقد كان شرف لبنى هاشم قبل ظهور الإسلام أن تختص بالسقاية فى زمن الحجيج إلى مكة . وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير عمل من أعمال البر فقال « سقاية الناس » ..

والسبيل الإسلامى عاش عصره الذهبى فى العصرين المملوكى والعثمانى داخل القاهرة المعزية ، وقد تأثرت عمارته بالطرز المعمارية الأوربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وخاصة طرازى « الباروك والروكوكو » .. وكانت هذه الأسبلة تقام داخل المنازل والمساجد والمدارس والخنقاوات ثم انفصلت لتصبح مستقلة على أن يعلوها مدارس أو كتاتيب لتعليم الأطفال ثم انتشرت على طول الطرق بين القرى والمدن واتخذت فى الريف طابعا بسيطا ، فهى إما زير فخارى يستقر تحت ظلال شجرة عتيقة ويثبت فى غطائه سطل من الصفيح ، أو عدة عيون أسمنتية فوقها قبة صغيرة وتملأ كل عين بالمياه النقية مع عدة كيزان نحاسية ثبتت فى النوافذ الصغيرة الخاصة بالسبيل . وربما تغير السبيل الثابت ليتحول إلى مجموعة من القلل والأباريق الفخارية يتسابق على تزويدها بالماء عابرو السبيل ، وكانت الأسبلة تقام عادة فى الأماكن المزدحمة . وفى الأسواق والوكالات ولم تكن تفتح إلا بين صلاة الظهر والعصر وفى وقت الحر الشديد .

وكان السبيل فى بادئ الأمر يتشكل من مبنى مربع الواجهة تزينه من ناحية أو من ثلاث نواح نوافذ نحاسية مزخرفة يستطيع عابر السبيل أن يمديده ليشرب من الماء الصافى فى حوضها الرخامى .. وفى أعلى السبيل يقع كتاب تعليم الأطفال والذى يصعدون إليه بواسطة سلم يقود إلى غرفة الدارسين المتصلة بشرفة واسعة متجددة الهواء ..

وكانت الصهاريج يتم تنظيفها خاصة قبل الفيضان ويتم تطهيرها وتبخيرها .. أما المزملاتى فهو الشخص المكلف بنقل مياه السبيل ، وهذه الوظيفة كان يطلق عليها تسبيل المياه ، وكان لأصحاب الأوقاف التى تنفق على إنشاء السبيل وتزويده بالمياه شروطهم التى يسجلونها فى أوراق الوقف وتتناول مايجب أن يطبق على المزملاتي من شروط وخصال أخلاقية ، فقد كان من المحتم كما يقول الدكتور محمد أمين فى كتابه عن الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر أن يكون المزملاتي رجل ثقة أمينا ، جميل الهيئة نظيف الثياب وسليم البدن والجسد من العاهات ، وذا قوة وشطارة ونهضة ومروءة وأن يسهل الشرب على الناس ويعاملهم بالحسنى والرفق ليكون أبلغ فى إدخال الراحة على الواردين صدقة دائمة وحسنة مستمرة .. وكان على المزملاتي تنظيف رخام السبيل ومسحه والعناية بالأدوات المستخدمة فى السبيل وهى الليف والكتان للتنظيف ، وأوانى الشرب والمكانس الخوص والأسطال النحاس والأباريق والقلل الفخار وفوط المسح ..

وكانت مياه السبيل تُعطر بماء الورد ورائحة أزهار الليمون مع الحرص على أن تكون باردة ، والأمر يرجع فى ذلك إلى السلسبيل أو الشذوران كما كان يسميه الفاطميون ، وهو لوح من الرخام عالجه الفنان الإسلامى بحفر سطحه بأشكال وألوان من

● القرآن الكريم أضفى على الماء أهمية خاصة فى أكثر من آية قرآنية

● ماذا قال "لين" و"ريمون" و"المقريزي" و"علي مبارك" عن أسبلة القاهرة ؟

● كانت الأسبلة تقام داخل المساجد والمنازل، ثم أصبحت منفصلة تعلوها "كتاتيب" تعليم الأطفال

الرسوم البارزة تمثل الطيور والأسماك والأمواج والأشكال الهندسية، وبعض الحيوانات، وتحيط بسطح لوح الرخام الممتد لمسافة ثلاثة أمتار، والذى تنساب فوقه المياه ببطء متخللة ثنايا الرسوم، وحين وصولها إلى الحوض تكون قد امتصت برودة الرخام واستحقت أن تسمى بالماء السلسبيل، اسم العين التى ذكرت فى القرآن الكريم.. « وَيُسْقَوْنَ فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا » صدق الله العظيم.

وكان بناة الأسبلة يفتخرون بما بنوه، ويحرصون على نقش اسم من أنشأ السبيل، ولذلك تبارى علية القوم والعامة والنساء أيضا فى بنائها، ففى جوار باب زويله سبيل « رقيه دودو » وجلسن وبدوية شاهين » بدرب الحجر قرب السيدة زينب، وسبيل منزل حسيبة غزال بمدينة رشيد، وسبيل أم محمد على الصغير بميدان المحطة.

السقا شربة

والسبيل الإسلامى له تاريخ طويل رصده المؤرخون فى كتبهم، وعلى رأسهم على باشا مبارك فى خططه التوفيقية، والمستشرق الفرنسى أندريه ريمون فى كتابه « فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية » والمستشرق الإنجليزي « ادوار وليم لين »: (المصريون المحدثون: عاداتهم وشمائلهم)...

يقول على باشا مبارك (الزمان أواخر القرن التاسع عشر).. يوجد الآن بمدينة القاهرة مائتا سبيل، والسبيل عادة يتركب من ثلاث طبقات: الأولى تحت الأرض، وهى الصهريج، وهو إما كبير أو صغير، وتحمل عقوده على أعمدة، ولكل صهريج خرزة من الرخام أو الحجر مثل خرزة البئر، والطبقة الثانية مع مستوى الأرض أو فوقه بقليل وفيها المزملة لتفريق الماء بكيزان من النحاس مربوطة بسلاسل، وللمزملة شباك من النحاس، والثالثة مكتب لتعليم الأطفال. وفى زمن الفرنساوية كان الموجود منها مائتين وخمسة وأربعين سبيلا، منها نحو ستين سبيلا من أعظم المبانى المتقنة الفخيمة، وبالنسبة للباقى منها الآن يكون عدد ما اندثر منها فى ظرف تسعين سنة خمسة وأربعون سبيلا بسبب الإهمال والترك. وقبل أحداث تقسيم مياه القاهرة كان لتلك المبانى أهمية عظيمة، خصوصا فى زمن تحاريق النيل، والآن قلَّت هذه الأهمية، ومع ذلك مازال أكثرها مستعملا، وقدرت بوجه التقريب مايمكن خزنه فيه من الماء فوجدته قريباً من ستمائة ألف قربة، كل خمسة عشر منها متر مكعب والباقى من المكاتب التى فوق الأسبلة المذكورة هو ست وسبعون مكتبا.. ويوجد بالقاهرة أيضا

● كل الرحالة الاوروبيين تحدثوا عن هذا الرجل الذي يحمل تحت إبطه "قِرْبَة" من الجلد وهو ينادي: "يعوّض الله"!

حيضان لسقي الدواب وكانت فى الأزمان السابقة يعتنى بها، وكان أغلبها بقرب الأسبلة، وهى عبارة عن حيضان من الحجر تعمل فى فجوة معقودة مزينة بأعمدة وقباب، أعتنى بزخرفتها، وكانت مجعولة لسقي الدواب على اختلاف أجناسها.. وكان لها أوقاف يصرف عليها من ريعها لبقائها، والآن لم يبق منها إلا النادر وهو غير مستعمل..

ويقول المستشرق « الفرنسى أندريه ريمون » إنه كان يوجد بالقاهرة عام ١٨٠٦ م ثلاثمائة سبيل معظمها كان عبارة عن منشآت خيرية أسسها بعض الأمراء الأغنياء لمنفعة السكان. وكان هناك أيضا السبيل المتنقل الممثل فيما يسمى « بالسقاشربة » وهو بائع المياه « بالقطاعى » فى الشوارع. وكان هؤلاء الباعة يمثلون طائفة من السقايين انتشرت فى القاهرة ومصر القديمة وحي بولاق، وهؤلاء الباعة أثاروا انتباه الرحالة الأوربيين؛ فمن ليون الإفريقى حتى إدواردلين يكاد لايوجد رحالة لم يتحدث عن « السقاشربة » الحامل تحت إبطه قربة من الجلد ذات خرطوم طويل من النحاس أو برميلا صغيرا والذى يعلن عن نفسه بنداء « يعوض الله ».. ويضيف لين أن بعض أسبلة القاهرة زودت بأحواض خارجها تأخذ منها السيدات مايلزمهن من المياه مجانا، كما كانت هناك خراطيم ليشرب منها العطشى من المارة بل لقد كان بعض السقايين أنفسهم يترددون على هذه الأسبلة ليتزودوا بالمياه التى سيبيعونها للمارة بالقطاعى. وهذا العدد الكبير من الأسبلة الموزعة على أحياء القاهرة كان يكفى حتى نهاية القرن التاسع عشر لضمان وجود المياه الصالحة فى متناول الأهالى اللهم إلا إذا حالت الأحداث الخارجية دون تموين هذه الأسبله. وكان يلحق بهذا السبيل أحواض جميلة المنظر خصصت لسقاية الماشية... ويقول المؤرخ العربى المقريزى إنّ الأسبلة كانت وسيلة لنيل الثواب لمن بناها وقد نظمت وثائق الوقف أجر العريف الذى يعلم الصبية فى

سبيل العطشان

مهبط إلهام الشعراء ونبع أغاني المحبين
صفحة مشرقة في تاريخ العمارة الإسلامية

كتاب السبيل وكان من حق كل تلميذ يتيم أن يمنح كسوة فى الشتاء وأخرى فى الأعياد والصيف ومبلغ من النقود فى المواسم ويمنح كل تلميذ مكافأة بعد حفظه للقرآن .

تأثير الفن الأوربى

وعن أهم الأسبلة الإسلامية الباقية يتحدث الأثرى عبدالله العطار مدير عام الآثار الإسلامية فيقول إن ماتبقى منها اليوم تجرى داخله وحوله أعمال الترميم والتنظيف وأقدمها سبيل السلطان « محمد بن قلاوون » وكان هذا السلطان قد بنى مجموعته المعمارية المتميزة بمنطقة النحاسين فى قلب القاهرة المعزية وألحق بها إلى يسار الداخل حوضا لسقي الدواب مما جعل الأهالى يضجون بالشكوى إلى أن جاء الأمير « كمال الدين أقوش » المعروف بنائب الكمك فهدم هذا الحوض وبنى سبيلا بدلا منه .. وسبيل السلطان قايتباى الذى أخذ الشكل المستقل وظهرت على جدرانه روعة الفن الزخرفى المملوكى وذلك لأن عصر السلطان قايتباى فى أواخر القرن التاسع الهجرى تميز بالزخارف المتقنة خاصة على مستوى النحت بالحجر وواجهات هذا السبيل ممكن اعتبارها معرضا لفن النحت فى ذلك العصر لكثرة واختلاف النقوش الحجرية عليها كما أنها زينت أيضا بالرخام الملون المعشق ذى لونين أو ثلاثة وعلى جدرانه أيضا كتابات قرآنيه واسم السلطان قايتباى .

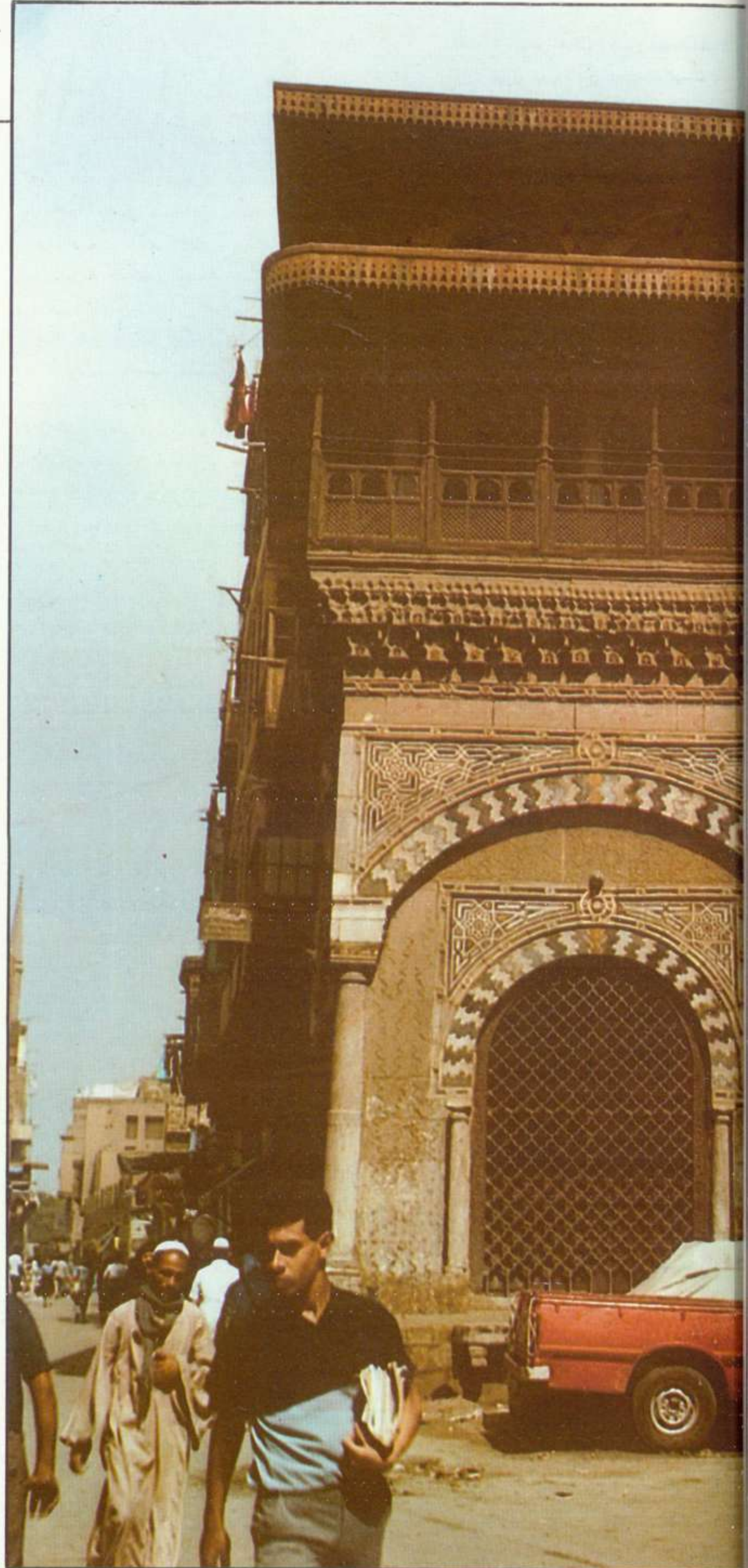
ومن أسبلة القاهرة الهامة سبيل الأمير عبد الرحمن كتخدا هذا الرجل الذى تكاد أن تصل رسالته فى رعاية الفن المعمارى إلى أهمية رسالة آل المديتشي فى فلورنسا فهو صاحب الروائع المعماريه فى مسجد السيده زينب وقبة الامام الحسين ويقع سبيل الأمير كتخدا فى شارع المعز بقلب القاهرة .. وسبيل إبراهيم باشا وأنشأته زوجة أحمد باشا شقيقة الخديوي إسماعيل وواجهته مقوسه أو شبه مستديرة بنيت بالرخام الأبيض وعليها زخارف كثيفة مذهبة ومحفورة فى الرخام وطراز البناء والنقوش ليس من الطراز الاسلامى التقليدى الذى يميز العمارة المملوكية فى العصور الوسطى ولكنه شديد التأثر بالفن الأوروبى وفوق هذا السبيل كان يوجد كتاب كما جرت بذلك العادة ولكنه لم يكن كتابا بالشكل القديم التقليدى لحفظ القرآن الكريم فقط بل كانت تدرس فيه أيضا مختلف العلوم الأخرى مثل الرياضة واللغات والعلوم الحديثة .. وكانت الأسبلة تبنى بحيث يكون لها واجهتان لكى يسهل مرور الهواء وليظل الماء رطبا وفى نفس الوقت يسمح لعدد كبير من الناس الوصول إلى الماء . وفى أواخر العصر العثمانى كانت الأسبلة تقام على شكل واجهة نصف مستديرة على طراز أسبلة استنبول .

دُرّة الفن .. « سبيل أم عباس »

وقد جاء فى كتاب الدكتور ثروت عكاشه « القيمة الجمالية فى العمارة الإسلامية » إنه رغم الاختلاف بين العمارات الإسلامية فى

● عندما اشتاق بيرم التونسي لسبيل النيل وهو يعيش غربته على ضفاف السين

● تأثير أسلوب « الباروك والروكوكو » على جماليات عمارة الأسبلة وزخرفتها



سبيل عبد الرحمن كتخدا (بالنحاسين)
(١١٥٧ هـ ـ ١٧٤٤ م)

بعض التفاصيل أو فى العناصر المعمارية الإنشائية إلا أنها جميعا تشترك فى وحدة الروح الإسلامية الكامنة وراء التشكيلات والتكوينات الزخرفية التى أصبحت تقليدا معماريا يحفظه البناءون عن ظهر قلب ».

والأسبلة كانت الدليل القاطع على رعاية الإسلام للإنسان مهما كان جنسه أو دينه من خلال توفير المياه العذبة لشربه وهو مالم تحققه أوروبا فى عصر إنشاء السبيل العربى الإسلامى ..

وقد استمر الطراز المملوكى فى الأسبلة حتى العصر العثمانى وبداية حكم محمد على باشا الذى بهر هو ومن خلفه السلاطين بالأسبلة المملوكية .. والنموذج الأول للسبيل العثمانى هو فى نفس الوقت درة الأسبلة كلها وأجملها وأروعها من ناحية البناء والتصميم والنقوش هو سبيل أم عباس فقد شيدت بالقاهرة ثلاثة أسبلة قبل القرن السابع عشر وثلاثة وثلاثون سبيلا فى القرن السابع عشر ومثلهم فى القرن الثامن عشر ويعتبر سبيل والدة الخديوى عباس الأول من الآثار الإسلامية الفريدة ويقع بشارع الصليبة بالقرب من حي القلعة ، أنشىء سنة ١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٧ م . ويتميز بجودة أعمال الرخام والأخشاب الملونة المذهبة ولما كانت حالة السبيل المعمارية والإنشائية جيدة كما يقول الدكتور أحمد قدرى رئيس هيئة الآثار المصرية فلم يكن فى حاجة إلى ترميم معمارى أو هندسى يذكر إلا فى بعض الأماكن البسيطة مثل الأرضيات وترميم بعض الجدران من الداخل وبقدر بسيط للغاية . وقد تم تنظيف الواجهات الرخامية باستخدام الأساليب العلمية المتطورة وأيضا تنظيف الشريط الكتابى الذى يعلو السبيل مما علق به من أتربه تثبتت بطول الزمن ، وكذلك علاج النوافذ المعدنية البرونزية وازالة طبقات الأكسدة التى تغطي الزخارف ، وتقوية أرضيات السبيل وتثبيت المنفصل عنها وإظهار الألوان القديمة على جدرانه وبذلك تألق هذا الأثر الإسلامى النادر بعد أن نفض عن واجهته تراب الزمن ليظل ضمن تراث الفن الخالد الذى تعتز به كل البلاد الإسلامية .

فاروق أباظة

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

الليل ليل والنهار ليل

الفوائد الخفيّة للمؤتمرات الأدبية

قلت ليوسف السباعي: «عندما كنت حياً، كنتَ خير من نظم المؤتمرات الأدبية».

قال يوسف السباعي: «هذه حقيقة لاينكرها حتى الخصوم».

قلت: «وماهي فائدة تلك المؤتمرات؟».

قال يوسف السباعي: «لها هدفان، هدف علني، وهدف سري».

قلت: «هل تحدثني عن الهدف العلني؟».

قال يوسف السباعي: «الهدف العلني هو البحث في أحوال الأدب وإقرار توصيات بغية تطويره، وهي توصيات للنشر في الصحف، وملعون من ينفذها».

قلت: «وما الهدف الآخر السري؟».

قال يوسف السباعي: «إتاحة الفرصة للأدباء كي يأكلوا مجانا ويناموا مجانا في أفخم الفنادق».

قلت: «إذن هذه المؤتمرات أشبه بالتكايا، ولافائدة أدبية فيها؟».

قال يوسف السباعي بتأنيب: «كن ذا نظر ثاقب. أليس العقل السليم في الجسم السليم؟ والنتاج الابداعي لاينبع الا من عقل سليم، والطعام والنوم اذا كانا بلا ثمن هما خير وسيلة لبناء الجسم السليم».

وقال يوسف السباعي: «يحق لي لومك. أنسيت أني روائي؟ لماذا لم تسألني عن رأيي في الوضع الراهن للرواية العربية؟».

قلت: «هل تستطيع تقديم تأويل مقنع لازدياد عدد الروائيين؟».

قال يوسف السباعي: «إنهم مازالوا قلة. انتظر، في المستقبل سيصبح كل عربي صاحب مطبعة يكرسها لطبع رواياته فقط. نحن لانحكي ونثرثر فقط بل نكتب ثرثرتنا أيضا».

آثر الإقامة بالبيت

قلت لابن بطوطة: «ألا تزال تطوف في أرجاء تلك الدنيا التي يسكنها عباد الله، مسجلا ماتراه؟».

قال ابن بطوطة: «لا.. فالسفر من بلد الى بلد كان عادة من عاداتي التي تنبهت الى أنها ضارة سيئة، فاستأصلتها بغير رحمة».

قلت: «وهل هناك أجمل من السفر؟ يسافر الانسان بعيدا عن وطنه، فيستريح هو وتستريح دولته. هل لك أن تخبرني بالأسباب التي حضتك على اتخاذ مثل هذا الموقف الغريب المناوئ للعلم والسياحة؟».

قال ابن بطوطة: «لأني أدركت ان المواطن الصالح ليس هو ذاك الذي يتحول الى سائح يبدد أموال وطنه في بلاد أجنبية بل هو الذي يحول الأجانب الى سياح يستولي على مافي جيوبهم لاقتصاد بلاده».

قلت: «لابد من أنك اذن تسافر من بلد عربي الى بلد عربي».

قال ابن بطوطة: «أنا لاأغادر بيتي الا للذهاب الى طبيب الاسنان، ولا أسافر الى أيّ بلد عربي».

قلت: «وما هي الأسباب؟».

قال ابن بطوطة: «الأسباب جلية، ولاتحتاج الى سؤال».

قلت: «مادمت قد سألت عنها فهذا يدل على انها بالنسبة إليّ غامضة مجهولة».

قال ابن بطوطة: «أنا لاأسافر لأن الحدود بين البلدان العربية لم تعد حدودا بل صارت خنادق».

قلت: «اذا كان هذا هو رأيك، فما موقفك من قضية الوحدة العربية؟».

قال ابن بطوطة: «أنا من أنصارها المتحمسين، وأطالب بتحقيق الوحدة العربية الفورية الشاملة بين بيت وبيت، وبين شارع وشارع».

فقلت لابن بطوطة: «أنت خيالي تعيش في الفضاء بينما الواقعي الذي يعيش على الأرض يطالب بالوحدة بين غرفة وغرفة».

أبو الفوارس سابقًا

قلت لعنترة العبسي: «أرى وجهك ناصع البياض، فكيف حدث هذا؟ هل الأمر له علاقة بتطور العلوم أم أن كتب التاريخ لم تكن تقول الصدق كعادتها؟».

قال عنترة: «ماتراه عيناك ليس لونا. إنه بياض الرعب».

قلت: «أتعرف الرعب وأنت فارس الفرسان وسيد الشجعان؟».

قال عنترة: «أنا لست بالجبان، ولكن ما أقرأه من نتاج أدبي معاصر يجعل

الزئير مواءً والفيل بعوضة . وحتى الأنهار لو كانت غير أمية ، وقرأت مختارات من ذلك الأدب لتحولت الى مجرد رمال لاتنبت سوى الشوك » .

قلت : « وأين سيفك ؟ » .

قال عنترة : « لا تذكرني به فقد صادره رجال الشرطة ، واعتقلت ، وحقق معي تحقيقا غير مهذب بتهمة اني إرهابي من أنصار العنف والاغتيال » .

قلت : « وكيف أطلق سراحك ؟ » .

قال عنترة : « لأن السجن كان مزدحما بروّاده » .

قلت : « وأين جوادك ؟ » .

قال عنترة : « ماذا أفعل به في عصر السيارات والطائرات ؟ لقد بعته ، وقدمت ثمنه رشاوى لبقة للنقاد كي يقرظوا قصائدي تقريظا يغري المغنيات والمغنين بشرائها مني » .

قلت : « أما زلت تنظم أشعار حب لعبلة ؟ » .

قال عنترة : « لا لا . ابتعدت عن مثل هذا الشعر التافه الأناني الذي يعبر عن هموم فردية ، ولم أعد أكتب الا الشعر الذي يعبر بصدق عن هموم الأمة » .

قلت : « لا أصدق » .

قال عنترة : « أتجرؤ على الشك في التزامي الأدبي والوطني والقومي ؟ » .

فقلت لعنترة العبسي : « هل أصدق ما أحياه يوميا وأصدق مجرد حكي ؟ لو كان ما قلته صحيحا لما كنت تمشي في الشارع ، ولكنت في السجن تئن كنعجة تجر للذبح » .

حالم على الطريقة العربية

قلت لجبران خليل جبران : « أمامك أكداس من الورق ، ويدك تمسك القلم متأهبة للكتابة ، فما هو جديدك ؟ » .

قال جبران : « لديّ مشروعان أنوي تنفيذهما . المشروع الأول ينبع من أني لست راضيا عن كتبي ، وأجدها متخلفة مقصرة ، وسأحاول كتابتها كتابة جديدة حتى تصبح كالتالي :

كتاب « العواصف » سيحكي عن أشجار حرضت العواصف على الخلاف والتشاجر . وعندما اختلفت العواصف وتشاجرت كانت الأشجار هي الضحية .

كتاب « الأجنحة المتكسرة » سيحكي عن أناس كانوا ذوى أجنحة ، ويطيرون كما تطير الطيور ، ولكنهم فقدوا الأجنحة لأنهم اختاروا أن يحكمهم الصيادون ، وبقيت الغربان وحدها تطير .

كتاب « الأرواح المتمردة » سيتناول بالبحث والتحليل والتقويم أوضاع لبنان ، ويقترح تحويله إلى وطن للأرواح مادام سكانه يهلكون تدريجيا .

كتاب « دمعة وابتسامة » سينبه الناس الى أنهم لايحق لهم الشكوى لأن دموعهم أكثر من ابتساماتهم ، فالدمعة تنظف العين وتقويها وتزيد من بهائها ، أما الابتسامة فلا غاية لها الا إظهار الأسنان والأضراس ، وهي غاية تافهة لاتستحق أدنى اهتمام .

كتاب « البدائع والطرائف » سيعنى بإيصال حقيقة خطيرة منسية ملخصها أن البدائع هي أن يحيا الانسان بلا ذل ، وأن الطرائف هي أن يستمر في الحياة مرحبا بالذل » .

قلت : « وماهو مشروعك الثاني ؟ » .

قال جبران : « سأصدر مجلة أدبية فكرية فنية ، وأتلقى الدعم المادي والمعنوي من جهات شتى . ومن يماطل في الدفع عدو للأدب الأصيل والفكر العميق ، وستلعنه الجماهير ويدينه التاريخ » .

الأمس واليوم

قلت للشنفرى : « لماذا تتسكع في الشوارع رثّ الثياب ، منكس الرأس ، مهموما ، ولاسيما أنك الشنفرى ، الشاعر الشهير ، المقاتل ، المتمرد ، وصاحب سيف أقسم أن يقتل مائة من خصومه ، وبرّ بقسمه ؟ » .

الشنفرى : « أنا بلا عمل . ومن كان بلا عمل افترسه الهمّ والغمّ والجوع » .

قلت : « على العكس ، فمن كان بلا عمل حقّ له أن يفرح ، فالعمل هو سنوات كلها تعب وعناء من دون يوم واحد للحصاد » .

قال الشنفرى : « ولكني سأموت جوعا اذا لم أعثر على عمل ما فى وقت قريب » .

قلت : « الجوع صديق قديم لمعظم العرب ، والعربي الذي لايجوع بين الحين والآخر هو مواطن مشكوك في عروبته ووطنيته » .

قال الشنفرى : « لابد من ايجاد عمل لي يتناسب مع مؤهلاتي » .

قلت : « وماهي مؤهلاتك ؟ » .

قال الشنفرى : « أنا كما تعلم أملك سيفا بتارا » .

قلت : « اذا بعت سيفك فلن يكفي ثمنه لإطعامك خمسة أيام . أما اذا شهرته مهددا ، فلن تخيف أحدا ، فقلوب الناس قست وتحجرت الى حد أن سيفا مثل سيفك لا عمل له الا في مطابخ المطاعم » .

قال الشنفرى : « وأنا أملك أيضا من الكلمات ماهو أروع من كنز » .

قلت : « الكلمات هي كلمات ، ولم تخترع بعد وسيلة تحولها الى نقود » .

قال الشنفرى : « أستطيع نظم شعر ، بعضه يرضي الحاكم ، وبعضه يرضي المحكوم » .

قلت : « ارحم قومك . تكفيهم اسرائيل واحدة » .

قال الشنفرى : « سأكتب قصصا قصيرة متلائما مع متطلبات العصر » .

قلت : « تأخرت ، فالموضة الرائجة الآن هي تربية الكلاب وكتابة روايات طويلة للغاية » .

قال الشنفرى : « سأشتغل في التجارة ، وأبيع وأشتري ، وأجني الأرباح الطائلة » .

قلت : « بيع المواطن والوطن هو التجارة الوحيدة المضمونة النتائج ، غير الخاسرة » .

قال الشنفرى : « سأصبح متسولا » .

قلت : « ستصبح متسولا يطلب العون من متسولين » .

قال الشنفرى : « سأسرق » .

قلت : « اذا سرقت فلا تسرق ساقية والا عوقبت شر عقاب » .

قال الشنفرى : « لن أسرق الا البحار وما يشابهها » .

قلت : « اذا نجحت فأنت من الخالدين ، ولكنك لن تنجح ، فمن يسمح له بأن يسرق بحرا ينبغي له أن يكون من قبل قد سرق حرية شعب » .

قال الشنفرى : « سأتملق وأنافق » .

قلت : « المنافقون كثيرو العدد الى حد أنك قد تموت قبل أن يأتي دورك لتنافق » .

قال الشنفرى : « لم يبق لي سوى أن أضحك » .

قلت : « لايوجد في الحياة العربية سبب واحد للضحك ، والضحك من غير سبب هو قلة أدب ، فهل توافق على أن تكون قليل الأدب ؟ ! » .

هل توجد حضارات عاقلة في الفضاء؟!

بقلم: المهندس سعد شعبان

- مالدينا من علم لا يُمثِّل إلا الحصاة على شاطئ المعرفة

- لماذا نقيِّد أنفسنا بالبحث عن الحياة على كواكب المجموعة الشمسية وحدها والكون يغص ببلايين الكواكب؟

غير أن الحقيقة ليست ضائعة تماما فى تيه من المجهول ، الى الحد الذى يجعل الظنون والخيالات بعيدة عن المناقشة العلمية المجردة ، ذلك أن عصر الفضاء قد طرق باب المجهول ، وأصبح هذا الباب مفتوحا على مصراعيه ليتيح قدرا كبيرا من المعرفة يستطيع أن يبدد ظنون الماضى . فسفن الفضاء أصبحت تعد بالعشرات ، وبعضها يتجول بين الكواكب ، وبعضها مضى عليه عشرات السنوات وهو يكشف عن مزيد من الأسرار التى لم يعرفها الفلكيون من قبل .

وقضية الأحياء فى الفضاء خارج الأرض ، تتجاذبها أطراف متعددة ، فتجعلها تتأرجح بين آراء رجال الدين ، مستندين الى ما ورد فى الكتب المقدسة ، وبين نظريات العلم المجردة التى يستند العلماء فيها الى قياسات سفن الفضاء عن أجواء الكواكب والصور التى وصلتنا منها . وقبل ذلك كله ما توارد لنا عبر عديد من السنوات ، من خيالات بعض علماء الفلك والبيولوجيا الذين حاولوا الاجتهاد فى هذا الامر ، وأدلوا بدلوهم فيه ، استنادا الى ظنون أو اعتمادا على منطق أو تحليل أو جريا وراء بعض الاحتمالات .

ولا شك أن كل مثقف فى عصرنا ، تثور فى نفسه عديد من الأسئلة المحيرة التى راودت كثيرين فى عصور سابقة ، والتى لم تجد الى الآن اجابات شافية من أحد ، رغم أننا نعيش عصر الفضاء ومنذ عام ١٩٥٧ .

هل يمكن أن نكون بمفردنا فى هذا الكون الذى لاحدود له ؟ .

وهل من أحياء فى مكان آخر من الكون ؟ .

واذا كانت هناك حضارات أخرى غيرنا ، فهل هى عاقلة ، أم تفوقنا ذكاء ؟ .

ولماذا لم يحدث اتصال بيننا وبين هؤلاء الأحياء حتى الآن ، وهل تقف اللغة عائقا بيننا وبينهم ؟ .

لاشك أن العلم مازال يتلمس طريقة للاجابة على هذه الأسئلة ، وما يستتبعها من قضايا ومسائل أخرى وربما لاتمضى غير أعوام قليلة حتى نتثبت أننا على أول الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة .

ولذلك فان مجال البحث يجب أن يكون شاملا الفضاء فى أرجاء الكون كله ، وليس قاصرا على البحث عن الحياة على كواكب المجموعة الشمسية وحدها ، فهذه جزء من كل . ولاشك أننا نعنى بالحياة المعنى العام للكائنات الحية . سواء فى ذلك المملكة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية وغير ذلك .

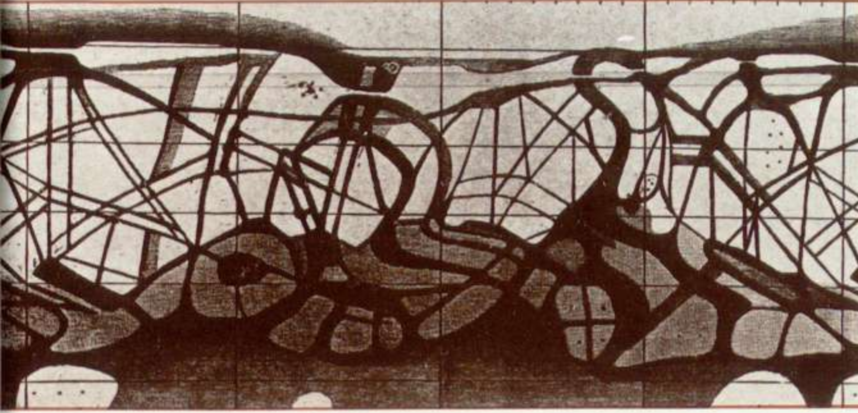
ولابد أن نستبعد من تفكيرنا صورة الحياة



على الصفحة المقابلة لقطتان ، الأولى للكوكب الأحمر فى المريخ .. والثانية لملايين السدم والمجرات فى الكون .. وعلى هذه الصفحة لقطة لمنظر من فيلم سينمائى عن غزو المريخ .

من العسير أن نتحدث عن احتمالات وجود الحياة على كواكب أخرى غير الأرض أو فى الفضاء ونحن مجردون من العاطفة ، أو دون أن ندع الخيال يشطح بعيدا ، ذلك أن وسائل الاستطلاع الميسرة لدينا على الأرض ، لم تبلغ الحد الذى يستطيع أن يحسم قضية مثل هذه ، أو أن نعطي من القياسات والاستقراءات مايغني عن التأويلات والاحتمالات .

هل توجد حضارات عاقلة في الفضاء؟



تصور الفلكي الايطالي شياباريلي وجود قنوات للري على المريخ

البشرية التى تعودناها على الأرض ، ممثلة فى انسان يدب على رجلين ، وله ذراعان وعينان ورأس وجسد ، فمثل هذه الصورة قد تكون مفقودة فى الفضاء ، وربما يوجد لها بديل له تكوين آخر ، بل تركيب كيماوى آخر ، بل ربما تسلسلت الحضارة الحياة على بعض الكواكب ، أو فى بعض أرجاء الكون فى حلقات زمنية .

المريخ ... لماذا ؟

لقد نشط بعض الفنانين فى تصور وجود أحياء على الكواكب اخوات الارض في المنظومة الشمسية . وهذا لايعدو أن يكون ضربا من ضروب شطحات الخيال .

فتخيلوهم ذوى أطراف وأشكال وأحجام غاية فى الغرابة والطرافة ، لان الترجيح الذى كان مسيطرا عليهم هو أن يكون هؤلاء الأحياء أقل ذكاء من سكان الأرض .

وقد حظى كوكب المريخ بأغلب هذه الخيالات باعتبار ترجيح وجود الماء عليه .

ولأن الماء هو العنصر الأساس الذى ترتبط به الحياة مصداقا لقوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شىء حي » . فقد غلب الفلكيون منذ مئات السنوات احتمال وجود الماء على كوكب المريخ ، من خلال تفسيرهم للصور التى رأوها لسطحه بواسطة عدسات المراصد الفلكية .

ولأن محور المريخ مائل على مداره كميل محور الأرض ، ولذلك فان عليه فصولا كفصولنا ، ولكن مدتها تقرب من ضعف مدتنا .

وهو يلى الأرض مباشرة بعدا عن الشمس « المريخ » ويبلغ قطره نصف قطر الأرض وتقل الجاذبية عليه عن الجاذبية على الأرض ، ويتم دورته حول الشمس خلال ٦٨٧ يوما من أيام الارض ، أى فيما يقرب من عامين من أعوامنا .

ولأنه سيَّار علوى مداره خارج مدار الأرض فإننا نراه غالبا فى شبه استدارة كاملة . وهو يتم دورته حول محوره فى مدة تقرب من يوم الأرض ولا تزيد عنها الا بضع دقائق .

ومرجع ذلك الى ما أعلنه كثير من الفلكيين القدامى منهم « شياباريلي ، وديكرنج ، وليلاند » عن رؤيتهم لقنوات تبلغ آلاف الكيلومترات طولا على سطحه ، كما ظهرت مساحات متغيرة الألوان من زمن لآخر ، وفسروا تغير لونها بأنها مناطق زراعية يحصد زرعها ، ورجحوا أن صورة الحياة النباتية ربما وجدت على هذا الكوكب لأن جوه يندر به الأكسجين ، ونسبة بخار الماء به قليلة ، ولكن يكثر به ثانى أكسيد الكربون . وزاد من هذه الترجيحات أن المريخ يتعمم بطاقيتين تظهران فى بروز عن سطحه ، وبلون أبيض يخالف اللون الأحمر الذى يغلب عليه ، وتتركز الطاقيتان فوق قطبيه ، ولكنهما ليستا ثابتتى الحجم ، فهما ينحسران أى يقلُّ حجمهما أحيانا ، ثم تعودان الى الازدياد ، ولذلك يرجح أنهما من الجليد المتكون على طرفى محوره .

ولقد ولع كثير من الفلكيين بتسجيل أشكال سطح المريخ بين ساعة وأخرى ، مع رسم « خرائط» لها تبين المناطق الداكنة واللامعة منها .

ولقد صور الفلكى « لوويل » شبكة من الخطوط الملتقية فى نقط خاصة على سطح المريخ . ونظرا لاستبعاد حدوث « الصدفة » فى التقائها فى عقد خاصة ، فقد فسر وجودها بأنها من صنع قوم أذكياء ، وأنها ليست الا قنوات للرى حفرت بدقة لنقل الماء من مكان لآخر .

ومما شجع على تفسير وجود القنوات أنه فى الوقت الذى تنحسر فيه الطواقى الثلجية قرب القطبين ، فإن الظلال تمتد الى قرب خط استواء المريخ ، وتنبسط المساحات الداكنة ، وتميل الى الاخضرار بدرجات متفاوتة ، وعندما تعود الطاقية العلوية الى الازدياد فى الحجم تختفى ، أو يتبدل لونها .

ويفسر ذلك بحلول الشتاء ، فان المساحات الداكنة تتضاءل مساحتها ويتبدل لونها من اللون المائل الى الاخضرار الى اللون البنى . لذلك عندما تثبَّت هؤلاء من وجود الماء على هذا الكوكب ، فقد أسرف الكثيرون فى تصور أهل المريخ كمخلوقات غريبة تختلف عن سكان الأرض ، كما برع السينمائيون فى انتاج أفلام تصور غزو هذه المخلوقات للأرض .

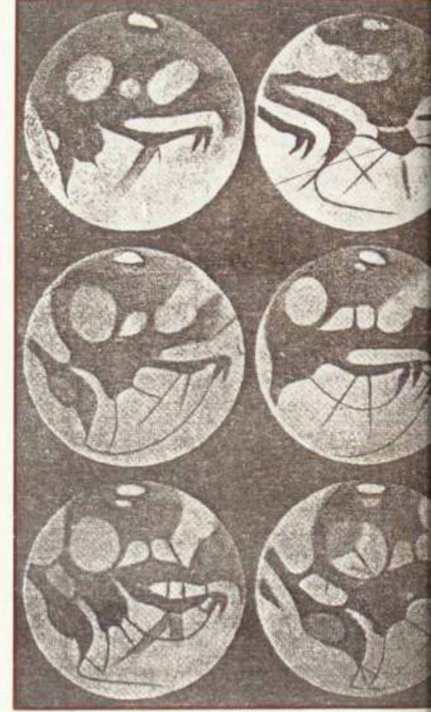
ولقد قطع الشك باليقين عندما حطت بعض سفن الفضاء برفق على كوكب المريخ ونقلت صورا لسطحه بعد أن حفرت فيه ثقبا وحللت بعضا من صخوره لتقف على تكوينها الكيماوى ، وأصلها الجيولوجى فى معمل كانت تحمله بداخلها .

لقد تحقق ذلك بواسطة السفينتين الامريكيتين « فايكنج ــ ١ » ، ثم « فايكنج ــ ٢ » اللتين حطتا عليه برفق فى صيف ١٩٧٦ . ولقد انتهت نتائج تحليل العينات التى اقتبست بواسطتهما من المريخ الى وجود بعض دلائل الحياة على هذا الكوكب وذلك داخل معمل كيماوى صغير كان فوق متن السفينة نفسها .

ولقد عكف العلماء على تحليل الصور التى استقبلت من هاتين السفينتين ، فتبين أن ماظنه القدامى قنوات للرى ليست سوى شقوق غائرة فى تربة الكوكب ، وفوالق جيولوجية تمتد مئات الكيلومترات ، وأن ماظنوه مساحات منزرعة لم يكن غير كثبان للرمال تتحرك فوق مناطق غائرة ، وتذروها الرياح من مكان لآخر ، فتأكد لهم أن المريخ له جو محيط

• وفقاً لنظرية الاحتمالات ، لايُعقل أن تقتصر ظروف وجود الحياة على واحد فقط من بلايين البلايين من الكواكب

• أسرار جديدة عن "المشتري" و"زحل" و"أورانوس" ستكشفها لعلماء الفلك السفينة الفضائية "فويجر"



تغير الظلال على المريخ

ه ، وبه بعض من بخار الماء ، وفى جوه بعض السحب . فرجح مالديهم من ظنون من وجود بخار الماء الذى هو المكوّن الأساسى لكل ألوان الحياة .

العلم والبحث عن الحقيقة

فى القرآن الكريم آيات تعبر عن البحث عن الحقيقة ، واتساع آفاق العلم بلا حدود ، مما يجعل الانسان يقف عاجزا أمام هذه الحقائق « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ، لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » (سورة الكهف ١٠٩) .

ولقد عبر نيوتن ، أبو الجاذبية ، وواضع علم التفاضل والتكامل ، عن ذلك بقوله « ان ما لدينا من علم لايمثل إلاّ حصاة على شاطىء المعرفة » .

وقضية عقلاء الفضاء ، أو وجود أى لون من الحياة فى الفضاء ، أو على أى من كواكب مجموعتنا الشمسية غير الأرض ، قد حدث نحوها تحرك علمى فى اتجاهات متعدده هى :

• تجمع لدى العلماء كثير من القياسات التى سجلتها الأقمار الصناعية وسفن الفضاء عن طبيعة وتكوين طبقات الفضاء بما يمكن معه القول ان القياسات ، لم تقطع بعد بوجود حضارات عاقلة فى الفضاء ، ولكن لاتنفى وجودها .

• أصبح لدى علماء الارض ، صور سجلتها سفن الفضاء لسطوح بعض الكواكب هى بالتحديد عطارد والزهرة والمريخ والمشترى ، توضح طوبوغرافيتها وترسم صورة واضحة عن معالمها .

• كما تجمعت لديهم العناصر اللازمة لمعرفة طبيعة الأجواء المحيطة بهذه الكواكب ، من حرارة وضغط ومكونات . فقد عرف أن جو كل من كوكب عطارد والزهرة مرتفع أما المريخ فتوجد عليه آثار من الماء .

• حطت بعض سفن الفضاء برفق على سطوح بعض الكواكب ، منها المريخ والزهرة والمشترى ونقلت صورا لطبيعة هذه السطوح ، بل حفرت فيها بعضا من صخورها لتقف على تكوينها الكيماوى ، وأصلها الجيولوجى .

• عكف كثير من علماء الجيولوجيا والفلك على دراسة مكونات الشهب والنيازك ، التى تساقطت على الارض منذ مئات السنوات .

والغرض من ذلك هو البحث عن وجود عناصر أو مكونات غير مألوفة لنا على الأرض ، والثابت أنه الى الآن لم يعثر العلماء على عناصر أو جزئيات أو معادن فى الأجسام الكونية التى وصلت الى الأرض ، سواء تلك التى سقطت من السماء أو فى العينات التى أحضرها رواد الفضاء من القمر ، أو التى جلبتها سفن الفضاء منه .

• منذ أوائل الثلاثينات ظهر الى الوجود علم جديد ، أضاف حلقات هذا البحث حلقة قوية ، ربما تمثل رأس الجسر الى المجهول ، ذلك هو علم « الفلك الراديوى » (Radio Astronomy) ، الذى يعنى بالتقاط الاشارات الكهرومغناطيسية التى يمكن استقبالها من اتجاهات معينة فى الفضاء وقد ظهرت بوجود هذا العلم شبكات من هوائيات استقبال الاشارات الكونية ، اتخذت اشكالا ضخمة ، وتصميمات خاصة تتناسب مع خفوف هذه الاشارات الفضائية . وانتشر تصميم هذه الهوائيات فوق رقع متسعة من المناطق الخلوية ، بقصد استقبال أكبر قدر من هذه الاشارات .

وعكف العلماء على محاولة تحليلها ، وتفسير انتظامها ، أملاً فى الوصول الى ما اذا كانت صادرة عن حضارة عاقلة فى الفضاء ، أو انها لاتعنى شيئا . ولا شك أن العقول الالكترونية سوف تستطيع قريبا ، أن تعطى تفسيرات مرضية لهذه الاشارات شبه المنتظمة ، وتستنبط منها لغة سكان الفضاء . وسنتعرض بشىء من التفصيل لأمر هذه الاشارات فيما بعد ، باعتبارها ركيزة العلم الحديث فى السعى الى عقلاء الفضاء .

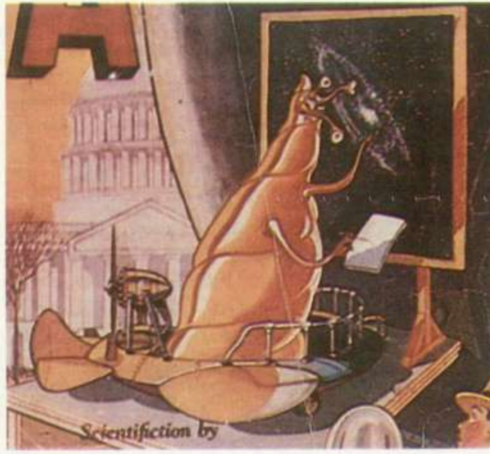
• منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وحتى اليوم يتوارد من آن لاخر ، ذكر « الأطباق الطائرة » وما تتركه من آثار على الأرض .

ولقد تواترت أخبار متضاربة وغريبة على مر هذه السنوات ، عن تحليق بعض هذه الأطباق ، وسرعاتها البارقة ، وأشكالها المختلفة ومظهرها المريب ، وآثارها التى تركتها على الارض . وزعم البعض أن هذه الأطباق مركبات يمتطيها سكان كواكب أخرى ، أتوا لاستكشاف بقع غير مأهولة من الأرض وتخبط العلماء ازاء أنبائها بين مكذب يقول إنها من الخرافات ، ونسج الخيال ، وبين مصدق يقول بأنه لايستبعد أن يكون ذلك ضمن الاحتمالات .

• قفز من دنيا البحث الى عالم التطبيق منذ سنوات معدودة ، موضوع جديد ملأ ذكره الآفاق ، ذلك هو موضوع « اشعاعات الليزر » شديدة التركيز . وأصبحت هذه الاشعاعات هى الأمل فى تطوير الاتصالات اللاسلكية بين أرجاء الكون الفسيح ، بعد أن تحقق امكان

هل توجد حضارات عاقلة في الفضاء؟!





خيالات الفنانين عن الأحياء فوق المريخ

ارسالها من الأرض الى القمر ، دون تشتت ودون فقد .

لذلك ليس بمستبعد أن تأخذ أشعة الليزر طريقها الى الكواكب حاملة رسالات سكان الأرض لأحياء الكواكب ، فى القريب .

فى ضوء رسالات السماء

يعتمد رأى الأديان فى هذا الأمر على ركائز منطقية فى التفكير ، وعلى نصوص ورد ذكرها فى الكتب السماوية . ويستند فى ذلك على أن عقل الانسان لم يبلغ ذروة الكمال ، وان تطور الفكر الانسانى على مر العصور خير برهان على صحة هذا الرأى . لذلك فلا بأس بأن توجد حضارة أكثر وعيا ، أو أكثر ادراكا من حضارة الانسان فى مكان ما من الكون . ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى فى الآية الكريمة « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (سورة الاسراء ٧٠) .

وجلى أن الانسان لم يكرم فى القرآن ، على أنه أفضل المخلوقات كافة ، ولكن أفضل من كثر منها ، أى أفضل من « أغلبها » وليس أفضل منها « كلها » .

والمخلوقات هنا ليس لزاما أن تكون على الأرض وحدها .. بل أى مخلوقات خلقها الله ، فى أى مكان من الكون ، سواء كان هذا المكان على الكواكب ، أو على أى جرم من الاجرام السماوية .

ففى الكون ، أحياء ليسوا فى الصورة البشرية الانسانية المتمثلة فى روح تتقمص جسدا ، فالأديان فيها ذكر للملائكة وذكر للجن وهى مخلوقات لها قدرات وممالك لاندرى عنها الا القليل .

واذا ماتركنا عالم اللا منظور ، الذى تشير اليه الأديان ، وتمعنا فى النصوص القرآنية نجد بعضها يذكر أنواعا من الحياة النباتية والحيوانية فى السماوات وحسبنا هذه الآيات على سبيل المثال :

« ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض » . (سورة النمل / ٢٥) ..

« ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » . (سورة الشورى / ٢٩) ..

« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء الاّ يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم » . (سورة الاسراء/٤٤) ..

« ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله وكلٌ أتوه داخرين » . (سورة النمل/٨٧) ..

● هل اختفت قارة أطلانطس تحت قاع المحيط الواقع بين أفريقيا وأمريكا بسبب حرب شنَّها أهل حضارة فضائية؟!

● أشعّة الليزر تحمل رسائل من سكان الأرض لأحياء الكواكب في القريب

كما يرتكز رأى الأديان على أساس منطقى آخر ، هو حقيقة أن القدرة الآلهية ليس لها حدود « وهو على كل شىء قدير » .

وازاء اتساع الكون اتساعا عجز العقل البشرى عن تصور حدوده ، أو احصاء أجرامه ، أو قياس مسافاته ، فلا يمكن أن تقتصر صورة الحياة على الأرض وحدها مع ضآلتها فى الحجم ، ووضعها فى ركن قصى من أركان جزيرة كونية واحدة ، حولها ملايين من جزر كونية أخرى أكبر منها .

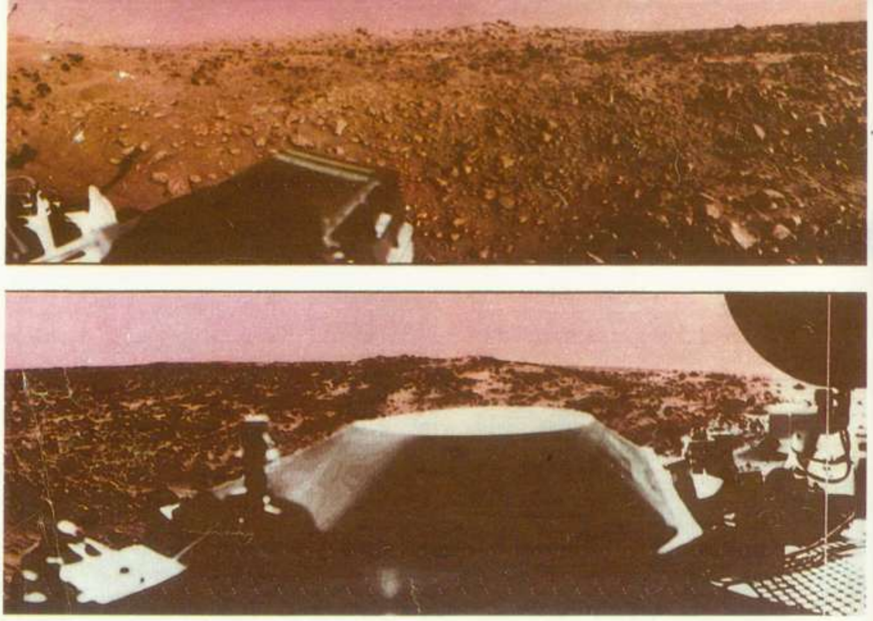
عبر منطق الاحتمالات

يفترض علماء الفلك أن عدد نجوم جزيرتنا الكونية ، أى تلك التى داخل المجرة يبلغ (١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) نجم تقريبا ، أى عشرة آلاف مليون نجم . وهذا العدد ليس أكثر من افتراض ، لانه يجل عن الحصر ، ويجل عن القياس . وناهيك عما تحويه المجرات الأخرى ، التى خارج مجرتنا ، من بلايين البلايين من النجوم .

فمن الخطأ أن نقيد أنفسنا بالبحث عن الحياة على كواكب المجموعة الشمسية وحدها ، لأنها أجسام باردة . فالكون يغص بملايين من الكواكب التى نراها .

وكل نجم ، يلمع فى السماء شمس ، ويفوق كثير منها شمسنا فى الحجم آلاف بل ملايين المرات ، فلماذا لا توجد حول هذه الشموس كواكب باردة ، تدور حولها كما تدور الأرض حول الشمس ؟

والمسافات الشاسعة بيننا وبين هذه النجوم تقف حائلا دون رؤية هذه الكواكب ، كما ورد فى القرآن لقوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .



السفينة الأمريكية فايكنج خطت على سطح المريخ عام ١٩٧٦ م

واذا قصرنا القول على نجوم مجرتنا، وافترضنا أن كلا منها تجذب اليها بعضا من الكواكب الباردة، وتقسرها على الدوران حولها، فسنجد أن المجرة تحوى بلايين البلايين من هذه الكواكب. وبالتالى فان الكون بما فيه من ملايين المجرات والسدم يمكن أن يحوى من الكواكب، أكثر من عدد حبات الرمال والتراب التى على الأرض قاطبة.

ووفقاً لنظرية الاحتمالات، التى لها مكانتها لدى علماء الرياضيات كلغة لتفسير المستغلق من الأمور، لا يعقل أن تقتصر ظروف وجود حياة على واحد فقط من بين بلايين البلايين من الكواكب. فالخالق واحد، والظروف واحدة عند بدء التكوين. ومثل هذا الافتراض يمكن أن نصفه بأنه افتراض جاهل ويتسم بالجمود فى التحليل. فكيف يمكن أن تضل الاحتمالات وسط هذه البلايين لتصبح فرصة وحيدة فقط بين بلايين البلايين من الفرص. ان هذا القول يشبه الاصرار على وجود زهرة وحيدة فقط ذات لون أحمر مثلا فى كل حدائق الكرة الارضية.

وكيف يمكن أن نجمع بين ايماننا بالقدرة الإلهية المبدعة التى أحسنت خلق هذه الاجرام — التى كحصى الرمل عدا — ولم تدع فرصة واحدة لاصطدام بعضها ببعض، وبين تصور أن هذه القدرة، تقصر وجود الحياة على كوكب واحد فقط. هو كوكبنا (الأغر).

وحاشا لله «انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون». والمعقول أن العناصر الاساسية التى تتوقف عليها الحياة النباتية أو الحيوانية، طالما وجدت على الأرض، يمكن أن توجد فوق كثير من الأجسام الباردة، أو الكواكب التى حول النجوم.

وبسبب قصور وسائلنا القياسية، وبعد بدء عصر الفضاء، يحاول العلماء ارسال سفن الفضاء لتغوص فيه، ولتتحسس الطريق، وتزداد ابتعادا عن الأرض عاما بعد عام.

ومن أروع الأمثلة على ذلك، ما قامت به السفينة الامريكية الرحالة «فويجر» التى مضى عليها أكثر من عشر سنوات فى الفضاء وهى تلتقط الصور لكواكب المشترى وزحل وأورانوس. وتستهدف أن تقترب من كوكب نبتون فى عام ١٩٨٧ المقبل. لقد كشفت هذه السفينة عن أسرار لم يعرفها علماء الفلك من قبل، فقد كانوا يعتقدون أن الأحزمة حول زحل ثلاثة فتبين من الصور أنها اثنا عشر. كما كانوا يرون من المراصد الأرضية أن الأقمار حول كوكب المشترى أحد عشر، فاذا بها خمسة عشر. وقد كشفت فى أوائل عام ١٩٨٦ عن قمرين جديدين حول كوكب أورانوس.

وهذا مايلقى الضوء، على أننا مازلنا فى أول الطريق وقد تقف القدرات البشرية نفسها عائقا أمام هذه الجهود، لأن الانسان لايستطيع احتمال البقاء فى الفضاء مددا طويلة دون هلاك.

وعند التسليم باحتمالات وجود حياة على أجرام كونية أخرى، أو فى الفضاء، فالسؤال المنطقى هو لماذا لم يحدث اتصال بين هذه الحياة وبين حضارتنا على الأرض؟. وهناك افتراضان أولهما هو أن تكون هذه الحياة أقل ادراكا وذكاء منا، لذلك فان احتمال نجاح هؤلاء الأحياء فى الاتصال بالارض، أمر مستبعد، لانعدام وجود الوسيلة، ولكبر المسافة بدرجة تستلزم درجة عالية من التقدم.

والافتراض الثانى هو أن تكون هذه الحياة ذات ذكاء يفوق ذكاء أهل الأرض ولهم ماض عريق فى الوجود أعرق من الانسان.

عندئذ فمن البديهى أن يعاملنا هؤلاء الأذكياء بقدر من الاهمال، تماما كما هو شأننا فى معاملة فصائل الهوام التى على الأرض، ننظر اليها شذرا، نبيد بعضها أحيانا ونترك البعض الآخر، دون أن نركز على محاربته لان شأنه وتأثيره هين وبسيط. أو قد نستأنسه ولكننا نعجز عن الالمام بلغاتها، أو بكل تصرفاتها.

بمثل هذه التشبيهات يمكن أن نتصور أن هؤلاء «الآخرين» ربما يكونون قد حاولوا الاتصال بأهل الأرض، وأعيتهم الوسيلة، أو خذلتهم المسافة، فليس معنى التفوق فى الذكاء، أن يتيسر كل أمر ويتذلل كل صعب. أو قد تكلل جهودهم بالنجاح مستقبلا فيجدون طريقهم الينا عن قريب وربما يكونون متمتعين بمراقبتنا — من بعيد — انتظارا لتطوير وسائلهم فى الوصول الينا، ليأتوا بعاليها سافلها فى حرب كونية شعواء تمحو كل الوجود الأرضى.

ولقد تواترت تفسيرات كثيرة لوجود زيارات لأجسام غريبة فى أماكن متفرقة من الأرض، وترددت كثير من الاشاعات عن الأطباق الطائرة، غير أن البعض مازالوا يرددون نظرية مفادها أن تعاقب الحضارات على الأرض سببه حروب يشنها أهل الحضارات الأخرى من الفضاء بين حين وآخر.

وهذا الظن عن فناء حقبة حضارية وبعث أخرى بعد حين، يقويه اختفاء مدن بكاملها كمدينتى «سدوم وعمورة» فى فلسطين، واختفاء قارة بكاملها هى قارة «اطلانطس» تحت قاع المحيط الواقع بين افريقيا وأمريكا، وانحسار مدن بكاملها تحت مياه البحار كمياه البحر المتوسط.

وهناك ظن آخر.. أقرب الى الخيال.. هو أن يكون «الآخرون» من سكان الفضاء قد وطدوا أماكنهم على الأرض، وأنهم هم الذين بنوا الاهرام، وأقاموا التماثيل والمعابد الضخمة على الأرض، ثم انصرفوا عنها الى الكواكب مرة أخرى.. لسبب أو لآخر..

هذه كلها ظنون.. ليس لها استناد.. الا الانبهار بالماضى.. ولعل الاحتمال الوحيد الذى يبدو من خلاله بعض المنطق، هو عدم استبعاد قيام عقلاء من الفضاء، بزيارات استطلاعية لبعض الأماكن على الأرض مستقلين هذه المركبات الغريبة، وهى الاطباق الطائرة.

سعد شعبان

بقلم: جمـــال قطـب



الحسناء

.. قد يسأل سائل عن اهتماماتنا فى تقديم هذه النماذج الجمالية على هذه الصفحات. إنها نماذج فنية على أكبر قدر من المعالجة الابداعية رفيعة المستوى، ولكنها فى الوقت ذاته لاتشتط إلى متاهات المدارس العقلانية الغامضة والتجريد الحديث، أى أنها تجمع بين عالمية الفن وعبقرية الفنان والجماليات البصرية المبهرة. والسبب فى ذلك هو حرص مجلة «الدوحة» على تقديم روائع الفن العالمى فى صورة ميسرة جميلة، بعيدة عن الطلاسم التقنية والمذاهب الغارقة فى الذاتية واللاشعور وما وراء الطبيعة وغياهب الأحلام والتيارات الغريبة التى أتت بها تعقيدات المجتمع الغربى فى القرن العشرين! إن لوحاتنا هذه هى أشبه ماتكون بسلة الزهور على مائدة متخمة بصنوف الطعام والشراب. وليس معنى هذا أن عوالم التجريد والسيريالية وغيرها من الفنون الحديثة ليست فنونا راقية، ولكنها تفتقر إلى الجمال الطبيعى والمثاليات البصرية التى نحرص على تقديمها إلى قرائنا على اختلاف نزعاتهم وتفاوت ثقافاتهم ومداركهم وتذوقهم فى شتى أنحاء عالمنا العربى الفسيح. أى أننا بقدر مانقدم المعلومة الثقافية الميسرة، نقدم الرائعة الفنية على نفس المستوى من اليسر والوضوح ولهذا ركزنا فى استعراضاتنا لروائع الفن العالمى على مدى السنوات الماضية، على هؤلاء الفنانين الذين يحظون بتلك المواهب الفذة من العبقرية الفنية والأساليب الجمالية المبهرة. وكما قال (رينوار): «إن الفن عندى بصرية جميلة ممتعة قبل كل شيء»!

وموضوعنا اليوم عن إحدى روائع الفن الانجليزى لفناننا توماس بورانس (١٧٦٩ - ١٨٣٠) الذى عاش فترة الفن البريطانى فى تاريخ الابداع.. حيث أُطلق عليها عصر النهضة الفنية آنذاك. والسمة المميزة للفنانين الانجليز فى تلك الفترة هى ولعهم برسم الشخصيات Portraits ولاسيما صور حسناوات المجتمع والمشاهير من الرجال والنساء. وهكذا شاهدنا أعمال أقطاب المبدعين الانجليز من أمثال هوجارث ورينولدز ورومنى وغيرهم. والفن الانجليزى عريق يضرب جذوره فى أعماق القرون الماضية؛ فقد اشتهرت قبائل الكلت القديمة بالمخطوطات الدينية منذ القرن السادس الميلادى، وكانت هذه المخطوطات تزخرف بالزخارف الدقيقة والمنمنمات الرمزية الجميلة، ومضى التصوير الانجليزى يركز خلال القرون الوسطى على خدمة متطلبات الكنيسة، فيقدم لنوافذها القوطية أجمل الصور الدينية مرسومة على الزجاج الملون، كما اشتهر البيت الانجليزى بصوره وستائره وزخارفه ذات الرموز الدينية والتشكيلات الرائعة، وهكذا شهد الفن عصرا من الازدهار. وكانت الكنيسة الكاثوليكية آنذاك تشجع الفن وتستقطب جهود الفنانين، ولكن، ما ان حل المذهب البرتستانتى محل الكاثوليكى حتى أيقن الفنانون أن المذهب الجديد ينظر إلى الفن نظرة فتور تحولت عاما بعد عام إلى كراهية.. ولم يكن أمام الفنانين - والحال هذه - إلاّ أن يبحثوا عن مجالات أخرى يمارسون فيها نشاطهم، فاتجهوا إلى الملوك والنبلاء والأثرياء، يخلدون صورهم فى لوحاتهم بأساليب أشبه إلى الصور التى تمرسوا عليها من قبل.. مما دفع بهذه الشخصيات إلى استقدام فنانين أجانب من الدول الأوروبية لرسم مايحتاجون من الصور والمناظر الطبيعية لقصورهم. وظل تصوير المناظر والأشخاص وقفاً على المصورين الوافدين لمدة قرنين كاملين. أما عامة الشعب الانجليزى فقد كانوا لايتذوقون هذا النوع من الفنون الوجدانية الراقية لأنهم لم يألفوا إلاّ الفنون التطبيقية التى تؤتى نفعها بصورة مباشرة فى حياتهم اليومية..

●● ولكن صحوة فنية كبرى قد انعشت الفن الانجليزى مرة أخرى فى القرن الثامن عشر.. (ويتذكر قراؤنا أن هذا القرن كان بمثابة تحول وبعث فنى عام فى معظم شعوب العالم المتحضر بأسره).

وتوالى ظهور أساطين الفن الكبار.. وقد اعتبر (هوجارث) رائدا لهذه الحركة الفنية الناهضة. ثم ظهر مفخرة انجلترا عن جدارة.. وهو أستاذ الاساتذة الفنان (جوشوا رينولدز ١٧٢٧ - ١٧٩٢) الذى يرجع إليه الفضل فى تأسيس (المجمع الملكى للفنون الجميلة بلندن)، وقد استطاع أن يهز التقاليد الانجليزية المتزمتة التى طالما وقفت حائلاً بين الانجليز وبين تفتحهم إلى التذوق واقتناء آثار الفن الجميل.

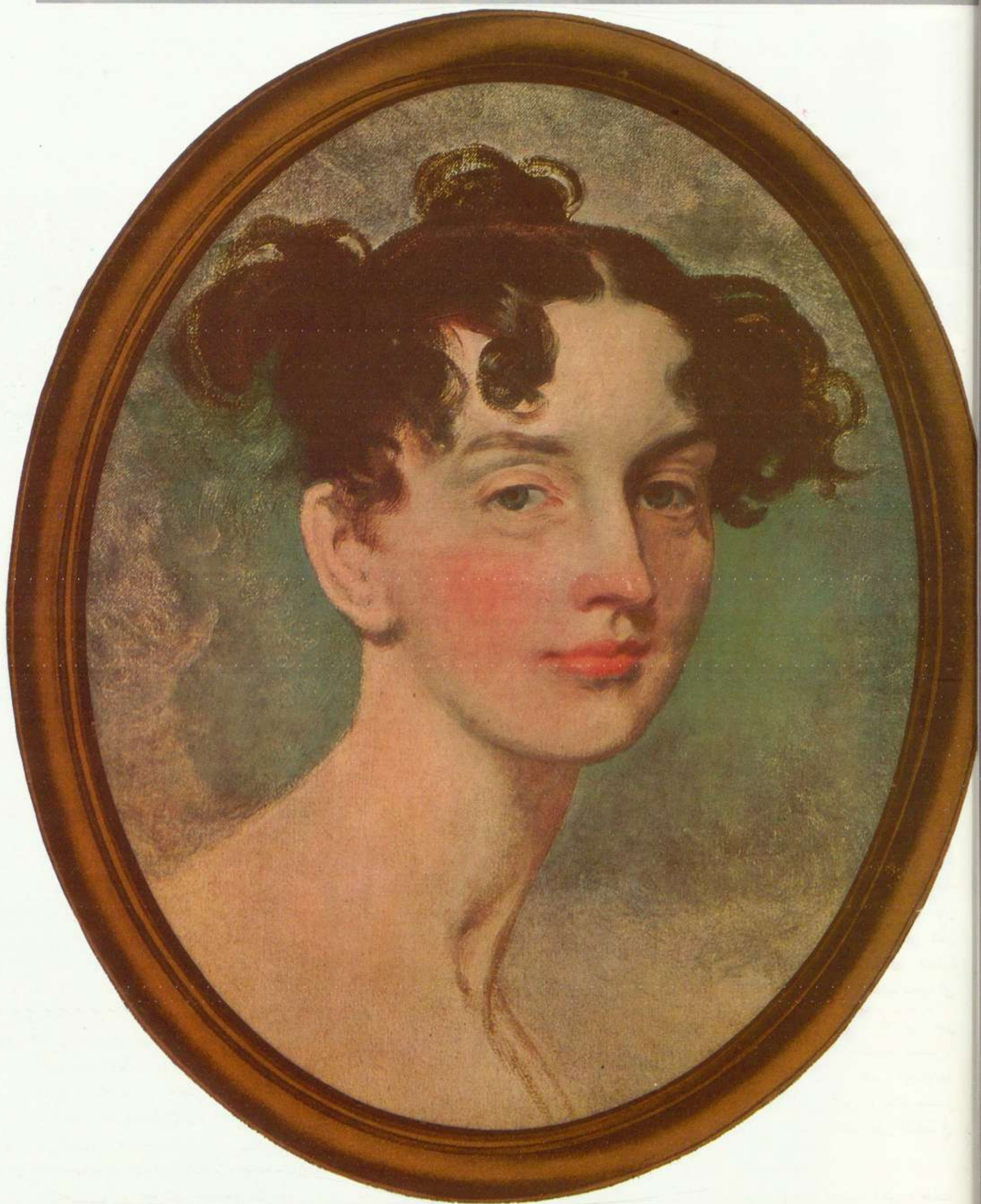
وظهر على مسرح الابداع المتفوق فناننا توماس لورانس.. وقد قلده رينولدز وسام العبقرية عندما أعلن على الملأ أن أعمال لورانس تعتبر روائع فنية (Masterpieces) فذة.. وشد الأستاذ على يد لورانس قائلا له: «لاشك أن العالم سينظر إلى أعمالك بكل التبجيل والاحترام، ليبرهن لك على صحة رأيى فيك»!

وطارت شهرة الفنان فى الأوساط الراقية وصار رسام المشاهير وحلم الفاتنات وسيدات المجتمع البريطانى، وتسابق الجميع حول مرسمه فى سبيل الحصول على صورة شخصية لهم من إبداعه كأمل يداعب خيالهم الطموح! بل إن صورة من رسم توماس لورانس كانت جواز المرور إلى الشهرة والتألق وحديث المجتمعات الفنية فى بريطانيا وأوروبا بأسرها.

وبعد أن أضحى الفنان ملء الأسماع والأبصار، ادخر جهده العبقرى فى أواخر سنوات عمره لرسم كبار الشخصيات والسيدات من ذوات الحسن والجمال..

فلنتأمل سوياً صورة هذه الحسناء (الأميرة ليفان Lieven) التي تعتبر حالياً من أثمن مقتنيات المتحف الوطني البريطاني بلندن..

وما أكثر ماتضمه أروقة المتاحف البريطانية والعالمية الأخرى من روائع خالدة لفناننا الفذ سير توماس لورانس.





قطعة من العود بجوار المدخن (المبخرة) مما يعرفه كل من عرف قطر بادية وحاضرة

لايكاد الضيف أن يستقر إذا دخل بيتا قطريا في البادية أو المدينة ، إلا ويكون في مقدمة مايستقبله به المضيف مبخرة يتصاعد من فوقها دخان العود بعبقه وشذاه العطر العميق .

عن العود والبخور

بقلم : درويش مصطفى الفار

لا غرابة فى ذلك ، إذ لا شك أن علاقة قطر ببخور العود المجلوب عبر القفار والبحار من أدغال آسيا الجنوبية الشرقية ، علاقة قديمة كما ألمحنا إليه فى مقال سابق ، حتى انك لتجد مرجعا كالمخصص لابن سيدة الأندلسي ، يؤيد ماذهبنا إليه من احتمال اشتقاق اسم قطر من القطر ، بضم القاف ، وهو أحد أسماء عود البخور ، ومنه قالوا في اللغة قطر الرجل ثوبه أى تبخر بالعود ونحوه من البخور . والعود في اللغة أصلا ، كل قطعة جافة من الشجر ، ولكنه خصص لهذا الصنف من البخور لأنه كما قال ابن سيدة : (أشرف أنواع العود وأطيبها رائحة) .

ولعود البخور الذى نعنيه فى هذا المقال عدة أسماء فى الفصحى ، فيها الأَلُوَّة والأَلَنْجُوج والقُطْرُ والقِنْطار والوَجُّ والوَقْصى والشَّذا والصَّنفى والقِمارىُّ والهندى ، ليس على سبيل الحصر .

وله في تاريخنا وتراثنا ذكر عجيب في الشعر والنثر على السواء . فقد جاء في كتاب الذخائر والتحف للقاضى الرشيدبن الزبير ، من القرن الخامس الهجرى ، طرائف جمة عن العود نذكر منها على سبيل المثال : أهدى ملك الصين لكسرى أنو شروان ألف مَن ، والمنُ رطلان ، من العود الهندي ، يذوب في النار كالشمع ، ويختم عليه فتبين الكتابة . وأهدى بعض ملوك الهند إلى الحسن بن سهل في زفاف ابنته بوران على الخليفة العباسى المأمون فى سنة ٢١٠ هدايا من بينها (سفط) عود لم يُرَ مثله . وقال على بن المنجم ، كنا ليلة بين يدى الخليفة العباسى المتوكل على الله ومعنا عبيد الله بن الحسن بن سهل . وكان الخليفة قد احتجم في ذلك اليوم فناله ضعف ، فأشار عليه الأطباء أن يتبخر بعود جيد ، ففعل ذلك ، فحلف كل من كان حاضرا أنه ماشم مثل ذلك العود قط ! ! فقال عبيد الله هذا والله من العود الذى أهداه ملك الهند إلى أبى ليلة زفاف أختى بوران على المأمون ! ! فكذبه المتوكل ، ودعا بالسفط الذى أخرجت منه القطعة ، فوجدوا فيها رقعة مكتوب فيها : هذا العود هدية ملك الهند الى الحسن بن سهل لزفاف بوران على المأمون ، فاستحى المتوكل من تكذيبه ، وأمر له بصلة ! !

وأهدى اسحق بن زياد صاحب اليمن الى عز الدولة أبي منصور سنة ٣٥٩ هدية من جملتها دقل من عود قمارى طوله عشرة أذرع ووزنه ثلاثون مَنًّا ! !

وأرسل طغرل بك سنة ٤٤٨ صحبة الأمير قطب الدولة الى ملك الروم هدية فيها عشر طبلات كافور (وعود) . وأهدى الأمير ناصر الدولة أبو على الحسن بن حمدان سنة ٤٦٣ الى أرمانوس متملك الروم والمعروف بالديو جانس (١٠٦٨ ــ ١٠٧١ م) هدية من جملتها دقلان من عود هندى أحدهما ثمانون والآخر أربعون مَنًّا .

وللبخور في تاريخ تطور الحضارة شأن ، فلا شك أن الانسان منذ عرف النار ، ميز بين الروائح المختلفة التى تنبعث من احتراق الأنواع المختلفة من الأخشاب .

ولكننا لانستطيع أن نحدد على وجه اليقين متى وأين تم للإنسان اكتشاف أن خشب العود الذى نعنيه هو أجود ماينبعث منه الدخان حين تمسه النار .

ومن المعروف أن إحراق البخور في المعابد الوثنية كان معروفا خلال التاريخ في كل أرجاء الشرق بين مصر وبابل ، وكان للمر واللبان والكندر وغيرها من افرازات الاشجار شأن عظيم ، ولسنا نغالى حين نقول إن تجارة البخور بأنواعه من جنوب شرق آسيا بحرا الى جنوب شبه الجزيرة العربية ، ثم برا عبر القفار والصحارى الى غزة بفلسطين ، فمصر ، والى الخليج قرب حدود قطر الجنوبية الغربية ، كان الى ماقبل ظهور الاسلام مصدر خير وفير ورزق عميم ، تماما مثل النفط في أيامنا هذه .

وفي الديانة البوذية الوثنية التى دخلت

اليابان من الصين سنة ٥٣٨ م ، طقوس تقتضي حرق البخور في المعابد . فاخترع اليابانيون في البوذية مذهبا يقضي (بعبادة) البخور ذاته ، وبلغ بهم الحذق والمهارة ، الى حد ابتداع (مسابقات) يخلط فيها الكاهن أنواعاً من المواد ذات الرائحة العطرة ، ثم يضعها على المبخرة أو المجمرة ، فيشم المصلون دخانها ، ويجتهد كل منهم في ذكر مكونات ذلك الخليط صنفا صنفا ومنهم من يفوز في دقة التمييز فوزا كاملا ! !

ولما جاء الاسلام الحنيف ، لم ينكر الطيب بل حض عليه ، بما في ذلك البخور ، ولكنه لم يجعله جزءا من العبادة لا في الفروض ولا في السنن .

ولكن أفكار الذين يكيدون للإسلام ، ويسعون لإدخال البدع فيه ، تعمل عبر الزمان والمكان منذ رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة . ومن ذلك ، ونحن في سياق الكلام عن عود البخور نذكر القصة الطريفة التالية .

قال أبو محمد الفرغاني في تاريخه ، ان المأمون قد أصاب بخراسان كانونا من الذهب مرصعا بالجواهر ، قيل انه ليزدجرد بن شهريار الفارسي فقال ذو الرئاستين الفضل بن سهل بن الصولت : يأمير المؤمنين ، الرأى أن تجعله في الكعبة يوقد فيه (العود) بالليل والنهار . فقال المأمون أفعل . وأمر بحمل الكانون الى مكة المكرمة . واتصل الخبر بيزيد ابن هارون المُحَدِّث ، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس وأصحاب الحديث فيشكر المأمون ويدعو له ويخبر بخبر الكانون . ففعل المستملى ذلك ، فلما سمع يزيد كلامه صاح وانتهره وقال له : ويلك اسكت إن أمير المؤمنين أجل قدرا وأعلم بالله عز وجل من أن يجعل بيته تعالى ببيت نار (كالمجوس) . فكتب أصحاب البريد بذلك الى المأمون فأمر بكسر الكانون ، وبطل ماكان دبره ذو الرئاستين ! !

وأعجب ما في أمر عود البخور ، أنه ناتج عن مرض يصيب شجرته بسبب جرثومة فطر مؤذية تدفع النبات الى إفراز تلك المادة الراتنجية الزكية الرائحة .

ومن المعروف أن الله تعالى قد أودع في النبات خواص عجيبة تساعده إذا أصيب بجرح أو جرثومة مرض أن يفرز دواءه من بين خلاياه وافرازات النبات العلاجية تلك ، يقسمها العلماء الى :

أ ــ صموغ تذوب في الماء مثل الصمغ العربي .

ب ــ راتنجات تذوب في الكحول ولا تذوب في الماء مثل اللبان والمصطكى وكذاك الذى في العود موضوع المقال .

جـ ــ علوك لا تذوب في الماء ولا في الكحول ولكنها في البنزين والطولوين وما إليها مثل المطاط .

وتلك الأنواع الثلاثة يفرزها النبات من الشقوق التى يحدثها المرض أو الآلة على هيئة سائل لا يلبث أن يتجمد بملامسته للهواء الجوى . وهنالك نوع رابع :

د ــ يسيل ولكنه لا يتجمد بل يثخن قوامه مثل البلسم وأنواع التربنتين .

وشجرة العود موطنها الأصلى حوض البنغال وبورما وآسام وجاوة وكمبوديا في جنوب شرقى آسيا . ويسميها علماء النبات باسم لاتينى هو (أكويللاريا أجاللوخا) وينسبونها الى الصعتريات . ويصل ارتفاع الشجرة البالغة إلى مائة قدم ويتراوح محيط جذعها بين ثمانية واثنى عشر قدماً . ولا رائحة لخشبها السليم المعافى . ولكنها حين تهرم ذكورها ويزيد عمرها على الخمسين عاما تبدأ الفطريات في العدوان عليها فلا تملك للدفاع إلا افراز ذلك الصمغ الراتنجى الزكى الذى يكسب الخشب لونه البنى الداكن الذى يعرفه من عرف العود .

وقد عرف الناس العود في مصر القديمة وفلسطين وشبه الجزيرة العربية منذ قرون خلت . ويسميه جامعوه في جنوب شرق آسيا خشب (الآجور) أو (الآجار) . ويتفننون في الغش والتدليس ماوسعتهم الحيلة والفكر الشيطاني . وفى كمبوديا نوع يسميه علماء النبات (أكويللاريا كراسنا) وله أيضا رائحة طيبة حين يعتوره المرض ولكنه أقل جودة .

ويميزه جامعو العود في مظانه بإلقائه في الماء ، فما يطفو يفصلونه عما يغرق لثقله ، وذاك الذى يغرق في الماء هو أجوده لكثرة مافيه من الصمغ الراتنجى . ولهذا فهم يعمدون الى إغراق ذاك الذى يطفو بأثقال ويتركونه تحت الماء زمنا غير قصير ، فتحلل البكتريا في الماء الراكد جزءاً كبيرا مما تبقى فيه من السليولوز ولا يتأثر الراتنج ، فتزداد قيمته ويعلو قدره .

وأخشى أن يكون الكيماويون قد توصلوا الى تخليق ذلك الراتنج الذى تفرزه في الطبيعة شجرة العود الذكر المريضة ثم يقدمونه للناس ، وخاصة في أسواقنا ، على أنه طبيعى لا سيما إذا عرفنا أن ثمن الكيلوجرام الواحد من• العود الجيد الذى يشبه عود عرس بوران والمأمون قد يصل ثمنه اليوم الى عشرة آلاف دولار أو تزيد .



مجمرة أو مبخرة من طراز صيني ترجع الى القرن الخامس عشر الميلادى

منذ أقدم العصور والإنسان يسعى وراء الطِّيب والعطور بحثاً عن الفرح والسّعادة والنشاط



بقلم : نجلاء العزي

منذ قديم الزمان أدرك الانسان سّر العطر وتأثيره على النفس من بهجة وحيوية وسعادة، ويتعدى هذا الشعور الانسان إلى الحيوان، فنجد الطيور على سبيل المثال تغرد وتنشط في وقت الربيع، زمان تفتح الأزهار وتوّرد الأشجار بفعل أريجها في الجو.

وقد توصل العلماء إلى خاصية بعض الزهور والنباتات وحتى الحيوان في طرح شذى يعبق الجو برائحة لطيفة تختلف من زهر إلى آخر ومن نبات إلى آخر.



قوارير من الزجاج الملون المشغول بالفضة



معمل للعطور الحديثة

أصبحت العطور من الفنون الراقية وهي ترف دخل حديثاً على المجتمعات الغربية. أما في الشرق، فقد قطعت شوطاً كبيراً وصارت جزءاً من العادات والتقاليد الشرقية منذ أحقاب تاريخية طويلة تعود إلى ثلاثة آلاف عام حينما استخدم قدماء المصريين العطور في المعابد وفي التجميل.

نظرة تاريخية

وكان الشرق منذ قديم الزمان مصدراً هاماً للطيب والعطور وكان الشرقيون يميلون الى العطور أكثر من الغربيين، ويعزو العلماء ذلك إلى أن الشعوب من ذوى البشرة الداكنة والعيون السود يتميزون بحاسة شمّ قوية، وهناك سبب آخر هو أن العطور تتميز بطابعها الرطب وذلك إذا رشّ العطر في جو دافىء فإنه يخفض درجة الحرارة من خلال صده للأشعة الساخنة..

لقد استعمل اليونانيون والرومان الزيوت العطرية والبخور وجلبوها من الشرق وذلك لاجراء مراسيمهم الدينية.

وأول من أرسى صناعة العطور في العالم القديم هم الهنود والصينيون وصارت صناعتهم تقليداً اتبعه كل صناع العطور في العالم القديم، وذلك بسبب كثرة النباتات العطرية وانتشار مصادر العطور في بلادهم.

أما العرب فأن المؤرخ اليوناني ديونيزيوس وصف بلادهم السعيدة بقوله «ان المرء يشم شذى الطيب فيها في كل مكان سواء كان البخور أو المرّ».

الطيب والعطور

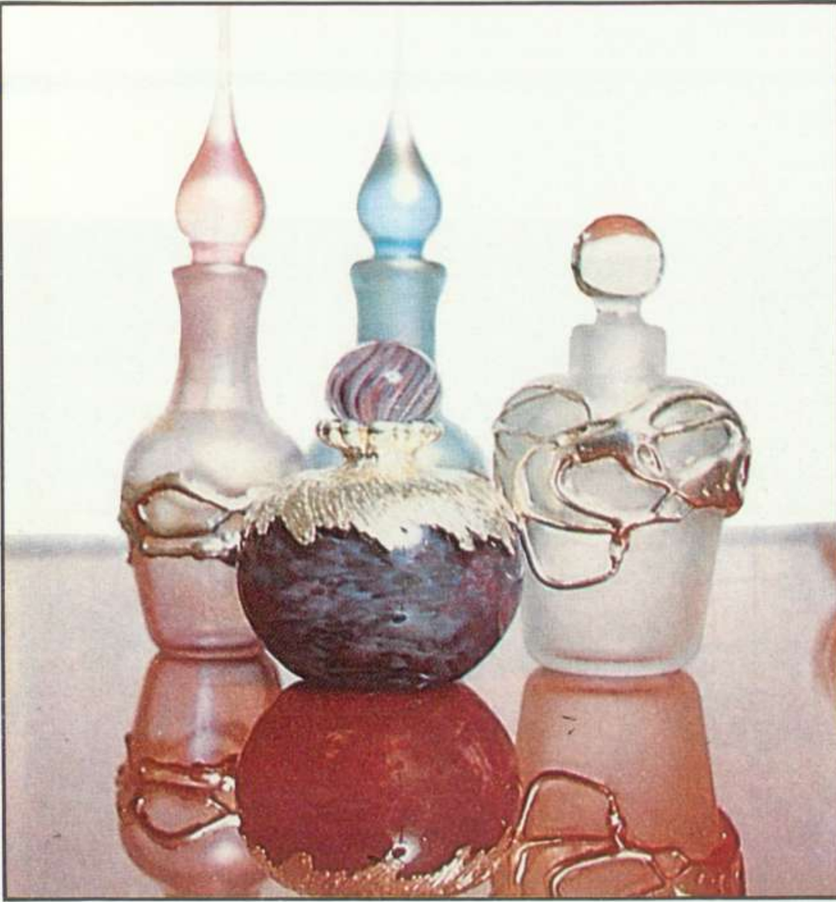
ان كلمة بيرفيوم Perfume مشتقة من كلمة بيرفومان اللاتينية والتى تعنى «من بين الدخان» حرفياً. أما في العربية فان العطر لغة اسم جامع للطيب والجمع عطور والعطار بائعه وحرفته العطارة ويقال رجل عاطر وعطر ومعطير ومعطار وامرأة عطرة ومعطيرة ومعطّرة.

قال الشاعر:

عُلقّ خوداً طفلة معطارة
اياك أعني فاسمعي ياجارة

وترد كلمة الطيب مع العطر، والطيب ما يتطيب به وقد تطيب بالشيء وطيب ثوبه، وتمّ حلف المطّيبين في الجاهلية حيث اجتمع بنو هاشم وبنو زهرة في دار ابن جُدْعان وجعلوا طيبا في جفنه وغمسوا أيديهم وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فسموا بالمطيبين.

الإنسان والعطور



قوارير للعطور من الزجاج المصنوع بطريقة النفخ .. تعود الى العصر الروماني

لقد أولع العرب بالطيب وتزينوا به وضمخوا أجسادهم واغتسلوا بماء الورد وتعطروا لمجالسهم واجتماعاتهم وأفراحهم وكان من عاداتهم عند الخطبة والزواج أن يتطيبوا بعد اتمام الخطبة بالعبير والطيب علامة الرضا والفرح .

لما خطب النبي ﷺ خديجة واجابته استأذنت أباها في أن تتزوجه فأذن لها بذلك .. فنحرت بعيراً وخلقت أباها بالعبير وكسته برداً أحمر .

صناعة العطور

لم تتغير صناعة العطور على مدى القرون ، إذ مازالت تسحب عصارة لحاء الشجر والأغصان الطرية ويحرق الخشب مثلاً . وقد استطاع العالم العربى ابن سينا فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى استخلاص العطر من الزهور بواسطة التقطير . فقد سخن بتلات الورد فى الماء وتمكن من فصلها وحفظها وبذلك توصل إلى صناعة عطر دائم الأثر . وكان اكتشافه هذا بمثابة تغيير جذري فى صناعة العطور تطور بفعل التجارب المطرّدة عليه ، منها أيضا استخلاص العطر من غزال المسك بواسطة غدة صغيرة قريبة من سرته لا يزيد طولها على بوصتين ، استطاع العلماء ازالة هذه الغدّة دون قتل الحيوان ..

وللمسك المستخلص من هذه الغدة فائدة أكبر من كونه عطراً ذا رائحة طيبة فقد توصل العلماء إلى أن للمسك خاصية كيميائية تجعله مادة مثبّتة للعطور .. فدخل المسك المستخلص من الغدة كمادة أساسية في صناعة بقية العطور وذلك بأن يضيف لها خاصية الثبات والحفظ لسنوات طويلة .

لم تنتشر صناعة العطور في أوروبا إلا فى القرن السادس عشر وذلك بتقطير الزهور والسيقان النباتية ذات العطر الفواح . وقبل قرنين من الزمان فقط صارت صناعة العطور صناعة فنيّة خاصة فى أوروبا .

وقد تطورت صناعة العطور فى أوروبا لتصبح في فرنسا صناعة خاصة تقوم على مواد طبيعية ومواد اصطناعية تجلب لها المواد الخام من كل انحاء العالم ويتطلب الأمر كميات هائلة من المواد الأولية ، فعلى سبيل المثال يحتاج للحصول على $\frac{1}{2}$ كيلو من زيت الياسمين إلى $2\frac{1}{2}$ مليون زهرة ياسمين أى ما يعادل ١٥٠ كيلو جرام . تنقع هذه الأزهار وتحلل في دهن بارد نقي . ثم يضاف لها الكحول لفصل العطر عن الدهن ثم يفصل الدهن عن الكحول بواسطة التقطير .

أنواع العطور

• العطور الحمضية : تستخرج أغلب هذه العطور من الليمون والبرتقال والبرغموت . وتتميز بقوتها وقدرتها على الانعاش والتنبيه وهى مثالية لترطيب الجسم وتناسب كثيراً ذوي البشرة الدهنية ممن تتضوّع العطور عليهم بعبير زكي للغاية .

• العطور الزهرية : تتضوع العطور الزهرية بعبق الزهرة الواحدة وهى غالبا عطور خفيفة ومنعشة وبعضها قد يكون بالغ العذوبة .

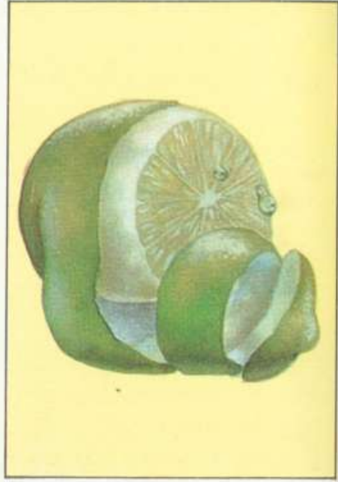
• عطور النباتات الخضراء : تتميز هذه العطور بنضارتها ونقائها ، فالزيوت المستخلصة من خشب الصنوبر والأرز وغيرهما من الأخشاب العطرية العذبة الرائحة التي تتوفر في الأجواء المعتدلة إنما تمزج مع الطحالب والحشائش وسيقان الزهور والسرخس .

• العطور الحديثة : ابتكرت العطور الحديثة على مدى فترة تتراوح ما بين ثلاثين إلى أربعين سنة مضت فقط . وهي تستخدم فى الأساس زيوتاً اصطناعية . وهي عبارة عن منتجات بالغة التعقيد يتم توليفها في المختبرات الكيماوية ويستعان في صنعها بحاسة الشم القوية لدى الخبراء ، وتتميز بأنها ليس فيها محاكاة للطبيعة وتتميز بنفاذية شذاها وهي غالباً ما تتيح عمقاً وتركيزاً تعجز عن تحقيقهما العطور الطبيعية لوحدها . والكثير من هذه العطور الحديثة تحتوى على درجات عطرية من عدة فئات . ولكنها بوجه العموم مرطبة وباعثة على البهجة وتناسب كثيرا حياة النشاط العصرية .

• العطور الزكية ــ الحلوة : قد تكون العطور الزكية الرائحة فوّاحة للغاية فالطيب فيها مزيج من خلاصات القرفة والفانيلا فضلا عن الزنجبيل في بعض الأحيان جنباً إلى جنب مع عبير الأزهار البعيدة عن المألوف .

• العطور الشذية : معظم العطور الشذية هي عبارة عن مزيج زهري من الزهور النفاذة العبير مثل الياسمين والنرجس والقاردينيا وزهور اللافندر والليلك وغيره .

ولهذه العطور أريج بالغ القوة لا سيما إذا


يستخلص من الليمون عطر نفاذ


زهرة الغاردينيا ذات العطر الفواح


قارورة عطر حديثة مستوحاة من سحر الشرق


خشب الصندل .. وعطره قوي الأثري

كان جلد المتعطر بها يميل إلى جعلها أكثر عذوبة وتأثيراً.

• العطور الشرقية : هذه العطور بالغة القوة في الأثر وهي مستمدة من الأخشاب والأعشاب الشرقية الفواحة مثل خشب الصندل وهي مثقلة بشذا المسك والعنبر وغيرهما من الطيوب ذات الأصل الحيواني وتعتبر العطور الشرقية أكثر العطور إثارة ومسألة اختيارها وتفضيلها تتبع الذوق الشخصي.

تجارة العطور الشرقية

ينتشر بيع العطور في الخليج مع المجوهرات أو يقوم به باعة مختصون يجلبونها الى الدور والقصور وتعتمد أسعارها على نقاوة وتركيز مادة العطر.. وقد تفنن صانعو العطور الخليجية اليوم في تجارة العطور. أما صناعته فليست كل العطور تجلب (تستورد) جاهزة من الخارج كالهند وفرنسا. بل هناك بعض النساء في انحاء من الخليج كدبي والبحرين برعن في إنتاج أنواع من العطور تسمى المجموعة ويطلق عليها اسم صانعتها وتباع في البيوت وليست في المحلات وتصنع بحسب طلب خاص مثل المخمرية والمجموعة، ولنساء الخليج ذوق خاص متميز بالعطور.

• المخمّرية : واسمها يدل عليها مشتقة من التخمير أي وضع المادة في إناء وتغطيته غطاءاً محكماً ويمنع عنه الهواء كي لا يفسد لمدة معينة إلى أن تتفاعل المواد الأولية المجموعة في الإناء لفترة تتراوح بين الشهر والأربعين يوماً.

• مجموعة العنبر : وتكون بخلط مجموعة معينة من العطور يكون العنبر قاعدته الأساسية.. وتختلف ريحة عطر المجموعة من عطر إلى آخر بسبب خلط المواد ونسبتها إلى بعضها وتعتمد المجموعة على ذوق السيدة وحاستها في الشمّ باختيار نوع عن آخر وهكذا نرى مجموعات منتشرة في الخليج.

القوارير الذهبية

القوارير الزجاجية المذهبة : وتصنع قوارير العطر اليوم في الهند من زجاج رقيق جدا منقوش بماء الذهب وبألوان معدنية لامعة، وهي مخصصة للخليج، وهذه ثلاثة أنواع من العطور:

• الوعاء الأبيض به عطر يسمى المخمّرية
• القارورة الزجاجية الحمراء بها عطر العنبر.
• أما القارورة الخضراء فيوضع فيها العود والمسك وغيره.

وفي القارورة الخضراء يقول الشاعر الشعبي في الخليج :

حلوة وجميلة وانيقه
في كل عرس تشوفها رقيقه
بلونها الأخضر خلاّبه
والفضة كاسياها سحابه
ست نقول يوم فرحتي جاتني
وست تقول رقتها فتنتني

الروائح الزكّية

• المسك : ويوجد على شكلين فهو إما جاف (بلورات) أو بشكل سائل دهني ومن لونين أبيض أو أسود ويعتبر المسك الأسود أكثر جودة. والمسك كما ذكرنا عبارة عن افراز من غدة في أيل المسك وينتشر في المناطق الجبلية من شمال الهند ووسط آسيا ويكثر بالصين (التبت).

جاء ذكر المسك في القرآن الكريم سورة المطففين الآية ٢٥ بوصف شراب أهل الجنة : « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ».

الإنسان والعطور

• العنبر : وهو مادة شمعية تنتج داخل القناة الهضمية لحوت العنبر وتطفو بالبحار الاستوائية على شكل كتلة صفراء أو سوداء أو رمادية ومنها يستخلص دهن العنبر ويعتبر دهن العنبر من العطور المحببة في نجد والسعودية والخليج عامة .

• دهن العود : ويستخلص من « عود البخور » من أخشاب أشجار تنمو بالهند ومنه أنواع كثيرة متشابهة في طيب رائحتها ، وعندما تكون سليمة تكون أخشابها بيضاء اللون لا رائحة لها . فإذا مرضت أفرزت مادة حمضية دهنية زكية الرائحة ويتغير لونها وصفاته . ويستخدم دهن العود في حالتيه ، الصلبة حيث يحرق للبخور ، والسائلة وهو استخلاص سائل زيتي ذي لون داكن تعتمد جودته على نوعية العود المستخلص منه وهو من أحب العطور وأغلاها .

• الصندل : ويستخلص من أخشاب الصندل الاستوائية ذات الرائحة العطرة التي تكثر في الهند أيضا . وهو سائل زيتي كثيف يتميز برائحة خاصة محببة ، أما لونه فبنيٌ يميل إلى الأحمرار .

• ماء الورد : ويستخلص من نبات الورد خصوصاً ورد الجوري ويستخدم بشكلين دهني ومائي . أما دهنه فهو سائل زيتي ذو رائحة مميزة ، أما المائي فهو المعروف بماء الورد وهو أبيض اللون يستخدم في تخفيف الدهون العطرية لترطيب الجو برشه بواسطة المرش .

أدوات الطيب والعطور

• القشوة : قفة من خوص تجعل المرأة فيها القطن والقزّ وقوارير العطر .. قال الشاعر :

لـهـا قشـوة فـيـهـا ملاب وزنـبـق
إذا عزب اسـرى إلـيـهـا تـطـيـبـا

• القوارير : لوضع العطور السائلة .

• الكبيس الحلي للعطور : تتخذ النساء من الحليّ أوعية للطيب والعطور كالقلادة التي فيها مواضع مجوفة ومحززة تحشى بالطيب وتحشى « الكبيس » .

• الخواتم : وتكون بأن يوضع مكان الفصّ على شكل كرة بها غلاف وهذا تقليد قديم جدا معروف في الحضارات القديمة وقد امتلأت المتاحف بأنواع الخواتم ذات الكرات المجوفة لوضع العطور وأحيانا السمّ أيضاً كالسمّ الذي شربته من خاتمها زنوبيا ملكة تدمر أو عطور كليوباترا التي كانت تسبح بها وتملأ قلائدها وخواتمها .. وغيره من الاشارات التاريخية .

• الأكياس : وتصنع من الجلد والحرير لخزن المواد الخام من العطور المسحوقة كالبخور والأعشاب والورود الجافة اليابسة وغيرها .

• الأوعية : من الرخام والالباستر وكذلك من مواد نفيسة كأوعية الذهب والفضة مختلفة الأحجام والأشكال وتحفظ في المعابد والقصور .

• الاستجمار : فهو التبخر من المجمر أو المبخرة بحرق البخور في آنية خاصة .

العطور والعرب

كان العطر عند العرب من صناعة الأشراف فقد كان أبو طالب يبيع العطر وكانت الملوك تتاجر بالعطر واشتهرت لطائم النعمان وهي قوافل الابل التي تحمل الطيب والمسك .

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمنى لو أنه اشتغل ببيع العطور ويقول « لو كنت تاجراً ما اخترت غير المسك إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه » .

وقد اشتهر العرب بصناعة العطور وتذكر كتب التاريخ أنه لا يبزّ العرب في صناعة العطور أحد وكانت سوق عدن أشهر ما يباع فيها الطيب .

• كان العرب منذ القدم على صلة تجارية بالهند والروم والفرس ، وقد سيطروا على تجارة العطور وصناعاتها وبرعوا في صناعتها لما عرف عنهم من سيطرتهم على تجارة العالم القديم حتى لم يعد أحد يحسن صنع الطيب غيرهم وكانت تجارة البحر ترجع بالطيب المعمول في بلاد العرب وتفخر به في السند والهند وكذلك كان تجار البر إلى فارس وبلاد الروم .

• كانت نساء قريش كأسماء بنت مخربة أم أبي جهل تبيع العطر في مكة يبعثه إليها ابنها عبد الله من اليمن .

• ورد ذكر الطيب في القرآن الكريم في سورة الواقعة (الآية ٨٨) .

« فروح وريحان وجنة نعيم » .

• كان رسول الله ﷺ يحب الطيب ويستعمله ويوصى باستعماله حيث كان يتطيب في الحل والاحرام ـ ويقال عنه إنه كان لا يرد الطيب ويقول عليه الصلاة والسلام :

إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة . والريحان كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم .

وقد بين النبي ﷺ أنواعاً من الطيب تحسن بالرجال وأخرى تحسن بالنساء :

• طيب الرجال : ما ظهر ريحه وخفي لونه ويسمى ذكارة الطيب وهو المسك والعنبر والعود والكافور والغالية والذريرة . وقد نهى رسول الله ﷺ الرجال عن لبس المزعفر والمعصفر (الملون) وكان الصحابة على سنة رسول الله ﷺ في طلي أجسادهم وشعورهم ولحاهم بالطيب وكان أحدهم إذا خرج إلى المسجد عرف من طيب ريحه .

• طيب النساء : ما ظهر لونه وخفي ريحه مثل الخلوف والزعفران وتغلب عليه الحمرة والصفرة . وكان يكره للمرأة المسلمة أن تضع العطر ذا الرائحة خارج البيت .

وكانوا يعطرون ثيابهم حتى يفوح المسك من الأردان قال الشاعر بن الخطيم :

وغـمـرةُ مـن سـروات النسـاء
تنفح بـالمسك أردانـهـا

وكانت النساء ترش العطر على الفرسان إذا ذهبوا للحرب ومن أشهر أيامهم يوم حليمة ..

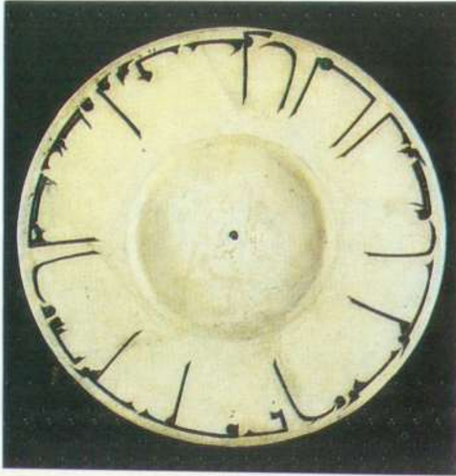
وحليمة التي قالت العرب في المثل « ما يوم حليمة بسرّ » هي حليمة ابنة ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء من أجمل النساء وأذكاهن وقد أشارت على والدها ملك العرب المنذر حينما جاءه الحارث الغساني لطلب الثأر بخطة ناجحة . وقد طلب والدها منها أن تجلس معه في مقره وأعطاها طيبا وأمرها أن تطيب من مرّ بها من جنده وجعلوا يمرون وتطيبهم .

• أما عطر منشم فيقال في المثل « أشأم من عطر منشم » أو « دقوا بينهم عطر منشم » ، ومنشم امرأة عطّارة من همدان كانوا يعتقدون إذا تطيبوا من طيبها اشتدت الحرب .

• كما يقال لا عطر بعد عروس ، وعروس اسم رجل كانت أسماء بنت عبد الله العذرية زوجة له وتوفي عنها فتزوجها رجل بخيل دميم أبخر مغيَّرته برثاء جميل ذكرته برائحته الطيبة بقولها : « كانا عيوفا للخنا والمنكر طيب النكهة غير أبخر أيسر غير أعسر .. والقصة طويلة أوردتها كتب الأدب العربي .. فذهبت مثلاً « لا عطر بعد عروس » .

ومن كل ذلك نرى ما للعطور من حكايات وأسرار غريبة في العالم العربي قديما وفي عالمنا المعاصر .

نجلاء العزى



طبق من الفخار عليه كتابة وزخرفة يعود الى القرن الرابع الهجرى



دائرة زخرفية من الجص ، حفرت عليها عبارة « الملك لله » تعود الى عهد السلاطين المسلمين فى الهند فى القرن الخامس عشر

كنوز الإسلام في قلب أوروبا

رسالة سويسرا
يكتبها : محمد سعيد





ميدالية استحقاق من الذهب/ طهران





خمسة وعشرون تومان من الذهب/ تبريز



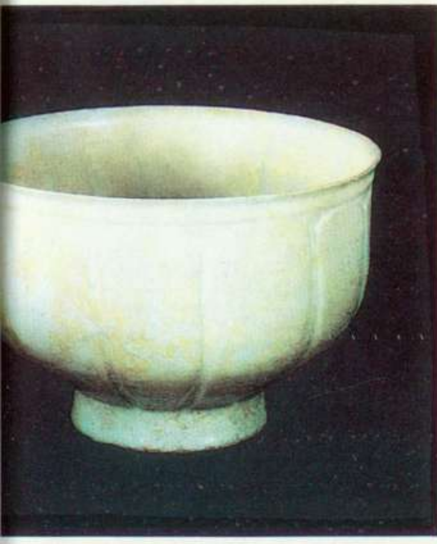


سهر منغولي من الذهب/ آكره ــ الهند

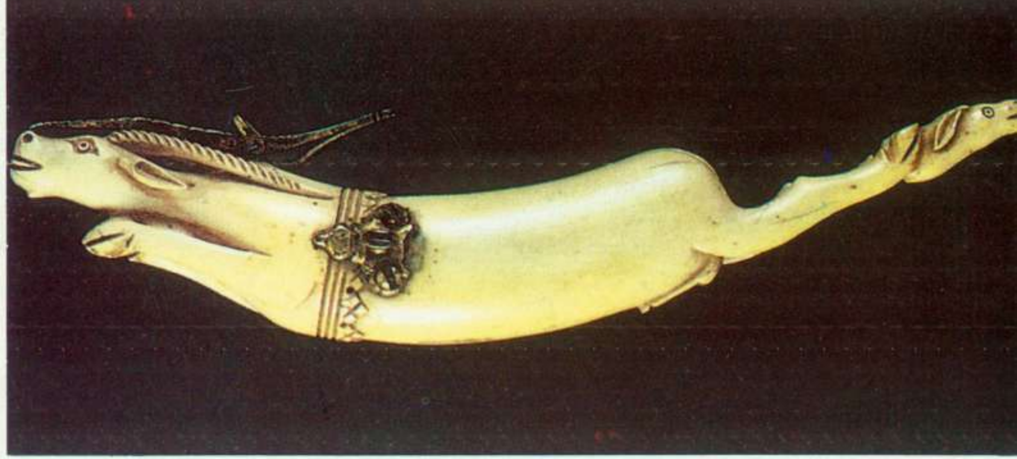
تحت عنوان « كنوز الاسلام » أقيم فى العاصمة الدولية جنيف معرض عظيم يروى بلغة الفن الأثر الثقافي الذى أحدثه الاسلام فى الانسان وفى المكان في مختلف البقاع التى عرفت نور الهداية ووصلتها رسالة الاسلام. أقيم المعرض مؤخرا على مدى ثلاثة شهور فى متحف رات (Musée Rath) بمدينة جنيف . وقد ضم فى جنباته ٣٧٦ تحفة فنية تنتمى لمعظم الألوان والاتجاهات الفنية بجانب ٢٠٠ قطعة نقدية من أشهر العملات الاسلامية يعود تاريخها الى الفترة من القرن السابع الميلادى ــ عندما أشرق فجر الاسلام ــ وحتى القرن التاسع عشر .

كنوز الإسلام في قلب أوروبا

إناء من كاشان ، من أواخر القرن السادس الهجري مصنوع من عجينة رملية كلسية ومزخرف



قارورة بارود منحوتة من العاج المزين بالذهب تعود الى عصر الدولة الاسلامية فى الهند



قناع للحرب يعود الى القرن ١٥ الميلادى



● الفنان المسلم حوّل اللون إلى رمز ، وهو أكثر من مجرّد نقل الانطباعات المرئيّة

● القرآن الكريم وراء فضيلة الاهتمام العظيم بالكتاب والكلمة المكتوبة

أقيم المعرض فى قلب أوربا فى دولة الحياد التى تستضيف المقر الأوربى للأمم المتحدة وأشهر منظماتها العالمية ، وقد أثر المعرض فى القلب أيضا من الوجدان الثقافى الأوربى على حد تعبير بليغ استمعت إليه من الكاتب الصحفى السويسرى باتريك فوند وهو يتعرض للاهتمام الواسع الذى لقيه المعرض من المثقفين الأوربيين من أهالى سويسرا وزوارها ممن انعكس اهتمامهم بالقطع النادرة المعروضة والتى يرجع أغلبها الى مقتنيات خاصة نادرة لم يسبق لها فرصة العرض الجماهيرى .

وكنوز الفن الاسلامي التى عرضت فى قلب أوربا مؤخرا نظمها فى معرض يحمل اسم (Tresors de L' Islam) بعض الشخصيات المهتمة بالتراث الاسلامي وتاريخ الفن ومنهم هاشم خسروانى من الشخصيات الاسلامية فى سويسرا وكلود لابير مدير متحف الفن والتاريخ بجنيف وجان بول كروازير ، وأشرف على لجنة العرض كلود ريتشارد وبورى كاندولنى للتصميم وأورسولا لافيرار للتنسيق .

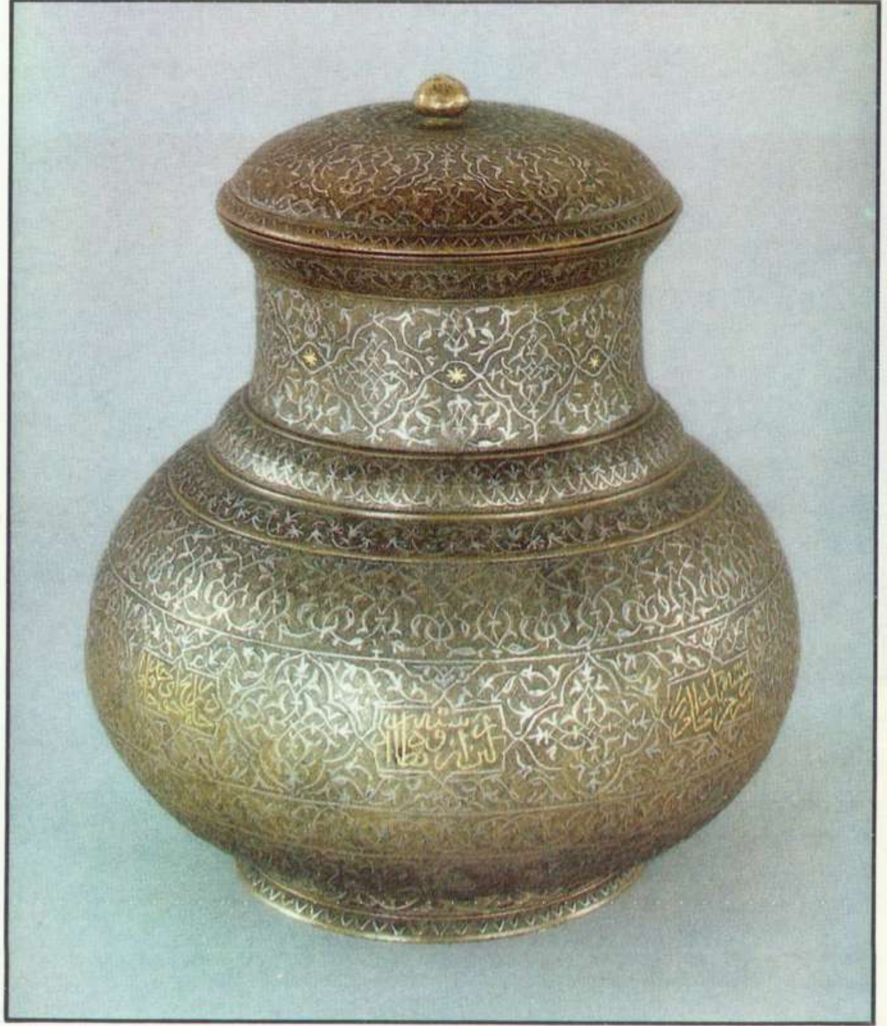
وقد صاحب معرض كنوز الاسلام ظهور ثلاث طبعات من كتاب « كنوز الفن الاسلامي » باللغات العربية والفرنسية والانجليزية وعدد صفحات الكتاب ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ويضم دليل المعرض صور القطع الفنية المعروضة مصحوبة بتحليل وتسجيل تاريخى من خلال بعض الدراسات التي أعدها نخبة من المتخصصين في تاريخ الفنون والنقد التشكيلي والمهتمين بالتراث الحضارى من مختلف بلاد العالم . كما أصدر المسئولون عن المعرض عددا من طبعات (الفيديو كاسيت) ضمت أشرطة تليفزيونية عن المعروضات وعن الأماكن التى جلبت منها هذه المقتنيات النادرة عند اكتشافها لأول مرة .

ويضم معرض كنوز الاسلام تشكيلة واسعة من التحف الفنية تشمل أهم الفترات فى تاريخ الفن الاسلامي بداية من القرن الأول الهجرى أى السابع الميلادي وحتى القرن الثاني عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادي) ، وهذه التحف تغطى معظم ميادين الفن الإسلامي الرئيسية كفنون الكتابة والرسوم الزيتية والخزف والمشغولات المعدنية والسلاح والعتاد والسجاد (الطنافس) والمنسوجات والعناصر المعمارية والفنون الزخرفية والعملات الاسلامية وفنون الخط والمنمنمات مثل كتاب « جامع التواريخ » لمؤلفه العلامة رشيد الدين وكتاب الملوك (الشاهنامة) وغيرها من التحف والمقتنيات النادرة التى تعرض لأول مرة فى مثل هذا الحشد العام والتى تقدم خريطة رائعة لكنوز الفن الإسلامي نتمنى لو استطاعت عواصمنا العربية والإسلامية أن تستضيف مثلها مثلما شهد قلب أوربا هذا الجمع النفيس من كنوز الإسلام فى الفترة الأخيرة .

الوحدة الفنية فى الفن الاسلامى

يرى البروفيسور أوليج جرابار الأستاذ بجامعة هارفارد أن أهم أسباب الوحدة الفنية فى الفن الإسلامي تبدو فى صميم الرسالة الاسلامية والمتمثل فى وحي النبوة واستمرار تأثيرها عبر العصور ، فقد ظلت نظرة الرسالة الإسلامية المثالية الى وحدة المؤمنين والجماهير الواحدة (الأمة) المنبثقة مما تنص عليه هذه الرسالة من الايمان بوحدانية الله والتوق إلى الحياة الخالدة بعد الموت ، ظلت دائما وأبدا محورا رئيسيا فى مختلف فروع المذاهب الإسلامية ومن هنا نتصور أن مثل هذه المثالية المشتركة بين المسلمين لابد وأن تكون قد وجدت لها ما يعبر عنها فى العالم المرئى ، كما حدث حين اختارت الخط العربى (الذى تكتب به لغات أخرى للمسلمين غير اللغة العربية) ليكون وسيلتها فى تبادل الآراء والأفكار المكتوبة وتشكيل رؤية الآخرين وإدراكهم للفن الإسلامي من الخارج سببا آخر فى إثارة موضوع الوحدة فى هذا الفن ، وهذا ما أشار إليه العالم الفرنسي جورج مارشيه قبيل نصف قرن ، فمقارنة الأشكال الفنية للحضارة الاسلامية مع مثيلاتها من الأعمال الفنية فى الغرب أو فى الشرق مثل الصين حسب تسلسلها الزمني تظهر بوضوح أن الفن الإسلامي يحتوى فيما بينه على ملامح مشتركة تفوق تلك الملامح المشتركة التى تربط بينه وبين فنون الحضارات الأخرى ، ولا شك أن عوامل كثيرة أسهمت فى جعل كل هذه الصلات أمرا ممكنا مثل المنحنى التاريخى ، التجارة الدولية وطرق المواصلات الرئيسية والأهواء التذوقية .

ان الظروف التى مرت بها نشأة الفن الاسلامى قد أدت بشكل أو آخر الى استخدام لغة فنية مشتركة مع العديد من الحضارات الأخرى لذلك كان ومايزال التاريخ الاسلامى محافظا على صلته بمختلف التطورات التى حصلت فى أوربا أو الشرق الأقصى عبر متابعة فنونها وتذوق جمالها بالإضافة الى الاستمرار فى التأمل الدائم فى مخلفات المدنيات التى سادت بلاداً تحولت فيما بعد الى الإسلام . ولم يحدث أن بدأ المسلمون يعبرون عن انطباعاتهم بشىء من الثبات والاستمرارية إلا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد حين قام بهذه الخطوة أنصار الفن والفنانون أنفسهم فى كل من الدولة التركية العثمانية والهندية المغولية ، ولكن من المرجح أن يكون



إبريق بغطاء ، من النحاس الأصفر ، مكفت بالفضة والذهب وعليه شعر عاطق

كشكول من نحاس مصبوب مزين بجامات وكتابات ، ويعود الى القرن السادس عشر



كنوز الإسلام في قلب أوروبا

الفن الإسلامى قد تأثر قبل هذه الفترة بالآثار المصرية القديمة وبكل من الآثار الفارسية والرومانية الكلاسيكية .

نظرية الجمال فى الفن الاسلامى

الهدف من الفن لم يؤخذ فى الاعتبار إلا بدرجة ضئيلة للغاية واستمرت التصورات الخاطئة شائعة ، وقد كان أكثرها شيوعا نظرية الفنون التشكيلية فى الاسلام ، وهذه الفكرة الخاطئة تعود بدرجة كبيرة الى الظروف التى اكتشف فيها الغرب المناطق الاسلامية المختلفة وكما يرى الدكتور سورين بليكان الباحث بالمركز الوطنى الفرنسى للدراسات العلمية فقد بقيت المنمنمات الفارسية لفترة طويلة بمثابة الأساس الذى يعرف به فن التصوير الإسلامي غير أن العالم العربى أنشأ ونمى الفن التشكيلي بعد ذلك على مجال واسع حيث أزدهر لعدة قرون فى الشام وفلسطين ومصر من خلال رسوم الفسيفساء . غير أن هناك رأيا يسوء الغرب هو أن فن الخط والتصاميم التجريدية المحتوية على أشكال محافظة تطورت فى الشرق كتعويض عن صورة محاكاة الطبيعة المرفوضة وحيث وضح أن الخط هو منبع ومصدر كل أنواع الفنون وإن كان هذا لم يحط من قدر التصوير .

وقد تحول اللون إلى أكثر من نقل الانطباعات المرئية حيث يقوم بعمل الرمز في التصوير كما هو فى الأدب وهذا لا ينطبق فقط على الأنماط البشرية ولكن أيضا على تصوير المناظر الطبيعية حيث يعبر اللون عن التعبيرات الأدبية المجازية .

وبمرور الوقت فإن عرض الرموز المرئية كان من الطبيعى أن تستبدل الى درجة ما بتلميحات تصويرية ومثل هذا العمل الفنى لابد أن يكون ذهنيا ومرئيا ومن الممكن الوصول إليه بعدة مستويات ويحتاج الى اعتبارات متزامنة لفهم التكوين والزخارف المصورة التى تحمل المعنى المطلوب الى جانب فن الخط والأدب ، ولا يوجد فى أى حضارة أخرى هذه الوجوه المتعددة للفنون المندمجة أو التى تعتمد على ازدواجية عرض الأفكار مثلما هو عند المسلمين العرب وغير العرب .



رسم فى مخطوطة لابن ظفر الصقلى

المجموعات الفنية الاسلامية

بدأت الأخطار التى أحدقت بالتراث القومى للعالم الاسلامي فى أواخر القرن التاسع عشر والتى كان مبعثها الأوربيون المهتمون بجمع القطع الفنية خاصة مع ظهور طبقة تجار العاديات من البريطانيين والفرنسيين ثم تخصص التجار الأرمنيون فى شراء كل العاديات والتحف من البروكار وصحون الزنك والبلاطات الخزفية حتى خطوط اليد والمنمنمات ، وعلى حد قول ستيوارت كارى المسئول بمتحف متروبوليتان بنيويورك ، فإن الفترات التى سبقت وتلت الحرب العالمية الأولى تعتبر بمثابة العصر الذهبى للمهتمين بجمع هذه التحف الإسلامية حيث لم تكن هناك ضوابط لحركة الأثريات . وبالرغم من انشغال الباحثين والجامعيين البريطانيين والألمان بهذا الأمر فقد كانت باريس مركزا لجمع التحف وفى الوقت الذى اشترى فيه الفرنسيون المخطوطات والمنمنمات من ايران وتركيا فإن الانجليز قاموا بتكوين مجموعاتهم فى الهند ، وعادة ما يتبع جمع التحف الفنية الوضع الاقتصادى ، فقد شهدت سنوات الكساد التى بدأت مع الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩ هدوءا فى ميدان الفن الاسلامي استمر حتى أواخر الخمسينات حتى عاد الاهتمام بالفن الاسلامي يظهر من جديد من خلال كتالوجات البيع الصادرة عن



أنو شروان يسجل مشورته الحكيمة الى هرمزد .

بيوت المزادات فى باريس ولندن وازداد النشاط فى متحف فوج الفني ، وبدأ التغيير فى تفكير الشباب المسلم المثقف عندما بدأ الاتجاه الى استعادة الأعمال الفنية التى كانت قد انتقلت الى أوروبا وأمريكا قبل عدة سنوات من خلال الرغبة فى استعادة تراث الماضى العريق وحيث وضح للمراقب والناقد الفنى أن المهتمين والأكاديميين والمثقفين المنشغلين بالتراث ليسوا من الأجانب الذين تجذبهم فنون ثقافة أخرى ولكنهم من المسلمين الذين يجاهدون لاستعادة حيازة التحف النابعة من التقاليد الخاصة بهم .

شغف العرب باللغة وبالتعبير الفنى

وقد أضفى الاسلام من خلال اللغة والخط العربى والقرآن الكريم والعقيدة الاسلامية الجديدة نوعا فريدا من الوحدة الدينية والثقافية على المساحة الجغرافية الشاسعة التى شغلتها الدولة الاسلامية . وقد تركز شغف العرب باللغة فى عهد الاسلام على القرآن الكريم وكان تمسك المسلمين الشديد بالقرآن الكريم مرتبطا بصورة مباشرة بولعهم التقليدى بالكتب والكلمة المكتوبة ومن هنا يرصد البروفيسور انطونى ولش من جامعة فيكتوريا البريطانية بداية ذلك التقليد العظيم الذى كان فنا جماعيا يحتاج الى مواهب الوراقين والمجلدين وفنانى الزخارف والخطاطين والمصورين . لقد كان الخط ومايزال من أكثر الفنون الاسلامية تميزا



لوحة تمثل مراسم الاستقبال فى كابول .. وقد استخدمت كخلفية لبطاقات الدعوة لعرض كنوز الاسلام ، وغلافاً لكتاب المعرض والذى طبع فى بلجيكا

وذلك نظرا لثراء الخط العربى ومرونته ، مما جعله ملائما على نحو مثالى للعديد من أنماط الخطوط مثل الخط الكوفى والخط المقور والخط المغربى.

ان أهم ما يحتويه معرض كنوز الاسلام فى سويسرا من كنوز الخط العربى صفحات من مصحف شريف كتب فى القيروان فى القرن التاسع الميلادى ، مكتوب على الرق بخط كوفى مذهب وصفحات أخرى وجدت فى الأندلس فى القرن الثالث عشر الميلادى وفى مصر فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ومصحف شريف يتكون من ٦٥ صفحة مزوقة ومكتوبة بخط عربى مغربى يعود تاريخه الى القرن الثانى عشر الميلادى وقد أوضح ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة الفارق بين الخطوط العربية ، فقال (ان جمالية الخط المغربى تختلف عن جمالية الخطوط الأخرى التى فى مصر والمشرق العربى ، فالخط المغربى اعتمد على وحدة الحروف داخل الكلمات أما الخطوط الأخرى فقد اعتمدت على إظهار شكل كل حرف فى الكلمة ، ورغم قوة أشكال الخط المغربى إلا أنه لم يستعمل على الإطلاق خارج الأندلس وبلاد المغرب العربى.

ومن بين تراث الكتب العربية التى احتفى بها معرض كنوز الاسلام صفحات مخطوط عربى يشمل وصف نبات طبى فى خواص الأشجار « لديسقوريدس » وهو يعود الى بلاد الرافدين فى القرن الثالث عشر ، وهناك أيضا صفحات من مخطوط (سلوان المطاع فى عدوان الأتباع) لابن مظفر الصقلى ويعود إلى مصر فى القرن الرابع عشر ، ومخطوط (الحيل الهندسية) لابن الرزاز الجزرى وقد وجد فى مصر فى القرن الرابع عشر.

أما أهم مقتنيات المعرض من كنوز الكتب الإسلامية فى غير الأقطار العربية فنجد من بينها صفحات أكثر من مصحف مكتوب على ورق بالخط الكوفى ، وقد اكتشفت فى ايران فى القرن الحادى عشر الميلادى . أيضا نجد من مخطوطات الكتب صفحات من « طير الماء » أو الغواص » وهو مخطوط « منافع الحيوان » « لابن بختشيوع » وقد اكتشف فى إيران فى القرن الثالث عشر ، و« الشاهنامة » التى تعد بمثابة وثائق أساسية للتعرف على تطور مدرسة التصوير الفارسية وقد وجد من مخطوطها صفحة تصور قصة زيارة سرية للشاه بهرام جور الى بيت تاجر مجوهرات تشدو له ابنته ، وينتهى اللقاء بإعجابه بها وزواجهما.

أما أفخم النسخ المليئة بالصور والتى يضمها معرض « كنوز الاسلام » الذى يعد أول معرض من نوعه فى العالم فهى « شاهنامة شاه طهاسب » أو « كتاب الملوك » ويبدو وكما يوضح الباحث المؤرخ ستيوارت كارى أنها نسخت على عدة مرات على يد مجموعة من الخطاطين وتحتوى هذه الشاهنامة على ٦٥٩ صفحة وهى تنتسب إلى القرن الخامس عشر ، وقد بدأت كتابتها فى أيام الشاه اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية ، وقد ظلت « الشاهنامة » على مدى عدة عقود وتحت حكم اثنين من الأسرة الحاكمة محط أنظار الفن الصفوى ، فهى بمثابة معرض لكبار الفنانين ومركز لتدريب الجيل القادم وكانت القمة التى يتوق صغار الفنانين للوصول إليها.

الأناضول ودلائل الخيرات

وأهم الأعمال الفنية التى تعود الى الحقبة العثمانية توضح أن الشعوب الإسلامية المتحدثة بالتركية أخذت فى الاستيطان فى الأناضول بعد معركة « ماتريكرت » التى وقعت عام ١٠٧١ إلا أن هذه الدولة لم تدعم أركانها إلا بعد فتح القسطنطينية فى عام ١٤٥٣ ، ومن أبرز تراث تلك العصور الاهتمام بالعمارة والفنون المنقولة وفنون الخط وأيضا ابداع الرسامين وتزويدهم المؤلفات الإسلامية بالصور والرسوم التى امتدت الى الملاحم العثمانية وكتب التاريخ والجغرافيا بجانب الاهتمام برسم الصور الشخصية وتصوير الحملات العسكرية وغيرها من النشاطات الخارجية والداخلية المختلفة.

وأهم مقتنيات معرض كنوز الاسلام التى تعود إلى الحقبة العثمانية مصحف كريم مزين بالألوان المذهبة مكون من ٢٧٨ صفحة من خلال نسخ بديع للشيخ حمد الله بن مصطفى يعود الى استانبول فى القرن العاشر الهجرى ، والمعروف أن الشيخ حمد نسخ ٤٦ مصحفا كريما كما علّم فنون الخط لولى عهد الدولة

كنوز الإسلام في قلب أوروبا

العثمانية بايزيد الذى أصبح سلطانا عام ١٤٨١ ، ومن أهم الأعمال الفنية التى يضمها معرض جنيف صورة شخصية للسلطان سليم الثانى منسوبة إلى رئيس حيدر فى عام ٩٧٨ هجرية أى ١٥٧٠ ميلادية ثم لوحة فرمان صادر باسم السلطان مراد الثالث كتب بالخط الايرانى فى مساحة ١٤٢ فى ٤٥ سم فى سنوات حربه مع النمسا والمجر من جانب وإيران من جانب آخر ، وذلك فى خلال مدة حكمه من عام ١٥٧٤ وحتى ١٥٩٥ ميلادية ، وهناك أيضا صورة شخصية لأحد الأرستقراطيين من الشخصيات المرموقة من المحاربين الشعراء وصورة فتاة جالسة وصورة شخصية لأحد رجال الدولة تعود الى عام ١٦٥٠ ميلادية ثم مناظر من مكة والمدينة من مخطوط « دلائل الخيرات » لمحمد بن سليمان الجزولى .

الهند المسلمة وكتاب الساعات

أما أهم ما يعود الى الهند من كنوز الفن الاسلامى المعروضة فى جنيف فيبدو فى مصحف كريم مخطوط على يد كاتبه محمود شعبان البهارى ، وقد وجد فى قلعة جواليور فى عام ١٣٩٩ ميلادية بجانب أوراق أخرى متفرقة من مخطوطات مصاحف كريمة وجدت فى الهند بالخط البهارى خلال القرن الرابع عشر ، وهناك أيضا لوحة تحمل اسم (ليلة القدر) وهى من مخطوط « خمسة » للشاعر أمير خسرو دهلوى وجد فى دلهى القرن الرابع عشر الميلادى ، وهى مزيج من التأثر بالقيم الإسلامية من خلال فنون التصوير الهندوسية والفارسية ، وهناك أيضا صورة الشاه أبى المعالى ، وتعود إلى الهند المنغولية وعليها توقيع الفنان دست محمد ، ووجدت فى القرن الخامس عشر ثم لوحة « حمزة يهرب من السجن » برسم الامبراطور أكبر وتعود إلى الهند المنغولية فى القرن الخامس عشر واللوحة مستوحاة من سيرة حمزة عم النبى عليه الصلاة والسلام وهى جزء من مقتنيات مخطوط « حمزة نامه » التى تعود الى وضع ملحمة بالكلمة والرسم عن مآثر عم النبى وهى تعد من أضخم مشروعات الفن الاسلامي التى رعاها وأشرف عليها الامبراطور أكبر .

أما مخطوط « كتاب الساعات » فهو مكون من ٥١ ورقة كتبها الناسخ محمد يوسف لميرزا عزيز واشتملت على ١٢ منمنمة وأربعة رسوم بيانية وتعود الى الهند المنغولية فى القرن السادس عشر ويضم هذا المخطوط البروج الفلكية الاثنى عشر . وهناك أيضا لوحة موكب من الأفيال وصورة الأمير سليم والدراويش وهى تعود الى الهند المنغولية فى القرن الخامس عشر وهى من أعمال الفنان عبد الرحمن شرين خان .

وأهم كنوز الفن الاسلامى فى مجال الخزف والتي يضمها معرض جنيف نجد ما يعود إلى العراق فى القرن التاسع الميلادى من آنية فخار مزجج بطلاء قصديرى عليه كتابة كونية باللون الأزرق ، وطبق فخار مزجج بطلاء قصديرى مزخرف ببقع من الطلاء الأخضر ، وإناء عليه زخارف مرسومة بالبريق المعدنى ، وطبق عليه صورة طائر ، وطبق عليه زخرفة متعامدة وآخر عليه رسوم شخص وطيور ، وإناء عليه رسم أرنب والأخير يعود إلى مصر فى العهد الفاطمى فى القرن الحادى عشر الميلادى وإناء بقيت منه شقافة مرسوم عليها وجه رجل ، وقد اكتشف هذا الاناء فى الفسطاط فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ثم طبق عليه كتابة سوداء على أرضية بيضاء ، وقد اكتشف فى إيران فى القرن العاشر الميلادى . وتتعدد هذه الأشكال للأطباق المرسوم عليها كتابة والمكتشفة فى شرق إيران فى القرن العاشر الميلادى وهى غير صحن كبير مزخرف بمراوح نخيلية وإناء يزينه شخص جالس وآنية عليها طيور أو فرسان أو مزخرفة ببقع لونية أو عليها رسوم حيوانية وهناك إبريق مزجج بطلاء فيروزى معتم يعود إلى القرن الثانى عشر الميلادى واكتشف فى إيران وإبريق على شكل جرة وجد فى قاشان فى القرن الثالث عشر الميلادى وتمثال ثور وهو تقليد فنى لنحت التماثيل لم يكن معروفا فى الفن الاسلامى وقد وجد فى قاشان ، وهو يرمز لابراج التنجيم وهناك أيضا البلاط المزين بالكتابات وهو ينتمى للبلاط الخزفى الذى تطور فى الفترة المنغولية لتزيين جدران مشاهد القبور وقد اكتشف فى الهند ، وهناك بلاط تزيين الحوائط ومرسوم عليه صورة المسجد الحرام وقد وجد فى أزنيك بتركيا فى القرن السابع عشر الميلادى .

التحف والمشغولات المعدنية

ولأن الأوانى المعدنية كانت من أهم الأدوات التى استخدمها متوسطو الدخل فى المجتمع الاسلامى خلال القرون الوسطى فقد كان لانتشار المعادن ـ كما يرصد المؤرخ الدكتور جيمس آلان من جامعة اكسفورد ـ بهذا الشكل الواسع ـ أثر بالغ على الحرف الأخرى .

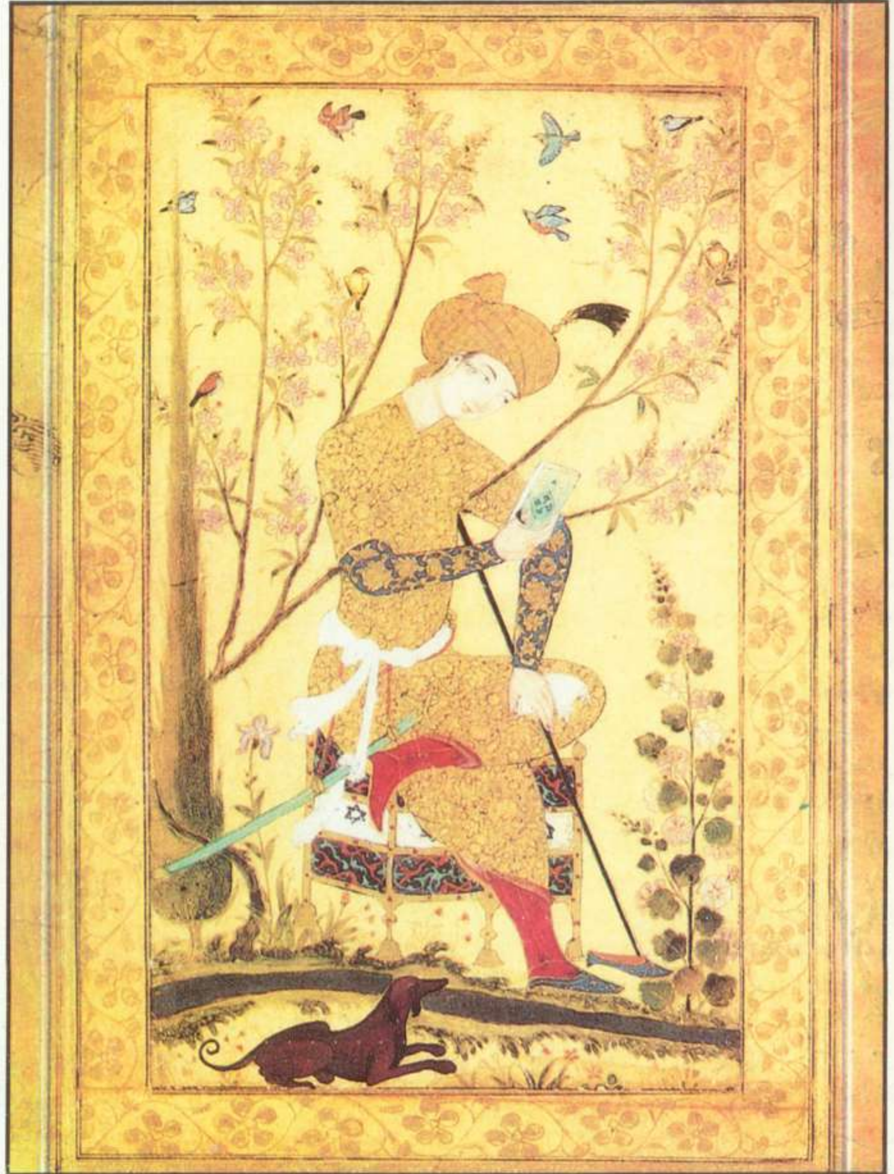
ومن أهم التحف المعدنية التى تعبر عن التأثير الإسلامى فى معروضات كنوز الاسلام فى سويسرا ما يبدو فى قارورة من البرونز ذات ثمانية جوانب وجدت فى مصر فى القرن الثامن الميلادى (الثانى الهجرى) ، قارورة أخرى من البرونز المصبوب الخالى من الزخرفة وجدت فى مصر ، التى وجد فيها أيضا إبريق من البرونز له ثلاثة أرجل ويعود للفترة الطولونية ، كما يوجد أيضا فنجان من البرونز المصبوب وجد فى خراسان فى القرن الحادى عشر الميلادى وهى غير تحف أخرى عليها أشكال طائر وفيل وشمعدان وقارورة مصنوعة من البرونز المصبوب وهى غير مرآة وحامل شمعة ومحبرة وقاعدة محبرة وكلها من البرونز ووجدت في إيران فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وهى غير مقلمة من النحاس الأصفر مكفتة بالنحاس الأحمر والفضة وتعود إلى القرن الثالث عشر ووجدت فى خراسان التى وجد فيها أيضا صندوق من البرونز المصبوب المكتوب على جوانبه بخط النسخ : « العز والاقبال والنعمة والدولة والراحة والقناعة والشكر » ، ثم يوجد صحن من البرونز المحتوى على نسبة عالية من القصدير وفنجان مكفت بالفضة وإناء ذو غطاء وقاعدة مرتفعة ، وبجانب هذه الأشكال المعدنية نجد قصعة من النحاس الأصفر المصبوب ومقرعة باب وطبلة وإبريق له غطاء ، وهاون وقاعدة منجدة وصحن من النحاس المطروق وإبريق بدون مصب ومشعل وحامل مشعل ، ووعاء من البرونز المكفت بالفضة وطاسة ذات قاعدة مرتفعة وكل هذه المقتنيات التى اكتشفت فى تاريخ مبكر من الشرق الأوسط فى إيران وسوريا وتركيا ومصر والعراق . ومن طريف القول ما كتب على الطاسة ذات القاعدة المرتفعة كتابة تقول : « هذه الطاسة المباركة جمعت منافع وهى للسموم واللسوع والطلقة والقرص ولعلة الكلب الكالب وللمغص والقولنج والكبد والطحال ولإبطال السحر .. أشرب ما بها بإذن الكريم .. رصدت ونقشت برسم نائب العبد

الثانى فى القرن الخامس عشر الميلادى وفتح القسطنطينية فكان للأسلحة الجميلة جاذبية خاصة لدى هؤلاء الرعاة من المحاربين كما يظهر فى التحف المحفوظة فى المتاحف العالمية مثل متحف توب قبو سراى.

أما أهم مقتنيات معرض كنوز الاسلام فى جنيف من أسلحة وعتاد حربى فتبدو فى قناع للحرب يعود للقرن الخامس عشر الميلادى وجد فى إيران ورأس دبوس من البرونز يعود للقرن الثانى عشر الميلادى وقالب واقى من الفضة المموهة بالذهب ويعود للقرن الثالث عشر الميلادى وقالب لمقبض سيف سلجوقى يعود لنفس القرن أيضا وسيف صليبى الشكل من البرونز والحديد حفر على جانبيه كتابات عربية تقول: «حفر بثغر الاسكندرية المحروس ومن أخذه ولم يرده كان عليه ذنبه» وهذا السيف كان من الغنائم التى أخذت من الاسكندرية فى القرن الثالث عشر الميلادى على يد القبارصة وهناك أيضا مقبض سيف وخوذة ونصل سيف وغطاء لرأس حصان وسيف من الفولاذ وآخر من الفضة المفضضة وخنجر من الفولاذ والذهب وخنجر بمقبض من العاج وزردية ودرع من القصب وخنجر له مقبض عاج وزمزمية ميدان وجعبة سهام وحافظة قوس وخنجر من اليشم ومقبض خنجر من الفولاذ الخالص وآخر على شكل رأس حصان وقارورة بارود من العاج وخنجر من اليشم المرصع بالجواهر وبندقيتان مموهتان بالذهب والمينا تعودان الى القرن السابع عشر الميلادى وخوذة على هيئة إناء غائر وأغلب هذه المقتنيات تعود للعصر الاسلامى السلجوقى أو المنغولى أو العثمانى.

فنون الطنافس والنسيج

وجولة فى مقتنيات معرض كنوز الإسلام تجعلنا نقف على أهم مافيه من كنوز الفن الإسلامى فى مجالات الطنافس (السجاد) والمنسوجات فنرى سجادة قاهرية مملوكية من الصوف ومقاسها ٢٠٤ × ١٧٠ سم، وتعود الى القرن السادس عشر الميلادى وأخرى أسيوطية تعود الى العصر العثمانى، وثالثة أناضولية صناعة منطقة عشاق فى القرن السادس عشر الميلادى، ورابعة سجادة صلاة كبيرة من الأناضول وخامسة سجادة (طنفسة مطرزة) بخيوط معدنية من الذهب والفضة تنتمى الى قاشان فى القرن السادس عشر الميلادى وسادسة سجادة مطرزة من الحرير ترجع الى القرن السابع عشر الميلادى فى ايران وسابعة طنفسة



لوحة تمثل شاباً جالساً على حافة جدول، وهى منمنمة مرسومة بالألوان، وتعود الى الفترة المنغولية بالهند المسلمة

الفقير الى الله تعالى كافور الأخشيدى فى عام ٤٢٨ هجرية».

التعبير الفنى فى الأسلحة والعتاد

تزخر المنمنمات الإسلامية بوصف تصويرى للمحاربين والأمراء المسلمين بالأقنعة الحربية المحفورة وبالأسلحة المذهبة ويظهرون فى الرسوم جلوسا على صهوة خيول تكسوها أغطية مزركشة ثمينة عليها سروج منقوشة، حاملين فى أيديهم تروسا ملونه أو مغطاة بالحرير ومعهم جعاب لحفظ السهام والنبال بالإضافة الى الدبابيس المذهبة والسيوف والخناجر ذات المقابض المموهة بالذهب والفضة، والمرصعة عادة بالجواهر، كما صور رسامو المنمنمات أيضا معدات مثل الأحزمة المنمقة والخاصة بالمحاربين من ذوى الرتب العسكرية العالية والطبول المحزوزة والأبواق المنتهية بأشكال قنينات والرايات المعدنية ولم يكن غريبا أن يحرص المصورون فى رسومهم على ابراز النواحى الجمالية للقطع الفنية ولمعدات القتال لأنهم كلفوا بهذه الأعمال من قبل السادة المحاربين عشاق الفن.

وأعظم رعاة الفنون الاسلامية، شهرة الخليفة المنصور ويليه فى الأندلس عبد الرحمن الأول فى القرن الثامن الميلادى ثم تيمور الذى أوجد مجمع الفنانين فى عاصمته سمرقند فى القرن الرابع عشر الميلادى الى أن جاء محمد



زوجان فى ليالى الشتاء وبصحبتهما خادم .. اللوحة مقاس ١٤ × ٢٠ سم اكتشفت بتاريخ ١٠٨١ هجرية .. بأصفهان

قوقازية من الصوف الملون تعود الى القرن السابع عشر الميلادى وأخرى مخمل موشى بخيوط الذهب ترجع الى القرن السادس عشر الميلادى وفيها وضوح التأثير الايطالى على السجاد التركي .

وفى مجال النسيج نجد حريراً من الذهب المخمل يعود الى العصر الصفوى فى القرن السادس عشر الميلادى فى إيران ، ونسيجاً من الفضة موشى بالحرير ونسيجاً أطلس من الذهب الموشى بالحرير ، ونسيجا أطلس من الحرير ، وغطاء من النسيج المطرز وكلها من العصر الصفوى فى ايران وستارة مطرزة بغرزة السلسلة وهى من العصر المنغولى فى الهند فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وهناك غطاء مطرز وستارة من الكتان من العصر العثمانى فى تركيا فى نهاية القرن السابع عشر الميلادى ، وغطاء مطرز بالابرة يرجع إلى القوقاز فى القرن السابع عشر الميلادى وغطاء من القطن المصبوغ وأسلوب تطريز بخاري ويعود الى منطقة طشقند فى القرن الثامن عشر الميلادى .

فنون العمـلة الاسـلامية

وتوفر النقود دليلا موثوقا ينم عن المستوى الثقافى للمنطقة التى تم فيها السك ، وقد شهدت منطقة الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط بواكير النظم النقدية فتداول السكان النقود المستوردة من البيزنطيين والفرس وبعد العام الحادى عشر الهجرى ظهرت بشائر النقود الاسلامية الأولى .

ويتميز فن العملات الإسلامية بالمزج بين الخط والتجريد وقد حافظ التيار الرئيسى للعملة الإسلامية على نهج القرن السابع الهجرى الذى يعرض عن الصور باستثناء قطع قليلة تأثرت بمصدر غير اسلامى .

إن إلقاء نظرة عابرة على الدنانير الأموية والعباسية يترك انطباعا بأنه لم يطرأ أى تغيير على شكل الدينار الإسلامى لمدة تناهز قرنا من الزمان لكن فى أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ظهر طراز جديد من العملة العباسية فيه ميل متزايد الى النقش الزخرفى واستمر هذا الاتجاه حتى أصدر الفاطميون طرازا جديدا من النقود يختلف عن الطراز الذى استعملوه عن الأغالبة ويتميز الطراز الفاطمى برقة خطه وأناقته وبروز النقوش الدائرية وقد أدى الاستقرار الذى تمتعت به العملة الفاطمية الى تقليدها ليس فقط من قبل الأيوبيين بل ومن قبل بعض الدويلات المعاصرة مثل الصليبيين وسلاجقة الروم .

وعلاوة على النقود الفاطمية ظهر نمط مبتكر آخر تميز تصميمه بإطار مربع محاط بدائرة وقد صدر عن حركة الموحدين فى الشمال العربى الافريقى وأسبانيا الاسلامية .

إن من بين مقتنيات المعرض الخاص بكنوز الفن الإسلامى فى جنيف عملات ذات أهمية تاريخية خاصة مثل الدينار الأموى الذى يعود لعهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

أيضا النقود العربية اللاتينية فى الأندلس مثل الدينار الأموى الذى يعود لعهد الخليفة سليمان ، وهناك النقود العربية الساسانية فى العراق وايران ومنها دراهم باسم الخليفة معاوية بن أبى سفيان ودرهم باسم الحجاج ابن يوسف الثقفى وهناك العملة الأموية المصرية والعملة العباسية فى العصر العباسى الأول والعملات المتفرعة عنها فى المغرب والأندلس ، وهناك النقود العباسية فى العصر العباسى الثانى ، ونقود السلالات التى خلفتهم فى العراق وإيران والنقود الفاطمية والنقود الأيوبية والمملوكية المحاكية لها ، وهناك المربع المحاط بدائرة وهو يعود لنقود الموحدين والنقود التى حاكتها ، وهى غير النقود الإسلامية المضروبة فى دوقية البندقية والنقود الذهبية التنكة فى الهند والنقود ذات الصور والنقود التذكارية ، وغيرها من نقود النظم الاسلامية التى صاحبت عصور الانحدار والاضمحلال فى الدولة الاسلامية .

جنيف : محمد سعيد

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● الشاعر الفارس أبو محجن الثقفي ● نزاع على قصيدة
● كذبة إبريل ● أروع ما قرأت عن كذبة إبريل

من الفتوة العربية

الشاعر الفارس
أبو محجن الثقفي



بقلم : أحمد حسن الزيات

— ١ —

كانت (المدينة) يومئذ عاصمة الإسلام ، وعمر الجبار العادل يحمل بيده القوية مشعل محمد فيرسل أضواءه السماوية إلى الجهات الأربع ، والفرسان المسلمون فى القادسية يَثُلُّون العرش المجوسى ليقيموا على قواعده الكسروية منبر الهدى والسلام . وكانت الجزيرة العربية لا تزال معلقة بين السماء والأرض ، ترفعها الروحية الإسلامية إلى أعلى ، وتجذبها المادية الجاهلية إلى أسفل . وكانت مدن الحجاز الثلاثُ : مكةُ والمدينة والطائفُ مظهرَ الفتوة العربية ، لأنها مجمع السيادة والقوة ، ومنبع الرفاهة والثروة . والفتوة العربية وإن جمعت أطراف المروءة كانت تدور على ثلاثة الشاعر الشاب طَرَفة : وهي الحب والشرب والحرب ، ثم تصوير كل أولئك بالشعر الغنائى الرقيق . ولم تستطع هوادة الإسلام ولا صرامة عمر أن تكفكفا نوازى الهوى فى نفوس نشأت على فتون الجهالة ومرَح الشرك ، فكان فى أبطح مكة ، وعقيق المدينة ، وغزوان الطائف « مساحبُ من جرِّ الزِّقاق على الثرى » لا تزال معطرة الأديم بمناجاة الحب ، ومطارحة الشعر ، ومناقلة الحديث . وكان وادى العقيق فى العاصمة المنورة قلما يفيض دون أن تنتظم على حواشيه الخضر مجالس الشراب وسوامر

الشاعر الفارس
أبو محجن الثقفي

الأحباب يتساقون فى غفلة العيون كؤوس الراح والصبابة ، ولكنهم ما كانوا يستطيعون أن يغيبوا عن عيون العَسس ولا أن يفلتوا من يد الخليفة مهما تستروا بالليل وتحصنوا بالبعد .

فى صبوة من هذه الصبوات الليلية الجاهلية قبض العسس العُمَرى على الشاعر الفارس أبى محجن وهو عائد فى ندماه من العقيق يتماوج من السكر وينشد فى تطريب وهِزّة :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تُرَوِّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

وأبو محجن ـ إن كنت لا تعرفه ـ رجل من سروات ثقيف ، درج فى رياض الطائف وكرومه ، ونشأ على فتوة أهله وصبوة شبابه ، فهو رضيع كأس ، وتِبْعُ نساء ، ومِسْعر حرب ، وصناجة شعر ، وصِنو مروءة . أسلم هو وقومه فى أُخريات الناس حين لم يكن من الإسلام بد ، ودخل فى دين الله بما ورث وكسب من عادِ الجاهلية ، فأخذ يروض نفسه الصعبة على الوقوف عند حدود الله ، فكان يخفق مراراً وينجح مرة ، حتى أقنعه اليأس آخر الأمر أن لا بأس من الشراب مادام يطهره الحد ، وأن لا ضَيْر من الحب مادامت تمحصه التوبة !

على ذلك عشق (شموس) الأنصارية وركب إلى رؤيتها المحظورة شيطانه المحتال ، فتزيا بزى فلاح وعمل أجيراً فى بستان يطل على دارها ، فكان ينعم بالنظر والسمع ، وربما تمتع بالسلام والحديث ، ثم يعود فيسلسل الماء بين البقول والزهور ويتغنى بمثل قوله :

ولقد نظرت إلى شموس ودونها ... حرجٌ من الرحمن غير قليل

وعلى ذلك أيضاً كان يتتبع هو ونداماه رياض الأرض ، يشربون ويطربون ثم يرجعون إلى المدينة نشاوى من القصف والعزف فلا تنم عليهم عين ولا يشي بهم لسان ، حتى ولى الخلافة الفاروق فطارد الجريمة فى كل مكان ، وهاجم الرذيلة فى كل مكمن .

ـ ٢ ـ

دخل العسس بأبى محجن وندمائه على عمر ، فسألهم :

ـ أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

فأجابه لسان القوم أبو محجن :

ـ كيف حرمها الله يا أمير المؤمنين وهو يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ؟

فوقف صاحب رسالة القضاء من حجة الشاعر موقف الحائر ، ثم التفت إلى من حوله من صحابة الرسول يستمد رأيهم فى الأمر فاختلفوا فيه . فأرسل إلى عليّ مرجع الفتوى وفيصل الحكم يستشيره ، فقال : « إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير . وأرى إن كانوا قد شربوا الخمر مستحلين أن يُقَتَّلوا ، وإن كانوا شربوها مستحرمين أن يُحدُّوا .

فسألهم عمر ، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكنا قدرنا أن لنا فيما قال نجاة . فجعل يجلدهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلى أبى محجن ، فلما جلده جعل يقول :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر

فقال له عمر : قد أبديت ما فى نفسك ، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك . فقال الإمام عليّ حجة القضاء وولى العدل :

ـ ماذلك لك ياعمر . وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل . وقد قال الله فى الشعراء : وأنهم يقولون مالا يفعلون . فقال عمر : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فقال على : أهؤلاء عندك منهم ؟ لقد سمعت الرسول ﷺ يقول : لا يشرب الخمر شاربُها وه مؤمن .

نجا أبو محجن وما نجا . فإنه أصر على ألا يترك الخمر مخافة العقوبة ، وأصرَّ عمر على أن يجلده كلما شرب ، حتى أعيا الخليفة أمر وأعجزه صلاحه ، فقرر أن ينفيه إلى جزير كان ينفى فيها الخلعاء ، ووكل به شرطيً يصحبه إلى المنفى وأوصاه ألا يدع معه السيف فإنه كميٌّ فاتك . وعلم أبو محجن بالحك والوصية ، فتزود بغرارتين ملئتا دقيقاً ، ث عمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة ، وغمد فى غرارة . فلما بلغ هو والشرطى ساحل البحر قعدا للغداء ، وفتح الغرارة يوهم أنه يخرج الدقيق ولكنه اخرج السيف ! فلم يكد الشرطى يراه فى يده حتى انطلق يعدو إلى بعيره فنجا ب إلى المدينة بعد لأى .

وقال الشاعر لنفسه بعد تفكير وتدبي وعزم : لا ينبغى أن يكون المفر من عمر ف الحجاز إلا إلى سعد فى العراق .

ـ ٣ ـ

وفد أبو محجن على فاتح العراق سعد ب أبى وقاص يوم الكتائب من أيام القادسية . وكان سعد قد تلقى من أمير المؤمنين الساه اليقظ كتاباً يأمره فيه بحبس الشاعر ساع يفد . ودارت رحى الحرب بين العرب والفرس وأبو محجن مقيد فى قصر القائد ، فما كا يسمع وغاها حتى عصفت النخوة فى رأسه وثارت الحمية فى نفسه ، واضطرب فى حبس اضطراب الأسد فى قفصه . ثم زأر بهذ الأبيات على مسمع من سلمى زوج سعد :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقن ... وأترك مشدوداً علىَّ وثاقي
إذا قمت عنانى الحديد وغُلِّقت ... مصاريع من دونى تُصم المناد
هلم سلاحى لا أبالك إننى ... أرى الحرب لا تزداد إلا تماد
ولله عهدٌ لا أخيس(1) بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا(2)

ثم قال ياسلمى : هل لك من خيرٍ إلى

فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عنى وتعيريننى البلقاء فرس سعد ، والله على ان سلمتُ أن أرجع حتى تضعى رجلىَّ فى القيد . فترددت سلمى حتى تبينت الصدق فى قوله فأطلقته . وركب أبو محجن البلقاء ثم دب عليها ، حتى إذا تنفس الصبح وأشرق يوم رماث ، واصطف الناس ، حمل على ميسرة العدو حملة صادقة فانخلعت لها القلوب ، وانخرعت منها الفَيلة ، وتضعضعت أمامها الفرس . وعجب العرب ان يكون فيهم هذا الفارس ولا يعرفونه ، حتى قال أحدهم : ان كان الخضر يشهد الحرب فهو صاحب البلقاء . وقال آخر : لولا أن الملائكة لا يقاتلون ظاهرين لقلنا هذا ملك . وجعل سعد يقول وهو يشرف على المعركة : الطعن طعن أبو محجن ، والضَبْر[3] ضبر البلقاء ، ولولا محبسه لقلت إنه هو !

وانتصف الليل فتحاجز العسكران ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع رجليه فى القيد !

وكانت سلمى قد رأت فعله وسمعت قوله فأعجبت بإبائه ووفائه وبطولته . ثم دخلت على سعد وكانت مغاضبة له ، فصالحته وأخبرته بخبر أبى محجن ، وسألته أن يطلقه . فاستخف سعداً ما رأى من فتوة أبى محجن ورضا زوجه ، فدعاه وقال له وهو لا يزال فى حماسة الإعجاب ونشوة الغبطة : والله لا أحبس بعد اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه هذا النصر ، ولا أعاقبه إذا شرب فقال له أبو محجن وقد بدت على محياه سِماتُ النبل ودلائل المروءة :

ــ وأنا والله لن أذوقها بعد الساعة . لقد كنت أشربها أنفةً من أن يقولوا خاف الحد ، فأنا اليوم أتركها رغبة فى أن يقولوا خاف الله !

احمد حسن الزيات

١٩٣٩

هوامش

(١) خاس بالعهد : نكث

(٢) حوانيت الخمر

(٣) ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب

نزاع على قصيدة

يا حلوة الوعد ما نساك ميعادى
عز الهوى أم كلام الشامت العادى
كيف انخدعت بحسادى وما نقلوا
أنت التى خلقت عيناك حسادى
طرفى وطرفك كانا فى الهوى سببا
عند اللقاء ولكن طرفك البادى

ثلاثة أبيات من قصيدة للمرحوم شوقى بك تبلغ سبعة عشر بيتاً نشرت الرسالة منها فى سنتها الأولى اثنى عشر بيتاً تحت عنوان (شوقية لم تنشر تغنيها إحدى القيان) . ولم تشر المجلة وقتئذ إلى اسم المغنية لأنها كانت قد تزوجت وانقطعت صلتها بالجو الفني .. وهذه المغنية هي السيدة (ملك) وقد صنع لها شوقى بك هذه القصيدة قبل وفاته بعامين لتغنيها وكان ذلك فى مصيفها بالاسكندرية ، حيث كان يختلف إليها أمير الشعراء والأساتذة فكرى أباظه ومحجوب ثابت ومحمد عبدالوهاب .. وقد أعجب الأستاذ محمد عبد الوهاب يومئذ بمعنى القصيدة وتلحينها ، فلما توفي المرحوم شوقي بك تحدث الأستاذ عبد الوهاب بأن آخر ما نظمه شوقى له كانت هذه القصيدة . فردت عليه السيدة ملك فى جريدة البلاغ تنكر عليه ذلك وتستشهد بمن ذكرت وبنسخه القصيدة مكتوبة بخط شوقى إليها . ووقف الأمر يومئذ عند هذا .

ولكن الاستاذ عبد الوهاب عاد فلحن هذه القصيدة فى هذه الأيام لروايته الجديدة التى يزمع إخراجها فى الشتاء القادم . فلما علمت السيدة ملك بهذه تجدد بينهما نزاع لطيف توسط فيه أصدقاؤهما حتى وعد عبد الوهاب بأنه (سيحاول) أن يستغنى عن هذه القصيدة . ويظهر أن هذا الوعد لم يطمئن السيدة (ملك) فنشطت حركة استشارة المحامين ونشطت معها تلك الضجة الطريفة التى لا نعلم كيف تنتهى وعلى أى وجه من الوجوه ستحل . والظريف فى الأمر أن أشد الجميع غضباً هو الدكتور محجوب ثابت ! فهو يعجب من جرأة الأستاذ عبد الوهاب وعدم استئذانه إياه باعتباره (الشامت العادى) الذى عناه شوقى رحمه الله .

محمد المويلحى

١٩٣٩

كذبة إبريل



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

في أول ابريل يحلو لبعض الناس أن يكذبوا ، ويطيب لهم أن يزعجوا بهذا الكذب إخواناً لهم ، أعزاء عليهم ، أثراء عندهم ولو اختصوا بالكذب المثير أو المزعج ، أو الذى يورث المتاعب ، غير الأوداء والاصدقاء : أى الخصوم والأعداء ، لكان هذا أقرب إلى العقل وأشبه بما ينبغى أن يكون ، فما يبالى المرء على أى حال من السوء يكون عدوه ، وكلما زاد الشر الذى يقع فيه أو يُمْنى به العدو كان ذلك أشرح لصدر عدوه وأثلج لقلبه . ولكن الصديق شيء آخر ، والإنسان جدير أن يخجله أن يركب صاحباً له بدعابة مؤذية ، وأن يضحك ويفرح بما ينزله بهذا الصاحب من السوء .

وقد لقيت فى أول ابريل هذا من المتاعب مابغضه إلى ، حتى لتمنيت على الله أن يلهم الناس حذف هذا الشهر كله ، وإسقاطه أجمعه من تقويم العام .

صَبَّحنى واحد ، وأنا أجلس إلى مكتبى ، بأن برقية وردت بأن المانيا قذفت بجيشها على أرض بولندا ، وأن القتال يدور بين الطلائع النازية وقوات الدفاع ، فسألته : « أتتكلم جاداً ؟ » .

قال وهو يشير إلى ورقة فى يده « هذه هى البرقية : اسمع ترجمتها » .

فتفرست فى وجهه وحدجته بنظرة فاحصة ، فلم أر ابتساماً ، ولا ما يشى بأنه يهم بالابتسام . فقلت : « إنى كنت ، وأنا آت إلى هنا ، أحدث نفسى بأن أكتب فى التصريح الذى ألقاه المستر تشمبرلن أمس فى مجلس العموم البريطانى ، وكنت أريد أن أقول إنه من العوامل المرجحة لكفة السلم ، ولكنك تروى لى نبأ غريباً ، لا يكاد يقبله عقلى ، فهات لى هذه البرقية لأقرأها فإنى لا أكاد أفهم ، وأحسبنى سأجن ، فما أعرف لماذا تجازف ألمانيا هذه المجازفة التى ليس لها أى موجب ، ولا من ورائها أى خير لها أو لسواها » .

● عندما أكلت زوجتي شوكولاتة بالثوم والفلفل!

● برقية في أول أبريل تهنئني بعروس جديدة .. وزوجتي هي التي تتلقى البرقية!!

وانتزعت منه الرقعة فإذا هى قديمة وتاريخها أول مارس ، وليس فيها أى ذكر لألمانيا أو بولندا ! وماذا يبالى صاحبنا هذا أن يهدم لى الدنيا ، وأن يحيلها حولى أنقاضاً ، وأن يدير لى رأسى حتى ما أعود أعي شيئاً ؟!

وبعد نحو ساعة ، طُلبت إلى التليفون ، فقمت إليه ، فإنى أكره أن تكون آلته على مكتبى ، أو فى الغرفة التى أنا فيها ، ولا أعرف ما هو أشد إزعاجاً لى من صوت جرسه حين يدق فجأة وقلت وأنا أضع السماعة على أذنى « نعم » .

فسمعت صوت زوجتى يقول لى : « أبو خليل ... مبروك ! »

فسألتها مستغرباً : « ماذا ؟ مبروك ايه ؟ » .

قالت : « بالهناء والرفاء والبنين ! لماذا لم تخبرنا لنفرح لك معك ؟ »

قلت : « عن أى شيء تتحدثين ؟ رفاء ، وبنين ... ؟ ! ما هى الحكاية ؟ »

قالت : « برقية وردت بتهنئتك بعروس جديدة ... هل أقرأها لك فى التليفون ؟ أو يكفى أن أذكر لك اسم مرسلها ؟! وقبل البرقية دق الباب رجل وسأل عنك ، فعرف أنك خرجت فكلفنا أن نبلغك تهنئاته القلبية . فلم نفهم ،

ولكنه انصرف قبل أن نتمكن من سؤاله . على أن البرقية ما لبثت أن جاءت ففهمنا كل شيء ! مبروك ، على كل حال » .

فأيقنت أن أكاذيب ابريل كلها ستقذف عليّ في هذا اليوم السعيد . وقلت لها : « آه ، كذبة أبريل .. اشكرى عنى المهنئين والمهنئات . فإنى الآن مشغول بالعروس ، أبثها حبى ، وأناجيها بما يجن قلبى لها ! ألا تسمعين ؟ » .

فألقت السماعة ، ولم تجب ! والمصيبة أن النساء أميل إلى تصديق كل مايثير غيرتهن ، ولو كان كل شيء يدعو إلى نقيض ذلك ويغرى بالاطمئنان .

وخرجت ، فمررت بصاحب لى ، فقدم لى شوكولاته ، فاعتذرت فإنى لا آكل شيئاً بين طعامين ، فألح ، فأصررت على التأبى ، فاقترح أن أنتقي بضع قطع أدسها في جيبى ، وآكلها حين أشاء فلم أر في هذا بأساً فأجبته إليه . وعدت إلى البيت ، وخلعت ثيابى لأستريح ، فسألتنى امرأتى : « معك سجاير » ؟!

قلت : « في جيبى .. خذى ما تريدين » .

فدفعت يدها في جيبى وقالت ، وهى تخرجها وتتأمل ما عثرت عليه : « آه ... شوكولاتة العروس » !!

قلت : « لا تكونى سخيفة .. هذه أعطانيها فلان » .

فألقت في فمها واحدة ، وهى تضحك ، وإذا بها تلفظها فجأة وتصيح وقد عبست جداً : « ما هذا القرف ؟ »

فسألتها : « قرف ؟ أى قرف ياشيخة ؟ مالك في هذا النهار ؟ »

قالت : « تضحك عليّ وتغرينى بأكل شوكولاته حشوها ثوم وفلفل ، وتزعم أن فلانا أعطاكها ؟ ! أى مزاح هذا ؟ هل ارتددت طفلاً ؟ ألا تجد أحداً غيرى تمازحه هذا المزاح البارد ؟ » .

فقلت — وأنا أحدث نفسى — :

« شوكولاته بثوم وفلفل ! ياامرأة ، هل سمعت بالمثل العامى : تكون في فمك فتقسم لغيرك ؟ أنا كنت المقصود بهذا المزاح البايخ ، ولكنى نجوت ووقعت أنت ، وما يخالجنى شك في أن هذا أبعث على سرور صاحبى الذى أهدى إليّ هذه الشوكولاته ! ولكنا لن نخبره بشيء ، وسندعه بضعة أيام يتقلى وبوده لو عرف ماذا كان من أمرنا ... لا بأس ! سأجزيه سوءاً بسوء ! فانتظرى ! » .

فظلت تصيح وتسأل عما عسى أن تصنع الآن ، فقد فسد طعم فهمها ، وأكبر ظنها أن رائحة الثوم ستظل بأنفاسها ، فاقترحت عليها أن تشرب قليلاً من الكولونيا !

فهزت رأسها وقال : تريد أن تقتلنى لتخلص لك عروسك الجديدة ، ويصفو لك الجو معها ! »

فسكت ووضعت إصبعى في الشق ، بل وضعت أصابعى العشر كلها في الشقوق ، فما من سبيل إلى إقناع المرأة بسخافة الغيرة .

وأحسب أن الكذب يطيب في أحيان كثيرة ، بل أحسبه لازما للانسان وعسى أن يكون الصدق متعبة شديدة ، ولعل التزامه في كل حال مما لا يطاق .

ولكن من الكذب ما هو برىء ، وما هو سوء يحسن اتقاؤه وأنا مستعد أن أضحك ، وأن استظرف نكات الأخوان واستملح دعاباتهم ، ولكن لا أظن ما ذكرت يدخل في باب الفكاهة المستملحة وقد يكون هذا وما إليه محتملاً ، ولكن الفظيع أن ينعى لك صديق وهو حي يرزق ، فتخف إلى داره لتعزى أهله ، ويلقاك ابنه أو أخوه ، ولا ترى في وجهه حزناً أو سهوماً ، فلا تستطيع أن تقص عليه الخبر الذى حملك إليه ، ولا تجد ما تسوغ به هذه الزيارة في ساعة غير مألوفة ! وبعض الناس يضحكهم ويسليهم هذا الضرب من المزاح ! ولم لا ؟ كل ما سر جائز...

ابريل عام ١٩٣٩

أروع ماقرأت عن كِذْبَة إبريل

لا يصل هذا العدد إلى أيدى القراء إلا ويكون « أول إبريل » قد أوشك أن يحل ضيفاً على هواة الكذب الطريف .. الكذب الذى يلجأ إليه الناس رغبة في اللهو البرىء .. وشغفاً بالدعاية التى تجنى في الغالب على الذين لا يعدون العدة لهذا اليوم الخالد في حساب الظرفاء والكذابين !

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال أن إحدى الصحف الفرنسية قد كتبت في اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٤٨ ما يلى : « تقيم الحكومة الفرنسية في صباح الغد معرضاً ممتازاً للحمير بميدان الكونكورد ، ومن المنتظر أن يهرع الكثيرون من سكان العاصمة لمشاهدة هذا المعرض الذى تقيمه الحكومة لأول مرة ، وتحشد فيه نماذج مختلفة من الحمير التى لم يرها الفرنسيون من قبل » . ولم يقبل صباح أول إبريل إلا وكان ميدان الكونكورد يموج بالألوف ممن صدقوا خبر الصحيفة ولم يقبل المساء حتى صدرت الصحيفة حاملة إلى قرائها هذا التعليق الرائع : (كان للخبر الذى نشرناه أمس عن معرض الحمير أثره البعيد في نفوس القراء ، حتى لقد أقبل الألوف منهم على مشاهدة المعرض .. ويقول مندوبنا إنه شاهد في ميدان الكونكورد ما لا يقل عن عشرين ألف حمار) !!

أنور المعداوى
١٩٤٩

أضواء ثقافية

يقدمها: طلعت الشايب



يفتشنكو.. بين الشعر والسينما

• يفتشنكو (٥٢ سنة) الشاعر السوفيتي العنيد الذى كان «يكهرب» الجماهير فى الشرق والغرب فى الستينات بشعره المتمرد وطريقة إلقائه الساحرة، عاد إلى الأضواء مرة أخرى، وكان نجم مؤتمر اتحاد الكتاب السوفييت (ديسمبر ٨٥) عندما وجه نقدا عنيفا لأشياء كثيرة فى الاتحاد السوفيتي ليثبت بذلك أنه لايزال يواصل السير في نفس الطريق الذي اختاره طوال حياته وأنه لم يتحول من التمرد والتحدى والرفض إلى التكيف والمصالحة والامتثال كما يقول عنه اليوم بعض نقاد الغرب.

صدرت للشاعر مؤخرا رواية بعنوان «التوت البرى» هى مزيج من النثر والشعر كما نشرت له مجلة «نوفي مير» ـ العالم الجديد ـ السوفيتية قصيدة طويلة بعنوان «فوكو» يقول عنها إنها مباشرة وذات نزعة مثالية إلى حدٍ ما ويطالب فيها بالكف عن تمجيد الشخصيات التاريخية التي لا تجلب سوى الحزن والبؤس لنفسها ولشعوبها.

في القصيدة جزء عن معسكرات «ستالين» في «كوليما» وآخر عن سائق يبلغ من العمر ١٩ عاما يقود سيارته في طريق «بنى على عظام الفلاحين» ويعلق فى قمرة سيارته صورة لستالين.

القصيدة لا تخلو أيضا من عبارات خطابية أقرب إلى الحكَم اشتهر بها الشاعر منذ البداية مثل «إن من ينس فرائس الأمس قد يصبح فريسة الغد».

وفى الستينات عندما عرف الناس ـ خارج الاتحاد السوفيتي ـ يفتشنكو، كانت قصائده مثل «بيبى يار» عن معاداة السامية وقصيدته عن «ورثة ستالين» تحقق له شهرة كبيرة كصوت متميز أو لعله «نشاز» في النغمة السوفيتية المألوفة لدى الغرب على الأقل، ولكنه اليوم ـ أيضا ـ يرفض أن يكون غير ذلك كما يرفض الاتهامات التى توجهها إليه بعض صحف الغرب فيقول:

«إن صورتى قد تغيرت فى بعض الصحف الغربية فقط ولكنها لم تتغير لدى القراء، فأنا أعتقد أن بؤرة الشر الكونى لا يمكن أن تكون مركزة فى بلد واحد..! الجوانب المظلمة من الحياة الإنسانية والجوانب السيئة من النفس البشرية منتشرة وموزعة في أماكن كثيرة، وفي نفس الوقت. وكما قلت فى مؤتمر الكتاب الأخير ـ فإن الكاتب يكون لديه الحق فى الكتابة عن البلاد الأخرى وبالذات عن الحقيقة المرة والمؤلمة فيها، إذا ما كان يستطيع أن يكتب عنها في بلده «.» ولأنى كتبت «بيبى يار» و«ورثة ستالين» وغيرهما عن الاتحاد السوفيتي أعتقد أنه من حقى أن أكتب قصائد تدين حرب فيتنام، ولكن المشكلة هى أن بعض الصحفيين فى الغرب وخاصة المهتمين منهم بالدراسات السوفيتية لا يستطيعون أن يدركوا أن الشخص ذاته يمكنه أن يكون ضد معاداة السامية وضد البيروقراطية في بلاده وضد الستالينية وفي نفس الوقت يعارض حرب فيتنام».

ومن أكثر تعليقات يفتشنكو طرافة أنه يصف العمل لديه بأنه نوع من حساء الشمندر «أو الشوربة الروسية الشهيرة باسم البورش» التى يمكن أن يدخل فيها أى عنصر طالما سيكون الطعم في النهاية مستساغا».

هذا ـ عنده ـ هو المبدأ الذى على أساسه يكتب الشعر والرواية والذى على أساسه أيضا صنع فيلمه الأول «روضة الأطفال» الذى يروى فيه قصة إجلائه وهو فى التاسعة من عمره من موسكو إلى سيبيريا فى زمن الحرب، وتجربة الرحلة الطويلة، والأهوال التى واجهته أثناءها.

أما لماذا أقدم يفتشنكو على تجربة العمل السينمائى بعد أن كان شاعرا محترفا منذ الخامسة عشرة من العمر فيقول:

«لى حتى الآن أكثر من مائة ألف بيت من الشعر. والإنسان فى نظرى لا يمكن أن يقضى عمره كله فى صناعة الدراجات، يستطيع أن يطورها دراجة بعجلتين، بثلاث عجلات، بأربع، بعجلة واحدة، دراجة مائية،

دراجة هوائية ، ولكنه فى مرحلة معينة سيفكر فى عمل شيء مختلف ، « طيارة مثلا ! » .

ولأنه يحب السينما ويعتقد أنها هي التى جعلت منه كاتبا وخاصة أفلام الواقعية الايطالية الجديدة ، الواقعية الخالية من الزخرف كما شاهدها في أفلام مثل « لصوص الدراجات » ، « روما فى الحادية عشرة » ، « المدينة المفتوحة » قرر أن يبعث طفولته من جديد فى فيلم سينمائى .. أن يحكيها كما وقعت بالفعل ودون أن يخترع شيئا ، وعندما كان يقوم بإعداد القصة للشاشة وبالتصوير لم يكن يتصرف كمخرج محترف ، بل كان يصنع فيلما عن فيلم يعيش بالفعل فى ذاكرته على حد تعبيره .

« قمت باختيار كل وجه على حده ، بحثت عن الوجوه التى كنت أريدها فى الشوارع والمدارس والحقول والمتاجر ، وأزعم أننى استطعت إبراز الوجه العادي للمواطن السوفيتى دون أي تنميق أو محاولة للتجميل وذلك لخلق جو من المصداقية وربما الوثائقية » .

ويفتشنكو الذي يلعب أيضا فى الفيلم دور لاعب شطرنج يعتقد أنه قد قدم بالفعل فيلما ناجحا ـ رغم هنات لا يخلو منها دائما العمل الأول ـ وذلك لأنه حاول فيه أن يقول الكثير ، الكثير جدا مما لديه ، وهو أسلوبه فى كل أعماله .

« عموما بالنسبة للشعر والأدب أنا مع الذين يعتقدون بأن قول الكثير يكون أحيانا ضروريا حتى فى الشعر أنا لا أحب القصائد التى تشبه قوالب القش المضغوطة على شكل مكعبات هندسية محكمة .

أفضل القش مهوشا ، ملقى بتلقائية فوق ظهر ناقلة ، تحتفظ عيدانه ببعض حبات التوت الجافة ، يجلس فوقها بكل عفوية ومرح بعض الشبان ، وحبذا لو كانت هناك لا تزال بعض الأغصان متشابكة مع القش الذى يتدلى بعض منه من على ظهر الناقلة ليلمس الطريق أثناء اندفاعها » .

« روضة الأطفال » فيلم يفتشنكو عرض للمرة الأولى فى موسكو عام ١٩٨٣ وأثار حينذاك زوبعة كبيرة من الآراء المتضاربة كما كان الحال دائما في كل أعماله ، ويعرض الفيلم هذا العام في الولايات المتحدة الأمريكية بحضوره بعد أن بدأ الجليد الثقافى بين الشرق والغرب فى الذوبان ولاحت فى الأفق بداية انقشاع القطيعة الثقافية الرسمية التى استمرت بينهما ست سنوات .

فيكتور بريتيشيت «٨٥ سنة» طاقة ابداعية تتحدى الزمن



● عندما كان في السبعين من عمره (عام ١٩٧٠) كتب يقول « لن أكون عجوزا كما كنت فى العشرين أو الثلاثين » ، فيكتور بريتشيت الذى أنعم عليه بلقب « سير » عام ١٩٧٥ ، والذى يعتبره البعض أعظم كاتب قصة قصيرة فى انجلترا ، ويراه البعض الآخر أفضل نقاد الأدب الانجليزى ، ويراه كثيرون الاثنين معاً .. هذا الرجل يدخل عامه السادس والثمانين بحماس شاب يرى المستقبل أمامه بلا حدود .

فى غرفة ملأ جدرانها بمناظر طبيعية من أعمال فنانين معاصرين ووضع فى ركن منها صندوقا كبيرا ملأه بعدد من الطيور المحنطة ، جلس العجوز الشاب الذى لا يزال يتمتع بقدرة كبيرة على الاحتمال وعلى الحضور الأدبي والاستمرارية ككاتب مقروء على نطاق واسع ، وعلى ممارسة حياته اليومية كإنسان ، جلس ليرد على أسئلة محاوره ليقول له انه فخور بعمره .. ليس بما أنجزه طوال السنوات الماضية فقط ولكن أيضا لأن تاريخ ميلاده يتماشى مع التقويم . فلأنه ولد عام ١٩٠٠ فهو ليس فى حاجة أن يفكر كثيرا هو أو زوجته دوروثى التى يهديها أعماله واحدا تلو الآخر ـ لكى يحسب عمره . فى عام ١٩٧٥ كان عمره ٧٥ ، وفى عام ١٩٨٥ كان عمره ٨٥ ... وهكذا .

والكاتب العجوز يتبع فى حياته اليومية نظاما صارما . فى التاسعة صباحا ـ بما فى ذلك أيام العطلات ـ يصعد الطوابق الثلاثة إلى مكتبه فى الدور العلوى من مسكنه (فى ريجنت بارك) ، فى التاسعة والثلث يكون منهمكا في الكتابة أو فى إعادة الكتابة .

(يقول انه يعيد كتابة القصة القصيرة خمس مرات والمقال النقدى ثلاث مرات تقريبا) ، يتوقف فى الواحدة إلا الربع لتناول طعام الغذاء ثم ينام قليلا ، بعد ذلك عليه القيام بشراء احتياجات المنزل من السوق ، حيث يجدها فرصة لتلبية دعوة إلى فنجان شاى قد يوجهها إليه واحد من « الشخصيات غير العادية من البشر العاديين ، الذين يسكنون قصصه » بعد ذلك يعود مرة أخرى إلى بيته ليعاود الكتابة حتى السابعة مساء .

« الكلمة والجملة هما معتقدى » هكذا كتب مرة في عملة الشهير « زيت منتصف الليل » الذى يروى فيه قصة حياته . وهو يبذل الآن جهدا أكبر فى الكتابة « سرعتى فى العمل تقل بتقدم العمر .. وربما أكون أقل رضا عما أكتب ولكنى على أية حال حريص على الاتقان » .

منذ فترة قصيرة صدر فى بريطانيا كتابه رقم ٣٥ وهو مجموعة من الدراسات النقدية تطالعك فيه مقالات عن « ستيرن » و« سكوت » الذى يكن له إعجابا قديما خاصا ، وعن « فرجينيا وولف » ، كما يكتب فيه عن الفرنسيين « ستاندال ـ بروست ـ بلزاك » ، وعن الروس « بوشكين ـ تورجنيف » ، وأيضا عن الأسبانى « دى كويروزو » والتشيكى ـ النمساوى « روبرت موسل » .

أما كتابه القادم فهو دراسة فى مرحلتها النهائية عن « تشيكوف » « سيد القصة القصيرة بلا منازع » ويعتقد الكاتب أن انشغاله بهذه الدراسة قد حرمه شخصيا لمدة عامين من كتابة القصة القصيرة لكنه واثق من أنه سيعود يوما إليها حيث « رأسه مليئة بأصوات تنتظر توصيلها بشخصيات ، وبشخصيات تنتظر دمجها بأحداث ، وبأحداث مختزنة داخله ـ ربما منذ زمن قريب وربما منذ الطفولة ـ عن قصص تنتظر دورها فى الكتابة » .

كان شكسبير في عصره خارجاً على كل القواعد الفنية والأدبية المتعارف عليها ، وبمرور الزمن أصبح خروج شكسبير على القواعد هو القاعدة الذهبية

الفن في مسرح شكسبير

بقلم : عبد الحق فاضل

لا معنى لأن نتناول فن شكسبير بمعيار عصرنا ، أو معاييره المتنوعة المتضاربة ، فلنرجع الى معايير عصره ، بل المعيار الوحيد في عصره ، المجمع عليه عهدئذ عند أهل الصنعة .

كان فن شكسبير في ذلك المعيار رديئاً مثيراً للسخط والنفور ، في لغته وفي حبكته وطريقة عرضه ، وفي تجاهله القواعد المصطلح عليها في الأدب التلادي (الكلاسيكي) ، بالاضافة الى افتقاره الى الدقة العلمية في التاريخ والجغرافيا وغيرهما ، وبالاضافة الى اجتذابه الجمهور المملق من الشعب الى المشاهدة وهو عيب في نظرهم آخر ، لايكاد يُغْتَفَرْ .

كانت للأدباء ومنهم المسرحيون لغتهم وألفاظهم كما هي الحال في كل مكان وجيل ، لكن القوالب كانت مع إتقانها جامدة ، والألفاظ على كثرتها محدودة لايبيحون تجاوزها .

« لم يكن للغة الانجليزية معاجم عصر ذاك ... وقد اعتذر (جورج بوتنهام :G Puttinham عن استعماله ألفاظاً جديدة مثل idiom (تعبير اصطلاحي) ، و numerous (متعدد) ، و impression (انطباع) ، و method(طريقة) أما بن جونسن الذي لم يستطع أن ينسى تربيته التلادية فقد أرعبه كاتب مسرحي زميل استعمل ألفاظاً مستهجنة مثل clumsy (أخرق) ، و damp (رطب) ، و Puffy (منتفخ) » .(١)

وهذه الالفاظ وكثير من أمثالها تعد اليوم من صميم اللغة الأدبية الفصيحة ولا يخطر لأدباء الجيل أن أسلافهم كانوا يستهجنونها ويسخرون ممن يرتكب استعمالها في العصر الاليزابثي ، وما قبله ، وحتى مابعده الى حين .

لغته

جاءهم شكسبير ليتدفق عليهم بطوفان من الألفاظ الجديدة الحية التي يرحب بها الجمهور لأنها تفصح مباشرة عن مشاعرهم وتحييها ، خلافاً للألفاظ التقليدية التي استهلكت نفسها . وتعد مسرحية (هاملت) أغنى مسرحيات شكسبير بالألفاظ الجديدة المتواثبة .

إنه هو الذي استعمل في أدبه أكبر عدد من الألفاظ استعمله إنسان في كل التاريخ البشرى .

لقد رسم قلمه أكثر من (١٧) ألف كلمة كان الكثير منها جديداً مما كان يفهمه الناس ويتداولونه ، ويعتذر الأدباء التلاديون عن استعماله اذا هو فرط منهم كما فعل (بوتنهام) ، وإلا هاجمهم زملاؤهم كما فعل جونسن .

الوحدات

ومن قوانين المسرح التلادي كذلك إنهاء المأساة بخاتمة فاجعة وختم المسلاة بنهاية سارة ، مع الالتزام بثالوث الوحدات : وحدة الزمان والمكان والعمل .

وقد حاول شكسبير الالتزام بها في بداية عمله ، في مسرحية (مسلاة الأخطاء)(٢) فحصر أحداث القصة كلها في يوم واحد وفي بلدة واحدة ، واعتصم بالألفاظ والتعابير التلادية لايخرج عنها . لكنه برم بهذه القيود فكسر قضبان قفصه وحلق في المسرحيات التالية طليقاً في الفضاء الرحب فأصبحت كل من حكاياته تستغرق حوادثها أياماً وأحيانا أعواما ، ويتوزع بعضها في مدن وتارة في أقطار .

حتى وحدة الموضوع يخرج عليها تارة أخرى في استطراداته ، أو يجمع موضوعين ، مطابقين ، في مسرحية واحدة : مأساة ومسلاة ، يأخذ هذه من مصدر وهذه من مصدر آخر ، ويزاوج بينهما ، ويزاوج بين الدموع والقهقهات .

الكياسة

وكان من قواعد الأدب التلادي الالتزام بفن الكياسة Decorum من نعومة التعبير وحشمته ولياقته وأناقته ، مع تجنب النشوز والعنف قولاً وعملاً على الخشبة حتى أنهم كانوا يتجنبون عرض مشاهد العراك بله القتل على النظارة فكان يدخل المسرح رسول يخبر



وليم شكسبير

الحاضرين بمقتل فلان . وما كان يندر أن يتكاثر الرسل على المسرح .

تقول شوت : « لاشيء أكثر نبواً في وجهة النظر هذه ــ أي الكياسة ــ من أن يتدنى مؤلف مسرحية إلى درجة منحطة من السوقية بحيث يظهر حركة بدنية عنيفة على المسرح . لهذا كان الكثير من الرسل يأتون بالأخبار عن أعمال القتل خارج المسرح حتى أن ناقداً حصيفاً فرنسياً كتب متمرداً : إنه لأليق كثيراً بفندق ذائع الصيت منه بمأساة ممتازة أن يرتادها جمع غفير من الرسل »(١) .

ونزل شكسبير إلى الميدان ليستعمل التعابير الناعمة والخشنة حسب مقتضى الحال ، ويعرض المبارزات بالسيوف والقتال والقتل ، ودخول من يخبر الحاضرين بمقتل ارشيدوق النمسا ، لا بالألفاظ وحدها ، لكن بجلب رأس القتيل يحمله القاتل بيده (الملك جون ٣/٢ : ٧) بل ان شكسبير الحنون في حياته طاوعه قلبه ــ القاسي في مسرحه ــ على أن يعرض للنظارة مصرع الصبي الأمير ، ادورد بن هنري السادس ، بتلك الوحشية التي رأينا (في المقال السابق : المعرفة في مسرح شكسبير) ، أمام عيني أمه ، بالإضافة إلى قتل الجمهور الشاعر (سينّا) Cinna ، أو تمزيقهم إياه على تعبيره في (يوليوس قيصر) (٣/٣ : ٣٠ ــ ٣٤) وما إلى ذلك .

صفوة القول أن شكسبير فتح في الخشبة كوة يطل منها المشاهد على دنيا الواقع والخرافة من الماضي والحاضر بخيورها وشرورها .

تحــرره

كان شكسبير الشاب يشعر أن في صدره أشياءاً أكثر وأكبر من أن تتسع لها تلك القيود التي لم تدربه عليها المدارس منذ نعومة الأظفار . أشياء خطيرة مثيرة ثائرة تريد الخروج إلى الفضاء اللانهائي للتحليق والتجواب ولرؤية العالم كما هو لا كما يبدو من خلال الحجاب الذي يتبرقع به الأدب التلادي . وإنها لجرأة .

أعلن السفور الفني ، ليرى الدنيا وتراه الدنيا .. فكان وحده الذي فهم الناس وفهمه الناس .

ولعل شيئاً من الفضل في هذا ، أو ربما كان أكبر الفضل في هذا يرجع الى عدم تعلمه في مدارس وجامعات أصولية على أيدي معلمين تلاديين جامدين كغيره من أغلب المؤلفين المسرحيين ، وإنما كان تعلمه غير ممنهج ولا إلزامي . حراً ذاتياً اختيارياً قد نجا من التربية المدرسية فلم يروض التقليد نزواته العقلية أو يطوع مفاهيمه الذوقية كما تراض وتطوع وحوش الغابة في الأقفاص .

رداءة المسرحيات الناجحة

« كان جونسن يأخذ بالعقيدة التي يتمسك بها كل علماء زمانه الذين آمنوا بأن أي شيء يحبه جمهور الدانق(٣) عديم القيمة بالبداهة »(١) .

وعندما « أخفق إخراج مسرحية (جون وبستر) J. Webster اللامعة : (الشيطان الأبيض)(٤) أنحى باللائمة على فقدان « نظارة راشدين فاهمين » . لم يكن (وبستر) يرتاح إلى جو المسارح الشعبية ، وكان يشكو أنه إذا كتب أروع مأساة تخيلها العقل قط « مراعياً جميع القوانين النقدية » فهي مع هذا عرضة للدمار إذا هي مثلت أمام جمهور عام . « إن النفس المنبعث من الدهماء المتخلفين قادر على أن يسممها »(١) .

وهكذا كان اجتذاب مسرحيات شكسبير جمهوراً غفيراً من المشاهدين أحد الأدلة عند النظريين من المسرحيين على رداءتها .

أما الذين كانوا يقدرون شكسبير من معاصريه إضافة إلى عامة الجمهور فهم المتحررون من الأدباء ، وهم بوجه عام من غير المسرحيين المدربة عقولهم وأذواقهم على الفن التقليدي ، أو التقليد الفني .

إن العلاقة بين جودة المسرحية وبين نجاحها أو إخفاقها عند الجمهور موضوع من التعقيد بحيث لايمكن البت فيه في تقييم عابر ، وإنما يحتاج شرحه إلى تبسط واستعراض لمختلف وجوهه . لكن يجدر بنا القول هنا بايجاز إن شكسبير أيضاً كان يشكو قصور العامة عن إدراك أسرار الفن الرفيع .

وتكمن براعته في تقديم فنه الرفيع ، الأرفع ، بحيث يسيغونه ويشتهونه . وله في هذا الشأن وغيره من شؤون المسرح تمثيلاً وتأليفاً أقوال وشذرات متفرقات في بعض المسرحيات ، منها مثلاً قول هاملت :

« ... المسرحية التي أذكرها لم ترق للملايين . لقد كانت كالكافيار للعوام . غير أنها كانت في رأيي مسرحية رائعة ، حسنة التنسيق في المشاهد ، فيها اعتدال بقدر مافيها من براعة . وأذكر أن أحدهم قال : ليس في أبياتها من التوابل مايجعل مضمونها حريف المذاق ، ولا في عباراتها مايدفعنا إلى اتهام المؤلف بالحذلقة ، فهي في أسلوبها الأمين نقية عذبة ، جميلة دون تبرج »(٥) .

شكسبير مع الجمهور

كثيراً مايعزو الشراح تفهم شكسبير لروح الجمهور ونزعاته إلى كونه ممثلاً .

تقول (شوت) : « إن الفرق الجسيم بين وجهة نظر شكسبير إلى النظارة ووجهة نظر

الفن
في مسرح شكسبير

كتاب مثل (جونسن) أو (وبستر) أو (فليجر) Fletcher جاء من أن شكسبير لم يكن كاتباً فقط. لقد كان ممثلا كذلك وفي تماس مستمر مع الجمهور وفي تشابك وثيق مع الحياة الاقتصادية لشركته »(١).

لكن هذا كان كذلك شأن بن جونسن الذي بدأ حياته المسرحية ممثلاً قبل أن يهجر التمثيل تفرغاً للتأليف. مع هذا كان هو وأمثاله مقيدين بالقواعد وسيطرة التعليم النظامي.

وأراني أعزو الفضل في تفوق شكسبير الى ثلاث خصال، ثانيها تعليمه اللاأصولي، وثالثها تحرره من القواعد، وأولها وقبل كل شيء عبقريته الفطرية.

لست أريد الى إنكار أهمية ممارسته التمثيل في تفهم النظارة على اختلاف طبقاتهم. ومن المعقول أن يعزو الباحثون (بعض) جوانب التفوق لدى العظماء الى (بعض) الظروف أو نوع المدرسة أو التربية البيتية أو مزاولة التمثيل لكن الى حد محدود، فإن الألوف تخرجوا في تلك المدرسة وتربوا مثل تلك التربية ولم ينبغوا ذلك النبوغ.

وكم من بيت واحد أنجب مصلحاً عظيماً ومجرماً خطيراً معا.

العبقرية موهبة، أما التربية وظروف البيئة فوظيفتهما تعهد تلك الموهبة وصقلها، لا خلقها.

مهما بلغت المسرحية من جودة التأليف وروعته فهي فاشلة أمام الجمهور إذا لم يكن له فيها نصيب. وإنما نجحت مسرحيات شكسبير دائماً لأن فيها دائماً مايستهوي الشعبيين من الناس.

فن شكسبير ظاهرة خاصة. كان يجتذب العامة كالخاصة. وان المرء ليستغرب إعجاب العامة به. ماالذي يفهمونه من ذلك الفن السامي؟

إنه هو الذي كان يفهمهم أولاً فيودع مسرحياته مايروقهم ولاسيما أولئك الذين لم يسمعوا بالوحدات الثلاث ولا يحاسبونه عليها وعلى غيرها من قوانين الفن التلادي، ولم يتعلموا التمييز بين الألفاظ المرفوضة والمقبولة لدى أساطين الفن. كل الألفاظ المعبرة عن أفكارهم وأحاسيسهم مقبولة ومرحب بها.

وكان شكسبير يمطرهم بوابل منها في كل مسرحية تقريبا.

إنه أعجب العامة على الرغم من تحليقه الفكري فوق مدى إدراكهم وأعجب الكثيرين من الخاصة مع خرقه لقواعدهم.

الخاصة أحبوا الأفكار والإبداع الفني، والعامة أعجبهم فهم اللغة وفهم مشاعر أنفسهم والاستمتاع بحرية الحركة والتصرف على الخشبة.

كان يكتب لطبقتين من النظارة في وقت واحد. نستثني من الخاصة طبعاً أولئك الأدباء المتعصبين. وبعضهم كان ولابد يصطرع في وجداناتهم حب القواعد التلادية التي نشأوا عليها من جهة والاعجاب بفن شكسبير الجديد الذي يفرض نفسه على نفوسهم من جهة أخرى وفي مقدمة هؤلاء فيما يظهر بن جونسن الذي ناهض شكسبير زمناً ورفع الراية البيضاء أخيراً.

كان شكسبير يكتب مايراه مقبولاً أو مستحسنا عند المستمعين من التحليات الذوقية والملاحظات النفسانية، ومنها النكات اللفظية والتوريات التي يشغف بها الجمهور، مع المماحكات والمبارزات الكلامية تفصح أحيانا عن ذكاء المتحاورين وتطيب للنظارة كأنها الأحاجي تتحداهم أن يحزروها. وكل أولئك كان مألوفاً قبل شكسبير فجاراه هو كرامة لخاطر الشباك.

لكن يخيل لي أنه كان هو أيضاً يستمتع بها ويطيب له التفنن في إظهار براعته في ممارستها.

أما النظريون فلم يكن يطربهم سوى تألق العبارة واقتباس التعابير التقليدية والقوالب البلاغية ـ كما لايزال يفعل بعض الكتاب ـ من تعابير أجيال غابرة يتفاصحون بها من الاغريقية واللاتينية غالبا، ملتزمين بمراعاة القواعد التي يقدرها ويهتز لها المثقفون التقليديون.. مثلما يقدر الجمهور العريض عدم التقيد بها. ولايهم شكسبير إذا تطلبت المقتضيات الدرامية أو آراؤه الخاصة أن يلتزم أو لا يلتزم بأي شيء.

حتى السحر والخرافات التي لايؤمن بها ويسخر منها أحياناً يعرضها كما يعرض الحقائق والبديهيات. التاريخ والخرافة عنده سيان. كلاهما مادة خامة يتصرف فيها كيف يشاء فنه، فيعرض الخرافة كأنها تاريخ ويحرف التاريخ كأنه خرافة. كل شيء في حسبانه كتلة من الطين الطري يصوغ منها التمثال الذي يروم.

عقـدة اللاجامعية

كان أي شخص في مكان شكسبير في ذلك الجو التقليدي خليقاً بأن يتمسك بالقواعد اللغوية والأساليب المسرحية المتبعة، متقيداً بالوقائع وأحداث التاريخ، بدلاً من هذه الفوضى التي حرر بها الفن وأثارت عملية سخط التلاديين ـ الفوضى الملائمة تماماً لكاتب تلقى تعلماً ذاتياً متسيباً غير أصولي ولا ممنهج، وبسرعة ولهوجة، والتهمت ذاكرة له عملاقة ماصادفها أثناء القراءات من معلومات شتى دون تمحيص صحيحها من معتلها.. بالإضافة الى ملاحظاته الشخصية وماتعلمه من تجارب الحياة ومعاشرة الناس.

لكن شكسبير واثق بنفسه وبصحة مذهبه في الفن فلم يتراجع أمام كثرة النقد. كان من الثقة بطريقته الشاردة عن خط سير القافلة بحيث تمادى فيها على الرغم من كل الانتقادات الموجهة إليه من كل جانب. وكان نعيهم عليه أنه ليس جامعياً وغير متعلم حرياً بأن يخلق له عقدة (اللاجامعية) ويلجئه الى مجاراتهم في طرائقهم ليبرهن لهم على أنه لايقل عنهم. لكن هذه العقدة كانت تعوزه.

هو الذي خلق لهم (عقدة الجامعية). أما العقدة التي تكونت فيه هو فهي (عقدة) الايمان بأن طريقته اللاجامعية واللاتلادية واللاأصولية هي المثلى. وكان نجاح مسرحياته يدعم اقتناعه هذا.

وهكذا انتصر فنه اللافني محلياً ثم عالمياً، وأصبح هو الفن الفني.

وأية كانت الحال فان عصره لم يكن بوجه عام يملك الفهم الصحيح لخفايا فنه وأسرار نبوغه، لكن عصرنا المسلح بالعلوم نفسانية ومجتمعية هو القادر المتمكن. ومن ثم فهو المعجب المتعجب. لكن شكسبير عرف متى يأتي الى هذا العالم. فلو قد ظهر في عصرنا لكانت مكتشفاته في القارة النفسية تبدو كأنها من حصيلة مطالعاته التي يشاركه فيها الناس ولايعود له فضل اكتشافها بموهبته بدلاً من دراسته التي قد يبزه فيها اليوم كثيرون من كتاب المسرح وغيرهم. وثانياً لأنه في عصرنا هذا العالم المتضلع من المعرفة ماكان ليجد من الجمهور من يملأ مسرحه من المشاهدين. في عصرنا قل من يكلف نفسه مشاهدة مسرحية شكسبيرية على هذا المستوى العالي والغوص على المعاني والخلجات.

من العجيب أنه استطاع في عصره شبه الجاهل ذاك إمرار مسرحياته العالية الذكية تلك التي كتبت لعصرنا ومابعده من عصور. وما أحسب إقبالهم عليها ذلك الإقبال إلا لقلة وسائل اللهو والترفية عندهم فلا تسرقهم منه الشاشة البيضاء والشويشة (الشاشة الصغيرة)، إذن لانصرف الى المنافسة في كتابة المسلسلات الشويشية وقصص الأفلام التجارية منذ انحدرت الأفلام الثقافية الراقية بعد الحرب العالمية الثانية وانطمرت.

كان عليه في عصرنا أن ينازل المسلسلات التافهة لينافسها في التفاهة والسطحية لكيلا تطرده فى الميدان كما طردت الأفلام التجارية الرخيصة مسرحياته. قانون (كريشام) الاقتصادي يصدق على الفن أيضاً. فإن كانت العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق

● كيف استطاع شكسبير أن يفرض على اللغة الأدبية الإنجليزية كثيراً من الألفاظ المستهجنة ؟!

فإن المسرحيات الرديئة تطرد المسرحيات الجيدة من الساحة ولو لاعتبارات معاكسة(٦) .

وفن الابتذال والجنس شعراً وقصصاً ومسرحاً يعلو في زماننا ولايعلى عليه .

شهـــــرته

ان اشادة بن جونسن بشكسبير وإطراء (ميرس) Meres و (كامدن) Camden .. وهجوم (كرين) Greene(١٠) ، وطلاب كمبرج القائلين ولو تهكماً ان شكسبير أقدر على إنتاج المسرحية من الجامعيين ... كل أولئك ينبيء أنه كان أشهر بكثير مما وصلنا عنه من المدونات المعاصرة له .

ناهيك من شهرته لدى جمهور النظارة بمختلف طبقاته . وهجوم (كرين) على الأخص ـ في ١٥٩٢ ـ يفصح عن شهرة مبكرة لشكسبير الذي كان عامذاك في الثامنة والعشرين وحسب ، ولم يكن قد أنتج من مسرحياته إلا القليل .

مـع قـلـقـمـيش

قلنا في كتابنا « هو الذي رأى » ان (ملحمة قلقميش) دبجها على ألواح الطين قبل أربعة آلاف عام قلم عبقري مجهول « لم يتغذ بتراث كبير سابق من الملاحم يرسم له ملامح الفن الصحيح »(٧) .. ويكون له قدوة ، « لكنه اكتشف هو في الملحمة أصالة نفسه وكان قدوة نفسه ، فأخذ بزمام الكلمة البابلية »(٨) .. ان الملحمة « فوق المقاييس لأنها ولدت قبل المقاييس . هي التي وضعت لأول مرة مقاييس هندسة القصة الفلسفية واستنت لها نهجاً وعينت لها أوجاً .. لكنه أوج لم تدركه أية ملحمة أخرى »(٩) .

مثل هذا يمكن أن يقال في شكسبير الذي استن قوانين نفسه ولم يدرك شأوه أحد . ولئن كان قد تغذى بتراث سابق في المسرحيات فإنما هو التراث التلادي البالي المقيد الذي لم يستسغه مزاجه الحر الجموح فمجه ، واكتشف في مسرحياته أصالة نفسه ، وأخذ بزمام المسرحية الانكليزية ، بل العالمية . ولم يجد حوله قدوة يحتذيها سوى محاولات قليلة للتجديد الحذر . كان هو قدوة نفسه وقدوة العالم ، مثلما أصبحت الملحمة البابلية قدوة الملاحم العالمية وأشهرها الإلياذة الهوميروسية ، كما يرى الباحثون .

العلـــم والفـــن

قرأت في عهد الحداثة لقاص لا أذكر اسمه ـ لعله فرنسي ـ أن نزلاً في قرية كان النزلاء يجتمعون فيه كل يوم على رجل يقص عليهم مشاهداته ومغامراته في افريقيا فيخلب ألبابهم بطلاوة حديثه وعجائب مروياته عن زنوج القارة وغاباتها وضواريها وقرودها . وأقبل ذات يوم رجل ماكاد يسمع بعض الحديث حتى اعترض على المتحدث مقراً أن الأمور لم تكن كذلك . كلها غلط في غلط . وبعد أخذ ورد بين الرجلين تبين أن القاص لا يعرف افريقيا ولا هو رآها أصلاً ، وأن القادم الجديد هو الذي عرفها وعاش فيها عشرات السنين وساح في أرجائها وشاهد الكثير من مدنها وغاباتها .. وأخذ هو مكان القاص الدعي فجعل يحدثهم حديث حقيقة لاخيال . لكن أين تلك الطلاوة وذلك النسق العالي من اللفظ المتألق والبيان العذب المتدفق والأحداث المثيرة الشائقة ؟ لقد ذهب كل أولئك مع القاص الذاهب . وجاء حديث الخلف الجديد ، العارف ، واقعياً صحيحاً لكن جامداً مملا . فتفرق المستمعون وانفض ذلك المجلس الممتع الذي كان يحتضن شملهم ويبهجهم كل يوم .

لم يكن السحر في افريقيا .. بل في فن الكلام عن افريقيا .

كان السائح الزائف هو الحقيقي والحقيقي هو الزائف .

مسرحيات شكسبير لاتكمن روعتها في أحداث الحكاية التي تدور عليها صادقة كانت أم كاذبة ، فالحكايات والتواريخ كثيرة مبذولة على قارعة الطريق . على تعبير أسلافنا . لكن صياغتها بقلمه العبقري هي التي كتبت لها الخلود . وما أكثر ما اندثر منها لمجرد أن قلمه لم يجد عليها بلمسته السحرية .

فذلك شأن (فن) شكسبير و (علم) الدارسين المدققين ، الذين يمثلهم ولنقل : بن جونسن الذي كان فعلاً أعلم الكتاب المسرحيين غير منازع . شكسبير الذي يتحدث عن كل شيء حتى مالم يعرفه ولم يره ، خيراً مما تحدث به عنه من رأوا وعرفوا .. وبن جونسن الخبير بجغرافية بوهيميا ، والذي لايكتب إلا بعد درس ومراجعة مصادر ونصوص لينشيء شخصيات جامدة ، تتكلم وتتحرك لكن كما تفعل الدمى . تحاكي البشر وماهي بالبشر .

كان شكسبير يخضع علمه لفنه ، وبن جونسن يخضع فنه لعلمه .

والنتيجة قالها (ديكز) Digges في قصيدته (المنشورة في مجموعة القصائد لسنة ١٦٤٠) : « ان كل واحد من شخوص شكسبير : فولستاف Falstaf ، أو ياكو Iagq ، أو ملفوليو Malvqliq ، أو بياتريس Biatrice ـ جلب من النقود لشركة (خدام الملك) أكثر من أية واحدة من المسرحيات التي كتبها لهم جونسن »(١) .

ولئن كان معيار (ديكز) هذا مادياً صيرفياً فانه لتعبير فصيح عن مدى تجاوب وجدان الجمهور اللندني مع شخصيات شكسبير الحية حين يراها تعيش على الخشبة ، خلافاً لمسرح دمى بن جونسن .

فأين يقع فن جونسن العلمي فى علم شكسبير الفني ؟

ان التحدث عن فن شكسبير يفتح أمامنا أفقاً شاسعاً لايمكن استيعابه إلا باستعراض كل مسرحياته أو الكثير منها ، لانه لم ينتهج فيها كلها فناً واحداً ، بل ان له في بعضها أساليب مبتكرة لاتوجد في الأخريات ، مما أوحته إليه حكاية الحبكة وأحداثها بالإضافة الى تجاربه السابقة في التأليف ، ومناظراته الشفهية مع مناوئيه ومؤيديه ، وحسبنا أن نجتزيء بالإشارة إلى : مكبث ، وهاملت ، والملك لير ، والعاصفة . وسنتوفر على دراسة مسرحية واحدة هي (يوليوس قيصر) التي عرض فيها ضرباً من الدهاء الفني خاصاً لاضريب له في مسرحياته ولامسرحيات سواه ، ولم يفهمه النقاد حتى اليوم ..

عبدالحق فاضل

هوامش :

١ ـ Marchette Chute, Shakespeare of London.

٢ ـ The Comedy of Errors

٣ ـ كان الدانق أصغر عملة في العهد العباسي ، نستعمله بمعنى (البنس) Penny وهو أصغر عملة انكليزية . والمقصود بجمهور الدانق : النظارة الذين يشاهدون المسرحيات وقوفاً على الأقدام بأجرة زهيدة لعجزهم عن أداء اجرة المقاعد .

٤ ـ The White Devil

٥ ـ هاملت ـ ص ٧٣،٧٢ . (ترجمة جبرا (ابراهيم جبرا) .

٦ ـ قانون كريشام Gresham's Law وانما يكون طرد العملة الجيدة من السوق لاحتفاظ الناس بها وبذل العملة الرديئة في الشراء وتسديد الدين تخلصاً منها ، فتقل العملة الجيدة في السوق وكأنما طردتها الرديئة .

٧ ـ كتابنا (هو الذي رأى) « ملحمة قلقميش » (ص ٣٠) .

٨ ـ نفسه (ص ١٧١) .

٩ ـ نفسه (ص ١٧٠) .

١٠ ـ سبق التحدث عن هجوم (كرين) على شكسبير ، في عدد تشرين الثاني (نوفمبر) الفارط .

رسالة القاهرة تكتبها : سارة

مازال الحوار ساخناً حول :

أزمة المسرح العربي

● شهادات جديدة يقدمها من الفنانين :

محسنة توفيق وأحمد ماهر

● ومن النقاد :

فؤاد دوّارة وجلال العشري وفاروق عبد القادر وسامي خشبة

نشرت الدوحة فى عدد ديسمبر ١٩٨٥ وعدد يناير ١٩٨٦ وعدد مارس ١٩٨٦ ثلاث حلقات من هذا التحقيق الواسع عن أزمة المسرح العربى ، كما تبدو هذه الأزمة في مواقع الساحة المسرحية العربية فى مصر ، وهذه هى الحلقة الرابعة والأخيرة من هذا التحقيق الفنى الواسع ، وفى هذه الحلقة نستمع إلى شهادة الفنانة الكبيرة محسنة توفيق والفنان الجديد الصاعد أحمد ماهر كما نستمع إلى شهادة عدد من نقاد المسرح المعروفين : فؤاد دواره وفاروق عبد القادر وسامى خشبة وجلال العشرى .



محسنة توفيق

لقد ظهرنا كنجوم فى الستينات بسهولة وترف وعندما جاءت السبعينات عجزنا عن الصراع والمقاومة .

فى السبعينات جاء الانهيار الفنى الشامل وقد نجوت من آثاره المدمرة لأننى كنت أتوقعه .

■ أرفض بحزم أى اتهام للجمهور بالانحدار والتخلف ، فالجمهور بوعيه وأصالته هو موطن القوة فى حياتنا المسرحية ولقد انتصرت مسرحية « منين أجيب ناس » .. بالناس .

■ كان بعض وزراء الثقافة يقولون للفنانين الجادين : « بلاش تنكدوا على الناس .. فالمسرح مهمته الاضحاك والتسلية » .

■ أنا لست من هواة البكاء على الأطلال فهذا موقف خاطىء وفاسد تماما .

■ الصمت جريمة .. البكاء على الأطلال جريمة .. وكل الفنانين مسؤولون عن الوضع الراهن للمسرح .

■ موقف طبيعي وإنساني أن يحرص الفنان على رزقه .. ومن غير الانساني أن نطالبه بعكس ذلك .

■ مات ميخائيل رومان ونجيب سرور وهما أحياء .. والحقيقة أنهما قتلا بالإهمال والحرب النفسية والفنية .

■ عندنا مسرحي عظيم لا يمكن تجاهله هو سعد الله ونوس .

■ المسرح الشعبي الفقير .. هذا هو تصورى لمسرح المستقبل .

• الستينات هي البداية الجادة والمهمة للمسرح المصري ، التي عرفت الناس به وشدتهم إليه ، وكان من الطبيعى أن تكون بدايتي مرتبطة بازدهاره في تلك المرحلة عندما تبنته الدولة ، ورفع شعار الفن للجماهير والذي أدى إلى خلق القطاع العام الذي قدم الفن الحقيقي للبسطاء وليس للموسرين فقط ، ولذلك لم يكن بالإمكان أن يسقط المسرح في تلك المرحلة أسيراً للموقف التجارى الذي يقدم للسادة ما يشتريه السادة .

• ازدهار المسرح فى الستينات مرتبط بثورة ٢٣ يوليو ، فترة الأحلام الكبرى ، وكما قلت فترة التبنى الفوقي للمسرح ، ولكن كان تبنياً يشوبه الكثير من التحفظات ، وأنا أزعم أننا اليوم أكثر حرية لسبب بسيط جدا ، وهو أنه مادامت قد سلبت منا أشياء كبيرة فيجب أن تترك لنا بالمقابل أشياء أخرى لكي لا يهدد الموقف بانفجار مروع ، في الستينات كنا نتكلم ولكن كان كلاماً محجماً ، وكنا نقدم أعمالا لها مغزى اجتماعى مثل « الانسان الطيب » ودائرة الطباشير القوقازية ، ولكن كان من المستحيل تقديم عمل مسرحي نقدي مصري عن مصر المعاصره بعد الثورة ، وما أفلت من أعمال أفلت في فوران ما بعد النكسة مثل « انت اللي قتلت الوحش » هذا التحجيم الفوقي والرقابى وتحديد المقاسات في الفن كان خطراً على الفن ، وهو بذلك لم يترك في الستينات فرسانا تحارب فى السبعينات ، لقد ظهرنا نحن على موجة ثورية ، نجوماً شرعيين ومشهورين ومرتاحين ، وعندما وضعنا في محك السبعينات عجزنا ، لأننا لم ننبت في تربة خشنة ، كان ظهورنا محصلة مقاومة نئ ، ولم يكن محصلة صراع للوجود ، لقد ظهرنا نجوماً بسهولة وبترف وبالتالي كنا ظاهرة ينقصها العمق والأصالة والصلابة ، فسقطنا فى السبعينات ، ولكن لأن الواقع غنى بتغيراته فلم يكن ذلك يعنى نهاية المطاف ، لأن الواقع كان يغلي وينضج وينضجنا معه فنانين وجماهير ، وقد أفلت أنا من هذا الإنهيار الشامل لأنني كنت واحدة من الذين عاشوا الستينات وهم خائفين وقلقين ومتوجسين ، فالسقوط كان بالنسبة لي « تحصيل حاصل » :

• أغزر سنوات عطائي المسرحى تركزت ما بين عامى ٦٢/٦٧ والتي بدأتها بـ « مأساة جميلة » ثم توقفت من ٧٢ حتى آخر ٧٨ ، وهذا التوقف كان خاصاً بوضعي أنا ، فقد عزلت سياسياً وانتدبت للعمل في هيئة الاستعلامات ، وعلى الرغم من أن قرار العزل السياسى استمر عاماً واحداً فقط إلا أنه ألقى بظلاله على بقية السنوات التي ظللت فيها بعيدة عن المسرح .

• ولكني أعتبر الفترة الممتده من ٧٩ وحتى اليوم هي أخصب سنوات عمري المسرحية على الرغم من تقديمى خلال هذه الفترة ثلاث مسرحيات فقط ، ولكنها الأخصب نضجاً واكتمالاً لأن فيها عمق التجارب الطويلة ومرارة المعاناة الطويلة ، هذا الإكتشاف أدركته وأنا أقدم أولى مسرحياتي بعد الغياب « دماء على ملابس السهرة » ، اكتشفت أنه وإن كنا عشنا سنين مريرة وانحداراً فقد صقلتنا مرارة التجربة وزادتنا وعياً وصلابة ، واكتشفت أن العمل الفنى الحقيقى الأصيل يستقطب كل ما هو مستتر تحت السطح من نضج لدى الجماهير وعمق وخبره ، وبالمقابل فإن العمل الهابط يستقطب العفن ويسهل ظهوره وإنتشاره على السطح ، وهذه التجربة الفريدة تكررت في مسرحيتى الأخيرة « منين أجيب ناس » ومن هنا فإنني أرفض وبحزم اتهام الجمهور بانحدار وعيه ؛ فالجمهور بوعيه وأصالته هو موطن القوة فى حياتنا المسرحية ، لقد انتصرت « منين أجيب ناس » بالناس .

• أزمة المسرح فى السبعينات كانت كامنة — كما قلت — في شكل ازدهار المسرح في الستينات ، وبدأت ملامح هذه الأزمة تتضح مع محاولة تحجيم دور المسرح وتغيير مهمته بالتدريج بعد عام من النكسة وبإبعاد أسماء كان لها دورها الفني الكبير فى الستينات كسعد أردش وكرم مطاوع فهاجر من هاجر وصمت من صمت ، وان الخطوة التالية هى التخلى التدريجى غير المرئى عن رسالة مسرح القطاع العام ، لقد جاءنا وزراء ثقافة ليقولوا لنا « بلاش تنكدوا على الناس » وإن المسرح مهمته إضحاك الناس وتسليتهم ، وبدأت مرحلة المقارنة بين خسائر ومكاسب القطاعين التجارى والعام ، ومع ذلك فإن المسرح تخلى عن مهمته فوقياً ولكن في القاعدة الجماهيرية كان كل شيء ينمو وينضج ، فما أن تظهر قيمة على المسرح حتى يتدافع الناس لرؤيتها .

• أنا لست من هواة البكاء على الأطلال ، فهذا موقف فاسد وخاطىء ، فإن تخلي القطاع

أزمة المسرح العربي



العام عن رسالته كتخطيط وكاهتمام مركز لا يعني أن تتبعثر الجهود وأن تسقط كل أشكال الابداع والعطاء، ونسلم بالهزيمة ونتبرأ من ظاهرة إنحدار المسرح، لا يعني أنني لست وزيراً للثقافة ولا رئيساً لهيئة المسرح أن أعفى من المسؤولية، على الفنان الأصيل أن يسعى للبحث عن صيغ جديدة وبديلة لأننا جميعاً مسئولون ومدانون ومشاركون، الصمت جريمة، والبكاء على الأطلال جريمة، هل ازدهر الفن في كل بلاد العالم وفى كل المراحل لأنه كان هناك قطاع عام تبناه، أم أن هناك بدائل يجب اكتشافها ؟! . الأزمة هى : كيف يجتمع أصحاب الهموم المشتركة والطموحات المشتركة العاشقون لفنهم، الواعون لدور المسرح ؟

• المواهب التمثيلية في مصر «تَسْدُّعَيْنَ الشمس»، والمشكلة هي كيف نثير في هذا الشباب المبدع الأمل في تجدد القيمة النبيلة والعظيمة لفكرة المسرح وأهدافه، ومن المحزن اتهام الممثل بأنه سبب أزمة المسرح، فى ظل الأزمة الاقتصادية ومع صعوبة الحياة المتزايدة، ما الذي يغري الفنان الحقيقي بالتضحية بالنجاح والكسب إلا عمل مسرحي عظيم ؟.. موقف طبيعى وإنساني أن يحرص الفنان على رزقه ومن غير الانساني أن نطالبه بعكس ذلك، الدولة وضعت كادرا خاصا لأساتذة الجامعة والصحفيين، أقل الكوادر هو كادر الفنان، وهذا خلل فوقى وتجاهل لواقع الفنان، لذلك يبدو أمراً غير معقول أن نضع الفنان فى موقفين متناقضين إما أن يكون مفلساً وشحاتاً أو يكون ثرياً جدا وفى نفس الوقت لامعاً جداً، أية تضحية سخيفة نطالبه بها.

• يجب أن يعاد النظر في هيئة المسرح المزدحمة بإداريين ليست لهم علاقة بالفن، ويجب أن يتم توزيعهم على المصالح الحكومية، وأن نقوم بتصفية للممثلين ونوزع من لا يتمتعون بالكفاءة المطلوبة على المسارح المدرسية ليدربوا التلاميذ في كل مدارس مصر، ومن ناحية أخرى فأنا أراهن بأن هناك فنانين من الممكن أن يوافقوا على ربط الحزام من أجل عمل عظيم يعبر عن قيمة عظيمة يقدمونه على خشبة المسرح يمتزجون من خلاله بجمهورهم، وهذا هو تعويضهم الحقيقي والأصيل والباقي.

• هناك ندرة في النصوص الجيدة، ندرة فيما هو ضروري ومهم وعربى ومعاصر، وهناك أيضاً أزمة فى اختيار ما هو جيد، وأنا أزعم أن أثر مسرحيات ميخائيل رومان لم يظهر بعد، وأزعم أيضاً أن أعماله ستؤثر على المسرح العربى عاجلاً أو آجلاً، لقد عاصر ميخائيل بداية مرحلة الإنحدار والحجر الكامل والحرب النفسية والفنية، فكتب على مسرحياته الأخيرة أن لا ترى النور فتقتل وهو حي، وهذا ينطبق أيضاً على أعمال نجيب سرور التي تتميز بنفس جديد فى المسرح يتسم بروح الموال الشعبي وطعم ونبض الفلاح، لقد كان صادقاً وأصيلاً وقوياً، كما أن لدينا مسرحياً عظيماً لا يمكن تجاهله هو سعد الله ونوس.

• أنا لست منظرة، ولكني أعتقد أن خلاص المسرح فى المسرح الشعبي بما يستنبطه من أشكال بسيطة وجميلة وفقيرة، هذا هو تصوري لمسرح المستقبل، المسرح الشعبي، المسرح الفقير، المتحرر إقتصادياً وشكلياً من «العلبة الطليانى المقفولة» نستطيع أن نفعل ذلك بعد إستيعابنا وهضمنا لكل التطورات في مسارح العالم ولكن بإمكانياتنا وعبقريتنا الخاصة، المسرح الشعبي يلغي أزمة دور العرض ويفك الحصار عن المسرح ونستطيع أن نصل بهذا المسرح الفقير إلى خمسين مليون لن نستطيع أن نصل إليهم بالمسرح التكنولوجي.

• الكاتب المسرحي الجديد «اللي أنا فرحانه بيه» هو مؤلف «درب عسكر» محسن مصيلحى ومن المخرجين المبدعين منير مراد، عباس أحمد، أحمد عبد العزيز، عصام السيد، ومن الممثلين عبله كامل، ماجدة منير، حنان يوسف، تيسير فهمى، وكل مجاميع الشباب الذين اشتركوا في مسرحية «درب عسكر».

• المسرحية التي قدمتني لأول مرة كمحترف وفى دور البطولة هى مسرحية «هاملت» بالاشتراك مع محمد صبحى والتي قدمناها من خلال استديو الممثل على مسرح الجلاء، وكان ذلك في فترة الهمود المسرحي ما بعد النكسة، وقد لفتت الأنظار إلينا وبشدة مما دفع التليفزيون لتصويرها وعرضها، بعدها تتالت البطولات، منها على سبيل المثال : مولد الملك معروف، ليالي شهر زاد، روميو وجانيت، البنت اللي بتحلم، المخططين، حادث على الطريق السريع، عربة اسمها الرغبة، عرابى زعيم الفلاحين، مآذن المحروسة والتى مثلت المسرح المصري في مؤتمر الابداع العربي الأول والذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٢.

• البداية الحقيقية لوجود مسرح قوي في اعتقادى كانت مع إنشاء هيئة المسرح، مسرح يستند على أرضية صلبة، أرضية إنتاج تدعمه وتسانده، فالدولة لم تكن تسعى إلى الربح، بقدر ما كانت تسعى إلى مساندة وتطوير وإنعاش الحركة المسرحية، ومن هنا استمد المسرح قوته بعيدا عن موازين الكسب والخسارة، وبوجود هيئة المسرح بفرقها المسرحية بالإضافة إلى فرق التليفزيون التي أنشأها السيد بدير ازدهرت الحركة المسرحية فى الستينات، ولكني أعتقد أننا اليوم أحسن حالاً من تلك الفترة التي اتسمت بالمصادرات بدليل أن مسرحية يوسف إدريس «المخططين» والتي صودرت في الستينات استطعنا تقديمها عام ٨٣، وهذا مجرد مثال، وقد قدم مسرح الطليعة مؤخراً «الرجل الذى أكل وزة» وهي مسرحية مشحونة بالنقد الحاد، وهذا ما لم نكن نحلم بتقديمه فى تلك المرحلة.

• كانت صدمة النكسة المروعة سبباً في حالة الاحباط العام الذي دفع بالكثيرين

أحمد ماهر

- عندنا ثروة مسرحية نادرة ولكن أمامها عقبات فادحة .

- أصبح العمل فى المسرح خسارة جسيمة للفنان من الناحية الاقتصادية .. فهل هذا معقول ؟ ومن المسئول ؟

- لماذا لا يكون العاملون بالرقابة من الدارسين للفن والمهتمين به؟

- جمهور المسرح الهابط كبير جدا ، ولكن جمهور المسرح الجاد مازال موجودا ينتظر الفرصة .

- عندما قدمنا مسرحية « المخططين » كان الإقبال عليها كبيرا حتى من باعة حى « العتبة الخضراء » .

- النقد المسرحى عليل ومريض فقد هجر الساحة كبار النقاد والباقى الانطباعات .. وهناك استثناءات قليلة .

للهجرة والرحيل مما أدى إلى نضوب الحياة الفنية . ولكن ما ان استعادت مصر ثباتها حتى بدأت الطيور المهاجرة بالعودة لمباشرة أعمالهم وإنتاجهم ، وبدأت الحياة الفنية بالانتعاش خاصة مع ظهور جيل جديد مبدع من الفنانين والمخرجين والكتاب ، بالإضافة إلى أن الأكاديمية لم تتوقف عن تغذية هذا الوسط بدم جديد يشارك مشاركة فعالة في مرحلة الانتعاش التي نعيشها اليوم وخاصة أننا لا نفتقر إطلاقاً لكل عناصر الحركة المسرحية الفعالة من ممثلين وكتاب ومخرجين ونقاد وفنيين ، بل إننا شديدو الثراء بهم ، ولكن هناك بعض العقبات التي تعترض الحركة المسرحية وتؤدي إلى عرقلتها ولو أزيلت هذه العقبات لبهرنا ثراء المسرح العربى فى مصر .

• لقد أصدر المؤتمر الذي عقده القائمون على الحركة المسرحية والفنية بدعوة من وزير الثقافة توصيات هامة لازالة هذه العقبات ولكن للأسف لم تتحول هذه التوصيات إلى قرارات قابلة للتنفيذ حتى اليوم ، وأهمها : إعادة النظر في مرتبات وحوافز الفنانين التي لا تتناسب مع ظروف الحياة الاقتصادية الصعبة ، والتي لا تتناسب أيضا مع ما يتقاضاه الفنان من شركات التليفزيون العربية والتليفزيون المصري ، بحيث أصبح العمل فى المسرح مصدراً لخسارة جسيمة وفادحة ، ومع ذلك فهناك الكثير من الفنانين الذين يقبلون بالخسارة من أجل فرصة مسرحية حقيقية من الممكن أن يقدم فيها بشكل جديد ويعاد إكتشافه بشكل جيد ، وإن تقاعس البعض عن المشاركة في الحياة المسرحية فهم معذورون لأنهم كبقية الفئات بل وأكثر مهمومون بالتزامات مالية تحتم الحياة الوفاء بها « المطلوب ببساطة إراحة الفنان مادياً لكي يعطي وينتج ، أما التوصية الثانية الهامة فهي أن يكون لكل بيت مسرحي استقلاله التام ادارياً ووظيفيا وفنياً وأن تحدد أهدافه وواجباته ، وهذه التوصية كان من الممكن أن تنقذنا من بيروقراطية عقيمة « تخلى الواحد يطق ويجيله سكر وضغط» وتدفعنا للإصطدام بمعوقات لا مبرر بها ، ولا أدري لماذا لا يكون أيضا جهاز الرقابة من داخل البيت المسرحي ، أو على الأقل لماذا لا يكون العاملون بالرقابة من الدارسين للفن والمهتمين به .

• وهنا قضية هامة وحيوية وهي أن تتبنى أجهزة الإعلام قضية تنوير المشاهد المصري وإرشاده للتوجه إلى صالات دور العرض الفنية الجادة ، لأنه في غياب هذه التوجيه فإن الجمهور مستسلم لسيطرة وإغراءات الإعلانات المنتشرة في الشوارع والتى تعلن عن استمرار بعض الأعمال للعام الثاني والثالث ، وهذا عنصر جذب خطير ، بالإضافة لقدرة القطاع الخاص على تكاليف الدعاية « والطنطنة والطبل » من خلال إعلانات مكثفة في التليفزيون والصحف ، في حين يعجز القطاع العام عن دفع هذه المصاريف الباهظة ، وتبنى أجهزة الاعلام لهذه القضية سيعمل على رفع مستوى التذوق الفني لدى الجمهور في نفس الوقت الذى سيقضى على كل ما هو هابط ومتدن .

• ومما ساعد على انتشار الأعمال المسرحية الهابطة ظهور فئة اجتماعية جديدة نتاج ظروف إقتصادية وسياسية فئة لا علاقة بها بالفن والثقافة ، وبظهور هذه الفئة وبوجود منتجين حريصين على إرضائها ظهرت أعمال استباحت قيمة المسرح .

• ومع ذلك يجب أن أعترف بأننا لم نفقد جمهورنا الحقيقي بظهور هذه الفئة وبإغراءات مسرح القطاع الخاص ، ودليلي قائم هنا فى مسرح الطليعة والذي يقع في مكان يجعل الوصول إليه نوعا من البطولة ، ومع ذلك استطعنا الحفاظ على جمهورنا الأصيل الذي يسعى إلينا مع كل عرض جديد وفي كل ليلة ، بل إن الأمر يصل إلى مشاهدة بعض الوجوه تتكرر أكثر من ليلة ، ولا أستطيع أن أنسى أيضا أنه أثناء تقديمي مسرحية يوسف إدريس « المخططين » وهي مسرحية بحاجة لنوعية خاصة من الجمهور وبحاجة إلى أن يعمل المشاهد ذهنه ليصل إلى الاسقاطات والمفاهيم التي يهدف إليها المؤلف ، فاجأني وأسعدني أن يكون بين الجمهور من يلبس الجلابية والعمه وأن أجد بينهم أيضاً بائعى ميدان « العتبة الخضراء » .

• مدة عرض المسرحية ليست مقياساً صحيحاً لنجاح أو فشل المسرحية ، فأعمال هيئة المسرح لا تخضع لجمهور ولا لشباك ، بل تخضع لخطة سنوية تعتمد فى أول كل موسم ، وكل عمل من أعمال هذه الخطة يجب أن يلتزم بمدة زمنية محددة لتتاح الفرصة لتقديم عرض آخر جديد .

• يجب أن لا نتجاهل دور مسارح الطليعة والمتجول والشباب التي تجوب الأقاليم لتقديم العروض المسرحية .

• النقد المسرحي عليل ومريض فقد هجر الساحة كبار النقاد ، وتحول النقد إلى مجرد انطباعات سريعة لا علاقة لها بخبرة أو دراسة ، ولكن هناك قلة نادرة ومميزة ممن يكتبون النقد الواعي الشريف وأذكر على سبيل المثال الناقد الكبير فؤاد دوارة ونبيل بدران وآمال بكير .

أزمة المسرح العربي

● فـــؤاد دوّارة



■ مأساة إيقاف مسرحية « مجنون ليلى » في ليلة العرض الأولى وأمام جمهور كان من بينه رئيس الوزراء لم يُعاقب عليها أحد حتى الآن .

« في مناسبة ثقافية جليلة لا تتكرر كثيراً ، كان من المفروض أن يسهم « المسرح القومي » في « مهرجان شوقي وحافظ » الذي نظمته وزارة الثقافة في أكتوبر ١٩٨٣ ، بمسرحية « مجنون ليلى » لأحمد شوقي ، واستغرق الإعداد لها عدة أشهر ، وحفلت الصحف بالأخبار والموضوعات المصورة والأحاديث والإعلانات حول هذا الحدث المسرحي الهام ، وفي ليلة الإفتتاح رفع الستار في الموعد المحدد أمام ضيوف المهرجان من مختلف الأقطار العربية ، وبحضور رئيس الوزراء وعدد غير قليل من الوزراء وكبار المسؤولين وجمهور غفير ، وبعد أقل من عشر دقائق إذ بالستار يسدل مرة أخرى بحجة عدم وصول المطرب الذي يضطلع ببطولة المسرحية ، وتتابعت التصريحات والتحقيقات ، وتم تبادل الإتهامات والتكذيبات ، وأسفر ذلك كله عن بيان أصدرته وزارة الثقافة قررت فيه أنه ظهر للجنة التحقيق « أن المسرحية لم تكن معدة إعداداً كاملاً للعرض في اليوم المحدد وفقاً لما كان مقرراً من قبل ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالألحان » !! .

العجيب أن أحد المسؤولين عن هذه الكارثة لم يعاقب ، أو حتى توجه إليه كلمة لوم ، والأعجب أن المسرحية التي بذلت فيها جهود كبيرة ، وأنفقت عليها أموال طائلة ، لم تستكمل بعد ذلك ، ولم تعرض حتى اليوم » .

« مجلة أدب ونقد يناير ١٩٨٤ »

● فـــاروق عبد القـــادر

■ ماذا يفعل كاتب مسرحي منصرف إلى القراءة والمتابعة والكتابة لا يعرف كيف يطرق أبواب المسؤولين ولا يعرف كيف يطارد المخرجين ، وغير مستعد لتقديم تنازلات لا تنتهي ؟ !

« الوجه الحقيقي للمسألة ، في تقديرنا ، هو : أن جهداً لا يبذل من أجل معرفة الأفضل من بين كتابات الكتاب الجدد ، ثم تقديمها في إطار لائق ، الأمر يسير على نحو آخر ، لن يتحمس مخرج كبير ــ أو حتى نصف كبير ــ لعمل مؤلف غير معروف ، ولن يصبح المؤلف معروفاً إلا إذا قدمت أعماله ، فكيف الخروج من هذه الدائرة اللعينة ، وماذا يفعل شاب منصرف إلى القراءة والمتابعة والكتابة ، لا يعرف طرق أبواب المسئولين ، ومطاردة المخرجين ، والاستعداد لتقديم تنازلات لا تنتهي ؟ رغم أن ظروف الإنتاج المسرحي في بلادنا كفيلة بأن تصرف الكتاب عن الكتابة « إذا كانت قد استطاعت أن تصرف الجمهور عن المسرح فما بالك بالكتاب ؟! » فإن عدداً من هؤلاء مازال يجتهد في أن يقدم أفضل ما لديه ، وإذا لم يبادر مسرح الدولة باحتضان أعمالهم ، فمآلهم أن يلوذوا بالصمت ، قانعين بالسخط واجترار المرارة » .

(مجلة الكرمل / العدد ١٤)



■ سـامي خشـبة

■ مجتمعنا لا يحمل المسدس للمسرح المشاغب والحمد لله .. ولكنه يحمل سلاحا أقوى هو اللامبالاة .

« إننا حينما نتحدث عن « أزمة المسرح » فإننا نتحدث في الحقيقة عن « المسرح المشاغب » الذي يكرهه المجتمع الذي يرغب في الاستقرار ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن مجتمعنا منذ أواخر الستينات قد شرع يرغب في الاستقرار ، وأنه لجأ – لا إلى المسدس مع المسرح المشاغب والحمد لله – وإنما لجأ إلى اللامبالاة ، وأضاف إليها تلك الموهبة الفريدة ، موهبة التظاهر بالإهتمام : من الذي ينكر أن إنفاق عدة ملايين على هدم وترميم المسرح القومي هو اهتمام بالمسرح « الجاد » (ولاحظ هنا استبدال صفة الجاد بصفة المشاغب) ومن نفس القبيل – قبيل اللامبالاة مع التظاهر بالإهتمام – كان انعقاد اللجان وفضها ، وكتابة تقارير ومناقشتها والتحول بكل الثقل في مرحلة سابقة إلى الإقتباسات والإعدادات اللطيفة والجادة ، مع الإصرار على تزويد « النظارة ، الذين قد يذهبون إلى المسرح بما يراد لهم أن يتفرجوا عليه وهم في بيوتهم عن طريق التليفزيون (من « إلا خمسة » حتى « مدرسة المشاغبين » ومالف لفهما) حتى حفظهما وحفظ « لفهما » كل النظارة المحتملين وغير المحتملين أيضاً ، ومن نفس القبيل أيضاً عقب تلك المرحلة الأولى ، كان « حبس » عدد من النصوص بعينها لمؤلفين بعينهم عن الناس على أساس اتهام سياسي شائع » .

(مجلة إبداع/ يولية ٨٥)



■ جـلال العشـري

■ كتابنا المسرحيون الكبار لم يتجاوزوا الجمهور المحدود إلى الجمهور العريض والكوميديا ، التجارية هوت إلى المرحلة « الريحانية » دون أن تتجاوزها إلى مرحلة أخرى أعمق وأبعد مدى .

« في تاريخنا الكوميدي لم تنعزل الكوميديا تماماً عن واقع المجتمع وقضايا الشعب ، بل استطاعت إلى حد كبير أن تكون وقوداً فنياً في معاركه ضد الاستغلال الإقطاعي والرأسمالي ، ضد الاحتلال بشتى صورة ، ولم ينقطع تيار المشاركة الكوميدية منذ النماذج الناضجة التي قدمها ابن دانيال حتى المحاولات الناجحة التي أقدم عليها يعقوب صنوع إلى أن جاء أبو الكوميديا الحديثة نجيب الريحاني ليقدم أكبر عدد من الكوميديات الشعبية ، التي تقوم أصلاً على النقد الأخلاقي واللذع الإجتماعي ، وتحاول أن تكشف عن عيوب المجتمع المصري فيما قبل الثورة ، ولكن كوميديا الريحاني بمقدار ما كان لها من تأثيرها الإيجابي في حركتنا المسرحية العامة كان لها أثرها السلبي على ما تلاها من مراحل ، فهو بعدم قدرته على كتابة مسرحيات مبتكرة واعتماده على التمصير عن مسرح البوليفار الفرنسي ، ووقوفه عند عتبة النقد الإجتماعي دون أن يصعد إلى سطح الموقف ترك بصماته على كل من جاءوا بعده ، بمواهب أقل وقصور أكبر ، مما أدى إلى ظهور موجة المسرح التجاري التي تغرق مسرحنا الكوميدي حتى الآن ، وكنا نتوقع للحركة الكوميدية في المسرح بعد وفاة الريحاني أن تتجاوز هذه « المرحلة الريحانية » إلى مرحلة أخرى يتم فيها الجمع بين الأصالة والمعاصرة خروجاً بفننا الكوميدي من نطاق التقليد إلى آفاق التجديد ، بحثاً عن المؤلف الكوميدي المصري الأصيل ، وتعرفاً على ملامح الكوميديا الشعبية ، ولكن الأصوات الكوميدية التي حاولت ذلك من أمثال : نعمان عاشور ، ولطفي الخولي ، ويوسف إدريس ، وألفريد فرج ، وعلي سالم ، لم تستطع أن تتجاوز الجمهور المحدود إلى الجمهور العريض ، أو أن تنتقل من كوميديا البورجوازيين إلى كوميديا الشعب ، ظلت مقصورة على مخاطبة الفئة دون الكل ، وعاد المسرح الكوميدي بوجهه التجاري ليهوى في المرحلة الريحانية دون أن يتجاوزها إلى مرحلة أخرى أعمق أثراً وأبعد مدى » .

(من كتابه مسرح أو لا مسرح)

رمسيس يونان : هو أحد العلامات الثقافية البارزة فى مصر.. خاصة خلال الفترة التى سبقت انتصاف القرن العشرين . والنظرة الشاملة لمراحل حياته وفنه تكشف عن اعتناقه لثلاثة من أهم مذاهب الفن والفكر التى ظهرت فى الغرب خلال القرن العشرين .. الأولى تبدأ من منطلق فكرى معقول وترتدى ثوب اللا معقول .. والثانية تعبر عن اللا معقول وتتخذ شكلا منطقيا مقبولا . أما الثالثة فهى تجمع بين اللامعقول فى الفكر والشكل معا .

المثقف المُتمَرِّد

رمسيس يونان

بقلم
صبحي الشاروني



الفنان رمسيس يونان .. وعلى اليسار إحدى لوحاته الفنية المبكرة

ولقد تبنى المفكر الفنان خلال مراحل تمرده المتتالية هذه المذاهب الثلاثة مطبقا أياها على فنه وحياته .. ففي بداية نشاطه الفنى والفكرى من عام ١٩٣٨ حتى ١٩٤٦ ، كان يتبنى الاتجاه « السيريالى » ويدافع عنه ويدعو له . و« السيريالية » ترتب العناصر والصور فى الرسم وفى الشعر ترتيبا لا معقولا ، لكى تصدم المشاهد وتفضح أعماق النفس الانسانية .. إنها تلجأ إلى تحطيم القوالب المتعارف عليها فى شكل الفن وتهاجم بشراسة الأساليب الأكاديمية والطبيعية من أجل تحقيق هدف اجتماعى فكرى له ركيزته العلمية فى نظريات علم النفس التحليلى .

وفى عام ١٩٤٧ بعد أن ترجم بعض أشعار الكاتب الفرنسى « ارتور رامبو » ومسرحية « كاليجولا » التى كتبها « ألبير كامى » ، كان ذلك ايذانا بتأثره بفلسفة « ألبير كامى » .. ان « كاليجولا » ذلك الامبراطور الرومانى المجنون قد اشتهر فى التاريخ بأنه عين حصانه « قنصلا » أى حاكما فى روما .. ويظل طوال المسرحية يبكى وينتحب لأنه حصل على كل شيء ولا يستطيع أن يحصل على القمر ! أما ارتور رامبو فقد اتجه الى الانتحار بمعناه الوجودى عندما تحول من شاعر الى تاجر رقيق .

لهذا يمكننا أن نسمى مرحلة السنوات العشر من حياة رمسيس يونان من ١٩٤٧ إلى ١٩٥٧ بالمرحلة الوجودية ، التى استسلم خلالها إلى نوع من الانتحار الوجودى ، أو على حد تعبير البير كامى « الحرية العقيمة » ، عندما هجر وطنه ونفى نفسه إلى باريس ، وتناقص بالتدريج نشاطه الفنى والفكرى حتى توقف تماما لعدة سنوات .

ولكنه بعد أن عاد إلى مصر عام ١٩٥٧ ، وعاد إلى ممارسة نشاطه الفنى والفكرى سيطر عليه اتجاه « العبث » أو « الأبسورد » ، وانشغل بالتعبير عن « اللامعنى » و« اللاجدوى » فى الحياة بأسلوب « اللامعقول » .. فصار فنانا تجريديا .

المرحلة السيريالية

ولد رمسيس يونان عام ١٩١٣ ، وعقب اتمام دراسته الثانوية التحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٢٩ (كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ــ حاليا) وكان غير قانع بما يتلقاه من دروس على أيدى أساتذته .. فكان يعلم نفسه بنفسه معتمدا على القراءة والتحصيل حتى أنه لم يكن يشاهد فى ذلك الوقت إلاّ وهو متأبط كتاباً أو أكثر .. وقد ساعده على ذلك معرفته باللغة الفرنسية التى فتحت له نافذة واسعة أطل منها على الثقافة الفرنسية وتابع من خلالها أحداث العالم وكل جديد فى الفكر والفن .

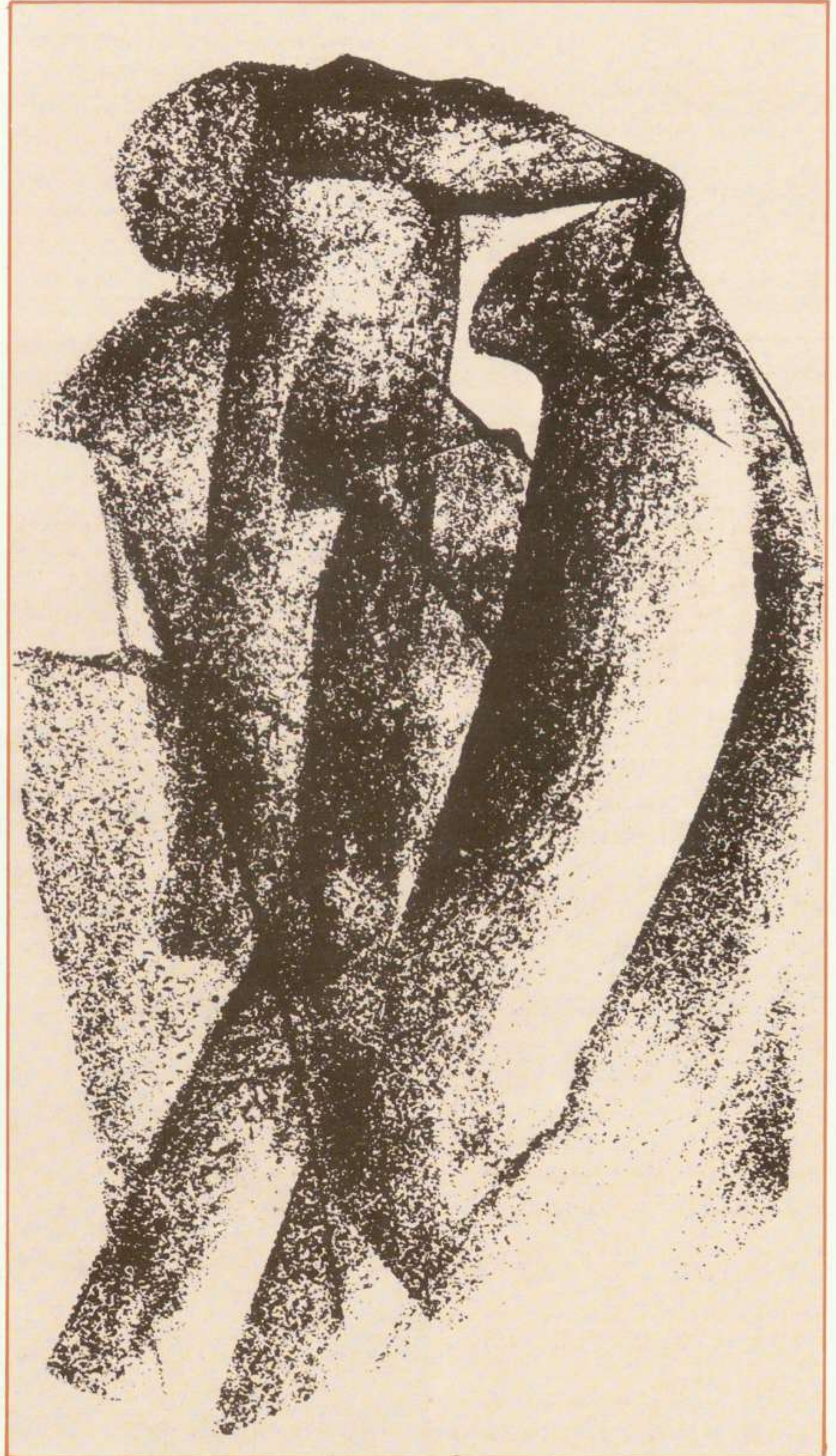
وكان من بين ما تعلمه رمسيس يونان من خلال ثقافته الذاتية .. « حرية التعبير» والتحرر من الأساليب الأكاديمية والنقل الحرفى عن الطبيعة فى الرسم والتصوير . ومن هنا بدأت روح « التمرد » على ما هو ثابت وتقليدى ، ليس فى هدى نظرية فلسفية « شمولية » تهدف إلى اعادة صياغة المجتمع ، وإنما بهدف ايقاظ ملكة الابتكار والتجديد عند الفرد الفنان ..

وأحس رمسيس يونان أنه أوسع ثقافة من أساتذته فى مدرسة الفنون الجميلة ، وأنه لا يستطيع أن يتعايش مع التعاليم المدرسية فى الفن ، فرفض الاتجاهات التى تحرص على محاكاة الواقع .. وبدأ معركته التى كرس لها بقية حياته محاربا الاتجاهات الكلاسيكية والواقعية ، وحتى « التأثرية » فى الفن .

وكان أول فعل تمرد « معروف » فى حياته هو هجرة الدراسة المنتظمة بمدرسة الفنون



المثقف المُتمَرِّد
رمسيس يونان



الجميلة عام ١٩٣٣ دون أن يحصل على شهادة اتمام الدراسة .. تركها مقررا أن يهب نفسه لحياة الفن والفكر بعيدا عن الأكاديمية .. منتهزا الاعلان الذى أذاعه المفكر الرائد « حبيب جورجى » عن عقد امتحان لاعطاء « الشهادة الأهلية » ــ أى التى تؤهل من يجتازها لتدريس الرسم بالمدارس المصرية فتقدم لهذا الامتحان والتحق بسلك التدريس ، وبدأت علاقته تتوطد من ذلك التاريخ بكل من اتجهوا إلى التمرد أو الثورة على الأوضاع الفنية والفكرية السائدة .

ويصف الدكتور لويس عوض حالة التمرد التى عاشها رمسيس يونان وزملاؤه فى تلك المرحلة بقوله : « المهم أن رمسيس يونان وجماعته لفقوا لأنفسهم عالما سحريا غريبا صادقا لأنهم كانوا صادقين . كانوا يقضون نهارهم مع مصر المملوكية ، فإذا جن الليل قضوها فى قصر النيل وسليمان باشا ، وهكذا جمعوا بين المشربية والستائر الفينيسية ، وبين قنديل الزيت وأنوار النيون والفلورسنت . وكانوا يمقتون طبقتهم البورجوازية التى تجردت من انطلاق الفقراء ومن الأغلال ذات الرنين الذهبى ، وارتدت أصفادا من تزمت الاخلاقيات الرخيصة التى ترد في النهاية إلى عبادة المال .

ولكن مما لاشك فيه أن الظروف التى مرت بها مصر واجتاحت العالم فى الثلاثينات كانت من العوامل التى جعلت ردود الفعل عند المثقفين تسير فى هذا الاتجاه .. الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٣٣) ، وانتشار الفاشية فى ايطاليا والنازية فى ألمانيا ، مع الهزيمة التى منيت بها الحركة الفكرية وحركة البحث العلمى فى مصر .

ورغم هذه الظروف وكرد فعل لها انطلق رمسيس يونان فى أواخر الثلاثينات ينادى بافكار فى الثقافة والفن لم يكن الجو الفكرى العام ممهدا لاستيعابها . وكانت حركة الفنون الجميلة قد استسلمت لحالة من الركود والتجمد ، بل والتكرار الممل لأسلوب واحد لم يتعد « الاكاديمية » أو « التأثرية » فى أحسن الأحوال .

كما انتكست الفنون الجميلة وخفت صوتها بوفاة المتحدث باسمها « محمود مختار » عام ١٩٣٤ ، بينما حزب الوفد خارج الحكم ، وهو الذى ارتبط به مختار بزعيمه سعد زغلول ، والذى خلده فى تمثالين

صرحيين بالقاهرة والاسكندرية . وبعد مختار توقف السياسيون عن مساندة الرسامين والنحاتين الموهوبين والمفكرين منهم لأن الفنان الجيد وقف دائما مع الأغلبية الشعبية ومع حرية الفكر ولم يظهر فى مصر فنان موهوب يتبنى أفكار الأقلية .

كل هذا جعل احتراف الفن ومهنة الفكر صعبة بل تكاد تكون مستحيلة ، فكان رمسيس يونان مضطرا إلى قبول العمل كمدرس للرسم فى طنطا ثم بور سعيد ثم الزقازيق .. ولكنه لم يستطع مواصلة حياته بغير تمرد جديد ، فاعتزل التدريس فى مدارس الحكومة ليتفرغ فى القاهرة للفن والفكر ولتغيير أفكار الناس من عام ١٩٤١ .

حزبان

مع بداية الثلاثينات ظهرت فى حركة الفنون الجميلة فرقتان ، بل حزبان احتدم بينهما صراع عنيف لا تزال رواسبه باقية حتى الأجيال الحالية من الفنانين .. فريق « الجيل الأول » أو « الرعيل الأول » أو « جيل الرواد » الذى درس وتخرج فى مدرسة الفنون الجميلة المصرية وكان يتزعمه « محمود مختار » (مؤسس جماعة الخيال) ومن هذا الجيل راغب عياد ويوسف كامل وأحمد صبرى ومحمد حسن .. وكان هذا الفريق يقف فى مواجهة فريق : خريجى « المعلمين العليا » الذى كان يتزعمه « حبيب جورجى » ويضم « يوسف العفيفى » و« حامد سعيد » و« شفيق رزق » و« حسين يوسف أمين » وغيرهم ..

وقد تميز الفريق الأول بممارسته الرسم وعدم إجادته الحديث عما يفعل ، فهو لا يصمد فى المناقشة النظرية ، ويتحصن فيما يحدثه انتاجه الفنى من أثر يتحقق خلال الاستقبال الحافل له من المشاهدين ، لما فيه من مهارة حرفية ، وبساطة فى الموضوعات والأشكال ، واخلاص فى النقل عن الواقع .. ولم يكن أفراد هذا الجيل يجيدون الحديث أو الكتابة عن الفن ودوافعه ، سوى محمود مختار ذى الثقافة الفرنسية ورائد هذا الفريق .

هذا فى حين تميز الفريق الثانى بالثقافة النظرية عن الفن وتربية التلاميذ والتثقيف بواسطة الفن .. وأقطاب هذا الفريق يرسمون قليلا ويتحدثون كثيرا ، وأعمالهم لا تصمد فى المنافسة الفنية عند الاحتكام للجماهير ، رغم تفوقهم الواضح فى المجادلات والمناقشات النظرية .

وكان خروج رمسيس يونان من « مدرسة الفنون الجميلة » متمردا عليها ، وهى التى تخرج فيها أقطاب الفريق الأول ، يضعه فى موقف المعارضة بالنسبة لهم ، فهو متمرد على الأسلوب الأكاديمى والأساتذة الأوروبيين ذوى الأفكار والأساليب التقليدية فى الفن .. ولكنه فى نفس الوقت لم يستطع الانضمام « بسهولة » إلى الفريق الثانى الذى كان يقتصر على تلامذة حبيب جورجى « التربويين » من خريجى « المعلمين العليا » .. فكان اختلاف مؤهلاته الدراسية عنهم يقف حاجزا بينه وبينهم .. ومع ذلك فقد استطاع رمسيس يونان أن ينضم إلى جماعة الدعاية الفنية عام ١٩٣٥ ، وهى الجماعة التى كان يرأسها حبيب جورجى ، الذى أعطى لرمسيس يونان « شهادة الأهلية » لتدريس الرسم .

● كان رائدًا شجاعًا أدرك ضرورة التمرّد على الأسلوب الأكاديمي والأساتذة الأوروبيّين

ورغم عدم اتفاقهما التام إلا أنهما أصدرا عام ١٩٣٨ ضمن مطبوعات جماعة الدعاية الفنية كتاب رمسيس يونان الأول « غاية الرسام العصرى » ، الذى كتب مقدمته حبيب جورجى وأعلن فيه عدم اتفاقه مع المؤلف فى الرأى ، ووصفه بأنه « عرض موجز ممتع لطائفة من أحدث الآراء وأكثرها جرأة فى الفن » .

فى نفس الفترة ظهرت جماعات أخرى مثل « المحاولون » وجماعة الفنانيين الشرقيين الجدد » ثم جماعة « الفن والحرية » التى استقطبت الجماعات الأخرى وكان مؤسسها هو الشاعر « جورج حنين » وكان أثر هذه الجماعات ضعيفا بسبب اهتمامها الرئيسى بنقل الفكر الغربى فى الأدب والفن والفلسفة نقلا حرفيا ، ولم تنجح فى اجتذاب المواهب الشابة والقاعدة المثقفة بسبب أسلوبها فى الأخذ عن الغرب بطريقة ميكانيكية ، من ناحية ، واستخدامها اللغة الفرنسية فى التخاطب والمحاضرات والندوات من ناحية أخرى ، ولم يتبلور فى ظلها أى شكل فنى محدد أو أية فلسفة واضحة متكاملة قبل أن يضع رمسيس يونان كل ثقله من أجل نجاح جماعة « الفن والحرية » باعتبارها الجناح الفكرى العلنى لجماعة « الخبز والحرية » السياسية والتى كان يتزعمها أنور كامل .

تمرد الثلاثينات

وقبل أن نتابع هذا المثقف المتمرد الذى كانت له بصمات واضحة على الحركة الثقافية والفنية فى مصر ، علينا أن نتوقف قليلا أمام كتابه الصغير الأول « غاية الرسام العصرى » الذى أصدره عام ١٩٣٨ . وظروف هذه البداية التى حولت مسار الحركة الفنية خلال أقل من عشر سنوات من الاتجاهات التقليدية إلى الاتجاهات الحديثة والمعاصرة .

كان هذا الكتاب يمثل بداية الانعطاف فى حركة الفنون الجميلة بمصر ، فرمسيس يونان كان من أوائل الذين أدركوا ضرورة إعادة النظر فى منجزات الرسامين السابقة ، فقدم وجهة نظر جديدة تعبر عن مفاهيم تختلف عن مفاهيم الطبقة المسيطرة فى ذلك التاريخ .. وقد تغاضى الاستعمار الانجليزى عن هذه الحركات لأنها رفعت شعار الوقوف فى وجه الفكر الفاشتي والنازى فى ميدان الأدب والفن .. كما ضمت عددا من الأجانب المقيمين فى مصر .

هؤلاء أدركوا ضرورة خلق فن جديد يجسد ملامح واقع المثقفين الجديد فى ظروف ما قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها .. ولكنهم كمتمردين انحسروا داخل نطاق « الانتلجنسيا » أو صفوة المثقفين ، ولم يلتزموا بثقافة الجماهير العريضة ، وظلوا كذلك حتى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية « جماعة الفن المصرى الحديث » التى التزمت بقضايا الجماعات الواسعة من الجماهير) .

فى هذا المناخ ، وفى غيبة ، أو طفولة ، الفكر العلمى المتقدم المتكامل ، أطلق رمسيس يونان كتابه غاية الرسام العصرى ، وراح هو وزملاؤه يدعون إلى التمرد على الجيل السابق الذى عجز عن التعبير عن أبعاد الواقع المتجدد وعن صراعاته العميقة التى تعتمل فى باطنه ، فقام مع زملائه بدور الموقظ والمنبه لقطاع من المجتمع آثر الراحة والدعة واجترار الماضى وهو يحلم بعودة الروح ، بينما كل شيء فى هذا الواقع يدور فى عكس اتجاه هذا الحلم .. ومن

المثقف المُتمرِّد

رمسيس يونان

هنا اتخذ التمرد شكل الهجوم على كل اتجاه في الفن يميل إلى الثبات ، أو يقنع بحدود جامدة ، أو يستقر على قواعد مدرسية نهائية ..

ويقول المرحوم « محمد شفيق » في وصفه لدوافع التمرد عند رمسيس يونان : « ان دور رمسيس يونان الحقيقي لا يقف عند حد الدعوة إلى اتجاه جديد في الفن ، بقدر ما يكمن أساسا في دعوته إلى فتح كل أبواب التجديد على مصاريعها ، وذلك دون أن يغفل لحظة أن هذه الأبواب المفتوحة ، لا تظل مفتوحة من تلقاء نفسها ، بل هي في حاجة مستمرة ودائمة إلى اعادة فتحها من جديد .. لذا لم تكن حياة رمسيس يونان كلها سوى سلسلة من التمردات المتعاقبة ضد ما هو تقليدي : ضد كل رؤية تتجمد ، وضد كل أسلوب في الفن يتجمد فيغدو طرازا محفوظا يظل يردد مظاهر تجربة تخطاها الواقع واستنفدت منذ زمن مغزاها الوجداني الأصيل . وقد تعددت معارك تمرداته ، وقد خاضها في ميادين مختلفة ، مستهدفا جبهات متكاثرة أمام تقدمه باستمرار ، حتى أصبح في مقدوره أن يقول مثل دون كيشوت : « راحتي معركة » . فقد كان يجد نفسه على الدوام ضمن « أولئك الذين حكمت عليهم الأقدار باليقظة الموحشة »[٣] .

غاية الرسام العصري

في هذا الكتاب حاول رمسيس يونان أن يقدم « إلمامة سريعة بالمشاكل المهمة التي واجهت الرسام العصري لبيان ما اتخذه من طرائق في علاجها وإلى أي حد نجح .. » على حد تعبير المفكر الرائد حبيب جورجي في تقديمه للكتاب .

إن « غاية الرسام العصري » هو أول كتاب في اللغة العربية يتعرض للاتجاهات التي ظهرت في الفن الغربي بعد المذهب التأثري وهو التكعيبية والوحشية والتعبيرية ثم السيريالية التي تحمس لها الكاتب واعتبرها نوعا من « الريالزم الذاتي » أي مذهب الحقيقة النفسية . وأعلن تعاطفه معها في قوله : « على أن هذه الطائفة من السيرياليين تبشر بالايناع والاثمار وانها من بين الطوائف السيريالية أكثرها أملا في المستقبل » .

وكان الهدف من هذا الكتاب هو الدعوة للارتباط بتيارات الفن الحديث تحت إلحاح فكرة أن هذه التيارات الحديثة هي ضرورة تفرضها روح العصر ، وتستوجبها ظروف تطور المجتمع في نفس الوقت ..

ويبدأ الكتاب بعرض مبسط لمذهبين من مذاهب الفنون الجميلة الحديثة هما المذهب « الوحشي » والمذهب « التكعيبي » — وكان يسميهما « الحوشية » و« المكعبية » — وذلك من خلال مناقشة الآراء التي نشرها الناقد والفنان الفرنسي « اوزانفان » في كتابه « الرسم العصري » .

ويعلن رمسيس يونان موقفه من هذه الآراء ، مبتدئاً بالاجابة على السؤال الذي طرحه « اوزانفان » حول حاجة حضارتنا الراهنة إلى الرسم ، وهي الحضارة التي تقوم على العقل وتسود فيها الآلات سيادة تامة . ثم توضيح أن المحور الذي تدور حوله هذه الآراء جميعا هو « الزعم الأول بأن الرسم العصري يجب أن يبتعد عن الحقائق » ..

وكانت اجابة رمسيس يونان تنبع من اعتقاده بأن العصر الحاضر في حاجة إلى قوى روحية جديدة ، باعتبار هذه القوى ضرورية من أجل تخفيف آلام البشر .. وهو يقول في اجابته على سؤال اوزانفان :

« لست أشك في أن الفن قوة كبيرة من بين هذه القوى . فإنه بوسائله السحرية في اختراع الرموز ، وقدرته العجيبة على ايجاد الحلول الخيالية (خيالية حقا ولكنها مقنعة للنفس) يستطيع أن يساعدنا جديا في تنظيم عواطفنا المضطربة ، وتحديد نزعاتنا ومواقفنا من مشاكل الحياة » (غاية الرسام العصري — صفحة ٤٩) .

وهو هنا يلقي على كاهل الفنان مهمة شاقة ، باعتباره مسئولا عن مواجهة العالم المعاصر المعقد ذي المشكلات المركبة والمربكة ، وكأننا في غابة اختلطت مسالكها وتعقدت شعابها .. ويرد هذا الارتباك إلى قصور في قدرة الانسان على التكيف مع الواقع الجديد ومع ظروف تطور العصر ، فقد تقدمت العلوم في العصر الحديث تقدما عظيما ، وتزيد المعارف الجديدة كل يوم بمعدلات هائلة ، لا يمكن أن يستوعبها فرد مهما أوتي من العبقرية ، ففقدت الانسانية إحدى مميزاتها وهي القدرة على التكيف المناسب ، وهو يعبر عن هذه الحالة في قوله :

« لقد فقدنا مقاييسنا البسيطة لقيم الأشياء ، في الوقت الذي لم نصل فيه إلى خلق مقاييس جديدة تحل محل القديمة ، وقد جاء ذلك نتيجة لكثرة الاستكشافات العلمية التي انهالت علينا ، وقد أدت هذه الاستكشافات العلمية إلى نشوء سلسلة طويلة من الظواهر : شيوع الآلات ، حروب الطبقات ، العمال العاطلون ، ملوك الصناعة ، الديكتاتوريات .. الخ) (غاية الرسام العصري — صفحة ٤٨) .

وهو ينادي في مواجهة هذه الحالة بضرورة خروج الرسام من ركنه المنعزل والنزول من برجه العاجي « ليواجه هذا العالم ويختبر مشكلاته ويعاني معه أزماته النفسية » (صفحة ٥٠) فهو بدون ذلك لن يستطيع أن ينتج فنا معنويا قويا ، أي أنه لن يكون ايجابيا تجاه المجتمع .

وهذه هي نقطة الخلاف الرئيسية بين آراء رمسيس يونان والرسام الفرنسي « اوزانفان » الذي كان يرى وجوب ابتعاد الرسام العصري عن حقائق العالم الخارجي ومشكلاته . وهو نفس الخلاف بين دعاة التكعيبية ودعاة السيريالية .. فقد أوضح رمسيس يونان أن هذا أمر مستحيل ، لأنه حتى الاضطرابات النفسية ما هي في جوهرها إلا حقائق ذاتية منعكسة عن العالم الخارجي ، وهي المادة الأساسية التي يصوغ منها الفنان أعماله .

وفي مقابل رفض تكعيبية « اوزانفان » ، يدعو المفكر المصري إلى مدرسة « السيريالزم » التي تزداد نموا وقوة ، وتجذب الأنصار



لوحة للفنان تعبر عن خيالات العقل الباطن

العديدين إليها كل يوم .

وفى سبيل شرح المذهب السيريالى الذى يدعو إليه ، وضع رمسيس يونان فى بداية كتابه رسما بعنوان « العناصر الثلاثة » هو عبارة عن رسم توضيحى لفكرة عناصر النفس الانسانية عند مؤسس علم النفس الحديث . والرسم يتضمن رموزا لعناصر « الاد » و« الايجو » و« السوبر ايجو » أى الوعى واللا وعى والضمير ، ثم يتناول ثلاث لوحات ، نشر صورها ، إحداها « لروبنز » والثانية « لبوشيه » والثالثة « لموريللو » ، ويحللها على أساس هذه النظرية لتقريبها إلى الأذهان .

وفى خلال دعوته إلى السيريالية يعرض مفندا أربعة اتجاهات فى الفن :

(١) الفن الذى يجيد محاكاة الطبيعة ـ وقد زعزعته الفوتوغرافية .

(٢) الفن الذى يصور المثل الأعلى للجسم الانسانى الجميل ، كما فى الفن الاغريقى ، وهو فى الواقع المثل الأعلى للرجل الرياضى وليس للفنان .

(٣) الفن الزخرفى ـ وهذا يبدأ بأشكال هندسية تزين بها السلال والأقمشة ، وينتهى إلى أجمل الرسومات اليابانية وأرقاها ، ولكن هذا لا يلمس من نفوسنا إلا طبقاتها السطحية ، فهى تبقى ما بقى المؤثر وتزول بزواله .

(٤) الفن المعنوى أو الفن التعبيرى أو الفن الذاتى ـ أعنى الفن الذى يصدر عن حاجة نفسية عميقة ، ويترك فينا أثرا متغلغلا ينفذ منه إلى القرار من قلوبنا ... (غاية الرسام العصرى ـ صفحة ٢٧ ـ ٣٣) .

ثم يضيف : « وعلى ذلك يمكننا أن نعرف وظيفة الفنان الرسام بأنها التوفيق بين خطوط وألوان ترمز إلى رغبات ومعان نفسية متضاربة ، وابتداع وحدة شكلية عنها متآلفة العناصر مرتبطة الأجزاء » .

ويختار رمسيس يونان من بين الاتجاهات السيريالية التى تعمل على التعبير عن « خيالات العقل الباطن ونزواته » ، الاتجاه الذى يحترم « البناء الفنى » ولا يهدره فى سبيل الاغراب .. فهو يعلن رفضه للنزعة السطحية الشكلية فى « الرسم الاوتوماتيكى » أى الفن الحركى تماما كما يرفض « المكعبية » بسبب شكليتها المفرطة واستغراقها فى العقلانية . إنه يرفض الاصطناع والتكلف كما يرفض الايغال فى الإغراب أو الغموض المصطنع ..

ذلك أنه من البداية كان يدعو إلى التوازن فى الفن بين العقل والعاطفة ـ بين المعمار والغناء ، وينادى بالتكامل بين الاتجاهات التى تعتمد على العنصر العقلى المجرد والاتجاهات التى تقوم على نزوات الخيال الجامح أو العناصر النفسية واللاشعور .. فهو يؤمن أن الحياة تقوم على التفاعل بين الجوانب المتناقضة ، والتركيب بين العناصر المتباينة .. وفى سبيل تدعيم وجهة نظره نجده يستشهد بكلمات الفنان « هنرى مور » عندما يقول : « إن عناصر التصميم المجردة ضرورية جدا لقيمة العمل الفنى ، ولكنه فى رأيى ، أن العناصر الانسانية النفسية لها أكبر الأهمية أيضا . فإذا امتزجت العناصر المجردة والعناصر الانسانية فى عمل فنى ، كان له دون شك معنى أعمق وأكمل » (غاية الرسام العصرى ـ صفحة ٥٢) .

* * *

ويلاحظ على هذا الكتاب ملاحظتان :

الأولى : إنه يخلط بين التكعيبية ـ التى يسميها المكعبية ـ وبين التجريدية .. ويتضح ذلك فى عبارته : وعلى ذلك فإذا شبهنا الرسم الحوشى بالغناء فإننا نستطيع تشبيه الرسم المكعبى بالموسيقا المجردة .

الثانية : هى وضوح جانب التمرد فى كتاباته المبكرة ، وربطه بين المذهب السيريالى والتحول الاجتماعى .

صبحي الشاروني

هوامش

(١) من مقال : « كان رائدا شجاعا » بقلم د . لويس عوض ، الاهرام ١٩٦٦/١٢/٣٠

(٢) غاية الرسام العصرى : تأليف رمسيس يونان ـ نشر جماعة الدعاية الفنية ـ ١٩٣٨ ـ ص (٥)

(٣) من مقال : « رمسيس يونان وجيل التمرد » بقلم محمد شفيق ، مجلة الفنون ـ العدد الأول ، المجلد الثانى ربيع ١٩٧١ ، اصدار الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ ص ٧٦

الجزء الثانى من
الدراسة فى العدد القادم

قصة قصيرة

زيدان يخلع جلبابه

بقلم: صلاح عبد السيد

لم يكد البولمان (الحافلة) يهدىء من سرعته .. حتى خرجت العيون من مكمنها .. فى الأول هادئة .. متثائبة .. تتسكع .. ثم عندما توقف مثيرا للغبار .. ومحدثا بفعل ضغط الهواء .. ذلك الصوت العالى .. الذى ينبىء أن ثمة نازلا لا محالة .. استشاطت العيون حماسا وتكالبا ..

ذلك أن نزول شخص ما إلى هذه القرية .. راكبا البولمان السريع أمر ولا شك يستحق الاهتمام ..

لكن من ياترى ذلك النازل؟

وعندما انفتح الباب ،، كانت العيون هناك .. تحاصر صاحب الكاوتش القديم .. النازل .. الذى يحط بقدميه على الأرض .. ثم تتصاعد معه الى الأعلى .. حيث البدلة الكاكى .. الواسعة .. القديمة .. كبدل الجيش غير المكوية .. والبيريه القديم على الرأس ..

من ياترى ..؟ وتكالبت العيون .. من ..؟

وفى يده حقيبة ورقية يضمها الى صدره .. من ..؟

وتقافزت العيون حوله .. من ..؟ والسؤال على الشفاه .. من ..؟

والنازل نزل وسار محتضنا حقيبته الورقية الصغيرة .. متلامسا مع الأرض .. كأنه يتلامس معها ..

من ..؟

والنازل يسير .. يمشى .. والأفواه تنفتح مع العيون ..

من ..؟

ولا جواب ..

والنازل يسير .. يمشى .. يدخل الى القرية .. يغيب فى شوارعها .. وهم يحسبون فى أذهانهم من يكون .. ويعدون المغتربين .. هل هو واحد منهم ..!

لا .. هل هو ..؟ لا .. ثم يهمسون لأنفسهم لابد أنه غريب .. غريب قادم لأحد فى القرية .. لكن لمن هو قادم ..؟ لمن ..؟

وقبل أن يهمد السؤال فى العيون .. كان عبد الوهاب البنّوتة .. يزعق .. زيدان رجع ياأولاد .. اللى نزل م البولمان كان زيدان ياأولاد ..

زيدان .. !!؟

غير معقول .. !!؟

زيدان يعود بعد هذه الغيبة والفقد؟

ذهب ليحارب فانقطعت أخباره ..

وانتهت الحرب ولم يعد ..

زيدان ياأولاد ..

والصوت يلف القرية صارخا ..

زيدان!

هل هذا النازل كان زيدان!

كلهم همسوا غير معقول .. أين شاربه الذى يقف عليه الصقر ..؟

أين مشيته التى يدب فيها الأرض ..؟

أين قامته التى يتحدى بها أعتى الشباب ..

أين عزمه ..؟

أين صرخته؟

زيدان .. !! هذا الضامر الذى يمشى كدجاجة معطوبة هو زيدان!

زيدان .. غير معقول!

وكلهم قفزت الى ذهنه صورة زيدان .. كلهم .. وهو يصرخ فوق عربته يبيع البطيخ .. ضاربا البطيخة بكلوة يده — خللي الفقير ياكل — ثم وهو يصرخ مناديا على السمك الصغير .. دائرا فى البلد فوق عربته — خللي الفقير ياكل — ثم وهو يبيع الطماطم التى يزرعها فى شط الترعة .. صارخا بكل قوته — خللي الفقير ياكل ..

هل هذا هو زيدان .. !!؟

زيدان الصامت .. الضامر .. الذى يمشى فى ذهول!

وكل من رآه لم يصدق ..

زيدان .. ذلك الذى كلما حدث شىء لايعجبه أسرع بخلع جلبابه والدخول فى عراك ..

زيدان .. ذلك الذى خلع جلبابه للعمدة .. ولشيخ الخفراء .. ولكاتب الجمعية .. وللحاج شربينى!

زيدان!

وأسرع الناس الى بيته ..

وفى لحظات كان الخلق كلهم .. الرجال والنساء والعيال يحاصرون بيت زيدان ..

من كل صوب خرجوا .. يجرون كالمذهولين ..

زيدان .. والأبواب تصطك .. والنوافذ ..

ويسرع العيال أحباؤه .. يسرعون هاتفين: زيدان رجع .. زيدان رجع .. وحول البيت يلتفون .. زيدان .. زيدان .. يريدون أن يلمحوه .. زيدان .. زيدان .. ترتفع الأيدى .. تهتز السواعد .. تهتف الحناجر زيدان!

زيدان .. !!

يريدون أن يلمسوه .. أن يعانقوه .. أن .. لكن الباب موصد .. الباب موصد ولا أثر لأحد .. ولا لشىء .. ولا حتى لزغرودة .. هل يكذب عبدالوهاب البنّوتة ..؟ هل يكذب عليهم ..؟ لكن البنّوتة حين يمسكون به .. وقبل أن يضيقوا عليه الخناق .. يقسم أن زيدان قد عاد .. يقسم .. يقسم أنه رآه بعينيه

هاتين اللتين سيأكلهما الدود ..
ويتحلق الجمع حول الدار ينتظرون خروج أحد .. وعندما لايخرج إليهم أحد .. يصرخون : زيدان .. زيدان ..
الأطفال : زيدان .. النساء : زيدان .. زيدان .. ويخرج أخوه يوارب الباب .. ويمسك به في يده .. ويصرخون :
زيدان .. زيدان هل عاد .. ؟
ويهز رأسه في أسى .. نعم .. أين .. ؟ نريد أن نراه .. ؟ ويخبرهم انه متعب وعليهم الآن أن يتركوه .. نريد أن نراه .. ؟ ويهمس .. انه متعب .. دعوه الآن ..
و .. ويدخل الى الدار .. ويغلق الباب ..
وتتلامس عيونهم والباب .. وجدران البيت .. ونوافذ الغرفات .. وينسلون .. يتباعدون في تكاسل .. ما الذي حدث .. ؟ هل لايريد رؤيتهم .. ؟ هل هو مريض .. ؟
ويتحلقون .. كل مجموعة تتحلق في مكان .. وزيدان هو موضوعهم .. ماالذي حدث له .. ؟
أين كان طوال هذه المدة .. ؟
هل كان في الأسر .. ؟
هل عذبوه .. ؟
هل .. ؟
هل .. ؟
والألسنة لاتكف عن طرح السؤال .. والعقول تغلي .. تريد أن تعرف .. أن تفهم .. أن تطمئن .. ولا أحد ذهب الى بيته .. لا أحد .. الكل جلس .. والكل مفتوح العين على ماسيحدث ..
وطوال الليل ظلوا متحلقين ينتظرون خبرا ..
لكن لاخبر هناك .. زيدان لم يخرج ..
واليوم التالي .. زيدان لم يخرج .. والثالث .. والرابع .. والعاشر .. والناس كل يوم تسأل .. لكن السؤال ظل معلقا بلا إجابة .. وتوارى السؤال قليلا ..
كلٌ حاول أن يجيب عليه الأجابة التي ترضيه .. ربما كان مريضا .. ؟ ربما عذبوه .. ؟ ربما هو لا يقدر على رؤية أحد .. ؟
و .. حاول كلٌ منهم أن يستريح الى الإجابة التي صنعها لنفسه ..
وزيدان وحده .. صامت لايتحدث .. شاحب .. منكفىء على نفسه .. لايخرج في النهار أبدا .. لكنه في الليل الأخير .. كان يتسلل من بيته في هدوء .. قاصداً النهر .. فيجلس أمامه .. قدماه في الماء .. وعيناه الى البعيد ..
ويظل هكذا مغروس القدمين في الماء ..

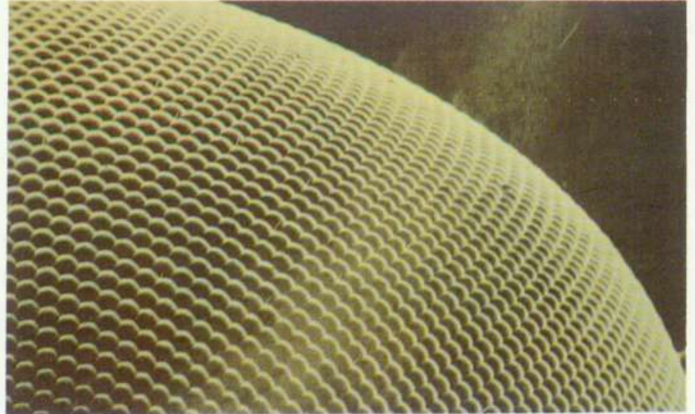
يتنهد .. ثم عندما يقترب الفجر .. يعود مجرجرا جسده .. زاحفا على التراب .. مكدودا .. مرهقا .. فيرتمي على فراشه ..
واحتار اخوته فيه .. ما الذى أصابه .. ما الذى أصابك .. ؟ لكنه يهز رأسه في أسى .. ما الذى .. يهز رأسه .. ماالذى .. يهز رأسه .. صامت .. مرهق .. يتنهد كأنه يحمل أثقال العالم فوق صدره .. عيناه المصفرتان المرهقتان تنوءان بالضوء ولا تتحملانه .. وصدره الذى كان صلدا .. أصبح هشا .. ويده ترتعش .. وصوت تنفسه عال .. عال .. كأنه ظل يجرى طول عمره ..
ماالذى حدث ؟
وهو لايجيب ..
هل نذهب بك الى طبيب ؟
وهو لايجيب ..
وعندما يئسوا منه تركوه لحاله ..
وظل زيدان طويلا على هذه الحال .. وفجأة .. أعلن أنه سيتزوج .. وممن .. ؟ من زوجة العمراوى صديقه الذى قتل في الحرب ! زوجة العمراوى .. وتعجب الكل .. فهي امرأة تكاد أن تكون دميمة .. ثم ان أولادها الذين تركهم العمراوى كثيرون !
زوجة العمراوى .. !! لم .. ؟
وظل السؤال مطروحا .. يتقافز فوق الشفاه وفي العيون .. ولما لم يجد الإجابة همد واسترخى ..
وتزوج زيدان من زوجة العمراوى .. وظل كما هو .. ظل صامتا .. حتى قطعة الأرض الملاصقة للترعة والتى كان يزرعها .. لم يعد يقربها .. وحتى مهنة بيع البطيخ والسمك والطماطم تركها ..
واشتغل فراشا في مدرسة البندر ..
وكل يوم يصحو مبكرا .. فيركب الديزل الى البندر .. ويعود آخر النهار صامتا .. ضامرا .. أسيانا .. ولا أحد يعرف ما الذى حدث له ..
وبالتدريج تناست القرية زيدان .. ولم يعد شغلها الشاغل .. وظل هو كالمنوم يمشى .. لايتحدث .. ولايحدث ضجة لسنوات .. وفجأة .. سمعت القرية نفس الضجة القديمة .. وتعجبت .. ماالذى حدث .. ؟
ماهذا .. ؟
وصرخ عبدالوهاب البنُّوتة : زيدان خلع جلبابه ..
كيف ؟
وأسرعوا ..
....

كان زيدان قد ذهب ليشترى لأولاد العمراوى سمكا .. فوجده فوق مقدوره .. فواصل مناقشة الرجل .. لكن الرجل استهزأ به .. وعيَّره .. لو لم يكن في مقدوره .. فليذهب وليخلع ملابسه ويصطاد من الترعة كما كان يفعل ..
ولم يدر زيدان بنفسه إلا وهو يخلع جلبابه .. لم يدر إلا وصرخته التى كانت تعود الى حنجرته .. وبعصاه – شومته – هوى على الرجل .. ثم اندار يطيح في السوق ..
الذين رأوه قالوا زيدان انجن .. زيدان انجن ..
وزيدان أوغل في الضرب .. أوغل .. وهم – باعة السوق – رأوه لا يكف .. وإنما يزداد إيغالا .. فتجمعوا محاولين مهاجمته .. تسلحوا هم الآخرون بالعصى .. بالعصى والبلط .. وتحلقوا حوله .. تحلقوا في شبه كماشة ..
ولما رآهم زيدان يحيطون به محاولين محاصرته .. تراجع الى الحائط .. تراجع محتميا به ..
لا .. لايمكن أن يحاصروه .. كما حدث في المرة الأولى ..
في المرة الأولى .. ظل هو والعمراوى يضربان .. يضربان .. حتى فرغ الرصاص منهما .. بعدها أحاطوا بهما في شبه كماشة .. فـ .. فتراجعا .. تراجعا .. ليجدا نفسيهما بين أيديهم .. لحظتها هجموا على العمراوى وظلوا يضربونه بدبشك البنادق .. بدبشك البنادق .. حتى .. حتى قتلوه .. ثم اندرا إليه .. يجرونه على الرمال .. و .. والأحذية تدق عنقه .. تدق عنقه ..
الآن .. الآن لن يتركهم يحاصرونه .. لن يتركهم يجرونه على الرمال .. لا .. لن يتركهم يقتلون أولاد العمراوى ..
وبرق له وجه العمراوى .. ووجه الأولاد الذين يشبهونه .. فاندفع بكل قوته يضرب .. يضرب ..
هذا هو الأحمر الخنزير .. وهذا هو الأكرش المتثاقل .. وهذا .. وهذا .. وهذا ..
وهم أمامه يتراجعون .. وهو يتقدم .. وشاربه يعلو .. وقامته تمتد .. وضرباته لاتطيش ..
وظل يضرب .. يضرب ويصرخ – خلي الفقير ياكل – والناس .. الناس من ورائه يصرخون .. وأيديهم – رآها – تمتد الى عربته .. تتخطف البطيخ والطماطم والسمك الصغير .

هندسة سطوح الحياة .!

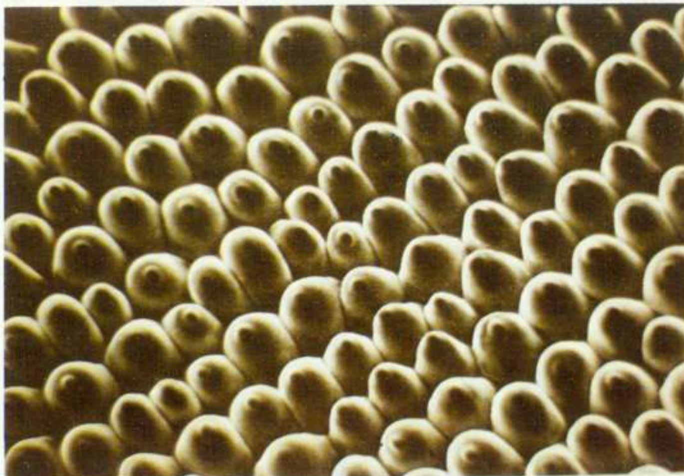
لاشك أن دراسة الخلق ، مع شيء من التأمل في تكوينه ، والتدبر في تنسيقه ، سوف تتمخض عن حصيلة هائلة من المعارف المذهلة التي قد تجعل الانسان حكيم زمانه دون أن يدري ، أو يدري ، لسنا ندري ، لكن الذي ندريه حقا أن ذلك يتوقف على قدرة الاستيعاب والتفكير والاحساس بالجمال في كل ما نرى ، وما لا نرى .. انظر مثلا الى ماصنع الانسان في كل زمان ومكان ، عندئذ قد تلحظ فيه تناسقا تختلف درجته باختلاف قدرة الفنان ، كأن يكون ذلك مثلا في لوحات ذات أنماط هندسية منسقة ، أو في منمنمات متداخلة ، أو في زخرفة جدران معهد ، أو في تنسيق حديقة ، أو حتى في صقل أحجار كريمة .. الى آخر هذه الأمور التي تقع عليها عيوننا ، لكن ذلك ليس غاية المنى ، إذ توجد ملايين التكوينات الجميلة التي تشهدها عيون البشر .. عليك مثلا أن تتطلع الى سطح ورقة نبات ، أو بتلة زهرة ، أو عين حشرة ، أو جناح فراشة ، أو ريشة طائر .. الى آخر هذه التكوينات التي لانكاد نحصيها عداً .. ثم انظر وانظر ، وعندئذ « ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .. على حسب تعبير القرآن الكريم .. ولكي لانطيل هنا ، دعنا نتبع القول بالتطبيق في أربع لقطات توضح التكوينات التي تنطوي عليها سطوح المخلوقات .. والأمر ــ بعد ذلك ــ متروك لتقديرك .

وحدات في تشكيل هندسي متناسق



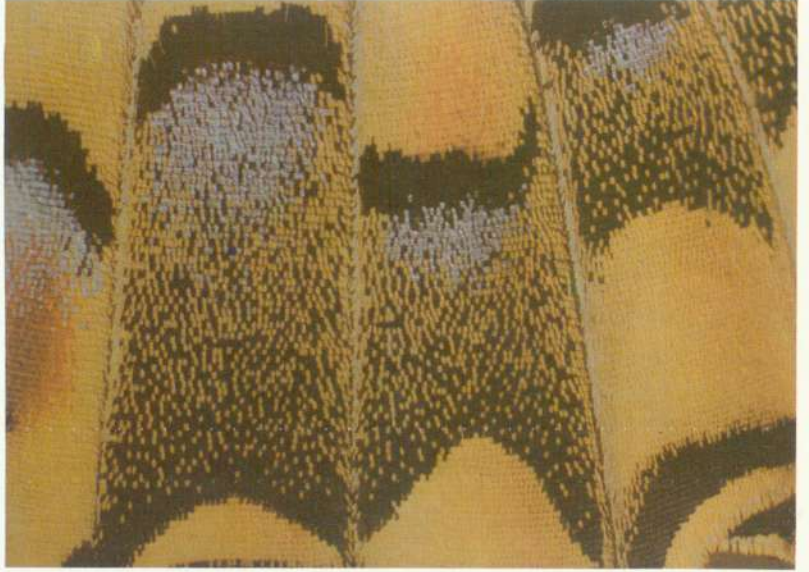
تكوين جميل لاخلل فيه ولاحيود .. فالوحدات التي تدخل فيه تنتظم في صفوف من وراء صفوف .. فلنسمها إذن خلايا ضوئية ، لكنها ليست من صنع البشر ، بل من صنع خالق مقتدر ، فالسطح هنا جزء من عين ذبابة ، ولقد جاء بهذا التشكيل المذهل ، لأننا كبرناه حوالي مائة مرة .. والواقع أن كل وحدة هنا تسمى عوينة ، ومئات العوينات تكون العين المركبة للذبابة ، أو معظم الحشرات ، ورغم أن الفكرة فيها جميعا واحدة ، الا أن عين العالم الحاذق تستطيع أن تستدل على أنواع الحشرات من النمط التكويني للعوينات ، وكأنما هي بصمات لاتتكرر بين نوع ونوع .. إنها وحدات من الحياة ، لتشهد على بديع صنع الله !

في الظاهر أملس .. وفي الباطن هو ذلك



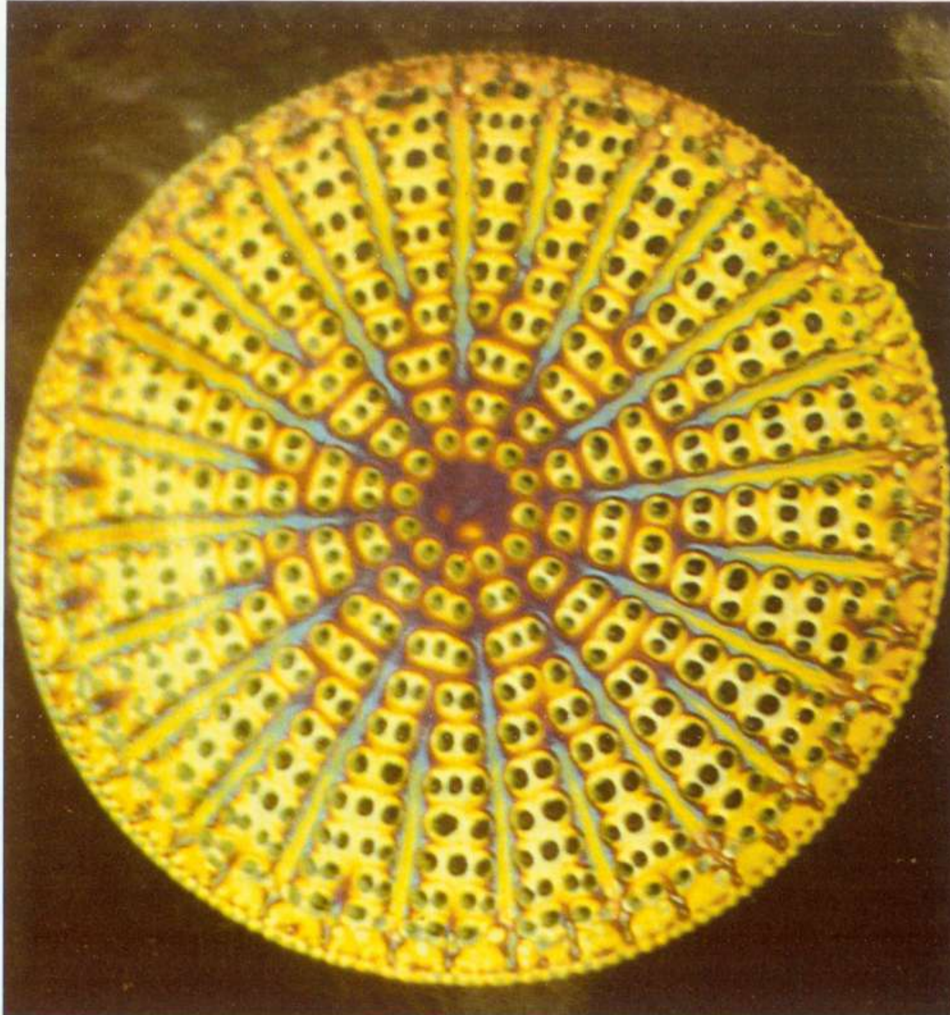
ولنقفز قفزة هائلة نتخطى بها حدود عالم الحيوان ممثلا في لقطة من سطح عين ذبابة ، الى حدود عالم النبات ممثلا في سطح بتلة زهرة « الجلاد يولاس » .. والبتلة هي الجزء الملون من الزهرة ، وهي بالنسبة لحاسة البصر مستوية ، ولحاسة اللمس ملساء ، لكن هذه اللقطة قد اوضحت مالم تكتشفه حاسة البصر ، او تدركه حاسة اللمس ، إذ أن هذا التنظيم العجيب للخلايا السطحية التي تكوّن بشرة البتلة .. وطبيعي أن لكل نوع من الزهور تشكيله الخلوي الذي ينم عن أصوله .. إن الظاهر شيء ، والباطن شيء آخر مختلف ، لأن التكبير هنا قد وصل الى أكثر من مائة مرة .

فُسَيْفِسَاء .. لكن من نوع آخر



الألوان متداخلة ، والوحدات متراكبة ، والخطوط التى تفصل بينها متناسقة ، حتى تعطيك الانطباع بوجود اطارات من لوحات لونية متآلفة .. والسطح هنا مزركش بقطع جد صغيرة لا تراها العين ، لكن التكبير أوضحها لنا بهذا المنظر المثير الذي يشبه فنون الفسيفساء ، لكن فسيفساء الحياة هنا كونتها حراشيف دقيقة توزعت على جناح فراشه ، ولكل حرشفة لونها المميز ، لكن توزيعها الذى يتشعب فيه الحديث ويطول لم يأت هكذا اعتباطا ، بل جاء على أسس « برامج » وراثية دقيقة يتوارثها الخلف عن السلف ، فتظهر أمام عيوننا بسطوح ذات أشكال محددة للنوع الواحد ، وبألوان منمقة لا شذوذ فيها ولا حيود ، لتكون شاهدة على تقدير العزيز العليم .

مُنَمْنَمَات دقيـــقة



وهذه اللوحة واحدة من آلاف ، وتناسقها لايحتاج الى شرح ، لأنها تعبر عن ذاتها أجمل تعبير .. فالسطح هنا مطرز بحبيبات السيليكا (الرمل) .. وهو لكائن مائى دقيق ذي خلية واحدة (ويتبع مجموعة نباتية ضخمة من الطحالب تعرف باسم الدياتومات) ، وعندما كبرنا السطح مئات المرات ، ظهرت هذه المنمنمات الهندسية التى تكوِّن للكائن جدارا صلبا ، لكنه مزخرف ومنمق بجمال وتناسق بديعين .. فكأنما هذه الخلية الوحيدة ذات احساس بالجمال ، رغم انها خالية من الحواس التقليدية ، لكن « الله جميل يحب الجمال » .. فكان أن وضع فيها « بروجرامها » الوراثى ، ليترجم على هيئة سطوح تكاد تنطق بجمال الفكرة ، وعظمة الخطة .. لكن ما أكثر مايخفى علينا من أسرار الكون والحياة !

الإسراء و المعراج

شعر: محمود الشاهد

جاء في مُسند ابن حنبل عن ميمونةَ بنت سعد مولاةِ النبي ﷺ انها قالت : يانبيَّ الله ، أفتنا في بيت المقدس فقال : أرضُ المحشر والمَنْشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاةً فيه كألفِ صلاةٍ فيما سواه ، قالت : أرأيت لمن لم يطق ان يتحمل إليه يأتيه قال : فليهدِ إليه زيتا يسرج فيه ، فإن من أهدى له كَمَنْ صلى فيه .

وقد شهدت الصلاة فيه مئات المرات وسعدت بليالي الاسراء والمعراج في رحابه واستشعرت الدفء والحنان والأمن والأمان إلى جانب صخرته المشرفة وعفرت جبهتي بغبار ساحاته في الصلاة وخشعت في وقفتي بالقبلة الأولى متجها نحو القبلة الثانية (الكعبة المشرفة) يستغرقني التفكير في الربط الالهي بين القبلتين . فكأنما هي رسالة من السماء للناس جميعا أنّ ما ربَطَته السماء لا تستطيع قوى الأرض الغاشمة جميعاً أن توهنه أو تحله .

وقد جاء عن عائشة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إن مكةَ بلدٌ عظمه الله وعَظّم حُرمته وَحفَّها بالملائكة قبل أن يخلق شيئا من الأرض يومئذ كلها بألف عام ، ووصلها بالمدينة ووصل المدينة ببيت المقدس ، ثم خلق الأرض بعد ألف عام خلقا واحدا » .

ومن أصدق من الله قولا : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجدِ الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير » .

يــا رُبــى القــدس هل لنــا في ثــرى القــدسِ مــن ثــواء

وإذا كان الغَضَبُ والقهر قد باعد بيننا ولم أطق أن أتحمل إليه أو آتيه فلا أقل من أن أهدي إليه زيتا ، هو بعض ذوب الفؤاد ، يضاء فيه السراج في ذكرى الاسراء والمعراج .

هللّوا وارفعوا الــــدُّعـــاءْ إنـــهـــا لـــيلةُ السمـــاءْ
في الليـــالي فـــريـــدةٌ تَسْـــكُبُ النـــورَ والضيـــاءْ
لـــيلةٌ غـــاب بَـــدرُهـــا فـــاَســـتضاءَت مـــن العَلاءْ
وَقْعُهَـــا زَلزلَ المَـــدىٰ رَجْعُهُـــا جـــاوزَ الفَضاءْ
وَعَلا قـــدرُهـــا كمـــا لـــيلةُ القـــدرِ في حِـــراءْ
مـــكـــةٌ عـــانقتْ بـــهـــا صخـــرةَ القُـــدسِ في ازدِهـــاء
حـــيـــنَ أَسْـــرىٰ محمـــدٌ يقـــطـــعُ الـــبـــيـــدَ في المَســاءْ
والمُســـافـــاتُ تنـــطـــوي في ثـــوانٍ بلا عَنَـــاءْ
والـــبُـــراقُ الـــذي مَضَى فـــوقـــه أحمـــدٌ مَضاءْ
مـــوكبٌ نـــوّرَ الـــدُّجـــى نَسْمُـــهُ عِطّـــرَ الـــهَـــواءْ
يغمـــرُ الـــكـــونَ بـــالسَنـــا يملأُ الأفـــقَ بـــالـــبـــهـــاءْ
حـــطَّ في المسجـــد الـــذي فـــيـــه صَلّى بـــأنـــبـــيـــاءْ
بـــارك اللهُ حَـــولَـــهُ يـــوم أســـرى لـــهُ وجـــاءْ
ثـــمّ يمضي بـــرحلةٍ في عُـــروجٍ وفي ارتقـــاءْ
قـــادَ جـــبـــريلُ رَكبَـــهُ مـــن سمـــاءٍ إلى سمـــاءْ
في الأعـــالي ملائكٌ حَفَّتْ الـــرَّكْبَ بـــاحـــتفـــاءْ
ثـــمّ يعلو نشـــيـــدُهم بـــالـــتسابـــيـــح والثنـــاءْ



قد رأى آيَ ربِّه ... ليس فيما رأى مِراءْ
قَابَ قوسين قد دَنَا ... منتهى الحبِّ والعطاءْ
نزلةٌ ليس مثلَها ... عندها جنَّةُ البقاءْ
صاحبُ العرش خصَّه ... يصطفي الله من يشاءْ
فهوَ في الخلقِ مفردٌ ... لم تلدْ مثلَهُ النساءْ
ما لإسراءِ أحمدٍ ... ما لمعراجِهِ انتهاءْ
كل يومٍ وليلةٍ ... في الصلاةِ لنا لقاءْ
هلِّلوا وارفعوا الدُّعاءْ ... واذْرفوا الدمَع في سَخاءْ
إنَّ مَسرى محمدٍ ... هَدَّهُ الأسرُ والعَناءْ
كلُّ ساعاتِهِ أسىً ... كلُّ أيامِهِ ابتلاءْ
يجثُمُ القهرُ فوقَهُ ... يَخْنُقُ الطُّهْرَ والنقاءْ
خافتٌ في أذانِهِ ... مُرْهَقُ الصوتِ والأداءْ
دنَّسوا كُلَّ بقعةٍ ... باركَت حولَها السماءْ
حرّقوا المِنْبرَ الذي ... شِيدَ من طاهرِ الدِّماءْ
واستباحوا أساسَهُ ... علَّه يسقطُ البناءْ
هم يريدونَ هَدْمَهُ ... ليس قولاً ولا ادعاءْ
كيف يخشونَ بأسَنَا ... نحنُ في عُرْفِهِمْ غُثَاءْ
ليس يَخفَى مَرامُهُمْ ... قد بدا البغضُ والعداءْ
كَمْ يُنادي ولا صدىً ... أيْنَ من غافلٍ نداءْ
كلَّ يوم يضيع في ... فارغِ القَولِ والبُكاءْ
خطبةٌ إثرَ خطبةٍ ... كلُّ ما تحتوي جُفاءْ
إنْ رضيتُم لغاصب ... فعلى الأمةِ العَفاءْ
ما بكمْ ردُّ فِعلِكمْ ... منكُمُ الداءُ والدَّواءْ
كنتمُ خيرَ أمةٍ ... للعُلا ترفعُ اللواءْ
فلنجاهدْ كمِثْلِهمْ ... ولْيَكن فيهمُ اقتداءْ
أُطلبوا الموتَ تُنْصَروا ... يَكْمُنُ النصرُ في الفِداءْ
إنْ يكُ الموتُ عَلْقماً ... إنَّ في مُرِّهِ الشِفاءْ
أيُّها المسجدُ الذي ... فيه بالحقِ كبرياءْ
في رُبى القدسِ أصلهُ ... فَرْعُهُ جاورَ السماءْ
صامدٌ رغمَ أسرِهِ ... يدفَعُ الضيمَ بالإباءْ
يَرْقُبُ الليلَ ينجلي ... كلُّ ليلٍ إلى انْجلاءْ
لَيْسَ ظلمٌ بدائمٍ ... جولةُ الشرِّ لانتهاءْ
إنَّ للغدرِ ساعةً ... بعدَها صحوةُ الضياءْ
يُنْجزُ اللهُ وعدَهُ ... فهوَ في وَعْدِهِ الوفاءْ



بانتظار بروميثيوس العربي

يمثل هذا المشهد إطلالة الحدود السورية ، من أعالي هضبة الجولان المكللة بالثلوج ، على مدخل نهر الأردن الى فلسطين في مجراه الأعلى .. وما دام المشهد يتحدث عن نفسه بنفسه من حيث جماله الخلاب ، وفتنته الطبيعية الآخذة بالألباب ، فما أغنانا إذن عن الاشارة إلى أية « سويسرا عربية » قد أضعناها ــ ولو مؤقتاً ــ في هذه الربوع الفلسطينية والسورية على حد سواء .

ومعذرة للقارىء الكريم ، فقد لا أستطيع ، أحياناً ، أن أفصل نفسي عن موضوع هذه « التذكارات الوطنية » ، إذ ما من مشهد منها إلا وكنت في شبابي قد وقفت عليه ، وانطبعت له في أعماق نفسي هذه الذكرى ، أو تلك ، خاصة مايتعلق بهذا المشهد وامتداداته الجنوبية حتى بحيرة طبرية .

كنا ما نزال طلبة جامعيين ، سوريين ، وعراقيين ، وأردنيين ، وفلسطينيين ، ومغاربة ، تضمنا جميعاً أحضان الجامعة السورية آنذاك .. وكانت أمتع أنشطتنا الشبابية في ذلك الزمان ، أن نقوم ، في كل سنة تقريباً ، برحلة جامعية إلى مختلف مواقع الجبهة السورية ضد العدو الصهيوني الزنيم الرجيم ، اعتبارا من « بانياس » في أقصى الشمال ، الى « الحمة » في أقصى الجنوب ، فيستقبلنا أسود الجيش السورى ، ضباطاً وجنوداً ، بحفاوة بالغة وفرح كبير ، وما أكثر ما كنا نستعير مناظيرهم الحربية لكي نقضي ساعات عديدة ونحن نجيل أبصارنا ، من عل ، في امتدادات مثل هذا المشهد الخلاب في « سهل الحولة » بوجه خاص .

وفي ذات رحلة ــ وربما كان ذلك في ربيع ١٩٥٤ ــ لم تكد تمر دقائق معدودات على وصولنا لأحد مواقع الجيش ، واختلاء عريف الرحلة المرحوم نزار القولي بضع لحظات مع آمر الموقع ، حتى ملأ المكان عدد من الصيحات والايعازات العسكرية المدوية ، واذا بقرابة ثلاثمئة جندى سورى يتخذون وضعية الاستعداد وقوفاً ، وقد شمخت جباههم واشرأبت تحت الشمس كرؤوس الرماح .. ولم يكن لشاعر فلسطيني مثلي ، لاجئ وشارد عن يومه ، الى غده ، على الدوام ، أن يتصور حتى في سديم خياله الشعرى أن كل هذه الأهبة العسكرية قد اتخذت من أجله ! ذلك الى أن أقبل عليّ آمر الموقع بابتسامة وديعة ، ونبرة صارمة ، في آن معاً :

يالله يوسف .. قصيدة للشباب ..

وبعد أن ألفيت نفسي مرفوعاً على سطح مائدة خشبية قبالة هذا الحشد من الجباه والعيون الناطقة لهباً وغضبا باستعجال يوم التحرير ، وجدتني أدخل على الفور في قصيدة « مشيئة الجبار » :

أنا مشعلٌ ، أنا مارج جبارُ ... لا الريحُ تُخمدني ، ولا الإعصارُ
هذا أنا في الليل أُضرم جذوتي ... لِيَبِينَ لي ، قبل النهارِ ، نهارُ
ولسوف أغسل جبهتي حتى تُرى ... مثل الضحى ، ويذوبَ عنها العارُ
ومشيئتي قَدَرٌ على أقدامه ... تتمسَّحُ الأيامُ والأقدارُ
أنا مجرمٌ ، أنا حاقدٌ ، أنا سَيِّءٌ ... حتى تُعادَ إلى ذويها الدارُ

على أن القصيدة (المؤلفة من خمسين بيتاً) ، وإن تكن « بلسان المتكلم » ، فهي لاتعني شخص الشاعر بكل تاكيد .. لقد كنت مأخوذاً ، وما أزال ، بشخصية « بروميثيوس » الأسطورية الإغريقية ، كما وقفت عليها لأول مرة في عهد دراستنا الثانوية بالخليل ، من محفوظة مدرسية مجتزأة من ملحمة « شيلي » الشهيرة : « بروميثيوس طليقا » « Prometheus Unbound » .. وكما أن بروميثيوس الاغريقي هذا قد انتصر أخيراً على « زيوس » واختطف منه شعلة السماء لاضاءة الكون على بني الانسان ، رغم أنه قيدّه ثلاثة آلاف سنة إلى جبال القفقاس ، تنهش الجوارح من لحمه ، وتنقر في حبتي عينيه .. فكذلك أجريت « مشيئة الجبار » على لسان « برميثيوس العربي » هذه المرة ، مبشراً بانعتاقه الحتمي من أصفاده وجراحه ، وبانتصاره النهائي ــ ولكن دون ما حاجة لعذاب ثلاثة آلاف سنة ــ على جميع أرباب الشر العالميين ، القتلة ، السفلة ، العنصريين .. مستنقذاً من بين مخالبهم وأنيابهم ربوع هذا الوطن الرائع العظيم ..

بقلم: يوسف الخطيب



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

الأقدام بدلاً من العجلات لمركبة المستقبل

يفكر المهندسون الميكانيكيون فى العودة إلى الطبيعة ومحاكاة حركة الحيوانات والحشرات ومن ثم استبعاد العجلات واستبدالها بالأقدام .

وكانت نتيجة أبحاثهم التى استمرت عشر سنوات هذه المركبة ذات الست أقدام والتى تستطيع اجتياز أكثر الطرق وعورة وحيث لا يمكن لسيارة أو حتى مجنزرة أن تسير . وتتميز هذه المركبة بخفة حركة الحشرات وتوازنها فيمكنها المناورة فى الغابات وعبور المستنقعات والكثبان الرملية فضلا عن صعود وهبوط التلال شديدة الانحدار .

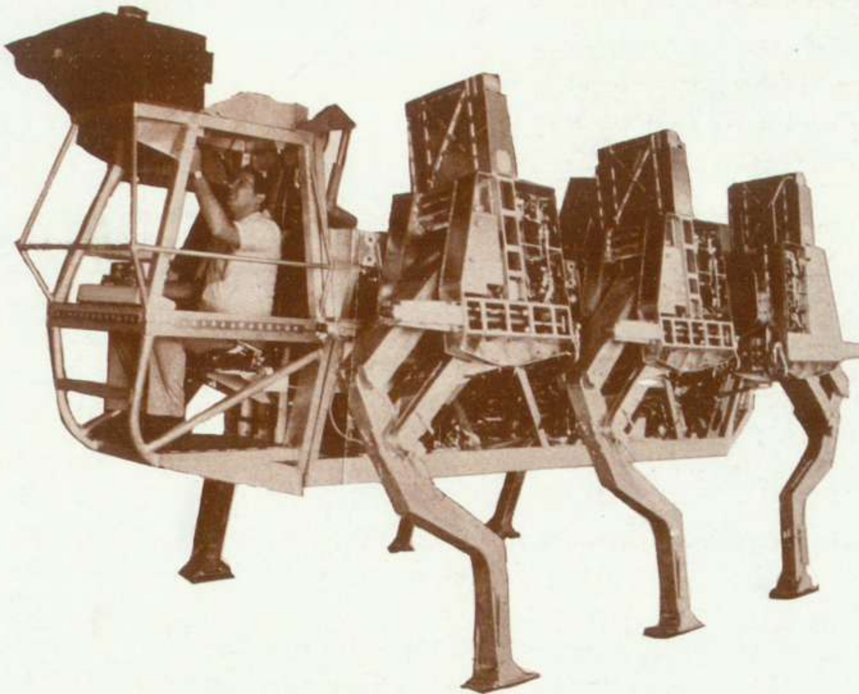
كما أن هذا الديناصور الميكانيكى الذى يزن ثلاثة أطنان ويبلغ طوله خمسة أمتار يستطيع اجتياز حفر عرضها ثلاثة أمتار ومنحدرات ارتفاعها متران .

ويتقاسم الانسان قيادة هذا النموذج التجريبى المبين فى الصورة مع أجهزة الكمبيوتر إذ يضم قلب هذه المركبة المصنوع من الألومنيوم ١٦ جهاز ميكرو كمبيوتر للتنسيق والتحكم فى أكثر من مائة ثابت وعامل من ثوابت وعوامل الحركة ، فى حين يتولى الانسان توجيه الخطوات العامة من تقدم وتقهقر ودوران واسراع وتوقف وذلك بواسطة عصا قيادة مثل تلك الموجودة فى الطائرة .

وتتمتع هذه المركبة بحاسة الابصار فهى تراقب طريقها بعيون تعمل بأشعة ليزر تحت حمراء وتبرمج كل خطوة وتتأكد من موطىء قدمها قبل أن تقوم بأى حركة كما أنها تتمتع بحاسة التوازن فشاسيه هذه المركبة لا ينحرف قط عن الأفق حتى وهى تقطع أشد الطرق وعورة وذلك كي تظل أجهزة الرصد فى نفس المستوى وتعطى اشارات صحيحة سواء بالنسبة للارتفاع أو الاتجاه . وهى تضم إلى جانب أجهزة الرصد الضوئية أجهزة ارسال واستقبال صوتية تسمح لها بتقدير بعد الأجسام عنها .

أما أقدامها التي يبلغ ارتفاعها مترين فتتحرك فى ثلاثة اتجاهات وكل قدم مزودة بجهاز كشف للضغط يخبر الكمبيوتر بشكل مستمر عن طبيعة الأرض التى تتحرك عليها المركبة وسرعة هذه المركبة التى تعمل بمحرك كهربى قوته ٥٠ كيلو وات ١٣ كيلو متر فى الساعة وهى وان كانت سرعة محدودة إلا أن أى مركبة أخرى لا يمكنها اللحاق بها فى الطرق الوعرة التى تجتازها .

ويهتم العسكريون اهتماما كبيرا بالأبحاث التى تجرى حالياً لتعديل هذه المركبة بحيث تكون قيادتها أتوماتيكية بالكامل أى بدون سائق . وفى هذه الحالة تتوجه المركبة وحدها طبقا لبرنامج محدد محللة الأرض التى تسير عليها نحو الهدف المحدد لها وراصدة لأى وجود معادٍ حولها أو فوقها ومدافعة عن نفسها بوسائل حربية ستزود بها .



الديناصور الميكانيكى

طائرة فوق صوتية للقرن القادم

طائرة القرن الحادى والعشرين ستحلق فى السماء بسرعة تساوى خمسة أضعاف سرعة الصوت .

فمن المعروف أن الطائرة الفرنسية « الكونكورد » تطير بسرعة تساوى ضعف سرعة الصوت ، إلا أن تصميم الطائرة الجديدة مختلف تماما فهى بلا نوافذ لأنها ستجعل تركيبها هشا لا يمكنه تحمل الضغط عند مثل هذه السرعة الفائقة . وسوف يشاهد المسافر المناظر الطبيعية للأرض من ارتفاع ١١٠ ألف قدم على شاشة تليفزيونية .

كما تخطط وزارة الدفاع الأمريكية لبناء طائرة تبلغ سرعتها ٢٥ ضعف سرعة الصوت بحيث تقلع هذه الطائرة مثل أى طائرة أخرى ولكنها تستطيع الانطلاق إلى الفضاء الخارجى وبذلك يمكن أن تصبح بديلا اقتصاديا عن المكوك ، فتكلفتها تمثل واحداً فى المائة من تكلفة المكوك . وإذا نجحت هذه الأبحاث فيمكن صنع طائرة ركاب سرعتها خمسة أضعاف سرعة الصوت تتسع لخمسمائة راكب .

طائرة بلا نوافذ سرعتها خمسة أضعاف سرعة الصوت

ولكن الأمر لا يخلو من عقبات تقنية ، فنظرا لدرجة الحرارة العالية المتولدة من احتكاك الطائرة بطبقات الغلاف الجوى يتعين صنعها من مواد مقاومة للحرارة وتتميز بصلابة عالية كما تحتاج هذه الطائرة الى تدابير تبريد معقدة ولذلك يفكر الباحثون فى استخدام الهيدروجين السائل كوقود وكمبرد أيضا بحيث يمر الهيدروجين السائل خلال السطح الخارجى للطائرة فيبرده عند تبخره وقبل أن يتم حقنه فى غرفة الاحتراق .

ومن ناحية أخرى فإن أفضل محرك صمم حتى الآن لمثل هذه الطائرة محرك هجين يستخدم التوربينات لضغط الهواء قبل خلطه بالوقود فى غرفة الاحتراق عند تحرك الطائرة بسرعة منخفضة . أما عند السرعات الأعلى فتصبح القوى الهائلة للتيارات الهوائية الناجمة عن اندفاع الطائرة هى ذاتها الضاغط . إلا أن ذلك يتطلب وقوداً سريع الاشتعال وتحكماً دقيقاً فى تيارات الهواء الناجمة عن حركة الطائرة بهذه السرعة الفائقة وهو أمر يستلزم وجود أجهزة كمبيوتر ذات إمكانات فائقة على متن هذه الطائرة .

إلا أن الباحثين يؤكدون أنه يمكن التغلب على جميع هذه الصعوبات وأن الطائرة فوق الصوتية ستكون طائرة القرن القادم وأنها ستعلن عصرا جديدا فى تصميم الطائرات .

الكمبيوتر الضوئي



الكمبيوتر فى انتظار أشعة الليزر

لا يكتفى العلماء بالسرعة الفائقة لأداء الكمبيوتر فهم يفكرون فى استبدال التيار الكهربى بالأشعة الضوئية حتى يعمل الكمبيوتر بسرعة أكبر ألف مرة من سرعته القصوى الحالية . وبدأ بالفعل انتاج مكونات ضوئية تعمل بهذه السرعة فى معامل البحث .

فبدلا من الترانزستور الذى يعتمد فى عمله على مرور الالكترونات فى طبقات من أشباه الموصلات سيستخدم ترانزستور ضوئى يعتمد على مرور أشعة الليزر خلال مواد لها خواص معينة . فعند تعريض بعض المواد لأشعة ليزر قوية فإن معامل انكسارها يختلف تبعا لشدة الضوء الواقع عليها ومن ثم يمكن باحداث تغيير بسيط فى شدة الشعاع الساقط الحصول على تعديل كبير فى شدة الشعاع الخارج وبالتالى يتكون لدينا نظير ضوئى للترانزستور .

ويتميز استخدام الضوء ، أى الفوتونات ، بدلا من التيار الكهربى ــ أى الالكترونات ــ فى معالجة المعلومات بميزتين جوهريتين : الميزة الأولى هى السرعة فأسرع الترانزستورات الموجودة لا تتعدى سرعتها واحد على مليار من الثانية فى حين يستطيع الضوء مضاعفة هذه السرعة ألف مرة . الميزة الثانية أن الفوتونات لا تتأثر أو تتفاعل فيما بينها وبالتالى فلا يوجد ما يمنع من استقبال بالتبادل لعدة حزم ضوئية على نفس الرقيقة أو المكون الالكتروني . وتفتح هذه الخاصية آفاقا جديدة أمام الاعلاماتية خاصة بالنسبة للكمبيوتر ذى التنظيم المتوازى فيتم معالجة العديد من العمليات فى آن واحد مما يزيد من السرعة بشكل ملحوظ .

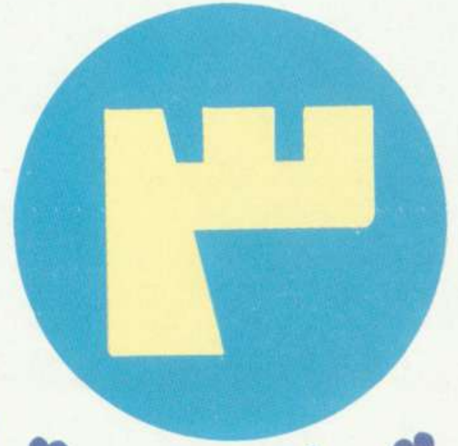
كما يحل الضوء مشكلة أخرى يواجهها الكمبيوتر المتوازى وهى مشكلة توصيل مئات الآلاف من الدوائر الحاسبة ، فالتقنيات الحالية لا تسمح بتوصيل مئات الأسلاك على رقيقة واحدة ومن ثم يصبح التوصيل الضوئى هو الحل المثالى .

ويعتقد الباحثون الأمريكيون أن الضوء هو مستقبل الاعلاماتية وانه يمكن خلال عامين بناء أول كمبيوتر ضوئى .



سينما

بقلم: رءوف توفيق



تساؤلات تواجه السّينما العربيّة

- أيّ نوع من الرقابة نحاسب به الفنان ؟
- ماهي حدود المنتج في التدخل الفني ؟
- ماهو الفرق بين المقال والفيلم ؟

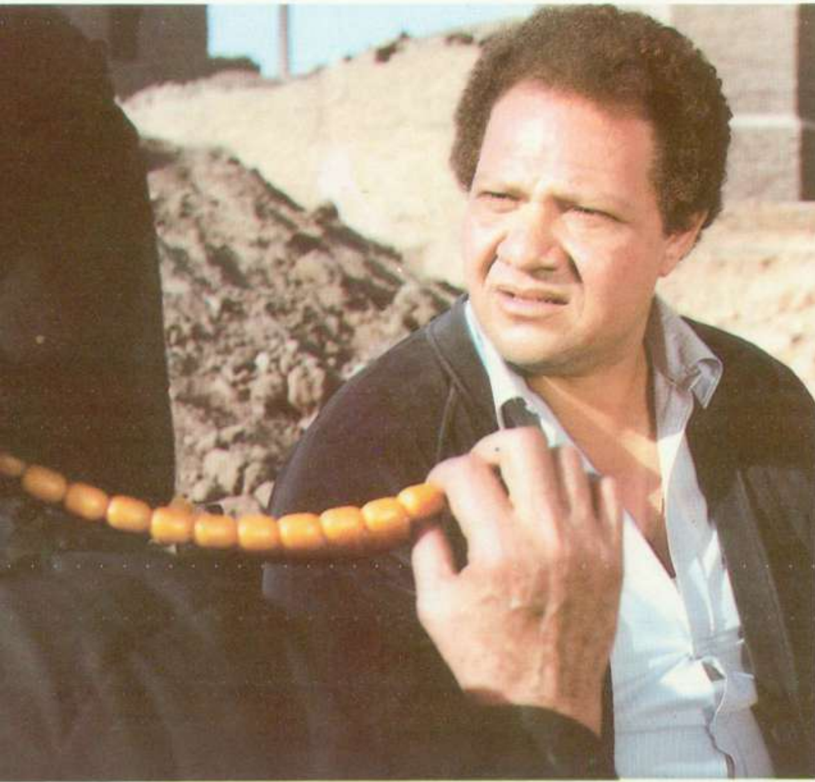
نجلاء فتحى وشويكار.. فى فيلم « سعد اليتيم »

إذا كانت السينما التجارية .. تصطدم بغضب النقاد والمثقفين ، وتثير التساؤلات والقلق ، حول الذوق العام ، ومسئولية الفن .. فإنّ السينما الجادة ، أيضا ، لا تستطيع أن تجد الطريق أمامها مفتوحا – دائما – بلا مشاكل !

بل إن مشاكل السينما الجادة ، أكثر حدة وصعوبة ، والتساؤلات التى تثيرها من النوع الذى يفتح مجالا أكبر للجدل .

ذلك أن انعدام الفكر ، والسطحية ، والابتذال فى الأفلام ، أمر يمكن ادانته بسهولة ، وبإجماع الآراء ، ويستطيع أى فرد أن يحكم ببساطة قائلا : « هذا عمل .. قبيح » .

أما وجود الفكر فى الأفلام ، وحيوية إثارة القضايا ، والتعرض للصراع الحقيقى الذى يواجه الانسان .. فذلك أمر قد تختلف بعض العقليات فى تقبله واستيعابه ، الذى يصل فى بعض الأحيان إلى حد الصدمة !



يحيى الفخرانى فى لقطة من فيلم « للحب قصة أخيرة » .. وهو يحاول أن يعيد الود مع والدته – تحية كاريوكا – ولكنها لا ترضى بزواجه ، ولا تقتنع برضائه عن حياته

للمرة الأولى

وقد عاشت السينما العربية المصرية خلال الأسابيع القليلة الماضية .. أحداثا مثيرة ، انتقلت تفاصيلها إلى الصفحات الأولى من الجرائد اليومية ، وشغلت مساحة من اهتمام الرأى العام .

وربما .. للمرة الأولى ، ومنذ زمن طويل ، يعقد اجتماع فى مقر الحزب الحاكم بمصر (الحزب الوطنى) لمناقشة احتجاج السينمائيين على ما حدث لاثنين من زملائهم ، عندما تم استدعاؤهما أمام نيابة الآداب للتحقيق حول مشهد سينمائى فى فيلم تم تصويره وعرضه !

وللمرة الأولى أيضا .. ينتقل ثلاثة وزراء (الدفاع ، والداخلية والثقافة) إلى مدينة السينما بجوار اهرامات الجيزة لمشاهدة فيلم فى عرض مغلق ، لاقرار الرأى حول السماح بعرضه فى الأسواق أو مصادرته !

وللمرة الأولى أيضا .. تقف أجهزة الرقابة فى مصر ، عاجزة عن اتخاذ قرار حول فيلم .. بينما يكتل مخرجه ، كل جهوده واتصالاته للافراج عن فيلمه !

وهذه الحالات الثلاث ، للأفلام الثلاثة ، استتبعت بالتالى طرح نوعية جديدة من التساؤلات ، لم تكن مألوفة فى السينما العربية .

وقد وجدت هذه التساؤلات .. مناخاً مناسباً للمناقشة ولاهتمام الرأى العام .. ذلك لأنها تساؤلات مرتبطة بسينما جادة ، تحاول أن تتلمس طريقها وسط نصوص قوانين قديمة لم تعد صالحة لظروف العصر .. وأيضا لم تعد ملائمة لدور الفن .

ما الذى أسرع بالأحداث ؟!

وكنت قد أشرت فى مقال سابق – عدد الدوحة لشهر ديسمبر ٨٥ – إلى أن السينما المصرية ستشهد فى عام ٨٦ ، مرحلة جديدة فى حياتها ، تتميز بالجدية ..

وكان دليلى فى هذا القول ، نوعية الأفلام التى أعدها ، أو يستكمل تجهيزها عدد كبير من المخرجين سواء الكبار اسما وتاريخا .. أو الشبان أصحاب التجارب الجريئة والمتميزة .

ولم يكد عام ٨٦ يبدأ ، حتى ظهرت بوادر هذه السينما ، وظهرت بالتالى ردود الفعل .

ولكن لم يتوقع أحد أن تصل ردود الفعل إلى هذه الدرجة من السخونة ، والايقاع السريع !

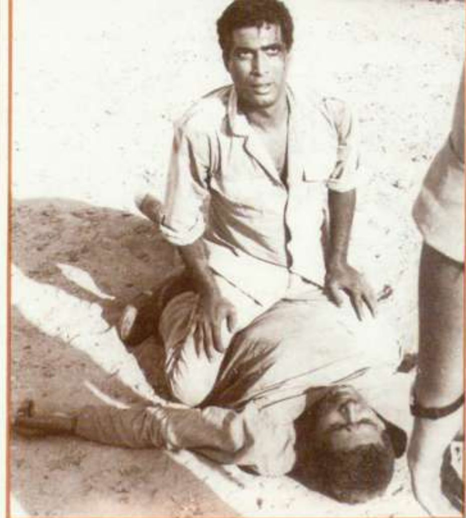
ولعل المناخ الديمقراطى الذى تعيشه مصر حاليا ، من خلال تعدد الأحزاب وحرية التعبير فى صحف المعارضة ، كان هو أول الأسباب التى أعطت لهذه الأحداث السينمائية الأخيرة ، هذا الحجم ، وهذا الصدى !

ثانى الأسباب هو الإحساس المتضخم لدى عدد كبير من الفنانين المصريين ، أن هناك نوعا من « الود المفقود » بينهم وبين بعض المسؤولين .. أو بمعنى آخر ، عدم ترحيب البعض بقيمة الفن .. وانتظار أى فرصة خطأ ، لشن حملاتهم ضد الفنانين .

ومما لاشك فيه ، أن الصحافة قد ساهمت بقدر كبير فى تعتيم الصورة ، من خلال النشر المتوالى والموسع ، والباحث عن أى إثارة



تساؤلات تواجه السّينما العربيّة



أحمد زكى ينقض على الهارب (صلاح قابيل) ، فى لقطة من فيلم البرىء

محمود عبد العزيز ، يمارس هواي
فى القسوة .. أمام طابور
المعتقلين .. فى فيلم «البرى



بهذه اللقطة ينتهى فيلم «البرىء» واللقطة تضم جندى الحراسة (أحمد زكى) ، والمعتقل (ممدوح عبد العليم) داخل زنزانة واحدة !

صحفية ، طمعا فى إرضاء فضول بعض القراء وزيادة التوزيع !!

وساعدت على ذلك أيضا بعض الأقلام الصحفية التى انتهزت الفرصة لتعميم الأحكام ، ووصم مجتمع الفنانين بالمجون والعبث ، مستخدمين فى ذلك نبرة الاستعداء ضد بعض الممثلين الذين يتقاضون أجورا مرتفعة ، وينفقون فى بذخ واستهتار !

ورغم أن هذه الحملة ، قامت أمامها حملة مضادة ـ داخل الصحافة المصرية ـ تشيد بدور الفنان المصرى .. وتفصل ما بين الخطأ الفردى ، والحكم الجماعى ..

ورغم أن رئيس الجمهورية ، السيد « حسنى مبارك » أعلن فى مناسبتين متتاليتين ـ ختام مهرجان القاهرة السينمائى .. وافتتاح مسرحية ايزيس ـ واستقباله للكاتب المفكر توفيق الحكيم ، والموسيقار محمد عبد الوهاب .. أعلن عن تقديره الشخصى واعتزاز الدولة بدور الفنان المصرى ، وتأكيد حقيقة أن الفنان المصرى هو أحد الثروات الأساسية التى تعتمد عليها مصر ..

رغم ذلك .. ظل الإحساس قائما عند الكثير من الفنانين المصريين ، بأن هناك جهات لا ترحب بهم !

وقد تفجر هذا الإحساس بمناسبة القضية التى أثيرت حول أحد مشاهد فيلم « للحب قصة أخيرة » .

المشهد الذى أثار المشكلة

وهذا الفيلم الذى كتبه وأخرجه رأفت الميهى ، فى ثالث تجربة يخوض فيها رحلته فى الاخراج ، بعد مشوار حافل بكتابة سيناريوهات الأفلام ، يختار أن يكون موضوع فيلمه عن الحياة والموت داخل جزيرة معزولة بأشخاصها وهمومها وخرافاتها .. رغم أن هذه الجزيرة تقع بين شاطىء النيل فى العاصمة القاهرة ، وفى أواخر القرن العشرين .. وكأنما أراد المؤلف المخرج أن يقول لنا من خلال رمز المكان ـ الموجود فعلا ـ إنه بالرغم من العالم الذى يموج بالأحداث والتطورات من حولنا .. إلا أننا مازلنا نعيش داخل جزر معزولة ، نصنعها بأنفسنا ، وبارادتنا ، وبأفكارنا .. وبأوهام البحث عن المنقذ ، حتى ولو كان هذا المنقذ هو خدعة كاذبة اخترعها البعض ليصدقها الآخرون !!

وهذا الوهم الكاذب يسيطر على الجميع ، حتى الذين يرفضونه أو يعرفون حقيقته .

والفيلم يحكى قصة زوجين أحبا بعضهما .. ولكن الموت يقترب من الزوج لمرض فى قلبه .. ويظل شبح الموت جاثماً طوال المشاهد .. حتى ذلك المشهد ـ المشكلة ـ الذى يجمع بين الزوجين فى لحظات ما قبل الموت .

وهو مشهد قد تختلف الآراء حوله .. وأعتقد شخصيا أنه لم يكن فى مستوى شاعرية الفيلم .. ولكن هكذا تصور المخرج عمله .. وهكذا قام الممثلان بأداء المشهد حسب رؤية المخرج .

● هل يمكن أن نعتبر الممثل الذي يقوم بدور قاتل في فيلم مجرمًا يستحق التقديم إلى محكمة الجنايات ؟

فهل يعتبر الممثل والمخرج متهمين بالفعل الفاضح ، الذى يستوجب التحقيق أمام نيابة الآداب ؟

هذا هو موضوع التساؤل الذى يطرحه ذلك الموقف .

الفرق بين التمثيل .. والواقع !

هل يمكن اعتبار الممثل الذى يقوم بدور قاتل فى فيلم ، مجرما يستحق تقديمه إلى محكمة الجنايات ؟

وهل يمكن اعتبار السارق فى فيلم .. هو سارق أيضا فى الواقع ؟

بالتأكيد .. هناك فرق بين « التشخيص » .. وبين الواقع !

التشخيص أو التمثيل .. يخضع لمقاييس وأحكام مختلفة ، وإذا حدثت التجاوزات ، فالمحاسبة تأتى هنا من داخل أجهزة فنية متخصصة .

ولهذا لجأت دول العالم فى محاسبة تجاوزات الفن إلى أحد نوعين من الرقابة : إما رقابة شعبية عن طريق رجال الدين وذوى العلم والخبرة والحس الاجتماعى ، واما رقابة حكومية عن طريق أجهزة تحكمها اللوائح والقوانين التى تحدد المسموح والممنوع ..

وفى مصر أجهزة رقابة حكومية .

والفيلم موضوع الخلاف ، خضع لتلك الرقابة .. فلماذا امتد الأمر إلى نيابة الآداب ؟!

هذا هو السؤال الذى اجتمع من حوله عدد من الفنانين داخل مقر الحزب الوطنى ، وفجر الحاضرون مخاوفهم من استمرار حملة التشهير بهم .

وفى هذا الاجتماع ، قال وزير الثقافة المصرى ، الدكتور أحمد هيكل ، جملته الشهيرة : « أنا مع الفنانين حتى يأخذوا حقوقهم كاملة أو استشهد دون ذلك » !

« البرىء » .. ناقصاً

وبعد أيام قليلة من هذا الاجتماع الساخن ، شهدت مدينة السينما ، بجوار اهرامات الجيزة ، حركة غير عادية .. وأعلن عن حضور وزير الدفاع ، ووزير الداخلية ، ووزير الثقافة .. لحسم موضوع فيلم « البرىء » الذي أخرجه عاطف الطيب .

ودخل هذا الحشد الهام إلى قاعة العرض الخاصة بالمدينة السينمائية ، ليشاهد الفيلم .

وخرج الوزراء من العرض السينمائى ليعلنوا أنه لا مانع من عرض الفيلم .

وانتشر الخبر مطمئنا ..

ولكن المفاجأة المثيرة تكشفت بعد ذلك .. ان منتج هذا الفيلم ، عرض أمام الوزراء ، نسخة من الفيلم حُذِفَ منها العديد من المشاهد .. وأن هذا الحذف قام به المنتج دون علم مؤلف الفيلم « وحيد حامد » أو مخرجه « عاطف الطيب » ، واللذان لم يبلغا أصلا بحضور الوزراء لمشاهدة فيلمهما .

كان تبرير المنتج أنه أراد انقاذ الفيلم من المصادرة ، وحرصا على أمواله ، قام بحذف المشاهد التى قد تسبب المشاكل .

وثار المؤلف والمخرج .. وأبلغا فى مذكرة مكتوبة لنقيب السينمائيين ـ السيد سعد الدين وهبة ـ انهما يستنكران هذا التصرف من المنتج .. ويطالبان بحقهما فى عرض الفيلم كاملا .. ورفعا الأمر إلى القضاء .

وهكذا خلق هذا الموقف .. تساؤلا فنيا جديدا على صناعة السينما المصرية .

ما هى حدود المنتج فى التدخل ؟

شهدت السينما الأمريكية ، قضايا متعددة تمثل أنواعا من التدخل ، من جانب الشركات المنتجة ..

أحيانا يأتى التدخل بحذف بعض المشاهد لعامل الوقت .. وذلك عندما تطول المدة الزمنية لعرض الفيلم بأكثر مما يحتمله نظام دور العرض .

وأحيانا يأتى التدخل بالحذف ، عندما ترى الشركة المنتجة أن التخلص من بعض



تساؤلات تواجه السينما العربية

المشاهد قد يجعل الفيلم مقبولا أكثر لدى جماهير المتفرجين .. ومقياسها فى ذلك العروض الأولى .. والعروض الخاصة التي تختبر فيها مدى جاذبية الفيلم .

وأحيانا يأتى التدخل من الشركة المنتجة .. بحبس الفيلم تماما من العرض والتضحية بما أنفقته من تكاليف عندما يقرر خبراء التوزيع أن تكلفة الدعاية ستكون عبئا مضافا إلى ميزانية الفيلم ، والخسارة بحبس الفيلم داخل المخازن .. أهون بكثير من الخسارة المتوقعة أثناء العرض !

وقد بدأت بعض الشركات الأمريكية أخيرا فى اتجاه بعدم عرض انتاجها من بعض الأفلام .. والاكتفاء بطبعها على شرائط الفيديو كاسيت وطرحها فى الأسواق لمن يريد ..

وفى كل هذه الحالات ، يتحكم العامل التجارى ، وحسابات الأرباح والخسائر ، أو بمعنى أدق حسابات تحقيق أقصى عائد مادى ممكن .

وفى كل هذه الحالات ، هناك خلافات مثارة بين الفن والتجارة ، وهناك قصص شهيرة لمخرجين احتجوا ضد هذا التدخل فى أعمالهم الفنية ، ولجأوا أحيانا للقضاء ، واحتكموا دائما للنقاد وحراس الفن ، الذين دائما ما وقفوا فى جانب المخرج وحقه فى عرض رؤيته كاملة .

فهل تدخل السينما المصرية .. هذا الصراع ؟

مما لا شك فيه .. انه يحسب للممول الخاص ، شجاعته فى تمويل فيلم جرىء مثل فيلم « البرىء » ــ الذى يتعرض موضوعه للقهر السياسى والمعتقلات التى يزج فيها أصحاب الرأى المعارض ــ (راجع مقال الدوحة لعدد ديسمبر ٨٥) .. ولكن إلى أى حد نعتمد على شجاعة المنتج الخاص .. أم أن الأمر يقودنا بالتالى الى مطالبة الدولة بتبنى الانتاج السينمائى الجيد والمتميز .. ذلك أضمن وأكثر

عبدالعزيز مخيون فى إحدى القصص الفرعية لفيلم « للحب قصة أخيرة » .. حيث يلعب شخصية الطبيب الذي يفترض فيه أن يعالج المرضى ، بينما هو أصلا شخصية مريضة .

ثقة للفنان .. خصوصا فى دول العالم الثالث .. وحيث تصبح السينما ذات وظيفة اجتماعية خطيرة ومؤثرة ؟

ان خسارة المنتج الخاص من تجربة فيلم جرىء .. تجعل زملاءه فى حقل السينما يترددون ألف مرة قبل تكرار التجربة ، بينما خسارة الدولة من تجربة فيلم جرىء .. هى خسارة مشروعة .. ولها عائد اجتماعى وسياسى أكبر وأهم .

الفرق بين المقال .. والفيلم !

ونصل إلى التساؤل الثالث .. الذى يرتبط بفيلم « العصابة » لمخرجه هشام أبو النصر ..

فما زال هذا الفيلم ـ حتى كتابة هذه السطور ـ معروضا أمام الرقابة التى احتارت كيف تتصرف فيه .. ومازال المخرج يحاول الإفراج عن فيلمه ، مستخدما أسلوب العروض الخاصة وتكتيل المؤيدين له .. وأيضا مستخدما كافة حقوقه فى اللجوء إلى لجنة التظلمات ولجنة الرقابة العليا

وفيلم « العصابة » يدين بوضوح السياسة الامريكية الاسرائيلية ، ومحاولات فرض التطبيع وقبول الأمر الواقع .

ورغم جرأة الفكرة .. إلا أن ما يعيب الفيلم عدم التماسك الفنى ، والمباشرة الشديدة ، والخلط المستمر بين الرمز والواقع .

وهذه العيوب الفنية .. تطرح تساؤلا هاماً ..

هل يمكن أن نغفر هذه العيوب .. فى مقابل الفكرة الجريئة ؟ بمعنى آخر .. هل تكفى الفكرة الجريئة ، لقيام فيلم ؟ أم أن للفيلم ـ عموما ـ مواصفات أساسية فى البناء الدرامى ومنطقية الأحداث ، وأسلوب التعبير الفنى ؟ ..

وإذا اسقطنا هذه المواصفات الفنية .. فما هو الفرق بين المقال الانشائى .. والفيلم الدرامى ؟

ومع هذه العيوب الفنية .. لا يمكن مصادرة حق هذا المخرج فى أن يقول وجهة نظره .. خصوصا وأن ما يقوله فى الفيلم قد قيل ألف مرة فى المقالات المنشورة بالصحف داخل مصر .

السياسة .. داخل النسيج الفنى

والاتجاه للرأى السياسى فى الأفلام المصرية الأخيرة .. نجد له ملامح واضحة فى فيلم « سعد اليتيم » الذى أخرجه « أشرف فهمى » عن سيناريو وحوار « عبد الحى أديب » .. حيث يجسد شخصية اليهودى الذى يلعب على كل الأطراف لتحقيق مصالحه الخاصة فى البقاء والتأثير والكسب المادى .

وفى زمن الاحتلال الانجليزى لمصر .. وقيام نظام الفتوات الذين يقتسمون أحياء القاهرة ، ويفرضون عليها سيطرتهم .. تظهر شخصية « موسى » الذى يدبر المؤامرات ، ويسعى تحت رداء الكذب والخداع محاولا الحصول على قطعة أرض بحجة أن أجداده مدفونون فيها .. ويطلب هدم حائط للبحث تحته عن قبور أجداده .. والرمز واضح تماما لما فعلته اسرائيل فى فلسطين ، وما تحاول أن تفعله الآن فى أماكن أخرى من الوطن العربى .

ويؤكد الفيلم من خلال شخصية سعد اليتيم « أحمد زكى » على الانتباه لهذه المؤامرة ، والدعوة لليقظة والاعتماد على القوة الذاتية .

• • •

وهكذا .. نرى أن كل الأفلام التى يدور حولها النقاش والتساؤلات .. أفلام تحمل أفكارا جادة .. وليس من بينها قصص السينما التقليدية .. أو نضال الراقصات .. أو تهريج المضحكين .

وهذا فى حد ذاته .. يدعو للأمل والترقب ..

فالتساؤلات التى تثيرها الأفلام الجادة .. سترسى مع الأيام مبادىء فنية .. وستقوى الأرض التى تسير عليها السينما التى تحترم نفسها .. وجمهورها ..

رؤوف توفيق



« محمود مرسى » وصراع الفتوات فى فيلم « سعد اليتيم » ، وقد حصل محمود مرسى على جائزة أحسن ممثل عن هذا الدور فى مهرجان جمعية الفيلم (فبراير ٨٦)



الهروب بسيارة قديمة .. ومطاردة جندى الحراسة لها .. ظنا منه أن الهارب هو أحد أعداء الوطن .. لقطة من فيلم « البرىء »

أخبار ثقافية

يقدمها: يوسف الحرمي

الصحوة الاسلامية .. كيف ؟!


عبدالعزيز بن تركى

افتتح السيد عبدالعزيز بن تركي وكيل وزارة التربية والتعليم مؤخرا الموسم الثقافي السابع لوزارة التربية والتعليم بقاعة الاحتفالات التابعة للوزارة، أمام دار الكتب القطرية.

وقد ألقى كلمة أعرب فيها عن أمله في أن تحقق هذه المحاضرات الآمال المرجوة منها في سبيل تكوين وعي ثقافي وعلمي وتربوي، يهدي الى الصواب ويحث الخطى الى طريق الحق والعدل والخير. وأشار الى أهمية هذه اللقاءات العلمية مؤكداً أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان في عالم اليوم، وانما بالشعور بقيمته وبالعمل بالحرية والأمل وبالانتماء القوي الى أمته العربية الاسلامية. وأضاف أننا محتاجون اليوم الى اعادة تقييم صفوفنا في وجه الزحف الغازي والمتمثل في ضخ الثقافة الغربية علينا في صور وأشكال متعددة.

وقال ان الصحوة الاسلامية بين شبابنا اليوم بحاجة الى ترشيد.

كما ألقى الدكتور يوسف القرضاوي عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة قطر محاضرة تحدث فيها عن الصحوة الاسلامية بين الآمال والمحاذير، مؤكداً أن هذه الصحوة الاسلامية هي أعظم مايملك المسلمون اليوم. وقال اننا حريصون على ترشيد الصحوة، حتى لاتميل الى اليمين او اليسار، وقال ان هذه الصحوة تعنى عودة الوعي مشيراً في هذا الصدد الى الركود الذي أصاب العالم الاسلامي من عهود التخلف والغزو الفكري لبلاد المسلمين.

وأشار الى أن الاقبال على الكتاب الاسلامي وانتشاره بشكل واسع يعد من مظاهر الصحوة الاسلامية حالياً، وقال أيضاً ان الشباب يمثل عماد هذه الصحوة وأشار الى ضرورة حشد طاقات الأمة لمواجهة معركة التحرير والتقدم، كما تحدث عن المحاذير وبيَّن خطر المتشددين والمتزمتين، مؤكدا أهمية خروج الدعوة الاسلامية من الدائرة التي حصرتها فيها المدارس الفكرية، وأن توجه الفهم الاسلامي طولاً وعرضاً وعمقاً، وأن تمتد هذه الصحوة الى الحياة كلها لتؤثر فيها في مختلف المجالات.

الفنان التشكيلي كامل زهيرى ؟!





الكاتب الصحفي كامل زهيرى الذي يعمل حالياً في دولة قطر كمدير تحرير جريدة «الراية»، كلنا نعرفه ككاتب سياسي ونقيب لاتحاد الصحفيين العرب سابقاً.. ولكن الذي لايعرفه القراء عنه هو أنه فنان تشكيلي أيضاً، فهو يتمتع بموهبة فنية في مجال الرسم أيضاً، بالاضافة الى امكاناته الصحفية المتعددة. وقد دعاني ذات مرة لزيارته في شقته التى تقع في شارع الجوازات، وتتميز ببعض اللمسات الفنية المميزة من صنع يديه!

فقد شاهدت بعض اللوحات والبورتريهات التي قام برسمها بنفسه، ومن بين هذه اللوحات لوحة لوجه زوجته الصحفية بروز اليوسف السيدة خديجة قاسم.

كما شاهدت لوحات عن الطبيعة والحياة التي يمكن لو جمعها لأقام من خلالها معرضاً لأعماله التشكيلية.. فهل تتم هذه الخطوة ليتعرف الناس على الفنان التشكيلي كامل زهيري، بعد أن تعرفوا على الكاتب كامل زهيري؟!

«الراصد» والتراث الشعبي

أصدر مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية عدداً جديداً من مجلة «الراصد» تضمن عدة موضوعات هامة عن الأدب الشعبي والموسيقى والرقص الشعبي، والعادات والتقاليد والمعارف الشعبية والثقافة المادية والفنون والحرف الشعبية.

«والراصد» في الواقع تعتبر محاولة جيدة في رصد تيارات الفكر والادب والفن الشعبي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ويقوم من خلالها برصد هذه المواد وتحليلها نخبة من المهتمين بالفن والأدب الشعبي بالمركز، من خلال متابعتهم لما يتم نشره بالصحافة الخليجية.

من ناحية أخرى أصدر مركز التراث الشعبي العدد الأول من مجلة «المأثورات الشعبية» مشتملا على قسمين الأول العربي ويحتوى على أبحاث ودراسات «ومرويات» شعبية ومراجعات الكتب والندوات حول الفن والأدب الشعبي وتقارير وأخبار.

محاضرات وندوات ومسابقات ثقافية

في اطار الموسم الثقافي تنظم ادارة الثقافة والفنون التابعة لوزارة الاعلام لموسم ٨٦ مجموعة من المحاضرات والندوات والمسابقات الثقافية، من بينها محاضرة لأحمد محمد عبدالرحمن العبدالله حول «الخفاض عادة أم بدعة» وندوة حول مستشفى حمد العام والمواطن القطري، يشترك فيها د. حجر أحمد حجر وكيل وزارة الصحة العامة ود. عبدالجليل سلمان ود. عبدالله الباكر،

جائزة شعرية عالمية للشيخ مبارك بن سيف آل ثاني


مبارك بن سيف آل ثاني

حصل الشاعر القطري المعروف الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني على جائزة ولادة بنت المستكفي مع دبلوم «شهادة» تذكارية من المعهد الاسباني العربي للثقافة خلال الحفل الذى أقامه المعهد مؤخراً بمدريد.

وكان الشاعر الشيخ مبارك قد تقدم بناء على طلب من المعهد بتقديم انتاجه الشعرى حسب شروط المسابقة، وفاز ديوانه «ليال صيفية» بالجائزة.

وقد تسلم الشيخ مبارك بن سيف آل ثانى جائزته عن طريق سفارة دولة قطر في مدريد، وهو يعتبر هذا الفوز لكل الشباب القطرى فى هذا العهد الميمون، عهد صاحب السمو الأمير المفدى وولى عهده الأمين.

من ناحية أخرى أقام المعهد الاسباني العربي للثقافة التابع لوزارة الخارجية الاسبانية حفله السنوى لاعلان نتائج مسابقة ابن خفاجه وابن خلدون وابن طفيل في الشعر والفنون وتوزيع جوائزها لعام ١٩٨٥، وكان من بين الفائزين الشاعر السوري حسان عطوان والشاعر المغربي أحمد المشاطي والشاعر الاسباني كارلوس مورسيانو.

وجاء فوز الشاعر حسان عطوان بجائزة ابن خفاجه عن ديوانه «معمودية الدم» الذي ألقى الدكتور الشاعر محمود صبح أستاذ الأدب في جامعة مدريد مقتطفات من الاشعار التى احتواها في الحفل الذي حضره السفراء العرب والاجانب. وفي نهاية الحفل تسلم ممثل السفارة السورية بمدريد جائزة الشاعر حسان عطوان وهى عبارة عن ميدالية ذهبية ووسام شرف وثلاثة آلاف ريال.

وأمسية شعرية عن الشعر الشعبي يشترك فيها الشاعر ربيع الياقوت من دولة الامارات العربية المتحدة، ومجموعة من الشعراء الشبان القطريين، ومحاضرة للدكتور رشدي فكار «حول الفلسفة الاسلامية»، ومحاضرة للاستاذ أحمد بهاء الدين حول «الشئون العربية»، وندوة حول العلاقة بين الموسيقى والتراث يشترك فيها كل من عبدالعزيز ناصر الملحن القطري والدكتور مصطفى مبارك الباحث الشعبي بالادارة، كما ستنظم الادارة أيضاً مسابقة في القصة القصيرة ومعرضا للكتاب المحلي، ومسابقة لرسوم الأطفال.

المجموعة القصصية الثانية

أصدر القاص عبد الله عيسى الموظف بوزارة الاعلام ادارة الثقافة والفنون، مجموعة قصصية جديدة بعنوان ثلاث نساء وبيت واحد.

وقد احتوت المجموعة على



ثماني قصص قصيرة، عالج فيها القاص بعض المشاكل الاجتماعية الخليجية، والقضايا الانسانية المعاصرة والجدير بالذكر أن هذه ثاني مجموعة للقاص عبدالله بعد مجموعته الأولى التي أصدرها في عام ١٩٨٤، وكانت بعنوان قطار العوانس، وقد احتوت على ثماني قصص أيضاً.

أصالة ومعاصرة

في اطار المحاضرات التي تنظمها كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر ألقى الدكتور على عبدالخالق الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية محاضرة حول الأدب العربي بدول الخليج وشرق الجزيرة العربية بين الأصالة والمعاصرة، تناول فيها ماشهده شرق الجزيرة العربية من حياة أدبيه قديماً بشكل أكد ريادتها للحركة الأدبية، كما تحدث عن الأصالة في الأدب العربي للمنطقة. وألقى الضوء على قضية المعاصرة لهذا الأدب من حيث كونه قدرة خلاقة مبدعة يتجلى فيها الانتماء والتحرر من إسار المحاكاة والاقتباس.

كما أشار في محاضرته الى موقف أدباء الخليج وشرق الجزيرة متناولاً ماعبروا فيه من أعمال تعكس معاناة الانسان العربي في المنطقة وآماله وآلامه عبر التاريخ، مما جعل أدبهم جزءاً لا ينفصل من تراث الأمة العربية في حاضرها وماضيها.

الجدير بالذكر أن الدكتور على يعد أحد المتخصصين في الأدب العربي الحديث بمنطقة الخليج وشرق الجزيرة.

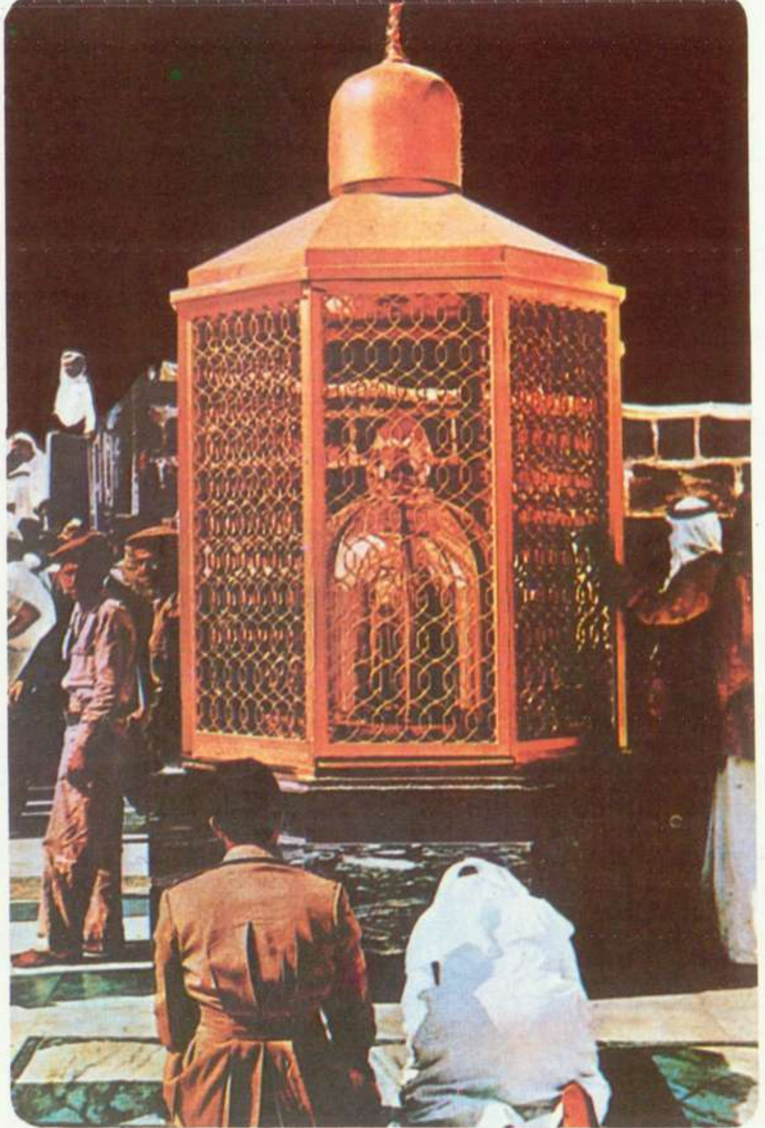
علمـــاء العرب .. في سلسلة كتب جديدة

عن مركز الترجمة والنشر بدار الأهرام، يصدر الكاتب القصصى «سليمان فياض» سلسلة كتب جديدة من آدب السيرة عن: «علماء العرب» تتضمن وبأسلوب قصصى أهم إنجازات علماء المسلمين فى العصور الوسطى، فى شتى المجالات العلمية، وهى الانجازات التى أضافوا بها جديدا من المعارف والاكتشافات والابتكارات العلمية، فوق ماقدمته حضارات العالم القديم فى المجالات العلمية، والتى وضعوا بها أسس التقدم للنهضة الأوربية الحديثة، وسبقوا بها علماء عصر النهضة فى مختلف المجالات العلمية.

وقد أصدرت دار الأهرام من كتب هذه السلسلة كتبا عن: «ابن النفيس» مكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل وليم هارفى بعدة قرون، وعن «ابن الهيثم» عالم البصريات الذى وضع الأساس المعرفى والرياضى للعدسات المحدبة والمقعرة والمكبرة، ولصندوق التصوير الفوتوغرافى، ولكيفية الرؤية، ولأسماء أجزاء العين التى ماتزال تستخدم الى اليوم في شتى اللغات. وعن «البيرونى» عالم الجغرافيا الفلكية الذى قال قبل «جاليليو» بكروية الأرض ودورانها حول نفسها على محور مائل، ودورانها حول الشمس، وستصدر الأهرام فى العام الحالى (١٩٨٦) عددا جديدا من كتب هذه السلسله عن أعلام العرب فى الطب والعلوم والجغرافيا.

والسلسلة الجديدة كتبت بطريقة قصصية، وتضم أهم كتب هؤلاء العلماء العرب وإنجازاتهم العلمية، فى تضمين ميسر، لكى يقرأها الصغار والكبار.

دوحة القراء





حاول أن تعرف

الصورة الأولى

هذه الصورة لأحد الأماكن المقدسة العريقة فى القدم ، ومن واجب المسلم أن يصلى ركعتين حال تواجده به .

ما اسم هذا الأثر الاسلامى الجليل ؟ وأين يقع ؟

الصورة الثانية

هذه الصورة لأول رائد فضاء فى العالم ، جاجارين الروسى الجنسية ، فمن هوأول رائد فضاء وضع قدمه على سطح القمر؟ ومتى كان ذلك ؟

النعمان بن المنذر

أشهر ملوك الحيرة : هوالنعمان بن المنذر وكان داهية مقداما امتد حكمه ٢٨ عاماً ، وبنى أشهر قصورها (الخورنق) على مرتفع يشرف على النجف ، وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي . وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى وصاحب يومي البؤس والنعيم وقاتل عبيد بن الأبرص الشاعر في يوم بؤسه ، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه نحو سنة ٥٩٢ م ، توفي بخانقين نحو ١٥ ق . هـ/٦٠٨ م ، وقيل تحت أرجل الفيلة بأمر من كسرى أبرويز .

خليل عبد الكريم

الرياض ــ السعودية

إيمان

كانت بدوية فقيرة تقيم فى خباء من شعر ، ضربته في مكان مهجور بالصحراء .. وحول الخباء بستان صغير ، تعيش على ما ينتجه من زرع . وذات ليلة ، غامت السماء وارعدت وأبرقت ثم تساقط برد أفسد الزرع . فلما هدأت العاصفة .. أخرجت الاعرابية رأسها من الخباء ، ونظرت إلى الزرع وقد ذوى .. ثم رفعت رأسها نحو السماء ، وقالت : اصنع يا الهي ماشئت .. فإن رزقي عليك !

محمد بشير نعمة دمشق ــ سورية

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة « الدوحة » ص . ب (٢٣٢٤) الدوحة ـ قطر ،
وحتى تضمن اشتراكك في المسابقة الرجاء كتابة كلمة « مسابقة » على الظرف بخط واضح .



لقطة الشهر

الضفة الغربية لنهر النيل عند أسوان

تصوير : عبد الرحمن حمزة

الصندوق الأسود

ان حوادث الطائرات أو إختطافها في أماكن متفرقة من العالم يكتنفه شيء من الغموض لعدم معرفة الأسباب الحقيقية لهذه الأعمال .. إلا أن أول شيء تفعله شركات الطيران المالكة لهذه الطائرات هو البحث عن صندوق صغير يكون بين حطام الطائرة في مكان سقوطها سواء كان على الأرض أو في البحار أو المحيطات وهذا الصندوق يسمونه « الصندوق الأسود » وهو صندوق صغير إلا أنه يقوم بتسجيل الارتفاع والاتجاه والضغط الجوى والسرعة .. كما يقوم بتسجيل الحديث بين قائد الطائرة والمساعد والمهندس الجوى كما أنه يقوم بتسجيل ٦٠ معلومة مختلفة كل نصف ساعة ... وبهذا فهو يعتبر مرجعا لمعرفة أسباب سقوط الطائرات . ويوضع في مؤخرة الطائرة عادة وهو يقاوم صدمة مقدارها ٥٠٠٠ رطل ويتحمل ١١٥٠ درجة مئوية لمدة نصف ساعة كما أنه يمكن أن يستقر في قاع البحر لمدة شهر دون أن يتأثر بشيء .. كما أن بداخله جهازاً يقوم بإرسال نبضات واشارات معينة يمكن عن طريقها التعرف على مكان الصندوق بواسطة جهاز « سونر » الذى يلتقط هذه الإشارات .. ويبلغ ثمنه ٨٥ ألف دولار وقد تم استخدامه أول مرة في عام ١٩٦٥ .. ومكانه بالتحديد في الطائرة غير معلوم لأحد سوى الشركة المالكة .

عبد الفتاح محمود أحمد ابراهيم

مصـــر ـ كوم أمبو

ألقـــاب وأسـمَاء

شعـــراء :

شاعـر السيف والقلم محمود سامي البارودي .

شاعر الشباب أحمد رامى .

الشاعر المحروم الامير عبدالله الفيصل .

أمير شعراء الجاهلية امرؤ القيس .

شاعر النيل حافظ ابراهيم .

أمير الشعراء أحمد شوقى .

الأخطل الصغير بشارة الخوري .

شاعر القطرين خليل مطران .

نســـاء :

أم الأبطال الخنســـاء .

مطربة القطرين فتحية أحمد .

سيدة نساء الجنة فاطمة الزهراء .

أم الشيماء حليمة السعدية .

شهيدة الحب الالهى : رابعة العدوية .

حمد سالم ـ سلطنة عمان



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

خُوَيْلد بن خالد المعروف بأبى ذُؤَيب الهُذَلِي شاعر عربى عاصر النبىّ ﷺ وكان أصغر منه سنا ، ويقال انه ارتحل لزيارة النبى ، ولكنه بلغ المدينة عقب وفاته ﷺ فى صبيحة اليوم نفسه . وقد هاجر إلى مصر فى عهد عمر بن الخطاب وهناك انضم إلى حملة ابن أبى السَّرْح على افريقيا سنة ٢٦ هجرية وقد فقد فى مصر خمسة من بنيه فى عام واحد بمرض الطاعون .

وقد صاحب شاعرنا عبد الله بن الزبير الذى ناط به ابن أبى السرح أن يبلغ الخليفة عثمان بما حققته جيوشه من انتصارات .. ولكنه توفى وهو فى طريقه إلى المدينة وكان ذلك سنة ٢٨ هجرية .. وفى رائعته التى يرثى فيها أولاده الخمسة يقول :

فَغَبَــــرتُ* بعدهــمُ بعيش نــاصب — وإخــال أنــى لاحــق مســتــتـبعُ
ولقــد حــرصتُ بــأن أدافــع عنــهــمُ — وإذا المنــيّــةُ أقــبلتْ لا تُــدفَــعُ
وإذا المنــيــةُ أنشبت أظفــارهــا — ألفــيتَ كلَّ تمــيمـــةٍ لا تنفــعُ
فــالعيــن بعدهــمُ كــأنَّ حــداقــهــا — سُمِلَتْ بشــوكٍ فــهــى عــور تــدمعُ
وتجلّدى للشــامــتــيــن أُريــهــمُ — أنــى لــريب الــدهــرِ لا أتضعضعُ
والنفسُ راغبـــةٌ إذا «المقصود» — وإذا تُــردُّ إلى قليل تقنــعُ

(* فغبرت أى فَقَعَدت)

المقصود أو «الكلمة الأصلية» عند الشاعر مكونة من ستة حروف :

٦ ، ٢ ، ٤ ، ١ ، ٣ ترك وطنه وعاش فى بلاد أخرى .

٥ ، ١ ، ٣ اختلق خلسة .

٣ ، ٤ ، ١ قَطَعَ .

٤ ، ٦ ، ٥ ضَلَّ الطريق .

جــواز ســفــر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية مشهورة ، حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة فى جواز سفره .. والتى تلقى ضوءاً على جوانب من حياته :

سنة الميلاد : قبل الهجرة بأربعة وأربعين عاماً .

إسمه فى الجاهلية : كان يسمّى عبد عمرو ، وقيل عبد الحارث ، وقيل عبد الكعبة ..

إسلامه : أسلم ضمن من أسلموا على يد أبى بكر الصديق وسماه النبى ﷺ بالاسم الذى عرف به . ولما قدم المدينة مهاجرا ، آخى النبى ﷺ بنيه وبين سعد بن الربيع الذى كان من أكثر الأنصار مالاً فأعطاه نصف ماله .

المهنة : اشتغل بالتجارة وفتح الله عليه وصار من أغنى المسلمين . وقد تنازل عن قافلة بأحمالها تشمل سبعمائة بعير كانت قادمة من الشام وذلك فى سبيل الله .

جهاده : شهد موقعة بدر ، وثبت مع الرسول ﷺ يوم أُحد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر الصديق .

وفاته : توفى سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنين وثلاثين هجرية ودفن بالبقيع .

يتكون اسم صاحب هذا الجواز من أربعة مقاطع مجموعها أربعة عشر حرفا :

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ من أسماء الله الحسنى .

١٤ ، ١٣ ، ٦ ، ٤ ، ١١ غليان اللبن وانسكابه من الاناء .

٧ ، ٦ ، ٨ عكس أباحَ .

١ ، ٢ ، ٣ بمعنى سَوَّى الطريق .

٩ ، ١٠ ، ١٢ مكان يتدفق منه الماء من باطن الأرض .

مسابقة مدن العالم

هذه المدينة هى إحدى المدن اليابانية الكبيرة ، يبلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثة ملايين نسمة ، وتعتبر من أضخم المدن الصناعية فى اليابان إن لم يكن فى العالم أجمع .

وتقع هذه المدينة على طرف أحد الخلجان الشديدة العمق ، والمطل على سهل دلتا أحد الأنهار اليابانية المسمى نهر يودو .

وعندما يقترب القادمون إليها سواء من البر أو البحر ، تبدو لهم وكأنها غابة كثيفة أشجارها مداخن المصانع الكثيرة المنتشرة فى كل مكان ، وتمتد ضواحيها أميالاً عديدة .

ومن أشهر منتجات مصانع هذه المدينة لعب الأطفال المختلفة الرائعة التى تنتشر فى جميع أنحاء العالم ، كما توجد بعض أحواض السفن اليابانية فى خليجها الكبير .

اسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد من ستة حروف :

١ ، ٢ ، ٣ طير من الطيور المنزلية الداجنة .

٢ ، ٥ ، ٣ بمعنى ضَربَ بجمع يده

٦ ، ٥ إذا أضيف حرف «ل» إلى آخرها كانت بمعنى تَنَاوُل الطعام .

٤ ، ٢ إذا أضيف حرف «ل» إلى آخرها كانت عكس آخر .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢٣

١ — المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر بشار بن برد هى : صديقك .

٢ — جواز سفر : اسم صاحب الجواز الفنان العربى سيد درويش .

٣ — لمن هذا الكتاب : للأديب عباس محمود العقاد .

٤ — مسابقة مدن العالم : هى مدينة لندن .

اســم الشـــهرة

هو شهاب الدين أبو العباس بن أحمد بن محمد اللَّخميّ الشافعيّ ، ولد عام ٦٢٥ هجرية .. بأشبيلية .. وأسره الأسبان الذين غزوا أشبيلية سنة ٦٤٦ هجرية ولكنه تمكن من الفرحيث ذهب إلى مصر حوالى سنة ٦٥٠ هجرية . ودرس فى الأزهر على شيوخ القاهرة ، ثم سار إلى دمشق ودرس على كبار علمائها واستقر به المقام هناك ، إلى أن صار مدرساً للحديث بالجامع الأموى . ومن أشهر تصانيفه منظومة تعليمية فى ألقاب علم الحديث يقول فى مطلعها :

غرامى صحيح والرجا فيك معضل ... وحزنى ودمعى مرسلٌ ومسلسلُ

وقد توفى سنة ٦٩٩ هجرية :

وشهاب الدين له إسم مشهور عرف به مكون من ثلاثة مقاطع تحتوى على أربعة عشر حرفا :

١ ، ١٠ ، ٥ ، ١١ بمعنى أروى ظمئي .
٧ ، ٦ ، ١٣ ، ١٢ بمعنى أكثرُ حلاوةً .
٣ ، ٩ ، ١٤ آلة نفخ فى الموسيقى الشرقية .
٧ ، ٨ ، ٤ أول حرف من الحروف الأبجدية .
٤ ، ٥ ، ٦ بمعنى سرور .
١٠ ، ٢ ، ٨ الابن الصغير للأسد .
فهل عرفت هذا الاسم ؟

أســماء الفائزيـــن

١ـ فازت بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارئة فادية عبد الفتاح مرعى ـ جمهورية مصر العربية .

٢ـ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى القارىء محمد ضى النور محمد خليفة ـ السودان .

٣ـ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى القارىء ـ محمد عمر موسى ـ قطر .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ عيساوى الحسن .... المغرب
٢ ـ الأسد محمد العربى .... الجزائر
٣ ـ محمد نور الدين على ...... الصومال
٤ ـ سهيل سعد محمد .... سورية
٥ ـ حميد سعود العذونى .... السعودية
٦ ـ جمانه أحمد رامى .... الكويت
٧ ـ خالد محمد أحمد . اليمن الديمقراطية
٨ ـ حسن عبد المجيد عبابنه .... الأردن
٩ ـ شاهين على الكعبى .... قطر
١٠ ـ سعيد سالم حارب علوى ....
سلطنة عمان

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٢

الصورة الأولى .. يقع قصر السلطان فى مدينة سيؤن بجمهورية اليمن الديمقراطية .

الفائز الأول : كميت محمد على غنيم ـ الأردن .

الفائز الثانى : عاطف متري رومانى ـ مصر .

الصورة الثانية : الملك النعمان بن المنذر .

الفائز الأول : زهير صبحى يوسف سلامه ـ قطر .

الفائز الثانى : غزوان ممدوح الحميدى سورية .

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢٢

١ ـ أصل وصورة : الجبهة ـ الفم ـ الذقن ـ شعر الرأس ـ الأنف ـ الرقبة ـ الأذن .
٢ ـ لوحة لم تتم المطربة وردة الجزائرية .
٣ ـ دورى الكاريكاتير رقم ٧ .
٤ ـ لعبة الظلال رقم ١ .
٥ ـ يخلق من الشبه أربعين رقم ١ .
٦ ـ المثل يقول من شابه أباه فما ظلم الديك الفصيح من البيضة بيصيح .
٧ ـ هات أجمل تعليق
ولع يابنى خلى الكلام يحلى
ان كبر ابنك خاويه .

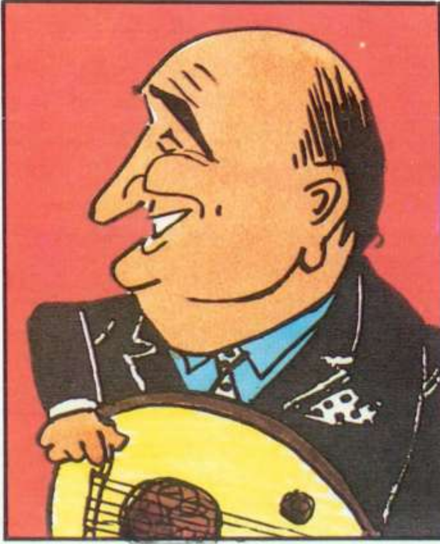
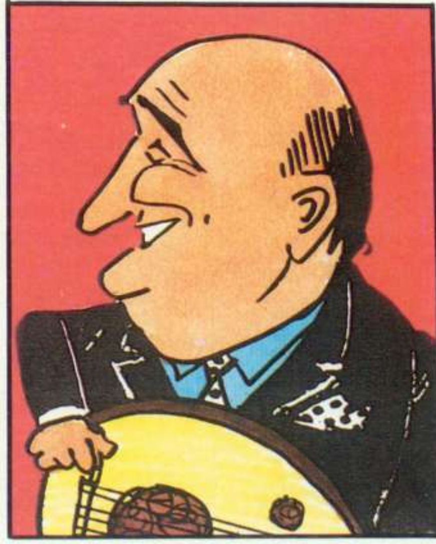
أسـماء الفائزيـــن في استراحة الدوحة للعـدد ١٢٢

١ ـ مساعد قاسم سعداوى .... مصر
٢ ـ ابراهيم أحمد الطاهر .... السودان
٣ ـ سالم فاتح .... المغرب [اشتراك]
٤ ـ صديق هارون كرية .... السودان
٥ ـ محمود مرعى عبد الله .... سورية
٦ ـ خالد أحمد بشار بركات ....
الامارات العربية المتحدة
٧ ـ سامية أنور فتح الباب .... قطر
٨ ـ سعاد نور الدين محمد ...... السعودية
٩ ـ عائشة حسن عبد الله .... البحرين
١٠ ـ هدى محمد بادي .... ليبيا
١١ ـ محمد زاهر نحلاوى .... سورية
١٢ ـ خالد يحيى أحمد الحضى ....
الجمهورية العربية اليمنية
١٣ ـ عارف محمد عبد العزيز الشحات
مصر
١٤ ـ على عبد القادر حسن .... قطر

التدخين ضـار بصحتك
ننصحك بالابتعاد عنه

استراحة الدوحة

أصل وصورة

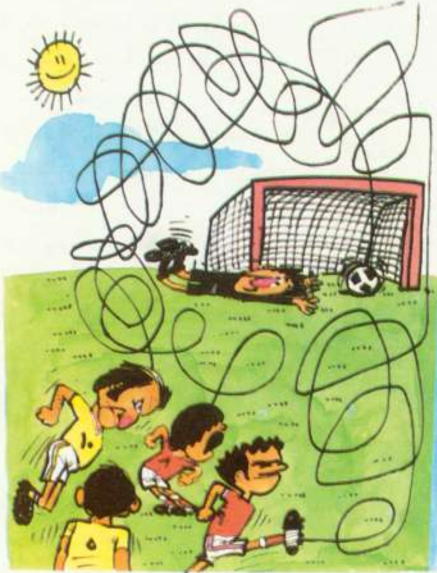
• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنان العربى وديع الصافى الذى أشتهر بأدائه المتميز فى الغناء ، هناك سبعة اختلافات طفيفة ، إذا تعرفت عليها أرسلها إلينا لتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها وترسلها لنا لتحصل على جائزة ؟

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رؤوف

لعبة الظلال



• هل تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ إذا استطعت ذلك أرسل لنا الحل ولك جائزة .

هات أجمل تعليق



• حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتحصل على جائزة

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى ، إذا عرفته ، أرسله لنا لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين















• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الشاعر العربى الراحل محمد المهدى المجذوب الذي كان من أهم دواوينه « نار المجاذيب » و « الشرافة والهجرة » .. بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما وفى البقية اختلافات بسيطة ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

صوت

بقلم: مريم آل سعد

السُّلطة الخامسة

القراء مسئولون بشكل أو بآخر عن جودة أو سطحية المطبوعات الصادرة إليهم .. فصمتهم واستسلامهم لما ينشر هو بمثابة الرضا عن مضمون مايطرح ، والتغاضي عن الأساليب التغريبية التي تمتهنها بعض الصحف والمجلات بتجاوزها للقضايا الأساسية التي تهم الجماهير ، وبتسليط اهتمامها على الأخبار الطريفة الملونة التي تلهي الناس وتثير فضولهم بدعوى معرفة غرائب العالم وآخر ماتوصلت اليه التقليعات العجيبة وما أفرزته السينما العالمية من نوادر وأخبار مشاهيرها ومغموريها .. !

إن العلاقة المبتورة بين القارىء وبين صحيفته أو مجلته كانت دافعاً لاستمرار صحافة التطبيل والتلميع وتزوير الحقائق ، التي لم تلمس بعد احتجاج القاعدة العريضة من القراء على نوعية مايباع لهم ..

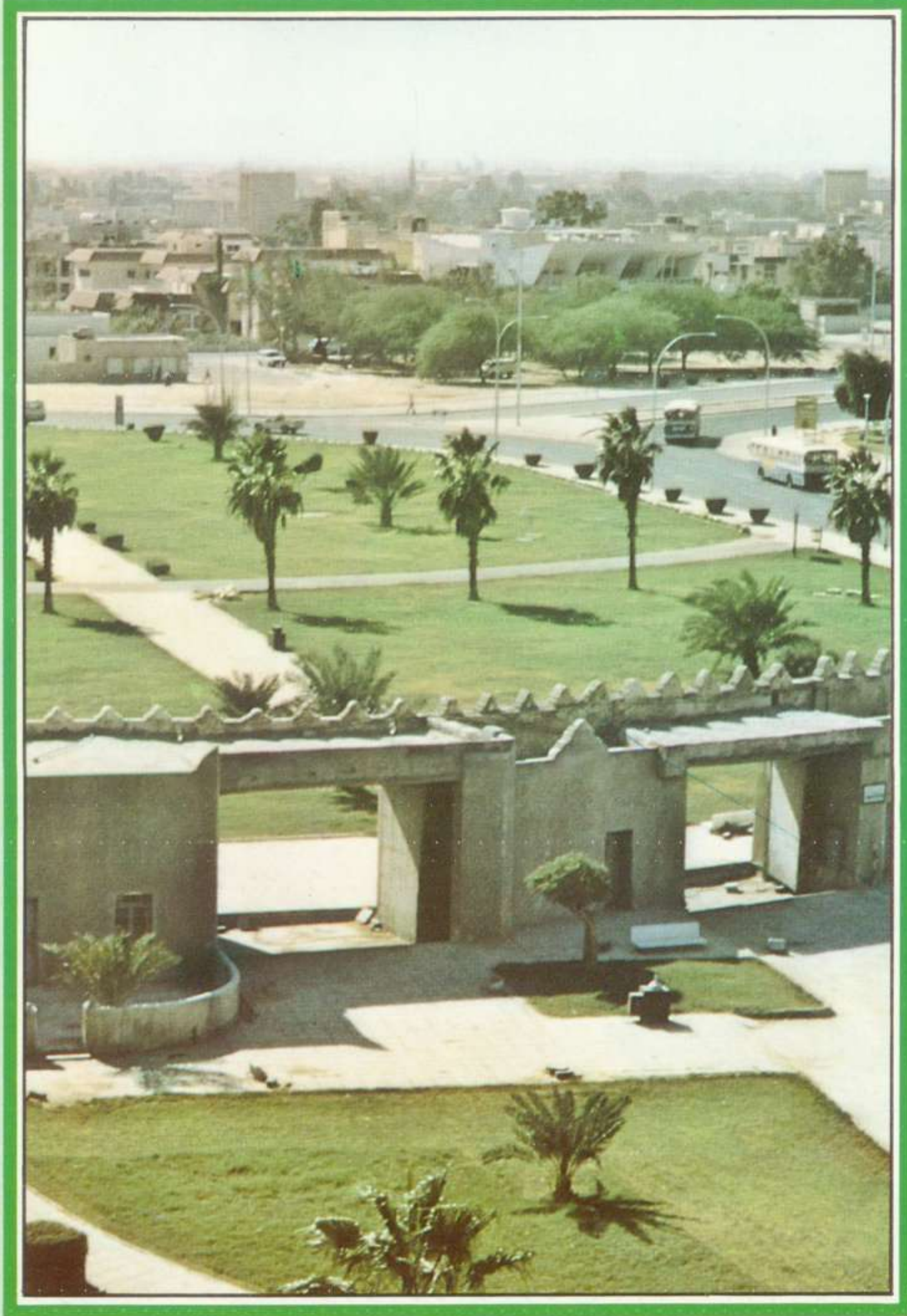
ليس على القارىء تصفح جريدة أو مجلة ما ، ثم الاكتفاء بالتعليق بينه وبين نفسه على محتوياتها وخصوصاً إذا كان من الطليعة المثقفة بل عليه دور يجب أن يتصدر القيام به وهو توجيه هذه الصحافة ونقدها بالأسلوب الذي يملكه ، أليست طليعة القراء هي السلطة العليا التي يجب أن تمارس نفوذها وثقلها لتغيير مايستجد على الساحة (بصفتها الفئة الراصدة بوعي لكل ما ينشر) .. ؟ وألا تملك هذه الشريحة القارئة تصحيح مسار هذه المطبوعات وتحديد أوجه طرحها .. ؟ إن الوعي أداة خلاقة بامكانها صنع صحافة قوية لاتقبل المساومة .

يستطيع القراء إجبار مسئولي المطبوعة بتناول قضية ما ، والبت فيها أمام الرأي العام وذلك باتصالاتهم وإلحاحهم وضغطهم (إن أغلب الحجج التي يتخفى وراءها أصحاب المطبوعات إنما هي أوهام زرعها الصمت الطويل في أذهانهم) وبمقدور قاعدة القراء استرجاع قلم كاتب ارتأت ادارة مطبوعة ما التخلي عنه ضغطاً في المصروفات أو ضيقاً عن متابعة مايثيره من آراء قد يعرضها لمساءلة السلطات وهذا ما لا تود الخوض فيه (منذ متى كانت الصحافة مسايرة للواقع .. تزحف خلف الأحداث ولاتساهم في صنعها .. ؟) إنها تركن الى الهدوء والسكينة إذا كان قارؤها مستأنساً أليفاً لايحتج ولا يتململ ولا يخترق بصوته الأجواء ليهزها من سكونها البليد ويدفع بها الى حلبة المعارك الساخنة .

متى سيستيقظ القراء من غفوتهم التي تصور لهم بأن مهمة الصحافة هي صنع المستحيل بمنأى عنهم وبدون تدخلهم بينما تنحصر مهمتهم في قراءة المطبوعة فحسب ، ومتى عجزت المطبوعة عن تحقيق الذي ينتظرون فهي إذن فاشلة وسيئة ومبتذلة ، الصحافة .. أقلام تحتاج الى مبراة حرص القراء ومتابعتهم ، فإذا بخلوا بها أخذ القلم يتحرك دون أن يترك كتابة ما ، بل ظل مكانه محلك سر .. وبذلك توقف تطور قلم ، والصحافة تكون أحياناً أفكاراً تتحدث لكنها لاتجد الصدى الذي يسترجع ما ناقشت أو يعقب على ماطرحت فتموت الفكرة وتتحلل الى صفحات مكرورة ، والصحافة تكون أحياناً قلماً جموحاً لايجد من يلجمه بالتوجيه والرصد فيخطىء طريق الابداع ، ويتمنطق في برجه العاجي ويفقد لغة الاتصال مع القراء ويصبح وكأنه يخاطب كائنات من صنع خياله .

الصحافة الحقيقية هي التي تقف في وجه المدفع ، هي النزال إن تفجرت الحرب ، هي الكلمة الصاروخ إن عزَّ الكلام ، وهي القاعدة التي تضم مختلف التوجهات لتصوغها في ضمير يتسلل الى الأعماق لا ليخدرها ولكن لينفث دماء الحقيقة في شرايينها . مطبوعة بدون قراء .. لغة غريبة لايصاحبها شريط ترجمة ، وعندما تفقد الصحافة حميمية العلاقة مع قارئها تتحول الى مجرد نشرة رسمية تختص بطباعة البيانات الحكومية وتحتاج الى موظفين لا إلى ــ قراء ناضجين ــ لفك رموزها الروتينية المصكوكة بالشمع الأحمر .. !

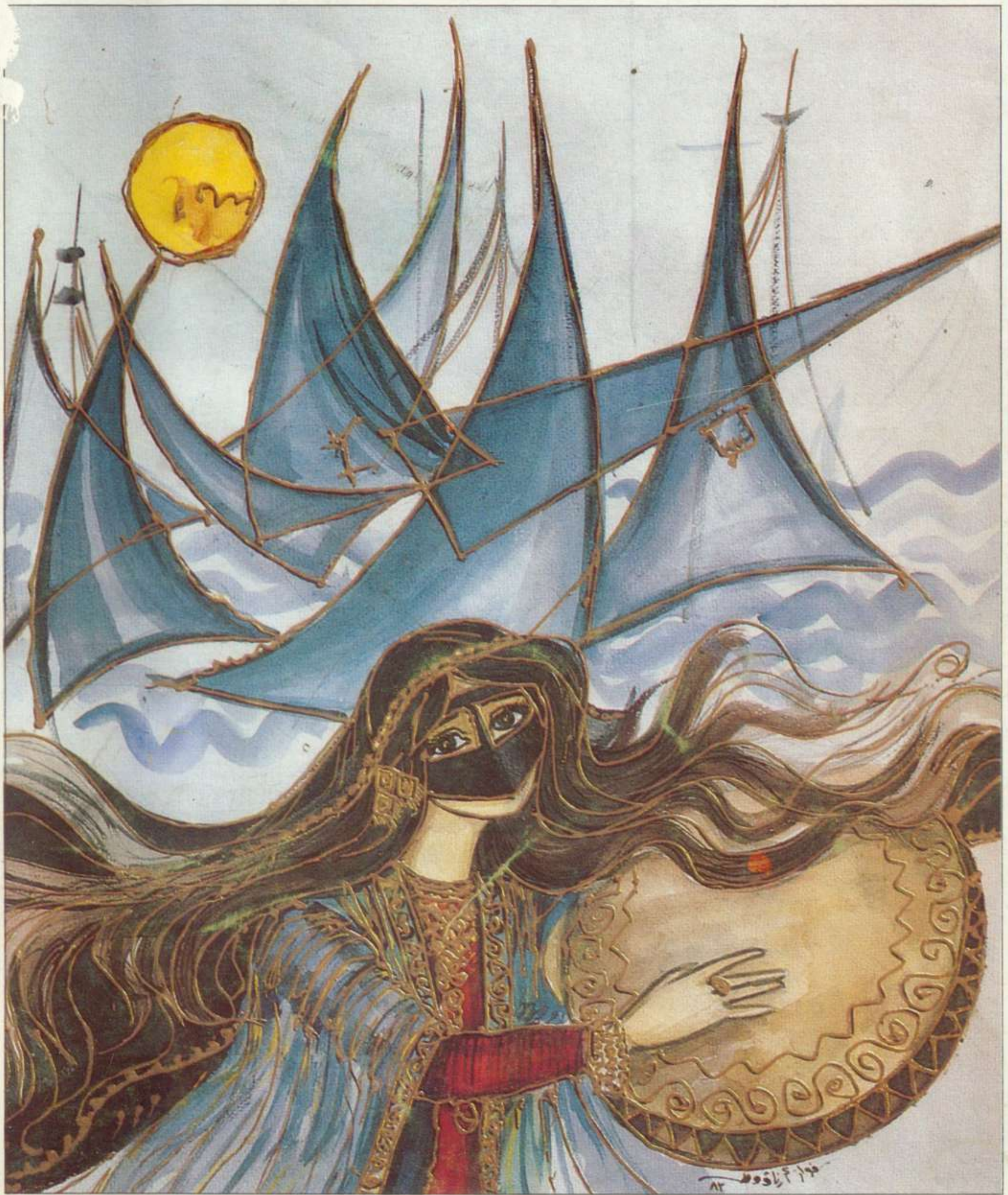
لقطات من الخليج



بقايا سور الكويت

تمثل بوابة الجهرة فى دولة الكويت أثرا وطنيا من الآثار التى تذكرنا بالسور الذى تم بناؤه من الآجر أو الطين المحروق فى عام ١٩٢٠ ، وكان يحيط بمدينة الكويت فى ذلك الوقت لحمايتها وتوفير الأمن لكافة سكانها ..

وقد أقيم سور الكويت ــ كما نعرف ــ قبل اكتشاف النفط ، وقبل أن تحتل الكويت دورها الاقتصادى الهام فى منطقة الخليج والعالم ، ووقتها كان أبناء الكويت يعملون بالغوص وتجارة اللؤلؤ وكانت السفن التجارية تمر بموانىء البلاد لتجوب المحيط الهندى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، ولتصل الساحل الافريقى بدول شرق آسيا مرورا بشبه القارة الهندية .. كما كانت القوافل التجارية تعبر تلك الموانىء من جنوب وشرق الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق وغيرها .



"تــوب تــوب يا بحـــــر"
للفنان : فــواز أرنــاؤوط
الإمـــارات

العدد ١٢٥ - شعبان ١٤٠٦هـ - مايو/آيار ١٩٨٦م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

١٢٥ ١٢٨

حسناء من تونس الخضراء

الفجر الكاذب
قصة جديدة بقلم
نجيب محفوظ

■ الفيتو.. أو حق الاعتراض في مجلس الأمن
حمد عبد العزيز الكواري

■ ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية
دكتور عامر شيخوني



لوحة وفنان

مباهج الاحتفالات

الاحتفالات أمام القصر العربي في بداية القرن العشرين (١٩٠٣) حيث كان يتبارى الفنانون في ابراز مواهبهم في أيام الأعياد !

واللوحة للفنان الايطالي جوستافو سيموني (١٨٤٦ ـ ١٩٢٦) الذي سجل عدة مشاهد بالألوان المائية للحياة اليومية في الجزائر وتونس ، وعندما عرض تلك المشاهد في المعرض العالمي بباريس منح وسام « مرتبة الشرف » .

ولوحات هذا الفنان تؤكد سيطرته على تلك التجمعات البشرية من حيث الظل والنور ، كما أن هذا العمل يؤكد القدرة الفائقة على استخدام الأدوات الفنية ، وخاصة ألوانه التي تتميز بالدقة في تجسيد الطرز المعمارية والملابس التقليدية .

العدد ١٢٥ - شعبان ١٤٠٦هـ - مايو/آيار ١٩٨٦م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات

التحرير والادارة :

صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة قطر - العنوان البرقي : مجلة الدوحة - الدوحة تيلكس : - 4521 Magdo Dh-

تليفونات :

رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١

التحرير : ٤٤١٢٧٥

المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨

القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا - دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا - باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها - في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا للدوائر الحكومية والشركات : داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا في باقي دول العالم ١٧٦ ريالاً قطرياً .

DOHA MAGAZINE P . O . BOX 2324 – DOHA Telex : 4521 Magdo Dh

مكاتب توزيع الدوحة

● قطر : دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة .

● السودان : دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● مصر : مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء القاهرة .

● سوريا : المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ دمشق .

● العراق : الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● ليبيا : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .

● الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● البحرين : مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● السعودية : الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة .

● الكويت : شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ الصفاة - الكويت .

● لبنان : الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ بيروت .

● الجمهورية العربية اليمنية : الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية : مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى - عدن .

● الامارات العربية المتحدة : مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد ابوظبي ص . ب ٧٩١

● سلطنة عُمان : وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - عُمان .

● تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ الدار البيضاء .

Maroc :
Sochepress
B . P . No 683

● الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .

Algerie
S . N . ED
20 Ruadulilerta
Alger

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الاسعار

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عُمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
الجمهورية اليمنية	٤ ريالات
اليمن الديموقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليماً
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــذا العـــــدد


الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى : البترول الى أين ؟ (ص ٤٦)


د . عبدالله الباكر : أثر الرياضة فى حياتك الصحية (ص ١١٦)


فهمى هويدى : للمناقشة : فى أزمة العقل العربى (ص ١٢)


د . عبدالله الطيب : قصيدة جديدة (٢٤)

دراسات ومقالات

أدب وفنون

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● المقالات المنشورة فى المجلة تعبر عن رأى أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأى وزارة الإعلام أو رأى المجلة

أبــواب

المدير الفني: سلمان المالكي

كلمة


عيسى غانم الكواري


البشير بن سلامة

بين قطر وتونس

أثارت الدوحة بقلم كاتبها اللامع الدكتور محمد جابر الأنصاري — على مدى الشهور الأربعة الماضية — مشكلة العلاقة الثقافية بين المغرب العربي والمشرق العربي ومايعتري هذه العلاقة من مشاكل وتعقيدات ، وقد أثار هذا الموضوع تعليقات واسعة في الصحافة العربية وتناولته أقلام كثيرة بالرد والمناقشة والحوار المثمر الجميل . وفي الوقت الذي أثيرت فيه هذه القضية كانت قطر تقدم نموذجاً حياً ورائعاً في مجال المواجهة العملية للقضية وكانت قطر تفعل ذلك بما تعودت عليه قيادتها الحكيمة من هدوء وتواضع وعزم شديد . فقد دعت قطر إلى إقامة أسبوع ثقافي تونسي في الدوحة . وجاء إلى الدوحة وفد ثقافي تونسي على مستوى رفيع برئاسة الكاتب والأديب الكبير البشير بن سلامة وزير الشئون الثقافية في تونس . وقد لقى الوفد التونسي في قطر ماهو أهل له من الترحيب والتكريم . ولقى الوفد الضيف في بلده الثاني قطر كل الفهم والاعجاب والمساندة من سائر الأجهزة الإعلامية والثقافية في الدوحة . وقد نجح الأسبوع الثقافي التونسي في قطر نجاحاً كبيراً وأعطى صورة حية للثقافة العربية المزدهرة في ذلك القطر العربي الشقيق ، وألقت محاضرة البشير بن سلامة عن الثقافة في تونس أضواء ساطعة على الحركة الثقافية هناك ، كما أعطت النشاطات الفنية والمعارض الشعبية والثقافية نموذجاً حياً لهذه الحركة ، وبذلك اتضحت الصورة تماماً أمام جماهير المثقفين في قطر ، وتحقق في هذا الأسبوع نموذج عملي للتفاعل المطلوب بين المغرب العربي والمشرق العربي ، وتم تتويج ذلك باتفاق ثقافي بين وزير الثقافة التونسية البشير بن سلامة ووزير الإعلام القطري عيسى غانم الكواري . وفي هذا الاتفاق تحددت خطة كاملة للتعاون الثقافي وتبادل الأنشطة الثقافية المختلفة بغير عوائق ولاقيود . كانت العقول مفتوحة والقلوب صافية والنفوس متلهفة على اللقاء والتفاعل . ذلك هو ماكان يسيطر على اللقاءات الثقافية بين تونس وقطر ، سواء كان ذلك على المستوى الشعبي أو المستوى الرسمي . وقد صرح الوزير التونسي للدوحة في ليلة سفره بأنه سعيد بهذا اللقاء الناجح المثمر بين تونس وقطر . وأن هذا اللقاء ، بهذا المستوى وبهذا العمق هو نموذج لما ينبغي أن يتحقق بين المغرب العربي والمشرق العربي . بل هو ماينبغي أن يتحقق بين كل أرض عربية وشقيقتها في كل مكان .

والحقيقة الواضحة تماما ، بعد العديد من التجارب الكبيرة ، هي أن المدخل الرئيسي للتعاون العربي المثمر الفعال الذي يعود بكل الخير على الشعب العربي والوطن العربي ... هذا المدخل الرئيسي هو التعاون الثقافي الصادق المخلص المفتوح ، فالتفاهم العقلي والوجداني بين العرب يمهد الأرض الصالحة الخصبة لكل تفاهم مطلوب في المجالات الأخرى من سياسة واقتصاد وأمن وتنسيق لمواجهة مشتركة لأي عدو من أعداء العرب كبيراً أو صغيراً ، لابديل أبداً للتفاهم الثقافي ، ولا شيء يعلو عليه أو يسبقه في الأهمية فعند ما تتوحد عقول العرب وقلوبهم ، لايكون هناك شيء صعب بعد ذلك على الحل ...

فتحية للتعاون الثقافي الواسع المثمر بين تونس وقطر ، وتحية للأسبوع التونسي الثقافي الناجح الذي استضافته قطر بكل الترحيب والحب ، ليكون نموذجاً وشاهداً على كيفية اللقاء الصحيح بين العرب .

« الدوحة »



قضــايا مُثارة في الأمــم المتحــدة

الفيتو

أو: حق الاعتراض في مجلس الأمن

كانت الحرب العالمية الثانية لاتزال حامية الوطيس حينما عقدت دول الحلفاء المحاربة لدول المحور مؤتمرا في دمبارتون أوكس (Dumbarton Oaks) بجوار واشنطون عاصمة الولايات المتحدة ، وذلك في الفترة من ٢١ أغسطس الى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ . وكان الهدف من هذا المؤتمر البحث في انشاء منظمة دولية لمجتمع مابعد الحرب تعرف باسم الأمم المتحدة. وقد حضر هذا المؤتمر في مرحلته الاولى مندوبون عن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا . وبعد ستة أسابيع انسحب مندوبو الاتحاد السوفيتي لرفضهم الجلوس مع وفد الصين حيث لم يكن الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت في حرب مع اليابان وحل محلهم مندوبون عن الصين الوطنية .

وقد أولى المؤتمر اهتماما خاصا لموضوع الأمن والسلم الدوليين لحل الخلافات الدولية بالوسائل السلمية .. ولكنه لم ينظر في تأسيس هيئات لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية .

ومن أهم منجزات المؤتمر التخطيط لمجلس الأمن الذى يعتبر الأداة التنفيذية للامم المتحدة . ولابد من القول بأن معظم مقترحات دومبارتن اوكس أصبحت في النهاية جزءا من ميثاق الأمم المتحدة.

وعلى أثر مؤتمر يالتا في ٣ فبراير ١٩٤٥ ، بين الحلفاء روزفلت وتشرشل وستالين صدر بيان في ١٩٤٥/٢/٢١ ، أشير فيه الى الامور التي تم الاتفاق عليها بما فيها عقد مؤتمر سان فرانسيسكو لتأسيس الامم المتحدة وخلال مؤتمر يالتا طرح الرئيس روزفلت فكرة (الفيتو) وفق المادة ٢٧ التي أقرها مؤتمر دومبارتن اوكس ، والتي صادق عليها فيما بعد مؤتمر سان فرانسيسكو دون تغيير أو تبديل بالرغم من المعارضة الكلامية لبعض الدول الصغرى .

تبنت كل من بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، والصين الوطنية ، بمجموعها الدعوة الى عقد مؤتمر في سان فرانسيسكو ووجهت دعوة مشتركة الى ٤٥ دولة لارسال مندوبيها في ١٩٤٦/٤/٢٥ ، للنظر في صياغة ميثاق الامم المتحدة لانشاء منظمة دولية قادرة على منع تكرار حرب عالمية .

وكانت الوثيقة الرئيسية التي اعتمد عليها النقاش في صياغة الميثاق هى اقتراحات



بقلم: حمد عبد العزيز الكواري

دومبارتن اوكس التي أعدها ممثلو الدول التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية.

ثم دعا متبنو المؤتمر قبيل وعند أول انعقاده كلا من سوريا ولبنان والارجنتين وروسيا البيضاء واكرانيا كذلك، وبذلك أصبح عدد الدول التى اسهمت في صياغة الميثاق في مؤتمر سان فرانسيسكو خمسين دولة، انجزت اعمالها بعد مرور شهرين، ووقع المندوبون على الميثاق في ١٩٤٥/٦/٢٦ ودخل الميثاق حيز التنفيذ في ٢٤ اكتوبر ١٩٤٥ بعد استكمال تصديقات العدد المطلوب من الدول الاعضاء وهو ٢٤ دولة بالاضافة الى الدول العظمى الخمس.

(٢)

يلاحظ من هذه النبذة القصيرة حول تاريخ صياغة ميثاق الامم المتحدة أن فكرة الفيتو من الاساس كانت موضع اتفاق بين الدول المنتصرة في الحرب، وهى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا، لتحقيق امتياز خاص لأنفسهم بوصفهم الأعضاء الدائمين في مجلس الامن.

وعندما طرحت المادة السابعة والعشرون الخاصة بالتصويت في مجلس الأمن كانت تشتمل على ثلاث فقرات، أهمها الفقرة الثالثة التي تنص على: «أن تصدر قرارات مجلس الامن في المسائل الاخرى كافة (غير الاجرائية) بموافقة اصوات تسعة من اعضائه يكون من بينها اعضاء الاصوات الدائمين متفقة ...».

وقد جرى نقاش حاد وطويل حول هذه الفقرة، واستندت الدول المعارضة لهذه الفقرة في الأساس على أن فكرة الإمتياز في التصويت غير ديمقراطية، وتتنافى مع مبدأ «مساواة سيادة الدول» ولكن النقاش لم يسفر عن نتائج ملموسة وهامة، خاصة وان الولايات المتحدة مارست ضغطا كبيرا على دول العالم الثالث ومعظمها من امريكا الجنوبية فامتنع الكثير من وفود هذه الدول عن التصويت وصودق على المادة السابعة والعشرين بشكلها الحالي ووفق مقترحات دومبارتن اوكس.

(٣)

قبل البدء في عرض شامل لنمط استخدام الفيتو من قبل اعضاء المجلس الدائمين، لابد من التطرق الى أسباب عدم تمكن الدول الصغرى المشتركة في مؤتمر سان فرانسيسكو من إجراء بعض التعديلات على المادة السابعة والعشرين، التي تمثل إجحافا صريحا بحقها وتحرمها من تأثير فعال في القضايا الخطيرة التي ستعالجها المنظمة الدولية الجديدة، ويرجع ذلك في رأينا الى الاسباب التالية: —

أولا: أخذت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية دور المبادرة في إعداد مسودة الميثاق والتي تمثلت في مقترحات دومبارتن اوكس التي وافقت عليها الدول المساهمة في المؤتمر، وأيدها الثلاثة الكبار في مؤتمر يالتا والتي تنص على حق الفيتو كامتياز خاص للدول الكبرى للمحافظة على مصالحها، وهكذا قدمت مسودة الميثاق الى مؤتمر سان فرانسيسكو وفق هذا النمط من التفكير.

■ **الفيتو امتياز للكبار تدفع ثمنه الدول الصغيرة**

■ **في أمريكا صراع واضح بين المدرسة المنحازة لإسرائيل والمدرسة التي تدافع عن العرب**

ثانيا: كانت المعارضة للفيتو في مؤتمر سان فرانسيسكو مفككة، ولم تبد الدول المعارضة للمادة ٢٧ صلابة شديدة بحيث يمكن اخذها في الحسبان من قبل الدول التي اقترحت امتياز الفيتو للاعضاء الدائمين وهي الدول الكبرى الخمس.

ثالثا: ان التكوين السياسي والعقائدى للدول المساهمة في مؤتمر سان فرانسيسكو كان يتضمن مجموعتين رئيسيتين المجموعة الاولى وهى أكبر عددا تشمل دول أوروبا الغربية او امريكا اللاتينية ومعظمها ان لم يكن مؤيدا لمنح امتياز الفيتو فهو لايعارضه بشدة، أما المجموعة الصغرى المؤيدة للاتحاد السوفيتي فلا يمكنها قطعا اتخاذ أى موقف سوى التأييد التام للاتحاد السوفيتي.

فلا تبقى سوى عدة دول من آسيا وافريقيا، وعلى الرغم من قلة عددها وضآلة خبرة مندوبيها، فقد كان معظمها يميل الى تأييد الاتجاه الغربي وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وهما من أشد انصار الفيتو.

رابعا: وفضلا عما تقدم فقد هددت الدول المنتصرة في الحرب من خلال اتصالاتها الدبلوماسية بعدم انضمامها للامم المتحدة في حالة عدم حصولها على امتياز الفيتو. وأشاعت الولايات المتحدة بأن الكونغرس سوف لن يصادق على الميثاق اذا لم يتضمن حق الفيتو في مواده.

وقد أشار أحد المندوبين الآسيوين وهو وزير خارجية الفلبين آنذاك عند بحث تطبيق وتفسير المادة ٢٧ في الدورة الاولى للجمعية العامة قائلا «بأننا حذرنا بأن نحصل على ميثاق مع الفيتو أو لا نحصل على ميثاق على الاطلاق، وكانت النتيجة بأن حصلنا على ميثاق مع الفيتو».

بيد أنه عندما تم الاتفاق على درج صلاحية الفيتو في اقتراحات دومبارتن أوكس والموافقة عليها من قبل الثلاثة الكبار في مؤتمر يالتا واخيرا المصادقة على المادة (٢٧) في مؤتمر سان فرانسيسكو، لم تكن الحرب العالمية الثانية قد انتهت بعد ولكنها انتهت بعد القاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناغازاكي في شهر آب/ اغسطس عام ١٩٤٥، أى بعد عدة أسابيع من التوقيع على ميثاق الامم المتحدة.

ومنذ البداية كانت المادة (٢٧) التي تمنح حق الفيتو للدول الكبرى وحدها مصدر قلق للدول الصغرى حيث انها كانت تدرك خطورة

الفيتو
أو حق الاعتراض في مجلس الأمن

مثل هذا الامر عليها والذى يعطى للدول الكبرى موقف السيطرة على قضايا الامن والسلم الدوليين ، ويحول دون فرض عقوبة أو ردع على أى منها أو أى طرف محسوب على هذه الدولة أو تلك من الدول الخمس ، فضلا عن أنه منح الدول الدائمة العضوية ــ كمجموعة أو على انفراد ــ عدم تحمل مسئولية تنفيذ أى اجراء يمكن ان يتخذ من قبل الامم المتحدة لايتفق مع مصالحها أو مصالح احدها بغض النظر عن المصلحة العليا للمجتمع الدولي ككل .

وبعد نقاش طويل لم تحصل الدول الصغرى في مؤتمر سان فرانسيسكو على أى تنازل أساسي حول استخدام وتطبيق الفيتو ، وكل ماتحقق هو قصر الفيتو على القضايا الجوهرية ، وعدم استخدامه في القضايا الاجرائية ، كما تم الاتفاق على تناوب رئاسة المجلس شهريا بغض النظر عن نوعية العضوية .

وجدير بالذكر أن تجربة عصبة الامم كان لها دور في قصر حق الفيتو على الاعضاء الدائمين في مجلس الامن فقد كانت المادة ٢٦ من عهد عصبة الامم تنص على ان المسائل الهامة تصدر قرارات مجلس العصبة فيها بإجماع اعضاء المجلس وفيهم دول ذات مقاعد دائمة ودول ذات مقاعد تملأ بطريق التداول وقد رُؤي أن منح الاعضاء الدائمين مُكْنَةَ تعطيل صدور القرارات الهامة من مجلس العصبة أمر غير منطقي وقد كانت هذه الحجة الرئيسية لانصار قصر حق الفيتو على الاعضاء الدائمين في المنظمة الدولية الجديدة التي حلت محل عصبة الامم .

(٤)

من المؤكد ان الميثاق قد عكس التسوية السلمية التي توصل اليها المنتصرون في الحرب بشكل ينسجم مع مصالحهم ، غير ان زمالة وانسجام ووحدة الحرب لم تستمر في وقت السلم ، وخاصة بعد تأسيس الامم المتحدة ، وبدء ظهور الخلافات الاساسية بين الجانبين الغربي والشرقي ، فلم تتمكن الدول الغربية أو بالاحرى الولايات المتحدة من تنفيذ رغباتها

استخدام الفيتو فى الفترة من : ١٩٤٦ ــ آذار/مارس ١٩٨٦

العام	الصين	فرنسا	بريطانيا	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
١٩٤٦	ــ	١	ــ	ــ	٩
١٩٤٧	ــ	١	ــ	ــ	١٣
١٩٤٨	ــ	ــ	ــ	ــ	٧
١٩٤٩	ــ	ــ	ــ	ــ	١٤
١٩٥٠	ــ	ــ	ــ	ــ	٤
١٩٥٢	ــ	ــ	ــ	ــ	٨
١٩٥٣	ــ	ــ	ــ	ــ	٤
١٩٥٥	١ (الوطنية)	ــ	ــ	ــ	١٧
١٩٥٦	ــ	٢	٢	ــ	٢
١٩٥٧	ــ	ــ	ــ	ــ	٣
١٩٥٨	ــ	ــ	ــ	ــ	١٠
١٩٦١	ــ	ــ	ــ	ــ	٧
١٩٦٢	ــ	ــ	ــ	ــ	١
١٩٦٣	ــ	ــ	ــ	ــ	١
١٩٦٤	ــ	ــ	ــ	ــ	٢
١٩٦٦	ــ	ــ	ــ	ــ	١
١٩٦٨	ــ	ــ	ــ	ــ	١
١٩٧٠	ــ	ــ	٢	١	ــ
١٩٧١	ــ	ــ	١	ــ	٣
١٩٧٢	١	ــ	٢	١	ــ
١٩٧٣	ــ	ــ	١	٣	ــ
١٩٧٤	ــ	١	١	١	١
١٩٧٥	ــ	١	١	٦	ــ
١٩٧٦	ــ	٢	١	٥	ــ
١٩٧٧	ــ	٣	٣	٣	ــ
١٩٧٩	ــ	ــ	ــ	ــ	٢
١٩٨٠	ــ	ــ	ــ	١	٢
١٩٨١	ــ	٤ (بريطانيا وامريكا)	٤ (فرنسا وامريكا)	٤ (فرنسا وبريطانيا)	ــ
١٩٨٢	ــ	ــ	١ (امريكا)	١ (بريطانيا)	ــ
				٧	ــ
١٩٨٣	ــ	ــ	ــ	٢	١
١٩٨٤	ــ	ــ	ــ	٢	١
١٩٨٥	ــ	ــ	١	٣	ــ
١٩٨٦	ــ	ــ	ــ	٣	ــ
المجموع	٢	١٥	٢٠	٤٣	١١٤

■ الفيتو يعطي للدول الكبرى موقف السيطرة على قضايا الأمن والسلم ويحول دون فَرْض أيّ عقوبة أو رَدْع على أيٍّ منها

التي تتفق مع مصالحها السياسية بسبب استخدام الفيتو المتزايد من قبل الاتحاد السوفيتي بالدرجة الاولى ، وخاصة في فترة العقدين الاولين من قيام الامم المتحدة ، فقد استخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو منذ تأسيس المنظمة حتى عام ١٩٦٨ ، مائة واربع مرات ، في حين ان مجموع الدول الاخرى الدائمة لم تستخدمه سوى ثماني مرات في نفس الفترة.

ولابد من الاشارة بأن سبب استخدام الاتحاد السوفيتي للفيتو بهذه الكثرة ، يرجع الى رغبته في حفظ مصالحه ، بالوقوف في وجه انضمام العديد من الدول الى الأمم المتحدة ، وهى دول تخدم سياستها المصالح الغربية ، وتسير في ركاب السياسة الامريكية ، وقد استخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو ضد بعض طلبات الانضمام بصورة متكررة عدة مرات ضد كل دولة تقدمت الدول الغربية مجددا لإلحاقها بالامم المتحدة وقد بلغ عدد المرات التي استخدم فيها الاتحاد السوفيتي الفيتو ضد طلبات الالتحاق بالامم المتحدة ٧٩ مرة خلال العشر سنوات الاولى من قيام المنظمة.

ومن بين الدول التي عارض الاتحاد السوفيتي دخولها الامم المتحدة ، اسبانيا ، ايرلندا ، البرتغال ، شرقى الاردن ، النمسا ، ايطاليا ، كوريا الجنوبية ، سيلان ، اليابان ، فيتنام الجنوبية ، لاوس ، كمبوديا ، فنلنده وغيرها..

كما استخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو في ١٩٥٠/١٠/١٢ ، عندما أصرت الدول الغربية على ضرورة استمرار الامين العام الاول للامم المتحدة « تريغفي لى » في منصبه ، وذلك بسبب تحيزه التام للسياسة الغربية بصورة عامة ، والامريكية بصورة خاصة . واستخدم الاتحاد السوفيتي الفيتو للمرة الثانية ضد اقتراح غربي عام ١٩٥٣ يهدف الى تعيين « السيربيرسن » السياسي الكندى المعروف الذى كان رئيسا للجمعية العامة عام ١٩٥٢ ، في منصب الامين العام للأمم المتحدة.

وهكذا فقد أفاد الاتحاد السوفيتي من حق استخدام الفيتو في مجلس الامن اكثر من أى عضو دائم آخر ، وخاصة في العقدين الاولين من تأسيس المنظمة ، وتمكن من الوقوف ضد مشروع كل قرار يتعارض مع مصالحه السياسية.

غيرأنه مع بدء ازدياد أعضاء الامم المتحدة من العالم الثالث وخاصة افريقيا بدأ تكوين عضوية الامم المتحدة يتخذ شكلا جديدا ، وأضفى على الامم المتحدة شخصية جديدة

أكثر الدول استخداما للفيتو هو الاتحاد السوفيتي تليه الولايات المتحدة الأمريكية

لاتوالي السياسة الغربية والامريكية ولاء مطلقا ، كما كانت عليه الحال في العقد الاول من تأسيسها ، وهكذا بدأ ينخفض عدد المرات التي يستخدم فيها الاتحاد السوفيتي حق الفيتو ، في الوقت الذى ازداد فيه استخدام الفيتو من الدول الغربية في المجلس وخاصة الولايات المتحدة ، وسبب آخر أدى الى توقف الاتحاد السوفيتي عن استخدام حق الفيتو وهو الاتفاق بينه وبين الدول الاوروبية (Package Deal) حول الموافقة على انضمام الدول التي عارضها الاتحاد السوفيتي باستخدامه للفيتو ، لقاء انضمام الدول من الجانب الاشتراكي التي عارضها الجانب الغربي.

(٥)

شكت الولايات المتحدة مر الشكوى في العقدين الاولين من كثرة استخدام الفيتو من قبل الاتحاد السوفيتي . وطلبت في الدورة الاولى للجمعية العامة عام ١٩٤٦ ادراج بند « حول تفسير وتطبيق المادة ٢٧ » على جدول اعمالها وفق منطوق المادة العاشرة من الميثاق.

وقد نوقش هذا البند في خمس جلسات من اجتماعات اللجنة الاولى خلال شهرى تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٤٦ ، ومثل الجانب السوفيتي فيشينيسكى ، في حين مثل السناتور كونالي الجانب الامريكي ، وتمسك كل من الجانبين برأيه ، فقد اكد الجانب السوفيتي بأن استخدام الفيتو يتفق مع نص وروح المادة السابعة والعشرين من الميثاق ، وهو حق مشروع لأى عضو دائم في مجلس الأمن ، في حين أن الرأى الامريكى كان يميل الى القول بأن استخدام الفيتو بشكل متعمد ودون استشارة الاعضاء الدائمين الآخرين يعرقل اعمال مجلس الأمن ، ويخالف واجبات ومسؤوليات الأعضاء الدائمين في المحافظة على سلم العالم وأمنه ، وقد يؤدى الاكثار من استخدام الفيتو اعتباطا الى تفسخ الامم المتحدة الخ...

ومن الكلمات الهامة التي ادلى بها مندوبو الدول الاعضاء تلك الكلمة التي أدلى بها السناتور كونالي في اللجنة الاولى في ١٩٤٦/١١/١٥ ، ضد كثرة استخدام الفيتو من قبل عضو دائم في المجلس ، وما يلى بعض مقتبسات منها : —

الجلسة العشرون — اللجنة الأولى ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٦ السناتور كونالي — الولايات المتحدة « تعتبر الولايات المتحدة مبدأ اجماع الدول الكبرى اساسا لنجاح مهمة الامم المتحدة وقد كان الاعتقاد بأن الدول الكبرى وحدها فحسب يمكنها القضاء على العدوان وفرض السلم ، وأن أى انقسام بينها يمكن ان يؤدى الى الحرب مما كان له الأثر الاكبر في اقرار الميثاق . وان اتخاذ أى قرار ضد معارضة حاسمة من الأعضاء الدائمين قد يعني الحرب وليس السلم . غير ان هذا المطلب يجب ألا يستخدم لتثبيط مهمة الامم المتحدة ، ولكنه فرض كمسؤولية خاصة على الدول الكبرى من أجل تسهيل مهمة الامم المتحدة لتحقيق روح وفحوى صيغة (يالتا) ، والتوصل الى اتفاق حول القضايا الهامة المعروضة أمام المجلس.

وتفترض الولايات المتحدة وفق نص اعلان الأربعة الكبار ألا يستخدم الأعضاء الدائمون حق الفيتو بشكل متعمد لعرقلة مهمة المجلس ، الا في حالات نادرة واستثنائية جدا . وان كسب المنافع في اداء واجباتهم كممثلين لجميع الامم المتحدة نيابة عن سلم العالم وأمنه قد يؤدى الى تفسخ الامم المتحدة.

ان الاعضاء الدائمين في المجلس هم اعضاء الامم المتحدة قبل ان يكونوا اعضاء في المجلس ، ولا تستثنيهم عضويتهم من أى التزام ، بل بالأحرى تضفي عليهم لحساب الجميع المسؤولية الأساسية في صيانة السلم والأمن الدوليين ».

وعلى الرغم من طول النقاش حول تطبيق وتفسير المادة ٢٧ في الدورة الاولى من الجمعية العامة لم يثمر النقاش عن نتيجة ملموسة ، وكانت النتيجة ان تبنت الجمعية العامة في اجتماعها ٦١ بتاريخ ١٩٤٦/١٢/١٣ ، قرارها المرقم ٤٠ (١) بعنوان « اجراءات التصويت في مجلس الأمن » ، أهم ماورد فيه : « ترجو من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن بذل كل الجهود بالتشاور فيما بينهم ، وبين زملائهم في مجلس الامن لضمان عدم استخدام امتيازات التصويت الخاصة للاعضاء الدائمين بشكل يعرقل مجلس الأمن في اتخاذ قرارات سريعة ».

الفيتو

أو حق الاعتراض في مجلس الأمن

ولكن هذا القرار لم يساعد كثيرا في تغيير اتجاه ونمط التصويت في مجلس الامن ، مما أدى الى مناقشة الموضوع مجددا في الدورة الثانية للجمعية العامة ، بناء على مبادرة الولايات المتحدة كذلك ، غير ان الجمعية العامة احالت موضوع تطبيق وتفسير المادة ٢٧ الى لجنة خاصة لدراسة وتقديم تقرير عنه ، ولكن اللجنة لم تتوصل الى نتائج ملموسة ، وعليه فقد أقرت الجمعية العامة في دورتها الثالثة قرارا تحث فيه اعضاء مجلس الأمن الدائمين على التوصل الى اتفاق معين فيما بينهم سعيا للحد من استخدام الفيتو.

ومنذ عام ١٩٧٢ ، أخذ استخدام الفيتو طورا جديدا ، فقد ازداد استخدام الفيتو من قبل الاعضاء الدائمين الغربيين في المجلس وخاصة الولايات المتحدة ، وانخفض استخدامه من قبل الاتحاد السوفيتي بصورة ملموسة .

وتشير الاحصاءات بأن الولايات المتحدة استخدمت الفيتو ٤٣ مرة منذ عام ١٩٧٢ ، لحد الآن منها ١٨ مرة ضد قضايا عربية ، واستخدمت في المرات الاخرى ضد استقلال ناميبيا أو للمحافظة على مصالح جنوب افريقيا ، في حين لم يستخدم الفيتو في نفس الفترة أي الاعضاء الدائمين الاخرين ضد المصالح العربية (بالرغم من انه استخدم ١٥ مرة من قبل المملكة المتحدة و ١١ مرة من قبل فرنسا ، وسبع مرات من قبل الاتحاد السوفيتي) .

ويرجع سبب كثرة استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة ضد المصالح العربية الى تطور العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية بحيث اصبحت مصالح اسرائيل ، وخاصة في نظر الكونغرس لها أسبقية على مصالح الشعب الامريكي كما حدث على سبيل المثال في موضوع عجز الميزانية مما اضطر الكونغرس تخفيض بعض مواد الميزانية بالنسبة لمصروفات الدوائر الحكومية وبعض جهات الصرف الاخرى ، في حين زيدت في نفس الوقت القروض والهبات لإسرائيل حتى بلغت ٤،٥ بلايين دولار عام ١٩٨٦ .

وقد نشر الاستاذ مايكل هدسون مدير مركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون مقالة في عدد فبراير ١٩٨٦ ، من مجلة (Current History) الأمريكية عن السياسة الامريكية في الشرق الاوسط .

ولا أعتقد أن السيد هدسون قد جانبه الصواب في تحليله لدرستين فكريتين تتصارعان في تحديد السياسة الامريكية في هذه المنطقة .

المدرسة الاولى سماها مدرسة (اسرائيل أولا) وهي التي ترى في تمتع اسرائيل بقدر من القوة المتفوقة يسمح لها بأن تفرض ارادتها على جاراتها ضمانا للمصالح الاستراتيجية الامريكية في المنطقة لكونه يكبح جموح التطرف العربي المضاد لمصالح الولايات المتحدة ويحد في الوقت نفسه من تدخلات الاتحاد السوفيتي في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا . وترى هذه المدرسة ان مصلحة امريكا هي في التعامل مع قضية الشرق الاوسط بشكل يسمح باحتواء الازمات ولكن لا يصل الى حد السعي الجاد لاحلال السلام وقد كان وزير الخارجية السابق هنري كيسنغر من رواد هذه المدرسة ومنهم كذلك جين كيركباتريك المندوبة الدائمة السابقة لدى الامم المتحدة . وترى هذه المدرسة انه لا يجب للادارة الامريكية ان تعير الكثير من الاهتمام للانتقاد للسياسة الامريكية من قبل الانظمة أو الرأي العام العربي . كما ان هذه المدرسة تستند ـ بالاضافة الى ما تراه مصالح استراتيجية للولايات المتحدة ـ الى ماتسميه اعتبارات أدبية مثل كون اسرائيل بلدا ديمقراطيا ذا قيم حضارية ولكونها موئلا للشعب اليهودي الذي كان ضحية اضطهاد طويل على مدى التاريخ .

أما المدرسة الثانية فهي مدرسة التعامل مع طرفي النزاع في الشرق الاوسط على اساس من العدل والانصاف وترى هذه المدرسة ان التأييد الامريكي غير المشروط لاسرائيل في وضعها التوسعي الحالي أمر يسيء الى مصالح امريكا البعيدة المدى في العالم العربي وفي العالم الاسلامي والعالم الثالث ويتيح للاتحاد السوفيتي فرصا للتدخل في شئون المنطقة . وهو اتجاه قد يهدد في المدى البعيد مصالح امريكا الاستراتيجية في المنطقة ويعرض للخطر بالنسبة لها موارد النفط العربي وامكانيات الاسواق العربية بالنسبة لتجارة امريكا الخارجية .

ويشير الكاتب الى أن المدرسة الاولى المنحازة لاسرائيل تسيطر على توجيه السياسة الامريكية لما لها من انصار في البيت الابيض وفي المستويات العليا في وزارة الخارجية وكذلك بالاخص مجلسي الكونغرس بفضل جماعات الضغط الصهيونية والمعونات المالية التي تقدمها للمرشحين المؤيدين لسياسة « اسرائيل أولا » .

أما المدرسة الاخرى فأنصارها ليس لهم من الوزن السياسي ما لأنصار المدرسة الأولى وان يكن من بينهم افراد المستويات الوسطى في وزارة الخارجية والدفاع وغيرهم من المتخصصين في شئون الشرق الاوسط في سائر دوائر الحكومة ولكن جهودهم في الغالب لا تخرج عن آراء يبدونها في داخل مؤسساتهم وليس في يدهم القرار النهائي ، وان كانت جماعة الضغط التي شكلها الأمريكيون الذين من أصل عربي قد زادت اهميتها في السنوات العشر الاخيرة . والقليل من اعضاء الكونغرس يؤيدون المدرسة الثانية ولكنهم لا يستطيعون كبح جماح الاغلبية المؤيدة لإسرائيل بغير حدود وأخيرا فان من بين كتاب الصحف بعض الاشخاص الذين يكتبون بشكل موضوعي وتسير كتاباتهم في اتجاه المدرسة الثانية ومنهم انتوني لويس من محرري صحيفة « نيويورك تايمز » وفيليب غيلين من محرري صحيفة « واشنطون بوست » وجوزيف هارش من محرري صحيفة « كريستيان مونيتور » ولا يزال الحوار مستمرا ولكن القوى السياسية وراء كل من المدرستين في حالة بينه من عدم التوازن (اهـ) .

ويشير الجدول الى استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة ضد المصالح العربية خلال الفترة ١٩٧٢ ، حتى آذار مارس ١٩٨٦ ، ويبين الجدول تاريخ استخدام الفيتو ، وجلسة مجلس الامن ، ورقم مشروع القرار الذى فشل نتيجة الفيتو وكذلك موضوع مشروع القرار ، ولعام ١٩٨٢ ، حصة الاسد من الفيتو الامريكي فقد استخدم خمس مرات (بسبب طرد رئيس بلديتي نابلس ورام الله ، والاعتداء على المسجد الاقصى وغزو لبنان من قبل اسرائيل باستخدامها اسلحة امريكية الصنع المفروض ان تستخدم وفق الاتفاق الامريكي ـ الاسرائيلي لاغراض الدفاع عن النفس فقط) .

■ الولايات المتحدة استخدمت الفيتو ١٨ مرة في ١٤ سنة ضد القضايا العربية

التسلسل	التاريخ	الجلسة	مشروع القرار	الموضـــــوع
١	١٠/ ايلول ١٩٧٢	١٦٦٢	—	الحالة في الشرق الأوسط ــ مخالفة وقف اطلاق النار ١٩٦٧ .
٢	٢٦/ تموز ١٩٧٣	١٧٣٥	—	الحالة في الشرق الأوسط ــ مخالفة وقف اطلاق النار ١٩٦٧ .
٣	٨/ كانون الثاني ١٩٧٥	١٨٦٢	—	القضية الفلسطينية
٤	٢٥/ آذار ١٩٧٦	١٨٩٩	—	وضع القدس .
٥	٢٩/ حزيران ١٩٧٦	١٩٣٨	—	القضية الفلسطينية .
٦	٣٠/ نيسان ١٩٨٠	٢٢٢٠	S13911	الحقوق الفلسطينية .
٧	٢/ نيسان ١٩٨٢	٢٣٤٨	S 14985	الاراضي المحتلة ــ عزل رئيس بلدية نابلس ورام الله .
٨	٢٠/ نيسان ١٩٨٢	٢٣٥٧	S 14985	الاراضى المحتلة ــ الاعتداء على المسجد الاقصى .
٩	٨/ حزيران ١٩٨٢	٢٣٧٧	S 15185	الحالة فى الشرق الأوسط ــ حالة لبنان
١٠	٢٦/ حزيران ١٩٨٢	٢٣٨١	S 15255	الحالة في الشرق الأوسط حالة لبنان
١١	٦/ آب ١٩٨٢	٢٣٩١	S 15347	الحالة في الشرق الأوسط حالة لبنان
١٢	٢/ آب ١٩٨٣	٢٤٦١	S 15895	الحالة في الاراضي العربية المحتلة
١٣	٦/ ايلول ١٩٨٤	٢٥٥٦	S 16732	الحالة في الشرق الأوسط ــ وضع لبنان
١٤	١٢/ آذار ١٩٨٥	٢٥٧٣	S 17000	الحالة في الشرق الأوسط ــ وضع لبنان
١٥	١٣/ ايلول ١٩٨٥	٢٦٠٥	S 17459	الحالة في الاراضي العربية المحتلة
١٦	١٧/ كانون الثاني ٨٦	٢٦٤٢	S 17730	العدوان الاسرائيلي على لبنان .
١٧	٣٠/ كانون الثاني ٨٦	٢٦٥٠	S177769	خرق حرمة المسجد الاقصى .
١٨	٦/ شباط ١٩٨٦	٢٦٥٥	S177796	اجبار طائرة مدنية ليبية على الهبوط في اسرائيل .

استخدام الفيتو من قبل الولايات المتحدة ضد المصالح العربية خلال الفترة من ١٩٧٢ ــ آذار/ مارس ١٩٨٦

(٧)

وأخيرا يمكننا سرد الملاحظات التالية : ــ

اولا : من المفارقات أن حجج الولايات المتحدة ضد كثرة استخدام الفيتو من قبل الاتحاد السوفيتي ، في حينه ، تقارب وجهة النظر العربية حالياً نتيجة اسراف الولايات المتحدة في استخدام الفيتو .

ثانيا : من الانتقادات التي وجهت للفيتو في بداية اقراره انه يتناقض مع مقاصد الامم المتحدة المنصوص عليها في الفصل الاول من الميثاق ، وخاصة الفقرة الاولى من المادة الثانية التي تنص على مبدأ المساواة بين الدول كالآتي : « تقوم المنظمة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع اعضائها » .

ثالثا : بعد أربعين عاما ، تغيرت ظروف الامم المتحدة وأحوال العالم ، ولم تعد كل الدول الاعضاء الدائمين في المجلس دولا « عظمى » بذات الامكانيات الاقتصادية والعسكرية الهائلة التي تميزها عن باقي اعضاء الامم المتحدة وعلى سبيل المثال ما الذى يميز فرنسا وبريطانيا عن دولة كاليابان أو المانيا الغربية ؟ لذلك فقد أصبح حق الفيتو الذى حصلت عليه بعض الدول نتيجة لمعادلات ما بعد الحرب العالمية الثانية محل تساؤل .

رابعا : مفهوم « الدولة المعادية » الذى نص عليه الميثاق في عبارة « أية دولة كانت في الحرب العالمية الثانية من أعداء أية دولة موقعة على هذا الميثاق » لم يعد مفهوما صحيحا نظريا وعمليا ، فقد انضمت الى الامم المتحدة الدول التي خسرت الحرب العالمية الثانية . وليس هناك من الدول خارج الامم المتحدة الا كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية لظروف معروفة والاتحاد السويسري الذى صوت في استفتاء عام مؤخرا بعدم الانضمام الى الامم المتحدة .

خامسا : من المعلوم ان اكثر من ثلثي اعضاء الأمم المتحدة حاليا لم يكن له رأى من قريب أو بعيد في صياغة الميثاق الذى التزموا به بانضمامهم الى المنظمة .

سادسا : باختصار اوضح العلامة « هانز مرغنثو » في كتابة الشهير « السياسة بين الامم » عيوب حق الاعتراض ومن بينها : ــ

أ) ان ذلك الحق يمنع اتخاذ الامم المتحدة لاية تدابير جماعية ضد دولة عضو دائم في مجلس الامن .

ب) نتيجة لذلك فان سلطة مجلس الامن في تطبيق احكام الميثاق التنفيذية قاصرة في الواقع على الدول الصغرى والمتوسطة التي ليست اعضاء دائمين في مجلس الامن .

ج) ان حق الاعتراض يجعل من الدفاع الجماعي عن النفس طبقا للمادة (٥١) من الميثاق حبرا على ورق ، لانه قل ان يوجد نزاع مسلح في هذا العصر لا تكون احدى الاعضاء الدائمين منحازة فيه لفريق دون فريق .

سابعا : حق الاعتراض لاينطوي على ضرر دائما ــ كما قال الدكتور حامد سلطان في كتابه « القانون الدولي » ــ بل قد يكون فيه نفع في بعض الحالات وفق الظروف التي يستعمل فيها . ولا يعيب الحق من حيث هو ان يسيء صاحبه استعماله . (ص ٩٤١ طبعة ١٩٦٢)

حمد عبد العزيز الكواري

في أزمة العقل العربي

بقلم: فهمي هويدى

من آفات حياتنا العقلية أن العلم الغزير يثير إعجابنا وإكبارنا بأكثر من العلم النافع أو المفيد. وأن باحثينا تشغلهم الشهادة، بأكثر مما تشغلهم الاضافة، وان علماءنا معنيون بالحفظ والرواية، بأكثر من عنايتهم بالفهم والدراية.

أعرف باحثاً انفق سنتين من عمره يعد رسالة ماجستير حول كلمة «لا». وهو أمر ربما بدا مقبولا لو أن صاحبنا كان هاويا أو هازلا، فحرية العبث مكفولة بنص غير مكتوب في بلادنا. لكن العجيب في الأمر أن تتحول القصة الهزلية إلى رسالة علمية، يتوفر لها «مشرف» من أهل العلم على مدار السنتين، ثم تشكل لجنة لمناقشتها، ويحتشد لها جمهور في إحدى القاعات، ليستمع إلى المحاورة والمثالب والمناقب التي برزت في البحث، ثم ينهض العلماء بثيابهم الفضفاضة، يجرونها جرا إلى قاعة مجاورة للمداولة. ويعودون بعد لحظات تطل من وجوههم علائم الجدية والصرامة، ليعلنوا على الجالسين أن الباحث قدم عملا علميا، يؤهله لاجازة الماجستير بدرجة امتياز. فتضج القاعة بالتصفيق، ويجفف الباحث عرقه المتصبب على جبهته ثم يقف منفرج الأسارير ليتلقى التهنئة على التوفيق الذي حالفه، والسداد الذي أصابه، والانجاز الذي حققه!

ولا يتوقف العجب، فنقرأ في صحف الصباح أن العالم الفلاني حصل على جائزة كذا لانه أثرى المكتبة العربية بكذا كتاب، بينها واحد من ألف صفحة، بعد ما قضى كذا عاما في القراءة والبحث والتنقيب. وان سألت ما الذي أضافه «بحر العلوم» هذا إلى معارفنا، فإن أحداً لا يجيبك وفي أحسن الفروض فإنك تحال إلى ذلك البيان الاحصائي الذي عمم على الملأ.

ومؤخرا قرأنا عن «عصر النهضة الثقافية» في موريتانيا، وكان مما استدل به لاثبات حجم الاشعاع الثقافي ما نصه: يؤثر أنه كان في إحدى قبائل شنقيط «تجكانت» ٣٠٠ فتاة تحفظ موطأ مالك. وكان العبيد يغنون على الطبل بمقامات الحريري، وكان الطفل في قبيلة «مدلش» يحفظ المدوّنة، وهي أضخم مراجع الفقه المالكي، قبل البلوغ. والمألوف أن يحفظ الفتى قبل البلوغ مختصر خليل في الفقه. وألفية ابن مالك في النحو والصرف. ودواوين الستة الجاهليين وعددا آخر من المتون.

عند العرب الأولين، كان العابدون من النساك، العارفون باسرار الشرائع، يطلق عليهم «القراء» (بتشديد القاف وضمها). وفي العصر الاسلامي الأول ظلت الكلمة تطلق على العلماء. وفي هذا المعنى ورد الحديث النبوي (أبغض القراء إلى الله، الذين يزورون الأمراء). وكان ذلك أمرا طبيعيا في مجتمع أمي لا يجيد القراءة والكتابة فيه إلاّ القلة.

وطوال عصور ما قبل الطباعة، كان على أهل العلم إما أن يحفظوا أو يستنسخوا. ولان العملية الأخيرة كانت مكلفة إذا لجأ طالب العلم إلى تكليف النساخين بالأمر، أو مرهقة إذا تولى كل منهم ذلك بنفسه، فقد بقي الحفظ وسيلة التعلم الأساسية. حتى في ظل استخدام الألواح، فقد بقي الحفظ هو القاعدة، لأن الكتابة كانت ترفع من عليها أولا بأول. ولذا فقد ظل علم الرجال يقاس «بما في الصدور». ويدلل على تمكن الواحد منهم وطول باعه في العلم، بأنه «حفظ» القرآن كله، وكذا ألف حديث من الصحيح والغريب، وأشعار العرب ومأثوراتهم، وقصص وملاحم الأولين والآخرين.

وقد كان المسلمون الأوائل يحفظون الآيات فور نزولها، بينما كان البعض يدونها في الرقع، لكنهم ما كانوا ينتقلون من آية إلى أخرى إلا بعد أن يستوعبوها ويعملوا بها. كان الحفظ قائما وضروريا، لكنه كان مقترنا في الوقت ذاته بالاستيعاب والعمل. وبعد جمع القرآن في عهد عمر بن الخطاب، وبعد تدوينه في عهد خلفه عثمان بن عفان، لم تعد هناك مشكلة في حفظ القرآن. لكن المشكلة ظلت قائمة بالنسبة للسنة النبوية، وما روى عن الرسول ﷺ من أحاديث، وما دس عليها من روايات واسرائيليات.

وازاء ظهور تلك المشكلة، فإن أجيالاً من الفقهاء أفنت أعمارها في محاولة سد الثغرات التي ظهرت في ذلك المجال، عن طريق تحقيق وتقييم الرواة وتصنيف الأحاديث بحسب قوتها وضعفها. ويبرز في محيط الفكر الاسلامي تيار قوي شغل طويلا بتحصين خط الدفاع

■ الحفظ إن لم يقترن بالفهم والفقه، لا يؤهّل صاحبه لأن ينضمّ لأهل العلم

■ التعامل مع الثقافة بمعيار الكمّ لا النّوع يجعل الثقافة عبئاً بدلاً من أن تكون عوناً على حثّ الخطى والتّقدُّم

الثانى عن العقيدة (السنة) واستغرقته المهمة بدرجة أوقعته فى محظورين كبيرين: الأول أنهم اهتموا بالسنة باكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم ـ والثانى أنهم ركزوا فى تعاملهم مع السنة على الأسانيد دون المتون. أى أنهم عنوا بصحة نسبة الحديث ـ إن جاز التعبير ـ ولم يبذلوا جهدا يذكر فى صحة موضوعه، ومدى اتفاقه مع تعاليم القرآن الكريم ونصوصه.

ورغم الخدمات الجليلة التى أداها هؤلاء للسنة، وللباحثين فى ميدان الفكر الاسلامى، فإن انصرافهم لذلك العمل واستغراقهم فيه كان مسؤولا عن تأسيس مدرسة المحدثين، الذين اختلفوا عن الفقهاء. الاولون عنوا بالسنة وتحقيقها، والآخرون عنوا بالشريعة وأسرارها.

وفى عصور التدنى والانحسار جاء من بعد الأولين خلف لا هو من أهل الحديث ولا أهل الفقه، ولكن ظل أسير التمذهب. فلم يتقن فهماً لحكم شرعى، ولا حفظا وتحقيقا لحديث نبوي، ولكنه غرق فى المدونة والألفية ومقامات الحريرى.

فى نهاية الأمر، أصبحنا نتعامل مع الثقافة والمعرفة بمعيار الكم لا النوع، لجأنا إلى التكديس لا البناء، كما يقول مالك بن نبى. حتى أصبحت ثقافتنا عبئاً علينا يكرس تخلفنا، لا عونا لنا على حث الخطى واللحاق بركب التقدم.

فالحفظ وحده لم يعد قيمة تؤهل صاحبها لأن ينضم إلى أهل العلم.

ونحن نلاحظ فى لغة الخطاب القرآنى إشارات مميزة تعلى مقام «أولى الألباب»، فى أكثر من خمسة عشر موضوعا، موزعة على عشر سور، وهؤلاء ـ فى السياق ـ ليسوا بالضرورة أهل العلم. ولكنهم أهل التمييز والإفهام والبصائر. أولو الألباب هؤلاء هم الأقدر على التدبر والنظر والاعتبار وذكر الله وتقواه. ومن الآيات المعبرة فى هذا الصدد، ما تذكره سورة «الزمر»، بعد ما أوردت عددا من الشمائل التى يتحلى بها المؤمنون: «الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، أولئك هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب» ـ الآية ١٨.

نلاحظ ايضا أن إشارات التعليم والتوجيه فى القرآن الكريم ذكرت «الكتاب» مقترنا بالحكمة فى أكثر من خمسة عشر موضعا ـ أيضا ـ ومن المفسرين من قال إن المقصود بالحكمة فى السياق القرآنى هو السنة النبوية. وهو قول مردود بأن الآية ١٦١ فى سورة النساء تتحدث عن أبى الانبياء ابراهيم عليه السلام مشيرة إلى أنه أوتى الكتاب والحكمة، مما يستحيل معه أن يكون المقصود به هو السنة النبوية، اللهم إلا إذا كان المقصود كونها سبيلا إلى فهم أسرار الشريعة ومقاصدها، وليس فقط ما صدر عن النبى عليه السلام من قول أو فعل أو إقرار.

من السياق القرآنى نفهم أن الكتاب وحده لا يكفى، ولكن الحكمة مطلوبة بنفس القدر. وفى القاموس المحيط أن الحكمة هى وضع الشيء فى موضعه وصواب الأمر وسداده، وهى فى الأصل اتفاق القول والفعل واحكامهما.

وفى تراثنا الفقهي مأثورات عديدة تعلي قيمة الفهم والدراية، وتتهم الذين استغرقهم حفظ النصوص وترديدها، من تلاميذ المدرسة «الكمية» فى ميدان العلم.

وينقل عن عبد الله بن مسعود قوله: كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة. والامام مالك هو القائل: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه نور يجعله الله فى القلوب. والامام الشافعي وضع شروطا عدة لمن يتصدى للفتيا، بينها أن يكون عارفا بكتاب الله، وبصيراً بالحديث، وبصيراً باللغة، وبالشعر. ثم اشترط بعد ذلك ثلاثة شروط فى استثمار تلك المعارف، أن يستعملها الفقيه مع الانصاف، وان يكون مشرفا على اختلاف أهل الأمصار، أي واعيا بالاختلافات الاجتماعية والبيئية، ثم أن تكون له قريحة بعد هذا، وذلك بيت القصيد إذ فى غيبة «القريحة»، فإن كل ذلك الرصيد الثقافى لن يقدر له أن يوظف أو ينتفع به على نحو سليم.

منذ بدء المسيرة وتلك الإشارات المضيئة تلمع فى آفاق الفكر الاسلامى. لكن أكثرنا يغمض أعينه ويصمّ آذانه، ويدير ظهره، ويظل يركض فى اتجاه معاكس تماما. مع التكرار والاجترار، ومع التخزين والتكديس، حتى تورمت اجسامنا، وتضاءلت عقولنا، وصار حالنا إلى ما يعرف الجميع ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله!

أضـــواء جديــــدة على حقيـــقة تـــاريخيـــة هـــامة

خسارة اليهود المصريين بقيام إسرائيل

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

كان اليهود المصريون ينعمون في مصر قبل قيام اسرائيل بالرخاء ويتمتعون بالعدالة، وكان المجتمع كله من قمته إلى أصغر فرد فيه يفتح ذراعيه لهم، وكانت خيرات المجتمع كله متاحة لهم دون أي قيد.

ولكنهم فضلوا على هذا النعيم كله أن يتآمروا وأن يخونوا وأن يجمعوا الذهب من أيدي المصريين بأبخس الأثمان ويهربوا الى الخارج ثم الى اسرائيل.

وهذه وثيقة حية تكشف وضع اليهود في مصر قبل خروجهم الثاني الى اسرائيل.

ملأ اليهود الدنيا عجيجاً وضجيجاً عن الخروج اليهودي exodus من مصر أيام سيدنا موسى وألفوا في ذلك الأساطير والمعلقات والموشحات.

ولكن خروجهم الثاني عند قيام دولتهم في اسرائيل كان بمحض ارادتهم وبسعي حثيث منهم وتحملوا الكثير في سبيل تهريب أفرادهم ونقل ثرواتهم دون أن يطلب منهم أحد فضلاً عن أن يجبروهم على ترك هذه الجنة الحقيقية التي كانوا يعيشون فيها.

ان مجرد استعراض واقعهم في مصر قبيل هذا الخروج يكاد يذهل المرء كيف أن فريقاً من البشر كفروا بأنعم الله وخرجوا من جنتهم مختارين وتركوا نعيماً كانوا فيه يتقلبون. والسلطة المالية والثقافية بل والسياسية التي كانوا فيها يرفلون لا تقارن بالإفلاس الاقتصادي والعزلة الثقافية والتفرقة العنصرية فضلاً عن العيش في قلق وتوتر واستعداد للحرب وتعرض يومي لخطر الموت.

ان المرء ليتساءل أين ذهبت مقدرة اليهودي الحسابية على رصد الأرباح والخسائر.

وضع اليهود المصريين

يشير الاحصاء الرسمي لمصر لعام ١٩٤٧ الى أن عدد اليهود المصريين هو ٦٤٤٨٤ منهم ٣٦١٥٥ في القاهرة و ٢٥١٨٣ في الاسكندرية. والباقي منتشرون في مدن القناة والدلتا. وكان تعداد مصر كلها ١٥ مليوناً وتسعمئة ألف. أي أن نسبة اليهود كانت أقل من نصف في المائة. ومع ذلك سوف ترى أنه كان لهم من الثروة والنفوذ أضعاف أضعاف نسبة عددهم هذا.

كان ٧٪ فقط من هؤلاء اليهود هم الذين يحملون جنسية مصرية بينما كان ٩٣٪ يحملون جنسيات أوربية. وبعضهم كان بلا جنسية لانحدارهم من بلاد اختفت من الخريطة مثل الصرب وليتوانيا، أو هربوا من بلادهم تاركين أوراق جنسيتهم هناك.

وكان حملهم لجنسية أوربية يعطيهم تمتعاً قانونياً بالامتيازات الأجنبية ويبعد قبضة القضاء المصري عنهم في نشاطاتهم المالية والجنائية معاً.

وكان لهم مجلس ملي خاص برئاسة يوسف قطاوي باشا وكان لهم حاخام في القاهرة هو «حايم ناحوم أفندي» الذي كان حاخاماً سابقاً في تركيا وسفيراً لتركيا في أمريكا وصار عضواً بارزاً في المجمع اللغوي العربي حتى سموه المجمع المتحرك، وكان له نفوذ دولي هام سبق أن كتبنا عنه.

وكان وزير المالية فى مصر فى حكومة أحمد زيور سنة ١٩٢٥ يهوديا هو يوسف قطاوي باشا. وكان يوسف موصيري صديقاً لصيقاً للملك فؤاد وكانت زوجة رينيه قطاوي هي كبيرة سيدات التشريفات بالسراي الملكية حتى آخر يوم في تاريخ الملكية المصرية.

اليهود والربا

كتب طلعت حرب باشا مؤسس بنك مصر عام ١٩١١ عن «علاج مصر الاقتصادي» قائلاً ان المصريين كانوا يقرضون بعضهم بعضاً بدون أي كمبيالات ولا صكوك ويردون الدين مرتبطين بالوعد الشفوي لاغير. ثم جاء ثلاثة من المرابين اليهود هم سوارس ورولو وقطاوي عام ١٨٨٠ وفتحوا فروعاً لبنوك فرنسية تعاملت بالربا وفي خلال سنة واحدة فقط ـ نعم سنة واحده فقط ـ كان قد تم رهن ثلث المساحة المنزرعة المصرية لدى هذا البنك. إنه البنك العقاري المصري!

بعد ذلك أنشأ يهود آخرون البنك الأهلي المصري ثم البنك البلجيكي ثم البنك التجاري وبنك موصيري وبنك سوارس والبنك الزراعي وشركة الشرق الأدنى المالية والشركة المصرية المالية وشركة الاسكندرية للتأمين وشركة التأمين الأهلية المصرية.

وأسس اليهود شركات مضاربة في الأرض الزراعية هي «شركة البحيرة» وشركة استغلال زراعي هي «وادي كوم أمبو» وشركة امتلكت ضاحية المعادي كلها هي «شركة الدلتا

المصرية » وشركة امتلكت عام ١٩٣٠ بحيرات في سيدي جابر تبلغ مساحتها ١/٦ مساحة الإسكندرية كلها ثم جففت هذه الأرض وعرفت بأرض سموحة (٤٢٥ فداناً) أصبحت من أغلى مناطق الإسكندرية وأسس يهود آخرون شركات بناء وتقسيم أراضي بناء هي « الشركة العقارية المالية » « والشركة المساهمة المصرية المالية ».

وأسس آخرون شركات نقل بري وبحري منها شركة الأمنيبوس المصرية وشركة ترام الأسكندرية وشركة سكة حديد الفيوم وشركة سكة حديد قنا وأسوان وشركة بواخر البوستة الخديوية.

وتملك آخرون أهم الصناعات الحيوية: معظم محالج القطن والزيوت والسكر والمطاحن والملح والصودا، وتملك بعضهم شركة توريد الكهرباء وشركة الثلج ومصانع النحاس ومعظم الفنادق.

وكان ٩٨٪ من العاملين في بورصة الأوراق المالية وبورصة القطن من اليهود وكان سكرتير اتحاد الصناعات الذي يرأسه صدقي باشا يهودياً (موريس لبي الذي يملك مصانع شيكولاته ونسيج وسجاد) وكان مستشار عبود باشا يهودياً « مسيوسيسين » وحتى بعد صدور قانون الشركات عام ٤٧ الذي نص على أن يكون ٧٥٪ من موظفي أي شركة من المصريين ظل الخمسة آلاف يهودي الذين يحملون الجنسية المصرية هم الشاغلون لأهم هذه المراكز جميعاً.

اليهود الفلاحون

إذا كان الربا قد يسر لليهود كل ماذكرناه آنفاً من بنوك وشركات فان هناك يهوداً حاولوا أيضاً أن يكونوا اقطاعيين: هم « وهبه وقطاوي ومزراحي وفرنكو » وقد تملكوا اقطاعيات في وسط الدلتا في بنها وميت غمر والبحيرة. وبلغ عددهم في حده الأقصى الفين من الفلاحين إلا أنه سرعان ماانخفض إلى ست عائلات فقط عام ٥٠ (حسب تقدير جويش كرونكل)

وربما كانت تجارة القطن والسمسرة في بورصة القطن هي مدخل هؤلاء اليهود الذين آثروا التملك الزراعي.

وهكذا يمكن اعتبار الفلاحة المصرية هي أصعب المهن التي واجهها الغزو اليهودي وسرعان ما ارتد عنها وإن كان احتفظ بها ملكاً وتجارة ولكنه عجز عنها مهنة. وهذا يدحض القول الذي يكررونه عن عبقريتهم في انشاء المزارع الجماعية « كيوبتز » في اسرائيل مستدلين من ذلك على قدرة اليهودي بالارتباط بالأرض. إن الكيوبتز هي في الحقيقة مزارع عسكرية أقامها المسلحون والمحاربون اليهود كقلاع تستخدم الزراعة للتموين الذاتي فقط. ولكن لايوجد ارتباط حقيقي ولاتعاطف بين الإنسان اليهودي والزراعة كمهنة يهواها.

اليهود والثقافة

كان لليهود ١٩ مدرسة وهي نسبة عالية جداً بالقياس إلى عددهم. وكانت أول مدرسة لهم هي مدرسة ابتدائية في القاهرة عام ١٨٩٥ تلتها مدرسة لتخريج الحرفيين والعمال المهرة واهتمت مدارسهم عموماً بتعليم الدراسات التجارية والاختزال والآلة الكاتبة والمهارات الفنية وكانت لغة التعليم فيها هي الفرنسية والانجليزية.

وأصدر اليهود مجلة النهضة اليهودية ثم المجلة الصهيونية ثم مجلة اسرائيل ثم الفجر ثم الشمس ثم المنبر الصهيوني. هكذا تدرج وتطلع شديد نحو اسرائيل والصهيونية من قبل اعلانهما. وتملكوا وسيطروا على أكبر دار نشر للصحف وهي الشركة الشرقية التي كانت تصدر البروجريه والجازيت.

وأسسوا جمعية للدراسات اليهودية وتاريخ اليهود ومخطوطاتهم. ووضع المحامي مراد فرج سفراً عن شعراء اليهود العرب وشغل اسرائيل ولفنسون كرسي استاذ اللغات السامية في كلية دار العلوم المصرية. وأنشأوا جمعية صداقة لجامعة القدس العبرية.

مع الأحزاب المصرية

إذا لاحظنا أن ٩٣٪ من يهود مصر كانوا يحملون الجنسية الفرنسية والبريطانية وأن عدد اليهود المصريين لايزيد عن خمسة آلاف فقط وإذا تذكرنا أن مرحلة ماقبل الثورة كانت مرحلة التحرر الوطني من النفوذ البريطاني أدركنا أنه لم يكن أمام اليهود أي فرصة للمشاركة في هذا التيار الوطني التحرري بل كان الأقرب إلى المنطق أن يراهم الوطنيون في صف العدو. ومع ذلك ورغم ذلك نرى أن الأحزاب فتحت صدرها لهم بمنتهى الترحيب. فقد دخل في الوفد شخصيات يهودية وأتاح لها الوفد بروزاً أكبر بكثير من حجمها. فالمحامي ليون كاسترو كان الناطق باسم الوفد في أوربا عن طريق صحيفة يومية فرنسية « ليبرتيه » ورافق سعد زغلول في كل رحلاته الى أوربا. ودخل اليهودي يوسف دوبكتر البرلمان المصري نائباً وفدياً عن الاسكندرية عام ٢٧ وعين الوفد في مجلس الشيوخ شيخين يهوديين هما يوسف باشا قطاوي والحاخام حاييم ناحوم. بل إن يوسف

■ أول بنوك تم إنشاؤها كان أصحابها من اليهود
■ أول شركة سينمائية مصرية أنشأها يهودي
■ حاول اليهود المصريون أن يعملوا بالزراعة لكنهم فشلوا في ذلك
■ ست مجلات يهودية تصدر في مصر في النصف الأول من القرن العشرين
■ قام اليهود بشراء الذهب من المصريين بأبخس الأثمان ثم هربوا به إلى إسرائيل


لطفي السيد


طه حسين


الملك فؤاد


سعد زغلول


أحمد عبود

خسارة اليهود المصريين بقيام إسرائيل

قطاوي هذا ذهب مع الوفد كعضو فيه للمفاوضات في لندن وعين أيضاً كعضو في لجنة الثلاثين الشهيرة التي وضعت دستور ٢٣ بل وعين أيضاً وزير مالية لحكومة سعد زغلول عام ١٩٢٥ وكانت وزارة المالية هي أهم وزارة بين الوزارات .

اليهود والوظائف

رغم أن طبيعة اليهود هي التجارة والعمل الحر إلا أن صدر مصر المفتوح أوصل اليهودي المصري إلى أعلى درجات الوظائف . كان هراري باشا مراقباً لحسابات عام وزارة المالية وهي أخطر وظيفة في أخطر وزارة . وكان أصلان قطاوي مديراً لمصلحة الأملاك الأميرية التي تملك أرض الحكومة وكان في نفس الوقت ممثل الحكومة لدى شركة قناة السويس . وكان أخوه رينيه هو مدير شركة كوم أمبو أكبر الشركات الزراعية وكان رينيه هذا حاكماً بأمره في هذه المنطقة يحاكم ويجلد ويحبس من يمد يده إلى عود قصب واحد وكان هو أيضاً نائباً وفدياً في البرلمان .

احتفالات رسمية

حتى بعد نشوب حرب ٤٨ وحتى بعد ثورة ٢٣ يوليو المصرية وبالتحديد في عام ١٩٥٣ قامت الحكومة بالاحتفال الرسمي بمرور ٨٠٠ سنة على مولد اليهودي موسى ابن ميمون . والغريب أنه بدأت الاستعدادات لهذا الاحتفال من أيام الملك فؤاد نفسه ومولت الحكومة المصرية والمجمع اللغوي هذا الاحتفال . وأصدرت الحكومة كتاباً عن ابن ميمون كبطل مصري !

ورغم اشتعال الشعور الوطني ضد الوجود الأجنبي عموماً والبريطاني خصوصاً عام ٤٦ عندما لم يسمح الشعب برؤية جندي واحد بريطاني في قصر النيل أو القاهرة مما أدى إلى مذبحة ميدان التحرير الشهيرة رغم ذلك كله لم يصب يهودي واحد بعداء شعبي ظاهر أو خفي .

وخلال هذه الفترة كان الطالب اليهودي اسرائيل ولفنسون يضع رسالة عن الشعراء اليهود العرب فاحتضنه العميد طه حسين بنفسه وكتب له مقدمة الكتاب . ثم عينه بعد ذلك استاذاً في كلية دار العلوم .

ورغم تأجج الشعور الوطني ضد الوجود الأجنبي حتى شمل الأرمن والايطاليين والقبارصة إلا أن التسامح الديني المعروف عن المصريين مسلمين وأقباطاً حصن اليهود رغم جنسيتهم الأجنبية بل ظل للملك أصدقاء يهود وكانت الوصيفة الأولى في القصر يهودية (مدام رينيه قطاوي) . بل وصل التسامح الديني إلى درجة أن يذهب لطفي السيد مدير جامعة القاهرة وطه حسين عميد آداب القاهرة عام ٤٤ إلى القدس للاشتراك في احتفال الجامعة العبرية . هذا في الوقت الذي كان فيه يهود العالم كله مطاردون من أوربا يلتقطون انفاسهم في اختناق شديد . وكان الجنس العربي الذي ينتمي إليه لطفي السيد وطه حسين ينزف دماءه الطاهرة على أرض فلسطين المقدسة في عملية استعمارية يهودية لأول أرض غزاها الاسلام وما كان هذان الكبيران غافلين عن هذا كله فلا كانا إمّعات ولا أذنابا ولكنها السماحة والتفضل حتى ولو لم يقدر الخصم ذلك .

أغنياء الحرب

خلقت الحرب العالمية الأولى والثانية في مصر طبقة عريضة من أغنياء الحرب والمليونيرات يزيد عددهم أضعافاً عمن كونوا ثرواتهم في أيام السلام على أرض مصر . في أيام الحرب أتيح لكل من يورد للجيش البريطاني أغذية أوحبوباً أولحوماً أوأدوية أوخدمات أن يحصل بسهولة وسرعة وبدون أي تدقيق ولارقابة على كل مايطلبه من مال . وفي الحرب الأولى حيث كان الجيش يعتمد اعتماداً أكبر على الخيل والجمال في النقل والجر كان تجار المواشي والخيول وعلف المواشي وخاصة الشعير وأدوية المواشي على قمة المستفيدين .

ويقدر الاقتصاديون أن عدد الوطنيين الذين استفادوا من الوجود البريطاني خلال الحربين هو ربع عدد الأجانب الذين استفادوا من نفس المصدر . أي أن عدد أغنياء الحرب الأجانب كانوا أربعة أضعاف عدد الوطنيين وذلك بسبب سهولة التفاهم باللغة والطباع والميول ومراعاة العادات الغربية .

ويأتي على رأس طبقة الأجانب الذين أصبحوا مليونيرات حرب عدد كبير من اليهود بحكم حرصهم على المال والتجارة والسمسرة . فاذا تذكرنا أن عدداً كبيراً من هؤلاء اليهود كانوا طريدي هتلر في الحرب العالمية الثانية ومن طريدي جمال باشا القائد العثماني في ديار الشام في الحرب الأولى أي أن هؤلاء اليهود كانوا يطوون أحشاءهم على الطوى ويتقلبون على الجمر فإذا بهم بعد سنين الحرب المحدودة قد صارت لهم القصور على شاطئ النيل وعلى بلاج الأسكندرية أدركنا معنى البحبوحة واقعياً .

والغريب أن هؤلاء اللاجئين اليهود خلال الحربين كانت الحكومة المصرية وبرياسة الخديوي أو الملك تشكل لجنة لاستقبالهم لتبدي نحوهم العطف وتمد لهم يد المساعدة . وكانت تخصص في وزارة الداخلية مفتشاً مخصوصاً لهذه المهمة الانسانية ! وفي السجلات الرسمية للحكومة مايدل على أنها وضعت تحت تصرف هؤلاء اللاجئين مبنى الحجر الصحي بالاسكندرية ومحطة الورديان ودار المحافظة في رأس التين . وتولت الخزانة المصرية نفقاتهم وأنشأت لهم مخابز خاصة وبنت لهم معبداً ومستشفى وحدائق خضراء ونافورات مياه !

ومما يدعو للتأمل أنه من قلب هذه المعسكرات والملاجئ الحكومية لليهود خرجت في الحرب العالمية الأولى فكرة مساعدة الانجليز ضد الأتراك وهي فكرة مضادة تماماً للشعور الشعبي الوطني الذي تبدى في مشكلة طابا مثلا والذي عبر عنه مصطفى كامل بارتباطه السياسي بتركيا . ولم يكتف هؤلاء اللاجئون اليهود بأن تخرج الفكرة كمجرد فكرة أو شعار بل كونوا فرقة عسكرية لهذا الغرض .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية كون اليهود اللاجئون في مصر فرقة عسكرية تحارب مع الحلفاء كجزء من الفيلق اليهودي الذي تكون في فلسطين . بل واشتركت هذه الفرقة في معركة « بيرحكيم » واستطاع هذا الفيلق اليهودي أن يقدم لحرب ١٩٤٨ في جانب اليهود ستين ألفاً من اليهود الذين حاربوا فعلاً ومارسوا استعمال السلاح الحديث خلال الحرب العالمية الثانية وعلى مستوى الضباط . هذا في الوقت الذي بلغت فيه أعداد المحاربين من الجيوش العربية في حرب ٤٨ عشرة آلاف جندي وبضع مئات من الضباط معظمهم من مصر . هذه الأعداد في الجانبين ذكرها جلوب باشا نفسه .

هؤلاء اللاجئون اليهود أصبحوا بعد سنوات الحرب مليونيرات في مصر بفضل ماكتسبوه من الجيش البريطاني وصار فريق كبير منهم على مدى الحقبة التالية من مؤسسي اسرائيل على أنقاض فلسطين .

على أن اليهود لم يكتفوا بالاثراء عن طريق التكسب من الانجليز ولكنهم قاموا بدور فريد يعتمد على حبهم التاريخي للذهب وعبادتهم إياه ألا وهو جمع الجنيه الذهب من بين يدي الجمهور والتجار المصريين وبيعه لبنك انجلترا أو تحويله إلى سبائك . كان الجنيه

الذهب يساوي ٩٧٥ مليماً . فكانوا يدفعون فيه ٩٧٩ مليماً ويأخذونه من الجمهور حتى استمر الجنيه يتوارى عن العيون . ووصل الآن سعر الجنيه إلى أكثر من مائة جنيه مصري ورقي !

كما أن اليهود طرقوا بعض أوجه استثمار انفردوا بها . فقد احتكروا مثلاً صناعة السينما حيث أسس جوزيف موصيري (الذي سيصبح صديقاً للملك فؤاد) في عام ١٩١٥ شركة للسينما هي شركة «جوزي فيلم» تملكت سينمات في مصر وأسكندرية والسويس وبورسعيد ووجد فيه جنود الجيش الأنجليزي أيام الحربين متعة تخفف عنهم هموم الحرب .

وأسس شيكوريل عام ١٩١٥ مؤسسة لتصدير القطن وتسويقه الداخلي ثم أصبح هو عضواً في بورصة البضائع وبورصة مينا البصل وجمعية المصدرين ، ومن الملاحظ أنه أسس هذه الشركة التصديرية خلال الحرب وانقطاع النقل البحري ومعنى ذلك أنه احتكر وحده عملية النقل والشحن البحري للقطن بتنظيم خاص مع الانجليز .

وأسس الفريد كوهين عام ١٩١٤ شركة التسليفات التجارية التي انتشرت انتشاراً واسعاً بين التجار المصريين ، وأصبح لها وكالات في لندن وباريس ومعظم المراكز التجارية العالمية وكانت هي الشركة التي أدخلت الربا بعد أن كان التجار المصريون يتعاملون بالقرض الحسن وبدون كمبيالات اكتفاء بالارتباط اللفظي بينهم .

وقد ربح تجار اليهود ربحاً ماكان يخطر لهم على بال من الجيش البريطاني . وأفادوا إفادة كبرى من ارتفاع الأسعار أومن التعهدات والعقود التي ارتبطوا بها لتوريد بضائع للجيش فمحلات «ديفن براين» و «لندن هاوس» و «شالون» و «صيدناوي» أخذت تشتغل ليل نهار للجيش . ونفذت جميع الأدوية الجاهزة والأجنبية وحتى العطارة المحلية ، وبيعت بألوف الجنيهات ماكان ثمنه عشرات لأن السلطة العسكرية كان يهمها الحصول بسرعة تامة على العقاقير المطلوبة بأي ثمن . ومن ثم فقد برز في هذا المجال يهود وأصبحوا من أغنى المليونيرات هم «دلار» و «غناجة» و «جاليتي» .

الاستثناءات والمحسوبية

لم يكن المجتمع المصري حتى الحرب العالمية الأولى يعرف المحسوبية ولا الاستثناءات في الوظائف . وكان في مصر وحتى نشوب الحرب الأولى حرص على نوع من العدالة والمساواة بين الموظفين . بل وصلت المساواة في مياه الري بين الأقطاعي والفلاح الفقير . ولم يعرف الجهاز الاداري المصري الاستثناءات والمحسوبية إلا على يد اليهود المصريين وبدأ ذلك مع نشوب حرب ١٩١٤ مع غلاء الحرب صار هناك توفير في عديد من الوظائف لتوقف مشروعات الري والصرف حيث فصلت وزارة الأشغال ٥٠٠ موظف كلهم من المصريين . وكما قلنا قبلاً إن مفتش مالية الحكومة قطاوي كان يهودياً . في وسط هذه المذبحة للموظفين الوطنيين زاد راتب قطاوي مرة واحدة ٢٠٠ جنيه شهرياً لمواجهة الغلاء وصار مرتبه السنوي بذلك عشرة آلاف جنيه وهو مبلغ خيالي بحساب ذلك الزمن . وفي نفس الوقت زاد مرتب بعض الموظفين الأجانب مثل دراجون المستشار الزراعي وورنوك البيطري وتورسا مهندس بلدية الاسكندرية حيث منح منحة قدرها ١٢٠٠ جنيه مرة واحدة . في نفس الوقت استقطعت الحكومة جانباً من مرتبات الموظفين الذين لم يفصلوا .

تجمع غضب الموظفين المكتوم وتركز على رأس المستعمر البريطاني . وحالت ظروف الحرب التي استدعت هذا التقشف الحكومي لصالح المجهود الحربي حالت دون أن يتنبه الطرفان المصري والانجليزي إلى الدور الخطير الذي لعبه اليهود على حساب الطرفين ولصالح اليهود أولاً وأخيراً ، فكان التبذير لليهود والتقشف على المصريين .

خطيئة يهودية أخرى

كما جمع اليهود الجنيه الذهب استمراراً لعبادتهم للعجل الذهبي القديم وكما زرعوا بذور المحسوبية والاستثناءات في حقل الوظائف وأصبح الاستثناء في هذه التربة نوعاً من الحشائش يستحيل استئصاله كذلك زرعوا في المجتمع المتدين خطيئة البغاء وكان لهم في ذلك فنون وفنون . وكان لهم دولة خاصة بهذا الجرم الشنيع . دولة لها مندوبوها لدى البوليس والصحة والجهات المختصة . وكانوا يبتدعون لافتة «بنسيون» لاخفاء أوكار هذه الرذيلة .

لايمكن أن يقدر خطورة هذا الموضوع إلا أطباء الجيش الإنجليزي الذين كتبوا تقارير رسمية وكتباً خاصة ذكروا فيها أن ربع الجيش الانجليزي على الأقل قد عانى من الأمراض السرية التي كانت تفوق المجهود الحربي (قبل ظهور البنسلين) لمدة ٨ أسابيع على الأقل . والتي فككت الروابط الأسرية الإنجليزية وغيرت كثيراً جداً من السلوك والأخلاق البريطانية الأصيلة ونشرت فساداً لفترة طويلة بعد الحرب .

كان اليهود مصممين خلال الحرب العالمية الثانية على استلاب الرجل البريطاني والمال البريطاني والنفوذ السياسي البريطاني في الشرق الأوسط والسلاح البريطاني وغير البريطاني .

ويهود كثيرون يعتبرون أن غير اليهودي سرقته لاتعتبر جريمة بل هي حلال . ونفس الشيء في الزنا والقتل فهم يرون غيرهم ليسوا بشراً . بل مخلوقات مهدورة المال والدم والشرف . إنهم هم وحدهم البشر الذين خلقهم الله . غيرهم ليسوا بشراً بل مخلوقات كالحيوانات . ووقائعهم التي تروى في هذا الصدد كثيرة ومشهورة . ولازالت تصرفاتهم في إزالة البيوت بالبولدوزر وبقر بطون الحوامل وإسالة دماء الأسرى حتى الموت ... كل هذا ماهو سوى تعبير عن هذا الاحساس تجاه الغير وهو احساس يبرر لهم أخذ الأموال وانتهاك الأعراض وتمزيق المقدسات .

إن المسلمين والمسيحيين لايصدقون هذه الصورة لأنهم لايستطيعون الحكم عليهم إلا بما تعودوه وماجبلوا عليه من مقاييس دينية وبشرية وإنسانية وأخلاقية .

وقد استغل اليهود هذا «الضعف» لدى المسلمين والمسيحيين في تهديدهم بمعاداتهم للسامية كلما حاولوا الاقتراب من حقيقة هذا الشعور اليهودي نحو غير اليهودي . «سام» المقدس هذا مضى عليه ألوف الألوف من السنوات . والآن فقط يتذكرونه ويحتمون به . والعرب جميعاً أبناء سام هذا . ولم يرحمهم اليهود .

الخلاصة

إن اليهود المصريين كانوا في مصر ينعمون بالرخاء إلى أقصى درجة ويتمتعون بالعدالة وما هو فوق العدالة وكان المجتمع كله حتى أصغر فرد فيه فاتحاً أحضانه لهم . وكانت خيرات المجتمع وخلجات فكره متاحة لهم دون أدنى قيد .

وقد استبدلوا بهذا النعيم الخيالي أرضاً ضيقة منهوبة وميزانية مفلسة وتوتراً دائماً ينعكس حتى على محيًا الطفل الاسرائيلي المهموم الخائف من المستقبل .

وسيظل خروجهم الثاني من مصر حجة عليهم وعلى اختيارهم وبطرهم وكفرهم بنعمة الله وتمردهم على فضله .

السيد فهمي الشناوي

كيف يتخلص العرب من:

لعبة الدولار!



بقلم:
الدكتور غسان حتاحت

قرأت مرة قصة طريفة فى كتاب من كتب التراث لا يحضرني اسمه ، علقت في ذاكرتى لما فيها من عبرة وأية عبرة.

وهي تحكي عن تاجر مفلس غادر بغداد باتجاه فارس ، سعيا وراء الرزق والتجارة فلم يفلح ، وحط به الرحال فى احدى حواضر فارس ، حيث كان على علاقة وثيقة بأحد تجارها في الماضى ، وخطر له أن يقصد هذا التاجر ليستدين منه بعض المال ، ولما زاره وحدثه بحاجته ، قال له التاجر الفارسى : انني لا أملك ماأعطيكه ، لكننى سوف أحاول أن أساعدك بصورة أخرى.

وذهب معه إلى السوق حيث اشترى له ثيابا غالية نفيسة ليلبسها ثم صحبه إلى قصر الوالي ، وعندما دخلا على الوالى قال التاجر الفارسى :

يسرني يا مولاى أن أقدم لك شيخ تجار بغداد وأغناهم ، الذى حضر إلى هذه المدينة جالبا معه أحمالا كثيرة جدا من الثياب والأقمشة والجواهر والتحف والبضائع المتنوعة ، وهو يرجو أن تقبل منه هدية ثمينة من الماس والياقوت واللؤلؤ ومن مختلف الأقمشة.

قال الوالى : انني أشكركما ، وأقدر فى هذا التاجر البغدادى قدومه إلى مدينتنا للاتجار فيها. وملء أسواقها بالبضائع والتعامل مع تجارها ، وأرى أن الواجب أن نتقدم نحن بالهدايا إليه لا أن يتقدم هو بالهدايا إلينا.

يا غلام أعط هذا التاجر الكبير كذا وكذا من الأقمشة ، والخلع ومن الجواهر والتحف فمثله جدير بذلك.

ولما خرج التاجر البغدادى من حضرة الوالى محملا بالعطاء ، قال لزميله الفارسى : لقد جعلتنى يا صديقى أشعر بالقلق والاضطراب ، فمن أين لى أن أهدى الوالي ما ذكرت ، وأنا الذى أجد بالكاد ثمن طعامى؟ قال له الفارسى : لم يكن ثمة داع لأن تشعر بالقلق أبدا ، فلقد كنت واثقا أن الوالي لن يقبل هديتك وأنك سوف تخرج من حضرته محملا بالغالي والثمين من الهدايا والتحف ، ألا تعلم أن الناس عندما يرون الغني يعطونه المال الوفير

معغ غناه وثروته ، وعندما يرون الفقير يأخذون منه ماله رغم فقره وحاجته ؟

العرب ولعبة الدولار

أتذكّر هذه القصة وأستعيدها هذه الأيام كلما قرأت أن الناس في كل مكان من العالم يتحدثون عن الدولار وعن ارتفاع قيمته ، وانخفاض قيمة سواه من العملات الصعبة وغير الصعبة ، ويحز في نفسي سعي العرب الى اقتناء الدولار والدخول في لعبته الخطرة .

فالدولار كما يعترف بذلك الخبراء الأمريكيون أنفسهم ، تزيد قيمته عن حقيقتها بـ ٣٠ - ٣٥٪ ، وأمريكا التي تطبع هذا الدولار الأخضر لم تنجح حتى الآن في معالجة النقص السنوي الهائل في ميزانيتها رغم المحاولات القاسية والتدابير الشديدة . وديون أمريكا الخارجية في تزايد مستمر . وهناك من الدولارات المودعة خارجها الكثير الكثير ، فهناك ما يسمى بالدولار الأوروبي الذي يملأ مصارف أوروبا ، وهناك الدولار البترولي الذي يدفع ثمنا لهذه المادة للدول المنتجة للنفط ، وهناك المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تضيف الى ديون أمريكا ديونا أخرى .

ومع ذلك نرى التهافت العالمي على اقتناء الدولار ، لماذا ؟ لأن هؤلاء الذين يرغبون باقتنائه يثقون بقوة الاقتصاد الأمريكي من جهة ، ويعتمدون على ثبات النظام الرأسمالي فيها من جهة أخرى .

ذلك أن الاستقرار في بقية الدول - ربما فيها دول أوربا الغربية - غير مضمون فلقد نجحت الأحزاب الاشتراكية في الوصول الى الحكم في عدد من دول أوربا الغربية ، ونجم عن ذلك تغيير في بعض المناهج الاقتصادية وتأميم بعض الشركات .

لذلك نجد الناس من شتى دول العالم يسعون الى استثمار أموالهم في الولايات المتحدة ، ويسعون الى اقتناء الدولار الذي تطبعه أمريكا حسب ما تريد وتشاء وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تطبع من عملتها ما تريد دون أي قيود . فلا حاجة لغطاء يغطي عملتها ، بل أن عملتها هي غطاء للعملات الأخرى .

وكلما طبعت أمريكا دولارات أكثر زادت مديونيتها للعالم أكثر ، وكلما نقصت قيمة الدولار . والعالم راض مسرور . فأمريكا هي أكبر قوة إقتصادية في العالم ، وهي أغنى الدول إطلاقا .

لذلك لا عجب أن ترغب الدول الأخرى ، والمستثمرون في اعطائها المزيد ، واعادة الدولارات إليها واستثمارها فيها ، وأي شيء تريده أمريكا أو أي دولة أخرى أكثر من اقتناء خيرات العالم ، وتزويده مقابلها بأوراق خضراء ستعود في النهاية إليها . وفي الوقت ذاته تضمن أمريكا رفاهية كبيرة للمنعمين من شعبها وذلك على حساب الشعوب البائسة الأخرى . ويصبح استهلاك الفرد الامريكي من الأغذية ومن الطاقة ومن كل شيء يفوق بكثير نسبة أي فرد في أية دولة أخرى .

ونرى أمريكا قادرة على التلاعب بدولارها ، فتارة تخفض قيمته ، وتارة ترفعها ، دون أي اعتبار لاقتصاد العالم قاطبة ولا حتى لاقتصاد حلفائها الغربيين ، فمجرد رفع سعر الفائدة على الدولارات المودعة في مصارفها كفيل برفع سعر الدولار ما بين ليلة وأخرى بل دقيقة وأخرى . ومجرد خفضه كفيل بخفض سعر الدولار .

ونرى أمريكا ما بين تلاعب في سعر الدولار وتلاعب في سعر الذهب تربح إذ يصعد وتربح إذ تنخفض قيمته . والعالم الغني يزداد غنى والعالم الفقير يزداد فقرا .

وترى الدولار العربي - أن جاز التعبير - يتيه في هذه اللعبة الخطرة . وتضيع في دوامتها مقدرات العرب وثرواتهم خاصة الثروة البترولية المتناقصة .

ما هو الحل ؟!

ما هو الحل ؟ ان الحل واضح معروف ، وهو في يد العرب أنفسهم ، ومع ذلك نراهم يتجنبونه . فلئن كان العرب قد عجزوا الآن عن تحقيق وحدة سياسية وتعاون سياسي وثيق ، فإن عليهم أن يبدأوا في تحقيق تعاون اقتصادي يعود بالنفع عليهم جميعا . فكلما قوى اقتصاد العرب ازدادت ثرواتهم . وكلما أصبح العالم أكثر ثقة بهم من حيث الرغبة في التعاون المنتج معهم وفي استثمار الأموال لديهم . عوضا عن أن يكون العرب على كثرتهم وغناهم مجرد سوق استهلاكية كبيرة لمنتجات العالم .

وعندما يستثمر العرب أموالهم في أراضيهم ، فما حاجتهم الى الاستثمار في أمريكا ؟ وعندما يضع العرب أموالهم في الأرض الخضراء لا في العملة الخضراء فإن الخير يعمهم جميعا .

أما أن يبقى العرب ثرواتهم في استثمارات تتعرض ساعة الحاجة الى أخطار كثيرة فأمر غير منطقي . وما تجميد أموال ايران في أمريكا إبان أزمة الرهائن الأمريكيين ببعيدة ، وما تجميد بريطانيا لأموال مصر فيها أثناء حرب السويس ببعيدة أيضا،فلا أمان إذن في استثمار خارجي مهما تباينت الظروف .

وفي ساعة العسرة فإن الاستثمار في الدول الغربية وأمريكا واحد . ذلك أن التعاون بينها وثيق . وما اتحاد الدول المستهلكة للنفط وتأثيرها على أسعار النفط وأسواقه ببعيدة عنا .

أننا لن نصبح قوة اقتصادية ذات أهمية ما لم نستثمر أموالنا في بلادنا . وعندها سيتشجع الآخرون على استثمار أموالهم لدينا . وبذلك يبتعد العرب عن لعبة الدولار الخطرة الى حد بعيد . وتخف نسبة التضخم المالي لديهم .

لنبدأ بالثقة ببعضنا ، ولكن هنا المشكلة . إذ كيف نستطيع أن نثق ببعضنا ونحن فقراء . وكيف نستطيع أن نعطي بعضنا بعضا ونحن فقراء ؟ .

وأقرؤوا ثانية القصة التي تصدرت هذه المقالة !

■ لماذا ظل العرب على كثرتهم وغناهم مجرد سوق استهلاكية كبيرة لمنتجات العالم ؟

من أعلام الاجتهاد الإسلامي الحديث

الإمام الأكبر الشيخ الخضر حسين

بقلم: الدكتور محمد عمارة

ليست هذه بالترجمة المستفيضة لحياة الشيخ الفاضل محمد الخضر حسين .. وإنما هى « بطاقة » تجتهد لتكثف هذه الحياة الخصبة فى سطور..

• فمن أسرة جزائرية « شريفة » ، يرتفع نسبها إلى الأمراء الأدارسة ، بالمغرب ، جاء والده ، ومن أسرة تونسية ، اشتهرت بالعلم والفضل والتقوى هى أسرة عزوز ـ جاءت والدته ..

• وفى مدينة « نفطة » ، من أعمال « الجريد » ، بجنوب القطر التونسى ، ولد شيخنا فى ٢٦ رجب سنة ١٢٩٣ هـ ١٦ أغسطس سنة ١٨٧٦ م .. وفى « نفطة » كانت نشأته الأولى ، التى تأثر فيها بأبيه ، وبخاله السيد محمد المكى بن عزوز ، الذى كان من كبار العلماء ، وموضع احترام رجالات الدولة العثمانية يومئذ ، والذى قضى الشطر الأخير من حياته فى الآستانة ، تلبية لرغبة السلطان عبد الحميد (١٢٥٨ ـ ١٣٣٦ هـ ١٨٤٢ ـ ١٩١٨ م) .. وله مؤلفات علمية معروفة ، وترجمة فى بعض كتب التاريخ ..

وفى هذه النشأة الأولى « بنفطة » ، حفظ شيخنا القرآن الكريم ، وألم بجانب من الأدب والعلوم العربية ، والشريعة .

نبوغ مبكر

• وفى الثانية عشرة من عمره (سنة ١٣٠٥ هـ سنة ١٨٨٨ م) انتقل مع أسرته إلى تونس العاصمة .. وبعد عامين (سنة ١٣٠٧ هـ سنة ١٨٨٩ م) التحق « بجامع الزيتونة » ، المناظر ، فى تونس والمغرب للجامع الأزهر الشريف ..

وفى الزيتونة تقدم الفتى فى تحصيل العلم ، وظهرت أمارات نبوغه فى علوم العربية وعلوم الشريعة ، وتجلى ذوقه الأدبى ، فى الإنشاء وفى التذوق ، حتى لقد طلبته الحكومة ليتولى بعض الخطط العلمية ، قبل إتمامه دراسته .. لكنه اعتذر عن عدم القبول لرغبة حكومة تونس الفرنسية !

• كانت رحلته الأولى ، خارج تونس ، إلى الشرق ـ ولما يزل طالبا ـ فزار طرابلس الغرب ، فى ليبيا ، سنة ١٣١٧ هـ سنة ١٨٩٩ م ، فأقام بها أياما ، ثم عاد إلى تونس ، فلازم جامع الزيتونة .

• وفى سنة ١٣٢١ هـ سنة ١٩٠٢ م نال شهادة العالمية ، وأصبح من علماء الزيتونة .. وفى نفس العام الذى تخرج فيه من جامع الزيتونة أنشأ مجلة (السعادة العظمى) ، التى كانت رائدة المجلات العلمية والأدبية فى بلاد الشمال الأفريقى يومئذ .. فلفت الأنظار إلى قلمه ولسانه .. فلقد كان خطيبا ومحاضرا ، إلى جانب كونه أديبا وشاعرا وكاتبا ..

• وفى سنة ١٣٢٤ هـ سنة ١٩٠٥ م تولى قضاء مدينة بنزرت ومنطقتها ، إلى جانب التدريس والخطابة بجامعها الكبير ..

• وفى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ ٩ يونيو سنة ١٩٠٦ ألقى فى نادى قدماء خريجى المدرسة الصادقية محاضرة عن « الحرية فى الاسلام » ، فكشف بها عن موقف فكرى ذى مغزى فى بلد يستبد بحكمه المستعمرون الفرنسيون ؟! .. ثم ما لبث أن استقال من قضاء بنزرت ، وعاد إلى تونس العاصمة ، مدرسا بالمدرسة الصادقية ، وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة بتونس يومئذ .. وكان ذلك فى سنة ١٣٢٦ هـ سنة ١٩٠٨ م .. وفى العام التالى لتدريسه بالصادقية (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٩ م) تطوع للتدريس بجامع الزيتونة .. ثم أحيلت إليه مهمة تنظيم خزائن الكتب الخاصة بهذه الجامعة .. وتم تعيينه ، رسميا ، مدرسا بجامع الزيتونة .

• وفى سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م اشترك فى تأسيس « الجمعية الزيتونية » .. ثم كلف بالخطابة فى « الخلدونية » وفى ١١ شوال سنة ١٣٢٧ هـ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٠٩ م ألقى محاضرة فى نادى الجمعية الخلدونية عن « حياة اللغة العربية » .. وفى العام التالى (١٣٢٨ هـ سنة ١٩١٠ م) نظم قصيدة يدعو فيها علماء جامع الزيتونة إلى العناية بتنشئة جيل من الكتاب والأدباء والدعاة .. فوضحت مقاصده من وراء الدعوة إلى إحياء قيم « الحرية » و« العروبة » وأدوات « الكتابة » و« الخطابة » فى وطن يخضع لاستعمار ينهب خيراته ويستبد بمقدراته ويمسخ هويته العربية الاسلامية !

• ولما قامت الحرب الطرابلسية فى ٥ شوال سنة ١٣٢٩ هـ ٢٩ سبتمبر ١٩١١ م بين إيطاليا والدولة العثمانية وزحفت الجيوش الإيطالية



الشيخ الخضر حسين

فاحتلت طرابلس وبنغازى ، وقف الشيخ الخضر بقلمه ولسانه ، ومن خلال مجلته ((السعادة العظمى) يستنفر الأمة لتقاوم الغزو الايطالى ، ويستنهض الدولة العثمانية لاستخلاص الحق من غاصبيه .. ومن بيانه فى ذلك قصيدة مطلعها :

ردوا على مجدنا الذكر الذى ذهبا
يكفى مضاجعنا نوم مضى حقبا !

• ثم سافر إلى الجزائر زائرا لأمهات مدنها ، ومحاضرا فيها .. وعاد إلى تونس يواصل دروسه بالزيتونة ، ونشاطه فى المحاضرات والخطابة والكتابة فى الاصلاح الاسلامى والنهضة العربية وإذكاء الروح الوطنية ..

صدام مع الاستعمار

• وفى هذه الفترة رفض رغبة الحكومة ضمه إلى سلك القضاء فى محكمة فرنسية !

• وكان لابد من الصدام بين سعى الشيخ المناضل وبين سلطات الاستعمار الفرنسى فى تونس ، فوجهت هذه السلطات إليه فى سنة ١٣٢٩ هـ سنة ١٩١١م تهمة « بث روح العداء للغرب ، وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية فى تونس » .. فلما استشعر الشيخ الخطر على حياته ، غادر تونس إلى الآستانة بحجة الرغبة فى زيارة خاله السيد محمد المكى ابن عزوز ، الذى كان يعيش هناك ..وكانت رحلته هذه إلى الآستانه ، عبر مصر ، فدمشق .. لكنه لم يلبث أن حن إلى وطنه تونس ، فعاد إليه ، عبر نابولى فى إيطاليا ونشر أخبار رحلته هذه .. وعينته الحكومة عضوا بإحدى لجان التاريخ التونسى . لكن الجو الخانق الذى كان مفروضا على تونس من سلطات الاحتلال الفرنسى دعاه إلى الهجرة ثانية ، فقصد إلى دمشق .. وفى طريقه إليها مر بالقاهرة فلبث فيها مدة وجيزة تعرف فيها على كوكبه من العلماء الأعلام المناضلين فى سبيل النهضة العربية والإحياء الاسلامى ، منهم : الشيخ طاهر الجزائرى (١٢٦٨ — ١٣٣٨ هـ ١٨٥٢ — ١٩٢٠) والسيد محمد رشيد رضا (١٢٨٢ — ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ — ١٩٣٥ م) والسيد محب الدين الخطيب ، وأحمد تيمور باشا (١٢٨٨ — ١٣٤٨ هـ ١٨٧١ — ١٩٣٠ م) .. وفى دمشق عين مدرسا للغة العربية فى المدرسة السلطانية سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ م .. وخلال تلك الفترة سافر إلى القسطنطينية فوصلها يوم إعلان حرب البلقان « الروسية — العثمانية » — ذى القعدة سنة ١٣٣٠ هـ أكتوبر سنة ١٩١٢ م .. ثم عاد إلى دمشق ، ومنها سافر بسكة حديد الحجاز إلى المدينة المنورة سنة ١٣٣١ هـ سنة ١٩١٣ م .. ثم عاد إلى دمشق ..

ومن دمشق سافر إلى الآستانة ، ولقى وزير حربيتها أنور باشا (١٢٩٩ — ١٣٤٠ هـ ١٨٨٢ — ١٩٢٢ م) فاختاره محررا عربيا بالوزارة .. ولقد أتيحت له الفرصة ليلمس عوامل الفساد التى تفتك بمقومات الدولة العثمانية ، فسجل ذلك شعرا فى قصيدته التى نظمها سنة ١٣٣٢ هـ سنة ١٩١٤ م ، والتى يقول فيها :

أدمى فؤادى أن أرى ال — اقلام ترسف فى القيود
فهجرت قوما كنت فى — أنظارهم بيت القصيد
وحسبت هذا الشرق لم — يبرح على عهد الرشيد
فإذا المجال كأنه — من ضيقه خلق الوليد !

• وفى سنة ١٣٣٣ هـ سنة ١٩١٥ م أرسله أنور باشا إلى العاصمة الألمانية برلين فى مهمة رسمية ، فمكث بها تسعة أشهر ، اجتهد خلالها أن يتعلم اللغة الألمانية .. وعندما تحدث إليه المدير الألمانى للقسم الشرقى بوزارة الخارجية الألمانية ، خلال صحبته بقطار ضواحى برلين ، عن قول ابن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨هـ ١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) : إن العرب أبعد الناس عن السياسة .. رفض هذا التفسير العنصرى لكلام ابن خلدون ، ودافع عن العرب .. ونظم أبياتا قال فيها :

عذيرى من فتى أزرى بقومى — وفى الأهواء ما يلد الهذاء
سلوا التاريخ عن حكم تملت — رعاياه العدالة والإخاء
هو الفاروق لم يدرك مداه — أمير هز فى الدنيا لواء

ومن برلين عاد إلى الآستانة .. وما لبث ان ضاقت به ، فحن إلى دمشق ، وعاد إليها ..

ويدخل السجن

• وفى دمشق اعتقله السفاح أحمد جمال باشا (١٢٨٩ — ١٣٤٠ هـ ١٨٧٢ — ١٩٢٢ م) الحاكم العام فى سورية ، فى رمضان سنة ١٣٣٤ هـ يوليو سنة ١٩١٦ م ، لعدة أشهر ، حتى أنقذه من السجن تدخل وزير الحربية العثمانى أنور باشا .. فغادر دمشق ، بعد الافراج عنه ، إلى الآستانة ، فأوفده أنور باشا ، ثانية ، إلى برلين سنة ١٣٣٥ هـ سنة ١٩١٧ م ، فالتقى فيها بزعماء الحركات الاسلامية هناك ، من مثل الشيخ عبد العزيز جاويش (١٢٩٣ — ١٣٤٧ هـ ١٨٧٦ — ١٩٢٩ م) والدكتور عبد الحميد سعيد (١٢٩٩ — ١٣٥٩ هـ ١٨٨٢ — ١٩٤٠ م) والدكتور أحمد فؤاد ، ثم عاد ، بعد فترة طويلة ، إلى الآستانة .. ومنها رجع إلى دمشق ، وإلى التدريس فى المدرسة السلطانية بقية سنة ١٣٣٥ هـ وسنة ١٣٣٦ هـ سنة ١٩١٧ م وسنة ١٩١٨ م فشرح لنجباء الطلاب كتاب ابن هشام (٧٠٨ — ٧٦١ هـ ١٣٠٩ —

■ عقل إسلامي مجدد ومناضل في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي

■ كان لسان الأصالة المعبر عن مشكلات المعاصرة وضرورتها

الإمام الأكبر
الشيخ الخضر حسين

١٣٦٠ م) «مغنى اللبيب» فى علم العربية .. وهو الشرح الذى كان الأساس لبحثه فى «القياس وشروطه ومواقفه وأحكامه» .. وهو البحث الذى طوره، فيما بعد، كتابا نال به عضوية «هيئة كبار العلماء» بالجامع الأزهر .. وطبع سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م.

• وفى سنة ١٣٣٧ هـ سنة ١٩١٨ م سافر من دمشق إلى الآستانة، وكانت الحرب العالمية الأولى فى نهاياتها، ومنها توجه إلى ألمانيا للمرة الثالثة، فقضى بها سبعة أشهر، وكان نذر الزوال للدولة العثمانية تطل فى الأفق .. فعاد من ألمانيا إلى دمشق مباشرة! ..

• وصادفت عودته إلى دمشق إقامة الحكم العربى بقيادة فيصل بن الحسين (١٣٠٠ - ١٣٥٢ هـ ١٨٨٣ - ١٩٣٣ م) سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩١٩ م .. لكن الاحتلال الفرنسى عاجل هذا الأمل العربى سنة ١٣٣٨ هـ سنة ١٩٢٠ م .. ففكر الشيخ، الذى هاجر من تونس المحتلة بالفرنسيين، فى العودة إليها بعد أن احتلوا دمشق أيضا! .. لكنه رحل إلى القاهرة وألقى بها عصا ترحاله الذى استمر عشر سنوات، فاستوطن القاهرة سنة ١٣٣٩ هـ سنة ١٩٢١ م.

• وفى القاهرة أعانه الاستقرار على الانتاج العلمى المنظم، والنشاط الاصلاحى الدائم، فوضحت معالم نهجه فى التجديد والاصلاح، وتكونت من حوله حلقات الطلاب والمريدين، وأخذت تأثيرات علمه وإصلاحه تلفت إليه أنظار العلماء وطلاب الإصلاح ..

ففى سنة ١٣٤٠ هـ سنة ١٩٢٢ م ألف رسالته «الخيال فى الشعر العربى» .. واشتغل عدة سنوات فى التحقيق لكتب التراث بالقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية .. وتجنس بالجنسية المصرية .. ثم تقدم إلى امتحان العالمية لجامع الأزهر، فحصل عليها بجدارة، وأصبح واحدا من علماء الأزهر الشريف ..

• ولم يكن التجنس بالجنسية المصرية، ولا الانخراط فى «هيئة كبار العلماء» والاشتغال بالبحث والتحقيق .. لم يكن فى ذلك ما يعوق الشيخ الخضر عن مواصلة النهوض بمسئولياته وواجباته كعالم مسلم ومجاهد عربى .. وأيضا رعاية حقوق وطنه الأصلى تونس، واشقائه الرازحين، بالمغرب، تحت نير الاستعمار الفرنسى .. فنهض الشيخ فى سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٤ م بتأسيس (جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية) لتكتيل وتحريك جهود أبنائها فى خدمة قضية تحرير هذه البلاد من الاستعمار .. ولقد كانت هذه الجمعية مكان اللقاء والتعاون بين أحرار تلك البلاد ومناضليها، فضمت عضويتها من المغرب: الفضيل الورتلانى، ومن الجزائر: البشير الابراهيمى ١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م) ومن تونس: الحبيب بورقيبة (١٢٢١ هـ ١٩٠٣ م).

معاركه الفكرية

• وفى سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م بدأت معاركة الفكرية الكبرى بكتابه (نقض كتاب الاسلام واصول الحكم) .. ولقد كان الشيخ صديقا لأسرة عبد الرازق، يتردد على منزلهم، وبينه وبينهم علاقات المودة والاحترام .. وعندما قارب طبع كتاب الشيخ على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) على التمام، طلب آل عبد الرازق من الشيخ خضر عناوين زعماء العالم الاسلامى ومفكريه ليهدوا إليهم الكتاب، فأتاهم بقائمة العناوين من صديقه محب الدين الخطيب .. فلما طبع كتاب (الاسلام وأصول الحكم) أهديت إليه نسخة منه، ففاجأته أفكار صاحبه .. فعكف على الرد عليه ونقضه، فطبع الرد فى نفس السنة، ونفدت طبعته خلال شهر واحد!

وفى العام التالى (سنة ١٣٤٥ هـ سنة ١٩٢٦ م) ظهر كتاب (فى الشعر الجاهلى) للدكتور طه حسين، فرد عليه الشيخ بكتابه (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) فصنع معه ما صنع مع كتاب (الاسلام وأصول الحكم) عندما فنده فقرة فقرة وفكرة فكرة، مع أدب رفيع فى الحوار وبراعة فى الجدل كشفت عن عقل متمكن ومتمرس فى ميدان البحث والمناظرة، يغترف صاحبه من معين من العلم لا يفيض.

لقد أدى الرجل بهذين الكتابين حق دين وأمة، ونهض بفرض كفائى وجب على الأمة جمعاء .. وكان، بحق، كما قال هو:

ناضلت عن حق يحاول ذو هوى تصويره للناس شيئا منكرا

• وفى سنة ١٣٤٦ هـ سنة ١٩٢٧ م اشترك مع صديقه العلامة أحمد تيمور باشا فى تأسيس (جمعية الشبان المسلمين) التى جاءت طليعة الجمعيات الاسلامية التى تكونت للتعريف بالاسلام، والذود عن حضارته فى تلك الحقبة التى تميزت بزحف فكرية «التغريب» على وطن العروبة وعالم الاسلام .. ولقد رأس أول اجتماع تحضيرى لتأسيسها فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٧ م ..

كذلك نهض الشيخ الخضر بتأسيس (جمعية الهداية الاسلامية)، التى ضمت كوكبة من المثقفين ثقافة دينية ومدنية .. وأصدر لها مجلة (الهداية الاسلامية) .. وكون لها مكتبة عامة، جعل من مكتبته الخاصة نواة لها .. ولقد امتد نشاط هذه الجمعية إلى الأقاليم، فقامت لها فروع فيها .. وكانت محاضراته المستمرة فيها ومقالاته فى المجلة جهدا منظما ومستمرا قدم من خلاله معالم دعوته للإحياء الاسلامى والنهضة العربية وتحرير ديار العروبة والاسلام .. ولقد جمعت مقالاته ومحاضراته هذه فى كتاب من ثلاثة أجزاء هو (رسائل الاصلاح) ..

• وعندما أصدر الأزهر مجلته، التى بدأت باسم (نور الاسلام) فى سنة ١٣٤٩ هـ سنة ١٩٣٠ م عهد إلى الشيخ الخضر برئاسة تحريرها، فنهض بهذه المهمة من عددها الأول (محرم سنة ١٣٤٩ هـ مايو سنة ١٩٣٠ م) حتى عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ يوليو سنة ١٩٣٣ م .. عندما استقال من رئاسة تحريرها، رافضا التعاون مع الأستاذ محمد فريد وجدى (١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م) الذى عين - دون إذن الشيخ الخضر - مديرا لتحرير المجلة .. وكان بينهما جدل فكرى يومئذ فى الصحف والمجلات .. ولم تفلح وساطة الشيخ الظواهرى (١٢٩٥ - ١٣٦٣ هـ ١٨٧٨ - ١٩٤٤ م) - شيخ الأزهر - فى إثنائه عن الاستقالة .. وكان معاشه يومئذ أقل من خمسة جنيهات؟! لكن نشاطه تواصل فى التدريس بكلية أصول الدين.

فى المجمع اللغوى

• وعندما تكون «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ سنة ١٩٣٢ م، من عشرين عضوا عاملا، كان الشيخ الخضر واحدا من أقدم هؤلاء الأعضاء، ومن أكثرهم إنتاجا .. فلقد شارك فى كثير من لجان المجمع

العلمية ، من مثل : لجنة اللهجات .. ولجنة الآداب والفنون الجميلة .. ولجنة دراسات معجم فيشر .. ولجنة الأعلام الجغرافية .. واللجنة الأصول .. ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم .. ولجنة المساحة والعمارة .. ولجنة المعجم الوسيط .. الأمر الذى يعكس وزنه العلمى وثقله الفكرى وثقافته الموسوعية وجهده الدءوب فى خدمة الفكر .. كذلك نشرت له مجلة المجمع العديد من الأبحاث ، من مثل :

١ ــ « المجاز والنقل وأثرهما فى حياة اللغة العربية » ..

٢ ــ « شرح قرارات المجمع والاحتجاج بها ، وتكملة مادة لغوية ورد بعضها فى المعجمات ولم ترد بقيتها » .

٣ ــ « الاستشهاد بالحديث فى اللغة » .

٤ ــ « وصف جمع العاقل بصفة فعلاء » .

٥ ــ « اسم المصدر فى المعجم » .

٦ ــ « طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها فى البلاد العربية » .

٧ ــ « شعر البديع فى نظر الأدباء » .

٨ ــ « من وثق من علماء العربية ومن طعن فيه » .

ولم يقف نشاطه المجمعى عند مجمع القاهرة .. فلقد اختير عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق .

• وفى سنة ١٣٦٦ هـ سنة ١٩٤٧ م رأس تحرير مجلة (لواء الاسلام) وبدأ فيها تفسيره للقرآن الكريم ..

• وفى سنة ١٣٧٠ هـ سنة ١٩٥١ م نال عضوية « هيئة كبار العلماء » برسالته (القياس فى اللغة العربية) .

وعندما قامت الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م كان منصب شيخ الأزهر شاغرا .. فوقع اختيار الثورة وحكومتها على الشيخ الخضر إماما أكبر وشيخا للإسلام ووجها مشرقا لهذه الجامعة العريقة تطل من خلاله على عالم العروبة والاسلام .. فتوجه ثلاثة من الوزراء إلى منزل الشيخ ، بشارع خيرت ، فى يوم الثلاثاء ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٧١ هـ ـ ٦ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م طالبين منه قبول مشيخة الأزهر .. فنهض بالأمانة ما وسعته الطاقة .. وعندما أحس بضغوط تحول بينه وبين تنفيذ ما يريد ، أو تطلب منه تنفيذ ما لا يرضى صمم على الاستقالة فى ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٣ هـ ـ ٧ يناير سنة ١٩٥٤ م .. قائلا كلمته الشهيرة : « يكفينى كوب لبن وكسرة خبز ، وعلى الدنيا بعدهما العفاء » ؟! .. ولقد ألمح إلى ملابسات استقالته عندما قال : « إن الأزهر أمانة فى عنقى ، أسلمها ــ حين أسلمها ــ موفورة كاملة ، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدىّ فلا أقل من ألا يحصل له نقص » ! ..

• ومنذ ذلك التاريخ تفرغ للبحث والكتابة والمحاضرة ، حتى وافاه الأجل ، فانتقل إلى جوار ربه مساء يوم الأحد ١٣ رجب سنة ١٣٧٧ هـ ــ ٣ فبراير سنة ١٩٥٨ م .. فشيعه العلماء والفضلاء والعارفون لفضله وعلمه ونضاله ، حتى لقد امتد موكب جنازته ما بين ميدان باب الخلق والجامع الأزهر الشريف ؟! ..

الكنوز الباقية

ولم يخلف الرجل وراءه من حطام الدنيا شيئا ، حتى لقد دفن ــ بناء على وصيته ــ بمدفن الأسرة التيمورية ، مع صديقه العلامة أحمد باشا تيمور ! .. لكنه خلّف ، غير النضال والأثر الطيب والذكر الحسن والقدوة الصالحة ، كنوزا من الفكر شاهدة على عقله المبدع والمجدد ، وجهده الدؤوب ، وعزمه الذى لم يعرف الوهن أو التقصير .. فغير خطبه ومحاضراته ومقالاته وأبحاثه التى لم تجمع .. خلف لنا هذه المؤلفات :

١ ــ (رسائل الاصلاح ــ فى ثلاثة أجزاء .

٢ ــ (نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم) .

٣ ــ (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) .

٤ ــ (القياس فى اللغة العربية) .

٥ ــ (الخيال فى الشعر العربى) .

٦ ــ (آداب الحرب فى الإسلام) .

٧ ــ (خواطر الحياة) « ديوان شعره » .

٨ ــ (تعليقات على كتاب « الموافقات » للشاطبى) .

لقد كان ، رحمه الله عقلا إسلاميا مجددا .. ومناضلا فى سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامى ، يتحلى بخلق الأولياء والصديقين والشهداء ..

• فهو فى تونس يواجه الاستبداد الاستعمارى والمسخ الحضارى بالدعوة إلى إحياء العربية لتكون سلاحا فى معركة الأمة من أجل حريتها واستخلاص هويتها العربية الاسلامية .. ويستنهض الشعب بإبراز قيمة ومكانة « الحرية » فى الاسلام .. ويدفع الثمن هجرة من الربوع التى نشأ فيها ! ..

• وهو فى المشرق ، بدمشق ، يواجه تسلط السفاح أحمد جمال باشا ، فيدفع الثمن سجنا وتعذيبا . فلقد كان عداؤه للاستعمار الأجنبى وللاستبداد االداخلى شديدا ودائما ..

فلا كان من عيش أرى فيه أمتى
تساس بكفَّىْ غاشم وغريب !

وهو فى مصر يتصدى لخطر الغزو الفكرى ، ممثلا فى تيار « التغريب » ، فينقض كتابى على عبد الرازق وطه حسين .. ويسهم بالفكر ، فى إنهاض العروبة وتجديد الاسلام .. ويسلك سبل التنظيم ــ الاجتماعى والفكرى والقومى والعلمى ــ من خلال (جمعية الهداية الاسلامية) ومجلتها .. و(جمعية تعاون جاليات افريقيا الشمالية) .. و(جمعية الشبان المسلمين) .. و(هيئة كبار العلماء) و(المجامع اللغوية) .. و(القسم الأدبى بدار الكتب المصرية) .. ومجلات (نور الاسلام) و(لواء الاسلام) .. الخ ليجمع الأنصار حول فكره التجديدى ، وليمهد السبل لهذا الفكر كى يوضع فى الممارسة والتطبيق .

لقد جمع إلى وعيه بتراث أمته وكنوزها الحضارية ، وعيا بالتحديات المعاصرة التى تحول بينها وبين النهضة والإحياء ، فكان لسان « الأصالة » ، المعبر عن مشكلات « المعاصرة » وضروراتها يذود عن « فكر الاسلام ومجد العروبة » ، ويدعو إلى النهضة الحديثة المرتكزة على « المعارف و« الصناعات » ! ..

أبناء هذا العصر ، هل من نهضة
تشفى غليلا حره يتصعد ؟!
هذى البضائع ذللت أدواتها
وسبيلها للعالمين ممهد
إن المعارف والصنائع عُدّة
باب الترقى من سواها موصد !

ولقد أصاب صديقه العالم الفاضل محب الدين الخطيب ، عندما وصفه فقال : « هذا رجل آمن بالاسلام ودعوته ، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون)[1] [2] .

محمد عمارة

هوامش

(١) فصلت : ٣٠ .

(٢) لقد جمعنا مادة هذه الصفحات عن حياة الشيخ الخضر من مقال صديقه محب الدين الخطيب ، وعنوانه : (شيخ الأزهر السابق : السيد محمد الخضر حسين) مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٣٧٧ هـ . وكتاب (مشيخة الأزهر) لعلى عبد العظيم جـ ٢ ص ١٤٧ ــ ١٦٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م .

كنت حريصًا أن أراه ففاتني

شعر: الدكتور عبد الله الطيب

توفي الأستاذ الدرديري محمد عثمان الصائم، صائم ديمة، في شهر سبتمبر من العام الماضي ١٩٨٥ عن تسعة وستين عاماً قضى جلَّها في التدريس، وكان يدرس الانجليزية ويتقنها مع معرفة العربية والذوق الأدبي الرفيع. وكان رحمه الله لي صديقاً. وكان له من قلبي الوداد الخالص.

واتفق أن كتبت كلمة تكريم للاستاذ جمال محمد أحمد، وزير الخارجية في بلدنا سابقاً وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بمناسبة بلوغه السبعين، فذكرت فيها بعض أولي التبريز من أبناء دفعة التدريس الذين كانوا في صفه وتخرجوا معه. وقد عمل الاستاذ جمال في ميدان التدريس زمناً قبل توليه الوزارة. وقد خصصت من هؤلاء الأستاذ الدرديري ببعض الحديث عنه. وكان البعد عن الديار في عملي حيث أعمل بالمغرب بمدينة فاس، قد قطعني عن رؤياه مدة. فكنت حين قدمت لقضاء العطلة بالخرطوم في صيف عام ١٩٨٥ شديد الحرص على أن ألقاه وأطلعه على ماكتبت عنه قبل أن يتاح له نشر. وكان عهدي به يهش إلى ما أعرض عليه من نثر أو نظم. وكنت ممَّا أنتفع بتعليقه ونقده، لحصافته وذوقه وفطنته مع سعة اطلاعه وصدق نصيحته عن بادرة وعن رَويَّة. فما راعني وأنا أهُمّ بالذهاب إليه إلا أن نعاه لي ناع ذكر أنه قد سمع منذ هنيهة خبر وفاته من مذياع أم درمان، وأكدَّ أنه هو الدرديري محمد عثمان الصائم، صائم ديمة. الأستاذ المعروف، من أبناء مدينة «القطينة»، «إنا لله وإنا إليه راجعون»

ذهبت إلى دار العزاء، مُعَزِّياً وحزيناً. لقد سبقني الموت فأخذه قبل أن ألقاه. «لكل أجل كتاب». تذكرت أبا العلاء المعري إذ جمع أهبته للرحيل من بغداد مشتاقاً إلى والدته بمعرة النعمان وإذا بمنعاها. قال في قصيدته التي مطلعها:

هات الحديث عن الزَّوْراءِ أوهيتا
وموقد النَّار لا تَكْرى بتكْرِتيا

يذكر مادعاه إلى فراق بغداد بعد أن عَلِقَ حبُّها قَلْبهُ:

أثارني عنكمُ أمران، والدةٌ
لم ألقَها وثراءٌ عاد مَسفُوتا
أحياهما اللهُ عَصْرَ الْبَينِ ثُمَّ قَضَى
قَبْلَ الإِيابِ إلى الذُّخْرَيْنِ أَن مُوتَا

أي أخرجني منكم على عجل أمران، والدتي وكنت أحِنُّ إلى لقائها، ثم هذا المال الذي نقص من يدي ولم أرد أن أسأل أحداً: عاد مسفوتاً أي ذهب وضاع، أذهبته الأيام والنفقة، ثم قال: كان لي مال وكانت والدتي أيام غربتي حية. ثم قضى الله على مالي النفاد وعلى والدتي الأجل حين أردت العودة وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وتذكرت المعري وحزنت وتعزَّيت كما يتعزى الحزين المفجوع. قال أبوتمام شيخ الأدب وشاعر العرب:

وقال عَليٌّ في التعازي لأشْعَثٍ
وخاف عليه بعض تلك المآثمِ
أتصبر للبَلْوىَ عزاءً وحِسْبَةً
فتُؤْجَرَ أم تَسْلُو سُلُوَّ البهائم

أخوانُنا أُدباء العصر — بل الصواب أن أقول إن من إخواننا أدباء العصر، من يريدوننا أن ننظم شعر التفعيلة المسمى الحُرَّ في عَشْتروت وسايكي وأرفيوس وباخوس وغير ذلك من أصناف العبارات والألفاظ والمجاز والاستعارة من الكتاب المقدس ومن آلهة يونان والروم وهلم جرا. غير أننا بَشَرٌ ضعاف. نفرح لخبر السرور من عرس ومولد ونجاح، ونحزن للنعي وأخبار الكوارث والمصيبات. نُغَنِّي حين نفرح بالتهنئات وحين نحزن بالمرثيات. هكذا كان يفعل الشعراء البشر أولو الإحساس الصادق من العرب. هكذا يفعل الشعراء البشر أولو الإحساس من سائر الناس. صرنا هذه الأيام نخاف خوفاً شديداً من «حساسيات» الشعور بالانتماء إلى التقدم عند بعض إخواننا المعاصرين ممن يريدون الشعر دَفْقَةً شعورية كما يقولون ويكرهون ماينبزونه بأنه «شعر المناسبات» من ضروب المدح والتهاني والتعازي، هل الحياة بأسرها شيء سوى مناسبات تتلو مناسبات؟ وما أحسن قول أبي العلاء المعري إذ قال:

وهل يأبُقُ الإنسان من ملك رَبِّه
فَيَخْرُجَ من أرضٍ له وسماء؟

وقال أبو الطيب:

لمن تَطْلُب الدنيا إذا لم تُرِدْ بها
سرور مُحِبٍّ أو إساءة مُجْرم؟

وهل هذا كله إلا من باب المناسبات؟

لذلك أبعث إليكم سيدي بهذه الكلمة المنظومة فى رثاء أخ حبيب كان من الأدباء العلماء المشتغلين بالدرس والتحصيل ومن خيرة رجال التربية ومن ذوي الذوق الجيد في الشعر، أحزنني فقده فأنطقني بهذه الأبيات لو أن ذلك يشفي غليلا.

نَعَوْا لي درْديري فأحْسَسْتُ حَسْرَةً
على فَقْدِهِ تَنْغَلُّ فيَّ انغلالها
وكان صديقاً لِي وَكانَتْ مَودَّتي
لَهُ فَوْقَ أَن يُلْقَى الْبِعادُ أزالها
وكُنْتُ حَرِيصاً أَن أَراهُ فَفَاتَنِي
كَذاكَ المنايا حِينَ تَرْمِي نِبالها

وكَمْ قد قَرأْنا الشِّعْرَ أَسْمَعُ صَوْتَهُ
يُؤَكِّدُ مَعْنَى لَفْظَةٍ وَظِلالها
وشِعْرُ « شلي » نَخْتارُ مِنه غناءَهُ
لِقُبَّرةٍ جَوُّ الصَّفِيرِ خَلاَ لها (١)
فتتشدو إذا تَسْمُو وتَسْمُو إذا شَدَتْ
وتُفْرِغُ في لَحْنٍ شدته انفعالها
لأعلَى فأعلَى في سماءٍ رَحِيبَةٍ
بها وَجَدتْ مِلْءَ الجناحِ مجالها
ألا تِلْكَ أيَّامُ الشَّبابِ تَصرَّمت
تذكَّرْتُ منها طِيبَها وجمالها

وما كنت أدْري أن سَيَنْجَابُ حُسْنُها
وَنَبْلو حُفَالاتِ الْوَرَى وحُثالها (٢)
ومَن مِثْلُ دِرْديري عَفَافاً وَنَجْدَةً
وعِزَّةَ نَفْسٍ لَم تَجِدْ مَن أذالها
وكان أديباً ناقداً لَمحاتُه
تُفِيدُ عِباراتِ البيانِ كَمالها

وذا فِطْنَةٍ حتَّى لَوانَّ فَطانَةً
بها أحَدٌ نالَ السَّماءَ لنالها
وكان نجيباً أَلْمَعِيّاً مُهَذَّباً
لَهُ نَفْسُ إنسانٍ حَمِدْنا خِصالها
وكان أخا الإخْوانِ فيه رَوِيَّةٌ
وَحَزْمٌ إذا ما كَلْمةُ الْحَقِّ قالها

وقد كان دِرديري سَخِيًّا بِمَالِهِ
إذا مَعْشَرٌ بُخْلٌ بمالٍ أمالها
نَعَوْا لِي درديري فَقَدْ ساءَ رُزْؤُهُ
فُؤادي وأَجْرَى عَبْرَتِي وأجالها
سَقَى قَبْرَ دِرديري سَحابٌ مُجَلْجِلٌ
بِرَحْمَةِ رَبّي ما تُغِبُّ سِجالها (٣)
ويا عَيْنُ سُحِّي واسْكُبِي وَتحدَّرِي
عَلَيْهِ وزِيدِي للدموع احتفالها
ولا تَبْخَلِي يا عَيْنُ إنَّ مُصابَهُ
عظيمٌ وكم مِنْ أَدْمُعٍ قد أسالها
عزاءً لكم أَهْلَ الْقُطَيْنَةِ واصبروا
كذا هٰذهِ الدُّنيا تُرينا زوالها
سقت قَبْرَ دِرديري بن صائم دِيمَةٍ
سحابَةُ غُفْرانٍ تُدِيم انهلالها
وبُورِكَ في نجلِ الْفَقِيدِ وآلِهِ
كما كان نَجْلَ المكرماتِ وآلها

هوامش

(١) شلي shelly الشاعر الانجليزي (١٧٩٢ – ١٨٢٢ م) وهنا إشارة إلى منظومة له في القُبَّرة بضم القاف والباء المشددة المفتوحة وإشارة إلى قول طرفة بن العبد : خلا لك الجو فبيضي واصفري .

(٢) الحُفالة والحُثالة متقاربتا المعنى وكلتاهما من ألفاظ الحديث الشريف .

(٣) السِجال بكسر السين بوزن الرجال جمع سَجْل بفتح فسكون والسجل الدلو الكبير الذي يستقى به الماء من البئر ومعنى السجال هنا الدفعات من الرحمة والسجال تأتي بمعنى المساجلة أي المباراة وأصلها من الاستقاء من البئر والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين .

عاصفة سياسية تهبّ على الكيان الصهيوني

حيروت
حزب أم عصابة؟

بقلم: عصام شريح

الأزمة التي شهدها مؤتمر حزب « حيروت » الصهيوني (المؤتمر الخامس عشر) انتهت بشكل مفجع حقاً، تماماً كما يليق بالعصابات التي تلبس أقنعة « الحرية » والديمقراطية والحزبية، لتخُفي وراءها حقيقتها، فالمؤتمر انتهى بنتيجة واحدة هي التشرذم، وقد انعكس هذا التشرذم في محورين رئيسيين هما: محور اسحق شامير – موشي أرنيس ومحور ليفي – أرئيل شارون، ويمكن القول إن هذين المحورين ينقسمان بدورهما إلى محورين آخرين، وبذلك يكون قد ظهر على سطح الأحداث التي مرّ بها المؤتمر، أربعة محاور، حيث لكل من هؤلاء الأشخاص الأربعة مخططه وطموحه الخاص للوصول إلى رئاسة حزب حيروت، وبالتالي إلى رئاسة الحكومة الاسرائيلية.

بدأ مؤتمر حزب حيروت (الخامس عشر) أعماله بتاريخ ١٠ – ٣ – ١٩٨٦، وكان منتظراً أن يستمر لمدة عشرة أيام أو أسبوع على أقلّ تقدير، لكنه لم يستطع الصمود لأكثر من أربعة أيام، فما أن انتهت جلسته الافتتاحية، حتى هيْمن على أعماله الصراع على السلطة، بين خلفاء مناحم بيغن الذي انسحب من الحياة السياسية في الكيان الصهيوني، في عام ١٩٨٤، بعد اخفاق عملية غزو لبنان في تحقيق أهدافها السياسية. وبالطبع فإن الصراع لم يكن حول العقيدة، حيث يتبارى جميع القياديين في حزب حيروت في اتخاذ مواقف متطرفة ضد العرب، والتمسك بما يصفونه « بأرض اسرائيل الكبرى – من الفرات إلى النيل » وإنما كان صراعاً على خلافة مناحم بيغن، الذي قاد الحزب على مدى ٣٥ عاماً، لأن الوصول إلى رئاسة حزب حيروت هو الطريق إلى رئاسة الحكومة.

أما المتصارعون فقد انقسموا إلى معسكرين هما: معسكر اسحق شامير – موشي أرينس ومعهما بنيامين بيغن (ابن مناحم بيغن)، ومعسكر دافيد ليفي – أرئيل شارون، بيد أن كل واحد من هؤلاء يمثل في الواقع معسكراً قائماً بذاته، وإن كانت موازين القوى والطموحات الشخصية قد فرضت قيام هذين المعسكرين.

وبالنسبة لشامير، فهو يعتقد بأنه الأجدر برئاسة الحزب، نظراً لتاريخه « العريق » في عصابتي « الأنسل وَليحي » قبل قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة، اللتين انبثق عنهما حزب حيروت بعد قيام هذا الكيان، ومن هذا المنطلق فهو يرفض التخلي عن رئاسة الحزب خصوصاً وأنه بمقتضى « اتفاقية التناوب » بينه وبين شمعون بيريس رئيس حزب العمل، سيصبح هو رئيس الحكومة في مطلع تشرين الأول (أكتوبر) القادم. أما حليفه موشي أرنيس، فهو يأمل في التخلص من شامير بعد بضع سنوات، والحلول مكانه في رئاسة حيروت، ويأتي بنيامين بيغن ثالثاً في هذا المعسكر، حيث يطمح هو الآخر التدرّج في المسؤوليات القيادية للحزب، طمعاً في الزعامة في المستقبل، مستفيداً من الإرث الذي تركه والده وراءه كأحد أبرز المتطرفين في الحركة الصهيونية ككل وليس في حيروت فقط.

أما في المعسكر الثاني، فيقف دافيدليفي في الطليعة كمنافس رئيسي وحقيقي لاسحق شامير على رئاسة الحزب، وبالتالي على رئاسة الحكومة في تشرين الأول (أكتوبر) المقبل، ثم يأتي أرئيل شارون الطامع بأن يصبح « ملك اسرائيل » مروراً برئاسة حيروت فرئاسة الحكومة، وقد يبدو الصراع داخل حيروت ضمن هذا الوصف، طبيعياً وعادياً، كما هو شأن الصراع في جميع الأحزاب، لكن ظهرت مفارقتان خطيرتان في مؤتمر حزب حيروت، من شأنهما تقويض الحزب من أساسه، أو انقسامه إلى أكثر من حزب واحد.

أما المفارقة الأولى فهي الاستقطاب الطائفي داخل المؤتمر، حيث احتشد معظم المندوبين حول دافيد ليفي – لكونه يهودياً شرقياً (مغربي الأصل). والمفارقة الثانية هي اللهجة الحادة التي تخاطب بها المتنافسون والمتصارعون، خلال الجلسات على قصرها، وبالتالي إخفاق المؤتمر في انتخاب رئيس جديد له، مما حدا باسحاق شامير إلى إرجاء أعماله إلى أجل غير مسمى.

مؤتمر.. أم سيرك؟

وفي الواقع فان مؤتمر حزب حيروت، كان كما وصفه شامير نفسه، « سيركاً تميّز

بصراعات وحشية على السلطة »، فقد تابع الاسرائيليون على شاشات التليفزيون وقائع مناقشات المؤتمر خلال الأيام الثلاثة الأولى، وقبل انفضاضه بطريقة فوضوية في اليوم الرابع، وهي وقائع وصفتها صحيفة « معاريف »، بأنها « مخزية وعارٌ على الحياة السياسية في اسرائيل »، فيما أشار مراقبون سياسيون ومسؤولون اسرائيليون الى أن حزب حيروت، لن يكتب له البقاء بعد هذا المؤتمر على الأرجح.

فالمؤتمر تميّز بالمشاجرات والتشاحن الى حد تبادل الاهانات والشتائم علناً، وفي الليلة الأخيرة من أيامه، تحولت قاعة المؤتمر الى ساحة قتال واشتباكات بالأيدي، وتطايرت الكراسي والطاولات والأوراق ومكبرات الصوت، وعلا الضجيج والصراخ، وانطلقت التهديدات من كل جانب، ونال « روني بيلو » — نائب وزير الخارجية في الحكومة الاسرائيلية الحالية، لكمة من أحد المندوبين الموالين لدافيد ليفي، بينما كان بيلو يتحدث أمام المؤتمرين من على منصّة الخطابة، وهرب رئيس المؤتمر « موشي قصاب » وزير العمل والرفاه الاجتماعي، وهو من أنصار شامير الذي اجتذبه من معسكر ليفي بتعيينه في هذا المنصب، هرب من قاعة المؤتمر، وقام أنصار ليفي بانتخاب عضو الكنيست « دافيد مغين » رئيساً للمؤتمر بدلاً من موشي قصّاب، وراح هذا يدير الجلسات وهو يقف على مسرح يسيطر عليه معسكر ليفي — شارون، كما منع دافيد ليفي وأريئيل شارون، اسحق شامير من القاء كلمته في الجلسة الأخيرة، ولم يستطع هذا الخروج من قاعة المؤتمر إلا بمساعدة رجال الشرطة.

وفي الخارج بدأت حملات القذف والتشهير والشتائم بين قادة المعسكرين، خاصة بين شامير وليفي. ففي حديث أدلى به شامير الى التليفزيون الاسرائيلي، وصف دافيد ليفي، بأنه « رجل شرّير وكذّاب وزعيم جماعة عديمة الذمّة، ومصمّم على الانقضاض لتولي زعامة حزب حيروت » وتساءل شامير علناً وبمرارة: « كيف لي أن أحكم اسرائيل، وأنا لا أستطيع أن أتحكم بحزبي ؟؟! ».

وقد ردّ ليفي عليه بقوله: « كيف يمكن لشامير أن يتطلع لرئاسة الحكومة، وهو لا يتمتع حتى بالأغلبية بين صفوف المندوبين في حزبه ؟ »، وبالطبع فان هذه الاشارة كافية لطمع ليفي في الوصول الى رئاسة الحكومة الاسرائيلية، وقد بات من غير المستبعد أن يعترض ليفي على « اتفاق التناوب » على رئاسة الحكومة المعقود بين شمعون بيريس واسحق شامير، والذي ينصّ على أن اسحق شامير لاغيره هو المعني بهذا الاتفاق، وذلك سيستلزم من بيريس، إما تشكيل حكومة مصغرة إذا حظي بتأييد الأحزاب الدينية في الكنيست، أو الاعلان عن إجراء انتخابات عامة مبكرة في الكيان الصهيوني.

وقد انعكست النتائج السلبية التي وصل إليها مؤتمر حزب حيروت على الحياة السياسية الاسرائيلية ككل، نظراً لأن هذا الحزب يشكل في الواقع الى جانب حزب العمل، الأعمدة الأساسية التي قام ويقوم عليها الكيان الصهيوني، حيث وصل الاضطراب السياسي الى الكنيست، وأدت المشادات والصراخ المتواصل من أعضاء حزب حيروت بصورة خاصة، الى انفضاض جلسة الكنيست قبل موعدها المقرر بتاريخ ٢٠ — ٣ — ١٩٨٦، فقد قاطع النواب عن حزب حيروت، أحد أعضاء حزب العمل، الذي أخذ يشكك خلال جلسة الكنيست بسلطة وصلاحيات وزير الخارجية الحالي اسحق شامير كزعيم لحزب حيروت، في تبادل منصبه مع شمعون بيريس بعد ستة

■ الصراع بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين يُهَيْمِنُ على المؤتمر


شامير

حيروت
حزب أم عصابة؟

أشهر ، وكان مما قاله « يوسي سريد » (من حركة حقوق المواطن) « هل نجرؤ على تسليم زمام اسرائيل لشخص يفتقر إلى السيطرة على الشياطين ، التي خرجت من عنق الزجاجة خلال جلسات مؤتمر حيروت ؟! »

لكن .. هناك سؤال : ماهو حزب حيروت هذا ؟!

تأسيس حزب حيروت

تأسس حزب حيروت في تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، بعد أن حلّت « المنظمة العسكرية القومية » ـ أتسل (أرغون تسفايْ لئومي) ـ نفسها ، وذلك تنفيذاً لقرار رئيس حكومة العدو آنذاك دافيد بن غوريون ، القاضي بحل جميع المنظمات العسكرية الصهيونية ، ودمجها في اطار « الجيش الاسرائيلي الجديد » غير أن جذور حزب حيروت تعود في الواقع إلى ماسُمّي بالتيار الاصلاحي في الحركة الصهيونية ، الذي تزعمه فلاديمير جابوتنسكي داخل المنظمة الصهيونية العالمية ، وماتزال امتدادات الحزب خارج الكيان الصهيوني ، تحمل اسم « رابطة الصهيونيين الاصلاحيين » . ويعتبر جابوتنسكي الأب الروحي لحزب حيروت ، فهو الذي وضع الأسس الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية ـ الاجتماعية ، بما فيها سياسة العنف والارهاب ، للتيار اليميني في الحركة الصهيونية . وقد بقي اليمين الصهيوني غير مُؤَطّر تنظيمياً حتى عام ١٩٤٥ ، حيث عقد انصار هذا التيار ، مؤتمراً لهم في باريس ، قرروا فيه ، إنشاء تنظيم صهيوني خاص بهم ، عُرف باسم « منظمة الصهيونيين الاصلاحية » وكان قد حصل انشقاق داخل منظمة الهاغانا العسكرية الصهيونية في مطلع الثلاثينات ، تشكلت في إثره منظمة عسكرية جديدة ، سميت « الهاغانا ـ ب » ثم « الهاغانا القومية » ، وأخذت هذه المنظمة تقترب تدريجياً من اليمين ثم غيّرت اسمها إلى « المنظمة العسكرية القومية ـ أرغون تسفايْ لئومي » ، واختصارها (أتسل) .

وعند تأسيس حزب حيروت في عام ١٩٤٨ ، كان معظم كوادره الرئيسيين من أعضاء هذه المنظمة سابقاً ، بمن فيهم زعيم الحزب مناحم بيغن ، الذي تولى قيادة « الأتسل » وأعاد تنظيمها في عام ١٩٤٣ ، بعد أن أصابها التفكك ، نتيجة للضربات التى أنزلها بها البريطانيون وبسبب الانشقاق الذي وقع في صفوفها في حزيران (يونيو) ١٩٤٠ ، وقد أدى ذلك الانشقاق ، إلى تأسيس منظمة عسكرية إرهابية منافسة عُرفت باسم « ليحي » (المحاربون من أجل حرية اسرائيل) بزعامة ابراهام شتيرن .

ومنذ تشكيل حزب حيروت في عام ١٩٤٨ وحتى وصوله إلى السلطة في عام ١٩٧٧ ، كان هذا الحزب ، حزب المعارضة الرئيسي في الكنيست الصهيوني ، كما أنه منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٥ ، لم تحدث تغييرات جوهرية في تركيبة حزب حيروت التنظيمية ولا في قيادته ، لكن بعد ذلك ، تعرض حزب حيروت لعدة هزّات داخلية ، كان أولها المحاولة الفاشلة ، التي قام بها المحامي شموئيل تمير ، لاقصاء بيغن عن زعامة الحزب في المؤتمر الثامن الذي عقد في عام ١٩٦٦ ، وقد انتهت تلك المحاولة ، بفصل تمير وكبار مؤيديه ، مما دفع هؤلاء إلى الانشقاق وتشكيل حزب جديد باسم « المركز الحرّ ـ همركاز هحوفشي » .

وفي عام ١٩٦٩ ، انضم اللواء (الاحتياطي) عيزر فايْتسمن ، إلى حزب حيروت ، ومثّله في الحكومة الأئتلافية الثانية ، وفي المؤتمر العاشر للحزب (١٩٧٠) ، انتخب فايتسمن رئيساً لادارة حيروت على الرغم من حداثة عضويته فيه ، ومنذ ذلك الوقت ، بدأت تظهر خلافات بين نهج فايتسمن ونهج زعيم الحزب السابق مناحم بيغن ، كان دافعها الرئيسي سعي فايتسمن المثابر لتعزيز نفوذه داخل الحزب ، الأمر الذي دفع ببيغن للتصدي بحزم لمحاولات فايتسمن هذه ، وقد نجح بيغن في هذه المواجهة ، وحمل فايتسمن على تقديم استقالته من منصب رئيس إدارة الحركة ، في مؤتمرها الحادي عشر ، الذي عقد في عام ١٩٧٢ ، ثم اعتزاله العمل الحزبي ـ السياسي لبعض الوقت ، الأمر الذي رسخ زعامة بيغن مجدداً ، حيث انتخبه المؤتمر رئيساً للحركة ولإدارتها .

وإذا كان الصراع في الحالتين السابقتين ، قد اقتصر في جوهره ، على مراكز النفوذ والزعامة في الحزب ، فان استقالة عضو الكنيست بنيامين هلبيْ ـ أحد الوجوه البارزة في الحزب ـ عشية المؤتمر الثاني عشر الذي عقد في عام ١٩٧٥ ، قد سلّط الأضواء للمرة الأولى على الثوابت الأساسية في أيديولوجية الحزب ، فقد عزا هلبيْ استقالته إلى عدة أسباب أهمها : اتهامه لحزب حيروت وقادته بالجمود الفكري والسياسي ، والاخفاق في التكيّف مع المتغيّرات السياسية المستجدة . لكن استقالة هلبيْ لم تجد لها أصداء في ذلك المؤتمر ، الذي أقرّ مشروعاً للسلام ، أكد فيه الحزب مجدداً على ثبات منطلقاته الأيديولوجية ومواقفه السياسية ، كما كانت عليه في المؤتمرات السابقة .

وبعد صعود التكتل « الليكود » إلى الحكم ، شهد حزب حيروت ، عدة تطورات ، كان أبرزها : انضمام حركة « شلومتسيون ـ سلام صهيون » برئاسة أريئيل شارون إلى حيروت في أعقاب انتخابات عام ١٩٧٧ ، واستقالة عيزر فايتسمن في أيار (مايو) من عام ١٩٨٠ ، من منصب وزير الحرب ، ثم طرده من حزب حيروت في أواخر السنة نفسها .

وخلافاً للمرة السابقة (١٩٧٢) ، لم يكن لاستقالة فايتسمن ولا لطرده من الحزب ، انعكاسات مهمة ، حيث كان فايتسمن ضعيفاً على الصعيد التنظيمي ، وذلك على الرغم مما كان يتمتع به من مكانة شعبية جيدة ، ومن ناحية أخرى ، كانت سيطرة بيغن وانصاره على مؤسسات حزب حيروت شبه مطلقة ، بالاضافة إلى أن فايْتسمن لم يحاول تعزيز مكانته داخل تلك المؤسسات ، بل كان يتجاهلها في معظم تصرفاته ، غير أن التطور الأبرز الذي شهده حزب حيروت بعد تسلم الليكود للحكم ، كان تلك التحركات الداخلية ، التي أخذت شكل مجموعات ضغط من مواقع على يمين بيغن نفسه خصوصاً بعد الشروع في ماوصف بمفاوضات السلام مع مصر .

الهيكل التنظيمي

من الملاحظ في الحياة السياسية في الكيان الصهيوني ، أن حزب حيروت كان حتى السنتين الماضيتين ، أكثر الأحزاب الاسرائيلية تمسكاً بالنظام الداخلي للحزب ، خاصة بالنسبة للتقيّد بمواعيد انعقاد المؤتمرات العامة . أما هيكلية حيروت التنظيمية فتقوم على مايلي :

١ ـ المؤتمر: ويُعتبر السلطة العليا للحزب، ويُعقد مرة كل سنتين تقريباً باستثناء المؤتمر الأخير (الخامس عشر) الذي تأخر انعقاده بسبب اعتزال مناحم بيغن السياسة وتواريه عن الأنظار منذ عام ١٩٨٣، وكان المؤتمر الرابع عشر قد عُقد في عام ١٩٧٩ والمؤتمر ينتخب عادة اللجنة المركزية، ومن مهامّه أيضاً إقرار برامج الحزب ومشاريعه.

٢ ـ اللجنة المركزية: وهي أعلى سلطة في الحزب خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين، وليس هناك مواعيد ثابتة لعقد اجتماعها، بل تُستدعى إلى الاجتماع كلما اقتضت الحاجة البتّ في الأمور التي تكون موضع خلاف أو تتطلب تحديد موقف، وهي التي تنتخب إدارة الحزب وأمانتها العامة، وكذلك مرشحيها للانتخابات العامة.

٣ ـ الإدارة: وهي تلي اللجنة المركزية في التسلسل الهرمي التنظيمي، والادارة هي التي تقرر دعوة اللجنة المركزية للانعقاد، وتحوّل إليها القضايا التي تتطلب مصادقتها عليها.

٤ ـ الأمانة العامة: وهي عبارة عن الجهاز التنفيذي والمنسّق لأعمال الهيئات الأخرى، وتعالج الشؤون الحزبية اليومية.

٥ ـ الكتلة البرلمانية: وهي تتكون من أعضاء حزب حيروت الذين تم انتخابهم على اللائحة المشتركة لحزب الليكود (التكتّل)، ومن مهامها اتخاذ القرارات في الشؤون المطروحة على جدول أعمال الكنيست، وتنسيق العمل بين اعضائها وبين النواب من أعضاء الأحزاب الأخرى المنضوية تحت لواء الليكود.

أما عدد أعضاء هذه المؤسسات، فغير ثابت، وهو يتغير بين مؤتمر وآخر، ففي المؤتمر (الخامس عشر) بلغ عدد الأعضاء المشاركين ٢٠٠٠ عضو، فيما بلغ عددهم في المؤتمر الرابع عشر ١٤٥٠ عضواً. وبالنسبة للجنة المركزية التي انتخبت في المؤتمر الرابع عشر، فقد بلغ عدد أعضائها حوالي ٩٠٠ عضو، بينما بلغ عدد أعضاء الإدارة نحو ١٢٠ عضواً.

بالاضافة إلى ذلك، هناك تنظيم عمالي لحزب حيروت، يعمل في إطار حزب الليكود داخل الهستدروت (النقابات العامة الاسرائيلية)، ويعرف هذا التنظيم باسم «كتلة الأزرق ـ الأبيض» (اشارة إلى أن الحزب لا يفرّق بين العمال وأرباب العمل)، ورئيس كتلة حيروت في الهستدروت هو نفسه رئيس كتلة الليكود، وقد شغل هذا المنصب لفترة طويلة دافيد ليفي، وخلفه فيه النائب في الكنيست مئير كوهن، بعد دخول الأول الوزارة.

المفارقة الرئيسية

بعد كل هذا.. يبقى أن نضع أصابعنا على العلّة الرئيسية التي يشكو منها حزب حيروت، والتي أدت حتى الآن إلى تشرذمه، وتهدد بالمستقبل بانهياره.. فقد كان واضحاً من سياق أعمال المؤتمر أن اليهود الشرقيين «السفاردايْم»، أصبحوا يتمتعون بنفوذ متزايد داخل «حيروت»، وقد أدرك اسحق شامير هذا الخطر الزاحف ضد سيطرة اليهود الغربيين «الاشكنازايْم» على الحزب، حيث قال: إن هناك كثيرين من اليهود الشرقيين بين انصاره، بيْد أنه حذر من أي محاولة للاطاحة بقادة «حيروت» المخضرمين ومعظمهم من اليهود الغربيين المنحدرين من أصل أوروبي، لأن من شأن مثل تلك المحاولات أن تؤدي إلى تدمير الحزب.

وفي الحقيقة، فان ظاهرة الاستقطاب الطائفي في الكيان الصهيوني، أصبحت ظاهرة مهيمنة على الحياة السياسية في هذا الكيان، وقد كانت هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في انتخابات الكنيست العاشر ثم الكنيست الحادي عشر، حيث صوتت أغلبية الاشكنازايْم لحزب العمل والأحزاب المؤتلفة


موشيه أرنس


دافيد ليفي

■ شامير: مؤتمر الحزب تحوّل إلى سيرك وليفي رجل شرّير وزعيم جماعة عديمة الذِّمَّة

معه في التجمّع «المعراخ»، فيما صوتت غالبية ساحقة من السفاردايْم لحزب حيروت والأحزاب الصغيرة المنضوية معه في التكتّل «الليكود»، وقد جاهر اليهود الشرقيين في تفسير انحيازهم المطلق إلى «الليكود» بالقول: أنهم مع «الليكود» ليس حبّاً به، وإنما نكايةً وانتقاماً من «المعراخ» وحزب العمل، الذي حكم اسرائيل على مدى ثلاثين عاماً كان ديْدنه خلالها اضطهاد اليهود الشرقيين.

ومع أن حزب العمل أخذ في السنوات الأخيرة بمحاولة اجتذاب بعض اليهود الشرقيين إلى صفوفه، ودفع بعضهم إلى مراكز قيادية، إلا أنه لم يخرج في هذه المحاولة عن إطار المناورة السياسية الذكية، وبالفعل فقد وضع حزب العمل اسحق نافون المغربي الأصل في رئاسة الكيان الصهيوني، وهو اليوم من الوزراء والقياديين البارزين في حزب العمل، كما أتاح الفرصة لـ«يسرائيل كيسار» وهو من أصل يمني الاصل، للوصول إلى منصب الأمين العام للهستدروت، لكن اليهود الغربيين مايزالون في الواقع، يحظون بحصة الأسد في جميع المرافق الرئيسية والحيوية في الكيان الصهيوني (٨٦ بالمئة من مناصب الحكومة، و٦٩ بالمئة في الكنيست، و١٠٠ بالمئة من رئاسة بلديات المدن الثلاثة الكبرى؛ ٨٠ بالمئة من رئاسة البلديات المتوسطة، و٦٥ بالمئة من مجموع رؤساء المجالس المحلية اليهودية، وبنحو ٨٠ بالمئة من أعضاء لجنة التنسيق «الهستدروت»). وهذه الهيمنة لليهود الغربيين وبهذا الحجم، تظهر أن الأشكنازايْم هم القوة الاقتصادية والأكاديمية والثقافية والفنية وبالتالي السياسية في الكيان الصهيوني، لكن من الواضح كذلك أن القوة الانتخابية الحاسمة قد أصبحت في يد السفاردايْم، الذي تعي قياداتهم هذا الواقع، وقد بدأت في استخدامها، من أجل الوصول إلى المناصب القيادية الحقيقية والمؤثرة في تغيير الأوضاع الاقتصادية والسياسية لليهود الشرقيين، ويقدم لنا الصراع الذي حفل به مؤتمر حزب حيروت بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين، وطغيان الشرقيين على جلسات المؤتمر، أحد الفصول الهامة، على طريق سعي السفاردايْم للمشاركة بشكل فعلي، في السلطة، إن لم يكن في انتزاعها تماما من أيدى الاشكنازايم، وهذه الظاهرة يجب أن تستدعي انتباه صانعي القرار العربي.

عصام شريح

عشر مرايا .. لوجه واحد

(١)

وردة الوقت

اشعليني .. فى ثناياكِ شجَن
وابذري ، العشقَ عَلى ساحِ الوطنْ
وردةٌ للوقتِ .. يا أنتِ .. لِمَنْ
أشتكى الوقتَ .. وبالله .. لمنْ

(٢)

وليـــــد

فى زَمَنٍ .. يَنْسَلُّ كالرملِ بينَ الأصابعْ
ينسل كالماءِ بينَ الاصابعْ
كنا معا ..
ووليدي نُغَنِّي
نقاسِمُ أصواتنا الاغنياتْ
وخبزَ الطفولةْ
كان بيني .. وبيني ..
حوارٌ لطفلٍ .. بكى نَحْبَهُ
ثم مات ..
وكنتُ لوحدى .. أغني
أغني .. لوحدي

(٣)

لغـــة

فى زمن الردة ..
واللغة المعوجة .. ودكاكين البلغاء
تزداد الشدة
ويغنى الطيرُ .. على استحياء



(٤)

جـــوع

مبللٌ بالردي
مبللٌ .. بالخنوعْ
ضاع رجعُ الصدى
جوعٌ .. وجوعٌ .. وجوعٌ

(٥)

وطـــن

أغمد سيفك .. ياوطنى
أغمد سيفك
فكلانا ..
أضحى مقتولا ..
والقاتل يبني
فتحسس .. غمدك
فتحسس .. غمدك

(٦)

حـــلـم

ها هو ذا الصباح
تدلى من الحلم
أرجوحة من حنين
أنشودة للحياة ..
تباسق العشق ..
فى داخلى
نخلةً .. نخلتينْ
أفئدةً وشفاه
وترتيلةً .. وصلاة

شعر: أحمد عائل فقيه

(٧)

حجــــر

لو أنَّ ...
وماذا تجدي لو أنَّ ؟
لو أني
حـجــــر ..

(٨)

زمــــن

يازمانَ النزقِ
انحنى الانِ .. أو فاختنق
لم يعد للدماء .. وريدٌ
لم يعد فى الوريد .. دماءٌ
وطن من ورق
وطن يحتــــرق ..

(٩)

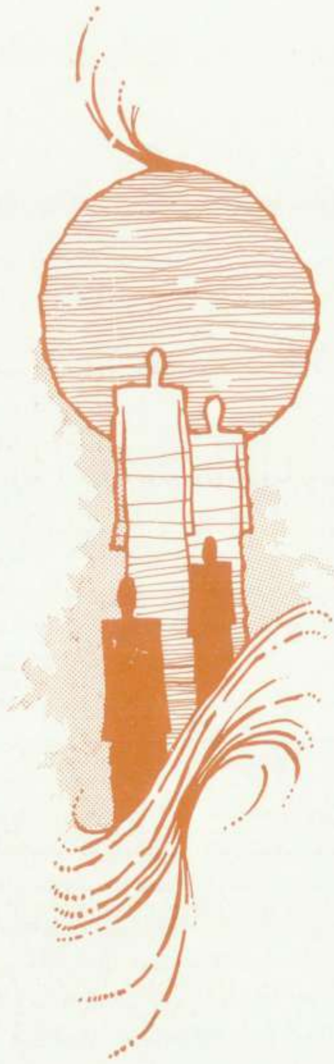
صهيــــل

لم يصهل الرمل ..
مذ غادرت روحنا جسد الكبرياء
آن ..
تبكي الخيــول
آن ..
تبكي السهـــول
ضاع صوت النداء
وأدلهم المساء

(١٠)

إنبثـــاق

أبتني للوطن ..
« تضاريسه » الآن
أنت أشعلتَ ..
« فاصلةَ الارتيابْ »
وأوغلتَ في ..
جسد المرحلةْ
كتبتَ احتراقَ الرمالِ
نكهةً للترابْ
وشمرتَ عن ساعدِ المسألة ..
لك اعتناقُ المحبينْ
لك انبثاقُ المدنْ
لك انثيال الحنينْ
لك اختراق السفنْ
لك الشعر والأغنياتْ
لك ....
إخضرارُ السنبلة



• • •

تيمم برمل الجزيرة .. يا صاحبى
وتيمم ترى ..
سحب القوم عند السرى
أمطرت فى الثرى
فصباحـــا
صبـــاحا ..
صباح القرى ..

« جيزان ــ السعودية »

إضاءات:

١ ــ إبن الشاعر.
٢ ــ تضمين لقول الشاعر العربى/ تميم بن مقبل
مـــا أطـيب العيش لـــو أن الفتـــى حجـــر
تنـبـــو الحـــوادث عنـــه وهـــو ملمـــوم

مــع العصــافــيـر..



بقــلــم :
الدكتور عبد السـلام العجيـلي

هو صحفي شاب جاء ليجري معي حواراً ينشره في مجلة سماها لي . قلت له : ما أكثر ما حاورني زملاؤك . ملأت بأجوبتي على أسئلتهم كتاباً ظهرت منه طبعتان ، وأنا أستعد لاصدار طبعته الثالثة .

قال : أعرف . أنه كتابك «أشياء شخصية» . ولكني هيأت لك أسئلة لم يلقها عليك أحد قبلي .

قلت : هات لأرى .

قال : أبدأ بسؤالك عن أهم حدث أثر فيك في هذه الأيام ، وعلى وجه الدقة في الأيام السبعة التي آخرها هذا اليوم .

لم أتردد في الجواب ، قلت : إنه منظر رأيته في هذا الصباح . فتحت عيني عندما استيقظت فرأيت على حافة شرفة غرفة النوم عصفوراً دورياً يرفرف بجناحيه ويزقزق بجذل . هذا هو الحدث الذي تسأل عنه .

قال الصحفي الشاب : أرجوك ... أنت تسخر مني .

قلت : ولماذا تظن بي هذا الظن ؟

قال : أسألك عن أسبوع اهتز فيه العالم من كل جوانبه بالأحداث والانقلابات والكوارث ، وتذكر لي عصفوراً يزقزق في الصباح ؟

قلت : الأحداث والانقلابات والكوارث التي تعددها أمور تكدر العيش ويضيق لها الصدر . تأثيرها ياعزيزي سلبي ومزعج . أما منظر ذلك الضيف الصباحي على افريز الشرفة فقد ملأ نفسي بهجة طردت منها المنغصات . لو رأيته مثلي لصدقت ماأقوله لك . تارة كان يرفع رأسه مزقزقاً ، وتارة كان يلوي عنقه ويدخل منقاره الوردي تحت جناحه ذي الريش الرمادي المخطط بخطوط ترابية وسوداء كأنه يدغدغ به أعطافه . وأحياناً كان يدور على نفسه وهو يرفرف بجناحيه كأنه يهم بالطيران ، دون أن يطير . يحرك رأسه الناعم بحركات عصبية ، دقيقة ورشيقة ، تجلو الهم عن القلب ...

قال : ما أدق ملاحظتك لحركات العصفور ...

قلت : ثم لاتنسى أنه أول عصفور أراه في العراء منذ شهور . إنه بشير الربيع بعد أيام الشتاء الباردة . فيما مضى كان الخطاف هو الذي ينبئنا بقدوم الدفء وازدهار الشجر . ومنذ صرنا نسكن هذه البيوت الاسمنتية ذات السقوف الملساء المستوية ، التي لايجد الخطاف فيها فجوة يبني عندها عشه هجرتنا الخطاطيف إلى غير رجعة . لم يبق لنا إلا العصفور الدوري ليحمل إلينا بشرى قدوم الربيع ...

وهنا قاطعني الفتى قائلاً : يبدو أنك كبير الولع بالعصافير .

فسألته : وأنت ، ألا تحبها ؟

فسكت قليلاً قبل أن يرد علي بقوله : بلى ، أحبها ... ولاسيما عصافير التين الصغيرة المشوية ، تلك التي ليس لعظامها قوام ، فهي تذوب تحت الأضراس كأنها الزبدة .

لم يكن يمزح فيما نطق به ، بل كان يتكلم في جد ملأني حنقاً . قلت متعجباً :

ـ ياله من حب !

فأضاف يقول ، غير منتبه إلى نبرة النقمة في تعجبي :

ـ ثم إني أحب صيد الطيور بمختلف أشكالها . كنت ، حتى وقت قريب ، أخرج أيام الجمعة إلى البساتين حاملاً بارودتي ، وأعود في المساء مليئ الجعبة منها . وأنت ألا تحب الصيد ؟

وجدتني ابتسم على الرغم مني وقد تحول حنقي إلى سخرية ، وقلت :

ـ حقاً إنها أسئلة لم يسبقك إليها أحد .

فبدا عليه الزهو مما اعتبره اطراء له ، وقال : ألم أخبرك ؟ إذن فليكن سؤالي الثاني هو الآتي : أنت تحب الصيد ، ومثل كل صياد لابد أنك بدأت بصيد العصافير ، فما هي ذكرياتك عن صيدك الأول ؟

• • •

وبينما راح هو يحكم توجيه الة التسجيل التي كان يلتقط بها حديثنا إليّ وجدتني وقد تلاشى الحنق من نفسي وعدت إلى طبيعتي التي أتقبل فيها الناس على علاتهم وأخاطبهم على قدر عقولهم . لامانع من أن أسير مع هذا الشاب إلى النهاية مادمت قد فتحت له بابي ورضيت بمحاورته . قلت له :

ـ أخطأت ياصاحبي حين جزمت بأني أحب الصيد . أما حين قلت بأني صدت العصافير في بدء حياتي فقد أصبت . كان عصفوراً واحداً ، صرعته بطلقة مفردة فقطع مصرعه مابيني وبين الصيد قطعاً باتاً .

سألني : وكيف ؟

قلت : سأخبرك . كان في بيت أهلي القديم بضع شجرات رمان تزقزق على أغصانها العصافير الدورية ، آمنة من أن يتعرض لها أحد بسوء . وكنت صبياً فرحاً ببندقية الخردق الصغيرة التي اشتريتها بمدخراتي وحملتها لأجربها في عصافير دارنا الآلفة لشجرات الرمان . توب !

طلقة واحدة ، تطايرت بها العصافير من بين الأغصان فزعة ، في جلبة وزقزقة صارخة ، مخلفة واحداً منها تحت إحدى الشجرات مضرجاً بدمه . وحين تقدمت لأتناول ذلك العصفور سمعت من ورائي قهقهة المرحوم والدي ، ويبدو أنه كان

يراقبني ، وهو يقول ساخراً : ماشاء الله ... هكذا الصيد وإلا فلا !

قال محاوري : كأنه لم يعجبه صيدك لعصفور واحد ...

قلت : الذي لم يعجبه هو أني صدت مع العصفور ثلاثة ألواح بلور في نوافذ الغرفة المقابلة لحديقة منزلنا الصغيرة ، تحطمت بخردق الطلقة الوحيدة التي أطلقتها . خجلت من نفسي في ذلك الحين ، واستمر خجلي ذاك في تنفيري من الصيد إلى اليوم . لعله تحول مع الزمن من خجل إلى نوع من تبكيت الضمير ، حين أرى كيف يأسف الانسان لتحطيم ألواح زجاجية لاتحس ولاتشعر ، ويقدم دون تردد على تحطيم حياة تتصف بالحس والشعور وربما بالادراك ، وإن كانت هذه الحياة تنبض بين أضلع عصفور صغير .

قال الفتى : أنت تتكلم بالفلسفة ياسيدي . العصافير لاتثير عندك البهجة والفرح فقط ، بل تثير الأفكار أيضاً .

تذكرت ماقاله قبل قليل عن عصافير التين الطيبة المذاق فضحكت لنفسي وأنا أقول :

ــ تماماً ، كما تثير عندك الشهية .

ثم أضفت ، وأنا أسترجع الذكريات لنفسي هذه المرة :

ــ وفي بعض الأحيان تثير الحزن والأسى . أذكر ثلاثة عصافير من فصيلة الكناري ، حملها اليّ من لبنان صديق لي هدية ، فنعمت بصحبتها أياماً ليست قليلة . ألوان ريشها تغلب عليها الصفرة ، إلا أن كل ألوان الطيف الأخرى كانت تتآلف فيها بما يسحر النظر ، كأنها من تلك التي يسمونها عصافير الجنة . أما تغريدها فكان فتنة للسمع وبهجة للنفس . اضطررت في ذات يوم إلى التبكير في الخروج من منزلي فلم أنقل قفصها ، كعادتي كل صباح ، من الشرفة إلى داخل الدار ، وغفلت الخادم أن تقوم بذلك عني . فلما عدت ظهراً فوجئت بها ملوية الأعناق على أسلاك قفصها وقد قتلها حر الهاجرة . ماذا أقول لك ؟ امتلأ صدري حنقاً وأسفاً ، ولعل الدمع طفر من عيني يومذاك . وإلى اليوم ، كلما عاد إلى تصوري ذلك المنظر شعرت بذكرى جريرتي على تلك العصافير المسكينة تخز وجداني ...

• • •

كنت ، كما أسلفت ، أستعيد ذكرياتي لنفسي . ويبدو أن كلماتي المشحونة بالأسى أثرت في محب العصافير على طريقته الخاصة ، هذا الصحفي الشاب ، إذ وجدته يقول :

ــ الحق معك في حزنك على تلك الطيور الجميلة والحلوة الغناء . أما العصافير الدورية الهزيلة فما الذي يجذبك فيها ، وأي فائدة منها ؟

أجبت على سؤاله هذا بسؤال من عندي ، قلت له : هل سمعت بالبارون هانس فون بيرليبش ؟

قال : ياله من اسم غريب . من يكون جنابه ؟

قلت : هو نبيل ألماني توفى عام ١٩٣٣ . لو قرأت كتابه « وسائل حماية العصافير » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٨٩٩ ، لوفرت على نفسك هذا السؤال .

فقال في استنكار : عام ١٨٩٩ ... في نهاية القرن الماضي إذن ! أي قيمة اليوم لمثل هذا الكتاب ؟

قلت : إذن دعني أروِ لك شيئاً جرى في عالمنا اليوم . لعلك سمعت بأن الصينيين في أيام ماوتسي تونغ شنوا حملة على الذباب فقطعوا دابره في بلادهم الواسعة . فرضت الدولة على كل مواطن أن يقتل يومياً مائة ذبابة في أيام متعددة من كل أسبوع ، وفي أسابيع متعددة . أنت تعرف عدد الصينيين الهائل الذي تكفل لحملتهم بالنجاح . شجع هذا النجاح المسؤولين هناك على مكافحة العصافير الدورية بنفس الطريقة ، استجابة لشكاوي المزارعين مما تلتهمه هذه العصافير من الحبوب والبقول في مواسم البذر والحصاد والقطاف . وهكذا ألزم كل صيني في المناطق الزراعية بأن يقتل عدداً من هذه العصافير في الأوقات التي عينتها الدوائر المختصة . ونجحت الحملة أيضاً ، فخلت حقول الصين الشاسعة الأبعاد من هذا الطائر الأفاق . ولكن تأمل في ما حدث في موسم الحصاد التالي ، حين رفع المزارعون في كل أصقاع تلك البلاد عقائرهم ينادون بالويل والثبور . لقد التهمت الديدان والحشرات ، تلك التي كانت عصافير الدوري تتغذى ببيوضها وشرانقها ، التهمت نتاج الحقول المزروعة فلم تبق ولم تذر . ألا تراه جواباً كافياً على سؤالك عن فائدة العصفور الدوري ؟

ابتسم صاحبي ابتسامة مغتصبة ، وقال : أكاد أقتنع بما تقوله . وعلى كل حال ، لا أظن كثيرين في أيامنا يحملون أفكارك التي بسطتها لي عن العصافير . الاهتمام بها بهذا الشكل ، إذا وجد ، هو اهتمام جديد ، يبدو كأنه موضة أو صرعة من صرعات هذا الزمن .

قلت : جديد ؟ لعلك سمعت بأبي العلاء المعري ...

فرد علي مسرعاً بقوله : هذا أعرفه . إنه الشاعر الأعمى الذي أمسك بالفروج المشوي حين جاؤوا به إليه كدواء ، عندما مرض ، وقال له : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا لي شبل الأسد ؟!

قلت : أحسنت في حفظك لدروسك ياعزيزي . لو قرأت قصيدته التي حاوره حولها داعي الدعاة عن أذى الحيوان ، أو قصيدته الميمية في الديك ، لعلمت أن الدعوة إلى حماية العصافير جاءت عندنا قبل كتاب البارون هانس فون بيرليبش بكثير .

قال الفتى : هل تسمح بأن تقرأ عليّ قصائده التي تشير إليها ؟

ولمّا لم أجد مناسباً أن يتحول الحوار بيني وبين الصحفي الشاب إلى جلسة تناشد أشعار ، قلت له : سأقرأ عليك بيتاً واحداً يغنيك عن تلك القصائد . يقول أبو العلاء هذا البيت في حيوان طائر أضأل حجماً من العصفور الدوري ، وهو بلاشك أقل فائدة لنا من هذا العصفور وأكثر ضرراً علينا منه . البيت هو التالي :

اطلاق كفك برغوثاً ظفرتَ به
أبرُّ من درهم تعطيه محتاجا ..

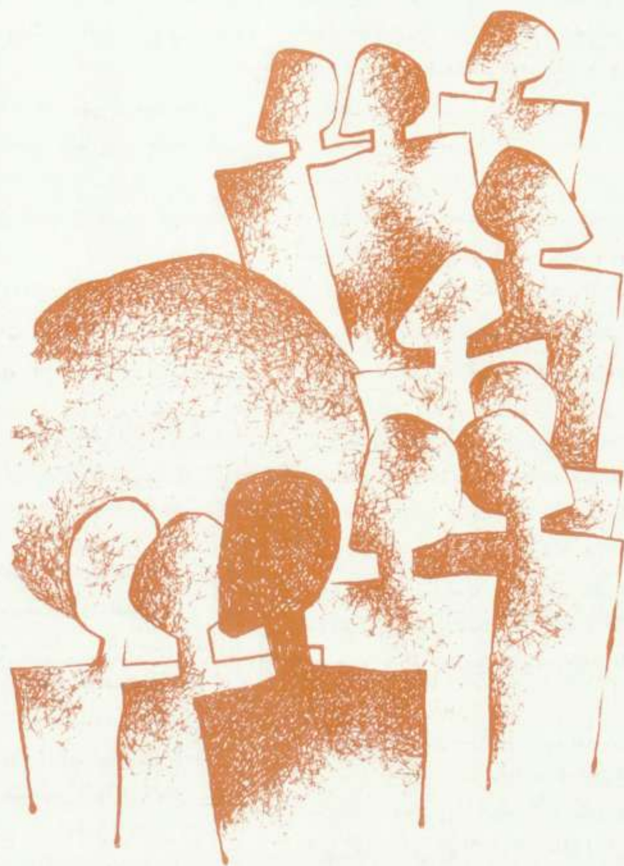
سكت محدثي لحظة كأنه كان يتملّى من معنى بيت أبي العلاء ، ثم مالبث أن صاح :

ــ لا ... هذا كثير ... حتى البراغيث يريد حمايتها ؟ يبدو أن ذلك الأعمى كان سخيف العقل !

كدت أقهقه ضاحكاً مما وصف به محاوري شيخ المعرة . أما هو فقد تطلع إلى ساعة يده ، ثم إلى الآلة التي كانت تسجل حديثنا وقال :

ــ انتهى الشريط . سيكون حديثاً ممتعاً أنال به ثناء رئيس التحرير . ألا تحب أن تسمع ما تحاورنا به ياسيدي ؟

وما جرى بعد هذا كان مفاجأة مضحكة لي ، مزعجة للصحفي الشاب . فلعلها خطيئته فيما تكلم به من سوء عن أبي العلاء حلّت على جهاز التسجيل . ذلك أنه حين أدار الآلة تبين له أنه أساء ضبطها عندما بدأنا الكلام ، فلم يسجل شريطها كلمة واحدة مما قلناه أنا وهو . وبدلاً من حديثنا انبعث من الآلة غناء مطربة توفاها الله منذ أعوام . عندئذ تطلع الشاب اليّ وفي نظرته مزيج من ألم وغضب ، فطيبت خاطره بأن وعدته بحوار غير هذا في وقت آخر . أما في سري فقد حمدت الله على ضيعة التسجيل ، مفضلاً أن أروي أنا أقوالي وأقوال هذا الفتى لقرائي على أن ينشر هو تلك الأقوال ، في مجلته ، لقرائه .

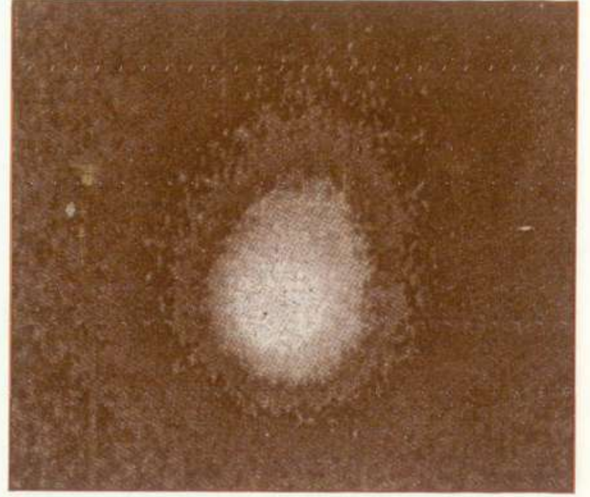


القادم الجميل

شعر: محيي الدين فارس

حَطَّ الظَّلامُ عِنْدَنَا رِحَالَهُ .. وَمَا ارْتَحلْ
تمَدَّدَ السَّحابُ ..
غَطَّى مَدْخَلَ الصَّبَاحِ .. طَوَّقَ الجبَلْ
والنَّاسُ مِثْلُ قِطَعِ الفلِّين ..
في العُبَابِ .. تَرْتحِلْ
وَطَائِرُ اللَّيْلِ الحزين لايَرَى سِوَى السَّوادِ ..
يَرْحُمُ السَّوادْ
وَسَائِرِينَ دُونمَا دَليل
وَعَائِدينَ دُونَما صَبَاحْ
وَمَيِّتينَ دُونمَا قُبُورْ
وَسِنْدِبَادُ .. مُطْرِقٌ حَزِينْ
يُنَقِّرُ التُّرابَ بِالعَصَى .. يُجعِّدُ الجبين
يُجعِّدُ الجَبينْ
يقُولُ للرِّياحِ .. لَنْ أَلِينَ .. لَنْ أَلِينْ
وَهَبَّ .. يَمتَطى العُبَابَ هَائِجاً وغَاضِبَا
وَمَدَّ سَاقَهُ .. فَلَمْلَم البِحَارْ
وَقَالَتِ الجِبَالُ .. للجِبَالِ ، والضِّفافُ
للضِّفَافِ ، والسُّهُولُ للسُّهُولِ
في غَدٍ .. يُعُودُ شَامِخاً وَرَائِعَا
وَيضْفُرُ النَّخِيلُ شَعْرَهُ جدَائِلاً .. جدَائِلاً
تموَّجَتْ .. في ذَهَبِ الأَصِيلْ
وَيشْرئِبُّ عَالِياً ، وَعَالِياً ..
مُلَوِّحاً .. للقَادِمِ الجَميلْ

المُذَنّب هالي في الأدب العربي



صورة التقطت لرأس المذنب هالي في مايو ١٩١٠ م

بقلم : رابح لطفي جمعة

تُعَدّ المُذَنَّبات في الكون بالملايين ، غير أن العلماء لم يتمكنوا حتى سنة ١٩٨٠ من التعرف على غير المذنبات ذات المدارات الثابتة التى تظهر فى مواعيد دورية محددة وعددها ٦٦٦ مذنباً فقط ، ومن أشهرها وأشدها بريقاً ولمعاناً المذنب هالي نسبة إلى العالم الفلكى البريطانى « ادموند هالى » (١٦٥٦ ــ ١٧٤٢ م) الذى تمكن فى نوفمبر سنة ١٦٨٢ من مشاهدة هذا المذنب عبر مرقبه الخاص الذى بناه بالقرب من لندن .

وفى سنة ١٧٠٥ أعلن « هالي » أن المذنبات البراقة التى ظهرت فى سماء الأرض فى كل من السنوات ١٥٣٠ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ م إنما هى مذنب وحيد يقترب من الأرض مرة كل ٧٦ سنة تقريباً ، وتنبأ بعودة هذا المذنب للظهور مرة أخرى فى أواخر سنة ١٧٥٨ م ، وبالفعل ظهر المذنب فى ديسمبر من ذلك العام وتكرر ظهوره سنة ١٨٣٥ م ، سنة ١٩١٠ م ويتوقع اقترابه من الأرض ورؤيته بالعين المجردة فى ابريل سنة ١٩٨٦ م .

وقد اكتشف العلماء أن أول ظهور لمذنب هالى كان سنة ٢٤٠ قبل الميلاد ، وأنه حتى سنة ١٩١٠ رؤى ٢٤ مرة بمعدل مرة كل ٧٦ سنة [١] .

وفى سنة ١٣٠١ م شاهد الرسام الايطالى جيوتو اقتراباً آخر للمذنب فضمنه إحدى لوحاته على جدران إحدى الكنائس . وكانت المذنبات بأحجامها الضخمة وإشعاعاتها الوهاجة مثار رعب وفزع وتشاؤم حتى العصور الوسطى وربط الناس بين ظهورها وبين حدوث الكوارث والفيضانات والزلازل والقحط والحروب وتهاوى العروش وظهور الأمراض والأوبئة ، ففى سنة ١٤٥٦ م أثار ظهور المذنب هالي الذعر بين صفوف الصليبيين فى أوروبا ، ونظراً لتقوس ذيل المذنب قليلاً لطول امتداده فى الفضاء الكونى فقد تخيله القدامى كأنه سيف ملتهب وأطلقوا عليه فى القرون الوسطى « سيف العثمانيين » .

« والسماءَ بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون »

ويتكون المذنب من رأس مضيء كأنه نجم كبير ساطع تسهل رؤيته فى ظلام الليل وتحيط بهذا الرأس هالة مضيئة شفافة أقل لمعاناً ، ثم يلي ذلك ذيل طويل يمتد في غير انتظام خلف الرأس والهالة يلمع عندما يدخل المذنب فى دائرة ضوء الشمس ويتميز بشفافيته كأنه غلالة رقيقة من النور ، وتمتد بعض ذيول المذنبات إلى ما بين مائة ومائة وخمسين مليون كيلو متر وقد تصل إلى ٣٣٠ مليون كيلو متر ، ويتراوح ذيل المذنب هالى بين ٤٠ و٨٠ مليون ميل ، أما قطره فيبلغ مائة ألف كيلو متر ، ولذلك تظهر المذنبات مختلفة عن النجوم بأن لها ذؤابة تمتد خلفها لمسافة طويلة .

وتدور بعض المذنبات فى مدارات اهليليجية أى بيضاوية موغلة البعد فى الفضاء الكونى الواسع ، وتكرر دوراتها خلال ملايين أو آلاف السنين ، فقد بلغت دورة المذنب « كهوتيك » ٧٥ ألف سنة وقد زار هذا المذنب سماءنا لأول مرة فى يناير سنة ١٩٧٤ ، بينما تبلغ أقصر دورة للمذنبات ما يقرب من ثلاث سنوات ، أما المذنب هالى فإنه يكمل دورته كما أسلفنا كل ٧٦ سنة تقريباً .

ولك أيها القارىء الكريم أن تتخيل سعة الفضاء الكونى الذى تسبح فيه هذه المذنبات وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم كتابه « والسماء بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون » .

ولا يعرف حتى الآن مم تتكون المذنبات ، هل هى أتربة أم ثلوج أم غازات أم أحجار ،

المذنب هالي في الأدب العربي

وللعلماء نظريات مختلفة فى تكوين المذنبات ومادتها وطبيعتها .

ولئن كانت المذنبات عموماً يتعذر مراقبتها ورصدها بدون استخدام التلسكوب ، إلا أن بعضها يصبح فى بعض الأحوال شديد البريق واللمعان بحيث يسمح برؤيته بالعين المجردة ، ومن هذه المذنبات المذنب هالي حيث كان أقرب ما يكون من الأرض فى ١١ ابريل سنة ١٩٨٦ وتمكن البعض من رؤيته بالعين المجردة . وقد بدأ هذا المذنب رحلة الاقتراب من الأرض سنة ١٩٤٨ وهو يشق أجواز الفضاء بسرعة مذهلة تبلغ مليونين ونصف مليون ميل فى اليوم الواحد ، وعندما صار واضحاً فى السماء سنة ١٩٨٦ وأمكن تمييزه بالعين المجردة فإن سرعته كانت حوالى أربعة ملايين كيلو متر فى اليوم !!

وقد بدأت استعدادات العلماء والفلكيين وعلماء الفضاء منذ سنة ١٩٨٢ لرصد هذه الظاهرة الفريدة وذلك الحدث العلمى . النادر الذى لا يتكرر إلا كل ٧٦ سنة ، مستخدمين فى ذلك أحدث أجهزة الرصد الفلكى والتحليل الطيفى والقياس العلمى وغير ذلك من الوسائل والمعدات العلمية . وأطلقت بعض الدول أقماراً صناعية أو سفن فضاء لالتقاط أكبر عدد من الصور الملونة لهذا المذنب ورصده وتحليل الضوء الصادر عن مكوناته عن قرب ، ولئن كانت نظرة الأقدمين قد ارتبطت بالتشاؤم بظهور المذنبات كما أسلفنا ، إلا أن هذه النظرية تغيرت الآن بفضل تقدم العلم وأبحاث الفضاء . ولم يعد للخرافات والأوهام التى ارتبطت بظهور المذنبات مكان فى وقتنا الحاضر .

المذنب هالي فى كتب التاريخ

بعد هذه اللمحة العجلى عن المذنبات بعامة والمذنب هالي بخاصة ، نتساءل عما جاء فى كتب التاريخ والأدب العربى عن هذا المذنب وماذا أوحى الى الأدباء والشعراء من أفكار ومعان وأخيلة عند ظهوره لآخر مرة سنة ١٩١٠ .

لقد ورد ذكر المذنبات عامة ــ ومنها بطبيعة الحال المذنب هالي ــ فى العديد من المراجع التاريخية . ففى كتاب الكامل لابن الأثير سجل المؤرخ العربى فى أحداث سنة ٢٢٢ هـ الموافقة لسنة ٨٣٨ م ظهور مذنب فقال : « فى هذه السنة ظهر على يسار القبلة كوكب بقى يرى نحو أربعين ليلة وله ذنب كان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم وتطيروا منه » . كما ذكر ابن الأثير أيضاً فى أحداث سنة ٤٧٨ هـ الموافقة لسنة ١٠٦٦ م . ظهور المذنب هالي بقوله إنه « ظهر فى هذه السنة كوكب له ذؤابة طويلة بناحية المشرق طوله نحو ثلاثة أذرع وهى ممتدة الى وسط السماء » .

أما ابن إياس فقد ذكر فى أحداث سنة ٨٦٠ هـ الموافقة لسنة ١٤٥٦ م ظهور المذنب هالي بقوله « إنه ظهر فى السماء نجم مذنب طويل جداً من جهة الشرق ودام يطلع نحواً من شهرين وزاد الكلام السيىء بسببه » .

ونلاحظ على هذه الاشارات أن ما سجله ابن الاثير إنما كان عن المذنب هالي ذاته الذى ثبت أنه ظهر سنة ١٠٦٦ م وشاهده النورمانديون وتصادف مع ظهوره سقوط عرش بريطانيا وهزيمة الملك هارولد واعتلاء غليوم الثانى العرش . فى حين سجل ابن إياس ظهور المذنب سنة ١٤٥٦ م وفى تلك السنة كانت جيوش العثمانيين تغزو بلغراد ، وعندما ظهر المذنب بذيله المعقوف فى صفحة السماء تشاءم الأوروبيون منه وتصوروا ذيله كأنه السيف المسلول وأطلقوا عليه « سيف العثمانيين » .

المذنب هالي فى الأدب العربى

وعندما ظهر المذنب هالي سنة ١٩١٠ ورؤى بالعين المجردة فى سماء كوكبنا الأرضى ببريقه الوهاج ، انفعل برؤيته بعض الأدباء

■ ماذا قال الأدباء والشعراء العرب بمناسبة ظهور المُذَنَّب "هالي" سنة ١٩١٠ ؟

■ تصوَّر الأوروبيون ذيله كأنه السيف المسلول فأطلقوا عليه : سيف العثمانيين !

والشعراء وسجلوا انفعالاتهم وانطباعاتهم فى أعمال أدبية ، نذكر منهم الشيخ طنطاوى جوهري ومحمد لطفى جمعه والشاعر المصرى اسماعيل صبرى .

أما الشيخ طنطاوى جوهرى فيروى الدكتور عبد العزيز جادو فى كتابه عنه أن الشيخ سهر ذات ليلة من ليالى سنة ١٩١٠ بجوار القلعة ليرقب المذنب هالي فى فضاء قره ميدان عند ظهوره ، ولم يشأ أن يمر حادث ظهور المذنب فى ذلك العام دون أن يخرج منه للمجتمع الانسانى بعبرة ، فألف كتابه « أين الانسان » وهو عبارة عن رواية يجرى فيها المؤلف الحوار بينه وبين روح من الأرواح القاطنة بمذنب هالى (؟!) عندما اقترب من الأرض ويسأله عن السلام العام وقارن فيه بين أحوال سكان الكوكب الأرضى وسكان الكواكب السيارة ومنها المذنب ، وناشد ملوك العالم وحكماءه وعلماءه وساسته نواب الشعوب أن يتعاونوا فيما بينهم على العمل فى سبيل سعادة العالم والانسانية عسى أن يعدل الناس من ظلمهم ويسيروا على الصراط المستقيم .

وقد تقدم الشيخ طنطاوى بهذا الكتاب الى « مؤتمر الأجناس العام » سنة ١٩١١ ولخصه المستشرق الايطالى « سانتيلانا » بعنوان « صدى صوت المصريين فى أوروبا » وكان هذا الكتاب من بين الكتب التى ألفها الشيخ وأرفقت مع ترشيحه لنيل جائزة نوبل للسلام .

أما محمد لطفى جمعة فقد رأى المذنب هالى رؤية العين فى سماء سويسرا إبان تلقيه العلم بأوروبا سنة ١٩١٠ وقد سجل هذا الحدث النادر فى كتابه « تذكار الصبا » ــ تحت الطبع ــ فقال :

« كان شهر مايو هذا عجيباً وقد ظهر فيه مذنب « هيلى » ورؤى فى أنحاء العالم وأخيراً قالوا إنه سيظهر فى سماء سويسرا فى ليلة حددوها ، فسهرنا فى تلك الليلة وعولنا على أن نسير الى المرصد الفلكى مع كل أهل الدار كافة ، وكنت أكره أن أترك فراشى ليلاً لأشهد تلك الظاهرة ، ولكننى علمت أن هذه الظاهرة لا تبدو للعيان إلا فى كل ثمانين سنة مرة ، فتحملت المشقة وقمت فى نصف الليل ولا أدرى من الذى أفتى بزيارة المرصد ، كأن المذنب لن يبدو إلا خلال العدسات المكبرة أو أنه سيخضع فى حركته لارادة الرقباء من بنى آدم ولا سيما أهل جنيف السعيدة ، ولم أكد أخطو خارج الدار بضع خطوات وأرفع رأسى الى الأفق الأعلى ، وفى ظنى أن الكوكب لن يبدو



أحدث صورة للمذنب هالي وهو ينطلق باتجاه الأرض

إلا بعد ساعة أو ساعتين ، وإذا بى أرى منظراً ضخماً لا ينسى . وإنى آسف على أن الصور المتحركة لم تكن فى سنة ١٩١٠ قد بلغت ما بلغته الآن (١٩٤٦) لتسجل هذا المشهد الرائع الذى لا ينسى .

فجأة رأيت سباعياً من النور مكوناً من عشرات الكواكب الكبيرة المصحوبة بعدد آخر أصغر حجماً ومذيلة بسلسلة نورانية وقد ملأت الأفق نوراً وبهاء وهى تقطع أجواز الفضاء بسرعة عجيبة كأنها القطار السريع من الشمال إلى الجنوب ، وكانت لشدة جمالها فى موكبها ولغرابة المنظر وجلالته ولاعتقادى أنه لن يعود لك فى هذه الدنيا تكاد الروح تطير شعاعاً إليه ، فبقيت فى مكانى كما لو أن أقدامى شدت إلى الأرض بأمراس كتان مشدوهاً سابحاً سائحاً فى عالم من الجمال والدهشة . لقد مرت بى فترة من الأزلية ولستنى يد علوية وأظن كل من شهد هذا المنظر يذكر هذا الشعور العجيب .

ولعل كثيراً ممن تحفزوا واستعدوا لمراقبة المذنب العظيم لم يروه ولم يدركوه إلا بعد أن فاتتهم فرصته ، لأنهم كانوا يحسبون أنه سيظهر ثابتاً فى الأفق كالثريا أو كالشعرى اليمانية أو كالنسر الطائر أو أخيه الواقع ، ولكنه كان أغرب من هذه وذاك ، بل كان أغرب من القمر ، لأنك ترى القمر ثابتاً وينتقل فى منازله ببطء شديد ، ولكن المذنب يجرى لا مستقر له ، وناهيك بهذا الكون الذى يتسع لأن يذرعه هذا الجرم المزدحم بالكواكب والأقمار ويطوف ركناً من أركانه مطافاً مئينياً بحيث لا يظهر لأهل الأرض ـ ذلك الكوكب القاتم المطفأ ـ إلا فى قرن مرة واحدة !!

وعندما عدنا إلى المنزل قابلت فتاة بدرتني بسؤالها : هل رأيت ياسيدى الكوكب ؟ . وكان وجهها مضيئاً مملوءاً عجباً وإعجاباً وإيماناً ، فقلت لها : نعم وأنت ؟ . قالت : نعم رأيته ولم أعرف نعمة رؤيته إلا بعد أن مرق فى السماء مروق السهم المخترق جوف الفضاء العلوى ، ويا حبذا لو كنت أراه مرة أخرى ! .. طبعاً لن أراه لأنه لن يظهر إلا بعد ثمانين سنة أخرى ، وأين نكون بعد ثمانين سنة ؟! طبعاً سنكون تحت التراب . قلت لها : من يدرى ؟ قالت : أترضى لى أن أعيش ثمانين عاما أخرى ؟ . قلت : ولكن لعلك تكونين بحيث يكون هذا الكوكب من أصغر ما تتمتع روحك برؤيته . فنظرت إلى السماء وقالت لى : من يدرى ؟! » .

هكذا سجل لطفى جمعة انفعالاته وانطباعاته لدى رؤيته المذنب هالي فى سماء سويسرا فى إحدى ليالى شهر مايو سنة ١٩١٠ .

أما الشاعر المصرى اسماعيل صبرى ، فقد نظم قصيدة بمناسبة ظهور المذنب هالي متأثراً فيها بما أشيع من أن لهذا المذنب ذيلاً طويلاً مكوناً من غازات سامة وأن الشمس ستدفعه إلى عالمنا فيصير جو الأرض خانقاً ومميتاً ، وحددوا لذلك يومى ١٨ ، ١٩ مايو سنة ١٩١٠ ، فساد الذعر والهلع نفوس الكثيرين وأيقنوا أن فى ذلك البلاء المستطير والفناء لجميع الأحياء على الأرض . قال اسماعيل صبرى فى هذه القصيدة موجهاً خطابه إلى المذنب :

أنت نعم النذير يا نجم « هالى »
زلزل السهل والروابى ذعرا
ظن قوم فيك الظنون وقالوا
آية أرسلت إلى الأرض كبرى
إن يكن فى يمينك الموت فاقذفه
شواظاً على الخلائق طرا

ثم يخاطب الشاعر المذنب فيقول :

هل تلقيت من لدن خاذل الباغي
وحامى الضعيف يا نجم سرا
أغداً تستوى الأنوف فلا ينـ
ـظر قوم قوماً على الأرض شزرا
أغداً كلنا تراب ولا نملك
غير التراب براً وبحرا
إن يكن ما يقولون يا نجم فاصدعْ
بالذى قد أمرت ـ حييت عشرا !!

وبعد ...

فهذه بعض خواطر الأدباء والشعراء العرب بمناسبة ظهور المذنب هالي سنة ١٩١٠ ، فماذا ترى ستكون خواطرهم بمناسبة ظهور هذا المذنب في هذا العام ؟

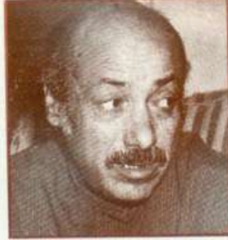
رابح لطفى جمعة

هامش

(١) على وجه التحديد كل ٧٦،٣٧ سنة وقد رؤى هذا المذنب فى السنوات ١٣٧٨ ، ١٤٥٦ ، ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ ، ١٧٥٩ ، ١٨٣٥ ، ١٩١٠ على التوالى (دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٧ ، ص ١٦٠) .

دراســـة عن المقرئـين وتـــلاوة القـــرآن

من أحمد ندا إلى محمد رفعت



بقلم: محـمـود السـعـدني

في فجر الاسلام ، وفي الوقت الذي فكر فيه المسلمون في تعليق جرس كبير على باب المسجد لدعوة المسلمين إلى الصلاة ، في هذا الوقت بالذات ، جاء أحد الصحابة وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ، لقد رأيت فيما يرى النائم أنني أصعد على سطح المسجد فأدعو الناس للصلاة بدعاء « الله أكبر ، أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، لا إله إلا الله » وأشرق وجه النبي صلوات الله عليه ، وقال للصحابي الجليل ... نعْمَ مارأيت ، فقال الرجل ، هل أصعد الآن فأدعو الناس للصلاة؟ ورد النبي عليه بحسم .. بل دع بلالاً يؤذن ، إنه أندى منك صوتاً » ! وبهذا الرد البسيط الواضح الحاسم ، حدد النبي سياسة الاسلام ومنهجه في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وفي إعطاء العيش لخبازينه .. كما يقول المثل المشهور . فالصحابي الذي رأى في المنام رؤية وجدها النبي جديرة بوضعها موضع التنفيذ ، ليس من حقه أكثر من أن يحلم ، ولكن بلالاً رضوان الله عليه هو الذي من حقه أن يؤذن . لماذا؟ لأنه أندى صوتاً ! هو الأحق إذن بأن يؤذن ، لأن هذه هي وظيفته . وهي وظيفة استحقها لأنه « أندى » صوتاً ، أي أنه موهوب وموهبته في حلاوة صوته ، والصوت الجميل كفيل بأن يدخل إلى قلوب المؤمنين ! ومنذ بلال وحتى الشيخ علي محمود ، دخل تاريخ الاسلام مئات من المؤذنين والمقرئين أصحاب الأصوات الندية الشجية التي رفعت راية الاسلام وأوصلت صوته إلى مختلف أركان الأرض . وأصبح للتلاوة دولة عظيمة عندما ارتفعت راية الدولة العربية ، وحين كان يعطس أحد العرب في دمشق فيقول له المسلمون في الصين .. يرحمكم الله ! وارتفعت دولة التلاوة مع ارتفاع شأن الدولة العربية في بغداد ثم في القاهرة ، ثم أصابها الاضمحلال كما أصاب الدولة نفسها . ولكن الروح عادت إليها من جديد مع مطلع هذا القرن العشرين . وكانت بداية مجدها على يد شيخ صغير أسمر اللون نحيف العود وسيم القسمات يقرأ القرآن بصوت جميل . وبطريقة مبتكرة ، تحمل السامعين على الجلوس في أماكنهم ساعات طويلة لايفارقونها حتى ينتهي الشيخ من ترتيله الجميل . وكما أثر الصوت الجديد على عقول ومشاعر المستمعين أيضاً ، فقد أحدث ثورة عارمة بين بعض المسلمين ، وكان محور الثورة والذي يدور حوله النقاش والخلاف : هل الطريقة المبتكرة في التلاوة .. حلال أم حرام؟ وترك الشيخ « أحمد ندا » أصحاب السؤال يتناقشون ، ومضى في طريقه يحقق كل يوم انتصاراً باهراً لطريقته ، ويجمع في كل يوم المزيد من المريدين والأنصار !

وقبل الشيخ أحمد ندا لم يكن لمقرئي القرآن صوت مسموع . صحيح أنه كان هناك بعض الذين ينشدون التواشيح ، وكان الناس يسمونهم « أولاد الليل » وهم عادة من بين الفاشلين من طلبة الأزهر ، وكان عملهم كله مقصوراً على إنشاد بعض القصائد القديمة ، ولم يكن يتعدى مجموعها أصابع اليد الواحدة ، وكان أشهرها على الاطلاق « إذا جاء يوم العرض والعرش واللقا » !! وصحيح أيضاً أنه كان هناك بعض « الصييته » وكانوا في الغالب يتمتعون بأصوات تشبه إلى حد كبير الصوت الناتج عن خشب يحترق ، أو الصوت الذي يحدثه احتكاك عجلات قطار عند أحد المنحنيات . ولم يكن لهذه الفئة أجر معلوم ، كانت « العشوة » تكفي أحيانا ، وأحيانا أخرى يكون الأجر حتة بخمسة مع العشوة ، وكانت حياة الجميع جحيماً لايطاق !! ولكن الشيخ العبقري « أحمد ندا » قلب الموازين كلها ، ووصل أجره خمسة جنيهات عن الليلة الواحدة ، وجاب أقاليم مصر كلها ، يسهر في قصور الباشوات ، ودور العمد والأعيان ، ويهرع إليه الآلاف الذين يعجبون بطريقته ، ويطربون لصوته ، ومرة أخرى ارتفع أجر الشيخ إلى عشرة جنيهات وإلى عشرين ثم إلى أربعين ، وظل يرتفع أجره بعد ذلك إلى أن بلغ مائة جنيه عن الليلة الواحدة ! وأصبح للشيخ ندا « حنطور » تجره ستة خيول ، وقصر يؤمه الشعراء والأدباء ورجال الحكم والسياسة . وأصبحت ندوته هي الشعلة الوحيدة المضيئة وسط الظلام الرهيب الذي كان — يومئذ — مخيماً على مصر . وكأنما كان الشيخ ندا يمهد لظهور عباقرة جدد في فن التلاوة ، فلم يلبث أن ذاع بعد قليل صيت عبقري موهوب خرج على الناس بفن جديد له أصول وله قواعد ، هو فن التواشيح ، وكان العبقري الجديد هو الشيخ « علي محمود » .

وقد جاء الشيخ « علي محمود » من حارة ضيقة من حارات العباسية ، وكان قد درس الموسيقى الشرقية وتمكن منها ، وجاء وفي جعبته ألحان عديدة لقصائد دينية بهرت الناس وأذهلتهم وأطربتهم ولاتزال تطربهم حتى الآن ، فكل القصائد الدينية والشهيرة التي نسمعها الآن من تلحينه ، وحتى الجديد منها والتي لحنها غيره جاءت على نفس القواعد ، وفي إطار مدرسة الشيخ « علي محمود » الفنية ، والسر الذي يجهله الكثيرون

هو أن معظم القصائد التي لحنها ملحنون كبار وعلى رأسهم محمد عبدالوهاب ، كان للشيخ علي محمود فيها رأي ، فقد كان الجميع يعرضون عليه إنتاجهم قبل إذاعته على الناس . ومع الشيخ علي محمود ظهرت طائفة كبيرة من المرتلين والمنشدين من بينهم الشيخ حسن المناخلي ، ومحمد مجد مقرئ السيد البدوي ، ومفتي إمبراطورية زفته الذي أعلن إستقلالها يوسف الجندي خلال ثورة ١٩١٩ ، ومنهم أيضاً الشيخ « منصور بدار » مقرئ الخلافة العثمانية ، صاحب البنطلون والجبة والطربوش التركي ، والذي قال عنه الشيخ محمد الصيفي .. إنه أعظم وأقوى صوت عرفه العالم الاسلامي في النصف الأول من القرن العشرين . ومع هؤلاء أيضاً ظهر الشيخ محمد الصيفي أعظم من درس علم القراءات ، والشيخ « منصور الدمنهورى » مقرئ القدس الشريف والشيخ « محمد سلامة » والشيخ « محمد صديق المنشاوي » والشيخ عبدالفتاح الشعشاعي ، وسيد المقرئين جميعاً بلا منازع المرحوم الشيخ « محمد رفعت » . ولقد عاش الشيخ « منصور بدار » حتى سقطت الخلافة العثمانية وعاد إلى مصر بعد الحرب العالمية الأولى واشترى عزبة في قريته شبلنده في القليوبية وكان صديقاً لسعد باشا زغلول ولعب دوراً وطنياً عظيماً إبان ثورة ١٩١٩ وكان يلقب بمقرئ سعد وكان يقرأ القرآن بصوته العظيم في الإحتفالات السياسية التي يخطب فيها الزعيم . وفي خلال الحصار الرهيب الذي فرضه المستعمر على بيت الأمة ، كان الشيخ منصور بدار يدخل البيت ويخرج دون أن يثير أدنى ريبة في قلوب المحاصرين ، ودون أن يفطنوا إلى أن جميع المنشورات الملتهبة التي كانت تغمر مصر ، تخرج كلها من بيت الأمة مختفية في جبة الشيخ « منصور بدار » .

وبين هؤلاء المشايخ جميعاً يقف الشيخ محمد رفعت ، عملاقاً ولا كل العمالقة ، وهو الذي قال عنه مفتي سوريا بعد وفاته « لقد جدد شباب الإسلام » وكان الشيخ محمد رفعت هو المقرئ الوحيد الذي أحاطت به هالة من الأساطير ، قيل عنه مرة إن ضابطاً كندياً دخل على مدير الإذاعة الانجليزي وطلب منه أن يجمعه بالشيخ محمد رفعت ، وقال الضابط الكندي إنه استمع إلى صوته فلم يتمكن أن يتمالك نفسه من البكاء ، وأنه اعتنق الاسلام تحت تأثير هذا الصوت النادر الغريب والذي يتسلل إلى المشاعر والقلوب . وحقق مدير الإذاعة أمنية الرجل الكندي ، وعاش الضابط الغريب الذي اعتنق الإسلام مع الشيخ محمد رفعت أسبوعاً طويلاً وكتب عنه بعد عودته إلى بلاده مقالاً وصفه فيه بالعبقري الذي اجتمعت فيه كل صفات النبوغ وكان الشيخ محمد رفعت هو الأول والأخير من مقرئي القرآن الذي تهافت على سماعه عدد كبير من غير المسلمين ، وكان له من بينهم أصدقاء ومعجبون ضحوا من أجله بالشئ الكثير . ومن الغريب أنه عاش ومات دون أن يقتني ثروة بينما كان في مقدوره أن يجمع الملايين .

وإلى جوار الشيخ محمد رفعت عاش عباقرة آخرون ، غير أن ضوء الشيخ رفعت الباهر غطى على كل ضوء ، فمثلاً .. لو أن الشيخ محمد الصيفي عاش في عصر آخر غير عصر الشيخ رفعت لكان له شأن آخر ، فقد كان الشيخ الصيفي أعظم أستاذ في علم القراءات وقضى وقتاً طويلاً من حياته في دراسة طريقة ورش وحفص وعاصم واستطاع أن يدخل قواعد جديدة على فن التلاوة ، سار عليها كل الذين جاءوا من بعده ومن أشهر تلاميذه الشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ محمود خليل الحصري . وقد ظهر الشيخ الصيفي في نفس الفترة التي ظهر فيها الشيخ محمد رفعت والشيخ علي محمود ، وخرج من نفس الحارة التي خرج منها الشيخ علي محمود ، وظل بها حتى مات ، وربح كثيراً وأنفق أكثر وعين مقرءاً للمسجد الحسيني في المكان الذي خلا بوفاة الشيخ علي محمود ، وعندما مات الشيخ الصيفي كان يحمل على صدره عدة نياشين أهداها إليه رؤساء الدول الاسلامية .

ومع هؤلاء أيضاً ظهر الشيخ محمد القهاوي ، وصوته من نفس نسيج صوت الشيخ منصور بدار ، غير أن الحياة المليئة بالمشاكل والتي عاشها الشيخ القهاوي عجلت بوفاته وقضت عليه مبكرا وهناك الشيخ المنيلاوي الذي كان يلحن ويغني ويقرأ القرآن ، والذي دخل التاريخ الفني في مصر من باب الطرب ، والذي كان له دور في حياة أم كلثوم في بداية طريقها إلى عالم الغناء .

وهناك الشيخ حسن المناضلي الذي كان يتمتع بصوت جميل وطريقة فذة في الأداء ، والذي قامت من أجله معركة حامية في حي المذبح ، قتل فيها خمسة أشخاص وجرح فيها أكثر من خمسين شخصاً ، وسجل محضر البوليس أن السبب هو صوت الشيخ حسن المناخلي . ولقد لعبت المرأة دورها في دنيا التلاوة وعلى رأسهن الشيخة منيره التي ظلت تقرأ في الإذاعة حتى الحرب العالمية الأخيرة ، ثم اختفت حين اعترض البعض على قراءة المرأة للقرآن في الإذاعة .

ومنهن أيضاً الشيخة رقية ، الضريرة التي أحبت بقلبها حباً عظيماً ، أحبت ضريراً عبقرياً هو الشيخ علي محمود وعندما اعتزلت القراءة واعتزلت الناس قضت بقية عمرها تجلس إلى جانب الدكة التي ينشد من فوقها الشيخ علي محمود ألحانه ، وظلت تتبعه كظله أينما ذهب ، حتى ماتت ذات ليلة في مكانها التقليدي إلى جوار دكة العبقري الموهوب .

ومن بين القراء الذين يتردد صوتهم حتى الآن عبر الأثير من مختلف إذاعات العالم إلى ملايين المسلمين في كل مكان ، من له قصة وله تاريخ ، على رأس هؤلاء الشيخ عبدالفتاح الشعشاعي وكان يقرأ « السورة » في مسجد السيدة زينب وعاش مجده في القاهرة وقضى أيامه الأخيرة بعزبته في شعشاع وكان صوته من أقوى الأصوات وأحلاها وللشيخ الشعشاعي عدة أبناء من بينهم الشيخ ابراهيم الشعشاعي المقرئ وصوته صورة طبق الأصل من صوت أبيه وقد احتل مكان أبيه كقارئ « للسورة » في مسجد السيدة زينب .

ومن بين الأعلام في دولة المقرئين الشيخ « سعيد نور » السوداني الحزين الذي يقرأ القرآن بنفس الطريقة التي يغني بها الزنوج أغانيهم داخل الغابات ، طريقة كلها شجن وكلها بكاء وهو يتمتع بشهرة واسعة النطاق بين سكان الريف في مصر وكان له مريدون يضيق بهم جامع الخازندار في شبرا كل مساء .

وإلى جانب هؤلاء تلمع أسماء الكثيرين الذين تدوي شهرتهم كالطبل في مصر وكافة بلاد الإسلام . الشيخ مصطفى إسماعيل ، الشيخ أبو العينين شعيشع ، الشيخ عبد الباسط عبدالصمد ، الشيخ محمد صديق المنشاوي ، الشيخ عبدالعظيم زاهر ، الشيخ طه الفشني ، الشيخ محمود علي البنا ، الشيخ عبدالرحمن الدروي وأخيرا الشيخ محمود الطبلاوي وعشرات غير هؤلاء وهناك عشرات غيرهم ينتظرون الفرصة للظهور واللمعان ، مئات من المواهب في مدن وريف العالم الإسلامي الكبير وكلهم يدينون بالفضل لرجل واحد نحيف العود طويل القامة أسمر اللون حسن الصوت رائع الأداء ، رجل واحد ظهر في مطلع هذا القرن ، فأحدث بظهوره ضجة شديدة واستطاع بمفرده أن يخلق للمقرئين دولة عظيمة أصبح لها اليوم كواكب ونجوم . نعم رجل واحد فقط هو صاحب الفضل فيما انتهت إليه دولة التلاوة اليوم ، ذلك هو العبقري صاحب الصوت الشجي المرحوم أحمد ندا .

شاعر جديد .. وأحزان كبيرة

يقول « جوته » في كتابه الممتع « ذكريات عن حياتي : الشعر والحقيقة » حسب الإنسان أن يولد قبل تاريخ ميلاده ، أو بعده ، بعشر سنوات فقط ، كي يصير شخصا آخر ، مختلفا جدّ الاختلاف عما هو عليه ، سواء في تكوينه الداخلي ، أو في ممارساته الخارجية .

ولعل هذا يصدق ، أكثر ما يصدق ، على الفنان ، خاصة الشاعر ، إذ أن حساسيته تجاه الزمن ، واستجابته لمتغيرات التاريخ ، تجعل منه نباتا فصليا علويا ، لا يزهر في غير موعده ، ولا ينمو بهذا الشكل دون سواه إلا في عصره وتحت رياحه ومطره .

بقلم : الدكتور صلاح فضل

وشاعرنا « مختار على أبو غالي » ينتمي إلى هذا الجيل المحبط الذي رأى أحلامه الكبرى تتمزق وهو يسعى حثيثا نحو نهاية العقد الخامس من عمره ، متكئا على جراحه ، ململما أحزانه ، واعياً بانكساراته . ومهما كان حظه من النجاح والتوفيق في حياته الخاصة ، فقد أضحى ولا تصفو له ضحكة ، ولا يحلو على شفتيه غناء .

ولأن ديوانه « أحزان مصرية » لا يحمل سوى ما يسميه سلة ثماره ، ولأنه فنان متنسك ، عزوف عن أسباب الشهرة ، أجدني مضطرا لتقديمه في سطور وجيزة ، قبل أن أعرض لتكويناته الشعرية الشائقة ، قاصرا حديثي على ما أظن أنه ذو أثر فعال في إنتاجه .

فهو من مواليد قرية « دست الأشراف » التي تقع على تخوم الصحراء في محافظة البحيرة بمصر ، في منتصف العقد الرابع من هذا القرن . وقد درس في معهد الاسكندرية الديني حتى حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٥٨ ، وعلى الليسانس في العلوم العربية والاسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦٢ ، وسافر للتدريس بالكويت عقب هذا بقليل حتى الآن ، إلا أنه قد استأنف دراسته العليا منذ سنوات ، وناقش عام ١٩٨٤ رسالته للماجستير عن الأدب الصوفي للحلاج ، مشبعا بذلك كما سنرى أشواقه في البحث والمعايشة .

وقد سجل في هذه المجموعة الأولى ، متأخرا ، طرفا من حصاده الشعري خلال ربع قرن ، معلنا أنه بصدد إصدار مجموعة ثانية بعنوان « السفر إلى الداخل » ، كما سجل على الغلاف الخلفي لديوانه المقطع التالي كبطاقة تقديم :

في السادس من تشرين .. عبرت الخط
عبرت الوهم ..
عبرت الخوف ..
عبرت إلى النفس الأولى
وعبرت السور إلى الحب الأول
فعرفت طريق الحب ..
وسرى في دمي الظمآن
ماء حي
فتناولت عقارا ضد الخوف
وثقبت اللؤلؤة الأولى من فن القول
في دفتر أحزاني .

بيد أن هذا الدفتر كان قد خضع لتقسيم آخر إلى حزن أول وحزن ثان ، وكانت العناصر المكونة له قد نضجت لديه قبل ذلك . وبوسعنا أن نرى منذ البداية أن ثمة ثلاثة محاور ، تتقاطع وتتعامد وتتداخل في عالمه الشعري ، لكنها ماثلة دائما لديه ، وهي الحب والحرب والحكم ، ولئن كان الحب هو شغل الجزء الأول من أحزانه ، إلا أنه كان حباً مع وقف التنفيذ ، حتى جاءت بشرى الحرب ، وجدلية الحكم والحرب مازالت تحتل الرقعة الأساسية في حياتنا القومية . وأطراف هذه المعادلة هي التي تكون عالم مختار الشعري من الوجهة الموضوعية ، لكن لا ينبغي أن ننسى أنه عالم من الكلمات في الديوان ، وأن قوامه يعتمد على عملية التخييل الفنية ، إلا أن صلته الحرفية المباشرة بعالم الواقع التاريخي لهذا الجيل تجعلنا نعيد تأمل العلاقة التي أشار إليها « جوته » بين الشعر والحقيقة ، وبين

الشاعر والعصر. وهي علاقة تراكب لا تواكب. كما تجعلنا نتوقف عند أمرين :

أحدهما : أن هذا الشعر في حريته المحسوبة والمضبوطة فنيا يحتضن بشدة قضية الحياة ، ويلتزم فيها ــ كما سنرى ــ بالجانب العام الذى لا يلزم عادة فى الشعر لدى الشعوب المعفاة من ضرائب الدم والخبز والتحرير.

وثانيهما : هو هذا التوصيف الملح للحزن بأنه مصرى ، إذ نلاحظ أنه مرهون بتجربة الشاعر الشخصية فى اغتراب القلب ، حتى وإن لم يصاحبه اغتراب اليد واللسان ، فى مجتمع الكويت العربي . ومضاضة هذا الشعور بالاغتراب تتضاعف وتتكاثف وترهف حتى تصبح كالسيف حقيقة كما يقول الشاعر العربي نتيجة لأنه يقع من ذوى القربى بفعل سلوكهم اليومى الذى يتفاقم فى الأزمات حتى يولد لدى شاعرنا إحساسا متضخما يفرض عليه توصيف نفسه ومأكله وملبسه .. ووقع الحياة عليه وعنوان ديوانه . إلا أن هذا التخصيص الذى تم للمنبع لا محيد عن تحوله إلى الشمول عند المصب . وسنرى أن هذه الأحزان وإن كانت مصرية المنشأ إنما هى عربية فى جوهرها ومسيرها ومصيرها .

مثالية الحزن الشعرى

وإذا كان الحزن الشعرى هو العود الأول الذى تنتصب فوقه خيمة هذا الديوان فعلينا أن ندرك ارتباطه الحميم بالفرح المتألق الصافى ، فكلاهما يمثل الوجه الثانى للآخر ، وكلاهما ينبع من موقف مثالى يفترض للحياة والتاريخ نسقا مضطردا آمنا سعيدا لا ينبغى له خلل ولا يجوز عليه انقطاع ، فإذا جرت الرياح بما تشتهى السفن شيعها بلحظة غنائية جذلة ، وإذا صحا على غير ذلك ثار فيه الشجن وأدركه الأسى وتغنى بأحزانه ، فهناك تلازم إذن بين المثالية المفارقة للمادة والغنائية العاطفية الشعرية . أما الموقف المادى اللصيق دائما بدنيا الناس فأقصى ما يمكن أن يولده من أشكال الفن اللغوى المركز إنما هو السخرية والتهكم ، وهما جنس نثرى لا يعبق برائحة الشعر ولا ينبض

■ في شِعْره احتضان لقضية الحياة .. وإذا جرت الرياح بما لا تشتهي السُّفن شيَّعها بلحظة غنائيَّة !

■ حُزْنُ الشاعر مُفعَم بهذا العطر الغنائي الفوَّاح الذي يَنِمُّ عن الفرح المطبوع على صفحته الأخرى !



بروحه فى غالب الأحوال بل يلتقط مفارقات الحياة بوعى يدرك انقطاعها ونسبيتها ، ويضحك من سذاجة الآخرين بنكتة لاذعة ، أو تعليق ساخر . فالغنائية الشعرية تنشد الانسجام الكونى ، وتستثير جمال موسيقى الوجود بعاطفة منعمة بالشجو والحنان . أما السخرية النثرية فتلحظ نشاز هذه الموسيقى ، وتنتقم للقبح والخلل فيها كي تعيدها أيضا لقدر من التوازن والاتساق ، وقد تحاول فى بعض الأحيان أن ترتقي بها إلى درجة عليا من هذا الاتزان فينشب عندئذ ما يسمى بروح الفكاهة التى تكاد تلامس عتبة الشعر.

وحزن صاحبنا مفعم بهذا العطر الغنائى الفواح ، بل هو حزن شفيف يكاد ينم عن الفرح المطبوع على صفحته الأخرى ، فهو يقول فى إهداء الديوان إلى أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الحكيم بلبع :

مصرى الفرحة كنت ..
وتشرب من ألق مصرى ..
تشرب يا قمر البهجة ..
يا عصفور بلادى ..
وتلاقينا
فأنا حزن مصرى
أنسج كفنا
أدفن فيه أحزان الوادى
أفتحه بين يديك فتقرؤه
لكن تفرح فرحا مصريا
أعرفه
أعشقه
فأنا أنت ..
وأنت أنا ..
شيئا مصرياً كنا
نلغو تحت سماء مصرية .

ولنتجاوز الآن عن هذه اللوثة المصرية المكرورة بعد أن أشرنا لبواعثها ، ولننتبه إلى التمازج الحى بين الحزن والفرح فى شخصين يستحيلان إلى شخص واحد يعشق ذاته ، ويصبح فلذة من كيان وطنه المغترب عنه ، والمعذب المستعذب لانتمائه إليه .

وهناك فرق نوعى بين التجارب الواقعية كما نعانيها فى الحياة اليومية ، وبين ظاهرة الانفعالات الشعرية التى تدخل في بنيته الخيالية . فبينما تعيش الذات الانفعالات التى

شاعر جديد ..وأحزان كبيرة

تعانيها داخليا يقع الانفعال الشعرى على كاهل الأشياء نفسها . فالحزن الواقعى الذى يعانيه شخص ما ليس سوى تعديل فى حالته النفسية نتيجة لمؤثر خارجي . أما الحزن الشعرى فهو على العكس من ذلك يتم التقاطه على أنه خاصية من خواص العالم فسماء الخريف حزينة لأنها رمادية تشير إلى ذبول الكون وانطفاء الطبيعة . والشاعر القدير هو الذي يعثر على المعادل الموضوعى لمشاعره الذاتية فينقلها إلينا بنجاح ، كما نرى مثلا فى قصيدة « المستحيل » التى تحاول النفاذ إلى مكنون الحالة الشعرية العميقة عبر حركة القمر فى قوله :

كانت نفسي ترجو شيئا
والليل مليء
والقمر يعاني فيضانا
فتعشقني روح أعمى
ينداح صداه بجنون ..
فى أعماقى
فى كل مكان
فتبعث القمر بأشواقى
من ألف زمان
مبسوط الأيدى للريح
لأقول كلاما للقمر المجروح
وهو يعانى الفيضان

أطياف القرية

وكلما تقدمنا خطوة فى قراءة هذه المجموعة الشعرية ، تراءت أمامنا أخيلة القرية بكل أبعادها ، كما اختزنها الشاعر فى وعيه ولا شعوره ، بحقائقها وأساطيرها ، بمفرداتها من الناس والأشياء ، فهو يقدمها بقوله :

وقريتنا
بها جبل كثير الملح
ينام على ذراع الشمس
وقريتنا بها نهر شجى الهمس
ويجرح صدره الفتيات قبل الشمس ..
وبعد الشمس
وكل فتاة ..
بها من نكهة الصحراء ......
بها من نهرنا الوردى طعم الماء
وحين تمصمص الأشجار
دماء الشمس .

فيضعنا إزاء صورة فنية لقرية مثالية ، ترفل فى نعمة الرضى بخيرات الله ، وتبرز فيها الفتيات بنكهة الصحراء فى مخيلة الشاعر الشاب الذى يتسامى بالواقع إلى عالمه الغنائى المحلق فوق المادة ، لا يكاد يلمسها أو يختلط بها ، ولا يتعرض لزخمها ومتغيراتها .

وهى صورة ليست رومانسية ، كما يتوهم الشاعر وهو يدافع عنها فى تذييله . بل هى شعرية مثالية تقدم رؤيته لما هو جوهرى ودائم فى قريته ، وهى تختلف بطبيعة الحال عن رؤية صلاح عبد الصبور مثلا كما تتجلى فى « الناس فى بلادى » ونموذج « زهران » ، وعن عفيفى مطر فى كتاباته عن الطين والقرية ، ولكنها تسلك طريقا خاصا فى استيعاب وتمثيل معطيات الواقع بحدقتها الشعرية .

فمختار ينتزع من قلب القرية بعض الأنسجة الحية ليدرجها فى سياقه الابداعى وهو يتحدث مثلا عن طائره الأخضر ، رامزا به لطاقة الخلق الشعرى عنده فيقول :

وقريتنا بلا قمر
تخاف الذئب والعفريت والظلمة
وغنى الطائر الأخضر
« بنات الجنة الحور
دعى أقمارنا السوداء للنور »
على عيني بنات الحور
أخاف عوادي العفريت والديجور
وقريتنا بلا قمر
كمقبرة بغير أوان
تطوّف بى ..
على جزر من النسيان
على أبواب قلب الليل « نداهة »
طبول مسافر لاغب
تسائل فى جنون الليل عن غائب
تطالعها عيون الوحش مذعورة
على بوابة الغابة
تؤرقها نداءات من الغيب
تنادى ..
فى سبيل الله مبهورة
تغنى .. « يابنات الجنة الحور
دعى أقمارنا السوداء للنور »

فأسطورة النداهة ، والقمر المختنق ، وحوريات الجنة ، يوظفها الشاعر من هذا التراث القروى الحى فى وجدانه للدلالة على لحظات الحصر وفترة الوحى الشعرى . فتعطشه للخلق ، وحاجته لثمار الشعر الناضجة وطيوره الخضراء مثل حاجة قريته لضوء القمر ، كى يدفع عنها الخوف والقلق ويعيد لها السلام مع بنات الجنة الحوريات .

وقد لا يستخدم الشاعر أسطورة قروية محددة ، وإنما يستقطر من حياة القرية اليومية ملمحا حميما ليتخذه محورا غنائيا لايقاع قصائده من الوجهة الصوتية والدلالية معا ، ويبنى عليه بلغته الشعرية سلسلة من المتواليات التى تخضع لنمط نحوى أو معجمى مكرر ، فتنهمر هذه المتواليات حتى تولد لدى القارىء شرارة الاستجابة ولذة التلقى الجمالية . ولعل قصيدة « البحث عن إنسان » أوضح نموذج لذلك . فما من مثقف عربى هزته نكسة ١٩٦٧ وفجعته فى أحلامه إلا وقد انتابه الشك فى هذا الإنسان العربى وشعر بضياعه . حينئذ يعمد الشاعر إلى مركز منبعث من حياة القرية التلقائية « يا أولاد الحلال » وينسج حوله خيوطه على النحو التالى :

السوق والدلال
وكل أولاد الحلال
صدى يموت فى شواطىء المدينة
تمتصه تخومها الحزينة
ياكل أولاد الحلال
طفل صغير ضائع
يدور فى الأسواق والشوارع
عشرون عام
يبحث فى ذاكرة الأيام
عن أمه الأرض وبيته الحرام
الليل فى نهاره
النار فى أمطاره
الثلج والحديد فى إزاره
ونجمة بعيدة المنال ..
تغوص حتى الموت فى قراره

وليس علينا بعد ذلك أن نبحث عن التقابلات المقصودة بين القرية الفطرية البريئة والمدينة المتوحشة التى يموت الصدى على تخومها ، ولا بين الطفل والإنسان العربى التائه عن أمه وبيته ، فحسبنا أن نلتقط الايقاع الأول ونتدرج معه فى تواليه وتكثفه الصوتى والدلالى حتى نصل إلى المقطع ثم القرار الأخير ، فلا نملك إلا أن نحس مع الشاعر

بوطأة الغوص حتى الموت بحثا عن النجاة والحياة .

الشعر والحقيقة

إذا أخذنا بقول هيجيل : « بما أن الكلمات نفسها ليست سوى رموز تمثل أحوالا خارجية ، فلا ينبغى البحث عن أصل لغة الشعر فى اختيار الكلمات ، ولا فى طريقة نظمها ، ولا فى صورتها وإيقاعها ، وإنما فى كيفية تمثيلها وتصويرها للأشياء » وإذا أدركنا أن هذه الكيفية هى التى تحدد المذاق الخاص الذى يجعل القصيدة تثير فينا حالة شعرية ، على أساس أن شعر اللغة إنما هو بنية توازى شعر الحياة وتفجرها ، تجلى أمامنا العصب الأخير الذى نريد أن نبرزه من مكونات العملية التخييلية فى هذه المجموعة الشعرية ، وهو عصب مستوفز ، يثيره عمق المعايشة للحدث وللكلمة معا ، بالرغم من الأثير المثالى المتدثر به . وقد انتبه الشاعر لهذه الخاصية لديه ، وعزا إليها سر اصطفافه لبعض الأشعار وطرح البعض الآخر ، بيد أن بوسعنا أن نعزو إليها أمرا آخر أشد أهمية وحسما فى تكوين الشعر وأقوى على النهوض به ، وهو القدرة على استحضار الحالة الشعرية والتلبس بها عبر الكلمات ، وتوظيف جملة من الإشارات الصوفية لوضعها فى سياقها النفسي المتسق مع المعطيات التراثية والمعاصرة دون تكلف أو افتعال . وقد رأيناه مثلا فى الإهداء يقول لصاحبه « فأنا أنت ، وأنت أنا » ويشير فى « مرثية رجل حى » إلى اللحظات الصوفية المرهفة عندما يجن الليل وتنام العيون ويخلو كل حبيب بحبيبه . وإن كان يبلغ من ذلك غايته حينما يستثير قصة النبى ﷺ مع عمه ليتناول من ثناياها مشكلة الحكم وموقفه كشاعر إذ يقول :

قلها ياعمى لا تجبن
أشفع لك فيها عند الله
الله ... الله ..
لو عطرت لسانك يا عمى بالله
لو تعرف أن الخلق عيال الله
لو تعرف أن الأولى حلم الأخرى
وأنا فيها كلمة حق تنذر باليقظة والوعى

■ كيف صوّرلنا أخيلة القرية كما اختزنها في وعيه ومن خلال سياقه الإبداعي؟

■ الكلمة الشاعرة أداته الوحيدة للتغيير، وهى قادرة على بعث روح الشعر في الحياة لمواجهة القبح والتطرّف





تعرف أنك لو قلت ..
ستختصر الأرض ..
وترتفع بأحلام الإنسان
حتى يرقى فى كل سماء قمرا أخضر ..
تقرؤه العينان ..
لو تعرف ياعمى كم أحببتك
أعرف ياولدى أنك يقظة حلم باطل
تحلم ياولدى بعيون مفتوحة
أعرف أنك ظله .
وهو الأول والآخر والظاهر والباطن
لكن ياولدى لو قلت ..
سيعيرنى قومى .
....
وبكيت كثيرا
ونسيت
فى سَوْرَة حبى له ..
أنى لا أهدى من أحببت
.....

وتتكرر هذه الخاتمة فى عدة قصائد ، مما ينبىء بأمر دال ، وهو أن شاعرنا الذى لا يتخلى عن مثاليته يرفع سلاح الحب ، ثم لا يلبث أن يرتد إليه ، لانه لا يهدى من يحب ، وتصبح الكلمة الشاعرة أداته الوحيدة للتغيير وهى قادرة عليه ، إن نجحت فى تعميق الوعى بالواقع وبعث روح الشعر فى الحياة ، ليوازن نثريتها وقبحها وتطرفها .

وهنا تبرز لنا مرة أخرى أطراف المعادلة التى أشرنا إليها من قبل فى هذه المجموعة الشعرية ، والتى تستغرق مساحتها الموضوعية ، وهى ثلاثية الحب والحرب والحكم ، فمدخل شاعرنا لابتلاع القضايا العامة لم يكن المنظور الاجتماعى كما حدث لدى الشعراء الآخرين ، وإنما استغرقته ــ كما استغرقت جيله ــ قضية الحرب الضرورية تجاه العدوان الاستيطانى الضارى ، ونفذ من تجربته فى معاناتها فشلا ونجاحا نسبيا إلى التطرق لحتمية ترتيب الوجود القومى العربى فى علاقة الشعب بالسلطان ، متدثراً دائما برداء الشاعر النبى الطفل ، ومتسلحا بالحب المثالى والحزن الذى ينزف من كلماته وينتشر كالهواء فى خيمة خياله الشعرى .

صلاح فضل



حول الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال

بقلم
علي الخليلي

نَتَجتْ عن الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، ثلاث ظواهر أدبية ميزّت الحركة الأدبية العربية في هذا الجزء من فلسطين :

أولا : تلاحم حركة الأدب في الضفة الغربية مع الأدب في قطاع غزة ، وكان هذا مقطوعاً منذ عام ١٩٤٨ .

ثانيا : تلاحم الحركة الأدبية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مع الأدب الفلسطيني في (أرض ١٩٤٨) وكان هذا مقطوعاً منذ آيار « مايو » سنة ١٩٤٨ .

ثالثا : انقطاع الحركة الأدبية في كل الأرض المحتلة عن العالم العربي . فالضفة الغربية كانت ترتبط بهذا العالم عبر الأردن ، أما قطاع غزة ، فعبر مصر .

وهناك ظاهرة رابعة لم تنضج ولم تتبلور ، وهي « إكتشاف » بعض الأدباء الفلسطينيين المعنيين بشؤون البحث والدراسة ، للقليل من الأدب العبري ، من خلال قراءته بلغته الأصلية ، أو من خلال الترجمات العربية النادرة له . اضافة إلى « اكتشاف » بعض الأدباء الاسرائيليين ، بالصدفة المحضة ، للقليل من الأدب الفلسطيني في الضفة والقطاع المحتلين .

وهناك أيضاً ظاهرة خامسة لم تأخذ الاهتمام الكافي بعد ، تتمثل في أدب السجون والمعتقلات من خلال هذه الظواهر ، يتحرك أدباؤنا تحت سقف الاحتلال الصهيوني ، في مواجهة صعبة وعنيفة ، تفرضها الرقابة العسكرية الاسرائيلية على كل الانتاج الأدبي ونشره وتوزيعه . فلم تنشأ دور نشر كبيرة محلية ومتخصصة بالكتب الأدبية ، كما لم تنشأ أي مؤسسة للتوزيع . ولعل الاغلاق المتكرر لبعض المكتبات التجارية ومصادرة آلاف الكتب منها ، من قبل الحكام العسكريين الاسرائيليين واضطهاد أصحاب هذه المكتبات وملاحقتهم بالاعتقال والغرامات الباهظة ، في نابلس وغزة والخليل ورام الله وجنين وكل مدن وقرى ومخيمات الأرض المحتلة ، اضافة إلى بعض المكتبات في أرض ١٩٤٨ (اسرائيل) نفسها – مكتبة الأسوار في عكا مثلاً – هو الذي جعل التجار – على سبيل المثال – يبتعدون عن تجارة الكتاب ، فلا يجرؤون على إنشاء مؤسسات تجارية لطباعة وتوزيع الكتب . كما جعل المثقفين والمؤسسات الوطنية غير قادرين على متابعة هذا الشأن .

وتلك مجرد « صورة » متواضعة جداً عن المعاناة الجادة لخلق حركة أدبية عربية فلسطينية في وطننا المحتل .

يتركز هذا « الخَلقْ » الأدبي ، عبر الوسائل التالية :

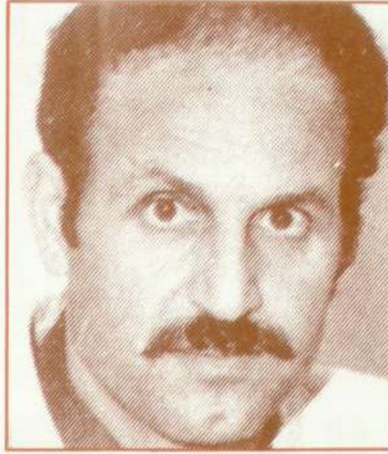
– النشر في الصحف والمجلات المحلية ، مثل : مجلات « الفجر الأدبي » ، « البيادر » ، « الكاتب » ، « العهد » . وصحف : الفجر ، القدس ، الشعب ، الميثاق ، الطليعة ، وكلها تصدر في القدس (بمعنى الجزء الشرقي من القدس ، وقد ضمته اسرائيل إليها بعد العام ١٩٦٧) ، اضافة إلى النشر في صحيفة « الاتحاد » ومجلة « الجديد » الصادرتين في حيفا ، والممنوعتين من التوزيع في الضفة والقطاع المحتلين .

– إقامة الندوات والمحاضرات والمهرجانات الأدبية في القدس (على أساس محاولة الاستفادة من هامش الحد الأدنى الذي يمكن أن توفره القوانين العادية) ، حيث أن إقامة مثل هذا النشاط في باقي الأرض المحتلة ممنوع إلا بموافقة مسبقة من الحكام العسكريين ، وهي موافقة مستحيلة .

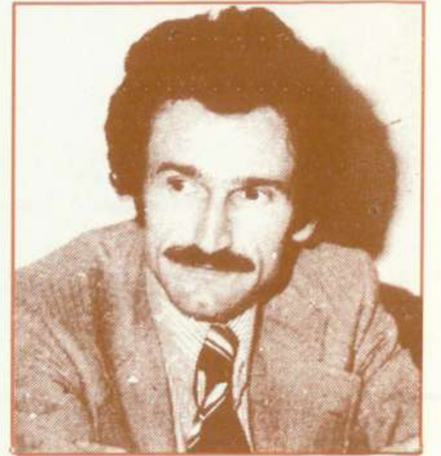
– نشر الكتب من خلال المؤسسات الصحفية ، أو عن طريق المطابع العادية التجارية ، وغالباً ما تكون هذه الكتب على حساب المؤلفين أنفسهم مع ذلك ، فإن هناك



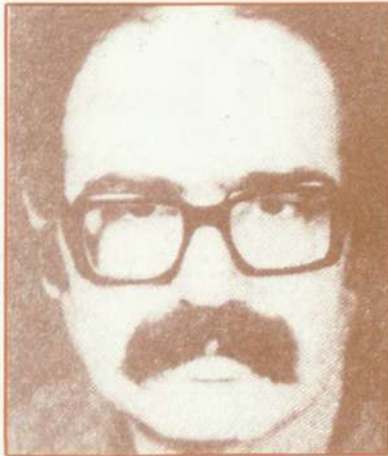
فدوى طوقان



خليل السواحري



محمود شقير



علي الخليلي

دار نشر الأسوار في عكا، وهي تقوم منذ بضع سنوات، بطباعة ونشر وتوزيع كتب أدبية وفكرية.

ومن الملاحظ أنه لم ينشأ حتى الآن اتحاد عام للكتّاب، رغم نشوء عدة تجمعات أدبية تحت أسماء مختلفة، وذلك بسبب واقع الاحتلال نفسه.

الانتاج الأدبي

كان الشعر هو الغالب على كل الانتاج الأدبي في الأرض المحتلة. ولعل بقاء الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان في نابلس، واستمرار نشاطها، هو أبرز مؤشر لهذه الغلبة الشعرية المؤثرة. مع ذلك، فقد تميز قطاع غزة بالنتاج القصصي، وقد يكون السبب في ذلك اقتراب القطاع – حتى العام ١٩٦٧ – من مصر، مما عكس تطور القصة القصيرة المصرية عليه. الا أن الوضع تغيّر بعد عام ١٩٧٣، حيث استطاعت القصة القصيرة أن تنتشر فعلياً في كل الأرض المحتلة. وبصدور مجلة «البيادر» في القدس في العام ١٩٧٦، بدأ القصاصون الشبان بنشر قصصهم القصيرة فيها، فظهرت أسماء جديدة تماماً مثل: محمد أيوب، سحر خليفة، زكي العيلة، جمال بنوره، ابراهيم الزنط، محمد كمال جبر، عادل الأسطة، فضل الريماوي وغيرهم. وكان محمود شقير وخليل السواحري اللذان أبعدتهما السلطات الاسرائيلية إلى الاردن، قد ساهما فعلياً في تطوير القصة. وقد برزت في هذا المجال قصص محمود شقير «خبز الآخرين».

توالت المجموعات القصصية والروائية بعد ذلك، إلا أنها بقيت دون الشعر، تحاول أن «ترصد» واقع الاحتلال، وأن تقاوم بطبيعة الحال. ولكنها لم تستطع تجاوز «رومانسيتها» الواضحة. فالأبطال كلهم «ايجابيون ثوريون» والحبكة القصصية قريبة من التقرير الصحفي.. الخ.

واجهت الرقابة العسكرية الاسرائيلية انتشار القصة بـ «ضربات» عدائية صارمة فقد أدّى مجرد عنوان القصة لاضطهاد القاص واعتقاله! ومن ذلك، مجموعة قصص «الوحش» لمحمد أيوب في قطاع غزة. اعتقل الكاتب. وحُقّق معه حول مصطلح «الوحش». من هو الوحش؟ ولماذا الوحش؟ اسرائيل؟ الاستيطان؟.. الخ.

ومن المؤكد أن عناوين المجموعات القصصية والروايات رغم قلتها – لا تثير الرقيب الصهيوني فحسب، وإنما هي بالفعل، تؤشر لمضمون واضح لها أيضاً ويمكن أن نتابع هذا «الوضوح» في عناوين المجموعات التالية التي صدرت عبر السنوات العشر الماضية:

الحصار: رواية – أديب رفيق محمود
الطوق: رواية – ابراهيم الزنط
الصُبّار: رواية – سحر خليفة
المفاتيح تدور في الاقفال: رواية – علي الخليلي
الوحش: قصص قصيرة – محمد أيوب
العطش: قصص قصيرة – زكي العيلة

وهي عناوين تعكس واقع الاحتلال مباشرة، من الطوق والحصار حول المدن والقرى والمخيمات، إلى الاقفال – السجون – إلى مواجهة «الوحش» الاحتلال ومقاومته، إلى العطش – بمعنى الصمود – إلى الصّبار، بمعنى الاستمرار رغم القهر.. الخ.

ونستطيع أن نضيف لهذه العناوين التي أخذناها كأمثلة فحسب، ثلاث مجموعات جديدة صدرت لمعتقلين هم: عادل وزوز، محمد خليل عليان، محمد أحمد أبو لبن: صبراً يامالك الموت (شعر) نداء من وراء القضبان (شعر)، ساعات ما قبل الفجر (قصص).

ولعل «ساعات ما قبل الفجر»، كمثال، توضح المضمون التفاؤلي الذي يصل إلى الرومانسية الثورية – إذا جاز التعبير – ألم تدمج فدوى طوقان بين «الليل والفرسان» في احدى مجموعاتها الشعرية. ان «الفروسية» هي «الفجر» ذاته في هذه الثورة المحاصرة. كذلك، محمود درويش، قبل أن يأخذه المنفى، ألم يُصدر مجموعته الشعرية في حيفا تحت عنوان «آخر الليل»، وهو «الفجر» أيضاً؟!

الدوحة في حوار هام

البترول إلى أين؟

قضية الساعة وحديث شامل مع الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني

قال الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى مدير عام المؤسسة العامة القطرية للبترول إن هناك تدهوراً ملحوظا فى أسعار البترول ، بسبب وجود فائض نفطى في السوق ، مما أدى إلى انخفاض الأسعار ، وبسبب وجود المضاربات بين الدول المنتجة للبترول ..

وكان يجيب بذلك على سؤال طرحته عليه « الدوحة » خلال حديث شامل عن البترول وقضايا البترول التى تشغل العالم الآن ..

وكان مما قاله الشيخ راشد أيضا إن أسعار البترول يمكن أن تعود للاستقرار فى حالة واحدة ، هى اتفاق أعضاء الأوبيك على انتاج معين . وتوقع فى هذه الحالة أن يتراوح سعر البرميل بين عشرين واثنين وعشرين دولاراً .

وفى حديث الشيخ راشد الشامل والمفيد اضاءات جديدة على قضايا متعددة حول هذا الموضوع الحيوى الهام ، وأخبار سارة عن مستقبل الغاز والتصنيع فى قطر ، والبدائل التى تهدد البترول ، والجهود الملقاة على عاتق شبابنا العربى ..

وهذه هى الصورة الكاملة لهذا اللقاء الهام ..

البترول وقضايا البترول الخاصة بالأسعار والانتاج ، والبدائل المنافسة ، والمستقبل الذى ينتظره كمصدر هام للطاقة .. كلها نقاط ساخنة يثور حولها الجدل ، وكانت ومازالت وستظل حديث العالم من حولنا لسنوات طويلة ..

فالبترول كطاقة مازالت له السيادة ، والاعتماد اقتصاديا عليه مازال يمثل أساسا ثابتا وقويا لكثير من الدول ، والصناعات التى تعتمد عليه هى صناعات حية ، عملاقة ..

من هنا فإن الحديث حول البترول والقضايا المتصلة به هو حديث الساعة وكل ساعة ، ولهذا حملت كل مايدور فى الأذهان حولها ، وتوجهت إلى أحد الرجال الذين يغوصون فى أعماق هذه القضايا الحيوية بمهارة وثقة ومعرفة ..

الرجل هوالشيخ راشد بن عويضة آل ثانى المدير العام للمؤسسة العامة القطرية للبترول ..

ودعونى أقدم لكم أولا بطاقته الشخصية ..

لقد حصل الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى على بكالوريوس فى الاقتصاد من جامعة ميتشجان الأمريكية فى ديسمبر ١٩٧٦ ..

ثم حصل أيضا على دورة فى التطوير الادارى من جامعة شيكاغو ..



الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى

■ الاستقرار يعود في حالة واحدة : اتفاق أعضاء الأوبيك على حدّ إنتاج مُعيَّن

■ حقل الشمال يضع قطر ضمن الدول الخمس الأولى المالكة لأكبر مخزون من الغاز الطبيعي

وقد شغل الشيخ راشد عدة مناصب فى قطاع البترول ..

من هذه المناصب : نائب مدير عام المؤسسة العامة القطرية للبترول ، وعضو مجلس ادارتها ، ورئيس مجلس إدارة الشركة العربية البحرية لنقل البترول ، ورئيس اللجنة التنفيذية الفنية لمشروع تطوير حقل الشمال ، وعضو مجلس إدارة شركة قطر للغاز المسال ..

ولقد صدر القرار الأميرى بتعيين الشيخ راشد مديراً عاما للمؤسسة العامة القطرية للبترول فى الخامس والعشرين من نوفمبر عام ١٩٨٥ ..

وبدأت فى حياته منذ ذلك الوقت صفحة جديدة من العطاء الدائم والمتصل ..

وكانت فرصة لاثبات وجوده كشاب قطرى متحمس ، ومسؤول يعرف كيف يؤدى دوره بعلم ومقدرة وأمل كبير فى المستقبل ..

من هنا كان الحديث معه مشرقا ، حيا ، متجدداً ، حتى وان دار حول أهم القضايا وأخطرها .. قضايا البترول ..

وكان طبيعيا أن يبدأ الحديث عن المؤسسة العامة القطرية للبترول : جهودها ، مشروعاتها والمسؤوليات التى تتولاها ..

وأخذ الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى فى الحديث التفصيلى عن المؤسسة بكل فخر واعتزاز ..

أن المؤسسة القطرية للبترول تسعى إلى تحقيق هدفين متكاملين ..

الهدف الأول هو تطوير ثروات البلاد الهيدروكربونية ، والهدف الثانى هو تطوير الكوادر البشرية الوطنية العاملة فى مجال صناعة النفط والغاز ..

من أجل هذين الهدفين تنشط المؤسسة نشاطا يستحق التسجيل والاشادة ..

إنها مثلا تضطلع بمهام تطوير عمليات الاستكشاف ، وحفر الآبار الاستكشافية التقييمية ، وآبار التنمية فى المناطق البرية والبحرية من البلاد ..

فى الوقت نفسه فإنها تتولى تطوير عمليات انتاج النفط والغاز بما يتفق ومصلحة البلاد وخطتها التنموية ، وبما يتماشى مع سياسات منظمة الأقطار المصدرة للبترول (أوبك) ..

ومن ناحية أخرى فإن المؤسسة تواصل تلبية احتياجات السوق المحلية من المنتجات البترولية المكررة عبر مصفاة أم سعيد ، وتوفير فائض من الانتاج لأغراض التصدير ، كما تقوم بتصدير سوائل الغاز الطبيعى التى ينتجها مصنع سوائل الغاز الطبيعى بوحدتيه بأم سعيد ..

وتنتج المؤسسة أيضا البتروكيماويات مثل الاثيلين والبولى إثلين منخفض الكثافة ، والكبريت من خلال شركة قطر للبتروكيماويات ، وكذلك الأسمدة الكيماوية (الأمونيا واليوريا) من خلال مجمع الأسمدة الكيماوية ..

وكل هذا وغيره يتم إلى جانب الحرص على تدريب القوى الوطنية العاملة فى هذه الصناعة الرئيسية ، بتوفير الدورات التدريبيه الادارية والفنية داخل قطر وخارجها ، ومن أجل هذا الغرض فإن هناك إدارة خاصة قائمة بذاتها تتولى التدريب والتطوير ..

وهناك فى الوقت الحاضر خطوات متصلة تقوم على أسس مدروسة ، من أجل المضى فى تنفيذ مشروع تنمية حقل الشمال ، عن طريق انتاج الغاز غير المصاحب من الحقل ، بهدف تلبية احتياجات قطر من الطاقة لفترة طويلة ،

قادمة ، ولتصدير الغاز غير المصاحب إلى الدول المجاورة والأسواق العالمية ..

وهنا كان لابد أن أسأل الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني عن حقل غاز الشمال : ماذا يقدم لقطر والخليج والعرب والعالم ، وكيف يمكن تصور حياة قطر بعد اشتغاله بالكامل ، كيف ستزداد صورة التقدم فيها ؟ ..

وكانت الاجابة التفصيلية الشاملة جاهزة على لسانه ..

قال الشيخ راشد ان تنفيذ هذا المشروع سيتم على مراحل ، حسب نمو الطلب الداخلي على الغاز ، وتوفر الأسواق الخارجية المستوردة له ..

وبالنسبة للمرحلة الأولى فإنها تهدف أساساً لتلبية الاحتياجات المحلية .. ولقد قطعت الأعمال الهندسية الخاصة بهذه المرحلة خطوات متقدمة نسبيا ، ويقدر أن يبدأ انتاج الغاز فى نهاية عام ١٩٨٨ على وجه التقريب .

والحقيقة أن حقل الشمال يضع قطر ضمن الدول الخمس الأولى المالكة لأكبر مخزون من الغاز الطبيعي فى العالم ..

ومن هنا لك أن تتصور صورة المستقبل ..

إنها ستكون مشرقة بكل المقاييس ، ولسوف ينعكس ذلك على كل المجالات ..

إن حقل الشمال هو بالفعل من أكبر التجمعات المنفردة للغاز الطبيعي التى تم اكتشافها حتى الآن ، إن لم يكن أكبرها ..

ولقد اكتشف فى عام ١٩٧١ فى المنطقة البحرية الواقعة إلى الشمال الشرقى من قطر ..

وتبلغ مساحته حوالى ٦٠٠٠ كيلومتر مربع (٢٣٠٠ ميل مربع) ..

وتقدر احتياطيات حقل الشمال بحوالى مائة وخمسين تريليون قدم مكعب (٤,٢ تريليون متر مكعب) من الغاز الطبيعي غير المصاحب .. أى الذى لا يرتبط انتاجه بانتاج النفط الخام ..

وبالامكان وفقا لذلك انتاج حوالى ٤٠٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز فى اليوم لحوالى مائة عام ..

وهذا المعدل من الانتاج يكفى احتياجات قطر المتطورة من الغاز مع توفير كميات ضخمة للتصدير ..

وتسألنى عن تكاليف المشروع وأجيبك بصراحة إنها تكاليفة باهظة تقدر بعدة بلايين من الدولارات ..

هذه التكاليف يتطلبها مشروع تنمية حقل الشمال والمشاريع المتصلة به لتصدير الغاز ، سواء أكان ذلك تسهيلات انتاج أو خطوط أنابيب أو مصانع لتسييل الغاز ..

ولأعطيك تفصيلا أكثر ..

ان من المقدر أن تزيد تكلفة المرحلة الأولى لتنمية الحقل فى سبيل تلبية الاحتياجات المحلية من الغاز عن البليون دولار ..

لكن من المقدر فى المقابل أن تصل جملة تكلفة المرحلة الأولى والثانية للمشروع ، بهدف سد احتياجات الاستهلاك المحلى وتصدير حوالى ٦ ملايين طن فى السنة من الغاز المسال ، إلى حوالى خمسة بلايين دولار ..

وتسألنى أيضا عن الدول التى من المتوقع أن تتسوق حاجتها من الغاز المنتج من حقل الشمال ، وهذه هي الاجابة ..

ان تكلفة نقل الغاز فى الحقيقة تشكل عبئا كبيراً على مشاريع تصدير الغاز .

لذلك فكلما كانت الأسواق المستهلكة أقرب إلى منطقة الانتاج ، كانت اقتصاديات المشروع أفضل بالنسبة للدول المنتجة للغاز ..

.. والتصدير

وعلى هذا الأساس فإن المشروع القطرى يتطلع حاليا لتصدير جزء من الغاز إلى الدول المجاورة فى مجلس التعاون لدول الخليج العربية ..

وفى الوقت نفسه فإن المشروع يتطلع إلى تصدير جزء آخر إلى أسواق الدول الصناعية المستهلكة فى جنوب شرقى آسيا ، ولا سيما اليابان ، وإلى دول أوربا الغربية ، وتركيا ..

ولقد تم من أجل هذا الهدف الكبير تأسيس شركة قطر للغاز المسال « قطر للغاز » بهدف إقامة مشروع لتسييل الغاز بطاقة ٦ ملايين طن فى السنة (حوالي بليون قدم مكعب من الغاز فى اليوم) . وتصديره إلى الأسواق العالمية ..

ويساهم فى شركة « قطر للغاز » كل من المؤسسة العامة القطرية للبترول وشركة البترول البريطانية (BP) وشركة البترول الفرنسية (CFP. TOTAL) وشركة ماروبينى اليابانية ..

وإضافة إلى ذلك ستقوم شركتا البترول البريطانية والفرنسية بتقديم المعونة الفنية للمؤسسة لتنفيذ مشروع حقل الشمال ، بينما ستعمل شركة ماروبينى على تأمين السوق للغاز المسال القطرى فى اليابان ..

هذه هى الصورة كاملة عن حقل غاز الشمال فى قطر ، وهى صورة تعبر عن التقدم المستقبلى ، والذى سينعكس على جوانب الحياة على هذه الأرض الطيبة ..

لكن ماذا عن مد خط غاز لتركيا ، وما هى الحقيقة وراء تصدير الغاز القطرى إلى دولة الكويت ؟

هكذا عدت أسأل استمراراً لموضوع غاز الشمال ..

وقال الشيخ راشد بكل هدوء :

بالنسبة لخط الغاز إلى تركيا فلقد أثارت الحكومة التركية موضوع هذا المشروع خلال زيارة سمو أمير البلاد لتركيا فى العام الماضى ..

وعلى هذا الأساس فقد تشكلت لجنة لدراسة امكانية تصدير الغاز لتركيا ، ومنها إلى أوروبا ..

وقد اجتمعت اللجنة بالفعل فى يونيو من العام الماضى بالدوحة ..

وكان من الضرورى استطلاع آراء المسئولين الأتراك حول عدد من النقاط الهامة ..

فهل هناك احتياجات كبيرة من الغاز فى تركيا ، وهل هناك صناعات قائمة بالفعل على الغاز ، أم أنه سيتم انشاء صناعات جديدة ؟ ..

ولقد كان هذا الطرح ضروريا قبل البدء فى إنشاء الخط وبخاصة وأن تكلفته ستكون عالية جداً ..

ولقد قدم المسؤولون الأتراك خلال الزيارة الأخيرة لفخامة الرئيس التركى لقطر ، دراسة حول احتياجات تركيا من الغاز خلال السنوات العشر المقبلة ..

ويتضح من هذه الدراسة أن كميات استهلاك تركيا للغاز قليلة جداً .

فمعظم الصناعات هناك تولد الطاقة اللازمة لها من خلال البترول والفحم ..

لكن إتضح أنهم يدرسون فكرة مد الغاز القطرى لتركيا ، بحيث يستغل جزء هناك بينما يتجه الجزء الآخر إلى أوروبا ..

وفى الوقت نفسه ففى تصورهم أن تقوم



الشيخ راشد بن عويضة آل ثاني أجاب عن كل التساؤلات المطروحة

■ لن نكون وحدنا في مواجهة الموقف الصعب إذا استمرت تدهور السوق العالمية

■ شبابنا القطري بخير والشباب العربي بوجه عام يزداد عطاؤه بالعلم والإيمان

صناعات بتروكيماوية بين قطر وتركيا ، كأساس لاقامة صناعات مشتركة تصدر انتاجها لأوروبا وللعالم ..

لكنه مكلف

والحقيقة أن هذا المشروع برغم أنه حيوى وهام ، إلا أنه مكلف ..

وحتى الآن لم نقم بأى دراسات اقتصادية حوله ..

وفى اعتقادى أنه إذا كان الهدف من هذا المشروع هو تزويد أوربا بالغاز ، حيث تحتاج إليه بشدة ، فإن المبرر يكون موجوداً ..

وفى هذه الحالة ستكون الأسعار مناسبة مادامت ستكون هناك سوق جديدة ..

لكن إذا اقتصر المشروع على الكميات البسيطة التى تحتاجها تركيا ، فإن المنطق الاقتصادى لا يبرر إنشاء هذا الخط في الوقت الحاضر ..

ونأتى إلى سؤالك عن تصدير الغاز القطرى للكويت ..

وماذا فى هذا التعاون الخليجي ؟ .. أليس هو المطلوب دائما فى كل المجالات ؟ ..

لقد كانت هناك اتصالات بالفعل مع الكويت ..

وفي الوقت نفسه قمت بزيارة مؤسسة البترول الكويتية ، وناقشت مع المسؤولين فيها امكانية تصدير الغاز القطرى للكويت الشقيقة ..

ونحن فى انتظار الرد على هذه المبادرة ..

ونحن فى الواقع على استعداد من جانبنا لتزويد الكويت ودول مجلس التعاون بالغاز القطرى إذا طلبت منا ذلك ..

وكان لابد أن أثير مع الشيخ راشد موضوع أسعار البترول ، وكان سؤالى هو هل هى فى رأيك فى انخفاض دائم ، أم يمكن أن تتجه إلى ثبات نوعى واستقرار إلى حد ما ، أم يجوز أن تصل إلى ارتفاع معقول .. ولماذا ؟ ..

ونظر إلى الرجل بثبات وقال بثقة :

ــ الحقيقة أن هناك تدهوراً ملحوظا فى أسعار النفط ..

وأسباب هذا التدهور كثيرة ..

لكن أهمها فى الواقع عدم تعاون الدول خارج منظمة الأوبيك فيما يتصل بالانتاج .

ولقد أدى هذا إلى وجود فائض نفطى فى السوق ..

وهذا بالتالى أدى إلى انخفاض الأسعار بشكل ملحوظ ..

ويضاف إلى ذلك أيضا وجود المضاربات بين الدول المنتجة للبترول .

ولا شك أن هذه المضاربات هى من الأسباب الرئيسية لما نراه من تردى الأسعار وهبوطها بشكل واضح ..

اذن فإن الجانب التفاؤلى فى سؤالك عن الأسعار لا مبرر له ..

وعموما فإن سوق الأسعار آخذة فى التدهور ..

وهذه هى الحقيقة التى تعمل الدول المنتجة على مواجهتها ..

لكن ياشيخ راشد ــ هكذا عدت أسأله ــ ما هى القوى التى تتحكم فى رأيكم فى أسعار البترول ، وإلى أى حد يمكن مواجهة هذه القوى إن وجدت والحد من تأثيرها ؟

ــ الأمر ليس فيه قوى خفية كما قد يتصور البعض ..

المسألة ببساطة وكما قلت لك هى عرض وطلب وفائض ومضاربات ..

ووسط هذا كله لابد أن تكون هناك كلمة واحدة من الدول المنتجة ..

طيب هل الأوبك تقوم بدورها كما يجب فى

هذا الصدد ، ويزداد نشاطها من حين لآخر أم انها فى وضع لا تحسد عليه ، وفى موقف صعب ؟

ـ وما هى الأوبك أصلا ؟ .. إنها مجموعة الدول المنتجة للبترول ، وهى قادرة على أن تجعل من هذه المنظمة قوة فاعلة ، مؤثرة ..

وفى اعتقادى أن هذا حاصل ، لكن الظروف كثيرة ، والملابسات لا حد لها .

والأمل كبير فى عمل فعال ..

خطوة للاستقرار

وهل يتم ذلك فى رأيك فى الاجتماع المقبل للأوبك ، أم أن الوضع سيكون على ما هو عليه دون تغيير؟

ـ من المؤكد أن هناك قرارت مصيرية ستصدر عن هذا الاجتماع المقبل لمنظمة الأوبك ..

وفى اعتقادي أنه من الممكن أن يعود الاستقرار للأسعار فى حالة واحدة ..

أتدرى ما هى ؟

إذا إتفق أعضاء الأوبيك على انتاج معين ..

عندئذ ترتفع الأسعار إلى مستوى محدد ..

وفى هذه الحالة سوف تعمل الدول على المحافظة على ثبات الأسعار ، حتى تضمن استقرار السوق ..

وما هى توقعاتك بالنسبة لسعر البرميل فى حالة اتفاق دول الأوبك على صيغة معينة للانتاج ؟

ـ أتوقع أن يتراوح سعر البرميل فى هذه الحالة بين ٢٠ و٢٢ دولاراً ..

طيب وكيف تؤثر الأوضاع النفطية الحالية على تسويق النفط القطرى ؟

ـ بصراحة لا صعوبة فى الوقت الحالى ، لكن الصعوبة قد تأتى مع استمرار تدهور السوق العالمية ، ولن نكون وحدنا فى هذا الموقف ، ستواجه الدول الأخرى نفس الظروف ..

أعود وأسألك ياشيخ راشد عن البترول كطاقة : هل أصبح مهدداً فى المستقبل القريب ، وهل تغني البدائل عنه فى أوروبا ، وكيف يمكن أن تواجه الدول البترولية هذا الموقف المتغير؟

ـ فى الحقيقة الدراسات مستمرة فى هذا المجال الهام ، وفى اعتقادى أن بدائل البترول ليست جاهزة على الفور ، وان الوقت سيطول ، صحيح أن المحاولات قائمة ، ولا بأس مادام العلم ينهض ويفكر ، ولكن دعنا نتعامل مع الممكن والقائم والمعتمد عليه حتى الآن ، وهو البترول ..

ومشروعات التصنيع القائمة على البترول فى قطر والخليج : كيف يمكن أن تزداد قوة لتواجه المستقبل ، وهل هى قادرة على هذه المواجهة ؟ ..

ـ هذه المشروعات كثيرة وقوية ومستمرة ، وفى قطر بالذات فإنها تتعدد وتتنوع وتتميز أيضا ، وهى الأمل فى الحاضر والمستقبل ، ولسوف تكون قادرة كما هى الآن على أن تحدد ملامح المجتمع الصناعى الحقيقى الذى نتطلع إليه ..

وشبابنا القطرى فى مجالات العمل بالمؤسسة : هل يؤدى دوره كما يجب ويزداد عدده ، ويكتسب الخبرة المطلوبة ، ويتولى المسؤولية بروح مبشرة؟

ـ صدقنى أنه كذلك فى حقيقته وجوهره ، وأن الاجابة عن هذا السؤال بنعم على طول الخط ، وأنا انتهز هذه الفرصة لأسجل فخرى وأعجابى بهذه الكوادر المتحمسة المتطلعة إلى تحمل المسؤولية بالكامل ..

ويسعدنى فى هذه المناسبة أن أسجل أن سياسة الدولة طبقا لتوجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى والشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية ورئيس مجلس إدارة المؤسسة ، هى اعطاء الشباب القطرى كل الاهتمام ومنحه الفرصة الكاملة فى كافة المجالات ..

وهناك بالفعل خطة طموحة لتقطير معظم الوظائف بالمؤسسة ، بحيث يتولى العمل فيها شباب قطرى مؤهل مدرب ..

وفى ذات الوقت فلقد قام مجلس إدارة المؤسسة باعداد خطة خمسية تمت الموافقة عليها ، فى هذا الصدد ..

وأقول لك هنا بوضوح إننا لن نتردد فى اعطاء الشباب القطرى الفرصة ، واعداده لتحمل المسؤولية فى كافة قطاعات العمل بالمؤسسة .

هنا دعنى أسألك ياشيخ راشد عن شبابنا القطرى بوجه عام : كيف تراه فى كل المجالات خارج المؤسسة ، هل هو واثق من نفسه ، تواق إلى المعرفة ، يؤدى دوره بكل جسارة أم أنه فى حاجة إلى تأكيد ذاته ؟

ـ صدقنى إننى أراه وثابا ، يحاول بكل ما يستطيع أن يساير العصر ، ويلحق بركب التقدم ، وأن يختصر الزمن ، ليثبت تفوقه ، ويؤكد نفسه . وأنا شديد التفاؤل بكل هذه الظواهر وأعتقد أن شبابنا سوف يكون عند حسن الظن به ، وسوف يكون قادراً على تحمل المسؤولية ، يشارك مشاركة بناءة فى صنع نهضتنا وتقدمنا ..

لكن ألا توجد فى رأيك ظواهر شبابية سلبية حتى على المستوى العربى ، وكيف يمكن تلافيها فى رأيك ؟

ـ فى الواقع فإن الأمر لا يخلو من سلبيات ، وهى فى رأيى ناتجة من محاكاة وتقليد القلة لمظاهر لا تمت إلينا كعرب بصلة ، والمطلوب فى مواجهة هذه الظواهر أن نقوم جميعا بدور فى التوجيه كأسرة ومدرسة ووسائل اعلام ، ثم لا تنسى أن اعتصام الشباب بالأيمان ، وتمسكه بالقيم ، واصراره على العلم الجاد والحقيقى ، كل هذا من المؤكد أنه يقود إلى السلامة وإلى بر الأمان ..

وكنت أنا الآخر قد وصلت إلى نهاية المطاف فى حديثى مع الشيخ راشد بن عويضة آل ثانى ، وأحسست أننى قد أطلت عليه ، وأن شواغله فى العمل كثيرة ومتشعبة ، فآثرت أن يكون السؤال السابق هو مسك الختام ، رغم أننى لم ألحظ عليه أى ضيق من طول الجلسة .

فقد طرحت على الشيخ راشد كثيرا من القضايا الهامة عن البترول وغير البترول ..

وكانت اجاباته وآراؤه تفصيلية ، مؤكدة ، وصريحة ..

وكان احساسى طوال جلستى معه ولا يزال أنه نموذج للشاب القطرى العربى ، القادر على تحمل المسؤولية ، المتقد الذهن ، المتفتح الفكر ، المعتز بعلمه وقيم مجتمعه ..

وبكل هذه المواصفات فإنه نموذج طيب لكل شبابنا العربى المتطلع إلى غد مشرق جديد ، والراغب فى تقدم حقيقى على أساس سليم ..

السيد حجازى

مع ازديـــاد المعرفـــة — هل سيقضي الإنسان على نفسه ؟

لويـز بـراون

•• نسمع هذه الأيــام عن أطفال الأنــابيب والتلقيح المخبــري والتلقيح الصنــاعى واستئجار الحمــل واستبدال الجنــين والرحم الصناعيــة وهندسـة الوراثــة فما معنى هذه العبارات ؟ وماذا يحدث للإنسان في هذا العصــر وماذا يُخبّئــه لنــا المستقبل ؟!

ولادة غيـر طبيـعية تثير ضجة عالمية

بقلم : الدكتور عــامر شيخوني

استطاع الإنسان أن يحافظ على بقائه رغم صعوبة الظروف الطبيعية التي يعيش فيها بفضل كفاءته في التلاؤم وقدرته على تغيير الظروف والأحوال وجعلها أكثر ملاءمة لحياته ولاستمرار وجوده على مر العصور.. كما استطاع الإنسان أن يحافظ على نوعه بفضل كفاءة طريقة تكاثره التي تعتمد على التزاوج بين الرجل والمرأة لإنجاب الأطفال ورعايتهم ضمن الأسرة.. وقد أحاط الإنسان تكاثره بهالة من الطقوس مثل طقوس الزواج والولادة ، كما ارتبط تطوره بكثير من القيم والأخلاق والمثل الدينية والاجتماعية مثل تقديس الأمومة واحترام الوالدين ومحبة الأبناء والحفاظ على الأسرة..والآن ، وبعد عدة ملايين من السنين ، يتعرض الإنسان لتحديات عميقة تواجه وجوده ذاته ، تحديات موجهة نحو تكاثره الطبيعي تهدد المفاهيم الأساسية التي بني عليها نجاحه وتطوره ، تحديات تهدد الأمومة وتهز كيان الأسرة الذي أرسى قواعده عميقة في تاريخ حياة الإنسان .. ومامصدر هذه التحديات الخطيرة إلا الإنسان ذاته ..!

يتكاثر الإنسان بالتزاوج ، إذ ينتج الرجل حيوانات منوية في حين تنتج المرأة البويضات ، ويبدأ تشكل الإنسان عند لقاء الحيوانات المنوية بالبويضة في رحم المرأة ، وينتج عن هذا اللقاء المثير بويضة ملقحة تبدأ فورا بالانقسام وتتكاثر بسرعة من خلية واحدة إلى ملايين الخلايا التي تشكل الجنين . يستمر نمو الجنين وتطوره في رحم المرأة الحامل تسعة أشهر كاملة يكتمل خلالها نموه ، ثم ينتقل بالولادة إلى مرحلة جديدة من حياة الإنسان .

وفي عام ١٩٧٨ ولدت لويز براون ، وأحدثت ولادتها ضجة عالمية لأنها كانت أول إنسان يولد نتيجة لنجاح الإلقاح الذي تم في أنبوب اختبار زجاجي ..! كان الحديث عن « طفل الأنبوب » في النصف الأول من هذا القرن مجرد خيال مستحيل أو أمر بعيد الاحتمال ، ولكن ولادة لويز براون أول أطفال الأنبوب أثبتت أن نجاح التقليح في المخبر (أوالتلقيح المخبري) ليس مجرد احتمال وإنما حقيقة واقعة ! والآن ، بعد مرور سنوات على نجاح التلقيح المخبري تتفتح آفاق جديدة في علم التوليد يبدو أمامها « طفل الأنبوب » مجرد مغامرة سهلة بسيطة ..!

أن يقوم الذكور بالحمل بدلاً من الإناث أصبح الآن حقيقة واقعة أمكن تطبيقها في حيوانات المخبر ! كما أمكن الحصول على أجنة حية من أناث الفئران دون الحاجة إلى

لويز براون

ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية



البويضات الملقحة في الحاضنة الصناعية بانتظار حدوث التلقيح المخبري الناجح ثم تنقل بعدها إلى رحم الأم.

ذكورها! هذا بالاضافة إلى نجاح عمليات التلقيح بين الأنواع الحيوانية المختلفة.. والسؤال الملح الآن هو: هل يمكن تطبيق هذه النتائج المخبرية على الإنسان؟ وماذا سيكون تأثير ذلك على حياة الإنسان وعلى وجوده؟

اقترح بعض العلماء استخدام الحيوانات للقيام بحمل الأجنة الإنسانية..! وفي هذا المجال تمثل البقرة احتمالاً جيداً لأن مدة الحمل الطبيعي لديها تسعة أشهر مثل الإنسان.. إلا أن نجاح التجارب التوليدية في حيوانات المخبر لايعني بالضرورة إمكان نجاحها في الإنسان أيضاً. كما أن تطبيق مثل هذه التجارب والمغامرات العلمية على الإنسان يواجه مشاكل أخلاقية وفلسفية عميقة.. فماذا سيحدث للإنسان الذي قد يولد نتيجة تلقيح مخبري؟ أو حمل حيواني؟ ربما كان النجاح كاملاً من حيث الشكل والتركيب العضوي، إنما ماذا سيكون شعوره؟ وأخلاقياته؟ ونفسيته؟ وتفكيره؟ قد يختلف العلماء والفلاسفة ورجال الدين كثيراً حول هذه التساؤلات إنما لاشك بأنهم يتفقون جميعاً على أن هذه الثورة الجديدة التي جعلت من التلقيح الصناعي واختيار جنس المولود والتلقيح المخبري حقائق واقعة، هذه الثورة الجديدة في علم التوليد ستؤثر على حياة البشر في المستقبل وسيكون لها دور هام في مستقبل الإنسان.

حلول ناجحة وآفاق جديدة

تحققت أكثر النتائج المخبرية الناجحة في علم التوليد الحديث أثناء بحث العلماء عن أجوبة وحلول لمشكلة العقم، وقد توصل العلماء حتى الآن إلى بعض الحلول الناجحة التي تم تطبيقها عملياً في أوروبا وأمريكا.



ولد هذا الطفل «جون دود» بطريقة استئجار الحمل في اسكوتلانده

١ ـ التلقيح الصناعي

أصبح التلقيح الصناعي الآن حقيقة عملية واقعة، ويقدر أن حوالي ٢٠,٠٠٠ ولادة تتم كل عام نتيجة للتلقيح الصناعي في أمريكا وحدها. يجري التلقيح الصناعي في عيادات خاصة تقوم بجمع وتخزين النطاف من رجال متطوعين وتشكل مايمكن أن يسمى «بنك النطاف» أسوة ببنك الدم وبنك قرنية العين... ثم يتم التلقيح الصناعي بحقن عينة النطاف في رحم المرأة، ويجب أن يتم ذلك في فترة الاباضة لدى المرأة التي يجب أن تكون مستعدة عضوياً ونفسياً لتقبل الجنين وحمله ورعايته. ويمكن أن تؤخذ عينة النطاف من الزوج أو من غيره.. وقد تقبل المجتمع الأمريكي والأوروبي تطبيق التلقيح الصناعي على الانسان رغم مايتضمنه من مشاكل أخلاقية ودينية واجتماعية، فقد يسبب سوء استخدام التلقيح الصناعي كوارث اجتماعية ونفسية تنعكس آثارها ليس على الأفراد فحسب وإنما على المجتمعات وعلى النوع الإنساني بشكل عام.. إذ قد يقدم بعض الأطباء مثلاً على إعطاء التلقيح الصناعي لغير المتزوجات، أو ربما أقدم بعضهم، كما حدث فعلاً في كاليفورنيا، على جمع عينات النطاف من رجال متميزين مثل حاملي جائزة نوبل للعلوم، ومن ثم بيع هذه النطاف لمن يرغب بالحصول على أطفال عباقرة مثلاً، أو أطفال طوال القامة أو زرق العيون أو ماتشاء المرأة من صفات تتضمن حتى جنس المولود.. وبذا قد تتحول عيادات التلقيح الصناعي إلى مركز بيع أجنة إنسانية تحت الطلب..! والمشكلة هنا هي تدخل إرادة الإنسان وأهوائه ورغباته في اختيار النسل واحتمال أن يعيق ذلك أو يسيء إلى الاختيار الطبيعي العفوي الذي أثبت جدارته في حفظ النوع البشري حتى الآن.

٢ ـ استئجار الحمل

لدى أطباء التوليد الآن إجابة أخرى على مشكلة العقم إذا كان عقم المرأة سبباً في عدم نجاح التزاوج الطبيعي، وذلك عن طريق استئجار الحمل..! ويتم ذلك بأن يستأجر الزوجان امرأة توافق بالتعاقد لقاء مبلغ من المال على قبول التلقيح الصناعي بنطاف الزوج وإتمام الحمل ومن ثم تسليم المولود إلى الزوجين..! وهذا يعني بالطبع استئجار الأمومة، وفي ذلك معارضة مباشرة لمفهوم مقدس في أغلب

المجتمعات الإنسانية ، كما يعترض بعض الأطباء على هذه العملية من وجهة نظر عملية تعتمد على أن تركيب الجنين العضوي والعقلي قد يتأثر بالحالة النفسية للحامل وخاصة بشعور المحبة والأمومة ، وصعب التنبؤ بالعلاقة النفسية بين المرأة التي تنوي بيع حملها وبين الجنين الذي حملته عن طريق التلقيح الصناعي .! وبالفعل فقد حدث أن رفضت إحدى هؤلاء النساء « الحوامل بالأجر » أن تسلم مولودها إلى الزوجين المستأجرين بعد تمام الولادة ، ولاشك بأن حكم القضاء في هذه الحالات صعب ومعقد .. إلا أنه بالرغم من هذه المشاكل الأخلاقية والقضائية أمام استئجار الحمل فإن هذه العملية قد طبقت فعلاً في حالات قليلة يمثل فيها هذا الطريق حلاً آخر لمشكلة العقم .

٣ ـ التلقيح المخبري

إذا كان سبب عدم نجاح التزاوج الطبيعي بين الزوجين هو عدم وصول البويضات من مبيض المرأة إلى رحمها ، يمكن تحقيق الحمل عن طريق التلقيح المخبري أو مايسمي بصنع « طفل الأنبوب » . ويتم انتاج « طفل الأنبوب » بأخذ بويضة من مبيض المرأة وتلقيح هذه البويضة في المخبر بنطاف زوجها ، ثم بعد حوالي يومين أو ثلاثة من الحضن في أنبوب اختبار ضمن ظروف مناسبة تزرع هذه البويضة الملقحة في رحم الزوجة حيث يكتمل الحمل وتتم الولادة كما هو الحال في التطور الطبيعي للجنين . وبذلك نرى أنه في استخدام اصطلاح : « طفل الأنبوب » ايحاء خاطىء بأن المولود ينتج عن حمل في انبوب اختبار ، والحقيقة أن الالقاح وفترة قصيرة جداً من بداية تشكيل الجنين فقط تحدث في الأنبوب ، في حين يكتمل الحمل ضمن ظروف رحم الأم الطبيعية .

يمثل التلقيح المخبري حلاً لمشكلة العقم يمكن قبوله من الناحية الأخلاقية والدينية والقانونية ، إلا أنه حل أقل نجاحاً من الناحية العملية ، ويعتقد الأطباء بأن هذه النتائج ستتحسن في السنوات القادمة كما



الطفل دانييل بروكس ، أحد أطفال الأنابيب وهو في الشهر الرابع من عمره

■ المجتمع الغربي تقبّل التلقيح الصناعي رغم مايثيره من المشاكل الأخلاقية والدينية والاجتماعية

■ هل يمكن زيادة النبوغ في الأجيال الجديدة عن طريق أطفال الأنابيب؟

حدث عندما طبق التلقيح المخبري على الحيوانات الزراعية إذ تنجح هذه الطريقة الآن عند الحيوانات في حوالي ستين بالمئة من الحالات في حين كانت النتائج غير ناجحة عندما بديء في تطبيقها منذ عشر سنوات . ومن ناحية أخرى قد يساء استخدام التلقيح المخبري أيضاً إذ قام بعض الأطباء مثلاً بإجراء التلقيح المخبري بين بويضات منتقاه ونطاف مميزة بحيث يمكن التحكم بصفات المولود وبالتالي التحكم بالنسل وفق الرغبات والأهواء .

٤ ـ استبدال الجنين

يتم استبدال الجنين بأن يستأجر الزوجان امرأة توافق بالتعاقد لقاء مبلغ من المال على قبول التلقيح الصناعي بنطاف الزوج ومن ثم بعد نجاح الالقاح وبدء التطور ينقل الجنين إلى رحم الزوجة حيث يتم الحمل والولادة كما هو الحال في الظروف الطبيعية .! ولهذه الطريقة بعض المزايا على طريقة استئجار الحمل منها قلة التغيرات العضوية والنفسية لدى المرأة المستأجرة لأن الجنين ينقل من رحمها في مرحلة مبكرة جداً من الحمل ، كما أن إتمام الحمل في رحم الأم يضع العلاقة بين الجنين والأم في حالة أكثر ملاءمة تشابه الحمل الطبيعي .

ومن الناحية العملية يصعب تطبيق عملية نقل الجنين بنجاح عند الانسان لأن هذا يحتاج إلى توافق كامل في الدورة الطمثية بين المرأة المستأجرة لاستقبال النطاف وبين الزوجة التي ستتم الحمل ، وقد يتعرض الجنين أثناء النقل إلى مخاطر كثيرة ربما سببت التشوه أو الوفاة ، كما أن استخراج الجنين من رحم المرأة قد لايكون ممكناً في بعض الحالات مما يعرض المرأة لاحتمال الالتزام باستمرار الحمل أو للقيام بالاجهاض .. هذا بالاضافة إلى ماتشكله عملية نقل الجنين وبيعه من تحديات أخلاقية ودينية وفلسفية .

الرحم الصناعية

تجرى الأبحاث بشكل مكثف في أوروبا وأمريكا لاختراع رحم صناعية .! وإذا تم اختراع الرحم الصناعية بنجاح فإن هذا سيحقق ثورة جديدة ستؤثر بعمق على حياة الإنسان في المستقبل . فإذا استطاع العلماء صنع رحم أو آلة تقوم بحقن جنين الإنسان حتى اكتمال تطوره فإن هذا سيكون بداية الطريق إلى مايمكن تسميته بمصانع البشر حيث يتم انتاج البشر في هذه الحاضنات الصناعية كما ينتج الدجاج في المداجن الحديثة ..! ويمكن الحصول على البويضات الملقحة اللازمة لبدء تطور الجنين عن طريق التلقيح المخبري أو عن طريق نقل الجنين ذاته من رحم المرأة الحامل إلى الرحم الصناعية حيث يتم الحمل والتطور ومن ثم « الانتاج » إذ لايمكننا عندها أن نتحدث عن « ولادة » الإنسان وإنما عن

لويز براون

ولادة غير طبيعية تثير ضجة عالمية

انتاجه .! وربما امتد الأمر إلى نقل الجنين من رحم الأم إلى رحم إحدى الحيوانات ، كالبقرة مثلاً ، حيث يتم الحمل والولادة .! وإذا أضفنا التلقيح المخبري إلى هذه الاحتمالات حصلنا على صورة أخرى من صور مصانع انتاج البشر حيث يحضر الجنين بالتلقيح المخبري وينقل إلى رحم حيوانية أو رحم صناعية حيث يتم الحمل والانتاج .! ولا شك بأن مجرد تخيل مثل هذه المصانع البشرية يثير في النفس قشعريرة ورهبة ، إلا أن تحقيق مثل هذه الأمور عملياً أمر غير بعيد الإمكان ، فقد تم بالفعل نقل الجنين من حيوان إلى آخر بنجاح ، كما أمكن تغيير ظروف الرحم في الحيوانات بحيث تستقبل وتحمل أجنة أنواع أخرى من الحيوانات وربما كان من الممكن تطبيق مثل هذه التغييرات على رحم البقرة لكي تستقبل وتحمل جنين الانسان ..! ويظل التساؤل الممض بدون إجابة : ماذا سيكون تأثير « الحمل البقري » أو الحمل في الرحم الصناعية على المولود الإنساني؟ هل سيكون هناك أي خلل أو اضطراب عضوي أو نفسي أو عقلي ؟ هل سيقترب المجتمع الانساني من ذلك المجتمع الذي تنبأ به جورج برناردشو في مسرحيته « العودة إلى ميتوشالح » حين وصف « مصانع » انتاج البشر ..؟ ولا يمكن المرء إلا أن يتساءل عما سيكون دور الجنس في حياة إنسان المستقبل ..؟!

هندسة المورثات

يقترب علماء الوراثة نحو التحكم بانتاج البشر أيضاً إنما من زاوية أخرى هي التحكم بالمورثات ، إذ أن جسمنا يتألف من خلايا في كل منها نواة تحتوي على سلاسل ملتوية تسمى الصبغيات . تحمل الصبغيات في تكوينها الكيميائي الخاص كافة الصفات الوراثية بشكل مجموعات من المورثات ، وتتألف المورثات بدورها من حموض نووية هي الحامل الحقيقي للصفات الوراثية : تخزن المورثات صفاتنا الوراثية بحسب تسلسلها وترتيبها مثلما تخزن الذاكرة الألكترونية معلوماتنا في أجهزة الكومبيوتر . إن اختلافنا كأفراد من الناحية العضوية يعود في الأصل إلى اختلاف مورثاتنا الموجودة في نواة كل خلية من خلايا جسمنا ، فإلى هذه المورثات تعود صفاتنا المختلفة من لون الشعر إلى لون العيون ومن الطول إلى السمنة إلى الصلع إلى الجمال ... يسود هذا الأسلوب في حمل ونقل الصفات الوراثية كل المخلوقات الحية على هذا الكوكب السيار ، إذ تتألف الكائنات الحية من خلية أو خلايا تحتوي على مورثات تحمل الصفات الوراثية ، وإن وحدة هذا الأسلوب تتجلى لدى دراسة الكائنات الحية من الفيروسات وإلى الجراثيم وإلى النباتات وإلى الحيوانات المختلفة . ويعود اختلاف وتنوع هذه الكائنات الحية التي تعمر الأرض أصلاً إلى اختلاف مورثاتها .

والآن .. إذا استطاع الإنسان أن يتحكم في هذه المورثات فإن قدرته ستمتد إلى التحكم في الصفات الوراثية لكافة الكائنات الحية بما فيها الانسان نفسه ..! ومن دراسة المورثات في الجراثيم والحشرات والنباتات والحيوانات والإنسان نشأ علم جديد هو علم الوراثة وعلم التحكم بالمورثات أو « هندسة المورثات » . استطاع مهندسو المورثات حتى الآن أن يتحكموا بمورثات بعض الجراثيم وتسخيرها لأغراض صناعية وطبية مثل انتاج الانسولين ، ومازالت معلوماتهم وخبراتهم تتراكم وتتزايد كل يوم بحيث نقترب تدريجياً من عصر قد يصبح فيه التحكم بمورثات الإنسان أمراً غير بعيد الاحتمال .. وهذا يعني أننا نقترب من التحكم بصفات الإنسان عن طريق التحكم بمورثاته التي تحمل في طياتها وتسلسلها سر اختلافنا وتنوعنا .

هل سيستخدم الإنسان هذه القدرات الجديدة لصالحه أم أنه سيحيلها إلى سلاح جديد من أسلحة الدمار؟ يمكن لهندسة



روبرت جراهام في مختبره بكاليفورنيا حيث يحتفظ بنطاف بعض الفائزين بجائزة نوبل للعلوم

المورثات أن تقضي على الأمراض الوراثية والخلقية نهائياً عن طريق ازالتها من المورثات أصلاً. ومن ناحية أخرى قد يساء استخدام طرق التحكم بالمورثات ويتحول الى تحكم الانسان بالمخلوقات الحية وفق أهوائه ورغباته لتشكيل صفات جديدة وربما أنواع حياتية جديدة لم توجد من قبل لا يعلم أحد ولا نستطيع أن نتصور ماسيكون مدى تأثيرها على التوازن الطبيعي في العالم. وأحب أن أؤكد هنا أن التحكم بالمورثات وصنع أنواع جديدة من المخلوقات ليس خلقاً وإنما تشكيلاً للحياة في صور أخرى وهو تشكيل جديد وتركيب مغاير يخضع أولاً وأخيراً الى قوانين الحياة ذاتها والى سنن الخالق ونواميسه منذ بدء الخلق. أما الخلق نفسه فهو قدرة إلهية يختص بها الخالق وحده سبحانه ولم يستطع الانسان ولن يستطع أن يخلق حتى ذبابة صغيرة.

الاستنساخ

تحتوي كل خلية من خلايا جسمنا على المورثات، ويحمل كل منا مورثاته الخاصة به والمتميزة عن غيره، إلا أن كل خلية من خلايا جسم الفرد منا تحمل نسخاً متماثلة تماماً من المورثات التي تعود في الأصل الى تلك المورثات التي أخذها عن والديه عند الإلقاح. تتحكم المورثات بالجسم منذ الإلقاح حتى الوفاة، ويرجع شكل المرء ونشاطه ووظائفه الحيوية المختلفة الى تلك المورثات المكونة في خلاياه. ولذا يبدو أنه من الممكن نظرياً أخذ خلية من خلايا جسم فرد منا وتطويرها ضمن شروط مناسبة الى فرد آخر يمكن اعتباره «نسخة طبق الأصل» منه ... لأن كل خلية من خلايا الفرد الجديد ستحمل مورثات هي نسخة طبق الأصل من مورثات الفرد الأصلي.. وإذا أمكن استنساخ فرد طبق الأصل فليس هناك مايمنع من استنساخ أفراد يشكلون سلسلة من الأفراد المتشابهين تماماً من حيث البنية الوراثية مثل سلسلة من التوائم الحقيقية..! وربما استطعنا في المستقبل أن نحصل على سلسلة من العباقرة وسلسلة من الموسيقيين وسلاسل أخرى حسب الطلب والحاجة..!

ونجح العلماء حتى الآن بالحصول على سلاسل متماثلة من الخلايا الحيوانية والانسانية في المختبرات، وتسمى هذه السلاسل من الخلايا المتماثلة «مزارع الخلايا». إلا أن تشكيل سلسلة من الخلايا المتماثلة يختلف عن استنساخ مخلوق متكامل مثل الإنسان، لأن جسم الانسان ليس مجرد سلسلة من الخلايا المتماثلة المتراكمة فوق بعضها في شكل معين، إنما يتألف جسم الانسان من بلايين من الخلايا المتخصصة التي تقوم بوظائف مختلفة متكاملة ومنسقة في نظام رائع التوازن رغم أن كلاً من هذه الخلايا تحمل نسخاً متماثلة تماماً من المورثات. يقودنا هذا مباشرة الى السؤال الذي مازال العلم الانساني محتار في إجابته: كيف نفسر اختلاف شكل ووظائف خلايا جسم الانسان رغم احتوائها على نسخ متماثلة تماماً من المورثات؟

تنشأ جميع خلايا الفرد منا من خلية واحدة في الأصل هي البويضة الملقحة. تتكاثر هذه الخلية بالانقسام المتكرر وتتطور الخلايا الجديدة وتتخصص الى خلايا ذات أشكال ووظائف متباينة مختلفة فتذهب بعضها لبناء الدماغ وأخرى الى الكبد وأخرى الى العظام أو الجلد أو العضلات وتقوم بوظائفها بشكل متناسق متكامل. كيف نفسر هذا التخصص في وظائف الخلايا وأشكالها رغم احتوائها على الأوامر والمعلومات الوراثية ذاتها؟ يجب علينا فهم تخصص الخلايا وأن نستطيع التحكم في هذا التخصص قبل أن نتمكن من استنساخ الأفراد. ومازال علم تخصص الخلايا في بداياته الأولية، ومازالت معلوماتنا عن تخصص الخلايا مثل معلومات انسان الكهف البدائي عن الطاقة الذرية.. إلا أنه لامعنى لكلمة مستحيل أمام الجد والعمل، وبمزيد من البحث العلمي والاستقصاء المستمر ربما توصل الانسان ذات يوم الى فهم تخصص الخلايا، وربما تمكن من التحكم به، وربما تمكن الانسان بذلك ذات يوم من استنساخ سلاسل متماثلة لامتناهية من البشر.

■ هل يتقبّل الإنسان قيام الأبقار والآلات بدَوْر الحاضنة للجنين البشري؟

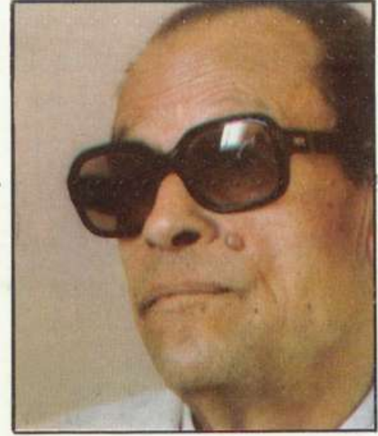
■ هندسة الموروثات قد تقضي على الأمراض الوراثية لكنها تفتح الباب لمشكلات جديدة

اختبار الحكمة

تتزايد قدرة الانسان على التحكم بالطبيعة مع ازدياد معرفته وتقدم علومه، وكلما ازداد الإنسان قوة ازدادت حاجته الى ضبط النفس، وازدادت حاجته الى الحكمة والصلاح، فالقوة هي الإختبار الحقيقي للحكمة والصلاح. يتقدم الإنسان في هذا القرن بسرعة متزايدة ويقترب تدريجياً من لحظة الخطر، فقد تصبح قدراته المتزايدة خطراً يهدد التوازن الطبيعي ويهدد وجود الانسان بل وجود الحياة ذاتها على هذا الكوكب العزيز.. يحتاج الإنسان الآن أكثر من أي وقت مضى الى تضافر قوى الخير والحكمة في هذا العالم لكي يكبح جماح قوته المتزايدة ولكي يتمكن من توجيه معارفه وطاقاته الى كل مافيه خير الإنسان والحياة.

عامر شيخوني

الفجر الكاذب



قصة جديدة بقلم الكاتب الكبير

نجيب محفـــوظ

كأنما هو سباق بينى وبين قرص الشمس المائل نحو الغروب . بلغت شارع ابن ياسر المكلل بأشجار الأكاسيا على جانبيه . تستبق فوق أديمه السيارات فى تيارات متدفقة وتقوم فى موقع من وسطه العمارة بمدخلها الواسع الممتد وضوئها المشع من داخل الجدران الشفافة . رفعنى المصعد إلى الدور الثامن . ضغطت على الجرس ففتحت الشراعة عن وجه الخادم . تقدمنى إلى الثوى المكون من ثلاث حجرات متصلة فجلست على مقعدى فى الأعماق . أزاح الرجل ستارة وفتح نافذة فتدفق هواء الخريف . وهلت سيدتى فى فستان أزرق آية فى البساطة والرقة وشبشب أزرق مذهب السير ، ترنو إلى بعينيها النجلاوين الثاقبتين وأنا أتعجب من صفاء بشرتها . سألتنى عما أحب أن أشرب فطلبت القهوة فقالت إنها سلت بعض فراغها بصنع شيكولاطة بالبسكوت ، قلت إذن أتناول واحدة ، وأمرت لى بما طلبت . ونظرت فى وجهى مليا وقالت :

بريشة: سلمان المالكي



الفجر الكاذب

- واضح أنك لم تتقدم خطوة مفيدة .
فقلت فى تسليم :
- هذه هى الحقيقة .
تساءلت ضاحكة :
- ترى أهو ذنب المشكلة أم ذنبك ؟
- لا أدافع عن نفسى ولكن لا يمكن أن أتهم بالاهمال .
- كأننا لم نبدأ بعد .
- وهذا ما يؤرقنى .
وجاء الخادم دافعا أمامه خوانا يحمل القهوة والشيكولاطة . وتركتنى أحتسى القهوة فى هدوء ، ودون أن يزايلنى التوتر . وقلت برجاء :
- لا تسيئى بى الظن .
- تهمنى النتائج لا النوايا أو الأقوال .
- نحن فى زمن عجيب ، شهدنا انسانا يهبط فوق سطح القمر ، ونرى السوق ملأى بكتب عن القوى الخفية ..
- لا يعنى هذا أن يقف الانسان مكتوف اليدين وهو يعلم أنه عرضة للهلاك فى أى لحظة .
- لم أقف مكتوف اليدين وطالما أتعبت سعادتك معى ..
- أمرك يهمنى كما تعلم .
فبسطت راحتى على صدرى وأحنيت رأسى شاكرا . ثم قلت :
- طبعا سمعت عن الذى قتل والديه ؟
- والتى قتلت ابنها ، وقديما سمعنا عن ريا وسكينة ، ماذا تريد أن تقول ؟
- يشعرني ذلك باقتراب القدر .
فقامت لتغادر المكان وهى تقول :
- سأحرر لك رسالة للبك .
وغابت حوالى ربع ساعة ثم رجعت فسلمتني رسالة مطوية فى مظروف مغلق ، وتساءلت :
- هل تبقى للعشاء ؟
فقمت بدورى شاكرا وغادرت الشقة . ليل الخريف هبط بسرعته المألوفة ، وأضواء السيارات المبهرة اقتحمت الأعين . وذكريات متلاطمة تفعل باحساسى ماتفعله أضواء السيارات المبهرة ولكنها تختفى وتضيع قبل أن أقبض عليها . فالدنيا تبدو مراوغة مثيرة للحيرة والقلق . ومضيت من توى الى شارع البورصة ، الى مشرب الزهرة ، الصغير الانيق الذى لا يتلاشى الجالس فيه . طلبت من النادل سندوتش لحم بقرى وقدح شاى ، وقال لى الرجل قبل أن يذهب :
- سألت عنك .. وستجىء لمقابلتك بعد قليل .
سررت بذلك . وتناولت عشائى وانتظرت . ولم يطل بى الانتظار فجاءت تخطر فى بنطلونها بجسمها الرشيق الثرى ووجهها الأسمر الصافي المنمق ، وقد ارتدت جاكته من الجلد البنى . وطلبت الشاى كالعادة وهى تنظر الىّ فى عتاب .
- لم أرك منذ أيام .
- آسف ، أنا غريق فى مشكلتى ، وأمضى من وسيط الى وسيط ..
- لم يمنعك ذلك من ملاحقتى كظلى فى وقت مضى .
- لا يمنعنى عنك الا عذر قاهر .
- ولكنك تدور فى حلقة مفرغة لا ترى لها نهاية .
- لولا أنه يوجد فى الدنيا أمل كالذى تعديننى به لانتهيت من زمن بعيد .
استشعرت شيئا من الحياء وهى تتساءل :
- لماذا تصر على تأجيل زواجنا حتى تحل جميع مشكلاتك ؟
- هذا هو التصور الطبيعى .
- ولكن الزواج يهيّىء لك نصف الامان على الأقل فأخى من كبار رجال الشرطة !
فقلت وأنا أنظر فى عينيها باشفاق :
- خصمي شخص مجهول .
- هو أيضا لم يهتد إليك بعد ، وقد يساعدك أخي على معرفته .
- أتمنى أن أتزوج وأنا رائق البال .
- لا عقبة فى طريقنا إلا ما ينبثق من ذاتك .

عاودتنى عواطف صافية من زمن مضى فرمقتها بحنان وحب وقلت :
- فلنجلس لنحلم فى عذوبة وهدوء ، وقريباً سوف تنقشع الهموم .
وتبادلنا حبا عميقا بلا كلمة ولا حركة . وفى لحظات عابرة بدت الدنيا مراوغة وتلاشت حبيبتى من مجلسها القريب . وعادت مرة أخرى مشرقة الوجه فواصلنا الحب المتبادل الصامت . ولما تركتنى تذكرت بزهو عنادى فى مطاردتها حتى انتزعت من صميم قلبها الاعتراف بالحب . وأمدنى اللقاء بحماس جديد فقمت لأقابل البك واسلمه الرسالة . ذهبت الى النادى بشارع الشط الأخضر .

وجدته جالسا مع نخبة من الأصدقاء فى الشرفة المطلة على الحديقة الواسعة . ولما رآنى مقتربا قام مستأذنا من صحبه ، وصافحنى اكراما طبعا للهانم ، ومضى بى الى الثوى الأخضر . أجلسنى قريبا منه ونظر الىّ بعينيه الثقيلتين وبوجه لا يعبر عن شيء ، وسألنى :
- هل من جديد ؟
فقلت بأسى :
- اقابل أناسا وأتلقى وعودا .
وتناول منى الرسالة وأبقاها فى يده المنبسطة وتساءل :
- ألا يقنعك هذا ؟
- أريد أن يتحقق وعد .
- لكل عمل يشغله ، هذه أيام الصرف الصحى والعدوان على تونس وخطف السفينة الايطالية ثم خطف الطيارة المصرية .. والدولار .
- مشكلتى غاية فى البساطة .
- أنت تتصور ذلك ، لا ، انظر الى الموضوع بعين محايدة ..
- لكن حياتى مهددة !
- هل تعرف عدد الفلسطينيين الذين قتلهم الاسرائيليون ؟ .. والفلسطينيين الذين قتلهم العرب ؟ .. وضحايا العنصرية فى جنوب أفريقيا .. والطائفية فى لبنان ، وضحايا الزلازل والبراكين ، والسموم البيضاء ، والمظاهرات ؟
فقلت وأنا أنظر بين قدمى :
- ما على إذن إلاّ أن استسلم للموت ..
- بل أعنى أن تصبر وتعتمد على النفس .
- أليس من الحكمة أن أستثمر علاقاتى بالرجال الكبار؟
- لن ينقذك إلا اعتمادك على نفسك ، افعل ما فعله رمسيس الثانى عندما حاصره الحيثيون وأوقعوه فى الشرك ..
فقلت وأنا أداري ابتسامة :
- سيدى ، أنا لست رمسيس الثانى .
- لتكن رمسيس المائة أو الألف ..

وتنبه للرسالة بين يديه ففض المظروف وقرأها بعناية . ونادى النادل فطلب رسالة ومظروفا وفى تلك الاثناء هفت الى أنفى رائحة مسك فلم أستطع أن أخفي اضطرابى ، فسألنى عما ألم بى ، فكاشفته بما تردده الشائعات عن خصمى المجهول قلت :
- انه يتطيب عادة بالمسك .
فقال الرجل بضجر :
- وغيره كثيرون ، لا أظنه عضوا فى نادينا ..

وغرقت فى مستنقع الهواجس على حين راح هو يكتب التوصية الجديدة ، ثم سلمها الى

فى مظروف مغلق . وغادرت النادى ، ولما قرأت اسم الوسيط الجديد رأيت أن أذهب إليه ضحى الغد . وذهبت إلى مسكنى بشارع الجندى المجهول ، غيرت ملابسى وجلست أمام التليفزيون أشاهد فيلماً بطله سيارة تندفع ذاتيا وتقتل من يصادفها من البشر . شقتى صغيرة بالية ولكن الزمن رفعها ألف درجة وجعل منها درة لا يفوز بها إلاّ ذو حظ سعيد . وقد أقمت بها مع قريب على عهد التلمذة ثم استقللت بها بعد انتهاء دراستى الجامعية وتعيينى فى الوزارة . ورن جرس الشقة فعاودنى الشك الذى اجتاحنى حين شممت رائحة المسك . ومضيت إلى العين السحرية فطالعنى وجه جارتى المقيمة فى الشقة المواجهة لشقتى . ماذا جاء بها دون طلب أو اتفاق ؟ دخلت ملتفة فى روب وردى مشرقة الوجه بالزواق ، ولما رأت فتور وجهى قالت :

ـ لا تحب أن ترانى إلاّ وقت الحاجة .

وجلست على مقعد قريب من مقعدي وهى تقول :

ـ لا يوجد زبائن فقلت أسلى وحدتى بجلسة بريئة !

ثم بعد صمت :

ـ ماذا جرى للزبائن ؟

فقلت دون أدنى اكتراث :

ـ لعلها الحالة الاقتصادية .

ـ أنا لا أتعامل بالدولار .

وتفحصتني قليلا ثم قالت :

ـ مازلت غارقا فى همومك ؟

ـ طبعا

ـ يوجد فى قريتى من يصمم على قتلى لو عثر علىّ ولكنى لا أفكر فى الغد .

فقلت بحياد :

ـ كل شيخ وله طريقة .

ـ لكل أجله وهو يعمل مستقلا عن الأسباب .

فقلت وأنا أداري غيظي :

ـ فلسفة عظيمة ، أنت امرأة سعيدة ..

ـ لا .. وزنى ثقيل ، وهو آخذ فى الازدياد ، وتسبب فى حرمانى من تعلم الرقص ..

ـ ولكن الشهرة ليست فى صالحك وقد تدل عليك من يريد قتلك .

وانقطع حبل الحديث . ولم تجد من ناحيتى أى رغبة فى وصله ، فسلمت بفشل مهمتها ، وانصرفت وهي تلوح لى مودعة . وأنا أهم بالنوم عاودنى الاحساس بأن الدنيا تراوغنى ، فخيل إلىَّ أن جارتى لم تأت لزيارتى ، وخيل إلىَّ حينا آخر إنها ترقد إلى جانبى ، وفى الصباح ذهبت إلى الوزارة . هى المكان الوحيد الذى ألقى فيه الاحترام وأسمع الثناء تلو الثناء . ولى زميل غاية فى الدماثة والمودة ، وهو يحثنى دائما على أن أعيش حياتى ، وأن أستهين بالظنون والأقاويل التى لا يقوم عليها دليل مادى . يقول لى :

ـ من منا لا يتربص به الموت ؟

ودعانى ذلك الصباح إلى الاشتراك فى رحلة إلى جنوب سيناء فوعدته بالتفكير فى الأمر . وعند الساعة العاشرة استأذنت فى الانصراف لعذر هام ، وغادرت المؤسسة إلى شارع الوادى الجديد حيث توجد عيادة الوسيط الجديد الذى أحمل إليه الرسالة . ورجوت التمورجى أن يوصل الرسالة إلى الطبيب فذهب بها ثم عاد بعد دقائق ليأذن لى فى الدخول فورا . وجدت الطبيب جالسا وراء مكتبه يطالعنى بشخصية قوية وعينين نافذتين ، غير أنه توكد لدى ما يحظى به صاحب الرسالة من منزلة فريدة عنده . قلت :

ـ أعتقد أنى قادم إلى سعادتك بصفتك الشخصية لا المهنية .

فسألنى بجدية :

ـ ما الذى حملك على هذا الاعتقاد ؟

ـ مشكلتى ، بل كل مشاكلى ، لا علاقة لها بالطب .

ـ لكن الطب له علاقة بكل مشكلة ، على أى حال ظنك فى محله ، وما نريد إلاّ أن تمكث فى مصحة لى بحلوان فترة من الزمن حيث يتهيأ الأمان والأمن .

ـ ولكنى بعد خروجى سأرجع إلى ما كنت فيه .

ـ أو يكون الوسطاء قد تمكنوا من تصفية مشكلاتك فى أثناء ذلك .

ـ ولكن المصحة ستسيء إلى سمعتى !

ـ مصحتنا تعيش فى سرية كاملة .

وترددت متفكرا فتساءل :



ـ ألا يوجد فى حياتك ما تخجل منه أو تندم عليه ؟

ـ هذه مسألة أخرى .

ـ بل لعل كثيراً من المشاكل يرجع إليها .

فقلت بيأس :

ـ إذن فأنا ذاهب للعلاج .

ـ لن افرض عليك شيئا لا تريده .

وقلت بمرارة وكأنما أخاطب نفسى :

ـ كيف أعيش بين مجانين !

فتساءل متهكما :

ـ وهل تعتبر نفسك عائشا بين عقلاء ؟!

وانفجر قلقى فقلت :

ـ معذرة ياسيدى ، لن أذهب إلى المصحة .

فقال بهدوء كريه :

ـ فى هذه الحالة سأوصى إليك بأن يتركوك لشأنك دون رعاية أو عناية .

فقلبت النغمة قائلا :

ـ اعطنى مهلة قصيرة .

فقال موافقا :

ـ لك ذلك .

أنفقت بقية النهار متسكعا ، وتجاذبتنى طوال الوقت الحقائق والأحلام ، ولم تبق إلا خطوة يسيرة لأتساءل عمن أكون وفى أى مكان أقيم والزمان الذى أعاصره . ورجعت مساء إلى عمارتى ولكنى قصدت شقة الجارة لا شقتى . وخيل إلىَّ انها استقبلتنى دون مبالاة ، وربما بشيء من الجفاء ، وكأنما تعاقبنى على اعراضى عنها ليلة أمس . ولكن مسكنها يضفى على شعورا بالألفة ، ولا يخلو من فتور وضجر واحساس شبه خفى بالخيبة . وهو بعيد كل البعد عما يجده الزائر المتسلل من التوتر والمغامرة . ولكيلا تتساءل عن سر غيابى الوشيك زعمت لها أنى راحل إلى قريتى لمهمة طارئة . وفى الصباح اعددت حقيبتى وذهبت إلى المصحة بحلوان . وهى مبنى رائع يقع فى اقصى المدينة ، ويقوم على هضبة تطل على الصحراء . واخترقت حديقة واسعة لأصل إلى البناء فى العمق ، وقادونى إلى جناح يتكون من صف طويل من الحجرات ، تفتح ابوابها على ممشى طويل يتصل بالحديقة بسلم رخامى يشغل الوسط . وتبدت حجرتى بيضاء الجدران والسقف ، بها ما يلزم من فراش وصوان وخوان ومقعدان . ولبثت وحيدا حتى جاءتنى ممرضة ناضجة الشخصية والانوثة بالغداء . سألتها عن الطبيب فأجابت بأدب :

ـ سيجىء فى وقته !

وأعطتنى قارورة صغيرة تشف عن أقراص بيضاء خالية من أى ملصقات وقالت :

ـ حبة بعد كل وجبة .

الفجر الكاذب



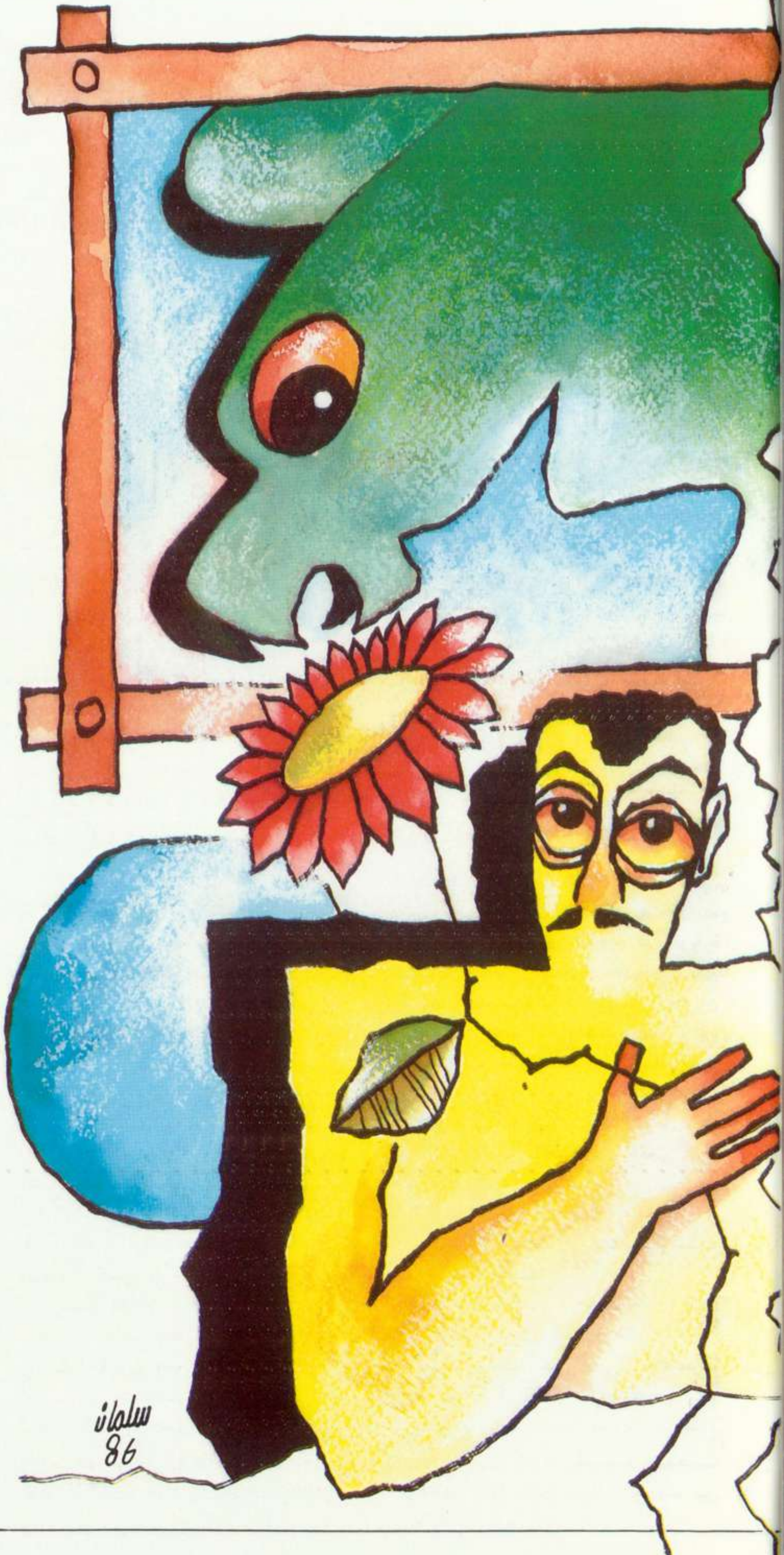
فقلت محتجا :
– ولكننى لست مريضا ..
فقالت بهدوء وهى تغادرنى :
– ليست مصحتنا للمرضى ولكنها للراحة والأمان .

وأخذت أشعر بالندم على المجيء ، وانتظر فى ملل متصاعد . وفى تمام الخامسة مساء ، انفتح الباب ودخل الطبيب . جلس على المقعد الآخر أمامى وقال :
– بداية حسنة فانعم بالأمن والأمان .
فقلت بقلق :
– ولكنى اتعاطى دواء .
– ما هو إلاَّ مهدئ وفاتح للشهية .
– ومتى يستحسن أن أذهب ؟
– وقتما تشاء من ناحية المبدأ ، أما إذا راعينا مصلحتك فالأوفق أن تذهب بعد أن تؤدى الامتحان ..
– أى امتحان ياسيدى ؟
– ما عليك إلا أن تسجل على الورق أكبر مشكلة مصرية ، وأكبر مشكلة عالمية ، ثم تفكر فى الحل المناسب لكل منهما .
فندت عني ضحكة عالية وقلت :
– لاشك أنك تمزح ياسيدى .
فقال بجدية وبرود :
– ليست مصحتى مسرحا فكاهيا .
فقلت متراجعا :
– معنى هذا أننى سأبقى هنا الى الأبد .
– إنها محاولة لمعرفة تصورك ليس إلا ، وعقب ذلك تذهب بسلام .
– ولكن ما علاقة ذلك بمشكلتى أنا ؟
– إذا استطعت أن تقدم تصورا لحل مشكلتى مصر والعالم فلاشك أنك تستطيع ذلك بالنسبة لمشكلتك الخاصة .
– لكن مشكلتى من نوع خاص .
– ولو ، لن تكون أعقد من مشاكل العالم .
– أنت تعلم ولاشك أننى مهدد بالقتل فى أى لحظة .
– كلنا مهددون بالقتل فى أى لحظة !
وسكت مغلوبا على أمرى حتى همّ بالذهاب فسألته :
– هل يشترط أن تكون الاجابة صحيحة ؟
– لا أحد يزعم أنه يعرف الاجابة الصحيحة ليقيس عليها ، حسبك أن تقدم تصورا معقولا ..

وعلى أثر ذهابه جاءتني الممرضة بورقة مسطرة وقلم رصاص ووضعتهما على الخوان ، جذبتنى بقوة إلى انوثتها ونضجها دون أن تتكلف كلمة أو حركة . وانبعثت فى آمال عجيبة ملأتنى جرأة وفى الوقت نفسه محت صورتها من قلبى العالق من خطيبتى وجارتى . قلت لها :
– إنى مدين لك بحسن الرعاية
فقالت بجدية وحياء :
– انى أؤدى واجبى .
ونظرت إلى خاتم الزواج فى يسراها وتساءلت :
– سعيدة فى زواجك ؟
فقالت بدهشة :
– سؤال غريب !
– لا مؤاخذة ولكن لى هدفا .
– أى هدف ؟
– إذا خطر لك أن تجربى حظك من جديد فإننى على أتم الاستعداد للزواج منك .

فغادرت الحجرة دون أن تنبس بكلمة . وسرت فيَّ قشعريرة إحباط وبرودة ، وضقت بالحجرة فخرجت إلى الممشى . بعض النزلاء يجلسون أمام الحجرات أو يتمشون . جارى رجل فى الأربعين ، حدجني باهتمام فتبادلنا التحية . واقترب منى وسألنى عما جاء بى فلخصت له الموقف فى شيء من التحفظ ثم سألته بدورى عما جاء به فقال :
– لعلى الوحيد بينكم الذي جاء بلا مشكلة !
– ولكن كيف ؟
– أنا رجل ميسور الحال ، صاحب مزاج ، أحب السرور والرحلات ، ولا أحمل للدنيا هما .
– عظيم .. عظيم ..
– لى صديق مشترك بيني وبين الطبيب ، هاله أن يجدنى بلا مشكلة ، وأصر على أن أعيش فى المصحة مدة ..
– جئت لأنك بلا مشكلة !
– هذا هو الواقع .

– وكيف قبلت ؟
– قلت لتكن تسلية جديدة .
– وهل أديت الامتحان ؟
– هذه هى مشكلتى الجديدة ، فلا علم لى عن أى مشكلة فى مصر أو العالم ، ولا أقرأ من الصحيفة إلا الاعلانات والوفيات وأين تذهب هذا المساء .
– ما عليك إلاّ أن تقرأ الصحف وستمدك بمشكلات لا حصر لها .
فتساءل ضاحكا :
– وكيف أقدم حلولا لمشكلات لا تهمنى البتة ؟
والحق أنه امتص منى توترى بغرابة مشكلته ، وفتح نفسى للرجوع إلى حجرتى لأداء الامتحان المطلوب منى . وعند منتصف الليل آويت الى فراشى ونمت نوما عميقا . وفى الصباح الباكر جاءتنى الممرضة بالافطار . وجاءت معها برائحة ما أن شممتها حتى ارتعدت أطرافى . ولما لاحظت تغيرى سألتنى عما ألم بى ، فقلت بقلق لم أستطع أن أداريه :
– هذه الرائحة !
فقالت بثقة :
– رائحة المسك أطيب الروائح ..
– من أين لك بها ؟
– أهدانيها أحد زوار النزلاء .
– هل يتردد على المصحة من زمن ؟
– منذ أكثر من شهر ، ألا تعجبك ؟
فقلت متحفظا :
– هى مرتبطة فى حياتى بذكريات غير سارة !
فقالت بمرح :
– فك الارتباط وتناول أفطارك .
ونضب اعجابى بالممرضة وتبخر . ولعلها شعرت بذلك على نحو ما فتساءلت بجدية :
– هل فرغت من تسجيل المشكلات لآخذها إلى الدكتور ؟
وفى الحال أعطيتها الورقة لأتخلص منها فى أقصر مدة . وجاءنى الطبيب قبيل الظهر . دعانى إلى الجلوس أمامه واضعا الخوان بيننا . وألقى على ورقتى نظرة جديدة وقال :
– أنت ترى أن مشكلة مصر الأولى تتركز فى عدد السكان ؟
– هم أم المشاكل كلها .
– عظيم ، أى حل تقترح لها ؟
– يجب أن يهبط العدد إلى ما يتناسب مع الامكانات المتاحة فتحل جميع المشكلات دفعة واحدة .
– وكيف نتخلص من الزائد ؟
– بالهجرة الدائمة وقتل الباقى بوسيلة رحيمة خالية من الألم !
– يالك من رجل رحيم !



الفجر الكاذب

ـ كل عاقل يجب أن يعتبرنى كذلك .
ـ ومن حسن الحظ أننى عاقل ، والآن ننتقل إلى العالم ، فأنت ترى أن الحرب النووية هى مشكلته الأولى ؟
ـ نعم ..
ـ فكيف ترى العلاج ؟
ـ أن تقوم الحرب وتقضى على العالم وتخلصه من مخاوفه .
ـ ولكن الابادة ستلتهم المخاوف والخائفين معا .
ـ أو يبقى نفر كالذين نجوا من الطوفان ..
ـ الحق أن تفكيرك لا يخلو من رحمة وكمال دائما !

وتبادلنا نظرة طويلة ثم سألته بقلق :
ـ هل أستطيع أن أذهب الآن ؟
فقال وهو يقوم تأهبا للذهاب :
ـ بيدك وحدك أن تذهب وقتما تشاء .

وفى الحال أعددت حقيبتى وذهبت . ذهبت أسوأ مما جئت ولكن روح استهانة استحوذت على وأملت على أن أمضى فى حياتى دون اعتبار لأى شيء إلا الحياة نفسها . ونازعتنى نفسى إلى لقاء الهانم التى لولا عطفها لهلكت من زمن بعيد . وعند العصر أقبلت عليّ فى ثوبها متلفعة بروب خفيف بنفسجي زادها جمالا وصفاء . جلسنا حول ابريق الشاى وهى تقول :

ـ لم يفتنى شيء من أخبارك وإنى مسرورة بما سمعت .
فنظرت إليها بارتياب وقلت :
ـ تجربة المصحة تجربة غريبة ، وفى جملتها غير سارة ، وحتى هنا طاردتني رائحة المسك ..

فابتسمت عن لآلئها وقالت :
ـ الطبيب مرتاح ومتفائل ويجب أن تطمئن إلى حكمه فهو ثقة علامة ..
وترددت قليلا ثم قلت :
ـ عَنَّ لى أن أزور قارئة الفنجان المشهورة ..
فابتسمت قائلة :
ـ كما تشاء ، الحقيقة اتسعت فى أيامنا هذه حتى شملت كل شيء ..
وقبلت يدها ، وغادرت مقامها إلى مصر القديمة ، إلى مسكن المرأة التى شغل ذكرها صحفنا الكبرى . وجدت حجرة الانتظار مزدحمة فطال انتظارى حتى أوشك صبرى أن ينفد . ثم جلست أمامها على مقعد صغير مريح الوسادة ، وحسوت فنجان القهوة فلم تبق إلا الرواسب . وتناولت الفنجان وراحت تتأملة بعناية ، وطال تأملها حتى قطبت كالحائرة ، ثم قالت :
ـ لا أدرى كيف أقرأ مستقبلك .
فتساءلت منزعجا :
ـ أهو غامض لهذه الدرجة ؟
ـ المسألة أن نجاتك أو هلاكك بيدك أنت فليس عندى ما أقوله .

ـ لى خصم عنيد مجهول .
ـ نعم ، أنت مجهول أمامه أيضا ، وهو يخشاك كما تخشاه ..
ـ لم يعرفنى بعد ؟
ـ بلى رغم أن الحياة جمعت بينكما أكثر من مرة !

ـ جمعت بيننا ؟
ـ هذا واضح .
ـ أليس لديك معلومة اضافية تبل الريق ؟
ـ قلت ما عندى والله معك .

تركتها مشتت الخاطر ينهمر فوق رأسى القلق من سماء ملبدة بالغيوم . تقول إن الحياة جمعت بيننا أكثر من مرة ! . اللعنة فهو اذن احد سكان العمارة أو زميل فى الوزارة وربما يكون البك أو طبيب المصحة ! وذهبت إلى الزهرة لأتناول لقمة وأتمالك أنفاسى . سرح بى الخيال إلى عهد الطمأنينة والسلام قبل أن أطلب يد خطيبتى . وكيف نما إلى علمى أن نفرا من أهلها اقترحوا رفضى لهوان أصلى . ومع أن خطيبتى ذللت العقبات بقوة ارادتها إلا أن اقتراح الرفض آلمنى جدا . ودفعنى إلى النبش فى الماضى لعلى أعثر على أصل كريم غابر أخنى عليه دهر لا يرحم . وأهلتنى دراستى الجامعية للبحث فتوغلت فيه باصرار ، ومازلت انتقل من جد فقير إلى آخر أجير حتى أهتديت إلى جد خطير فى عصر غابر . كيف تدهور ذلك الجد العظيم ؟ لقد تمرد على أبيه فحرمه من الميراث ، واستقبلت ذريته تاريخا طويلا من الفقر والذل . وعرفت من التاريخ سر النزاع القديم الذى اتخذ من الثأر المتوارث وسيلة متجددة ومقدسة فتك بها بأرواح لا تحصى من أبناء الأسرة جيلا بعد جيل ، لا يعفى منها غني أو فقير . وقدرت بالحساب الدقيق أننى المرشح اليوم للقتل لا يؤخر الأجل عنى إلا الخصم لم يهتد إلى بعد . هكذا استوعبتنى مشاكل الأصل والموت فلم تبق من حيويتى إلا القليل لمشكلات الحياة اليومية الملحة . وطبيب المصحة يرى أن تصورى لحل مشاكل مصر والعالم قادر ضمنا على حل مشكلتى المؤرقة ولكن من يضمن لى الحياة حتى تحل مشاكل مصر والعالم ؟! . وتاقت نفسى للخروج من قصر التيه بأى ثمن ولأن أحيا حياتى مهما كلفنى الأمر . ودعوت خطيبتى إلى لقاء بالزهرة فى أصيل اليوم التالى . ولبت كالعادة بكل حيويتها واستجابتها العذبة وقصصت عليها حكايتى مع قارئة الفنجان منتظرا تعليقها . قالت باسمه :
ـ هذا يعنى أنه يحتمل أن أكون أنا خصمك المجهول !
ثم بجدية :
ـ احذر أن تسيء الظن بالجميع فتصبح وحيدا منبوذا .
فقلت بنبرة واضحة وقوية :
ـ لا أود أن أموت قبل أن أموت .
ـ يسعدنى أن أسمع ذلك ..
ـ وأود أن نتزوج فى الحال .

فوهبتنى الموافقة بنظرة عينيها ودون كلام . وأنى على أتم استعداد والحمد لله واتفقت مع مقاول من المترددين على الوزارة لتجديد شقتى الصغيرة العتيقة ، يغير أرضيتها ويصلح النوافذ ويدهن الجدران والأسقف ، ويعيد بناء الحمام ودورة المياه والمطبخ . ولما انتهى العمل فى الشقة مضوا يفرشونها بجهاز العروس تحت اشراف خطيبتى وأمها وأخيها ضابط الشرطة . ولما كلل التعب بحسن الختام إذا بحماتى تقول بنبرة ذات مغزى :
ـ لابد من فرحة !
لكن مدخراتى أوشكت على النفاد ، وهمست بذلك ، فقالت الست :
ـ لانريد حفلا فى فندق ، حسبنا عشاء لائق فى مطعم خلوى ، وبلا رقص أو غناء !
ولبيت رغبتها على رغمى . واقتصرت الدعوة على الأهل . غير أنى دعوت الهانم فشرفتنا مع هدية سعيدة متبرعة للاجتماع بفرقة « كان كان » الموسيقية . وجلسنا متواجهين حول مائدة طويلة ، ورأيت بين

المدعوين البك وطبيب المصحة دون أن أدرى كيف تم ذلك . وعاودنى إحساسي الغريب بمراوغة الدنيا والذكريات الغامضة ولكن سعادتي بالعروس غلبت على كل شيء . وخطر لى فى أثناء تناول الطعام أن خصمى المجهول موجود حتما بين المدعوين ولكنى طردت الفكرة باصرار وواصلت الأكل والشرب . ولما فرغنا من الطعام وقف رجل كان يجلس فى الصف الآخر إلى يسار حماتى ليلقى كلمة فيما بدا . خيل لى لأول وهلة أننى أراه لأول مرّة فى حياتى . ثم خيل إلى مرة أخرى أننى سبق أن لمحت هذا الجبين البارز والحاجبين الغريزين والفكين القويين ، ولكن أين أو متى ؟ . وملت نحو الهانم الجالسة إلى جانبى وسألتها عنه فقالت :

ــ رجل طيب يقدم نفسه فى الأفراح طلبا للرزق !

وركزت عليه بصرى باهتمام لا يخلو من قلق أما هو فراح يقول بصوت جهير :

سيداتى .. آنساتى .. سادتى ..

« للفرح يوم واحد ، لا يتكرر مهما تكرر ، وهو من صنع الرحمن لا البشر ، من أجل أسمى غاية وهى عمران الوجود ، فالزواج طاعة ، والحب عبادة ، إذا حاد أحدهما عن طريقه ضل إلى الأبد ، وفى مثل هذا اليوم تسجل الحياة أحد انتصاراتها الرائعة ، فلنهنيء العروسين ، ولنحي ذكرى ربي اسرتهما النبيلة آدم وحواء ، اللذين دفعا إلى دنيانا بسبب العصيان ورفعا منها بحكم الغفران ، ولندع الله أن ينصرنا على أبليس عدو الأسرة القديم الذى لا يكف عن طلب الثأر ، والعقبى لكم فى المسرات » .

وأحنى الرجل رأسه شكرا للتصفيق الذى أعقب كلمته ثم جلس . وكاد ذكر الثأر يفسد علىّ ليلتى لولا لباقة عروستى التى جذبتنى لنجواها . وانفض الحفل الصغير على خير حال . ومضيت بعروسى إلى شقتى ، ولكن استعصى علىّ أن أدخل المفتاح فى عروة الباب . ماذا حدث ؟ وفتحت شراعة الباب عن وجه لم اتبين معالمه ، سألنى قبل أن أفيق من ذهولى :

ــ من أنت ؟

فصرخت فيه :

ــ من أدخلك شقتى ؟

فصاح الرجل بغضب :

ــ سكران !.. مجنون !.. اذهب قبل أن أكسر دماغك ..

ادعى كل منا أن الشقة شقته وأن الآخر معتد أو معتد ومجنون . ولم أجد بداً من الاستغاثة بالشرطة . ولكن أين عروسى ؟ هل بادرت إلى أخيها ؟. ولم أحب أن أضيع الوقت فى البحث عنها فذهبت إلى قسم الشرطة ، واصطحبنى ضابط إلى الشقة ، واطلع على العقد ، ثم صارحنى بأنه لا يستطيع أن يتعرض للرجل بسوء ، وأن الأمر يجب أن يعرض على النيابة . وتكشف التحقيق عن غرائب وعجائب . أثبت الرجل أن الشقة شقته بعقد قديم ، وشهد معه صاحب العمارة ، والبواب ، وكثرة من السكان . واستشهدت بعروسى وآلها الذين فرشوا الشقة بايديهم ، وأدلوا بشهادتهم القاطعة بأنهم لا يعرفوننى وأننى لم اتزوج من ابنتهم . وماذا يقول الذين لبوا دعوة العشاء وشهدوا الزفاف ؟.. ماذا تقول الهانم ، والطبيب ، والبك ؟ .. أجمعوا على أن أقوالى ادعاءات باطلة لا أصل لها ، وأنهم لا يعرفوننى ، ولم توجد بينهم وبيني أى صلة . ولعل الوحيد الذى لم ينكرنى ، والذى جاء دون دعوة منى ، هو صاحب الخطبة ، سمعته يقول للمحقق إنه أخى الأكبر ، ويرجو أن يذهب بيّ لأعالج من تلك الحالة الطارئة .. !

ودخلت فى شبه غيبوبة لا أدرى كم غشيتنى ولا متى انقشعت . ولكنى انتبه احيانا إلى وجود أخى إلى جانبى ، وأحيانا أخرى أعى إقامتى فى مصحة الطبيب بحلوان . وبعودتى إلى ذاتى ادركت أننى مريض واننى أعالج ، وأن الطبيب يعالجنى بالعقاقير والكهرباء . ولما خاطبت أخى فى شئوننا الخاصة هتف الرجل بسرور :

ــ الحمد لله ، ها أنت تعود إلى الواقع ..

ولكن علاجى امتد طويلا وجالسنى الطبيب كثيرا حتى آنست إليه وأسرني بذكائه وانسانيته وفى آخر مرة قال لى :

ــ اعتقد أنك على أتم ما يكون من الشفاء الآن .

فوافقته بتسليم وصبر . فسألنى :

ــ ما حقيقة علاقتك بأخيك الأكبر ؟

فأجبت بهدوء ويقظة ودون أى إرهاق :

ــ إني أقيم معه فى شقته بالعمارة ، وهو زوج وأب ، وذو ميول دينية واضحة ، ولا يكف عن حضي على الزواج رغم الظروف المعاكسة ، ولم ير بأسا من أن أتزوج من جارتنا الأرملة رغم أنها تكبرنى بأعوام ولكنها تملك الشقة وبعض المال ، ولم أذعن لمشيئته لنفور قلبى من المرأة ولارتيابى فى استقامة سلوكها ، لا أنكر عطفه علىّ ونصاعة خلقه ولكنه طالما وقف من سلوكى موقف الناقد طويلا بل والرافض .

ولما سألنى عن عروسي ضحكت طويلا وقلت :

ــ كانت زميلتى فى الكلية ، أحببتها وكأنها كانت تزن مستقبلها بميزان العقل فاثبتت لى بمنطق واضح حاد أننى غير صالح للزواج ، أى غير قادر عليه ، وفضلا عن ذلك فقد صارحتنى بأن أهلها يصرون على اختيار زوج لها من طبقتها ..

وسألنى عن الهانم فقلت :

ــ عرفتها من خلال عملى بوزارة الشؤون الاجتماعية كرئيسة لاحدى الجمعيات الخيرية ، بهرنى جلالها وقوة شخصيتها ورقة انسانيتها ، واقررت لها بأنها تملك من المزايا ما يؤهلها لحكم أمة حكما عادلا سعيدا ، ولم أجد بها من عيب إلا زواجها من « البك » الذى كان أدنى منها كثيرا فى العلم والخلق ..

وقال الطبيب :

ــ أما أنا فلاشك أنك عرفتنى عن طريق التليفزيون

ــ بالضبط ، وأعجبت بأسلوبك فى معاملة مرضاك باعتبارهم ضيوفا .

ــ تبقى مسألة القتل والثأر فهل لك أعداء ؟

فقلت ضاحكا :

ــ بدأت المسألة بالمجاز ، يقول أخى لى فى شتى المناسبات أنّني عدو نفسى وإنّه يجب أن أحذر العدو الكامن بين جوانحى ، وأقول له إنه يوجد أكثر من عدو يتربصون بنا الدوائر .. وإلا فكيف تفسر هذا الانهيار الشامل ؟!

وهز الطبيب رأسه وهو يبتسم ثم قال :

ــ وفى حوارنا المتصل الطويل لمست انفعالك الشديد حول قيم كثيرة كالعلم والعمل والسعادة ، أيرجع ذلك للأسباب التى ذكرتها ؟

فقلت بحدة :

ــ ليس ذلك فحسب ، لكني أذكر دائما دراستى الجامعية الضحلة العقيمة ، وبطالتى التى أمارسها فى الوزارة ، والسعادة التى أحلم بها دون جدوى ..

ــ ورحت تكمل ما ينقصك بأحلام اليقظة حتى أشرفت على الضياع الذى أنقذت منه بمعجزة فقلت خاشعاً :

ــ بفضلك ياسيدى .

وخرج أخى عن صمته فقال :

ــ وبفضل الله قبل كل شيء ..

فقال الطبيب :

ــ حدثنى الآن عن الدرس الذى أفدته من اقامتك القصيرة فى مصحتى ؟

فقلت بحماس :

ــ إن أحلام اليقظة غير مجدية !

نجيب محفوظ

من أجل عودة الروح للحركة المسرحية

المسرح العربي يتحدى أزمته

بقلم: الفريد فرج

ما دمت تستطيع أن تقضي سهرة مسرحية ممتعة أو نافعة فى القاهرة .. فالمسرح المصري يبشرك بتحدي أزمته .

ولقد قضيت بالقاهرة سهرات مسرحية ممتعة ، وراقبت بتقدير جهود فناني المسرح العتيد ، لإقالة فنهم من عثرته ، والنهوض به الى مكانته .

وقبل أن أصحبكم معى الى رحلة فى مسارح القاهرة ، لابد أن نتفق أولا على حقيقة مايعانيه المسرح المصرى ، أو مايعانيه المتفرج والمثقف العربى من المسرح المصرى .

إن «أزمة المسرح فى القاهرة».. عبارة يتداولها كثير من النقاد والفنانين بمعان مختلفة .

وأعترف أنى أختلف مع بعض من يتداولون هذه العبارة فى تحديد أعراض مايسمونه بالأزمة .

فأزمة المسرح المصرى لاتتمثل عندى فى نقص اعتمادات الدولة التى ترصدها لدعم المسرح ، وهى الإعتمادات التى نريد أن تزيدها الدولة باطراد .

على العكس من ذلك أرى أن اختلال اقتصاديات المسرح ربما يرجع إلى إسراف الفنانين وتبذيرهم ، والى تنافسهم على بناء الأطر الباذخة وعلى الانتاج الكبير .. فى حين يصنع العكس تيار كبير من الفنانين فى أوروبا وينتجون بعضا من أروع المسرحيات تحت شعار : «نحو مسرح فقير» .

كما لاتتمثل الأزمة عندى فى إعراض نجوم القومى ومسارح وزارة الثقافة عن المشاركة فى إنتاج مسارحهم .. فما دام المعهد العالى للفنون المسرحية يدفع الى ساحة الفن كل عام شبابا جديدا من الفنانين ، فانى لا أرى سببا واحدا للتحفظ فى تجديد دماء المسرح العريق بالمواهب الجديدة .

الأزمة عندى لاتتمثل أيضا فى نقص عدد النصوص الجيدة ، فان حركة مسرحية ناجحة خليقة بأن تصنع كتابها ، كما أن تاريخ المسرح المصرى والعربى والعالمى غنى بما يضمن النجاح فوق كل منصات مسرح الدولة والمسرح التجارى على السواء .

الأزمة الحقيقية

أزمة المسرح عندى تتمثل أولا فى توقف بعض مسارح الدولة عن العمل بعض الموسم واظلام واجهاتها ، فى حين أن بعض المسارح متوقفة تماما عن الإنتاج ومغلقة الأبواب بالضبة والمفتاح !

وتتمثل أزمة المسرح عندى ثانيا فى أن بعض إنتاج مسارح وزارة الثقافة لايحقق نجاحا يذكر ، ويمر مهيض الجناح لايكاد يلتفت له الجمهور أو يأبه له النقاد .

وأزمة المسرح عندى تمد جذورها المريضة فى التربة المسرحية كلها ، وتلوثها بأوهام فاسدة هى عندى أخطر على الفن من التقصير الكمى أو الكيفى فى الانتاج .

فإنك لاتعدم وأنت فى القاهرة أن تسمع من فريق من الفنانين والنقاد طعنا فى ذوق الجمهور وحديثا عن فساد ذلك الذوق ، حديثا يتردد كاعتذار عن التقصير ، وهو من قبيل نسج الأوهام من ذات خيوط الفشل .

كما لاتعدم في القاهرة أن تسمع وجهات نظر تتردد بكثرة حول حتمية أن يقضي التلفزيون على المسرح ، أوحتمية أن يقضي على لون خاص من ألوان المسرح يحدده محدثك بأنه لون المسرحية الواقعية النقدية أو الاجتماعية ، وهو اللون الدرامي الذي يسرف التلفزيون في نسج المسلسلات المطولة على منواله بنجاح .

وهذا كله لايعدو أن يكون من أحاديث التشاؤم الذي تمليه حالة من عدم الرضى بالمناخ العام لفن المسرح ، تختلط فيه الأغلاط بالأحزان .



سهير المرشدي وكرم مطاوع في مسرحية «إيزيس»

مسرح الدولة

وماأروع أن يشق الفنان هذا المناخ القاتم بانتاج ساطع ، وما أروع أن يتحدى الفنان أزمته بالبحث والابتكار والابداع ، وتبشير المثقف المصري والمثقف العربي بعودة الروح الى المسرح المصري .

وسأبدأ الحديث بمسرح الدولة ، فهو المسرح الأب للحركة المسرحية وهو ضابط الإيقاع وحامل راية الرائد للفن المسرحي المصري كله ، مهما عانى من العثرات .

يحتفل المسرح القومي هذه الأيام بالعيد الخمسين لانشائه ، وبتكريم الرواد من فنانيه وكتابه ، ويستعرض من خلال اسمائهم سيرة نجاح وبحث طويلة .

وفي موسم الاحتفال قدم القومي مسرحيتين ، اختيارهما بحد ذاته مؤشر له دلالته .

المسرحيتان هما «إيزيس» توفيق الحكيم ، و «مجنون ليلى» أحمد شوقي .

ودلالة إختيار المسرحيتين هي اتجاه المسرح في ظروفه الصعبة إلى الاعتصام بأصوله الأدبية وجذوره الفنية الأصلية .

المؤلفان رائدان ومؤسسان للأدب المسرحي ، ومسرحيتاهما تتصلان بجذور الفكر المصري والعربي وتتأسسان على أصالة تتصل بالتراث العريق .

وقد قدم الفنان كرم مطاوع إيزيس في إطار المسرح الغنائي بأشعار صلاح جاهين الذي حرص على وصل أسطورة إيزيس بفكرة العلاقات العربية الموغلة في التاريخ ، وبلمسة خاصة تدل على التقارب الفني الشعبي في المنطقة وأصوله التاريخية العميقة .

وقصة إيزيس هي قصة الصراع بين الخير والشر ، بين الوادي والصحراء ، بين البناء والخراب ، بين العدل والظلم ، بين الحياة والموت .. في ثنائية إشتهر بها أدب الحكيم وفكره ، كما تأسست عليها الأسطورة القديمة . والعرض المسرحي يؤكد الصلة الحميمة بين منف وببلوس ، بين مصر والمشرق العربي ، وهي صلة أبرزها الاستعراض المسرحي الرائع في المسرحية من خلال تنويعات الرقص .

وإخراج مجنون ليلى جديد في أطروحته الفكرية ، بما اكتشفه المخرج عادل هاشم من زاوية ديموقراطية في مسرحية شوقي ولم يلتفت له مخرجوها في الماضي ..

هذه الأطروحة التي صاغتها المسرحية بلباقة فنية جميلة هي اختلاف الرأي السياسي لقيس عن الرأي الشائع في بني عامر والذي تعتنقه بنتهم العاشقة ليلى .

قصة مجنون ليلى في إخراج عادل هاشم هي قصة حب يقفز على حواجز الرأي ، ويعاني فيها قيس من وحدته وغربته برأيه السياسي المختلف .

النصوص العربية

وقد أسعدني أن أشاهد بالقاهرة هذا الموسم نصين مسرحيين عربيين هما : «كأسك ياوطن» لمحمد الماغوط في المسرح المركزي للثقافة الجماهيرية ، و «السامر» ، و «التربيع والتدوير» لعز الدين المدني في مسرح الطليعة .

أسعدني أن أجد النصين المتازين بالقاهرة ، واعتبرت ذلك اتجاهاً للفنان المصري الى أن يؤكد وحدة الظاهرة المسرحية العربية ، وأن يؤكد أن المسرح المصري هو البيت المسرحي العربي الذي نريد منه أن يعمل على تزكية الممثل والمخرج والمؤلف العربي للجمهور القاهري .. وهي إحدى الوظائف الأساسية للمسرح المصري في رأيي .

إنني أتطلع الى أن يسهم المسرح المصري بقدراته المتميزة وجماهيريته الخاصة في تأكيد وحدة الظاهرة المسرحية الفنية وظاهرة الثقافة العربية بوجه عام .. وهو ماكان يصنعه المسرح المصري في مراحله الماضية بعفوية ومن غير تكلف .

■ ماأروع أن يتحدى الفنان أزمته بالبحث والابتكار والإبداع

■ نصّان مسرحيان عربيّان : اتجاه يؤكد وحدة الظاهرة المسرحية العربية

المسرح المتجول

لايمكن أن يذكر مسرح الدولة بالقاهرة اليوم دون أن ترى في مكان بارز من الصورة المسرح المتجول الذي يقوده الفنان عبدالغفار عوده .

وهذه الفرقة الناشئة لاتملك مسرحاً ، وإنما تستضيفها مسارح الدولة بالقاهرة أو بالأقاليم ، ولكنها تملك ثلاث قاعات لمسرح الفرقة بالقاهرة والاسكندرية والاسماعيلية .

وقاعات مسرح الفرقة لايزيد عدد مقاعد الواحدة منها عن الستين مقعداً ، وتقدم

المسرح العربي يتحدى أزمته

عروضاً مسرحية تجريبية تتبعها ندوات للحوار مع الجمهور.

هذه السهرات المنتظمة في مسارح الفرقة تحتفظ بحيوية الاهتمام بفن المسرح المثقف، وتبقي على شعلة الحوار بين الفنان والجمهور متوهجة.

وأهم مالفت نظري بمسرح الفرقة للقاهرة هو العرض المسرحي الأخير «جيرنيكا» الذي صاغه وأعده المخرج عبدالغفار عوده من لوحة الفنان الشهير بابلوبيكاسو، وقصيدة الشاعر الفرنسي بول إيلوار وفيلم المخرج السينمائي آلان رينيه والمسرحية القصيرة للكاتب فرناندو أرابال.. وكلها أبدعت عن مأساة جيرنيكا.

جيرنيكا هي القرية الأسبانية الصغيرة التي أحرقتها قنابل الطائرات النازية الألمانية خلال الحرب الأهلية الأسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ التي أنهت الحكم الديموقراطي وأنشأت ديكتاتورية فرانكو

وقد قتلت الغارة عشرين ألفاً من سكان القرية شيوخاً وأطفالاً ونساء ورجالاً، واعتبرت المذبحة رمزاً لوحشية الحرب العدوانية.. ورسم بيكاسو لوحته الشهيرة مخلداً لذكراها البشعة.

والذي أثارني في الإعداد المسرحي «لجيرنيكا» مسرح الفرقة هو تلك اللفتة العربية المثقفة لموضوع إنساني عالمي، يمسنا كشعوب تعرضت للعدوان.. في مرحلة من تاريخ المسرح توقفت فيه الفرق المسرحية المصرية بسبب لاأعلمه عن تقليد أثير وعريق من تقاليدها وهو تقديم مسرحيات عالمية كبرى بانتظام توثيقاً للصلة بين الثقافة الوطنية والثقافة الإنسانية.

إن لافتة جيرنيكا على واجهة مسرح الفرقة بشارع رمسيس بالقاهرة هي لمسة ثقافية جديرة بالإلتفات، فضلاً عن اللمسة التي قدمت بها الفرقة انتاجها والتي تقول: جيرنيكا هي هيروشيما.. فيتنام.. صبرا.. شاتيلا..

الثقافة الجماهيرية

ومع أن مسرح الدولة بالقاهرة يعاني من مشاكله، فإن مسرح الأقاليم الذي توجهه الثقافة الجماهيرية يمثل حزام النجاة اليوم للمسرح المصري كله.

وقد أنشىء مسرح الثقافة الجماهيرية منذ عشرين عاماً وكان يتألف من ٢٦ فرقة، وتفخر الثقافة الجماهيرية اليوم بأنها تدعم حوالي ١٥٠ فرقة إقليمية.

وتتألف هذه الفرق من الشباب الهواة، وتتبارى سنوياً في تقديم بعض من أفضل العروض المسرحية التي تؤكد حضور المسرح المصري بين الجمهور وتدعيم التذوق المسرحي في انحاء البلاد.

وعندي أن الدولة يجب أن تلتفت للوعد الذي تعدنا به هذه الفرق.. وهو وعد بإثراء فن المسرح وبتنويع إنتاجه وبمد رقعة المشاهدة المسرحية الى أقاصي البلاد. وإذا إلتفتت الدولة إلى أهمية هذا الوعد الكبير فينبغي أن تدعم أصحابه بالمال والمساعدات الفنية، وأن تعول على هذه الفرق الشابة وعلى حماسها في إشاعة مناخ المسرح المثقف وتجديد شبابه، ودفع هذه الفرق لتكوين مسارح قومية إقليمية كبرى، كما تتكون الفرق القومية المستقرة في كل المدن الإقليمية الكبيرة في البلاد الأوروبية.

الكل في واحد

وإلى جانب النشاط الإقليمي للثقافة الجماهيرية قدمت هذا الموسم على مسرح البالون عرضاً مسرحياً جديداً في أسلوبه وإبداعه.. هو «الكل في واحد» الذي يقدم استعراضاً ممتعاً لحياة وأعمال توفيق الحكيم، سيرة شخصية وفنية للكاتب الكبير بأسلوب استعراضي أخاذ، وفي سياق تحليلي وتعبيري جميل وقوي.. صاغه الكاتب الشاب مهدي الحسيني وأخرجه الدكتور طنطاوي ومثله باقتدار الفنان سعد أردش والفنانة فردوس عبدالحميد التي تخرجت من معهد الفنون المسرحية العالي ومعهد الكونسير فاتوار الموسيقى فى نفس الوقت.. وتمثل وتغني بنفس الاقتدار.

سهرة مع المستقبل

ولا يمكن أن أختتم هذه السياحة في مسرح الدولة بالقاهرة دون أن أشير إلى أسعد لحظات مسرحية قضيتها بالقاهرة، في مسرح أكاديمية الفنون بالهرم، حيث استمتعت بمشاهدة «حلاق بغداد» في إخراج الفنان الصاعد سامي عبدالحليم الذي قدم المسرحية كمشروع للماجستير بفنانين من الطلبة وخريجي المعهد العالي للفنون المسرحية أمام لجنة من الاساتذة المتحنين وجمهور كبير جداً من شباب الأكاديمية.

لقد كانت أسعد لحظاتي المسرحية بالقاهرة لأنني كنت أشاهد مسرح الغد ومواهب المستقبل.

وقد لاحظت بمنتهى السرور اقتدار هذا الجيل الجديد من الفنانين في تقنيات الإخراج والتمثيل والديكور، وحماسهم للإبتكار في الابداع، والتعبير العصري بالحركة في إطار ألف ليلة وليلة الذي توحي به المسرحية.

وقد أضحكت حلاق بغداد الأكاديمية جمهور المشاهدين حتى طفرت من عيونهم الدموع، دون أن يغفل أحد الفنانين عن تأكيد الملامح الفكرية والإحالات الذكية في أدائهم الرائع.

قلت لأصدقائي ونحن نغادر مسرح الأكاديمية: مهما كان ماشاهدت وماسمعت من حديث عن مشاكل المسرح المصري بالقاهرة، فقد أعاد هذا العرض المسرحي الراقي إلى نفسي الاطمئنان.. فمستقبل المسرح العربي بمصر بخير وغدنا المسرحي أفضل من يومنا، فهؤلاء الشباب الصغار في أكاديمية الفنون على موعد مع المسرح المصري في الذروة العالية.

■ مسارح الغرفة تُبْقي على شعلة الحوار متوهِّجة بين الفنانين والجمهور

الفريد فرج



بقلم : الدكتور محمد البهي

الإسلام دين الله

لكى نعرف ماهو دين الله نرجع الى الرسالة الإلهية الأولى على عهد ابراهيم عليه السلام . والقرآن الكريم يقص علينا دين ابراهيم الذى أمر باتباعه ، وتبليغه للناس ، فيما تذكره هذه الآيات الثلاث :

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى بها (أى بملته) ابراهيم .. بنيه ـ ويعقوب ـ يابني : ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء ، اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد إلهك ، وإله آبائك ، ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، الهاً واحداً ، ونحن له مسلمون » (البقره ١٣٠ ـ ١٣٣)

فقد ذكرت هذه الآيات :

أولا : أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان رسولا مصطفى ومختارا من الله . « ولقد اصطفيناه فى الدنيا » .

وثانيا : أن الدين الذى جاء به كان رسالة من الله وتعالى : « ان الله اصطفى لكم الدين .. » وأن هذه الرسالة لايميل عنها الا من انحرف عن جادة الحكمة : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » .

وثالثا : أنه طلب من أبنائه ان يسلموا ، وأن لايدركهم الموت الا وهم مسلمون : « فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

ورابعا : أن يعقوب ـ بعده ـ سأل أبناءه بدوره عن نوع عبادتهم فأجابوه : بأنهم مسلمون . يعبدون إلهاً واحدا ، وهو ماكان يعبده ابراهيم ، واسماعيل واسحاق من قبل . فالاسلام كان رسالة ابراهيم ، ورسالة من بعده من الرسل من أبنائه ، واتباع اسماعيل واسحق ويعقوب .. كانوا أيضا على دين الاسلام .

وكذلك لكى نعرف : ماهو دين الله ، نرجع الى القرآن ذاته فى التعرف على دين الله على عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، فنتلو هاتين الآيتين فى سورة آل عمران . والخطاب فيهما موجه اليه صلى الله عليه وسلم ، والى المؤمنين به :

« قل : آمنا بالله . وما أُنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، والأسباط (وهم من نسل يعقوب) ، وما أوتى موسى ، وعيسى ، والنبيون من ربهم . لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »(آل عمران : ٨٤ ، ٨٥)

فالقرآن هنا يأمر : أولا : بالايمان بالله ، وثانيا : بالايمان بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .. وبما كان من رسالة نزلت على ابراهيم ـ حتى عيسى عليهم السلام ، دون التفرقة بين أحد منهم . وثالثا : بأن هذه الرسالة هى : الاسلام ، وأن من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . وأخيرا : أن المؤمنين بهذه الرسالة هم مسلمون .

والآن : ماهو مضمون الدعوة لدين الله ؟ أو ماهو مضمون دعوة الاسلام ؟

« قل : ياأيها الناس : ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأُمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ، ولاتكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولايضرك (اى فى واقع الأمر ، وعلى طول المدى) فان فعلت فانك إذاً من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلاّ هو . وان يردك بخير فلاراد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم .

قل : ياأيها الناس : قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وماأنا عليكم بوكيل » (يونس ١٠٤ ـ ١٠٨)

فى هذه الآيات يتحدث القرآن عن مضمون الدعوة الى دين الله ، وهو الاسلام فى كل عهد من عهود الرسالة الإلهية ومضمونها هو : الايمان بالله وحده والنهي عن الشرك ، وعن الوثنية المادية : « وان أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين » .

والنهى عن توجيه العبادة ـ وهى منتهى الاحترام والاجلال ـ الى مالا يملك فى واقع الأمر ضراً ولا نفعاً لأحد .. أى لما هو عاجز عن المحافظة على ذاته ، فضلا عن عجزه عن قدرة الاعطاء للآخرين : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك » .

وعدم الإكراه والإلزام فى شأن الايمان بالله . اذ الايمان والكفر تعود نتائجهما على المؤمن ، او على الكافر وحدهما : « فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » .

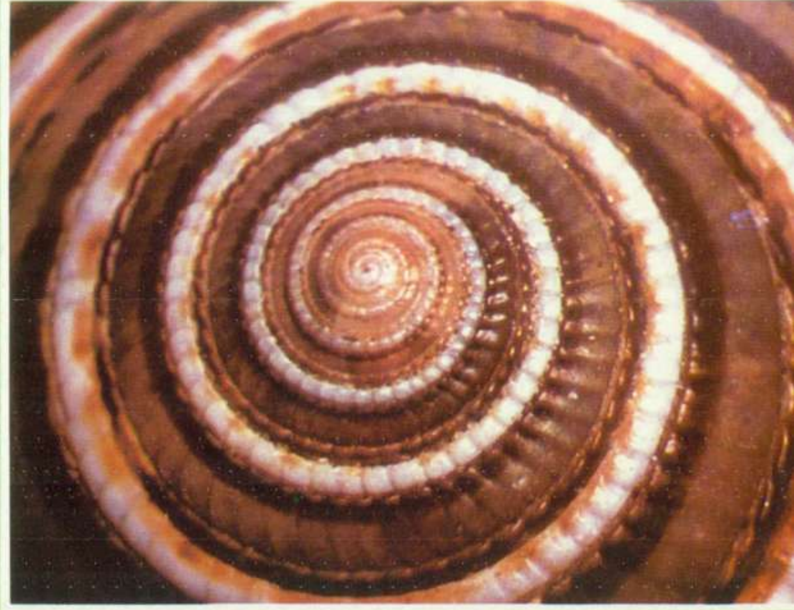
وبهذا يكون : الاسلام : دين الله فى كل وقت ، ودين الله هو الوقوف بالعبادة والاحترام عند المولى سبحانه ، وصفاته هى التى تمثل القيم العليا فى حياة الانسان .

ودين الله أيضا عدم التجاوز بالعبادة والاحترام الى الموجودين الآخرين مع الانسان أيًّا كان نوعهم ، فهم أشباح تستمد ظل وجودها من غيرها . وأن دين الله لا اكراه فيه ، ولا إرهاب فى حمل الناس على طاعته . ودين الله ـ الذى هو الاسلام فى كل وقت ـ اذا كان يدعو فى جوهره الى قصر العبادة على الله وحده ، فانه يريد ان يحتفظ للانسان بكرامته . واذا كان لا إكراه فيه فانه يريد أن يحفظ عليه حريته ومشيئته . وهنا كان الاسلام : دين الله ودين الانسانية معا .



شكل (٢) لكل علم طريقة عمل محددة، وبها يستطيع أن يكشف عن نظم الخلق المقدرة تقديرا حسنا. والشكل يوضح كيف يتعامل دارسو الزهور مع أجزائها المختلفة، ويرسمون لها مقاطع زهرية، مع الرجوع دائما إلى نقطة البداية ـ إلى محور الزهرة الذى يمثلونه بنقطة دائرية تراها فى أعلى المقطع.

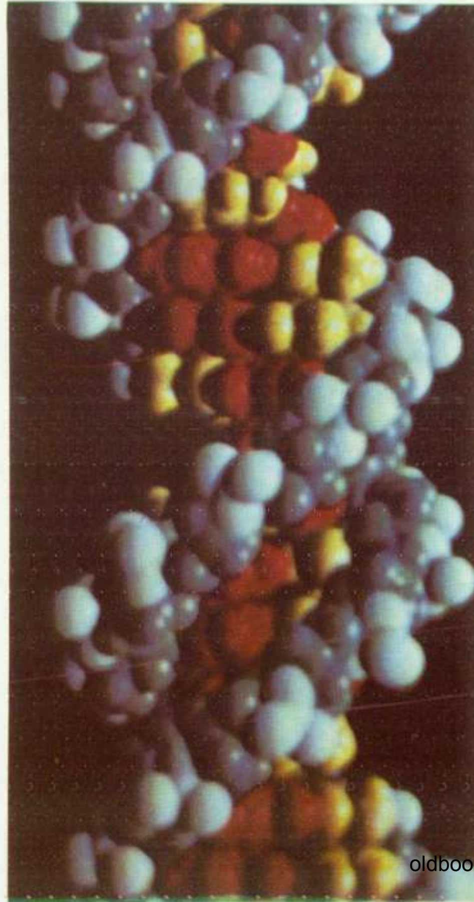
شكل (١) أحد القواقع الحلزونية التى لها اتجاه خاص فى بناء الهيكل الذى تسكن بداخله ولو فحصت أنواعها لوجدت بعضها يدور بشكله الحلزونى فى اتجاه عقرب الساعة، أو فى عكس هذا الاتجاه!



لغز الحلزونيات

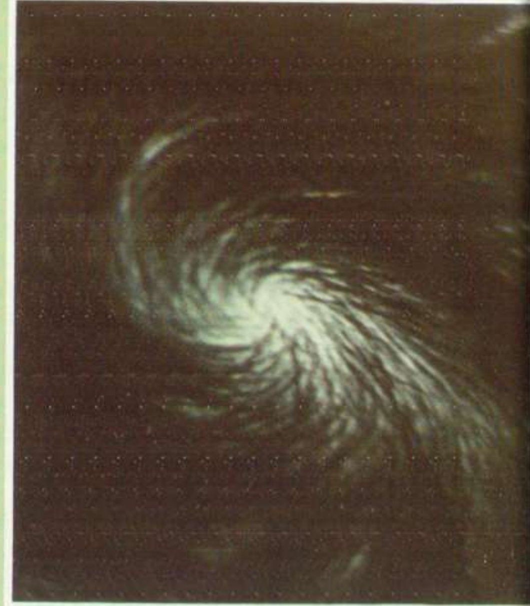
في الكون والحياة أسرار محيرة، وألغاز مربكة، ولكنها ـ مع ذلك ـ تثير عقولنا في البحث عن أصول الخلق المذهلة، وبها قد ندرك ماكان قد غاب عن فكر الأجيال السابقة، إذ كلما تقدم العلم وتطورت المعرفة، استطاع الإنسان أن يكشف عن الغموض الذي يحيط بطبائع الأشياء.. بداية بأدق الجسيمات التي تكوّن الذرات وانتهاء بالكواكب والشموس والمجرات، أومابين ذلك من مخلوقات تنطوي على نظم غامضة، لكن أسرارها تتفتح للعقول الباحثة، فتدرك أن من وراء ذلك شرائع محكمة، ونواميس متقنة.. ومن هذه الأسرار، سوف نختار سر الحلزونيات التي تكمن فينا، أو في كثير من ظواهر الكون والحياة.

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



شكل (٣) وكما جاءت بعض أنواع القواقع بشكل حلزونى، كذلك تجىء جزيئات المادة الوراثية المعقدة بشكل حلزوني ـ والصورة نموذج مبكر جدا لجزء جد ضئيل من جزيئـــات الحمض النووى ـ أى الذى يسكن نـواة الخلية، ويحمل الشفرات الوراثية.





شكل (٤) قمة رأس طفل ، وفيها تشاهد بوضوح كيف يبدأ نمو الشعر ، ثم يدور فى شكل حلزوني يمينى أو يسارى .

شكل (٥) الأذن الداخلية جاءت بدورها على هيئة قوقعية أو حلزونية ، وهى مزودة بسائل خاص ليتقبل الموجات الصوتية ويدور بها فى الجسم القوقعى حيث تلتقطها الأعصاب السمعية وتبعث بها الى مراكز السمع فى المخ العظيم .



شكل (٦) دوامة مائية تدور بكميات هائلة من الماء ، وهى هنا تتخذ النمط الحلزونى بوضوح تام .

في الأرض والسموات

عندما دخلت بالصدفة إلى معمل زميل وصديق يشغل وظيفة استاذ الأمراض الطفيلية ، بأحد المعاهد العلمية ، لاحظته وهو يجلس أمام كومة صغيرة من القواقع الحلزونية الناقلة لأمراض الإنسان ، ولقد كان يمسك القوقع بطريقة خاصة ، ثم يفحصه ويلقيه إلى اليمين ، وقد يقع بين يديه قوقع آخر ، فيلقيه إلى اليسار .. القواقع تقريباً متشابهة ، لكن ماالذي جعله يفرزها هكذا بمجرد النظر اليها ، ثم يختار هذا ، فيضعه تلك الناحية ، ثم ذاك ، ليضعه الناحية الأخرى .

ولقد تنبه إلى وجودي بينما كنت أرقبه ملياً بنوع من الفضول ، ثم تحدثت معه مازحاً عما يفعل ، فشرح لي أن القواقع قد تكون يمينية ، وقد تكون يسارية ، بمعنى أن شكلها الحلزوني قد يلف في اتجاه عقرب الساعة ، أو في عكس اتجاهه ، ومن هنا تحدد لنا هذه الصفة الهامة المبدئية نوع القوقع وسلالته (شكل ١) .

مثل هذه الأمور تمر على معظم الناس مرّ الكرام ، ودون أن يشغلوا أنفسهم بملاحظة أصول الخلق البادية للعين المجردة .. مع أن الملاحظة المتأنية هي بداية هامة للبحث في أصول الخلق ، كما أنها من أعظم السبل التي تقدم العلم من ناحية ، وتقرب الإنسان إلى خالقه من ناحية أخرى ، لأنه سيعلم أن كل خلق قد جاء وفق خطط مذهلة ، ونظم محكمة ، وقوانين صامدة ، لاخلل فيها ولا حيود !

ان قصة تلك القواقع –التي تبدو يمينية الدوران ، أو يساريته – قد أثارت في العقل ذكريات قديمة عن النظام الذي نشأت عليه زهور النباتات . فلقد كان أساتذتنا في كلية العلوم يعلموننا كيف نختار الموقع الصحيح لكي ننظر إلى تراكب أجزاء الزهرة ، تماماً كما كان الأستاذ يضع القواقع أمام عينيه في موضع صحيح وموحد .. ولكي نبدأ البداية الصحيحة ، كان لابد أن نضع المحور الذي تنمو عليه الزهرة أمام عيوننا تماماً ، ونرمز له على الورق بنقطة ، ومن هذه النقطة نبدأ في رسم الأجزاء الزهرية ، لنحدد إلى أية رتبة وعائلة تنتمي الزهرة ، ودون أن نعرف النبات الذي منه قد عزلت .. لكن ، ماذا نريد بذلك مثلا ؟

النظام المتقن في الخلق .. ففي كل مرة تلتقط هذا النوع من الزهور ، في مكان مختلف ، وزمان مختلف ، تجد نفس التناسق في الأجزاء ، مما يوحي إليك أن هذا الخلق الصامت له قوانينه التى تحكمه (شكل ٢) ... ليس فقط على مستوى القواقع والزهور ، ولكن على كل المستويات ، وطبيعي أن الحديث عن نظام الخلق يستوعب مجلدات كثيرة من فوق مجلدات ، ومن أجل هذا ، فسوف نتعرض هنا لمسألة واحدة تخص نظاماً واحداً ومحدداً .. ذلكم هو النظام اللولبي أو الحلزوني .

أكوان غريبة

ولنبدأ أولاً بأنفسنا ، لأن النظام الحلزوني قد ظهر فينا وفي كل المخلوقات ، بداية من

لغز الحلزونيات في الأرض والسموات

شكل (٧) في المفاعلات الذرية يشهد العلماء، ولادة جسيمات وموت أخرى، لكن بعض هذه الجسيمات الوليدة تنطلق في اتجاه عقرب الساعة، أو في عكس هذا الاتجاه (أي قد تكون يمينية أو يسارية).

الفيروسات والميكروبات، ومروراً بكل أنواع النباتات والحيوانات.. فالنظام الجزيئي للمادة الوراثية التي تحدد صفات الكائنات ثبت أنها نظام حلزوني (شكل ٣).. أما لماذا اتخذت هذا النظام المثير، فشرح ذلك قد يطول، لكنها على أية حال ترجع إلى طبيعة الروابط الاليكترونية التي تربط الجزيئات الصغيرة في الجزيء الكبير العملاق، وهذا بدوره يطوي في داخله شفرة الحياة المبرمجة بمركبات أربعة لاغير، (تسمى القواعد الأربع).. ثم أن الشكل الحلزوني للجزيء الوراثي هو التكوين الأمثل للهندسة الفراغية المتاحة، أي وضع أكبر كمية من هذه اللولبيات في أقل كمية من الفراغ، وهذا - بلاشك - أحد الأفكار الرائعة في الحياة.. لكن الغريب أيضاً أن هذه الحلزونيات الوراثية قد يأتي بعضها ليلف يميناً، وبعضها الآخر يدور يساراً، وكأنما نحن قد عدنا إلى نظام القواقع الحلزونية اليمينية واليسارية، ومع ذلك فلن نذهب بعيداً، لأن نظام بداية الشعر في رؤوسنا يبدأ من نقطة في القمة، ومنها قد يدور يميناً، أو يدور يساراً (شكل ٤).

فإذا خرجنا من عالم الجزيئات الدقيقة، إلى عالم الكائنات الصغيرة، ممثلة في بعض الميكروبات والطحالب، ثم نظرت إليها من خلال عدسات الميكروسكوب، لوجدت أن بعضها يتخذ النظام الحلزوني في شكله وحركته، حتى لتحسبه «بريمة» كالتي نعرفها في حياتنا، لكنها على أية حال بريمات حية.

وعندما نتعرض لتكوينات أكبر من الميكروبات الحلزونية، وبحيث يمكن رؤيتها

■ هل للنباتات ذاكرة تعرف مبادئ الزوايا والحساب والأرقام والمعادلات؟

بالعين المجردة، فإننا لاشك واجدوها في الأذن الداخلية للانسان والحيوان، وهو مايطلق عليه اسم الجسم القوقعي أو الحلزوني، أما لماذا جاء بهذا التكوين فشرح ذلك يطول، لكن يكفي أن نعرف أنه قد جاء لحكمة بالغة (شكل ٥).

وفي النباتات يظهر العديد من الأشكال الحلزونية، فالنباتات المتسلقة تلتف حول جذور النباتات القائمة، وتدور حولها في شكل حلزوني غالباً، كما أن المحاليق (وهي أجزاء متحورة من النبات) التي نراها في نبات العنب مثلاً تلتف وتتشبث بأية دعامة، لكنها تتخذ أيضاً شكلاً لولبياً أو حلزونياً.

والغريب أيضا أن قرون بعض أنواع الحيوان تستطيل وتلتوي وتبدو لنا على هيئة حلزونية.. كذلك تكون الدوامات المائية والهوائية (أو مايطلق عليها اسم السيكلون).. وأنت تستطيع أن تشاهد ذلك في دوامة عندما تلتقط هذه أو تلك بضع أوراق في جوفها، فتدور فيها على هيئة حلزونية (شكل ٦)..

وعلماء الطبيعة الذرية أو النووية يشهدون في مجال بحوثهم جسيمات تنطلق بشكل لولبي، فمنها مايدور يساراً، ومنها مايدور يميناً، لكن الذي يحكم ذلك هو المجالات المغناطيسية، والشحنة الكهربية، وقوانين الحركة في تلك الجسيمات، لكننا لن نتعرض لشرح ذلك لضيق المجال (شكل ٧).

وإذا كانت أدق مكونات كوننا ممثلة في الجسيمات الذرية تتخذ في مسيرتها الشكل اللولبي أو الحلزوني، فإن علماء الفلك يرون ذلك أيضاً في خلق السماوات، فمعظم المجرات



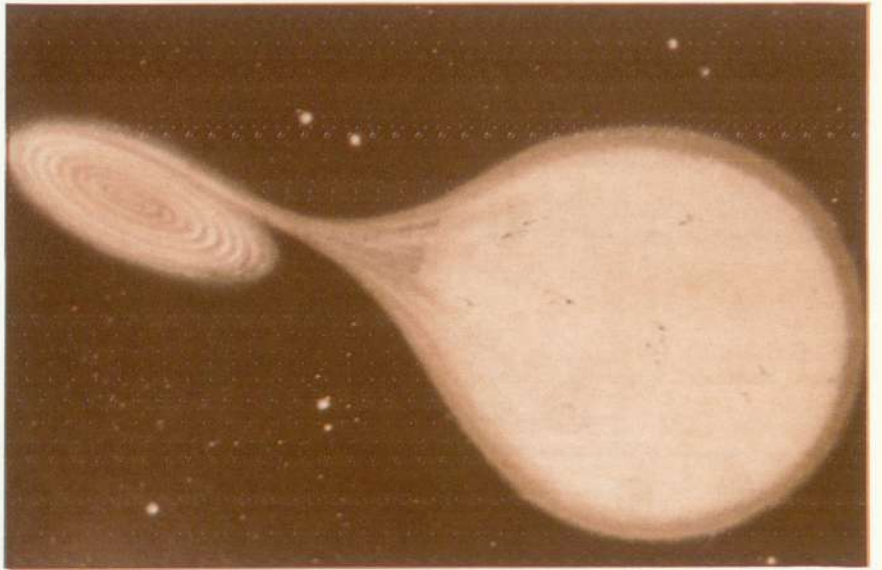
قد جاءت على هيئة حلزونية، هذا والمجرة الواحدة قد تحوي مائتي ألف مليون نجم، وكلها تدور حول نواة أو مركز، لكنها تتخذ نمطاً غريباً (شكل ٨).. وقد حاول علماء الفلك معرفة السر في ذلك، لكن الغموض لايزال يسيطر على تكوينها، ومع ذلك، يفسرها بعض العلماء بحركة النجوم في مجراتها حول مركز محدد، ثم خضوعها لقوانين الجاذبية التي تمنعها من الإفلات.. فكأنما نحن أمام «دوامة» سماوية من نوع آخر!

ويقال أيضاً إنّ الأجرام السماوية تندفع بسرعة وعنف بالغين نحو ثقوب سماوية

شكل (٨) إحدى المجرات التى تحتوى على أكثر من مائة ألف مليون نجم تبدو أيضا على هيئة حلزونية .. أى أن نجومها تدور حول نواة أو مركز ، لكنها تظهر بهذا الشكل المثير .. هذا ومجرتنا التى نقطن فيها مع شمسنا من هذا النوع ــ أى من المجرات الحلزونية .



شكل (٩) نموذج للثقب الأسود كما يتخيله العلماء من سلوك مادة الأجرام السماوية التى تندفع نحوه وهى تدور بقوة بالغة .. لاحظ فى الصورة اليسرى خط أفق الحدث الذى يفصل بين عالمين : عالم معلوم لنا ، وعالم مخفى عنا فى دوامة حلزونية تنتهى فى نقطة (خط أفق الحدث يبدأ عند الاشعاع ، ثم يسقط فى قمع حلزوني)



لايعرف العلماء عما يجري في داخلها شيئاً ، وهي التي تعرف باسم الثقوب السوداء وإليها تندفع المادة وهي تلف وتدور كدوامات حلزونية ، وتطلق موجات كهرومغناطيسية عاتية ، ثم تعبر ما يسمى بأفق الحدث ، وهو الخط الفاصل بين مادة وموجات عالمنا كما نعرفها ، وبين عالم آخر مجهول ومخفي عنا تماماً ، لأنه موجود داخل الثقب الأسود ، وفيه يتوقف الزمن ، وتختفي المادة ، وتحبس الموجة .. فلاحس ولاخبر .. أي كأنما الكون نفسه سيختفي ويقبر في « قبور حلزونية » لها فوهة واسعة جداً كفوهة الإعصار الدوار ، وتنتهي في نقطة .. إلى لاشيء (شكل ٩) ..

ويقال أيضاً إنّ الكون سوف يبعث من حيث ينتهي ، أي أن موته في ثقوب سوداء ، وبعثه من خلال ثقوب بيضاء ، فكأنما نحن قد عدنا إلى شيء أقرب بالخلق اليميني والخلق اليساري .. لكن ذلك موضوع كبير ، ولقد ذكرناه ذكراً عابراً ، لأنه يدخل ضمن الحلزونيات على مستواها الكوني الكبير .

الموضوع ــ بلاشك ــ طويل جداً ، ومن أجل هذا اخترنا نماذج قليلة وبسيطة مما يكمن فينا وفيما حولنا ، وفي الآفاق ، وبحيث يشمل مجالات علمية مختلفة .. فعلماء الميكروبات ، وعلماء النبات ، وعلماء الحيوان ، وعلماء الوراثة ، وعلماء الظواهر الجوية ، والطبيعة الذرية ، والبحوث الفلكية .. الخ ، كل هؤلاء **يرون نماذج من هذه اللولبيات أو الحلزونيات في مجال بحوثهم ، وكل يحاول أن يجد التفسير المعقول الذي يريح فضوله لفهم ألغاز هذا الكون وخباياه !**

لغز محير وغريب

ومع أننا مررنا على أشياء كثيرة مر الكرام ، إلاّ أن ذلك يدفعنا للتعرض لمسألة واحدة بشيء من التفصيل ، حتى يتضح لنا أن هذه النظم اللولبية قد جاءت شاهدة على نظام متقن ، وخلق مدبر ، وحكمة لايخفى مغزاها على لبيب ، ولنختر هنا نظام التبادل في بعض أجزاء النبات ، رغم أن النباتات لاتحظى منا بالاهتمام ، مع أنها مفعمة بالألغاز .. أن نرى في النبات لغزاً رياضياً محيراً كاللغز الذي قدمه لنا الايطالي فيبوناكي (اسمه بالكامل ليوناردودابيزا ، وهو ابن تاجر يدعى بوناكي ، وكان ليوناردو يُنادى باسم ولد بوناكي ، وولد بالايطالية تعني « فيليو » أو « في » .. واندمجت « في » مع « بوناكي » فأصبحت فيبوناكي) وظهر عام ١٢٠٢ في كتابه الذي اسماه لغز الأعداد ، فهذا مايستحق التقديم ، خاصة وأن الصدفة التي جمعت بين لغز الانسان والنبات صدفة غريبة ومثيرة حقاً .

إذن .. ماهو لغز فيبوناكي ولغز النبات ؟

يطرح فيبوناكي لغزه هكذا : افرض أن لديك زوجاً من الأرانب ، وأن هذا الزوج يستطيع أن ينجب زوجاً في بداية كل شهر ، وافرض كذلك أن كل زوج مولود يستطيع بدوره أن ينجب زوجاً بعد شهرين من ولادته .. فكم زوجاً تستطيع أن تحصل عليها بعد عام كامل وعلى فرض أن كل الأرانب ستظل حية وخصيبة ؟

لغز الحلزونيات في الأرض والسموات

شكل (١٠) نظام واحد من نظم الخلق التي لا تعد ولا تحصى .. لاحظ كيف تأخذ كل ورقة مكانها بين كل ورقتين تحتها أو فوقها ، ودون أن تشذ احداها عن الأصول .. لكن ما أكثر ما يحيد البشر عن نظم الحياة المحكومة بقوانين !

ولن نتركك طبعاً في معمعة هذه الأرقام ، فالحل عبارة عن سلسلة من الأعداد هكذا : ١ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٨ ، ١٣ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ١٤٤ ، ٢٣٣ ... الخ .. وطبيعي أنك قد لاحظت أن الرقم الأول (١) هو الزوج الأول ، فأعطى زوجاً في بداية الشهر التالي (رقم ١ التالي) ، مجموعهما (الرقم ٢) أي الزوج الأول والثاني .. أو ببساطة شديدة عليك أن تجمع كل رقمين متتاليين ، ثم تضع المجموع الى يسارهما ، لتنتج لك حصيلة الشهر الذي يليه ، وسر على هذا النهج في سلسلة الأرقام ، وعندئذ ستحصل ببساطة على الحل الصحيح للغز .

وقد يبدو ذلك خروجاً من موضوع إلى موضوع ، لكنه ليس في الواقع كذلك ، إذ أن كثيراً من النباتات قد اتخذت هذا اللغز سبيلاً في حياتها قبل أن يظهر فيبوناكي وقومه ، أو الجنس البشري كله بعشرات الملايين من السنين .. لكن بدلاً من اتخاذ الأرانب وسيلة للتكاثر ، وهو افتراض نظري يبدو كتسلية أو مزحة أو لغز . إلا أن النبات قام بتطبيق هذه السلسلة من الأرقام في إنتاج الأوراق والفروع والزهور والثمار ، وبكل دقة واقتدار ، ودون أن يشذ الخلف على تقاليد السلف مهما تعاقبت الأجيال والسنوات .

كأنما للنباتات هنا ذاكرة ، أو أنها تعرف مبادئ الزوايا والحساب والأرقام والمعادلات ، وهذا أمر صحيح ، غير أن مسألة الذاكرة والمعرفة بمبادئ الحساب قد أوحى في نظامها وحياً جميلاً ، ومالوحي هنا إلا خطط وراثية مبرمجة على أشرطة مسجلة بمركبات كيمائية ـ نقصد ذلك الشريط الحلزوني الذي يحدد صفات الكائنات (أنظر شكل ٣) ، فيجعل موضع الأذن هنا والعين هناك ، أو



شكل (١١) نظام ترتيب الأوراق على الساق يبدو بموقع ورقة محددة ، ثم تسير مع الأوراق التى على الساق ، حتى تصل الى الورقة التى تقع بالضبط فوق الورقة التى بدأت بها .. وتضع عدد الدورات الكاملة فى البسط ، وعدد الأوراق فى المقام ، تحصل على حسبة ثابتة لكل نبات ، ودون أن يشذ عنها .

الورقة هنا ، والزهرة هناك ، إلى آخر هذه الصفات الظاهرية التي نراها بعيوننا ، ولا نرى البرمجة الوراثية الدقيقة والمذهلة الكامنة فيها .

لحظات من تأمل

وطبيعي أن نظم الخلق المتقن لاتعلن عن نفسها ، إلا لكل من سعى إليها ، وتعلم من أحكامها ، وعندئذ يعرف الانسان أنه أمام تكوينات لاخلل فيها ولافوضى ، ولاشك أن بداية العلم ملاحظات وتأملات واستيعاب وتسجيل نتائج ، وإجراء تجارب ، ثم نسج كل ذلك في إطار منسق ، لاستخلاص حقيقة تسعد العقول الواعية ، ولا شأن لها باللاهية .. ومن مثل هذه الأشياء البسيطة نشأ ـ على سبيل المثال ـ علم تقسيم الكائنات الحية ، واستطاع العلماء أن يضعوها في أقسام ورتب وعائلات وأجناس وأنواع وسلالات ، وبهذا يمكن دراستها على أنها مجموعات تجمعها بعض صفات مشتركة ، وليس كما يراها الناس على هيئة مشتتة لاتربطها رابطة .

والواقع أن الطبيعة هي كتاب الكون والحياة المفتوح ، لهذا دعنا « نقرأ » فيه مسألة

■ الشكل الحلزوني يُتيح وَضْع أكبر كمّية من اللّوْلبِيّات في أقل كمّيّة من الفراغ



شكل (١٢) أحد النباتات الشوكية العصيرية، وتبدو فيه التراكيب الحلزونية بوضوح، وكأنما هي بدورها تقلد بعض النظم الكونية التي تسير على نفس هذا النمط المثير.

بسيطة للغاية. ولتكن هذه القراءة في تكوين نبات.. وعليك أن تنظر فقط إلى الظاهر، فهو المتاح لعيون البشر، أما الباطن فينطوي على هندسة بنائية دقيقة تحتاج في كشفها إلى الميكروسكوبات.. لهذا تأمل في زهرة كيف تراكبت، وأوراق كيف تبادلت، وأغصان كيف توزعت، وثمار انتظمت، وجذور كيف انتشرت.. إلى آخر هذه الأمور التي توحي للعقل أن كل تكوين فيه قد أتى بآية من آيات الخالق المحكمة.

خذ على سبيل المثال أحد أنواع نبات الصبار ذي الأوراق العصيرية المتضخمة بالماء، ولاحظ كيف توزعت أوراقه على ساقه القصير، تجد أنك أمام تكوينات متراكبة بشكل هندسي مثير (شكل ١٠).. وكأنما كل ورقة قد اتخذت لنفسها مجالاً محدداً، وبحيث لا تزاحم إحداها الأخرى في الحصول على نصيبها من أشعة الشمس.. أي أنك لن تجد ورقة وقد ركبت الأخرى، بل هي دائماً بين بين، (وهو ماتلاحظه ربة البيت في المطبخ مثلاً، عندما تتعامل مع أوراق الكرنب المتراكمة، أو أوراق الخرشوف المتبادلة) وطبيعي أن ذلك لايأتي إلا من خلال برمجة وراثية دقيقة يحملها هذا النبات أو ذاك في مخزونه الوراثي، فتتحول البرمجة الكيميائية إلى هندسة ونظام واتقان ــ هو الذي نراه في تكوين النباتات.

مثل هذا النظام يعرفه علماء النبات باسم فيللوتاكسي phyllotaxy أي نظام تبادل أو ترتيب الأوراق على السيقان، ومسألة تحديد ذلك بسيطة للغاية، فما عليك مثلاً إلا أن تنتقي ورقة، وتحدد موضعها بالدقة على ساقها، ثم تبدأ بالمرور أو الدوران حول قواعد الأوراق التي تليها على الساق، وكأنما أنت تمسك بخيط وهمي، حتى تصل إلى الورقة التي تقع بالضبط فوق الورقة التي بدأت فيها، ثم عليك أن تعد كم ورقة مررت بها، وكم دورة حلزونية كاملة درتها بالخيط الوهمي، ثم تقسم عدد الدورات على عدد الأوراق، وعندئذ قد تصل إلى حسبة فيبوناكي. ولكي لانشق عليك، كان من الأوفق أن نسوق النتائج إليك.. فأوراق الحشائش ٢/١، وأوراق الزان ٣/١، والتفاح ٥/٢، والكمثرى ٨/٣، واللوز ١٣/٥.. الخ (شكل ١١).

ولاشك أنك قد لاحظت أن أرقام البسط والمقام المستخلصة من ترتيب الأوراق في بعض النباتات التي ذكرناها (والتي لم نذكرها لضيق المجال) هي نفس الأرقام المستخلصة من سلسلة أعداد فيبوناكي أي ١، ٢، ٥، ٨، ١٣... الخ.

هل هناك علاقة ود؟

لكن الغريب أن تنظيم الأجزاء النباتية المختلفة على محاورها قد يتخذ بدوره شكلاً حلزونياً، خاصة إذا تقاربت هذه التكوينات من بعضها، كأن تكون مثلاً أشواكاً للحماية، أو زهوراً لإنتاج البذور، أو أوراقاً لتجهيز الغذاء... الخ ــ تأمل مثلاً في شكل (١٢) تجد النبات قد اتخذ الشكل الحلزوني، ولو أحصيت الصفوف المائلة التي تتجه يميناً، والصفوف المائلة التي تتجه يساراً، لوجدتها أيضاً أعداداً فيبوناكية!

هل يعني ذلك أن هناك علاقة ود أوحب بين حسبة فيبوناكي مع أرانبه، وحسبة النبات مع أجزائه؟

بالتأكيد كلا، فربما كان ذلك محض صدفة.. لكن يبدو أن الأمور أغرب من ذلك بكثير، فبعض هذه النباتات مثلاً قد توصل ــ من خلال ترتيب أوراقه أو زهوره ــ إلى مايطلق عليه علماء الرياضيات اسم العدد المقدس، أو العدد الذهبي.. ليس ذلك فحسب، بل إن هذا الترتيب قد يصل إلى الحد الذي يشبه الكلمات المتقاطعة، أو مربعات الأعداد المتسلسلة أو المتكاملة، لدرجة أن واحداً من المهتمين بمثل هذه الدراسات الغريبة قد توج دراسة له في مجلة علمية بعنوان غريب يأتي هكذا: زهرة الربيع الرياضية ــ أي التي ترص زهوراً على حسب مبادئ رياضية، والغريب أنها جميعاً تتبع النظام الحلزوني، وتسير على مبادئ حسبة فيبوناكي، وهي فوق كل هذا تطبق النظرية أو الحسبة أجمل تطبيق، في حين أن حسبة الايطالي ليست إلا للتسلية، وتطبيقها غير وارد!

لكن.. ماذا يعني كل ذلك؟

يعني أن الحياة تنطوي على أسرار غريبة، وهو ما سوف نفرد له دراسة مستقلة، لنعلم مالم نكن نعلم من غرائب الكون والحياة، وسبحان الله العظيم المبدع الأعظم للكون والحياة.

عبد المحسن صالح

زمان الصمت المهيب

فيما سلف من الأيام ، لم يكن الانسان وحده هو الذي يتكلم بل كان كل ما على سطح الأرض من حيوان ونبات وطير وجماد يتكلم مثلما يتكلم أبناء آدم وحواء .

كانت الأنهار تتكلم كلاما أجمل من أعذب موسيقى ، ولكنها لاذت بالصمت مرتجفة الماء عندما شيدت سجون على ضفافها ، وامتزج دم بمياهها .

كانت الدجاجات تتكلم ، ولا تكف عن ترديد القول التالي بفخر : « وما التأنيث لاسم الشمس عيب ، ولا التذكير فخر للهلال » ، ثم تنبه الناس الى أن لحومها لذيذة الطعم ، وانقضوا عليها بسكاكينهم ، فتخلت عن الكلام احتجاجا ، ولم ينفعها احتجاجها ، وظلت طبقا ذا مكانة مرموقة على موائد الآكلين .

كانت العقارب تتكلم ، ثم اكتشفت في لحظة من لحظات الوعي المباغت أن هناك في صفوف البشر من يفوقها في اللدغ ، فخجلت ، وخجلها قضى على كلامها ، وأخرسها .

كان الحمار يتكلم بفصاحة ، ولكنه في يوم من الأيام ضرب ضربا مبرحا أدى الى حرمانه القدرة على التكلم ، ولم يبق له سوى النهيق وسيلة وحيدة للتعبير عن أفكاره ومشاعره ، فخسر الكون خطيبا مفوها لوذعيا .

كانت القنافذ تتكلم ، واشتهرت بولعها بمناقشة القضايا السياسية ، ولما تبدلت السياسة ، وصارت نوعا مبتذلا من التجارة بالمبادىء ، تضاءل كلامها رويدا رويدا حتى انقرض نهائيا .

كانت الجدران تتكلم باستمرار ، وتتهم بالثرثرة غير أن ما شاهدته من مهازل سرية أفقدها الرغبة في الكلام ، فصمتت غير آسفة .

كانت البلابل تتكلم ، ثم امتنعت عن الكلام اشمئزازا من أصوات منكرة تنال التصفيق الحار من مستمعين معجبين ، ولكنها ظلت تشدو متحدية على الرغم من ثقتها بأن تحديها مخفق ، ولن يختتم بأي انتصار .

كان الجمل يتكلم ، ثم قيل له يوما ان صحراءه ستضمحل فى المستقبل وتحلّ محلها مدن من اسمنت وحديد ، فصدق ما قيل له ، وصمت تعبيرا عن حزنه ، ويحقّ لمن يخسر وطنه أن يحزن ، وأن يصبح قدوة .

كانت النعامة تتكلم داعية الى دفن الرؤوس فى الرمال ، ولما نجحت دعوتها ، رأت أن كلامها لم يعد له أي دور ، ولا مبرر لاستمراره ، فقررت أن تصمت ، ونفذت قرارها التنفيذ الأمين .

كانت الأشجار تتكلم ، وتقول بجرأة ما لا يقال ، ولكنها سكتت رعبا مما حل بمن يتكلمون بجرأة من أبناء البشر ، ولم يتهمها أحد بالتقاعس والجبن .

كان البحر يتكلم ، ولكن غضبه على ما يقتل من سمكه جعله ينبذ الكلام ، ويبتلع سفناً وأناساً انتقاماً من المعتدين على أملاكه .

كانت الكراسي تتكلم ، ثم جاءت أيام تكاثر فيها المتنافسون على الجلوس عليها ، وكتموا أنفاسها ، وخنقوها ، وحولوها الى خشب هامد .

كانت الطواويس تتكلم . وحين تتكلم ينصت لها كل من يكون حولها بخشوع ، وكل جملة تنطق بها تسجل فوراً بوصفها الحكمة الخالدة . وعندما صارت الحكمة مذمومة ، والسفاهة محمودة آثرت الطواويس السكوت ، ولم تندم فيما بعد .

كان الورق الأبيض يتكلم ، ولكن ما كتب عليه من كلمات كاذبة حضّه على ازدراء الكلام ، وأصبح مواطنا فى وطن الصامتين .

كانت النجوم تتكلم ، وتؤمن بأن خير الكلام ما قل ودل غير أن طغيان الثرثارين والمتشدقين أقنعها أن الكلام ليس بالأمر الحسن الذي يليق بمن يتلألأ في أحشاء الظلمة . كانت الجياد تتكلم لتشرح لتلامذتها الكثيرين فوائد الحرية ، فهزمت الحرية شرّ هزيمة ، وأضحت ضحية ، وكان من البديهي أن يخلد المبشرون بها الى الصمت العميق .

كانت الأرانب تتكلم ، وتتقن العربية الفصحى اتقانا تاما ، وتنظم ببراعة الشعر الموزون المقفى ، ولا تحاول المراوغة والغش ، وتعترف بأنها تلجأ الى الهرب خائفة كلما أحست بأن خطراً ما يهدد حياتها ، ولم تكن تخجل من اتهامها بالجبن ، ولكنها هجرت الكلام وسكتت حانقة عندما رأت أناساً يهربون قبل أن يهدد الخطر حياتهم ، ثم تنهمر عليهم ألقاب البطولة تقديرا لشجاعتهم التاريخية .

كان الناس كافة يتكلمون بأصوات عالية ، ثم توارت أصواتهم ، وبدوا كالنائمين وكالموتى ، وما هم بنائمين أو موتى .

من ينبغي أن يتكلم ويصرخ هو الآن صامت ، ومن ينبغي له أن يصمت لا يتوقف عن الكلام ، ولا دليل في الآفاق العربية على أن ثمة تبدلاً سيحدث .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

الغضب الجميل المنسي

الغضب نوعان : غضب يدحر عدوا غازيا ، ويحرر أرضا وانسانا ، ويزهق باطلا ، ويشيد للعدول صروحا ، وغضب آخر لا يفزع ذبابة . ولا يمنع بوما من النعيق .

وكل غضب يعجز عن التجسد في أعمال وأفعال هو ثرثرة وانفعال عابر وغضب وهمي مزور يشبه غبارا يريد الاطاحة بجبل .

ومن المؤسف أن الغضب الوهمي هو الآن السائد في حياتنا اليومية ، والمهيمن على كثير من عقولنا وألسنتنا وأيدينا وأقلامنا .

نحن نغضب إذا دعس شخص ما على قدمنا مصادفة ، ولا نغضب إذا احتل العدو جزءا من وطننا ، إنما نهز رؤوسنا آسفين ، ونندمدم متسائلين بحيرة : « ماذا نفعل ؟ الدول الكبرى تؤيده تأييدا بلا حدود . فهل نستطيع محاربة الدول الكبرى والانتصار عليها ؟ » .

نحن نغضب إذا نمى إلى سمعنا أن أحدهم قال علينا كلاما لا يرضينا ، ولا نغضب حين يزدرينا الأجنبي ، ويكرس أجهزة اعلامه لتشويه صورتنا يوميا ، بل نزداد تبجيلا له ، ونسرف في استيراد بضائعه ، ونتخم مصارفه بأموالنا ، كأننا نعترف بأن موقفه منا صحيح ، ولم يقل إلا الحقيقة .

نحن نغضب إذا رأينا قمامة متناثرة على أرض شارع من الشوارع ، ولا نغضب إذا رأينا أرض الشارع نفسها تغرقها دماء بشرية مسفوكة ظلما وبغير ذنب ، ونكتفي بالقول مهددين : « أجدادنا علمونا أن نثأر ولو بعد أربعين سنة » .

وقبل أعوام ليست بالقليلة غنت المطربة المشهورة فيروز قائلة بثقة وحماسة إن الغضب الساطع آت ، فاذ قولها مجرد شائعة يعوزها الصدق ، ولكن ثمة معجبين بفيروز يدافعون عنها قائلين : « فيروز كانت صادقة . لقد قالت إن الغضب الساطع آت من دون أن تحدد موعدا معينا لمقدمه ، وسيأتي بالتأكيد بعد ألف سنة » .

والغضب ليس هو وحده الذي يتصف بأنه نوعان هناك أشياء أخرى كثيرة تتصف بأنها نوعان .

الليالي نوعان ، ليال لنوم الناس ، وليال لنوم الضمير ، ونوم الضمير بات صفة للذكي وفق المعايير المعاصرة .

الأنهار نوعان ، أنهار من ماء تسير إلى أمام ، وأنهار من بني البشر تجري إلى الوراء اذعانا لمشيئة من إذا أمر أطيع ، والعصاة هم من الهالكين .

الكتب نوعان ، كتب ترشد إلى الدواء وكتب هي الداء والوباء .

الاسواق نوعان ، أسواق تباع فيها السلع الضرورية والسلع الكمالية ، وأسواق يباع فيها الانسان بأساليب متقدمة ، فالرقيق محظور قانونيا ، وأصفاده اختفت لتحلّ محلها أصفاد أخرى أبشع وأقسى وغير مرئية ، وتسمى أحيانا الفقر والخوف .

الكلام نوعان ، كلام صادق يجلب الهوان لصاحبه أو يصرعه ، وكلام منافق يتيح لقائليه امتلاك الثروات واحتلال كراسي المناصب ، والكلام المرائي هو الرائج والمطلوب .

استقلال الأوطان نوعان ، استقلال يطرد الأجنبي المحتل كي يبنى الوطن ويطور المواطن ، واستقلال يرغم المواطنين على الحنين إلى أيام الاحتلال والمحتلين .

الأشجار نوعان ، أشجار تفقد أوراقها الخضراء في الخريف والشتاء ، وأشجار تحافظ على خضرتها في الفصول الأربعة ، والناس الذين لا يذبل ما يؤمنون به من قيم ومثل ، ولا يصفر ولا يتساقط هم قليلو العدد ، ولكن قلة عددهم لا تعني أنهم مهزومون في الجولات كافة ، فالفيل الواحد أضخم من مليون بعوضة .

الحمير نوعان ، حمير تعرف أنها حمير ، فتحمل الأثقال ، وتكتفي بالنهيق صابرة ، وحمير تدعي أنها قادرة على الطيران ، وستطير كالعصافير الدورية إذا كانت مدعومة من قبل قوى دولية .

البطون نوعان ، بطون يشبعها القليل من القوت ، وبطون تظل جائعة مهما أكلت ، وستطالب بالمزيد حتى ولو التهمت الكرة الأرضية وما على سطحها .

الناس نوعان ، ناس ينظرون إلى الأقدام على أنها وسيلة للتنقل من مكان إلى مكان ، وناس يعتقدون أن لا مهمة للأقدام إلا الركض من عتبة مسؤول إلى عتبة مسؤول .

الزمان نوعان ، زمان للنمور ، وزمان للقرود ، والزمان الراهن ليس زمان النمور .

محاورات أفلاطون

رئيس التحرير : « قصيدتك التي تتناول بالتحليل والدرس علاقة حب بين مواطن صالح ومواطنة صالحة هي أكثر من رائعة ، ولكنها لا تصلح للنشر حاليا لأنها لا تتحدث عن الخطط الحكومية لمكافحة الأمية والآفات الزراعية » .

الشاعر : « ولكن قصيدتي الثانية مكرسة كلها لتبيان محاسن الخطط الحكومية المناوئة للأمية والامبريالية » .

رئيس التحرير : « يؤسفني القول إنها أيضا لا تصلح للنشر لكونها تغفل الانجازات الحكومية الباهرة في مجال تربية الدواجن والمواشي » .

الشاعر : « وقصيدتي الثالثة ؟ » .

رئيس التحرير : « أهنئك عليها . إنها من روائع الشعر العالمي ، وقد حولت إلى الجهات المختصة للاستفادة مما فيها من معلومات قيمة عن الاتجاهات السياسية لأصدقائك ومعارفك ، وستتلقى عما قريب رسالة شكر وتقدير مرفقة بمكافأة رمزية لأنك ممن يوظفون الرمز لخدمة الواقع » .



من روائـــــع
الفن العـــالـــمي

بقلم: جمـــال قطـب

إيزابيـــل

لعل لقاء اليوم مع قرائنا المهتمين بعالم الفن وآفاقه الرحيبة، يكشف عن مفارقات غريبة في تكوين الشخصية الفنية من خلال مراحلها وتطورها عاماً بعد عام. فعندما تتضح معالم هذه الشخصية المميزة في نهاية الأمر، فإنما هي محصلة العديد من التجارب والممارسات والتأثيرات، كالنحلة عندما تجتذبها مئات الزهور من كل نوع ولون. ترتشف رحيقها، ثم تفرزه عسلاً صافياً من صنعها ولا أثر فيه لزهرة بعينها دون أخرى! وهكذا الفنان في بدايته الأولى، ينجذب إلى إبداعات الأقدمين والمعاصرين ممن شغف بعبقرياتهم.. يقلد هذا، وينقل عن ذاك، ويدرس ويتمعن ويستخلص مايروق له من أعمال الآخرين، إلى أن تتضح السبل أمامه.. وتتبلور شخصيته المميزة.

وفناننا اليوم هو فرانسيسكو جويا (١٧٤٦ ـ ١٨٢٨) الذي عاش حتى بلغ الثالثة والثمانين من عمره، وعاصر فترات الصراع والتحولات الفنية والسياسية في أسبانيا، نراه وقد مرّ على نفس التجارب والممارسات، حتى أصبح الفنان العالمي الذي دخل تاريخ الفن كأحد الروّاد الكبار في مسيرة الابداع الإنساني الرفيع!

مارس جويا في صباه وشبابه المبكر كثيراً من الأعمال اليدوية الفنية كزخرفة الستائر والتحف الخزفية والطنافس، وكان يقلد من سبقوه في رسم الأساطير القديمة والميثولوجيات الإغريقية على طريقة فنان الشمال الأوروبي الشهير (روبنز). وظل غارقاً في هذه الأساليب الرومانسية الحالمة حتى ذاعت شهرته بين الطبقات الأرستقراطية الموسرة، فأغدقت عليه من مالها وسلطانها ماجعله يتسلق إلى البلاط الأسباني وتتوثق عرى الصداقة بينه وبين شقيق الملك شارل الثالث، وكان يجمع بينهما جموح العبث وطيش الشباب وجنون المغامرات المثيرة! ويوماً بعد يوم تجلى نبوغه في الفن، فأصبح مرسمه مقصداً ومطمحاً للوجهاء من علية القوم وفاتنات المجتمع، علهم يحظون برضاء جويا بأن يجلسوا امامه ليرسم صورهم! وعندما توفي الملك شارل الثالث، وتولى شقيقه حكم أسبانيا تحت اسم شارل الرابع، بادر بتعيين صديقه ورفيق مغامراته جويا، رساماً للبلاط.. وعندئذ تبدأ أهم مرحلة في حياة جويا، حيث بلغ الذروة في فنه، كما بلغ في الوقت ذاته الحد الأقصى في سلاطته وتهوره!

وكانت أسبانيا في ذلك الوقت (أواخر القرن الثامن عشر) تعيش عصر الفساد والانحلال، وقد عاشر جويا شتى طبقاتها: شعبها الذي طحنه الفقر، وشبابها المحروم، وفتياتها الضائعات، وهاهو ذا الآن يخالط أفراد البلاط الأسباني وحاشيته الأرستقراطية الباذخة، وتترسب في ذهنه ووجدانه من كل مايراه.. صورة قاتمة مهينة تثير اليأس والسخرية! وهنا تأتي مرحلة النضوج الفكري واستيعاب هذه المؤثرات المتناقضة في بصيرة الفنان، فيرسم اللوحات الملكية الساخرة التي تعلق في أروقة القصور والمتاحف، وكأنها هجاء لاذع ولعنة على العبث والرذيلة المقنعة المحصنة خلف الأسوار العالية!

ومن الغريب والعجيب، أنه بقدر ماكان يقسو في هجاء سادته في لوحاته، بقدر ماكانوا يغدقون عليه ويبذلون له العطاء، وبخاصة السيدات منهم، كمن يرشو ويحاول جاهداً أن يستميل من يعرف سره ونقائصه وخباياه حتى يسكته أو يأمن جانبه أو يروّضه إذا استطاع!

واستبد اليأس والغضب بالفنان، وكان لابد له من متنفس يصب فيه جام سخريته على الناس والمجتمع وحتى على نفسه كذلك! فعكف جويا على مجموعة لوحات حفرها على النحاس «تُعرف باسم لوس كابريكوس Los Caprchos كانت من أروع وأصدق مارسمه فنان عالمي في التاريخ، جسد فيها انحلال المجتمع الأسباني، مجتمع العبث والشهوات والضياع!

وفي عام ١٨٠٨ اقتحم الفرنسيون الأرض الأسبانية، وشهدت البلاد ويلات الحرب ووحشية الغزاة والتنكيل والمجازر. وظهر جويا، فنان أسبانيا، كمواطن غيور يذوب في حب وطنه، فأخرج مجموعته الثانية المسماة (كوارث الحرب)، ثم أردفها بمجموعة ثالثة من اللوحات تعرف باسم (فظائع الحرب)، جمع فيها جويا كل خبرته وتجاربه وعبقريته.. ولذلك، فلا غرو أن تصبح هذه اللوحات الملحمية الرومانتيكية الرهيبة، بمثابة صيحة وعي وزفرة ألم وصحوة ضمير تستعر هائجة في وجه القهر والظلم والتسلط!

ودارت الأحداث الرهيبة، وجاء نابليون بنفسه ليقمع ثورة الشعب الأسباني عقب تنصيب شقيقه جوزيف بونابرت على عرش أسبانيا. ولسبب لاندريه، وبالرغم من أن لوحات جويا كانت أقوى سلاح ضد الغزاة الفرنسيين، فقد ظل جويا في منصبه رساماً للبلاط تحت الحكم الفرنسي! وكان طبيعياً أن يحنق عليه الشعب الأسباني، ويطالب برأسه بعد أن انقشعت غمامة الغزو وعاد فرديناند السابع الى حكم بلاده بعد سقوط نابليون، ولكن فرديناند استحضر جويا إلى مجلسه وقال له: «إنك تستحق النفي، بل تستحق الشنق، ولكنك جويا.. فنان أسبانيا العظيم، لذا سأنسى كل مافات.. وستظل في مكانك ومكانتك..»!!

غير أن جويا كان قد برم بحياة القصر والشهرة والأضواء والمغامرات، فانطوى على نفسه في بيته يرسم آخر لوحاته باسلوب سريالي متشائم، ثم رحل الى مدينة بوردو الفرنسية، حيث وافته المنية وهو معتل الصحة كليل البصر زاهد في الحياة، ولفظ آخر أنفاسه هناك بعيداً عن وطنه وهو في الثالثة والثمانين من عمره الزاخر بكل صنوف الحيوية والعطاء.

.. قراءنا الأعزاء: وسط هذا الجو الدرامي الذي عايشنا من خلاله حياة جويا المفعمة بالأحداث والنزعات والنزوات والخطوب والشجون.. نلتفت يساراً إلى الصفحة المقابلة لنراه في إحدى روائعه وهي لوحة «دونا إيزابيل» إحدى حسان المجتمع الإسباني.



كيف تسللت الأزياء الأوروبية إلى بلادنا خلال أقل من مائة سنة ؟

الأفندية

بقلم: محمد سيد كيلاني

« مخطىء كل الخطأ صاحب الزي الشرقي الجميل يستبدله بالزي الغربى مرضاة لهوى كاذب وشهوة خادعة . مخطىء لأنه ينزل عن كرامة الأمة فى عاداتها وآدابها ليندمج فى أمة أخرى من غير حق ولا داعية . نحن لانريد أن نقارن بين الأزياء الشرقية والغربية ونحكم على أحدها بحسن أو قبح ، ولكنا نقول إن للشرق زيًّا تدعو إليه طبيعته وللغرب زيًّا يقتضيه جوه واقليمه . فليس تبديل الزى الشرقى بالزي الغربى صادرا إلاَّعن نفس مرتبكة مختلطة ومزاج غير منتظم » . طه حسين ١٩١٠ م

كان الصبيان في مصر إذا رأوا شخصاً مرتدياً الملابس الأوربية وعلى رأسه طربوش جروا وراءه صائحين « أفندي طز ، أكل اللحمة وخلَّى الرز » .

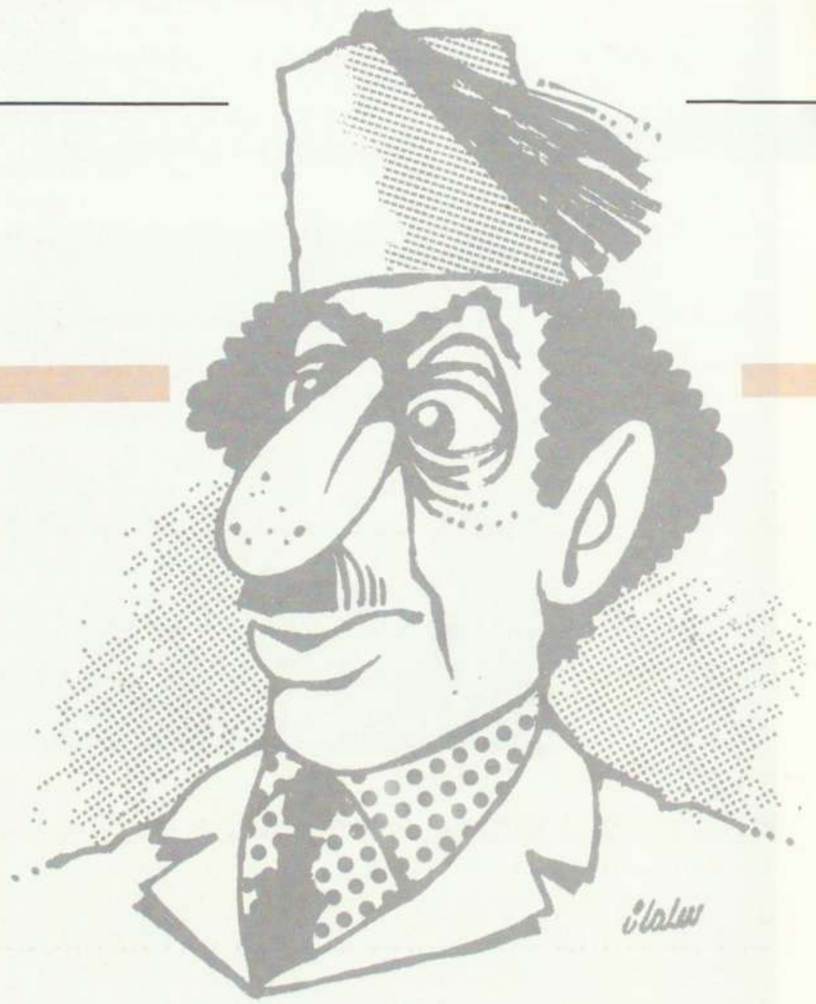
ولم يكن المصريون يعرفون شيئاً عن الملابس الأوربية لأن الرحالة والتجار الأوربيين الذين وفدوا على مصر كانوا يرتدون الملابس الشرقية فيحسبهم الناس أتراكاً . ولكن لما جاءت الحملة الفرنسية شاهد المصريون لأول مرة ملابس تختلف عما ألفوه . وقد شهد الجبرتي بأفضلية الزي الأوربي لميادين القتال . قال « والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة في ملابسهم وما على رءوسهم بخلاف المسلمين » .

ويذكر ادوارد لين الذي جاء إلى مصر في عهد محمد علي أن الكلاب كانت تتجمع حول الشخص المرتدي للملابس الأوربية وتنبح نباحاً شديداً .

وقد أخذ محمد علي باشا جميع ألوان الحضارة الأوربية ماعدا الأزياء ، فقد كان الشرقيون عامة والمسلمون خاصة يرفضونها رفضاً باتاً ويرون أنها ملابس اختص بها الكفار فلا يجوز للمسلمين إرتداؤها . ومن فعل ذلك فقد مرق عن الدين والوطنية . وقد ذكر ادوارد لين « أن رجال الدين المسلمين يضعون على رؤوسهم عمامات تمتاز بضخامة الحجم ، ويتكون منها حول رءوسهم مايشبه الكرة العظيمة . وكان بعضهم يحليها بوشاح من الكشمير أو الحرير الموصلي تهبط منه عذبتان تحفان بوجه العالم أو الشيخ فتعطيه هيبة الجلال والوقار . وكان أغلب الفلاحين لايرتدون السراويل الداخلية .

وكان الجنود المصريون في عصر محمد علي باشا يرتدون سراويل واسعة وصدرية تحشر في السروال ويثبتون ذلك بشريط من القماش وعلى رءوسهم الطرابيش المغربية وينتعلون بالمراكيب الحمراء . وقد استمرت الحال على هذا المنوال حتى عصر الخديوي إسماعيل الذي ترك زي الآباء والأجداد ، وارتدى البنطلون كما نعرفه الآن ، أما السترة فكانت طويلة وتسمى الإسطمبولية . واتخذ الحذاء الأوربي . أما غطاء الرأس فكان الطربوش كما نعرفه الآن ، وليس الطربوش المغربي الذي نراه في صور محمد علي باشا وابراهيم باشا . وكان من واجب الأدب والاحترام أمام الرؤساء أن يكون وضع الطربوش عمودياً لايميل يميناً أويساراً أو ينحدر إلى الأمام أوإلى الخلف . ولابد أن يكون زر الطربوش في خلف الرأس . ولايجوز أن يدخل الانسان على الرؤساء وأصحاب المقامات الرفيعة وهو عاري الرأس .

ومنذ عصر الخديوي إسماعيل انقسم المجتمع المصري إلى طائفتين : طائفة المعممين وطائفة المطربشين . وقد اشتدت الحرب القلمية بين الطائفتين . فالأولون يتهمون الآخرين بالخروج على الوطنية والتقاليد الموروثة . كتب طه حسين في (الجريدة بتاريخ ٣٠ ــ ١٠ ــ ١٩١٠) مانصه :



« مخطئ كل الخطأ صاحب الزي الشرقي الجميل يستبدله بالزي الغربي مرضاة لهوى كاذب وشهوة خادعة . مخطئ لأنه ينزل عن كرامة الأمة في عاداتها وآدابها ليندمج في أمة أخرى من غير حق ولاداعية . نحن لانريد أن نقارن بين الأزياء الشرقية والغربية ونحكم على أحدهما بحسن أو قبح ، ولكنا نقول إن للشرق زياً تدعو إليه طبيعته وللغرب زياً يقتضيه جوه وإقليمه . فليس تبديل الزي الشرقي بالزي الغربي صادراً إلا عن نفس مرتبكة مختلطة ومزاج غير منتظم » .

وكان الشبان يبالغون في تحسين هندامهم ، وكان المعممون يعيبون عليهم لبس الحذاء الملون اللامع وحلق اللحية والشارب كل يوم أو يومين وإرتداء قميص بياقة عريضة مفتوح من أعلى الصدر (سبور) أواتخاذ ساعة يد لأن لها سواراً يشبه سوار المرأة أو ارتداء الملابس ذات اللون الفاتح أو إطالة شعر الرأس أو ارتداء السراويل (البنطلونات) المحزقة والسترات المشقوقة من الخلف . وكان مصطفى صادق الرافعي من الشعراء الذين يشنون الغارات على الشبان المطربشين . فمن قوله :

أرى فئة كالغانيات تدللا
تميل مع الأهواء كل مميل
تخال الفتى منهم على ظلمة النهى
لألوان ثوبيه سماء أصيل
وظن الفتى أن التمدن أنثوي
فتابع فيه كل ذات حليل

قالت صحيفة المؤيد (٣٠ ــ ٣ ــ ١٩٠٨)
« كلام الرافعي يصدق على بعض من يتأنقون في الزينة فيصففون شعورهم ، ويحففون خدودهم ويختارون من الألبسة آخر زي من صدرية ملونة مخرمة صنعت من القطيفة المزركشة وسترة مشقوقة وسراويل ضيقة وحذاء ملوناً ملمعاً ، وقد حرصوا على الأزياء حرصهم على أعز الأشياء .إن من شبابنا من يصرفون ساعتين كل يوم في التبرج » .

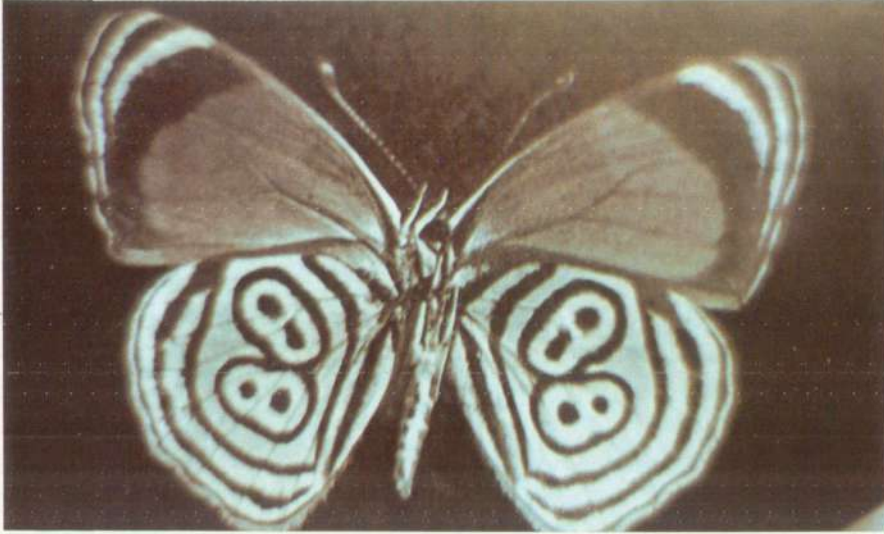
وفي سنة ١٩٣٠ أصدر وزير المعارف محمد حلمي عيسى باشا قراراً يقضي بأن يرتدي رجال التعليم الأولي والالزامي الملابس العربية التي يرتديها أهل القرى وقد انصاع المدرسون لهذا القرار ، ولكن طه حسين ــ وكان قد غير رأيه في موضوع الزي ــ سخر من الوزير وأطلق عليه لقب وزير التقاليد لما اتخذه بخصوص هؤلاء المدرسين .

ونجد عرب شبه الجزيرة العربية قد تمسكوا بزيهم القومي ولاسيما الشيوخ والأمراء والحكام ، وهذا يدل على اعتزازهم بعروبتهم واحترامهم لتقاليدهم الموروثة عن الآباء والأجداد . وللائمة هذه الملابس لجو بلادهم .

وفي مصر اتفق الجميع من مسلمين وأقباط على كراهية اتخاذ القبعة غطاء للرأس على الرغم من فتوى الشيخ محمد عبده بألا حرمة في ارتدائها لأنه لادليل في الكتاب ولا في السنة على منعها .

ولما صدر قانون في تركيا يقضي بارتداء القبعة حدثت ضجة كبرى لم تكن أقل من الضجة التي حدثت في عصر السلطان محمود الثاني حين صدر قانون يقضي بترك العمامة واتخاذ الطربوش . وقد أصدر مدير الشئون الدينية في تركيا فتوى تجيز للإنسان أن يصلي بالقبعة أو عاري الرأس أو يحمل معه طاقية يضعها على رأسه أثناء الصلاة . وقامت حركات أخرى في بعض البلاد الاسلامية مقلدة لحركة مصطفى كمال ، نذكر منها حركة أمان الله خان في أفغانستان ولكنها لم تنجح . وقد حاول بعض المصريين أن يروجوا لارتداء القبعة ، وكانت حجتهم أن الأتراك الذين أخذنا عنهم الطربوش قد تركوه فما بالنا نتمسك به ؟ وارتدوا القبعة فعلاً ، نذكر منهم محمود عزمي وسلامة موسى واسماعيل مظهر . فكان الصبيان إذا رأوا شخصاً لابساً برنيطة صاحوا « خواجه طيطه باع البرنيطة » ولم يكتب لهذه الحركة النجاح وظل الطربوش سيد الموقف وخاصة بعد ظهور « مشروع القرش » وإنشاء مصنع الطرابيش .

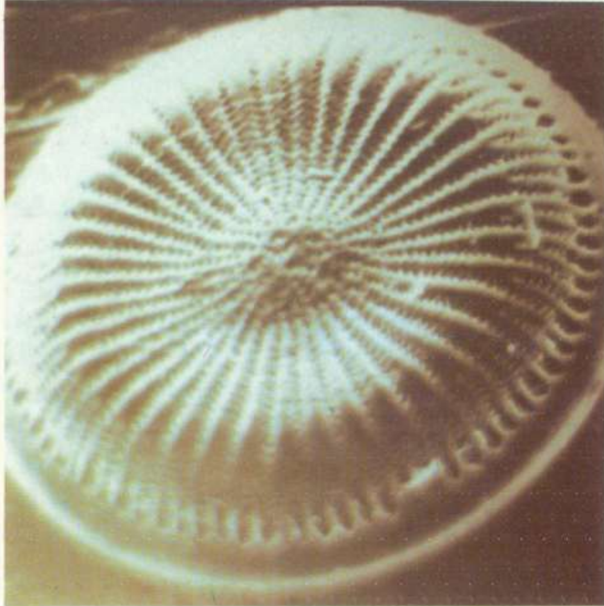
ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أصدرت قراراً بإلغاء الطربوش كغطاء رسمي للرأس ولكنها لم تجرؤ على تقرير القبعة كما حدث في تركيا ، فبقي الشعب في حالة فوضى ، فمن الناس من يغطي رأسه بطاقية أو لبدة ، واختفى الطربوش ، أما العمامة فقد ظلت متربعة على عرشها ولكنها صغرت عما كانت عليه في الماضي كما تطور طربوشها .



فراشة برقم عربي مقروء !

هى بالطبع فراشة ، وقراءة ما كتب على جناحيها لا يحتاج الى فراسة ، فعلى كل جناح ظهر الرقم 88 وهو بالطبع ليس رقما افرنجيا ، بل هو بالتأكيد رقم عربى ، وتستخدمه دول المغرب العربى ، المهم أن هذا النوع من الفراشات لم يستخدم هذه الارقام كعلامات مسجلة كما هو الحال فى عالمنا ، بل هى – فى الواقع – نقوش قد تتحور قليلا ، فتبدو على هيئة اعداد أخرى قد تكون 0 أو 6 أو 9 – الخ ، ولقد سبق أن قدمنا فراشة من هذا النوع فى ذلك الباب تحمل الرقم 89 بوضوح (انظر عدد يوليو ١٩٨٣ ص ٩٠ C) والسؤال الان : ماذا تعنى هذه الارقام ؟ .. الواقع أنها لا تعنى شيئا ، فلا الفراشة تعرف أنها مرقومة ، ولا الرقم ذاته موروث ، بل هو نتيجة لتداخل الظلال أو النقوش ، ولهذا فمن السذاجة أن يحاول أحد أن يستخلص من ذلك تصورا يرضى به هواه !

كعكة منقوشة أم قبّعة منسوجة ؟



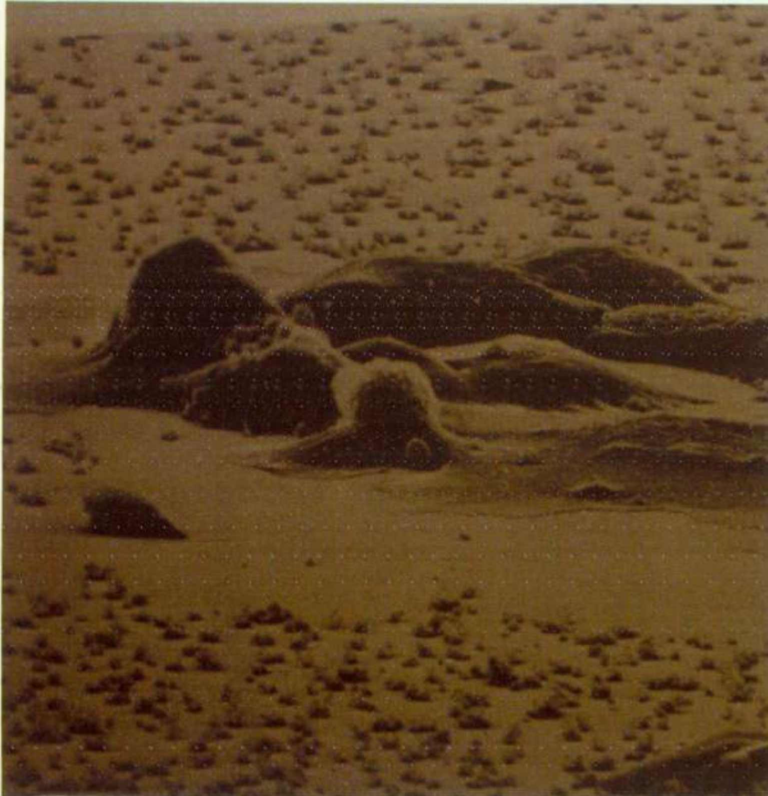
رغم أن اللقطة تبدو تقريبا كذلك ، إلا أنها فى الحقيقة أبعد كثيرا عن ذلك ، فنحن فى الواقع ننظر إلى طراز واحد من آلاف الطرازات التى تضمنها مجموعة من الكائنات اسمها « الدياتومات » ، وهذه إحدى رتب عالم الطحالب الذى يعيش فى الماء .. هذا والطحالب نباتات دقيقة لا ترى إلا بالمجاهر ، وهى المراعى الأساسية لكل الكائنات المائية الحيوانية ، أو هى أول حلقة فى سلسلة الطعام ، فإذا أكلها من هو أكبر منها قليلا ، جاءه من هو أكبر ليأكله بما أكل ، وهكذا نسير على مبدأ أن الكبير يأكل الصغير .. المهم أننا نرى هنا كائنا واحدا ذا خلية واحدة ، ومكبرا مئات المرات ، أما هذه النقوش الدقيقة ، والخطوط المستقيمة التى تخرج من القمة ، وتنتهى بالحافة ، مكونة بذلك تحفة جميلة ، فتمثل لنا غلاف أو جدار أو « ثوب » الخلية الطحلبية الذى « طرزته » بحبيبات من السيليكا (الرمل) ، لتعطيها قوة وصلابة وحماية ، وفوق ذلك رقة وجاذبية وزينة ولهذا ، فلا مانع أن تتجمل الخلية وتتزين ، وكأنما هى تردد « ولم لا .. والله جميل يحب الجمال » ؟ لكنه جمال خاف لا يراه إلا العلماء بطرازات تعد بعشرات الآلاف .

كل شيء جائز



هى لقطة قد لا تجذب أو تثير ، إذ ليس عجبا أن يكون فيها الطويل والقصير .. وهذا صحيح ، ومع ذلك ، فهناك أمر غريب ، إذ أن الشابين شقيقان ، وأنهما أيضا توأمان ، وقد ولدا فى نوفمبر عام ١٩٥٨ بقرية باسيت فى مقاطعة ساوثهامبتون بانجلترا ، وظلا ينموان معا ، لكن نمو المدعو « ميشيل هنبرى بالام » قد توقف عندما بلغ من العمر ١٣ عاما ، فى حين أن نمو توأمه الآخر قد استمر على معدلاته العادية ، حتى بلغ طوله ١٧٥ سنتيمترا ، ووزنه ٧٣ كيلو جراما ، فى حين أن الآخر لم يزد عن ٩٤ سنتيمترا ، (أى أكثر قليلا من نصف طول شقيقه) ، وبوزن لم يتجاوز ٣٨،٤ كيلو جراما .. وطبيعى أن التوأمين ليسا متطابقين ، كما هو ظاهر من ملامح الوجهين ، هذا ويرجع التقزم الذى أصاب ميشيل الى توقف افراز هرمون النمو .. فاختلف التوأمان ، وبحيث يصعب على من يراهما دون سابق معرفة أن يصدق أنهما كذلك ، لكن كل شىء جائز ، فما أغرب مفارقات الحياة !

ليست صحراء قاحلة



رغم أن الصورة تبدو مغطاة بحصى أو بقطع أحجار صغيرة متناثرة فى فلاة واسعة ، وأن ما يتوسطها شيء أشبه ببروزات صخرية ، أو تجمعات رملية ، ورغم أننا سنترك لك الخيال لعلك تصل إلى سرها ، إلا أن كل ما قد يخطر بخيالك ، فلن يوصلك إلى مرادك ، فالواقع أن هذه الكومات الصغيرة ليست إلا خلايا حية تزحف ببطء شديد على شريحة مزودة بمحلول خاص ، لكن المحلول جف ، والملح تبلور ، فظهر على هيئة الحصى المتناثر ، ومع ذلك ، فباستطاعتك أن ترى آثار مسيرة هذه المجموعة من الخلايا الحيوانية المهاجرة ، وقد اكتسحت أمامها البلورات المتناثرة ، لكنها فى النهاية قد توقفت ، بعد أن جف المحلول ، ثم بدا الجفاف يضرب أيضا فى جنباتها ، ولا حياة مع جفاف .. لا فى خلايا .. ولا فى مخلوقات .. ولا فى أرض .. بقى أن نعرف أن الصورة هنا مكبرة حوالى ١٥٠٠ مرة ، ومن أجل هذا ظهر لنا عالم غريب مهاجر بغير هدف ، خاصة بعد أن فقد التآلف والترابط والانضباط الذى كان يطويه فى نسيج .. فى عضو.. فى مخلوق له كيان ..



شعر: محمد الحارثي

ذاتَ ليلَهْ
مرَّ حلمٌ باردٌ بالقربِ مني ..
ثم في جمجمتي حطَّ .. ومن ثمَّ احترقْ
قلتُ يا حلمُ استفِقْ
أنتَ كالعنقاء تُبعَثُ من رمادكَ .. فاستفقْ
واستدر نحوي ، وأسندْ ظهركَ العاري
على جمجمتي ، ولتشرب الشاى على مهلكَ ..
حتى أسألكْ
عن بلادٍ ، قيل ، تدعى الواق واقْ
فُقدتْ قبلَ الزواجِ ..
بثلاثين دقيقةْ
في نهاياتِ الأفُقْ ..
عن بلادٍ ، قيل ، ماتتْ
وعبيرُ السيفِ ، والنخلةِ ،
والنارنج فيها قد هَلَكْ

• • •

أيها الحلمُ تكلَّمْ
فأنا أحتاج لكْ
كل من حولي ، وما حولي طَوَّتهُ الريحُ ..
أو أخفتهُ في سُرَّتها
كلُّ من حولي ، وما حولي رمادٌ كان في يومٍ
من الأيام سُلَّمْ
لمداراتِ الفلكْ
أيها الحلمُ أنا وحدي تماماً ، وتماماً ، وتماماً ..
فتـــكلـــمْ

• • •

أيها الحلمُ تبسَّمْ ..
ثم غطي بابتساماتكَ ما تلقاهُ قُدَّامكَ من حزن ..
ومن أشياءَ لا تُذكَر في جمجمتي ..
علّها تخرجُ بيضاءَ بلا سوءٍ ..
فإني أتـألَّمْ

أيها الحلمُ إلى أينَ تحلِّقْ ؟
فسمائي كلها أو بعضها ما خُلقتْ ، يوماً ، لترقى
لسمـــاواتك ..
يا حلم سمائي خُلقتْ ، أصلاً ، لِتغرقْ
أيها الحلمُ إلى أينَ ؟ .. ومن أين ؟ ..
ومن أعطاكَ يا حلمُ جوازاً لتغني وتصفِّقْ
ثم من أعطاك حلماً لتسمِّي نفسكَ الحلم ..
لتبني لكَ من جمجمتي عشاً ومرفقْ ؟
أيها الحلم إلى أينَ ؟ .. ومن أين ؟
وهذا الأفقُ مغلقْ

• • •

أيها الحلمُ تعلَّمْ
لم تكنْ يوماً طباشيراً ، ورأسي لم يكن سبورة سوداء
فـــاهربْ ..
أيها الحلمُ لتسلَمْ
إنهم خلفك بالكرباجِ ، فـــاهربْ
قال ممَّنْ ؟...
قلتُ : (ممن إذا شاهدوا حلماً ..
أعدوا له القبر ، والزهر ، والشاهده)
قال ــ وهو يلملم أشياءهُ ــ يا فتى :
قبلَ بدءِ الرحيل ، أتسمحُ لي أن أبيضَ بويضة
حلم ، لتفقس بعد ثلاثين عاماً ..
لتبقى دليلا على أنني كنتُ يوماً هنا ..
لتكونَ الهدية ، والمائده ؟
قلتُ لا أيها الحلمُ ، إن ثلاثين عاماً ستدخلُ
زنزانة الوقتِ لو فقَّس البيضُ ..
فارحلْ وبيضكَ ، يا حلمُ دع لي ثلاثين عاماً
لأفرشها كيفما أشتهي ..
إنها لعبتي السائده

عُمـــان

رسالة العربي من تونس

يكتبها: السيد حجازي • تصوير: أمين بدوي

عاصمة عربية تتمسك بالماضي وتفتح ذراعيها للحاضر وتحلم بالمستقبل



عندما تهبط بك الطائرة في مطار تونس قرطاج، سوف تصافحك على الفور وجوه مبتسمة، مرحبة، يحاول أصحابها تأكيد هويتهم العربية بالاصرار على التحدث بلغة الضاد، رغم أن الجو العام يوحي في البداية أن الحديث لابد أن يدور بالفرنسية، حتى وأنت تمشي وسط الناس العاديين، وتتجول في المحلات والأسواق...



عاصمة عربية



الخضرة تكسو كل مكان في تونس والمباني البيضاء تبرز بجمالها ▲

جامع الزيتونة الشهير بعمارته المميزة ▼



لباس تقليدي تونسي وبوابة قديمة

لكن سرعان ماتنتهي هذه الصورة المفاجئة ، لتحل محلها صورة تونس العرب ، الذين يتكلمون اللهجة المحلية ، مصبوغة بالعربية الفصحى في شبه اعتذار أحياناً عندما لاتصل إليك المعاني واضحة ، فهم لايخفون تأثرهم بالثقافة الفرنسية ، ولايترددون عن القول بأن هذه مسألة قديمة ، تراثية ، ترجع إلى سنوات الاحتلال التي توجت بالصحوة الحديثة ، والتي عمت كل الأرجاء ، وانسحبت على البشر..

اللغة الأولى

صحيح أن هذا التأثر بالفرنسية كان كبيراً ، لكن ردة الفعل أيضاً كانت أكبر ، فلقد أصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولى في المدارس ، وتراجعت اللغة الفرنسية ، لتصبح لغة ثانية ، يدرسها الطفل في السنة الرابعة

■ تونس "العاصمة" تقاوم التحدث بالفرنسية وتُصِرُّ على تأكيد هويّتها الإسلاميّة

■ تاريخ حافل بالتراث المضيء وحاضر تشغله مشاكل الوضع الاقتصادي

بالمرحلة الابتدائية ، وهناك تفكير في أن لاتدرس الفرنسية إلا بعد الإنتهاء من المرحلة الابتدائية ، وفي بداية المرحلة المتوسطة أو الاعدادية ..

هكذا كانت هذه الخطوة ضرورية تعميقاً للتعامل بالعربية ، التي لاتتعامل بها حتى هذه اللحظة سوى وزارتين معاملة رسمية ، هما وزارة العدل ووزارة الداخلية ! ..

لكن والحق يقال ان كل الأجهزة الاعلامية والثقافية تلعب دورها في هذا المجال ، بما يؤكد أن تونس الخضراء هي تونس العربية الأصيلة التي تعرف دورها العربي الطليعي حق المعرفة ، والتي تستضيف الجامعة العربية مقر اجتماع كل العرب ، والتي تحتضن أيضاً منظمة التحرير الفلسطينية قائدة النضال من أجل قضية كل العرب ..

وسوف تصبح مدينة تونس هي حديث كل ركاب الطائرة قبل أن تهبط إلى أرض المطار ، فالجمال لايوصف ، والسحب البيضاء تغطي المكان ، والخضرة تستقبل العيون ، والوجوه المبتسمة ترحب بكل الأخوة العرب ، وغير العرب ..

وهذه هي طبيعة أهل تونس .. ولكنه أيضاً أسلوب لكسب الثقة والمودة ..

فالسياحة أصبحت ـ كما قال لي رفيق الرحلة ومنظمها أحمد فخرو مدير المبيعات بطيران الخليج ـ هي عماد الحياة الآن في تونس ، وكل المقومات الأساسية متوفرة فيها لانجاح كل خططها .. فالجو ، والآثار ، والفنادق ، والأجهزة العاملة ، والمعاملة .. كل هذا وأكثر منه يؤكد أن تونس أصبحت احدى الدول الرائدة في مجال العمل السياحي ، والتي تعرف كيف تستقبل السائح بقلب مفتوح ، وعقل مفتوح أيضاً ..

والحقيقة أن ماقاله أحمد فخرو يمثل الواقع الحادث الآن في تونس ، فقد أصبحت السياحة هي صاحبة أكبر عائد بعد المنتجات الزراعية ، وينتظر أن تحتل المكانة الأولى في الدخل القومي خلال هذا العام والأعوام المقبلة .. فهذا ماأكده لي أكثر من مسئول في أكثر من مجال ..

استقبال حار

والناس هنا في مدينة تونس بالذات يعرفون هذه الحقيقة حق المعرفة ، ويدركون أبعادها تمام الادراك ..

ومن هنا فإن استقبالهم لأي سائح يفوق الوصف ، من الترحاب ، وتقديم كل الخدمات التطوعية في رقة وتهذيب ، وحسن معاشرة .. وقدرة على الحديث عن تونس ، وجمال تونس ، وأهم مناطقها ، وأبرز آثارها التاريخية ..

بل إن الحديث يدور دائماً ودون أي قصد عن الأحوال السياسية العربية ، والهموم العربية ، والأشجان العربية ..

وفي هذا المجال يطول الكلام ويمتد ..

فالعرب إخوة ، وسيظلون كذلك ، ولا يمكن أن يستغنوا عن بعضهم البعض ، مهما تفرقت



مقهى شعبى قديم وهو واحد من عشرات المقاهى



فى كل مكان : الزى التقليدى مع الزى الحديث



تزخر المتاحف فى تونس بالعديد من الآثار التى تشهد بالتاريخ الحافل



عاصمة عربية

بهم السبل ، وبعدت بينهم الاتجاهات والمسافات ..

وهذا الاحساس العربي التلقائي الذي يعبر عن كوامن النفس هو العنصر الباقي ، والمطمئن على مستقبل الشعوب العربية ، والذي يحمل كثيراً من الاضاءات والعلامات الكاشفة عن معدن شعبنا العربي الأصيل في تونس ، وفي كل بلد عربي ، من الخليج إلى المحيط ..

وترحب بنا مدينة تونس ليلة وصولنا على لسان مسئولي السياحة ، وعلى رأسهم الأخ يونس كمون ، الذي يتولى مسئولية السياحة الخارجية في الديوان القومي للسياحة في تونس ، والأخ محمد بن جبارة الدليل السياحي المثقف الذي يحدثك عن تونس شبراً شبراً ، ويعطيك معلومات من الذاكرة عن كل صغيرة وكبيرة تراها ..

وهو يفعل ذلك بكل حب لعمله وإخلاص وتفان في أدائه ..

وهو في الحقيقة مثل حي على الشباب التونسي الناهض ، الذي يعرف دوره نحو بلده ، ويثق في حاضرها ومستقبلها ..

وأمثال هؤلاء الشباب كثيرون ..

وهم منفتحون على العلم والمعرفة ، ولاتحكمهم عقد أو رواسب ..

من هنا فإن تفكيرهم ينطلق إلى آفاق ربما لايعرفها شباب الشرق العربي ..

إن التعليم المختلط منذ الابتدائي وحتى الجامعة ، وعمل المرأة في كل الميادين تقريباً ، جعل العلاقة بين المرأة والرجل لايحوطها الغموض ، ولاتحفها كثير من الألغاز والمخاطر ..

أوضاع مميزة

ومن هنا تتشكل الحياة الاجتماعية بشكل ربما يثير الكثير من التساؤلات حول وضع المرأة التونسية ، وحول الأوضاع الاجتماعية والأسرية بشكل عام ..

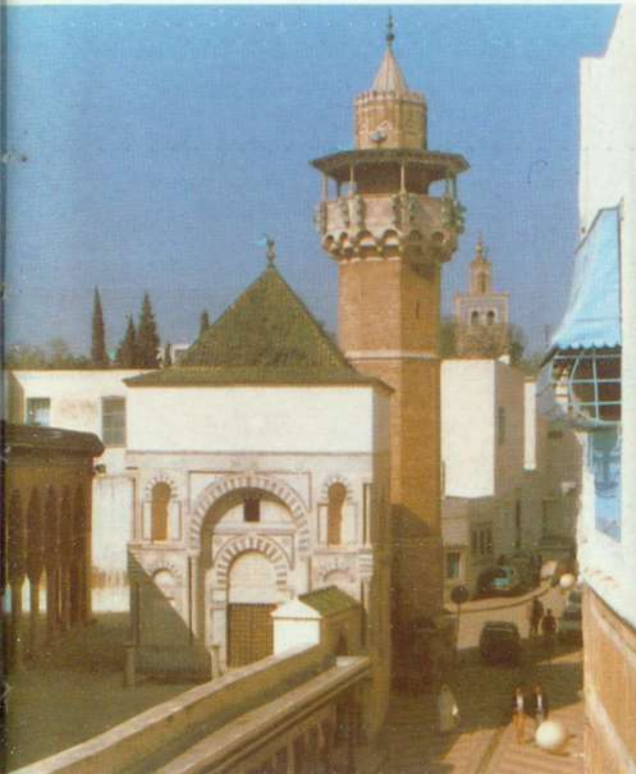
والحقيقة أن المرأة التونسية قد تحققت لها أوضاع مميزة في ظل قانون الأحوال الشخصية الذي يمنع تعدد الزوجات ، ولايسمح بالطلاق إلا أمام القاضي ، والذي منحها حق الحضانة في حالة الطلاق وجعل لها الولاية على الأبناء في حالة وفاة الزوج ، وساوى بينها وبين الرجل في حرية السفر ، واستخراج الجواز ، بحيث لاتأخذ موافقة الزوج على استخراجه ..

لكن برغم كل شيء فالمرأة تعتقد أنها في حاجة إلى المزيد ، وتتردد أصوات نسائية كثيرة تتنازعها اتجاهات مختلفة ، فهناك من ترى أن الوقت لايسمح بما تريده المرأة وعليها أن تتمسك بالحد الأدنى ، وهذا الرأي تمثله كثيرات في مقدمتهن رشيدة النيفر (٢٧ سنة) نقيبة الصحفيين ، ونائبة رئيس اتحاد الصحفيين العرب .. لكن هناك بالمقابل من ترى أن القانون غير كاف ، فهو لم يعط المرأة فرصاً متكافئة مع الرجل ، فمازالت تتحمل العبء الأكبر في الأسرة بدون مساعدة من

■ شباب متفتح ونساء يطالبن بالمزيد من الحقوق مع المحافظة على التقاليد العربية



القديم والحديث فى لقطة تبرز جمال الطبيعة فى تونس



جامع يوسف واى

الرجل أو المجتمع ، وهذا الرأي تمثله كثيرات أيضاً من بينهن آمنة بلحاج يحيى رئيسة تحرير مجلة « نساء » ..

وأياً كان الأمر فالمرأة التونسية في وضع قد تحسدها عليه كثيرات ، وهي تعمل في شتى مجالات الحياة العملية ، دون استثناء ، حتى في القضاء ، كما وصلت إلى منصب الوزيرة ، من غير أن يثير ذلك غيرة الرجل ، وقد أثبتت التونسية ــ كما أكد لي الكثير من الرجال الذين قابلتهم هنا ــ قدرتها وتفوقها في كثير من المواقع ..

هكذا فإن ماحدث في تونس ومايحدث على صعيد الحياة الاجتماعية ، ربما يدفع إلى الظن بأن الانسان يمضي وسط أجواء شبه أوربية ، أو أنه قد انتقل إلى عاصمة غير عربية ..

لكن هذا الظن ليس في محله اطلاقاً .. فالحرص على التقاليد العربية قائم ، والاصرار على التمسك بالقيم الدينية يبدو في كل تصرف وفي كل موقف ..

بل أن تونس العاصمة بالذات مازالت تفخر بتاريخها الاسلامي القديم الحافل .. فهي وريثة قرطاج الواقعة في مفترق الطرق البحرية التي سطرها التاريخ ، فالى جانب الشواطيء الجميلة المنتشرة فيها شمالاً وجنوباً ، فإن تونس تمتاز بأنها مدينة عتيقة



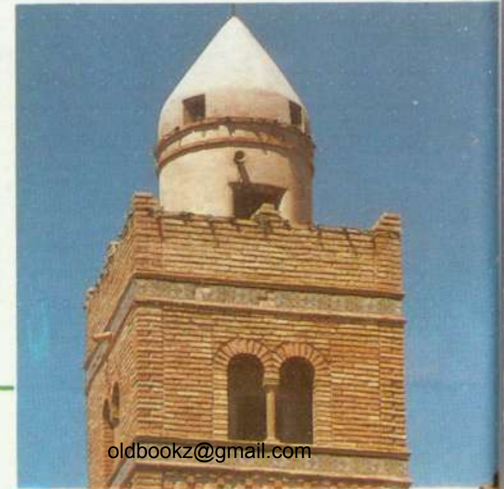
النقش على النحاس : أحد الفنون التقليدية القديمة



ناس فى مكان عام ومسجد قديم



ضاحية من ضواحى تونس الشمالية والتى تجذب السياح



عاصمة عربية





الأسواق القديمة : تاريخ وصناعات شعبية

احتفظت بكنوز عديدة من الفن والحضارة..

إن على بعد خمسة عشر كيلو متراً من وسط العاصمة تقع «قرطاج» مفخرة الامبراطورية الرومانية ومعقل اغستينوس، محتفظة بمجموعة آثارها الأخاذة بجمالها، والتي تجعلك تعيش ماضي هذه المدينة المجيدة..

وإضافة إلى ذلك فإن متاحف تونس العديدة تضم مجموعات أثرية غنية، وفيها فسيفساء ترجع إلى العهد الروماني، وعهد المسيحيين القدامى، لا يوجد لها مثيل في جميع متاحف العالم..

أسرار المدينة القديمة

وتنتظرك في مدينة تونس ألوان من الجمال التي تعبق برائحة التاريخ وبخاصة في المدينة القديمة التي شهدت الكثير من العصور الاسلامية المجيدة..

إن هناك من القصور الفخمة مثلاً دار بن عبدالله ودار حسين ودار الاصرم، وهناك أيضاً مساجد الزيتونة والقصبة، ويوسف داي وحمودة باشا، وصاحب الطابع..

وما المدرسة السليمانية والمدرسة الباشية وزاوية سيدي محرز وزاوية سيدي بن عروس إلا نماذج من المعالم السبعمائة التي تعتز بها المدينة..

وأنت إذا تجولت في المدينة العتيقة واخترقت شوارعها الضيقة المتشابكة وانطلقت وسط الزحام، فسوف تشم روائح العطور المنبعثة من الدكاكين الصغيرة، كما ستشهد ثراء الصناعات التقليدية المعروضة..

ولسوف تبهرك الحجارة المنقوشة والأبواب والنوافذ المزخرفة وانعكاسات الألوان والأضواء المتألقة عليها..

وسوف تعيش التاريخ بكل أبعاده وروائحه..

الناس، واللباس، والأطعمة، والمعروضات.. كل هذا ينقلك عبر الزمن إلى مئات وآلاف من السنين خلال الماضي التليد لمدينة تونس..

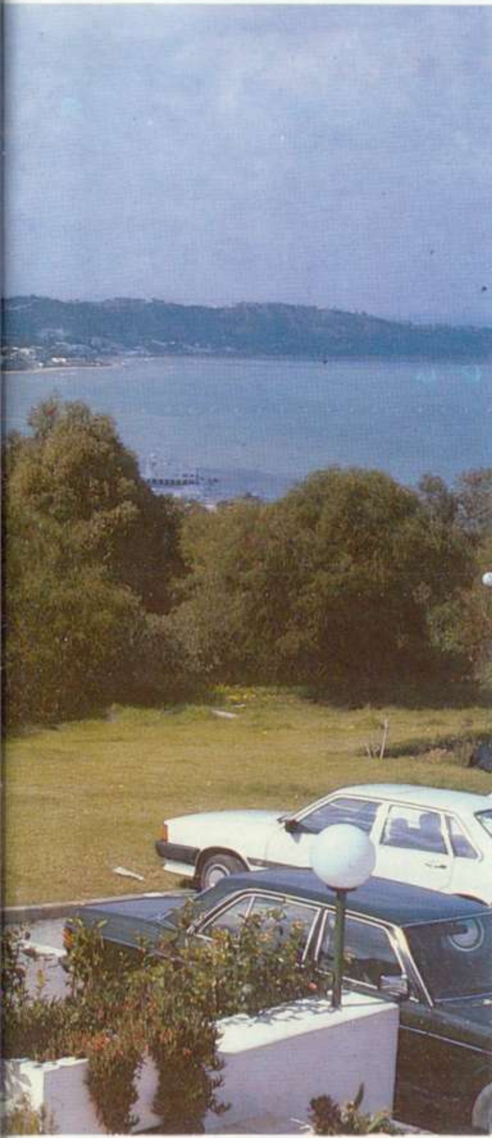
ويحكي التاريخ أن تونس قد بقيت تحت الهيمنة الرومانية والبيزنطية إلى أن توالت حملات المسلمين نحو قرطاج، وحاصرها القائد حسان بن نعمان، حتى استسلم أهلها، ثم هدم أسوارها، واختار تونس لتكون عاصمة الاسلام في هذه الربوع من أفريقيا سنة ٦٠٨م، وشيد جامعة الزيتونة..

عهود خالدة

منذ هذا التاريخ تسجل تونس صفحات عديدة من حياتها..

حوار الأجيال بين شاب وعجوز عند احدى المناطق الأثرية

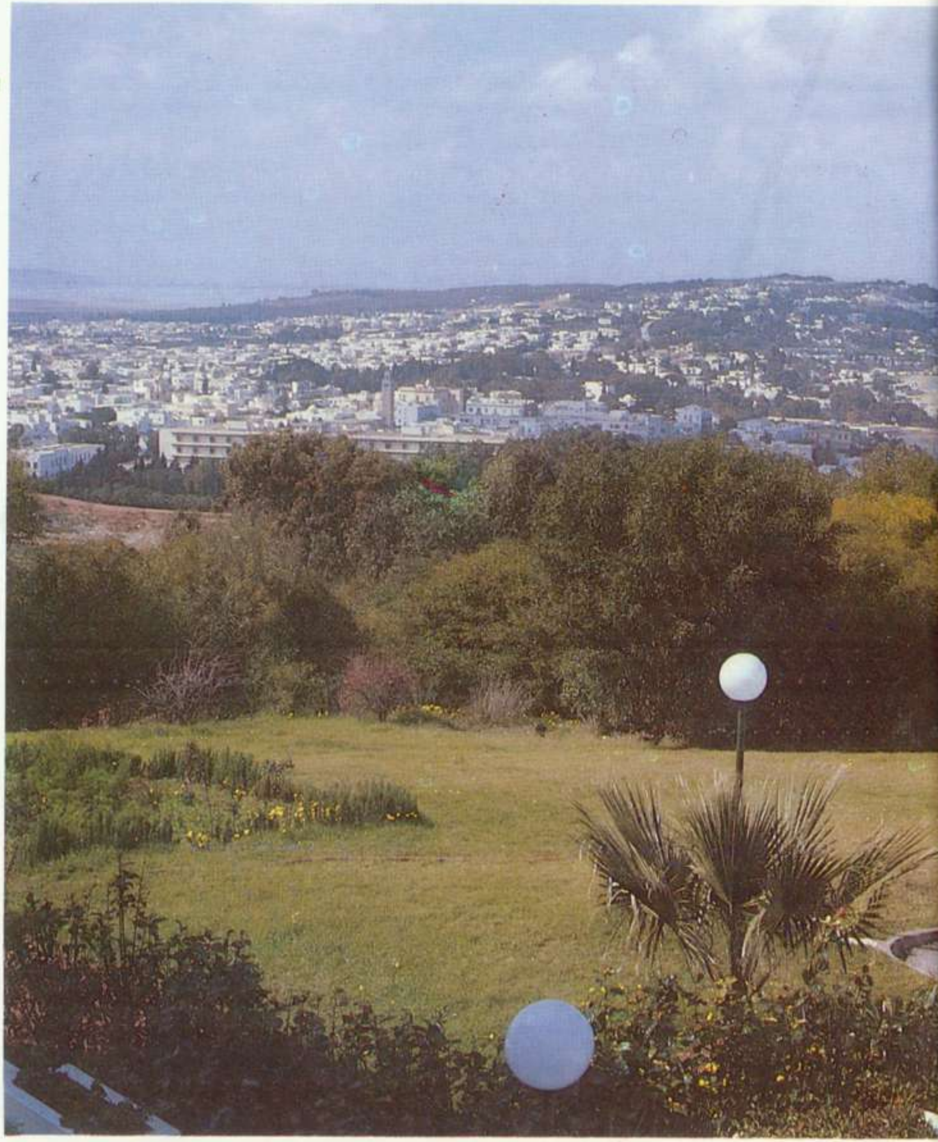




فهي في العهد الأغلبي تنافس القيروان، وهي في عهد الدولة الفاطمية وريثة القيروان، وهي في العصر الحفصي عاصمة لأفريقيا، وهي في العصر التركي والحسيني في القرن الثامن عشر مزدهرة ازدهاراً واضحاً..

فقد امتد فيها العمران ونشطت الصناعات، وتحلت تونس بالمباني والمساجد الفاخرة والقصور والثكنات والحصون، ونشطت فيها التجارة، لكن عملت أوربا على احباط هذا النشاط، وأهملت المدينة العتيقة في عهد الحماية، كما تدهورت الصناعات التقليدية، وسار نظام الحماية على أساس فرنسة البلاد، ومسخ ذاتيتها، والاستئثار بميزاتها..

لكن الثورة ضد الاستعمار الفرنسي تشتعل، يقودها الحبيب بورقيبة، لتتوج باستقلال البلاد التام..



خضرة ومياه وطبيعة ساحرة : كل مقومات السياحة الناجحة

كنوز من الفن والحضارة ومتاحف تضم مجموعات أثرية غنية

وقد كان لمدينة تونس اسهامات رائعة في معارك التحرير ، وسالت دماء الشهداء ، وسجل مناضلو المدينة صفحات خالدة في تاريخها ..

ومنذ ذلك الوقت أخذت المدينة تتطلع إلى تطوير نفسها ، وتحديث كل ماهو فيها ، لتساير العصر ، وتقف في مصاف المدن الأخرى ، اضافة إلى كل المدن والبلاد الأخرى في كل تونس ..

وانتشرت في مدينة تونس المباني الفارهة والفنادق والأحياء والضواحي الجديدة ، وتبرز الضواحي بالذات بشكلها المميز للغاية ..

ان ضاحية تونس الشمالية والتي جذبت الفينيقيين منذ ثلاثة آلاف سنة ، هي اليوم ضاحية شاسعة تمتد على طول عشرين كيلومترا بطول البحر ، ويزداد نشاطها صيفاً ، لتضاهي أشهر شواطئ العالم جمالاً وروعة ..

أما جنوب تونس العاصمة فقد تحول إلى مجموعة من الشواطئ ومراكز الاصطياف ، مثل رادس بحيها القديم فوق هضبة رائعة الجمال ، والزهراء بفنادقها ومطاعمها العصرية ، وحمامة الانف التي كانت محل إقامة الباي في الشتاء ، وأصبحت اليوم مدينة كبيرة تمتد من الشاطئ الرملي إلى جبل بوقرنين المغطى بشجر الصنوبر ..

وتحلق الطائرة القادمة من الشرق قبل لحظات من نزولها بمطار تونس قرطاج فوق شبه جزيرة رحبة ، تكاد ألوانها تشابه طوق الياسمين على جبين صينية عربية . وهذا التشبيه ليس من عندي ، وإنما جاء على لسان مسئول السياحة الخارجية في تونس . لكنني استرجعت المشهد ، فوجدته أقرب إلى ماقاله فعلاً ..

وتعد مدينة الحمامات في جنوب مدينة تونس من أشهر المواقع السياحية في العالم ، وهي تعانق البحر بمياه خليجها ، ويتصدر البرج العتيق فيها حافة الأمواج ، ينتظر عودة الصيادين منذ القرن الخامس عشر ، وهو يشرف من جهة الشرق على خليج الحمامات ، ومن جهة الغرب على بساتين البرتقال والياسمين ..

مشاكل جديدة

وهكذا ومع هذا التطور العمراني الكبير في مدينة تونس العاصمة ، ازداد عدد السكان ، حتى وصل الآن إلى أكثر من مليون نسمة ، وهو رقم يعده التونسيون كبيراً .. وبخاصة أن الزيادة مستمرة ، والزحف إلى العاصمة قائم والمشاكل المترتبة على هذا كله تكبر وتتزايد .

وكل هذه المشاكل في تونس العاصمة أدت إلى العمل بقوة من أجل تحقيق عدة أهداف قومية واجتماعية ..

ان صيحة تحديد النسل وتنظيم الأسرة تنطلق عبر الأجهزة الرسمية وعبر التنظيمات النسائية داخل الحزب الحاكم .. حزب الأغلبية في تونس ..

ولكن يبدو أن معدلات الزيادة آخذة في الاضطراد .. ويأمل الداعون إلى هذه الدعوة في أن يصلوا إلى تحقيق ولو خطوة .. تتلوها خطوات ..

لكن من الملاحظ أن الناس هنا ، وقد التقيت بالعديدين منهم عبر اللقاءات السريعة ، يؤمنون بضرورة تنظيم النسل ، ولكن يؤمنون أكثر بضرورة توفير المستوى المادي المرتفع للأسرة عن طريق الأعمال الاضافية ..

لكن هذه الأعمال لاتتوفر أمامهم بشكل واضح ، والعمل الأساسي لا يكاد يفي بالاحتياجات الأساسية الضرورية ..

فما هو الحل ؟

ان كثيرين يلجأون إلى الهجرة بحثاً عن الرزق ، وفي فرنسا بالذات جموع هائلة من التونسيين ، وفي غيرها من الدول الأوربية ،



عاصمة عربية



يجمع الفن المعماري في تونس بين الاتجاهات المعاصرة والقديمة

وفي العراق الآن أعداد ملحوظة منهم ..

هكذا تدفع الظروف الاقتصادية الصعبة الكثيرين الى هذا الموقف ، وهم يربطون بكل وعي بين هذه الظروف المحلية والوضع العالمي المتأزم اقتصادياً .. فهم يدركون أن الأزمة عالمية لاتخص تونس وحدها ..

وعموماً فان هذه القضية وغيرها من القضايا تطرح على بساط البحث من خلال اللجان الحزبية داخل الحزب الحاكم .. وأحزاب المعارضة الأخرى أيضاً ..

ففي تونس يحتل الحزب الاشتراكي الدستوري كل مقاعد المجلس النيابي بلا منازع ، ويرأسه الرئيس الحبيب بورقيبة ، وهذا الحزب يقوم بدور سياسي مؤثر ويتولى المسئولية بالكامل ..

لكن الى جانبه تقوم ثلاثة أحزاب صغيرة أخرى ، أولها الحزب الشيوعي التونسي ويرأسه محمد حرمل ، وحزب الوحدة الشعبية ويرأسه بل حاج ، والحركة الاشتراكية الديمقراطية وهو الحزب الذي يرأسه أحمد المستيري الوزير السابق في الحكومة التونسية ..

وهذه الأحزاب الثلاثة تحاول أن يكون لها دور في القضايا الأساسية ، ولها مقارها ، وصحفها التي تعبر عن رأيها ، لكن من الواضح أن تأثيرها يكاد لايذكر .. لكنها على أي حال تعبر عن « أصوات » لها وجهة نظر ، وترمز الى وجود حياة ديمقراطية ، تتزايد مظاهرها على الساحةالتونسية .. وكل هذا في صالح تونس العاصمة بالذات .. فمعظم النشاطات السياسية والثقافية والعمرانية تتركز فيها .. صحيح أن المدن الأخرى تحظى بألوان مماثلة من النهضة العمرانية الحديثة ، لكن مدينة تونس بالذات تعيش أزهى عصورها من هذه الناحية ..

نظافة ونظام

وهي مدينة ذات مجلس بلدي يعرف دوره جيداً .. فهو يحرص على نظافتها ، ونظام الشوارع والمرور فيها ، ويراقب خطوات عمرانها ، ويتطلع الى نهضتها بثقة وتفاؤل ..

ان هناك مثلاً مشروعاً هاماً لتجفيف بحيرة كبيرة بمدينة تونس .. وتتولى مسئولية هذا العمل شركة خاصة ينهض برئاستها السيد فتحي جانا ، وقد وصف لنا عند لقائه أهمية هذا العمل بالنسبة للمدينة .. فهو يعني اكتساب مساحة ضخمة جداً صالحة للبناء ، تعد في الواقع ثلثي مساحة مدينة تونس الحالية ..

ولقد كانت هذه البحيرة ، وهي موجودة من قديم الزمن ، متروكة للفضلات الآدمية ، ولاتستغل في أي شيء اطلاقاً ..

ولا شك أن تجفيفها فضلاً عن توفيرها لهذه المساحة الهائلة من الأراضي الفضاء ، سيحد من التلوث ، ويؤدي الى توسيع العاصمة بشكل واضح ..

وتتولى هذا المشروع الهام مؤسسات كويتية تونسية ، إذ أن العمل فيه عمل عربي مشترك ..

والاهتمام بمدينة تونس يأخذ أشكالاً واتجاهات متعددة ، ان هناك مثلاً جمعية لصيانة المدينة ، ونائب رئيسها هو عبدالعزيز الدولاتي ، الذي يتحدث عن دور هذه الجمعية بفخر واعتزاز ..

فهو دور ضروري من أجل أن تظل محتفظة بكل مقوماتها ، وحافظة لملامحها وسماتها المميزة ..

وفي الوقت نفسه هناك مشروع ضخم بدأ العمل فيه داخل المدينة هذه الأيام .. إنه « تونس سنتر » وهو عبارة عن بناء اقتصادي

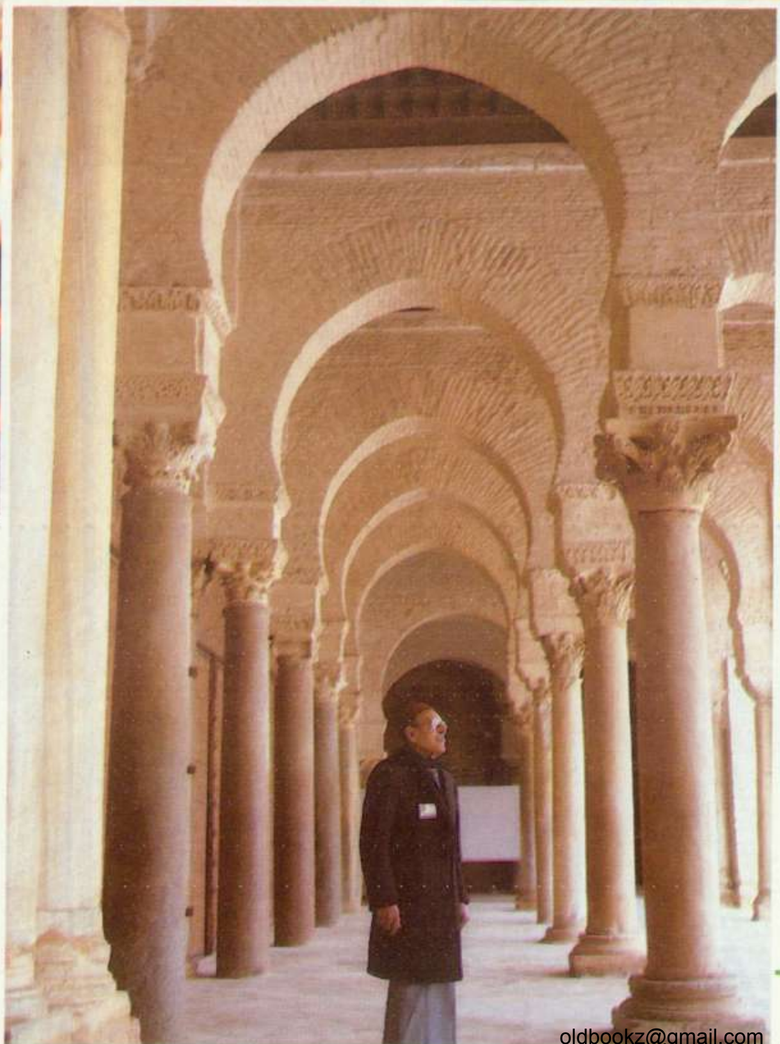
■ قصور ومساجد في المدينة القديمة شهدت أمجاد العصور الإسلامية

■ العاصمة التونسية تشهد جوًّا سياسيًّا وثقافيًّا جديدًا ، والناس يردّدون أغاني "أم كلثوم"



في ضاحية قرطاج آثار تشهد بتاريخها الحافل التليد

حلى من المرجان .. وفن من الفنون
الجميلة في المدينة القديمة



تشهد المساجد القديمة فى تونس
بتفوق العمارة الاسلامية وتميزها



عاصمة عربية

وثقافي وسياحي ، في المنطقة التي تقع فيها دار الصناعة التقليدية ، بالقرب من مسرح البلدية . ويشتمل هذا البناء الضخم الذي سيكون على هيئة برج مرتفع ويمتد على مساحة ضخمة جداً ، على فندق يتسع لأكثر من أربعمائة سرير ، وموقف للسيارات ، وقاعة للسينما ، وقاعة أخرى لعرض الصناعات التقليدية ، وقاعة ثالثة للعروض الفنية ، ومساحة تخصص للمحلات التجارية والمكاتب الاقتصادية ..

وهكذا تتطلع تونس المدينة إلى أن تكون اسماً على مسمى ، المدينة العصرية التي تأخذ مكانها اللائق بها ، لتجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل ..

ولقد احتفلت منذ شهور بيوم المدينة العربية ، وجاء هذا الاحتفال الذي اشتركت فيه وفود من كل المدن العربية ، تحت شعار نحو حلول مثلى لمشاكل التوسع العمراني والبيئي بالمدن العربية ..

تخطيط مدروس

وتعلن مدينة تونس على لسان مصطفى الشريف مسئول الاعلام والعلاقات العامة ببلدية تونس ، إنها تقدم حلولاً مثلى في هذا الصدد ، فهي تعرف كيف تحل مشاكلها ، وتستشرف آفاق المستقبل بكل قوة .. وفق تخطيط علمي مدروس ، يراعي الظروف الاقتصادية والاجتماعية ، ويعمل حساباً للزمن ..

وهذا هو التحدي الذي تعيشه مدينة تونس .. فهي تريد أن تكون مدينة المستقبل بلا مشاكل ، كما كانت مدينة الماضي بكل آثاره وازدهاره ..

وتونس المدينة لاتنسى نفسها .. إنها مرحة وقت المرح ، تغني وترقص في الليل .. في الفنادق ، والملاهى الليلية ، وفي المطاعم الشعبية أيضاً ..

ويوم الأجازة الأسبوعية ، وهو مازال يوم الأحد لاالجمعة ، هو أجازة بالفعل ، فالهدوء يخيم على الشوارع ، والناس في الضواحي ، أو في الأسواق الشعبية ، أو المحلات الضخمة

التي تعرض المنتجات التونسية والأوربية ..
وأينما ذهبت فسوف تستمع إلى الأغنيات المصرية يرددها مطربون ومطربات من تونس ، حتى أحمد عدوية أصبح مشهوراً هناك ، يردد أغانيه أكثر من مطرب ..

والرقص يقدم أيضاً على إيقاعات الأغاني المصرية المشهورة وبالذات على أنغام أغنيات أم كلثوم ..

وأفلام محمود ياسين وعادل امام تقدم في دور السينما هنا ، وتعلق اعلاناتها في أكبر الأماكن ..

واللهجة المصرية تلعب دورها بوضوح من خلال كل هذه المعطيات .. لدرجة أن إحدى العاملات في فندق المشتل ، كانت تصر على الحديث بكلمات وتعبيرات مصرية صميمة ، مع أنها لم تزر مصر ولم ترها حتى الآن ..

وهذا هو تفاعل اللهجات وتأثير التبادل الثقافي الذي يجب أن يكون محل دراسة شاملة لنعرف إيجابياته وسلبياته أيضاً ..

أمل مع الفضاء

وقبل أن نترك مدينة تونس أشار السائق الواعي الذي يتحدث العربية بطلاقة ، ويؤمن بأن في الوحدة العربية الخلاص من كل المشاكل ، أشار إلى قطعة فضاء كبيرة تقع على ربوة فسيحة ، وقال :

ـ هنا سوف يقام المبنى الجديد للجامعة العربية .. وسوف يكون بناء عالياً شامخاً ، يليق بأهمية هذه المنظمة ، ويواكب تطلعاتها المستقبلية ..

ونظر إليّ بتأمل يريد أن يستنطقني شيئا لم يقله .. لكن الاحساس بالأمل كان يغمرني ، فلعل هذا التفكير المستقبلي في الشكل ، يواكبه تفكير مماثل في المضمون ..

لعل هذا المبنى الجديد يشهد وحدة عربية واحدة ، وكلمة عربية واحدة ، وموقفاً عربياً واحداً ..

وهكذا هي مدينة تونس لابد أن تخرج منها وأنت أكثر احساساً بالعروبة ، وأعمق أملاً في مستقبلها ، حتى وإن وصلت إلى مسمعك وأنت تغادرها كلمات فرنسية متناثرة تحاول أن تجد لها مكاناً مؤثراً دون جدوى !

السيد حجازي



في سوق العطارين



شارع بورقيبة .. أحد الشوارع الرئيسية في العاصمة التونسية





منظر من الجولدينة تونس
وتحفة أثرية بأحد المساجد

من ثمار المهرجان الثاني للتراث والثقافة بالجنادرية والرياض

نحن العرب في حاجة إلى :

أطلس ومتحف للصحراء



فى كل أرجاء البوادى العربية ، يصنع البدوى من سعف النخيل بعض آنيته وأوعيته

بقلم : درويش مصطفى الفار

لا جدال فى أن إقامة مهرجان عربى للتراث والثقافة فى أعماق شبه الجزيرة العربية حول الرياض ، فكرة رائدة رائعة تستحق التقدير وتسجل بالعرفان لقيادة ورجال الحرس الوطنى بالمملكة العربية السعودية الشقيقة ، لأن مثل هذا المهرجان الحافل يتيح للإنسان العربى فرصة التأمل فى أصول نفسه ، والتعرف على جذور مجتمعه الضاربة فى عمق التاريخ ، فتمنحه لحظات من الصفاء الذهني فى عرض الصحراء ، يفكر خلالها فى حاضر أمته ومستقبلها على أساس من الوجدان المرهف والحس العلمى الصحيح ..







النخلة ، الشجرة المباركة التي خص الله بها الصحراء وإنسانها





شروق الشمس في الصحراء

وفى تفاعل غامر خلال معطيات هذا المهرجان بأنواعها ، بضاحية الجنادرية استقرت فى نفسي قناعة ، بضرورة أن نفكر ، نحن العرب ، فى تعاون علمى على سعة بلادنا كلها بين المحيطين الهندى والأطلسي ، لتحقيق عملين هامين لا يقل أحدهما عن الآخر شأنا وأهمية ، وهما :

• إصدار أطلس علمى متكامل عن الصحارى جميعا .

• إنشاء (متحف) يستوعب كل ما يعرف به زائره خصائص الصحارى ، عربية وغير عربية ، بأسلوب علمى فنى غير مسبوق ، فى عالمنا المعاصر الذى يطيب فيه لكثير من المفكرين أن يسموه (عصر المتاحف) ..

الأطلـــــس

أما الأطلس فهو سفر كبير ، من عدة مجلدات ، يتناول كل منها جانبا مما عرفه العلم والبحث عن خصائص الصحراء ، جوا ، وجغرافية ، وتاريخا ، وجيولوجية ، وحيوانا ، ونباتا ، وإنسانا . وعماد الأطلس ، الصورة والمخطط التوضيحى والخريطة والرسم البيانى مع عبارات موجزة للشرح والتعليق ، دون إخلال أو قصور . ويقسم هذا الأطلس إلى أبواب وموضوعات ، تغطى المصورات الفضائية والجوية لكافة أنواع الصحارى ، والصفات الطبوغرافية ، وأنواع التربة ، وقوانين عوامل التعرية فى البيئة القاحلة ، وأنماط الكثبان الرملية والرمال السافية ، وخصائص النبات والحيوان الصحراوى ، مصورة تصويرا دقيقا جميلا . ونتائج تفاعل الإنسان فى الصحراء مع بيئته فى الغذاء والكساء والمأوى والدواء واستنباط الماء ، واتقاء الأخطار ، وتخطيط طرق التجارة ومسالك الجيوش .

ويختم أطلس الصحراء المقترح بثبت كامل بكل الكتب والأبحاث العلمية المنشورة عن خصائص الصحارى ودراساتها العلمية لا يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها ، بكل لغات البشر .

ويكون للصحارى العربية النصيب الأوفر فى هذا الأطلس ، ولا بأس أن تكتب الترجمة الانجليزية لكل ما فيه من تعليقات وشروح ، أو أن يقتصر على اللغة العربية وحدها ..

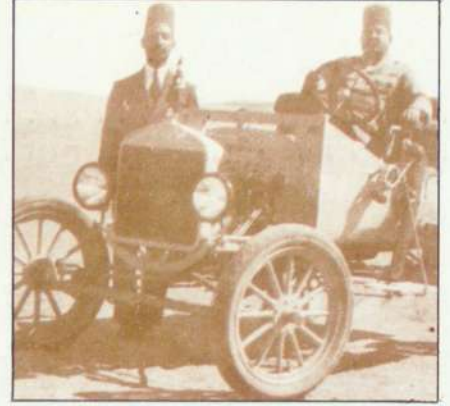
المتحـــف

وأما المتحف ، الذى استقرت صورته فى خيالى بين ربوع (الجنادرية) ، فإننى أتصوره كما يلى :

جانب من احتفال مهرجان التراث والثقافة



أطلس ومتحف للصحراء



أول تجربة لذوات العجلات الأربع في عرض الصحراء بين مصر وفلسطين

فيما بين ظفار شرقاً وموريتانيا غرباً ، يصنع البدوي فرشه من الشعر والوبر والصوف ، بهذا الاسلوب الذي عرض في المهرجان الثاني للتراث والثقافة الذي أقامه الحرس الوطني السعودي أخيراً

في إطار التعريف العلمي المعاصر للمتاحف ، بأنها (جامعات مفتوحة) لكل طبقات الناس ، وأنها لم تعد مجرد « معارض » ستاتيكية ثابتة ، لغرائب المصنوعات وعجائب المخلوقات ، ومخلفات الأقدمين عبر قرون التاريخ من الآثار والعاديات ، يُبْدأ بانشاء حديقة واسعة رحبة ، تستجلب إليها كل أنواع نباتات الصحارى في أنحاء العالم ، وتزرع فيها :

إما بالتوزيع الجغرافي ، لكل صحراء ركن خاص ، فهذه نباتات أتاكاما ، وتلك أشجار منغوليا .

وإما طبقا للتصنيف العلمي للنباتات الصحراوية ، حسب الأجناس والأنواع والعائلات النباتية ، كما يحدده علماء النبات ومصنفوه ، فهذا ركن لأنواع الصبار ، وذلك جانب للمركبات .

وإما طبقا لبيئتها الطبوغرافية ، كما أشار لذلك العلامة ابن سيده الاندلسي في كتابه الموسوعي « المخصص » ، فهنا نباتات الكثبان ، وهنالك نباتات السهوب ، وتلك نباتات التربة الصخرية . وإما طبقا لصفاتها الدوائية واستخداماتها الحياتية .

ولابد ، بالطبع أن يكون نصيب الأسد في هذه الحديقة لنباتات صحارى الوطن العربي ، لا سيما تلك التي لها مع التاريخ ذكر طويل ، كنباتات جنوب شبه الجزيرة العربية من اللبان والمر والمقل ودم الأخوين .

وتتخلل تلك الحديقة الصحراوية الغناء ، أبنية ذات طراز عربي مبسط متين لا تعقيد فيه ، يتصل بعضها ببعض من مبتداها إلى منتهاها ، بحيث يشاهد الزائر :

قاعة الخرائط والمصورات

وفيها خريطة كبيرة أو مصور فضائي لكل صحارى الدنيا ، وخريطة أكبر تفصيلا

■ أطلس الصحراء المقترح عماده الصورة والمخطط والخريطة والرسم البياني

■ المتاحف في عصرنا جامعات مفتوحة لكل طبقات الناس

لصحارى الوطن العربي خاصة تبين عليها أسماء الآبار والأودية والجبال والكثبان المتشابهة لفظا على سعة الوطن العربي ، والدروب ، كدرب البخور ، ودرب الملح ، ودرب الرقيق ، والطرق التي سلكتها جيوش الفتح الاسلامي ، والدروب التي اخترقها المستكشفون في العصر الحديث عبر صحارينا وبوادينا .

وتعرض في هذا القسم خريطة مجسمة جيولوجية للوطن العربي ، مبين عليها التكاوين الجيولوجية وسكان الثروات المعدنية والمياه الباطنية والنفط . وخرائط جيولوجية تبين الانتشار الجغرافي للصحارى على سطح الأرض منذ أن برأها الله سبحانه وتعالى .

وتصاحب الخرائط ، صور فوتوغرافية لمناظر طبيعية من مختلف صحارى العالم وخاصة صحارينا العربية .

ويشتمل هذا القسم على فيلم يشرح مميزات الصحارى وخصائصها الطبيعية من الرياح والأعاصير ودرجات الحرارة ودرجات الرطوبة ومعدلات الأمطار ، والمسميات الجيومورفولوجية لسطحها . وحبذا أن يدخل في هذا الفيلم ما أطلقه العربي من مسميات على الأودية والقلاع والأكام والأطواد والقيعان والهضاب والنجود والأغوار وأنواع الحجارة والصخور .

قاعة حيوان الصحراء

وهذه تخصص لجميع أنواع حيوانات الصحارى ، محنطة تحنيطا فنيا ومعرفة بأسمائها العلمية المعروفة ، وبأسمائها المحلية ، من الحشرات والزواحف والثدييات والطيور والعناكب والديدان والبرمائيات . ويتخلل هذه القاعة فيلم عن خصائص حيوانات الصحراء واسرار خلقتها التى زودها بها الخالق سبحانه ، لتوائم بيئة الصحراء وشظفها ، من مثل ما أودع الله فى الجرذان الصحراوية من قدرة على صناعة الماء فى خلاياها من عنصريه ، الايدروجين والأوكسجين ، دون ما حاجة إلى شرب الماء !! وما اكتشفه الدارسون من (ساعات بيولوجية) لدى بعض خنافس الصحراء العربية ، وما أثبتوه من قدرة العقارب والعناكب فى الصحراء على مقاومة الإشعاعات الذرية .

قاعة الجمـــل

وهذه جزء خاص مكمل لقاعة الحيوان ، وذلك لأن للجمل مع العربى فى صحرائه تاريخ طويل . فنحن الذين دجنوا الجمل واستأنسوه ، ونحن الذين استخدمناه حين حملنا رسالة الإسلام من الصحراء إلى أرجاء الدنيا .

وفى هذه القاعة نعرض كل ما يخص الابل من صفات تشريحية ، وصفات حياتية ومميزات خلقية ، فى ألبانها ، وجلودها وأوبارها ولحومها :

« أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟ »

ونعرض فى قاعة الجمل كل أدواته ومستلزمات استخدامه فى الحمل والسفر والحرب ، والسباق ، وطعامه وطبيعة حياته فى أرجاء القفار .

ولا بأس إلى جانب الجمل أن نخصص ركنا فى قاعته للحيوانات الشبيهة به كاللاما والالباكا التى تعيش فى جبال الأنديز ، وللجمال التى تهيم فى الصحارى الاسترالية ، لتبيان ما اعتراها من ضمور واضمحلال خلقى .

ويزود هذا كله بفيلم عن حياة الجمل ، وأسمائه حسب عدده وسنه فى لغتنا والرسوم المميزة لمختلف ابل القبائل العربية فى جميع أرجاء صحارينا ، وبعض ما جاء فى الشعر القديم عن الابل والنوق .

قاعة حيـاة البادية

وفيها يعرض المتحف نماذج لأنواع الخيام من مختلف الصحارى ، مع التركيز على أنماط



نخلة فريدة في أعماق الصحراء الغربية في مصر. دلالة على صلاحية تلك البيئة للنخيل



باحث أجنبي ينصب خيمته في عرض الصحراء العربية .. لقد سبقونا إلى حين في التعرف على بعض أسرار وخصائص الصحراء



أدوات منزلية صنعها البدوى فى الصحراء من خامات الصحراء .. ليس فيها أى شىء من الغزو أو التقليد

أطلس ومتحف للصحراء

بيوت الشعر فى البوادى العربية على سعتها ، وأدوات المعيشة التى صنعها البدوى فى صحرائه من خاماته المحلية قبل أن تتلوث الحياة بالمصنوعات الوافدة .

وفى هذا القسم إلى جانب المعروضات الحقيقية المستجلبة من كل البوادى العربية مسماة بأسمائها المحلية فى كل بادية ، يعرض فيلم عن حياة البوادى العربية وأسلوب المعيشة فى كل بادية ، وعن الصفات الفسيولوجية التى أثبتها العلم الحديث للبدوى قبل التلوث الحضارى المعاصر ، من أنه يكفيه من الغذاء والماء ، مالا تقوم به حياة غيره ، ومن أنه لا يصاب بضغط الدم والسكر ولغط القلب وضعف البصر ويخصص فى هذه القاعة جانب للآبار والثمائل والقلب والجفار وغيرها من مصادر الماء للبدوى فى صحرائه ، وكيفية حفره للآبار ونقله وحفظه للماء ، وتسمياته للسحب والأنواء والنجوم والبروج والرياح ، وأسلوبه الطبى فى العلاج بالأعشاب والكى والفصد والحجامة وجانب عن أنواع الطعام وأساليب طهيه وخبزه وحفظه فى البادية وادوات البدوى الموسيقية وانغامها ، واهازيج الصحراء وأناشيدها وأفراحها .

قاعة النخيل

يخصص جانب فى متحف الصحراء المقترح للنخلة ، لأن النخلة هى شجرة الصحراء المباركة ، تعرض فيها أنواع التمور من مختلف صحارى الوطن العربى ، والصور التى يتخذ بها بدوى الصحراء غذاءه من التمور والبلح والرطب والدبس . والشرح العلمى الكامل لخطوات نضج تمرة البلح بانزيماتها وهرموناتها وتحولاتها الكيماوية ، مع رسوم وصور تبين الأسماء العلمية لأجزاء النخلة مع ما يقابلها من كلام العرب عن تلك الأجزاء وفوائدها واستخداماتها . وبالجملة تكون قاعة النخيل هذه متكاملة بكل المعلومات العلمية والتراثية عن هذه الشجرة الكريمة التى خص الله بها الصحراء وإنسانها .

قاعة المكتبة

وهذه تستجلب إليها كل الكتب والنشرات العلمية ، بمختلف لغات الأرض عن الصحراء والمناطق القاحلة ، حتى تكون مرجعا لكل باحث فى أمور الصحراء علميا وأدبيا وفنيا .

المعمل البحثى

وهذا جزء لابد منه لاستكمال رسالة متحف الصحراء . يزود بكافة الأجهزة

نبات اللصف الذى تخترق جذوره الصخور الصماء



المستحدثة فى الكيمياء والفيزياء ودراسة الصخور والحيوانات والنبات ليكون مقرا يسترجع فيه أبناء الصحراء المعاصرين أمجاد أجدادهم جابر والرازى وابن الهيثم وابن سينا وآلاف غيرهم ، وخاصة فى المجالات العلمية الحديثة فيما يخص الصحراء ، كالبحث فى الطاقة الشمسية وطاقة الريح ومقاومة التصحر ، فنحن أولى الناس بهذه الجوانب من البحث العلمى على وجه التخصيص .

تلك مجرد إشارات ، لا أدعى أنها فى غير حاجة الى مزيد لكى نصنع صنيعا غير مسبوق ، وفاء للصحراء ، التى فيها نشأ أجدادنا ، وإليها مآلنا ، ونحن أبناؤها الأوفياء الذين لا يضنون عليها بفكر ولا بحث ولا سعى لمستقبل أحسن ..

واننى لمدين لمعطيات المهرجان الوطنى الثانى للتراث والثقافة الذى أقامه الحرس الوطنى فى المملكة العربية السعودية الشقيقة ، بهذه الفكرة ، فكرة إعداد أطلس عن الصحراء بعلم شامل وأداء متكامل ، وإنشاء متحف للصحراء يجمع بين المتطلبات الأربعة للمتاحف ، كما هى فلسفتها اليوم ، الترويح والتثقيف والتعليم والبحث العلمى المتقدم .

درويش مصطفى الفار

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● من تجاربي في التعليم ● الموظفون والناس ● موقعة عين جالوت

من تجاربي في التعليم

بقلم: عبدالرحمن شكري



كان الكاتب والشاعر الكبير عبدالرحمن شكري رائداً من رواد التجديد الأدبي في النصف الأول من هذا القرن، وكان زميلاً للعقاد والمازني، وقد اعترف المازني في بعض مقالاته بأستاذية شكري وأسبقيته، وكان عبدالرحمن شكري قد قضى فترة طويلة في الاشتغال بالتعليم، وفي هذا المقال الجميل تصوير لبعض خبراته العملية والروحية في التعليم، حيث تبدو المدرسة صورة من الحياة والمجتمع بما يجري فيها من مشاكل وصراعات وأحداث:

من تجاربي في التعليم

دخلت مدرسة المعلمين سنة ١٩٠٦ وطلبت الإحالة على المعاش سنة ١٩٣٨ وكانت مدة اشتغالي بالتعليم كطالب ومدرس وناظر ومفتش اثنتين وثلاثين سنة وهي ليست بالزمن القليل. وربما كان منصب الناظر أشق مناصب التعليم التي وليتها بالرغم من وجاهة مظاهره. وقد كنت ناظراً لخمس مدارس ثانوية وقبلها لثلاث مدارس ابتدائية، وكانت مدة نظارتي للمدارس الثانوية تسع سنوات وللمدارس الابتدائية ثلاثاً أي كانت نظارتي للمدارس اثنتى عشرة سنة، وهي أيضاً ليست بالزمن القليل. وقد لبثت في نظارة المدارس الثانوية في عهود وزارات وأحزاب مختلفة، وفي عهد كانت المدارس الثانوية فيه مضطربة جد الاضطراب بسبب قلة الاستقرار السياسي.

وأعترف أن بقائي في نظارة المدارس تلك المدة الطويلة لم يكن بحسن لباقة فى معاشرة آباء ومخالطتهم واكتساب معونتهم، فإن ميلى الطبيعى إلى الوحدة منع من ذلك حتى أساء أناس فهم هذا الميل إلى الوحدة وعدوه تكبراً وهو ضعف فى البنية يتطلب الراحة بالانقطاع عن الحديث وعن تكاليف المجالس وأعنى ماتكلفه من تعب. ولم يكن بقائى فى النظارة بسبب مكر ودهاء وخلابة تحبب الناظر إلى تلاميذه لأن المكر إذا تكلفه الإنسان يتعبه ويكلفه جهداً ربما كان لاطاقة له به، وإنما كان بقائى بها أولاً لأنى آثرت تصريف الأمور بنفسى بدل الرجوع إلى الوزارة فى أمور كثيرة وبدل خلق مشكلات لها، ولا تكره الوزارة أمراً قدر كرهها أن يُرجع إليها فى أمر كان لايستطيع الناظر ألا يكبِّر أمره حتى يصير لامناص من الرجوع إليها فيه، وثانياً لأنى اتخذت فى خطط التعليم مااتخذه نابليون فى خطط حروبه إذ كان يعبىء أكثر قوته لمواجهة موطن الضعف فى العدو فيهزمه، وكذلك كنت أنا والأساتذة نعبىء عنايتنا وجهدنا لمعالجة التلاميذ الضعاف ولمعالجة أماكن الصعوبة فى المناهج وأماكن الخطأ والضعف فى التلاميذ الضعاف، وهذه خطة تحتاج إلى تفصيل ولكنها الخطة الوحيدة التى يستطاع بها جعل نسبة النجاح فى الامتحانات حسنة مرتفعة، وقد استطعنا فى الواقع أن نجعل بهذه الخطة نسبة النجاح حسنة، وهذا كان يسر بعض رؤسائنا عند ظهور النتائج.

ومنصب ناظر المدرسة من المدارس الثانوية المصرية منصب كانت تحوطه العداوات. فإذا أراد أن يهيىء أسباب النظام قيل متشدد مرهق مجرم، وإذا تسهل وترك الأمور تجرى فى مجاريها قيل ضعيف كسول، وإذا كان بين بين اتهم تارة بالإرهاق والإجرام، وتارة بالضعف والكسل، واتهم علاوة على ذلك بالتذبذب. وقد خرجنا والحمد لله من هذا المنصب ومن غيره من المناصب وليس فى ملف خدمتنا مؤاخذة ولا سؤال ولا تحقيق فى مؤاخذة، ولم تكن هناك حتى ولا مخاطبة شفوية فى أمر مؤاخذة مالية أو أدبية أو علمية أو خلقية إلا مؤاخذة على رفع صوتنا فى حضرة على بك حافظ رحمه الله أيام كنت مدرساً وهو ناظر، وهذا أمر ربما استثار تعجب الأساتذة المدرسين فى هذا الجيل.

وقد كانت خطتى فى معاملة الأساتذة المدرسين على العموم خطة معاوية فى قوله «لو كانت بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت» وربما أفادنى ميلى الغالب إلى الوحدة من ناحية وإن أضر بى من ناحية أخرى، فإن أضر بى من ناحية جهلى بما يدبر فى الخفاء ومن ناحية إساءة بعضهم ذلك الميل إلى الوحدة وعده تكبراً، فقد أفادنى من ناحية أخرى إذ لم يخلق أسباب الانقسام والتحزب والمشاحنة بين الموظفين بمناصرة بعضهم على بعض.

وكانت خطتى نحو الطلبة إعزاز الطالب الكريم الأخلاق واحترامه إذا كان ممن لا يطغيه الإعزاز والاحترام، وإفهام المقصر أو الخارج على النظام أن العقاب ضرورة لا إهانة فيها وأن الشهامة تقتضى أن يرحب مستحق العقاب بالعقاب. وقد حاول بعضهم أن يذيع فى مدرسة أني أتشدد تشدداً مسيئاً فى معاملة الموظفين فلم يفلح بالرغم من الإلحاح فى هذا المسعى لأن هذا المسعى كان مهزلة حقيرة، ولا يقبل الموظفون فى هذا الجيل إساءة فى المعاملة لا إلى الحد الذى حدده هذا المسعى ولا إلى أقل منه. وكبار رجال الوزارة يعلمون أنه ليس فى استطاعتى أن أفعل ذلك حتى لو حدثتنى نفسى بإساءة معاملة أحد. ولكنه مسعى يدل القارىء على المتاعب التى يتعرض لها حتى أقل النظار طلباً للمتاعب وأبعدهم عن مظانها. وقد حاول أيضاً أصحاب ذلك المسعى إفهام الطلبة أنى أتشدد تشدداً مرهقاً للطلبة، وهم يعرفون أنى قلما كنت أوقع إلا العقوبات المدرسية المفروضة ولم أكن أوقعها إلا بمقدار مايستقيم معه التدريس.

وقد كنت أتعجب من الخبث والشر فى نفوس أصحاب ذلك المسعى، ولكن مما هَوَّن الأمر علىّ أن بعض الطلبة الذين كنت أضطر إلى معالجتهم بشدة كانوا بعد نجاحهم وتخرجهم يرسلون إلىّ الخطابات ينسبون فيها نجاحهم إلى ما عالجتهم به أو كانوا يفعلون ذلك إذا قابلتهم بعد تخرجهم.

وقد عَلَّمْتُ آلافاً من التلاميذ بمدارس الإسكندرية ودمنهور والمنصورة والزقازيق والقاهرة وحلوان والفيوم الأميرية. وكثير منهم قد صادفوا نجاحاً كبيراً فى حياتهم بعد أيام التلمذة، وهم يعرفون أن الخشونة والعجرفة والقسوة أبعد الطباع عن طبعى ويعرفون أنى كنت أعامل أكثرهم معاملة الأخ الكبير للأخ الصغير. وقد كنا نتبع خطة التعبئة لمعالجة الضعف فى جميع سنى الدراسة لا فى السنة الأخيرة وحدها، ومن أجل ذلك كانت تأتى نتائج امتحانات النقل للفرق حسنة مرضية فى جملتها إلا ماشذ بسبب ضعف شديد فى فرقة أو فصل وعجز فى الأستاذ عن معالجته مما يحدث مثله فى جميع المدارس. والوزارة إنما تأخذ بمتوسط نسبة النجاح للمدرسة كلها، وتنظر فى أسباب تخلف الفرقة الواحدة أو الفصل الواحد. ولا أذكر أن الوزارة آخذتنا حتى ولا مرة واحدة بسبب تلك النتائج.

ومما يؤسف له أن بعض كبار آباء التلاميذ كانوا إذا رسب ابن أحدهم حقد حقداً شديداً، ولا أعرف إذا كانت هذه الصفة لاتزال فى الآباء. ولو أنهم سألوا الوزارة عن مستوى

النتائج لأراحوا أنفسهم وأراحوا النظار من عواقب حقدهم الذى لايتفق وتربيتهم العالية ومنزلتهم الكبيرة . والمدرسة دنيا مصغرة : ففيها العالم والجاهل والذكى والغبى والوديع والشرس الطباع والكريم والحقود ، والذى يغلب على طبعه الخير ، والآخر الذى يغلب على طبعه الخبث والشر وحب الأذى . ولايستطيع أستاذ مدرس ولا ناظر أن يعجن جِبِلّة هؤلاء وأن يجعلهم كلهم على طبيعة واحدة من العلم والذكاء والكرم وسمو الشمائل ، ولا أن ينال إخاءهم وإنصافهم جميعاً .

ومهنة المدرس والناظر من أشق المهن ، ولا يهون متاعب التعليم غير إنصاف الوزارة من ناحية وإنصاف الآباء من ناحية أخرى وحسن مؤازرتهم ؛ وهذا الإنصاف لايغنى عنه لإنجاح التعليم تغيير الوسائل والأنظمة . ولسنا نقول هذا القول لأننا نطلب أو نرجى نفعاً فقد انتهت حياتنا العملية وانتهت مطامعنا وآمالنا إلى غير عودة ، ولكنا نقوله ونحن نعلم أن المعلم والناظر يعملان فى سذاجة الشباب أو عادات الشباب والمشيب حتى وإن لم يجدا عطفاً من بعض الآباء أو من الوزارة ، ولكن صعب على النفس ألا تجد مايعينها على تحمل مشقة التعليم ، واستخراج حلاوته ، والتعليم شيِّقٌ حلو إذا انتظمت أموره ، وامتنعت عنه الأحقاد ، والمعاداة على كل أمر تافه .

ولا أذكر أنى تأثرت مرة من حسن عطف ومودة قدر تأثرى عندما نُقِلْتُ من نظارة مدرسة المنصورة ، وجاء تلاميذ لتوديعى ، ووقف باقى الطلبة فى الفناء يحيونني وأنا فى القطار ، وقد دمعت أعين بعض الطلبة المودعين ولم أكن أتعمد اللين معهم ، ولا التراخى ، حتى أنال عطفهم ! ولم يكتفوا بذلك بل أظهروا وفاءً عندما صاروا إلى المدرسة الثانوية بالمنصورة ، وجاء إليهم تلاميذى من مدرسة الزقازيق الثانوية لمباراتهم ، وقد جعلنى وفاؤهم هذا أندم على أنى لم أكن أكثر ليناً فى معاملتهم ، وإن كنت لم أنقطع عن مشاركتهم فى سرورهم ومباسطتهم والعمل على راحتهم ولإنجاحهم ، وتعهد مرضاهم ، والسهر على صحتهم إذ لم تكن شدتى قسوة بل رحمة .

١٩٣٩

الموظفون والناس



بقلم : أحمد حسن الزيات

ابتُليتُ في هذه الأيام أن اختلف إلى بعض الوزارات في شأن من شؤون الرسالة . وأشد الأمور على نفسي أن أغشى دواوين الوزارة أو أقسام الإدارة ، لأني أعتقد كما يعتقد أمثالي من السوقة الأحرار أن الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد . فيه التفكير والتدبير والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة . ولكن الحكومات في أمم الشرق لاتزال تعتقد أن الرأس معناه أن يوضع فوق الجسم ليسمو على أعضائه ويعيش على غذائه . فإذا دخلت دورها لاتجد فيها الروح الوطنية التي تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التي تدير المنفعة المشتركة ، وإنما تجد بها مظاهر شتى للسلطان الجبار والبيرقراطية الصلفة تعطل معنى الإصلاح وتبطل حقيقة العدالة .

ترى أول ماترى جيشاً من الشرطة والسكرتيرين والحجاب والسعاة يسد أبواب المكاتب ، ويملأ مدارج الطرق ، ويشغل فراغ الحجَر ، وهذا الجيش الذي يكلف الخزانة لاأدري كم من المال لا عمل له إلا بث الرهبة وإظهار الأبهة والحيلولة بين الناس وبين القائمين على (مصالحهم) من أولي الأمر . فإذا ساعفتك الفرصة أو ساعدتك اللجاجة فنجوت من شراسة الشرطي أو الحاجب ، وخلصت من غطرسة السكرتير أو الكاتب ، دخلت على الموظف الكبير بهوا كأبهاء القصور ، فرش بالطنافس وأثث بالأرائك وزين بالتحف وأدفئ بالكهرباء وقام في صدره الحالي طرفة من طرف الأثاث يقولون إنها مكتب ، ومن وراء هذا المكتب الفاخر كرسي وثير متحرك جلس عليه الموظف العظيم وثيابه تكاد تنشق من ورم الكبر ونفخة السلطة ، فلاتستطيع من رهبة السلطان أن تكلمه ، ولايستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك .

هذه الظاهرة القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أوتخفف . لأنها تحيط

الموظف بجو من العظمة المستعارة تزوِّر له ذاته ، وتفسد عليه حياته ، وتجعل ميزانه الاجتماعي منصوباً على ضميرين مختلفين : يزن في بيته ولنفسه بضمير ، ويزن في الديوان وللناس بضمير . وياويل ذي الحاجة إذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوباً إليه ولا معروفاً لديه ولا موصى به ! إنه لايجد إلا النظرة القاسية ، والكلمة الجاسية ، والإشارة المهينة ، والهيئة الوقحة التي تصرخ في وجهه بهذه الجملة :

يابعد مابيني وبينك ! أنا حاكم وأنت محكوم ، وأنا (ميري) وأنت (براني) . فإن احتمل المسكين الهون وقف على مضض ، وإذا ملكته الحمية انصرف على شجار !

لقيت منذ يومين في فناء الوزارة الفلانية صديقي فلاناً المهندس المقاول خارجاً يزمجر من الغيظ وينتفض من الغضب . فقلت له وأنا أربت على كتفه :

ــ كفاك الله الشر ! ماذا بك ؟

فقال بصوت يتفجر بالسخط ويتهدج من التأثر :

ــ والله ياأخي ماأدري أنحن عبيد الموظفين أم نحن وهم عبيد القانون ؟ هذا فلان بك ...

ــ فلان بك ؟! إنه الرجل الذي أقصده الساعة في مسألة عامة .

ــ تعال تعال ! لاخير في لقائه اليوم . لقد تركته يفور على الكرسي فوران القدر على الموقد .

ــ ولم كان ذلك ؟

طلبت الإذن عليه لأشكو إليه خلل إدارته وإهمال مرءوسيه ، فإن لي عملاً يدخل في اختصاصه مضى عليه سنتان ، وكان يكفي لانجازه يومان ، فأهملني عند سكرتيره ساعة ثم خرج غير آذن ولامعتذر . فانصرفت خجلان من سوء مايظن بي مدير مكتبه ، ثم عدت إليه يوماً آخر وطلبت إذنه مع الطالبين وفيهم كما علمت النائب والصاحب والقريب ، فدخلوا وخرجوا ، ثم دخل قبلي من جاء بعدي ، حتى لم يبق في شرف الانتظار إلا أنا ورجلان من أصحاب العمل . حينئذ قال سكرتيره : إن البك مشغول بقية الوقت ! فثار في وجهي الدم ، وطغى في رأسي الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير اعتذار ولاتحية : ياسيدي البك ! ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذي زارك اليوم لعمل من الأعمال التي تجلس لها وتؤجر عليها ، فلم يكن من اللائق بأمانة المنصب أن تحجبني مرة بعد مرة لتستجيب إلى طلاب الشفاعات والوساطات من ذوي الصداقة والقرابة .

فحملق البك فيَّ وقد استشاط وبربر وصاح : مَنْ أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان ! سري من سراة البلد ، وثروة من ثروات الأمة . نشأت في مهد العُدم ، ثم تعلمت للعمل الحر ، وضربت في سبيل العيش الكريم من أفق إلى أفق ، حتى أصبح عملي الناجح مرتزقاً لمئات من الأسر العاملة ، وأصبحت ــ وأنا لاأزال في شباب الكهولة ــ ذا خمسين ألف جنيه ورتبة . أما أنت فالكبير الصغير ! كبرك المنصب والمرتب اللذان أدركتهما بمضي المدة ، وصغَّرك العجز والكسل اللذان كشفاك في إدارة العمل . إن سلطان الوظيفة ياسيدي عرض منفك ومتاع زائل . فإذا شئت أن تعرف أين أنت مني فدع منصبك الحصين وادخل معي في غمرة الدنيا وزحمة الناس ، ويومئذ نرى أينا يوطأ بالأقدام ، وأينا يرفع على الرؤوس ...

وهنا رأيت الرجل يكاد يتمزع من الغيظ فأهوى بيده على أزرار الأجراس فصلصلت جميعاً ، وقال لحجابه وسعاته : أخرجوا هذا ... من هنا . فأخرجوني على حال من الهوان لايصبر عليها إلا رجل حازم أمام موظف أحمق .

فقلت له ونحن نمشي الهوينى في طريقنا إلى البيت : هون عليك ياصديقي فإن أكثر الموظفين حالهم مع الناس كحال هذا الموظف معك .

• • •

أيها القلم !

لشدَّ ماأتمنى على الله أن يجعلك في يدي سناناً يخز ، ومعولاً يهدم ! لقد عجزنا ياقلم وعجز الكلام !

١٩٤٠

موقعة عين جالوت

بقلم :
الدكتور عبدالوهاب عزام

كان عام ٦٢٨ فاتحة شر مستطير فى العالم الاسلامىّ : سالت فيه جيوش جنكيز من هضاب الصين تفرق كل شىء وتدمر كل شىء ، طغت على التركستان فجرفت عرش ملوك خوارزم ودارت بالمدن العظيمة تخريباً وتدميراً ، وفر محمد خوارزمشاه وكان كما قال مسلم بن الوليد :

وطار فى إثر من طار الفرار به
خوف يعارضه فى كل أخدود

وورث ابنُه جلال الدين ملكا فى أيدى التتار ، ومجداً بين الطعان والضراب ، فصبر وصابر وجاهد ما بين نهر السند إلى حدود العراق يحاول جهده أن يلمّ الشمل ويرأب الصدع ، ويخلق من الفرقة اجتماعاً ، ومن الضعف قوة ، ومن الذعر ثباتاً ، ومن اليأس رجاء ، حتى اغتالته المنون بعد أن أعجزتها مصاولته ، وختلته بعد أن أعيتها مجاهرته .

وانتشر الرعب ، وعمّ الفزع ، ولم يثبت للتتار جيش ولا حصن فى شرقىّ البلاد الإسلامية .

ومالى أكلف نفسى الوصف ولا أستمع لابن الأثير ، وقد عاش على شاطىء هذا الطوفان ،

وأحسّ لفح هذه النار ، يحدّث حديث هذه الوقائع :

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها ؛ لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا مايدانيها ... الخ .

ـ ٢ ـ

مات جنكيز خان سنة ٦٢٤ بعد أن قسم بين أولاده مافتح من الأرض وما لم يفتح ، وامتد الفتح فى آسيا وأوربة ، وكانت غيَر ، حتى أرسل بنكوقا آن حفيد جنكيز ـ أخاه هولاكو سنة ٦٥١ ليفتح حصون الاسماعيلية ثم يفتح بغداد فأخضع أمراء إيران والقوقاز إلى عام ثلاثة وخمسين واستولى على أكثر قلاع الاسماعيلية .

ثم جاءت الطامة الكبرى فاستولى على بغداد ، ومحا الخلافة العباسية تاسع المحرم سنة ست وخمسين وستمائة (١٦ يناير ١٢٥٨) لقد طوى أجداده الممالك الإسلامية إلى العراق ، ثم أصاب هو المسلمين فى الصميم إذ أخذ بغداد التى لبثت مقر الخلافة وقبلة المسلمين فى العلم والحضارة أكثر من خمسة قرون .

ماذا يصد هولاكو عما يشاء ؟ من ذا يقف للجيوش التى لبثت ثلاثين سنة تسير من ظفر الى ظفر ومن مملكة فتحتها إلى مملكة قدر لها أن تفتحها ؟ إن آسيا ما بين قراقروم وبغداد فى قبضة أبناء جنكيز ، وإن اوربا الشرقية إلى البحر الأدرياتى قد عنت لأمرهم . ليس على هلاكو إلا أن يسير الجيوش فتطوى الأرض ، ويثير الحروب فتخر الممالك ، ويوعد الملوك فيخذلها جندها ، وينزل بالمدينة فتسلمها أسوارها . عزمة تسخر له الشام ، وأخرى تقهر له مصر ، ثم عزمات تبلغ به بحر الظلمات .

ـ ٣ ـ

سار التتر إلى الشام فلم تستطع حلب لهم دفعاً ، وهؤلاء المعتصمون بقلعتها لن يجديهم الاعتصام ، ولا مناص لهم من الاستسلام بعد شهرين . وسارع أهل حماة إلى حلب فأعطوا هلاكو مفاتيح المدينة . ولم تثبت للقوم مدينة بين حلب وغزة .

وأما أمراء الشام من بنى أيوب فمنهم من انحاز إلى التتر مؤثراً العافية ، ومنهم من لجأ إلى مصر مستنجداً . والملك الناصر أكبر هؤلاء ترددت به الحيرة بين حدود مصر والشام فلم يجد إلا المسير إلى هلاكو .

وأبت مصر التى تجاهد الصليبيين منذ مائة وستين عاماً ، أن تذل للتتر ؛ فجمعت مافيها من إيمان وقوة وخرجت فى رمضان سنة ٦٥٨ وصمدت للقوم فالتقى الجمعان على عين جالوت فى فلسطين . فأما التتر فلم يعرفوا فى الحرب إلا الانتصار منذ سال سيلهم على البلاد الإسلامية قبل ثلاثين سنة . ماذا يخشون من جيش مصر وقد مزقوا للمسلمين جيشاً بعد آخر ، ولم تصدّهم البسالة والاستقتال دون غاية . وأما جيش مصر الذى جمع المصريين وعرب البادية من مصر والشام فقد أيقن أنها الموقعة الفاصلة ، وأن هزيمة فى عين جالوت تفتح طريق العدو إلى مصر فالمغرب ، فصمّموا أن ينتصروا ؛ وكثيراً ما تلد العزيمة الظفر . ولم يزلزل عزائمهم أن رأوا بعض أمراء المسلمين فى صفوف العدوّ ـ ذلك الأمير الشقى المتسّمى الملك السعيد .

التقى الجمعان يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وستمائة ، واحتدم القتال وصبر المسلمون ثم صبروا ، ولقوا من حملات التتار ما يوهن العزائم فلم يهنوا . إلى من يكلون الدفاع عن الإسلام والمجد إذا لم يستميتوا في عين جالوت ؟

كتبغا قائد التتر قتيل ، وابنه أسير ، وجنده مصرعون فى حومة القتال ، وبقايا السيوف منهم يلوذون برءوس الجبال .

علم المسلون يومئذ أنه يستطاع هزم التتر فلم يثبت القوم في بقعة من بقاع الشام وأسرعوا فى الرجوع إلى الشرق .

جمع التتر شملهم وأعدوا للحرب عُددهم ثم رجعوا فاستولوا على حلب بعد شهرين من موقعة عين جالوت ، ولكن عين جالوت قد فصلت فى القضية من قبل وعلمت المسلمين أن الأمل والعزم والإقدام تغلب كل عدو ولو كان التتر جنود هلاكو حفيد جنكيز .

اجتمع المسلمون على حمص وسار التتر إليهم . فليشهد القارىء قبل المعركة جمعاً من أنجاد العرب يسيرون إلى حومة الوغى :

قال الشيخ شهاب الدين الحلبي : كنت فى نوبة حمص فى واقعة التتار جالساً على سطح باب الاسطبل السلطانى بدمشق إذ أقبل آل مرا[1] زهاء أربعة آلاف فارس شاركين فى السلاح على الخيل المسومة والجياد المطهمة وعليهم الكزغندات[2] الحمر ، والأطلس المعدنى والديباج الرومي ، وعلى رؤوسهم البيض كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ويرقصون بتراقص المهارى ، وبين أيديهم الجنائب ، ووراءهم الظعائن والخمول ، ومعهم مغنية لهم تعرف بالحضرمية طائرة السمعة سافرة من الهودج وهى تغني :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالى َ لاقينا جُذاماً وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضُمّرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض تأبى النبع أن يتكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

ودارت الحرب عند حمص يوم الجمعة خامس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة ، فإن تسألنى كيف كانت عاقبتها فهى العاقبة التى بشرت بها موقعة عين جالوت .

فارق التتار الشام إلى غير رجعة .

١٩٤٠

هوامش :

(١) آل مرا من آل ربيعة من طيء

(٢) كزغند معرب خزكند وهو قباء محشو بالحرير يلبس فى الحرب .

ماذا تكتب فرنسا اليوم؟

يقدمها: طلعت الشايب

على ساحة الكتابة الفرنسية هذه الأيام يدور كل الحديث عن مسح الألواح القديمة ورفض القوالب الأيديولوجية وفتح الأبواب أمام التنوع والتعدد. فرغم الفرح الذي غمر الفرنسيين لحصول كلود سيمون على جائزة نوبل في الآداب في العام الماضي – وهي المرة التي يحصل فيها كاتب فرنسي على الجائزة منذ أن رفضها سارتر عام ١٩٦٤ – إلا أن السخرية كانت شديدة لأن اختيار سيمون جاء في وقت كانت «الرواية الجديدة» التي يمثلها قد سقطت عن عرشها وأفسحت المكان لطراز من روايات القرن التاسع عشر.

تقول المحررة والناقدة الأدبية فرانسواز فيرني francoise verny التي تتبنى جيلاً جديداً من الروائيين في اثنين من كبريات دور النشر الفرنسية «grasset» و«gallimard» إنّ هناك اتجاهاً جديداً للعودة إلى المغامرة والاستقلالية والمباشرة حيث «لاتوجد في هذه الأيام مدارس فكرية أو تيارات أو حتى أماكن للتجمعات الثقافية والمراجعات النقدية» كما تصف المرحلة بأنها مرحلة «تخمر فردي» بعد أن سقطت ديكتاتورية الرواية الجديدة التي عاش الفرنسيون أسرى لها لفترة طويلة.

نفس الشيء تقريباً يقوله الناقد «بيير نورا pierre nora» عن الكتابات الجديدة في مجالات السيرة والفلسفة والتاريخ حيث يرى أن مدارس البنيوية والماركسية التي خلبت العقل الفرنسي يوماً ما بقدرتها على تحسس نبضه قد ذوت وأن الكتاب أصبحوا ينتجون أدباً أقل التزاماً وأقل موالاة للفكر النظري عن ذي قبل، وهذا من وجهة نظره يعكس شعوراً يتنامى لدى الفرنسيين عموماً هذه الأيام وهو أن فرنسا لم يعد لها مكان في مركز الثقافة العالمية.... يقول «أشعر أننا نمر بمرحلة مراجعة دقيقة لكل تاريخ فرنسا الذي وصل إلينا من الأجيال الماضية، وفرز شامل للموروث الثقافي يلقي الضوء على فترة مابعد ديجول في وقت تشعر فيه فرنسا في قرارة نفسها بأنها لم تعد قوة عظمى وبأنها مجرد دولة من الحجم المتوسط.... وإذا كانت عظيمة فلأنها كانت كذلك يوماً ما».

هذه المحاولة للمراجعة والتمحيص أدت إلى ظهور كتابات تهدف في الأساس إلى إصدار سير ذاتية ونهائية لعظماء الماضي الحديث، فنجد أن الموضوعات الرئيسية للكتابة في العام الماضي (١٩٨٥) كانت عن «ديجول» وعن «سارتر».

والأول (ديجول) شخصية بارزة من اليمين الفرنسي التقليدي، رجل ذو قوة سياسية ضاربة، كرس حياته لاستعادة كرامة الأمة المهزومة وإيقاظ وعيها بالمجد أما الثاني (سارتر) فخصم نموذجي لسلطة الدولة، كان في حالة تمرد فلسفي دائم، وكانت آراؤه ترمز إلى التقاليد الفكرية الفرنسية المتميزة.



ديجول



سارتر

ورغم الاختلاف البين بين ديجول وسارتر في مضمون ماجاء به كل منهما ورغم اختلافهما في المنطلقات الأساسية كما في الأساليب، نجد أن الكتابة الفرنسية في العام الماضي تعطيهما مكانة مشتركة كرمزين للهوية الفرنسية.

فالصحافي وكاتب السيرة الشهير «جين لاكوتيه jean lacouture» أصدر حتى الآن جزءين من مؤلفه الكبير عن ديجول (صدر الجزء الثاني في أواخر ٨٥) ليلقيا ترحيباً كبيراً من اليمين واليسار على حد سواء. ورضا اليمين واليسار معاً في حد ذاته أمر غريب في بلد مثل فرنسا كان فيه اليمين دائماً يميناً وكان اليسار يساراً. (ولم يلتقيا!).

الغريب في الأمر أن لاكوتيه نفسه محسوب على اليسار الفرنسي الذي كان دائماً صاحب موقف غير ودي من ديجول، وهو ذات الموقف الذي لخصه الرئيس فرانسوا ميتران عندما أطلق على دستور ديجول للجمهورية الخامسة اسم «الانقلاب الدائم».

الجزءان اللذان صدرا حتى الآن من كتاب لاكوتيه – وهما يغطيان موضوع ديجول حتى قيام الجمهورية الخامسة – أثارا جدلاً شديداً في الدوائر الثقافية، فنجد الناقد بيير نوار (محرر الأعمال غير الروائية لدى gallimard) يقول إنّ «لاكوتيه وقع في غرام ديجول وجذبه إلى اليسار ليجعله مقبولاً لديه بعد تحويله إلى نمط جان داركي».

وإذا كان لاكوتيه قد جذب ديجول من اليمين إلى مركز الحياة الفرنسية وجعل منه شخصية مرضية لليسار فإن الكاتبة «آني. ك. سولال annie cohen'solal» حاولت في كتاب لها أن تثبت قدرة الجيل الجديد من الكتاب الفرنسيين على تحويل

أيقونة ـ شريرة في نظر البعض ـ إلى شخصية وطنية متعددة الجوانب تلقى القبول من الجميع .

وهذا مافعلته بالضبط في كتابها عن « سارتر » الذي انتزعته بعيداً عن اليسار الفرنسي الذي ظل من ممتلكاته منذ وفاته من ست سنوات . تقول الكاتبة إنّ عدداً كبيراً من دور النشر لم يكن متحمساً لنشر الكتاب في البداية لسببين رئيسيين ... ومتناقضين !

الأول وهو أن سارتر ـ الشخصية العامة ـ كان قد أصبح « موضة قديمة » ، والثاني هو أن المثقفين الفرنسيين لم يعودوا على استعداد لإثارة الجدل من جديد حول شخصية مثيرة للجدل أصلاً ، أحدثت صدعاً كبيراً في فكر اليسار .

أما الصور التي أعادت نشرها في كتابها لجنازة سارتر فقد أعادت إلى الأذهان الشهرة الطاغية لذلك الرجل الذي كان يعتبر في وقت ما فولتير و « ديدرو » و « هوجو » القرن العشرين .

أما عن الكتابات الأخرى في فرنسا في مجال الأدب الروائي فرغم اختلافها في الأسلوب وفي التكنيك ، فإن سمات واحدة تجمعها وهي النرجسية الشديدة والبعد عن السياسة ورفض التجريب ومحاولة إرضاء الناشرين بغية الحصول على الجوائز التي ترصدها دورهم للأعمال الأدبية .

والمعروف أن عدد الجوائز الأدبية في فرنسا أكبر منه في أي بلد آخر في العالم وإن كان كثير من النقاد يعتبر عملية منح الجوائز « مهزلة كل خريف » على حد تعبير « بيير بلفوند pierre belfond » في جريدة اللوموند . (وللعلم هو ناشر أيضاً .)

أما المؤلفون الذين حصلوا على جوائز من دور النشر في عام ١٩٨٥ وكذلك أصحاب الأعمال الجيدة التي لم تحصل على جوائز فإنهم يمثلون ما تطلق عليه الناقدة « فرانسواز فيرني francoise verny » : « العودة إلى أسلوب السرد والحكايات الشخصية في الرواية الفرنسية » . وبالنسبة للكتاب أنفسهم ـ ومعظمهم تحت الأربعين ـ فلا يزال الوقت مبكراً للحكم عليهم إذا ماكانوا سينجحون في إبداع شكل أدبي مميز لفرنسا كما فعل روائيو منتصف القرن « جيد ـ مورياك ـ كامو » وإن كانت أعمالهم حتى الآن تقول بأن أيديولوجية الأسلاف قد ماتت بالفعل وأن الحياة الخاصة هي الجديرة بالاحتفاء الأدبي والاهتمام الثقافي في فرنسا هذه الأيام .

قمّـة فـرانكوفون



سنجور

« الإنجليزية أكثر إحكاماً » ، « الفرنسية أكثر تحديداً » ، « الإنجليزية لغة ديمقراطية وحديثة » ، « الفرنسية لغة الصفوة » ، « الإنجليزية متطورة » ، « الفرنسية وراءها تراث أدبي عظيم » .. !

كانت هذه هي بعض طلقات المدافع التي هزت ساحة الحرب المتواصلة بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية في الشهر الماضي .

في أول مؤتمر من نوعه اجتمع في باريس ٣٨ رئيس دولة ناطقة بالفرنسية ليتدارسوا معاً كيفية مواجهة الخطر الذي يمثله انتشار اللغة الإنجليزية وسيطرتها في مجالات العلم والتكنولوجيا ، وليبحثوا معاً السبل الكفيلة بعودة ازدهار وانتشار اللغة الفرنسية .

وأبرز المهتمين بالأمر والمهمومين لحالة الفرنسية اليوم ـ بالطبع ـ هو الرئيس الفرنسي ميتران الذي يتابع إحصائيات تعلم اللغة الفرنسية ومدى انتشارها في العالم ، والذي خصص جزءاً من كتاب صدر له مؤخراً عن السياسة الخارجية للهجوم على الدبلوماسيين الفرنسيين الذين يتحدثون بالانجليزية في الخارج مهملين لغة بلادهم .

أما اللغة الفرنسية التي كانت لفترة طويلة اللغة الطبيعية للدبلوماسية ، ولغة الطبخ العالمي والأزياء الراقية ، وكانت يوماً ما لغة الأرستقراطية الروسية ولغة ثوار آسيا وكتاب أمريكا اللاتينية .. فقد بدأت في التدهور في السنوات الأخيرة ـ انعكاساً لتقلص دور فرنسا كقوة دولية ـ وإن ظلت حتى اليوم لغة الخطاب في أنحاء كثيرة من العالم من مقاطعة كويبك في كندا إلى جزيرة « فاينواتو » في جنوب الباسيفيك .

وطبقاً لتقديرات الحكومة الفرنسية لايزال هناك ١٢٠ مليوناً يتكلمون الفرنسية بطلاقة في العالم (٦٠٪ في أوربا ، ٢٦٪ في أفريقيا ، ١٠٪ في الأمريكتين) ، ولكنها قد بدأت في التراجع في مناطق كثيرة وخاصة في شمال أفريقيا حيث تقبل الأجيال الجديدة في المغرب العربي على تعلم العربية بدلاً من لغة المحتل السابق .

وفي الوقت الذي يتزايد فيه قبول الإنجليزية كلغة عالمية ، يتقلص حيز انتشار الفرنسية التي لاتستطيع ـ حتى الآن ـ مسايرة الإبداع التكنولوجي ، ولذلك كان أهم مادعت إليه قمة فرانكوفون (الصوت الفرنسي) هو إنشاء بنوك معلومات مشتركة وإنتاج برامج كمبيوتر بالفرنسية والتعاون في مجالات صناعة الأفلام وإنتاج البرامج التلفزيونية ونشر الكتب .

كما اتخذت إجراءات أخرى للمحافظة على نقاء اللغة التي يرى الكثيرون أنها تمثل ثقافة وحضارة وأسلوب تفكير ، وأن نقاءها أهم بكثير من مجرد انتشارها مشوهة مليئة بالمفردات « الفرنجليزية » !

وحتى موعد انعقاد هذا « الكومنولث اللغوي » مرة أخرى في كويبك بعد عامين ستظل صيحة الرئيس الفرنسي مدوية في آذان المهتمين بأمر اللغة الفرنسية .. « إن أحداً لن يستمع إلى شعب يفقد مفرداته » .



الفنان رمسيس يونان ..

في العدد الماضي من الدوحة قدمنا دراسة واسعة لنشأة الفنان رمسيس يونان وحياته الفكرية والفنية حتى أوائل الحرب العالمية ، وفي هذه الدراسة الجديدة الكاملة بحث شامل عن حياة الفنان وفكره وأعماله الفنية حتى وفاته سنة ١٩٦٦ في الثالثة والخمسين من العمر تحت تأثير الأزمات المتتالية التي تعرض لها ... وفي هذه الدراسة الجديدة صورة دقيقة واسعة أو « بانوراما » كاملة للأجواء الفنية والفكرية التي كانت سائدة في مصر والعالم العربي مابين ١٩٣٩ و١٩٦٦ .

المثقف المُتمرِّد

رمسيس يونان

بقلم
صبحي الشاروني

● بيان يوقعه الرسامون والشعراء بعنوان "يحيا الفن المنحط"

● دور الحلم والرموز والمصادفة في الفن

كان الفكر والفن والسياسة هي أركان الثالوث الذي شغل رمسيس يونان في شبابه وكرس له كل نشاطه .. فواظب على المشاركة في معارض صالون القاهرة التي تقيمها « جمعية محبي الفنون الجميلة » من عام ١٩٣٣ حتى ١٩٣٨ .. ثم مارس السيريالية وكان رائدها الأول في مصر.. وعمل على نقل المفهومات الحديثة في الفنون الجميلة الى القارئ العربي كما شارك في الجماعات السياسية التي تكونت قبل الحرب العالمية الثانية وفي بدايتها .. أما جماعة الدعاية الفنية فقد توقف نشاطها عام ١٩٣٩ بعد أن أقامت معرضين جماعيين في عامي ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ — اشترك رمسيس يونان في الأخير.

في نفس السنة التي أصدر فيها رمسيس يونان كتابه « غاية الرسام العصرى » كانت قوى الفاشية والنازية في أوربا تستعد لاشعال نيران الحرب العالمية الثانية .. ومن بين اجراءات استعدادها لهذه الحرب راحت تحاصر كل فكر متحرر حتى لو لم يكن « ملتزما » .. وكان يبدو واضحا جزعها وتبرمها من حركة الفن الحديث ، فاصطنعت في مقابله قيودا ومقاييس صارمة راحت تدمر كل مايخرج عنها .. وفي مسرحيات إرهابية جماعية راحت تلك القوى تحطم وتحرق وتمزق ، في الميادين العامة ، أعمال الفنانين المجددين واغلقت مدرسة الباوهاوس تحت شعار مقاومة « الفن المنحط » . وفي مواجهة هذا الموقف أعلن اندريه بريتون رائد الحركة السيريالية دفاعه عن الفن الحديث في بيان وقعه أيضا الفنان المكسيكي « دييجو ريفييرا » وكان بعنوان « من أجل فن حر مستقل » .

وكانت اللوحات والتماثيل التي تضمها المعارض في مصر لاتصلح الا للزينة ، ولا تؤدى أى دور ثقافي أو اجتماعي أو سياسي .. في حين أحدثت الاضطرابات العالمية أزمة عميقة في نفوس الشباب .. وتبنى رمسيس يونان وزملاؤه في تلك الفترة فكرة دعوة المجتمع الى التحرر النفسي والمطالبة بأن يلعب الخيال دوره ، على أساس أن خيال الفرد هو أكبر قوة يجب أن يعبر عنها الفنان وليست الأوهام ، فأصدر مع زملائه بيانا يندد فيه بهمجية القوى الفاشية والنازية التي كانت تريد إعادة البشرية الى ظلام العصور الوسطى ..

وقد صدر البيان في ٢٢ ديسمبر عام ١٩٣٨ وقع عليه ٣٧ فنانا وشاعرا على رأسهم رمسيس يونان وجورج حنين وكامل التلمساني وفؤاد كامل وكمال الملاخ وانجلو دى ريز وغيرهم ، وكان عنوان البيان هو « يحيا الفن المنحط » باعتباره ردا على الحركة الفاشية التي اتخذت شعارا لها « مقاومة الفن المنحط » (١)

يلاحظ انه بتجمع كل هؤلاء في التوقيع على هذا البيان تكونت الأرضية الضرورية لقيام أول جماعة تضم الشعراء والرسامين .. بل ان معظمهم كان يمارس الرسم والكتابة جنبا الى جنب .

لقد كان بيان « يحيا الفن المنحط » يمثل دعوة لاقامة جماعة « الفن والحرية » التي تكونت بعد صدوره بأسبوعين فقط ، أى في ٩ يناير ١٩٣٩ ، وقد حددت أهدافها في :

« الدفاع عن حرية الثقافة .. ونشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين في العصر الحديث .. وايقاف الشباب المصرى على الحركات الأدبية والفنية في العالم » .

وفي تلك الفترة كانت لوحات رمسيس يونان ورسومه تصور ، من خلال ألوان بنية داكنة ، أشكالا غريبة تصدم المتفرج .

كانت مجهودات رمسيس يونان الفنية هو وزملاؤه أعضاء جماعة « الفن والحرية » تقوم بدور الموقظ للوجدان الفني وتثير القلق عند المشاهدين . غير ان التجديد في الصياغة كان يشمل بالدرجة الأولى ثورة على المذاهب الفنية القائمة عندئذ ، والتي كانت امتدادا للفن الأوربي الأكاديمي والتأثيري . ولو أن هذه الثورة اقتصرت هي الأخرى على كونها امتدادا للنزعات الجديدة التي سادت اوربا قبل الحرب العالمية الثانية وتقليدا لها . وهكذا كان رمسيس يونان زعيم الناقلين لمذهب السيريالزم من أوربا الى مصر .

وبجانب جماعة « الفن والحرية » الفنية قامت جماعة « الخبز والحرية » السياسية وصدرت مجلة « الخبز » وكتاب « الدفاع عن الثقافة » وعدة نشرات أخرى .. ثم مجلة التطور التي لم تصدر الا سبعة أعداد ثم توقفت . وفي عام ١٩٤٢ تولى رمسيس يونان رئاسة تحرير « المجلة الجديدة » واستمرت هذه المجلة منبرا يعبر عن آرائه ومواقف جماعته حتى صودرت عام ١٩٤٤ .

معارض الفن الحر

وقد أقامت جماعة الفن والحرية معارض سنوية حتى عام ١٩٤٧ تحت اسم « معارض الفن الحر » . وفي معرضهم الأول الذى افتتح في ٨ فبراير سنة ١٩٤٠ الذى اشترك فيه محمود سعيد بك ورمسيس يونان وكامل التلمساني وفؤاد كامل وغيرهم وزعت الجماعة بيانا تقول فيه :

« في الوقت الذى لايهتم فيه الناس في العالم أجمع إلاّ بأصوات المدافع ، نجد أنه من الواجب علينا أن نعطى لتيار فني معين فرصة ليعبر عن حريته وحيويته . ان نفوذ الفنان على مادة عمله قد اتسع لدرجة ان خرجت هذه المادة الفنية عن دورها السلبي ، فأصبحت عند بعض الفنانين علامة ظاهرة لحقائق مزعجة (جورج دى كيريكو) وأصبحت عند البعض الآخر حلقة من سلسلة صور تسمو على كل المسافات المتباعدة « ايف تانجى » وهذه السلسلة جميعها تربط مأساة الحلم « سلفادور دالى » بمصادفات الحياة الباهرة « بول دلفو » .

الحلم — الرموز — المصادفة :

هذه الكلمات لاتكون بأى شكلٍ قانونا فنيا سبق تكوينه الا للجهلة ومن على شاكلتهم .. ان كل كلمة من هذه الكلمات يجب ان تكون منبعا لمتواليات جبرية هائلة . لمضخات تبعث على الذهول ، وهى أيضا التي يتحمل سرها الفنان الحر وحده .

إنّ هؤلاء الذين يهاجمون الفن الحر كل يوم ، يتهمون كعادتهم مرة اخرى ، اننا نقوم بأعمال سلبية . ان الأعمال التي قام بها الفنانون الأحرار ، من « محمود سعيد » حتى « فؤاد كامل » والتي بنى عليها هذا المعرض .. في هذه الأعمال الرد القاطع الذى ليس بعده رد .

المثقف المُتمَرِّد
رمسيس يونان

ياشباب .. لقد حان الوقت للاتجاه نحو الآفاق الخصبة .. وعندما نسير جميعا نحو تلك الكنوز الحقيقية التي هي ملكنا . (١)

وقد نجح المعرض الأول « للفن الحر » في إثارة ضجة كبرى .. فقد بلغ عدد الدعوات التي وزعت لحضوره حوالى عشرة آلاف دعوة .. وكانت تقاليد هذه الجماعة أنها توزع في معارضها النشرات والبيانات داخل المعرض وخارجه لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الشباب المثقف الى أفكارهم .. وقد نشر رمسيس يونان في إحدى هذه النشرات الجزء الأكبر من ترجمته (فصل من الجحيم) .. « لارتور رامبو » وكان عنوان النشرة « ما زلنا في المعمعة » .

وفي بيان المعرض الثاني الذي أقامته في مارس ١٩٤١ اعلنوا انه لكي يقوم « الفن الحر » برسالته لابد له من هذه الأسس الثلاثة :

أولا : الرد على تلك الموجة من التصوير الكلاسيكي المحافظ الذي لايخجل من سوء مستواه الضحل ولا من جماله البشع ، ولا من تعريته تلك الطبقة من نسائه المحترمات .

ثانيا : إثارة التعجب في أذهان الجماهير ، ذلك التعجب الذي يقولون انه لاداعي له لأنه كثيرا مايكون مقدمة لإثارة الوعي ولبعض الانقلابات الفردية والاجتماعية .

ثالثا : ربط نشاط شباب الفنانين بتلك الدائرة الكهربائية الواسعة التي يتكون منها الفن الحديث .. ذلك الفن الذي نحس بنبضاته القوية في نيويورك ولندن والمكسيك وفي كل مكان من العالم يكافح فيه رجال لايتطرق اليأس الى قلوبهم لتحرير الفكر الانساني . (٢)

الا أن ما أثارته جماعة الفن والحرية قد أدى الى نتائج غير التي توقعوها ، كان أخطرها هو سخرية الجمهور من الاتجاهات المعاصرة في الفن التشكيلي .. إذ فشلت الجماعة في توضيح الأسس الفكرية التي تقوم عليها ، ولم تنجح في اجتذاب الجمهور والمثقفين لمشاهدة وتذوق أعمال الفنانين المعاصرين بل لعلها تسببت في موقف السخرية ثم عدم المبالاة من جانب الجمهور بما يدور في مجال الفنون الجميلة ، وانتشر التعبير الدارج « فن سيريالى » وأطلق على كل عمل فني يتضمن أي تحريف او تغيير في النسب الطبيعية .

ولكنهم في نفس الوقت نجحوا في ايجاد عدد من الفنانين المقلدين للأساليب الأوربيةالحديثة .. كما يرجع اليهم الفضل في توجيه الفنانين الى البحث عن الأساليب الفردية ، لأن الفن الحديث يعتمد على الأسلوب ، فأصبح كل فنان يدرس ويبحث محاولا الوصول الى أسلوب ذاتي ينفرد به ، لهذا يرجع الى رمسيس يونان وجماعة الفن والحرية الفضل في ظهور أول معالم الشخصية الفنية الفردية وغير المتأثرة بالمدارس الأوربية في جماعتي الفن المعاصر والفن الحديث اللتين ظهرتا بعد الحرب العالمية الثانية .. وان كان ذلك التأثير قد حدث بطريق غير مباشر .

وفي عام ١٩٤٠ كان رمسيس يونان قد استقر في مرسمه ببيت الفنانين بالقلعة ثم مالبث أن استقال من وظيفته كمدرس رسم ليتفرغ لشئون الفكر والفن عام ١٩٤١ ، وكانت مقالاته في ذلك الوقت أشبه بالخطب الحماسية .. ففي مقاله الذي يرد فيه على كتاب الدكتور طه حسين « مستقبل الثقافة في مصر » نستطيع أن نتبين أسلوبه الحماسي في الكتابة ورأيه وموقفه من قضية الثقافة والتعليم في ذلك الوقت المبكر .

الثقافة تعتمد على التربية كما تعتمد على التعليم ، وتعنى بقيم الحياة اكثر مما تعنى بمقادير المعلومات .. وتهتم بالتوجيه والنزعة والسلوك اكثر مما تهتم بالعلم الخالص والادب الخالص والفن الخالص ــ نريد انَ نقول ان موضوع الثقافة يتعلق بالاخلاق كما يتعلق بالمعرفة والعلم . (٣)

وفي مقال آخر بعنوان « الحقيقة والحلم » يوضح منابع مذهبه الفني . (٤)

ثم ينتقل الى مناقشة المشكلة الاجتماعية مناقشة صريحة في مقال آخر بعنوان « مابعد منطق العقل » وفيه يهاجم المجتمع الاستهلاكي مطالبا بتوفير الخبز والفن للجماهير . (٥)

أما الأسباب الاجتماعية لاتجاهه الفلسفي فيفصح عنها في مقال آخر بعنوان « الفن والمجتمع » (٦)

وقد ظل نشاط رمسيس يونان الفني والثقافي من خلال معارض ومطبوعات جماعة الفن والحرية التي كان من بينها مجلة « المجلة الجديدة » لثلاث سنوات ، وقد صودرت معظم هذه المطبوعات . وفي عام ١٩٤٥ تفرغ للرسم وحده وكف عن الكتابة .. ولكن اسماعيل صدقي باشا ، عندما تولى الوزارة قبض عليه في حملة ١١ يوليو ١٩٤٦ مع سلامة موسى ومحمد مندور ومحمد زكي عبدالقادر وعشرات غيرهم .. ووجه إليهم الاتهام بالاعداد لثورة ثم أفرج عنهم بعد أسابيع لما لم تثبت ادانتهم .

الحرية العقيمة

في عام ١٩٤٦ تنبه رمسيس يونان الى فلسفة العبث وتعرف عليها من خلال البير كامي وترجمته لمسرحية « كاليجولا » التي نشرت عام ١٩٤٧ . وتمثل هذه الترجمة انقلابا في حياة رمسيس يونان .

وقد أعلن رمسيس يونان عن اتجاهه الى الحرية العقيمة بترجمته لهذه المسرحية ، فقد أحس بعدم جدوى كل الجهود التي بذلها .. وسار نحو الانتحار في شكله الوجودي .

صحيح انه شارك بأعماله الفنية في معرض أخير لجماعة الفن والحرية خاص بالفن « الاوتوماتيكي » عام ١٩٤٧ ، وصحيح أنه شارك في تكوين جماعة جديدة مغلقة اطلقت على نفسها اسم جماعة « جانح الرمال » ، كما شارك في معرض السيريالية الدولى الذي أقيم في باريس عام ١٩٤٧ ، ثم أقام معرضا شاملا لأعماله عام ١٩٤٨ ، ومعارض أخرى في عدة عواصم أوربية حتى عام ١٩٥٢ ، ولكن كل هذا كان بفعل الدفع الذاتي المتبقي من فترة الاندفاع والحماس السابقة .

ذلك انه قرر الهجرة من مصر نهائيا ، وفعلا سافر عام ١٩٤٦ الى باريس حيث رتب أموره ثم عاد لفترة وجيزة سافر بعدها الى مهجره عام ١٩٤٧ حيث استقر هناك وعمل سكرتيرا لتحرير القسم العربي بالاذاعة الفرنسية .. وهناك توقف تماما عن النشاط الفني من عام ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ ، وهكذا مارس رمسيس يونان الحرية العقيمة على طريقة البير كامي .

وقد ذهب رمسيس يونان الى باريس مفضلا الوحدة باحثا عنها كبديل للوحشة التي استبدت به في القاهرة .

ويقول الدكتور لويس عوض : « في باريس بدأ رمسيس يونان المرحلة الوسطى من حياته .. كان لابد أن يعيش ، فهادن الحياة واشتغل نحو عشر سنوات من ١٩٤٧ الى ١٩٥٦ . وتزوج من آنسة بولندية الأصل ممن استوطنوا فرنسا هي « جوزفين دورينيك » وأنجب منها بنتين .

ثم يضيف : « وفي أغسطس عام ١٩٥٥ كنت أمر في امستردام في طريقي الى نيويورك ، وهزني الشوق الى رمسيس يونان فطرت اليه في

باريس لأراه ساعات بين طائرتين واطمئن على أحواله وفنه ، فكانت شكواه الوحيدة أن عمله فى الاذاعة الفرنسية لايترك له الوقت الكافى للرسم . » (٧)

ورغم هذه الشكوى فان رمسيس يونان الذى استقال من التدريس عام ١٩٤١ هو نفسه الذى هادن الحياة » واشترى بيتا فى باريس بالأقساط» وهذا يعنى أنه استسلم « للحرية العقيمة » وللحياة الرتيبة واكتفى بمتابعة النشاط الفنى والثقافى فى العاصمة الفرنسية دون أن يشارك إيجابيا فى هذا النشاط.

ولكن مصر فى عام ١٩٥٦ أممت شركة قناة السويس العالمية واضطربت الأمور بين فرنسا ومصر .. وبدأت الأوساط الاستعمارية الفرنسية تستعد للعدوان ، وطالبت هذه الأوساط رمسيس يونان وثلاثة من زملائه العرب فى الاذاعة الفرنسية أن يذيعوا بيانات ضد مصر وهنا استيقظ « الوطنى » الكامن فى أعماق رمسيس يونان منذ عشرة أو خمسة عشر عاما .. ورفض الأربعة الاستمرار فى عملهم ، فطردتهم السلطات الفرنسية .. وهكذا عاد رمسيس يونان الى مصر قبيل الاعتداء الثلاثى ليبحث عن عمل .. ولكنه قضى حوالى عشرين شهرا بغير وظيفة .. وامتلأت نفسه بالمرارة ، ولكنه عاد الى إيجابيته ونشاطه عام ١٩٥٨ .

وفى فترة البطالة ترجم كتاب « فن الأراجوز» ورواية « الحب الأول » لتورجنيف ، وقد نشرت ضمن مطبوعات « دار الشرق » وكان هذا النوع من الترجمة هو استمرار لما يشبه عمله السابق فى باريس لمجرد أكل العيش . ولكن .. هناك كتاب ثالث يمكن اعتباره نقطة التحول الثانية ، ذلك أنه ترجم « قصة الفن الحديث » لسارة نيوماير ، وقد ظهر تحت اسم « سلسلة الفكر المعاصر ، نشر مكتبة الانجلو المصرية » . وهو عبارة عن عرض سريع مختصر للكتاب الأصلى الذى يستعرض المذاهب التي ظهرت فى الفن التشكيلى منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين . وقد لعبت هذه الترجمة دور الموقظ للفنان والمفكر رمسيس يونان فعاود نشاطه الفنى ولكن فى مرحلة جديدة تجمع بين الشكل اللامعقول فى الفن والاحساس العميق بالعبث .

لقد عين رمسيس يونان فى نهاية عام ١٩٥٧ أو بداية عام ١٩٥٨ مديرا للشئون الفنية بالمؤتمر الآسيوى الافريقى ، وكانت واجباته هى الترجمة ومراجعة مايترجمه الغير ، وهكذا اتصل رزقه مرة أخرى حتى أقيم نظام التفرغ عام ١٩٦٠ فكان أول الحاصلين على منحة التفرغ ، وظلت تتجدد له عاما بعد عام حتى توفى فى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٦ .

نحو المجهول

عاد رمسيس يونان الى نشاطه ناقلا الثقافة الغربية فى الفن والفكر الى قراء العربية فى ترجمته لكتاب « قصة الفن الحديث » وكتاباته بمجلة « المجلة » .. ثم « الهلال » و « الفكر المعاصر» بعد ذلك ــ كما عاد الى نشاطه الفنى بمرحلة كان قد بدأها فى باريس اتجه فيها بسرعة نحو الجمع بين الشكل اللامعقول والتعبير عن العبث ؛ فى البداية كان يستعيد خبرته فى الرسم السيريالى فنجد لوحاته أعوام ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ تصور حيوانات وأشكالا خرافية تتحفز لالتهام هياكلها العظمية .. وكائنات تشبه الحيوانات البحرية الدنيا تتدثر وتتمطى فى غلالات رقيقة شفافة مطاطة .

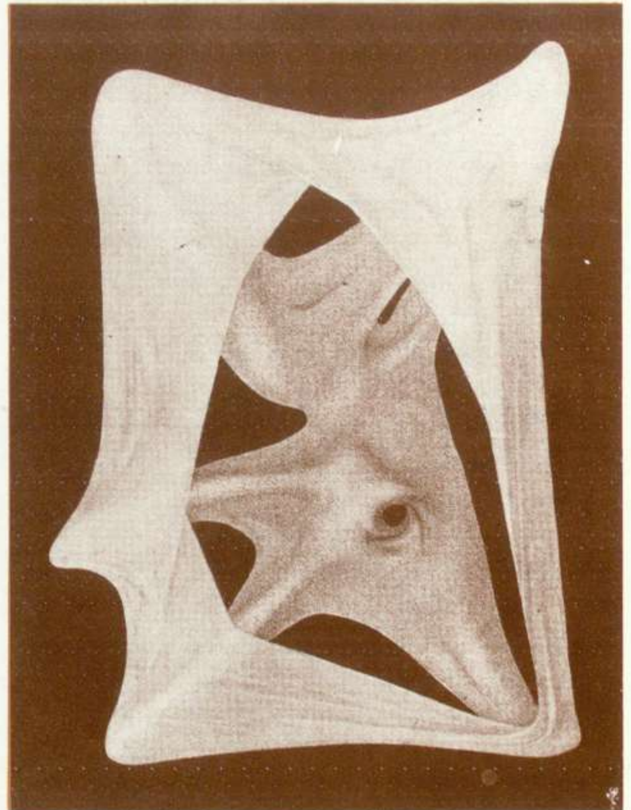
ثم مالبث أن تحول إلى التجريدية المطلقة عندما حصل على التفرغ ليرسم أشكالاً كأنها لجدران متآكلة بفعل الرطوبة ، أو مقاطع أحجار متعددة الألوان ، أوطبقات جيولوجية في الأرض ، أوسحب أوجزر أو جمر ورماد ...

وعاد إلى الجماعة الفنية .. فكون مع زملاء الفن والحرية وغيرهم من الفنانين غير الملتزمين جماعة « نحو المجهول » محاولاً بذلك إحياء تقاليد جماعة الفن والحرية . وأقاموا في (يناير عام ١٩٥٩) معرضاً جماعياً في قاعة « كولتورا » .. وفي معرض حامد ندا (عام ١٩٥٩) وزعوا كتيباً باسم « المجهول لا يزال » ..

في كتالوج معرض نحو المجهول كتب رمسيس يونان يوضح فكرة العبث في الشكل والمضمون :

« إن العلم الحديث ليقامر بالعقل سعياً في التوصل إلى مالا يمكن أن يتصوره العقل ، وإن الفلسفة الحديثة لتقامر بالمنطق شوقاً للكشف عما لا يمكن أن يبلغه منطق ، وإن الفن الحديث ليقامر بالصور والرموز والاسماء أملاً في التعبير عما لا يمكن أن تهتدي إليه لغة من اللغات ... وهذا التحليل وهذا الغوص وهذا الانطلاق ... هذه الحرية التي ربما لم تكن إلا وهماً من الأوهام ــ هي كل ما يستطيع أن يفخر به الانسان ... بالحرية نحو المجهول ... إنها القاعدة الوحيدة في الفن ــ كما أنها شيء ثمين لنا إذا أردنا أن نلحق بالركب الاجتماعي ونعطي الخيال صفاته » ... (٨) .

وفي كتيب « المجهول لا يزال » كتب تحت عنوان « تفتت الأساطير » يوضح أسباب تحوله من السيريالية إلى التجريدية :



إحدى التجارب الفنية
للفنان رمسيس يونان

المثقف المتمرد
رمسيس يونان

(يرجع الفضل إلى الحركة السيريالية في انقاذ الفن من هذه الدائرة المفرغة . لقد اعادت إلى الشاعر شيطانه ، فانطلقت كرائم الجن تمرح على مسرح الفن . وعندئذ هتك الستر واتضح لكل ذي عينين أن الوهم والحقيقة سيان ، وأن حوريات البحر والخيول المجنحة هي خير مرآة لما يدور في خلد الانسان .

وإلى هذه الحركة يرجع الفضل كذلك في أول محاولة جدية لخلق أسطورة جديدة يلتقي فيها الواقع بالخرافة ، والظاهر بالباطن ، والحكمة بالجنون ، والأوج بالحضيض ، والحياة بالموت ، حتى تصبح مبعث نور والهام للنفوس الولهى المتعطشة التي تناهبتها في هذا العصر شتى عوامل الحيرة والشك والقلق .

غير أن هذه الأحلام والأشواق بالرغم مما أشعلته من مواقد لاتطفأ لم تستطع أن تصمد مع ذلك أمام تلك الوساوس التي أصبحت بمثابة عصب الوعي الحديث وقوته اليومي . وهكذا عاد الانسان وجهاً لوجه أمام طلاسم الكون ، لكأنه قد عاد إلى حيث كان في فجر الخليقة قبل أن يبتدع الأساطير التي تضفي على هذه الأشياء مغزى ومدلولاً .

وهكذا لم يعد في وسع الفنان ذي الوعي في هذا العصر أن يصطنع لنفسه بيتاً بين أحضان طبيعة فقدت في نظره شفافيتها ، ولا أن يقنع بالحياة في إطار زائف من الأشكال الهندسية المنسقة ، أو المجازات المستعارة ... ولذلك نراه يعمد الآن إلى تفجير هذه الأشكال عله يعثر تحت الأنقاض على مادة الوجود الأولية وقسماته الخفية . (٩)

إن الوساوس التي أصبحت بمثابة عصب الوعي الحديث وقوته اليومي ، هي غربة الانسان في مجتمعه ... وهكذا كان تفجير الأشكال والبحث تحت الأنقاض هو مضمون وموضوع أعمال رمسيس يونان التجريدية الأخيرة . فكانت لوحاته طوال سبع سنوات هي :

« مزيج من الرؤى والمجردات تتخللها أشكال ذات عروق أو فجوات ترتع في رحاب الحدس وتنشر ظلالها البللورية على الفراغ الذي يخلق للتو فجيعة الشعور بالغربة . » (١٠)

وامتلأت هذه اللوحات « بعالم لوني خصيب من مياه وصخور ونبات وبقايا من كل الأشياء التي تتحرك وتنمو في هذا الكون الكبير الذي يعيش فيه الانسان ... الكون كله بسمائه وصحرائه وغيومه ومدنه وكائناته جميعاً في التراكم المنظم للكائنات ... » . (١١)

أما ألوانه فقد وصفها الناقد « ديمتري دياكوميدس » بأنها : « تتميز بشفافيتها وتنغيمها الموسيقي وتسبح لوحاته المعمارية البناء في جو غريب تسوده أضواء ذهبية وكأننا بازاء قصور سحرية أو كواكب في سبيل التكوين أو سحب متقدة . »

وهكذا تشابهت لوحات الفنان فيما يتعلق بعطائها للمتذوق طوال سبع سنوات من التفرغ حتى لتغني رؤية بعضها عن مشاهدة الباقي ، ذلك لأنها كانت تعزف نغماً واحداً ، وإن اختلفت أطوال الأوتار في كل عمل .

أما الفنان صاحب هذه الأعمال فكان يرى أن :

« في كل لوحة عنصران جوهريان ... قد نسميهما القالب والمضمون ، أو النظام والخيال ، أو العقل والعاطفة ، أو الحكمة والوجدان ... ونفضل نحن أن نسميهما العنصر المعماري والعنصر الغنائي .

وقد يكون « المعمار » جليلاً شامخاً كالهياكل والجبال ، أو حلزونياً كالقواقع والاعاصير ، أو رشيقاً مرهفاً كالسيقان والأغصان ، أو ملتوياً متسلقاً كاللهب المندفع .. ولكن لايمكن أن يخلو منه عمل فني إلا إنهار وتفتت .

وقد يكون « الغناء » رصيناً رزيناً كما في الفن الكلاسيكي ، أو عاطفياً شجياً كما في الفن الرومانتيكي ، أو مترنماً طروباً كما في الفن السيريالي ... ولكن لايمكن أن يخلو منه عمل فني إلا وحكم عليه بالعقم والإجداب .

ولا بد من العشق كي تتحقق هذه المعجزة ، فبدونه لايكون الرسام فناناً ، وانما مجرد « صانع صور » لاتنطق ولا تنبض . (١٢)

وهكذا اقتصرت لوحاته على المعمار والغناء وكلاهما عنصران شكليان .. وهذا الموقف الرافض للموضوع الدارج ، والانصراف كلية عن المضمون إلى الشكل هو الترجمة العملية للموقف الذي ظهر في محاولة إحياء تقاليد جماعة « الفن والحرية » تحت اسم « نحو المجهول » .

وقد كانت هذه المحاولة تمثل موقفاً غير منسجم مع الواقع الاجتماعي في مصر مع نهاية الخمسينات وبداية الستينات . وفي حين كانت جماعة الفن والحرية رغم كل شيء — ايجابية الهدف ، قصدت إلى تحطيم المنطق وبدء البناء من جديد ، وعبرت عن ضياع الانسان وغربته في المجتمع المادي ، وأوضحت قلق الشباب إزاء الأحداث العالمية العنيفة في أعوام الحرب ، ترى أن « نحو المجهول » عام ١٩٥٨ كانت تعبر عن لون من العزلة عن الأحداث والضياع وفقدان الطريق ، ولهذا لم تعمر طويلاً وسرعان ماتفتت .

وقد شارك رمسيس يونان بأعماله التجريدية في معارض الفنانين المتفرغين بمتحف الفن الحديث وقصر المانسترلي ثم قاعة الفنون الجميلة بالغرفة التجارية من ١٩٦١ — ١٩٦٦ ، وعرضت بعض أعماله في بينالي « سان باولو » بالبرازيل عام ١٩٦١ ، ثم في معرض جماعي ببلغراد عام ١٩٦٢ .. ثم أقام معرضاً شاملاً لأعماله في قاعة الفنون الجميلة في يونيو ١٩٦٣ .. وفي عام ١٩٦٤ شارك في جناح الجمهورية العربية المتحدة بمعرض بينالي فينسيا الدولي .

وكان الهدف من الاشتراك في هذه الدورة هو محاولة تمثيل أكبر عدد من الاتجاهات الحديثة الموجودة .. وقد احترقت لوحتان من أعمال هذه المرحلة في حريق مسرح الجيب حيث كانتا مثبتتين هناك .

أزمتان

تعرض رمسيس يونان بعد حصوله على التفرغ لأزمتين حادتين : الأولى كانت في النصف الأول من عام ١٩٦٤ ، والثانية قبل وفاته بشهور .

فقد وقع في حبائل « مقلب » صحفي خشن ، قام به بعض محرري مجلة « آخر ساعة » ، عندما عرضوا عليه وعلى أربعة فنانين تجريديين آخرين معظمهم من المتفرغين — رسوماً في إحدى المجلات الانجليزية لقرد مدرب على تقديم الألعاب في تليفزيون لندن وأوهموهم بأنها من رسم « بابلو بيكاسو » ثم نشروا الصور مع كل كلمة قيلت حول هذه الرسوم . وكان رمسيس يونان هو الوحيد من بين الفنانين الخمسة الذي تصدى للدفاع عما قاله من رأي حول هذه الرسوم قبل أن يعرف أنها من رسم قرد . ونشر رده في مقال طويل بجريدة « الجمهورية » حاول فيه توضيح التشابه بين رسوم القرود والمجانين من جهة ، وما يعرف بالفن الحركي أو الفن الاوتوماتيكي أو الفن الصادر عن اللاوعي ، من جهة أخرى .

وأحدثت هذه الواقعة ضجة وسخرية في

جميع الأوساط أدت إلى الالتفات لما يدور في إدارة التفرغ ، وكانت من الأسباب غير المباشرة إلى تعديل لجانه بعد عام ونصف عام من هذه الواقعة .

وكان التشكيل الموسع للجنة التفرغ للفنانين بعد التعديل تضم ممثلين للفريقين اللذين كانا يتنازعان الحركة الفنية منذ أكثر من ثلاثين عاماً ... قطب يتزعمه حامد سعيد وقطب يضم راغب عياد ثم فريق في الوسط.

واختلف القطبان وظهر اتجاه إلى تعديل لائحة التفرغ ، وكان من المسائل المختلف عليها مسألة تجديد تفرغ رمسيس يونان . وكانت هذه هي الأزمة الثانية ، فقد استمر رمسيس يونان شهوراً بلا مرتب في انتظار حسم الموقف .

وظهرت بعض أشكال الصراع على صفحات الصحف .. وأخيراً اتفقت اللجنة على تجديد تفرغ رمسيس يونان للترجمة بدلاً من التصوير الزيتي .. حيث قام بترجمة ٨٦ صفحة من كتاب أندريه مالرو .. ولكن قلمه جف قبل أن يتمه ، وكان أكفأ من يستطيع النهوض بهذا العمل .

رمسيس يونان .. ناقداً

إن نشاط رمسيس يونان كناقد ومترجم للأفكار والمذاهب الفنية في الغرب قد طبعت نقده بطابع خاص . وكان دوره في الترجمة والنقد هو أكثر جوانب نشاطه تأثيراً وفعالية في مجتمعه .. ويكفي ماقاله الفنان محمود سعيد عنه « إنه الناقد التشكيلي الوحيد الذي يعرف مادته . »

لقد بذل رمسيس يونان جهداً عنيفاً في دراسة تاريخ الفن وقراءة ماكتبه النقاد السابقون والمعاصرون . وكان دائم التطلع إلى التيارات الفكرية العالمية متتبعاً لها بأنفاس مبهورة ، كما أكسبته الممارسة الفنية قدرة هائلة على امتصاص المعلومات حول الفن بل تعداها إلى الفلسفة وفنون التعبير جميعاً .

وقد اتصلت مجهوداته في النقد والترجمة لتبرير وتدعيم اتجاهه الفني وتقديم الفنانين الأوربيين المجددين وعرض أحدث الآراء النقدية والنظريات الفنية ومناقشتها .. ولكن من السهل على القارئ أن يستخلص المعلومات الخالصة من بين هذه الوجوه المحددة من النظرة وأن يتعرف بدقة على الاتجاهات الحديثة من خلال كتابات ناقد واسع الثقافة متعاطف مع هذه الاتجاهات .

وهكذا شهدنا كتاباته النقدية في جريدة « الشعب » ومجلة « المجلة » ثم « الكاتب » و « الهلال » و « الفكر المعاصر » و « دائرة معارف الأهرام » وملحق الجمعة لجريدة « الأهرام » ونشرات المعارض ..

وفي تقديمه للفنانين الأوربيين كان يركز على مايؤيد وجهات نظره فيقول عن « رمبرانت » : (ذلك أن أهم ما يعبر عنه فن رمبرانت في مرحلته الثانية إنما هو الحركة النفسية الخفية من وراء الصمت العميق الذي أصبح يخيم على لوحاته ويسمها بطابع الجلال . (١٣)

وفي مقاله عن الجريكو يقول :

« وفي سبيل هذا التعبير الروحاني العارم لم يتحرج الجريكو عن تحريف صور الأجسام ولا عن الخروج على قواعد المنظور ، فقد كان يطيل الأجسام إطالة شديدة ، ويلوي عضلاتها وأطرافها لياً ، ولايراعي البتة منطق الرؤية العادية في وضع الشخصيات في فراغ اللوحة . » (١٤)

وقد أوضح رمسيس يونان آراءه في مقال « أصول النقد التشكيلي » : « إن النقد ينبغي أن يكون موضوعياً . غير أن هذا « العالم الآخر » الذي هو الأثر الفني ، ليس « شيئاً » ولا « فكرة » ، فهو لايدرك إلا إذا استحال وجداناً . ومن ثم فلا مفر فيما يبدو من أن يصبح النقد في نهاية الأمر ذاتياً . »

« إن الناقد الفني الذي يؤبه به ليس بالأمر اليسير ، وإنما الانزلاق في النقد هو الأمر الهين ... ومما يضاعف من صعوبة هذا النقد فيما يتعلق بالفن الحديث ، إن حضارتنا الراهنة ـ على خلاف جميع الحضارات التي تقدمتنا ـ لم تستطع أن تصطنع لنفسها كونا نطمئن إليه . ومانسميه بالطراز في الفنون السابقة لم ينشأ إلا استناداً إلى كون معين .

ولذلك فإن الفن الحديث ، وإن كان قد خلق تيارات عدة واتسم بلهجة تميزه ، إلا أنه لم يصل إلى خلق طراز يحدد قوالبه . » (١٥)

وهكذا كان رمسيس يونان واحداً من أهم نقاد الفن التشكيلي صادقاً مع نفسه في كل كلمة يقولها وتميز بتركيب ذهني متكامل فكان فنه ونقده يصدران من موقف واضح محدد .

صبحي الشاروني

هوامش :

(١) عن كتاب : « ٥٠ سنة من الفن » لرشدي اسكندر وكمال الملاخ ـ نشر دار المعارف بمصر ـ صفحة ٦٣ .

(٢) عن دراسة ليوسف الشاروني بعنوان « اللامعقول في أدبنا المعاصر » ـ مجلة « المجلة » العدد ٩٦ شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٤ .

(٣) مجلة التطور ـ العدد الأول ـ يناير ١٩٤٠ .

(٤) مجلة التطور ـ العدد الثالث ـ مارس ١٩٤٠

(٥) مجلة التطور ـ العدد الخامس ـ مايو ١٩٤٠

(٦) المجلة الجديدة ـ العدد ٤٢ الصادر في ٢٨ مايو ١٩٤٢

(٧) د . لويس عوض من مقاله « كان رائداً شجاعاً » عدد الجمعة من جريدة الأهرام ١٩٦٦/١٢/٣٠

(٨) نشرة معرض « نحو المجهول » ١٩٥٨

(٩) نشرة معرض « المجهول لايزال » ١٩٥٩

(١٠) فؤاد كامل ـ من كلمته المنشورة في كتالوج معرض رمسيس يونان بقاعة الفنون الجميلة بمبنى الغرفة التجارية بالقاهرة عام ١٩٦٣

(١١) توفيق حنا ـ من كلمته في نفس المرجع السابق .

(١٢) مجلة المجلة عدد شهر يوليو ١٩٥٧

(١٣) مجلة الهلال عدد شهر أكتوبر ١٩٦٥

(١٤) مجلة الهلال عدد شهر يونيو ١٩٦٦

(١٥) مجلة الفكر المعاصر عدد شهر ديسمبر ١٩٦٦

● عشر سنوات من الهجرة إلى باريس

● عندما طردت السلطات الفرنسية رمسيس يونان من عمله بالإذاعة لرفضه قراءة بيانات العدوان الثلاثي

● رسومات قرد تخلق أزمة عنيفة وتثير ردود فعل قاسية وساخرة

● مات الفنان في الثالثة والخمسين تحت تأثير الهجوم عليه والتردد في تجديد تفرغه

محمود الورداني
فنان على الطريق

« كنت أواري جثث الجنود مقابر الشهداء ، وكانت أشياؤهم الصغيرة تبقى ، سجاير ، قروش ، قصيدة زجل ، خطاب ، كانت تتحول أمامي إلى أنهار من الوجع المالح وأنا أقوم بإثباتها في السجلات ، كنت مدركاً أنني أشارك فى الجريمة بإخفاء معالمها ، فالمعركة كانت لتحريك القضية ، ولم تكن حرباً للتحرير.

تلك كانت مواجهتي الحادة مع الموت ، من قبل لم أحس إلا بأقدامه الثقيلة تدوس سنوات عمري باليتم ، فقد مات أبى وأنا لم أتجاوز الثالثة من عمري .

كان « محمود الورداني » يحكي ، وكنت أصغي وأنا أتابع ملامحه المغسولة بالشجن ، عندما لقيته أول مرة ظننته أخي ، أو صديقا قديما باعدت بيني وبينه مساحات قاحلة موشومة بقلق الانتظار.

يحكي لكم « الورداني » وأنا معكم أصغي :

• بعد وفاة والدي انتقلت وشقيقي الأكبر للحياة مع عمتي لتخفيف العبء عن أمي التي بقيت مع أخي الأصغر في بيتنا القديم بشبرا .

• كان زوج عمتي يمتلك مكتبة تحوي عدداً كبيراً من الروايات المترجمة وأعداد الرسالة والرواية ، كان يكتب الشعر ، لكني كرهت حياتي الجديدة بقوانينها الصارمة ، كنت أفتقد أمى التى أصبحت كالحلم الذى قد يتحقق أو لا يتحقق ، فكثرت مشاكلي مع نفسي ومع الدنيا بأسرها ، زاد من تعقيدها إلتحاق أخي الأكبر بمدرسة الموسيقى الداخلية بحلوان ، « كنا بنتحمل سوا » فعدت وحيداً .

• كنت ألبس بالطو جماعة الإسعاف ــ فى المرحلة الابتدائية ــ واقرأ الخطب العصماء التي كان يكتبها مدرس اللغة العربية في المناسبات الخاصة .

• اكتشفت ــ فى المرحلة الاعدادية ــ أن القراءة كانت بالنسبة لى احتياجاً حقيقياً ، قرأت تولستوى ، هيمنغواي ، جوركي ــ الذي اكتشفت بعد ذلك انه كاتب « على قد حاله » ــ ، العقاد ، طه حسين ، نجيب محفوظ ، يحيى حقي ، و.. قرأت « الزحف الطويل » لسيمون دي بوفوار وقمت بتلخيصها بناء على طلب أمين المكتبة ، وقد نشره بمجلة المكتبة .

• مع أمي واجهنا ظروفاً صعبة ، لكني كنت راضياً ، اشتركت فى دار الكتب التي عرفتني على روائع تشيكوف ، وبدأت أكتب أزجالاً فى أفريقيا الثائرة .

• أصبت بلوثة روحية ــ في أولى ثانوي ــ بلغت حد التطرف ، استمرت عاماً ، بعدها اكتشفت « أنني مصعب الدنيا على نفسي » فعدت كما كنت .

• عمل أخي الأكبر « عبد العظيم » بمجلة الإذاعة والتليفزيون ، كان قصاصاً ومترجماً ، عن طريقه توالى دخول أهم المجلات والدوريات والكتب والسلاسل ، وأصبح بيتنا مفتوحاً لكل أصدقائه ، يحيى الطاهر الذى أقام معنا عامين وقد تأثرت به ، كما تأثرت باثنين من شعراء العامية : أسامة الغزولى ونجيب شهاب الدين .

• في تلك المرحلة قرأت أهم مجموعة قصصية في حياتي « القاهرة » لعلاء الديب ، وحفظت قصائد السياب ، كما قرأت حجازي ، عبد الصبور ، ودنقل ، ويوسف إدريس وقد أحببته وكذلك « حيطان عالية » لإدوار الخراط التي تأثرت بها .

• بدأت كتابة القصة وأنا في المرحلة الثانوية ، و.. في عام ٦٨ ، ذهبت للقاء الكاتب الفنان عبد الفتاح الجمل الذي كان يشرف على ملحق جريدة المساء الأدبى الشهير ، فلم أجده ، فتركت له قصتي ، وفوجئت بعد يومين بنشرها ، ذهبت لأشكره فرفض أن يصدق أنني كاتبها ، فقد كنت في الثامنة عشرة ــ مواليد ١٩٥٠ ــ وكنت أيضا أبدو أصغر من ذلك ، فظن أنني أخدعه ، فانهال عليّ بالشتائم على طريقته الخاصة ، وبعد أن تأكد من حقيقتي أصبحنا أصدقاء حتى اليوم ، ومن الأمانة أن أقول إنه أعظم إنسان عرفته في حياتى لما يتمتع به من إحساس بالغ الصدق ونكران للذات ، وقدرة عجيبة على التعامل مع الكتاب وأمانته ، هناك « عبد الفتاح » واحد في حياتنا نحن الكتاب لن يتكرر أبداً ، وقد نشر لي معظم ما كتبته ، ولن أبالغ إذا قلت إنه « أجمل الكائنات !! » التي عرفتها !

• فاجأتنى « جاليري ٦٨ » التي كان يشرف عليها الروائي القدير إدوار الخراط بكتابات جديدة اقنعتني بأنه من الممكن التعبير عن همومنا ببساطة دون تعقيد .

انتهى عام تخرجي من معهد الخدمة الاجتماعية ــ ١٩٧٢ ــ بالاعتصام الشهير بجامعة القاهرة ، الذي كان سبباً في دخولى السجن ــ لأول مرة ــ لمدة أسبوع مع ألف طالب ، وأنا أدين لتلك التجربة بالكثير ، فقد أدركت أن الاحساس الوطني من الممكن أن يتحول إلى موقف .

• بعد انتهاء فترة التجنيد عام ٧٥ ، عينت إخصائيا اجتماعيا في بني سويف . وحدثت أحداث ١٨ ــ ١٩ يناير ، فصدر أمر باعتقالي ،


محمود الورداني

لكني هربت حتى هدأت الأمور وعدت لمزاولة عملي.

• صدر قرار بنقلي للعمل في الواحات عام ٧٧ ، رفضت تنفيذه ، تزوجت عام ٧٨ فاضطررت إلى الموافقة ، سافرت مع زوجتي للعمل في الواحات وعشنا في بيت تدخله العقارب ولا تدخله الشمس ، ولأول مرة في تاريخ تلك المنطقة يصدر قرار باعتقال مواطن وزوجته – ١٩٨٠ – ومكثنا في السجن ستة أشهر.

• توقفت عن الكتابة منذ عام ٧٦ حتى أواخر عام ٧٨ ، اكتشفت أن الكتابة عمل غير مجد في مواجهة التغييرات الخطيرة المتلاحقة السريعة في حياة مصر. لقد أصبحنا تلقائيا ضد كل ما يحدث ، لأن ما يحدث كان ضد كل كاتب يحترم قلمه ، وتلك كانت أنبل معارك الكتاب في مصر.

• عدت إلى عملي في القاهرة بعد اغتيال السادات ، تم اعتقالي وزوجتي من جديد ، وأفرج عنا بعد شهرين ، ومنذ ذلك التاريخ انتهت تجربتي مع السجن.

• اكتشفت أن الكتابة فيها جزء من عدم الخوف ، الخوف من الاقتراب من موضوعات كنت أظن أن الفن عليه أن لا يقترب منها خشية السقوط في براثن الإعلانات السياسية المباشرة ، ربما لأني لم أقرأ عملاً أدبيا سياسياً راقياً ، لذلك فقد جاء تسجيلي لتجربة السجن متأخراً في روايتي « نوبة رجوع » التي بدأت كتابتها أواخر عام ٧٨ ، وفرغت منها عام ٨٥ ، وستصدر العام القادم.

• « السير في الحديقة ليلاً » كانت معدة للنشر عام ٧٦ ، لكن الظروف لم تساعد على إصدارها إلا عام ٨٤ ، وصدرت « النجوم العالية » عام ٨٥.

• الكتاب الجيدون قلة ، وكتاباتهم أقل ، نحن نفتقد المجلة الثقافية المميزة في مستواها ومحتواها ، و.. النقد عاجز عن مواكبتنا ، عدا الجهود الجادة التي يبذلها على الراعي ، ادوار الخراط ، فاروق عبد القادر ، لكنهم من المستحيل أن يشكلوا تياراً نقدياً محدداً.

• ما حدث في « الأتيليه » كان مفاجأة مذهلة لجميع الذين عرفوا عبد الحكيم قاسم مهتماً بكتاباتي ، ومحتفياً بها على صفحات المجلات ، فلقد وقف بشكل مسرحي استعراضي وتحدث في البداية عن نفسه طويلاً ، وبدأ حديثه عن النجوم العالية من منطلق « إحساس حاقد » كما قال بالحرف ، وقد ظن الجميع أنه يمزح ، لكن اتضح العكس ، وقال : إن الجيل الذي سبق كابس على نفسه والجيل الذي يليه أثبت وجوده ، وهو « حيضيع بين الرجلين » وبدأ بتشريح ثلاث قصص من بين اثنتي عشرة قصة بشكل عدواني أثبت أنه لم يقرأ المجموعة كلها ، لقد نجح « عبد الحكيم » بأن يزرع في نفسي الاحساس بالضيق من أن تكون هذه صورة التعامل بين كاتب وكاتب ، ولكن حتماً لم ينجح في إحباطي.

• شعراء السبعينات يمشون بخطى واثقة مطمئنة نحو طريق مسدود ، أميزهم ، أحمد طه ، حلمى سالم ، عبد المنعم رمضان ، ولكني أخشى عليهم الطرق المسدودة.

• أبرز ما قرأت من الأعمال المصرية في السنوات الأخيرة : الحرافيش ، مالك الحزين لأصلان ، بيروت – بيروت لصنع الله ، « قالت ضحى » لبهاء طاهر ، الزينى بركات للغيطاني ، ومن الروايات القصيرة « محطة السكة الحديد » للخراط ، « الوتر » لخيري شلبي ، « أيام المطر » للعادلي ، « سبيل الشخص » لعبده حبيب. أما المجموعات القصصية : الضحى العالي لأبورية ، الآتي للمخزنجي ، وحكايات الأمير ليحيى الطاهر.

شـــــهادات

١ – د. القط : « والحق أن هذه اللغة التي شغف بها « الورداني » وجيله من الكتاب تقف وسطا بين أساليب العامية والفصحى ، ولا يدرى القارىء كيف يستقبل إيماءاتها ، إذ يمتزج فيها البيان العربى الفصيح ببعض تراكيب اللغة العامية امتزاجاً يثير القلق ، ويبقى بعد كل ذلك تساؤل عن طبيعة تلك القصص وإلى أي مدى يمكن أن ينجح هذا الاسلوب الفني ليصبح تياراً كبيراً من تيارات القصة القصيرة التي يغرى اطارها غير المحدود بكثير من المغامرات الفنية ».

٢ – د. الراعي : « عليه أن يفطن إلى حقيقة قدراته وإلى الطبيعة العميقة لفنه ، وهذه جميعاً تضعه في جانب الواقعية المتعددة الألوان ، وعلى رأس هذه القدرات إنعطافه الشديد إلى الناس ، وقدرته على العيش معهم ، ونقل حيواتهم البسيطة إلى أشكال فنية يسهل تلقيها ».

٣ – فاروق عبد القادر : « يجهد في أن يشق لنفسه طريقاً مميزاً ، لا يقلد أحداً ، ولا يتشبه بأحد ، تمثل أفضل انجازات الجيل السابق عليه (خاصة أعمال ابراهيم أصلان وبهاء طاهر) وانني أزعم أنه قطع في هذا الطريق خطى واسعة ، فأصبحت أعماله دالة عليه ، وليس هذا بالشيء اليسير ».

٤ – خيرى شلبى : « لا نبالغ إذا قلنا انه يقف في طليعة كتاب السبعينات ، إذ هو من أنضج الأصوات التي هتفت بمضمون جديد يعكس حساسية جديدة للواقع العربى خلال هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين ».

٥ – « ألزم الورداني نفسه على الا يقحم نفسه على القارىء بالتوجيه أو التفسير ، لقد أودع قصصه كل أسراره وعلى القارىء أن يتأملها دون تدخل منه » محمود عبد الوهاب.

٦ – جلال السيد : يبدأ أحيانا بالجزئيات الصغيرة التى لا يقف عندها أحد ومن الجزئيات المتناثرة بأشكالها وألوانها وحركة الأشخاص يكون الصورة ومن الدوائر الصغيرة التى يتابعها ويرصد حركتها واتساعها يصل الى قمة المأساة.



شعر: حسن طلب



— ١ —

أضحكُ حتى يتجمَّعَ دمعي الساخنُ في دِلتا أحزاني
أتأوَّهُ حتى تحتبِسَ الأنفاسْ
أتنهدُ حتى تنفجرَ الرئةُ الحُبلَى بشهيقِ الوَحْشةِ ،
أو بزفيرِ الإيناسْ
أتبسَّمُ حتى ينفطرَ الوِجدانُ ،
وحتى يلدَ الإحساسُ الإحساسْ
أتوجعُ حتى يتقيأَ جلدِي العرقَ الباردْ
لكنَّ الناسْ
تمضِي ...
لا تأْبَهُ بالطينِ المصبوبِ على شفَتِي
أتلوَّى ..
أصرخُ ..
يامن يُبعِدُ عني هذا الوِسْواسْ !

— ٢ —

من أبوابِ المجهولِ إلى عينيكِ ،
وبالعَكسْ
كانتْ أُولىٰ رِحْلاتي
أتحرَّشُ فيها بالزمنِ العاري من كلِّ صُنوفِ الإغراءْ
أتمتَّعُ ..
أكثرَ مما يمكنُ أن تتمتَّعَ نَفْسْ

— ٣ —

حينَ عجَزْنا عن أن نصِلَ الأوقاتِ ببعضٍ
قسَّمنا الوقتَ إلى فتراتٍ خمسْ
الأولىٰ : يتملَّىٰ فيها كلٌّ منَّا الآخرْ
والثانيةِ : نجرِّبُ فيها لغةَ الهمْسْ
والثالثةِ ..
الرابعةِ ..
انتبهِي ياصاحبتي
فالحاضرُ مازالَ جنيناً في رَحمِ الأمسْ !

— ٤ —

ولأنَّ عيوني تعرفُ كيفَ تُجيدُ اللمسْ
عَزفَتْ كفِّي عن أن تتحسَّسَ فيك مثاراتِ الإغراءْ
عافَتْكِ أناملُها الخمسْ
ولأنَّكِ يا واحةَ أشْجاني
حطَّمْتِ القمقَمَ
عرَّيْتِ البئرَ



كسرتِ البيضةَ قبلَ أوانِ الفقْسْ
يبستْ في عينيكِ جميع معاني الأشياءْ
وتجسَّدَ لي طيفُكِ في هيئةِ خنزيرٍ
مقطوعِ الرأسْ !

— ٥ —

نحنُ سقطنا من أبراجِ النحسْ
نحن أكلْنَا من مَأْدُبةِ الحزنِ
شربنَا من يَنبوعِ البُؤسْ
نحن نقشنَا في طينِ الأرضِ —
بطينِ الأرضِ —
ملاحمَ نارٍ للشُّعراءِ وأبناءِ الشمسْ
هل من أحدٍ يستوعبُ هذا الدرسْ ؟!

— ٦ —

إذ ينقطعُ الخيطُ الواصلُ ما بين الرغبةِ والإحساسْ
تتكشَّفُ منكِ أمامي كلُّ تفاصيلِ النوعِ الواحدِ ،
كلُّ صفاتِ الأجناسْ
يتساوىَ فيكِ الظاهرُ بالباطنِ ،
والناتِىءُ بالغائرِ ،
والميِّتُ بالحسَّاسْ

يتمثَّلُ لي شعرُكِ في هيئةِ أعشابٍ بريَّهْ
يتجسَّدُ لي طيفُكِ في هيئةِ نَسْنَاسْ !

— ٧ —

أحلُمُ بالأفقِ المفقودِ ،
وبالجزرِ النعسانةِ في خلجانِ الشرقِ ..
على ثبجِ البحرِ الناعِسْ
يَحملُني زورقُها النَّشوانُ ..
إلى حيثُ أعانقُ إشراقاتِ الإحساساتِ البِكْرِ ..
وأغرقُ في نهرِ النورِ المتجانسْ
أحلُمُ ... ...
لكنْ ياضيعةَ أحلامي ..
إذ يُجْهِضُها إحساسٌ كابْ
يخنُقُ فيها النورَ شعورٌ دامِسْ !

— ٨ —

لا بأسْ
فصحارَى الحبِّ الممدودةُ ما بينَ النارِ
وبينَ الفِردوْسْ
تسكنُها الأشباحُ وتعمُرها الجنُّ .. ،
ولكنْ قدْ ينتصِرُ الإنسْ
قد ينتصرُ الإنسْ !

●● كل العالم يتجه اليوم نحو تشجيع اللياقة البدنية

رصيد الرياضة وأثره على حياتك الصحية

بقلم : الدكتور عبد الله الباكر

منذ أوائل الستينات شهد العالم تحولاً كبيراً في الاهتمام باللياقة البدنية ، كمقوم من مقومات الحياة الصحية ، فبعد أن كانت التمارين والتدريبات الرياضية مقصورة – إلى حد ما – على المتنافسين من المحترفين أو الهواة ، أفاق الناس على مجموعات كبيرة في البلدان الأمريكية والأوربية تركض في الشوارع هنا وهناك ، وتتجه إلى مختلف المنشآت والمؤسسات والنوادي التي انتشرت في كافة المدن .

وإذا كانت تلك البلدان قد بدأت بأعداد قليلة من ممارسي الرياضة في البداية قد تصل إلى العشرات أو المئات في المدن الكبرى ، فإن اللذين يمارسون التمارين من أجل اللياقة في أي بلد متقدم دخلوا في خانة عشرات الملايين الآن .

إن هذا الاهتمام الذي اطلق عليه ثورة اللياقة وهوس الرياضة وانطلاقها وغير ذلك من العبارات ، لم يكن على مستوى الأفراد بل تعداه إلى المؤسسات الحكومية والخاصة والمصانع والشركات ، حتى أن أمريكا أنشأت «المجلس الرئاسي للياقة البدنية والرياضة» Pcpfs كمجلس استشاري لتقدير النصائح التي من شأنها تدعيم البرامج التثقيفية الخاصة باللياقة البدنية .

إن الأمر لم يقتصر على الدول المتقدمة لكنه امتد أخيراً إلى عالمنا وبدأت تظهر في شوارعنا ومتنزهاتنا ونوادينا مجموعات من المهتمين باللياقة ، والغالبية منهم من المثقفين ، وهاهي منظمة الصحة العالمية ترفع شعار : «الحياة الصحية فوز للجميع» ، وذلك بمناسبة يوم الصحة العالمي في ابريل ١٩٨٦ ، وهي تنطلق من قناعتها بضرورة الاهتمام بالأصحاء وتوجيههم إلى ضرورة صيانة صحتهم والمحافظة عليها واضعة أهدافا إيجابية لتحقيق ذلك ، وأول هذه الأهداف هو اللياقة عن طريق النشاط والتمارين البدنية الحيوية .

برنامج رياضي

من هنا يتضح أن رفع الأثقال أو تنمية عضلات الجسم أو الرياضة الاستاتيكية بشكل عام يمكن أن تظهر كمال أجسامنا ، ولكننا لسنا بالضرورة أحسن صحياً !

إذن فالمطلوب للوصول إلى اللياقة أن تكون التمارين من النوع الديناميكي الهوائي المثلى المتكرر، الذي يزداد تدريجياً في الشدة والقوة والمدة والتأقلم والاحتمال .. وهذا النوع يعرف بتمارين الجَلَدْ Endurance ويرتبط هذا النوع من التمارين «الهوائية» بالدكتور «كوبر» حيث اعتمدت فكرته على زيادة القدرة على توصيل الأوكسجين الذي تحتاجه الأنسجة عن طريق زيادة فعالية ونشاط القلب والرئتين لمدة من الزمن كافية لإحداث التغيرات المفيدة في الجسم.

وقد استعمل «كوبر» الرياضات المختلفة كالمشي والركض البطيء والسباحة وركوب الدراجات وكرة اليد والسلة والاسكواش ضمن برنامجه المعروف الذي طبقه على مجموعة كبيرة من الضباط والطيارين ورواد الفضاء في سلاح الجو الأمريكي منذ سنة ١٩٦٨. هذا البرنامج ماهو إلا نوع من المنافسة الفردية بين المتمرن وبين مستويات وضعها «كوبر» للنشاطات والتمارين المختلفة وعلى أساسها يبدأ النشاط ـ وبشكل منتظم ـ حتى يصل إلى مستوى جيد من الأداء لتتحقق به اللياقة البدنية المطلوبة.

وتتلخص طريقة «كوبر» في التالي:

• إذا كان عمرك ٣٥ عاماً أو أقل من ذلك وأردت التعرف على درجة كفاءتك الجسدية، يمكن القيام بتجربة الاثنتي عشرة دقيقة شريطة أن لا تكون مصاباً بمعضلة صحية.

• إذا كنت تبلغ أكثر من ٣٥ عاماً ولكنك تمارس الرياضة «بانتظام» بمعدل ثلاث مرات أسبوعياً» لمدة لا تقل عن ستة أسابيع يمكنك اتباع نفس التجربة كأنك في سن ٣٥ أو دون ذلك.

• أما إذا كان عمرك يزيد عن ٣٥ عاماً ولاتمارس الرياضة بانتظام فانك لاتحتاج لتجربة نفسك وإنما عليك أن تبدأ في التمرين من المرحلة الأولى «أي الضعيف جداً».

ولكي تطبق هذه التجربة على نفسك، عليك ملاحظة التالي:

المسافة التي تقطعها في ١٢ دقيقة	درجة الكفاءة
أقل من ميل	(١) ضعيف جداً
١ ـ ١,٢٤ ميل	(٢) ضعيف
١,٢٥ ـ ١,٤٩ ميل	(٣) حسن
١,٥ ـ ١,٧٤	(٤) جيد
١,٧٥ وأكثر	(٥) ممتاز

ومن جدول الرياضة لمختلف درجات الكفاءة ينصح بالتالي:

(١) ضعيف جداً: في الأسبوع الأول يقطع ميلاً واحداً مشياً أو ركضاً خلال ١٣,٥ دقيقة يومياً خمس مرات في الأسبوع لمدة ستة عشر اسبوعاً

(٢) ضعيف: نفس الشيء ولكن لمدة ١٣ أسبوعاً فقط.

(٣) حسن: نفس الشيء ولكن لمدة عشرة أسابيع.

(٤) و(٥) جيد وممتاز: يقطع ميلا واحداً خلال ٨ دقائق فقط ست مرات أسبوعياً وبشكل عام فإن درجة الكفاءة عند الدرجتين الرابعة والخامسة جيدة وتحتاج مواصلة التمرين بإحدى الطرق التالية:

(ا) يقطع ميلاً واحداً في ٨ دقائق ست مرات اسبوعياً.

(ب) يقطع ميلاً ونصف في أقل من ١٢ دقيقة أربع مرات أسبوعياً.

(جـ) يقطع ثلاثة أميال في أقل من ١٦ دقيقة ثلاث مرات أسبوعياً.

هذا بالنسبة للمشي أو الركض، أما بالنسبة للسباحة فينصح بالتالي:

(١) ضعيف جداً: يقطع مسافة ١٠٠ ياردة سباحة خلال ٢,٥ دقيقة خمس مرات في الأسبوع يزيدها إلى ١٠٠٠ ياردة في ٢٥ دقيقة لمدة ستة عشر أسبوعاً.

(٢) ضعيف: نفس الشيء لمدة ثلاثة عشر أسبوعاً.

(٣) حسن: يسبح ٢٠٠ ياردة في أربع دقائق يزيدها إلى ١٠٠٠ ياردة خلال ٢٢ دقيقة لمدة عشرة أسابيع.

(٤، ٥) ـ جيد وممتاز: يسبح ٢٠٠ ياردة في أربع دقائق يزيدها لمسافة ١٠٠٠ ياردة في ٢١ دقيقة لمدة عشرة أسابيع.

التمارين الرياضية والقلب

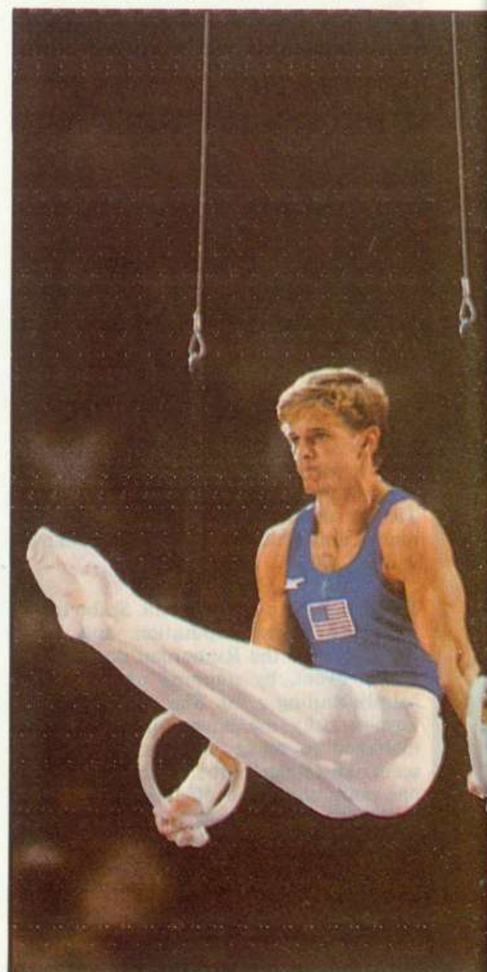
ولكن ماهي علاقة التمارين الرياضية واللياقة بالصحة؟..

بداية نتحدث عن علاقتها بالقلب وأمراضه والشرايين.

القلب هو أهم الأعضاء التي تتأثر بالتمارين لدفع أكبر كمية من الدم إلى العضلات، ويتم ذلك بزيادة ضخ الدم «من ٥ ـ ٢٠ لتراً في الدقيقة». هذه الزيادة تعتمد أساساً على الزيادة في سرعة ضربات القلب التي قد تصل إلى ٣٠٠٪، وهذه التغيرات توفر كمية من الأوكسجين إلى العضلات تعادل ثلاثة أضعاف المعدل، والمعروف أن الزيادة القصوى في ضربات القلب تعتمد على احتياطي القلب الذي يرتبط بالسن والجدول رقم (١) يبين الحد الأعلى والأدنى لضربات القلب حتى يكون التمرين مفيداً، حسب السن، مع ملاحظة عدم تخطي الحدود النهائية، وعموماً يمكن تقدير سرعة القلب القصوى للفرد بطرح عمره من الرقم «٢٢٠».. وعلى كل فإن استمرار التمرين وانتظامه بالطرق المختلفة «الهوائية» يؤدي إلى تأقلم قلب المتمرن ويظهر ذلك في شكل التغيرات الموجودة في الجدول رقم «٢» الذي يبين الفرق في بعض القياسات قبل وبعد التمرين مع متسابقي الماراثون.

المهم أن المتدربين بعد هذا التأقلم يستطيعون ضخ كمية أكبر من الدم بضربات قلب أقل سرعة من غير المدربين وأن سرعة النبض غالباً ماتكون أبطأ في الرياضيين من غيرهم أثناء الحياة العادية حيث تصل في بعض الأحيان من ٤٠ ـ ٥٠ ضربة في الدقيقة عند ذوي اللياقة العالية، فهذا التأقلم في القلب يساعد على التأقلم في حركة العضلة حيث

أصبح العالم كله يهتم اليوم بالرياضة واللياقة



رصيد الرياضة

يؤدي إلى زيادة القوة ، الجَلَدْ ، قابلية الانثناء والسرعة ، وهذه جميعاً تمكن المتدرب من أداء النشاط البدني بأقل جهد ، ويعرف هذا المستوى بتأثير التدريب .

إذن ماعلاقة التمرينات بأمراض القلب ؟

ترتبط التمرينات بالوقاية من مرض الشريان التاجي والوفاة بسببه ، وترتبط أيضاً بالتأهيل بعد الإصابة به .

والوقاية الأولية من مرض الشريان التاجي والوفاة بسببه ، اتضح أنه بالرغم من تعدد الدراسات واختلاف علاقاتها إلا أنها جميعاً تبين أن التمرين التطبعي المستمر يقلل من خطورة الإصابة بأمراض القلب والوفاة بشكل واضح إذا ماقورن بالحياة الخاملة التي تشكل خطراً مستقلاً واضحاً .

ومن هذه الدراسات الهامة تشتهر دراسات ــ موريس J. Morris من لندن الذي اهتم بهذه القضية منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ، فقد وجد في إحدى الدراسات أن « الكمسارية » في الباصات ذات الطابقين يعيشون أطول من السواقين ، وأن نسبة الوفيات من أمراض القلب فيهم أقل ، ووجد أيضاً في دراسة أخرى أن موزعي البريد المتجولين أقل إصابة بأمراض القلب من موظفي البريد الآخرين ، وفي دراسة كبيرة على ١٧,٩٤٤ من موظفي « الياقات البيضاء » ولمدة تسع سنوات وجد أن الذين كانوا يزاولون الرياضة القوية حدثت بينهم ٣,١٪ واقعة للاحتشاء القلبي بينما حدثت ٦,٩٪ واقعة من الاحتشاء القلبي في زملائهم الخاملين !

أما أهم الدراسات التي أجريت في أمريكا ، فهي دراسات بفبرجر Paffeperger استاذ الوبائيات في جامعة ستانفورد الذي أنهى أخيراً دراسة كبيرة على ١٧٠٠٠ رجل من خريجي جامعة هارفرد والذين كانت أعمارهم بين ٣٥ ــ ٧٤ سنة والذين تمت متابعتهم لأكثر من ١٦ عاماً ، حيث وجد أن الفرق في الحياة كان ١,٥ ــ ٢ سنة بين النشيطين وغير النشيطين ، وأن الذين صرفوا مايقرب من ألفي سعر حراري زيادة عن المعدل على نشاطهم البدني أقل عرضة لخطر الوفاة من جميع الأسباب بـ ٢٨٪ من الذين صرفوا أقل من ٥٠٠ سعر حراري . أما الذين تبين أن صرفهم كان أكثر من ٣٠٠٠ سعر حراري وكانت

العمر	الحد الأدنى لضربات القلب في الدقيقة لتحصل الفائدة في التمرين	الحد الأعلى لضربات القلب في الدقيقة لتجنب التمارين المرهقة
٢٠ ــ ٢٥	١٤٠	١٦٧
٢٦ ــ ٣٠	١٣٤	١٦٣
٣١ ــ ٣٥	١٣١	١٥٩
٣٦ ــ ٤٠	١٢٧	١٥٥
٤١ ــ ٤٥	١٢٤	١٥٠
٤٦ ــ ٥٠	١٢٠	١٤٦
٥١ ــ ٥٥	١١٧	١٤٢
٥٦ ــ ٦٠	١١٣	١٣٨
٦١ ــ ٦٥	١١٠	١٣٣
٦٦ ــ ٧٠	١٠٦	١٢٩

الحد الأدنى والحد الأعلى لضربات القلب

بعض القياسات المتعلقة بالقلب والأوعية الدموية قبل وبعد التمرينات الرياضية

المقاييس	قبل التمرين	بعد التمرين	الماراثون الدولي
• عدد ضربات القلب/الدقيقة في حالة الراحة	٧١	٥٩	٣٦
• عدد ضربات القلب القصوى بالدقيقة	١٨٥	١٨٣	١٧٤
• كمية الدم التي يضخها القلب بالضربة في حالة الراحة بالمللتر	٦٥	٨٠	١٢٥
• الكمية القصوى التي يضخها القلب بالضربة بالمللتر	١٢٠	١٤٠	٢٠٠
• الكمية التي يضخها القلب في حالة الراحة مللتر/دقيقة	٤,٦	٤,٧	٤,٥
• الكمية القصوى التي يضخها القلب بالدقيقة/مللتر	٢٢,٢	٢٥,٦	٣٤,٨
• ضغط الدم الانقباضي في حالة الراحة بالمللتر زئبق	١٣٥	١٣٠	١٢٠
• الضغط الأقصى الانقباضي بالمللتر زئبق	٢١٠	٢٠٥	٢١٠
• ضغط الدم الانبساطي في حالة الراحة بالمللتر زئبق	٧٨	٧٦	٦٥
• الحد الأقصى للضغط الانبساطي بالمللتر زئبق	٨٢	٨٠	٦٥

نشاطاتهم البدنية عالية المستوى ، فإن خطورة الوفاة النسبية كانت أقل من ٥٠٪ بالنسبة لهم ، مقارنة بالأقل نشاطاً .. ولقد وجد أيضاً أن الرجال تحت الدراسة إذا امتنعوا عن التدخين فإن الخطورة تقل إلى النصف في كل من الثلاثة أنشطة المذكورة أعلاه .

أما بالنسبة للتأهيل بعد الاصابة أو الوقاية الثانوية من أمراض القلب الاحتشائية . فمنذ عام ١٩٧٠ وفكرة التأهيل عن طريق التحريك المبكر بعد احتشاء عضلة القلب والتدريب بالتمارين البدنية حسب برامج مدروسة ومنتظمة ، تحظى بالاستحسان والقبول ..

هذه البرامج إلى جانب إحداثها للتحسن الفسيولوجي والعرضي فإنها مأمونة الجوانب ، ولقد استعرض الدكتور « هاسكل » مدير برنامج التأهيل القلبي بجامعة ستانفورد ثلاثين برنامجاً للتأهيل فوجد حالة تعقيدية واحدة وحادثة وفاة واحدة لكل ٤٣٦٧٣ و ١١٦٤٠٢ ساعات من المرضى في المشتركين « على التوالي respectively » .

وفي هذا الصدد ـ أيضاً ـ أصدر المشروع الوطني للتمارين وأمراض القلب تقريراً عن نتائج تجربته العشوائية في ثلاث سنوات على ٦٥٠ من الرجال عاشوا بعد احتشاء عضلة القلب ، فوجد أن نسبة الوفاة ٧,٣٪ ونسبة الاصابة بالاحتشاء مرة أخرى ٧٪ في مجموعة الضبط بينما هي ٤,٦٪ و٥,٣٪ على التوالي في مجموعة التمارين .

التمرينات وارتفاع الضغط

وهناك اعتقاد في الوسط العلمي بأن التمارين البدنية تقلل من نسبة الاصابة بارتفاع الضغط سواء بالتأثير المباشر أو بالتأثير على العوامل الخطرة الأخرى كالسمنة مثلاً بشكل غير مباشر . فلقد وجد بفبرجر في دراسته على ١٥٠٠٠ شخص أن المجموعة غير النشطة أكثر استعداداً لخطورة الإصابة بارتفاع الضغط وبنسبة ٣٥٪ زيادة عن المجموعة النشطة ، كما وجد الدكتور بلير S. N. Blair في دراسة حديثة على أكثر من ٦٠٠٠ من الأشخاص الأصحاء أن الذين لديهم لياقة هابطة معرضون لخطر الاصابة بالضغط العالي أكثر من اللائقين صحياً .

أما بالنسبة للمرضى بارتفاع الضغط ، وبالذات النوع الأساسي الخفيف ، فإن الكثير من الدراسات بينت أن هناك فائدة مرجوة من مزاولة التمارين على الضغط ، وصحيح أن الانخفاض كان قليلاً إلا أن نتائجه جيدة ، فالمهم في ذلك هو الاستمرار في التمارين من نوع المتساوي التوتر Isotonic لأن الضغط يعود إلى ماكان عليه عند التوقف عن التمارين ، وقد أجريت بعض تلك الدراسات على مرضى يستعملون العقاقير ـ أيضاً ـ فكان للتمرين أثر على ذلك ، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن بعض العقاقير تؤثر على الأداء ، ولابد من استشارة الطبيب .

التمارين وأمراض الشرايين

يعتقد البعض بأن التمارين تمنع حدوث التصلب العصيدي Atherosclerosis في الشرايين ، إلا أنه ليس من الواضح كيف يحدث ذلك ، ولربما يكون بسبب تأثيرات التمارين الأخرى سواء على الدهون أو على التجلط وحركة الدم ، إلا أن دراسة قيمة نشرت مؤخراً وقام بها الدكتور « كرامش » على مجموعتين من القردة لمدة ثلاثة أعوام ونصف ، كان يدربها لمدة ساعة كل يوم تدريباً معتدلاً ، وقارنها بمجموعتين لاتتدرب ، وأعطى الجميع إما طعاماً تخريشي يحدث العصائد (زبدة وبيض وغيره) أو طعاماً عادياً ، فاتضح أن :

الشرايين التاجية في القردة ذوي الطعام الخاص والخاملة حدث فيها تصلب عصيدي واضح .

• الشرايين التاجية في القردة ذوي الطعام الخاص والتي تتمرن حدث فيها تصلب عصيدي أقل بكثير من الأولى .

• الشريان التاجي الأيسر كان أكثر اتساعاً في القردة التي تزاول الرياضة عن الخاملة بغض النظر عن طريقة تغذيتها .

• وتعتبر هذه الدراسة أول دراسة مباشرة من نوعها على الحيوان ، وقد يكون لها ولنتائجها أثر كبير على تقدم الأبحاث في توضيح التأثير الصحي للتمارين على الجهاز الدوري .

الرياضة والدم والدهون

لوحظ أنه كلما زادت كفاءة التدريب وزاد جلده ، زادت سيولة دمه وقلت لزوجته ، وربما يعتبر ذلك سبباً كافياً لدعوة الناس للتمرين ، هذا إلى جانب ماذكرته الدراسات من تغيرات أخرى أهمها :

• أن التمارين تزيد من قدرة الدم على تحليل مادة الليفين « الفايبرين » مما يساعد على منع الجلطة .

• تؤدي الرياضة القوية إلى زيادة الصفائح الدموية ، ولكنها لاتزيد من قدرة التصاقها ، بل على العكس وجد أن تمارين الجَلَد ولمدة طويلة تقلل من قدرتها على الالتصاق .

وقد لوحظ ـ فقط ـ أن بعض الرياضيين يشكون من فقر الدم ويسمى « بفقر الدم الكاذب » حيث حاولت أكثر الدراسات أن تجد مبرراً لذلك ، ووضعت مختلف التفسيرات إلا أن أكثرها احتمالاً أن يكون السبب زيادة حجم البلازما .

وتعتبر زيادة الدهون في مختلف أشكالها عاملاً خطراً مستقلاً من عوامل الإصابة بأمراض القلب والشرايين ، وتلعب الرياضة دوراً فعالاً في منع ذلك بسبب تأثيرها على أنواع معينة من الدهون ، وبالذات الكلسترول ، ولقد أصبح من الأمور الثابتة في أغلب الدراسات أن التمارين ترفع من نسبة الدهون الزلالية عالية الكثافة المصاحبة للكلسترول بسبب تأخير تكسرها وتدميرها لتقوم بالمهمة على الوجه الأكمل . وبالذات النوع HDL-c منه والذي يعرف أن وجوده يتناسب عكسياً مع خطورة الإصابة بمرض الشريان التاجي ويعرف باسم « الطيب » حيث أنه يحمل الكلسترول الخطر إلى الكبد للتخلص منه بمختلف الأشكال المعروفة .. أما النوع « المضر » فيعرف باسم (LDL-C) وهي الدهون الزلالية القليلة الكثافة التي تترسب مع الكلسترول في خلايا الأوعية وتحدث المرض .

ولقد ذهب الدكتور هاسكل إلى أبعد من ذلك في القول انه بغض النظر عن مستوى (LDL -c) فإن نسبة ارتفاع أو انخفاض (HDL -2) هي التي تحدد زيادة خطورة الإصابة بالمرض من عدمها .

تخفيف الوزن

إن الذين يقومون بالتمارين الهوائية يحرقون كمية من المواد الغذائية لإصدار الطاقة التي تحرك العضلات ـ والتي تتكون بالنسبة للعضلة وحسب شدة التمرين ـ من الأحماض الدهنية التي في العضلة أو خارجها ، وجليكوجين العضلة ، وأخيراً في الحالات الشديدة إن وجد جلوكوز الدم .

يتضح إذن أن هناك احتراقاً للشحوم أثناء التمارين ، التي إذا لم تعوض سواء بنفس الكمية أو بأكثر عن طريق الأكل أو أننا قللنا منها ومن تغذيتنا عموماً ، فنحن بذلك قد استعملنا التمارين من أجل التخسيس ، ويعتبر هذا أحسن اسلوب لتخفيف الوزن ـ بغض النظر عن المدة التي يستغرقها ـ لأننا بهذا الأسلوب نفقد الشحم والكتل الشحمية المشوهة ، ولكننا نحافظ بل ونبني العضلات التي تعطينا المنظر الجميل بعكس الحمية الشديدة فقط بدون رياضة ، إذ أنها تؤدي إلى فقدان جزء من الكم العضلي أثناء ذلك إلى جانب الشحوم .

هذا ما وضحه الدكتور وود (P. wood) في دراسة حديثة على مجموعة للتخفيف بالتغذية وأخرى للتخفيف بالتمارين ، وحيث أثبت في نهاية دراسته أن نسبة (HDL) ارتفعت في كلتا الحالتين وكان (HDL-2) أعلى في مجموعة التخفيف بالتمارين .

التمارين والجهاز التنفسي

إن السعة الكبيرة والاحتياطي الضخم في الجهاز التنفسي يساعد كثيراً ، حيث أن التمرين الهوائي ماهو إلا زيادة كمية الأكسجين مع زيادة وسرعة توصيله إلى الأنسجة والقدرة على استهلاك الكمية القصوى منه ، لذلك فإن

رصيد الرياضة

الرئة أثناء التمرين تزداد جميع نسبها لتغطي هذا الاحتياج وهي لاتحتاج للتأقلم على ذلك . فالتمارين لها دور مهم في بعض أمراض الجهاز التنفسي وفي تدريب بعض المرضى الذين يعانون من انسداد الجهاز التنفسي .

الفوائد النفسية

هناك دلالات كثيرة على تأثير الحركة على العقل . كما أنه يمكننا اعتبار تأثير الجسم على العقل في نفس مستوى تأثير العقل على الجسم ، وبما أن التوتر قد يكون نفسياً أو جسمانياً فإن علاجه قد يتأتى بوساطة طرق علاج نفسية أوجسمانية .

إن لاكتساب المهارات البدنية والقوة الجسمانية أثر كبير في التقليل من القلق النفسي .

أما من الناحية الفسيولوجية فانه من المعروف أن ممارسة الرياضة باستمرار يدفع المخ بافراز بعض الهرمونات (إندورفين) التي تساعد على شعور الفرد بالارتخاء والرضا عن النفس . وهذه الحقيقة هي السبب وراء اللجوء إلى تشجيع بعض المرضى النفسيين الذين يعانون من القلق والاكتئاب على ممارسة الجري .

من ناحية أخرى فإن تأثير الرياضة على بعض الوظائف العصبية يؤدي بالتالي إلى ازالة القلق والاكتئاب النفسي .

حركة العضلات والعظام

التمرين في أساسه يقوم على حركة العضلات في مختلف أجزاء الجسم ، ومع مرور الوقت عندما تتعود العضلة على مقاومة خمولها والشد فيها وتتأقلم للأوضاع الجديدة ويرتفع مستوى أدائها وتزداد تحملها وجلدها وتزداد كمية تدفق الدم فيها ، ومعه تزداد كمية الأوكسجين التي تستخرج منه ، ويختلف هذا التأثير باختلاف عمل العضلة فإذا كان العمل متساوي القياس Isometric work حيث الانقباض العضلي مصحوباً بزيادة في التوتر دون أن يصاحبه زيادة في طول الألياف فإن هذا يؤدي إلى بناء قوة العضلة ويزيد من حجمها ، وغالباً مايكون هذا لاهوائي ، ومن أمثلته تمارين الضغط باليد في حمل شيء ثقيل أودفع جسم ثابت ، وتعرف هذه بالأعمال « الاستاتيكية » وهي تصلح لبناء اللياقة لوحدها وقد تفيد الرياضيين المتنافسين ولاينصح باستعمالها لمرضى القلب لأنها ترفع الضغط أثناء التمرين أما إذا كان العمل متساوي التوتر حيث الانقباض مصحوباً بتعصّر الألياف العضلية مع زيادة طفيفة في التوتر ، فإن هذا يؤدي إلى زيادة قدرة العضلة على التحمل والجلد والانتاج . ومثال ذلك السباحة والجري والمشي وركوب الدراجة والاسكواش وكرة السلة ، وغالباً مايكون هذا العمل « هوائياً » ، ويصلح كأساس للياقة ، وضمن برامج الرياضة للعلاج ، إذ أنه لن يرفع الضغط بل على العكس من ذلك .

أما بالنسبة للعظام فإنه يتضح أن التمارين تزيد من كثافة العظام ، ولهذا دور كبير بالنسبة لتقدم السن لأن العظام تقل كثافتها فتضعف وتصبح قابلة للكسر وبالذات في النساء بسبب استمرار فقدان الكالسيوم ، ولقد بينت الدراسات في هذا الخصوص أن العظم المستعمل أكثر هو الأكثر كثافة واحتفاظاً بالكالسيوم ، لذلك فإن التمارين التي تستدعي تحريك أكثر أعضاء الجسم تؤدي إلى توزيع الكثافة على مختلف العظام .

التمارين وجهاز المناعة

هناك اعتقاد بأن التمارين تقوى جهاز المناعة وهذه التقوية لها دور في الحياة الصحية الملازمة للتربية البدنية ، فلقد وجد أن التمارين الرياضية تؤدي إلى زيادة مؤقتة في عدد كرات الدم البيضاء خاصة المتعلقة منها بمقاومة الالتهابات « الخلايا الليمفاوية والخلايا الحبيبية » ولقد أظهرت دراستان حديثتان أن التمرينات تؤدي إلى زيادة المواد الداخلية المسببة للحمى في الدم Pyrogens الذى يشابه تماماً مادة الانترليوكين (١) الذى تنتجه الكرات أحادية الخلية ليشجع عمل الخلايا الليمفاوية ، ولاتزال الدراسات في هذا المضمار تحتاج إلى المزيد من الايضاح ، ولكن المهم أن الذين يصابون بالتهابات فيروسية عامة ومنها الانفلونزا يجب أن ينقطعوا عن التمرين مؤقتاً ، لأن بعض الدراسات على الحيوانات أظهرت زيادة الحالة سوءاً عند التمرين !



إن أيّ رياضة في أساسها تقوم على حركة العضلات في مختلف أجزاء الجسم .

التمارين وكبار السن

يقول الدكتور « توماس كورتون » أبو اللياقة البدنية إنه من غير التمرين المستمر بدون توقف لمدة ٣٠ دقيقة على الأقل يومياً تصل النساء إلى قمة لياقتهن في سن الرابعة عشرة ، ويبدأنَ في الانحدار في الثاني والعشرين من عمرهن ، ويصل الرجال إلى قمة لياقتهم في سن السابعة عشرة ، ويبدأون الانحدار في سن السادسة والعشرين ، وعلى ذلك فإننا نرى أنه إذا كانت التمارين تحدث التأثيرات التي ذكرناها سابقاً وتأقلم غالبية أعضائنا وتسهل لنا استعمال الاحتياطي منها ، فلا بد إذن أن تكون للتمارين واللياقة البدنية دور في تأخير الشيخوخة وزيادة العمر المتوقع ، صحيح أنه لاتوجد دراسات مستقبلية عن هذه العلاقة على الانسان ، إلا أن الدراسات المختبرية على الفئران وجدت أن حدود عمرها يزداد ، وكذلك عمرها المتوقع عندما تبدأ التمارين في بداية حياتها ، وتكون النتيجة أحسن عندما يرافق ذلك تدخل في تغذيتها بتقليل السعرات الحرارية للتمارين البدنية إلى جانب تأثيرها المذكور في استعمالات أخرى ، وعلى سبيل المثال منها استعمالها في علاج مرضى السكر ، حيث



يتعرض لاعبو كرة القدم أكثر من غيرهم لحدوث الاصابات

كانت تستعمل منذ قديم الزمان في مرض (السكر) الذى يحدث في البالغين والمصحوب بالسمنة واستعمالاتها في برامج رعاية الأمومة وأثناء الحمل، حتى أن الموقف العلمي الحالي يشجع استمرار التمارين المعتدلة على أنها مأمونة بالنسبة للنساء المتعودات عليها، اذا كان حملهن بدون تعقيدات، أما دور التمارين في تأهيل المصابين من مختلف الفئات وفي مراكز العلاج الطبيعي وإعادتهم إلى مزاولة حياتهم وممارساتهم الطبيعية فأمر معروف.

تعقيدات التمارين الرياضية

مادامت الدعوة قائمة والاتجاه إلى اللياقة من خلال التمارين البدنية، فإن توقع حدوث بعض الإصابات أمر ضروري لأن غالبية الإصابات بالإمكان منع حدوثها إن لم يكن جميعها، إذ أنها تحدث إما لأسباب شخصية يدخل فيها سوء الاستعمال أولأسباب تتعلق بالأدوات المستعملة من ملابس وآلات وغيرها، ويمكن إجمال الإصابات التي غالباً ماتكون طفيفة في إصابات الجلد والأربطة والعضلات والاوتار والمفاصل والعظام، أضف إلى ذلك الإجهاد الحراري وضربات الحرارة في البلدان الحارة والبرودة لدرجة التجمد في البلدان الباردة.

الوفاة الفجائية

يبقى بعد ذلك أن نتحدث عن الوفاة الفجائية، إذ أنها تثير التردد في نفوس الكثيرين عند دعوتهم للتمارين البدنية، وبالرغم من أنها ليست شائعة إلا أن حدوثها يعتبر نوعاً من التراجيديا في عالم الرياضة، وإذا استثنينا الذين يموتون بالإصابات في الرأس أو بسبب تناول العقاقير أو انفجار الأوعية بسبب خلل ولادي فإن القليل الباقي سبب وفاتهم هو القلب!

وفي هؤلاء وجد أن ٩٠٪ منهم لديهم أمراض قلبية أصلاً أو من الذين فيهم عوامل الخطورة بالإصابة كبيرة، أو أن لديهم أعراضاً ولكنها كانت مهملة أوهناك تغاضياً عنها بقصد المنافسة والتحدي لتحقيق إنجاز أفضل، أو بسبب عدم معرفة أعراض الأمراض أو إدراك خطورتها حتى أن التشريح في هؤلاء لايظهر شيئاً كاحتشاء عضلة القلب أو انسداد الشرايين، ويفترض أن يكون اللا إنتظام هو السبب في الوفاة. كذلك فإن الأمراض الخلقية عند الشباب، لها دور في الموت المفاجئ، وقد يكون احتمال إصابة عضلة القلب بالتهابات «فيروسياً» سبباً أيضا، وتعزى أحياناً وفاة البعض بغير أسباب واضحة إلى متلازمة القلب الذى زاد تعرضه للضغوط Over stressed Heart Syndrome

إن جميع تلك التعقيدات قليلة الحدوث، والوقاية منها ممكنة إذا أخذنا الحيطة والحذر واستعملنا الأسلوب والبرنامج الرياضي المناسب وقمنا به بتعقل وبدون إفراط مع الاستشارات الطبية الملائمة ومع معرفة أعراض الأمراض الخطرة والإلمام بها.

إن التمارين الرياضية لم تعد من أجل اللياقة أوالرياضة الترفيهية المحصورة على طلبة المدارس، يؤدونها أثناء حصة التربية البدنية، بل أصبحت هواية مئات الملايين، على طول الدنيا وعرضها.

وعندما أراك تنظر إلى ساعتك بعد عناء يوم شاق طويل، وتستأذن بلطف من الجالسين معك، وتترك وراءك على المكتب مايحمله من أوراق وملفات، أتخيلك قد انتظمت في برنامجك المفضل للتمرين، وأخذت ساعة بعيداً عن كل شيء ليتقابل جسمك وعقلك في خلوة، فإنني أقول لك:

«هاأنت الآن على طريق الصحة والحيوية، فسر بعزم ولاتتردد، لأن استمرارك في التمارين هو الذي يوفر لك اللياقة، التي ستكون رصيدك الذي يجعلك تصل إلى القرن الواحد والعشرين» ان شاء الله.

عبدالله الباكر

طرائف شرقية وغربية

عملة واحدة

قال الطبيب للمريض بعدما فحصه : أنت مريض بالايحاء الذاتي ، وماعليك إلا أن تقول : أنا شفيت ، فتشفى فعلاً .

فشكره المريض وهمَّ بالخروج من العيادة ، لكن الطبيب استوقفه وطلب منه أجرة المعاينة ، فقال له المريض :

ــ وأنت ياحكيم ماعليك إلا أن تقول لقد قبضت ، لقد قبضت ، لقد قبضت ، حتى تقتنع بأنك قد قبضت فعلاً ! !

أربعة لايلحق غبارهم

قال ابن سيار : الملوك عيال على عمر إذا ساس . والفقهاء عيال على أبي حنيفة إذا قاس . والمحدثون عيال على أحمد بن حنبل إذا أسند . والبلغاء عيال على الجاحظ إذا أعرب .

جواب مفحم

حضر أشعب مرة مائدة بعض الأغنياء ، فقدم للآكلين جديا مشويا ، فجعل أشعب يسرع في أكله منه ، فقال له المضيف :

ــ أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك ...

فقال أشعب :

ــ أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك !

وأأسفاه ... ياسيدي

كان الموسيقار الروسي الكبير تشايكوفسكي في زيارة لباريس ، وكان على موعد مع أحد كبار الموسيقيين الباريسيين ولكن هذا جاء متأخراً عن موعده بيوم كامل وأخذ يعتذر لتشايكوفسكي قائلاً :

ــ أعذرني ياسيدي ، فقد توفيت زوجتي بالأمس ...

ورد تشايكوفسكي في تأثر عميق :

ــ وأأسفاه ياسيدي ...

ثم أخذ يكرر وأأسفاه ياسيدي ، وأأسفاه ياسيدي ... وأغلق عينيه وهو ينقر باصبعه على الكرسي الذي جلس عليه وإذا بوأأسفاه ياسيدي تتحول إلى نغم موسيقي !

من القلب إلى المعدة

قيل لرجل من الأعراب : « مابال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ » فأجاب بقوله : « نعم ، كان الحب بالأمس في القلب ، فانتقل اليوم إلى المعدة ! »

الأمر ليس بالسن

قدم على عمر بن عبدالعزيز وفد من العراق فنظر إلى شاب منهم يريد الكلام قبل غيره وقال :

ــ فليتكلم أكبركم ..

فقال الفتى : يا أمير المؤمنين ، إن الأمر ليس بالسن . ولو كان كذلك لكان في المسلمين من هو أسن منك ...

قال عمر : ــ صدقت ، فتكلم . !

الصديق الصالح

من حكم ذي النون المصري قوله : « عليك بصحبة من تذكرك الله رؤيته ، وتقع هيبته على باطنك ، ويزيد في عملك منطقه ، ويزهدك في الدنيا عمله . ولا تعص الله تعالى مادمت في قربه ، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله » .

أربع خصال للتوكل

سئل حاتم الأصم : على أي شيء بنيت أمرك في التوكل ؟

فقال : على خصال أربع . علمت أن رزقي لايأكله غيري ، فاطمأنت به نفسي . وعلمت أن عملي لايعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني لاأخلو من عين الله تعالى حيث كنت فأنا أستحيي منه » .

عمر والقضاء

عين أبوبكر الصديق رضي الله عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضياً على المدينة .. فمكث سنة لم يفتح جلسة واحدة .. ولم يختصم إليه اثنان ... فذهب يطلب من أبي بكر إعفاءه من منصب القضاء . فقال له أبوبكر الصديق : أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء ؟

قال عمر بن الخطاب : لا ياخليفة رسول الله . ولكن لاحاجة بي عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ماله من حق ، فلم يطلب أكثر منه .. وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه .. أحب كل منهم لغيره مايحب لنفسه .. إذا غاب أحدهم تفقدوه .. وإذا مرض عادوه .. وإذا افتقر أعانوه .. وإذا احتاج ساعدوه .. وإذا أصيب واسوه .. دينهم النصيحة .. وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

السبب الخامس

سئل طلبة إحدى مدارس الطب أن يذكروا خمسة أسباب ، تجعل لبن الأم أفضل للطفل من اللبن الصناعي .. فكتب أحدهم :

١ ــ لأنه أسرع في الوصول ، ٢ ــ لأنه أنظف ٣ ــ لأنه أكثر أمناً ، ولا تستطيع القطة الوصول إليه ، ٤ ــ لأن الحصول عليه سهل أثناء السفر ، ٥ ــ لأنه يأتي في أوعية أكثر جمالاً من أوعية اللبن الصناعي ! !

من كلمات العقاد

• المصلح : شخص يصر على أن يكون ضميره هاديا لك ومرشداً فى الحياة !

• لا أحب الكتب لأننى زاهد فى الحياة ، ولكنى أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفينى !

• ما أسهل الواجب لو كان معروفاً !

• من الناس رجال للبيع والايجار وفى الناس رجال للتضحية والايثار !

• النفس الحرة المريدة .. هى أعز موجود .. وأعز مفقود !

• آفة الشهرة أنها تخلق السيئات كما تخلق الحسنات !

• الموسر أقدر على التسلية والمعسر أقدر على الفكاهة !

• لا أطيق التواضع الكاذب : فهو رياء فى المتكلم .. وهو نفاق فى السامع !

• اسمى درجات الايمان .. أن تصل ــ بالعقل ــ إلى معرفة الله .

عبقرية الموسيقى

ذهب غلام إلى الموسيقي العظيم «موزار» وسأله ماذا يفعل لكي يؤلف سيمفونية؟

فقال موزار: إنك مازلت صغيراً يابني، فلم لاتبدأ بتأليف ألحان بسيطة؟!

فقال الفتى: ولكنك ألفت سيمفونيات حين كنت في العاشرة!

فقال موزار: نعم، ولكني لم أسأل كيف أؤلفها!

أين ينفع المال؟

عندما لايحسن الانسان استعمال المال الذي يملكه يكون قد وضع حجراً ثقيلاً في عنقه. فالمال بذاتيته بدون حياة، مجدب، غير عامل. ولكن الإنسان بشجاعته وحسن تخيلاته وحكمته يستعمله خادماً يغيث الملهوف ويقيت الجائع ويشفي المريض ويحيل الصحارى إلى واحات ويجلب السرور والسعادة إلى النفس. (من مذكرات جون روكفلر).

بعض الناس

بعض الناس كالبحر الميت، يأخذون ولا يعطون! فكما أن البحر الميت لاتعيش فيه الأسماك لملوحته الشديدة، هكذا بعض الناس فهم يعيشون على الأخذ، وهدف حياتهم انما هو خدمة الذات، أما العطاء والبذل والمشاركة فهي من خصائص ومميزات الذين عرفوا كيف يسعدون ويسعدون في الحياة.

سوانح

• ان خوف الله وحده في قلوبنا هو الذي يحررنا من خوف الانسان (ويزربون)

ليست الشجاعة أن تقول كل ماتعتقد، وإنما الشجاعة أن تعتقد كل ماتقول. (أرسطو).

لاتدع اليأس يتسرب إلى نفسك، ولاتتكلم كمن فقد رجاءه بل تكلم وأعمل وكأن إيمانك لايمكن أن يقهر. (هوايت).

لاشيء في الحياة غير نافع فكل شيء في مكانه جميل، ومايبدو لافائدة فيه يسند غيره ويقويه. (شاعر أمريكي).

خمسة لاتصحبهم

يقول جعفر الصادق: ان صاحبت فصاحب الأخيار، فإن الفجار صخرة لايتفجر ماؤها، وشجرة لايخضر ورقها، وأرض لاينبت غرسها.

ويتحدث ـ رضي الله عنه ـ عن صفات الأخيار والأشرار نقلاً عن والده الإمام محمد الباقر فيقول:

قال لي أبي: لاتصحبن خمسة ولاتتخذهم لك إخوانا.

قلت: من هم؟

قال: الفاسق، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها.

قلت: وهل دون الأكلة شيءٌ؟

قال: نعم: يطمع فيها ثم لاينالها.

ثم قال: والبخيل فإنه ينخذ لك بماله وأنت أحوج ماتكون إلى معونته..

والكذاب فإنه كالسراب، يبعد عنك القريب، ويدني البعيد. والأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وقاطع الرحم فإنه ملعون في كتاب الله.

قال الأولون

• روى البيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي».

• قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: «يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك».

• قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله».

• قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لاتتهاونوا بالحلف بالله فيهينكم الله».

• قال أبوالحسن علي بن سهل الطبري: «التكلف يورث الخسارة».

• قال ابن سيار: «اذكر دائماً تلوّن الأحوال».

• قال أبوعيسى بن يحيى: لاتعب ولا تُهجّن كلاماً لابرهان لك على تهجينه».

• قال بزرجمهر: «إذا كان الغدر في الناس طبعاً فالثقة بالناس عجزاً».

• قال أبو الخطاب الصائبي: «خير الثياب مارق غزله وراق نسجه ولان مسه وطاب لبسه».

• قال العنتري أبوالمؤيد: «الجاهل سكران، لايفيق إلا بالمعرفة».

• قال الامام الأوزاعي: «إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل».

• قال فضيل بن عياض لسفيان الثوري: «دلني على جليس أطمئن إليه» قال: «هيهات تلك ضالة لاتوجد».

• قال أسعد الميهني: «أفضل الجود أن لايضن بالحقوق على أهلها».

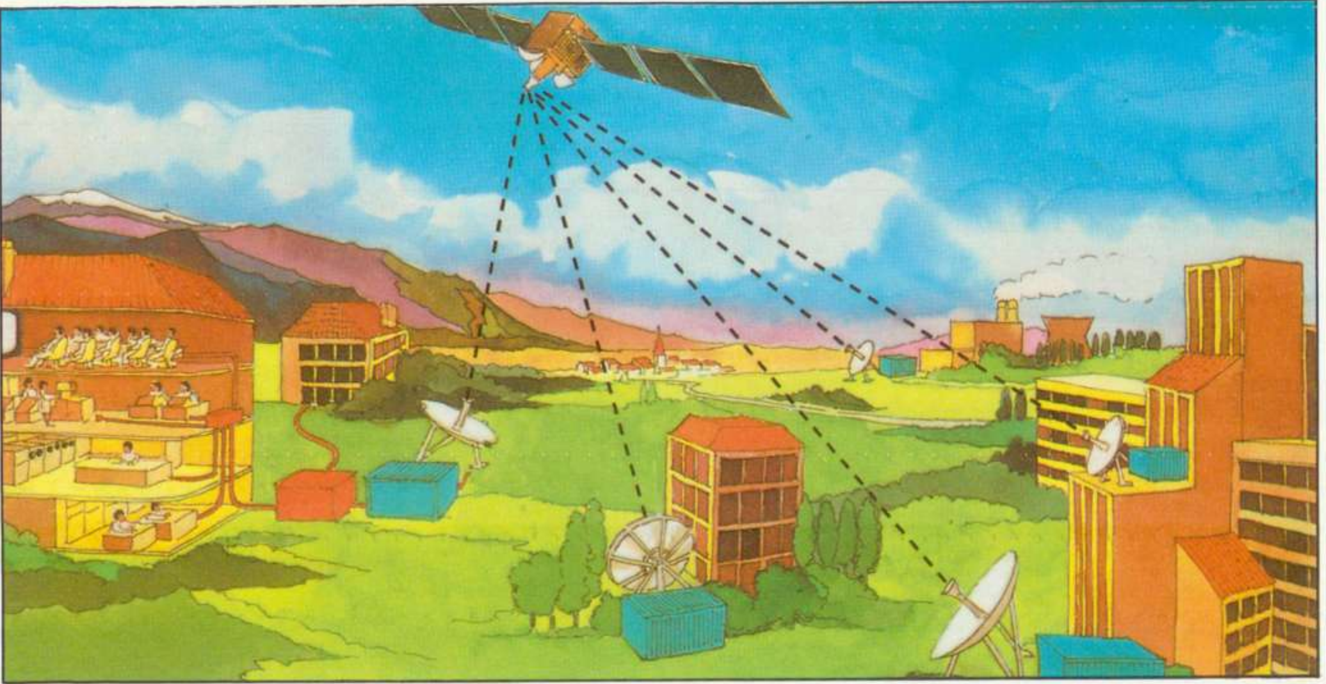
• قال المأمون: «الجود بذل الموجود. والبخل سوء الظن بالمعبود».

• قال أزد شير: أربعة تحتاج لأربعة. الحسب للأدب والسرور للأمن والقرابة للمودة والعقل للتجربة».

• قال ابن المقفع: «لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم، من الحاسد!».

ثورة المعلومات في عصر الفضاء

بقلم : المهندس سعد شعبان



تعاظم شأن الإرسال المباشر من الأقمار الصناعية

إن هوة التخلف بين الدول المتقدمة والنامية تزداد عمقا واتساعا بمرور الزمن ، وليس من قبيل المغالاة القول بأن هوة التخلف أصبحت الآن حقيقة واقعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا من جانب ، واليابان وكثير من الدول الأوروبية من جانب آخر . ولن تمر غير بضع سنوات قليلة حتى تصبح أغلب أوروبا فى عداد الدول النامية . ذلك أنه بعد أن بدأ عصر الفضاء منذ ما يقرب من ربع قرن ، فقد انفردت الدولتان الكبيرتان ، أمريكا وروسيا ، بحلبة الصراع فى مجال الفضاء وحدهما ، ولا تستطيع الدول الأخرى مجاراتهما فى هذا الميدان ، لأن تكاليفه باهظة ، وفوق قدرة هذه الدول . غير أن استخدامات الفضاء السلمية المعلنة ، قد أصبحت شاملة ومتعددة . ومن ثم فقد تبوأت تكنولوجيا الفضاء مكانة عجزت عن اللحاق بها التكنولوجيات الأخرى .

فقد انتقلت تكنولوجيا الفضاء من مرحلة البحث العلمى ، واستكشاف المجهول فى أغوار الفضاء إلى مجالات تطبيق كثيرة . ويلعب الدور الأساسى فى هذا المضمار سيل منهمر من الأقمار الصناعية بما حققته من ابداع فى عالم الاتصالات . فالقمر الصناعى الواحد أصبح يغني عن آلاف الكيلو مترات من الكوابل التليفونية ، ويحقق تغطية شاملة وبثا تليفزيونيا واضحا لعديد من قنوات الاتصال المرئى تستطيع أن تغطي قارات بأكملها ، فضلا عن عدد آخر من قنوات الاتصال الاذاعى بما يغنى عن مئات من محطات الارسال .

وأصبح للأقمار الصناعية اسهامات أخرى تجل عن الحصر ، منها الرصد الجوى للحصول على تنبؤات جوية دقيقة وطويلة



الحاسب الاليكتروني أصبح رساماً





صغرت الوحدات الاليكترونية إلى حدّ مذهل فى عصر ثورة المعلومات ، وقد أسلم ذلك البشرية إلى نوع جديد من الوحدات الصغيرة التى تتحكم فى حياة الانسان

■ أصبح للأقمار الصناعية إسهام في التنمية بقدر إسهامها في التجسّس العسكري

■ الاستعمار والأمن القومي لهما مفهوم جديد في عصر ثورة المعلومات

■ الحواسب الإلكترونية تحكم الحياة في الولايات المتحدة بدءًا من الطّب والزواج حتى اتخاذ القرار العسكري بإطلاق الصواريخ النووية

الأمد ، وتغطي رقعة أرضية شاسعة ــ فضلا عن المسح الجوى بالتصوير الدقيق المرئى الذى يفصح عن كل التفاصيل الطوبوغرافية فوق الأرض ، والتصوير الاشعاعى الذى يستعان به فى اكتشاف المعادن والكنوز والآثار المطمورة تحت سطح الأرض إلى أعماق ليست بالهينة .

ولقد لعبت أقمار التصوير الفضائى دورا متعاظما فى كافة ضروب التنمية ، بما توفره من امكانيات بشمول مساحة كبيرة ، وتوضيح تفاصيل دقيقة ، والغوص إلى أعماق كبيرة . بل لقد أصبحت تستطيع أن تعطى الدلائل عن وجود آبار البترول والمياه الجوفية . والكشف عن الأنهار القديمة والمطمورة تحت رمال الصحراوات .

ولذلك أخذت الأقمار الصناعية مكانها فى كافة مجالات التنمية كالتوزيع السكانى بانتقاء أماكن التعمير وشق الطرق والقنوات ،

عصر الفضاء

ومكافحة الآفات الزراعية ورصد الظواهر النحر على الشواطىء وتحديد المساحات المنزرعة والقاحلة ، وتحديد الزحف العمراني ، بل لقد تفرعت إلى تطبيقات أخرى جزئية ودقيقة مثل متابعة هجرة الحيوانات ، وتحديد أماكن انتشار الآفات الزراعية فى الغابات والحقول ، وتصوير ومتابعة حركة بقع الزيت فى المحيطات . بل لقد أصبحت هناك أقمار صناعية تقدم الخدمة الملاحية للبواخر فى المحيطات والطائرات فى الجو ، وأقمار أخرى تتعامل مع السيارات فى حركتها على الطريق وأقمار أخرى تنقل صور الصحف عبر القارات لتصويرها فى نفس وقت صدورها فى قارة أخرى ، وهناك مجالات أخرى عديدة بلغت حد إمكان رصد الزلازل من الفضاء ، وتنظيم مستوى المياه فى الترع والقنوات ومتابعة هجرة الطيور ، ورصد أماكن تجمعات أسراب الأسماك فى المحيطات . كل ذلك أعطى تكنولوجيا الفضاء أبعادا تطبيقية جعلت مجالها من الاتساع إلى حد يكاد يشمل كل شيء فى الحياة ، الأمر الذى ينذر بأن كل أنواع التكنولوجيا النمطية التى تعارف عليها العالم منذ بدء الثورة الصناعية في عصر النهضة الأوروبية ستصبح فى خبر كان فى أوائل القرن المقبل . ولو تطرقنا إلى الجانب العسكرى من هذه التطبيقات فيمكن القول إنها تفوق كل التطبيقات المدنية بمراحل بل وتتعداها . لأن الثابت أن أعمال التجسس من الفضاء أصبحت تهتك كل الأسرار سواء فى الليل أو فى النهار ، بفضل استخدام الأشعة تحت الحمراء ، واستخدام عدسات تصوير قوية للغاية هبطت بمعامل التمييز إلى حد رؤية تفاصيل كل المعالم الأرضية والتى تزيد أبعادها عن عشرة أمتار ، ومع وضوح تام فى رؤية كل ما هو معدنى أو تدخل المعادن في تكوينه .

ولكن هذا التقدم فى تكنولوجيا الفضاء قاصر على أمريكا وروسيا وحدهما ، ومازالت أغلب الدول الأخرى تحاول اللحاق بهما فى نطاق محدود لم يتعد نطاق المشاركة أو التباري الجزئى ، ولم يستطع خوض غمار المباراة غير بعض الدول الأوروبية بقدر محدود ، وقليل من الدول النامية .

ثورة فى عالم الحواسب

الذى لاشك فيه أن تكنولوجيا الفضاء قد أثرت على كثير من التكنولوجيات الأخرى وتفاعلت معها . ويقف على رأس هذه التكنولوجيات الالكترونيات ، وأهم استخداماتها الحواسب . ولقد بدى ذلك واضحا فى تصغير كل المكونات الاليكترونية فى الأجهزة حتى أصبحت فى حجم صغير يعادل فى سمكه ورقة ولا يزيد فى طوله عن حشرة ، ويؤدى ما كانت تؤديه أجهزة ضخمة الحجم ، ولقد أدى ذلك إلى التقدم المذهل الذى حدث فى تكنولوجيا الاتصالات ، الأمر الذى ينعت بأنه قد أحدث ثورة فى فن جمع المعلومات مما يدفع الكثيرين إلى القول بأننا نعيش « عصر ثورة المعلومات » ويضرب المثل فى هذا المجال باليابان التى صنعت تقدما مذهلا مازال يتطور يوما بعد يوم .

وحلبة الصراع العالمية بلغت أوجها فى التنافس على امتلاك الأسواق العالمية فى تعريف المنتجات الالكترونية سواء أجهزة الاتصالات أو الحواسب الالكترونية التى تطورت بصورة مذهلة وانتقلت من عداد انتاج الحواسب الكبيرة إلى انتاج الحواسب الصغيرة (المينى كومبيوتر) ، ثم إلى انتاج الحواسب الصغيرة جدا (الميكروكومبيوتر) ثم انتقلت إلى (الحواسب الشخصية) التى يستخدمها شخص واحد .

وخلال السنوات الخمس الأخيرة سيطر انتشار الحواسب الالكترونية بشتى أنواعها على كافة أوجه الحياة فى الولايات المتحدة ، ما صغر منها وما كبر .

ويلمس ذلك كل زائر للولايات المتحدة منذ تطأ قدماه أرض المطار . فالتأشيرات والمعلومات عن القادمين سواء من أجهزة الأمن أو الشرطة أو السفارات ترد عبر الحواسب ، واسم الراكب ورقم مقعده ونوع غذائه وموعد طائرته كذلك . وأي شخص يدخل محلا تجاريا أو فندقا أو مكانا عاماً يجد لوحات النهايات المتصلة بالحواسب الاليكترونية أمام العاملين الذين يتعاملون معها فى بساطة تتمثل فى الضغط على الأزرار والنظر إلى شاشات تتدفق منها المعلومات فى سهولة وغزارة . وفى ثوان معدودة ، الأمر الذى جعل الحاسب الاليكترونى يشبه خاتم سليمان فى أساطير العرب .. يؤمر فيطيع . وحسبك وانت تشترى أى شيء من أى محل كبير مهما كانت أهميته ومهما كان حجمه سواء كانت علبة سجائر أو قطعة حلوى أو قطعة ملابس أو قطعة صابون ، فإن خزينة تحصيل النقود فى هذا المحل تسجل الثمن عبر الحاسب الالكترونى . ويقوم هو بخصم ضريبة الانتاج المستحقة على المشتروات فى نفس الوقت ابلاغ مصلحة الضرائب عن نسبتها فى الأرباح المحققة ، ويخصم ما بيع من رصيد مخزن الجملة ، ويبلغ المخزن الفرعى ليستعوضه . كل ذلك يتم دون أي تدخل بشرى ودون جلبة . وحركة أزرار نهايات الكومبيوتر كمثل أزرار ماكينات الطباعة ، وتظهر معلوماتها وبياناتها مطبوعة على أسطوانات من الورق المنزلق أو مكتوبة بحروف مقروءة فوق شاشات تليفزيونية . ولقد بدأت اليابان مؤخرا انتاج نهايات كومبيوتر يعمل بحروف اللغة العربية ، وشاشات ، تظهر كتاباتها باللغة العربية أيضا وأصبح مجال التنافس الدولى على اجتذاب الأسواق مستعرة بين الدول المنتجة .

ومهما حاولنا الحصر أو العد عن مجالات استخدامات الكومبيوتر فى الولايات المتحدة فسنعجز عن ذلك فيكاد لا يوجد عمل واحد لا يدخل الكومبيوتر فى أحد مراحله أو فى المراحل كلها .

• فالأطباء يستخرجون منه التشخيص لأمراض بعض المرضى بعد أن يتعاملوا مع أزراره لوضع العناصر الضرورية عن ضغط دم المريض ، ونسبة الكوليسترول والهيموجلوبين وحمض البوليك ووظائف الكبد ونسبة السكر وعصارات المعدة ، فيحدد الكومبيوتر المرض ويصف له أنسب الأدوية التى يمكن أن يتعاطاها .

• وتوجد شركات متخصصة فى تحقيق الزواج بالكومبيوتر ، وعندما يحدد الخاطب شروطه فى الزوجة التى يريدها ، من حيث الطول ولون البشرة والشعر والمواصفات الخلقية والثروة فتحدد له عدة اختيارات زوجات يمكن أن تصلح له كما أرتأت بنات أحلامه .

• ولا توجد مصلحة جماهيرية فى الولايات المتحدة إلا وتختزن المعلومات عن المواطنين فى كومبيوتر يستخرج هذه البيانات فى دقائق سواء الأسماء أو أرقام البطاقات أو العناوين أو المؤهلات أو السن أو الهوايات أو الحرف والمهن أو فصيلة الدم أو عدد الأبناء أو أدق التفاصيل .

• كما لا يوجد بنك واحد فى أمريكا لا يودع ذاكرة الكومبيوتر تفاصيل ودائع ومسحوبات وحسابات عملائه وحركة المال صعودا وهبوطا كل يوم .

• وأصبح الكومبيوتر قادرا على رسم

اللوحات الهندسية فى ثوان . عوضا عما كان يقوم به عشرات المهندسين خلال عدة أيام . فيكفى أن تعطيه مواصفات أجزاء الآلات أو الماكينات وأبعادها .. ليوضحها لك على الشاشة .

• ولا توجد شركة أو مكتب توظيف أو إدارة حكومية أو دار صحفية أو فندق تتعامل مع آلاف الاشخاص وتعمل بالوسائل النمطية القديمة الورقة والقلم والممحاة والمسطرة والعد فى المخ والضرب والطرح بجدول الضرب .

• كما لا توجد جامعة أو مركز بحث علمى أو معمل يسجل قراءات وبيانات ومعادلات أبحاثه على الورق بل تودع فى ذاكرة الكومبيوتر ، وهو الذى يقوم بحل المعادلات وإعطاء النتائج واستنباط الحلول والاحتمالات . كل ذلك يتم بديلا عن المخ البشرى .

• وعلى الجانب العسكرى فحدث ولا حرج ، لأن قرار تحريك أسطول أو إعلان أهبة الاستعداد النووى أو تحريك حاملات الرؤوس النووية أو اطلاق الصواريخ العابرة للقارات لم يعد أمرا يتخذه القادة بعد تفكير ، بل أصبح أمرا تحدد حجمه ومواعيده ازرار وشاشات الحواسب الاليكترونية العسكرية .

ولم يعد القائد العسكرى على أى مستوى يعتمد فى اتخاذ قراراته على القدرة البشرية وحدها لتحديد اتجاه الهجوم أو أخذ قرار الانسحاب ، بل يتعامل مع الحواسب والصاروخ الذى تطلقه الطائرة له رأس يتعامل مع حاسب صغير فى الطائرة ليحدد هدفه ليصيبه بدقة ، والصاروخ العابر للقارات يتعامل مع كومبيوتر فى قاعدة الاطلاق ليحكم التوجيه إلى الهدف . وكذلك الشأن بالنسبة للمدفع والبارجة واللنش وجهاز الرادار .

الانسان الآلى والتصنيع

لقد أصبح فى كل من أمريكا وبعض دول أوروبا وفى اليابان مصانع تتم فيها أغلب خطوات التصنيع بتحكم من الكومبيوتر دون أن تمسها يد بشر . ولقد أصبح فى انجلترا واليابان عدد كبير من المصانع تحولت إلى التصنيع الكامل بواسطة الكومبيوتر ، الأمر الذى جعل الكومبيوتر صانعا جديدا ، وسببا مباشرا لخلق البطالة وزيادة نسبتها فى أوساط العمال . بل لقد تطور الأمر وبدأت كثير من المصانع تتحول تدريجيا من مرحلة التحكم الجزئى فى التصنيع إلى التحكم الكلى بحيث ما كان يقوم به مئات بل ألوف العمال أصبح بديلا عنه الأحزمة المتحركة والاجزاء المنزلقة والأذرع الميكانيكية ، الأمر الذى جعل التصنيع الآلى الكامل على وشك أن يعم . ولقد شاع استخدام « الروبوت » أو الانسان الآلى فى عدة صناعات وأصبح التحول إليه مصيريا لتحقيق سرعة الانتاج وملاحقة المنافسة على فتح الأسواق الجديدة والصمود أمام رأس المال الكبير الذى يحكم هذه الصناعات .

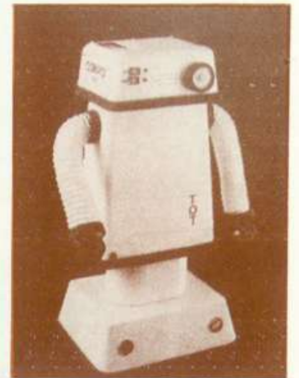
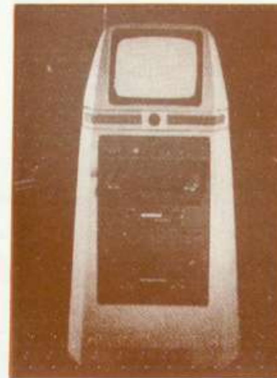
ولقد ركزت اليابان جهودها على التخصص فى صناعة أجهزة الانسان الآلى نفسها باعتبارها الصيحة التالية أو الجيل الجديد من أجيال الحواسب الاليكترونية لكى تحقق التفوق فى مجال المنافسة الأمريكية بلون من ألوان التخصص .

كل ذلك أسلم البشرية إلى دنيا جديدة صنعتها الحواسب الاليكترونية التى لم يقتصر آداؤها على الانتاج وحقوق التصنيع وأعمال التجارة والبنوك ودواوين الحكومة بل انسابت إلى المنازل ودور العلم والأندية وأماكن اللهو . ولقد أصبح فى كثير من هذه الدول مدارس يتعلم الشباب فيها دروسهم بالكومبيوتر ، ويشاهدون على شاشات تليفزيونية برامج تعليمية وتسجيلية يتحكم فيها الكومبيوتر . وتحول الكومبيوتر من الاجيال الضخمة والكبيرة الحجم إلى أنواع المينى ثم الميكروكومبيوتر وشاع استخدام الكومبيوتر الشخصى الذى يمكن أن توضع فيه كاسيتات لبرامج تنتقى للمتعة أو التسلية أو التعليم أو التثقيف أو الدعاية أو الرياضة أو حتى المقامرة .

ويتطلع اليابانيون اليوم إلى تصنيع الكومبيوتر الصوتى الذى يعطى الأوامر الصوتية فينفذها . ونجحوا فى تحقيق ذلك فى بعض الاستخدامات المنزلية لانسان آلى يتلقى الاوامر وينفذها .

الحواسب .. لها لغات

ويقودنا هذا إلى القول بأن التعامل مع الكومبيوتر يلزم له لغة معينة لأنه ليس جهازا إذاعيا تسأله فيجيبك أو انسانا يمكن أن يرد عليك . ولقد تعارف الخبراء على وضع لغات للكومبيوتر تناسب أوجه استخداماته . ومنذ عشرات السنوات شاع استخدام « لغات الفورتران FORTRAN » لأهل العلم ومراكز البحوث ، « ولغة الكوبول COBOL » لأهل المال والاقتصاد « ولغة الباسيك BASIC » للاستخدامات العامة . ولأن هذه الاستخدامات قد تعددت وتشعبت ، فإن اللغات أيضا قد تعددت وظهرت لغات أخرى مثل « الفورث FORTH » ، « ولغة


الانسان الآلى حاسب متحرك

■ الروبوت أو الإنسان الآلي سيحل محل عامل المصنع وسيّدة البيت

■ كل شيء في عصر الفضاء صَغُر حجمُه ولكن كبرت دِقَّتُه

عصر الفضاء

ر . ب . جـى « RPGLL » واصبح الكومبيوتر ذا الذاكرة والتى تقاس بملايين الأحرف أو الأعداد لا لزوم له فى كثير من الاستخدامات وشاع استخدام الكومبيوتر الصغير المينى أو الميكرو لتتلاءم ذاكرته المحدودة التى تختزن عدة آلاف من البيانات فقط. ولذلك غمرت الأسواق فى السنوات الأخيرة بهذه الأنواع ودخلت يد التطوير عليها . فبعضها يحقق للمستخدم كل الوسائل السهلة لتحقيق سهولة طرح السؤال ، وسهولة أخذ الاجابة . فقد أصبحت هناك حواسب يمكن أن تعطى البيان المطلوب بلمس الشاشة التليفزيونية بأصبع اليد فى أماكن محددة . وأصبح المهندسون يبرمجون أعمالهم الهندسية بحيث توضح الرسوم الهندسية مهما تعددت على شاشات التليفزيون المرتبط بالكومبيوتر ويدخلون عليها التعديلات ويسائلون الكومبيوتر ما يريدون من تصميمات جديدة للتطوير والتحسين .

وما تحققه الحواسب الاليكترونية فى عصر الفضاء يستوجب أن نقول إننا نعيش عصر ثورة المعلومات . فالبيانات التى كان يلزم جمعها خلال سنوات طويلة أصبح الكومبيوتر يعطيها خلال ثوان معدودة . والأضابير التى كانت تملأ مئات الغرف ليسجل عليها هذه البيانات على أوراق يمكن أن تبلى مع الزمن أصبحت ذاكرة الكومبيوتر تحفظها فوق عدد محدود من الاسطوانات ، ولذلك أصبح ممكنا أن ننعت عصرنا بعصر ثورة المعلومات .

ويمكنك أن ترى اليوم كاتبا وهو يؤلف كتابا خلال بضع ساعات ولا يستخدم ورقا ولا قلما إذ يستدعى المعلومات من الكومبيوتر بالضغط على الأزرار فتتدفق فوق اسطوانات ورقية . فهو يختصر منها ما يريد ، ويلصق الأوراق ببعضها لتكتمل له فقرات الكتاب خلال ساعات . وكل جهده يتمثل فى استجواب الكومبيوتر والتعامل مع ذاكرته بحنكة واعطائه الأسئلة اللازمة التى تجعل جلب المعلومات من هذه الذاكرة ميسورا . ولذلك أصبح فن التعامل مع الكومبيوتر أو « برمجة » المعلومات فى ذاكرته هو الفن أو الدراسة ذات الأهمية . ولذلك انقسم المهندسون والمستخدمون لهذه الأجهزة إلى فئتين : فئة تتعامل مع الكومبيوتر كوحدة اليكترونية من حيث التشغيل والصيانة والأداء الاليكترونى وهذا عمل مهندسى « التشغيل » (HARD WARE) . وفئة أخرى تتقن فن التخاطب أو التعامل مع الجهاز وظيفيا لايداع المعلومات فى ذاكرته واستجلابها منه وهى فئة المبرمجين أو « مهندسى الاداء » (SOFT WARE) .

وفى عصر ثورة المعلومات ، أصبحت البيانات والاحصاءات طوع ضغطة صغيرة على زرار فى نهاية الكومبيوتر . ولكن لو نظرنا إلى الامر نظرة عكسية فإن الوعاء الفارغ لا يمكن أن يفرز شيئا ، والعقل المسطح لا يمكن أن يعطى بيانا .

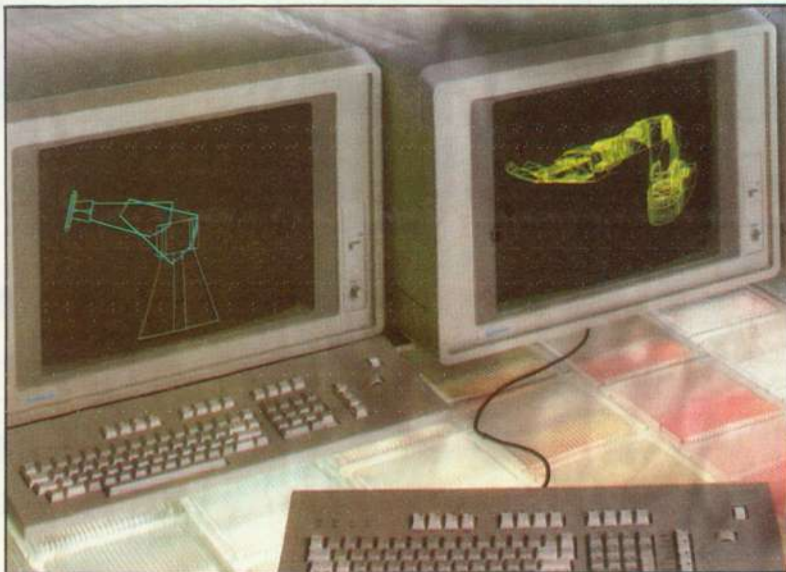
كذلك ذاكرة الكومبيوتر لا يمكن أن تجلب منها معلومات دون أن تكون قد اودعت فيها من قبل وبأسلوب لغة التعامل . لذلك فالكومبيوتر ليس كمصباح علاء الدين ، تضغط عليه فينطلق كمارد من جان ليعطى ما يسأله أى انسان . ومن ثم فقد تحول العلماء إلى جمع البيانات ومنهجتها حتى تودعها ذاكرة الكومبيوتر بنظام وترتيب واضح لكل حاسب ذاكرة لها سعة تتكون من عدة الاف أو ملايين من الحروف بمقدار اتساع هذه الذاكرة ، يختلف حاسب عن آخر .

المعنى الجديد للاستعمار فى عصر الفضاء

فى عصر الفضاء .. وفى ظل ثورة المعلومات أصبح للاستعمار معنى جديدا بعيدا عن معناه التقليدى الذى يرتبط بالجندى والبندقية والمدفع والمستعمرات على أراضى الغير . فقد تحولت دعامات الاستعمار إلى هتك أسرار الدول الأخرى ومعرفة البيانات والموارد والاحصاءات والتفاصيل عن الدول الاخرى ، فيما يتعلق بأرضها وما تحت أرضها وما فى سمائها وفضائها وجوها ومناخها وما تزخر به بحارها وعناصر التسليح في جيشها واوجه القصور والقوة فى اقتصادها وما يتوفر لديها من طاقة ، والقوى العاملة فيها واعدادها وتراثها وعاداتها والطاقات البشرية والمادية فى شعوبها والتناقضات الاجتماعية فيها . كل ذلك يمكن أن يمثل الركائز للاستعمار الاقتصادى الذى يعد بمثابة الجذور الاساسية للاستعمار العسكرى الذى يمكن أن يتمثل فى صورة من صور السيطرة قبل أن يكون أسلوبا من أساليب القهر العسكرى .

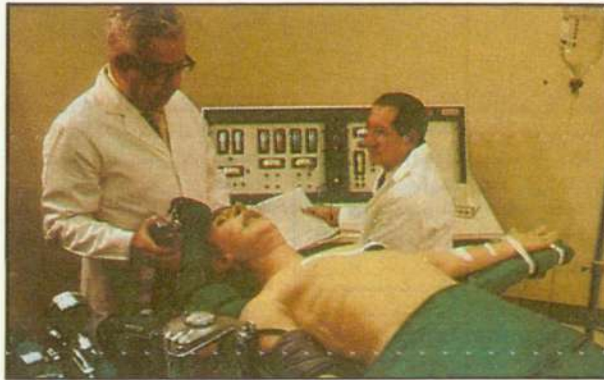
ولذلك تحرص الدول المتقدمة على جمع البيانات عن الدول المتخلفة لتمد لها يد العون أحيانا ولتفكر كيف تستعمرها أو تستعبدها بمعنى أدق ولو شاءت كما يقول المثل أن تعرف أتفه الأشياء فى بلد متخلف أو نام ، فاسأل ذاكرة كومبيوتر لدولة متقدمة جمعت هذه البيانات بدقة فسيعطيه لك خلال ثوان . ولذلك تتدفق المعلومات إلى ذاكرة الكومبيوتر من خلال الكلمة المقروءة والمسموعة والصحف والاحصائيات والنشرات . ولكن الأهم من ذلك أن التجسس أصبح له وجه آخر ومعنى آخر غير وجود المندوب أو العميل أو الوسيط الذى يمكنه أن ينقل الخبر أو البيان خلسة . فالتجسس أصبح ميسورا آناء الليل وأطراف النهار من الفضاء ، ولا يقف أمامه حائل أو

أصبح الكومبيوتر بديلا للمهندسين ورسوماتهم





صالة للحواسب الاليكترونية في أحد المصانع



تشخيص الامراض بالكومبيوتر

عقبات . وكل ما تريد أن تخفيه تحت الأرض أو تحت الجدران تستطيع أن تفضحه الأقمار الصناعية التى أصبح لها عدسات وكاميرات وأعين بعضها مائل وبعضها رأسى لتجسم الصور وتترجم هذه الصور إلى اشارات اليكترونية ترسل بها إلى مراكز تحليل على الأرض ، تجمع هذه الصور وتترجم ما عليها من تفاصيل إلى بيانات .

ولقد انطبع لدينا أن التجسس يرتبط فى الاذهان بالمعلومات عن النواحى العسكرية ، وهذه حقيقة فلم يعد ممكنا اخفاء طائرة أو صاروخ أو دبابة عن عدسات الأقمار الصناعية مهما موهت أماكنها ومهما وضعت فى تحصينات أو حتى لو أخفيت تحت الأرض أو فى باطن الغواصات . ولكن المعنى الجديد للاستعمار فى عصر ثورة المعلومات أخذ أبعادا أكثر شمولا وأكبر اتساعا فكل المعادن والآثار والموارد والتوزعات السكانية والحشود العسكرية تصور من الفضاء ان نهارا فى ضوء الشمس المرئى أو ليلا بالأشعة تحت الحمراء التى تتعامل مع الاشعاعات الحرارية من هذه الاجسام . وأصبحت وسائل الاستشعار والتصنت أحد ثمرات الالكترونيات الدقيقة فى عصر ثورة المعلومات . ولذلك تجمع بوسائل الاستشعار من بعد اليكترونية وصوتية وفضائية . وأصبحت أقمار الاستشعار من بعد ، تتمثل فى أجيال تأتى من بعد أجيال . فقد تحولت من أقمار (الموارد الأرضية) (.E .R. T. S) إلى أقمار لاندسات (LANDSAT) . وأصبحت الدول الكبرى القادرة على اطلاق هذه الاقمار تنتهك أسرار كل الدول الأخرى على غير ارادتها ، أو دون أن تدرى أو تستطيع ايقاف هذا الانتهاك ، ليس بالصورة وحدها ولكن بكل الوسائل العلمية المعلومة وغير المعلومة لنا . ولذلك كثيرا ما تطلق هذه الأقمار دون ما سابق اعلان أو دعاية ـ بعضها ليحقق أغراضا خاصة أو مهام خاصة وبعضها الآخر ليجمع البيانات عن كل ما فوق الكرة الارضية تحت مسار هذا القمر أو هذا المكوك أو هذه السفينة .

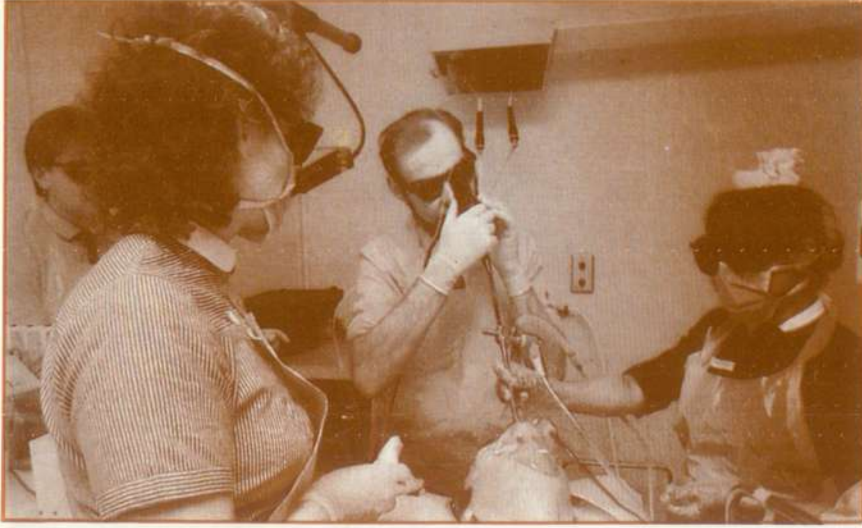
وعلى سبيل المثال مثلا نجد أقمار سلسلة (كوزموس) السوفيتية التى تعد بالآلاف ، قد أطلق بعضها ليعيش فى الفضاء أياما وبعضها الآخر أطلق ليظل سابحا مئات الأيام أو عشرات السنين وبعضها لآلاف السنين . وتحت مسميات لطيفة يختفى الغرض منها من أجل « الاستطلاع » أحيانا أو « الانذار المبكر » أحيانا أخرى ، أو « الاستشعار من بعد » أو « اكتشاف الموارد » . وكل ذلك بالمعنى الفصيح هو « جمع البيانات » أو « جمع المعلومات » . وعلى سبيل المثال أيضا لقد كان لهذه الأقمار أدوارا فى حرب فيتنام ، وحرب (رمضان ـ أكتوبر) ، ومازالت لها أدوار فى حرب ايران والعراق وحرب (اسرائيل ـ لبنان) . ولكن ما هو أهم أن لها أدوارا أعظم وأدق فى جمع كافة البيانات غير العسكرية والتى تفيد الاقتصاد والتنمية والموارد عن كافة الدول شاءت أم لم تشأ .

إن التزاوج بين الحواسب الاليكترونية والانجازات الفضائية قد وضع البشرية أمام عصر جديد تمثل فيه وفرة المعلومات كل معانى المدنية والتقدم . أفلا يحق لنا كعرب أن نسائل أنفسنا : أين موقفنا من هذه الحلبة التى لا مكان فيها لضعيف أو متفرج ؟

سعد شعبان

العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي



استخدام طبي جديد لأشعة الليزر

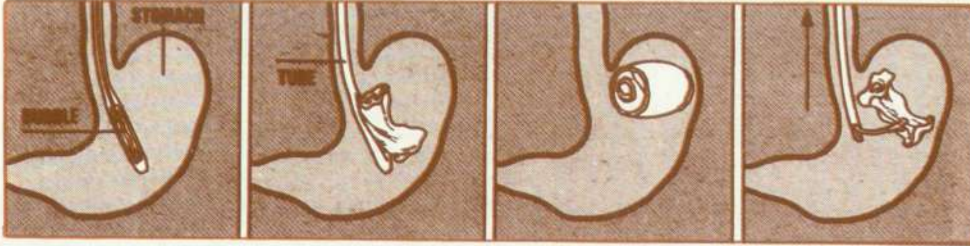
• توصل الأطباء الألمان إلى طريقة مبتكرة لتفتيت حصى الحويصلة الصفراوية باستخدام أشعة الليزر.

فمن المعروف طبيا أن هذا النوع من الحصى على عكس حصى الكلى لا يقبل التفتيت ولا يستجيب للعلاج الكيمائي مما يضطر الأطباء إلى اللجوء لاستئصال الحويصلة الصفراوية ذاتها.

ويستخدم التكنيك الجديد منظاراً غير تقليدى لكى يمر شعاع الليزر خلال ليفة ضوئية شديدة المرونة لا يزيد قطرها عن ٠,٣ مم عبر تلافيف الاثنى عشر ليصل إلى القناة الصفراوية ويمر الشعاع خلال كل هذه التعريجات دون أن تتأثر شدته.

ويستغرق التفتيت ما بين ثانيتين وستين ثانية ويتميز جهاز توليد أشعة الليزر المستخدم بأنه يولد نبضات قصيرة جدا لا يزيد زمن كل منها عن واحد على مليار من الثانية في حين تصل طاقتها إلى ١٠,١٢ وات لكل سنتيمتر مربع وهى طاقة ضخمة ويسمح هذا الليزر النبضى بتفتيت الحصوة دون احراق جدار الحويصلة الصفراوية على عكس أشعة الليزر التقليدية التى تولد تأثيرا حراريا كبيرا مما يعرض الأنسجة المحيطة للتلف.

وبعد نجاح التجارب المعملية التى أُجريت على الحيوانات سيبدأ استخدام هذا التكنيك على المرضى خلال عام.



بالون لعلاج السمنة

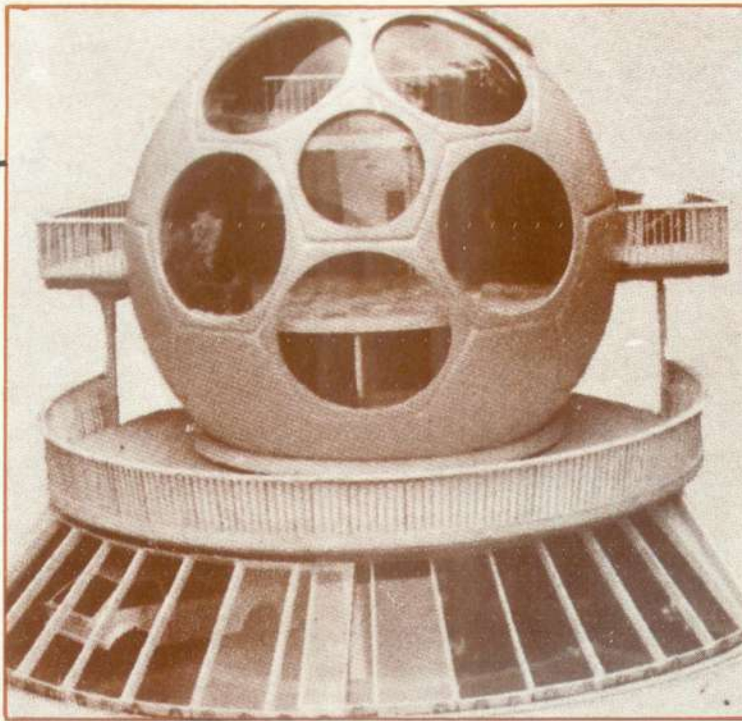
• أحدث وسيلة للتخلص من السمنة هى إدخال بالون من البلاستيك في المعدة لإشعار من يعانى من السمنة باحساس الامتلاء والشبع أثناء فترة اتباعه لنظام غذائى معين.

يتم ادخال هذا البالون المرن تحت التخدير الموضعى إلى الجزء العلوى من المعدة باستخدام انبوب ضوئى يشبه إلى حد بعيد المنظار. ويكون البالون غير منفوخ ولكنه ينتفخ تدريجيا بمجرد وصوله إلى موضعه المحدد من المعدة ليصبح اسطوانة في حجم علبة العصير الصغيرة وبعد أربعة شهور يفرغ البالون وينزع من المعدة بواسطة نفس الانبوب الضوئى ويمكن استبداله ببالون آخر إذا كان لا يزال هناك حاجة إليه.

ولقد تمت تجربة هذا البالون بنجاح على ٤٠٠ شخص فتأثيره يعتمد على تنبيه الخلايا العصبية المبطنة للمعدة بحيث يولد احساسا بالامتلاء.

ويؤكد الطبيب الامريكى صاحب الابتكار أن هذا البالون مجرد أداة مساعدة لمن يعانون من السمنة المفرطة فهو يمنحهم فرصة اتباع نظام غذائى لفترة طويلة بحيث يمكنهم تغيير سلوكياتهم الغذائية واكتساب عادات جديدة.

ويتميز هذا العلاج المساعد بامكانية استخدامه عدة مرات متوالية دون أى خطر على الصحة، مثله مثل أى نظام غذائى متوازن يمكن تكراره عدداً غير محدود من المرات.



المنزل الدّوّار

• صمم مهندس الكترونيات فرنسى بيت المستقبل، فهو يضم كل تقنيات القرن الحادي والعشرين ويتخذ شكل كرة دوارة تدور حول محور رأسي بواسطة محرك كهربي يستهلك فى كل دورة كاملة خمسين وات/ساعة .

ولقد روعى في تصميم هذا المنزل الآلى أن يدور الهيكل الخارجي فقط بينما يظل داخل المنزل ثابتا .

ويتولى الكمبيوتر الذى يمثل المخ المركزي للمنزل تنظيم عملية الدوران تبعا للاضاءة وذلك على أساس العوامل والثوابت المسجلة فى ذاكرته مثل فصول السنة وخط العرض والارتفاع عن مستوى البحر والأحوال المناخية كما يتم تنظيف زجاج النوافذ أتوماتيكيا بعد هطول الأمطار وجمع المياه لإعادة استخدامها . ولقد غطيت جدران هذا المنزل الدوار بخلايا شمسية لتخزين الطاقة اللازمة لتشغيله بحيث يصبح مكتفيا ذاتيا في مجال الطاقة الكهربية .

اما بالنسبة لاحتياطات الأمن فيتم اغلاق كل منافذ المنزل بجعله يدور حول نفسه إلا أنه يمكن الدخول إلى المنزل من البدروم حيث يوجد الجراج ومصعد يخدم طوابق المنزل الثلاثة. ويباع هذا المنزل على شكل أجزاء يستطيع أى شخصين تركيبها معا وإقامة هذا المنزل المستقبلى .

اختبار جديد للخصوبة

• كان ينقص الأطباء من أجل علاج حالات العقم المستعصية وإجراء عمليات الإخصاب خارج الرحم تحديد لحظة التبويض بشكل دقيق . ولكنهم تمكنوا مؤخرا من ابتكار اختبار يرصد هذه اللحظة التى يصعب رصدها .

ويتميز هذا الاختبار بسهولة استخدامه فهو يتكون من شريط صغير من الكرتون ينتهى بقرص أبيض (كما هو مبين فى الصورة) يغمر هذا القرص فى أنبوبة تحتوى على بضع قطرات من البول ثم يترك ليجف ثلاثين دقيقة فإذا تغير لون القرص إلى اللون الأزرق فمعنى ذلك أن عملية التبويض ستتم بعد ثلاثين ساعة .

وبالرغم من بساطة الاختبار فإن تحضيره يتطلب تكنولوجيا متطورة تعتمد على استخدام الأجسام المضادة المنتجة عن طريق تقنيات الهندسة الوراثية ، وهى مواد قادرة على التعرف على الفور وبشكل محدد ودقيق على أغلبية الهرمونات التى يفرزها الجسم . وهى ترصد في هذا الاختبار وجود الهرمون الذى ينشط المبايض ويؤدى إلى خروج البويضة ويمثل ظهور نسبة معينة من هذا الهرمون فى البول علامة مبشرة بوجود بويضة قابلة للاخصاب فى البوق وهى لحظة عابرة يصعب تحديدها لانها لا تدوم اكثر من بضع ساعات على أقصى تقدير .

ومن المتوقع طرح اختبار الخصوبة في الأسواق خلال ستة شهور ، ومن ناحية أخرى طرح فى الأسواق اختبار آخر لمعرفة نوع الجنين ــ ذكر أم أنثى ــ وذلك منذ الشهر السادس . ويشبه هذا الاختبار إلى حد بعيد اختبار الحمل .

ولكن يعيب هذا الاختبار أن درجة ثباته لا تتعدى ٢٠٪ وتجرى حاليا أبحاث لتطوير استخدامه منذ الشهر الرابع .



الشريط المستخدم فى اختبار التبويض



بقلم: رءوف توفيق

قراءة على الشاشة لموضوع هام

عودة مواطن

ومن المسئول عما حدث؟



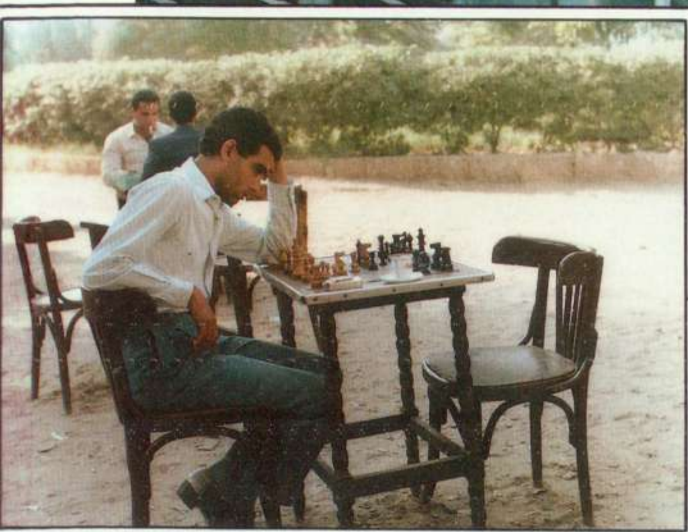
الشقيق العائد من السفر (يحيى الفخراني)

المسافرون للعمل في الخارج ، مسألة شغلت ــ ومازالت ــ المجتمع المصري .. حتى إنه قيل على سبيل تجسيد حجم المسألة ، إنه لاتوجد أسرة مصرية لم يسافر أحد أبنائها للعمل في الخارج .. ولا يخلو بيت مصري من قصة تروى عن مسافر ، أو عن عائد بعد غياب طويل .

ورغم تشابه الكثير من تلك القصص ، في الظروف التي دعت للسفر والاغتراب .. إلا أن الاختلاف الحقيقي ، في التفاصيل الإنسانية للتجربة في حد ذاتها .. سواء بالنسبة للأسرة ، أو بالنسبة للمسافر .. وآثار هذا الغياب على كل الأطراف .. بالاضافة إلى التغييرات السريعة والمتلاحقة التي حدثت للمجتمع المصري في سنوات السبعينات .



الشقيقتان فى نقاش حول قرار اتخذته احداهما بالزواج من زميلها





انه يتأمل ماحدث فى غيابه وشقيقه يقتل فراغه بالشطرنج



وكل هذه العناصر تكشف عن مدى ثراء هذا الموضوع ، وتغري بمعالجات أدبية وفنية مختلفة . ورغم ذلك ظلت السينما المصرية تتجنب هذا الأغراء دون سبب معقول . حتى جاء فيلم « عودة مواطن » ليفتح الباب أمام هذا الموضوع الحيوي الهام .

وقد شاهدت نسخة العمل الأولى لهذا الفيلم ، وهو مازال تحت التجهيز ، وقبل أن يبدأ الموسيقار كمال بكير في تأليف الموسيقى التصويرية له .. (من المتوقع أن يعرض الفيلم جماهيرياً في منتصف يونيو القادم) .

وأحسست بسعادة غامرة ، وأنا أتابع فصول الفيلم .. وقلت لنفسي ، إنه من حسن حظنا ، وحظ السينما المصرية .. أنها لم تتطرق لهذا الموضوع من قبل ، على يد أحد الجهلاء فاقدي الحس الاجتماعي والفني . فما أسوأ ابتذال القضايا الجادة وتشويهها وانتهاكها ، حتى تصبح مكروهة من الجميع !

وميزة البداية بفيلم « عودة مواطن » .. أن كاتبه « عاصم توفيق » فنان معروف برؤيته الاجتماعية الناضجة الواعية .. بالاضافة الى أنه خاض شخصيا تجربة السفر للعمل خارج مصر .. واختار لنفسه ، كما اختار لبطل فيلمه ، أن يكون مكان عمله الجديد في دولة قطر .. وهو يتحدث عن تجربته في « الدوحة » ، كما يتحدث بطل فيلمه .. بكل التقدير والاعتزاز .

ويجسد الموضوع ، المخرج الموهوب « محمد خان » أحد أبرز المخرجين في السينما المصرية الجديدة .. والذي يؤكد بكلّ فيلم يقدمه ، أنه يزداد نضجاً ورسوخاً .

ويتحمس لانتاج الفيلم وتمويله ، الفنان الممثل القدير « يحي الفخراني » في أول تجربة انتاج له .. وكأنه يريد أن يعبر عن السينما الجادة التى يحلم بها .. فدخل التجربة بلا

عـودة مـواطن

تردد ، وباقتناع كامل .. ليضيف إلى رصيده الفني وساماً جديداً .

إنهم نفس الثلاثة الذين التقوا من قبل في فيلم « خرج ولم يعد » ، الذي مازالت أصداؤه الطيبة تردد حتى الآن .

هاهم يعودون معاً .. ثلاثة فرسان وموضوع جديد وهام .

العودة إلى الأهل

ويبدأ الفيلم من لحظة العودة إلى الوطن .. وإلى الأسرة .. بعد غياب طال لثماني سنوات ، وحساب في البنك هو حصيلة جهده وعمله طوال هذه السنوات .. وسيارة فاخرة حديثة .. وأحلام بالاستقرار والدفء العائلي .

فما الذي يتحقق من هذه الأحلام ؟

في تلخيص ذكي وبارع يقدم لنا الفيلم في مشاهده الأولى .. ملامح الشخصيات والمكان ..

فمع هبوط الطائرة القادمة من الدوحة .. لتلامس أرض مطار القاهرة ، نتعرف على شاكر (يحي الفخراني) العائد إلى الوطن .. وعلى وجهه ابتسامة لهفة وتفاؤل .. حقائبه العديدة تفصح عن كمية الهدايا .. لمعة العينين تحاول أن ترصد كل التغيرات التي حدثت في الطريق والمباني .. والبشر ..

بيت الأسرة في ضاحية حلوان .. البيت طابق واحد من الطراز القديم .. والأثاث أيضاً قديم ومتواضع .. يقيم في البيت الأخوة الأربعة لشاكر ..

الأخت الكبرى (ميرفت أمين) التي يبدو أنها ترعى شئون البيت .. وقد تفرغت لهذه المهمة عن حب واقتناع .. وكثيراً ما تفاجئ اخوتها بصنع « تورتة » تتفنن في توزيعها .. فأعمال الحلوى تستهويها ..

الأخت الصغرى (ماجدة زكي) تخرجت من الجامعة وتعمل مضيفة في كافيتريا أحد الفنادق بالعاصمة .. ومن الواضح استقلالها بشخصيتها وشئونها .. وأنها اختارت زميلاً لها يعمل في نفس المكان لترتبط معه بالزواج ..

وهناك الشقيق (أحمد عبدالعزيز) الذي تخرج من الجامعة .. ومازال ينتظر فرصة العمل وقرار الحكومة بتوزيع « القوى العاملة على المصالح والمؤسسات » وهو في فترة الانتظار الطويلة الممتدة يحاول استهلاك الوقت في لعب « الشطرنج » .. ويتناول الحبوب المهدئة ليغيب في نوم طويل !

أما الشقيق الأصغر (شريف منير) فهو مازال طالباً في الجامعة .. وهوايته تربية الحمام الزاجل .. وقد بنى له أبراجاً صغيرة فوق سطح البيت .. يطعمه ويرعاه ويطيره محملاً بالرسائل إلى بيت خاله في نفس المنطقة ..

وهذا الخال (عبدالمنعم ابراهيم) يعيش بمفرده حياة بسيطة .. يعمل في مصنع الحديد والصلب .. ومن الواضح أن علاقته بالشقيق الأصغر هي أوضح العلاقات وأكثرها فهماً وتواصلاً ..

المكـان واحـد .
ولكن الحوار مقطوع

وهـكـذا تـتـجمع هذه الخيوط الأولى للشخصيات والمكان .. ويحدث التئام شمل الأسرة بعودة الشقيق الأكبر .. الذي يحمل بداخله مشاعر حميمة صادقة بتعويض أخوته عن غيابه الطويل ..

ولكن تدريجياً يكتشف ـ كما نكتشف نحن ـ أن الأخوة الذين يضمهم بيت واحد .. أصبح المكان وحده هو الذي يجمعهم .. أما كل واحد منهم فقد تحول إلى جزيرة معزولة لها عالمها الخاص واهتماماتها وهمومها .. الحوار مان يبدأ حتى يتقطع وينسحب كل إلى داخله .

الأخت الكبرى (ميرفت أمين) تدرك هذه الحقيقة .. وتحاول أن تمد الجسور وتخلق فرص المشاركة حتى ولو على مائدة الطعام .. ولكن سرعان ماتتبدد محاولاتها .. ولكن دون أن تغضب أو تشكو .. فقد تعودت على المسئولية والتضحية بعد رحيل الأب والأم .

ويحاول الشقيق العائد أن يخفف عنها بعض العبء .. ويمارس دوره كمسئول عن الأسرة .. ولكنه يفاجأ بالأمر الواقع الذي يصعب تغييره بين يوم وليلة ..

نفس الأمر الواقع الذي صدمه عندما ذهب إلى مقر العمل الذي كان يعمل به كمحام قبل أن يسافر .. ففوجئ بأن مقر العمل تحول إلى صالة رقص (ديسكوتيك) .. وأن مديره السابق هو نفسه صاحب ومدير صالة الرقص .. وأن زميلته التي أحبها وكان يتمنى الزواج منها .. قد تزوجت من المدير !

كل هذه المتغيرات التي فوجئ بها .. أصبحت جزءاً من الأمر الواقع الذي يجب أن يتعامل معه .

لقد غاب ثماني سنوات .. وفي هذه السنوات حدثت أشياء كثيرة في المجتمع المصري .. بالقطع سمع عنها وهو في غربته .. ولكن أكثر ما أفزعه أن يمتد تأثير هذه التغيرات إلى داخل بيت الأسرة .. وبين أخوته !

فهو يقف مذهولاً حائراً أمام حالة الغيبوبة التي يعيشها شقيقه .. سواء في قتل الوقت بلعب الشطرنج .. أو بابتلاع الحبوب المهدئة للانفصال التام عن الواقع .

ولايملك حتى الثورة أو الغضب ازاء هذه الحالة الموجودة داخل البيت .. وتصفعه في كل لحظة يشاهد فيها شقيقه وقد ألقى بجسده على المقعد أو السرير في تخاذل ووهن شديد .. وكأنه أصبح جثة فاقدة النبض والحيوية تردد كابوساً مزعجاً عن خبر قرأه في إحدى الصحف يقول ان تعداد مصر عام ٢٠٠٠ سيصل إلى تسعين مليوناً .. وانه يتصور أن الناس في ذلك الوقت « ستأكل بعضها » !!

ماذا يفعل الشقيق العائد أمام هذا المنطق المتشائم .. والمبرر المرفوع لاختيار الغيبوبة ؟

هل يسخر؟ .. هل يناقش ؟ هل يمد يد العون لاجتياز الأزمة ؟ وما الذي يجب أن يفعله ؟

إنه يبدأ في فتح حقائب نقوده .. متصوراً أن النقود ستصحح الأخطاء السابقة واللاحقة .. ستعوض مافات .. وتقيم ماهو قادم .

ولكن هل هذا هو الحل السعيد المنقذ ؟

الانطلاق لتحقيق الذات

الوحيدة التي استجابت لنداء النقود .. هي الأخت الكبرى ، فهناك حلم قديم كان يراودها بأن تستغل هوايتها في صنع الحلوى بأن يكون لها مكان مستقل تصنع فيه الحلوى وتبيعها للجمهور .

النقود موجودة.. والأخ العائد يعرض بقلب مفتوح وباحساس من رد الجميل للأخت التي ضحت طوال هذه السنوات .. « هل تريدين المبلغ .. عملة مصرية .. أم دولارات ؟ »

والمكان موجود .. فلنقتطع جزءاً من بيت الأسرة .. مجرد جزء يصلح كمحل للعرض والبيع ..

والآن بقي اسم المحل .. الأخ المتشائم الغائب باختياره عن الوعي .. يقترح أن يكون الاسم « ماري انطوانيت » .

لماذا هذا الاسم بالذات ؟ يرد بسخرية مريرة .. لأن ماري انطوانيت واجهت ثورة شعبها الجائع بأن اقترحت عليه أن يأكل البسكويت والجاتوه بدلاً من الخبز !

مهما كانت حكايات التاريخ .. إلا أن الاسم « ماري انطوانيت » .. اسم جديد لمحلات الحلوى .. وهكذا ارتفعت اللافتة بالاسم على جزء من بيت العائلة !

ويعلق الأخ المتشائم بنفس نبرة السخرية المريرة : « الله يرحمك ياأبويا .. تعال شوف بيت العيلة واللي جراله » !

وتندفع الأخت الكبرى في نشاطها الجديد .. وكأنها انتظرت طوال هذه السنين لتحقق حلمها الشخصي .. وماإن واتتها الفرصة حتى أمسكت بها تماماً .. وتصرفت بثقة شديدة .. ونجحت .. وأغراها النجاح بالتوسع والانتشار .. وبدلاً من المحل الواحد أصبح هناك ثلاثة محلات ..

وتغيرت شخصيتها .. وبدأت تبحث عن مسكن مستقل لتعيش بمفردها .. وعندما غضب منها شقيقها العائد .. بررت سلوكها المفاجئ بأنها أصبحت « سيدة أعمال » .

الاختيار الصعب

وتزايد الاحساس بالغربة والانفصال داخل البيت الواحد .. والأسرة الواحدة .. ولم يعد هناك وقت أو رغبة ليلتقي الواحد بالآخر .. وقد عبرت الأخت الصغرى (ماجدة زكي) عن هذه الحالة بقولها : « هوه فيه حد فاضي للتاني علشان نقوله ؟ » وكانت بعباراتها هذه تبرر قرارها بالزواج من زميلها ، واستئجارهما لشقة ، وتجهيزها معاً .. دون انتظار موافقة أفراد الأسرة – وبالذات الشقيق الأكبر – الذي فوجئ بهذه القرارات .. ولم يستطع حيالها إلا أن يرضى بالأمر الواقع !

إن كل الأمور تمضي من أمامه ، لتلقي بظلالها عليه .. وتزيده احساساً بالدهشة والحزن .. وتصيبه أكثر بالعجز .

ويكثف المؤلف عاصم توفيق كل الخيوط الدرامية ويتصاعد بالأحداث .. ليجعل بطلنا العائد يواجه الاختيار الصعب .

فهو يتلقى خطاباً من قطر تطلب منه المؤسسة التي كان يعمل بها أن يعود للعمل معهم ..

في نفس الوقت .. الذي تتمادى فيه حالة شقيقه مدمن الحبوب المهدئة والشطرنج .. إنه يصل إلى مرحلة الحقن المخدرة والإدمان .. وينقل إلى المستشفى في حالة من الغيبوبة الكاملة !

وتأتي الصدمة الأخرى .. من جانب شقيقه الأصغر ، هاوي الحمام الزاجل .. فالشرطة تقبض عليه وتفتش البيت .. ليكتشف أن وراء هذا الشقيق المرح المتفائل دائماً ، قصة مثيرة .. فهو عضو في تنظيم سري .. ويتخذ من هواية الحمام الزاجل ستارا لنشاطه ، وأحياناً وسيلة للاتصال بأعضاء التنظيم !

واحد في مستشفى للعلاج من الإدمان .. والآخر في السجن انتظاراً للمحاكمة ! !

وهكذا تفككت كل الأسرة .. وأصبح البيت خالياً ومهجوراً .

وفي مشهد من أبرع مشاهد الفيلم .. ينقل لنا المخرج محمد خان هذه النتيجة من خلال حركة الكاميرا وتوزيع الإضاءة .. وبطلنا العائد (يحيى الفخراني) يدخل البيت الصامت الخاوي من الحياة.. ويحاول أن يتلمس الاجابة لسؤاله الحائر .. ماالذي حدث ؟ يفتح أبواب الحجرات .. ويضيء الأنوار .. ويتوقف حزيناً أمام الصور التذكارية للأب والأم والأسرة عندما كانت تجتمع معاً .. لم يعد باقياً غير الصمت الثقيل .. والحزن .. السرائر خالية .. التليفزيون مغلق .. المائدة منتصبة في الفراغ .. يفتح النافذة المغلقة كأنما يتأكد من وجود الهواء بالخارج .. ثم يلقي بجسده على السرير في إعياء وإحساس بالفشل والمرارة .

ويبقى السؤال قائماً : هل يستجيب للرحيل مرة أخرى؟

يحمل سؤاله وحزنه .. ويذهب إلى شقيقه في مصحة العلاج من الإدمان .. يجده يتماثل للشفاء ولكن الشقيق يطلب منه أن يظل فترة



ماجدة زكى فى دور مضيفة الكافتيريا وابراهيم يسرى جرسون بخمسمائة جنيه

عودة مواطن

أطول في المصحة فقد وجد هذا العالم أفضل من العالم الخارجي .. وبنبرة يأس ينصحه الشقيق بأن يسافر مرة أخرى .. وعلى حد تعبيره : « الزمن مابقاش زماننا .. فيه ناس فوق .. وناس تحت .. أما اللي في الوسط راحت عليهم » .

يذهب إلى شقيقته التي أصبحت سيدة أعمال تعيش في مسكن بمفردها .. وتمارس حياتها كما تشاء .. تقول له بلا اهتمام : « كنت عايزنا نتلم في بيت واحد زي زمان .. لكن دي سنة الحياة » .

يقول لها كأنه يذكرها بوجوده : « كنت مستعداً أن أمد يدي لكم ، ولكن يبدو أن حياتي مالهاش قيمة عندكم » .

وتشعر هي كسيدة أعمال لم تعد تجيد غير لغة البيع والشراء .. إن العواطف لم يعد لها مكان .. وإن الكلام والتبريرات والمشاعر ، تأخرت كثيراً ولم تعد تصلح لحل الموقف .

يحمل سؤاله وحزنه .. ويذهب إلى شقيقه الأصغر داخل زنزانة سجنه .. فيجده مازال متماسكاً .. صلباً .. متفائلاً .. يقول له لاتسافر .. فأنا احتاجك ..

هل يسافر .. أم لا ؟

إنه يحمل حقيبته ويذهب إلى المطار .. وينهي اجراءات الرحيل .. ولكنه لايستطيع أن يتقدم إلى بوابة الخروج إلى الطائرة ..

يجلس في مكانه شارداً .. محاصراً بكل التساؤلات .. وتقلع الطائرة .. وهو مازال في مكانه .. وتقترب منه الكاميرا .. وبزاوية تصوير مختارة بعناية شديدة .. نرى وجهه وقد تجمدت تعبيراته على الحيرة والحزن .. والظلال تحيط به لتحبس وجهه داخل هذا الكادر .. وينتهي الفيلم ..

سؤال بلا إجابة

هل يسافر .. أم لا ؟

ليس هذا هو السؤال المهم .. ولكن الأهم هو لماذا سافر أصلاً ؟ وماالذي حدث في غيابه ؟ هل هو مسئول عما حدث لأخوته .. أم أن ماحدث كان نتيجة طبيعية لما حدث في المجتمع ؟

والفيلم لايقدم إجابات محددة .. وإنما يترك لنا حرية التفسير والاستنتاج .

ولعل هذا المنهج الفني .. هو الذي أكسب الفيلم تلك الأهمية .. فنحن لسنا متفرجين عاديين .. ولكننا أصلاً مشاركون فيما حدث .. والمسئولية نتحملها جميعاً .. والموقف مازال في أيدينا وعلينا أن نضع النهاية السعيدة ..

هل نختار الحل الشخصي .. وأن يسعى كل منا ليأخذ نصيبه ويجري ؟ أم أننا نتوقف عن اللهث ونعود إلى بعضنا البعض لنبحث عن الحل الجماعي ؟



آخر لقاء بين العائد وشقيقته التي أصبحت سيدة أعمال ، انه يشعر بالذنب لغيابه الطويل



الخال (عبد المنعم ابراهيم) العامل بالحديد والصلب وبجواره ابن شقيقته المتأثر به

النهاية السعيدة.. الكاذبة

إن أسوأ ماتعلمناه من السينما الأمريكية .. هو اصطناع تلك النهايات السعيدة المخدرة .. لكي يخرج المتفرج من دار العرض وقد تخفف من كل الأعباء .. ولايبقى في ذاكرته شيء سوى أن الأقدار ستحل لنا المشاكل وتجعلنا سعداء كما حدث لأبطال تلك الأفلام ..

وما أسهل تلفيق الأحداث .. وتدبير الصدف والملابسات التي تجعل كل الأشياء جميلة ومبهجة .

ولكن هذا النوع من الفن .. أشبه مايكون بالمخدرات التي تسلب الوعي والتفكير .. وتخلق تلك السلبية التي تعتمد على المنقذ القادم بلاشك لحل جميع المشاكل والهموم ..

إن هذا المنقذ لاوجود له .. في الحقيقة إلا في الأساطير وحواديت ماقبل النوم .

أما الفن الذي يدعو لليقظة والتفكير .. فهو الفن الأبقى والأجدى .

دور الطبقة المتوسطة

وصياغة فيلم « عودة مواطن » تشهد للكاتب الفنان عاصم توفيق .. بتلك البراعة في طرح العديد من علامات الاستفهام حول دور الطبقة المتوسطة في المجتمع المصري .. وأحلام تلك الطبقة بالأمان الاقتصادي .. وخوفها الفظيع من الوقوع إلى الطبقة الدنيا .. وشهوتها الجامحة للوثوب إلى الطبقة العليا ..

ومن هذا الخوف والشهوة ، جاءت عمليات السفر للخارج للحصول على فرص أكبر للعمل واكتناز النقود وتحقيق المظاهر (السيارة .. الشقة التمليك .. الثياب الغالية) .

وعمليات السفر المتعددة .. والاغتراب الطويل .. أحدثت بالقطع خلخلة في كيان البيت المصري .. وخلقت أيضاً المزيد من التطلعات لتحقيق المزيد من الأمان الاقتصادي .. وعندما عاد الغائبون بالنقود .. كانت النقود لاتصلح لإعادة ما اهتز !

والنموذج الذي قدمه الكاتب عاصم توفيق .. متمثلاً في شخصية الشقيق الأكبر (يحيى الفخراني) .. نموذج لايمكن إدانته في سلوكه الشخصي .. بل إنه تعمد تقديمه في صورة الانسان الطيب ، البريء ، النقي .. الذي فعل مايفعله الآخرون في البحث عن الرزق خارج حدود الوطن .. وكان نموذجاً مشرفاً في عمله بالخارج .. بدليل أنهم طلبوا عودته للعمل معهم مرة أخرى .. ولكن هذا النموذج لم يكن واعياً بالدرجة الكافية لكي يستشعر الخطر على إخوته بغيابه الطويل .. ولم يكن حكيماً أو إيجابياً بالدرجة الكافية ليحسم بعض المواقف التي تعرض لها بعد عودته ..

ورغم ذلك فقد كان هذا النموذج ـ الذي تقمصه ببراعة الفنان يحيى الفخراني ـ هو المفتاح الذي فتح لنا الأبواب المغلقة لكي نرى ماحدث لنماذج الشباب التي عبر عنها أفراد الأسرة والتنوع في الشخصيات والاهتمامات وبحث كل منهم عن الطريق (سواء بالهروب من الواقع واللجوء إلى المغيبات ـ أو الانضمام لتنظيم سري ـ أو النموذج العملي جداً المستقل بقراراته ـ أو النموذج الذي وجد العمر يفلت منه فتشبث بفرصة لتحقيق الذات ونسي كل ماحوله وانفرد بتنمية مصالحه) .

وكل هذه النماذج .. تتحرك في غياب من الرعاية الحكيمة .. وأيضاً من غياب المثل الأعلى والقدوة .

وبالتالي كانت تصرفاتهم لاتحكمها بوصلة عامة .. وإنما كل منهم اختار بوصلته .. وسار في اتجاهه .

ولم تعد هناك قضية مشتركة .. ولالغة حوار متصلة .

وحدثت الانهيارات .. وكان لابد أن تحدث .. لتضعنا أمام حقيقة أزمة الشباب في زمن الصراع المادي .. وفي غياب الهدف القومي .

اكتشافات فنية

وقد تعامل المخرج محمد خان مع هذا الفيلم .. بنظرة فنية واعية ، مستخدماً كل براعته في اختيار الممثلين وقيادتهم .. واختيار أماكن التصوير من الواقع الحي .. ودون اللجوء إلى عنصر الابهار الشكلي .. ولهذا يتسلل الفيلم هادئاً وعميقاً .. حتى تكتشف في النهاية أنه تحول إلى زلزال عنيف يهزك من الأعماق !

بجوار يحيى الفخراني وقدراته الطبيعية على احتواء مشاعر المتفرجين .. لعبت ميرفت أمين دوراً مركباً وتنقلت من شخصية مستسلمة إلى شخصية ديناميكية ، وأعطت ملامح الشخصية بمهارة ودون لحظة افتعال ..

أحمد عبدالعزيز في دور الشقيق الغائب عن الوعي باختياره .. هو مفاجأة الفيلم .. وشهادة ميلاد لممثل جديد ومتميز .

علي الغزولي مدير التصوير .. إعادة اكتشاف لفنان حقيقي ..

إنه ـ في النهاية ـ فيلم يدعو للاحترام والثقة فيما يمكن أن يفعله السينمائيون الشبان ..

رءوف توفيق

أخبار ثقافية

يقدمها: يوسف الحرمي



محمود مفتاح

قضايا معاصرة في كتاب لمحمود مفتاح

• صدر للكاتب القطري الشاب محمود عبدالرحمن مفتاح كتابه الثاني بعنوان « قضايا معاصرة » . تضمن ١٥ مقالاً سياسياً واجتماعياً بالاضافة إلى الحقائق العلمية .

كما صدر لنفس الكاتب كتاب يحمل اسم « السماء والأطباق الطائرة » .. ويشتمل على ثلاثة أبواب الباب الأول العرب والفضاء ، والثاني غزو الفضاء ، والثالث ظاهرة الأطباق الطائرة .. وقد قدم له العالم العربي فاروق الباز إذ قال إنه لمن دواعي سروري أن أقدم هذا الكتاب الذي أخرجه شاب عربي نشيط صمم على استخدام تدريبه في العلوم لكي يبث العلم والمعرفة عن الفلك والفضاء بين أفراد المجتمع العربي ، ثم أقدم شجاعاً على معالجة موضوع صعب حير العلماء وهو احتمال وجود كائنات أخرى في الكون . وأضاف د . فاروق الباز قائلا ومما سلف نجد أن ماقدمه لنا المؤلف محمود عبدالحمن مفتاح يفسح مجالاً واسعاً للنقاش والتعمق والتمعن والخيال . ولذا فإنني سعيد جداً بتقديم هذا الكتاب إلى القارئ العربي .

معرض الكتاب الدولي في بغداد

افتتح في بغداد معرض الكتاب الدولي الرابع الذي أقامته الدائرة الوطنية للتوزيع والاعلان تحت شعار العلم والبندقية قوة واحدة .

وشاركت في المعرض أكثر من ثلاثمائة دار نشر عراقية وعربية وأجنبية ، اضافة إلى الناشرين العراقيين وقد عرض فيه مايقارب خمسة وعشرين ألف عنوان لمختلف الكتب والمواضيع والمعاجم بالاضافة إلى كتب الأطفال المختلفة .

٣٠ لوحة فنية تشكيلية في معرض بنادي الاهلي

افتتح الشيخ محمد بن عيد آل ثاني سكرتير عام المجلس الأعلى لرعاية الشباب معرض الفن



الشيخ محمد بن عيد

التشكيلي الأول الذي يقيمه النادي الأهلي بالتعاون مع الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .. وشارك فيه مجموعة من الفنانين القطريين ..

وقد ضم المعرض نحو ثلاثين لوحة فنية مستوحاة من البيئة والحضارة والتراث القطري والخليجي .. والهدف منه هو إبراز هذا التراث وإلقاء الضوء على الابداعات التي يتمتع بها الشباب القطري في مجالات الفنون والآداب ، كما أتاح للمشاركين فيه الالتقاء الفكري الميداني المباشر والتفاعل مع معطيات المجتمع .



شعر « البودهيم » في ديوان يصدره مركز التراث

ضمن سلسلة الدراسات المتخصصة التي تصدر قريباً عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بالدوحة أحد الكتب المتميزة بعنوان « ديوان البودهيم » وهو عبارة عن مؤلف يحتوي على أهم ماأبدعه شعراء عائلة البودهيم في دولة قطر من شعرهم المتميز ، وقد تولت وحدة الأدب الشعبي بالمركز بالتعاون مع عيسى البودهيم الوريث الوحيد لمادة هذا الديوان أمر تسجيل مادة الكتاب ثم تدوينها وفهرستها وشرح معانيها . وتأتي أهمية هذا الكتاب من أنه يحتوي على مجموعة قيمة من القصائد والمواويل التي غطت بشمولها جوانب عدة من طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة ، بشكل عام وفي دولة قطر بشكل خاص ، وعبرت قصائد الديوان ومواويله بصدق عن معاناة أهل هذه المنطقة ومشاعرهم في فترة حاسمة من تاريخ الخليج شكلت مرحلة تحول في طبيعة تكوين العديد من الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبح لها الأثر البالغ في صياغة الاطار العام لمكونات مجتمع الخليج والجزيرة العربية .

محاضرة عن الزخارف في قطر



ألقى الفنان التشكيلي القطري محمد علي عبدالله بنادي الدوحة محاضرة عن الزخارف في قطر وعلاقتها بالزخارف العالمية . عرض الفنان مجموعة كبيرة من « السلايدات » عن الزخارف في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، كما تطرق أيضاً إلى التصميم وعلاقته بالرياضيات والفلك والهندسة عند الفنان الخليجي ومدى تأثره وظهور هذا التأثر على الزخرفة بشكل خاص .

٥ آلاف عنوان كتاب في معرض نادي الوكرة



• تحت رعاية سعادة الشيخ ثامر بن محمد آل ثاني نائب رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب افتتح في الشهر الماضي معرض الكتاب الذي أقامه نادي الوكرة لأول مرة وشاركت فيه ٢٥ من دور النشر المحلية .. وضم المعرض نحو خمسة آلاف عنوان من مختلف العلوم والفنون والآداب بالاضافة إلى الكتب الدينية ، ويأتي هذا المعرض في إطار خطة النادي للبرامج والأنشطة الثقافية التي تقوم بتنفيذها لدعم هذا المجال لدى الشباب وتنمية أفكارهم وملكاتهم وتزويدهم بالمعرفة لتعزيز عطائهم لمجتمعهم .

١٦٠ مفكراً وأديباً شاركوا في المهرجان السعودي للتراث والثقافة

• نظم الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية في الشهر الماضي المهرجان الوطني الثاني للتراث والثقافة .

وقد اشتمل المهرجان على العروض الفنية والمناظرات الشعرية ومعارض للكتاب وتنظيم سباق للهجن كما شمل على إقامة أمسيتين شعريتين وست ندوات الأولى عن « الجزيرة العربية وتراثها القديم » ، والثانية عن القصة القصيرة في الجزيرة ، بدايتها وتطورها ، والثالثة عن الرقص والاغنية الشعبية والرابعة عن الخصومات الأدبية وبدايتها ودوافعها وغاياتها ، والخامسة عن التنمية الثقافية في الخطة الخمسية الرابعة ، والسادسة عن (الفن التشكيلي في السعودية حاضره ومستقبله) بالإضافة إلى محاضرة عن المسرح الخليجي كما أقيمت أمسية شعرية شاركت فيها أربع شاعرات سعوديات ومحاضرة عن تاريخ الدولة السعودية المعاصرة ألقتها إحدى المتخصصات في التاريخ السعودي .

وقد دعي إلى المهرجان أكثر من ١٦٠ أديباً وصحفياً ومؤرخاً وإعلامياً وناقداً من مختلف الدول العربية والاسلامية بالاضافة إلى الحشد الكبير من نخبة المفكرين والكتاب العرب والمثقفين في العالم العربي والاسلامي .

كتاب جديد لباحث اسلامي

صدر للدكتور عبدالله عبدالرحيم العبادي الباحث الاسلامي القطري كتاب جديد ضمن جهوده الشرعية والعلمية المتواصلة بعنوان « العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ؟ » وقال الباحث القطري في مقدمته : « لا شك أن التوصل إلى الشواهد والحقائق الثابتة بالبراهين العلمية سواء ما يتعلق منها بخلق الإنسان ، أم ما يتعلق بهذه الأرض التي نعيش عليها ، أم بالاجرام العلوية نصرة للدين الاسلامي ، وحجة عظيمة وقوية للانسان المسلم الذي آمن بكل ما جاء على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا القرآن حقاً من عند الله ، وأيقن اليقين التام أن ذلك لا يمكن أن يصطدم أبداً بالحقائق الكونية ، سواء أكان في الماضي ، أم في الحاضر ، أم في المستقبل والكتاب جديد في موضوعه وجدير بالقراءة ، وذلك لما فيه من مادة علمية دقيقة وجديدة وأسلوب جذاب في ربط العلم بالدين ..

نحو تواصل خليجي أفضل مهرجان ثقافي لجامعات الخليج بأبوظبي

استضافت في الشهر الماضي جامعة الإمارات بالعين المهرجان الثقافي والفني الثاني لجامعات دول الخليج العربية . تحت عنوان « نحو تواصل خليجي أفضل » الذي نظمه مكتب التربية العربي لدول الخليج في إطار تحقيق التلاحم والتقارب بين طلاب الجامعات الخليجية . وشارك في المهرجان (٥٠٠) طالب من ١٦ جامعة خليجية وساهم المشاركون في المهرجان بالأنشطة الأدبية والعلمية والثقافية والفنية .

ويهدف المهرجان إلى تشجيع أبناء الدول الأعضاء في الجامعات الخليجية على البحث في مجال العلم والثقافة والفنون والاعتماد على أنفسهم في العمل المشترك وتنمية روح الأخوة والمودة والألفة بالاضافة إلى تعريف الشباب بالتطور والتقدم التي شهدته دولهم في مختلف المجالات .. وتضمن المهرجان عروضاً مسرحية وعدداً من عروض الفنون الشعبية وندوات فكرية ومحاضرات علمية ومعارض للكتاب .

مختارات من شعر الأبنودي بالفرنسية



• المستشرق الفرنسي « جاك كلود » أنجز مؤخراً ترجمة مختارات من قصائد الشاعر العربي المعروف عبدالرحمن الأبنودي انتقاها من دواوين « الزحمة » « الفصول » « الأرض والعيال » والأبنودي لن يكون جديداً على قراء الفرنسية إذ سبق للتونسي الطاهر فيفه أن ترجم له كتاباً منذ خمس سنوات حول سيرة بني هلال .

حاول أن تعرف





الصورة الأولى

• هذا الخور العجيب الكائن بإحدى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية يعتبر من أجمل المناطق السياحية في هذه الدولة الخليجية ـ والخور رملي يبلغ اتساعه ميلين ، وعمقه ميلاً واحداً ومفتوح نحو جهة الشمال الغربي ويوجد به ميناء صالح لرسو المراكب كما توجد جزيرة يبلغ ارتفاعها ٢٤٠ قدماً عند نهاية الخليج الشرقية ويبلغ تعداد السكان حوالي ١٠٠٠ نسمة تقريباً . في أي دولة خليجية يقع هذا المكان ؟

الصورة الثانية

• الصورة المنشورة في هذه المسابقة سبق أن نشرت في أحد الموضوعات الشيقة بمجلة الدوحة . وهي لقائد بحري عظيم . ومن أشهر معاركه البحرية معركته في أغسطس ١٧٩٨ م . والمعركة الأخرى في ١٩ أكتوبر ١٨٠٥ حيث حقق بهاتين المعركتين انتصاراً حاسماً ضد الأساطيل المعادية .

ماسم هذا القائد البحري الشهير؟ واسم هاتين المعركتين سالفتي الذكر؟

حكاية صغيرة

يحكى أن يوجوما الذي عاش في إحدى القرى الهندية الفقيرة.. لما بلغ سن الشيخوخة فكر أن يذهب إلى المدينة التي سمع عنها كثيراً وأحب أن يراها . وحين ذهب هناك ، استوقفه متجر يبيع المرايا ، ولم يكن قد رأى مرآة من قبل ، فابتاع واحدة ، ولما نظر فيها رأى شيخاً عجوزاً بلحية مستديرة بيضاء ، فقال « لابد أن هذا كاهن كبير »

وانهال على المرآة تقبيلاً ولمساً بغية التبرك بها .

وعاد يوجوما إلى قريته ، وشغلته المرآة كثيراً حتى إنه وضعها تحت وسادته وجعل يقبلها أكثر الأحيان .

ولاحظت زوجته انشغاله عنها بهذا الشيء الذي جلبه من المدينة فقالت في نفسها لابد أن إحدى نساء المدينة أغرته وأعطته رسماً لها .

وغافلته ذات يوم وسرقت المرآة ، ولما نظرت فيها رمتها بعد أن بصقت عليها وقالت : ـ « ياله من رجل أبله .. أهذه العجوز الدميمة هي التي سلبته مني فهام بها حباً ؟!! أيفضل هذه المرأة علي أنا التي مازلت في ريعان الشباب ؟»

هديل مروان جرار

أم القيوين

الإمارات العربية المتحدة

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة «الدوحة» ص . ب (٢٣٢٤) الدوحة ـ قطر ، وحتى تضمن اشتراكك فى المسابقة الرجاء كتابة كلمة «مسابقة» على الظرف بخط واضح .

لقطة الشهر



طفل سوداني بالزي التقليدي لشرق السودان

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطري القارئ هيثم عبد السلام أحمد .
الخرطوم ـ السودان

حِكَمٌ وأمثال

• إن قوماً عبدوا الله رغبةً ، فتلك عبادة التجارة ، وأن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وأن قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلك عبادة الأحرار .

«الامام علي»

• أي خير في أن أعيش مهاجراً ذليلاً على أن أعود إلى بلادي لأموت على ثراها فأول أخر حق لله وللوطن .

«عمر المختار»

• إن الفكر واحد . ولكن طرائق تنفيذه هي التي تختلف .

«الامام محمد عبده»

• عندما أعود إلى وطني بعد غياب أشعر بعودة الشباب .

«أحمد شوقي»

• انهضوا أيها العبيد ، إنكم لاترونهم كباراً إلا لأنكم ساجدون .

«لنكولن»

• على الانسان أن يكون رحيماً لأن الرحمة تجمع بين البشر ، وأن يكون أديباً لأن الأدب يوحد القلوب المتنافرة وأن يتحرس بالفن لأن الفن ينقذ القلوب من جراثيم الطمع والأنانية .

«تولستوي»

• لوكان العالم مسرحاً كما يقولون ، فما أتفه الروايات التي تمثل على خشبته .

«محمد زكي عبدالقادر»

• كل شيء موجود يدل على مالولاه لاشيء يمكن أن يكون .

«كلوديل» .

بشلم عزوز بن شعبان

قسنطينة ـ الجزائر

أصحاب وتواريخ الكشوف والاختراعات الطبيّة

ـ فردريك ويلهيلم شتونر ، تسكين الآلام بالمورفين مع ضبط جرعته عام ١٨٠٣ .
ـ وليم مورتن ، التخدير الذي يعطل الإحساس بالألم عام ١٨٤٦ .
ـ هرمان هلمهولتز ، المرآة التي تثبت على رأس الطبيب لفحص قاع العين عام ١٨٥١ .
ـ تشارلس برافار إبرة الحقن لإدخال الدواء إلى تيار الدم عام ١٨٥٣ .
ـ مانويل جارسيا ، منظار الحنجرة عام ١٨٥٤ .
ـ هنري لاينك ، السماعة الطبية عام ١٨٦١ .
ـ فون لوفنهوك ، الميكرسكوب لرؤية الجراثيم عام ١٨٦٣ .
ـ لويس باستير ، نظرية الجراثيم عام ١٨٦٤ .
ـ جوزيف ليستر ، التعقيم لقتل الجراثيم عام ١٨٦٥ .
ـ وليم هانتز ، الكمامة الطبية المعقمة عام ١٨٩١ .
ـ وليم إنتهوفن ، جهاز رسم القلب وتخطيطه عام ١٩٠٣ .
ـ فيليب درينكر ، أول رئة صناعية عام ١٩٢٨ .
ـ شيفاليير جاكسون ، منظار الشعب الهوائية عام ١٩٥٨ .

ياسر سعد ابراهيم حجاج

الاسماعيلية ـ مصر

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

• في مدينة معرة النعمان الصغيرة الواقعة على الطريق بين حماة وحلب في بلاد الشام ، ولد أبوالعلاء المعري الذي اتخذ لقبه نسبة إلى تلك المدينة . ولمابلغ الرابعة من عمره ، أصيب بمرض الجدري ، وكان من نتيجة هذا المرض فقدانه نعمة الإبصار . وقد تولّى أبوه تعليمه قواعد النحو واللغة فنبغ فيهما . ونشأ من صغره شاعراً مطبوعاً حيث بدأ في قرض الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره . وله آراء فلسفية جريئة . وفي إحدى قصائده يقول :

أفيقوا أفيقوا ياغواة فإنما ... دياناتكم مكرٌ من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام « المقصود » ... وبادوا فماتت سنة اللؤماء

المقصود « أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من سبعة حروف :

١ ، ٢ ، ٤ حيوان صغير قارض ينقل مرض الطاعون
٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥ بمعنى بَيّتك
٥ ، ١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ عكس آمنوا

جواز سفر

• هذه بيانات جواز سفر شخصية يونانية شهيرة في التاريخ .. حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة في جواز سفره .. والتي تلقي ضوءاً على جوانب حياته :

سنة الميلاد : ٤٧٠ قبل الميلاد .
مكان الميلاد : أثينا .
مهنته الأساسية : الفلسفة .
منهجه : الحوار والمحاورات .
أشهر تلاميذه : أفلاطون .

وقد قدم للمحاكمة ... وحكم عليه بالاعدام ، ومات في السجن بعد أن تناول جرعة من شراب الشُّوكَران وهي أداة الإعدام في أثينا في تلك الأيام .

قدم تلميذه أفلاطون جزءاً من خطابه أمام المحكمة .

أهم كلمات ذلك الفيلسوف العظيم « أن الآثام كلها وليدة الجهل ... وإن الناس لو عرفوا ماهو الحق لاتبعوه ... وإنه مامن أحد يرتكب الخطأ بمحض إرادته . »

يتكون اسم صاحب هذا الجواز من مقطع واحد من خمسة أحرف :

١ ، ٢ ، ٥ بمعنى وقع .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢٣

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة في قصيدة الشاعر أبو العباس بن مفرج هي ، سوابقنا

٢ ـ جواز سفر : اسم صاحب الجواز هو الشيخ الرئيس ـ ابن سينا

٣ ـ مسابقة مدن العالم : مدينة طرواده

٤ ـ اسم الشهرة : ابن بطوطه

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطري رمضان محمد حسين ـ مصر

فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطري ناصر عبدالله غرامة ـ اليمن الديمقراطية

فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطري بابكر محمد محمد صالح ـ السودان

مسابقة مدن العالم

هذه المدينة هي إحدى المدن الأسبانية التي مازالت تميزها البصمة العربية عن باقي المدن ، وهي تقع على نهر الوادي الكبير الصالح للملاحة على طول مساره من المدينة إلى البحر .

ولقد لعب هذا النهر دوراً هاماً في حياة هذه المدينة حيث أبحر منه أشهر بحارين في العالم ... أحدهما كريستوفر كولومبس الذي اكتشف النصف الثاني من العالم وهو الأمريكتين وماجلان الذي وصل إلى نفس الرحلة أيضاً .

ظل هذا الميناء يسيطر على تجارة العالم .. فأصبحت المدينة الرئيسية في جنوب أسبانيا وأصبحت إحدى المنارات السياسية والثقافية في العالم .

هذه المدينة تمتاز بالمرح والدفء والبهجة ... وخرجت منها رقصة الفلامينكو الشهيرة .. وكانت هذه المدينة مكاناً لاستقرار إنسان ما قبل التاريخ ثم جاءها الرومان ثم العرب .. وفي عام ١٢٤٨ استولى عليها المسيحيون الأسبان .. وقد اشتهرت بأنها مدينة الزهور حيث تمتلئ بها شوارعها الضيقة وتغطي نوافذها الصغيرة ... في ساحات منازلها العربية الطراز ترى أشجار البرتقال والليمون والنافورة العربية التقليدية .. إن اسم المدينة التي تشتهر بالفن والفنانين يتكون من مقطع واحد وسبعة أحرف :

٢ ، ٣ ، ٥ الأسد الصغير
٢ ، ١ ، ٣ أصبح شعره أبيضاً
٥ ، ٣ بمعنى عقل
٢ ، ٧ ، ٤ سائغ الطعم

مدينتنا الجميلة الرائعة ... هل عرفتها ؟

مَنْ كاتب هذا الإهداء ؟

« إلى كل من يؤمن بأنه سيأتي يوم يتحاب فيه الناس جميعاً ... ويصبح كل فرد معاونا لأخيه الإنسان دون انتظار لنفعة أو فائدة ... ويستمع إلى مايقوله صديق وكأنه يستمع إلى أعذب الألحان ... ويكون الناس جميعاً على ظهر الأرض أحراراً سعداء ... سمحة قلوبهم لايشوبها غلٌ أوحسد »

هذا المؤلف من كبار كتاب الغرب .. وكان من المعروف عنه أنه يرى الجمال كامناً في كل شئ حتى في القبح .. ويؤكد أن الخير أكثر أصالة من الشر ... وكان دائماً يقدم في قصصه شخصيات خيِّرة فاضلة .

اسم هذا الكاتب مكون من مقطعين مجموع حروفهما عشرة حروف :

٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ بمعنى يُسرعُ الخُطَى
٦ ، ٧ ، ٨ بمعنى مَيْلٌ عن القصد
١ ، ٣ ، ٢ طيبٌ فارسي مُعرَّب ، وكانت العرب تسميه « المشموم »
٣ ، ٥ ، ٩ صَيدٌ من البحر .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٣

الصورة الأولى ـ مسجد سيدي أبوالعباس المرسي .هذا بالاضافة إلى منارة الأسكندرية التي كانت إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة .

الفائز الأول : أحمد علي مصطفى سهيلي ـ السعودية

الفائز الثاني : خالد محمد علي البنهاوي ـ مصر

الصورة الثانية ـ وليم هارڤي هو مكتشف الدورة الدموية حديثاً

الفائز الأول : نور علي أحمد ـ ليبيا

الفائز الثاني : سعيد سالم حارب العلوي ـ سلطنة عمان

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ قسم السيد ابراهيم علي ـ السعودية
٢ ـ الرضوع ابراهيم .... المغرب
٣ ـ نبيل عبدالفتاح زايد .... ليبيا
٤ ـ ياسر ابراهيم .... الأردن
٥ ـ محمد مسرعي عبدالله ..... سورية
٦ ـ عدنان أحمد أبوابراهيم ..... العراق
٧ ـ سهام سند راشد .... البحرين
٨ ـ محمود نوار .... الجزائر
٩ ـ إعتدال جميل مراد .... قطر
١٠ ـ علي النصيري .... تونس

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢٣

١ ـ أصل وصورة : الشعر ـ الحاجبان ـ الفم ـ الخد ـ العين ـ الرقبة ـ الذقن .
٢ ـ لأقوياء الملاحظة فقط : ثعبان ـ ساعة ـ دبوس ـ أسد ـ وردة ـ فنجان شاي .

٣ ـ لعبة الظلال : رقم ٢
٤ ـ دوري الكاريكاتير : رقم ٣
٥ ـ لوحة لم تتم : الأديب العربي نجيب محفوظ

٦ ـ المثل يقول : ياروح مابعدك روح ، المكتوب على الجبين لازم تشوفو العين ،تعددت الأسباب والموت واحد
٧ ـ ست الحبايب ياحبيبة ـ ياأمي

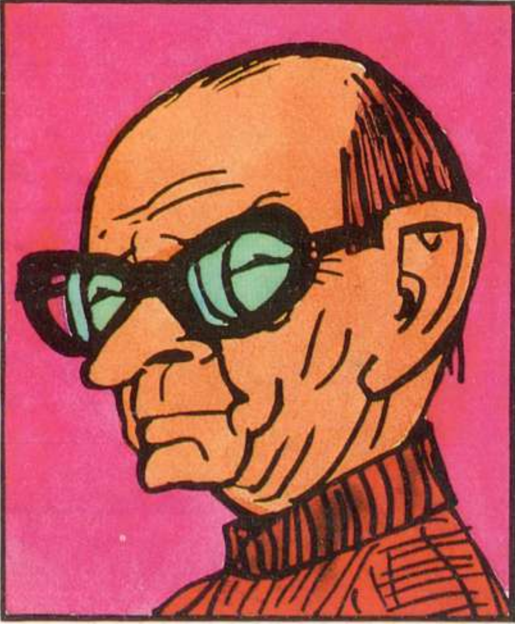
أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١٢٣

١ ـ ندى محمد محمد أحمد ـ السودان
٢ ـ محمد هيثم العلاف ـ سوريه
٣ ـ شريف محمد حجاج ـ مصر
٤ ـ شيخة سعد السليطي ـ قطر
٥ ـ دخيل الله مبارك القذاف ـ السعودية
٦ ـ محمد علي محمد التائب ـ ليبيا
٧ ـ أمل أحمد الحمد ـ قطر
٨ ـ ابراهيم محمد باهديلة ـ اليمن الديمقراطية
٩ ـ عبدالله محمد صالح الشايقي ـ السودان
١٠ ـ عادل عبدالفتاح فرحان ـ مصر
١١ ـ عبدالفتاح محمود أحمد ـ مصر
١٢ ـ وفاء محمود قشطة ـ الامارات العربية المتحدة
١٣ ـ محمد يوسف محمد سعيد ـ السودان
١٤ ـ علي محمد عبدالرحمن ـ الجمهورية العربية اليمنية

استراحة الدوحة

أصل وصورة





• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري لمؤسس المسرح الكويتي والعربي زكي طليمات سبعة اختلافات طفيفة .. حاول التعرف عليها .. لتحصل على جائزة.

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة .. تعرف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة.

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التي لم تتم لفنانة راحلة . حاول إكمالها والتعرف على شخصية هذه الفنانة ، لتحصل على جائزة.

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رؤوف

لعبة الظلال



• حاول ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ، فى انتظارك جائزة .

هات أجمل تعليق



• هل يمكنك أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ أرسله الينا لتفوز بجائزة .

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى ، إن عرفته ، اكتبه لنا ، فى انتظارك جائزة .

يخلق من الشبه أربعين















• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الشيخ عبد العزيز البشري ، من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها .. ؟

صوت

بقلم: مريم آل سعد

ويبقى الإبداع..!

تختلف معايير الابداع بين جيل وآخر وتتطور أدوات التعبير بين مرحلة وأخرى.. وتولد لغة مستحدثة لكل عصر جديد لتصبح هي السائدة وهي المقبولة وهي المحتضنة لقمة الابداع والتطور.. ولا يمكن أن تفتقر الساحة الثقافية والاقتصادية والفكرية ولا أن يصيبها القحط والجفاف لأن المد الانساني زاخر بتركيبته العظيمة الغامضة التي وإن اختلفت نسبها إلا أن الابداع دائماً يتألق برمز جديد وبإيحاء مختلف.. فالأدب المكتوب في عصر المنفلوطي وطه حسين وعباس العقاد تختلف فواصله وصياغته ورموزه عما قدمه بعد ذلك يوسف ادريس وغادة السمان والطيب صالح.. والشعر الذي اعترف بأحمد شوقي أميراً له تختلف بحوره وتفعيلاته وشموسه لدى محمود درويش ومحمد الفيتوري وأدونيس.. كذلك النفوس التي كانت تهتز طرباً لعبده الحامولي كانت تنظر بريبة وشك إلى الموسيقار محمد عبدالوهاب وإلى السيدة أم كلثوم باعتبارهما دخلاء صغاراً على الأصالة السائدة في ذلك العصر.. وهكذا تتباين وقد تتضاد الصور والأبنية والأوعية التي يضمها نتاج كل عصر ولكن تبقى كل منها هي المؤثرة في أوانها ذات الدلائل والاسقاطات والموحيات التي تحتاجها كل مرحلة في دفعها الحضاري.

فما كان يستقبل بخوف وحذر وشك ورفض في بداية ظهوره. ويعامل كدخيل يحارب الأصالة الموجودة يصبح على مر الأيام هو (الجذور الرابضة في الأرض) في وجه القادم الذي سيأتي في مرحلة أخرى وقد ارتدى رداء عصره وقد استفاد من تجارب وتراث وفكر من سبقوه.. ولا يغيب عن الأذهان أنه بالرغم من الفراغ الذي سيخلفه غياب قمم في الأدب أوالموسيقى أوالفكر أوالفلسفة.. الخ إلا إن أمواجاً قادمة سترفد الشاطئ بمبدعين ومجتهدين ومفكرين جدد لهم أدواتهم وحرفيتهم وإضافاتهم التي ستحمل عبق تراث مختلف لا يخلو من فنية وجدة وإبداع.. سوف يكون له عشاقه ومتذوقوه من أجيال أخرى قادمة ستأتي وسيولد معها تقليد متطور يواكب كل جوانب الحياة.

فالمتابع للمؤلفات الجديدة المتوالية الصدور والطبع يفاجأ بظهور ارهاصات واعدة لأصوات موهوبة لا يتوقع أبداً بروزها كأنها خرجت فجأة من رحم الغيب ويراها تتصدر بتمكن قائمة مبدعي المستقبل في كل مجالات أدب وفن وفكر الحياة بأشكاله المتنوعة.. إنها تخرج إلينا في فترة ما كأنها قدر منتظر حدوثه أو كأنها حدث جاء في غير زمانه لتخلق هذه المفارقة جيلاً من المبدعين يعزفون حداء عصرهم ويصنعون علامته الواضحة.

إن المواهب الحقيقية تتشكل في هدوء ظاهري وتنصهر بين ثنايا بركان داخلي جارف يموج بالانفعالات الصاخبة الشرسة المتصارعة داخل محارته الذاتية ذات المغارات العتيقة والمفاوز القديمة لتنهمر بعد ذلك شهداً من الابداع يتخطى الذات وينتشر كإبداع حر ملك للمجموع له تاريخه الإنساني المميز وخصوصيته وتجربته وأسلوبه.

إن الابداع موجة طليقة لا تستشير أحداً عند مدها وجزرها ولا تنتظر رهان أحد على تميزها أو صدقها ولا يهمها بأن يترك أي كان بصماته عليها أويهملها.. إنها هكذا تتبلور وتنحت لها أسلوبها ومنهجها الخاص ثم تنضج ثم تتابع مهمتها الحضارية ودورها المؤثر وجريانها المتدفق حسب رؤيتها لتطوير واقعها في ظل تداعي الحواجز بين الأمم والحضارات وتحت وطأة حدة الصراع بين النظريات والمصالح والمعتقدات.

إن الحياة البشرية تتطور وتتحرك وتتوسع بنقلات تاريخية لا تحتمل التأجيل بل تفرض تحولاتها الاقتصادية والاجتماعية بقوى كونية تحدث التغيير وتلزمه. والمستقبل دائماً واعد يحبل بالمواهب وإن اختلفت أوعيتها وتغيرت أشكالها وأساليبها ولكن ابداعها يبقى كما هو لا يتغير.. وإضافتها للتاريخ الانساني وإسهاماتها في التنمية الحضارية للشعوب تبقى شاهداً على أن العقل البشري لا يعرف التحجر والجمود.



لقطات من الخليج

جامعة الإمارات

جامعة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة .. وهي واحدة من الجامعات البارزة فِي دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية التي فتحت أبوابها مع العام الدراسي في عام ١٩٧٧ ، وتخرجت الدفعة الأولى منها في عام (٨١/٨٠) .. وقد أصبحت اليوم دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية تضم مجموعة من المؤسسات العلمية الهامة مثل جامعة الخليج بالبحرين والجامعات الست في المملكة العربية السعودية وجامعة الكويت بالكويت وجامعة قطر بدولة قطر .. والمعروف أن دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ظلت تتوسع في إرسال البعثات الدراسية للخارج ، مستهدفة تحقيق الاكتفاء الذاتي في التعليم الجامعي ، إلى أن أنشئت تلك الجامعات وفتحت أبوابها لأبنائها .



بيت شعبي

للفنان الكويتي: سعود الفرج

العدد ١٢٦ - رمضان ١٤٠٦هـ - يونيو/ حزيران ١٩٨٦م



الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

رائد الفضاء كيف يأكل وكيف ينام في سفينته؟
المهندس سعد شعبان

مَجْد المرأة وكرامتها في الإسلام
محمد عبد الرحمن الجديلي

المال والشهرة والمعرفة
د. عبد السلام العجيلي

مؤامرة صهيونية على حائط البُراق
د. السيد فهمي الشناوي

العبقرية العربية
في سفن الخليج التقليدية

لوحة وفنان



تحيّة الصحراء

عندما كان يلتقي المسافرون العرب في القرن التاسع عشر أثناء رحلاتهم ، كانوا لا يكتفون بالمصافحة ، ولكن يهتمون أكثر بالتعرف على أهم الأخبار والأحداث ، ولهذا فقد كان هؤلاء المسافرون – من وجهة نظر النقاد الفنيين اليوم – يمثلون وكالة أنباء متنقلة !

وفي هذه اللوحة سجل الفنان الإنجليزي « جون فردريك لويس » عادة الترحيب في الصحراء بالألوان المائية أثناء رحلته إلى الشرق في عام ١٨٤٠ وهي التي عاش خلالها حياته متأثراً بالنمط العربي في مرسمه الخاص الذي أنجز فيه مجموعة من اللوحات ذات الأسلوب الفني الذي لا يضاهى في الرسم بالألوان المائية ..والغريب أن هذا الفنان باع أول لوحاته في سن مبكرة عندما كان عمره أربعة عشر عاماً ، وظل في مشواره الفني حتى ودع الحياة في عام ١٨٧٦ ، بعد أن أصبح رئيساً للجمعية القديمة للألوان المائية وعضواً في الأكاديمية الملكية للفنون .

العدد ١٢٦ - رمضان ١٤٠٦هـ - يونيو/حزيران ١٩٨٦م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقّاش

المراسلات

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة قطر - العنوان البرقي :
مجلة الدوحة - الدوحة تيلكس : - 4521 Magdo Dh-
تليفونات :

رئيس التحرير	٤٢١٢٢١
التحرير	٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري	٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري	٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا - دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا - باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها - في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا للدوائر الحكومية والشركات : داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا في باقي دول العالم ١٧٦ ريالاً قطرياً .

DOHA MAGAZINE P . O . BOX 2324 – DOHA Telex : 4521 Magdo Dh

مكاتب توزيع الدوحة

● قطر : دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة .

● السودان : دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● مصر : مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء القاهرة .

● سوريا : المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ دمشق .

● العراق : الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● ليبيا : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .

● الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● البحرين : مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● السعودية : الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة .

● الكويت : شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ الصفاة - الكويت .

● لبنان : الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ بيروت .

● الجمهورية العربية اليمنية : الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية : مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى - عدن

● الامارات العربية المتحدة : مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد ابوظبي ص . ب ٧٩١

● سلطنة عُمان : وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - عُمان

● تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ الدار البيضاء .
Maroc :
Sochepress
B . P . No 683

● الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
E. M. A. N.P.
20 Rue De Liberte
Alger

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الاسعار

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عُمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
الجمهورية اليمنية	٤ ريالات
اليمن الديموقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليماً
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العــــدد


المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السعودية
(ص ٦٨)


عباس خضر : كلمات لها تاريخ
(ص ٦٦)


صقر الخليج يحكى اسرار رحلته المثيرة حول العالم (ص ٤٤)


صورة الغلاف الاول من تصوير الفنان : عبد الرحمن عبيدان

دراسات ومقالات

شؤون الخليج

أدب وفنون

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الاعلام أو رأي المجلة

أبــواب

المديرالفني: سلمان المالكي

كلمة

واحد من العظـماء

فقدت مجلة الدوحة ، بل فقد العالم العربي كله في الشهر الماضي واحداً من كبار كتابه وعلمائه وأدبائه هو الدكتور عبدالمحسن صالح الذي مات فجأة في بيته بالاسكندرية على أثر نوبة قلبية لم تمهله سوى لحظات قليلة فارق بعدها الحياة ، وعبدالمحسن صالح الذي لم يتجاوز الخامسة والخمسين من عمره ، ظل يعمل خلال أكثر من ثلاثين عاماً كأستاذ لامع في جامعة الأسكندرية وخلال هذه الفترة كلها لم يتوقف عن الكتابة العلمية في كل المجلات العربية الكبرى ، ولم يتوقف عن تأليف الكتب في شتى مجالات المعرفة العلمية ، وكان عبدالمحسن صالح يتمتع بصفات ومواهب دفعت به سريعاً إلى الصف الأول من كتاب العالم العربي ، بل لقد سعت إليه كبريات المجلات في العالم ، فكان يكتب لها وكانت ترحب بانتاجه وتضعه في الصدارة والمقدمة . وكان من حظ مجلة الدوحة أن ارتبط بها عبدالمحسن صالح منذ يناير ١٩٨١ حتى الآن ، بل لقد رحل الكاتب عن دنيانا وله في مجلة الدوحة أكثر من مقال ، تنشره الدوحة في هذا الشهر والشهر الذي يليه ، وكان عبدالمحسن صالح يقدم إلى جانب مقاله المتميز في الدوحة باباً شهرياً رائعاً هو لقطات من الكون المثير ، جعل منه دائرة معارف شعبية علمية من الدرجة الأولى .

لقد تميز عبدالمحسن صالح بالجدية العالية ، فكان يعمل نهاراً وليلاً ولا يتوقف أبداً عن العمل ، وكان يعتكف في بيته ، ويقطع صلته بالحياة العامة معظم وقته ، ولم يكن يشغله عن هذا العمل إلا عمل آخر هو محاضراته لطلبته في جامعة الاسكندرية ، ولم يتزوج ، ولم يرتبط بأي رباط عائلي يمكن أن يكون حائلاً بينه وبين العمل والانتاج ، وكان في حياته الخاصه مثالاً للطهارة والاستقامة والنظام والدقة ، ولا شك أن المجهود الكبير الذي تعود عبدالمحسن صالح على أن يبذله في كتابته وحياته العلمية ، كان مصدر سمعته الرفيعة ، وكان ايضاً هو مرضه القاتل . لقد مات هذا الرجل العظيم وهو يعمل ، ومات من كثرة ما تحمل جسده من الجهد الدائب المستمر الذي لا يتوقف ، وقد ارتفعت قيمة عبدالمحسن صالح لا بسبب علمه الغزير وثقافته الرفيعة فقط ، بل بسبب موهبته الأدبية العالية ، فقد كان واحداً من أندر كتابنا العرب في قدرته على التعبير الجميل ، حيث كان يكتب العلم بأسلوب بالغ الجاذبية والعذوبة ، حتى أصبح العلم في كتاباته مثل الشعر والموسيقى فناً من الفنون الرفيعة ، وهو في ذلك وريث لذلك الجيل الكبير من الأدباء العلماء وعلى رأسهم أحمد زكي ، بل إن عبدالمحسن كان هو نفسه أحمد زكي في صورة عصرية مشرقة وكان عبدالمحسن صالح فوق ذلك كله على خلق رفيع ، وكان مضرب الأمثال في الأمانة والصدق والوفاء ودقة المواعيد . كانت مقالاته تصل إلى الدوحة في انتظام مثير للعجب . لم تتأخر عن موعدها يوماً أو ساعة . كان في دقته يشبه ظواهر الطبيعة التي لا تخلف مواعيدها أبداً على الحياة والناس .

لن نقرأ كثيراً عن عبدالمحسن صالح ، فقد كان الرجل متفرغاً لعلمه وأدبه ، ولم يكن من أصحاب العلاقات العامة الذين تحيط بهم ضجة في الحياة والممات . ولقد كان عبدالمحسن صالح يستحق الكثير من الاهتمام والعناية والرعاية ، لو أن مجتمعاتنا العربية عرفت لأمثاله من العباقرة الأطهار حقهم المشروع . ولكن عبدالمحسن صالح مع ذلك لن يضيع ، فحق الكبار من أمثاله محفوظ على مدى الأيام والأزمان . قد يتأخر انصافه ومعرفة قدره وحقه جيلاً أو عدة أجيال ، ولكن لابد أن يأتي اليوم الذي يشرق الصباح فيه على اسم عبدالمحسن صالح وهو مكتوب في أنصع صفحات العلم والمعرفة والأدب والثقافة والأخلاق . رحم الله عبدالمحسن صالح وجزاه خير الجزاء على ما قدمت عبقريته لأمته التي لم تعرف حقه الكامل في حياته أو مماته .

« الدوحة »

فصــل من الفصــول "الدامـيـــة" في تـــاريخنــا العـــربي

مؤامـــرة صهيونيـــة على حـــائط البُــراق

حائط البراق ـ حائط المبكى عند اليهود ـ يمثل فصلاً دامياً من التاريخ ، وفي العلاقات الإنسانية ، وهذا الفصل الدامى يجب أن يكون معروفا ومستقرا في ذهن كل طفل عربي .

إنه قضية تمثل التساهل العربي الذي يقابل بالسلب والغصب والقضم خطوة خطوة على جثة الحقيقة والإنسانية والإخاء البشري .

بقـــلم
الدكتور السيد فهمي الشناوي

كانت مدينة القدس الشريف بعد الفتح الاسلامي موئلاً لقراء وحفاظ القرآن ورواة الحديث ونقطة التقاء حجاج بيت الله الحرام ، وموطناً للتقوى والعبادة والتسبيح ، فكان هذا حافزاً للولاة والأعيان أن يخصصوا أوقافاً للصرف على هؤلاء القراء والحفاظ والعُبَّاد . وكان ممن استفاد من هذه الأوقاف طائفة من المغاربة أقاموا على الجانب الغربي من الحرم الشريف . فأوقف لهم الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي (اسمه صلاح الدين يوسف أيوب شاد) وقفاً عرف بوقف أوحي أوحارة المغاربة على الجانب الغربي من المسجد الشريف تتوسطها مدرسة الملك الأفضل .

ونص الوقفية أعيد تقييده مرتين : عامي ٦٦٦ هجرية ثم ١٠٠٤ هجرية أي ١٢٦٧ م ثم ١٥٩٥ م . وتوجد صورة من الوقفية محفوظة في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن .

وتحدد الوقفية الحدود الآتية : الحد القبلي سور مدينة القدس . الحد الشرقي هو حائط الحرم الشريف . (هام جداً) الحد الشمالي قنطرة أم البنات الحد الغربي دار الامام قاضي القدس ، ثم دار الأمير عمار بن موسكي ، ثم دار الأمير حسام الدين قايماز . هذه الدور الثلاث أصبحت مجتمعة تعرف بحي الشرف أو حي الأشراف .

هذه المساحة بهذه الحدود هي حي المغاربة بالقدس . وحددت الوقفية بأن تخصص مساكن هذه الحارة للمغاربة ، وأن يكون ناظر الوقف مغربياً .

وفيما بعد وعندما تحسن حال بعض المغاربة مادياً كانوا هم أيضاً يوقفون وقفيات للصرف على المغاربة أو ينشئون زوايا للعبادة ، أشهرها زاوية أبي مدين وإيراد قرية عين كارم من قرى القدس .

وكان المغاربة الوافدون الجدد يفضلون على القدامى لمدة عامين ، الى أن تستقر بهم الأحوال ، وكان كل مغربي يتمتع بسكنى مجانية في هذا الوقف ، ورغيفين من الخبز يومياً ، واطعامية من اللحوم كاملة في العيدين وكسوة كاملة كل عام .

وفيما بعد أطلق اسم أبي مدين على كل الوقفية التي أوقفها الملك الأفضل بن صلاح الدين بنفس الحدود التي أوردناها وأهمها أن الجدار الغربي للمسجد يشكل الحد الشرقي للوقف ، وهذا الحد والنص عليه واضح وقاطع وحاسم في كل الوقفيات المذكورة ، ومنها المودعة في مدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن (أودعت في عهد الانتداب حتى تكون شاهد عدل على الحق العربي) .

الاغتصاب والاستلاب

مدينة القدس الشريف هي نفسها مدينة « ايلياء » في العصر الروماني المسيحي السابق للفتح الاسلامي . ومدينة ايلياء هي نفسها مدينة أورشليم اليهودية .

وقد أقيم هيكل اليهود على الساحة التي أصبحت بعد الفتح الاسلامي ساحة الحرم الشريف وعليها المسجد الأقصى وقبة الصخرة . جاء الرومان فهدموا أورشليم اليهودية تماماً ، وأقاموا مستعمرة إيليا ، وترك مكان الساحة قاعا صفصفاً عملاً بنبوءة السيد المسيح ! ومنع الرومان أي يهودي من الاقتراب من مكان الهيكل أو حتى من المدينة كلها . وصار هذا تقليداً نافذاً وشبه مقدس ، حتى جاء الفتح الاسلامي فاشترط نصارى ايليا على عمر بن الخطاب عندما جاء على بغلته من المدينة لاستلام مفاتيحها ...اشترطوا منع اليهود من دخول هذه المدينة . وجعلوا ذلك نصاً في عهد الأمان الذي أعطاه عمر لأهل المدينة !

فيما بعد تساهل العرب المسلمون ، وسمحوا لأعداد قليلة من اليهود بالدخول أو بالتسرب ، ولكنها كانت أعدادا قليلة . وظل النصارى على كرههم لليهود لدرجة أنه أثناء

الحروب الصليبية عندما دخل النصارى الأوروبيون القدس حشروا اليهود ــ عددهم كان قليلا ــ في الكنيس وحرقوه على رؤوسهم !

وقد خلص صلاح الدين المدينة من أيدي الصليبيين ، وعاد وسمح لأفراد من اليهود بالدخول . ثم في عهد سلاطين المماليك وبني عثمان سمحوا لليهود المطرودين والمعذبين في أسبانيا بالدخول . وأقام اليهود الأسبان في حي بين حي الأرمن وحي الشرف أو الأشراف التي حددنا منازله الثلاثة (القاضي الشرعي + بن موسكي + قايماز) .

وبعد يهود أسبانيا جاء يهود أوربا الشرقية في القرن ١٩

ومنذ القرن ١٩ بدأ اليهود يتحركون .

ذهبوا الى حي المغاربة الذي أوقفه الملك الأفضل بن صلاح الدين . وقفوا أمام الحد الشرقي للحي أو للحارة ، وهذا الحد هو الجدار الغربي للمسجد . اختاروا خمسة مداميك (حجارة) من أسفل الجدار وزعموا أنها من حجارة الهيكل ، وبقية جدار الهيكل .

وكل الذي أظهروه .. هو الضعف .. مجرد البكاء أمام هذه الأحجار الخمسة .

ثم تكرر الحضور والوقوف أمام هذه المداميك الخمسة ، حتى أصبح حضوراً دائماً ليلاً ونهاراً . وأصبح هناك رصيف يقفون عليه عرضه ٤ أمتار وطوله ٣٠ متراً . أي كل المساحة ١٢٠ متراً لاأكثر .

وفى ١٨٤٠ انتهزوا فرصة ثورة محمد علي ضد السلطان محمود ، وكان محمد علي هو المسيطر على الشام بما فيها فلسطين والقدس . وتقدم يهودي يتمتع بالحماية البريطانية أي يحمل الجنسية البريطانية وعن طريق القنصل البريطاني ذاته ، بطلب السماح له بتبليط الرصيف أو الزقاق كله . إذن الطالب لم يكن عثمانياً والطلب لم يقدم عن طريق رئيس الحاخاميين اليهود المعترف بهم رسمياً . إنما كان الطلب تدخلاً بريطانياً من الدولة العظمى !

عرض هذا الطلب على المجلس الاستشاري (مجلس شورى محلي أنشأه محمد علي كبرلان) فسمع شهادة ناظر الوقف وغيره ، ورفض الطلب . وأرسلت أوراق القضية الى محمد علي . فأرسلها الى إبنه ابراهيم باشا في الشام لتنفيذ الرفض ، فأرسلها الى والي الشام ثم محافظ القدس .

والقرار يحمل تاريخ ١٨٥٦/١/١١ وتوقيع رئيس المجلس الاستشارى محمد شريف .

والمهم هو حيثيات الرفض ، حيث يتبين وجود وعي شعبي كاف (النص في كتاب أسد رستم تاريخ سوريا تحت محمد علي) تقول الحيثيات : المحل المطلوب تبليطه ملاصق للحرم الشريف ، وهو الطريق الى محل ربط البراق وكلها داخل وقفية أبومدين . وغير جائز شرعاً تغيير في نص الوقفية . وغير جائز تصديق أن اليهود يعمرون وقفية اسلامية . بل إن القرار الشعبي حذر من اليهود ورفع أصواتهم بالمقالات ، بعد أن كان المسموح لهم هو الزيارة فقط ، فتدرجعوا الى البكاء ثم الى رفع الأصوات « بالمقالات » .

من خطوة البكاء جاءت خطوة الصياح « بالمقالات » ، ثم جاءت خطوة تبليط الرصيف . ولكن أهم من ذلك وأجرأ الخطوة الرابعة في عام ١٩١١ حيث حاول اليهود حاولوا احضار كراس على الرصيف حتى يجلسوا عليها أثناء البكاء ، وأثناء الصياح « بالمقالات » وحاولوا إقامة ستار بين كراسي الرجال وكراسي النساء ! وتكرر احضار الكراسي عدة أيام .

هنا رفع ناظر وقف المغاربة شكوى الى المتصرف يقول فيها إن هذا الرصيف هو وقف المغاربة وأنه يؤدي الى موقف البراق في رحلة الاسراء والمعراج ، وإنه زقاق غير نافذ حيث أن نهايته هي مربط البراق . وطالب المتصرف بايقاف جلب الكراسي وإلا سيدَّعي اليهود ملكية في الرصيف ومربط البراق ! : فأبطل المتصرف هذه البدعة .

وهكذا ظل الوضع حتى انتهى العهد العثماني بوثيقتين ، عام ١٨٤٠ وعام ١٩١١ ، وكل منهما تنص على أن الرصيف والزقاق الأعمى وقف اسلامي خالص ، وأنه مسرى الرسول في رحلة الاسراء والمعراج ، وأن ما أسماه اليهود حارة المبكى وحائط المبكى هو حارة البراق وحائط البراق وأن التساهل والكرم العربي لايعنيان التفريط .

ثم جاء وعد بلفور

وكان اليهود حتى ذلك التاريخ ينقسمون الى صهاينة يؤمنون بإقامة وطن لهم ، ولو بالقوة ، وغير صهاينة يؤمنون بأن إحياء اسرائيل يتوقف على ارادة الله لاعلى جهد الصهاينة . ومن هنا فلا أعرف أيهما أكثر تطرفاً !

المهم أنه بمجرد صدور وعد بلفور أغروا الشعب اليهودي بأنهم سيمتلكون حائط البراق .

وبدأوا بتسميته حائط المبكى وجارتهم في التسمية كافة وسائل الاعلام حتى العربية منها ، بل إن حاييم وايزمان رئيس اللجنة الصهيونية ذهب بعد خمسة أشهر فقط من وعد بلفور الى فلسطين ، ومن هناك كتب الى وزير خارجية بريطانيا يطلب تسليم الحائط لليهود وإجلاء المغاربة نظير تعويض مالي ! كتب طلبه من فلسطين لا من خارجها وفي نفس الوقت كتب طلباً الى المفتي عن طريق الحاكم العسكري البريطاني يطلب شراء أرض الوقف المغربي هذا . وفي نفس الوقت أرسل يهودياً مغربياً الى ناظر الوقف المغربي يحاول اغراءه بالمال .

وكان رد المفتي ورد ناظر الوقف بسيطاً ومنطقياً : الأرض وقف والوقف لايباع . ثم أضافا أن هذا الوقف بالذات له مكانة عند المسلمين تجعل هذا الطلب مستحيلاً .

■ تسلُّل إسرائيلي وتساهُل عربي وراء اغتصاب حائط البُراق

■ كيف تسلَّل اليهود إلى مدينة القدس ، ولماذا كان الضعف والبكاء والوقوف أمام الأحجار الخمسة ؟

■ بعد خطوة البكاء جاءت خطوة الصياح بالمقالات ، ثم جاءت عملية تبليط الرصيف !

■ تسمية "حائط المَبْكَى" بدأت بعد "وعد بلفور" وجارت اليهود في التسمية وسائل الإعلام العربية !

مؤامــرة صهيونيــة على حائط البُراق

وهاج الشعب العربي في فلسطين ، واحتج على لندن فأمرت لندن باغلاق الموضوع . ولكن اللجنة الصهيونية لم تيأس ، ولم تكتف بالتوقف عند المستوى السابق من الطلبات . طلبت من السلطات العسكرية البريطانية إعادة تسليم الرصيف والزقاق لأنهما ملك « جميع يهود العالم » !! ثم سيرت مظاهرة من الجيش السري الصهيوني على الرصيف ورفعت العلم الصهيوني عليه ، وأنشد المتظاهرون النشيد الصهيوني . وهتفوا « هذا الحائط ملكنا » . فاشتعلت الاضطرابات الدموية في أغسطس ١٩٢٩ .

وأرسلت بريطانيا لجنة ، ذهبت وكتبت تقريراً توصي فيه بإرسال لجنة أخرى غيرها تكون لها صفة دولية للفصل بين العرب واليهود . فأرسلت بريطانيا لجنة من عصبة الأمم برئاسة وزير خارجية السويد مع عضوين أحدهما هولندي والآخر سويسري . زارت اللجنة القدس ونشرت تقريرها في ديسمبر ١٩٣٠ ، وكانت هذه هي أهم قراراته :

١ ــ للمسلمين وحدهم حق ملكية الحائط الغربي لأنه جزء من الحرم الشريف ولأنه وقف اسلامي .

٢ ــ للمسلمين وحدهم حق ملكية الرصيف والزقاق الواقع بين هذا الحائط وحي المغاربة لأنه وقف إسلامي صحيح .

٣ ــ لليهود حق الوصول لأجل الصلاة إلى الحائط الغربي ولهم احضار الأدوات الضرورية للصلاة وحددها التقرير تفصيلاً ، ولكنه لايحق لهم احضار كراسٍ أو مقاعد أو حصر أو ستائر .

٤ ــ لايجوز اعتبار احضار أدوات الصلاة ووضعها بجوار الحائط حجة لليهود بادعاء ملكية في الحائط أو في الرصيف أو في الزقاق أو في حي المغاربة .

ووافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم وحكومة بريطانيا المنتدبة من عصبة الأمم على فلسطين ، على قرارات اللجنة هذه وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ هذه القرارت اعتباراً من اليوم الثامن من حزيران ١٩٣١ .

وهكذا ظل الحال إلى أن انتهى عهد الانتداب البريطاني . وسبق أن حددنا بوضوح انتهاء العهد العثماني بوثيقتي ١٨٤٠ و ١٩١١ ، وظل الحال حتى حرب يونيو ٦٧ !

الديناميت وإزالة الأثر العربي

في يوم الأربعاء الحزين ٧ يونيو ١٩٦٧ احتل جيش اسرائيل مدينة القدس القديمة وفيها الحرم الشريف وكنيسة القيامة .

وفي الأيام الأربعة التالية ذهب وزير الدفاع موشي ديان ومعه رئيس بلدية القسم اليهودي للقدس إلى حي المغاربة فأخرجا بالقوة كل من فيه من المغاربة (٦٥٠) من بيوتهم بعد انذار دام ساعتين فقط .

أخرجوهم يوم ٨ يونيو . هدموا جميع المباني يومي ٩ ، ١٠ يونيو ، ومنها مسجدان وزاويتان . هدمت جميعاً بالديناميت وليس بالبلدوزرات المعتادة وأزالوا كل أثر عربي ومحوا كل ما أقامه الملك الأفضل بن صلاح الدين ، قبل ٧٠٠ سنة ! ثم نقلوا في سيارات الجيش خلال يومي ١١ و ١٢ يونيو كل ركام الهدم والنسف .

لم يكن لهذا الهدم أي سبب حربي فقد انتهت المقاومة يوم ٧ يونيو رغم أن جنود الأردن حاربوا كالأسود من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت ، حتى آخر لحظة وذلك خارج سور المدينة أما داخل السور فقد تقرر عدم المحاربة احتراماً لما في المدينة من مقدسات وهو نفس مافعله الترك عام ١٩١٧ .

ولكن اليهود استمروا في التدمير داخل أسوار المدينة . وهذا هو نفس ما فعلوه عام ١٩٤٨ داخل أسوار المدينة أيضاً ، حتى أنهم حاربوا من داخل الكنيس ! وخالفوا القوانين الدولية التي تحرم هدم الأماكن التاريخية فضلاً عن الأماكن المقدسة و عن الأوقاف واغتصبوا أرض الوقف الإسلامي التي حاولوا شراءها لمدة نصف قرن من الزمان . ثم اتبعوا الاغتصاب بهدم كل ما على الأرض من مباني المغاربة . وأصبحت هناك مساحة واسعة من الجدار الغربي للحرم ، حتى باب المغاربة جنوباً وباب السلسلة شمالاً واستعملوا هذه الساحة للصلاة . ويضعون الآن مسرى رسول الله ﷺ تحت اشراف السلطات الدينية اليهودية .

وكل هذا لم يكف ! ضموا في ٢٧ يونيو كل المدينة مدينة القدس إلى اسرائيل . وألغوا البلدية العربية وأرهبوا السكان للخروج ، وسلبوا بيوتهم وأراضيهم وأعطيت لمهاجرين من اليهود . ورفضت اسرائيل باحتقار القانون الدولي والرأي العام العالمي وقرارين للأمم المتحدة و ٤ قرارات لمجلس الأمن ، وكل هذه القرارات أكدت عدم جواز اكتساب أرض الغير بالحرب ! وفي ١٨ ابريل ٦٨ نشرت الجريدة الرسمية الاسرائيلية أمراً باستملاك جميع الأراضي ومساحتها ٢٩ فداناً مابين الحائط الغربي للحرم الشريف شرقاً وحتى الأرمن غرباً . ونفذ هذا الأمر حالاً دون ابطاء ودون اعطاء انذار . ولو بمدة قصيرة . ونتج عن ذلك اخراج ستة آلاف عربي من بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم وأخرجوا خمسة آلاف عربي آخرين كان الجيش الاسرائيلي قد طردهم من قراهم وآواهم أهل القدس القديمة . أي أن هؤلاء اللاجئين المساكين طردوا بالقوة مرتين .

وفي سنة ١٩٦٩ صودرت دون استملاك قطعتان من الأرض ملاصقتان للحرم الشريف من جهة الغرب أي من جهة حائط البراق : كان على إحداهما مقر مفتي الشافعية وعائلة أبي السعود وهم خدام الحرم الشريف على مدى قرنين من الزمان . ثم هدمت بيوتهم وكان على الأخرى بناء المحكمة الشرعية الذي بناه الترك عام ١٣٢٨ م ثم كان في عهد الانجليز منزلا لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى .

والمهم هو أن اسرائيل حفرت تحت هذا البناء نفقاً يؤدي في زعمهم إلى قدس الأقداس في هيكلهم القديم . وهم يقيمون فيه أي في النفق حالياً صلاتهم ! وهذا هو النفق الذي يحفرونه بأمل هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل .

هذه مأساة حائط البراق ومسراه ومربطه

هذه قصة التساهل والكرم الذي يقابل ــ خطوة خطوة ــ بالقضم والافتراس .

هذا درس يجب أن يستقر بحذافيره في ضمير كل صبي عربي حي يعرف ماعليه من واجبات خطيرة تنتظره في الغد القريب .

السيد فهمي الشناوي

حـــاشية :

(١) نص وقفية الملك الأفضل بن صلاح الدين محفوظة في مكتبة كلية سانت انتوني بجامعة اكسفورد ومدرسة الدراسات الشرقية بجامعة لندن وسجل المحكمة الشرعية بالقدس (ص ٥٨٨ سجل ٧٧)

(٢) طلب وايزمان إلى الجنرال السير لويس بولز بتسليم الحائط الغربي محفوظ في دار الوثائق البريطانية بلندن .

(٣) إعترف مؤلف يهودي اسمه عوزي بنزعان في كتابه القدس بلا أسوار طبعة ١٩٧٤ بكل هذه الوثائق وأوردها في كتابه .

● مشاكل عاجلة يجب ألا تغيب عن الأذهان ●

التعاون العلمي والتكنولوجي بين دول الخليج العربية

بقلم: الدكتور يحيى رجب

تعمل الدول النامية على تكوين قاعدة تكنولوجية وطنية ، ويرجع ذلك إلى المركز المرموق الذى يحتله العلم والتكنولوجيا فى العصر الحديث ، إلا أن احصائيات الأمم المتحدة ، تدل على أن الدول النامية لا تخصص في سبيل الأبحاث والتطوير سوى معدل ٠,٢٪ من ناتجها القومى القائم مقابل ١ ــ ٣٪ من الناتج القومى للدول الصناعية المتقدمة .

وقد انتشر استخدام مصطلح التكنولوجيا فى المنطقة العربية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ التى أظهرت مدى تخلف الدول العربية عن اسرائيل فى مجال العلم والتكنولوجيا . وقد استفادت دول الخليج العربية من ثمار العلم والتكنولوجيا فى مجال استيراد الآلات والعمليات الجاهزة ، ويرجع ذلك إلى أن معظم المشروعات التى تنفذ بالمنطقة تقوم على نمط الانجاز الكلى « تسليم المفتاح » ، إلا أن هذا الأسلوب يعزل الكفاءات العلمية الوطنية ، ويحد من مشاركة المهارات المحلية فى عملية اختيار التكنولوجيا المناسبة لاحتياجات دول المنطقة . ويكمن الأسلوب السليم فى تشجيع البحوث العلمية وبناء القوى الوطنية البشرية الفنية التى تستطيع أن تعى اختيار التكنولوجيا المناسبة للبيئة الخليجية وتطويعها لصالح المنطقة .

الاتفاقية الاقتصادية الخليجية والتعاون العلمى والتكنولوجي

نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة المبرمة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى وافق عليها المجلس الأعلى لمجلس التعاون فى دور انعقاده الثاني بالمملكة العربية السعودية فى نوفمبر ١٩٨١ على وضع ضوابط للتعاون الفنى بين الدول الأعضاء فى تشجيع البحوث العلمية ، وفى شروط نقل التكنولوجيا واختيار الأنسب منها فأشارت المادة ١٤ من الاتفاقية إلى أن « تتعاون الدول الأعضاء فى استنباط مجالات التعاون الفنى المشترك بهدف اكتساب قاعدة ذاتية أصيلة تقوم على دعم وتشجيع البحوث والعلوم التطبيقية والتكنولوجية ، وتعمل على تطويع التكنولوجيا المستوردة بما يتلاءم مع طبيعة حاجات المنطقة وأهداف التقدم والتنمية فيها » . كما تنص المادة ١٥ من الاتفاقية على أن « تعمل الدول الأعضاء على إعداد أنظمة وترتيبات وشروط نقل التكنولوجيا ، واختيار الأنسب منها أو تعديلها بما يلائم احتياجاتها المختلفة ، وتقوم الدول الأعضاء ــ كلما كان ذلك ممكنا ــ بابرام اتفاقات موحدة لتحقيق هذه الأغراض مع الحكومات أو المؤسسات العلمية أو التجارية الاجنبية » .

التعاون العلمي والتكنولوجي بين دول الخليج العربية

تصورات للسياسة العلمية والتكنولوجية

نعرض فيما يلى بعض التصورات للسياسة العلمية والتكنولوجية لدول الخليج العربية وفقا لما نصت عليه الاتفاقية الاقتصادية الموحدة :

أولا : البحوث العلمية

يجب أن تحدد أولويات البحث العلمى وفقا لأهداف التنمية الشاملة التى تسعى الى تحقيقها دول الخليج العربية على أن يشترك فى هذا العمل الادارة الحكومية .

وقد قامت بعض دول الخليج العربية بانشاء مراكز للعلم والتكنولوجيا : فى المملكة العربية السعودية يوجد مركز وطنى للعلم والتكنولوجيا من أهدافه وضع السياسات وتنمية الموارد والمرافق لأعمال البحث ، وارساء البنية الأساسية العلمية والتكنولوجية المناسبة ، كما يوجد مركز الأبحاث والتنمية الصناعية الذى يساعد القطاع الصناعى على تحديد المصادر الملائمة للتكنولوجيا ، ويجرى دراسات الجدوى ، ويقدم الخدمات الاستشارية حول تصميم التجهيزات ، وفى الكويت يساعد المركز الوطنى للمعلومات العلمية والتكنولوجية ومكتب البراءات على نشر المعلومات العلمية والتكنولوجية .

وجدير بالذكر أن المجتمع العربى غنى بالباحثين والعلميين ، وتساعد اللغة الواحدة والمصالح المشتركة والتراث الثقافى الواحد على تحقيق التقارب المشترك ، وسوف تستغرق المرحلة التعليمية وقتاً كافيا ، وفى البداية سوف يكون التطوير مقتبسا ، ولكنه سوف يتكيف تدريجيا ويتمشى مع الظروف البيئية للمنطقة .

ثانيا : نقل التكنولوجيا

تتلخص وسائل نقل التكنولوجيا فى الخبرة المحلية والأجنبية ، والمعدات والآلات وحقوق براءات الاختراع والوسائل الاعلامية المختصة فى مجال التكنولوجيا .

ويجب أن يراعى فى عملية نقل التكنولوجيا المستوردة تلبية الاحتياجات الاساسية لدول الخليج العربية طبقا للأهداف المحددة التى تسعى إلى تحقيقها ، وأن تكون التكنولوجيا المستوردة قابلة للاستيعاب حتى يسهل تطويعها بما يتناسب مع ظروف البيئة الخليجية .

ثالثا : التدريب على التكنولوجيا

ينبغى التخلى عن مصانع « تسليم المفتاح » ويستلزم ذلك أن يشترك أبناء المنطقة فى جميع مراحل أى من المشروعات ابتداء من مرحلة ما قبل دراسة الجدوى حتى اتمام التنفيذ ثم تشغيل المشروع الجديد ، ولا تقتصر عملية التدريب على استعمال التجهيزات بعد تركيبها وذلك مثل ما تعمل الشركات المتعددة الجنسية عندما توفد المهندسين والعمال المحليين لتدريبهم فى إحدى الشركات التابعة لها العاملة فى الخارج . ويساعد إشراك أبناء المنطقة فى العملية التدريبية على إضافة الأفكار الجديدة والمدخلات التكنولوجية الوطنية .

ومن جهة أخرى ينبغى الاستعانة باليد العاملة الوطنية حتى ولو كانت فى أول الأمر « أقل كفاية » بشرط أن تعمل فى التدريب أثناء العمل ، ففى أول مراحل التنمية ينبغى اعتبار المشروعات الجديدة وحدات انتاجية ومراكز تدريب فى نفس الوقت .

أكبر ما يواجهنا من التحدّيات : كيف نحصل على الطاقة النّوويّة ؟

رابعا : هيئة متخصصة للبحوث العلمية والتكنولوجية

نقترح دراسة انشاء هيئة مركزية متخصصة للبحوث العلمية والتكنولوجية على مستوى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وذلك بهدف تكوين بنية أساسية علمية وتكنولوجية على مستوى المنطقة وتختص بما يلى :

- تشجيع البحوث العلمية وتكوين الكوادر الفنية والعلمية الوطنية .
- التعاون مع اللجنة الحكومية الدولية التى قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة إنشاءها عام ١٩٧٩ والتى تعنى « بتسخير العلم والتكنولوجيا لأغراض التنمية » والتى مازالت تواصل دراساتها فى هذا المجال .
- التنسيق مع المؤسسات العلمية فى شروط نقل التكنولوجيا لدول المنطقة ، وفرز التقنيات الأجنبية ، ومواءمة المستورد منها وتوحيد الاتفاقيات الخاصة بشروط نقل التكنولوجيا بين دول المنطقة وبين المؤسسات المعنية بحيث تسير جميعها فى خطط منسقة ، وسوف تساعد الظروف البيئية الواحدة فى منطقة الخليج العربية على أن تسير عملية تطويع التكنولوجيا المستوردة بطريقة موحدة فى دول المجلس .
- انشاء نظام معلومات علمية وتكنولوجية وطنية وايجاد روابط بين البحوث العلمية والتكنولوجية وبين الأنشطة الانتاجية .
- ينبغى أن تكون هيئة البحوث العلمية والتكنولوجية المقترحة شبكة متعددة القطاعات والتخصصات وتنتشر فى جميع دول مجلس التعاون حتى تستطيع أن تتمتع بدراية كبيرة بالمصالح الوطنية عند اختيار التكنولوجيا المناسبة .

خامسا : تطوير مصادر الطاقة

يعتبر النفط أحد الموارد النادرة والقابلة للنضوب وغير القابلة للتجديد ، وقد تم تسريع معدل استنزافه إلى أبعد من الحاجات الانمائية للدول المصدرة ، ولذلك يجب الاعداد لمستقبل

■ ينبغي الاستعانة باليد العاملة الوطنية حتى لو كانت في البداية أقل كفاءة

■ ضرورة تطوير التعاون الخليجي بصورة عاجلة في مجال استخدامات الطاقة الشمسية

ما بعد نضوب النفط ، وأن يشمل ذلك ضمان مصدر عربى آخر غير النفط ، وأن تعتنى دول المنطقة بتطوير استخدامات الطاقة الشمسية والطاقة النووية ، ونعرض ذلك فيما يلى :

الطاقة الشمسية :

تقع منطقة الخليج العربية فى منطقة الصفاء الجوى وتتمتع بالجو الأقصى للطاقة الشمسية وهى طاقة مباحة خالية من التلوث ومستوفاة لشروط السلامة ، كما أنها منتشرة على نطاق واسع فى دول المنطقة ، وتتميز تكنولوجيا الطاقة الشمسية بالبساطة ويمكن نقلها واستيعابها بسهولة ، وتقوم حاليا دول الخليج العربية بإجراء مشروعات لتطوير استخدامات الطاقة الشمسية . ولدى المملكة العربية السعودية برنامج طموح لأبحاث تطوير الطاقة الشمسية ، ففى عام ١٩٧٤ أنشئت لجنة مشتركة للتعاون الاقتصادى بين حكومتى الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية ومن بين الموضوعات التى تعنى بها هذه اللجنة أبحاث الطاقة الشمسية . وفى عام ١٩٧٧ وبمقتضى اتفاق لمدة خمس سنوات بقيمة ١٠٠ مليون دولار قام مشروع « سولاريس Solaris » بتمويل أبحاث الطاقة الشمسية وتطبيقاتها العملية ، ويتم التمويل بالتساوى بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية بالاضافة الى الأبحاث حول استعمال الطاقة الشمسية من أجل التدفئة والتبريد . وتشمل المشروعات انشاء مكيف هوائى يعمل بالطاقة الشمسية لجامعة الرياض بالتعاون مع مؤسسة أمريكية ، والعمل على مشروع لتزويد قرية قرب الرياض بالطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء وتحلية المياه والتدفئة ، والتبريد ، وفى شهر ابريل ١٩٧٨ أجرى توقيع عقد قيمته ١,٤ مليون دولار مع الشركة الفرنسية للأبحاث الحرارية والطاقة الشمسية « سولفريتا Solfretes » من أجل بناء أول منشأة كهربائية تعمل بالطاقة الشمسية فى المملكة العربية السعودية ، ويستعمل انتاجها فى الاضاءة وضخ المياه وتقوم الشركة السويسرية — السعودية المختلطة « سوتيك Sotec » — ببناء منشأة اختبارية لتحلية المياه بالطاقة الشمسية فى جامعة الملك عبد العزيز .

ومن جهة أخرى تقوم كل من دول البحرين والكويت وعمان وقطر بتطوير استخدام الطاقة الشمسية فى تحلية المياه والتدفئة والتبريد بالتعاون مع شركات بريطانية وألمانية .

ويعتبر استخدام الطاقة الشمسية فى أعمال تحلية البحر من الأمور الهامة بالنسبة لدول الخليج العربية ذات الطبيعة الصحراوية حيث أنه يمكن استغلال المياه العذبة الصالحة للاستعمالات الزراعية ونعتقد أنه ينبغى انشاء هيئة مركزية متخصصة على مستوى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية تعمل على تطوير استخدامات الطاقة الشمسية ، وتقدم المشورة الفنية لدول المنطقة ، حيث أن الطاقة الشمسية مصدر هائل ومتوفر فى دول الخليج العربية ويمكن استخدامها لتلبية العديد من متطلبات دول المنطقة من الطاقة .

الطاقة النووية :

ان الكهرباء المولدة بالطاقة النووية فى الوقت الحاضر هى أرخص مصادر الطاقة ، إلا أن أهم المشاكل الرئيسية للطاقة النووية هى أن احتياجات اليورانيوم المكتشفة حاليا صغيرة وارتفاع التكاليف الرأسمالية اللازمة لإقامة المفاعلات والوحدات الانتاجية والخوف من الاشعاعات الذرية والتلوث .

ولقد أخذت الأقطار الصناعية المتقدمة وهى لا تتمتع باكتفاء ذاتى من احتياجاتها للطاقة فى تجنيد التكنولوجيا لديها لتطوير مصادر بديلة للطاقة ، خاصة المصدر النووى . ويوجد نادى الطاقة النووى وهو تجمع احتكارى للطاقة النووية يضم الدول السبع الصناعية الأكثر تقدما والمصدرة للتكنولوجيا وهى : أمريكا — روسيا — انجلترا — ألمانيا — فرنسا — كندا — اليابان . وقد وضع شروطا جاءت مقيدة لاستخدامات التكنولوجيا النووية ، أو تقيد تصديرها بعد تطويرها بنفس شروط الدول الصناعية . وقد بادرت بعض الدول النامية مثل البرازيل والهند وباكستان فى تكوين قدرتها النووية الذاتية . والدول العربية المصدرة للنفط التى هى أقل تطورا فى مجال التكنولوجيا أصبحت بحاجة الى انجاز عملية نقل التكنولوجيا اللازمة للتنمية وذلك للمحافظة على اكتفائها الذاتى من الطاقة ، وهذا يستلزم اتباع برنامج واضح ومتواز بين النفط والمصدر البديل وهو المصدر النووى ، وحتى لا تصبح الدول العربية النفطية معتمدة على الدول الصناعية بالنسبة لاحتياجاتها من الطاقة بعد أن كانت مالكة لها .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن اسرائيل بدأت منذ فترة طويلة سباق التسليح النووى فى المنطقة ، ولديها مفاعل نووى لا يخضع لرقابة خارجية ، كما أنها لم توقع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وكشفت الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى فى شهر يونيو ١٩٨١ عن النوايا الحقيقية لاسرائيل تجاه السلام فى المنطقة وأهدرت اسرائيل القواعد القانونية الدولية وتعمل على تدعيم وجودها النووى فى المنطقة ، بما يؤثر على الأمن القومى العربى .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أن حصول الدول العربية على المفاعلات النووية وضمان وصول امدادات الوقود النووى لها يخضع للعلاقات السياسية بينها وبين الدول المتقدمة مالكة التكنولوجيا الذرية وقد تعترض هذه الدول على أساس أن ذلك يتعارض مع مصالحها السياسية ولذلك فإنه ينبغى أن تدعم دول الخليج العربية علاقاتها السياسية مع الدول مالكة التكنولوجيا النووية خاصة وان نفط الخليج مازال يؤدى دوره فى المجتمع الدولى ، ولم تستطع البحوث العلمية أن تضع يدها حتى الآن على البديل للطاقة النفطية ، كما أنه يمكن فى إطار تحقيق التعاون العربى الافريقى استخدام مكامن اليورانيوم المعروف بوجوده فى بعض الدول الافريقية للحصول على الطاقة النووية .

يحيى رجب

عدوان جديد على التراث



بقلم: فهمي هويدى

ثمة جهد يبذل الآن لتقديم أمهات كتب التراث مختصرة للقارئ العربي ، وهي ظاهرة تحتاج إلى مناقشة ومراجعة ، إذ نحسب أن ذلك لايحقق الفائدة المرجوة من أمثال تلك الكتب الثمينة ، بل نذهب إلى أن الضرر الذي يحدثه شيوع أمثال تلك المختصرات ربما يفوق نفعها.

وفيما نعلم ، فإن مختصرات صدرت لكتب تفسير القرآن التي ارتبطت بأسماء ثلاثة من الأعلام ، هم : القرطبي ، والطبري ، وابن كثير. كما اختصرت سيرة الرسول لابن هشام ، واختصر صحيح البخاري في الأحاديث النبوية.

ويعنينا الآن الأمر من زاويتين : مبدأ الاختصار ، ثم الشروط المطلوبة فيمن يتصدى له ، إذا مادعت الضرورة إلى إجرائه.

من حيث المبدأ ، فالمفترض أن تلك الكتب تصنف باعتبارها مراجع ، يلجأ إليها الباحثون والدارسون عن المعرفة العميقة ، فيتعرفون من خلالها لا على معاني الكلمات وأسباب النزول وملابساتها ، ولكنها بمثابة مدارس فكرية يعبر كل منها عن منهج بذاته ، وربما يعكس واقع الحياة الثقافية في عصر بأكمله. والرجوع إلى أمثال تلك الكتب في أصولها هو نوع من الابحار في عوالم ثقافية انفصلنا عنها ، ولاسبيل إلى الاقتراب منها واستيعاب نتاجها إلا بخوض التجربة كاملة ، وبقطع رحلة القراءة من أول الشوط إلى آخره ، بغير قفز أو ابتسار.

هي عملية شاقة ، نعم ، لكن من قال إن البحث أو القراءة المعمقة من الأمور السهلة ؟! إن المشقة ليست مطلوبة لذاتها ، وإذا كان هناك سبيل إلى التيسير فلا مبرر للتعسير ، لكننا لانتصور باحثاً يعتمد في بحثه على ملخصات أو مختصرات ، إلا إذا قررنا أن نتعامل مع البحث الفقهي أو العلمي بمنطق عصر «الساندوتش» والمعلبات ، الذي إذا كان قد خدم العلم ، فإننا نشك كثيراً أنه خدم الثقافة ، إذ ربما كان من أبرز آفات عصر التصنيف والفهرسة الذي نعيشه ، أنه يسر كثيراً عملية جمع المعلومات التي باتت تخزن في العقول الآلية ، وتنهمر بمجرد الضغط على زر أو عدة أزرار. وذلك اليسر دفع أكثر الباحثين إلى تجنب مشقة الرجوع إلى أصول الكتب التي جمعت منها تلك المعلومات ، اكتفاء بالقدر الذي تم اجتزاؤه في موضوع بذاته ، مما حرمهم متعة القراءة الوافية ، وحجبهم عن مناخ الكتاب وسياقه ، والعناصر الأخرى التي ربما تطرق إليها الكاتب ، مما يؤدي إلى زيادة معرفة الباحثين في فروع أو جزئيات بذاتها ، وتقليص محيطهم الثقافي بوجه عام.

وقد نقارن الباحث المعتمد على العقل الآلي ، والآخر الذي يرجع إلى أصول الكتب والمراجع ذاتها ، براكب الطائرة وراكب القطار أو الحافلة. الأول يحلق من مقره إلى الفضاء المجهول ، ثم يحط في البلد الذي يقصده في نقلة سريعة خاطفة ، لايمر فيها بشيء سوى السحاب الكثيف الذي لاتختلف صوره كثيراً ، ولايضيف إلى معارف المسافر شيئاً يذكر. أما الثاني – راكب القطار أو الحافلة – فإنه يقطع رحلة يمر خلالها «بمحطات» عديدة ، يرى فيها البشر والحقول والنباتات فيتسع محيط رؤيته ويتزود وهو في طريقه إلى هدفه بمعارف عديدة تضاف إلى ثقافته عن المكان ، وهو مالا يتوفر له في رحلة الطائرة.

وإذا كان الطرفان ينتهيان إلى هدف واحد ، إلا أن الثاني يظل أوسع من الأول معرفة ، بما تتيحه له الرحلة من معلومات تضاف إلى رصيده الثقافي ، وإن اقتضاه ذلك أن يقضي وقتاً أطول.

وأكثر مانخشاه أن تتسع الدائرة وتشيع الظاهرة ، فيسدل الستار تدريجاً على أصول تلك المراجع ، ولاتتداول الأيدي سوى المختصرات. وتلك جناية لابد من الانتباه إليها والاحتراز منها ، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار ظروف المناخ السائد في زماننا ، حيث بات الناس أكثر إقبالاً على المعرفة السهلة ، من ذلك النوع الذي قد يوفره لهم التليفزيون بصور جذابة ، وهم قاعدون أو متمددون ، ناهيك عن همم أكثر الباحثين التي فترت ، وتفوق قيمة «الشهادة» على قيمة المعرفة ، مما

جنى على مستوى الأبحاث ، وأغنى البعض بالتسطح ، عن التعمق أو التأصل .

وقد يقبل المبدأ باعتباره ضرورة ، إذا لم يكن هناك غير تلك الكتب تتناول الموضوعات المراد تقديمها إلى القراء . ولكن هذه الحجة غير قائمة في الواقع ، فالكتب المبسطة والمختصرة التي تعالج الموضوعات ذاتها وفيرة وتزيد على الحاجة . سواء بالنسبة للتفاسير أو كتب الحديث والسيرة ، أو غير ذلك من كتب الفقه والأصول . وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد تفسير الجلالين للسيوطي ، وجوامع السير لابن حزم ، ورياض الصالحين للنووي ، وفقه السنة للسيد سابق .

والأمر كذلك ، فلسنا نفهم الحكمة من اختزال كتب « الأمهات » ، وضغطها ، لتصبح في مستوى غيرها مما هو متوفر في الأسواق ، بحيث يوهم القارئ بأنه اقتنى ذلك المرجع أو قرأه ، في حين أنه في الحقيقة لم يقتنه ولم يقرأه ؟!

من ناحية أخرى فإن عملية الاختصار ليست باليسر الذي يتصوره كثيرون . إذ لا يكفي أن يكون المختصر « محققا » مهما بلغت كفاءته ـ والذين تصدوا للعملية إلى الآن مخفقون في أحسن الفروض ـ ذلك أن كتاب التفسير على سبيل المثال لا يستطيع أن يقدمه مختصراً ـ على نحو مقبول ـ إلا عقل ملم بالفقه والحديث ، وباللغة ، وبالتاريخ ، إذ ليست المسألة مجرد ضغط للشروح والتفاصيل الواردة في كل موضوع ، ولكنها فن يعتمد على معارف وملكات ، تمكن صاحبها من استيعاب النص جيداً ، بمختلف دلالاته الفقهية واللغوية والتاريخية ، ثم التعرف على الدلالة أو المعنى الرئيسي المراد منه ، والتركيز على تلك الدلالة بصفة أساسية ، واختصار الحواشي والفرعيات بعد ذلك .

في فرنسا يدرب الطلاب على فن الاختصار ، وفي امتحان شهادة البكالوريا تختبر قدرة الطالب على اختصار ثلاث صفحات في عشرين سطراً على سبيل المثال . وبالتجربة ، يتبين أن العشرة الأوائل في ذلك الامتحان ، هم الذين يصبحون أهم كتاب فرنسا فيما بعد .

لكن الاختصار عمل سيئ السمعة في تاريخنا الثقافي . وإن كان بعض تلاميذ الائمة قد اختصروا كلامهم ، بحذف مالا تكثر الحاجة إليه من المسائل ، وسار على دربهم آخرون من العلماء ، إلا أننا في العصور اللاحقة عرفنا صوراً من الاختصار باشرها قليلو البضاعة في الفقه واللغة ، فقدموا لنا كلاماً أشبه بالأحاجي والألغاز ، لاهو أبقى على الأصل القديم كما هو ، ولا هو قدم شيئاً مفيداً في الثوب الجديد الذي ظهر به .

وفي كتاب تاريخ التشريع الإسلامي ، يورد مؤلفه الشيخ محمد الخضري نماذج من ثلاثة مختصرات في الفقه ، هي أشهر ما يتداوله طلاب الفقه في المذاهب الثلاثة : المالكية والشافعية والأحناف . والنماذج تتناول موضوعاً واحداً ، محدداً ، هو المياه التي يجوز التطهر بها والتي لايجوز . عن هذا الموضوع ، قال خليل (المالكي) في مختصره :

« يرفع الحدث وحكم الخبث بالمطلق وهو ماصدق عليه اسم ماء بلا قيد وإن جمع من ندى أو ذاب بعد جموده أو كان سؤر بهيمة أو حائض أو جنب أو فضلة طهارتهما أو كثيراً خلط بنجس لم يغير أوشك في مغيره هل يضر أو تغير بمجاوره بدهن لاصق أو برائحة قطران وعاء مسافر أو بمتولد منه أو بقراره أو بمطروح ولو قصداً من تراب أو ملح والأرجح السبب بالملح لا بمتغير لوناً أو طعماً أو ريحاً بما يفارقه غالباً من طاهر أو نجس كدهن خالط أو بخار مصطكي وحكمه كمغيره ، ويضر بين تغير بحبل ساقية كغدير بروث ماشية أو بئر بورق شجر أو تبن والأظهر في بئر البادية بهما الجواز وفي جعل المخالط الموافق كالمخالف نظر ، وفي التطهير بما جعل في الفم قولان وكره مستعمل في حدث وفي غيره تردد ويسير كآنية وضوء وغسل بنجس لم يغير أو ولغ فيه كلب وراكد يغتسل فيه وسؤر شارب خمر وماأدخل يده فيه ولايتوقى نجساً من ماء لاأن عسر الاحتراز منه »

وقال زكريا الأنصاري (الشافعي) في منهجه :

« إنما يطهر من مائع ماء مطلق وهو مايسمى ماء بلا قيد فمتغير بمخالط طاهر مستغنى عنه تغيراً يمنع الاسم مطهر لاتراب وملح ماء وإن طرحا فيه وكره شديد حر وبرد ومتشمس بشروطه والمستعمل في فرض غير مطهر إن قل ولا تنجس قلتا ماء وهما خمسمائة رطل بغدادي تقريباً بملاقاة نجس ، فان غيّره فنجس فان زال تغيره بنفسه أو بماء طهر ودونهما ينجس كرطب غيّره بملاقاته لا بملاقاة ميتة لايسيل دمها ولم تطرح ونجس لايدركه طرف ونحو ذلك فإن بلغهما بماء ولا تغير فطهور » .

وقال النسفي (الحنفي) في كنزه :

« يتوضأ بماء السماء والعين والبحر وإن غير طاهر أحد أوصافه أوأنتن بالمكث لا بماء تغير بكثرة الأوراق أو بالطبخ أو اعتصر من شجر أو تمر أو غلب عليه غيره أجزاءه وبماء دائم فيه نجس إن لم يكن عشراً في عشر فهو كالجاري وهو مايذهب بنتنه فيتوضأ منه أن يرى أثره وهو طعم أو لون أو ريح ، وموت مالادم له فيه كالبق والذباب والزنبور والعقرب والسمك والضفدع والسرطان لاينجسه ، والماء المستعمل لقربة أو رفع حدث إذا استقر في مكانه طاهر لامطهر ومسألة البئر جحط ـ وتنزح البئر بوقوع نجس لا ببعرتي ابل وغنم وخرء حمام وعصفور . وبول مايؤكل نجس لامالم يكن حدثاً ولايشرب أصلاً وعشرون دلوا وسطاً بموت نحو فأرة وأربعون بنحو حمامة وكله بنحو شاة وانتفاخ حيوان أو تفسخه ومائتان لو لم يمكن نزحها » .

هذه المختصرات ليست بحاجة إلى تعليق ، وربما كانت بحاجة إلى « مطولات » تفك طلاسمها ، وتحولها إلى كلام سوي مستقيم ، من الناحية اللغوية على الأقل .

ونحن لانزعم أن المختصرات الحديثة تنتمي بالضرورة إلى ذلك النمط من الكتابات ، لكننا نقول إن فتح الباب لممارسة تلك العملية بغير ضوابط أو قواعد ، يمكن أن يقود إلى مثل مانخشاه ونحذر منه . فضلاً عن أننا لانرى فائدة ذات قيمة في اللجوء إلى عملية الاختصار في الأساس ، ونحسب أن الذين يجهدون أنفسهم في ضغط كتب التراث واختزالها ، لو أنهم صرفوا جهدهم هذا في تبويب وفهرسة وتنقيح كتب التراث ـ إن كانوا من أهل التخصص ـ لأدوا خدمة جليلة إلى التراث ولأهل العلم ، من قراء جادين ، وباحثين أو دارسين .

الطفولة ورعايتها في الإسلام

بقلم: عبدالقادر بن محمد العماري

إن الاسلام اهتم بالطفولة ورعاها، ووضع لها قواعد، فقبل أن يولد الطفل، عندما يذهب الرجل للبحث عن شريكة حياته وأم أطفاله، يجب أن يكون هدفه من الزواج بناء أسرة سعيدة صالحة، وهنا نجد رسول الله يرسم الطريق للرجل في اختيار زوجته، فيقول عليه الصلاة والسلام (تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك). وفي حديث آخر وإن كان ضعيفاً في الإسناد، فهو صحيح في المعنى: (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس). فيجب أن يهيأ الجو للنشأة الصالحة، والرسول يقول: (كل إنسان تلده أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). فالوراثةُ والبيئةُ إذاً تؤثران على سلوك الطفل وشخصيته، وقد أطلق عليهما الامام الغزالي الطبع والتطبع، فالأول يورث والثاني يكتسب..

وقد حمى الاسلام الطفل وحافظ على سلامته وهو في بطن أمه، فلم يبح الاعتداء عليه، فحرم الاجهاض، وفرض عقوبة وتعويضاً إذا أسقط الحمل عمداً، وحرم قتل الأولاد من أجل قلة الرزق، فقال تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) الاسراء ـ ٣١ وأدان القرآن تلك العادة الجاهلية التي كانت عند العرب، وندد بها، وهي رفض الأنثى واعتبارها مولوداً غير مرغوب فيه، قال تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابُشِّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون) النحل ـ ٥٨، ٥٩ ـ، كما أدان وندد بعادة جاهلية أخرى عند بعض العرب وهي قتل الأنثى ووأدها (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) التكوير ـ ٨، ٩ ـ، ومنع اقامة الحد على الأم الحامل حتى تضع حملها، ثم إذا وضعته ترضعه حتى يستغني عن الرضاعة (فقد جاءت امرأة تدعى الغامدية إلى الرسول ﷺ وطلبت منه أن يقيم عليها الحد، ولما كانت حاملاً قال لها ارجعي حتى تضعي ما في بطنك، ولما عادت بعد ولادة طفلها قال لها ارجعي حتى ترضعيه) صحيح مسلم وسنن ابن ماجه. وأثبت للجنين حق التملك بالوصية والإرث والوقف، وحتى اختيار الاسم فيجب على الأب أن يختار لابنه أسماً حسناً، حتى لايشعر في مستقبل حياته بغضاضة منه ففي الحديث (حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن أدبه) كما على الأب أن يعدل بين أولاده في العطية. قال عليه السلام (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) وقال (إن لبنيك من الحق أن تعدل بينهم). ومن عطفه ﷺ قال: (إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الطفل فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه) وقبَّل الرسول ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع عندي عشرة من الأطفال ماقبَّلتُ واحداً منهم فقال له الرسول: من لايَرْحَمْ لايُرْحَمْ.

وفرض نفقة للمطلقة الحامل ، حتى تضع حملها ، وأباح لها الفطر في رمضان ، إذا كان في صيامها ضرر عليها ، أو على الجنين ، وللطفل إذا ولدت به أمه حق ثبوت نسبه إلى والديه وانتمائه إلى المجتمع ، وله حق النفقة والحضانة والرعاية الكاملة .

الطفل اليتيم

وقد أبدى الاسلام اهتماماً كبيراً بالطفل اليتيم الذي فقد أبويه ، أو أحدهما ، ودعا إلى الإحسان إليه واحترام مشاعره ، والمحافظة على أمواله ، ويتمثل هذا الاهتمام في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التي جاءت بشأنه ، فمن الآيات قوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا)النساء ــ ١٠ ، (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) النساء ــ ٢ (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) الأنعام ــ١٥٢ (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) النساء ــ١٢٧ (كلا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضون على طعام المسكين) الفجر ــ١٧ ، ١٨ ــ . (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم) الماعون ــ ١ ، ٢ . (وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين) البقرة ــ ٨٣ (فأما اليتيم فلا تقهر) الضحى ــ ٩ .

وجاء في السنة النبوية قول الرسول ﷺ (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى) وقوله (اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) .

أما التبني فإن الاسلام لايعترف به . قال تعالى (وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) الأحزاب ــ ٤ ، ٥ .

وقد يقول قائل إن رفض الاسلام للتبني مناف لرعايته للطفولة ، ونقول إن الإسلام اعترف بالبنوة الشرعية حتى ماكان بشبهة ، غير أنه لايعترف بما كانت عليه الجاهلية ، وما عليه الغرب اليوم من نزع أطفال من أبويهما ليكونوا أبناء لأناس آخرين بغير حق ، وتكون هناك بنوةٌ وأبوةٌ مزيفة صورية ، وهذا يفتح الباب لسرقة الأطفال وحرمان آبائهم الحقيقيين منهم ، كما أن الإسلام يريد أن يجعل حدا فاصلاً بين الحلال والحرام ، حتى لاتختلط الأمور ، ويتشجع المنحرفون على الخطيئة ، والآية الكريمة قد بينت الأمر بما يتفق مع انسانية الاسلام ورحمته (فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) فليس من الإنسانية في شيء ما يجري في الغرب اليوم من نزع طفل من أبوين فقيرين أو مجهولين ، وإلحاقه بأبوين وهميين ، ليعيش بينهما غريباً أجنبياً عن جميع أفراد الأسرة ، واشباع الغرائز ، وملء الفراغ لبعض الناس لايكون على حساب القيم ، وعلى حساب الآخرين .

والمجتمع الإسلامي ثمرات الخطيئة فيه قليلة ، وإن وجد أطفال غير شرعيين فلهم الرعاية الكاملة ، ولايحملهم الاسلام ذنباً ، وقد تعالج المسألة باعطاء الطفل اسماً مركباً بحيث لايشعر أنه ابن زنا ، فذلك أخف من اباحة التبني ، وماقرره الشرع الاسلامي فيما يتعلق باللقطاء يعتبر كافياً لإشعارهم بالعطف والحنان ، وقد أوجب الاسلام رعاية اللقيط والإحسان إليه ، وقرر أن الملتقط أحق به ولا يؤخذ منه إلا إذا أثبت أحد نسبته إليه أمام الحاكم ، أو لسبب كسوء معاملة له ، وعلى الملتقط أن يقوم بتربيته وتعليمه ، وله أن يهب له من ماله مايشاء ، أو يوصي له بعد موته من تركته في حدود الثلث .

■ اهتمام كبير بالطفل اليتيم وفرض نفقة للحامل ورعاية اللقيط والإحسان إليه

■ الحضانة أساساً للأم ، وكل النصوص تؤكد أن النساء أولى بهذا الحق

وللطفل حق في الرضاعة من الأم قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) البقرة ــ ٢٣٣ وعلى الأب الانفاق عليه ، والقيام بشئونه وما يحتاجه ، وإذا بلغ السن التي تؤهله للتعليم فعليه أن يعلمه ، لأن التعليم فرض في الاسلام ، ففي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ويدخل في لفظ المسلم اصطلاحاً المسلمة ، والفقهاء نصوا على نفقة طالب العلم ، وأوجبوها على أبيه إلى أن يكمل تعليمه ، إذا لم يكن له مال خاص ، وكان الأب قادراً (أنظر كتاب فتح القدير لابن الهمام وتبيين الحقائق للزيلعي) .

حضانة الطفل

غير أن أهم موضوع في نظري فيما يتعلق بحقوق الطفل هو مسألة الحضانة ، فإن الزوجين إذا كانت الزوجية قائمة بينهما فحضانة الطفل مشتركة بينهما ، وليست هناك مشكلة ، ولكن المشكلة عندما يفترق الأب والأم ، أو يموت الأب ويكون هناك أقارب للأب ينازعون الأم حضانة الطفل ، ولا شك أن مصلحة الطفل تقتضي وضعه عند من هو أقدر على الاهتمام به ورعايته ، وتأمين حاجاته ، ولما كان في بدء حياته يحتاج إلى شفقة وحنان ، فالأم هي أحق بحضانته ، وإذا لم توجد فأقاربه من النساء اللاتي تتوفر فيهن أهلية الحضانة ، وكلما كبر الطفل فهو في حاجة إلى اشراف أبيه ، وكانت حاجته إلى أبيه أكثر من حاجته إلى أمه ، وقد كان الأمر في السابق سهلاً وفي الإمكان التوفيق بين المصلحتين ، في حالة انفصال الأب عن الأم وكان الطفل صغيراً ، فتكون الأم على مقربة من الطفل ، حتى لو كان عند الأب لسقوط حضانتها لأي سبب ، ويكون هناك ترتيب زيارته لها ، أو زيارة أبيه له واشرافه في حالة ماإذا كان عند الأم ، وأما اليوم فقد تعقدت الأمور وخاصة في مجتمعات دول الخليج ، التي كثر فيها التزوج من بلاد أخرى ، فيكون الأب من بلد ، والأم من بلد آخر ، ولم يعد الناس على ماكانوا عليه سابقاً من البساطة والسهولة في المعاملة في حل مشاكلهم .

يحصل كثيراً أن بعض الرجال يطلق زوجته الأجنبية التي عندها أطفال له ، فينتزع أطفالها منها ، ويُسفّرها إلى بلادها بعد أن يلغي كفالتها من ادارة الجوازات لتسافر من غير عودة ، فيحرم الأطفال من أمهم ، ويحرم الأم من أطفالها . ويحصل أيضاً أن يموت

الطفولة ورعايتها في الاسلام

الزوج فيأتي أقاربه واخوانه أو أبناؤه الكبار فينتزعون الأطفال من أمهم ، ويسفرونها ويفرقون بينها وبين أولادها ، وبعضهم في حاجة إلى رعاية الأم .

ويحصل أن تضطر المرأة المطلقة ، أو التي يموت زوجها أن تتزوج ، وهي مقيمة في البلد وعندها طفل لازال في حاجة إلى حنان الأم ورعايتها ، فتحكم المحكمة بسقوط حقها في الحضانة ، لتزوجها بشخص آخر غير محرم للطفل ، وتسلم الطفل للأب أو للقريب الذي يحل محله .

هذه الأمور واقعة وتؤلم النفس ، وتحرج ضمير القاضي إذا هو لم يستطع أن يخالف النظام الذي يجري عليه العمل ، وخاصة إذا تذكر قول الرسول ﷺ (من فرق بين أم وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة) وفي رواية (ملعون من فرق بين والدة وولدها) وشريعتنا الاسلامية هي شريعة العدل وشريعة الرحمة ، ونحن إذا أردنا أن نحل هذه المشكلة حلاً انسانياً فإننا لن نخالف الشريعة الاسلامية ولكننا قد نخالف قول فقيه ، فالحل لهذه المشكلة من صميم الشريعة ، وفي ضوء أحاديث الرسول ﷺ وهديه ، واجتهادات العلماء من سلف الأمة . ويجب ألا يغيب عن بالنا دائماً قول الامام مالك رضي الله عنه : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذه الروضة ، أي رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فالحضانة أساساً للأم ، وكل النصوص التي وردت تؤكد حق الأم ، وأن النساء هن الأولى بالحضانة ، ولم يوجد نص شرعي يعطي الرجال حقاً في الحضانة ، اللهم إلا اجتهادات من بعض الفقهاء متأثرة بالبيئة تتكيء على فهم بعيد للنص المتمثل في بعض الأحاديث التي رويت ، وفيها تخيير للصبي بعد بلوغه سن التمييز ، ولم يحدث أبداً أن النبي ﷺ أو أحد من الصحابة أخذ طفلاً من أمه لأنها طلقت ، أو تريد هي أو الأب الانتقال من البلد ، أو لأنها تزوجت من شخص آخر ، وأقوى نصين تدور عليهما مسائل الحضانة هما : حديث البراء بن عازب (إن ابنة حمزة اختصم فيها علي بن أبي طالب وجعفر وزيد . فقال عليٌ أنا أحق بها هي ابنة عمي ، وقال جعفر بنت عمي وخالتها عندي ، وقال زيد ابنة أخي فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها وقال (الخالة بمنزلة الأم) متفق عليه . وأم البنت غير موجودة ، وكانت البنت في مكة وعندما جاء الرسول ﷺ إلى مكة في عمرة القضاء تبعتهم بنت حمزة فأخذها زيد إلى المدينة لأنه وصي حمزة وآخى النبي ﷺ بينه وبين حمزة ، والأم إما أن تكون ماتت أو بقيت في مكة على الشرك ، هذا ماجاء في فتح الباري . وكما ترى فإن الحديث فيه حكم الرسول للخالة ، وقال إنها بمنزلة الأم مع أنها متزوجة من غير محرم ، وإذا كان هذا في الخالة فمن باب أولى الأم وانظر تأكيد الرسول ﷺ لأحقية النساء في الحضانة .

والحديث الثاني هو حديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (أن امرأة قالت يارسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وثديي له سقاء ، وزعم أبوه أن ينزعه مني ، فقال رسول الله أنت أحق به مالم تنكحي) رواه أحمد وأبوداود . قال الامام ابن حزم إن هذا الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم يسمع أبوه من جده ، فهو صحيفة لايعتد به ، ولكن هذا الحديث تلقته الأئمة بالقبول ، وكما ترى أن الحديث جاء ليؤكد حق الأم ، والجملة الأخيرة فيه مقيدة بمصلحة الطفل في حالة ما إذا كان الطفل سيتعرض للاهمال أو للأذى بسبب زواجها ، أو كان الزوج غير راض بحضانتها للطفل ، لأن الحضانة كلها شرعت من أجل مصلحة الطفل . قال ابن رشد في بداية المجتهد : والجمهور على أن تزويجها بغير الأب يقطع الحضانة لما روي أن رسول الله ﷺ قال : (أنت أحق به مالم تنكحي) ومن لم يصح عنده هذا الحديث طرد الأصل ، وأما نقل الحضانة إلى غير الأب فليس في ذلك شيء يعتمد عليه ، قال الامام ابن القيم (إن الزوج إذا رضي بالحضانة ، وآثر كون الطفل عنده في حجره لم تسقط الحضانة هذا هو الصحيح ، وهو مبني على أصل ، وهو أن سقوط الحضانة بالنكاح هو مراعاة لحق الزوج ، فانه سينغص عليه الاستمتاع المطلوب من المرأة لحضانتها لولد غيره ، ويتنكد عليه عيشه مع المرأة ، فلا يؤمن أن يحصل بينهما خلاف المودة والرحمة ، ولهذا كون للزوج أن يمنعها من هذا مع اشتغالها هي بحقوق الزوج فتضيع مصلحة الطفل ، فإذا آثر الزوج ذلك وطلبه وحرص عليه زالت المفسدة التي لأجلها سقطت الحضانة) . ويقول ابن عابدين من فقهاء الحنفية (وقد يكون لأبي الصغير زوجة تؤذيه أضعاف مايؤذيه زوج أمه الأجنبي ، وقد يكون له أولاد يخشى على البنت منهم الفتنة لسكناهم معه ، فإذا علم المفتي أو القاضي شيئاً من ذلك لايحل له نزعه من أمه ، لأن مدار الحضانة على نفع الولد) .

من واقع الحياة

وهذا الذي ذكره ابن عابدين قد شاهدناه أمامنا على أرض الواقع في حادثة وقعت فعلاً وعالجتها بنفسي . وتتلخص الحادثة أن أحد الآباء أخذ ابنه من أمه عندما تزوجت بآخر ، وسنه تقارب السبع سنوات ، وسكن في بيت أبيه الذي تسكن فيه زوجته الأخرى وأولادها ، اخوان الطفل من الأب ، فكان إخوانه يضربونه ويؤذونه وكسرت يد الطفل بسبب ضرب أحد اخوانه له ، والزوجة أحرقته في جسمه بسيخ حديد محمي بالنار ، ورفعت القضية إلى المحكمة فنزع الولد من أبيه ، وأرجع إلى أمه وعوقبت زوجة الأب ، كما عوقب الأب أيضاً لأنه تبين أنه يعلم بما يتعرض له الطفل من أذى فيسكت .

وهناك قضية أخرى وهي أن لأحد الآباء بنتين عند أمهما المطلقة ، ولما تزوجت أخذ بنتيه إلى بيته ، وكان عنده أخوه في سن

المراهقة ، وتزوج هو بأخرى وخرج مع زوجته في بيت مستقل ، وترك بنتيه مع أمه جدتهما وأولادها فقام أحد الأولاد وأراد الاعتداء على شرف بنت أخيه ، فهربت الى عند أمها ، فتقدمت الأم الى المحكمة ، فأعادت البنتين الى أمهما . والحق أن الحديث الصحيح المتفق عليه والذي رواه البخاري ومسلم الذي يتعلق ببنت حمزة بن عبدالمطلب ، صريح في عدم سقوط الحضانة بزواج الحاضنة ، فيجب أن يكون هو المرجع والفيصل ، ولا يؤخذ بأحاديث أدنى منه في الصحة ، وإذا أخذ بها فيجب أن تخصص بالمصلحة ، كما هو مقرر في أصول الفقه المالكي .

هناك أحاديث وردت بتخير الأولاد بين الأم والأب إذا بلغوا سن التمييز ، حتى لو لم تكن الأم متزوجه ،أما إذا كانت الأم متزوجة فللأب أن يأخذ أولاده حتى ولو كانت سنهم أقل من سنة ، وهذا أمر متفق عليه بين أكثر المذاهب ، ولم يأخذ بهذه الأحاديث المالكية والحنفية ، وقالوا ان الطفل قد يختار ماليس في صالحه لعدم قدرته في سن السابعة أو الثامنة على معرفة مصلحته الحقيقية ، وقد أيد هذا الرأي ابن القيم وشيخه ابن تيميه وخالفا مذهبهما الحنبلي في مسألة التخيير وقالا يجب أن تراعى مصلحة الطفل ، واستدل ابن القيم بعموم قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) فقال ان التخيير أو الاستهام مقيد بهذا وحكى عن شيخه ابن تيميه أنه قال : تنازع أب وأم صبياً عند الحاكم فخير الولد بينهما فاختار أباه فقالت أمه سله لأي شيء يختاره ؟ فسأله الحاكم فقال الصبي أمي تبعثني عند الكاتب والفقيه يضرباني ، وأبي يتركني ألعب مع الصبيان ، فقضى به للأم . ورأى ابن القيم وجوب تخصيص النصوص التي وردت في التخيير بالمناسب والمصلحة ، وإذا كان يجب أن تراعى مصلحة الطفل ، فإن الواجب أن ينظر الى هذه المصلحة أيضاً في حالة رغبة أحد الأبوين الأم أو الأب في الانتقال من البلد الذي يقيمان فيه ، وفي هذه المسألة نجد الفقهاء اختلفوا ، فالأحناف يقولون ليس للأب أو الولي اخراج المحضون من بلد أمه بلا رضاها مابقيت حضانتها ، والمالكية يقولون إذا كان سفر الولي الى مسافة أكثر من ستة برد (١٣٣ كيلو) فله أن يأخذ الطفل ، وللأم الحق أن تذهب معه . والشافعية والحنابلة قالوا متى أراد أحد الأبوين النقلة الى بلد مسافة قصر فأكثر فالأب أحق بالحضانة .

والغريب أني رأيت احدى المحاكم في احدى البلاد العربية قد أعطت شخصاً ولاية على صغير كان أبوه يعيش في بلد آخر ، وتوفي تاركاً ابنه الصغير عند أمه ، وماله في إدارة القاصرين ، فتزوجت المرأة بعد وفاة الأب ، واشترطت على الزوج أن يقوم بالنفقة وأن يبقى ماله محفوظاً لاتمسه يد حتى يكبر الصغير فيتسلمه بنفسه ، وأباحت المحكمة للشخص الذي نصبته وصياً على الصغير أن ينتزع الصغير من أمه ، ويتسلم أمواله لمجرد أن هذا الصغير من أقاربه البعداء ، وثبت أنه ليس بينه وبين والد الصغير أي معرفة ، ولم يقابله في حياته قط ، غير أنه من قبيلته ، وممن يتصل نسبه به ، فكيف يؤمن مثل هذا على الصغير وأمواله ، ولا تؤمن عليه أمه التي حملته كرهاً ، وتعبت عليه ، وجعل الله في قلبها شفقة وحناناً لايساويها فيهما أي قريب ، فيأخذه هذا ويذهب به وماله الى حيث لايعلم مكانه ومصيره إلا الله ، فتنقطع عنه أمه التي كان جزءاً منها ، لقد قال بعض الفقهاء في تبرير أخذ العاصب للصغير أنه من أجل حفظ النسب ، والنسب الآن محفوظ في وثائق الجوازات أحفظ مما كان .

الفقهاء وترتيب الحضانة

وإذا نظرنا الى ترتيب الحضانة في أقوال الفقهاء نجد أن كلهم مجمعون أن الأم هي الأولى وأمها الثانية ، ولكنهم يختلفون بعد ذلك فيمن يلي الأم وأمها في ترتيب الأقارب الآخرين ، الذين يستحقون الحضانة ،

فالمالكية مثلاً يقولون يأتي بعد الأم والجدة أم الأم الخالة أخت الأم ، والحنابلة يقولون يأتي الأب ثم أمهاته ، والحنفية يقولون تأتي الجدة أم الأب بعد الجدة أم الأم ثم الأخت الشقيقة ، والشافعية يقولون بعد الجدة أم الأم ثم أم الأب ثم أمهاتها المدليات بأناث ثم أم أب الأب .

فالحق إذاً في الحضانة للنساء هو الأساس ، وأما الرجال فحقهم ضعيف ، فيجب أن تنظر هذه النظرة في تقدير الأمور المختلف عليها فيما يتعلق بالطفل .

أما السن التي تنتهي عندها الحضانة ، فقد قال المالكية ان البنت يجب أن تبقى عند أمها أو حاضنتها من النساء الى أن تتزوج ويدخل بها زوجها والابن الى أن يبلغ ، وأما الحنفية فقد قالوا تنتهي الحضانة إذا استغنى الصغير عن خدمة النساء ، والشافعية قالوا إذا بلغ سن التمييز ، وغالباً تكون في السنة السابعة يخير الصبي والفتاة بين أبيه وأمه ، والحنابلة يقولون مثل الشافعية إلا أنهم لايخيرون الفتاة ، وفي رواية تخير الفتاة مثل الشافعية .

والمهم في الأمر أن علينا أن نفكر في الرأي الذي يحقق مصلحة الطفل في دينه ودنياه ، ونرى أن حل المشكلة القائمة الآن يتمثل فيما يلي :

١ ـ عندما يطلق الرجل المرأة الأجنبية وعندها أطفال عليه أن يهيئ لها بيتاً تعيش فيه مع أطفالها ولاحق له أن يلغي كفالته في ادارة الجوازات ، أخذاً من قول فقهاء المالكية : إنه إذا سافر ولي الطفل سفراً نقلة فللأم الحق أن تسافر معه لتبقى لها الحضانة ، وليس هناك مايلزم المرأة أن تسافر من البلاد التي تقيم فيها .

٢ ـ عندما يموت الرجل ويترك أطفالاً مع أمهم ليس لأقاربه الحق في نزع الأطفال من الأم وإرسالها الى بلادها بل تبقى وأطفالها وتنفق عليهم من تركة زوجها أو ممن تلزمه النفقة أو مما تقرره وزارة الشئون الاجتماعية .

٣ ـ إذا تزوجت المرأة بآخر يجب أن تراعي مصلحة الطفل ، ولاتسقط الحضانة بمجرد الزواج عملاً بحكم رسول الله ﷺ في قضية بنت حمزة بن عبدالمطلب .

هذا مارأيناه حلاً اسلامياً انسانياً للمشكلة ، ونرجو من علمائنا الأفاضل أن يدرسوه ويخرجوا بالرأي المناسب فيه . والله الهادي الى سواء السبيل .

عبدالقادر بن محمد العماري

■ عندما يُطلِّقُ الرجل المرأة الأجنبيّة وعندها أطفال فمن الواجب ألّا يُلغي كفالتها

■ إذا تزوّجت المرأة بآخر فيجب أن تُراعَى مصلحة الطفل ولا تسقط الحضانة بمُجرّد الزواج

قضية التنمية
عود على بدء

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

لا بد أن تدفعنا التطورات الأخيرة بخصوص أسعار النفط والتداعيات الاقتصادية والاجتماعية له في سائر البلاد العربية إلى إعادة النظر في استراتيجيات التنمية المتبعة، وإلى إعادة التفكير في الأولويات المتبعة، وإلى احياء الاهتمام بالتنمية كقضية حياتية شمولية حضارية.

ورغم الجدل الكبير الذي رافق الاهتمام بموضوع التنمية في العقدين الأخيرين من الزمان فقد ظهرت مثالب حالت دون الاستفادة الكاملة بهذا الحوار. في بعض الأحيان اتسم النقاش بطابع «التفكير بالشعارات»، وفي أحيان أخرى اكتسبت بعض المفاهيم صفة «الأبقار المقدسة» التي حالت دون الفحص النقدي لها.

ولكن .. لماذا الاهتمام النظري بالتنمية؟ إننا نعتقد أن على الجماعة الثقافية مسئولية التصدي لموضوع التنمية أو التحديث في المجتمع العربي من كافة جوانبه وأبعاده لأربعة أسباب: أولها: طبيعة الانتماء إلى مجتمعات بقيت في براثن التخلف الاقتصادي والاجتماعي وإذا أدخلنا فى الإعتبار عنصر ازدياد الهوة بين المتخلفين والمتقدمين، وإذا أدخلنا أيضاً الآفاق التي تفتحها الثورة التكنولوجية في مجالات الحاسبات الآلية الدقيقة والانسان الآلي والهندسة الوراثية (وهي موضوعات سبق أن تناولناها على صفحات الدوحة)، فإن القضية تغدو بحق قضية مستقبل ومصير.

وثانيها: يؤكد حاجتنا إلى مزيد من الجهد العلمي في ميدان التنمية تعقد الظاهرة موضع البحث، وتعدد وتشابك العوامل التي تتدخل لتحديدها. أفلا يجدر بنا التأمل في النتيجة التي توصل إليها عالم الاقتصاد السويدي جونار ميردال وهي أن مشكلة التنمية في العالم الثالث أبعد ماتكون عن الحل الآن من أي وقت مضى؟ وألاَ يجدر بنا أن ندفع بنظرة أكثر علمية وأكثر واقعية لموضوع التنمية، وبعد تجارب عديدة استغرقت الكثير من الجهد والوقت والدم والمال، وضح فيها أن التنمية لاتتم بالحماس الديماجوجي، ولابظهور القادة التاريخيين، ولا بأوامر إدارية، وإنما هي خليط من ذلك كله وغيره نسعى لاكتشافه بالدراسة وقد يختلف من مجتمع لآخر. فالحقيقة التي نعرفها اليوم أن عديداً من تجارب البلاد النامية قد توقفت، أو تجمدت، ومن ثم فإن تقييماً واقعياً سليماً لهذه التجارب أصبح أمراً ضرورياً، تقييماً يتخطى كلاً من الأحلام الوردية وآمالها، والتشاؤم الذي قد تدفع إليه المشاكل الراهنة.

وثالثها: أن دراسات التنمية تقدم حلاً لإحدى المشاكل التي تواجه الدارسين في مجال العلوم الاجتماعية في البلاد النامية، وهي مشكلة العلاقة بين العلم والمجتمع. أوالوظيفة

■ مطلوب من الجماعة الثقافية العربية أن تتصدّى لموضوع التحديث في المجتمع العربي من كافة جوانبه

■ هل صحيح أن الدول الصناعية المتقدمة هي التي ترسم صورة المستقبل للدول النامية؟!

الاجتماعية للعلوم الإنسانية ، بعبارة أخرى العلاقة بين النظرية والممارسة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

فدراسة التنمية السياسية على سبيل المثال تثير موضوع التخطيط السياسي ، ودور النخبة السياسية في تحريك موارد وإمكانات المجتمع وتعبئتها بما يحقق الاهداف التي تم الاتفاق عليها بطريقة واعية وإرادية .

ورابعها : يرتبط كل ماسبق بما نسميه بتطوير مدرسة قومية في مجال الدراسات الاجتماعية ، سواء فيما يتعلق باهتمامات العلم والأسئلة التي يثيرها أو بمناهج البحث التي يركز عليها بحيث تكون هناك مدارس عربية في العلوم الاجتماعية المختلفة تجمع بين اتجاهات العلم والمشاكل التي يعرفها ويدرسها على المستوى العالمي ، وبين المشاكل والقضايا السياسية المتميزة للمجتمع العربي كقضية الوحدة وكمشكلة التنمية ، كما تسعى الى ربط نفسها بالتقاليد الثقافية القومية .

ليس هذا وحسب ، بل ان الجماعة الثقافية العربية مطالبة بأن تطور نظرة مستقلة تعكس الخصائص الذاتية لمجتمعها وثقافتها القومية تجاه النظريات والمفاهيم والآراء التي تطرحها دراسات العلوم الاجتماعية الأجنبية والتي تعكس ظروفاً مغايرة ، فمن المسلم به أن العلوم الاجتماعية تعكس في اهتماماتها واطاراتها الفكرية البيئات الاجتماعية والثقافية المحيطة بها ، ومن ثم فإن من الطبيعي والمنطقي أن يكون تدريس العلوم الاجتماعية في البلاد العربية مغايراً في بعض جوانبها .

الأشكالية التنموية

إن الوضع الحضاري الراهن في العالم ينفرد عن الخبرات التاريخية السابقة من حيث السمات التي يتميز بها ، ومن أهم هذه الخصائص الثورة الجديدة في العلم والتكنولوجيا التي فتحت أمام الإنسان آفاقاً جديدة من القدرة على الانتاج والسيطرة ، وثورة الآمال والمطامح على المستويين النفسي والاجتماعي ، وسرعة التغير الاجتماعي بمعنى أن العالم وبالذات الشق المتقدم منه يشهد مرحلة تغير اجتماعي مركز سواء من حيث سرعة التغير أو حدته وعمقه والآثار التي يطرحها حتى أن البعض — مثل توفلر في كتابيه « صدمة المستقبل » و « الموجة الثالثة » — يتساءل عن مدى قدرة الانسان على التكيف نفسياً مع هذه التغيرات دون حدوث اختلال أساسي في توازنه ، وارتبط بذلك تضاؤل الحدود الجغرافية بين أجزاء العالم وتعقد المشاكل والروابط الانسانية .

هذا الوضع الحضاري — بسماته السالفة الذكر — أدى الى ايجاد ثلاثة أشكال من المفارقات أو التناقضات حسبما يذكر د . قسطنطين زريق في كتابه « نحن والمستقبل » بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية ، وبين التطور العلمي والتكنولوجي وتطور الأفكار والقيم والنظم الاجتماعية ، وبين مطامح الشعوب وآمالها من ناحية وقدراتها على الوفاء بهذه الآمال من ناحية أخرى .

أكثر ما يهمنا في هذا المقال هو التناقض الأول بين البلاد المتقدمة والبلاد النامية . ولنحدد منذ البداية المشكلة موضع التحليل .

إن المجتمعات الإنسانية منذ بداية عصر النهضة في القرن السادس عشر تشهد تباعداً في أنماط الحياة الاجتماعية والنظم السياسية والأوضاع الاقتصادية ، بين تلك المجتمعات التي بدأت عصر التنوير وخبرات الثورة الصناعية وماخلفته من آثار شاملة وتعرضت لآثار الثورة الفرنسية الكبرى ، وتلك المجتمعات التي خضعت للاستعمار الأمر الذي كانت نتيجته تبلور أشكال اجتماعية وايكولوجية متباينة اصطلح على تسميتها بالتقدم والتخلف .

هذا الوضع — الذي ازدادت حدته ووضوحه بعد الحرب العالمية الثانية باستقلال عدد كبير من الدول الآسيوية والافريقية — فرض موضوع التنمية كأحدى القضايا الملحة في عالمنا المعاصر للتعامل مع هذا التباين الكيفي بين شطريه ، ويثير للباحثين العديد من التساؤلات . فهل صحيح مثلاً أن الدول الصناعية المتقدمة ترسم صورة المستقبل للدول النامية ؟ ويتساءل البعض عن الأسباب التي أدت بعملية التنمية لكي تبدأ في بلاد معينة دون غيرها ، وماهي خصائص عملية التنمية في هذه البلاد في ظل إطار دولي مختلف يتسم بسيطرة الدول الصناعية المتقدمة وفرضها لنمط سائد للعلاقات التجارية ؟ وهل ستؤدي عملية التنمية الى ابراز عناصر اتفاق وتشابه بين كل الدول الصناعية في مجالي الاقتصاد والسياسة ؟ وماهي البدائل المطروحة أمام البلدان المختلفة ؟ وماهي القوى والعوامل المحركة لعملية التغير في المجتمع ، وهل يمكن التمييز بين الأهمية النسبية لمختلف العوامل الدافعة لعملية التغير بمعنى أن نعطي لعامل معين دوراً معيناً ؟ ماهي التركيبة اللازمة من المقومات لعملية التنمية والأهمية النسبية لكل عامل أو عنصر ؟ ولماذا بدأت عملية التنمية في العصر الحديث تاريخياً في غرب أوروبا دون

قضية التنمية
عود على بدء

غيرها من مناطق العالم؟ لماذا مثلاً لم تتطور المجتمعات الاسلامية خارج الاطار الذي ظلت تدور فيه دون أن تكسر هذه الحلقة المفرغة ونبدأ ثورتنا الصناعية؟

هذه الأسئلة – وغيرها – هي موضوع دراسات ونظريات التنمية.

جدول أعمال التنمية

رغم تعدد المشاكل التي تثيرها الدول النامية، فإنه يمكن التعبير عنها بصفة عامة في ثلاث قضايا أساسية:

أولاً: التحرر من آثار الاستعمار ونزع جذور الاستعمار وآثاره في المجتمع سياسياً واقتصادياً ونفسياً، ويقصد بذلك الآثار التي يتركها في نفسية الشعوب وتكوينهم وقيمهم الاجتماعية والشخصية أضف إلى ذلك مواجهة الأشكال المستحدثة من الاستعمار والتغلغل، والحفاظ على السيادة الوطنية. فإذا كان فرانز فانون قد حدد آثار التسلط الاستعماري في الاستغلال الاقتصادي، والاستبداد السياسي، والتمييز العنصري، وتحطيم التراث الحضاري الوطني، فإن عملية التحرر من الاستعمار تتمثل في السعي للتخلص من هذه الآثار.

ويركز فانون على جانب التحرر الثقافي بما يتضمنه ذلك من احترام اللغة القومية والشعور بالتقدير للثقافة الوطنية بعد سنين طويلة من الاستعمار الثقافي والفكري، كانت الكتابات الغربية تؤكد فيها تفوق أوروبا الطبيعي وتحكم بالضعة والانحطاط على حضارات الشرق حتى أمكن لأحد رجال الاستعمار الانجليز(ماكولي) القول بأن رفاً واحداً من مكتبة أوروبية جيدة يعادل كل التراث الوطني للهند والجزيرة العربية، بل وتشكك الأوربيون في قدرات الشرقيين العقلية، فجورج دوهاميل عضو الأكاديمية الفرنسية في كتاب له بعنوان حضارة فرنسا يذكر أن الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبي وعن تجاوز الذات، ومن قبله وصف ارنست رينان العقل السامي بأنه معاد للفلسفة ومعاد للعلم مختتماً محاضرته الأولى في الكوليج دي فرانس عام ١٨٦٢ بقوله «إن المستقبل ايها السادة لأوروبا ولأوروبا وحدها»، وفي دراسة للمستشرق هاملتون جب بعنوان «الاتجاهات الحديثة في الاسلام» صدرت عام ١٩٤٤، يصف الذهنية الاسلامية بالذرية Atomism والعجز عن التركيب وأنها تنظر إلى أحداث التاريخ وظواهره على أنها مفتتة منعزلة عن بعضها البعض. يرتبط بانتشار هذه الأفكار وجود بعض الأوضاع الثقافية والتعليمية ذات الطابع الاستعماري مثل سيادة لغة أجنبية لدى النخبة، وعدم وجود نظام قومي للتعليم وانتشار الأمية التي تصل في كثير من البلدان المتخلفة إلى ٩٠٪ من عدد السكان، وسيادة طبقية ثقافية، وغلبة قيم معينة مثل تنمية الاحتقار للعمل اليدوي والاعتقاد في الخرافات والاساطير. ولعل هذه الأوضاع هي مايعبر عنها أحياناً بضرورة النهضة الثقافية في البلدان المتخلفة والخروج من أنماط فكرية وعقلية قوامها الرتابة.

ثانيا: مشكلة مواجهة آثار تغير اجتماعي سريع بمعنى أن هذه المجتمعات تتعرض لعملية تغير اجتماعي يتضمن نوعين من الضغوط داخلية وخارجية. من الناحية الداخلية عرفت هذه البلدان ثورة للتوقعات وآمالاً كبيرة في غد أفضل. في بعض البلاد حدث ذلك غداة الاستقلال، وفي المنطقة العربية ازداد الشعور بذلك مع ازدياد سعر النفط. من الناحية الخارجية تتم عملية التغير الاجتماعي هذه في ظل عالم يتسم بتقدم التكنولوجيا ووسائل الاتصال الجماهيري حتى أن البعض أسماه بالقرية العالمية للدلالة على درجتي الارتباط والتداخل التي بلغها عالمنا المعاصر وفي إطار عملية تغلغل منظمة للدول المتقدمة في شئون الدول المتخلفة، وأشكال مستحدثة للاستعمار والسيطرة والهيمنة.

■ إن بلادنا تخوض غمار مرحلة الانتقال الكبرى، فهل سيقدر لنا أن نشارك في مسار هذا الانتقال؟

ثالثاً: بناء مؤسسات الدولة بما يتطلب ذلك من تنظيم إداري وسياسي واقتصادي يضمن توفيراً للحاجات الأساسية للمواطنين وتعبئة موارد المجتمع بما يحقق ذلك.

انه عالم يتغير

ان العالم الذي تعودنا عليه ينهار أمام طوفان من الحقائق الجديدة والمتغيرات الناشئة، وبلادنا تخوض غمار مرحلة الانتقال الكبرى في حياتها، فهل سيقدر لنا أن نشارك في تحديد ملامح هذا التطور ومساره، أم أننا سنترك لقوى التكنولوجيا الغاشمة أن تطرح آثارها علينا دون ماتخطيط لذلك أو تقدير لعواقبه. لقد تهكم كينيث جالبرت مرة على ما أسماه «بالحكمة القديمة» وقصد بها أن الأفكار التي نشأت في بيئة تاريخية سابقة وتقوم على اقتراحات معينة لم تعد تتفق مع الظروف الجديدة، وأن سبب عدم فهم العديد من التطورات المعاصرة هو محاولة إدخالها عنوة في قوالب نظرية جامدة لاتستطيع استيعاب هذه التطورات، ومن ثم تقودنا إلى نتائج خاطئة أومضللة.

أن شرط عملية التنمية ومحورها في نفس الوقت هو الانسان الذي يستطيع من خلال منظور نقدي اكتشاف الذات والواقع، والتنمية قبل أن تكون مصانع وآلات ومبان وسيارات، فإنها قيم ومبادئ وسلوكيات. المطلوب هو التحليل وليس التبرير، الفهم وليس الدفاع، العلم وليس الديماجوجيا، الواقع وليس التجريد المغرق في مثاليته. فما هو جوهر التنمية على ضوء ذلك؟

علي الدين هلال

مقتطفات من
مواقف النِّفَّري الفلسطيني

شعر
محمد الظاهر

قبضتُ على ذاتي ، جلوتُ وجودَها ، وضوأتُ في نفسي المجاهيلَ ما أنا سوى واقف في حضرة الحقِّ ، لا أرى جماديةَ الأشياءِ بلْ ثورةَ الرّؤى .
اذا اتَّسعتْ رؤيايَ ضاقتْ عِبارتي .
فلي لغةٌ صماء ، وقعُ انشطارها ، تصادمُ وعيِ الذات حيَن تناقضتْ معَ العقلِ ، لم تتركْ بكارةَ لفظة ، ولا أوجدتْ نبضاً ولا أسرَجَتْ مَدى .
ولكنَّها في رحلةِ الكشفِ دابَّتي .
وَحرْفي حجابُ الكون ، ساترُ لغزِهِ ، وصوتي انبثاقُ الرَّعدِ منْ فسحةِ الصمتِ .
تَهَجَّيْته حيناً منَ الدهر ، صغتُه ، مواقفَ تسبي الرأيَ ، تستنطقُ الحِجى ، وغيبته حتى تَجلّى حضورُهُ .
ليَ الكبرياءُ الآن ، والظاهرُ الذى يألفُ ما بينَ الحقيقةِ والخُطى اشارةُ نطقِ الشيءِ بالصمتِ ، تنجلي معانيهِ ، اوْ تجلو من النُّطْقِ سرَّهُ .
أنا ملكوتُ الذاتِ ، لا شيءَ دونَهُ .
أنا خاطفُ الافهامِ خطفَ المناجل .
دنوتُ الى آثارِ عيني فأبْصَرتُ مسافةَ هذا الكونِ نفسي ، وأدركتْ فضاءَ الرُّؤى ، فاستنفرَ الضدُّ ضِدَّهُ .
وأوْقَفَني في موقفِ الأرض قالَ لي :
ــ فلسطينُ ليستْ كوكباً مُتحولاً ــ
هي الثابتُ المكنونُ في سُرَّةِ الأرضِ .
وأوقفَني في موقفِ السِّر قالَ لي :
ــ تَجِدْها فلا تُجدي التضاريسُ ، بُعْدُها ، بعيدٌ عن الادراكِ ، باطنُ أمرِها ، هوَ الكبرياءُ الحرُّ ، إنْ جُزْتَ حدَّها ، سمعتَ خطابَ الارضِ في نبضةِ القلبِ .
وأوْقَفَني في موقفِ البحر قالَ لي :
ــ هنا دربُكَ المرصودُ ، إمَّا التَمَسْتَهُ ترى في ضباب البدء روحاً أليفةً ، يُسَلِّمُكَ الألواحَ موجٌ كأنَّهُ ضياءٌ اثيرىٌّ إذا خطَفْتَهُ ، تَخَطَّفَكَ الالهامُ ، فاركَبْ ، نَجاتُهمْ إذا ثبَتَتْ رجلاكَ في اليَمِّ فجَّرَتْ دماءُ النبيينَ الحدودَ ، وأشْهدَتْ عليهمْ لَهُنَّ شواهِدُ .
وَهيأني للبحرِ أشْعلَ جُثَّتي ، وقالَ :
ــ هُوَ المعصومُ والبحرُ عاصِمُهُ .
شَربنا دماً منْ شَهْقَةِ الليل ، نَجَّمَتْ علينا رمالُ البيدِ دهراً وحاصرَتْ ظهيرةُ هذا الوقتِ ، قنطرةَ الرَّدى .
وأوْقَفَني في موقفِ الحزم قالَ لي :
ــ بلادُكَ قرطُ الموتِ ، أوْ بيرقُ الحَجَرْ .
وَعمَّدَني بالدمِّ ، أجْلَسني على سماء كمنديلٍ منَ الورقِ انْتَهَتْ إلى قاعِ جُبٍّ أوْ سحابٍ مُسيَّرٍ .
وَهَشَّ على نَفسي كراعٍ ، وقالَ لي :
ــ تَهَجَّ كتابَ النَّارِ كي تغسلَ الشُّطوطْ .



عمان ــ الأردن

كلام صريح حول الإرهاب الدولي

الصهاينة لا العرب هم الإرهابيون الحقيقيون

بقلم : عصام شريح

الزوبعة المثارة حالياً حول مايسمى « بالارهاب » ، تبدو بعيدة عن الموضوعية ، لأنها تنصب في الواقع على ردود الفعل على الارهاب الحقيقي ، فيما تتجاهل بؤرة الارهاب في منطقة الشرق الأوسط ، تجاهلاً تاماً .

والزوبعة المثارة حول الارهاب حالياً ، تصوّر ردود الفعل على الارهاب الحقيقي في هذه المنطقة ، وكأنه اختراع عربي ، ولم يحدث له مثيل في التاريخ ، وهذا افتئات شنيع على الحق والحقيقة ، ذلك أن التاريخ الانساني ، لم يخلُ في أي حقبة من حقبه من الارهاب والأعمال الارهابية ، التي كانت تحصل أحياناً كرد فعل يعبر عن حالات اليأس أو الاضطراب النفسي نتيجة لظلم وقع ، أو تحصل بفعل اهتزاز في العقل أو الشخصية لفرد أو مجموعة أفراد ، أو تخلخل في بناء المجتمع ، صغيراً كان أوكبيراً ، أوبغية تحقيق هدف سياسي معين في الحروب والمنافسات بين الأمم ، مثل تحطيم روح المقاومة لدى الأفراد أوالجماعات السياسية والعقائدية والهيئات والمؤسسات ، أوكوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أومال ، أوكسبيل لاحداث ثورة ، وتغيير نظام سياسي أو اجتماعي معيّن ، أو للقيام بثورةمضادة ضدّ نظام سياسي معيّن والاطاحة به ، ولفرض حكم أقلية ضدّ أكثرية بالاكراه والقوة والتخويف .

الارهاب في أوروبا

وفي الواقع فان الارهاب كوسيلة من الوسائل المذكورة ، قد رافق جميع حقب التاريخ في كل زمان ومكان ، حيث كان الصراع على السلطة ومراكز النفوذ حافلاً بقصص الارهاب والارهابيين . وفي السنوات الأولى للثورة الفرنسية ، شاع استخدام الارهاب وما أطلق عليه اسم « الارهاب الثوري » ، كما شاع تبرير مفهوم الارهاب فلسفياً ، في كتابات بعض المنظّرين والفوضويين في القرن التاسع عشر ، خصوصاً في النصف الثاني منه ، لاسيما في روسيا وأوروبا الغربية ، حيث قامت على أساس أفكار منظري العنف السياسي ، منظمات ارهابية مثل « ارادة الشعب » و « الاشتراكيون الثوريون » في روسيا ، وجماعات « الفهد » وَ« الانتقام » وَ« المرعبون » وَ« الديناميت » في فرنسا ، وَ « الاتحاد الباكونيني الايطالي » وَ« لجنة الثورة الاجتماعية » في بلدان مختلفة من أوروبا الغربية . وقد أغتيل نتيجة لذلك ، العديد من قادة أوروبا وطبقاتها الحاكمة ، وكان مقتل أرشيدوق النمسا على يد أحد « الارهابيين » في سيراجيفو ، الشرارة التي اندلعت منها نار الحرب العالمية الأولى .

كما استخدم هذا الأسلوب ، العديد من حركات المقاومة مثل الثورة الجزائرية والثورة الأيرلندية والثورة الفييتنامية ، واليوم الثورة الفلسطينية ، ضد الأعداء المحتلين ، وضدّ العناصر المحلية المتعاونة مع هؤلاء الأعداء .

ومن الأمثلة على الارهاب في أوروبا ، الحركتان النازية والفاشية اللتان استخدمتا هذا الأسلوب على نطاق واسع لتصفية خصومهما قبل الوصول إلى سدة الحكم وبعده .

وقد شهد العقدان الأخيران ، بروز العديد من الحركات الارهابية مثل « الألوية الحمراء » و « منظمة بادر ماينهوف » و « الجيش الأحمر الياباني » وَ « أيلول الأسود » ..الخ

بيْد أنّ المثال الصارخ والحقيقي للارهاب ، خاصة في المنطقة العربية ، هو الكيان الصهيوني ، الذي يعتبر مايسميه الغرب

« بالارهاب العربي » مجرد ردّ فعل عليه ليس إلاّ .

على أنّ الارهاب ، ليس وسيلة متفقاً عليها في التيارات السياسية الرئيسية في العالم كله ، ولاتقرّه معظم هذه التيارات ، لكن حركات التحرر الوطني والقومي كحركة المقاومة الفلسطينية ترى في الكفاح الشعبي المسلح ضد الاستعمار والاحتلال واغتصاب الأرض ، وسيلة مشروعة وسليمة ضدّ العدوان ، ولنيل حق تقرير المصير ، كمبدأ أقره القانون الدولي ، ونصّ عليه ميثاق الأمم المتحدة .

الارهاب الدولي

في أعقاب تصاعد عمليات اختطاف الطائرات ، واغتيال القادة السياسيين والممثلين الدبلوماسيين والمسافرين والسائحين ، واختطاف بعض هؤلاء أو احتجازهم كرهائن من أجل الابتزاز المالي أو السياسي كالحصول على حق اللجوء السياسي ، أو إطلاق سراح بعض السجناء أو الارهابيين في سجون دول معينة ، خاصة في ربع القرن الأخير ،

استغلت القوى الصهيونية والاستعمارية ، هذه العمليات ، لإثارة الرأي العام العالمي ضد حركات التحرير الوطني ، وقد اهتمت الأمم المتحدة بهذا النوع من الحوادث ، التي أدرجت تحت مصطلح « الارهاب الدولي » فأعدت « مشروع إتفاقية خاصة بالجرائم ضد سلام الإنسانية وأمنها » ، و « مشروع إتفاقية لمنع المخالفات المرتكبة ضد الدبلوماسيين وغيرهم من الأشخاص الذين لهم حق التمتع بحماية دولية » ، كما وضعت منظمة الطيران المدني الدولية ثلاث اتفاقيات بشأن « المخالفات المرتكبة على متن الطائرات ، والحجز غير الشرعي للطائرات ، والأعمال غير الشرعية الموجهة إلى أمن الطيران المدني » .

بيد أن الخلط بين حوادث الارهاب ، ونشاط حركات التحرر الوطني استمر بشكل عشوائي ، بتأثير الصهيونية وحلفائها الاستعماريين ، وتصاعد الضغط على الأمم المتحدة في عام ١٩٧٢ ، لاتخاز قرار يدين حركات التحرير الوطني ، فقدم الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم آنذاك ، اقتراحاً إلى الجمعية العامة في دورتها السابعة والعشرين طلب فيه ، « دراسة التدابير المانعة للارهاب الدولي ، ولأشكال العنف الأخرى التي تعرّض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر . » بيد أن الدول العربية تحركت سريعاً ، وأوضحت للأمين العام ، أن عنوان الموضوع ، شامل وواسع الاطار ، مما يُخشى معه ، أن تستغله الدول أو الكيانات الاستعمارية والعنصرية ، ضد حركات التحرير الوطني ، فتحشر أعمال هذه الحركات ، ضمن إطار الارهاب ، الأمر الذي يشكل انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

إزاء ذلك صرح الأمين العام للأمم المتحدة ، بأنه ليس من المناسب دراسة ظاهرة الارهاب « دون الأخذ بعين الاعتبار ، بالأسباب الكامنة وراءها » ، وأوضح ، أنه لم يهدف باقتراحه « المسّ بالمبادئ التي حددتها الجمعية العامة ، فيما يتعلق بالشعوب المستعمَرة ، أو غير المستقلة ، التي تناضل من أجل الحصول على استقلالها وحريتها » .

وفي الدورة السابعة والعشرين (ايلول - سبتمبر ١٩٧٢) ، أدان معظم الـ ٩٢ وزير خارجية ، الذين ألقوا بيانات أمام الجمعية العامة عن الارهاب الدولي ، أدانوا الارهاب إذا كان القصد منه نشر الرعب أو الابتزاز أو الكسب غير المشروع ، أو الاغتصاب أو قتل الأبرياء ، ورسموا خطوطاً فاصلة بين الارهاب وأعمال التحرير الوطني ، وأوضحوا أن حركات التحرير الوطني والقومي يحق لها أن تستخدم جميع الوسائل المتوفرة لديها في سبيل تحقيق أهدافها وحصولها على حقوقها التي نصّ عليها ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها . وفي نهاية المناقشات ، أقرت الجمعية العامة ، باقتراح من أحد الوفود العربية ، إضافة فقرة إلى موضوع « الارهاب الدولي » كما اقترحة الأمين العام للأمم المتحدة ، بحيث أصبح كما يلي : « التدابير المانعة للارهاب الدولي ولأشكال العنف الأخرى التي تعرض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر ، ودراسة الأسباب الكامنة وراء أشكال الأرهاب ، وأعمال العنف التي مردّها إلى البؤس وخيبة الأمل والحَيْف واليأس ، والتي تدفع ببعض الناس إلى إزهاق الأرواح البشرية ، بما فيهم أرواحهم هم أنفسهم ، في محاولة لإحداث تغييرات أساسية » .

ولدى التصويت على مشروع القرار ، تبنّت الجمعية العامة بأكثرية ٧٦ صوتاً ضد ٣٥ صوتاً واستنكاف ١٧ ، مشروع القرار الذي تبنّته مجموعة الدول غير المنحازة ، وصدر القرار بتاريخ ١٨ - ١٢ - ١٩٧٢ ، وقد طلب القرار من الدول الأعضاء ، أن تعكف على دراسة الحلول العادلة والسلمية التي تؤدي إلى إزالة الأسباب الكامنة وراء أعمال العنف ، موضحاً تأكيد الجمعية العامة للأمم المتحدة على « الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الخاضعة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية ، ولغيرها من أشكال السيطرة الأجنبية ، وتؤكد على شرعية نضالها ، وبصورة خاصة ، نضال حركات التحرير الوطني ، وفق أهداف ومبادئ الميثاق وقرارات أجهزة الأمم المتحدة . » ودان القرار « أعمال القمع والارهاب التي تستمر الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية بممارستها ، حارمة الشعوب من حقها الشرعي في تقرير مصيرها واستقلالها ، ومن حقوق الانسان الأخرى ، والحريات الأساسية . » كما قررت الجمعية العامة ، تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من ٣٥ دولة وطلبت من جميع الدول ، أن تقدم إلى هذه اللجنة اقتراحاتها حول الحل المناسب لقطع دابر الارهاب .

وقد استمر عمل هذه اللجنة عدة سنوات ، إلى أن وضعت تقريرها حول مشكلة الارهاب في عام ١٩٧٩ ، وقد جاء في إحدى فقرات ذلك التقرير مايلي : « تسلم الجمعية العامة بأنه ينبغي لها ولمجلس الأمن الدولي ، من أجل الاسهام في القضاء على الأسباب الكامنة وراء الارهاب الدولي ومشكلة الارهاب الدولي ، أن يوليا اهتماماً خاصاً لجميع الحالات ، بما في ذلك ضمن أمور أخرى ، الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على الاحتلال الأجنبي ، أي الحالات التي قد تدفع إلى الارهاب الدولي ، وقد تعرّض السلم والأمن الدوليين للخطر ، وذلك بقصد تطبيق ما يتصل بالموضوع ، حيثما أمكن ذلك ، من أحكام ميثاق الأمم المتحدة ، بما في ذلك الفصل السابع منه . »

الارهاب الصهيوني

ومع إخفاق الصهاينة وحلفائهم في استصدار قرار دولي من الأمم المتحدة ، يدين

الصهاينة لا العرب هم الإرهابيون الحقيقيون

نضال حركات التحرير الوطني والقومي ويصبغه بالإرهاب ، انقلب هؤلاء إلى تأليب أوروبا الغربية معهم بزعامة الولايات المتحدة ، لإمساك القانون الدولي بأيديهم ، وممارسة الإرهاب باسم هذا القانون ، وفي ذلك هروب واضح من وضع النقاط على الحروف ، والإمساك بتلابيب الإرهابيين الحقيقيين ، في منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص ، الذين كانوا « المخترعين » لفنون الإرهاب وأساليبه المختلفة التي نعايش منذ سنوات فصولاً منها ، وردوداً عليها .

فالإرهابيون الحقيقيون هؤلاء هم الصهاينة ، الذين كانوا أول من استخدم أسلوب خطف الطائرات واحتجاز ركابها المدنيين كرهائن ، وأول من لجأ إلى نسف حافلات الركاب ، وأول من محا من الوجود قرية بأكملها ، وأول من هاجم بالقنابل سفارة أجنبية ، وأول من قتل مبعوثاً دولياً ووزيراً بريطانياً ، وأول من نسف داراً للسينما ، وزرع متفجرات في مكاتب بريد ومقاه شعبية وأسواق خضار ..الخ في منطقة الشرق الأوسط .

وفيما يلي تسجيل لأبرز الأعمال الإرهابية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية على مدى أكثر من نصف قرن من الزمن :

• ١١ ــ ١١ ــ ١٩٣٧ : ألقيت قنبلة على مجموعة من العرب كانوا يجلسون بالقرب من مرآب لشركة حافلات (باصات) عربية ، فقتل اثنان وجرح آخران .

• ٦ ــ ٣ ــ ١٩٣٨ : أُلقيت قنبلة بسوق الخضار بمدينة حيفا ، فقتل ١٨ عربياً وجرح ٣٨ آخرون .

• ٦ ــ ٧ ــ ١٩٣٨ : انفجرت سيارتان ملغومتان وضعتهما عصابة الايتسل في حيفا ، فقتل ٢١ عربياً وجرح ٥٢ آخرين ، وفي نفس هذا اليوم انفجرت قنبلة بالقدس القديمة فقتلت عربيين وجرحت أربعة آخرين .

• ١٥ ــ ٧ ــ ١٩٣٨ : انفجرت قنبلة زرعها الصهاينة بالقرب من أحد المساجد بالقدس أثناء خروج المصلين منه ، فقتل عشرة من العرب وجرح ثلاثون آخرين .

• ٢٥ ــ ٧ ــ ١٩٣٨ : انفجرت سيارة ملغومة في السوق العربي بحيفا ، فقتل في الحادث ٣٥ عربياً وجرح ٧٠ آخرين . وفي اليوم التالي ألقيت قنبلة على نفس السوق ، فقتل ٢٧ عربياً ، وجرح ٤٦ آخرين .

• ٢٦ ــ ٨ ــ ١٩٣٨ : انفجرت سيارة ملغومة بسوق القدس ، مما أسفر عن مقتل ٣٤ عربياً وجرح ٣٥ آخرين .

• ٢٧ ــ ٢ ــ ١٩٣٩ : فجّرت عصابة الايستل قنبلتين في حيفا ، مما أدى إلى مصرع ٢٧ عربيا وجرح ٣٩ آخرين ، وفي نفس اليوم قتل بتل أبيب على أيدي العصابات الصهيونية ، ثلاثة من العرب وجرح رابع ، وفي القدس قتل ثلاثة من العرب وجرح ستة آخرين .

• ٢٩ ــ ٥ ــ ١٩٣٩ : أُلقيت قنابل داخل سينما « ركس » بالقدس ، فأصيب ١٨ شخصاً بينهم يهوديان بجروح .

• ٢٦ ــ ٨ ــ ١٩٣٩ : أُلقيت قنبلة بمدينة يافا ، فقتلت ٢٤ عربياً ، وجرحت ٣٥ آخرين .

• ٢٣ ــ ٣ ــ ١٩٤٤ : قامت عصابة الايتسل بنسف منزل من أربعة طوابق في يافا بحجة أنه مركز للشرطة السرية البريطانية (أيام الانتداب البريطاني على فلسطين) ، وبنفس الحجة ، نُسف منزلان آخران أحدهما في القدس والثاني في حيفا .

• ٢٢ ــ ٧ ــ ١٩٤٦ : نسفت الايتسل الطرف الجنوبي من فندق الملك داوود ، حيث توجد مكاتب حكومة الانتداب البريطاني ، وقد قتل في الحادث ثمانون شخصاً بينهم موظفون بريطانيون وعرب ويهود وزائرون ومراجعون تواجدوا في الفندق بمحض الصدفة .

• ٧ ــ ٢ ــ ١٩٤٧ : هاجمت وحدة من عصابة الهاغاناه الصهيونية قرية سعسع العربية بمنطقة الجليل ، حيث قامت بتدمير عشرين منزلاً على من فيها ، وقتلت بذلك ٦٠ شخصاً .

• وفي أواخر عام ١٩٤٧ ، هاجمت الهاغاناه قرية الخصاص بالجليل الأعلى وقتلت عشرة من العرب بينهم خمسة أطفال ، كما هاجمت قرية سلواد بمنطقة القدس ، وقتلت امرأة وطفلين ، كذلك هاجمت حافلة ركاب في حيفا وقتلت جميع ركابها العرب ، وفجّرت فندق سميراميس بالقدس على رؤوس نزلائه ، ومنهم نائب القنصل الأسباني بالقدس .

• قبل قيام الكيان الصهيوني بحوالي سبعة أشهر ، وبتاريخ ٩ ــ ١٠ نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ ، اقدم الصهاينة من عصابتي الايتسل وليحي على قتل أكثر من ٢٥٠ عربياً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ بقرية دير ياسين في مذبحة جماعية .

• في ١١ ــ ١٥ ــ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٣ : هاجم الصهاينة قرية قبية وقتلوا ٧٥ عربياً ، ثم دمروا القرية .

• ٢٨ ــ ٢٩ آذار (مارس) : هاجموا قرية غالين ، وقتلوا ١٤ عربياً ثم دمروا القرية .

• ٨ ــ ٢ ــ ١٩٥٥ : هاجمت القوات الصهيونية قطاع غزة ، وقتلت ٣٨ عربياً وجرحت ٣١ آخرين .

• ١١ ــ ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٥ : هاجمت قوات صهيونية قرية البطيحة بسوريا ، وقتلت ٥٠ عربياً ، وأسرت ٢٨ آخرين .

• ١٠ ــ ١١ ــ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٦ : هاجموا قرى الضفة الغربية وقتلوا ٤٨ عربياً وجرحوا ٣١ آخرين .

• ٢٩ ــ ١٠ ــ ١٩٥٦ : هاجموا قرية كفر قاسم حيث ارتكبوا مذبحة فيها ذهب ضحيتها ٤٩ عربياً .

• في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ : هاجموا قرية السَّموع الواقعة قرب مدينة الخليل بالضفة الغربية ، وبعد أن نسفوا أكثر من ٤٠ منزلاً ، قتلوا عشرين عربياً من سكان القرية .

الارهاب الصهيوني ضد الدول العربية

• كان الصهاينة أول من اختطف طائرة ركاب في منطقة الشرق الأوسط ، حيث قاموا في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤ ، باختطاف طائرة ركاب سورية واحتجزوا ركابها كرهائن ، للضغط على السلطات السورية للافراج عن جنود اسرائيليين أسرى .

• في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ : قامت قوات إسرائيلية بغارة جوية على مطار بيروت الدولي ، ونزلت فيه لبعض الوقت ، حيث دمرت ١٣ طائرة مدنية لبنانية .

• في شباط (فبراير) ١٩٧٠ : أغارت طائرات حربية اسرائيلية على العمق المصري ، موجهة قنابلها إلى أهداف مدنية في المدن والقرى المصرية ، حيث تعرض مصنع في أبوزعبل للقصف ، مما أسفر عن مقتل ٨٠ من العمال المصريين ، وفي نيسان (ابريل) من نفس العام ، قصفت طائرات إسرائيلية مدرسة

بحر البقر ، فقتلت أكثر من أربعين من طلابها .

• ٨ ـ ٧ ـ١٩٧٢ : انفجرت شحنة ناسفة وضعها عملاء الصهاينة في سيارة الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في بيروت ، فقتلته مع ابنة أخته لميس .

• ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٧٢ : انفجرت رسالة مفخخة بمدير مركز الابحاث الفلسطيني الدكتور أنيس صايغ ، بينما كان يفض الرسالة في مكتبه بالمركز الواقع ببيروت ، فبترت بعض أصابعه وأصابته في وجهه وبعض أجزاء جسده بجروح .

• ٢٥ ـ ٧ ـ١٩٧٢ : انفجر طرد بريدي مفخخ بمسؤول آخر في مركز الأبحاث الفلسطيني هو السيد بسام أبو الشريف ، فأصابه بجروح في وجهه ، وفقأ إحدى عينيه .

• ١٧ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢ : قام عميلان للاستخبارات الصهيونية باطلاق النار على ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بروما وائل زعيتر ، بينما كان يهمّ بدخول منزله ، وأردياه قتيلاً . كما انفجرت رسالة مفخخة بعد ذلك بأيام بمسؤول بمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر هو «أبو خليل» ، وأخرى بمكتب المنظمة بليبيا فجرحت ثلاثة أشخاص .

• ٨ ـ ١٢ ـ١٩٧٢ : في باريس فجر عملاء جهاز الموساد الصهيوني شحنة من المواد المتفجرة في شقة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لدى فرنسا محمود الهمشري الذي توفي في وقت لاحق متأثراً بجراحه .

• ويضيق المجال لو أردنا إحصاء الجرائم الصهيونية ، ورصد الإرهاب الصهيوني ضد العرب في الدول العربية أو في الخارج ، لكننا نشير إلى اسقاط طائرة ركاب ليبية في عام ١٩٧٣ بعد أن ضلّت طريقها فوق سيناء ، وقتل جميع ركابها الثمانين في الحادث ، ثم اغتيال باسل القبيسي وأحمد بوشيكي في أوربا . كما نشير إلى حادث الاعتداء على رؤساء البلديات بالضفة الغربية المحتلة في عام ١٩٨٠ عن طريق تفخيخ سياراتهم ، مما أدى إلى بتر ساقي بسام الشكعة ، وبتر قدم كريم خلف ، ثم مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا ببيروت في عام ١٩٨٢ .

الارهاب الصهيوني ضد الأوروبيين

بالاضافة إلى العرب ، فإن الصهيونية لم تتورع عن تصفية جميع الذين اعترضوا على اعتداءاتها وجرائمها وسياساتها ، تصفية جسدية من الأوروبيين وغيرهم .

• ٢٩ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ : نسف الصهاينة السفارة البريطانية في روما ، بدعوى أنها كانت مركزاً لشبكة تجسس بريطانية تعمل ضد هجرة اليهود إلى فلسطين .

• آب (اغسطس) ١٩٤٧ : قامت عصابة الايتسل بمحاولة نسف فندق زاخر بفيينا (النمسا) ، بحجة أنه كان يستخدم كمقر للجنود البريطانيين كما قامت العصابة الصهيونية ، بمحاولتين لتدمير قطارين في ألمانيا والنمسا .

• أما عصابة ليحي (شتيرن سابقا) فقد قامت في ٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٧ بقتل اللورد وولتر موين الوزير البريطاني المقيم في القاهرة ، بحجة وقوفه ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

• ٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ : هاجمت «ليحي» فرع بنك باركليس بتل أبيب وسلبت ٤٥ ألف جنيه منه .

• ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٤٨ : هاجمت نفس العصابة الصهيونية البنك نفسه واستولت منه على ٢٠٠ ألف جنيه .

• ١٧ ـ ٨ ـ ١٩٤٨ : قتل مسلحون من عصابة ليحي الوسيط الدولي بفلسطين الكونت فولك برنادوت بسبب وقوفه ضدّ ضم منطقة النقب إلى الكيان الصهيوني المقترح بموجب قرار التقسيم الصادر في أواخر عام ١٩٤٧ عن الأمم المتحدة .

• وفي عام ١٩٥٤ ، حاول عملاء لجهاز الاستخبارات الصهيوني نسف بعض المؤسسات الأمريكية في مصر ، لهزّ ثقة الغرب بمصر وإظهار قادة الثورة الجدد بمظهر العاجز عن ضبط الأمور في البلاد ، ولتأخير انسحاب القوات البريطانية من منطقة قناة السويس ، وقد نجح عملاء الموساد الذين أرسلهم الجهاز إلى مصر من فلسطين المحتلة ، في تخريب بعض المنشآت في القاهرة والأسكندرية بالقاء قنابل عليها ، لكن السلطات المصرية قبضت على أولئك الاسرائيليين وأعدمت اثنين منهم .

عود على بدء

ونعود إلى القول إن القضاء على الإرهاب ، لا يكون بممارسة الإرهاب «الرسمي» ، أو بالامساك بالقانون الدولي لتسخيره لتبرير الرد على الإرهاب بالإرهاب ، وإنما يكون بمعالجة المشكلة التي نبع منها الإرهاب من جذورها ، واكتشاف الإرهابيين الحقيقيين والقضاء عليهم . وبالنسبة لما يصفه الصهاينة والمستعمرون «بالإرهاب العربي» ، فهو إن صحّت تسميته كذلك ، فانما هو كما قلنا عبارة عن ردّ فعل على الإرهاب الصهيوني ومحتضني هذا الإرهاب من المستعمرين ، أما لو وقف المعربدون ضد «الارهاب العربي» المزعوم في أيامنا هذه ، وقفة إنصاف وتعقّل ، وذلك لمصلحتهم قبل مصالح العرب «لو كانوا يتفكرون» ، لوجدوا أن بؤرة الارهاب في منطقة الشرق الأوسط ، والتي ولدّت «الإرهاب المضاد» أو ردود الفعل الثورية في المنطقة ، إنما هي الكيان الصهيوني ، الذي يمارس الإرهاب كل يوم وكل ساعة ، وكأنه رياضة جسدية وعقلية .

ولا يحتاج المرء جهداً كبير لكي يكتشف ان الحركة الصهيونية إنما قامت على العنف والإرهاب والقتل ، فواضع الفكرة الصهيونية تيودور هرتسل نفسه يقول بكل وضوح محرضاً على الإرهاب والعنف :

«لنفترض مثلاً ، أننا نريد تطهير غابة من الوحوش الضّارية .. طبعاً لن نحمل القوس والنشّاب ، ونذهب فرادى في إثر الدببة والذئاب ، كما كان يفعل الأوروبيون في القرن الخامس عشر ، بل إننا سننظم ، حملة صيد جماعية ضخمة ، مجهزّة بأحدث معدات الفتك والتدمير ، ونتوجه حينئذ لقتل الحيوانات بالقنابل والمتفجرات والرصاص .»

. وقد ترجم زئيف جابوتنسكي أفكار هرتسل بقوله : «إننا نستطيع أن نُلغي كل شيء : القبّعات والأحزمة والألوان والشراب والأغاني .. أما السيف فلا يمكن إلغاؤه ..

عليكم أيها اليهود أن تحتفظوا بالسيف ، لأن التوراة والسيف قد أنزلا علينا من السماء !!» ، وبوضوح أكبر قال دافيد بن غوريون :

«إن الوضع في فلسطين لا يمكن تسويته إلا بالقوة العسكرية ، فالحرب هي الحرب .. وسياسة الصهيونية يمكن اختصارها بعبارة واحدة هي التجمع ثم الاقتحام» ، وعبارة مناحم بيغن الشهيرة ، التي قلب فيها معادلة الفيلسوف الفرنسي ديكارت والتي قال فيها : «أنا أحارب (بدلاً من أنا أفكر) .. إذن أنا موجود .. وكُنْ أخي وإلاّ فسأقتلك» هي الصيغة الأوضح والأفصح في كتاب الإرهاب الصهيوني .

عصام شريح

معركة الإسلام وأصول الحكم

١

نقض كتاب

الإسلام وأصول الحكم

بقلم: الدكتور محمد عمارة

كانت «العلمانية» ـ بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة ـ بالنسبة للواقع العربي والإسلامي، وقبل أن يتبلور في حياتنا الفكرية، في القرن التاسع عشر الميلادي، تيار مجلة (المقتطف) (١٨٧٦ ـ ١٩٥٢ م) وصحيفة (المقطم) (١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ م).. كانت «العلمانية»، بالنسبة لنا، قبل تبلور هذا التيار، لا تعدو أن تكون نبتاً أوربياً خالصاً وخاصاً، نسمع عنها ونقرأ حولها كما نسمع ونقرأ عن الأفكار التي لا علاقة لها بتاريخنا القديم أو واقعنا الحديث، فهي قضية من قضايا الفكر الأوربي، خاصة به، أثمرتها الملابسات الخاصة بواقع القرون الوسطى والمظلمة التي عاشها الأوربيون تحت الهيمنة المستبدة للكنيسة الكاثوليكية.. لم ينبت لها نبت، بل ولم توضع لها بذرة واحدة في أرض العروبة والإسلام.

أما بعد تبلور تيار (المقتطف) و(المقطم) ـ يعقوب صروف (١٨٥٢ ـ ١٩٢٧ م) وفارس نمر (١٨٥٦ ـ ١٩٥١ م) وشاهين مكاريوس (١٨٥٣ ـ ١٩١٠ م) ـ ومن نحا نحو هذا التيار في هذه القضية، من مثل شبلي شميل (١٨٦٠ ـ ١٩١٧ م) ونقولا حداد (١٨٧٨ ـ ١٩٥٤ م) وجرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤ م) وفرح أنطون (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢ م) وسلامة موسى (١٨٨٨ ـ ١٩٥٨ م) وذيوله المعاصرة... أما بعد تبلور هذا التيار العلماني، فلقد ظلت «العلمانية» مجرد «خيار غير إسلامي» لنفر من غير المسلمين، أنشأه وبلوره وزكاه ـ لدى بعضهم ـ: العداء المستكن للإسلام، والاعجاب المفرط، الى درجة الانبهار والتقليد، للحضارة الغربية، ورد الفعل الحاد لمأساة التعصب الطائفي الذي لعب الاستعمار الدور الأول في إشعال ناره بلبنان والشام عام ١٨٦٠ م.. الى جانب الرفض المشروع والمبرر لبعض ممارسات الدولة العثمانية، المحسوبة ـ ظلماً وافتراء ـ على الإسلام وموقفه

■ هل يعرف مُثقفو هذا الجيل أهمّية الكتاب الذي تصدّى لكتاب الشيخ علي عبد الرازق بالنقد والحوار؟

■ حدّد المؤلف - أوّلاً - هويّته الفكريّة، ثم اتّهم الشيخ علي عبد الرازق بالتغريب لا بالتجديد!

■ استطاع الشيخ "الخضر" أن يُمسك بتلابيب الشيخ علي عبد الرازق عندما تتبّع أمانته في النقل!

■ لاشيء يُسْهِم في ترشيد الحركة الفكريّة بتياراتها المختلفة مثل الوعي بالمقولات موطن الخلاف

■ لماذا أحالنا الشيخ علي عبد الرازق إلى كتاب "السير أرنولد" في تحقيق حكم شرعي؟!

■ لقد أدرك المسلمون فن السياسة ببصيرة لم تفتتن بزخرف المدنية الغربية

من «الكتابيين» غير المسلمين.

لقد ظلت «العلمانية» خاصة من خصائص هذا التيار، بلورها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وصحبها، مع ذيوله، إلى الربع الأول من القرن العشرين.. لم يشاركه في القول بها، فضلاً عن الدعوة إليها مفكر مسلم.. إلى أن كان إبريل عام ١٩٢٥ م عندما طلع علينا المرحوم الشيخ علي عبدالرازق (١٣٠٥ ـ ١٣٨٦ هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٦٦ م) بكتابه (الإسلام وأصول الحكم) فكان أول كاتب مسلم يسعى إلى زرع «العلمانية» في العقل الإسلامي، وفي واقع المسلمين..

ولقد كان أخطر مافي هذه المحاولة «الوحيدة والفريدة»، أنها قد جاءت في «ثوب اسلامي» وتحت «رايات إسلامية»، ومن عالم فاضل تخرج من الجامع الأزهر، ويشغل منصب القاضي في المحاكم الشرعية الإسلامية.

فبعد أن كانت «العلمانية» حلاً أوربياً خاصاً لمشكل أوربي خالص، لايدعو إليه، في واقعنا الفكري، سوى نفر من غير الاسلاميين وغير المسلمين، المقلدين لحضارة الغرب.. جاء الشيخ علي عبدالرازق فتصور القضية، في الفكر الإسلامي وفي واقع المسلمين، القديم والحديث، على النحو الذي كانت عليه في المسيحية الكاثوليكية وفي واقعها الأوربي!..

• فالإسلام، عنده: دين لا سياسة.. ورسالة لاحكم.. وروحانية لادولة.. وبلاغ مجرد عن التنفيذ ـ كما كانت المسيحية الأولى دعوة لـ «دعوا مالقيصر لقيصر وماالله لله» ـ

• والخلافة الإسلامية، عنده: كانت «كهنوتاً».. خليفة مستبد، لايُسأل عما يفعل، لأنه يستمد سلطانه من الله ـ كما كان الحال مع تجربة الحكم «بالحق الإلهي» في أوربا المسيحية، عندما ساد تحالف الكنيسة والأباطرة والملوك.

• ولذلك، فلقد تصور الشيخ علي عبدالرازق الحل عندنا ـ كما كان في أوربا الكاثوليكية ـ هو «العلمانية»!..

لقد صور الاسلام، في هذا الجانب: مسيحية.. وصور الخلافة الاسلامية، تاريخيا: كهانة كنسية وحكماً، مستبداً، بالحق الإلهي.. فكانت «العلمانية» عنده، بسبب هذا التصور، حلاً إسلامياً لمشكل إسلامي، بعد أن كانت ـ قبل كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ـ حلاً أوربياً خاصاً لمشكل أوربي خالص، لايدعو إليه، في بلادنا، سوى نفر قليل من غير المسلمين المقلدين للحضارة الغربية!..

الصراع الفكري حول هذه القضية

وإذا كان أبناء المرحوم الشيخ علي عبدالرازق يؤكدون أن أباهم قد عدل، أواخر حياته، عن تصوره هذا، وتراجع عن دعواه هذه.. فرفض إعادة طبع كتابه.. وهَمَّ بكتابة نقد ذاتي للأفكار المحورية التي تضمنها كتابه، لكن الأجل وافاه قبل أن يتمه... إذا كان هذا هو أمر الشيخ ورجوعه عن «العلمانية»، فإن كتابه الذي ادعى «علمنة الاسلام» لايزال شهيراً، يحمل سحراً خالصاً لدى قطاع مؤثر من المفكرين والمثقفين والقراء على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام..

والذين عاشوا تلك الحقبة التي ظهر فيها كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وكذلك الذين درسوا الأحداث الفكرية لتلك الحقبة، يعلمون أنه قد صدرت كتب ونشرت دراسات عديدة، ردت على دعاوي الشيخ علي عبدالرازق، وفندت ماحواه كتابه من آراء.. وكل هؤلاء يعلمون أن على رأس هذه الردود يأتي كتاب الشيخ الفاضل والمجدد الإسلامي الإمام الأكبر محمد الخضر حسين (١٢٩٣ ـ ١٣٧٧ هـ ١٨٧٦ ـ ١٩٥٨ م)، الذي حمل عنوان: (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)..

وأمام هذه الحقيقة من حقائق تاريخنا الفكري، تبرز مفارقات وتساؤلات:

• فكم من الناس هم المفتونون بعلي عبدالرازق.. حتى ولو لم يقرأوا كتابه؟!..

• وكم من الناس قد سمع ويسمع بالخضر حسين؟ فضلاً عن كتابه الذي نقض به بناء كتاب علي عبدالرازق؟!..

الإسلام وأصول الحكم

ان قطاعات مؤثرة من الحركة الفكرية، وفيها، تنحاز للعلمانية — دون أن تدري خصوصية نشأتها الأوربية — وهذه القطاعات تتصور الإسلام علمانياً — دين لادولة، ورسالة لاحكم — لأن الشيخ علي عبدالرازق قد قال ذلك، عام ١٩٢٥ م.. دون أن تعرف أن هناك من نقض هذه المقولة وفند الدعوى بمنطق وبراعة يشهدان للعقل العربي والمسلم بالأصالة والتفوق والإبداع..

كذلك فإن هناك قطاعات مؤثرة من الحركة الفكرية، وفيها، يدينون على عبدالرازق، دون أن يقرأوه!.. وأخطر من ذلك تصورهم أن الرد عليه وعلى «العلمانية» هو «غثاؤهم الفكري» الذي يعرض الإسلام: «كهانة».. و«دولة دينية».. و«حاكمية» تجرد الأمة من حقها في أن تكون — حيال السياسة والدولة وتنظيم المجتمع وعمارة الكون — هي مصدر السلطات... الأمر الذي يؤدي — شاءت تلك القطاعات «الإسلامية» أو لم تشأ — إلى أن يصبح هذا «الغثاء الفكري» هو المرتكز الذي يبرر به العلمانيون «العلمانية» التي إليها يدعون وبها يبشرون!..

ومن سخريات حياتنا الفكرية أن هذه القطاعات «الإسلامية» لاتدري أن كتاب علي عبدالرازق قد نقضه وفنده علماء لم يسلكوا لذلك سبيل تجريد الأمة الاسلامية من حقها — بل واجبها — في أن تكون مصدر السلطات!.

ومن هنا جاء اعتقادنا الراسخ بأنه لاشيء يسهم في ترشيد الحركة الفكرية، بفصائلها وتياراتها المختلفة، مثل: الوعي بالمقولات موطن الخلاف.. والإحاطة الواعية بمعالم الصراع الفكري الخصب الذي دار حول هذه القضية الجوهرية من قضايا ديننا ودنيانا.. وتأمل وثائقها الفكرية التي جمعت حجج مختلف الأطراف والفرقاء.. ثم الانطلاق من ذلك، وبعده، إلى الابداع والاضافة، مواكبة للجديد الذي يطرحه الواقع الذي نعيش فيه.

أهم وأخطر كتاب

واذا كنا قد سبق وتناولنا بالعرض والنقد والتقييم، كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للمرحوم الشيخ علي عبدالرازق.. فإن الأمانة تدعونا إلى تقديم هذه الدراسة عن أهم كتاب تصدى لكتاب الشيخ علي عبدالرازق بالنقد والحوار والتقييم والتنفيد... إنه كتاب، لم يحظ — رغم اهميته وخطورته — بما حظي به كتاب الشيخ علي عبدالرازق من شهرة بين مثقفي هذا الجيل.. فماذا قال الشيخ الخضر في رده على الشيخ علي عبدالرازق!

في هذا الكتاب — (كتاب الشيخ الخضر) — (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) — عمد المؤلف إلى نهج يغني قارئه عن قراءة الكتاب الذي يرد عليه وينقضه.. فإذا لم يتيسر للقارئ الاطلاع على كتاب الشيخ علي عبدالرازق، فإنه سيطلع عليه في ثنايا كتاب الشيخ الخضر، حتى ليكاد الرجل لايترك من كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فقرة إلا أوردها ليناقش صاحبها ولينقدها وينقض فكرتها أو يبين رأيه فيها.. فهو يتتبع أبواب الكتاب، موضوع النقض، باباً بعد باب، فيبدأ بتلخيص الباب.. ثم يأخذ في إيراد الفقرة المعبرة عن الفكرة، فينقضها، وهكذا، إلى نهاية الباب.. ففيه معظم نصوص كتاب علي عبدالرازق.. الأمر الذي يغني القارئ له عن كتاب علي عبدالرازق..

وفي هذا الكتاب يتجلى الخضر، في أسلوبه واختيار ألفاظه.. «عالما — أديباً».. فهو ينتقي ألفاظه المعبرة بدقة شديدة عن المعنى المراد كما يصنع «الفلاسفة — العلماء».. وهو يتخير من هذه الألفاظ المحكمة ماهو جميل، ويصوغها في أسلوب بالغ الرقي، كما يصنع الأدباء الذين برعوا في تذوق العربية وفقهوا أسرار جمالها وأعانهم على ذلك علم غزير بعلومها.. حتى ليصلح أسلوب الرجل وبيانه لأن يكون نموذجاً للغة «العلماء — الأدباء»!..

وفي هذا الكتاب نرى الشيخ الخضر عالماً بالمنطق وقضاياه — بالمعنى الفني والاصطلاحي بارعاً في فن الجدل والمناظرة.. وإذا كان الشيخ علي عبدالرازق قد برع في «المراوغات التشكيكية» التي مكنته من أن يضع في كتابه متناقضات يستطيع أن يلجأ من إحداها إلى الأخرى، عند المناظرة وفي أسلوب وبألفاظ قد تسعفه إذا هو شاء أن ينفي عن كتابه التناقض!؟ — وهو الأمر الذي وضح جلياً في «مذكرة» دفاعه عن نفسه ودفعه لاتهامات «هيئة كبار العلماء» (١).. فإن براعة الشيخ الخضر في فن الجدل وأدب المناظرة قد مكنته من تتبع «المراوغات التشكيكية» للشيخ علي عبدالرازق، في صبر وأناة ورسوخ قدم، يحسده عليها أهل العلم وأساطين الجدل والمناظرة.. وإن بدا الرجل، في هذا الميدان، غير مألوف بالنسبة للقراء المتعجلين!؟..

كذلك، يتجلى الرجل، في كتابه هذا، «ناقداً — محققاً أميناً».. فهو لايقف في نقد مصادر خصمه عند ما استند إليه الخصم من نصوص واقتباسات، بل يعود إلى المصادر التي يقتبس منها الخصم، ليتحقق من أمانته في النقل، وليرى هل انتزع النص من سياقه على نحو مخل باتساق الأفكار.. ولقد استطاع الرجل أن يمسك بتلابيب الشيخ علي عبدالرازق في بعض من هذه المواطن!..

وكمثال على هذا «النهج التحقيقي» في نقد استخدام المصادر، تتبع الشيخ الخضر لمقولة الشيخ علي عبدالرازق القائلة: ان علماء الكلام الاسلاميين قد قرروا للخليفة والامام سلطاناً إلهياً مطلقاً.. فلقد ذهب الشيخ الخضر إلى المصادر التي عزا إليها الشيخ علي هذه المقولة، فكشف غياب الدقة عن الرجل في هذا الادعاء — وهو يكشف لنا هذه الحقيقة، التي هي نموذج لهذا المنهج في «النقد بالتحقيق» فيقول: «قال المؤلف — (علي عبدالرازق) —، عازياً إلى (طالع الأنوار) (٢) وشرحه (مطالع الأنظار) (٣): «ولاغرو ان يكون له — (الخليفة) — حق التصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم» (٤) قطف المؤلف هذه الجملة من أصلها وأطلقها خالية من الروح التي تجعلها حكمة جليلة، فإن صاحب (الطوالع) إنما ألقاها في نسق التعليل لأخذ العدالة شرطاً من شروط الإمامة، فقال: (الرابعة: أن يكون عدلاً، لأنه يتصرف في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم). وقال شارحه في (المطالع). (لو لم يكن — يعني الامام — عدلاً لم يؤمن تعديه، وصرف أموال الناس في مشتهياته، وتضيع حقوق المسلمين). فالمراد من التصرف في الأموال والرقاب والأبضاع التصرف بحق، وهو التصرف بنحو القضاء، أو بعمل مشروع، كاستخلاص الأموال المفروضة، وحمل الناس على أمر الجندية. وولاية نكاح من لا ولي لها» (٥).

فهو، هنا، يحقق اقتباسات خصمه، ويكشف التجاوز الذي حدث في الاستشهاد بسبب عزل العبارة المقتبسة، قسراً، عن السياق الذي وردت فيه!..

على درب تجديد الإسلام

ولقد كانت المعركة بين الشيخ علي عبدالرازق وبين خصومه، في نظر التيار

«العلماني» على وجه الخصوص، قد اتخذت صورة الصراع بين «التجديد» وبين «الجمود والتقليد».. فصاحب (الإسلام وأصول الحكم) قد قدم نفسه كمجرد إسلامي، وتحدث عن كتابه كإبهام في التجديد الديني.. كما اشتملت جبهة خصومه على أصوات كثيرة مثقلة بنغمات «الجمود والتقليد».. لكن الشيخ الخضر حسين لم يكن من هؤلاء، ولا كان كتابه صوتاً من هذه الأصوات.. فلقد كان الرجل مجدداً إسلامياً راسخ القدم على درب تجديد الإسلام، يخاصم الجمود والتقليد، ويرى فيهما شذوذاً على نهج الاسلام الحق والمسلمين الحقيقيين.. وفي هذا الصدد يقول: «.. من أول ما عني به الاسلام في تشريعه أن أطلق العقول من وثاق التقليد، وفتح أمامها باب النظر حتى تعبر إلى قرارة اليقين على طريق الحجة والبرهان، قال تعالى: (ولاتَقْفُ ماليس لك به علم)(٦) وقال: (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني عن الحق شيئاً)(٧). وقد جرى علماء الإسلام ولاسيما السلف الصالح، على هذا المنهج، فكانوا لايتابعون ذاالرأي على رأيه ولايتقلدون حكماً قبل أن يعلموا مستنده، وإذا عرفوا المستند عرضوه على قانون الأدلة السمعية ووزنوه بميزان النظر ليعلموا مبلغه من الصحة، فإذا ثبت على النقد وسلم من وجوه الطعن رفعوه على كاهل القبول وإلا نبذوه نبذ الحذاء المرقع، غير مبالين بمقام مدعيه وإن حاكى القمر رفعة وسناء! ومن درس مسائل الخلاف من عهد الصحابة رضي الله عنهم، إلى العصر الذي ساد فيه القول بسد باب الاجتهاد، رأى الصحابة كيف يخالف بعضهم بعضاً ولاينقاد صغيرهم إلى كبيرهم إلا بزمام الحجة، وسار على هذا الاستقلال وحرية الفكر التابعون فمن بعدهم، ولايكبر على أحد من المجتهدين أن يناظر أستاذه أو من كان أوفر منه علماً وأوسع نظراً فيقارع حجته بالحجة، حتى إذا لم تمتلئ نفسه بالثقة من أدلته اجتهد لنفسه وأقام بجانب مذهبه مذهباً، ولتجدن من هؤلاء من يبلغه مذهب الصحابي في قضية لم ينعقد عليها إجماع فيستأنف النظر في دلائلها ولايكون في صدره حرج أن يخالف الصحابي أو يرجح مذهب تابعي على مذهبه»(٨).

وهذا الانحياز الإسلامي إلى التجديد قد ظل نهجاً لم يخل منه عصر — وإن ذبل خلال مرحلة الانحطاط والجمود — المملوكية العثمانية — أما في عصرنا، عصر اليقظة «فإن في العالم الأسلامي علماء شبوا على حرية الفكر وإطلاق العقل من وثاق التقليد الأصم، فهم لايكرهون لذوي الألباب أن يبحثوا حتى في أصل العقائد (وجود الخالق)، وهم لايستطيعون أن يحولوا بين المرء ومايعتقد من باطل، وليس في أيديهم سوى مقابلة الآراء بما تستحقه من تسليم أو تفنيد»(٩).

هكذا حدد الشيخ الخضر موقعه في هذه المعركة وأبان عن هويته، فهو نصير للتجديد، وخصم للجمود والتقليد، ومن هذا الموقع يتقدم لنقض كتاب الشيخ علي عبدالرازق «بمقابلة الآراء بما تستحقه من تسليم أو تفنيد»!

وإذا كان الرجل قد حدد موقعه وأبان عن هويته في هذا الصراع الفكري، فهو قد نفى عن علي عبدالرازق سمة التجديد، وأعلن عن ان «التغريب» والافتتان بالغرب ومقولات كتاب ونظريات فلاسفته وتصورات مستشرقيه هو الذي جعل الشيخ علي عبدالرازق ينظر إلى الاسلام — في قضية الدولة والسياسة — بالمنظار الذي نظرت به النهضة الأوربية إلى المسيحية الكاثوليكية، فيرى الخلافة: استبداداً وحكماً بالحق الآلهي وكهانة تجعل الحاكم نائباً عن الله، لايُسْأل عما يفعل.. ويرى الاسلام: ديناً لادولة، ورسالة روحية يا بعد مابينها وبين السياسة وتنظيم المجتمعات..

إنه تقليد الغرب، ذلك الذي جعل صاحب (الاسلام وأصول الحكم) يرى الاسلام مسيحية تطلب أن ندع مالقيصر لقيصر وماالله لله!.. فهو «التغريب»، إذاً، وليس «التجديد»، المنطق الذي رآه الشيخ الخضر مصدراً لهذا الفكر الذي انفرد به الشيخ علي عبدالرازق دون كل علماء الاسلام على امتداد تاريخ الاسلام!..


الشيخ علي عبد الرازق

إنه يحدد «التغريب» — وتصور الاسلام — في السياسة — مسيحية — كعلة أولى لهذا الفكر، فيقول: «يتساءل الناس أحياناً عن الحال الذي لبس قلب المؤلف — (الشيخ علي عبدالرازق) حتى أصبح يقول على الله غير الحق: هل اقتحم هذه الخطيئة لقصور في الفهم؟ أم لداعية افتتانه بملة أخرى؟. إذا صح للقارئ أن يتردد في بعض المباحث السابقة، فإن هذا البحث (الذي تصور فيه علي عبدالرازق الاسلام «رسالة لاحكم ودين لادولة») لايبقي له ريبة في أن المؤلف قد يقصد إلى قلب الحقائق، حيث لايصح أن تنقلب في نظره(١٠)! فليس قصور الفهم هو علة هذه الأفكار..

وعندما يتحدث علي عبدالرازق عن وجود تصورين للحاكم في نظر علماء الإسلام، أحدهما — وهو مذهب الجمهور في رأيه — يرى الحاكم ذا سلطان إلهي مستبد... يبصر الشيخ الخضر أثر التقليد لمذاهب الغربيين — لا مذاهب الاسلاميين — في هذا الادعاء.. فيقول — في تحفظ العلماء ودقتهم —: «والذي يؤخذ بطريق الاستنتاج أن المؤلف عرف أن للغربيين في سلطة الملك مذهبين فابتغى أن يكون للمسلمين مثلهما، ولما لم يجد في كلام أهل العلم عن الخلافة مايوافق أو يقارب القول بأن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله تلمسه في المدائح من الشعر أو النثر...»(١١)!؟..

وعندما يستند الشيخ علي عبدالرازق إلى آراء المستشرقين «السير ارنولد» (١٨٦٤ — ١٩٣٠م) في تقرير «أحكام شرعية» خاصة بالامامة والخلافة، يبصر الشيخ الخضر أثر الافتتان بالغرب وتأثيرات الهيمنة التي تمارسها الحضارة الغربية على عقول البعض إلى الحد الذي جعلتهم يأخذون عنها، لا المباحث التاريخية الاجتماعية، بل وأحكام الشرع والدين؟!.. فيقول: «... ولو أحالنا المؤلف — (علي عبدالرازق) — على كتاب السير ارنولد — (الخلافة) — في بحث تاريخي أواجتماعي له مساس بالخلافة لأخذ منا الأسف على أن فاتنا الاطلاع عليه مأخذاً بليغاً، ولكنه أحالنا على كتاب السير أرنولد في تحقيق حكم شرعي، فقلنا. لعله أراد خلط الجد بالهزل، أوإخراج أحكام الشريعة من دائرة الراسخين في علومها!. يجب أن تكون قيمة الأحكام الشرعية في نظر المؤلف فوق هذا التقدير، ومإينبغي له أن يخيل إلينا أنا في حاجة إلى الاقتداء بعقول الغربيين حتى في أمور الدين من واجب وحرام. وإذا كان المؤلف يدري أن الشريعة أصولاً ومقاصد لم يدرسها

الإسلام وأصول الحكم

السير أرنولد حق دراستهما ، فإن إحالتنا على كتابه ليست سوى عثرة في سبيل البحث تعترض السذج فتكبوا بهم في تردد وارتياب (١١) .

وعندما يتصور الشيخ علي عبدالرازق ، ويصور الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مجرد « مبلغ » رسالة ، لاحظ له ولا شأن « بالتنفيذ » لما تضمنته هذه الرسالة من تنظيم للمجتمعات وسياسة للناس . ينبه الشيخ الخضر إلى تأثيرات صورة المسيح ، عليه السلام ، بنظر علمانية الحضارة الغربية ، في تلوين تلك الصورة المدعاة لنبي الإسلام .. « فالرأي الذي يقصده المؤلف -(علي عبدالرازق) - حسبما تصرح به ألفاظه وما يسوق عليه من الشبه - هو أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مبلغ فقط ، ولم يكن من وظيفته تنفيذ ما أوحى إليه بتبليغه ، وأنه لم يأت بشريعة لها مساس بالقضاء وسياسة الدولة . وهو رأي لم ينسج على أصل شرعي ولم يقم على بحث علمي ، ولكن الافتتان بزخرف الحياة الافرنجية يخامر العقل ، فإذا الخيال ينقّر بالقلم ماشاء أن ينقّر ، ويقلب صور الحقائق إلى مالايخطر على قلب افّاك أثيم » (١٢)

وإذا كان اللاهوت المسيحى قد تصور المسيح منبَتّ الصلة بالدولة والسياسة ، يدعو إلى أن ندع مالقيصر لقيصر وماله لله .. فهو قد تصوره إلهاً أو ابناً لله ، له خصائص الألوهية وصلاحياتها - فإذا جاء الشيخ علي عبدالرازق وتحدث عن سلطان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على القلوب سلطاناً يجعل له « حق التصريف لكل قلب تصريفاً غير محدود » ... رأينا الشيخ الخضر ينبه على أن الاسلام يرى الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بتصريف القلوب .. وينقل رأي الحافظ بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) في (فتح الباري) والذي يقول فيه : « إن الله تعالى تمدح بالانفراد بذلك ولا مشارك له فيه ».. ورأي البيضاوي (٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م) الذي يقول في تفسير آية : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) (١٣) إن فى نسبة تقليب القلوب إلى الله اشعار بأنه يتولى قلوب عبادة ولايكلها إلى أحد من خلقه ... ثم يحدد الشيخ الخضر مصدر هذا « الغلو » فيقول : « وإنك لتجد في هذه الجمل من الغلو في الوصف مالم يذكره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن نفسه ، وإنما علق بقلم المؤلف -(علي عبدالرازق) - من أثر ديانة أخرى » (١٤) ! ..

وفي الحديث عن موقف علماء الاسلام من الفلسفة يلمح الشيخ الخضر خطر النهج الذي يجعل أصحابه مقلدين « لكل مايلفظ به الغربيون » (١٥) ...

ولم يكن الرجل داعية لإقامة الأسوار بين الحضارات ، ولكنه كان نصيراً للتفاعل الصحي الراشد ، الذي يقوم بين حضارات مستقلة بما تتمايز به وتتميز من سمات وخصائص .. وعدواً للافتتان بزخرف الحضارة الغربية ... وهو يتحدث عن هذا الموقف المتوازن عندما يعرض لموقف حضارتنا من الحضارة اليونانية ، فيقول : « لقد عنى المسلمون من علوم اليونان بالفنون التي كانت معروفة لهم ، أو كانت بضاعتهم فيها مزجاة (١٦) ، وكانوا يصرفون عنايتهم إلى هذه العلوم على قدر مايرون لها من فائدة ، وعلى حسب ماتمس إليه الحاجة ، فأقبلوا على العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والمنطق بمجامع قلوبهم ، وأعطوا جانباً من عنايتهم إلى مانقل لهم من سياسة أفلاطون وأرسطو ، مع علمهم بأن أيديهم مملوءة بمبادئ السياسة الكافية في تدبير مصالح الأمة وصيانة حقوقها على منهج الحرية السامية والعدالة الصادقة .. ومن نظر في تاريخ عظماء الاسلام ببصيرة لم تفتتن بزخرف المدنية الغربية رأي أن سيرتهم العملية وما يلفظون به من نوابغ الكلم مايشهد بأنهم أدركوا في فن السياسة شأواً بعيداً ولم يكن حظهم منها أقل من حظ دارسي كتابي الجمهورية والسياسة » (١٧) .


الشيخ الخضر حسين

لقد أبصر الشيخ الخضر أثر « التغريب » و « الافتتان بالحضارة الغربية » في مجيء دعوى الشيخ علي عبدالرازق جانحة عن مسار الفكر السياسي الإسلامي منذ تبلور هذا الفكر وحتى عصرنا الحديث .. ذلك أن من آفات هذا « التغريب » :

• تصور تطور كل المجتمعات على ذات الدرب وبذات المراحل وعلى نفس النحو الذي سلكها المجتمع الغربي في التطور !

• وتصور كل المدارس الفكرية والمذاهب والمنظومات الفكرية في ضوء مثيلاتها الغربية - إلى الحد الذي نرى فيه ذاتنا وتاريخنا وواقعنا بمنظار الاستشراق ! ..

محمد عمارة

الهوامش

(١) انظرها في كتابنا (الاسلام وأصول الحكم - للشيخ علي عبدالرازق) -

(٢) هو متن في التوحيد ، للإمام البيضاوي ، ناصرالدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي .

(٣) لشمس الدين أبي الثناء محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني .

(٤) الأبضاع : الفروج .

(٥) الباب الأول من الكتاب الأول (ص ١١ من طبعة الأصل) .

(٦) الاسراء : ٣٦ .

(٧) النجم : ٢٨ .

(٨) الباب الثالث من الكتاب الأول (ص ٣٨ ، ٣٩ من طبعة الأصل) .

(٩) الباب الأول من الكتاب الثاني (ص ١٣٠ ، ١٣١ من طبعة الأصل) .

(١٠) الباب الثالث من الكتاب الثاني (ص ١٧٢ من طبعة الأصل) .

(١١) الباب الأول من الكتاب الاول . (ص ١٤ من طبعة الأصل) .

(١١) الباب الثاني من الكتاب الأول (ص ٢٩ من طبعة الأصل) .

(١٢) الباب الثالث من الكتاب الثاني (ص ١٦٥ من طبعة الأصل) .

(١٣) الأنعام : ١١٠

(١٤) الباب الثالث من الكتاب الثاني (ص ١٦٦ من طبعة الأصل) .

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الأول (ص ٥١ طبعة الأصل) .

(١٦) أي رائجة

(١٧) الباب الثالث من الكتاب الأول (ص ٤٨ من طبعة الأصل) .

مقامة رمضانية لطه حسين

بقلم
محمد سيد كيلاني

عندما ينصرم شهر شعبان يبدأ الاستعداد لرؤية هلال رمضان المبارك فيصعد أحد قضاة الشرع إلى أعلى مئذنة فى المدينة ومعه مساعدان وينتظر حتى تغرب الشمس تماما . فإن ظهر له الهلال أوقد مصباحا معلقا فى قمة المئذنة ، وبذلك يعرف أن شهر الصوم قد بدأ ، ثم ينزل القاضى ويبلغ ذلك إلى أولى الأمر ، ويتبادل المسلمون التهانى وأطيب التمنيات . وفى ذلك الوقت يكون موكب الرؤية فى الانتظار تتقدمه فرقة من فرسان الشرطة ويشترك فيه أصحاب الحرف ومشايخ الطرق الصوفية ذاكرين الله ، حاملين أعلامهم ، ويطوفون بشوارع المدينة ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة ، ويخرج الأطفال إلى الشوارع وبيد كل منهم مصباح صغير وتنتشر محلات بيع الكنافة والقطائف فى كل مكان . وتوقد المصابيح على واجهات المنازل ومآذن المساجد . وقد وصف الرحالة المغربى أبو بكر العياشى الذى زار مصر فى القرن العاشر الهجرى ماكان يجرى فى الجامع الأزهر من الاحتفالات العظيمة . قال : « ... وبتنا تلك الليلة بالجامع الأزهر لأنها ليلة سبع وعشرين من رمضان ، وفى الحقيقة كل الليالى بذلك المسجد كليلة القدر ، لأنه معمور بالذكر والتلاوة والتعليم آناء الليل وأطراف النهار ، صيفاً وشتاء » .

وكان شيوخ الأزهر يختارون بعض كتب التفسير والحديث يدرسونها بحيث يفرغون منها مع نهاية الشهر ، وتقام احتفالات بهذه المناسبة . قال العياشى « فلما كان فى يوم تسعة وعشرين من الشهر ختم المشايخ دروسهم بختم الشيخ عبد السلام اللقانى . ويبدأ الاحتفال بعد صلاة الصبح بقراءة آيات من القرآن ، ومنهم من يقرأها بالقراءات السبع .

ثم ينهض أنجب التلاميذ فيلقى قصيدة من نظمه فيها مدح للنبى ﷺ والترضى عن صاحب الكتاب المقروء والدعاء للشيخ ويدعو للحاضرين بقلب حاضر وصوت خاشع . ويؤمن الناس على دعائه . ويحضر هذا الاحتفال عدد كبير من أفاضل الناس والمجاذيب » .

وأغلب الظن أن هذه العادات نشأت فى عصر الدولة الفاطمية واستمرت مع مرور الزمن . وقد ظل حى الأزهر مقصدا للناس طوال شهر الصوم . كان سكانه ينامون النهار ويسهرون الليل . فإذا أقبل العصر بدأوا يتحركون لإعداد الطعام وكثر البيع والشراء وشرعت المقاهى تستعد لاستقبال الوافدين عليها . وكان بعض الأدباء يجتمعون ويقضون شطرا من الليل فى مسامرات أدبية . وكان الشاب طه حسين أحد هؤلاء الأدباء وقد عنى بتصوير سلوك الصائمين حين يقترب موعد الإفطار . قال « ... فإذا دنا الغروب خفقت القلوب ، وأصغت الآذان لاستماع الأذان . وطاشت نكهة الطعام بالعقول والأحلام . فترى أشداقا تتقلب . وأحداقا تتقلب بين أطباق مصفوفة وأكواب مرصوفة ، تملك على الرجل قلبه وتسحر لبه بما ملئت به من فاكهة واترعت من شراب » .

« الآن يشق المسمع دوى المدفع ، فانظر إلى الظماء وقد وردوا الماء ، وإلى الجياع أطافوا بالقصاع ، تجد أفواها تلتقم ، وحلوقا تلتهم . وألوانا تبيد ، وبطونا تستزيد ، ولاتزال الصحائف ترفع وتوضع ، والأيدى تذهب وتعود ، وتدعو الأجواف : قدنى ، قدنى وتصيح البطون : قطنى قطنى » .

« على رسلكم أيها الناس . إن الله لم يأخذكم بالظمأ والجوع لتربحوا بالليل ما خسرتم بالنهار . وإنما أراد أن يذيقكم ألم الجوع وحر الصدى لتحسوا مايحس إخوانكم الفقراء من ذلك فترق لهم قلوبكم » .

وكانت الإذاعة المسموعة بدأت تظهر فى مصر ، وتبث أجزاء من القرآن الكريم فكتب الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سنة ١٩٢٥ مستنكرا بث القرآن من محطة الإذاعة . قال « وأى استهانة بكلام الله القديم واستخفاف بشأنه أشنع من نقل ألفاظه الشريفة وآياته المقدسة بآلات لاتدار إلا للطرب بالأناشيد الغرامية والمداعبات الفكاهية واللهو بالهجر من القول » إلا أن رأى المفتي لم يؤخذ به ، وبعد الحرب العالمية الثانية انتشرت محطات الإذاعة المسموعة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وأخذت تهتم بالبرامج الدينية والمدائح النبوية وبث القرآن الكريم بأصوات كبار المقرئين . وكانت عاملا عظيما فى تعميق الوعى الدينى بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بل بين المسلمين فى أوربا وأمريكا .

وخير مانختم به هذا المقال حديث رواه ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال لامرأة من الأنصار : مامنعك أن تحجى معنا ؟ فإذا كان رمضان اعتمرى فإن عمرة فى رمضان حَجة » قال ابن حجر العسقلانى « الحاصل أنه اعلمها أن العمرة فى رمضان تعدل الحجة فى الثواب ، لا أنها تقوم مقامها فى إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لايجزىء عن حج الفرض» .



في اكتمال الضحى

العَصَافير تهجُرُ غِبْطَتَها
في اكتمالِ الضُحى
وَتُبعثِرُ يَومي ،
العَصافيرُ تتركُني لِلهَجير وَحيدا
وَتَقْتُلُني مرتين
هَكذا بَينَ بينْ
بَينَ مَوت وَصَمتْ
بَينَ مَنفى وَبَيتْ
يَعْبُرُ الوَقتُ لاخَاتمٌ أو بَريدْ
لامَناديلُ تَأتي مِنَ الأُغنيةْ
لا خُطىً تَقْتَرِبْ
لا أيادٍ تُعانِقُني ، أو سَلام حَميمْ
وَتمرُّ الوُجُوهُ ، تمرُّ
لماذا أرى في الوُجوهِ البَريقَ القَتيلْ
لا كَلامْ
فَسَلاماً على مَايَموتُ ، سَلاماً على ماسَيحيَا
سَلاماً سَلامْ
وَسَلاماً على مَايظَلُّ عَميقاً ،
وَيَذْهَبُ في عَربَات الرَحيلْ
وَسَلاماً على أَمسِنا ياحَبيبي

سَلاماً على يَومِنا
لم نكنْ جاحدين لِننَسَى
فَلا نِعمةٌ غيرُ نُعمى يَديكْ
غيرُ هذى الحقائبِ ،
غَيرُ السُّكونِ ،
ولاَ يَمَّحي غَيرُ ظلّي لَديكْ
وبعيدٌ هُوَ الحَقْلُ عنّي ،
فَلا حِنطَةٌ أو عَنَبْ
لاحَبيبي ، حَبيبي ابتَعدْ
لانَخيلُ يُظلّلني لا أَحدْ
غَيرُ فِضتِهِ في المَسَاءِ تُعاوِدُني ،
فَيَعودُ التعبْ
لانَديً ، لاصَدىً ،
لِلبَنفسج وَاليَاسمينْ
لَيسَ إلاَّ الحَنينْ
لَيسَ إلا أنينَ القِطَاراتِ في داخلي
أنتَ تُجلي خِيامكَ عنّي بَعيداً وَتَمضي
وَتَتركُ بَعضي لبعضي
فَأَيُّ شِجَار معي أبداً الآنَ ،
أيُّ شِجارٌ !

شعر : محمد القيسي

تشكيل

مقهىً ،
وزاويةٌ يُظلِّلُها الصنوبر
وسطوحُ أبنيةٍ ، وقرميدٌ قديمٌ
آثارُ جدرانٍ مشقّقةٌ ،
وبابٌ غيرُ مقفل
وعلى اليسار مِنَ الإطارْ
ظلٌ لشبَّاكٍ ،
ودارْ
وخيوطُ أُغنيةٍ تجيءُ مِنَ البعيدِ كما الصدى

★

في الجانب الثاني مِنَ التشكيلِ تظهرُ نخلتانِ يتيمتانْ
ريحٌ تهبُّ خفيفةً ،
وفتىً يميلُ إلى الهدوءِ ،
فتىً تجمَّعَ غيمةً ،
قطفَ الصباحَ ، وأبعد القاموسَ عن يده وفكَّرْ
مقهىً يُظلِّلهُ الصنوبرْ
يمتدُّ في هذا السدى .

الهودج

هَودجُها الريحُ ،
وَهَودجيَ الكلماتْ
مولاتي راحلةٌ في الغيمِ ،
وروحي في الفلَوات
أصطادُ لها ماينفرُ من أيَّلٍ ،
أو يسكنُ من صَبَواتْ
وأُحرِّكُ أغصانَ الأشجارِ بشجوي ،
ونديمي الليلُ ،
نديمي ماهوَ آتْ
مولاتي ألتاعُ وحيداً في البُعد ،
فشكراً للأزماتْ
مَولاتي هودجكِ الريحُ ،
وَهَودجيَ الكلماتْ .



عن
المال والشهرة والمعرفة



بقلم :
الدكتور عبد السلام العجيلي

أصبحت المجلة الانكليزية التي كانت فى يدى محور الحديث في جلستنا . فقد تناولها أبو عماد وراح يقلب صفحاتها ، وما لبث أن اطلق من بين شفتيه صفير تعجب وسألني :

ـ من أين جئت بهذه المجلة ؟

قلت : أعجبتك ولا شك . ورقها الصقيل من أفخر نوع ، وطباعتها أنيقة وصورها جميلة .

قال : ليس هذا ما أعجبني .. بل ما أدهشني . انظروا ياشباب ..

وعرض أمام أصحابنا المتحلقين حول طاولة المقهى إحدى صفحات المجلة ، واضاف : انظروا الى هذه الصورة على صفحتين .

فمد الرفاق أعناقهم متطلعين الى الصورة التي بسطها أمامهم . قال هشام :

ـ صورة جميلة لبيت ريفي ، تحيط به الأشجار ووراءه يرتفع الجبل . ماذا بها مما يدهش ؟

قال أبو عماد : لم تقرأ ماتحت الصورة . انها لبيت في كاليفورنيا معروض للبيع بمبلغ بسيط يستطيع كل منكم أن يمد يده الى زاوية جيبه فيجده فيها .. فقط ثمانية ملايين دولار امريكي !

تناولت أنا المجلة من يد أبي عماد وقلت له : اذا وجدت هذا الثمن غاليا فما لك الا أن تستعرض بقية الصفحات لتجد ما يناسبك . تفضل ... هنا شقة في الجادة الثالثة في نيويورك قد يناسبك ثمنها .. سبعة ملايين دولار . ثم انظر . هذه شقة في قلب لندن . تأمل ما أجمل العمارة التي تقع فيها ، وما أفخر أثاثها الداخلي . ثمنها فقط مليونان وخمسمائة ألف جنيه استرليني .

وهنا قال عبد الرزاق : ما هذه الأرقام الفلكية التي تعددها ؟ وما هى مناسبتها في هذه المجلة ؟

قلت : انها دورية متخصصة بالعقارات والأملاك الفاخرة المعروضة للبيع في كل أنحاء العالم . اذا كان أبو عماد غير راض عن شقة لندن فهذا إعلان عن قصر بالقرب من العاصمة الانكليزية لايتجاوز ثمنه أربعة ملايين وتسعمائة وخمسين ألف جنيه استرليني ..

ردّ ابو عماد عليّ بقوله : اسخر بي كما تشاء . ولكن خبرني من أين جئت بهذه المجلة .

قلت : اني أتلقاها منذ عامين بصورة منتظمة .. ومجانا . كل عدد من أعدادها له هذا المظهر الفاخر وهذا المحتوى الذى يثير الدوار بأرقامه الخيالية . لاأدرى من هو ابن الحلال الذى أعطى ناشريها إسمي وعنواني فأصبحوا يوافونني بها دون انقطاع .

قال هشام : ما فعلوا هذا الا لأنهم يتصورونك قادراً على أن تشترى ، عن طريقهم ، شقة بسبعة ملايين دولار أو قصراً بخمسة ملايين جنيه . يجب أن تغتبط بهذا . فالمثل يقول : صيت غنى ولا صيت فقر .

قلت : الحق معك ، لولا الحسرة التي تحس بها وأنت تقلب صفحات المجلة فترى أمائر الترف والبذخ والثراء التى يعيش فيها غيرك وأنت على ما أنت عليه .

قال ابو عماد : ولا يهمك . يمكنك أن تداوي تلك الحسرة بالتفلسف . يكفي لاطفائها أن تتذكر كلمة الحسن بن علي رضي الله عنهما عن ظلم الفقراء للأغنياء ..

سأله أحد الجلوس : وماذا قال الحسن بن علي ؟

فأجابه أبو عماد : قال رضي الله عنه وكرّم وجه ابيه : ما أنْصَفْنا الأغنياء .. نأكل كما يأكلون ونشرب كما يشربون ، وهم يوم القيامة في عذاب ونحن مستريحون !

• • •

نطق أبو عماد بكلمته التي نسبها الى الحسن بن علي بجد ، وبلهجة اقتناع أضحكتنا جميعا ، بينما قال محمود :

ـ لم يبق الا أن يتقدم الأغنياء بشكواهم علينا ، نحن معشر الفقراء ، بأننا لم ننصفهم . دعونا من هذا ولنسأل أخانا ، ألمْ يمل ناشرو هذه المجلة الثمينة من ارسالها اليك مجانا ما دمت لم تشتر منهم ماقيمته فلس واحد خلال عامين تلقيتها فيهما ؟

قلت أنا : لم يملوا . بل انهم على مايبدو قد زودوا باسمي وعنواني دوريات ومطبوعات أخرى أخذت تأتيني ويأخذ تصفحها من وقتي الكثير ، عدا ما تسوقه اليّ احيانا من المزعجات .

قال أحد الرفاق متسائلا : مثلا ؟

قلت : مثل نشرة تصل اليّ باستمرار ، قد تكون ذات فائدة لصنف من الناس أنا لست منهم ، بأن تقدم اليهم معلومات عن تقلبات البورصة وأسعار الأسهم وتتنبأ بمستقبل الانتاج فى مختلف بلدان العالم . إنها معلومات موثوقة تبينت أكثر من مرة دقتها وصحتها ، الا أنها بالنسبة لي تعطي الانجاص لمن ليست له اضراس ، كما يقول المثل الشامي . منذ خمسة شهور ذكرت لربة بيتي ، بناء على ما قرأته في هذه النشرة ، ان أسعار الفلفل سترتفع في أسواق العالم ، وربما فقد الفلفل من بعض الأسواق فقداناً تاماً . وحين فقدت هذه المادة حقا من السوق وعجزت أم البنين عن أن تجد حاجتنا منه أنحت عليّ باللوم لأني لم أتزود بكيس كبير من الفلفل ، نتبّل به طعامنا وربما بعنا بعضه فكسبنا منه زيادة مال . بل انها قالت في ذات مرة ان من أصفهم بالجهل أقدر على حسن التصرف مني ، لأني رجل أعلم ولكني لا أستفيد مما أعلم ..

قال هشام : أما تستطيع أن تحوّل هذه المنشورات التي تضايقك الى اخينا عبد الرزاق ؟ اذا لم تكسبه مالا فسيكسب منها شهرة وصيت غنى خيرا من صيت الفقر الذى عرف به .

قلت : عن الشهرة ، له عندى نشرات من صنف آخر . انها دعوات يقترح عليّ مرسلوها إدراج اسمي في موسوعات من نوع « هوز هو » ، التي تعني « من هو » ، تلك التي تضم

أسماء مشاهير الرجال في العالم وترجمات حياتهم .

قال عبدالرزاق : هذه تناسبني . ماذا أخسر اذا برز اسمي في هذه الموسوعات الى جانب أسماء أقطاب السياسة ونجوم الفن وأثرياء العالم ؟

قلت : مبدئيا ، لست ملزما بأية خسارة . ولكنك من الناحية المعنوية تجد نفسك ملزما بشراء نسخة واحدة على الأقل من الموسوعة التي تشرفت بنشر اسمك . ثمن النسخة البسيطة ثلاثمائة دولار ، والمجلدة مع التذهيب خمسمائة ، ومائة دولار فوقها للتي تحوى صورتك . هناك ست موسوعات على الأقل تطلب التشرف بنشر اسمك في مجلداتها ، وعليك انت ان تحسب كم تكلفك من المال ست نسخ منها .

قال عبدالرزاق : عند هذا قف ، أرجوك . أنت ، مثلا ، بكم موسوعة اشتركت ؟

قلت : ولا بواحدة . شعرت ببعض الحرج أمام ناشرين أرسل لي كل منهما صورة من ترجمة حياتي في طبعة سابقة لموسوعته ، مع اقتراح بأن أزوده برسمي ليظهر مع الترجمة في الطبعة الجديدة ، فهممت باجابتهما ولكني تماسكت ولم أفعل .

قال عبد الرزاق : أحسنت بهذا . من ناحيتي أجدني أظلم نفسي حين أدفع ألفا ومائتي دولار لأرى صورتي على صفحة ورق ، مادامت هذه الصورة تطالعني في المرآة ، كل يوم ، دون أن تكلفني فلسا ..

وهنا قال أبو عماد : أنت ياعبد الرزاق انسان قليل الطموح . ماقيمة المال أمام الشهرة الطائرة التي تضمنها لك هذه الموسوعات ؟ الدولارات لاقيمة لها امام المجد . كأنك لم تسمع قول المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

مرة أخرى ضحكنا من جد أبي عماد المتصنع في كلامه . وتابعت أنا حديثي عن الدوريات التي يحفل بها بريدى كل اسبوع ، اذا لم يكن كل يوم . قلت :

ـ هناك حرج من نوع آخر ينتابني أمام مطبوعات معينة ، هي المجلات العلمية والفكرية والأدبية التي يكرمني ناشروها بإرسالها اليّ دون مقابل . حاجتي الى ما تحتويه هذه المجلات كبيرة ومتعتي بها كبيرة . الا أن تراكمها أمامي ، في الوقت القليل الذى أستطيع اقتطاعه من ساعات عملي ، يثير في نفسي احساسا مزعجا من الشعور بالذنب ومن الحسرة ومن الحنق لأني لاأستطيع الاستفادة من نفيس مايهدى اليّ .

قال أبو عماد : انت مرهف المشاعر أكثر مما يجب ياصاحبي ، ولا أجد مبررا لهذا الاحساس المزعج الذى تصفه لنا .

قلت : قد اكون مغاليا فيما وصفته . ولكن تصور أمامك ثلاثين دورية ، بين أسبوعية وشهرية وفصلية ، بثلاث لغات واحيانا بأربع ، ملأى بثمار العلم والفكر والفن وانت لاتستطيع أن تتذوق من هذه الثمار إلا القليل القليل ... ما من لذة أجمل من المعرفة ، ولا أزعج للنفس من أن تحرم من هذه اللذة وهي تحمل اليك على طبق ...

قال أبو عماد : مرة أخرى اقول لك لاتهتم ... تداو من حالاتك هذه بالتفلسف تشف منها .

قلت : أنا معك . فهل عندك من أقوال الحسن بن علي ، أو من أشعار المتنبي ، شيىء في هذا المجال ؟

قال : عن المعرفة وحب الوصول اليها عندى حكاية تفيدك .

قلت : تفضل وارْوها لنا ، فكلنا آذان صاغية .

قال : زعموا أن ملكا توفي وخلف على العرش ابنه الصبي اليافع . كان الملك الجديد محبا للعلم مولعا بالمعرفة ، فبدأ بأن استدعى اليه نخبة من علماء المملكة وتوجه اليهم بالحديث قائلا : رغبتي هي في أن أحكم بلادى بأكمل الأساليب التي وصلت اليها البشرية في تاريخها الطويل . ولذا فاني آمركم بأن تدونوا لي تاريخ الانسان على ظهر البسيطة في مؤلف مستكمل أدرسه واطبق زبدة نتائجه في حكمي . قال له كبير العلماء : ما تأمر به يامولاى عمل جليل ، ولكنه يأخذ في انجازه جهدا كبيرا ويستغرق وقتا طويلا . قال الملك : خذوا من الوقت ماتريدون ... أنا في أول عمرى وبمقدورى الانتظار . وانكب العلماء على عملهم حتى أنجزوه في عشرين عاما بلغ الملك اثناءها متوسط العمر واستبدت هموم الملك ومشاكل الرعية بأفكاره ، واستغرقت أوقاته . وكانت حصيلة ذلك العمل اربعين سفرا ضخما ، محمولة على جملين ، تقدم بها كبير العلماء الى مليكه قبل الأرض بين يديه وقال : هذه يامولاى رغبتكم السامية تحققت .. المعرفة الانسانية في تاريخ البشر كله مدونة في اربعين مجلدا . فصرخ الملك مستنكرا : اربعون مجلدا ؟! لاوقت عندى لها ... إني حريص على معرفة تاريخ الانسان ، وآمركم أن تختصروه في عدد من الأجزاء أستطيع قراءته ... اختصروا ! وانصاع كبير العلماء لأمر الملك ، فانكب هو وزملاؤه خمسة عشر عاما أخرى حتى اختصروا المجلدات الأربعين في أربعة مكثفة . ولما جاؤوا بها ..

وهنا اعترض عبد الرزاق المتحدث قائلا : هذه حكاية طويلة ياأبا عماد . اختصر انت ايضا .

فَهَزَّ أبو عماد رأسه مستهينا بكلام المعترض وتابع يقول : بعد خمسة عشر عاما عاد كبير العلماء الى الملك بأربعة آلاف صفحة في أربعة مجلدات ضخمة تحوى موجز تاريخ الانسان ، محملة على حمار . أمسى الملك بعد هذه السنين كهلا عصبي المزاج حاد الطباع ، فصاح بكبير العلماء الذى أمسى بدوره شيخا محدودب الظهر : أربعة آلاف صفحة ؟! لا وقت عندى لقراءة كل هذا الهذر ... لازلت تواقا الى معرفة تاريخ الانسان ، فاختصره لي في مجلدا أستطيع قراءته ... قلت لك اختصر !

عند هذا صاح أكثر من واحد من الرفاق ، متوجهين الى أبي عماد : اختصر ... اختصر وتعالت الضحكات حول طاولتنا بينما تابع أبو عماد : مرت عشر سنوات ، ثم عشر سنوات أخرى عاد بعدها كبير العلماء يحمل كتيبا صغيرا واستأذن على الملك ليبلغه أنه ورفاقه نفذوا الأمر فكثفوا تاريخ الانسان في مائة صفحة يستطيع جلالته ان يقرأها في ساعة واحدة . كان الملك وقتها مريضا . بل انه كان من حياته في ساعاتها الأخيرة . فحين تقدم كبير العلماء اليه بالكتيب وقال : هذه يامولاى طلبتك .. تاريخ الانسان مكثفا في صفحات قليلة ، رد هو بصوت هامس اخفتته شدة المرض : واحسرتي من أن أموت قبل ان أبرد غليلي بمعرفة تاريخ الانسان ... لم يبق من عمرى ما يتسع لقراءة هذه الصفحات ! عندما سمع كبير العلماء مليكه البائس ينطق بهذه الكلمات إنحنى عليه في سريره ، وهمس في أذنه بصوته المرتعش : تستطيع يامولاى أن تغادر الحياة قرير العين ... سأختصر لك تاريخ الانسان ومعرفته بثلاث كلمات : انه يولد ، ويشقى ، ويموت !

أتم أبو عماد حكايته والتفت اليَّ قائلا : هذه هي الخلاصة . المعرفة التى تضني نفسك وراءها ياصاحبي تنتهي الى الكلمات الثلاث التي همس بها كبير العلماء لمليكه قبل مفارقته الحياة ألا توافقني على هذا ؟

ولم أجد ما أرد به على أبي عماد ، ولم ينتظر هو ردى . فقد قام مغادرا جلستنا ، وتبعناه نحن في القيام مغادرين المقهى كل الى غايته .

كيف تواجه أجسامُنا الإيقاع السّريع في حياتنا اليوميّة؟

أصبح الوقت في أيامنا هذه يسيطر على حياة الإنسان ، واستطاعت وسائل العصر الحديث أن تجند كافة إمكاناتها من أجل تلبية حاجاته السريعة اليومية ، فالطائرات العملاقة اليوم تنقلنا من مشارق الأرض إلى مغاربها في ساعات معدودة ، لدرجة أنك إذا كنت على موعد مع الغداء في لندن فيمكنك أن تلبي ـ أيضاً ـ دعوة على العشاء في لوس انجيلوس !

وهكذا نرى أن وقع الحياة الحديثة وسرعتها ، جعل الانسان قادراً على استغلال وتغطية كل دقيقة في الأربع والعشرين ساعة اليومية ، ولا يتوقف هذا الأمر على الأدوات فقط ، ولكن يمتد إلى الخدمات المستمرة التي تتوفر طوال الوقت ، بحيث لو أردت أن ترى طبيباً أو شرطياً أو تستفسر عن رقم أحد الهواتف في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، فسيكون أمر ذلك ميسوراً .

ولكن ، وفي زحمة هذا الوقع السريع للحياة اليومية وتلبية احتياجات الانسان في كل وقت ، هل فكرنا في الذي يجري في أجسامنا من تغيرات ، تسهل لنا الحصول على معظم طلباتنا حسب رغبتنا ومشيئتنا ؟ .. إذا كنت لم تفكر من قبل فأنت مدعو معنا إلى رحلة نتعرف أثناءها على مايحدث في أجسامنا من تغيرات أثناء حدوث الايقاعات البيولوجية اليومية !



بقلم
الدكتور : عبدالله الباكر

تعتبر الايقاعية والتكرار النظامي للأحداث في الطبيعة من أكثر الظواهر اعجازاً ومدعاة للاعجاب . هذه الايقاعية منتشرة بشكل واسع ، فهي تبدأ على مستوى الذرات وتمتد في الخلايا ومكوناتها والأنسجة والأعضاء والكائنات بمختلف تركيباتها حتى البيئة بما فيها من تغييرات يومية وفصلية . إن تكرار حدوث هذه الايقاعات في الطبيعة يغطي كل جزء من وقت الانسان إذ أن هناك ايقاعاً أو انتظاماً يحدث مرة في كل جزء من الثانية ، مثل ايقاع ألفا في رسم المخ . وآخر يحدث مرة في مجموعة من الثواني ، مثل « انتظام التنفس » . ويستمر التكرار في ازدياد زمني حتى يصل إلى الايقاع السنوي وايقاع المد والجزر والدوران الذي يحصل بين الكواكب حول نفسها أو حول بعضها . وبالرغم من أن الايقاعات مهمة لنا إلا أن أهمها بالنسبة للكائنات الحية هو انتظام الليل والنهار والتبادل بينهما بسبب دوران الأرض المعتاد حول محورها والذي يتم في ٢٤ ساعة ، إذ أن طبائعنا في النوم واليقظة والراحة والنشاط والعمل واللهو والأكل والشراب ... الخ تخضع بشكل عام لتعاقب الليل والنهار والعلاقات الاجتماعية الناتجة من هذا التعاقب « CIRCADIAN RHYTHM » .

ولذا ليس بمستغرب إذن مشاهدة مجموعة كبيرة من العمليات الفسيولوجية والسيكولوجية والبيوكيمائية في انتظام وايقاع مضبوط مع تردد وانتظام اليوم الشمسي . هذا الانتظام يعرف « بانتظام مايقرب من اليوم » .

لماذا يسمى مايقرب من اليوم أو من ٢٤ ساعة بالتدقيق ؟

لأن تصميم الإنسان والتفاعلات في داخله بمختلف أشكالها تخضع لساعات بيولوجية داخلية انتظامها ما بين ٢٣ ـ ٢٧ ساعة في اليوم وفي أكثر الأحيان لو تركت هذه الساعات لفضل الانسان ونظم تفاعلاته وافرازاته في يوم طوله ٢٦ ساعة كما يحدث في بعض العميان والمصابين منهم في الطفولة أو عند الولادة بالذات . ولقد بينت غالبية الدراسات التي أجريت على مجموعة مختلفة من البشر في كهوف تحت الأرض أو في أماكن مغلقة لايصلها النور ولا توجد معهم ساعات يعرفون منها الوقت ، أن الانسان يترك وقته يجري بحرية وينظم ايقاعاته على اليوم الأطول ولقد

ماهي الايقاعات اليومية المهمة ؟

ان جميع الايقاعات والانتظام اليومي مهمة لاستمرار الكائن الحي ، إلا أن الايقاعات الكبرى هي :

١ ـ ايقاع النوم واليقظة « شكل « ١ » «أ»

حتى الآن لايوجد اجماع لدى العلماء على أهمية النوم بالنسبة لنا ، وما هو سببه ، ولكنه أحد الايقاعات الكبرى التي باضطرابها يضطرب مزاجنا وتتأثر قوانا العقلية والنفسية وتصاب أجسامنا بالارهاق وتنتشر فيها الآلام . المهم أن النوم في حد ذاته عملية منظمة تدريجية ، كشفت مختبرات النوم الحديثة المنتشرة الآن أكثر اسرارها . فالنوم من حيث المحتوى ينقسم إلى قسمين :

• نوم حركة العين غير السريعة (NREM) ويسمى ايضا نوم الموجة البطيئة ويمر هذا النوم في درجات خمس ، يبدأ من اليقظة الى النوم العميق الذى تصل فيه سرعة وتردد الايقاعات في الجسم الى درجة البطء الشديد . هذا النوم يعتقد أنه مهم للراحة الجسدية .

• نوم حركة العين السريعة (REM) وهو نوع من النوم يحدث كل ٩٠ دقيقة تقريباً أثناء النوم ويكثر كلما قرب الصباح ، وقد يحصل من ٥ ـ ٦ مرات في الليلة الواحدة وفيه تحدث الأحلام وترتخي جميع عضلات الجسم ويتغير الوضع أثناء النوم وتصدر من النائم حركات لاارادية . هذا النوم يعتقد أنه مهم من الناحية السيكولوجية والانتاج العقلي والتركيز والمزاج .

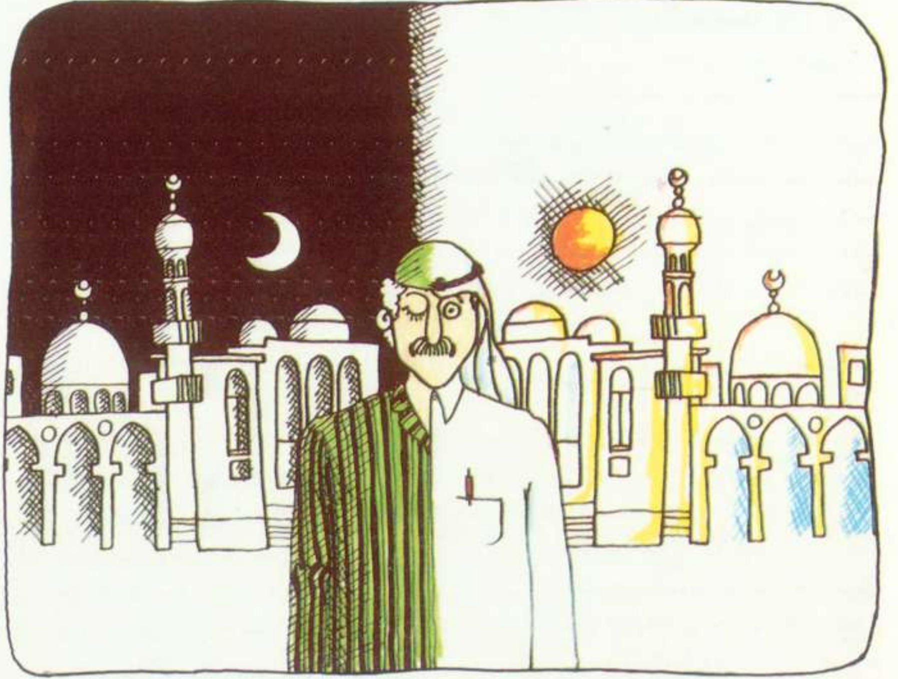
٢ ـ ايقاع حرارة الجسم الداخلية (شكل « ١ » « ب ») .

حرارة جسم الانسان السليم تتغير أيضاً بشكل ايقاعي طوال اليوم ، فهي تبدأ في الصباح في الارتفاع من ٣٦،٤ درجة مئوية وتستمر كذلك طوال اليوم حتى تصل قمتها ٣٧،٥ تقريباً في المساء ثم تنحدر أثناء الليل إلى أقل مستوى من بعد منتصف الليل حتى الصباح .

هذا التغير الانتظامي الثابت في الكثير من الناس يقدم لنا الدليل على أن ارتفاع درجة الحرارة في الجسم ملازم للنشاط والحركة وضروري لهما ، إذ أن ارتفاع درجة الحرارة يزيد من سرعة التفاعلات الكيمائية في الجسم ويبين أن الانخفاض يصاحبه النعاس والنوم .

٣ ـ ايقاع الافرازات الهرمونية :

تخضع غالبية الهرمونات في الجسم إلى الايقاع اليومي في افرازاتها ولقد كثرت



ماذا يجرى من الايقاعات البيولوجية اليومية فى الانسان ؟

سجل بعض الأشخاص ايقاعات تنتظم في شكل ٤٨ ـ ٥٠ ساعة ، لكننا في الانتظام ننجرف ونجر ايقاعاتنا لكي توافق الأربع والعشرين ساعة ، أي أننا نختصر الوقت بينما هناك بعض الحيوانات تحتاج إلى زيادة من الوقت لأن انتظامها أقل من ٢٤ ساعة .

ولكن ماهي العوامل التي تساعدنا على ذلك ؟ ..

هناك مجموعة من العوامل تتعاون مع بعضها البعض لجر الايقاعات الداخلية إلى انتظامها اليومي وتعرف جميعها بضوابط الوقت« ZEITGEBER » ، وهذه الضوابط تشمل الليل والنهار الذي يعتبر أقواها والذي اعتمد البشر عليه منذ بدء الخليقة وقبل دخول التيار الكهربائي والتحول للمدينة وابتعادنا عن النور الطبيعي ، وتشمل العوامل والظروف الاجتماعية وقوانين المجتمع ، فالمنبه الذي يدق في الصباح ويدعونا للنهوض لأداء مختلف الوظائف ماهو في الحقيقة إلا إحدى الوسائل التي تذكرنا بضرورة اتباع قوانين ونظم المجتمع اليومية . والواقع أن المؤثر الاجتماعي يشمل ـ أيضاً ـ العلاقات بين الأفراد والجماعات والمنظمات والهيئات ويشمل أماكن التسلية ، إلى جانب أماكن العمل ، ويشمل الأوقات سواء أوقات الأكل أوالاجتماعات أوالمواعيد أوالساعة التي في معصمنا والتي تذكرنا دائماً بالزمن ، وتعتبر واحدة من أقوى ضوابط الوقت !

المنظمات والضوابط الداخلية

وهناك ارتباط وثيق بين الضوابط الوقتية الخارجية والساعات الداخلية ، مع أنه بإمكان الايقاع الداخلي أن يستمر بدون الايقاع الخارجي ولكن بشكل مغاير . هذه الساعات لم يعرف منها حتى الآن إلا واحدة بالتأكيد تابعة لمنطقة « الوطاء » في الدماغ وتعرف باسم نويات فوق التصالبة « SCN » « SUPRA CHAISMATIC NUCLEI » وهذه المنطقة تتأثر بالنظر ومقدار تأثير الضوء عليها .

« هذا المركز له علاقة وثيقة بالضوء والظلام أما المراكز الأخرى والتي أهمها مركز ايقاع الحرارة في الجسم فلا يزال البحث عنها جاريا » .

هذا المركز تأكد وجوده في تجارب أجريت على الانسان وعلى الحيوان وتبين أنه يتكون في الجنين منذ الأسبوع الثامن والعشرين من فترة الحمل ويتأثر بالنور والظلام من خلال تأثر الأم وسقوط النور أو الظلام على الشبكية في عيونها ، لذلك أصبح من المهم جداً في المستشفيات مراعاة قوة الاضاءة وحدتها في غرف العناية بالأطفال الرضع حيث أن لها دخلاً في الانتظام اليومي .

كيف تواجه أجسامنا الإيقاع السّريع في حياتنا اليوميّة؟

الدراسات عن مختلف الهرمونات في الانسان والحيوان ، وأهم هذه الهرمونات هو هرمون النمو والكرتزول و الكتيكولامين ، أما هرمون النمو « هرمون البناء » (شكل « ا » « ج » فيزداد افرازه بشكل ملحوظ ولفترة قصيرة قرب منتصف الليل ثم ينخفض قرب الصباح ويستمر منخفضاً بعد ذلك حتى منتصف الليل مرة أخرى .

هذا الهرمون مهم للنمو في فترة ما قبل النضج ، ومهم لترميم واصلاح الأنسجة التي استهلكت وتلفت نتيجة للنشاط أو بسبب المرض ، أما الكرتزول والكتيكولامين ، هرمونات النشاط والاستهلاك ، فإن هذه الهرمونات تعدنا لمواجهة الضغوط سواء كانت الآنية « المعركة أو الهرب » أو الاستمرارية منها ، حيث أنها تعمل على توفير الطاقة عن طريق تحويل مختلف الأنسجة إلى مواد قابلة للاحتراق ومدنا بالطاقة من أجل تشغيل أجهزة الجسم المهمة وبالتالي استمرار النشاط . لذلك فالكرتزول (شكل « ا » « د ») ويشبهه إلى حد ما الكتيكولامين يرتفع إلى معدلاته في الصباح الباكر ويستمر بعد ذلك مرتفعاً حتى بعد الظهر حيث ينخفض تدريجياً حتى منتصف الليل ويستمر منخفضاً حتى الساعات الأولى من الصباح .

٤ ـ افرازات الكلية للأملاح :

أيضاً تدخل افرازات الكلية للأملاح في مجموعة الايقاعات اليومية ، وأهم تلك الأملاح هو الصوديوم والبوتاسيوم ، إذ أن الكلية تحافظ بكل دقة على الصوديوم وتتخلص من البوتاسيوم الزائد ، حيث أن زيادته في الدم تشكل خطورة على القلب . ويتم ذلك الافراز تحت تأثير هرمونات الغدة الكظرية حيث نجد أن افراز البوتاسيوم يرتفع أثناء النهار أواليقظة بسبب النشاط الكثير من خلايا الأنسجة ويهبط أثناء الليل أو النوم (« ا ـ « هـ ») .

من هذه النبذة عن أهم الايقاعات يتضح مايلي :

• أنّ هذه الايقاعات ترتبط ببعضها البعض حتى يظن أنها تحت تأثير وتوجيه نفس الساعات ، إذ نجد أن اليقظة مرتبطة بارتفاع الحرارة وهرمونات الغدة الكظرية وزيادة افراز البوتاسيوم مع زيادة افراز البول أيضاً وهؤلاء جميعاً يمثلون في هذه الفترة « مرحلة النشاط » ونجد أن العكس هو الصحيح ، لذلك فإن الانتاج الجيد والاستيعاب والممارسة تصل بناء على هذه الايقاعات إلى أحسنها عند المساء ثم تقل بالتدريج حتى منتصف الليل لتنخفض إلى أقل مستوى بعد ذلك ، ولهذا تأثير مهم على العاملين بالليل في مختلف المجالات .

• إن هذه الايقاعات الداخلية تتأثر بضوابط الوقت الخارجية مجتمعة أو منفصلة كل حسب قوته ولكنها قد تعمل بمعزل عنها ، وتستمر أيضاً حتى في غياب الايقاعات الأخرى . ولهذا أهمية حين نتناول موضوع السفر عبر المناطق الزمنية المختلفة .

• إن هذه الايقاعات قابلة للتأقلم والتكيف ويحتاج كل منها إلى وقت مختلف عن الآخر حسب استعداد كل ايقاع للتأقلم مع الاعتماد على العوامل الأخرى وسنرى ذلك في موضوع العمل بنظام المناوبة وتأثيره .

• إن هذه الايقاعات ذات أطوار ثابتة أو ظهور ثابت بالنسبة للزمن في الانتظام اليومي ولكنها قد تتغير للأمام أو للخلف معتمدة على الطور الذي يقع عليها أحد ضوابط الوقت ، فلو كنت تقطن في لندن وسافرت إلى لوس أنجيلوس ستضطر إلى تأخير ساعة يدك إلى الوراء مايقرب من عشر ساعات . هذا ماحصل لساعة يدك وماتمليه عليك ضوابط الوقت ، لكن طور أي إيقاع داخلي يتفق مع الزمن في لندن ، أي أنك بالنسبة للنوم واليقظة والحرارة والهرمونات والبول في طور الاستعداد للنوم بينما الناس في لوس انجيلوس في أوج نشاطهم ، لكن حذار أن تنام لانك ستفيق في منتصف الليل وستبقى سهراناً حتى الفجر لأنه وقت يقظتك في لندن . هذا الطور يسمى « طور التأخير » والعكس صحيح عندما تذهب من امريكا إلى لندن ويسمى طور التقديم حيث تضطر إلى تقديم ساعة يدك بينما ايقاعاتك الداخلية متأخرة .

• يتم التأقلم بسرعة أكثر عندما تكون في بلدتك أو عند عودتك إليها ، وكذلك يكون أسرع عندما تسافر من الشرق إلى الغرب « طور التأخير » بينما هو أبطأ وأصعب عند السفر من الغرب إلى الشرق « طور التقدم » .

الايقاعات اليومية والخدمات الطبية

وقد كثرت الدراسات في السنوات الأخيرة عن أهمية هذه الايقاعات بالنسبة للمؤسسات الصحية ، وأصبح من الضروري في حالات مرضية مهمة كالسكر والربو وأمراض ارتفاع الضغط والقلب والسرطان أخذ هذه الايقاعات بعين الاعتبار :

• في المختبرات حين أخذ العينات من أجل اجراء بعض الفحوصات الدقيقة مثل الهرمونات والأملاح والايونات في البول والدم ونسب السكر والأنسيولون ونسبة أنواع معينة من الكرات الدموية البيضاء « اليوزينية » .

• في حالات العلاج بالأدوية .

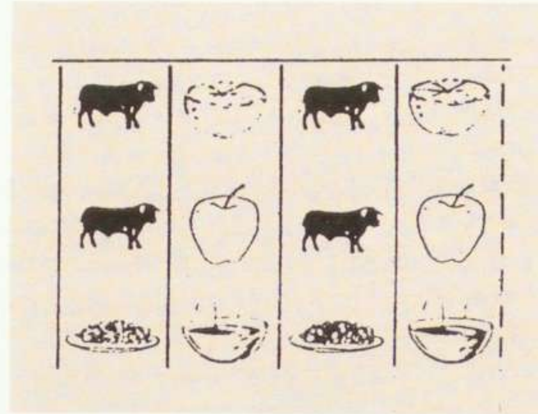
(١) امتصاص الأدوية المأخوذة عن طريق الفم أيضاً يتأثر بالايقاع إلى جانب افراغ المعدة من محتوياتها وافرازاتها ويرتبط أيضاً بنشاط الأنزيمات في الأمعاء .

(٢) استقلاب الأدوية ومعادلتها في الكبد ترتبط بالايقاع أيضاً حيث تبين أن نشاط بعض الأنزيمات الكبدية تختلف في مختلف الأوقات وهذا مهم في بعض الأنزيمات المضادة للعقاقير المنومة حيث وجد أن نشاطه أكثر عند الثانية صباحاً عنه في الثانية بعد الظهر .

(٣) اخراج الدواء عن طريق الكلية أيضاً يرتبط بالايقاع الزمني فالسليسيلات « الأسبرين » اخراجه قليل في الصباح الباكر مثل بعض أدوية السلفا وهذا مهم معرفته بالنسبة للمصابين بأمراض نزف الدم .

(٤) قابلية تأثر الأنسجة بالأدوية : « لقد تبين بالدراسات على الحيوانات أن تأثير الأدوية المضادة للسرطان خاضع للايقاعات إذ أن التأثير العلاجي أحسن في وقت من اليوم عنه في وقت آخر ، ولقد تبين في دراسة حديثة نشرها ريفرد ومجموعته « G.RIVARD etal » أن مجموعة الأطفال المصابين بسرطان الدم والذين تماثلوا للشفاء بشكل أحسن كانوا من المجموعة التي كانت تأخذ الدواء في المساء ، كذلك وجد في دراسة أخرى أن استعمال الأشعة لعلاج سرطانات الرأس والرقبة تؤدي إلى الزيادة في ضمورها إذا أعطيت في فترة ارتفاع حرارة الجسم الداخلية .

(٥) تأثير بعض الأدوية على ايقاعات محددة أصبح معروفاً ومأخوذاً به في الاعتبار عند وضعها فالكثير من الأدوية المنومة تؤثر على مراحل معينة من النوم وتؤدي إلى اضطراب



رسم توضيحي لجدول وجبات الطعام حسب توقيت بلد المسافر، وترى تفاصيل هذا النظام في الجدول المنشور

	اكل اليوم الأول	صوم اليوم الثاني	أكل اليوم الثالث	صوم اليوم الرابع
الفطور	بروتينات حيوانية	عصير	بروتينات حيوانية	عصير
الغداء	بروتينات حيوانية	فواكه	بروتينات حيوانية	فواكه
العشاء	نشويات كثيرة	شوربة	نشويات كثيرة	شوربة

مراحل أخرى، وبالذات المرحلة الرابعة من نوم الموجة البطيئة ونوم حركة العين السريعة، ويكون تأثير هذه الأدوية واضحاً في اليوم الثاني من خلال مايشعر به المريض من هبوط وآلام متفرقة ورعشة. أيضاً في العلاج بالهرمونات يؤخذ الايقاع بعين الاعتبار. هذا ولقد تبين من دراسات نشرت أخيراً أن مضادات التجلط كالهيبارين مثلاً له علاقة بالايقاعات، إذ تبين أن قدرته على منع التجلط تصل في الليل إلى أقصاها بينما هي في الصباح في أدناها.

• الحالات المرضية الأخرى والايقاع:

(١) أمراض القلب: تجمع غالبية الدراسات التي بدأت تنشر منذ عام ١٩٧٥ من منظمة الصحة العالمية حتى آخر دراسة حديثة نشرت في أواخر ١٩٨٥ من الدكتور مللر ومجموعته « J M Muller etal » والتي اوردتها بعض الصحف اليومية العربية على أن الاصابة بالاحتشاء القلبي يظهر ايقاعا واضحا اثناء اليوم في تردد حدوثه وفي حدوث الألم معه، حيث يحدث مابين الساعة السادسة صباحا والثانية عشر ظهرا، وقمة حدوثه في الساعة التاسعة صباحا الأمر الذى أكده بالفحوصات المختبرية ايضا.

هذه المعلومات اضافت بعدا جديدا الى علاج هذه الحالات والاهتمام بها.

(٢) الضغط ومرض ارتفاع الضغط:

يأخذ الضغط ايضا شكلا ايقاعيا فيرتفع في حوالي الساعة السادسة صباحا قبل الاستيقاظ مباشرة، وهذا الارتفاع ليس له علاقة بالنشاط اذا أنه سيرتفع حتى لو ظل الانسان مستلقيا في سريره، ويستمر أكثر ارتفاعا حتى الساعة التاسعة صباحا. إن هذا الأمر مهم اذ أنه ياخذ نفس الشكل في المرضى المصابين بارتفاع الضغط إذ يكون ضغطهم أعلى ايضا في الصباح لذلك يجب الانتباه الى أدويتهم الصباحية.

(٣) مرض السكر: هناك ظاهرة تسمى ظاهرة الفجر أو الشروق، تحدث بشكل انتظامي في مرضى السكر رقم (I) المعتمدين على الانسيولين، اذ يحدث أن نسبة السكر في الدم تصل الى ذروتها في ساعة أو ساعتين قبل الفطور، ويعتبر العلم بهذا الأمر مهم جدا من أجل وضع برنامج زمني ملائم لاعطاء الانسيولين، حتى لايؤدى تراكم السكر الى مضاعفات خطيرة.

(٤) الايقاعات اليومية والأمراض النفسية:

تتجه بعض الدراسات الى الربط بين اضطراب الايقاعات والتغير في الأطوار سواء الى الخلف أو الى الامام ببعض الأمراض النفسية كالكآبة واضطرابات النوم والشيزوفرانيا، وهناك بعض العلاجات لهذه الحالة مصممة على أساس الايقاعات، وبالذات في اضطرابات النوم، ويتضح أن بعض الدراسات ايضا تربط بين السفر – وبالذات من الشرق الى الغرب – وظهور بعض الامراض النفسية الى الشكل العلني، ولقد نشرت هذه الدراسات من المستشفيات الغربية من مطارى هيثرو بلندن وجون كينيدى بنيويورك.

(٥) الايقاعات اليومية والولادة والوفاة:

يظهر أن الولادة بناء على الدراسات الاحصائية ايضا لها انتظام، فغالبية الولادات الطبيعية تحدث بعد منتصف الليل بين الساعة الواحد والرابعة صباحا. أما الوفيات فلقد وجد أن أغلبها يقع حوالى السادسة صباحا ويقل حتى يصل الى أقل نسبة قبل منتصف الليل، وكانت هذه استنتاجات سمولنسكى عام ١٩٧٧ (Smolensky) بعد تحليله لتسع وأربعين دراسة على ٤٠٠٠٠٠ حالة وفاة.

متى تضطرب الإيقاعات؟

إن الدقة المتناهية والمطاطية الموجودة في النظام البيولوجي تغطى بسرعة أى اضطرابات تحدث في الايقاع، وقد يحدث أحيانا بعض الأثر ولكنه سرعان مايتلاشى، والجميع هنا يتذكر أنه لابد لسبب أو لآخر قد سهر ليلة متواصلة أو أكثر، ويتذكر ايضا مايحس به في النهار من عدم اتزان، ولربما يحدث ذلك لبعض الناس في اليوم التالي للعطلة الأسبوعية مع بداية اليوم اذا كان الشخص متعودا أن ينام متاخرا ويصحو متأخرا، ولقد بينت الدراسات في أوربا حيث أن العطلة الاسبوعية طويلة أن الموظفين الذين يغيرون أسلوب نومهم أقل تركيزاً أو انتاجية في العمل مع شعور بالكسل صباح يوم الاثنين. أما الاضطرابات الواضحة والتي تشغل بال الهيئات الصحية وأرباب العمل فهي التي تحدث في العمل بالمناوبة أو بعد السفر الطويل عبر المناطق الزمنية المختلفة.

كيف تواجه أجسامنا الإيقاع السريع في حياتنا اليومية؟

نظام الورديات

ومع تقدم الانتاج والرغبة في زيادته ومع زيادة الدقة في العمل واستعمال الآلات الغالية الثمن ومع رغبة الدول في توفير الخدمات المهمة على مدار الساعة دخل نظام المناوبات في حياتنا العملية ، لكنه حتى الآن لايوجد نظام متفق عليه عالميا . ويبدو الاهتمام بدراسة هذا الموضوع واضحا بعد أن كثرت الشكاوى سواء الاجتماعية أو الصحية ، وكثر التغيب وزادت حوادث العمل وزاد استعمال العقاقير والمخدرات من قبل العاملين في المناوبات الليلية ظنا منهم أنها ستساعدهم على اليقظة والنشاط وقوة التركيز ولكنها أتت في الحقيقة بنتائج عكسية أدت في بعض الأحيان الى كوارث بدأت تتكشف الآن . فالدراسات التي أجريت على سائقي القطارات وعمال مصانع السكر بينت أن هناك نقصاً في أدائهم أثناء عملهم الليلي ، وبالذات في الذين لايحصلون على نوم كاف في النهار بسبب انشغالهم أو بسبب الضوضاء في منازلهم . وفي دراسات أجريت على العاملين في المناوبات الليلة في المستشفيات ظهر في واحدة منها أن الأطباء الصغار الذين ناموا مايقرب من ساعتين فقط كانت نسبة الخطأ عندهم في معرفة اللانظمية القلبية ، كان الضعف مقارنة بالذين ناموا بساعات . أما الطيارون فالتركيز عليهم في السنوات الأخيرة واضح بعد أن كثرت حوادث الطيران لأنهم الى جانب تأثرهم بمشاكل المناوبة فهم ايضا يتاثرون بالسفر عبر المناطق الزمنية المختلفة « التخلف النفاث » ، ولقد وجد « جريبر » الخبير في وكالة الفضاء الأميركية في دراسته أن ترتيب جداول الطيران تعطى فيها الأولوية في الاختيار للطيارين الأكبر سناً ، وهؤلاء يختارون الأوقات التي تعطيهم مردودا ماديا أكبر قبل تقاعدهم مع أن اللاتزامن الذى يحدث في الايقاعات الداخلية يتأثر بالسن ، ومعنى ذلك أن كفاءتهم ستكون أقل . وهناك مشروع دراسة تشترك فيه الدول الأوربية وأميركا واستراليا وكندا واليابان للوصول الى أحسن السبل لابقاء التزامن في الايقاعات الداخلية للطيارين ، ويتضح أن الاتجاه الى تخصيص غرفة نوم في الطائرة لهم هو أقرب الحلول بالنسبة لطيران المسافات الطويلة وسنرى نتائج هذه الدراسة .

لذا فاننا ننصح عمال الورديات بالتالي :

١ ـ حاول أن تنام في وقت محدد كل يوم .

٢ ـ أن تكون غرفة النوم مظلمة وبعيدة عن الازعاج قدر الامكان .

٣ ـ تناول نفس النوعية من الطعام في أوقات ثابتة يوميا .

٤ ـ لا تتناول الشاى أو القهوة او الكولا الا بكميات محدودة .

٥ ـ لا تستعمل المنومات أو المهدئات او المخدرات .

٦ ـ في حال تغير الوردية اتبع نظام (Argonne) في الأكل إن أمكن .

٧ ـ اذا كنت تعاني من بعض الأمراض مثل القرحة أو السكري فحاول قدر الامكان أن تبتعد عن نظام الورديات .

هذا وإن العلماء يحاولون تطوير نظام الورديات بشكل يجعل أثرها السلبى قليلا ، وقد وجدوا أن الوردية الصباحية والتى تتلوها الوردية المسائية ثم الليلية أسهل من الليلية ثم المسائية ثم الصباحية ، كما أظهرت بعض الأبحاث أن الورديات التي تتغير باستمرار كل أربع أيام كحد أقصى أقل أثرا من الورديات التي تستمر أسبوعاً ، الا أن الورديات التي تطول عن ثلاثة أسابيع هي أفضلها حيث يكون الانسان قد تأقلم وضبط ايقاعه لكنه يحتاج الى ثلاثة أسابيع أخرى ليتأقلم للوقت الجديد ، أما اذا استطاع أو رغب شخص أن يعمل في الليل باستمرار بدل النهار أو لعدد من الشهور فسيكون ذلك أفضل حيث أن كل شيء فيه أصبح ليليا وانتظمت ايقاعاته على هذا الأساس .

التخلف النفاث

سواء كنت من المسافرين دائما أو أحيانا لابد وأنك تعلم الآن بأن عبورك لمناطق زمنية مختلفة في ساعات قليلة لابد وأن يؤدى حتما الى ظهور مجموعة من العلامات والأعراض بسبب اللاتزامن الذي يحدث لمختلف ايقاعات الجسم . هذه الأعراض تظهر في شكل اضطراب في النوم وارهاق عام وشعور بالتوتر والضغط الداخلى مع عدم القدرة على التركيز والاحساس بأنك غير مرتبط بالمكان والزمان ، مع شعور بالغثيان بغض النظر عن كمية النوم ونوعه ، ويصاحب ذلك اضطراب في الجهاز الهضمي وفقدان للطعم مع امساك في معظم الحالات . وهذه جميعا تسمى (Jetlag) .

لكن هناك من الأمور ما يؤثر عليها تأثيرا مباشرا :

١ ـ السفر من الشرق الى الغرب أقل تأثيرا وأسرع في التأقلم والتكيف بالنسبة لمؤشرات الانتظام اليومى كالنوم والحرارة والهرمونات والعكس صحيح بالنسبة للمسافرين من الغرب الى الشرق . أما المسافرون من الشمال الى الجنوب أو العكس فان تأثرهم ضئيل جدا لأن ذلك لايستدعى عبور مناطق زمنية كثيرة .

٢ ـ استعمال المؤشرات الخارجية والضوابط الزمنية له دور كبير في تقليل الأثر فالانخراط في الحياة اليومية العادية والمشاركة الاجتماعية والانتظام في تناول الوجبات في أوقاتها حسب الوقت الجديد يقلل من آثار التخلف النفاث ويقصر من فترة التأقلم ، لذلك نجد أن السواح أسرع تأقلما من المرتبطين بأعمال معينة وأن الذين يقضون أكثر وقتهم في غرف الفنادق تطول لديهم فترة التأقلم عن الذين يقضون الوقت في الخارج .

٣ ـ هناك ايضا عوامل أخرى لها أثر على الايقاعات لابد من وضعها في الاعتبار :

• عامل السن : كبار السن يعانون أكثر من أعراض التخلف النفاث وكذلك الأطفال الصغار .

• الأدوية والعقاقير : يتغير مفعول العقاقير بناء على ماقدمنا حسب الوقت الذي يتناولها فيه المسافر ، هذا وينصح بعدم استعمال الأدوية المنومة اذ انها قد تساعد على النوم ولكنها لاتؤثر على الأعراض الأخرى وينصح بالاستعاضة عنها بمحاولة النوم الطبيعي .

• كذلك الاجهاد وقلة النوم قبل السفر ، وهذا يحدث للكثير من المسافرين مضافا الى ذلك التوتر الناتج عن السفر لمسافات طويلة .

هناك الآن برنامجٌ وضعه الدكتور شارلز اهرت (C. Ehret) من مختبر ارجون الوطنى ويستعمل على نطاق واسع ومعروف

الطائرة وفي البلد التي سافرت منها تناول وجبة عالية البروتين وعليك الاستمرار يقظا بعد ذلك محاولا استعمال كل الوسائل الاجتماعية للاستمرار في هذه الحالة ، وحين تصل هناك « لوس انجيلوس » ستكون الساعة قاربت الثالثة أو الرابعة ، وحتى تنهي معاملاتك وتذهب الى الفندق ، خذ بعد ذلك وجبة عالية النشويات وستكون الساعة آنذاك قد قاربت السابعة أو أكثر وسيكون الوقت مناسبا للنوم مبكرا . طبعا هذه الأشياء بالإمكان ترتيبها بالاتصال بشركات الطيران في موعد سابق لإخبارهم عن نوع الطعام ووقته ولتسهيل مهمة ضبط الساعة البيولوجية وعمل موظفي الطائرة يفضل السفر في مجموعات تسير على نفس البرنامج أو السفر على خطوط تعرف عن هذا البرنامج وتقدمه .

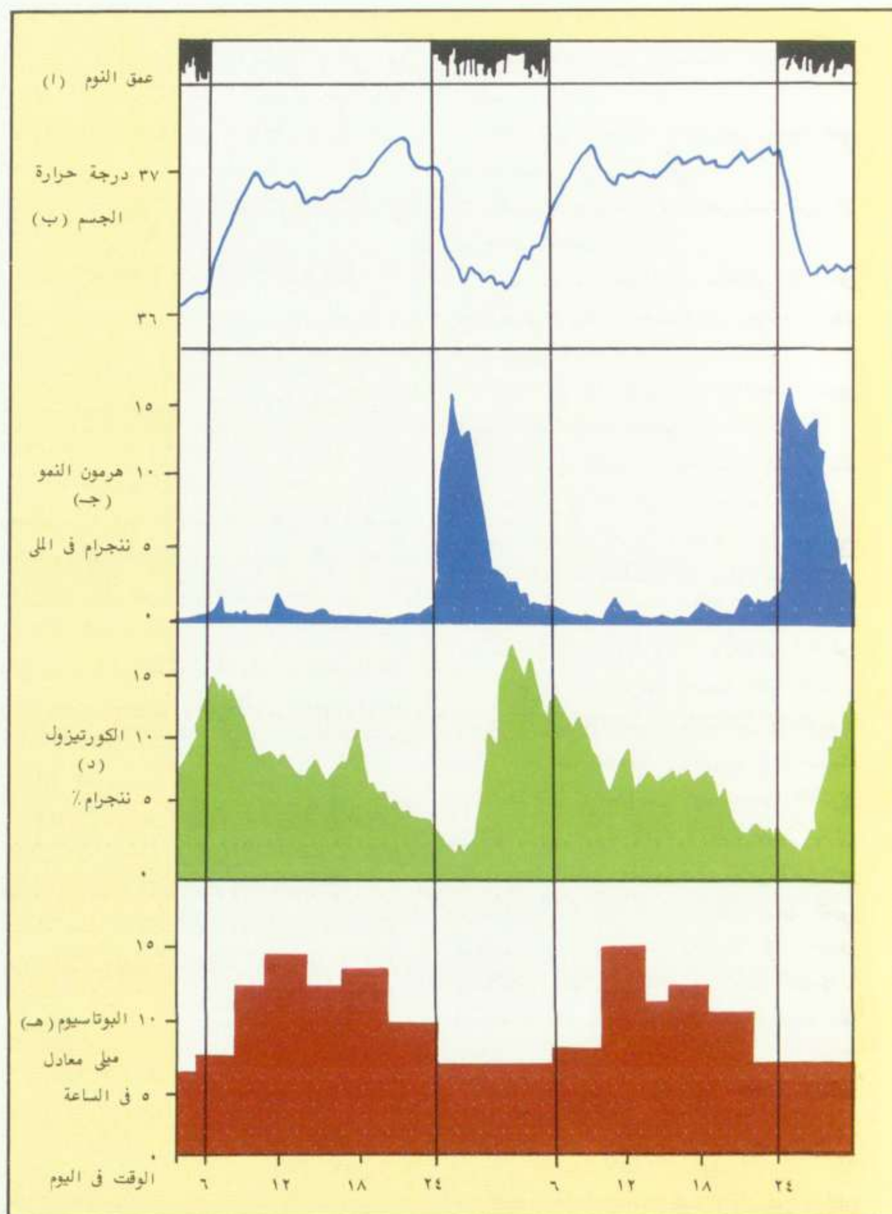
وإذا كنت تود السفر شرقا من نيويورك الى لندن أو باريس مثلا وفي هذه الحال غالبية الطائرات تغادر في المساء ، فتذكر أن القهوة والشاي اذا أخذت منها مقدارا معقولا بين السادسة والحادية عشر مساء ستساعدك في التأثير على الطور المتقدم .

وعند السفر قدر ما هو وقت النوم الحقيقي في باريس أو لندن واسترسل في النوم عند ذاك الوقت ، بعد أن تطلب من المضيفة إيقاظك قبل تقديم وجبة الفطور . عند الاستيقاظ تحرك في الطائرة لفترة وتحدث مع الناس ان لم يكن معك مرافقون على نفس الرحلة ثم اطلب وجبة الفطور من النوع عالية البروتين « وجبة النشاط والحركة » وعند وصولك الى باريس لا تذهب الى السرير بل اندمج في الحياة اليومية وتناول وجبة غذاء بروتينية ثم عشاء من المواد النشوية وتوجه الى النوم مبكرا .

قد تكون هذه البرامج صعبة التنفيذ ولكنها ناجحة ومهمة لرجال الأعمال ، فلقد انتبهت الكثير من المؤسسات ومنها شركات الطيران الى مشاكل التخلف النفاث فاتخذت الكثير من الاحتياطات عند حضور الاجتماعات أو توقيع العقود أو عند وضع برنامج للمناوبات الليلية الذي يشبه تأثيره ما يحدثه السفر عبر المسافات الزمنية .

هذا الحقل من حقول المعرفة ينتشر بسرعة جدا ، وكلما توغل الباحثون فيه كلما وضعوا الكثير من النقاط على الحروف ونظموا الكثير من البرامج التي تسهل أعمالنا أو اسفارنا أو علاجنا .

عبدالله الباكر



شكل (١) بعض التغييرات الفسيولوجية التى تحدث فى جسم الانسان على مدار يومين متتالين

لدى شركات الطيران لمنع حدوث آثار التخلف النفاث وقد استعمله الجيش الامريكي بنجاح في مناورة النجم الساطع ومناوراتهم في المانيا ، اذ استطاع الجنود الامريكيون أن يقوموا بالمهمة والعودة دون أن يتأثروا بتغيير الوقت والشكل « ٣ » يبين باختصار فكرته التي تعتمد على صيام خفيف ثم افطار في اليوم الذي يليه ويكرر مرتين .

عند السفر في اتجاه الغرب مثلا من شيكاغو الى طوكيو أو من لندن الى لوس انجيلوس ، اتبع نفس البرنامج وفي يوم السفر تناول فطورا خفيفا مع زيادة من الشاى أو القهوة لانها لا تؤثر على الطور المتأخر ولا تأخذ بعد ذلك شيئا ، ثم تناول وجبة غذاء خفيفة ايضا في نفس اليوم . بعد ذلك وقبل الفطور في البلد الذي ستتجه اليه ، استرخ جيدا أو اذا كان من الممكن النوم فيفضل ذلك حتى ولو لمدة ساعة ، وهذا يعادل تقريبا الساعة الثالثة أو الرابعة توقيت لندن اذا كنت ذاهبا الى لوس انجيلوس ، وعندما يحين وقت الفطور في البلد المتجه اليه الذي يعادل تقريبا وجبة العشاء في

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر



طفل طائش مُضَلَّل

ابني البالغ من العمر ثماني سنوات، والمقيم معي في بلاد الانكليز منذ خمسة أعوام، لغته العربية شديدة القرب من اللغة الأرمنية، وهو ككل الصغار كثير الأسئلة.

وفي أثناء المشاجرة الليبية الاميركية، سألني ابني: «ما الحرية؟».

فقلت له وأنا أشعر أني قطعة قماش بالية سوداء تجلل نعشا: «اسكت. أنا لا أحب التحدث عن الموتى».

فأثار جوابي فضوله، وكان سببا لأن يشيد حولي سورا خانقا من الأسئلة، ولكني لم أنطق بكلمة لثقتي بأن محادثته مضيعة للوقت، فهو ولد أفسدته المدارس الانكليزية، وعلمته أمورا وهمية طائشة، منها أن الانسان حر، وأن الحرية والقانون مقدسان، وأن لا أحد فوق القانون.

وفي مساء اليوم نفسه، شاهدت برنامجا ساخرا قدمه التلفزيون البريطاني، فاذا إحدى فقراته تقلد برنامجا تلفزيونيا آخر اسمه (رجل واحد وكلبه)، وهو برنامج يتحدث عادة عن رعاة انكليز وكلابهم، والراعي الناجح هو الذي يمتلك كلبا أكثر طاعة لأوامره.

وفي البرنامج الساخر، كان الراعي هو الرئيس الاميركي، وكان الكلب الشديد الطاعة هو رئيسة وزراء بريطانيا، فازددت ايمانا بما قلته لابني عن الحرية العربية.

عصا النقد العمياء

كاتب ما من كتاب القصة القصيرة، كان لايترك فرصة تسنح له إلاّ واغتنمها للتحدث بسوء عن النقد والنقاد.

ناقشته يوما، وقلت له ناصحا: «أنت مخطىء. الحياة الأدبية من غير نقاد تصبح كسفينة بلا أشرعة، ومعرضة كل لحظة للارتطام بالصخور والتحطم».

قال كاتب القصة: «أنا مؤيد لكلامك وموافق عليه، ولكنك تتجاهل أن معظم النقاد حاليا هم لايشبهون الأشرعة بل يشبهون عصا غليظة حمقاء، تضرب المبدع وتحمي التافه وتدافع عنه».

قلت: «النهر ذو الماء العذب لايضيره أن يعيش فيه ضفدع. ومن المستحسن التذكر دائما ان هناك نقادا جادين أكاديميين..».

فقاطعني كاتب القصة قائلاً: «لاتذكرني بهم وإلاّ بكيت ولطمت الخدود ومزقت الثياب. إنهم كمتسولين يركبون سيارات رولزرويس».

فقلت وأنا أبتسم بخبث: «لابد من أن أحدهم وجه الى قصصك نقدا موجعا لاينسى».

قال كاتب القصة: «من كتب منهم عني لم يهاجمني بل امتدحني».

قلت: «غريب أمرك! هل كنت تريد أن يهاجمك لترضى؟».

قال كاتب القصة: «سأحكي لك عن تجربتي مع واحد من هؤلاء النقاد الأكاديميين».

قلت: «احك فليس لنا في الحياة سوى الحكي والانصات للحكي».

قال كاتب القصة: «إنه أستاذ جامعي نال لقب دكتور في الآداب من جامعة غربية، وتسميه الصحف مربي أجيال، ولا يستطيع أحد في الأوساط الجامعية أن يذكر اسمه إلاّ اذا كان متوضئا. وقد أصدر يوماً كتاباً نقدياً ضخم الحجم عن القصة العربية، وتحدث فيه عن أحد كتبي، واستعرض قصصه قصة قصة، وتناول كل قصة بالعرض والتحليل والتقويم، وذكر اسم قصة معينة، وأسهب في الحديث عن أحداثها وشخوصها ومضمونها الفكري وشكلها الفني. ولما قابلته، قلت بتهذيب إن تلك القصة ليست منشورة في كتابي الذي هو موضوع نقده، ولا في أي كتاب من كتبي الأخرى إنما اكتفيت بنشرها في احدى المجلات، فإذ ما قلته هو الخطأ المميت، وأصبحت منذ تلك اللحظة عدوه المطلوب حيا أو ميتا».

فقلت: «أنت فعلا قد ارتكبت الخطأ المميت».

قال كاتب القصة: «كيف؟».

قلت: «احتراما للنقد الأكاديمي، كان ينبغي لك أن تكذب حقائق كتابك وتصدق باطل الناقد».

الكواكبي الجديد

يخيل الي أن حقيَّ في النوم تكفله الدساتير كافة وبمختلف اللغات، ولذا فقد استسلمت باطمئنان للنوم العميق، وقابلت آنذاك المفكر المشهور عبد الرحمن الكواكبي، فاذا هو يعمل بائعا للسجائر.

ابتهجت بلقائه، وقلت له: «أنا جد فخور بلقائك».

قال عبد الرحمن الكواكبي مستغربا:: «ولماذا هذا الفخر وما الداعي اليه؟».

قلت: «وكيف لا أفخر اذا كنت الآن

أقابل الرجل الذي قال في كتاب : من كتبه إن المستبد انسان ، والانسان أكثر ما يألف الغنم والكلاب ، فالمستبد يودّ أن تكون رعيته كالغنم دوراً وطاعة ، وكالكلاب تذللاً وتملقاً ؟ ماراًيك اليوم فيما قلته قديما ؟ » .

فتطلع عبد الرحمن الكواكبي فيما حوله بنظرات زائغة مفعمة بفزع أثار دهشتي ، ثم قال متجهم الوجه : « لا أعرف شيئا مما قلته ، ولم أؤلف أي كتاب ، وأنا أميّ ، ولدي وثائق رسمية تثبت أني أميّ » .

قلت : « أنت تمزح بلاشك ، فأنت الذي قال : لقد وضع الناس الحكومات لأجل خدمتهم ، والاستبداد قلب الموضوع ، فجعل الرعية خادمة للرعاة » .

فحدق اليّ عبد الرحمن الكواكبي باستياء لا مبرر له ، فتابعت الكلام ، متسائلا : « أنسيت انك أنت الذي قال أيضا : إن رجال عهد الاستيداد لا أخلاق لهم ولا حمية ، ولا يرجى منهم خير مطلقا ، وان كل ما يتظاهرون به أحيانا من التذمر والتألم يقصدون به تغرير الأمة وخداعها ؟ » .

فقال عبد الرحمن الكواكبي : « أنا لم أقل مثل هذا الكلام التافه » .

فقلت له : « أولست الذي قال : إن خوف المستبد من نقمة رعيته أكثر من خوفهم بأسه لأن خوف المستبد ينشأ عن علم ، وخوف الرعية ينشأ عن جهل ؟ » .

قال عبد الرحمن الكواكبي : « هذه آراء مبتذلة لاتمت اليّ بصلة » .

فقلت : « ولكن تلك الآراء منشورة في كتب مطبوعة تحمل اسمك » .

قال عبد الرحمن الكواكبي : « اذا كانت هذه الكتب موجودة فعلا كما تدعي ، فهي ملفقة ، ومن صنع خصومي ، وهي ليست سوى وسيلة قذرة من وسائل محاربتهم لي » .

فحاولت مناقشته ، ولكنه قال بغضب ووعيد : « اسمع . اذا كنت ترغب في شراء سجائر فلدي جميع الأنواع وبأسعار لاتنافس ، أما اذا كنت تريد الثرثرة فقط واضاعة وقتي فمن الأفضل الابتعاد عني بسرعة قبل أن أجعل خنجرى يأكل من لحمك » .

فابتعدت عنه راكضا كأني أرنب وجد نفسه بغتة محاطا بأسوار من بنادق الصيادين ، ولم أحاول بعد استيقاظى من النوم أن أعلم الأسباب التي أدت الى تبدل عبد الرحمن الكواكبي ، فالنهار يليه ليل ، وصانعو الظلمة من ذوي البأس .

تراثنا الجليل

أمسكت كتاباً من كتب التراث العربي ، وفتحته على صفحة معينة ، وقلت لصديقي : « مادمت تتذمر من زوجتك ، فسأقرأ عليك ما قاله اعرابي في وصف زوجته » .

قال صديقي بلهفة : « اقرأ اقرأ لأقارن بين الزوجات قديما وحديثا » .

وابتدأت أقرأ في الكتاب وصف الاعرابي لزوجته : « نحيفة الجسم ، قليلة اللحم ، كثيرة الشحم . معراض ، سلطة ، بطرة ، نفرة . سريعة الوثبة كأن لسانها حربة . تضحك من غير عجب ، وتبكي من غير سبب . منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد . تدفن الحسنات ، وتفشي السيئات . تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان . ليس في قلبها عليه رأفة ، ولا عليها منه مخافة . كثيرة الدعاء ، قليلة الارعاء . تأكل لمّاً ، وتوسع ذماً . ضيقة الباع ، مهتوكة القناع . صبيها مهزول ، وبيتها مزبول . اذا حدثت تشير بالأصابع ، بادية من حجابها ، نباحة عند بابها . تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ... » .

فصاح صديقي مقاطعا : « لاتكمل القراءة . لقد خدعت شرّ خدعة » .

قلت بدهشة : « ومن خدعك ؟ » .

قال : « زوجتي خدعتني . هذا الاعرابي يصف زوجتي نفسها ، ولا بد من أنه كان زوجا لها » .

قلت : « اهدأ وحكم عقلك . كيف يكون هذا الاعرابي زوجا لها وهو كان يعيش قبل أكثر من ألف سنة ؟ » .

قال : « أنا لا ألومك اذا كذبت بسبب حرصك على ألا تخرب بيتي ، ولكني سأخربه » .

وغادر صديقي بيتي شديد الغضب ، وعلمت فيما بعد أنه طلق زوجته ، وعاش حتى موته حرا ضاحك الوجه والقلب .

وما جرى لصديقي يكشف ضلال المعادين للتراث ، والزاعمين أنه غير نافع لبني البشر في العصر الحديث .

قصتي مع الطيران

"صقر الخليج" يحكي أسرار رحلته المثيرة حول العالم ويكشف عن جوانب جديدة في حياته

تحقيق: السيد حجازي

فجأة أصبح حديث العالم بعد أن حقق المعجزة، ودار حول العالم بطائرته الخاصة محققا رقما قياسيا عالميا.

ولقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يتجاسر فيها « عربى » ويقوم بهذا العمل الجرىء.

فقد كانت هذه المغامرة وقفا على « الخواجات » الأجانب..

ومن هنا تابع الجميع رحلته بكل اعجاب وتقدير، وبكل أمنيات التوفيق والنجاح والتقدم..

وحطم « صقر الخليج » الأسطورة، وكانت كل القلوب معه، تحوطه، وهو يقوم بكل خطوة من خطوات رحلته الموفقة..

وأصبح الشيخ « حمد بن على بن جبر آل ثانى » حديث الناس، ومصدر فخر لكل الأسر، ونموذجاً يجب أن يحتذيه الشباب..

مع « صقر الخليج » دار حديثى معه حول قصته مع الطيران، متى بدأت، وكيف، ولماذا الطيران بالذات..

مع « صقر الخليج » قررت أن أغوص فى أعماق حياته، وفى أعماق تفكيره، لأنقل صورة حية عن نموذج « فريد » من الشباب..

فماذا كانت نتيجة هذه الجولة الفكرية الحية معه.. مع الشيخ حمد بن على بن جبر آل ثانى ؟!..



الشيخ حمد بن على بن جبر آل ثاني



كنت منذ صغرى أحب الطيران..

وكنت أصر وأنا مازلت فى الخامسة من عمرى على أن أتردد على المطار. وكانت المربية الخاصة بى تلبى دائما هذه الرغبة. وكانت تنتظرنى هى والسائق وأنا أقضى بعد الوقت داخل المطار.. أجلس تحت برج المراقبة، حيث توجد بركة من الماء مازلت موجودة حتى الآن. وأظل أراقب الطائرات وهى قادمة، ثم وهى تتحرك وهى مقلعة الى مختلف بلاد العالم..

هكذا بدأ الشيخ « حمد » حديثه معى، واستمر يحكى عن هذه الهواية التى تملكت منه وهو مازال فى سنوات الطفولة الغضة..

ـ كنت إذا سمعت صوت طائرة فى الجو وهى تمر من فوق بيتنا، لا أطيق الاستمرار فى مكانى، وأحدث « جوا » من الازعاج داخل البيت، حتى يسمح لى بالذهاب إلى المطار، لأشاهد الطائرة وهى تنزل إلى أرض المطار، ثم وهى تعمل..

هواية.. وموهبة

كانت هواية لا أدرى لها سببا..

إنها من تلك الهوايات التى تخلق مع

■ نقول للأجانب: نحن لا ندرب الصقور فحسب، بل نقود أحدث الأجهزة!

■ حاولت فتوى أجنبية التشكيك في رقمي القياسي.. لكن الحقيقة الناصعة فرضت نفسها



الانسان، كالمواهب التي يغرسها الله سبحانه وتعالى فى نفوس الكثيرين من عباده..

ولقد كانت هذه هى موهبتي التى تفجرت فى نفسى منذ الصغر..

وكانت بالفعل هواية غريبة فى تلك السن.

ولكن ماذا أفعل وقد كان حبها قد استولى على كل كيانى؟.. ماذا أفعل وأنا لا أجد طعما للحياة بدونها؟..

وهكذا وبدون أى قصد من جانبى أخذت أقبل على شراء كل الألعاب التى تأخذ شكل الطائرات، ولا شيء غيرها..

لم يكن: يستهوينى أى نوع من لعب الأطفال سواها..

ولقد لاحظ الوالد العزيز ذلك منذ البداية، وأخذ يشجعنى عليه، بل ويشترى لى المزيد من هذه اللعب التى على شكل الطائرات.

• لكن ياشيخ حمد ألم تعكس هذه الهواية فى تلك السن الصغيرة رغبتك الدفينة فى أن تصبح طياراً، وهل كانت هناك موافقة على أن تكون هذا الطيار؟.

هكذا قطعت عليه الاسترسال بهذا السؤال، وبابتسامته الرائعة الهادئة، أجاب قائلا:

ــ فى الحقيقة لم يكن أحد يظن فى تلك الفترة، ولمجرد اهتمامى بلعب الطائرات، وذهابى إلى المطار بشكل مستمر، أننى سأصبح طياراً..

كان الأمر حتى ذلك الوقت يدخل فى باب الهوايات، ومجرد رغبة من رغبات الطفولة البريئة..

لكن بدأت الصورة تأخذ مساراً آخر بعد أن وصلت إلى مرحلة الدراسة الثانوية.

كنت فى مدرسة الدوحة الثانوية، وفى أحد الصفوف المقابلة للمطار..

وكان هذا يجعلنى دائم السرحان أثناء ساعات الدرس، فالطائرات دائما تشد انتباهى، وتستولى على كل تفكيرى..

لكن لا تظن أننى كنت طالبا مهملا فى دروسى..

بالعكس..

معارضة الأهل

لقد كنت متفوقاً..

لكن كانت الهواية تزداد معى وتكبر، وتولدت لدى الرغبة الجارفة فى أن أصبح طياراً، بعد الحصول على الثانوية..

لكن هنا بدأت العقبة..

لقد ووجهت بمعارضة من الأهل..

وفعلا ورغبة منى فى ارضائهم اخترت دراسة الهندسة..

وإلى الولايات المتحدة الأمريكية سافرت من أجل هذا الغرض، حيث كان استقرارى فى مدينة دنبر بولاية كلورادو..

ومرت السنة الأولى، وكانت لدراسة اللغة الانجليزية، وكانت السنة الثانية هى بدايات الدخول فى دراسة الهندسة..

كنت قد قررت أن أمضى فى دراسة الهندسة، فهى فرع علمى كبير، لكن كانت الهواية داخل نفسى تزداد نحو الطيران..

ولذلك ما أن عدت إلى الدوحة فى عطلة رأس السنة فى بداية عام ١٩٧٩، حتى فاتحت الأهل من جديد فى رغبتى فى دراسة الطيران الذي استولى حبه على كل كيانى..

وفى هذه المرة وجدت تشجيعا كبيرا من السيد الوالد..

كما شجعنى المسؤولون فى وزارة التربية على المضى فى دراسة الطيران، مادامت هذه هى رغبتى الأكيدة..

وعدت إلى أمريكا مرة أخرى لتبدأ صفحة جديدة فى حياتى..

وهنا سألت الشيخ «حمد» الذى وضح من حديثه «إصراره» على دراسة الطيران، وإقناعه الأهل بذلك بطريقة هادئة، وموصلة للهدف، هنا سألته عن كلية الطيران التى درس فيها، كيف تسير الدراسة فيها..

وأجابنى الشيخ «حمد» وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح، ويسترجع أحلى الذكريات، قائلا:

ــ تقع هذه الكلية الخاصة بالطيران فى ولاية كليفورنيا، وفى وادى يسمى وادى نابا، وهو مشهور بكثرة مزارع العنب..

هذه الكلية تدرب مثلا كل سنة ١٥٠ طياراً تابعين للخطوط الجوية اليابانية..

وهذا مجرد مثل من أمثلة نشاطها فى هذا المضمار الحيوى الهام..

وقد استقبلت فى ذلك العام (١٩٧٩) ضمن طلبتها مجموعة من شركة طيران الخليج، بالاضافة إلى وجودى معهم أنا وزميل الدراسة فريد المطوع، وهو يعمل الآن طياراً فى شركة طيران الخليج..

واختصرت المدة

كنت أنا و«فريد» مبعوثين من قبل وزارة التربية لدراسة الطيران..

ولقد كانت الدراسة في هذه المدرسة تستمر لمدة سنتين ونصف السنة..

لكننى استطعت اختصار هذه المدة..

وكان سبيلى إلى ذلك العمل المتواصل كل يوم، وبالنهار والليل، وخلال أيام العطلات..

لهذا تمكنت من اختصار مدة البرنامج الدراسي إلى سنة واحدة فقط..

وكانت الدراسة ذات جانب نظرى وهو ضرورى وهام..

لكن إلى جانبه كانت هناك الدراسات العملية..

وقد تركزت هذه الدراسات فى التدريب على أجهزة «المحاكى» أو «السميلتر» ثم بعد ذلك بدأت التدريبات على قيادة الطائرات المروحية الصغيرة؛ ذات المحرك وذات المحركين..

وانتقلنا بعد هذا النوع من الطائرات إلى ما يسمى بالمرحلة التحويلية من المروحية إلى النفاثة..

ولقد تدربت على طائرة فرنسية الصنع هى «فولكن ٢٠».

ثم انتقلنا بعدها إلى حيث شركة البوينج بمدينة سياتل على الساحل الغربى للولايات المتحدة الأمريكية، وتدربنا نظريا وعمليا على طائرة ٧٠٧..

قصتي مع الطيران



وأصبحت بعد هذه الدراسة طياراً مؤهلا معترفا به ، وحققت حلم حياتى الذى استولى على تفكيرى منذ الصغر..

وهنا عدت أسأل الشيخ « حمد » عن فصل جديد من فصول قصته مع الطيران ، بعد أن أصبح بالفعل طياراً ، كيف سارت به الحياة بعد ذلك .

وابتسم : صقر الخليج نفس الابتسامة الوديعة ، وأخذ يحكي بأسلوبه البسيط ، غير المتكلف :

ـ بعد التخرج حولت الى شركة طيران الخليج ، وكانت بدايتى فيها مع طائرة تليستار ، ومن أجلها بعثت الى مدينة هونج كونج ، حيث شركة الكاثى باسفيك ، لأخذ المعلومات النظرية والعملية عن هذه الطائرة..

وكانت مدة البعثة ثلاثة شهور. بعدها بعثت من أجل الغرض نفسه الى شركة « بريتش ايرويز» . ثم زاولت العمل كطيار فى شركة طيران الخليج لمدة سنة .

ثلاثة أيام

ويصمت الشيخ « حمد » برهة ثم يعاود حديثة قائلا :

ـ وبعد هذه المدة القصيرة وللظروف التى كانت تمر بها الشركة فى ذلك الوقت ، فضلت ترك العمل فيها ، واستلمت عملى فى إدارة الطيران المدنى فى عام ١٩٨٢ ، حيث أتولى مسئولية وكيل الإدارة..

والحقيقة أن هذا لا يعنى اطلاقا أننى قد ابتعدت عن عملى الأساسى ، وهوايتى الأصلية ، وهى الطيران..

أبداً..

إننى وخلال عملى فى إدارة الطيران المدنى أزاول الطيران فى شركة طيران الخليج لمدة ثلاثة أيام ، قائدا للطائرة ٧٣٧ على جميع الخطوط التى تعمل عليها هذه الطائرة..

وهذا العمل فى حد ذاته يمنحنى خبرة لا بأس بها..

لكنه فى نفس الوقت يعطينى أفكاراً متجددة باستمرار عن المطارات التى أزورها ، والأجهزة الحديثة فيها..

وهذا فى رأيى ضرورة لكل طيار..

فالعلم لا يتوقف فى هذا المجال الهام ، ولابد من الالمام بكل جديد فيه ، حتى يمكن مسايرة العصر ، وملاحقة أحداثه المتلاحقة ..

• لكن ياشيخ « حمد » كيف بدأ تفكيرك فى رحلتك المثيرة حول العالم ، ومتى وكيف اتخذت قرار التنفيذ الجرىء والشجاع ؟ ..

وكأنه كان ينتظر منى هذا السؤال ، فقد استرسل « صقر الخليج » فى حديثة المتدفق ، وهو يقول :

ـ كانت بداية التفكير فى الرحلة فى الواقع منذ سنتين ..

كان كل شيء فى حياتى كطيار يسير سيرا عاديا ، أطير بالطائرة البوينج ، وليس هناك جديد يذكر..

لهذا فكرت فى نوع جديد من « التحدى » لم يقم به غيرى ..

ولكن الفكرة « نامت » فترة ، بحيث لم تر النور ، لكنها عادت وبإلحاح شديد على ذهنى ، عندما وصلت للولايات المتحدة الأمريكية للدراسة النظرية فى مجال الادارة بالنسبة للطيران والمطارات..

كفاءة العربى

كانت فى الحقيقة مسألة « تحدى » .. وازداد التحدى فى نفسى وكبر..

وكانت الدوافع كثيرة وعديدة..

فبالاضافة الى رغبتى الشخصية فى أن أكون أول عربى يقوم بهذه الرحلة ، كانت هناك رغبة أخرى فى إثبات كفاءة العربى فى هذا المجال الهام..

إذ أن الكثيرين فى الخارج لا تتوفر لديهم هذه الثقة فى كفاءة الطيار العربى..

وكان جهدى فى هذا المجال جهدا فرديا خاصا..

قمت بالتخطيط بنفسى ، واشتريت الطائرة على حسابى الخاص ، وكنت أقوم بكل متطلبات الرحلة وأنا أستعد لامتحانات فى أمريكا بعد الدراسة الأخيرة ، دون أن ألقى مساعدة من أحد..

وتوكلت على الله وتجاوزت كل الظروف الصعبة ، ونجحت رحلتى نجاحاً ملأنى بالفخر كعربى ، وحملنى مسئولية أن أكون دائما على مستوى الأعمال الكبيرة والمؤثرة..

وأسأله ، والحديث مازال متصلا بيننا عن الرحلة ، عما قيل من دعايات مغرضة عن رقمه القياسى ، ورقم ذلك الطيار الاسترالى الذى سجله من قبل ، والملابسات التى جرت حول هذا الموضوع..

ويحكى الشيخ « حمد » صقر الخليج ، الحقيقة بكل وضوح وثقة :

ـ لقد سجل هذا الطيار الاسترالى رقما باسمه فى عام ١٩٧١ هوالدوران حول العالم فى مدة ١٢٥ ساعة . هذا هو رقمه . وأى طيار آخر يريد أن يتفوق عليه لابد أن يسجل رقما أقل منه ولو بواحد فى المائة..

ولقد استطعت والحمد لله أن أسجل رقما جديداً هو ١٢٤ ساعة و٥٧ دقيقة وبذلك حطمت رقم الطيار الاسترالى وحققت رقما قياسيا جديداً..

لكن ولأجل التشكيك فى قدرة العربى ظهرت « ملابسات » سرعان ما تبددت سحبها أمام شمس الحقيقة الواضحة..

لقد اتفقت معى الجهة المسؤولة عن تنظيم

مثل هذه الرحلات وهى : ناشيونال ايرناتك أسوسييشن » فى واشنطن ، وهى تابعة لجهة أخرى فى فرنسا ، على أن مدة الرحلة تبلغ ستين يوما من البداية إلى النهاية .. ويمكن أن يزاد عليها ثلاثون يوما أخرى ..

لكنها حاولت بعد نجاح الرحلة فى مدة أقصر أن تلغى هذا الاتفاق ، بل وتقول إن المدة المفروضة هى خمسة أيام فقط!

شهـــادة تقدير

إلى هذا الحد يحاولون التشكيك فى قدرة العربى ..

لكن أمام النجاح الذى حققته عادت وسجلت هذا الكلام ، بل واعترفت أن الطيار الاسترالى لم يكن بمفرده ، بل كان معه طيار آخر ..

بل واعترفت أيضا أن طائرتى التى قدتها حول العالم كانت أقل قوة من هذا النوع الذى يطير حول العالم ..

وكانت كل هذه شهادات تقدير وفخر لى ولكل عربى ..

فلابد فى النهاية من انتصار الحق ..

ويمتد الحديث بينى وبين صقر الخليج دون ملل ، ويستمر جلسة أخرى ، فأعود أسأله :

• فيم كنت تفكر بصراحة وأنت تقود طائرتك بمفردك حول العالم ؟

ويجيب ..

ـ صدقنى إذا قلت لك إننى لم أكن أفكر فى شيء إلا الهدف من هذه الرحلة ، وهو إكمالها بسلام ، حتى تكون دافعا للجيل الجديد من الشباب الخليجى والعربى لحب الطيران ، وزوال خوفه من الطيران ..

فليس من المعقول أن يقال دائما إن الأجانب هم الذين يزاولون هذه الأعمال يقصدون بذلك الطيران وغيره ..

ان الشباب العربى قادر عليها .. وهو يستطيع أن ينافس فى مجال الطيران ، ويتفوق ، وهذا المجال ، والكلام موجه لكل شاب ، يمثل مهنة من أجمل المهن وأحبها إلى النفس ، بشرط أن يقبل عليها الانسان بشغف وحب وهواية ، وأن يدرس كل شيء فى مجالها دراسة علمية متكاملة ..

• ومن هو الطيار الذى أثار انتباهك ولفت نظرك وكان محل اعجابك ، بل وكان مثلك الأعلى ؟

ـ فى الحقيقة أن تركيزى دائما هو على الطائرة لا الطيار . فمنذ أن بدأت معى الهواية وأنا أحاول الوصول إلى كنه الطائرة ، وكيف يمكن قيادتها ، والتفوق فى التدريب عليها ، وهكذا ..

ولم يكن هناك انبهار من جانبى بأى طيار ..

لكن بلا شك أحمل معزة خاصة لكثيرين منهم ، ويلفت نظرى ويستولى على احترامى دائما الكابتن محمد القاضى من دولة البحرين ، فهو من أمهر الطيارين فى شركة طيران الخليج ..

يجوز مستقبلا

• وهل يمكن أن تصبح الطائرة فى رأيك فى متناول الجميع مثل السيارة ؟

ـ يجوز أن يحدث ذلك مستقبلا . لكن الآن وفى مجتمعاتنا العربية فإن ذلك يبدو صعبا ومستحيلا لظروف كثيرة .. لكن فى الكويت على سبيل المثال بدأ نظام الطائرة « الايرباص » ، لخدمة رجال الأعمال فى أى وقت .. وفى الدول الأجنبية فإن الطائرة فى متناول أى شخص يستطيع أن يدفع ثمنها ، أو يؤجرها .. وقد يصبح ذلك فى مجتمعاتنا أمراً عاديا ، من يدرى ..

• لكن ألا يمارس « صقر الخليج » هواية أخرى إلى جانب هوايته الكبيرة الطيران ؟

ـ فى الحقيقة أنا أحب التصوير إلى درجة كبيرة ، ولى محاولات فى مجاله لا بأس بها ، وحتى لا تسألنى ماذا أصور ، فأنا أجيبك بسرعة إن لدى مجموعات من صور الطائرات والطيور ، والورود ، من انتاجى الخاص ..

• وكيف رأيت وترى الشباب العربى فى الخارج من خلال ترددك على دول العالم ؟

ـ بخير والحمد لله . صحيح أن هناك نوعيات غير مكترثة بالدراسة ، وأخرى متهورة ، لكنها فى الحقيقة قليلة إذا ما قيست



بالنوعيات الأخرى المجتهدة ، والمثابرة ، والراغبة فى المعرفة ، والمتفوقة ، والمشرفة أيضا ..

• وما رأيك فى إقبال البعض من شبابنا العربى على الزواج من أجنبيات ؟

ـ هذه فى الحقيقة تجربة فاشلة . فقد يندفع الشاب فى البداية إلى هذه الخطوة وهو مبهور بما قد يسمى بهجة الحب الأولى . لكن بعد زوال هذه البهجة تتحول الحياة بين الطرفين إلى جحيم . إذ يصبح هناك تنافر مؤكد ؛ ولا يجمع بينهما سوى الأطفال ، ويكون المصير المؤلم هو الطلاق . فلا شيء يمكن أن يعزز استمرار العشرة والألفة والمحبة بين الطرفين : لا الديانة ، ولا العادات والتقاليد ولا أى شيء آخر ..

• وهل يعنى ذلك فى رأيك أن الحب قبل الزواج لا يدوم ؟

ـ ليست هذه قاعدة فى كل الحالات ، لكن فى رأيى أن الحب الأول ينتهى بسرعة ، والحب بعد الزواج يطول ، وهو أقوى ، وأبقى ..

• وماذا عن عمل المرأة فى رأى صقر الخليج ؟

ـ المرأة يجب أن تعمل . ولقد كانت المرأة ، وهذا ثابت من خلال تاريخنا الاسلامى ، هى معلمة النشء ، ومربية الرجال . لكن هذا لا يعنى أن تنافس المرأة الرجل فى المجالات العسكرية وغيرها . إن هناك أعمالا يكون عطاء المرأة فيها كبيرا وعميقا مثل التعليم والتمريض وغيرها ..

• وماذا عن عطاء المرأة فى الطيران ، هل يمكنها أن تكون طيارة ناجحة ؟

ـ فى الحرب العالمية الثانية كانت المرأة الأوروبية تقف وراء تصنيع الطائرات . ولكننى لا أومن بأن تركب المرأة طائرة وأن تصبح محاربة . بل إننى لا أشجع أن تكون المرأة طيارة عادية ، رغم أنه توجد فى شركة عالية الأردنية ثلاث طيارات عربيات على أعلى مستوى !

• وأولادك فى المستقبل ياشيخ حمد .. كيف تحب أن تراهم ؟

ـ بودى أن أراهم طيارين متفوقين . لكننى مع ذلك سأترك لكل واحد منهم إن شاء الله أن يختار طريقه بنفسه ، حسبا لظروفه ..

• أخيرا ماذا تقول ياشيخ حمد للأجانب الذين ينظرون الينا كعرب نظرة قاصرة ؟

ـ اننا لا ندرب الصقور فحسب ، بل نقود أحدثها أجهزة !

السيد حجازى



من روائـــع الفن العـــالـــمي

الجمـــال العاقـــل

التقينا من قبل على هذه الصفحات حول نشأة وتطور الفن الانجليزي الذي تتصل جذوره إلى فناني قبائل (الكلت)، وهذه القبائل هي التي أغارت من موطنها الأصلي في شمال فرنسا، على الجزيرة المقابلة .. منذ زمن سحيق ومن اسم (بريتاني) وهي المقاطعة التي كانت موطن قبائل الكلت في فرنسا، أطلق على الجزيرة منذ ذلك الحين اسم «بريطانيا».

ثم ضم الرومان هذه الجزيرة وتوابعها لأملاكهم، وظلت تحت سيطرتهم حتى أغارت عليها قبائل من الانجليز والسكسون والجوت، وكانت تسكن مايعرف الآن بألمانيا، وبهذا أخذت اسمها المعروف «إنجلاند» وفي أواخر القرن السادس الميلادي (عام ٥٩٧) ظهر راهب يدعي (أوجستين)، نشر الدين المسيحي بين هذه القبائل التي تناحرت وتنازعت فيما بينها، حتى تحولت البلاد إلى مناطق متصارعة لاتعرف الاستقرار أو الاتحاد، وظلت الأحوال على هذا المنوال من الحروب والقلاقل، حتى تولت أسرة تيودور التي أنشأت التاريخ الانجليزي الحديث، وتولى مؤسسها «ريشموند» الحكم تحت اسم «هنري السابع»، ومما ساعده على تثبيت دعائم الحكم ووحدة البلاد، زواجه بالأميرة (إليزابيث) سليلة أسرة يورك العريقة التي حكمت انجلترا في القرن الخامس عشر.

ومضى التصوير الانجليزي يركز خلال القرون الوسطى على خدمة الكنيسة الكاثوليكية، فيقدم للمباني الدينية أجمل اللوحات المستوحاة من حياة المسيح عليه السلام، كما أضفت على الحياة الانجليزية داخل البيت جواً دينياً من الرسوم والزخارف التي كان الفنانون يرسمونها بروح كنسية ميزت طابع العصر آنذاك. وما أن حل المذهب البروستانتي محل الكاثوليكي، حتى أصبح الفنانون مهددين في أعمالهم وإبداعاتهم وأرزاقهم، فقد وقف رجال الدين الكاثوليكيون موقفاً عدائياً من الفن والفنانين .. وحرم مثل هذه الأعمال من منحوتات وصور في الكنائس والمرافق الدينية ..

وكان هذا الموقف بين رجال الدين والفنانين هو السبب الأساسي في تحوّل وجهة النظر الابداعية إلى مصادر إلهام شيقة أخرى غير القصص الديني وخدمة الكنيسة واتجه الفنانون إلى الطبيعة ومافيها من مناظر موحية، وإلى الشخصيات البارزة في مجتمعهم ـ من ملوك وأمراء ونبلاء وأثرياء ـ يرسمون صورهم ويخلدونهم في لوحات فنية تجوب المعارض والمتاحف .. ولتستقر في صفحات التاريخ.

وقد لاقى الفنانون الانجليز نفوراً وإعراضاً من المجتمع في أول الأمر .. حيث أن الانجليزي بطبعه لم يتفاعل مع الفن إلاّ إذا كان نافعاً له نفعاً مباشراً في حياته اليومية، أي أن الانجليز يفضلون الفنون التطبيقية الذهنية عن الإبداعات الوجدانية .. ولكن القرن الثامن عشر شهد تحولاً هاماً في النهضة الفنية الحديثة بفضل ظهور بعض الفنانين الأفذاذ من أمثال هوجارث (وهو رائد النزعة الفنية الاجتماعية)، ثم فناننا رينولدز الذي أطلق عليه: أستاذ الطابع القومي في الفن الانجليزي. ولاشك أن انجلترا تفخر عن جدارة بهذا الفنان الموهوب (رينولدز ١٧٢٧ ـ ١٧٩٢)، الذي استطاع أن ينهض بتصوير الأشخاص Portraits حتى وصل بهذا الفن الرفيع إلى القمة، وتفوق فيه على كبار المصورين الأجانب الذين كانوا يفدون على ملوك انجلترا وعظمائها لرسم صورهم وتزيين قصورهم. كما استطاع رينولدز بفضل صفاته الذاتية من ثقافة، وسعة اطلاع، وخلق رفيع، أن يتقلد منصب عميد المجمع الملكي للفنون بلندن، وأن يهز التقاليد العريقة في مجتمعه، تلك التقاليد المحافظة التي طالما وقفت حائلاً بين الشعب وممارسة اقتناء الفنون الجميلة.

وقد جاء بعد رينولدز كثير من العباقرة الذين أثروا الحياة الفنية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. إلا أن رينولدز كان أستاذ هؤلاء الأساتذة. وكانت كلمته أو شهادته عن فنان أو عن عمل فني بذاته، بمثابة الحكم والمرجع والميثاق .. ويكفي أن يقال: إن رينولدز رأى .. أو أنه أشار بكذا .. ويذكر قراؤنا أننا عندما استعرضنا من قبل الفنان الانجليزي (لورانس)، وجدنا أنه قد بنى شهرته ودعّم مجده الفني بشهادة من رينولدز. يقول: بأن أعماله قمم فنية خالدة! ولم تتوقف أمجاد رينولدز الفنية على براعته التشكيلية فحسب، ولكن التاريخ يسجل له أنه أول من فصّل معنى (الفنون الجميلة)، وفرّق بينها وبين الفنون التطبيقية، ولأول مرة تضم (الأكاديمية الملكية البريطانية للفنون الجميلة) الأقسام الثلاثة التي اصطلح على أن تسمى بالفنون الجميلة وهي: الرسم والنحت والعمارة .. ولذلك استحق عن جدارة أن يصبح: السير جوشوا رينولدز .. فنان التاريخ العظيم.

وعلى الصفحة المقابلة، نرى إحدى روائع رينولدز التي اسماها: المفكرة .. وهي صورة للسيدة براديل .. وقد خص فناننا أسرة براديل بالعديد من اللوحات، كانت هذه اللوحة من أبدعها فناً وأكثرها تصويرا للجمال العاقل.

ج . ق



مناجاة لسيناء

شعر: درويش مصطفى الفار



يا حادىَ العيسِ من طَابَا الى الثَّمَد
دع الملامَ ولا تَعْتِبْ عل أَحَدِ
واحْذَرْ مَغَبَّة أقوالٍ بلا عملٍ
وكُن صَدُوقا ، فلا تَنْقُصْ ، ولا تَزِدِ
فالقوم فى التِّيه صُمٌّ لا حَراكَ بهم
عَمُوا ، عَجِبْت ، وما بالعَيْن من رَمَدِ
هانوا على الناس حتى صار سامِرُنا
غُثَاء سيلٍ وكم للسيل من زَبَد
يا مجلسَ الأمنِ سَحْبانٌ مَنَابِرُهُ
تَنُوءُ بالشَّجْب والتَّنْديدِ والفَنَدِ
قميص عُثْمانَ مظلومٌ بساحتنا
إذْ كُلُّنَا قَاتِلٌ عَمْداً بلا قَوَدِ
هلْ من جلاء لِهَمٌ كَادَ يَحْرقُنَا
وَهَلْ لنا مَخْرَجٌ من رِبْقَةِ الصَّفَدِ؟
قُمْ طُفْ بسيناء تَلْقَ الطورَ تارِكَةً
مَضيقَ تيرانَ فِي ضِيقٍ وفى كَمَدِ
واحذر مِنَ الدَّرْبِ ، دَرْبُ الحَجِّ ، مُوصَدَةٌ
مُذْ قامت إيلاتُ بَيْن الصُّلبِ والكَتَدِ
قَدْ غِيضَ مَبْعُوقُ والشَّعْوِىُّ مُقْفِرَةٌ
وَدارِسٌ كلُّ مَا فى الرِّيدِ مِنْ بُرُدِ
كَمْ من شَهيدٍ رَوَتْ سيناءَ مُهْجَتُهُ
أَسْرى بِه الرُّوحُ مِنْ بَدْرٍ الى أُحُدِ
سَلِ البُرُوك ورِجْمَ الحَضِ عَنْ أُسُدٍ
غُرٍّ مَيَامِينَ مَجْهولينَ للأَبَدِ
يادَرْبَ حِطِّينَ مِنْ صَدْرٍ الى يَلَقٍ
إنِّى وَجَدْتُ صَلاحَ الدِّين لَمْ يَجِدِ
عَلى قرينٍ ولَمْ يَغْدِرْ بِلاَ شَرَفٍ
ولم يَكُنْ بأسيرٍ مُتْعَةَ الجَسَدِ
بل وحَّدَ الصَّفَ فى حِلْمٍ وفى أَدَبٍ
وفى وَفَاءٍ لِدين الواحدِ الأحدِ

فعادتْ القدسُ من أسرٍ مُطَهَّرةً
وَلَنْ تَعودَ لنا بالخُلْفِ واللَّدَدِ
عَرِّجْ على العِجْمَةِ الغرَّاء تُقْرِئُهَا
مَعَ السَّلام ، تباريحاً من الكَبِدِ
واسْتَشْرِفِ الدَّيْر رأْسُ السِّيح تُبْصِرُهُ
وَحَيِّ حَتْحُورَ والفَيْروزَ مِنْ بُعُدِ
وقُلْ لمَجْمَرَ أَضْحَى جَمْعُنَا بَدَداً
قَدْ هزَّنا الشَّوقُ للوديانِ والنُّجُدِ
وعاطرِ الشيحِ والقَيْصُومِ فِى خِرمٍ
وأمِّ شِيَحانَ ذَاتِ الطَّلْحِ والجَعَدَ
أبا اللُّقَيْنِ وما قَلبى بِمنْصَرِفٍ
عن مَعْدِنِ المِلْحِ والفُوسْفَاتِ والجُدَدِ
فَحْمُ المغَارَةِ فى وادى الصَّفاةِ بَدا
بِفضْل رَبِّى ، جزَاءَ الجَهْدِ والجَلَدِ
وادى الخمارات فى مهد الرُّخامِ لَهُ
ذِكرَى تَدُومُ مَعَ الأيَّام فى بَلَدِى
دَعِ العَرِيشَ تَرَيَّثْ صَوبَ ساحِلِها
وخَفْ غَوامِضَ بَحرِ الرُّومِ واتَّئِدِ
وحاورِ الرَّمْلَةَ السَّوْداءَ عَنْ قَصَص
عَبْرَ القُرُونِ بِلا حَصْرٍ ولا عَدَدِ
طريقُ حُوريسَ مَمْدُودٌ الى رفَحٍ
مِنْ شَاطِىء النيل بَيْنَ الرَّمْلِ والجَنَدِ
رَنَا لأَحْمُسَ والهكسوسُ شاردةٌ
فلولُها تكتسي شُؤماً على نَكَدِ
سَلِ المَساعِيدَ عَنْ عمروٍ وصُحْبَتِهِ
لأوّلِ الفَتْح والرُّومانُ فى مَدَدِ
نَشيدنا كان فى قَطْيَا وفى الفَرَما
الله أكْبَرُ لمْ يُولَدْ ولَمْ يَلِدِ
فَكَانَ أن قامتِ الفُسْطاطُ شَامِخَةً
وأصْبَحَ القَوْمُ بالاسلام فِي رَغَدِ

قصة قصيرة

مشوار

بقلم: إبراهيم أصلان

في عتمة الحجرة الأرضية المغلقة ، استند الطفل بصدره على حافة الكنبة ، وربت بيده على صدر المرأة النائمة وقال : « ماما . ماما . ماما » .

والمرأة الشابة فتحت عينيها ، وتطلعت إلى الوجه القريب ، ومدت يدها وتحسست مؤخرة الولد جيداً . كانت جافة . حينئذ ربتت بيدها على شعره الخفيف المنكوش ، وابتسمت له وهي تغمض عينيها ، وتنام . الولد ضرب الأرض بقدمه الصغيرة ، ومد أصبعه ودسه في فتحة أنفها وقال : « ماما . ماما . ماما » .

خلصت المرأة وجهها ، ومالت بجسدها وأحاطته بذراعها النحيلة العارية .أرادت أن تحمله من تحت إبطه ، وهي راقدة ، ولكنه قاوم بثني ركبته :

« لأ ماما . لأ . قول » .

« فول ؟ » .

« آه ماما . فول » .

« بتاع الفول لسه قافل . روح العب بالخرطوم لغاية ما يفتح » .

استلقى الولد على ظهره . بدأ يقلب نفسه حتى وصل إلى المساحة العارية أمام مدخل الباب ، وشرع يدق رأسه بالأرض ويصرخ باكياً دون دموع :

« لأ ماما . لأ » .

صاحت : « اخرس خالص » .

سكن الطفل عن الحركة تماماً . بدا أطول قليلاً من البلاطات الثلاث . ثم انفجر يبكي ، فجأة ، بدموع . جلست هي على الكنبة وقد باعدت مابين ساقيها المكشوفتين . تمطت ، وأزاحت الشعر عن جانبي وجهها ، وقامت . اتجهت إلى المنضدة المعدنية في ركن الحجرة بينما انقلب هو على بطنه يتابعها وقد كف عن البكاء . بحثت على سطح التليفزيون وهي ترفع زجاجة القطرة وتعيدها إلى مكانها . استدارت إلى قاعدة النافذة ورفعت الجريدة المطوية . تناولت القطعة الوحيدة ذات الخمسة قروش ، والتقطت سترة بيجامه رجالي من على الكنبة الأخيرة وارتدتها . أسرع هو بالوقوف معتمداً على يديه وقدميه ، احتضن ساقيها وقال : « أشيلك ماما . أشيلك » .

تطلعت إلى الوجه الذي بللته الدموع . كانت عيناه باسمتين : « أشيلك بقى » . حملته ومسحت وجهه بكفها ، وقبلته في فمه المفتوح ، وخرجت إلى الحارة المتربة . اعتلت جانب مقلب القمامة الكبير وانحدرت إلى الناحية الأخرى . كان الولد يتكىء بمرفقه على كتفها وقد أدار وجهه كله إلى الأمام ، ورأى الرجل الذي يرشّ الطوب الأحمر بماء الخرطوم وقال :

« عمو؟ ماما ، عمو؟ » .

« آه عمه » .

« ميه ماما؟ ميه ؟ » .

« أيوه ميه » .

« أشرب ماما . خطوم » .

« لما نروح » .

وانحرفت بين البيوت القديمة المتقاربة ، وخرجت حيث الشمس الحارة وعربات الركوب نصف النقل وغبار الطريق غير الممهد وعبرت أمام حقل البرسيم المزروع بين مجموعة أخرى من البيوت الجديدة العالية . ونظر الولد إلى الحقل وجذبها من وجهها :

« أسد ماما؟ أسد ؟ » .

ونظرت الأم وقالت : « لأ مش أسد . دي جاموسة » .

« أموسة » .

« آه » .

« أموسة ماما؟ » .

« أيوه زفت » .

« طيب ماما . طيب » . ونظر إلى كومة الزبالة المشتعلة أمام المطعم المفتوح : « نار دي ؟ نار؟ » .

« أيوه نار » .

« بح ؟ » ، ومدت يدها بالقطعة المعدنية وطلب شقة : « من غير شطة والنبي » .

ونظر الولد إلى البائع عند القدرة وقال :

« عمو ؟ »

« أيوه »

« عمو؟ »

« أيوه ــ أسكت بقى » .

« عمو ؟ »

ضربته بيدها على فخذه ، وتناولت شقة الفول وعادت به إلى البيت . أنزلته وأغلقت الباب ، وفتحت الورقة وقسمت شقة الفول إلى قسمين . أسرع هو بالجلوس وقد ربع ساقيه . ناولته ربع الرغيف . أخذه ونظر إلى الربع الآخر الذي في يدها : « هات ماما . هات » .

« أهي جنبك » .

نظر إلى اللقمة المجاورة ، جذبها تحت ركبته اليمنى : « قطة كلتها . قطة كلتها ماما »

« طيب » .

« خطوم بقى » .

« اتفضل الخرطوم » .

« علبه . علبه دي » .

« وآدي العلبة » .

« أغط » .

رفعت الغطاء المعدني المنقوش بقدمها :

« وآدي الغطا » .

قربه من العلبة ، ورفع ركبته ، والتقط حبة الفول التي انحدرت على الورقة المفتوحة : « زيون ماما . زيون » .

كانت قد خلعت سترة البيجامه ، وظهر ثديها من حمالة قميصها المقطوع . تهلل وجه الولد وهو يشير بيده الخالية : « بز ماما؟ بزوز؟ » .

« أيوه بزوز » .

« طيب » . وصاح : « زيون بقى . زيون دي » .

اتجهت المرأة إلى الجهاز المستقر على المنضدة المعدنية ، أدارت المفتاح واستلقت على الكنبة . توقف فم الولد عن الحركة حتى اتضحت الصورة : « عمو » . ثم عاود المضغ وهو يتطلع إلى الوجه المضيء ، الذي كان يتكلم ، ويبتسم .

هو ـ بلاشك ـ عنوان قد يثير فكر الناس ، وقد يجعلهم يضربون أخماسا فى أسداس ، ولهذا كان لابد من تمهيد نوضح فيه العلاقة التى تجمع بين برما والناس وثمرة الأناناس ، فبرما قرية مصرية يشتهر أهلها بانتاج البيض والكتاكيت ، ولها قصة طريفة يضرب بها المثل عندما تستعصى مسألة حسابية على الحل ، والناس ـ بطبيعة الحال ـ هم وحدهم الذين يتعاملون مع الحسابات دون سائر المخلوقات ، لكن ثمرة الأناناس مع غيرها من أجزاء النباتات ، قد جاءت بلعبة حسابية أغرب من حسبة برما ، وألغاز « وفوازير » الناس .. بما فى ذلك الفوازير الرياضية التى تحتاج الى حسابات ومعادلات .. لكن ، ماهى القصة بالضبط؟

"حِسْبة بِرْمَا" مع النـــاس .. وثمـــرة الأنانـــاس!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

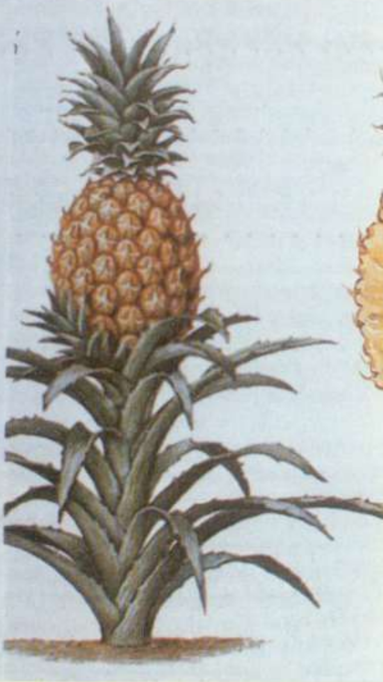
يحكى أن فلاحة من قرية برما (فى محافظة الغربية بمصر) كانت تسير بسلة من البيض ، فاحتك بها حمار أوقع السلة ، وتكسر البيض ، وأراد صاحب الحمار أن يعوض الفلاحة عما أصابها ، فسألها هو ومن معه عن عدد البيض الذى كانت تحمله ، فقالت : أنا لا أعرف عدده بالضبط ، لكن عندما عددته على هيئة زوج من وراء زوج ، بقيت بيضة ، وعندما عددته ثلاثا ثلاثا ، بقيت بيضة ، وأربعا أربعا بقيت بيضة ، وخمسا وستا بقيت بيضة ، لكن لم يبق شىء عندما عددته سبعا سبعا .. فتحير الرجال فى الحل ، وأخذوا يضربون أخمسا فى أسداس ، الى أن مر بهم قروى بسيط من القرية ذاتها ، فعرضوا عليه المسألة ، وأخبرهم بأن الحل بسيط ، فعدد البيض كان ثلاثمائة وواحدا .. ومن هنا يضرب المثل بأية حسبة تبدو معقدة ، فيقال بعصبية : أهى حسبة برما ؟!

وسواء أكانت القصة مزحة أم حقيقة ، فهى لن تقدم ولن تؤخر ، اللهم فقط إلاّ فى إثارة العقل وتدريبه على حل مثل هذه الألغاز الطريفة التى يغرم بها بعض الناس .

هذا هو الجزء الأول والثانى المقصود من حسبة برما مع الناس ، ثم يأتى الدور على حسبة نوع آخر من الناس مع ثمرة الأناناس ، وعلينا أن نقدم الأسباب التى من أجلها قد أقحمناها فى حسابات لاتخص الا المفكرين والأذكياء الذين يتلاعبون بالأعداد وألغازها ، فواقع الأمر أن ثمرة الاناناس قد جاءت بغلاف مقسم الى وحدات سداسية ، لكن الغريب أنها تراصت فى صفوف حلزونية أو لولبية (شكل ١) .. أو هكذا تبدو للعين ، لكنها ـ مع ذلك ـ لاتثير فى الذهن شيئا ، فنمر عليها مر الكرام .

بين نظرتين

لكن نظرة الناس لتكوين غلاف ثمرة الأناناس ، تختلف عن العلماء الذين يبحثون فى أسرار الخلق ، أو الذين يرون أن الكون والحياة قد قاما على أساس من المعادلات والحسابات والشرائع التى تعبر عن نفسها فى نظم جميلة قد تفصح عن نفسها ، أو تخفى



شكل (١) جاء غلاف ثمرة الأناناس بتكوينات سداسية ، تتراص فى صفوف حلزونية وعلى نفس نمط الأوراق التى تتوجها ، لأنها نظام مشتق منها ، وهى فوق ذلك تخفى سرا جميلا من أسرار تسلسل الأعداد (راجع المقال لمزيد من التفاصيل) .

مكنونها ، فلا يتكشف ذلك إلا للباحثين المنقبين فيما أودع الخالق فى خلقه من أسرار وألغاز !

إن واحدا مثل البروفيسور فيرنرهوجات ، أستاذ العلوم الرياضية بجامعة سان جوزيه ، وهو ـ فى الوقت نفسه ـ رئيس تحرير مجلة فيبوناكى ربع السنوية (وسوف نعود الى فيبوناكى هذا بعد قليل) قد كتب دراسة ممتعة فى مجلد العلم والمستقبل عن نظرية الأرقام ، وركز بصفة خاصة على علاقتها بنظم التشكيلات النباتية ، ومنها غلاف ثمرة الأناناس ، لانه يحوى لغزا مثيرا من سلسلة الأرقام .. ثم نراه يعلق على هذه التشكيلات بقوله : إن الدراسات الهادفة نحو تعميق واتساع معرفة الانسان بالعلاقات التكوينية فى طبيعة الاشياء ، قد دفعت بعض العلماء الى أنماط رياضية علها تستطيع شرح نظم تبادل الأجزاء النباتية ، وكأنما هى تريد ـ أى النباتات ـ أن تتجنب التكدس فى مكان أكثر من مكان آخر ، أو مايسمى بالضغوط التلامسية ، وهو يقصد ـ بطبيعة الحال ـ التناسق الذى نراه فى امتداد الفروع بنظام فى كل الاتجاهات ، وبروز الأوراق على محاورها بهندسة فراغية ، وبحيث لاتحجب ورقة نصيب ورقة أخرى من أشعة الشمس أو من الهواء ـ أى كأننا نحن أمام انشاءات هندسية ، تساندها عمليات حسابية ، ومعادلات رياضية .. مما يثير فى العقل الواعى قدرة خالق مبدع ، ذى صنع متقن (شكل ٢) .



شكل (٢) هذا التناسق الواضح فى انتظام الفروع على جذوعها فى نوعين من الأشجار ثم خروج الفروع الأصغر من فروع أكبر ، وانتشارها فى الهواء فى اتجاهات محدودة ، وبتباديل محسوبة .. كل هذا وغيره لاينشأ هكذا اعتباطا بل من ورائه فكرة مبتكرة (انظر أيضا شكل ٣)

وبنظرة أخرى يكتب روبرت ديكسون العالم الرياضى والفنان الطبيعى فى مجلة « رجل العلم العصرى » البريطانية دراسة بعنوان : زهرة الربيع الرياضية ـ يقصد طبعا أن النظام الذى جاءت به الزهرة يتبع الأصول الرياضية التى عرفها الانسان دون سائر المخلوقات (لكن الزهرة عرفتها ـ كما هو واضح من العنوان) .. ولقد استهل دراسته بتساؤلات عدة ، منها : لماذا تبدو النباتات مطيعة لنماذج وأنماط محددة أثناء نموها ؟ .. وكيف تدرك نوع النمط الذى ستسير عليه ؟ .. وهل نستطيع شرح هذه الأنماط باستخدام نظرية الأعداد ؟ .. واذا كان ذلك كذلك .. فلماذا ؟ !

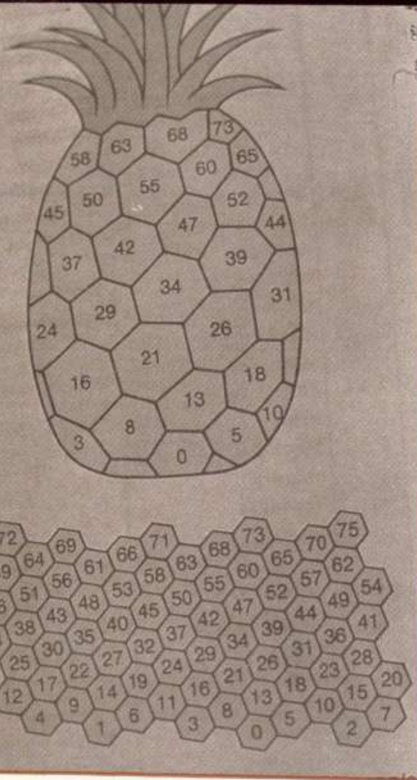


شكل (٣) لو دققت النظر فى تفاصيل الصورة فسوف ترى أربعة أنواع من النخيل وقد توجت هاماتها بعدد من الجريد الذى يتبادل مواقعه بنظام ، وكذلك يكون الحال مع أوراق وفروع النباتات والأشجار الموجودة داخل اطار الصورة ، أو خارج هذا الاطار .. كيف حدثت هذه البرمجة الهندسية ، ولماذا ؟ .. (راجع المقال لمزيد من التفاصيل) .



شكل (٤) زهرة عباد الشمس المركبة .. لاحظ كيف تتراص الزهيرات فى صفوف حلزونية تتجه يمينا ويسارا عند نشأتها من المركز ، ولهذا ترى الزهيرات الصغيرة فى الوسط ، والكبيرة عند الحافة .. لكن لهذه الصفوف حسبة مثيرة .

حسبة برما مع الناس .. وثمرة الأناناس!



شكل (٥) رسم توضيحي لغلاف ثمرة الأناناس وهو يبدو مقسما الى وحدات سداسية (انظر شكل ١) وكل وحدة تحمل رقما بحسب ظهورها أولا أثناء نمو غلاف الثمرة مع الزهور .. واللوحة التي الى أسفل تمثل غلاف الثمرة فيما لو نزعناه وفردناه على هيئة مسطحة .. حاول تتبع الأعداد التي على يمين أو يسار أو أعلى الأرقام صفر ، ١ ، ٣ ، .. الخ .. هل تستطيع أن تستخلص شيئا من تسلسل الأرقام ؟

والواقع أن بداية المعرفة تساؤل ، لكن لا يكفي أن تسأل وتسكت ، بل ان التساؤل هو بداية البحث في أسرار الخلق ، لتجميع حصيلة من الحقائق ، ثم هضمها واستيعابها ، ومحاولة الخروج بنتيجة أو نظرية أو معادلة تساعد على فهم ما غاب عن مداركنا .

ولا شك أن الطبيعة بمثابة كنز هائل من المعرفة ، ومرجع أصيل لكل الأنماط الهندسية ، أو التكوينات الفنية .. كل ما هنالك أنها بحاجة الى عقول تتحلى بالصبر والمثابرة والذكاء واستخلاص الأسس التي نشأت على هداها تلك الانماط ، وكل هذا يعيد عظمة الخلق ، وتناسق التكوين ، الى موجد مبدع ، فيتجلى إبداعه في خطط وراثية ، أو تعليمات مبرمجة ، تطبعها الكائنات في الخفاء ، ثم تتجسد بالصورة التي نراها بها عليها .

خذ على سبيل المثال هامات النخيل ، وتأمل فيها جيدا ، وعندئذ ستتوصل الى أن جريد النخلة لم ينشأ هكذا اعتباطا ، بل هو يتبع نظاما لا يسمح لجريدة أن تركب فوق أخرى ، أو تحجب عنها أشعة الشمس (شكل ٣) .. ويرجع ذلك – في المقام الأول – الى أن النخلة تطبق نظرية من نظريات الأعداد المعروفة باسم سلسلة أعداد فيبوناكي .

لكن .. ماهي أعداد فيبوناكي تلك ؟

الواقع أننا قدمنا ذلك في مقالة سابقة ، ولكي لا نشق عليك في الرجوع اليها كان من الأوفق أن نجملها هنا في فقرة مختصرة : ان فيبوناكي رياضي إيطالي نشر كتابا في عام ١٢٠٢ أسماه لغز الأعداد ، وفيه طرح لغزا يجيء هكذا : لو أن هناك زوجا من الأرانب في حيز مغلق ، وأن هذا الزوج يستطيع أن ينجب زوجا آخر في بداية كل شهر ، وان كل زوج جديد يستطيع أن ينجب بدوره زوجا بعد مرور شهرين من ولادته .. فكم عدد الأزواج التي يمكن حصرها في نهاية عام كامل ؟

الجواب يتضح في سلسلة من الأعداد : ١، ١، ٢، ٣، ٥، ٨، ١٣، ٢١، ٣٤، ٥٥، ٨٩، ١٤٤، ٢٣٣، ٣٧٧ – ففي أول يناير ١ ، وأول فبراير ٢ ، وأول مارس ٣ ، ابريل ٥ ، مايو ٨ ... الخ ، حتى نصل الى ٣٧٧ زوجا في يناير الذي يليه .. لاحظ أيضا أن الرقم الأخير ٣٧٧ هو حصيلة جمع الرقمين السابقين : أي ٢٣٣ ، ١٤٤ كذلك يكون ٢٣٣ هو حصيلة جمع الرقمين السابقين ١٤٤ ، ٨٩... وهكذا !

بين فيبوناكي وزهرة عباد الشمس

لكن قبل أن نعرض لغز أرقام غلاف ثمرة الأناناس ، دعنا نقدم أولا لغز زهرة الربيع وزهرة عباد الشمس المعروفة لنا جميعا .. فكلاهما من العائلة المركبة (أي ذات الزهور المركبة من زهيرات على قرص زهري) .. وكلاهما مع زهور أخرى من نفس العائلة يتبعان سلسلة أرقام فيبوناكي .

ان زهرة عباد الشمس مثلا مركبة من زهيرات صغيرة على تخت زهري مستو ، والذي يتأمل هذه الزهيرات قد يجذبه النظام الحلزوني الذي تتراص فيه صفوف منها (أو البذور بعد النضج) لتدور في اتجاه عقرب الساعة ، أو في عكس هذا الاتجاه ، (شكل ٤) ولو استطاع أن يحصيها ، فسوف يجد أن عدد الصفوف الحلزونية التي تتجه مقوسة الى اليمين تصل الى ٨٩ صفا ، والتي تتجه يسارا ٥٥ صفا ، ثم تظهر صفوف يمينية ثانوية (أي أقل تقوسا) يصل عددها ٣٤ صفا ، وطبيعي أنك قد لاحظت أن الأرقام ٣٤ ، ٥٥ ، ٨٩ هي نفس الأرقام في سلسلة أعداد فيبوناكي .

وهناك سلالات من نبات عباد الشمس قد تعطي زهورا مركبة صغيرة أو متوسطة او كبيرة ، وفي هذه أو تلك يتضاءل عدد الصفوف أو يكبر – يتوقف ذلك على حجم الزهرة المركبة ، ومع ذلك فلا زالت كل الزهور – رغم اختلاف عدد الصفوف – تحتفظ بحسبة فيبوناكي .. خذ على سبيل المثال أكبر زهرة جمعت من هذا النبات ، وأجرى فحص على عدد صفوف الزهيرات أو البذور التي تتراص في صفوف حلزونية ، فاتضح أن ١٤٤ منها يمينية الاستدارة ، ٨٩ يسارية الاستدارة ، ثم ٥٥ أخرى يمينية الاستدارة ، وهي كما ترى تسير على القاعدة .. ثم نرى أحد المراجع يذكر أن المدعو دانييل أو كونيل قد نجح في انتاج زهرة عباد شمس « سوبر » فكانت زهيراتها اليمينية ٢٣٣ ، واليسارية ١٤٤ ، ومجموعهما ٣٧٧ .. أي أنها لم تشذ عن القاعدة كذلك !

وكزهرة عباد الشمس تكون زهرة الربيع (ديزى) .. فعدد زهيراتها جميعا ٥٥ – منها ٣٤ يمينية الاستدارة ، ٢١ يسارية .. والأرقام ٢١ ، ٣٤ ، ٥٥ هي أيضا أرقام فيبوناكية ! .. ومثلها أيضا موجود في زهور نباتات كثيرة .

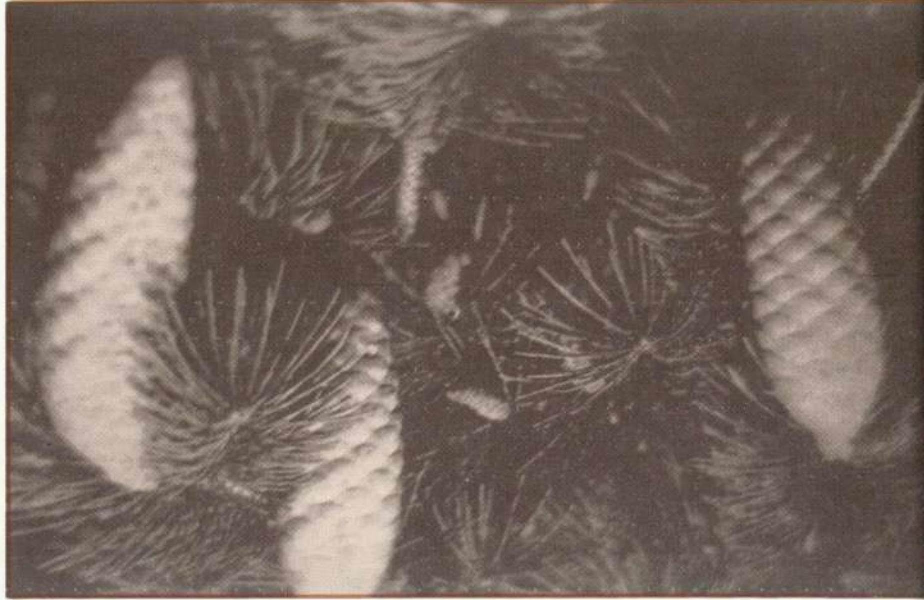
وثمة ظاهرة أخرى مثيرة اكتشفها العلماء في أجزاء من الزهرة تعرف باسم البتلات ، والبتلات هي الوريقات الملونة التي تحيط بالزهرة أو الوردة ، وتعطيها شكلها الجذاب ، المهم ان هذه الأجزاء تسير بدورها على نمط حسبة فيبوناكي .. أي أن هناك زهورا ببتلتين ، أو ٣ ، أو ٥ ، أو ٨ ، أو ١٣ ، أو ٢١ ، أو ٣٤ .. الخ .. فزهرة الربيع الافريقية مثلا تحاط بـ ٥٥ بتلة ، وللألفوانيا أو عود الصليب المزدوج ٢٣٣ بتلة ، ولنبات الثلج ٣٧٧ بتلة .. وكلها – كما ترى – أرقام في سلسلة فيبوناكي !

لكن .. ماذا يعني كل ذلك حقا ؟ .. وماهي الصلة الغريبة التي تجمع بين حسبة فيبوناكي مع أرانبه ، وبين الزهيرات والبتلات في النباتات ؟ .. الواقع أن أحداً لا يعرف بالتأكيد ، وربما يكون ذلك من قبيل الصدفة البحتة ، لكنها من أغرب الصدف وأندرها على أية حال .

لغز ثمرة الأناناس

والآن نأتي الى مسألة قد لا تخطر لأحد على بال ، خاصة وأن اللعب فيها بالأعداد يفوق

شكل (٦) وكغلاف ثمرة الأناناس يكون غلاف ثمرة الصنوبر.. لاحظ كيف تتراص الوحدات أيضا وتسير فى صفوف حلزونية .



حد الخيال ، لأنه من « تأليف » غلاف ثمرة الأناناس .. وقبل أن نعرض أصول اللغز ، كان من الأوفق أن نسرد الأصول التكوينية التى يتألف منها هذا الغلاف .. إنه يتكون من وحدات فى صفوف حلزونية (انظر شكل ١) ، وكل وحدة كانت فى الأصل قاعدة ورقة يخرج من محورها زهرة . لكن الزهور ـ بعد التلقيح ـ قد تساقطت ، والتحمت جميعا مكونة الثمرة التى نأكلها .. ولهذا فان أقرب تصور للوحدات السداسية التى تحيط بثمرة الأناناس ، هو ما نراه على جذوع النخيل من بقايا قواعد الجريد الذى يصعد عليه المتسلقون .

المهم أن الوحدات السداسية فى ثمرة الأناناس كانت فى الأصل نظاما محددا لمواقع أوراق احتضنت زهورا ، فزالت هذه وتلك وبقيت القواعد ، وهى ـ بلاشك ـ تسير على هدى نظام محدد .. بمعنى أننا لو تتبعنا نمو هذه الأوراق على محورها ، فلاشك أن هناك ورقة أولى تتكون أولا ، ولا تحمل رقما ، ثم تتبعها الثانية ، لتحمل الرقم ١ ، والثالثة الرقم ٢ .. وهكذا (وهذا ماتراه فى الشكل التوضيحى ٥) .. فكل قاعدة لورقة أخذت رقما بحسب ظهورها أولا ، ثم لو تصورنا أننا نزعنا الغلاف عن الثمرة ، وفردناه كلوحة مستوية ، عندئذ يبدو كما تراه فى الشكل التوضيحى (أسفل شكل ٥) .. وقد تراصت عليه كل قواعد الأوراق ، حاملة أرقام تسلسلها فى الظهور على المحور ـ أى الرقم الأصغر لأسفل ، والأكبر لأعلى (أو الذى ظهر أولا لأسفل ، والذى بعده لأعلى) .

والآن .. هل تستطيع أن تفحص تسلسل هذه الأرقام ، ثم تستنتج منها شيئا ، خاصة وأن نظام الأشكال السداسية يسرى فى ثلاثة صفوف حلزونية (انظر شكل ١ أو شكل ٥ أعلى) .. صف منها يميل نحو اليمين ، والآخر نحو اليسار ، والثالث ذو ميل وسط بين هذا وذاك ؟

والآن دعنا نبدأ بأى رقم فى القاعدة (أى أسفل الثمرة) ، وليكن ذلك الرقم هو ١ يتبعه يمينا ومتجها الى أعلى الرقم ٦ ثم ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣١ .. الخ ، أى أن الفرق بين كل رقم والذى يليه هو ٥ دائما .. لكن اذا اتجهت الى أعلى يسارا ، فان سلسلة الأرقام تكون هكذا : ١ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٣ .. أى أن الفرق فى تسلسلها هو الرقم ٨ ، واذا سرت مع الرقم الذى فوقه ، لكان التسلسل هكذا : ١ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٤٠ .. الخ ، أى أن الفرق بينها ١٣ دائما .

لعلك الآن قد لاحظت أن الفروق فى السلاسل الحلزونية الثلاث هى ٥ ، ٨ ، ١٣ .. وهى نفس الأرقام فى سلسلة فيبوناكى .

وطبيعى أن يكون لك الخيار فى أى رقم عند القاعدة ، بداية من الصفر ، وانتهاء بما تختار .. ثم اصعد فى الصفوف الحلزونية ، تجد الفروق أيضا ٥ ، ٨ ، ١٣ .. جرِّب تتأكد !

كيف حدث ذلك ؟ .. لا أحد يعرف على وجه اليقين ، لكن الذى نعرفه أن هذا النظام الحسابى ، أو التسلسل العددى فى نشأة تلك الأجزاء بحسب ورودها على المحور لم تشذ عن القاعدة ولو مرة واحدة ، أو هى على حسب تعبير البروفيسور هوجات : بفحص ٢٠٠٠ ثمرة من ثمار الأناناس لم يحدث استثناء واحد عن نمط فيبوناكى .. فكل مجموعة من الوحدات المتراصة فى صفوف حلزونية على كل ثمرة ، كانت تمثل فى مجموعها رقما من أرقام فيبوناكى بالضبط !

وكثمرة الأناناس تكون أيضا ثمرة الصنوبر (شكل ٦) .. ففى أحد الصفوف الحلزونية تتراص ٨ حراشيف ، وفى الآخر ١٣ .. وهى أيضا أرقام فى السلسلة الفيبوناكية .. ونادرا ما تشذ هذه الثمار عن تلك الحسبة .

العدد الذهبى أو المقدس !

والذين لهم هواية فى الحسابات والمعادلات والأرقام ، قد توصلوا سويا الى نتيجة أخرى مثيرة ، تبدأ بعمليات قسمة بسيطة فى أرقام سلسلة فيبوناكى ، فلو أنك قسمت الرقم الأيسر الأكبر على الرقم الأصغر الذى يليه الى اليمين ، لوجدت أن حاصل القسمة فى كل مرة يحوم حول العدد ١,٦١ أو العكس ـ أى الأصغر على الأكبر ، تكون النتيجة فى كل مرة حوالى ٠,٦١ (جربْ ذلك على آلة حاسبة ترى كسورا تقترب من بعضها) .

هذا الرقم يطلق عليه المهتمون بالعلوم الرياضية من قديم الزمن اسم الرقم الذهبى ، وافترضوا تطبيقه فى مسائل هندسية ، فتمخض عن ذلك مايسمى بالمقطع الذهبى ، والزاوية الذهبية ، والمثلث الذهبى ، والمربّع الذهبى .. الخ ، فلو أن لديك خطا مستقيما ، ثم قسمته الى جزئين غير متساويين ، وبنفس نسبة سلسلة أرقام فيبوناكى (أى بنسبة كل رقمين متتالين ، وهى تساوى ١,٦ الى ١) فان نسبة الجزء الصغير الى الجزء الكبير ، تساوى نسبة الجزء الكبير الى الكل (أى الى كل طول الخط المرسوم) .. ولهذا عبر عنه عالم الفلك الالمانى كبلر (١٥٧١ ـ ١٦٣٠) بأنه ربما كان بمثابة إشارة إلهية تعنى خلق الشبيه من الشبيه ،

حِسْبةٍ بِرْمَا مَع النـــاس
.. وثمـــرة الأنـانـاس!

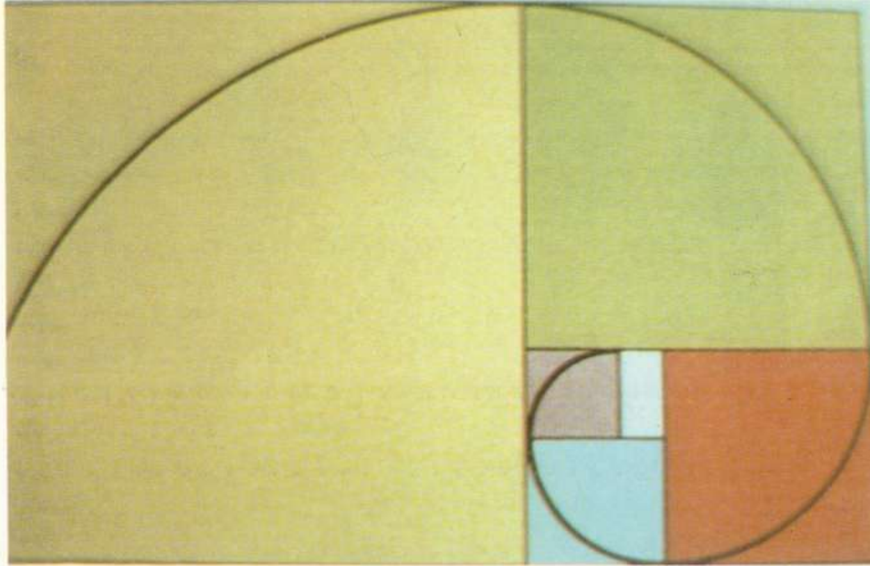
« To create Like From The Like » وربما يقصد بذلك أن الخلف يأتي على غرار السلف .

وطبيعي اننا لن نتعرض هنا لأصول الحسابات والمعادلات التى تحكم مثل هذه النتائج المثيرة ، فليس ذلك مجاله ، رغم أن الموضوع ينطوى على مفارقات غريبة وطريفة ، لكن يكفي ان نشير اشارات عابرة الى أن الرقم الذهبى أو المقدس يمكن استخلاصه أيضا من النسب التكوينية فى جسم الانسان ، ويمكن تحديدها بنقط لها شأن .. فالسرة فى الانسان هى الحد بين طولين ، فمنها الى الأرض ، ومنها الى قمة الراس تحصل على طولين ، لو أنك قسمت أولهما على ثانيهما ، لحصلت على الرقم الذهبى .. كذلك لو قسمت المسافة من السرة الى تفاحة آدم (فى الزور) ، على المسافة من تفاحة آدم الى قمة الرأس ، لحصلت أيضا على الرقم الذهبى !

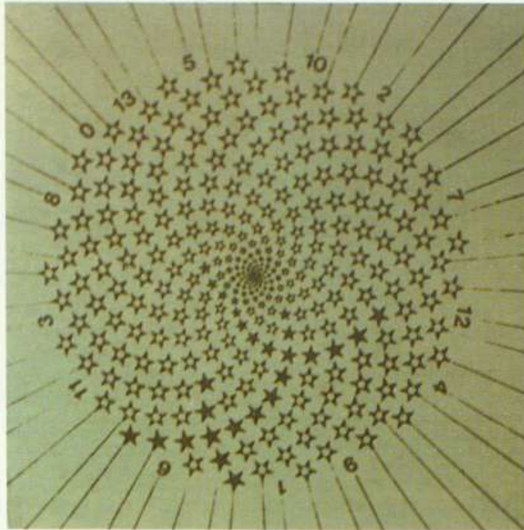
ولقد استخدم مهندسو الاغريق القدامى الرقم الذهبى فى تشييد معبد البارثينون بأثينا ، ويذكر البروفيسور هوجات أن هناك دلائل أولية على أن هرم الجيزة الأكبر مؤسس فى ارتفاعه وانحداره وقاعدته على نسب قريبة من النسبة الذهبية ، أو الرقم الذهبى . وفى القرن التاسع عشر ذهب الفيزيائى الألمانى جوستاف فيخنر الى أبعد من ذلك ، وحاول أن يدرس أذواق الناس الجمالية ، وكيف يختارون الأشكال والتصميمات التى يهوونها ، ولقد استعان بزميله عالم النفس فيلهلم فوندت فى إجراء العديد من الاختبارات والتجارب ، فاتضح أن معظمهم يميل الى الأشياء التى تحمل أبعادا أو نسبا لها مواصفات الرقم الذهبى ، أى أنها مقسمة الى خطوط أو مربعات أو مستطيلات أو دوائر لها أبعاد تعطى عند قسمتها أرقاما ذهبية (مثل كروت المعايدة ، وعلب الهدايا ، والمرايا والصور والمناظر .. الخ) .

وأنت تستطيع أن ترسم مستطيلا ، وتقسمه الى جزئين غير متساويين بحيث تصبح النسبة بينهما ١,٦١ : ١ (أى التناسب الذهبى) ، وعندئذ تحصل على مستطيلين ، ثم لو أخذت المستطيل الأصغر ، وكررت عليه نفس العملية ، لنشأ عندك مستطيلان آخران أصغر (شكل ٧) .. ثم خذ الأصغر منهما ، وكرر العملية .. ثم ارسم فى كل مستطيل قوسا ينطلق من زاوية الى الزاوية المقابلة ، تحصل على خط حلزونى كالذى تراه فى الشكل ٧ .. لكن .. ماذا يعنى ذلك ؟

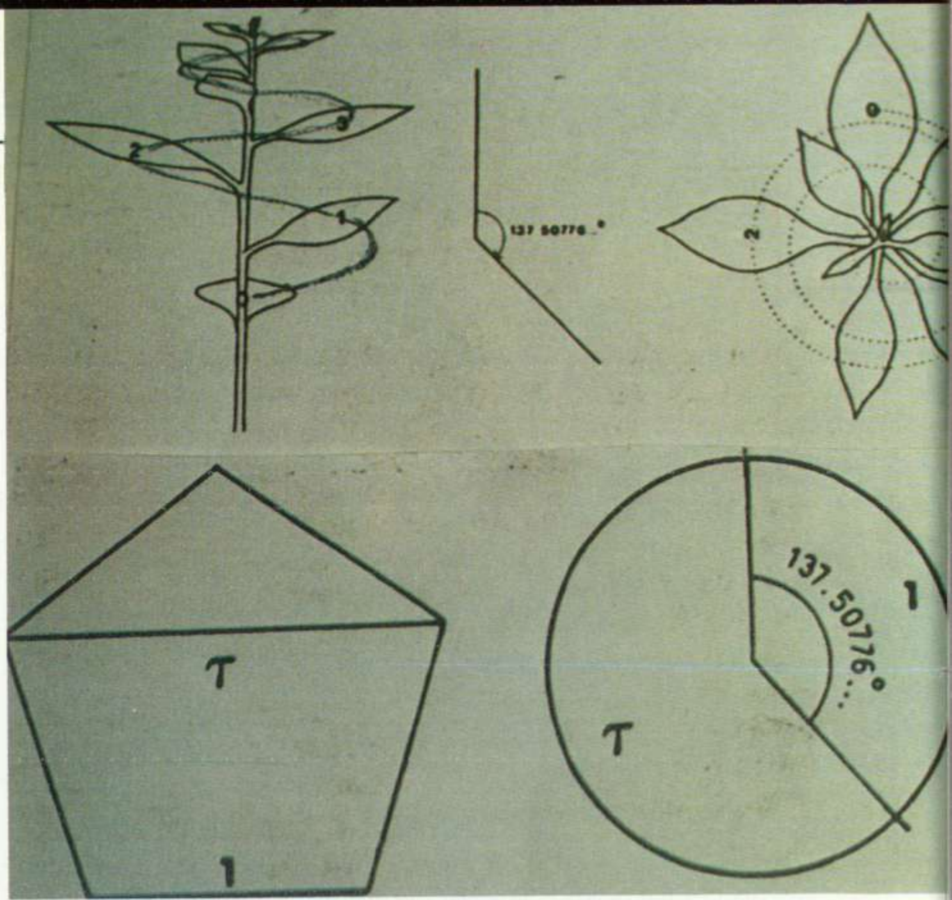
يعنى أننا قد عدنا من حيث بدأنا ، لأن هذا التكوين الحلزونى هو نفس النظام الذى تتراص فيه الأوراق والزهور والزهيرات وأغلفة الثمار .. الخ ، وتتخذ شكلا حلزونيا مماثلا (انظر على سبيل المثال زهرة عباد الشمس تجد الزهيرات تنتظم فى شكل حلزونى طبق الأصل لذاك) .



شكل (٧) المستطيلات الذهبية الأكبر فالأصغر (تبدو كألوان مختلفة) .. وكل مستطيل منها جاء على أساس نسبة العدد الذهبى أو المقدس لاحظ القوس الحلزونى الذى يتكون من مقاطع المستطيلات المتداخلة ، وهو نفس التكوين الحلزونى الذى نراه فى ترتيب الأوراق والزهيرات فى النبات .



شكل (٨) زهرة الربيع الاليكترونية ــ كما رسمها الحاسب الاليكترونى عند ماغذاه ديكسون بمعلومات مستقاة من نظام الزهرة .. لاحظ كيف تنتظم الزهور فى أقواس حلزونية يمينية ويسارية ، وكيف تتقاطع مع بعضها ، فتكون زاوية تساوى ١٣٧,٥ درجة .. وهذه لاتنتج الا من مقطع فى دائرة ، يعرف باسم المقطع الذهبى للدائرة (انظر شكل ٩) .



شكل (٩) عندما تقسم الدائرة الى قسمين غير متساويين ، وعلى شرط أن يتبع كل قاعدة النسبة الذهبية ، فان الزاوية المنفرجة تساوى بالضبط ١٣٧,٥٠٧٧ درجة .. وهى نفس زوايا مقاطع حلزونيات زهرة الربيع ، أو هى نفس زاوية التفاف الأوراق على محاورها (الشكل التوضيحى الى أعلى يمين ويسار) .. أما الشكل الخماسى الأضلاع فهو يحمل أيضا صفات النسبة الذهبية .

يتضح ذلك أكثر عندما غذى روبرت ديكسون أحد الحاسبات الأليكترونية بمعلومات عن نمو الزهيرات فى نبات عباد الشمس ، أو زهرة الربيع (ديزى) ، وكيفية خروجها بالترتيب من وسط الزهرة ، فيكون الأكبر الى الخارج ، والأصغر الى الداخل ، المهم أن الحاسب الاليكترونى قد شكل المعلومات على الهيئة التى تراها فى شكل ٨ ، وبحيث تمثل كل نجمة زهيرة .. لاحظ انتظام الزهيرات وهى تتجه فى صفوف حلزونية جهة اليمين ، وجهة اليسار .. لكن هذه الصفوف تسير بالضبط على نفس نمط القوس الذى حصلنا عليه من النسب الذهبية فى مقاطع المستطيلات بالشكل رقم ٧ .

الغريب أيضا أن تقاطع خطوط مسار الزهيرات مع بعضها جهة اليمين وجهة اليسار يعطى دائما زاوية قدرها ١٣٧,٥٠٧٧٦٠٠ ، وهى نفس الزاوية التى تقسم الدائرة الى نسب فيبوناكية (المقطع الذهبى للدائرة ــ شكل ٩) .. وهى التى تحدد الأشكال الحلزونية التى تنظم مواقع الأوراق والزهور والزهيرات على النباتات التى ذكرناها ، والتى لم نذكرها ، وتؤدى الى سلسلة من الأعداد الفيبوناكية . وأخيرا فهى التى تجعلنا نرى التناسق البديع فى أغصان خرجت من جذوعها ، وأوراق تراصت على سوقها ، وزهور انتظمت على محاورها ، وجريد تبادل على هامات نخيله .. الى آخر هذه النظم التى حيرت بأرقامها وزواياها ومقاطعها وحساباتها عقول الباحثين .

■ الوحدات السداسية فى ثمرة الأناناس كانت نظامًا مُحـدَّدًا المواقـع أوراقـ احتضنت زهـورًا

■ ماهي حقيقة الرقم الذهبي والأعداد المقدّسة وعلاقتها ببناء الأهرام وتكوين جسم الإنسان ؟

لكن مما لاشك فيه أن النبات لايدرك شيئا عن حسبة فيبوناكى ، ولا كذلك « مغرم بأرقامه » ، على حسب تعبير بيتر ستيفنس فى كتابه الجميل « أنماط تشكيلية من الطبيعة » ، ولا هو أيضا يهوى الجمال ، فيبحث عنه فى المقاطع الذهبية ، ولا حتى يعرف عدد المحاور التى ينتجها ، بل مهمته أن يخرج الأجزاء لتحتل الفراغ المناسب .. ذلك أن كل اللمسات الجمالية ، والحسابات الرياضية التى يسير النبات على أساسها هى ببساطة شديدة أن يستفيد بالحيز أو الفراغ المتاح له بالبيئة ، ليأخذ كل جزء نصيبه .

الشيء المحير حقا أن حسبة نسل أرانب فيبوناكى ، والأعداد المقدسة ، والزوايا والأضلاع والدوائر والنسب الذهبية ، وعلاقة ذلك ببناء الأهرام ، وتكوين جسم الانسان ، ومعادلات ترتيب الأوراق والزهور والثمار ، وما ينشأ عنها من محاور حلزونية ، لا نراها فقط فى النبات ، بل تعبر عن نفسها فى التواء قرون الخراف والتيوس ، ومسارات الجسيمات الذرية ، وتكوين الجزيئات الوراثية ، وتشكيل القواقع الحلزونية ، وتوزيع الأجرام السماوية .. الخ . .

أهى حسبة برما ؟

هى بلاشك أعجب وأغرب وأعوص من حسبة الناس ، (بما فى ذلك الطليانى فيبوناكى) .. فلا أحد يستطيع أن يقدم تفسيرا معقولا عن العلاقات التى تجمع كل هذا الشتات حول رقم واحد مشترك ، هو الرقم الذهبى ، وماقد يشتق منه من أعداد تتوزع فى التكوينات التى ذكرناها والتى لم نذكرها .

وهى أيضا دراسة غريبة بالنسبة لأية مجلة ثقافية عربية ، ولقد قدمناها ، لنكشف شيئا عن الغموض الذى يسيطر على طبيعة الكون والحياة ، وبها ندفع العقل الى تدريب ذهنى ، وتنشيط فكرى ، عله يفكر فى بديع صنع الله الذى يتجلى فى كل شيء خلقه فقدره فسيره الى هدف معلوم « لكن أكثر الناس لايعلمون » .

عبد المحسن صالح

من دفتر الأحلام



بقلم: يوسف الخطيب

تأشيرة دخول

حين يسجو الظلام على الكون ، وتنطفيء جميع الحراسات الضوئية المحدّقة بوقاحة في سطوح الأشكال الخارجية للناس والأشياء ، كأنها جيش بأكمله من عسس «الأخ الأكبر» في عالم «جورج أورويل» ..

وحين ينصرم نهار جديد من على رزنامة العمر ، طاوياً بذلك صفحة أخرى ثقيلة من زمن الخيبة والإحباط العربي المقيم ، ومؤذنا في الوقت نفسه بانفراج فسحة الأمل أمام كائنات الأحلام الطيفية الرشيقة كي تفعم لوحة الكون كله بأشفّ ألوان البهجة ، والمحبة ، والحبور ..

وحين تنخمد جميع الاذاعات والتلفزات المتصايحة طيلة النهار بتمجيد أفراح الشعب المغامر إلى حد الغرق والاختناق ، ولا يبقى من صوت إطلاقاً غير موسيقى النجوم المنسرحة وهي تهمي من علٍ بحنان المبدع الأعظم ، ورحمته ، وحدبه الدافيء على جميع عذابات الأرض ، وأوجاع الناس ..

عند ذلك يستبدُّ بي الانعتاق إلى أقاصي الآفاق ، فلا أحب أن أخلد للنوم الذي سأشبع منه ذات يوم ، كيلا أدع فرصة لأضغاث الليل أن تجيء ارتساماً مطابقاً لكوابيس النهار ، بل على العكس من ذلك أسعى جاهداً لأن أضفي لمستي الشعرية الخاصة على أحلامي اللذيذة المحببة ، بسبيل أن أجيئها على هواي ، قبل أن تجيئني على هواها ، ومن أجل أن أتذوق متعتها الحسية والنفسية في آن معاً ، بكل مافي الوسع من وعي وحضور واتحاد بها إلى درجة الغياب ..

فلذلك سرعان ماأفرد أجنحتي ، وأطلق العنان لخيل أخيلتي ، وأعلن استقلال مملكتي اللامتناهية الأرجاء والأبعاد ، من أقصى رذاذ السديم ، حتى أبعد مجاهل اللاوعي في أعماق النفس ، متحرراً بذلك كله من جميع اشتراطات الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ودوائر الشرطة والمخابرات ، لأن فضيلة الخيال العظمى هي أنه لايستمد شريعته المطلقة من خارج ذات الانسان ، بل هو الذي ينتزع لنفسه اعترافه بنفسه ، وهو وحده الذي يرسم حدود سلطانه بقدر انفساح مداه ، وهو دون غيره الذي يغزل ألوان راياته ، ويستعرض حرس شرفه ، ويصدح ألحان موسيقاه .. فتلك إذن هي مملكة الأحلام التي أسودها ، وأسوسها ، بمعزل تام عن تدخل أحد ، لاينازعني فيها إنسان ..

ثم إنني أشعر ، في ملكوت الحلم هذا ، بأنني أتراوح بدون انقطاع مابين نهايتين عظميين : مابين انفصال كامل عن جميع محسوسات الواقع الدميمة حتى اللعنة ، ثم معاودة اتصال حميم بها ، بسبيل تحسينها من هنا ، أو تجميلها أو حتى تبديلها من هناك ، لأن على المرء أن ينفصل عن موضوعه أولاً ، كي يتحقق له أن يتصل به ثانياً .. إذ كيف يحق لأحد من أهل العلم ــ لا من أهل الحُلم هذه المرة ــ أن يتصور وجود اتصال بدون أن يسبقه انفصال ؟! .. فأما اتصالك المادي المزمن بالشيء فهو تماماً قرين انفصالك الروحي عنه .. وأما عن اتصالنا المستديم هذا بمقررات واقعنا العربي الجازمة الصارمة كإملاءٍ عسكري عرفي ، بشتى تهافتات العقلانية والموضوعية والواقعية ، وبدون أن نجتلب لها رؤى التجميل والتعديل من حصيلة أسفارنا الجريئة في دنيا الأحلام البعيدة ، فأي معنى لكل ذلك غير العقم ، والتيبس ، والموت !! ..

وهكذا .. لئن راق لنطاسيّ نفسانيّ بارع ـ أن يلتقط من مجمل اعترافي هذا رأس خيط ينتهي به إلى حد التنظير لحالة انفصام فريدة في بابها ، فلعل من الواجب الأخلاقي عليّ أن أسعف مثل هذا النطاسي المتجهم الرصين بشاهد شعري صريح الدلالة من قصيدة لي بعنوان « الاعتصام في بادية الشام » ، حيث لم أجد من سبيل لأي وصل هوىً وتوحُّد وهيام ، بكل من الحبيبين ، سواد العراق ، وبر الشام ، إلا بالانفصال القطعي عنهما ، إلى عراء البادية ، وأحلام الصحراء ..

أحب اثنتين ، وأُعلن تحت سماء المدينةِ
عصيانَ قلبي على البغض ، والمبغضينَ ..
وحبُّ اثنتين اقتدارٌ
إذا عُدَّ بين الرجالِ ، الرجالُ
وأُقسِم أني غدوت حيالهما .. اثنين ..
بعضُ فؤادي اتصالٌ ،
وبعضُ فؤادي انفصالٌ .. انفصالُ
ولو جرَّبَ الوصلَ ، من جَرَّب العذلَ
لم يَشِ بي في بلاط القطيعةِ واشٍ
وكيف اتحادي فيمن أحب .. وكيف اختلافي !! ..

فعلى أية حال ، ومن أية زاوية تحراني التحرِّيون ، ونُقَّاد هذا الزمن الملعون ، فإن ماأود أن أعلنه تحت سماء المدينة أيضاً هو أنه مامن ليلة تمرّ بي إلا وأنسلُّ في عتمتها مسافراً إلى جزر الأحلام البعيدة التي لم يكتشفها رحالة من قبل ، عائداً منها قرابة الهزيع الأخير من الليل ، لأُجَيِّشَ « جيش الدفاع العربي » الذي سأنيط به مهمة تحرير فلسطين دون أن يتدخل في أي شأن غير عسكري .. لأرد ابتسامة السحر والعذوبة والحنان التي اختطفتها الفتنة من على شفة لبنان .. لأزرع فراديس الأقاحيِ والورود مكان المخافر والحدود .. لأعيد رسم خريطة القارة العربية من جديد .. لأشق الطرقات .. لأصل مابين الجبل الأخضر والدار البيضاء بصهيل القطارات .. لأُجريَ الأنهار .. لأستجنَّ الجنان في رحم القفار .. لأجعل من فلاح الإنسان ركن جميع الأركان .. لأغرف من كنوز الأصالة الإسلامية والتراث العربي ما أتيه به اختيالاً وحضارة في روح العصر .. لأطير على أجنحة الخيال من أدق أرقام الفَلَك ، إلى أرق أسرار الجمال .. لأشعر أخيراً بلهفة التجسيد والتحقيق ، بعد كل عناء الإقلاع والتحليق ..

ولأنني ، هكذا ، مصاب بمرض الحلم .. ومُدان بتهمته في آن معاً .. فعليَّ إذن أن أدفع الثمن باهظاً ، كما قد عبرت عن ذلك ذات مرة في قصيدة « أرجوحة الفرح » ..

« وهاأنذا أُساق لغرفة التحقيقِ
من نومي ..
وأُجلدُ بين أرتال الجنودِ
بتهمة الحلم !! ..

ذلك بأن مؤسسة الحلم هذه لم تُعامل عبر تاريخها الإنساني الحافل العظيم بعشر معشار ماقد صادفته في هذا الزمن الخائب ، على أيدي عربنا المعاصرين ، من ازدراء ، وتسفيه ، وإدانة ، وتحقير ، حتى لقد نصَّت أدبياتنا العربية ـ خصوصاً ـ على أن أعدى الأعداء إطلاقاً لعقل هذه الأمة في نزوعها الجاهد للخلاص والتقدم والفلاح ، إنما تـتمثل حصراً في ثلاثـي « الأحلام ، والعواطف ، والخيالات » !! .. وفي اعتقادي الجازم ، الآن ، أنه مامن خطل على مر التاريخ قد التاث به عقلنا العربي الجمعي قدر هذا الخطل الفادح الرهيب الذي أخذنا معه نناصب أحلامنا العداء ، ونكن لها الضغينة والسخرية والبغضاء .. إذ مامن إنجاز حضاري قمين بأن يعتز به نوعنا البشري إلا قد ابتدأ حلماً أثيرياً ، غامضاً ومبهماً أول الأمر ، في آفاق انسراحات الخيال ، ابتداءً من إنساننا العربي الفينيقي الأقدم الذي حلم ذات يوم بجذع مجوَّف يخوض به أمواج البحار ، وليس انتهاء على وجه اليقين بإنسان العصر الذي ظل أميناً لميراث ألوف السنين من الأحلام ، وقصائد الغزل ، وآهات العشق العذري ، إلى أن حط أخيراً على سطح القمر ..

بل لقد يبدو لي أحياناً أن كل فاجعة العروبة المعاصرة توشك أن تتلخص في افتقارها المدقع الرديء إلى الحد الأدنى من شرط « الخيال » الذي مايزال ينظر إليه هروباً أو انسحاباً جباناً من مواجهة الواقع ، برغم ماقد تعلمناه جيداً من عبر التاريخ ، ومن سير القادة العظام الأفذاذ ، أنه مامن واقع ذميم قُدِّر له أن يتبدل إلا بدفقة حلم عظيم ، وبرغم ماقد أسلفه لنا أسلافنا الخالدون حقاً من ميراث حي ، حافل ، هائل في هذا المجال ..

بل إن هذا اللسان العربي المبين الذي اختصه الخالق من بين ألسنيات الخلق قاطبةً بأن يكون أداة التعبير المثلى عن محكم التنزيل ، لِيَضَعُ « الخيال » و « العقل » في منزلةٍ واحدة متكافئة ، متكاملة ، إذ تشتق العربية « الحُلم » و « الحِلم » من جذر واحد ، ثم تصهرهما معاً في جمع « أحلام » ، فالحِلم في إعجاز العربية هو بمثابة التوأم السيامي للعالِم ، إن جاز التشبيه ..

في قديم الزمان التمس بعض الإغريق وحدتهم وخلاصهم في محاولة المزاوجة مابين حكمة أثينا ، وعضلات إسبارطة ، في أنموذج الإنسان الكامل بصيغة « المصارع الفيلسوف » .. فكم هو خليق بعروبتنا المعاصرة ، المحشورة في حظيرة الواقعية إلى حد الاختناق ، أن تلتمس خلاصها ، من صميم تراثها ، في صيغة « العالم الحالِم » الذي يمتاز في آن معاً ، بعصمة العقل ، وروعة الخيال ..

* * *

وبعد .. فليست هذه بأكثر من عريضة استئذان مطولة بأن يتاح لي ، بين الحين والحين ، أن أستفيء ظلال « الدوحة » الوارفة ، كيما أقص رؤياي على إخوتي القراء .. كل مافي الأمر مجرد التماس بالحصول على « تأشيرة دخول » إلى عقل القارئ العربي ، وقلبه ، بهذا القطاف الوفير لديَّ من الأحلام ، والعواطف ، والخيالات .. إذ مازلت على اعتقادي الصلب بأنه ليس بالعقل وحده يحيا الإنسان ..

الفنان القطري
يوسف أحمد

يتصل بالفنان
نيازي مولوي بغدادي
بعد
قرن من الزمان

بقلم: شربل داغر

هناك مخطوطة ورسوم تخطيطية في «مكتبة المخطوطات» ببغداد تثير البلبلة وتقلب الأسئلة النقدية حول مسارنا التشكيلي رأساً على عقب.

المخطوطة تعود لنيازي مولوي بغدادي، وهو فنان بغدادي متمرس في الخط والزخرفة والرسم، ويعتبرها شاكر حسن آل سعيد، «أقدم شاهد على بوادر التطور الحديث في الفن العراقي خلال القرن التاسع عشر» (١). لا نملك معلومات تاريخية وافية عن سيرة هذا الفنان الشخصية، ولا عن فنه، سوى أن «مكتبة المخطوطات» ببغداد تحتفظ بالعديد من آثاره الفنية كنماذج من خطه ورسومه بالحبر، وبعض المخطوطات من تدوينه، مثل «ديوان المثنوي» لجلال الدين الرومي، كما تحتفظ المكتبة أيضاً بمشروع بدأ به لكتابة القرآن الكريم، وتظهر فيه الخطوات التي كان ينجز فيها العمل، مثل عمل الهوامش والزخارف والخطوط، كما تحتفظ أيضاً ببعض الأدوات التي كان يستخدمها للزخرفة والخط نستدل من الصفحة الأولى في مشروعه لتدوين القرآن الكريم هذه المعلومات: «كتبها المحتاج الى ربه الغني، نيازي المولوي في مدينة بغداد في سنة تسع وتسعين ومائتين بعد الألف»، وهي المعلومة الحياتية الوحيدة التي نعرفها عن هذا الفنان.

لنعد الى المخطوطة. هي عمل خطي لعبارة: «ربي يسرْ ولا تعسرْ. ربي تمّمْ بالخير». يخطّ الفنان العبارة بقلم الثلث وبالحبر الأسود على الورق، ثم يكرر المحاولة ذاتها بشكل تتابعي من فوق الى تحت، بحيث تصبح عملاً «متراكباً».

يمكن أن نقرأ هذا المخطوط بصورتين، لغوية وبصرية: تستطيع العين أن تتابع نسق الجملة أفقياً من اليمين الى اليسار، متأكدة من معناها الذي يتكون تدريجياً، كما تستطيع العين أيضاً أن تتابع نسق البناء «المتراكب» بين الجمل من فوق الى تحت (أو من تحت الى فوق)، متأكدة من اللعبة البصرية.

تحتفظ العبارة بمعناها، لكنها تندرج، في آن معاً، في لعبة بصرية جميلة.

شاكر حسن آل سعيد يعتبر هذه المحاولة «سابقة لأوانها في ظهور تقاليد الفن البصري (OP:ART) (٢).

مسلمات غير حقيقية

لسنا في صدد تأريخ هذه المرحلة، ولا دراسة تجربة هذا الفنان، بل نطمع من هذا كله الى إثارة عدد من الأسئلة... المحرجة، التي تبلبل، ولو لفترة قليلة، هي فترة صياغة هذه الأسئلة، طريقة نظرنا الى المسار التشكيلي العربي منذ نهايات القرن التاسع عشر. فقد بات من المسلم به في العديد من الكتابات العربية أو الأجنبية، أننا لم نعرف «التقنية الحديثة» التشكيلية إلا مع الغرب، إما عند حلوله الاستعماري في بلادنا، أو مع البعثات التعليمية الى المعاهد الفنية في العواصم الغربية.

تجربة نيازي مولوي بغدادي تثير الشك حول هذه المسلمات: فهو لم يكن خطاطاً ومزخرفاً (كما كان عليه الأمر بالنسبة لأي فنان عربي حتى هذه الفترة) وحسب، بل كان رساماً أيضاً. فنحن نتعرف أيضاً في «مكتبة المخطوطات» ببغداد على رسوم تخطيطية تشهد له بطول الباع الفني. من هذه الرسوم ما يمثل رجلاً بهيئة الجلوس، إذ يبدو وهو يرسم على ورقة يضعها على ركبته. ومنها أيضاً تخطيط آخر لشخصين: الأول واقف والآخر جالس. وفي تخطيط ثالث يظهر أمامنا درويش بأكمام طويلة وهو يمتطي برذوناً، أما

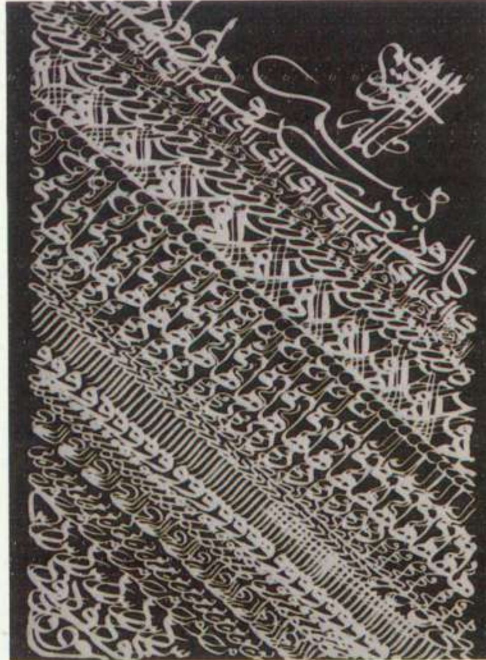
في الصف القريب من خط الأرض فيبدو شكل جمل غير تام الرسم.

وهناك تخطيطات أخرى مماثلة توضح لنا عمل نيازي في جمع التفاصيل المتفرقة لكي يؤلف منها، على مايراه آل سعيد، مواضيع متكاملة لصوره المصغرة الملونة.

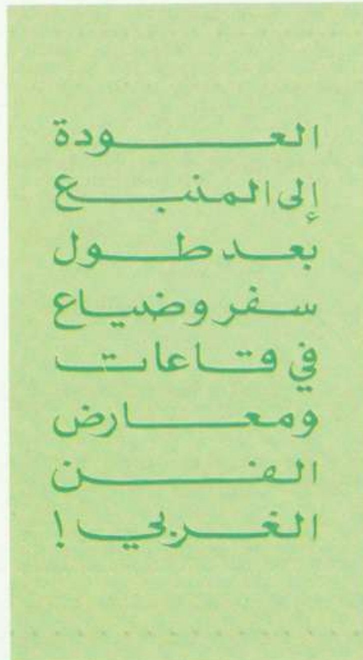
تحمل هذه المحاولة في طياتها «مدى تطور الأساليب الفنية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في مسيرتها نحو الرسم الخالص وفق الأساليب الغربية»(٣). مسار فننا التشكيلي يخالف أقوال آل سعيد، لأن الفنانين العرب اللاحقين على نيازي مولوي بغدادي انقطعوا عن رسوم المنمنمات التقليدية (٤)، التي يعود إليها نيازي في رسومه التخطيطية، بادئين بالتعلم من الأساليب الغربية، كما لو أنهم لايفقهون شيئاً في هذا المضمار. إن الفنانين الرواد (مثل راغب عياد في القاهرة أو عبدالقادر الرسام في بغداد أو محمد علي الرباطي في طنجة ...) لم ينهلوا من فن المنمنمة أبداً حين تعلموا «الرسم الخالص» مع الغرب، بل وقفوا أمام اللوحة المسندية مثل موهوبين مبتدئين، دون أي تراث فني محلي. يخطئ شاكر حسن آل سعيد حين يؤكد أن رسم نيازي التخطيطي يعتبر من فن الرسم بالذات حلقة الوصل مابين رسوم المنمنمات التقليدية ورسوم اللوحات بالأسلوب الغربي، أسلوب المحاكاة عن العالم المرئي (٥)، فمسار فننا التشكيلي اتخذ وجهة أخرى، مغايرة... للأسف. «حلقة الوصل» التي يتحدث عنها آل سعيد لم نعرفها في تاريخنا الفني القريب، فالفنان العربي انقطع تماماً عن الفنون المحلية، تقوده نزعة تشوفية إلى النموذج الغربي، بأساليبه وموضوعاته. «حلقة الوصل» لم تكن موجودة، وإلا لما عرفنا فناننا العربي، في فترة لاحقة (خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ومع الاستقلالات العربية)، أزمة «الهوية»، أزمة البحث عن الذات من خلال هذا «الفن الوافد». «حلقة الوصل» عرفناها لاحقاً، بعد عدة عقود من التمرس بالتقنية الغربية: فناننا العربي عاد إلى الفنون المحلية (منمنمات وخلافها)، ولكن بعد أن انقطع تماماً عنها، متوهماً أنه كان يتعلم أمراً أو شأناً، لامراجع محلية له. الفنان العربي الحديث «اتصل» في وقت متأخر، ومن جديد، بفن نيازي مولوي



صورة عن مخطوطة نيازي مولوي بغدادي.



محفورة يوسف أحمد (١٩٨١).



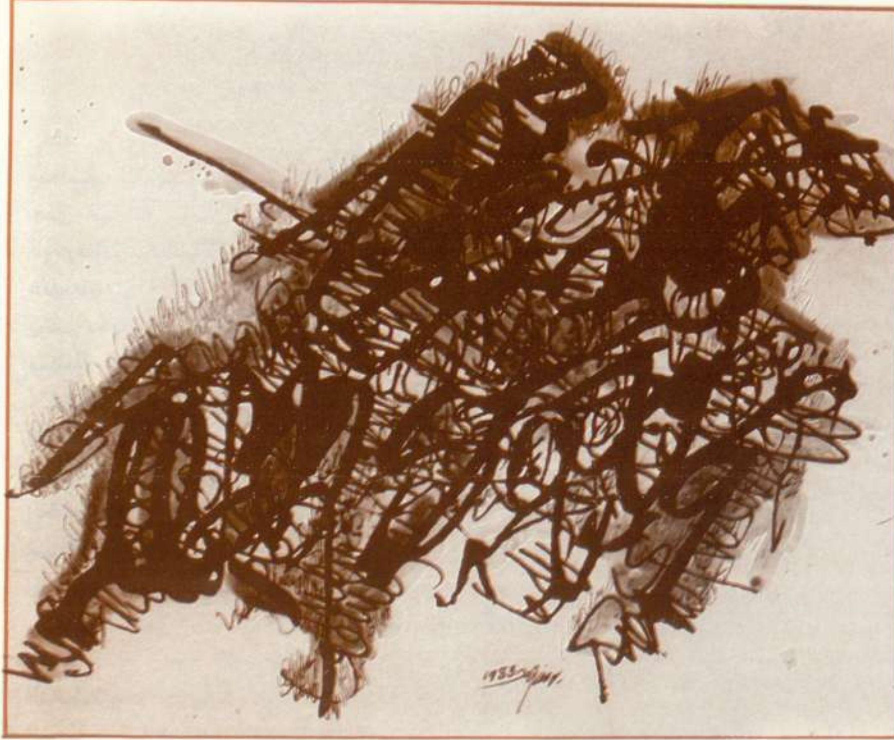
بغدادي، ولكن بعد أن تناساه ووضعه في قائمة الفن الفولكلوري أو الفن البائد أو الساذج أو التطبيقي. يتصل به من جديد بعد طول تغرب، مثل الحروفيين العرب الذين تعرفوا على قيمة الحرف التشكيلية في المدرسة الغربية، لا عند جارهم الخطاط في الدوحة أو في القاهرة، قبل سفرهم للدراسة الفنية في كاليفورنيا أو مدريد.

لوحة الفنان القطري

لنعد إلى المخطوطة من جديد: أي شبه بينها وبين لوحة تشكيلية للفنان القطري يوسف أحمد، تصدرت الاعلان عن معرضه الخامس (٥).

عمل يوسف أحمد يقترب من عمل نيازي

نيازي مولوي بغدادي



فارس حروفي.

مولوي ، غير أن الفنان القطري وضع تكويناته الحروفية بشكل منحن وفق ٤٥ درجة ، لا وفق الزاوية المستقيمة (٩٠ درجة) ، التي تعني ، هنا ، تقاطعاً تاماً بين العامودي والأفقي في عمل نيازي . هذه الوضعية المنحنية تكسر طريقة النظر ، لابل تجبرنا عليه بطريقة مغايرة ، دون أن تمنعنا من القراءة الأفقية (من اليمين إلى الشمال) . نتبين في لوحة يوسف أحمد العبارة الدينية : « بسم الله ... » ، وتكوينات حروفية متكررة للباء والواو والهاء . هذه الوضعية المنحنية لاتمنعنا أيضاً من « القراءة العمودية » (من فوق إلى تحت ، وبالعكس) ، حيث تتدرج الشرائط الخطية وفق أحجام متباينة ، غير رتيبة أبداً . التكرارية المنضبطة والمنبسطة في مخطوطة نيازي تصبح أكثر (حيوية » وتركيباً في لوحة أحمد . الصلة بينة وأكيدة (٦) بين العملين ، لكن طريق هذه الصلة كانت متعرجة ، غير متتابعة بأية حال .

جال يوسف أحمد (من مواليد ١٩٥٢) قبل أن يعود من جديد إلى فن نيازي مولوي بغدادي ، أو بالأحرى إلى استلهام مكونات التراث العربي ـ الاسلامي في اللوحة التشكيلية .

كان يلعب يوسف أحمد مثل العديد من الأطفال بالفحم ، ببقايا رماد الطبخ ، هو الذي كان يلازم أمه في المطبخ : فهو الابن المدلل ، الوحيد والصغير بعد ثلاث بنات . « كانت الفحمة مثل خامة سحرية أخط بها رسوماً عفوية ، حتى أنني نظمت في ١٩٦٢ أو معارضي ، في دهليز البيت . علقت رسومي على الورق بمسامير على الحيطان . كما أنني وجهت دعوات لبنات الحي .. » (٧) . عرض أحمد في معرضه « الشخصي الأول » هذا رسوماً مستوحاة من القصص والأفلام ، عرض قسماً من الخطوط الجميلة التي كان ينفذها لكتابة اليافطات والاعلانات ، في الحي أو في المدرسة . « كنت أخط دائماً . لكنه لم يكن يخطر على بالي أن أوظف الحرف في اللوحة . كان يستحيل عليَّ أن اتخيل كتابة الحاء بغير الطرق والقواعد التي عرفتها مدارس الخط العربي » . الرسم عنده كان يعني المنظر الطبيعي ، والموضوع المشهد التقليدي ، إلى أن نبهه الحروفي المصري يوسف سيده ، أستاذه في جامعة حلوان (٧٥ و ١٩٧٦) ، إلى الاستعمالات الجديدة للخط . وفي « الميلز كولج » بكاليفورنيا راح يوسف أحمد يتبين طريقاً خاصة للولوج إلى عالم الحروفية : « بدأت بتشريح الهمزة أو النقطة ، أي تكوينات كل حرف ، للدخول إلى أعماقه . عين الفنان باتت أشبه بعين المجهر . جربت استعمال الألوان ، فوجدتها غير مناسبة ، خاصة وأن السطح التصويري أبيض . صرت أواجه شيئاً فشيئاً مشكلة الفراغ في السطح التصويري : اتصارع معه ، دون مراجع خارجية ، دون ايهامات مقنعة مثل الحجم والضوء والبعد المنظوري » . يوسف أحمد بدأ يتلمس بنفسه بأن التوصل إلى « الواقعي الملموس » أمر سهل ، أي أن الطريق إليه تمر بمراحل وأدوات معروفة ، أما التوصل إلى التعبير عن « الأمر الداخلي » فهو الاصعب . يوسف أحمد بات يواجه مشاكل الفن الحقيقية ، والعربي منه بشكل خاص .

يوسف أحمد اتصل بنيازي مولوي بغدادي بعد طول غياب ، بعد طول سفر وضياع وبحث . فن بغدادي يبلبلنا ، لأنه يجبرنا على طرح مثل هذا السؤال : أما كان بالإمكان أن يتابع الفنانون العرب الطريقة التي عبر بها نيازي عن فنه ؟ السؤال غير تاريخي بالطبع ، لأن وجهة التاريخ اتخذت مساراً مختلفاً ، هو الاقتداء بالنموذج الغربي (حتى حين جرى تحميله وتضمينه محمولات ودلالات محلية ، ذات مراجع تراثية وقومية) . قد لايكون نيازي مثلاً استثنائياً بين الفنانين العرب ، في العراق وغيره من البلدان العربية ، في نهايات القرن التاسع عشر ، إذا لم تصلنا نماذج فنية مماثلة لغيره ، فقد ضاعت ربما مع غيرها من الانجازات الفنية (٨) .

اتخذ التاريخ مساراً مختلفاً : الطلاب المصريون الذين اندفعوا للانتساب إلى « مدرسة الفنون الجميلة » بالقاهرة في ١٢ أيار/مايو ١٩٠٨ عبروا طرقاً وشوارع ، لم تكن قد انقرضت فيها الحرف الشعبية والفنية ، دون أن يبالوا بها مطلقاً ، هي القيم البائدة والمتخلفة أمام القيم الجديدة الوافدة ، التي كانت تبهر عيونهم بقدر ماكانت تسطع في بيوت الأثرياء ، المصريين مثل الأجانب ، المزدانة باللوحات والتماثيل . كانوا يركضون غير عالمين طبعاً بما يحتفظ لهم التاريخ في جعبته من مفاجآت : عليهم أن يعودوا القهقرى إلى محترفات القاهرة القديمة ، ولكن بعد أن أقاموا زمناً في محترفات الغربيين في « حي الخرنفش » .

بعد رحلة الانبهار

هل الانبهار وحده هو الذي يفسر كل هذا ؟ وهل هي عودة « الابن الضال » بعد

الطيش والنزوات؟ الفنان العربي تعلم شيئاً مختلفاً، هو تقنيات التصوير الزيتي ومتفرعاته، وحين عاد إلى فنونه المحلية لم ينتج هذه الفنون كما توارثها، بل وفق صيغة محورة ومحرّفة.

النعد إلى المخطوطة، وإلى عمل يوسف أحمد من جديد، هناك تشابه بين العملين، أو صلة نسب، وهناك اختلافات أيضاً. المخطوطة تحترم أصول الكتابة وأصول فن الخط أيضاً، أما عمل يوسف أحمد فهو يجعل الكتلة الخطية تنحني. قد تبدو هذه الانحناءة للبعض بسيطة، طالما أنها لا تخل بأساسيات التكوين الفني، لكنها ليست بسيطة ولا سهلة أبداً إذا ما أقدم عليها في حينه خطاط مثل نيازي. كان يصعب (حتى لا نقول يستحيل) على خطاط مثله أن يكسر مثل هذه القاعدة. إلى هذا نفذ نيازي خطوطة بالحبر الأسود على الورق (كما هو عليه الحال مع الخط)، أما يوسف أحمد فقد نفذه على محفورة، وهو حامل فني غربي لم نعرفه قبل هذا القرن.

إنهما عملان مختلفان، إلا أن الصلة قائمة بينهما. لهذين العملين «مدخلان» للقراءة: لغوي وبصري. هذه البنية المتكافلة ذات السندين نجدها في العدد الواسع من الأعمال الحروفية العربية. اللوحة تقوم على سندين، لغوي وبصري، يتكافلان في الأداء الفني.

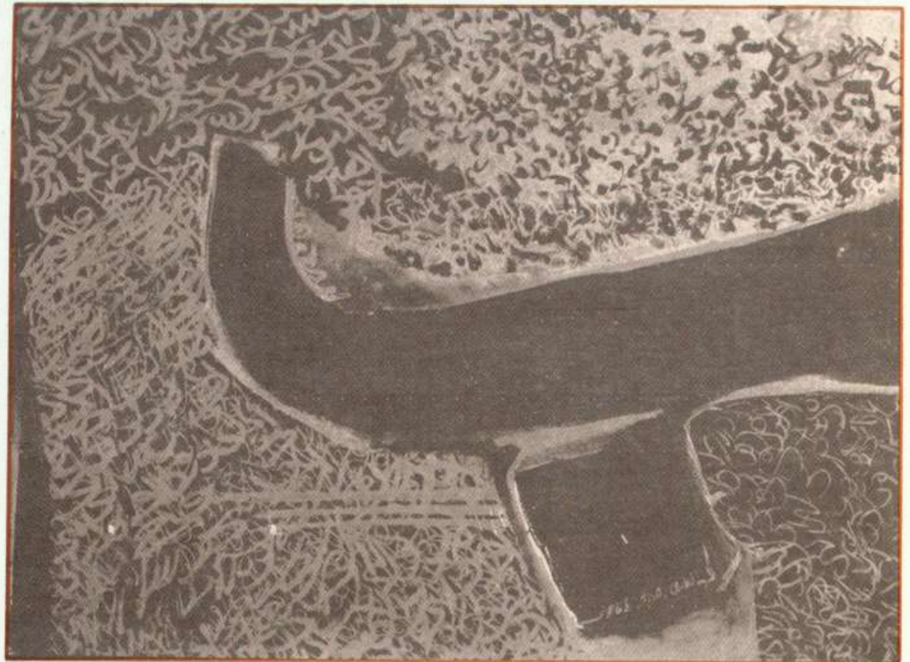
الفنان العربي «حوّر» الحامل الغربي ووظفه لصالح حاجياته التعبيرية. عمل يوسف أحمد يطوّع المحفورة، فهو ليس عملاً غرافيكياً بصورة تامة، أو تجريدياً بصورة قاطعة، طالما أن العمل الفني يميل إلى «معنى» بيّن وواضح. هذا العمل لا يحاكي واقعاً مرئياً ولا يشخص، لكنه يتعامل مع التجريد من زاوية خاصة مخففة إذا جاز القول، غير الطريقة الغربية على أية حال. هل ينتسب عمل يوسف أحمد إلى الفن الغرافيكي أو إلى الفن اللاشكلاني؟ نعم ولا.

يوسف أحمد يتصل بنيازي مولوي بغدادي بعد رحلة في الفن الغربي انبهر فيها بالفن الوافد، عاملاً على تملكه، أي على تحريره، باحثاً على تحويره وتطويعه لأداء حاجاته التعبيرية.

التاريخ اتخذ وجهة معينة، ومع ذلك لم يزل نيازي مولوي يبلبلنا، متكوماً على أجوبته.

شربل داغر

هل صحيح أننا لم نعرف التقنيات الفنّية إلّا من الغرب؟



حبر وزيت: أحمد يستقصي معالم الباء الداخلية.

الهوامش:

١ ــ يعود الفضل في الكشف عن هذا الفنان المغمور للفنان والناقد العراقي شاكر حسن آل سعيد. راجع: «فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق» (الجزء الأول) ــ بغداد ــ دار آفاق عربية ــ ١٩٨٣ وراجع أيضاً: «حضارة العراق» (الجزء الحادي عشر) في فصل عن فنون الكتاب لأسامة ناصر النقشبندي ــ بغداد ــ ١٩٨٥.

٢ ــ المرجع نفسه: ش. ح. آل سعيد ــ ص ٤٦

٣ ــ م. ن: ص ٤٩

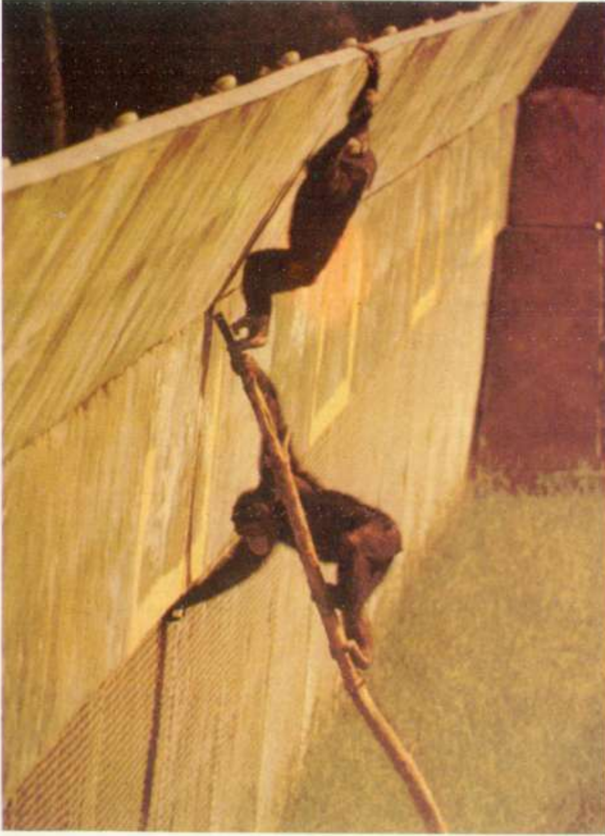
٤ ــ الفنان الجزائري محمد راسم (١٨٩٦ ــ ١٩٧٦) جدد فن المنمنمة لا بل استعاده وحسب، وتبعه في ذلك عدد من الفنانين الجزائريين، من أمثال: محمد تمام، محمد غانم وعلي الخوجه. إلا أن هذه التجربة ظلت استثنائية عربياً، وما لبثت أن انطفأت حتى في الجزائر نفسها.

٥ ــ جرى المعرض الخامس في شباط ــ فبراير ١٩٨٣ في فندق الخليج، وصدر في هذه المناسبة كتيب عن تجربة يوسف أحمد وضعه الشاعر حسان عطوان بعنوان: «حين يتوهج الخليج وجداً وحباً ــ يوسف أحمد يرسم بالكلمات».

٦ ــ يوسف أحمد لم يكن يعرف تجربة نيازي مولوي بغدادي مطلقاً حين تحدثت معه ذات صيف في المغرب عن هذا اللقاء الذي حدث... صدفة بينه وبين نيازي.
ولكن يالها من صدفة تحمل معنى الضرورة!

٧ ــ من حديث خاص مع الفنان، كذلك الاستشهادات اللاحقة.

٨ ــ عائلة نيازي هي التي احتفظت بهذه التركة الفنية النادرة، لا أية جهة رسمية.



تصرف ذكي

هل يستطيع الحيوان أن يتصرف اذا وقع فى مأزق ؟ .. واذا أحسن التصرف ، فهل يعنى ذلك أنه يفكر ، وأن به شيئا من ذكاء ؟ الواقع أن هذه الصورة توضح شيئا من الاجابة على هذه الأسئلة .. ففى مركز « دلتا » لبحوث الأوليات (الحيوانات الراقية) بلويزيانا ، والذى يرأسه دكتور اميل منزل ، عاش ثمانية من حيوان الشمبانزى ـ أقرب الحيوانات الثديية شبها بالانسان ـ فى حديقة محاطة بسور مرتفع ، ووضع معها بعض فروع الأشجار.. وفى البداية كانت تلهو بها ، لكن بمرور الوقت اكتشف أحدها أنه يمكنه الارتكاز بفرع على الحائط ، ولو أحسن توازنه ، فبمقدوره أن يتسلق عليه ، وتطورت المحاولات بين هذه الحيوانات دون تدخل الانسان ، وبعد حوالى شهرين لم يجد منزلا فى الحديقة غير شمبانزى واحد ، أما السبعة فقد هربوا بين الأشجار الموجودة حول الأسوار ، أما كيف هربوا ، فاللقطة توضح ذلك تماما .. لكن ذلك لايعنى أن الشمبانزى يفكر كما يفكر الانسان ، بل هو فقط يتعلم كطفل صغير من التجربة والخطأ ، ثم يختزن فى ذاكرته مايراه ضروريا لحياته ، ولهذا نستطيع أن نقول إن الشمبانزى حيوان ذو ذاكرة ، وليس حيوانا ذا عقل أو فكر.



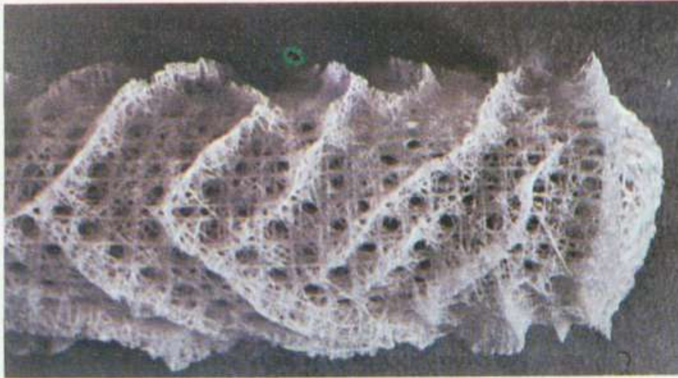
زهور تذوب وجمال يزول

فى صقيع الشتاء القارس ، تتساقط الأوراق ، وتتعرى الأشجار ، فتبدو جرداء لاتسر الناظرين ، لكنها تكتسى أحيانا برداء ناصع البياض ، حتى لكأنما فروعها قد حملت لوزات قطن ، لتُكوِّن بها تشكيلا أبهى من الأوراق ، وأجمل من الزهور ، وعندئذ يتحول العرى الى كساء فيه متعة للناظرين ، أو هو ماترى منه جزءاً فى هذه الصورة التى جذبت لرونقها واحدة من هواة تصوير الطبيعة (هى هيتر آنجل) ، فكانت هذه اللقطة الجميلة التى توضح تناسقين ، أحدهما حي ، وهو نورة النبات التى تنبثق محاورها فى تناسق بديع ، والآخر ميت ، وهو بلورات الثلج ، التى تراكمت على طرف كل قمة من المحاور الكثيرة ، لكن تراكم البلورات ينطوى أيضا على تناسق .. ومن التناسقين تكونت هذه اللوحة الجميلة ، لكنها ستمحى إن آجلا أو عاجلا ، عندما تتساقط عليها أشعة الشمس وحرارتها ، لكن العدسة حفظتها لنا كتحفة دالة على تناسق الخلق ، يستوى فى ذلك الحى والجامد !



الفخ الغاطس

هى ـ بلاشك ـ أكبر محارة أمكن التعرف عليها عندما اكتشفت فى عام ١٩١٧ بين الشعب المرجانية فى المحيط الهندى ـ الباسيفيكي .. ومن الممكن ـ كما هو ظاهر ـ أن تستوعب فى داخلها هؤلاء الأطفال ، وربما مثلهم أيضا ، فالمحارة طولها ١٠٩,٢ سنتيمترا ، وعرضها ٧٣,٦ سنتيمترا ، أما وزنها فأكثر من ربع طن (بالتحديد ٢٦٢,٩ كيلوجراما) .. وهى محفوظة الآن فى متحف التاريخ الطبيعى الأمريكى بنيويورك ، ويقال ان هذا النوع من المحار الضخم اذا أطبق على قدم أحد الغطاسين أو المستحمين ، فإنه لن يستطيع منها خلاصا ، وعندئذ يموت غرقا ، ولهذا اعتبرت بحق « الفك المفترس » ، أو الفخ الغاطس ، لكنها لاتفعل ذلك إلاَّ كنوع من الحماية ، خاصة عندما تحس أن شيئا قد انزلق الى داخلها ، فتوصد صدفتيها ، لفترات تطول أو تقصر ، فإن طالت ، كان الغرق ، وإن قصرت ، كانت النجاة .



سلة زهور فينوس

عندما يجد الانسان فى أحد النظم الحية تكوينا مثيرا ، أو تشكيلا غريبا ، فقد يحتار فى أمره ، ويحاول أن يجد له تفسيرا مريحا يمحو به حيرته ، وغالبا ما تحمل هذه التفسيرات روح الخرافات والأساطير .. فهذه اللقطة تبدو كنسيج منسق وجميل ، وبحيث تتخذ شكلا أقرب الى « فازة » أو زهرية مجدولة ، لكن هذه الفازات أو السلال الغريبة موجودة بالفعل فى قاع بعض المحيطات ... فمن ذا الذى صنعها وأوجدها هناك ؟ .. من هنا ظهر خيال القدماء ، واعتبروا هذه السلال ذات الرونق والجمال ملكا لفينوس سيدة الحسن والجمال ـ على حسب ماتذكر الأساطير الاغريقية واليونانية القديمة ، لكن هذه السلة ليست ـ فى الواقع ـ الا أحد أنواع الاسفنج الذى يسكن المياه العميقة ، وهو يشكل هيكله الصلب من مادة السيليكا المتينة ، والكائن ـ بلاشك ـ جميل الشكل فى حياته ، لكنه أكثر جمالا بعد مماته ، خاصة عندما تتحلل خلاياه ، فيتجلى الهيكل المنسوج بأبهى صورة ، وهو الذى تراه فى هذه الصورة ، ولقد تسابق علية القوم فى اقتنائه كتحفة جميلة .. ولم لا ؟ .. أو ليس هو سلة فينوس التى تنسق فيها زهورها ـ وهى جميلة ، والجميل يحب الجمال ؟ !

كلمات لها تاريخ

بقلم: عباس خضر

سنة ١٨٩٨ نشر «اليازجي» الأديب الصحفي في مجلة «الحياة» اقتراحاً بإطلاق لفظ «سيارة» على «الأوتومبيل» وكان الاقتراح ورد إلى المجلة من «حضرة أحمد أفندي زكي الموظف بنظارة مجلس الوزراء» وهو الذي صار فيما بعد أحمد زكي باشا شيخ العروبة، وكان من رجال الفكر العربي المعدودين في مصر وفي سائر البلاد العربية. أما ابراهيم اليازجي فهو لبناني الأصل جاء إلى مصر وأقام فيها وأصدر مجلته «الحياة» الشهرية

وقامت زوبعة لغوية كبيرة حول «السيارة»، قال المعارضون: كيف نطلق هذه الكلمة على «الأوتومبيل» ومعناها في اللغة القافلة أو الجماعة المسافرة السائرة؟

وقال المؤيدون: ولم لا؟ أليس «الأوتومبيل» يسير ويسافر مثل الجماعة المسافرة بل أحسن منها: ثم هي كلمة عربية خفيفة على اللسان حسنة الجرس، وهي أولى من الكلمة الأعجمية.

وانتصر المؤيدون، وسارت السيارة لا يقف في طريقها أحد.

وكان من المعارضين أحمد لطفي السيد الملقب بأستاذ الجيل، وكان رأيه أن «الأوتومبيل» كلمة لا غبار عليها، وأن الاسم الذي يطلق على شيء في منشأه بأية لغة هو الأجدر بالبقاء. ويشاء القدر أن يكون صاحب ذلك الرأي في أواخر حياته رئيساً لمجمع اللغة العربية الذي كان من أهم أغراضه وأعماله وضع الفاظ ومصطلحات عربية للمستحدثات بدلاً من أسمائها الأجنبية، وقد تضمن المعجم الوسيط الذي أصدره هذه الألفاظ والمصطلحات التي اقترحها بعض أعضائه ووافق عليها مجلس المجمع.

القهوة

من الألفاظ التي وافق عليها كلمة «القهوة» اسماً للمكان المعروف الذي تعد القهوة أهم مشروب فيه على سبيل التغليب، اقترحها العضو أحمد حسن الزيات ضمن كلمات أخرى. ومما يذكر أن كلمة «المقهى» لا تتفق مع القواعد العربية، لأن اسم المكان انما يشتق من فعل ولا فعل هنا.

غير ذات موضوع

هذا التعبير استظرفه الناس وسار على الألسنة وأقلام الصحفيين ردحاً من الزمن.. قال أحمد لطفي السيد باشا، وكان وزيراً، عن المعاهدة بيننا وبين الانجليز إنها أصبحت غير ذات موضوع.

الثقافة

قال «الفيروزباتي» في «القاموس المحيط»:

«ثقف ككرم وفرح ثقفا وثقافة صار حاذقا خفيفاً فطناً فهو ثقف كحبر وكتف وأمير» وقال: «ثقفه كسمعه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه».

وأول من استعمل كلمة الثقافة بالمعنى الحديث الذي يشمل الأخذ من كل شيء بطرف وتحصيل المعارف المختلفة والتأثر بها هو محمود عزمي الكاتب الصحفي الكبير الذي كان من أصحاب الأقلام المضيئة بمصر والعالم العربي في أوائل هذا القرن.

الواقعية

لعل أول من نبه إليها في عالمنا العربي هو محمد لطفي جمعة، سماها «الطريقة الحقيقية» إذ كتب مقدمة لرواية له اسمها «في وادي الهموم» ظهرت سنة ١٩٠٥، قال في تلك المقدمة:

«وليعلم القارئ الكريم أن فن الروايات منقسم إلى قسمين القسم الأول يسمونه (رومانتيك) أي الروايات الخيالية والقسم الثاني يسمونه (ريالتيك) أي روايات حقيقية، فالأولى هي التي تصور البشر كما يجب أن يكونوا لا كما هم في الحقيقة. والثانية تمثل البشر كما هم بنقائصهم ومعايبهم ومخازيهم» إلى أن قال عن (بلزاك) انه «أول من بدأ بكتابة قصصه على الطريقة الحقيقية».

وعندما ظهرت «المدرسة الحديثة» قال أعضاؤها عن (الريالتيك) إنه «مذهب الحقائق» وكان ذلك حوالي سنة ١٩٢٠ وكان أحمد خيري سعيد هو الاستاذ الموجه لهذه الجماعة التي سميت «المدرسة الحديثة» وأغلب الظن أنه هو الذي وضع اسم «الواقعية» نسبة إلى الواقع، وجرى القوم بعده على ترديد هذه الكلمة حتى انتشرت وصارت كما نراها الآن وبدأ أعضاء هذه المدرسة يكتبون القصة القصيرة الحديثة فكانوا روادها في الأدب العربي الحديث، وسلكوا فيها مسلك الواقعية في تصوير المجتمع المصري. منهم محمود تيمور وعيسى عبيد وأخوه شحاته ومحمود طاهر لاشين ثم يحيى حقي الذي كان أصغرهم في السن، أطال الله عمره ومتعه بالصحة.

المجتمع

هذه الكلمة التي تنطقها وتكتبها الآن سهلة ميسورة ـ تعب فيها الأوائل وبحثوا عن اسم لما سمي «المجتمع» فقال بعضهم «الهيئة الاجتماعية» إلى أن جاء الدكتور محمد حسين هيكل فقال في روايته «زينب» التي تصدرت قافلة الروايات العربية الحديثة ـ قال إنها «الجمعية» واستمر الحال كذلك بين «الهيئة الاجتماعية» و «الجمعية» حتى قفزت كلمة «المجتمع» على السطح، فتلقاها قومنا بالترحيب وساروا عليها إلى يومنا هذا. من أين جاءت ومن وضعها؟ لا أدري و «لا أدري» نصف العلم كما يقولون.

عقدة الخواجة

ونصل في خاتمة المطاف إلى «احسان عبدالقدوس» الذي ساءه التهوين من شأن الرواية العربية وفيها شوامخ لا تقل عن الشوامخ العالمية، وهذا حق. فكتب كلمة بعنوان «عقدة الخواجة» في مجلة روزاليوسف حين كان صاحبها ورئيس تحريرها قبل التأميم. وقد انتشرت «عقدة الخواجة» على الألسنة والأقلام، وشملت مختلف الشئون ولم تقتصر على الأدب، وكثر استعمالها في البضائع الأجنبية التي يفضلها البعض على المنتوجات المحلية، ولو كانت هذه جيدة، ولكنها عقدة الخواجة..



دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

القناعة

لايمل الطفل توجيه السؤال لوالديه ـ وحتى الأجنبي عنهما ـ لحاجة أو لغير حاجة. فمن خصائص طفولته حب الذات، أو الأنانية. والأنانية من شأنها أن تسعى الى اقتناء مايقع عليه النظر والى جمعه وتحصيله ولو كان مكرراً، ولو لم تكن هناك حاجة تدفع الى تحصيله. وأنانية الطفولة من أجل ذلك: هي المصدر فى كثير من الأحايين لبكائه أو لصياحه، أو لاشتباكه مع أطفال آخرين معه يسعون كذلك الى الاقتناء والتملك فى الدائرة التى يعيشون معاً فيها.

وظاهرة: الشره فى التحصيل والاقتناء ـ بغض النظر عن الحاجة أو عدم الحاجة ـ التى تبدو واضحة فى الطفولة، تستمر كذلك بعد الطفولة، ولكن فى صورة مقنَّعة. ولايضع لها حداً فى تطور مراحل الانسان الا تكوين عادات أخرى عن طريق الدين والخشية من الله، والتقرب إليه كذلك. وعبادتا الصوم والزكاة لهما دورهما الواضح فى الحد من أنانية الإنسان ومن دفعه الى وعي «الوجود المشترك» بينه وبين غيره فى مجتمعه وأمته. وعن هذا الوعي بالوجود المشترك لايخفف الإنسان من أنانيته، بالإمساك عن «خطف» مابيد الغير فحسب ـ كما يفعل الطفل ـ وإنما يسلك سلوكاً آخر مقابلا لمسلك الأنانية، وهو: أنه يعطي لغيره، دون أن يأخذ بديلا عما يعطي.

و «الغضب» الذى يباشره الإنسان الذى تجاوز مرحلة الطفولة هو ظاهرة «لشره» الأنانية التى تبدو فى سن الطفولة، والتى بقيت رواسبها متمكنة فى نفس الغاضب. لأن هذا الغاضب لم يُعَوَّدْ على عادات أخرى، تحمله على الوعي بالوجود المشترك بينه وبين غيره.

و «القناعة» التى يوصف بها الانسان «القنوع» هى: «الرضى» بما يقع فى يد الإنسان القانع وبما يقسم له من متع الحياة. فإذا تطورت «القناعة» الى الرضاء «بما يفي الحاجة» من مال القانع كانت القناعة عندئذ خلقاً إنسانياً كريماً.. كانت فضيلة.. كانت إمارة قربى الى الله تعالى. فرضاء الإنسان بما قسم له فى الحياة أو بما وقع فى يده مما يدفع به الانسان حاجته فى الحياة من أجل العيش، هو فى واقع الأمر: رضاء «بقدر الله» جل جلاله: «وأنه هو أغنى وأقنى» (النجم: ٤٨)

والرضاء بقدر الله هو طاعة الله وقربى اليه فى الوقت نفسه. ولكن الرضاء بما يفي بالحاجة مما يملك القانع مع القدرة على مافوق الحاجة.. أى مع القدرة على الترف، هو رضاء عن إرادة ومشيئة، وليس رضاء عن عجز أو فقر. فهو أكثر قربى الى الله. وهو أدخل فى إنسانية الإنسان، إذا أنفق مازاد عن حاجته فى سبيل الآخرين.. فى سبيل حاجاتهم المتنوعة.

وهنا لايعد البخيل أو المقتر على نفسه وأهله ورحمه «قانعاً» أى صاحب رضاء بما يفي بحاجته مع القدرة فوق الحاجة. لأن البخيل يمسك ممازاد عن الحاجة لنفسه ـ وربما لنفسه فقط ـ فهو أناني يشبه ذلك الطفل صاحب «الشره» فى جمعه لنفسه كل مايقع عليه بصره، وإن لم تكن به حاجة. أما ذلك الذى يأخذ قدر حاجته من ماله ويترك الباقي منه لغيره فهو إنسان تمكنت منه الانسانية التى تتمثل فى الوعى بوجود الآخرين معه، وبحقهم فى الحياة.

وهنا الآن ثلاث صور للانسان فى علاقته بما يحيط به من متع الحياة وإغراءاتها:

الصورة الأولى: للطفل فى مرحلة طفولته. وهى صورة الأناني الشره فى تحصيل مايستمتع به لحاجة أو غير حاجة.

والصورة الثانية: للإنسان الذى تجاوز مرحلة الطفولة، ويرضى بما قسم له فى الحياة وبما يصيبه من متعها. فهو إنسان طيع لله وراضٍ بقدره.

والصورة الثالثة: للإنسان الذى يرضى بما يفي بالحاجة من المال الوفير الذى يملكه، على أن يترك الزائد لغيره. فهو لايرضى عن عجز وفقر، وإنما عن قدرة وإرادة.. وانما عن تقرب الى الله وعن مزيد فى طاعته. وهذه الصورة الثالثة تعكس الإنسانية وقيمها. لأنه اذا كان الانسان الطفل لم يزل بأنانيته وهواه وغرائزه فى دائرة الحيوان فلا يعرف الا نفسه وذاته، فهذا الإنسان الذى يشرك غيره فيما يملك: يوجد الآن فى دائرة الإنسانية، التى تقابل تماماً دائرة الحيوان فى فصائله المختلفة ومن هنا كانت «القناعة» عن مقدرة: تقرباً للإنسان لما عليه المولى جل جلاله فى غناه.

فإذا وصف سبحانه نفسه بالغنى، على نحو مايذكر القرآن الكريم فى قوله: «واعلموا أن الله غنى حميد» وفى قوله: «ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين».. فغناه جلت قدرته غناء ذاتي، أى أنه اكتفى ـ ويكتفى ـ فى وجوده بذاته، وليست له حاجة الى غيره. والذى يقنع عن إرادة بما يفي بحاجته من ماله، على أن يترك الباقى لغيره، هو أشبه بأن يحقق لنفسه اكتفاءً ذاتياً. إنه يوم تكون له حاجة يحاول أن يستغنى عن تلك الحاجة، ولايسأل غيره. وهو إذ يحاول الاستغناء عن الحاجة وعدم سؤال الغير يستعين بالصبر وبالتحمل. فهو كريم على نفسه، ولا يتركها لمذلة السؤال إن احتاج، حين يعطي غيره إن مَلَكْ.



في حفل الإفتتاح

المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السّعوديّة

... الجزيرة العربية وإهتماماتها الروحية ، أرض البطولات والأمجاد وأصالة التراث ورسوخ العقيدة وإنتصار القيم العليا والمثل الرفيعة ... تعايش الحاضر بكل الشموخ والثقة والثبات كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ... وتتطلع إلى مستقبل يحدوها الأمل في الله .... ثم في عزائم الرجال المفعمة قلوبهم بالحب والإيمان !

كانت هذه الصورة الوجدانية وإيحاءاتها الخيِّرة ... تصافح أبصارنا ، وتعمر بها بصائرنا طوال أيام المهرجان الوطني للتراث والثقافة على أرض المملكة العربية السعودية ... ذلك الملتقى الفكري الرائع الذي احتفلت به البلاد في النصف الأول من شهر رجب عام ١٤٠٦ للهجرة ، وشهده لفيف من مفكري الأمة العربية من محيطها إلى خليجها ، تلبيةً لدعوة كريمة من قيادة الحرس الوطني الذي يتبنى هذه المهرجانات .

لقطة حية من المهرجان



بقلم : جمـــال قطـب

.. ما أحوجنا إلى مثل هذه المهرجانات التراثية العربية الاسلامية ... فلم يزل مهرجان العالم الاسلامي الذي أقيم في العاصمة البريطانية في صيف عام ١٩٧٦ عالقاً بالأذهان ... لقد أقام الدنيا آنذاك ولم يقعدها ... وصحح أمام أنظار العالم كثيراً من الأخطاء ، وصحح تراكمات الادعاء والافتراء على الحضارة العربية وعلى الاسلام والمسلمين .

وأخرجت إدارة المهرجان يومها سيلاً من المطبوعات الأنيقة والمراجع النادرة ، تتناول كلها عراقة الحضارة والثقافة العربية وتأثيراتها في تقويم مسار الفكر الانساني عبر قرون التاريخ ، وكانت إسهامات المملكة العربية السعودية في ذلك المهرجان ملء الاسماع والأبصار ... وبرز كثير من علماء الغرب الأجلاء المخلصين الذين كرسوا حياتهم لانصاف الحضارة الاسلامية وابداعاتها الرائدة ... ونخص بالذكر عالمين كبيرين هما لويس برناردورتشارد إتينجاوزن ... وهما اسمان شهيران في مجال عبقرية البحث والاستقصاء والنزاهة والأمانة العلمية . وكان مهرجان لندن بمثابة رد فعل عيف ، هز العقل الغربي من الأعماق حتى ينفض عنه ماعلق به من أدران التقولات والأحقاد التي كان الانسان العربي والحضارة العربية هدفاً لها ... وعلى مدى قرنين من الزمان ... ومنذ تفتت الدولة الاسلامية وتولي عهود الفرقة والاستعمار ، جارت علينا الأيام بأهوائها وأعاصيرها وأنوائها ... وتخلفنا عن ركب الحضارة ، منغمسين في مشاغنا ومشاكلنا الاقليمية ، وتركنا ميدان البحث والتأليف لجموع المغرضين والغرباء المستشرقين ، فرأينا سباقاً غريباً بين علمائهم وفنانيهم ومؤرخيهم للجوء إلى بلادنا في المشرق والمغرب .

وشهد القرن الماضي وأوائل هذا القرن ذروة الهجمة الشرسة على مقدساتنا وأمجادنا وعاداتنا وتقاليدنا ! فتأملات مؤلفاتهم بسيل من الأكاذيب والتحريف والتأويل لترسيخ الأفكار بأن العرب لم يؤهلوا – بطبيعتهم – للابتكار والبحث والتذوق الفني !! ولما كان الميدان خالياً لهم دون غيرهم ، لايسمعون فيه إلا وقع أقدامهم وصدى آرائهم المغرضة ، تسلل فريق منهم إلى كل مرافق حياتنا .. بل وتولى بعضهم مناصب ثقافية قيادية في بلادنا ... ومن منطلق هذه المناصب العلمية الرفيعة ، كانت لهم الكلمة العليا والرأي القاطع فيما يتعلق بتاريخنا وآثارنا وتراثنا ، كما حدث في القاهرة مثلاً عام ١٩٣٣ إذ رأينا

مبيتاً ، لم يجد من يضحده أو يحد من تفاقمه ... ومن هنا تأتي أهمية الجمع بين المعاصرة والتطور واللحاق بالركب في سباق الحضارة المادية في عالم اليوم ، والتسلح بالقيم الروحية في أنماط سلوكياتنا الحياتية في الوقت ذاته ، وربما كانت هذه التعادلية عند الانسان العربي المعاصر هي الجوهر الثمين الذي لايجب أن نفقده في هذا الزمان المتخم بالاحقاد والصراع والتسابق اللاهث للتفوق والسيطرة ! ومن هذا المنطلق ، تأتي أهمية الاعتزاز بالثقافة والتراث وتأكيد الشخصية العربية الاسلامية ، وتعميق مفهوم الأصالة والإنتماء !

وفي غرة شهر رجب من كل عام ، يأتي مهرجان التراث والثقافة الذي ينظمه الحرس الوطني السعودي على أرض الحرمين ... وكما قال الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز :

« ومهما بدت لنا مفردات هذا التراث بعيدة الصلة بلغة عصرنا المتطورة ، إلا أنها تعايشنا في كل مناحي حياتنا ، لأن هذا التراث هو المسئول عن صياغة الوجدان العام ، وبناء علاقاتنا الاجتماعية ، وأنماط سلوكنا ومواقفنا من الحياة . ولأننا أمة ذات عراقة تراثية مجيدة ، فلابد لنا من إضاءة وعينا بهذه الايحاءات الخيرة ، ترسيخاً للانتماء ، وتأكيداً للشخصية ، وتعميقاً للأصالة . ذلك هو الجسر الذي يقيمه هذا المهرجان بين الأجيال المتعاقبة ... »

الحرس الوطني : درع يحمي ومصباح يضيء

قبل أن تشتط بنا الخواطر ، فلنتأمل كلمات النشيد الوطني السعودي ومعانيه السامية ... إنه دعوة من القلوب المؤمنة إلى أرض الوطن للنهوض والتسبيح :

سارعي للمجد والعلياء
مجدي لخالق السماء
وارفعي الخفاق أخضر
يحمل النور المسطر
رددي : الله أكبر
ياموطني
عشت فخراً للمسلمين ...

ومن هذا الشعار ، ومن إلهاماته الروحية ، استنارت بصائر أولي الأمر ممن سعينا للقائهم أو سعوا للقائنا بكل التواضع والحفاوة والترحيب . ونحن نعرف أن فكرة المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، نادى بها ونفذها على مسرح الواقع ... الحرس الوطني السعودي ،



الشيخ عبدالعزيز التويجري يرحب بنا في حفل العشاء الذي أقامه لنا في بيته .



الملك فيصل «الفارس» إحدى لوحات الأمير خالد الفيصل

(عالما) أثرياً مثل (كريسويل) يتربع على أخطر منصب للآثار والتراث الاسلامي ... فقد عين حينذاك مديراً لمعهد الآثار الاسلامية ليتخرج على يديه كل باحث ودارس للتاريخ والحضارة والفن الاسلامي ! وتوالت مؤلفاته [التي أصبحت بكل أسف من أوثق المراجع العالمية حتى يومنا هذا] تحمل في طياتها كثيراً من الافتراءات والمغالطات ... وقد عمل جاهداً على إنكار أي فضل للعرب في قيام الحضارة الاسلامية ! كما كان يصفهم بالتخلف والسطحية والبداوة والخشونة ، وبأن عالمهم الفكري لم يتعد خيمة سوداء كالحة وناقة يركبونها ثم مثوى في قبر تحت رمال الصحراء الجرداء ! أما إذا تصادف وتحدث عن أثر علمي أو فني ، فلابد وأن يكون مستورداً ! وقد سبق كريسويل في هذا المضمار عشرات من هؤلاء المستشرقين ، من أهمهم راهب يدعى (لامانس) كانت مؤلفاته تتفجر حقداً على العرب حينما يصفهم بقوله : إنهم ماكانوا يهتمون إلا بالطعام وسعة القدور !

ومن هذه الأمثلة الظالمة ، تضم المكتبة العالمية الكثير والكثير ! وفي هذه الحملات الجائرة نرى - كعادة الفكر الغربي - أن الوقائع التي ألفوها ونسجوا خيوطها على هواهم ، كلها مادية مجردة من العقيدة والقيم الروحية والسلوكيات الانسانية . وبالرغم من أن أعلام الاسلام ومفكريه وعبقرياته في شتى فروع المعرفة قد تركت آثارها ومآثرها واضحة خالدة في ضمير البشرية يشهد بها المنصفون في كل زمان ومكان ، إلا أن هذه الحملة الباغية في عهود الاضمحلال العربي في العصر الحديث ، قد اتخذت شكلاً استفزازياً وتياراً عدائياً

المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السعودية

ـ انظر في أرجاء القاعة الفسيحة ، فلن تجد طفاية سجائر واحدة.

وهو ليس مؤسسة عسكرية بحتة كما قد يتبادر إلى الأذهان ، ولكنه بجانب واجباته والتزاماته الدفاعية ونشر الأمن والأمان في ربوع المملكة المترامية الأطراف (إذ تبلغ مساحتها ٢,٢٤٠,٣٥٠ كيلو متر مربع) يشارك مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات الأخرى في بناء الإنسان الحضاري المسلم المعاصر ، ويرتبط تاريخ نشأة الحرس الوطني في جذوره مع نشأة وتطور المملكة ، منذ أن بدأ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود مسيرته عام ١٣١٩ هـ لتحقيق وحدة البلاد تحت راية التوحيد ، ثم إرساء دعائم الدولة بعد ذلك . وفي عام ١٣٧٤ صدر الأمر الملكي بإعادة تنظيم الحرس الوطني ليضم أولئك المجاهدين الذين ساندوا الملك عبدالعزيز رئاسة الحرس الوطني ، حيث وضع الخطط الطموحة ليصبح مؤسسة عسكرية حضارية تواكب التطور المعاصر ، ولتقوم بدورها في البناء والثقافة وكافة مرافق الحياة... ولتكون قوة دافعة في طريق تقدم البلاد وازدهارها ... وفي عام ١٣٨٧ عين الأمير بدر بن عبدالعزيز نائباً لرئيس الحرس الوطني ليسهم في قيادة المسيرة الخيرة... وكما ذكرنا كان ولايزال الاهتمام الأساسي هو بناء الإنسان... فبجانب المعاهد والكليات العسكرية المتخصصة التي تأخذ بأحدث معطيات التقنيات العلمية ، وتشكل فرق الفدائيين المقاتلة ، وإنشاء سلاح الفرسان للحفاظ على أصول وتقاليد الفروسية العربية ، وتبني المتطوعين والراغبين في احتراف الخدمة العسكرية النظامية ... نجد أن قيادة الحرس الوطني تقوم في الوقت ذاته ببناء المستشفيات والمدن السكنية والنوادي الرياضية ، ودور حفظ القرآن الكريم والمعاهد الثقافية والتعليمية ومشاريع خدمة حجاج بيت الله ... كما تقيم المهرجانات والمؤتمرات والمعارض والاحتفال بأسبوع الشجرة وأسبوع النظافة ... وغيرها من النشاطات والخدمات التي تغطي متطلبات الحياة المعاصرة.

...

ولاغرو أن يتحمل الحرس الوطني مسئولية الحفاظ على التراث وثقافة الجزيرة العربية ... فيقيم المهرجان الأول في العام الماضي ... وهذا هو المهرجان الثاني ، الذي شرفنا بحضوره ، والمساهمة المتواضعة في نشاطاته وندواته بالرأي والفكر والمناقشات.

خواطر ذات شجون

ولندع جانباً الحديث عن روعة الاخراج ودقة الاعداد والتنظيم وحاتمية الكرم ... فكما ذكرت لقد أفاضت وأجادت وسائل الاعلام العامة أو الخاصة بمكاتب الحرس الوطني في تغطية الأحداث بكل تفاصيلها ووقائعها ، ولم يبق لي إلا أن أرجع إلى وريقاتي المتناثرة التي كنت أسجل فيها خواطري وانطباعاتي عقب كل جولة أو ندوة أو لقاء ... وجدتها فيضاً وجدانياً مسهباً يغطي صفحات هذه المجلة كلها أويزيد ، وقد عودتنا الصحافة أن نختصر ونختزل لنعطي قطرات صغيرة من نهر كبير ، حتى لانغرق في فيضانه أو نتوه في روافده وشجناته !

•• .. كان اجتماع الوفود الثقافية مع الأمير عبدالله في قصره العامر بمثابة سهرة عائلية تتسم بالمحبة والفطرة والتلقائية والبساطة والصراحة ... وتكلم المضيف الكبير... حديثاً من القلب إلى القلب ... اقناع هادىء رقيق كنسمة الربيع ... ولكنه مستقيم قاطع كحد السيف ، ودارت المناقشات ، وانسابت الخواطر حرة على سجيتها جادة مسترشدة مستفسرة أو مرحة سامرة باسمة أو معجبة مبهورة شاكرة... وكان يجلس بجانبي الكاتب المصري خفيف الظل محمود السعدني ... رأيته يخرج سيجارة من علبته ، فهمست في اذنه :

ـ يبدو أن التدخين ممنوع في مجلس الأمير.

ـ هذه مشكلة .. ولكن كيف عرفت ؟

ـ أنظر الى أرجاء القاعة الفسيحة ، فلن تجد طفاية سجائر واحدة

ووجدها السعدني فرصة للتعليق والمزاح لايجب أن يضيعها كعادته ، ولاسيما وأن روح المرح التي سادت الجلسة الطويلة الممتعة قد أضفت على الحضور جواً من الألفة ورفع الكلفة . فانبرى قائلاً :

حقاً ياسمو الأمير أنهاساعات هانئة ممتعة ، ومن أهم فوائدها النفسية والصحية أن (دمنا محبوس) فلم نستطع أن ندخن على مدى الساعتين الماضيتين ...

واستغرق الأمير والحاضرون في الضحك والتعليقات الجانبية المازحة .

•• ... حكى لنا الأمير عبدالله أن أحد الاعلاميين الأجانب طلب من سموه أن يحضر مجلساً ليرى بنفسه استقبال الأميرجموع المواطنين على اختلاف طبقاتهم والإستماع إليهم وتحقيق طلباتهم ... وحضر الرجل .. وشاهد ماأراد وعندما انفض الناس قال للأمير وهو بين الذهول والعجب والاعجاب : استطيع أن أؤكد لكم أن هذا الذي رأيته اليوم لايمكن أن يحدث في أي مكان في أكثر دول العالم ديمقراطية ! وبالرغم من أنه شيء رائع ولكنه خطير في الوقت ذاته فقد يندس أحد بين هذه الجموع الحاشدة التي تدخل عليك دون رقابة أو تحفظ أو تفتيش.

فنظر الأمير عبدالله إلى ضيفه وقال له : لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا ، وإذا حان أجلنا فلن نقدمه أو نؤخره لحظة واحدة ! وأضاف الأمير موجهاً حديثه إلى ضيفه :

اسمع هذه القصة : كان أعرابي يجاهد في سبيل الله بسيفه بغير درع ولا حيطة ولا حذر ، فقيل له ، لماذا لاتحترس وتحمي نفسك تحسباً من أن يغدر بك أحد . فقال الأعرابي المؤمن قولته الموجزة البليغة :

إن الله صادق ، وإني لست طماعاً ! !

وقصد بذلك أن الله سبحانه وتعالى صادق في وعده الحق : «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» .. «إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» . وأنه (أي الأعرابي) لايطمع في إطالة عمره ساعة إذا حان أجله الذي حدده له خالقه.

وتفرعت الأحاديث ، وناقشنا أمور الثقافة والفن والصحافة ... ومسئولية المفكر والكاتب العربي وأدلى كل منا برأيه ، وتركز الحديث لبعض الوقت على مهمة الكاتب السياسي ووجوب أن يتوخى الصدق وأمانة الكلمة

كيف نرد على المغالطات والافتراءات الموجهة إلى العالم الإسلامي والعربي؟



معارض الفنون التشكيلية/واللمسات الجمالية في كثير من فعاليات المهرجان

وشرف المهنة الصحفية ، وألا يخشى في الحق لومة لائم ...

وقلت للأمير مشاركاً في هذه المناقشات المثيرة : ياسمو الأمير : إن مهمة الكاتب السياسي في عالمنا العربي صعبة وحساسة وشائكة ، فلابد أن تفسر آراؤه من وجهتي النظر المتعارضتين : الرأي والرأي الآخر... فريق المؤيدين وفريق المعارضين .. هذا يمين وهذا يسار... كان الله في عون من يكتبون في السياسة ، ولكن الفن والأدب والثقافة الانسانية ، هي الوحدة الوجدانية للانسان العربي في كل مكان ونتفق جميعاً على مكانتها ورسالتها السامية . وهانحن أولاً نشارك المملكة مهرجانها التراثي الثقافي في انطلاق ايجابي وبغير عقد أو تعقيدات ، وسيظل الفكر الابداعي هو الوحدة الحقيقية التي يجب أن نرعاها ونشجعها لتصقل بصائرنا العربية في منأى عن التقلبات السياسية أو التعصبات الاقليمية أو النزعات المتباينة المتعارضة !

وأجاب الأمير في سماحة ورضى : إن ديننا الحنيف يحضنا على العلم والثقافة والتزود بالمعرفة ، ولعل هذه المناسبة التراثية هي ثقافية فنية في المقام الأول ... وأراكم جميعاً من أصحاب الابداعات الفكرية التي نعتز بها ، فعليكم أن تؤدوا الرسالة ... وأنتم جديرون بتحمل أعبائها ... عمقوا الشعور بالانتماء إلى أصولنا العريقة ... إلى جذورنا العربية الاسلامية الخيرة.... ولاتيأسوا ، فكما يقال : كثرة الدق تفلق الحجر !

وهكذا دارت الأحاديث ... وتهادت الأفكار في الجو الأسري الجميل ... ومرت الساعات وكأنها لحظات ... فما أقصر الأوقات الهانئة وإن طالت في حساب الزمان .... وخرجنا بانطباع مشترك هو الاعجاب إلى درجة الانبهار بشخصية الأمير عبدالله بن عبد العزيز ... تلك الشخصية الفذة المتواضعة الواعية المهيبة ...

في نادي الفروسية ... ودعــوة إلى القاهــرة

في نادي الفروسية ... أقام لنا الأمير بدر بن عبدالعزيز حفلة عشاء كريمة ، حضرها الأمير حمود بن عبدالعزيز وجمع كبير من الأمراء ورجالات المملكة ، وأفاض الأمير في كرمه على المجموعة المصرية ، فدعا القائم بالأعمال في السفارة المصرية متصدراً الحفل إلى جواره ... وكان عشاء سامراً زاخراً بصنوف الأطعمة الشهية والأحداث الشجية على مدى ساعات طوال امتدت إلى منتصف الليل ... وكنا ــ نحن أعضاء الوفود الثقافية ــ قد ارتضينا الدكتور يوسف ادريس في اغلب الأحيان وعلى مدى أيام المهرجان ليتحدث باسمنا ويلقي كلمات التحية معبراً عن مشاعرنا في شتى المناسبات ، وذلك لما عرف عنه من بلاغة خطابية وأسلوب رشيق . وحان الوقت لالقاء كلمته أو كلمتنا في هذه المناسبة ... ووقف يوسف ادريس خطيباً .... وكانت كلماته مفعمة بالأحاسيس الرقيقة والعواطف الجياشة والعرفان والتأثر... وقال في ختامها : « إن الدموع لتكاد تطرف من عيني عندما أتذكر أننا في الغد القريب سوف نودع هذا البلد المضياف ،وهذا الجمع الرائع الكريم ... ! » وأطبق على القاعة الفسيحة صمت وقور... ولم تمض لحظات معدودة حتى كان الميكرفون مع محمود السعدني ... وكعادته أخذ على عاتقه إضفاء روح المرح والحديث الفكه بين الحضور... انه يحظى بمقدرة خارقة على إذابة التهيب وإزالة التوتر ورفع الكلفة وتحويل الحديث ــ مهما كان جاداً ــ إلى فكاهة ومزاح قد يصل إلى درجة الاستغراق في الضحك المتواصل ... كما أنه يتمتع بموهبة روائية جذابة تشد الانتباه وتنتزع الاعجاب انتزاعاً ... وإذا به يفاجئنا بقوله :

إنني باسم أعضاء الوفد الثقافي المصري الموجودين هنا أدعو سمو الأمير بدر وسمو الأمير حمود إلى القاهرة ... ضيوفاً علينا لاعلى الحكومة ، بشرط واحد هو أن يخبرونا قبلها بعشرة أيام على الأقل ، لكي نتجمع ونهرب من القاهرةقبل وصولكم !! واستغرق الجميع في الضحك لهذه الدعوة العجيبة ... ولكنه مالبث أن أتم حديثه مبرراً هذا الهروب قائلاً : لأننا لو بعنا كل ما نملك وما لانملك فلن نستطيع أن نوفيكم حقكم وما يليق بكم من كرم لانقدر عليه . ورد الأمير بدر ممازحاً : سوف نتظركم في القاهرة إلى أن تعودوا ، فأسرع السعدني يقول : حينئذ ياسمو الأمير سنصحبكم مرة أخرى إلى الرياض لنقوم بكرم ضيافتكم في هذا المكان على حسابكم !!

الانسان الفنان عبدالعزيز التويجري

لن اتحدث عن كرم الرجل أوصفته الرسمية كوكيل للحرس الوطني ، ولا عن دعواته العديدة لنا في بيته العامر ، وزياراته لنا في فنادقنا والسؤال عنا فرداً فرداً طوال أيام المهرجان ... ولكنني أتمثله في خاطري ووجداني : المفكر الشاعر المثقف المحدث الفنان الانسان !

في أمسية شاعرية دافئة على المسطح الأخضر الذي تحفه خمائل الربيع المزهرة ، تلك التي تحتضن بيته الجميل في وداعة حانية ولمسات عطرة ندية ... وبين حفيف أوراق الأشجار السامقة وهمسات الورود من حولنا ، كأنها مناجاة أو تسبيح ... أو كأنها ترانيم السلام والحب الذي يعمر به قلبه الكبير ، أوكبسمة الأمل والتفاؤل التي تعلو

المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السعودية

محياه حتى أصبحت سمة مميزة من سماته ومثله وخلاله الرفيعة ، قضينا ساعتين نتجول في عالمه الفكري الرحيب ... كانت رحلة مثيرة مع الأيام والذكريات ... مع حلو الحديث وسحر البيان .

ووقفنا طويلاً أمام معنى (الفطرة) التي فطر الله الناس عليها ، وعلاقتها بالوعي والصدق والأصالة والتراث الذي نحيا أعياده ومضامينه ومعطياته ، ودار حديث رائع وممتع بين عبدالعزيز ورجاء النقاش حول هذه المفاهيم الانسانية . وتحدث الرجل ... ومن فيض معارفه ورشاقة تعبيره وشمول اطّلاعه ، أخذنا ننصت إليه محلقين معه في أفلاكه ، هابطين خلفه إلى صحرائه التي يذوب هياماً في حبها والتغني بها ... حاضرين في معيته مجالس المتنبي بين اليمامة والدهناء .

إن عبدالعزيز الفنان مفكر من نوع ابداعي خاص : بيان سائغ عذب ميسر في غير تعالٍ أو تصنع أو تغال أو إغراق في التجريد والتفلسف ... إنه رهافة الشاعر ورقة الحس وسلاسة المنطق وتلقائية التفاعل والانفعال الانساني مع البيئة والجذور في غير تطاول أو افتعال ، تشده قيمه الإسلامية وأصالته البدوية وشيمه العربية دائماً إلى حياة البساطة والفطرة ، وسماحة ورحابة الصحراء ... وكان طبيعياً أن نجد هذه الصور المعنوية الخيرة في كل سطر من سطور مؤلفاته العملاقة : [في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء] و [حتى لا يصيبنا الدوار] و [منازل الاحلام الجميلة] ... وغيرها من بنات أفكاره وحصاد تجاربه وخبراته .

أهدى إليّ بعضاً من مؤلفاته ، واختار واحداً منها وهو [رسائل الى ولدي : منازل الأحلام الجميلة] وأمسك بقلمه ، وخصني بهذا الاهداء :

« ... إلى أخي .. : معنًى دفيناً جذبته من أعماق نفسي بعد معاناة شديدة ، ولأشق على الإنسان وأكثر عناء من أن يقع الصراع بينه وبين نفسه ، وإذا تجاوزت في هذه الرسائل كل ماهو خارج الذات ، وعدت الى بئري الخاص لأسقي منه هذه الأوراق العطشى إلى الحقيقة ، فلا أدري ماذا حصل معي ! .. »

.... فلنقرأ سوياً سطور الكتاب ... أو بعضاً من خلجات نفسه وخفقات قلبه ... لنقرأ التقدمة ، ومن ايحاءاتها نطلق لأفكارنا وخيالنا العنان ، على مدى الزمان ومساحة المكان وأربعمائة صفحة في هذا الكتاب :

« إلى كل قلب خفق بالحب ... وحمله بين جوانحه إشراقة روحية ..

إلى كل من كابده من أجل أن يكون للحياة معناها الكريم ...

إلى كل من قهر شروره وأعطى خيره ..

إلى كل من لم تحمله أنانيته وقصر نظره على تجاوز القيم والمثل ..

إلى كل من أهان كبرياءه وغروره ووعى قدره .

إلى كل من رفع رأسه إلى السماء

إلى كل من ألهمه ايمانه وألهمته بصيرته رؤية المدفن على عتبة بيته ... فاتعظ

أهدي هذه الرسائل ! (لعبدالعزيز عبدالمحسن التويجري)

لمسة تشكيلية مضيئة على جبين المهرجان

سأدخر الحديث المفصل عن النشاطات التشكيلية واللمسات الفنية والقيم الجمالية التي صاحبت فعاليات المهرجان الثاني للتراث والثقافة ... إلى لقاءات قادمة إن شاء الله . ولكنني في هذه العجالة لن أستطيع أن أمر على معرض الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز . دون وقفة ولو عابرة ... ودون أن أنوه ولو بالوعد بأنني سأفرد له الصفحات العراض لأن أعمال الأمير الفنان تستحق ، بل تستوجب منا وقفات متأنية ... وهي جديرة بالدرس والبحث والتقييم ... وربما كان الظلم بعينه أن تتوه هذه الظاهرة الابداعية الفذة وسط الخواطر والذكريات وشمولية العرض وتعجل الأحداث . إن واقعية الرؤية وتعبيرية النزعة ، وتلقائية المعالجة ، ورحابة المدارك والخلفية الثقافية لدى الأمير خالد الفيصل قد جعل من فنه بانوراما عربية مبدعة تحلق متحررة بين الأرض والسماء ، وتحط في خيلاء على أرض الواقع بثقة وثبات ، لترسم لنا معالم البيئة بملامحها التراثية ... بكل الحب والتعاطف والتفاعل مع عراقة التاريخ ورسوخ العقيدة وأصالة التقاليد والأمجاد ... إن فناننا الأمير.. فنان محب ، يكاد أن يغمس ريشته في أديم عواطفه ووجدانه ، ويذوب في حب منظوراته ومحسوساته ... إنه يحب الأهل والطبيعة والأرض والوطن ... إننا نشم في لوحاته رائحة العشب وأريج الخمائل والمراعي وزهور الخزامى ... ونسمع وقع سنابك الخيل وحوافر القطعان وهدير الموج وصوت الرعد وهمسات صبا نجد ونسمات الربيع ... أما في سيرياليته التي ينطلق فيها إلى عوالم الأحلام وغياهب اللاشعور (كما رأينا في لوحاته : بنات الريح وناعس الطرف وزورق الحياة) فانها السيمفونية اللونية التي تنساب أنغامها في مسارات وأفلاك دائرية كأطياف الحلم أو كموجات الأثير ...

•• .. وأخيراً أقول لقرائنا : معذرة ، فأن ماذكرته في هذه الخواطر ماهو إلا النزر اليسير من حصاد سخي وفير .

وفي يوم العودة ... عندما صافحنا إخواننا من الشباب الضباط الذين سهروا على راحتنا ، وتفانوا في القيام بواجباتهم التي كلفوا بها بكل الرجولة والوعي والأدب وإنكار الذات أحسسنا بدفء القلوب العامرة بالايمان ، وبعمق الروابط ومتانة الوشائج التي تشدنا وإياهم بوثاق لا ولن تنفصم عراه إن شاء الله .

•• .. وعندما عانقنا الاستاذ عبدالرحمن الشثري ــ وهو قمة إعلامية وأخلاقية من قمم الحرس الوطني الشامخة ، وقريب إلى عقولنا وقلوبنا قرابة الرفيق والصديق والشقيق ــ شعرنا بالحنين إلى الرياض حتى من قبل أن نفترق ... وأي فراق ... فإذا تعانقت القلوب والأرواح ، فما أوهى المسافات بيننا ... إنها قاب قوسين أو أدنى !

جمال قطب

■ الحرس الوطني يهتم بالعقل والوجدان كما يهتم بالبناء المادي للإنسان

وجهها.. قصيدة لاتنتهي

شعر: حسن توفيق

كصفاء نبع الأمنياتِ.. يطل وجهك منعشاً صحراءَ عمرى اليابسه
تتجدد الأشياء فيها ، تورق الأغصان بعد شحوبها وكأنما انبثق الربيعُ مهللا
ويطل وجهك منعشا .. يجتاز بى أعتى المسالك والدروب العابسه
ويقودنى لسماءِ صفوٍ أشتهى ــ من نشوتى ــ أن أنتهى بفضائها لحنا تسامى للعلا
ليعود مؤتلفا ومؤتلقا يرف على ندى زهرات فل ناعسه
يبنى لديها الفجر ــ من عطش إلى الحسن المتوج بالمباهج ــ منزلا

• • •

تأتين فى زمن ضنين
تتفتحين ... وتشرقين
يتماوج الايقاع فى خطواتك المتألقه
فيذيبنى .. ويحرك الأوتارَ فى روحى التى تصغى له متشوقه
فإذا بعدتِ ــ ولو قليلا ــ فالرعود تحاصر الأمل المرفرف فى كيانى
تلقيه فى قفص الضياع معذبا متململا
ويعود قلبى صامتا مستغرقا فيما أعانى
مابين يأسٍ من لقاءٍ ، وانتظارٍ أن يزيحَ الفجرُ ليلا معولا

• • •

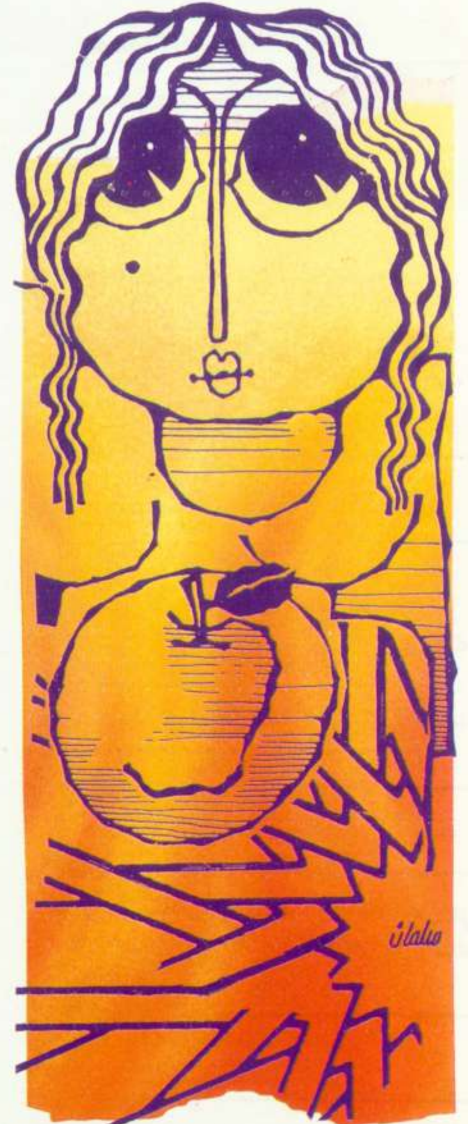
ويطل وجهك فى الخيال
متلألئا بك ... بالجمال
وأراه فى كل المشاهد والرؤى متغلغلا
فأقول ــ مبهور الرؤى ــ ياوجهها ما أبدعكْ
ألقاكَ فى صفحات كتبى .. هامسا : انى معكْ
ألقاكَ فى أزهار جردينيا ، وفى أجواء موسيقى تدندن مقبلا
ألقاكَ فى إغفاءتى الحيرى تنور ضاحكا وتحثنى أن أنفض النوم القليل عن الجفون
ألقاكَ فى أمواجِ بحرٍ زاخرٍ ، لاتنتهى إلا لكى تحيا بدايتها الموسقة الجديده
ألقاكَ فى وهج الضجيج ، وفى الصدى الحلو البهيج ، وفى مدى عمق السكون
ألقاكَ فى لحن القصيده

• • •

تأتين فى زمن ضنين
تتفتحين .. وتشرقين
كى تؤنسى بالصفوِ أيامى التى احترقتْ على جمر السعيرِ بلا مجيرْ
وأراكِ أعطيت الكثيرْ
.. ولم أقدم غير قلبى منشدا لك أغنيات الشوق تجتاح الليالى المعولات الجامحه
أعطيتِنى حلما .. تفتح فى دمى ورداً بهىَّ الروح حلو الرائحه
وكأنه أنفاسُ عاشقةٍ تفيض محبة وتشع سحرا لا يغيب
أعطيتِنى الدنيا التى أهفو لها رغم التعثر بالصخور الجارحه
أعطيتِنى الدنيا التى أحيت صفائى بعد تكرار الوجوه المالحه
أعطيتِنى فرحَ الحياة .. بها الحبيب مع الحبيب

• • •

كيف انسللتِ إلى شراييني مع الدم والهواءْ
كيف انسللتِ حديقةً .. أزهارها لاتذبلُ
وربيعها لايرحلُ
كيف انسللت ؟ وكيف آخيتِ الوداعَ مع اللقاء فلا وداعَ ولا لقاءْ
لكنه زمنٌ أضاءْ
من بعد يأس قد أضاءْ
ليعانق ، الدنيا ، ويُبْدِلَ بؤسَها رغدا
ويُطِلُّ عالمنا بهيًّا .. يغسلُ الأرواحَ فى نهر الصفاء بلا انتهاءْ
ويَظَلُّ حبى المستفيض قصيدة لاتشتهى أن تنتهى أبدا
أبياتها تترى .. فلا تحصينَها عددا !!



طرائف شرقية وغربية

عصر السرعة

• خلال تناوك طعام الغداء ذات يوم شكوت لمدير المستخدمين في شركتنا لأن الطابق الذي أعمل فيه ليس فيه فتيات جميلات. وبعد ظهر نفس اليوم جاءتني فتاة ساحرة الجمال وهي تحمل مظروفاً كتب عليه « عاجل جداً » وفي الداخل وجدت رسالة فيها هذه الكلمات « مارأيك فيها ؟ ».

منطق امرأة

• كان الزوج يقود السيارة ـ ولما وصل الى تقاطع الطريق ـ خفف السرعة ، وسأل زوجته أن تنظر إلى اليمين لترى إن كانت هناك سيارات قادمة من تلك الجهة . فالتفتت الزوجة ، وقالت : كلاً ... وسكتت قليلاً وانطلق الزوج بسيارته فإذا بالزوجة تكمل جوابها .. ولكن توجد سيارة شحن واحدة.

أجرة سفر

• دخل رجل مطعماً وطلب دجاجة ـ فسأله الجرسون هل تريد دجاجة بلدية أم مستوردة؟ فسأل الزبون : وما هو الفرق؟

فأجاب الجرسون . الدجاجة المستوردة تكلف ١٠٠ قرش أكثر

فرد الزبون . أريد دجاجة بلدية .. لماذا أدفع أجر سفر الدجاجة الأخرى إلى هذه البلاد .

رابطة

• يحكي الفنان الشعبي جاسبر جونز أنه عندما أقام معرضه الأول في ولاية ساوث كارولينا (مسقط رأسه) سمع سيدة تقول بصوت مسموع :

ـ هذه لوحة جميلة حقاً !

وهنا التفتت السيدة التي تقف إلى جوارها وقالت :

ـ وهل أنت أيضاً من أقاربه ؟

ابتزاز

• تلقى ناشر كتب علمية للأطفال في شيكاغو رسالة من قارئ صغير يقول فيها إنه اكتشف خطأ في أحد كتبه . وأشار الغلام إلى عدد من المراجع العلمية ودوائر المعارف التي تثبت أنه على صواب ثم قال في النهاية :

« إذا أرسلت لي دولاراً فإنني لن أخبر أحداً بذلك » .

ورد الناشر بخطاب شكر ثم قال في حاشيته :

« أطلب من مدرسك أن يذكر لك معنى كلمة (ابتزاز) » .

رجل مهم

• سألت عروس الضابط الطيار عريسها عن معنى تعبير (تسلسل القيادة) وهي من الاصطلاحات العسكرية . فضرب لها مثلاً بنفسه قائلاً إنه مسئول أمام قائد السرب الذي يعتبر مسئولاً أمام قائد المجموعة الخ حتى تصل المسئولية إلى وزير الدفاع الذي يكون مسئولاً أمام القائد الأعلى وهو رئيس الجمهورية وهنا هتفت العروس :

ـ ياحبيبي .. لم يخطر لي قط أن لك كل هذه الأهمية . إنك التاسع في ترتيب رئاسة الجمهورية .

حزم المهدي

• قال رجل للمهدي : عندي نصيحة ياأمير المؤمنين

فقال : لمن نصيحتك هذه ؟ لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟

قال : لك ياأمير المؤمنين .

قال : ليس الساعي بأعظم عورة ولاأقبح حالاً ممن قبل سعايته . ولاتخلو من أن تكون حاسد نعمة . فلا تشفي غيظك . أو عدواً فلا تعاقب لك عدوك .

ثم أقبل على الناس فقال لاينصح لنا ناصح إلا بما فيه لله رضى وللمسلمين صلاح ومن أخطأ أقلنا عثرته ـ فإني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالتوبه والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة والقلوب لاتُبقى لوال لاينعطف إذا استعطف إذا استطعت ولايعفو إذا قدر لا يغفر إذا ظفر ولايرحم إذا استرحم .

الظن واليقين

ـ قال مروان بن الحكم لثقيل : إني أظنك أحمق .

ـ فقال : ظن أو يقين .

ـ قال مروان : بل ظن

ـ قال الرجل : أحمق من أن يكون الشيخ إذا استعمل ظنه .

حوار

• قال رجل لثمامة :

ـ إن لى إليك حاجة

قال ثمامة .

ـ ولي إليك حاجة ..

ـ وما هي ؟

ـ لا أذكرها حتى تضمن قضاءها

ـ قد فعلت

ـ حاجتي ألا تسألني هذه الحاجة .

ـ رجعت عما أعطيتك .

ـ لكني لاأرد ماأخذت !

تعبيرات جديدة :

• إنه يعمل بفمه أسرع مما يعمل بعقله .. فهو يقول أشياء لم يفكر فيها بعد !

• وراء كل رجل عظيم امرأة .. تقول له إنه ليس عظيماً ...

• زحفت شمس الشتاء إلى الغرفة لتجد لسة من الدفء أمام المدفأة .

عملية اقتصادية

• إذا أردت أن تسعد رجلاً فلا تعمل على زيادة ثروته ، ولكن حاول أن تقلل من رغباته (سنيكا) .

رجلان لايتقدمان

• هناك صنفان من الرجال لايتقدمان

أبداً .. هؤلاء الذين لا يستطيعون أداء ما يكلفون به من عمل ، وهؤلاء الذين لا يؤدون غير ما يكلفون به من عمل . (سيروس كروتيس) .

لو تراحم الناس

• لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم ، ولأقفرت الجفون من المدامع ، ولاطمأنت الجنوب في المضاجع ، ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام . (المنفلوطي)

الغيبة والبهتان

• دخلت امرأة على النبي ﷺ مستغيثة فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها :

— يارسول الله ، ما أقصرها !

فقال :

— مهلاً إياك والغيبة

فقالت :

— يارسول الله ،إنما قلت ما فيها .

قال :

— ولولا ذلك لكان بهتاناً

كتمان السر

• أسر رجل إلى صديق له حديثاً فلما استقصاه قال له :

— أفهمت ؟

قال :

— لا ، بل نسيت ؟

• وقيل لرجل :

— كيف كتمانك السر ؟

قال :

— ما قلبي له إلا القبر .

الوزر .. والوزير!!

• يقول صاحب « عيون الأخبار » إن كلمة « الوزير » مشتقة من « الوزر » وهو الحمل يراد أنه يحمل من الأمور مثل الأوزار ، ويقال للإثم : وزر تشبيهاً ، له بالحمل على الظهر . قال الله تبارك وتعالى : « ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك » .

هذا محتاج إلى ذاك

• كان يقال : المنظر محتاج إلى القبول ، والحسب محتاج إلى الأدب ، والسرور محتاج إلى الأمن ، والقرابة محتاجة إلى المودة ، والمعرفة محتاجة إلى التجارب ، والشرف محتاج إلى التواضع ، والنجدة محتاجة إلى الجد .

اقرأ بسرعة

• احذر غضب الضعيف .

• كلما تعمقنا في الدرس ازددنا ثقة بجهلنا .

• الحرب أولها الكلام .

• النصر مع الصبر .

• شر المال مالا ينفق منه .

• من ظهر غضبه قل كيده .

لفظ « عرب »

• أقدم نص ورد فيه لفظ « عرب » هو نص أشوري يعود إلى عهد الملك شلمنصر الثالث ملك أشور فيما بين ٨٥٩ حتى ٨٢٤ قبل الميلاد ، وكان النص يقصد من وراء هذا اللفظ الإشارة إلى المقاطعة الكائنة في البادية المتاخمة للحدود الغربية الأشورية .

الإنسان .. والمال

• إذا جرى الرجل وراء جمع المال سمي جشعاً : وإذا جمعه سمي رأسمالياً ، وإذا صرفه سمي مبذراً ، أما إذا لم يحصل عليه فإنه الانسان الفاشل ، وإذا لم يحاول الحصول عليه فإنه القليل الطموح ، وإذا نجح في جمعه بعد جهاد استغرق معظم عمره ، سمي مجنوناً !

في خزائن الله

• وقف معاوية يخطب في الناس ، فقال :

— إن الله تعالى يقول : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

فلماذا تلومونني إذا قصرت في عطاياكم ؟

ونهض من بين الحاضرين أعرابي خشن الثياب ، واندفع يقول :

— نحن لا نلومك على ما في خزائن الله ، وإنما نلومك على ماأنزل الله لنا من خزائنه ، فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه .

تفسير كريم

• قالت بنت عبدالله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبد الرحمن ، ذات يوم ، وكان أجود قريش في زمانه : ما رأيت قوماً ألأم من إخوانك ! قال : ولم ذلك ؟ قالت : إراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك .. !

قال : هذا والله من كرمهم . يأتوننا في حال القوة بنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف مناعنهم .. !

فشل في الحب واعتزل الفن

• قرر الممثل الشهير « موريس شيفالييه » اعتزال التمثيل ، بعد أن بلغ السبعين من عمره ، وعمل على المسرح فترة تزيد على الربع قرن .. وقد تنازل أخيراً عن معظم أمواله وممتلكاته لحفيدته الوحيدة .

وفي هذه المناسبة قال « شيفالييه » للصحفيين : لقد عشت أيامي كما يجب وحققت كل آمالي في الحياة . ولكنني فشلت في الحب وأخطأت عندما آثرت العزوبة .. قولوا للشباب إن الحب هو جوهرة الحياة .. وأن لا حياة بغير حب . فليغتنموا الفرصة قبل أن تضيع .

طائر لا يؤمن بتعدد الزوجات

• ١٠٠ ألف يعشقون تربية الحمام في أنحاء العالم وفي باريس تكونت جمعية لهواة الطيور .. يسافر أعضاؤها إلى مختلف أنحاء العالم لاقتناء أنواع الحمام . والحمام طائر مخلص يكتفي بأنثى واحدة ولا يعترف بتعدد الزوجات .. والحمامة تعيش إلى ١٥ عاماً وتستطيع أن تقطع ٥٠٠ ألف كيلو متر دون أن تتعب أو تتوقف عن الطيران !

حلمي التوني
فنان يُحَــوّل المطبوعات الى لوحـــات

بقلم: صبحي الشاروني

الفنان حلمي التوني واحد من سلسلة المبدعين بميدان تصميم الأغلفة ، وتنسيق صفحات المطبوعات ، تلك السلسلة التي تبدأ بالفنان الرائد عبدالسلام الشريف مروراً بالفنان عبدالغني أبوالعنين والراحل حسن فؤاد وغيرهم من أقطاب هذا الميدان .



امرأة في نافذة
(١٩٨٥)

في جلسة جمعتني مع رسامي الأغلفة والعاملين بالاخراج الفني لمطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، قال أحدهم في أسى : ان عملنا لايحظى بتقدير النقاد .. فكتاباتكم تتركز على رسامي اللوحات ، بينما تصميم ورسم الأغلفة والملصقات وفنون الاخراج الصحفي لا تحظى بأي نصيب من اهتمامكم .

ووجدتني أندفع موضحاً لهؤلاء الشباب أن عملهم الفني يدخل في صميم « فن اليوم » ، وأن له مكانة خاصة بين « فنون العصر الحاضر » وهي الفنون التي تلعب دوراً مباشراً وحقيقياً في الحياة اليومية ..

وأوضحت وجهة نظري التي تتعلق بأن جميع الانتاج الذي يقدم في معارض الفنانين هو كتجارب العالم في المعمل .. لاقيمة لها إلا إذا طبقت احدى شركات الانتاج نتائج هذه التجارب ، وقدمتها للمستهلكين بشكل نافع . وهو كمخطوط الكاتب ، يظل محصوراً وحبيساً حتى تتلقفه المطبعة (الآلة) ليتحول إلى كتاب أو مطبوع متاح للآلاف والملايين .. وهو كسيناريو الفيلم السينمائي ان لم يتم اخراجه وإدارته في « آلات » العرض بدور السينما لايحقق أثره أو يأخذ شكله النهائي ..

وفنون الكتاب والاخراج الصحفي هي أحد



غلاف كتاب للأطفال (١٩٨٣)



زائرة من أوائل القرن العشرين (١٩٨٥)



الفنان حلمي التوني

حلمي التوني

الأشكال التطبيقية للتجارب الجمالية التي تملأ قاعات العرض.

وإذا كان النقاد يهتمون بلوحات المعارض فلأن هذا هو منفذها للوصول إلى الجمهور الأوسع، وربما تخطت من خلال النشر بعض حاجز انفصالها عن «الآلة» وهي لهذا أقل حظاً - رغم اهتمام النقاد بها - من فنون الكتاب وغيرها من المجالات التشكيلية المرتبطة بالآلات والمؤثرة تأثيراً مباشراً على مستوى التذوق الفني لدى الجمهور.

فنان من «تونا الجبل»

والفنان حلمي التوني هو واحد من سلسلة المبدعين بميدان تصميم الأغلفة وتنسيق صفحات المطبوعات، تلك السلسلة التي تبدأ بالفنان الرائد عبدالسلام الشريف مروراً بالفنان عبدالغني أبوالعنين والراحل حسن فؤاد وغيرهم من أقطاب هذا الميدان.

ولد الفنان حلمي التوني في أول مايو عام ١٩٣٤ بمدينة بني سويف، بينما أسرته تنتمي إلى قرية «تونا الجبل» بمحافظة «المنيا»، وهي تقع على حافة الشريط الأخضر ملامسة للصحراء الغربية، يقصدها السياح ومحبو الآثار القديمة لمشاهدة ماتبقى بها من مقابر وعلامات الحضارة المتخلفة عن فترة الحكم الروماني لمصر منذ ألفي عام. ولهذا سمي «التوني» نسبة إلى القرية التي خرجت منها أسرته.

كان والده «مهندس مدني» يقيم الجسور والطرق، أشرف على اقامة طريق «القاهرة - الأسكندرية» «الصحراوي» و«مطار الدخيلة» والعديد من المشروعات المماثلة، فقد كان مهندساً متجولاً..

في طفولته كان يقضي معظم وقته في الرسم ويلفت نظر الأهل والأقارب إلى قدراته، فيثير زهوهم بين الأصدقاء أحياناً، وأحياناً أخرى تأنيبهم وزجرهم لاهداره الوقت في هوايته بدلاً من دراسته.

عندما كان في السادسة من عمره، وهو يتأهب لدخول المدرسة الابتدائية أحضر له والده لوحاً صغيراً من الاردواز الأسود وبضعة أصابع من الطباشير الأبيض ليتعلم مبادئ الكتابة والحساب.

في ذلك الوقت كان له عم طالب في كلية الزراعة بالسنة النهائية وكان يحضر إلى بيتهم لاستذكار دروسه مصطحباً كتبه الحافلة بصور الحيوانات والنباتات التي تلفت نظر الصبي الصغير وتستحوذ على اهتمامه أكثر من حروف الهجاء وأرقام الحساب.

وذات يوم دخل والد حلمي الغرفة ليجد على لوح الاردواز رسماً بالطباشير لبقرة.. فتأمل الرسم برهة ثم تساءل عمن رسمه، وأجاب حلمي: أنا.. خرج الوالد من الغرفة فبدأ الصبي يتوجس، وخاف أن يكون قد أخطأ، وتوقع أن يعود والده ومعه عصا أو ماشابه ذلك لعقابه، ولكن الوالد عاد مع العم طالب الزراعة، وقال له: تأمل هذا اللوح، لقد رسم حلمي هذه البقرة، بينما أنت لاتستطيع أن ترسم مثلها.

وكان هذا الموقف الذي لاينسى حافزاً ومشجعاً لمواصلة الرسم ثم اختياره ليكون مهنته فيما بعد.

«الهندسة» ومهنة الأسرة

خلال الدراسة الثانوية انغمس في الاضرابات والمظاهرات وكان ينتقل من مدرسة إلى مدرسة.. كانت سنوات ضياع، فأصرت الأسرة على الحاقه بالمدرسة الثانوية العسكرية لكن المدرسة رفضت قبوله في الكشف الطبي بسبب «التهاب اللوزتين» ورفض أن يستأصلهما خشية أن يموت أثناء الجراحة.. وهذا الخوف من الموت والوسوسة من المرض لازالت تلازمه إلى اليوم حتى بعد سنوات المغامرة والحياة على حافة الموت في بيروت.

وتوفى والده عندما كان عمره ١٦ سنة، كان في السنة الثالثة الثانوية، وحدث تغير كامل في حياته.. التلميذ المستهتر الذي يهرب من المدرسة ويقترض بضمان دراجته لكي يركب قارباً في النيل أو دراجة بخارية.. هذا التلميذ المستهتر تحول إلى طالب مثالي، فقد غيرت صدمة وفاة الأب مجرى حياته. وفي امتحان الثانوية العامة حصل على مجموع مرتفع، فتقدم للالتحاق بكلية الفنون الجميلة.

هذا الأمر لم تكن له سابقة في تاريخ الأسرة، فهو ينتمي إلى عائلة كلها من المهندسين أخوه: الأكبر مهندس الكترونيات، والأصغر مهندس معماري، والباقون: الأعمام والأخوال وأزواج اخواته وخالاته وعماته: مهندسون زراعيون وكيماويون ومهندسو هيدروليكا وجيولوجيا والكترونيات... وغيرها من التخصصات الهندسية، ومن المفروض أن يختار «حلمي» أحد هذه التخصصات لدراسته الجامعية.

ووقفوا موقف الرفض والاعتراض على أن تتحول «الهواية» إلى «احتراف». كانت رغبتهم تتركز في أن يلتحق بكلية الزراعة فيسمي مهندساً زراعياً ليرعى أرض والدته التي كانت تشرف على أوقاف أسرتها، فهي سليلة «اسماعيل صديق المفتش» وزير مالية الخديوي.

فاجتمعت العائلة لبحث هذا الموقف الذي يهدد بناء العائلة وتقاليدها ويشكل شذوذاً وخروجاً عن مهنة الأسرة: لكن حلمي يواصل اصراره، ولا يدافع عن موقفه سوى زوج احدى عماته، وهو مهندس زراعي أيضاً، الذي قال: دعوه يكون رساماً جيداً فهذا خير من أن يكون مهندساً فاشلاً. وبكثير من العناد بدأ الدراسة في كلية الفنون الجميلة.

ويعترف الفنان أن اتجاه الأسرة إلى الهندسة كان له أثره عليه، فعندما التحق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٥٣ اختار قسم هندسة الديكور (الفنون الزخرفية) لتخصصه وكان هذا الاختيار يتضمن التوفيق الضمني اللاشعوري بين رغبته ورغبة الأسرة. وكان متفوقاً في دراسته إلى حد أنه كان يقوم بشرح دروس التشريح وقواعد علم المنظور لبعض زملاء الدراسة.

كانت سنواته في كلية الفنون الجميلة من أسعد فترات حياته، خلالها عايش الفن معايشة كاملة حيث كان يمضي نهاره وأغلب ليله بين جدران الكلية.. لم يترك مسابقة أو معرضاً جماعياً إلا واشترك فيه.. بالاضافة إلى ممارسته للرياضة البدنية.

الرسم في الصحافة

وقبل تخرجه بعامين بدأ يرسم للمجلات الأسبوعية ويندمج في ميدان الاخراج الصحفي، وكأنه يرد على اعتراض الأهل ويثبت لهم أن الفن يمكن أن يكون مفيداً..

وينشر أول رسم وعليه التوقيع لافتاً لأنظار القراء لشيء خاص فيه.. ثم يتوالى النجاح «العملي» سريعاً.

كان مشروع التخرج الذي حصل على درجة البكالوريوس في هندسة الديكور يدور حول تصميم ديكورات وملابس مسرحية

« ايزيس » لتوفيق الحكيم ، وكان يتصور أن العمل المسرحي سيتحول إلى باليه راقص من ستة فصول .. وحصل على درجة الامتياز عند تخرجه عام ١٩٥٨ ، وافتتح مكتباً للديكور أفلس بعد ثلاثة أشهر ، لأنه كان ينفق ما يكسبه من الرسم الصحفي على هذا المكتب . ووصله عام ١٩٥٩ خطاب ترشيحه في بعثة لدراسة فنون التصميم المسرحي والسينمائي (الشينوجرافي) في أكاديمية « اسكالا دي ميلانو » الشهيرة بايطاليا .. لكنه رفض هذه البعثة لارتباطه الفعلي بالعمل الصحفي منذ عام ١٩٥٦ وميله إلى هذا العمل أكثر من العمل في ديكور المسرح .. وقد عمل مشرفاً على مجلات دار الهلال يصمم الأغلفة ويضع الرسوم التوضيحية وينسق المواد الصحفية على صفحات مجلاتها .. في ذلك الوقت توقف عن رسم اللوحات الزيتية وانصرف تماماً للنشاط « الجرافيكي » بعد أن حصل على العديد من الجوائز في المسابقات العامة من معرض صالون القاهرة السنوي ، ومعرض القطن ، ومسابقات تصميم الطوابع البريدية والرسم للأطفال ، وبدأ نشاطه في مسرح العرائس .

شكوكو ـ هجرس ـ التوني

كان الفنان صلاح جاهين قد ابتدع شخصية « صحصح » ، فقام حلمي التوني بتصميم شخصيات مسرحية « صحصح لما ينجح » وقد نجحت هذه المسرحية ولاقت شخصية « صحصح » نجاحاً كبيراً بين الأطفال .. ولا يزال مسرح العرائس في القاهرة يقدمها في روايات مختلفة حتى الآن .

وعندما اتجه « محمود شكوكو » فنان الأغاني الفكاهية إلى عمل مسرح « الأراجوز » طلب من حلمي التوني التعاون معه لاقامة مسرح للأطفال ..فكان يغني في المسارح والنوادي الليلية والأفراح لكي ينفق ما يكسبه على مسرحه للأطفال ، وكان حلمي التوني يضع التصميمات والنحات هجرس ينفذها منحوته على الخشب وكانا يجلسان في بيته بحي « القبة » حتى الثالثة صباحاً في انتظار عودته من جولته بين مسارح القاهرة وسهراتها ليناقشوا معاً موضوع مسرح العرائس والأراجوز الذي استأجر له مسرحاً خاصاً هو المعروف باسم « مسرح سينما متروبول » ، ثم اتجه إلى خيال الظل .. وحقق حلمي التوني والنحات هجرس خيال الظل الملون ، وقد استأجر شكوكو مركباً عائماً في النيل ليقدم عليه للجمهور عروضه .. وقد انفق « شكوكو » على هذه الأحلام الفنية كل مدخراته .

ومع هذا لم يهمل الفنان هوايته الأولى وهي الفن الصحفي والذي ارتبط به منذ عام ١٩٥٦ قبل تخرجه ، فقد كان هذا الميدان بالنسبة له هو المكان الأوسع لمخاطبة الجماهير والتأثير على ذوقها .. عمل في مجلة الكواكب الفنية الاسبوعية ، ثم تولى الاشراف الفني على مجلة « المصور » السياسية ، ثم أصبح مشرفاً فنياً على مطبوعات دار الهلال ، ورسم في مجلتي « سمير » و « ميكي » الموجهتين للأطفال والناشئة .. كما وضع تصميم مشروع المجلة الطبية « طبيبك الخاص » .

وفي نفس الوقت ساهم حلمي التوني في اخراج مجلة « المسرح والسينما » وبعض مجلات الأقاليم .. واستمر يمارس هذا الدور في الصحافة المصرية حتى ١٩٧٣

وفي مجال تصميم الملصقات الحائطية نفذ الفنان ملصقات الدعاية لمسرحتي : « حلاق بغداد » ، و « على جناح التبريزي وتابعه قفه » تأليف ألفريد فرج وكذلك مسرحية « التفاحة والجمجمة » لمحمد عفيفي بالاضافة إلى الملصقات الحائطية لفيلم « الحرام » بطولة فاتن حمامه ، ثم مسرحية « الينبوع » في الأردن ، بالاضافة إلى عدة ملصقات في بيروت .

وقد أقيم معرض لمجموعة من لوحاته وملصقاته في قصور الثقافة التابعة للثقافة الجماهيرية في صعيد مصر ، حيث طاف بعواصم المحافظات ، فشاهد أبناء الريف أعماله الفنية وتعرفوا على انتاجه ، وكان منهم من لم يشاهد عملاً فنياً في حياته .

فن اخراج الصحيفة والمجلة والكتاب

وينتقل نشاطه إلى عالم الكتاب : تصميم الأغلفة وتنسيق الصفحات ، فساهم مساهمته الملحوظة للنهوض بهذا الفن . وتشاء الظروف أن ينتقل إلى بيروت عاصمة النشر يومئذ .. وتستمر الرحلة ..

استطاع الفنان أن يؤثر بشكل واضح على مستوى الاخراج الصحفي في العالم العربي .. كان يرى أن معظم الذين سبقوه في هذا الميدان ينظرون إلى الاخراج الصحفي باعتباره عملية تزويق وتزيين .. كان أشبه بتوزيع مجموعة من الزهور حول الصفحة في الجريدة أو المجلة ، وأحس أن مهمة الاخراج الصحفي تتجاوز هذه الحدود ، إنها في رأيه تشبه عملية تحويل النص الأدبي إلى عمل سينمائي على يد المخرج .. إنه التعبير بالشكل عن موضوع ومضمون المادة الصحفية .

فالمخرج الصحفي يبدأ بتحديد المواد المختلفة ونوعيتها ، ويحدد أهمية وحجم كل نوع من المادة ثم يضع خطته للتعبير عن كل جانب باسلوب خاص ومتميز يهتم بالدرجة الأولى بابراز الموضوع .. ان الاخراج الصحفي يتطلب نفس الاحساس الجمالي الذي يمارس به الفنان رسم لوحاته الزيتية .. فصفحة المجلة أو الصفحتين المتقابلتين يتحتم النظر إليهما كما ينظر الفنان إلى لوحته الفنية باخضاعهما لمقاييس العمل الفني الكامل .. من حيث عناصر الحركة والمساحة والخط والدرجات اللونية .. ويراعى مع كل هذا سهولة قراءة الموضوع ووصول المعنى المراد إلى القارئ .. فالهدف من الاخراج الصحفي هو التعبير بالشكل عن مضمون المادة الصحفية . وليس مجرد تزيين الكلام .

أما الغلاف فهو ليس ترجمة حرفية للنص أو الموقف ، وإنما على الفنان أن يتخذ أحد طريقتين : الأولى هي أن يعبر عن الروح العامة للفكرة الأساسية في الكتاب والثانية هي أن يقدم عملاً فنياً موازياً في ثقله للعمل الأدبي أو فكرة الكتاب .. يأتي بعد ذلك موضوع المزاوجة بين الرسم والاخراج الصحفي بمعنى ادخال الرسم في النص وادخال النص في الرسم بحيث تتم المزاوجة بينهما .

والغلاف الناجح لابد أن تتوفر فيه عدة شروط.. بحيث ينجح في لفت النظر واجتذاب عين عابر الطريق وسط منافسة بقية الكتب المعروضة .. ثم التعبير عن مضمون الكتاب إجمالاً ، بحيث يكون الغلاف عملية خلق اضافية ، وذلك بالبعد عن الترجمة الحرفية ، وتأكيد شخصية التعبير التشكيلي في حالة القصة أو الرواية مثلاً مع البعد عن التقاط مشهد من بين السطور وتسجيله بالرسم ، ولكن محاولة تصوير مجمل الموقف الانساني للعمل الأدبي ، وهذا يتطلب إدراك حدود الامكانيات الطباعية ومراعاتها ، حتى يمكن الخروج بأحسن نتيجة في ظل الظروف المتاحة .

البحث عن زقاق المدق

ويفخر الفنان بأن أستاذه في هذا الميدان هو الفنان الرائد عبدالسلام الشريف .. ويحكي عن علاقته بأستاذه التي بدأت وهو طالب في الفنون الجميلة .. طلب الأستاذ من تلاميذه وضع تصميم الغلاف ومجموعة من الرسوم

حلمي التوني

لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ، وكان توجيهه أكاديمياً واعياً.. بدأ بالبحث عن زقاق المدق في القاهرة القديمة لمشاهدة البيوت والسكان على الطبيعة وعمل الرسوم السريعة للموقع، هكذا بدأت أول خطوة في طريق الرسم الصحفي بمعناه العلمي السليم، لقد أحب حلمي التوني الصحافة وشغف بها من ذلك الوقت.

لقيت رسومه اقبالاً شديداً من الناشرين في القاهرة وبيروت، كانوا يرون رسومه على أغلفة روايات وكتاب الهلال فيبحثون عنه ويطلبون منه وضع رسوم الأغلفة لكتبهم فكان يرسم للناشرين اللبنانيين وهو في القاهرة، ويبلغ عدد الأغلفة التي وضع تصميماتها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب، هذا بخلاف الكتب التي صممها للأصدقاء.. ولاشك أن دور هذا الفنان كان له تأثيره على حركة النشر في بيروت التي خفضت من اندفاعها نحو الأغلفة التجارية، وظهر من يقلدون أسلوبه وطريقة كتابته للخطوط والعناوين.

فعندما سافر إلى بيروت عام ١٩٧٤ اكتشف أن اسمه معروف على مستوى واسع، وكأن الناس في انتظاره، فعمل في المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وكانت تملك من الامكانيات الطباعية ما أتاح للفنان فرصة تقديم أعماله في الاطار المناسب.. وكانت بيروت خلال النصف الأول من السبعينات هي عاصمة النشاط الثقافي ومعارض الكتاب وقاعات عرض الأعمال الفنية التي بلغ عددها ٦٠ قاعة (جالاري).

سنوات التألق

وأقام الفنان معرضاً للوحاته الزيتية عام ١٩٧٥ في بيروت قدم فيه ٤٠ لوحة بيعت كلها في يوم الافتتاح واليوم التالي.. ومع هذا لم يتفرغ لرسم اللوحات الزيتية وواصل مهمته في فنون الكتاب والصحافة حتى أصبح علماً من أعلام هذا الميدان. فأرسلت إليه منظمة اليونيسيف التابعة للأمم المتحدة عن طريق حفيدة «جورجي زيدان».. فوضع كتاباً من تأليفه ورسمه واخراجه للأطفال يتضمن القيم التربوية والفنية بالاضافة إلى طابعه الترفيهي فصدر باسم «ماذا يريد سالم».. وبينما كان اهتمام منظمة اليونيسيف ينصب على الإحتياجات المادية للطفل إلا أن الفنان يؤمن أن احتياجات الطفل ليست مادية فقط وإنما معنوية وفكرية أيضاً وقد عمل على إبراز ذلك في كتابه.

لقد طبع هذا الكتاب بلغات الأمم المتحدة الست الرسمية في ذلك الوقت وبلغ عدد نسخها مئات الألوف، ووزع في جميع أنحاء العالم حتى نهاية أمريكا اللاتينية وأواسط آسيا.

وفي عام ١٩٧٩، العام الدولي للطفل صمم الفنان ملصقاً فاز عنه بجائزة اليونيسيف.. لقد كتب عليه شعاراً بالعربية يقول: «الأطفال أحباب الله» وقد نجح نجاحاً هائلاً لشدة بساطته.

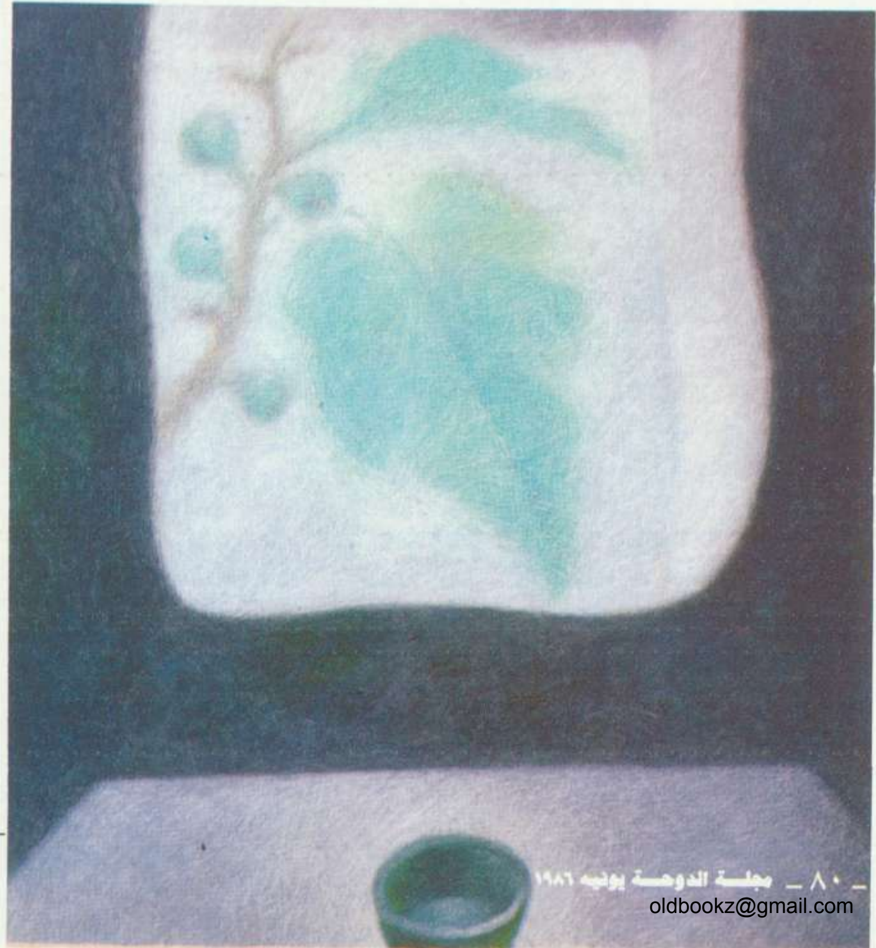
وفي معرض بيروت الدولي للكتاب خاض مسابقة حول فن تصميم واخراج الكتاب ففاز بالجائزة الأولى ثلاث سنوات متتالية ١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٧٩، وفي العام الرابع طلب منه القائمون على المعرض أن يشارك في التحكيم بدلاً من الاشتراك في المسابقة.. وفي عام ١٩٨١ فاز بميدالية معرض «لايبزج» للكتاب الذي يقام مرة كل ٦ سنوات.

حصار بيروت

في يونيه عام ١٩٨٢ بدأت أول غارة على بيروت ثم توالت الغارات بعد ٢٠ يوماً من الحصار الذي استمر ثلاثة أشهر.. وأصيب منزل الفنان الذي عاد إليه بعد نصف ساعة من الانفجار الذي أحدث ثقباً في أحد جدران شقته.. لكن الفنان واصل حياته بعد أن أخفى الثقب باحدى لوحاته.. وقد أجبره حصار بيروت على ملازمة منزله حتى سمح له بالخروج عبر الحصار ليتوجه إلى دمشق ومنها إلى القاهرة في نهاية أغسطس عام ١٩٨٢ لكنه عاد إلى بيروت وأعاد بناء البيت وواصل العمل حتى عاد إلى مصر نهائياً عام ١٩٨٥

كان العمل الفني عند الفنان أثناء الحصار هو رد فعل لإحساسه أن ضرب بيروت هو محاولة لضرب الحضارة العربية، والفن هو جزء من الجسم الرئيسي للحضارة العربية.. لقد كانت بيروت بالنسبة للفنان هي العاصمة التي صمدت للحصار بعد حصار عكا.. ورغم الجوع والعطش إلا أنه أحس بنوع من التسامي والفدائية ممتلئاً بالشعور أنه أقوى من الحصار، متنبهاً إلى جذور حضارته الثابتة وإلى تماسك الهوية العربية، فأعاد في تلك الفترة دراسة تاريخ الفن العربي والإسلامي ليكتشف أن معلوماته كانت سطحية ومحدودة، وقرأ أمهات الكتب عن الفنون

شجرة التين (١٩٨٥)



والعمارة الاسلامية وفي نفس الوقت كان لديه مخطوط دفعته إليه إحدى دور النشر اسمه ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي .. فرسم ١٠٠ صورة لمائة قصة من التراث العربي فجمع بين التحصيل والتطبيق.

وأخيراً بعد أن عاش حياة ملتزمة بدأت بصوت أبيه الآمر، ومروراً بآلات الطباعة التي تفرض على الفنان احترام امكانياتها ومواعيدها .. بعد سنوات من الالتزام بالثقافة الوطنية والالتزام أمام المتلقي، وما يترتب على هذا من حدود يفرضها الفنان على نفسه، فجأة أحس أن وجدانه يحتاج إلى يقظة وأنه بحاجة إلى درجة من الارتخاء والتراخي، فعاد إلى رسم اللوحات الزيتية مقرراً ألاّ يلتزم بقرار، وترك لوجدانه العنان متخلصاً من كل القيود والحدود والضوابط المسبقة، حتى الخبرات التكنيتيه بمعناها الذهني، وراح يرسم مايعن له من أشكال بغير موضوع مسبق أو تصميم أو أسلوب، فرسم مجموعة من اللوحات عرضها في نهاية عام ١٩٨٥ بالقاهرة وأعلن أن سعادته ولذاته الحسية أثناء رسم هذه اللوحات هي كل ماكان يهدف إليه ..

ظهرت في تلك اللوحات طيور ونوافذ، واستخدم الإضاءة من خلف الأشكال المرسومة فتعكس الضوء بعيداً عن عين المشاهد وأهتم باللمس واعطاء الاحساس بالخشونة في السطح .. وهذه الخشونة في نظره هي أحدى خصائص البيئة العربية في مقابل النعومة التي تسود حضارة الغرب، ويضرب مثلاً لذلك بخشونة الخشب في مواجهة نعومة البلاستك. وقد أوحى بهذه الخشونة عن طريق الايهام بالألوان الزيتية ولم يلجأ لتحقيق ذلك إلى خامات خشنة مثل الرمل أو الحصى.

لكن بيروت فيها نعومة فرنسية أوربية .. ولهذا لم يستخدم الفنان الأدوات والخامات الموجودة بوفرة في هذه المدينة حتى يحافظ على التقشف العربي ويعبر عن روح هذا التقشف في لوحاته، على سبيل المثال يستخدم فرشة واحدة لينجز بها لوحاته، كرد فعل للوفرة بمعنى تعدد الخامات .. إننا نحس هذا التقشف في ألوانه عندما يرسم اللوحات الزيتية، لكن طبيعته الرومانسية تغلب عليه في النهاية ويحرص على روح المغامرة والاكتشاف وخوض المجهول حتى لايتجمد فنه ويكرر نفسه أو ينتج على وتيرة واحدة فيسمى آخر مراحله الفنية التي بدأ يخوضها باسم «مرحلة الأبواب شبه المغلقة».

صبحي الشاروني

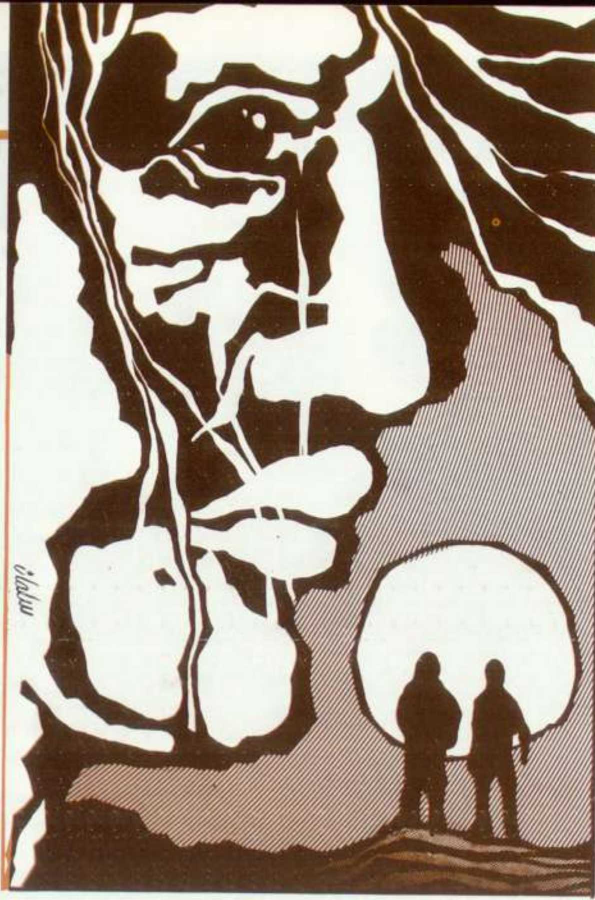


لوحة ما! (١٩٨٥)



الحلم (١٩٨٥)

قصة قصيرة



الدرس

بقلم: محمد زفزاف
الدار البيضاء

لا . أنا لم أتعمد قتل أحد . فرجل عجوز مثلي لا يمكنه أن يفعل ذلك ، إذ كلما كبر الإنسان في السن ازداد حكمة وصبراً وتسامحاً . أطلقت الرصاص من بندقية الصيد لكي أرهب الأطفال فقط . ولسوء حظه ولسوء حظي أن الرصاصة أصابت ذلك الطفل البائس . من هو البائس ؟ أنا أم هو ؟ على كل ، فهو قد راح واستراح . أما أنا فقد أصبحت مجرماً في سن السبعين ياليتني ما فعلت . ولكن هل تنفع « ياليت » الآن ؟ كل ما وقع قد وقع . غير أني لم أتعمد قتل أحد . أقتل مغربياً وأنا أحمل جنسية مغربية . بل إني كنت من الأوائل الذين اشتغلوا في إنشاء السكك الحديدية بالبلاد قبل حوالى نصف قرن . أعرف المغرب طولاً وعرضاً . أعرف القبائل والمداشر والزوايا والأنهار وكل شيء . وتشاء الظروف اليوم أن أصبح قاتلاً ، بعد ما عانيت من العزلة طيلة هذه السنوات الأخيرة . ماتت زوجتى قبل عشر سنوات . ولم نكن ننجب . فضلت أن تعود إلى مالطا لتموت هناك ، ولم تقبل الجنسية المغربية . أما أنا فقد أنقطعت جذوري بمالطا ، ولم يبق فى ذهنى منها سوى صور الماعز والبحر والفرسان . ترى لو أني عدت إلى مالطا . هل كان سيكتب عليّ أن أقتل طفلا هناك ؟ إنها مشيئة الله . كل الناس يعرفونني جيداً . لا يمكنني أن أقتل ولم يكن في نيتي أبداً إيذاء أحد . غير أن الأطفال كانوا يبالغون أحياناً ، عندما يقفزون فوق سور الفيلا . ويعيثون فسادا في الحديقة . بل ان أحدهم دخل عليّ ذات مرة من نافذة المطبخ وأنا أهيء فنجان قهوة . وهم ليسوا من أطفال الحي . بل يسكنون في بيوت الصفيح ، في حي باشكو ، ويقومون بغارات على حينا . صحيح أنهم فقراء وأنا أعرف ذلك جيداً ، وأنهم في حاجة إلى تفاحة أو إلى برتقاله من حديقة هذه الفيلا أو تلك . وبما أنني عشت طفولة قاسية مثلهم فأنا لم أفكر في قتل أحد . لطالما سرقت ما أقتات به عندما كنت طفلاً ، والانسان عندما يشعر بالجوع ، فانه يفعل ما لا يمكن تصوره من أجل الحصول على الخبز . تلك غريزة البقاء فبعض الحيوانات تأكل حتى صغارها عندما تجوع ، أقسم أنني لم أنو قتل أحد في حياتي قط . وإذا كنت قد قتلت عام ١٩٣٦ راعياً في قرية تمنار ، فذلك للدفاع عن النفس . لأن ذلك البربرى كاد أن يفاجئني بخنجره في ظهرى عندما خانه صوته وهو يقول بالبربرية :

ـ ما تسكرت ختمزيرت نخ أيرومي ؟
(ماذا تفعل في بلادنا أيها الأجنبي ؟)

غير أنه كتب عليّ أن أقتله دفاعا عن النفس ، إنها أيضاً غريزة البقاء ولم أعرف كيف استطعت أن أقتله . بل خيل لى أن مانويل آخر هو الذي قتله . يالمفارقات الحياة ! لكن هذه المرة لم أتعمد قتل الصبي . ولم أكن أحاول الدفاع عن النفس . فقط أردت أن أرعب الأطفال حتى يكفوا ولو قليلاً عن نهب الحديقة . وحتى لا يتطور نهبهم للحدائق الى نهب الفيلات . فالسارق يبدأ أولا بسرقة تفاحة في بستان ، ثم يتطور الأمر فيسرق البستان كله في نهاية الأمر . ذاك كان تصوري . وكنت أنوي زجرهم ، وأنبههم إلى أن ما يقدمون عليه سوف يؤدى بهم إلى الهلاك . غير أني فشلت في الدرس الذي أردت أن ألقنه لهم ، وشاءت الظروف أن أصبح قاتلاً . كل الناس يعرفون أنني لا يمكن أن أفعل ذلك . وهل من المعقول أن يقتل الانسان أخاه الانسان من أجل تفاحة أو برتقالة ؟ وحتى عميد الشرطة نفسه يعرفني جيداً ، وكثيرا ما شربنا شيئاً معاً في مقهى « غيوم تيل » . وقد تأسف كثيراً للحادث . وقال لى : إنه القدر يا مانويل . أنت رجل طيب ، وإنسان كبير القلب . لكن القانون فوق الجميع . وأضاف إذا كان القانون من صنع الانسان ، فهو في النهاية يصبح قيداً له . وقال لي أيضاً : تصور أن ما وقع لك ، يمكنه أن يقع لأيّ كان في العالم . المهم أنني سوف أقدم شهادة بحسن سلوكك إلى القضاء .

أنا الآن لم أعد أفهم شيئاً . أردت أن ألقن درساً للأطفال ، لكني تلقيت درساً قاسياً ، وفي وقت متأخر جداً ، في السبعين من العمر . ولا أدرى إن كانت الدروس تنفع في مثل هذا العمر يا لغرابة الحياة !

العاشق والزمن الملتهب

شعر: محمد الفايز

مـاذا سـتفقِـدُ منـهـا لـو تُغادرهـا
ومـا طـراواتُـهـا لـولا جـآذرهـا
رمتْ بك الـريحُ فـيـهـا والـرياحُ لـهـا
مـهـابـطٌ ولـهـا أيضاً معابـرهـا
مـالي أراهـمْ كـأنـي لا أرى لـهـمُ
حسـاً ولـيس لـهـم كـأسٌ وسـامـرهـا
لـم أدرِ عنـهـمْ ولـكنـي رأيت لـهـمْ
منـازلاً رُجمتْ أو قلَّ نـاصرهـا
كـأن أمـواتـهـم غزوٌ تقمّصهـمْ
وفـيـهـمُ الفتنـة الـكبـرىٰ ونـاشـرهـا
ولستُ أنـكـر أن القـادمـين إلى
تلك القُـرى أمـمٌ شـتـى عسـاكـرهـا
تخـالـطَ النـاس حـتـى صار كلهـمُ
عشـيـرةً أوبـهـا ذابتْ عشـائـرهـا
نعيش كل حَـروب النـاس أو حُشِـرت
بنـا الحـروب جمـيعاً أو مصادرهـا
وصارت الأرض كـالـبـيت الـذي عـتَقَتْ
جُـدرانُـه أو بـهـا شـيءٌ يُخـامـرهـا
كـأننـا نـتخطّـىٰ ألـف مـرحلةٍ
بسـاعـة لستَ تـدري مـا أواخـرهـا
يُـهـددون بحـربٍ وهـي قـاتمـةٌ
إن الحـروب كثـيـراتٌ محـاورهـا
مـاذا جنـى الـورد كيمـا يُحـرقـوه ومـا
جنتْ حـدائقُـه أو قـال طـائـرهـا
يـا راجمـاً بـيتَ سلمـى في قـذائفـه
ونـاسفـاً دورَ جـاراتٍ تُجـاورهـا
تجـاوزَ العالـمُ الآتـي رواسـبَـكـم
وشـبّـهـا فـيـكمُ حـربـاً يحـاصرهـا
والفـكـرُ في النـاس تشـذيبٌ لما تـركتْ
رواسبٌ ومفـاهـيـمٌ يُعاصرهـا

الكويت





مع اطلالة النفط على الأفق في الإمارات وشقيقاتها العربيات من دول الخليج ، انداحت رياح التغيير في المنطقة بلا هوادة ، فتبدلت الكثير من الحقائق ، وتغيرت المعالم وطرائق الحياة ، وتناول التغيير العقل والوجدان والضمير.

وفي إطار حركة التغيير الهائلة تلك ، إنتقل العديد من الأدوات والمعدات ، التي لازمت طرق الحياة التقليدية في البر والبحر ، ليستقر في المتاحف العديدة ، التي أقيمت في العديد من مدن الخليج .

وإذا كانت تلك هي القاعدة ، فإن استثناءً واحداً خرج عنها ، ليطل شامخاً ، معلناً قدرة إبداع العبقرية العربية على مواصلة البقاء والاستمرار ، واستثناء لاتستطيع العين أن تتجاهله ، ولا يملك القلب إلا أن يخفق له ، والوجدان إلا أن يرفرف حوله وهو « سفن الخليج التقليدية » .



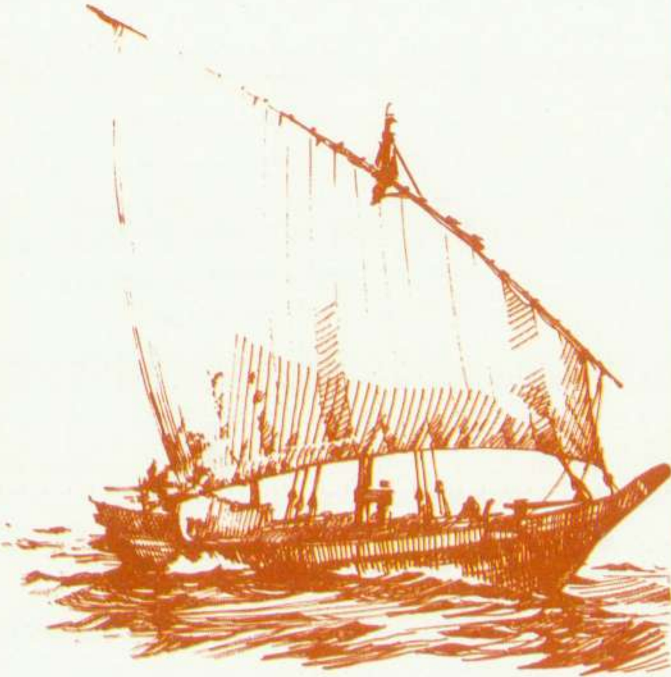
العبقرية العربية في سفن الخليج التقليدية

بقلم : كامل يوسف حسين

■ هذه السفن جابت بحار العالم ومحيطاته منذ ٤٥٠٠ سنة!

■ لماذا انسحبت الأيدي العربية بعيداً عن مشاق البحر ومخاطره؟





ولئن كانت هذه الكلمات الثلاث تختزل عالماً بكامله وتاريخاً بأسره، فإن البعض تنبأ بأن هذه السفن ستختفي، ولن يعود لها مكان في الحياة الاقتصادية لعصر النفط.

الآن لو أنك قدر لك أن تطل عبر دبي، لألفيتها هناك تتألق تحت الشمس، أو لو قادتك قدماك ـ أو بالأحرى سيارتك، مادمنا نتحدث عن عصر النفط ـ إلى شاطيء رأس الخيمة لوجدتها مواكب من العرائس تنساب عبر اليم.

ولكن إلى أي حد نستطيع أن نراهن على مستقبل سفننا التقليدية في الخليج واستمرار تألقها في عالم اتخذ من الصراع الدائب قانوناً رئيسياً له في معراج التطور؟

لعل نظرة على تاريخ هذه السفن هي المفتاح الصحيح للإجابة على هذا السؤال.

تاريخ ومعالم

الحقيقة الأساسية التي ينبغي أن نتذكرها هنا هي أن أقدم صورة متاحة لنا للسفينة العربية الخليجية يعود تاريخها إلى عام ١٢٣٧ ميلادية، وهي بوضوح شديد تصور سفينة «البوم» المعروفة لنا اليوم، فهناك المقدمة المميزة المنحدرة باستقامة، والدفة المعلقة على القائم الخلفي، فيما يجلس القبطان على الجزء المرتفع من السطح القريب من المؤخرة، بينما يعكف بحاران على نزح المياه، ويطل ستة تجار من نوافذ قمرات بنيت لهم فوق السطح.

ويؤكد المؤرخ البحري ديفيد هوارث أن السفن التقليدية الخليجية جابت بحار العالم ومحيطاته منذ ٤٥٠٠ سنة تقريباً، محافظة بدرجة مذهلة من الثبات على خصائصها والعديد من سماتها العامة ومعالمها.

وفي العصور الحديثة، يحدثنا العديد من المغامرين الأوروبيين عن السفن الخليجية التقليدية، والرحلات التي تقوم بها، إلى العراق شمالاً، وإلى الهند شرقاً، وإلى سواحل أفريقيا غرباً.

في عام ١٤٢٠ يحدثنا «نيقولودي كونتي» من البندقية عن رحلته، على متن سفينة خليجية، من بغداد مروراً بسواحل الخليج فالمحيط وصولاً إلى الصين. وفي القرن الخامس عشر يحدثنا «هيرو نيمو دي سان ستيفانو» من جنوا عن رحلته، على متن سفينة خليجية، إلى سومطرة. وفي منتصف القرن التاسع يحدثنا الانجليزي سير بارتل بريري عن سفينة خليجية، تحمل مالا يقل عن ٢٠٠ طن في رحلتها بين سواحل الخليج والهند. وبالأمس القريب حدثنا «سالم بن حسن بن عبدالله الشرهان» الذي يناهز عمره ثمانين عاماً، عن أنه قبل ١١ عاماً فحسب كان يجوب الطريق من الامارات إلى الهند، على متن إحدى هذه السفن التي أفنت القرون وما أفنى الدهر تألقها.

وإذا تجاوزنا هذه الاطلالة التاريخية، وتحدثنا عن معالم هذه السفن التقليدية التي عرف الخليج ما لا يقل عن ١٢ نوعاً منها، وكانت سواحل الامارات الشمالية مرابعها التي تنطلق منها لتعود إليها، وفيها تبنى وتصلح، وبخاصة في دبي ورأس الخيمة، لقلنا إنها جميعها تتصف بالبساطة

العبقرية العربية في سفن الخليج التقليدية

والتقشف ، الذي ربما كان المعادل البحري للتقشف الذي يسود الحياة العربية على البر .

أجيال من البناة العرب العظام أبدعت أيديهم من خشب الساج ، الهندي أساساً . سفن الخليج التقليدية ، فمن أطول كتلة من الساج تصنع العارضة الرئيسية ، الممتدة بطول قعر السفينة . وقد حرص هؤلاء البناة دوماً على أن تكون هذه العارضة من كتلة واحدة ، حتى حينما توافرت لهم الأدوات والمعرفة الفنية لوصل العوارض بالحديد ، ثم تضاف المقدمة والمؤخرة وأمشاج العوارض والسطح فالصواري والأشرعة . وقد مهر هؤلاء البناة في استخدام المحركات الحديثة ، لدى ظهورها في المنطقة ، بل وأبدعوا شكلاً محدداً خصيصاً ليتلاءم مع المحرك الحديث .

وهذه السفينة الخليجية التقليدية ، أياً كان نوعها ، في خدمة محتواها الوظيفي على الدوام ، فلا مجال للترف أو الرفاهية ، ولا موضع للحديث عن الخصوصية التي تكفلها القمرات المنفردة ، وكما كان لورنس العرب يقول عن أبناء شبه الجزيرة العربية إنهم يميلون إلى الحياة معاً ، ولايريد واحدهم ولايتوقع أن يطلب منه أن يحيا بمفرده ، فكذلك تسير الحياة على السفينة الخليجية .

وقد يقول متشكك في عبقرية بناة السفن العرب العظام ، كيف يمكن أن يغفل بناة السفن ، في رأس الخيمة مثلاً ، عن تصميم ما يكفل حماية البحارة والنوخذة من المطر وهم في رحلتهم الطويلة إلى الهند أو إلى ساحل افريقيا ، والرد البسيط على هذا هو أن بناة السفن لايبنونها في فراغ ، وإنما في ظروف موضوعية واضحة ومحددة ، حقاً انه ما من صانع سفن واحد في رأس الخيمة على سبيل المثال يستخدم رسومات مكتوبة للتصميم مسبقاً ، ولكن ماينتجه يأتي في النهاية نموذجا للابداع البحري العملي ، وعدم تصميم مأوى على السطح مرده أن هذه السفن تقضي موسم المطر القصير عادة في مرافئ الوطن ، بينما يكون الجو مثاليا خلال الرحلات ، التي يمتد بعضها إلى ستة أشهر ، والهواء دافئاً في الغالب ، مما يجعل السطح مكاناً مثالياً في تجرده وبساطته المتقشفة تلك .

وقد يعود متشكك في تلك العبقرية العربية فيطرح الاعتراض القديم ، الذي سبق أن طرحه « ماركو بولو » على هذه السفن ، وهو أنها كانت تصنع جميعها باستخدام السفن والحبال ، دون لجوء إلى المسامير . والواقع أن بناة السفن العربية في دبي ورأس الخيمة ومسقط وغيرها من مراكز الابداع البحري العربي بالمنطقة كانوا يبنون سفنهم على هذا النحو ، لأنه الأسلوب الأمثل وحتى حين عرفوا المسامير الحديدية ظلوا فترة طويلة يستخدمون الأسلوب التقليدي ، ذلك أن أقرب أماكن يجلب منها الحديد للمسامير كانت في الهند ، الأمر الذي يضاعف نفقات البناء ، كما أن إحلال الحبال الجديدة محل البالية أيسر ، ولاتحتاج السفينة إليه إلا مرة كل عام أو كل عدة أعوام بينما إحلال المسامير أكثر إضراراً بخشب الساج ، وتمس الحاجة إليه عدة مرات في السنة .

نقطة أخرى قد يطرحها البعض ، وهي الاشارة إلى أن تطوير سفن الخليج التقليدية تم تحت تأثير سفن الغزو البرتغالية وغيرها من سفن الهولنديين والانجليز ، وقد يصح هذا إلى حد ما ، ولكن لعلنا لاننسى أن التأثير كان متبادلاً بشكل ما ، فالمؤرخ البحري « هوارث » يشير إلى أن البرتغاليين نقلوا عن العرب الشراع مثلث الشكل ، الذي مكنهم من دفع سفنهم من بلادهم حتى اليابان باستغلال مواسم الرياح .

سفننا تقتحم المحيط

ليس الحديث عن الحياة البحرية للامارات بخاصة والسواحل العربية للخليج بعامة بالأمر اليسير أو السهل التناول ، فهذا الحديث يتناول في غمار مقاطعه مايدور بين قطبي الزوارق الصغيرة المصنوعة من النخيل والبغال الضخمة ، التي تقل أكثر من ٤٠ بحرياً كأفراد لطاقمها .

مع هذا فلعلنا لانقتحم الخطوط الحمراء للتبسيط المخل ، إذا ألمحنا سريعاً إلى بعض نوعيات سفننا التقليدية ، وفي مقدمتها :

١) البوم : أشهر السفن التقليدية في الخليج ، وأكثرها شيوعاً ، إلى الحد الذي أصبح يطلق معه على صدر أي سفينة ، وكذلك الشراع الصغير في صدرها ، اسم « بومية » . وتبنى بكاملها من خشب الساج الهندي ، وقاعها من كتلة واحدة من هذا الخشب ، والمقدمة من كتلة ثانية ، والمؤخرة من كتلة ثالثة . وهي مزدوجة النهاية ، والمقدمة والمؤخرة تميلان ، بحيث أن كتلة قعر السفينة لاتشكل إلا حوالي نصف اجمالي طول البوم . وللبوم سطح واحد منخفض على نحو توضع معه نصف حمولة السفينة على السطح ، وهناك سطح مرتفع عند مؤخرة البوم . والزخرفة الوحيدة الواضحة التي تميز البوم هي الامتداد الملموس والبارز من مؤخرته . وقد اكتسب البوم قيمة عملية هائلة باضافة محركات الديزل إليه ، مما جعله جزءاً لايتجزأ من تجارة إعادة التصدير في دبي عبر الخليج ، وإن كان العديد من هذه السفن يقوم برحلات إلى الهند والساحل الأفريقي أيضاً .

٢) البغلة : هي أضخم السفن التقليدية الخليجية على الاطلاق ، وقد يصل عدد بحارتها إلى ٤٠ بحاراً . ويقال إن البناة العرب استوحوا تصميمها من سفن الغزو البرتغالي للمنطقة ، تميزها عند النظرة الأولى ، ولغير الخبير بالحياة البحرية الخليجية ، مؤخرتها المربعة الضخمة المتميزة بنقوش محفورة في خشب الساج الذي تصنع منه . وهي تستخدم أساساً لحمل البضائع ، وقد تراجعت إلى حد الاختفاء من السواحل العربية تقريباً ، مفسحة الطريق لمنافسها العتيد « البوم » ، ربما في المقام الأول لأنها أكثر تكلفة من البوم .

٣) السنبوك ، ويقال لها كذلك السمبوك : سفينة ذات حجم متوسط ، لم يقدر لها قط أن تبنى في ضخامة البوم الكبير ، وهي من القدم بحيث وردت في رحلات ابن بطوطة باسم « الصنبوق » ويقول ابن بطوطة في معرض الحديث عن ظفار وأهلها : « ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب » . ولا نرى في السنبوك الحفر البارز الذي يجمل البغلة ، لكننا نرى بالمقابل ميلاً إلى استخدام ألوان الطلاء على نحو يفوق مانعرفه في أي سفينة تقليدية خليجية أخرى . والواقع أنه كلما اتجهنا غرباً على امتداد السواحل العربية ازداد ميل بناة السفن وبحارتها إلى استخدام الطلاء . وشأن البوم ، فإن السنبوك الذي نادراً مايبلغ طوله مائة قدم يستخدم في نقل البضائع والتجارة ، لكنه استخدم كذلك على امتداد قرون طويلة في نقل الحجاج إلى الأرض المقدسة ، مروراً بالبحر الأحمر ، ولا يزال حتى اليوم يستخدم في نقل الركاب من وإلى الساحل الأفريقي .

٤) الشوعي : سفينة صغيرة ذات حمولة محدودة ، ومع ذلك فإنها فيما يبدو كان بوسعها الوصول إلى بغداد ، حيث تعرف

هناك باسم « شويعي » . ويمكن القول دون مبالغة بأنها أكثر السفن الخليجية التقليدية جمالاً وجاذبية وتألقاً. وبوسع المرء أن يرى الشوعي وهي تحت البناء حتى اليوم في مراكز بناء السفن على شواطئ رأس الخيمة ، ويدهشك البناة العظام التقليديون هناك ، إذ يبنون مثل هذه السفن الجميلة من الذاكرة ، دون خط واحد على الورق .

ومن المهم أن نلاحظ أن الشوعي إذا مازود بالمحركات فإنه يمكن أن يتحول إلى يخت رائع ، وحتى دون إدخال أي تعديل على شراعه المثلث . ويمكن للعين غير الخبيرة أن تميز بنظرة واحدة الشوعي عن السنبوك من خلال المقارنة بين مقدمتي السفينتين ، فمقدمة السفينة الأخيرة ، السنبوك ، تتألف من انحناء مقعر واحد ، أما مقدمة الشوعي فهي تتألف من انحناء علوي مقعر وآخر سفلي مقعر بدوره ، كما أن الشوعي أميل إلى الصغر ، وغالباً ما يتراوح طوله حوالي الخمسين قدماً للنماذج الأكبر منه ، أما على الصعيد الوظيفي فيمكن القول بأن الشوعي قد يحمل البضائع في رحلات قريبة من الساحل ، ولعلك لاتدهش إذا رأيت شوعي في خور دبي وقد حمل سيارتين فوق سطحه ومع ذلك فإن الشوعي هو سفينة صيد أساساً .

٥) الزّراقة : سفينة صغيرة تتميز ، أساساً ، بسرعة حركتها ، التي لاتعرفها سفينة أخرى ، من سفن الخليج التقليدية . ويرى البعض أن الزرّاقة ربما كانت أقدم من البوم نفسه ، وإن كانت الآن أقل انتشاراً منه ومن السنبوك . ويمكن لمن يريد التعرف على الزرّاقة عن قرب أن يلقي نظرة على نموذج منها محفوظ الآن في فناء متحف دبي في قلعة الفهيدي ببر دبي .

٦) الجـالـبـوت : ويقـال كـذلك الجلبوت : سفينة تسير بالشراع وكذلك بالمجداف ، سريعة الحركة ، يقول عنها معجم الألفاظ العامية في دولة الامارات العربية المتحدة « قال الحنفي في معجم الألفاظ الكويتية : وقد خرّج بعضهم اسمها من والي بوت وهي سفينة هولندية وخرجت أيضاً من Jolly Boat ، أي سفينة النزهة بالانجليزية ولعل أصلها من Clipper وهو ربان السفينة بالانجليزية وقد وردت اللفظة في رحلة ابن جبير عام ١٨١٣ قال : « ركبنا الجلبة للعبور إلى جدة » . وقد يصل طول الجالبوت إلى ستين قدماً . ويمكن لغير الخبير أن يميزها على الفور ، لأنها السفينة الخليجية التقليدية التي لها مقدمة تنتصب عمودية على الماء .

٧) البلم : هو القارب الصغير من الزورق المحفور من الشجر مباشرة فصاعداً ، والمستخدم منه في الخليج حالياً يميل إلى الصغر ، ويبنى من خشب الساج ، ويستخدم في الصيد . وهو مسطح القعر وليس له كتلة قاع وإنما لوح أكبر في السُمك من باقي الأخشاب المستخدمة في صنعه ويضاف له محركان ، أحدهما صغير في مناطق الصيد ، والآخر كبير يستخدم في نقل القارب من المرفأ إلى منطقة الصيد والعكس . وهو يبنى في رأس الخيمة ودبي وغيرها من مناطق الإمارات في نفس مراكز بناء البوم والشوعي ، وإن كانت الرابطة الوحيدة التي تربطه شكلاً بالسفن التقليدية هي مقدمته .

وهناك العديد من أنواع السفن الأخرى ، التي يضيق المجال عن ذكرها هنا ، ومنها على سـبـيـل المثـال لاالحصر : الـبـتـيـل ، الزانقـيـة ،الصمعة ، الـبـيلي ، الجانحه ، البقارة ، وغيرها .

إلى أين من هنا ؟

التساؤل عن الطريق الذي تمضي فيه السفن التقليدية في الإمارات بخاصة والخليج بعامة يطرح علامة استفهام شائكة ، تكتنف الاجتهاد في الرد عليها هوامش ضخمة للخطأ . فقبل سنوات تنبأ كثيرون بأن هذه السفن ستغيب عن عالمنا لامحالة ، ومع ذلك فها هي تتقافز كالطيور البحرية على سواحلنا .

ورغم عنصر المغامرة هذا في اجابة السؤال ، قد نستطيع استشراق آفاق المستقبل من تأمل النقاط التالية :

أولاً : إن أنواعاً بعينها من السفن قد رحلت عن عالمنا نحو المغيب بالفعل ، وأصبح أقصى طموح لنا هو أن نحتفظ للأجيال المقبلة بنماذج محدودة لها فحسب ، فالبحار الفرنسي « آلان فييه » يحدثنا بأنه قبل الحرب العالمية الثانية كانت هناك أقل من خمسين بغلة ، وسالم بن حسن بن عبدالله كبير عائلة الشرهان بدولة الإمارات العربية يقول لنا إن اسرته وحدها تمتلك أربع بغال ، ولم يعد لها اليوم وجود في الامارات . لكن « ديفيد هوارث » يحمل لنا مايوشك أن يكون إشارة لإسدال ستارة النهاية على وجود هذا النوع في الخليج فيقول أنه لاوجود للبغال في السواحل العربية للخليج بأسرها ، عدا بغلة واحدة راسية أمام ساحل مسقط .

ثانياً : بالمقابل هناك أنواع أخرى تواصل البقاء في معركة الحياة اليومية . وفي مقدمتها البوم ، ولكن المحزن أنه باستثناء قلة من النواخذة والبناة العظام العرب فإن الأيدي العربية انسحبت من مجال بناء السفن التقليدية والعمل كبحرية على سطحها ، مفسحة المجال للأيدي الآسيوية ، وإذا كان لابد لكل حرفة في الدنيا ، لكي تبقى ، أجيال من المتدربين فإن هذا الميدان لم يعد يعرف المتدربين العرب كذي قبل ، حيث تتاح لهؤلاء على البر فرص مادية أفضل ، بعيداً عن مشاق البحر ومخاطره .

• : ثالثاً هناك اتجاه محمود الآن لإعادة أحياء جوانب من الحياة البحرية القديمة ، كالغوص على اللؤلؤ وغيره ، وهذا من شأنه أن ينعكس ايجاباً على حياة السفن التقليدية واستمرار بقائها . ولعل هذا يتدعم بتبني الهواة العرب للشوعي في رياضة اليخوت ، بدلاً من استخدام السفن الأوروبية أو اليابانية في هذه الرياضة ، كما هو الحال الآن .

• رابعاً: رغم الجهود الطيبة التي بذلها المسؤولون عن متحف دبي وغيره من متاحف المنطقة ، للحفاظ على نماذج من سفن الخليج ، فإن الوقت قد حان لكي يتم انشاء التعاون لاحتواء أكبر قدر ممكن من معالم الحياة البحرية العربية والحفاظ عليها للأجيال المقبلة .

لقد استطاعت سفننا أن تواصل الحياة والعطاء عبر عشرات القرون ومن المؤكد أنها بمزيد من الجهد منا ستستمر في الانطلاق عبر بحارنا رمزاً حياً للعبقرية العربية التي أفنت القرون وماتزال على صمودها .

كامل يوسف حسين

■ **هل غفل بُناة السّفن العظام في الخليج عن تصميم مايكفل حماية البحّارة من المطر في رحلاتهم الطويلة ؟**

■ **البرتغاليون نقلوا عن العرب الشراع مثلّث الشكل لدفع سفنهم من بلادهم حتى اليابان**

هكذا تكلم الرجل

أيقظني ابني الأصغر «كعب» في منتصف الليل وقال لي إن أربعة رجال، يبدو أنهم لصوص، اقتحموا البيت ودخلوا الإيوان.. أفزعني قوله وسألته لماذا أدخلتهم، فقال إنه سمع نَقْرهم على الباب، وما أن فتح حتى اندفعوا داخلين، ولم يستطع التحقُّق من شخصياتهم لأنهم ملثَّمون..

تناولت رمحي ودخلت الإيوان فرأيتهم وقوفاً.. لأول وهلة أحسست بأنهم من اللصوص بسبب ثيابهم الخشنة السوداء الغارقة في التراب.. تقدَّم مني أقصرهم قامة وأزاح اللثام عن وجهه وقال لي: أنا النُّعمان ياهانئ..

لو لم أكن رأيت النعمان بن المنذر أكثر من مرة، لما صدَّقت أن الذي يخاطبني هو ملك الحيرة.. إذ من غير المعقول أن يدخل أشهر ملوك العرب وأقواهم بيتي متسللاً هكذا في الخفاء.. ظللت لوقت طويل أحدِّق في وجهه ـ بنقاطه البيضاء الخفيفة ـ وهو يكلِّمني وأنا لاأعي مايقول.. أشرتُ إلى الفراش وقلت: «اجلس أيها الملك، أَبَيْتَ اللعن»، فقال لي: «إذا عرفت بأنك ستجيرني، جلست، وإلاّ دعني أبحث عن غيرك».. لم يجلس إلاّ بعد أن قلت له: «أنت جاري، جئت أهلاً، ونزلت سهلاً»، ثم أرسلت في طلب أخي وابني الأكبر «عاصم» وطلبت منهما أن يجلسا معهم، وتسللتُ إلى بيت ابن عمي «قيس بن خالد» وأيقظته من النوم.. أفضيتُ إليه بما حدث فلم يصدِّق حرفاً مما أقول.. قرَّب أنفه من فمي فحلفتُ له بأنني لم أذق خمراً.. حينئذ ارتاع «قيس» وقال لي إن الذي أقدمت عليه يعني هلاك الرجال وأسر النساء وخراب الديار، فنحن لاطاقة لنا على قتال كسرى، فقلت له إن النعمان استجار بي وسوف أجيره حتى لو لم يقف معي من قومي رجل واحد.. ثم قام قيس معي من ساعته ودخل على النعمان وعانقه وجلس بجواره وسأله عن السبب فروى القصة:

حينما توفي الملك المنذر بن ماء السماء ـ والد النُّعمان ـ كان له ثلاثة عشر ولداً، كل منهم يستحق أن يجلس على عرش أبيه.. فطلبهم كسرى للمثول بين يديه ليختار منهم واحداً.. وكان في بلاط كسرى رجلان من المترجمين العرب لهما نفوذ كبير.. أحدهما «عَدِيّ» وكان صديقاً للنعمان، والآخر ابن مارينا، وكان ينحاز لشقيقه «الأسود بن المنذر».. تنافس المترجمان فانتصر «عَدِيّ» ووضع كسرى التاج بيديه فوق رأس النعمان.. حينما أَحَسَّ ابن مارينا بالمكانة التي وصل إليها عديّ في بلاط النعمان، حسده.. فتقرَّب إلى النعمان بالهدايا والزيارات وحلو الحديث، ومضى، ومعه أعوانه، يفسدون مابين الصديقين.. يتصنعون البراءة، وهم يمدحون عَدِيّاً، ثم يدسّون كلمات يأخذون عليه فيها أنه يقول إن النعمان من صُنْعه، ولولاه لما كان ذا شأن، وتراكمت هذه الكلمات فتحوَّل قلب النعمان، ثم نجحوا في أن يزيِّفوا رسالة باسم عَدِيّ موجَّهة إلى أحد كبار موظفي القصر، حينما قرأها النعمان دخل في روعه أن (عَدِيّاً) يتآمر عليه، فلما جاء عديّ لزيارة الحيرة، أمر بزجه في السجن..

لكن النعمان ندم وعندما أراد أن يُخرج صديقه ويعتذر إليه، تواثب أعداء (عَدِيّ) وحذروه.. قالوا له لو أطلقته فسوف يكيد لك عند كسرى.. ونجح عديّ في أن يسرِّب من سجنه رسالة إلى شقيقه الذي يعمل في البلاط الفارسيّ.. وعرض الشقيق الرسالة على كسرى الذي كتب إلى النعمان يأمره باطلاق سراح (عَدِيّ).. ومرة أخرى وثب أعداء (عَدِيّ) يحذرون النعمان.. لو خرج عديّ بأمر كسرى لأهلكنا وأهلكك، ومازالوا به حتى وافق على قتله.. ولما جاء رسول كسرى قالوا له إن (عديا) مات قبل وصولك بأيام..

لكن شقيقه عند كسرى مضى يخطِّط لكي يثأر لشقيقه.. في نفس الوقت كان النعمان قد تكدَّر صَفْوُه.. قتل صديقه الذي أَحْسَنَ إليه بسبب وشايات لم يتحقَّق منها، فمضى يبحث عن ذريّة (عَدِيّ) حتى عرف بأن له ولداً يُسمى «زَيْد» فتبنّاه وأحضر إليه المعلمين حتى أجاد العربية والفارسية وآدابهما، ثم كتب رسالة إلى كسرى يطلب منه أن يُلحقه بالوظيفة التي كان يشغلها أبوه..

في بلاط كسرى انضم (زَيْد) إلى عمه ومضيا يخططان للانتقام من النعمان حتى حانت الفرصة..

كان من عادة الفرس أن يتزوجوا من الشعوب التي تتبعهم، لكنهم لايزوجون بناتهم إليها.. وقد تزوجوا من كل الأمم التي حولهم، لكنهم لم يتزوجوا من العرب ولم يفكروا في هذا.. وفي أيام كسرى أنوشروان ـ جَد كسرى الحالي ـ كان ملك الحيرة ـ المنذر الأكبر ـ قد أهدى جارية رومانية لأنو شروان وكتب معها رسالة يستعرض فيها فصاحته العربية:

«إني وجَّهتُ إلى الملك جارية معتدلةَ الخلق، نقَّيةَ اللون والثغر، بيضاء، قَمْراء، وَطْفاء، كَحْلاء، دَعْجاء، حَوْراء، عَيْناء، قَنْواء، شَمَّاء، أسيلة الخدّ، عظيمة الهامة، بعيدة مَهْوَى القُرْط، عَيْطاء، عريضة الصدر، ركينة، كريمة الخال، رأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة» وكلام آخر كثير مثل هذا، سُرَّ به أنوشروان وعُني بإثباته في سجلاّت دواوينه وأمر بالعمل به إذا أرادوا نساءً للأمراء، وتوارثها ملوك الفرس من بعده. وذات يوم أراد كسرى الحالي ـ أَبَرْوِيزُ بن هُرمُزْ ـ أن يبحث عن جوارٍ جميلات له ولأبناء الأسرة المالكة، فطلب من كاتبه أن ينقل الصفات التي في السجل ويرسلها إلى جميع الملوك الذين يخضعون له.. وهنا حانت الفرصة أمام (زَيْد) وعمه.. قالا لكسرى إن لدى النعمان أكثر من عشرين فتاة ـ من بناته وبنات إخوته ـ تنطبق عليهن هذه الصفات، وسوف يسعد إذا أرسلهن إليك!.. قالا هذا وهما يعرفان ـ كعربيَّيْن ـ أن العرب أيضاً ـ مثل الفرس ـ لايزوجون بناتهم ـ ولايهدونهن ـ للأقوام الأخرى..

كتب كسرى إلى النُّعمان يأمره بأن يرسل بناته وبنات أخوته لكي يتخذ لنفسه جارية ويوزع الباقيات على الأمراء! وهنا طلب زَيْد ـ بخبث ـ أن يذهب هو بالرسالة خوفاً من أن يعرض النعمان فتيات غيرهن، لأنه يعرف بنات النعمان بحكم نشأته في بيته.. كما طلب

الذي حمى بنات النعمان

بقلم: عبد الوهاب الأسواني



هكذا تكلم الرجل الذي حمى بنات النعمان

أن يذهب معه رجل فارسيّ يجيد العربية لكي ينقل الى كسرى كل كلمة يتفوّه بها النعمان ..

حينما قرأ النعمان الرسالة ، ظهر الغضب على وجهه وقال لزيد : ألم يجد كسرى في « مَهَا » فارس مايُرضيه حتى جاء يطلب بناتي ليتخذهن جواري ! ..

لم يفهم الرجل الفارسيّ الكلمة فسأل (زيد) بالفارسية : ما المَهَا ؟ ، فقال زَيْد : هي البَقَر ! .. ولاذ الفارسيّ بالصمت .

قال النعمان لزيد ــ وهو لا يعرف أن الآخر يجيد العربية ــ حاول أن تجعل كسرى ينسى هذا الأمر ، قل له ان بنات النعمان تزوجن ، أو أن ذريّته من الذكور ، واعتذر له عني .

عاد زيد الى كسرى وقال له ان هؤلاء العرب يتعالون عليك ويصفون عاصمتك بأنها سجن ، ويفضلون الحرية ــ كما يقولون ــ مع الجوع والعُري في الفيافي والقفار ، وسوف أترك صاحبي ينقل إليك ما قاله لأنني لا أقوى على ذلك !

سأل كسرى الرجل الفارسيّ ، فقال هذا ان النعمان قال : لا بنات عندي لكسرى ، وليبحث عمّن تُرضيه في (بَقَر) فارس !

تقلص وجه كسرى وقال : رُبَّ رجلٍ سعى الى خراب مُلكه بنفسه ..

وشاع هذا القول حتى وصل الى النعمان ، فظل لفترة يترقّب الشر ، ثم جاءته رسالة من كسرى يطلب منه المثول بين يديه ، فترك الديار وهام على وجهه يبحث في أحياء العرب عمّن يقبله لاجئاً .

• • •

عندما انتهى النعمان من سرد هذه القصة ، وكان الصبح قد طلع علينا ، قلت له : قد لَزِمَني ذِمامُك ، سوف أمْنَعك مما أمْنَع نفسي وأهلي وولدي منه ، مابقيَ من عشيرتي الأدْنَيْن رجل واحد ، مرحباً بملك العرب في دياره .

لكنه قاطعني قائلاً : كلا ياهانئُ بن مسعود .. ان ذلك سوف يهلكني ويهلككم يامعشر بني بكر ، فلا طاقة لكم على كسرى ، وأنا لا أرضى أن أعرضكم للفناء .. سوف أكتب الى كسرى أطلب منه العفو وأستأذنه في المثول بين يديه .

ــ لن تذهب الى كسرى ، ولن تبارح بيتي ، أبَيْتَ اللعن .

ــ اصغ الى ما أقول ياهانئُ .. ينبغي على الملك أن يعيش ملكاً لا أن يتحولّ الى سُوقَة .. ان صَفَحَ كسرى ، عُدت ملكاً عزيزاً ، وان أهلكني ، مِتُّ كريماً ، هذا خير من أن أعيش لاجئاً يَهزأُ بي السُّفهاء .

ــ ومادمت تنوي هذا ، فلماذا جئتني ؟

ــ جئتك لتحمي بناتي .. هُن مختبئات الآن في بيت رجل كنت قد أسديتُ إليه معروفاً .. ان وعدتني بحمايتهن ، أرسلتُ في طلبهن ..

ــ أنت تعرف إجابتي ، أبَيْتَ اللعن .

وكتب النعمان الى كسرى يعتذر إليه ، وبعث إليه بهدايا أكثرها من منسوجات اليمن المشهورة ذات الألوان المريحة ، وجاءت بنات النعمان الثلاث ، كبراهن ــ هِنْد ــ في سن ابنتي زينب ، معهن أربع من بنات أخوته ، فضلاً عن زوجته وواحدة من عمّاته أبَتْ أن تُفارق البنات .. وقال لي ان بقيَّة نساء الأسرة فضّلن الاقامة في الحيرة لأن بعضهن تزوّج وبعضهن الآخر لاخوف عليه ــ بحكم السن ــ لكن الخوف على العذارى السبع اللاتي لاتتجاوز كبراهن العشرين ، فادخلتهن بيتي ، وخلطتهن بزوجتي وبناتي ..

وأقام النعمان بيننا ، نعامله كأنه لازال ملكاً ، ونعتذر له عن خشونة فرشنا ، وكان سعيداً ، يقول إنه لم يكن يتوقع غير هذا ، وجاء رسوله حاملاً كتاباً من كسرى يطلب منه المثول بين يديه ، وكان في الكتاب كلاماً مطَمْئناً وقال لنا حامل الكتاب إنه لم ير عند كسرى مايسوء ، فاستبشرنا .

ارتدى النعمان ملابس الملوك ، ووضع التاج على رأسه ، وأسدل على كتفيه العباءة ذات القصب ، وركبنا معه أنا وعشرة من أبناء عمومتي ، وكان معنا الرجال الثلاثة الذين جاءوا معه ، وهم من بسطاء الناس ، فظللنا نسير بجواره من مطلع الشمس حتى مغيبها ، الى أن أوصلناه الى حدود أرضنا الشرقية .. توقَّف ليودِّعنا فتوقّفنا .. لكنه ظل ينظر الى وجهي لفترة طويلة ثم قال لي بصوت خالطته رعشة :

ــ ماذا عن بناتي ياهانئُ بن مسعود ؟

ــ لن يصل إليهن أحد حتى يصل الى بناتي ..

تعانقنا ونحن فوق جواديْنا ، ثم ركض بجواده ووقفنا لفترة ننظر في اتجاهه حتى تلاشى في الظلام ..

• • •

من عادتنا ــ نحن بطون بني بكر ــ أن نَتَتَبَّع الكلأ شتاء في الجنوب فنوغل في سيرنا حتى نصل الى حدود ديار بني تَغْلب التي تبدأ من التقاء دجلة بالفرات .. وعندما يشتد القيْظ نرتدّ شمالاً فنقطع عشرات الفراسخ حتى نصل الى مائنا الكبير « ذي قار » فنقيم على ضفافه طوال الصيف .. وماؤنا الحبيب هذا يقع في أقصى الشمال من أرضنا ، وبعده بقليل تبدأ أرض واسعة تَنَبَّأ الكهنة بأنها سوف تُصبح مدينة ذات شأن باسم الكوفة !

كنا قد وصلنا لتوّنا الى ضفاف « ذي قار » عندما جاءنا نبأ مقتل النعمان .. قالوا لنا ان كسرى لم يستقبله .. بل أمر جنوده أن يضعوا في يديه الأغلال أمام باب القصر ، ثم بعث به الى السجن ، وهناك خنقوه .

سقط كسرى في عيني .. فلو جاءني قاتل أبي مُسْتَسْلِماً ، لما استطعت أن أناله بأذى وإلاّ سقطت هَيْبَتي في أحياء العرب .. هذا الكسرى لاعلم له بما يجب أن تكون عليه التقاليد ، ولايحمل في قلبه شجاعة الرجال ، ولا أظنه يفقه شيئاً فيما يجب أن يتحلّى به زعيم القوم ، ولقدأخطأتُ عندما سمحتُ للنعمان بالذهاب الى رجل له مثل هذه الخصال ..

قبل أن نفيق من هذه الصدمة ، جاءني كتاب من ملك الحيرة الجديد « إياس بن قَبيصَة » ــ وهو ليس من أسرة النعمان ــ يقول لي ان كسرى بعث إليه بكتاب يأمره أن يُرسل إليه بنات النعمان لأنه عرف بأنهن تنطبق عليهن صفات الجمال المكتوبة في دواوينه ، كذلك نرسل له الأموال الطائلة التي تركها النعمان عندنا ، وختم كتابه بقوله : ان قبيلة بكر بن وائل لم تخْتَرْ زعيماً عليها إلاّ لكبر عقلك ، فلا تجبرني أن أرسل إليك الجنود لتقتل الرجال وتَسْبي النساء ..

بعثت بكتاب الى الملك اياس قلت له ان بنات النعمان في جواري .

وأنت ــ كعربيّ ــ تعرف بأن الجار لا يُسلِّم ، أما عن الأموال ، فإن الذي بلغك باطل ، فلم يترك النعمان درهماً ولاديناراً ، فاذا كان الأمر كما قيل ، فأنا أحد رجلين : إمّا رجل استُودِع أمانة فهو حقيق أن يُعيدها إلى من استودعه إياها ، ولن يُسلِّم الحرُّ أمانة .. أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد ..

ثم رجوت الملك إياس أن يجتهد في أن يُنسي كسرى هذا الأمر ، وهنّأته بمُلك الحيرة ودعوت له برغد العيش .

لم تمض فترة وجيزة حتى فوجئنا بما تعجبّنا له .. جيش كسرى الذي يرابط في ناحية « القُطْقَاطَة » زحف وعلى رأسه القائد الشهير « الهامَرْزْ » وأقام معسكره على مقربة من ضفاف ذي قار .. وجيش كسرى الذي يُرابط في ناحية « بارق » زحف بقيادة « جَلاَبْزِينْ » وانضم إليه .. وفي نفس اليوم وصل الملك إياس بن قَبيصَة على رأس جيش الحيرة العربي ــ النِّظامي ــ وأقام معسكراته بجوارهما .. ثم جاءت قبيلة « إياد » التي توالي كسرى ، وانضمت إلى جيش الملك إياس ..

حتى بعد أن رأيت هذه الجيوش التي تتقدَّمُها الأفيال المحاربة ، لم أكن أظن أن كسرى ــ الذي تخضع له الأمم ــ يمكن أن يصل به الحمق إلى محاربة قبيلة صغيرة فقيرة مثل قبيلتنا .. لم أصدِّق ــ أنا وكل قومي ــ إلاّ بعد أن جاءني رسول يحمل كتاباً باسمي عليه خاتم كسرى ..

هذه أول مرة يدخل فيها بيتي رجل من حاشية كسرى ، ويخاطبني باسم ملك الملوك ..

كان حامل الرسالة رجلاً عليه ثياب من الديباج الأحمر وعلى رأسه قَلَنْسُوة طويلة معصوبة بشاش أبيض .. كان رجلاً صالحاً ينحدر من أسرة من عامّة الناس ، لكنَّ عِلْمَه رفعه إلى مقام حاشية كسرى .. قال لي إنه يعطف على الفقراء ويعتقد أن الناس سواسية لافرق بين فارسيّ أو تركيّ أو عربيّ فكلهم ميِّتُون .. وعرفت أنه من مذهب رجل يقال له « زرادشت » لكنه يخفي ذلك عن المجوس الذين يزعمون أنهم فوق الناس .. ارتحتُ إليه وأحببته فدخل بيتي المصنوع من الطين ، وجلس في تواضع على فَرْشي المؤلف من جلود الجمال . وقال لي :

ــ ياهانئ .. جئتك بكتاب من هذا الطاغية ــ كسرى ــ وأنا حزين لما فيه .. فهو يعرض عليكم أن تختاروا واحدة من ثلاث ..

ــ ما الأولى ؟

ــ أن تُعْطُوا ما بأيْديكم ، فيحكم فيكم بما يشاء .

ــ معنى « أن نُعطي ما بأيدينا » أن نُلقي سلاحنا ونذهب إليه جميعاً ــ كل قادر على حمل السلاح ــ ونقف تحت قصره .. قد يعفو عنا وقد يأمر بقتلنا .. أليس كذلك ؟

ــ نعم ..

ــ وما الثانية ؟

ــ أن تُعَرُّوا الأرض .

ــ وأين نذهب إذا هجرنا الأرض التي لانعرف غيرها وتحتها عظام آبائنا ؟ ..

ــ وما الثالثة ؟

ــ أن تأذَنُوا بحرب .

ــ وكيف نستعد لحرب كسرى الذي تخضع له رقاب الملوك ونحن الأقلة الفقراء ؟

ــ ياهانئ .. في قصر كسرى أعداء للنعمان يريدون إذلاله في بناته .. وما يحزنني أنهم من نفس جنسكم .. هكذا أنتم يامعشر العرب ، بعضكم يكيد للبعض ، مع أنّكمَ لو تَصَافَفْتُم ــ كما فعل الأتراك ــ لما تجرأ كسرى أن يقول : أريد استئصال بني بكر .

ــ يريد استئصالنا ؟!

ــ نعم .. فقد ثار حينما رفضتم أن ترسلوا إليه بنات النعمان .. فاشار عليه أناس من قومكم بأنكم لاتستطيعون مغادرة ذي قار في أيام القيظ ، قالوا له هذه فرصتك وإلاّ ذهب القيظ وانداحوا في أرضهم فلا تقدر عليهم بسهولة .

ــ وكيف يشغل كسرى نفسه بضعفاء الناس أمثالنا ؟

ــ أنت تعلم أن كسرى هذا ــ أبَرْوِيزْ بن هُرْمُزْ ، قَتَلَ أباه وجلس مكانه ..

ــ أعرف ..

ــ يبدو أن هذا أصابه بما يشبه الجنون .. فقد تمزقت المملكة على أيامه .. ثار عليه رعاياه التُّرك والأَرْمَن وأهل السِّند .. فاضطر إلى أن يستعين بجيش من عدوِّه (ماركوس) قيصر الروم ، نظير أن يتنازل له عن ولايتيْ مصر والشام .. وأطفأ هذه الثورات الثلاث فعلاً بجيش الروم .. لكن الأتراك ثاروا من جديد في كل نواحي بُخاري وسمرقند وانفصلوا عنه تماماً الآن ، فكانوا الولاية الثالثة التي تضيع بعد مصر والشام .. إنه الآن ضيِّق الصدر لايشغله غير وصول بنات النعمان . ولك أن تتخيَّل ثورته حينما قالوا له إن تقاليد العرب تمنع زعيم بني بكر من تسليمهنّ .. فهو لايفهم هذه التقاليد ولا يتصوَّر وجودها ولايرى لها أي معنى .. سيما وأن الملوك الذين يخضعون له ، يبعثون إليه ببناتهم ويعتبرون ذلك شرفاً .. وأعداء النعمان في القصر يهمسون في أذنه بأن في بيتك أكثر من عشرين فتاة . من بنات النعمان ، تنطبق عليهن صفات الجمال المحفوظة منذ أيام أنو شروان .. والرجل مهزوم ياهانئ ومختلّ العقل وهنا مكمن الخطر .

ساد بيننا الصمت لفترة طويلة قبل أن أسأله :

ــ وماالذي تُشير به أيها الفارسيّ الطيِّب ؟

ــ أنا حزين ياهانئ .. لا أستطيع أن أشير عليك بقبول واحدة من الثلاث .. أعطني ردَّك فما أنا إلاّ رسول .

ــ أمهلني ساعة أستشير أهل الرأي من قومي .

ــ لك ذلك .

° ° °

اجتمعت بأهل الرأي من قومي في بيت (قيس بن خالد) .. كانوا حوالي عشرين رجلاً يمثلون كل بطون بني بكر .. وبعد مناقشة لم تزد عن ربع الساعة ، اتفقنا على رفض أن « نُعطي ما بأيْدينا » .. لأن المتوقع أن يأمر كسرى بقتلنا جميعاً إذا وقفنا تحت قصره عُزلا من السلاح ..

كما اتفقنا على رفض أن « نُعَرِّي الأرض » لأننا لانعرف غيرها وحتماً سنموت عطشاً إن فعلنا هذا في القيْظ . ثم ناقشنا الثالثة .. « أن نأذن بحرب » .. قُلنا لو قبلنا، فسوف نَفْنى عن آخرنا .. لكنّا قُمنا بمقارنة بين موتنا تحت قصر كسرى ، أو موتنا عطشاً في الصحراء ،

هكذا تكلم الرجل الذي حمى بنات النعمان

أو موتنا ونحن نقاتل جيش كسرى ، فوجدنا أن الميتة الأخيرة أعزّها وأكرمها ، فقبلناها .

عُدتُ للفارسّي الطيِّب وأخبرته بقرارنا .. فعانقني وقال : كنت أتوقع هذا .. ثم ركب جواده وسار به قليلاً ، لكنه عاد من جديد وهبط من فوقه وعانقني مرة أخرى في صمت .. كأنه يعتقد أن لقاءنا هو الأول والأخير ..

لكن ماحدث في قبيلتنا ، بعد ذهابه ، لايُطاق .. فما أن أعلنت على قومي نبأ الكتاب الذي جاءنا من كسرى ، حتى انتشر الذُعر في ديارنا .. كثُر اللغط وتعالى الصياح وتخاذل الناس .. كلّهم يدورون حولي ــ باستثناء البطن الذي أنتمي إليه ــ بني ذُهْل بن شَيْبَان ــ يطلبون مني ألاّ أحزن لأنهم سوف يرحلون .. وافقتهم .. قلت لهم لاطاقة لكم على قتال جيشين فيهما الخيل الكثيفة والأفيال المحاربة ، ولامقدرة لكم على حرب جيش مملكة الحيرة الذي تسانده قبيلة « إيَاد » .. الفلاة أمامكم فاركبوها وانجوا بأنفسكم .

وامتلأت الطرقات المؤدية إلى الصحراء بمئات الهوادج عليها النساء والأطفال يقودها الرجال .. لم أعترض طريق أحد .. وأشهد بأنني كنت أشعر بالراحة في داخلي .. قلت لنفسي يكفي أن يهلك بطن « ذُهْل بن شَيْبان » وحده وتبقى بقيّة بطون بكر .

وكما يحدث في كل زمان .. حيث يطرح كل موقف رجاله الذين يدّخرهم الزمن إلى أن يحين وقت ظهورهم .. برز في هذه اللحظة « حَنْظَلَة بن ثَعْلَبَة » .. شاب لم يبلغ الثلاثين بعد .. كان شاعراً وفارساً وفي داخله روح لها قوّة ألف رجل .. جال بجواده وهو يَهْدِر بالشعْر .. ثم استلّ سوطه وضرب به وجوه الابل التي تحمل الهوادج فردّها جميعا .. وتقدّم مني حتى وقف قبالتي وقال :

ــ أنت المُقدّم علينا ياهانئ بن مسعود . أشِرْ علينا بما تراه ، ونحن نُطيعك .

لم يكن « حَنْظَلَة » من البطن الذي أنتمي إليه .. ولم يكن في الرجال العشرين الذين استشرتهم .. لكنه بدا لي أنه « نحن » جميعاً الآن . فقلت له :

ــ ماأراه لا أُلزم به أحداً .. لكنني سأقاتل القوم ولو وقفت وحدي .. وعلى كل رجل أن يفكر ملياً قبل أن يسوق جواده ويقف بجواري ، لأنه الموت .

قلت ذلك ، وتحركت بجوادي ، حتى وقفت وحدي على مبعدة .. فجاء ولدي الأكبر (عاصم) يحمل رايتنا ذات الألوان الأربعة ــ الأبيض والأسود والأحمر والأخضر ــ ووقف بجواده على يميني ..

ساق حَنْظَلَة بن ثَعْلَبَة جواده ووقف عن يساري وخطب في الناس .. لم أعرف إن كان يخطب أو يقول الشِعْر .. كانت الكلمات تَخْفق من فمه مثل خَفْق النبال لحظة مفارقتها للقوْس .. كان يتكلّم والجياد تتحرك لتقف بفرسانها عن يميننا ويسارنا .. في البداية جاء « بنو همّام » أولادي وأخوتي وأبناء عمي وأبناء أعمام أبي .. ثم جاء بطننا الأصغر .. « بنو ذُهْل » .. ثم جاء فرسان بطننا الأكبر « بنو شَيْبان » .. وما هي إلاّ لحظات حتى كان بقيّة بطون « بكر » يتدافعون من حولنا ، فلم يبق فيهم شيخ أو شاب أو صبيّ إلاّ وكان ممسكاً بعنان جواده ، أو مرتكزاً على سيفه ، أو مشغولاً في إصلاح وتر قوسه ، أو جاثياً على ركبتيه ، يتهيأ للوثبة برمحه .

الحرب في ذاتها لاتخيفنا .. رضعناها مع لبن أمهاتنا .. عمري الآن فوق الستين ، خُضت فيها مايقرب من ثلاثين معركة .. لكن هذه المعركة القادمة ألقت على كاهلنا مالاعهد لنا به .. كيف نُقاتل الأفيال المدرَّبة على القتال ، وهي تتحرك أمام الخيل ، تنسدل عليها صفائح الفولاذ فلا تؤثر فيها السهام ولا السيوف ؟ .. ثم كيف نتَّقِيها كيلا تبعثر المشاة وتدوسهم بأقدامها الثقيلة ؟ .. وماالذي نفعله أمام النُشّاب ، تحمله فرقة كاملة ، تتقدَّم الجميع فتطلقه كالمطر قبل أن تنسحب إلى ماوراء الصفوف ؟ .. وما العمل إزاء كثرة عددهم وكثافة خيلهم ومشاتهم ؟ .. نحن لانَعْتَب على الملك إياس ــ الذي يقاتل حتى أولاده من أجل إرضاء كسرى ــ ولانَعْتَب على جيشه العربيّ الذي لاتهمه غير رواتبه ، لكن كيف ارتضت (إيَاد) لنفسها أن تنحاز إلى كسرى ؟ .. هل نَسِيَتْ قبيلة خطيب العرب « قُسّ بن ساعدة الإيَادِيّ » أيامها الماضية ؟

ثم أين قبائل العرب ؟ .. لماذا تركونا وحدنا ؟ .. إن زعيمنا الأكبر « قيس بن مسعود » زعيم قبائل « ربيعة » ــ التي تضم أكثر من عشر قبائل ، نحن واحدة منها ــ لم يحرك ساكناً حينما أخبرناه .. لو أشار بأصبعه لانسحبت هذه الجيوش التي جاءت تهدِّدنا بالفناء .. لكنه تغاضى لأن كسرى أقطعه ثغر « الأُبُلَّة » الذي يقع بالقرب من الخليج ، ويستقبله في قصره كما تُستقبل الملوك ..

ماالعمل الآن وقد ألْقت هذه المعركة القادمة على كواهلنا ما تنوء به ؟

اتفقنا أن نبدأ نحن الهجوم .. قلنا لبعضنا لو انتظرناهم فسوف نغرق تحت نُشّابهم ، ثم تزحف الأفيال فتقضي على من نجا من النُشّاب ..

أوقفنا صفاً من الخيل في المقدّمة .. ثم نظّمنا أنفسنا على شكل كراديس .. كل كُرْدُوس يضم عشرة من الفرسان .. أما في الجناحين فقد جعلنا الخيل على شكل قوسيْن لنُوهم القوم بأننا سنحاصرهم .. وقف حَنْظَلَة في الميسرة ، وقَيْس بن خالد في الميمنة ، وكنت أنا في القلب ..

في المؤخّرة وقفت النساء على الهوادج يضربن على الدّفوف ويغنّين .. تقدم حنظلة من النساء وقطع بسيفه كل وضن ــ حزام ــ يربط الهودج بالبعير .. وقال لو أراد أحدنا الفرار بنسائه لما استطاع لأن الهودج سوف يسقط ، فأطلق عليه الناس ، منذ تلك اللحظة : « مُقَطِّع الوُضن » ..

كانت بنات النعمان يقفن مع بناتي يضربن على الدّفوف .. كبراهن ــ هِنْد ــ لو رآها كسرى لقال هذه تنطبق عليها صفات السجلاّت .. كانت تُغنّي وتبكي في آن .. بجوارها ابنتي زينب تُغنّي هي الأخرى وتبكي معها .. بناتنا يشعرن بأنها آخر معاركنا .. على كل حال الموت ينتظر كل حيّ .. وخير لنا أن يشير الناس إلى أرضنا ويقولوا ، هاهنا كانت تعيش « بكر » التي فَنِيَتْ لأنها رفضت اللؤم .. خير من أن يقولوا هاهم بنو بكر الذين أسلموا بنات النعمان وعاشوا لئاماً ..

أعطيتُ الإشارة للصف الأول فانطلق ، وتحركت الكراديس وراءه .. كانت خطّتنا ألاّ نُعطي لضاربي النُّشّاب الفرصة ، وأن تصل الكراديس قبل أن تتحرك الأفيال ، وأن تلتف أطراف القوسين على



أجنابهم — بعد أن ضممنا إليهم المشاة وحاملي النّبل — لنوهمهم بالحصار..

تمَّ لنا ما أردناه بصورة لم نكن نتوقّعها حتى أننا طمعنا في النصر منذ الجولة الأولى.. فاجأنا ضاربي النُشّاب قبل أن يُطلقوا نبالهم فشغلناهم في أنفسهم، وتجنّبنا الأفيال فكنّا وراءها قبل أن تتحرك، واشتبكنا مع الفرسان على طريقة الكرّ والفرّ.. كلما هجموا على كُرْدُوس، فرَّ من وجوههم وشدَّ عليهم كُردوسٌ آخر.. والفرار عندنا — معشر العرب — لا يعني الهزيمة، لكنه حركة من حركات الحرب.. نهجم بسرعة، وننسحب بسرعة، ثم نكرّ من جديد فيظن خصمنا أننا أضعاف عددنا فيرتبك أو يهرب..

ضغط طرفا كل قَوْس على مجنبتي العدو يتخطفان فرسانهما بنفس طريقة الكرّ والفرّ، فظنوا أننا سوف نحاصرهم حقيقة، فارتبكت ميمنتهم وتراجعت فتداخلت في القلب وضاقت الأرض بخيل القلب فلم تتمكن من المناورة.

كنت أقاتل وحولي أربعة من أولادي وحوالي عشرة من أبناء إخوتي، وعاصم بجواري يحمل رايتنا ذات الألوان الأربعة..

تلفتُّ حولي وقدَّرتُ الموقف.. نحن الآن جرَّدناهم من أكبر قوتين: الأفيال، وفرقة النُّشّاب.. وهاهو حنظلة بن ثعلبة نجح في أن يجعل ميمنتهم تتداخل في قلبهم.. إذن نحن الآن لا نقاتل إلاّ ميسرتهم وحدها..

صحتُ بأعلى صوتي — وساعدني أولادي في الصياح — إن الخطّة تغيَّرت.. فما دمنا أصبحنا الأغلبية في الميدان الآن، فعلينا أن نحاصر القوم حقيقة لا وَهْماً.. وعلى الميسرة — بقيادة حنظلة — أن تقوم بهذا، وعلى نصف كراديسنا التي تواجه قلب العدو — المرتبك — أن تنضمّ إلى حنظلة..

وفرساننا — معشر العرب — تستطيع أن تغيِّر اتجاهها في أية لحظة مهما كان القتال شديداً.. فما بالكم ونحن الآن بيدنا الزمام؟

في دقائق معدودة كان حنظلة يقود الميسرة فضلاً عن الكراديس التي انضمت إليه ويدور وراء القوم.. وقد ندمتُ فيما بعد على تغيير خطتي.. فقد تنبَّه القوم لخطّة حنظلة وقاوموه مقاومة لم نكن نتوقّعها.. في نفس الوقت انتعش قلبُ العدو بسبب كراديسنا التي انسحبت من أمامه.. على أننا، رغم ذلك، كانت لنا السيطرة إلى أن فَصَل بيننا الظلام.

• • •

عُدنا إلى ضفاف ذي قار وقسَّمنا أنفسنا.. جماعات تغفو قليلاً، وجماعات تداوي الجرحى وتدفن الموتى وتعلف الخيل، وجماعات للحراسة..

في ظلام الليل تسلل إلينا رجل من قبيلة «إياد» وقال لنا اختاروا بين أمرين: إما أن نهرب من ليلتنا وليحدث مايحدث، وإما أن نهرب من الميدان، فقلنا له بل تهربوا أثناء اشتداد القتال لأن ذلك يُوهن العدوّ. قبل انصرافه قال لنا إن الميسرة التي قادها (حنظلة) قتلت بالأمس قائد كسرى «جَلابْزين» أثناء محاولتها حصار القوم، وهم يُخفون ذلك الآن، فاستبشرنا.

اقترح «يزيد السكّوني» أن يكمن بشطر من الفرسان وراء تلال «الجُب» الجنوبية، ولا يدخل بهم المعركة إلاّ في اللحظة التي تفرّ فيها قبيلة «إياد» فوافقتُه.

في منتصف الليل اتفقنا — أنا وحنظلة وقيس بن خالد وكل أصحاب الرأي — أن نفاجيء القوم بالهجوم في العَتْمَة التي تسبق الفجر، لأنهم لن يمكنونا من أن نبدأ الهجوم — لو انتظرنا للصباح — بعد أن فطنوا إلى مافعلناه بالأمس..

كانت خطّة ميمونة وأيْمُ الحق.. فقد فَزِعت الأفيالُ وهي ترى خيلنا تهبط عليها كالطيور الجارحة، وسيوفنا تهوي على خراطيمها.. فعلت بهم الأفيال — في فِرارها — مالم نكن نقدر على فعله.. بعثرت صفوف القوم فأفزعت خيلهم وحطّمت خيام السلاح والطعام وأسالتْ قِرب الماء في الرمال، وهربت قبيلة «إياد» من الميدان في نفس اللحظة التي اندفع فيها «يزيد السكّوني» بفرسان الكمين، فصرع في اندفاعته القائد الشهير «الهامرْز» فأعطانا القوم ظهورهم، فطاردناهم حتى آخر حدود أرضنا الشرقية.

• • •

إنْ كُنتِ ساقِيـةَ المُـدامَـةَ أهلَهـا..
فـاسْقـي على كـرمٍ بنـي هَمَّـام.
«بكير الحارثي»

حينما أعود بذاكرتي إلى يوم ذي قار، يخيل الي أنه كان حُلماً.. لكن شعراء أُمَّتنا هُم الذين أقنعوني بأنه كان حقيقة واقعة.. فقد غمرونا بشعر غزير لم يقولوا مثله في ملوك المناذرة والغساسنة مجتمعين، رغم أننا قوم فقراء لا جوائز لدينا نعطيها لأحد..

فِـدىً لـبني ذُهْلِ بـن شَـيْـبانَ نـاقـتي
وراكبـهـا يـوم اللقاء، وقَلَّتِ.
«الأعْشَى»

في نهاية ذلك اليوم، أقمنا أكبر عُرس شهدته ديارنا.. عقدنا لجميع من بلغوا الحلم من أولادنا وبناتنا وطالبناهم بتعويض مَنْ فقدناهم على ضفاف ذي قار.. لأن الطاغية — كسرى — لن يتركنا نعيش في هدوء.

عبدالوهاب الأسواني

لماذا نقرأ قصص الرعب؟

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

لماذا يولع كثير من الناس ـ كباراً وصغاراً ـ بقراءة قصص الرعب ومشاهدة الأفلام المخيفة ، التى تملؤهم بالفزع وتجعل أبدانهم تقشعر من الرهبة ، وتجعل الشعر في جلدهم يقف أو يكاد ؟ .

إن اهتمام الناس بهذا النوع من القصص قديم جدا ، فلقد وجد في الكهوف القديمة لإنسان ماقبل التاريخ رسوم لمسوخ ومخلوقات مفزعة . كما وجد في النقوش الفرعونية قصص مرعبة !

على أن قصص الرعب في شكلها « الحضارى » الجديد إنما نشأت في القرن الثامن عشر . وللرسام الشهير « جويا » جملة مختصرة تعبر ببلاغة عن هذه القصص إذ يقول : ان غياب العقل يولد المسوخ والأشياء المرعبة !

يمكن أن نقسم قصص الرعب الى قسمين : القصص التي تحكي عن الأمور المرعبة الخفية ، والقصص التي تحكي عن الأمور المرعبة المرئية . ولكل منهما تقاليد وميزات وصفات ، ويمكن أن نرجع بداية قصص الأمور الخفية الى الكاتب الهاوى « هوراس والبول » الذى كتب عام ١٧٦٤ رواية مرعبة أسماها قصر أوترانتو ، تحوى الكثير من الجرائم والجنون . غير أن العنف فيها كان ضئيلا جدا ، فقراء ذلك الزمان كانوا يرغبون في قضم الفاكهة المحرمة دون أن يتناولوا الديدان التي تحويها .

وجاء « إدجار ألن بو » فألف عديدا من القصص المخيفة منها : قناع الموت الأحمر ، وحقائق قضية فالديمار وسقوط بيت أشر وسواها . وبذلك جعل قصص الرعب شكلا مقبولا من أشكال الأدب ، تلاه فيه بعض الأدباء الكبار أمثال : هوثورن وجيمس وتشيكوف وجوجول وكافكا وسواهم .

وفي الوقت نفسه غدت قصص الذئاب ومصاصي الدماء تحتل المقام الأول .

وفي عام ١٨٩٧ كتب برام ستوكر (وكان يعمل مدير مسرح) كتابا أسماه دراكيولا ، غدا أكثر قصص ماوراء الطبيعة والرعب انتشارا وذيوعا . وفيه ابتدع ماشاء له الخيال من صفات لمصاصي الدماء ، ولقد أثارت هذه القصة الشهيرة الرعب والفزع والرهبة في أكثر من ثلاثة أجيال متعاقبة ومازال حتى الآن تضع القارىء في جو رهيب من الخوف الشديد . وهي تحكي قصة عن الكونت دراكيولا الذى كان قائد جيوش حارب الأتراك ، بوحشية وعنف وانتصر عليهم ، وبعد موته تحول الى مصاص للدماء ، يختفي في النهار في نعش يحوى تراب موطنه ، ويقوم في الليل يبحث عن ضحاياه ليمتص دماءهم ، وكلما مص دماء ضحية وماتت أصبحت مثله مصاصة للدماء . وهو ذو قوة هائلة ، وقدرة على التحول الى ذئب أو خفاش أو ماشئت من حيوان . ومن صفاته أن خياله لا ينعكس في مرآة ، وأنه رغم كل قوته يموت إذا أصابته أشعة الشمس ، أو غرس وتد خشبي في قلبه ، وللثوم في هذا المجال فائدة عظيمة ـ إضافة الى فوائده الصحية ـ فلا يمكن لمصاص الدماء ، دراكيولا أو سواه ، أن يقترب من مكان فيه ثوم .

ولقد غدت قصة دراكيولا المثل الكلاسيكى الأعلى لقصص الرعب وأنتجت عنها عشرات ، وربما مئات الأفلام ..

أما قصص الرعب المرئي فتمثله رواية فرانكشتاين التي كتبتها مارى شيللي ـ زوجة الشاعر الانجليزى الشهير ـ عام ١٨١٦ ـ ١٨١٧ وكان عمرها آنذاك حوالي تسعة عشر عاما . وهي قصة مثيرة فلسفية ذكية ، تدور حول تطرف العلم وانتقام الطبيعة ، وتحكي عن طبيب استطاع أن يعيد تشكيل انسان مسخ (بكسر الميم) من قطع بشرية مختلفة ، وإذ بهذا الانسان المسخ يغدو كالوحش يخرب ويدمر بقوة غير عاقلة ، حتى يشمل أذاه صانعه نفسه . وذلك في أجواء من الرعب الشديد .

وفي عام ١٨٨٦ كتب روبرت لويس ستفنسون روايته الخالدة الحالة الغريبة لدكتور جيكل ومسترهايد دمج فيها الشخصية العلمية والمسخ معا .

ومن الغريب أن القرن العشرين الذى اخترعت فيه الصواريخ ذات الرؤوس النووية والقنابل الهيدروجينية والحواسب الألكترونية ووصل فيه الانسان الى القمر ، لم يأت بجديد في عالم الرعب بل أخذ يجتر

القديم . وحتى قصص الرعب في الفضاء التي كتبت في هذا القرن سبق أن كتب أمثالها الكاتب هـ . ج ويلز آنفا .

ومن القصص التي ظهرت في القرن العشرين وأخذت موقعا مميزا نذكر قصة طارد الأرواح الشريرة للكاتب الأميريكي ـ اللبناني الأصل ـ وليام بلاطي عن تلبس بعض الأرواح الشريرة لفتاة صغيرة وقيامها بأعمال وتلفظها بأقوال تنبو عن الذوق والأخلاق ، وتخلق جواً متوتراً من الرعب والفزع الشديدين ، خاصة عندما تتعارك هذه الأرواح الشريرة مع الذين يحاولون طردها من جسم الفتاة المسكينة .

ولقد نجح الفيلم الذى اقتبس عن هذه القصة نجاحا هائلا جعل الناس ينتظرون ساعات طويلة أمام شبابيك التذاكر لشراء بطاقات الدخول ، واعتبر هذا الفيلم واحداً من الأفلام العشرة التي جلبت أعلى الايرادات في تاريخ السينما في العالم .

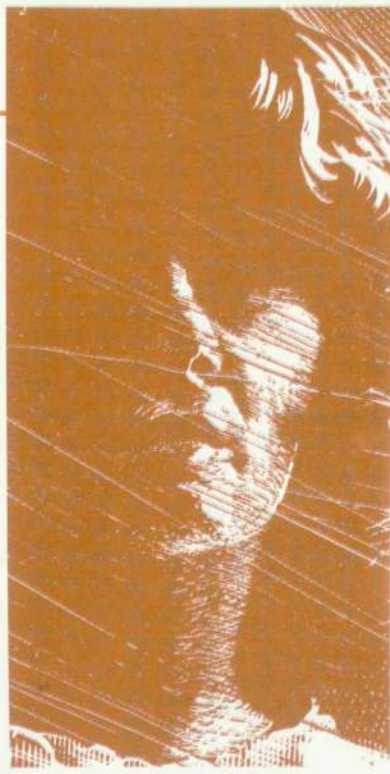
وجاء ستيفن كينج ليقدم مجموعة من القصص والروايات التي بيعت منها ملايين النسخ مثل رواية كوجو ، ومقبرة الحيوانات الأليفة ، ومشعلة النار وسواها وكلها اقتبست عنها أفلام ناجحة تثير الرعب والفزع .

على أن التغير الرئيسي في القرن العشرين إنما كان في التقدم التكنولوجي الذى حول القصص المرعبة الى أفلام ناجحة ، ولمع من ممثلي أفلام الرعب كثيرون نخص منهم بيلالا جوزى وكريستوفر لي وبوريس كارلوف وفنسنت برايس .

وأخص بالذكر فيلما مرعبا رأيته فأثار فيَّ فزعا لا أخال أنني أحسست بمثله لدى مشاهدة أى فيلم آخر ، عن أموات يبعثون من قبورهم بتأثير أشعة مجهولة قادمة من كوكب ما ، فيخرجون من أجداثهم وعليهم أكفانهم بوجوه جامدة وأعين باردة ، يقتلون ويؤذون الناس . وكلما قتلوا شخصا ما أصبح مثلهم . ونرى بطل الفيلم يقاومهم مقاومة هائلة ، وينجح في ذلك في جو من الرعب الشديد والفزع المثير ، وعندما يأتي الناس الطبيعيون لمحاربة هؤلاء الأموات الأحياء ، يهرع ليطلب منهم النجدة فيحسبونه واحدا من الأموات الأحياء فيقتلونه معهم .

وتعددت الأفلام وتنوعت . ابتدعوا الغوريللا كينغ كونغ وهي ليست في الواقع إلاّ مشابهة للمسخ فرانكشتاين إلاّ أنها ترتدى « باروكة » تشمل جسمها كله !

وأصبحت بعض الأفلام تقدم مسخين بسعر مسخ واحد كما في أفلام فرانكشتاين



■ البعض يفضل القصص المُرعِبة لأنها تجعل القلب خاليًا !

■ عالم نفساني شهير يؤكد أن قصص الرعب تحرِّر القلق المكبوت !

■ أكثر أفلام الرعب الحديثة اقتُبِسَت من رواية "فرانكشتاين" لزوجة الشاعر "شيلي"!

يقابل الرجل الذئب . بل ومزجت أفلام الرعب بالأفلام الفكاهية ، كما في أبوت وكوستللو يقابلان فرانكشتاين وهلمجرا .

وتجلى التطور التكنولوجي في فيلم مرعب كان ظاهرة بحد ذاته ، وهو فيلم الفك المفترس . وهو ليس أكثر من واحد من قصص الرعب المرئي عن الحيوانات المفزعة ولكن التطور التكنولوجي أضفى عليه أجواءً خاصة وجعله من أكثر الأفلام مشاهدة في التاريخ .

أما لماذا يولع الناس بمثل هذه القصص والأفلام فلذلك تفسيرات شتى .

يقول أرسطو : إن الشعور بالرعب والخوف يطهر النفس ويجعل القلب خاليا . ويعتقد فرويد أن قصص الخفاء والرعب تحرر القلق المكبوت وتريح المرء منه .

ويرى فيها آخرون نزعة مازوكية الى تعذيب النفس أو رغبة خفية في اكتشاف المجهول .

وربما كان الولع بمثل هذه القصص محاولة للهروب من الواقع والوعي الى الخيال واللاوعي ، وكأن المرء يأخذ اجازة من التعقل والوعي الى عالم بعيد حافل بالخيال والبعد عن كل مايمكن أن يسبب أذى حقيقياً أو تهديداً واقعياً . فمهما شعرنا بالرعب فان ذلك يبقى بعيداً عنا وغير مقبول منا .

وربما كان سبب الولع بهذه القصص هو إسقاط الخوف من مشاعرنا الداخلية على أمور خارجية وذلك أيسر من مواجهة الخوف من الواقع والمشاعر .

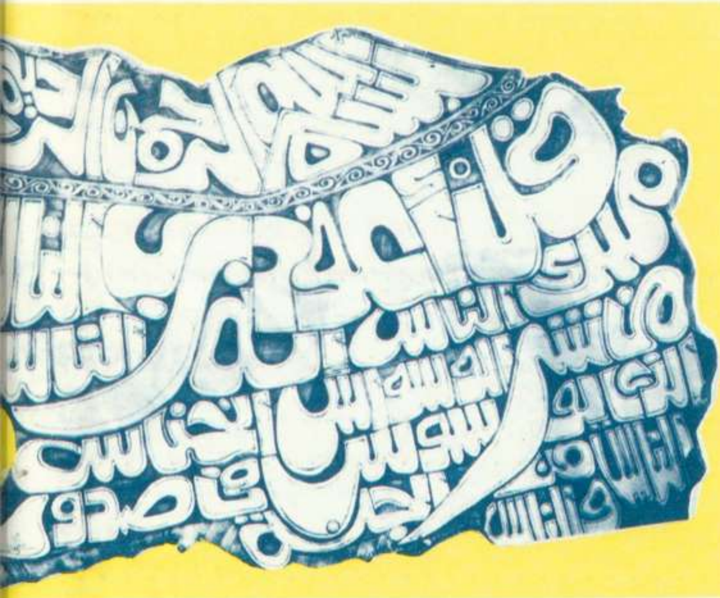
ويرى بعضهم أن الرغبة في مطالعة هذا النوع من القصص تعود الى تذكرنا مخاوف الطفولة ، فنحن الكبار نخاف من الأمور نفسها التي يخاف منها الصغار نخاف من الموت ومن الأماكن الموحشة ، ومن الأصوات الفجائية الغريبة ، ومن الأبنية القديمة المهجورة ، ومن الظلام ومن الطرق المسدودة ومن الوحوش المفزعة الخ ...

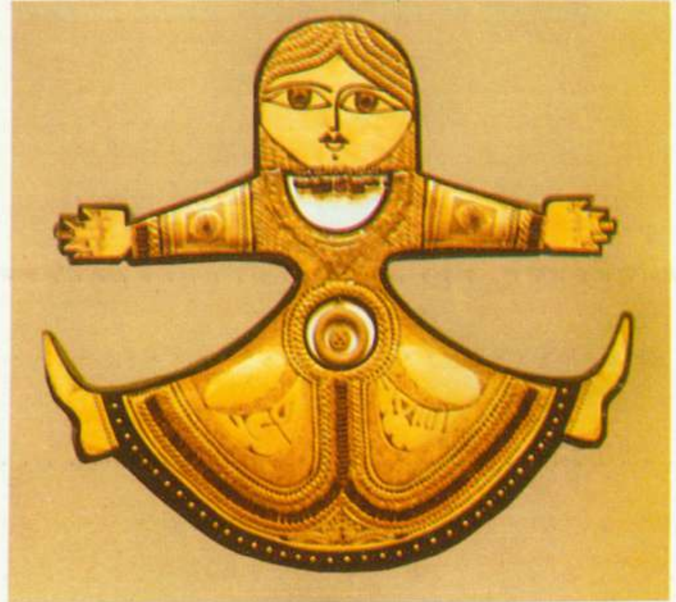
ونشعر عندما نسترجع مخاوف الطفولة ، أننا كنا أقوى منها ، وهي لم تشكل في الماضي وفي أى وقت تهديدا حقيقياً لنا ، فها نحن رغم كل شيء في سلام ولم نصب بسوء أو أذى ، فنرى أنفسنا في نعمة أي نعمة ، ونحمد الله ونستمتع بقراءة القصة أو مشاهدة الفيلم ، ونحن نعلم في قرارة أنفسنا أن هذا الرعب إنما هو خيال محض . وأن الرعب الحقيقي يكمن في العالم الحقيقي الذى نعيش فيه . وكل رعب سواه وهم هين يسير .

حوار مع فنان يرفض تقليد الآخرين:

أنا ضدّ تبعيّة الفنان العربي للثقافة الغربيّة!


«أم الشعور الذهب»


سورة الناس


وجهك مشرق ــ معلقة

سلمان المالكي


علي المليجي

لأول مرة يقام في الدوحة معرض للجلود المصورة، شكلها الفنان العربي علي المليجي فوق سطح الجلد بالشكل الطبيعي دون تهذيب، مع استخدام اللسع بالسن الكهربائي في كل اللوحات فيما عدا عملا فنيا واحداً استخدم فيه الفنان الألوان النباتية!

وقد أقيم هذا المعرض ضمن الموسم الثقافي والفني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية، وتميز بأنه جمع بين الفنون الشعبية والاسلامية. ولهذا كان لقائي مع الفنان الذي قدم أكثر من خمسين عملاً تشكيلياً، بعيدة كل البعد عما تعودناه في أعمال كثير من الفنانين الذين غرقوا حتى قمة رؤوسهم في محاكاة اللوحات الغربية!



تسابيح ـ معلقة

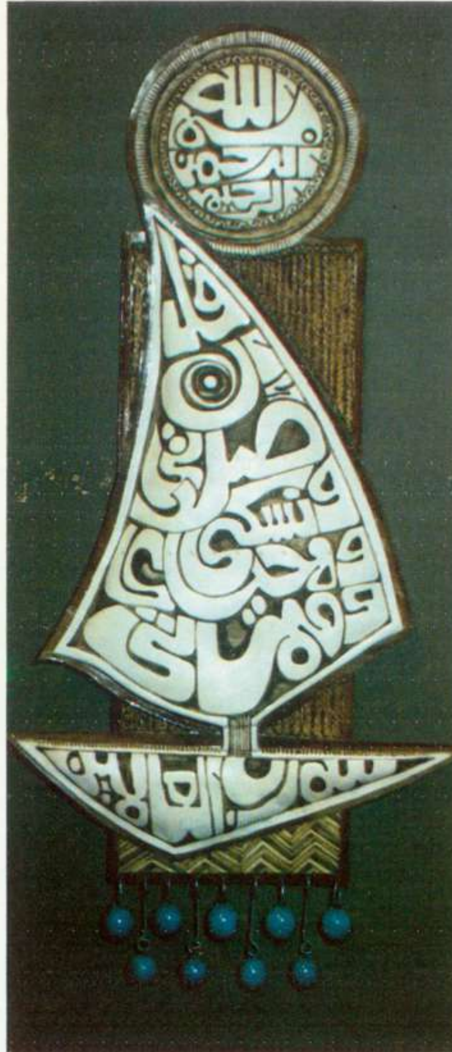


فتــاة

والواقع أن أعمال الفنان علي المليجي الأستاذ المساعد بقسم الأشغال الفنية والشعبية بكلية التربية الفنية بجامعة حلوان بجمهورية مصر، قد انقسمت إلى اللوحة والمعلقة الحائطية والمحورية ومشغولة العظم التي تعامل فيها الفنان مع تقنية الحفر على العظم ـ ديليف ـ التي استخدم في بعضها ألواناً نباتية أعطت أشكالاً زجاجية، إضافة إلى ٢١ لوحة شكلها الفنان فوق سطح سلخ الجلد بالشكل الطبيعي غير المنتظم الأطراف دون تهذيب، تمتعنا بمشاهدتها في المعرض مع مجموعة من الزجاجيات والخزفيات ورقائق المعادن والأسلاك، في تجانسات متناغمة لتحقيق أبعاد القيم الفنية.

وفي بداية الحوار مع الفنان علي المليجي قلت له: المشاهد لأعمالك لا يشك مطلقاً في أنك تتبع مدرسة التربية الفنية؟

وابتسم وهو يقول: سؤال مثير كالسلاح ذو الحدين، الذي يثير الصراع من خلال حده الأول، ويؤكد على بناء الفنان من خلال حده الآخر، ولن أدخل في الصراع، لكن تعليقي يؤكد على أن كليات الفنون الجميلة ـ في العالم اجمع ـ لا تخرج فناناً ما بعينه، فالفنون تدخل بند القدرات الخاصة ـ المواهب ـ في الانسان، وإلا لكان عدد الفنانين المؤهلين في العالم العربي وحده يتعدى عشرات الآلاف، وهو ليس كذلك، ثم عملية وضع الرجل في المكان المناسب أمر صعب والدليل أن عدداً كبيراً من خريجي الفنون الجميلة يعملون بالتدريس في التعليم العام ـ برغبتهم..!! أما الجانب الآخر فأقول فيه نعم أنا من خريجي التربية الفنية وأنت كذلك من فناني هذه المدرسة التي تتميز بحب المثابرة والاجتهاد والدأب والتجريب في كل من الشكل الفني والموضوع، في الخامة وفي التراث، في التقنيات وفي القيمة الفنية في خطوط متوازية وهي أيضاً اتجاه يعمل على تذوق الناس للفنون التشكيلية بكافة صور البحث فيها، وكلنا يمارس الفن، من ينجح يستمر، ومن يستمر وتثبت أقدامه يحقق للأمة العربية اتجاهها القومي في هذا الخضم الهائج الهادر.



مركب قطرية ـ معلقة

الارتباط بالحضارة أولاً

قلت للفنان علي المليجي:

• من الملاحظ أنك تستخدم الخط في أعمالك، فهل أنت من الحروفيين؟

ـ ارتبط اتجاه الحروفيين بأصحاب البعد الواحد في ممارسة الفن التشكيلي العربي من أجل البحث عن هوية تشكيلية عربية، وهي علامات صحة ودليل تفتح من شباب الوطن،

حوار مع فنان

يرفض تقليد الآخرين

لكني أصارحك القول ، لست من هؤلاء أو من أولئك ، فقط أنا أبحث في فنون وطن العرب ـ كلنا كذلك ـ لكي يبتعد هذا الفن عن الدوران في فلك الاستعمار الثقافي الغربي الذي ورثناه وألفناه ، ومازال الإرث فينا ، ونحن الذين نحمل في طياتنا حضارات شامخة أينعت فنوناً متميزة ، إن المسميات كثيرة ومرهقة ، وإن كان لها أهمية فبماذا تسمي انتاج الفنان المسلم ، حروفي ، زخرفي خطاط ، من أهل أومدرسة البعد الواحد أم ماذا ؟ أعتقد الأصوب أن نقول هو فنان اسلامي .

• ولكن المشاهد لأعمالك يحس بامتزاج الحس الشعبي بالاسلامي .

ـ ما تحسه هو الصدق ومن منا لم يحس بفنونه الاسلامية وتراثه الشعبي الذي خلفته حضارات عريقة ترعرعت في وطننا ، وقد بحثت تلك الفنون في كل أشكال التعامل مع الفن الشكلي والموضوع والخامات والتقنيات ، ومن يبحث عن هوية عربية لفنوننا التشكيلية لابد وأن يكون هذا مدخله الصحيح ، المهم أن يعايش زمانه بما يفيد التطور العصري لقومية الفن العربي ، ونحن هنا نستلهم من فنون مؤصلة ولا نطورها ، فكلمة تطوير الفنون قضية خطيرة فنحن لانطور ماكينة .

• إذن ماذا عن التشكيل لديك ؟

ـ يحمل التشكيل لدي ثلاثة محاور أساسية في التعبير الفني ، الأول ، يبحث في الخامة فالجلد خامة لم يتطرق كثيرون في التعامل معها تعاملاً متميزاً إلا الفنان الاسلامي الذي سجل عليها القرآن الكريم ، وهي خامة غنية مثمرة في التعبير الفني ، والثاني ، البحث في الاطار ، فلطالما تعاملنا في حدود الاطار المنتظم من تشكيلاتنا المعاصرة ، لكن أيضاً الفنان المسلم حاول أن يخرج في حدود هذا الاطار ، ونحن نبحث في تحديث ذلك مع مراعاة تطورات التقنية والتكنولوجية للعصر الذي نعيشه .. والمحور الثالث هو الموضوع ، فأنا أبحث في الحدوته أو القصة في المفهوم العقائدي والشعبي ، ولذلك تمتزج الأشكال بالكلمات في محاورات متناغمة ومستمرة ، ومدخلي فيها قول الله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » صدق الله العظيم وأعتقد أن ذلك يعد المفتاح الأساسي للتعبير الفني القومي . وعلى الرغم من صعوبة المحاور الثلاثة ، إلا أن كل واحد منها يسمى العمل الفني ، ولاينفصم أحدها عن الآخر ، وهي محاولات تتأكد وتتأصل بالممارسات المستمرة والبحث المثابر .



الفن هو التطور البشري

وهنا كان لابد أن ننتقل في حوارنا إلى منطقة ساخنة أخرى ، قلت له :

• ألفنا التعامل في التعبير الفني مع خامة مابعينها والتعبير لديك غير ذلك .

ـ انت تعرف أن الفنون لم تعد التصوير والنحت حتى التصوير لم التعامل مع التوال « الكانفاس » والألوان بل اتسعت دوائر التعامل فيه ، إذن هو التطور البشري ، وأنا أعمل في مجال قديم متجدد هو الأشغال الفنية ، صحيح لم يألف الناس التعامل مع هذا المجال ، لكنه خرج من ممارسات الحرف والأشغال الشعبية ، والاسلامية وهو مجال به تميز قومي يؤكد على القدرات الابتكارية لدى الممارس فيه ، فالعمل الفني يقوم على أساسين ، التصميم أو التصميمات ، ثم التنفيذ ، وهو عملية تحتاج إلى قدر من الطلاقة والمرونة ، في التعبير وتلعب الخامات دوراً له أهمية في التعبير ، فالأساس عندي مثلاً الجلود الطبيعية ، ثم يأتي التوليف المصاحب لتنفيذ الفكرة باضافة أعمال من خامات أخرى كالطين والمعادن والزجاجات والأخشاب وكلها تعمل في اطار واحد يؤكد على الصيغة الفنية له .

وهكذا نرى أن الفنان علي المليجي استمد جذوره من التراث الاسلامي والفن الشعبي المعاصر ، من خلال استخدامه للخامات المحلية التي أكسبها من خلال التشكيل التراثي والمعاصر قيمة جمالية متكاملة ، تؤكد أصالة الفنان وروحه الوثابة المنطلقة في رحاب الفن التشكيلي العربي ، البعيد عن التقليد والمحاكاة الفنية لمشاهير الغرب !

سلمان المالكي

الفنان علي المليجي في سطور

• من مواليد القاهرة ١٩٤٦ م
• بكالوريوس الفنون والتربية ١٩٦٩ م
• ماجستير التربية الفنية ١٩٧٥ م
• دكتوراة الفلسفة في التربية الفنية ١٩٨٢ م
• دبلوم التخصص في الفنون الاسلامية ١٩٧٤ م
• دبلوم التخصص في الآداب والفنون الشعبية ١٩٧٦ م
• معارض خاصة : القاهرة ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٣ ـ ٧٧ ـ ٨٣ ـ ٨٤ دسوق بمصر ٧٨ ـ ٨٤ . تونس ٧٨ ـ مدريد ٨١ .
• معارض عامة : المعرض السنوي العام بمصر ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٨١ رابطة خريجي التربية الفنية بمصر منذ ٦٩ حتى الآن الفن والثورة ٦٩ بمصر ـ الفن والمعركة ٧٠ ـ ٧١ بمصر ـ في ذكرى جمال عبدالناصر بمصر ـ ١٩٧١ ـ جمعية محبي الفنون الجميلة ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٨ ـ الفن والشرطة ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ العراق ٧٧ ـ السودان ٧٨ ـ ٧٩ ـ الجزائر ٨١ ـ برلين ٧٤ الدوحة ٨٥ .
• الحصول على العديد من الجوائز وشهادات التقدير في مصر والخارج
• مقتنيات عامة وخاصة في مصر ـ تونس ـ مدريد ـ الكويت ـ المغرب ـ الأردن ـ نيويورك ـ انجلترا ـ قطر .

أوراق خضراء

الكلمة الحيّة لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حيّة من الصحف العربية القديمة

● مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام ● بلادة أم اتزان؟



مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام

بقلم
محمد عبد الرحمن الجديلي

أقام المشرع الإسلامي قواعد المجتمع ، على أسس اجتماعية أصلها ثابت وفرعها في السماء . ونظر إلى الدعامة الأولى لبناء الأفراد وهي المرأة ، فجعلها قسيمة الرجل في الحياة ، أمًّا أو زوجة ، ثم أوضح لها شرعتها حكيمة مسدّدة تمهد لها كل ماهو ميسر لها ، متسق مع طبيعتها . وطبيعة المرأة : وجدان متأثر ، وعاطفة مشبوبة ، وجانب لين ، وأجزاء دقيقة ، وهيكل متأنق ، ورونق متألق ، ولطف ساحر في التأسية ، وفيض ضاف من الحنان .

مَجْد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام

ولقد تنطق المرأة بكلمة تواسي بها الرجل إذا تفزع فؤاده من الهول ، فتفعل الكلمة في قلبه ، وتؤثر وتجدي مالايؤثره أو يجديه بلاغة الأساة من الرجال . ولعلك على ذكر من كلمة خديجة أم المؤمنين يوم جاءها زوجها محمد ﷺ وفؤاده يرجف من لقاء المَلَك . ومن تلقي الوحي ، وهو أمين الله ومختاره جلادة وقوة وصبراً واحتمالاً ، فلم يكن منفرج الروع ، ولاذهاب الخوف إلا ساعة قالت خديجة كلمتها ، كلمة المواساة والترفق والأمل : « كلا والله لايخزيك الله أبداً . إنك لتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدم ، وتعين على نوائب الدهر » .

• • •

أعلى الإسلام من قدر المرأة ماوسع العلاء طبيعتها ، وعظم من شأنها ماشاءت الخليقة أن تعظم ، ثم وفر لها من الحرية مايناسبها ويُهَيِّئ لها في ميدانها سبيل النفع والخير ، فلم يُردْها قعيدة بيت بل سيدة بيت ، ولم يجعلها مسلوبة الارادة ، بل شاءها طليقة في مملكتها الصغيرة الكبيرة ، ورجا لها الصيانة في قدس الخِدْرِ .

خطب ﷺ بنت عمه أبي طالب واسمها أم هانئ وكانت قد تزوجت ونسلت ومات عنها زوجها . فما الذي ألهمها الإسلام أن تقوله في جواب هذا العرض المحمدي الشريف ؟ لقد قالت تخاطب صاحب الشريعة ﷺ : « يارسول الله ، لأنت أحب إلى من سمعي ومن بصري ، وإني امرأة مؤتمة (مات عني زوجي) وَبنيَّ صغار ، وحق الزوج عظيم ، فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي ، وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي » .

فقال رسول الله ﷺ : « إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش : أحناهن على ولد في صغره ، وأرعاهن على بعل في ذات يده » .

لم تكن تلك الحرية فيمن تختاره المرأة لنفسها قاصرة على كرائم أحرارهن ، بل بسطها الإسلام حتى على من كانت أمَةً وخلصت من الرق .

ملك عقبة بن أبي لهب جارية حبشية اسمها بريرة ، وزوجها عبداً من العبيد ، فكانت تضيق به وتتبرم منه . ولكنها مملوكة وأمرها ليس بيدها . فلما علمت عائشة أم المؤمنين بما تعانيه « بريرة » في هذا الزواج اشترتها وأعتقتها . فقال لها رسول الله ﷺ : « ملكتِ نفسكِ فاختاري » فاختارت أن تنجوَ بنفسها من هذا الزواج الذي لاتطيب به . فكان زوجها بعد هذا الفراق يمشي خلفها ويبكي ويسترضيها ، فلا ترضى عنه . وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً . رآه ﷺ مرة وتلك حاله فقال لأصحابه : « ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له ؟! » ثم قال لها : « اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك » فقالت : « أتأمرني يارسول الله ؟ » فقال : « لا . إنما أنا شافع » فقالت : « إذن ، فلا حاجة لي إليه ... » .

هكذا تقررت حرية المرأة في أمر نفسها ، حرية تكفل للبيت النعيم ، وتوفر لها الهناءة . وبهذا جاء الإسلام موقراً لرأيها ، محافظاً على كيانها ، مظهراً لشخصيتها . فإذا ما أجارت المسلمة لاجئاً ، أو أمنت أسيراً ، فقد أجار المسلمون ــ جميعاً ــ من أجارت ، وفكوا من أطلقت ، وحموا من استعاذ بها ...

ورد في صحيح البخاري أنه لما نزل رسول ﷺ بأعلى مكة يوم الفتح احتمى رجلان بأم هانئ بنت أبي طالب وهي مسلمة ، فدخل عليهما أخوها علي وهمَّ بقتلهما ، فأغلقت دونه الباب ، وجاءت رسول ﷺ وسلم فقال لها : « مرحباً وأهلاً ياأم هانئ ، ماجاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر أخيها علي ، فقال عليه السلام : « قد أجرنا من أجرت ياأم هانئ وأمَّنا من أمنت » .

فقد أجاز المشرّع لعقيلة مسلمة كريمة أن تفك عانياً أسره المسلمون في غزوتهم ، وقد كانت بين الأسير وبين الكريمة أسباب وثيقة ، فما هو إلا أن عاذ بها واستجار في حماها ، فأجارته .

• • •

ولقد كانت كبرى بنات سيدنا محمد ﷺ وهي زينب قد تزوجت من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع ، وكان أبو العاص يخص زوجته بإكباره وتكرمته ، فلما انصرف عن الإسلام بادئ الأمر وزوجته مسلمة فرق بينهما الإسلام ، وهاجرت زينب ، وبقي هو منصرفاً عن الإسلام ، غير أن حنينه لزوجته لم يفتر ، فكان يرسل لوعته الحرَّى في أبيات من الشعر الرقيق ويقول :

ذكــرت زينب لما وركت إرمــــــا
فقلت سقيــا لشخص يسكن الحرمـا
بنت الأمــيــن جزاهـا الله صالحة
وكل بعل سيـنـبـى بـالـذي علمـا

ثم خرج إلى الشام في تجارة لقريش ، فعرض للقافلة زيد بن حارثة في جمع أرسله محمد عليه السلام ، فغنموا المال وأسروا

الرجال . وكان في الأسرى أبو العاص ، فاستجار بزينب ، فرجت أن تحقق إجارته وأن تحميه ، وترقبت صلاة الفجر ، وأبوها يؤم المسلمين ، فلما انتهوا وقفت بباب المسجد ونادت بأعلى صوتها : « إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع » . فقال ﷺ : « هل سمعتم ماسمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « فوالذي نفسي بيده ماعلمت بشيء مما كان حتى سمعت ماسمعتم . المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت » فلما انصرف النبي ﷺ الى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه ، ففعل ...

ولقد حسن شأن أبي العاص ، وحلت الهداية قلبه ، فعاد الى مكة وأدى الحقوق الى أهلها ، ثم رجع الى المدينة مسلماً ، فرد رسول الله إليه زوجته زينب الوفية البارة .

• • •

رأى المشرع الإسلامي أن صيانة الأعراض وحرمة السير وكرامة الأسر من حقوق المجتمع ، بل من أسباب بقائه ونموه ، ذلك بأن الخلية الأولى من خليات المجتمع هي الأسرة ، والأسرة لاقوام لها إلاّ بالرجل ، يندفع لحمايتها ، وينبعث لرعايتها ، ويعاني أخطار الحياة ، ويجوب العامر والخراب — كل ذلك ليوفر لأبنائه ولبيته أسباب الحياة وسعادة العيش ، ومايدفعه إلى ذلك إلا حنان الأبوة ، ووشائج النسل ، وشعور ملتهب بأن الولد قطعة من ابيه ، وفلذة من كبده ، فمن أين تتم للرجل تلك الدوافع وهاتيك الوثبات إذا هو ارتاب أو حاك الشك في نفسه صحة انتساب ولده إليه ، أو خلوص زوجته له ... !

لهذا أحاط الإسلام المرأة بسياج حصين ، وأمن الرجال على أنسابهم وأعراضهم ، لصلاح مجتمعهم ، ثم توعد — في أسلوب قوي رائع — كل من يمس قداسة الطهر ، أو يتعرض — على غير علم — لعفة المرأة ، أوجرى على لسانه الهُجْرُ والفحش في سيرتها ...

يقول تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون » .

فانظر كيف حدد الله للتهجم على الأعراض عقوبة جسيمة ثم أردفها بأخرى أنكى وأخزى وأبقى على الأيام ، تَسِمُ القاذَف بميسم الخزي وتتهمه — أبد الأيام — بفقدان الثقة وخبث الذمة ومرض الضمير . ثم يختم سبحانه الآية بتسجيل فسق القاذف وخروجه عن طاعة الله ونبذه من المجتمع الأخلاقي ...

ثم شاء — جل وعلا — ألا يدع هؤلاء الواغلين في الأعراض حتى يجعل الخزي والعار ناطقاً بشناعتهم مشهراً بسوآتهم فقال :

« إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » .

ولقد ثقف الإسلام المرأة ثقافة يتطلبها شأنها ، ثقافة دينية خلقية ، فكان عليه الصلاة والسلام يجعل للمسلمات يوماً كل أسبوع يعلمهن ويثقفهن ، وكان كريم الصبر في إرشادهن ، فسيح اللبان في هدايتهن .

أخذ عليهن — عندما كن يبايعنه مرة — ألا ينحن على الموتى . فقالت عجوز ممن حضرن : يارسول الله ، إن أناساً أسعدوني على مصيبة أصابتني ، وإنهم أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أُسعدهم . فقال لها عليه السلام : « انطلقي فأسعديهم » ثم عادت فبايعته .

تلك بعض نظرات المشرع الإسلامي الى المرأة ، فأين نحن ؟ وكيف صرنا ؟

لقد يروي لنا المؤرخون أن دولة الرومان يوم تألق نجمها ، وعظم سلطانها ، واستبحر عمرانها ، كان الشطر الثاني للمجتمع وهو النساء ، لايعرفن غير البيت والأسرة ، يقمن للبيت بواجبه ، ويؤدين للأسرة حقها ، وهن من وراء حجبهن . بل لقد غلون في الحجاب يومذاك غلواً كبيراً ، فلن تخرج واحدتهن إلا وهي ملثمة ، وعليها الأردية السابغة ، ومن فوقها العباءات التي لاتبين تقاسيم الجسم — في ذلك الحين برع الرومان في كل شيء ، في الملك والصناعة والتشريع ، ودانت لسلطانهم الشعوب . فلما بلغت الدولة مداها ولع الناس بالترف ، وغمرهم النعيم ، وأفسد أجسامهم البذخ ، فغدوا يبتكرون الملذات من غير تحرجٍ ولاتأثم ، حتى فترت غيرتهم ، وامحت نخوتهم ، فتضعضعت قوة الملك ، ووهي صرح المجتمع ، ولم تلبث دولة الرومان العظيمة أن تساقط ملكها ، وانتزع الفساد شوكتها ، وراحت صريعة الشر الاجتماعي الذي نزل بالمرأة من عليائها الى الحضيض ، وهوى بالدولة معها الى الفناء .

• • •

ولقد نسمع المفكرين وذوي المذاهب الاصلاحية الاجتماعية يتصايحون اليوم : أن ارجعوا بالمرأة الى ماخلقت له ، وجنبوها مزالق الاجتماع ، واجعلوا تحت نظرها كتب التهذيب الديني ، والتدبير البيتي ، لتروي أبناءها من منابع الدين وأصول الفضائل ، وتحكم بتدبيرها نظام الأسرة الذي أوشك يتداعى . فهل من سميع ؟ وهل من مجيب ؟ لنا في تراثنا مرجع لصد العابثين ، وإيقاظ السامدين . إن في تربية الإسلام للمرأة ما يوفر لها حريتها ومجدها وكرامتها .

بلادة أم اتزان؟



بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

يجيء يوم في حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة ، وأعني بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ، ويدور بها من خوالج .فَمَطّةُ بوزٍ هي كل مايبديه من أسف على فائت ، وهزة كتف خفيفة لاتكاد تُلمح هي مايقابل به الحوادث الجسام ، والبرود أو الجمود هو مايتلقى به الغمز والطعن والتشهير ، والابتسام هو كل مايبدو من سروره .

زارني مرة صديق لايزال على ارتفاع سنه فتيّ الروح يغلي في عروقه دم الشباب ، ودفع إليّ بصحيفة وقال وهو يشير بأصبعه إلى موضع فيها ، وكأنه يشكه برمح : « ألا ترد على هذا ؟» فرفعت رأسي إليه ــ فإن قامته مديدة ، وأنا كما يعلم القراء ، أو كما لايعلمون ، قميء صغير ــ وسألته : « ماذا ؟ » قال وهو ينتفض كأن به حمى : « هذا الشتم ! هذه القباحة ! هذه السفالة ! هذه ... » .

فاستوقفته بإشارة وقلت : « حلمك ! لقد شتمني بعضهم مرة في صحيفة كبيرة فقال عني (من فراش العار) وأضاف إليّ زملائي جميعاً فقال عنا إننا (أبناء الزواني) فهل قال هذا ــ وأشرت إلى الصحيفة التي ألقاها على مكتبي ــ شراً من ذاك ؟ »

فترك هذا وسألني : « ألم تقتله ؟ »

قلت : « ياسيدي لو كنت أعلم أنه خالد لحاولت قتله ، ولكنه فانٍ مثلي ، فلماذا أجشم نفسي عناء باطلاً ، وأتكلف تحصيل الحاصل ، وأتعاطى العبث والسخافة ؟ » .

قال باشمئزاز : « هذه فلسفة لا أفهمها ... هه ... من ضربك على خدك ... »

قلت : « لا ، ليست هذه فلسفة ، وإنما هي بلادة ، ثم إني لاأدير للضارب خدي الآخر ، وكل مافي الأمر أني لاأحس ما ظنه الضارب لطمةً لي على خدي ... »

فصاح بي : « كيف لاتحس ؟ أيقول عنك

إنك من فراش العار، وإنك ابن زانية وتجيء وتزعم أنك لاتحس ولاتبالي ؟ »

قلت : « حلمك مرة أخرى . إني أعرف أني لست من فراش العار، وأني لست ابن زانية ، فما يشتمني به لايغير ما أعرفه . ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضا . وهذا غير صحيح . ولو أن الذي شتمني التزم القصد ، وآثر الاعتدال فيما يرميني به لكان أخلق بأن يصدقه الناس ويقتنعوا ، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه ، فكلامه فيَّ ينال منه ولا ينال مني . وقد أخجله ضني بنفسي على هذه الأوحال فاعتذر، فهل تدري ماذا قلت له ؟ »

قال : « لاأريد أن أسمع . يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندي ... المهاتما غاندي ؟ » قالها بلهجة المتهكم الزاري .

قلت : « ولا هذا أيضاً . إن غاندي حي — مثلك — ولكن أساليبكما مختلفة . أما أنا فأهون ما أقوله في نفسي أني أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود في العبث الذي لاطائل تحته .

أصبحت بخيلاً مقتراً ، أنفق حياتي بحساب دقيق ، وأدخر كل ما يسعني ادخاره من القوة ، ومازلت مسرفاً في إنفاق حياتي ولكن فيما أحب أنا ، وبإرادتي ، لابالشعور الدافع . وإنه ليحلو لي أن أسمي هذا بلادة ، ولكنه قد يكون اتزاناً ، وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء . ولاتخف ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إربا إربا ، فما نفدت قوتي ، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشري ، ومازلت ذلك الوحش القديم الذي يلذه أن يمزق لحم الفريسة ، وأن يلغ في دمها . وإذا رأيتني أسطو على أحد ، وأكر عليه وأصميه ، أو أعذبه تعذيب القط للفأرة ، فاعلم أني أفعل ذلك بإرادتي ، لأن شعوري غلبني ، فما يغلبني شعوري في هذه الأيام ، وعلمي بما أقدر عليه هو الذي يصدني عن هذه المهاترات الفارغة . » .

فقال : « لقد تغيرت جداً »

قلت : « إنك تذكرني بقول القائل :

وقد زعمت أنــي تغيَّــرت بعدهــا
ومــن ذا الــذي يــا عَزُّ لا يــتغير

نعم من ذا الذي لايتغير؟ حتى الحجر ! ومع ذلك من يدري ؟

لقد كنت في صدر حياتي مدرساً ، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثوني ، فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفي بذلك ، وأستغني عن الاحتياج إلى عقابهم ، وكنت أزعم أن هذه حكمة ، والواقع أني ما عابقت تلميذاً قطُّ ، في عشر سنين زاولت فيها التعليم ، وكان الذي بيني وبين تلاميذي عامراً كل هذا الزمن ، ولكني كنت أدير عيني في نفسي وأفحصها ، وأغوص في أعماقها ، أتبين أني أكره العقاب الخفيف ، وأنه لا يرضيني إلا أن تكون الضربة قاصمة للظهر ، لأني بطبعي عنيف ، ولما كان لامحل لضربة قاضية من أجل أن تلميذاً لاعبني أو مازحني ، وهو لايريد شراً ، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبي ، فقد كنت أكبح نفسي وأردها عن الأذى ، وأعمل بقول الشاعر :

تــوقــي الــداء خيــر مــن تصدٍ
لأيســره وإن قــرب الــطــبــيب

نعم تغيرت ، بمعنى أن بعض الطباع التي كانت تظهر وتخفي فيما مضى ، صارت أبرز وأقوى ، فهي الآن السمة الغالبة والطابع الملحوظ .

هذه خلاصة ماحدثت به صديقي ، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً ، نسيته ، فقد طال بيننا الحوار ، وتركني وهو غير مقتنع بصوابي ، فلم أحفل بذلك . وماذا يضيرني ألا يقتنع ؟ ولماذا أكلف نفسي تعب إقناعه ؟ أنا الذي جربت مراراً كيف يخيب الأمل ، ويذهب المسعى سدي ؟

وأويت إلى مكتبي في الليل ، بعد أن نام البيت ، وأعفيت من ضجّة الأطفال ، وأخرست لسان الراديو الصاخب ... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنيَّ مثلي ، يأكلون على ضوضاء الراديو ، ويراجعون دروسهم على ضجات الراديو ، ولايبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به ، أو يبالونه ، ومن شابه أباه فما ظلم ، وإني لأرجو أن يظلوا مثلي ، وألا يكترثوا لمن عسى أن يسبهم ويزعمهم « من فراش العار » — في حوار أدبي أو جدل سياسي — ماعلينا .

سألت نفسي لما خلوت بها : « أهذا الذي صرت إليه اتزان أم بلادة؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء ، أم فتور حتى عن محاولة الإدراك ؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد ، أم هي خمدت وأنت تحسبها لاتحتاج إلى أكثر من التقليب ؟ وهل يشي هذا بالقوة ، أو يشي بالضعف ؟ ومن اليأس هذا ، أم من العلم والفهم الصحيح ؟ وحال تدوم ، أم عارض يزول ؟

وطال تفكيري في جواب هذه المسائل ، ولم أنته إلى شيء تسكن إليه النفس ، فنهضت وأنا أقول : « ولماذا أعني نفسي بهذه المتعبات ؟ وماذا أبالي على كل حال سواء أكان الأمر هكذا أم كذلك ؟ » .

وأعجبتني « لاأبالي » هذه ، فقد صارت عندي مخرجاً من كل ورطة ، وباباً لتفريج كل أزمة في نفسي . ومن كان يسعه أن يقول — ويكون على نحو ما يقول — « لاأبالي » فقد أوتي الراحة ، ولاأقول السعادة فإنها خرافة .

يقدمها: طلعت الشايب

كاتب ألماني اسمه "علي"


المؤلف في الحقيقة

المؤلف متنكرا في ملابس ومظهر عامل تركي مهاجر

• منذ عشرين عاماً وبدعوة من حكومة «بون» تدفق آلاف العمال الأتراك إلى ألمانيا الغربية، ورغم أن الصفوف الطويلة تضم مهاجرين من اليونان ويوغوسلافيا وغيرهما من الدول، إلا أن الأتراك هم الغالبية حيث يصل عددهم الآن إلى مايقرب من مليون ونصف عامل مهاجر يقومون بأصعب الأعمال وأقلها شأناً.

وفي عام ١٩٨٣ خطرت على بال أحد الصحفيين الألمان، «جونتر وولراف – ٤٣ سنة»، فكرة أن يتنكر في ثياب ومظهر عامل تركي مهاجر ويذهب ليعيش باسم «علي» لمدة عامين كاملين في عالم العمال المهاجرين.. أو في القاع كما يقول.. ثم يعود لينشر التجربة المثيرة في كتاب وهو واحد من أكثر الكتب مبيعاً في ألمانيا الآن. بعنوان «في الحضيض».

ومنذ فترة قصيرة ظهر على أحد المسارح ذلك الرجل المتوسط البنية برأسه الأصلع إلا قليلاً وبنظارته ذات الإطار المعدني الذي يبدو فيها أستاذ جامعة وليس عاملاً مهاجراً، وذلك بعد أن خلع عنه خصلات الشعر المستعار وحلق الشارب التركي ونزع عن عينيه العدسات اللاصقة وودع اللكنة الألمانية المصطنعة ليواصل على مدى ثلاث ساعات تقريباً حديثه إلى جمهور كبير من الأتراك، والألمان عن رحلته في «عالم علي»، تارة يقرأ لهم فقرات من كتابه وتارة أخرى يتبادل معهم النكات والقفشات عن سياسة حكومة ألمانيا تجاه المهاجرين.

وعندما جاء دور الأسئلة والأجوبة قام واحد من العمال الأتراك إلى خشبة المسرح وبلهجة ألمانية ركيكة ليشكر المؤلف على كتابه وليصفق الجمهور طويلا.

ومنذ ظهور الكتاب تتكرر لقاءات متشابهة، وكثيراً مايكون الليل قد انتصف عندما يجيب «وولراف» على آخر سؤال ويوقع على آخر أوتوجراف.

الكتاب الآن هو حديث تجمعات العمال المهاجرين، يقول أحد الطلاب الأتراك الذين يدرسون في جامعة فرانكفورت «عندما يزور الألمان بلادنا يقولون إنها جميلة، ولكنني عندما أتحدث هنا ينظرون إليّ بازدراء شديد وكأنني إنسان متخلف».

ويتساءل طالب آخر «ماذا يخبيء المستقبل للعمال الأجانب في ألمانيا؟ ولماذا كل هذا الحقد وكل هذه الكراهية؟».

أما الكاتب الذي لم يكن يتوقع لكتابه كل هذا النجاح فيقول:

«لا أعرف على وجه التحديد العوامل التي ساعدت على نجاح الكتاب» وإن كان أحدها بالتأكيد هو تعاطفه الشديد مع «علي» الذي يقول عنه: إنك «من السهل أن تقابله سائراً في أي شارع من شوارع ألمانيا».

لقد اكتشف الكاتب عندما اختمرت الفكرة في رأسه – منذ مايزيد عن عشر سنوات – أنه ليس من السهل اكتساب هوية جديدة أو ادعاؤها فقد كانت العملية تتطلب إعداداً نفسياً وبدنياً طويلاً. بعد شهور من التحضير والإعداد قام – متنكراً – بزيارة عدة أماكن عامة فلم يتعرف عليه أحد، وفي مارس ١٩٨٣ كان جاهزاً للإقلاع إلى العالم الآخر فأخبر معارفه وأصدقاءه بأنه مسافر في رحلة طويلة، ونشر إعلاناً في إحدى الصحف يقول:

«أجنبي قوي البنية يطلب عملاً من أي نوع، لايهم أن يكون قاسياً أو قذراً.. ولايهم الأجر» وبدأت الرحلة!

وبالرغم من أن نسبة البطالة في ألمانيا تبلغ ٨,٦٪ إلا أنه لم يجد صعوبة في الحصول على عمل ولكنه في معظم الأحيان كان يستأجر بطريقة غير قانونية.

أحد الأعمال الأولى كان تنظيف اصطبل خيول في كولونيا لقاء دولار ونصف في الساعة، بعد ذلك التحق بعمل في مزرعة وبدون أجر، فقط مقابل الإقامة والطعام ومصروف جيب ضئيل، وكانت لديه الحرية كاملة (!) في أن يختار مكان إقامته الذي قد يكون سيارة مهجورة أو حظيرة حيوانات أو ركناً مظلماً في مبنى تحت الإنشاء.

وفي جميع الحالات كان يلاحظ أنه كلما كانت أحواله مزرية أمام أصحاب العمل، كان ذلك من الأفضل بالنسبة له.

ذات يوم قالت له سيدة استأجرته: «نحن لايهمنا ماذا تفعل، حتى إذا قتلت أحداً... لانريد أن نعرف ذلك، عليك أن تؤدي العمل الذي يطلب منك فقط»

ومن الأعمال الأخرى التي شغلها مؤقتاً كانت وظيفة عامل نظافة في المطاعم والمصانع التي كان يتم إلحاقه بها عن طريق بعض المقاولين الذين يقومون بتوريد العمال لتشغيلهم

بطرق غير قانونية . وطبقا لروايته كانت هناك عصابات تقوم بهذه الأعمال وتحصل على ٢٠ دولارا في الساعة عن كل عامل تقدمه للمصانع الكبرى بينما تعطى العامل ٢٢ دولارا عن وردية عمل تستمر عشر ساعات ناهيك عن سوء المعاملة .

في بعض الأعمال مثلاً كان عليه أن يستخدم ـ مثله مثل العمال الأتراك الآخرين ـ دورات مياه غير تلك المخصصة للعمال الألمان .

ومن القصص المثيرة التي يوردها في كتابه من واقع ذات التجربة أنه أثناء عمله في أحد مطاعم « مكدونالد » في هامبورج كان الشبان الألمان يلقون ببقايا الطعام أمامه على الأرض « كلما كان على وشك الانتهاء من الكنس »

وفي أثناء مباراة للكرة في برلين ألقى عليه المشاهدون بعلب البيرة الفارغة وبقايا السجائر المشتعلة .

والكتاب في رأي مؤلفه يثير أكثر من مجرد الشعور بالذنب لأن الناس يعرفون « أن هذه الممارسات موجودة ومستمرة ولكنهم لا يفعلون شيئاً »

ولم تقتصر الضجة التي أثارها الكتاب على دوائر العمال المهاجرين بل انتقلت إلى المجتمع الألماني ذاته ، فكثير من الشركات التي جاء ذكرها في الكتاب بأنها تستغل العمال تخضع الآن للتحقيق من قبل السلطات الألمانية بسبب خرقها لقوانين العمل كما أن أحد المقاولين الذين أشار اليهم الكاتب قام برفع قضية ضده أمام إحدى محاكم كولونيا متهماً إياه بالتشهير به .

الصحفيون أيضاً ـ وبدوافع مختلفة ـ أثار بعضهم تساؤلات عن مدى شرعية الأساليب التي لجأ إليها الكاتب لجمع معلوماته كما اتهموه بتزييف بعض الصور والمبالغة في رواية بعض القصص .

أما العمال الأتراك ـ موضوع الكتاب والمغامرة ـ فرغم إشادتهم بالكتاب وبصاحبه إلا أنهم يرون أن « بعض كلمات على بضع صفحات لا تكفي لإثارة قضية بذلك الحجم »

« وولراف » سعيد بكتابه الذي حقق الهدف منه كما يقول وهو « فضح أساليب معاملة العمال الأتراك » ثم يضيف دون أي اكتراث أو مبالاة بالانتقادات التي وجهت إليه .

« أحياناً تجد نفسك مضطراً للتنكر لكي تعري المجتمع ومضطراً إلى الخداع والنفاق لبعض الوقت من أجل أن تكشف الحقيقة . »

أول شاعر رسمي للبيت الأبيض:

الشِّعر: حيث يوجد قلبي



روبرت بن وارن

• منذ نصف قرن أنشئ في أمريكا ـ « ضمن هيئة مكتبة الكونجرس » ـ منصب « مستشار الشعر » لتكون من واجبات من يشغله إلقاء المحاضرات والأشعار وتقديم المشورة بشأن البرنامج الأدبي للمكتبة وترشيح الأعمال لشعرية الجيدة التي تضاف إلى أرشيفها .

وفي العام الماضي فقط وبعد عدة سنوات من المناقشة صدر قانون بإنشاء منصب الشاعر الرسمي الأشبه بشاعر البلاط Poet Laureate الذي عرفته بريطانيا منذ القرن السابع عشر .

وفي ٢٦ فبراير الماضي أعلن في أمريكا عن تعيين « روبرت بن وارن » Robert Penn Warren « ، (٨٠ عاماً) ، للمنصب الجديد

وليبدأ عمله فيه من سبتمبر القادم .

روبرت وارن شاعر وروائي وكاتب مقال ومحاضر في عدد من الجامعات الأمريكية ، وأشهر أعماله رواية بعنوان « كل رجال الملك » ظهرت منذ ٤٠ عاماً وحصل من أجلها على جائزة بوليتزر التي حصل عليها مرتين أيضاً في الشعر .

والشاعر الرسمي لأمريكا سبق أن شغل منصب « مستشار الشعر » في مكتبة الكونجرس مرتين في عامي ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ وهو صاحب العبارة الشهيرة « الشعر هو حيث يوجد قلبي » ، كان قد كرس حياته تماماً لفنه خلال العقد الأخير ، ولكنه غير راض عن انتاجه ، (٧ قصائد) خلال العام الماضي ، ولن ينشره .

ويبدو أن المنصب الجديد الذي تم تعيينه فيه بقرار لن يفرض عليه كتابة ما لا يريده ، فقد صرح بعد أن علم بالخبر بأنه « لا يمكنه أن يكتب مرثية لقطة شخص ما » عندما يطلب منه .

السخرية التي تُقَاوم في روايات الأَرض المحتلة

بقلم: وليد أبو بكر

ماأقوى ذاكرتهم!

كان هذا هو التعجب الساخر الذي وضعه سميح القاسم في روايته (إلى الجحيم أيها الليلك) كردّ على مزاعم الصهيونية التي تقول إن اليهود يعودون من منفاهم بعد ألفي عام. ثم أضاف إلى هذا التعجب سؤاله الساخر: غير معقول! قلتم إنكم لم تفقدوا الحنين إلى هذه البلاد، رغم غربة ألفي عام، فكيف تتوقعون أن يفقد شعبنا الحنين إلى هذه البلاد، بعد غربة ربع قرن فقط؟

مثل هذا السؤال ـ الاستنكاري ـ يكشف لا معقولية الصهيونية، في مقولاتها من ناحية، وفي ممارساتها الارهابية من ناحية أخرى، ولذلك يصبح من الصعب أن يتعامل معها الفن الروائي بشكل من المنطق الذي تحاربه. وهو لذلك غالباً مايتجه إلى الردود الساخرة، التي تطبع معظم الكتابة النثرية في الأرض العربية المحتلة، وفي مقدمتها الرواية. ولذلك لاتكاد أية رواية أن تخلو من هذه السخرية، التي تتفاوت في حجمها، ومرارتها، والقدرة على توظيفها، بين رواية وأخرى.

وتتشعب المواضيع التي تتعرض للسخرية الروائية في اتجاهات عدة، ولكنها في محصلتها تركز على كشف الاحتلال، واعتباره حدثاً طارئاً لايمكنه أن يستمرّ، لأنه لايملك مايؤهله للاستمرار سوى قوة واحدة، هي قوته العسكرية، التي تعتمد على قوى خارجية من ناحية. وتستفيد من الضعف العربي من ناحية أخرى، وهذان عاملان قابلان للتحول، مع مرور الزمن.

وتنصب سخرية الرواية في اتجاهين: الأول هو الواقع الذي يحاول الاحتلال أن يخلق فيه نسقاً منسجماً، من خلال مجموعة من التناقضات الحادة التي توجد فيه. وتشير سحر خليفة في روايتها (الصبّار) بسخرية إلى أن هذا المجتمع قد تشكل من جنسيات مختلفة، وثقافات مختلفة، ولغات مختلفة، وألوان مختلفة، ومع هذا يريد أن يشكل مجتمعاً ينتسب إلى الشرق الأوسط. كما أن المتشائل، في رواية إميل حبيبي (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل) يكتشف أن هذه «الدولة» ليست بنت معيشة، لأن أصحابها لايعرفون لغتهم، وهم يتكلمون كل لغات العالم على حدّ تعبير سميح القاسم في روايته (الصورة الأخيرة في

■ التهكم على خدعة الديمقراطية وكشف التعصب والإرهاب وعمليات القتل الجماعي للعرب !

■ استخدام ألوان الفكاهة للسخرية على الصهاينة وكل المتعاونين مع الاحتلال

■ نُكَتٌ لاذعة تُعَبِّر عن رأي اليهود في مجتمعهم المَلِيء بالمتناقضات

الألبوم) .

وحين تحاول الدعاية أن تجعل من هذا المجتمع « مجتمعاً عبرياً نقياً » ، فإن الرواية تصور الواقع حين تجعل اليهودي يرى العرب في كل مكان ، لدرجة أن أطفالهم يملأون السهل والجبل ، كما ذكر إميل حبيبي في (سداسية الأيام الستة) . كما أنها تكشف زيف الدعاية حول الديمقراطية ، فتتهكم على حقوق الأقليات المتساوية مع اليهود ، ليشير سلمان ناطور في روايته (أنت القاتل ياشيخ) إلا أن ذلك مجرد خدعة ، بينما توحي إشارات أخرى إلى العنصرية الصهيونية التي لا تكتفي باحتقار العرب ، وإنما تطال اليهود الشرقيين (السفارديم) أيضاً ، فالشارع في (أخطية) نائم ، بسبب جوّ الشرق الذي ينيم العرب العاملين فيه ، وأمثالهم من اليهود الشرقيين .

وهذا الواقع المتناقض يلجئ الكيان الصهيوني إلى المزيد من التعصب والإرهاب والحروب ضد العرب ، وهو أمر تكشف الروايات أنه مقصود لاشغال الناس عن واقعهم بخطر متوهم ، صوره إميل حبيبي في (اخطية) كسيف من السماء مسلول ، لايستطيع أن يصل إليه التحقيق المتكامل الذي يبدأ من الشك في أن كل عابر سبيل هو عربي ، وإن كل عربي متهم بأن يكون « مخرباً » بما في نيته ، ولذلك فإن كل من يتعرض للتحقيق ، يعلن العدو عن اعترافه ، في محاولة لرفع المعنويات التي تصل حدود الانهيار أمام كل « حادث أمني » .. ثم تطوي القضية كلها ، بعد إشغال الناس بها زمناً ، لتبدأ قضية أخرى ، تطارد حنين الناس إلى هذه البلاد في هذه البلاد .

ولأن واقعاً مثل هذا لايمكن أن يطاق ، فإن الاتجاه الثاني الذي يتعرض لسخرية الروايات ، هو الاتجاه الذي يحاول أن يقبل هذا الواقع . بالتكيف ، أو بمساعدته على البقاء ، بالضعف امامه او بالتعاون معه . وقد نالت شخصية (المتشائل) قدراً كبيراً من السخرية لهذا السبب ، فوصفه إميل حبيبي ، على لسان والده ، بأنه تيس ، منذ البداية ، أما نهايته فلا يمكن أن تكون ، إلا فوق خازوق ، وهو الحال الذي يصل إليه من يغمض عينيه عن الواقع ، ويحاول أن يقبله . وقد قدمت الروايات تحت الاحتلال مجموعة من الشخصيات السلبية المشابهة لشخصية « المتشائل » ، فهناك شخصية سهيل عزالدين في (أنت القاتل ياشيخ) ، وهي شخصية صدقت الدعاية الصهيونية ، التي تقول ان الدرزي مواطن ، ولذلك حاربت مع العدو ، دفاعاً عن « الوطن » . ولكن نهاية الشخصية كانت فوق خازوق معنوي ، ففي أول معركة خاضها سهيل عزالدين ضد (العدوالسوري) في حرب اكتوبر ، قتل أخا للحبيبة التي تعب كثيراً حتى حصل على موافقة أبيها ، وهو أخ تركه والده عندما انضم إلى حرس الحدود ، عام النكبة ، ولم يعد قادراً على العودة إليه . كما أن « محامي الأمة » في (اخطية) شخصية سلبية أخرى ، يسخر منها إميل حبيبي ، خاصة حين يكشف أن هذا المحامي يتظاهر بالوطنية ، لكنه في السرّ يتعاون مع العدوّ ، مثل زميله المحامي « عصام الباذنجاني » في (المتشائل) .

إن السخرية إذن تأخذ طريقها إلى تناقض الواقع ، وإلى الشخصيات السلبية المختلفة ، داخل الأرض المحتلة وخارجها ، وقد لجأت السخرية إلى كل الأساليب المعروفة ــ كتابياً ــ في هذا المجال ، وكان هدفها النهائي هو توصيل مقولات الروايات النهائية ، التي تتلخص في رفض الاحتلال وفي الدعوة إلى مقاومته بكل الوسائل . فاستخدمت الروايات ألوان الفكاهة التي تتولد من اللغة ، وهو الأمر

السخرية التي تُقاوم في روايات الأرض المحتلة



سميح القاسم

الذي برع فيه إميل حبيبي أكثر من غيره ، مما يشير إلى ثروته اللغوية ، والتراثية ، وقدرته على توظيفها . وإذا كانت (المتشائل) قد لفتت الأنظار بهذه القدرة ، فقد جاءت (أخطية) لتعزز هذا الاتجاه ، ولتضيف إليه تجربة تربط الفكاهة اللغوية بالبناء الفني للرواية ، لدرجة أن المفارقات اللغوية تظل جديدة ومدهشة مهما أعيدت قراءة الرواية ، لأنها قادرة على أن تفاجئ القارئ باستمرار ، فلا يستطيع تعودها ، أو توقع ماهو قادم منه ، هذا بالاضافة إلى ماتقدمه من دلالات تخدم مقولة الرواية الأساسية ، وهي الاصرار على البقاء ، قناعة به ، عن طريق الوعي الذي تنشره شخصية (أخطية) ومن حولها .

وبالرغم من أن شخصية (اخطية) هي شخصية ايجابية ، وتكاد أن تكون النقيض المتكامل لشخصية المتشائل ، إلا أن الأسلوب الذي كتبت به الرواية ، على شكل تحقيق صحفي ، وحواشيه ، كانت قادرة على أن تتيح للراوي ـ وهو المؤلف ـ قدراً كبيراً من التحرك داخل الواقع ، للسخرية منه ، وحول الشخصيات السلبية للغرض ذاته . فالرواية تتحدث عن « جلطة » مواصلات ، شلت الحركة في حيفا ، وبالتالي في الكيان الصهيوني كله ، مما يكشف أنه يقوم على الرعب ، حتى وان كان مايحركه مجرد وهم . وحين يجند الكيان الصهيوني كل جهوده للبحث عن عربي فلسطيني ملثم ، ومسلح ، نزل من السماء ، كسيف مسلول ، فشلّ الكيان الصهيوني كله ، يقوم الراوي بمتابعة تحقيق الشرطة ، بسخرية مرة منه ، كما يضيف إلى عمله ، تحقيقاً يقوم به صحفي شاب ، بواقعية تامه . وتتولد السخرية أساساً من المقارنة بين التحقيقين اضافة إلى لعبة اللغة التي يتقنها الكاتب .

إن « التحقيق المتكامل » الذي تجريه السلطة ، يلوّح بكل الأخطار التي يحاول الكيان الصهيوني في أن يبقيها حية ، ليشغل الناس عن واقعهم ، بينما تحقيق الصحفي الشاب يكشف عن حنين قاد أحد الذين هاجروا من حيفا ، ليعود إلى حيفا زائراً ، وينتهي مرحلاً ، لأن العودة الحقيقية لاتكون عن طريق الزيارة ، وإنما عن طريق النضال الذي كرسته كل الروايات تحت الاحتلال ، كطريق وحيد للعودة .

وخلال التحقيق ، يوزع إميل حبيبي سخريته على كل الأطراف المحتلة ، والمتعاونة ، والجبانة التي لاتختار طريق النضال . فالعجوز اليهودية التي أكدت أنها شاهدت العربي الملثم بأم العين ، قالت إنه كان يرتدي ماكان يرتديه جيرانها العرب ، في طبريا ، أيام كان لها جيران عرب . أما اليهودي المتدين فقد كان استغرابه كبيراً ، لأنه لم يسبق له أن شاهد عرباً ـ فهو لايخدم في الجيش ـ ولذلك تساءل : وهل تخلع بناتهم ما تخلعه بناتنا ؟

أما لجنة التحقيق فقد قدمها إميل حبيبي بما تستحقه من سخرية ، خاصة وهي تحاول ـ عبر اعضائها ـ أن تتظاهر بالفهم ، وهي تعتمد على الكثير من الغيبيات في تفسير الوقائع ، كما تعتمد على قصاص أثر عجوز ، محال على المعاش ، لتستشيره . وحين تحدث عن الشخصيات المتعاونة ، استعاد ماسبق أن وصف به المتشائل ، لكن بشكل أكثر ذكاء . فمحامي الأمة ، الذي يركب الجاغوار الغامقة اللون ، ويسير على خطى والده المرحوم في التعاون ، يتلقى لطمة العدو وهو يبتسم ، ثم يرسل محاميه لمقاضاة الذين دافعوا عنه ، حين يسمع أن هناك من يدافع عنه ، خارج الأرض المحتلة ، يعلن براءته من الانسانية جمعاء ، ويخرج عن المحكمة وهو يرفع إشارة النصر ، هو ، ومن حاكموه ، لأن نتيجة موقفه كانت لصالح « الديمقراطية الاسرائيلية » المزعومة .

وإذا كان إميل حبيبي قد اعتمد كثيراً على المفارقات اللفظية ، فاستخدم الصرف ، والجناس ، والسجع ، والنحت ، والايقاع والتكرار بشكل مكثف ، فإنه ، هو وغيره من كتاب الرواية ، لم يكتفوا بالسخرية اللفظية ، وإنما استخدموا أساليب أخرى منها ما يعتمد على الموقف ، الذي غالباً ما يتحول إلى كوميديا سوداء ، خاصة إذا تحوّل إلى المقارنة بموقف آخر ، كما يحدث عندما تكتشف (روتي) اليهودية أن جنود والدها الجنرال المتعصّب ، قد قتلوا شقيق حبيبها ، الشاب المتفتح ، الذي سدّت في وجهه سبل التعليم ، فحاول أن يفتحها بالتسلل إلى سوريا ، حيث قتل ، واتهم بأنه مخرّب ، في رواية (الصورة الأخيرة في الألبوم) لسميح القاسم ، وهو


إميل حبيبي

الموقف الذي حدا بروتي أن ترفض الحياة، في مثل هذا الكيان العنصري، وأن تختار الموت البطيء، لعلّ صورتها تكون آخر صورة في ألبوم والدها الرهيب. كما أن معظم المواقف التي وقفها سهيل عزالدين في (أنت القاتل ياشيخ) لسلمان ناطور، تؤدي نفس الغرض، لأن الشاب ظل مخدوعاً بالمساواة، وحصل على التعليم، وحقق حلمه في خطبة من يحبّ، ولم يستطع ما يراه أو يسمعه حوله ـ خاصة في الجامعة ـ أن يهزّ قناعته، لأنه كان يحاول ألا يرى وألا يسمع، حتى جاء وقت التجربة، وطالب أن يعامل مثل موشي وكوهين في اختيار مكان خدمته في الجيش، ولكنّه وجد أن كل الطرق مسدودة في وجهه، إلا طريق فرقة الأقليات، المتخصصة في قتال العرب، وهو الطريق الذي يؤدي إلى اكتشاف أنه قد خدع كل عمره، من أهله، ومجتمعه، ومدرسته، التي تزوّر التاريخ.

لقد أفرط (المتشائل) في الولاء، حتى أصبح الأمر تفريطاً، وهو ماحدث مع سهيل عزالدين، ومحامي الأمة، وحتى الاستاذ (م) في (سداسية الأيام الستة)، الذي قتل ذاكرته وهو يحاول أن يتكيف مع واقع الاحتلال، وحين أحسّ بعدم جدوى ذلك، لم يستطع أن يستعيدها.

أما تناقض المواقف في سلوك المحتلين، فالروايات تزخر به: إن المحتل يزعم باستمرار أنه متحضر، ولكن يسلك سلوك غير المتحضرين في كل ممارساته، بدءاً من العنصرية، وانتهاء بالارهاب. ولأنه يدعي حقاً يعرف في داخله أنه ليس له، فإن كل دعاواه تجاه هذا الحق في العودة إلى (أرض الميعاد) تبدو متهافتة ولاتستحق إلا النكتة التي تتحوّل إلى مايشبه التعلق بعظام نخرة. كما أن دعواه بتميزه، باعتباره (شعب الله المختار) تبدو متهافتة أمام الواقع الذي لايبدو له تميز فيه إلا القوة العسكرية، فحتى قوة العمل، والانتاج، تأتي من العرب الذين يسري شبابهم، مثل نوار اللوز، إلى الانتاج كل صباح، بينما يواصل اليهود النوم.

وحين يدعي بعض المستوطنين الايمان، فإن سلوكهم يوحي بعكس ذلك. أن أحد المصلين اليهود في (عباد الشمس) لسحر خليفة، يقطع صلاته، ويطلق النار على طفل عربي ويرديه قتيلاً، ثم يعود إلى الصلاة.

إن المستوطن اليهودي، خاصة إذا كان غربياً، يرتب أموره بحيث يرتاح، ويستفيد من جهد العربي، أو اليهودي الشرقي، الذي يكاد أن ينفي عنه يهوديته، لأنه متأثر بالبلدان التي عاش فيها. وقد بلغ الأمر، عند إميل حبيبي إلى حد مناقشة التخفف من مهام العلاقات الزوجية، حين روى في (اخطية) أن اليهود اجتمعوا برجل الدين يسألونه إن كان اقترابهم من نسائهم في السبوت عملاً أو لذة، فقال إنه لذة، وعندما سألوه تفسيراً قال: لوحكمت لكم بأنه عمل، لأوكلتموه إلى العرب.

وتبدو هذه (النكتة) مباشرة، وهي لاتقف وحيدة في ذلك، لأن بعض الروايات تلجأ إلى مثلها، خاصة حين تكون معبرة عن رأي اليهود في مجتمعهم. إن روتي مثلاً، حين تفهم ـ بالحوار ـ طبيعة مجتمعها، تؤكد أن هذا هو رأي بعض اليهود أيضاً، ثم تروي (نكتة) تقول إن المجتمع «الاسرائيلي» ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هم الذين دخلوا السجن، والقسم الثاني هم الذين يوجدون في السجن الآن، أما القسم الثالث فهم الذين سيدخلون السجن قريباً.

إضافة إلى كل ذلك، فإن الرواية العربية تحت الإحتلال، تلجأ إلى الوصف للسخرية، فإميل حبيبي يعطي الشخصيات السلبية أوصافاً تثير الضحك، مادية، ومعنوية، ولكنهم يبقون أكثر قبولاً عندما يقارنون بالعدو: إن المتشائل ـ رغم كل الصفات التي حولته إلى مايشبه المسخ ـ يبقى أطول من الحاكم العسكري اليهودي، حتى عندما ينزل عن الحمار. أما زعماء الصهيونية الكبار، فهم في (اخطية) مجرد (أحابيش) صغار، كالذين وصفهم المسعودي في مروج الذهب، ممن يصعدون إلى البحارة، كانذار بسوء الحال. ولأن سوء الحال مستمر تحت الاحتلال، فإن هذه الأحابيش، من البناجرة الصغار، والديانات الصغار (نسبة إلى بن جوريون وموشي دايان) يملأون الشوارع، وحين يختفون، لا يستطيع من جاءوا بعدهم أن يصلوا حتى إلى مرتبة «الأحابيش» التي يضحك لها المؤلف وهو يتصور أحابيش بيغن وشارون.

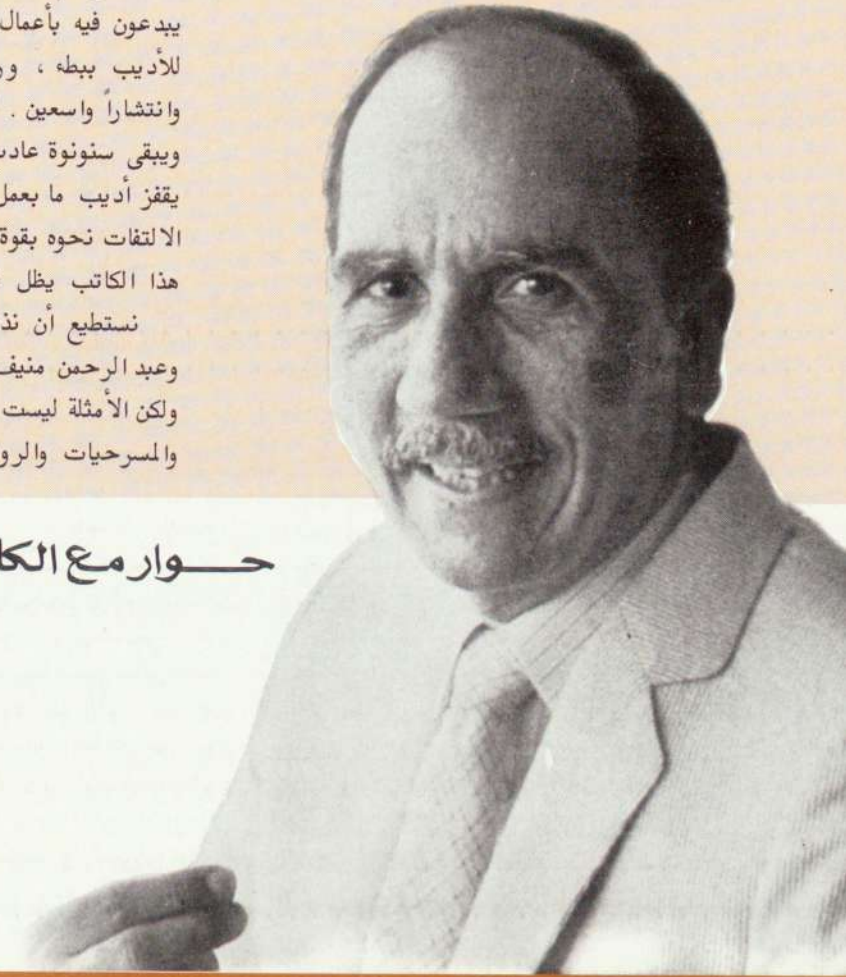
وحين يستفيد إميل حبيبي من تراث المسعودي في رسم هذا المشهد في روايته، فانه لايكتفي به، لأن التراث يتخذ عنده أهميته، في الشكل الروائي الذي يختاره من ناحية، وفي مادة التراث ذاتها من ناحية أخرى، فبالإضافة إلى استخدامها للتأكيد على عروبة الأرض، وأصالة أهلها، وزيف الدعاوي الصهيونية، فانه ينفذ من كل ذلك إلى توظيفها في السخرية من مقولات العدو ودعاويه. فحين تقول لجنة التحقيق في (اخطية) إن الشرق منوّم، وتستدل على ذلك بحكاية مدينة النحاس في ألف ليلة وليلة، يقف المؤلف في وجه هذه المقولة، ليذكر بحكاية الأميرة النائمة في الفولكلور الغربي، وحين يدور البحث حول (الخمار) فانه يذكر الذين يثيرونه بتقليد حزام العفة الذي عرفه الغرب، ويتساءل: هل استطاع حزام العفة أن يثير قريحة شاعر غربي، كما استطاع (الخمار الأسود) أن يفعل؟

لقد قيل: شرّ البلية مايضحك، ويبدو أن بلية الاحتلال أكبر من كل الشرور، حتى تحوّلت السخرية منه إلى سمة أساسية في الروايات العربية التي تكتب تحت الاحتلال، ولكنها السخرية الأقرب إلى الجدية، لأنها لاتقال من أجل أن يضحك الناس وينسوا، ولكنها تقال لتعبىء الناس، فلايبقى أمامهم إلا اختيار وحيد: أن يقاوموا هذا الاحتلال حتى يستطيعوا أن يضحكوا ضحكاً لاتولده البلية.

وليد أبو بكر
الكويت

قلائل هم الأدباء والكتاب الذين يتركون بصمة واضحة على المجال الذي يبدعون فيه بأعمال قليلة .. هم الاستثناء . والقاعدة أن يتصاعد الخط البياني للأديب ببطء ، وربما يحقق عمل ما ، لكاتب ما ، شهرة كبيرة ، وذيوعاً وانتشاراً واسعين . لكن هذا العمل يبقى شجرة في صحراء .. لا تصنع ربيعاً . ويبقى سنونوة عادت مبكرة فهي لا تحمل في منقارها الربيع .. شيء رائع أن يقفز أديب ما بعمل أو عملين إلى مركز الصدارة ، ويجبر القراء والنقاد على الالتفات نحوه بقوة .. ولكن الأروع من ذلك أن يستمر هذا الالتفات . لأن صوت هذا الكاتب يظل قوياً متميزاً ..

نستطيع أن نذكر عدة أمثلة .. في الرواية برز بسرعة وقوة الطيب صالح وعبد الرحمن منيف . في المسرح نذكر سعد الله ونوس ، ومحفوظ عبد الرحمن ولكن الأمثلة ليست كثيرة على كل حال . بينما تمتلىء الساحة بالقصائد والقصص والمسرحيات والروايات التي تعد ولا تعطي .. وتبرق ولا تمطر .



حوار مع الكاتب المسرحي والتليفزيوني

محفوظ عبد الرحمن


الطيب الصديقي


صقر الرشود

أجرى الحوار :
نزار عابدين

ـ أستاذ محفوظ .. لم لا نبدأ بإلقاء نظرة متفحصة على خارطة المسرح العربي الآن بعد مرور أكثر من قرن على انطلاقة هذا المسرح ؟!

• نحن نعيش اليوم فترة نكسة مسرحية ، أو قل هزيمة مسرحية تمتد منذ حوالي عشرين سنة حتى الآن ، وهي انعكاس لحالة جزر عربي ، وحالة جزر في المد التقدمي العالمي كله . هناك هزائم ، سوداويات ، انكسارات ، كل هذا ينعكس على المسرح ويجعله يصل إلى ما هو عليه الآن .

أنا أعتقد أن هناك سببين لهذا الأمر ، وقبل ذلك علينا أن نتساءل .. كيف ينمو المسرح ؟ ليس الآن فقط ولكن على مر التاريخ ومنذ عرف المسرح ؟ لاشك أن هناك عوامل كثيرة درسناها وتعلمناها وقلناها مراراً ، وهناك أشياء كثيرة لابد من ذكرها الحضارة والمدنية والثقافة والوعي وجمهور المسرح وغيرها . ولكنّ هناك دائما شيئين مشتركين هما السببان اللذان يقفان وراء تقدم مسرح ما أو تخلفه ولا يمكن وجود مسرح بدونهما ..

الأمر الأول : أن يكون هناك حد أدنى من الحوار الديموقراطي بين الفئات والجماعات الموجودة في بلد ما ، هذا الشرط نجده في أثينا عندما خرج منها عظماء المسرح الاغريقي ، نجده في لندن عندما أنجبت مجموعة المسرحيين الانجليز ، وعلى رأسهم طبعاً شكسبير ، وبالتالي نجده في أي فترة أنتجت مسرحاً مزدهراً . قد يختلف شكل هذا الحوار بين زمن وآخر ، وبين مكان وآخر ، ولكنه كان موجوداً ، وبلا قهر يصل إلى تضييع وجهة نظر الآخرين .

الأمر الثاني : احساس الكاتب الفنان الانسان المنتمي إلى بلد ما بأنه يعتز بشيء ما وبأنه ينتمي إلى شيء ما .

هذان الأمران افتقدناهما . وفقدناهما خلال السنوات العشرين الماضية . وبالتالي لم يكن بالامكان أن يكون هناك مسرح عظيم . لأن المسرح قضية . ومادام كذلك فإنه تحاور

فئات ، ومادام تحاوراً وحواراً فانه لايمكن أن يعيش إلا في ظل العاملين اللذين ذكرتهما . مع مراعاة وجود عناصر أخرى .

ــ أنت تستعمل بعض التعابير الخاصة حتى لو لم تكن دقيقة وعلمية تعبير « هزيمة مسرحية » واحد منها ؟! كيف انهزم المسرح ؟!

• هذه الهزيمة نتيجة المناخ العام ، لو استعرضنا ماحدث على امتداد الساحة العربية خلال الأعوام الأخيرة سنجد أننا نفقد أرضاً وراء أرض ، مكسباً تلو مكسب ، مع مزيد من التمزق . مع كثير من الحروب المصطنعة وغير المصطنعة . كل هذا يمثل هزيمة تنعكس على المسرح . كثير من الحكومات العربية كانت تقدم الدعم للمسرح وترعاه تخلت عنه الآن ، فنان المسرح نفسه ، لم يعد شديد الاخلاص للمسرح . شديد الالتصاق والالتزام به ، إلا قلة .. فهزيمة المسرح انعكاس وامتداد للهزيمة العامة . ورغم قتامة الصورة وسوداويتها فانني لست متشائما . فهناك في كل مكان تجارب متمردة . وتجارب ترغب في تقديم الجديد ، سواء على مستوى النص أو العرض أو الاخراج . والأمل معقود الآن على هذه التجارب .

ــ منذ ربع قرن أو أكثر انتشر المسرح في أرجاء الوطن العربي كله .. وحتى في الأرياف .. وبدأ المشاهد العربي في كل قطر يرى مسارح الأقطار الأخرى ، وخلال هذه السنوات كنا نلاحظ أن مسرحاً عربياً يقفز إلى الأمام قفزات نوعية متميزة ومبهرة أحياناً ، ولكنه يتوقف . ولايستمر في مسيرته المتصاعدة . ينطبق هذا على المسرح السوري والجزائري والعراقي والمصري ، فلماذا ؟!

• المسرح بحاجة إلى فنان مسرح قادر على أن يخلق حركة مسرحية بوجوده وأعماله وعن طريق الآخرين ــ حتى منافسيه ، في كل فترة نجد فناناً يقدم جديداً ، يخلق نوعاً من الحيوية في الحركة المسرحية ، تتعداه إلى الآخرين ، لنأخذ مثالين : الطيب الصديقي في المغرب ــ وصقر الرشود في الكويت .

هذان الفنانان بدأ العمل والحركة المسرحية متواضعة ضعيفة استطاع كل منهما أن يخلق نهضة مسرحية ، وبهرا المهرجانات ، ولفتا الأنظار بشدة وقوة ، لأنهما قدما شيئاً جديداً .

مع انتهاء دوريهما ، بحكم الوفاة لدى صقر الرشود ، وبحكم التوقف عن العطاء لدى الطيب الصديقي . تراجعت الحيوية التي خلقها هذان الفنانان . من عيوب الحركة المسرحية العربية إذن أنها متوقفة على وجود أشخاص . هذا من جهة . من جهة ثانية أنها متوقفة على بعض الظروف المصطنعة ، مثلاً ، بعض وزارات الثقافة أو بعض الجهات الرسمية في الوطن العربي تريد أن تشترك في مهرجان ما ، وتريد أن تبرز اسمها أو اسم دولتها في هذا المهرجان . فتحشد كل الامكانات والطاقات لعمل مسرحي واحد . وتشترك بهذا العمل ، وبالفعل يبرز العمل بصورة متفوقة ، ويحصل على جوائز ، ثم .. تعود الأمور كما كانت ، وينفض هذا الحشد . ويعود الفنانون إلى المقاهي ، بعد أن خابت آمالهم التي علقوها على هذه الصحوة المفاجئة .. لأن هذه الجهات أرادت المسرح حلية أو وردة توضع في العروة « ليتصوروا » بها ، فاذا تحققت الغاية والتقطت الصورة التذكارية للمباهاة ؛ تركوا كل شيء ، وتنتهي القضية ، لأن الحركة المسرحية الحقيقية غير مطلوبة أو مرغوبة .

من هنا مثلا تجد أن المسرح في بلد كالكويت حقق في فترة من الفترات نجاحات باهرة وينطبق الأمر على المغرب أيضاً .

أما في بلد كسوريا أو مصر فالأمر مختلف قليلاً ، لأن القاعدة المسرحية في الأساس شعبية . ولها تاريخ طويل ، والدائرة الفنية كبيرة واسعة ، ومن الصعب اهمالها ، وبالتالي فانها في فترات عدم الازدهار ، تتحول إلى « ثلاجة » تحتفظ بالشكل المسرحي . وتنتظر الظروف المناسبة ، وعندها تقدم نتائج باهرة .

ــ في السينما معادلة نادراً ما تتحقق ، هي الجمع بين القيمة الفنية للعلم ، والانتشار الجماهيري الذي يعبر عنه شباك التذاكر ــ وقليلة جداً هي الأمثلة حول الجمع بين العمل الجاد النظيف . وارضاء الجمهور ــ هذا ينطبق على المسرح أيضاً .. هناك مسرح جاد نظيف ــ فنياً على الأقل ــ ولكنه يبدو جافاً ، وهناك مسرح يسمي نفسه مسرحاً كوميديا ، بينما لا يخرج عن أنه تهريج رخيص ، ولكنه للأسف يحقق انتشاراً واسعا . من هنا لماذا لا نقدم للجمهور فناً نظيفاً يطرح قضايا جادة . ويقدم المتعة في الوقت نفسه ، لماذا لانقيم احتفالا مسرحيا أو حفلة مسرحية ؟

• أنا أرى أن أضيف إلى التقسيم السابق شكلاً ونوعاً ثالثاً .. مسرحيات جادة ومسرحيات تهريجية رخيصة . ومسرحيات تجريبية لأننا نخلط أحياناً بين المسرحيات الجادة والمسرحيات التجريبية . من الممكن أن أقوم بمغامرة مسرحية غريبة من حيث الشكل أو المضمون .. مسرحية تجريبية لا يطلب منها أن تحقق الانتشار الجماهيرى الواسع ، ولكنها يجب أن توجد لأنها رافد من روافد المسرح . المسرح التهريجى الرخيص من نوع « الفارس » الرديء لا يختلف اثنان على رفضه كقيمة فنية حتى العاملين فيه يقرون بذلك . وبهذا يبقى المسرح الجاد وكيفية إيصاله إلى الجماهير .

الاقتراح الذي تحدثت عنه اقتراح جميل وجيد ، أن نقيم بدلاً مما يسمى بالعرض المسرحي المحبوك المحدد احتفالاً مسرحياً . وهذا شكل من الأشكال متوقف على كيف يقوم الفنان المسرحى بهذه المهمة .. هذا اقتراح . والمطلوب أكثر من اقتراح عشرات الاقتراحات . المطلوب أن يطرح الجميع تصوراتهم لشكل المسرح . ليس بمعنى أن يكتبوا المقالات الصحفية والكتب ، ولكن بتقديم مسرحيات بالشكل الذي يقترحونه . فاذا نجحت التجربة يكون هذا الشكل ناجحاً ، أما إذا لم تنجح فمعنى هذا أن الشكل المقترح قد فشل في الوصول إلى الناس .

وبرأيي أن العمل الجاد المنفذ بطريقة جيدة وبتواضع ، ويقدم للناس شيئاً ما . بعد أن يتخلص من التجريب . يجب أن ينجح . ولاشك أن الجمهور سيتقبله ، وعندها يحقق المعادلة الصعبة في الجمع بين العمل الجاد والانتشار الجماهيرى .

ــ يمكن أن نعيد صياغة الأمر بشكل آخر . لماذا يكون المسرح الجاد دائما متجهماً ، فيه الموعظة والدرس والفكرة وكثير من المآسي والدموع ، ولكن فيه قليلاً جداً من المتعة ــ بينما الناس يريدون شيئاً يمتعهم ، وعندما يطالبون المسرح بتقديم هذه المتعة ، فإنهم على حق في هذا .

قد نختلف كثيراً أو قليلاً ــ كمهتمين بالمسرح ــ حول شكل المسرح ــ حول دور

■ أهم عيوب الحركة المسرحية العربية أنها تتوقف على وجود أشخاص وعلى بعض الظروف المصطنعة

■ إن هزيمة المسرح العربي امتداد للهزيمة العربية العامة.. ورغم ذلك لست متشائمًا!

حـوار مع الكاتب محفوظ عبدالرحمن

المسرح ، حول شكل الدراما ، هل هي دراما أرسطو أم الدراما العصرية . لكننا — كما أعتقد — لن نختلف أبداً في أن مايعرض على هذه الخشبة يجذبني طوال مدة العرض .. أجلس مصغياً منتبهاً ، أكاد أحبس أنفاسي ، وأنا أتابع مايجري على الخشبة .. هذا الشرط الذي لن يختلف فيه اثنان من المهتمين بالمسرح — لأضرب مثالاً ، لو أنك فتحت كتاباً ما .. وليكن تاريخ الطبري ، وقرأت لي صفحات من هذا الكتاب ، واستطعت أن تشدني أثناء القراءة ، يكون هذا عرضا مسرحياً من الدرجة الأولى . بينما لوجئتني بعمل استوفى القواعد المسرحية كلها ، وعرضته على المسرح ، وأنا كمتفرج شعرت بالملل ، فان هذا ليس عملا مسرحياً على الاطلاق . باختصار شديد .. الجدية لاتعني أن أفقد جمهوري .. أن أستمتع بما أقدم على الخشبة ، بينما المتفرج لايستمتع ، وقد لايحتمل العرض إلى نهايته فيخرج من الفصل الأول . هذا ليس مسرحاً بكل تأكيد .

— استكمالاً لهذه الفكرة أعود إلى بعض آراء الاخوة المسرحيين المغاربة .. « الطيب الصديقي » تساءل مرة .. من الذي قال إن الجماهير العربية تريد مسرحا على الطريقة الأوربية ، يأتي إليه المتفرج الساعة الثامنة أو التاسعة مساءً ؟! هل جربنا أشكالاً مختلفة من المسرح ؟

هل تعتقد أن مثل هذه الأفكار قابلة للتنفيذ ؟! هل ترى أنها يمكن أن تكون عاملا لجذب الجماهير ؟ أو خلق تفاعل بين المسرح والجماهير ؟!

• ليس عندي إجابة جاهزة ، أو اقتراح جاهز للمسرح العربى الجديد ، لكنني أعتقد أن أي اقتراح من هذا النوع يحتاج إلى دراسة طويلة متأنية لعدة أسباب : ولكن لعل مما يؤكد صحة هذا الاقتراح تجربة المسرح في مصر ، وهي التجربة غير الرسمية .. في الريف المصري ونحن أطفال — كان هناك مايسمى « بمسرح السامر » أو « الحكواتي » ، وهو يتلخص في أن « ممثلين » فقط يرتجلان عرضاً ، وبالتحديد ، لا يرتجلان العرض كله . لأن الموضوع الرئيسى متوارث ، وهذا ما كان يحدث في مكان خال « بيدر » مثلا .. يأتي هذان الممثلان وقد يكونون ثلاثة ، ويجتمع سكان القرية ، ويبدأ العرض ..

من جهة ثانية .. حصلت محاولات كثيرة ، سواء سميت « محاولات برختية » أم غير ذلك إنما كانت محاولات لكسر الحاجز بين الممثل والمشاهد ، أو بين العمل المسرحي والجمهور ، أو بين الخشبة والصالة . وقد كنت من المتحمسين لها في وقت مبكر حتى قبل أن أبدأ الكتابة للمسرح ، لكنها لم تنجح ، لأن لدى المشاهد العربي بشكل عام حساسية ، تجاه التفاعل مع العرض . وعلى حد علمي فان هذه التجارب لم تحقق نجاحاً يذكر .

— قبل أن نسترسل مع الموضوعات العامة وهي كثيرة متشعبة حبذا لو ندخل إلى عالم محفوظ عبد الرحمن الكتابي .. أعمالك المسرحية قليلة .. « عريس لبنت السلطان » و« حفلة على الخازوق » و« ما أجملنا » وهي من فصل واحد ..

• (مقاطعاً) : بهذا تكون قد شاهدت كل أعمالي المسرحية ما عدا بعض التجارب المسرحية من فصل واحد ..

قبل المسرحيتين اللتين ذكرتهما كان هناك كما قلت تجارب مسرحية من فصل واحد .. منها مسرحية بعنوان « احذروا » تتحدث عن اليمن القديم أيام سد مأرب .

— في مسرحيتك « حفلة على الخازوق » و« عريس لبنت السلطان » نجد أنك تستمد موضوعاتك من التراث ، وسواء سميناها اسقاط التاريخ على الحاضر أم إسقاط الحاضر على التاريخ . فهل تعتبر أن طرح القضايا الأزلية أو المعاصرة بهذا الشكل هو الطريقة المثلى لما تود قوله ؟! أم هى هروب من الرقابة ؟!

• بوضوح شديد أقول إنها ليست هروباً من المواجهة . ولو كانت هروباً من السلطات الرقابية لاعترفت بذلك بدون أي خجل — وللكتاب كل الحق في أن يهربوا من سلطة الرقابة بالشكل الذي يرونه مناسباً ، وحدث هذا ويحدث في كل مكان — فعندما كتب سارتر مسرحية « الذباب » كان يهرب من الرقابة النازية أيام الاحتلال النازي لفرنسا ، إن الشكل الذي اخترته ليس هروبا ، وهذا لايخجل ، بالعكس إن النفي هو الذي يخجل . أنا أتصور أننا لا نستطيع أن نضع الحقائق الصغيرة في نظام درامي راقٍ وباقٍ ، إلا إذا كان من يضعها عبقرياً بشكل غير عادي . إن الواقع الذي نعيشه الآن متشابك ومتشعب ، وانتقاء عناصر من هذا الواقع ، يمكن أن تشكل دراما ذات مستوى حقيقي ، يحتاج إلى قدرات لا أظن أنها متوفرة لدي أو لدى كثير من المسرحيين ، أما دراسة فترة تاريخية وانتقاء عناصر الدراما منها فأسهل ، لأنك عندما

تبتعد عن الموضوع تتأمله بصورة أفضل ، والحادثة الآنية تجدها صعبة التناول ، ولكنك لو تأملتها بعد عشر سنوات مثلاً لوجدتها ناضجة ، وقد امتحنت وجربت ودرست ، من هنا كان اللجوء إلى التاريخ ليس بمعنى « التاريخ » أو التوثيق ، وانما استيحاء شكل تاريخي فقط أو إطار تاريخي فقط ، لعرض قضايا — شئنا أم أبينا — معاصرة .

هناك سبب آخر لتناول التاريخ — هو سحره الخاص بالنسبة للكاتب — وأنا شخصياً أجد سحراً خاصاً في التاريخ قبل أن أفكر بالكتابة على الاطلاق .

التاريخ كان يسحرني دائما ، التناقضات الهائلة الموجودة فيه ، والمتفق على أنها صحيحة ، إذن ربما كان اختياري للشكل التاريخي عائداً إلى حبي للتاريخ ، وإلى أن الرؤية أفضل فيه ، وربما كان في هذا شيء من الهروب ، ولكنه هروب لاواع ..

وربما كان علي أن أشرح قضية الكتابة بالنسبة لي ، فأنا عندما أكتب عملاً ما ، لا يهمني أي شيء آخر ، أو يعرض أو لايعرض ، أن ينتج ، أن يطبع أو لا يطبع — فهذا لا يعنيني في فترة الكتابة ، وبعد أن أنتهى من كتابة عمل ما .. يكون قد انتهى بالنسبة إلي ، وأبدأ التفكير في عمل آخر .

— هل تقدم التاريخ كما هو ؟ أم أن للكاتب الحق في أن يغير في هذا التاريخ بحيث لايشوه الحقائق التاريخية ؟!

• هناك حقائق تاريخية لاخلاف عليها ، ولا يمكن أن نعبث بها ، ولكن مايمكن أن نختلف فيه ، هو تفسير هذه الحقائق والأحداث ، ودعني أضرب لك مثالاً عملاً لي ، ولكنه عمل تليفزيوني وليس مسرحياً ، فالحارث ابن عمرو أرّخ له بطريقة خاصة جداً ، والحارث هذا كان ملكا من ملوك العرب قبل الاسلام بحوالى قرن أو قرن ونصف ، وكان من الشخصيات البارزة والفعالة جداً في عصره ، ولم يكتب عنه بشكل كاف ، بل لعله أسقط تقريبا ، واتهم اتهامات كثيرة ، المعلومات التاريخية عن هذا الرجل محددة ولا تختلف من مرجع إلى آخر ، والحكم عليه من المؤرخين حاد وعنيف وشديد ، ولايتضمن أكثر من أنه كان رجلاً متحللاً ، ونلاحظ أن هناك تعالٍ على هذه الشخصية — ولكننا لو نظرنا إلى الحارث بن عمرو نظرة أخرى لخرجنا بنتائج مختلفة ، فمثلا ، التهمة التى نفته من التاريخ تقريبا هي تهمة التحلل الخلقي .. حسناً .. عندما يقال لي ان رجلاً

عربيا استطاع قبل خمسة عشر قرناً من الزمان أو أكثر أن يجمع نصف العرب تقريباً تحت لواء واحد ، ويقاتل بهم أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمان وهما الفرس والروم ، ثم يقال لي إن هذا الرجل كان متحللاً خلقياً ، كيف يمكن أن أصدق ذلك ؟ كيف يمكن أن أصدق أن رجلاً هذه صفاته كان يدعو إلى التحلل الخلقي ؟!

إذا كان « كليب » قد قتل لأنه حاول أن يصنع لنفسه إيواناً خاصاً وحرساً خاصاً ، وأن ينتظر الناس على بابه ريثما يفرغ لهم فرفضوه ـ لأن البدوي كان معتاداً أنه إذا قصد « كبيراً » أو « رئيساً » يدخل عليه بلا استئذان ـ وكليب ينتمي إلى أسرة الحارث بن عمرو نفسها ـ وكان له التوجه نفسة ، وهو محاولة خلق دولة عربية لكن كليباً فكر بها بطريقة الملوك ـ فاذا علمنا أن الحارث كان قبل كليب بعشرين أو بثلاثين سنة ـ حق لنا التساؤل : كيف استطاع أن يحقق ما لم يحققه كليب؟! هل يمكن أن يحدث هذا وهو متحلل خلقياً ؟!

إذن التهمة لا تصمد للنقد .. وهي بالمناسبة ما زالت تهمة معاصرة ، وتلصق كثيراً بمن يراد تشويه سمعته وشخصيته ، فاذا استبعدنا هذه التهمة ، ماذا يبقى من أبعاد الشخصية !؟

رجل دعا إلى دولة عربية لها شكل ديموقراطي ، واجه أعظم امبراطوريتين في عصره وحاربهما ، ثم اتفقت عليه الدولتان المتحاربتان أصلاً ، وعقدتا شبه هدنة فيما بينهما ، لتتمكنا من القضاء عليه ، وتم لهما ذلك في أعظم مذبحة مرت بالعالم العربي في العصور القديمة . إذن القراءة الجيدة للتاريخ ، يمكن أن تؤدي إلى رؤية جديدة وتفسير آخر منطقي للأحداث . في عمل آخر هو « الكتابة على لحم يحترق » اعتمدت على توثيق التحالف المغولي الصليبي .. والمؤسف أن هذا التحالف لم يذكر إطلاقاً في أي من المراجع العربية إلى سنوات قليلة .. ولم يذكر إلا في المراجع العربية الجديدة ، وفي بعضها يذكر على استحياء ، أو في الهامش ، بينما نجده موثقاً ومكتوباً ومؤرخاً له بشكل جيد وتفصيلي كامل في كل المصادر الأوروبية .

ـ عندما نتحدث عن التاريخ ، ماذا نعني بالتاريخ ؟ هل هو الأحداث والشخصيات الحقيقية ؟ هذا نراه في أعمالك التليفزيونية (عنترة ـ محمد الفاتح ـ سليمان الحلبي ـ الكتابة على لحم يحترق) أم هو الحكايات المتوارثة ذات الإطار التاريخي كحكايات ألف ليلة وليلة ، وهذا ما نراه في عمليك المسرحيين ؟

• الحقيقة أننا استخدمنا كلمة التاريخ تلخيصاً لمفهومي التاريخ والتراث ، ولكن هناك تناولاً درامياً لمواضيع تاريخية ، أو لمواضيع تراثية ، قد يكون مبنياً على جملة أو حكاية ، أو قد يكون فقط الشكل التراثي ، أو الشكل العام على الرغم من أن الحكاية قد لا تكون وردت في أي من كتب التراث . فمسرحية « حفلة على الخازوق » مأخوذة فعلاً من حكايات ألف ليلة وليلة ، والثانية « عريس لبنت السلطان » مأخوذة من مجموعة أحداث غير مترابطة وقعت إبان الغزو المغولي للوطن العربي . أما الثالثة « إحذروا » وهي عن سد مأرب ، فانها مأخوذة من أسطورة لاندري مدى صحتها ، إذ يمكن أن تكون صحيحة ، وبالتالي يكون العمل تاريخياً ، ويمكن أن تكون من الحكايات التراثية ، وعندها يكون العمل تراثياً ، أما مسرحية « ما أجملنا » فانها لا تستند إلى هذا أو ذاك إلا من حيث الشكل ، فانها تأخذ شكلاً تاريخياً بالملابس والديكورات ولغة الحوار فقط .

ـ في أعمالك التليفزيونية التي ذكرت بعضها قبل قليل ، وأضيف إليها الآن « ليلة سقوط غرناطة » و« الكتابة على لحم يحترق » توجد شخصيات جديدة على الرغم من أنها كلها تاريخية .. وقد تحدثنا منذ قليل عن هذه النقطة ، لكنك تأخذ أحياناً شخصيات حقيقية وتعطيها أبعاداً أخرى ، في « سيرة عنترة » كان جرير هامشياً جداً ، بينما أصبح لديك شخصية محورية وأساسية ، وفي السيرة « شيبوب » شبه ثانوي ، وهو عنصر إضحاك في السيرة . بينما أصبح في المسلسل شخصية متميزة ، وله فلسفته الخاصة التي قد تذكر بزوربا .

• ما ذكرته حتى الآن صحيح .

ـ هل نستطيع القول إنك تتعمد أن يكون لكل عمل تليفزيوني بعدان ، واحد للمشاهد العادي . وآخر يعطي الفكرة الأساسية التي تود إيصالها ؟

• لنأخذ « عنترة » كمثال .. المسلسل فيه حكاية « حدوتة » والحدوته مشهورة في التراث الشعبي العربي ، وهو مسل ومشوق ويجذب الجماهير ، لكنه في الوقت نفسه مركب تركيباً خاصاً من الداخل . والشخصيتان اللتان ذكرتهما هما سر التركيبة الخاصة ، بماذا تشد قضية عنترة الناس ، لأنها تطرح قضية الحرية ، لكن عنترة لم يكن الطرح الوحيد لقضية الحرية خلال التاريخ ، بل كانت هناك أشكال أخرى ومحاولات أخرى لانتزاع الحرية . فاذا قسمنا الأمر إلى أقسام نقول :

إن محاولات الحرية كانت فردية أحياناً ، فالمستعبد بالرق أو بغيره يريد الخروج من عبوديته إلى السيادة ، فيحاول بجهده الفردي أن يصل إلى تحرير نفسه سواء كان هذا الجهد قوة أم مالاً أم فروسية أم غير ذلك ، لكنه يتحول إلى سيد يملك عبيداً آخرين ، وهذه كانت محاولة عنترة ، لأنه كان يريد أن ينتمي إلى السادة ، وبالتالي سيصبح مثلهم . ويملك عبيداً . لكن هذا ليس الشكل الوحيد للمحاولة ، أو للحرية المنشودة . هناك من تصور أن الحرية تنبع من داخله ، وليس مهماً ما يحدث خارج النفس طالما أنه يحس بالحرية ، وهذا كان يمثله شيبوب ، فقد كان يتصور أن حريته في داخله ويمارسها بالطول والعرض والعمق ، إلى أن يكتشف أنها تصطدم بالواقع ، وأنه لم يكن يستمتع بالحرية لأن الحرية مرتبطة بالخارج . من هنا ، فان ابتهاج شيبوب في الحلقات الأخيرة فتر كثيراً ، وتحول شيبوب إلى شخصية كئيبة .

أما شخصية جرير فكانت التصور الثالث للصراع من أجل الحرية ، الحرية ليست مرتبطة لا بالداخل ولا بالفردية ، إنها مرتبطة بالمجموع .. جرير أخذ حريته ، بالمال أو بالفروسية وظن نفسه حراً ، لكن أول رجل قابله اعتبره عبداً هارباً ، فاكتشف أنه طالما وجد عبيد آخرون فانه لن يكون حراً ، وعليه أن يسعى لأن يتحرر كل العبيد ، في تلك اللحظة وحدها سيكون حراً ..

لقد تصورت في ذلك العمل أن هذه الأشكال الثلاثة هي الوحيدة للصراع من أجل الحرية .

■ القراءة الجيّدة للتاريخ يمكن أن تؤدي إلى رؤية منطقية جديدة للأحداث نفسها

■ أنا مع الكتابة بالفصحى ، لكنني لست ضدّ من يكتبون بالعامية لأنها حقيقة نعيشها

حوار مع الكاتب محفوظ عبدالرحمن

ـ في أعمالك المسرحية والتليفزيونية كلها كنت تكتب باللغة العربية الفصحى ، ما عدا مسلسل «المرشدي عنتر» الذي كتبته بالعامية المصرية ، ستقول لي ان الموضوع كما يفرض شكله الدرامي العام ، يفرض لغة الحوار أيضاً ، ولكن هذا يجعلني أسأل : هل أنت مع الفصحى أم مع العامية أم مع الاثنتين معاً ؟

• أنا مع الفصحى ـ وبرأيي أنها لغة الكتابة .. وموقفي واضح ، فأنا عادة أكتب بالفصحى ، لكنني لست ضد من يكتبون بالعامية ، لسبب بسيط هو أن العامية واقع . فلو أخذنا منه موقف المنع ، فاننا نهرب من واقع وموقف موجود ؛ وتجاربي بالعامية محدودة جداً ..

ـ كثيراً ما نجد دعوة هنا أو دعوة هناك ، للاستفادة من الفنون الأخرى ، كالرقص والغناء والموسيقى ، وحتى السينما أحياناً في المسرح ـ ما رأيك بهذه التجارب ؟

• أنا أتكلم بحسي .. فأنا أنزعج جداً من كل ما يقدم على المسرح العربي غير النص .. كالغناء والموسيقى .

المسرح قضية وكل هذه الأمور وسائل زائدة ، المسرح نص وممثل ومخرج قادر على ايصال القضية إلى المشاهدين بشكل جيد ـ وليس من الضروري أن يعني الشكل الجيد اضافات ترهق العمل .. ولكن ، إذا استطاع المخرج أن يوظف كل هذه الأمور بشكل يخلق عند المشاهد توتراً ذهنياً ، ويقربه من العرض المسرحي . فهذا شيء جيد والواقع أنني نادراً ما رأيت هذه الوسائل موظفة توظيفاً جيداً ..

ـ هناك تجارب لكسر الشكل المألوف للمسرح ، والخروج على قواعده المتوارثة ، وهناك آراء وأفكار تقول إن نواة المسرح موجودة في تراثنا ، خيال الظل ، مسرح السامر ، مسرح البساط أو مسرح الحلقة في المغرب . ما رأيك بهذا ؟

• أنا لست مع المسرحية المحبوكة دائماً ، ولست متعصباً لهذا الشكل .. أنا مع العرض المسرحي الذي يجذبني ، ويحترم عقلي وعواطفي ، حتى لو كانت المسرحية ضد كل القواعد الدرامية المتوارثة منذ أيام أرسطو .

ـ عندما نتحدث عن المسرح نتحدث أيضاً عن مهرجان دمشق للفنون المسرحية لأنه ـ على الأقل ـ المهرجان الوحيد الذي استمر حتى الآن ، فهل حقق هذا المهرجان برأيك بعض أهدافه ؟

وهل ترى أنه مازال يقدم دفعاً للمسرح العربي بشكل عام ؟! .

• صنع مهرجان دمشق شيئاً مهماً ، قد لا يبدو واضحاً للمراقب العادى ، هذا الشيء أنه جعل الفصحى جزءاً أساسياً من المسرح العربي ، لم تكن الفصحى غائبة عن المسرح العربي قبل مهرجان دمشق ، ولكنها أيضاً ، لم تكن معتمدة في الأعمال المسرحية بالشكل الذي نراه عليها الآن ، الأمر الثانى أنه قام بعملية تعارف واسعة بين العاملين فى المسرح من كتاب ومخرجين وممثلين ، ولاسيما بين أبناء المشرق وأبناء المغرب ، فعلى سبيل المثال قبل مهرجان دمشق لم نكن نحن أبناء المشرق نعرف شيئاً عن الحركة المسرحية المهمة في المغرب العربي ، وهي حركة مسرحية ناضجة ..

قدم مهرجان دمشق أيضاً دفعة قوية وهامة للحركات المسرحية في دول الخليج كما كان عرضا لتجارب مسرحية جديدة .

هذه هي النقاط التي تحضرني الآن .. وكل هذا يقول إن مهرجان دمشق قدم الكثير للحركة المسرحية العربية .

ـ من ضمن أهداف مهرجان دمشق للفنون المسرحية ، افساح المجال أمام أجيال جديدة من الكتاب ، وهذا يذكرنا بما يقال دائماً من أن هناك أزمة نص في المسرح العربي ، هل هذا صحيح ؟!

• هذا غير صحيح بكل تأكيد .. لماذا نقول إن هناك أزمة نص ؟ هناك أزمة مخرج .. لن نتحدث طبعاً عن أزمة الممثل ، لأن الممثل موهبة قبل أن يكون دراسة واكتساباً ... لكن المخرج أو الكاتب يحتاج إلى سنوات طويلة من الاعداد ، فلو سلمنا بوجود أزمة نص ، أين المخرج ؟ أين الذي يمكن أن تضع بين يديه نصاً ، فيعطيك عرضاً متميزاً ؟ أين المخرج الذي يحمل رؤية خاصة لكل عمل مسرحي ؟ .. إن هؤلاء قلة ... والقضية ليست قضية فردية . إنها قضية مناخ عام ، والمناخ العام الآن لا يفرز كاتباً جيداً ولا مخرجاً جيداً ولا ممثلا جيداً ، ولا مهندس ديكور جيداً . إنه مناخ عقيم .. حسناً ، هناك أزمة نص ، ولكن هناك أزمة مخرج ، هناك أزمة في كل ما يتعلق بالمسرح . إنها أزمة مسرح بشكل عام .. وفي الفترات المزدهرة التي عاشها المسرح العربي ، كان هناك حرية اختيار بين عدد من النصوص الجيدة .. أما الآن فانني لوكنت مسؤولاً عن مسرح عربي لعانيت أشد المعاناة لأجد نصاً جيدا واحدا ، ومخرجاً جيداً .

ـ قلت إنك تتكلم بحسك .. وقد بدأنا حديثنا بالحديث عن خارطة المسرح العربي الآن ، هل نستطيع أن نستشف مستقبل المسرح العربي ؟ هل خطه البياني متصاعد أم ينحدر ؟! هل نأمل أن يكون مستقبله مشرقاً أم قاتماً مظلماً !

• بدون أى مبالغة أو خطابية ، أعتقد أن المسرح سيقبل على حالة ازدهار ، وأعتقد أنه سيكون بديلاً للبرلمانات العربية ، وأعتقد أن المسرح القادم مسرح فقير ليس لديه الامكانات المادية الضخمة ، ليس لديه دور عرض فخمه ومجهزة بأفضل الأجهزة والمعدات ، بل سيكون في مسارح صغيرة ، وربما في أماكن ليست مهيأة بالأصل لتكون مسرحاً ـ وأعتقد أن موجة التلفزيون لن تنحسر ، بل ستتمدد ، وسيعود المسرح بشكل آخر ليس عندي تصور واضح عنه ، لكنه سيكون شكلاً مختلفاً عن المسرح الذي نعرفه ، وسيكون مسرحاً جيداً ...

ـ هل لأن المنتمين بالمسرح سيكونون أكثر اخلاصاً ، أم لأن الواقع سيتغير ، والمسرح مرتبط بالواقع ، وعلى سبيل المثال المسرح في مصر ، شهدت فترة الستينات نهضة مسرحية مازالت الذروة بالنسبة له ، ثم انحدر ، هل من الممكن أن نتصور أنه اذا تكررت الظروف نفسها ، سنجد مسرحاً مزدهراً كما كان ؟!

• التجارب لا تتكرر نفسها ، أنا أعتقد أن المسرح العربي القادم ، والمسرح في مصر جزء منه . لن يكون كمسرح الستينات لا شكلاً ولا مضموناً ، أنا أعتقد أن المسرح القادم سيكون متمرداً على الخشبة التقليدية ، قد يكون مسرحاً في نقابة ، مسرحاً في مدرسة ، مسرحاً في الشارع ، سيكون هناك أشكال أخرى جديدة غير المسرح التقليدي .. سيكون بديلاً لحلقات المناقشة والندوات وتجمعات المهتمين بالثقافة والوطن . ولست متفائلاً لأن الصورة ستكون وردية ، لكنني متفائل لأنني أعتقد أن المسرح هو البديل الصحيح لكل الأشكال الفنية المرفوضة ، كالسينما التي ترفضها الآن بشكلها ومضامينها الحالية قطاعات كبيرة من الشعب ، التلفزيون سيتجمد دوره ، فقد شبع الناس منه وفقد بريقه الأول .. أما المسرح فانه سيستمر ووسيلعب دوره الذي كان يلعبه دائماً عبر التاريخ . ماذا سيفعل المسرح تماماً ؟ لا أعرف ـ إنما أعتقد أن دوره سيكون خطيراً ، ليس بالضرورة كمسرح الستينات ، ولكنه مسرح حقيقي بالتأكيد .

نزار عابدين

الوعد..

شعر:
د. مصباح أمين الحمصي



الوَعْدُ أقْبَلَ فالبُشْرى تُزَغْرِدُ بي ... وَالقلبُ يَرْقُصُ والأشواقُ تُدْنِينَا
والفِكْرُ يزحفُ في الأرجاء يَسْأَلُها ... أَيْنَ اللقاءُ ... وَمَنْ لِلرَّوْضِ يُهْدينا
والروحُ تسكُبُ في الأحْلام بَهْجَتَها ... والوجْدُ يزْخُرُ مفْتوناً بما فينا
والشمسُ تُهْرِعُ نحوَ الْغرب في قلقٍ ... تبغي الغروبَ لَيأْتي اللَّيلُ يُؤْوينا
فإذا الغروبُ.. دماءُ الأُفقِ تَصبُغُهُ ... مثْلَ اللهيبِ ... ولكنْ لَيْسَ يَصْلينا
سُتُرُ الظَّلام تراها في غلائِلِهَا ... تَرْعَى اللِّقاءَ وتزهو إذْ تُغطِّينَا
أَمْشي إليكَ وَسِحْرُ الْوَعدِ يَدْفَعُني ... والدَّربُ يُصْبِحُ رَوْضاً كي يُحَيينَا
والأرضُ تفتحُ قلباً في حَشاشَتِها ... حتى تَصونَ غراماً أوْ لِتَحْمينا
والعُشْبُ ماج معَ الأنسام في حذَرٍ ... يَرْعى الطَّريقَ إذا ما الْخَطْوُ يُدْمِينا
حتّى السَّنابلُ أحْنَتْ هامَها طرباً ... وغَدَتْ تُدَمْدِمُ لحناً ثُمَّ تُشْجينا
ترجو البيادرُ أنْ نَبْقى بأضْلُعَها ... فإذا البراعمُ والأزرارُ تُغْرينا
يأبى العبيرُ إذا ما الوَجْدُ داعَبنَا ... إلاَّ ويَسْكبُ دمعاً ... لا لِيَبْكينا
لَمْ يَبْقَ للوردِ صبْرٌ إذْ يراقِبُنا ... تأتي الورودُ إلَيْنا ثم يُغْضينا

الوَعْدُ أَقْبلَ فالأقمارُ مِنْ شَغفٍ ... تُغْري الْخمائِلَ بالأزْهارِ تُرْمينا
عُشْبُ الحقولِ ترامى عِنْد خَطْوَتِنا ... مثل الضحيَّةِ بالأرْواحِ تَفْدينا
لَفَّتْ يداي قُواماً خَصْرُهُ صَلَفٌ ... والصَّدْرُ يأملُ .. جَمْراً مِنْ تَدانينا
تاهَتْ يدي فإذا الطريقُ زَنابقٌ ... وَيْحَ الزَّنابق .. هَلْ بالعطْرِ تُلْهينا
ثَرٌّ الرّضابِ دُموعُ النَّحلِ تُبْدِعُهُ ... فإذا الرّضابُ رَحيقَ الشَّهْدِ يُسْقينا
ذاب الغرامُ وذُبْنا في عواطِفِنا ... شَهِدَ اللِّقاءُ بأنَّ الحُبَّ يُحْيينا

الحيـــاة داخــــل ســـفينــة فضـــاء

رائد الفضاء

كيف يأكل وينام ويستحم ؟

بقلم : المهندس سعد شعبان

■ ملابس رواد الفضاء تتألف من طبقات متعددة .

■ شاحنات الفضاء تحمل الأطعمة والمؤن والملابس والوقود للمحطات المدارية .

■ رائد الفضاء ينام داخل دولاب ويستحم داخل برميل .

■ أقصى مدة للبقاء فى الفضاء بلغت ٢٣٤ يوما .

■ أقصى تجربة أجريت تمت فى زنزانة فضائية وضعت على الأرض لمدة عام .



الحركة داخل سفينة الفضاء كالسباحة في الهواء

اتسمت رحلات الفضاء الأولى بقصر مدتها ، فقد كان الهدف الأساسي منها هو الحفاظ على سلامة رائد الفضاء نفسه . ولم تكن معرفة كل الظروف الطبيعية عن الفضاء قد اكتملت ، اللهم إلاّ من خلال عدد من التجارب التى أجريت على بعض الكلاب والقرود .

ولقد دخل رائد الفضاء السوفيتى جاجارين التاريخ من أوسع أبوابه كأول رائد فضاء ، تمثلت فيه شجاعة قهر المجهول . ورغم أن







ملابس رواد الفضاء تتكون من عدة طبقات

رحلته لم تكن غير دورة واحدة حول الأرض ولم تدم إلاّ ١٠٨ دقيقة ، إلاّ أن تاريخ رحلته ١١ ابريل عام ١٩٦١ سيظل على مر التاريخ يوما خالدا يرمز لنجاح الانسان فى قهر الفضاء .

وعلى الجانب الآخر ، أصابت الأمريكيين عقدة التخلف ، لكنهم لم يستسلموا لها ، بل ملك الرئيس الامريكى الراحل « جون كندي » زمام الموقف وتبنى تشجيع الأبحاث الأمريكية ووضع خطط طويلة الأمد تهدف الى هبوط رواد أمريكيين على القمر وتحقق ذلك فى نهاية الستينات .

ولم يكد يمر على رحلة جاجارين غير (٢٣) يوما حتى أطلقت السفينة الفضائية الأمريكية « الحرية – ٧ » حاملة أول رائد امريكى « الان شبرد » فى رحلة فضائية عمودية مدتها ١٥ دقيقة تعرض رائد الفضاء خلال خمس دقائق منها لحالة انعدام الوزن ، ثم هبط بعيدا عن قاعدة الاطلاق بمسافة ٥٥٠ كيلو مترا ، وأعقبتها رحلة « جرسيوم » الأمريكى بعد شهرين بالارتفاع رأسا الى ارتفاع أكثر غوصا فى الفضاء . ولكن المدة لم تدم غير (١٥) دقيقة كالرحلة السابقة لها ؛ ولم تبدأ الرحلات الامريكية بالدوران حول الأرض إلاّ فى ٢٠ فبراير ١٩٦٣ بالرحلة الفضائية الثالثة بواسطة رائد الفضاء « جلين » .

وتوالت بعد ذلك الرحلات الأمريكية وفقا لبرنامج « ميركورى » بينما لم يتوقف الاتحاد السوفيتى عن تسجيل انتصارات نوعية فى

■ حركة رواد الفضاء داخل السفن محفوفة بمخاطر الاصطدام بجدرانها وأسقفها والطفو فى فراغها .

أجهزة طبية لقياس نبضات قلب رائد الفضاء العربي الأمير سلطان بن سلمان



الحيــاة داخــل ســفينــة فضــاء

رائد الفضاء

كيف يأكل وينام ويستحم؟



رائدا فضاء مقيدان بحركة محدودة في السفينة سويوز

الفضاء بواسطة سفن الفضاء من طراز « فوستوك » أي (الشرق) فقد توالى صعود رواد الفضاء « تيتوف » و « نيكولاييف » و « بوبوفيتش » و « بيكوفسكى » و « فالنتينا » بسفنهم فى رحلات متلاحقة ، وتحقق خلال هذه الرحلات القصيرة دراسة آثار انعدام الوزن وامكانات النوم وتناول الطعام والشراب فى الفضاء الى جانب القيام بتشغيل الأجهزة العلمية فى هذه السفن والتحكم فى قيادتها لتغيير مداراتها والتحكم فى سرعاتها أثناء الهبوط ، وبالاضافة الى ذلك التحكم فى قيادتها لمتابعة بعضها البعض على نفس المدار ، فقد عمد السوفييت الى اطلاق السفينتين « فوستوك ٣،٤ » فى يومين متتاليين وارتفعتا الى مدار واحد ، وظلت السفينة الثانية تلاحق الأولى حتى لم يكن يفصلهما غير مسافة أقل من خمسة كيلومترات . وتكرر نفس الأمر بين السفينتين « فوستوك ٥ ، ٦ » . وذلك تمهيدا لعمليات الالتحام بين سفينتين فى الفضاء .

تطور سفن الفضاء المأهولة

ثم تطورت الرحلات الفضائية الأمريكية والسوفيتية بفضل تطور تصنيع سفن الفضاء التى صممت لكى تحمل رائدين ، وبدأت مدد الرحلات تطول وتصبح أياما بدلا من الساعات بل ان بعضها طال حتى بلغ أسبوعين ، كما سبح كثير من الرواد خارج سفنهم ، كل ذلك أضاف بعدا جديدا الى الانتصارات والتطبيقات الفضائية ، وبدد رهبة المجهول فى الفضاء .

ومن أهم ما وفق الرواد السوفييت للقيام به السباحة خارج سفنهم ، وكان أول من قام بذلك الرائد السوفيتى « ليونوف » يوم ١٨ مارس ١٩٦٥ حيث ظل لمدة عشر دقائق خارج السفينة ، لايربط بها غير حبل متين من النايلون طوله يقرب من خمسة أمتار .

واعتبر ذلك بمثابة أول خطوة تمهيدية لتجميع أجزاء سفن الفضاء مستقبلا كما وفق السوفييت الى إجراء تعديل فى تصميم أجهزة الضغط داخل السفن مما أدى الى إجراء تعديلات فى ملابس الرواد يتيح لهم بعضا من حرية الحركة داخل السفينة .

وقد طور السوفييت برامجهم فأعلنوا عن بدء برنامج « سويوز » فى أبريل ١٩٦٧ وأن هذه السفن تستطيع حمل عدد كبير من الرواد نظرا لسعة « سويوز » الى حد يسمح بوجود ستة رواد معا . ورغم أن الرحلتين الأولتين « سويوز ــ ١ ، سويوز ــ ٣ » لم تحملا غير رائد واحد ، فقد تفاخر السوفييت بأن السفينة تكاد تشبه منزلا فيه مكان مخصص للعمل وآخر للراحة والنوم ومكان ثالث للخدمات والأجهزة .

العلماء يذللون المصاعب

بدأ العلماء يخططون لوضع الحلول للحفاظ على حياة رواد الفضاء داخل سفنهم ، وإمكان التأقلم والعمل تحت حالة انعدام الوزن لمدد طويلة وكان هدفهم فى أول الامر هو بلوغ القمر ، الذى لايبعد عنا غير بضع آلاف من الكيلومترات ، ويمكن بلوغه خلال بضعة أيام . غير أن هدفا آخر كان يسيطر عليهم أيضا ، وهو إمكان السفر الى الكواكب فى المستقبل ، والذى قد يقتضى عدة شهور .

كل ذلك جعل خيالات الفنانين تسرح لتصور المحطات الدائمة فى الفضاء منذ الستينات ، وكيف يعمل رواد الفضاء على تجميع أجزائها ، وكيف تجرى أمور الحياة المعيشية داخلها . والحقيقة أن المحطات المدارية أصبحت نقط ارتكاز فى الفضاء يمكن أن يستريح فيها الرواد ، أو يتبادل بها أطقم الرواد قيادة سفن الفضاء ، بعد أن ترسو عليها أو تلتحم بها التحاما مؤقتا فى طريق السفر ، تماما كما تفعل السفن عندما ترسو الى رصيف فى ميناء . ويمكن للرواد آنذاك أن يلموا بالراحة أو يتزودوا بالصواريخ الدافعة ، أو الوقود أو الأوكسجين ، كما يمكنهم أن يأخذوا مايريدون من قطع الغيار ، أو الأجهزة العلمية أو الطعام أو الشراب أو الملابس . ومن هذه المحطات يمكنهم أن يواصلوا السفر ، الى مسافات أبعد غورا فى الفضاء حتى يبلغوا الكواكب .

من ذلك يمكننا تصور أن الطريق الى الكواكب خطط له العلماء ليتم على مراحل أو على قفزات من محطة فضائية الى أخرى ، ويمكننا كذلك أن نتصور دورا آخر لهذه المحطات حيث يمكن أن يقدم العون الفني والمادي لرواد الفضاء وحيث يمكن أن تعمل أجهزة المتابعة للرحلة الطويلة ، وأجهزة مراقبة لسلامتها .

من هنا يمكن القول بأن حلقات التفكير فى المحطات المدارية توالت واحدة إثر الأخرى ، غير أن الأهم من ذلك أن القدرات البشرية كذلك كانت محل التجربة أيضا . ومن التجارب الفريدة إقامة ثلاثة رواد للفضاء عاما كاملا داخل زنزانة فضائية على الأرض ، وقد تمت هذه التجربة السوفيتية داخل « محاكى فضائى » أى « مقلد » تصطنع فيه الظروف لتكون شبيهة بتلك الظروف التى يلاقيها الرواد داخل سفنهم ، من حيث الحرارة والضغط والسعة والضوء ، وحيث توضع نفس الأجهزة والمعدات والأدوات التى يستخدمها الرواد داخل سفن الفضاء .

ولقد استمرت عاما كاملا بواسطة ثلاثة رواد ذوى تخصصات مختلفة حيث بدأت فى نوفمبر ١٩٦٧ وانتهت فى ٤ نوفمبر من العام التالى ولم يعلن عن نتائجها إلاّ عام ١٩٦٩.

وكان فرسان التجربة هم المهندس «أوليشيف» والكيماوى «بوجكو» والطبيب «ماندفيتسيف» وقد وكل الى المهندس تشغيل ألاجهزة واصلاحها، واجراء التجارب العلمية بمشاركة زميله الكيماوى، بينما قام الطبيب بإجراء الفحوص الطبية والتجارب المتعلقة بها على زميليه.

ولقد كان الغرض الأساسي من التجربة، هو قياس قدرات تحمل الرواد للبقاء داخل السفينة الفضائية مددا طويلة تحت ظروف العزلة فى الفضاء وتناول أطعمة ومشروبات ذات تجهيز خاص وبكميات محدودة.

ومن الأمور التى استحدثت خلال هذه التجربة، استخلاص الماء من العرق الذى يفرزه الجلد، وإعادة تكرير البول لاستخلاص الماء منه، واستنبات بعض الطحالب الغنية بالبروتينات بدون استخدام تربة بطريقة كيماوية جديدة هى طريقة «الهيدروكربونيكس».

وقد انتهت التجربة، وأسفرت نتائجها الظاهرية عن فقد المهندس لأربعة كيلوجرامات من وزنه، بينما أصيب الكيماوى بلوثة عقلية، وبقى الطبيب طبيعيا، وظلت نتائج التجربة العلمية محلا للتحليل حتى عام ١٩٦٩، عندما كشف عن بعضها النقاب.

الحركة داخل سفينة الفضاء

فى رحلات الفضاء المبكرة التى اتسمت بالقصر، لم يكن رائد الفضاء يستطيع فكاكا من مقعد القيادة طوال الرحلة. وعندما طالت مدد الرحلات وازدوجت قيادتها بوجود رائدين كمثل رحلات «جيمينى» الأمريكية و «سويوز» السوفيتية، أصبحت حركة رائد الفضاء محدودة وقاصرة على ثنى مقعد القيادة الى الخلف لكي يستريح فى وضع الاستلقاء على الظهر فقط، لأن مقصورة القيادة لم تكن تسمح بأكثر من ذلك.

وفى رحلات «أبوللو» الأمريكية والتى كان يقودها ثلاثة رواد كانت الحركة محدودة للغاية لأن قمرة القيادة لم تكن متسعة وإن كانت مكونة من طابقين.

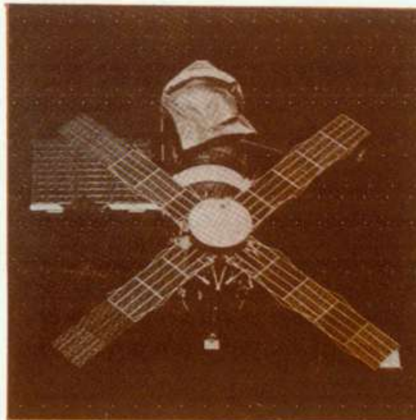
ولتحقيق انتقال رائد الفضاء من مقصورة القيادة الى المركبة القمرية، التى كان يهبط بها اثنان على سطح القمر، كان ذلك يقتضى الانتقال زحفا عبر انبوب يصل بين السفينة والمركبة. وخلال كل هذه الرحلات كانت حالة انعدام الوزن تؤثر على أجسام الرواد بعيدا عن قوى التثاقل بالجاذبية التى تحكم كل لحظات حياتنا وحركتنا على الأرض. إذ تسود حالة انعدام الوزن بعد الإفلات من الجاذبية الأرضية، ولا يقتصر تأثيرها على أجسام الرواد فحسب، بل أيضا على كل مافى داخل السفينة.

فلو أفلت قلم مثلا من يد رائد الفضاء فانه يسبح فى الفراغ الداخلى للسفينة ويظل معلقا ويتمايل وفقا لحركة السفينة. ولو سقطت نقطة ماء من فم رائد الفضاء وهو يشرب، فمصيرها أن تسبح فى فراغ السفينة الداخلى حتى تصطدم بأحد جدرانها أو تعلق بأى جسم داخلها.

ومن ثم فعندما كبر حجم سفن الفضاء، وأصبح ممكنا أن يتحرك رواد الفضاء وينتقلوا من مكان الى آخر داخلها، أصبح لزاماً أن تتم هذه الحركة وفقاً لقواعد مدروسة وإلاّ فإن رأس رائد الفضاء يمكن أن تصطدم بجدران السفينة، أو أن يجد وضعه قد تشقلب خلال ثوان وأصبح رأسه مكان قدميه، دون أدنى تحكم منه.

ولذلك كان الرواد يتمرنون على الأرض لمدد طويلة للعمل تحت حالة انعدام الوزن فى ظروف صناعية تصطنع داخل محاكيات، أى فى ظروف تخلق حالة انعدام الوزن صناعيا. وكان ذلك يتم داخل طائرات مكسوة من الداخل بطبقات اسفنجية، وتنقض هذه الطائرات من ارتفاعات وبسرعات عالية ثم تزيد ارتفاعاتها فجائيا. فتمر على الرواد لحظات تحت حالة انعدام الوزن يفقدون فيها أوضاعهم المعتادة داخل الطائرة ويجدون أنفسهم سابحين داخلها.

معمل الفضاء سكاي لاب



ولذلك فعندما طار معمل الفضاء الأمريكى «سكاى لاب» عام ١٩٧٢، ١٩٧٣ وكان يعادل فى حجمه منزلا مكونا من خمس حجرات، كانت حركة رواد الفضاء داخله لابد أن تكون محسوبة وكان انتقالهم من مكان العمل الى مكان الراحة أو الى مكان النوم يتم وفقا للتمارين التى تمرسوا على أدائها على الأرض. ولقد كانت أحذيتهم ممغنطة بحيث تسمح بانجذابها الى الفواصل التى تمثل قاع الغرف المقسمة داخل السفينة والتى كانت تتكون من شباك معدنية. وزيادة فى الحيطة كانت أحذية الرواد مزودة بخطاف فى المقدمة يسمح بالتعلق فى الفجوات التى بين فتحات الشباك التى تمثل قاع السفينة. هذا بالاضافة الى إمكانهم الإمساك بقضبان كانت تمتد فى كل مكان بالسفينة فى مستوى الأيدي للقبض عليها أثناء الحركة. كل ذلك كان يساعد الرواد على عدم الطفو داخل السفينة.

ولنا أن نتصور كيف تكون وظائف أعضاء الجسم تحت حالة انعدام الوزن. فقلب رائد الفضاء يضخ الدم الى كل الأطراف والأعضاء، وفى غيبة الجاذبية الأرضية يضخ القلب مقادير متساوية الى القدمين كمثل تلك التى يضخها الى المخ، على خلاف مايحدث على الأرض، ولذلك فان الدورة الدموية لرواد الفضاء يعتريها كثير من التغيير. وبعد بدء الطيران الكونى بساعات يكون الاجهاد كله مركزا على القلب. ولذلك فإن عضلات الرواد تتعرض لبعض الارتخاء بعد رحلات الفضاء الطويلة كما أن قلوبهم يصيبها بعض التضخم، وفضلا عن ذلك فقد وجد أن نسبة ترسيب الكالسيوم فى عظامهم ينتابها بعض الخلل. كما أن إفرازات الغدد فى أجسامهم تتعرض لكثير من التغيرات. بل وجد أن أطوال أجسامهم أيضا تتغير وتزداد طولا بضع سنتيمترات. ولذلك وجدت فى سفن الفضاء الفسيحة، التى اضطر الرواد للبقاء فيها مددا طويلة، كما حدث فى معمل الفضاء «سكاى لاب» دراجات مثبتة لتنشيط الدورة الدموية للرواد. وكانوا كلما أحس أحدهم ببرودة أطرافه، دليلا على عدم وصول الدم إليها، فانه يعمد الى تنشيط دورته بالتريض فوق الدراجة. وفى بعض الرحلات، كما حدث فى المحطات المدارية السوفيتية «ساليوت»، كانت عندما تتساقط بعض قطرات المياه من كوب يشرب منه رائد الفضاء، أو تفلت من يده فرشة أسنان فانها تسبح فى السفينة، معلقة فى فراغها حتى يمسك بها أحدهم أو حتى تلتصق بجدران

الحيـــاة داخــل ســفينــة فضـــاء

رائد الفضاء

كيف يأكل وينام ويستحم ؟



تنشيط الدورة الدموية بدراجة ثابتة

السفينة . كل ذلك يرسم عالما غريبا لا عهد لنا به على الارض .

ملابس رواد الفضاء

ان غياب الجاذبية الأرضية فى سفن الفضاء لايعنى صعوبة الحركة وحدها لأن الأهم من ذلك أن السرعات العالية جدا التى تتحرك بها السفينة نفسها تشكل إجهادا يقع على جسم رائد الفضاء ، ومع السرعة العالية تطرأ تغيرات فسيولوجية تحد من قدرته الذهنية والبدنية نظرا لاضطراب الدورة الدموية ويتمثل ذلك فى تغير أوضاع العينين واختلال نطاق السمع واضطراب الإشارات المنعكسة الى المخ ، فضلا عن اختلال التوافق التلقائى لعضلات الجسم مع إشارات المخ .

ولقد عرفت هذه التأثيرات فى الطيران النفاث وتم التغلب عليها فى نطاق السرعات فوق الصوتية التى مازالت لم تتجاوز كثيرا ضعف سرعة الصوت وذلك باستخدام ملابس خاصة للطيارين فى الطائرات .

أما بالنسبة لرواد الفضاء ، فقد تضاعف الاجهاد البدنى إذ لم تعد زيادة السرعة فى نطاق ضعف سرعة الصوت بل تجاوزته الى أضعاف ذلك بكثير ، ولذلك تطورت أيضا ملابس رواد الفضاء .

وأهم مايميز هذه الملابس أنها طبقات فوق بعضها للحفاظ على الحرارة ، وللوقاية من الاشعاع ، ولتوفير المكان لدفع أجهزة القياس التى يلتصق بعضها بأجسام الرواد وخاصة المتعلق منها بالأجهزة الطبية . ولقد كانت ملابس رواد الفضاء فى الماضى ، ذات وصلات تُربط أجزاؤها ، ثم اختفت هذه الوصلات لتوفير مرونة الحركة . وفى الرحلات السوفيتية الأخيرة أصبح الرواد يستخدمون ملابس شبه عادية كمثل تلك المستخدمة على الأرض ، ولا يزيد عليها إلا غطاء الرأس المميز الذى يقى رؤوس الرواد من الاصطدام بجوانب السفينة ويوصل الاشارات اللاسلكية المتبادلة مع الأرض . وذلك اعتمادا على تكييف وحفظ درجة حرارة السفن من الداخل .

وتميزت ملابس رواد الفضاء الذين هبطوا على سطح القمر بتعدد طبقاتها ، إذ بلغت سبع طبقات فى بعض الرحلات وزادت الى خمس عشرة طبقة فى أخرى للوقاية من الاشعاعات والحفاظ على درجة حرارة الجسم . وفى الرحلات التى طالت لعدة أسابيع ، كمثل رحلات معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » الذى ظل ثلاثة رواد بداخله ٨٤ يوما ، وكذلك رواد المحطة المدارية السوفيتية « ساليوت ٧ » الذين مكثوا بها ٢٣٤ يوما ، كان لابد أن يعدل الرواد ملابسهم الداخلية . ولذلك وضعت أطقم من الملابس داخل خزانات فى معمل « سكاى لاب » . واستحدث السوفييت طريقة جديدة تمثلت فى التحام شاحنات فضائية من طراز « بروجريس » كانت تحمل للرواد المؤن والملابس والعتاد ، وتعود بما هو زائد عن استخدامهم .

أطباق شهية فى الفضاء

تخضع عملية انتقاء أطعمة رواد الفضاء ، لقواعد علمية وصحية ، ومن أهمها توفير السعرات الحرارية اللازمة لما يتحملونه من جهد بدنى ، وخلوها من الألياف السليولوزية التى تخلف كثيرا من الفضلات ، وفى رحلات الفضاء المبكرة والقصيرة كان طعام الرواد « مؤنيا » أى يوضع كله داخل أنابيب كمعجون تنظيف الأسنان ليسهل امتصاصه بالفم أثناء جلوس الرواد فوق مقاعدهم . ثم تطورت

قطرات الماء ، ولذلك يدخل رائد الفضاء عندما يستحم داخل أسطوانة تشبه البرميل الذى يحيط بجدرانه من الداخل شبكة من الأنابيب المثقبة لينفث منها الماء فى كل اتجاه فيغسل الجسم .

رائد الفضاء ينام داخل دولاب

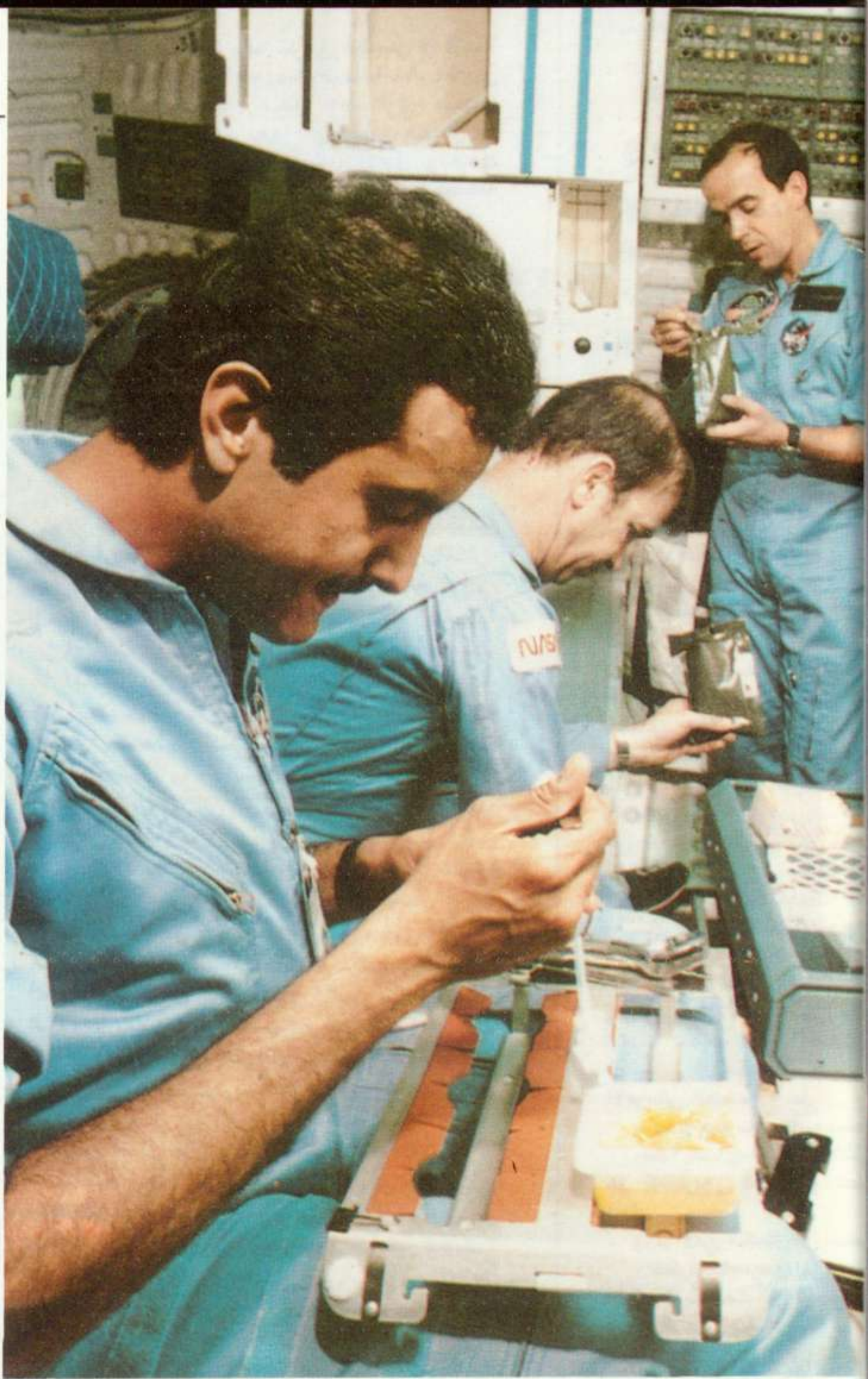
عندما نفكر فى نوم رائد الفضاء فقد يتطرق بنا الخيال عن كيف يكون مصير سفينة الفضاء أثناء هذه الساعات ، والحقيقة أن الرحلات الأولى تمت كلها كذلك .

عندما ينام رائد الفضاء ، فانه يترك قيادة السفينة للحواكم الآلية . ولكن فى سفن الفضاء التى بها أكثر من رائد ، فانهم يتناوبون النوم والقيادة . وينام رواد الفضاء ويستيقظون بتعليمات من الأرض وفق جدول زمنى ، لأنه فى الفضاء لاتقلب لليل أو نهار . فالفضاء كله ظلام والسفينة تسبح فى خضم دامس السواد تترصع فيه النجوم فى كل اتجاه وتبدو وكأنها بقع مضيئة تامة الاستدارة .

وعندما ينام رائد الفضاء فهو ليس فى حاجة الى أغطية تقيه البرد فجو السفينة مكيف ، وكل حاجته تتمثل فى الحفاظ على جسمه حتى لايطير . وفى الرحلات المبكرة كان الرواد ينامون داخل السفن الضيقة بثني مقعد القيادة والاستلقاء فى وضع الامتداد ، ولكن عندما جهزت سفن الفضاء بأماكن مخصصة للنوم ، أصبح سرير رائد الفضاء يتمثل فى (دولاب) يدخله عندما يريد النوم ، وكل مايفعله هو أن يثبت بعض الأشرطة حول جسمه حتى يثبته الى جدار ثابت فى السفينة لكى لايطير سابحا . ووضع الاستلقاء فى الفضاء ليس ضروريا لأنه لا وجود للمستوى الأفقى أو للرأسى فى الفضاء ، فهذه اتجاهات ترتبط بالأرض وحدها ، وعندما تحلق السفينة فى الفضاء فانها تتحرر من هذه الاتجاهات .

وينام الرائد لكى يعطى الفرصة لخلايا الجسم والمخ ان تتجدد وتستريح . ولكن الاعتماد فى وصول الدم الى كل الأعضاء يتوقف خلال الرحلة كلها على عملية الضخ من القلب .

سعد شعبان



مائدة طعام رائد الفضاء

الأطعمة وأصبحت تقدم فى صورة عجائن أى طعام مهروس يمكن تسخينه . ثم تطورت أطباق الأطعمة الفضائية وأصبحت شبه عادية كالتى نتناولها على الأرض ، اللهم إلاّ مع الاقلال من الأطعمة التى تسبب الغازات والمخلفات كبعض البقول ومنتجات الألبان . وفى الرحلات الطويلة ، تمثلت المصاعب فى كيفية حفظ الطعام فى حالة تجمد داخل ثلاجات كبيرة وأصبحت الحاجة ماسة الى وجود مستودعات كبيرة داخل السفن لحفظ الطعام والمشروبات والمعلبات . واليوم يتناول رواد الفضاء فى سفنهم أطعمة لاتختلف كثيرا عما يتناولونه فى منازلهم ، بعد تسخينها فوق مواقد تعمل بالكهرباء أو الاشعاع ، ولا تمثل عملية التخلص اليومى من فضلات الجسم أية مصاعب حاليا ، لأن سفن الفضاء مجهزة بدورات مياه وحمامات يتنظف بها الرواد . وفى الرحلات الأولى كان ذلك يتم داخل أكياس ، ثم تطور الأمر وأصبح مماثلا لما يتم على الأرض تقريبا .

غير أن عملية الاستحمام داخل السفينة ، تصاحبها كثير من الاحتياطات لعدم تناثر

هوامــش

- المهندس سعد شعبان :
- عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس .
- عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمى بالقاهرة .

عن المقرئين وتلاوة القرآن



بقلم: محمود السعدني

.. وكان صوته سيّد الأصوات

الحلقة الثانية

شهد مطلع القرن الحالي نهضة لم يسبق لها مثيل في فن الطرب والغناء، كان هناك الشيخ سلامة حجازي وعبده الحامولي ومحمد عثمان ثم ظهر أعظمهم سيد درويش ولم يكن في مصر راديو، وكانت السهرات وقفاً على العمد والأعيان وتجار القطن، وكانت لياليهم يحييها المنشدون، وهم جماعة من المشايخ كانوا أحياناً يرتلون القرآن، وأحياناً ينشدون التواشيح، وأحياناً يرفعون عقيرتهم بالغناء.

وفجأة برز إلى الوجود رجل معمم، يرتل القرآن بصوت لم يكن مألوفاً من قبل، صوت فيه تطريب وفيه حلاوة وفيه طلاوة.. وكان صاحب الصوت اسمه الشيخ أحمد ندا.

وعندما ظهر الشيخ ندا أصبح له جمهور كبير، وارتفع أجر الشيخ ندا من جنيه في الليلة الواحدة إلى عشرة جنيهات وعشرين وثلاثين ثم خمسين جنيهاً وهي ثروة بعملة ذلك الزمان! وأصبح للشيخ ندا (فيتون) ككبار الملاك والأثرياء وتجار القطن والعمد المقتدرين.

كان صوته قوياً وعريضاً وعميقاً، واقترح عليه صديقه محمد البابلي أعظم ظرفاء ذلك الزمان أن يجرب حظه في الغناء، ولو أخذ الشيخ أحمد ندا بنصيحة صديقه محمد البابلي لنافس سي عبده الحامولي وسي محمد عثمان. ولكن أحمد ندا الذي كان يقرأ القرآن عاشقا في الدرجة الأولى، رفض اقتراح البابلي وظل محافظاً على موقعه كمقرئ للقرآن. وكان يرحمه الله مفتوناً بصوته، وكان يحلو له عندما يخلو إلى نفسه أن يستمع إلى صوته مسجلاً على اسطوانة. ثم لا يجد حرجاً بعد ذلك في إثراء صوته العبقري، وكان أحياناً ينحني على الأسطوانة فيقبلها مزهواً سعيداً ثم يهتف (ياحلاوتك ياشيخ أحمد).

وكان شديد الاعتزاز بفنه وبنفسه معاً حدث مرة أن دعاه أحد عمد الريف ليحيي ليالي المأتم في إحدى قرى مركز دسوق وكان الميت رجلاً من الأثرياء المشاهير وكان صاحب عزوة في منطقته وله سطوة ونفوذ. وفي أول ليلة من ليالي المأتم وبعد أن انتهى الشيخ أحمد ندا من قراءة الفترة الأولى التي امتدت بعد صلاة العشاء وحتى العاشرة مساء دعاه صاحب الدار إلى تناول طعام العشاء. ونهض الشيخ وصاحب الدار يتقدمه إلى حيث مدت مائدة العشاء وكانت حافلة بكل ما لذ وطاب من خيرات الريف. ولكن الشيخ لاحظ وجود مائدتين للعشاء التف حول الأولى كبار رجال الإدارة وأصحاب الرتب الكبيرة من ضباط

الشرطة والعمد والأعيان ، بينما يجلس على المائدة الأخرى بعض الفلاحين من أقارب الميت وبعض الطفيليين الذين ربما حضروا للعشاء وليس للعزاء ولاحظ الشيخ أن صاحب الدار أجلسه على المائدة التي تضم العاديين والطفيليين من الناس فاستأذن الشيخ في غسل يديه قبل تناول الطعام .

وغاب الشيخ طويلاً وظل الضيوف في انتظار حضور الشيخ ، ولما طالت غيبته بحثوا عنه دون جدوى في كل مكان ، واكتشفوا في النهاية ، أن الشيخ انسحب من الدار ومن القرية كلها وقصد إلى دسوق ونزل في بيت أحد الأصدقاء وانتقل أقارب الميت إلى حيث يقيم الشيخ في دسوق ، وعبثاً حاولوا إقناعه بالعودة ولكنه رفض ، وقال الشيخ لمن حاوروه في أمر العودة لإحياء ليالي المأتم كما اتفق ، إن الإهانة التي لحقت به لا يمحوها إلا الانسحاب ، وأن على أصحاب المأتم أن يدركوا بوضوح أن مكان الشيخ الحقيقي هو على رأس المائدة التي تضم علية القوم وكبار العمد والأعيان ، وأن العهد الذي كان يعتبر المقرئين من صنف المتسولين قد مضى إلى غير عودة !

ولكن بقيت هناك مشكلة حلها الشيخ بطريقته ، فقد كان الشيخ قد قبض مقدماً مبلغ مائة جنيه ذهباً عن أجره لإحياء ليلة المأتم فقام بردها على الفور ، وتبرع بمثلها لفقراء دسوق .

وحدث مرة أن دعي الشيخ إلى إحياء ليلة مأتم في حي الزيتون واكتشف عند ذهابه إلى مكان المأتم أن السيدة التي توفيت إلى رحمة الله تسكن في قصر كبير تحوطه بساتين ومزارع على مساحة أربعين فداناً ، وقبل أن يصعد الشيخ إلى الدكة سأل أحد مريديه وكان قد حضر مبكراً ليكون في استقبال الشيخ وليحظى بسماعه ، سأله الشيخ عن السيدة المتوفاة فأجابه بأنها مغنية وراقصة مشهورة كانت أثيرة لدى السلطان ، عندئذ طلب الشيخ من الحاضرين أن يدلوه على الميضة لكي يتوضأ ، ثم غافل الجميع وخرج من قصر السيدة التي كانت أثيرة لدى السلطان !

وذات مساء وكان الشيخ أحمد ندا يستعد للتوجه إلى سرادق فخيم أعد في حي شبرا احتفالاً بذكرى الأربعين لوفاة أحد كبار التجار ، وبينما الشيخ يتأهب للخروج جاءه صديق عزيز لديه ، وأبلغه بأن عجوزاً تسكن في حي بولاق توفيت صباح ذلك اليوم وتركت وصية واحدة هي أن يقرأ الشيخ أحمد ندا في مأتمها وأنها لاترجو شيئاً إلا أن تسمع صوته وهي في قبرها كي تهدأ وتستريح !

وغير الشيخ أحمد ندا اتجاهه وذهب مع صديقه إلى حي بولاق وقرأ القرآن في مأتم السيدة العجوز وعلى دكة بائسة في حارة ضيقة أكثر بؤساً من الدكة وعندما سمع الناس في بولاق نبأ وصول الشيخ أحمد ندا لإحياء مأتم السيدة العجوز ، هرع المئات والألوف إلى حيث أقيم المأتم ولم يغادر الشيخ مكانه إلا في الصباح ، وتبرع لأهل الميتة بما جادت به نفسه الكريمة التي اعتادت على العطاء !

حدث مرة أن دعي الشيخ ندا إلى إحياء ليالي مأتم المرحوم محمود باشا عبدالرازق ، وتم الاتفاق على مائة وخمسين جنيهاً ، وعندما انتهت ليالي المأتم الثلاث دفع الوسيط مائة جنيه فقط لاغير ، ورفض أحمد ندا أن يتنازل عن مليم واحد من المبلغ المتفق عليه ، وهدد برفع الأمر للقضاء .. ولم تمض أيام قليلة حتى علم حسن باشا عبدالرازق بالأمر ، فسعى إلى الشيخ بنفسه وزاره في منزله ، وقدم له المبلغ كاملاً ، ومع المبلغ اعتذاره أيضاً وأسفه على ماحدث ، ودعاه إلى حفلة في قصر الباشا كان هو ضيف الشرف فيها وحضرها أعضاء مجلس الوزراء .

وعاش الشيخ أحمد ندا حياة حافلة ، وفتح الطريق أمام الذين جاءوا من بعده ، وعندما مات خرج عشرات الألوف من الناس يشيعون جنازته ، وعلى رأسهم كبار رجال الدولة وبعض ممثلي الدول الاسلامية الذين حضروا خصيصاً لتشييع جنازة الشيخ ، ورثاه حافظ إبراهيم بقصيدة من عيون الشعر ألقاها على قبره ، وكتب عنه الشيخ عبدالعزيز البشري يقول (كان صوته سيد الأصوات وأقواها ، وإنه ليكون في أعلى طبقات الصوت ليخيّل إليك أن شرايين رأسه ستنفجر ، فإذا هو يحوم حول طبقة أعلى ، فلايزال يلتمس إليها الوسائل وينصب لها الشباك والحبائل ، حتى يشكلها فيرسل بها إلى عنان السماء) .

ولم يكن أحمد ندا مقرئاً للقرآن فحسب ، لكنه كان فناناً وصديقاً لتلك الصفوة المختارة من رجال الفن والأدب والعلم الذين شهدهم مطلع هذا القرن . كان صديقاً لمحمد البابلي أعظم الظرفاء الذين شهدتهم مصر في تاريخها الطويل ، والدكتور محجوب ثابت ، والكاتب الأديب الشيخ عبدالعزيز البشري ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، وكثيراً ماكان يقرأ لهم في آخر الليل ، عندما كانوا يجتمعون معاً في فيلا البابلي الأنيقة ، التي شيدها خصيصاً لأصدقائه من الفنانين والأدباء . ولم يكن محمد البابلي إلا ظريفاً وثرياً يعشق الفن ويهوى الليل ، ولكنه كان يبكي إذا سمع الشيخ ندا يقرأ في ساعة السحر وكان بكاؤه يطول أحياناً حتى يغمى عليه .

ذات مساء كان الشيخ ندا يقرأ (وبشر الكافرين بعذاب أليم) فقام البابلي يصرخ ويبكي ، واعتكف بعد ذلك أسبوعاً لا يرى أحداً ولايراه أحد وقال البابلي ذات مرة لو عرفت الشيخ أحمد ندا في فجر شبابي لصرت واحداً من رجال الصوفية الزاهدين وكان صالح عبدالحي أشهر مطرب في زمانه يقول لو اتجه الشيخ أحمد ندا إلى الغناء لأفلس كل المطربين !

ولقد امتد العمر بالشيخ أحمد ندا وطالت أيامه على الأرض وشهد مجداً لم يشهده أحد من أقرانه من قبل ، ثم مات — يرحمه الله — بعد أن وضع حجر الأساس في بناء أسس راسخة ، وكان السبب المباشر في ازدهارها بعد ذلك ، وحتى ظهر من رجالها أعلام ذاع صيتهم وارتفع مجدهم حتى غطى على سيرة ومجد الشيخ أحمد ندا .

رحمة الله على الرجل صاحب الصوت الفريد الذي فتح الباب أمام عشرات من المقرئين العظام .

« للمرأة في الاسلام مكانة نبيلة أفردها لها التاريخ ، ومن بين المجاهدات اللاتي تحلين بشجاعة يعجز عنها الرجال وصمود إلى جانب الحق والايمان بقضية عادلة « السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عقيلة بني هاشم وبطلة كربلاء التي وقفت وحدها تذود عن البقية من سبط النبي صلى الله عليه وسلم .. تأسو جراح السيوف الظالمة وتلملم أشلاء الشهداء وتتجرع عذاب المحنة الخالدة دون أن يهتز إيمانها بالله ، وينتهي بها المطاف إلى أرض النيل حيث تدفن في مسجدها المعروف باسمها اليوم في قلب القاهرة »

مسجد السيدة زينب

عقيلة بني هاشم .. وبطلة كربلاء

بقلم : فاروق أباظة

زينب بنت علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء أحب بنات الرسول إليه .. من سيرتها العطرة يفوح عبق ذكي لا ينضب رغم انقضاء مئات السنين ؛ فهي جماع بطولة وإباء وشجاعة ونبل يتحلى بها الباحثون عن العدالة والحق بين ركام الأطماع والمظالم .. امتحنها الله بالآلام العظيمة عندما شاهدت بعينيها مصارع أنبل الشهداء من إخوتها وبنيهم وأعمامها وبني عمومتها عندما خرج شقيقها الامام الحسين إلى الكوفة يسعى إلى استرجاع حق أصيل استلبته الفئة الباغية .. خرج في فصيلة من الرجال الأحرار كل واحد منهم تختزن روحه زاداً لا ينضب من الايمان بقضية عادلة ومعهم زينب الطاهرة عقيلة بني هاشم التي جمعت المجد من أطرافه عن خير أب وأم وجد . وعندما وقعت الواقعة لم تستسلم السيدة زينب للقهر والأحزان ونجحت في تجسيم صورة المأساة لتنتقل إلى أرجاء العالم الاسلامي . وكان موقفها الأبي الشجاع سبباً وراء استيقاظ من تقاعسوا في نصرة الحق وشعورهم بالإثم الذي توارثه الأبناء عن الآباء بتخلفهم عن نصرة الحق والانتقام من قتلة الذرية الطاهرة ..

زهرة في بيت الرسول

لقد ولدت بطلة كربلاء في العام السادس من الهجرة ، وهو عام استقرار الأمر لجدها النبي الكريم . ودرجت زهرة متفتحة في بيت الرسول . وهنا يتناقل المؤرخون النبوءة التي ذاعت عند مولدها ، والتي تشير إلى دورها في مأساة كربلاء ..

يقولون إن المأساة كانت معروفة قبل وقوعها بنصف قرن من الزمان . ففي سنن ابن حنبل جاء أن جبريل أخبر محمداً بمصرع الحسين وآل بيته في كربلاء كما ثبت في « كامل » ابن الأثير ما كتبه المؤرخون المسلمون عن الفاجعة المرتقبة وأن الحسين كان يعلم منذ طفولته ما قدر له وأن سلمان الفارسي عندما أقبل على علي بن أبي طالب لتهنئته بوليدته زينب ألفاه واجماً حزيناً يتحدث عما سوف تلقى ابنته في كربلاء . وبكى أسد الاسلام وفارسه الشجاع ..

تقول بنت الشاطئ « الدكتورة عائشة عبدالرحمن » في رائعتها « السيدة زينب بطلة كربلاء » والتي جسدت فيها أبعاد « التراجيديا » ومسرحها على أرض العراق أن من كتاب العصر من اطمأن إلى صدق ما يروى عن تلك الظلال التي أحاطت بمولد زينب ؛ فالكاتب الهندي المسلم « محمد الحاج سالمين » يصف في الفصل الأول من كتابه « السيدة زينب » كيف استقبلت الوليدة بالدموع والهموم ، ثم يمضي بعد أن ينقل بعض المرويات عن النبوءة المشئومة فيتمثل النبي العظيم وقد انحنى على حفيدته يقبلها بقلب حزين وعينين دامعتين عالماً بتلك الأيام السود التي تنتظرها وراء الحجب . ويمضي « سالمين » فيتساءل « ترى إلى أي مدى كان حزنه حين رأى بظهر الغيب تلك المذبحة الشنعاء التي تنتظر سبطه الغالي وكم اهتز قلبه الرقيق الحاني وهو يطالع في وجه الوليدة الحلوة صورة المصير الفاجع المنتظر ؟

وتحبو زينب الطفلة الطاهرة في رحاب بيت النبوة .. زادها عطف وحنان جدها العظيم وحضن أمها الزهراء وتشب لتجد نفسها في رعاية أعظم من انجبتهم الجزيرة العربية : النبي الكريم جدها ، وأبوها فارس السيف والبيان .

ويقول عباس العقاد في كتابه « فاطمة الزهراء » : « انتظمت الحياة في مسكن علي الذي آوى إلى ظل النبي على مثال من حياة النبي في بيته عيشة كفاف وخدمة يتعاون عليها رب البيت وربته إذ كان رزق علي من وظيفة الجندي ووظيفته من فيء الجهاد وقد كان قليلاً في حياة النبي ، وهو مقصور على الجزيرة العربية ، فكان نصيب علي منه أقل من أن يتسع لأجرة الخدم وكلما رزق وليداً جاءته حصته على قدر شأنه كشأن كل أب من المسلمين ، وما لبث البيت الصغير أن سعد بالذرية وقد رزق الأبوان الفقيران نصيباً صالحاً من البنين والبنات : الحسن والحسين ومحسن وزينب وأم كلثوم . وربما شوهد النبي عليه السلام ساجداً وطفلاًمن هؤلاء الأطفال راكباً على كتفيه فيتأنى في صلاته ويطيل السجدة لكيلا يزحزحه عن مركبه . وفي احدى هذه السجدات يقول عمر بن الخطاب للطفل السعيد : نعم المطية مطيتك . وكان إذا سمع أحدهما يبكي نادى فاطمة وقال لها : ما بكاء هذا الطفل ؟ .. ألا تعلمين أن بكاءه يؤذيني » ..

وتفقد زينب جدها العظيم وهي في الخامسة عشرة وترى بعينيها كيف تتجسد الأحزان في عيني أمها فاطمة ، ويشارك أبوها في دفن الجسد الكريم ويقف على قبر الزهراء ليقول : « السلام عليك يا رسول الله ، عني وعن ابنتك النازلة إلى جوارك والسريعة اللحاق بك . قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي . لقد استرجعت

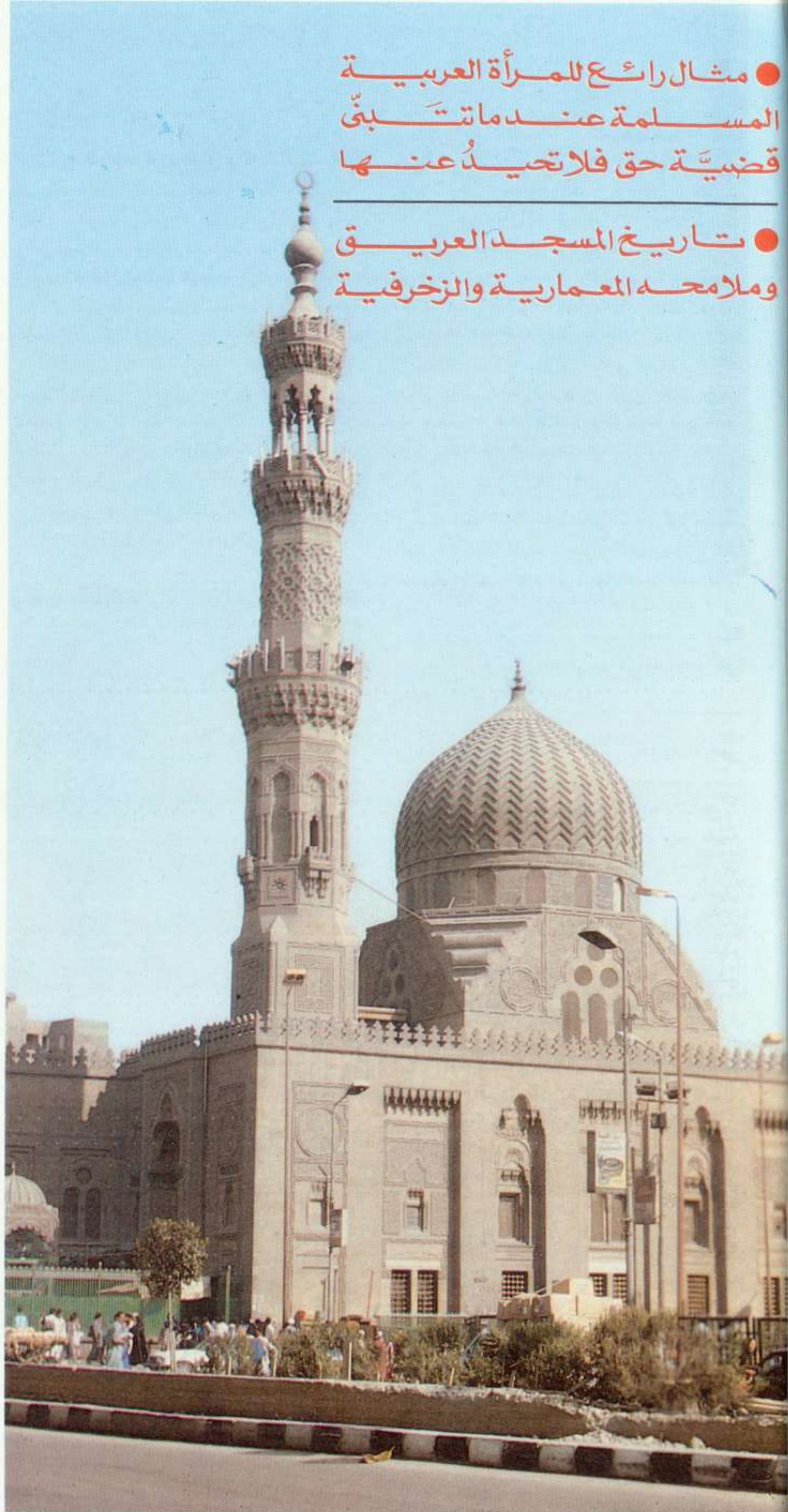
الوديعة وأخذت الرهينة أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها تقيم » .

وكانت السيدة فاطمة الزهراء قد أوصت زينب قبل وفاتها أن ترعى أخويها وتكون لهما أماً من بعدها . وكانت للحسن والحسين وأم كلثوم أماً ، وتتزوج عقيلة بني هاشم من عبدالله بن جعفر بن أبي طالب .

الخروج .. وقافلة الأحزان

وعندما استقر الأمر بمعاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الامام علي بن أبي طالب دعا معاوية جهراً إلى أخذ البيعة لابنه « يزيد » من بعده . ولكن الحسين أبى هذه البيعة وثبت عند موقفه قائلا إن يكن الأمر وراثة فليس هناك من هو أحق بها منه وإن يكن اختيارا للأصلح فمن أولى بها : ابن آكلة الأكباد « وهي هند بنت عتبة جدة يزيد بن معاوية وقد أطلق عليها هذا اللقب بعد انتقامها من حمزة عم النبي في موقعة أحد بمضغ كبده » ، أم الأولى بها حفيد الرسول الكريم ؟ وعندما استخلف يزيد بعث إلى أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأمره بأخذ البيعة من الحسين . ورفض سبط رسول الله وخرج بأهله من المدينة قاصداً الكوفة بعد أن سبقه إليها ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليجمع شمل المسلمين هناك ضد يزيد المغتصب للخلافة . وأشفق بنو هاشم على آل البيت وتوسلوا للحسين حتى لا يخرج بأهله ، ولكنه كصاحب قضية يؤمن بها تمسك بموقفه .

يقول الكاتب الاسلامي خالد محمد خالد في كتابه « أبناء الرسول في كربلاء » : « .. ومضى البطل إلى غايته وأخذت النذر تلقاه على الطريق .. لقيه « الفرزدق » الشاعر قادماً من الكوفة وسأله الحسين « كيف تركت الناس من ورائك ؟ » فأجابه الفرزدق : « تركتهم قلوبهم معك .. وسيوفهم مع بني أمية » لكن البطل العظيم لا يزيد على أن يتلو الآية الكريمة (لله الأمر من قبل ومن بعد) ...وكان ابن زياد والي يزيد قد فرض حول الكوفة حصاراً محكماً فلا يخرج من أهلها أحد مخافة أن ينضموا لقافلة الحسين .. وزحف جيش عمر بن سعد لملاقاتها ، وسمعت زينب ضجة الجيش الزاحف فاقتربت من شقيقها في رفق وقالت : يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت ؟ فرفع الحسين رأسه وقال « إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في المنام وقال لي إنك تروح إلينا . فلطمت الأخت وجهها وصاحت يا ويلتاه ! فقال الحسين : « ليس لك الويل يا أخية .. اسكتي رحمك الله » .وطلب الحسين من عمر بن سعد إرجاء القتال ليجعل أهله وأصحابه في حل من التزاماتهم تجاهه ، ولكنهم هبوا جميعاً لبيعته يفتدونه برقابهم . اثنان وسبعون بطلاً مع الحسين وأربعة آلاف في جيش عمر بن سعد . لم يكن



● مثال رائع للمرأة العربية المسلمة عندما تتبنّى قضيَّة حق فلا تحيدُ عنها

● تاريخ المسجد العريق وملامحه المعمارية والزخرفية

أصحاب الحسين يتعجلون النصر ، إنما كانوا يتعجلون الجنة . وتقدم آل بيت الحسين .. لم يعد الذي يضنيهم الظمأ إلى الماء الذي حرمهم منه الطغاة بل الظمأ إلى الشهادة .. كان أولهم انطلاقاً علي بن الحسين يتوسط حراب الأعداء وسيوفهم وهو ينشد :

أنـــا علي بـــن الحسيـــن بـــن علي
نحـــن ورب البـيت أولى بـــالنبـــي
تـــالله لا يحكم فـينـــا ابـــن الـــدعي

ويمضي ليضرب رقاب الطغاة حتى تصيبه طعنة رمح فيقع على الأرض . ولاتكاد الطاهرة زينب بنت علي تبصر جثمان ابن أخيها حتى تعلو زفرات أساها . وانكبت على الأشلاء الطاهرة تضمخها بدموعها وشجونها . وأثر في البطل مشهد أخته فسار إليها يسألها الصبر ويقودها في رفق إلى خبائها .. ويواجه الحسين أعداءه في جولة أخيرة وتقع ضربة سيف على رأسه فتدميه .. وتخرج زينب من خدرها فترى أخاها وحيداً بين الوحوش . ويضرع إليها كي تعود إلى مكانها .. ويتقدم « شمر بن ذي الجوشن » ليجتز رأس البطل ثم يحتفظ به ليحمله هدية إلى ابن زياد .

يقول علي بن الحسين آخر من بقى بعد مأساة كربلاء من آل بنت الرسول إن عمته زينب اقتربت من الحسين وهو مثخن بالجراح في ساعة المعركة وهي تصرخ .. واثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ! فنظر إليها الحسين عليه السلام ملياً وقال لها « يا أخية لايذهبن بحلمك الشيطان : اتقي الله وتعزي بالله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجهه . أبي خير مني ، وأمي خير مني : يا أخية أقسم عليك ألا تشقي علي جيباً ولا تخمشي علي وجهاً ولا تدعي علي بالويل والثبور إن أنا أهلكت ..

وصمدت زينب في ساحة كربلاء إلى جانب المريض تمرضه والمحتضر تواسيه والشهيد تبكيه .. وعندما توجه بها الجند إلى الكوفة ورأت أهلها يبكون عندما مر الركب الحزين أمامهم قالت لهم زينب « أتبكون فلا سكتت العبرة .. أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فقد ذهبتم بعارها وشنارها .. أتدرون أي كبد فريتم وأي دم سفكتم لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات ينفطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هدا » ..

وتدخل زينب بيت الامارة في الكوفة أسيرة .. ولكنها تلوذ بكل كبريائها وقوتها وعزتها وعراقة محتدها لكي تقف الموقف الجدير بحفيدة رسول الله . تقدمت الموكب في مهابة وجلال وأخذت مجلسها دون أن تلتفت لزياد الطاغية أو تأخذ منه الاذن بالجلوس وسأل عنها وهي لا تجيب ترفعاً واحتقاراً له وأجابت واحدة من إمائها .. هذه زينب ابنة فاطمة فرد ابن زياد « الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم » وردت عليه بثبات وشجاعة « الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس تطهيراً لا كما تقول أنت . إنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله » .. فرد عنها بصره واستقرت عيناه على علي الأصغر بن الحسين فأنكر بقاءه حياً فأمر به ابن زياد أن يقتل فاحتضنته عمته زينب وآلت عليه ليدعن الغلام أو فليقتلها معه فتأملها ابن زياد وانثنى يقول لأصحابه « عجباً للرحم .. والله إني لأظنها ودت لو أني قتلتها معه .. دعوا الغلام ينطلق مع نسائه »

وسيق الموكب مرة أخرى إلى دمشق .. وكشف يزيد عن رؤوس الشهداء وانثنى يعبث بقضيب من يده بثنايا الإمام الحسين فبكت نساء بنى هاشم إلا



● وحـــدهـــا فـــوق ســـاحة الـــدّم.. تـأســو جـراح الســيوف الظـــالمـــة وتـــلـــمّ أشـــلاء الشـــهداء

● كيف استقبلت أرض النـــيل شقيقة وأم الشهداء بعـــد أن عاشـــت آلام المِـــحْنَـــة؟

زينب التي انتفضت في شموخ وكبرياء لتقول ليزيد .. أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكنان السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هواناً على الله؟ وأن بك عليه كرامة ؟ وتوهمت أن هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك ونظرت في عطفيك جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوثقة لك والأمور متسقة عليك ؟ إن الله إن أمهلك فهو قوله « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ! » وضاق يزيد بمرأى زينب وهزه ما سمع منها فأشاح بوجهه وهو يشير إليها وإلى النساء معها أن يخرجن إلى داره ..

وعاد الركب الحزين إلى المدينة في مشهد فاجع وأرادت السيدة زينب أن تقضي ما بقي لها من أيام العمر إلى جوار جدها الرسول ولكن وجودها كان كافياً كي يؤلب الناس على طغمة البغي وكتب الوالي عمرو بن سعيد الأشدق إلى الخليفة يزيد : ان وجودها بين أهل المدينة يهيج الخواطر ، وانها فصيحة عاقلة لبيبة وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين .

المثوى الأخير

ورحلت بطلة كربلاء إلى مصر في عام ٦١ هـ .. وصلت إلى أرض النيل وعند قرية قرب مدينة بلبيس في اقليم الشرقية كان ينتظرها « مسلمة بن مخلد الأنصاري » والي مصر ومعه وفد من أعيان البلاد وعلمائها خرجوا للقاء بنت الزهراء والامام علي وشقيقة الحسين الشهيد . وعندما أطلت عليهم وقد اكتست ملامحها بآلام الاستشهاد أجهشوا وأحاطوا بالبكاء بركبها حتى بلغت العاصمة ،

ومضى بها مسلمة إلى داره فأقامت بها قرابة عام لم تر خلاله إلا عابدة متبتلة زاهدة .. وماتت عقيلة بني هاشم عشية يوم الأحد لأربع وعشرين مضين من رجب عام ٦٢ هـ ومهدت لها الأرض الطيبة مرقداً حيث كان مخدعها في دار مسلمة التي كانت تطل على الخليج الذي يخرج من النيل في المكان الذي عرف باسم فم الخليج .. يقول علي مبارك في كتابه « الخطط التوفيقية » : عرف هذا الشارع بشارع السيدة زينب نسبة إلى سيدة الطاهرات السيدة زينب بنت الامام علي وضريحها داخل الجامع الشهير بالزينبي تجاه قناطر السباع وجدده الأمير علي باشا الوزير المتولي سنة خمس وخمسين وتسعمائة . ثم في سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف جدده ووسعه الأمير عبدالرحمن كتخدا .. وهو عامر إلى الآن وشعائره مقامة إلى الغاية ويعمل به حضرة للسيدة رضي الله عنها كل ليلة أحد ،



صورة للمسجد من الداخل

ومقرأة كل ليلة أربعاء وقد صار الآن تجديده وتنظيمه من جهة وزارة الأوقاف ..

وبعد كشف واجهة الجامع في القرن التاسع عشر أصبح يطلق على الميدان وعلى الحي بأكمله اسم « السيدة زينب » . أما بالنسبة للمسجد القائم في الوقت الحاضر فقد شيدته وزارة الأوقاف عام ١٩٤٠ م . ويتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسيان يفصل بينهما مستطيل . وقد قامت وزارة الأوقاف بعد ذلك باضافة مساحة تبلغ ١٧ في ٣٢ متراً إلى المسجد الأصلي .. وعادت وزارة الأوقاف فأضافت مساحة ثانية مماثلة تماماً للمسجد الأصلي بحيث أصبحت الاضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلي والتوسعة الأخيرة ومن أجل ذلك عمل في منتصف التوسيع الأول محراب يتوسط المسجد الجديد مع الابقاء على المحراب القديم . وتبلغ مساحة المسجد وملحقاته حالياً ٧٠٠٠ متر مربع وتطل واجهته الرئيسية على ميدان السيدة زينب وفي هذه الواجهة ثلاثة أبواب تؤدي إلى المسجد مباشرة . وقد زينت تلك الأبواب من كل جوانبها وفي مستوى قامة الانسان بآيات من القرآن الكريم منقوشة على الحجر كما زينت على الأبواب بأبيات من الشعر وعلى جانبي الباب الشرقي للمسجد والمواجهة للميدان وأقرب الأبواب إلى المحراب نقرأ الآيات الشريفة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، « ولله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير » .. وعلى جانبي الباب الأوسط المواجه للميدان نقرأ الآية الشريفة « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن يقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين » وكذلك كتب لفظ الجلالة على الجزء الأعلى من هذا الباب .. أما الباب الغربي ويعرف بباب الطرقة فقد كتب عليه « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » ..

وتقوم المئذنة على يسار الباب المسمى بباب العتريس وقد كتبت على جانبي هذا الباب الآية الكريمة « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

وتعتبر مئذنة السيدة زينب تحفة فنية معمارية فريدة من نوعها بما تضمه من زخارف ونقوش عربية بديعة وترتفع هذه المئذنة عن سطح الأرض بما يقرب من ٤٥ متراً وبها شرفات ثلاث تحيط بها ، وعلى الجدران الخاصة بها نقرأ هذه الآيات المباركة « .. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما . يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما » .

ويوجد سور من الحديد يحيط بالركن الغربي البحري للمسجد تقع بداخله قبتان صغيرتان ملتصقتان محمولتان على ستة أعمدة رخامية بواسطة سبعة عقود وتقع الواجهة القريبة للمسجد على شارع السد وبها مدخلان . ولمسجد السيدة زينب واجهتان أخريان إحداهما على شارع العتريس وهي الواجهة الشرقية وبها مدخل يؤدي إلى المكتبة وقاعة الاطلاع وباقي ملحقات المسجد الأخرى تطل على الفناء الواقع بين دورة المياه الخاصة بالمسجد والجدار البحري للمسجد الزعفراني وقد أنشئت واجهات المسجد ومناراته على الطراز المملوكي وكلها حافلة بالزخارف العربية والمقرنصات والكتابات . ومسجد السيدة زينب مسقوف بأكمله من الداخل وتحمل سقفه المنقوش بزخارف عربية رائعة عقود مرتكزة على أعمدة بعضها من الرخام الأبيض .. ويبلغ عدد الأعمدة التي تحمل السقف ١٣٤ عموداً وهي التي تسمى بالأكتاف ويضم المسجد محرابين أحدهما أقيم عند إنشاء المسجد الحالي عام ١٣٠٢ هـ أي قبل الاضافتين وهو المحراب المواجه للضريح ويعلو هذا المحراب لوحة تذكارية نقشت فوق الجدار بحروف مذهبة توضح تاريخ إنشاء المسجد ويعلو الجزء الواقع أمام هذا المحراب « شخشيخة » بها مجموعة من النوافذ الزجاجية وقد زينت جدرانها الداخلية بالنقوش العربية الملونة وكتبت حولها آيات من القرآن الكريم وأبيات من بردة الإمام البوصيري .

أما التوسعة الأخيرة التي تمت بالمسجد عام ١٣٨٦ هـ فتحوي أربع « شخشيخات » زينت جدرانها كلها بالآيات الكريمة أكبرها في وسط التوسعة وتعلوها قبة صغيرة وتحيط برقبتها نوافذ جصية مفرغة بزجاج ملون وكتب عليها آيات من سورة الفرقان والتي تليها تقع أمام المدخل الثاني للمسجد من ناحية شارع السد وتعلوها قبة من الحجر الصناعي كتب عليها نفس ما كتب على القبة السابقة ، ويلي ذلك قبتان تقعان في آخر المسجد من الناحية القبلية وهما أصغر مساحة من سابقتيهما وقد نقشتا كذلك بالنقوش العربية الملونة وزينتا بالآيات الكريمة من سورتي النور والفتح .. وقد توجت جدران المسجد من الخارج من الجهات الشرقية والقبلية والبحرية بآيات شريفة من القرآن الكريم نقشت على الحجر في الجهة القبلية كتب على الجدار الآية السابعة عشرة من سورة التوبة بينما كتب على الواجهة البحرية المطلة على الميدان فوق الباب الأوسط آيات من سورة الأحزاب

إن مسجد السيدة زينب بطلة كربلاء والمجاهدة النبيلة التي شهدت بعينيها مصرع أسرتها من آل بيت النبي ما زال يحمل في ساحته وأركانه عبق السيرة العطرة لشهيدة الإباء التي لم تستسلم لقوى البغي وتحملت آلاماً وأحزاناً لا طاقة لبشر عليها ولكنها صمدت في شجاعة أمام المحنة لايمانها بأن قضيتها هي قضية الحق المسلوب وضرورة الصمود لاسترجاعه .

فاروق أباظة

أيها بني الإسلام

في هذه الرحاب المقدسة الطاهرة، حول الأقصى وقبة الصخرة، ارتكب الغزاة الصليبيون في ثاني أيام فتحهم لمدينة القدس (اعتباراً من ١٥ تموز عام ١٠٩٩، ولمدة أسبوع كامل)، أفظع مامر بذاكرة النوع البشري من الجرائم الوحشية المروعة ـ التي لاتضاهيها في زماننا غير مذابح الصهيونيين، أحفاد الصليبيات الروحيين ـ حيث أهلكوا يومئذ بأنياب وحشيتهم الجائعة الزرقاء جميع مسلمي المدينة من ذكر وأنثى، ومن مختلف الأعمار بدون استثناء..

وبقراءة ابن الأثير في كتابه الموسوعي «الكامل في التاريخ» ـ (ج٨ ـ ص ١٨٩)، فإنه يجيء على ذكر هذه المذبحة من جانبها العربي الفاجع في ذلك الحين، بمايقرب أن يكون تصويراً لواقعنا الفاجع في هذا الأيام:

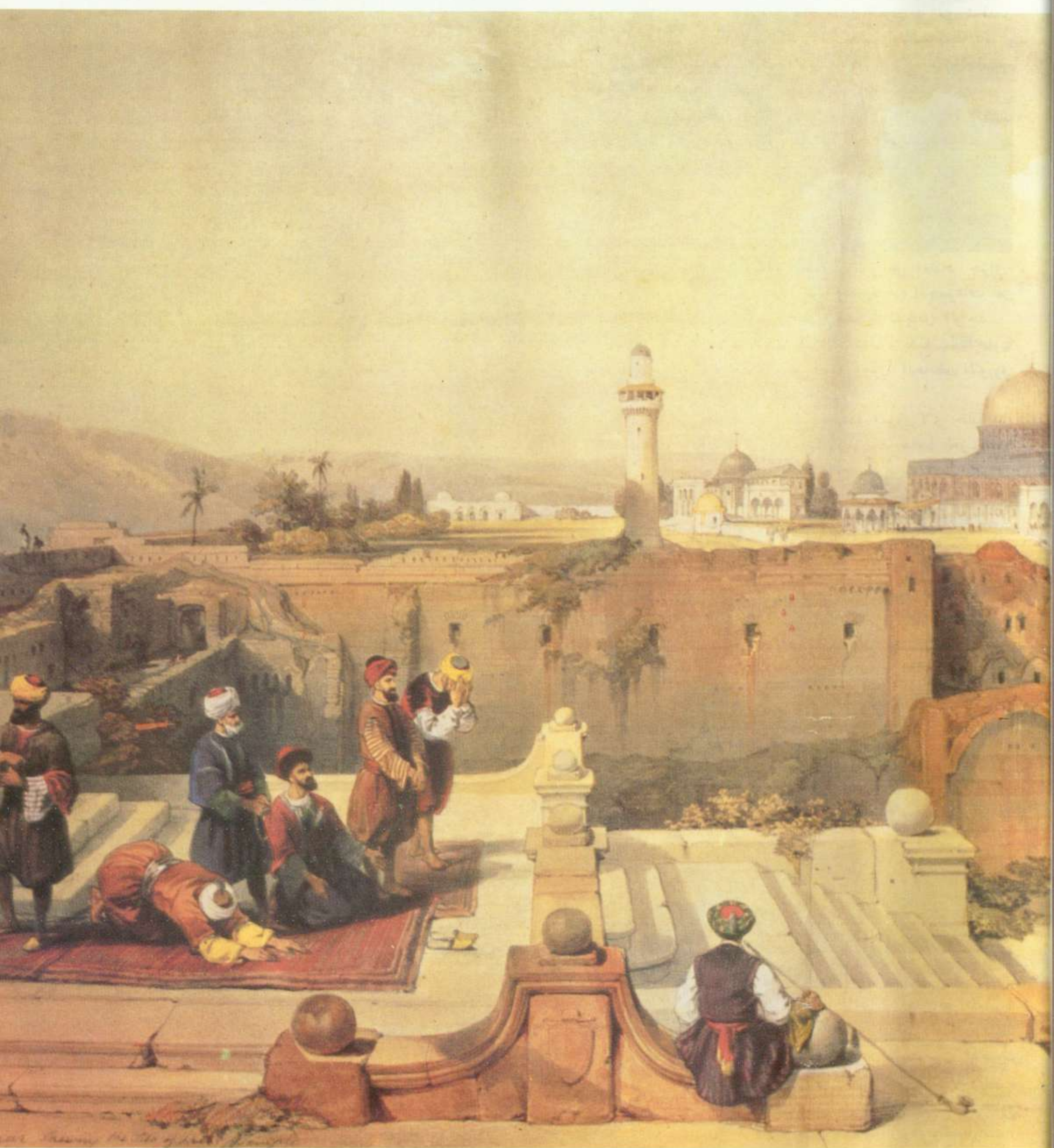
«كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش، وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني، فلما ظفر الفرنج بالأتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا، فلما رأى المصريون ضعف الأتراك ساروا إليه (أي بيت المقدس)، وحصروه وبه الأمير إيلغازي وسقمان ابنا أرتق، ونصب عليه (الأفضل بن بدر الجمالي) نيفاً وأربعين منجنيقاً، فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد فدام القتال نيفاً وأربعين يوماً، وملكوه بالأمان في شعبان، واستناب فيه المصريون رجلاً يعرف بافتخار الدولة، فقصده الفرنج بعد أن حصروا عكا»...

وبعد أن انتزع الصليبيون بيت المقدس من يد افتخار الدولة: «قتل الفرنج بالمسجد الأقصى مايزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعُبَّادهم، وزُهَّادهم.... وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد.... فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، وبكوا، وأبكوا... فلشدة ماأصابهم أفطروا، فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبومحمد الدامغاني إلى حلوان، (بسبيل تحقيق نوع من الوفاق بين خلافة بغداد، وخلافة القاهرة، ضد العدو المشترك)، فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على مانذكره، فعادوا من غير بلوغ أرب، ولاقضاء حاجة، واختلف السلاطين، فتمكن الفرنج من البلاد» !!!..

لكن وفد الاستنفار والاستنخاء الفلسطيني عاد على أية حال، من بلاط الخلافة المحتضرة في بغداد، بهذه البكائية الشعرية لأبي المظفر الأبيوردي التي أوردها ابن الأثير في اثنين وعشرين بيتاً، على حين لم يوردها ابن الجوزي في «فضائل القدس» في أكثر من عشرة أبيات، ونقتطف بدورنا الأبيات القليلة التالية منها، إذ لربما كان انطباقها على واقعنا العربي والاسلامي الراهن، لايقل بحال عما كان عليه في زمن أسلافنا الغابرين قُبالة الصليبيين..

مزجنا دماءً بالدموع السواجم
فلم يبق منا عرصةٌ للمراحم
وشرُّ صلاحِ المرء دمعٌ يُفيضُهُ
إذا الحرب شبَّت نارُها بالصوارم
أتهويمةٌ في ظل أمنٍ وغبطةٍ
وعيشٍ كنُوّار الخميلة ناعم
وإخوانكم بالشام يُضحي مقيلُهم
ظهورَ المذاكي، أو بطونَ القشاعم
تسومهمُ الرومُ الهوانَ، وأنتمو
تجرُّون ذيل الخفض، فعلَ المسالم
وتلك حروبٌ من يغب عن غمارها
ليسلَمَ، يقرعْ بعدها سِنَّ نادم
دَعَوْناكمو، والحرب ترنو مُلِحَّةً
إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تُراقب فينا غارةً عربيةً
تُطيل عليها الرومُ عضَّ الأباهم
....
فَإيهاً بني الإسلام، إن وراءكم
وقائعَ يُلحقن الذرى بالمناسم

بقلم: يوسف الخطيب



الحامض النووي بدلاً من بصمات الأصابع

لم تعد بصمات الأصابع هي الطريقة المثلى لتحديد الهوية خاصة بالنسبة لرجال الأمن فلقد توصل الباحثون البريطانيون إلى طريقة جديدة وأكثر شمولاً لتحديد الهوية إذ يمكن التعرف على أي شخص من خلال تحليل أي خلية من خلاياه ، حتى ولوكانت نقطة دم أو جزءاً من أظافره أو شعرة من شعره ، وذلك عن طريق اختبار الحامض النووي . ويمثل هذا الاختبار ثورة في مجال مكافحة الجريمة .

فمن المعروف أن كل خلايا الجسم تحتوي في نواتها على الحامض النووي فهو الذي يحمل العوامل الوراثية ـ أو الجينات وهو المسئول عن انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى آخر . وإذا كان جزيء الحامض النووي يحمل مئات الآلاف من الجينات التي تحمل معلومات تستخدمها في صنع بروتينات معينة ، فإن بعض مكونات هذه الجينات لاتحمل أي رسائل أو معلومات . وتوجد هذه المكونات مرصوصة في مجموعات بنظام محدد يتكرر على امتداد جزيء الحامض النووي . ويختلف عدد وطول وتوزيع هذه المجموعات من شخص لآخر ، ولكنها متطابقة لجميع خلايا الشخص الواحد .

وتمكن العلماء من الاستفادة من هذا الاكتشاف في صنع بطاقة هوية يظهر فيها توزيع هذه المكونات على امتداد جزيء الحامض النووي على شكل قضبان قصيرة كما تبين الصورة .

وللحصول على هذه البطاقة يعالج الحامض النووي لأي خلية من خلايا الشخص المراد التأكد من هويته بانزيمات خاصة لعزل هذه المكونات ، ثم يتم تصنيفها تبعاً للحجم بواسطة طريقة فصل كهربي متطور . وباستخدام تقنيات الهندسة الوراثية والمواد المشعة يتم التخلص من الجزء المشترك في هذه المكونات ولا يظهر على الفيلم سوى الأجزاء المميزة لكل شخص والتي يتم طبعها بعد ذلك لتصبح بطاقة الهوية الجديدة .

ويقترح رجال الشرطة البريطانية استبدال بصمة الأصبع على بطاقة الهوية بهذه البصمات الوراثية .



البصمة الجديدة



الحامض النووى بدلا من بصمات الأصابع

مُحرِّك يعمل بالموجات فوق الصوتية

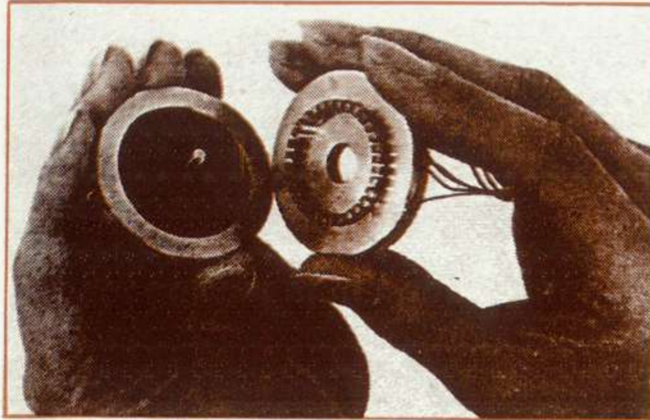
ابتكر اليابانيون نوعاً جديداً من المحركات يستخدم الموجات فوق الصوتية كقوة دافعة بدلاً من المغناطيسية .

ويتميز هذا المحرك بأنه يعمل بسلاسة عند السرعات المنخفضة دون الحاجة إلى جهاز لنقل الحركة . والغريب أن الشركة اليابانية صاحبة الاختراع بنت مجدها في العالم على المحركات الكهربية إلا أن هذه المحركات التي تستخدم الطاقة الكهرومغناطيسية لاتصل بالكفاءة المطلوبة عند السرعات المنخفضة فهي تحتاج إلى سلسلة من المسننات لتوليد حركات بطيئة سلسة .

ويتكون المحرك فوق الصوتي من صفيحة ثابتة تمثل الجزء الثابت من المحرك وتحمل هذه الصفيحة حلقة من محولات للطاقة الكهربية تعمل كمكبرات صغيرة للصوت ، وتقوم هذه المحولات بتوليد موجات فوق صوتية تحدث اهتزازات في وسائل الاحتكاك التي تحمل حلقة أخرى حرة الدوران حول عمود الدوران .

ويعمل هذا المحرك بترددات تتراوح بين ٢٨ كيلوهرتز و ٧٢ كيلوهرتز حيث أن الإشارات ذات الترددات العالية التي تولدها محولات الطاقة وتعمل على تكبيرها تجعل الموجات فوق الصوتية تلف حول الجزء الثابت من المحرك دافعة الحلقة الدوارة إلى الدوران .

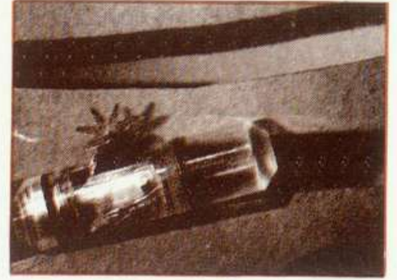
ومن أهم تطبيقات هذا النوع من المحركات الربوت والسيارات .



نموذج للمحرك الجديد

تبلع الكبسولة كأي دواء





الكبسولة المحشوة بالدوائر الالكترونية والعجلة التي ترسل الاشارات إلى الخارج

مجس لاستكشاف الأمعاء الدقيقة

بعد أبحاث وتجارب دامت عشر سنوات تمكن الأطباء وعلماء الالكترونات الفرنسيون من ابتكار أول جهاز لاستكشاف الأمعاء الدقيقة.

ولا تعبر كلمة جهاز بدقة عنه، فهو عبارة عن كبسولة طولها ٣,٨ سم وقطرها ١,١ سم، وإن كانت محشوة بالدوائر الالكترونية فيمكنها أخذ عينات من العصارات المعوية والقذف بكل أنواع العقاقير خلال رحلتها داخل الأمعاء الدقيقة.

فبالرغم من أن أهم مراحل الهضم وهي الامتصاص تتم في الأمعاء الدقيقة لم يتمكن أي منظار من استكشاف هذا الجزء الحيوي من الجهاز الهضمي نظراً لصغر قطر الامعاء الدقيقة وطولها وكثرة تعاريجها.

وتدوم رحلة هذا المجس داخل الجهاز الهضمي ٤٨ ساعة تقريباً فهو يتحرك بسرعة ٢ سم/ثانية.

وتقوم هذه الكبسولة التي يحلو لمبتكريها اطلاق اسم مكوك عليها بدراسة القوة المحركة للامعاء الدقيقة وقياس كل من الضغوط والنشاط الكهربي ودرجة الحرارة السائدة على امتداد هذا الانبوب الكثير الالتواءات. كما زودت بمعمل صغير مثبت في الجزء الخلفي على شكل قمع مزود بمكبس زنبركي بحيث يمكن فصله عن جسم الكبسولة في أي لحظة بالتوجيه من بعد ليقوم هذا المعمل الصغير بشفط عينات من العصارة المعوية أو بتوصيل أدوية إلى الامعاء مباشرة ويعمل الباحثون على تزويد هذا القمع بمشرط صغير لأخذ عينات من جدار الأمعاء أيضاً.

ولقد صنعت هذه الكبسولة من هيكل من الصلب غير قابل للصدأ لكي تقاوم تأثير الحمض المعوي والانزيمات المختلفة. ولكي تستطيع إرسال المعلومات التي تجمعها إلى الخارج زودت بعجلة صغيرة على سطحها الخارجي يمكن سحبها إلى الداخل عند اللزوم. وتدور هذه العجلة حول نفسها عند ملامسة جدار الأمعاء وتوازي كل دورة كاملة اشارة لاسلكية يلتقطها هوائي يقع على مقربة من المريض في دائرة نصف قطرها عشرة أمتار ويتم التقاط هذه الإشارات وتسجيلها بيانياً. وبالتالي ترسل الكبسولة المعلومات ثانية بثانية إلى مركز التحكم الخارجي عن اتجاهها وسرعتها وتنقلها خلال رحلتها داخل الأمعاء الدقيقة والتي تمتد مابين ٤ و ٨ ساعات.

ولقد أجرى هذا المكوك المعوي خمسين رحلة داخل أمعاء متطوعين من المرضى حيث يتم تنظيف المجس وتعقيمه قبل استخدامه مرة أخرى. وبالاضافة إلى اهتمام أطباء الجهاز الهضمي بهذا المجس المتطور فإن صناعة الأدوية توليه اهتماماً كبيراً لاختبار فاعلية وأمان الأدوية التي تنتجها.

لكي لا يغفو السائق

تبين الاحصائيات أن ٢٥٪ من حوادث الطرق تقع نتيجة لارهاق واغفاء السائقين اثناء القيادة ويأتي هذا العامل في مقدمة أسباب الحوادث المميتة. ولذلك فكر مصممو السيارات في ابتكار نظام لرصد اغفاء السائق أثناء القيادة والعمل على ايقاظه.

ويتكون هذا النظام من ميكروكمبيوتر مبيت في لوحة السيارة ومتصل بجهازي رصد: الجهاز الأول يراقب سرعة السيارة بينما يسجل الجهاز الثاني المثبت على قضيب القيادة زوايا دوران عجلة القيادة.

إن الحركات البسيطة التي يحرك بها السائق عجلة القيادة أثناء السير ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدرجة تنبهه، فهي تتجاوب مع العوامل المؤثرة على قدرة القيادة مثل الكحول أو نقص النوم أو قلة الخبرة ..الخ

ويبدأ النظام عمله ابتداء من سرعة ٦٠ كيلومتراً في الساعة، ويرصد حركات عجلة القيادة التي تقل أو تساوي ٢٥ درجة أي أثناء سير السيارة في خط مستقيم أو عند المنحنيات البسيطة ويسجل الميكروكمبيوتر عشرين قياساً لزوايا عجلة القيادة في الثانية كما يرصد السرعة كل ثانية ويختزن كل هذه القياسات ويحسب معادلة تربط المؤشرين معاً ويقارن متوسط القياسات على مدى عشر ثوان مع جدول معد مسبقاً خلال النصف ساعة الأولى من القيادة عندما تكون يقظة السائق عند حدها الأقصى. وتسمح المقارنة المستمرة مع هذا الجدول بمعدل كل ثانيتين باطلاق جرس انذار عند اللزوم. في بداية الأمر يكون الانذار لطيفاً بمجرد ظهور بوادر التعب على السائق ويكون في شكل ضوئي وصوتي، ولكن عندما تبدأ حالة اليقظة في التدهور فإن جرس الانذار يصبح أقوى والاشارات الضوئية تومض بضوء أحمر قوي كما يمكن توصيل جهاز الانذار بجهاز أتوماتيكي للحد من السرعة.

ولقد استغرق تصميم وتنفيذ هذا النظام خمس سنوات ومن المتوقع طرحه في الأسواق في غضون ثلاث سنوات.



سينما

بقلم: رءوف توفيق

الفيلم الفائز بجوائز الأوسكار

خسرت كل شيء : الحب والمحصول والمسكن وحان موعد الرحيل

ميريل ستريب وخادمها الافريقى فرح





المخرج سيدنى بولاك سعيد وهو يحمل جائزتى الأوسكار: أحسن فيلم وأحسن اخراج

لولا « المكان » .. ماكان لهذا الفيلم ، ذلك المذاق الخاص .

فالنظرة المدققة ، لفيلم « خارج أفريقيا » تكشف أنه يقدم رؤية جديدة للعين ، من خلال رحلة فنية باهرة الجمال ، ومتدفقة بالمشاعر ، داخل أفريقيا مع بداية هذا القرن .

وقد أصبح فيلم « خارج أفريقيا » حديث الأوساط السينمائية ، خلال الأسابيع القليلة الماضية .. بعد فوزه بسبع جوائز أوسكار هي : جائزة أحسن فيلم ـ أحسن اخراج ـ أحسن سيناريو مأخوذ عن عمل أدبي ـ أحسن تصوير ـ أحسن موسيقى ـ أحسن صوت ـ أحسن ديكور .

الاستمتاع بمياه الأنهار وجمال الطبيعة،
لقطة من فيلم «خارج افريقيا»

السينما تدق أبواب أفريقيا..



وقد كان هذا الفيلم مرشحاً لإحدى عشرة جائزة أوسكار (من مجموع الجوائز الأربع والعشرين .. وكانت هذه الترشيحات العديدة لفيلم واحد .. هي السابقة الثانية في تاريخ جوائز الأوسكار - التي بدأت عام ١٩٢٩ - بعد الترشيحات التي حصل عليها فيلم «بن هور» عام ١٩٥٩ ، وكانت أيضاً أحد عشر ترشيحاً .

ومنذ ذلك الحين ، أي في خلال ٢٧ عاماً ، لم يحصل فيلم على هذا القدر من الترشيحات الفنية للجوائز.. حتى كان فيلم «خارج أفريقيا» !

وصنعت «سمعة» الفيلم ، تلك الطوابير الممتدة من المتفرجين على أبواب دور السينما في أوربا وأمريكا .

ومن أحد تلك الطوابير ، بشارع الشانزليزيه بباريس .. كنت أقف انظر حولي ، أحاول أن أقرأ تعبيرات الوجوه الملتهفة على الحصول على مقعد في دار العرض.. كان الطابور ممتداً لأكثر من خمسين متراً ، تحت رذاذ المطر ولفحات الهواء البارد ..

ما الذي يجمع هؤلاء ويدفعهم لترك منازلهم ودفء الاسترخاء أمام شاشة التليفزيون بقنواته الخمس (الفرنسية) .. ما الذي يتوقعونه ؟ وأي فضول يحركهم ؟!

وفي قاعة العرض .. ران الصمت لساعتين وربع - هي مدة عرض الفيلم - وكان الصمت هو دليل الاستجابة والمشاركة الكاملة .

البطل الحقيقي

ولا أنكر المتعة التي حصلت عليها بمشاهدة الفيلم .. ولكنها متعة ظلت مرتبطة في ذهني بتساؤل محير !

لو قيلت قصة الفيلم داخل أي مجتمع آخر غير أفريقيا .. هل كانت ستثير هذه الأهمية ؟

السينما
تدق أبواب أفريقيـا..



ميريل ستريب وروبرت ريدفورد ، داخل سيارة تتنقل داخل الأدغال



عندما جاءت الى الأرض الأفريقية أهملها زوجها وأصابها المرض والتعاسة

الاجابة : إن « المكان » هنا ، هو البطل الحقيقي ، بدليل أن ماتتذكره من الفيلم .. هو لمحات من طبيعة المكان الساحر المليء بالغموض والجمال .. وأصداء ايقاع موسيقى أفريقية .. وأطياف من وجوه سوداء ، تظهر وتختفي .. يسكن ملامحها ذلك الحذر والشك من المستعمر الأبيض .. قد تنطق به ، وقد لاتنطق .. ولكنك تشعر بوجوده ومعاناته .. وتظل هذه الوجوه السوداء هي العمق الحقيقي للمكان .. هي صاحبة الأرض والتقاليد .. ومكتشفة أسرار ماحولها .. ومبدعة الموسيقى .. ومنبتة الزرع .. والمحركة لعجلة العمل ..

أما تلك المرأة البيضاء ، التي تروي مذكراتها .. ومهما كانت شجاعتها بالرحيل إلى أرض مجهولة ، والبقاء بها لعدة سنوات .. إلا أن مشكلتها الأساسية التي دار حولها الموضوع .. أنها أخفقت في زواجها .. وأخفقت في حبها .. وأخفقت في مشاريعها .. واضطرت للعودة إلى بلدها ..

وهي مشكلة ــ بالتأكيد ــ من الممكن أن تحدث في أي زمان وأي مكان .

وقد تناول الأدب العالمي .. وتطرقت السينما لهذا الموضوع عشرات المرات .. ولم يعد هناك جديد من الممكن أن يقال في هذه الحالة .. إلا إذا كان الجديد هو اختيار المكان الذي تدور فيه الأحداث .. وبالتالي سيكون هناك الجديد في التفاصيل الصغيرة التي سيغزل منها العمل ككل .

وهذا مافعله المخرج الأمريكي « سيدني بولاك » .. فقد ذهب إلى أفريقيا .. ليقدم المكان ــ أساساً ــ كمبرر للقصة التي يرويها .

فكل قيمة هذه القصة ، أنها حدثت في أفريقيا .. وليس أكثر من هذا ..

تعدد مصادر الرؤية

والاتجاه الأخير في السينما العالمية .. هو الخروج بالكاميرا إلى أماكن جديدة وغير مألوفة للعين ..

وقد تعرضت لهذا الاتجاه ، في مقال سابق بالدوحة ــ أغسطس عام ٨٣ ــ تعليقاً على فيلمي « عام الحياة الخطرة » للمخرج الاسترالي « بيتر واير » .. و « حرارة وغبار » للمخرج الانجليزي « جيمس أيفري » .

في فيلم « عام الحياة الخطرة » استخدم المخرج الاحداث السياسية في اندونسيا ، والانقلاب ضد « سوكارنو » .. كخلفية يحكي من خلالها قصة حب بين مراسل إذاعي استرالي وفتاة انجليزية تعمل سكرتيرة بالسفارة الانجليزية في جاكرتا

وفي فيلم « حرارة وغبار » .. يدخل المخرج إلى عالم الهند قديماً وحديثاً .. ليربط بين قصة حب وقعت في العشرينات من هذا القرن ، مع قصة حب معاصرة ..

وأشرت في ذلك المقال ، منددا باستخدام التاريخ ، ومعاناة الشعوب ، كديكور حي ومثير ، وكمجموعة زخارف لتجميل قصة حب !

ولكن هذا الاتجاه ، بالخروج بالكاميرا إلى أرض جديدة غير مطروقة سينمائياً .. بدأ يأخذ أشكالاً مختلفة .. لعل أبرزها فيلم « الطريق إلى الهند » للمخرج الانجليزي « دافيد لين » .. وفيلم « غاندي » للمخرج الانجليزي « ريتشارد أتينبورو » .

وتحولت رغبة صناع السينما العالمية في تغيير مصادر الرؤية البصرية .. إلى الجنوح للتطرف ، والبحث بين الغابات الكثيفة عن مبرر لتقديم موضوع يجذب انتباه الشباب الذين أصابهم الملل من أفلام الفضاء .

وهكذا انتقلت السينما من أقصى اجتهادات الخيال العلمي في الفضاء .. إلى أقصى درجات البدائية في الغابات ..

وتعرضت بالتحليل لهذا الانتقال المثير ، في مقال الدوحة لشهر سبتمبر ١٩٨٥ .. معتمداً على فيلمي « أسطورة طرزان » للمخرج « هيج هدسون » و « غابة الزمرد » للمخرج « جون بورمان » .. وكلاهما حقق المستوى الفني والتجاري في عامي ٨٤ ــ ٨٥

وهاهي السينما العالمية تدق باب أفريقيا .. لتقدم للمتفرج الملول ، مبرراً قوياً لكي يقف في الطوابير أمام دار العرض ، ليستمتع برؤية مختلفة عما تعوده .

الموقف من أفريقيا

ومما لاشك فيه .. أن المخرج الأمريكي « سيدني بولاك » دخل إلى أفريقيا ، بكل الحب والاحترام .. يحمل انفعالات الشاعر والفنان الذي تبهره لحظات شروق الشمس على الربوع الأفريقية .. وثراء الأرض وخصوبتها وتفجرها بالسحر والجمال .. سواء في أعنف



في الاحتفال بالزفاف ميريل تصافح أحد كبار المسئولين في الحامية البريطانية بنيروبي

لحظات الوحشية، حينما يصطدم بالحيوانات المفترسة.. أو في أعذب التفاصيل الإنسانية مع الانسان الأفريقي الذي كان يعيش وطأة الاستعمار الانجليزي في تلك الفترة من بدايات هذا القرن.. وذلك الانسان القوي، البسيط، الذي لايعرف القراءة أو الكتابة.. ويجبره السادة البيض أن يعمل خادما يرتدي القفاز الأبيض، ويحرس لقاءات العشاق.. ويسهر في الظلام مفتوح العينين لحمايتهم!

والمنطق المتأني.. يدعونا للتمهل الشديد قبل اصدار أي أحكام سياسية أو أخلاقية ضد المخرج «سيدني بولاك» في تقديمه للجانب الأفريقي في فيلمه..

فقد كان أميناً لتلك الفترة، حينما كان يمارس الانجليز كل الغطرسة، والعنجهية، وفي اعتقادهم الراسخ أن أفريقيا ماهي إلا مزرعة خاصة لنزواتهم وأحلامهم.

بل أنه كمخرج.. راعى أن يقدم القبح الأخلاقي وبشاعة السلوك الانجليزي في الصدام بينهم وبين بعض.. دون أن يتعرض للجانب الأفريقي بأي سخرية أو اتهام.. واحتفظ لهم بكل كرامتهم، ونبل أخلاقهم.. وتعمد أن يقدم لقطة وهم يمارسون شعائر الدين الاسلامي في الصلاة

مغامرة تلك المرأة

وأحداث الفيلم مأخوذة من مذكرات البارونة الدانمركية الأصل «كارين بليكسن» والتي كانت تكتب باسم مستعار «ايزاك دابنسين».. وقد عاشت تسعة عشر عاماً في «كينيا» — منذ عام ١٩١٤ — واختارت أن تكتب تجربتها الخاصة، بإحساس شاعري ملئ بالحب والحنين إلى أفريقيا.

ومازالت كينيا تحتفظ لهذه المرأة بذكرياتها الجميلة.. واطلقت اسمها «كارين» على المنطقة التي كانت تعيش فيها.. ومازالت المنطقة تحمل هذا الاسم حتى الآن.. وقد جرى تصوير الفيلم في داخلها.. ومازال السكن الذي كانت تعيش فيه، قائماً إلى يومنا هذا.. ولكنه تحول إلى مؤسسة علاجية تشرف عليها الحكومة الكينية.



الممثل كلاوس ماريا في دور الزوج الأناني



أثناء فترات الراحة بين التصوير..

ويحكي الفيلم عن تلك المرأة التي تزوجت ابن عمها البارون السويدي، والذي كان يعيش في المستعمرة البريطانية بكينيا.. وتبدأ المشاهد بالكاتبة وهي تسطر مذكراتها.. تروي قصتها مع الذي تزوجته، والذي أحبته.

فعندما رحلت من بلادها لتلحق بخطيبها في كينيا.. كان عليها أن تستقل الباخرة.. ثم القطار.. وفي محطة الوصول لم تجد أحداً يستقبلها.

وحملتها عربة بدائية يجرها انسان إفريقي.. ووسط التراب والزحام.. تشق طريقها مذهولة بالعالم الجديد الذي انتقلت إليه.. وتدخل إلى النادي المخصص للإنجليز.. فتفاجأ بنظرات الاستنكار والدهشة في عيون السادة الانجليز.. ويتقدم إليها مسرعاً خادم النادي ليأمرها بالخروج.. فهذا النادي مخصص للرجال فقط..

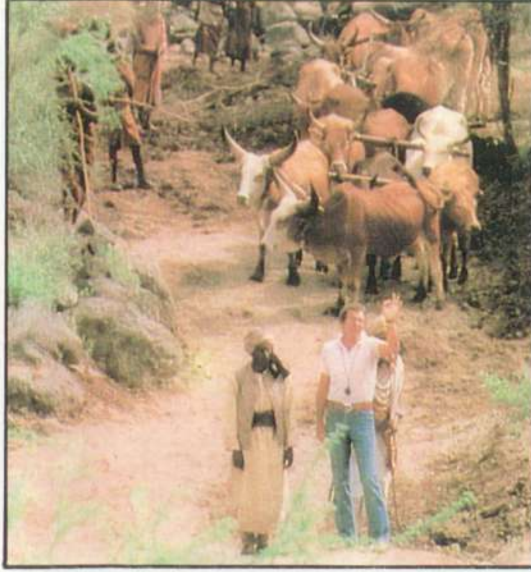
ومنذ تلك اللحظة.. نشعر بموقف المخرج من هؤلاء السادة الانجليز، ومدى الغطرسة التي يحملونها في داخلهم.. ونفهم أيضاً الملامح الأولى لشخصية خطيبها (لعب الدور الممثل النمساوي الأصل: كلاوس ماريا برانداور) الذي لم يكلف نفسه مشقة انتظارها على محطة القطار.. وآثر أن يقابلها في الفندق ليخبرها بأن مراسم الزواج ستتم بعد ساعة واحدة..

إنه شخص لايطيق الارتباط.. فقد تعود أن يعيش حياته كما يحب.. وإذا كان هو يهوى رحلات الصيد.. فلا مانع لديه أن يبدأ رحلة جديدة من رحلاته في اليوم التالي مباشرة لزواجه.

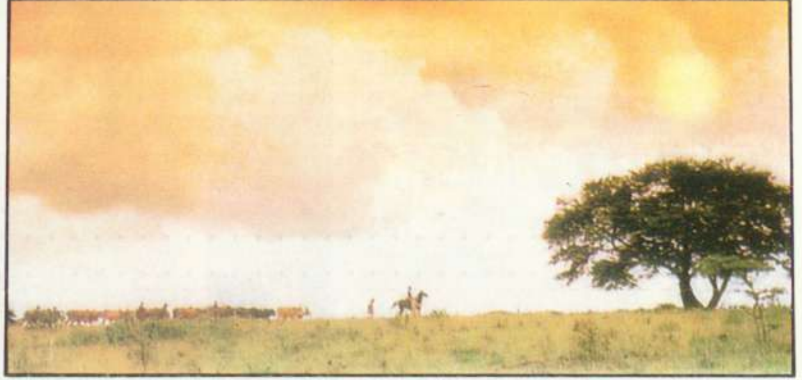
وهكذا ترى هذه المرأة نفسها.. تواجه الأرض الجديدة، والبشر.. بمفردها ومنذ اليوم الأول لوصولها..

فقد اختار لها مسكناً.. وعليها أن تعده

السينما
تدق أبواب أفريقيا..



المخرج سيدني بولاك أثناء الاعداد لمشهد يتضمن انطلاق تطيع من الأبقار



لقطة من الفيلم توضح طبيعة المكان وقدرة المصور على تشكيل الصورة

بالمفروشات التي حملتها معها في صناديق خشبية ضخمة.

واختار لها الخدم من الأفريقيين .. وعليها أن تجد الأسلوب للتعامل معهم..

واختار لها ـ ماهو أهم ـ أن يستثمر أموالها في مزرعة للبن .. وهي التي كانت اتفقت معه قبل أن تأتي إلى هنا .. أن يستثمر أموالها في مزرعة لتربية الأبقار..

ولا فائدة من الاحتجاج أو الغضب .. فهذا هو الأمر الواقع .. وعليها أن تدبر نفسها في غياب زوجها..وفي تخليه الكامل عن مسئولياته تجاهها.

وعندما تبدأ في التعرف على المكان.. وتسأل في براءة شديدة كم من الوقت تستغرقه زراعة البن حتى يؤتي بمحصوله؟ تأتيها الاجابة.. بأنها أربع سنوات! هنا فقط تصرخ في غضب بالغ .. هل سأبقى في هذا المكان طوال هذه السنوات؟

ولكن الأيام تمر.. حافلة بالاكتشافات.. وتتوطد علاقتها بالافريقيين، وبالأرض التي تزرعها.. وبالحلم الذي يراودها بالارتباط بالرجل الآخر الذي أحبته (يلعب الدور الممثل الأمريكي روبرت ردفورد)..

لقد تعرفت عليه في بداية وصولها إلى كينيا.. ثم وجدته أمامها ذات صباح وهي تواجه أحد الأسود الذي يتقدم ناحيتها.. وهي لاتدري كيف تتصرف من شدة الخوف والفزع.. في تلك اللحظة كان هو بالقرب منها يلقنها أن تتصرف بهدوء.. ولاتثير أي ضجة.. ولاتصدر أي صوت.. حتى مر الاسد بجوارها دون أن يحتك بها.



في لحظات الانهيار كان الصديق هو الذي يقدم النصيحة والأمل

● الفيلم كعمل فني راقٍ يقدم بطاقة حب لأفريقيا



عندما عادت من رحلة استقبلوها بهدية طائر « طائر البومة » كتميمة للحظ

وازدادت معرفتها به .. وهو يحميها من وقاحة أحد الانجليز السكارى .. ثم وهو يجلس بجوارها يستمع إلى حكاياتها.

في تلك الأثناء كان زوجها قد انجرف إلى مغامراته النسائية .. وإلى اصابتها بعدوى « الزهري » الذي عادت به إلى بلدها لتتعالج منه .. ولكنها عندما رجعت إلى كينيا ، كانت قد فقدت الأمل في أن تصبح أماً في يوم من الأيام ، وهذه ضريبة ذلك المرض اللعين .. بالاضافة إلى أنها فقدت كل الروابط التي حرصت على ابقائها مع زوجها .. ولهذا قررت الانفصال عنه.

وكان البديل ذلك الرجل الآخر .. الذي رافقته في رحلة طويلة داخل الغابة الأفريقية .. وحلقت معه في طائرة لتكتشف ـ ونكتشف معها ـ الجمال الساحر للأرض العذراء .. وأسراب الطيور .. وقطعان الأبقار والغزلان ..

عاشت معه أجمل اللحظات .. ولكنه لم يرحب بفكرة الزواج منها .. فهو قد تعود أن يعيش طليقاً .. حرا ..

وتتوالى الصدمات عليها .. يشب حريق ضخم يلتهم مزرعة البن ومحصولها .. يسقط حبيبها بطائرته ويلقى مصرعه .. وتخسر كل شيء .

ويباع أثاث بيتها في المزاد .. ولايبقى لها سوى صندوق خشبي قديم تكتب عليه مذكراتها .. ووفاء خادمها الافريقي الذي كان أميناً معها طوال سنوات إقامتها ..

وتعود « كارين » إلى وطنها .. لتكتب تجربتها .. وينتهي الفيلم بصوتها الذي يحمل كل الشوق والحنين إلى أفريقيا التي لن تعد إليها أبداً ..

أدوار قصيرة .. ولكنها معبرة

وأجمل مافي الفيلم .. تلك المشاهد التي سجلت ملامح الطبيعة الأفريقية .. والتزاوج الرائع بين الصورة المعبرة وايقاع الموسيقى الأفريقية المتدفقة بالحيوية والمشاعر ..

وأجمل النماذج الانسانية .. هي التي خصها الفيلم للسكان الافريقيين .. وبالرغم من أدوارهم القصيرة .. إلا أنها كانت أدواراً مكثفة ، مليئة بالمعاني النبيلة .. كدور الخادم « فرح » المراقب الصامت الأمين .. ودور الطفل المريض بساقه والتي تقيحت جروحها من شدة الاهمال ، فتقدمت لعلاجه ، وحفظ لها هذا الجميل .

ودور عجوز القبيلة وحكيمها .. الذي كان يرفض بإصرار مشروعها بإقامة فصل دراسي لتعليم أطفال القبيلة القراءة والكتابة .. وحجته أن الأطفال يجب أن يتعلموا شيئاً مفيداً لحياتهم .. « فماذا فعل الانجليز بإجادتهم القراءة والكتابة » ؟!

وهناك شخصيات نساء القرية .. اللاتي خرجن لاستقبالها بعد عودتها من رحلة العلاج .. وكن يحملن لها الهدايا الرمزية .. ومنها طائر « البومة » كتميمة تجلب الحظ.

وقد استطاع كاتب السيناريو « كيرت لودتك » أن يحشد في هذه الشخصيات القليلة ، كل الرموز لمعاني الكرامة والوفاء والحكمة والأصالة .

واختار المخرج .. نماذج حقيقية من سكان تلك الأرض ، لتلعب هذه الشخصيات .. وكأنها جزء من الواقع الحقيقي ..

وفي المقابل لعبت الممثلة الأمريكية « ميريل ستريب » دوراً مركباً ، مليئاً بالمشاعر المتناقضة ، من الغضب والتحدي .. والرقة والصلابة .. والألم والفرح .. وكم كانت ساحرة في لعبتها المفضلة عندما تخترع قصة وترويها بلا توقف .. من مجرد جملة بداية يلقيها صديقها ويمتحن بها قدرتها على الخيال !

كيف صنعوا الفيلم ؟

لقد تعاون فريق الفنيين في الفيلم ، لاعادة الحياة في هذه المنطقة بكينيا ، وكما كانت في عام ١٩١٤ .. انهمكوا يبحثون بين المتاحف وكل الصور الفوتوغرافية القديمة عن تفاصيل تلك الفترة .. ابتداء من شكل السكن الذي أقامت فيه الكاتبة .. إلى نوع الستائر .. وقماش الثياب .. إلى طراز المقاعد والموائد ولمبات الغاز ..

ثم امتد البحث إلى نوع السيارات المستخدمة في تلك الفترة ، وفي هذه المنطقة بالذات .. وشكل القطار الذي يصل إلى محطة نيروبي .. والأصعب من ذلك العثور على طائرة يمكنها أن تعمل وتطير بالفعل ، وتشبه إلى حد كبير طراز الطائرات الموجودة في ذلك الوقت ..

ثم كان لابد من أن تكون الموسيقى والأغاني الأفريقية تحمل الطابع الخاص بالعشرينات من هذا القرن ..

ولما كان من الصعب ، تطويع الأسود البرية لتمثيل مشاهد الفيلم في أدغال كينيا ، لجأوا إلى استحضار الأسود المدربة من كليفورنيا لأمريكية .

وهكذا قدر عدد العاملين وراء كاميرات الفيلم .. بحوالي عشرة آلاف شخص .. كانت كل مهمتهم تحقيق الصورة الملائمة لافريقيا في بداية هذا القرن ..

ومن هنا .. من الممكن أن نلاحظ .. أن جوائز الأوسكار التي حصل عليها الفيلم .. ذهبت في أغلبها للفريق الفني (الصوت ـ الديكور ـ الموسيقى ـ التصوير) .

وإذا كان موضوع تلك المرأة ومذكراتها .. لايهمنا كثيرا .. إلا أن الفيلم ـ كعمل فني على مستوى راق ـ يقدم بطاقة حب إلى أفريقيا .. وهذا وحده يكفي .

« رءوف توفيق »

أخبار ثقافيّة

يقدمها: يوسف الحرمي

فوز نادي الجسرة ببطولة الدوري الثقافي الخليجي


الشيخ محمد بن عيد آل ثاني

أقام نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي حفلاً تكريمياً بمناسبة فوزه ببطولة الدوري الثقافي الثالث لأندية دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي أقيم في الدوحة، وجاء نادي البستين البحريني في المركز الثاني .. بينما احتل المركز الثالث نادي النصر السعودي.

وقام الشيخ محمد بن عيد آل ثاني السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الشباب في ختام الحفل بتوزيع الجوائز والميداليات على الأندية الفائزة، كما تم تبادل الهدايا التذكارية بين رؤساء الوفود.

معركة ضد القمر بالفرنسية


مجيد طوبيا

• صدرت في فرنسا مؤخراً الترجمة الفرنسية لرواية «معركة ضد القمر» للكاتب المصري مجيد طوبيا في سلسلة، «الآداب العربية الجديدة»، ويحتوي كتاب مجيد طوبيا معركة ضد القمر بالاضافة إلى الرواية التي تحمل نفس العنوان «٩٠» صفحة على ثلاث قصص قصيرة.

وهذه رابع رواية تترجمها دار نشر ج. س. لات عن اللغة العربية، هذه المجموعة التي بدأت بموجب اتفاق بين «لات» ومعهد العالم العربي في باريس بهدف التعريف بالأدب العربي في فرنسا، وقد صدر عن نفس الدار خلال عام ١٩٨٥ الجزء الأول من ثلاثية الكاتب المصري نجيب محفوظ، بين القصرين أما الجزءان الآخران فسيصدران في وقت قريب من هذا العام، وهما رواية «صوت الفجر» للكاتب العراقي فؤاد التكرلي وحكاية «زهرة» للكاتبة اللبنانية حنان الشيخ.

معرض الفن والتراث بالدوحة


محمد المدني

أقام الفنانان محمد المدني ومحمد حسب الله معرضهما الثاني للفن والتراث تحت رعاية الجمعية القطرية للفنون التشكيلية.

عرض الفنان المدني ٢٣ لوحة استلهم فيها فن الخط العربي ومعينه في ذلك آيات القرآن الكريم في صياغة لونية تشكيلية منسجمة ..


محمد حسب الله

أما الفنان محمد حسب الله فقد قدم ٢٦ لوحة استلهم فيها فن الخط العربي، ومعينه في ذلك نوع من الحروف العربية التي كانت تستخدم في القرن السابع الهجري حيث تم تحويرها إلى أشكال انسان وحيوان وطيور وقدم ذلك من خلال خامة الأكليك والطباعة باللينو.

معرض للخط العربي بالدوحة


محمد زكريا

في اطار الموسم الثقافي لإدارة الثقافة والفنون وبالتعاون مع المركز الثقافي الأمريكي في الدوحة .. تم افتتاح المعرض المشترك للفنان الأمريكي المسلم محمد زكريا والفنان القطري يوسف أحمد.

عرض الفنان محمد زكريا ٢٤ لوحة نفذت بأساليب فنية مختلفة للخط العربي باعتباره قيمة تراثية قديمة استخدم فيها الفنان الأحبار التي صنعها بنفسه والورق المذهب في اطار تقليدي متوارث من قبل الخطاطين المسلمين.

كما عرض الفنان يوسف أحمد ١٦ لوحة فنية استخدم فيها الخط العربي بطريقة معاصرة ضمن تجاربه في التعبير لاستخدام طريقة «الجرافيك» والشاشة الحريرية وأدوات أخرى مختلفة، وذلك بهدف تحقيق طواعية الحرف العربي للوصول إلى هوية للوحة الخط العربي المعاصر.

الحركة الثقافية الفلسطينية ... في كتاب

• صدر في القدس كتاب جديد يحمل عنوان «خمسون عاماً في خضم الحركة الثقافية» تأليف الناشر الفلسطيني فوزي يوسف، وقد استعرض المؤلف في كتابه ما تعرضت له الحركة الثقافية الفلسطينية من نكسات وضغوط مسلطاً الأضواء على بعض الشخصيات الأدبية البارزة مثل د. اسحق موسى الحسيني، والمحامي أنور الخطيب، والمحامي عبدالرحمن الشريف، والدكتور أمين الخطيب، والشيخ أسعد الامام الحسيني وجلهم من الرعيل الأدبي الأول، ويقع الكتاب في «١٦٠» صفحة من القطع المتوسط وكتب مقدمته المحامي أنور الخطيب.

السندباد .. ليوسف الشاروني

• عن الهيئة المصرية العامة للكتاب صدر كتاب جديد بعنوان « سندباد في عُمان » للكاتب المصري يوسف الشاروني.

استهل الشاروني كتابه بعبارات إهداء رقيقة إلى « سلطنة عُمان » التي (وهبتني منجماً من المعرفة فلا أقل من أن أرد إليها بعض بريق كنوزها).

الكتاب يقع في « ٣١٨ » صفحة ويتضمن موضوعات متنوعة عن المدن العُمانية والمعرفة والتراث الطبي إلى جانب ملامح مختلفة عن الحياة الاجتماعية في السلطنة.

٣ روايات جديدة لثروت أباظه

أصدرت الهيئة العامة للكتاب في مصر الجزء الرابع من الأعمال الكاملة للكاتب المصري ثروت أباظة ، ويحتوي على ثلاث روايات هي : نقوش من ذهب ونحاس وخيوط السماء وطائر في العنق.

ديوان جديد للشرقاوي

أصدر الشاعر البحريني علي الشرقاوي ديوان شعر جديداً بعنوان « للعناصر شهادتها أيضاً أوالمذبحة ». ويحتوي الديوان على خمس وخمسين قصيدة.

للشاعر عدة دواوين صدرت له في البحرين والعراق والمملكة العربية السعودية منها « نخلة القلب » و« تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة » و« رؤيا الفتوح » ، هذا إلى جانب صدور بعض الأشعار للأطفال والمسرحيات.

مهرجان الفنون الشعبية الخليجية

وافقت اللجنة الثقافية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية على إقامة الدوري الثقافي الرابع لدول المجلس بالكويت في شهر مارس من العام القادم.

كما تقرر إقامة مهرجان الفنون الشعبية لدول المجلس في الدوحة خلال الفترة من ١٦ إلى ٢٥ أكتوبر القادم وكذلك إقامة مهرجان القصة والشعر خلال الفترة من ١ إلى نوفمبر المقبل.

أمسية شعرية ناجحة بمكتب المنظمة بالدوحة



الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني

أحيت منظمة التحرير الفلسطينية بالدوحة أمسية شعرية بمناسبة يوم السجين الفلسطيني وبمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لاستشهاد القادة الثلاثة : محمد يوسف النجار ، وكمال ناصر ، وكمال عدوان.

شارك في الندوة نخبة من الشعراء العرب المقيمين في الدوحة وهم الشاعر الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني وحسن توفيق وحسان عطوان وحسن طلب ومجيد البرغوتي.

وقد ألقى كل واحد منهم عدة قصائد شعرية تعبر عن القضية الفلسطينية ومعاناة الانسان الفلسطيني داخل الوطن المحتل ، والاصرار على الصمود ومقاومة المحتلين.

اضاءة ٧٧

صدر العدد الثالث عشر من مجلة اضاءة (٧٧) المصرية الشعرية التي يشرف على تحريرها عدد من الشعراء المصريين الذين بدأوا في اصدار أول عدد منها عام « ١٩٧٧ ».

وتعبر القصائد المنشورة في العدد ، وكذلك المقالات والمتابعات النقدية عن رؤية شعرية جديدة يتبناها هؤلاء الشعراء محاولين تجاوز الركود والنمطية في الابداع الشعري المصري والعربي عامة.

يحتوي العدد الجديد على قصائد جديدة لكل من الشعراء السيد حجاب وماجد يوسف وحسن طلب وأمجد ريان ، ومحد خلاف ، ومحمود نسيم بالاضافة إلى قصيدة مترجمة للشاعر الانجليزي المعاصر تيدهيوز ،

كما يحتوي العدد أيضاً على دراسات حول شعر علي قنديل بقلم حلمي سالم وحول الشعر البحريني المعاصر بقلم أمجد ريان ، وحول ثلاث تجارب شعرية في عُمان بقلم جمال القصاص ، ورسائل خاصة بقلم محمد خلاف ، وقراءات بصرية بريشة الفنان عمر جهان.

سيرة بيروت ديوان جديد لحلمي سالم

صدر ديوان جديد للشاعر المصري حلمي سالم وهو أحد شعراء جماعة اضاءة « ٧٧ » عنوان الديوان « سيرة بيروت » ويحتوي على تسع قصائد تشكل تجربة الشاعر إزاء حرب بيروت وحصارها في صيف عام ١٩٨٢ من قبل القوات الاسرائيلية الغازية حيث اشترك الشاعر حلمي سالم مع زملائه الفلسطينيين والوطنيين اللبنانيين في الصمود أمام هذا العدوان ، وظل مع رفاقه طوال فترة الحصار ومن هنا كانت قصائد الديوان تعكس تجربة معاشة حية للصمود العربي في وجه العدوان الاسرائيلي ،

وقد صدر للشاعر حلمي سالم من قبل خمسة دواوين شعرية هي : الغربة والانتظار ، حبيبتي مزروعة في دماء الأرض ، ودهاليزي ، وسكندرياً ليكون الألم ، والأبيض المتوسط ،

صدر الديوان الجديد « سيرة بيروت » عن دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالقاهرة ، وباريس ورسم غلاف الديوان الفنان عماد حليم والرسوم الداخلية للفنان عمر جهان.

الأعمال الشعرية الكاملة « للزواتي »

تصدر قريباً عن مؤسسة السنابل الثقافية في الكويت الطبعة الثانية من المجلد الأول من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر الفلسطيني حلمي الزواتي ، ويعتبر هذا المجلد واحداً من ثلاثة مجلدات ستضم أشعار الزواتي الكاملة ، ويأتي نشر هذه الأعمال ضمن مشروع ضخم يشمل آثار الزواتي في عشرة مجلدات موزعة على الأعمال الشعرية في ثلاثة مجلدات تليها المسرحية في مجلد رابع فالروائية في مجلد خامس ، ثم الدراسات في خمسة مجلدات.

يتكون المجلد الأول من الأعمال الشعرية الكاملة من المجموعات على وجه الضياع ، فاتحة الموت ، والغضب ثلاثية الموت ، والارتحال قبلة على جبين الشمس.



حاول أن تعرف





الصورة الأولى

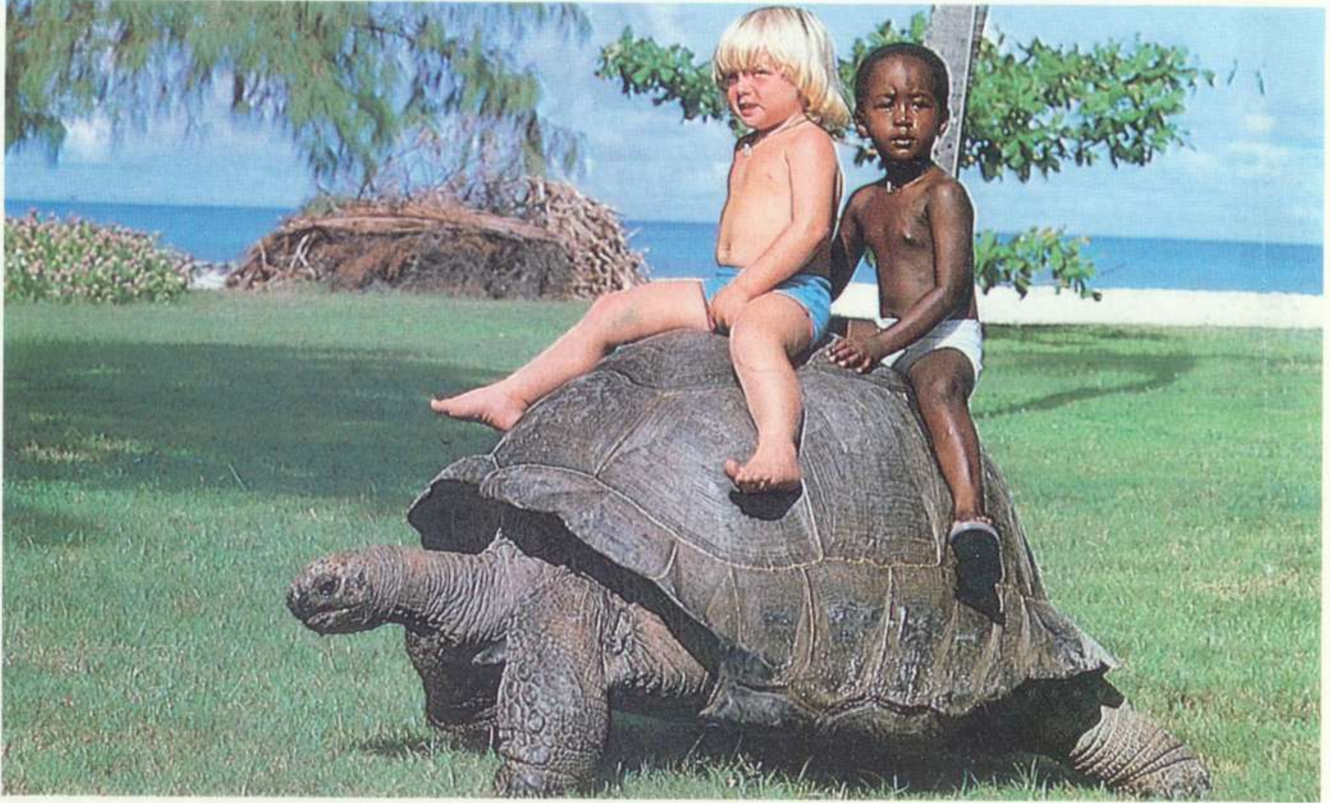
لأحد المسارح الرومانية بمدينة قالمة ، من مدن إحدى دول المغرب العربي الكبير. فما هي تلك الدولة العربية التي يوجد بها هذا المسرح العريق ؟

الصورة الثانية

لأحد المغامرين الأوربيين ، وقد ولد سنة ١٤٠١ م بمدينة جنوا بايطاليا ، ثم رحل إلى أسبانيا حيث أقنع ملكتها ايزابيلا بتمويل رحلته لايجاد طريق غربي من أوروبا إلى بلاد الشرق . وبعد عدة محاولات تمكن بمحض الصدفة من اكتشاف عالم جديد . وكان هذا الاكتشاف بداية الاستعمار الاستيطاني لقارتين .

فمن هو هذا المكتشف العظيم ؟

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة « الدوحة » ص . ب (٢٣٢٤) الدوحة ـ قطر ، وحتى تضمن اشتراكك فى المسابقة الرجاء كتابة كلمة « مسابقة » على الظرف بخط واضح .



لقطة الشهر

عالم من الجمال والبراءة

فازت بجائزة اشتراك لمدة سنة القارئة : نهلة عبدالقادر فرج

الاسماعيلية ـ جمهورية مصر العربية

عشرة أماكن لم يتم اكتشافها كاملاً

الأماكن العشرة التي لم تكتشف بعد بكاملها :

١ ـ ألاسكا (سلسلة جبال بروكس) التي تسمى « باب الأرتيك »

٢ ـ حوض الأمازون في البرازيل الذي يغطي ٤ مليون كم

٣ ـ مناطق القطب الجنوبي ومساحتها ١,٥٠٠,٠٠٠ كلم مربع فقط ١٥٠ كلم مربع . لاتغطيها الثلوج

٤ ـ القطب الشمالي وهو كتلة من الجليد المتحرك كثافتها ٣٠٠م ومساحة القطب ٨,٣٠٠,٠٠٠ كلم مربع

٥ ـ نمرنيلاند أكبر جزيرة في العالم . تخص الدانمارك . مساحتها ٢,١٧٥,٠٠٠ كلم مربع . منها مليون كلم مربع مغطى بالثلج . وكثافة الثلج ١٥٠٠م

٦ ـ جبال الغويان . تغطي ٥٤ بالمائة من فنزويلا : مغطاة بالغابات البكر فيها أعلى شلالات في العالم (شلالات الملاك) . سكانها : حيات وتماسيح .

٧ ـ الهمالايا سلسلة جبال بين الهند والصين وباكستان طولها ٢٣٢٥ كلم ومساحتها ٣٤٤٢٥٠ كلم مربع وفيها ٣٠ قمة تتجاوز الـ ٧٠٠٠ م أعلاها قمة ايفرست ٨٨٠٠ م

٨ ـ مجموعة جزر ميكرونيزيا شرق الفيليبين ، منها ماهو تحت الحكم الأمريكي والانجليزي ومنها المستقل حديثاً .

٩ ـ غينيا الجديدة . ثاني جزيرة في العالم من حيث المساحة ٤٨٠,٠٠٠ كلم مربع تقع شمال أوستراليا .

١٠ ـ الربع الخالي في الجزيرة العربية ، مساحته ٣٧٥٠٠٠ كلم مربع .

سلمى بك

دمشق ـ سوريا



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

ازدهر الشعر في عهد الفاطميين ، وكانوا يتبارون في مدح الخلفاء حيث ينالون العطايا الكثيرة والجوائز والخلع . وقد شجع ذلك كثيراً من الشعراء على ترك بلادهم والهجرة إلى مصر للتمتع بسخاء الفاطميين ورجال بلاطهم .

ومن الشعراء الذين عاشوا في زمن العزيز الفاطمي ، الشاعر أبو عبدالله محمد بن الجرع ، وحدث أن أصيب الوزير إصابة طفيفة في يده .. وأحسّ بألم خفيف لم يأبه له ، ولكن ما أن أقبل الليل حتى اشتد الألم عليه حتى لم يستطع الرقاد .. وبلغ ذلك الشاعر أبو عبدالله ، فنظم قصيدة يظهر فيها ألمه لذلك قال في مطلعها :

يد الوزير هي الدنيا فإن أَلِمَتْ ... رأيت في كل شيء ذلك الألما
تأمل الملك وانظر فرط علته ... من أجله واسأل « المقصود » والقلما

المقصود أو « الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من سبعة أحرف :

١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ أعلا وأهم جزء في جسم الإنسان .

٣ ، ٤ ، ٥ حلية تعلق في آذان السيدات .

٧ ، ٦ ، ٢ بمعنى استَفْهَمَ .

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية أوروبية .. حاول أن تعرفها من المعلومات المذكورة فيه ، والتي تلقي ضوءاً على جوانب من حياتها .

سنة الميلاد : فيما بين سنتي ١٨٢٠ ، ١٨٣٠

مكان الميلاد : إحدى القرى الأيرلندية .

ملخص حياتها : كان أبوها موظفاً صغيراً في أحد مكاتب البريد .. وكان فقيراً لا يملك إلا مرتبه الضئيل .. ومما زاد من فقره أنه رزق بأثنى عشر ولداً وبنتاً ، وقد أصيبت ابنته هذه بمرض الجدري وهي في الثالثة من عمرها وكان ذلك سبباً في فقدانها نعمة البصر . وكبرت الطفلة وحولها أشقاؤها وشقيقاتها وقد بدأوا في مراحل التعليم باحدى المدارس الدينية المجانية أما هي فقد استقرت بالمنزل ، وكانت تجلس مع أشقائها أثناء استذكارهم وكلها آذان صاغية لما يستذكرون ، وقد وهبها الله ذاكرة خارقة ، فكانت تحفظ دروسهم بمجرد سماعها . وما أن بلغت الخامسة عشرة حتى كانت قد ألمّت بجميع المواد التي درسوها . وكانت لها مقدرة فذة على سرد القصص لاخوتها الصغار مما كانت تسمعه من جدها وهي صغيرة ، بل وكانت تؤلف بنفسها قصصاً جديدة . وفي سنة ١٨٥٦ نُشر لها كتاب يحتوي على العديد من قصص الأطفال بعنوان « كرسي جدي العزيز » ، وقد اشتهر هذا الكتاب شهرة كبيرة في أيرلندا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية والهند واستراليا .

اسم هذه الكاتبة مكون من مقطعين من أحد عشر حرفاً .

١ ، ٣ ، ٢ ، ٥ راكب الحصان .

١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٧ من ينتخبهم الشعب ليمثلوه في أحد المجالس النيابية .

٤ ، ٦ ، ٨ طائر من الطيور آكلة اللحوم .

مسابقة مدن العالم

هي إحدى مدن سويسرا الكبيرة ، وتعتبر ذات صبغة دولية في أوروبا ، وهي مركز ضخم للأعمال المصرفية والصناعية .. وتحتفظ مصارفها بأرصدة هائلة لعملائها من جميع أنحاء العالم ، وسبب ذلك هو الثقة الكاملة لهؤلاء العملاء في أمانة الشعب السويسري ومقدرته الفائقة في إدارة الأعمال ، بالإضافة إلى أن سويسرا بلد محايد لم يشترك مطلقاً في الحروب الأوروبية .

وتنقسم هذه المدينة في الواقع إلى مدينتين .. الأولى منهما هي المدينة القديمة التي يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى ، وتتكون من شوارع ضيقة منحدرة ومنازل قديمة وميادين صغيرة . وأهم مبنى في هذا الجزء هو الكاتدرائية القديمة التي أنشئت فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر . أما المدينة الثانية فهي الجزء الحديث ، ويتميز بالشوارع الواسعة والمباني الرائعة .

واسم هذه المدينة مكون من مقطع واحد من خمسة حروف :

١ ، ٣ ، ٤ من الآثام التي أمر الله تعالى باجتنابها .

٥ ، ٢ ، ٤ عكس شر .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢٤

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر خويلد بن خالد هي : رغبتها

٢ ـ جواز سفر : اسم صاحب الجواز هو : عبدالرحمن بن عوف

٣ ـ مسابقة مدن العالم : مدينة أوزاكا باليابان

٤ ـ اسم الشهرة : ابن فرج الأشبيلي

التدخين ضار بصحتك
ننصحك بالابتعاد عنه

اسم الشهرة

كان مُوَفَّق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخَزْرَجي المولد . في دمشق سنة ٦٠٠ هجرية طبيباً معروفاً ومصنفاً في السِّيَر ، وقد تعلم الطبَّ في دمشق ثم ارتحل إلى القاهرة واستكمل دراسته فيها في البيمارستان الناصري ، وكان من أساتذته عالم النبات المعروف ابن البيطار .

وفي عام ٦٣٤ هجرية شغل موفق منصباً في أحد بيمارستانات القاهرة . وقد ترجم تراجم وافية عن رجال الطب في العصر الإسلامي بلغ عددها أربعمائة ترجمة .. كما ألّف بعض الكتب من أهمها كتابه المعروف «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» بالاضافة إلى كتاب «حكايات الأطباء في علاجات الأدواء» وكتاب «إصابات المنجمين» وكتابه الرابع الذي لم يتم وهو كتاب «التجارب والفوائد» .

وقد توفي عام ٦٦٨ هجرية .

وموفق له اسم مشهور يعرف به مكون من ثلاثة مقاطع تحتوي على اثنى عشر حرفاً :

٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ عكس اِشْتَراهُ .
٣ ، ٢ ، ٤ بمعنى خَبَر .
١ ، ٥ ، ٦ بمعنى امتنع أو رَفَضَ .
٨ ، ١١ ، ١٠ عكس سَهْل .
١٢ ، ٩ ، ٧ بمعنى أعَدَّ أو أصْلَحَ .

فهل عرفت هذا الاسم ؟

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطري القارئ : آدم محمد ابراهيم راشد ـ السودان .

٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطري القارئ : عباسَ أحمد عبدالمنعم ـ مصر

٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطري القارئ : عدنان عبدالرحيم بركات ـ الأردن

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ علي سعد محمد............ البحرين
٢ ـ فوزية مبارك محمد......... السعودية
٣ ـ الطاهر الطويل............. المغرب
٤ ـ منير فارس شاهين.......... الكويت
٥ ـ يعقوب علي حسن.......... قطر
٦ ـ مصطفى أحمد اسماعيل......... مصر
٧ ـ محمد جديدي........... الجزائر
٨ ـ خالد حسن شطفاوي.. دولة الأمارات
٩ ـ محمد ناجي الزغبي......... سورية
١٠ ـ سفيان الرفيقي.............. تونس

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٤

الصورة الأولى : مقام ابراهيم عليه السلام والكائن بجوار الكعبة بمكة المكرمة .

الفائز الأول : سوزان غالب أبو عابد ـ دولة الامارات العربية المتحدة .

الفائز الثاني : حبيب الرسول عمر ـ الهند .

الصورة الثانية : أول رائد فضاء وضع قدمه فوق سطح القمر هو نيل أرمسترونج يوم ١٩٦٩/٧/٢١ .

الفائز الأول : فائزة عبدالستار القباني ـ العراق .

الفائز الثاني : محمد غالب أحمد ـ قطر .

حل استراحة الدوحة العدد ١٢٤

١ ـ أصل وصورة : الجبهة ـ الأنف ـ الحاجب ـ الفم ـ أسفل الخد ـ الأذن ـ الشعر

٢ ـ لأقوياء الملاحظة : زرافة ـ حمامة ـ قلم رصاص ـ جمل ـ بطة ـ زهرة .

٣ ـ لعبة الظلال : رقم (١) .

٤ ـ دوري الكاريكاتير : رقم (٨) .

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٦) .

٦ ـ هات أجمل تعليق : ـ مراتك طلبت مني أرجعلك ضرس العقل .
ـ أنا جاي يادكتور أركب طقم أسنان وليس نعل حذاء .

٧ ـ المثل يقول : ـ وجع ساعة ولا كل ساعة
ـ لايصلح العطار ماأفسده الدهر .

أسماء الفائزين باستراحة الدوحة للعدد ١٢٤ ـ اشتراك لمدة سنة

١ ـ هيام علي عبدالرحمن أبوطالب.. مصر
٢ ـ عماد ملا.................. سورية
٣ ـ بتول محمد حسن.............. العراق
٤ ـ أحمد ابراهيم الخضر....... السودان
٥ ـ حمد عقله عبيد الخالدي.... الكويت
٦ ـ علي محمد علي الفران.............. الجمهورية العربية اليمنية
٧ ـ صلاح السعدي............... الأردن
٨ ـ حكمت عبدالقادر............ مصر
٩ ـ عبدالنبي محمد زين........... قطر
١٠ ـ أمينة عبدالله ابراهيم...... البحرين
١١ ـ عانو بنعيسى............... المغرب
١٢ ـ عبدالوهاب النذير.......... الجزائر
١٣ ـ فوزية أنيس باسيلي.......... مصر
١٤ ـ مبارك سلمان محمد أحمد........ السودان

استراحة الدوحة

أصل وصورة





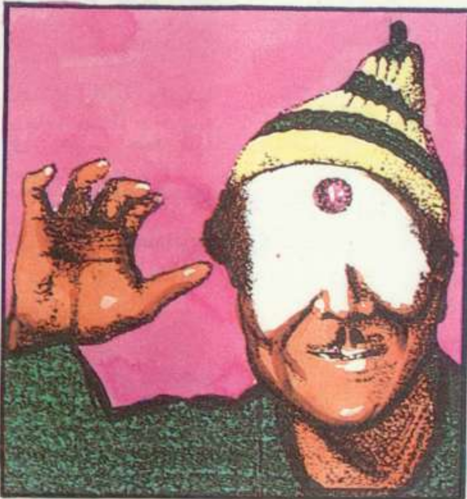
• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للشاعر العربى معين بسيسو ، هناك سبعة اختلافات طفيفة .. إذا تعرفت عليها ، أرسلها لنا لتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ، إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التى لم تتم لفنان شعبى راحل ، أمتع الجماهير فى العالم العربى لسنوات طويلة بفنه المتميز .. أكمل اللوحة .. وتعرف على شخصية الفنان لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى لتحصل على جائزة.

هات أجمل تعليق



• حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتحصل على جائزة.

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى .. إذا تعرفت عليه أرسله إلينا لتحصل على جائزة.

يخلق من الشبه أربعين



• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية القاضى والكاتب قاسم أمين (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨) .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة ، هل يمكنك التعرف عليها ؟

بقلم: مريم آل سعد

صوت .. تلك المنسيّة

على الغلاف الأخير لاصداراتها القصصية ، كانت هذه العبارات : « لم تظلم كاتبة في الوطن العربي كما ظلمت سميرة عزام .. هذه المرأة الخضراء الظل ، المبدعة ، المناضلة ، الشامخة ، المقاتلة . هي رائدة القصة القصيرة ، ولم تأخذ حقها من النقد والنقاد ، ولم تنشر أعمالها كما ينبغى لكاتبة فى مثل مقدرتها » وكانت المبدعة الراحلة قد تركت خمس مجموعات قصصية هي : « العيد من النافذة الغربية » ، و« أشياء صغيرة » ، و « الظل الكبير » ، و « قصص أخرى » ، و « الساعة والانسان » ، وقد قال عنها يحيى يخلف ، الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين : « هذه الكاتبة الفلسطينية التي توقف قلبها عن الخفقان بعد نكسة حزيران ٦٧ ، تعتبر مؤسسة للقصة القصيرة الفلسطينية الحديثة .. القصة التي توفرت لها كل الخصائص الفنية والتي حملت هموم مرحلة البحث عن الشخصية الوطنية ، المرحلة التي سبقت تأسيس منظمة التحرير وانطلاقة الكفاح المسلح » .. سميرة عزام التي يعتبرها الأديب المناضل غسان كنفاني « سيدته ، وأستاذته ، وشراعه في بحر التيه والمنفى » .. والتي قالت عنها غادة السمان في كتابها « ختم الذاكرة بالشمع الأحمر » : « سميرة عزام .. الأديبة الكبيرة ، التي وقفت الى جانبي يوم وقف عالمي كله تقريباً ضدي ، وشجعتني منذ وصولي الى بيروت من دمشق قولاً وكتابة ، وكانت نعم الأديبة المشهورة التي تساعد من تؤمن بموهبتهم » .. هذه الفلسطينية السنديانة قلّما تشير إليها الدراسات الأدبية ، وطالما تجاهلتها الأبحاث النقدية ، ولم تشملها اللوحة التسجيلية التي حملت أسماء الرواد الأوائل الذين تنبأوا بظهور فصائل الكفاح المسلح — قبل تنظيم حركة النضال وتكوين « منظمة التحرير الفلسطينية » — ورصدوا ظواهرها ، وكانت دلالاتها واضحة في أدبهم ونتاجهم .. لقد نسوا بأنه كانت هناك يوماً ما كاتبة مجيدة اسمها سميرة عزام ..!! إنها من جيل مابعد نكبة ١٩٤٨ ، هذا الرعيل الذي طحنته نكسة ١٩٦٧ ، وتحدت قدرته على الصمود والتحدي والمجابهة ، فكان التمزق الذي تهاوى عند شفراته الحادة قلب سميرة عزام المجهض بالتجارب والأحداث القاسية التي اعترك بها في أحضان التشرد والمرارة وخيبة الأمل ، فكان أن توقف عن النبض لكنه لم يتخلف عن الاحتراق بمأساة فلسطين ، فبقيت حروفه وعباراته توغل بالانتماء الى وطن البرتقال ، مذكرة بأن « معركة فلسطين انما هي قدر من أقدار هذه الأمة تمتحن فيها أصالتها وجدارتها بالحياة » ، لقد ماتت على حدود فلسطين حيث كانت متجهة اليها وهي تقود عربتها ، « وتنصت الى ترتيل القرآن الكريم — كما كانت تقول — وهي النصرانية الغسانية » ، ولم يكن الاحتضار عن مرض أو حادث وإنما كان انهماراً من الجرح النازف من صدرها والذي لم يحتمل أن يظل الوطن أسيراً أكثر مما ظل ..!!

هذه الفلسطينية .. المثخنة الجراح ، الكسيرة الفؤاد التي تحمل فلسطين (كلهب أو كومضة) تنز في ذاكرتها المفجوعة بالوطن المغتصب ، تعاني من حصار آخر يتجاهل ريادتها وخصائصها الفريدة التي تميز بها نتاجها الأدبي والفكري ، تعاني من الصمت الثقيل الذى يجثم على أعمالها ويحجب تركتها من الانتشار وتبوؤ المكانة اللائقة بها .

لماذا أسدل ستار التعتيم والنسيان على تراث هذه الكاتبة المبدعة ، التي جسدت التزام الانسان الفلسطيني وتشبثه بهويته وبانتمائه لأرضه وبانغماسه حتى النخاع في تراب وطنه السليب ..؟ هل صحيح أنه ليس من الضرورة بأن يكون اللامع والمتصدر هو الأدب الجيد الملتزم ..؟ وإنما يكون أحياناً بما هو مرهون بقوة نفوذ الكاتب أو اتساع علاقاته العامة ، ومدى صلاته بذوي السلطة والمقدرة ..؟؟ إن المشهور ليس بالتأكيد هو أفضل المبدعين ولكنه قد يكون أقدرهم على النشر والتوزيع وفرض مؤلفاته على الجمهور..!

إذا لم يملك الكاتب الجهة التي تؤيده وتدفعه ، وتمول مشاريعه وتدعمها ، وتهتم بطباعة كتبه وتروج لها ، وتنشط دعاياتها لترعاه وتصنع مكانته فإنه يواجه عواصف متوقعة تكسر صلابة خطواته ، وتهدئ من مسيرته بل تعرقلها أحيانا وتجذبه الى الخلف أحايين أكثر..!

فالموهبة والصنعة وفنية تناول سرد الأحداث ، والرؤية المنهجية وسلامة المعتقد والفكرة.. تخلق مبدعاً ، ولكنها لاتكفي لتحقق له التدفق المنشود في ذاكرة الناس إلا بإمكانات اعلامية أخرى لابد منها كضلع لاخيار فيه ..! هل يعني هذا بأن الأدب الجيد إذا لم تواكبه دائرة انتشار واسعة فإن مصيره الاهمال والاحتجاب مهما كانت قيمته الفنية ودلالاته الفكرية ..؟؟

لا .. ليس طويلاً ، فسميرة عزام تصحو من موتها ، وتستعيد الحياة برفقة كتاب وأدباء ونقاد منصفين ، ينفضون الغبار عن تاريخها ، ويعيدون التوهج الى تراثها ، ومنهم الكاتب الروائي والناقد الفلسطيني « وليد أبو بكر » الذي أصدر دراسة قيمة عن فن سميرة عزام القصصي بعنوان : « أحزان في ربيع البرتقال » يقول « وليد أبو بكر » : « ليس هناك خلاف على أن سميرة عزام هي رائدة القصة الفلسطينية الحديثة ، وأنها واحدة من أهم الاصوات القصصية العربية في المرحلة التي نشطت فيها ، خاصة إذا ماقيس انتاجها بما قدمته المرأة العربية في هذا المجال ، ومع ذلك فإن حظ أدب سميرة عزام من الاهتمام لم يكن كبيراً ، ليس على مستوى دراسته وحسب ، وإنما على مستوى جمعه أيضاً » .. إنها كما قال عنها الناقد الكبير رجاء النقاش : « إن سميرة عزام هي أميرة القصة العربية القصيرة » .. ولكن .. متى ستستعيد — هذه الأميرة — عرشها ..؟؟



لقطات من الخليج

الخضرة داخل بيوت بلاستيك

تعتبر الزراعة داخل البيوت البلاستيكية من ضمن الأساليب الحديثة في الزراعة التي نراها في المملكة العربية السعودية اليوم ... والملاحظ أن المملكة في السنوات الأخيرة اهتمت بالتنمية الزراعية ، خاصة وأن مساحة الرقعة الصالحة للزراعة فيها تبلغ ٤,٥ مليون هكتار ، ولذا قامت الدولة باستثمارات واسعة من أجل زيادة الإمكانيات الزراعية بإقامة تجهيزات البنية الأساسية كإنشاء السدود وقنوات الري واستصلاح الأراضي وتمويل دراسات خصائص التربة ومصادر المياه الجوفية والقيام بالأبحاث الزراعية والمشروعات التجريبية والخدمات الأخرى المساندة للزراعة .



حديقـة آشـوريـة

بريشة الفنانة العراقية : سـعاد العطـار

العـدد ١٢٧ - شـوال ١٤٠٦هـ - يـوليـو/تموز ١٩٨٦م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

هل تنجح الصهيونية في هدم الأمم المتحدة؟

حمد عبد العزيز الكواري

إنهم يمشون على النار حُفاة

آخر مقال للكاتب الكبير الراحل
د. عبد المحسن صالح

ظاهرة مثيرة

المناخ يتغيّر فوق الأرض

سعد شعبان



النّشوَة في نوفمبر

قصة جديدة بقلم الكاتب الكبير
نجيب محفوظ



مختار.. رائد فن النحت العربي المعاصر

صبحي الشاروني



القافلة

لوحة وفنان

طليعة القافلة التجارية فى وادى سيناء ، كما رسمها الفنان العالمى « جوزيف أوشن بينويل » فى عام ١٨٧١ .. وكانت القافلة فى ذلك العصر تضم جماعة من المسافرين أو التجار الذين ينظمون أنفسهم قبل السفر من أجل تبادل المساعدات وتأمين الرحلة بالدفاع المشترك أثناء سفرهم عبر المناطق الخطرة والصحارى الشاسعة ، فقد كانت تلك القوافل عرضة للأطماع من قطاع الطرق الذين يهاجمونها بقصد سلب ماتحمله من ثروات ممثلة فى الجواهر والتوابل والعطور والزيوت والأخشاب والمنسوجات وغيرها .. والمعروف أن تجارة القوافل إرتبطت بتاريخ الشرق منذ بزوغ الحضارة على أرضه ، وسبقت التجارة البحرية بمئات السنين ، وظلت سائدة بدون منافس ، حتى جاء عصر السيارات والطائرات فأحيلت إلى المعاش .

وقد استخدم الفنان فى لوحته الألوان المائية ، وتميزت لوحته بشفافية اللون ، وتأثر بالفنان الاسلامى فى ابراز المجاميع . فجاءت لوحته معبرة عن الموضوع بصدق .

العدد ١٢٧ - شوال ١٤٠٦هـ - يوليو/تموز ١٩٨٦م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

المراسلات

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة قطر - العنوان البرقي :
مجلة الدوحة - الدوحة تيلكس : - 4521 Magdo Dh-
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا - دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا - باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها - في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا للدوائر الحكومية والشركات : داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا في باقي دول العالم ١٧٦ ريالاً قطرياً .

DOHA MAGAZINE P . O . BOX 2324 – DOHA Telex : 4521 Magdo Dh

مكاتب توزيع الدوحة

● قطر : دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة .

● السودان : دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● مصر : مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء، القاهرة .

● سوريا : المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ دمشق .

● العراق : الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● ليبيا : المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .

● الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● البحرين : مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● السعودية : الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة .

● الكويت : شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ الصفاة - الكويت .

● لبنان : الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ بيروت .

● الجمهورية العربية اليمنية : الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية : مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى - عدن .

● الامارات العربية المتحدة : مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد ابوظبي ص . ب ٧٩١

● سلطنة عُمان : وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - عمان .

● تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ الدار البيضاء .

Maroc :
Sochepress
B . P . No 683

● الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .

E. M. A. N. P.
20 Rue De Liberte
Alger

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الاسعار

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عُمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
الجمهورية اليمنية	٤ ريالات
اليمن الديموقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليماً
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
المغرب	٥ دراهم

باقي دول العالم : ما يعادل دولارين امريكيين

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

في هـذا العـدد



علي الطنطاوي : أخلاقنا (ص ٩٩)



د. محمد سليمان الدجاني : ضرب منظمة الأوبيك خطر يهدد العالم (ص ١١)



د. محمد عمارة : معركة الاسلام وأصول الحكم (ص ٢٢)



بحوث الفضاء وتغير مناخ الكرة الأرضية (ص ٨٤)

دراسات ومقالات

شؤون الخليج

أدب وفنون

• جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

• المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

أبــواب

المديرالفني : سـلمان المالكي

كلمة

موسوعة الحُصَريِّ


د . خير الدين حسيب


ساطع الحصرى

فى الوطن العربى رجال يعملون فى أشق الظروف وأصعبها ولكنهم لايتوقفون عن العمل ، ولا يهتمون بالدعاية لما يقومون به من أعمال عظيمة ، ولايصرخون بالشكوى مما يتعرضون له من ظروف صعبة قاسية ، وهؤلاء الرجال هم وحدهم الذين يمثلون نقطة الضوء والتفاؤل فى الحاضر العربى والمستقبل العربى على السواء ، وهم رغم أنهم أقلية إلا أنهم مع ذلك يمثلون مصلحة الوطن العليا ويعملون بمنتهى الإخلاص والجدية والوعي لنهوض هذا الوطن وخلاصه من مشاكله الكبيرة الضخمة .

من هؤلاء الرجال : العالم والباحث الكبير الدكتور خير الدين حسيب فمنذ أكثر من عشر سنوات وهذا الرجل المجاهد يعمل فى بيروت فى ظروف بالغة الخطورة والدقة ، فقد أنشأ مركزاً فريداً من نوعه فى مجال الفكر العربى الحديث ، ذلك هو « مركز دراسات الوحدة العربية » وقد ظهر هذا المركز إلى الحياة مع بداية الحرب اللبنانية ، وكان الجميع يتصورون أن المركز سوف يغلق أبوابه ، بعد أن أصبحت الحرب اللبنانية تجرى من شارع إلى شارع فى بيروت ، ولم يعد هناك من يأمن على نفسه مع هذه الحرب القاسية التى لا ترحم ، ولكن إرادة خير الدين حسيب ، وإيمانه بالرسالة القومية التى يعمل فى ظلها ومن أجلها استطاعت أن تُبقى « مركز دراسات الوحدة العربية » على قيد الحياة ، بل أن تجعل منه منارة ثقافية وحضارية كبرى ، فقد أصدر هذا المركز حتى الآن ألف كتاب كلها تدور حول « الوحدة العربية » وقضاياها المختلفة ، بالإضافة إلى مجلة شهرية ممتازة هى « المستقبل العربى » تواصل الصدور بانتظام لتقدم فى كل عدد دراسات جديدة حول قضايا الوحدة فى جميع المجالات ، وكلها دراسات حية وجادة وأصيلة .

لم يتوقف عمل المركز ، ولم يهرب خير الدين حسيب من الميدان ، ولم يتردد فى احتمال الظروف القاسية المؤلمة التى تعيش بيروت فى ظلها ، وواصل الرجل عمله دون أن يتوقف لحظة ، واستمد من إيمانه برسالته ورسالة « مركز دراسات الوحدة العربية » قوة ساعدته على الصمود فى وجه الظروف الصعبة التى تواجهه . ولقد كان أحدث أعمال مركز دراسات الوحدة ثلاثة مجلدات كبيرة بلغت أكثر من ثلاثة آلاف صفحة تضم الأعمال القومية الكاملة للمفكر الكبير ساطع الحصرى . وساطع الحصرى واحد من أعظم المفكرين فى تاريخ الأمة العربية منذ أن ظهرت هذه الأمة على مسرح التاريخ إلى الآن ، وقد قضى هذا المفكر الكبير حياته التى امتدت ٨٩ عاما فى خدمة فكرة الوحدة والدعوة إليها ، كل ذلك دون أن ينتمى إلى حزب أو جماعة سياسية ، فلقد ظل حياته كلها « ١٨٧٩ ــ ١٩٦٨ » يتجه بفكره الخصب العميق الواضح إلى العقل العربى العام فى كل مكان ، ويخاطب المواطن العربى فى كل الوطن العربى من الخليج إلى المحيط ، دون أن يهدف من وراء ذلك إلى أى مصلحة من أى نوع سوى إثبات وجهة نظره وهى أن وحدة العرب هى الأمان والضمان الوحيد لنهضة هذه الأمة وخلاصها من مشاكلها وقدرتها على مواجهة التحديات .

والحديث عن الحصرى يطول ، ويحتاج إلى دراسات عميقة مفصلة ، ويكفينا الآن أن نقول إن صاحب الفضل الأول فى إعادة كتابات ساطع الحصرى إلى قلب حياتنا الفكرية هو الدكتور خير الدين حسيب ومركز دراسات الوحدة العربية ، بعد أن كادت دراسات الحصرى الرائعة أن تغيب وتضيع فى عالم النسيان ، منذ وفاة الحصرى سنة ١٩٦٨ إلى الآن . فالتحية لخير الدين حسيب ، ولجهاده القومى المخلص الأمين ، ولتحمله الذى سوف يذكره التاريخ لظروف بيروت العسيرة ، حيث يصر الرجل المؤمن بأمته على أن يعمل فى هذه الظروف ويجاهد ويضيء حياتنا العقلية والوطنية كل يوم بانجاز جديد هام .

« الدوحة »

وسائل الصهيونية في محاربة الأمم المتحدة

هل ينجح الصهيونيّون في تدمير المنظمة الدوليّة وتشويه سمعتها وتحطيم أمل شعوب الأرض فيها ؟!

يتشابك تاريخ الصهيونية وتاريخ التنظيم الدولي حتى من قبل ميلاد الأمم المتحدة ، فلقد كانت عصبة الأمم هي التي خرجت بالصهيونية من مجال الأفكار النظرية إلى مجال السياسات العملية حين ضمنت صك الانتداب الذي منحته بريطانيا على فلسطين التزاماً على الدولة المنتدبة بتسهيل انشاء « وطن قومي » لليهود في فلسطين تطبيقاً لوعد بلفور المشئوم .

أما الأمم المتحدة فقد كانت هي القابلة التي على يديها ولد الكيان الصهيوني في شكل دولة اسرائيل وذلك وفقاً لقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، بعد مناورات طويلة وضغوط شديدة مارسها الصهيونيون وأنصارهم على بعض الدول أعضاء الأمم المتحدة ــ بل وعلى بعض المندوبين الذين لم تكن لديهم تعليمات من حكوماتهم ، وبذلك كان في امكانهم التصويت على أية صورة شاؤوا ــ وكانت نتيجة تلك المناورات والضغوط أن صدر قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً مع امتناع عشرة عن التصويت ، وجدير بالذكر أن عضوية الأمم المتحدة كانت محدودة بالنسبة لما هي عليه الآن فضلاً عن كون غالبية الأعضاء من الدول الغربية ومن يدورون في فلكها خلافاً لما آل إليه أمر الأمم المتحدة بعد تصفية الاستعمار .

كان لصدور قرار التقسيم رنة فرح لدى الصهاينة سواء من كان منهم وقتها في فلسطين أو خارجها ، وقوبل القرار بمظاهرات الابتهاج لكونه بشيراً بمولد الدولة اليهودية التي طالما سعى الصهاينة إلى انشائها في قلب الوطن العربي .

ولكن بدلاً من أن يشعر الصهاينة بشعور العرفان والشكر للأمم المتحدة كانت مكافأة المنظمة على اصدار قرار التقسيم وما أعقبه من اعلان قيام اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، هي اغتيال ممثل الأمم المتحدة في فلسطين الكونت برنادوت على يد بعض الإرهابيين الصهاينة وذلك في يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ ، وقد تمكن أنصار الصهيونية في المحافل الدولية من التهوين من شأن تلك الجريمة على أساس أن الدولة الجديدة ليست مسئولة عنها بل إن مرتكبيها هم من الأفراد الخارجين على القانون ، وبالفعل كان كل ما فعلته الأمم المتحدة أن أصدرت قرارين من مجلس الأمن (رقم ٥٧ « ١٩٤٨ » ورقم ٥٩ « ١٩٤٨ » في ٩/١٨ و ١٩٤٨/١٠/٢٩ على التوالي) ينصان على مجرد طلب تقرير من اسرائيل عن تلك « الجريمة البشعة » ! أما القاتلان فقد اعتبرهما الصهاينة من أبطال حركتهم الوطنية وحوكما فقضي عليهما بفترات محدودة من السجن ثم صدر العفو عنهما بعد قليل ، بل ان أحدهما قد رشح في انتخابات الكنيسيت وأصبح عضواً فيه سنة ١٩٥٠ !

على أن ذلك كله لم يؤثر في علاقة الصهيونية بالأمم المتحدة فقد قررت المنظمة في

■ كانت مكافأة منظمة الأمم المتحدة هي اغتيال ممثلها في فلسطين، وأصبح أحد القتلة عضوًا في الكنيست عام ١٩٥٠

■ انتهى شهر العسل بين الصهيونية والأمم المتحدة، بعد إدانة إسرائيل في مذبحة "قبية"

■ الصهاينة يُشيعون أن المنظمة أصبحت في يد أعداء إسرائيل بعد أن أصبح لدول العالم الثالث الأغلبية العدديّة في الجمعية العامة

■ الدور الذي لعبته مراكز الدراسات والأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية لتجنيد الرأي العام ضدّ الأمم المتحدة



بقلم: حمد عبدالعزيز الكواري

٤ مارس ١٩٤٩، (قرار مجلس الأمن رقم ٦٩ «١٩٤٩») قبول اسرائيل عضواً كامل العضوية في الأمم المتحدة.

إلا أن بعض الغيوم سرعان ما تكاثفت في جو العلاقة بين الكيان الصهيوني والأمم المتحدة وكانت تلك هي بداية التحول في نظرة الصهاينة وأنصارهم إلى الأمم المتحدة من التعاطف والتأييد إلى التنابذ واللوم والتجريح، ويمكن أن نقول إن أول بادرة لانتهاء شهر العسل بين الصهيونية والأمم المتحدة كانت صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٠١ (١٩٥٣) في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٣ في شأن مذبحة قبية وفيه أدان المجلس اسرائيل لخرقها قرار وقف اطلاق النار وشجب عملها وطالبها بعدم تكرار مثل ذلك مستقبلاً، وأعقب ذلك في سنة ١٩٥٥ صدور القرار رقم ١٠٦ بإدانة اسرائيل لهجومها على غزة ثم في سنة ١٩٥٦ القرار رقم ١١١ بادانة اسرائيل لعملياتها الحربية ضد القوات السورية في منطقة بحيرة طبرية.

وجاء في اثر ذلك العدوان الثلاثي على مصر الذي شاركت فيه الكيان الصهيوني كل من بريطانيا وفرنسا، ولكونهما من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن لم يسع المجلس إلا أن يحيل القضية على الجمعية العامة في دورة طارئة فطالبت هذه الأخيرة اسرائيل بالانسحاب إلى ما وراء خطوط الهدنة (القرار رقم ٩٩٧ في الدورة الطارئة الأولى بتاريخ ١٩٥٦) ولم تشمل قرارات الجمعية العامة الطارئة أية ادانة أو شجب بل انحصر اهتمامها في وقف اطلاق النار وانشاء قوات الطوارىء واعادة فتح قناة السويس، ومع ذلك فقد اعتبرت الصهيونية الانسحاب من سيناء (وهو ما تم بتدخل من الرئيس الأمريكي ايزنهاور إعمالاً لقرار الجمعية العامة وكرد فعل من الإدارة الأمريكية على كونها قد فوجئت تماماً بالأعمال الحربية التي قامت بها اسرائيل وحليفاتها) اعتبرت الصهيونية ذلك الانسحاب تفويتاً من الأمم المتحدة لثمرة النصر العسكري االذي أحرزته اسرائيل، فكان له أيضاً أثره في تشكيل الموقف الصهيوني من الأمم المتحدة على المدى الطويل.

وفي أعقاب حرب سنة ١٩٦٧ قررت الجمعية العامة انشاء لجنة خاصة للتحقيق في الممارسات الاسرائيلية المؤثرة على حقوق الانسان في المناطق المحتلة (القرار رقم ٢٤٤٣ (الدورة ٢٣) في ١٩ ديسمبر ١٩٦٨) وقد امتنعت اسرائيل عن التعاون مع هذه اللجنة واعتبرت انشاءها عملاً عدائياً من قبل الأمم المتحدة. وحري بنا أن نشير هنا إلى أن تركيبة العضوية في الأمم المتحدة كانت قد تغيرت تغييراً كلياً منذ أوائل الستينات وذلك بانضمام عدد كبير من الدول التي نالت الاستقلال حديثاً بحيث أصبح لتلك الدول ـ التي أطلق عليها تعبير «العالم الثالث» ـ الأغلبية العددية في الجمعية العامة، والدول المذكورة لها من مشكلة الشرق الأوسط مواقف قائمة على المبادىء والعقائد التي تدين بها ولا يتيسر لاسرائيل الضغط عليها ولا التأثير في طريقة تصويتها في المنظمة الدولية مثلما تسنى لها التأثير ـ مثلا ـ في أصوات بعض الدول من أمريكا اللاتينية وغيرها خلال نظر الجمعية العامة في مشروع قرار التقسيم قبل ذلك بعشرين عاماً، وكنتيجة لهذا التغيير الذي طرأ على عضوية الأمم المتحدة أصبح الصهاينة وانصارهم يرددون أن الجمعية العامة أصبحت أداة في يد أعداء اسرائيل.

وتتابعت بعدذلك قرارات الجمعية العامة التي ترى الصهيونية وانصارها أنها «عدائية» وكان ذلك بصفة خاصة في أعقاب حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣، في الدورة ٢٩ صدر القراران الهامان رقما ٣٢٣٦ و٣٢٣٧ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤، وينص أولهما على الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حق تقرير المصير والسيادة الوطنية والسعي لاستعادة حقوقه بكل الوسائل المتفقة مع مقاصد الأمم المتحدة وأهدافها، وينص ثانيهما على منح منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب في الأمم


ريجان


برنادوت

وسائل الصهيونية في محاربة الأمم المتحدة

المتحدة ودعوتها لحضور الجمعية العامة وكافة المؤتمرات الدولية التي تعقد في اطار الأمم المتحدة. كما أن الدورة الثانية والثلاثين شهدت صدور القرار رقم ٤٠ باء (الدورة ٣٢) القاض بانشاء وحدة إدارية في الأمانة العامة للأمم المتحدة تعني بحقوق الفلسطينيين غير القابلة للتصرف وبتنظيم الاحتفال كل عام بيوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني في التاسع والعشرين من نوفمبر.

ذروة الهجوم الصهيوني

ويمكن ان يقال ان ذروة الهجوم الصهيوني على الأمم المتحدة جاءت في أعقاب صدور القرار رقم ٣٣٧٩ في دورة الجمعية العامة الثلاثين بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٧٥، وهو القرار الذي قضى بأن الصهيونية شكل من أشكال التفرقة العنصرية، وجدير بالذكر أن ذلك القرار لم يصدر تحت بند «مشكلة الشرق الأوسط»، ولم يكن يرمي إلى التأثير في مجرى الأمور من الناحية السياسية بالنسبة لقضية فلسطين بل صدر ذلك القرار في اطار بند «القضاء على كافة أشكال التفرقة العنصرية» المطروح على اللجنة الثالثة المعنية بالشئون الاجتماعية والإنسانية والثقافية، وقد أجاد المرحوم الدكتور فايز صايغ مندوب الكويت في اللجنة في ذلك الوقت في عرض أسانيد اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال التفرقة العنصرية ويمكن تلخيص تلك الحجج فيما يلي:

١ ـ اعلان الأمم المتحدة الخاص بالقضاء على كافة أشكال التفرقة العنصرية (القرار رقم ١٩٠٤ (الدورة ١٨) قد عرف التفرقة العنصرية بأنها «التمييز بين أفراد الجنس البشري على أساس العنصر أو اللون أو الأصل العرقي»، كما أن الاتفاقية الدولية للقضاء على كافة أشكال التفرقة العنصرية (القرار ٢١٠٥ «الدورة ٢٠») قد عرف التفرقة العنصرية بأنها «كل تمييز أو استبعاد أو قيد أو تفضيل مبني على العنصر أو اللون أو المنشأ أو الأصل العرقي أو القومي». وهذه التعريفات قد أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتوافق الآراء دون أن تشذ عنها أية دولة عضو.

٢ ـ إن الصهيونية بوصفها دعوة لاقامة دولة لليهود ثم في اعتبارها صفة «اليهودية» صفة عرقية وليست مجرد انتماء ديني، تقوم بكل وضوح على أساس ايجاد تمييز بين الناس على أساس الأصل العرقي.

٣ ـ إن سياسات وقوانين اسرائيل التي أملتها العقيدة الصهيونية تنص على سلسلة من التفرقة والاستبعاد والتفضيل تقوم كلها على أساس انتماء الفرد إلى العنصر اليهودي أو عدم انتمائه، ومثال ذلك قانون العودة المشهور الذي ينص على منح الجنسية الاسرائيلية لأي يهودي قادم إلى اسرائيل بينما يحجب تلك الجنسية عن مواطنه القادم من البلد نفسها لمجرد كونه غير يهودي وليس هذا إلا تمييزاً على أساس الأصل العرقي.

٤ ـ بناء على ذلك تكون الصهيونية داخلة في تعريف التفرقة العنصرية كما أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ولم يكن قرار اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال التفرقة العنصرية نسيج وحده ولا غير مسبوق فيما قرره إذ سبقته قرارات بالمعنى نفسه صدرت عن محافل مثل المؤتمر العالمي ليوم المرأة الدولي المنعقد في مدينة المكسيك في يونيو ويوليو سنة ١٩٧٥، واجتماع رؤساء دول منظمة الوحدة الأفريقية المنعقد في كمبالا في يوليو وأغسطس سنة ١٩٧٥. غير أن الصهاينة وجدوا الفرصة سانحة لما تحويه التسوية بين الصهيونية وبين التفرقة العنصرية من شحنة عاطفية يسهل استغلالها وخاصة في المجتمع الأمريكي، كما أن ذلك القرار ـ المبني على مقدمات كلها من المسلمات في الفكر الصهيوني وفي تطبيقاته ـ قد كشف النقاب عن وجه الصهيونية القبيح فكان لابد من حملة شعواء ضد القرار وضد الأمم المتحدة وهي حملة تنافس فيها الصهيونيون المعروفون والمتعاطفون معهم من حملة الأقلام ورجال الاعلام المسموع والمرئي في الولايات المتحدة الأمريكية بحيث لم يعد سهلاً على المراقب أن يدرك ما إذا كان ذلك القرار قد أغضب اسرائيل والصهاينة أكثر مما أغضب الصحافة ووسائل الاعلام الأمريكية أم أن الأمر على العكس.

وهذا التلاحم بين الدعاية الصهيونية والدعاية الأمريكية ضد الأمم المتحدة أصبح ظاهرة ثابتة منذ ذلك التاريخ، ولا تزال في ازدياد، فقد نجح الصهيونيون في تجنيد الرأي العام الأمريكي ثم الإدارة الأمريكية ذاتها في حربهم ضد الأمم المتحدة، ولم يكن ذلك عن طريق وسائل الاعلام فقط ـ وتسلط الصهيونيين والمتعاطفين معهم على الكثير منها أمر معروف ـ بل أيضاً عن طريق بعض مراكز الدراسات والأبحاث ذات التأثير الفعال على آراء واتجاهات صانعي القرار في الكونغرس وفي الإدارة الأمريكية، ومن الأمثلة البارزة على ذلك مؤسسة التراث «The Heritage Foundation» وهي تستحق أن تفرد لها وللدور الذي تقوم به الفقرات التالية:

تأثير مؤسسة التراث

أنشئت مؤسسة التراث سنة ١٩٧٣، وغرضها القيام بالأبحاث المتعلقة بالسياسات العامة للولايات المتحدة ونشر الدراسات المتصلة بذلك، والخط الفكري لهذه المؤسسة هو باقرارها الصريح خط محافظ متشدد يقوم على دعامتين: الأولى هي حرية السوق المطلقة التي هي في نظر المؤسسة وأعضائها ومن ينتمون إلى خطها الفكري أساس الرخاء الاقتصادي وضمان زيادة الانتاج وارتفاع مستوى المعيشة، والدعامة الثانية لايديولوجية مؤسسة التراث هي النزعة الفردية المطلقة التي ترفض تدخل الحكومات في شئون المجتمع فيما يزيد عن الحد الأدنى اللازم لحفظ الأمن والدفاع عن البلاد ضد الأعداء من الخارج. وفي السياسة الخارجية تنادي المؤسسة بضرورة تأمين جهاز عسكري عالي الكفاءة يضمن الدفاع عن الولايات المتحدة (وهو ما يعني في الحقيقة التفوق العسكري على كافة الدول وخاصة الاتحاد السوفيتي) كما تؤيد سياسة المواجهة مع الاتحاد السوفيتي وتحجيم نفوذه الدولي خارج اقليمه خاصة في بلدان العالم الثالث، وفيما يتعلق بالشرق الأوسط فان المتتبع لمنشورات هذه المؤسسة بصفة عامة يرى أن ثمة توازياً بين خطها السياسي المتشدد وبين اتجاهات السياسة الصهيونية وخاصة تجاه قضايا العالم الثالث والأمم المتحدة ودعم الأنظمة الدكتاتورية المؤيدة لاسرائيل، ووسم حركة المقاومة الفلسطينية بالارهاب... ومعارضة بيع الأسلحة إلى الدول العربية.. واعتبار اسرائيل الدعامة الرئيسية في المحافظة على الحضارة الغربية وتمثيل الانسان المتمدين ومواجهة الشيوعية والاساءة إلى منظمة «أوبك» واعتبارها المسئولة عن تردي الأوضاع الاقتصادية في العالم.

ولمؤسسة التراث في مقرها بواشنطن فريق

من الباحثين والعلماء عددهم حوالي المائة يعملون لديها كل الوقت هذا فيما عدا من يتعاونون مع المؤسسة ويمدونها بالمعلومات والأفكار من غير موظفيها وتقدرهم المؤسسة بألف وستمائة ، وهدف المؤسسة الرئيسي هو امداد صانعي القرار الأمريكي بدراسات وأبحاث وتقارير تقدم اليهم في الوقت المناسب - أي في الفترة التي يجري فيها اتخاذ القرار - وترمي إلى التأثير في تفكيرهم من أجل جعل القرارات التي يتخذونها مطابقة لسياسات المؤسسة المتطرفة وأهدافها المحافظة المتشددة في سائر المجالات ، وفضلاً عن تلك الدراسات والتقارير المكتوبة تشارك المؤسسة في ندوات وتنظم محاضرات ويحضر ممثلوها أمام لجان الكونغرس للإدلاء بآرائهم في المسائل المطروحة . وتصف المؤسسة نفسها مجموعة نشاطاتها بأنها « معمل تتفاعل فيه الأفكار لتتحول إلى سياسات عملية محددة » وهكذا تؤثر مؤسسة التراث في مسار السياسة الأمريكية وتوجه عملية اتخاذ القرار الأمريكي خاصة في عهد الرئيس ريغان الذي يعتبر حامل لواء المذهب الأمريكي المحافظ المتشدد وهو التيار الذي سيطر على الحكومة وسياساتها منذ تولي الرئيس الحالي سنة ١٩٨٠ .

ولنضرب مثلاً على تأثير مؤسسة التراث في القرار السياسي الأمريكي يتصل بموضوعنا ألا وهو الأمم المتحدة وعلاقة كل من الصهيونية والولايات المتحدة بها . لقد دأبت المؤسسة على انتقاد الأمم المتحدة ومهاجمتها منذ يومها الأول ، وفي سنة ١٩٨٤ نشرت المؤسسة كتاباً من ١٧٦ صفحة عنوانه : « عالم بدون أمم متحدة - ماذا يحدث لو أغلقت الأمم المتحدة أبوابها ؟ » وهو حملة ضارية ضد المنظمة الدولية لما تتبعه من سياسات هي في نظر مؤسسة التراث يسارية راديكالية ، وينتهي الكتاب إلى نتيجة هي أن الأمم المتحدة التي تعلقت بها الآمال عند انشائها لحل مشاكل العالم أصبحت الآن هي نفسها جزءاً من المشكلة الكبرى التي يواجهها العالم !

بالطبع لم يكن هذا الكتاب أول هجوم من مؤسسة التراث على الأمم المتحدة ، ولكن الجدير بالملاحظة أن نشره تعاصر مع اتخاذ القرار الأمريكي بالانسحاب من منظمة اليونسكو وهي احدى الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة وقد نفذ قرار الانسحاب في ١٩٨٤/١٢/٢١ ، ثم أعقب ذلك في اكتوبر سحب قبول الولاية الالزامية لمحكمة العدل الدولية وهي الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة وحجر الزاوية في التنظيم القانوني

■ التيار المتشدد الذي تقوده مؤسسة التراث بواشنطن في مسار القرار الأمريكي لصالح إسرائيل

■ بعض رجال مؤسسة التراث السابقين يشغلون - الآن - مناصب حساسة في البيت الأبيض أو في وزارة الخارجية

للمجتمع الدولي ، وقد تنكرت الولايات المتحدة بهذا القرار الأخير لمواقفها السابقة طوال أربعين عاماً ، حيث كانت في مقدمة الداعين لالتزام الدول كلها بالولاية الاجبارية لمحكمة العدل الدولية ، ثم تتابعت المواقف الأمريكية المعادية للأمم المتحدة والرامية إلى حرمان المنظمة من بعض مواردها المالية فكان ما يسمى بتعديل كاسباوم (وهو عضو مجلس الشيوخ الذي اقترح التعديل) الذي يقضي بتخفيض مساهمة الولايات المتحدة في ميزانية الأمم المتحدة من ٢٥ في المائة إلى ٢٠ في المائة ، وبالفعل فإن مشروع ميزانية الولايات المتحدة المقدم إلى الكونغرس في فبراير ١٩٨٦ قد اشتمل على هذا التخفيض ومقداره ٧٩,١ مليون دولار ما لم يتم قبل أول اكتوبر ١٩٨٦ منح الدول ذات المساهمات الكبيرة أصواتاً متعددة في الأمور المالية - وهو أمر يقتضي تعديل الميثاق نفسه مما يجعل حدوثه قبل ذلك التاريخ أو بعده في حكم المستحيل ، وبذلك يصبح التخفيض الأمريكي حقيقة واقعة . ثم جاءت التعديلات التي أدخلت على قانون ميزانية الولايات المتحدة بناء على اقتراح عضوي الشيوخ غرام ورادمان (والتي تعرف باسميهما) وتقضي هذه التعديلات باجراء تخفيضات في مساهمة الولايات المتحدة في ميزانية الأمم المتحدة بالتدريج خلال عدة سنوات . وأخيراً - في الناحية المالية - هناك الفقرة ١٥١ من قانون العلاقات الخارجية


كورت فالدهايم


أحمد مختار امبو

لسنة ١٩٨٦ - ١٩٨٧ وتقضي بأن يخصم من المساهمة الأمريكية في ميزانية المنظمة الدولية مبالغ تعادل ما يقال ان موظفي الأمم المتحدة من بعض الجنسيات المعينة يؤدونه إلى حكوماتهم من نسب من رواتبهم بالعملة الصعبة وقد أدت هذه الإجراءات كلها إلى أزمة مالية شديدة جعلت استمرارية عمل الأمم المتحدة محل شك ودعت إلى اتخاذ اجراءات تقشفية شديدة من قبل الأمين العام وإلى عرض موضوع الأزمة المالية على دورة مستأنفة للجمعية العامة .

وفضلاً عن الاجراءات العدائية ذات الطابع المالي - والتي هي في الحقيقة خرق للالتزامات الدولية التي تقع على عاتق كل دولة عضو طبقاً للمادة ١٧ من الميثاق - فهناك أنواع أخرى من الاجراءات اتخذتها الادارة الأمريكية أخيراً تعتبر بدورها مخالفة لالتزامات الدولة المضيفة طبقاً لاتفاقية المقر ولاتفاقية مزايا وحصانات الأمم المتحدة ، فمن ذلك ما قررته الحكومة الأمريكية في ديسمبر ١٩٨٥ ، من أن سفر موظفي الأمم المتحدة من جنسيات معينة خارج نطاق مدينة نيويورك لا يكون إلا عن طريق وزارة الخارجية الأمريكية التي تقوم بقطع التذاكر وحجز غرف الفنادق لهم ! ! ثم هناك القرار الذي تطلب فيه حكومة الولايات المتحدة إلى البعثات الدائمة لبعض الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أن تخفض عدد العاملين بها بنسبة ٣٨ في المائة وهو طلب لا سند له في اتفاقية المقر ولا في القواعد العامة للقانون الدبلوماسي وللعلاقات بين المنظمات الدولية والدول الأعضاء فيها ، ويشكل هذا الطلب سابقة خطيرة إذ تنتحل الدولة المضيفة لنفسها حق تقرير حجم بعثات الدول كافة لدى الأمم المتحدة ، ومن هذا القبيل أيضاً تهديد الادارة الأمريكية الدول التي تتلقى معونات اقتصادية بقطع المعونات عنها إذا لم يكن تصويتها في الجمعية العامة على هوى الولايات المتحدة !

ومهما يكن من أمر فإن الربط بين نفوذ مؤسسة التراث وبين مواقف الادارة الأمريكية من الأمم المتحدة ليس مجرد افتراض من

وسائل الصهيونية في محاربة الأمم المتحدة

جانبنا ، بل أن كافة المراقبين المتيقظين قد أدركوا تأثير سياسات المؤسسة ومنشوراتها واتصالاتها في عملية صنع القرار الأمريكي في عهد الادارة الحالية ، بل إن بعض رجال مؤسسة التراث السابقين يشغلون الآن مناصب حساسة في البيت الأبيض أوفي وزارة الخارجية ، وبعض من ترك العمل في الأجهزة الحكومية قد التحق بالعمل في مؤسسة التراث ومنهم السفير ليشتنشتاين الرجل الثاني في البعثة الأمريكية لدى الأمم المتحدة في نيويورك خلال فترة المندوبة الدائمة جين كيركباتريك ، وعداء السفير المذكور للأمم المتحدة أمر ذائع وهو صاحب القول المشهور « سأكون سعيدا وأنا ألوح بيدي لدبلوماسي الأمم المتحدة من ميناء نيويورك وهم يغادرون ذهاباً لا اياب بعده » وهو الآن من كبار العاملين في مؤسسة التراث ، وعلى ذلك فالتداخل والتكامل بين الإدارة الأمريكية الحالية وبين مؤسسة التراث لا يقتصر على الفكر والخطوط السياسية بل يمتد إلى الأفراد المؤثرين في صنع القرار الأمريكي داخل الأجهزة الادارية وخارجها . إن تأثير مؤسسة التراث في اعطاء السياسة الأمريكية شكلها العدائي الحالي للأمم المتحدة أمر قد لاحظه الكثيرون ، وعلى سبيل المثال كتبت عنه صحيفة الغارديان اللندنية وصحيفة واشنطون بوست التي وصفت قرارات الادارة الحالية بأنها اسباغ للصفة الرسمية على أفكار وسياسات مؤسسة التراث ، كما أن مجلة لموند دبلوماتيك الباريسية نشرت في عددها لشهر مايو ١٩٨٦ ، (ص ٩) مقالاً مطولاً بعنوان : « حملة واشنطون ضد الأمم المتحدة » حوى الكثير من التفاصيل عن دور مؤسسة التراث في رسم الخط السياسي للادارة الأمريكية الحالية تجاه الأمم المتحدة .

وهكذا يلتقي الخط الصهيوني والخط الأمريكي في عهد الادارة الحالية على معاداة الأمم المتحدة ورميها بكل نقيصة ووضع مختلف العراقيل في طريق أدائها لمهمتها ، بل إن هذا التلاقي هو في الواقع استحواذ من القوى الصهيونية على عملية صنع القرار الأمريكي وتوجيهها لصالحهم بصرف النظر عن الصالح الحقيقي للولايات المتحدة ، ولهذا التطورالخطير أسباب كثيرة لا نتعرض لها لكونها خارجة عن موضوع هذا المقال ، ويكفي أن نشير منها إلى ما ذكره الكاتب ريتشارد ستراوس في مقال له بصحيفة واشنطون بوست في عددها الصادر في ٢٧ ابريل ١٩٨٦ ، إذ قال إن الرئيس ريغان يفوق كل رئيس أمريكي سابق في حبه القلبي وتأييده التلقائي لاسرائيل . على أن عقلاء الأمريكيين من الساسة والمثقفين يدركون خطورة التمادي في اتخاذ موقف معاد للأمم المتحدة من قبل أكبر وأقوى دولة في العصر الحديث عليها في المجتمع الدولي مسئوليات تناسب نفوذها وقوته . ومن أمثلة ذلك مقال كتبه البروفسور توماس فرانك رئيس تحرير مجلة القانون الدولي الأمريكي في عدد ابريل ١٩٨٦ ، من المجلة المذكورة يهيب فيه بالحكومة الأمريكية أن تعدل عن مواقفها المعادية للأمم المتحدة .

الحملة المدبرة

وأخيراً .. فلعل من أغرب مظاهر العداء الصهيوني للأمم المتحدة وأحدثها عهداً تلك الحملة المسعورة ضد الدكتور كورت فالدهايم وقت ترشيحه لرئاسة الدولة في وطنه النمسا ، فقد تضافرت الهيئات الصهيونية ووسائط الإعلام الأمريكية على ابراز ما قيل إنه اكتشافات جديدة حول تاريخ فالدهايم اثناء الحرب العالمية الثانية ، نبذوه بأنه نازي ، واتهموه بارتكاب جرائم حرب ، ويعجب الانسان لهذه الحملة في حجمها وعنفها ، ولماذا جاءت في هذا الوقت بالذات وليس من تفسير معقول إلا أن فالدهايم كان الأمين العام للأمم المتحدة في السنوات التي اتخذت فيها الجمعية العامة القرارت التي تعتبرها الصهيونية عدائية لها ، كما أن ياسر عرفات خاطب العالم من منبر الجمعية العامة في عهد تولي فالدهايم للأمانة العامة كما أنشئت في عهده وحدة الأمانة العامة المعنية بحقوق الشعب الفلسطيني ، وكلها أمور لا ينساها الصهيونيون ويتحرقون للانتقام منها . ومع أنهم يعلمون أن الأمين العام لا سلطان له على قرارات الجمعية العامة وإنما هو مجرد منفذ لها فانهم يتوقعون أن تفوت هذه الحقيقة على السواد الأعظم ويعتقدون أن الجمهور يرى في شخص الأمين العام ، تجسيداً للمنظمة ، ولهذا في تصور الصهيونيين وحلفائهم أن أي تشويه لسمعة الأمين العام السابق هو تشويه لسمعة المنظمة ، وأن الصورة السلبية التي يودون خلقها عن فالدهايم ستلصق في أذهان الناس بالأمم المتحدة كلها وبذلك يضربون عصفورين بحجر : اضعاف المنظمة والتقليل من هيبتها ووزنها في نظر الرأي العام العالمي والانتقام من الأمين العام السابق الذي لم يكونوا يستطيعون شيئاً ضده وقت توليه منصبه ، ولكن ترشيحه لرئاسة النمسا يتيح لهم فرصة نادرة للنيل منه ، فلم يترددوا في انتهازها ، ولهم في انتهاز الفرص على مر التاريخ باع طويل .

ان من طبائع الأمور أن تعلن الصهيونية الحرب على الأمم المتحدة لما تعنيه من تجسيد للقانون الدولي ومحاربة للعنصرية ودعوة إلى تقرير المصير لكل الشعوب ، مما يتناقض تماماً مع الحركة الصهيونية ذات الطابع العنصري المعادي لحرية الشعوب والقائم على طرد شعب من أرضه ، ولذا ليس من المتوقع أن توقف الصهيونية محاربتها للمنظمة الدولية بكل الوسائل المتاحة لها وأن تجند قوى الشر التي تأتمر بأمرها لهذا الهدف . ولن يغمض للصهيونية جفن حتى تحقق هدفها في تحطيم أمل شعوب الأرض في هذه المنظمة التي قامت لمنع شرور حرب عالمية وتحقيق تقرير المصير وتوفير جو التعاون بين الشعوب . ولذا فإن على شعوب الأرض قاطبة أن تعي هذه الحقيقة وأن تتصدى للمؤامرة الصهيونية بتقديم الدعم للأمم المتحدة لتخطي المصاعب التي تواجهها لاستمرارها في أداء مهماتها التي قامت من أجلها .

حمد عبد العزيز الكوارى

■ من هو السياسي القائل : سأكون سعيدًا وأنا ألوّح بيدي لدبلوماسيّ الأمم المتحدة وهم يغادرون نيويورك بدون عودة !

■ القرارات العادلة لمنظمة الأمم المتحدة في عهد الدكتور «كورت فالدهايم» هي السبب الرئيسي للحملة المسعورة التي واجهته أثناء ترشيحه لرئاسة النمسا

ضرب منظمة أوبيك خطر يهدد العالم

بقلم: الدكتور محمد سليمان الدجاني

هل نجحت الدول الغربية في تحطيم أوبيك ؟ هل انهيار سياسة تسعير النفط بداية النهاية لمنظمة أوبيك ؟ منذ أن برزت منظمة الاقطار المصدرة للنفط (أوبيك) على الساحة الدولية في أواسط السبعينيات كقوة اقتصادية وسياسية عالمية ، والسؤال الذى استحوذ على الأوساط الغربية هو : كيف ندمر أوبيك ؟ ولقد تسلطت فكرة تدمير أوبيك على السياسة الغربية الى درجة أن السياسيين والمفكرين الغربيين لم يعطوا أى اهتمام للسؤال الاكثر الحاحا : أين تقع المصلحة الاقتصادية العالمية ، في دمار أوبيك أو في التوصل الى اتفاق تعاونى مشترك بين منتجي ومستهلكى النفط؟

ما الذى فعلته أوبيك من أجل أن تستحق مثل هذا العداء ؟ ان « الجريمة » التي ارتكبتها أوبيك تتلخص في رفعها لأسعار النفط عام ١٩٧٤ ، الى حوالى أربعة أضعاف (من دولارين ونصف للبرميل الواحد الى عشرة دولارات) ، انجاز يحاول أن يحققه جميع المنتجين والمصدرين سواء كانوا دولا أو شركات عالمية .

هؤلاء الذين يحاولون ضرب أوبيك يغيب عن بالهم أن نجاح أوبيك في زيادة أسعار النفط عام ١٩٧٤ ، أتى محصلة فذة لتطابق خمسة عناصر تاريخية هي :

(١) حظر النفط العربي عام ١٩٧٣/١٩٧٤ .

(٢) انتقال ملكية آبار النفط من الشركات الكبرى للدول المنتجة .

(٣) سوء الادارة الاقتصادية للدول الصناعية .

(٤) الاسراف الاستهلاكي للنفط في الدول الغربية .

(٥) النظام الإقتصادى العالمى غير المنصف والذى سبب هوة كبيرة بين الدول الصناعية والدول النامية .

حظر النفط العربي عام ١٩٧٣/١٩٧٤ ، ساعد على خلق أجواء اقتصادية وسياسية ونفسية ، أدت بدورها الى دفع أوبيك لرفع أسعار النفط دون أن تلجمها ردود الفعل المتوقعة ، وانتقال ملكية حقول النفط من يد الشركات العالمية الى الدول المنتجة للنفط منع تلاعب الشركات في كميات الانتاج ، مما كان يؤدى الى حرب في الاسعار نتيجتها هبوط سعر النفط بدلا من ارتفاعه . وقد أدى سوء الإدارة الإقتصادية في الدول الغربية الى السماح بالنمو المضطرد السريع خلال الخمسينات والستينات ، دون الاخذ بعين الاعتبار اتخاذ اجراءات وقائية مسبقة من أجل احباط أى انهيار اقتصادى لاحق . في نهاية الستينات ، أدى التضخم المالي في الدول الصناعية الى ارتفاع كبير في أسعار البضائع التي كانت تصدر للدول المستوردة ، مما أدى الى نمو العجز التجارى لدى هذه الدول الى درجة لم يسبق لها مثيل . وبالإضافة الى ذلك ، فان أسعار النفط المنخفضة نسبيا ، شجعت الدول الغربية على الاسراف في استهلاك النفط ، مما أدى الى رفع نسبة الطلب كثيرا عن نسبة العرض مسببا ضغطا شديدا على السوق العالمية للنفط . وهكذا ، حين اختمرت الاوضاع الاقتصادية والسياسية ، استغلت أوبيك الفرصة التي فرضتها الظروف عليها ، من أجل تحسين أسعار النفط ، وفي الخلفية كانت الفجوة الضخمة في النظام الاقتصادى العالمي بين الدول الصناعية النامية .

التنبؤات المتكررة بانهيار أوبيك

حين تأسست أوبيك عام ١٩٦٠ استخف الاقتصاديون والسياسيون الغربيون بقدرتها على البقاء ، وبامكانياتها على تحقيق أية مكاسب للدول الخمس المؤسسة (الكويت ، السعودية ، العراق ، ايران ، فنزويلا) . وقد صنفت أوبيك ككارتل Cartel عالمي ، ولذا كان من المتوقع أن يكون مصيرها كمصير الكارتلات العالمية الاخرى التى انهارت قبل

ضرب منظمة أوبيك خطر يهدد العالم

أوانها . ولو كانت أوبيك كارتلا[1] حقيقيا لصدقت التنبوءات لأن تاريخ الكارتلات العالمية يرينا أنها لم تتمكن من الاستمرار إلاّ لفترات قصيرة ، مثلا الكارتل العالمي للزنك ، استمر من أيار ١٩٢٨ الى كانون أول ١٩٢٩ ، والكارتل العالمي للرصاص ، دام من نيسان ١٩٣١ الى آذار ١٩٣٢ ، والكارتل العالمي للصلب . صمد من أيلول ١٩٢٦ الى آذار ١٩٣١ .

لذا ، حين برزت أوبيك على الساحة الدولية في أواسط السبعينات كقوة اقتصادية كان السؤال الذي طرح نفسه : كم شهرا ستصمد ؟ التوقعات الأولية كانت بضع أشهر الى بضعة سنوات . وقد قاد الاقتصادي الاميركي موريس أدلمان المدرسة الفكرية التي أكدت بأن جميع الكارتلات نهايتها الانهيار ، وان المسألة مسألة وقت قبل أن تنهار أوبيك . وحتى بعد نجاح أوبيك في الحفاظ على وحدتها في أواخر السبعينات ، استمر البروفيسور أدلمان واتباعه بالاصرار على أن نهاية أوبيك محتومة ، وبأنها ستنهار في أقرب فرصة توضع بها للامتحان .

ولم يتوقف العداء لأوبيك عند حد التوقعات والتنبوءات الفكرية ، بل تعداها الى رسم خطط اقتصادية وسياسية من قبل الدول الكبرى ، من أجل الاسراع بالانهاء على أوبيك . وكل حكومة أميركية من ادارة الرئيس نيكسون عام ١٩٦٨ الى ادارة الرئيس ريجان اليوم ، حاولت ضرب أوبيك وتفكيكها ، وأصبح هاجس وزير الخارجية الاميركية السابق هنرى كيسنجر ، أن يرى نهاية أوبيك . وقد صرح مساعد وزير خارجية الولايات المتحدة توماس أندروز في نيسان ١٩٧٥ ، بأن الدول المستهلكة للنفط ، تعمل على تجميع قواها من أجل « الاسراع بزوال أوبيك » وبتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٧٩ كتب ستيوارت ايزنشتات مستشار الرئيس جيمي كارتر ، مذكرة وصف بها أوبيك بأنها « عدو واضح a clear enemy » وحرض الرئيس كارتر على إلقاء اللوم عليها للتضخم المالي ومشاكل الطاقة التي كانت تعانى منها الولايات المتحدة وذلك من أجل تعويض خسائر الرئيس كارتر السياسية داخل أميركا .

انهيار أوبيك : لمصلحة من ؟

ولو وضعنا كل ذلك جانبا ، واعتبرناه تاريخا ماضيا ، ونظرنا الى المستقبل متسائلين : أين تكمن مصلحة النظام الاقتصادى العالمى ، في تدمير أوبيك وتفككها أم في وجودها قوية متماسكة ؟ هل الأخطار والتكلفة والمجازفة التي قد يسببها انهيار أوبيك تساوى المكاسب التي قد تجنيها الدول من بقائها ؟ ماهو الجواب ؟ قد يكون هنالك بعض الفوائد القصيرة المدى للدول الصناعية من انهيار منظمة أوبيك ، ولكن على المدى البعيد ، من المؤكد أنه سيؤدى لاضطرابات في سوق النفط الدولية نتيجة عدم استقرار الاسعار مما له أبعاده السلبية على الوضع الاقتصادى العالمي . ومن الواضح أن تفكك أوبيك لايعني بالضرورة هبوط أسعار النفط ، بل على العكس ، قد يؤدى الى بروز كارتل آخر ، قد يكون أكثر تطرفا وأكثر اندفاعا من أوبيك . والدول الغربية التي كانت تصنف شاه ايران مع الصقور في المفاوضات المتعلقة بالاسعار ، وجدت الشاه من الحمائم عند مقارنته بغيره .

من الواضح أن انهيار أوبيك لن ينعش الاقتصاد الغربي ، بل على العكس ، فانه سيهدد النظام الاقتصادى العالمي ، كما أنه سيخلق أجواء خطرة على السلام الدولي . وفي حين أنه سيقلص من نفوذ الولايات المتحدة في الدول النامية ، فانه سيعطي زخما للاتحاد السوفياتي الذى يعتبر أكبر دولة مصدرة للنفط في العالم ، كما أنه سيؤدى الى دعم الاحزاب الشيوعية والفئات المتطرفة الموالية له في الدول الفقيرة .

وفي الدرجة الاولى ، فان انهيار أوبيك سوف يؤدى الى انخفاض دخل الدول المنتجة للنفط ، مما سيؤدى بدوره الى هبوط تدفق دولارات النفط petrodollars في النظام المالي الدولي . وهو سيضع حدا لبرامج التطوير التي بدأتها هذه الدول والتي تستفيد منها الدول الصناعية التي تنفذ هذه المشاريع والدول الفقيرة التى تمد هذه المشاريع باليد العاملة . كما أن انخفاض الدخل لدول أوبيك ، سيجبر هذه الدول على خفض نسبة استيرادها للبضائع الغربية والخبراء والموظفين الاجانب ، مما سيخفض صادرات وعائدات الدول الصناعية ، مسببا ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض مستوى الانتاج في هذه الدول . وأى خفض لقيمة العملة من أجل تمكين الدول الصناعية من تخفيض أسعار صادراتها ، سيؤدى حتما الى زيادة التضخم المالي في تلك الدول .

وكما أن انهيار أوبيك ليس من مصلحة الدول الغربية ، فانه أيضا ليس في صالح الدول النامية ، اذ أنه سيضع حدا للحوار المستمر حول انشاء نظام اقتصادى عالمي جديد International Economic Order ، يخدم مصالح الدول النامية ، ويلبي احتياجات الدول الفقيرة .

ومن المؤكد أن انهيار أوبيك سيعيد التبعية الاقتصادية للدول النامية على الدول الكبرى . والعديد من هذه الدول ستكون من نصيب الاتحاد السوفياتي الذى أبدى دوما كامل الاستعداد من أجل مقايضة المصالح الاقتصادية بامتيازات سياسية . ومن دون شك ، فان الهدف الرئيسى للمساعدات الاقتصادية السوفياتية سيكون جذب الدول الفقيرة للمجال السوفياتي الاقتصادى ، تمهيدا لدورانها ضمن المحور السوفياتي السياسي . وهذه الامكانية ليست من صالح الدول الغربية أو الدول النامية .

ان انهيار أوبيك سيكون له أبعاد خطيرة على الدول الفقيرة التي تستفيد من المساعدات المالية لأوبيك ، خاصة وان الدول الصناعية قد



معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول فى اجتماع أوبيك فى جنيف وهو يتحدث للصحفيين

خفضت كثيرا من نسبة مساعداتها الاقتصادية والفنية لهذه الدول . ولقد ساهمت أوبيك كثيرا في رفع مستوى الدول الفقيرة ، إمّا بامدادها بالمساعدات والقروض وبالاستثمارات الضخمة ، أو من خلال المساهمة في صندوق النقد الدولى International Monetary Fund ، الذى يقوم بدوره بتمويل مشاريع انشائية في الدول النامية . وفي عام ١٩٧٦ احتلت دول أوبيك الدرجة السادسة في العالم بين كافة الدول التى تقدم المساعدات للدول الفقيرة حسب نسبة قيمة المساعدات لانتاج الدخل القومي GNP . وفي عام ١٩٧٩ بلغت ميزانية صندوق أوبيك المالى الخاص بمساعدات الدول النامية مبلغ بليونين وأربعمائة مليون دولار . وحسب الاحصائيات التي نشرها الدكتور ابراهيم شحاته في كتابه الوجه الاخير لأوبيك ، الصادر عام ١٩٨٢ ، فان المساعدات المقدمة للدول النامية من عشرة دول اعضاء في الاوبيك ، بلغت أربعة أضعاف المساعدات المقدمة من سبع عشرة دولة غربية ، وستة وثلاثين ضعفا للدول الاشتراكية مجتمعة .

وقطع أوبيك للمساعدات التي تقدمها لصندوق النقد الدولى وللدول النامية ، سيكون له أبعاد عميقة على الدول الغارقة في الديون ، وخاصة دول أميركا اللاتينية التي تزيد ديونها عن ٣٢٥ بليون دولار ، تبلغ فوائدها السنوية ٤٠ بليون دولار . وتلك الدول تواجه الآن مشكلة سداد هذه الديون ، وهي تجد البنوك الدولية غير مستعدة لاقراضها المزيد . اما من أجل دفع التزاماتها وسداد قيمة الفوائد المتراكمة عليها أو لمواجهة احتياجات مواطنيها التي تبلغ حوالى ١٥ بليون دولار سنويا من أجل المحافظة على عدم تدنى مستوى المعيشة للمواطن . وقطع المساعدات سيؤدى حتما لسوء أحوال هذه الدول الاقتصادية والسياسية ، مما يضعها لقمة سائغة في أيدى الاحزاب المتطرفة وقيادات الجيش والتدخلات الأجنبية . وهنا ، من المهم الرد على الادعاءات ، بأن ارتفاع أسعار النفط هو سبب الديون الضخمة التي تعاني منها دول العالم الثالث . وفى الواقع أن ارتفاع سعر النفط عام ١٩٧٣ وعام ١٩٧٩ ، كان واحدا من عدة عوامل أدت الى تضخم هذه الديون ، أهمها : ارتفاع نسبة الفوائد على الديون الاجنبية ، والهبوط في نسبة صادرات هذه الدول للخارج نتيجة المنافسة القوية للدول الصناعية المتقدمة ، وارتفاع نسبة البطالة والتضخم المالي والاضرابات والمشاكل العمالية .

لذا ، بدلا من إلقاء اللوم على أوبيك ومحاولة تدميرها دون أن يكون هنالك البديل العملي لها ، فإن على الدول الصناعية أن تبدأ بالعمل من أجل خلق نظام اقتصادى جديد ، يأخذ بعين الإعتبار المصالح المتبادلة للدول المنتجة والدول المستهلكة للنفط . علما بأن وجود أوبيك ضرورى ومفيد لكلا الطرفين .

والجواب على التحديات الاقتصادية التي تواجهها الدول الصناعية والنامية والفقيرة ، لايكمن في تحطيم منظمة أوبيك ، ولكن في خلق سياسات تسهل على كافة الدول « أكل العنب دون قتل الناطور » .

ان التوفيق بين المصالح المتضاربة والمتنافسة ، مهمة صعبة ، ولكن من المهم أن يأخذ المرء خطوة في ذلك الاتجاه ، وبدلا من الاستمرار في التركيز على الجوانب السلبية للأمور ، حان الوقت من أجل تبني سياسة تركز على الجوانب الايجابية لمبدأ التعاون المشترك بين دول الشمال ودول الجنوب .

محمد سليمان الدجانى

الدكتور محمد سليمان الدجانى كاتب ومؤلف ، نشرت له عدة مؤلفات فى الاقتصاد والسياسة والأدب واللغة . تخرج من الجامعة الامريكية فى بيروت عام ١٩٧٢ ، ويحمل شهادة دكتوراه فى العلاقات الدولية من جامعة جنوب كارولينا ، وشهادة دكتوراه فى الاقتصاد السياسى من جامعة تكساس فى أوستن . وقد علم فى كلتا الجامعتين .

حاشية

(١) الكارتل : اتحاد المنتجين للتخفيف من وطأة التنافس فيما بينهم .

للمناقشة

مفاتيح التقدم المهدورة



بقلم: فهمي هويدى

لا أحد يعرف على وجه الدقة، هل الوهن الذى أصاب الحاضر الاسلامى هو الذى أدى الى إبطال مفعول أهم القيم والتكاليف، التى تتصدر منابع الطاقة والحركة فى مجتمع المسلمين، أم أن العكس هو الصحيح؟..

لانريد أن نخوض فى جدل حول أيهما السبب وأيهما النتيجة، فقد يستهلك ذلك منا الوقت والجهد بغير مبرر، كما فى مسألة البيضة والدجاجة. لكن القدر المتيقن هو أن ثمة قيما وتكاليف لها دورها الجليل فى صناعة الواقع الحى فى أفضل صورة، قد تعرضت لدرجات مختلفة من الانتقاص والاختزال والتآكل بمرور الزمن وتقلب الأحوال. وأن وظائفها ـ بسبب من ذلك ـ تعطلت وأهدرت، مما حرم المسلمين من مصادر للقوة والفاعلية لاحدود ولا آخر لها.

أعنى بما أقول ثلاثة أمور على وجه التحديد، أولها مفهوم العبادة، وثانيها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وثالثها، فروض الكفاية وفروض العين.

فمنذ اقتصر مفهوم العبادة على الصلاة والصوم والزكاة والحج، وانفصل عن بقية مناحى الحياة وشئونها، حدث الشرخ الأول فى العقل الاسلامى، بل وضع اللغم الأول فى مسيرة تقدم المسلمين. منذئذ انصرف المسلمون عن عمارة الدنيا.

وتراجعوا بالتالى عن دورهم الرائد والمفترض فى صياغة الواقع وصناعته.

الغريب فى الأمر أن هذه النقطة بالذات، كانت من أكثر المعانى وضوحا منذ العصر النبوى، أى أنها مستقرة ولا لبس فيها منذ حوالى ١٤ قرنا، ربما على عكس مفاهيم أخرى تبلورت حدودها ومعالمها وضوابطها بمضي الوقت، منها على سبيل المثال، مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقضية الفروض العينية والكفائية.

النصوص المؤيدة لما نقوله عديدة فى القرآن الكريم والسنة النبوية، وهى معروفة للكافة، من كثرة ما ترددت على ألسنة الدعاة وغيرهم من المشتغلين بالهم الإسلامى. فعندما يربط القرآن الكريم بين الخلق وعمارة الأرض (سورة هود ـ الآية ٦١) ويلفت أنظار الخلق الى ان الله قد سخر لهم الكون، ويدعوهم لأن يمشوا فى مناكبها ويأكلوا من رزقه (الملك ١٥ ـ النحل ٢٠ ـ ابراهيم ٣٢، ٣٣). وعندما تشير الآيات الى أن الله اجتبى ابن آدم، وجعل الانسان خليفته فى الأرض (البقرة ٣٠ وص ٢٦).. فإن تلك الاشارات كلها لم تكن لترسل الى الناس ليستقبلوها بالقعود فى المساجد والاعتكاف خلف جدرانها. تلك دعوات صريحة للانطلاق فى عمارة الأرض وصناعة التقدم. حتى أن من بين مفكرينا من يرى أن فهم الاسلام باعتباره فرائض واعتكافا فى المساجد وعزلة عند الدنيا، هو انحراف عن الدين وخروج عليه. (سيد قطب فى خصائص التصور الاسلامى) ـ وذهب ابن الجوزى مبكرا الى اعتبار ذلك من تلبيس ابليس على المسلمين» فى كتابه الشهير المعنون بتلك العبارة.

والأحاديث النبوية التى تحث على التعبد بالعمل، وتنتقص من قدر الذين يتصورون التدين قعودا فى المساجد، أيضا بغير حصر..

ومشهورة قصة الرجل الذى كان يمتدحه المسلمون قائلين انه دائم التعبد ولايكف عن ذكر الله، فلما سأل الرسول عليه الصلاة والسلام عمن يكفيه، قالوا كلنا، فكان رد النبى هو قوله: كلكم خير منه.

والاشارات صريحة فى الأحاديث الى أن كل فعل يبتغى به الانسان وجه الله وخير الناس هو صدقة وقربى الى الله تعالى، من إماطة الأذى عن الطريق، الى زراعة الغرس الذى يأكل منه طير أو انسان أو بهيمة.

وتلك الدعوة الملحة الى الاصرار على عمارة الأرض ونمائها، حتى آخر لحظة فى عمر الكون، ينطق بها ببلاغة فائقة الحديث الشريف الذى يقول: ان قامت الساعة وفى يد أحد منكم فسيلة فليغرسها، فان استطاع ألاّ تقوم الساعة حتى يغرسها، فليغرسها.

ان المسلمين عندما يتجاهلون ذلك الرصيد الكبير من النصوص الذى يتعامل مع العبادة بمفهوم يسع الحياة كلها، ثم يختزلونها فى الشعائر والفرائض المقدرة،، لايفرغون القيمة من مضمونها الحقيقى فقط، ولكنهم ايضا يحجبون ـ عن غير وعى ـ الاضافة الحقيقية التى جاء بها الاسلام فى تاريخ الأديان. فإن الدين الاسلامى ليس مقصورا على العبادات مثل بعض الأديان الأخرى التى تكتفى بتلبية أشواق الانسان واحتياجاته الروحية الى حد الرهبنة والإنقطاع للعبادة فى الأديرة انما شمول الرسالة لعبادة الناس ومعاملاتهم، ولأشواقهم الروحية والمادية، هو اضافة الاسلام وانجازه الكبير، الذى برر انقطاع الوحى، واختتام الرسالات السماوية.

ان استعادة البعد الضائع فى مفهوم العبادة كفيل بأن يزود الأمة الاسلامية بطاقة فى العمل ، وكفاءة وتفان فى الأداء ، وقدرة على الابداع والخلق ، تمكنها من الخروج فى أقصر وقت ممكن من برزخ التخلف الذى وقعت فيه ، ولاتزال تلتمس النجاة منه .

ينطبق الموقف ذاته على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى اعتبره القرآن الكريم حجر الزاوية فى بناء الأمة الاسلامية واستمرارها ، والذى وصفه الامام الغزالى فى الاحياء ، بانه « القطب الاعظم فى الدين ، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين » . هذا التكليف الجليل اختزل فى الواقع الاسلامى الى جهد محدود يبذله البعض لحث الناس على الالتزام بالفضائل الاخلاقية ، وأداء الفرائض ، والاعراض عن ارتكاب المنكرات التى اصبحت تعرف بالمنظور ذاته ، وباتت تنصرف الى شرب الخمر وغير ذلك من الرذائل المنهي عنها صراحة .

ولايكاد يخلو كتاب من كتب الحديث أو الفقه إلا وأفرد فصلا خاصا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . غير أن الامام ابو حامد الغزالى يعد من القلائل الذين فصلوا فى المسألة بصورة جسدت بوضوح حجمها الحقيقى ، والمساحة العريضة التى يشملها الأمر والنهى ، والتى تتضاءل الى جانبها كثيرا تلك الحدود البائسة التي تضاءلت عندها الفكرة فى زماننا .

اهتم الفقهاء ومنهم الامام الغزالى بالمنكر ، الذى هو دائما موضوع التغيير باليد أو بالقلب أو باللسان . أما المعروف فلم يركزوا على التفصيل فى المعني به ، باعتبار أنه من قبيل التحسين والتجميل ، وليس التغيير . ومما اشار اليه الغزالى فى احياء علوم الدين (جـ٢) ، وهو يفصل المنكرات ، أمور تتعلق بالأسواق وبالشوارع ، وما أسماه بالمنكرات العامة .

• وهو يركز فى منكرات الأسواق على الكذب فى المرابحة واخفاء العيب (فمن قال : اشتريت السلعة مثلا بعشرة ، واربح فيها كذا ، وكان كاذباً ، فهو فاسق . وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه . فان سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته . وكذا اذا علم به عيبا ، فيلزمه أن ينبه المشترى عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم ، وهو حرام » .

• ومن منكرات الشوارع شغلها بالاسطوانات والأخشاب وأحمال الحبوب « الأطعمة ، وتسيير الدواب بأحمالها التى تؤذى الناس ، وطرح القمامة وإغراق الطرقات بالمياه اذ ان ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطريق من غير كسح فهو منكر .

• ومن طريف ماقاله فى المنكرات العامة « أن كل قاعد فى بيته اينما كان ، فليس خاليا فى هذا الزمان من منكر ، حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف » فأهل العلم مطالبون بتبليغ غيرهم من العامة وإلا كانوا شركاء فى الاثم . وكل من تيقن أن فى السوق منكرا يجرى على الدوام وهو قادر على تغييره ، فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت ، بل يلزمه الخروج » .

غير ان أهم ماتضمنه هذا الباب هو اعتبار التصدى للفساد والظلم من بين مايشمله التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد خصص الغزالى بابا لهذا الموضوع .

إن مجال الامر والنهى الذى يمتد بطول المسافة بين ساحات الاسواق والشوارع الى ساحة الحكم وسياسته ، لايكاد يتصور أحد انه هو الذى تقلص فى حدود الفضائل والرذائل ، ودفع الناس الى الصلاة فى مواعيدها ، بعد اغلاق الحوانيت والمقاهى .

هذا الابتسار أو الاختزال الذى أصاب تلك القيمة الجليلة ، دفعت امتنا ثمنه غاليا فى ماضيها وحاضرها ، ورد الاعتبار للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بالشروط والضوابط المتعارف عليها ، يمكن ان يشكل قفزة بعيدة فى اصلاح كل ما اختل واعوج فى حياتنا ، على مختلف المستويات .. وهى قفزة نحن اشد ما نكون حاجة اليها .

فرض الكفاية تعرض لقدر مماثل من الابتسار والتشويه . واذا كان فرض العين يعرف بانه مايلزم به كل فرد بذاته فان فرض الكفاية يلزم المجتمع ، بحيث أنه اذا قام به البعض سقط عن الباقين . وكما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صار يترجم فى محاولات حث الناس على الصلاة واغلاق حوانيتهم اثناءها كذلك فرض الكفاية ، بات يمثل له بصلاة الجنازة ، التى اذا أداها فريق من المشيعين سقطت عن غيرهم !

الأمر المحزن هنا أن فرض الكفاية فى حقيقته يفترض أنه ينصب على المصالح العامة للمسلمين ، التى يتصدى لتسييرها وانجازها نفر من الناس ، نيابة عن الآخرين ولخدمتهم ولكن تشويه المعنى وتجسيده فى صلاة الجنازة دون غيرها ، ادى الى تغييب واهدار القيمة العظمى لذلك الواجب .

إن كافة الاعمال التى يقوم بها الموظفون العموميون فى مصالح الحكومة ومؤسساتها ، وفى مواقع الانتاج والخدمات ، انما هى من قبيل الواجبات الكفائية ـ لكنها تتداخل مع الفروض العينية من حيث أن فرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب . أما بعد الاختيار والتحديد ، فانه يتحول الى فرض عين ، وعلى من كلف ان يستفرغ الوسع فى اتمامه « هكذا يقول الشيخ الغزالى فى كتابه مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية » . وهو يفصل الامر قائلا ان الصلاة فرض عين لانه لا احد يستثنى منها . اما القضاء والتدريس والطب والهندسة فهى فروض كفاية لانه ليس بمقدور كل شخص ان يصبح قاضيا او مدرسا او طبيبا او مهندسا . فاذا ما رشح الفرد ليشغل ايا من تلك المناصب ، فان قيامه باعباء منصبه يصبح فرض عين كالصلاة والصيام . وما يجوز أن يتراخى فيه أو يفرط . وكل ذرة من استهانة أو تفريط ، فهى عصيان لله واعتداء على الدين .

ولأهمية فروض الكفاية فقد فضلها بعض الأصوليين على فروض العين . وهو المعنى الذى ايده الجوينى امام الحرمين ، فى « غياث الأمم » . وبنى رأيه على ان الملزم بفرض العين يفيد نفسه ، اما من يقوم بفرض الكفايه فإنه يفيد غيره ، ولذا فان الثانى يفضل على الاول .

إن استحضار ذلك البعد الغائب عن فريضة الكفاية ، وتعميق الوعى بقيمة تلك الفريضة يسهم بدوره فى تغير ذلك الركود والخمول الذى بات يعشش فى المواقع التى تحمل مسئولية انجاز مصالح الخلق وقضاء حوائجهم ، اذ عندما يستشعر الجميع أن مايؤدونه بات ـ فرض عين يتساوى مع الصلاة والصوم ، فان الصورة لابد وأن تنقلب رأسا على عقب لصالح الخدمة التى تؤدى فى كل موقع والسلعة التى تنتج من كل مصنع .

إن مفاتيح انهاض الأمة بين أيدينا ، وما علينا الا أن نزيح ماعليها من صدأ ونحسن استخدامها بالكفاءة المطلوبة . فهل نحن فاعلون !!

كتابات خليجية هامة

نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة

الملامح العامة لاستراتيجية التنمية في إطار اتحاد أقطار مجلس التعاون وتكاملها مع بقية الأقطار العربية

د. علي خليفة الكواري

مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليس هدفا نهائيا فى حد ذاته ، فهو كما يقول النص الرسمى لنظامه الأساسى يعبر عن إحدى مراحل العمل المشترك بين دول المنطقة والتى تعتبر : « استكمالاً لما بدأته من جهود فى مختلف المجالات الحيوية التى تهم شعوبها.

وتحقق طموحاتها نحو مستقبل أفضل وصولا إلى وحدة دولها. » كما أكدت ورقة العمل الخليجى المشترك التى أقرها المجلس الأعلى وانطلق منها عمل اللجان الوزارية المؤقتة على أهمية العمل الخليجى المشترك منطلقة فى ذلك من احتياجات أمن المنطقة ومتطلبات تنميتها فى ضوء التحديات التى تجعل من « الاندماج الخليجى هو العامل الحاسم نحو توجه جديد ورحب لصياغة سياسة اقتصادية واجتماعية تبعد المنطقة عن التنافس الدولى ».

والدراسة الهامة للدكتور على خليفة الكوارى (نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة ـ الملامح العامة لاستراتيجية التنمية فى إطار اتحاد اقطار مجلس التعاون وتكاملها مع بقية الاقطار العربية) الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ، محاولة جادة لرسم إحدى الصور البديلة للمستقبل الذى يمكن أن تنجم عنه هذه التجربة وإسهاما فى تدعيم التوجه الوحدوى.

وبتجرد وموضوعية يقر الباحث بداءة بأن قبول مهمة صياغة هذه الاستراتيجية الشاملة للتنمية فى دول مجلس التعاون ليس بالأمر السهل خاصة وأن المجلس ذاته قد « اختلفت حوله التفسيرات وتراوحت حوله المفاهيم » كما أنه ليس لديه أى وهم فى أن تحوز دراسته على قبول ورضى جميع الأطراف أو أن تكون وحدها قادرة على أن تضع مسيرة المجلس باتجاه اندماج أقطاره وتحقيق تنميتها الحقيقية . فماذا تقول الدراسة ؟

المنطلق والطموح

« تشكل دول المنطقة بمجملها شريحة تتماثل فيها الظروف الراهنة وتتقارب المعطيات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كما تجمع بينها سمات مشتركة وتربط بين مجتمعاتها علاقات تاريخية خاصة ، هذا بالإضافة إلى أن المنطقة جزء من الأمة العربية ، الأمر الذى يؤكد انتماءها العربى كما تقول وثائق مجلس التعاون ».

هذه هى الحقيقة الأساسية التى يجب أن تنطلق منها استراتيجية التنمية فى إطار الاندماج الاقليمى والتكامل العربى ، وهى استراتيجية ترى التنمية أملاً يصعب الوصول إليه من قبل أى قطر من الأقطار منفردا كما ترى التكامل مع بقية الأقطار العربية ضرورة تنموية وبعداً استراتيجيا فى غيابه لايمكن أن تتم عملية التنمية المنشودة.

وبدء عملية التنمية يتطلب وجود كيان قابل للتنمية تتوفر له عوامل الأمن والاستقرار والعمق وتتاح له إمكانات بشرية ومادية وحضارية تسمح بتعبئة وتنمية القدرات وإطلاق الطاقات وتكاملها من أجل بدء عملية التنمية والحفاظ على استمراريتها ، أى أن اندماج أقطار المنطقة فى كيان سياسى واحد قادر على بلورة إرادة التنمية والتعبير عن هذه الإدارة شرط لبدء عملية التنمية الشاملة مع ضرورة أن يكون واضحاً أن عملية التنمية المنشودة هى :

عملية مجتمعية داعية ودائمة موجهة لايجاد تحولات هيكلية تؤدى إلى تكوين قاعدة واطلاق طاقة انتاجية ذاتية يتحقق بموجبها تزايد منتظم فى متوسط إنتاجية الفرد وقدرات المجتمع . .

الغايات بعيدة المدى لاستراتيجية التنمية

ان أبرز الغايات بعيدة المدى لاستراتيجية التنمية هى تنمية قدرات الانسان واطلاق طاقاته فى إطار تأكيد مسئوليته المجتمعية وانتمائه العربى الاسلامى ، والتفاعل الايجابى مع الفكر والثقافة الإنسانية فى ظل نظرة عميقة ومجدّدة فى التراث العربى والإسلامى ، وايجاد ارادة مشتركة ومتجددة للتنمية والوحدة وترسيخ أسس نظام سياسى موحد للمنطقة وتعزيز الاعتماد على التراث وتكوين قاعدة انتاجية صلبة (متنوعة المقومات ، متكاملة فى وحداتها وفى نفس الوقت مع بقية الاقتصاد العربى) والاحتفاظ بجزء من احتياطيات النفط فى شكل أصول استثمارية آمنة وخلق نظام اقتصادى مختلط يعتمد على القطاعين العام والخاص ثم تعميق متطلبات التماسك الاجتماعى وفق رؤية تؤمن باجتماعية الهدف.

تحديات على طريق التنمية

على أن الطريق أمام الاستراتيجية الشاملة للتنمية ليست مفروشة بالزهور ، فهناك تحديات تواجه الطموحات وآمال الوحدة ،

والمطلوب اولا هو تعيين هذه التحديات ودراستها من أجل مواجهتها وفتح الطريق أمام الاستراتيجية من أجل التطبيق العملي ، وأهم هذه التحديات هي :

ـ تدني مستوى المشاركة في السياسة والانتاج والدخل .

ـ الخلل السكاني .

ـ الاعتماد الاقتصادي شبه المطلق على النفط .

ـ انخفاض معدلات الأداء بسبب افتقار الادارة الى وضوح الرؤية وغيبة الاهداف المحددة .

ـ ارتفاع تكاليف الانتاج نتيجة الدعم الحكومي العالي .

ـ الانكشاف على الخارج .

ـ الاسراف في الاستهلاك وتطرف أنماطه .

ـ تصدع قيم العمل والانتاج .

ومواجهة هذه التحديات يستدعي تعبئة الإمكانات المتاحة ـ رغم محدوديتها . والعمل على مضاعفتها وخلق إمكانات محتملة أخرى لدفع عملية التنمية واستمرارها اذا ما استمرت المنطقة في خطوات الانتاج وتكوين الكيان القابل للتنمية في ظل سياسة واعية ، وأهمّ الإمكانات المتاحة هي :

ـ تزايد الوعي بسلبيات نمط النمو الراهن والبحث عن نمط بديل .

ـ تزايد امكانية صادرات النفط .

ـ تزايد التوجه نحو كيان موحد قابل للتنمية .

ـ وجود بنية تحتية مادية متطورة الى حد ما .

ـ وجود خبرة رائدة في بعض مجالات الإدارة وتنظيم الانتاج .

ـ إمكانية تمويل التنمية دون اللجوء الى شد الأحزمة .

ـ تزايد امكانية التكامل العربي المتكافيء .

أهداف استراتيجية عاجلة

والمقصود بالأهداف الاستراتيجية العاجلة المهمات الحرجة المطلوب انجازها قبل عام ٢٠٠٠ من أجل تهيئة المنطقة لفترة مابعد الاعتماد على النفط . وهي أهداف تم تحديدها على ضوء المنطلق والطموحات وفي ظل السعي نحو تحقيق غايات الاستراتيجية البعيدة المدى آخذين في الاعتبار التحديات الراهنة والإمكانات المتاحة والمحتملة في حالة تبني هذه الاستراتيجية .

هذه الأهداف العاجلة لاستراتيجية التنمية تغطي محورين . يمثل الأول ثلاثة أهداف متعلقة بضبط مسار التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الراهنة ويشمل الثاني خمسة أهداف تتطلبها عملية تهيئة المنطقة وإعدادها لبدء عملية التنمية القادرة على الاستمرار والعطاء في عصر مابعد النفط . هذه الأهداف الثمانية تتمثل في :

• تخفيض الاعتماد على النفط واخضاع انتاجه لاعتبارات التنمية ، وهذا الهدف هو حجر الزاوية في استراتيجية التنمية والتكامل .

• تخفيض حجم قوة العمل الوافدة وتحديد تركيبتها وتحسين نوعيتها ، وهو هدف ملح لما تمثله قضية الخلل السكاني من تكلفة اجتماعية عالية .

• اخضاع النفقات العامة لمعايير الجدوى الاقتصادية .

• إصلاح وتنمية الادارة الراهنة من أجل ايجاد نوعية قادرة على بدء عملية التنمية المنشودة .

• بناء قاعدة اقتصادية بديلة للنفط أو على الأقل الشروع في البناء وإجراء التحولات لوضع الأسس اذا كانت الفترة المتبقية على عام ٢٠٠٠ لاتسمح باستكمال بنائها .

• بناء قاعدة علمية ـ تقنية ذاتية متطورة .

• اصلاح التعليم وربطه بمتطلبات التنمية .

• توفير البيئة الملائمة لتنمية ثقافية اجتماعية مستمرة .

وهذا يتطلب توفير الجو الذي يسمح بالتنوير الفكرى وتوفير متطلبات التجانس السكاني والتماسك الاجتماعي وتغيير منطلقات العمل الاجتماعي وتوجهات العمل الثقافي بشكل جذري وتأكيد دور الإعلام في التنمية واصلاح أجهزته .

تكاتف أوجـه العمل الرسمي وغير الرسمي

على أن تنفيذ مهمات استراتيجية التنمية يتطلب تكاتف أوجه العمل الرسمي مع أوجه العمل غير الرسمي على مستوى المنطقة وتكامل جهودها . أما العمل الرسمي فيتمثل دوره في خلق كيان سياسي موحد قابل للتنمية وايجاد هذا الكيان يتطلب تجسيدا دستوريا وتوفيرا للمقومات التي تسمح بترسيخ أسس دائمة لاستمراريته ، والعمل غير الرسمي يتطلب تحمل المواطنين لمسئولياتهم التاريخية وعلى الأخص المثقفين والمهنيين منهم الذين توجد في يدهم سلطة اتخاذ القرار أو امكانية ترشيده .

إنّ تنفيذ الاستراتيجية يتطلب انتقال مرحلة التعاون الى مرحلة اندماج في كيان سياسي موحد تتوفر فيه إرادة التنمية وتتوفر له الإمكانات وهذا يقتضي تطوير مجلس التعاون ليصبح شكلا من أشكال الاتحاد الذي يتمتع بسيادة اقليمية موحدة قادرة على اتخاذ القرار المناسب من أجل مواجهة التحديات التي تواجه أمن المنطقة ومصير شعبها ومستقبل أجيالها .

من هذا المنطلق الذي يؤكده النظام الأساسي للمجلس وأكدته ورقة العمل الخليجي المشترك بدأ العمل الخليجي المشترك في مرحلة مابعد انشاء مجلس التعاون وأصبح من الضروري أن ينطلق الى دور أكثر تقدما وأكثر قدرة على أداء مهمات المرحلة الراهنة .

إن تجسيد الكيان المطلوب ـ الكيان القابل للتنمية ـ يتطلب الانتقال من مرحلة التعاون الى مرحلة الاندماج ، وهي عملية تحتاج الى إجراء تعديلات جوهرية على النظام الأساسي للمجلس باتجاه تجسيد الكيان السياسي الموحد وترسيخ أسس تماسكه . ولعلّ الكيان الجديد حري بأن يدُعى « اتحاد اقطار الخليج العربية » وبالإضافة الى الحاجة الى تجسيد الكيان الموحد يتطلب تنفيذ الاستراتيجية أيضا ايجاد قيادة إقليمية لإدارة التنمية وتهيئة الإدارة المحلية وتوثيق ترابطها مع إدارة التنمية الاقليمية .

هذه هي باختصار الأفكار الرئيسية التي تدور حولها دراسة الدكتور علي خليفة الكواري التي تعتبر ورقة عمل هامة يساهم بها كواحد من مثقفي المنطقة والمهتمين بتنميتها وتوحيدها ، دراسة استندت بالفعل في تحديد الملامح العامة لاستراتيجية التنمية في المنطقة الى المفاهيم النظرية التي تلقى قبولا واسعا والتي هي بدورها حصاد الموقف النقدي من التجارب الماضية ، كما استندت الى الفهم المتزايد لخصوصية الظروف الراهنة التي تمر بها المنطقة .

وهي دراسة تساهم مع غيرها من الكتابات الخليجية الجادة والمخلصة في استشراق آفاق المستقبل ومسارات العمل الوحدوي المطلوب تحقيقه ، ودعوة للمساهمة في خلق تراكم في الرأي والعمل باتجاه اندماج أقطار المنطقة وتحقيق تنميتها في إطار انتمائها العربي .

طلعت الشايب

تنمية حقيقية أم إهدار للموارد؟

نظرة علمية إلى قضية هامة

نتفق جميعا على أن التنمية ظاهرة مركبة متعددة الأبعاد ، متنوعة الجوانب ، وتتطلب نظرة شاملة لمختلف مناحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وعملية التنمية لاتتم فى فراغ أو فى مختبر علمى ، بل فى سياق إقليمى ودولى ، تتعرض فيه لضغوط وقيود ، بعضها إقتصادى وبعضها سياسى وأغلبها تختلط فيه الإعتبارات السياسية والاقتصادية .

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

- التنمية غير التغير ، فهي تحمل معنىً إيجابيًا ، أمّا التغير فقد يكون إلى تقدُّم او تخلف
- اعتبار الإنتاج جوْهر عملية التنمية يتطلب اعتبار الاستهلاك محور السلوك الإنساني
- التنمية الاقتصادية ليست هدفاً في حدِّ ذاته ، ولكنها أسلوب ووسيلة لتحقيق رفاهية الإنسان
- الاتجاه لربط التنمية باستيراد التكنولوجيا المتقدِّمة يُغْفِل عددًا من الحقائق الهامة

ما يجب التأكيد عليه فى أى تحليل لسياسات التنمية هو أنها عمل إنسانى ارادى ، وهو عمل يعكس رغبة الإنسان فى التخطيط والتأثير فى مستقبله . والتنمية غير النمو ، فالنمو عملية طبيعية إختيارية تلقائية . فنتحدث مثلا عن النمو السكانى بمعنى التزايد الطبيعى للسكان أو بعبارة أخرى الزيادة المستمرة التى تحدث فى كل المجتمعات عبر التطور البطىء ، والتى تؤدى عادة إلى تراكمات كمية ، تحدث أثرها بعد فترة طويلة من الزمان .

التنمية من الناحية الأخرى تحمل معنى الارادة والتخطيط والجهد المنظم لعملية التغير ، فهى تحتاج إلى تخطيط لإحداث التغيير الاقتصادى والاجتماعى المنشود الذى غالبا ماتكون له سمات كيفية مختلفة . ومن ثم تصبح التفرقة بين النمو والتنمية كالتفرقة بين التطور والتطوير ، والتغيروالتغير ، فالفارق بين الاصطلاحات المختلفة إنما يتمثل فى مدى تدخل الانسان فى إحداث التنمية أو التطوير أو التغيير .

وكذلك فان التنمية غير التغير ، ومفهوم التغير يشير إلى حدوث تحولات دون أن يكون لها إتجاه محدد ، فالتغير قد يكون إلى تقدم أو تخلف . أما التنمية فتحمل معنى إيجابيا ، لأنها تغيير مقصود ومستهدف ومرغوب فيه . وهكذا نصل إلى القول بأن التنمية هى عملية إرادية مقصودة تستهدف تحقيق الأهداف التى اتفق عليها مجتمع ما . وهى عملية مجتمعية شاملة تتضمن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية .

على أن هذا المفهوم تعرض لعدد من « التشوهات » مثل ربط التنمية بالتغريب ،

ويقصد بالتغريب عملية نقل وإنتشار أنماط ثقافية معينة إرتبطت بالتجربة الغربية، خصوصاً في أوروبا الغربية، ثم الولايات المتحدة. ويتضمن التغريب نقل هذه الأنماط التنظيمية والسلوكية إلى مجتمعات أخرى بدعوى أنها أصبحت ذات طابع عالمي، أو بزعم أنها جزء لايتجزأ من عملية التنمية، وكلاهما أمر لم يقم عليه الدليل. فالسمات والظواهر الاجتماعية التي إرتبطت بتجربة التصنيع في أوربا الغربية مثلا ليست جزءا أساسيا من التجربة ذاتها، وما يطرح على أنه عالمي وله طابع إنساني هو في الحقيقة سمات خاصة بالتجربة الأوربية؛ من ذلك أيضا القول إن جوهر التنمية هو زيادة الإنتاج، أو إن التنمية هي إقتباس وإستيراد التكنولوجيا المتقدمة، أو إن التنمية هي اللحاق بالغرب.

هل التنمية هي زيادة الإنتاج؟

مع أن أغلب الدارسين يرفضون ربط التنمية بالتغريب إلا أن بعض التعريفات التي تتضمنها دراساتنا وأبحاثنا تقوم على إفتراضات تمثل إنحيازا للمفاهيم الغربية عن التنمية، والتي تقرن التنمية بزيادة الإنتاج. وصحيح أن زيادة الإنتاج قد تكون مطلبا شعبيا جماهيريا أو هدفا مرغوبا فيه ومن ثم فلا يشار إلى هدف التنمية في مرحلة ما بأنه عملية زيادة الانتاج، ولكن الربط بين التنمية وزيادة الانتاج على المستوى النظري يثير مسائل ينبغي التنبيه إليها، ذلك لأن إعتبار الانتاج جوهر عملية التنمية يتضمن في ذات الوقت إعتبار الاستهلاك محور السلوك الإنساني، وهو يقوم على رؤية خاصة بالإنسان الإستهلاكي، وعلى إفتراض إمكانية زيادة الإنتاج إلى مالانهاية. وكلاهما إرتبط بالثورة الصناعية الرأسمالية، بالتوسع الأوربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهو مايدفع إلى إعادة النظر في هذا المفهوم، كما يدفع إلى نظرة نقدية للفكرة التي أوردها آدم سميث في كتابه ثروة الأمم ومؤداها أن رفاهية الأمم تقاس بما تنتجه وتستهلكه من سلع وخدمات، وترتب على ذلك إعتبار الدول المتقدمة هي تلك التي تتمتع بدخل مرتفع أيا كانت درجة «تدهور» قيم مواطنيها وأخلاقياتهم، والدول المتخلفة هي تلك التي تعاني من الدخل المنخفض.

إن التنمية الإقتصادية ليست هدفا في حد ذاته ولكنها أسلوب ووسيلة لتحقيق رفاهية الإنسان، ومن ثم فإن القضية ليست مجرد متوسط الدخل بغض النظر عن الآثار المترتبة على ذلك إجتماعيا وإنسانيا، بل ينبغي أخذ هذه العناصر في الحسبان عند وضع الأهداف، ذلك أن رفاهية الإنسان الفردية والاجتماعية لاتتجزأ، وبرغم زعم رجال السياسة والاقتصاديين بأنهم يدركون ذلك فإن الواقع في عديد من الأحيان يشهد بالعكس، وكيف أن الحلول الإقتصادية التي تقترح أو تتبع لاينظر فيها إلى الآثار الاجتماعية والأخلاقية والنفسية التي تترتب عليها، والتي قد تجعل حلا مايبدو أقل جاذبية عما إذا نظر إليه من منظور إقتصادي وحسب. ولايقبل من الاقتصادي – بالذات في البلاد النامية – القول بأن هذه الآثار تخرج عن دائرة تخصصه، ذلك أن توليه مسئولية عامة أو تقديمه النصح للحكومة يفرض عليه ذلك.

هل التنمية هي إستخدام التكنولوجيا المتقدمة؟

يربط البعض بين التنمية واسيراد التكنولوجيا المتقدمة على أساس أن في ذلك مسايرة لركب التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم وحافز للبلاد النامية على التطور. ولكن هذا الاتجاه يغفل عددا من الحقائق الهامة:

أولها: أن التكنولوجيا هي حقيقة إجتماعية والمستوى التكنولوجي لمجتمع مايعكس درجة التقدم العلمي والتعليمي، كما يعكس تراكم الخبرات العلمية والعملية، وهكذا فإن الثورة التكنولوجية في البلاد المتقدمة هي تعبير عن تقدم طبيعي، وتتضمن نوعاً من الإتساق بين هذا التقدم والأنماط الفكرية والثقافية والسياسية السائدة في المجتمع. لذلك فالأخذ بأسباب التكنولوجيا المتقدمة في البلاد النامية، ليس نتيجة أمر طبيعي، ولكنه أمر مستعار، يضاف إلى هيكل إجتماعي متخلف، ومن ثم فهو لايؤدي بالضرورة إلى التطور بل قد يقود إلى مزيد من الجمود وإعاقة التقدم. فعلى سبيل المثال فإن الأدوات التكنولوجية في مجتمع لم يحقق بعد تقدمه السياسي والديمقراطي قد تؤدي إلى إعاقة تطوره السياسي.

ثانيا: أن إستيراد التكنولوجيا يثير قضايا تتعلق بنوع هذه التكنولوجيا ومدى فائدتها في ظروف البلاد النامية ذات الموارد البشرية الكثيرة والموارد المالية المحدودة، وبالذات بالنظر إلى تكلفتها العالية.

ثالثا: أن الدول المتقدمة لاتسمح للبلاد النامية إلا بأنواع محددة من التكنولوجيا، وبقدر معين يخلق حالة من الإعتماد التكنولوجي، هي في حقيقة الأمر نوع جديد من التبعية بمقتضاه تظل الدول النامية في حالة إعتماد مستمر وتبعية للدول المتقدمة.

هل التنمية هي اللحاق بالدول المتقدمة؟

يعرض البعض لقضية التنمية في إطار ضرورة اللحاق بالدول الصناعية المتقدمة، وهو مايرتب طرح الأوليات بشكل معين، بدعوى أنها من متطلبات التقدم وشروطه، في مواجهة هذا الطرح الذي يتسم «بالغيرية».

فهو يصف بلادنا من خارجها، وتبدو الحاجة لطرح مفهوم التنمية من واقع هذه البلاد ذاتها، دون الإحالة إلى البلاد المتقدمة، ووفقا لذلك الطرح فإن تحدي التنمية الأكبر وأولويتها الأولى تكمن في الإزدواج القائم في مجتمعاتنا في الإقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع، بين مجتمع الريف ومجتمع المدينة، بين العواصم التي تنافس العواصم الأوربية في فنادقها وشواطئها وملاهيها وسلعها الإستهلاكية، والريف الذي مازال يلبس أردية المجتمع الوسيط في تقاليده، وثقافته وأدوات إنتاجه. وفي هذا الاطار لاتصبح القضية هي اللحاق بالدول المتقدمة، فهو إعتبار «غيري» وطرح للمشكلة «من الخارج» ولكن المطلوب هو إصلاح الاختلال الداخلي للمجتمع.

إن هذا التحليل يوصلنا إلى أن التنمية من حيث غاياتها ووسائلها، هي عملية محددة اجتماعيا، وأن على الفكر الاجتماعي والسياسي في كل بلد أن ينظر إليها من زاوية هذا المجتمع: تاريخه وتراثه وقيمه من ناحية، وواقعه وموارده المادية والبشرية من ناحية ثانية، والغايات المتوخاة من ناحية ثالثة. ومن خلال التفاعل الخلاق بين هذه الأمور الثلاثة، وبواسطة النظرة الشمولية التي نأخذها جميعا في الإعتبار، يمكننا أن نتحدث عن سياسة تنموية تعكس إحتياجات المجتمع وتحقق أهدافه.

خواطر تسرّ الخاطر

ماجرى للمتنبي في رحلاته ..

إلى عبدالعزيز التويجري صديق المتنبي

بقلم : زكريا تامر



الرحلة الأولى

تافهون شعرياً وسياسياً ، دبروا مؤامرة غايتها اغتيال المتنبي ، فأحبطت المصادفة مؤامرتهم ، ونجا المتنبي ، ولكن محاولة الاغتيال أسفرت عن اصابة رأسه بصداع دائم حيّر الأطباء ، واضطرهم الى الاعتراف بعجزهم ، ونصحوه بالذهاب الى لندن عاصمة الضباب والطب المتقدم . ولم يجد المتنبي مفراً من العمل بتلك النصيحة ، والمريض ضعيف يطلب الشفاء ولو في ألبانيا .

وجاء المتنبي الى لندن مثقل الجيوب والحقائب بالمال ، وقصد أطباءها الذين فحصوه وقرروا أن حالته تستدعي دخول المستشفى على عجل ، فرضخ لقرارهم ، ولكنه قبل أن يدخل المستشفى طاف أياماً في أرجاء لندن مستطلعاً محملقاً بفضول ، ثم دخل المستشفى ، وبقي فيه أسابيع ، فلم يشف ، وخرج من المستشفى وقد أضيف الى صداعه تشوه في الظهر وقرحة في المعدة وعرج في الساق اليسرى وقصر نظر في العينين وأسنان صناعية وشيب وقمل في شعر الرأس .

وغادر المتنبي خاوي الحقائب والجيوب ، وعاد الى قبيلته ، وجلس في خيمته واجماً ، منكس الرأس ، فتوافد عليه أفراد قبيلته مستفسرين عن أحواله وعما جرى له في لندن ، وانهمرت عليه أسئلتهم كمطر في آذار ، فقال لهم المتنبي : « سأحكي لكم عما شاهدته في لندن ، وسأجاوب عن أسئلتكم كافة » .

وسعل المتنبي سعال رجل عمره ألف سنة ، ثم قال : « ما أن حطت الطائرة التي أركبها على أرض مطار لندن حتى تناهت الى سمعي زغاريد فرح بشتى اللغات » .

القبيلة : « لابد أنها زغاريد ترحيب بك بوصفك شاعر العرب العظيم » .

المتنبي : « لا .. فالزغاريد كانت موجهة الى السياح العرب الذين كانوا في الطائرة ، والمزغردون كانوا أصحاب الفنادق والبيوت المفروشة ونوادي القمار والملاهي والمطاعم والسماسرة والمترجمين والأطباء والممرضات » .

القبيلة : « هل قابلت ملكة بريطانيا ؟ » .

المتنبي : « كنت مشغولاً بما هو أهم ، ولن أحكي عنه » .

القبيلة : « أقابلت الأمير تشارلز ولي العهد ؟ » .

المتنبي : « لا . ولماذا أقابله ؟! واذا قابلته فماذا افعل به » .

القبيلة : « والأميرة ديانا ؟ » .

المتنبي : « قابلتها دقائق قليلة ، وتركتها ناقماً على ضحالة ثقافتها ، مؤمناً بتفشي الجهل في بلاد الانكليز ، فقد سألتها عما تعرف عن الفلاسفة الأجلاء عادل امام ودريد لحام وفؤاد المهندس ، فاذا هي لاتعرف عنهم شيئاً » .

القبيلة : « ماذا رأيت في لندن ؟ » .

المتنبي : « رأيت رجالاً كالنساء ونساء كالرجال ، ون يتاح معرفة الاختلاف الا بعد تشريح الجثث » .

القبيلة : « وماذا رأيت أيضاً ؟ » .

المتنبي : « رأيت أطباء لاينتضون السكاكين ويشهرون السيوف والمسدسات بل ينقضون على مرضاهم حاملين الفواتير التي تقتل من غير حاجة الى سفك دماء » .

القبيلة : « وماذا رأيت أيضاً ؟ » .

المتنبي : « رأيت اللحم الحلال يمشي على أقدام ، وكل جائع سيشبع اذا كانت محفظته سخية مملوءة بالجنيهات والدولارات . رأيت السيارات تسير في وسط الشوارع لا على الأرصفة ، وسمعت أن كل من يعبر عن رأيه في بلاد الانكليز لايضطر أهله الى كتابة اسمه في سجل المفقودين » .

فتبادل أفراد القبيلة النظرات غير المصدقة ، فقال المتنبي : « ورأيت في لندن أسواقاً لايحصى عددها ، ولكن أنجح سوق هي السوق العربية التي يباع فيها كل شيء . وأي شيء له ثمن محدد . ومن يدفع الثمن يحصل على مايريد » .

القبيلة : « لابد من أنك قابلت صحافيين عرباً ، فالصحافةالعربية في لندن لها وجود باهر بالغ الأهمية » .

المتنبي : « لم أقابل أي صحافي . والسبب يرجع الى أن بعضهم منهمك في العمل ، وبعضهم منهمك في اجراء المقابلات مع الراقصات والسياسيين الذين يدفعون ، وبعضهم منهمك في المتاجرة بالعقارات والمبادىء » .

القبيلة : « أيوجد في لندن عرب كثيرون ؟ » .

المتبني : « إنهم كثيرون جداً . ولو استمروا يهاجرون الى لندن ويقيمون بها ، فمن المؤكد أن علماء الأجناس في يوم ليس بالبعيد لن يعثروا على انكليزي واحد في بلاد الانكليز » .

القبيلة : « وماذا سيحدث عندئذ ؟ » .

المتنبي : « سيؤلف عرب بريطانيا دولة مستقلة ذات سيادة ، ثم تنقسم الدولة الى دولتين ، وتنقسم الدولتان الى خمس دول ، وتنقسم الخمس دول الى تسع دول ، وتنقسم التسع دول الى عشرين دولة . وكل دولة تعادي الدولة الأخرى وتحشد على حدودها الجيوش والاذاعات والصحف » .

القبيلة : « وماذا استفدت من زيارتك للندن ؟ » .

المتنبي : «قررت اعلان الاضراب عن نظم الشعر».

القبيلة : «وما السبب؟ والى متى سيستمر اضرابك؟».

وقيل إن المتنبي جاوب عن السؤال ، وحكى عن السبب ، فأصبح مهدداً باغتيال جديد ، وقيل إنه امتنع عن الكلام حتى يتأجل موته .

الرحلة الثانية

صاح كافور الأخشيدي بأعوانه : «قبل ثلاثة أيام دخل البلاد رجل غريب اسمه المتنبي ، وآمركم باحضاره اليّ فوراً حياً أو ميتاً».

وكان المتنبي آنئذ يمشي في شوارع القاهرة ، وئيد الخطى ، متنقلاً من شارع الى شارع ، وكل شارع يبدو لعينيه عالماً جديداً سحرياً قادراً على أن يهب بهجة تحول الرمل الى عشب أخضر .

وبلغت بهجة المتنبي الذروة عندما رأى نهر النيل ، فتوقف عن المسير ، ونظر الى ماء النهر كأنه طفل يشاهد بحراً أول مرة في حياته .

قال النيل للمتنبي : «اهرب . الهرب مما ينتظرك جرأة وشجاعة وبطولة».

فلم يسمع المتنبي ماقاله النهر ، انما تدفقت الى مخيلته كلمات كثيرة تتنافس على وصف نهر وامرأة وملك عادل .

قال النيل للمتنبي : «اهرب اهرب اهرب».

ولكن المتنبي كان يجهل لغة الأنهار ، واستمرت كلماته في التنافس على وصف نهر عظيم وامرأة جميلة وملك رحيم متسامح ، ثم تبددت فجأة حين انقض على المتنبي عدد من الرجال الأقوياء ، القساة الوجوه والأيدي ، واقتادوه الى قصر كافور الأخشيدي غير مبالين بتساؤلاته وصياحه النزق المحتج .

كافور الأخشيدي : «المعلومات المتوفرة لديّ تقول إنك لست مصرياً».

المتنبي : «اذا كنت مولوداً بالكوفة وجئت مصر زائراً فهل هذا مبرر لاعتقالي ومعاملتي أسوأ معاملة؟!».

كافور الأخشيدي : «لاتكن وقحاً . تتكلم فقط حين يطلب منك أن تتكلم».

المتنبي (بهزء) : «أمرك مطاع».

كافور : «اخرس . ألم آمرك بألا تتكلم؟».

المتنبي : «لن أتكلم».

كافور : «ليس من حقك أن تتكلم أو تسكت إلا وفق أوامري . قل لي : ما اسمك؟».

المتنبي : «المتنبي .. أبو الطيب المتنبي».

كافور : «ماذا تشتغل؟».

المتنبي : «لامهنة لي سوى الكتابة . أنا شاعر».

كافور : «لاتتحذلق . الشعر أيضاً مهنة لاتختلف عن مهنة الحداد والنجار والدهان وحفار القبور . اسمع . مادمت تزعم أنك شاعر ، فهل نلت إذناً من السلطات المختصة؟».

المتنبي : «وهل تطلب السحابة إذناً اذا أرادت أن تمطر؟».



عبد العزيز التويجري

كافور : «أني أكلمك عن قوانين وأنظمة ، فلا تجاوبني بكلام منمق سخيف يصلح لأن يوجه الى مراهقات . أنت الآن لست في الصحراء . أنت في بلاد يسودها التنظيم ، وكل عمل لابد لصاحبه من أن ينال إذناً رسمياً قبل أن يمارسه ، وأنت خالفت القوانين عندما نظمت شعراً من غير إذن».

المتنبي : «لقد جئت الى مصر قبل ثلاثة أيام فقط ، ولم أنظم بعد أية قصيدة ، ولم أخالف أي قانون من قوانين البلاد».

كافور : «أنت تدعي أنك شاعر ، فما الدليل على أنك شاعر حقاً؟!».

المتنبي : «أشعاري مشهورة في البلاد العربية كلها ، ولا أحد يجهلها».

كافور : «يالك من وقح! أتجرؤ على اتهامنا بالجهل؟».

المتنبي : «كل ما أردت قوله هو أني شاعر ذائع الصيت ، ونظمت كثيراً من الأشعار».

كافور : «هل غنى أشعارك مشاهير المغنين والمغنيات؟ أم كلثوم .. لبلبلة .. وردة الجزائرية .. أحمد عدوية .. محرم فؤاد .. شادية .. عبد الحليم حافظ؟ مابك صامت؟ لماذا لاتجاوب؟ أرى أن وجهك قد احمر .. احمر خجلاً من افتضاح كذبك . سأتيح لك الفرصة لتثبت أنك شاعر . هيا اسمعني بعض أشعارك».

المتنبي :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
اذا استوت عنده الأنوار والظلم
أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

كافور : «ماسمعته ليس سيئاً . أتجيد نظم قصائد المدح؟».

المتنبي : «سبق لي أن مدحت الكثير من الملوك والأمراء . إني أتقن المدح اذا كان من سأمدحه يليق به المدح».

كافور : «مادمت تتقن المدح ، فينبغي لك ان تنظم قصيدة في مدحي . أنت الآن في مصر ، وأنا حاكم مصر ، واذا كنت لست عميلاً لأعداء مصر وتحب مصر فمن واجبك مدح حاكمها».

المتنبي : أنا لم أمدح في حياتي سوى رجال عرفتهم وعرفت مالهم وما عليهم».

كافور : «أتلمح الى أنك لاتعرفني؟ ها أنا قاعد قبالتك وقد صرت تعرفني».

المتنبي : «لم أعرفك بعد المعرفة التي تتيح لي نظم قصيدة في مدحك».

فابتسم كافور الأخشيدي ، وأشار بيده الى أعوانه ، فهجموا على المتنبي ، وطرحوه أرضاً ، ووضعوا رجليه في فلقة ، وانهال بعضهم بالعصا ضرباً على باطن قدميه بينما راح بعضهم الآخر يركل رأسه وجسمه ركلاً شديداً .

تألم المتنبي ، ورغب في أن يصرخ متوجعاً ، ولكنه قاوم وكظم رغبته . ومالبث الألم أن دفعه الى الصراخ شاتماً مستغيثاً ، فضحك كافور ، وقال : «ماهذا الصوت الجميل؟ أنت لست شاعراً . أنت تصلح لأن تكون مغنياً . الله! ما أجمل هذا الصوت! تابع .. اطربنا». وحين تحول صراخ المتنبي الى بكاء ذليل ، أمر كافور بالكف عن ضربه .

ووقف المتنبي أمام كافور الأخشيدي محني الرأس بذل ، مبتل الوجه بالدموع والدماء .

كافور : «ستنظم قصيدة مطولة تمتدحني».

المتنبي : «سأفعل ما تأمر به».

كافور : سأعطيك مهلة مدتها سبعة أيام لنظم القصيدة ، وستنجو من القتل اذا أعجبتني».

وهمّ المتنبي بالخروج ، فقال له كافور : «قف واسمع يامتنبي . اياك وأن تظن أني كغيري من الحكام . اذا أعجبتني قصيدتك فلا تحلم بنيل درهم واحد من أموالي».

وعاد المتنبي الى كافور الأخشيدي بعد أربعة أيام ، وأسمعه مانظم من شعر في مدحه ، فطرب كافور ، وانتشى ، وقال : «أنت شاعر حقاً».

وفكر كافور الأخشيدي لحظات ، ثم قال للمتنبي : «سأعرض عليك عرضاً لامثيل له . اختر إما الضرب حتى الموت وإما الحصول على ألف دينار».

المتنبي : «لا أحد يفضل الضرب على ألف دينار».

كافور : «ستنال ألف دينار اذا نظمت قصيدة تهجوني فيها أقذع هجاء».

حاول المتنبي أن يتكلم ، ولكن كافوراً قال له : «اسكت ولاتنطق بكلمة واحدة . اذا لم تنظمها ضربت ، واذا هجوتني نلت ألف دينار». فوعد المتنبي بأنه سيهجوه ، وبرّ بوعده ، ونظم قصيدة في هجاء كافور الأخشيدي ، ونال ألف دينار .

وما أن خرج المتنبي حتى تصايح أعوان كافور الأخشيدي مستغربين مستنكرين ، فقال لهم كافور بصوت صارم : «ستظلون أغبياء تجهلون التعامل مع البشر والحياة . سأشرح لكم مافعلت وأسبابه . المتنبي شاعر متكبر متعجرف معتد بنفسه ، ويجب أن يعاقب ولاسيما أنه سيكون في المستقبل من الشعراء الخالدين . وقد عاقبته شر عقاب . لقد أرغمته على مدحي ثم أرغمته على هجائي ، وهذا التناقض سيصبح في المستقبل تهمة شائنة تدين المتنبي ، وتبرهن على أنه مجرد مرتزق صغير غير جدير بالاحترام .

وفيما بعد ، اغتيل المتنبي ، ومات كافور الأخشيدي ، ولكن ماتنبأ به كافور تحقق ، وصار للمتنبي أصدقاء معجبون به ، وخصوم يزدرونه .

معركة الإسلام وأصول الحكم

٢

البُعد القومي للمعركة

بقلم: الدكتور محمد عمارة

لم يكن الخلاف بين الشيخ محمد الخضر حسين صاحب كتاب [نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم] وبين الشيخ علي عبدالرازق ـ صاحب [كتاب الاسلام وأصول الحكم] ـ مجرد خلاف فكري ذي طابع فقهي أو تاريخي مجرد .. بل ولم يكن مجرد خلاف حضاري مع « النهج التغريبي » ، الذي رآه الشيخ الخضر قد حكم تفكير الشيخ علي عبدالرازق .. وإن شئنا الدقة ، فإن خلاف الشيخ الخضر مع هذا « النهج التغريبي » لم يكن مجرد استمساك بفضيلة الاستقلال الفكري ، ولا فرط أنفة من التبعية لقوم غير مسلمين ، كما قد يفهم البعض خطأ وقصر نظر ! .. وإنما كان وراء هذا الموقف ـ فضلاً عن أن فضيلة الاستقلال الفكري هي السبيل الوحيد لرؤية الخصائص التي تمايز بين الحضارات ، ومن ثم فإنها السبيل الوحيد لتحصيل الحقيقة وإدراك الصواب ـ كان وراء هذا الموقف المعادي لهذا « النهج التغريبي » موقف وطني يدرك وظيفة هذا النهج التغريبي في تكريس التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية المفروضة على وطن العروبة وعالم الاسلام من قبل أبناء الحضارة الغربية الغزاة المستعمرين .. فالتبعية الفكرية ، هنا ، تلعب دوراً فاعلاً وفعالاً في تأييد وتأبيد الاستعمار الذي يحول بين المسلمين وبين الحرية والنهضة والتقدم إلى الأمام ! ..

■ لقد كان "الخضر" شيخاً مجدداً مناضلاً ، فهو عالم ملتزم بأصول الشريعة ، ومهتم بواقع المسلمين المعاصر

■ عندما ينبه على تهافت أدلة الشيخ علي عبد الرازق وحججه يشبهها ساخراً بوعود الدول الاستعمارية !

■ الشريعة الإسلامية في رأيه هي قانون الأمة الطبيعي ، وفي سيادتها مظهر من مظاهر الاستقلال

■ أدرك الشيخ "الخضر" خطر دعوى "علمانية الإسلام" على قضية رفض الأمة لسلطان الأجنبي

■ الدولة الإسلامية هي المطلب ، وليست الخلافة هي الشكل الوحيد ولا الاسم المفرد لهذه الدولة

■ ذهب الإسلام السياسي في شروط الخليفة إلى الحد الذي يجعل من دولته الواقع القريب من مثال المدينة الفاضلة

لقد كان الخضر : « شيخاً مجدداً ــ مناضلاً » .. فهو عالم ملتزم بأصول الشريعة ومقاصدها .. وهو مجدد ، جعله تجديده مهتماً بواقع المسلمين المعاصر ، معنياً بالحلول الكافلة للأمة تجاوز سلبيات الواقع الذي تعيش فيه .. وهو مناضل يدرك دور الشريعة والتجديد في التصدي لأعداء الأمة ، الذين يفرضون عليها القهر والعبودية والتخلف ، ويحولون بينها وبين الحرية والقوة والانطلاق ..

وهو ، في تونس ، قد ناهض الاستعمار ، الذي اضطره إلى الهجرة من وطنه الأول إلى الشام ...

وهو ، في الآستانة ، يشارك في العمل السياسي ، ويضطلع بمهام في السفارات الخارجية ، تجعله على دراية بما يصنع الغرب ومايبيت لعالم الإسلام ...

وهو في دمشق ، يناضل الاستبداد ، ويدخل السجن ... ثم يضطره الاستعمار الفرنسي ــ الذي هجَّره من تونس ــ إلى الهجرة من دمشق إلى القاهرة ...

وفي القاهرة ــ وبصدد كتاب [الاسلام وأصول الحكم] ــ أبصر الرجل كم هي جليلة تلك الخدمة التي يقدمها للاستعمار كل من يدعو إلى تجريد الاسلام من طابعه ودوره السياسي ، وتجريد الدولة ، في وطن المسلمين ، من صبغتها الاسلامية ، وتقديم الاسلام ديناً لا دولة ، ورسالة روحية لا شرع فيها ولاسياسة ... ذلك أن المسلمين ، في ظل الاستعمار ، إذا اهتموا « بما لله » ، وتركوا ما لقيصر لقيصر » ، كان المستفيد الأول من ذلك هو الأجنبي ، لأن « قيصر » هنا هو ملكه .. [3] » ؟! ..

الاستعمار ! .. « فعلمنة الاسلام » هي ــ في حقيقتها وبصرف النظر عن النوايا ــ تشريع يمنع الحرج والإثم عن ضمير المسلم إن هو خضع لسلطان أجنبي أوسلطة غير إسلامية ... ومن ثم فإن اشتراط « أسلمة الدولة » و « أسلمة القانون » ، هو ــ في الحقيقة ــ دعوة للمسلمين كي يثوروا في سبيل حريتهم وتسويد شريعة الاسلام في الوطن الذى يعيشون فيه ! ..

أبصر الشيخ الخضر هذه الحقيقة الجوهرية ، ونبه إليها وهو يرد دعوى الشيخ علي عبدالرازق : « علمانية الاسلام » !

فهو عندما ينبه على تهافت أدلة الشيخ علي عبدالرازق وحججه ، يشبهها ــ ساخراً ــ بوعود الدول الاستعمارية وعهودها ؟! .. فيقول عنه : « إنه تشبث بأوهى من عهد دولة استعمارية [1] » ؟!

وعندما يستدل علي عبدالرازق على أن محمداً ، ﷺ ، كان رسولاً مبلغاً ، ولم يكن حاكماً منفذاً ، بأن « الرسالة » غير « الملك » ، وبكلمة المسيح ، عليه السلام : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، وبأن يوسف عليه السلام ، كان عاملاً في دولة لاتدين بدينه ... ينبه الشيخ الخضر على مغايرة النهج الاسلامي لما سبقه من نهج في هذا الأمر ... ويشير إلى الخطر البادي من استغلال هذه الدعوى في تكريس انفراد « القيصر » المعاصر ، الاستعمار ، بالسلطة والسلطان في عالم الاسلام .. فيقول : « لم يرض محمد بن عبدالله ، عليه السلام ، أن يقيم تحت سلطان غير سلطان الله ، ولم يرض لمعتنقي دينه الحنيف أن يستكينوا لسلطة غير اسلامية ، وفرض الهجرة والجهاد على ما نقول شهيد .

وما ينبغي للمؤلف ــ [علي عبدالرازق] أن يحشر في غضون كتابه مثل هذه الكلمة ــ [اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله] ــ التي تقضي حاجة في نفس المخالف المتغلب ، وتبقى في النفوس أثر الاستكانة إلى أي يد تقبض على زمامها [2] » ؟! .. « إن محمد بن عبدالله ، صلوات الله عليه ، لم يعترف بسلطة دار الندوة بمكة ، وحاربها حتى خضد شوكتها واستأصل جرثومة فسادها ، ولم يعترف بسلطة قيصر ، وأخذ يعد ما استطاع من قوة ليدفع شره ويقوض دعائم

البُعد القومي للمعركة

الهدف من تأسيس الدولة الاسلامية

كذلك ، فإن الادعاء بأن الاسلام دين ليست به شريعة لسياسة الدولة والمجتمع ، هو ـ وعينا أم لم نع ـ دعوة تمنح المشروعية لسلطان الأجنبي المتغلب وفلسفة قانونه الغريبة عن روح الأمة وهويتها الحضارية ، ذلك أن « الإسلام يقصد من تأسيس الدولة الاسلامية أمرين :

أحدهما : اجراء أحكامه العادلة ونظمه الكافلة بسعادة الحياة ، إذ لا يقوم عليها بحق إلا من آمن بحكمتها وأشرب قلبه الغيرة على تنفيذها .

ثانيهما : الاحتفاظ بكرامة أوليائه واعزاز جانبهم حتى لا يعيشوا تحت سلطة مخالف يدوس حقوقهم ، ويرفع أبناء قومه أو ملته عليهم درجات » ؟! [٤] .

والذين يجعلون الاسلام « ديناً » لا « شرعاً » ، سيهدرون ، ضمن مايهدرون من « مقاصد الشريعة » مقصد « الجهاد » ، الذي تجاوز كونه سبيلاً « لحفظ الدين » ، وأصبح ، في مواجهة الاستعمار الأجنبي السبيل الأول لحفظ مقاصد الشريعة كلها ! .. ذلك « أن المقاصد التي تقصدها الشريعة السماوية ترجع إلى حفظ النفس ، والدين ، والعقل ، والعرض ، والنسب ، والمال . فالقصاص ، مثلاً ، مشروع لحفظ النفس ، وحد الزنا لصيانة النسب ، وحد القذف لصيانة العرض ، وعقوبة شارب الخمر لصيانة العقل ، والجهاد لحفظ الدين . بل الاستعمار الأجنبي دل على أن الجهاد مشروع لحفظ الدين والنفس والعرض والمال ، ويرشد إلى هذا قوله تعالى : [إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة [٥]] ... [٦] » ... فللشريعة الاسلامية ، في الواقع الاسلامي ، دور تحريري .. وهي ليست مجرد نصوص .

ولقد كان طبيعياً للرجل الذي أدرك دلالة سيادة الشريعة وأحكامها على استقلال الأمة ودولتها ، أن يبصر دلالة سيادة « الشريعة » الاستعمارية في بلادنا على خضوعنا لهذا الاستعمار ... فأحكام الشريعة الإسلامية هي قانون الأمة الطبيعي ، وفي سيادتها ، بدلاً من الفلسفة القانونية للحضارة الغازية ، مظهر من مظاهر الاستقلال .. « وإذا كانت القوانين الوضعية لا يخضع لها المسلمون بقلوبهم ، ولا يتلقون القضاء القائم عليها بتسليم ، كان تقريرها للفصل بينهم غير مطابق لقاعدة الحرية ، إذ المعروف أن الأمة الحرة هي التي تساس بقوانين ونظم تألفها وتكون على وفق إرادتها أو إرادة جمهورها . فالشعوب الاسلامية لا تبلغ حريتها إلا أن تساس بقوانين ونظم يراعى فيها أصول شريعتها ، وكل قوة تضرب عليها قوانين تخالف مقاصد دينها فهي حكومة مستبدة غير عادلة . فالذين ينقلون قوانين وضعها سكان رومة أو لندرة أو باريز أو برلين ، ويحاولون إجراءها في بلاد شرقية ، كتونس أو مصر أو الشام إنما هم قوم لايدرون أن بين أيديهم قواعد شريعة تنزل من أفق لا تدب فيه مناكب الخيال أو الضلال ، وأن في هذه القواعد مايحيط بمصالح الأمة حفظاً ، ويسير بها في سبيل المدنية الراقية عَنَقاً [٧] فسيحاً . ولو قيض الله لشعوب هذه الأمة الاسلامية رؤساء يحافظون على قاعدة حرية الأمم ، لألفوا لجاناً ممن وقفوا على روح التشريع الاسلامي ، وكانوا على بصيرة من أحوال الاجتماع ومقتضيات العصر ، وناطوا بعهدتهم تدوين قانون يقتبس من أصول الشريعة ويراعى فيه قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد . وبغير هذا العمل لايملك المسلمون أساس حريتهم ، ولايسيرون في سبيل سعادتهم آمنين [٨] » !

فسيادة أحكام الشريعة في الأمة ، وهيمنتها وهيمنة فلسفتها بالمؤسسة القضائية الوطنية قسمة من قسمات « الاستقلال الحضاري » ، بدونها ستظل سيادة الأمة منقوصة ، وحريتها ناقصة ، حتى ولو حققت « الاستقلال السياسي » ، فأصبح لها « عَلَمٌ » و « نشيد » !

مهمة الخلافة

ومن هذه « الزاوية النضالية » ، وبهذا « المنطق التحريري » أبصر الشيخ الخضر مهمة « الخلافة » الإسلامية ، ودورها التوحيدي للأمة ، ومردود هذا الدور وفعاليته في مواجهة التحديات التاريخية التي فرضها الاستعمار الغربي على عالم الاسلام .. « فالخلافة لا تزيد على ما يسمى دولة ، إلا أنها رابطة سياسية تجعل شعوباً مختلفي العناصر والقومية يولون وجوههم شطر رايتها بعاطفة من أنفسهم واختيارهم . ومن هذه الوجهة ينظر إليها بغاة الاستعمار بعين عابسة ، ويحاول الغِرّ ، الذي ينخدع ببهرج آرائهم ، أن يطوي رايتها ويمحو أثرها [٩] » ؟! ..

لقد كانت الحصن الذي جمع المسلمين ، على امتداد تاريخهم الطويل ، في مواجهة الغزاة .. وحتى في لحظات ضعفها ومرضها ، كانت « الرمز » الذي ظل الاستعمار على عدائه له وسعيه لمحوه ، مخافة أن يتداركها التجديد والاصلاح فتعود حصناً للمسلمين ، يجمع وحدتهم ، ويحول بين الاستعمار وبين التهام أوطانهم واستنزاف ثرواتهم واحتلال عقلهم بفكرية التغريب ! .

هكذا أدرك الشيخ الخضر خطر دعوى « علمانية الاسلام » على قضية القضايا بالنسبة للأمة .. قضية : رفضها لسلطان الأجنبي ، ونهوضها لانتزاع حريتها من الاستعمار .

وإذا كان كتاب [الإسلام وأصول الحكم] قد ذهب في تشويه صورة « الخلافة » الإسلامية ، تاريخيا ، إلى حد الافتراء الذي جعلها قهراً مسلحاً واستبداداً بالأمر ، من دون الأمة ، باسم الله ! .. فإن كتاب الشيخ الخضر قد برىء من « رد الفعل » الذي يبيض وجه الخلافة دائما ، حتى ولو كان ذلك بالزور والبهتان ! .. بل إن الرجل لا يرغب في إدارة المعركة حول اسم النظام وعنوانه .. فالدولة الاسلامية هي المطلب .. وليست « الخلافة » هي الشكل الوحيد ولا الاسم المفرد لهذه الدولة الاسلامية .. وفارق بين أن ننتقد تراثنا في نظم الحكم لنقترب من مقاصد الاسلام

في « الدولة الاسلامية » ، وبين أن يكون هذا النقد سبيلاً إلى التخلي عن شرط « أسلمة الدولة » وتجريد الاسلام من شرعه ومدخله في السياسة وتنظيم المجتمعات .. « فلم يدع أحد قط أن صلاح شأن الرعية وصيانة شعائر الدين مربوطان باسم الخلافة ، وأن لقب الخليفة كالرقية النافعة ، يذهب بها كل بأس ، أو الدعوة المستجابة ، ينزل عندها كل خير ، والذي نعلمه ويعلمه أشباه العامة من المسلمين أن الخلافة لاتريك آثارها وتمنحك ثمارها من منعة وعزة وعدالة إلا إذا سارت على سنة العزم في الأمور والحكمة في السياسة (١٠) .

وإذا كان العصر الحديث قد ألح ويلح على إعلاء مكانة الأمة في تسيير شئون الدولة والمجتمع ، فليس هناك ، في نهج الاسلام السياسي ، ما يعارض هذا الاتجاه .. بل إن هذا هو نهج الاسلام الأصيل في هذا الباب « فالقوة المشروعة للخليفة لا تزيد على القوة التي يملكها رئيس دولة دستورية ، وانتخابه في الواقع إنما كان لأجل مسمى وهو مدة إقامته قاعدة الشورى على وجهها ، وبذله الجهد في حراسة حقوق الأمة ، وعدم وقوفه في سبيل حريتها (١١) ... وشكل بعض الحكومات القائمة على خليفة ووزراء ومجلس نيابي يجري انتخابه تحت ظلال الحرية التامة لايخالف الشكل الملائم للخلافة الحقيقية بحال (١٢) .. » بل لقد ذهب الاسلام السياسي في شروط الخليفة إلى الحد الذي يجعل من دولته « الواقع » القريب من « مثال » « المدينة الفاضلة » ! .. فلقد « قرر جمهور أهل العلم في شروط الخليفة أن يكون بالغاً في العلم رتبة الاجتهاد ، وأن يكون ذا رأي وخبرة بتدبير الحرب والسلم ، وأن يكون شجاعاً لا يرهب الموت الزؤام فما دونه ، وأن يكون عادلاً لا تأخذه في الحق لومة لائم . وتعرف مزية العدل باختبار سيرته فيما كان يتولاه من أعمال قبل منصب الخلافة أو بما تدل عليه التجارب والمشاهدة الطويلة من استقامته وشرف همته وانكاره ما يفعل الظالمون بغيرة وحماسة (١٣) .. »

وليست صحيحة ولا دقيقة ولاصادقة تلك الصورة الشوهاءالتي عممها صاحب [الاسلام وأصول الحكم] على مجمل نظام الخلافة الاسلامية عبر التاريخ الاسلامي .. « فلقد أتى عليها حين من الدهر وهي لا تنتضي حسامها ولا تلمع بإنذارها ووعيدها إلا في وجه عدو يتربص بالمؤمنين الدوائر ، أو ثائر عصفت به ريح الأهواء وماله من أولي الألباب ولي ولا عاذر . وأدركها زمن بعدت فيه عن حقيقتها ، فخلطت عملاً صالحا وآخر سيئاً ، وربما كان إثمها في بعض الأحيان أكبر من نفعها (١٤) .. » فالتعميم في تصوير الخلافة بصورة « القهر المستبد باسم الله » غريب عن المنهج العلمي في دراسة التاريخ ..

أما الصورة العثمانية للخلافة ، والتي

■ **ليست صحيحة ولا دقيقة تلك الصورة الشوهاء التي عممها علي عبد الرازق على مجمل نظام الخلافة عبر التاريخ الإسلامي**

■ **الإسلام السياسي حجة على الصورة العثمانية للخلافة ، وليس حجة في صالحها**


الشيخ الخضر حسين

أتاحت لأعداء « الدولة الاسلامية » تشويه صورة الخلافة ، باطلاق وتعميم ، فإن الاسلام السياسي حجة عليها وعلى سلاطينها ، وليست هي بالحجة على هذا الاسلام ! .. « ولو أن المتأخرين من سلاطين آل عثمان أعطوا للخلافة شيئاً من حقوقها ، وراعوا ما أمر الله به من وسائل استقامتها لما انفرط عقد هذه الممالك الاسلامية وأصبح كل قطعة منها تحت سلطة أجنبية تستبد عليها في حكمها وتتصرف في رقاب شعوبها وأموالهم كيف تشاء (١٥) »

لكن المرض لايبرر الاعدام .. والفساد لايستدعي اليأس من الاصلاح .. فإذا كانت الخلافة الاسلامية لا تعدو : « الدولة الاسلامية الجامعة » ، « فليس إصلاح شأنها — [إذا فسد] — وإعادتها إلى سيرتها المثلى ممن يغارون على مصلحة الشرق واتحاد شعوبه ببعيد (١٦) » ؟! ..

هذا عن الخلافة في التاريخ ..

محمد عمارة

هوامش

(١) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٥٢ من طبعة الأصل] .
(٢) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٣٦ ، ١٣٧ من طبعة الأصل] .
(٣) الباب الثاني من الكتاب الأول [ص ٣٤ من طبعة الأصل] .
(٤) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٤٦ من طبعة الأصل] .
(٥) التوبة : ٨ .
(٦) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ٢٠٠ من طبعة الأصل] .
(٧) العَنَق — بفتح العين والنون — هو السير السريع .
(٨) الباب الثالث من الكتاب الثالث [٢٤٣ ، ٢٤٤ من طبعة الأصل] .
(٩) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٧ من طبعة الأصل] .
(١٠) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٩٠ من طبعة الأصل] .
(١١) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٣ من طبعة الأصل] .
(١٢) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٤ من طبعة الأصل] .
(١٣) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٢ من طبعة الأصل] .
(١٤) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل] .
(١٥) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٨٧ من طبعة الأصل] .
(١٦) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٦٤ من طبعة الأصل] .

شاعر لا تكذبي وقضيته المعلقة


كامل الشناوى

بقلم: كمال النجمي

الأوساط الأدبية والفنية في القاهرة تتحدث الآن عن قضية تنظر فيها إحدى المحاكم المصرية، محورها الشاعر كامل الشناوي الذي ملأ الدنيا طوال حياته بأشعاره وأخباره وأسماره.. ولحن له الموسيقار محمد عبدالوهاب في أواخر الأربعينيات قصيدة «زعموا حبي ياقلب خطايا».. ثم لحن له في الستينيات قصيدة «لا تكذبي».. فكانت لها ضجة وكثرت حولها التساؤلات، فقد تضمنت قصة أو حادثة واضحة المعالم، كان ضحيتها كامل الشناوي نفسه، ولكنه تحمل وطأة هذه الحادثة العاطفية بشجاعة، وتفكر فيها بشيء من الفلسفة الرواقية، مستسلماً للأقدار، كعادته في كل معاركه العاطفية التي خسرها جميعاً على امتداد حياته..

في قصيدته «زعموا حبي يا قلب خطايا».. كانت ملهمته معروفة بالاسم والرسم، وكذلك كانت ملهمته الأخرى في «لا تكذبي».. وبينهما عشرون عاماً، وعشرون حادثة عاطفية!..

إلا أن «لا تكذبي» كانت القفص الذي حواه حياً وميتاً، ففي حياته صار لقبه «شاعر لا تكذبي».. وحمل ديوانه الأول والأخير عنوان «لا تكذبي».. وبعد موته بعشرين عاماً دخل قفص «محكمة الجنح» بنفس هذا الاسم أو اللقب، مع أن «لا تكذبي» كانت مفتاح حريته من قصص الحب المتوالية العاثرة، وبهذه القصيدة استطاع في أخريات حياته أن يسلو ويفطم قلبه الطفل عن ارتشاف قطرات الحب المر الذي أدمن عليه.. ولم ينظم بعدها شعراً في الحب إلا ما كان من التجميش البريء العاجز في سهراته ونظراته وخطراته، ينظمها شعرا، ليلة بعد ليلة، من قلب خليّ كان الحبُّ وَهْمَهُ الأكبر.. وانتهى بعد اليأس الى السلوان وبرودة الذكريات!

كان كامل الشناوي نسيج وحده في تعامله مع الدنيا، كما كان نسيج وحده في شعره.. لم يشبهه أحد من زملائه وأصدقائه في حياته الساهرة الضاحكة الباكية، ولا نسج على منواله أحد من معاصريه في شعره الغارق في التعبيرات المجنحة المبتكرة، والمصبوغ بصُفْرة المَسْكَنَة والاسترحام في طلب الحب، مع ادعاء الترفع والاستغناء، كأنه «صاحب القلب المسكين» الذي أبدع في وصفه الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي في بعض مقالاته القصصية الرائعة.

إن صاحب القلب المسكين الذي كان دائم الحب، دائم اليأس من الحب، لا يسلو ولا يبلغ أملاً ـ كما وصفه الرافعي ـ هو بعينه كامل الشناوي، لولا أن الرافعي كان يتحدث عن نفسه، ويصف بلواه الشخصية!..

وفي مصر تنفطر قلوب كثير من الشعراء غماً وكمداً، لما يلقونه من جحود الناس كباراً وصغاراً، فإذا مات أحد هؤلاء الشعراء انبعث اسمه عالياً مدوياً كالرعد، وأدهشت عبقريته ـ فجأة ـ كل الناس كأنهم يرون بعيونهم برقاً يلمع في سماء صافية، وعرف من لم يكن يعرف فضل هذا الراحل العظيم، فنعاه وبكاه واستمطر على جدثه السحاب!..

ولكن كامل الشناوي كان أحد القلائل الذين انتزعوا لأنفسهم شيئاً من الانصاف في حياتهم، ففرض نفسه على المجتمع فرضاً، فكان اسمه من فرط شهرته في حياته كأنه ضوء معلق في الفضاء، يتخذه الناس رمزاً لأشياء كثيرة جميلة في الحياة: الحب والشعر والسعادة والفن والمرح والصداقة والموسيقى والغناء!..

رأيته أول مرة سنة ١٩٤٣ في مكتب أنطون الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام.. وكانت هناك مطربة لبنانية جديدة انفجرت شهرتها حينذاك كالقنبلة، ورشحها بعضهم خليفة لأم كلثوم!..

فلما نهضت الفتاة تغني، راعني صوتها بسعة مساحته واكتماله جواباً وقراراً، ولم يشغلني من أمرها إلا هذه المقاييس الفنية، فلم يكن في الأمر ما يدعو الى أكثر من ذلك.. ورأيت الباشا ـ وكان نبيلاً رقيقاً ـ يصغي إليها بحنو أبوي، أما كامل الشناوي فكان يرتجف سعادة، ويبكي طرباً فلما فرغت الفتاة من غنائها، وقف فألقى بين يديها خطبة مرتجلة بليغة، يثني فيها على غنائها وعلى شخصها أحر الثناء، وتهدج صوته تأثراً، وبرقت أساريره، ولمعت عيناه!..

هذا الشاعر المتأجج العاطفة، القريب الدمع، كان قادراً عند الضرورة أن ينسى

وينتقل بقلبه إلى إلهام جديد ! .. وهو بين هذا وذاك منهمك في «المقامرة» بحياته ، وبما في يده ، بلا احتراس ولا مبالاة ولا شفقة على نفسه ! ..

كذلك كانت صورته في حياته ، فكان محور الأحاديث الدائمة في الأندية ، والأسمار الطريفة في الصحف .. حتى انطفأت ذات يوم من أواخر سنة ١٩٦٥ أضواء الساحة الكبيرة التي كان يلعب فيها كامل الشناوي أمام عيون الحشود الحاشدة ! ..

والآن .. بعد عشرين عاماً من رحيله ، فإن هذا الشاعر الذي بلغ في عصره منزلة الضوء المعلق والرمز المجرد من الكيان المادي ، لاتجد له أثراً إلا في ديوان صغير الحجم سماه ناشره «لاتكذبي» تمسحاً بالأغنية المشهورة ، ثم نشرته إحدى دور النشر باسم «ديوان كامل الشناوي» دون أن تضيف إليه شيئاً ذا بال ، مع أن له شعراً غير قليل متناثراً في صحف قديمة ، ولم ينشر في ديوانيه هذين ..

لقد عاش كامل الشناوي حياة ثرية لامعة وإن أثقلته المشكلات والأوجاع البدنية والنفسية ، ولم يكد يفارق الدنيا حتى خمد صليل السيوف من حوله ، كأنما كانت حياته حرباً طاحنة ثم وضعت أوزارها ، وأمسى أصدقاؤه يتساءلون عن آثاره .. أين هي ؟! .. فكأنهم يتساءلون عن آثار شاعر مغمور أو منكور لم يعرفه ملايين الناس يوماً ، ولا ترنم بشعره أم كلثوم وعبد الوهاب وعبدالحليم حافظ ونور الهدى ونجاة وفريد الأطرش وغيرهم ..

كان كامل الشناوي في حياته يملأ الإذاعة المصرية بصوته المتميز العميق ، ويتألق بقبحه الجميل على «الشاشة الصغيرة» .. ولو شاء لتألق أيضاً على الشاشة الكبيرة .. ناهيك بالألق الخاطف للأبصار في الصحف وفي الأندية وفي قمة مجالس الترف وذروة الهرم الاجتماعي ! ..

والآن يقال : هذا شاعر تخطاه الزمن شعراً وفكراً .. كان في الشعر آخر الرومانسيين على الطريقة العربية العباسية ، آخذاً بلمحات من رومانسية القرن التاسع عشر الأوربية ورومانسية مصر في الثلاثينيات من القرن العشرين ! .. وقد أراد أن يجدد على طريقة شعراء التفعيلة حين ارتفعت راياتهم قبل عشرين عاماً ، فتنازل عن البحور والقوافي تنازلاً صورياً لكي يدخل في زمرة هؤلاء المجددين ، بغير تجديد على غرارهم ! ..

ولكن أحداً لم ينكر خلال حياة هذا الشاعر أنه استطاع بحيويته الجذابة أن يجعل أشعاره وخواطره وسوانحه وأشتات أفكاره ، تملأ «عموم» الآفاق المصرية والعربية ، وبخاصة القاهرة .. وصار تذوق الشعر مطلباً من مطالب عامة الناس في أيامه ، وكان من قبل مطلباً للخاصة من المثقفين .. ولو لم يكن لكامل الشناوي في شعره إلا هذه المأثرة لرجح بها ميزانه ، فكيف وله معها مأثرة الصدق في التعبير عن عصره ومجتمعه ومرحلته الاجتماعية والسياسية والفكرية التي كان يتحرك على اتساع أجوائها وملابساتها المعقدة المتباينة .. ولهذا استمع إلى شعره ملايين الناس وتعلقوا بقائله الذي انشدهم فأطربهم ، وبكى بين أيديهم ، ورقص تحت أنظارهم ، وأقام لهم من هذا الشعر مبنى تغمره الأضواء ، يختلط فيه فن المسرح بفن الرقص .. بفن السيرك ! ..

ومع هذا يمكن أن يقال — مع الأسف — إن كامل الشناوي الذي كان شديد التألق في حياته ، أمسى وقد طويت صفحته ، وجفت أقلامه ، على غير ما جرت به عادة مواطنينا الكرام من السخاء في التنويه بأمثاله بعد موتهم ، والمباهاة بأسمائهم وأعمالهم ..

لم يتبق منه إلا الذكريات ..

في بيته بجاردن سيتي بالقاهرة — وكان حياً جميلاً هادئاً في الماضي — جلست إليه قبل رحيله عن الدنيا بأشهر قلائل ..

كان قد غادر المستشفى متماثلاً للشفاء بعد إحدى نكساته الصحية الخطيرة الكثيرة .. ولم يبق من جسده الضخم إلا آثار البدانة التي أذابها الداء ، فبدأ كأنه أخ شقيق للمهاتما غاندي ، أشهر المهازيل في العالم قديماً وحديثاً ..

وكان في تلك الأيام الأخيرة من حياته قد استقرت نفسه ، كأنها طابت ورضيت ووجدت برد الرضى وراحته بعد طول حل وترحال مع العذاب ..

وانفضت من حول الشاعر المريض أساطير الرواة الذين صوروه كأنه كازانوفاودون جوان وعمر بن أبي ربيعة وأبو نواس والخيام وبقية العشاق والفتاك من أرباب السيف وأرباب القلم الذين امتلأت كتب الشرق والغرب بأقاصيصهم ..

ولم يبق له من ماضيه في الحب إلا العقابيل التي لا يستطيع محوها ، والذكريات .. يستدفىء على نارها الهادئة .. والاستمتاع الوجداني المحض الذي تعنيه مشاهد ملامح جميلة على «شاشة التليفزيون» القائم قرب «الكنبة» التي تربع فوقها هانئاً بفنجانة القهوة «السادة» مع السيجارة ، مع أن أوامر الأطباء حرمت عليه السيجارة والقهوة ! ..

وتمزقت الصلات بينه وبين مرح الحياة ، إلا بالفكر والتأمل والخيال والكون .. والنهاية الحتمية ، وقبض الريح ..

فإذا أبعد عن ناظريه بعض الوقت هذا المشهد الذي يزيده المرض رهبة في نفسه ، جلس مع أحد الناس كأنه يحتمي به ، ويستشفي من داء بداء ، على حد تعبير المتنبي ! ..

وقد تمر بخاطره هذه أو تلك ممن حكم عليه الزمن بالسلو عنهن وتحطيم صورتهن القديمة ، فيتذكر قوله في قصيدته «الخطايا» :

حَطَّمَتْنِي مثلما حطمتُهَا
فهي مني وأنا منها شظايا

وهو قول ينطبق على دنياه كلها لا على حبائبه اللاتي نفض منهن عواطفه وقنع من رحلته معهن بالإياب بعد العذاب ! ..

ولعله الآن ، وقد تحرر من هذه المشاهد كلها إلى الأبد ، يطل على قصته «الجديدة» التي تدور وراء قفص إحدى محاكم القاهرة ، ساخراً مما يدور ، غير عابىء بأن يعود الناس فيتذكروه ، لأنه لم يكن يخشى طوال حياته أن ينساه الناس ويستغنوا عنه بعد موته ، فالنسيان غاية كل حي ، وسيشبع الأحياء والموتى نسياناً ، بعضهم لبعض ! ..

وحتى القلائل من الشعراء الذين يضج الناس بذكرهم بعد موتهم ، لايلبث نسيان الأحياء لهم أن يهيل عليهم ترابه ! ..

غير أن كامل الشناوى عاد فجأة بطريقة تشبه السحر ، وتردد اسمه فى الصحف من جديد .. وصار «قضية» معروضة على المحاكم ، وكان قد فارق الدنيا وقضاياه فى الشعر والحب معلقة بدون حكم ، مع كثرة أوراقها وتضخم ملفاتها ! ..

ولكن حَسْبه أنه نفض يديه من كل شىء .. وبقى بعده شعره الذى يقول :

أين يأسي ؟ .. لقد مضى
ومضت مثله المنى
كل ماكان .. لم يكن
وأنا لم أعد أنا ..

وقصيدة «النسيان» التى مطلعها :

آه من دورة الزمان دهتني
ورمتني فى غمرة النسيان

والشاعر يقهر النسيان بورقة واحدة من شعره ، مابقيت أمته تتكلم اللغة التى نظم بها شعره ، ولكن ماذا يصنع الشاعر إذا نسيت أمته لغتها؟ ! .. هذه قضية كل شاعر عربى ! ..

قضية عنصرية مثيرة تشتعل في الكيان الصهيوني

قضية عنصرية طريفة، تتفاعل حاليا في الكيان الصهيوني، هي قضية اليهود السود أو جماعة «العبرانيين السود»، التى تكشف عن الوجه العنصري القبيح لاسرائيل، فقد قامت السلطات الاسرائيلية في نيسان (أبريل) الماضى، باعتقال ٤٦ شخصاً من أبناء هذه الطائفة الصغيرة، وهددت بترحيلهم الى الولايات المتحدة التي قدموا منها، فيما هدد زعيم الطائفة «بن عمي كارتر» أو «بن عمي يسرائيل»، بالرد بعنف على محاولة ترحيل أبناء طائفته «والنضال حتى النهاية».

بقلم: عصام شريح

لكن من هم هؤلاء اليهود السود أو العبرانيون السود؟؟

كانت المرة الأولى التي اهتم فيها العالم الخارجي بقضية اليهود السود، في عام ١٩٧٢، حين إتهم زنوج اميركيون يطلقون على أنفسهم، اسم اليهود السود، اسرائيل بأنها دولة عنصرية، تماما كدولة جنوب افريقيا العنصرية، فقد عقد تسعة من قادة الطائفة، مؤتمراً صحفياً في القطاع الغربي من مدينة القدس المحتلة، قالوا فيه ان المسؤولين الاسرائيليين ودوائر الحاخامية، رفضت إعطاءهم حقوقا مساوية للاسرائيليين سواء في مجال العمل أو في مجالي الخدمات التعليمية والسكن، وذلك بسبب كونهم غير يهود. وقد أعلن زعيم الجماعة «بن عمي يسرائيل»، ان السلطات الاسرائيلية، تمارس «عنصرية منهجية» ضد اليهود السود، وقال ان حوالي ألف زنجى وصلوا الى «اسرائيل» في عام ١٩٦٩، لكنهم قوبلوا بعنصرية الاسرائيليين التي باتت لاتحتمل، ومضى قائلاً: «إنهم يعطون شعبنا بيوتاً هي عبارة عن ملاجىء ضد القنابل، كما أن خمسين بالمئة من أطفالنا، لايُسمح لهم بدخول المدارس، إضافة الى أن السلطات لاتقدم لنا أعمالاً أو وظائف.» واشار بن عمي يسرائيل (أو كارتر)، الى أن طائفة العبرانيين السود، قررت اتخاذ خطوات في المجال الصحفي، كما انها تدرس فكرة تقديم التماسات الى الأمم المتحدة.»

وقد نشرت صحيفة «عال همشمار» مؤخراً، مقالاً عن هذه الطائفة، يُعرِّف بها ويتحدث عن تعاليمها وأفكارها، وأوضاعها القانونية والمعيشية، وموقف الحكومة والرأي العام الاسرائيلي منها.

وجاء في ذلك المقال، أن أفراد هذه الطائفة يعيشون في جنوب فلسطين المحتلة، في «ديمونا، متسبيه ريشون، عراد ويروحام»، ويبلغ عددهم حوالى ألفي نسمة، جميعهم بالطبع من السود، وقد هاجروا من الولايات المتحدة الاميركية الى «اسرائيل»، في ثلاث موجات، ابتداءً من عام ١٩٦٩، وقد نشأت هذه الطائفة في الستينيات في الولايات المتحدة، اثناء ازدهار موجة البحث عن الجذور، وهي الموجة التي اجتاحت الزنوج الأميركيين في تلك الفترة، وكانت رسالة زعيمهم «بن عمي كارتر» لأتباعه بسيطة وموجزة: أنتم أبناء اسرائيل الحقيقيون، ومكانكم في أرض اسرائيل».

ويعيش أُفراد هذه الطائفة، على حوافي المدن والقرى الأربع المذكوره آنفاً، في أكواخ بائسة من التنك، ويعملون في «الخدمات السوداء» المنهكة ذات الأجر البخس، وهم معزولون اجتماعيا عن جيرانهم البيض، وغالباً ماتتسبب الخلافات الناشئة بين الطرفين في اندلاع مشاجرات تستدعي تدخل الشرطة لفضها، يضاف الى ذلك أن «العبرانيين السود»، لا يأكلون سوى الأطعمة النباتية، ويتمسكون بمعتقدات تسمح بتعدد الزوجات، ونساؤهم يضعن أطفالهن بالوسائل الطبيعية، في حين يقف حِبْر الطائفة بالباب، يرتّل أجزاء من التوراة، لكن هؤلاء الأطفال لايسمح لهم فيما بعد، بالالتحاق بالمدارس العامة، على الرغم من كونهم من مواليد «اسرائيل».



دافيد غلاس

■ «اليهود السود» لايعترفون بإسرائيل ولابوجود يهود غيرهم في هذا العالم!



بن عمى يسرائيل زعيم طائفة اليهود السود

وتتهم وزارة الداخلية الاسرائيلية اليهود السود ، بالتكتم على المواليد الجدد داخل الطائفة ، وبدفن موتاهم سرا خلال الليل ، وتقول إنهم يرفضون شغل الوظائف ، ويفضلون العيش من ريع الأشغال اليدوية ، كما انهم متقوقعون تماماً على أنفسهم ، وقد أقاموا «دولة داخل الدولة» ، وهم يتجاهلون القوانين الاسرائيلية تماما .

أما بالنسبة للحاخامية ، فإن سلطاتها رفضت منذ البداية ، الاعتراف ب «الزنوج العبريين» كيهود ، تماما مثلما رفضت السلطات المدنية ، منحهم الجنسية الاسرائيلية ، وهم موجودون في الكيان الصهيونى حاليا ، بدون مستندات إقامة شرعية ، بعد أن دخلوا عبر مطار اللد ، بتأشيرات دخول سياحية أصبحت منتهية منذ اكثر من سبعة عشر عاما ، ولم تُبْدِ السلطات الاسرائيلية ، إشارة تذكر على تغيير موقفها ، وقال متحدث باسم وزارة الداخلية : «لايمكن لأشخاص بخلاف الاسرائيليين ، البقاء في اسرائيل الى أجل غير محدّد ، فهذه سياستنا ، ونعتزم تنفيذها» .

دعوة للابادة ! !

ان أعجب مافي قضية اليهود السود ، هو الوجه العنصري للصهيونية ، حيث قامت الحركة الصهيونية على أساس فكرة جمع اليهود فى «فلسطين الكبرى أو اسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات الى النيل» ، باعتبار أن ذلك يمثل الحلّ السليم والوحيد لما كان يسمى في أوروبا «المسألة اليهودية» ، وقد أقيم الكيان الصهيوني بالعنف والارهاب في فلسطين المغتصبة ، لكي يكون هذا الكيان ، المكان الذي يجتمع فيه «يهود الشتات» من كل لون وأرض ، لانهاء أسطورة اليهودي التائه والمشرد والمضطهد كما تزعم الصهيونية ، لكن .. هاهم اليهود البيض يضطهدون اليهود السود في الكيان الصهيونى نفسه ، والزنوج العبرانيون ليسوا الوحيدين الذين يلقون هذا الاضطهاد والتمييز العنصري ، بسبب لونهم وأصلهم العرقي ، فهناك أيضا اضطهاد اليهود الغربيين (الأشكناز) لليهود الشرقيين (السفارديم أو يهود البلاد العربية) .

ولعل من غرائب ماتطرح الصهيونية من حلول لقضية اليهود السود ، حلّ الابادة الجماعية ، وهو الحل نفسه الذي استغلته الصهيونية ، لاثارة الرأي العام الغربي ، من أجل دعم إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية ، ولعل الأمر الأكثر غرابة في هذا الحل ، وروده على لسان لجنة صهيونية خاصة ، تشكلت من أجل دراسة أنجع الحلول الممكنة لهذه القضية ، خاصة بعد ابعاد ثمانية من قادة اليهود السود الى الولايات المتحدة ، في أعقاب رفض المحكمة العليا الاسرائيلية الاعتراف بيهودية هؤلاء اليهود ! !

وكان أبرز الداعين لحل الابادة الجماعية ، رئيس اللجنة الخاصة نفسه «دافيد غلاس» ، في ٤ آب (أغسطس) ١٩٧٨ ، انتهت اللجنة من وضع توصياتها ، ورفعتها الى وزارة الداخلية ، وقد جاءت هذه التوصيات ضمن تقرير شامل استند في مادته الى لقاءات مع عينات وأوساط يهودية مختلفة من البيض والسود واليهود الشرقيين (السمر) ، وأرفقت بالتقرير ملاحق كان الجزء الاكبر منها سرياً ، وبين الامور التي كشف التقرير عنها ، ان جماعة اليهود السود تحكمها مجموعة من القادة أبرزهم «بن عمي يسرائيل» ، وان المجموعة تشكل في مستوطناتها الاربع المتجاورة بصحراء النقب ، مجتمعاً متماسكاً ومتميزاً .

بداية القصة

يقول التقرير : ان مسألة يهودية العبرانيين السود ، مسألة مهمة جداً «لقضية اسرائيل» ، لأن أبناء هذه الجماعة طلبوا من «اسرائيل» الاعتراف بهم كيهود بكل معنى الكلمة ، وتطبيق أحكام «قانون العودة» عليهم ، وكل ماسيتبع ذلك بالنسبة لاقامتهم في «إسرائيل» . ومضى التقرير قائلاً : انه فى نهاية عام ١٩٧٢ ، تقدمت مجموعة مؤلفة من ثمانية عبرانيين سود ، صدر بحقهم قرار طرد ، بشكوى الى المحكمة العليا ، طالبوا فيها بمنحهم تصاريح مهاجرين الى «اسرائيل» ، طبقاً «لقانون العودة» . ويحدد ذلك القانون ،

قضية عنصرية مثيرة تشتعل في الكيان الصهيوني

خاصة في أعقاب التعديل الذي أدخل عليه في عام ١٩٧٠ ، يحدد اليهودي الذي يحق له الاستفادة من ذلك القانون ، بالقول إنه مَنْ وُلد لأمّ يهودية ، أو الذي تهوّد ولم يعد يتبع سوى الديانة اليهودية .

ومع ذلك ، فقد رفضت المحكمة العليا الاعتراف بيهودية أبناء تلك المجموعة ، وقد ورد في قرار المحكمة وبصورة قاطعة ، أن المستأنفين لقرار الابعاد ، لاتتوافر لديهم الشروط المطلوبة ، وهي أن تكون أمهم يهودية ، أو تهودوا في وقت سابق ، وأكثر من ذلك فإن التقرير أشار الى الشكوك التي تنتاب أعضاء اللجنة حول يهودية اليهود السود ، وقد جاء قرار المحكمة العليا ، نسخة طبق الأصل عن تقرير اللجنة الخاصة ، حيث أشار الى أن المحكمة لاتعترف بيهودية هؤلاء ، لافتقارهم الى مايسند دعواهم بأنهم يهود .

البحث عن اليهودية

ونعود الى تقرير اللجنة ، فقد قال التقرير في وصف حالة هؤلاء ، إن الأرضية التي أوجدت العبرانيين السود ، هي أزمة الهوية والبحث عن طريق بين الشريحة الملوّنة في الولايات المتحدة الاميركية ، وهو البحث الذي تزايد في نهاية القرن العشرين ، فعلى ضوء أوضاعهم الاقتصادية السيئة ، وانخفاض مستواهم الاجتماعي والثقافي ، ثم التمييز العنصري الذي عانوا منه ، أخذ الجزء الأكبر منهم ، يبحث عن ملجأ بين الجماعات الطائفية على اختلافها .

وأضاف التقرير : ان العبرانيين السود ، يَدَّعون أنهم اليهود الحقيقيون وهم يتبعون الأسباط العبرانية القديمة المنقرضة ، كما انهم يمثلون آخر يهود العالم ، منذ أن تاهوا في أفريقيا الغربية ، حيث اختطفوا وبيعوا هناك في سوق العبيد ، للاميركيين البيض ، وهم يقولون إن اليهود الحاليين ليسوا من أبناء الأسباط اليهودية القديمة ، وإنما خليط من شعوب أوروبية مختلفة .

قيادة الجماعة

تخضع جماعة اليهود لادارة مؤلفة من ١٢ أميراً أى بعدد الأسباط اليهودية التي ورد ذكرها في التوراة ، لكن قيادتهم الحالية لاتضم سوى عشرة من القادة ، رئيسهم « بن عمي يسرائيل » بيْد أن تقرير اللجنة الخاصة ، يشير الى أن الانطباع الأولي الذي قد يفهمه الآخرون خارج إطار الجماعة ، هو أن هذه الطائفة ، انما يديرها مجلس الامراء ، وهو استنتاج خاطىء ، إذ أن بن عمي يسرائيل هو القائد الحقيقي والوحيد ، حيث يفرض على الجماعة مايريد ، وبقرار منه ، يتم تنفيذ كل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً ، وقد تأكدت اللجنة من ذلك خلال وجودها في مستوطنتيْ متسبيه ريشون وعراد ، وكذلك خلال اجتماعات عقدتها مع قادة الجماعة في ديمونا والقدس ، ويشير التقرير الى أن اليهود السود يطيعون قادتهم طاعة عمياء ، وعندما تنشب خلافات في الرأي ، تُرفع المسألة الى محكمة داخلية ، ولا ترفع الى المحاكم الاسرائيلية بأي شكل من الأشكال ، وذلك من أجل تفويت الفرصة على السلطات الاسرائيلية ، لاتخاذ أي إجراء يستهدف إبعاد أبناء الطائفة من « اسرائيل » بذريعة هذه الخلافات .

الظروف المعيشية

يقول التقرير أيضا : إنه بسبب حالة الجماعة الخاصة ، وتزايد عدد أفرادها ، بسبب التكاثر الطبيعي ، الناجم أصلاً عن قدوم مئات النساء اللواتي وصلن الى « اسرائيل » بطرق غير شرعية خلال السنوات الاخيرة من العقد الماضي (اواخر السبعينيات) ، فان اليهود السود يعيشون حالة سكن خانقة ، ويقيم أكثر من عشرين نسمة في شقق لاتزيد مساحة الواحدة منها ، عن ٦٤ متراً مربعاً ، وأحيانا في بيوت أصغر حجماً من ذلك ، (٤٢ متراً مربعاً) ، وتلك الظروف الحياتية القاسية ، لاشبيه لها في « اسرائيل » ولا في الولايات المتحدة ، وفي رأي اللجنة الخاصة فإن تلك الظروف الحياتية القاسية ، تعتبر العامل الأول الذي أدى الى الاحتكاكات اليومية بين أفراد طائفة العبريين السود وجيرانهم من اليهود البيض ، ومع أن اللجنة تقول في تقريرها إنها تحمل الحكومة الاسرائيلية ، المسؤولية عن المشاكل التي رافقت وجود تلك الجماعة في « اسرائيل » ، الا أنها تشير أيضا الى أن أبناء طائفة الزنوج العبريين مايزالون يعتقدون بأنهم أسياد « اسرائيل » الحقيقيون ، ولذلك فإن أجهزة الأمن مضطرة لفرض رقابة مشددة عليهم وبصورة دائمة ، وذلك خوفاً من « اتصالهم بجهات معادية للدولة ! » .

حملة اعلامية

وبعد أن سدّت السلطات الاسرائيلية أبواب الرزق في وجوه اليهود العبرانيين ، وحاصرتهم في أماكن سكنهم ، امتلأ هؤلاء كراهية وعداء لمحيطهم اليهودي ، واثر ذلك قام قادتهم ، وعلى رأسهم بن عمي يسرائيل وَشليح بن يهودا ، بحملة اعلامية ضد « اسرائيل » ومؤسساتها ، ويشير تقرير اللجنة الخاصة الى أن هذه الحملة تصاعدت مؤخرا ، بسبب تفاقم المشاكل المعيشية والمعاناة الحياتية اليومية ، وكانت تلك الدعاية متعددة الأوجه ، خاصة عبر وسائل الاعلام الاميركية ، وعبر التوجه الى شخصيات دولية معروفة بدفاعها عن الحقوق الإنسانية . ومن الأمثلة البارزة على حملة الدعاية التي شنها قادة اليهود السود تلك الرسالة التي بعث بها « شليح بن يهودا » ــ الزعيم رقم ٢ في المجموعة ، في عام ١٩٧٨ ، الى الرئيس الاوغندي الأسبق « عيدي أمين » ، حيث جاء في تلك الرسالة : « إن الخرق الحقيقي لحقوق الانسان في العالم ، ليس قائماً سوى على يد السلطات الاسرائيلية ضد اليهود السود » وقد اختتم بن يهودا رسالته تلك بقوله : « متى ستنتهي الأعمال الوحشية ضد العبرانيين

■ لجنة إسرائيلية خاصة توصي باعتماد حل الإبادة الجماعية لليهود الزنوج



اليهود السود في مستوطنة ديمونا

السود ؟ » .

لكن .. ماذا قالت اللجنة الخاصة في توصياتها بالنسبة للحل الممكن لقضية اليهود السود ؟

جاء في تقرير اللجنة بهذا الصدد ، أن الخطأ الاكبر ، انما وقع لأن الكنيست لم يتخذ أي إجراء لاغلاق الطريق أمام هؤلاء الناس ، واقتلاع جذورهم من الأساس ، ومنذ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، عندما دخلت أول مجموعة من العبرانيين السود الى « اسرائيل » . اما الخيارات الحالية ، كما تراها اللجنة فهي ثلاثة : التعايش مع الوضع الراهن ـ طردهم من « اسرائيل » ـ أو ابقاؤهم ومحاولة دمجهم ضمن أضيق الأطر ـ اي اسقاط صفة المهاجرين غير الشرعيين عنهم ، حتى يتمكنوا من العيش بصفة شرعية ، لكن هذا الحل الاخير ، لايجوز ان يعني كما تقول اللجنة في تقريرها ، استيعاب اليهود السود ضمن تجمعات سكانية يهودية (بيضاء) ، بل يعني اقامة مستوطنة خاصة لهم بجنوب فلسطين المحتلة (بصحراء النقب) ، لايحتكون فيها مع محيطهم اليهودي ، وعلى ان يعتاشوا من اعمال خاصة بهم . إلا أن اللجنة أوصت مع ذلك ، بالحذر الشديد في حال اعتماد هذا الحل ، وطالبت بضرورة وضع حدّ لتزايد أعداد الطائفة ، عن طريق تعهد قادة الطائفة بعدم ضمّ أشخاص جدد الى جماعتهم .

ونواب يطالبون بابعادهم

في الواقع لم تكن اللجنة الخاصة بقضية اليهود السود ، التي شكلها وزير الداخلية الأسبق يوسف بورغ الوحيدة بأعضائها ، التي طالبت بتطبيق هذه الحلول المأساوية ضد طائفة اليهود العبرانيين ، وانما هناك رسميون آخرون ، رفعوا أصواتهم كذلك منادين بابعاد أفراد هذه الطائفة جميعا عن مجتمعهم « اليهودي الابيض » ، وكان بين هؤلاء النائب في الكنيست « دوف شيلانسكي » الذي اطلق نعوتاً مهينة ضد اليهود السود ، واعلن عن رفضه للوسائل السلمية المقترحة لانهاء قضيتهم .

وفي رأي شيلانسكي هذا ، ان « اسرائيل » بسكوتها على بقاء اليهود السود ضمن « المجتمع الاسرائيلي » ، انما تعمل على تنمية وخلق منظمة تحرير فلسطينية جديدة !! .. حيث ان اليهود السود هم في واقع الحال برأيه ، أعداء من الدرجة الأولى لاسرائيل .

ويقول شيلانسكي ، ان هذه الجماعة ، تدعي انها هي الطائفة اليهودية الحقيقية ، وان الاسرائيليين او اليهود خارج « اسرائيل » ، انما هم يهود مزيفون ، وانهم بالتالي جاؤوا الى « أرض الميعاد » وسرقوا الأرض منهم (أي من اليهود السود) .. ومن الطريف أن شيسلانسكي يشير الى أن هذه الجماعة ، تبث في دعاياتها في الولايات المتحدة شعارات ضد الاسرائيليين ، مثل « انها لخسارة فادحة ، لأن هتلر لم يكمل تنفيذ المهمة ـ اي إبادة اليهود بشكل جماعي » . وفي رأي شيلانسكي ايضا ، أن تعداد طائفة اليهود السود هذه في « اسرائيل » ، يصل الى حوالي خمسة آلاف نسمة ، وليس ألفيْن فقط كما تقول المصادر الاسرائيلية الرسمية ، ويضيف ان أبناء هذه الطائفة يخططون منذ الآن ، لاقامة قاعدة تصلح لانشاء ادارة ذاتية خاصة بهم ، مثل اقامة جهاز قضائي خاص .

ويحذر شيلانسكي كذلك من الخطر الخارجي الذي يمثله اليهود السود بالنسبة لاسرائيل ، حيث يعمل هؤلاء على مستوى دولي ـ على حدّ تعبيره ـ ولهم مراكز خارج الولايات المتحدة ، مثل غانا وليبيريا ، ويدعو شيلانسكى الى مايسميه بالشجاعة المستمدة من الشارع العريض في اسرائيل ، واللجوء الى حل جذري لمشكلة هؤلاء ، ويتلخص هذا الحل ، في وضع اليهود العبرانيين فوق سفينة ، واعادتهم الى الولايات المتحدة وطنهم الاصلي ، وعدم الاكتفاء بطردهم على دفعات ، كما هو الحال في الوقت الراهن ، حيث يجري طرد عشرين شخصاً أو أكثر كل عام .

ويحذر شيلانسكي أيضا من أن اليهود السود ، يشكلون كارثة تنتظر « إسرائيل » في المستقبل ، اذا لم تُحل قضيتهم بابعادهم وطردهم نهائيا ، ويقول انه مالم تبادر « اسرائيل » الى اتخاذ هذا الحل « فسوف يشتمنا اولادنا واحفادنا ، عندما يضطرون لحمل السلاح وتوجيهه ضد السلاح الذي سيحمله هؤلاء العبرانيون السود » .

الموقف العربي الضائع

ازاء قضية اليهود السود المشتعلة في الكيان الصهيوني هذه الأيام ، يبقى أن نسأل عن الموقف العربي ازاء هذه القضية ؟ ونحن نبحث عنه بكل الوسائل البصرية والسمعية المتاحة بما فيها « النواظير المكبرة » .. فلا نجده مع الاسف ..

فهذه القضية ، هي خير برهان على الروح والممارسات العنصرية « لاسرائيل » والصهيونية ، وهي قضية يجب ان تدخل مادة اساسية في الاعلام العربي ضد الكيان الصهيوني ، خاصة لدى الأفارقة ودول العالم الثالث ، وضمن دعاية وحملات اعلامية مركزة موجهة الى اليهود الشرقيين في هذا الكيان ، والذين يواجهون نفس الممارسات العنصرية ، بل ماهو أعتى منها ... هذا فضلاً عن أن المخاوف الاسرائيلية ، وعلامات الشك والحذر الواردة في تقرير اللجنة الخاصة باليهود السود ، هي اشارات واضحة ، على ان العنصريين الصهاينة ، أصبحوا قلقين من احتمال انقلاب اليهود السود ، الى بؤرة معادية للكيان الصهيوني ، ويحتمل ان ينهض اليهود السود لحمل السلاح والقتال ضد اليهود العنصريين الى جانب العرب ، اذا انقلبت الأوضاع ، وغلبت كفة العرب في أية حرب قادمة . لكن السؤال الذي يبقى أمام ذاكرة المواطن العربي ويطرق أبوابها بعنف ، هو لماذا لايستغل العرب هذا الشرخ الجديد في الكيان الصهيوني ، سواء على صعيد تركيبة هذا الكيان الفسيْفسائيّة الهشّة ، أوعلى صعيد الاعلام الخارجي ؟

عصام شريح

النشوة في نوفمبر



قصة جديدة بقلم الكاتب الكبير

نجيب محفوظ

لدى خروجه من مملكة النوم الغامضة تلقى وحدته . أمس والآن وربما غداً. بللورة الوعي المتثائب . وطاف حنينه بأجواء غريبة حبيبة ، الولد في بلجيكا والبنت في سنغافورة ورفيقة العمر تحت الثرى . لكنه يستقبل الصباح الباكر بارتياح وبشر. نوفمبر ذو برودة حانية . يغادر الفراش ، يتناول الروب من فوق المشجب ويلتف به ، ثم يذهب إلى حجرة السفرة ليجد الشاي والجبن والشهد والتوست المحمص في انتظاره على أحسن صورة.

عبده عجوز نشيط رغم طعونه في السن . وهو سعيد حقاً بالجبن والعسل . الجبن الدمياطي الأبيض والعسل البائح بشذا البرتقال . يحب منظر ابريق الشاي الفضي وأوعية اللبن والسكر والأطباق الصغيرة المزخرفة . ويركب طاقم أسنانه ويقبل على الإفطار بشهية . لم يعد يضيق بالوحدة كما تعود على الحياة بعد السبعين . صحة لا بأس بها ، بوسعها أن تهنأ بالهدية إذا جادت بها السماء على غير انتظار. هدية جميلة حقاً قلبت موازين الزمن . وشحنت الدقائق والساعات بالوعود المسكرة. وعندما ارتدى ملابسه بدا في بدلته الصوفية نحيلاً طويلاً ، أبيض الرأس والشارب ، خفيف التجاعيد . ووجد الشارع أمام العمارة مغسولاً متألقاً ، ترى هل أمطرت بعذوبة في الليل ؟ وانبسطت السماء بين هامات العمائر تسبح فيها السحب البيضاء في زرقة عميقة صافية . انشرح صدره وتحفز للهو رغم موعد الطبيب المضروب . وطبيبه أيضاً على المعاش ويستقبل مرضاه خلال ساعتين أو ثلاث في نصف النهار الأول . وبسبب من بعض الأمراض المزمنة ــ القلب مثلاً ــ تنشأ صداقة بين المريض والطبيب على مدى الزمن . تصافحا ، جلس أمام مكتبه الحافل بالمراجع وقوارير العينات حتى تساءل الطبيب :

ــ خير؟

ــ وجبت الزيارة بعد غياب أشهر..

وخلع جاكتته ومضى إلى الفراش وراء البرافان ، ففك حزام البنطلون ، واستلقى على ظهره . وفحصه الرجل بعناية مستعيناً بأصابعه المدربة ومقياس القلب والضغط. وفي أثناء ذلك جعل يعلق على الأحداث السياسية المثيرة ، فضحك الرجل الراقد وتساءل :

ــ حتى متى يحل لأمثالنا الكلام في السياسة ؟

فأجابه الطبيب وهو لا يكف عن الفحص :

ــ حتى تختل الذاكرة فتعفينا من قرفها ، كيف حال ذاكرتك ؟

ــ نحمده ، ولكنها فقدت مزايا لا يستهان بها .

ــ على فكرة ، الدواء الذي تواظب عليه ينفع أيضاً للذاكرة. وارتدى ملابسه وعاد إلى مجلسه الأول أمام المكتب وأخرج من جيب الجاكتة الصغير مشطاً فسوى به شعره الأبيض الذي تشعث . وقال الطبيب :





النشوة في نوفمبر

ــ بصفة عامة الحالة طيبة لا تغيير في الدواء ولا إضافة، وعليك بتجنب الانفعال..

ــ نصيحة ثمينة ومستحيلة

ــ لا أعني الانفعال وحده!

ــ أفندم؟

ابتسم الطبيب ابتسامة ذات مغزى وقال:

ــ أنت تزعم أنك ما زلت قادراً على الحب؟

ــ ولكني عجوز أرمل!

ــ عظيم واظب على ذلك..

فهز رأسه موافقاً أو متظاهراً بذلك فقال الطبيب ضاحكاً:

ــ صحتك أحسن من صحتي

غادر العيادة مطمئناً. وقال لنفسه إن نشوة رقيقة خير من حياة عامين بلا نشوة. وابتسم داخله. أحمق أم حكيم؟. رب أحمق حكيم ورب حكيم أحمق. من يرفض هدية سقطت من السماء سهواً؟ وحام خياله وهو في السيارة حول التجربة الجديدة. تلك الجارة المحترمة. في الأربعين أو جاوزتها بقليل، غاية في النضج والجاذبية. كيف ولماذا أثار اهتمامها؟ لن يجد عند المنطق جواباً ولكنه اهتمام مذهل فلم يستطع أن يقاومه. يقاومه؟ هوى من حصنه دون أدنى مقاومة. وهبته نشوة فاقت جميع انتصارات الحياة. ذاق انتصارات المناصب والثراء والزواج الأرستقراطي الموفق والبنوة الفريدة، هذا الانتصار يفوق سابقيه جميعاً. ولعله لم يفقد حسن ادراكه فهو يشعر بأنه لا يحب. انه لا يحب كما أحب في الماضي البعيد. ما هو إلا تعلق بأهداب الحياة. آخر نظرة للشمس قبل الغروب. وهل نسي أنه نبذ فرصة متاحة وهو في الخمسين رافضاً أن يخون رفيقة عمره؟ ولكن الاستهانة بالفرصة الأخيرة جنون، جنون لا يغتفر. وانزلق في رعونة إلى الحلم بتبادل الاشارات خلسة.. وينتظر في قلق.. ويسعد باللقاء.. ويتغنى بالعواطف كالأيام الخالية. بل افترض أيضاً أنها امرأة ذات خطة وغرض، ومكر ودهاء، فلم يثنه ذلك عن الاندفاع، ورأى العدل كل العدل في أن يؤدي ثمن ما ينال. غير أن الأيام تمر ولا تبدي هي إلا الود، وتهب الحرارة والصدق، دون أي مقابل. فليصدق إذن، أو فليصدق وليوطن نفسه على أي نكسة. ولو أنه كاشف طبيبه نفسه بما يفعل لاقتنع، بل ولربما حسده على جميل حظه. لذلك لم يكبح تحذير الطبيب اصراره واندفاعه. وانطلق مساء اليوم نفسه إلى عشه. ونسي في رحابها هموم الحياة وهواجسها. وامتلأ فؤاده بالرضى والراحة والسرور. طيبة ورقيقة ومستجيبة ولله في خلقه شئون. يقول لها:

ــ توجد أماكن صباحية غاية في الأناقة والعزلة فتقول:

ــ الستر أوجب

فيقول متمنياً:

ــ ليتني أرجع إلى الوراء ثلاثين عاماً.

فتقول باسمة:

ــ ولكني أحبك كما أنت!

أحياناً يصدق ولا يصدق أحياناً. في فترة الجفاف تنبثق له وردة مشتعلة الأوراق. ويتوقع مفاجأة لا تريد أن تقع. ويتمادى في لهفة وراء النشوات. حتى شعر ذات صباح أنه في أشد الحاجة إلى لقاء طبيبه. لم يستطع أن يغادر فراشه وكان ذا خبرة سابقة. وجاء الطبيب وراح يفحصه بعناية وهو يقول:

ــ انقطعت عني مدة غير قصيرة.

لاذ بالصمت أو أجبر عليه. وفرغ الطبيب من فحصه فقال:

ــ أزمة بسيطة ولكن الأفضل أن تنتقل إلى المستشفى، ما رأيك؟

أجاب بصوت ضعيف:

ــ كما تشاء

ــ هناك ستجد كل ما يلزم وسوف أرتب كل شيء، وإن شاء الله تسترد صحتك في أقرب وقت..

ــ أشك في هذا..

ــ ليس الأمر بالخطورة التي تظن.

ــ بل هو خطير حقاً

ــ سوف أذكرك.

وتردد الطبيب قليلاً ثم قال باسماً:

ــ يبدو أنك لم تعمل بنصيحتي!

فقال وهو يسدل جفنيه:

ــ ولست نادماً على ذلك.

نجيب محفوظ

شجون رحلة

من الدوحة .. إلى القاهرة براً

بقلم: درويش مصطفى الفار



قافلة فى الصحراء .. لوحة للفنان الانجليزى روبرت كيلى ١٨٩٩



مسيرة الرحلة فى شبه الجزيرة العربية من الدوحة الى الدوحة

كان الفنان الكندي المعاصر، رونالد أوكي، الذي اشتهر، برسم لوحات كثيرة عن البادية والصحراء، جندياً شاباً في سلاح الطيران البريطاني إبان الحرب العالمية الثانية، وقدر له أن يعيش زمن تلك الحرب فيما بين سيناء شرقاً وتونس غرباً...

كتب لي رسالة بعد أن استقر به المقام في كندا مهاجراً من بلاد الانجليز يقول:

« إن ليالي الصحراء الهادئة، تعطي لأعصاب الإنسان زاداً من الطمأنينة، يفوق كل مايعطيه الأطباء وعلماء النفس المعالجون في هذه المدن الصاخبة في بلادنا..» وكتب الاستاذ، ر. ف. س. بودلي، مؤلف كتاب (الرسول) وكتاب (رياح الصحراء) بعد أن اعتنق الاسلام وعاش بين البدو في صحراء الجزائر القصوى يقول: « إن العيش في الصحراء يتسامى بالإنسان ويسمو بروحه، ويرزقه من الشفافية ما لا يستغرب معه أن الله جلت قدرته، قد اختار الأنبياء والمرسلين عبر التاريخ، من أبناء البوادي والصحراء..»

وكان الطيار الشاب « نسبيت » قد اضطر للهبوط بطائرته لعطل ألم بها في عرض الصحراء بين مصر وليبيا والسودان، ومكث هنالك وحيداً فريداً لعدة أيام حتى لحقت به قافلة الانقاذ، فألف كتاباً سماه « الريح والرمال والنجوم » بعد نجاته قال فيه...

« اغلقوا كل مصانع الأدوية واذهبوا بالمرضى إلى أعماق الصحراء، فهنالك الشفاء الحق للروح والبدن ».

وعلّمنا أساتذتنا الأجلاء في كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة اليوم) أن تلك القطعة من سطح الأرض فيما بين النيل غرباً، والمحيط الهندي شرقاً، كانت قبل أن يتكون أخدود البحر الأحمر، رتقاً متصلاً، من

شجون رحلة

من الدوحة .. إلى القاهرة برًا

الصخور النارية والبركانية والمتحولة ، تتخللها جددٌ بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، وتحيط بها أسورة من الصخور وحجارة رسوبية أقل عمراً ترسبت طبقاتها فيما بين حقب الحياة القديمة (٦٠٠ مليون سنة مضت) وعصر المايوسين (٢٥ مليون سنة مضت) وعلمونا كذلك ، أن معرفة الأرض وصخورها وحجارتها وتضاريسها ، لايمكن أن يستوعبها العقل والقلب من الخرائط والمصورات الفضائية والصور الجوية والكتب المؤلفة والنشرات العلمية المبثوثة ، وحدها ، وأن المشاهد الفعلية هي التي تنضج عقلية الإنسان المشتغل بعلوم الأرض ومعادنها وتاريخها ... حتى قالوا ، لأن ترى موقعاً جيولوجياً مائة مرة أفضل من أن تراه تسعاً وتسعين مرة !!!

وعلمنا أساتذتنا ومدرسونا في المدارس الابتدائية والثانوية ، أن الجزيرة العربية هي الأرض التي استطاعت ، على الرغم من كل نظريات التفسير المادي للتاريخ ، أن تحمل رسالة الحضارة ومكارم الأخلاق ، عبر الوهاد والنجود والوديان والآكام والكثبان والأغوار والأوشال والأطواد ، إلى الناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها .

وبدأت أتعرف على الصحراء ، بحكم المولد والنشأة ، في أنحاء شبه جزيرة سيناء متنقلاً مع والديَّ رحمهما الله ، فيما بين العريش شمالاً والطور جنوباً ، ونما تعلقي بتلك البيئة الطاهرة من التلوث ، مع عملي في أرجاء الصحراء المصرية شرقي النيل الخالد وغربيه ؛ وفي سيناء ، حيث تم لي بتوفيق الله وفضله ، إضافة إلى ما أعتز به من معلومات إقتصادية وأكاديمية ، لم تتيسر لأحد قبلي ... وما أن حطت بي الرحال في قطر ، حرسها الله من كل سوء ، حتى عقدت النية على عبور الصحراء العربية من الدوحة إلى القاهرة ، بطريق البر ... وكان لابد للقيام بهذه الرحلة من إعداد ...

وكانت أولى إجراءات الاعداد ، هي إقناع أفراد الأسرة بفضل تلك الرحلة ومزاياها ، وكانت الثانية : عرض السيارة على المختصين للتأكد من صلاحيتها لقطع أكثر من سبعة آلاف كيلومتر ذهاباً وعودة ...

كانت « ورشة » الشركة ، شأن غيرها في أقطار الخليج العربية كلها ، تعج بأصناف من البشر ، لايتكلمون لغة واحدة ، فلكل منهم لسان ورطانة ، ولكنهم استطاعوا أن يخترعوا لهم نوعاً من (الاسبرانتو) الهجين من العربية والانكليزية والفارسية ، والأوردية والصومالية ، وأن يولدوا مصطلحات وألفاظاً ، أراني على يقين مؤكد أن أحداً من نسل آدم وحواء ، عليهما السلام ، لم ينطق بها ، عبر التاريخ الإنساني كله ، قبل أن يأذن الله باكتشاف النفط في هذه المنطقة من العالم ... أخذ الرجل الآسيوي الأسمر يكتب ورقة (التشييك) أي الفحص ، ثم التفت إليَّ وهو يهز رأسه يمنة ويسرة وقال :

« سيارة مال إنت ، خراب واجد ، سيدا خمسة يوم تشييك مافي ينفع . لازم إثنين أسبوع كلش تمام يسير واجد زين » وانطلقت بنا السيارة في يوم الموعد فجراً من الدوحة إلى أبي سمرا ، وتمت الإجراءات الحدودية المعروفة منذ عهد « سايس » و « بيكوه » ...

وفيما بين الدوحة والحدود ، تأملت في الابل السائمة حول الطريق ، وتساءلت هل هي من نسل النوق القطريات التي اشتهرت بين العرب في الجاهلية والاسلام أم أنها من سلالات أخرى ، وهل حمل أجدادها البرود القطرية التي جاء ذكرها في أحاديث الرسول صلوات الله عليه عبر التاريخ ؟ وأين هي القرية التي كانت تسمى (قطر) وذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان ، حيث كتبت تحت كلمة (الخَط) بفتح الخاء : « ومن قراه القطيف والعقير وقطر ، ثم يضيف : « ومن الخط عيسى بن فاتك الخطى أحد بني تيم الله ابن ثعلبة وكان من الخوارج مع أبي بلال بن مرداس بن أدية » .

ودخلنا حدود المملكة العربية السعودية عند سلوى ، ننشد الهفوف بالاحساء أو منطقة هجر ذات الشهرة التاريخية في تجارة التمور حتى قال المثل « فلان يحمل التمر إلى هجر » أو « يبيع الماء في حارة السقائين » وذكرتنا المنطقة فيما بين الهفوف وعرعر بشمال سيناء بمصر ، فهي تشبهها شبهاً كبيراً لولا اختلافات في أنواع النبات البري ... ومن عرعر كان علينا أن نتجه إلى تبوك غرباً ، فما ان وصلنا إلى سكاكة ، حتى بطل سحر الهندي في ورشة السيارات بالدوحة حيث تعطلت السيارة ، ولكن الله هدانا إلى ورشة أبي عبدالرحمن .

وأبو عبدالرحمن ذاك ، بدوي أمي ، عمل في شبابه مع شركة (أرامكو) واستطاع بسليقته السليمة وذكائه الفطري ، أن يستوعب محركات السيارات ، واشتهر بذلك فأصلح لنا العطب ، وانطلقنا لانلوي على شيء . وفي مقابل دومة الجندل ، أدركنا المساء ، ونال منا التعب ، فانتحينا جانباً من الطريق ، وافترشنا بعض متاعنا على بساط من الرمل ، متخيلين أن حصان سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه قد سار فوقه ، حينما جاء من تبوك ليعاقب الأكيدر بن عبدالملك ، الذي استسلم وامتنع أخوه حسان في الحصن ، فحاصره ابن الوليد حتى أرغمه على التسليم وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة رمح ...

وتحت السماء الصافية وفي الهدوء السرمدي الذي لاتعكره إلا الناقلات الضخمة بين آن وآخر قرأنا الفاتحة مترحمين على الملك عبدالعزيز بن سعود ، فما كان لمثلنا من العزل أن يناموا مطمئنين في هذه البيداء قبل توطيده لأركان الأمن والأمان في هذه البقاع .

وبعد صلاة الفجر ، يممنا شطر تبوك ، وتذكرنا منازل عامله ولخم وجذام وبني عذرة ممن تحالفوا مع الروم وشتت الله جمعهم في السنة الثامنة لهجرة خاتم المرسلين ﷺ إبان غزوة تبوك ، وقصة كعب بن مالك ، حين تخلف عن الغزاة فلما سأل عنه النبي عليه السلام ، قال القائل :

حبسه برداه والنظر في عطفيه — ولم نستطع في عجلتنا أن نتبين جبلي حسمي وشروري ولا مكان الأيكة ولابترين عريضا ، إذكان علينا أن نغشى (ميكانيكيا) فلسطينياً من الذين هربوا أطفالاً بعد مذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨ . وبعد مسيرة وصلنا إلى حقل التي ينسب إليها محمد بن عبدالله بن أيمن الحقلي الفقيه العارف مولى نافع مولى سيدنا عثمان رضي الله عنه ، والتي ينسب إليها كُثَيِّر عزة الذي قال :

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا
بحقل لكم يا عز قد زانتا حقلا
نجاء الثريا كل آخر ليلة
تجودهما جودا وتردفه وبلا

ومن حقل عبرنا الحدود إلى الدرة فالعقبة .

وفي العقبة ابتلينا بمن أشار علينا بركوب البحر إلى السويس بدل النويبعة في سيناء ، وياليتنا لم نعمل بمشورة ذلك الخراص .

وفي العودة كان هدفنا الذي استعددنا له أن نعبر من النويبعة ، وهي قرية من قرى



فرسان من البادية يريضون خيولهم فى عرض الصحراء

الساحل الغربي لخليج العقبة ، التي غير الإحتلال اليهودي أسماءها وأقام فيها أوكار الاثم والفجور والعرى والمخدرات طوال خمسة عشر عاماً وكان يؤمها الفاسدون ومرضى الهربيز والايدز من كل بقاع العالم .

عبرنا قناة السويس لأول مرة من نفق الشهيد أحمد حمدي ، وهو أول ضابط مهندس استشهد في أول يوم في معركة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ ... وعرجنا على عيون موسى ، التي لم يثبت علمياً الى الآن أن سيدنا موسى قد مر عليها ، وتوقفنا قرب أبي زنيمة وأبي رديس تاركين الى يسارنا طريق دير سانت كاترين ومعبد سرابيط الخادم الذي كان الفرعون في مصر لايتوج ولايمسك بصولجان الملك إلا بعد أن يحج الى ذلك المعبد ويقدم البخور والقرابين تحت قدمي (حتحور) ربة النحاس والفيروز... ومن الطور عرجت لزيارة صديق قديم لوالدي عليه رحمة الله ، شيخ مشايخ قبيلة مزينة الشيخ سالم أبو جبلي الذي لم تغيره الأحداث ولا الصعاب .وعبرنا من النويبعة إلى العقبة ، وعدنا الى تبوك ، ومنها قررنا تغيير الطريق صوب مسجد رسول الله ﷺ ثم بيت الله الحرام لأداء العمرة ...

وعرجنا قبل تبوك على حالة عمار التي يقال ان منها الصوفية المشهورة رابعة العدوية .

ومن تبوك إلى تيماء ، التي كان بها حصن الأبلق الذي كان للسموأل بن عاديا اليهودي ، والتي لاشك أن مخططات الصهيونية تضعها في الحساب . ومن تيماء إلى خيبر بدأت الحرات وهي الطفوح البركانية السمراء ، في الظهور . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان تسعاً وعشرين حرة يصف بعضها في قوله :

وحرة بني سليم ، في عالية نجد ، وبها معدن الدهنج (كربونات النحاس) وحرة النار من ديار غطفان بين وادي القرى وتيماء ، وسكانها من عنزة وبها معدن البورق ، وهو مانسميه اليوم البوراكس معدن استراتيجي يدخل في صناعة توربينات الصواريخ والنفاثات .

ولعل من أقدم الأوصاف العلمية العربية لسيل حمم بركاني ، ذلك الذي ذكره في (النجوم الزاهرة) العلامة ابن تغري بردي ، حيث قال في أحداث منتصف القرن السابع الهجري :

« وأما أمر النار التي ظهرت بالحجاز : قال قاضي المدينة سنان الحسيني لما كان ليلة الأربعاء ، ثالث جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ ظهر بالمدينة الشريفة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة ، رجفت منها المدينة والحيطان والسقوف ساعة بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ، ظهرت نار عظيمة وقد سالت أودية منها بالنار الى وادي شظا حيث يسيل الماء ، وقد سدت مسيل الماء بوادي شظا وما عاد يسيل . ولقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيراناً تأكل الحجارة. وقد كتبت هذا يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين والنار في زيادة ماتغيرت » .

ولعل تلك الحرات السمراء فيما بين خيبر والمدينة المنورة ، وماحولهما يرجع الكثير منها الى ذلك الطفح البركاني الحديث .

ومن أغرب ماقرأت عن خيبر ، بعد العودة الى الدوحة العزيزة ، ماكتبه رحالة ايطالي يدعى (لودفيكو دي فارتيما) ١٥١٠ م . وقد تخفى ذلك الرحالة في ثياب المماليك واستخدم الرشوة لتتاح له فرصة دخول الديار المقدسة مدعياً اعتناقه الإسلام . كتب دي فارتيما كلاماً عجيباً يستحق التحري والفحص :

« قابلت في منطقة خيبر ، قوماً سمر الوجوه طوال القامة ، يعيشون على أكل لحوم الضأن ، ولايأكلون غيرها .

ولقد أخبروني ، بعد أن اطمأنوا الى أنني أوروبي ، أنهم من بقايا يهود خيبر القدامى ، وأنهم لايزالون (١٥١٠ م) يهوداً ، وأنهم إذا اتيحت لهم الفرصة للاختلاء بعيداً عن أعين الرقباء ، بأي إنسان عربي قح ، فإنهم يذبحونه ذبح الشاة ، ويسلخون جلده !!! » .

ولا أدري إذا ماكان دي فارتيما هذا ، قد اخترع تلك القصة من محض خياله أم أنه صادق في روايتها ..

مطلوب البحث والتحري ..

وكم من الكتب التي كتبوها عن هذه الأمة ، في حاجة الى البحث والتحري والدراسة والرد عليها ، إذ أن كثيراً من الكتاب الأجانب ، وليس كلهم ، يجنحون الى الاختراع والخيال ، بل والدس والتزوير والبلبلة .

إن خط الرحلة من الدوحة الى القاهرة ، براً ، وخاصة إذا تخللته مناسك العمرة والصلاة في مسجد المصطفى ﷺ ، زاد روحاني وعقلي لايشترى بمال .

وحبذا أن يتصدى أي جهاز تلفاز عربي لتسجيل معالم طريق هذه الرحلة تسجيلاً علمياً فنياً ، ليتعرف الإنسان العربي على معالم وطنه الواسع الرحيب ، ويستعيد ذكريات تاريخه وأمجاد أمة مدنت العالم ورفعت لواء الحضارة وأصبح حاضرها كما قال المرحوم الشاعر محمود غنيم :

ويح العروبة كان الكون مسرحها
فأصبحت تتوارى في زواياه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها
وبات يملكنا من كنا ملكناه

« وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » . صدق الله العظيم .

درويش مصطفى الفار

الأقنعة السّبعة

بقلم : سليمان فياض

فى سنوات الأربعينات ، كانت تصدر بمصر مجلة مصورة هى مجلة « مسامرات الجيب » كان يرأس تحريرها « عمر عبد العزيز أمين » صاحب سلسلة « روايات الجيب » الشهيرة التى أثرت على شباب الأربعينات ، حبا للقص ، وجرأة عليه . وكانت المسامرات تنتزع الأرض الصحفية من مجلتى « الاثنين » ، و « الهلال » بصفة خاصة ، وتنافس بصحفيتها وموادها التحريرية المنوعة مجلتى « الرسالة » و « الثقافة » ، تواجه بالوجبات الثقافية السريعة ، لجيل جديد ، الوجبات الثقافية الدسمة بمجلات « الرسالة » ، و « الثقافة » ، و « الكتاب » و « الكاتب المصرى » . كانت مجلة رومانسية الطابع والتوجه ، يجد فيها القراء أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد هذه الحرب ، التسلية والمهرب ، وكانت تعتمد فى جانب كبير منها على الترجمة للقصص الرومانسى ، هذه الترجمة المشوهة ، والتى لاتجد مانعا من التلخيص ، والاضافة ، والحذف والتعديل . وكانت أزمة حصول المجلات والصحف على ورق فى ذلك الحين طاحنة .

الى صاحب المسامرات أخذ شاب يبعث بفيض من القصص الرومانسية ، تحمل توقيعه ، وتمر الأسابيع ولا قصة واحدة منها تنشر . وذهب الشاب الى صاحب المسامرات سائلا عن مصير قصصه . فقال له فيما يحكى العالمون ببواطن الأمور :

ــ قصصك صالحة للنشر بالمسامرات ، لكنها طويلة بعض الشىء . ونحن نعانى من أزمة ورق .

ــ أوشك الشاب أن يقول له : إنه على استعداد لاختصارها للحيز المطلوب ، لكن فكرة أخرى ومضت فى رأسه . كان له قريب ، ربما كان خاله ، يهيمن على توزيع الورق على الصحف والمجلات ، فقال له فيما يرويه المعاصرون :

ــ وإن حللت لك أزمة الورق هذه ، وبالسعر الرسمى ، بعيدا عن السوق السوداء .

فأجابه صاحب المسامرات :

ــ ياليت . ننشر لك قصصك إذن ، ونحن مطمئنون ، ولانبالى معها بقصر ولا بطول .

منذ ذلك الحين ، صارت تتوسط صفحات المجلة الأسبوعية ، كل أسبوع تقريبا ، قصص الشاب ، مفرودة على الصفحات ، ومزينة برسوم ملونة ، يتصدرها اسم الضابط الشاب ببنط خطىّ كبير.

كانت القصص رومانسية ، توشك أن تكون ضربا من الأساطير والخرافات ، تتسق مع طابع المجلة الرومانسى العام ، وتلبى حاجة أرباع المتعلمين ، والمراهقين والمراهقات ، إلى التسلية والترفيه ، والهرب

من الواقع المأساوى لجو الحرب العالمية ، وآثارها .

ولمع اسم الشاب الجديد إلى جانب أسماء أخرى من نفس الطراز من الرومانسيين : الوردانى ، وغراب . وكانت القصة العربية ، فى مصر ، تشق لنفسها دروبا واقعية أخرى على أيدى كتاب كبار . ويقال والعهدة على الرواة ، إن قصص الشاب لم تكن له ، وأنها كانت بين أوراق أبيه ، ومن تأليف أبيه ، وأنه تجرأ على نسبتها لنفسه . ولم يتسع لى الوقت ولا الجهد يوما للتحقق من هذا الأمر ، ولا أذكر أن قصص الشاب بالمسامرات ، قد نشرت فى كتاب بعد ذلك ، بين كتبه الكثيرة . فهل طوى الشاب هذه الصفحة ، بعد أن نال ثمرتها ، وخجل فيما بعد من استمرار هذه الكذبة على أمل أن ينسى الناس ، أو ان يخنق هذه الخدعة فى ضميره ، أم أننى أسوق الشك جزافا دون تحقق من مدى صحته ؟!

صانع المعجزات

كان صاحبنا من الضباط الشبان الذين يمارسون الكتابة ولم يكن من الضباط الأحرار .

بعد قيام الثورة ، واستقرار الأمور ، وفيما أذكر إثر جلاء المحتل ، وكانت الأحزاب قد حلت ، والبرلمان قد ركن على الرف ، والدستور قد ألغى ، ليحل محله دستور مؤقت ، كانت الثورة تستهدف السيطرة على الرأى العام بالصحف ، وعلى الثقافة بالمجلات والأجهزة . وكان من الطبيعى أن تتقدم الثقة بالضباط المتصلين بالثقافة بسبب ما ، على الثقة بغيرهم من المدنيين ، أو على الأقل يوكل إليهم قيادة الأمور ، وتدبيرها بالتخطيط . وكانت الفرصة ذهبية ، للضابط الشاب ، ليكون رجل الدولة الجديدة ، فى الثقافة المصرية ، وفيما بعد فى الثقافة العربية ، والآسيوية والافريقية .

تقدم الشاب ، بمشروعات لأجهزة وأندية ومصالح ثقافية ، وتمت الموافقة عليها . فظهرت مهاراته الإدارية فى التخطيط والإشراف والمتابعة ، وجاء حين صار فيه (مصريا ، وعربيا ، وأفرو آسيويا) صاحب مناصب سبعة ، كان عليه أن يرتدى لكل منها قناعا ، فى كل ساعة من ساعات يومه . وكان قوى البنيان ، بائن الطول ، ملون العينين ، تشى ملامح وجهه وبشرته بأصوله التركية القديمة .

كانت غايته الأولى ، وغاية الدولة منه ، أن يستقطب دائما المثقفين إلى صف الخط السياسى للدولة ، وإلى الولاء لشخصه ، وإلى جانب ذلك أن يحقق لنفسه لقب « الكاتب الكبير » عبر محورين فى موضوعات قصصه : أحداث الثورة ، والحكايات التى تستهوى المراهقين والمراهقات ، فى جو رومانسي ، وأكثر مصرية ، يجهد ليكون واقعيا ، ورمزيا ، فى نفس الوقت ، ففى مواجهته فى دنيا القص ، كتاب كبار ولوامع ، كثيرا ما أثاروا غيرته وغيظه ، فالقراء المثقفون يحتفون بهم ، أكثر منه ومن نظرائه ، والنقاد دائمو الكتابة عنهم كلما صدر لأحدهم كتاب جديد .

وكان يقول دائما للنقاد :

ــ أليس فى البلد سوى فلان وفلان ؟ لماذا لاتكتبون عنى ، حتى ولو بالشتيمة ، وعن فلان ، وفلان ، وفلان ؟ أنتم متحيزون و....

كانت كل مقاليد الثقافة تقريبا فى يده ، وكان نفوذه واسعا ، على الصحف ، وعلى المجلات ، ولكنه لم يستطع أن يملك قلب أحد ، أو قلم أحد ، ممن يعنيه أن يمتلكهم ، سوى بعض المتحلقين ، والمتزلفين ، والوصوليين . ومع ذلك كان دائم الإصدار لكتبه ، عبر دار نشر وحيدة ، وكانت كتبه رائجة ، واسعة الانتشار ، سرعان ماتتحول عناوينها إلى جمل محفوظة تتردد على ألسنة المراهقين والمراهقات فى كل حوار ، وسرعان ماتتحول حكاياتها إلى أفلام ، تنحدر معها دموع المشاهدين ، فى المواقف الميلودرامية .

وكان يقول لزائريه رافعا إحدى قدميه عن الأرض وهو جالس إلى أعلى قدر مستطاع :

ــ من فلان ؟ ومن فلان ؟ .. أنا وحدي تأتينى كل يوم رسائل من القراء ، بهذا الارتفاع . أنتم أيها المثقفون والنقاد مخدوعون .

كانت تلك محنته ، وجراحه ، وظل يحاول التعالى عليها بالوجه البشوش ، فغايته هى استقطاب المثقفين ، فى البداية بالإحسان إليهم ، يوفر لهم عملاً ، ودخلا قليلا ، ويظلون أبدا بحاجة إليه ، عن طريق المكافآت . ثم عليهم أن يثبتوا ولاءهم لشخصه . يحملون حقيبته عنه حين يرونه ، أو ينقلون إليه أخبار الوسط الثقافى ، أو يقفون له احتراما إثر حضوره ، أو ينوبون عنه فى الرد على معارضيه وخصومه ، يكيلون لهم شتى الاتهامات باللون الأحمر تارة ، وبالانحراف تارة ، وربما بالخيانة تارة أخرى ، مصفقين له فى الندوات ، مستخدمين عضلاتهم وأصواتهم المرتفعة تارة أخرى .

كن كما أهوى .. واتبعنى

كان الشاب خدوما ، لمن يطلب مكرمته ، ممن أصابتهم حرفة الأدب . أتاح مرة لشاعر أكثر من مكافأة ، فى أكثر من مكان من الأجهزة الثقافية ، نظير عمل محدد ، أن يتواجد فى كل ليلة بناد معين من أنديته ، ومهمته أن يسمع مايدور ، ويرى مايحدث ، بين الشباب المثقفين بصالة النادى . لم يقل له ذلك . قال له فقط :

ــ أحب أن أراك مساء كل يوم بصالة النادى .

ولم يكن حقا يراه ، إلا حين يريد الآخر مقابلته ، ويغلق وراءه الباب ، فقد كان من عادته ، « الضابط الشاب » ، أن يصعد سلما خاصا به فى النادى ، ويدخل غرفته ، كرجل دولة . وعلى الكل أن يسعى إليه .

وأتاح مرة لكاتب قصة شاب متمرد ، ولا انتماء سياسى له ، جاء من « عروس البحر » يطلب عملا بالثقافة ، ولا مؤهل له . كان بائع صحف متفتح القلب والعقل ، جرته قراءته للصحف وللكتب ، مثلنا جميعا ، لكتابة قصص « لا معقولة » ، لم يرتدْ مثلها من كتاب العرب أحد قبله ، وكانت قد صدرت له مجموعة قصص « لا معقولة » ، ورحب به الضابط الشاب ، وأوكل له عملا بمكتبه ، فى جهاز من أجهزته الثقافية ، لكن القصاص الشاب لم ينجح فى أن يكون موظفا صغيرا ، يتجمل بحسن المظهر ، وذلاقة اللسان ، وإظهار الطاعة ، فاصطدم به بكلمات عنيفة ، وعاد إلى « عروس البحر » ، ربما ليبيع الصحف مرة أخرى . قال لى على شاطىء « عروس البحر » :

ــ قلت له .. وقلت له .. لست من حملة الحقائب الذين يحيطون به ، ويعيشون ساعات يومهم لأجل مرضاته . أنا لم أولد عبداً لأحد .

وكانت تلك آفته فى الاستقطاب . يريد أتباعا ، ولايريد رفاقا وأخوة ، يريد « جنودا » له عليهم الأمر ، وعليهم السمع والطاعة .

كانت الحياة الثقافية الشابة منقسمة آنذاك : ثمة كتاب لهم انتماءاتهم السياسية

وجوه من الذاكرة

الأقنعة السبعة

التي تتجاوز واقع الثورة نفسه . وبينهم كان كتاب حقيقيون ، لهم قراؤهم ونقادهم أيضا ، ويعارضونه وكتاب الطبقة الثالثة والرابعة ونازلا يتبعونه . وكانت لكل منهما خنادقه فى الحياة العامة . وكان الشاب يائسا من مجموعات المنتمين ، لكنه كان دائم اللقاء لهم ، والإحسان إلى من يطلب إحسانه منهم ، ووضع عينيه على فئة من الكتاب ، خارج الخندقين وهو يعلم أنهم بأقلامهم ، وفكرهم ، فى خندق هؤلاء الكتاب المنتمين . وبدأ محاولة يائسة لاستقطابهم ، وكنت واحدا منهم .

تجربة صغيرة

قيل لي ، على لسان صديق كاتب ، إنه يريد مقابلتى . وذهبت معه إليه ، فى غرفته الليلية بناديه . وجدته جالسا إلى صدر منضدة اجتماعات محدودة المقاعد ومعه عدد من حملة الحقائب . كانت المنضدة مكسوة بالجوخ الأخضر مثل مكتبه . ولامنى لأننى لست عضوا فى الناديين اللذين يشرف عليهما ، مع أننى كاتب ، وذكر لى أنه قد وقع لى استمارتى عضوية بالناديين . وقبل أن يسمع رأيى قذف بى فى التجربة . كانت ثمة مجلة لأحد الناديين ، يريد مشاركتى فى إحيائها ، مع صديقى الكاتب . وكنت وكان الكل يعلم مدى فشلها التحريرى ، إلى درجة أنها لاتوزع إلا ستين نسخة بالسوق ، برغم ماينفق عليها من أموال تستقطع من بنود ميزانيات أجهزة ثقافية رسمية أخرى .

وكان ينظر إلى ، بشك مستريب ، لكنه كان ، فيما يبدو راضخا لإرادة رجل الدولة . طلبت شرطا واحدا لنفسى ، ولصديقى الكاتب . ألا تنشر مادة بالمجلة دون موافقة منى ومن صديقى . وذلك يعنى أن يرفع هو ، الضابط الشاب ، ومعه رئيس تحرير المجلة ، يده عن التحرير . فلنا اختيار المادة للنشر ، وليس لهما حق الإجازة للنشر . ولدهشتى قبل الشاب ذلك ، وأبدى لى ودا مفاجئا لى ، وهو يصافحنى قائلا كأنه يضع ذيلا ثانويا للأمر كله :

ـ سيكون معك ، أنت وصديقك ، فلان ، وفلان ، وفلان ، ستكون مهمتهم معكما هى الإشراف على التنفيذ والطبع .

كانت المهمة غير مأجورة . لكن الرغبة فى إحياء مجلة ، كانت فى نفسى كاسحة . ولم أسترح لحملة الحقائب الذين ذكرهم . فاقترحت اسمين آخرين ، أعرف قيمتهما ، كانا عونين له فى جهازين خطيرين للثقافة ، فقال لى :

ـ لهما مهام أخرى معى . وهما مثلك وصاحبك ، لا وقت لديهما للمطبعة .

بدأنا اجتماعات الإعداد للمجلة فى عهدها الجديد ، مع عدد من الكتاب الشبان . واتصلنا بالأصدقاء . وبالفعل نجحنا فى إصدار مجلة ناجحة المادة والتحرير ، برغم أن اسمها ، وقد مات ، لم يتغير . كنا نجتمع فى مكتب رئيس التحرير ، الوثير ، بمقاعدها الجلدية ، حتى حدث أمر لا ينسى . وفدنا لاجتماع ذات ليلة قبل حضوره ، فوجدنا باب غرفته بالنادى مغلقا فى وجوهنا . طلبنا من « ساعى » المكان ، فتحه ، فأخبرنا أن المكتب خاص برئيس التحرير ، وأن هذه هى أوامره . استبد بى الغيظ ، وراح صديقى الكاتب ، يهدىء من ثائرتى ، وجلسنا فى انتظار رئيس التحرير بالصالة . ولكنه جاء ، ولم يلتفت إلينا ، ودخل مكتبه ، وأغلق وراءه بابه . ذهبت إليه ، وسألته عن السبب ، فقال منتفخا بزهو تركى :

ـ المكتب لرئيس التحرير . ولا يجلس فيه أبناء الفلاحين .

ثرت فى وجهه ، وأعلنت انسحابى من المجلة ، ولحق بى حملة الحقائب فى الطريق لإثنائى عن قرارى ، وليسمعوا منى مايسرهم ، فى الضابط الشاب وفى رئيس التحرير ، وينقلوه إليهما ، ولم أتحسّب فى التعبير عن رأيى .

كان السبب فى هذا التغير واضحا لى . من الشاب ، حمل حملة الحقائب موضوعا كتب عليه : « ينشر » ، وذيله بتوقيعه . ومن رئيس التحرير ، حول موضوع آخر للنشر ، وكان أمر النشر موقعا . وقرأت وصديقى الكاتب الموضوعين ، ورفضنا نشرهما لضعفهما الواضح . فنشرهما يعنى بداية انهيار المجلة ، ويعنى التنازل ، والتنازل يجر تنازلا ، وكأن الغاية هى مجرد استقطابى وصاحبى ، وضمنا إلى الزمرة .

وكان فراقا ، لم أحزن عليه ، دام عشر سنوات ، فيما أذكره .

وفد أدبى

دعانى الشاب بعد سنين ، لأكون عضوا فى وفد من الوفود الأدبية ، لعاصمة أوربية ، وقبلت الدعوة . قابلته بمكتبه . كان بشوشا كعادته ، وكأن شيئا لم يحدث بيننا قبل عشر سنين مضت ، وكأن كلمة واحدة لم تنقل إليه يومها . زودنى بالأوراق الرسمية اللازمة لتأشيرة الخروج آنذاك . وقبل أن أغادر مكتبه ، أرانى ، من سلة المهملات ، ورقة بها أسماء أكثر من عشرين كاتبا . كانت الورقة ممزقة نصفين وقال لى :

ـ أتعرف صديقك فلان « الأحمر » ؟

قلت له ضاحكاً :

ـ نعم . أعرفه . وأشك فى أنه حقا « أحمر » .

قال الشاب :

ـ كان هنا قبل قليل . وقدم لى هذه الورقة ، قائلا إن بها أسماء الكتاب الحمر وطلب أن أقدمها لأجهزة الأمن ، لم ألق عليها حتى نظرة . ومزقتها كما ترى ، وألقيت بها فى هذه « السلة » ثم قال لى :

ـ ستفهم حقيقة هؤلاء الناس يوما .

لم أكذبه . ولم أشك فى صحة ماحدث . ولم أسأل من كتب الورقة . ولم أقل له ، للشاب ، لم تحتفظ بها إذن ، فى .. سلة المهملات . لكن الموقف أحدث فى قلبى وجعا .

كان بين أعضاء الوفد ، وكنا خمسة ، واحد فقط من حملة الحقائب ، يحمل اسما أدبيا ، كأسماء النجوم ، غير اسمه الحقيقى . ويقال إنه غيَّر اسمه ، بعد تورطه فى فضيحة مالية ، من عمله ، فتقرب للضابط الشاب بالكتابة عن أبيه ، فألحقه بعمل ، مع حملة الحقائب .

أثناء الرحلة بين مدن ذلك البلد الأوربى ، ولم يكن أحد من أعضاء الوفد ، فيما نعرف بعضنا البعض ، يعرف لغة أهل البلد ،

كان الحوار الأدبى ، وغير الأدبى ، يتم بواسطة مترجم . وحدث أن مسؤولا بهذا البلد ، كان يتكلم بلغة بلده مع المترجم . نحوا من خمس دقائق . والحظ ، ولحظنا معه ، الأذن لمرهفة لحامل الحقائب ، والابتسامة الصفراء لما يسمعه من المسؤول . فوجم المسؤول وقطع حواره مع المترجم . أدركنا أن رفيقنا « حامل الحقائب » يعرف لغة البلد ، وأنه من بيننا يسمع . ولايتكلم ، ويرقب ، ولايعلق . وهمس لى المترجم فيما بعد ، بأن صاحبنا هذا يعرف الألمانية ، ودرسها قبل ذلك ثمانى سنوات بمصر ، ولم يكن قد مر سوى يوم على ماحدث . وتأكدت والصحبة أنه سينقل كل شىء إلى الضابط الشاب ، وأن أحدا منا لن يكون مطالبا بتقرير عن الرحلة ، إثر العودة ، وأن للبلد للأوربى وسائله للمعرفة ، من الأرشيف ، وأن علينا أن نحترس . فى الغربة . وفى الوطن .

اللقاء الأخير

ضاق صدرى بعملى كمدرس . شحذت ذهنى ، وكتبت طلبا للشاب ، ووسطت صديقا ، كان يعمل ساعدا أيمن له ، فى أحد أجهزته ، وذهبت لمقابلته ، فى أهم مكتب لديه بين مكاتبه . قدمت له طلبى ، وطلبت موافقته لنقلى . وكنت أعلم أن فى وسعه ذلك بجرة قلم . فوضع الطلب جانبا ، ونظرا إلىَّ وقال بوجه بشوش :

ــ كيف ، وأنت لست معنا .

قلت له :

ــ أعرف فقط ، أننى كاتب ، وأن من حقى أن أحصل على عمل يتناسب مع عملى ككاتب . والعمل ليس غايتى . الكاتب فىَّ هو ماأحرص عليه .

مال نحوى ، وقال ضاحكا ، ولأول مرة يكون صريحا :

ــ اكتب أولا فى مجلة « كذا » .

وكان يرأس تحريرها أحد حملة الحقائب . قلت له :

ــ لاأقبل ذلك . ليس ذلك موقفا من المجلة ، ولا من الدولة ، ولا من الثورة ، ولا منك . وإلا لما جئت اليك . هذه المجلة تتسهل فى النشر لمن ليسوا كتابا ، ونشرى معهم ، فى مجلة واحدة ، سيسىء إلىَّ . أنا يشرفنى النشر مع الكتاب الذين أحترم أقلامهم ، وأحترم فيهم كونهم أصحاب رسالة .

أخذ يغرينى بأن يدفع أضعاف مايأخذه أى أحد من الكتبة ، وأن ينقلنى ويرقينى إلى المنصب الذى أختاره .

اتخذت قرارى بيني وبين نفسى فى تلك اللحظة ، أن أبقى مدرسا إلى النهاية ، فهآنذا أستدرج لأصبح واحدا من حملة الحقائب ، ويجفونى قلمى . وغادرت مكتبه الفاخر ، قائلا له : آسف .

وسط الطريق

حدثنى فيما بعد ، صديق شاعر . ذكر لى أنه قابل الشاب فى حفل بسفارة ، فى عيد قومى لبلادها . أخذه جانبا وقال له ضاحكا :

ــ إلى متى ستظل تسير أنت ، وأصدقاؤك : فلان ، وفلان ، وفلان ، فى وسط الطريق ؟

وفسر لى صديقى الشاعر ، مادار بينهما . ثمة كتاب يمشون على الطوار الأيسر ، ويهتمون ببعضهم البعض ، وكتاب يمشون على الطوار الأيمن ، ويهتمون ببعضهم البعض . وآخرون ، مثلنا ، يمشون فى وسط الطريق ، لايهتم بهم أحد من أهل الطوار الأيمن . ولا من أهل الطوار الأيسر .

وضحكت وصديقى الشاعر . فصاحب القلم انتماؤه فى قلمه ، مع مايعتقد أنه الصواب والحق ، والفن الجيد هو بالضرورة مع التقدم ، والكاتب الحق هو من يقدر أبدا على قول : لا ، فى أى وقت . والانتماء ، أى انتماء ، يحرمه من هذه القدرة ــ الحرية . والانتماءات تنسى فى التاريخ إلا أن تكون شائنة ، ولايبقى سوى الفن الجيد .

ذو الأقنعة السبعة

رجل دولة كان ، أجل . وأضعف من دوره ، حرصه الدائم ، على تسخير ماتحت يده من أجهزة ، لخدمة نفسه ككاتب ، وأراد بها دائما أن يضع كل المثقفين فى خدمة واحدة ، فى سلّة واحدة ، يقدمها للدولة : أبواقاً وإعلاما ، مثلما يفعل هو ، وبشرط واحد أن يسبحوا بحمده ، ويمجدوا ثمرات قلمه ، طوعا أو كرها .

فى كل صباح ، فى الثامنة تماما ، يغادر عربته ، ويصعد إلى مكتبه بأحد نواديه ، ويظل ساعتين يكتب دون تردد للحظة (رأيت مسوداته على مكتبه) دون شطب كلمة واحدة . فى العاشرة ينزع قناع الكاتب ، ويرتدى قناعا آخر ، ويظل هكذا كل ساعتين ، يعبر به سائقه الطرق والكبارى من مكتب إلى مكتب ، والأقنعة تتغير .

كانت كتبه تتوالى فى السوق ، بأغلفة ملونة ، وصور نسوية ، بعضها مجرد خطوط على أرضية ذهبية ، وتتحول أفلاما ، ولم يكن يظهر فيها خطأ لغوى واحد ، وقد رأيت بنفسي كثرة أخطائه النحوية والإملائية فى مسوداته . وقيل لى يوما ، أن أحد أخواله أستاذ لغة ، بكلية جامعية ، وأنه يراجع له ماكتبه ، قبل أن يدفع به إلى دار النشر .

ومع موقفه الواضح مع التقدم فى إطار الثورة وشعاراتها ومقولاتها ، وضد التقدم خارج الثورة بين المثقفين ، فقد دهشت لنيله جائزة دولية لاأعرف أنها تعطى لمثله .

ومع إلحاحه الدائم على النقاد كى يكتبوا عنه ولو بالشتيمة ، فلم يطق صبرا حين تعرض ناقد للكتابة عنه بحرية وجرأة ، فتوعده بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، حتى وهو فى عمل بعيد عن التبعية له ، وتحدث الناس عن خوف الناقد وذهابه إليه مسترضيا ومعتذرا أكثر من مرة ، وقبوله ، أكثر من مرة ، العمل معه ، فى مجلاته ، متنازلا عن ذات نفسه ، قابلا أن تغلق المجلات على يديه واحدة بعد الأخرى . ففى ظل الضغوط والقيود ، والرغبة فى وضع الكل فى سلة واحدة ، والجيد منها مع الردىء ، وفرار الجيد من الردىء ، لايمكن أن تستمر مجلة فى الصدور ، أو ينجح معها تحرير .

ومن عهد ، إلى عهد ، لم ينس قط ، أنه رجل الدولة فى الثقافة ، حتى عندما ضرِب عهد بعهد . كان مع الثورة فى تقدميتها فى عهد ، ثم كان معها فى تراجعاتها فى عهد آخر ، سوطا فى يد سيد الثورة . وكانت النتيجة المحتومة أن يذهب ضحية أقنعته السبعة ، وتنقله كالبهلوان ، من حبل إلى حبل ، فوق ارتفاعات شاهقة .

مازلت أذكر له موقفا غريبا ، فعلى كونه رجل دولة وثوره فى الثقافة ، رأيته فى مقرأهم أجهزته ، واقفا على السلم بالساحة ينتظر ، وكنت ذاهبا لزيارة صديق ، وجاءت سيارة فارهة ، تحمل فلان (باشا سابقا) ، وأسرع الشاب ، يفتح له باب السيارة قائلا بانحناء :

ــ تفضل ياباشا .

سليمان فياض

القاهرة

الموكب المهيب يعبر النهر

شعر : الدكتور تاج السر الحسن

اعلم أن الموت سوف يأتي ،
سوف يحصد الجميع .
لكن بأي أرض
لم أُجب ، ولم تُجبْ على السؤال .
لكن جدتي العجوز ،
بنت الصادق الخضراء ،
تدرك أنّها تموت في الجزيرة .
مدافن الأغبش ،
حيث يكبو الديسُ(*) ، فوق النيل ،
فموجةٌ في الظل ،
والأخرى على الظُّهيرة .
وأنفُ تِمساحٍ تشمُّ خضرة الأصيل .

• • •

هناك دفنوا بابكر الشقيق ،
جدي الكبير بابكر .
أذكر وجهه واللحية المدورة ،
وأثر الصلاة في جبهته ، والمصحف العتيق
يرتل القرآن .

• • •

الفضة التي تصهرها دماؤنا في لحظة الابداع ،
على جبينه تسيل .
على زنديه يجري العرق اللماع .
بابكر الكبير .
كفان فوق قبضة المحراث .
وفي البعيد يسمع الخرير .
حينما تموج خصلة الموجات
كالأرجوان ماأروعها ،
كالأرجوان والحياة .

جنازة ، عويل نسوة ، على الشطآن ،
جدي الكبير بابكر ،
الفارس المغوار بابكر ،
الزارع القائم الليل ، لربه المنان
التالي الصبح ،
وفي المساء سور القرآن
قد مات .
الشمس تغيب ،
والمساء ،
يخيم النخيل في احنائه ،
يمدد السعف .
عويل نسوة يشق صفحة النهر ،
بلا عظم ظهر(*) ،
بلا عظم ظهر .
فيسمع الشرق ويسمع الغرب أسى النساء .

المركب المهاب يعبر النهر .
جثمان جدي ، حوله وجوه القوم والصحاب .
البلياب ،
الجابراب ،
الانجرياب .
محمد الأمين مشعل القرآن فوق الغاب
المركب المهاب يعبر النهر ،
فينحني على أقدامه الصفصاف .

جدي الكبير بابكر ،
الفارس المغوار بابكر ،
الليل في النصف الأخير



والسماء ،
صافية كعين الديك .
والقمر ،
تحوطه النجوم .
يرشق بالنظرة صفحة النهر
ومن خِلال سعف النخل ،
وهدأة السحر ،
شعلته تضيء وجه جدي بابكر .
تحية من السماء والنجوم ،
تحية من القمر ،
رفيق جدي بابكر .

● ● ●

لطالما شدا الرحال ،
عبر صحراء الشمال ،
السيف في اليمين والخنجر في الشمال .
لطالما على دربهما غام المطر .
واليوم يعلم القمر ،
وفوق خده تسيل دمعتان ،
بأن الفارس الكبير بابكر ،
على فراشه الأخير
وحوله الأحفاد والنساء ،
على آماقهنَّ يقطر الندى الحزين .
إنَّا إليه راجعون أجمعين ،
على فراشه الأخير مات بابكر .

● ● ●

واحمرت السعدة ،
واحمرت النخلة والسنطات ،



واحمرت وجوه الفتية الصغار ،
واحمر حتى وجه ذلك الغبار .
ماأروع اللحظة ،
وحامي النساء والأطفال بابكر
حمال أثقال الجميع بابكر .
صدى ،
يردد الوادي ،
ترجع الضفاف ،
مقاطع الحروف ،
بابكر .
والموكب المهاب يعبر النهر ،
وينحني على أقدامه الصفصاف .

● ● ●

أعلم أن الموت سوف يأتي ،
سوف يحصد الجميع .
لكن بأي أرض ؟
لم أجب ، ولم تجب على السؤال
لكن جدي مات في الجزيرة ،
مدافن الأغبش ،
حيث يكبو الديس فوق النيل ،
فموجة في الظل ،
والأخرى على الظهيرة ،
وأنف تمساح تشم خضرة الأصيل .

(الخرطوم)

*الديس أعشاب كثيفة تنمو على ضفة النيل
*إشارة إلى لغز سوداني قطع البحر بلا عظم ظهر ــ وهو الصوت


المنفلوطى

كتاب للمنفلوطي

يؤدي إلى فصله من وظيفته وتأمر حكومة الاحتلال بمصادرته ويثير ضجّة وطنيّة كبيرة

بقلم : الدكتور علي شلش

لهذا الكتاب المنفلوطى المجهول قصة طريفة معى ، فى أواخر الخمسينات اشتريت منه نسخة كنت قد رأيتها مصادفة على سور الأزبكية ، ومنذ ذلك الحين احتفظت بهذه النسخة فى مكتبتى دون أن أتصفحها ، فقد عددتها من الكتب القديمة التى يشتريها المرء ، ويحفظها دون لمس كأنها قطع أثرية ، وربما صدنى عن قراءتها أن اسم المؤلف لم يكن عليها ، ولم تكن عبارة « بقلم كاتب كبير » التى على غلافها تشجع على القراءة ، فما أكثر الكتب التى قد تقع فى أيدينا على هذا النحو ، ونودعها أرفف المكتبة دون اهتمام كبير !

■ ما هي العاصفة التي أشار إليها المنفلوطي في كتابه.. ومن هُم الذين كانوا موضوعاً لهجومه العنيف ؟

هل كانت مصادرة الكتاب نتيجة وشاية من طه حسين ضد المنفلوطي؟

وذات يوم، منذ عامين. كنت أفتش عن كتاب معين على أحد أرفف مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، وفجأة وقع بصرى على نسخة من ذلك الكتاب فذكرتنى بنسختى السابقة، ووجدت يدى تمتد إليها، وأصابعى تقلب صفحاتها، ولشد ماكانت دهشتى حين قرأت قصاصة الورق الملصقة على غلافها الداخلى والمكتوبة بالإنجليزية حول بيانات الكتاب، فقد جاء فى هذه القصاصة أن المؤلف هو المنفلوطى.

غير أنى كنت أعلم، حتى ذلك الوقت، أن أحداً من دارسى المنفلوطى لم يشر من قريب أو بعيد إلى الكتاب، وقررت أن أتحقق من الأمر بنفسى مسترشدا بالنتيجة التى توصلت إليها، وهى نتيجة أيدها فى ذهنى وجود الانجليز فى مصر خلال حياة المنفلوطى، ومقدرتهم ـ فى ذلك الوقت ـ على معرفة حقيقة مؤلف الكتاب، ثم لجأت إلى الدراسات التى كتبت عن المنفلوطى فلم أجد ذكرا للكتاب، وقررت مرة أخرى أن أمضى فى تحقيق الموضوع.

وبدأت بقراءة الكتاب على أساس التفسير الانجليزى فوجدته مطابقا له، وربما لو كنت قرأته يوم اشتريت نسخته أول مرة لتحققت من نسبته إلى المنفلوطى، فالأسلوب أسلوبه، والرؤية رؤيته، والتناول تناوله، فضلا عما عرفناه عنه من حبه لسعد زغلول وإعجابه البالغ بشخصه ومواقفه.

وقادتنى المصادفة ـ مرة أخرى ـ إلى تأييد آخر للتفسير الإنجليزى، ففى الوقت الذى شغلنى فيه الموضوع أصدر الصديق الدكتور محمد أبو الأنوار كتابا ضخما من ثلاثة أجزاء عن المنفلوطى: حياته ونثره وشعره، وطلبت من الصديق العون فأهدانى ـ مشكورا ـ الكتاب بأجزائه الثلاثة، وحين بحثت فيه عن سر ذلك الكتاب المنفلوطى المجهول وجدته مجلواً بما لايدع مجالا للشك.

مرحلة الانتقال بين الكتابة القديمة والحديثة

مهما كان الرأى فى كتابات مصطفى لطفى المنفلوطى، واختلاف الناس حول قيمتها وقابليتها للقراءة فى عصرنا، فلاشك أن لهذه الكتابات قيمة تاريخية. فهى تشكل مرحلة الانتقال بين الكتابة القديمة والكتابة الحديثة.

وربما كان وضع الكتابتين على هذا النحو يؤدى إلى الخلط والتشوه فى فهم الكتابة القديمة بوجه عام، ولاسيما فى النثر، فقد بلغت هذه الكتابة درجة كبيرة من درجات النضج والحداثة على يدى رجل مثل الجاحظ، بل على يدى رجال آخرين لم يكن لهم نشاط ملحوظ فى الأدب مثلما كان لهم فى العلوم الانسانية، ولاسيما فى الفلسفة والتاريخ، مثل الفارابى والغزالى وابن رشد وابن خلدون، فلم يكن الجاحظ والفارابى والغزالى وابن رشد وابن خلدون ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ يشغلون أنفسهم وقراءهم بالشكل على حساب المضمون كما نقول بلغة اليوم، أو يشغلونه باللفظ على حساب المعنى كما يقال بلغة يومهم، ولكن هذا النوع المتقدم من الكتابة الذى قدمه هؤلاء لم يستمر طويلا، أو يتجاوز مايسمى فى التاريخ باسم العصر العباسى، فقد سقطت الكتابة العربية ـ بهذا المعنى ـ تحت سنابك اللفظ والصنعة اللفظية بعد ذلك، وكانت العصور التالية فى التاريخ العربى متخلفة عن هذا المعنى فى أقل تقدير، ثم جاء العصر العثمانى عام ١٥١٧ فسجل ـ بوجه عام ـ وفاة الكتابة العربية المتقدمة، وسيطرة الكتابة الجاهلة إذا صح التعبير، لأن أصحابها لم يعودوا على صلة بالمتقدمين الأوائل، وهذه الكتابة الجاهلة هى مانقصده حين نفرق بين الكتابة القديمة والكتابة الحديثة، لأنها قديمة أيضا من حيث بعد الزمن، لا من حيث صلتها بالكتابة القديمة الحقيقية.

حين نقول «الكتابة القديمة» نعنى إذن هذا النوع الأخير من الكتابة الذى امتد حتى نهاية النصف الأول من القرن الماضى، وبعدها دخلت عوامل متعددة إلى الساحة العربية كان على رأسها ظهور الطباعة والصحافة، وبداية الإطلاع على الكتابة الأوربية والإقدام على طبع الكتابة القديمة ونشرها، وقد كان من الطبيعى أن تتفاعل هذه العوامل الثلاثة، وأن ينشأ من تفاعلها الإقدام على ربط الكتابة بالعصر والذات المنتجة لها والمعنى الساعية إليه.

وقد بدأ هذا الإقدام على الكتابة الحديثة فى مصر بصفة خاصة، نتيجة عوامل أخرى معروفة، وجاءت البدايات على أيدى رفاعة الطهطاوى فى بعض أعماله، ومحمد عبده وابراهيم المويلحى، على سبيل المثال والترتيب التاريخى لظهورهم، فقد حاول هؤلاء الثلاثة أن يرتبطوا فى كتاباتهم بعصرهم وذواتهم والمعانى التى شدتهم إليها، ورفضوا سجع الكتابة القديمة الميتة ـ حتى نفرق بينها وبين الكتابة القديمة الحية، كما رفضوا ماأغرق فيه أصحاب هذه الكتابة الميتة من صنعة ومحسنات بلا معنى، وكانوا فى الوقت ذاته أصحاب مرحلة الانتقال من الكتابة الميتة إلى الكتابة الحية، أو من الكتابة القديمة (الميتة) الى الكتابة الحديثة.

أين نضع المنفلوطى إذن؟

لقد عاصر أصحاب الكتابة الميتة وأصحاب الكتابة الحية سواء بسواء. فقد نشأ نشأة تقليدية مثل الطهطاوى وعبده والمويلحى، ودرس فى الأزهر مثلهم، وإن كان لم يتم دراسته، مع أن المويلحى لم يدرس فى الأزهر، واكتفى بمدرسة الحياة والتجارب والأسفار والمغامرات.

وحين نقول إن المنفلوطى عاصر هؤلاء فليس معنى هذا أنه من جيلهم ولا من سنهم، فقد ولد بعد ثلاثة أعوام من وفاة الطهطاوى عام ١٨٧٣، ولم يعرف محمد عبده أو المويلحى إلا وهما فى دور الكهولة، بعد عودة الأول الى مصر عام ١٨٨٩ وعودة الآخر عام ١٨٩٥، فهو قد عاصرهما فى السنين الأخيرة من حياتهما، ولكنه لم يتأثر بهما فى الكتابة على الأطلاق، وإن كان قد تأثر بهما فى الحياة، نظرا لما كتبه مؤرخوه عن صلته بمحمد عبده وتشجيع الأخير له، ولكن محمد عبده نفسه لم يكن يكتب على طريقة المنفلوطى، أو حتى يتخيل أنه يستطيع أن يكتب بها، وإن كان من أشداء المساهمين فى إطلاق الكتابة من قيود عبودية اللفظ والصنعة بالرغم من ممارسته للسجع فى فترات متقطعة، ربما على سبيل

كتاب للمنفلوطي

يؤدي إلى فصله من وظيفته وتأمر حكومة الاحتلال بمصادرته ويثير ضجة وطنية كبيرة

الفكاهة ، ومن جهة أخرى لم يكن لأسلوب المنفلوطى صلة بأسلوب ابراهيم المويلحى الذى كان يسجع أحيانا ، وكان مثل محمد عبده فى إيمانه باطلاق سراح الكتابة ، وكان أيضا على طرف نقيض مع محمد عبده فى ميله إلى السخرية والدعابة فى الكتابة ، مما لم يظهر أثره على المنفلوطى بأى شكل من الأشكال .

ولكن المنفلوطى عاصر أسلوب الطهطاوى ممتدا فى تلاميذه ، وعاصر أسلوب عبده والمويلحى ، كما عاصر بعد ذلك أصحاب الكتابة الحية ابتداء من جيل عبده والمويلحى على مستوى الصحافة ، ونعنى على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » إلى جيل تلاميذ عبده والمويلحى على مستوى الصحافة أيضا ونعنى أحمد لطفى السيد وطه حسين والعقاد والمازنى ، وكان هؤلاء وأولئك يشتركون جميعا فى سمة واحدة مهمة ، هى تحرير الكتابة من رق اللفظ والصنعة ، وربطها بالزمان والمكان والمعنى .

وهذا هو الدرس المهم الذى تلقاه المنفلوطى عن جيل عبده والمويلحى ، ثم رآه ماثلاً بعدهما فى تلاميذهما ، أى فى أبناء جيله ، ومع ذلك تميز هو نفسه عن هؤلاء وأولئك بطريقة مختلفة فى التفاصيل لا فى الأساس . فالأساس واحد ، حتى على الرغم من ضعفه أحيانا أمام القديم المتهالك .

اختلاف المنفلوطى فى التفاصيل هو سر وقوفه بكتاباته كلها فى مرحلة الانتقال بين الكتابة القديمة الميتة والكتابة الحديثة الحية ، أى أنه وقف حيث وقف جيل أساتذته لا جيل تلاميذهم ، على الرغم أيضا من تفوق جيل أساتذته هذا الذى حقق قدرا كبيرا من الثقافة والوعى والخبرة بالحياة والكتابة على السواء . أما ثقافة المنفلوطى فدون ذلك بكثير ، ووعيه بالتراث والتاريخ أقل ، وخبرته فى الحياة محدودة ، ومغلقة على عكس تلاميذ أساتذته ابتداء من لطفى السيد إلى العقاد والمازنى وطه حسين ، ولكن ما هذه التفاصيل التى تضع المنفلوطى فى مرحلة الانتقال التى أشرنا اليها ؟

يمكن أن نجمل هذه التفاصيل فى أربعة عناصر :


سعد زغلول

١ ـ المادة :

كانت مادته اجتماعية فى أساسها ، ولكنها قشرية فى مظهرها ، تستهوى الجمهور البسيط الباحث عن السلوى الذهنية ، والتبرير السريع لحياته الضائعة وأحلامه المجهضة .

٢ ـ الرؤية :

كان يرى الواقع بمنظار قاتم ، ولايراه فى شموله أو عمقه . كما كان يميل إلى تجزئة الواقع واختيار الصور المحزنة منه ، دون تحليل أو تفصيص للجزئية التى ينقلها ، وكان خياله محدودا على عكس ماظن البعض .

٣ ـ التناول :

كان المقال أداته الأساسية بالرغم من أنه كتب الشعر والقصة ، ولكن هذه الأداة الأساسية ظلت محدودة بحدود الخواطر التى لم يكن يعبر عنها كما يحسها ، وإنما كما تستقر فى حافظته الانشائية من الموروث والمحفوظ ، أى بالنحت فى الصور الذهنية مع التهويل والمبالغة فى التعبير فى كثير من الأحيان .

٤ ـ اللغة :

حفلت لغته بالمترادفات والتكرار والألفاظ المعجمية التى تحتاج إلى شرح ، كما حفلت من جهة أخرى بصيغ شبه ثابتة مثل المفعول المطلق والاستفهام والتعجب ، ومالت إلى الانشاء لا التعبير .

بهذه العناصر الأربعة ، وتفاصيلها ، اختلف المنفلوطى عن أبناء جيله ، ولاسيما أحمد لطفى السيد وشباب الجيل من أمثال محمد حسين هيكل والعقاد والمازنى وطه حسين وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين ، ومع ذلك تأثر به طه حسين والزيات ـ بصفة خاصة ـ فى بعض مراحلهما الأسلوبية .

بل إنه أثر فى شباب الجيل اللاحق لهؤلاء من أمثال محمود كامل ، ونجيب محفوظ ـ فى بواكير أعماله ـ ومحمد عبد الحليم عبدالله ، وكان المنفلوطى أول أديب مصرى حديث يؤثر بأسلوبه خارج مصر .

وليس من السهل ـ بالطبع ـ أن نضع خطوطا حادة فاصلة بين مرحلة ومرحلة فى الكتابة ، فالمراحل تتداخل عادة ، ويولد جديدها من قديمها ، وقد عاش محمد عبد الحليم عبدالله ـ مثلا ـ فى جيل لم يعرف المنفلوطى أو يخالطه ، وإنما عرف كتاباته وخالطها ونشأ عليها ، فى الوقت الذى تخلص فيه نجيب محفوظ ـ مثلا ـ من أثر المنفلوطى واتبع أصحاب الكتابة الجديدة ، أى الكتابة المناهضة للكتابة المنفلوطية .

المنفلوطى والسياسة

نعود إلى ذلك الكتاب المجهول فنقول إنه كتاب سياسى من أوله إلى آخره ، ولكن ماصلة المنفلوطى بالسياسة ؟ هل كان كاتبا سياسيا مثلما كان كاتبا اجتماعيا ووجدانيا ؟

وربما يكون من المستغرب أن يبدأ المنفلوطى حياته الأدبية بالسياسة ، ولكن أغلب الظن أنه كان فى بواكير حياته شابا متحمسا يفيض بالغيرة على بلاده ومستقبلها ، ومع أنه لم يتغير من هذه الناحية بعد ذلك فقد كانت حماسته الأولى متدفقة فيما يبدو ، ففى نحو العشرين من عمره ، أو أكثر قليلا ، عام ١٨٩٧ ، هاجم الخديو عباس الثانى فى قصيدة كانت لها ضجة وقضية مثيرة ، على الرغم من أنها ظهرت بدون توقيع ، وعلى الرغم أيضا من أنه لم يكن وحده ناظمها .

وفيها يخاطب الخديو بقوله :

رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا
مصوب سهم بالبلاء شديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا
إذا أصبح التركى وهو عميد (١)

إصلاح الإدارة والمال ورعاية العدل والحرية لا يأتي إلا من حكومة تحبها الأمة

وقد روى العقاد البيتين بصورة مختلفة ، وأضاف أن التغيير جاء فى الرواية المسموعة للقصيدة ، وهى تختلف عن نصها المنشور(٢) . وكانت القصيدة قد خضعت لعملية تغيير كبيرة عند الناس والشعراء وقتها(٣) . وكان من نتيجة ذلك – على أى حال – أن قبض على المنفلوطى وحقق معه ، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر ، وبرىء محمد توفيق البكرى الذى قيل أنه شريكه فى نظم القصيدة .

يبدو أن سجنه قد أثر فى كتابته وسلوكه بعد ذلك . فقد استرحم الخديو بقصيدة مدح بعدها(٤) وسجل فى أكثر من موضع فى كتابه « النظرات » كراهيته للسياسة والسياسيين .

ومع ذلك هاجم الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت الذى زار مصر سنة ١٩١٠ وأيد استعمارها على أيدى الإنجليز ، كما هاجم اللورد كرومر أكثر من مرة ، وتعلق بسعد زغلول مادحا ومؤيدا حتى وفاته ، وتعرض بسبب هذا التعلق إلى الفصل من وظيفته ومصادرة كتابه « النظرات » حين حاول طبعه مع بعض مقالات كتابه المجهول هذا ، بل رفض أن يحرق مقالات هذا الكتاب حين جاءه حسن نشأت وكيل الديوان الملكى ليعرض عليه وظيفة فى الديوان مقابل إحراق الكتاب ، ولما رفض المنفلوطى قام نشأت نفسه باحراقه ، ثم جاءت الشرطة للتفتيش فلم تجد شيئا ، ولكن بيته ظل محاصراً أربعة أيام .

وتدعونا صلة هذا الكتاب الممنوع بسعد زغلول إلى الحديث عن صلة المنفلوطى نفسه بسعد زغلول ، وقد كانت هذه الصلة نابعة من العلاقة الشخصية بين الرجلين ، وهى كالتى تجمع بين الشيخ والمريد ، أو بين الأستاذ والتلميذ ، وقد جمعت من قبل بين محمد عبده والمنفلوطى ، فقد كان محمد عبده أستاذ المنفلوطى فى الأدب والحياة ، وكان راعيه فى بداية حياته ، وأغلب الظن أنه هو الذى قدمه إلى أصدقائه ومريديه ، وعلى رأسهم إبراهيم المويلحى صاحب « مصباح الشرق » الذى نشر له بواكير كتاباته ، وسعد زغلول المحامى الناجح والسياسى الواعد – فى أواخر القرن الماضى – الذى كان له أفضال عديدة عليه بعد ذلك .

كان محمد عبده هو الذى تشفع عند الخديو للعفو عن المنفلوطى بعد غضبته عليه ، ولما مات محمد عبده عام ١٩٠٥ حزن عليه تلميذه المنفلوطى ، وترك القاهرة إلى بلدته « منفلوط » ولم يعد إلا فى أواخر عام ١٩٠٨ ، وكان سعد زغلول أشبه بولى أمره بعد ذلك ، فحين عين وزيرا للمعارف فى ذلك العام الذى عاد فيه المنفلوطى إلى القاهرة عينه محررا عربيا بالوزارة ، وهى وظيفة مهمتها ترقية أساليب الكتابة الديوانية ، ولما ترك سعد زغلول وزارة المعارف وتولى وزارة الحقانية (العدل) نقل المنفلوطى إليها ، وأسس له الوظيفة ذاتها ، ولما انتخب سعد زغلول وكيلاً للجمعية التشريعية (مجلس النواب) عام ١٩١٣ جعل المنفلوطى سكرتيرا بالجمعية ، وفى مقابل هذا حفظ المنفلوطى عهده وولاءه لأستاذه ، وكتب مقالات هذا الكتاب الممنوع على مدار السنوات ١٩٢١ – ١٩٢٣ دفاعا عن سعد زغلول وهجوما على خصومه الذين انشقوا عليه ، بل إنه دافع عن سعد زغلول ابتداء من ثالث مقال نشره بجريدة « المؤيد » فى بداية حياته ، وفى عام ١٩١٠ أصدر المنفلوطى الطبعة الأولى من « النظرات » وصدرها بعبارة وصف فيها زغلول بقوله : « ولى أمرى سيدى سعد باشا زغلول » ، ويشاء القدر أن يكون يوم الاعتداء على سعد زغلول فى ١٢ يوليو ١٩٢٤ هو نفسه يوم وفاة المنفلوطى ، فلما بلغ النبأ الزعيم الجريح بكى ، وصور حافظ ابراهيم الموقف فى رثائه للمنفلوطى قائلا :

قد بكاك الرئيس وهو جريح
ودموع الرئيس كالرحمات (٥)

وقد مات المنفلوطى بعد نحو عام من ظهور كتابه الغفل من التوقيع هذا ، وقامت الحكومة فى عهد عبد الخالق ثروت رئيس الوزراء بمصادرة الكتاب وقتها ، وفصل المنفلوطى من وظيفته . ومن الواضح أن الحكومة علمت بوسائلها الخاصة حقيقة صلة الكتاب بالمنفلوطى ، وقد حاول البعض أن يشير بأصابع الاتهام إلى طه حسين ، وأن ينسب إليه وشايته بالمنفلوطى ، فقد ذكر محيى الدين رضا – الصحفى والكاتب شقيق محمد رشيد رضا – أن طه حسين وشى بالمنفلوطى إلى وزارة ثروت حين أصدر الطبعة الرابعة من « النظرات » مضافا إليها مقالاته فى الدفاع عن سعد زغلول ، وأن الحكومة صادرت تلك الطبعة ، وأحالته إلى المعاش ، حتى عينه الملك فى ديوانه ثم فى البرلمان (٦) .

ومع أن صلة طه حسين بثروت كانت قوية فى ذلك الوقت ، وأن كتابه الممنوع « فى الشعر الجاهلى » قد صدر عام ١٩٢٦ بإهداء عاطفى إلى عبد الخالق ثروت ، فليس من السهل التحقق من صحة تلك الوشاية ، ولا نعتقد أن لها قيمة فى عملية مصادرة الكتاب ، وإحالة صاحبه إلى المعاش ، فلاشك أن ثروت قد عرف الحقيقة من مصادر متعددة ، وأنه اتخذ قراره بناء على موقفه المضاد لسعد زغلول ، فضلا عن رغبة القصر والانجليز – وقتها – فى كسر شوكة زغلول ، فالأمر كله لم يكن موجها إلى المنفلوطى بمقدار ماكان موجها إلى سعد زغلول .

الخلفية التاريخية

مالذى أراد المنفلوطى أن يقوله فى كتابه الممنوع « القضية المصرية » أو ماسميناه « انشقاق الوفد » ؟ ماحكاية انشقاق الوفد هذه ؟

سنكتفى هنا بمصدر واحد ، ولكنه جامع شامل لمصادر أخرى متعددة ، هو كتاب « تطور الحركة الوطنية فى مصر » للدكتور عبد العظيم رمضان الذى درس فى جزئه الأول تطورات الأحداث الوطنية فى الفترة من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦ .

ونبدأ الحكاية من أولها :

فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ تألف « الوفد المصرى » الذى سعى للتفاهم مع الانجليز حول مستقبل العلاقة بين مصر وبريطانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، ولايهمنا هنا أن نعرف حقيقة الخلاف التاريخى وتفاصيله حول تسلسل ظهور فكرة تأليف وفد على هذا النحو

كتاب للمنفلوطي

يؤدي إلى فصله من وظيفته وتأمر حكومة الاحتلال بمصادرته ويثير ضجة وطنية كبيرة

للمطالبة ببحث العلاقة بين البلدين وتحقيق الاستقلال لمصر، وإنما يهمنا النتيجة التى وصلت إليها الفكرة، وهذه النتيجة مؤداها أن الوفد تكون بالفعل فى ذلك التاريخ من سعد زغلول رئيسا وعضوية كل من: على شعراوى، عبد العزيز فهمى، محمد محمود، أحمد لطفى السيد، عبد اللطيف المكباتى، محمد على علوبة، وتم ذلك التكوين عن طريق الوكالة الشعبية، أى عن طريق تحرير توكيلات من مختلف طبقات الأمة، ثم ضم سعد زغلول بعد ذلك عدداً آخر من المشتغلين بالقضية المصرية ـ كما كانت تسمى ـ وهم اسماعيل صدقى ومحمود أبو النصر وعبد الخالق مدكور ومصطفى النحاس وحافظ عفيفى وسينوت حنا وجورجى خياط وواصف غالى وحمد الباسل، وفى ٢٣ نوفمبر ١٩١٨ تم التصديق على قانون الوفد، وكانت المادة الثانية من القانون تنص على أن مهمته هى «السعى بالطرق السلمية المشروعة، حيثما وجد للسعى سبيلا، فى استقلال مصر استقلالا تاما».

ولكن هذا السعى من أجل الاستقلال بالطرق السلمية المشروعة مالبث أن تفجر بعد ذلك فى ثورة ١٩١٩ الشعبية العارمة، وفيها تألق الوفد وقيادته وصارت لهما الزعامة الشعبية المنشودة، حتى رضخ اللورد مِلْنَرْ لتطورات الأحداث وقبل التفاوض مع الوفد وحده، بصفته الممثل الشعبى للأمة. ومع ذلك انتهت مفاوضات سعد زغلول وملنر إلى طريق مسدودة بسبب مراوغة الانجليز، بل إن هذه المفاوضات شهدت أول تصدع فى الوفد المفاوض فى لندن، فقد حاول الإنجليز أن يشقوا الوفد، وأن ينفذوا من الشق إلى مصالحهم، حتى نجحوا فى الحصول على موافقة عدلى يكن ـ عضو الوفد ـ على مشروع مِلْنَرْ مع بعض التعديلات، بالرغم من معارضة سعد زغلول للمشروع برمته، ثم قرر سعد عرض المشروع على الأمة وتحكيمها فى صلاحيته، وجاءت نتيجة التحكيم فى صف رأى سعد، فقد قررت الأمة ـ عن طريق مندوبيها ـ عدم صلاحية المشروع «مالم تقبل


د. طه حسين

معه التحفظات التى قيدت الأمة قبوله بها وأهمها إلغاء الحماية» التى أعلنتها بريطانيا على مصر وقت الحرب الأولى.

أصبح من الواضح بعد هذه التجربة أن هناك تيارين متعارضين فى الوفد: تيار المتطرفين بقيادة سعد زغلول وتيار المعتدلين بقيادة عدلى يكن، وكان التيار الأول يعتد بالشعب ويرفض التفريط فى حقوقه فى الحرية والاستقلال، فى حين كان التيار الآخر يأخذ بالحلول الوسط ولايريد التورط فى إغضاب الانجليز أو القصر.

وقد عاد سعد من تجربة المفاوضات غير الناجحة مع مِلْنر أكثر اعتدادا وتمسكا بالقوة الشعبية التى التفت حوله وزودته بالمزيد من الثقة بالنفس، وعند وصوله إلى القاهرة فى ٥ أبريل ١٩٢١ استقبله الشعب بحفاوة بالغة.

لم يغلق تيار الاعتدال فى الوفد باب التفاوض مع الانجليز، على أى حال، فقد شرع عدلى يكن رئيس الوزراء وقتها فى جولة أخرى من المفاوضات، ويقول الدكتور رمضان فى ذلك إن المعتدلين «غرتهم كثرتهم فى الوفد فآثروا الصدام مع سعد زغلول فى قمة شعبيته وتأييد الأمة له، فكان هذا الصدام بداية مرحلة صاخبة فى حياة مصر الداخلية، أرسيت فيها كل تقاليد الصراع الحزبى العنيف والخصومة الحادة التى طبعت حياة مصر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو» (٧).

وقد وقع الصدام بين عدلى وسعد بسبب الخلاف حول شروط الأخير للاشتراك مع وزارة الأول فى المفاوضات، وكانت الشروط هى إلغاء الحماية والأحكام العرفية والرقابة على الصحف، والحصول على اعتراف بالاستقلال التام، مع الاحتفاظ للوفد بأغلبية المفاوضين ورئاسة الوفد المفاوض واستصدار مرسوم سلطانى بتحديد مأمورية المفاوضين، وكان شرط رئاسة الوفد وتحكمه فى الأغلبية هو السبب فى الصدام، فقد رفض عدلى وتياره المعتدل هذا الشرط بحجة أنه رئيس الوزارة وأن الأمر لا يستحق التحزب، وقرر الاستمرار فى المفاوضات.

يقول الدكتور رمضان مرة أخرى إن عدلى كان يدرك الخلاف فى صفوف الوفد، وأن سعد لو أصر على موقفه من طلب عدم الثقة بالوزارة، فإن النتيجة سوف تكون انشقاق الوفد وتفتيته. كما كان يدرك أن فى انشقاق الوفد ضعفا لسعد وقوة له هو شخصيا، وهذا ماحدث، ولكن النتيجة كانت ضعفا لعدلى والمنشقين، وقوة لسعد وأصحابه، وهكذا تفاوض جورج الخامس مع جورج الخامس كما قال سعد زغلول، فقام عدلى رئيس الوزارة وأحد موظفى الحكومة الانجليزية كما سماه سعد بالتفاوض مع الحكومة الانجليزية التى ترعاه وتحفظ له وظيفته، ومع ذلك لم يصل إلى شيء أكثر مما وصل إليه سعد من قبل، ولكن أخطر شيء كان الانشقاق وانسحاب عدد كبير من الوفديين الأوائل عن زعيمهم، ولم يبق مع سعد سوى نفر قليل مثل النحاس وغالى وحنا وواصف، وتفرع المنشقون إلى مجموعتين: مجموعة أعضاء حزب الأمة القديم وأنصارهم، وقد كونوا حزب الأحرار الدستوريين ففيما بعد، ومجموعة أخرى من أعضاء الحزب الوطنى الذى أصبح يمثل السلبية فى السياسة على حد قول الدكتور رمضان، وفوق هذه وتلك علا نجم الملك فؤاد كقوة تهدد سلطة الشعب وحقوقه، ومضى عدلى يكن فى تحديه لمشاعر الأمة وسلطتها، غير آبه بالمظاهرات التى اجتاحت البلاد ضده

وفشل فى مفاوضاته مع الانجليز ، وكانت النتيجة النهائية هى نفى سعد زغلول وصدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ . ولكن روح ثورة ١٩١٩ لم تخمد (٨) .

مع سعد ضد الانشقاق

هذا هو مجمل الأحداث التى استفزت مشاعر المنفلوطى ، وأخرجته — مرة أخرى — عن سياق كتاباته الوجدانية والاجتماعية التى عرف بها . ولم يكن السر وراء استفزاز مشاعر المنفلوطى سوى فزعه من الخطر الذى هدد الوحدة الوطنية للأمة وزعمائها فى وقت واحد ، وتمثلت آثار هذا الاستفزاز فى ١٣ مقالا شكلت كتابه الصغير الممنوع .

والآن : ماذا يقول المنفلوطى فى كتابه هذا أو فى مقالاته هذه ؟

لقد استهل المقالة الأولى بعنوان « العاصفة » برشاش من الصور البيانية التى عهدناها فى مقالاته غير السياسية . يقول :

« إن قلبى يرتعد خوفا وفرقا ، أسمع قعقعة فى جوف السماء فهل هى نذير العاصفة التى يريد الله أن يرسلها علينا ؟ أرى الوجوه شاحبة ، والعيون حائرة ، والجباه عابسة ، فهل شعر الناس بويل مقبل انقبضت له صدورهم ، واقشعرت له جلودهم ؟ ماهذا المنظر المرعب المخيف ؟ ماهذه الضوضاء المرتفعة بالمجالات والمناقشات فى المجتمعات العامة والخاصة ؟ ومن هم هؤلاء الذين يتصارعون ويتجاذبون ، ويبغى بعضهم على بعض ؟ إن كانوا مصريين فويل لمصر وأهلها ومستقبل الحياة بعد اليوم ، هذا هو شأن الأمم البائدة فى أدوار سقوطها واضمحلالها ، وفى ساعة وقوفها على حافة الهوة العميقة » .

بهذه المقدمة المنفلوطية المعهودة يمضى الرجل الذى كان يُبْكى الناس باللغة والبيان ، ويستطرد ، ثم يستطرد كعادته ، حتى يبلغ الحديث عن سعد زغلول فى صراعه مع خصومه المعتزين بالقوة الأجنبية على حد تعبيره ، ويجد أن البلاد قد تقاسمتها قوتان هائلتان : قوة العدو الخارجى المستترة ، وقوة العدو الداخلى الظاهرة ، وكلاهما تسلم للأخرى ، وهما معاً يدعواننا إلى قوة أعظم تخلصنا منهما ، فلا الإنجليز ولا خصوم سعد أفضل لمصر . وليس لهما دواء سوى « قوة العقيدة الراسخة ، والإيمان الثابت ، والثقة بالنفس ، والأمل الواسع ، والثبات على المبدأ » .

■ القائد الحقيقي يُرَبي الشعب على الفضيلة وشرف الخُلق ، ويثبّت فيه روح الهِمَّة والعزيمة والصِّدق

■ رجل واحد من أبناء الأمَّة يتمسَّك بالحق .. في استطاعته أن يثبت أمام أقوى قوَّة في العالم

وهو يتهم الانجليز بأنهم سبب تفريق الوحدة الوطنية « الشريفة » التى هى الحياة والروح وخير ما استفدنا من جهادنا ، لأن النهضة التى نهضتها مصر لم تكن رواية تمثيلية ، « والشرق لم يشق بالجهل ولا بالضعف كما يقولون ... بل لأنه يوجد فى كل شعب من شعوبه أمثال هؤلاء الأقوام (يقصد خصوم سعد) الذين ابتلينا بهم فى مصر ، خبثاء الأغراض والمقاصد ، موتى العواطف والمشاعر » .

ولكن المنفلوطى لاينهى المقال بالدعوة إلى محاربة هؤلاء المنشقين الخارجين كما قد يتوقع قارىء المقال . فهو يرى أن الانجليز قوة لاقبل لنا بها ، وأن هذه القوة تحميهم . بل لايرى أن يجادلهم الناس فيما اعتنقوه لأنهم من السماجة والصفاقة بحيث يستطيعون إنكار أن الأرض أرض والسماء سماء ، وليس عنده من دواء إزاءهم سوى الإعراض عنهم ، وهذه رؤية الأديب صاحب الخيال لا السياسى صاحب المواقف .

فى المقالات الثلاثة التالية بعنوان « إلى خصوم سعد باشا » يحمل المنفلوطى هراوة ضخمة ، وينزل بها على رؤوس المنشقين ، فهو يعد سعد زغلول « خصم السياسة الانجليزية فى مصر » وخصومه أصدقاء تلك السياسة ، ويفضح تشدق هؤلاء بالوطنية ، لأن دعوى الوطنية عنده قد أصبحت كلمة بسيطة نطق بها جميع الناس فى مصر بما فى ذلك « سكينة » مجرمة الاسكندرية التى زعمت أنها « كانت تخدم الوطن بقتل النساء العاهرات ليعتبر بمصرعهن الحرائر الشريفات » ، فهى دعوى محتاجة دائما إلى برهان على حد قوله ، وبرهانها الوحيد عنده هو « مجافاة السياسة الانجليزية » ، أى مناصرة سعد زغلول .

ولذلك يطالب المنشقين ببرهان واحد على وطنيتهم ، هو أن يعقدوا اجتماعا عاما يعلنون فيه الاحتجاج الشديد اللهجة على بقاء الأحكام العرفية فى مصر والقوانين الاستثنائية ، وقانون المطبوعات ، وتقييد حرية الخطابة والكتابة ، ومنع المظاهرات السلمية والاجتماعات السياسية ، واعتبار الوطنية جريمة تعاقب عليها المحاكم العسكرية والنظامية ، ثم يطالبهم بعد إعلان هذا الاحتجاج بأن يختتموه بهذه الكلمة :

« إنا لانقبل مفاوضة سياسية تجرى بين فريقين ، أحدهما سجين فى سجن مظلم ضيق ، لايستطيع التنفس فيه ولا الحركة ، والآخر سجان قاس مستبد يجرد على رأسه سيف القوة والقهر ، ويملى عليه مايريد ويشتهى » .

وفى المقابل ، إذا لم يفعل المنشقون هذا ، فهو يستأذنهم فى أن يعدهم الشعب أعداءه ، وأن يلوذ بالاخلاص للرجل الذى يجاهد فى سبيل شعبه وأمته ، وهذا الرجل نفسه — سعد زغلول — لن تتخلى عنه الأمة مادام واقعا تحت سخط السياسة الانجليزية وما دام باقيا فى صفوف الأمة ، وهنا يعلن المنفلوطى أن سعداً ليس خصم المنشقين ، وإنما خصومهم هم

كتاب للمنفلوطي

يؤدي إلى فصله من وظيفته وتأمر حكومة الاحتلال بمصادرته ويثير ضجة وطنية كبيرة

أولئك الذين يغرونهم به ويسلطونهم عليه ، لأنهم – الانجليز – يعلمون أن « الأمة لاتفلح بغير زعيم » .

ويحلل المنفلوطى بعد ذلك الأيادى الثلاث التى لسعد زغلول على الأمة :

١ – تأسيس الوحدة المصرية التى عجزت عنها القرون الثلاثة عشر الماضية .

٢ – نقل الفكرة الوطنية من دور الأمانى والأحلام إلى دور الجد والعمل .

٣ – نشر الدعوة الوطنية فى أنحاء العالم كله حتى وجدت فيه مسألة تسمى « المسألة المصرية » .

فى المقابل أيضا لايجد المنفلوطى لخصوم سعد شيئا من المنن ، بل يجد كل مايسيء إليهم ومايسيء منهم إلى وطنهم ، ويشرع فى مقارنة طويلة بينهم وبين الزعيم ، ومن المقارنة قوله بطريقته المعهودة التى ازدادت هنا حماسة وخطابية :

« سعد باشا يصيح فى جميع مواقفه ومشاهده قائلا : يجب أن يكون الشعب حرا مطلقا ، يختار لنفسه السياسة التى يريدها ، وأنتم تصيحون قائلين : يجب أن يساق الشعب إلى السياسة التى تراد منه ، لأنه شعب جاهل منحط لايفهم مصلحته ، ولايستطيع تقديرها ، سعد باشا يربى الأمة على الفضيلة وشرف الخلق ، ويبث فيها روح الهمة والعزيمة والأنفة والصدق والصراحة والشرف والإباء وأنتم تفسدون أخلاقها وتمزقون أديم آدابها ، وتطلبون من القاضى أن يحكم بغير مايعتقد ، ومن الشاهد أن يشهد بغير مايعلم ، ومن الفقيه أن يفتى بما يخالف أحكام دينه وقواعده ... سعد باشا يقول فيصدق ، وماعرفنا له أكذوبة قط مذ عرفناه ، واتصلنا به حتى اليوم ، وأنتم تطلعون علينا كل يوم بأكذوبة جديدة لاينتهى العجب منها حتى تتبعها أختها ، حتى سقطتم من أعيننا سقطة لم تسقطها طائفة من قبلكم ، وحتى قال عنكم أصحاب الرأى من الشيوخ المحنكين إنكم قد أفسدتم من أخلاق الأمة فى بضعة شهور فوق ماأفسد الاحتلال الانجليزى منها فى أربعين عاما » .

وعلى هذا النحو يمضى فيقارن عمل المنشقين بعمل محاكم التفتيش فى اسبانيا ، وتشتد لهجته عنفاً فيصف عدلى يكن بأنه « طريد الأمة وشريدها » ويتهم أنصاره بالطمع والشره والأنانية والعمالة للاستعمار .

فى المقال التالى – الخامس – بعنوان « اليوم الأسود » يذكر المنشقين بجرمهم الذى ارتكبوه فى مدينة أسيوط حين سلطوا زبانيتهم على سعد ورجاله يريدون إغراقهم فى النيل ، ويعد ذلك يوما أسود ، ويعدهم « رؤساء عصابات » ، ويعد حزبهم الذى حاولوا تكوينه « فئة من اللصوص المجرمين حملة الهراوات والنبابيت » ، بل يعدهم « بلهاء » ثم يضيف :

« لم يتكون حزب سياسى فى مصر تحت زعامة عدلى باشا ، والناس لايعرفون من أمر الرجل شيئا سوى أن السياسة الانجليزية اختارته لرئاسة الوزارة ، والمفاوضة فى المسألة المصرية ، فإن ذكر ذاكر منهم شيئا من ماضيه لايذكر له سوى أنه كان عضوا مهما فى وزارة الحماية التى ضربت على مصر فى سنة ١٩١٤ ، وأنه أول من ثغر فى جنح الظلام ذلك السد المتين الذى أقامته الأمة المصرية فى وجه لجنة ملنر وأنه أول رئيس وزارة اجترأت على مفاوضة الانجليز فى المسألة المصرية رغم إرادة الأمة وإرادة وكلائها » .

ويصل فى مقاله التالى بعنوان « جريمة الانشقاق » إلى التعليق على فشل عدلى يكن فى مفاوضاته الرسمية وما عرضه عليه الإنجليز بصورة أقل من الصورة التى رفضها سعد زغلول من قبل ، ويطلب من عدلى وشيعته الذين فرقوا وحدة الأمة ألا يلوموا سوى أنفسهم ، لأن سعداً حذرهم فلم يسمعوا ، ونورهم بالحق فلم يذعنوا ، فى حين « أن لاقوة فى مصر غير قوة الشعب ، ولا حكم فيها إلا حكمه » .

فى المقال التالى – السابع – بعنوان « عبرة الدهر » يستخلص المنفلوطى من فشل عدلى وأصحابه فى المفاوضات مع اللورد ملنر ثم مع اللورد كيرزن عبرة تتلخص فى « أن رجلا واحدا من أبناء أمتكم – يقصد سعداً – تمسك بالحق فاستطاع أن يثبت أمام أقوى قوة فى العالم ، وأن ثباته قد أنقذ مصر من أعظم نكبة » ، وفى المقالين التاليين بعنوان « إلى أعدائنا » يوجه الخطاب إلى الإنجليز ، ويصفهم بأنهم قوة لاتوجد فى العالم قوة أخرى توازيها ، ولكن مصر على ضعفها وخلو يدها من السلاح أقوى منهم ، والسبب هو أن الانجليز حاربوا مصر بسلاح الخديعة والمكر الذى انتصروا به من قبل على شعوب الشرق ، ومع ذلك استطاع هذا الشعب الشرقى الصغير أن يدرك خبايا مقاصدهم .

ثم يناديهم : « اقتلونا ولكن بأيديكم لا بأيدينا ، ألفوا الوزارة ولكن من رجالكم لا من رجالنا ، أملكوا علينا كل شيء إلاّ قلوبنا وأفئدتنا ، احكمونا باسم الأحكام العرفية والأساليب العسكرية ، لا باسم القوانين الشرعية والأحكام السماوية والأرضية ، افتخروا بأنكم قمعتم الحركة المصرية ، وأنكم أخفتم الناس وأرهبتموهم ، ولكن لاتفخروا بأنكم حللتم مشكلة مصر ، وفرغتم من قضيتها » .

ويسأل المنفلوطى الانجليز عن جريرة الرجل الذى حكموا عليه بالنفى – سعد زغلول – مع أنه من فريق الدعاة لا من فريق الثوار على حد قوله ، كل ذنبه أنه طالب بحق بلاده بالحجة والبرهان ومع ذلك لم يرحموا شيخوخته ومرضه ، ثم يذكرهم بأنهم كانوا يفاوضون بالأمس ، وصاروا يشردون الزعماء اليوم . وينهى مقاله الأخير بنداء :

« سنأكل الشيح والقيصوم إن عز الطعام إلا من أيديكم ، ونلبس الجلود والفراء إن أقفرت الأرض إلا من مصانعكم ، ونشرب الملح الأجاج إن أبى العذب الزلال أن ينبع إلا فى أفقكم ، ونعيش فى الظلمة الداجية إن أبت الشمس أن تشرق إلا من آفاقكم ، وسنخلع عن أرضنا ثوب الخصوبة والجمال ، ونلبسها ثوب القحط والجدب ، لنقطع السبيل على مطامعكم ، ونكدر عليكم صفاء العيش بين ظلالها وأمواهها ، غير شاكين ولا متبرمين ،

رجل واحد من أبناء الأمة يتمسك بالحق.. في استطاعته أن يثبت أمام أقوى قوة في العالم

فلا خير فى نعمة يكدّرها الذل ، وبُعْداً لماء لا يشربه شاربه إلا ممزوجا بدم » .

فى المقال التالى ـ العاشر ـ بعنوان « إلى سعد باشا فى منفاه » يقدم المنفلوطى بطريقته المعهودة ترنيمة حب وعزاء للزعيم المنفى ، ويضفى عليه كل ما أمكنه من صفات وخِلال ، ويخاطبه بكلمة « مولاى » ، والمقال كله قطعة إنشائية منفلوطية نموذجية ، ثم يمضى فى المقال التالى بعنوان « فى أى سبيل هذا ؟ » فيذكر الزعيم المنفى بما جناه « المعتدلون » . ثم يذكر بما جنت أيديهم فى حق البلاد وحق زعيمها .

وفى المقال التالى أيضا بعنوان « ثم ماذا ؟ » يمضى مرة أخرى فى نكيره على المنشقين بعد أن بلغت الشدة منتهاها فى أواخر عهد الوزارة الثروتية ، على حد تعبيره ، نسبة لعبد الخالق ثروت ، ويذكرهم بما تحتاج إليه الأمة من توحيد الكلمة والدستور والبرلمان ، وإصلاح المال والإدارة والعلم ، ورعاية العدل والحرية ، ولكن هذا كله لا يأتى إلا من حكومة تحبها الأمة ، ومع ذلك فهو لا يطالب المنشقين بالانسحاب من الحكم ، وإنما يطالبهم بألا يتعرضوا لقضية مصر السياسية بوجه من الوجوه ، وإلا فليعلنوا أن المسألة المصرية حكومية محضة لا دخل للأمة فيها .

وفى المقال الأخير ـ الثالث عشر ـ يخص سعد زغلول بالتحية والتهنئة بسلامة العودة من المنفى ، ويخاطبه على نحو يذكرنا بما فعله توفيق الحكيم فى « عودة الروح » قائلا : « مرحبا بالأمة فى رجل ، والعالم فى واحد ،

والبطل الذى تمر به الحوادث الجسام التى تطير بألباب الرجال فيثبت ثبات الصخرة الصماء فى وجه الرياح الهوجاء ... إننا نحييك يامولاى فنحيى فيك الشرف والنبل ، والهمة والشجاعة ، والصبر والجلد ، والإخلاص والوفاء ، والتضحية الشريفة ، والألم الصامت ، ونحيى فيك مصر القديمة لأنك



عدلى يكن



توفيق الحكيم

ولدها النجيب ، ووارث صفاتها ومزاياها ، ومصر الحديثة لأنك واضع أساسها ، وغارس غرسها ، ونحيّى معك تلك السيدة العظيمة المجاهدة الصابرة شريكتك فى نعمائك وبأسائك ومعينتك على همومك وآلامك .. »

بهذه العبارة الأخيرة وما تلاها من ترادف الحب والتحية ينتهى كتاب المنفلوطى المجهول ، والكتاب كله ، بمقالاته الثلاثة عشر ، يمثل المنفلوطى نفسه خير تمثيل فى رؤيته وتناوله ولغته ، أما مادته فهى هنا مادة سياسية فى الأساس ، ولكنها تطوف بالتاريخ والاجتماع ، وإذا عدنا إلى رؤيته الحزينة القاتمة التى نعهدها فى كتاباته الأخرى فالرؤية هنا حزينة وقاتمة أيضا ، فهو قلق وحزين على مستقبل البلاد فى أيدى المنشقين ، وهو أيضا متشائم يرى المستقبل كئيبا بدون سعد زغلول ، بل إن تناوله لموضوع ذلك الانشقاق الخطير فى صفوف الوفد لم يخل من العاطفية المسرفة والمبالغة والاستطراد .

ولم تخل لغته أيضا من التكرار والترادف ، والتضمين من القرآن والشعر ، والخطابية ، والازدواج وأدوات الاستفهام والاستدراك .

وبهذه الخصائص كلها يصبح الكتاب وثيقة أدبية مثلما هو وثيقة سياسية ، وهو وثيقة أدبية تتعلق بانتاج المنفلوطى من ناحية ، وهو أيضا وثيقة سياسية تتعلق بوطنية المنفلوطى وعصره من ناحية أخرى ، وهو أخيرا درس من دروس الوطنية .

على شلش

هوامش

١ ـ محمد أبو الأنوار (الدكتور) : مصطفى لطفى المنفلوطى ج ٣ ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ص ٢٩١ .

٢ ـ عباس العقاد : رجال عرفتهم ، كتاب الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٠٢ . وقد أورد العقاد البيتين ـ من الرواية المسموعة ـ على الصورة التالية :

رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا
سهام بلاء وقهر شديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا
إذا أصبح القولى وهو عميد

٣ ـ أبو الأنوار ، المصدر السابق ، ص ٤١ ـ ٥٢ .

٤ ـ أبو الأنوار ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

٦ ـ أحمد عبيد : كلمات المنفلوطى ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٩٢٤ ، ص ١٣٨ .

٧ ـ عبد العظيم رمضان (الدكتور) : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦ ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ ص ٣٢٠ .

٨ ـ المصدر نفسه ، ص ٣١٦ وما بعدها .

المرض الذي رفض الاستسلام للطب الحديث

الزكام

مفاهيم حديثة تلغي معظم معلوماتنا السابقة



بقلم الدكتور: عبدالله الباكر

أضواء على الزكام «البرد»

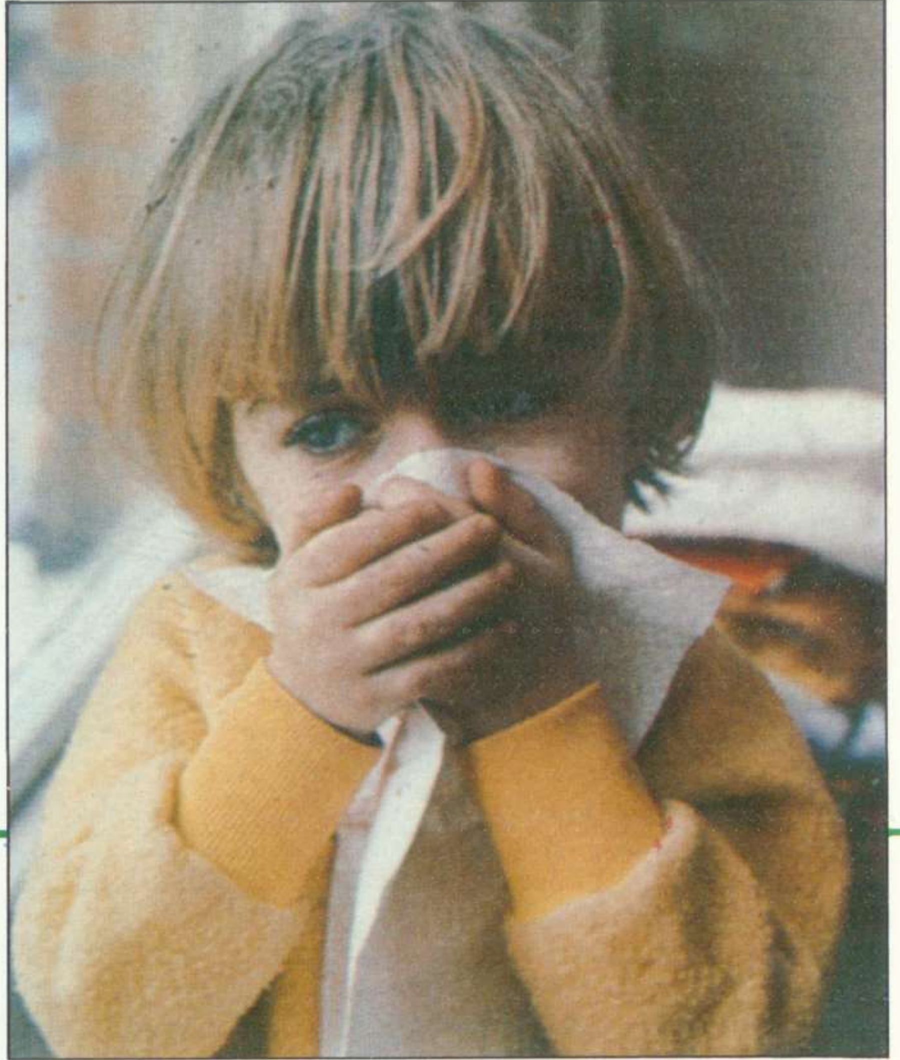
يعتبر الزكام من أقدم الأمراض وأكثرها انتشاراً على مر الأزمنة ، ولا يكاد يخلو منه منزل على طول العام ، ومن النادر أن يمر عام على أحد دون الاصابة به ولو على شكله الخفيف ، ومن الناس من يصاب به أكثر من ثلاث أو أربع مرات في العام ، وقد يصل إلى ١٠ مرات في الأطفال . ويشير التقييم الحديث إلى أن أمراض الجهاز التنفسي الحادة تشكل أكثر من نصف جميع الأمراض الحادة المعوقة وأن الزكام يعتبر أكثرها حدوثاً ، ففي الولايات المتحدة تتم الاصابة بمعدل مائة مليون حالة معوقة سنوياً ، حيث ينتج عنها في المعدل ٢٥٠ مليون يوم من النشاط المحدود و ٣٠ مليون يوم ضائعة من العمل أو المدرسة ، وتقدر مبيعات الأدوية والوصفات التي تباع من غير روشتة بمليار دولار سنوياً ، والأمر لا يقل عنه خسارة في بقية البلدان التي لديها احصائيات دقيقة والتي ليست لديها هذه الاحصائيات أيضاً ، هذا بالاضافة إلى المصاريف والتعقيدات التي قد تحدث من جراء الوصفات الشعبية والنصائح المختلفة .

■ مازلنا نتصور أن سبب هذا المرض هو برودة الجو

■ جهاز التكييف يحمي جسم المصاب من فقدان السوائل في الحر

■ هنالك أكثر من ٢٠٠ فيروس في العالم تسبّب الزكام

■ الاتصال بالأيدي أخطر من الانتقال الهوائي لهذا الفيروس



تتحول أنوف الأطفال إلى مخازن هائلة للفيروس أثناء المرض

إن الزكام هو أحد أبرز الأمراض التي يكثر فيها اجتهاد المجتهدين والخائبين على حد سواء.. والسبب في ذلك كان عجز الهيئات الصحية عن ايجاد الحلول المناسبة، فلقد استعمل الأقدمون النزف كعلاج له، ورأى أبو قراط أنه علاج عقيم، وفي القرن الأول للميلاد دعا أحد التلاميذ المجتهدين «بليني» الى تقبيل الخطم «الأنف» الشعري للفأر كوسيلة للعلاج، بينما وصف البعض بعدها شوربة الدجاج كعلاج للأمراض، ومنها أخذت فكرة استنشاق الهواء المشبع بالبخار الحار، وجاء الأطباء الشعبيون بقاموس الأعشاب لدرجة أنك لو فتحت كتاب الدكتور أمين رويحة وبحثت في الفهرس لوجدت فقرة عن الأنف تحتوي على النباتات التي تستعمل لعلاج الزكام وأهمها «البصل، الخمان الأسود، بابونج، قسطل الفرس، زنبق الوادي، حلبة، صعتر، زيزفون، غافث، مردقوش ونعنع، وهذه غالباً تستعمل على هيئة لبخة أو للاستنشاق أو للشرب أو كمستحلب».. وهذه الوصفات مأخوذة من الطرق التقليدية القديمة، ولذا فليس من المستغرب إذا كانت الدول المتقدمة أيضاً تستعمل مختلف الوصفات حتى الآن حيث تجد ذلك في كتاب حديث أصدرته «باربارا جريجز» وهي مستشارة معروفة لمجلة الصحة الجديدة الصادرة في انجلترا، ويعتمد الكتاب على الأعشاب والمواد المصنوعة منها وعلى مبدأ «أخْرِجْهُ عن طريق العرق» «Sweat it out». وهذه الطرق الشعبية غالبيتها تستعمل العسل والسكر والليمون في غالبية الوصفات بالاضافة إلى البصل والثوم بكثرة لأنهما يساعدان على عدم العدوى بسبب ابتعاد المصابين عنا.

ولقد شاركت الهيئات الطبية بما لديها من أدوية، بالمسكنات والمبيدات ومهبطات الحرارة وفيتامين جـ إلى أن أشركت أخيراً مركبات الزنك في التأثير على المرض وتقليل مدة الاصابة به، فهل يا ترى سيستمر بنا الحال

الزّكام

مفاهيم حديثة تلغي معظم معلوماتنا السابقة

على هذا المنوال ؟ وهل سيظل علاج هذا المرض الشائع خاضعاً للقصص والحكايات وخبرات الجدود ؟ وهل سيبقى عصيان هذا المرض عن الاستسلام لقوة التقدم في الطب الحديث زمناً أطول ؟ وهل سيقبل الطب القول الشعبي المتداول في أوروبا والذي يردده حتى الأطباء بأن «أعراض الزكام إذا عولجت بحزم وقوة ستختفي خلال سبعة أيام ، بينما إذا تركت لشأنها ستختفي في مدة أسبوع» ؟!

لقد تعلمنا الكثير عن هذا المرض ، وبالذات في الثلاثين سنة الأخيرة ، وبدأ الطب يضع أقدامه عند البدايات الصحيحة على طريق مواجهة المرض ، وسنحاول هنا أن نستعرض ذلك للاستفادة من تلك الخطوات ، حتى يتم لنا الانتصار النهائي على هذا المرض .

علاقة البرودة بالزكام

إن الكثير من الحكايات والأساطير التي تروى حول الزكام سببها شيوع هذا المرض وانتشاره بيننا ، ولأن كل واحد فينا له تجربته الخاصة المتكررة على مر السنين بالنسبة للإصابة أو الأعراض أو التعقيدات ، الأمر الذي أدى إلى الاجتهادات والتوصيات الشخصية المختلفة لمقاومة هذا المرض ، وما دمنا نسمي هذا المرض بضربة البرد أو البرد العام فإن الأذهان لن تتخلى عن التصور بأن هذا المرض سببه برودة الجو سواء في الخارج أو في داخل البيوت والمكتبات والسيارات المكيفة ، والحقيقة التي تقال أن البرودة في حد ذاتها ليست سببا ، ولم تجد الدراسات التي أجريت ما يشير إلى دور برودة الجو .

إن الآراء العلمية المتوفرة في مختلف البلدان وعلى جانبي المحيط الأطلسي بالذات متفقة على أن التعرض إلى الهواء البارد أو الماء البارد لايقلل مناعة الأنف لفيروسات الزكام ، أو أنه يؤدى الى تنشيط إصابة كامنة لهذه الفيروسات وأن ارتباط المرض بالبرودة ناتج عن الحدوث الفصلي لهذا المرض فهو أكثر في الخريف والشتاء منه من الصيف بالذات في نصف الكرة الشمالي خاصة وأن تلك الفترة ترتبط بعودة الأطفال للمدارس ، وهناك ينتقل إليهم الفيروس الجديد ، ومن خلالهم ينتشر المرض ، وفي هذا الفصل يزداد بقاء الناس داخل بيوتهم مما يؤدي إلى زيادة احتكاكهم ببعضهم البعض وبالمرض وبالأشياء التي يستعملونها ويلوثونها . هذا بالاضافة إلى أن الزكام قد يصاحبه قشعريرة نتيجة رفع الجسم لحرارته ليقضي على الفيروس بداخله ، وتحدث أيضاً عند تعرضنا للبرودة .

ومن الدراسات المعروفة في أمريكا والتي تشابهها دراسات أجريت في انجلترا وسالزبوري هي دراسة Gwaltny etal إذ قام بتلقيح متطوعين بوضع فيروس البرد في أنوفهم ، ووضع مجموعة منهم في غرفة باردة أو حمام بارد لمدة ٩٠ ــ ١٥٠ دقيقة وهم يلبسون فقط سروالاً قصيراً من القطن ، ومجموعة أخرى تركها كمجموعة مراقبة ، فلم تحدث نسبة في الاصابة في الذين تعرضوا للبرودة أعلى من المجموعة الأخرى .

وبهذا تكون النتيجة واضحة ، إذ أن برودة الجو ليست لها علاقة سببية بالزكام ، وأن الذين يصيبهم ما يشبه البرد ــ وهو نوع من الحساسية في الأنف ــ سببه تعرضهم لمواد موجودة في الجو كالغبار وطلع الأشجار وغير ذلك من المسببات للحساسية بشكل عام ، وأحياناً لوجود نوع من الفطر في المكيفات التي لا تتعرض للصيانة والنظافة الدائمة وبالذات مكيفات السيارات فلقد وجد Pkumar et al من كلية الطب جامعة لويزيانا في دراسة شيقة وقيمة أن هذه المجموعة من المرضى تظهر أعراضهم بعد ١٥ ــ ٣٠ دقيقة من تشغيل مكيف السيارة ، وأن هذا لا يحدث لهم في العطلة الأسبوعية ، وبتتبع هذه الحالات باستعمال مجموعة من الفحوص الناجحة ، وفي مجموعات مختلفة من السيارات وجد أن الفطر قد لا يوجد في مخرج التكييف فقط بل في مناطق أخرى من جهاز التكييف بما في ذلك ثقوب «الفلتر» .

هذا هو دور التكييف في التهاب الأنف الحساسي إن وجد لا أكثر ، لذلك يجب أن لا ندخل في فترة الصيف الحار إلى بيوتنا لنوقف المكيف متهمين اياه أنه المسبب للبرد لنا ولعائلاتنا بينما هو المرطب والمريح وهو الذي يحمينا من فقدان السوائل والجفاف .

السبب الحقيقي للزكام

أخيراً نستطيع أن نقول أن من الأمور الراسخة أن الزكام أصله فيروس ، إذ أنه منذ إحدى وسبعين عاماً افترض W. Von Kruse وهو أحد العلماء الألمان أن الزكام سببه فيروس ، وقد قام بتجربة على متطوعين ليثبت هذه الفرضية لكن دون أن يعزل الفيروس ، ولم يؤيد رأيه أحد آنذاك حتى أتى A: R: Doches ليؤكد ذلك عام ١٩٣٨ ، وبدأت فكرة الفيروس كمسبب تغزو الأوساط العلمية حتى عزل Mr. Hiuman أول فيروس عام ١٩٥٣ . ومع هذا العزل دب الأمل في الأوساط العلمية في ايجاد طعم مناسب لهذا الفيروس ، حتى اكتشف فيروس آخر ، وهكذا كلما اكتشف فيروس كلما تضاءل الأمل وقل التفاؤل بامكانية اكتشاف طعم مضاد يقي العالم شر هذا المرض ، فلقد اكتشف حتى الآن مائتي فيروس يشتركون في احداث الزكام ، ولربما يكون هناك أكثر من ذلك لم يكتشف حتى الآن ، لكن الغالبية من هذه الفيروسات وتشكل ما يقرب من ٥٠٪ هي من عائلة الفيروس الأنفي (R.V) وهذه الفيروسات أيضاً لها فروع ، وبالرغم من أنها تشكل هذه النسبة إلا أن الاصابة بها أخف من الباقي وقليلاً ما تتعدى منطقة الأنف لتصيب الأجزاء الأخرى من الجهاز التنفسي . أما النوع الآخر ويشكل من ١٥ ــ ٢٠٪ من الفيروسات هو من عائلة (C.V) وتتوزع النسب الباقية على مجموعات أخرى مختلفة وأن التقدم في دراسة أسباب الزكام كشف أيضاً أن هناك عوامل لها علاقة بالاصابة بأنواع معينة منها كالفصول والسن والتهيئة البيئية لدرجة أنه في بعض الأحيان هناك احتمال بتوقع نوع الفيروس بناءً على هذه المعلومات .

إن الخبر المهم هو أن نهاية العام ١٩٨٥ حملت لنا اخباراً مهمة عن الفيروس ، فلقد استطاع العلماء في أمريكا أن يضعوا تخطيطاً لطبوغرافية الفيروس الأنفي ١٤ (RV–14) حيث استعملو لأجل ذلك نوعاً من الاشعة ذا طاقة عالية ، وهو ببساطة يشبه شكل مصغر لكرة القدم ، وغلافه البروتيني الخارجي مجسم ذو عشرون وجه ، وتوجد على كل جهة ثلاثة مثلثات بروتينية متشابهة ، وهذه تحمل مولدات المضاد (Antigen) .

إن المهم في هذا الاكتشاف هو وجود شق أو منحدر على الوجوه العشرين لهذا الفيروس ، ويعتقد أنها تناسب المستقبلات على سطح الخلية Receptors فإذا تمكن العلم من اكتشاف نوع من مضادات الأجسام لسد هذا

الشق ، فإن هذا سيمكننا من منع العدوى والاصابة بالميكروب أو لربما نستطيع أن نصنع دواء جديداً يستطيع أن يغلف المستقبلات على سطح الخلية ، وبذلك نمنع التصاق الفيروسات بها ، ونحن نعلم من دراستنا الحديثة أن كثيراً من فيروسات الأنف تشترك في نفس المستقبلات على الخلية .

ومن الأمور المشجعة أيضاً بالنسبة للدراسات والبحوث أن هذا الفيروس من أبسط الفيروسات الحيوانية ، وبالامكان انتاج كميات كبيرة منه مقارنة بالفيروسات الأنفية الأخرى .

انتشار المرض

إن المعلومات الحديثة عن طرق وسرعة وقدرة انتشار الفيروس أصبحت واضحة وكاملة ، ويعتبر الباحثون هذا الوضوح من الأمور المهمة لوضع برنامج وقائي متكامل .

ومن المعروف أن الافرازات الأنفية الزائدة ليست إلا طريقة للتخلص من الفيروس الذي يسقط بعد انفجار الخلية التي امتلأت به . إذن يصبح من الواضح أن وسيلة الانتشار هي هذه الافرازات عن طريق واحدة من الطرق الثلاثة :

عن طريق الكحة والانتشار الهوائي للحبيبات الكبيرة ، أو عن طريق الكحة والعطس ، أو عن طريق الاحتكاك المباشر واللامباشر بالأدوات الملوثة بالفيروس .

وكان الاعتقاد السائد حتى فترة قريبة جداً أن الانتقال الهوائى هو السبيل الأول للانتقال ، لكن الدراسات الأخيرة بينت أن الانتقال عن طريق الاتصال أو الاحتكاك هو أهم الطرق وأكثرها قبولاً بالنسبة لفيروس الزكام وأن اليد تمثل المسئول الأول ، وكانت سلسلة الدراسات لتي قام بها Gwaltny and J. Ohendley من الوثائق الأساسية لتدعيم هذا الرأي ، إذ وجدا :

• أن ١١ مُستقبِلا « غير مصابين » من أصل ١٥ قد أصيبوا من خلال الاتصال بالأيدي مع المصابين ، وأن واحداً من عشرة وواحدة من اثنى عشرة مستقبلا أصيبوا فقط عن طريق الانتقال الهوائي ذي المكونات الصغيرة والكبيرة على التوالي .

• وأن المصابين بشدة توجد كمية عالية التركيز من الفيروسات في افرازاتهم ، فيتعرضون بشكل أكبر لتلوث أيديهم والأدوات الموجودة في البيئة ، حيث أمكن استعادة الفيروس الأنفي من أيدي (٤٠ ـ ٩٠٪) من المصابين ومن (٦ ـ ١٥٪) من أدوات مختلفة كمقابض الأبواب ولعب الأطفال وأكواب القهوة والكئوس ، فالفيروس يمكن أن يعيش لعدة ساعات على هذه الأدوات .

• إن طريقة الانتشار هذه تتم عن طريق الإصبع للإصبع باللمس أو التحية ، فإذا لمس الإصبع الملوث العين أو الأنف يتم انتقال الفيروس إليه ، والمعلوم أن دعك العيون وقطف ما بداخل الأنوف مسجلة كسلوك بشري طبيعي ، فلقد وجد « هندلي ومجموعته » بعد مراقبة دقيقة لمجموعتين من الناس احداها في قاعة محاضرات ممتلئة بطلبة الطب والأخرى لأطفال مدرسة الأحد أن واحداً من كل ثلاثة إما يحك أو يقطف داخل أنفه أو يدعك عينيه في الساعة الواحدة ، وأن طلبة الطب أدخلوا أصابعهم في أنوفهم أكثر من الأطفال !

هذه الوسيلة لانتقال المرض أكدتها وتابعتها دراسات أخرى ، وأصبحت اليد هي مكمن الخطر في انتشار الفيروس الأنفي ، الأمر الذي قد يدعونا أن نفكر في القفازات بدل الأقنعة الواقية لمنع الانتشار .

أما القدرة على الانتشار وسرعتها فإنها أيضاً تعرضت للبحوث في المختبرات وعن طريق متطوعين ، ولن أكون مغالياً إذ قلت أن مختلف النماذج استعملت لهذا الغرض لدرجة أن متطوعين قضوا شهر العسل في المختبرات تحت مختلف الظروف ، ولقد توصلت الدراسات الى ما يلي :

• أن اصابتنا بالفيروس ليست بالأمر اليسير وليست بالسهولة التي نتصورها ، فلقد قام (E. Dich et al) بدراسة مجموعة من المتزوجين ، ونقل الفيروس لواحد من الزوجين ، فوجد أن معدل سرعة الانتشار هو ٣٨٪ فقط .

• أن الفيروس الأنفي صعب انتقاله عن طريق الاتصال القصير الأمد ، تحت الظروف الطبيعية كاللقاء الاجتماعي العادي لمدة ٢ ـ ٣ ساعات مثلاً ، أو التحية بالتقبيل لمدة دقيقة ، أو المعيشة في اقلقسم الداخلي لمدة ستة وثلاثين ساعة في غرفة واحدة مع أحد المصابين .

• أن الانتشار يعتمد الى درجة كبيرة على شدة المرض وأعراضه وكمية الفيروسات التي تنزل من المصاب .

• أنه بالرغم من أن أنواعاً ، من الفيروسات من الممكن أن تنتقل أحياناً إلى نسبة كبيرة من الناس في الأماكن المكتظة بالسكان إلا أن الغالبية العظمى منها تنتشر قليلاً أو لا تنتشر أبداً سواء كان المعنيون عمالاً أو موظفين أو جيراناً .

بقى أن نقول أخيراً إن الأطفال يعتبرون وسيلة من وسائل الانتشار ، وأن أنوفهم تعتبر مخازن للفيروسات ، وأن المدرسة مكان مهم للانتقال بالذات في فصول المرض ، لذلك نجد العائلات التي لديها أطفال أكثر عرضة لانتقال المرض إليهم من العائلات بلا أطفال .

مواجهة المرض

إذن ماذا في جعبة الطب الحديث لمواجهة المرض ؟

أولاً : في الجانب العلاجي :

إن جميع أنواع العلاج المستعمل سواء التي تتناولها من فوق أرفف الصيدليات أو التي يصفها بعض الأطباء لا علاقة لها بالفيروس بتاتاً ، اللهم إلا رضانا عنها ، وربما يكون هذا الرضا سبباً في تهدئتنا حتى ينتهي المرض ، إلا أننا يجب أن لا ننكر دور مهبطات الحرارة وبالذات في الأطفال ، وأحياناً قطرات الأنف عندما نضطر إلى استعمالها بحذر ، وسنتحدث عنها فيما بعد .

ولكننا في عصر الفيروسات وعصر المحاولات العديدة لايجاد دواء مضاد للفيروسات فلابد أن يكون لفيروسات الزكام تصيب من هذه المحاولات ، لكن ما يعترض الطعم من مشاكل يعترض أيضاً الدواء المضاد للفيروسات ، حيث أنها لكي تعمل بدون آثار جانبية يجب أن تستعمل في منطقة الأنف وبكمية قليلة .

والحقيقة التي تقال ان مجموعة من هذه الأدوية ـ على الرغم من تأثيرها المباشر في الخارج على الفيروسات أثناء التجربة المعملية ، إلا أنها فشلت أثناء التجارب الاكلينيكية في تأدية الغرض ، وقد أدى بعضها إلى آثار جانبية ، ومن ضمن قائمة هذه الأدوية على سبيل المثال (Enviro Xime and Roog ـ 0415)

وهناك دواء جديد الآن دخل في المرحلة الأولى من التجربة الاكلينيكية ، ويعتقد أن نتائجه ستكون جيدة ، إذ أنه يمنع الفيروس من نزع غلافه البروتيني . وهذه هي وسيلة الفيروس للعدوى ، وسنرى نتائج هذا الدواء (Win 51 ـ 711) في المستقبل .

ثانياً في الجانب الوقائي :

الزّكام

مفاهيم حديثة تلغي معظم معلوماتنا السابقة

(١) استعمال طعم مضاد للفيروس :

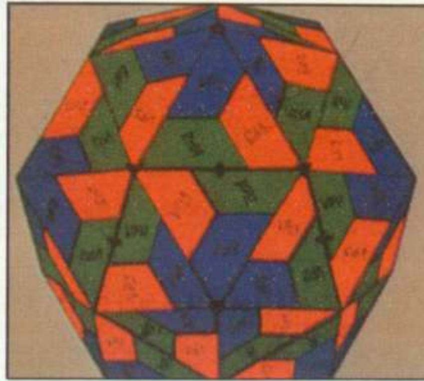
منذ أن تجدد الأمل في ايجاد طعم خاص لأكثر الفيروسات شيوعاً في منتصف السبعينات ، بدأت الابحاث تسير في هذا الاتجاه ، لقد أوضح الأوائل أن حقن الفيروس غير النشيط أحدث استجابة واضحة وانتاجاً لمضادات الأجسام للفيروس المحقون وللفيروسات الأخرى ذات العلاقة به ، ولم تبين تلك الأبحاث مدى امكانية استثارة الأغشية المخاطية للأنف لانتاج مضادات الأجسام محلياً ، إذ يعتقد أن انتاج هذه المضادات من الغشاء المخاطي أمرضروري للمناعة ضد الاصابة بالزكام .

ويطرح هذا السؤال والبحث في هذه القضية تبين أن ٩٥٪ من جلوبيولين المناعة الذي هو من النوع (iga) والذي يوجد في الأغشية المخاطية ينتج محلياً في الأنف ، إذن لابد من وجود صيغة للتعامل مع الفيروس محلياً ، وربما تكون الطريقة المثلى هي إحداث اصابة فيروسية محلية في الأنف عن طريق الطعم الضعيف ، وفي دراسة قام بها كوش (R. B Couch) من معهد كينيدي في بلتيمور بأمريكا حيث استعرض فيها الدراسات العلمية المنشورة في هذا الصدد ، استنتج أن هذا النوع من الاصابة ربما يكون أحسن وسيلة للتحصين ضد الزكام ، وهناك مشكلة واحدة وأساسية تتمثل في أن الأهداب الأنفية تتمتع بقدرة فائقة على التخلص من المواد الدقيقة بحركتها الدائمةالأمر الذي يجب أن يؤخذ في الحسبان للمحافظة على كمية كافية من الطعم في الممرات الأنفية لاحداث الاصابة ، هذا بالاضافة إلى أننا نحتاج إلى انتاج طعم لاحداث المناعة ضد مجموعة كبيرة من الفيروسات ، وهذه في حد ذاتها مهمة صعبة للغاية ، حتى لو عرفنا كل هذه الفيروسات ، وتم عمل طعم للغالبية التي تصيبنا فإن الحصانة هذه لن تطول لأن مضادات الأجسام المحدودة للفيروسات الأنفية لا تبقى لمدة طويلة ، وهذا ما يبرر تكرار اصابتنا في نفس الفصل أو العام نفسه ، ويرى الغالبية في الوقت الحاضر أنه من غير المنطقي انتاج طعم معقد يمنحنا حصانة لا تتعدى القليل من الشهور ..

(٢) استعمال الانترفرون :

الانترفرون عبارة عن مواد بروتينية أكتشفت عام ١٩٥٧ ، وتدخل في نطاق أجهزة الدفاع الطبيعية عن الخلية ضد الفيروسات والوسائل الأخرى المحدثة للأمراض ، وهذه البروتينات تنتجها الخلية كاستجابة للاصابة ، وهي لا تهاجم الفيروس نفسه ، لكنها تتدخل في عملية تكاثره بإثارة انتاج نوع من البروتينات يوقف قدرة الخلية المصابة على مضاعفة العدو المهاجم « الفيروس » .

ويعتقد أن لهذه علاقة بممارسة أمراض السرطان ، وكانت شحيحة في السنين الأولى من اكتشافها ، إذ كان يصعب الحصول عليها ، وكانت غالية الثمن لأنها كانت تستخلص من كريات الدم البيضاء .إلا أنه بالامكان تصنيعها الآن عن طريق التكنولوجيا الحديثة والتقدم في هندسة الخلية على نطاق واسع وبأسعار مناسبة ، لذلك بدأ التركيز عليها في علاج أمراض الفيروسات ، ومن الأمور المهمة لكي ينجح العلاج بالانترفرون أن يعطى قبل هجوم الفيروس الكامل ، ونحن نعلم أنه من الصعوبة معرفة متى ستظهر تلك الصورة ، لذلك فإن أفضل وسيلة هي اعطاء الأنترفرون بوضعه في الأنف أثناء فصول الاصابة بالزكام ، لقد بينت التجارب الأولية أن الجرعات الكبيرة في الأنف من الممكن أن تمنع الإصابة بالزكام أو على الأقل تقلل من فترة الاصابة ، لكنه مع الأسف فإن العلاج الطويل الأمد يؤدي إلى أعراض جانبية غير مستحبة ، ومع أنها إرتدادية إلا أنها قدتكون سيئة في اعراض البرد ، وأسوأ هذه الآثار هو تضخم الأغشية الأنفية والتهاباتها ونزول دم مع المخاط بعد علاج يدوم لعدة أسابيع مرتين في اليوم ، أما التجارب الأخيرة التي أخذت في الحسبان ذلك واستعملت العلاج القصير الأجل بعد التعرض للزكام فقد بينت بأن هذا الأسلوب يمكن أن يكون ناجحاً في منع الاصابة بالبرد ، لكن الدكتور (Gwaltney) يعلق على ذلك بقوله ، إذا كنا نود أن نستعمل ذلك لمنع انتشار الفيروس في الأوساط العائلية فيجب أن يكون سعر الدواء معقولاً للتوصية به ، وتقوم الشركات بناء على الدراسات الأخيرة بتقدير الجرعة المستعملة بالضبط وتكلفتها .



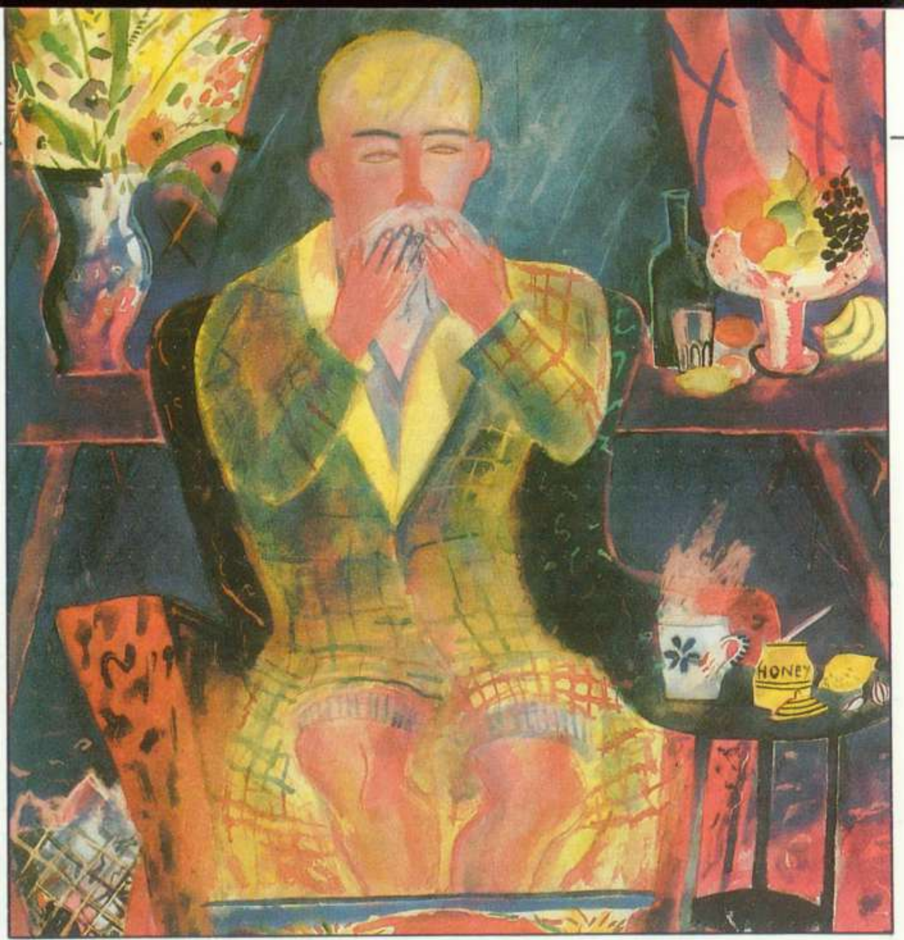
■ أنوف الأطفال تمثل مخازن هائلة للفيروس في فصول المرض !

■ الطُّعم الواقي للمرض - للأسف - لايمنحنا الحَصانة إلا لبضعة شُهور !

■ احذر الأعراض الجانبية نتيجة للجرعات الكبيرة من "الإنترفيرون"

■ مناديل ورَقيّة جديدة من حامض الليمونيك والتفاح تقتل الفيروس !

ويبدو أن الانترفرون قد دخل في دائرة الضوء وصار الأمل معقوداً عليه للوقاية القصيرة الأمد في الأوساط العائلية وبالذات بعد الدراستين المنشورتين في أوائل هذا العام وفي نفس المجلة العلمية (Nemj) مع أنهما من بلدين مختلفين فواحدة نشرها Douglas et al استراليا والأخرى نشرها (Den et al F. Hy) من أمريكا ..فلقد استعمل الاثنان (الفا ٢ انترفرون) بمقدار خمسة بلايين وحدة دولية برشها مرة في اليوم في أنوف أفراد عائلة المصابين بالزكام ولمدة أسبوع ، ولقد سجل الاثنان نجاحاً في منع انتشار الزكام في الوسط العائلي بنسبة معقولة وبالذات بالنسبة لجميع الأنواع من الفيروسات . المهم أن نعطي الانترفرون خلال ثلاثة أيام من التعرض وهي الفترة التقديرية لحدوث الأعراض أو العدوى بعد التلقيح .



الزكام كما رسمه أحد الفنانين العالميين

الطرق السلوكية

(٣) الطرق البيئية والسلوكية للوقاية من الزكام وتعقيداته :

ها نحن علمنا بما توفر لدينا من معلومات بأن علاجاً ناجحاً لا يوجد وقد يطول انتظارنا إليه وأن الطعم مصيره لا يقل ضبابية عن الدواء ، ولكننا نعرف الكثير والحديث أيضاً عن المرض والطرق والعوامل المساعدة على انتشاره ، فماذا لدينا لنقدمه من أجل الوقاية ؟

إن المعلومات الوبائية المتوفرة تبين أن أوائل الخريف وأواخر الربيع هما أنشط فترات فيروسات الزكام ، وقد يمتد بالنسبة لفيروسات الجهاز التنفسي الأخرى حتى الشتاء ، وهذا في حد ذاته يدعونا إلى الاستعداد للوقاية الفصلية .

ونحن نعلم ايضاً أن الجو العائلي هو أحسن مكان لانتشار الزكام في المجتمعات المعاصرة وأن الأطفال هم الذين يأتون به من المدرسة والشباب من مختلف معاهدهم وكلياتهم وحتى في معسكراتهم في فترات التجنيد ، ونحن نعلم أيضاً مكان الفيروس وأن أصابع اليد هي الناقل الأول لذلك فإن أولى الأولويات هي النظافة وبالذات نظافة اليدين وغسلهما جيداً في الفصول المذكورة وفي حالة الاتصال بالمرضى أو بمجرد وجودهم بيننا مع الامتناع عن لمس عيوننا وأنوفنا قدر المستطاع ، ثم ننتقل إلى فروع النظافة الأخرى وهذا يسري على نظافة الأدوات الملموسة والمستعملة ، ويمكن القول ان وسائل النظافة العادية تكفي لهذا الغرض في الوقت الحاضر ، أما المطهرات التى تعلن بأسماء مختلفة فإن أفضلها هو اليود والليزول حيث تمت تجربتهما على الأصابع بالنسبة لليود المائي ٢٪ وعلى سطوح الأشياء بالنسبة لليزول ، أما بقية المطهرات فتأتي بعدهما في التأثير .

ونحن نعلم ايضاً أن الإفرازات المخاطية ملأى بالفيروسات لذلك يجب أن نتصرف فيها كالتالي :

• اخراجها من الأنف : ويستعمل الناس طرقاً مختلفة من بينها نفخ فتحتى الأنف ، ورغم أن هذه الطريقة تخرج الافرازات إلا أنها قد تؤدى إلى انتقال الإصابة إلى الأذن الوسطى عن طريق قناة استاكيوس أو إلى أي جهة في البلعوم والجهاز التنفسى العلوي لأن انتقالها يسبب الضغط المتولد في هذه المنطقة .

وهناك طريقة أخرى هي استنشاق الإفرازت ثم إما بلعها أو اخراجها عن طريق الفم وهذه لاتنظف الأنف كلية ، وقد تكون أحد العوامل التي تؤدى الى الكحة الليلية نتيجة لرجوع الإفرازات إلى الجهاز التنفسى ، أما الطريقة الثالثة ، وهي الطريقة المستحبة ولا توجد لها مشاكل الطريقتين فهي نفخ الأنف من فتحة واحدة وترك الأخرى مفتوحة ، إذ يؤدي ذلك إلى تفريغ الأنف بدون احداث ضغط داخلي يؤدى إلى اصابة الأذن الوسطى .

• التصرف في الافرازات :

إن المنديل المصنوع من القماش يصلح للديكور ولانتقال المرض ، واستعمال المناديل الورقية المنتشرة الآن والتخلص منها بطرق صحية من أحسن الوسائل الوقائية ، وعلى هذا الأساس قام (اليون دك) المذكور سابقاً بدراسة نوع من المناديل الورقية بعد معاملتها بخليط من أحماض الليمونيك والتفاح « موجودة في الفواكه » ونوع من الصوديوم (S.L.S) موجود في معجون الأسنان » فوجد أن هذه التركيبة تقتل ٩٩٪ من فيروسات الأنف في أقل من خمس ثوان و٨٠٪ من فيروسات الزكام الأخرى في أقل من دقيقة ، وفي عام ١٩٧٩ استعمل اليود في المناديل الورقية وجربه علي العاملين في محطة « ما مكموردو » بالقطب الجنوبي ، حيث أن العاملين هناك على الرغم من وجودهم في البرد القارس ، فإن الزكام ينتشر بينهم كلما وصل إليهم موظفون جدد ناقلين إليهم الفيروس ، إلا أنهم باستعمال تلك المناديل فقد هبط معدل إصابتهم وظل هابطاً طوال الفصل !

لقد جرب هذا النوع من المناديل الورقية على متطوعين آخرين أيضاً ، وثبت نجاحه ، وتقوم الآن بعض الشركات بتصنيعه لتسويقه نهائياً بعد أن طرحته في الأسواق عام ١٩٨٤ في بعض المدن للتجربة .

إن تغطية موضوع الزكام ، والذي بدأنا نخطو فيه الخطوات السليمة ، في هذا الحيز أمر صعب ، كصعوبة القضاء عليه ، لكن المعلومات الحديثة التي قدمتها في هذا المقال والتي أرى فيها تغييراً لمفاهيم وأحاديث كثيرة في هذا الموضوع ، ستشفع لي عدم التعرض لأمور روتينية أخرى كأعراض المرض وتعقيداته وغير ذلك من الأمور التي يعرفها الناس وسبق أن اتفقوا عليها ، وتبقى كلمة أخيرة وهي أن ارتفاع الحرارة والكحة المصاحبة للزكام تقنيات فسيولوجية محكمة ، يقصد منها الجسم حماية نفسه ، وأن التعرض لهما في أغلب الحالات لا داعي له البتة ، وأن استعمال الأدوية بدون معرفة الهدف من استعمالها قد يؤدي إلى أضرار أكثر بكثير من الزكام نفسه !

عبدالله الباكر



عن المقرئين وتلاوة القرآن

بقلم: محمود السعدني

الشيخ علي محمود
أستاذ زكريا أحمد ومكتشف سيد درويش وعبد الوهاب

لم يستطع أحد من الذين ظهروا في عصر الشيخ أحمد ندا — على كثرة من ظهروا معه — أن يشق طريقه إلى الشهرة والنجاح إلا رجل واحد .. أسمر اللون قصير القامه إسمه الشيخ على محمود ، وكان الشيخ على محمود — على غير العادة — من أسرة ثرية ، ولكن حادثاً غير سعيد جعل الأسرة الثرية تدفع بابنها إلى كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم .. فقد ولد الشيخ على محمود ضريراً ، ووجد الشيخ على محمود بذكائه أنه لن يستطيع منافسة الشيخ أحمد ندا فى ميدانه .. ميدان التلاوة ، فاتجه إلى انشاد القصائد والتواشيح وكان يلحن القصائد بنفسه ، ولم تلبث ألحانه ، أن انتشرت وذاعت بين الناس . وكأن القدر قد اختار لمصر فى هذه الفترة بالذات أعظم عباقرة النغم الذين عرفتهم مصر فى تاريخها وهما الشيخ على محمود والشيخ سيد درويش . وكانا صديقين حميمين ، يبكي سيد درويش عند سماع قصيدة الشيخ على محمود (بدر تجلى فى الأفق) . وظل الشيخ على محمود يبكى كلما سمع لحن الشيخ سيد درويش (أنا هويته وانتهيت) ، وسئل الشيخ سيد درويش مرة قبل وفاته عن رأيه فى الشيخ على محمود فأجاب على الفور إنه عبقرى .. وسيد من أنشد ولحن القصائد والتواشيح .

وأنفق الشيخ على محمود حياته الطويلة ينشد ويتلو القرآن ويرفع الأذان دون أجر ، وكان بيته ندوة للفنانين والأدباء ومشاهير عصره فى كل مجال ، وكان يشجع صغار المقرئين ويقدمهم للناس وكانت له بطانة تصاحبه فى الإنشاد لمع منها اثنان وصارا من مشاهير العصر ، الأول هو الشيخ طه الفشنى أعظم من أنشد القصائد والتواشيح بعد أستاذه على محمود ، أما الآخر فقد صار بعد ذلك شيخاً وأستاذاً لجميع الملحنين الذين ظهروا فى هذا القرن وهو الشيخ زكريا أحمد ، الرجل الذى اكتشف وقدم للعالم العربى سيد درويش وأم كلثوم !

وكان الشيخ زكريا أحمد يعمل مقرئاً فى بداية حياته ، وعندما استمع إلى الشيخ على محمود إنضم إليه فرداً من أفراد بطانته ، ينشد خلفه التواشيح والابتهالات والقصائد الدينية ، ثم هجر هذا العمل بعد ذلك واتجه إلى التلحين ، ولم تمض سنوات حتى أصبح شيخ الملحنين عن جدارة واستحقاق . والشيخ على محمود هو أستاذ زكريا أحمد ، وهو أول من علمه أن الصوت شكل واللحن مضمون ، فإذا كان المضمون جميلاً فالمستمع لن يهتم كثيراً بالشكل . ويستطيع الملحن الموهوب أن يخلق من الصوت القبيح صوتاً جميلاً تتهافت على سماعه كل الآذان . واللحن الجميل — فى رأى الشيخ على محمود — هو اللحن الصادق البسيط ، وبقدر بساطته وصدقه يكون جماله وعمقه عند المستمعين .

ومن تلاميذ مدرسة الشيخ على محمود أيضاً المطرب الملحن محمد عبد الوهاب ، وفى بداية حياته الفنية كان يعرض ألحانه على الشيخ على

محمود وكل ألحانه القديمة الجميلة ، إستمع إليها الشيخ قبل أن يستمع إليها الناس . وكان باب بيتهُ مفتوحاً دائماً لكل المواهب الجديدة ، وكانت ندوته أشبه بصالون أدبي وفني يلتقى فيها العباقرة والعيدان الخضراء المرشحة للمجد والتى تجاهد فى سبيل البقاء .

سمع الشيخ مرة أن فتى معمماً يقرأ القرآن ويلحن القصائد والأغانى وبطريقة جديدة لم يسبقه إليها أحد وأن صيته قد تعدى حدود الحى الذى ولد فيه حي كوم الدكة ، ووصل إلى غيره من أحياء الأسكندرية وأن الفتى الجديد إسمه سيد درويش .

وعلى الفور أوفد الشيخ على محمود تلميذه وصديقه الشيخ زكريا أحمد إلى الأسكندرية ليعود منها ومعه الشيخ سيد درويش فقد أحب الشيخ على محمود أن يسمعه بنفسه ليعرف حقيقة هذا الفن الجديد . وذهب الشيخ زكريا أحمد إلى الإسكندرية وقابل سيد درويش ، وعندما علم أنه قادم إليه من طرف الشيخ على محمود فرح الشيخ سيد فرحاً عظيماً ، واحتفل بالشيخ زكريا إحتفالاً لائقا ، وقضى الليل بطوله يغنى للشيخ زكريا وحده ، ولم ينتبه الشيخ زكريا أحمد إلا والشمس تتوسط السماء .

وعاد الشيخان معاً إلى القاهرة وقصدا بيت الشيخ على محمود فى باب الخلق . وسهر سيد درويش ثلاث ليال يغنى للشيخ وأصحابه ، ويقول الشيخ على محمود (ولم يغمض لى جفن خلال هذه الليالى الثلاث ، فقد اكتشفت عند الشيخ الجديد فناً جديداً لم يخطر لأحد على بال) وامتدت الصداقة بين على محمود وسيد درويش حتى انتقل سيد درويش إلى القاهرة وذاع صيته فى كل أرجاء مصر ، وصار بيت الشيخ على محمود هو محله المختار ، ومن بيت على محمود وضع الشيخ سيد درويش ألحان العشرة الطيبة وقضى اسبوعاً كاملاً يعمل بلا إنقطاع حتى انتهى من تلحينها وكان يطلع على ألحانها الشيخ على محمود أولاً بأول ، وعندما انتهى من تلحينها ارتمى فى شبه غيبوبة وذهب فى نوم عميق ، وعندما أفاق وجد الشيخ على محمود والشيخ زكريا أحمد والشيخ طه الفشني حوله ومعهم طبيب مشهور ، واضطرب الشيخ سيد درويش فظن أن مكروها حدث ولكنهم طمأنوه .

والحقيقة أن الشيخ على محمود ظن بعد أن أستغرق الشيخ سيد درويش فى نوم عميق أن الرجل قد ذهب فى اغماءة طويلة وإنه على وشك الموت ، فاستدعى الطبيب المشهور وذهل الطبيب عندما دخل الغرفة التى ينام فيها سيد درويش ، فقد اكتشف تناثر عدة (تذاكر) هيروويين فتصور أن الشيخ قد انتحر ! وعندما أفاق سيد درويش راح الطبيب ينصح الشيخ سيد بالكف عن شم الكوكايين والهيروويين حفاظاً على صحته ، ونظر الشيخ على محمود إلى الطبيب وقال فى صوت خفيض إن هذا الفتى ليس من دنيانا ، ولكنه سيترك خلفه ماسوف يبقى على طول الزمن . وقد صدق ظن الشيخ على محمود ولم يلبث الشيخ سيد درويش أن رحل عن دنيانا ولكنه ترك ثروة فنية ستبقى من بعده ومن بعدنا جميعاً وعلى طول الزمن !

وكان من عادة الشيخ على محمود أن يرفع أذان الفجر كل ليلة من مسجد الامام الحسين رضوان الله عليه ، وكان ميدان الحسين فى حى الأزهر يضيق بالناس الذين وفدوا من كل مكان للإستماع إلى أذان الشيخ ، وكانت شلة محمد البابلى ومن بينهم حسين الترزى وإمام العبد والشيخ البشرى والمعلم دبشه الجزار ينهون سهرتهم قبل الفجر ويتجهون معاً إلى ميدان سيدنا الحسين ليمتعوا أنفسهم بالإستماع إلى صوت الشيخ وهو يرفع الأذان ، ومن حسن حظ المسلمين والبشرية كلها أن احتفظت الإذاعة المصرية بشريط تسجيل عليه صوت الشيخ وهو يرفع الأذان ، وتذيعه محطة القاهرة فى رمضان ويذاع أحياناً من إذاعة الكويت ، وبعد وفاة الشيخ أحمد ندا ، فكر الشيخ على محمود فى تلاوة القرآن ، ثم قرأ القرآن بالفعل تحت إلحاح الأصدقاء ، ولكنه عدل عن ذلك بعد فترة واكتفى بإنشاد القصائد والتواشيح ، ولم يكن الشيخ على محمود يخرج من بيته إلا للمسجد ، وكان منزله قريباً من مسجد الحسين ، ولكنه كان يسعى فى المواسم والأعياد إلى بيوت الفقراء الذين يعرفهم ويعطف عليهم ، وكان كريماً ينفق بسخاء ويتصدق بسخاء حتى بدد ثروته التى ورثها عن أبيه . عندما مات سعد زغلول قرأ فى مأتمه مع غيره من كبار المقرئين ثم أقام سرادقاً فسيحاً على نفقته فى ميدان باب الخلق وراح ينشد القصائد والتواشيح لمدة أسبوع كامل على روح الزعيم الذى شيعته الأمة كلها إلى مثواه الأخير .

وكما كان الشيخ على محمود صديقاً لسيد درويش وزكريا أحمد كان أيضاً صديقاً لداوود حسنى والشيخ الصفتى وكلاهما من مشاهير الملحنين فى زمانه وكانا يحترمان رأى الشيخ على محمود ويتبعان إرشاداته فيما يضعانه من ألحان . لم يغادر الشيخ على محمود مصر إلا مرة واحدة واستقل القطار من محطة مصر إلى مدينة يافا بفلسطين وقضى فيها أسبوعاً أنشد خلاله قصائده وتواشيحه بدعوة من صديقه عميد أسرة « العميد » فى يافا العربية ، ورفض الشيخ دعوات كثيرة من بعض عائلات دمشق منها عائلة بوظو والحريرى لقضاء عدة أيام فى ضيافتهم بالشام ، فقد شعر الشيخ بانحراف فى صحته فآثر العودة إلى مصر . وعندما عاد إلى مصر مرض مرضاً قصيراً ولم يلبث إلا قليلاً ثم انتقل إلى رحمة الله ، ولكنه وقبل موته كان قد تعهد بالعناية والرعاية عشرات من الموهوبين وتنبأ لبعضهم بمجد لم يسبقه أحد ، وبدد ثروته كلها فى مَدِّ يَدِ المساعدة إلى المحتاجين والملهوفين والفقراء وصغار الفنانين والمقرئين والمنشدين .

حدث ذات مساء من عام ١٨٨٨ أن استمع الشيخ إلى شاب صغير يقرأ القرآن ، فارتعد بدنه كله وانتابته نوبة شديدة من البكاء ، وعندما أخبروه بأن الشيخ الصغير ضرير قال والعبرات تخنقه سيكون له شأن عظيم . وعاش الشيخ على محمود بعد ذلك حتى أصبح للشيخ الصغير شأن ، وكان أعظم مما تنبأ به الشيخ على محمود ، وارتفع نجم الشيخ الصغير حتى غطى على كل المقرئين الذين ظهروا فى زمانه وفى كل الأزمنة ، وفاق الكل وتفوق على الجميع حتى على الشيخ أحمد ندا والشيخ على محمود . وكان الشيخ الصغير الذى بكى الشيخ على محمود لجمال صوته ذات مساء من عام ١٨٨٨ .. هو الشيخ محمد رفعت .

الفريد فرج

مسرحية الزمن أوبرا الروك.. تحت

أثارت مسرحية « الزمن » المعروضة بلندن أكثر من قضية.

فالمسرحية تستخدم أحدث آليات التكنولوجيا المسرحية .. وتستعرض آلات مستحدثة لم يسبق استخدامها على المسرح، وتعرض للجمهور أمثلة للمدى البعيد والمدهش الذى تستطيع أن تصل إليه « الآلية المسرحية » فى العصر الالكترونى ..

فلأول مرة على المسرح تستخدم الحيل الخارقة والآليات المبرمجة على الكومبيوتر بهذا « الثراء الآلي » إن صح التعبير .. لتصنع خيالا سحريا مجسدا فوق منصة المسرح فى أول إطار من نوعه لمسرحية كهذه تجرى أحداثها فى الفضاء.

وقد نعود الى مناقشة مسألة الآلية المسرحية فيما بعد، ونفحص مدى مشروعيتها الفنية .. بعد أن نعرض للمسرحية الغنائية ذاتها.

فالمسرحية أشبه بأوبرا حديثة تدور على ايقاعات الروك اندرول، وبطولتها معقودة للمغني الشهير: كليف ريتشارد والمغنية ديون واريك، ويشاركها البطولة الممثل الرفيع المستوى لورانس أوليفييه.

وموضوع المسرحية « محاكمة الأرض »

الاتهام

قرار الاتهام ضد كوكب الأرض يقول:

« هذا الكوكب ينتقل من حرب الى حرب
يصنع قنابل أكبر فأكبر
ويفتح أبواب الموت الواسعة
للانتحار والاقتتال والمجاعة والتلوث
والجريمة والشره والعجز
وكل خطيئة يتصورها العقل
والآن يتوجه الإنسان للفضاء
بلا اخلاق
لينقل العدوى والتلوث واللاأخلاق
الى غيره من الكواكب.
فالاتهام يطلب
أن تموت الأرض ».

المحكمة

انعقدت المحكمة من ثلاثة قضاة: قاضى النظام، وقاضى العدل، وقاضى الحكمة. وأرسلت المحكمة كابتن إيبوني لاحضار ممثلين لشعوب الأرض من مبنى الأمم المتحدة ليتولوا الدفاع عن الأرض. ولكن الكابتن إيبوني أحضر بدلا منهم مجموعة من المغنين كانوا يغنون للشباب فى حفلة « كونسير » صاخبة، فاختطفهم من وسط الجمهور وحملهم بالمنصة المسرحية على الضوء عبر الفضاء، ليجدوا

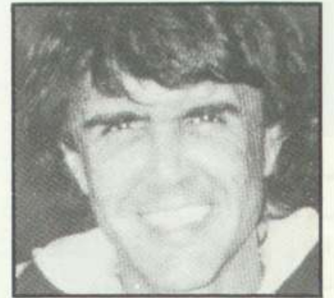


كليف ريتشارد .. نجم البوب وبطل المسرحية

هذا الكوكب ينتقل من حرب إلى حرب
يصنع قنابل أكبر فأكبر
ويفتح أبواب الموت الواسعة
للانتحار والمجاعة والتلوث
والجريمة والشره والعجز
وكل خطيئة يتصورها العقل
والآن يتوجه الإنسان للفضاء
بلا أخلاق
لينقل العدوى والتلوث واللا أخلاق
إلى غيره من الكواكب
فالاتهام يطلب :
أن تموت الأرض

أغنية الاتهام فى مسرحية
« الزمن » المعروضة فى لندن الآن

ـــــم الأرض



ديف كلارك .. المؤلف



سير لورانس اوليفييه



لارى فولد .. المخرج



جون نابيير .. مصمم الديكور

مسرحية

الزمن

أوبرا الروك تحاكم الأرض

أنفسهم فى لمح البصر بساحة المحكمة مكلفين بالدفاع عن الأرض والبشر الذين يتأرجح مصيرهم بين العفو أو الفناء بقرار من المحكمة !

كانوا يغنون

كانت فرقة الغناء قبل اختطافها تنشد:

« نحن أسرة انسانية واحدة
وخيوط فى نفس النسيج .
آمالنا تنطلق من ذات الكوكب ، وتشتاق للحرية ..
يقول بعض الناس :
ان مجاعة افريقيا بعيدة ،
ولانستطيع أن نفعل شيئا ، ولنا متاعبنا هنا . التى تشغلنا عن الآخرين .
ولكننا سرعان مانعرف
أن هناك وهنا دنيا واحدة .
فنحن أسرة انسانية واحدة ... »

وفجأة .. تقاطعت أضواء المنصة ، وطارت فى الفضاء بأعجوبة ، لتلقي بالمغنين بين يدى القضاة ، ويجدون أنفسهم مواجهين بالاتهام الخطير ، ومطالبين بالدفاع عن الإنسانية .

والقضاة يوجهون لهم الخطاب :

« أنتم صناع سفن الفضاء .
أنتم محطمو القلوب .
أنتم المشاة على القمر .
عبر الفضاء لن نسمح لكم بالمرور .
عبر الفضاء لا لا لا .. مرور .
لن نسمح لكم بتحطيم الفضاء » .

لست إلا مغنيا

حين يعرف المغنون أنهم مطالبون بالدفاع عن الأرض يأخذهم الروع ، وينشد كليف ريتشارد :

« لست إلا مغنيا بقلبى أغنية .
فكيف أستطيع أنا تصحيح الخطأ ؟ !
نعم نحن البشر لانصغى كفاية .
نحطم الحب .. هذا أسلوبنا .
لانواجه الحقيقة ..
والحب عندنا أغنية عابرة
هى الآن هنا .. وبعدها راحت »

ويستوضح القضاة من الكابتن إيبونى ، الذى يعترف بانه لم يحضر المغنين على سبيل الخطأ وإنما لأنهم يمثلون ضمير الناس . فهو قد زار الأمم المتحدة ولم يجد أن الساسة بها قادرون على الدفاع عن قضية البشر ، بينما يستطيع هؤلاء الشباب أن يطرحوا وجهة نظر الناس بشكل أفضل !

ولم يجد المغنون مفراً من القيام بالمهمة ، فيتغلبون على ترددهم ؛ ويحاولون ان يدفعوا الاتهام ، وأن يوضحوا للمحكمة أن الفوضى التى تعم العالم لاينبغى أن تعشي الأبصار عما فى الدنيا أيضا ...

« من الحب العريق . اللؤلؤة الفضية
الكامنة فى المحيط الساكن حولنا
.. هذا العالم
دائما حولنا وفى وجداننا
ذلك الحب الخاص
الذى يدفعنا للنضال
ويدفعنا للصعود الى موقع السيطرة
على العالم المجنون لنوقف تدهوره
ومهما كنا نسكن الحارات البعيدة
« فإننا نصغى لحديث الزمن »

وهنا يتدخل أكاش « ضابط الأوقات » (لورانس أوليفييه) ليتحدث عن المستقبل .

« حياتكم تعبير عن فكركم ، لأن الانسان يملك حرية الإرادة . وهذه الحرية قد تكون بركة ، وقد تكون لعنة ، حسب نوع تفكيركم . التفكير يصنع الأفعال . انظروا فيما تفكرون به من مطامع دنيئة ومن حسد ومن شره ومن خوف ، وكل مايصيبكم من جراء ذلك من آلام وقلق . فاذا كنتم تريدون أن تغيروا عالمكم فلابد من أن تغيروا أفكاركم وأن تستبدلوا الكراهية بالحب » .

وفى النهاية تحكم المحكمة بتأجيل النظر فى مصير الأرض الى حين ، حتى تنكشف أحوال الناس سلبا أو ايجابيا .

للجمهور

وحينئذ تتوجه مجموعة المغنين لجمهور المشاهدين منشدة :

« على كل واحد منا
أن يكون حكيما
أن يجد قلبه
أن يفتح عينيه .
« اننا نعرف كل شىء
دون أن ندرى لماذا
يحدث الذى يحدث !
يحدث مايحدث ...
لأن كل واحد فينا مسئول
وعليه أن يختار » .

• • •

البناء الدرامى للمسرحية بسيط ، فهو لايعدو أن يكون محاكمة يتبادل فيها الدفاع والاتهام قضية البشر ..

ولكن المسرحية لاتخلو من العنف الدرامى ، والمفاجأة الدرامية ، والموقف الأخاذ ..

الا أن ذلك كله تقوم به الآلات !

فى مسرح دوار يرتفع فيه القرص الدوار بروافع قوية ، وينقلب ذلك القرص بليونة فى كل الاتجاهات ، وتستخدم دائرة تلفزيونية مغلقة لتكرر المشهد الواحد بأحجام مختلفة ، بينما تقوم شبكة الاضاءة المعقدة بإخفاء أدوات الحيل المسرحية الكثيرة عن الأعين .

وتقوم أيضا بالمهمة الدرامية مجموعة الغناء التى تهز المشاهد بأدائها الصاخب وحضورها القوى ، وقضيتها الواضحة .

الغناء الحديث

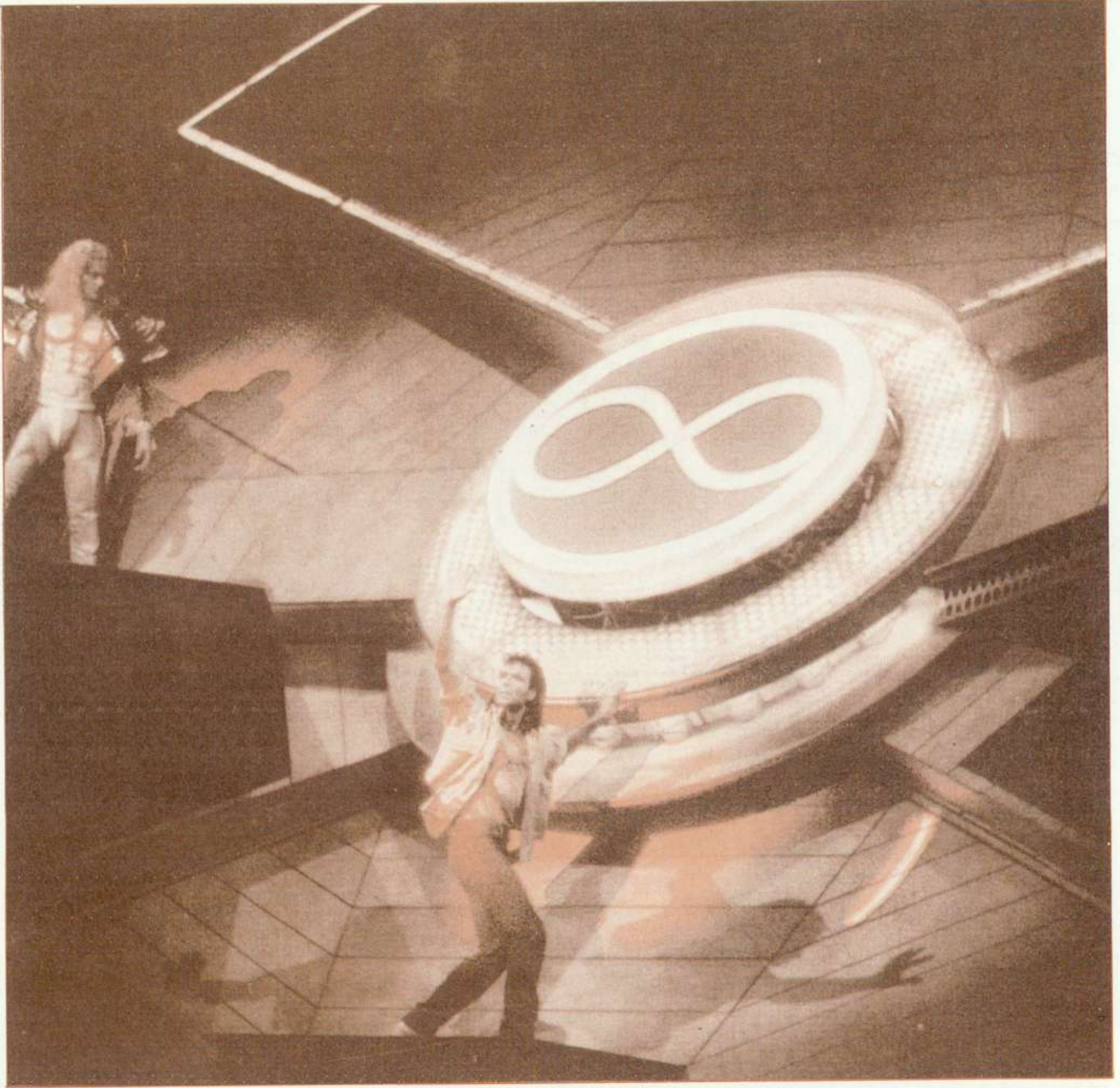
يلفت نظرى فى هذا العالم الغربى طبيعة ربما ، ويقف على القمة منه نجوم من الشباب ريعاً ، ويقف على القمة منه نجوم من الشباب يتمتعون بأوسع النجاح الجماهيرى بين سائر الفنانين .

والذى يلفت نظرى فى دنياهم الصاخبة الجياشة ، تلك الهمة التى لاتفتر فى الاشتغال بالقضايا العامة .

ان « بوب جيلدوف » مغنى البوب الانجليزى تحول اليوم الى أسطورة بفضل استغراقه الجدى الكامل فى مقاومة المجاعة فى افريقيا (اثيوبيا والسودان) .

وقد ألف وأنشد من الأغانى عن الجوع ، وعقد من حفلات الكونسير الصاخبة وباع من الأسطوانات لصالح القضية بما يربو على عشرات الملايين من الجنيهات .

كما أنه نظم البرنامج الرياضى لمعونة افريقيا هذا الشهر ، والذى اشترك بالجرى فى



المنصة المسرحية ترتفع فى وضع رأسي

سباقاته الأهلية مليونان من الانجليز فى مختلف المدن البريطانية ، غير مساهمة ستين دولة بالمشاركة فى هذا المهرجان الرياضى الشعبى الكبير لصالح جمع التبرعات لضحايا المجاعة الافريقية .

ويعتبر ريتشارد كليف أيضا من فرسان القضايا العامة ، كما أن اقتران الغناء برسالة الانسانية أكثر شيوعا من أن يحصى أو أن يشار اليه .

وليس هذا الاهتمام الانساني الكبير مقصورا على نجوم الغناء .. ولعل نجوم الغناء قد انغمسوا فى تياره لأن جمهورهم الواسع من الشباب قد توزعوا بين مجالات النشاط الانسانى المختلفة .

فإنك لتعجب من تجمع مئات آلاف الشباب اذا تداعوا للتظاهر ضد التسلح النووى أو ضد تلويث البيئة أو لحماية الحيوانات من الانقراض بسبب الصيد وتجارة الجلود .

وشباب أوروبا الغربية يموج بالنشاط فى مجال هذه القضايا ، وقد اجتذبته مؤخرا قضية مكافحة المجاعة الافريقية واضافها إلى أهدافه الثابتة .

الفنانون

وقد احتشد الجمهور لهذه المسرحية ، التى حلم بها وكتبها « ديفكلارن » ، وصمم ديكورها الآلي المعقد ، الفنان « جون نابيير » وهو من مصممى فرقة شكسبير الملكية ، واخراجها الفنان لارى فولر مخرج المسرحية المشهورة « ايفيتا » .

وتقاسم بطولتها مع المغنى كليف ريتشارد الفنان « لورانس أوليفييه » والفنانة المغنية « ديون واريك » .

مسرحية
الزمن
أوبرا الروك تحاكم الأرض





المجموعة الغنائية مع الكابتن ايبونى

الأعجوبة الآلية

المنصة فى هذه المسرحية أعجوبة آلية. فالقرص الدائرى يتحرك حركة حرة فى الفراغ المسرحى .. فيدور، ويرتفع بواسطة رافعتين خافيتين، ويميل فى كل الاتجاهات حتى لينقلب رأسا على عقب فى بعض المشاهد، وقد ثبتت فيه الأضواء من جانبيه، غير الأضواء المثبتة فى سائر أجزاء المنصة.

كما أن القضاة يتعلقون على كراسيهم فى الفراغ المسرحى على روافع أخرى قوية متحركة بحركة حرة.

ولورانس اوليفييه يظهر على المسرح كوجه داخل كرة بصورة تلفزيونية منعكسة أكبر من الحجم الطبيعى، ويتحرك مع الكرة فى الفراغ المسرحى ليواجه الممثلين بنظام دقيق.

وقد استغرق بناء التصميم المسرحى وآلياته المختلفة ثلاثة شهور، منها خمسة أسابيع استغرقها تركيب الأجزاء على المنصة.

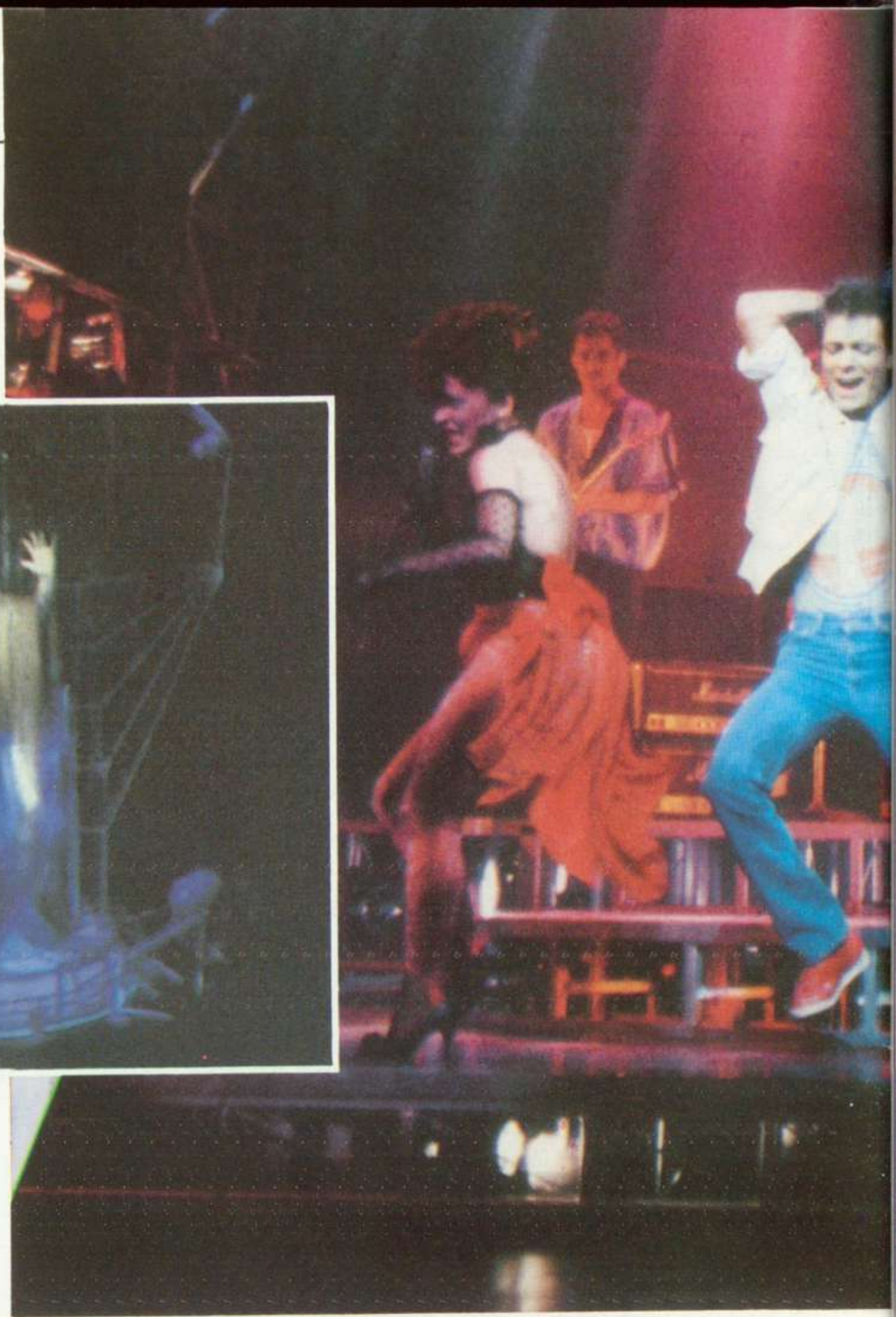
والمنظر كله مصنوع من الصلب، وقد بنى كأجزاء متفرقة جمعت فى الموقع على المنصة فى عملية أحالت المنصة الى شىء أشبه بورشة للسباكة طوال الأسابيع الخمسة التى استغرقها تركيب المنظر.

وكانت المنصة قد هدمت تماما وأعيد بناؤها لتنتظم فيها شبكات القوة الكهربائية للمحركات وللإضاءة، ووصل ذلك كله بكومبيوتر صمم وصنع خصيصا لتنظيم حركة المسرح، وليتحكم فى ٤٨ حركة هيدروليكية للروافع، موقوتة بأجزاء الثانية حتى لايقع أى حادث للممثلين فوق المنصة، كما أن الكومبيوتر يدير كافة التقنيات المتفوقة التى تتحكم فى الاضاءة والحيل المسرحية الأخرى التى تصنع الايهام المسرحى لموقع الأحداث وهو الفضاء الكونى.

الفن والآلة

وتطرح المسرحية علنيا أيضا مسألة العلاقة بين الفنّ والآلة. فالفنانون بالإجمال لايحبون الآلة، والمسرح بالذات يكره أن تسيطر الآلة على الفن. ومع ذلك فان المساحة التى تحتلها الآلة فى مجال الفنون تتزايد يوما بعد يوم.

فريق الغناء قبل أن يحمل للدفاع عن الأرض



قاضى النظام .. وحرسه

والسينما والتلفزيون يعتمدان فى تطورهما السريع على زحف الآليات واتساع المجال الذى تحتله الالكترونيات وآليات التصوير والتحميض والمونتاج فى علبة الفن السحرية ..

وهاهى مسرحية «الزمن» ، تعرض علينا ضمن ماتعرضه ، إمكانات سحرية آلية يمكن أن تضيف الى منصة المسرح إمكانات للمستقبل. نرفضها؟ هل نستسلم لألعابها السحرية ؟

إننا لاننسى أبداً أن جوهر المسرح هو الكلمة والممثل ، وكل منهما إبداع انسانى بحت ، لا دخل فيه للآلية من أى سبيل. ولاننسى أن جوهر الموسيقى هو الصوت البشرى فى محاكاته للطبيعة ، وهو ابداع انسانى بحت ، لادخل فيه للآلية من أى سبيل ، وأن إبداع الفنان التشكيلي ، أو الراقص أو الكاتب ابداع انسانى فى جوهره .. ولكننا لانستطيع أن نغمض العيون عن زحف الآلية الى الفنون ، أو أن نوصد الأبواب متظاهرين بأننا لانرى أو لانسمع مايجرى حولنا فى عصر الالكترونيات والاعلام الميكانيكى ..

إننا فى الواقع ننظر حائرين ، وننتظر .. ولابأس من الانتظار والتأمل.

ان جيلنا من الفنانين فى الغرب والشرق على السواء مايزال يعانى من المفاجأة التكنولوجية ، ويرقب باحتراس ذلك التطور السريع والمدهش للتكنولوجيا فى معظم مجالات الحياة.

ان جيلنا يشعر بالاغتراب فى دنيا التكنولوجيا ، ولايملك أن يحكم وحده على ظاهرة تسرب الآلية الى الفنون .. أو لعله لايملك الحكم الفوري على تلك الظاهرة.

اننا نتطلع الى مستقبل المسرح بكثير من الأسئلة ، وقليل من الاجابات. هذا موقفنا بالضبط.

نحن لانصادر على مادرجنا على اعتناقه من مبدأ أن جوهر الفنون هو ابداع الانسان. ولانملك أن نصادر على اقتراحات رجال التكنولوجيا وما يعرضونه على فن المسرح من إمكانيات وانما ننتظر ونرقب مايجرى ونرجىء الحكم فى قضية فنية للمستقبل.

الفريد فرج

إبـــــاء

شعر: محمد التهامي



أَلأَنِّيَ الانسانُ ثَارتْ عِزَّةُ الإنسانِ فِيْ
أَلأَنِّيَ الانسانُ قَدْ أَدْرَكْتُ أَنِّي اليومَ حَي
أَلأَنِّيَ الانسانُ قد أَطلقتُ في حقي يَدَيْ
يتحركُ الوَحْشُ الكبيرُ بِكُلِّ قُوَّتهِ إِليْ
ويروحِ يُرْعِدُ بالسِّلاحِ وبالنباحِ وبالدَّوِيْ
ويَظن أن جُيوشَه ستمد باطله بشَيْ..؟
لا أيها الوَحشُ الكبير.. أَنَا الكبير.. أنا القَوِيْ

• • •

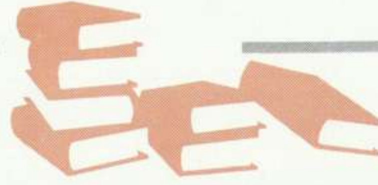
لاتحْسَبَنَّ صُراخَكَ المحْمومَ يَعْدو مسْمَعِيْ
أَوتحْسَبَنَّ مهَازِلَ الأَذْنَابِ قَدْ جَازَت عَلَيْ
أَوْتحْسَبَنَّ ضخَامَةَ الأَصْنَامِ تَخدَعُ مُقْلَتي
أَوتَحْسَبَنَّ النَّابَ والأَظْفَارَ تَثْني قَبْضَتي
فلقد لَوَيْتُ ذراعَك الجَبَّار ـ يا جَبَّارُ ـ لِيْ
وملأت مِنْ دَمك الأثيم وقد تَدَفَّقَ رَاحتيْ
سأَعُبُّهُ عَبًّا ولَنْ أَلْقى مَدى الأَيَّامِ رِيي
حَتَّى أَراكَ وقد مَضَيْتَ ولا رَجَعْتَ من المُضِيْ

• • •

إِني تَعَشَّقْتُ الجهادَ وَذُقْتُ مَعْناه الشَّهِيْ
وتَمردت في كُل أَعْضَائي دماءُ اليَعْرُبِيْ..
فَأَنَا الأَبي وقد تَلَقيتُ الحَياةَ عَن الأَبِيْ
أَرْضى بِهَا ظَلُّ السَّماء ومَهْبطُ النُّورِ السَّنِيْ
كَمْ أَنْبَتَتْ مِنْ مُهْتَدِينَ وَكَمْ حَبَا فِيهَا نَبِيْ

• • •

إِنْ كَانَ قد أَخْنَى عَلَيَّ وَساقَكَ الزَّمَن الرَدِيْ
وسرقْتَ مِنْ فَمِي الحياةَ ولُقْمَةَ العَيْشِ الهَنِيْ
وتَرَكْتَنِي نَهْبَ الضَّيَاعِ أَغطُّ في نَوْمٍ شَقِيْ
فَلَقَدْ صَحَوْتُ من السُّباتِ وهَزَّني الفجْرُ النَدِيْ
ولَمسْتُ ايماني الكبير وقد طَوى الظلماتِ طَيْ
وصَرخْتُ في أَهْلي الكثارِ الشاردين بكلِّ حَيْ:
قُمْ ياأَخي.. فَأَنَا وأَنْتَ نَرُدُّ طُغْيَانَ البغيْ
إِني عَرَفْتُ لَهُ الطريق.. عَرفتُ أَني وَحْدَوِيْ..



بقلم: الدكتور محمد البهي

العفو.. والصفح

العفو ـ كصفة ممدوحة ـ ليس هو التنازل للآخر عن خوف أو جبن، وإنما هو التنازل عن قدرة على البقاء على عدم الصفح في مواجهة من يعفى عنه. يقول الله تعالى ـ متحدثاً عن نفسه جل شأنه ـ في كتابه الكريم: «إن تبدوا خيراً أو تخفوه، أو تعفوا عن سوء، فإن الله كان عفواً قديراً» (النساء ١٤٩) فإنه يصف نفسه بالعفو، مقترناً بوصفها بالقدرة في اللحظة ذاتها، «فإن الله كان عفواً قديراً».. ليشير إلى أن صفة العفو في الإنسان ـ وقد طلبه هنا: «أو تعفوا عن سوء» ـ لا تعد فضيلة له أو محل اعتبار وتقدير، إلا إذا جاء العفو نفسه عن استطاعة في البقاء على عدمه، مع تحمل مسئولية التشدد في الموقف.

وإذا كان العفو هو التنازل عن قدرة فلا يكون الدافع إليه: هوى النفس. بل ـ يجب أن تدفع إليه اعتبارات تتصل بالمجتمع، أو بظروف من يقع منه العفو.

فمن الاعتبارات التي تتصل بالمجتمع، حاجة من وقعت منهم الإساءة إلى معاونة من وجهت اليهم هذه الاساءة. يقول الله تعالى.

«ولا يأتل (أي يحلف) اولوا الفضل منكم والسعة: أن يؤتوا أولي القربى، والمساكين، والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا، وليصفحوا، «ألا تحبون أن يغفر الله لكم، والله غفور رحيم» (النور ـ ٢٢).. فقد نسب القرآن إلى بعض أصحاب الحاجة من الأقرباء، والمهاجرين في سبيل الله، ومن عداهم: أنهم شاركوا في إساءة تتصل بأصحاب الفضل واليسار في الأمة ـ وفي مقدمتهم أبو بكر رضي الله عنه ـ فبيت هؤلاء العزم وعقدوا اليمين على عدم مشاركة أولئكم في أموالهم، وسد حاجاتهم منها. فجاءت الآية تتطلب العفو والصفح عن الاساءة التي وقعت، وتطلب بالتالي: العودة إلى العلاقة التي كانت قائمة قبل، وهي علاقة المعاونة والمساعدة لاعتبار انساني، هو الرحمة بأصحاب الحاجة في المجتمع، وفي ذلك مصلحة الأمة كلّها.

ومن الاعتبارات التي تتصل بالمجتمع أيضاً، في شأن العفو: الابقاء على التماسك فيه، والمحافظة على قوته في البناء. يخاطب القرآن رسول الله ﷺ بقوله: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين» (آل عمران آية ١٥٩). ويطلب إليه العفو عمن تولى وهرب من المسلمين في «أحد» يوم التقى الجمعان، حفاظاً على وحدة الأمة وقوتها في مواجهة أعدائها، رغم أن هذا البعض الذي دفعه إلى التولي التعجل بالغنائم من الاعداء. ولم يطلب القرآن إلى رسول الله العفو فقط، بل طلب مع ذلك منه استغفار الله لهم، وإشراكهم في الرأي فيما يتصل بشئون الأمة، إشعاراً لهم باعتبارهم وقيمهم فيها، وتطميناً لنفوسهم. وقد سبق لله تعالى أن عفا عنهم فيما تحكيه آية أخرى: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان، انما استزلَّهُم الشيطان ببعض ما كسبوا، ولقد عفا الله عنهم، إن الله غفور حليم» (آل عمران آية ١٥٥)

وتعقب الآية بوصف الله: بأنه حليم، بعد وصفه بأنه غفور، لتفيد أن هؤلاء الذين أخطأوا يوم «أحد» بالانصراف إلى الغنائم وعدم الثبات في أماكن القتال التي حددت لهم قبل انتهاء الموقعة.. يجب أن تعطى لهم فرصة أخرى لاختبار قوة ايمانهم، ولا يؤخذون بقبولهم لاغراء الغنائم بعد الجولة الأولى في الميدان. وللمصلحة العامة إذن أن يعفى عنهم.

ومن هذه الاعتبارات كذلك عدم التفريط في حق عام. فقد وجه القرآن لرسوله ﷺ فيما تذكره الآية: «عفا الله عنك، لم أذنت لهم، حتى يتبين لك الذين صدقوا، وتعلم الكاذبين» (التوبة ٤٣).. أن الله قد عفا عنه، وأنه ماكان ينبغي له أن يجيب بعض المؤمنين ـ وهم في حقيقة أمرهم من المنافقين ـ إلى ما طلبوا من القعود عن القتال. فالعتاب الذي يوجهه القرآن إلى الرسول ـ ﷺ ـ خاص بسياسة الأمة ومصلحتها في وقت الحرب والقتال. والسياسة الحكيمة في هذا الوقت: هي التعرف على العناصر الانتهازية في الداخل التي تضمر العداء للايمان بالله في الواقع، وتتستر وراء اعلان الايمان، ولاتتردد في هذا الوقت أن تتآمر ضد الأمة وسلامة أمنها. والتعرف على هذه العناصر من حق الأمة والمصلحة العامة، قبل حق القائد فيها. ولذا لا ينبغي السماح بما يعوق هذه المصلحة. فعفو الله إذن عن الرسول كان تطميناً لخاطره فقط. ولكنه أكد حق المصلحة العامة بعتابه، وبتوضيح خطورة الأمر، فيما لو عدل عن السياسة الواجبة الاتباع في هذا الوقت. وقد كشف أمرهم في قوله: «لوكان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم، والله يعلم: إنهم لكاذبون» (التوبة ٤٢).

وإذن: ليس العفو تنازلاً عن عجز وليس تفريطاً في مصلحة عامة. وليس العفو لشهوة النفس وهواها. العفو عمل إنساني لمصلحة الفرد، ولمصلحة الأمة ممن يستطيع أن يقدمه.

آخر ماكتبه العالم الكبير

الدكتور عبد المحسن صالح

للدوحة قبل رحيله بأيّام

خسرت الحياة الثقافية فى الوطن العربى العالم والكاتب الكبير الدكتور عبد المحسن صالح ، وكانت وفاته بمنزله بالاسكندرية ، فى أول يوم من أيام رمضان الموافق ٩ مايو ١٩٨٦ ، وكان الكاتب الكبير الراحل قد ارتبط بمجلة الدوحة منذ عام ١٩٨١ ، ولم ينقطع عنها منذ ذلك التاريخ حتى قبل وفاته بأيام ، حيث أرسل لنا هذا المقال الرائع الذى كان آخر ماكتبه الفقيد العظيم ... رحم الله كاتبنا الراحل رحمة واسعة وعوض الثقافة العربية عن الخسارة الفادحة بفقدان هذا الكاتب الفذ الرائد فى علمه وأدبه الرفيع .

إنهم يمشون على النار حُفَاة..

خدعة أم حقيقة؟



لكل انسان قدرةمحدودة على تحمل العذاب والآلام ، وطبيعى ان يختلف ذلك بين انسان وآخر ، فقد يفزع هذا أو يصرخ من وخز إبرة ، فى حين أن غيره قد يتحمل الكى بالنار ، كما يحدث عنوة فى حالات التعذيب البشرى ، أو بمحض الاختيار ، ظنا منه أن الكي يخلصه من الآلام ، وفى مثل هذه الأمور وغيرها يتم ذلك لهدف محدد ، لكن أن يختار بعض الناس وسيلة غريبة ، مثل المشي على الجمر أو الفحم المشتعل وهم حفاة الأقدام ، ثم يقولون انهم لايشعرون إلا بأشياء تدغدغ جلودهم ، فذلك ـ بلاشك ـ مغاير لكل المعايير البشرية ، ومن ثم فقد أثارت هذه الظاهرة المحيرة تساؤلات كثيرة ، ليس فقط على مستوى الناس ، بل أيضا فى بعض الدوائر العلمية .. فهل يمكن حقا المشى على النار دون أن تحترق الأقدام ؟ .. هذا ماسنحاول مناقشته والاجابة عليه من خلال هذا المقال .



د . عبدالمحسن صالح

موضوعنا هذا محير وشائك وطريف ، فلطالما سمعنا عنه منذ سنين طويلة ، أو قرأنا منه بعض مقتطفات هنا وهناك ، لكننا ـ لغرابته ـ لم نأخذ ما سرد عنه مأخذاً جاداً ، فطبيعة البشر واحدة ، فما يحرقنى لابد أن يحرق غيرى ، ولهذا فلا أحد يتصور أن يكون هذا بمعصوم من النار ، وذاك يكتوى بلهيبها ، ومع ذلك تجد من يؤكد لك أنه رأى بعينيه نساء أو رجالاً حفاة الأقدام ، وهم يمشون على الفحم المشتعل ، ولعدة أمتار ، ثم ترى على وجوههم علامات الطمأنينة والهدوء ، وكأنما الذى يسيرون عليه بساط من حشائش ندية طرية ، لا من لظى وسعير !

ولقد ظل كل ذلك عالقا بالذهن ، فلا أستطيع ان أرفضه ، ولا كذلك ان أتقبله ، اللهم الا اذا فسر تفسيرا يرتاح اليه العقل ، ويتمشى مع المبادىء الطبيعية التى تسيطر على الحياة وعلى الجماد .. الى أن كان العام قبل الماضى ، حيث ذهبت فى رحلة سياحية الى بعض دول الشرق الأقصى التى تفوح منها رائحة الأساطير والعجائب ، وفى هونج كونج جاء من يخبرنى : هل تود مشاهدة من يمشون على النار حفاة ؟ .. وطبيعي أن أتحمس بشدة لرؤية هذه الظاهرة المحيرة رؤية العين ، علنى أستطيع ان أضع حدا للظنون التى تسيطر على العقل منذ سنوات مضت .. وباختصار شديد ذهبت وشاهدت وتأكدت وصورت بعض المشاهد ، لكن للأسف الشديد تعرض الفيلم للأشعة عندما مر فى حقيبة اليد الخاصة بى

شكل (١) لقد تجمع بعض أهالى جزر فيجى ليؤدوا طقوس المشى على الأحجار المحماة بالخشب المشتعل ، وكأنما هم يحيون أسطورة زعيمهم الراحل الذى كان أول من سار على اللهب



شكل (٣) فى عيد المشى على النار ــ يوم ٢١ مايو من كل عام ــ يقوم أهالى قرية يونانية باشعال الفحم حتى يصبح جمرا ، وعليه يخطو الرجال والسيدات اعتقادا منهم أن هناك قديسا يحميهم من الاحتراق

إنهم يمشون على النار حُفاة.. خدعة أم حقيقة؟

■ المذيع البريطاني الذي قال: مشيت على فحم مشتعل وبقدمين عاريتين ولم أصَبْ بأذى!

داخل الجهاز الكاشف بالمطار عن إمكان وجود أسلحة قبل الصعود الى الطائرة، وبارت الصور، لكن تكفينا بعض الصور الموجودة ضمن هذا المقال، ففيها توضيح كاف.

فى هذا العرض المثير توقد أكوام من الفحم حتى تتحول الى قطع من الجمر، ثم تفرش على هيئة حصيرة ذات وهج واضح، ولكي تتأكد أنك أمام جمر حقيقى، فما عليك الا أن تلقى بأعشاب أو وريقات جافة، أو حتى أجزاء من ورق الصحف، وعندئذ سرعان ماتتفحم أو تشتعل.. ويبدأ المشهد التالى بظهور بعض أفراد صينيين ــ رجالا ونساء ــ يعدون على أصابع اليدين، وبثقة وجرأة بالغتين يخطون على الجمر حفاة الأقدام، وهم يصيحون ويهللون ويرقصون ويهتزون وكأننا نحن فى احدى حفلات الزار، لكنها حفلة راقصة على النار، ويظل هؤلاء القوم كذلك بضع دقائق وهم يروحون ويجيئون برشاقة وبسرعة، وبحيث تستطيع أن تلمح الشرر وهو يتطاير من تحت أقدامهم، ثم ينطلقون خارج حلبة الفحم الذى يكاد يخبو من وطأ الأقدام، وكأنما كانوا يخطون على أرض عادية.. فلا ألم ولا حروق، بل كانت تعلو وجوههم علامات الانتصار والطمأنينة والحبور، والناس من حولهم مبهورون، وكأنما هم لايكادون يصدقون ما يشاهدون!

وانصرفنا ونحن مشغولو الذهن بهذه الظاهرة المحيرة، ولقد عللها اكثرنا بأنها لاشك معجزة، وهو تعليل لايرتاح اليه المشتغلون بالعلم كثيرا ومع ذلك فقد سألت المرشدة السياحية الصينية التى كانت ترافقنا عن مغزى هذه الظاهرة فى حياة هؤلاء الناس، فأجابت بدورها اجابة لم تلق فى عقلى استجابة أو قبولا، اذ أن مايقوم به هؤلاء الناس هو برهان لسيطرة النفس على الجسد، أو الروح على المادة، لدرجة أنهم لايشعرون بالآلام ــ على حد قولها.. أى كأنما هى تريد ان توحى اليّ بطريقة ماكرة أن قومها روحانيون ذوو شفافية، لدرجة ان هذه الروحانية تفعل المعجزات، وهم بالقطع ليسوا كذلك لأنهم يتقاضون أجرهم من الناس الذين يحضرون عروضهم (٢٠ دولارا للفرد).

والحق أن هذه الظاهرة الغريبة قد أثارت فى الذهن حيرة شديدة.. اذ كيف نفسر عدم احتراق القدم العارية وهى تخطو على الجمر لبضع دقائق؟.. وهل هناك عازل غير مرئى؟.. أم أن السر يكمن فى طريقة الخطو على الجمر؟.. الواقع أن الأقدام كانت عارية، وطريقة السير على الفحم المشتعل ليس بالتفسير المقنع، لهذا لم نجد أمامنا الا ان نعيد ذلك الى نوع من التنويم الذاتى Self hypnosis أى الايحاء المستمر للنفس بأن النار لن تؤذيهم أو تؤلمهم، وحتى لو صح ذلك فأنه لن يمنع ظهور الحروق على بشرة أقدامهم.. اذن: ماهو التفسير المعقول؟.. دعنا نؤجل ذلك حتى نهاية الموضوع.

ظاهرة أسطورية قديمة

ولقد عدت لأبحث بين مراجعى عن حقيقة المشى على النار بين الحقيقة والخيال، فقادنى بعض ماجاء فى هذه المراجع ان فكرة المشى على النار قد ظهرت فى جزيرة صغيرة اسمها «بكا» ــ احدى جزر فيجى بالمحيط الباسيفيكى.. لكن الفكرة جاءت من أسطورة تحكى لنا أن أميرا يدعى توى ــ نا ــ ايفيكالاتى قد عاش بين قومه فى بكا منذ مئات السنين، وكان شجاعا فى القتال، ماهرا فى القنص والصيد، وذات يوم اصطاد ثعبان سمك، لكنه سرعان ماتحول بين يديه الى أحد الآلهة الأسطورية التى يعتقد فيها أهل تلك الجزر، والذى يطلقون عليه اسم تويمولاوي.

■ فى روما القديمة أعفت الحكومة بعض العائلات من دفع المُكوس لبراعتهم فى المشي فوق الفحم المشتعل!

■ على نغمات قيثارة بدائية يرقصون فى إحدى قرى اليونان فوق جمرات النار!

ولقد جرت بين الأمير وبين معبوده محاورة طريفة، اذ عرض تويمولاوى على الأمير أن يطلق سراحه مقابل أن يجعله سيد صيادى البحار وسيد المقاتلين أجمعين، لكن الأمير أخبره أنه يمتلك هاتين المكرمتين، وعندئذ عرض عليه أن يمنحه مناعة من النار، فلا تمسه بسوء، ووافق الأمير على ذلك، وعقدا بينهما ميثاقا.

وجاء قوم الأمير، وحفروا حفرة واسعة، وألقوا فيها أحجارا، ثم أشعلوا نيرانا، وظلت متقدة أربعة أيام بلياليها، وبعد أن أصبح كل شيء على ماينبغى، دعا تويمولاوى الأمير، لكي يلقى بنفسه فى أتون النار، وينام على الأحجار، لكن الأمير تخوف من الأمر، إذ ربما كان تويمولاوى يضمر له شرا، ولهذا فقد فضل ان يمشى حافى القدمين على الجمر المتخلف من النيران، فأقره معبوده على ذلك، حتى يطمئن قلبه، وبالفعل خلع الأمير نعليه، وخطا على النار جيئة وذهابا، وهو لايكاد يصدق أنه قد اكتسب مناعة من الاحتراق، بل أحس كأنما الجمر تحت قدميه العاريتين بمثابة بساط وثير بارد!

هذه الأسطورة الغريبة لازالت تعشش فى عقول أهالى جزيرة بكا حتى اليوم، ولهذا اذا ذهبت الى هناك، فلاشك انك سترى القوم وقد أوقدوا جمرا، وعليه يسيرون حفاة الأقدام (شكل ١).. والغريب أن لهم فى ذلك مرشدا أو موجها يوجههم، ويدعى «مبيتى» ــ أى الكاهن المسيطر على النار، فهو أول من يخطو عليها، ثم يتبعه مريدوه، ويظلون يرقصون حتى يخمد الجمر.

دوهورتى فى مقال له بعنوان «المشاة على النار فى العالم»، ان المؤرخ بيلينى قد أشار الى وجود بعض عائلات فى روما القديمة كان أفرادها يمشون على الفحم المشتعل، وكان من نتيجة ذلك أن الدولة قد أعفتهم من دفع المكوس، ويذكر أيضا أن راهبا من رهبان العصور الوسطى فى مدينة فلورنسا، كان يظهر «معجزاته» بالمشى على النار، فاستحق أن يكون خليفة للقديس بطرس .. لكن المشى على النار أصبح الآن يمارس فى تاهيتى والصين والهند وبلغاريا واسبانيا وأمريكا وانجلترا .. الخ .. (شكل ٣).

ويشير دوهورتى الى وجود وسائل أخرى للعب بالنار، فبعض الناس فى سومطرة يستطيعون وضع جمرات مشتعلة فى أفواههم، ومنهم من يستطيع تحمل سيخ من الحديد المحمى عندما يكوى به الأجساد، ودون أن تظهر عليهم علامات الخوف أو الألم.



شكل (٣) فى تاهيتى أيضا يلبس مريد السير على النار ملابس خاصة، ويمسك بيده شعلة، ويعرض على المشاهدين تحمله للمشى على الأحجار الساخنة، ودليل لظاها ان تلقى عليها ورقة، فتشتعل فى الحال

عيد المشى على النار

ورغم أن القبائل البدائية فى جزر فيجى وفى سيرى لانكا وتاهيتى .. الخ، قد ورثت شجاعة المشي على الجمر نتيجة لأساطير قديمة، الا أن ذلك لم يمنع ظهورها فى أماكن متفرقة من العالم، لكن الغريب أن بعض المجتمعات المتحضرة فى الولايات المتحدة وأوربا قد بدأت بدورها تعقد لذلك حلقات، تسبقها ندوات، لتلقى فيها على الناس مواعظ وارشادات، ثم يوجهون ــ بعد ذلك ــ للمشى على النار.

خذ على سبيل المثال مايحدث فى قرية آيا ايلينى اليونانية، وبالتحديد فى يوم ٢١ مايو من كل عام، ففيه توقد أكوام كبيرة من الفحم وقطع الأخشاب، وتفرش على مساحة واسعة من الأرض، ثم ينطلق فوقها مابين ١٠ ــ ١٥ فردا، من رجال وسيدات، ليرقصوا بنشوة غامرة على نغمات قيثارة بدائية وحولهم يتجمع الآلاف من القرى المجاورة، أو من الغرباء أو السياح الذين يتوقون الى رؤية بشر لاتحرقهم النيران، ويقال ان الرقص على الجمر يستمر لبضع ساعات، وفيه تنطلق الأناشيد والصيحات ويظل الحال على ذلك حتى تخمد النيران (شكل ٢).

لكن .. ماهدف هؤلاء الناس ؟ .. وما معنى هذا العيد ــ عيد المشى على النار؟

الواقع أنهم جماعة ممن ينتمون الى مايسمى بالهوس العقائدى، فأهل تلك القرية اليونانية يعرفون باسم «الاناستيناريد»، وهم يريدون أن يوحوا للناس بأن عملهم هذا هو إحدى المعجزات، وأن الذى يحول بينهم وبين الاحتراق هو القوة الخارقة التى يمنحها لهم القديس قسطنطين والقديسة هيلين.

وطبيعى أن هذا الاعتقاد، هو اعتقاد يخص هؤلاء الناس وحدهم، ومعهم أيضا بعض المعتقدين فى المعجزات، لكن ظاهرة المشى على النار قديمة، اذ يذكر لنا جيم

دعوة للمشى على النار

والواقع أن هناك حكايات كثيرة يرددها الذين استطاعوا تحمل المشى على الجمر المتقد، لكننا سوف نختار منها حكايتين كان بطلاها اثنين من المشتغلين بالعلم، ولهذا فهم أقدر من غيرهم على توضيح الخدعة من الحقيقة.

يذكر لنا دكتور جيرمى تشيرفاس ــ عالم الفيزياء البريطانى وواحد من المستشارين العلميين لمجلة «رجل العلم العصرى» البريطانية، وهو أيضا من المهتمين بدراسة أمثال هذه الظواهر ــ يذكر فى عدد يونيو ١٩٨٥ من تلك المجلة أنه تقابل مع أحد مقدمى برامج الاذاعة البريطانية، وقال له بشىء من الزهو والتحدى «لقد مشيت بنفسى على فحم مشتعل، وبقدمين عاريتين، ولمسافة أربعة أمتار، ودون أن أصاب بأذى .. والآن: ألا ترى أن ذلك ضد كل قوانين الفيزياء التى تعرفها ؟»

عندئذ يجيبه تشيرفاس «بالعكس .. إنها بالضبط قوانين الفيزياء التى جعلتك تمشى على الفحم المتقد، وليس ماقد يداعب خيالك مما

إنهم يمشون على النار حُفاة.. خدعة أم حقيقة؟

■ طبقة رقيقة من بخار الماء هي التي تحمي هواة المشي على النار من احتراق القدمين!

يردده عامة الناس » (أى مسائل المعجزات وما شابه ذلك) .

ويذكر تشيرفاس تلك الدعوة التى وجهت اليه لحضور ندوة مقامة فى أحد النوادى الأنيقة بضاحية شيزويك بلندن ، ويديرها شخص يدعى هيو برومیلی ، وتشاركه فيها زوجته « خارا » ، وعلى الذى يريد ان يتلقى تدريب المشى على النار أن يدفع خمسين جنيها استرلينيا للجلسة الواحدة (ويذكر أنه لم يدفع ، لأنه مدعو) .. وتبدأ الندوة بسرد قصص وحكايات عن كرامات أمكن تحقيقها ، وذلك بقصد تهيئة نفوس الحاضرين الى جو تسيطر عليه الطمأنينة والروحانية .

ويصحب برومیلی وزوجته الحاضرين الى الخارج ، حيث توجد حصيرة واسعة من الفحم المشتعل ، وتحيط بها حشائش منداة بالماء ، وعليها يقف المريدون حفاة الأقدام ، ثم يأمرهم بترديد عبارة « سنخطو على حشائش ندية باردة » مرات كثيرة ، مع التركيز والاعتقاد فى صحة ذلك (وهو نوع من الايحاء الذاتى) .

وجدير بالذكر أن هذه الندوات تنطوى على حيل ذكية ، وتوجيهات خادعة ، وطقوس غريبة ، كأن تقول « خارا » مثلا للحاضرين بصوت عذب رخيم ، ينطوى على اقناع لئيم : « كل من يحتكم الى العقل القويم ، فعليه ألا يقرب الجمر ، لكن باطلاق العنان لخيالكم ، فان كل شيء يمكن انجازه » (ومنها المشى على النار) .. أى كأنما هى تريد من الناس أن يلغوا عقولهم .. وطبيعى أن كل ذلك لن يقدم ولن يؤخر ـ كما سنرى بعد قليل .

وفى مجلة العلم ـ ٨٥ الأمريكية يكتب ريك ماكورت عن الموضوع نفسه ، فيذكر « وقفنا حفاة الأقدام فى دائرة ونحن نرتل بخشوع فى جو تغلب عليه البرودة ، وأمامنا تمتد حصيرة طولها عشرة أقدام من الفحم المتقد الذى يبدو فى ظلام الليل بلون أحمر برتقالى ، ووقف رجل على الحشائش المبتلة وهو يرنو ببصره صوب حصيرة الجمر ، ثم بدأ يخطو بهدوء فوق الجمر بخطوات واسعة ورشيقة وسريعة .. ثم تبعه الذين وقفوا فى الدائرة ، وبدأوا يقلدونه » (شكل ٤) .

ويعلق ماكورت على ذلك فيقول « لم نكن طبعا فى بلاد اليابان أو سنغافورة أو بعض جزر جنوب الباسيفيكى (وهى التى اشتهر أهلها منذ زمن طويل بالمشى على النار) ، بل كنا فى منطقة خلوية بأريزونا .. ففى هذا المكان يجتمع كل يوم حوالى « دستة » من الناس الذين يهوون المشى على الجمر ، وتحت اشراف المدعو توم بل من نفس الولاية ، وهو واحد من ٣٥ مدربا تلقوا أصول الصنعة من تولى بيركان القاطن بكاليفورنيا ، وهذا بدوره قد درب ٣٠ ألفا من الأمريكيين للمشى على جمر الفحم حفاة الأقدام وكان يتقاضى مابين ٥٠ ـ ٦٠ دولارا لكل فرد » .. الى آخر هذا التعليق الذى يوضح لنا أن المشى على النار اصبح صنعة تدر على القائمين بها مئات الألوف ، إن لم يكن ملايين الدولارات .

هل من تفسير علمى مقبول ؟

واذا كان عامة الناس يرجعون مثل هذه الظاهرة الى قوى غيبية تحميهم من لسع النار ، أو أن ذلك يرجع الى سيطرة الروح على المادة ، أو الى كرامات الى آخر هذه التفسيرات التى لاتتمشى مع منطق قويم ، أو فكر سليم .. فاذا لم يكن ذلك كذلك ، فكيف نعلل عدم احتراق هؤلاء الناس ، خاصة وأن درجة حرارة الفحم المتوهج تتراوح مابين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ درجة مئوية ، وهى حرارة كفيلة بتفحم أية مادة عضوية ـ بما فى ذلك لحم القدم ؟

الواقع أن هناك عدة مبادىء علمية قد لايتنبه لها معظم الناس .. أولها ان هناك فرقا جوهريا بين درجة الحرارة ، وكمية الحرارة .. كما ان هناك فرقا بين مادة جيدة التوصيل للحرارة ، وأخرى رديئة التوصيل ، لكن قبل ان نوضح ذلك ، دعنا نقدم تجربة معروفة نتائجها مقدما ، وبدون لف أو فلسفة .. ولنفرض هنا أننا أتينا بلوح طويل وعريض من الصفيح او الحديد أو النحاس ، ووضعناه على الفحم المتوهج ، عندئذ سيكتسب اللوح درجة حرارة الفحم (او حوالى ٥٥٠ درجة مئوية) .. ولنفرض اننا طلبنا من بعض رواد المشى على الفحم أن يمشوا على لوح الحديد المحمى ، فهل يستطيعون ذلك ؟

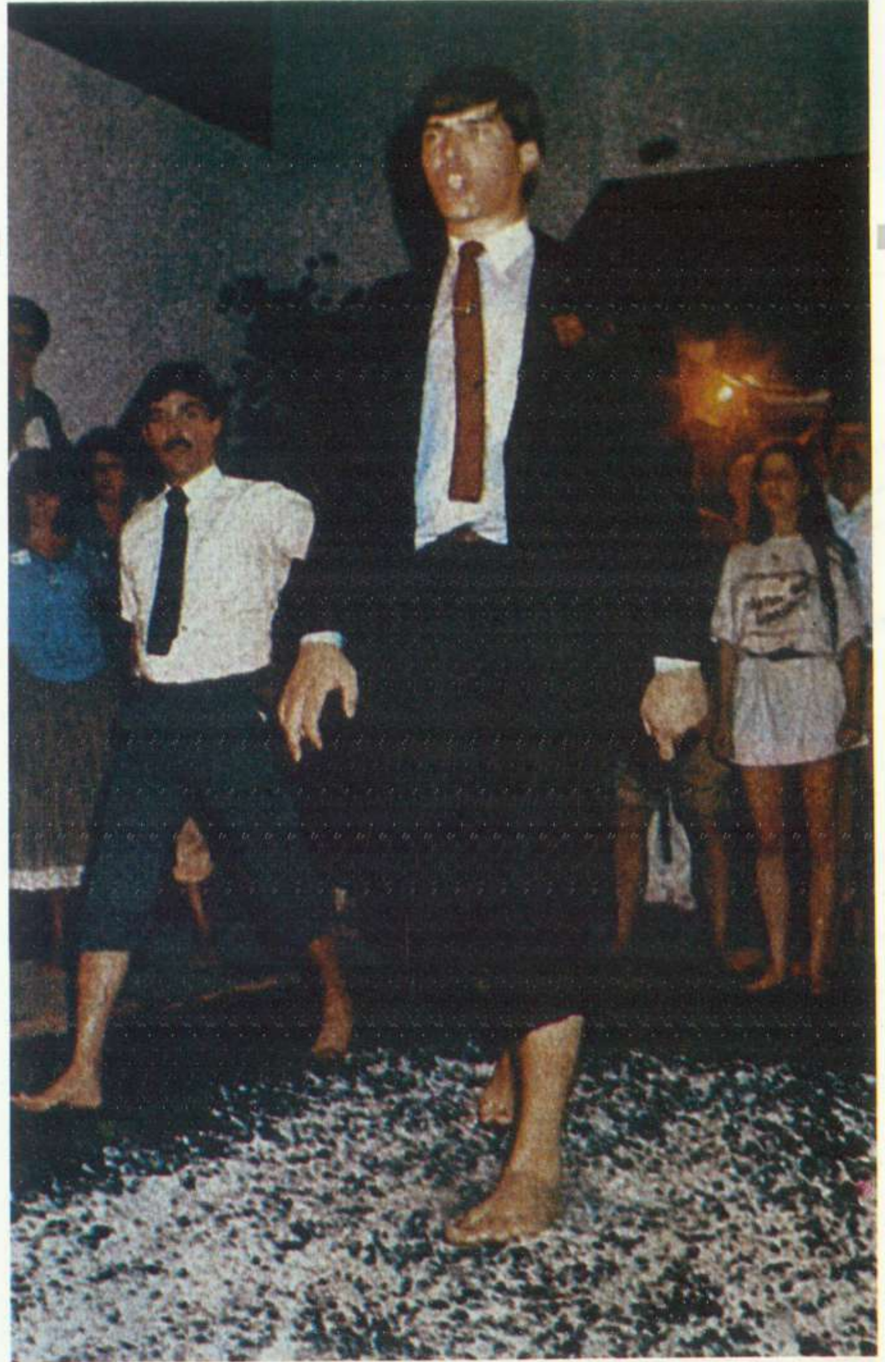
لو أنهم فعلوا ، فلن يعودوا لمثلها أبدا ، إذ ستحترق أقدامهم وتتفحم بعد لحظات قصار ـ هذا رغم ان درجة حرارة اللوح هى نفس درجة حرارة الفحم الذى طالما ساروا عليه وهم سعداء !

هناك أيضا ملاحظة عابرة قد لايعطيها الناس أهمية .. فلو أنك نثرت حجما معينا من الماء (على هيئة قطرات) على فحم مشتعل ، فان لظاه يخبو ، أو قد تنطفىء منه الطبقات السطحية المتوهجة ، لكن الأمر يختلف تماما مع معدن له نفس درجة حرارة الفحم ، ففى هذه الحالة يتبخر الماء سريعا ، وتنخفض درجة حرارة المعدن قليلا ، أى انه لايزال يحتفظ بكمية كبيرة من الحرارة .

من هاتين التجربتين البدائيتين أو البسيطتين ، تستطيع ان تعلل مشى الناس على الفحم دون احتراق .. فالفحم هنا رديء التوصيل للحرارة ، ولهذا فان جوفه لايسخن بنفس الدرجة التى تسخن بها الطبقة السطحية ، لكن المعدن جيد التوصيل للحرارة ، ويسخن جميعه ، ويحتفظ بكمية كبيرة من الحرارة ، وهى ـ على أية حال ـ أكبر بكثير من كمية الحرارة التى يحتفظ بها الفحم .

وتأسيسا على ذلك يفسر العلماء مشى الناس على الفحم المتقد .. فرغم أن درجة حرارته عالية ، الا أن كمية الحرارة التى يفرغها فى القدم العارية يمكن تحملها ، مع أخذنا فى الاعتبار أيضا أن هواة المشى على النار يقفون على حشائش منداة بالماء ، فتبتل بها أقدامهم قبل أن يخطوا على الفحم ، وعندما يسيرون عليه ، تتكون عندهم طبقة رقيقة عازلة من بخار الماء ، تحميهم جزئيا عند بداية الخطو على الجمر من حدوث حروق لاتحتمل .

ان هذا الرأى للبروفيسور جون تيلور أستاذ العلوم الرياضية بجامعة لندن ، وكذا عالم الفيزياء دكتور تشير فاس الذى حقق هذه الظاهرة بنفسه ، وكذا الفيزيائى بيرنارد لايكند



شكل (٤) انتقلت « تقليعة » المشى على النار من المجتمعات البدائية الى المجتمعات المتحضرة ، والصورة لحلقة النار التى تقام بأريزونا بالولايات المتحدة ..

الذى يعمل فى مجال الطبيعة النووية بجامعة كاليفورنيا — وهو ايضا قد دخل التجربة ، ومشى على الفحم المشتعل .. وغيرهم بالطبع كثيرون ، وهم يرجعون حماية القدم من النار الى ظاهرةعلمية معروفة باسم ظاهرة « ليد نفروست » — نسبة الى عالم فيزيائى عاش فى القرن الثامن عشر ، وهوالذى فسر لنا كيف ان قطرة من الماء اذا سقطت على سطح اناء شديدة السخونة ، فان جزءا منها يتبخر فى التو واللحظة ، لكن الجزء الآخر يتخذ شكلا كرويا صغيرا ، ويظل يدور على هيئة قطرة صغيرة ، وكأنما هناك شىء يحميها ويحول بينها وبين سطح الاناء الشديد السخونة ، ولكنها بعد لحظات قد تطول ، تفقد مقاومتها وتختفى .

ان الذى يحول بين قطرة الماء وبين سطح الوعاء الشديد السخونة ، هو تكوين طبقة رقيقة من بخار الماء ، فتجعلها بمعزل مؤقت عن درجة الحرارة العالية ، وهو تعليل صحيح يفسر لنا بقاء قطرة الماء لفترة غير قصيرة .

والواقع ان الحواة يستخدمون نفس هذا المبدأ لعزل أصابعهم عن الاحتراق عند غمسها فى رصاص سائل ثم اخراجها بسرعة دون ان تحترق او تتفحم ، فقبل غمسها تكون مبللة بالماء الذى يتبخر حول الإصبع ، ويتحول الى غشاء رقيق من بخار الماء الساخن ، فيحول بين الإصبع وبين الاحتراق .

والآن يمكن جمع هذه العوامل لتفسر لنا قدرة بعض الناس على السير فوق حصيرة من الفحم المشتعل ، دون ان تصاب أقدامهم بأذى كبير .. فالماء الذى يندى أرجلهم ، يعزلها عن لظى الفحم بغشاء واق من بخار الماء ، وبعد قليل تكتسب أرجلهم طبقة رقيقة من رماد الفحم التى تصبح بدورها عازلا جزئيا ، هذا بالاضافة الى ان كمية الحرارة التى تنساب من الفحم المتقد الى أرجلهم كمية قليلة ، فلا تؤدى الى حروق كبيرة (لأن الفحم ردىء التوصيل للحرارة ، وهو هنا عكس التوصيل فى المعدن الذى يفرغ فى القدم شحنة من الحرارة تكفى لحرقها) .

ولهذا — فان المشى فوق الجمر ليس بمعجزة ، لكنه يحتاج الى تدريب على خطوات محسوبة وسريعة ، ويتطلب ارادة قوية ، وأن يطرد الناس الخوف من مخيلتهم ، ذلك ان العامل النفسى هنا أيضا ذوأهمية كبرى .. وهو مايفسر لنا صمود بعض الناس على النار ، وهرب البعض الآخر فى الخطوات الأولى من هذه التجربة القاسية .. لكن يبقى السؤال المحير : لماذا يفعل الناس ذلك حقا ؟ .. ربما لاظهار أنفسهم امام الناس وكأنما هم فوق مستواهم ، أو ربما دخلت فى بند الأفعال الغريبة التى يمارسها بعض البشر دون ان يؤدى ذلك الى فائدة تعود على البشرية ، ومع ذلك ، فالناس فيما يعشقون مذاهب ، حتى ولو كان ذلك فى السعى على الجمار ، أواللسع بالنار .

عبد المحسن صالح

طرائف شرقية وغربية

مقلب

قال مدير الشركة لصديقه :
ـ أمس شربت أكبر « مقلب » في حياتي ! ..
ـ وكيف ذلك ؟ ..
ـ طلب السكرتير اجازة بدعوى أن والدته توفيت ، فأذنت له بالاجازة ، ثم أردت أن « أقفشه » حتى لا يعود الى الكذب ، فذهبت الى منزله ..
ـ وماذا حدث ؟ ..
ـ تبين أن والدته توفيت فعلاً ، فاضطررت الى الاشتراك في تشييع جنازتها !

زجاجة العطر والحسناء

أرسل المرحوم مصطفى صادق الرافعي زجاجة عطر الى حسناء وكتب عليها : يا زجاجة العطر اذهبي إليها ، وتعطري بمس يديها ، وكوني رسالة قلبي إليها .

ماذا يحب ؟

ـ مر « أبو الصناير » على دار عدو له . فسأل عنه . فقيل له : إنه على ما تحب ..
فقال : لماذا إذن لا أسمع عويلاً ؟

الجبن له فوائد !

قال مارك توين الكاتب الأمريكي الساخر المشهور :
ـ هناك وسائل كثيرة لمقاومة الاغراء .. ولكن أقواها جميعاً هو .. الجبن !

سياستان

ـ قال عمرو بن العاص : « ما دخلت في شيء قط إلا وخرجت منه »
ـ وقال معاوية بن أبي سفيان : « ما دخلت في شيء قط وأريد الخروج منه » .

السيف القصير

ناولت امرأة ولدها سيفاً فرآه قصيراً فقال :
ـ إنه سيف قصير .
فقالت : تقدم خطوة ، فيطول !

انتظر أياماً

جاء رجل الى رجل من الأثرياء فقال :
ـ أنا جارك وقد مات أخي فلان فمر لي بكفن له .
فقال الثري :
ـ لا والله ما عندي اليوم شيء ، ولكن عد اليّ بعد أيام فسيكون الذي تحب .
قال الرجل :
ـ أصلحك الله هل نملحه الى أن يتيسر عندك شيء ؟!

ذو القرنين

دخل راهب على هشام بن عبدالملك فقال للراهب :
ـ أرأيت ذا القرنين ؟ .. أكان نبياً ؟
فقال الراهب :
ـ لا .. ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا ، وإذا وعد أوفى ، وإذا حدث صدق ، ولا يجمع شغل اليوم الى غد .

دعابة شعرية

قدم الى المدينة تاجر من أهل الكوفة ومعه خُمر « والخمار ما تغطي به المرأة رأسها » فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تبع ، وكان صديقاً للدارمي ، فشكا ذلك إليه ، وكان الدارمي قد نسك وترك الغناء وقول الشعر فقال له :

ـ لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ، ثم وضع شعراً للغناء :

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا صنعت براهب متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع غناؤه بين الناس ولم تبق فى المدينة ظريفة الا ابتاعت خماراً أسود .. حتى نفد ماكان مع العراقي منها .

السعادة الخفية

حدث ذات يوم وأنا في الحادية عشرة من عمري أن عدت الى البيت أبكي لأنهم أعطوني دوراً صغيراً في برنامج للأطفال يؤدى في الحفلة ، على حين أعطوا زميلاً لي الدور الرئيسي . فأخرجت أمي ساعتها في هدوء ووضعتها في كفي ثم سألتني : « ماذا ترى ؟ »
فقلت : « غلافاً من الذهب ، ووجهاً ، وعقارب » .
ففتحت ظهر الغلاف وكررت سؤالها ، فرأيت عجلات دقيقة جداً وتروساً ، فقالت أمي : « إن هذه الساعة لا خير فيها بغير هذه الأجزاء جميعاً ـ حتى التي لا تستطيع رؤيتها » .
وقد جعلني درسها الصغير هذا ، أسعد طول حياتي لأني أدركت أن الواجبات الصغيرة التي يجب أن يؤديها كل امرىء ، جوهرية ولو لم تظفر بتصفيق الناس .

سخرية

كان غلام يستمع للفرزدق وهو ينشد قصيدة على جمع كبير، فكان هذا الغلام يصفق طرباً. فلما انتهى الشاعر الكبير من انشاده استدناه وقال له:

ـ أأعجبك شعري؟
قال الغلام:

ـ لم أسمع مثله في الجودة والرصانة والمعنى.
فداخل الفرزدق الزهو وقال للغلام:

ـ أيسرك أن أكون أباك؟
فقال الغلام:
ـ أما أبي فلا أبتغي به بديلاً، ولكن يسرني أن تكون أمي!

في لحظة الاحتضار

ـ اسدلوا الستار فالمأساة انتهت! (رابليه)

ـ إنى انتقل من تاج قابل للفساد الى تاج لا يفسد. (شارل الأول).

فكرة شيطانية

رأى سائح فلاحاً يحرث حقله بمحراث يجره ثور واحد، وكان الفلاح يحث الثور على السير قائلاً: «سر يا نيل ... سريا نلسون .. سريا سام» فسأل السائح الفلاح: «كم اسماً لثورك؟!» فأجاب الفلاح: اسم واحد... ولكنني اعتدت أن أضع على عينيه أثناء العمل غطاء حتى لا يرى، ثم أصيح وراءه بعدة اسماء فيتوهم أن معه عدداً من الثيران تعاونه في الجر أو تنافسه العمل، وبهذه الطريقة فإنه يا سيدي يؤدي ضعف العمل الذي يؤديه لو شعر أنه يعمل لوحده.

رأس الأصلع

افترى رجل أصلع على ديوجينيس فأفرط في افترائه فقال ديوجينيس:
ـ إني لأغبط شعر رأسك إذ هرب من جمجمتك هذه الرديئة!

حسن السير والسلوك

صاحب العمل: هل عندك شهادات بحسن السير والسلوك؟
طالب العمل: هذه شهادة السجن بحسن السير والسلوك!

هل تعلم؟

• هل تعلم أن فريقاً من المهندسين الايطاليين قد اخترع جهازاً يعتمد على ستة أرجل بحيث يمكن أن يساعد المقعدين المشلولين على الانتصاب والسير.
• هل تعلم أن العلماء دهشوا عندما علموا أن الفراشات تسمع.
• هل تعلم أن عدد البحيرات في منطقة أونتاريو في كندا يقرب من ٤٠٠ بحيرة.
• هل تعلم أن الذئاب تتمتع بحاسة سمع مرهفة بحيث أنها تستطيع سماع وقع أقدام الإنسان على مسافة ربع ميل، ويدعي الاسكيمو أن الذئب يستطيع سماع صوت السحابة التي تمر من فوقه.

الإحسان والإساءة

وقع بين أبو مسلم وبين قائد له كلام، فأربى عليه القائد الى أن قال له: يا لقيط! فأطرق أبو مسلم فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال:
ـ أيها الأمير، والله ما انبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى أنطقتني فاغفرلي..
قال: قد فعلت..
قال: إني أحب أن استوثق لنفسي..
فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنت تسيء وأحسن، فلما أحسنت أسيء!!

دعاء

ـ يا رب أعطني الأمل، وخذ مني اليأس، ولا تعطيه لغيري.
ـ يا رب، ازرع نضارة الحب في قلبي، وانزع تجاعيد الحقد من نفسي.
ـ ساعدني على أن أحول أصدقائي الى أحباء، ومعارفي الى أصدقاء، وخصومي الى معارف.
ـ امنحني القوة لأتغلب على شهواتي، واعطني العقل لأنتصر على غروري
ـ يا رب، قوِّ بصري لأرى عيوب نفسي، وضع عصابة سوداء على عيني حتى لا أبالغ في عيوب غيري.

دنيا الأفكار

ـ ما انفقه على نفسي ضاع مني، وما أعطيته للناس باقٍ أبد الدهر
ـ يهب الله كل طائر رزقه، ولكنه لا يلقيه له في العش.
ـ لا ينجح عمل ما لم تكن يد الله فيه.
ـ أنانية الفرد طعنة في جسم المجموع.
ـ الوقت آلة الرزق إذا استعمل.
ـ قد يعطي الانسان بدون محبة ولكنه لا يقدر أن يحب دون أن يعطي.

اللبن لا يباع

كان العرب يعتبرون اللبن كالماء لا يباع. وقد حدث أن مرّ رجل من قريش بامرأة من العرب في بادية، فقال:
ـ هل من لبن يباع؟
فقالت: إنك لئيم أو قريب عهد بقوم لئام.

شاعر.. تطارده الأقدار!

بقلم: عبد الوهاب الأسواني

في اللحظة التي دخلت فيها بغداد، كان موكب الخليفة العباسيّ «الواثق» يشق المدينة – في مروره التقليدي الشهري..

الخليفة شاب في مقتبل العمر، ينسدل عليه قَبَاء من الديباج الأسود مشقوق من الأمام، وعلى رأسه قَلَنْسُوَة مخروطية الشكل، تلمع في مقدَّمتها ماسة كبيرة يُقال إنها كانت في تاج كسرى..

كبار رجال الدولة يحيطون بالخليفة على جيادهم المطهمة، يرتدون ثياباً سوداء عليها خطوط عريضة من الحرير الأبيض، وفي المقدمة صفّ من الفرسان يحملون رماحاً لها أسنّة من الفضّة، حولهم رايات تحمل اللون العباسي – الأسود – كُتب عليها بالخط الكوفيّ الأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله..

وقفتُ مع الجماهير التي احتشدت على جانبي الطريق تُحيّي الخليفة بهمهمات مثل «حيّا الله الخليفة، نصر الله أمير المؤمنين»، وبعد مرور الموكب سألت الرجل الذي يقف بجواري:

– من فضلك.. أين بيت الشاعر دعْبِل الخُزاعي؟

اتسعت عينا الرجل وهو يحدّق في وجهي، ثم تراجع بظهره، وعندما ابتعد قليلاً، استدار وأسرع في سيره. سألت الرجل الذي يليه فقال لي: لم أسمع عنه.

– لكنه مشهور..

انسحب هذا أيضاً دون أن يجيب، ثم توقّف على مبعدة وهو يوجّه لي نظرات خائفة.

تكرر هذا مع كل من سألتهم، وأخيراً اعترضت طريق رجل يرتدي أسمالاً باليةً يبدو من هيئته أنه من طائفة الصعاليك والشُطّار، فقال لي باسماً:

– الصديق العزيز دِعْبِلْ؟! ثم تلفّت حوله قبل أن يهمس لي في حذر:

– هرب الى دمشق..

– هرب؟

– هجا الخليفة «الواثق» بقصيدة طويلة، وهو الآن يتخفّى عند أصدقائه هناك..

– هل تعرف أصدقاءه في دمشق؟

– إسأل عن رجل يسكن في ضاحية «الفراديس» اسمه «أبو العزائم» وسوف يدلك عليه.

في دمشق قال لي أبو العزائم – وهو كبير الصعاليك في حيّ الفراديس – إن الخليفة اكتشف مخبأ «دِعْبِلْ» فاضطر الى الفرار الى صنعاء..

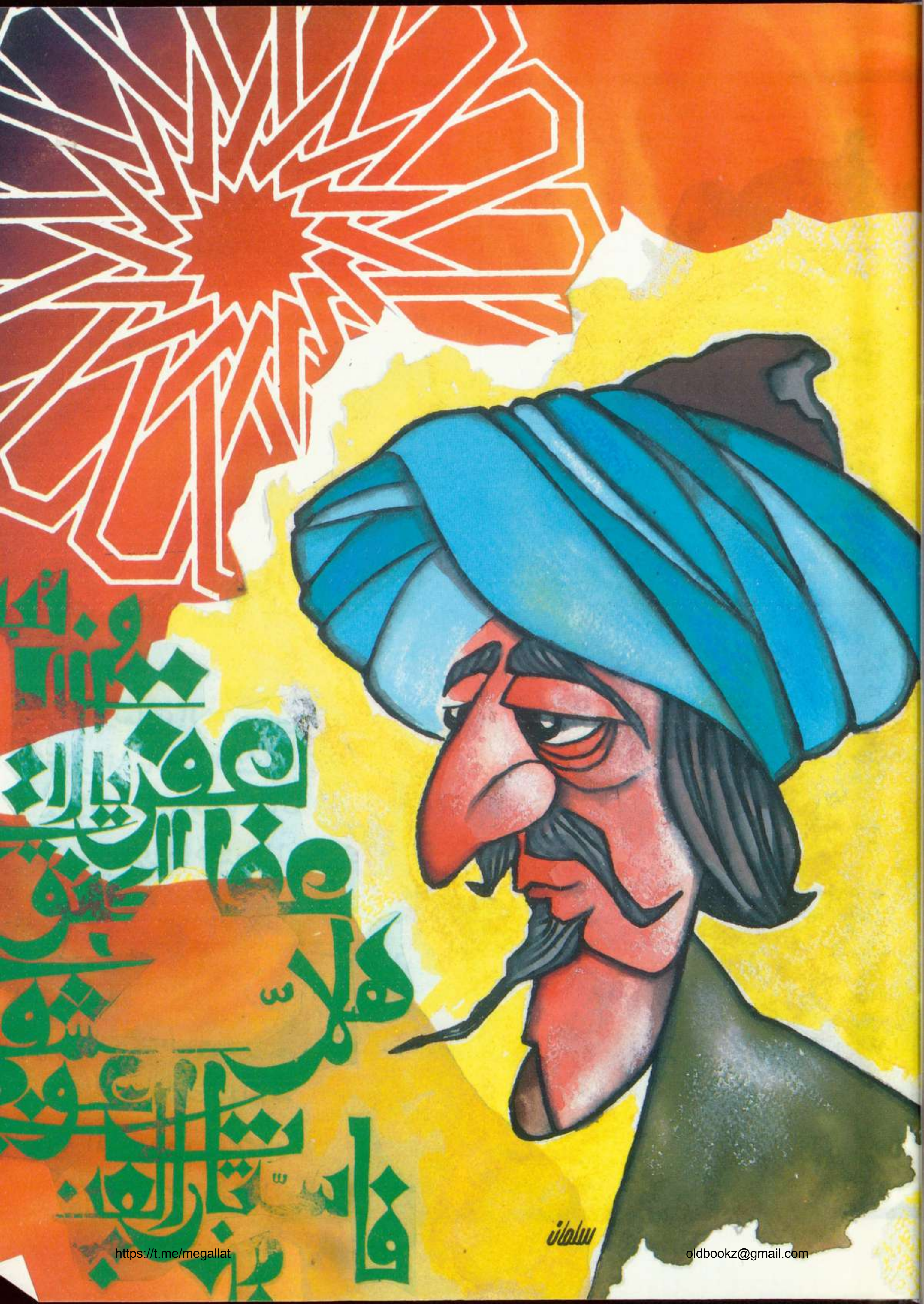
في صنعاء قالوا لي إنه سافر الى القاهرة، وظللت أتنقّل وراءه من مدينة الى مدينة، القاهرة، الأسكندرية، طرابلس، أخيرا عثرت عليه في بيت متواضع في أحد الأزقّة المجهولة من مدينة القيروان..

• • •

كان في الخامسة والستين، متوسط الطول، نحيل الجسد، خفيف اللحية، بوجهه البرونزي شحوب الفنّان، على رأسه عمامة زرقاء كبيرة، يلتفّ بعباءة من الصوف الرخيص، وكان راضياً عن نفسه رغم نبرة الأسى التي تشيع في صوته..

قلت له ونحن نشرب القهوة: ما معنى اسم «دِعْبِلْ»؟

– البعير المُسِنّ..


سلمان

شاعر.. تطارده الأقدار!

ـ ما رأيك ، أيها البعير العجوز ، في انني لا أفهمك .. فأنت تهجو من أحسن إليك بنفس الحماسة التي تهجو بها من أساء إليك .. وقد تعجبت حينما عرفت بأن الوالي « مالك بن طوق » استضافك في قصره لبضعة أيام ، بذل فيها كل ما في وسعه لاكرامك ، فلما خرجت من عنده ، هجوته بقصيدة جعلت عاصمة الولاية كلها تضحك منه .. فما معنى هذا ؟

عدل من وضع مسند صغير وراء ظهره وقال باسماً :

ـ قَدَر !

ـ هل أفهم من هذا أنك لاتجيد من الشعر غير الهجاء ؟

ـ ربما ..

ـ أريد إجابة محدّدة..

تنهّد بصوت مسموع وسألني : ما الذي سمعته أنت ؟

ـ سمعت بأنك تعيش شريداً طريداً لأنك هجوت جميع معاصريك من الخلفاء .. الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم وأخيراً الواثق .. كذلك هجوت جميع الوزراء وحُكّام الولايات وقواد الجيش وكبار رجال الدولة .. فلماذا هذا كله ؟

ـ قَدَر..

أحسست بأنه غير راغب في الحديث فقلت استدرجه :

ـ من كان أشدّ الخلفاء عليك ؟ ـ فتدفق في إجابته :

ـ المعتصم .. كان رجلاً حادّ المزاج ، ورث الكثير من طباع أجداده لأمّه ـ الأتراك ـ ولم يرث شيئاً من دماثة أبيه ، الرشيد .. وكنت قد هجوته من قبل ، وتوقعت أن ينتقم مني فغادرت العاصمة فى نفس اليوم الذي تولّى فيه الخلافة ..

ـ ولماذا توقَّعت انتقامه ؟ .. أليس من الجائز أن يعفو؟

ـ عزمت على أن أهنئه بقصيدة لكي أزيل ما في نفسه ، لكن القصيدة انقلبت في يدي إلى هجاء !

ـ ولماذا لم تُخفها عنه ؟

ـ من الصعب إخفاء شعري .. فما ان أعرض القصيدة على صديق لكي أعرف رأيه في مستواها الفنّي ، حتى أفاجأ بالناس يردّدونها في البيوت والأسواق ، وبصبيان المكاتب يترنمون بها في الطرقات ، وبالطلبة يناقشونها في حلقات دراستهم ، وبالبنات يتغنين بها خلف النوافذ ..

ـ لكن لا تؤاخذني إذا قلت لك ان القصيدة الأخيرة التي هجوت فيها المعتصم ، أحزنتني ..

ـ لماذا ؟

ـ ربما لأسباب عاطفية .. فقد إرتبط اسم المعتصم في وجداننا ـ نحن العرب المعاصرين ـ بدفاعه عن أرضنا .. حتى أننا لا نجد ما نردّده ـ في هزائمنا المتوالية ـ غير « وا معتصماه » .

ـ وأنا أيضاً أحترم هذا الجانب في المعتصم ، ولا أنسى موقفه مع « ياتوس » ..

ـ ياتوس مَنْ ؟

ـ قائد بيزنطى متعجرف أطمعه فينا أن قومه كانوا قد حققوا علينا نصراً بسيطاً في ايام الرشيد .. فأغار على القرى والمدن في شمال الشام وخرَّبها ، ثم مثَّل بمن وقع في يده من الأسرى فَسَمَلَ الأعين وقطع الأيدي والأرجل والآذان ـ على غير ما كان يحدث عادة ـ ثم كانت الطامَّة حينما أسر أكثر من ألف فتاة من أجمل بنات العرب .

ـ ألف فتاة ؟

ـ كان من الصعب على أي قائد عربي أن يجتاز ممرات جبال طوروس ذات الطبيعة الوعرة ، بجيش ضخم .. لكن المعتصم ـ وهو عسكريّ النشأة والمزاج ـ اجتازها .. استولى على مدينة للبيزنطيين أسماها « أنقرة » ثم زحف على « عموريّة » .

ـ وهل كانت لعموريّة أهمية كبيرة ؟

ـ كانت عاصمة القوم الثانية ، بعد القسطنطينية ، ولها أسوار شاهقة وأبراج منيعة ، لكن المعتصم لم يزحف عليها الاّ بعد أن جهَّز لها آلات حصار جديدة لم يسمع بها أحد من قبل ..

ـ أي آلات ؟

ـ استحدث نوعاً من المنجنيقات الضخمة ـ التي تقذف النار والحجارة ـ جعل لها كراسي تحتها عَجَلات تتحرك بها حول الأسوار بسهوله ، وكل منجنيق يديره أربعة رجال .. ولما رأى القائد المتعجرف « ياتوس » هذا ، صعد الى البرج الأكبر ، وأظهر نفسه للمعتصم وهو يخلع سيفه ويضعه تحت قدميه ، فأوقف المعتصم القتال ..

ـ ما دمت تقدِّر هذا الجانب في المعتصم ـ كما تقول ـ فلماذا هجوته بهذه القصيدة الموجعة ؟

ـ ألم أقل لك إنني حاولت تهنئته بالخلافة فانقلبت القصيدة في يدي إلى هجاء ؟!

ـ ماذا كان ردّ فعله بالضبط حينما بلغه الهجاء ؟

ـ طلبني حياً أو ميتاً فطرتُ من وجهه .. وعندما سمعت بأنه استعاد الفتيات العربيات الألف ، سعدت وأكبرته ، فهنأته بقصيدة طويلة ، لكن آخرها انقلب في يدي إلى هجاء ، فتركتها كما هي !

ـ أليس هذا شيئاً غريباً ؟

ـ المعتصم كان رجلاً عظيماً ، لكنه لم يكن يستشير أحداً في شئون الأُمَّة ، وهذا الجانب لا يعجبني فيه .

ـ ومتى عُدت إلى العاصمة ؟

ـ بعد وفاته مباشرة .. لكنني اضطررت إلى الهرب في نفس اليوم الذي دخلتها فيه ..

ـ لماذا ؟

ـ وجدت الشعراء محتشدين يرثونه بقصائدهم ، فحاولت أن أرثيه ، لكن نفسي لم تطاوعني ، فاكتفيت بهجاء الخليفة الجديد !

ـ هجوت « الواثق » حُباً في الهجاء ؟!

ـ ألم أقل لك قَدَر؟!

• • •

مرت لحظة صمت دار أثناءها سؤال بخلدي ترددت طويلا قبل أن أوجهه إليه :

ـ يُقال إنك ، حينما كنت في السابعة عشرة ، كنت ضمن طائفة الشُطَّار والعَيَّارين والصعاليك ، فهل هذا صحيح ؟

ـ صحيح ..

ـ الشطَّار والصعاليك ليسوا على مستوى واحد .. ففيهم الكثير من الشعراء والمثقفين ..

ـ وكيف انتقلت ، هذه النقلة الكبيرة ، من طائفة الشُطّار والصعاليك ، إلى مخالطة الخلفاء والوزراء ؟
ـ الفضل في هذا يعود إلى هارون الرشيد ..
ـ مَن ؟
ـ هو الذي اكتشفني كشاعر ..
ـ هذه مفاجأة لي ..
ـ أحد الملحنين أعجبته قصيدة لي فلحن بعضها .. وكان فيها بيت يقول :
« لا تعجبي يا سَلم من رجل .. ضحك المشيبُ برأسه فبكى »
ولما سمعها الرشيد سأل عن قائلها فقيل له هي لفتىً غير معروف وأخبروه عن اسمي .. فأعطى أحد رجال الحاشية عشرة آلاف درهم وبعض الثياب المناسبة وقال له : إذهب إلى ديار بني خُزاعة واسأل عن واحد اسمه « دِعْبل » ، أعطها إياه وقل له يحضر عندي إن شاء الله ، فإذا رفض المجئ ، فدعه وشأنه .
ـ يبدو أن الرشيد هذا كان فناناً ..
ـ صدقت .. كان إذا اكتشف فقيهاً ضليعاً ، أو شاعراً موهوباً ، أو موسيقياً نابغة ، يظل لأيام طويلة سعيداً لا حديث له إلاّ عن اكتشافه لهذه الموهبة .. وحينما جاءني رسوله كنت في أسفل درجات الفقر .. لا أملك غير ثوبين وأعيش في حجرة بائسة مع ثلاثة من الصعاليك .. لبست من الثياب التي أرسلها لي وذهبت إليه .. استقبلني بوجه طَلْق وأجلسني مع كبار رجال الدولة ، ولما سمع شعري طرب طرباً شديداً وقال لي : منذ هذه اللحظة أنت واحد منا .. ثم أجرى لي راتباً كبيراً ، وأصبحت مشهوراً ومحترماً وغنياً بين يوم وليلة ، وذاع شعري في الآفاق .
ـ ما شاء الله ..
ـ بعد فترة وجيزة ضقت بهذه الحياة فهجوت الرشيد وهربت من البلد !
ـ لا قوّة إلاّ بالله ..
ـ وجدت نفسي مطالباً بكتابة شعر أصف فيه مجالس الخليفة وعيون الظباء وأنواع الزهور ، كأنما الدنيا خلت من المشاكل ولم تبق غير هذه .
ـ على كل حال لا تحزن .. الإنسان يستطيع أن يكذب في كل شيء إلاّ في الفن .. فما لم يكن الفنّان منفعلاً وهو يُبدع ، فان المتلقي لن ينفعل معه قط ، ويكفي أنك كنت صادقاً مع نفسك ..
ـ هذا هو العزاء الوحيد ..

• • •

ـ سمعت بأنك تولّيت إحدى الولايات .. متى كان هذا ؟
ـ ليست ولاية بالضبط .. كل ما هنالك أنني زرت صديقي (المطلّب) والي مصر ، فولاّني مدينة (أسوان) في جنوب مصر ، لكنه عرّضني لإهانة قاسية .
ـ أي إهانة ؟
ـ أرسل لي أحد رجاله بكتاب العَزْل .. وقال له دع « دِعْبل » يصعد إلى المنبر ليخطب في الناس يوم الجمعة ، ثم أعطه كتاب العَزْل وامنعه من إلقاء الخطبة ، وأصعد أنت مكانه ..
ـ إلى هذا الحدّ ؟
ـ قلت للرجل : دعني أخطب وبعد ذلك أغادر المدينة في هدوء ، فرفض .. وكان منظري مؤلماً وأنا أنزل أمام الناس من فوق المنبر ..

ـ واضح أنك هجوت والي مصر (جزاء) له على إكرامه لك .. كالعادة ؟!
ـ كلا .. لكن أحدهم وشى بي عنده بأنني هجوته .
ـ يعني أنت لم تهجه أصلاً ؟
ـ بل هجوته .. لكن ذلك كان منذ سنوات طويلة !
ـ ولماذا ذهبت إلى زيارته ما دمت قد هجوته من قبل ؟
ـ بصراحة أنا نسيت هذه القصيدة ! .. فلكثرة ما هجوت من كبار رجال الدولة ، لم أعد أذكر من الذي هجوته ومن الذي لم أهجه بعد ؟!
ـ وهل التقيت به بعد ذلك ؟
ـ قال لي : كنت أحبّ الناس إلى قلبي يا دِعْبل ، لكنك الآن أبغضهم إلى نفسي بعد أن وصفتني في القصيدة بأنني لا نفع مني ولا ضرر ، أنا في الحرب آخرٌ ، وفي الفرار أوّلُ !
ـ أعتقد أن « الحسن بن سهل » قال لك كلاماً مشابهاً لهذا ..
ـ الحسن بن سهل ؟ .. أغاظني منه ـ عندما كان وزيراً ـ تلك الأموال الطائلة التي أهدرها في عُرس ابنته .. فهجوته بقصيدة اقترحت فيها على الأُمّة أن تبيعه هو شخصياً ، فاذا دفعوا لنا فيه درهماً واحداً ، فنحن الفائزون !
ـ شعر مؤلم يا دِعْبل ..
ـ قَدَر !
ـ يقال إنك تطوف البلاد ـ في هروبك الدائم ـ لكن الشطّار والصعاليك يلتفّون حولك في الجبال ويرحبون بك فتقضي بينهم أياماً طويلة تؤاكلهم وتُشاربهم ، ثم يسيرون معك يحرسونك حتى تصل إلى البلد الذي تريده .. فهل هذا صحيح ؟
ـ نعم ..
ـ كيف ترضى لنفسك بمصادقة الشُطّار والصعاليك بعد أن ارتقيت إلى درجة الحُكّام ؟
ـ أنا أعتبرهم أفضل ـ جوهراً ـ من كثيرين من الأدعياء ..
ـ وما دمت تتعاطف معهم هكذا ، فلماذا هجوت ابن العَثْعَث ؟
ـ أنا نادم على هجاء هذا الرجل المسكين ، فأنا لا أهجو الضعفاء أبداً .. وما حدث أنني هجوت تلميذي السابق « الفضل بن الأشْعَث » ـ وكان حاكماً لاحدى الولايات ـ وبعد بضعة أيام إلتقى بي ابن العَثْعَث وقال لي : « أي شيء بيني وبينك ، عليك لعنة الله ، حتى تهجوني مع ابن الأَشْعَث وتصفني بخسّة الآباء ؟! » .. فاعتذرت له بأن هذا جاء رغماً عني لاتفاق اسمه واسم ابن الأَشْعَث في القافية !
ـ لي عليك عتاب أيها البعير العجوز .. كيف تصف آل الأشْعَث بخسّة الآباء وهم الذين كانوا بمنزلة الوزراء لأكثر من ثلاثة قرون ؟
ـ من أجل هذا أنا هجوتهم .. فقد كانوا من أشدّ المتحمسين للأمويين ويتولّون في عصرهم أرفع المناصب ، والآن هم من غُلاة الدعوة العباسية ويحكمون الولايات تحت جناحها ..
ـ وهل قبل الرجل المسكين « ابن العَثْعَث » اعتذارك ؟
ـ قلت له : لقد رفعتك ـ في نظر المجتمع ـ حيث شبّهت آباء ابن الأَشْعَث بآبائك أنت !

• • •

ـ عندي سؤال أرجو ألاّ يغضبك ..
ـ قُله ولا تبالي ..

شاعر.. تطارده الأقدار!

ــ يقال إنك ــ وأنت تمشي مع كبار رجال الدولة ــ « تَتَشَطَّر » في مشيتك ، بمعنى أن طريقتك في السير ، تُشبه طريقة الشُطَّار في تبخترهم وخُيلائهم .. هل هذا صحيح ؟

ــ نعم ..

ــ هل أفهم من هذا أن حياتك الأولى مع الشُطَّار والصعاليك ، أثَّرت عليك بحيث طبعتك بمزاج خاص من الصعب التخلّص منه ؟

ــ على الرغم من أن الصعاليك يتميّزون بالفظاظة بسبب الجهل وخشونة العيش ، إلاّ إنني أعتقد أن مزاجهم هو المزاج الصادق .. فالرجل منهم لا يتردَّد أن يقول للمخطئ أنت أخطأت .. في حين أن الكثيرين من وجوه الناس ــ وقد خالطتهم بنفسي ــ يقولون عكس ما يدور في نفوسهم ، فكانوا يُسبِّبون لي التعاسة ، فلا أملك نفسي من هجائهم !

ــ يقال إنك لا تفتأ تُردِّد : « أحمل خشبتي على كتفي في انتظار من يصلبني عليها » .. فهل معنى هذا أنك تتوقَّع « الصَلْب » في أي لحظة ؟

ــ كلما فتحت عيني في الصباح ، وسمعت أنفاسي تتردَّد ، أخذني العجب !

ــ وكيف نجحت في التخفّي حتى الآن ؟

ــ كنت ألجأ إلى الوالي الذي أعرف أنه صديق لأحد أقاربي من بني خُزاعة .. فكان يغضّ الطرف عن وجودي في ولايته .. لكن المشكلة كانت تتجدَّد عندما أهجو الوالي فيطاردني لينتقم لنفسه !

• • •

ــ لماذا أنت هنا في القيروان ؟

ــ لجأت إلى حاكمها « ابن الأغْلَب » لأنه غير خاضع للخلافة العباسية ، ولا تستطيع يد « الواثق » أن تصلني عنده ..

ــ هل هو متمرد عليهم ؟

ــ كلا .. هو صديقهم ويدعو لهم على منابره .. لكن آباءه استقلوا بهذه الولاية منذ عهد الرشيد .. وقد فتحوا في الفترة الأخيرة جزيرة صقلّيَه واستولوا على جنوب الأرض الطويلة المسماة بايطاليا ..

ــ ولماذا تقيم في هذا البيت شديد التواضع ما دمت ضيفاً على ابن الأغْلَب ؟

ــ ابن الأغْلَب أنزلني في بيت كبير وأجرى لي راتباً معقولاً ، ولما انتصر أسطوله على أسطول الرومان في معركة خليج البنادقة (الأدرياتيك) هنأته بقصيدة على هذا النصر الكبير ، لكنني هجوته في آخرها واختفيت في هذا الزقاق المجهول !

ــ ألم يكن من الأفضل أن تكتفي بالتهنئة ، سيما وأن الأرض ضاقت بك ولم يبق لك من ملجأ غيره ؟

ــ في البداية اكتفيت بأبيات التهنئة .. لكنني أحسست بأن القصيدة ينقصها شيء ما فأكملتها بالهجاء ، ونفس هذا الموقف حدث لي من قبل مع الخليفة « الواثق » أيام مشكلة النَّصارى العرب ؟

ــ مالهم النَّصارى العرب ؟

ــ أغار البيزنطيون على حدودنا وأسروا خمسمائة من النصارى العرب .. ودارت مفاوضات بينهم وبين الواثق ، أرسل لهم على اثرها خمسمائة أسير بيزنطي ــ كانوا عنده ــ وأعاد النصارى العرب .. وقد أعجبني هذا الموقف منه ، فهنَّأته بقصيدة ، لكنني أحسست بأن القصيدة ليست مكتملة من الناحية الفنية ، ولما هجوته في آخرها ، اكتملت !

ــ وا أسفاه ..

ــ يغيظني في « الواثق » أنه يتشبَّه بالمأمون في كل كبيرة وصغيرة في حين هو لا يملك إمكانياته العقلية ..

ــ وما شأنك أنت إذا كان يتشبه بالمأمون أو لا يتشبه ؟ .. هل تريد أن تغيِّر من نظام الكون ؟

ــ ألم تعلم بأنه أعاد لنا تلك المحنة بعد أن كانت قد انتهت في أواخر أيام المعتصم ؟ .. مضى يبثّ رجاله يسألون الناس في المدن والقرى ، مع أن المأمون لو عاد إلى الحياة ورأى ما يفعله ، لما تردد في محاكمته بتهمة ازعاج الناس .

• • •

ــ وهل ظللت حياتك كلها هكذا شريداً طريداً في البلاد ؟

ــ نعم .. باستثناء عصر المأمون ..

ــ لماذا ؟

ــ كان المأمون رجلا كبير العقل ، واسع الثقافة ، أقرب إلى المفكرين .. وحينما تولّى الخلافة ، قضيت وقتاً طويلاً في صياغة قصيدة جديدة لتكون رفيعة المستوى بحيث تليق برجل مثله شهد له الناس بأنه من كبار نُقَّاد الشعر ، ثم هربت من البلد !

ــ إنا لله راجعون ..

ــ لكنه ظل يضحك طوال قراءته للقصيدة ، في حين كان رجال الدولة من حوله يحرضونه على قتلي ..

ــ ما السبب ؟

ــ لأنني هجوتهم جميعاً بما فيهم عمّه إبراهيم بن المهدي ، وبما فيهم الوزير « أبو عَبَّاد » وقد وصفت الأخير بأنه من « مفاخر » الأمّة لأنه تخصَّص في إفشال أي مشروع يتولاه !

ــ وهل كان كما وصفته فعلا ؟

ــ المأمون قال لرجال الدولة وهو يضحك : هذا أصدق وصف سمعته فيكم !

ــ هل معنى هذا أنه يوافق ــ أيضاً ــ على وصفك له شخصياً ؟!

ــ كان كلما تذكَّر هجائي له ضحك وقال : « قاتل الله دِعْبِل ، ما أوقحه ؟ » ولم يكن يزيد عن هذا .. وحينما عرف بأنني غادرت العاصمة ، قال : أبلغوه بأن يعود وأن يحضر عندي إن شاء الله وله كل ما يريد ، فقد عفوتُ عنه ، لأنه شاعر ..

ــ ماذا يعني بقوله ، إنه شاعر؟

ــ كان يعتقد أن من حق الشاعر أن يقول رأيه دون أن يحاسبه أحد .. ألم أقل لك إنه ــ يرحمه الله ــ كان أقرب إلى المفكِّرين ؟

عبد الوهاب الأسواني

من بين الأسداف

شعر: شهاب غانم

انتهينا ..!
كل ماقد ضاع ضاعْ
والذي مازال في الأيدي على درب الضياعْ
فرضينا أم أبينا
لم نزل في قرننا العشرين ..
بل في عقده التاسع
.. نشرى ونباعْ !

• • •

كلما نحسب أنَّا قد مشينا خطوة نحو الأمامْ
نحن في الواقع نعدو خطوات .. للوراءْ !
كلما نحسب أن الفجر جاءْ
حولنا تزداد أسداف الظلامْ !

• • •

أنُلامْ ؟
بعضنا يجزم أنَّا لا نلامْ
انه ذنب الأعادي والغزاةْ
فيرد البعض يفتي في الجناةْ
انه ذنب الموالين الطغاةْ
فيجيب البعض في علم وفي شبه ابتسامْ
بل كذا شاء القضاءْ
فيرد البعض بل نحن الملامْ
فيقاطعه البعض : هراءْ !
واذا من حولنا تزداد أسداف الكلامْ !
انتهينا ؟
.. ربما
انما مادام في الهيكل روحْ
سوف نغدو ونروحْ ..
ربما يحدث شيءٌ .. ربما ..
ربما ينقلب الماء دما
ربما تنطق أفواه الجروحْ !
لست ادري ماالذى تخفيه عن عينى السما
انما أحمل في الصدر شعوراً مبهما ..
.. ولئن أرنو الى الأفق ولا شيء يلوحْ ..



كارديف ـ بريطانيا



من روائع الفن العالمي

بقلم: جمال قطب

الفتاة والقيثارة

القرن السابع عشر.. هو العصر الذي تألقت فيه دول الشمال الأوربي (أو الأراضي المنخفضة) بإبداعاتها وأقطابها من الفنانين العظام من الفلمنكيين والهولنديين. حيث كان (روبنز) أعظمهم في مقاطعته (وهي بلجيكا حاليا)، كما كان (رمبرانت) أحسن الهولنديين قاطبة، أما فناننا جان فيرمير (١٦٣٢ ــ ١٦٧٥) فكانت عبقريته الفذة مبكرة منذ طفولته الأولى.. ومات في ريعان شبابه في الثالثة والأربعين بعد أن عاش حياة بائسة، ولاقى جحوداً مريراً من مواطنيه ومعاصريه، فحرم من المجد والشهرة التي حظي بها من سبقوه من العمالقة المبدعين.

ومن المؤسف أن أعماله لم تلق تقديراً أو اعجاباً طوال حياته، وقد حدث أن زار هولندا أحد النبلاء الفرنسيين المعروفين آنذاك في أوروبا بولعه في اقتناء اللوحات وتشجيع الرسامين، وكان يدعى (بلتازار دي مونكنيز)، وقصد بلدة فيرمير (دلفت)، ووقف الرجل أمام لوحة (الطاهية)، ــ وكان الفنان قد أعطاها للخباز وفاء لديونه ــ وتأملها ملياً ثم أظهر للخباز عدم استحسانه لهذه اللوحة التي لاتساوي شيئاً!! وعندما أخبره الخباز بأنه حصل عليها من فيرمير لقاء ستمائة فلورن (والفلورن عملة من العملات الأسبانية الصغيرة) رد عليه النبيل بقوله: ان اللوحة في نظري لا تساوي ستة!

ولعل السبب في ذلك الجحود هو أن فيرمير سبق عصره، وخالف معاصريه من حيث ولعهم بالحيوية والحركة والمناظر الطبيعية وتصوير النشاطات الاجتماعية والتعبيرات النفسية. ولكن فناننا عني بالقيم الفنية والتوازن الهندسي وتناغم الإضاءة والقتامة على سطح لوحاته، بشكل جعل من الصورة مجالاً للبحث والتفكير أكثر من نظرات الاعجاب والانفعالات الفورية! ولذلك لم يفهمه معاصروه، ولم يلق التقدير الذي يستحقه، ولكنه كان مقتنعاً تماماً بفنه وفلسفته ونهجه الابداعي الرزين.

وتحالفت عليه أسباب سوء الحظ والتعاسة، ولاسيما عندما ترك بيته عام ١٦٧٢ ليبحث عن سكن متواضع يأويه هو وزوجته (كاترين) وثمانية أطفال لا يجدون قوت يومهم.. ومات فيرمير عام ١٦٧٥ وخلف لعائلته الفقر والديون.. ولم تجد زوجته أمامها سوى ما تركه من لوحات قليلة، كان نصيب الخباز منها اثنتان، وحصلت عدة متاجر أخرى على نحو عشرين لوحة هي كل ما تبقى من تركته المثقلة بالديون!

ومن الغريب أن الأضواء لم تسلط على اسم فيرمير إلا بعد مايقرب من مائة عام.. عندما زار هولندا فى أواسط القرن الثامن عشر فنان بريطانيا الكبير جوشوا رينولدز رئيس الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة بلندن، ورأى نفس اللوحة التى هاجمها (مونكنيز) وهى لوحة (الطاهية) فقال عنها: إنها من أروع ما رأى فى حياته، وهى عمل فنى عبقرى خالد! وكان رأى رينولدز حينذاك هو الوسام الذى يعلقه على صدر أى فنان موهوب ولايحظى به إلا الأفذاذ العالميون!

ولوحات فيرمير قليلة، بل نادرة، تتهافت عليها المتاحف حاليا، وقد يصل ثمن الواحدة منها ــ ان وجدت ــ الى عشرات الملايين من العملات المعاصرة!

وهناك قصة أثارت هزة عنيفة فى الأوساط الفنية العالمية منذ نحو أربعين عاما: فقد أفلح فنان هولندى يدعى «فان ميجرن» فى تقليد لوحات فيرمير بعد عدة دراسات وتحليلات وتجارب طويلة.. وقام بتزويرها فى الفترة مابين عامى ١٩٣٥ ــ ١٩٤٥، وخدع الجميع بهذه اللوحات المقلدة، حتى أنه باع أصغرها لمتحف روتردام وقتها بمبلغ ستين ألف جنيه! وكان مجموع ماقلده من أعمال فيرمير ست لوحات تقاضى ثمنا لها نصف مليون جنيه.

وممن اشتروا هذه (الدُّرر الثمينة)، أحد قادة النازية وهو الماريشال (جورنج) فكانت اللوحة السادسة والأخيرة من نصيبه وأذاع القائد الألمانى فى زهو وتفاخر قصة امتلاكه لإحدى لوحات (فيرمير) العالمية!! ولم يخطر على بال أحد ولا حتى النقاد الفنيين المتخصصين، أن هذه الأعمال مزوَّرة. وبعد انكسار الألمان وانتهاء الحرب العالمية الثانية، وجدت اللوحة ضمن مقتنيات جورنج، فقبض على الفنان (فان ميجرن)، لا بتهمة التزوير، ولكن بتهمة التضامن مع العدو وبيع لوحات فيرمير لأحد القادة الألمان! واسقط فى يد الفنان.. ففضل أن يعترف بالتزوير وبأنه استغل هذا القائد الألماني واستغفله وباع له لوحة حديثة من اعماله على أنها إحدى الروائع الأثرية لفيرمير! ولكي يثبت صحة أقواله، قام بتقليد صورة أخرى أمام لجنة خاصة عينتها له المحكمة!

وحكم على (ميجرن) بالسجن لمدة عام واحد، وأن يتعهد بعدم التزوير مدى حياته!

وعلى الصفحة المقابلة نرى إحدى اللوحات الهامة للفنان الذى استغل المزورون إسمه ليثروا على حسابه فى القرن العشرين.. واللوحة بعنوان: الفتاة والقيثارة.



بحوث الفضاء وتغيُّر مناخ الكرة الأرضيّة

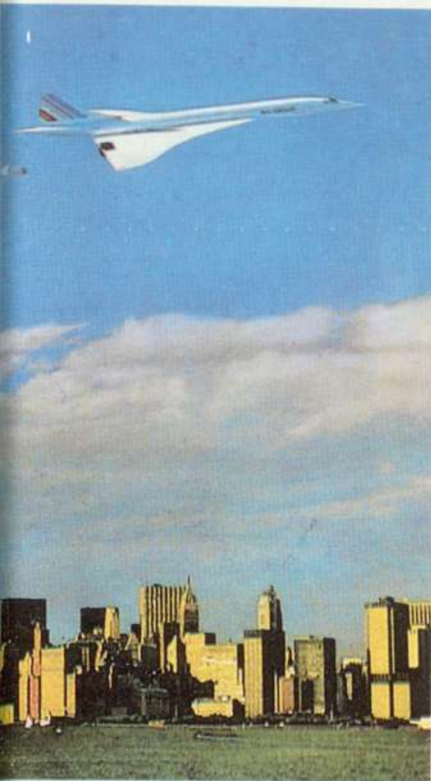
بقلم : المهندس سعد شعبان



لقد تغيّر الإيقاع المنتظم للظواهر بتغير فصول السنة نتيجة لتلوث الغلاف الجوّي

مئات الصواريخ تخرق طبقة الأوزون كل يوم

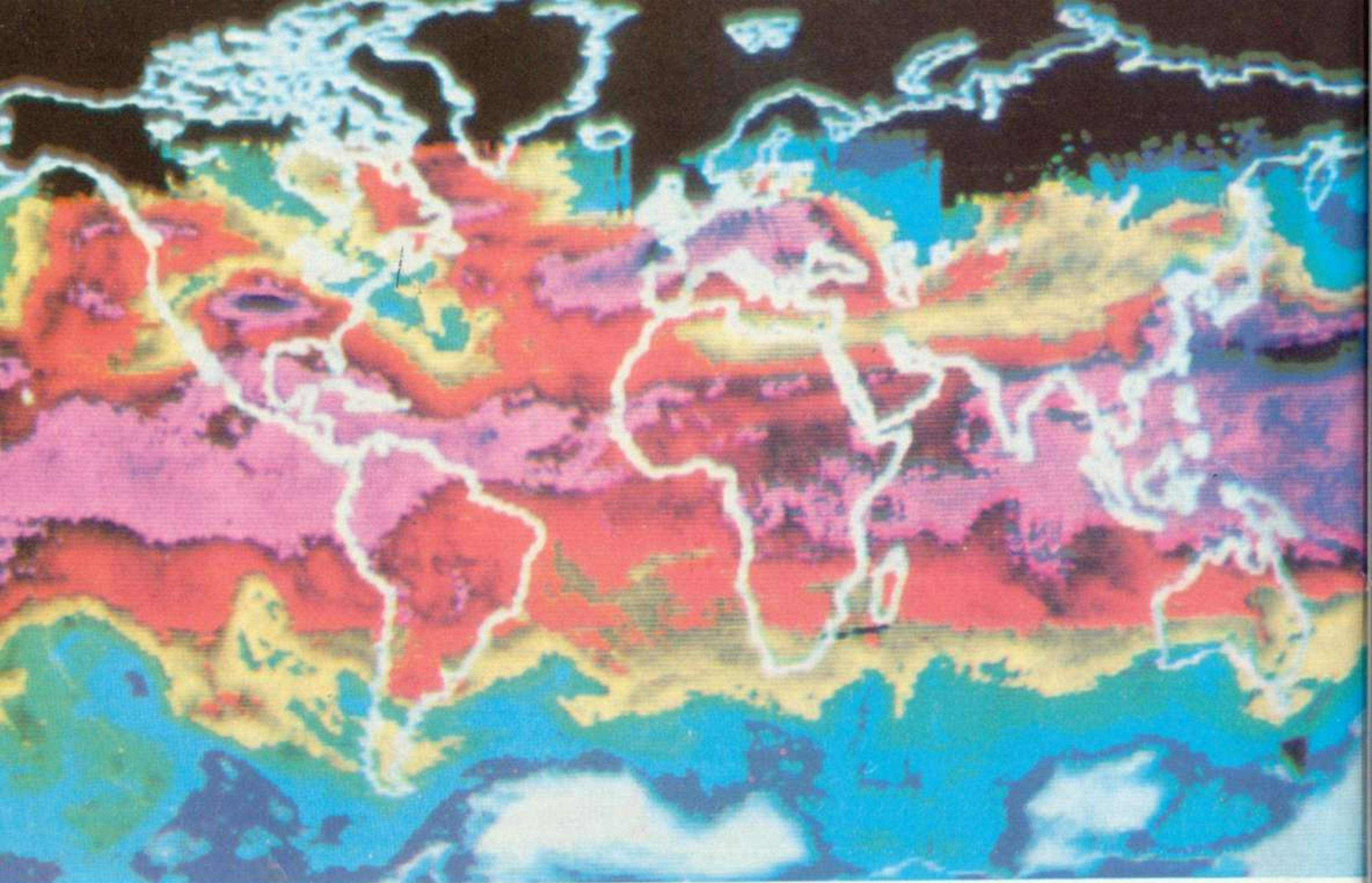
الطائرات النفاثة تسهم فى تعقيد المشكلة



أصبح واضحا أن الطقس الذى يسود فى بلاد كثيرة ، لم يعد متكررا بنفس الايقاع الذى تكرر به طوال السنوات الماضية كما شهده آباؤنا وأجدادنا . فقد طرأت عليه تحولات وتغيرات لاعهد للبشرية بها سواء فى التوقيت أو الشدة أو المظاهر، فجو الصيف يحل بنا لبضعة أيام خلال الشتاء ، وجو الشتاء يأتى مبكرا أو متأخرا فى كثير من البلاد . كما أن الجفاف مازال يجتاح كثيرا من دول افريقيا وراح ضحيته آلاف من البشر ، وترحل بسببه الملايين من بلد الى آخر بحثاً عن قطرة ماء ، أو مايسد الرمق من الغذاء . كما أن من الأدلة الواضحة ، ذلك الشتاء الشديد القسوة الذى شهدته أوروبا والولايات المتحدة فى العام الأخير ، والذى تكدس بسببه الثلج كثبانا لم تعهدها المدن ولا القرى منذ مئات السنوات . ومن الأدلة ايضا تلك الفيضانات الغزيرة التى حدثت فى كثير من دول آسيا ، ورياح الخماسين المبكرة المحملة بالأتربة والتى هبت على مصر فى أواخر الشتاء ، ولم يكن العهد بها الا خلال الربيع .

كل ذلك يرسم صورة أن المناخ فى الغلاف الجوى للأرض قد أصابه خلل وانه أصبح له دورة تخالف ماكان يدور عليه فى الماضى . فالناموس الطبيعى الذى عهدته البشرية على مدى سنوات طوال ، هو تكرر الظواهر الطبيعية مع تكرر فصول السنة فى ايقاع يكاد يكون متكررا ، الى درجة خلقت نوعا من الخبرة الشعبية المبنية على رتابة وتكرار ايقاع حدوث هذه الظواهر ، الامر الذى يعرفه العامة فى كثير من الشعوب بأنه «النوات» ، أو هو الخبرة الشعبية المتوارثة بمعرفة مواعيد الظواهر الجوية المتكررة عاما بعد عام فى تواريخ محددة بتقريب شديد .

ولعل هذا التبدل فى الطقس قد زحف على حياتنا في بطء ولم يكن محسوسا منذ



تمزق طبقة الأوزون يبدو واضحا فى أطياف ستة ألوان

■ تزايد غاز ثاني أكسيد الكربون هو السبب الرئيسي في تبدُّل الطقس

■ السيارات والطائرات والصواريخ ثالوث خبيث يُمزِّق الغلاف الذي يحمي الأرض من الإشعاعات الضارَّة

سنوات ، حتى أصبح ظاهرا ومخالفا لما تعارف عليه علماء التنبؤات الجوية فى مراجعهم ، وما يتناقله الناس فى تاريخهم .

وقد يتصور البعض أن مثل هذا يعد أمرا طفيفا لأن تبدل الطقس يقع حثيثا وقد يتجاوز جيلنا . ولكن الحقيقة العلمية هى أننا لا بد أن نبحث ونعرف الأسباب والمسببات حتى نسلم أعلامنا للاجيال القادمة ، وقد خلفنا لهم كارثة يحارون فى حلها . خاصة وانه بعد ان كانت أحلام علماء القرن الماضى تدور حول محاولة السيطرة على الطقس فى الغلاف الجوى المحيط بالأرض ، والسعى بالبحوث العلمية الى إجهاض السحب وتوجيه الأمطار الى الصحراوات القاحلة ، أصبحت أحلام علماء جيلنا فى عصر الفضاء تدور حول تقليل الاضرار التى تحدثها الأبحاث العلمية والانجازات التكنولوجية الحديثة فى الغلاف الجوى ، والتى تؤدى الى حدوث هذه التغيرات الملموسة فى الطقس ، والإقلال ، من آثار التلوث الذى يصيب كل يوم طبقات هذا الغلاف بفعل الانسان المتحضر . ففى عصر الفضاء الذى يهتز فيه بعض العلماء فرحا بالانجازات التى تحققها الطائرات النفاثة والصواريخ وسفن الفضاء فهناك علماء الطبيعة الجوية يرثون لحال البشرية وما ستؤول اليه حال الغلاف الجوى بعد سنوات من التلوث والتمزق .

اللعنة مع ثانى أوكسيد الكربون

يتكون الغلاف الجوى للأرض من مجموعة غازات تتميز بالشفافية وقابلية الانضغاط ومرونة الحركة ، وأكثر هذه الغازات حجما هو غاز النتروجين الخامل الذى يمثل ٧٨٪ من حجم الهواء ، يليه غاز الأوكسجين الذى تبلغ نسبة حجمه ٢١٪ والذى عليه تتوقف الحياة فى صورها المختلفة ، بينما يلعب أهم الادوار فى تغير الطقس داخل الغلاف الجوى ما يتصاعد فيه من بخار الماء الذى تبلغ نسبته مايقرب من ٤٪ وهو فى حقيقة الأمر المسبب الرئيسي لحدوث الظواهر الجوية . كما يوجد أيضا غاز ثانى أوكسيد الكربون بنسبة ضئيلة تقارب ٠٣,٠٪ . ورغما من ضآلة هذه النسبة فإن هذا الغاز يمثل المتغير الرئيسي الذى عليه يتغير الطقس داخل الغلاف الجوى . فلقد ثبت أن زيادة نسبة ثانى اوكسيد الكربون فى الغلاف الجوى نتيجة لعوامل صناعية من صنع الانسان او نتيجة لعوامل طبيعية ، هى السبب الرئيسي فى ازدياد درجة حرارة الغلاف الجوى بدرجة ملموسة .

ولقد اعتبر العلماء أسباب زيادة هذا الغاز الخامل — ثانى أوكسيد الكربون — فى الغلاف الجوى نوعا من أنواع التلوث أو « التلويث » المتعمد ، لان ذلك يتم بفعل الانسان فيخل

بحوث الفضاء
وتغير مناخ الكرة الأرضية

بالقدر المتوازن والذى يتبادل فيه النبات مع الانسان كلا من غازى الاوكسجين وثانى أوكسيد الكربون مع تعاقب الليل والنهار. فالمعروف أن الانسان يستنشق أوكسجين الهواء والذى يتجدد وجوده فى الجو نتيجة لطرد النبات له أثناء النهار، بينما يمتص النبات ما يحتاجه من غاز ثانى أوكسيد الكربون من الهواء ليبنى خلاياه. أما اثناء الليل فينعكس هذا التبادل إذ يطرد النبات ثانى أوكسيد الكربون ويبدأ فى امتصاص الأوكسيجين.

لذلك فإن ازدياد نسبة ثانى أوكسيد الكربون فى الغلاف الجوى نتيجة لما تنفثه السيارات والمداخن والمصانع هو المصدر الرئيسى للتلوث ويمكن اعتباره عنصرا دخيلا، أو بمثابة المرض لأنه يخل بالتوازن الذى خلقه الله فى تركيب الهواء.

ولقد طرأت فى السنوات الاخيرة، مصادر أخرى لثانى أوكسيد الكربون، من أهمها انتشار الزراعات المحمية المعروفة باسم «الصوبة» والتى تستخدم حيزا محدودا من الأرض لزراعة أنواع من النباتات تنتشر رأسيا وليس أفقيا اعتمادا على وجودها تحت مظلات من البلاستيك تحبس حرارة الشمس. وفى مثل هذه الصوبات يتركز غاز ثانى أوكسيد الكربون، وبدلا من انسيابه ليتصاعد الى أعلى فى الغلاف الجوى فانه يظل حبيسا فى الصوبات أو قريبا من سطح الأرض فيعمل على زيادة درجة حرارة طبقات الهواء اللصيقة.

ونظرا للتوسع فى بلدان كثيرة فى الزراعة باستخدام نظم الزراعات المحمية، فان العلماء يتوقعون أن ترتفع درجة حرارة الغلاف الجوى بمقدار أربع أو خمس درجات قبل نهاية هذا القرن. ولاشك أن هذه الزيادة المضطردة فى درجة الحرارة لها آثارها التى بدأت منذ عدة سنوات. وأهم هذه الاثار هو ذوبان أحجام كبيرة من ثلوج المناطق القطبية المتجمدة، وبالتالى ارتفاع مستوى المياه فى المحيطات، واختلال التوازن المتبادل بين السطوح المائية والشواطىء فى كثير من البلاد الساحلية، وازدياد الفيضانات. وبالتالى فان كان بخار الماء يلعب أهم الأدوار فى تغير الطقس فى الغلاف الجوى، فلا شك أن لهذه العوامل الجديدة آثارها على تغير الطقس، فالمعروف أن بخار الماء يتصاعد فى الهواء نتيجة لسقوط أشعة الشمس على المسطحات المائية، ونظرا لخفة وزنه يصعد الى الطبقات العليا من الهواء، فيتعرض لانخفاض فى درجة حرارته فى هذه الطبقات فيتكثف على هيئة سحب، وتذرو الرياح هذه السحب وتحركها من مكان الى آخر، أو تصعد بها التيارات الهوائية الى مزيد من العلو والارتفاع، حتى اذا تثاقلت ذرات الماء فيها وتغلب وزنها على قوة رفع الهواء فانها تسقط الى الأرض مشدودة بقوى الجاذبية على هيئة قطرات من المطر أو حبيبات من الثلج، فتتم بذلك دورة بخار الماء فى الجو، وتغلق دائرته بين طبقات الغلاف الجوى لاعبا بذلك الدور الأساسى الذى خصته القدرة الالهية به، ليكون العامل الأساسى فى استمرار الحياة الانسانية والنباتية والحيوانية على سطح الأرض، مصداقا لقوله تعالى «وجعلنا من الماء كل شىء حى».

ثقوب فى طبقة الأوزون

يحيط الغلاف الجوى بكرتنا الأرضية الى ارتفاعات محدودة فهو لايمتد الى مالانهاية، لانه يرتبط برباط الجاذبية مشدودا الى الأرض، كمادة لها وزن. ويعلو الغلاف الجوى للأرض الفضاء الذى ينعدم فيه وجود الهواء. ولكن لاتوجد حدود واضحة تفصل الغلاف الجوى، فانتشار الهواء فى الفضاء يقل تدريجيا كلما ازداد الارتفاع بعيدا عن سطح الأرض.

■ الغازات المتطايرة من المبيدات المهلكة للحشرات، ومُثبّتات شعر النساء، ومُعطّرات الغرف لها آثار ضارّة على الطقس

■ الأسباب الحقيقية لحدوث الفيضانات والعواصف المدمّرة والظواهر الجويّة الشاذّة تأتي من الفضاء الخارجي

وكل مايملك العلماء معرفته هو تقسيم الطبقات الدنيا من الغلاف الجوى لأن لكل منها خواصها ومميزاتها.

ولقد درج العلماء على تقسيم هذه الطبقات بداءا من سطح الارض الى:

- الطبقة اللصيقة ويطلق عليها اسم «التروبوسفير»
- الطبقة المحيطة ويطلق عليها اسم «الاستراتوسفير»
- الطبقة الوسطى ويطلق عليها اسم «الميزوسفير»
- الطبقة الحرارية ويطلق عليها اسم «الثرموسفير»
- الطبقة المتأينة ويطلق عليها اسم «الايونوسفير»

وكل الظواهر الجوية كالضباب والسحاب والمطر والعواصف والرياح وانتشار الغبار تتم فى الطبقة اللصيقة بالكرة الأرضية والتى لايزيد ارتفاعها عن (١٨) كيلومترا عن خط الاستواء، والتى تنخفض الى (٩) كيلومترات عند القطبين، وبالتالى فان كل ظواهر الطقس تعتبر حبيسة داخل هذه الطبقة وفوقها لاتوجد أية سحب أو ظواهر جوية مميزة. ولذلك تصور علماء الطبيعة الجوية أن لها غلافا يفصل بينها وبين الطبقة التالية اطلقوا عليه اسم «غلاف السكون» او «التروبوز». غير أن القدرة الالهية، وقد حبست الظواهر الجوية داخل الطبقة اللصيقة، جعلت بعض مسببات حدوث هذه الظواهر تحدث وتأتى من الطبقات الأخرى التى تعلوها.

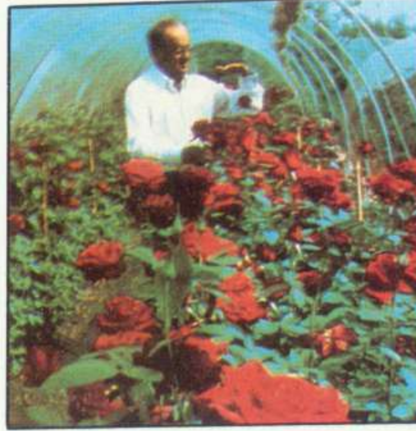
فعلى سبيل المثال فإن الطبقة التالية المسماة «الطبقة المحيطة» والتى تمتد من التروبوز حتى ارتفاع ٥٥ كيلومترا تتميز بالسكون والاستقرار لخلوها من السحب والرياح والتيارات الهوائية الصاعدة والهابطة، ولذلك أصبحت مثالية للطائرات النفاثة التى تستطيع الطيران فى الطبقات الدنيا منها. فهى فضلا عن طيرانها فى جو أكثر أمنا، فانها توفر قدرا كبيرا من الوقود بالطيران فيها لأنها لاتقابل مقاومة من الهواء حيث تخف كثافته بدرجة كبيرة.

ولقد زاد الطين بلة، بظهور الطائرات الأسرع من الصوت، التى لم يقتصر أمرها على القطاع العسكرى وحده بل امتد أيضا الى القطاع المدنى. فظهرت فى السماء طائرات «الكونكورد» البريطانية ـ الفرنسية التى تطير بأكثر من ضعف سرعة الصوت، كما ظهرت أيضا الطائرة السوفيتية «تى ـ يو ١٤٤» التى تكاد تماثلها فى السرعة، فضلا عن عدد كبير



كل ما يأكله الناس يتعرض لقدر من الاشعاعات الكونية

الزراعة المحمية في الصوبة تزيد ثاني أكسيد الكربون على الأرض



من الطائرات العسكرية التى تتجاوز سرعة الصوت وأضعاف سرعة الصوت بكثير ، وعلى رأسها طائرة الاستطلاع الاستراتيجى الامريكية « س . ر – ٧١ » التى بلغت سرعتها أكثر من ثلاثة أضعاف سرعة الصوت .

غير أن هذه المزايا التى توفرت للطائرات قد خلقت للبشرية مشكلة غاية فى التعقيد والخطورة ، اذ توجد ضمن الطبقات الجزئية للطبقة « المحيطة » طبقة ذات مزايا خاصة تعرف باسم « طبقة الاوزون » وتتراوح ارتفاعاتها بين ٢٨ ، ٣٠ كيلومترا

و « الاوزون » صورة فريدة لغاز الأوكسجين يتكون فيه الجزيىء من ثلاث ذرات أوكسجين ويرمز له كيماويا بالرمز (أ٣) . بينما الصورة المعتادة لجزيىء الاوكسجين هو أن يتكون من ذرتين ويرمز له بالرمز (أ٢) .

وعند طبقة الاوزون تبدأ درجة حرارة الغلاف الجوى فى الارتفاع تدريجيا بعد أن كانت الخاصية الطبيعية للطبقات الأدنى منها أن الحرارة تنخفض بزيادة الارتفاع . ولقد جعل الله طبقة الأوزون بمثابة نظارة شمس تحيط بالكرة الأرضية لتقيها من « الاشعاعات الكونية » التى تأتيها من الأجرام الكونية المحيطة بها . فلا تسمح طبقة الاوزون الا لقدر محدود من هذه الأشعة بالنفاذ الى أسطح الكرة الارضية لان لهاتأثيراتها الضارة على جسم الانسان .

غير أن تكرر صعود وهبوط الطائرات النفاثة وطيرانها عبر طبقة الاوزون يعرضها كل ساعة للتمزق وعدم الالتئام . فاذا أضفنا الى ذلك ماتحدثه الصواريخ التى تحمل الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، والتى تطلق للأغراض العسكرية كل يوم ، فإننا نجد أن طبقة الأوزون قد أصبحت معرضة لمزيد من التمزق . وبالتالى فهى غير قادرة على حجب ما يسقط عليها من أشعة الشمس والاشعة الكونية الأخرى التى تصل الينا على الارض من ملايين النجوم والكواكب المحيطة بنا ، فكأن كل ما على الأرض سواء أجسامنا أو مزروعاتنا ومحصولاتنا تتعرض لقدر أكبر من الأشعة الكونية عما جعله الله متزنا وبمقدار قدره بحكمته ، ولاشك أن الزيادة فى هذا القدر من الأشعة له أضراره .

وهناك عامل آخر قلما نتنبه اليه ، أو نظن أن له أثراً كبيراً هو أنواع معينة من الغازات المتطايرة التى تعتبر لعنة متطايرة الى أعالى الغلاف الجوى . فقد تفننت كثير من مصانع الكيماويات فى شتى دول العالم فى انتاج أنواع من المبيدات الحشرية المعبأة داخل علب وتحت ضغط لكى تستخدم فى المنازل والمطابخ لتبيد الحشرات والهوام ، وتفننوا فى إضافة العطور اليها ، لتحببيها للناس عند شمها . وتضافر فى الدعاية والاعلان على إسباغ القوى الخارقة على هذه المبيدات ، سهلة التداول للفت أنظار ربات البيوت واجتذابهن لشرائها للفتك بالحشرات .

لكن هذه المبيدات المضغوطة ، ومعها أيضا قدر هائل من معلبات تعطير هواء الغرف ، ومثبتات شعر السيدات والغازات المستخدمة فى التبريد كالفريون كلها لهاآثار ضارة لا على المستخدمين فحسب ولكن أيضا على الغلاف الجوى . فهذه المبيدات والمعطرات محملة على غازات لها قدرة عالية على التطاير ، وتستطيع أن تصعد الى أعالى الغلاف الجوى حتى طبقة الاوزون . ولذلك يمكن أن نضيفها الى الطائرات والصواريخ من حيث آثارها فى خرقه واحداث ثقوب وفجوات به ، فيصبح مثل طبقة الاوزون بالنسبة للأرض كشخص يضع على عينيه نظارة لتقيه من أشعة الشمس ، ولكن يحدث فيها عدد كبير من الثقوب . ولذلك فبدلا من أن تقى عينيه وتمنع الأشعة من النفاذ ، فانها تسمح بنفاذ قدر كبير منها ، فلا تحقق الغرض منها .

من كل ذلك يمكن أن نستخلص أن الانسان قد لوث أعالي الغلاف الجوى ، بما صنعه من طائرات وصواريخ ، ولذلك فإن مقدار الأشعة الذى يصل الى الأرض أصبح أكبر مما يجب ، الأمر الذى يؤدى الى اضطراب ظواهر الطقس وطبيعة الجو والذى نلمسه اليوم فى كل فصل من فصول السنة .

ولذلك أطلقت الولايات المتحدة مؤخرا سفينة فضاء تحت اسم « نيمبوس – ٧ » لتصوير طبقة غاز الاوزون حول القارات الخمس فى ضوء ألوان الطيف (البنفسجى – الأخضر – والأزرق الفاتح النيلى) – ثم الأزرق الغامق – والاصفر – الأحمر . وقد وضعت فى السفينة أجهزة تحليل للطيف على ست موجات ذات أطوال مختلفة لتصور طبقة الاوزون كل يوم وطوال ساعات اليوم .

وما يعلو طبقة الأوزون والطبقة المحيطة من طبقات الجوالأخرى ، تنعدم فيها الظواهر الجوية ، ولا يعنينا من أمرها فى موضوعنا شىء .

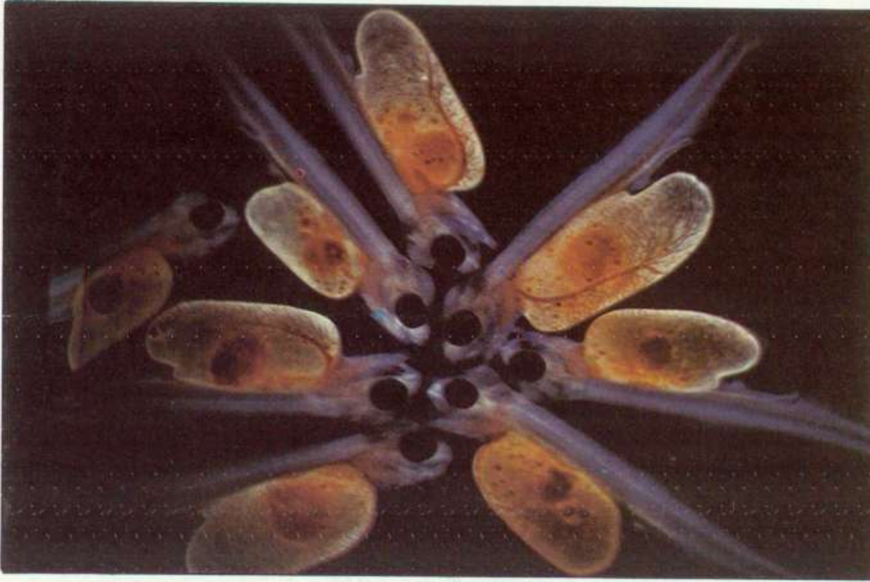
النتائـــج

لذلك فإن محصلة ذلك كله ، تتمثل فى اختلال الايقاع المنتظم الذى اعتاد عليه الناس طوال الأجيال السابقة من حيث تكرر الظواهر الجوية وعوامل الطقس مع تغير الفصول . ولذلك فلا عجب فى آن تدهمنا من آن لآخر ظواهر جوية لم يكن لآبائنا ولا أجدادنا عهد بها . ولعلنا لانكون مغالين عند القول بأن القدر الكبير من الأشعة الكونية وأشعة الشمس الذى يتسرب الينا من خلال الثقوب التى تحدث كل يوم فى طبقة الاوزون لايقتصر أثره على تغيير الطقس فحسب بل يمتد ايضا الى اتلاف صحة عدد كبير من البشر . ولذلك يشهد عصرنا أنواعا من الأمراض ، لم تكن معروفة فى الأجيال السابقة ، ولم تدون أعراضها فى كتب الطب القديمة .

وليس أدل على ذلك من الزيادة الكبيرة فى الاصابة بأمراض سرطان الدم والأورام السرطانية ، لأن الانسان لم يقتصر اجتهاده غير الموفق على العبث بالطبيعة على الأرض ، بل امتد عبثه الى أعالي طبقات الغلاف الجوى والى أعالى الفضاء .

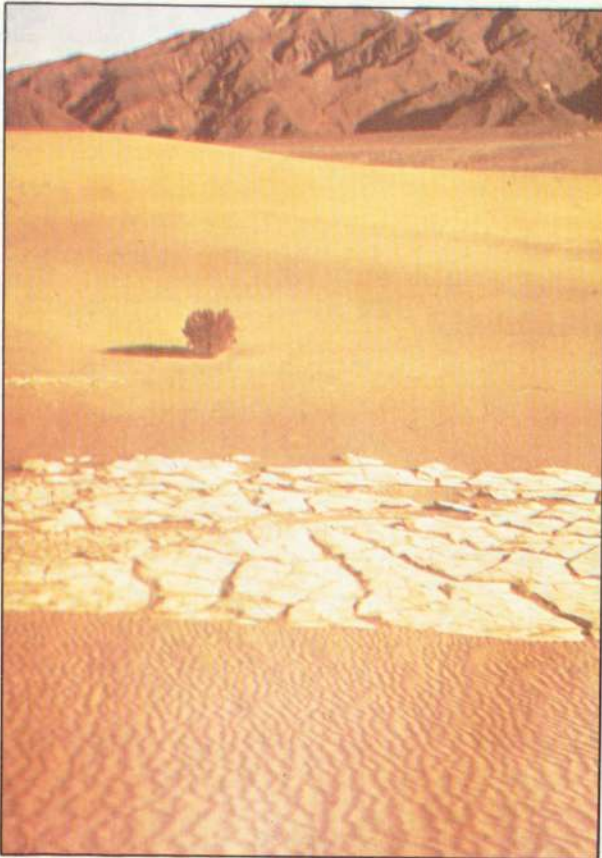
سعد شعبان

عندما تتلامس الرؤوس

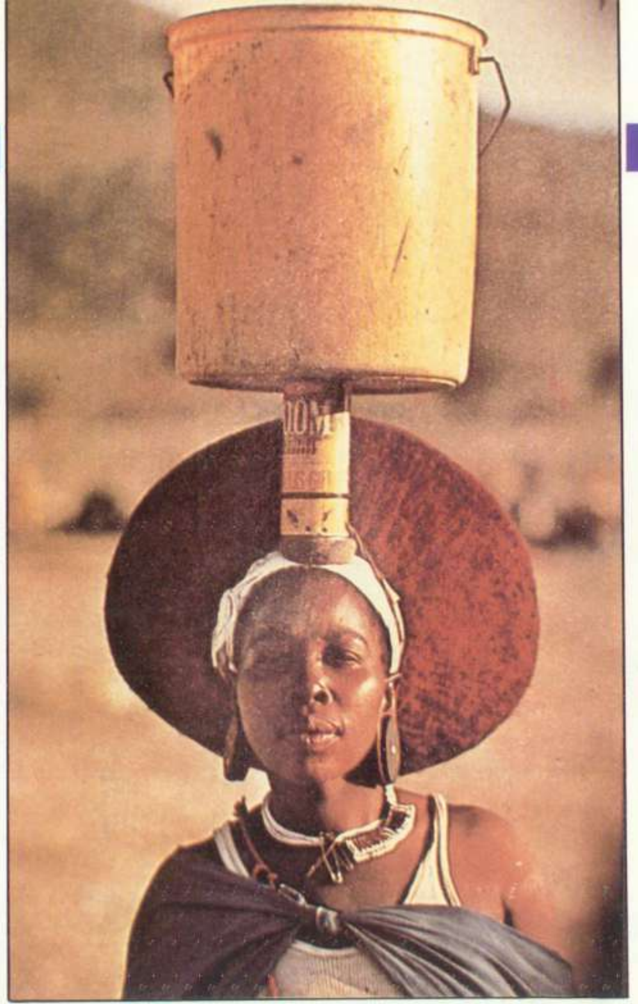


غريزة الخوف من المجهول واسعة الانتشار بين الكائنات الحية ، ولكي تشعر بشيء من الأمان ، وتحس بقسط من الإطمئنان في عالم مشحون بالأخطار ، فان أبسط وسيلة لذلك أن تتجمع في أسراب .. ولهذا سارع هؤلاء الصغار بعد خروجهم من بويضاتهم – التي وضعتها سمكة السالمون – الى هذا التشكيل الغريب ، خاصة وأنهم لم يجدوا أبا يرعاهم ، ولا أما تحنو عليهم ، وكان البديل أن تجتمع الرؤوس في نقطة وتتلامس ، والتلامس في حد ذاته يوحي لكل صغير في هذه المجموعة انه ليس وحده في هذا العالم ، بل هناك من يؤنس وحدته ، ويخفف وحشته .. وهو نفس شعور طفل البشر ، إذ يبكي اذا غابت عنه الملامسة ، ويكف عن البكاء إذا أحس بها .. والغريب أيضا أن كل صغير هنا قد حمل كيسا يحتوي على مخزون كاف من الغذاء ، ليسحب منه تموينه في بداية رحلة الحياة ، الى أن يشتد عوده ، ويعتمد على نفسه ، فينطلق مع غيره في أسراب ، ليكرر القصة الأزلية التي تكررها كل مخلوقات هذا الكوكب ، فيختفي القديم ، ويحل الجديد ، وبهذا تجدد الحياة نفسها عبر ملايين السنين .

تحديات الموت والحياة



في واد يطلقون عليه اسم وادي الموت في الجنوب الغربي لولاية كاليفورنيا ، حيث لايستطيع أي كائن حي أن يثبت فيه أقدامه ، نظرا للظروف المناخية الصعبة التي خيمت على الوادي ، حيث سجلت له درجة حرارة في الظل وصلت الى ٥٧ درجة مئوية في أحد الأيام ، وهي كافية لشوى أي كائن حي ، ورغم الجفاف الذي يحل بالوادي لسنوات متتالية ، الا أن هذه الشجيرة قد تحدت كل الظروف ، واستطاعت أن تقاوم العزلة والحرارة والجفاف ، وراحت تضرب بجذورها في أعماق الصحراء علها تحصل على قطرات من الماء تواصل بها حياتها ، ولتثبت لنا أن الصمود ضد الموت في وادي الموت ليس حلما ، ولا أمرا مستحيلا ، فبقيت هي ، حيث مات الرواد الأوائل من البشر في ذلك التيه الموحش ، ومن أجل هذا جاءت التسمية على مسمى .. لكن هذا الرمز الحي الماثل أمامنا في عزلته الموحشة ، يؤكد أن الحياة أقوى من الموت .. تطبيقا لا شعارا !



عرض أزياء.. أم استعراض رشاقة؟

المرأة هى المرأة فى كل زمان ومكان ، تهوى الأناقة ، وتحب الرشاقة ، وتحرص على الظهور.. لاتختلف فى ذلك زوجة الوزير عن زوجة الخفير ، وكل واحدة حسب امكانياتها .. ورغم أن هذه اللقطة تبدو كنوع من الاستعراض - على الأقل - استعراض توازن جميل مع الوعاء .. المحمول على محور.. المرتكز على الرأس ، ثم مايتطلبه ذلك من ثبات فى الخطوات ، ورشاقة فى الحركة ، رغم ذلك ، فان هذه السيدة الواثقة من رشاقتها ، تعيش فى ظروف صعبة ، اذ حلت بها وبقومها ، قبائل الزولو الافريقية ، فترة جفاف طويلة ، وشح الماء لدرجة أنه كان يوزع من صهاريج تحملها سيارات من مسافات بعيدة ، وأصبح بهذا سلعة غالية ، ومن يحصل عليه ، فكأنما قد حصل على عنصر هام من عناصر الحياة.. ومع ذلك فالسيدة فخورة بما حملت ، وفخورة برشاقتها ، وكأنما الوعاء زينة ، أو كأنما هى تعلن لقومها عن انتصارها فى عدة جبهات .. ماء محمول ، وتوازن مطلوب .. ورشاقة مرغوبة ..



مؤتمر حيواني مُصَغّر

الوجوه معبرة ، والعيون شاخصة ، والنظرات ساهمة ، لكن الألسنة خرساء ، ولهذا لانستطيع أن نتخاطب مع الحيوان ، لنعرف مايجرى فى عالمه ، أو ماذا يؤرقه ويجعله شاردا وكأنما هو قد حمل هموم دنياه - كما تعبر عن ذلك تلك اللقطة أدق تعبير ، ترى .. هل يتخاطب هذان الجروان بلغة صامتة لا ندركها ؟ .. وتلك الهرة الصغيرة التى جاءت لتشاركهما اهتماماتهما ، رغم العداوة التقليدية التى حلت بين القطط والكلاب من قديم الزمن .. ماذا يجول بخاطرها هى الأخرى ؟ لا أحد - بطبيعة الحال - يستطيع أن يدلي بدلوه ، ويعرف ماذا يدور فى هذا المؤتمر المصغر ، رغم أن الجروين يبدوان وكأنهما يصغيان باهتمام الى أخبار مثيرة تنقلها الهرة اليهما بلغة صامتة ، وربما كانت هذه اللغة فى عالمهما أبلغ من خطب الخطباء ، وفلسفة الحكماء .. فمن يدرى ؟ !





حديث عن الألوان في عالم الأحياء

بقلم : الدكتور محمد رشاد الطوبي

نشاهد فى حياتنا اليومية كثيرا من الألوان المختلفة ، لعل أكثرها انتشارا وأعظمها شأنا هو اللون الأخضر الذى يبعث فى نفس الانسان كثيرا من البهجة والسرور ، وخصوصا إذا كان هذا اللون يكسو الأرض فى مساحات شاسعة ، كما هي الحال فى الحدائق والبساتين والحقول المترامية الاطراف ، أو فى الوديان التى تمتد عبر الصحراء ، حيث تكسوها الأعشاب والنباتات الخضراء بعد هطول الأمطار عليها ، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة التالية :

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة)

صدق الله العظيم



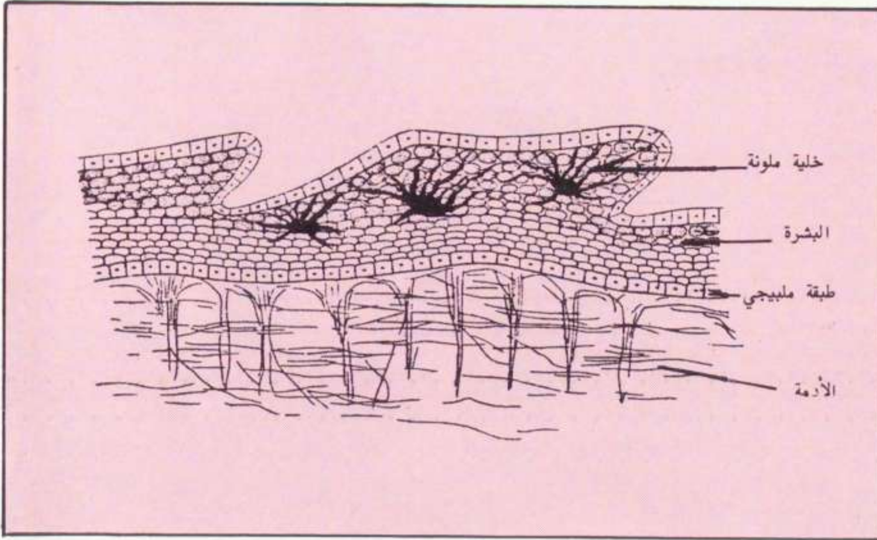


يرجع هذا اللون الأخضر الذى ينتشر فى النباتات على اختلاف أنواعها وأشكالها وأحجامها (وخصوصا فى أوراقها الخضراء) إلى مادة كيميائية معقدة التركيب يطلق عليها علماء النبات اسم اليخضور أو الكلوروفيل(Chlorophyll) ، ولكن وجد بعد تقدم البحوث النباتية وعمل التحليلات الدقيقة انها تتركب في واقع الأمر من أربع مواد مختلطة بعضها ببعض ، وتلك هى « كلوروفيل أ » و« كلوروفيل ب » ولونهما أخضر ، بالاضافة إلى مادتين أخريين وهما « الكاروتين » و« الزانثوفيل » ، وهما صبغان نباتيان لونهما أصفر.

إن هذا الكلوروفيل المعقد الذى يغلب عليه اللون الأخضر هو إحدى المعجزات الحقيقية التى أوجدها الله سبحانه وتعالى فى دنيا النبات ، إذ أنه يلعب فى تكوين الأغذية النباتية دورا يفوق كل خيال ، فالنبات على سبيل المثال يمتص من التربة التي يترعرع فيها كمية من الماء ، كما يمتص ثانى أكسيد الكربون من الهواء الجوي الذي يحيط بنا في كل مكان ، ومن هاتين المادتين البسيطتين (الماء وثانى أكسيد الكربون) يستطيع الكلوروفيل انتاج المواد الكربوهيدراتية البسيطة أو المعقدة مثل الأنواع المختلفة من السكر ومنها سكر الجلوكوز وسكر الفواكه وسكر العنب وسكر القصب وسكر البنجر ، وأيضا الأنواع المختلفة من النشا مثل النشا الموجود فى حبوب القمح أو الذرة أو الارز أو الشوفان ، أو فى بعض الأجزاء النباتية االأخرى مثل درنات البطاطا والبطاطس وغيرها . ولا يتم انتاج مثل تلك المواد الغذائية الهامة إلا فى وجود الأشعة الضوئية ، ويطلق على تلك العملية اسم عملية التمثيل الضوئى (Photosynthesis) ، ويمكن تلخيص تلك العملية فى المعادلة البسيطة التالية :

ثانى اكسيد الكربون + ماء ← (الكلوروفيل / الأشعة الضوئية) مواد كربوهيدراتية + أكسجين

ويعيش الانسان وكذلك جميع الحيوانات التى تدب على سطح الأرض على تلك المنتجات النباتية التي لا يستطيع أى منهما انتاجها من المواد الخام على الاطلاق ، كما تفعل النباتات الخضراء ، وبذلك يكون الكلوروفيل هو المادة



الخلايا الملونة فى بشرة الجلد للزواحف
(قطاع عمودى على السطح)

المنتجة لجميع الأغذية النباتية أو الحيوانية على حد سواء .

وبالاضافة إلى تلك المادة الخضراء (الكلوروفيل) تحتوى النباتات على مواد أخرى كثيرة لها ألوان متباينة ، ومنها الصبغ الأزرق والصبغ الأصفر والصبغ الأحمر والصبغ البنى وغيرها ، وتشاهد مثل تلك الألوان فى كثير من الأجزاء النباتية وخصوصا الأزهار والثمار ، كما يتضح من الآية الكريمة التالية :

(فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها)
صدق الله العظيم

وتشاهد تلك الاصباغ النباتية فى الأوراق والازهار وغيرها .

أما فى الانسان فيحتوى الجلد دائما على نوع آخر من الأصباغ يطلق عليه اسم الميلانين (Melanin) ، وهو صبغ أسود أو بنى داكن يستقر داخل بعض الخلايا الجلدية المعينة التى تسمى « خلايا الميلانين » ، وهى تنتشر بين خلايا الطبقة القاعدية للبشرة وهى المسماة « طبقة ملبيجى » نسبة إلى عالم التشريح الايطالى ملبيجى (Malpighi) ، ولهذا الصبغ أهمية قصوى فى حماية أنسجة الجلد اللينة من التأثيرات المدمرة للأشعة فوق البنفسجية الموجودة في أشعة الشمس ، إذ تتكون منه طبقة داكنة تمنع وصول تلك الأشعة إلى داخل الجلد ، ولهذا السبب نجد أن هناك اختلافات واضحة فى كمية الميلانين الموجودة فى الجلد فى مختلف السلالات البشرية ، تبعا للبيئة التى تعيش فيها كل من تلك السلالات .

وعن اختلاف تلك الالوان البشرية تحدثنا الآية الكريمة التالية :

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)
صدق الله العظيم

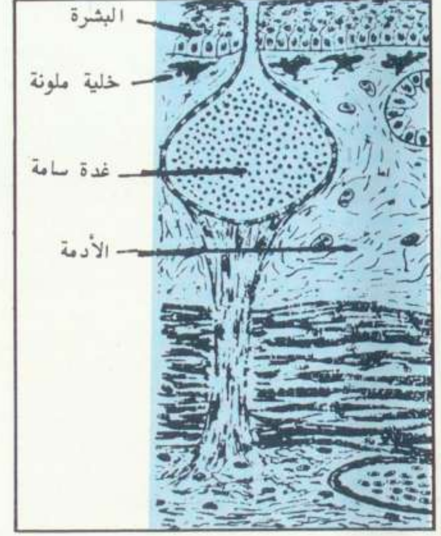
ففى الاقاليم الشمالية حيث تكون أشعة الشمس ضعيفة نسبيا ويكون عدد الايام المشمسة قليلا على مدار العام نجد أن الجلد لا يحتوى إلا على كمية ضئيلة من صبغ الميلانين ، مما يؤدى إلى أن يشتد بياض البشرة

■ ماذا تعرف عن الكلوروفيل الذي يلعب في تكوين الأغذية النباتية دورًا يفوق الخيال ؟

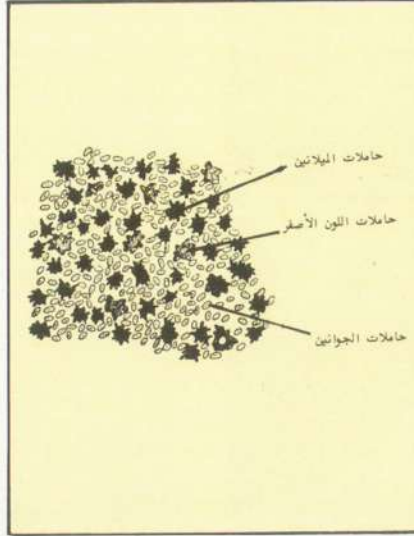
وإلى وجود العيون الزرقاء والشعر الأصفر ، كما هى الحال فى البلاد الاسكندنافية على سبيل المثال ، فإذا تحركنا نحو الجنوب نجد أن لون الجلد والشعر والأعين يزداد سمرة بالتدريج حتى نصل إلى اللون الأسود القاتم فى المناطق الاستوائية ، وهى المناطق التى لا تكاد تغيب عنها الشمس فى يوم من أيام السنة ، كما تكون الأشعة الضوئية فى أعلى معدلاتها من حيث القوة والانتشار ، ولذلك يمتاز سكان تلك المناطق باللون الاسود القاتم لكل من الجلد والشعر والأعين ، وهو ما يوضح أن كمية الصبغ الأسود الموجود فى جلد الانسان تتناسب تناسبا طرديا مع كمية الأشعة الضوئية التى يتعرض لها فى حياته اليومية .

ومن المشاهد المألوفة لدينا أن المصطافين الذين يقضون بعضا من الوقت خلال فصل الصيف على شاطىء البحر مع التعرض لأشعة الشمس ، يعودون من المصيف وقد اكتست أجسامهم بلون أسمر مائل إلى الحمرة ، ولكن سرعان ما تتضاءل تلك السمرة تدريجيا ، ويعود الجلد بعد أيام قلائل إلى لونه الطبيعى ، والواقع أن التعرض لأشعة الشمس يكون حافزا للخلايا الجلدية على تكثيف المادة الملونة الموجودة بداخلها ، كاجراء وقائى لتحاشى الاضرار الناتجة عن الاشعة فوق البنفسجية الموجودة فى ضوء الشمس الشديد[1] .

والواقع أن خلايا الميلانين قادرة على انتاج كميات إضافية من تلك المادة الملونة عند



الخلايا الملونة فى أدمة الجلد للبرمائيات
(قطاع عمودي على السطح)



الخلايا الملونة فى جلد سمك موسى
(منظر سطحي)

تعرضها لأشعة الشمس ، حيث تستخدم لهذا الغرض مادة بروتينية تسمى « تيروسين » (Tyrosine) ، فتعمل على تحويلها إلى صبغ الميلانين الذي يزداد كثافة داخل الخلايا الملونة عند التعرض للاشعة فوق البنفسجية .

وهناك حالة شاذة فيما يتعلق بلون الجلد فى الانسان يطلق عليها اسم الشقرة أو اشقرار اللون (Albinism) ، وفى هذه الحالة التى تعتبر من « العيوب الخلقية » يخلو الجلد الذى يكسو الجسم وكذلك الشعر وقزحية العين (٢) خلوا تاما من صبغ الميلانين ، ولذلك يظهر الجسم بلون وردى (وهو لون الشعيرات الدموية الرقيقة المنتشرة فى الجلد) ، كما يكون الشعر أبيض اللون لخلوه تماما من أى لون على الاطلاق كما تكون قزحية العين عديمة اللون ، مما يجعل المصاب بهذا العيب الخَلْقِي غير قادر على النظر المباشر لأشعة الشمس ، ويطلق العامة من الناس اسم « عدو الشمس » على مثل هؤلاء الاشخاص ، وهم يضعون فى كثير من الأحيان النظارات السوداء على أعينهم وقاية لها من أشعة الشمس ، والشقرة من العيوب الوراثية التى يتناقلها الابناء عن الآباء ، تبعا لقوانين « مندل » فى علم الوراثة .

ولا يقتصر هذا العيب الخلقى على الانسان وحده بل هناك أنواع كثيرة من الحيوانات الملونة طبيعيا بلون أسود أو بنى داكن ، يظهر بينها من آن إلى آخر أفراد تخلو أجسامهم من مادة الميلانين ، ويكون لهم اللون الاشقر الذى سبق وصفه فى الانسان .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن الألوان فى المخلوقات الأخرى التى تدب على سطح الأرض أو تسبح فى الماء أو تطير فى أجواز الفضاء ، لوجدنا أن هناك مجموعات عديدة تشتهر بألوانها الجميلة الزاهية ، ومنها على سبيل المثال طائفة الاسماك وخصوصا تلك الأسماك الملونة التى تسبح بين الشعاب المرجانية فى البحار الدافئة ، وكذلك طائفة الطيور وخصوصا الطواويس والطيور المغردة وغيرها مما تمتاز بألوانها الرائعة الجذابة ، وأيضا طائفة الزواحف التى تزحف ببطنها على سطح الأرض والتى يمتلك البعض منها ألوانا غاية فى الروعة والبهاء .

وفيما عدا الطيور فإن الجلد فى تلك الحيوانات يحتوى على خلايا خاصة حاملة للأصباغ ، وتكون تلك الخلايا عادة نجمية الشكل ، وهي توجد إما فى بشرة الجلد كما فى الزواحف ، أو فى الطبقة الخارجية من الأدمة كما فى البرمائيات ، والانواع الأكثر شيوعا من تلك الخلايا الملونة هى :

١ ــ حاملات الميلانين ــ وتوجد بداخلها حبيبات بنية داكنة أو سوداء اللون .

٢ ــ حاملات اللون الأحمر ــ وتوجد بداخلها حبيبات حمراء .

٣ ــ حاملات اللون الأصفر ــ وتوجد بداخلها حبيبات صفراء .

٤ ــ حاملات الجوانين ــ وهى لا تحتوى بداخلها على حبيبات ملونة بل تحتوى على بلورات دقيقة من مادة « الجوانين » التى ينعكس عليها الضوء ، فينتج عن ذلك تغيير فى المواد الملوّنة ويحتوى الجلد على ثلاثة من تلك الأنواع فى سمك موسى .

وتشاهد فى بعض تلك الأنواع الملونة وخصوصا الحرباء (التى يضرب بها المثل فى سرعة التلون) وأيضا فى سمك موسى ظاهرة هامة هى ظاهرة تغيير اللون ، ويتم هذا التغيير بدرجة تجعل من الصعب على الانسان التمييز بين الكائن الحى والوسط الذى يعيش فيه ، فالحرباء مثلا تكون خضراء اللون بين أوراق الاشجار وفروعها المتشابكة ، ولكنها سرعان ما تتحول إلى اللون الأصفر أو البنى الفاتح إذا هبطت إلى سطح الأرض لوضع البيض . وينتج هذا التلون فى مثل تلك الحيوانات إما بتغيير موضع حاملات اللون بالنسبة لبعضها البعض ، أو بسبب تغيير مواضع الحبيبات الملونة داخل الخلايا حاملات اللون ، فإذا انتشرت تلك الحبيبات فى مختلف أجزاء الخلية يصبح لون الجسم داكنا ، أما إذا تجمعت تلك الحبيبات الملونة فى كتلة صغيرة مركزية فى وسط الخلية يصبح اللون فاتحا .

أما فى الطيور فإن الألوان الرائعة التى تمتاز بها تلك المخلوقات لا تستقر داخل الجلد كما هى الحال فى الحالات التى سبق وصفها ، ولكنها توجد داخل الريش الذى يكسو أجسامها من الخارج فإذا أزلنا هذا الريش عن جسم الطائر لكانت لجميع الطيور أجسام متشابهة عديمة اللون ، ويرجع لون هذا الريش إما لأصباغ محددة تستقر بداخله ، أو إلى ظواهر ضوئية ، ويتم ذلك إما بانعكاس الأشعة الضوئية على سطح المنشورات الدقيقة الموجودة فى المادة القرنية للريش ، أو بانكسارها وتحللها إلى ألوان الطيف المعروفة كما يشاهد فى الطواويس وكثير من الطيور المغردة .

محمد رشاد الطوبى

هامش

(١) يتكون ضوء الشمس من سبع أشعات مرئية (وهى الأشعة البنفسجية والنيلية والزرقاء والخضراء والصفراء والبرتقالية والحمراء) واثنتين من الاشعة غير المرئية (وهما الاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء) .

(٢) القزحية هى القرص الملون الموجود فى مقدمة العين تحت القرنية الشفافة مباشرة . ويوجد فى وسطها الثقب المعروف بانسان العين أو الحدقة ، وهو الذى تمر منه الاشعة الضوئية لتقع على الشبكية الحساسة .


تصوير عزام الشويكى


تصوير عبد الرحمن عبيدان

عندما تكون الهواية فنًا وثقافة

الحياة والناس والبيئة في عيون المصوِّرين القطريِّين

تحقيق: السيد حجازي


نشوان العمرى

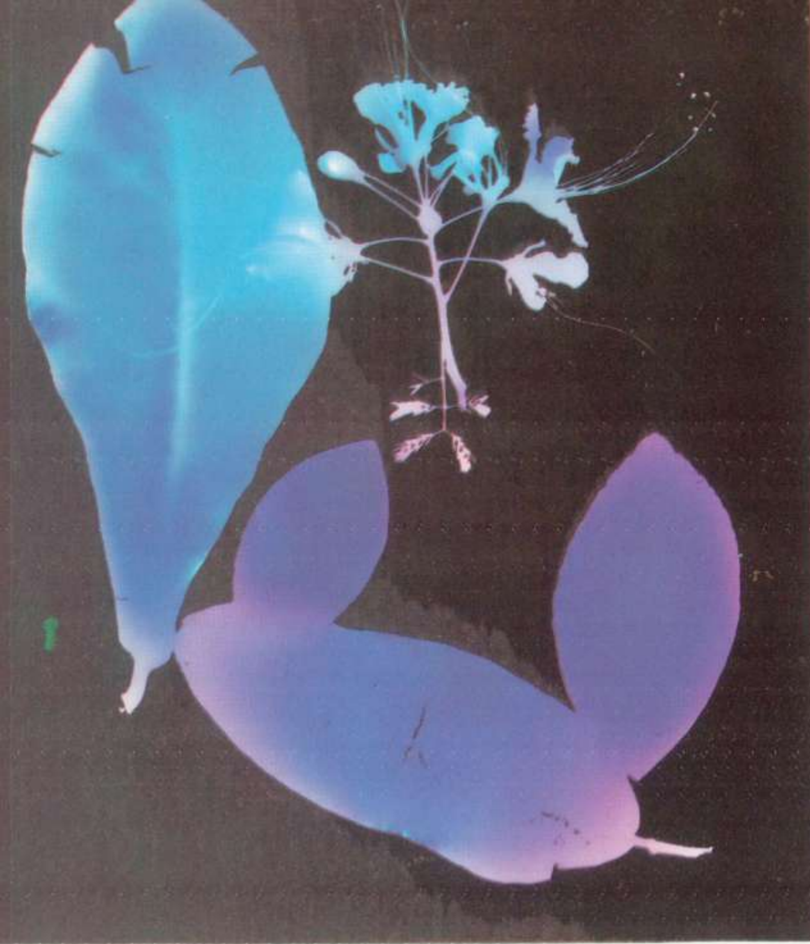

خليفة السلمانى


عبد الرحمن عبيدان


حسين الجابر



تصوير خليفة المسلمانى



تصوير راشد صقر

هم مجموعة من الشباب القطرى الذى يتطلع الى المستقبل باشراق وتفتح ، جمعتهم هواية واحدة ، جميلة وفنية ، هى هواية التصوير ، وفكروا فى أن تضمهم جماعة ، تنمى فيهم الاستعداد وتعمقه ، وتؤصل لديهم القواعد العلمية ، وتفتح أمامهم آفاقا رحبة فى عالم هذه الهواية الواسع ، المتجدد .

ولقد نجحت فكرتهم ، ولقيت جماعة التصوير كل تقدير وتأييد من المسئولين ، وبدأ أعضاء الجماعة فى الانطلاق ، وظهرت ابداعاتهم الفنية . وهى ابداعات بحق ، فانها ليست مجرد « صور » فوتغرافية تلتقطها الكاميرا فقط ، وانما هى رؤية فنية ، تدخل فيها وجهة نظر الفنان المصور ، وتعطى أبعاداً جديدة للشكل والمضمون ..

احساس فنى

وهكذا فرضت أعمال الفنانين الشبان نفسها باحساسها الفنى المرهف ، الواضح ، وبانطلاقها عبر آفاق رحبة غير مقيدة . فقد تناولت الصور « اللوحات » موضوعات عديدة عن الحياة والناس والبيئة ، وعبرت خير تعبير عن التراث الحافل ، والماضى والحاضر المتجدد ، والمستقبل المشرق ، المضىء ..

لقد خرج الفنانون الشبان بالكاميرا الى المناطق القديمة ، وعايشوا البحر عن قرب ، وانطلقوا الى الأسواق الشعبية ، وجابوا أغلب دول الخليج ، وعدداً كبيراً من دول العالم ، ليسجلوا الواقع ، من خلال رؤية فنية واعدة ، وواعية ، وليقولوا بكل ثقة ان الكاميرا فى يد الفنان ، يمكن أن تكون أداة ، فعالة ، ومؤثرة ، لاأداة ناقلة ، وصامتة ..

والمتأمل لصورهم ولوحاتهم التى أبدعوها يدرك هذه الحقيقة تمام الادراك ، ويعرف أن الهواية اذا ماتأصلت وانطلقت الى آفاق رحبة ، يمكن أن تؤدى الى نتائج ايجابية ، ومن ثم تتحول الهواية الى متعة وفائدة معا . ولعل هذا هو مادعا « نشوان العمرى » وهو موظف باحدى الشركات ، الى تجميع عدد من الأصدقاء أصحاب هواية التصوير ، للانطلاق فى هذا المجال ..

وللمصور « نشوان » بالذات قصة طويلة مع التصوير ، بدأت منذ أن كان فى المرحلة الابتدائية ، وظل ينمى هذه الهواية بكل الوسائل ، حاول التعمق فى معرفة أسرار فن التصوير . واشترك فى معارض ومسابقات عديدة أكثرها فى قطر . ونال جائزة أولى فى مسابقة المبانى القديمة فى قطر ، وكانت صورته الفائزة لمسجد قديم أثرى . ونال جائزة أحسن عمل فى مسابقة اليونسكو عن الشباب ومحو الأمية ، وجائزة أجمل صور لمدينة الخور ، وفى مسابقة أجريت فى الكويت عن حماية البيئة حصل على المرتبة الأولى . وفى الوقت نفسه أقام ثلاثة معارض خاصة فى موضوعات متفرقة ، وجاء مؤخرا من رحلة فى

الحياة والناس والبيئة
في عيون المصورين القطريين

■ البحر والطبيعة والتراث عالمهم.. والكاميرا مجرد أداة في أيديهم

تصوير طه محمد

افريقيا ، صور خلالها مائتى فيلم عن « الجنس » أو الصيد ، بدعوة كريمة من الشيخ حسن بن محمد آل ثاني ..

الهواية والابداع

ويعتقد المصور « نشوان » أن من الأفضل أن يظل هاويا ، برغم تقدمه الواضح فى مضمار التصوير الفنى ، فمن رأيه أن الاحتراف قد يؤثر على الناحية الابداعية . ويشاركه فى ذلك الأخ حسين الجابر ، والأخ عبد الرحمن العبيدان ، والاثنان متخصصان فى الجيولوجيا وهندسة البترول . هؤلاء الثلاثة الذين جمعتهم الهواية اختمرت فى أذهانهم فكرة انشاء جماعة تضمهم ، والتقوا الاستاذ موسى زينل مدير أدارة الثقافة والفنون ، الذى أعجب بالفكرة ، وبدأ تنفيذها تحت اشراف الادارة ، ومقرها مركز الدوحة الثقافى بمدينة خليفة ..

ووصل عدد الأعضاء الذين انضموا الى الجمعية منذ نشأتها فى مايو ١٩٨٥ ، الى عشرين عضوا ، من جميع الأعمار والجنسيات ، وبينهم أربع طالبات . وقد أمدتهم ادارة الثقافة والفنون بكل الامكانيات والأدوات ، اضافة الى التشجيع المعنوى ، الأمر الذى انعكس على الأعضاء نشاطا شاملا ، تمثل فى انتاج العديد من الصور واللوحات التى شملت المناظر الطبيعية ، والوجوه والفنانين ، والتى سيضمها معرض لإنتاج جماعة التصوير يقام فى سبتمبر المقبل .

الطبيعة والبورتريه

ويحكى المصور حسين الجابر أن هواية التصوير التى بدأت معه منذ الصغر تركزت وتعمقت بالخبرة ، بالاضافة الى الاطلاع على الإنتاجات الفنية المتعددة فى المجلات والكتب الأجنبية . وتدور موضوعاته دائما حول الطبيعة ، كما يهتم بالبورتريهات ، وهو يطلع باستمرار على أحدث ماتصل اليه التقنية العلمية فى مجال التصوير . وبرغم انشغاله فى عمله الأساسى ، الا أنه يستغل باستمرار أيام العطلات الأسبوعية ، لمزاولة هوايته ، اضافة الى أن وقته بعد الدوام يقضيه فى العمل الذى يحبه . وفى رأيه أن المصور اللبنانى الارمنى يوسف كارش هو المثل الذى يوظف الفن فى عالم التصوير ، وقد انطلق فى هذا المجال ، مسجلا صورا عالمية . ويميل الأخ حسين الى أن تقول الصورة شيئا ، تنتقد ، تلفت النظر الى مشكلة ، تسجل موقفا . وقد انطلق بكاميراته الى المناطق الأثرية ، ومع البحر ، والى الوكرة ، والشمال ، والبحرين ، والامارات . وهو يتمنى أن تستطيع الجماعة تخريج العديدين من الهواة العالمين بفن التصوير ، وهو

■ شباب جمعتهم الهواية وشجّعهم المسؤولون بكل الإمكانيّات

■ تسجيل حيّ للتقاليد الشعبية، ومعرض كامل في شهر سبتمبر

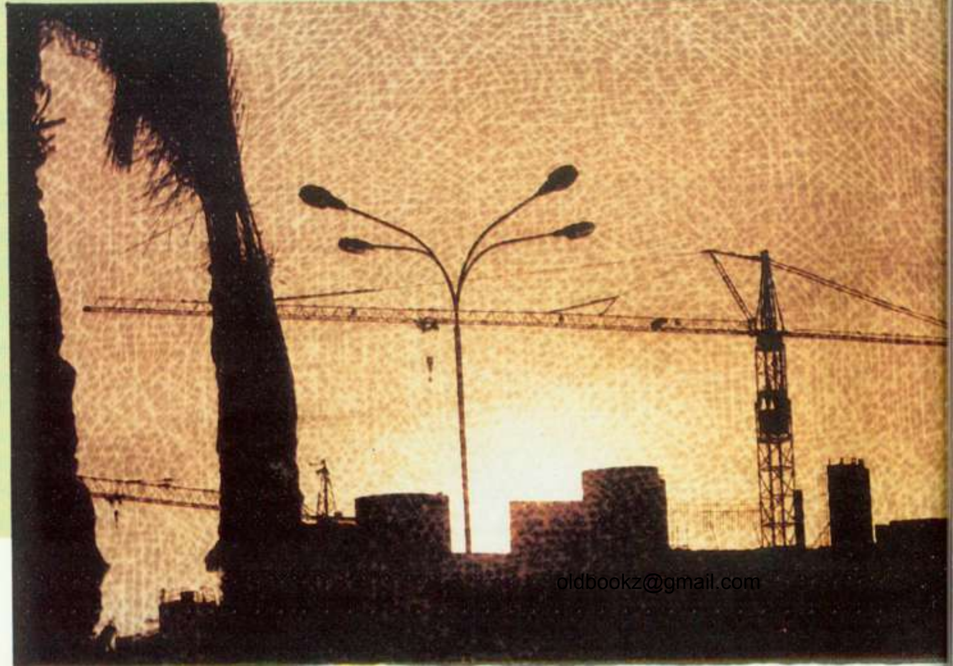


تصوير عبد الرحمن الثانى

تصوير فهمى حسين



شوان العمرى



لذلك يقترح تنظيم دورات تدريبية فى هذا المجال، وحبذا لو كان هناك معهد أو مدرسة لهذا الفن الجميل: التصوير..

أما المصور عبد الرحمن العبيدان فقد بدأت الهواية عنده منذ خمس سنوات، ويعتبر نفسه مازال مبتدئا فى هذا المجال، وهو يهتم اهتماما خاصا بأجهزة التحميض والطبع، ويركز فى أعماله على الطبيعة، وكانت له لوحة بعنوان الشمس والغروب، فازت فى مسابقة أجريت فى مؤسسة البترول، حيث يعمل. كما أنه فاز فى مسابقة اقامتها احدى المجلات العربية، وله ابداعات تشهد بقدرته على المزج بين التصوير الضوئى وبين الرؤية الفنية من خلال زياراته للامارات والعراق وتركيا وبريطانيا، حيث سجل فى لوحات أهم المساجد القديمة، والمناظر الطبيعية الخلابة..



الحياة والناس والبيئة في عيون المصورين القطريين

تصوير حسين الجابر

المناسبات والحفلات

والى جانب ماقام به المصور عبدالرحمن عبيدان من أعمال طبيعية وتراثية ، تجمع بين الرسم والتصوير ، وتشهد بأنه شبه محترف ، الا أنه أيضا ركز على صور المناسبات والحفلات ، واهتم اهتماما خاصا بتسجيل التقاليد الشعبية فى الأفراح وغيرها ، بعين تقدر قيمة العمل الفنى ، وترصد رصداً واعيا أشياء مميزة ، يقف المشاهد أمامها باعجاب وانبهار ..

ومن أعضاء الجماعة المجتهدين المصور خليفة المسلمانى ، وهو الآخر يعمل بمركز التدريب براس أبو عبود التابع لمؤسسة البترول ، ومع ذلك اندفع فى طريق هذه الهواية الجميلة ، بإمكانيات فنية لابأس بها . وهو من المحبين للرسم منذ الصغر ، وله فى مجاله أعمال تشهد بقدرته الواعدة ، لكنه اتجه الى التصوير ، ومزج بين الفنين ، فجاءت أعماله مؤكدة تميزه فى هذا المجال الهام . وهو يتناول فى أعماله شتى الموضوعات . ويرى أن تهتم الجماعة بتأكيد ذاتها ، وأن تكون هناك حلقة وصل بينها وبين الجمعيات المماثلة فى الخليج وفى العالمين العربى والعالمى . وسوف يشترك فى معرض الجماعة القادم بخمس عشرة لوحة تضم مناظر طبيعية وأثرية .

ويلفت النظر أيضا فى جماعة التصوير المصور عبدالرحمن حجي أحمد ، وهو موظف بالقوات البحرية ، وتدور موضوعاته حول البحر ، ويستعد هو الأخر للمعرض القادم بخمس عشرة لوحة ، وهو يحرص على الإلتقاء بزملائه مرتين فى الأسبوع ، لتبادل الآراء والخبرات ، ومن رأيه أن كلامنهم يتميز بلون خاص ، ومذاق مميز فى أعماله . وهو من المؤمنين أيضا بضرورة اكتساب خبرات جديدة ، ويؤكد أن ثلاث سنوات قضاها فى ممارسة الهواية لاتكفى لأن يقال إنه أضاف شيئا ، لكنه يتطلع الى المزيد من الجودة وتحسين درجة الأداء ، ولن يقدم على فكرة التفرغ اذا ماطلب منه ذلك ، الا إذا وصل الى نقطة يقول فيها إنه أصبح فعلا مصورا محترفا ، يمكن أن يقدم شيئا فنيا من خلال الكاميرا ..

والحقيقة أن الانتاج الذى قدمه هؤلاء الشباب وزملاؤهم من جماعة التصوير يستوقف الناظر اليه بشكل ملحوظ ، فهو لايقدم مادة تسجيلية فقط ، وانما يقدم مادة فنية حية ، وهو الأمر الذى يؤكد بوضوح أن المصور أصبح كأى فنان تشكيلي ، فالعين هى التى تنقل الاحساس للكاميرا ، وهى التى تسجل ، وما الآلة الا أداة تخدم ، وتوظف الإمكانيات الفنية فى خدمة العمل ، بما وصلت اليه من تقنية علمية ..

هكذا ينطلق المصورون القطريون الهواة من هذا المنطلق ، وتأتى أعمالهم بحق أعمالا فنية ، حساسة ، قادرة على أن تقول شيئا ، وتضيف الى رصيد الحركة الفنية التشكيلية بعض اللمسات الحية ، والاجتهادات القوية ، وهو مايؤكد أن المستقبل لشباب قطر فى كل المجالات ، ومنها هذا المجال الجديد ، الذى يدخله هؤلاء الهواة بفهم ، وثقة ، واقتدار ، وانطلاق ..

السيد حجازي

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● أخلاقنا ● ذكاء القردة

أخلاقنا

بقلم: علي الطنطاوي

نحن اليوم ، فى أكثر بلدان الشرق الإسلامى ، فى دور يقظة ، ومطلع نهضة ، ولكل نهضة جسم وروح ؛ أما الجسم فهذه السياسة وما يتصل بها ، وهذه الدواوين الحكومية وما يكون فيها ، وهذه القوانين والأنظمة وما ينشأ عنها ؛ وأما الروح فهو الأخلاق والعقائد والمثل العليا. فروح الحكم الإخلاص والقناعة والعدل بين الناس ، وروح الوظيفة الاستقامة ومعرفة الواجب ، وروح الديمقراطية الإرادة المشتركة وضمان المصلحة العامة ، وروح المدرسة تنشئة جيل المستقبل على المثل العليا ، وروح الصحافة نشر الحق والفضيلة والخير.. فهل امتدت نهضتنا إلى الروح ، أم هى اقتصرت على الجسم وحده ، لم نُعن إلا به ، شأننا فى كل أمر من أمورنا حين نهتم بالقشور ونقف عند الظواهر؟

أخلاقنا

الجواب عند القراء ، لاحاجة إلى إثباته فى هذا المقال . ولكن الحاجة ماسة إلى كتّاب ومربين وعلماء ، يستقرون أخلاقنا التى نحن عليها ، ويصنفونها ويقومها ، ويرون مايجب أن يبقى فيعملون على تثبيته ودره ، وينظرون ماينبغى أن يبدل أو يعدل ، فيسخرون المدرسة والصحافة والقوانين لتبديله وتعديله ، لتنشأ أمة المستقبل على الأخلاق الصالحة التى تستطيع أن تبلغ بها ماتريد من مجد وعلاء ، وتتبوأ المكان اللائق بها بين الأمم ، وتلغي هذه الأخلاق التى ورثناها من الحكم التركى الطويل ، وبلغت بنا قعر الهاوية التى نحاول اليوم النجاة منها ، ونعود إلى أخلاقنا الإسلامية التى قبسها منا الغربيون فأفلحوا بها ونجحوا ...

من هذه الأخلاق التي يجب أن نتخلص منها أننا لانعرف التعاون ولانقدر أن نعمل مجتمعين . فالفرد منا عامل منتج ، ولكن الجماعة عاجزة عقيمة ، ومن نظر إلى انتشار الشركات فى الغرب على اختلاف أنواعها ، والجمعيات على تنوع غاياتها ، والأحزاب والنوادى ، ورأى ماعندنا من ذلك رأى أنه ليس إلى المفاضلة من سبيل .. وعلّة ذلك الأنانية المفرطة ، والأثرة الجامحة ، وحب الذات الطاغى ، فالرجل منا يريد أن يكون هو كل شىء فى الجمعية أو الشركة ، رئيسها إن كان لها رئيس ، أو ناموسها (سكرتيرها) إن لم يكن رئيس ، وعضو الإدارة إن كان مجلس إدارة ، وأن يكون له الرأى إن أخذت الآراء ... بل إنا نرى كلامنا يعطل أعمال الآخرين ويبطلها ، ويعمل على هدمها ، بينما نراه مؤمناً بلزومها ، معتقداً بالحاجة إليها . ساعياً إلى القيام بمثلها ، فهو يعرف الحاجة إلى ناد أدبي ولكنه يحارب النادى لأنك أنشأته أنت ، وهو يعلم الحاجة إلى مدرسة دينية ويدعو إليها ، ولكنه إذا رآها قد فتحت ونالت قسطاً من النجاح أصلاها حرباً حامية ، وجعل أكبر همه هدمها وتخريبها . ذلك أن دعوته الأولى لم تكن عن إخلاص ولم يكن يريد بها وجه الله والمصلحة ، ولكنه يريد الفخر والشهرة والنفع واللذة ، فلما رآك أنت السابق إليها والذاهب بفخرها ، خان المصلحة وعصى الله ليرضى أثرته ويستجيب لأنانيته .. وهو شاعر بالحاجة إلى جمعية خيرية يسعى إلى تأليفها بحماسة وجد ودأب قد ملأت فكرتها نفسه وحياته فهو لا يتحدث إلا بحديثها ، ولا يشتغل إلا لتأسيسها ، فإذا تم له الفلاح بعد التعب والكفاح وقامت الجمعية ولم يكن هو الرئيس أو هو الناموس انفصل عنها وحاربها حرباً لا هوادة فيها وسعى إلى هدم مابناه بيده ..

هذا داء من أشد أدوائنا الخلقية ، إن لم نعالجه فشت جرثومته فى جسم الأمة ، فشلّت أعضاءها وعطلت أعمالها :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

وأين هو الاخلاص ، وأين هو الصدق . فيمن يدعو إلى الخير أو الدين أو الفضيلة ، وغايته استغلال الدين والخير والفضيلة لمصلحة نفسه وإطاعة هواه ؟

• • •

ومن هذه الأخلاق أننا لانعرف قيمة الوقت ، وأنا نضيع أوقاتنا سدى ، ونذهب أعمارنا عبثاً لانعرف لها قيمة وهى أثمن مانملك . وإذا كان فينا من يحسن الاستفادة من وقته ، وينفقه فى علم أو أدب أو شىء مما ينفع الناس ، لم يعدم من الثقلاء من يضيع عليه وقته ، ويسرق عمره ولا يتوهم أنه أساء أو أخر ..

وما أظن أن فى القراء من لايذكر حادثة فى هذا الباب .. كنت ذاهباً إلى المدرسة ذات مرة ، وكان على محاضرة لم يبق دون موعدها إلا مسافة الطريق ، وكنت مسرعاً لا أكاد أبصر طريقى فاعترضنى رجل كبير كان ناظراً للمدرسة الثانوية التى كنت فيها وله فى البلد حرمة ومقام ، فأقبلت عليه أحييه وأفهمته برفق أن علىّ محاضرة قد حان موعدها فقال : طيب ... لحظة . وانطلق يتكلم ، فلا والله ماسكت إلا بعد ساعة ونصف ساعة ألقى هو فيها المحاضرة علىّ ، وأنا أتململ وأتحرك ويربد وجهي وأحس النار تشتعل فى عروقى ... فلما انتهى قال :

ـ أظن أننا وقفناك ... عدم المؤخذاة !

قلت : أستغفر الله ، ومضيت عنه ...

• • •

هذه علة أخرى من عللنا الأخلاقية .. لاشك فى أنها من أشدها وأدواها لأن حفظ الوقت آلد وسيلة إلى النجاح ، وخير طريقة لرفعة الفرد والمجموع . أذكر أن الدكتور نمر تحدث إلى قراء المقتطف فى العدد الخاص بعيد المقتطف بيّن لهم أن أثمن مااستفاده من الأمريكان في كليتهم هو تقدير الوقت ، وأن ذلك هو الذى أعانه وزميله الكبير الدكتور صروف على النجاح وأتاح لهما تحقيق هذا المشروع العظيم ، والأمريكان خاصة والغربيون على التعميم يعرفون كيف يستفيدون من أوقاتهم ، فيقوم أحدهم فى اليوم بأعمال لاتقوم بمثلها الجماعة منا فى أسبوع . وكذلك كان أجدادنا الذين تركوا هذه الآثار العلمية الضخمة ، وكان فيهم من بلغت تصانيفه الثلاثمائة فما فوقها .. كانوا يحسنون الاستفادة من أوقاتهم ، ولا يدعون دقيقة واحدة تمر إلا فى عمل مفيد ، أو راحة مقدرة ، أو قضاء حق لله أو للجسم أو للعيال .. والوقت لايضيق بعمل إذا عرفنا طريق استغلاله والانتفاع به . ولو أحصى الواحد منا مايذهب من عمره هدراً فى المقاهي أو دور اللهو ، وفى الأحاديث الفارغة ، ومطالعة الصحف الجوفاء ، والمجلات المؤذية ، وقدر مايمكن أن يعمل فى مثل هذا الوقت من جليل الأعمال ونافعها لهاله الأمر ورأى شيئاً عظيما .

وانظر إلى التلميذ إذا دهمه الامتحان كيف يقرأ الكتاب فى ليال ويحفظه كله ، والموظف إذا اضطر إلى العمل ، أو الصحفى إذا كان موسم من مواسم الصحافة ، والمؤلف إذا طمع فى الجائزة الكبرى ؛ أنظر إلى هؤلاء كلهم ، وانظر إلى هؤلاء الأفراد الممتازين الذين يشتغلون بالسياسة ويبرزون فيها ، ويؤلفون فى الأدب وينبغون فيه ، ويطالعون كثيراً من الكتب ، ولا يقصرون فى حقوق أنفسهم وأهليهم ، وحقوق الناس ، تعلم أن الوقت واسع جداً ، ولكن الجاهل المهمل يضيقه على نفسه .

ومن الأخلاق التى يجب أن نتعلمها تقدير المصلحة العامة. وإهمالنا هذه المصلحة باب آخر من أبواب الأثرة (الأنانية) منشؤه أن أكثر الحكومات التى تتالت على بلدان الشرق الإسلامى فى القرون الأخيرة لم تكن من الشعب ولا إلى الشعب، ولم تكن تحرص على مصلحته، فزالت ثقته بها، ونظر إليها نظره إلى عدو مقاتل، وغدا يرى كل أذى يلحقه بها، أو مال يستلبها إياه، أو حق لها يضيعه، يرى كل ذلك بطولة وفخراً، وغدا كل واحد منا يسعى جهده ليفر من الخدمة العسكرية أو يحتال بحيلة تنجيه من دفع الضرائب، أو يتوسل بوسيلة إلى اختلاس مال الخزينة. ولعل له فى ذلك عذراً، هو أن الخدمة العسكرية كانت لحماية الحكومة دون الشعب، والضرائب لحياتها هى؛ وكان مال الخزينة مالها ينفق على أفرادها. ولا تزال الموازنة عندنا إلى الآن مصروفاً ثلثاها على الموظفين رواتب لهم وأجوراً، والثلث أو مادونه على المصلحة التى أنشئت من أجلها الحكومة.

ونحن فى حاجة إلى التخلص من المرض. نحن فى حاجة إلى الإيمان بأن مصلحة الفرد فى مصلحة المجموع وأن رفعته فى رفعة الأمة.. يجب أن تسأل الأم ابنها كل ليلة: ماذا عملت لأجل الأمة؟ بماذا خدمت اليوم الوطن؟ هل أحسنت إلى سائل؟ هل تبرعت بقرش لجمعية خيرية؟ هل تعلمت مسألة نافعة؟ هل كنت مهذباً مع رفاقك؟ ويجب أن يسأل كل منا نفسه هذا السؤال عندما يضع رأسه على الوسادة قبل أن يستسلم إلى النوم.

* * *

ومن هذا الباب إطاعة القوانين واحترام النظام، ذلك الذى لم نتعلمه بعد ولا نعرفه أبداً لأن زماناً غبر (ولم يتبدل بعد) كانت القوانين والأنظمة توضع فيه لغير مصلحتنا وتفرض علينا فرضاً فتعودنا ألا نطيعها وألا نحترمها، ولكنا دخلنا اليوم فى طريق الاستقلال (أو كأن قد) وصرنا نضع قوانيننا (إلى حدما) بأنفسنا فيجب أن يتبدل ذلك كله وأن يرسخ فى نفوسنا احترام القوانين وإطاعتها، لا خوفاً من العقاب بل لأن إطاعتها واجبة.

ومن هذا الباب أو ماهو شبيه به احترام الراحة العامة. نمتُ ليلة فى فندق كبير فى بيروت، فنزل فى الغرفة اللاصقة بغرفتى جماعة من أكابر حلب حلّوا بعد نصف الليل فبعثوا أحدهم بحاجة لهم إلى السوق، فلما بلغ الشارع ذكروا حاجة أخرى يأمرونه بقضائها فأطل أحدهم من شرفة الطبقة الخامسة وناداه وكلمه بصوت يوقظ الموتى، فلم يبق حيٌّ فى الفندق إلا قام. ولما عاتبوه لم يستطع أبداً أن يفهم أو يتصور أنه أتى أمراً نكراً.

وانحدرت مرة من الأعظمية إلى بغداد فى سيارة عامة من هذه السيارات التى يسمونها هناك (الباص) فركب معنا جزار معه خروف مسلوخ وضعه على ركبته وألقى برقبته على ثيابى، ورأيت الناس ينظرون إليه نظر المقرّ الموافق فاضطررت إلى النزول من غير أن أشتبك معه بقتال.

وكثيراً مانسمع رجلاً أو جماعة يمرون فى الشارع قبيل الصبح فيأخذهم الطرب فيغنون بمثل الصوت الذى ذكره ربنا فى الكتاب، ولا يقدرون أو يتصورون أنهم يسيئون إلى أحد.

ولا يمضى على الواحد منا يوم لايرى فيه مايسوء ويزعج من بصاق فى الترام أو حديث فى المكتبة العامة، أو خصومة حامية فى المسجد، أو غير ذلك من المزعجات المنغصات التى لايزيلها إلا عناية المدرسة بتعليم الطلاب احترام الراحة العامة، وحث الصحف الشعب على ذلك...

* * *

ومن الأخلاق التى يجب أن نسرع إلى تعلمها احترام الواجب والاستقامة والاصغاء إلى صوت الضمير. إن المعلم لايتورع إذا أمره رئيس أو رجاه صديق أو نالته منفعة، أن ينجح التلميذ الذى يستحق السقوط فى الامتحان، وأن يزيد فى الدرجات وأن يفعل كل شىء؛ والقاضى لايمتنع عن تبرئة الظالم وعقاب المظلوم؛ والوزير لايتقاعس عن إيثار الشفاعات والوساطات على الكفايات والشهادات؛ والطبيب لايبالى بأن يجهض أو يأتى كل أمر يستطيعه مادام فى ذلك لذة له أو فائدة؛ والموظفون يقبلون الرشوة والناس يعطونها؛ ولا تكاد تجد من عرف الواجب عليه وأكبره إكباراً، وضحى فى سبيل القيام به بكل شىء. ولا أعنى أن كل المعلمين أو القضاة أو الوزراء أو الأطباء متنكبون سبيل الشرف مضيعون للواجب، ولكن الذى أعنيه أن بهم من هذا شأنه، وأن احترام الواجب لم يذع فينا ولم يصبح شعاراً دائماً لنا، وأن المدرسة والصحافة والقانون وواضعه، كل أولئك مقصرون لايولون هذا الأمر مايستحق من العناية والاهتمام فى حين أنه من الأسس الثابتة والدعائم الكبرى فى بناء الأمم.

ونحن فى حاجة إلى تعلم الصدق، لأن الكذب قد فشا فينا وعم وأصبح أسهل شىء علينا، فنحن نكذب فى الأمور الهينة ونكذب فى الجليلة، ونعلم أولادنا الكذب. من منا لا يقرع بابه فيقول لابنه: قل له إن أبى ليس هنا! ومن منا يلقى رفيقاً له أو رجلاً يعرفه فيقول له: كيف حالك أوزيِّك؟ فلا يقول له: بغاية الشوق، وهو لايشتاقه ولايفكر فيه، وقد يكون مبغضاً له يرى البعد عنه غنيمة... فمجاملاتنا وحياتنا الاجتماعية كلها قائمة على الكذب. ومن جرب أن يصدق يوماً كاملاً رأى العجائب، وقد أدرك ذلك العامة فجاء فى أمثالهم (الصادقة): الكذب ملح الرجال، والعيب على الذى يصدق...

* * *

هذا وشبهه (وما أكثر اشباهه) روح النهضة وقوامها، فاذا لم تعتن به الحكومات والأحزاب والجمعيات والمدارس، ومن يشتغل بالوطنية، ويبث فى نفوس الأطفال، ويوضع فى نظم التربية والتعليم، كانت نهضتنا جسماً لاروح فيه!

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت
فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

على الطنطاوى
المدرس فى الكلية الشرعية ببيروت
١٩٣٨

ذكاء القردة

بقلم: الدكتور أحمد زكي

نبدأ بالتعريف ــ حضرتها قردة، مخلوقة من مخلوقات الله ولاتحقير لخلقه، ولدت فى ليلة اسودً أديمها بمقدار ما ابيضَّ نجمها، وغاب نحسها وتراجع بؤسها، على حين حضر نعيمها وأقبلت بركتها، ليلة من تلك الليالى الاستوائية الجميلة فى دَغَل من أدغال الكمرون الفرنسية على الشاطىء الغربى من القارة الأفريقية، وأصبح الصباح ففتحت عينيها ترى وَضَحَ النهار لأول مرة، وأدبر النهار عن ليل ازدهرت نجومه فرفعت عينيها الى علٍ فى خيفة وخشوع، كأنما تستخير عن سر هذه الثقوب فى القبة السوداء، وانسلخ النهار من الليل، وانسلخ الليل من النهار، فأخذت تدرج من مسقط رأسها تتعرف البقعة الكونية التى تحيط بها وهى كل دنياها، وذات يوم وهى تتفقد الأشجار مع القبيل فى هدوء، وتدور وراء الأحراج فى بطء، صرخ صارخ القوم ينذر، فتجاوبت من كل الأرجاء أصوات النذر، فجرت القردة تطلب النجاة فى أعالى الشجر وسواد الغاب، وضلت أمها وتخلفت عن القافلة فوقعت فى أسر نفر من الصيادين الأمريكان جاءوا يرتادون الناحية لدرس حيوانها وطيرها. وكان من هذا النفر أمين من أمناء متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك، فأعجبته القردة الطفلة، فشاء أن يختص بها ويتبناها على قدر ماتسمح أبوة مثله ببنوة مثلها. فأسماها «ميمى»، وحملها معه حيثما تنقل معسكره فى تلك البقاع الحارة، وأبى عليه كرمه والعهد الذى اتخذه أن يضع فى يد «ميمى» كبلا أو يقيم دونها حاجزا، وكانت هى قد آنست من أبيها الجديد رفقاً وكرما وأمومة يقدرها الصغار فى ضعفهم وقلة حيلتهم، فلم تحاول أن تهرب من المعسكر مرة واحدة. ومضت سنة أو بعضها، ورجع الأمين عبر المحيط الى بلده وأخذ صاحبته معه، ودخل منزله الريفى فى ضاحية من ضواحى نيويورك العظيمة، فلقيته زوجه وأولاده، فسروا بالوافد والوافدة الضيفة وأكرموا مثواها.

واليوم ميمى فى منتصف عامها الخامس تزن ٤٦ رطلا ولا تزال تحتفظ بالشىء الكثير من مظاهر الطفولة وبجميع أسنانها الرواضع، وزادت الى هذه أضراسها الطواحن، بدأتها فى السنة الثالثة. وكانت وهى طفلة تحتضن كل من تلقى من معارفها، أما الآن فهى ترغب عن ذلك كثيرا وتطلب الاستقلال وتود أن تسير وحدها وتتفقد ماحولها بنفسها، وتختبر الأشياء بيدها وعينها، الا ان هواها لا يستقر طويلا على شىء واحد. وقد استقام عودها واعتدل قوامها وزادت خطاها ثباتا واتزانا. وكان شعرها يطول الى جانبي رأسها حتى ليهبط دون ذقنها، أما الآن فقد قصر قصراً كبيراً. وكان جلد يديها ورجليها ووجهها قاتما فأخذ يتبقع بالسواد، وكانت صورتها الشمسية تخرج بيضاء وهى تخرج اليوم سوداء.

ومهما كان التغير فى جسمها كبيرا فان التغير فى عقلها وادراكها أكبر، فهى تستطيع الآن ان تسلى أصدقاءها بما تصنع، وتحبسهم اليها الساعة والساعتين وهم مغتبطون، وهى كذلك مغتبطة، كأنها تحس أنها بذلك تقيم الدليل على ان معشر الشمبانزى لهم من الفطرة والذكاء حظ لا يقصر كثيرا عن حظ الانسان منها.

كانت فى أفريقيا لاتعرف القيد، ولكن بارتحالها عن تلك الأراضى الواسعة الطلقة، وبنزولها فى باحة المدنية كثيرة الحدود، كثيرة الفروض، كثيرة القيود أصبح لابد من القيد. فكان فى أول الأمر من الكتان، ولكن التجربة دلت على قلة غنائه لأن ميمى كانت تطلق نفسها منه بالشد والعض، فأبدل بسلسلة من الحديد من سلاسل الكلاب المعروفة وهذه لم تكن بأكثر كفاية، فما لبثت ميمى أن فطنت الى أن الشد الأقوى يفتح حلقاتها. فزاد سيدها الحديد سمكا. فاتجه نظر صاحبتنا الى الطوق، وكان تارة من حبل معقود وتارة من جلد مشدود، أما الحبل فقد عرفت بالمران كيف ترخى عقده ثم تتبع ذلك بعضه حتى ينقطع، وأما الجلد فعرفت بالتجربة المبتدهة أن الريق يلينه فكانت تبله وتشده وتمططه حتى يتسع فتخرج رأسها منه.

وأفادها ذلك التفنن فى حل العقد حتى برعت فى أساليبه. ربطوها الى حبل طويل، وربطوا الحبل الى سارية وعقدوه عندها عقدا كثيرة، ثم أطالوه بعد السارية الى حيث لايهتدى الى طرفه الآخر. نظرت الى العقدة الأولى فى تأمل ولم تلبث أن هجمت عليها بأسنانها ويديها فأوسعتها سعة كبيرة ثم نفذت بجسمها منها رويداً رويداً. وأخذت تنظر الى العقدة الثانية فى تأمل جديد لم يطل كثيراً وفعلت بها كفعلتها الأولى، وهكذا حتى انحلت العقد جميعها عن السارية. ولما أعادوا عقد الحبل حول السارية أعادت ميمى حله فى نصف دقيقة وهى فى غبطة من ذلك كبيرة وسرور بَيِّن، والنظارة فى مثل سرورها وغبطتها.

وحاولت مرارا ان تعقد عقدة فى حبل بنفسها، ونجحت فى ذلك مرات، الا أن طريقتها الى ذلك كان يعوزها التهذيب فقد كان فيها التواء وتنكب عن المقصد الأَمَم والغرض القريب. فكانت فى ذلك كالطفل الانسانى يبلغ ماير يد ولكن فى قليل من الرشاقة واللباقة.

وميمى على صغرها قوية شديدة، فأنثى الشمبانزى عند استكمال نمائها تعدل فى القوة

من الرجال الأشداء الثلاثة والأربعة. وصاحبتنا بلغت الثلث من نمائها الكامل، وفى أذرعها دقة، وفى طباعها رفق، قد يخدعانك فى تقدير قوتها. جاء الشتاء فاحتبسوها فى صندوق من الخشب المتين فأخذت تهز حيطانه فى طلب الرياضة لبدنها، وأعجبها صوته على أرض البدروم فزادت فى هزه بكل حولها، فكان لابد من تعزيز جوانبه، فلما لم ينفع ذلك علقوا الصندوق من السقف بسلسلة فأخذت تؤرجحه حتى دنا من مصباح الكهرباء المعلق فأخذت به، فكان لابد من استدعاء الكهربائى لنقل موضعه. ونظرت فأبصرت عداد الغاز فزادت فى التأرجح حتى بلغت الحائط وأمسكت بالخزان فخلعته على متانته وثنت الانبوب، وكان الى جانبه نار موقدة فحالت العناية دون انثقابه. ولما أعجزتها حوائط الصندوق أخذت تدفع سقفه حتى انفتح ففرت منه. وأرادت ربة الدار أن تتلفن الى زوجها ولكن ميمى كانت قد عمدت الى التلفون فانتزعت أسلاكه، وجاءت الى سيدتها تحتضنها اغتباطا وشكرا على انفكاكها. وذهبت الى المطبخ فوجدت الخادم تغسل الصحون فأرادت عونها وتنقلت بينها برفق غريب فلم ينكسر منها شىء. وكان التليفون أثناء ذلك قد أصلح فجاء رب البيت أمين المتحف على عجل فخطب رضاء ميمى وأطعمها ألوانا مستطابة رضيت بعدها ان تنقاد وتتقيد بعد انطلاق.

وكان لرب الدار أطفال، وكانت لهم دراجات من ذات العجلات الثلاث يركبونها فى ساحة البيت، فكانت ميمى تركب مع أحدهم وتمسك بمقابض الدراجة فتوجهها يمنة ويسرة. وأرادت أن تركب الدراجة وحدها ولكن قصرت رجلاها عن بلوغ مواطىء الأقدام منها، فاشترى لها رب الدار دراجة على قدها وأجلسها عليها فأمسكت مقابضها بيديها وأمسكت كذلك مواطئها برجليها، وهما كاليدين يقبضان على الأشياء، ولكنها لم تدر فى بادىء الأمر كيف تدفع الدراجة بضغط موطىء واحد دون الآخر فى الآن الواحد، ولكنها بالمران اليسير عرفت ذلك. وكانت تنسى فترفع قدميها الى المقبضين فكان لابد من ربطهما الى الموطئين، ولكنها عافت ذلك فكانت تهوى باليد اليهما لتحل الرباط فيصيح بهارب الدار عاتبا فتقلع. وأراد أن يعودها الاستقامة فى السير، فكان يحمل فى يده خوخة أو عنبة أو طعاما تراه مختارا ويقف به بعيدا ثم يلوح لها به وهى على الدراجة، فكانت فى بادىء الأمر تنزل عنها فيعتب عليها فتعود الى الركوب، وكان همها أن تصل الى الفاكهة من أقرب طريق فاستقام سيرها وكذلك طال. وأراد أن يعلمها كيف تنعطف فكان يلوح لها بالثمرة حتى اذا قاربته انزاح يمينا فتمر بدراجتها فى استقامة الى جانبه فلا تنال الثمرة فتصرخ وتدمدم لهذا الخداع، ولم تفطن الى تحريك المقابض الى اليمين، فأتى بابنه يحركهما لها فعرفت ذلك، وحرصت على القوت الشهى المغرى فتعلمت كيف تميل.

وكانت أحيانا يفوتها أن تنعطف فتصل بدراجتها الى مأزق كحائط أو ركن فتمد رجلها تدفع الحائط فتبعد عنها قليلا، ثم تُسير الدراجة الى الامام وهى تنعطف حتى تصل الى موضع أخلص من الحائط، فتدفعها مرة أخرى فتبعد عنها وهكذا حتى تخلص من المأزق تماما وقد نفد صبرها. ولكنها تعلمت أن تنزل عن الدراجة فتحملها الى الخلاص، فكانت تفعل ذلك فى سرعة البرق كلما تأزقت وهى غاضبة.

وكان يجتمع أطفال الجيران على دراجاتهم ويسيرون بها فى الطريق صفا يحملون الاعلام ويزأطون ويفرحون، فتتقدمهم ميمى على دراجتها تتعرف لهم المسالك وهى مثلهم زائطة فرحة مغتبطة حتى لتحسبها منهم لولا مظهرها.

وكان أمين المتحف يصطحبها معه الى مقر عمله فى سيارته فكانت تتشبث باصطحاب دراجتها فلا تنزل عند باب المتحف حتى تخف اليها فتركبها داخل المتحف. وكان من غرائبها كلما وصلت الى طبق الحديد الذى يغطى انابيب المجارى بأرض المتحف تترجل حتما وتجر دراجتها عليه ثم تركبها بعد تخطيه مع انه فى استواء الأرض لايحسه الراكب. وظهر منها هذا الشذوذ عينه لما سارت فى الطابق الأعلى فانها كانت صادفت فى بلاط الأرض صفا أسود تخطته راجلة.

وكانت تأكل مع صاحبها فى مطعم المتحف ظهرا فتسير اليه بالدراجة وتذهب الى مكانها دون تلكع فيهيجها صوت الآكلين وقرع الصحون وشميم الاطبخة فتصرخ فيبتهج لصراخها أصدقاؤها الكثيرون من حولها. وتدور بعينيها تطلب حاملات الطعام فاذا بصرت بهن هزت جسمها سرورا وتلفظت بالرضاء فاذا استقر الطعام أمامها رفعت شوكة أو ملعقة من ذات نفسها، وقد تخطىء فترفعها بيسارها فتنقلها الى يمينها ولكن بعد امساكها بفمها. وهى تأكل البسائط، فتأكل الخبز والزبد واللبن والبطاطس والسبانخ والفول الأخضر والخس والطماطم والفواكه وشيئا من اللحم أحيانا، واختصارا كل ماكان يأكله الناس. وهى تحب الحلوى كائنة ماكانت ساخنة أو مثلوجة واذا انتهت من الطعام بسطت منديلها فمسحت به وجهها.

وتشرفت ميمى بدعوة من رئيس المتحف الأمريكى العام للتاريخ الطبيعى فى وليمة رسمية كبرى، فذهبت فى سيارة الى بؤرة المدينة لأول مرة، فاخترقت الطرقات العظيمة على أضوائها الشديدة وزينات مسارحها الباهرة، فى جو ملىء بنغم الاوتار ونفخ المزمار وأدخنة السجائر والسيجار وأبواق السيارات وضجيج الحجيج من أهل اللباس الأنيق والزى الرشيق والذوق الرفيع. فأهاجت ميمى كل تلك المظاهر لاشك، ولكنها صمتت كأنما تفكر فى موطنها الافريقى. وجاء أوان النزول من السيارة فخفت ميمى الى دراجتها وسارت بها عبر البهو الى قاعة الطعام الكبرى فاتخذت مجلسها بين الضيوف، وجاءتها الصحفة بعد الصحفة، فأكلت بأدب من كل لون. وجاء دور الكلام فأصغت كأنها تستمع للخطباء فلم تنبس بكلمة ولم تطرف بعين الا عندما جاء المصورون يصورونها على ضوء المغنسيوم فانها أخذت تطرف لكل صورة حتى استتموا عشرا. وانتصف الليل فانفض الجمع وهم معجبون بميمى. وقال قائل منهم ما إلى هذا الحد يبلغ الأطفال من الأدب والكمال.

أضواء ثقافية

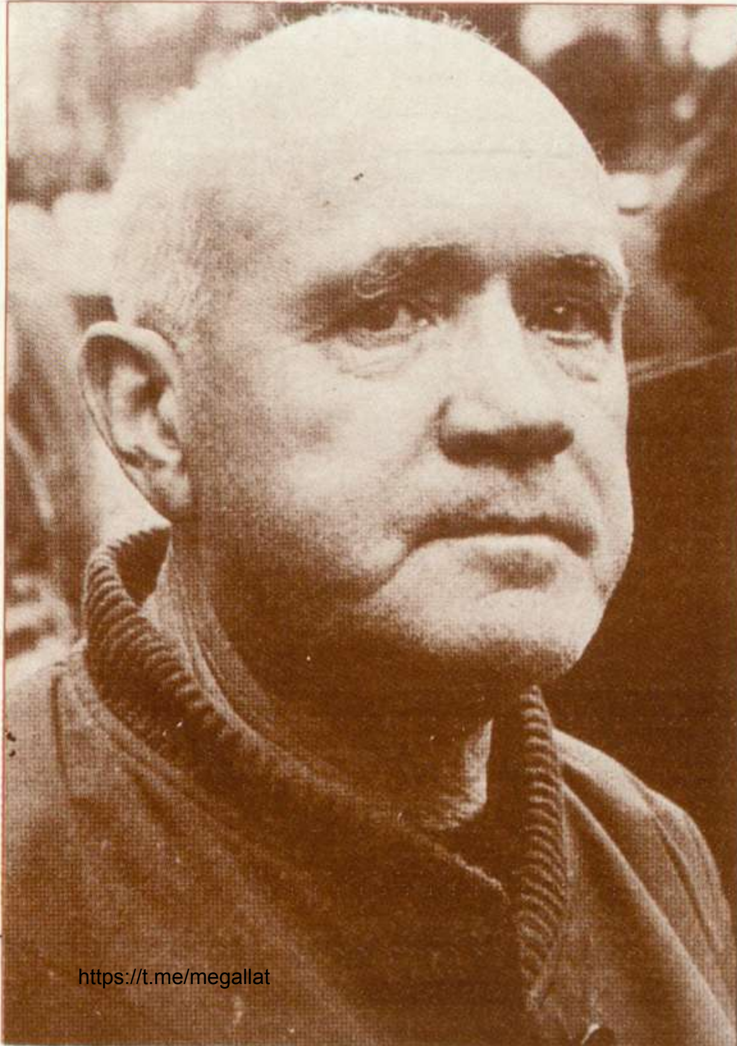
سيمون دي بوفوار ١٩٠٨ - ١٩٨٦
جان جينيه ١٩١٠ - ١٩٨٦

يقدمها: طلعت الشايب

إنّها نهاية مرحلة

جاك شيراك

جان جينيه



• أثناء الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٤ في فترة الاحتلال الألماني لفرنسا التقى ذلك الشاب الذي أصبح فيما بعد أشهر فلاسفة فرنسا المعاصرين وأكثرهم إثارة للجدل، وتلك المرأة التي أصبحت فيما بعد أشهر رائدات الحركة النسائية، وذلك المجرم المحترف الذي أصبح فيما بعد ـ أيضاً ـ واحداً من أشهر كتاب المسرح في لقاء يصفه سارتر بأنه «كان ودياً».

وفي يوم ١٤ ابريل ١٩٨٦ (قبل يوم واحد من الذكرى السادسة لوفاة (سارتر) ماتت سيمون دي بوفوار (٧٨ سنة) في إحد مستشفيات باريس أثر صراع مع أمراض الدورة الدموية، وفي اليوم التالي مات جان جينيه (٧٥ سنة) في أحد فنادق باريس ـ حيث كان يعيش منذ عدة سنوات ـ على أثر سرطان الحنجرة.

• سيمون دي بوفوار سليلة البرجوازية الفرنسية، كان والدها محامياً علمانيا ولكن أمها أصرت على تربيتها تربية دينية ولكنها أصرت بعد ذلك على دراسة الفلسفة بدلا من التخصص فى الدراسات الدينية.

جان جينيه ابن غير شرعي، تربي في أحد ملاجيء الدولة ثم أرسل ليعيش مع أسرة في وسط فرنسا، أصبح خادماً لأحد الكهنة في

كنيسة وكان الكاهن يعتقد أن لديه طبيعة دينية، اتهمته أمه بالتبني بالسرقة ... يقول سارتر: «في العاشرة من عمره تعرض ذلك الطفل الهادىء المطيع لتجربة رسمت مسار حياته كلها، فقد اتهم بالسرقة، ولقسوة إحساسه بالظلم «قرر أن يصبح لصاً». من جنحة إلى أخرى انتهى به الأمر إلى إصلاحية للأحداث بقي فيها حتى سن ٢١.

التحق بالجيش ولكنه ترك الخدمة بعد أيام قليلة ولم ينس أن يحمل معه حقائب بعض الضباط قبل أن يهرب.

— «كنت أحب السرقة»

— «كان لابد أن أصبح كل ما يريدون ... لصاً.. جباناً.. خائناً... شاذاً... أي شيء».

— «عندما تخلت عني أسرتي كان من الطبيعي أن أعمق في نفسي حب السرقة».

— «لقد تبرأت من عالم أنكرني وتبرأ مني».

جان جينيه — «مذكرات لص» — ١٩٤٩ —

• كان عمر سيمون دي بوفوار ٢١ سنة، وكان سارتر في الرابعة والعشرين عندما جمعت بينهما الدراسة في السوربون عام ١٩٢٩ وبدأ الحوار الفكري بين طالب وطالبة الفلسفة.

«كانت المرة الأولى في حياتي التى أشعر أنني التقي بإنسان أشعر أمامه بالضآلة» سيمون دي بوفوار.

ورغم أنها أعلنت وهي في التاسعة عشرة من عمرها أنها لا تريد لحياتها «أن تتبع إرادة أي شخص آخر» فقد قضت الجزء الأكبر من حياتها رفيقة قريبة منه وإلى أن مات في ١٥/٤/١٩٨٠ كانا يلتقيان يومياً كما يقضيان إجازتهما السنوية معاً (٦ أسابيع) في روما كل عام.

• قضى جان جينيه معظم عشريناته في السجون متهما بالسرقة والانحراف الأخلاقى وفي الفترة الممتدة من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٨ أثناء سجنه كتب «المحكوم بالإعدام» ١٩٤٢، «سيدة الأزهار» ١٩٤٤، «معجزة الوردة» ١٩٤٥، «طقوس جنائزية»، «خصومة في مدينة بريست» — ١٩٤٧ — أما «سيدة الزهور» فتحكي عن منحرف شاذ وقد طالب الناقد الشهير بول فاليري بحرقها وعارضه كثيرون.

وبعد أن تعددت قضاياه صدر ضده حكم بالسجن المؤبد مرة أخرى عام ١٩٤٨ وتدخل سارتر وأندريه جيد وبول كلوديل وجين كوكتو وآخرون من رجال الأدب وقدموا عريضة



سيمون دى بوافوار فى شبابها .. وفى السنوات الأخيرة من حياتها

احتجاج ضد الحكم وحصلوا له على عفو رئاسي.

— «هناك أناس كثيرون — وأنا واحد منهم — يحبون أن يكونوا داخل السجون، فالإنسان يحتقر الواقع الاجتماعي في حالته الراهنة».

— «العنف والحياة مترادفان تقريباً. فحبة القمح التي تنبت وتشق الأرض الصلبة، وخصوبة المرأة وميلاد الطفل جميعها أمور ترفع تهمة العنف فلا يتهم أحد الطفل ولا المرأة» — جان جينيه.

• كان سارتر قد أصبح مشهوراً كزعيم للفلسفة الوجودية ومتحدثاً رسمياً باسم المدرسة الجديدة (الوجود والعدم — ١٩٤٣) ولم تكن سيمون أقل شهرة، فقد حصلت هي الأخرى على جائزة جونكور من أجل روايتها «رجال الفكر» أو «المثقفون» أو «الصفوة» كما ترجمها البعض — ١٩٥٤ — والتي قدمت فيها مسحاً شاملاً للحياة الأدبية الباريسية ورأى فيها النقاد صوراً تنكرية ترمز إلى شخصيات مثل سارتر وكامو وغيرهم، كما روت فيها أيضاً ذكرياتها عن علاقتها بروائي من شيكاغو «نيلسون آلجرن» وهو الذي أهدت الكتاب إليه.

«الجنس الآخر» ١٩٤٩ كما ترجمه البعض أو «الجنس الثاني» كما يجب أن يكون الاسم ... مزيد من الشهرة لسيمون دي بوفوار فالكتاب هو أحد دعامات الحركة النسائية الحديثة وقد ترجم إلى ١٩ لغة وكانت تعتبره أفضل أعمالها. لم تكتف فيه بالقول بأن المرأة تعيش احباطاً مستمراً... فالمجتمع هو الذي يحدد هويتها ووضعيتها فيه..

— «المرأة لاتولد... ولكنها تصبح كذلك».

— ليس هناك قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقرر الشكل الذي تمثله المرأة في

أضواء ثقافية

المجتمع . إنها الحضارة ككل هي التي تنتج ذلك المخلوق والذي نطلق عليه اسم الأنثى » سيمون دي بوفوار .

• في عام ١٩٤٤ طلب جان جينيه من سارتر أن يكتب مقدمة لواحدة من رواياته فاستجاب له وكتب مولفاً ضخماً عن « جينيه » ـ ١٩٥٢ ـ قال فيه إن رواياته عن المجرمين والمنحرفين أخلاقيا تعكس « شراً كبيراً » و « أخلاقاً سوداء » وجن جنون الكاتب ... ويتذكر سارتر ... « أعطيته مخطوطة الكتاب .. حملها وذهب إلى المدفأة وألقى ببعض الأوراق في النار بعد أن مزقها » أصيب جان جينيه باكتئاب واحباط شديدين فتوقف عن الكتابة لمدة خمس سنوات .

ـ « عالمه الفني ملىء بالمتهمين والمجرمين والشواذ واللصوص . ورغم عنف موضوعاته إلا أنها تحوي شعراً جميلاً وحساسية فائقة ولغة غاية في الرشاقة .

مع كل كتاب له فإن ذلك الرجل الممسوس يصبح أكثر قدرة على السيطرة على ذلك الشيطان الذي يتلبسه » ـ سارتر .

• من أشهر الأعمال غير الروائية وأهمها لسيمون دي بوفوار مذكراتها التي نشرتها في ٤ كتب هي بالترتيب :

• « مذكرات فتاة رصينة » أو « مذكرات ابنة بارة » في ترجمة أخرى ـ ١٩٥٨ ـ .

• « عنفوان الشباب » أو « قوة العمر » ـ ١٩٦٠ ـ .

• « قوة الأشياء » ـ ١٩٦٣ ـ .

• « موت مريح جداً » ـ ١٩٦٦ ـ وهي جميعاً من أفضل أعمالها إلى جانب « رجال الفكر » و « الجنس الثاني » .

• في الستينات ساهمت سيمون دي بوفوار بنشاط بارز في جميع القضايا الاجتماعية والسياسية ـ التي تدعم أفكارها ـ ودعمتها بأفكارها فأدانت بعنف الاستعمار الفرنسي للجزائر ودافعت عن حق الجزائريين في المقاومة والاستقلال كما أدانت الدور الأمريكي في فيتنام .

وعندما بدأت حركة المرأة في فرنسا رسمياً عام ١٩٧٠ انضمت إليها وتحمست لها . وعندما عقدت محكمة لإدانة « الجرائم التي ترتكب ضد المرأة » كانت إحدى المنظمات لها .

أما بالنسبة لأمريكا فلم يتغير موقفها بمرور الزمن ... « إن الولايات المتحدة لن تتورع عن سحق أي حركة شعبية أو وطنية في اللحظة التي تشعر فيها بأنها تهدد مصالحها . » هكذا كتبت في أوائل السبعينات وعندما كان البعض يتوقع انهيار الولايات المتحدة كتبت تقول : « ولكن هذا الانهيار قد يسبب ثورة عالمية .. ولست أدري هل سيمتد بي العمر حتى أرى ذلك اليوم أم لا . » .

• في السبعينات تذبذبت المواقف العامة لسارتر وسيمون دي بوفوار ... رفضا الدفاع عن القضية الفلسطينية ورفضا أن يفهماها ... أما سارتر فمنذ عام ١٩٤٦ وهو عضو عامل في منظمة الجامعة الفرنسية من أجل فلسطين الحرة وكان من أوائل من باركوا مبادرة الرئيس السادات فكتب يبررها في اللوموند وسافر إلى اسرائيل ليحث عليها ويدفعها ...

أما سيمون دي بوفوار فلن ينسى لها العرب أنها أصدرت نداء لمناصرة اسرائيل أثناء حرب اكتوبر واستصرخت ضمير العالم أن يقف مع شعب الله المختار ويمنع إبادته على يد العرب .

وعندما أصبح كلود لانزمان هو المسيطر على مجلة « الأزمنة الحديثة » بعد أن تقدم سارتر في السن عمق ذلك الصهيوني الأصيل عداءها للعرب وتعاطفها مع اسرائيل وكانت صدمة المثقفين العرب فيها كبيرة ..!

• عندما عاد جان جينيه إلى الكتابة كانت العودة إلى المسرح .... فكان أحد أربعة قام على أكتافهم في الخمسينات « مسرح العبث » وهم « يوجين يونسكو » « وصمويل بيكيت » وآرتور آداموف » ..لغة متوحشة وخيال أكثر عنفاً وقسوة ... وفي عام ١٩٨٣ حصل على جائزة فرنسا الكبرى في الأدب ورغم أن كتاباته في العقد الأخير كانت قليلة إلا أنه كان باستمرار حاقداً على المسرح الفرنسي .



جان جينيه في تظاهرة من أجل فلسطين

الفلسطينيون على حق لأني أحبهم

« جان جينيه »



سيمون دى بوفوار عندما كتبت «المرأة العجوز»



دى بوفوار مع الوزيرة الفرنسية السابقة لشؤون المرأة ايفيت رودى وعدد من السيدات

في العام الماضي ـ ١٩٨٥ ـ قدم الكوميدي فرانسيز أعمالاً له . آخر مسرحياته هي «الستائر» ١٩٦١ وهي تدور في اطار الحرب الجزائرية من أجل الاستقلال .. «في أحد المشاهد البالغة السخرية يقدم جنوداً فرنسيين يديرون أقفيتهم في اتجاه وجه قائدهم الذي قتل في إحدى المعارك ويهزلون قائلين .... ليشم قليلاً من هواء فرنسا» .

• في الستينات اكتشفت سيمون دي بوفوار فقر ومذلة كبر السن بالنسبة لها وبالنسبة للآخرين «كبر السن وليس الموت هو الذي يجب أن يقارن بالحياة» هكذا كتبت في كتاب لها عن الشيخوخة «المرأة العجوز» ـ ١٩٧٠ .

«كبر السن هو محاكاة ساخرة للحياة ... بينما الموت هو الذي يحول الحياة إلى مصير» وعندما حول الموت حياة سارتر إلى مصير عام ١٩٨٠ كتبت تقول «موته لا يفرق بيننا ، وموتي لن يجمعني به مرة أخرى ... هكذا الأمور» .

• تحول جان جينيه من الكتابة (الرواية والمسرحية والشعر) إلى مناصرة قضايا متعددة كانت بالترتيب : النمور السوداء في أمريكا ، السجناء والعمال المهاجرين ، ثم القضية الفلسطينية .

في نهاية عام ١٩٧٠ ذهب إلى الأردن وعاش بين الفدائيين لمدة ٦ أشهر في القواعد والمخيمات أعلن بعدها «لقد غيرتني الثورة الفلسطينية ومن ثم فقد أصبحت ثورتي» .

وبعد مذبحة صبرا وشاتيلا الشهيرة زار بيروت وبعد ساعات من التجول في المخيمين كتب شهادة هي وثيقة أدبية وسياسية تدين العدوان الآثم وهي من أروع الأعمال التي كتبت عن تلك الجريمة الرهيبة . «الفلسطينيون على حق لأنني أحبهم» .

«شعرت بأنني قد أصبحت فلسطينيا وبأنني أحقد على اسرائيل» جان جينيه .

• في ١٩٨١ أصدرت سيمون دي بوفوار آخر أعمالها «وداعاً سارتر» وهو ملخص لحياته في أواخر أيامه وفيه كشفت تفاصيل كثيرة وعيوباً شخصية مما أثار عليها ضجة كبيرة من أولئك الذين كانوا ينتظرون منها أن تضع باقة من الزهور على ضريحه في ذكراه ، ولكنها رفضت جميع الانتقادات ورفضت أن تحيي ذلك التقليد الهندي القديم بأن تموت إلى جواره .

ـ «لقد كان رجلاً حقيقياً يعرف كيف ينتمي إلى الحقيقة وكيف يبحث عنها وعندما وضعت كتابي كنت واثقة أن هذا أفضل ما يمكن أن يقدم لرجل لا يزال حياً» .

ـ «كشفت عن سارتر الجانب الذي كان الناس يريدون أن يعرفوه ، فلسفته ليست تعبيراً امبراطورياً عن أفكار تجول في وجدان الشخص . إنها الدخول إلى أعماق الناس»

ـ «لقد قلت أكثر من مرة إنّ هذا الكتاب هو من أجل سارتر وليس عنه .

لقد حاولت أن أضيء بعض المشاهد غير المعروفة في حياته لكي أظهر كيف أن الارتجاج هو انعكاس جزئي لزلزال يتشكل داخل عقل الفيلسوف» .

• عندما مات جان جينيه كان يراجع البروفات النهائية لآخر أعماله وهي رواية بعنوان «السجين العاشق» والتي نشرتها بعد موته دار نشر جاليمار بباريس .

• (سارتر ١٩٠٥ ـ ١٩٨٠) سيمون دي بوفوار (١٩٠٨ ـ ١٩٨٦) (جان جينيه ١٩١٠ ـ ١٩٨٦) برحيل صاحبة «الجنس الثاني» وصاحب «سيدة الأزهار» انتهت مرحلة «مالرو» و «مورياك» و «مونترلان» و «كامو» و «أراجون» و «سارتر» لينسدل الستار .

طلعت الشايب

حوار مع الشاعر فاروق شوشة

عرفته ..

صوتاً ، يغرس النخيل ، البحر ، العصافير ، مواقد الحنين ، وأشرعة التوق ، مواسم الدفء ، وليال « كان الشجر ، الساجي في عينيها يبكي » يغرسها في قلبي الصغير ، فينتفض مهاجراً وراء « حلم أثقل الجفون » .

و.. عرفته

شاعراً ، نحمل معه « التذكار والأمس الذي فاتا » ، وكنا « قد ظننا الشوق جاوزنا ، وانداح عنا » ، نطوي قلوبنا معه على رجاء ذابل « لو يسعف النهار » ، لكنها « اللفظة التي تموت دون أن تمسها شفه » .

و.. « فاروق » كما قال عنه رجاء النقاش :

« فاروق شوشة واحد من ألمع شعراء المدرسة الجديدة ، مدرسة الشعر الحر . وهذه المدرسة في جوهرها مدرسة واقعية ، أي أنها تستمد نبضها الفني من المعاناة الفعلية للحياة وليس من الخيالات والأوهام والأحاسيس الغامضة ، وهذه الواقعية كانت — وما تزال — ميزة جوهرية للشعر الجديد ، ولكنها في نفس الوقت كانت مأزقاً لهذا الشعر . فقد انساق الكثيرون من شعراء هذه المدرسة مع احساسهم الواقعي الى الحد الذي فقدت فيه القصيدة عندهم كثيراً مما يحتاج إليه الشعر ليصبح شعراً . فقد جفت ألفاظهم وامتلأت صورهم بالخشونة وضعف فيهم الاحساس الموسيقي ، وأصبحت القصيدة في حالات كثيرة نوعاً من الأدب النثري البارد . وهنا يبرز دور فاروق شوشة وأمثاله من كبار الموهوبين في المدرسة الجديدة ، لقد استطاع فاروق شوشة أن يكون جديداً وواقعياً ، وأن يحتفظ لشعره في نفس الوقت بعذوبته وموسيقاه وغنائيته ومادته الفنية الخاصة واستقلاله عن غيره من الأصوات الشعرية الأخرى ، ويعود ذلك إلى أصالة الموهبة عند فاروق ، وإلى أسباب أخرى هامة منها أنه وثيق الصلة بالتراث

- قريتي اسمها "الشعراء".. وهذا هو سبب التسمية
- كَمْ من المبدعين أحببتهم قارئًا وندمتُ على معرفتهم أشخاصًا !
- أنا لم أُضِفْ إلى الشِّعر.. الشعر هو الذي أضاف لي
- التوجُّه الإعلامي الصّاخب في الشعر العربي أفسد الكثير من وظائفه الفنّيّة
- سطور من رسائل محمود حسن إسماعيل الخاصة



الشاعر فاروق شوشه

الشعري العربي ، ولو لم يكن فاروق شوشة شاعراً كبيراً لكان واحداً من أبرز الرواة للشعر العربي والدارسين له والعارفين بأسراره الفنية . ومن هذه الأسباب أيضاً أن فاروق لديه حاسة نقدية ... معاصرة ونادرة معاً . ومن خلال هذه الحاسة النقدية استطاع أن يجيب – داخل نفسه – عن سؤال أساسي هو : ماذا تعني كلمة الشعر؟ ... ولأن فاروق استطاع أن يجيب عن هذا السؤال ، عرف كيف يحفظ لقصيدته روحها الشعرية الحقيقية ، فلا تخرج أبداً عن ميدان الشعر لتصبح خطبة أو مقالاً أو شعاراً أو لغزاً غامضاً أو تقريراً جافاً عن حادثة شخصية . إنه يعرف الحدود الفاصلة بين دولة الشعر وغيرها من الدول على خريطة العالم الأدبي . وهو لا يتجاوز الحدود الشعرية أبداً ، لأنه لو تجاوزها لأصبح شاعراً بلا جنسية ، مثل الكثيرين من الذين يتجاوزون هذه الحدود ، بحجة أنهم يملكون باسبوراً اسمه «الشعر الجديد» أو «الحداثة» أو ما إلى ذلك ، وهذا الباسبور يبيح لهم التحرك خارج الحدود فيخلطون الشعر بالدراسة والبحث والشكوى الخاصة ودساتير الأحزاب السياسية وأرقام الحساب ورموز الجبر والهندسة ، ولا يدرك هؤلاء أن الباسبور الذي يحملونه هو باسبور مزيف ، وأن من حق السلطات الأدبية القبض على أصحابه بتهمة التزوير في أوراق فنية .

ولأن فاروق صاحب صوت من أجمل الأصوات الإذاعية التي عرفها الوطن العربي وأصدقها وأقربها إلى القلب فقد عرف من خلال هذه الموهبة ما تمتلىء به الكلمة العربية من كنوز في الايقاع والموسيقى ، ولم يهدر هذه الكنوز في شعره لأنه يعرفها ويتذوقها على أحسن وجه ... والخلاصة أن فاروق شوشة شاعر كبير والقول فيه يطول ، ولا أريد أن أصادر حديثك مع فاروق لأتحدث أنا ... فذلك مني عدوان على الحدود ... وأنا أطالب بالتزام الحدود !» .

• فاروق «أيضاً كما وصفه الشاعر أبوسنه «فيض من العذوبة والغنائية يتدفق في شعره ، يستلهم قلبه ، ويطلعنا على صورة لا تتكرر للحب السعيد في عصر كثرت فيه الأحزان ، وهو من أندر الرجال في زماننا الذين يمتلكون الفهم والحب والخلق» .

و.. لأن الكلمة الندية صدفة العشاق ، ودثار الرغبة ، فقد استمالت كلماته أرجوحة أشواق : «لو تمطرني عيناك بألف سحابة شوق ، وأنا كعابد في المحراب بقايا توق ، برغم ابتعادك عني ، أنادي ، برغم اقترابك مني ، أنادي ، وأعلم أنك فيَّ ، وأن طريقي إليك يؤدي إليَّ» .

فاروق .. يتذكر ..

• في بيت وسط الحقول ولدت ، فانتقى إحساسي بالبناء والجدران ، كان هناك الخلاء ، الخضرة والسماء ، قطعة أرض صغيرة أزرعها ، وشجرة زيتون صنعت فيها بيتاً من الأسلاك والقش ، كانت مأواي خلال المراحل الأولى من الدراسة ، وخلال اكتشافاتي لما يستحق أن يقرأ .

• والدي معلم ابتدائي ، في صيف عام ١٩٤٨ اجتاح وباء الكوليرا مصر ، منعت من الخروج من البيت شهوراً ثلاثة ، اكتشفت فيها مكتبة بيتنا المتواضعة التي تضم أعداداً ضخمة من مجلتيْ الرسالة والرواية والشوقيات ، بدأت التقليب فيها بدافع الفضول ، ثم سقطت في أسر الكلمات .

• وأنا مدين للغة القرآن بأمرين أحدهما : أن كثيراً من كلمات المعجم القرآني التي ترددت بعد ذلك في الإطار المدرسي أو الثقافي العام أصبحت مألوفة ، وربما كانت مدخلاً لتذوقي الشعر الجاهلي ، وأن جهازي الصوتي تدرب منذ وقت مبكر على أن أي كلمة لم تشكل عائقاً في النطق أو الاعراب أو الضبط الصوتي والأدائي .

• خلال ليالي رمضان كنت أسمع في مقاهي القرية شعراء الربابة يرددون السير الشعبية . ويبدو أن هذا التأثر الأول هو الذي قادني إلى قراءات مبكرة في السير الشعبية ، والبحث عن أصولها عندما انتقلنا إلى دمياط ، ومن سيرة عنترة وديوانه تعلقت بالشعر الجاهلي وعصره ، عصر الحرية الكاملة للإنسان والشاعر العربي ، عصر الانتماء للقبيلة والتمرد عليها ، عصر الإحساس بملكية العالم والكون والانسحاق أمام خشيته ، والإحساس بأن الحياة هشة ، تتحول إلى أطلال ، وأن الإنسان يتمنى لو كان حجراً ثابتاً ليبقى ، لذلك ليس غريباً أن أدرس اليوم لطلبة الجامعة الأمريكية الأدب العربي القديم .

• يرجع اسم قريتي «الشعراء» إلى فترة الحروب الصليبية ، كانت دمياط ميناء رئيسياً ومدخلاً لجيوش الفرنجة ، وفي موقع قريتي كان يعسكر شعراء الربابة لإثارة حماسة الجنود .

• أنا مدين لأول قصة عاطفية في القرية . كانت استحضاراً لهدف بشري جميل هو الصوت الآخر الذي يضيق عالم القرية على أن يوفره لي ، هذا الصوت دفعني للانشغال بفكرة أن تحققي شعرياً من شأنه أن يوصل هذا الخفق المتوهج لمن أحببتها ، لذلك طبعت – في المرحلة الثانوية – مسرحية على نفقة المدرسة ، لا لأنها مسرحية ، ولكن لأضمن الكتاب خمس قصائد مكتوبة إلى الحبيبة ، وأهدي أباها العمدة نسخة من هذا المطبوع ، هذه التجربة كانت البداية التي جعلتني أربط بين الكلمة الشعرية والإنسان ، لم يكن الشعر – عندي – مرادفاً لتجارب متخيلة أو بحثاً عن نموذج بشري غير متحقق .

• تعرفت – في مرحلة الجامعة – بمجموعة من الزملاء الذين كانوا يمثلون بواكير التفتح نحو حساسية جديدة في المعايير الثقافية والأدبية ، منهم د. عبدالمحسن طه بدر . ورجاء النقاش ، كان جيلنا يموج بفكرة اكتشاف البعد القومي للوجود وللثقافة المصرية ، وفكرة الوجه العربي لمصر ، ولعبت روابط الطلبة العرب دوراً كبيراً في صقل وجداننا ، وأعتقد أن ذلك المناخ الذي عشته طوال سنوات الجامعة منشغلاً حتى النخاع بذلك المد العربي أضاف لاهتماماتي الشعرية والأدبية بعداً أساسياً في الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي وإن كان لها تأثيرها الايجابي من حيث الوعي العميق بمشكلات الانسان العربي ، إلا أنها كانت مقيدة لقدرة المبدع على الاسترسال في تشربه الوجداني الحميم للأشياء دون تفلسف أو

حوار مع الشاعر
فاروق شوشة

تنظير أو منهجية .

• في الخمسينات كانت تتشكل وتتخلق الملامح الأولى للقصيدة الجديدة ، وكنت أحس أن ثمة وتراً داخلياً ينبهني دوماً إلى فكرة التشكيل والاحساس العربي للقصيدة ، ليس معنى هذا الالتفات إلى القيم الكلاسيكية ، ولكن إلى فكرة عروبة القصيدة .

• أهم التجارب وأعمقها كانت مع بدء عملي في الإذاعة ، تجدين اهتزازاتها في ديوان « إلى مسافرة » و « لؤلؤة في القلب » . و « العيون المحترقة » . كانت راداراً حساساً يتوقف عندما أكتبه ، لا أقول كانت القارئ الأول ، بل الأوعى والأكثر حساسية وربط بين ما أقوله والواقع الذي أعيشه ، كنت أحس معها أنه ليس من الصعب أن تتحقق مقولة الشاعر القديم :

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد

الكتابة بالفؤوس !

قلت لفاروق شوشة :

• في تقديمك لأعمالك الكاملة — التي وصفها أحمد بهجت بأنها عمل يضيء بالصدق — قلت انك شغلت عن الشعر حيث كان يجب الالتصاق به أكثر ، وأنك تعللت بري زائف ، متصوراً أنه يعوضك عن ذلك العطش الصميمي .

— من البديهي أن ما حدث قد حدث ، لم تكن الإذاعة في خاطري ، كنت أهيىء نفسي للعمل بالجامعة ، التحقت بكلية التربية ، كنت أول دفعتي ، ورشحت لبعثة في التربية المقارنة ، لكن وجدتني بالإذاعة ، شغلني جوها الغريب الجديد ، بدأت المكونات القروية تجد حلولاً ، « هيصة » كما نقول ، ووجدت نفسي بعد سنوات أمام تحذير من د . علي الراعي — الذي كان كبيراً للمذيعين — يقول أحذرك من الإذاعة لأنها مهنة التفاهات اللذيذة .

لقد دخلت الإذاعة في الوقت الذي كانت فيه حركة الشعر تتسلل إلى نوافذ المجتمع بحثاً عن نقاط ضوء ، تصورت أن مهمتي الأساسية في الإذاعة هي الوصول بهذه الحركة الشعرية إلى الناس على الرغم من حصار الأجهزة الرسمية وقبضة الجهلاء في مواقع الحياة الثقافية المختلفة ، اعتبرت هذا قسماً غير معلن بيني وبين نفسي ، شغلتني العلاقة مع الشعراء وقصائدهم ، ملأتني بري وهمي جعلني انصرف بقدر كبير عن الالتفات إلى مسئوليتي عن نفسي كشاعر ، لكني أفقت بعد سنوات ست . وهذه السنوات لم تخل من إفادات . فقد تعرفت على كثيرين ، وإن ندمت على معرفة معظمهم ، فكم من هؤلاء المبدعين أحببتهم قارئاً ، وندمت على معرفتهم أشخاصاً ، وأعتقد أن كل من أتيح له مثل دوري خرج بنفس النتيجة ، لذلك بدأت هذه العلاقات بالاتساع وانتهت بالانكماش ، وعندما أتلفت بحثاً عن أصدقاء أدرك أنهم أصدقاء الخمسينات فقط ، أما من يسمون كبار الأدباء والمبدعين فالكثير منهم أفضل أن أتعامل معه قارئاً .

• من المسئول عن صدمة اللقاء ؟

— نحن المسئولون كقراء عن صدمة اللقاء ، ننسج من خلال المكتوب على الورق صورة جميلة جداً ومكتملة وفاضلة ، بعيدة عن النقائص والرذائل ، نرسم ونطرح على الشخصية المقروءة كل ما نتطلع إليه من فضائل وقيم ، ونتصور أن حاملي هذه القيم المطروحة على الورق ، لابد أن لديهم ولو نصف الحقيقة ، ثم نلتقي بهم ونتعامل معهم ، فنكتشف أن جزءاً كبيراً من هذا المطروح على الورق هو تعويض عن فقدانهم لهذه القيم ، وليس نابعاً منها أو استمراراً لها ، أو انسجاماً معها ، نحن المسئولون أولاً ، ثم المجتمع بما فيه من تشوهات وسعار وتنافس غير شرعي ، لأنه تنافس بالمناكب والخناجر ، وكتابة بالفؤوس — التعبير لأحمد بهاء الدين — جو الغابة هذا هو الذي يدفع حتى المستأنسين من المبدعين إلى أن تنمو لهم أظافر ومخالب بمرور الوقت ، على الأقل ليدافعوا عن شرعية بقائهم في الساحة وليتحولوا إلى أراذل وسفهاء .

• ما هي الإضافة التي حققتها كشاعر ؟

— إضافة ! هذه كلمة — كبيرة جداً ، لم أشغل نفسي بها قط . الشعر هو الذي حقق لي الإضافة ، بمعنى أنني من خلاله قارئاً ومبدعاً أتيح لي أن أتحاور مع عقول ونفوس كبيرة أحببتها ولي معها صداقات حية ، كصداقتي مع المعري وابن الرومي والمتنبي وعروة ابن الورد : كشف لي — الشعر — خيوط العلاقة الحميمة بيني وبين الكون جماداً وحياة ، جعلني أرى بعمق وشمول قبح الأشياء وعلاقته بتفسير الجمال ، دفعني لأن أتعامل مع الآخرين على مستوى الطبقة الجيولوجية العميقة ، وليس على مستوى القشرة الخارجية الهشة .

نقاد .. من الذاكرة !

• سألته عن المراحل التي مر بها شعره الذي يتسم — كما قال أحمد فضل شبلول — بالرؤية الواضحة والتمكن من الأدوات الشعرية إلى جانب السهولة في التعبير والعذوبة في الغناء .

— قال : — مرحلة التأثيرات الأولى التي يقع في أسرها كل شاعر مبتدئ ، يحس أن ما يأسر انتباهه صخب الكلمات وجرس الألفاظ والنبرة العالية ، الرنين المحكم للقافية وضراوة وفحولة المعمار الشعري ، هذا التأثر استشعرته عند قراءتي لشوقي وحماسة أبي تمام والبحتري ، وكان في مصر وقتها شاعر (جهير) اسمه علي الجارم لم يعد يتذكره أحد سواء على مستوى القراءة أو التأثير لأنه خير مثال للجلجلة الشعرية الاعلامية ، وأعتقد أن توجه الشعر العربي منذ بدايته — وحتى اليوم — إلى الاعلامية وتبني وظيفة الصحفي والإذاعي قبل أن توجد هاتان الوظيفتان في المجتمع العربي ، أفسد الكثير من داخلية الشعر والشاعر ، وجعل عودة الشاعر إلى وجدانه في كثير من المراحل أمراً صعباً لا يتوصل إليه إلا شعراء أتيح لهم قدر كبير من المعاناة والصدق ، وعندما بدأ العصر الحديث بفكرة الشعر المهموس وتلقف النزعة المهجرية في التعبير ، كان ذلك يعني إقامة التعادل بين موقف الشاعر وطبيعة انتمائه ، هل هو إلى ذلك الصخب الخارجي أم إلى نبع الوجدان الذي وإن كان هامساً إلا أنه يملك أن يكون صاخباً ومدمراً .

• و .. المرحلة التي تلت ذلك ؟

— هي المرحلة التي اكتشفت فيها أنني واحد من المشيعين لجنازة الحركة الرومانسية في مصر ، بالمعنى الذي أبدعه ناجي وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ، ووجدت نفسي مع دموع المأتم الأخير سعيداً ومغتبطاً ، فنحن تسعدنا الجنائز ، وتستثيرنا الدموع ، خاصة إذا كانت حول فقيد ليس فقيدنا ، كنا في مأتم الرومانتيكية نبكي من لا صلة لنا به ، لأننا لا نعرفه ، ولم نتعامل معه وإنما هو بكاء التهويم .

• إذن متى تؤرخ لبدايتك الشعرية


محمد المهدى الجواهرى


أدونيس

الحقيقية ؟

ــ منتصف الخمسينات عندما وجدت نفسي أكتب بطريقة الشعر الحر تحت ما يفرضه علي وجداني وإحساسي بأن هذا النموذج ، وهذه الصيغة الشعرية ، هي قصيدة العصر.

• بدأت متأخراً عن مرحلة الرواد .

ــ هذا صحيح ، لكن هذا التأخر بالنسبة لجيلنا عموماً أعطاهم الفرصة لكي يبتعدوا عن الحدة الشديدة في التوجه التي صنعها شعراء الموجة الأولى ، الذين اندفعوا ــ في أقصى درجات ثورتهم على الكلاسيكية ــ إلى قصيدة كانت بالنسبة لنا مغامرة واكتشافاً ، لكنها من حيث البناء والمعمار الشعري هشة ، لأنها تغلي بالانفعال الشديد والمغامرة الشديدة ، كما يتحرك بندول الساعة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، شعراء جيل الستينات هم الذين شكلوا للقصيدة الجديدة صيغة أكثر توازناً ، من حيث المعمار المحكم ، والشرعية العربية ، والحرص على سلامة الأداء الموسيقي الذي كثيراً ما تهشم في تجارب الرواد ، تحت دعوى التجديد والخروج على العمود الشعري ، ووحدة البيت ، استطاع ــ شعراء الستينات ــ أن يفيدوا ، لأنه أصبح بين أيديهم ميراث الرواد الشعري ، فجعلوه ضمن تراثهم ، وتمثلوه ، لا ليقلدوه ، ولكن ليضيفوا ويبتعدوا عنه مسافة .

• هل أنصف النقاد شعر جيل الستينات ؟

ــ لم يدرس بعد الدراسة الفنية التي لا تخلط بين البعد الاجتماعي والحضاري ، والارتباط بنكسة ٦٧ ، ومناخ ما قبل أكتوبر وما بعده ، هذه المداخل للنقد العربي أفسدته ، وأعتقد أن الكثيرين ممن يكتبون نقداً وقعوا في الأسهل ، وهو باب الإفضاء الاجتماعي والتعرف على التضاريس الحضارية وأبعاد النكسة ، وملامح ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ولا أعني بهذا أن هناك انقطاعاً بين الظاهرة الشعرية والأدبية لكني أقول إن كثيرين تتقطع أنفاسهم في هذه الدائرة ، وعندما يصلون إلى النص الأدبي لا يجدون ما يقولونه ، وقد أتيح للرواد حركة نقدية اهتمت أكثر بالصيغة الاجتماعية والحضارية ، وكان هؤلاء الشعراء الرواد بالنسبة لمن كتبوا عنهم مقدسون أدبياً لأنهم مبشرون بشيء جديد لكن التعامل مع البنية الشعرية الجديدة لم يتم بعد ، اللهم إلا من خلال اجتهادات جزئية .

• و .. ماذا عن نقاد جيلكم ؟

ــ أشد ما ابتلي به جيلنا ، فقدانه مواكبة نقاده الذين تبعثرت قافلتهم لظروف كثيرة ، وكانوا هم الأقرب لفهمه ، وتمثل حساسيته ، والأكثر إدراكاً لعناصره ، أما من يسميهم المجتمع نقاداً كباراً فهم للأسف لا يفهموننا ، وعاجزون عن متابعتنا ، إما لأنهم يكتبون من الذاكرة ، أو لأن قراءاتهم توقفت عند الخمسينات ، أو لأنهم يستشعرون بحكم المكانة والسن والأهمية أنهم أكبر من أن يكتبوا عن هؤلاء الصغار ، الذين مازالوا يسمون شباباً رغم أن بعضهم في العقد الخامس من عمره ، وإما أنهم اكتشفوا أن المضمون دائماً أن تكتب عن الأسماء الكبيرة ، لأنهم سيجدون ما يقولونه من خلال ما قاله الآخرون ، وهم في هذه الحالة ليسوا مطالبين بجهد ابتكاري .

• كل ما ذكرته عن أزمة النقد لا يبرر لي هذا الإهمال والتجاهل لأعمالك ، بدليل أن شعراء من جيلك نالوا من الدراسات النقدية ــ وإن خلت من الشمول في رأيي ــ الكثير .

■ بعض الشعر الآن مليء بألاعيب الحواة وبهلوانيات السيرك

ــ ربما لم يجد من يتصدون للنقد ما يستوقفهم في شعري ليكتبوا عنه ، ويبقى السؤال الأهم ، هل يشغل المبدع نفسه بمن يكتب عنه أو لا يكتب ؟

• المتابعات النقدية وقود رئيسي لاستمرار المبدع وتطوره .

ــ ربما يفسر هذا أنني لم أكن مستمراً في الكتابة بصورة كافية ، ولم أكن موصلاً لما أكتبه بصورة كافية ، وربما طغيان ملمحى الإذاعي عطل وصول ملمحى الإبداعي ، أحياناً يتاح لوجه قدر من الشعبية يؤثر بالسلب على الوجوه الأخرى ، وبالنسبة لي فإن الدائرة الأولى هي دائرة المستمعين للإذاعة أو المشاهدين للتلفزيون ، هؤلاء بالملايين ، بينما لا يزيد عدد قراء الشعر لأكبر شاعر في مجتمعنا العربي المتخلف عن بضعة آلاف .

• هل تخاف النقد ؟

ــ النقد الذي أستقبله وأقرأه نوعان : نقد جاد أملك أن أفيد منه مهما كان قاسياً ، ونقد أضحك له إذا كان مغرضاً أو ساذجاً أو صادراً من غير ذي أهلية .

• من الذي خدم الآخر الشاعر أم الرجل الإعلامي ؟

ــ أخشى أن أقول إن العمل الاعلامي خدم الشاعر لأنه جعل اسمه معروفاً ومتناولاً وشائعاً ، خدمه بقدر ما أساء إليه من طغيان للملمح الإعلامي .

رسائل خاصة

طلبت من « فاروق » أن يسمح بالاطلاع على نماذج من الرسائل التي ترد إليه ، فوافق دون تردد ، أطلعكم على بعض سطور منها دون تدخل أو تصحيح : ــ

١ ــ مع احتقاري الشديد للإفلاس الفكري في برنامجك من خلال أشباح الماضي : أمينة السعيد ، زكى نجيب محمود ، توفيق الحكيم ، يوسف إدريس . و .. متعاطف ومتفهم ومحب للهوية العربية ، وأرفض وصفها بالرجعية ، بل ما يمثله أشباح الماضي من فكر أوروبا الاستعماري هو الرجعية » كيميائي أحمد عبدالفتاح ــ عضو الجمعية الكيميائية الأمريكية سابقاً .

٢ ــ « لماذا لا نستمع للجيل الفائت ؟ أين الشاعر الكبير صلاح عبدالصبور الذي لم يأخذ أي اهتمام ، ولم يدرس له على طلبة الثانوية غير قصيدة جعلت الطلاب يهربون من قراءته ، وأين زملاء جيله العرب : حجازي ، أدونيس ، السياب ، الرصافي ، وفدوى

حوار مع الشاعر

فاروق شوشة

طوقان؟ وأين الجيل الجديد: عبدالجواد طايل، أحمد سويلم، ونور نافع، ولا نسمع في الساحة سوى صوت فاروق جويدة، د. حسين أحمد حسن رشوان

٣ — فكرت بزيارتكم بالمكتب لتقول لي رأيك فيما أكتب ذلك خوفاً من إرسال الخطابات حتى لا يعرف من في البيت، وذلك لأنك كما قلت ما زال رأي الفتيات مصادر، ولا تستطيع أن تعبر عما يدور بداخلها، ولقد وجدتك أول إنسان لا يصادر رأي بناته». ابنتك الطالبة ح. ف. م

٤ — «نحن نستمع إليك كل ليلة، ومحبوك كثيرون وكثيرات، قبل أشهر قرأت في أحد كتبنا القديمة قصيدة لسعد بن ناشب، قالها بعد أن هدم الحجاج بيته وحرقه، فوجدت أنها تطابق في معانيها واقع الحال عندنا، وخطر ببالي أن أبعث بها إليك لتقرأها في برنامج (لغتنا الجميلة)». فدوى طوقان/نابلس ١٩٦٩

أحزان الفقراء

عندما سألت الدكتور أحمد هيكل عن أهم ما يميز فاروق شوشة الانسان والشاعر، قال: — «انه من أشد من عرفت في حياتي وفاء، ولا أذكر أني احتجت إلى قلب صديق ينبض إلى جانبي في أزمة، إلا وجدته هو هذا الصديق، وإذا كان كثيرون من أصحاب الشعر الحر يتشابهون، فإنه من القلائل الذين تتضح في شعرهم أصالتهم ومعالم فنهم، بدءاً من التجربة وانتهاء بالصورة والكلمة والنغم»

• و.. سألت شاعرنا أن يحدد لي ملامح الأبيات التي اخترتها:

حين تصوغ من عجائب القرار فعلك الجريء
وسعيك المبارك البريء
ونفحة المَلَك

— كنت أرسم صورة لشخصية طاغية تصور أنه يستند إلى وحي يوجهه إلى الخير ويدنيه من الأنبياء، ويجعل توجهاته كلها صائبة، وعلى الآخرين أن يستقبلوها على أنها الرسالة السامية للبشر.

• كنت فيهم.. واحداً منهم.. لهم
حبة القمح وجلباب الشتاء
ويد الرحمة في نفح البلاء
والأب الحاني إذ عز الدواء

— عبدالناصر، الذي يدين له جيلنا، لولاه لما تعلمت أو قرأت وكتبت، وعندما سميت قصيدتي أحزان الفقراء، كنت أتكلم باعتباري فقيراً وما أزال، وأعتبر أن دور عبدالناصر الأساسي كان مع ومن أجل الفقراء.

• أدعوكم يا أصحاب ويا أحباب ويا فقراء
من يثقب ظلمة هذا الليل

— هذه أول قصيدة أكتبها بعد النكسة، أحسست أننا لم نستفد من الزلزال، ويبدو أننا بحاجة لزلزال أعمق لنستيقظ.

• ألمح صورة الخيانة في شعرك واضحة، هل هزمتك امرأة بالخيانة؟

— لم أعش الخيانة مع امرأة قط، ربما لو عشتها لأشعلتني بشكل آخر كشاعر، الخيانة في حياتي دائماً هي خيانة الأصدقاء.

• رسالة إلى حبيبتك بم تبدأها وتنهيها؟

— باسمها المجرد فقط، لأنه يتحول إلى كيان خاص لا يجب أن أسيء إليه بوضع مفرده، وأنهيها باسمي مجرداً أيضاً.

• قصيدة لك، تذكرها دائماً؟

— «بيت فوق شجرة» التي أقول فيها: —
كانت شجراً، ينمو فيَّ، وأنبت فيه
تلتف الأغصان بروحي،
يفرخ طير بين حنايا القلب،
ويورق عمر،
يسقط ظل،
تعشب أرض، كانت عطشى.

• و.. قصيدة لشاعر عربي؟

— في الخمسينات كانت «أنشودة المطر» للسياب، ولا أعتقد أن هناك قصيدة بعدها كان لها نفس الأثر والدوي والصدى العميق في وجداننا.

• هل تبكي؟

— في لحظات المحبة الدافئة، ولحظات الوفاء.

• يقول نزار «الورقة البيضاء أمامي جسد لا أعرفه، فراغ بارد يبحث عمن يغطيه، ومرفأ مفتوح لكل البحارة».

— الورقة البيضاء وجه بارد ميت يشعرني بالخوف ورعدة الإحساس، القبح الذي لا يزيله إلا الكلمات.

• يقول بودلير «الجمهور فيما يتصل بعبقريتي ساعة تؤخر» من هم الشعراء العرب الذين من الممكن أن يرددوا هذه المقولة وتشعر أنهم على حق؟

— أبو العلاء المعري.

• و.. من المعاصرين؟

— عبد الصبور وأدونيس.

• لو أقيم مركز للعلاج بالشعر في عالمنا العربي على غرار المركز المقام في نيويورك، من هو الشاعر العربي الذي تصلح قصائده لعلاج المجهدة نفوسهم؟

— كل قصائد كاشفة ومحملة برصيد من الوعي الإنساني، وتحضرني الآن نماذج لابن الرومي.

• قصائد معاصرة؟

— الكثير من قصائد عبدالصبور، نزار، حجازي، وأمل دنقل، كل منهم اكتشف قشرة من النفس الانسانية، ربطوا بينها وبين صراعاتها على مستوى الذات والحياة والمجتمع والوجود.

• من هو المبدع، هل هو الفنان الذي يستجيب لذوق العصر، أم الذي يفرض فناً جديداً، عاصياً ومتمرداً وغازياً «تعبير د. الطاهر أحمد مكي»؟

— لا أستطيع الفصل بين المبدع وعصره حتى لو أراد وجعلها قضيته، التمرد على المرفوض هو أيضاً ارتباط به لأنه يحمل نوعيته، بمعنى أن نوعية تمردي يشكلها انتمائي لما أتمرد عليه، وبالتالي عندما أتصور نفسي غازيا ومتمرداً، فأنا في الواقع لست منفصلاً عن ما أغزوه وأتمرد عليه، المبدع الحقيقي مزاج بين المقولتين معاً.

• يرفض أدونيس أن تكون الرؤيا عرضاً لايديولوجية، بينما يؤكد سميح القاسم على ضرورة ارتباطها بعملية الخلق.

— الأيديولوجية مستسرة في أعماقنا، لا أعتقد أن هناك مبدعا واعياً يخلو من تصور معين لها، الذي قد يضيق ليعبر عن انتماء سياسي حاد، أو يتسع ليعبر عن انتماء انساني، لكننا لا نستطيع أن نخرج من أسرها، لأنها تعني المنطلق الأول لفهم الحياة والوجود والإنسان، لكن طفوها على السطح بحيث تكون التلسكوب الذي من خلاله يرى المبدع الأشياء أو لا يراها، يحدد الرؤية ويحجب أشياء كثيرة كان المنظور الانساني سيجعلها تأخذ حجمها الحقيقي والأساسي.

• الشاعرة المصرية.. أين؟

— ملك عبدالعزيز تنتمي لنفس الشجرة



نازك الملائكة



فدوى طوقان

والمكونات التي تنتمي لها فدوى طوقان ونازك الملائكة .

• هل هي بنفس الوزن ، وهل لشعرها نفس القيمة ؟

ــ مسألة الوزن والقيمة الشعرية أتركها لمن لديهم عناصر الميزان ، لكن ربما أتيح لفدوى حساسية الارتطام بمناخ الواقع الفلسطيني ، وأتيح لنازك من عمق اهتمامات الوعي والرؤية الفلسفية ما لم يتح « لملك » من خلال واقع الحياة الأسرية والمجتمع المصري ، سؤالك يستحق الاهتمام خاصة إذا سألنا من بعد فدوى ونازك وملك وسلمى الخضراء في العالم العربي كله . القضية إذن هي قضية المرأة عندما تبدع شعراً ، هذا يتطلب منها مواجهة مع النفس أصعب بكثير مما لو كتبت قصة ــ مثلا ــ لأنها في الابداع الشعري محوطة بعيون الآخرين ، لأن نفس الذات في القصيدة حميم ولصيق .

• ما مصير الرسائل التي كتبها إليك محمود حسن اسماعيل من الكويت ؟

ــ أنوي جمعها وتقديمها في كتاب .

سطور من رسائل محمود حسن اسماعيل

١ ــ الكويت ٧٥/٢/٢٦ « الحياة تصر على الازدهار ، ونحن أسارى التكرار ، فلا محيص من رفض كل ذلك ، والوثبة الجامحة باغلاق الروح ، لعل هناك جديداً لم تره من قبل ، وما لم تقتحم الأسرار فالفن بوار » .

٢ ــ الكويت ٧٥/١٢/١٣ « وكل ما آمله منك أن تعطيه جانباً من متسعات وقتك ، وتمضي في دفعه ، والتوصية العاجلة لطبعه ونشره متخطياً كل العقبات ، وأنت تعلم أثر ذلك في تحرك عمل فني قبل غيره للنشر ، لأن حركة العصر تتغير وتتلاحق منجزات الفن فيها برؤى تتغير أيضاً من دقيقة لأخرى ، وأرغب في طبع ديوان جديد آخر ، ولكني متعثر المضي في ذلك ، لأن هذا ثاني ديوان أقدمه ولا يظهر في أوانه ، ولا أدري ما تراه ، وإذا لم يكن هناك عائق غير الرسوم فليخرج بغيرها ، أو بأقل ما يمكن منها » .

٣ ــ الكويت ٧٦/٦/٨ « وأبغض ما أعانيه من متاعب ، كل الدائرة المتصلة بالشعر ، فور الانتهاء من كتابته ، فأنا رافض بطبيعتي أي حوار فيه من القراء ، أو محترفي النقد ، أو حتى من الذين يستعجم عليهم كشف أعماقه ودورانه ، لغباء أرواحهم » .

٤ ــ الكويت ٧٧/٣/٧ « تأخر ردي لأن ضغطي وصل ٢٣٠ على ١٣٠ فجاءة ، ومع نزيف رعافي من الأنف واجهته ليلة كاملة ، ومع توقفه هبط الضغط إلى طبيعته العادية ، وحمدت الله ، واعتبرتها خللاً روحياً أعدى الجسد ، فاضطربت سواقيه فترة ، ثم عادت للنواح الشجي » .

ضد شعر السبعينات

سألته وفي خاطري ما قاله د . صلاح عبدالحافظ من أنه « يلجأ في عملية تكثيف الصورة الشعرية إلى خطف أبصارنا لاثارة الدهشة والتفكير عن طريق هذا الحشد السريع والمتتابع لتلك العبارات الموحية » . و .. ما قاله د . علي عشري زايد من « أن القارئ يدرك بسهولة أن اللغة طوع يد الشاعر ، يجعلها تتدفق بتدفق أحاسيسه العارمة وتهدر بهديرها » .

■ حركة السبعينات هي المسئولة عن فقدان العلاقة الحميمة بين الشعر الجديد وقرائه

• قلت : لماذا لم تعد القصيدة المعاصرة تعطي نفسها في يسر ؟

ــ هذا السؤال إجابته صعبة جداً ، لأنك تثيرين قضية الشعر الجديد كله ، أن تعطي القصيدة نفسها يعني مشكلة علاقة القصيدة مع المتلقي ، وهذه تحكمها أشياء كثيرة أولها هذا المتلقي سجين النفس الكلاسيكي ، وهذا يعني أن القصيدة الجديدة تبدأ بمعارضة وإشكالية مع استعداد ومكونات هذا المتلقي ، أما الذي يجهد مع نفسه لكي يحاول الاقتراب من القصيدة الجديدة ، فإنه يبحث عن المشترك ، عن الخيط الغامض ــ الذي يذكره ليس على سبيل التماثل ، ولكن سبيل الاستمرارية التي تحمل التغيير ــ الذي يربط بين قصيدة عبد الصبور ومعلقة امرئ القيس ، بين قصيدة دنقل وعروة بن الورد ، لا أستطيع أن أتحدث عن هذا الخيط كشاعر ، ولكن بكل تأكيد سيتحدث عنه ناقد عندما يعكف على تأمله ، هذا الخيط هو الذي يمنح القصيدة الجديدة هوية الانتساب إلى الشعر العربي ، فلا أحس أنها مقطوعة الصلة أو مبتورة ، هذا ما يبحث عنه المتلقي فإن لم يجده ، امتنع عن الإصغاء .

• إذن لنتحدث عن القصيدة نفسها ؟

ــ تظل دائرة الشعر الجديد خلال أربعين سنة قطرة ، برغم عدد شعرائها وتعدد موجاتها ، تظل تمثل الخامة الصغيرة في حجم هذا الاهتمام ، هذا القارئ الذي بدأ مع حركة الشعر الجديد ، واتسعت حساسيته للتقبل بدأ يرى أن هذه القصيدة نفسها تخلخلت ، معمارها يتهاوى مع ما يسمونه شعر السبعينات ، وأنا ضده ، لا لأني ضد المعاصرة والتجريب والبحث عن آفاق جديدة ، لكن لأني أتصور أننا في فن الشعر نحن في جدلية الحوار دائماً بين ما هو ثابت ومتغير ، بين ما هو مستمر لأنه يمثل صميمية وجذور هذا الشعر وبين ما هو صدى لحساسية عصر وجيل ، شعراء السبعينات انساقوا وراء حركة نقدية تقودهم ربما لأغراض أدبية وفنية وربما لا . لكي تحدث انقطاعاً ، وتصوروا أن هذا يعني بدء المغامرة ، أنا كمتلق لا أستطيع أن أتلقى شعرهم ولا أن أتعايش أو أتناغم معه ،

• تتحدث فقط عن السبعينات بينما في رأي البعض هذا ينطبق على الستينات .

ــ حركة السبعينات هي المسئولة عن فقدان العلاقة الحميمة بين الشعر الجديد والمتلقي ، لأنه يقرأ نتاج هذه الحركة وهو أكثر ما ينشر الآن في الصحف والمجلات على أنه الشعر الجديد ، بدليل أن مجلة الكرمل عندما

حوار مع الشاعر
فاروق شوشة

أرادت أن تصدر عدداً عن الواقع الأدبي والشعري في مصر، لم تجد إلا شعرهم، وكانت الفجيعة أنه على مستوى مصر والوطن العربي كان مانشر من هذه النماذج عاراً شعرياً.

• و.. ماذا عن محمد عفيفي مطر وهو من جيلكم؟

ـ «مطر» هو الصيغة المصرية من الشعر الأدونيسي، وهو أكثر تعقيداً لأن الأصل دائماً يكون أوضح (ويحمل تبريره) وعندما وصلتنا مستنسخات من الصورة الأصلية، رغم أنها تنويعات خاصة بأصحابها، افتقدنا الجوهر والصدق الذي كان للانبجاسة الأولى التي أحدثتها الحركة الأدونيسية، و.. أدونيس شاعر كبير ومفكر عظيم، كثير من آثاره تهتز لها نفسي، لديه من القصائد ما اعتبره سبباً في استهواء عدد كبير من المقلدين على مستوى الساحة العربية، الذين سقطوا في شركه اعجاباً دون أن يكون لهم حجم الموهبة والوعي الأدونيسي وقدرته على التحليق.

• و.. أبو سنه؟

ـ لايمكن الزج به في هذا الموضوع، فهو لا علاقة له بالغموض، إلا إذا كان غموض الرمز والصورة الشعرية، اللذين بدونهما يتحول الشعر الى خطابة، ومن يدعون الغموض في شعره هم من تمرسوا على شعر يمنح نفسه بسهولة لأنه خال من الأغوار والعمق.

• لماذا أسميت أمل دنقل في قصيدة لك بشاعر الحراب المدببة؟

ـ علاقتي مع أمل مرحلتان: مرحلة ماقبل المرض وكان مفتوناً فيها بزهو المبارزة على مستوى الجدل والنقاش والحوار في المقهى والسوق والشارع، كان يمثل ـ في ذلك الوقت ـ بالنسبة لي عاصفة بشرية متحركة تموج بالصراع والعراك، لذلك كنت أتجنبه، وقد كانت هذه النزعة تستوقفني فيه ولاتجعلني أحرص على الاقتراب منه رغم متابعتي له كشاعر، وتقييمي لموقفه في حركة الشعر على أنه في مقدمة شعراء الستينات، ثم جمعتنا لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة مدة عامين، ونشأ بيننا لون من الألفة ـ كتبت عنها زوجته في كتابها عن أمل والذي جعلت عنوانه «الجنوبي» ـ ربما مصدرها أننا كنا نمثل وجهة نظر متقاربة فيما يثور من مناقشات في المجلس، ثم بدأت أعوده كصديق وزميل خلال مرحلة المرض لأكتشف وجهه الآخر، الوجه الطيب، الأصيل، المواجهة بضراوة لمعاناة المحنة والمرض، بدأت تغيب في نفسي ضراوة الرؤية الأولى كمبارز عدواني.

المبدع .. الخادم!

قلت لفاروق شوشة: ـ

• هناك من يعتب على برنامجك التلفزيوني «أمسية ثقافية»؟

ـ المجتمع الثقافي يتصور أن الأمسية لابد أن تكون هي المجتمع الثقافي، بمعنى أن كل من يريد شيئاً يتصور أن الأمسية لابد أن تحققه، ليس هناك برنامج مهما كان يستطيع أن يحمل ويحقق كل شيء، هذه مهمة عشرات البرامج الثقافية، لذا فإن مأساة الأمسية أ الناس تعلق عليها من الآمال والتطلعات، وتحملها من المسئوليات مايفوق عبء حجمها كبرنامج، وعبء حجمي كإنسان، هذه الأمسية جزء من اهتماماتي، وفقرة في التلفزيون.

• يتهمونها بأنها محصورة بأسماء النجوم.

ـ ليست هناك موهبة أدبية حقيقية في مصر لم يستضفها البرنامج بقدر ما استطعت، بدءاً بأكبر أديب معمر وهو توفيق الحكيم، وانتهاء بجيل الكتاب الشبان، ابراهيم أصلان، الغيطاني، مجيد طوبيا، البساطي، لقد استضفتهم في مناسبات متصلة بانتاجهم، وهذا يوضح لك أساس الاختيار، أقصد متى: أستضيف الكتاب الشبان؟ عندما تكون هناك مناسبة سواء تكريم الدولة أو ترجمة عمل أو غيرها لابد من الأساس وإلا ماالحكمة التي تجعلني أختار كاتباً دون آخر، أما بالنسبة لمن عبروا قدراً من المرحلة مع الأدب والفن، وأصبحت لهم شهادات مثل لويس عوض، زكي نجيب محمود، يوسف ادريس، يحيى حقي، فأنا لست بحاجة إلى مناسبة لاستضافتهم، أما الأدباء الشبان فعليهم أن يوجدوا هذه المناسبة وأهلاً بهم.

• اتهام آخر يقول انك تنتقي أسماء النقاد التي تخدمك كشاعر؟

ـ من الأسماء التي خدمتني؟ لقد استضفت لويس عوض والقط منذ الستينات وحتى اليوم عشرات المرات، وأستطيع أن أذكر لك كل نقاد مصر، أين هذه الخدمة، وكيف مورست، مع العلم أني أعرف أن كثيراً من كتابات بعض النقاد عن آخرين تمت لالتصاق المبدعين بهم على مستوى الخدم، وأضع تحت كلمة خدم خطوطاً، أحدثك ـ ياسيدتي ـ عن فقدان العلاقة الطبيعية بين المبدع وبعض النقاد في مجتمعنا، الذين لايلتفتون إلى مبدعين إلا إذا التفوا حولهم كخدم يدورون في فلكهم ويحرصون على غشيان ندواتهم يروجون لهم، ويصلون مابينهم وبين حركة الحياة أنا فقط أفسر لك، ولا أتهم.

• يقول د. الطاهر المكي: «إن الجانب الأعظم من الشعر الحر بقي في منتصف الطريق بين الشاعر والجمهور، يعلوه غبار النسيان، وأرجو ألا يخدع قائلوه بأن بعضاً منه يترجم، فإن صغار المستشرقين يؤثرونه على غيره لأنه سهل الترجمة، وأحياناً لدوافع سياسية ترتبط بالشاعر ولا صلة لها بالشعر».

ـ د. الطاهر صديق عزيز أحترمه، لكني لا أقبل شهادته بالنسبة للشعر الجديد، لأنه وضع نفسه منذ البداية في دائرة العداوة الضروس لهذا الشعر، وبالتالي فإن أحكامه لاتصدر من منطقة الحياد الضروري لمثل هذا الحكم.

• و.. يقول د. القط: «كان من آثار عدم التناسق بين طبيعة المجتمع عندنا وبين هذه النزعات السيريالية أو الرمزية المغرقة، أن قلت دائرة الذين يتلقون الشعر في السنوات الأخيرة».

ـ هذا تجاوز، السيريالية كلمة كبيرة يجب أن لاتشوه بإطلاقها على مايكتب في بلادنا، التسمية اللائقة هي ألا عيب حواة أو بهلوانيات سيرك، ضحالة وصبيانيات، لأن السيريالية تقتضي فلسفة ورؤية وموقفاً من الحياة والوجود.

و.. وقال «فاروق» أيضاً:

• أتمنى أن يعود نقاد الستينات إلى الساحة من جديد، فهم الذين لم يسد فراغهم أحد لا من الكبار قبلهم ولا من الصغار بعدهم.

• أعترض على ضراوة التناول لانتاج المبدعين نتيجة منطلق إيديولوجي.

• الذين نجحوا في ربط عظمة عبد الصبور بوردز ورث هم المتفرنجون في بلادنا أو المستشرقون الذين يكتبون بالعربية من بين كبار نقادنا، أصالته أساسها حسن تمثيله للتراث الشعري وتراث الحركة الرومانسية


نزار قباني


محمود حسن اسماعيل

التي سبقته مباشرة ، وثقافته الواسعة التي جعلته من كبار مفكرينا .

العكوف على متابعة ما ينشر في المجلات العربية مسألة تقتضي التفرغ التام لذا أتصور أننا محتاجون إلى مجلة للمجلات العربية .

المثقف والمبدع المصري لا يعي كثيراً مما يحدث الآن على مستوى الساحة العربية ما يعيه هو ما يتصل بالخمسينات والستينات ، بل حتى على مستوى الرواد فإنه يعرف عن طه حسين والعقاد أضعاف ما يعرفه عن أمين الريحاني ومارون عبود ، يعرف شوقي وحافظ ، ولا يعرف شيئاً عن الزهاوي والرصافي ، والجواهري ممن عاشوا في نفس المرحلة وكان لهم نفس التأثير وهذه نتائج وآثار الطغيان الإعلامي المصري في الستينات التي أدت إلى انشغال المثقف المصري بذاته .

مشكلة تراثنا العربي عدم استمرار حركة المختارات فيه التي بدأت بالمفضليات والأصمعيات وتصنيف طبقات الشعراء ، ثم حماسة أبي تمام والبحتري ، ثم مختارات البارودي ، والجهد الذي صنعه أدونيس في « ديوان الشعر العربي » . تجربتي في « أحلى عشرين قصيدة حب » برهنت أن القارئ غير المتخصص متعطش لها . فقد بيع في السعودية من هذا الكتاب تسعون ألف نسخة من إحدى طبعاته فقط ، وأعيد طبعه خمس مرات خلال أقل من عشر سنوات .

أهم ما قرأته في العشر سنوات الأخيرة ما صدر لبهاء طاهر وسليمان فياض ، الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر العراقي سعدي يوسف ، كتاب « شخصية مصر » د . جمال حمدان .

أول دراسة شاملة وجادة عن أعماله الشعرية كتبها الناقد الشاب مصطفى عبدالغني صاحب الكتاب القيم « شهر زاد في الفكر العربي الحديث » . وصاحب العديد من الكتب منها :

مؤرخو الجزيرة العربية ــ المؤثرات الفكرية في الثورة العربية ــ ومسرح الثمانينات . الدراسة احتلت خمساً وعشرين صفحة من عدد مجلة فصول الأخير ، وقد تتفق مع الناقد في بعض ما وصل إليه وتختلف في البعض الآخر ، لكنك في النهاية لا تملك إلا أن تحترم هذا الجهد الواعي الذي ينم عن حس نقدي أصيل وثقافة عميقة ، والذي يبث في نفسك الفرح بوجود ناقد لا يعتبر النقد « فهلوة وسلق بيض » على حد تعبير أحد الكتاب الشبان . في دراسته الهامة يقول :

إن اهتمامه باللغة ، على سبيل المثال ، جاوز به موقف الجيل السابق عليه ، الذي كان يرمي إلى التساهل في المفردات والولع باللغة الشعبية وقيمتها (العامية) أحياناً ، وتطريز هذا كله في نسيج لغة شعرية جديدة ، ومن هنا كان موقفه الأصولي يختلف عن موقفهم ، ويقتفي موقف الجيل الذي انتمي إليه من حيث الحرص على جوهر اللغة وجزالة نسقها ، قدر حرصه على جوهر الشعر ودلالاته .

وكما اتفق مع توجهات جيله كله على ضرورة العودة إلى كوكب التراث ومعالجة ما ينتمي إلى عصرنا ، كذلك افترق عنهم جميعاً ، في أنه ابتعد عن المغامرة الشعرية بكل عناصرها ، إذ ظل حريصاً على هويته ، سواء بدا هذا في شعره ، أو في لغته (الجميلة) في وسائل الاعلام ، ويمكن أن نجازف بالقول بأنه هو آخر صوت يغرد في هذا العالم الذي افتقد الكثير من جماليات اللغة ومكوناتها الايجابية في الثمانينات .

لقد اختلف عن أبو سنه في عدم التأرجح على سلم التراث الذي بدأ في كتاباته الأولى مدافعاً عن حركة الشعر الحديث ، منافحاً عنها في عنف شديد ، وما لبث في كتاباته الأخيرة أن عاد إلى الشعر العمودي ثانية ، في وقت لم يعرف عن « فاروق » إغراق في الجديد أو تطرف إلى القديم ، وإن ظل يحرص على بنية الشعر الحديثة حرصه على بنية الشعر التقليدية سواء بسواء .

ومما يزيد من تفرده أنه لم يغال كشاعر معاصر آخر له ، مثل أمل دنقل ، في الإغراق في السياسة والرموز العقيدية التي راحت تقترب من المباشرة أكثر من التورية .

ورغم ما نجده في شعره من هذه المسحة من الغموض الذي تبرره الضرورة الفنية في أحيان كثيرة ، فإنه يمكن القول بأنه غموض لا يمت بأي صلة لغموض عفيفي مطر الذي يمثل قمة الغموض في الإنتاج الشعري المعاصر .

الصورة عنده تميزت بسمات خاصة : ارتباطها بالواقع ارتباطاً وثيقاً ــ زيادة الصور المركبة ــ اتسامها بهذا النسيج التراثي الذي لا يفترق عن الصورة الحسية ولا يتفق مع الصورة المعنوية ، أي محاولة الحفاظ على روح التراث ــ اعتمادها اعتماداً كبيراً على التعبير والحركة أكثر من الخيال ، وعلى الحالات النفسية أكثر من الاعتماد على عناصر الطبيعة ودواعيها ــ ارتباطها بعديد من السمات ، فسمة مثل (تراسل الحواس) تقل حتى لا نكاد نجدها عنده ، بينما سمة مثل « المجاز » تزيد حتى لنعتقد أن شعره كله عبارة عن استعارة كبيرة .

اعتمد على الشعر الدرامي ، أو الحكاية ، في البنية الشعرية لتأكيد الصورة ، فراح يستخدم تكنيك السينما ، ويفيد من بقية تكنيكات الفنون السبعة الأخرى .

إن من أكثر النتائج أهمية بالنسبة لشعره ، تمتع الشاعر بسمة غنائية في المقام الأول ، في وقت لم يغرق في حال من الرومانسية القاتمة ، أو حال من الوجودية التي عاش فيها عدد كبير من كتاب الستينات وشعراؤها وإنما كان تعبيره الدلالي في المضمون نتاج حالة عقلية واعية .

سارة ــ القاهرة

أشد ما ابتلي به جيلنا الشعري عدم مواكبة النقاد له

قصـــة قصـــيرة

الكذب مثــل السمـك

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

ابتسم الاستاذ سليم ، المحامي ومالك الأرض المجاورة لأرض اسماعيل العبد الله ، الفلاح ، وهو يستمع إلى جاره يقص عليه حكايته . قال له :

ــ لا أدري يا اسماعيل كيف أستطيع مساعدتك . الوقت فات لاعادة بذر أرضك من جديد ، وأولادك على ما تقول أكلوا كل حبوب الفستق . أما المرشد الزراعي الذي سميته فأنا أعرفه جيداً . هو انسان طيب ، ولكني لا أحسبه مستعداً للتهاون في وظيفته إلى درجة يتستر فيها على مخالفتك للخطة .

والخطة التي يشير إليها الأستاذ سليم هي الخطة الزراعية لهذا الموسم في المنطقة التي يملك المحامي وجاره الفلاح اسماعيل العبدالله قطعتي أرض في إحدى قراها . خطة هذا العام تقضي بأن يبذر خمس المساحة من كل حقل ، أي عشرون بالمائة منه ، بالفستق السوداني بغية تأمين حاجة مصنع لاستخراج الزيت من بذور هذا النبات أقيم في المنطقة مؤخراً . وعلى هذا وزعت دائرة الزراعة بذار الفستق على فلاحي قرية اسماعيل العبدالله والقرى المجاورة وأخذت تواقيعهم ، أو بصمات إباهمهم ، على تعهد بتقديم محصول حقولهم إلى المصنع في موعد القطاف المنتظر .

إلا أن اسماعيل العبدالله ، كما جاء يخبر جاره في الأرض الأستاذ سليم ، لم يأخذ مأخذ الجد بصمة ابهامه على الورقة التي بسطها السيد سعد الدين ، وهو المرشد الزراعي ، أمام الفلاحين في اجتماع مضافة المختار . فقد حمص حبات بذور الفستق التي جاء بها من الاجتماع ووزعها على أولاده ، فاستطابوا طعمها وطالبوه بزيادة منها ، وبذر أرضه كلها ، كعادته في كل موسم ، بالذرة الصفراء . لم ينتبه إلى مغبة ما فعله إلاَّ حين قدم المرشد إلى القرية ليتفقد مراحل الخطة ويكتب تقريره الشهري عنها . فقد سمع أقوال الفلاحين في القرية وأحاديثهم عن عواقب مخالفة أوامر الدولة ، فأسرع إلى الأستاذ سليم ، في مكتبه في البلدة الصغيرة المجاورة ، يبحث عن المشورة والمعونة عنده .

من جديد عاد المحامي إلى الابتسام وهو يقول :

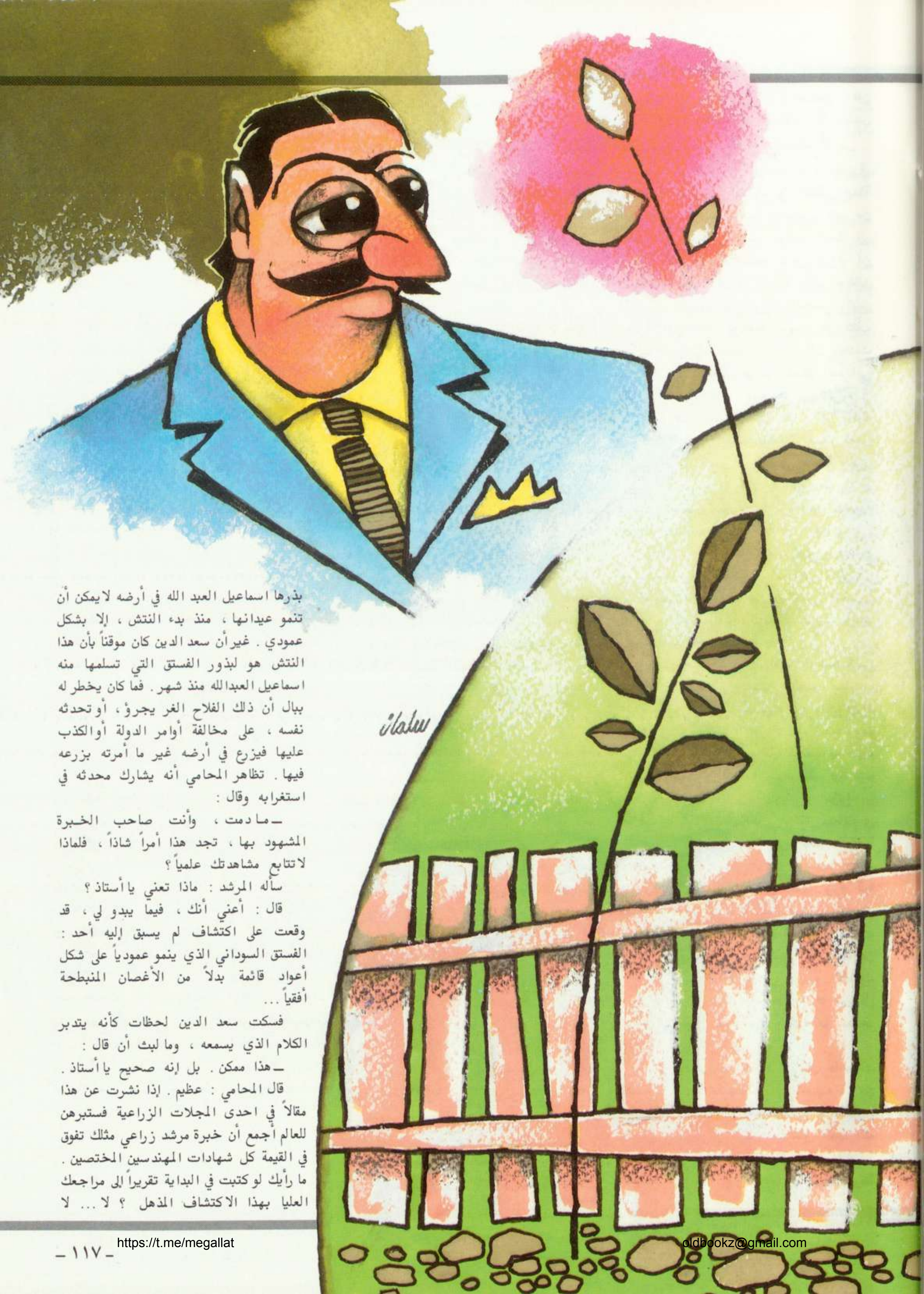
ــ ما سمعته يا جار عما يمكن أن تسببه لك مخالفة الخطة صحيح . قبل كل شيء ستقلب الأرض التي زرعتها ذرة فتخسر فيها تعبك ومالك . وربما فرضت عليك غرامة ، وقد تحرم من الزراعة في الموسم القادم ، وقد تسجن . على كل حال فسعد الدين ، مرشدك ، لابد أن يمر عليَّ في هذين اليومين . سأجس نبضه لأرى ماذا يمكن أن نفعله لخلاصك ...

وكان من عادة ذلك المرشد في الواقع أن يزور الاستاذ سليم في مكتبه في البلدة بين الحين والحين . يشرب عنده كأساً من الشاي في كل مرة ، ويسترسل في الحديث عن مشاهداته في جولاته الدورية بين القرى ، أو ينقل إليه أخبار سراي حكومة البلدة المتواضعة وأخبار موظفيها . كان انساناً طيباً كما وصفه المحامي ، طيبة لا تخلو من سذاجة ، بل من غفلة . وهذه السذاجة البالغة حد الغفلة هي التي مهدت السبيل للاستاذ سليم في محاولته تخليص اسماعيل العبدالله من ورطته .

في زيارة المرشد التالية لمكتب المحامي تطوع هو للحديث عما شاهده في حقل اسماعيل العبدالله . قال :

ــ انه الحقل الذي يجاور أرضك في القرية يا أستاذ . مشاهدة غريبة . في القسم المبذور بالفستق السوداني من الحقل لاحظت أن النتش الذي أعطته البذور يختلف عن النتش في الأقسام المزروعة فستقاً في الحقول المجاورة . أوراق النبت الجديد في حقل اسماعيل العبد الله دقيقة ، وهي ترتفع عمودية على سطح الأرض بدلاً من أن تنفرش سطحياً . صحيح أن النتش لا يزال ضئيلاً ، ولكن ارتفاعه مستقيماً على سطح الأرض المروية أمر غريب لا تقول به تعليمات مديرية الزراعة التي عممتها علينا ، لا سيما وأن الفستق الذي وزعنا بذوره على الفلاحين هو من النوع المفترش ، لا القائم ، ولا حتى نصف القائم ...

كتم الاستاذ سليم ضحكته في صدره وهو يستمع إلى استغراب المرشد من أمر يعرف المحامي أنه طبيعي . فالذرة الصفراء التي



بذرها اسماعيل العبد الله في أرضه لايمكن أن تنمو عيدانها ، منذ بدء النتش ، إلا بشكل عمودي . غير أن سعد الدين كان موقناً بأن هذا النتش هو لبذور الفستق التي تسلمها منه اسماعيل العبدالله منذ شهر . فما كان يخطر له ببال أن ذلك الفلاح الغر يجرؤ ، أوتحدثه نفسه ، على مخالفة أوامر الدولة أوالكذب عليها فيزرع في أرضه غير ما أمرته بزرعه فيها . تظاهر المحامي أنه يشارك محدثه في استغرابه وقال :

ـ مادمت ، وأنت صاحب الخبرة المشهود بها ، تجد هذا أمراً شاذاً ، فلماذا لاتتابع مشاهدتك علمياً ؟

سأله المرشد : ماذا تعني يا أستاذ ؟

قال : أعني أنك ، فيما يبدو لي ، قد وقعت على اكتشاف لم يسبق إليه أحد : الفستق السوداني الذي ينمو عمودياً على شكل أعواد قائمة بدلاً من الأغصان المنبطحة أفقياً ...

فسكت سعد الدين لحظات كأنه يتدبر الكلام الذي يسمعه ، وما لبث أن قال :

ـ هذا ممكن . بل إنه صحيح يا أستاذ .

قال المحامي : عظيم . إذا نشرت عن هذا مقالاً في احدى المجلات الزراعية فستبرهن للعالم أجمع أن خبرة مرشد زراعي مثلك تفوق في القيمة كل شهادات المهندسين المختصين . ما رأيك لو كتبت في البداية تقريراً إلى مراجعك العليا بهذا الاكتشاف المذهل ؟ لا ... لا

الكذب مثل السمك

أنصحك بأن توجه تقريرك إلى رؤسائك في مركز المحافظة. سينسب هؤلاء الاكتشاف إلى أنفسهم ويضيع حقك فيه. ارفع التقرير إلى الوزارة مباشرة... انهم هناك يفهمون ويقدرون.

كان هذا اقتراحاً ساخراً انطلق على لسان الاستاذ سليم في مجرى كلامه. كل ماكان يهم المحامي هو أن يغفل سعد الدين عن فعلة اسماعيل العبدالله المخالفة للخطة ريثما تطول أعواد الذرة الصفراء في أرضه وتغلظ سوقها فيصبح قلب الأرض واتلاف ما نبت فيها غير وارد. غير أن المرشد تلقى الاقتراح بغير هذه الروح. فلم تمض أيام حتى جاء يحمل إلى الاستاذ سليم مسودة كتاب إلى الوزارة يتحدث فيه عن مشاهداته لنتش الفستق السوداني، من الصنف المفترش، في حقل الفلاح اسماعيل العبدالله، نتشاً متضارباً مع الحقائق العلمية المعترف بها. ويزيد بأن يطلب من سيادة الوزير بذاته أن يوفد مهندساً زراعياً ذا خبرة للتحقق من صحة هذه المشاهدات، محتفظاً هو لنفسه بحق الأولية في اكتشافه. قال الاستاذ سليم وهو يغالب ضحكة تكاد تطفر من فمه:

ــأحسنت. اترك لي هذا التقرير ليبيضه كاتبي بأن يضربه على الآلة. وإذا كنت خارجاً غداً في إحدى جولاتك فلا تهتم. سيضعه هو لك في البريد.

وهكذا كان. وكتب المرشد بعد هذا التقرير تقارير أخرى، وضع المحامي بعضها في البريد ومزق بعضها قبل أن يطبعها كاتبه على الآلة. كان الاستاذ سليم واثقاً من أن كل هذه التقارير، لو أرسلت، لن تجد لها طريقاً في العاصمة إلى غير سلة المهملات. فالناس هناك عندهم ما يشغلهم عن قراءة هذر موظف صغير في منطقة نائية في موضوع لايهم ولا يجدي. غير أن من أدمن القرع ولج كما يقول المثل الفصيح. وكان لابد لاحدى الطينات، وهي تقارير المرشد المتتالية، من أن تلصق بالحائط، كما يقول التعبير العامي. فقد جاء هذا يزف إلى صاحبه المحامي بشرى استدعاء مدير الزراعة في البلدة له، واعلامه اياه أن بعثة تضم مسؤولين كبيرين في الوزارة هما رئيس دائرة الزراعات الموسمية والخبير الأول في الزراعة الصناعية ستجيء للتفتيش في المنطقة، وتطلب مقابلته هو المرشد الزراعي سعد الدين بصورة خاصة. قال المرشد:

ــكان مدير الزراعة يكلمني بلهجة احترام ما سبق أن سمعتها منه. حاول أن يعرف مني لماذا خصّنى أعضاء البعثة بطلب المقابلة من دونه هو وبقية الموظفين، فتجاهلت أسئلته. اتبعت نصيحتك لي بلزوم الكتمان. ستكون مفاجأة ودهشة كبيرة للدائرة، وللبلدة كلها، حين يجيئني من الوزير كتاب ثناء وتقدير لجهودي...

مرة أخرى كتم الاستاذ سليم ضحكته للمهزلة التي انتهى إليها اقتراحه بكتابة التقرير الأول والتقارير التالية له. إلا أن القلق ما لبث أن دب إلى نفسه من عواقب هذه المهزلة على الرجلين اللذين ورطهما هو فيها. على المسكين سعد الدين الذي لابد أن ينعكس عليه بالسوء اكتشاف موفدي الوزارة لجهله وتقصيره في أداء وظيفته، ثم ما جره هذا التقصير وذاك الجهل من استهانة بمقام المسؤولين الكبار وتكبيدهم سفراً شاقاً إلى هذه المنطقة النائية دون طائل. وعلى المسكين الآخر اسماعيل العبدالله الذي سينزل عليه بلاء الموظفين الزراعيين في البلدة لمخالفته الخطة وكذبه على الدولة، وأكثر من ذلك لما تسبب به من توبيخ لهم وتقريع ومن عقوبات صارمة سيطبقها بحقهم رؤساؤهم الأعلون.

هذا عن قلق الاستاذ سليم. أما الرجلان نفسهما فكانا في نجوة من هذا القلق. فاسماعيل العبد الله لم يكن يدري غير أن المرشد الزراعي، الذي كان يكثر التردد على حقله ويطيل التأمل في أعواد الذرة المتزايدة في النمو، قد غض النظر عن مخالفته للخطة، ولدوافع لاتهمه معرفتها بشيء. أما سعد الدين فكان ينام على ثقة من أهمية مشاهداته التي جندت الوزارة للاطلاع عليها كبيرين من خبرائها، مترقباً الثناء الجزيل والمكافآت التي ستنهال عليه والتي ستعقب زيارة هذين الكبيريين لحقل اسماعيل العبد الله. إلى أن جاء المرشد في ذات مساء إلى المحامي ليعلمه بأن البعثة قد وصلت إلى المدينة، وأنه تلقى أمراً من مدير الزراعة بأن يكون في انتظارها في الغد في مضافة المختار، قريباً من حقل اسماعيل العبدالله بالذات. ووجد الاستاذ سليم نفسه مسوقاً إلى القول بأنه هو أيضاً سيكون هناك في الغد، فقد شارك في حكاية الاكتشاف منذ بدئها ويريد أن يرى إلى أين ستنتهي.

إلى أين ستنتهي؟ هذا ما ساءل به المحامي نفسه طيلة الليل. مهما كان عليه المسؤولان القادمان من جهل، إذا كانا جاهلين، فإن أعواد الذرة النامية في استقامة لن تلتبس عليهما بأغصان الفستق المفترشة للأرض.

ومع ذلك فان المحامي لم يتأخر عن أن يكون في مضافة المختار في الصباح في انتظار البعثة القادمة، مع سعد الدين وجمهور كبير من الفلاحين. وحين وصل موكب البعثة إلى المضافة كان أول ما صنعه مدير الزراعة أن استدعى سعد الدين إلى حيث وقف الموظفان الكبيران فعرفهما به. ورأى المحامي رئيس دائرة الزراعات الموسمية يربت على كتف المرشد الزراعي بتحبب، بينما كان يتحدث عن سروره بخصب موسم الفستق السوداني كما شاهده ورفاقه في مرورهم بين المزارع في سيارتهم هذا الصباح. كل هذا، على ماقاله الموظف الكبير، يبشر بتشغيل ممتاز لمعمل الزيت الذي أقامته الوزارة في المنطقة والذي بدأت التجارب الاختبارية فيه منذ ثلاثة أيام. وأضاف رئيس دائرة الزراعات الموسمية وهو يخاطب مدير الزراعة في البلدة:

ــقل للمختار إننا سنعود لنشرب الشاي في مضافته بعد جولتنا في الحقول المجاورة. من الأفضل أن نتفقدها قبل أن تحمى الشمس. أين يقع الحقل الذي ذكرته في تقريرك ياسيد سعد الدين؟

لم يكن حقل اسماعيل العبد الله يبعد كثيراً عن دار المختار حيث توقفت سيارات الحضور، فأشار المرشد بيده إليه وتقدم أفراد البعثة في التوجه سيراً على الأقدام نحوه، وهو مزهو بتميزه في ذلك عن كل الموكب بما فيهم رؤساؤه المباشرون. أما الاستاذ سليم فإنه راح يمشي وراء السائرين الهوينى، مؤثرا ان يراقب ما يجري عن بعد، والقلق يتعاظم في نفسه اذ كان هو وراء كل هذه الحكاية وما سيتبعها من مزعجات. وعندما قارب الوافدون أن يبلغوا الحقل الذي زرع فيه اسماعيل العبدالله ذرته الصفراء على أنها فستق سوداني كان قلق المحامي قد تحول إلى تبكيت ضمير كاد ينكص له على عقبيه، متراجعاً عن أن يرى بعينيه مغبة ما جره تدبيره. كاد ولم يفعل. لأن ما حدث بعد هذا صرفه عن كل ما كان يدور في نفسه وفي خاطره من مشاعر وتفكير...

ماذا حدث بعد هذا؟ لم يكن ما حدث متوقعاً، ولا مفهوماً في حينه، من الحاضرين. فقبل أن يعبر المسؤولان الكبيران الطريق الضيقة إلى أرض اسماعيل العبد الله لحقت بهما سيارة قدمت لتوها من البلدة، فوقفت حذاءهما وترجل منها ضابط شرطة

تلمع نجوم رتبته على كتفيه . مد يده إلى رئيس دائرة الزراعات الموسمية بورقة مكتوبة قائلاً :
ـ برقية مهتوفة سيدي أرجو أن تقرأها في الحال .

قطب رئيس دائرة الزراعات الموسمية حاجبيه لقراءة تلك الورقة وأعطاها لزميله الخبير الكبير في الزراعة الصناعية ، فقطب هذا حاجبيه بدوره لقراءتها . ومن دون أن يتقدم أحدهما بايضاح إلى الناس المجتمعين حولهما ، أدارا ظهريهما إلى حقل اسماعيل العبد الله وتوجها ،في مثل الهرولة ، إلى سيارتهما وامتطياها ، فانطلقت تنهب بهما الأرض إلى مركز المدينة الصغيرة ثم بعد ذلك إلى العاصمة .

كان ذلك تصرفا غريباً من الرجلين لم يعرف حاضرو تلك الصبيحة حقيقة دوافعه إلا بعد فترة زمنية طويلة . في يومها تضاربت الأقوال وكثرت التكهنات وتباينت المشاعر حول ما جرى . اسماعيل العبد الله مثلاً لم يؤثر فيه ذلك التصرف لا قليلاً ولا كثيراً . كان في نفسه بعض التساؤل عما ساق كل هذا الجمع إلى أرضه التي بدأت شباشيب الذرة الصفراء فيها بالتكاثف ، مقدمة لتحولها إلى عرانيس مكتنزة بحباتها الذهبية ، فحمد ربه على أن صرف عن هذه الأرض أصحاب السيارات الفارهة والبذلات الفرنجية المتعددة الألوان ممن لا يؤمل منهم أي خير . وسعد الدين ، المرشد الزراعي ، أصيب بمثل الذهول لسوء حظه الذي خطف ثمرة اكتشافه وأبعدها ، ولو مؤقتاً ، عن متناول يده . على أن اليأس لم يداخله . ربما تأجل فوزه بهذه الثمرة ، إلا أنه واثق من أن المسؤولين الكبار لابد أن يعودوا الى تقدير اكتشافه إذا لم يكن غداً ففي يوم لايبعد عن الغد كثيراً ...

بقي الاستاذ سليم . لقد تنفس الصعداء ارتياحاً حين لف الغبار سيارات الموفدين ومرافقيهما وهي تنطلق مبتعدة عن أرض اسماعيل العبد الله . أياً كانت دواعي انصراف هذين الموظفين الكبيرين المفاجيء فهي تعني أن القناع لم يكشف عن المهزلة التي نسج هو ، الاستاذ سليم ، خيوطها العنكبوتية . ستنضج حبات الذرة الصفراء على أعواد القصب في حقل اسماعيل العبد الله ،وسيجني اسماعيل العرانيس ويأكل هو وأولاده بعضها ، ويطعم دوابه بعضها ، ويبيع منها قسمها الأكبر . ولن يتوقف بحال معمل زيت الفستق السوداني عن انتاجه لأن اسماعيل العبد الله خالف الخطة ولم يزرع بهذا الفستق بضعة دونمات من أرضه . فالذين اتبعوا الخطة من فلاحي المنطقة كثيرون ، وفي ما سيوردونه إلى المعمل من محصول هذه الثمرة غناء وكفاء ...

معمل زيت الفستق السوداني ؟ حين بلغت الأستاذ سليم الأنباء عن الأسباب الموجبة لانصراف الموظفين الكبيرين ذلك الانصراف المفاجيء ، لم يملك إلا أن يطلقها قهقهة عالية . تلك البرقية المستعجلة كانت تدعو رئيس دائرة الزراعات الموسمية وزميله الخبير الأول للزراعة الصناعية إلى أن يتركا ما في أيديهما من عمل ويلتحقا بالعاصمة لمقابلة فورية لا تحتمل التأجيل لسيادة الوزير الذي سيكون في انتظارهما ، حال وصولهما ، في أي دقيقة من دقائق الليل والنهار . أي أمر خطير وراء هذه الدعوة الملحة المفرطة في الاستعجال ؟! ما تناهى إلى معرفة الاستاذ سليم من حقيقة هذا الأمر جعله يؤمن بأن لإسماعيل العبد الله حظاً كبيراً من رضى الله أن ألهمه مخالفة الخطة وأن يزرع أرضه ذرة صفراء لا فستقاً سودانياً . فما كان استدعاء ذينك المسؤولين إلا لأن معمل زيت الفستق السوداني ، الذي توليا هما نفسهما التخطيط لانشائه وأبرما المناقصات التي أدت إلى شراء تجهيزاته ، قد توقف عن العمل في أول دوراته التجريبية . تبددت هباء خطة الزراعة الصناعية التي بنيت عليها الآمال في سد حاجة البلد من الزيت النباتي ، وثبت أن علة تبددها هذان المسؤولان ، فاستدعيا على عجل ليقدما حساباً على ما جنته أيديهما . أو ما امتلأت به جيوبهما . في مراحل التمهيد لانشاء ذلك المعمل وفي رسو مناقصاته وفي اقامته اقامة تبين أنها كانت على جرف هار...

نعم انطلقت قهقهة الاستاذ سليم عالية حين عرف الدواعي الحقيقية لانصراف الموظفين الكبيرين المفاجيء . قال لنفسه : لقد ابتلع خداع كبار المسؤولين الضخم خدعة الفلاح الهزيلة وما كذب به على الدولة وخطتها . فالكذب مثل السمك يأكل كبيره صغيره .وها ان موسم الفستق كله لم يجد له شارياً ، إذ تعللت الادارة بألف علة لتتنصل من شرائه ، أو لتشتريه بثمن بخس يضيع به جهد الفلاحين ووقتهم . وحده اسماعيل العبد الله قطف ذرته الصفراء ليبيعها بالسعر الذي يعجبه بعد أن أطعم بذور الفستق السوداني أولاده . أما المرشد سعد الدين فإنه في سذاجته وطيبة قلبه لا يزال ينعى سوء حظه الذي حرمه فخر اكتشافه العلمي وما كان يأمل من مكافآت من ورائه . لم يدر المسكين أي شروقي بكذبة الموفدين الكبيرة إذ توقفت بهما عند حدود حقل اسماعيل العبد الله ، فلم تتح لهما اكتشاف الكذبة الصغيرة التي كان الحقل مسرحها ، حين زرعت أرضه فستقاً سودانياً وانبتت بدل الفستق ذرة صفراء ...

عبدالسلام العجيلي

الرقة ـ سورية



المثال محمود مختار

رائد فن النحت العربي المعاصر

بقلم: صبحي الشاروني

« من العسير على شباب اليوم أن يتصور دهشتنا وانبهارنا عندما بدأ الحديث عن مختار ، فنحن الآن نتكلم كثيرا عن الفن وندرسه وننظم له المعارض ونناقشه ونصدر الأحكام ، ولكن منذ خمسة عشر عاما كانت أمور الفن غريبة على الشباب المصرى غرابة اللغة السريانية ، لقد كان مختار ظاهرة فذة ، وكان حدثا معجزا أثار اعجابنا دون أن ندرك له تفسيرا ، وكانت هذه الفجاءة وتلك الدهشة التى صاحبت ظهوره هى التى جعلتنا نسميه جميعا « النابغة » .. وعلى شباب اليوم أن يعلموا تماما أنه اذا كان الفن الآن معترفا به تشجعه السلطات الرسمية فاننا ندين بذلك لمختار ولن ينسى له هذا الفضل أحد ، فهو دائما نابغتنا ... »

« من مقال لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين بعنوان « مختار ومصر » كتبه قبل وفاة مختار ونشر بالفرنسية بمجلة « آفور » بعد وفاته عام ١٩٣٥ »

عصر مختار

ولد طه حسين عام ١٨٨٩ ، وفى نفس الوقت ولد عباس محمود العقاد ، وكان ميلاد المازنى عام ١٨٩٠ ، ثم ولد محمود مختار والرسام يوسف كامل عام ١٨٩١ ، بينما ولد سيد درويش والرسامان محمد حسن وراغب عياد عام ١٨٩٢ ، وكان ذلك فى ظل الاحتلال الانجليزى لمصر الذى بدأ عام ١٨٨٢ .

الى هذا الجيل ينتمى مصطفى عبد الرازق ، ومحمد حسين هيكل ومحمود عزمى وأحمد ضيف وأحمد صبرى ومجموعة المثقفين الذين تخصصوا فى القانون والطب والهندسة والعلوم ، وتألق كل منهم فى ميدانه ..

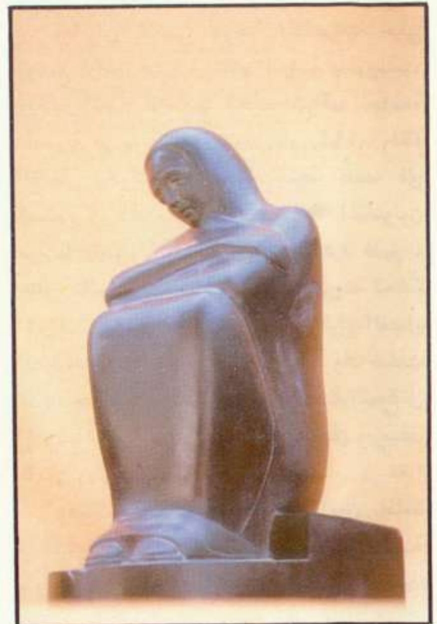
كلهم ولدوا فى الريف ثم انتقلوا الى العاصمة وتفاعلت مفاهيمهم الشرقية بمناهج الفكر والحضارة الأوربية ، وكانت هناك روح واحدة تجمعهم واحساس مشترك يقرب بينهم لم يلبث أن تبلور فى الدعوة الى احياء المجد القديم وبعث الروح فى الشعب العربى مع الاعتزاز والشغف بالآثار والدعوة الى الاستقلال والتحرر من الاحتلال الأجنبى ، مهد لها شعر شوقى وحافظ ومطران ، ثم خطب الزعماء السياسيين مصطفى كامل ومحمد فريد .. وسعد زغلول الذى تزعم ثورة ١٩١٩ الوطنية فى مصر. هذا هو عصر « مختار » .. عصر النهضة بمثله العليا وتطلعه واشراقه ، تبلورت مطالب العصر فترددت فى أعماله الفنية ، ولاح فى تماثيله الأمل والاصرار والكبرياء كانعكاس لصورة العصر ، وترجمة لكيانه الفكرى والسياسى ، مجسما فى رموز تشكيلية جعلته واحدا من زعماء ثورة مصر الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى .

وتعتبر حياة مختار نموذجا فى الكفاح له دلالات عميقة ، فهو أحد القلائل الذين حققوا لبلده ذاتية قومية ، وردوا اليه الثقة فى نفسه ، فكان أثره فى مجال الفنون كأثر الشيخ محمد عبده فى مجال الاصلاح الاجتماعى ، وأثر سعد زغلول فى مجال الزعامة السياسية وأثر طلعت حرب فى المجال الاقتصادى ، وأثر الدكتور طه حسين فى المجال الفكرى والفلسفى .

بين القرية والحارة

ولد « محمود مختار » فى بلدة « طنبارة » وهى قرية بالقرب من مدينة المحلة الكبرى بوسط الدلتا كان ميلاده يوم ١٠ مايو عام ١٨٩١ .. أبوه هو « الشيخ ابراهيم العيسوى » عمدة القرية ، ولم تكن أمه هى الزوجة الأولى ، كما كانت تصغر أبيه بشكل ملحوظ ، ولم تلبث الخلافات أن نشبت بين الزوجات ، فانتقل مختار ليعيش مع جدته

تمثال نهضة مصر ـ حجر جرانيت وردي



الحزن ـ بازلت



ابن البلد ـ برونز



بنت الشلال ـ برونز

المثـــال
محمود مختار

رائد فن النحت العربي المعاصر

لأمه فى بيت خاله بقرية « نشا » بالقرب من مدينة المنصورة حيث تعلم فى كتّابها .

وعرف عن مختار أنه خلال طفولته بالريف كان يقضي معظم وقته بجوار الترعة يصنع من طينها أشكالا وتماثيل تصور بعض المشاهد التى يراها فى قريته مثل النسوة وهن يحملن الجرار ، أو حيوانات الحقل وهى تجر المحراث أو تدرس القمح ، وغير ذلك من مشاهد الريف .

واجتاح وباء الكوليرا قرى مصر فى منتصف العقد الأخير من القرن الماضي فحصد الأطفال ، لكن مختارا نجا ، ومعه أقطاب هذا الجيل الذين صنعوا تاريخ مصر فى الربع الأول من القرن العشرين وما أن انزاح وباء الكوليرا حتى عاد الى أحضان أمه التى انفصلت عن أبيه وانضمت الى بيت أسرتها فى قرية « نشا » .. ويواصل الصبى حياته كأبناء الفلاحين ، يتعلم فى الكتاب ويخرج الى الحقل مع ذويه يتعلم فنون الاشراف على الزراعة وممارستها .

واستمع الصبى لحكايات الفلاحين ، وكانت من بينها حكاية عن جده الذى نفى الى السودان فى عهد حكم الخديوى اسماعيل ، لتمرده على الظلم الذى وقع على الفلاحين من أجل جباية الضرائب ، وكانت قصة هذا النفي تروى اليه بصياغات مختلفة كأنها من الأساطير ، ويضاف اليها حكايات عن حياته فى المنفى وكيف علم أهل السودان الزراعة وأرشدهم الى صناعة الشواديف لرفع الماء . وهكذا تداخلت قصة الجد مع الأسطورة المصرية القديمة عن « أوزوريس » الذى علم سكان مصر الزراعة قبل بداية التاريخ .

وقررت الأم أن تنتقل الى القاهرة للعلاج الذى قد يطول .. وطلب مختار أن يلحق بها ، لكنه لقى معارضة أقاربه .. حتى عزم أمره على السفر هاربا بمفرده .. وفى الطريق قابله خاله الشيخ « محمد أبو غازى » (والد المرحوم بدر الدين أبو غازى) ، فيرأف بحاله ويصحبه الى أمه التى كانت تقيم فى حى « الحنفى » بجوار حى عابدين .. كان ذلك عام ١٩٠٢ ولم يبلغ مختار عامه الحادى عشر ، فيلتحق باحدى المدارس الابتدائية ليكمل تعليمه .

انتقل مختار الى القاهرة ليعيش فى بيئة تسودها تقاليد الحارة المصرية ، حيث يختلط السكان ويتعاونون مهما تفاوتت مستوياتهم ، التلاميذ وأصحاب المتاجر والصناع والموظفون ، هذه البيئة الشعبية تحوطها عمارة القاهرة الاسلامية بفنونها العريقة ، فتبهره مآذن مساجدها ، ويتعلم من أبناء الحى أكثر مما يتعلمه فى المدرسة .

كانت طفولته فى الريف تطل على الحقول الواسعة المنبسطة والحياة بايقاعها البطيء ، وفى القاهرة كان الضوء الساطع بالنهار يعكس ظلالا حادة على زخارف عمارة المساجد والبيوت القديمة ، فتوقظ لدى الصبى الحسّاس الرغبة فى التشكيل المجسم ، وتثير حاسة اللمس لديه ، وتوقظ الرغبة فى تحسس هذه الزخارف المجسمة .. فالاضاءة القوية والحياة معظم الوقت خارج الأماكن المغلقة تحققان الميل الى التجسيم وإقامة الأشكال ذات الأبعاد الثلاثة القادرة على إعطاء مماثل صادق لهذه البيئة .

مدرسة الفنون الجميلة

وتتمنى الأم أن يلتحق ابنها بالأزهر ، لكنه يحس ميلا فطريا نحو الفن ، ولا يعرف الى أين يتجه .. وتفتح مدرسة الفنون الجميلة المصرية أبوابها عام ١٩٠٨ بحى درب الجماميز القريب من منزله ، فيسرع الى الالتحاق بها ، ويكون أول طالب يتقدم اليها .. وتبدأ مسيرة مختار مع الفن .

الأمير « يوسف كمال » من أمراء الأسرة المالكة هو الذى انفق على افتتاح هذه المدرسة ، وهذا جانب ايجابى يذكر له ، وقد اتجه الى وقف أمواله وثروته على تدريس الفن وارسال المبعوثين لدراسته بأوروبا .. بالطبع كان هدفه من ذلك خلق جيل من الفنانين المصريين يحلون مكان الفنانين الأجانب فى تزيين القصور والمبانى .. لكن التطورات السياسية لم تسمح بتحقيق هذا الهدف ، فسرعان ما اشتعلت الحركة الوطنية ضد الاستعمار الانجليزى (قوات الاحتلال) وانعكس ذلك على فن مختار فى التماثيل التى أقامها للزعماء السياسيين « مصطفى كامل » و « محمد فريد » وكانت هذه التماثيل تحمل فى المظاهرات والجنازات وتتصدر مواكب الشباب .

ومن ناحية أخرى ألهبت البطولات العربية خيال الفنان الشاب فأقام تماثيل تصور « طارق بن زياد » و « عمرو بن العاص » ثم « خولة بنت الأزور » وهى البطلة العربية التى حررت نساء قبيلتى « تبع » و « حمير » من أسر الروم ، وكانت على هيئة امرأة تمتطى جوادا وتطعن بالرمح وتشبه من بعض الأوجه « جان دارك » الفرنسية .

هذا الى جانب استعادته لمشاهد الريف يسجلها صورا وتماثيل ، خاصة التماثيل الفكاهية لابن البلد ووجوه زملائه ، وكانت هذه الروح المرحة وخفة الظل من العناصر التى لفتت الى موهبته الأنظار باعتباره متمكنا وقادرا على تشكيل أى تمثال وأية فكرة تخطر له .

انهمك مختار فى فنه حتى أطلق لحيته ولبس « البيريه » كغطاء للرأس وارتدى ملابس البوهيميين الفرنسيين ، وكان فخورا بتشجيع أستاذه النحات الفرنسى « المسيو لابلانى » ناظر المدرسة وصاحب فكرة اقامتها : فهو لم يكن فنانا مغمورا فى بلده فرنسا وانما كان مديرا لأحد متاحفها ، دعاه الأمير يوسف كمال فلبى دعوته ، وعندما اقترح على الأمير فكرة انشاء هذه المدرسة وحصل على الموافقة كان يريد أن يثبت صواب فكرته ، ووجد فى مختار أفضل برهان ودعامة لما يهدف اليه .. ومن هنا التقت الموهبة بالرعاية الحقة والحماس مع الكفاءة .

ورغم هذا لم يمتنع مختار عن المشاركة فى الحياة السياسية ، فخرج فى المظاهرات المطالبة بالاستقلال عام ١٩١٠ واشتبك مع عساكر الانجليز ، وعندما تدخل « قومندان » البوليس « مانسفيلد » الذى كان يتولى منصب « حكمدار » القاهرة ، اندفع محمود مختار الى حصانه يجذبه من ذيله بكل قوته ، فيهوى براكبه على الأرض .. ويقبضون على مختار مع عدد من المتظاهرين يودعونهم السجن لمدة خمسة عشر يوما .

وما ان تنتهى موجة المظاهرات حتى توضع لوائح جديدة لنظام الدراسة بالمدرسة ، ويظهر اتجاه لوضعها تحت اشراف الجامعة المصرية من يونيو الى أكتوبر عام ١٩١٠ .. فقام الطلبة بحركة احتجاج عنيفة أدت الى فصلهم ، فافتتح مختار وزملاؤه المفصولون مرسما بجوار المدرسة يمارسون فيه فنهم ، حتى تغيرت الأوضاع ودخلت المدرسة تحت اشراف وزارة المعارف ، وألغى قرار الفصل ليعودوا الى الانتظام فى الدراسة ، وقد ضمت هذه الحركة ١٥ طالبا يمثلون خلاصة النبوغ فى المدرسة ، كان من بينهم محمد حسن ويوسف كامل ويتزعمهم محمود مختار .

وهناك قصة حب غامضة بين فناننا واحدى قريبات أستاذ فن التصوير فى المدرسة « باولو فورشيلا » .. لكن هذه القصة انقطعت عندما ما تقرر سفر مختار الى باريس عام ١٩١١ .

لقد كتب « مسيو جيوم لابلانى » تقريرا عن نبوغ مختار الذى ظهر بوضوح فى المعرض الأول الذى أقيم لأعمال الطلبة ، وكان من بين المعروضات تمثال كاريكاتيرى لابن البلد أقبل المشاهدون على اقتنائه وباع منه ثمانى نسخ من الجبس بسعر جنيهين ذهبيين للنسخة الواحدة .. ووافق الأمير على تقرير « لابلانى » وقرر أن يبعث مختار الى باريس لاتمام دراسته ويتولى الانفاق عليه .

سافر مختار الى باريس وهو يعرف ان هذه هى فرصته لتحقيق أحلامه .. ويضع بيتين من الشعر كشعار لجهاده يقول فيهما :

أعلل نفسي بالمعالي تخيلا
فياليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوما للفنون لواءها
ويبقى لذكراها بمصر رنين

فى باريس

يتقدم مختار للالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة الفرنسية « البوزار » مع أكثر من مائة متقدم جاءوا من فرنسا ومن سائر أنحاء الأرض ، ويفوز مختار عليهم جميعا ، فيجيء ترتيبه الأول ، وينال اعجاب أستاذه الجديد « كوتان » ويشجعه راعيا لموهبته .

والفنان « كوتان » هو صاحب التماثيل البرونزية التى تزين كوبرى الاسكندر بباريس ، فهو ليس مجرد معلم فن وانما فنان مرموق أيضا . وقد تتلمذ مختار أيضا على يدى الاساتذة « مرسسييه » و « انجلبرت » وبدأ يتطلع الى الفنانين الكبار ، ويتقدم عام ١٩١٣ الى المعرض السنوى للفنانين الفرنسيين (صالون باريس) بتمثال يصور شخصية « عايدة » بطلة أوبرا « فردى » التى تحمل نفس الاسم .. فيقبل التمثال فى المعرض وتتحدث عنه بعض صحف باريس .

يتنبه الفنان على الشاطىء الآخر من المتوسط الى القيمة الفنية للتراث النحتى فى الآثار المصرية القديمة .. كانت دراسته حتى سفره تتطلع الى النموذج الاغريقى والرومانى فى فن النحت ، لكنه فى باريس لمس الاحترام والتقدير الشديدين للتراث النحتى المصرى القديم .. فيعود الى القاهرة وهو فى الثانية والعشرين خصيصا ليشاهد الآثار المعروضة فى متحف « الانتكخانه » كجزء من دراسته التى وجهه اليها أساتذته فى باريس . ويعرضون عليه خلال هذه الزيارة أن يعمل ناظرا لمدرسة الفنون الجميلة المصرية مكان أستاذه « لابلانى » الذى قرر العودة الى وطنه .. فيرفض رغم اغراء المنصب لأنه لايزال فى بداية الطريق ولأنه اختط لنفسه طريقا قد تعوقه قيود المناصب ، ويعود الى باريس بينما نذر الحرب العالمية الأولى تتجمع .. وهناك بدأت المتاعب عندما توقف عنه راتبه الذى يبعثه الامير بسبب انقطاع طرق المواصلات وتعثرها بسبب الحرب .

ويضطر مختار الى الاشتغال بعض الوقت شيالا فى مصانع الذخيرة ليعوض راتبه ، لكنه لايكف عن الدراسة أو الانتاج الفنى ، حتى يلقاه مصادفة أستاذه الأول « المسيو لابلانى » فيدعوه ليحل مكانه فى ادارة « متحف جريفين » « للتماثيل الشمعية والمقام فى حي « مونمارتر » ، لأن المسيو لابلانى بلغ سن التقاعد . ويقبل مختار هذه الوظيفة التى تعوضه عن العمل فى مصانع الذخيرة ، وتضعه فى موقع مرموق على رأس أهم متاحف الشمع فى العالم الى جانب متحف « مدام توسو » فى لندن . واستمر فى هذا العمل طوال عامى ١٩١٨ ، ١٩١٩ .

فى هذه الفترة اهتم المتحف بعمل تماثيل لأبطال الحرب وقادة أوربا وأمريكا وقتئذ أمثال « كليمنصو » و « ولسن » و « جوفر » الى جانب اقامة تماثيل للمجموعات مثل « حلم غليوم » و « عودة الجنود الى باريس عند النصر » لقد أتاح له عمله بالمتحف أن يشهد جلسات مؤتمر السلام ويتابعها مسجلا ملامح وجوه أقطاب المؤتمر .. هذا الى جانب تماثيل مشاهير الفنانين والفنانات فقد أقام تمثالا لأعظم راقصة باليه فى مطلع القرن العشرين هي : « أنا بافلوفا » .. وفيما بعد أقام تمثالا « لأم كلثوم » باعتبارها أشهر فنانة مصرية .. وكانت قد انبعثت من صميم الريف مثله تماما تشق طريقا قاسيا فى ميدان فن الغناء .. محملة بالروح الريفية الطبيعية .. وقد تحمس لها ، فصورها فى تمثال يفيض بالرقة والشجن والجمال من الشمع ثم أقام لها تمثالاآخر عرضه فى باريس عام ١٩٢٥ بينما كانت أم كلثوم فى مطلع حياتها الفنية

تمثال نهضة مصر

بعد انتهاء الحرب العظمى (١٩١٤ — ١٩١٨) بدأت تتجمع نذر الثورة على الاستعمار الانجليزى فى مصر تحت شعارات ثلاثة : الاستقلال والعدالة والدستور .. وبدأ يتكون حزب الوفد بزعامة سعد زغلول ، وكان للحزب تنظيمه السرى الذى أطلق على نفسه اسم « اليد السوداء » .

وكان أعضاء هذا التنظيم يقودون حركات المقاومة للاحتلال الانجليزى ، فاذا انكشف أمر أفراده هرب الى فرنسا حيث يستكمل دراسته اذا كان طالبا ويواصل نشاطه فى الدعوة الى قضية الاستقلال بين بقية المصريين هناك ، وفى المناسبات الدولية التى كانت تعقد فى باريس .

كان مختار ابن العمدة يلقب بين أصدقائه باسم « العمدة » وكان يسبق هؤلاء المجاهدين فى معرفة باريس وطباع الفرنسيين .. يعرف اللغة والكثير من الشخصيات الهامة الفنية والسياسية .. كان هؤلاء يكونون « الجمعية المصرية » التى تتولى الدعاية ضد الاستعمار الانجليزى فى مصر وتلقى معاونة مختار « العمدة » ومدير متحف « جريفين » .

ووضع الفنان فكرة تمثال « نهضة مصر » ، وعرض النموذج المصغر على زملائه من الطلبة المصريين فى باريس فتحمسوا له وجمعوا التبرعات فيما بينهم لينفذ الفنان هذه الفكرة فى الرخام .

وعندما سافر « الوفد المصرى » برياسة سعد زغلول الى باريس للدعوة لقضية استقلال مصر ، يتعرف أعضاء الوفد على مختار وعلى نهضة مصر ، فيعودون الى القاهرة متحدثين عن الفنان « النابغة » وعن تمثاله ، وتبدأ الحملة للتبرع لاقامته فى أحد ميادين القاهرة .

ويتقدم الفنان بتمثاله الى معرض صالون باريس ، فيكون ضمن ٦٠ تمثالا تم قبول عرضهم بالمعرض الكبير من بين ألفى تمثال تم تقديمها .

لقد كان أول معرض صالون يقام فى باريس بعد توقف طوال فترة الحرب ، وقد افتتحه رئيس الجمهورية الفرنسية ، واذا بالطلبة المصريين يصطفون هاتفين للتمثال ولاستقلال مصر خلال موكب رئيس الجمهورية ، ويفوز المثال باحدى جوائز المعرض ، ويتحدث عنه نقاد الفن على صفحات « الفيجارو » و « الالستراسيون » و « الطان » و « المجلة الحديثة للفنون » .. فتهتز مصر فخرا وطربا بالفلاح « محمود مختار » ابن القرية ، الذى قدم تمثالا يعبر فيه عن مطالب بلاده .. كان ذلك عام ١٩٢٠ عندما قرر مختار أن يعود الى الوطن .

وتصاحب عودة مختار حماسة شعبية تنعكس فى حركة الاكتتاب لاقامة التمثال .. فقد نشر « مجد الدين حفنى ناصف » مقالات متتابعة بجريدة « الأخبار » عن محمود مختار والنهضة الفنية فى مصر .. وتوالت المقالات

التى تدعو المواطنين للاكتتاب : الدكتور حافظ عفيفى والاستاذ أمين الرافعى وويصا واصف باشا وواصف بطرس غالى ومحمد حسين هيكل ومصطفى صادق الرافعى ومي وابراهيم عبد القادر المازنى .. ومن الشعراء مطران وشوقى وأحمد زكى أبو شادى ومحمد عبد الغنى حسن ..

وعرض نموذج التمثال بدار جريدة « الأخبار » التى كان يملكها المرحوم « أمين الرافعى » وارتكزت الدعاية لمختار ولاقامة تمثال نهضة مصر فى نقطتين عبر عنهما صاحب جريدة الاخبار أصدق تعبير.. الأولى : اقناع العالم بأن مصر لاتزال تعنى بالفنون الجميلة فهى ساعية الى استعادة مجدها القديم . والثانية : الاعلان عن القضية المصرية بطريقة تلفت الانظار أفضل من غيرها .

ووقف الخطباء يشيدون بعبقرية الفنان ، والناس يصفقون لمختار النابغة ، وظهر بين رجال الازهر دعاة لاقامة التمثال ، وكان منهم من يجمع التبرعات عقب صلاة الجمعة .. وهكذا جمعت لجنة التمثال ٦٥٠٠ جنيه من القرى والمصانع والمدارس ومن دواوين الحكومة ومكاتب الوزراء .. وكانت اللجنة برئاسة رشدى باشا وعضوية ويصا واصف وحافظ عفيفى وواصف غالى وعبد الخالق مدكور وفؤاد سلطان وأمين الرافعى وعبد القوى أحمد ومحمود خليل .. ورأت اللجنة أن ينفذ التمثال من البرونز ، لكن محمود مختار رأى ان يصنع التمثال الكبير من حجر الجرانيت الوردى ، من محاجر أسوان التى اقتطعت منها أحجار تماثيل قدماء المصريين .

وطلبت لجنة التمثال من الحكومة الترخيص باقامته فى ميدان محطة السكة الحديد الرئيسية بمدخل العاصمة (ميدان باب الحديد .. وهو « ميدان رمسيس ») . فقرر مجلس الوزراء فى ٢٥ يونيو ١٩٢١ الموافقة على ذلك ، وان يكون إنشاء القاعدة واقامة التمثال تحت اشراف وزارة الاشغال ، التى تتولى بقية النفقات بعد نفاد التبرعات .

لقد احتل تمثال نهضة مصر فترة فى تاريخ الحياة المصرية امتدت من سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٢٨ واقترنت بصراع بين القوى الشعبية الممثلة فى حزب الوفد ، يؤازرها المفكرون والمثقفون الذين تحمسوا لفكرة التمثال وضرورة اقامته من جانب ، وبين الذين حاربوا الفكرة الممثلة فى الأحزاب الخارجة على الوفد التى عملت على تعطيل اقامته خلال توليها الوزارة وكانت تعرف باسم « حكومة الاقلية » ، من جانب آخر .

وهذا شأن العمل العظيم ، فهو يعبر أصدق تعبير عن فكرة احياء المجد القديم التى كانت تسيطر على مفكرى ذلك الوقت ، سواء فى رموزه أو فى خامته ، فحجر الجرانيت لم يستخدم منذ قدماء المصريين فى اقامة التماثيل قبل « نهضة مصر » ، بينما أبو الهول يهم واقفا وتعتمد عليه الفلاحة التى ترمز الى « مصر الزراعية » .. بعد أن كانت تماثيل الميادين وقفا على الحكام والقادة .

فالفنان فى أرفع صوره هو قلب أمته ، يستجيب لافراحها ويترجم آمالها ، وكان هذا التمثال مطلبا شعبيا ، فتخطى كل العقبات وأزيح عنه الستار يوم ٢٠ مايو عام ١٩٢٨ . وقد حضر الملك حفل ازاحة الستار وهنأ مختار على عمله العظيم ..

وتنازل الفنان عن مستحقاته المالية التى حكم له بها القضاء ، فان تمثاله عمل قومى مواز للنهضة وليس مجرد تعبير عنها ، لذلك كان يردد دائما : « لست صاحب التمثال بل الشعب هو صاحبه » .

من أجل الفن

واصل الفنان ابداعه باحساس غامر بالتفوق والتقدير بعد أن لمس حب مواطنيه وتقديرهم له . لكن مختارا كان صاحب دعوة ورائد طريق ، لايقف عند حد انتاج أعماله الفنية وانما يمد جهوده الى ميادين أخرى ، هى ميادين الدعوة الى تذوق واحترام الفن وانشاء المؤسسات التى تتطلبها النهضة الجديدة من أجل اقرار مكانة الفن فى المجتمع .

لقد كان من أقطاب حزب الوفد ، فهو شخصية عامة لها قوتها وسطوتها وان لم يشترك فى الحياة السياسية اشتراكا مباشرا ، لكنه كان ينشر فى الصحف من حين لآخر آراءه النقدية ويعلم القراء كيف يفرقون بين أنواع الفنون ومدارسها بشكل مبسط يتلاءم مع المستوى الثقافى العام فى العشرينات من القرن الحالى .. ولعل الحوار الذى دار بينه وبين العقاد والمازنى على صفحات مجلة « السياسة » حول تمثال نهضة مصر الذى كانا ينتقدانه بشدة هو أول نقد فنى ظهر فى صحافتنا العربية .

كما نادى مختار بضرورة اقامة المدارس الفنية وانشاء المتاحف وجمعيات الفنون مع العناية بالبعثات الفنية .. كما حرص على توفير جو الحرية الذى يتيح للفنان أن يعبر بشجاعة عن رأيه وأن يبرز موهبته دون أن يخضع لقيد أو سلطان غير ضميره الفنى .

والى هذا الفنان الرائد يرجع الفضل فى ايجاد جهاز مختص بالفنون الجميلة فى مصر ، وبدء البعثات الرسمية لدراسة الفن ، وتخصيص اعتمادات فى ميزانية الدولة للفنون ، وقد ساهم فى تنظيم « مدرسة الفنون الجميلة العليا » عام ١٩٢٨ ، وانشاء الجمعيات الفنية واقامة المعارض الدورية ، فهو الذى بث معالم الفن فى حياتنا الثقافية ، ورغم الحاح الكثيرين فى أن يتولى مختار مناصب الفن الرسمية فى بلاده ، ورغم العروض المغرية لتولى مناصب مماثلة فى فرنسا ، فانه كان يؤمن بأن السلطة الزمنية قبر الموهبة ، وان الوظيفة قيد على حرية الفنان ، فرفضها جميعا رغم مامر بحياته من ظروف عصيبة ، وآثر أن تكون له سلطة الرأى عن أن تكون له سلطة المركز .

لقد تميز الجيل الذى ينتمى اليه مختار



حارس الحقول

بزهد وتضحية وبعد عن الماديات واخلاص للفن وسعي لنشره فكان محيط أصدقائه واسعا شاملا ، من بينهم أسماء مشهورة مرموقة عرفت بنشاطها العام مثل : عزيز المصرى والدكتور على ابراهيم وطراف على وويصا واصف وحافظ عفيفى وعثمان محرم وبهى الدين بركات وعبد الحميد بدوى وعلى الشمسى وشوقى وحافظ ومحمود عزمى وحسين هيكل وطه حسين وصبرى السوربونى وسيد كامل ... وغيرهم ممن لم ينالوا شهرتهم لكن كان لهم اهتمامهم وحماسهم للفن والثقافة .

وقد شارك فى « الجمعية المصرية للفنون » التى كونها عام ١٩٢٣ الفنانون راغب عياد ويوسف كامل وعددٌ من شباب الفنانين مع تشجيع سيدات المجتمع وعلى رأسهن السيدة هدى هانم شعراوى .. وبعد فترة قصيرة تكونت جمعية محبى الفنون الجميلة على يدى فؤاد عبد الملك .. وفى ١٩٢٧ كون محمود مختار « جماعة الخيال » وكان من بين أعضاء هذه اللجنة : العقاد والمازنى ومحمود عزمى ومي زيادة .. وبأقلامهم كتبت مقالات النقد الفنى فى الصحافة وتأصّل الايمان بفكرة الدور الايجابى للفن فى المجتمع .

وفى نفس الوقت عمل على تخصيص عدد من البيوت المواجهة لدار الآثار المصرية لمراسم الفنانين فى محاولة لايجاد حي مشابه للأحياء التى يشغلها فنانو باريس وتحقيق جو فنى مماثل يوحى بالابداع ويشجع على مواصلة الانتاج الفنى .

فى هذه المرحلة من ١٩٢٣ حتى ١٩٣٠ أقام الفنان معظم تماثيله الصغيرة وابتدع نماذج مصغرة للتماثيل الصرحية التى كان يحلم باقامتها .. سبع سنوات فقط تخللها توقف وانقطاع بسبب المشاكل التى واجهها اثناء إقامة تمثال نهضة مصر هى سنوات الابداع والتألق التى انتج خلالها مجموعة تماثيله التى بقيت بعد رحيله .

معرض باريس

حقق مختار مكانته وأصبحت كلمته مسموعة ، ونظر رجال الدولة نظرة احترام وتقدير لكل كلمة يقولها ، لقد أصبح زعيما لالتفاف الجماهير حوله والاعجاب العام به ، وعندما أقامت جماعة الخيال معرضها الثانى فى مرسم الفنان المستشرق « روجيه بريفال » اشترى رئيس الوزراء أحد تماثيل مختار ، كما اقتنت سيدة امريكية تمثالا آخر أهدته الى متحف « المتروبوليتان » بنيويورك فيما بعد .

وفى أواخر عام ١٩٢٩ سافر الفنان الى باريس حيث شارك فى معرض « صالون باريس » بتمثاله « عروس النيل » المنحوت فى الرخام ، فنال عنه الميدالية الذهبية ، وأعلنت الحكومة الفرنسية قرارها بشرائه ليوضع فى « متحف لوكسومبرج » وهو متحف للنحت المعروض فى حدائق واسعة حيث تشاهد التماثيل بين الخضرة ومياه النوافير والبحيرات الصناعية .

وفى ١٠ مارس عام ١٩٣٠ ومع بداية فصل الربيع أفتتح معرض كبير لتماثيل محمود مختار ضمّ أربعين عملا ، واستمر حتى ٢١ مارس فى قاعة برنهيم بباريس . فأفاضت الصحافة الفرنسية والامريكية والبلجيكية والانجليزية وكذلك صحافة بلاد الشمال فى الحديث عن المعرض باعتباره ممثلا لوجه الفن المصرى المعاصر ومؤكدا لشخصية مختار الفنية القديرة ، ووضع على نفس المستوى الابداعى للفنانين المشهورين : رودان ، ومايول وبورديل .. وكتب أحد كبار النقاد قائلا : « فى زمن الخداع واهتزاز عناصر التقدير الفنى ، مازالت القيم الجادة تحيا ، وهانحن نلمسها فى أعمال مختار المصرى » .

ونقلت الصحافة المصرية كل ما أثاره انتصار الفنان وتقدير معرضه الى الرأى العام .. ودعي رسميا الى اقامة تمثال « سعد زغلول » ، فأستقبل الفكرة بحماس وعاد الى مصر ليعمل ليلا ونهارا فى اعداد النماذج المصغرة ، حتى وضع تصميما لصرح يسجل مرحلة من تاريخ الشعب العربى فى مصر وكفاحه وطموحه ، يجمع رموزا تصور كفاح الشعب وطوائفه المختلفة والقيم والمثل التى جاهد من أجلها ممثلة فى : « الحرية والعدالة والدستور » . وبدأ تشييد تمثال فى القاهرة وآخر فى الاسكندرية لكن بعد عام ١٩٣٠ واجه المفكرون نكسة عنيفة مع بوادر الأزمة الاقتصادية العالمية ، صاحبها تقييد حرية الرأى والغاء الدستور.. فدخل عباس محمود العقاد السجن متهما بالعيب فى الذات الملكية ، وطرد الدكتور طه حسين من كلية الآداب ، واستقال



الفقراء الثلاثة

المثال
محمود مختار

رائد فن النحت العربي المعاصر

لطفى السيد من الجامعة ، وفصل حافظ ابراهيم من دار الكتب . وحاولت الحكومة وقف العمل فى اقامة تمثالى « سعد زغلول » بالقاهرة والاسكندرية رغم أن التعاقد مع محمود مختار على اقامتها يرجع الى عام ١٩٢٧ .

توقف نقل أحجار الجرانيت ، وانصرف مختار الى نحت تماثيله الصغيرة للفلاحة حاملة الجرة وحاملة السلال والفلاح يحمل عصاه أو فأسه . وكان الفنان يقرأ سيرة الفنانين العظماء « ميكل انجلو » و « فيدياس » ويتأمل ما لاقوه من معاصريهم ، ويسجل ذلك فى خطاباته الى أصدقائه .. لكن التمثالين يقفان الآن أحدهما مطلا على كوبرى « قصر النيل » بالقاهرة والآخر ينظر الى البحر الابيض المتوسط « بميدان محطة الرمل » بالاسكندرية ليعبران عن مرحلة من مراحل جهاد الشعب العربى فى مصر من أجل الحصول على حريته واستقلاله ، فقد تجاوز بهما الفنان فكرة تخليد قائد ثورة ١٩١٩ الى تخليد ذكريات مرحلة كاملة من مراحل هذا الشعب . وهذا هو الدور الحقيقى للنحت الميدانى .. أن يكون ذاكرة الأمة .

ورحل عدد من أصدقاء الفنان ، مات ويصا واصف باشا وكان صديقا ، ومات الشاعر أحمد شوقى وحافظ ابراهيم الذى كان يألف صحبته ، وأصيب الفنان فى يده ، فعاش موزعا بين الاطباء ، وكان يحلم باقامة تمثال للاسكندر الأكبر فى الاسكندرية وآخر لاحمد عرابى وثالث للملكة كيلوباترا .. لكن المرض لم يمهله ، ومات يوم ٢٧ مارس عام ١٩٣٤ .

بدأت أعماله الفنية تعيش بعده حياة جهاد تشبه حياة صاحبها .. وتكونت جماعة أطلقت على نفسها اسم « أصدقاء فن مختار » لترعى فنه وتحيى ذكراه .. وكانت ترأسها السيدة هدى هانم شعراوى التى كانت راعية للفن عطوفة على الفنانين .

أصدقاء فن مختار

اتجهت جماعة أصدقاء فن مختار الى اقامة متحف لحفظ تراثه ومقبرة لرفاته ، ولاقت الفكرة ترحيبا وتعاونا من عائلة الفنان وورثته الذين تنازلوا بغير تردد عن الأعمال الفنية التى تركها فى باريس وفى القاهرة من أجل تنفيذ الهدف .

وأرسلت الجمعية مندوبين عنها الى باريس لنقل تماثيله الى القاهرة ، وشاركت وزارة المعارف من جانبها فى تكريم ذكرى الفنان بتخصيص جزء من حديقة متحف الفن الحديث بالاضافة الى مبنى صغير ملحق به ليكون مقرا مؤقتا لمتحف مختار .. وقد افتتح رسميا يوم ٢٧ مارس عام ١٩٥٢ فى ذكرى رحيله .

ولم تكتف السيدة هدى شعراوى وجماعة اصدقاء فن مختار باقامة هذا المتحف المؤقت وانما أعلنت عن مسابقة سنوية لفن النحت بين المثالين للكشف عن مواهبهم وتشجيعهم لمواصلة طريق الفن الذى بدأه مختار ، وعرفت هذه المسابقة باسم جائزة مختار للنحت التى خصصت لها جوائز ماليه سخيه تشجيعا لشباب الفنانين ..

بدأ الاعلان عن هذه المسابقة من العام التالى لوفاة مختار ١٩٣٥ واستمر الى أن رحلت السيدة هدى شعراوى عام ١٩٥٣ ، وقد كشفت هذه المسابقة عن العديد من المواهب فى هذا الفن التى تألقت بعد الفوز بهذه الجائزة .

ولم تلبث وزارة الثقافة أن أقامت مبنى خاصا لمتحف محمود مختار فى حديقة الحرية بأرض الجزيرة افتتحه الدكتور ثروت عكاشه نيابة عن رئيس الجمهورية يوم ١٤ يوليو عام ١٩٦٢ حيث يعرض كل ماتبقى من تماثيله ، بالاضافة الى أدواته وأوراقه ..

وقد أعادت وزارة الثقافة منذ عام ١٩٨٣ الاعلان عن مسابقة مختار السنوية فى النحت ، لكنها لم تقدم حتى اليوم موهبة واضحة فى هذا الميدان على مدى السنوات الأربع الماضية .

بلاغة الصمت

لابد أن نتوقف قليلا أمام مميزات أعمال هذا الفنان الرائد ، فقد اضاف الى تراثنا القديم فى هذا الفن تراثا حديثا ، وقد تحول النحت على يديه الى فن رفيع بعد أن كان مجرد حرفه كالنجارة والحدادة ، لهذا يعتبر فنه نقطة البداية للنحت العربى المعاصر ، وهى بداية محملة بعراقة الاستمرار واصالته التى تقدم خلاصة تقاليد هذا الفن فى الحضارات المتعاقبة المنصهرة فى نفسه بعد أن تلاقت مع تجارب الفن الحديث وما استخلصه الفنان من مميزات كانت مصدر ثراء لأسلوبه الخاص .

لقد ظهر النحات الفرنسى « اوجست رودان » (١٨٤٠ ــ ١٩١٧) الذى يعتبر فنه بداية النحت الحديث فى اوربا ، وقد عاش مختار فى فرنسا فى ظل التأثير الطاغى لهذا النحات الكبير الذى اشتهر على المستوى الأوربى بواقعيته الرومانسية ..

كذلك النحات الفرنسى « ارستيد مايول » (١٨٦١ ــ ١٩٤٤) لقد عاصره مختار ايضا فى باريس وكانت تماثيله تبلغ القمة صنعة وابداعا وشاع تأثيره كما كان له اتباع وحواريون ..

لقد وصل مختار الى باريس فى فترة من أخطر الفترات التى مر بها الفن المعاصر .. فبين عامى ١٩١١ و ١٩٢٠ ، وهى مرحلة تكوينه الفنى على الشاطىء الآخر ، كانت باريس ممتلئة باتجاهات جديدة تعلن الحرب على القديم . بينما احتمى مختار بأسوار « البوزار » يتعلم من أساتذتها ويتابع فى نفس الوقت الاتجاهات الحديثة ويرقب تطورها ، ولم تؤثر الصيحات الحديثة عليه لقوة شخصيته وثقته فى كفاءته ، فقد وقف من الحركة الثقافية فى باريس موقف الند الذى يساهم معطيا ، ولم يتخذ موقف التابع الذى يأخذ دون ان يضيف . وهكذا تفهم جميع الاتجاهات والأساليب المستحدثة وألم بفلسفتها ، ونقل وجهة نظره فيها الى الجمهور فى مصر عندما وصف الاتجاهات المغرقة فى الاغراب بأنها اتجاه الى الخيال وقال : « ان تصوير الخيال قد يكون غالبا المقصود منه ستر قلة المهارة وقلة الكفاءة تحت اسم شهى جذاب ، اذ أن غايته فى السهولة تطبيق قواعد موضوعة بدلا من تصوير اشكال شيقة » .

كان ينادى بتطعيم الواقع بدرجة محدودة من الخيال ليكون الفن حقيقيا ونابعا من ذات الفنان .

اتجه الى استلهام جوهر التراث وروح العصر وصور البيئة المصرية ، وكانت له عين مدربه على ترجمة الشكل الواقعى فى هيئة منظمة ومنسقة تدل على ان الفنان لايقف عند حد التعبير عن الجمال وانما يهتم ببث الاحساس بالحيوية وقوة التعبير فى تماثيله .

لقد أعتنى عناية خاصة بصياغة الكتلة متبعا الأسلوب البنائي والصفات المعمارية ، وهذا يحفظ لتماثيله ــ مهما صغرت ــ كل خصائص النحت الكبير دون اغراب أو افتعال .

وحين نحت تماثيله الصغيرة الشهيرة للفلاحات ، نحتها مفعمة بالقوة والحيوية والخصوبة والأنوثة .. ليست انوثة الجوارى ، لكنها أنوثة شجاعة معتزة بنفسها ، وفى تمثاله

وجه فلاحة المسبوك بالبرونز يعبر عن الطلعة التى لوحتها شمس الحقول مع تقطيبة تقى العينيين الضوء الساطع ولاتخفى الجمال الجاد المشع من تحت عصابة الرأس .

الخطوط المنحنية والأقواس تعبر عن الدلال والليونه فى فلاحاته اللائى يرددن ايقاعا موسيقيا . ومن خلال تبسيط الكتلة وانسياب الخطوط يتحقق مايمكن ان نسميه « بلاغة الصمت » الذى يعطى احساسا بالسكينة الرائعة والشعور بالأمان والاستمرار .. فيكشف عن الجمال الداخلى حيث الترديد المنظم للخطوط والمسطحات ، وهكذا اكتملت فى أعماله سمات التكتيل والبساطه من ناحية والصلابة والصفاء من ناحية اخرى بخطوط تحمل فى طياتها صراحة القرية المصرية وانبساط الحقول وانسياب المياه .

انه يبدأ من الواقع المحيط به يدرسه بعمق وتمعن ، ولا تحتفظ ملاحظته ورؤيته الا بجوهر الاشكال وبما هو جدير بالتعبير عنه .

وفى تماثيله للوجوه صدق لايقف عند حد الملامح الخارجية وانما ينفذ الى الأعماق ، وتعبيرات تماثيله لاتتركز فى وجوهها فقط ، وانما يتردد التعبير الذي يقصده فى التمثال جميعه .. فينبض بالرشاقة والحركة بفضل عنايته بالدقائق والتفاصيل .. وهو يضفى على اعماله تعبيره الشخصي المميز الذى يتسم بالذكاء والحساسية والذوق الرفيع .

ان الصفاء الذى نلمسه فى اشكاله جعلها أثرا فريدا وقمة من قمم فن النحت ، عندما حقق معجزة التوافق بين المقتضيات النحتية والاحساس العميق بالحياة ، حيث نلمس التوازن والتناسق والنبل مع البساطة فى مسطحاته مع الشاعرية والحماس والرومانسية التى تنبض بها تماثيله .

أما العصر فقد عبر عنه فى تماثيله السياسية ، وسجل مرحلة المقاومة والانطلاق والنهضة .. حتى نرى هذه المعانى فى العديد من تماثيله الريفية وعلى رأسها تمثال الخماسين الذى لايقف عند حد التعبير عن مقاومة الريح وانما يمتد الى كل أشكال الجهاد ومحاولة الانطلاق .

انه الفنان الذى أوجد الصيغة الملائمة فى عصرنا الحديث لاجتماع مميزات أعرق تراثين فى فن النحت وهما التراث الاغريقى ممثلا فى سلالته الحديثة وهى النحت الفرنسى من جانب ، والتراث المصرى القديم من جانب آخر .. وهو يقول فى هذا الصدد :

عندما يمرقرن كامل على ميلاده عام ١٩٩١ .

النحت هما مصر أولا وبعدها فرنسا . لقد أوجد الأغريق نحتا فيه رشاقة عن النحت المصرى القديم ، ولكنى لا أحسّ فيه صفاء نحت مصر القديمة وما يحمله من طاقات القوة والحياة » .

وهو ينحت الجرانيت والبازلت والرخام ، وينفّذ بعض اعماله بخامة البرونز ، وهو ككل فنان راسخ الأسلوب يتنوع تشكيله بتنوع الخامات ويحقق المواءمة معها . حيث تلتقى المعرفة بالحلم ، والملاحظة مع الخيال ، والقوة مع الرقة ، والحركة مع الهدوء ، وتقاليد الفن الموروثة مع صور الحياة المعاصرة .

كلمات النقاد عن فنه

عندما أقام الفنان معرضه الشامل فى قاعة « برنهيم » بباريس كتب عنه النقاد ، ومن بينهم الناقد الشهير « لويس فوكسيل » الذى كان له فضل اطلاق اسم الوحشيين (الفوف) على أحد مذاهب الفن الحديث عام ١٩٠٥ عندما كتب عنوان مقالته النقدية « دوناتللو بين الوحوش » .. كتب هذا الناقد عن مختار يقول : « انه فنان واقعى شغوف بالحقيقة وصدق التعبير عن الحياة المحيطة به وهو صاحب طراز خاص » .

وقال عنه « اندريه سالمون » : « لا أعرف نحاتا معاصرا عنى اكثر من مختار بالعنصر البنائى ، وباحترام الكتلة لذاتها فى فن النحت وفقا لما تمليه تقاليد هذا الفن العريقة ، وليس هناك فن أجدر من فنه باعتباره فن انبعاث .. بالاضافة الى هذا فان مختارا دفعنا لان نلمس اعماق ضمير بلاده حين عبر عن عاطفة كبرى تتمثل فى تمجيد ابناء جنسه » .

اما المسيو « جورج جراب » الناقد ومدير متحف « رودان » فى باريس فقد كتب مقدمة معرض الفنان عام ١٩٣٠ يقول فيها مخاطبا مختاراً :

« قال رودان (ان الفن الخفاق بالحياة لا يعيد اعمال الماضى ولكنه يكملها) وتلك هى الرسالة العظيمة التى خصصت نفسك لها ، فان فلاحاتك ياعزيزى مختار وفلاحيك وبنات الحقول فى ارديتهم البسيطة التى تلف اجسامهن فى خفر وحياء .. كل هؤلاء يجمعن بين المظهر البسيط وتلك المسحة الانسانية الواقعية التى عرف اجدادك كيف يضفونها على تماثيلهم .. وفى تماثيل تلك الشخصيات العظيمة وتماثيل الاصدقاء التى تقدمها نجد شيئا من التماثيل المصرية القديمة المملوءة بالحياة فوصلت الى عصرنا الحاضر منتصرة على اليأس والزمن » .

وعقب وفاته قام استاذ الفنون الجميلة بجامعة « أرجون » بالولايات المتحدة ، بزيارة لمصر حيث عكف على دراسة فن مختار ، فكتب فى مقدمة دليل متحفه عام ١٩٥٢ يقول :

« لقد حبا الله مصر بهبة كبرى ، اذ خصها بالمقومات الثلاث اللازمة لابداع نحت عظيم : الروح والأحجار والضوء ، ومن بين جميع الحضارات كانت مصر صاحبة أكبر نصيب فى ارساء قواعد فن النحت . وامتداد هذه التقاليد فى العصر الحديث يظهر بوضوح فى أعمال محمود مختار .. انه يتكلم لغة عالمية من خلال لهجته الخاصة . ومنحوتاته الصغيرة تشع ببساطة الشعر وصفائه وايجازه ... » اما بدر الدين ابو غازي ابن اخت الفنان فقد كتب عنه يقول : « ان خصائص الفن العظيم هوأن يزدهر دون كلام ، وان يعطى دون صخب ، وفى فن مختار تتمثل هذه الخصائص ، وهو يجمع فى فنه نوعين من بلاغة اللغة التشكيلية ، بلاغة الجمال الهندسى ، وبلاغة الأشكال الطبيعية العضوية ، ومن مزجهما معا تخرج نماذجه .

لقد جاءت أصالة فن مختار من منابع ثلاثة : التراث والبيئة والعصر .. أخذ من التراث التوازن والهدوء والوقار والجلال ومثالية التعبير » .

بينما كتب عنه الناقد مختار العطار فى ذكراه يقول عنه :

« كان فيلسوفا قبل ان يكون رساما ونحاتا وشاعرا وأديباً وباحثا فى علم الجمال . والتربية الفنية و « الفلسفة » انما هى العبقرية ، والموهبة بعض مقوماتها . فالعبقرى هو المنشىء .. المبادر .. الذى يتبين العلاقات مهما بعدت المسافة بين عناصرها . اما الموهوب فتغلب عليه المهارة وله مواصفات يمكن قياسها باختبارات الذكاء » .

وقد صدر عن الفنان كتابان بقلم بدرالدين ابو غازى الأول عام ١٩٤٨ والثانى عام ١٩٦٤ وعدة كتيبات صغيرة وكتالوجات عن متحفه ، بالاضافة الى فيلم تسجيلى عن أعماله ، كما تناولت فنه وحياته عدة رسائل جامعية منذ ١٩٧٥ أشهرها الرسالة التى وضعتها الممثلة لبنى عبد العزيز حول حياته وفنه وتقدمت بها الى الجامعة الامريكية بالقاهرة .. ولازال فنه موضع دراسات كثيرة مطولة نتوقع ان ينشر العديد منها خلال السنوات الخمس القادمة عندما يمرّقرن كامل على ميلاده عام ١٩٩١ .

صبحى الشارونى

غزة هاشم

بقلم: يوسف الخطيب

غزة هاشم هي بوابة آسيا العربية، على إفريقيا العربية.

وهي في تاريخ الحموي: «امرأة صور»..

وفي تاريخ الدمشقي: «مدينة كثيرة الشجر، كسماط ممدود لجيش الاسلام على أبواب الرمل»..

وفي رحلة ابن بطوطة: «هي أول بلاد الشام مما يلي مصر، متسعة الأقطار، كثيرة العمارة»..

وفي الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، يرى مجير الدين الحنبلي أنها: «من أحسن المدن المجاورة لبيت المقدس، وبها كثير من الأشجار والنخيل، وحولها كثير من المغارس والمزارع»..

وهي تشتهر «بغزة هاشم»، لأن ترابها الطيب الطهور يحنو على رفات جد رسولنا الأعظم، هاشم بن عبدمناف.. كما أنها في الوقت ذاته مسقط رأس الامام الشافعي، وقد فاض به الحنين يوماً اليها، وهو في أرض الحجاز، فأنشدها من أرق شعر اللهفة والتذكار والحنين:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة
وإن خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها
كحلت به، من شدة الشوق، أجفاني

ثم إن غزة، في أحقاد التوراة السوداء، هي بيت الفلسطينيين المكين الذي تحطمت خلف أبوابه الغزوة اليهودية الأولى قبل ثلاثة آلاف سنة.. ولهذا فإن مؤلفي كتاب التوراة قد خصوها - أكثر من أية مدينة فلسطينية أخرى - بأعنف ما في صدورهم من الحقد اليهودي المرذول، باعتبارها - على حد اعتقادهم - مسرح الخرافة التوراتية الشهيرة التي أوقعت فيها «دليلة» الغزية بـ«شمشون الجبار» اليهودي، هذا الأخير الذي تحكي الأسطورة أيضاً أنه قوّض أعمدة المعبد الفلسطيني بذراعيه الهائلتين(!!)، مشيراً الى أهل غزة، دون غيرهم، بعبارته الانتقامية الحاقدة التي ذهبت مثلاً على مر الأجيال في صدد التعبير عن روح التخريب الشامل.. «عليَّ وعلى أعدائي يا رب»!!..



وكذلك الأمر في نطاق الغزوة اليهودية المعاصرة أيضاً، فلقد ظلت غزة آخر مزقة من التراب الفلسطيني تحمل اسم «فلسطين» في أعقاب نكبة عام ١٩٤٨، من بعد أن سُمِّيت الهضبة الفلسطينية الوسطى باسم «الضفة الغربية»، وسائر أرجاء التراب الفلسطيني الأخرى باسم «إسرائيل»..

وإلى ذلك كله، فإن غزة هي المدينة الفلسطينية الوحيدة التي ذاقت مرارة الاحتلال الصهيوني مرتين في نطاق عقد واحد من الزمان: مرة في حرب العدوان الثلاثي على



مصر عام ١٩٥٦ .. ومرة أخرى في حرب حزيران الأسود عام ١٩٦٧ .. وفي المرتين معاً دفعت ثمن احتلالها كما لم تدفعه مدينة قط، حيث بقيت أربع سنوات، من بعد كارثة حزيران، بمثابة نأمة الحياة والمقاومة الوحيدة في جسد الوطن العربي المترنح الفضفاض، وذلك باسلوب تصديها البطولي الفريد للاحتلال الصهيوني حتى بالنواجذ والأسنان ..

يبرز المشهد المقابل ،(من أرشيف « دار فلسطين » الفني لمعالم البلدانية الفلسطينية) ، إطلالة، من الشرق إلى الغرب، باتجاه ساحة الجندي الفلسطيني المجهول، بينما يظهر المجلس التشريعي الفلسطيني في عمق المنظر..

وأما عن تمثال الجندي المجهول هذا فقد أقيم أول مرة في عهد الإدارة العربية المصرية للقطاع، أثناء ولاية رئيس البلدية الأسبق المناضل الراحل منير الريس .. ولقد انصبَّ الحقد الصهيوني المقيت مرتين على هذا النصب التذكاري الفلسطيني، فحطموه أول مرة عندما دخلوا المدينة أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، ثم أعيد تشييده مجدداً إثر انسحابهم منها، ثم عادوا ليحطموه مرة ثانية بعد احتلال عام ١٩٦٧، وما زال محطماً حتى الآن .. لكن الفنان المقتدر عزيز إسماعيل تمكن من أن يعيد التمثال إلى هيئته ومقاييسه الأصلية في هذه اللوحة، بالاستناد إلى فوتوغراف

وثائقي قديم من أرشيف « دار فلسطين » .. عسى أن نتمكن ذات يوم قريب من أن نجدد بنيانه على الطبيعة .. لا في مجرد لوحة تذكارية !! ..

تقديم :
لبنى الريدي

جيل جديد من الغواصات

ان غزو قاع البحار لايقل أهمية للإنسان عن غزو الفضاء وإن لم يحظ بالاهتمام نفسه .

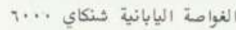
فالتنقيب عن الثروات المعدنية ودراسة الحياة البحرية على عمق عشرين ألف قدم تحت سطح البحر ، فضلا عن الاستكشافات الجيولوجية عند هذه الأعماق أمر حيوى يتطلب بناء غواصات متطورة يمكنها تحمل ضغوط تصل الى اربعة أطنان لكل بوصة مربعة .

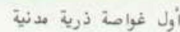
ويتنافس فى هذا المجال الفرنسيون واليابانيون والأمريكيون من أجل تصميم غواصات يمكنها الوصول الى أعماق جديدة ، وتسجيل كميات أكبر من المعلومات .

فالغواصة شينكاى ـ ٦٠٠٠ ، وهي يابانية الصنع ، تعتبر اكثر الغواصات تطورا حتى الآن ، فهى تستطيع الغوص حتى عمق ٦٥٠٠ متر وهو رقم قياسي لم يسبق الوصول اليه كما تضم كابينة قيادة مقاومة للضغط ومصنوعة من سبائك التيتانيوم تتسع لاثنين من البحارة. وتزيد هذه الغواصة التى يتم تشغيلها بمحرك كهربى يستمد طاقته من بطاريات ٢٥ طنا ، وهى تستطيع العمل فى قاع البحر لمدة ٩ ساعات متواصلة حيث تقوم بالتقاط الصور الملونة بكاميرات ستريو وبجمع العينات بواسطة ذراعيها الآليين .

إلا ان الطاقة الكهربية واحتمال نفاذها يحد من وقت الغوص ومن المساحة التى يتم استكشافها ، ولذلك فكر الباحثون فى استخدام الغواصات الذرية للأغراض العلمية والتجارية .

وبدأ الفرنسيون والكنديون فى التخطيط لتدشين أول غواصة من هذا النوع فى عام ١٩٨٨ . ستزود هذه الغواصة واسمها « ساجا ـ ان » بمفاعل نووى صغير يولد ١,٥ ميجاوات من الطاقة الكهربية يعمل عند الضغط الجوى . ويستخدم الماء كمبرد ومهدىء للتفاعل النووى . ولقد صمم هذا المفاعل بحيث يعمل طوال سبع سنوات متواصلة دون حاجة الى التزود بوقود نووى جديد . وتستطيع هذه الغواصة ان تحمل طاقماً من ستة أفراد وهو رقم قياسى لأن أقصى عدد لطاقم الغواصات المدنية لايتعدى اثنين كما تقدر فترة بقاء هذه الغواصة فى قاع البحر بثلاثين يوما . وهى اقصى فترة يستطيع البحارة تحملها .


الغواصة اليابانية شنكاي ٦٠٠٠


أول غواصة ذرية مدنية



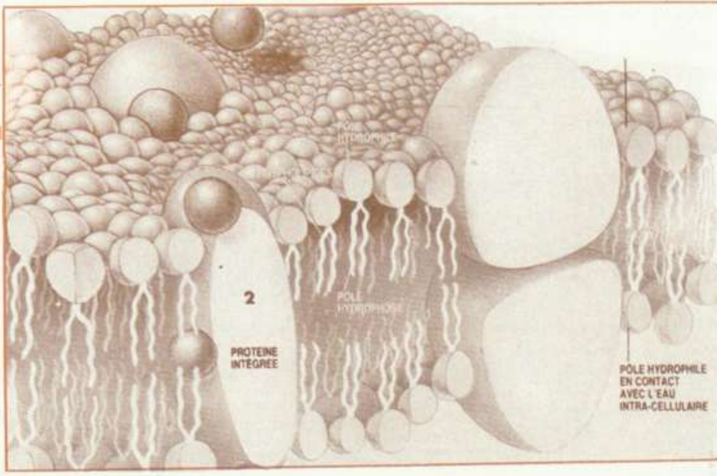
المخ الكبير

هذا الكمبيوتر وإن كان اسمه « المخ الكبير » فهو أصغر ميكروكمبيوتر ١٦ « بيت » في العالم ، (البيت هي وحدة المعلومات في لغة الكمبيوتر) ، وهو ليس ياباني الصنع كما هو متوقع بل فرنسي الجنسية . ويزن « المخ الكبير » أقل من نصف كيلوجرام ويضم ذاكرة حية سعتها ٣٢ ألف حرف يستطيع مستخدم الميكروكمبيوتر تسجيل المعلومات فيها وتعديلها أو إلغائها ، فضلاً عن ذاكرة « ميته » كما تسمى سعتها ١٢٨ ألف حرف مسجل عليها برامج التشغيل . ويمكن زيادة هذه السعة المحدودة بدرجة ملحوظة باضافة بطاقات ذاكرة لايتعدى حجمها نصف حجم بطاقة الائتمان ، سعة كل منها ١٢٨ ألف حرف ويمكن اضافة أربع من هذه البطاقات .

ويتطلب هذا التصميم المبتكر استخدام نظام خاص يعتمد على استعمال الرموز والنوافذ . فشاشة هذا الميكروكمبيوتر المصنوعة من البللورات السائلة تتسع ل ١٦ سطرا يضم كل منها ٦٣ حرفا وهى شاشة حساسة للمس . فبالضغط على رمز معين تظهر على جزء من الشاشة يشغل ثلاثة سطور لوحة مفاتيح تمثل الحروف الابجدية .

ويتميز « المخ الكبير » بأنه يستطيع تشغيل عدة برامج فى آن واحد وهو لا يحتاج إلا لأربع بطاريات قوتها الدافعة الاجمالية ٦ فولت لتضمن له ١٠ ساعات من التشغيل المستمر .

وهذا الجهاز الذى لايزيد طوله عن ٢٠ سم وارتفاعه ١١ سم وسمكه ٢,٥ سم موجود حاليا فى شكل نموذج انتظارا للتصنيع .



النشاء الخلوى كما يبدو تحت المجهر

دواء جديد من مح البيض

استخرج الأطباء دواء جديدا من مح البيض، يزيد من مناعة الجسم ضد الأمراض، ويعيد لخلايا المخ شبابها، كما يساعد على التغلب على إدمان الخمر والمخدرات. وأطلق على هذا الدواء السحرى اسم «ايه ـ ال ـ ٧٢١».

يرتبط قصور عمل بعض الخلايا ـ خاصة خلايا المخ وجهاز المناعة ـ ارتباطا وثيقا بالتغيرات التى تطرأ على الغشاء الخلوى لهذه الخلايا. فهذا الغشاء يلعب دورا فعالا فى معظم الوظائف الحيوية للخلية، وهو ليس صلبا أو ساكنا، ولذلك فإن فقدان الغشاء الخلوى لمرونته وقدرته على التحرك يعد من النتائج الأولى لتسمم الخلايا بالمخدرات أو الكحول كما يعتبر من مظاهر الشيخوخة الخلوية.

ويفسر جزئيا فقدان الغشاء الخلوى لمرونته بترسب الكولسترول بين جزيئاته مما يزيد من لزوجته ومع استمرار ظاهرة الترسب تختل وظائفه الخلوية.

ولقد ركزت الأبحاث جهدها من أجل التوصل الى مادة قادرة على اعادة المرونة للأغشية التى فقدتها نتيجة للشيخوخة أو للإدمان. ووجدت فى هذه المادة المستخرجة من مح البيض ضالتها المنشودة. فأثبتت التجارب المعملية قدرة هذه المادة على زيادة السيولة والمرونة الغشائية بنسبة ٣٥٪ فى أقل من ساعة. فهى تعمل على استخلاص الكولسترول المترسب على الأغشية معيدة لها لزوجتها الطبيعية.

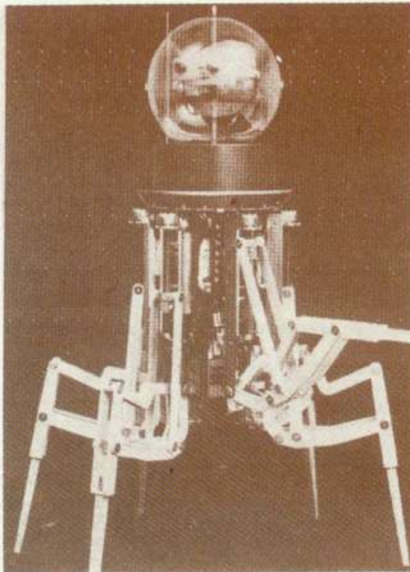
ويتميز هذا الدواء بأنه غير ضار؛ فلقد تمت تجربته على تسعة من المتطوعين فى الخمسين من عمرهم لمدة ستة أسابيع. وفى نهاية المدة سجلت الاختبارات زيادة فى نشاطهم الذهنى والجسمانى.

ومن ناحية اخرى فلقد تمت تجربته على ١٦ متطوعا تزيد سنهم عن ٧٥ عاما ويعانون من ضعف فى جهاز المناعة يرتبط هذا الضعف بسنهم. وبعد علاج يومى بهذا الدواء لمدة أسبوع أصبحت الخلايا الليمفاوية التى تتولى الدفاع عن الجسم ضد الأمراض أكثر نشاطا ومع استمرار العلاج لثلاثة أسابيع أخرى أصبح نشاط هذه الخلايا مماثلا لنشاط الخلايا الليمفاوية الشابة فأصبحت قادرة على التكاثر إلا أن هذا النشاط يختفى بمجرد وقف العلاج. أما بالنسبة للتغلب على إدمان الخمور والمخدرات فمن المعروف أن الكحول والمخدرات من العوامل التى تساعد على زيادة سيولة الأغشية الخلوية ولذا فإن الإدمان عليها يفقد هذه الأغشية مرونتها نتيجة لترسب الكولسترول عليها نظرا لقدرتها على تبديل تركيبها الكيمائى للحفاظ على توازنها. وينتج عن قدرة الأغشية الخلوية على التكيف تعودها على العامل الجديد الا وهو الكحول أو المخدرات.

ومن ثم فعند التوقف عن تعاطى هذه المكيفات يصبح معدل لزوجة الأغشية الخلوية عاليا بسبب جزيئات الكولسترول التى تراكمت عليها وتحتاج لاستعادة مرونتها الى عدة أيام يكون المدمن خلالها فى حالة يرثى لها، فى حين يعيد هذا الدواء المستخرج من مح البيض للأغشية الخلوية مرونتها وسيولتها فى ساعات معدودات مما يجعله يمثل عونا حيويا لعلاج الادمان.

ويستعد الأطباء حاليا لتجربته على عينة من المدمنين بعد نجاح تجربته على الفئران.

الربوت النووي



هذا الربوت ذو الستة اقدام يحمل اسم «أودكس ـ ١» وهو امريكي الصنع والمهمة الموكولة إليه هي تشغيل المحطات النووية وصيانة أي خلل في أنظمة المفاعلات حتى وإن كان هذا الخلل في قلب المفاعل ذاته.

ويتميز «أودكس ـ ١» بالجمع بين القوة والمرونة، فبينما لا تستطيع أجهزة الربوت رفع أثقال تزيد بنسبة ٤٫٥٪ عن وزنها فان «اودكس» يمكنه حمل ٩٥٥ كيلوجراما وهو في وضع ثابت أي مايوازي ٥٫٦ أضعاف وزنه. كما يستطيع حمل ثقل قدره ٤٥٤ كيلوجراما وهو يسير سرعة عادية.

ويتمتع هذا الربوت النووي بحرية حركة لأنه يضم داخله مصدر الطاقة اللازمة لتشغيله، كما أنه مزود بنظام اتصالات لاسلكي

أما بالنسبة لمرونته وقدرته العالية على المناورة فهما ترجعان إلى أن كل طرف من أطرافه الستة مزود بميكروكمبيوتر يتحكم في حركة كل قدم على حدة بينما يتولى ميكروكمبيوتر سابع تنسيق الحركة الشاملة للربوت. كما أن سيقانه المفصلية تسمح له بالقيام بأوضاع متنوعة. وسيزود هذا الربوت بذراع آلي وكاميرا فيديو ونظام تحكم الكتروني حتى يتمكن من القيام بأعمال المراقبة والصيانة في المحطات النووية.



المخرج روبرت التمان ـ على اليمين ـ يستعد لترتيب المشهد والممثل سام شيبرد يستعد لدوره في فيلم « غبي في الحب »



سينما

بقلم: رءوف توفيق

«الدوحة» في مهرجان «كان»
مرّة أخرى تتحقق نبوءة «الدوحة»

العقلية اليهودية تستولي على السينما العالمية

لا أعتقد أن هناك عربياً واحداً شعر بالرضا، مما حدث في مهرجان « كان » السينمائي الأخير. وإذا كان لي أن أتحدث عن نفسي، فقد لازمني ذلك الاحساس الكئيب بالعجز والحسرة، وفي بعض الأحيان، ومع بعض الأفلام، كنت أشعر أن هناك من يصفع عروبتي، ويسخر من تاريخنا وحضارتنا وأحلامنا، بل من وجودنا على خريطة البشرية !!

« كان » السينمائي ـ وأنا أتابعه بانتظام منذ عشر سنوات ـ أن عرض مثل هذا العدد الرهيب من أفلام اليهود !

والمصيبة الأكبر، أن بعض السينمائيين العرب تبرعوا من تلقاء أنفسهم لتحية اليهود في أفلامهم التي عرضت في مهرجان « كان » الأخير !!

وكأن تحية اليهود هي جواز السفر الوحيد والمضمون لشاشات السينما العالمية !!

لم يكن الأمر متعلقاً بإدارة المهرجان.. ولا باستقبالنا نحن الصحفيين والنقاد العرب، المتابعين للمهرجان، ولا بحقنا في تقديم أفلامنا والمنافسة مع الآخرين، ولا مصادرة لرغبتنا في المناقشة والاشتراك في المؤتمرات الصحفية.

لم يكن هناك شيء من هذا القبيل.

وإنما كل ما حدث.. أنه تأكد لنا أن الشبكة الصهيونية أحكمت قبضتها على صناعة السينما العالمية.. وأن التنظيمات اليهودية عادت بكل قوتها وشراستها، للإعلان عن نفسها من خلال الأفلام.. وبمختلف الأشكال واللغات.. فهناك دائماً هذا « البطل » اليهودي.. إما مظلوماً ومضطهداً، وإما ثائراً يبحث عن حقه، وإما انساناً ضاحكاً يأسر القلوب.. وإما مقاتلاً مغواراً لابد أن ينتصر !!

ولم يحدث في السنوات الأخيرة لمهرجان

وفي هذا الجو النفسي الكئيب، والذي يحاصرك من كل جانب، وبالاضافة إلى ذلك الرصيد القديم والمتجدد الآن بقوة لكراهية العرب، وإدانتهم جميعاً كإرهابيين وقتلة، ونظرات التوجس ـ والقرف أحياناً ـ والتي تطاردك عندما تعبر بوابة المطار، أو عندما تدخل أبواب متجر أو مطعم، مع كل هذه الظواهر ـ المرئية والمسموعة والمحسوسة ـ لا يمكن أن تكون لامبالياً..

لقطة من أوبرا عطيل
للمخرج زيفاريللى





هكذا يُنشئون القواعد الاستراتيجية للسيطرة على الرأي العام

« كيم باسنجر » بطلة
فيلم « غبى فى الحب »



لقطة من أفلام المهرجان

فما يحدث هو خطة محكمة ومدروسة، ومحسوبة المراحل للسيطرة على الرأي العام العالمي.. وإصدار الحكم علينا، بإلقائنا — نحن العرب — في بحور الظلمات والتخلف والهمجية.

كيف كانت البداية ؟

وتشهد هذه الصفحات من «الدوحة» أنني كتبت كثيراً عن اليهود، وكيف يلجأون إلى سلاح الفن عموماً، والسينما بالذات، لكي يذكروا العالم بوجودهم وقضيتهم..

وقد عاهدت نفسي على رصد التحرك اليهودي في السينما العالمية، وكتبت على هذه الصفحات من «الدوحة»، تسع مقالات خلال السنوات العشر الأخيرة، أتابع فيها الأفلام التي ينتجونها بأموالهم، داخل اسرائيل أو خارجها.. بمساعدة حلفائهم في الشبكة الصهيونية..

وكتبت كثيراً.. ألفت الانتباه لهذا المغامر الاسرائيلي، المنتج والمخرج «مناحم جولان»، وابن عمه «جلوباس».. وكلاهما من أبرز عناصر المخابرات الاسرائيلية.. وقد اشترك «جولان» بنفسه في المعارك العسكرية ضد مصر.. وهو لا يخفي هذا بل يفتخر به (!!).. وكيف اشتركا معاً في تأسيس شركة سينمائية داخل اسرائيل، تحت اسم «نوح فيلم» أنتجا من خلالها العديد من الأفلام الروائية والقصيرة.. ربما كان أهمها، فيلم «عملية رجال الصاعقة» والذي عرض في سوق مهرجان كان عام ١٩٧٧.. وأثير حول الفيلم اهتمام بالغ.. حيث أنه كان أضخم فيلم — من ناحية التكاليف — تقدمه السينما الاسرائيلية — (تكلف وقتها ٢,٥ مليون دولار).. وكان هذا الفيلم أيضاً هو أول بيان تقدمه السينما الاسرائيلية، للعالم.. عن يقظة المخابرات الإسرائيلية، وقوة الجيش الاسرائيلي من خلال المهمة التي أوكلت لرجال الصاعقة الاسرائيلية لانقاذ ركاب الطائرة الفرنسية والتي أقلعت من تل أبيب، وتعرضت لعملية اختطاف في الجو، وهبطت في مطار «عنتيبي» بأغوندا..

كتب هذا الفيلم وأنتجه وأخرجه «مناحم جولان»، والذي قالت عنه نشرة الفيلم الاسرائيلي عام ٧٧، والتي تصدر عن مركز الفيلم الاسرائيلي التابع لوزارة التجارة والصناعة.

«أن مناحم جولان هو الشخص الذي تقع على عاتقه مسئولية تطوير صناعة السينما الاسرائيلية، منذ بداية تفتحها حتى قمة ازدهارها»!!

(مقال الدوحة لشهر ديسمبر عام ٧٧).

الانتقال إلى أمريكا

وتطوى الصفحات، والسنين.. ونحن نرقب تحركات الاسرائيلي «جولان» وابن عمه «جولباس»، وكيف نقلا نشاطهما إلى الولايات الأمريكية، وأعادا تكوين شركتهما السينمائية تحت اسم «كانون» بدلاً من «نوح فيلم».

بدأت تلك الشركة الجديدة عملها عام ٨٠.. كانت خطتها احتواء أكبر عدد من النجوم في أفلام قليلة التكاليف، سريعة الانتشار بحكم موضوعاتها التجارية التي تستجيب لأذواق الشباب والمراهقين، وتحقق أكبر عائد مادي في أقل وقت ممكن.

وكتبت في عدد أكتوبر عام ١٩٨٠ من «الدوحة».. أقول: انهم يتجنبون الخوض في دعاية مباشرة أو غير مباشرة لاسرائيل.. انهم يحاولون إبعاد أية شبهة عن «هوية» هذه الشركة السينمائية.. ولهذا فهم يتحركون في كل الاتجاهات التجارية المضمونة.. ولكن هل سيواصلون هذا الطريق؟

وأجبت في نفس المقال: أستطيع أن أؤكد بناء على فهم العقلية اليهودية.. انهم بعد أن يضمنوا الانتشار والرواج لاسم الشركة.. سيبدأون في الاعلان عن «هويتهم» الحقيقية.. ويسربون فيلماً وراء الآخر يتضمن بعض أفكارهم ووجهة نظرهم في القضايا العالمية، وبالذات قضية وجودهم، وحق اسرائيل، وأمن اسرائيل، وحلم اسرائيل، و.. و..

«والمخطط معروف.. فالمال اليهودي لا ينفق هباء»!!

وتحققت نبوءة «الدوحة» في عام ٨٤.. حينما قدمت شركة «كانون» فيلماً بعنوان «السفير» يلعب بطولته ثلاثة من نجوم السينما الأمريكية: «روبرت ميتشوم» — «روك هدسون» — «ايلين بريستين»

والفيلم يطرح سؤالاً لماذا لا يجلس الشباب الاسرائيلي مع الشباب الفلسطيني ويتبادلون الحوار، كخطوة أولى لإقرار السلام؟

وينتهي الفيلم بالطبع — وبعد أحداث تشير إلى قوة المخابرات الاسرائيلية وفساد المنظمات الفلسطينية — إلى أن الشباب الاسرائيلي هم المستعدون للسلام، يمسكون بالشموع، ويغنون، وينتظرون الشباب الفلسطيني الذي يأتي متخفياً في الظلام ليقتلهم بكل غدر ووحشية.. ورغم هذا يواصل الشباب الاسرائيلي «المتحضر» رغبته في السلام!!

وكان هذا الفيلم الحقير.. هو أول مؤشر واضح لسياسة شركة «كانون» الأمريكية المظهر الاسرائيلية المعدن!

وعلقت على هذا الفيلم، من خلال متابعة للنشاط الاخطبوطي لشركة «كانون» في مقال نشرته «الدوحة» بعدد سبتمبر عام ١٩٨٤..


الثنائي الاسرائيلي جلوباس على اليمين ثم جولان


اريك روبرتز السجين الذى تورط فى الهروب

وكتبت في ختام ذلك المقال محذراً :

(إن « جولان » و « جلوباس » يتحركان بسرعة .. وبخطة مرسومة بذكاء .. وليس بعيداً أن يأتي اليوم الذي يصبحان فيه أباطرة صناعة السينما في العالم .. وعلينا أن ننتبه) !

القفزة الجهنمية

وللمرة الثانية ، تتحقق نبوءة « الدوحة » . وفي هذا العام ــ ١٩٨٦ ــ تأكد بشكل واضح من خلال مهرجان « كان » السينمائي ، أن الثنائي « جولان ــ جلوباس » تحولا بشركتهما « كانون » إلى أباطرة في السينما العالمية .. فقد امتد نشاطهما إلى كل أمريكا وكندا وأوربا ..

يشتريان دور العرض السينمائي ليضمنا « المكان » الذي يعرضان فيه أفلامهما ، وأيضاً ليتحكما في السوق .

يشتريان الشركات السينمائية التي تعاني من الخسائر ..

وقعا اتفاقيات لاحتكار سوق « الفيديو كاست » في أمريكا الشمالية .

ويتفاوضان الآن لشراء شركة « مترو جولدين ماير » ذات الصيت التاريخي ..

وقد تعمدا في مهرجان كان السينمائي أن يفجرا كل مشاريعهما القادمة .. ويعلنا عنها بحملة دعاية غطت كل المدينة ومجلاتها اليومية (لا يقل عن ثلاثين صفحة اعلان كل يوم) .

فإذا كانت مدينة « كان » تشهد في مهرجانها السينمائي السنوي ما لا يقل عن ثلاثة آلاف صحفي وناقد .. وأكثر من خمسة آلاف مشتغل بصناعة السينما .. وأكبر تجمع للنجوم والمخرجين .. فإن زغللة العيون ، وإدارة الرءوس .. هو هدف من الممكن تحقيقه .. بإنفاق عدة ملايين من الدولارات على الدعاية ..

وهكذا أصبح اسم « كانون » يدق ليل نهار على أسماع المشاركين في المهرجان .. مؤتمرات صحفية .. وأحاديث .. وصور .. وأخبار .. ومفاجآت موقوتة بذكاء شديد .

كل هذه القفزة السريعة الجهنمية .. حدثت في خلال خمسة أعوام فقط .. كيف حدث هذا ؟



جون فويت .. السجين الذى قاد عملية الهروب

مصادر التمويل

في العام الأول لشركة كانون ــ عام ١٩٨٠ ــ بلغت الأرباح ثمانية آلاف دولار ..

في العام الماضي ــ ٨٥ ــ وصلت الأرباح إلى خمسة عشر مليوناً من الدولارات !

وهذا الرقم الأخير .. يعطي صورة عن حجم رأس المال الذي تتحرك من خلاله هذه الشركة ..

وفي دراسة عن اقتصاديات شركة « كانون » .. جاءت هذه المعلومة .. أنه في العام الماضي ــ ٨٥ ــ حصلت الشركة على قرض بمبلغ خمسة وستين مليون دولار من بعض البنوك الأمريكية وفي مقدمتها بنك (فيرست ناشيونال) في بوسطن .. بالاضافة إلى تسهيلات نقدية مقدمة فعلاً ، من بنك (كريديه ليونيز) في « نيزلاند » بمقدار خمسة وأربعين مليون دولار .

حدث هذا في عام واحد .. مما اعطى شركة كانون أرضية صلبة لتتحرك عليها .

وفي معلومات أخرى مؤكدة .. أن عدداً كبيراً من الشخصيات الأمريكية الثرية تساهم بجزء من ثروتها في تدعيم هذه الشركة ، عن طريق الأسهم والسندات . (بالطبع دور الصهيونية لعالمية في قيام وتأكيد هذه الشركة مفهوم) .. ومن المعروف أيضاً أن عدداً من الحكومات الأجنبية ، وفي مقدمتها اسرائيل ، تقدم مساهمتها السنوية لتقوية شركة « كانون » .

والسؤال البديهي هنا .. لماذا هذا الحرص على التأكيد والتقوية ؟

والاجابة البديهية أيضاً .. أن السيطرة على صناعة السينما العالمية ، هي أحد مخططات الصهيونية للاستحواذ على الرأي العالمي .. وتجنيده لخدمة أهدافها .

وكما هو معروف دور الصهيونية في شراء المؤسسات الصحفية ، وشبكات التليفزيون ، تأتي السينما لتكمل حلقة الضغط على الرأي العام .

ولكن ما هو حجم الانتاج السينمائي لشركة « كانون » .. حتى نستطيع أن نقدر حجم التأثير ؟

عدد الأفلام يتزايد سنوياً

لم يزد متوسط الانتاج السينمائي (من عام ١٩٨٠ ــ وحتى عام ١٩٨٣) عن ١٢ فيلماً .. وقد يصل إلى ١٥ فيلماً في العام ..

أما خطة عام ٨٦ .. فالمتوقع أن يكون حجم الانتاج من ٢٢ ــ ٢٥ فيلماً . متوسط ميزانية كل فيلم خمسة ملايين دولار .. ترتفع أحياناً إلى أرقام أكبر ، في بعض الأفلام التي تعتبرها الشركة ، واجهتها الاعلامية .. كفيلم « سوبرمان ــ الجزء الرابع » بطولة « كريستوفر ريف » والمتوقع أن تصل تكاليفه إلى ٢٥ مليون دولار .. وكفيلم « كابتن أمريكا » اخراج « رومان بولانسكي » وميزانيته عشرة ملايين دولار .. وكفيلم « زوربا » المأخوذ عن المسرحية الموسيقية التي مثلها انتوني كوين على المسرح الأمريكي .. وسيشاركه البطولة « جون ترافولتا » .. ويخرجها « روبرت وايز » الذي أخرج من قبل « صوت الموسيقى » ، وكفيلم « الملك لير » الذي سيخرجه المخرج الفرنسي « جان لوك جودار » في أول عمل له بأمريكا .

وهذه الأفلام ــ كنموذج ــ هي التي تطنطن بها شركة كانون في حملة دعاية مكثفة لاثبات قدرتها على تشغيل كبار النجوم والمخرجين .. وضمهم إلى صفوفها ..

ولكن مهما كان بريق الاسماء ، وضجيج الدعاية ، فهل من الممكن أن نعتبر انتاج ٢٥ فيلماً في العام ، مسألة تشغلنا إلى هذا الحد .. وتجعلنا ندق أجراس التحذير من السيطرة على صناعة السينما ؟

الإجابة بالتأكيد .. لاتحسب بعدد الأفلام المنتجة سنوياً .. ولكن تحسب بمعدلات الزيادة المضطردة في المستقبل ..

فإذا كان انتاج شركة كانون لم يتعد ١٨ فيلماً في عام ٨٥ ، فإن عام ٨٦ سيشهد ٢٥ فيلماً .. والعام التالي سيشهد زيادة أخرى .. وهكذا .. وبعد خمس سنوات مثلاً سيصل الانتاج إلى مائة فيلم ــ كما يتوقعون ــ !

ولكن مع افتراض صحة هذه التوقعات فهل مائة فيلم في العام .. تجعلنا نخاف على مستقبل صناعة السينما العالمية من الوقوع في يد الصهيونية ؟

السيطرة .. بأماكن العرض

مرة أخرى ، الإجابة لا تتعلق فقط بحجم الإنتاج ، وإنما لابد أن ننتبه إلى خطة شركة


والتر ماثيو القرصان العجوز الذى لعب بطولة فيلم « القراصنة »

العقلية اليهودية
تستولي على السينما العالمية

« كانون » لشراء دور العرض السينمائي ، فمن يملك دار العرض .. بالتأكيد سيتحكم في نوعية ما يعرض ..

وبمعنى أدق .. من كان معي فليدخل .. أما من يخالفني فليبحث عن مكان آخر ؟.

ومعي أو ضدي .. المقصود بها الخط الفكري والسياسي ..

وهنا يتضح خبث العقلية اليهودية في اللهفة على شراء « المكان » الذي يضمن لها وجود المنبر الذي تعلن من خلاله ، آراءها وقضاياها ! .

وفي أحدث خبر أعلن في مهرجان كان السينمائي .. أن شركة « كانون » اشترت سلسلة من دور العرض في ١٢ ولاية أمريكية مقابل خمسين مليون دولار ..

وهذه السلسلة التي تم شراؤها أخيراً .. تضم ٤٢٥ قاعة سينما (مختلفة الاحجام) .

وبلغ عدد شاشات العرض التي اشترتها شركة كانون في انجلترا ـ ٤٩٠ شاشة .. بالاضافة إلى ١٨ شاشة سيتم بناؤها داخل قلب لندن خلال هذا العام .

وفي هولندا ٤٩ شاشة ..

وفي ايطاليا ٥٣ شاشة .

وفي ألمانيا الغربية ٢٢ شاشة .. بالإضافة إلى مشروع بناء أضخم مجمعين للسينما في برلين وفرانكفورت .

وهكذا تضم شركة « كانون » وجود قواعد استراتيجية داخل أمريكا وأوربا ..

السيطرة .. بتشغيل السينمائيين

الهدف الثاني .. الذي تسعى إليه العقلية اليهودية في شركة « كانون » .. هو تشغيل البطالة السينمائية في أوربا كوسيلة لخلق رأي عام من السينمائيين .. إن هذه الشركة هي التي فتحت بيوتهم وعمرتها .. وأعادت البسمة على الشفاه .

حدث هذا في انجلترا .. وتقول الاحصائيات إنه في خلال الثلاثين شهراً الماضية ، انفقت شركة « كانون » أربعين مليونا من الدولارات في ثمانية أفلام تم تصويرها في انجلترا .. والمتوقع أن يزيد الرقم إلى خمسين مليون دولار في عام ٨٦ . والمعترف به في صناعة السينما الانجليزية .. أن شركة كانون استخدمت أعداداً هائلة من السينمائيين والفنيين الذين كانوا يعانون من البطالة .

ونفس الموقف يحدث الآن في ايطاليا ..

وقد أطلقت شركة كانون على عام ٨٦ .. عام التواجد في ايطاليا .. فالشركة تصور أفلامها بمعدلات كبيرة داخل الاستوديوهات الايطالية التي تعاني من الكساد .. ولا تخفي الشركة فرحتها بهذا التواجد داخل ايطاليا .. فقد أعلن مناحم جولان : « أن ايطاليا هي الدجاجة التي تبيض لنا ذهباً .. فقد أثبت السوق الايطالي أنه أعظم سوق لأفلامنا في أوربا » !!

وقد عرض مهرجان كان داخل مسابقته الرسمية .. فيلم « عطيل » عن الأوبرا الشهيرة ، أخرجها سينمائيا المخرج الايطالى المعروف « زيفاريللي » والذي أخرج من قبل للسينما ، أوبرا « لاترافياتا » .

وفي الاستوديوهات الايطالية .. صورت مشاهد فيلم « سالومي » من انتاج الشركة ، والذي عرض في افتتاح قسم « نظرة خاصة » .. أحد أهم أقسام مهرجان كان السينمائي .. ولم يكن هذا الفيلم سوى « مسخ » للقصة التاريخية ، وحشدها بالنساء والاثارة .. بنفس مفهوم شركة « كانون » لجذب المراهقين !

ولكن ما تفتخر به شركة « كانون » أن ثلاثة من أفلامها قد دخلت المسابقة الرسمية لمهرجان كان ..

أحدهم هو « عطيل » .. والثاني هو فيلم « القطار الهارب » للمخرج السوفيتي المهاجر



جون فريت فى لقطة النهاية من فيلم القطار الهارب



محاولة لايقاف القطار المندفع وسط الثلوج



أوبرا عطيل كما جسدها للسينما المخرج الايطالى زيفاريلى

« كونشالوفسكي » والذي يخوض به معالجة هروب اثنين من المساجين إلى داخل قطار يموت سائقه فجأة .. وينطلق القطار بين ثلوج ألاسكا .. ليتحول الفيلم كله إلى مغامرة قطار لا يمكن التحكم في سرعته أو اتجاهه (فيلم تنساه بمجرد مشاهدته) !

أما الفيلم الثالث .. فهو للمخرج الأمريكي « روبرت ألتمان » ورغم أن كاتب السيناريو وممثله هو « سام شبيرد » ، أحد أفضل كتاب السيناريو في السينما الأمريكية ، إلا أن الفيلم واسمه (غبي في الحب) قد جاء مخيباً لكل التوقعات .

ولكن رغم هذا الفشل الفني ، يبقى لشركة كانون – وهي ما تؤكده ليل نهار – أن انتاجها دخل المسابقة الرسمية لأكبر مهرجان سينمائي في العالم .

السيطرة بتوزيع الأفلام

الهدف الثالث الذي تسعى إليه هذه الشركة اليهودية .. هو السيطرة على توزيع الأفلام .. أي أنها لا تنتج أفلاماً بأموالها .. ولكن تشتري حق توزيعها في أنحاء العالم .. من خلال دور العرض التي تملكها ، وايضاً من خلال اتفاقياتها ومكاتبها المنتشرة في أوربا وأمريكا وكندا ..

وقد حدث موقف غير مفهوم مع فيلم « القراصنة » الذي أخرجه « رومان بولانسكي » واختير لافتتاح عروض المهرجان هذا العام ..

فهذا الفيلم كما هو مكتوب على الشاشة من إنتاج « طارق بن عمار » الشاب التونسي الذي دخل ميدان الانتاج السينمائي العالمي .. وكان هذا نجاحاً نعتز ونفخر به ..

ولكن مع اليوم الأول للمهرجان .. فوجئنا بأن شركة « كانون » ترسل تحياتها للمنتج والمخرج – في صورة اعلانات بكل جرائد المهرجان – وتذيل اعلاناتها بأن الشركة حصلت على حق توزيع الفيلم في أمريكا وكندا ..

وأثار هذا الموقف تساؤلات كثيرة .. كيف سمح المنتج العربي الشاب لنفسه ، أن يتعاون مع هذه الشركة اليهودية المعروفة باتجاهاتها وتمويلها ؟

ومضت أيام كثيرة .. ولم يحاول المنتج العربي الرد على التساؤلات .. ولكن من الواضح أن هناك ضغوطاً دفعته ليصدر بياناً وزع على بعض الصحفيين يقول فيه أن الاتفاق مع شركة « كانون » لم يحدث .. وأن هذه الافتراءات محاولة لتشويه صورته .. وهو الذي يعتبر نفسه رائداً اقتصادياً مثل « طلعت حرب » في مصر . !

وطلب المنتج العربي في لهجة تأنيب من الصحفيين أن يتوخوا الحقيقة فيما ينشرونه ..

وانتهى الموقف عند هذا البيان « السري » ، بينما أن اعلانات شركة « كانون » واصلت تأكيدها بأنها اشترت حق توزيع الفيلم .. والسؤال المنطقي الذي يفرض نفسه .. إذا كان المنتج العربي « طارق بن عمار » يريد تبرئة موقفه .. فلماذا لم يعلن هذا في المؤتمر الصحفي وقد جلس بجواره مناحم جولان .. وإذا كانت تلك الفرصة غير مناسبة .. فلماذا لم ينشر إعلانا في مجلات المهرجان بنفي البيان الذي وزعه سرا ؟

أم ان الحقيقة شيء .. والاستهلاك العربي شيء آخر ؟

• •

وليس هذا الموقف وحده ، هو ما يثير الدهشة .. ولكن هناك مواقف أخرى لبعض السينمائيين العرب الذين ركبوا موجة تمجيد اليهود .. كوسيلة للظهور على الشاشات العالمية ...

وهناك أيضاً ما قدمته الأفلام الأخرى عن اليهود .. وهو ما يحتاج إلى وقفه تأمل لنعرف مايدور حولنا .. وكيف يمكننا أن نتحرك – إذا رغبنا في ذلك – .

وإلى العدد القادم .

رءوف توفيق

أخبار ثقافية

يقدمها: يوسف الحرمي

من قضايا الأسرة في التشريع الاسلامي

صدر مؤخراً للدكتور محمد الدسوقي استاذ الشريعة بجامعة قطر كتاب جديد يحمل عنوان: من قضايا الأسرة في التشريع الاسلامي، يتناول فيه دراسة أهم قضايا الأسرة، كالعلاقة بين الزوجين، وتعدد الزوجات والعلاقة بين الآباء والأبناء، وكذلك قضية الفرقة بين الزوجين سواء بالطلاق او التفريق عن طريق القاضي..

يتكون هذا الكتاب من بابين يتناول الباب الأول موضوع الزواج ومقدماته والعلاقة بين الزوجين وبينهما وبين الأبناء، والباب الثاني يتناول أهم مشكلات الأسرة مثل تعدد الزوجات والفرقة بين الزوجين وآثارها.

معبد الأشواق

صدر مؤخراً ديوان جديد للشاعرة القطرية زكية مال الله يحمل اسم «في معبد الأشواق» ويتضمن الديوان العديد من القصائد الوجدانية ذات الوقع العاطفي والإحساس المرهف، مثل أغنيات من المساء وهى أطول مجموعة شعرية.. ويتكون الديوان من ١١٤ صفحة والشاعرة زكية مال الله حاصلة على درجة الماجستير في الصيدلة من جمهورية مصر العربية.

مصر تقرر تخصيص جائزة ثقافية لعميد الأدب العربي

قررت مصر تخصيص جائزة ثقافية كبرى تحمل اسم عميد الأدب العربي. د. طه حسين تمنح للنابغين والرواد في مجالات الفكر والثقافة والأدب من أبناء الوطن العربي اعتباراً من العام القادم «١٩٨٧».

وقد أختير د. طه حسين لتحمل الجائزة الكبرى اسمه تقديراً لدوره الريادي والبارز في خدمة التراث العربي الخالد.

كلمات للزمن المقبل



أصدرت الكاتبة القطرية الدكتورة زهرة المالكي كتابها الأول الذي اختارت له عنوان «كلمات للزمن المقبل»، وهو يضم مجموعة من خواطرها وتأملاتها في الحياة وفي أعماق النفس البشرية. وتتميز الكاتبة برشاقة أسلوبها وشاعريته الأخاذة، ومن هنا فإن قراءة خواطرها وتأملاتها تشكل متعة روحية عميقة.

صدر كتاب «كلمات للزمن المقبل» عن دار الشروق في مصر، وقد تصدرته مقدمة موجزة كتبها الشاعر الكبير فاروق شوشه.

لعبة الحب.. الفريد فرج

صدر في سلسلة روايات الهلال في القاهرة كتاب يحمل عنوان «لعبة الحب» من تأليف الكاتب الفريد فرج ويتضمن الكتاب مسرحية بعنوان «أغنياء وفقراء» ومسرحية ثانية تحمل اسم الكتاب «لعبة الحب»

الرحيل

صدرت مؤخراً مجموعة قصصية عن دار ابن سينا للنشر والتوزيع بالرياض للكاتب السعودي حسين على حسين بعنوان «الرحيل»، إحدى قصص المجموعة، ولعل من أبرز مايميز لغة الكاتب في هذه المجموعة هو بساطتها ورقة الوصف التي تساعده في تحديد أطر القصة ضمن واقعية واضحة وبحيث لايسمح للغته أن تشتتها التهويمات الشعرية بعيداً ولا للاطناب الوصفي أن يقلل من شدة الاحساس بواقع القصة.

السياسة المالية في الدولة الاسلامية



صدر مؤخراً للكاتب والمذيع التلفزيوني القطري عبدالله جمعان السعدي كتاب جديد باللغة الانجليزية يحمل عنوان «السياسة المالية في الدولة الاسلامية» يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة ومصادر ومراجع البحث القديمة والحديثة، الباب الأول عن ايرادات الدولة الاسلامية، والباب الثاني يتناول نفقات الدولة الإسلامية في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه والباب الثالث منه يتناول مقارنة ميزانية الدولة الاسلامية بالموازنات الحديثة سواء للدول الرأسمالية أو الاشتراكية.

طبع من هذا الكتاب مائة ألف نسخة بالانجليزية. وعدد صفحاته ٢٧٢ صفحة من القطع المتوسط. وقد تم طرحه في الأسواق العالمية.. قبل طرحه في الأسواق المحلية.

« واجهيني » ديوان جديد لجاسم صفر

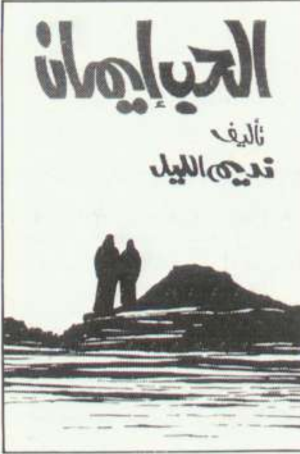


صدر مؤخرا للشاعر الغنائي القطري جاسم صفر باكورة انتاجه الشعري في ديوان جديد يحمل اسم « واجهيني » تضمن الديوان ٢٥ قصيدة عاطفية كتبها باللهجة المحلية « العامية ».

ويعتبر الشاعر جاسم صفر ديوانه الأول انطلاقة جديدة بالنسبة له في مجال كتابة الأغنية .. ويأمل من خلال هذا الديوان ان يجسد القبول والرضا من قبل عشاق الكلمة الجيدة ذات المضمون والهدف الذي يسعى اليه .. جاء الديوان في ١٣٣ صفحة من القطع المتوسط والورق الفاخر.

وجدير بالذكر أن الشاعر جاسم صفر كتب العديد من الأغنيات العاطفية للإذاعة والتلفزيون ، كما كتب العديد من المسلسلات والتمثيليات والسباعيات الاذاعية والتلفزيونية .. وعالج من خلالها العديد من قضايا المجتمع.

« الحب ايمان » ديوان جديد لنديم الليل



اهداني الشاعر السعودي الشاب « نديم الليل » باكورة انتاجه وهو ديوان شعر أصدره مؤخراً ، واختار له عنوان « الحب ايمان » وتضمن الديوان « ٣٨ » قصيدة عاطفية ووجدانية كتبها بالفصحى ، ويتكون الديوان من ٢٠٥ صفحة وهو من القطع المتوسط.

« الجمهرة » كتاب جديد من مختارات الشعر العربي

صدر للشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري ، الجزء الأول من كتابه « الجمهرة » وهو مختارات من الشعر العربي تقع في عشرة أجزاء وسوف تصدر تباعاً عن وزارة الثقافة السورية ، والجزء الأول من « الجمهرة » يقع في (٨٠٠) صفحه ويشمل مختارات من العصر الجاهلي وتراجم لشعراء القصائد المختارة ، وقد جاء الجزء الأول بفهارس لأسماء الشعراء ، والثاني لعناوين القصائد والثالث لأسماء الأعلام غير الشعراء والرابع للأماكن والخامس للأقوام والجماعات.

قراءة في أوراق الجسد العائد من الموت

صدرت للشاعر اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح المجموعة الشعرية الثامنة وتحمل عنوان « قراءة في أوراق الجسد العائد من الموت » صدرت في بيروت عن « دار الآداب » والمجموعة تضم عدداً من القصائد الجديدة التي كتبها الشاعر في الثمانينات من مناخ المجموعة وبكي جسد الأرض ، أيتها النخلة اليمنية ، يا امرأة البن ، كيف يباغتك الأصفر ، الموت الأسود ، الحزن ، كيف تصيرين لحداً ، وينكسر الظل في الحنجر المأربي ، ايها المقبض المتبقي في السيف لاتكشف السر ، ومازال في الجسد امرأة ونخيل.

الشهيد الحي عبد القادر الحسيني « طبعة ثانية »



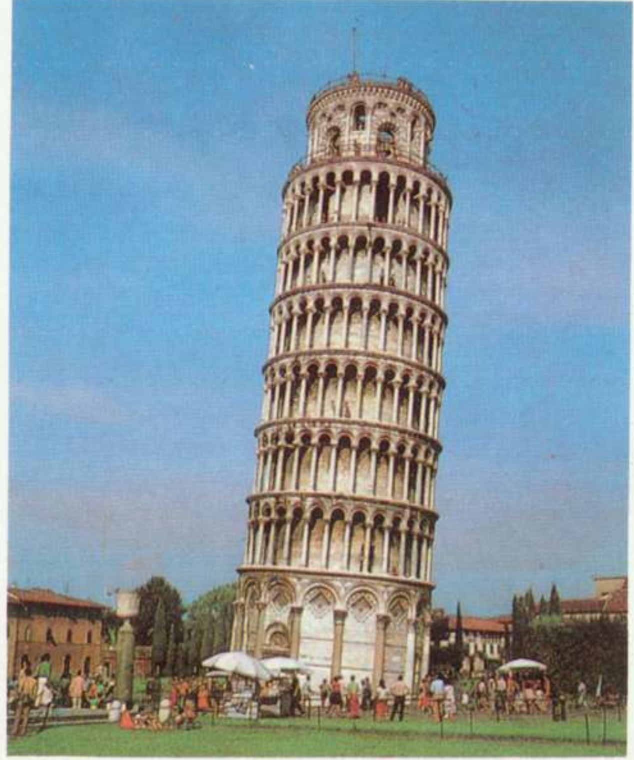
صدرت عن « دار الأسوار » في مدينة عكا بفلسطين المحتلة الطبعة الثانية من كتاب : قضية فلسطين في سيرة بطل : الشهيد الحي عبد القادر الحسيني للأستاذ نبيل خالد الاغا المحرر بمجلة الدوحة.

جدير بالذكر ان الطبعة الأولى من الكتاب صدرت منذ أربعة أعوام عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت.

وقد لاقى الكتاب رواجا ملحوظا لدى الأوساط الثقافية والتعليمية باعتباره أول كتاب وثائقي عن الشهيد الحسيني الذى استشهد على ربوة القسطل بالقرب من القدس عام ١٩٤٨ ، وقد اعتمدته الموسوعة الفلسطينية كأول مرجع لمعلوماتها عن عبد القادر الحسيني ، ومن ناحية اخرى يعكف الزميل « ابو خلدون » على وضع اللمسات الأخيرة لكتابه الجديد الذي سيصدر قريبا ويحمل عنوان : زيارة الى فلسطين المحتلة : دراسات ومشاهدات ، وقد تم نشر جزء من مادة هذا الكتاب في مجلة الدوحة تحت عنوان « وجه مدينة من فلسطين » ، ويتحدث الكتاب عن كافة مدن فلسطين من حيث تاريخها وجغرافيتها وعاداتها ونضالها ضد المحتلين الصهاينة ، اضافة الى أشهر عائلاتها وأبرز الشخصيات التي تنسب اليها . كذلك الانطباعات التي عكستها زيارة المدن الفلسطينية المحتلة في نفسية الكاتب ومشاعره.



حاول أن تعرف



الصورة الأولى

تشتهر مدينة بيزا بوسط ايطاليا ببرجها المائل الشهير والذي يميل حوالي ٤,٢٧ متراً لذلك فهو مهدد بالإنهيار رغم المحاولات العديدة التي تبذل للمحافظة على بقاء هذا البرج العجيب ـ كم يبلغ ارتفاعه ؟



الصورة الثانية

قالوا ان باستير هو مخترع ومبدع علم الجراثيم ، وإن الدكتور ، إدوارد جينير كان على نحو ما هو الرائد في هذا المجال ، فما هو الاكتشاف الذي حقق لجينير هذه الشهرة ؟

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة « الدوحة » ص . ب (٢٣٢٤) الدوحة ــ قطر ،
وحتى تضمن اشتراكك فى المسابقة الرجاء كتابة كلمة « مسابقة » على الظرف بخط واضح .



بُكاء الأطفال

البكاء من الأمور التي شغلت كثيراً من العلماء خاصة عند الأطفال حديثي الولادة ، إذ أنه ومن المعروف قل ما نجد سبباً نستطيع به تلبية رغبات أطفالنا عند بكائهم . ولقد حاول العلماء إيجاد بعض الأسباب وتعددت آراؤهم ، وبعد دراسات توصلوا إلى طرق مثلى للتعامل مع الطفل حين بكائه فقد تبين لهم أن الصيحة التي يصدرها الطفل هي المفتاح أو الدليل لمعرفة ما يبغيه الطفل من وراء بكائه إذ أن هناك صيحة مميزة لكل حدث ، فصيحة الجوع مثلاً تتميز بأنها عالية وتسمع في العادة بعد فترة زمنية من تناول الوجبة السابقة . وهناك أحداث كثيرة تحصل للطفل من السهل معرفة كل منها حسب الصيحة المميزة لها .

ومن المثير هنا أن العلماء قد اختلفوا في موضوع الإجابة ، فبعضهم يرى أن لا يستجاب لبكاء الطفل إلا بعد تركه فترة يبكي لأن ذلك حسب آرائهم مفيد في تقوية عضلات الصدر والرئتين . والبعض الآخر يرى أن نجيب أطفالنا فوراً عند بكائهم باطعامهم أو باستعمال آلة المص أو بالهزهزة السريعة لأن ذلك حسب قولهم له دور كبير على الجهاز العصبي للطفل مما يجعله يستجيب ويتوقف عن البكاء .

وهكذا نرى أن للبكاء بعض الفوائد مع أنه مصدر قلق لكثير من الآباء .

عباس عبدالمجيد باغي

طبرق ــ ليبيا

لقطة الشهر

نداء

نناشدكم أتركوا لنا الغابة

فازت باشتراك لمدة سنة بمجلة الدوحة القارئة ــ إلهام حسب الله

الخرطوم ــ السودان



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

عندما أسلم امرؤ القيس بن عدي الكلبي على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... تقدم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إليه خاطباً ابنته «الرباب» لابنه الحسين وتم زواجهما، وكانت «الرباب» من أكرم النساء وأفضلهن وقد ولدت للحسين «عبدالله» و«سكينة». وكانت «سكينة» عفيفة اللسان عالمة أديبة، ويجتمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتناقشهم.

ومما يذكر أنه لما استشهد الحسين في كربلاء، تقدم إلى أرملته «الرباب» من يريد خطبتها، فردت قائلة: والله ما كنت لأتخذ حماً لي بعد رسول الله ﷺ.

وقد رثت «الرباب» زوجها الحسين قائلة:

إن الذي كان نوراً يُستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنّا وجُنِّبْت خسران الموازين
قد كنتَ لي جبلاً صعباً ألوذُ به ... وكنت «المقصود» بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يُغني ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركمُ ... حتى أُغَيَّبَ بين الرمل والطين

«المقصود» أو الكلمة الأصلية مكونة من ستة أحرف:

١، ٥، ٣ بمعنى ابْتَعِدْ

١، ٣، ٤، ٥، ٦ عكس تَكَرَهْنَا — ٢، ٤، ٦، ٣ أول النهار

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر الشاعر العربي حبيب بن أوس. حاول أن تعرف اسمه الذي اشتهر به من المعلومات المذكورة في جواز سفره.. والتي تلقي ضوءاً على جوانب من حياته:

سنة الميلاد: ١٨٨ هجرية.

مكان الميلاد: بلدة «جاسم» بين دمشق وطبرية.

ملخص حياته: كان أبوه خَمَّاراً نصرانياً بدمشق اسمه «ثيودوسيوس» فغيرّ الابن اسم أبيه فجعله «أوس».. وقد لفّق حبيب لنفسه نسبة تصله بقبيلة طيئ، الأمر الذي جعل الشعراء يسخرون من هذه النسبة وقالوا أبياتاً في هجائه، على أن هذه النسبة فيما يبدو قد حازت القبول بعد ذلك، ومن ثم كان يقال عنه في أحيان كثيرة: الطائي أو الطائي الكبير... ثم سافر إلى مصر وعاش على ما يكتسبه من سقي الناس بالمسجد الجامع.. وقد واتته آنذاك الفرصة لدراسة الشعر العربي وقواعده.

وعاد شاعرنا من مصر إلى الشام. وعندما عاد المأمون من حملته على الروم (٢١٥ ــ ٢١٨ هجرية) سعى إليه مرتدياً زي البدو الذي كان يؤثره طوال حياته وقدم إليه قصيدة.. إلا أنها لم ترق للخليفة الذي لم يستسغ أن يقول بدوي شعراً في حياة الحَضَر.

وبلغ الشاعر أول مراتب الشهرة في خلافة المعتصم عندما بعث به قاضي القضاة إلى مدينة سُرَّ من رأى (سامراء) ليمثل بين يدي الخليفة ليلقي إحدى قصائده.. وهنالك أخذ شاعرنا يتبوأ مكانته كأشهر مداح في عصره.

وفاته: يروي ابنه أنه توفى سنة ٢٣١ هجرية.

واسم الشهرة لهذا الشاعر مكون من مقطعين من سبعة أحرف:

٧، ٦، ٥، ١ نداء الطفل لأمه — ٥، ٣، ٤ نهاية الحياة

٢، ٤ إذا أضفت «ر» إلى هذين الحرفين كان المعنى قَطَعَ.

مسابقة مدن العالم

هذه المدينة عاصمة إحدى الدول العربية.. وهي مدينة عصرية ومع ذلك تحس وأنت فيها إحساساً عميقاً بالتاريخ والزمان. ولكنك أيضاً ترى الطرق الواسعة الحديثة تتخللها شبكة هائلة من الجسور العلوية التي تعلو فوق بعضها لتربط بين أحياء المدينة وتيسر حركة مرور السيارات دون توقف أو اختناق. والمدينة تحتضنها الجبال التي أقيمت المنازل والعمارات العالية على قممها ومدارجها وسفوحها.

وتمضي الطرق بين الجبال وتدور حولها وترتفع وتنخفض معها كما تخترقها في بعض أماكن من المدينة، وأغلب المنازل حديثة عصرية ولكن الواجهات محتفظة بطابع العمارة الاسلامية والعربية وتزدان الشرفات بالنقوش الاسلامية ذات الوحدات المتكررة والأعمدة ذات التيجان المتناظرة..

منها بيوت حديثة على هيئة قلاع، وأخرى ذات أسقف على شكل قباب وأبراج والالوان متناسقة مع تنوعها، ترى القديم والجديد يمتزجان في هذه المدينة.

يتكون اسم هذه المدينة من مقطع واحد ذي أربعة أحرف:

٣، ٤ حيوان منزلي أليف

٢، ٣، ١ بمعنى مَرَضَ

٤، ١، ٢، بمعنى مَحَا

فهل عرفت اسم هذه المدينة؟

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢٥

١ ــ المسابقة الشعرية: الكلمة المقصودة في قصيدة الشاعر أبو العلاء المعرى هي: فأدركوا

٢ ــ اسم صاحب الجواز: الفيلسوف سقراط

٣ ــ مسابقة مدن العالم: مدينة أشبيلية

٤ ــ كاتب هذا الاهداء: هو الكاتب الكبير ــ مكسيم جوركي

اســـم الشـــهرة

علي بن أبي علي بن محمد التَّغلبي سيف الدين ، متكلم عربي ولد سنة ٥٥١ هجرية في بلدة آمد . كان في أول أمره حنبلياً ثم تحول إلى الشافعية عندما أقام في بغداد ثم غادرها إلى الشام لدراسة الفلسفة . ولما أتمها اتجه إلى مصر حيث عمل مدرساً بمدرسة القرافة الصغرى الملاصقة لضريح الإمام الشافعي بالقاهرة ، وفي عام ٥٩٢ هجرية أصبح أستاذاً بالجامع الظاهري . وذاع صيته لمعرفته بالعلوم العقلية وقدراته الذهنية . وكان ذلك سبباً في اتهامه بالزندقة ، فهرب إلى مدينة حماة بالشام ووضع نفسه في خدمة الملك المنصور الأيوبي سنة ٦١٥ هجرية ، وبعد وفاة المنصور دعاه الملك المعظم إلى دمشق حيث شغل كرسي الاستاذية بالدرسة العزيزية سنة ٦١٧ هجرية .. ولما توفي الملك المعظم وجاء الملك الأشرف خلعه عن كرسي الاستاذية بسبب تدريسه للفلسفة .

ومن كتبه العديدة في باب الكلام : « إحكام الحُكام في أصول الأحكام » وكتاب « أبكار الأفكار » وهو مخطوط في الرد على المعتزلة والفلاسفة والصابئة ، وكتاب « الجدَل » .

ومن كتبه في الفلسفة « دقائق الحقائق في المنطق » « كشف التمويهات » وقد توفي في دمشق سنة ٦٣١ هجرية .

ولهذا الفيلسوف اسم شهرة عُرف به مكون من مقطع من ستة أحرف :

٣ ، ٥ ، ٤ أبو البشر

٢ ، ١ ، ٥ ، ٦ لو وضع قبلها حرف « ب » تكون بمعنى وطني

أســـماء الفائزيـــن

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطري القارئ جاسم محمد سلمان ـ العراق .

٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطري القارئ محمود حازم محمد سالم مصر

٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطري القارئة دُرية عمر الطيب .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٥

الصورة الأولى :

خور فُكان ويقع بإمارة الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة .

١ ـ الفائز الأول : بشارة عبدالله قباني ـ سورية .

٢ ـ الفائز الثاني : حربي يوسف علي رضوان ـ الكويت .

الصورة الثانية :

الأميرال نلسون قائد الاسطول البريطاني في معركتي : أبو قير البحرية ـ والطرف الأغر

الفائز الأول : عبدالمجيد ازرعلي ـ الإمارات العربية المتحدة .

الفائز الثاني : عبدالعزيز عبدالنبي ـ البحرين .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ عبدالوهاب بو خلخال .... الجزائر

٢ ـ سمية مكي عبدالحليم .... قطر

٣ ـ أحمد سعيد الشريف .... دولة الامارات

٤ ـ علي السيد .... إيران

٥ ـ بو بوط سعيد........................ المغرب

٦ ـ عبدالرءوف الطويل .... تونس

٧ ـ فاطمة عبدربه سيدى اليمن الديمقراطية

٨ ـ عبدالمحمود البدري عمر.......... ليبيا

٩ ـ برجس سلامة المعايعه .... الأردن

١٠ ـ صادق محمد الحاج ذيب..... الكويت

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢٥

١ ـ أصل وصورة : الشعر ـ الجبهة ـ الأنف ـ الأذن ـ الفم ـ الذقن ـ الرقبة .

٢ ـ لأقوياء الملاحظة فقط :

ـ حمار ـ كلب ـ كرة ـ شوكة زراعية ـ صدفة بحرية ـ حمامة .

٣ ـ لوحة لم تتم ـ الفنانة فايزة احمد .

٤ ـ لعبة الظلال : رقم ـ ١

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين ـ رقم ٥

٦ ـ المثل يقول : ماجمع الاّ ما وفق واتلم المتعوس على خايب الرجا

٧ ـ هات أجمل تعليق :

مستعجلة ليه . يا ستي انتظري شوية لما نحل أزمة الاسكان .

الجنين : يارب نطلع من السجن ده على خير .

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١٢٥

١ ـ الطيب الطاهر الطيب .... السودان

٢ ـ حمديه عبدالله عباس.......... العراق

٣ ـ أبو بكر بروباه .... موريتانيا

٤ ـ عماد محمد عبدالرحيم الصيفي.. الأردن

٥ ـ عبدالمحمود علي أحمد .... السودان

٦ ـ أحمد عبدالسلام الوسيع .... ليبيا

٧ ـ غربي مرجي الشمري .... الكويت

٨ ـ حسيني صالح عمر .. اليمن الديمقراطية

٩ ـ سعيد علي محمد عطية .... مصر

١٠ ـ سامية فاطمة الزهراء......... الجزائر

١١ ـ محمد عزوز عبدالمجيد .... قطر

١٢ ـ امتثال عبداللطيف ابراهيم ...... مصر

١٣ ـ أحمد جاد الكريم.............. مصر

١٤ ـ أحمد يعقوب العريض .... السودان

« تحـــذيـــر »

التدخـــين يضر بصحـــتك

وننصحـــك بالامتـــناع عنـــه

استراحة الدوحة

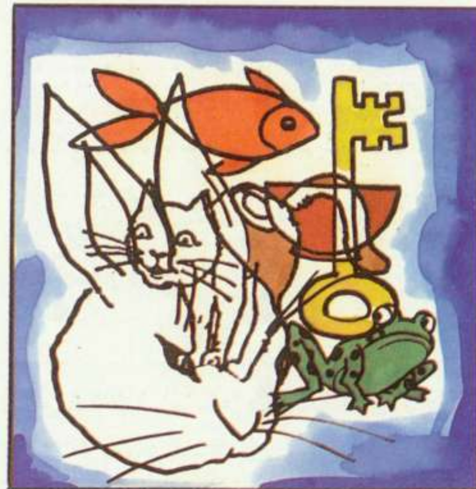
أصل وصورة





• بين أصل وصورة الكاتب المسرحي الفرنسي الذى عرف بتحويله القصص الكلاسيكية إلى مسرحيات حديثة ، هناك سبعة اختلافات ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التى لم تتم لممثلة عربية أمتعتنا بأدوارها الكوميدية فى الأفلام والمسرحيات المتعددة ، وقد عملت على المسرح مع أهم الممثلين أمثال نجيب الريحانى ويوسف وهبى وحسين رياض وجورج أبيض .. ترى من هى ؟ .. فى انتظارك جائزة .

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة : رؤوف

لعبة الظلال



• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق



• حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتحصل على جائزة .

المثل يقول



• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى .. إذا تعرفت عليه أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



• اللوحات الست المنشورة لصوت من أجمل الأصوات فى العالم العربى .. للمطربة فيروز .. ومن بين اللوحات هناك واحدة تشبهها تمام الشبه .. حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة .

صوت

بقلم: مريم آل سعد

الشاشة في المصيدة

هناك مشكلة اسمها الفيديو فى العالم العربى .. ومشكلة أكبر هي التلفزيون !

إذا لم يكن بالإمكان السيطرة على استخدامات الفيديو مادامت العقلية التجارية هي التي تغرق الأسواق بمختلف الأعمال التي تتسلق الموجة، وتداعب كل رغبة، وهذه العقلية ليست تعبيراً عن تحولات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بقدر ماهي اصطياد لما يجذب الناس ويضمن التسويق العريض، فإن المسألة تختلف بالنسبة للتلفزيون لأنه الجهة الرسمية التي عليها حماية أذواق الناس، والحفاظ على تراث المجتمع، وعدم السماح للأنماط التخريبية بخدش تركيبته والإخلال بقيمه، وغزو ثقافته .. لذلك فإنه من المخجل أن ينساق التلفزيون الى عرضه هذه الأفلام المنحرفة المسيئة لعقول الناشئة، والمدمرة لمثله ومبادئه بدلاً من التصدي لها ومواجهتها بحزم وصلابة.

فرويداً رويداً تتحول أجهزة التلفزيونات العربية الى أداة تمكن الاتجاه التجارى من ترويج أفلامه ومسلسلاته وانتاجه بوعي وبدون وعي، بقصد وبدون قصد لما تطرحه هذه المواد المسجلة من تأثيرات وانعكاسات تمس جذور المجتمع، وتؤثر على معتقدات الناس.

هل ظهور الطبقة الجديدة التي تنادي بالانفتاح الاقتصادى على العالم الغربي، وترويج بضائعه، والتعلق بمخلفاته والتي تعتنق انتهازية المصالح، هو السبب فى هذا التغريب الذى تمارسه معظم هذه الأفلام والمسلسلات بتشويهها لأصالة المجتمع، وطعنها لممارسات الشرفاء بتركيزها على إبراز النماذج المنحرفة وتبرير سقوطها .. ؟

مادامت أدوات الانتاج تحت تصرف من يملكها فلا غرابة في ظهور تلك الأفلام التي تعكس اهتمامات وسطحية أصحابها، وتغريرها لعقول الناس بما تطرحه من أفكار ساذجة، وما تروجه من مصطلحات وألفاظ مبتذلة، سرعان ماتلتصق بقاع المجتمع وتصبح جزءاً من كيانه، حيث تمتزج به، مادام كل من يملك رأسمال معيناً يمكنه انتاج الأفلام وتسويقها .. وليس مهما إذا كانت تؤرخ لحياة الراقصات أو ملوك الجريمة أو تجار الشنطة، أو تستغل صعود نجم ما لتفصل على مقاسه مجموعة من الأفلام تنقصها الموضوعية واللمسات الواقعية ..!

أليس خطر المرآة المتحركة حاداً ومؤكداً ..؟ هكذا تأثير دور السينما والمسرح والتلفزيون والفيديو.

لقد أصبحت هذه المؤسسات في خطر بعد أن تحولت الى مجرد أداة توصيل تروج بضاعة متخلفة تسعى لتوظيف قدرتها المالية في انتاج أعمال مربحة، وتساعدها في هذه المهمة تلك الأجهزة الرسمية عندما تقوم بشراء هذه الأفلام وتعمد الى تبنيها وعرضها ..! فليست كل مادة مسجلة تستحق العرض والبث. وإهدار ساعات الإرسال عليها، وإفساح المجال لنشر أفكارها الهابطة على الناس.

إن مشكلة الارسال التلفزيوني الطويل تجعل محطات التلفزيون العربية تضطر أحياناً الى شراء المسلسلات والأفلام التي سبق وأن اعترضت على صلاحيتها لسطحية مضمونها وضعف معالجتها، كما أن غياب الخطط الاعلامية الجيدة، وعدم التواصل الكافي بين الأجهزة الاعلامية الرسمية وبين العناصر الموهوبة من الكتاب والمؤلفين وذوي الاسهامات الملتزمة أفسح المجال لانتعاش فئة الإنتهازيين، وأنصاف المواهب وأصحاب الصعود السريع على حساب الرؤية الهادفة المستبصرة، كما أن تفشي الشللية واستغلال المناصب، وتولي شخصيات غير واعية لمناصب مسئولة أدى الى اختلال المنظور الذي تقيَّم من خلاله هذه الأعمال، بحيث أصبح الحكم يجري بتمريرها دون الانتباه الى مدى ما تتصف به من ضحالة وتفاهة، تبقى ردود فعلها طويلاً في ذاكرة المتفرجين، وتساهم فى تخلفهم واعتناقهم لأفكار مسمومة تزيد من حيرة وضياع الشباب وتُذكي تخديره.

وعلى تلفزيونات الوطن العربي الإحتفاظ بدورها التثقيفي الهام وعدم السقوط في بؤرة ما تتسابق عليه شركات الفيديو ومراكز توزيعها، وعليها تمييز هذه البضاعة المغشوشة والامتناع عنها حتى ولو كانت متاحة لتداول بعض الناس من خلال أشرطة الفيديو في منازلهم.

إنهم في هذه الحالة سيشاهدونها ولكن باحساس مختلف يسميها باسمها ويعترف بسطحيتها ومحدوديتها، وإذا بادرت الدولة بمصادرة هذه الأفلام المريضة ومنع عرضها وتداولها فإن الحلقة تكون قد أحكمت اغلاقها على عنق الشره المادي الذي ينقب عن المال، ويتغاضى عن أبسط القواعد الأخلاقية الواجبة.

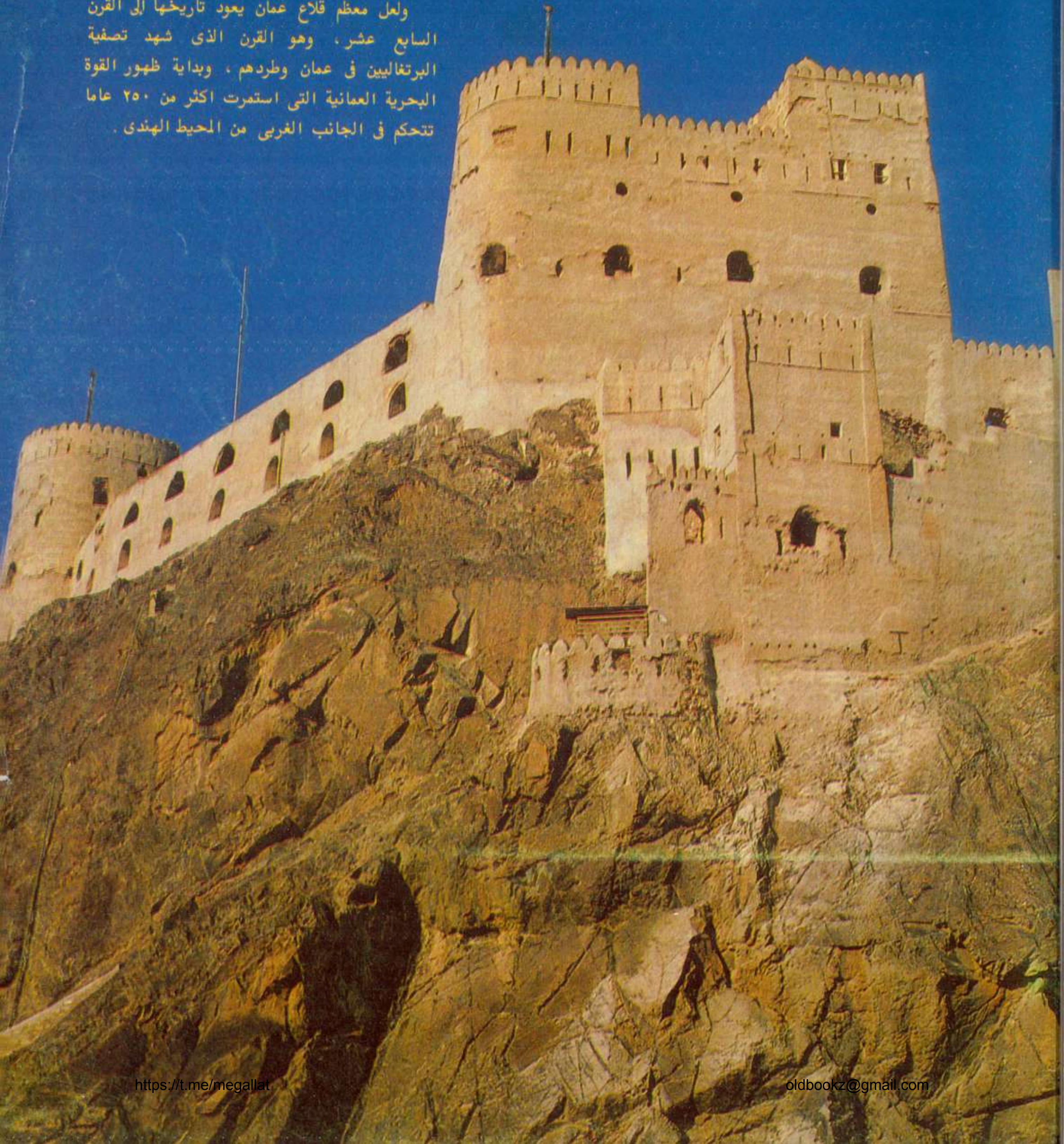
إن جزءاً كبيراً من حماية التيار الفني الصادق بيد الأجهزة الرسمية التي كلما فرضت وجودها على معادلة الانتشار، وأوضحت شروطها، وأظهرت قوتها، وأبعاد تحركاتها، كلما استطاعت أن تعيد التوازن، وتقضي على التطلعات الطفيلية، وتفتح آفاقاً لبزوغ الفن الطليعي الملتزم، وتعيد بناء ذوق الانسان العربي ووعيه المفقود .. أما إذا كان المجال سيترك مفتوحاً للمصادفة، ولقانون السوق ليحدد ازدهار نوعية الأفلام التي تفرضها نمطية الظروف الموجودة، فإن قيم الناس ستصبح في تقهقر وتذبذب تحت رحمة شباك العرض !

لقطات من الخليج

شموخ القلعة

تتميز سلطنة عمان بكثرة قلاعها التاريخية ، التى تشهد بتاريخها الحافل ، عندما كانت تعيش عصرا مزدهرا ، يغلب عليه نشاط عظيم للسكان فى مجال الملاحة البحرية فى بحار الشرق ، فقد كانوا يقومون برحلات منتظمة على ساحل شرق إفريقيا والشرق الأقصى الذى أقاموا فيه عدة مستوطنات على سواحل الهند والصين ، لتكون منطلقاً لنشر الاسلام فى تلك البقاع .

ولعل معظم قلاع عمان يعود تاريخها الى القرن السابع عشر، وهو القرن الذى شهد تصفية البرتغاليين فى عمان وطردهم ، وبداية ظهور القوة البحرية العمانية التى استمرت اكثر من ٢٥٠ عاما تتحكم فى الجانب الغربى من المحيط الهندى .





ابوظبي اثينا اسطنبول باريس بانكوك البحرين بومباي تونس جدة الخرطوم دلهي دكا الدوحة رأس الخيمة الرياض
كراتشي كولومبو الكويت الشارقة فرانكفورت القاهرة لارنكا لندن صلالة صنعاء الظهران عمان مانيلا مسقط هونغ كونغ

التواصل هو لغتنا

عندما تطأ قدمالك متن إحدى طائراتنا، يتملكك إحساس للوهلة الاولى بأنك تتعامل مع شركة طيران عالمية.

وينبع هذا الإحساس من مستوى الخدمات المقدمة، فهناك أولاً طاقم الطائرة المنتقى بعناية فائقة والذى يتقن أفراده معظم اللغات التى يحتمل وجود من يتحدث بها بين المسافرين.

وهناك أيضًا مطعم الطائرة بأطباقه المتميزة التى لا تقتصر فقط على الأطعمة ذات الطابع الخاص، بل تتميز بالتنوع شرقًا وغربًا، وتقدم هذه الوجبات على أطقم فخمة ذات رونق، تبعث الإحساس بالرضا والرفاهية.

ويضم برنامجنا الترفيهى ١٢ قنـ... تتنوع موسيقاها بتنوع أذواق ركاب... ويتشمل البرنامج كذلك أفلا... سينمائية حديثة.

وطوال الرحلة لا تنقطع مضيفاتنا عن تقـ... المرطبات مع أجمل الأماني برحلة سعيـ... كما تتركز الجهود نحو تأمين أقصـ... حد من الراحة يمكن أن يتوافر للمسافر... إننا نضع مسرات الحياة بين يديك... ونقدم لمسافرينا خدمة لا تضاهيها خـ... أخرى من خلال التواصل الحى باللغـ... التى يتحدث بها ركابنا.



رحلات دائمة .. وذكرى متجددة

طيران الخليج
GULF AIR
خدمات الصقر الذهبي

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

العدد ١٢٨ - ذو القعدة ١٤٠٦ هـ - أغسطس/آب ١٩٨٦ م

الدوحة



مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

■ **الاهتمام بالفقه الإسلامي واجب ديني وعمل حضاري**
عبد القادر بن محمد العماري

■ **الديون العالميّة .. أزمة في طريق الانفجار**
د. محمد سليمان الدجاني

■ **الأمير الفارس الشاعر .. عادل أرسلان**
أكرم زعيتر

■ **كيف نُغَيِّر العالم؟**
فتحي رضوان

■ **القيروان .. مدينة المُجاهدين الأوائل**
السيد حجازي



سوق السجاد

كان للسجاد فى القرن الماضى سوق فى كل عاصمة عربية .. وفى هذا السوق يتبارى التجار فى عرض أجمل وأغلى مقتنياتهم الفنية ذات الألوان الزاهية والزخارف النباتية والهندسية ، التى جمعوها من أمهر صناع السجاد فى الشرق.

ومن وحى هذا السوق الملىء بالحركة والحياة ، والذى تتحول فيه جدران البيوت إلى معارض فنية ، استطاع الفنان العالمى « تشارلز روبرتسون » أن يقدم تلك اللوحة التى سماها « سوق السجاد فى القاهرة » .. والتى استخدم فيها الألوان المائية ، واهتم فيها بكافة التفاصيل الدقيقة والعمارة الاسلامية ذات الطراز المعمارى الواضح المعالم ..

ولعلنا من خلال تلك اللوحة الرائعة ، نضع أيدينا على جاذبية لوحات فناني الشرق وإقبال محبي الفنون فى كل مكان على إقتناء لوحاتهم .. لقد كانوا فنانين صادقين بمعنى الكلمة ، وكانت روحهم الوثابة ، المشبعة بسحر الشرق ، هى المفتاح الذى قادهم إلى الابداع والشهرة.

لوحة وفنان

العدد ١٢٨ - ذو القعدة ١٤٠٦هـ - أغسطس/آب ١٩٨٦م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير: رجاء النقّاش

المراسلات

التحرير والادارة:
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة قطر - العنوان البرقي:
مجلة الدوحة - الدوحة تيلكس: - 4521 Magdo Dh-
تليفونات:

رئيس التحرير	٤٢١٢٢١
التحرير	٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري	٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري	٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا - دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا - باقي الدول العربية: تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها - في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا للدوائر الحكومية والشركات: داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا في باقي دول العالم ١٧٦ ريالاً قطرياً.

DOHA MAGAZINE P . O . ßOX 2324 – DOHA Telex : 4521 Magdo Dh

مكاتب توزيع الدوحة

● قطر: دار الثقافة ص . ب ٣٢٣ - الدوحة.

● السودان: دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم.

● مصر: مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء القاهرة.

● سوريا: المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ دمشق.

● العراق: الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة ص . ب ٦٢٤ - بغداد.

● ليبيا: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي.

● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية: ص . ب ٣٧٥ - عمان.

● البحرين: مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة.

● السعودية: الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة.

● الكويت: شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ الصفاة - الكويت.

● لبنان: الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ بيروت.

● الجمهورية العربية اليمنية: الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء.

● جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية: مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى - عدن

● الامارات العربية المتحدة: مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد ابوظبي ص . ب ٧٩١

● سلطنة عُمان: وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - عُمان

● تونس: الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس.

● المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ الدار البيضاء.

Maroc :
Sochepress
ß . P . No 683

● الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر.

E. M. A. N. P.
20 Rue De Liberte
Alger

الإعلانات:

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الاسعار

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عُمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريالات
الجمهورية اليمنية	٤ ريالات
اليمن الديموقراطية	٣٥٠ فلساً
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الاردنية	٣٥٠ فلساً
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليماً
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
المغرب	٥ دراهم

باقي دول العالم: ما يعادل دولارين امريكيين

طبعت بمطابع علي بن علي All Bin All Printing Press - Doha

في هـــــذا العــــــــدد



د . عبد السلام العجيلي
حياتها في قصيدة (ص ٢٤)



عز الدين المدني
فى حوار فنى كبير (ص١٠٦)



فدوى طوقان
فى رحلتها الصعبة (ص ١١٤)



المدرسة الرحبانية
على مدى ٣٠ عاما (ص ١٢٤)

دراسات ومقالات

أدب وفنـــون

● جميـــع المـراســـلات تـرســل باســم رئـيس التحـريـر

● المقـالات المنشـورة في المجـلـة تعـبر عن رأي أصحابـهـا ولا تعـبر بالضـرورة عن رأي وزارة الإعـلام أو رأي المجـلـة

كلمة

أكرم زعيتر



دعـــوة لتكريمه

ابتـداء من هذا الشهـر يعود إلى الدوحة كاتبها الكبير الأستاذ أكرم زعيتر بعد انقطاع قصير ، وقد اختارت الدوحة أن تطلق على أكرم زعيتر ـ بحق وجدارة ـ لقب « عميد الأدب القومي العربي » ، ذلك لأن أكرم يجاهد بقلمه منذ أكثر من نصف قرن لخدمة الأدب القومي والقضية القومية ، وهو لا يجاهد بقلمه فقط وإنما يجاهد بكل الأساليب والوسائل المشروعة في سبيـل القضيـة التي آمن بها وهي وحدة الثقافة العربية ، ووحدة المصالح العليا للأمة العربية كلها ، فقد كان هذا الرجل المجاهد يعمل بالصحافة والكتابة منذ فجر حياته ، وكان سفيرا وكان وزيرا للاعلام ووزيرا للخارجية في الأردن ، وسافر إلى شتى أنحاء العالم في مؤتمرات ووفود مختلفة ، يدعو للقضية العربية ويدافع عنها ويفتح أمامها الأبواب المغلقة ، وقد تميز هذا الرجل منذ بداية جهاده بصفات ومواهب نادرة ، فهو شديد الدقة ، يمارس كل أعماله بنظام لا يعرف الخلل ، وهو واسع الثقافة ، حريص على الاتصال الشخصي بأهم رجال عصره المشاركين له في الجهاد والرأى ، يحتفظ برسائلهم ويرد عليها ، حتى تجمعت لديه مجموعة نادرة من الوثائق العربية التي لا مثيل لها في مكتبة أو مركز علمى أو جامعة ، وهو فوق ذلك كله صاحب أسلوب عربى بالغ الجمال ، وشديد الصلة باللغة العربية في عصور ازدهارها وتألقها ، كل ذلك دون أن تتعرض كتابته للتعقيد والصعوبة والغموض ، فهى كتابة شديدة الوضوح رغم رصانتها وعمق صلتها بتراث اللغة العربية الأصيلة .

ولا شك أن أكرم يعتبر البقية الصالحة من جيل الكتاب العظام الذين يعرفون لغتهم حق المعرفة ، ويحسون بأسرار الجمال فيها ، ويدركون قدرتها على التأثير والتعبير الدقيق . ولذلك فإن كتابات أكرم زعيتر تعتبر في حقيقتها مدرسة كبرى بل جامعة ينبغى أن تتعلم فيها الأجيال الجديدة كيف تفهم اللغة العربية وتتذوقها وتعرف كل سحرها وكل ما فيها من أسرار .

ولا يوجد في الأدب العربي المعاصر من يعرف نصوص الأدب القومى وتاريخ رجاله مثل أكرم زعيتر ، والذي يعرفه هذا الكاتب الكبير النادر ليس منشورا في كتاب ولا مجلة ، ولكنه محفور في قلبه وعقله ، وهاهى مقالاته في الدوحة تشهد بصدق ما نقول ، فكل مقالة منها تكشف الجديد والكثير مما لم يكشف من قبل عن الأدب القومى ورجاله وأبطاله في مختلف أنحاء الأرض العربية ، أو فى المناطق التى هاجر إليها هؤلاء الموهوبون المجاهدون فى أوروبا أو أمريكا الشمالية أو أمريكا اللاتينية .

وعندما نقرأ أكرم زعيتر ، نحس بقوة الاتصال والوحدة فى الأدب العربى ، ذلك لأن أكرم زعيتر زار معظم العواصم العربية وعاش فيها ، وعرف ـ عن قرب ـ رجال الأدب والفكر والسياسة والوطنية ، وعرف حقيقة التأثير المتبادل بين هؤلاء جميعا على أختلاف الأقطار وبعد الديار .

لذلك كله فنحن في « الدوحة » نسميه « عميد الأدب القومى العربى » ، وندعو إلى إقامة حفل كبير لتكريمه ، مثل الحفلات التاريخية التى أقيمت لشوقى ومطران والعقاد وطه حسين وغيرهم من أعـلام الثقافة المعاصرة . والذين يمكن أن يقيموا هذا الاحتفال الكبير هم المسئولون في الهيئات الرسمية والشعبية مثل وزارة الإعلام في الأردن ، أو اتحاد الكتاب الأردنيين ، أو اتحاد الكتاب الفلسطينيين أو اتحاد الكتاب العرب أو الجامعة العربية . . وكل هيئة من هذه الهيئات قادرة على إقامة هذا الاحتفال الكبير ، الذى ينبغى أن يشترك فيه أدباء وشعراء ومفكرون يمثلون كل البلاد العربية ويمثلون كل الأجيال العربية في نفس الوقت .

إنها دعوة تطرحها الدوحة ونرجو أن تجد الاستجابة السريعة ، فتكريم أكرم زعيتر هو تكريم للجهاد الطويل المخلص ، وتكريم للموهبة الرفيعة التى وضعها صاحبها في خدمة وطنه . . وتكريم أكرم زعيتر هو في نهاية الأمر تكريم لكل القضايا العربية العادلة .

« الدوحة »

أبـــواب

المدير الفني : سلمان المالكي

البهائيون

الحكم والموقف

● الجــــزء الأول ●



بقلم :
الدكتور محمد عبده يماني

لقد شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يهزم البهائيون ويولوا الدبر ، ولكن . . يبقى سؤال هام لابد من التصدى له ، والاجابة عليه ، ألا وهو : لماذا البهائيون . . ولماذا هذا الحرص على صدور حكم في حقهم دون سائر الفئات الأخرى . . والتى تمارس شعائرها الدينية وتحتفظ بعقائدها رغم ما في ذلك من اختلاف عن الاسلام ؟
لماذا منع البهائيون من ممارسة شعائرهم وعقائدهم . . مع أننا نعرف أن هناك الملايين من المسيحيين ، والآلاف من اليهود . . وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى يمارسون شعائرهم في البلاد التي يقيمون فيها في حرية تامة . . ودون اضطهاد من أحد .
فلماذا اذن لا نعامل هؤلاء مثل أولئك ؟ ولماذا لا نعتبر البهائيين أصحاب عقيدة مثل هؤلاء ؟ .

وللاجابة على هذه الأسئلة ، فانني في هذه المقالات سوف أتصدى للاجابة على هذه التساؤلات ان شاء الله . . في موضوعية ومنطق ، وعلى أسس سليمة دون انفعال أو افتعال .

ولعله من المهم أن نقرر من البداية ان البهائية ليست دينا ، ولكنها عقيدة باطلة ، اعتمدت على تشويه العقيدة الاسلامية . وهى عبارة عن ردة عن الدين الاسلامي وليست اعتناقا لدين جديد ؛ وهى في دعوتها بل في ادعاءاتها أمر يتعارض مع الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها .

وأول تعارض مع الفطرة هو على سبيل المثال ما يأتي :

(١) ادعاؤهم بأن روح الله عز وجل قد حلت في الباب ثم في البهاء من بعده . . وبالتالى ادعاؤهما الألوهية كذبا وافتراء على الله عز وجل . .

(٢) انكارهم أن سيدنا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) رسول الله وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين . . وادعاؤهم بأنه خاتم الأنبياء فقط وليس خاتم المرسلين . . ومن ثم يدخلون على الناس من هذا المدخل وبأن لكل زمان رسول يبعثه الله الى أهل زمانه ، أى أن ارسال الرسل مستمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . ويحتجون بالحديث الشريف . . (ان الله سيبعث على رأس كل مائة عام من يجدد هذا الدين) . . الحديث .

والمقصود من الحديث الشريف أن الله سبحانه وتعالى سيبعث كل مائة عام أحد كبار رجال العلم أو يوفق طائفة من رجال الدين لتجديد هذا الدين أي للدفاع عنه وترسيخ عقيدته ومبادئه وتفسير آياته وأحاديث الرسول المصطفى الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه ومطالبة الناس بالتمسك بالعقيدة الاسلامية التى أنزلها الله عز وجل على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين . وليس كما يؤول هؤلاء البهائيون الحديث ويقولون ان المقصود به هو ظهور رسول جديد بدين جديد كل مائة عام ثم يناقضون كلامهم بعد ذلك فيقول البهاء في كتابه الأقدس الذى يدعى أنه منزل عليه من السماء وأنه ناسخ للقرآن الكريم بقول : (من يدعى أمرا قبل اتمام ألف سنة كاملة انه كذاب مفتر نسأل الله بأن يؤيده على الرجوع ان تاب انه هو التواب ، وان أصر على ما قال يبعث عليه من لا يرحمه انه شديد العقاب ، من يؤول هذه الآية أو يفسرها بغير ما نزل في الظاهر انه محروم من روح الله ورحمته التى سبقت العالمين) .

(٣) انكار البابيين والبهائيين ليوم البعث واعتبارهم أن يوم القيامة هو يوم ظهور من يظهره الله وهو الباب ثم البهاء (على حد قولهم) .

(٤) اعتمادهم التدريجي على زرع فكرة التناسخ والحلول بصورة تجعل من السهل التدرج بأفكار الناس لاقناعهم بأن البهاء رسول من عند الله . .

ثم يستمرون في الادعاءات الى أن يصلوا الى الادعاء بأن روح الله عز وجل قد تجسدت فيه وأنه اذا تكلم فهو يتكلم بلسان الله سبحانه وتعالى . . حتى أن حسين على البهاء كان عندما يسير في الشوارع والطرقات يضع برقعا على وجهه وعندما سئل ابنه عباس الأفندى (عبد البهاء) عن ذلك قال لأتباعه إنه يضع برقعا على وجهه حتى لا يرى الناس نور الله المتلالىء في وجهه . .

والدعوة التي يدعون اليها في حد ذاتها وهى الدعوة البهائية دعوة باطلة وافتراء على الله ورسوله ، وتزوير لآيات القرآن الكريم . . وتأويلها بما يتفق مع أفكارهم الشاذة ، وعقولهم المريضة ، وخيالهم الواسع ونفوسهم الضعيفة ، وحبهم للمال والشهرة واستعدادهم للتضحية بعقيدتهم الاسلامية من أجل تحقيق منفعة مادية ، أو كسب دنيوي عارض . . بل نلاحظ أن المؤسسين لهذه الدعوات الباطلة والصيحات الهدامة ينتمون إلى أصل فاسد ويضمرون الحقد والحسد والغيرة من الدين الاسلامي . . وهذه الغيرة هي المحرك لزعزعة العقيدة الاسلامية في نفوس هؤلاء . . واستطاع الاستعمار والصهيونية العالمية أن يتسللوا الى هؤلاء الأشخاص وأن يزينوا لهم هذه الدعاوى الباطلة ، وأن يشجعوهم ويؤيدوهم بالمال والنفوذ .

■ **البهائيّة ليست دينًا ولكنها عقيدة باطلة اعتمدت على تشويه العقيدة الإسلامية**

■ **الدعوة البهائية دعوة باطلة وافتراء على الله ورسوله وتزوير لآيات القرآن الكريم**

■ **مثل هذه الحركات الهدّامة تحوّلت من مُجَرَّد أفكار إلحادية إلى مخطّطات استعماريّة**

ونتيجة لذلك وجدنا أن هذه الحركات الهدامة تحولت من مجرد دعاوي باطلة ، وأفكار الحادية ، الى مخططات استعمارية وأهداف صهيونية . . لتحقيق أبعاد سياسية تؤدي على المدى البعيد الى تقويض دعائم الدين الاسلامي ممثلا في انهيار القيم والمبادىء الفاضلة وتفتيت الروابط الأسرية ودعائمهم بأن الحرية هى حرية كل انسان في أن يفعل ما يشاء حينما يشاء بلا وازع من دين أو عرف أو أخلاق .

وهذا يخالف الحرية الحقيقية كما جاءت في الدين الاسلامي الحنيف حيث حرية كل انسان تنتهي عند بداية حرية الآخرين ، بمعنى أن كل انسان يتمتع بحريته بما لا يمثل انتهاكاً لحقوق الآخرين أو الاعتداء عليهم أو على حرماتهم أو على أموالهم .

والمسلم ليس حرا في أن يكفر بعد ايمان . . . والا أصبح مرتدا كما أسلفنا ، وليس حرا في أن يفسد عقائد الآخرين ، أو يدعو الى إلحاد ، فهذا ليس من الحرية في شيء بعد أن أصبح مسلما ملتزما بواجبات وحدود الدين الاسلامي الحنيف .

واذا كانت الأسرة هي الخلية الأولى في أي مجتمع ، فان أهداف هذه الفئات الخبيثة هي زرع الفتنة والشقاق والتمرد على القيم والمبادىء الكريمة السائدة داخل الأسر الاسلامية والمجتمعات الاسلامية والمأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وذلك عن طريق تسهيل ارتكاب المحرمات وإلغاء الحدود والعقوبات . ولننظر فى قول المرأة التى ساهمت بدور كبير فى نشر هذه المبادىء الهدامة والمسماة (قرة العين) تتحدث قائلة أمام عدد كبير من الاتباع : (أيها الأحباب والاغيار أعلموا أن احكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآية وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن الا كل غافل وجاهل) . . وهذا تحريض صريح على الابتعاد عن أركان الاسلام والشريعة الاسلامية ودعوة الى الانحراف والفساد .

البهائيون

الحكم والموقف

وكنت قد بدأت ألاحظ الانتشار الكبير لهؤلاء البهائيين في كثير من البلدان الأوربية وفي كثير من الولايات الامريكية ، بالاضافة الى انتشار هؤلاء في موطنهم الأصلي في ايران وشبه القارة الهندية .

وبعد اكتشاف الخلايا البهائية في عام ١٩٨٥ م وإلقاء القبض على زعماء البهائية في مصر ، ومن خلال التحقيقات التي أجرتها معهم السلطات المسئولة هناك ، بدأت تتضح الأمور .. وأن هناك انتشاراً لهذه الفئات البهائية الضالة والمضلة في مصر والسودان والمغرب وبعض دول الخليج العربي والعراق .

وعملا بالحديث الشريف (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. ومن لم يستطع فبلسانه ..) . الحديث .

فقد آليت على نفسي أن أساهم في التصدي لهذه الفئات المنحرفة ، وأن أكشف زيفهم وضلالهم ، وأن ألفت الأنظار الى خطورة هؤلاء .. وسمومهم التي ينفثونها في قلب المجتمع الاسلامي ..

وقد نشرت عدة مقالات في جريدة الشرق الأوسط الدولية تحت اسم (أنبياء بلا نبوة .. ورسل بدون رسالة) تناولت فيها هذه الفئات المنحرفة .. واستعرضت أفكارهم الخبيثة وأوضحت خطورة فكرة هذه الطغمة المنحرفة على المجتمعات الاسلامية وعلى الشباب المسلم ...

ثم أجريت حوارا على صفحات الجريدة استعرضت فيه كل ما ينادون به من خلال كتب ومؤلفات هؤلاء والتي تمكنت بفضل الله من الحصول على العديد منها رغم أنها محظورة الا على خاصة الأتباع .. وقد جمعت هذه المقالات ودفعت بها الى المطبعة لاصدارها في كتاب حتى تعم به الفائدة المرجوة .. وأسال الله أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم .. فأنا انما هدفت من ورائه الى أن يكون ناقوسا يدق فينبه الغافلين .. وأوضحت الحقائق أمام الجميع .. ليحذر كل انسان من السقوط في مهاوي الشرك والضلالة .. ولينتبه من انجرف أو انخدع بأفكار هذه الفئة المنحرفة وكلامهم المعسول .. ووعودهم البراقة عن الحب والاخاء والمساواة والسلام العالمي .. وما الى ذلك من الشعارات التي يجعلونها واجهة يخفون من ورائها أهدافهم الخبيثة .. ومخططات سادتهم الصهاينة والمستعمرين .

هم اذا ليسوا اصحاب عقيدة ..

وهم فئة مرتدة عن الدين الاسلامي .. ولم يجبرهم أحد على الدخول في الدين الاسلامي بأي شكل من الاشكال وكانت لهم الحرية المطلقة في أن يعتنقوا ما يشاؤون .. أو حتى أن يبقوا بدون عقيدة ، ولكن بعد أن دخلوا في الاسلام لم تعد لهم الحرية في الكفر به .. والا اعتبروا مرتدين عن الدين .. وحكمهم حكم المرتد .. وليس حكم من يدعى الى الاسلام .

■ هنالك انتشار لهذه الفئات البهائية الضالّة والمُضِلّة في مصر والسودان وبعض دول الخليج العربيّة

■ هم فئة مُرْتَدّة عن الدين الإسلامي وحكمهم حكم المُرْتَدّ وليس حُكم مَنْ يُدعَى إلى الإسلام

■ ادّعى صاحبهم الأول الباب ثم البهاء الألوهيّة افتراءً على الله عزّ وجلّ !!

وهم فئة .. لم تكتف بالردة عن الاسلام .. بل تطاولوا على الذات الالهية حيث ادعى صاحبهم الأول الباب ثم البهاء الألوهية افتراء على الله عز وجل .

ثم أخذ هذا الكذاب يدعى بأنه قد أوحي إليه ونَزّل عليه قرآن جديد في وقت أخذ فيه بعض آيات القرآن وحرفها في بلاهة وغباء وبصورة سخيفة لا تنطلي على أي مفكر أو حتى قارىء بسيط .. وأخذ يخدع بهذه الآيات المفتريات العامة والدهماء .. ويصور لهم أنه نبي مرسل من الله .. ثم تطاول فادعى الألوهية كما شاهدنا في الدراسات المختلفة التي تصدى فيها علماء المسلمين لهذه الأفكار الضالة .

وهذا مجمل لأهم الأفكار التي تجعلهم فئة ضالة مضلة .. لانها أفكار تتعارض مع الفطرة الانسانية التي فطر الله الناس عليها .

وليعلم الجميع أن الله غفور رحيم .. وأن باب التوبة مفتوح وأن الله عز وجل يفتح باب التوبة بالنهار ليتوب مسيء الليل ويفتح باب التوبة بالليل ليتوب مسيء النهار .. ويقول رب العزة في الحديث القدسي .. عندما سأل موسى عليه السلام ربه فقال يا رب كيف تعامل من عصاك ؟ .. فقال يا موسى من عصاني أمهلته ، فان فعل ذنبا سترته ، فان رجع اليّ قبلته ، فان عاد الى ذنب انتظرته ، فان تاب غفرت له وأحببته ، والا خذلته ، والى نفسه وكلته حتى لا يكون لعبدي حجة ، وما أنا بظلام للعبيد ..

يقول الله تعالى .. « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما »[٢]

والى اللقاء في الحلقة القادمة ان شاء الله ...

محمد عبده يماني

هوامش

(١) كتاب الأقدس حسين علي المازندراني (البهاء)
(٢) النساء الآية (٤٨)

هل تنفجر أزمة الديون العالمية؟

بقلم : الدكتور محمد سليمان الدجاني

كانت «الديون» من المشاكل الرئيسية التي عانت منها دول العالم الثالث فى عام ١٩٨٥ . ومن المؤكد ، أن المشكلة النقدية لن تنتهى باطلالة عام جديد ، بل تؤكد الظواهر أنها قد تتفجر ، خاصة وأن ديون العالم الثالث في ازدياد ، وأن عدد الدول التي قد تجد صعوبات في الوفاء بالتزاماتها تجاه الدول والمؤسسات المالية العالمية يزداد ، كما أن الولايات المتحدة التي تعتبر أغنى دولة فى العالم ، أصبحت أكثر دولة ترزح تحت الديون في العالم .

في عام ١٩٨١ ، دقت أجراس الانذار حين بدا وكأن بولندا لن تتمكن من دفع الفوائد على ديونها الدولية . وقد أدى تدخل الاتحاد السوفياتى وامداده لبولندا بالعملة الصعبة لدفع الأقساط المتوجبة عليها ، الى تأجيل تفجير أزمة نقدية عالمية .

وفى عام ١٩٨٢ ، بدأ وكأن الدولة التي ستكون مصدر الشرارة التي ستولد الانفجار وترمي العالم في دوامة نقدية عالمية ، هي المكسيك ، التي أعلنت أنها لن تتمكن من دفع الفوائد عن ديونها . وفي هذه المرة ، تدخلت الدول الغربية الكبرى . وخاصة الولايات المتحدة للحؤول دون وقوع الكارثة .

وفى عام ١٩٨٣ ، أدى تخوف البنوك الدولية من الأرقام المرتفعة لديون العديد من الدول ، الى ايقاف امدادها بقروض جديدة . وبالاضافة الى ذلك ، فرضت المؤسسات المالية الحكومية في الولايات المتحدة وسويسرا وألمانيا الغربية واليابان ، قيودا مشددة على القروض الجديدة للدول النامية . وفى أواخر عام ١٩٨٣ ، أعلن صندوق النقد الدولي ، خطوات تقشف ، شملت الايقاف المؤقت لجميع المفاوضات للقروض الجديدة للدول النامية ، مما أدى الى وضع ضغوط اقتصادية على هذه الدول ، أدت الى الحد من نموها الاقتصادى وتقليص استيرادها .

وفى عام ١٩٨٤ ، ازدادت الأوضاع سوءاً حين قررت الحكومة الأميركية تخفيض المخصصات الأمريكية السنوية للبنك الدولي ، من مليار دولار الى ٧٥٠ مليون دولار . وكانت هذه المخصصات ، تقرض للدول الفقيرة دون أية فوائد ، ولمدة ٥٠ عاما ، كما أنها تقرض للدول النامية بفوائد مخفضة جدا عن الفوائد الاعتيادية . وقد أجبرت هذه الخطوة البنك الدولى على قطع جزء كبير من الدعم لبرامج المساعدة التى كان يقدمها للدول الفقيرة .

وفى صيف عام ١٩٨٥ قدم وزراء احدى عشرة دولة من أميركا اللاتينية اثر اجتماع عقدوه في مدينة مونتيفيديو في كولومبيا اقتراحا مستعجلا من تسع نقاط طالبوا به الدول والبنوك الغربية الدائنة امدادهم بنحو ٦٠ مليار دولار بشكل قروض جديدة مع خفض

هل تنفجر أزمــــة الديــون العالمية؟

نسبة الفوائد على كافة الديون . وقد تخوفت الدول والبنوك الغربية الدائنة من أن تتكرر تجربة أوبيك وأن يتطور هذا التجمع ليصبح كارتلا يجمع كافة الدول المدينة ويوحد كلمتها مطالبا في النهاية بانكار الديون والامتناع عن دفعها كليا . ومع أن هذا لم يحدث بعد الا أن امكانية حصوله مازالت واردة خاصة وأن بعض الدول كالبيرو اتخذت قرارا بأنها لن تدفع لخدمة ديونها الا نحو ١٠ بالمائة من قيمة صادراتها الخارجية وهناك دول أخرى تفكر بأن تحذو حذوها .

والتساؤلات التى تقلق مضاجع الخبراء الاقتصاديين العالميين هي : ماذا يخبىء عام ١٩٨٦م هل ستقوم الدول المدينة بتمرد جماعى رافضة دفع التزاماتها ؟ وماذا سيحدث لو اجمعت هذه الدول على الامتناع عن سداد ديونها ؟ هل سيقوض ذلك النظام المالي العالمي ؟ ومن أجل تفادي ذلك ، كيف يمكن تخفيف أعباء الديون الاجنبية المتراكمة على دول العالم الثالث ؟ ما الخطوات التى يجب اتخاذها للحيلولة دون انفجار أزمة الديون ؟ وما العمل لايجاد حلول جذرية للمشاكل النقدية التي تعاني منها معظم دول العالم ؟

الديون العالمية بالأرقام

تصل ديون الدول النامية الى ما مجموعه ٨٦٥ مليار دولار ، وتبلغ تكلفة خدمة هذه الديون مبلغ ١٣٥ مليار دولار سنويا ، كما تبلغ الفوائد السنوية المترتبة عليها ٨٨ مليار دولار . وفي هذا العام ، وصلت ديون دول أميركا اللاتينية الأجنبية نحو ٣٦٠ مليار دولار ، بالاضافة الى مايتبع ذلك من فوائد ومصاريف خدمات سنوية تقدر بحوالى ٤٠ مليار دولار . ودول أميركا اللاتينية صاحبة الديون الكبرى هى : البرازيل التى تبلغ ديونها الخارجية مايزيد عن ١٠٥ مليار دولار وتعقبها المكسيك ٩٦ مليار دولار وذلك قبل كارثة الزلزال التي حلت بها فى شهر أيلول الماضى والأرجنتين ٥٠ مليار دولار ، فنزويلا ٤٠ مليار دولار ، كولومبيا ١٢ مليار دولار ، وتصل ديون كوستاريكا البالغ عدد سكانها مليونى نسمة الى ٤ مليار دولار . وتحتاج هذه الدول مايزيد عن ٤٠ مليار دولار سنوياً من أجل سداد قيمة الفوائد ، يضاف الى ذلك احتياجات هذه الدول البالغة نحو ٢٠ مليار دولار ، للمحافظة على نفس مستوى المعيشة للمواطن .

وتجد هذه الدول صعوبة فى دفع التزاماتها أو حتى دفع الفوائد التى تستحق عليها . وهي لاتجد لدى البنوك العالمية أي استعداد لاعطائها مزيدا من القروض ، بل على العكس ، انخفضت نسبة الاستثمارات الأجنبية الجديدة فى الدول المدينة الرئيسية من ٣ ، ٦ مليار دولار عام ١٩٨١ ــ ١٩٨٢ الى ٧ ، ٢ مليار دولار عام ١٩٨٣ ــ ١٩٨٤ .

وتستدعى الديون الخارجية للدول الافريقية غير المنتجة للنفط ــ والتى تقدر بحوالى ٧ مليار ــ مصروفات خدمة تعادل أكثر من ٢٠ بالمئة من دخول واردات القارة الافريقية بمجموعها .

كما بلغت ديون بعض دول العالم الثالث لعام ١٩٨٥ ، على الوجه التقريبي التالي : كوريا الجنوبية ٤٠ مليار دولار ، مصر ٣٢ مليار دولار ، أندونيسيا ٢٩ مليار دولار ، تركيا ٢٤ مليار دولار ، الفيليبين ٢٣ مليار دولار ، نيجيريا ١٧ مليار دولار ، المغرب ١٢ مليار دولار ، جمهورية الدومينيكان ٤ ، ٣ مليار دولار . وبوليفيا مدينة للدول الأجنبية بمبلغ ٢ ، ٣ مليار دولار ، ويتوجب عليها دفع ٥٧٪ من مبيعات صادراتها كفائدة سنوية على هذه الديون ، ويبلغ نصيب المواطن البوليفي من هذه الديون ٥١٦ دولارا ، مع العلم بأن معدل دخل الفرد هناك لايتجاوز ٢٩٠ دولاراً .

■ ديــون الدول النــامية وصلـت إلى ٨٦٥ مليــار دولار بفــوائــد ٨٨ مليـــار دولار !

■ معظم هــذه الــدول تجــد صعــوبــة في دفــع فــوائــد الديون المستحقّة عليهــا !

كما أن هنالك دولا مفلسة تقريبا ، مثل توغو وزائير ، تعيش على القروض والمساعدات الأجنبية . والديون الأجنبية لاسرائيل هى من أعلاها فى العالم ، اذ تبلغ ٢٣ مليار دولار ، أي مايزيد عن ٥٠٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل في اسرائيل . وتشكل تكاليف الفوائد مع المصاريف العسكرية ، ثلثي ميزانية اسرائيل .

والديون ليست مقتصرة على دول العالم الثالث ، فان العديد من دول المعسكر الاشتراكى مثقلة بها ، مثل بولندا ٢٨ مليار دولار ويوغوسلافيا ٢٠ مليار دولار . ومنذ عام ١٩٨٢ ، بدأ رئيس رومانيا تشاوشسكو ، بحملة قاسية من أجل سداد ديون بلاده الخارجية التي بلغت ١٤ مليار دولار . وقد تمكن من خفضها الى ٦ مليار دولار ، ولكن على حساب رفاهية المواطن في رومانيا .

وتصل عدوى الديون الى الولايات المتحدة نفسها ، حيث تصل مجموع ديون الحكومة الفيدرالية الى نحو ١٨٢٠ مليار دولار ، معظمها ديون تم اقتراضها من مصادر تمويل داخلية (منها ١٠٠ مليار دولار ديون خارجية من المتوقع أن تصل الى ألف مليار دولار مع نهاية عام ١٩٩٠) ، وتبلغ مجموع ديون المزارعين في أميركا الشمالية الى ٢٠٠ مليار دولار .

أسباب تضخم الديون

يرجع تعاظم ديون العالم الثالث الى تفاعل عدة عوامل مترابطة ، منها ما هو على المستوى الدولي ، ومنها ما يتعلق بالأوضاع المحلية للدول المدينة . على المستوى الدولى ، نجد أن أهم هذه العوامل هي :

١ ـ ارتفاع نسبة الفوائد على الديون الخارجية .

٢ ـ التضخم المالى والكساد الاقتصادى العالمى .

٣ ـ مشاكل البيئة : المجاعة والجفاف وانفجار عدد السكان والكوارث الطبيعية .

٤ ـ فشل صندوق النقد الدولي في معالجة المشاكل النقدية التى تعانى منها دول العالم الثالث .

أما الأسباب المحلية ، فتتلخص فيما يلي :

١ ـ تقلص نسبة صادرات الدول النامية : وذلك نتيجة للحوافز الجمركية والعراقيل التي تضعها الدول الصناعية أمام دخول المنتوجات الأجنبية الى بلادها . مثلا ، تبنى الكونجرس الأمريكي عام ١٩٨٥ ، قانونا خفض بموجبه الواردات الأمريكية من الملابس والنسيج بنسبة ٣٥ بالمئة . وتم اتخاذ قرار مماثل في عام ١٩٨٤ ، وقرار آخر فى عام ١٩٨٢ ، قلصت فيه الولايات المتحدة استيرادها من الحديد . وفي المقابل ، تدعم الدول الصناعية المنتوجات المخصصة للتصدير ، مما يسهل عليها ممارسة عملية تنافس قوية للمصنوعات المحلية للدول النامية ، فتباع هذه البضائع في أسواق العالم الثالث ، بأسعار منخفضة ، لاتستطيع المنتجات المحلية فى تلك الدول منافستها . كما تقدم الحكومة الأمريكية العديد من المساعدات من أجل تشجيع الصادرات الأمريكية ، منها : قروض دون فوائد مقدمة الى بعض الدول من أجل تشجيعها على شراء المنتجات الأمريكية .

٢ ـ الاستدانة بالدولار فقط : رفع ذلك تكلفة الديون أكثر مما يجب ، اذ أن كل سنت ارتفع به سعر الدولار ، أضاف الى التزامات الدول المدينة ملايين من الدولارات . وقد تصاعد الدولار بدون توقف ، طيلة خمسة أعوام على التوالي (من تموز ١٩٨٠ لغاية شباط ١٩٨٥) ، محققا زيادة مقدارها ٩٢٪ .

٥ ـ الفساد : غالبا ما حصلت الدول المدينة على قروضها بأساليب ملتوية . وقد جرى تبذير الكثير من هذه القروض ، سواء بسوء استخدامها أو بسرقتها وتحويلها الى حسابات خاصة في بنوك خارجية . مثلا ، يؤكد مقال نشر في جريدة لوموند الفرنسية في تشرين أول ١٩٨٥ ، بأن أموال أغنياء ، أميركا اللاتينية فى بنوك زيوريخ ونيويورك ، تمثل وحدها ثلث مجموع ديون أميركا اللاتينية .

وقد كشف النقاب فى الاجتماع السنوى لصندوق النقد الدولى الذي انعقد فى سيؤول بكوريا الجنوبية بين ٨ ـ ١١ تشرين أول ١٩٨٥ ، بأن ما بين ٨٠ ـ ١٠٠٪ من الأموال التى أقرضتها البنوك الاميركية للدول المدينة فى أميركا اللاتينية كالارجنتين والبرازيل ، كانت تعود مرة أخرى الى الولايات المتحدة وسويسرا ، وتودع في بنوكها بحسابات شخصية لمسؤولين من تلك الدول .

٤ ـ سوء التخطيط : غالبا ما كانت تعطى القروض لتمويل مشاريع لم تتم دراستها دراسة جدية . بعضها إما كان مشاريع خيالية مبالغ بها ، أو غير مجدية من ناحية اقتصادية .

وفي عقد السبعينات ، عملت المؤسسات المالية العالمية والبنوك الدولية ، على اقراض الدول ، دون اخضاع تلك العمليات لأية رقابة أو متابعة ، وذلك في محاولة لاستغلال أموال النفط الهائلة التى أدت الى توفر فائض فى السيولة الدولية وجدت لها سوقا فى العالم الثالث ، خاصة دول أميركا اللاتينية .

٥ ـ المصاريف العسكرية الضخمة : أدت مخصصات التسلح في الدول النامية الى زيادة الديون الخارجية بشكل لم يسبق له مثيل ، فسببت عجزا كبيرا في المدفوعات ، وحالت دون استثمار الامكانيات المحدودة لهذه الدول في الزراعة أو الصناعة أو العناية الصحية . مثلا ، تضاعفت المصاريف العسكرية للدول النامية ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٨٢ الى أكثر من ١٦٥ مليار دولار ، والعديد من الدول التى لم تتمكن من دفع الالتزامات المتوجبة عليها لخدمة ديونها ، كالسودان وموريتانيا وبيرو وفيتنام هي من أكثر الدول شراءا للأسلحة .

■ هنالك دول مفلسة تماما تعيش على المساعدات الأجنبية

■ الكساد الاقتصادي العالمي من أسباب تعاظم ديون العالم الثالث

شروط صندوق النقد الدولى

وعن الدور الذي يلعبه صندوق النقد الدولى :

تأسس صندوق النقد الدولي عام ١٩٤٥ ، بعد أن تم الاتفاق على تأسيسه في مؤتمر بريتون وودز Bretton Woods ، الذي عقد فى نيوهامشير بالولايات المتحدة في تموز ١٩٤٤ بحضور ممثلين عن ٤٤ دولة ، لحل المشاكل المتعلقة باعادة تنظيم الأوضاع الاقتصادية لما بعد الحرب . وأوكل للصندوق مهمة التمويل المؤقت للدول الأعضاء لتحسين أوضاعها الاقتصادية . ولكن ، انهار نظام بريتون وودز في أوائل السبعينات وبدت في الافق بوادر أزمة اقتصادية عالمية حادة ، مما دعا الدول الاعضاء لاجراء بعض التغييرات في أهداف الصندوق للسماح له بمنح قروض متوسطة المدى للدول التي تعاني من عجز في ميزان مدفوعاتها . وهكذا ، على مدى الأعوام الاخيرة ، تطور النقد الدولى ليصبح شبه بنك مركزى عالمي .

القروض التي يقدمها صندوق النقد الدولى مشروطة . وتتعهد الدول المدينة بالالتزام بسياسة اقتصادية يقترحها الصندوق ، تهدف الى تحسين أوضاعها الاقتصادية وتقليص العجز فى ميزانياتها . والدول التي لاتتقيد بالخطة الاقتصادية التي يقترحها الصندوق ، لاتسلف أية قروض أو لاتتسلم الدفعات الباقية من قرضها . مثلا ، امتنع صندوق النقد في أواخر هذا العام عن الاستمرار فى امداد

هل تنفجر أزمة الديون العالمية؟

الفيليبيين بباقي الدفعات ، وذلك لأن الرئيس الفيليبيني السابق فرديناند ماركوس لم يقم بالاصلاحات الاقتصادية الموعودة .

وتدرك الدول النامية ، أنها حين تتقدم لطلب أي قرض من الصندوق ، فان عليها اعادة كتابة بياناتها المالية ، لتتفق مع المتطلبات الاساسية لصندوق النقد ، كما عليها التخلي عن حريتها في وضع سياسة اقتصادية وطنية ، ويقع على عاتقها ، أن تثبت للقائمين على الصندوق ، بأنها على استعداد لاتباع « سلوك اقتصادي سليم » .

والشروط القاسية التي يفرضها الصندوق ، والاجراءات الاقتصادية المشددة التى يجبر الدول المدينة على اتباعها ، تجعل العديد من الدول ، غير راغبة بالاستدانة ، مهما ساءت أحوالها . فقد قررت البيرو مؤخرا ، تجاوز صندوق النقد الدولي في مفاوضاتها مع البنوك الاجنبية لاعادة برمجة ديونها من أجل عدم تلقي أية « نصائح » منه .

وفي أواسط شهر كانون الاول ١٩٨٥ أعلنت نيجيريا رفضها لقرض من صندوق النقد الدولى بقيمة ٤ ، ٢ بليار دولار لأن الصندوق اشترط قيام الحكومة النيجيرية بخفض قيمة العملة النيجيرية بنحو ٦٠ بالمائة والغاء الدعم على المنتجات البترولية .

وفي أوائل عام ١٩٨٦ هدد صندوق النقد الدولي السودان ، التي تقدر ديونها بنحو عشرة مليارات دولار ، باعلانها دولة في حالة التوقف عن السداد ان لم تقم بدفع المتأخر من الديون المستحقة عليها . وقيام صندوق النقد الدولى باعلان دولة في حالة عجز عن السداد يعنى بالنسبة لهذه الدولة حرمانها من امكانية الحصول على أية قروض جديدة من السوق الدولية . وقد كانت الحكومة السودانية قد رفضت في كانون أول ١٩٨٥ مشروع اتفاق لاعادة جدولة الديون السودانية لأنه يقضي بالغاء الدعم على السلع الأساسية واطلاق الأسعار داخليا وخفض قيمة العملة السودانية .

وتتبع تونس سياسة النمو والتطور التي يحبذها الخبراء الدوليون فتوجه ثرواتها من المواد الأولية الى الأسواق الاستهلاكية في العالم الخارجي وتعمل على تشجيع وتطوير المنتوجات الزراعية الموجهة الى الأسواق الخارجية وتنتهج استراتيجية تطوير الصناعات الموجهة للاستهلاك المحلى كبديل عما هو مستورد . وقد أدت هذه السياسة الى تطوير الاقتصاد التونسي وضاعفت في نسبة النمو والازدهار مما ترك آثاره الايجابية على مختلف الظروف المعيشية (الغذائية ، الصحية ، الدراسية ... الخ) للشعب التونسي ، الا أنها لم تكن كافية لحل المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد التونسي . وقد كانت معظم النصائح التى قدمها خبراء البنك الدولى الى الحكومة التونسية تقليدية مثل مضاعفة تونس لقدراتها التصديرية وتعويم الدينار التونسي وتخفيض رسوم الجمارك وتخفيض نفقات الدولة ، وخاصة فيما يتعلق برواتب الموظفين . ومع أن هذه الاقتراحات قد تحل بعض المشاكل الاقتصادية للحكومة التونسية الا أنه من المؤكد أنها ستزيد المشاكل الاجتماعية والسياسية التهابا .

ويُعزى عداء العديد من دول العالم الثالث لصندوق النقد الدولى ، للعوامل التالية :

١ ـ العوامل السياسية :
في محاولته معالجة المشاكل الاقتصادية للدول النامية والفقيرة ، يخلق صندوق النقد الدولى مشاكل سياسية داخلية حادة للدول المدينة ، وتعتبر هذه الدول القيود المشددة التى يفرضها صندوق النقد الدولى عليها ، تدخلا في شؤونها الداخلية وخرقا لسيادتها الوطنية . مثلا ، اتخذت دولة جنوب أفريقيا في أواخر شهر آب ١٩٨٥ ، قرارا رسميا بتأجيل دفع أى قسط من الديون المستحقة للبنوك الدائنة ، والبالغة ٢٤ مليار دولار ، لأن هذه البنوك والمؤسسات المالية تشترط أن تقوم حكومة جنوب أفريقيا باجراء اصلاحات سياسية جذرية ، كشرط أساسى لبرمجة ديونها .

■ القيـود القاسـية لصندوق النقـد الدولي تمثل خرقـاً للسيادة الوطنيـة في الدول الناميـة

٢ ـ العوامل الاقتصادية :
تتخوف الدول المدينة من التبعية الاقتصادية التى تترتب على الالتزامات المالية لصندوق النقد الدولى ، خاصة وأنها تعتبر بأن البرامج الاقتصادية التى يفرضها الصندوق ، مصممة بشكل يعيق نموها ، ويجعل اقتصادياتها تعتمد بالاساس على المساعدات الخارجية . وقد صرح يوليوس نيريري رئيس تنزانيا سابقاً ، بأن صندوق النقد الدولي قد أصبح أداة اقتصادية وأيديولوجية في أيدى الدول الغنية للسيطرة على الدول الفقيرة .

٣ ـ العوامل الاجتماعية :
تنعكس سياسة الصندوق التقشفية التي يفرضها على الدول المدينة عادة في قطع الاعانات المالية الحكومية للمواد التموينية كالخبز والحليب والأرز والقمح والسكر والسلع الاساسية كالبترول والغاز . وهذه الاجراءات تؤدى الى ردود فعل قوية لدى المواطن العادى الذى يتأثر مباشرة منها ، فتزيد من الضغوط الاجتماعية ، وتزعزع الاوضاع السياسية ، كما حدث في مصر في أواسط السبعينات ، والمغرب وتونس في أوائل عام ١٩٨٤ ، وجمهورية الدومينيكان في نيسان ١٩٨٤ وشباط ١٩٨٥ ، حيث أدى اصرار صندوق النقد الدولى على أن تخفض حكومات هذه الدول المخصصات الكبيرة للسلع الغذائية والمواد التموينية الى مظاهرات واضرابات دامية ، استمرت الى أن ألغيت الاجراءات الجديدة .

٤ ـ العوامل النفسية :

تثير الوصاية الاقتصادية التي يمارسها صندوق النقد الدولى على الدول المقترضة ، الامتعاض والاستياء الذى تخلفه تعليمات الطبيب لدى المريض . فقد ثارت معارضة سياسية قوية في البرازيل ، حين اشترط صندوق النقد الدولى على الحكومة البرازيلية خفض المعاشات بنسبة ٢٠٪ من أجل امدادها بالقروض التي تحتاجها .

أسباب تردى الأحوال الاقتصادية

أما المحاذير والأخطار المترتبة على تردي الأحوال الاقتصادية ، فالواضح أن سوء الأحوال الاقتصادية العالمية يؤدى للنتائج التالية :

١ ـ الأخطار الاجتماعية الاقتصادية : زيادة انتشار الفقر والجوع والمرض والبطالة في دول العالم الثالث ، وتدنى الانتاج الصناعى والزراعى بها ، مما يخفض من اجمالى الناتج القومى .

٢ ـ الأخطار السياسية العسكرية : تؤدى عادة عملية تسديد الديون الضخمة الى تحويل ثروات حقيقية من الملكية الوطنية الى الملكية الأجنبية ، مما يلحق الضرر بمكانة الدولة السياسية والعسكرية . اذ أنه من الصعب الاعتماد فقط على زيادة القدرة على الانتاج لخدمة الديون وسدادها ، خاصة ان كانت مرتفعة جدا . كما يؤدى سوء الأوضاع الاقتصادية نتيجة الديون الباهظة ، الى استنكار الجماهير ، مما يزعزع الاوضاع فى هذه الدول ، جاعلا اياها عرضة للانقلابات العسكرية والقلاقل السياسية .

٣ ـ الأخطار الاستراتيجية الايديولوجية : تجعل الديون الدول الفقيرة لقمة سائغة في فم العملاقين الشيوعي والرأسمالى ، وتجذبها للمحور الأمريكى أو السوفياتى . وتستغل عادة الدول الكبرى ظروف هذه الدول ، إما لامدادها بمساعدات اقتصادية مرتبطة بالتزامات سياسية ، أو لدعم نشاطات الأحزاب المتطرفة لقلب الأنظمة القائمة ، خاصة ان كانت هذه الانظمة موالية للمعسكر الآخر .

٤ ـ الأخطار الدولية الأمنية : زيادة احتمالات المواجهة النووية بين المعسكرين الشرقى والغربى نتيجة للهوة السحيقة فى مستوى المعيشة بين الدول الموالية لهما .

أما بالنسبة للحلول المقترحة لأزمة ديون العالم الثالث ، في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٥ ، اقترح وزير المالية الأمريكي جيمس بيكر خطة دعا بها الى الاسراع في نجدة الدول المدينة الأكثر خطورة على التوازن المالي العالمى وذلك بقيام البنوك الغربية بمنح هذه الدول مبلغ ٣٠ بليون دولار كقروض جديدة على شرط أن تنتهج هذه الدول سياسة تقشفية حادة من ضمنها تخفيض التضخم المالي وتقليل المصاريف الحكومية وخفض الضرائب لتشجيع الاستثمار . وقد أصدر وزراء احدى عشرة دولة مدينة من أميركا اللاتينية بعد اختتام اجتماع لهم عقد فى مونتيفيديو في كولومبيا فى مطلع هذا العام بيانا ختاميا وصفوا به هذا المشروع بأنه « خطوة ايجابية » ولكن غير كافية للسماح لهم بدفع التزاماتهم المالية وفي نفس الوقت تعزيز نموهم الاقتصادى المضطرد . وقد طالب المجتمعون بقروض جديدة تبلغ ضعف المبلغ الذى اقترحه وزير المالية الاميركى بيكر كما طالبوا بخفض نسبة الفوائد .

ومن أجل مساعدة دول العالم المدينة على تجاوز أزمة الديون الدولية ، يجب اتخاذ الخطوات التالية :

النظام الاقتصادي العالمي الجديد هو الحل الأمثل لمعالجة أزمة الديون!

١ ـ شطب جانب مهم من الديون والغاء ديون التنمية في الدول الفقيرة مع تخفيض الفوائد المستحقة الى النصف تقريبا ، مما يخفف عبء الديون على الدول المدينة . ومع أن البنك الدولى فى مطلع هذا العام خفض سعر الفائدة على معظم قروضه من ٨,٨٢ الى ٨,٥٠٪ وذلك لتيسير القروض التى تحصل عليها الدول النامية بهدف تحسين مستوى معيشة شعوبها ، الا أن ذلك ليس كافيا .

٢ ـ فتح أسواق الدول الصناعية لصادرات الدول المدينة وازالة الحواجز الجمركية .

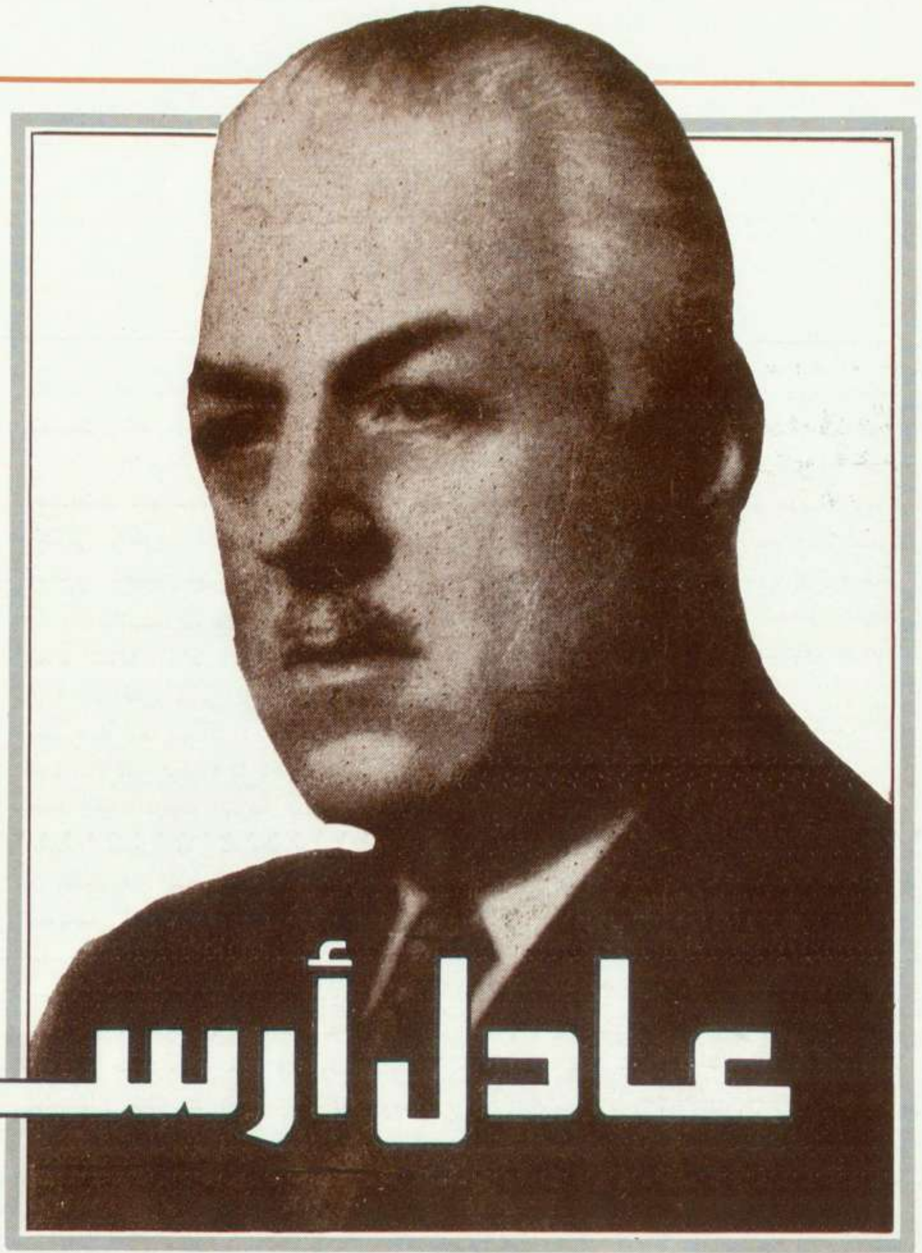
٣ ـ تخفيض المصاريف العسكرية ، وتحويل جزء من الميزانيات المخصصة لشراء الاسلحة الى المشاريع الصناعية والزراعية والصحية ، مما يساعد على دفع التطور الاقتصادى الى الامام . في حين أن شراء طائرة عسكرية جديدة قد تمنح النظام السياسى القائم ، بعض الشعور الوهمى بالامن فى عالم مضطرب ، الا أنها لاتستطيع القضاء على عدم الاستقرار الناتج عن الفقر والجوع والمرض .

٤ ـ مراجعة نظام النقد العالمي ، ووضع نظام اقتصادى عالمى جديد ، يأخذ فى عين الاعتبار الاوضاع الاقتصادية المميزة لدول العالم الثالث .

٥ ـ قيام الدول المدينة باصلاحات اقتصادية تشمل تغيير الانظمة المصرفية والمالية والضريبية والجمركية ، وتهدف الى تقليل العجز فى ميزان المدفوعات ، والحد من الواردات ، والاستغناء عن القروض ، ومحاولة الاكتفاء الذاتى عن طريق زيادة الانتاج وتشجيع الاستثمار .

من الواضح أنه ليس بمقدور دول العالم الثالث وحدها ، ايجاد حلول للازمة الاقتصادية الناتجة عن تضخم الديون الدولية ، بل يستدعى ذلك توجها جماعياً بين دول الشمال الصناعية ودول الجنوب النامية ، يقوم على مبدأ الاعتراف بالمصالح المشتركة للطرفين ، للاتفاق على استراتيجية شاملة ، تهدف الى صياغة نظام اقتصادى عالمى جديد .

محمد سليمان الدجانى



الأمير الفارس الشاعر

عادل أرسلان

بقلم: أكرم زعيتر

تمهيد

أحسب بعد أن أوفيت شاعر العربية بدوي الجبل بعض حقه ، وجلوت لكثيرين من أبناء العربية من قراء دوحتنا الظليلة الفينانة صفحة باهرة من سيرته ، واقتبست لهم ما اقتبست من روائعه ، وبعد أن لمست جميل صدى تلك الحلقات ، وبالغ تأثيرها حتى قال لي أديب مرموق : « على قدر نشوتي بما قرأت عن شاعرنا الكبير وله ، كان تبكيتي نفسى وتقريعي إياها على جهلي بأمره » .

بعد ذلك أراني اليوم أطالع « الدوحة » بحديث عن كبير من أكابر أمتنا العربية . إنه الرجل الذى كنت صدر يفاعتي أسمع من يلقبونه بأمير السيف والقلم ثم ــ على تباين العمر بيننا ــ نعمت بمعرفته ، ثم ظفرت بصحبته ، وازدهيت بمودته ، ثم تراصفنا ــ في عز الحرب الثانية ــ في الهجرة إلى تركيا فراراً من الجور الانجليزى والجور الفرنسي .. إنه المجاهد الكبير ، والثائر الخطير ، والسياسى القدير ، الفارس الشاعر العظيم ، والمنشىء الناثر الفخيم ، الأمير عادل ارسلان .

وست أفصل في هذه المقالات سيرة الأمير عادل مجاهداً وسياسياً ثائراً ، وقد عرفته الحركة العربية في إشراقتها وتأسيس البواكير في جمعياتها ، قطباً من أقطابها ، وأشاد مؤرخوها ببلائه العظيم في نهضتها .

حين منيت البلاد العربية بالاحتلالين الفرنسي والانجليزي وغدا تاريخ الحركة الوطنية جهاداً وقراعاً وكفاحاً ومعارك وثورات جلى الأمير في الميدان ، وذهب صيته في الشجاعة والقيادة والنصر حتى لقب بأمير المجاهدين .

ولكن شهرته مجاهداً وثائراً وسياسياً فاقت شهرته أديباً شاعراً ، وإذا كان تاريخ الجهاد في البلاد الشامية يتلألأ باسم الأمير عادل ارسلان فإن تاريخ الأدب الحديث يذكر بالتمجيد شقيقه ، أمير البيان الأمير شكيب أرسلان ، ويذكر اخاه الأمير نسيب ارسلان وديوان شعره « روض الشقيق في الجزل الرقيق » وقد لا يذكر الأمير عادلاً .. وقد يذكر شعراء هيهات هيهات أن يبلغوا بعض شأوه روعة شعر وسحر بيان .

ولا يستكمل الحديث عن الشاعر الفارس إلا بتمهيد وجيز عن سيرته الذاتية على أن يستوفي القول عن بطولته مجاهداً في مساق الحديث عن روائع شعره وبدائع نثره اللذين نظما ونثرا وهو يخوض غمرة كفاحه الوطني .

الاخوة الثلاثة

إنهم أخوة ثلاثة كبراء ، مناضلون نبغاء ، كتاباً وشعراء : كبيرهم الأمير نسيب أرسلان ، الشاعر الكبير ، والكاتب القدير ، رصيف الكوكبة الأولى من شهداء القضية العربية أمثال : عبد الغني العريسي والزهراوي وحمد والشهابي ، وكانت صحيفتهم « المفيد » لسان الحركة العربية في اشراقتها تزدان « بافتتاحياته » وتموج بروائع أبياته ، وفي دارته ببيروت يتلاقى سروات النهضة العربية من لداته .

وثانيهم أمير البيان ، وإمام المترسلين كما لقبه خليل مطران ، وكبير المجاهدين تحت راية القرآن : شكيب ارسلان .

وثالثهم الأمير عادل الذى نشأنا فتياناً نعده مثلنا العالي وندعوه أمير السيف والقلم . وفي شكيب وعادل يقول الشاعر معروف الرصافي :

لبعضهم شهرة بالسيف واحدة
وبعضهم شهرتاه السيف والقلم
كعادل وشكيب في اكفهما
جال اليراع وصال الصارم الخذم

سيرة الأمير

ولد الأمير عادل بن الأمير حمود سنة ١٨٨٢ في الشويفات بلبنان ودرس في بيروت في مدرسة الحكمة والفرير فالكلية العثمانية التي غلب عليها اسم كلية الشيخ أحمد عباس الأزهري (المصري الأصل) وهي منجبة الشهداء وقادة الحركة العربية الأوفياء . ثم سافر إلى باريس حيث توفر على تعلم الفرنسية ثم درس في استانبول في الكلية الملكية ، وفي استانبول اشترك فتانا اليافع في تأسيس الجمعية القحطانية السرية ، واختير أميناً لسرها لصغر سنه زميلاً لأقطاب الحركة العربية امثال : عزيز علي المصري وسليم الجزائري وشكري العسلي والأمير أمين ارسلان وعبد الكريم الخليل ، رئيس المنتدى الأدبي ، وياسين وطه الهاشمي والدكتور علي النشاشيبي وكان هدفها كما قال الأمير في محاضرة له ، المطالبة باستقلال من نوع المجر بالنسبة إلى النمسا .

وانتمى بعد حين إلى جمعية العربية الفتاة (السرية) ، وعين فتانا ، وهو في الثانية والعشرين من عمره (سنة ١٩١٤) « قائمقاماً » للشوف ثم ما لبث حتى انتخب نائباً عن جبل لبنان في مجلس المبعوثان العثماني (مجلس النواب) وفيه كانت له مواقف مشهودة في الدفاع عن المصالح العربية .. ، وعلى اثر انتهاء الحرب ، وقيام الحكم العربي الاستقلالي الفيصلي في دمشق ، يوم غدت دمشق كعبة أحرار العرب ، عين الأمير عادل مساعداً إدارياً لرئيس الحكومة السورية فمستشاراً للملك فيصل ورسوله في المهمات الخطيرة ، حتى احتل الفرنسيون سورية (سنة ١٩٢٠) ، فحكموا عليه وعلى رجالات الحركة بالاعدام غياباً وقد رافق فيصلاً إلى أوربا مع نخبة من مستشاريه : ساطع الحصري ورستم حيدر واحسان الجابري .. ثم أقام قليلاً في سويسرا ، حتى مقدم الأمير عبد الله بن الحسين من الحجاز إلى عمان فنزح الأمير عادل مع أحرار الاستقلاليين إليها حيث ألف كبير الاستقلاليين رشيد طليع أول حكومة فيها واختير الأمير عادل رئيساً للديوان الأميري .



صورة تاريخية لبعض رجال العروبة في الاردن عام ١٩٢١ من اليمين : رشيد طليع ، أحمد مريود ، عادل أرسلان . الوقوف : جميل المرفعي ونبيه العظم.



الأمير الفارس الشاعر عادل أرسلان

ثم قضت ظروف سياسية ملزمة بأن ينتقل الأمير عادل ولفيف من أحرار الاستقلاليين إلى الحجاز في كنف ملكه آنذاك الشريف الحسين بن علي ، ثم غادر الأمير الحجاز إلى مصر فأوروبا فمصر . ولما نشبت الثورة السورية الكبرى نفر من مصر إلى ميدان الثورة وتولى قيادتها في اقليم البلان وغدا زعيمها الثاني بعد سلطان ، وفي معاركها تجلت بطولة الأمير وتتالت انتصاراته ، وطبقت آفاق بلاد الشام شهرته وفيها نظم أروع ملاحمه ، وظل بعيداً عن بلاده ، بعد الثورة ، عشر سنوات ، انتدب في اثنائها للدعوة إلى قضية فلسطين في المهاجر الامريكية ، واستنفار حمية الجاليات العربية ثم كانت له جولات لخدمة قضية سورية في أوروبا ومصر والعراق .

ولا ازال أذكر – وأنا في دمشق سنة ١٩٣٧ اعمل لثورتنا الفلسطينية – وقد قام حكم وطني في دمشق كيف استقبلنا الأمير عادل العائد إلى دمشق استقبال الفاتحين ، ورده على تحية الحشود في ساحة المرجة بتحية الشهداء ، شهداء الثورة السورية والقضية العربية « الذين هم أولى بالتمجيد واجدر بالتكريم » ..

وما لبث الفرنسيون حتى خاسوا بالعهود ، ونقضوا معاهدة ١٩٣٦ ، وتنكروا للوطنيين ، وجاءت الحرب العالمية الثانية فتواهم للبطش بالوطنيين ، ثم امتلأت المعتقلات بكل من يظن فيهم الكراهية للمحتلين وابعدوا الأمير عادلاً ونخبة من كبار الوطنيين إلى تدمر واكرهوهم على الاقامة في قلعتها . ثم أطلق سراحه فلجأ إلى تركيا وأقام في استانبول حتى نهاية الحرب .

ولجأتُ إلى تركيا وبعض الوطنيين الذين كان الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي يتعقبهم على أثر اخفاق الثورة العراقية على الانجليز ، تلك الثورة الموسومة بالكيلانية ، وتعددت لقاءاتنا والأمير عادل في استانبول حيث كنا نتذاكر في ما يجب أن يكون الموقف العربي في الحرب وبعد انتهائها ووضعنا ميثاقاً وطنياً التزمناه ، وحفلت هذه اللقاءات بالذكريات حتى إذا استقلت سورية ولبنان عدنا إليهما ، وقد تولى الأمير عادل في ذلك العهد الوطني بعض الوزارات ، وانتخب نائباً عن الجولان في « البرلمان » السوري ومثل سورية في مؤتمر فلسطين بلندن سنة ١٩٤٧ واختير نائباً لرئيس الوفد السوري لدى الأمم المتحدة وأدى مهمات سياسية في أوروبا وتركيا ، وكان نائباً لرئيس الحكومة في عهد حسني الزعيم وما لبث حتى استقال وبرر في مذكرات له هذا التعاون بحرصه على تجنيب سورية ما يمكن أن يجره « الدكتاتور » عليها من اساءات واختير بعد انقضاء ذلك العهد سفيراً لسورية في انقره فمكث سنوات يوثق العلاقات بين تركيا وسورية ثم انكفأ إلى بيروت وتوفي سنة ١٩٥٤ .

شخصية الأمير

وقبل أن أتحدث عن الأمير الفارس شاعراً أقدمه موجزاً وصف شخصيته بأقلام أعلام كبار من عارفيه ، فصديقه الشاعر الكبير خير الدين الزركلي يصفه في قاموس « الأعلام » : « أمير مجاهد ، شاعر يلقب بأمير السيف والقلم .. كان ألمعياً ، كريم النفس أبياً ، له شعر جيد حلو المعاني ، رفيع الأسلوب ، جدير بأن يجمع وينشر في ديوان » .

ويقول الامام رشيد رضا صاحب المنار في تعزيته الأمير شكيب بوفاة شقيقه الأمير نسيب ، وكان عادل يخوض غمار الثورة السورية : « أطال الله لنا وله بقاء شقيقه الأمير عادل . رب السيف والقلم ، ورافع الراية والعلم ، خواض الغمرات ومقتنص الطيارات ، قائد الكماة الأباة في ميادين الجهاد ، والحماة الرماة ، في مواطن الجلاد » .

وأما الفيلسوف اللبناني العربي أمين الريحاني فيقول : « ومن الأبطال ، أديب مفضال ، كريم النسب والخلق ، شريف الدم والروح عامل بما يقول . هجر الشعر والقلم ، ونبذ رغد العيش وساق روحه إلى ساحة الوغى . راح يعمد وطنيته بالنار . راح يمتشق الحسام ليحقق ويعزز ما كان يخطه القلم قلمه ، وينطق به اللسان لسانه ، وأنا ما غبطت هذا الأخ العربي الصميم غبطته ، ووددت لو انني معه جنباً إلى جنب في ظل المدافع ودويها ونيرانها » .

ومما قاله الكاتب الفلسطيني القدير ، الشاعر الثائر الاستاذ منيف الحسيني في جريدته « الجامعة العربية » مرحباً بالأمير الثائر الآتي إلى القدس للمعالجة من مضارب المجاهدين : « شجاعة عرفتها الأمة في عظيم بلائه في الثورة السورية ، وأصالة رأي صرف بها شؤون الثورة ، وقاد الثوار إلى مواقع الظفر والفخار ، ونظر نافذ في شؤون السياسة قل أن يرزق مثله فحولها . وفصاحة تعود بك إلى صفاء العربية ونقائها من هجنة الأعاجم ، وشاعرية فذة لم يعرف التكلف والتصنع إليها سبيلاً ، ولو أن المروءة تجسدت رجلاً لكانت ملء إهابه ، ولو أن النبل تقلص انساناً لكان حشو ثيابه . مجلس لا يمله المرء وحديث هو غذاء للعقول وريحان للنفوس ومنظر ترتاح إليه العين فتجد لذة وبهجة مع وقار وهيبة ، وبديهة هي مضرب المثل في السرعة والحضور ، ورواية للشعر لو انها كانت في عصر حماد لما سمي الراوية أو حفظ للحوادث وأسماء الاعلام وخبرة بالأنساب والواقع تعيد إلينا عهد الأصمعي وابن عبيد .. وكل ذلك في حدود الاربعين ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

البواكير

كان الأمير الفتى ، وهو تلميذ في استانبول يتتلمذ قومياً للقائم مقام اركان حرب سليم الجزائري الذي كان من نوابغ قادة الفكرة العربية ، وكان ينظم اناشيد قومية لناشئة العرب ، وإذا اجتمع بالأمير عادل تباريا في ارتجال الشعر ، ومما ارتجل الأمير في احد اللقاءات :

أتراك تمنعني الصبابة بعد ما ... أعددت قلبي للغرام وقالبي
مهلاً سليم فني « فروق » كواعب ... ربي يريك عذاب حب الكاعب
من كل غانية يكاد حجابها ... ينشق مقدوداً بسيف الحاجب

فطرب لها سليم وأخذ يغنيها ..

وحدث قبل الحرب العالمية الأولى أن أعتقل في استانبول الضابط المصري الشهير عزيز علي المصري ، وهو مؤسس حزب العهد العربي (السري) الذي انتمى إليه كثيرون من كبار الضباط العرب ، وغايته « السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على أن تكون متحدة مع حكومة الآستانة اتحاد المجر مع النمسا » وقد ذاعت شهرته يوم كان يطارد العصابات البلغارية ، ويوم قمع الثورة التي كانت ترمي إلى إعادة الحكم المطلق في استانبول

وعرف ببطولته فى حرب طرابلس برقة . وقد قبضت الحكومة العثمانية عليه سنة ١٩١٤ ، فأثار القبض عليه استياء شديداً في البلدان العربية ، وسارت المظاهرات هنا وهناك . وقد حكم بالاعدام ثم ابدل الاعدام بالسجن المؤبد .. وقد نظم أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدة رائعة خاطب بها السلطان محمد رشاد راجياً انقاذ بطل برقة ، ومنها قوله :

هو من سيوفك أغمدوه لريبة
ما كان يغمد سيفك للسلول

وأطلق سراحه على أن يعود إلى مصر . وقد قرأ الأمير عادل قصيدة شوقي في « المقطم » فكتب الى شوقي على بطاقة بريد أبياتاً ارتجلها وأرسلها بالبريد من دون توقيع ، وكان المعروف أن السلطان محمد رشاد ، لا حول له ولا طول ، وأن السلطة كلها بيد الاتحاديين .

أما ابيات الأمير على البطاقة فهذه هى :

إن الذى استصرخته في قصره
هَمٌ على المستصرخين طويل
لو نال مقدرة لأطلق نفسه
لكنه من دون ذا مكبول
فإذا شكوت فماله من مبلغ
وإذا قصدت فما إليه سبيل
دعه ولا تسأله شيئاً إنه
لا سائل شيئاً ولا مسؤول
وارحم رعاك الله منه شيبة
هى لا سواها التاج والأكليل

معارضة قصيدة شوقي

وتوفى اللورد كارنارفون سنة ١٩٢٢ وهو الذي اهتدى إلى قبر الفرعون « توتنغ امون » في وادى الملوك بمصر ، وقيل أن وفاته بسبب عضة بعوضة انطلقت من القبر ، وأرسل أمير الشعراء أحمد شوقى (الذى لا يفتأ خنافس الشعر يتهجمون عليه) رائعته ذات المطلع :

في الموت ما أعيا وفى اسبابه
كل أمرىءٍ رهن بطي كتابه

وقد حفظناها طلاباً ، ولا نزال نردد من أبياتها :

ما مات من حاز الثرى آثاره
واستولت الدنيا على آدابه

وفيها ذانك البيتان اللذان تمنى شاعر النيل حافظ ابراهيم أن يكونا له بديوانه كله وهما :

أفضى إلى ختم الزمان ففضه
وحبا إلى التاريخ فى محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى أتى
فرعون بين طعامه وشرابه

ولم يكد الأمير عادل يطلع على قصيدة أحمد شوقى حتى عارضها بقصيدة طويلة خاطب بها كارنارفون :

ياراجياً كنز الملوك غنيمةً
ضاق الرجاء عليك دون رحابه
ارداك اذ ادركته متهجماً
من كنت ترجو الدهر أن تحيا به

وفيها :

فاعجب لفرعون يردك خائباً
عنه ، وما هذا بكل عجابه
وانصح لقومك حرمة لحنط
أن يرحموا التاريخ فى أعقابه

وفيها :

ما كنت مذكوراً بألسنة الورى
لولا وقوفك ساعة في بابه
قد شاخت الدنيا عليه ولم يزل
بالرغم منها ناعماً بشبابه

وفيها :

الشرق وادٍ للملوك جميعه
تتألق التيجان تحت ترابه
لو تنبت الأرض الصوالج لاغتدت
في الشرق اعظم ما يرى من غابه
لم تكتفوا طمعاً بقطن ترابه
فقصدتم في الجو قطن سحابه

وفيها :

والشرق ما لم تدركوا اسراره
فدعوه طراً ، إننا ادرى به
أتظل مصر طعينة « بقناتها »[1]
ويظل طاعنها على إرهابه
وتظل سوريا مدامة شارب
أم ماؤها « عاص »[2] على شرابه
ماذا رجوت وقد وقفت مسيطراً
تستنطق المكنوز خلف حجابه
لوجئته للعلم لم تلق الردى
فالعلم ملء ثيابه وإهابه
ما عاب معتقل اللسان سكوته
إن كان سم الموت بعض جوابه
أو كيف تسلب أمة فى أرضها
مَيْتٌ يذود الناس عن اسلابه
مهلاً فما في مصر بعد نهوضها
حيٌ ولا ميت يُنتلُ بنابه

سل اليرموك

ويروى الشاعر الكبير خير الدين الزركلي ، وهو صديق الأمير ورصيفه في المنافي ، أن الأمير عادل كان في مقدمة من انتبه إلى وجوب اتخاذ شرق الاردن قاعدة حرة للعمل في جوار سورية ، وأنه حين بلغه تقدم الأمير عبد الله إلى شرق الاردن ، وهو في برلين يتنقل بينها وبين عواصم أوروبا معلناً فضائح ما يسمونه الانتداب ، فبادر يخترق البحار حتى بلغ عمان على أثر وصول الأمير عبد الله إليها . ورحب به الأمير كل الترحيب واتخذه رئيساً لديوانه . وفي ساعة ألم من الحال ، وشعور بما يبيت للبلاد ، يطغى عليه التشاؤم ـ شأن الأمير عادل في كثير من الاحوال ـ نظم قصيدة خاطب بها الأمير وفيها يقول :

كفى بى أيها اللاحى عذابا
فدع عنك الملامة والعتابا
شبابٌ كله ألمٌ وبؤسٌ
فكيف إذا تجاوزتُ الشبابا
ومن لى بالسعادة بعد خطب
أرانى أمتي ذهبت ذهاباً
أطالب مهجتى جَلَداً وصبراً
وأعلم أنها ذابت وذابا
وأسأل كل بارقة جواباً
وأعلم أنها عَيَّت جوابا
غريب فى ديار أبي وجدى
كأنى طارق هاج الكلابا
بلاد لم تكن إلاّ بلادي
ومهدى اذ لبثت بها الاهابا
لعمر الله كلٌ وليد قوم
إذا لاقى الذى لاقيت شابا

ثم يخاطب الأمير :

اعبد الله إن تُرِدِ المعالى
فإن لها ـ هديت إليه ـ بابا
سل اليرموك اين تكون منه
اذا لم تقحم الخيل العرابا
سل اليرموك عن آباء صدق
وما فعلوا ترالعجب العجابا
أمامك من اذا نزلوا بأرض
أصابوها انتهاكاً وانتهابا
إذا ما استعبدوا أحرار قوم
ابوا أن يعتقوا منهم رقابا
وخلفك أمة تقضى وتحيا
إذا ما طاش سهمك أواصابا
اعيذك أن يطيب لك التواني
وأن ترضى بما وعدوا طلابا
فأقبح ما يكون المرء سكراً
إذا كان السراب له شرابا
هو البرق الذي لا ريب فيه
أرادوه فسموه « انتدابا »

أكرم زعيتر

هوامش

(١) قناة السويس (٢) نهر العاصي بسورية

الحلقة القادمة فى العدد المقبل

اكتشاف محمد عبده



بقلم : فهمي هويدى

لم ينتبه أحد الى ذكرى وفاة الامام محمد عبده ، التى حلت يوم ١١ يوليو الماضى ، ومرت المناسبة دون أن يشار بكلمة الى ذلك الحدث الجلل ، الذى هزَّ العالم العربي قبل ٨١ عاما ، عندما غرب عن الأمة نجمها الساطع ، وسكت الى الأبد صوت أعظم عقل اسلامى عرفه القرن العشرون ، وان ظلت أصداء ذلك الصوت تجلجل في أعماق الأجيال اللاحقة ، حتى يومنا هذا .

وعلى كثرة ما كتب عن تلك الشخصية الفذة والعريضة ، فاننا نحسب أن الفضل في اكتشاف الرجل بحجمه وامتداداته الحقيقية ، يرجع الى المستشار عبد الحليم الجندى ، فى كتابه الهام الذي ألفه عنه سنة ١٩٧٩ بعنوان « الامام محمد عبده » ، واختتم به سلسلة تراجمه لسبعة من الأئمة الذين عرفهم تاريخ الاسلام : أصحاب مذاهب أهل السنة الأربعة ، والامام جعفر الصادق امام الشيعة ، والامام محمد عبد الوهاب .. ثم مجدد الاسلام في القرن العشرين ، محمد عبده .

ويظل كتاب عباس العقاد حول محمد عبده فريدا في تقديمه لشخصية الرجل .. يلحق به كتاب الدكتور عثمان أمين عن الامام بوصفه رائدا للفكر المصري . كما يظل جهد الدكتور محمد عمارة في تقديمه للأعمال الكاملة للامام ، مما لا يستغنى عنه أي باحث أو قارىء جاد . لكن كتاب الجندي يتميز بمنهجه الذي حرص أن يقدم محمد عبده ، ليس فقط الفقيه والمجدد ، ولكن أيضا القائد والقاضى والمصلح والمناضل والأديب . كما انه نجح في أن يقدم « الشيخ الرئيس » في سياق عصره ، من خلال امتداداته الفكرية في مختلف الأنشطة والميادين . وكما ذكر الجندي في تقديمه لمؤلفه عن الامام أبو حنيفة ، فانه قدم لنا « صورة لا سيرة » للامام محمد عبده . ومنهجه هذا يثير اكثر من قضية في كتاب التاريخ الاسلامي المعاصر ، لعل أهمها مسألة « التواصل » في قراءة وقائع ذلك التاريخ ، وكيف أن مسيرته هي في الحقيقة بمثابة حلقات متداخلة ومتفاعلة ، وليست فصولا مستقلة عن سابقاتها ولاحقاتها ، كما توحى بذلك أكثر المعالجات التاريخية المعاصرة التى بين أيدينا .

ضمير الأمة

من الصور التى يرسمها الجندي ببراعة في تقديمه لعصر الامام ، ما ينقل الينا واقع الأزهر في ذلك الزمان (النصف الثاني من القرن الماضى) . وهو في ذلك يعتمد على تقرير رسمي أعدته لجنة لاصلاح الأزهر برئاسة فهمي باشا زغلول ، ويقول فيه : كان الكثيرون من أهل (الأزهر) يعتبرون استبدال الحنفيات بالميضات منافيا للدين ، وتعهد الكتب بالحفظ والصون في مكان خاص مخالفا للدين ، وتعليم العلوم الحديثة مفسدا للدين !

وهو يقارن ذلك بعصر سالف ، كان الازهر يدرس فيه ، علاوة على علوم الفقه واللغة ، « علوم الحساب والجبر والميقات والمقابلة والمنحرفات ، وأسباب الأمراض وعلاماتها ، وعلم الاسطرلاب والزيج ، والهندسة والهيئة ، وعلم الاريثماطيقى وعلم المزاولة ، وعلم وعلاج البواسير ، وعلم التشريح وعلاج لسع العقرب ، وتاريخ العرب والعجم » .

ويستمر في رسم واقع ذلك العصر ، حتى يصل الى الحملة الفرنسية ، وأحداثها داخل حرم الأزهر وشيوخه ، مثل حسن العطار والجبرتى ، وكيف أن مدافع الفرنسيين نبهتهم الى حقائق العالم الذي انفصلوا عنه وأداروا ظهرهم له .

من هذا الباب نطل على محمد عبده في داخل الأزهر ، ونتوقع ما يمكن أن يلقاه وهو ذو العقل الكبير والطموح الواسع ، ثم نتصور ظروف لقائه مع جمال الدين الأفغاني الذى وفد على مصر سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١م) .. وهو اللقاء الذي كان له دوره المؤثر في مسار العقل العربي والاسلامي فيما بعد .

ومن الجوانب التى يسلط عليها الجندى الضوء في شخصية محمد عبده ، دوره كصاحب قلم ، برز أثر تعيينه محررا أول في جريدة الحكومة الرسمية التى عرفت باسم (الوقائع المصرية) . ونجاحه في استصدار لائحة للمطبوعات (سنة ١٨٨١ م) تخول جريدة الحكومة حق نقد الحكومة والمحاكم والأفراد ! .. وهو في قيادته لسفينة الوقائع ، يستعين بعدد من تلاميذ الأفغاني ، الذين تشبعوا آراءه في التجديد والاصلاح ، وتمثلوا شجاعته وصلابته في الحق . وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الكريم سلمان (الذى سيرأس الوقائع فيما بعد ويرفض نشر قصيدة لشوقي في مدح الخديوي) ، وسعد زغلول الزعيم الوطني الذي برز لاحقا وقاد ثورة ١٩١٩ .

في الوقائع ظل قلم محمد عبده يصول ويجول ، ناقدا وموجها ، ومعبرا عن ضمير الأمة في كل اتجاه . فانتقد وزارة التربية والتعليم ووزيرها ، حتى شكل مجلس أعلى للمعارف يضع السياسة العامة للوزارة ، وكتب عن نظام السخرة يقول : وليعلم المديرون والأهالي جميعا أن الأهالي ليسوا عبيدا لأحد ... وهى العبارة التى غاصت في الضمير الوطنى حتى رددها أحمد عرابي فيما بعد ، وهو يواجه الخديوي توفيق باسم المصريين .

وعندما حدثت مؤامرة احتلال مصر بواسطة الانجليز ، وانحاز الخديوي توفيق للمحتلين ، كان محمد عبده في صدارة الذين اجتمعوا للتصدى للمؤامرة . وفى اجتماعهم تليت فتوى مشيخة

الأزهر بمروق الخديو عن الدين لانحيازه الى الجيش المحارب لبلاده . وكان الامام هو واضع صيغة اليمين التى تقاسمها الجميع للدفاع عن الوطن ، وهو الذي قاد الدعوة للتطوع لصد الخطر الماثل .

وكان ذلك سببا كافيا لمحاكمته ونفيه الى بيروت لمدة ثلاث سنوات . وهو النفى الذى قدر له أن يكون بابا خرج منه محمد عبده ليثرى تجربته ، ويطوف بباريس ولندن وتونس وصقلية ، فضلا عن لبنان .

مصنع الرجـــال

بعد العودة بقليل ، جاء دوره كقاض ، قدر له أن يتولى المنصب والمحاكم تطبق القانون الفرنسى ، « فأخذ الشيخ يحكم بأصول شرعية تمكنه بعمومها وعدالتها من احتواء احكام القانون الفرنسي أو تفادى تطبيقه . . كان سيحدث صلحا بين الخصمين حتى لا يحكم « بالفائدة » في المال . . أو يحكم بالعدل لا بالنص في قضية . ويسأله المستشار القضائى الأجنبى ، بناء على شكوى ، فيجيبه بسؤال : هل العدل وضع لأجل القانون ، أو القانون وضع لأجل العدل ؟ . . وطارد الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، كان محمد عبده يصدر الحكم ويشفعه أويسبقه أحيانا بدروس مواعظ يلقيها على المحكوم عليه والجمهور ، إلقاء يشعر الجماهير والمحكوم عليه نفسه ، أنهم في حضرة أب ومصلح كبير .

ويستأثر دور محمد عبده كمصلح باهتمام المستشار الجندى ، الأمر الذي دفعه لأن يقف طويلا أمام جهده في انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية (١٨٩٢ م) ، بعدما أسهم الرجل في انشاء جمعية المقاصد الاسلامية اثناء وجوده في بيروت ، والعروة الوثقى إبان اقامته في باريس .

وقد نجح الجندي في ابراز دور الجمعية الخيرية في الحياة الاجتماعية والسياسية بمصر ، وتتبع اعضائها حتى بعد وفاة الامام ، ليصور لنا ثمار الغرس الذي وضعته أيدي محمد عبده ، ومدى التأثير الذي أحدثه ليس فقط في العقل المصرى ، ولكن في الواقع المصري أيضا .

وهو يقول ان الجمعية الخيرية الاسلامية ولدت « لتكون جماع فروع شتى للخدمة العامة ، يتألف من تجمعها بحر زاخر من الانجازات التى صنعت مصر الحديثة . . حتى انك لا تكاد تجد اسما لرجل عمل لمصر عملا ضخما في النصف الأول من القرن العشرين ، الذي يحمل على كتفيه النصف الثاني في شموخ ، لم يكن عضوا في هذه الجمعية » .

التقى على تأسيس الجمعية مع الشيخ الامام ، خمسة من رجال مصر البارزين هم : سعد زغلول وقاسم أمين وحسن عاصم وعلى فخرى ومن بعدهما مصطفى الهلباوى وجميعهم من أعلام القانون وأركان العدل .

وكان للجمعية إسهامها العريض في انشاء المدارس والاهتمام باللغة العربية التى أهملها الانجليز ، وفي إعانة المحتاجين بمختلف الصور ، وفي حث الجميع على إقامة المشروعات المنتجة والخيرية ، ولا يزال باقيا باسمها الى الآن المستشفى العلاجى الكبير المقام على النيل بحى الدقى فى القاهرة .

من الجمعية الخيرية خرجت فكرة انشاء الجامعة الأهلية في مصر . وكلف الامام أحد أعضائها (المنشاوى باشا) بشراء الأرض من الحكومة ليقف عليها عشرة آلاف فدان . ومنها خرجت فكرة تمصير الصناعة المصرية ، التى نادى بها طلعت حرب باشا ، الذى كان سكرتيرا للجمعية . ومنها خرج خمسة من رؤساء الوزارات المصرية ، وأربعة من زعماء الأحزاب . . وقائمة لا حصر لها من الرموز المشرفة ، التي عرفها تاريخ مصر الحديث .

في الصفحات الأخيرة من الكتاب ، وتحت عنوان « التلاميذ » يقدم لنا المستشار الجندى عرضا لجانب من ثمرات جهد الامام محمد عبده ، مستعرضا ادوار سعد زغلول وعدلى يكن وحسين رشدى ومحمد محمود ، من رؤساء الوزارات والأحزاب الدستورية المصرية ، ثم الشيخ محمد مصطفى المراغى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، من شيوخ الأزهر الكبار ، الذين تركوا بصمات لا تنسى في مسيرته .

وفى ختام استعراض تلك الرحلة الفذة كتب المؤلف يقول : . . وبقى محمد عبده في التاريخ الحديث ، كالجبل العالى الذى يملأ الأفق ، ويدعو الناظرين للصعود ، أوكرافد للنيل ، جديد ، يسقى شاربيه من ينابيع الحقيقة السمحة فيوضاً صافية من الحرية لا التعصب ، والاجتهاد لا التقليد ، والايقاع السلفى لا الابتداع غير المسئول .

الحـــلقـات المفقـودة

ان أهم ما في كتاب الجندى ، ليس فقط الجوانب التى ألقى عليها الضوء ، فى تقديمه لشخصية الأمام محمد عبده ، ولكنه المنهج الذى اتبعه ليرسم الصورة ويسبر أغوار الشخصية التى يتناولها . وقد كان من شأن السلف أن يعنوا بتلك الجوانب فى تعريف الاعلام . حتى أننا نستطيع أن نتعرف بيسر على من تعلم الفقه ، ومن خالط ، ومن هم تلاميذ حلقته أو امتداد فكره حتى بعد عدة قرون لاحقة ، وهو ما تكفلت به الى حد كبير كتب طبقات الفقهاء .

منهج التواصل هذا ، نحن أحوج ما نكون إليه في قراءة تاريخنا الحديث . فلم تتوفر لنا دراسة مثلا عن العلاقة بين الوهابيين والسنوسية والمهدية ، وهى التيارات الاسلامية التى ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والتى لعب فيها « الحج » دورا كبيرا ، اتاح فرصة التفاعل والتلاقح بين الأفكار التى انتشرت بعد ذلك في السودان والشمال الأفريقي .

ولم تتوفر لنا دراسة عن العلاقة بين حركة الاخوان المسلمين في مصر ، وجمعية العلماء الجزائريين ، والجماعة الاسلامية في الهند ، وثمة شواهد تشير إلى أن العلاقة قائمة ، بينها على سبل المثال ان كلا من جمعية العلماء الجزائريين والاخوان المسلمين أصدر مجلة تحمل نفس الاسم « الشهاب » ، وهو ليس من الأسماء الشائعة التى قد يتفق عليها الاثنان بمحض الصدفة .

فضلا عن أن حسن البنا ذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس ، رئيس جمعية العلماء ، أكثر من مرة مع تلاميذه . بينما أيضا أن كتب أبو الأعلى المودودى مؤسس الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٩٤١ ، ترجمت بواسطة لجنة الشباب المسلم في جماعة الأخوان ، بعد صدورها بقليل ، ونقلها عن الأردية والانجليزية بعض المسلمين الهنود الذين كانوا يدرسون في الأزهر ، ولهم علاقات وثيقة بقسم الاتصال بالعالم الخارجي في الاخوان .

ولم تتوفر لنا دراسة حول حقيقة الملابسات التى دفعت شخصية جزائرية مثل الفضيل الورتلاني ، لأن تلتقى مع الاخوان في مصر ، والعلماء اليمنيين ، ليسهم الجميع في محاولة الانقلاب التى جرت سنة ١٩٤٨ على الامام يحيى في صنعاء سنة ١٩٤٨ .

ايضا لم تتوفر لنا دراسة حول العلاقة بين الغاء الخلافة الاسلامية في تركيا ، وظهور الاخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ ثم علاقة هذا التيار بحزب التحرير الاسلامي الذي ظهر في الاردن ، وعلاقة هؤلاء بجماعتى التكفير والجهاد اللتين ظهرتا مؤخرا في مصر .

والنماذج كثيرة وبغير حصر ، لكنها جميعا تؤكد حاجتنا الى اكتشاف حقائق ذلك النسيج المؤثر في الواقع والعقل الاسلاميين . . وربما ساعدنا ذلك على ان نعرف المزيد عن أنفسنا ، وحاضرنا ، ومستقبلنا .

في مسألة "طابة"

أرض مصرية منذ قرون.. لا يريدون الجلاء عنها طواعية واختيارًا

بقلم: درويش مصطفى الفار

لا أظن أن فيما تجري به الأحداث، وتتناقله الأخبار، شيئاً أكثر دلالة على الوقاحة والصلف ومغالطة التاريخ، من مسألة طابة، التي تعودت الصحافة العربية على أن تكتبها طابا.. فهي بقعة من الأرض العربية المصرية.، منذ قرون كثيرة خلت. ولكنهم لا يريدون الجلاء عنها طواعية واختياراً، إلا بعد التحكيم، وقد لا يخضعون للتحكيم أيضاً، فهم لا يؤمنون بغير القوة.

جاء في بردية [هاريس] على لسان السلطان رمسيس الثالث (١١٩٨ – ١١٦٧ ق م) ما معناه:

« لقد أرسلت بعثاتي التعدينية إلى أرض [أتيقا] بالقوارب والسفن بحراً، وعلى ظهور الحمير والآتن براً، فوجدوا المناجم زاخرة مفعمة بالنحاس، وأودعوا ما حصلوه في المخازن، آلافاً من السبائك في لون الذهب الابريز، فلما بهرني منظرها أمرت بعرضها على أبناء شعبي لكي يفرحوا كما فرحت... وكذلك أرسلت بعثات إلى أرض [المفكات] بلاد أمي العزيزة [حت – حور] سيدة الفيروز، ولا أتصور أنه سوف يحظى بمثل ذلك أي ملك بعدي أبداً.. »

وظل علماء التاريخ في حيرة يتساءلون عن أرض، أتيقا، تلك، حتى سنة ١٩٧٢ م حين اكتشف الباحثون المنقبون في منطقة مناجم نحاس [تمناع] التي تقع على بعد أكثر من ثلاثين كيلومترا إلى الشمال الشرقي من طابة، في صحراء النقب المحتلة، معبداً مصرياً قديماً، يرجع تاريخه إلى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، واستطاعوا أن يحلوا رموز نقوش تذكر الملك سيتي الأول (١٣١٨ – ١٣٠٤ م) ورمسيس الثاني (١٣٠٤ – ١٢٣٧ ق م) ومرنبتاح (١٢٣٧ – ١٢٢٣ ق م) وسيتي الثاني (١٢١٦ – ١٢١٠ ق م) ورمسيس الثالث (١١٩٨ – ١١٦٦ ق م) ورمسيس الخامس (١١٦٦ – ١١٥٦ ق م)، ومن أهم تلك النقوش ذاك الذي يمثل رمسيس الثالث واقفاً قبالة حتحور يقدم لها الهدايا، باعتبارها ربة التعدين في مصر القديمة، وكان أول معبد معروف لها قد أكتشف في منطقة سرابيط الخادم إلى الشرق من ميناء أبي زنيمه على الساحل الشرقي لخليج القلزم أو السويس.

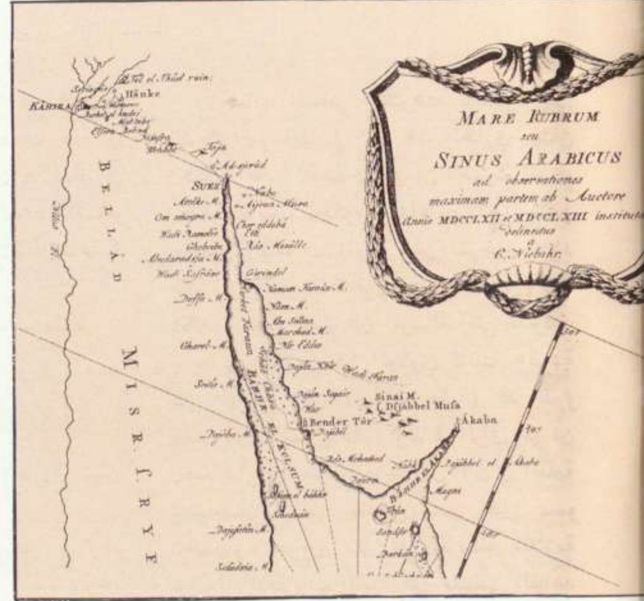
ثم عرفت من عالم آثار أمريكي لقيته يوماً في واشنجتن، أن الحفائر العلمية في وادي غزة بعد نكبة سنة ١٩٦٧، أكدت له بالدليل العلمي القاطع أن آخر نقطة إدارية للحدود بين مصر والشام، ظلت زهاء أربعين قرناً من التاريخ القديم في منطقة [تل الفارعة] قرب مدينة غزة المحتلة.. أي أن خط الحدود بين مصر وبلاد الشام، كان حقيقة جغرافية معلومة عبر القرون إلى الشرق من الخط الذي اتفقت عليه بريطانيا (العظمى) والباب العالي في الآستانة سنة ١٩٠٦ م بين طابة جنوباً ورفح شمالاً، بعد أن كانت بريطانيا بحكم احتلالها لمصر منذ سنة ١٨٨٢ م قد تنازلت – باسم مصر – عن ميناء العقبة إلى الدولة العلية سنة ١٨٩٢ م.

ولقد كانت سنة ١٩٠٦ حافلة بالأحداث، ففيها وقعت حادثة (دنشواي) المشهورة وانعقد أخطر مؤتمر للمبشرين في الشرق العربي، ونشر السير وليم فلندرز بيتري كتابه الشهير [أبحاث في سيناء] وقال فيه بأن معبد سرابيط الخادم في سيناء كان منبع أول الحروف الأبجدية التي طورها المهند سون والجيولوجيون المصريون وزملاؤهم من أهل مدين وأدوم، عن الهيروغليفية ليسهل عليهم كتابة التقارير المنجمية والتعدينية، وفيها وقع حريق سان فرانسيسكو المشهور، وكانت حادثة طابة.

وطابة، في لغتنا الجميلة، اسم من أسماء



القائمقام براملي بك
بطل إشعال حادثة
طابا



خريطة رسمها الرحالة نيبور سنة ١٧٥٧ وترى فيها سيناء وخليج العقبة ، ولم تكن طابة قد ظهرت مع الأحداث بعد.

الخمر ، ولا أدري لماذا اطلق على ذلك الوادي الذي يفيض بعد المطر من أعالي سيناء الشرقية إلى قرب رأس خليج العقبة ، ولم أجد لتلك الكلمة ذكراً من معجم البلدان لياقوت إلا قوله :

« وطابة موضع في أرض طيْ» وقال زيد الخيل :

سقى الله ما بين القفيل وطابة
فما دون إرمام فما فوق منشد

ولا أحسبه يعني طابة تلك التي نحن بصددها ..

فطابة التي نحن بصددها ، جزء من ساحل سيناء على خليج العقبة عند مصب واد يحمل اسمها ، وتحمله كذلك بئر احتفرها هنالك (الأميرالاي) سعد بك رفعت سنة ١٨٩٢ عندما أمر باخلاء العقبة ، وقد كان آنذاك (قومونداناً) لسيناء بأسرها .وعلى ساحل طابة اللازوردي ، أنشأ الأفاق العالمي (رافي ولسن) ماخوراً للفساد والفجور ، سماه (نادي الشاطئ) وهو الذي لا يزال إلى يومنا هذا مورد الفسقة والمنحرفين من جميع أصقاع الدنيا .

وإلى الجنوب قليلاً من بئر طابة ، وغير بعيد عن الساحل ، توجد جزيرة فرعون التي احتلها (رينودي شاتيلون) وبنى بها قلعة سماها (حصن جرايا) وصنع في يافا سفينتين



رمسيس الثالث يحيى حت ــ حور الهة التعدين لدى قدماء المصريين . هذا الرسم اكتشف في معبد مصرى بجوار مناجم تمناع للنحاس التى تقع إلى الشمال من إيلات فى النقب الجنوبى من فلسطين المحتلة

نقلهما على ظهور الابل إلى هناك ليستخدمهما في مهاجمة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وغرقت احداهما واستولى على الأخرى بطل الاسلام صلاح الدين ، بعد أن استولى على الجزيرة ذاتها ونقل إليها سفناً على ظهور الابل أيضاً ، ليحمي الملاحة الاسلامية في البحر الأحمر ، قبل معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) .

وترجع قصة إختيار بئر طابة كآخر نقطة على خط الحدود بين مصر والشام والحجاز إلى إرهاصات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) . فقد أخذت الدول الكبرى في أوائل القرن العشرين في تخطيط استراتيجيتها العالمية . وكان هم بريطانيا (العظمى) حماية قناة السويس ، شريان الامبراطورية ، وتقليص انتماء مصر العربي ...

فاتبعت سيناء لقلم الاستخبارات التابع لجيش الاحتلال ، وعينت المستر براملي سنة ١٩٠٥ مفتشاً لشبه جزيرة سيناء .

وكان هم المستر براملي الأكبر جمع المعلومات عما يصنعه الأتراك من استعدادات عسكرية في ميناء العقبة بعد أن تنازلت عنها بريطانيا باسم مصر للدولة العثمانية سنة ١٨٩٢ كما أسلفنا .

نزل المستر براملي بعساكره في يناير سنة ١٩٠٦ إلى نقطة (المرشش) التي أنشئت

مكانها ميناء إيلات إلى الغرب من العقبة منذ أن إجتاح اليهود جنوب فلسطين كله وسموه النقب، في ١٠/٣/١٩٤٩) ...

فأثار نزول المستر براملي قائد الحامية التركية في العقبة اللواء رشدي باشا الذي طلب إليه أن يرحل على الفور إلى (سيناء) لأنه يعتبر العقبة مسيطرة على المرشش.. وانسحب المستر براملي، وكان لانسحابة أثره في ظهور اسم طابة في التاريخ الحديث.. انتدبت حكومة الاحتلال في مصر الأميرالاي سعد بك رفعت للذهاب إلى طابا بحراً، فوجد الأتراك قد احتلوها، فلم يستطع النزول إلى البر بعسكره وعاد هو والمستر براملي الذي كان قد حضر براً من تخل بطريق وادي طويبة فثارت ثائرة الانجليز في مصر..

فأرسلوا الطراد (ديانا) في ١٩٠٦/٢/١٧ بقيادة القبطان (فبس هوربني) الذي ألقى مراسيه عند جزيرة فرعون، وانتدب (نعوم بك شقير) صاحب كتاب (تاريخ سيناء) للتفاوض مع رشدي باشا، الذي استقبل هورنبي ضيفاً عليه في العقبة، ورد له الزيارة في الطراد..

وبدأت المفاوضات بشأن تعيين خط حدود معترف به بين بريطانيا المتكلمة باسم مصر، وبين الدولة العلية، وظل الأمر في أخذ ورد، حتى حدثت قصة مماثلة في رفح بأن غير الأتراك موضع عمودي الحدود، فارسل الانجليز طراداً آخر بقيادة القبطان (ويموث) ليقف قبالة رفح، ويرسل الإنذار المؤرخ ١٩٠٦/٤/٣٠ إلى قائد حامية رفح التركي يقول فيه:

«حضرة قومندان العساكر الشاهانية برفح»:

نعلم حضرتكم أننا انتظرنا خمس ساعات في بيت التلغراف تجاه معسكركم لأجل مقابلتكم ولا حضر منكم جواب فعدنا إلى الوابور. وقد لاحظنا أن عمودى الحدود اللذين كانا قائمين على جانبي السدرة التي عسكرتم بقربها قد رفعا من مكانهما، ولاحظنا أيضاً أن عمد التلغراف المصري من خط الحدود إلى طريق بئر رفيح قد بدلت بعمد أخرى. فبالنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا احتجاجاً شديداً ونطلب أن تعيدوا عمودي الحدود وعمد التلغراف إلى أماكنها وتحافظوا على الحدود المقررة. وسنرسل نسخة من كتابنا هذا إلى رجال الحل والعقد من المصريين والانكليز في مصر، وإذا أحببتم مخاطبتنا فالطراد لا يسافر من مينا رفح قبل صباح الغد الثلاثاء الساعة ٩ افرنجية».

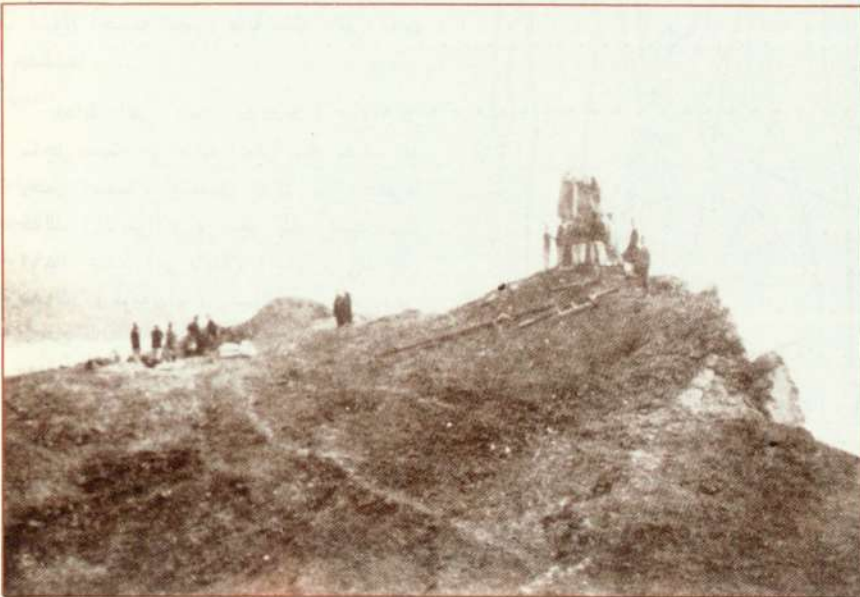
ا. و. ويموث قومندان الطراد منرفا
معتمد الحكومة البريطانية
نعوم شقير
معتمد الحكومة المصرية.

يقول نعوم شقير في كتابه (تاريخ سيناء سنة ١٩١٦):

«فسلم السلطان بمطالب انكلترا في آخر ساعة وأمر فخرجت العساكر من (طابا) وعاد عساكر رفح إلى حدهم وكانوا قد كسروا عمودي الحدود، فصدر الأمر إلى قائمقام بئر السبع (في فلسطين المحتلة الآن) وقائمقام غزة (ايضاً) بتلافي الأمر فحضرا إلى رفح ونبشا عمودين من خرائب رفح، عمودا من الغرانيت الأسود طوله ٦ أقدام وآخر من الغرانيت الرمادي طوله ٤ أمتار ونصباهما تحت السدرة بقرب مكان العمودين الأولين.

وفي ١٩٠٦/٥/١٤ بعث توفيق باشا الصدر الأعظم الرسالة التالية إلى السير نيقولاس أوكونور سفير بريطانيا العظمى بالآستانة يقول فيها:

«جناب السفير. تشرفت بالمذكرة التي تكرمتم بارسالها لي في ١٢ الجاري بشأن احتلال طابا. فاسمحوا لي أن أخبركم أنه لم يخطر قط ببال الحكومة الشاهانية الخروج عن مضمون التلغراف المرسل من المرحوم جواد باشا إلى سمو الخديوي في ٨ افريل سنة ١٨٩٢. ومع ذلك فإن الرسالة التي تشرفت بارسالها اليكم في ١١ الجاري كانت واضحة كل الوضوح فإن (إخلاء طابا) قد تقرر وصدرت الأوامر بذلك، وقد قر الرأي على أن الضباط أركان حرب الموجودين الآن في العقبة والموظفين الذين ينتدبون من قبل سمو الخديوي يمرون معاً على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطبوغرافية ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التي يكون بها ضمان الحال الحاضرة وبقاء القديم على قدمه في شبه جزيرة سيناء على القاعدة التي وضعها جواد باشا في تلغرافه السالف الذكر، وان يرسموا خطاً للحدود يبتدىء من رفح بقرب العريش، ويتجه جنوباً بشرق على خط مستقيم تقريباً إلى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ٣ أميال من العقبة. وبذلك تكون الرغائب التي أبديتموها سعادتكم في رسالتكم المشار إليها قد تحققت تماماً. هذا وإنا نسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك إلى لندن، ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى



أول عمود بني لتبيان الحدود ١٩٠٦ بين مصر وتركيا عند رأس طابة

بذلك برهانا جديداً على رغبتنا الشديدة في دوام حفظ العلائق بيننا على دعائم المودة التامة ، وأن في إبداء حكومة جلالته تمام ارتياحها لذلك دليلاً على القيمة التي تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين . أفندم . الامضاء . توفيق » .

وهنا أصدر خديوي مصر عباس حلمي أمراً بتفويض سعادتلو ابراهيم باشا فتحي (من أرباب المعاشات) وعزتلو الأميرالاي أوين باشا الانكليزي على رأس لجنة تضم مهندس المساحة المستر كيلن والمستر ويد والكاتب المستر افنسن والطبيب الانكليزي القائمقام براكنرج بك والمترجم يوسف بك سامح .

وتحركت هذه اللجنة من مصر يومي الخميس ١٩٠٦/٥/٢٤ قاصدة العقبة بطريق البحر ، ووصل الجميع إلى جزيرة فرعون مساء السبت ١٩٠٦/٥/٢٦ . وفي صباح اليوم التالي التقت اللجنة بمندوبي تركيا في العقبة اللواء رشدي باشا وياوره محمد اسعد بك صاغ أركان حرب عربي من أهل بيروت والأميرالاي أركان حرب أحمد بك مظفر والبكباشي أركان حرب محمد بك فهمي الكردي الأصل .

وبدأت أعمال المساحة اعتباراً من [أنف الجبل الذي على شاطئ الخليج ويطل على وادي طابا من الشرق] ثم يتمشى على رءوس تلال النقب التي تطل على العقبة إلى المفرق . قالوا لأن هذا الحد وحده يضمن سلامة العقبة من الوجهة الحربية .

وحاول الأتراك انتزاع جزء من سيناء .

ولم يوافق فتحي باشا ، واستعان بالبدو من سكان المنطقة ، واستغرقت المناقشات المدة من ٨ إلى ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٦ ، ورجع كل فريق إلى حكومته حتى تم ما يسمى تاريخياً باسم [اتفاق الحدود] في ١٩٠٦/٩/١٣ وفيه :

١ ــ إن الحكومة العثمانية أقرت على أن النقب من [رأس طابا] الشرقي إلى نقطة قرب المفرق يكون للعقبة وأما المفرق نفسه وآبار مابين عين قديس وعين القديرات وعين القصيمه تكون لجزيرة سيناء .

٢ ــ أن تقام أعمدة على طول خط الحدود للدلالة عليه بحضور مندوبي الفريقين .

٣ ــ إن القبائل القاطنة على جانبي الخط يكون لها حق الانتفاع بالمياه كجاري العادة . وكذلك العساكر الشاهانية وأفراد الأهالي والجندرمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل .



الكولونيل باركر (بركلي بك) ابن أخت اللورد كتشنر أول محافظ انجليزي لشبه جزيرة سيناء إثر حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ (كان يتقن اللغة العربية بلهجات القبائل)

٤ ــ أن يبقى الأهالي والعربان على ما كانوا عليه قبل من حيث ملكية الأراضي والمياه كما هو متعارف بينهم . ووقع الفريقان في صباح ١٩٠٦/١٠/١ على الاتفاق والخريطة المكتوبتين أصلاً باللغة التركية ومعهما ترجمة بالعربية وأخرى بالانكليزية .

وقد جاء في شرح الاتفاقية التي تبودلت رسمياً في رفح في ١٣ شعبان المعظم سنة ١٣٢٤ ــ أول اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، انها قد وقعت لتعيين خط فاصل إداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سيناء .

وفيها يقول شرح المادة الأول [ان هذا الخط يبدأ كما هو مبين بالخريطة المرفقة بهذه الاتفاقية من نقطة (رأس طابا) الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتد إلى قمة جبل (فورت) ماراً على رءوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا] .

وقد بدأت اللجنة في غرس الأعمدة ، وكان عددها واحد وتسعين عموداً ، وكان أولها قد غرس في ميناء رفح بعد ظهر يوم الخميس ١٩٠٦/١٠/٤ وآخرها على رأس طابا يوم الأربعاء ١٩٠٦/١٠/١٧ بعد غروب الشمس .

وفي ١٩٠٦/١٢/٤ تحرك إلى طابا سبعة وثلاثون جندياً مصرياً بقيادة (اليوزباشي) اسماعيل أفندي المفتي ومعه الملازم غالي أفندي زكي والملازم الثاني علي أفندي حلمي من الأورطة الرابعة مشاة ، وخمسة عساكر بتاتين من قسم الأشغال وعسكري تومرجي من القسم الطبي . وكان وصولهم في ١٩٠٦/١٢/٧ م ، والتقوا مع مندوبي تركيا في ١٩٠٦/١٢/٣٠ م واتفقوا على شكل البناء المطلوب بدل الأعمدة بمشورة القائمقام الفريدباركر الذي عين (مديراً) لسيناء ، والتقى مع اللجنة في طابا التي جاءها من تخل بطريق البر . وكان أول عمود بنوه على رأس طابا يوم السبت ١٩٠٦/١٢/٣١ م وأعطوه رقم (٩١) وكان آخر عمود بنوه على تل رفح عند الميناء في ١٩٠٧/٢/٩ م ، ورقموه بالرقم (١) .

وقد بلغت أجور الجمال التي كانت تنقل المياه ومواد البناء لهذه العمد (٧١٧,٠٤٠ جنيها) وكان جملة ما أنفقته مصر على تحديد التخوم نحو عشرين ألف جنيه ، في زمن كان الجنيه المصري يزيد في قيمته عن الجنيه (الاسترليني) بثلاثة قروش ؟

ويدور في رأسي سؤال :

لماذا اقترح الأتراك أن تكون نقطة الحد المصري بعيدة عن العقبة بما لا يقل عن ثلاثة أميال ، ولماذا قبل البريطانيون ذلك دون امتعاض أو معارضة ؟

هل يكون لمؤسسة [الدراسات الفلسطينية] التي تكونت في بريطانيا سنة ١٨٦٤ وأكملت بدعوى الابحاث اللاهوتية خريطة لفلسطين سنة ١٨٨١ أم للمؤسسة الألمانية المشابهة والتي أنشئت في المانيا سنة ١٨٧٨ تحت اسم [الدراسات الألمانية الفلسطينية] دخل ما بحيث يظل هنالك فراغ بين العقبة وطابا يصلح مستقبلاً لإنشاء ميناء لدولة اليهود على شاطئ خليج العقبة ؟

لا أظن أن ذلك أمر غير ممكن ، فهم يخططون في هدوء وتؤدة وبحث علمي منظم ، ونحن لا زلنا نتاجر في بضاعة الشجب والاحتجاج والتنديد والاستنكار وهي بضاعة لا تصنع التاريخ ولا تغير خريطة العالم فاعتبروا يا أولي الألباب

درويش مصطفى الفار

حياتها في قصيدة..

في الثاني عشر من شباط فبراير من هذا العام ١٩٨٦ ، وفي أحد مستشفيات مدينة دمشق ، أسلمت عزيزة هارون روحها الى بارئها في أعقاب نوبة مرض مفاجئة لم تمهلها على فراش الداء طويلا .

وعزيزة هارون شاعرة طراز وحدها في هذا الزمن الذي برّزت فيه شاعرات عربيات كثيرات ، تميّزْنَ بالثقافة الواسعة والموهبة المبدعة وبالجرأة في التفكير والتعبير ، وتصدرت دواوين شعرهن واجهات المكتبات فوازَيْنَ في المنزلة مشاهير الشعراء من الرجال . لم يتح لعزيزة هارون ما أتيح لزميلاتها من حظوظ الدراسة الاكاديمية أو فرص الانتساب الى معاهد التعليم العالية . فهي قد تثقفت على نفسها واستمدت معارفها من قراءاتها الشخصية ، فنظمت الشعر مدفوعة بموهبتها الاصيلة وبتوهج أحاسيسها قبل كل شيء . ولذلك كانت العاطفة في ما نظمته هي المهيمنة أكثر من الفكر ، وكانت الرقة طابعها أكثر من العمق ، ولذلك حمل شعرها من خصائص الأنوثة أصفاها ، مما تؤثره متطلبات الخلق العربي في المرأة العربية مهما بلغت النبوغ أو الشهرة . من هذه الخصائص أعدد اللين والودعة ، والحنان والخفر ، بعيدا عما اجترأت عليه كثيرات من متفوقات الأدب النسوي في أيامنا هذه من ثورة أو تمرد ، أو من مصارحة جارحة في تحليل دوافع عاطفة الأنثى نحو الرجل الذي تحبه أو تكرهه .

هذه الخصائص نفسها من لين ووداعة وحنان وخفر ، وهي ما نستطيع أن نسميها بخصائص الطفولة ، كانت كذلك خصائص سلوك عزيزة هارون في حياتها ، وخصائص جمال محياها الذي كانت أشعارها صورة منه أو انعكاسا له . وقد ظل جمالها ذاك ، حتى بعد أن قطعت في حياتها شوطا متقدما ، يحمل الطابع الطفولي ، مثلما ظلت أشعارها ، حتى بعد أن خاضت تجارب الحياة وتمرست بمحنها ، غنائية بريئة حتى السذاجة ، بعيدة عن التعقيد الفكري أو تلاطم العواطف الهوج ، ولعل من خصائص الطفولة تلك أن هذه الشاعرة لم تترك لنا ديوانا مطبوعا على كثرة ما أتيحت لها الفرصة لأن تفعل ذلك . فقد كان



بقلم: د. عبد السلام العجيلي

في نفسها تخوّف من أن لا يكون لشعرها المجموع في ديوان أثر قصائدها في نفوس مستمعيها حين كانت تطلع عليهم بمحياها المشرق وتتلوها بصوتها العذب. بل انها كانت تبدو حقا كطفل في دهشتها أمام من تراه يعجب بمقطوعاتها الشعرية، كأنها ما كانت تتوقع اعجابا بهذا الكلام الذي يندفع على لسانها ببساطة وصدق وعفوية.

وعلى الرغم من تواضع عزيزة هارون، أو من ضعف اعتدادها بنفسها، ومن قلة استجابتها الى ما كان يوجه اليها من دعوات الى القاء قصائدها، فان شخصها وشعرها كانا دوما موضع التقدير في المهرجانات والامسيات الادبية التي شاركت بها في بلدان الوطن العربي المختلفة. وليس من أهون معطيات ذلك التقدير ما كانت تثيره موهبتها، المقرونة بالجمال المقرون بالخلق الكريم، من اعجاب تحوّل عند بعض المبدعين الى روائع. ويقطع كثير من المتأدبين، في سورية بصورة خاصة، بأن واحدة من أجمل قصائد الشعر العربي في عصرنا الحاضر، وهي قصيدة «اللهب القدسي»، انما استلهمها شاعرها الكبير من عاطفة حملها ذات يوم لهذه الشاعرة. وقد زادهم تأكدا من ذلك ان اسم ملهمة القصيدة، «نعْم»، الذي ورد فيها حين نشرت في العدد الأول من مجلة شعر عام ١٩٥٧، قد أزيحت عنه التعمية عندما ظهر ديوان الشاعر الكبير في عام ١٩٧٨، فأصبح «عَزّة»:

مدلّـهٌ فيكِ، ما فجرٌ ونجمته
موّلـهٌ فيكِ، ما قيسٌ وليلاه
سكبتِ قلبكِ في وجدانه فرأت
يا عزّ ما شئتِ، لا ما شاء عيناه

أما كاتب هذه السطور فقد كان من حظه أن استمع في مناسبتين مختلفتين الى رواية صديقيه، الشاعرة الرقيقة والشاعر الكبير، عن الظروف التي تمخضت عنها تلك الرائعة التي هي قصيدة «اللهب القدسي». ما سمعته من الشاعر كان اعترافا عاطفيا مهذبا وعفّاً. أما ما قالته الشاعرة فكان عتبا رقيقا يذكّر بعتب ليلى العامرية على قيسها كما أورده شوقي في مسرحيته «مجنون ليلى»:

قد تغنّى بليلة الغيل، ماذا
كان بالغيل بين قيس وبيني

* * * *

هذا الوجه الشاعري الغنائي، الذي وصفتُه باللين والوداعة والحنان والخفر، هو الوجه الظاهر من شخصية عزيزة هارون، كان يراها به قراء شعرها والمستمعون اليها في الامسيات التي تنشد فيها قصائدها. الا أن ثمة وجها آخر لهذه الشخصية يعرفه، جملة أو تفصيلا، من داناها أو من بلغ علمه بعض ما لقيته من دهرها وظروفه. هذا الوجه الأخير ليس كله شعرا غنائيا، إذ أن فيه المعاناة وقسوة القدر وجور المجتمع، وفيه كذلك سوء فهم الآخرين وظلمهم في أحكامهم المبنية على الجهل وسوء التقدير.

كل ذلك استهدفت عزيزة هارون له. ولكونها شاعرة. فان الآلام التي تمرست بها تحولت بموهبتها الى عناصر خلق وابداع. حرمانها من الولد، على الرغم من زيجاتها الثلاث، كان باعث غنائها الاطفال في شعرها، لا غناءً بكائيا تندب حظها وحسرتها من الحرمان، بل أناشيد محبة وعطف واشفاق. اما تلك الزيجات الثلاث، التي يعدها عليها من لا يعرف الحقائق مآخذ، فقل أنْ تسربت تأثيراتها بها الى شعرها. حتى أصدقاؤها الخلص وصديقاتها العزيزات ما كانوا ولا كنّ على معرفة بكل ما فعلته تلك التأثيرات بنفسها احساسا وتفكيرا. وحين كانت تُقدَّم اليها عروض بحياة زوجية جديدة من أناس ذوي اسم وقدر، وذلك بعد تحللها من زواجها الأخير، كانت تقابل تلك العروض بابتسامة أسى، متغلبة على المغريات بتذكر ما عانته من قدرها في الايام السالفة. هذا ما كانت تبثه، في بعض الاحيان وفي مناسبات تضطرها الى ذلك، الى من يهمهم خيرها من أصدقاء وصديقات، وتبثه في كلمات قليلة مشحونة لمن يدرك ما وراءها بالمعاني الكثيرة.

الا أنه، مع كل تباعد عزيزة هارون عن الشكوى، وفيما يحسبه الآخرون رضى عن نفسها وقناعة في ما تتحدث به أو تنظمه شعرا، فان المصدور لابد له أن ينفث. ومن نفثات صدر هذه الشاعرة قصيدة نشرتها هي منذ عشرين عاما، وعلى التحقيق في شهر تشرين الثاني - نوفمبر من عام ١٩٦٦، في مجلة المعرفة السورية، في عددها السابع والخمسين، عنوانها «الغابة». اذكر اني كنت قرأت تلك القصيدة عند ظهورها، منذ عشرين عاما، فترددت في وجداني اياما كثيرة، اذ رأيت فيها سوداوية قل ان عبرت عنها صاحبتها قبل ذلك. وعندما بلغني نعيها وعدت الى القصيدة اقرأها من جديد تبينت فيها اكثر من السوداوية والتفجع صورة حياة هذه الشاعرة قصتها علينا في مقاطع كثفت الآلام والاحزان التي كفت لسانها عن التحدث بها الى اقرب المقربين اليها.

من كانت تخاطب الشاعرة بهذه القصيدة التي سأختم بها هذا المقال، تاركا للقراء ان يتعرفوا من خلال أبياتها الى قصتها المؤسية! ؟ ليس يهمنا هذا. ولعل هذا المخاطب المجهول لو لبى نداء الشاعرة لتحول مثل غيره وحشا من وحوش الغابة التي تكالبت عليها تمتص دمها وتمزق احشاءها. المهم انها، على الرغم مما كابدته من وحوش الغابة، لم تستسلم الى اليأس والقنوط. لقد ظلت ترى في نفسها زهرة لم يدركها الذبول ونجمة لم يدركها الافول، تأمل في ان تتنفس الحياة مع من يقدّر نضرتها، فيسكره شذاها ويستنير بضيائها:

تعال الىّ اليأس بعد الجور والظلمةْ
فروحي لم تزل روحي واني لم أزل نجمةْ
أداعب شعري الحاني تداعب شعري النسمةْ

قلت اني سأترك للقراء ان يتعرفوا على حياة عزيزة هارون، او على احد جوانب تلك الحياة،

حياتها
في قصيدة..



من خلال القصيدة التي اختم بها مقالي . وقبل ذلك اود ان اعرّفهم بطرف من طباع هذه الشاعرة يعين على تقدير دوافعها في بث شكواها بهذا الشكل في تلك القصيدة . وذلك برواية بعض ما شهدته شخصيا منها . فعلى الرغم من ان اقامتي البعيدة عن امهات المدن في سورية لم تكن تتيح لي فرص لقاء كثيرة بعزيزة هارون ، فان صداقتنا العائلية واهتماماتنا الثقافية والادبية المشتركة كانت توثق الصلة بيننا . وكان ذلك يجعل لها عليّ من الحقوق ، عندما توليت في فترة من الزمن بعض المناصب الوزارية ، ما لأصدقائي الأخرين الذين كنت استقبلهم مهنئين وزوارا واحيانا اصحاب حاجات . غير ان عزيزة هارون ، الموظفة في وزارة الاعلام ، تباعدت عن طريق وزير الاعلام الذي كنته طيلة بقائي في ذلك المنصب ، فلم ير احدنا الأخر الا بعد تركي له بمدة غير يسيرة . وعندما سألتها بعد ذلك عن سبب تواريها عني وتخلفها عندما كنت استفهم عنها ، كان جوابها انها لم تكن تريد ان يؤخذ عليها استغلال الصداقة الشخصية فيما يظن انه مغنم او جاه او نفوذ . .

هذه هي صورة من الترافع الحيي الذي كانت عزيزة هارون تقابل به احداث حياتها ، حتى عندما تحمل اليها الاحداث المزعجات والشرور . فاذا فاضت قريحتها ذات يوم بالألم فعبرت عن مشاعرها في مثل قصيدة « الغابة » ، فذلك يعني ان كيل التحمل والاحتمال عندها قد طفح ، فكانت منه هذه المقطوعات المأساوية الحزينة .

الغابة

لماذا انت لم تأت الى الغابة
لتلقى قلبي الدامي وأوصابه

* * *

لقد. قدمت للنمر سني عمري
فغلّ النمر في صدري وما صدري
سوى دنيا من الألحان والشعر
وذئب الغابة الضاري ألم تسمع حكاياه
فمنذ كنا صغيرين سمعنا عن مزاياه
أساطير من الرعب واهوالا عرفناه

* * *

لقد خفت من الذئب تسلقت على نخله
كتمت من الاسى رعبي وكنت ندية طفله
فصوحَ زهر ايامي جنون الخوف والعزله

* * *

وفي ليل طويل الصمت لم يغمض به جفني
وثعبان يلف رؤاه من غصن الى غصن
أرقّصه على لحني فيسكر قلبه حزني

* * *

أداريه وأغليه ليرحم جرحي الدامي
واسقيه الندى المسفوح من قلبي وإلهامي
ويسقيني تباريحي ويرشف دمعيَ الهامي

* * *

ولولا طيف جنية يسامرني بليلاتي
لعفت العيش في بؤسي ولم تزهر هنيهاتي
ولم يصبح عبير اللحن انداء بآهاتي

* * *

عرفت الآن أحزاني وما قاسيت في بؤسي
وكيف نثرت في الغابة بوحي في شذى نفسي
وما زال الهوى يخضل في قلبي وفي كأسي

* * *

تعال اليّ بعد اليأس بعد الجور والظلمهْ
فروحي لم تزل روحي واني لم ازل نجمهْ
أداعب شعري الحاني تداعب شعري النسمهْ

* * *

عسى ان جئت تلقاني أراك حبيبَ ألحاني
وأنسى بالهوى نفسي وأدرك سر ايماني
وأعرف أنني أنثى تعيش بقلب انسان

* * *

فما زلت اجوب الليل أبحث عن سني عمري
أكفكف دمع أشواقي الى ظل الى زهر
أيخبو وهج اشواقي وينضب منبع السحر

* * *

فواهاً من كهوف الغاب من حيّاته السود
لقد عشن بأحلامي وعانقن اغاريدي
وسرن بيقظتي رعبا على بؤسي وتشريدي

* * *

وكم قاسيت في أسرى وكنت غريبة الاسر
افجر قلبي الظمآن احلاما ولا ادري

عبد السلام العجيلي
الرقة ــ سورية

■ كانت دوّما موضع التقدير لشخصها وشعرها في المهرجانات والأمسيات الشعرية في مختلف بلدان الوطن العربي

■ على الرغم مما كابدته، ظلّت ترى في نفسها زهرة لم يُدركها الذبُول ونجمة لم يُدركها الأفول

الاهتمام بالفقه الإسلامي واجب ديني وعمل حضاري

بقلم : عبدالقادر بن محمد العمّاري

سألني أحد طلبة العلم عن حكم الشرع فيما لو تقدم أربعة شهود على شخص بأنه زنى بامرأة، ونفذ حد الرجم في الشخص المشهود عليه، ثم تبين أن الشهود الذين شهدوا كانوا كاذبين في شهادتهم، وأنهم شهدوا زوراً نكاية بالشخص فهل صحيح أن الشهود الذين شهدوا زوراً يكتفى بجلدهم ثمانين جلدة ويطلق سراحهم بعد أن تسببوا في قتل انسان ؟

فقلت له أولاً : إن الحكم على الشخص بالرجم ليس بسيطاً، وأنه لا يثبت إلا بصعوبة، فحتى لو كان الشهود عدولاً، فعلى القاضي أن يبحث ويتأكد من صحة شهادتهم، وإذا كان الشخص منكراً التهمة الموجهة إليه، فمن الصعب اثباتها عن طريق شهادة الشهود الأربعة، الذين يجب أن يشهد كل منهم بأنه رأى الفعل كالمرود في المكحلة.

فهناك خطوات لقبول الشهادة، أولاً : التأكد من عدالة الشهود وتزكيتهم. ثانياً : تفرقتهم والبحث مع كل واحد على حدة حتى إذا اختلفت شهادتهم ردت، وأقيم عليهم حد القذف، لاتهام الرجل بالزنا، ولا تقبل لهم شهادة أبداً، فلا أعتقد أنه يسهل أن تقوم شهادة على الزنا، فضلاً أن تكون شهادة مزورة.

وحتى لو كان هناك اعتراف بالزنا، فيجب أن يكون الاعتراف أربع مرات متفرقات، ثم أن له الرجوع عن الاعتراف في أي لحظة، بل ويشجعه القاضي على الانكار، ويقبل رجوعه عن الاعتراف حتى عند تنفيذ الحد عليه، بل ان محاولة هربه من تنفيذ الحد يعتبر رجوعاً منه.

وليس غرض الشارع من وضع هذه الحدود الشديدة هو تنفيذها، بل هو لبيان عظم الجرائم التي جعلت لها هذه الحدود، فهي عقوبات للتهديد وللتخويف، أكثر منها عقوبات للتنفيذ، ثم إذا فرضنا أن أشخاصاً شهدوا على شخص بالزنا شهادة زور، وقتل نتيجة لشهادتهم، وتبين بعد ذلك أن شهادتهم كانت مزورة، فيجب أن يقتص من الشهود، إذ يعتبر ذلك من قبيل القتل العمد، هذا هو المقرر شرعاً في الفقه الاسلامي، على اختلاف بين الفقهاء في اعتباره عمداً، أو شبه عمد، ولا يقول أحد من الفقهاء أن يجلد الشهود ثمانين جلدة ويطلق سراحهم.

وقال لي طالب العلم السائل، انه رأى في كتاب باللغة الانجليزية، لمؤلف انجليزي، فيه هجوم على الاسلام، ومن جملة ما ذكر في الكتاب أن الاسلام يشدد في مسألة الزنا، ويحكم بالقتل على الزاني المحصن، وإذا شهد أشخاص على رجل بالزنا، ونفذ عليه القتل بموجب شهادتهم، ثم تبين أن شهادتهم كانت مزورة، من أجل قتل الرجل، لا تزيد عقوبة هؤلاء الشهود على جلدهم ثمانين جلدة.

فقلت له : أنا لا ألوم هذا الانجليزي على جهله بالاسلام، بل لا ألومه على عداوته للاسلام، فهؤلاء دائماً يسلون خناجرهم وسيوفهم على الاسلام، بل ألوم المثقفين العرب والمسلمين على جهلهم بتراثهم، وعدم تصديهم لمثل هؤلاء الأعداء المزورين، الذين يتعمدون التزوير والتلفيق، مع زعمهم أنهم علميون، وأنهم يتحرون الحقيقة، فجهل بعض المثقفين المسلمين بتراثهم، أكثر من جهل غيرهم من المؤلفين الغربيين، وكان واجبهم أن يتعقبوا أخطاء غيرهم ويفندوها، لا ان يقلدوهم في الأخطاء ويسايروهم.

وقد كنت أقرأ كتاباً لأحد أساتذة الحقوق، عن جرائم الاهمال، فإذا هو عندما كان يتحدث عن تطور جرائم الاهمال في القوانين، وجاء ذكر جريمة الاهمال في الفقه الاسلامي، لم يرجع إلى مراجع الفقه الاسلامي نفسها، بل اعتمد على كتاب ليون بوشيه الفرنسي، مما أدى إلى أن يذكر معلومات غير صحيحة فيما يتعلق برأي الفقه الاسلامي، في تعويض المجني عليه، نتيجة الاهمال من قبل شخص آخر. وقد اجتهد عن حسن نية في تبرير القصور الذي لاحظه، حسب ما نقله عن ليون بوشيه، يقول المؤلف نقلاً عن المؤلف الفرنسي : (وبعد الفتح الاسلامي لمصر سنة ٦٤١ ميلادية تغيرت القوانين المصرية، بما يتلاءم مع الدين الجديد، دين الاسلام، فطبقت القواعد الواردة في القرآن الكريم، وسنة الرسول عليه السلام، جاء بالقرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم).[1] كما يقول تعالى (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم

الاهتمام بالفقه الإسلامي واجب ديني وعمل حضاري

وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليماً حكيما)[٢] .

يبين ذلك أن مصر بعد أن انتقلت من ولاية رومانية إلى ولاية اسلامية ، اخضعت لقواعد أحكام الدين الاسلامي ، وقد اتخذ الدين الاسلامي جزءاً إنسانيا واجتماعياً في نفس الوقت ، عتق عبد ، ودفع تعويض للمجني عليه ، أولذويه ، فإن لم يكن لدى الجاني عبد ، وليس من الميسور عليه أن يعوض المجني عليه أوذويه عما أصابهم من ضرر ، فعليه أن يصوم شهرين ، وعلق المؤلف على ذلك بقوله : من ذلك يتبين أن القرآن الكريم لم يذكر صراحة إلا القتل باهمال ، لذلك يجب أن نتبع القياس والاجتهاد في حالات الضرب أو الجرح باهمال ، ونلاحظ أيضاً أن القانون الاسلامي ، جعل التعويض اختيارياً ، وليس اجبارياً ، فان كان اختيارياً بالنسبة للمجني عليه أوذويه ، لهم أن يطلبوه أولا يطلبونه ، فقد كان كذلك اختيارياً بالنسبة للجاني فله أن يدفعه أو لا يدفعه ، وان لم يستطع فصيام شهرين ، معنى ذلك أن العصر الاسلامي كان يتميز بأنه عصر ديني ، يؤمن فيه الناس بالله ورحمته ، ويطلبون غفرانه ..)[٣] .

ثم قال بعد ذلك ، ظلت مصر متبعة التشريع الاسلامي ، حتى ظهرت تشريعاتنا الحديثة سنة ١٨٨٣ ميلادية وعدلت سنة ١٩٣٧ ميلادية متبعة التشريع الفرنسي ، آخذة بالمواد ٣١٩ ، ٣٢٠ (ملغاة) عقوبات ، وأصبح الاهمال جريمة يعاقب عليها في مصر ، وللمجني عليه أن يرفع الدعوى المدنية ، مطالباً بالتعويض عما أصابه من أضرار ، كما للنيابة العامة أن تحرك الدعوى العمومية لمؤاخذه الفاعل جنائياً عن خطئه ، المادة ٢٣٨/ ، ٢٤٤/عقوبات ، على القتل والجرح باهمال ..الخ) .

والدكتور عفي الله عنه وإن حرص على أن ينوه بحكمة التشريع الاسلامي في عتق الرقبة ، ونظرته الانسانية في ذلك ، إلا أنه وقع في خطأ كبير في متابعته للأستاذ الفرنسي الذي فهم من الآية أن التعويض اختياري ، فان شاء الجاني أن يدفعه للمجني عليه ، أولا يدفعه ، ويصوم بدلاً من ذلك شهرين متتابعين ، إذا عجز عن عتق الرقبة ، والآية لا تقتضي ذلك ، فالدية المسلمة إلى أهل المجني عليه ليس الجاني مختاراً في دفعها أوعدم دفعها ، بل هي حق ثابت لأهل المجني عليه ، لا تقبل الأسقاط ، إلا إذا تنازلوا عنها باختيارهم ، كما أنه لوكان للمجني عليه ورثة صغار ، لا يستطيع أحد أن يتنازل عن حقهم في التعويض ، وهذا أمر معروف في الفقه الاسلامي ، فالأمر ليس راجعاً إلى اختيار الجاني ، والآية بينت أن في قتل الخطأ دية وكفارة ، وكل ذلك ملزم به الجاني ، فالدية حق المجنى عليه ، والكفارة حق الله ، ولو رجع المؤلف إلى المراجع الاسلامية لما وقع في الخطأ ، والخطأ الآخر الذي وقع فيه المؤلف هو أنه قرر أن الأهمال لم يكن جريمة يعاقب عليها في مصر إلا بعد أن طبق في مصر التشريع الفرنسي ، وقد ظن أنه لا نصوص فقهية اسلامية تعرضت لجريمة الاهمال ، إلا ما جاء في الآية الكريمة ، التي تبع في تفسيرها ليون بوشيه ، الذي أساء فهم الآية ، وجعل التعويض في الاسلام على الجاني اختيارياً ، فإن شاء دفعه ، وإن لم يشأ لم يدفعه .

والمعروف أن القرآن الكريم ليس فيه تفصيلات الأحكام الفقهية ، وانما فيه بعض الأحكام يذكرها لمناسبتها ليقاس عليها ، وتؤخذ تفاصيل الأحكام من السنة ، واجتهادات الفقهاء ، إذ القرآن ليس كتاب قانون قضائي ، حتى نقتصر عليه في الاحكام القضائية ، إذ مهمة القرآن أعم وأشمل ، وكتاب هداية وارشاد ، وليس من مهمته أن يأتي بتفصيلات الأحكام ، وهذه الأحكام القضائية تعتمد على اجتهادات العلماء حسب الوقائع والأحداث ، فيستنبطون الحكم من الكتاب والسنة ، والاجماع والقياس ، والسوابق القضائية في أحكام السلف وأقوالهم من الصحابة والتابعين والذي يجب أن نعترف به أن غلق باب الاجتهاد أثر على حيوية الفقه الاسلامي ونشاطه ، ومع ذلك فإن الفقهاء على مر التاريخ بحثوا في كل المسائل التي تعرض عليهم ، وأصدروا فيها أحكاماً مناسبة لزمانهم مستندين على نصوص عامة وخاصة ، غير أنه ليس هناك حصر وتنظيم للأحكام والفتاوى ، مما جعل بعض الباحثين يتوه في الكتب ، ولا يستطيع أن يستخلص منها ضالته ، ورحم الله عبد القادر عودة الذي قام بجهد مشكور ، عندما ألف في القانون الجنائي الشرعي مجلدين ، كانا بحق فتحاً عظيماً في مجال تقريب الأحكام الشرعية الجنائية ، من فهم الباحثين المعاصرين ، ومقارنتها بالقوانين الوضعية ، فكان هذان المجلدان من أهم المراجع الآن للقضاة والباحثين ، فقد غاص رحمه الله في التراث الفقهي الاسلامي ، واستخرج لآلئ هي أعظم في أصالتها وبريقها ولمعانها ، مما أتت به القوانين الوضعية من نظريات ، وأعتقد أن مؤلف كتاب جرائم الاهمال الذي حظي بشهادة دكتوراه الدولة في العلوم القانونية من جامعة باريس ، ودبلوم معهد العلوم الجنائية من جامعة نانسي بفرنسا ، لو كلف نفسه بالاطلاع على كتاب عبدالقادر عودة ، أو كتابي الشيخ محمد أبو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ، لسهل عليه معرفة حكم الفقه الاسلامي في جريمة الاهمال ، ولعرف كيف سبقت الشريعة الاسلامية أحدث النظريات فيما يتعلق بالموضوع الذي يبحثه .

■ الإسلام أوجب التعاون وكل فعل فيه إنقاذ للنفس البشرية ودفع الأذى عنها

كيف يدعي أن الاهمال لم يكن جريمة يعاقب عليها في مصر إلا بعد أن أخذت بالقانون الفرنسي ، وهذه نصوص الفقهاء كلها تؤكد وتنص على مسئولية المهمل في الشرع الاسلامي ، إذا ترتب على اهماله ضرر بالغير؟ ومن جملة نصوص الفقهاء مثلاً أنه يؤاخذ الذي يترك غريقاً ولا ينقذه ، ويعتذر بصلاته ، ويحق عليه العقاب ، لأنه يترك اللازم ويعمل ما دونه لزوماً ، كذلك نصوا على مسئولية الطبيب الذي يتسبب باهماله في وفاة المريض ، أو إلحاق الضرر به .

وإننا هنا نذكر ما قاله العز بن عبدالسلام فيما يتعلق بالغريق في كتابه (قواعد الأحكام) وقد كان بن عبدالسلام رئيساً للقضاة في مصر في عهد المماليك ، قال : (تقديم انقاذ الغرقى المعصومين عند الله أفضل من الصلاة ، والجمع بين المصلحتين ممكن ، بأن ينقذ الغريق ، ثم يقضي الصلاة ، ومعلوم أن ما فاته من أداء الصلاة لا يقارب إنقاذ نفس مسلمة من الهلاك ، وكذلك لو رأى الصائم في رمضان غريقاً ، لا يتمكن من انقاذه إلا بالفطر ، فانه يفطر وينقذه ، وهذا أيضاً من باب الجمع بين المصالح ، لأن في النفوس حقاً لله تعالى ، وحقاً

لصاحب النفس ، فقدم ذلك على أداء الصوم) .

وجاء في كتاب المحلى لابن حزم ، أن رجلاً استسقى على باب قوم فلم يسقوه ، حتى مات من العطش ، فضمنهم عمر بن الخطاب ديته ، ومعلوم أن الحكم بالدية إذا كانوا قد امتنعوا عن سقيه نتيجة اهمال ، أما إذا كان الامتناع متعمداً من أجل قتله فإن عليهم القصاص ، كمن يحبس شخصاً ويمنعه الطعام والشراب حتى يموت ، فإن هذا يقول عنه الفقهاء تَرْكٌ قُصِد به القتل ، فَهو تَرْكٌ يحمل معنى الايجاب ، ونص الفقهاء أن الأم إذا منعت ولدها الرضاع حتى مات فقد قتلته ، إن قصدت ذلك ، وكذلك إذا تركت الأم سرة ولدها من غير ربط . ولا يخفى أن الفقهاء لهم وجهات نظر مختلفة في هذه الأمور ، كغيرها من الموضوعات التي تختلف فيها الاجتهادات ، وفي مثله جرائم الترك ، وجرائم الفعل . يقول الشيخ محمد أبو زهرة (وإنه بعد استعراض الآراء المختلفة والمناهج المختلفة ، ننتهي بلا ريب إلى أن فقهاء المسلمين قد سبقوا إلى دراسة الموضوع دراسة وافية من كل ناحية ، حتى الأمثلة التي يسوقها العلماء في الفقه الحديث هي بعض الأمثلة التي ذكرها الفقهاء المسلمين قديماً ، ولعل النقل الذي نقلناه عن ابن حزم يوضح تمام التوضيح كيف كان يربط ابن حزم بين الترك والجريمة ربطاً يجعله سبباً بها ، وكيف يكون بفرض العمد والخطأ ، وهو نص لم نظفر بمثله موضحاً مبيناً محرراً في الكتب التي تصدت لبيان وضع هذه الجريمة في القوانين الحديثة ، وأنا لهذا أسجل سبق المسلمين إلى تحرير هذه الجريمة بما لم يسبقوا بمثله ، وإنه بالمقارنة بالفقه الحديث والفقه الاسلامي ، نجد الفقه الحديث يتلاقى مع مذهب أبي حنيفة في الجملة ، فأبو حنيفة لم يعتبر أن الجريمة بالترك تكون عقوبتها كعقوبة الجريمة بالفعل ، وإن كان يفرض لها عقوبة ، ولا يخليها من معنى الاجرام ، ولذلك يقرر فقهاء المذهب الحنفي ، أن من يكون في بادية ، ومعه فضل ماء ، وبجواره شخص لا ماء معه ، ويغلب على ظنه أنه سيموت إن لم يشرب من ماء صاحب الماء ، وامتنع الآخر عن سقيه فقاتله فقتله ، فانه لا دية له ، لأن المنع اعتداء ، فكان طالب الماء حاله حال المعتدى عليه ، وهذا يدل على أن أبا حنيفة يعتبر الترك إجراماً ، وإن لم تكن عقوبته هي عقوبة الفعل في الجريمة ، والفقه الألماني يتقارب مع مذهب مالك والظاهرية ، وإن كان دونها لأنه اعتبر الترك جريمة إذا كان تركاً لواجب قانوني ، بينما هذان المذهبان وغيرهما لا يفرقان في مثل هذه المسألة بين واجب قانوني وواجب ديني ، لأن الواجب الديني إذا ترتب على تركه تعريض حياة للتلف ، يتحول إلى واجب قضائي ، وإن ذلك مقرر حتى في مذهب أبي حنيفة ، فإرضاع الأم لولدها واجب ديني عليها ، ولكن إذا كان الولد لا يلقم إلا ثديها ، أو لم يكن للولد ولا لأبيه مال يستأجر به ظئراً لترضعه ، ويخشى على الولد الهلاك ، فإن ذلك الواجب ينتقل من الواجب الديني المجرد إلى الواجب القضائي ، الذي يحكم به القضاء ، ونرى من هذا تعميماً في الفقه الاسلامي لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق) .[٤]

ويلاحظ أن القوانين الوضعية في هذا المجال تفرق بين واجبات انسانية خلقية ، وواجبات قانونية ، فإذا كان الذي ترك يملك الترك بحكم القانون لا يعد قاتلاً ، وإن كان الذى ترك لا يملك الترك بحكم القانون ، كترك السرة من غير ربط يعد قاتلاً ، أما في الشريعة الاسلامية فإن من يرى انساناً متعرضاً للأذى عليه أن يعمل كل ما في طاقته لمنع الأذى ، لافرق بين الماء والزاد والافتراس ، وقد ثبت ذلك بقول النبي ﷺ (من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ويقول الراوي ثم أخذ يعدد الأصناف حتى ظننا أنه ليس لنا حق في فضل أموالنا وكان ذلك في سفر) . فالاسلام أوجب التعاون ، وأوجب كل فعل فيه انقاذ للنفس البشرية ، ودفع الأذى عنها .

إن التراث الفقهي الاسلامي يجب أن يكون محل اهتمام الحقوقيين العرب ، وليس من واجبهم أن يدرسوه فقط ، بل واجبهم أن يقوموا بنشره باللغات الحية ، فإن ذلك واجب ديني ووطني وحضاري ، وقد رأينا كيف أن عدة محاضرات ألقيت في المؤتمر الدولي بباريس قبل حوالي ثلاثين عاماً ، جعلت المؤتمرين يعترفون بسمو الفقه الاسلامي ، وأنه لايقل أهمية عن القوانين الحديثة ، ونلاحظ مع الأسف أن كثيراً من المثقفين العرب من الحقوقيين والأدباء والفنانين وغيرهم ممن يهتمون بالثقافة الغربية أكثر من اهتمامهم بتراثهم ، بل لا يلقون بالاً لما عندهم ، فترى كثيراً منهم يحمل أرفع الشهادات من الجامعات الغربية في الأدب والتربية والفن والتاريخ والقانون ، وغيرها من العلوم النظرية ، وتراه ملماً بكل صغيرة وكبيرة في حياة الغرب وتاريخه وثقافته وجغرافيته ، وإذا تحدث تجد نصف كلامه باللغة الأجنبية من كثرة ما يستشهد به من الثقافة الغربية ، ويذكر أسماء الأدباء والقادة والمسرحيين والفنانين وغيرهم ، وأسماء المناطق والبلدان والجبال والأنهار والمسارح والمتاحف ، ولكنه لا يعرف شيئاً عن بلده ، ولا عن تراثه ، بل تراه جاهلاً بأبسط المعلومات في الثقافة الاسلامية ، والتاريخ الاسلامي ، ولا أدل على ذلك مما يذكر بأن إحدى الجامعات السعودية استدعت خبيراً في التعليم من إحدى البلاد العربية لمراجعة المناهج التي وضعت للجامعة وأرادوا تكريم الخبير بتنظيم زيارة له للأماكن المقدسة ، فبعد أن انتهى من العمرة ، والطواف بالكعبة ، قالوا له غداً إن شاء الله ستسافر إلى المدينة المنورة لزيارة الرسول ﷺ ، والصلاة في الحرم النبوي ، فقال : لماذا نذهب إلى المدينة أليس الرسول مدفوناً هنا في الكعبة ؟ فقد كان يظن أن قبر الرسول داخل الكعبة ، وأن الناس إنما يطوفون حول الكعبة من أجل أن القبر داخلها . أليس هذا الموقف مما يثير الحزن والأسى ؟

إننا ندعو المثقفين العرب والمسلمين أن يلتفتوا إلى ما عندهم ، ولا يتركوا ما عند غيرهم ، مما فيه فائدة لأمتهم ، فليس ما عند غيرهم كله مفيد ، كما أنه ليس كل ما عندنا مفيد ، ومع الأسف أننا لا نهتم إلا بما يجب أن نتركه ، ونهيل عليه التراب .

وإننا نرى أن الاهتمام بالايجابي من تراثنا ونشره ، وخاصة في مجال الفقه أمر تتطلبه الحضارة العالمية ، ففوق أنه واجب ديني ووطني ، فهو متطلب وعمل حضاري ، والجهل بتراثنا خزي وعار .

عبدالقادر بن محمد العماري

مسؤولية المهمل في الشرع الإسلامي إذا ترتب على إهماله ضرر بالغير

هوامش

(١) البقرة ١٧٨ .
(٢) النساء ٩٢ .
(٣) جريمة الاهمال للدكتور أبو اليزيد على المتيت .
(٤) الجريمة .. للشيخ أبو زهرة



علاقة الدين بالدولة

بقلم: الدكتور محمد عمارة

لقد كانت الفكرة الجوهرية والمحورية لكتاب الشيخ علي عبدالرازق [الإسلام وأصول الحكم] هي دعوى أن الاسلام دين لا دولة، ورسالة لا حكومة، ويا بعد ما بينه وبين السياسة وتنظيم المجتمعات !..

وبعض الذين تصدوا لنقد هذا الكتاب بلغوا في معاداة هذه الدعوى — وهي باطلة — مبلغ « رد الفعل » حتى لقد بدت في أقوالهم رائحة تصور الحكومة الاسلامية « حكومة دينية »، تشبه تلك التي عرفتها أوربا حاكمة « بالحق الالهي »... ذلك أنهم تحدثوا عن « وحدة » الدين والدولة، مقابل دعوى « الفصل » بينهما !

لكن هذا الموقع — موقع « رد الفعل »، الغريب عن روح الاسلام وجوهره — لم يكن هو الموقع الفكري للشيخ الخضر عندما نقض كتاب الشيخ علي عبدالرازق ... فهو قد تبنى موقف علماء الكلام المسلمين، من مختلف تيارات فكر أهل السنة، الذين قرروا أن « الخلافة — الإمامة — الدولة » ليست من أصول الدين ولا أركانه ولا عقائده، وأنها من الفروع .. ومن ثم فلا حاجة لمن يدعي « علمانية الاسلام » بسبب خلو القرآن من الآيات التي تنص على « الخلافة — الإمامة — الدولة »، فمكان الفروع، ليس بالضرورة هو القرآن الكريم ... واستمراراً لهذا النهج الاسلامي العريق قال الشيخ الخضر: « إن الخلافة ليست من نوع العقائد (١) ... وبحثها يرجع إلى النظر في حكم عملي لا في عقيدة من عقائد الدين. ومما يترتب على الفرق بين الأحكام العملية والعقائد أن الأحكام العملية يكتفي فيها

■ في صراحة وحسم يقرّر الشيخ الخضر أن الأمّة الإسلامية هي مصدر السلطات

■ الإسلام يوجب الدولة الإسلامية التي تسوس الناس بشريعته

■ الدولة الإسلامية دولة دستورية ورأسها حاكم دستوري، وقانونها ثمرة عبقرية فقهائها

■ ما كان يليق بالعالم والقاضي المحقق الشيخ خضر أن يشهد بغيرة الملك فؤاد على الدّين الحق

بالأدلة المفيدة ظناً راجحاً، وأما العقائد فإنها لا تقوم إلا على براهين قاطعة ... فلا غضاضة على حكم الخلافة إذا لم يرد به قرآن يتلى، إذ ليست الخلافة زائدة على إمارة عامة تحرس شعائر الدين وتسوس الناس على طريق العدل، ولم يكن وجه المصلحة من إقامة هذه الإمارة بالخفي الذي يحتاج إلى أن يأتي به قرآن صريح... فالقرآن لم يصرح بحكم الإمارة العامة اكتفاء بما بثه في تعاليمه من الأصول التي تبينها السنة ويرجع إليها الراسخون في العلم عند الحاجة إلى الاستنباط، ولأن في الأمر بإطاعة أولي الأمر عبرة لأولي الألباب [٢] ... ! فإذا استدل علماء الاسلام على وجوب «الخلافة ــ الإمامة ــ الدولة الاسلامية» بضرورتها، لأن «ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع ولا يزعهم عن الباطل وازع، يفضي إلى تبدد الجماعة، وإضاعة الدين، وانتهاك حرمة الأموال والنفوس والأعراض، فإنهم ــ[بهذا الاستدلال] ــ إنما يطبقون قاعدة شرعية، وهي قاعدة: «الضرر يزال» أو قاعدة: «ما لا يتم الواجب المطلق إلا به، وكان مقدوراً، فهو واجب» ... [٣]»

اسلامية الصورة

ومن هذا الموقع الفكري، الذي يرى وجوب «الدولة الاسلامية» ــ وليس أي دولة ــ دون أن تكون هذه الدولة عقيدة من عقائد الدين أو ركناً من أركانه ــ أنكر الشيخ الخضر إسلامية الصورة التي صور بها الشيخ علي عبدالرازق الخليفة المسلم، ورفض ما قاله صاحب [الاسلام وأصول الحكم] عن طبيعة سلطات الخليفة في الاسلام ... لقد قال علي عبدالرازق، عن الخليفة: إن «ولايته عامة ومطلقة، كولاية الله تعالى ورسوله الكريم».. وعلق الخضر على هذه العبارة فقال: «إنها من مبالغاته التي تضع للخلافة في نفوس المستضعفين من الناس صورة مكروهة، ولو كان المؤلف ــ[علي عبدالرازق] ــ يمشي في بحثه على صراط سوي لتحرى فيما ينطق به عن المسلمين أقوالهم المطابقة. وهم لم يقولوا إن ولاية الخليفة عامة ومطلقة كولاية الله، يفعل ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل، والخليفة مقيد بقانون الشريعة ومسئول عن سائر أعماله. وكذلك رسول الله، ﷺ، له خصائص لا يحوم عليها الطير ولا يبلغها مدى البصر، منها أن تصرفاته نافذة ولا تتلقى إلا بالتسليم، وتصرفات الخليفة قد تقابل بالمناقشة والنقض والإنكار.. [٤]»

وفي صراحة وحسم يقرر الشيخ الخضر أن الأمة الاسلامية هي مصدر السلطات التي فوضت بعضاً منها للخليفة والإمام، فلا علاقة لطبيعة سلطاته بتلك التي زعمتها الكهانة والدولة الدينية للأباطرة والملوك الذين جعلوا سلطانهم مستمداً من الله ... لقد زعموا نيابتهم عن الله.. بينما الخليفة الاسلامي نائب عن الأمة ووكيل عنها..» ولم نعثر على كلمة ــ[في فكر علماء الاسلام] ــ تنبىء ــ ولو بطريق التلويح ــ أن سلطان الخليفة مستمد من سلطان الله، وقصارى ما يستنتج من كلماتهم عنها ومباحثهم فيها أن الله أوجب على الناس إقامة إمام، وأن ولايته تنعقد إما بمبايعة أهل الحل والعقد أو بعهد من الخليفة قبله، وأنه إذا سعى في السياسة فساداً، كان للأمة انتزاع زمام الأمر من يده ووضعه في يد من هو أشد حزماً وأقوم سبيلا.. [٥]»

فالاسلام يوجب «الدولة الاسلامية»، التي تسوس الناس بشريعته، وتحفظ بيضته.. وفي ذات الوقت ينكر مزاعم القائلين بسلطان إلهي لرأس هذه الدولة.. فلا هي «العلمانية» التي تفصل «الدين» عن «الدولة» ولا هي «الكهانة ــ والدولة الدينية ــ والحكم بالحق الالهي ــ ونيابة الحاكم عن الله».. وإنما هي «الدولة المدنية» الحاكمة بشريعة الاسلام.. وبعبارة الشيخ الخضر: «إن شارع الاسلام يقصد إلى أن يكون للمسلمين دولة ذات صبغة دينية [٦] ... ورياسة غير منفصلة عن الدين... وإمارة مرتبطة بالدين [٧] ... فالاسلام دين وشريعة وسياسة، وعلى الدولة أن تضع سياستها في صبغة إسلامية [٨] ... لأن الاسلام عقيدة وشريعة ونظام اجتماعي، فهو بالنظر إلى

علاقة الدين بالدولة

أصول العقائد ، التي هي باب الايمان به ، إنما يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، إذ لا يمكن لبشر أن يدخل في قلب بشر عقيدة إلا أن يقرنها بما يثبتها في النفس من برهان أو إقناع . وأما الشرائع والنظم الاجتماعية ، فإن التجربة ، في القديم والحديث ، دلت على أنها لا تقوم في أمة ولا يطرد نفاذها إلا أن تكون شدة البأس بجانبها والسيوف من ورائها . فلابد للإسلام من دولة ذات شوكة لتقوم على اجراء هذه الشرائع والنظم وتحول بينها وبين قوم لا يبصرون .. »[٩] .

وإذا كانت دعوى صاحب [الاسلام وأصول الحكم] أن الرسول ، ﷺ ، كان « مبلغاً » فقط ، لم يكلف « بالتنفيذ » ، هي دعوى متهافتة لم يقلها قبله قائل ، من الشرق أو الغرب ، من المسلمين أو من غيرهم ، فإن الشيخ الخضر يتحدث عن ولاية الرسول ، رافضاً أن تقتصر على القلوب دون الأجسام — وهي دعوى علي عبدالرازق — ويقول : إن « النظر يقضي بأن الولاية على القلوب لا تكفي في صيانة الحقوق وحفظ النفوس والأموال والأعراض ، وأنه لابد من ولاية يكون شأنها تنفيذ قوانين المعاملات والعقوبات فيمن يطغى به الهوى أو يتخبطه الغضب وإن كان من المؤمنين . فولاية الرسول ، ﷺ ، كانت على القلوب ثم على الأجسام ، وكانت ولاية هداية وتدبير لصالح الحياة ، وكانت رياسة دينية وسياسية ، وكلاهما من عند الله ، ولا بعد بين السياسة والدين إلا في نظر قوم لا يكادون يفقهون حديثا[١٠] ... لقد كان الرسول الأعظم مظهر السلطة التشريعية ، ومصدر السلطة التنفيذية . فالحكمة تجري على لسانه ، ودم النفوس الخبيثة يجري على سنانه . يرسل الموعظة الحسنة تحت مثار النقع ، ويسن القانون العادل وهو يقاتل وحوشاً غابها الرماح ، ولقد كان في تشريعه الحكيم أو عزمه الناقد عبرة لأولي الألباب[١١] .. » !

المقاصد والغايات

وإذا كان « الدين » وضعا إلهيا ، ثابتاً ... فإن « الصبغة الدينية » للدولة الاسلامية وسياستها لا تعني ثبات نظم هذه الدولة وثبات قوانينها ، ولا تعني « الالهية » و « الثبات » لهذه النظم والقوانين جميعاً ... فالثابت هو « المقاصد والفلسفات والغايات » وبعض قليل من الأحكام التي تعلقت بثوابت لا تتغير ولا تتطور بتغيرالزمان والمكان — أما ما عدا هذا القليل فهو متغير ومتطور يلعب فيه العقل المسلم والابداع التشريعي للمسلمين الدور الأول والأعظم دونما قيد إلا الروح العامة لشريعة الاسلام والمصلحة المبتغاة للأمة الاسلامية ... فلقد « أجمع المسلمون على أن اصلاح السياسة شطر من مقاصد الاسلام — [ولكن] — هل ادعوا ، مع هذا أن الاسلام رسم للسياسة خطة معينة ووضع لكل واقعة حكماً مفصلاً ؟! .. الحق أنهم لم يفعلوا ذلك ، بل ملأوا كتبهم ببيان أن الشريعة فصلت بعض أحكام لا تختلف فيها أحوال البشر ، ثم وضعت أصولاً ليراعى تطبيقها على الواقع حال الظروف الحافة بها ، ومن هذه الأصول قاعدة : « رعاية المصالح المرسلة » ، وقاعدة : « العادة محكمة » ، وقاعدة : « سد الذرائع » ، وقاعدة : « المشقة تجلب التيسير » ، وقاعدة : « إرتكاب أخف الضررين » وقاعدة : « الضرر يزال »[١٢] ... ولقد عنيت الشريعة ، في الأكثر ، بتفصيل مالا تختلف فيه مصالح الأمم ولا يتغير حكمه بتغير الزمان والمكان ، وذلك ما يرجع إلى العقائد والأخلاق ورسوم العبادات ، ثم جاءت إلى قسم المعاملات والسياسات فأتت على شيء قليل من تفاصيله ، وطوت سائره في أصول عامة ثلاثة :

■ الاجتهاد محكوم بروح الشريعة ومصلحة الأمة المرتبطة بظروف الزمان ومقتضيات المكان

أحدها : أن أحكام هذا القسم تختلف بحسب ما يقتضيه حال الزمان وتطور الشعوب ، فإذا وقعت الواقعة أو عرضت الحاجة نظر العالم في منشئها وما يترتب عليها من أثر ، واستنبط لها حكماً بقدر ما تسعه مقاصد الشريعة ومبادئها العليا .

ثانيها : أن وقائع المعاملات والسياسات تتجدد في كل حين ، والنص على كل جزئية غير متيسر ، علاوة على أن تدوينها يستدعي أسفاراً لا فائدة للناس في كلفة حملها .

ثالثها : أن الشريعة لا تريد أسر العقول وحرمانها من التمتع بلذة النظر والتسابق في مجال الاجتهاد[١٣] .. »

ولذلك وجدنا فقهاء المسلمين يجتهدون ، كل من منظوره ، وعلى ضوء واقعه ، ووفق مقتضيات عصره ، يجتهدون في « وضع » القوانين الاسلامية المسترشدة بروح الشريعة والمحكومة بمنطقها الاسلامي العام .. فهم « ينظرون إلى المصالح ويوازنون بينها وبين المفاسد .. كما ينظر إليها أصحاب القوانين الوضعية ، من حيث عظمها وصغرها ، ومن حيث ما يترتب عليها في الخارج من آثار نافعة أو عواقب سيئة[١٤] .. ثم يصوغون القوانين التي كونت تراثنا في فقه المعلومات .

فالذين يتصورون أن « أسلمة القانون » في الدولة الاسلامية ، يعني إلزام الحاضر باجتهادات الماضي ، أوإلزام كل عالم الاسلام باجتهاد واحد ، لا يفقهون هذا الجانب من سياسة الاسلام .. بل ان بلوغ عالم الاسلام في التقارب والتضامن والاتحاد درجة إقامة الخلافة الواحدة ، أو الحكومة الواحدة لا يعني وحدة النظم والقوانين إذا ما اختلف الواقع في إطار عالم الاسلام .. ذلك « أن أخذ الأمم الاسلامية بحكومة واحدة لا يقتضي توحيد قانونها السياسي أو القضائي ، بل يوكل أمر كل شعب إلى أهل الحل والعقد منه ، فهم الذين ينظرون فيما تقتضيه مصالحه ، ولا يقطعون أمراً حتى يشهدهم من أوتوا العلم بأصول الشريعة لئلا يخرجوا عن حدودها ومقاصدها ... فالتشريع الاسلامي قائم على

رعية المصالح ، وما هي إلا المصالح التي توضع في ميزانه المستقيم ، وهذا الميزان المستقيم لا يبخس شعباً من الشعوب مصلحته التي يشهد بها العقل السليم ، ولا يفصل حكماً واحداً يجريه على كل شعب وفي كل زمان ، إلا إذا لم تختلف فيه مصالح الشعوب ، فإن اختلفت اختلافاً يعقله العالمون فلكل شعب حكم وسياسة ، وذلك تقدير العزيز العليم ..[١٥] » .

فالدولة الاسلامية : دولة دستورية .. ورأسها : حاكم دستوري .. وأمتها : هي مصدر السلطات .. وقانونها إبداع وثمرة لعبقرية فقهائها ، يصوغون أغلبه بالاجتهاد المحكوم بروح الشريعة ومصلحة الأمة المرتبطة بظروف الزمان ومقتضيات المكان ... وهي ، في ظل الخلافة والحكومة الواحدة ، أشبه بعصبة الأمم الاسلامية وجامعة الدول الاسلامية منها بالدولة الواحدة التي يسود فيها القانون الواحد في واقع متغاير رغم وحدة الاسلام ! .

وإذا كان هذا هو حال « الاسلام السياسي » ، وإذا كانت تلك قاعدة « سياسة الاسلام » .. فهل بنا من حاجة « لعلمانية » الحضارة الغربية ، نتنكر باستعارتها لطبيعة إسلامنا ؟! .. وألا يرعوى أولئك الذين يزيفون تاريخنا السياسي وفكرنا الاسلامي السياسي ، لا لشيء إلا لافتعال التماثل بينه وبين تاريخ الكهانة الكنسية في أوربا العصور المظلمة والوسطى ، بل ويزيفون صورة الاسلام ، بجعله « علمانية » أو « كهانة » .. لا لشيء إلا ليبرروا استعارتهم « للعلمانية » الغربية .. فهم يستوردون « مشكلة » ليستوردوا لها « الحلول » ؟!

هكذا نظر الشيخ إلى القضية المحورية والجوهرية في كتاب [الاسلام وأصول الحكم] .. وحدد ، حيالها ، رؤيته لموقف الاسلام .

هنَّتان ؟ !

على أن إعجاب الباحث والقارىء بهذا [النقض] الذي نهض به الشيخ الخضر لدعاوى صاحب [الاسلام وأصول الحكم] ، ولقلم الشيخ الذي تجلى عفيفاً ودقيقاً وجيد التذوق والاختيار لألفاظه وعباراته ... إن هذا الإعجاب لا ينقضه « هنَّتان » ، ننبه عليهما ، وقع فيهما قلم هذا الشيخ الجليل :

الهنة الأولى : هي أن الشيخ الخضر رغم مجيء كتابه نموذجاً في أدب البحث والجدل والمناظرة ، وتميزه بالعفة والترفع عن إلقاء التهم جزافاً .. إلا أنه استخدم عبارة « الوقوع في حمأة الالحاد » على نحو « يوحي » بأنه يتهم بها الشيخ علي عبدالرازق ! ..

ونحن رغم رفضنا للفكرة المحورية والجوهرية لكتاب [الاسلام وأصول الحكم] ، وإيماننا بخطر الكتاب على التوجه الفكري للأمة الاسلامية ، ومعرفتنا بالتأثير الذي يحدثه في دعم « العلمانية » الغريبة عن المناخ الاسلامي والفكر الاسلامي .. رغم ذلك ، إلا أننا ننكر استخدام ألفاظ من مثل « الكفر » أو « الالحاد » في وصف « الاجتهادات الخاطئة » بميدان الفكر السياسي الاسلامي بوجه عام ..

لقد استقر الرأي في علم الكلام الاسلامي على أن مباحث « الخلافة ــ الإمامة ــ الدولة » هي من « الفروع » ، وليست من « عقائد » الدين ولا « أصوله » ، ومن ثم فإن الخلاف والاختلاف فيها أليق به أوصاف : « الخطأ » و « الصواب » و « الضرر » و « النفع » ، لا « الكفر » و « الايمان » أو « الالحاد » .. الخ ..الخ ..

.. « إن الإمامة مستخرجة من « الرأي » ، وليست مستخرجة من الكتاب أو السنة ..[١٦] » .. والجويني ، إمام الحرمين [٤١٩ ــ ٤٧٨ هـ ١٠٢٨ ــ ١٠٨٥ م] يقول : إن الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد »[١٧] .. والإمام الغزالي

■ هل يدخل الخلاف والاختلاف حول الخلافة والإمامة والدولة في باب إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ؟

[٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ ــ ١١١١ م] يقول : « إن نظرية الامامة ليست من المهمات ، وليست من فن المعقولات فيها ، بل من الفقهيات[١٨] .. أما ابن تيمية [٦٦١ ــ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ــ ١٣٢٨ م] فإنه يقول إنها ليست من أركان الاسلام الخمسة ، ولا من أركان الإيمان الستة ، ولا هي من أركان الاحسان[١٩] ... وفوق ذلك ، وتبعاً له ، يقول الإمام الغزالي : « واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه التكفير ..[٢٠] » .

هذا هو موقف علماء الكلام من طبيعة الإمامة ، وطبيعة الاختلاف في مباحثها ، بدءاً من « أصلها » إلى « تعينها وشروطها وما يتعلق بها » ... وهذا الموقف هو الذي تبناه ــ كما سبقت إشارتنا ــ الشيخ الخضر ، عندما قال : « إن الخلافة ليست من نوع العقائد .. والبحث فيها يرجع إلى النظر في حكم عملي لا في عقيدة من عقائد الدين » وأنها ، لذلك ، يكتفي في مستندها « بالأدلة المفيدة ظناً راجحاً » ...

فإذا جاء الشيخ علي عبدالرازق وقال عن « المملكة النبوية » إنها « عمل منفصل عن دعوة الاسلام ، وخارج عن حدود الرسالة » ... وإذا وصف هذا الرأي بأنه على غرابته ، ليس « كفراً ولا الحاداً » .. فنحن ننكر هذا « الرأي » ، لكننا معه في نفي صفة « الكفر والالحاد » عن قائليه ، لأنه « رأي » في مبحث من مباحث الفروع ، وهو خطأ ، لكنه ، كما قال الغزالي ، « لا يوجب التكفير » ..

ولذلك ، فما كنا نود أن يكون تعقيب الشيخ الخضر على قول علي عبدالرازق هذا هو قوله : إن « تصرف النبي ، ﷺ ، في مثل الجهاد والزكاة والجزية والغنائم يستند إلى صريح القرآن ، فلا مفر لمنكره من الوقوع في حمأة الالحاد . ولا أراني في حاجة إلى نقل شيء من نصوص الراسخين في علم الشريعة وفتواهم بأن من أنكر حقيقة معلومة من الدين بالضرورة فقد انقلب على عقبه مدبراً عن الاسلام ، ولا يحق له بعد ذلك الانكار أن يتأثم من المسلمين إذا طرحوه من حساب أولياء دينهم الحنيف »[٢١] !

فنحن نعتقد أن الخلاف والاختلاف حول « الخلافة .. والإمامة .. والدولة » لا يدخل في باب انكار « ما هو معلوم من الدين بالضرورة » ، لأن المراد هنا هو إنكار الأصول والأركان .. وليس الخلاف في قضية أو أكثر

علاقة الدين بالدولة

من قضايا الفروع .. وعلي عبدالرازق ، رغم مجانبته للصواب في بحثه حول الخلافة ، لم ينكر ركناً من أركان الاسلام ، المعلومة من الدين بالضرورة ، وإنما أنكر إسلامية الخلافة ، وهي من الفروع .. فما كان يليق بالقلم العف للشيخ الخضر أن يدخل هذا « الخطأ » ، رغم فداحته ومضاره ، تحت باب « الالحاد » ــ حتى ولو أخذنا « الإلحاد » بمعناه الأصلي ، وهو « الميل عن القصد » ــ ولا أن يصف صاحب هذا « الخطأ » بأنه « قد انقلب على عقبه مدبراً عن الاسلام » ؟! ..

تلك هي « الهنَّة الأولى في الكتاب ..

والهنَّة الثانية : هي تلك الصفحة التي صدَّر بها الشيخ الخضر كتابه ، والتي طبعها « بماء الذهب » ، وسطر فيها إهداء كتابه العظيم « إلى خزانة حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم » .. ذلك أننا ، رغم إدراكنا لخطأ تقييم مثل هذه الأمور ، التي كانت طبيعية ومألوفة في عصرها ، بمعايير عصرنا ، وهي غير مألوفة ، بل مستنكرة فيه .. إلا أننا نعتبرها « هنة » لنا عليها ملاحظات :

• في هذا « الاهداء » يقول الشيخ الخضر : شهدت من حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم غيرة على الدين الحق ، وعناية برفع شأن المعاهد العلمية الاسلامية . فقلت : إن في هذه الغيرة والعناية لحماية للدين الحنيف من نزعة ترمي حوله بشرر الكيد والأذى » .

وما كان يليق بالعالم والقاضي المحقق الشيخ الخضر أن « يشهد » بغيرة الملك فؤاد على الدين الحق ! .. فتلك قضية إن لم يختلف فيها « الشهود » ، فإن اجماعهم ، أو إجماع أغلبيتهم سينقض « شهادة » الشيخ الجليل ؟! ..

• ثم .. ما كان يليق بالشيخ الجليل أن يغفل عن أن « عناية » الملك فؤاد بالمعاهد العلمية الاسلامية ــ الأزهر ــ لم تكن بالأمر الخالص للأزهر وعلوم الاسلام ، وإنما كانت ــ كما ثبت في الواقع ــ سبيلاً لإفقاد الأزهر استقلاله ، واحكام قبضته على مشيخة الأزهر ، لاستغلالها في صراعه ضد حزب الوفد وزعيمه سعد باشا زغلول [١٢٧٣ ــ ١٣٤٦ هـ ١٨٥٧ ــ ١٩٢٧] الممثل لسلطة الشعب في ذلك التاريخ .

• وأخيراً .. فإن هذا « الإهداء » قد ألقى ظلالاً على هذا العمل العلمي الفذ ، جعلت منه ــ ولو ظاهراً ــ جهداً مكرساً لخدمة طموحات الملك فؤاد الأول [١٢٨٤ ــ ١٣٥٥ هـ ــ ١٨٦٩ ــ ١٩٣٦ م] في منصب خلافة المسلمين .. ولقد كان الشيخ في غنى عن هذه « الشبهات » التي ألقتها على عمله العلمي الفذ هذه الظلال التي تمثلت في ذلك الاهداء !

هاتان هما « الهنتان » اللتان نأخذهما على كتاب الشيخ الخضر حسين .. وإذا كان « عد » المعايب في عمل من الأعمال هو شهادة تقدير للعمل وصاحبه .. فما بالنا إذا كانت هذه « المعايب » « هنات » .. و « هنات » من هذا القبيل ، لاتقدح في تألق هذا العمل العلمي الفذ : جهداً مخلصاً ونبيلاً وعميقاً في الدفاع عن علاقة ديننا الاسلامي بدولتنا الاسلامية ، ونقض أعظم الشبهات التي أثيرت حول هذه العلاقة في عصرنا الحديث ؟!

محمد عمارة



الشيخ خضر حسين

هوامش

(١) الباب الثاني من الكتاب الأول [ص ٣٣ من طبعة الأصل] .

(٢) الباب الثالث من الكتاب الأول [ص ٧٤ ، ٧٥ من طبعة الأصل] .

(٣) الباب الثاني من الكتاب الأول [ص ٢٦ من طبعة الأصل] .

(٤) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٠ من طبعة الأصل] .

(٥) الباب الأول من الكتاب الأول [ص ١٤ من طبعة الأصل] .

(٦) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ١٩٧ من طبعة الأصل] .

(٧) الباب الثاني من الكتاب الثالث [ص ٢٢١ من طبعة الأصل] .

(٨) الباب الثالث من الكتاب الثالث [ص ٢٤٤ من طبعة الأصل] .

(٩) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٤٣ من طبعة الأصل] .

(١٠) الباب الثالث من الكتاب الثاني [ص ١٦٧ ، ١٦٨ من طبعة الأصل] .

(١١) الباب الأول من الكتاب الثاني [ص ١١٢ من طبعة الأصل] .

(١٢) الباب الثالث من الكتاب الثاني [ص ١٧٧ من طبعة الأصل] .

(١٣) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٥٤ ، ١٥٥ من طبعة الأصل] .

(١٤) الباب الأول من الكتاب الثالث [ص ٢٠١ من طبعة الأصل] .

(١٥) الباب الثالث من الكتاب الثاني [ص ١٧٩ ، ١٨٠ من طبعة الأصل] .

(١٦) أبو حفص عمر بن جميع [عقيدة التوحيد] ص ٥٠٦ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

(١٧) [الإرشاد] ص ٤١٠ طبعة القاهرة ١٩٥٠ م .

(١٨) [الاقتصاد في الاعتقاد] ص ١٣٤ طبعة صبيح ــ القاهرة ــ بدون تاريخ .

(١٩) [منهاج السنة] جـ ١ ص ٧٠ ــ ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢ م .

(٢٠) [فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة] ص ١٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ م .

(٢١) الباب الثاني من الكتاب الثاني [ص ١٤٨ ، ١٤٩ من طبعة الأصل] .

دعائم العلاقات الدولية في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد الدسوقي

الاسلام دين الله إلى الناس كافة ، فهو دعوة عالمية بُعث بها محمد ﷺ لاخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ظلمات الشرك والجهالة إلى نور التوحيد والعلم والمعرفة ، ظلمات العنصرية والعصبية الجنسية إلى نور الاخوة والمساواة والوحدة الانسانية .

ولإيمان المسلمين الأوائل بعالمية هذا الدين ، ومايجب عليهم من الجهاد لتبليغ رسالته إلى الناس قاطبة ، حملوا أرواحهم على أكفهم ، وانساحوا في الأرض لايخشون إلا الله ، ولايكرهون أحدا على الايمان ؛ لأنه لا إكراه في الدين .

وفتح الله على المسلمين بلاداً كثيرة ، وانتشر الاسلام في فترة زمنية وجيزة في بقعة شاسعة من العالم ، ونجم عن هذا الفتح العظيم ، وانتشار الاسلام السريع مشكلات شتى بين المسلمين وغيرهم . وكانت هذه المشكلات ، وماتزال تتباين نوعا وكماً باختلاف الزمان والمكان ، ولكن أصول معالجتها كما قدرها الاسلام لاتختلف ولا تتعارض .

أنواع الديار

ويجدر قبل الحديث عن هذه الأصول الاشارة إلى ماتواضع عليه العلماء من تقسيم الديار ثلاثة أقسام : دار الاسلام ودار العهد ودار الحرب (١) .

وهذا التقسيم هو بحكم الواقع لابحكم الشرع ؛ لأن الاسلام لم يقيد الدولة الاسلامية بحدود جغرافية أو مكانية ، فهو كما أومأت آنفاً دعوة عالمية ، بيد أن تطبيق أحكامه مرتبط بسلطان المسلمين ، فكلما اتسعت دار الاسلام اتسع نطاق تطبيق أحكام هذا الدين ، ومن ثم اقتضت الظروف أن يكون الاسلام اقليميا حتى تعم دار الاسلام العالم بأسره[٢] .

وليس في هذا التقسيم دلالة على أن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب ، ولاأن الاسلام انتشر بحد السيف كما يزعم جمهور المستشرقين ، ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

والذى لاخلاف عليه أن الدار التى تحكم بسلطان المسلمين وهم حماتها وأهل المنعة فيها هى دار الاسلام . وأن دار العهد هى دار غير المسلمين ارتبطوا مع المسلمين بميثاق[٣] .

أما دار الحرب فقد اختلف الفقهاء في تعريفها ، فبعضهم يرى أن هذه الدار هى التى لاينفذ فيها أحكام الاسلام ، ولايكون السلطان فيها للحاكم المسلم ، وليس بين المسلمين وأهلها عهد .

ويذهب آخرون إلى أن دار الحرب هى الدار التى تحكم بغير أحكام الاسلام ، ولايتمتع فيها المسلم بالأمن والاطمئنان ويتوقع الاعتداء منها على المسلمين ، سواء كانت متاخمة لدار الاسلام أم بعيدة عنها ؛ لأن تطور أسلحة الحرب في العصر الحاضر قضى على المسافات بين الشعوب والأمم ، فلم يعد الاعتداء متوقعا من الدول المتاخمة لدار الاسلام دون غيرها من الدول .

ويبدو من ذلك التقسيم أن الدار تكون دار إسلام بسيطرة المسلمين عليها ، وظهور أحكام دين الاسلام فيها ، فلا تحكم بغير ماشرعه الله ، ولايكون لغير المسلمين سبيل عليها ، فإذا لم يتوافر لها الاستقلال والحكم بما أنزل الله فإنها لاتكون دار اسلام بالمعنى الصحيح .

ولا فرق بين دار العهد ودار الحرب إلا من حيث أن الأولى بينها وبين المسلمين معاهدة سلام ، على حين لايوجد هذا بالنسبة للثانية فكانت دار حرب يتوقع منها الاعتداء في أى وقت ، وهما بعد هذا دار واحدة تقابل دار الإسلام ، فهما لايعترفان بهذا الدين ، ولايريان المسلمين على حق فيما يؤمنون به ويدعون إليه .

المساواة بين الناس

أما دعائم العلاقات الدولية في الاسلام أو أصولها الأساسية فهي : أولا : المساواة بين الناس .. يقرر الاسلام أن الناس جميعا سواء في الانسانية وفي الحقوق والواجبات ، فمصدر النشأة واحد ، والمصير كذلك واحد ، « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء[٤] » فالناس خلقوا من نفس واحدة فهم بلا مراء سواء ، وما بينهم من تفاوت في القدرات والطاقات آية من آيات قدرة الله ، وسنة من سنن الكون ؛ ليتعاون الجميع وفق مايسر له كل إنسان على عمارة الأرض بالخير والبر .

والاسلام في تقريره مبدأ المساواة بين الناس مهما تكن عقائدهم وألسنتهم وأجناسهم قد سبق القانون الدولى وفاقه ، فهذا القانون في صورته الراهنة — على الرغم من تطور الفكر القانوني وتطلعه نحو أفق رحب من الانسانية والعالمية — لايستجيب لمبادىء المساواة بين الدول والشعوب ويفرق بينها من حيث أديانها وأجناسها وألوانها .

ويلاحظ أن انقسام العالم انقساما سياسيا خطيرا بين المذاهب الشيوعية والرأسمالية والحيادية قد ساعد من جديد على ظهور الطائفية في نطاق القانون الدولي ، وبدأت ظواهر

دعائم العلاقات الدولية في الإسلام

هذه الطائفية فى التكتلات الدولية الحديثة .

ثانيا .. السلم أصل العلاقات بين الناس ..

إن تقرير مبدأ المساواة والوحدة الانسانية يستلزم بالضرورة أن يكون أصل العلاقة بين الناس السلام والوئام ، لأن معنى المساواة يفقد قيمته إذا لم يلغ كل أسباب الحروب التى تستغل الإنسان وتسلبه حريته وكرامته ..

إن الإسلام دين السلام ، وهو أيضا دين القوة والجهاد ، لأنه دين العزة ، ولاعزة بغير قوة ، ولأن الجهاد فى هذا الدين من أجل حماية السلام من الطغاة والقاسطين ، فينعم به الناس كافة ..

إنّ تحية المؤمنين فى الدنيا والآخرة السلام ، والجنة التى وعد بها المتقون تسمى دار السلام « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا « يعملون »[٥] « تحيتهم فيها سلام »[٦] .

وتحريم الاعتداء والأمر بالجنوح إلى السلم إذا جنح إليه الأعداء يؤكد حرص الإسلام على توطيد دعائم السلام فى الأرض « ولايَجرِمَنَّكم شَنَآنُ قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا »[٧] « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين[٨] » « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله[٩] » .

إن مايسمى التعايش السلمي هو أمر دعا إليه الإسلام وعلى أسس من المساواة والأخوة والعدالة والكرامة .

وإذا كان القانون الدولى قد انتهى أخيرا إلى نبذ الحروب فى حل المشكلات الدولية فإن هذا جاء نتيجة للدمار المروع الذى تعرضت له البشرية فى الحرب العالمية الثانية ، ومع هذا لايلقى ما انتهى إليه ذلك القانون التقدير واحترام التطبيق ، ومازالت القاعدة التى تعيش عليها الغاية وهى : القوة تخلق الحق وتحميه وتضع حداً لكل نزاع هى المعول عليها فى انهاء كل الخلافات بين الامم على الرغم من المنظمة الدولية وجمعيتها العامة وما تصدره من قرارات .

ثالثا : العدالة .. يحرم الإسلام الظلم بجميع أشكاله ، ويأمر بالعدل مع الأعداء والأصدقاء فى كل الحالات « ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى[١٠] » أى لايحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم[١١] . فعدم العدل فى هذه الحالة ينأى بالمسلم عن خشية الله وتقواه .

وفى مجال العلاقات الدولية يلزمنا الإسلام أن نأخذ بالعدل ، فلا نعتدى ولانغدر ولانظلم .

وإذا كان من العدل أن نرد على الاعتداء بمثله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله[١٢] » فإن الإسلام كما تنص الآية الكريمة لايجعل رد الاعتداء بمثله أمراً مطلقا ، بل يقرن به تقوى الله ومن ثم يكون العدل فى الإسلام انسانيا رحيما ، يعاقب من أجرم دون غيره ، ولايعرف التشفى ، أو لايهبط إلى مستوى الهمجية والوحشية ولو كان العدو قد هبط إلى هذا المستوى .

ومن أروع مايروى عن عدالة المسلمين مع أعدائهم فى الحروب أن قتيبة بن مسلم الباهلى القائد الفاتح دخل سمرقند[١٣] من غير أن يخير أهلها بين الإسلام أو العهد أو الحرب ، فأرسل أهل سمرقند إلى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) والى أمر المسلمين يشكون إليه أن قتيبة لم يخيرهم ، ولو خيرهم لاختاروا فأرسل خامس الراشدين إلى القاضي وقال له : إذا جاءك كتابى هذا فأجلس قتيبة والمحاربين وسلهم فإن تبين صدق شكوى أهل سمرقند ، فامر جيش المسلمين بأن يترك البلاد .

ونظر القاضى فى الشكوى ، وتبين له أن قائد جيش المسلمين لم يخير سكان هذه المدينة ذلك التخيير ، فأصدر أمراً بخروج الجيش من سمرقند ، ثم يخير أهلها بين الإسلام أو العهد أو الحرب .

ونفذ القائد المسلم حكم القاضى ، وخرج الجيش من المدينة ، وقبل أهلها بعد ذلك العهد ، ومنهم من دخل فى الإسلام .

أليس هذا هو العدل الكامل الرائع ؟ قاضى المسلمين ينصف أهل الحرب من قائد جيش بترك المدينة التى دخلها دون أن يخير القائد أهلها ، فهو من ثم قد ظلم ، والاسلام شريعة العدل فى السلم والحرب ، فهل يمكن أن يحدث هذا اليوم فى عصر الحضارة والمدنية والمنظمات والقوانين الدولية ؟ !

حرمة المواثيق

رابعا : احترام العهود والوفاء بها .

للعهود والمواثيق فى الإسلام حرمة مقدسة يجب الوقوف عند حدها ، وعدم تضييعها أو التفريط فيها ، والنصوص فى ذلك كثيرة يمكن الاجتزاء منها بقوله تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة[١٤] » .

فهذا النص الكريم يحتم الوفاء بالعهد وعدم نقضه ، ويحذر من الخديعة والدخل فى المواثيق ، ويشبه الذين يعقدون العهد ثم ينقضونه بالحمقاء تغزل غزلا محكما ، وبعد ذلك تنقضه ، وفى هذا إشارة إلى أن نقض العهد لايفعله إلا الحمقى ، ويشير النص أيضا إلى أن الرغبة فى زيادة الأرض أو القوة لايصلح أن يكون شىء من هذا سببا لنقض العهد ، فالعدالة الإسلامية لاتجعل مصلحة الدولة الإسلامية سبيلا لنقض العهد مادامت شروطه مصونة من الاعداء ، ولذلك يحذر الكتاب العزيز من نقض العهد حين يستنصر المسلمون اخوانهم المسلمين ليجاهدوا معهم فى الدين فإن عليهم أن يحترموا مابينهم وبين غيرهم من مواثيق « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق »[١٥] .

ولم تكن هذه المبادىء القويمة فى رعاية العهود مثلا نظرية ، بل كانت سلوكا واقعيا فى حياة المسلمين وفى صلاتهم بغيرهم ، ومن ذلك ماجاء عن الرسول ﷺ حين حالت قريش بينه وبين أداء العمرة فى العام السادس للهجرة ، فقد كتب عليه الصلاة والسلام مع قريش صلحا كان من شروطه أن من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدها فعل ، وأن من أتى محمدا منهم بغير إذن وليّه رده محمد إليه ، وأن من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه .

قصة أبي بصير

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية فى ذى الحجة جاءه أبو بصير ، وهو أحد المسلمين الذين منعه قومه من اللحاق بالمسلمين . لقد فر ولجأ إلى الرسول بالمدينة ، ولكن قريشا كتبت للرسول تطلب منه رد أبى بصير : تطبيقا لنصوص العهد والصلح ، وأمر

الرسول أبا بصيرا أن يرجع إلى قومه فيقول له : تردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ، فقال له الرسول « ياأبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد عملت ، ولايصلح فى ديننا الغدر . وإن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا » ويكرر أبو بصير تردنى إلى المشركين ، ويرد الرسول ﷺ : إن الله جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجا ومخرجا .

ويستجيب أبو بصير لأمر الرسول ، ويرجع مع رسولي قريش ، وفى طريق العودة يقتل أبو بصير أحد الرسولين ، ويفر الآخر ، ويرجع إلى المدينة ، غير أن الرسول لا يقبل منه البقاء فى المدينة مراعاة للعهد ، فينطلق أبو بصير إلى ناحية على ساحل البحر الاحمر على طريق عير قريش إلى الشام ، وسمع المسلمون الذين كانوا فى مكة ومنعوا من اللحاق باخوانهم فى المدينة بقصة أبى بصير ففروا اليه ، وتجمعوا هناك ، وأخذوا لايظفرون بأحد إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها ، حتى ضجت قريش بالشكوى منهم ، وكتبت إلى الرسول تطلب منه أن يكف هؤلاء الرجال عنها ويأخذهم لديه[١٦] .

هذا هو موقف الإسلام من رعاية العهود والوفاء بها ، ولكن الأمر بالنسبة للعرف الدولى يختلف كل الاختلاف ، فالمعاهدات لدى هذا العرف وسيلة القوى ينال بها من الضعيف ، وهى لاتعدو أن تكون قصاصة ورق يمكن نكثها قبل أن يجف مدادها ، ففى مطلع القرن الحالى اتفقت بعض الدول على حياد بلجيكا ، وأرادت المانيا أن تمر بجيوشها من الأراضى البلجيكية حتى تحارب فرنسا ، ورفضت بلجيكا ذلك ، واحتجت انجلترا على تصرف المانيا ، وأنذرتها بالحرب إذا لم تعدل عن خرق حياد بلجيكا ، وقال المستشار الالمانى فى رده على انجلترا : ان من الهول ماتنويه حكومة جلالة الملك البريطانى ، ومما يعز على أن أتصور جلالته قابلا دخول حرب مراعاة لقصاصة ورق يسمونها معاهدة ، واتفاقا على حياد أرض[١٧] .

فالمعاهدات قصاصات ورق لاقيمة لها إذا تعارضت مع مصلحة الدولة ، والمصلحة هنا تشمل الغزو والاحتلال ، وهذا يؤكد أن قواعد القانون الدولي ــ وهى تحض على المحافظة على المعاهدات ــ لاتلقى الاحترام والالتزام من الأفراد والجماعات .

ارتباط العلاقات الدولية بالعقيدة الاسلامية

خامسا : ارتباط العلاقات الدولية بالعقيدة الاسلامية .

إن مما يميز الإسلام فى تشريعاته كلها أن التزام المسلم بهذه التشريعات سواء ماكان منها متعلقا بما يسمى بالعبادات أو المعاملات يعد جزءاً من عقيدته وايمانه ، ومن ثم تلقى التشريعات الإسلامية من كل فرد فى الامة الاحترام والتطبيق الصادق الذى يراقب الله ويخشاه قبل أن يراقب الإنسان ، ويطمع فى مودته ، ورضاه .

والتشريعات الدولية الإسلامية كغيرها من التشريعات التى يأخذ بها المسلم نفسه دون تفريط أو تقصير ، ولايرى فى علاقته بغير المسلم إلا مايراه فى علاقته بالمسلم من حيث العدل فى المعاملة والصدق فى القول والفعل واحترام آدمية الإنسان ، ويؤمن بانه إن لم يكن كذلك فقد خالف أمر ربه ، ولم يلتزم بما كتبه عليه .

أما القوانين الوضعية ومنها القانون الدولى فإنها مبتوتة الصلة بعقائد الأفراد والدول ، ولاتلقى الاحترام غالباً بإيمان صادق أو دافع ذاتى ، ويزداد الأمر بالنسبة للقانون الدولى أنه غير ملزم فى رأي بعض فقهائه[١٨] ، وأنه لايحول بين الدول وأطماعها السياسية والاقتصادية ، وليس أدلّ على هذا مما يجرى فى العالم الآن . فليس للقانون الدولى وجود فيما نشاهد من انتهاك لسيادة الدول ، وحقوق الأقليات ، وطغيان العنصرية ، وتحكم الدول الكبرى فى سياسة الدول الصغرى ، مما يؤكد أن هذا القانون حبر على ورق ، وأنه لايلقى الصدق فى الأخذ بقواعده ومبادئه على مافيها من قصور .

تلك أهم دعائم العلاقات الدولية فى الإسلام ، وهى دعائم لحمتها وسداها السلام والوئام والرحمة والعدالة وحماية الفضيلة ، وهى وحدها صمام الأمن للبشرية ، ولن تجدى محاولات الحد من انتاج الأسلحة النووية وغيرها ، أو الاتفاق على عدم استخدامها إلا فى الأغراض السلمية ، فما لم يكن بين المجتمع البشرى ايمان راسخ بوحدة الإنسانية ، ووجوب التعاون بين الناس كافة على أساس من المساواة والاحترام المتبادل يصبح كل كلام يقال حول التعايش السلمي والتعاون الأممى نفاق سياسي ، ومن ثم ضاعت الثقة بين الشعوب ووقر فى الأذهان أن أية دولة إذا آنست من نفسها القدرة على هزيمة غيرها ودفع أخطار الأسلحة المدمرة عنها فإنها لن تتورع عن شن الحرب ضاربة عرض الحائط بالقوانين الدولية ، ومفاهيم الاخوة الانسانية .

محمد الدسوقى
جامعة قطر

هوامش :

١ ــ انظر نظرية الحرب فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠ . ويضيف بعض الفقهاء دارا رابعة ، وهى دار البغي ، يكون الأمر فيها للبغاة ، وهم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق .

٢ ــ انظر من الفقة الجنائى المقارن للمستشار أحمد موافى ص ٩٠ .

٣ ــ العلاقات الدولية فى الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٣ .

٤ ــ الآية الأولى فى سورة النساء .

٥ ــ الآية : ١٢٧ فى سورة الانعام .

٦ ــ الآية : ١٠ فى سورة يونس .

٧ ــ الآية : ٢ فى سورة المائدة .

٨ ــ الآية : ١٩٠ فى سورة البقرة .

٩ ــ الآية : ٦١ فى سورة الأنفال .

١٠ ــ الآية : ٨ فى سورة المائدة .

١١ ــ انظر مختصر تفسير ابن كثير المجلد الأول ص ٤٩٥ .

١٢ ــ الآية : ١٩٤ فى سورة البقرة .

١٣ ــ سمرقند مدينة تتبع الآن الاتحاد السوفيتى ، وتقع فى الجمهورية الأزبكية ، ومعظم سكانها من المسلمين وينسب إليها عدد من أعلام الفقه والأدب .. الخ .

١٤ ــ الآية : ٩١ ، ٩٢ فى سورة النحل .

١٥ ــ الآية : ٧٢ فى سورة الانفال .

١٦ ــ انظر امتاع الاسماع للمقريزى جـ١ ص ٢٩٧ .

١٧ ــ نظم الحرب فى الإسلام للاستاذ جمال الدين عياد ص ٣٧ .

١٨ ــ آثار الحرب فى الإسلام للدكتور وهبة الزميلى ص ١٠ .

كيف نغيِّر العالم؟

بقلم: فتحي رضوان

أحسب أن الانسان منذ وطأت أقدامه أرضنا، لم يكف عن التفكير في تغيير العالم الذي يعيش فيه، والذي يحيط به. مرد هذا أن التغيير الانساني تيار متدفق، لا يتوقف، مهما كان نصيب الانسان من العلم والثقافة، ومهما كانت سنه، وأياً كان موضعه على الأرض. فابن الاسكيمو، وابن الصحراء الرملية، وابن الغابة، والذي تدب أقدامه في جزيرة حولها مئات أو آلاف الجزر، والذي يعيش على شاطئ بحيرة تدانيها وتقاربها العديد من البحيرات، أو الذي أقام بيته على شاطئ نهر أو بحر، كل هؤلاء يتصل تفكيرهم، وينتقل من موضوع إلى موضوع، ومن فكرة إلى فكرة، ويعاني أشد المعاناة في حصر الفكر، وتنسيقه، وربط بعضه ببعض.

ولذلك كان من غير المستغرب، أن يفكر الإنسان في تغيير عالمه وهو تفكير سائغ ومقبول، فهو رد فعل لأن الإنسان لابد له في شيء مما يشغل حياته، ويصوغ ظروفه: فالمكان الذي ولد فيه، والزمان الذي استقبل الدنيا معه، ولونه، وشكله، واسمه، ولغته، ودينه، كل أولئك أمور مفروضة على الإنسان، لا يد له فيها، ولا سبيل الى تغيير أكثرها، أو تغييرها كلها، مهما برم بها أو ضاق ذرعاً.

ولكن التفكير في تغيير العالم بدأ بعد أن تعددت وسائل التفكير الانساني، وتعددت مناهجه، وتنوعت مذاهبه وطرائقه وارتقت أدواته وأجهزته، فالمعامل، ووسائل الكشف، والأقيسة وثبوت المعلومات، وتسجيلها، ونقلها وحفظها. وتبادلها مع الغير، وتهيئة الباحثين واعدادهم، وتزويدهم بالمعاونين وتدريبهم، وإنشاء المكتبات والمخابر والمجاهير، كل ذلك جعل التفكير سيداً قطعاً، لايدع مجهولاً حتى يكتشفه أو يغزوه، أو يحوم حوله ثم يخترق مجاهله، وما من بعيد إلا ودنا منه الانسان، ولا غامض وإلا وتجلى وباح بأسراره.. ولذلك أصبح التغيير الشامل للعالم بأسره، طمعاً مشروعاً، وهدفاً معقولاً. وقد تنافس علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد، الى جانب علماء الطبيعة والكيمياء والرياضيات، في تقديم التصورات لما يمكن أن يكون عليه العالم في المدى القريب، أو البعيد، وانتقلوا الى مرحلة أخرى فأصبحوا يطرحون هذه التصورات على أنها ما يجب أن يكون عليه العالم، باعتبار أن العالم بسبب ما وصل اليه العلم، أصبح أشبه شيء بقطعة من العجين، يمكن أن تشكل بالصورة التي نؤمن بها مادمنا نعتمد في تشكيل العالم على العلم، والخيال المحسوب واستقراء الواقع، واستنباط حقائق الماضي.

وقد خرج على قراء العربية أخيراً الدكتور أنور عبدالملك، العالم الذي اتسعت دراسته فشملت الاجتماع والسياسة والاقتصاد، والتاريخ والأدب، ثم أخرج في هذه المجالات سلسلة من الكتب، بدأت بريح الشرق، ثم ثنى بتاريخ الحركة الوطنية المصرية، ثم بكتاب عنونه (تغيير العالم). وهو كتاب جدير بأن يقرأ، وأن يقف أمامه الباحثون والدارسون، وقفات طويلة، لأنه يتكلم عن المستقبل، وكأنه يقف أمام هذا المستقبل على ربوة عالية للتأمل والتفكير والتصور، ليسجل الملاحظات والاستنتاجات، ويرتبها وينسقها، واضحة ومؤدية الواحدة منها إلى الأخرى. وفي الفصل الخامس من هذا الكتاب، يبدأ في الحديث عن المسح العام لتغيير مختلف أوجه النشاط الاجتماعي والحياة العامة بعد عام ١٩٤٥.

الاقتصاد الذي يقول عنه الدكتور أنور عبدالملك أنه يتناول توفير القاعدة الأساسية لحياة البشرية على اختلاف أنظمتها الاجتماعية، ويشرح هذه المقولة، فيعود بنا

■ نحن نعيش في عصر جديد هو عصر ما بعد الثورة الصناعية

■ إنتاج السيارة في اليابان يتم في ٥٠٪ من الوقت الذي تحتاجه السيارة في أوروبا

إلى فترة ما قبل الصراع الدولي الذي نشب في سبتمبر سنة ١٩٣٩ واستمر حتى مايو ١٩٤٥ ... فيقول : إن النظام الاقتصادي حتى نهاية الحرب ، والذي سجلته اتفاقية (بريتون وودز) في يونيو ١٩٤٤ يقوم على أساس أنظمة اقتصادية متنوعة ترتكز على فكرة السوق المحلية بحيث تستطيع الحكومات المختلفة التحكم بشكل فعال في توجيه الاقتصاد إلى مدى بعيد ، ولكن الاعتقاد الدولي السائد أنه لابد من نمط دولي يحتوي هذه الأنظمة المختلفة ، يربطها برباط يشملها ، والقصد من إقامة هذا النظام العام وقاية المجتمع الاقتصادي الدولي من الانقلابات المفاجئة ومن هنا جاء التركيز على توفير قاعدة لضبط أسعار الصرف للعملات المختلفة ، وقد استمر هذا النظام لمدة نصف قرن ، وقد ظفرت الدول الصناعية المتقدمة في ظل هذا النظام بالسيادة التي مكنتها من لعب الدور الأول إذ نجحت في زيادة الانتاج لمواجهة متطلبات السوق الداخلية والعالمية على السواء ، في حين ظلت دول آسيا وأفريقيا تلعب دور المورد الأساسي للمواد الخام ، ودور سوق المستهلكين الذين لا يتاح لهم بحكم هذا الدور ، إلا مرتبة التابع .

إلا أن أوضاع العالم تغيرت بسبب الحرب العالمية ، وعقبها ، فقد تهدم الهيكل الاقتصادي الأوربي ، من أساسه ، وأصبح في حاجة إلى إعادة بنائه ، وقد صاحب هذه الظاهرة الضخمة ، اندلاع حرب التحرر ، لأكثر من سبب.في خلال الحرب كانت الدول الكبرى مضطرة لحشد التأييد لها من شعوب آسيا وأفريقيا ، التي تتمتع بكثافة سكانية لا نظير لها في دول أوربا ، وكانت أوربا مضطرة أن تسرف في الحديث عن الحرية وحق تقرير المصير ، والتنديد بأساليب القهر والتسلط. هذا إلى جانب الضعف الذي طرأ على دول الاستعمار القائدة والمهيمنة كبريطانيا وفرنسا ، وبلجيكا وهولندا ، وقد بدت هذه الدول التي لبثت حقباً ، وصورتها مقرونة بالقوة والتسلط. فلما أثخنتها الحرب جراحاً ، وتهاوت مدنها ، وتحطمت جيوشها ، كبيوت من الورق ، رأت شعوب أفريقيا وآسيا ، هذه الدول ، وهي تترنح ، والفزع يملأ قلوب قادتها وشعوبها من جوائح الجوع ونذر الثورات .

ولكن محنة الحرب _ كالعادة _ دفعت عجلة البحث العلمي والتطبيقي بصفة خاصة لمواجهة احتياجات القتال ، فدانت للانسان قوى لم تكن قد أسلمت قيادها له ، ولا كانت قد فتحت خزائنها المملوءة بالأسرار الهائلة والنافعة . فقد تفتتت الذرة ، وانبعث من جوفها ، عالم مترامي الآفاق من الطاقات الكفيلة بتحويل العالم مادياً ، إلى عالم آخر يكاد يكون منقطع الصلة بعالم ما قبل الحرب .

ففي عالم ما بعد الحرب أصبح الحديث مألوفاً عن الوصول إلى القمر ، والأجرام الأخرى ، وكافة المحطات الفضائية الدائمة ، مع سلسلة من الصناعات المنتجة لعدد هائل من البدائل الاصطناعية للمنتجات الطبيعية. وكان هذا بداية عصر النمو غير المسبوق للصناعات الكيميائية . وقد تلاه ، كما يقول المؤلف _ عصر الالكترونيات _ وتطبيقاتها المتتالية بسرعة في مختلف قطاعات الانتاج والاتصال بالجماهير . وبالجملة تغيير العالم لا في المجتمعات الصناعية وحدها ، بل في كل المناطق قاطبة ، ويكلف الدكتور أنور نفسه مشقة البحث عن اسم لهذه المرحلة فيذكر ثلاثة أسماء هي : المرحلة الثانية للثورة الصناعية ، واسم مرحلة الثورة العلمية والتكنولوجية » ثم مرحلة المجتمع ما بعد الصناعي » .

ويسجل المؤلف كظاهرة اختلاف بين العصرين ، في الانفتاح بين الوحدات الاقتصادية الوطنية التي عاشت دهراً وراء أسوار الحماية الجمركية . وفي هذه الفترة برزت الولايات المتحدة كقوة هائلة ، مهيمنة على مساحة كبيرة من العالم ، ابتداء بأوربا التي خرجت من الحرب حطاماً وفي أشد الحاجة إلى معونة مالية واقتصادية وإدارية ، لتقف على قدميها ، وتحاول لعق جراحها ، واستئناف حياة جديدة . ولما كانت الولايات المتحدة بعيدة عن ميدان الحرب ، فقد خرجت سليمة تماماً ، وخرجت أجهزتها وقد انتفضت بالتقدم العلمي في الحرب ، فقدمت المعونة لأوربا عن طريق مشروع مارشال ، وعن طريق الشركات المشتركة بين شركات الولايات المتحدة وشركات أوربا ، وكان ذلك بداية عهد الشركات المتعددة الجنسيات ، التي وصلت بفضل اتساع ميدان نشاطها وتضخم رءوس أموالها ، وتعدد المناطق التي تعمل فيها ، إلى تحقيق أرباح خيالية ، حصلت منها قوى تفوق الدول الكبرى قبل الحرب العالمية الثانية ، كما تناطحت الدول الكبرى بعد هذه الحرب ، وقد أتيح لليابان بعض ما أتيح للولايات المتحدة ، فإن موقفها على طرف العالم الشرقي قلل من آثار الدمار في هيكلها الاقتصادي ، ويقول الدكتور أنور عبدالملك ، الذي يفرد لليابان حيزاً كبيراً من اهتمامه ، ودراساته :

« أما اليابان وهي القوة الاقتصادية التالية في القطاع الرأسمالي فقد اختارت لنفسها استراتيجية تهدف إلى تركيز الاستثمار الذي يعتمد على الابتكار التكنولوجي وذلك بناء على تخطيط حكومي محكم تدعمه وزارة الصناعة والتجارة الخارجية بالتعاون مع الاتحاد العام للصناعات . كان الهدف ولا يزال هو مضاعفة الانتاج إلى أبعد درجة ، فصناعة السيارة الواحدة في اليابان تستغرق ٥٠٪ من الوقت اللازم لصناعة مثلها في فرنسا حسب أرقام سنة ١٩٨٤ ، والواقع أن اليابان ، ظاهرة لا تزال تحتاج إلى دراسة خاصة ، وتأمل أعمق مما

كيف نغيِّر العالم؟

تظفر به . فاليابان خرجت من الحرب تقريباً بهياكلها الاجتماعية ، وانطوائها النسبي على نفسها ، وخصائص شعبها الذي يتمتع بصفات رفيعة منها : التقشف الطبيعي الناجم عن العقيدة الدينية أو الأخلاقية ، ثانياً الجد في العمل ، وقلة العادم والفاقد من الوقت والمادة وثالثاً الانقياد للنظام والاستمتاع بهذا الانقياد ، كأنه لون من العبادة ، وقد أضيف الى هذه الخلال الباهرة ، حافز صامت ودفين ولكنه متحرك وفعال ، ذلك هو حافز الثأر من أمريكا والغرب كله لا لأنها أنزلت باليابان الهزيمة فقط ، وإنما للإذلال الرهيب بسبب القاء قنبلتي نجازاكي وهيروشيما في ٦ من أغسطس سنة ١٩٤٥ . ويقول المؤلف بعد ذلك : إن اليابان استطاعت في بضع سنوات بعد الحرب أن تحقق تراكماً هائلاً من الأرباح غير الموزعة وهو التراكم الذي استعملته لإقامة شبكة قوية واسعة من الشركات والمؤسسات في مختلف أنحاء العالم ، وكذا تحقيق مشروعات كبرى مثل تعميق وتوسيع قناة السويس بعد حرب أكتوبر في مدة قصيرة جداً وبسعر فائدة قياسي في انخفاضه بالمقارنة مع سائر الدول الرأسمالية .

ومؤدى هذا الكلام أنه بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد الثورة التكنولوجية التي بدأت في أثناء الحرب وبعدها أصبح العالم الجديد صورة من العالم القديم ، مع تغيير في التفاصيل ، فالهيمنة المركزية التي كانت لأوربا ، انتقلت إلى أمريكا ، بعد أن ألحقت بها أوربا ، واستطاعت أمريكا من خلال علاقات أوربا القديمة والموروثة بدنيا المستعمرات المنتشرة في آسيا وأفريقيا ، وإلى جانب أمريكا وأوربا المكملة لها أو التابعة بمعنى من المعاني ، تقوم اليابان ، امتداداً للنظام الرأسمالي الأوربي الأمريكي ، فهي تصطنع في الجوهر أساليبه وتستعمل تكنولوجيته ، وتتعامل معه منافسة له . وإلى جانب هاتين الكتلتين أو الكتلة ذات القسمين ، يقوم النظام الاشتراكي ، قوة جديدة ، وخارجة عن نطاق الهيمنة المركزية ، وهو ينشيء صلات ذات طابع مستقل عن طابع علاقات الدول الرأسمالية بالعالم الثالث ، ولكنه لا يزال عاجزاً عن احلال التغيير المطلوب في العالم ، فما هي إذن الوسيلة التي يمكن أن تحقق التغيير المأمول ؟

يعرض الدكتور أنور عبدالملك ، ثلاث أفكار لتحقيق هذا التغيير يجملها فيما يلي :

أ ـ فريق أول يرى أن السوق العالمية هي بمثابة ظاهرة جديدة يطلقون عليها اسم ـ الاقتصاد ـ العالم ـ أو الاقتصاد العالمي فالعالم دائرة واحدة مهما تنوعت الأنظمة الاقتصادية ـ الاجتماعية وتعددت الوحدات المعنية وهذه الدائرة تعد واحدة من حيث تمركزها حول مركز قيادي واحد . ويترتب على هذه الرؤية أن تغيير الاقتصاد لا يمكن أن يتم بحال من الأحوال إلا إذا تم التغيير أولاً في قلب الاقتصاد المهيمن أي الولايات المتحدة الأمريكية .

ب ـ فريق يرى أنه وإن كان مركز الهيمنة هو الولايات المتحدة إلا أن أساس القرار والعمل لا يزال بين أيدي الدول والشعوب على تنوعها ، ويؤكد أصحاب هذه النظرة أن الاعتماد على الذات ، والصيغة الاجتماعية للنظام القائم في كل بلد ، ومستوى القيادة السياسية واتجاه القرار المسير للاقتصاد الوطني هي العوامل التي تلعب الدور الأكبر في امكان تداخل الاقتصاديات .

جـ ـ ويقول الدكتور أنور عبدالملك :

أو تأتينا الريادة من أقصى الشرق : من الصين واليابان ، في كسر الهيمنة الغربية عن الاقتصاد العالمي . فقد استطاعت اليابان منذ عصر الامبراطورميجي دفع عجلة الانتاج الصناعي والابتكار التكنولوجي إلى درجة جعلتها أقوى العناصر الخارجية المؤثرة على السوق العالمي في قطاعات عديدة .

والأمر على هذا النحو تماماً في الصين بعد ثورتها التي جعلت منها بلداً مصدراً للمنتجات الزراعية وهي التي كانت تعاني مجاعات شبه سنوية ، تحت شعار ماوتسي تونج « يستخدم كل ما هو عالمي ، كل ما هو وطني » .

ونحن نرى مع مؤلف تغيير العالم أن هذين البلدين الضخمين النائيين يرسمان لنا طريق تغيير العالم . بمنهجهما الجديد ، ونظامهما المبتكر ، وبالتحديث والانتفاع بالثورة الصناعية ، وما بعدها وبالتقدم التكنولوجي ، والمساهمة فيه والاضافة إليه .

نعم ... هذا هو الطريق الذي يفرض علينا ، أن تكون علاقتنا وروابطنا بالصين واليابان ، أدق وأعمق وأكثر تنسيقاً ، وتفهماً وتعاوناً .

فتحي رضوان

■ الصين أصبحت من أكبر المصدِّرين للإنتاج الزراعي بعد أن كانت تعاني من مجاعات سنوية

تعقيب

لم يتعرض الكاتب الكبير فتحي رضوان للإمكانيات العربية الوفيرة . ونحن نتساءل هنا : أليس في قدرة الأمة العربية إذا أحسنت الاستفادة من إمكانياتها البشرية والجغرافية والمادية المتنوعة ، ووحدت كلمتها في السياسة والاقتصاد وسائر المجالات الأخرى ... أليس في قدرة هذه الأمة بما تملك من قوى بشرية وطبيعية أن تلعب دوراً رئيسياً في التغيير المنشود للعالم إلى جانب الأمة اليابانية والأمة الصينية ؟ ... إن الأمة العربية تتميز على الصين واليابان بأنها في قلب العالم وليست على أطرافه البعيدة ، وهذا الوضع يعطيها امتيازاً حضارياً كبيراً ، ويتيح لها الفرصة الواسعة لكي تلعب دوراً تاريخياً لو أنها نهضت وسارت في الاتجاه الصحيح نحو التطور واستخدام امكانياتها الكاملة في هذا المجال .

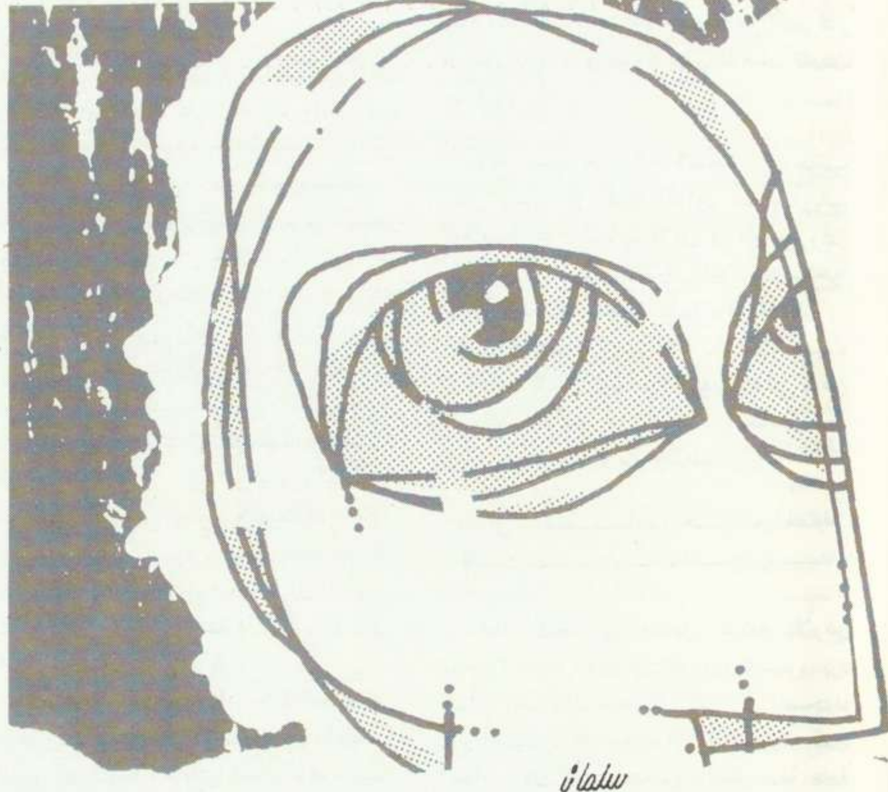
« الدوحة »

شعراء يثيرون الدّهشة والتساؤل :

الصعاليك

بقلم : مجيد طوبيا

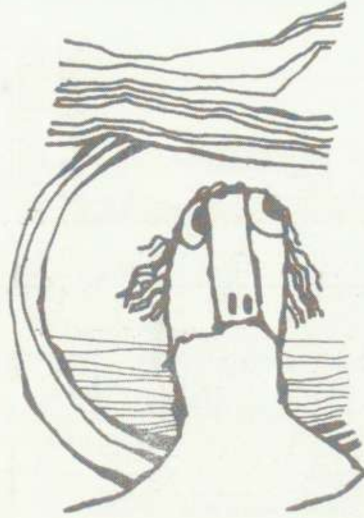
في القاموس المحيط : « صعلكه أفقره ، والصعلوك الفقير » .. وفي لسان العرب : « الصعلوك الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد » .. بينما يقترب الصحاح نحو المدلول العرفي للكلمة اذ يقول : « ذؤبان العرب صعاليكها الذين يتلصصون » .. فالذؤبان هم الصعاليك ، والصعاليك ليسوا مجرد فقراء وانما يتلصصون ويعتدون كالذئاب ، فالعرب يتحدثون عنهم على أنهم فئة خاصة ، شعارها الاعتداد بالنفس دون الأهل والقبيلة ، ووسيلتهم العدوان بقطع الطريق أو السطو أو الغزو أو الفتك حينما تمكنهم الغرة ، أو بالتلصص ان لم يجدوا الى ماسبق وسيلة ، وغايتهم الغنى أو مآرب شخصية .. أما الدكتور عبد الحليم حفني فهو يوجز معرفا الصعلكة بأنها « احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم » ..



لم يكن العرب في الجاهلية ــ في أغلب الأحيان ــ يعترفون بأبنائهم من الاماء ، اعتزازا بخلوص أنسابهم وتنقيتها من أي دم غير عربي ، خاصة اذا كان المولود أسود ، كما حدث لعنترة بن شداد الذي قضى شطرا كبيرا من عمره عبدا ، ولم يكن اعتراف شداد به ابنا خروجا على هذه العادة وانما كان اضطرارا أملاه ظرفٌ كان يهدد كيان القبيلة وحياتها .. وأمثال عنترة كانوا يسمون أغربة ، جمع غراب ، لأنهم أخذوا من الغراب لونه ..

وهؤلاء الأغربة كانوا يخرجون الى الحياة فيجدون أنفسهم عبيدا ، وأقسى ماكان يصادفهم أن الذين يتسلطون عليهم ويستعبدونهم ليسوا الا اخوة لهم في الواقع وانما من أم أخرى !! .. فكان العاجز منهم يظل خانعا حتى الموت ، أما القوي فكان يتمرد ويتصعلك .. وأغلب الظن أن شخصا مثل عنترة بن شداد كان الحائل بينه وبين الصعلكة اعتراف أبيه بنسبه ، فإن عنترة كان يملك من القوة والاباء والنفور من الهوان ما يملكه أقوياء الصعاليك ..

الصعاليك



أحد هؤلاء الأغربة رجل اسمه « الشنفري » .. كان قد أسره « بنو شبابة بن فهم » من قومه ثم انتقل الى « بنى سلامان » ليعيش فيهم عيش العبيد يرعى إبلهم ، وقد شغله العمل وعدم الاحتكاك الكبير بالناس لفترة عن الإحساس بوضعه الاجتماعى ،

ويبدو أنه وقع فى حب ابنة الرجل الذى كان يعيش فى كنفه ، ويبدو أن سطوة الحب جعلته ينسى الفارق الاجتماعى ويحاول التقرب منها ، وما إن ناداها بقوله « ياأخية » حتى صفعته مترفعة عن أن يكون أخاها أو اهانة له على التفكير فى الزواج منها !! .. وكانت النتيجة أن ثار لكرامته ثورة عارمة ، وصب هذه الثورة على بنى سلامان جميعهم ، وأقسم أن يقتل منهم مائة رجل ، واندفع الى الصعلكة ، وقتل منهم تسعة وتسعين رجلا ثم قتل هو ! ومن طريف مايروى أن أحد بنى سلامان مر بقبره فاصطدمت رجله بجمجمة الشنفرى فعقرت رجله فمات ، فكملت به المائة !

لخص التبريزى رأى العرب فى الشنفرى قائلا : « يضرب به المثل فى الحذق والمهارة » .. وكان أحد رفقة ثلاثة من الصعاليك اشتهروا بأنهم أقوى الناس وأعداهم ، وأحد شخصين لكل منهما ديوان شعر ، هو وعروة بن الورد ، وهو صاحب لامية العرب التى يعتز بها الشعر العربى كله والتى فتنت المستشرقين حتى ترجمت الى خمس لغات أجنبية ، وحتى أفرد الزمخشرى لها كتابا لشرحها هو « أعجب العجب فى شرح لامية العرب » .

وإن كان دافع الشنفرى للصعلكة كما يبدو دافعاً شخصياً ، فالوضع لم يكن هكذا بالنسبة للآخرين ..

أسرع من الخيل

كان ابن خلدون من أول المنادين بأن الإنسان فى خلقه وسلوكه ولغته ونفسيته ابن بيئته ، وأن البيئة بكل ماتحتويه من أرض ومناخ وخصب وراء كل اختلاف وتغاير بين البشر .. وأخبار العرب حافلة بالغارات التى تبدأ لسبب أو آخر ثم تأخذ طابع التسلسل ، تغير جماعة على أخرى رغبة فى مالها فتضطر الجماعة الأخرى للانتقام بغارة ترد على الجماعة المعتدية وهكذا تبدأ السلسلة ، فلم يكن السطو والغزو وقطع الطريق شذوذا أو انحرافا فى عرف المجتمع الجاهلى وانما كان ميدانا مرموقا يتنافسون فيه ثم لايلقى الأشداء من المجتمع بعد ذلك الا كل تهيب واكبار ، وقد تفوقت « هذيل » على غيرها من القبائل فى شهرتها بالغارات والخلعاء والصعاليك ، وكان الصعاليك يملكون القوة والبأس ولبعضهم قوة نادرة هى سرعة العدو بحيث يسبق الخيل ، وذلك كما فى أخبار الشنفرى والسليك وأبى خراش وتأبط شرا وغيرهم !

وعلى هذا فان الصعلكة لم تكن حدثا من الأحداث الطارئة أو العارضة فى حياة المجتمع العربى قبل الإسلام ، وانما كانت ظاهرة نبعت من ظروفه وتكويناته ، فنجد أن الصعلكة لازمت كل العصور الجاهلية وكل أماكن الجزيرة العربية تقريبا ..

■ إهانة لحقت بالشنفرى فأقسم أن يقتل مائة رجل !

وإن كان الفقر من أهم أسباب وجودها فان غيبة القانون كان لها المعول الأكبر ، فلم يكن للعرب دولة جامعة يشعرون معها بالانضباط ، فلا قانون جامع ولا دين جامع ، وبانتفاء وجود دولة ينتفى وجود القانون ، وكل ما كان هنالك هو العرف الاجتماعى ، وكان تنفيذه يتأثر باعتبارات ذاتية ، والصعاليك كانوا أقدر الناس على انتهاك هذه الأعراف بما لهم من قوة ومهارة ، ولا تربطهم بهذا المجتمع الا مايرون فيه منفعة لهم ، فيقول أحدهم :

وإنــي اذا ضن الأمـيـر على بـاذنـه
على الأذن مـن نفسـي اذا شئت قـادر

وكان اهتزاز العرف يتضاعف مع ظهور زعامات غير متزنة ، فقد ساد « أبو جهل بن هشام » ودخل دار الندوة وما استوت لحيته أى وهو بعد حديث طائش ، وساد أبو سفيان وكان بخيلا ، وعامر بن الطفيل كان بخيلا قاهرا ، وكان كليب بن وائل ظالما وكان سيد ربيعة وقد احتجز المراعى ومواقع الماء لنفسه من دون الناس جميعا بما فيهم قومه !

وما دام السيف هو أبرز الشرائح فان عدم التوازن بين الفقر والغنى يتزايد ، فكلما كان الفرد أشد بأسا أتيح له الحصول على أكبر قدر من كل شىء ، وأخبار الثراء الفاحش تفيض بها الروايات .

ومع وجود هذا الثراء الفاحش الى جانب الفقر الشديد وفى غيبة القانون أصبح أرباب المخائض أى أصحاب الابل فى البادية وكذا أصحاب التجارة فى المدن والبلاد ، أصبحوا مطمعا للصعاليك ينهبون منهم ماقدروا عليه .. فيقول أحدهم : « وسبق بأموال التجار زعيم » .. وعندما تاب « يزيد بن الصقيل العقيلى » عن الصعلكة نراه يمن على أصحاب المخائض بعد توبته ويبشرهم بالأمن والاطمئنان :

ألا قل لأربــــاب المخــائض أهملوا
فقــد تــاب ممــا تعلمــون يزيــد

فاذا أضفنا الى ماسبق طبيعة الأرض والحياة حيث البيئة فى الجزيرة قاسية ، برد شديد وحر أشد منه وكل شىء فى الصحراء قاس عنيف ، فلا عجب أن تنجب أبناء قساة أشداء .. وإن كانت الهجرة والتنقل صفة عامة

فى بودى العرب لضعف ارتباط مصالحهم بالأرض نفسها فان الهجرة للصعاليك قوام حياتهم ، فالصعلوك « جل ماله سلاحه » .. وهدفهم من التنقل هو البحث عن الأماكن التى يزاولون فيها نشاطهم ثم الأماكن التى يحتمون فيها نتيجة لهذا النشاط ، لأن : « كل بلد أوطنت كبلادى » !

عوى الذئب

وقد أثار الصعاليك فى المجتمع الجاهلى موجة من الرعب والفزع ، لكن ذلك لم يحط من قدرهم فى المجتمع ، بل أحاطهم بهالة من الرهبة والإعجاب وأصبحوا أمنية القبائل ، وفى أخبار امرؤ القيس أنه حينما أراد أن يثأر لأبيه جمع جموعا من ذؤبان العرب وصعاليكهم !

وكانت للقبائل مجامع عامة للشورى كدار الندوة فى مكة ، وكالمجامع المشهورة فى الأسواق وخاصة سوق عكاظ ، وكانوا يتباحثون فى أمورهم العامة والمشتركة ويعلنون قراراتهم وما يستحدثونه من عرف ، ومع ذلك فلم يثر موضوع الصعلكة .. ولم يرو التاريخ أن قبيلة من القبائل حالت بين أبنائها وبين سلوك الصعلكة ، وأما موضوع الخلع الذى كان يخلعون به أحدهم فلم يكن لسلوك الصعلكة من حيث هو وانما تفاديا للمغارم التى يجرها !

ومع مجىء الاسلام كانت اليد التى تحمل الشعلة يدا قوية حازمة ، وكانت أساليب الصعلكة من أبرز مشاكل البيئة حينئذ ، حتى أن الرسول ﷺ جعل فى مقدمة ما يبشر به أنه يحقق للعرب الأمن حتى يسير الراكب من صنعاء حتى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه .. لذا فقد شاعت التوبة بين الصعاليك ..

ولكن هذا لايعنى موت الصعلكة ، فان من عواملها ما هو طبعى ملازم للحياة .. فما ان بدأت سلطة الدولة تضعف وقبضتها تتراخى مع ظهور الفتن فى أنحاء الدولة ، ومنذ بدأت الخلافات بين على ومعاوية ، ثم نشوب الحرب بين العلويين والأمويين ، والأمويين والعباسيين ، والعباسيين والعلويين ، بالاضافة الى ماتخلل ذلك من فتن الخوارج والمذاهب المنحرفة الى آخر السلسلة ، ما ان حدث ذلك حتى هيأت هذه الظروف للصعلكة أن تستعيد كثيرا من مكانتها ، الأمر الذى أعطى القوة لعدد من الصعاليك ، مما جعل الأطراف المتطاحنة تحرص على أن تكسبهم فى قواها ، كما فى أخبار « عبدالله بن الحر » الذى تودد اليه كل من معاوية وعبدالملك بن مروان وعماليهما ، ولكنه ظل حصنا مستقلا عن الانطواء تحت أى سلطان ، وكذلك طلب منه الحسين بن على العون فى القتال فأبى وظل معتصما بقوته واستقلاله (وذلك على حد ماجاء فى خزانة البغدادى نقلا عن كتاب اللصوص للسكرى) ..

الخلاصة أنه بعد عصر الخلفاء الراشدين وبعد أن أصبح الصعاليك مجرد جزء من الفتن خف لهيب النظرة الدينية اليهم ، لأن هذه النظرة توزعت على الفتن العديدة ، ولم تكن الصعلكة أهمها ولا أخطرها .. وقد احتفظ الصعاليك بالطابع العام لشخصية الصعلوك : الصلابة والتمرد والاعتداد بالنفس الى حد الاستهانة بالموت ، فان أحس أنه لايستطيع الصمود هاجر الى أى مكان يحتفظ فيه باستقلاله وعزته « فى الارض منأى للكريم من الأذى » .. فهو يؤثر جيرة الوحوش رغم خطورتها على بنى آدم اذا ضيقوا عليه ، يقول الأحيمر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذا عوى
وصَوَّتَ إنسان فكدت أطيرُ

والعيش شح

وصعاليك الجاهلية كان فيهم الشعراء الذين يفرض شعرهم نفسه على المجتمع وعلى التاريخ ، كالشنفرى وتأبط شرا والهذليين وعروة بن الورد العبسى .

■ غيبة القانون في العصور الجاهلية كانت من أهم أسباب وجود الصعلكة

■ ما إن جاء نور الإسلام حتى شاعت التوبة بين الصعاليك

ولقد أضفى عروة على الصعلكة كثيرا من الاحترام والتقدير بما تحلى به من خلق فريد فى السخاء والعطف على الفقراء ، وكانت عصابته كثيرة العدد لأنه كان بمثابة مدرسة يتخرج فيها الصعاليك ، واشتهر بأنه مأوى خيرا لهم ، ولذلك لقب بعروة الصعاليك — والصعاليك هنا الفقراء — وصاحب الأغانى يقول : « كان عروة اذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا فى دارهم المريض الكبير والضعيف ، فكان يجمع أشباه هؤلاء من دون عشيرته ثم يكنف عليهم الكنف ويكسبهم ، ومن قوى منهم خرج معه فأغار ... حتى اذا ذهبت السنة الحق كل انسان بأهله » .. وكان ينفق على جميع هؤلاء المسنين والمرضى من التصعلك لأنه لم يكن غنيا بل كان أكثر المتحدثين عن الفقر والحاجة ..

لذلك قال معاوية بن أبي سفيان : « لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم » .. وهو الوحيد بين شعراء الصعاليك الذى وصلنا ديوان مطبوع له ، وهو القائل : « انى رأيت الناس شرهم الفقير » .. وقال عنه عبد الملك بن مروان : « من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة » .

ولم يكن الكرم ونجدة الناس والمحتاج والاحساس بالفقراء من صفات عروة فقط ، فهذا « مالك بن الريب » — وقد عاش فى خلافة معاوية بن أبى سفيان — يسأله الوالى قائلا :

— ويحك يا مالك ، ما الذى يبلغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟ !

أجاب :

— أصلح الله الأمير ، العجز عن مكافأة الاخوان !

ولهذا قيل : « أن كل صعلوك جواد » .. و « مالك » هذا كان يقطع الطريق مع رفقة اشتهر منهم « شظاظ الضبى » الذى ضرب به المثل فقالوا : « الص من شظاظ » و « أبو حردبة المازنى » الذى قال أحد الراجزين فى الخوف منه : « الله نجاك من القضيم .... ومن أبى حردبة الأثيم ، ومالك وسيفه المسموم » !

ومن الشعراء المخضرمين « عبدة بن الطبيب » وهو من بنى تميم ، عاش فى الاسلام زمنا ليس بالقصير وساهم فى بعض الوقائع والحروب ، وشعره من أجود ما قال العرب .. وهو صاحب البيت المشهور فى رثاء « قيس بن عاصم المنقرى » :

الصعاليك

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

وفى رأى الأصمعى أنه أرثى بيت قالته العرب .. وهو القائل أيضا :

والمرء ساع لأمر ليس يدركه
والعيش شح واشفاق وتأميل

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يردد الشطر الأخير متعجبا من حسن تقسيمه وما به من حكمة .

أما « توبة بن الحمير » فكان من اللصوص البارزين ، ولكن شهرته بعشق ليلى الأخيلية غلبت عليه ، خاصة انها كانت شاعرة لم يقدم عليها من شاعرات العرب سوى الخنساء .. وقد رثته ليلى قائلة :

فتى كان أحيى من فتاة حيية
وأشجع من ليث بخفان خادر
فنعم الفتى ان كان توبة فاجرا
وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر

جمع توبة بين عاطفة الحب الرقيقة السمحة وبين صفات التصعلك العنيفة القاسية .. وعندما وفدت ليلى على عبد الملك بن مروان وهى كبيرة سألها :

ـ ما رأى توبة فيك حين عشقك ؟

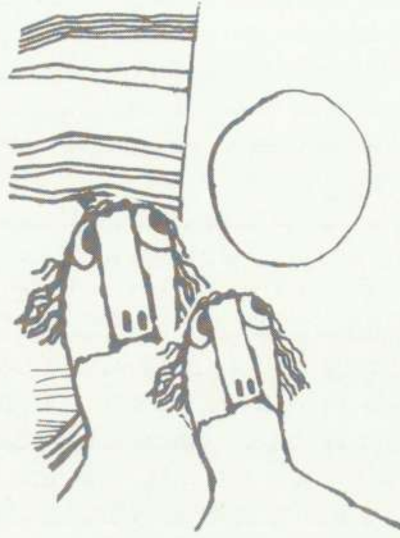
فقالت :

ـ ما رأى الناس فيك حين جعلوك خليفة ؟

فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها .

إن شعر الصعاليك أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية التى يدون الشخص فيها أفكاره ومشاعره ، ولهذا لم يبد فى شعرهم تشتت أو تفكك رغم انه يتحدث فى موضوعات شتى ، فقد يتحدث الصعلوك عن الفقر والسلاح والوحوش والناس ، ولكننا نحس انه يتحدث عن كل ذلك من زاويته هو ولا يتحدث عن شىء حديث الواصف فحسب ..

فعند تصوير حالهم مع الفقر نجد تأبط شرا



شعر الصعاليك أشبه بالمذكرات الشخصية التي تعتمد على الصدق الفني

يصف نفسه بأنه لايملك من الزاد الا تعلة تحول بينه وبين الموت حتى برزت أضلاعه من النحول والتصقت أمعاؤه من الجوع :

قليل ادخار الزاد الا تعلة
فقد نشز الشرسوف والتصق المعا

فهو يتحدث عن أثر الفقر عليه هو وليس على انسان آخر . كذلك عروة بن الورد نجده لايملك من الدنيا غير درعه وسيفه :

وما لى مال غير درع ومغفر
وأبيض من ماء الحديد صقيل

ومالك بن حريم يرى أن الفقر مذلة لصاحبه بين الناس بينما المال يرفع الخسة ويجعل الذميم حميدا ، وهى خبرة استقاها من تجربته الخاصة مع البشر :

أنبئت والأيام ذات تجارب
وتبدى لك الايام ما لست تعلم
بأن ثراء المال ينفع ربه
ويثنى عليه الحمد وهو مذمم
وأن قليل المال للمرء مفسد
يحزّ كما حز القطيع المحرك
يرى درجات المجد لايستطيعها
ويقعد وسط القوم لايتكلم

وهى ذات المعانى التى قالها شكسبير على لسان الملك لير بعد ان تخلى عن جاهه وعرف طعم الفقر والعقوق .. وهو ذات المعنى الذى قاله عروة بن الورد :

دعينى للغنى أسعى فانى
رأيت الناس شرهم الفقير
وأهونهم وأحقرهم لديهم
وان أمسى له كرم وخير
ويقصى فى الندى وتزدريه
حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال
يكاد فؤاد حاجبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم
ولكن الغنى رب غفور

ويقول أيضا :

المال فيه مهابة وتجلة
والفقر فيه مذلة وفضوح

وما داموا قد ذاقوا الفقر فقد عرفوا الجوع .. وتأبط شرا يحدث ذئبا عن هزال جسمه :

كلانا اذا ما نال شيئا أفاته
ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

ويلاحظ أن صعاليك العصر الاسلامى لم يتحدثوا عن الجوع الشديد المضنى مثل السابقين .. لكنهم جميعا يشتركون فى النفور من الهوان ، يقول عروة بن الورد :

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة
ان القعود مع العيال قبيح

ويقول :

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى
تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ولماذا الخوف من المنية مادامت آتية ولا ريب ؟ ! .. ولهذا يقول الشنفرى : « اذا أتتنى منيتى لم أبالها ... » ... ومثله عروة بن الورد :

وان المنايا ثغر كل ثنية
فهل عن ذاك من متأخر ؟ !

لأنه كما يقول العقيلى :

اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت
حميمك فاعلم أنها ستعود

فيكون أبو خراش صادقا فى قوله :

مخافة أن أحيا برغم وذلة
وللموت خير من حياة على رغم

وعلى هذا يكون « فى اللين ضعف والشراسة هيبة » .. وأيضا :

اذا أنت لم تنفع فضر فانما
يُرَجَّى الفتى كيما يضر وينفع

لماذا ؟ .. لأن :

وما العجز إلا أن تشاور عاجزا
وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

العفة وصدق التجربة

صدق الصعاليك فى شعرهم ليس مجرد صدق فنى ، بمعنى القدرة على التخيل والتقمص ، وانما هو صدق حقيقى ، وتجربتهم تجربة واقعية ، وكافة مشاعرهم تقدم من وجهة نظرهم الذاتية .. لهذا نجد أن « أبا خراش » لايخجل من الاعتراف بواقعية وصدق أنه أحيانا يفر من أعدائه ، ولكنه فرار المقاتل الحكيم :

أقاتل حتى لا أرى مقاتلا
وانجو اذا ماخفت بعض المهالك

والصدق مع النفس وتمردهم جعلهم يفضلون وحوش الصحراء عن الناس ونفاقهم ، لا لشىء الا لأن هذه هى تجربتهم المعاشة .. فيقول الشنفرى انه استعاض عن الناس بجيرة ذئب قوى ونمر أملس وضبع طويل !!

وكل هذا لايعنى أن شعرهم خلا من الحس الاجتماعى ، فهذا عروة يفخر بإكرامه الضيف : « فراشى فراش الضيف والبيت ... » .. ومديحهم رغم ندرته لم يكن قط من أجل الارتزاق وكان عفا أبيا ، كذلك الحال بالنسبة للهجاء ، فلا نعلم صعلوكا جنح الى الاسفاف أو جعل سببه حرمان من عطاء لأنهم لايطلبون عطاء أو ضيافة ..

كذلك شأنهم فى الغزل .. ومن المعانى التى كانت موردا للشعراء فيما بعد وصف بكر بن النطاح لامرأة بيضاء لها شعر أسود غزير :

فكأنها فيه نهار ساطع
وكأنه ليل عليها مظلم

ليس شعرهم وحده الذى يصور هذه المثالية الرفيعة فى اخلاقهم ، فأخبارهم أيضا تؤكده ، وزوجة عروة بن الورد تخاطبه قائلة : « انى لا أعلم امرأة ألقت سترا على خير منك ، أغفل عينا وأقل فحشا وأحمى لحقيقته » رغم انها كانت قد هجرته مختارة عليه قومها وذلك فى قصة تخييرها بين زوجها عروة وقومها .

وكان معظم غزلهم فى زوجاتهم .

يوم أن بكى قيس

كان أول طابع تقليدى يلتزمه الشعر القديم هو استهلال القصيدة بالغزل ، وهو أمر لم يلتزمه شعر الصعاليك الا اذا كانت القصيدة نفسها غزلا .. قصيدة الشاعر الصعلوك تلتزم غالبا بغرض واحد لاتعدو تصويره وجوانبه وملابساته .. ففى لامية « عبدة بن الطبيب » نجد أن الظروف التى أحاطت بها أن زوجه « خولة » رحلت الى المدائن فسعى اليها فلما رفضته عاد الى باديته فى الحجاز ثم قال القصيدة التى نجدها لاتتعدى وصف الرحلة وسببها ، فتبدأ بحنينه الى خولة واصفا رحلته اليها والمطايا والمعيشة والصيد للحصول على الطعام أثناء الرحلة ، ثم يصف مالقيه من البذخ والترف فى بلاد العجم وما رآه فى مجلس شراب من ستائر وتماثيل وسقاه ، ثم يأسه من خولة ونفض يده منها بقوله :

فعد عنها ولا تشغلك عن عمل
ان الصبابة بعد الشيب تضليل

ولامية الشنفرى أيضا لاتعدو تصوير حياته منذ كان أسيرا الى باقى ظروفه ..

والاستاذ الدكتور عبد الحليم حفنى يذهب الى أن شعرهم هو أساس القصة فى الشعر العربى ، وأنه لو وجد من الشعراء من تابعه لكان للقصة فى الشعر العربى شأن غير ماكانت عليه .. وأبرز مثال على ذلك قصة « قيس بن منقذ بن الحدادية » مع ابنة عمه « نعم » والتى سجلها فى قصيدة طويلة : فهو قد بدأ بوصف بطلة القصة وأخلاقها ، ثم هيأ لجو الوداع وما صاحب ذلك من ضجة ، ثم تسلله تحت الستر وفزعها من هذا المسلك ، ثم لوعته حين سمع مؤذن الرحيل ، فحوار الفراق ، واصفا فى دقة كل أطراف القصة وأشخاصها .. ومن هذه القصيدة نقتطف الأبيات التالية :

أجدك ان نعم نأت أنت جازع
قد اقتربت لو أن ذاك نافع

ويقسم على أنها المهذبة المؤدبة :

وقد جاورتنا فى شهور كثيرة
فما ثولت والله راء وسامع

أما لماذا بكت ؟؟ فقد :

بكت من حديث بثه وأشاعه
ورصعه واش من القوم راصع

ويدلل على انه مظلوم :

وكيف يشيع السر منى ودونه
حجاب ومن دون الحجاب الأضالع

وجاءت لحظة تحرك القافلة :

وما راعنى الا المنادى ألا أظعنوا
والا الرواعى غدوه والقعاقع

فماذا فعل قيس ؟؟

بكى من فراق الحي قس بن منقذ
وازراء عينى مثله الدهر شائع

ثم كان الحوار الأخير بينهما :

فقلت لها يانعم حلى محلنا
فان الهوى يانعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تفيضان عبرة
بأهلى بين لى متى أنت راجع
فقلت لها تالله لا يدرى مسافر
اذا أضمرته الارض ماالله صانع
فشدت على فيها اللثام وأعرضت
وأمعن الكحل السحيق المدامع

وقد قام الاستاذ الدكتور عبد الحليم حفنى بنشر بحثه الرائع « شعر الصعاليك ــ منهجه وخصائصه » فى ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير أوضح فيه أنه استقى مراجعه من كتاب « تاريخ الادب العربى » للمستشرق بروكلمان وذلك فى سياق حديثه عن ثلاثة من شعراء الصعاليك هم تأبط شرا والشنفرى وعروة بن الورد .. ويؤكد بأنه لايعلم أن أحدا فى القديم أفرد الصعاليك ببحث مستقل سوى « السكرى » فى كتاب اللصوص ولكن هذا الكتاب لم يصل الينا وانما نقل عنه بعض العلماء القدامى ومنهم البغدادى فى خزانة الأدب .. كما لايعلم أن أحدا فى الحديث فعل ذلك سوى الدكتور يوسف خليف فى بحثه عن الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى فحسب وهو جزء من موضوع .. والطبعة الأولى من كتاب الدكتور عبد الحليم حفنى والتى بها هذه المقدمة أودعت بدار الكتب المصرية عام ١٩٧٩ .

■ شعراء الصعاليك لم يلتزموا بالطابع التقليدي للشعر القديم

■ هل صحيح أن شعرهم هو أساس القصة في الشعر العربي؟

مجيد طوبيا

الماء
مشكلة الشرق الأوسط المزمنة التي تبحث عن حل

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

الماء « جوهر » نادر في الشرق الأوسط . ومن ثم فهو غالي الثمن جداً . وتزداد قيمته كلما ازدادت الصحاري اتساعاً . والصحاري تكون ثلثي مساحة الشرق الأوسط على الأقل ، وتتناثر بين أقاليمه لتمنع الوحدة والاتصال بينها ، وتقسم الشرق الأوسط إلى قطع أشبه بالفسيفساء .

وحتى الدول الشرق أوسطية التي وهبها الله نهراً جياشاً مثل النيل ، تعاني ٩٦٪ من مساحة أرض مصر من التصحر ، وتعاني أقاليم في السودان والحبشة من الجفاف رغم أنهما على بعد حجر من مسار هذا النهر الخالد !

ولعل أكثر دول المنطقة انتباهاً إلى أهمية الماء وندرته وغلو ثمنه هو الكيان الاسرائيلي ، ويدرك العرب هذه الحقيقة أيضاً من قديم الزمن ، ولكنهم اكتسبوا تأقلماً عليها .

■ قصة الماء في المنطقة منذ آلاف السنين والمشاكل القائمة من حوله

■ إقامة مشاريع على الأنهار والواحات من أهمّ عوامل النهضة العربية المنشودة

وليست الصحاري وحدها هي التي تعوق الزراعة والانتاج الغذائي في الشرق الأوسط ، فهناك أيضاً مناطق جبلية والمستنقعات والبحيرات والأراضي العقيمة .

وكل امبراطوريات الشرق الأوسط وحضاراته العظيمة مثل الحضارة المصرية القديمة والحضارة البابلية ، انما نشأت من السيطرة على الماء في مجاري أنهار النيل ودجلة والفرات ، وعلى تطوير نظم الري وقوانين مجتمعات الري والرعي والزراعة والتراث الذي نشأ حول واحات المياه هنا وهناك .

وفي العصر الحالي أصبحت السيطرة على مياه الأنهار وتطوير استخداماتها ووضع العلم والتكنولوجيا في خدمتها ، أصبح كل ذلك أكثر أهمية وأفعل في إحداث عملية التغيير الحضاري من أي نظريات سياسية ، وأصبح توفير الغذاء أو العجز عن توفيره هو الاختبار الذي نجتازه وهو التحدي العملي الذي يواجه أي نوع من الايديولوجيا الفكرية . وأصبح هو الامتحان الذي لابد أن يجتازه منظرو السياسة والاجتماع والعلم . وهو الصخرة التي تتحطم عليها موجات أي نظرية سياسية .

والزراعة المناسبة للشرق الأوسط تختلف عن زميلتها المناسبة لأوربا : ففي الشرق الأوسط طاقة شمسية جبارة . فلابد إذن من

اللجوء إلى زراعة تستثمر هذه الطاقة وتراعي في نفس الوقت ندرة الماء ، بينما في أوربا الماء يهطل من السماء بغير حساب ، وتكاد لا توجد طاقة شمسية تذكر . وهذا التباين أوضح ما يكون في الفارق بين البقرة الفرزيان وبين الجمل العربي . البقرة الفرزيان لا ينقصها المرعى ، ويوفر لها الماء الوفير شربها واغتسالها ونظافتها بينما الجمل يختزن الماء القليل في سنامه كأنه عملة صعبة أو كنز ثمين .

وإذن يتعين على انسان الشرق الأوسط أن لا يهجر الجمل ، ويجري وراء البقرة الفرزيان فتكون النتيجة أن يهمل تربية الجمل ، حتى يندثر ، وأن تستحيل الحياة على بقرته المستوردة ، أو أن تعيش عنده حياة مكلفة وعسيرة وقصيرة . والمقصود من هذا أن يتكيف انسان الشرق الأوسط بالمعطيات المتاحة لديه ، ويستثمرها ، فإن ذلك أجدى من الجري وراء الغرب وتقليده ، فيصبح كحمار الأسفنج عندما قلد حمار الملح . فغرق الأول حيث نجا الأخير !

وتنقسم محاصيل الشرق الأوسط الزراعية إلى مجموعتين : مجموعة تصدر إلى الخارج مثل القطن والحمضيات ، وهذه تزرع على ماء الري ، ومجموعة أخرى غير قابلة للتصدير لتستهلك محلياً مثل الزيتون والتين وهذه تزرع على ماء المطر .

ومن ثم يدخل ماء الري كعامل أساسي في اقتصاديات التصدير وجلب العملة الصعبة . ومن ناحية أخرى فنحو نصف سكان الشرق الأوسط يعملون في الزراعة ، ومن ثم فتطوير الزراعة وتثويرها يصبح هو العامل الأول والفعال في تشغيل الناس ، وفي زيادة الانتاج ، وفي عملية النمو وعملية التمدين . هذا التطور والتنوير تتاح له فرص أكثر كثيراً في الزراعة القائمة على الري . وكمثال واضح لهذه العملية النهضوية نذكر أن الزراعة المصرية في عهد محمد علي قامت بثورة تمدين هائلة فقد أنشأ في بضع سنين قناطر محمد على الخيرية في رأس مثلث الدلتا ، وعدة قناطر على النيل في الصعيد وترعة الابراهيمية ، لتخلق واحة الفيوم وثلاثة رياحات في الدلتا المنوفي والبحيري والأشموني ، لتخلق الدلتا خلقاً . وأدخل زراعات القطن والتيل والبصل ، لتصبح من المحاصيل الأولى في جودتها في العالم .

هذا التطوير الهائل في الزراعة الذي نشبهه بثورة ايديولوجيتها هي « مضاعفة الانتاج لا الاستهلاك » ــ هذه الثورة كانت هي أساس بنى عليه تطوره الصناعي والعسكري ، والذي كان يمكن أن يحول مصر إلى يابان جديدة لو استمر في مساره .

إلى هذا المدى يمكن لزراعة الري أن تحدث تطويراً ونهضة بدون حاجة إلى الايديولوجيات المتضاربة والقائمة على جدل ثقافي .

توزيع المياه

إذا علمنا أهمية مياه الري في الشرق الأوسط في العملية النهوضية ، فعلينا أن نتتبع مواقع الماء في هذه المنطقة .

تنحصر مياه الأنهار ، في وادي النيل وفي العراق فحسب . وتروى زراعة اليمن وعسير من مياه الأمطار الصيفية ، وزراعات الجزائر والمغرب ولبنان من مياه الأمطار الشتوية .

وتكون مياه الواحات درجة وسطى ما بين مياه الأنهار وما بين مياه الأمطار ، وتغذي مياه الواحات زراعات الجزيرة العربية .

ومن ثم فالبحث عن المياه واستغلالها وإقامة مشاريع على الأنهار والواحات هو من أهم عوامل النهضة المنشودة . ومجال الأمل فيها كبير جداً .

ومن الظواهر التي يجب الالتفات إليها أن منابع أنهار النيل والفرات تقع خارج نطاق مصر ونطاق العراق . ولما كان من يسيطر على منبع النهر يمكنه أن يسيطر على مصبه ، كانت دائماً سياسة وادي النيل والعراق تتأثر بالقوى الدولية المؤثرة في مواقع منابع هذه الانهار . وكانت دائماً حركة النهضة مرتبطة بالسيطرة



نهر دجلة

■ كيف نواجه الزحف التكنولوجي والتطور العلمي في عمليات إنتاج الرغيف واللبن والبيض ؟

■ من مطامع إسرائيل الخفية في طابا استغلال مياه عذبة هناك في مفاعلاتها النووية

على منابع هذه الأنهار . فنهضة محمد على ارتبطت بزحفه إلى منابع النيل في خط الاستواء . وبالعكس أيضاً بدأت موجة الانحسار عندما توجه ببصره شمالاً نحو الشام فالأناضول .

وأما منابع دجلة والفرات فانها تقع في تركيا في جبال ارارات التي تصل إلى ارتفاع ستة عشر ألف قدم ، وهذا الارتفاع يحولها إلى مخزن ثلج هائل تغذي مياهه كلا من دجلة والفرات وأنهار تركيا وايران . ومجموع مياه هذه تفوق مجموع مياه نهر النيل .

وفي ايران سلسلة جبال تختزن ثلوجاً ، يغذي بعضها أنهار ايران ، ويضيع البعض الكثير في صحارى مالحة .

وأما مياه الشام ــ سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ــ فانها أيضاً ترد من جبال تركيا أي خارج الشام .

والتكنولوجيا الحديثة

وإلى جانب الأنهار واستغلالها في الزراعة هيأت التكنولوجيا الحديثة فرصا كثيرة في اكتشاف مياه جوفية أو أنهار تحت السطح ، وفي نقل المياه دون فاقد من خلال مواسير خاصة وفي سرعة ضخ المياه دون حاجة إلى مجهود جثماني يقوم به حيوان الزراعة .

قارن الشادوف وهو جردل ماء ينضح به الفلاح المياه من النهر إلى الأرض مستهلكاً كل عضلاته بمضخة تقوم بما يساوي هذا المقدار الكمي ملايين المرات في دقائق معدودة . قارن الساقية التي ترفع عشرين متراً في الساعة مستهلكة رأس مال يتمثل في زوج ثيران ،

قارنها بمضخة ترفع آلاف الآلاف باستهلاك لايذكر . ودون حاجة إلى أن يخصص لها الفلاح مساحة من زراعة البرسيم التي يغذي عليها ثيرانه ، وهذه المساحة التي يمكنه إذن استزراعها قمحاً أو ذرة لنفسه ولأولاده .

إن عملية تحويل الشواديف أو السواقي إلى نظم ميكانيكية هي في حد ذاتها استغلال مالي مضمون إلى جانب أنه تحويل زراعي نحو محاصيل يستخدمها الفلاح بدلاً من محاصيل حيوانية تحترق بالمجهود العضلي للحيوان ، دون أن تتحول إلى ناتج من لبن أو لحم .

وتظهر أهمية الري الميكانيكي والزراعة الميكانيكية الحديثة في العراق بالذات حيث ظهر عجز في عدد الفلاحين نتيجة التحول البترولي في الربع قرن الأخير .

وتظهر أهميته أيضاً حديثاً في سوريا والأردن وفلسطين حيث تقوم الزراعة على استغلال المياه الجوفية كمورد رئيسي للمياه .

ومع قلة اليد العاملة بالزراعة ــ سواء نتيجة التحول البترولي أو التحول الصناعي أو انتشار التعليم ــ تقوم التكنولوجيا بالتعويض عن غياب الجهد العضلي للفلاح . فالري بالرش والتنقيط لايحتاج إلى عمال زراعيين ، يجرون خلف المياه أو يطهرون الترع والمصارف والحرث الميكانيكي لا يحتاج إلى فلاح يمسك « بالفرقلة » خلف الثيران من الصباح إلى المساء وهكذا نرى أن الفلاحة تتحول تدريجياً إلى ميكانيكا ذات طابع خاص : فيها جانب كبير من الطابع الصناعي دون التعرض لمخاطر الصناعة من تلوث أو إجهاد أو استغلال ، ومن ثم فهي ستصبح منافساً قوياً للصناعة التقليدية . بل إن كثيراً من العمليات الزراعية المحضة مثل تربية الدجاج التي كانت تقوم بها الفلاحة داخل المنزل أصبحت الآن هي « صناعة دجاج » داخل عنابر ، وعبر عدة أسابيع محدودة ، تقوم خلالها الآلات بكل العمليات التربوية وتحويل البيض إلى كتاكيت والكتاكيت إلى دجاج .

إذن هناك زحف تكنولوجي وتطور علمي في عمليات انتاج الرغيف وانتاج البيضة . وأي تخلف تكنولوجي سوف يؤدي إلى نقص في الرغيف واللبن والبيضة وما يتبع ذلك .

ومن قبل التكنولوجيا هناك انجاز علمي بعيد الأثر في مصير البشرية ، ألا وهو إنشاء الخزانات والسدود ولابد أن التكنولوجيا الحديثة سوف تطور هذه الخزانات والسدود تطوراً خيالياً لايخطر على البال في القريب العاجل أو الآجل .

فالخزانات والسدود على أي نهر تعني أمرين : غذاء وطاقة .

وكلما كان الجفاف في قارة ما أو في حوض نهر ما شديداً ، كلما لزم أن يكون الخزان كبيراً . وكلما كانت القنوات المائية تجف في الصيف عنها في الشتاء ، كلما لزم أن يكون الخزان متسعاً . وكلما ازدادت الأفواه التي تطلب الطعام وازدادت الحاجة إلى الطاقة ، كلما لزم انشاء خزانات أضخم وأضخم . وفي مرحلة يصبح تضخم الخزان هذا مسألة سياسية ، لأنه يحدد المياه والطعام والطاقة لعدة دول . ويصبح مثل هذا الخزان هو البديل السلمي « لمعاهدات الدفاع المشترك » أو « لاستعمار » القرون الوسطى أو « للتاج الموحد » .

والواقع والملاحظ أنه بإنشاء الخزانات الكبيرة تفككت الأمبراطوريات القديمة . وتهاوت التيجان التي كانت تتربع فوق عدة شعوب وانتهت فتوح وغزوات .

ومع ذلك فإنه مع ظهور الخزانات ، انتهى عصر كانت المياه فيه تنساب على طبيعتها وبالجاذبية وبقوانين الأواني المستطرقة . وكان الفلاح يرفعها إلى أرضه

■ حققت حرب ٦٧ لإسرائيل اغتصاب ٧٠٠ مليون متر مكعب سنوياً من الماء العذب



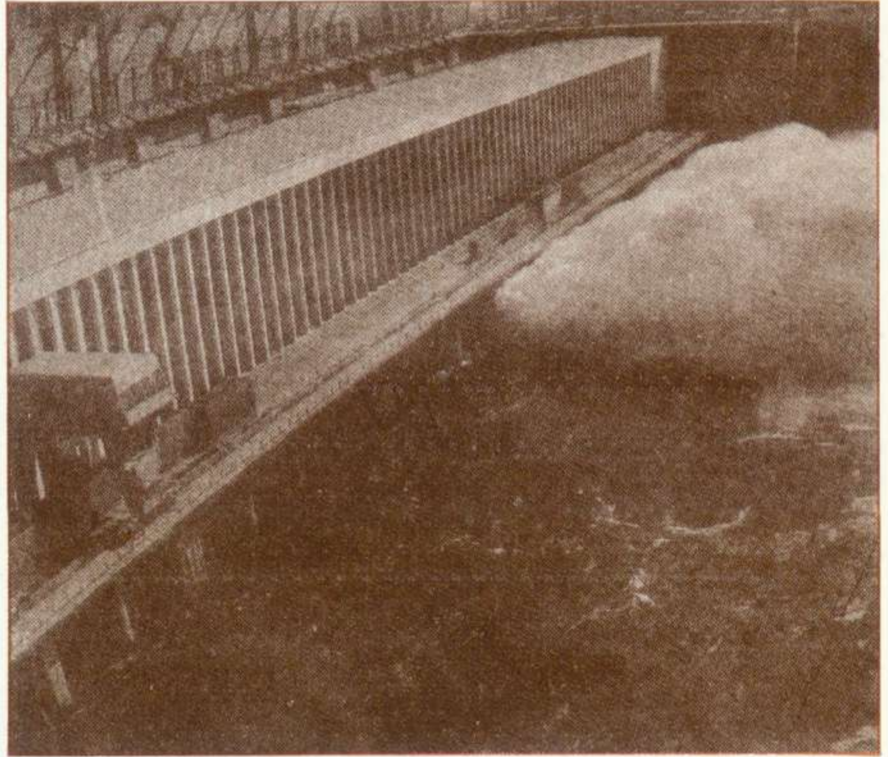
جمال عبدالناصر



محمد علي



شارون



السد العالي

بوسائل ري بسيطة أو بدائية. بدأت بعد الخزانات تظهر وسائل حديثة لنقل المياه، ثم لرفعها للأرض ثم لتوزيعها نقطة نقطة على كل نبتة، ثم محاولة حساب كل نقطة واحدة وكل نقطة منصرفة من تحت كل شجرة وبالكمبيوتر!!. وأصبحت وسائل الري ونظمه هذه مكلفة غاية التكليف، بحيث تحتاج الى تجميع زراعات كثيرة في وحدة كبيرة يمكنها شراء ماكينات ضخ وتوزيع المياه: بملايين الدولارات. وأصبح المالك الصغير غير قادر على مسايرة هذا التطور منفرداً، كما كان بالشادوف الذي يديره بذراعه أو بالساقية التي يديرها بجاموسته.

وأصبحت الزراعات الجديدة في عهد الخزانات الضخمة عودة من جديد الى الإقطاع، وإن كان اقطاعاً من نوع جديد: زراعات مجمعة أو مزارع تعاونية أو شركات استثمار أو زراعة حكومية أو قطاع عام زراعي يقابل القطاع العام الصناعي! وسوف يترتب على وجود مثل هذا القطاع العام في عالم الزراعة تغيّرٌ اجتماعيٌّ جديدٌ، لا يقل أهمية عن نشوء البروليتاريا في عهد الصناعات الكبيرة!

هناك إذن تغيير في الزراعة نحو الزراعات المجمعة والكبيرة تنهي عهد الفلاح المستقل، سواء كان مالكاً صغيراً أو كبيراً أو مزارعاً، يشبه الى حد كبير ما حدث من تحول عندما انتهى دور الحرفي الصغير كالإسكافي الذي يصنع الحذاء يدوياً إلى صناعة مميكنة تنتج آلاف الأحذية في اليوم الواحد. وكما أن ثمن الحذاء عندما تحولت صناعته من الحرفة اليدوية إلى الصناعة الميكانيكية لم ينخفض، فكذلك ثمن الغذاء لن ينخفض في عهد الزراعة الجماعية، لأن كل تطور علمي في عالم الصناعة أو الزراعة يزيد شهية الأفراد فقيرهم وغنيهم إلى الاستهلاك المريح وأحياناً الاستهلاك ببذخ.

وهذه العوامل جميعها من زيادة في الانتاج الزراعي تصحبها زيادة أكبر كثيراً في الاستهلاك الغذائي نتيجة تفتح شهية طبقات جديدة سوف تزيد الاسعار، وسوف تلقي ظلالها الاجتماعية على مجتمع الشرق الأوسط، الذي يتطور بسرعة وبطريقة حتمية نحو زيادة الاستغلال الزراعي.

والمشاكل السياسية

• مشاكل مصرية سودانية: مشاريع الري على النيل الأبيض، يعود عائدها على مصر، بينما مشاريع النيل الأزرق يعود مردودها على السودان. وفي مرحلة الوجود الاستعماري البريطاني كانت بريطانيا تشجع مشاريع النيل الأزرق لخلق توتر بين العنصر السوداني والعنصر المصري. كمثال: خزان سنار على النيل الأزرق الذى تم بناؤه عام ١٩٢٥. مع ذلك لم تتم اتفاقية توزيع مياهه بين مصر والسودان إلا عام ١٩٢٩، ولم تنتقل ملكية مياهه كاملة للسودان إلا عام ١٩٥٩ بعد ٣٤ سنة من بنائه!

خزان جبل الأولياء على النيل الأبيض ـ لصالح مصر ـ أنشىء عام ١٩٣٥. وبعد اتفاقية السد العالي انتقل كلية إلى السودان مع خزان سنار. واقتسمت مياه السد العالي بين مصر والسودان بنسبة ٥٥ إلى ١٨ وانتقلت ملكية الخزانات في جبل الأولياء وسنار كاملة إلى السودان، وأنشأ السودان خزانين جديدين عند الرصيرص وخشم القربة.

ومثل قيام السد العالي داخل أرض مصر، بعيداً عن السودان، انسحاباً من مشاكل الري مع السودان!

وبالتالي مثل ذلك عهداً جديداً من السياسة أسقطت نظريات وحدة وادي النيل والتاج المشترك!

الماء
مشكلة الشرق الأوسط المزمنة التي تبحث عن حل

• مشاكل الري في الشام : منابع الفرات تمر في سوريا ، وتنشيء سوريا خزاناً على الفرات داخل أراضيها ، تترتب على ذلك مشاكل مع العراق ومع لبنان ومع تركيا .

• مشاكل اسرائيل والعرب على نهر الأردن : شرعت اسرائيل في تحويل مياه نهر الأردن . وكان هذا هو الدافع لانعقاد أول مؤتمر قمة عربي عام ١٩٦٤ . وتكرر مبدأ القمة العربية في المشاكل السياسية . وعندما قرر العرب في مؤتمر قمة ٦٤ تحويل روافد النهر بعيداً عن اسرائيل ، كان هذا سبباً حقيقياً لحرب ٦٧ . وانتهت الحرب بالكف عن هذا التحويل .

ومن مطامع اسرائيل الخفية في طابا استغلال مياه عذبة هناك في مفاعلاتها النووية : قال شارون ـ صاحب ثغرة الدفرسوار وصاحب ضربة مفاعل العراق النووي وصاحب غزوة لبنان قال : يهمنا أن نصل إلى مياه بئر طابا العذبة فهي وحدها التي ستؤمن لتجاربنا الذرية النجاح والحياة في ديمومة ودون ذلك ستظل اسرائيل ضعيفة .. فهو يربط القوة باستعمال القنبلة الذرية وحدها !

• مشاكل مياه شط العرب : لم تكف المناوشات بين العراق وايران في شط العرب قبل تفجر حرب الخليج الدائرة الآن منذ ٦ سنوات . ولاشك أن هذه المناوشات الدائمة والمستمرة على حرية الملاحة في شط العرب وتحديد الحدود كانت عاملاً مزمناً في سوء العلاقات .

• المياه في مصر القديمة : قال هيرودوت مصر هبة النيل . سيدنا موسى ألقى في النيل سيدنا موسى كاد يغرق بقومه في مياه « خليج السويس » لولا معجزة عزه بها الله عندما فرق الماء بعصاه . أضخم جيوش العالم ـ جيش قمبيز افتقد الماء في مصر في سيوة فمات ودفن هذا الجيش وإلى الآن لم يعثر له على أدنى أثر .

• المياه في مصر المعاصرة : منذ شقت قناة السويس تجمعت حروب العالم كلها حول القناة ! تكونت بعد شق القناة امبراطورية صورية تمتد من السويس إلى باب المندب . تنافس على عرش هذه الامبراطورية فرنسا ثم انجلترا ، وتحاول اسرائيل السيطرة عليها . وتقوم الآن قوة دولية متعددة الجنسيات بالخفارة عليها . وتقوم قوة انتشار سريع بالوقوف استعداداً قريباً منها .

أثرت هذه القناة ـ قناة السويس وامبراطورية البحر الاحمر على سيناء والوادي المقدس طوى الذي كان أرض السلام سابقاً قبل فتح القناة .

كل ايجابيات عبدالناصر تركزت حول محاولاته السيطرة على الماء : انشاء السد العالي ، تأميم القناة ولقد كانت الهزيمة عام ٦٧ بسبب المياه أيضاً عندما دعى العرب إلى تحويل روافد نهر الأردن .

كانت ايجابية السادات هي « عبور » مياه قناة السويس عام ٧٣ .

• المياه في تاريخ الامبراطوريات : تحولت الدولة الأموية العربية إلى امبراطورية يوم عبر معاوية « البحر » إلى قبرص وكريت . ويوم عبر طارق بن زياد « البحر » إلى أسبانيا .

كانت الدولة العثمانية امبراطورية في مرحلة سيطرتها الكاملة على البحر الأحمر حتى منعت أي سفينة غير اسلامية من دخوله من باب المندب وأجبرت مثل هذه السفينة على تفريغ بضاعتها على سفينة اسلامية ! وكانت الدولة العثمانية دولة أوربية عزيزة الجانب عن طريق « تحكمها في « مياه » البسفور والدردنيل . كانت بريطانيا العظمى امبراطورية وقت أن سيطرت على مياه البحار .

تتنافس روسيا وأمريكا اليوم على تأكيد قوة كل منهما على القارات الثلاث عن طريق تواجد أسطول متجول لكل منهما في البحر الأبيض بين هذه القارات الثلاث .

الخلاصة

الماء عنصر أغلى من الذهب ، وأغلى من البترول . بل أغلى عنصر في الوجود . ويمثل الماء عدل ورحمة الله بالبشر فكل مخلوق يتناول نفس القدر من الماء بالمساواة المطلقة ومن رحمة الله اللانهائية أنه لا يمنعه حتى عن الكافر !

والحياة نفسها سواء في الانسان أو الحيوان أو النبات مرتبطة بالماء . والجسم الانساني ما هو إلا قربة ماء أذيب فيها بعض الجير والعناصر الأخرى ولكن بتشكيلة الهية فذة .

والماء يحقق احتياجات ٥ مليار مخلوق بالتساوي ومليارات الحيوانات بالتساوي ومليارات الزروع والشجيرات بالتساوي . وأهم من ذلك أن هذا الماء يتبخر إلى سحاب ، ثم يهبط من جديد إلى الأنهار . وهو بهذا يحافظ على نفسه عبر التاريخ كله . لا قطرة ماء واحدة تنقص عما بدأت به الخليقة كلها .

مثل هذا العنصر الغالي جداً والذي هو رحمة مزجاة إلى الجميع تدور حال القوة لدى الأفراد والجماعات والأمم والامبراطوريات ، حول حسن استخدامه والسيطرة عليه والتعامل معه كنعمة لا مثيل لها .

ان من يملك زمام الماء يملك زمام التاريخ .

السيد فهمي الشناوي

حاشية هامة

• يتكلف متر الماء المكعب المستخرج بازالة ملوحة مياه البحر دولارين !

• قبل حرب ٦٧ حولت اسرائيل مياهاً من نهر الأردن بواقع ١٢٠ ألف دونم في الأردن وزادت ملوحة مياه النهر بعد قلة وبطء جريان المياه في المجرى .

• حققت حرب ٦٧ لإسرائيل اغتصاب ٧٠٠ مليون متر مكعب سنوياً من الماء العذب من مياه سوريا والأردن ولبنان وأدى هذا القدر إلى توسعها في انشاء المستوطنات في الضفة الغربية زيادة على إحداث دفعة قوية للزراعة الاسرائيلية . وهذه المتغيرات من أهم النتائج غير المنظورة لهذه الحرب .

• من نتائج حرب ٦٧ تحطيم سد خالد بن الوليد المقام على نهر اليرموك مما أثر على توليد الطاقة إلى جانب تعجيز الري .

• لا يقل المخزون المحتمل للزراعة العربية أهمية عن المخزون النفطي وحزام القمح العربي من العراق إلى سوريا إلى الجزائر إلى مراكش سهل التحقيق لوصحت العزيمة .

• منابع المياه وخزانات المياه العربية قد تكون عرضة لعدوان حربي في المستقبل خاصة من اسرائيل ولابد من العمل على حمايتها .

بقلم : الدكتور محمد البهي

الدعاء لله

كثير من المسلمين ـ فى حاضرنا ـ يتجهون الى الله بالدعاء ، ويتضرعون اليه كى يحقق لهم رغبة من رغباتهم اليومية ، أو رغبات العمر ، ثم ينامون على أمل ، ويصبحون فلا يرون شيئاً تحقق . ثم تمر الأيام ولم يفقدوا الأمل بعد ، ويضيفون الى دعائهم بالأمس وأمس الأول دعاء اليوم ، وغد ، وبعد غد . وتظل النتيجة هى النتيجة .. تظل الرغبة فى حيز الرغبة ، ويظل الأمل فى حيز الأمل ، وواقع الحياه لا أثر فيه لرغبة أو أمل . وأخيرا يرجعون الى قول الله تعالى : « وقال ربكم : ادعونى استجب لكم » .. وكذا الى قوله : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » (البقرة ١٨٦) . ويقفون عند ذلك . وربما تجول بخاطرهم هواجس شك ، أو على الأقل تدور فى نفوسهم حيرة : هم سألوا الله سبحانه على نحو ماذكر القرآن ، ولم يستجب كما وعد ، أيضاً فيما ذكره القرآن . ولكنهم لم يسألوا أنفسهم أولاً : هل هم عباد الله ، كما تنطق الآية الثانية ذاتها : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب » ؟ إنهم لم يسألوا أنفسهم . ولو سألوها ، ثم سألوا القرآن الكريم عن عباد الله لعرفوا حقيقة الأمر : لماذا كانت حيرتهم ؟ إذ يقول الله فى كتابه فى شأن عباده : « ياعباد ! : لاخوف عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين » (الزخرف ٦٨ ، ٦٩) فيؤمن الله عباده ـ فى الحياة ـ من الخوف ، ومن الحزن معا ، فعباد الله لايصل إليهم قلق نفسى بسبب الخوف من شئ .

فالإيمان الصادق بالله ، والتطبيق الواعى لمبادئه ـ كما جاء القرآن الكريم بهذه المبادئ ـ هو الأساس فى الوصف بعباد الله ، وهو الأساس بالتالى فى استجابة الله لدعاء عباده .

وصدق الايمان هو نتيجة امتحان واختبار لما فى الحياة التى نعيشها من فتنة وبلاء ، وإغراء وشدة معاً ، سواء أكان إغراء الجاه والمال ، والولد ، والمرأة .. أو كانت شدة الضيق ، والفقر ، والمرض ، ويصور الايمان الصادق مايحكيه القرآن عن تحدى الله سبحانه لإبليس فى أنه لايستطيع أن يكون له أثر على عباد الله ، لصدق ايمانهم بربهم وحسن ثقتهم فيه ، وتوكلهم عليه ، فيما يذكره بقوله :

« واستفزز من استطعت منهم (أى من الذين يخف إيمانهم فيتبعون الشيطان أو الهوى والشهوة) : بصوتك (أى بصوت دعايتك ، ووعدك ، ووعيدك) وأجلب عليهم بخيلك ورجلك (أى بكل ما أوتيت من أنواع القوة الهادية) وشاركهم فى الاموال والأولاد (أى مشاركة شيوع) وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً (الاسراء ٦٤ ، ٦٥) فيعطى الله لإبليس الفرصة فى أن يستخدم كل وسيلة للاغراء من الأموال ، والأولاد ، والوعود الخادعة .. وكل وسيلة أخرى للارهاب من القوة المادية فى العدد والعدة ومن قوة الإذاعة والاعلام ، وذلك للحيلولة دون الايمان بالله . فمن عدا عباد الله عرضة لقبول تأثير الاغراء ، أو الارهاب . أما عباد الله بإيمانهم بالله ، وتوكلهم عليه سبحانه .. فهم بمنجى من هذا التأثير .

والغرض من حوار إبليس ـ مصدر الشر ـ مع الله سبحانه وتعالى هنا هو تصوير أن الدنيا بمفاتنها وإغرائها ، وكذلك بما يقع فيها من اكراه ، وارهاب ، من شأنها أن تؤثر على ضعاف الايمان ، دون أقوياء المؤمنين .

والتطبيق العملى الواعى لمبادئ الايمان الصادق يحكيه قوله تعالى فى وصف سلوك عباد الله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، والذين يقولون : ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . انها ساءت مستقرا ومقاماً . والذين اذا أنفقوا (أى على أنفسهم وأهليهم) لم يسرفوا ، ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله ، الا بالحق ، ولايزنون .. الى أن يقول : والذين لايشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم ، لم يخروا عليها صماً وعميانا . والذين يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » (الفرقان ٦٣ ـ ٧٤) .

فعباد الله هم :

الذين لايزهون بأنفسهم خيلاء وكبرا .

والذين يغضون الطرف عن أخطاء الحمقى

والذين يحافظون على أن يكون ليلهم قربى الى الله وعبادة اليه ، دون أن يكون لمؤامرة أو تدبير سوء

والذين هم يعتدلون فى انفاق مالهم محافظة على ذويهم وأقربائهم من بعدهم ، ورعاية لأصحاب الحاجة عداهم فى وجودهم .

والذين لايباشرون الجرائم الاجتماعية

والذين لايشهدون بالزور

ولا يقضون قليلاً أو كثيراً عند لغو القوم

والذين اذا ذكروا بآيات الله فى مشورة تقدم اليهم لم يغفلوا شأنها .

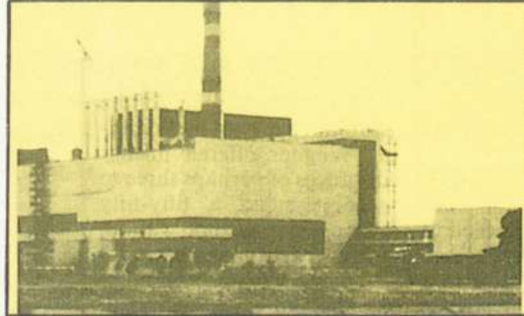
والذين يتجهون الى الله فى شئونهم الخاصة فى : أن يسعدهم فى بناء أسرهم ، وتوجيه أولادهم .

فمن ليس من عباد الله من المسلمين اليوم لاينتظر استجابة الدعاء الى الله ، لأنه ـ من ليس من عباد الله ـ حول دعاءه الى الله : الى « شعار » فقط . والدعاء الى الله هو : ختام عمل ، وليس بداية قول .

التلوث بالإشعاعات النووية

بقلم: المهندس
سعد شعبان

السحابة الذرية بعد انفجار هيروشيما





مفاعل تشيرنوبيل

■ احتراق المُفَاعِل النّووي السوفيتي بمثابة دَقّ ناقوس الخطر لمراجعة وسائل الأمان في كل مفاعلات العالم

حادث احتراق المفاعل النووي السوفيتي في تشيرنوبيل في ٢٦ أبريل ١٩٨٦ ليس الأول من نوعه وبالتأكيد أنه لن يكون الأخير.

ولكنه أثار ضجة اعلامية كبيرة في الدول الغربية لأن الاتحاد السوفيتي فرض تعتيماً اعلامياً على الحادث لمدة ثلاثة أيام حتى اكتشف الأمر بواسطة أجهزة القياس الاشعاعية في السويد، ثم بواسطة أقمار الاستشعار من بعد، والسبب المرجح لاحتراق المفاعل السوفيتي هو خلل أصاب جهاز التبريد فيه، أدى إلى ارتفاع هائل في درجة الحرارة فنتج عن ذلك اندلاع الحريق، والأمر المعروف عن هذا النوع من المفاعلات أن قلب المفاعل يعمل بوقود نووي هو عنصر «اليورانيوم ٢٣٥ المشع» تغلفه طبقات من عنصر «الزركونيوم» بينما يهدئ التفاعل مادة الجرافيت أي الكربون النقي، ويقوم الماء بعملية التبريد من الخارج، وفي حوادث احتراق كهذه لا تجدي وسائل اطفاء الحريق التقليدية، بل يجب أن تتبع وسائل خاصة.

■ تكررت حوادث المفاعلات النووية مئات المرات في كل الدول وما أُخْفِيَتْ أخباره أكثر مما عُلِم

آثار الانفجار في تشيرنوبيل كما التقطته الأقمار الصناعية



ولذلك يسمى هذا النوع من المفاعلات باسم مفاعلات الماء الخفيف والجرافيت، ويتحول الماء بعد قيامه بالتبريد إلى بخار، يستخدم في ادارة التوربينات البخارية، لتوليد الكهرباء.

وهذا النوع من المفاعلات، مضى على استخدامه في العالم أكثر من ٢٥ سنة ولا يستخدم إلا في الاتحاد السوفيتي وحده.

ولقد فرض حظر على تصديره حتى إلى دول الكتلة الشرقية لانه يستخدم إلى جانب توليده للكهرباء، في انتاج مادة «البلوتونيوم» وهي المادة التي تعمل كوقود نووي في عدة أغراض عسكرية.

ويتكون مفاعل تشيرنوبيل من أربع وحدات، بدأ اقامتها منذ عام ١٩٧٨، وآخرها وهي الوحدة الرابعة التي احترقت والتي لم يبدأ تشغيلها إلا عام ١٩٨٤ وما زالت هناك وحدتان من نفس النوع تحت الإنشاء في نفس الموقع، وقدرة كل وحدة من هذه الوحدات ١٠٠٠ ميجاوات.

غير أن أهم ما يميز هذا النوع من المفاعلات هو افتقاره إلى وسائل الأمان الواقية، إذ لا يوجد به قبة وقائية كما هو متبع في تصميم المفاعلات المستخدمة في الدول الغربية والولايات المتحدة، وهي القبة الخرسانية الضخمة التي تمنع الاشعاعات من التسرب خارج المفاعل، حتى لو حدث لقلب المفاعل خلل أدى إلى انصهاره.

فضلاً عن أن العمل في مثل هذا النوع القديم من المفاعلات يعتمد إلى حد كبير على الجهد البشري، بدلاً من الاعتماد على التحكم بالحواسب الاليكترونية. لذلك تسربت مع غازات الحريق بعض المواد المشعة وتكونت منها سحابة مشعة هي التي شكلت عنصر الخطورة على الأهالي في المناطق المجاورة.

ولأن السحابة المشعة اتسعت، وتقاذفتها الرياح فقد انتقلت إلى كثير من الدول المجاورة، كبولندا ورومانيا والدول الاسكندنافية كلها، وامتدت السحابة في اتجاه آخر فغطت ألمانيا وفرنسا حتى وصلت إلى جنوب ايطاليا. ولقد حدث ذعر جماهيري على مستوى العالم المتحضر، عندما أمطرت السماء في كثير من هذه البلاد، خوفاً من احتمالات انتشار التلوث الاشعاعي بماء المطر وامتداده إلى كثير من الأراضي بتسرب هذه المياه إلى جوف الأرض.

ولقد أسفر الحادث عن بضع عشرات من القتلى و (٣٠٠) مصاب.

ويظن البعض خطأ أن الحريق كان من الممكن أن يؤدي إلى انفجار المفاعل فيكون

التلوث بالإشعاعات النووية

كقنبلة نووية مدمرة ، وهذا ظن لا يقوم على شيء من العلم لأن تركيز المواد القابلة للانشطار في المفاعلات النووية لا يزيد عن ٧٪ في حين القنبلة الذرية تحتاج إلى مواد يكون تركيزها حوالي ٩٠٪ .

ولقد سارعت السلطات السوفيتية إلى اخلاء المدن والقرى المحيطة بالمنطقة من سكانها ، كإجراء وقائي ، واهتموا في أول الأمر بالاطفال والسيدات الحوامل . ولقد قدر المراقبون أن عدد المهجرين بعيداً عن مركز الاشعاع كانوا ١٠٠ ألف في دائرة نصف قطرها ٣٢ كيلو متراً عن المفاعل وأن أغلب من أصابهم الاشعاع باصابات جسيمة نقلوا إلى موسكو للعلاج ولقد تصاعدت الاجراءات بالتوصية باجهاض كل سيدة كانت حاملاً وتأثرت بالاشعاع .

ولقد سيطرت السلطات السوفيتية على المفاعل المحترق بالقاء كميات ضخمة من الرمل المبلل المختلط بكميات من الرصاص ومعدن البورون بواسطة طائرات الهيليكوبتر . كما أقامت حاجزاً خرسانياً حول قلب المفاعل غرز تحت سطح الأرض حتى عمق ٣٠ متراً ، ليكون جدارا واقياً يمنع استمرار تسرب الاشعاع . وقد ملء الفراغ تحت قلب المفاعل بالنيتروجين المسيل ليزيد في أحكام الحصار حول مصدر الاشعاع .

الخلل في المفاعلات النووية

لقد لفتت الضجة الاعلامية التي صاحبت احتراق المفاعل السوفيتي الانظار إلى خطورة الاشعاعات النووية ، ولكن كم من سحابات أخرى كانت تغطي رقعاً من العالم ، دون أن تكتشف أو أن يعلن عنها . لقد كان ذلك شائعاً خلال الخمسينات والستينات عند اجراء التجارب النووية حتى تم الاتفاق بين حكومتي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، على ايقاف اجراء التجارب النووية في أعالي الغلاف الجوي والفضاء والتحول باجرائها إلى باطن الأرض . وقبل هذا الاتفاق أجريت عشرات التجارب التي لم يعلن عنها . ولا شك أنه كان يصاحب كلاً منها سحابات مشعة وأنها أهلكت كثيراً من الحرث والنسل ، ولكن في صمت .

ومنذ سنوات قليلة وقع حادث انفجار المفاعل النووي الأمريكي « ثري مايلز ايلاند » في ولاية بنسلفانيا عام ١٩٧٩ . ولكن الفارق أن هذا المفاعل كان من نوع مخالف للنوع السوفيتي وله قبة خرسانية وقائية منعت تسرب الاشعاعات .

ولقد كشفت الأخبار أن إحدى التجارب النووية الأمريكية التي أجريت مؤخراً تحت الأرض قبل احتراق المفاعل السوفيتي بأسبوعين وعلى وجه التحديد يوم ١٠ ابريل ١٩٨٦ ، صاحبها بعض الخلل ونجم عن ذلك بعض القتلى واضطرت السلطات الأمريكية إلى اجلاء ٥٠٠ شخص من منطقة التجارب في صحراء نيفادا . ولم يكشف الستار عن هذا الحادث إلا بعد حريق المفاعل السوفيتي بأكثر من أسبوعين .

ثم كشفت الأنباء أيضاً عن خلل في مفاعل سويدي ، وحادث آخر في المانيا وقع في مايو ١٩٨٦ ، وثالث في بريطانيا ، ورابع في فرنسا ، وخامس في كندا .

والحقيقة أن التاريخ شهد عدة حوادث أصابت عدداً من المفاعلات النووية بالخلل في دول متعددة كان أولها في كندا علم ١٩٥٢ ، وثانيها في روسيا عام ١٩٥٤ وواحد منها في بريطانيا عام ١٩٥٧ . ثم توالت ثلاث منها في الولايات المتحدة في أعوام ١٩٦١ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٩ على التوالي ، وواحد منها في اليابان عام ١٩٨١ حتى وقع حادث المفاعل السوفيتي في ابريل ١٩٨٦ .

وهناك احصائيات تشير إلى أن (١٧١) خللاً نووياً قد وقع خلال الثلاث سنوات الأخيرة وأنه أمكن تدارك بعض آثار هذه الحوادث أو اخفاء البعض الآخر .

وربما كان الحادث السوفيتي هو أكثرها اشعاعاً وهذا ما عبرت عنه الاجراءات التي اتخذتها السلطات السوفيتية من ترحيل عدة آلاف من المواطنين القاطنين على مقربة من مكان الحادث وتحذيرهم من عدم تناول الخضروات وخاصة الورقية كالخس والسبانخ والفواكه التي كانت على الأشجار ، وعدم الاستحمام بمياه الانهار ، وعدم التواجد في المنتزهات وعدم شرب الألبان أو تناول اللحوم من الحيوانات التي كانت في المنطقة .

ولعلنا نتذكر أن بعض الكوارث النووية أتت من الفضاء فبعض الأقمار الصناعية العسكرية وبعض سفن الفضاء فيها محركات تعمل بالطاقة النووية . فمنذ سنوات قليلة سقط قمر صناعي سوفيتي من طراز « كوزموس » فوق كندا . وقد ظل البحث عن أجزائه بين كثبان الجليد مدة تزيد عن ستة شهور وتكلفت عمليات البحث عنها عدة ملايين من الدولارات .

والحقيقة المجردة أن الحوادث تعتبر أمراً عارضاً ، كما يحدث للسيارات والطائرات ، ولكن بالنسبة للمفاعلات فهناك فرق ، لأن الاشعاع النووي عواقبه مدمرة ، ونتائجه وخيمه . لأن تكنولوجيا الطاقة النووية ، لم يحكم الانسان السيطرة على كل أبعادها بعد ، ومازالت قدراته العلمية دون التغلب على كل أضرارها .

■ السيطره على المواد النوويّة كالسيطرة على مارد ألف ليلة وليلة في قمقم ، ومصيره أن يُطيحَ بكل ماحوله

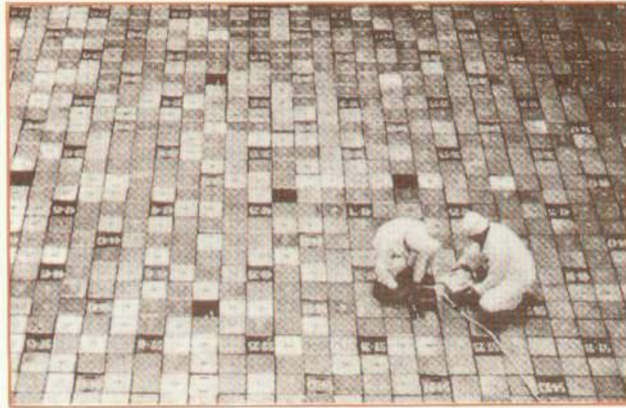
■ من المواد مايظل مُشعًّا لعِدَّة قرون وبعضها تتوقف إشعاعاته خلال ساعات

المفاعلات النووية وأنواعها

لكي يقام مفاعل نووي في أي دولة غير الدول الكبرى ، فإن الأمر يقتضي بعض الترتيبات التي يمكن أن يقال انها تصل إلى الوقوف في طابور طلب الاستئذان في الانضمام إلى ما يطلق عليه اسم « النادي الذري » وعضوية هذا النادي ليست مطلقة ، ومن مقتضياتها أن يخضع المفاعل لنوع من التفتيش بواسطة الوكالة (الدولية للطاقة الذرية) ذلك



ملابس خاصة للوقاية من الاشعاعات



قضبان التحكم في المفاعل السوفيتي

أن قلب كل مفاعل لابد أن يحوي المادة النووية القابلة للانشطار وهذه المواد النووية المشعة مواد نادرة الوجود في الطبيعة ، وتفرض على تداولها قيود دولية . كما أن استخراجها من الأرض واستخدامها في الصناعة يتم بإجراءات معقدة . والدولة التي تمتلك مواد مشعة تمتلك ثروة غالية القيمة . في بعض المستعمرات الأفريقية مثلاً تتم عمليات استخراج لهذه المواد النووية في سرية وبأساليب ملتوية لا يدركها أهل البلد أنفسهم . بل أن بعض الدول الكبرى تتشبث بمستعمرات لها ، من أجل هذه المواد النووية بالتحديد لأنها نادرة الوجود .

وتمثل المواد المشعة حجر الزاوية في قلب المفاعل ، ففيها يتم تحويل الطاقة النووية إلى طاقة احرار ، يقذف نوايا ذرات المادة المشعة بالنيوترانات فتحدث انشطاراً في ذراتها يؤدي في النهاية إلى ارتفاع مهول في درجة الحرارة تعجز ملايين الأطنان من المواد البترولية أو المواد المشتعلة عن توفيره . وبالتالي فانه يلزم أن تتوفر عملية تبريد لتهدئة هذه الحرارة المتأججة في قلب المفاعل . وذلك قبل أن تستغل درجة الحرارة العالية في التحول إلى بخار يمكن أن يدير مجموعة توربينات لتوليد الطاقة الكهربية .

ولقد كانت درجة حرارة قلب المفاعل السوفيتي الذي احترق ٤٠٠٠ درجة مئوية ، وهناك طرق تبريد مختلفة ، تستخدم لتبريد قلب المفاعلات النووية ، وعلى هذه الطرق يتوقف نوع المفاعل .

والمعروف أن هناك طرقاً مختلفة للتبريد ، فقد سبق استخدام التبريد بالماء الثقيل بعد الحرب العالمية الثانية في بريطانيا وهناك التبريد بالماء العادي مع استخدام الجرافيت كمهدىء كما هو الحال في المفاعل السوفيتي الذي احترق وهي طريقة قديمة كما أسلفنا .

كما أن هناك طريقة فرنسية لاستخدام الماء العادي ما زالت مستخدمة إلى الآن . غير أن أحدث وسائل تبريد المفاعلات هي تلك المستخدمة في الولايات المتحدة والتي يستخدم فيها الماء المضغوط .

ولقد أفلحت الولايات المتحدة في تصدير تكنولوجيا التبريد بالماء المضغوط وسمحت بتصدير مفاعلات من هذا النوع خارج أراضيها ، فقد باعت ٣٠ مفاعلاً منها لدول شيوعية .

ولقد استخدمت نفس التكنولوجيا في الاتحاد السوفيتي ، بعد أن أقام عدداً لا يقل عن (٢٥) مفاعلاً تعمل بالجرافيت والماء على غرار المفاعل الذي احترق .

وفي خطة الاتحاد السوفيتي اقامة ٤٨ مفاعلاً جديداً حتى عام ١٩٩٠ ليوفر ١٤٪ من الطاقة المستخدمة فوق أراضيه المترامية الأطراف .

غير أن الفارق الرئيسي بين المفاعل السوفيتي الذي احترق والأنواع الحديثة لا يتمثل في طريقة التبريد فحسب ، بل أيضاً في افتقاره إلى مزيد من وسائل التأمين والتحكم .

وأهم استعدادات التأمين أن المفاعلات السوفيتية ليس فيها المبنى الاحتوائي أو وعاء الاحتواء الوقائي الذي يصنع من طبقات سميكة من الخرسانة المسلحة ويبطن بالرصاص ويكون على هيئة قبة تمثل الحاجز الوقائي الذي يقي المفاعل من هجمات الطائرات حتى لو أسقطت القنابل فوقه .

وإن كان يوجد في العالم حالياً ما يقرب من (٣٧٥) مفاعلاً نووياً موزعين على ٣٢ دولة ، فإن الاحصائيات تشير إلى أن (١٧٥) مفاعلاً أخرى تحت الإنشاء .

وجدير بالذكر أن الاقبال المتزايد على اقامة المفاعلات النووية هو الرغبة في الحصول على طاقة كهربية رخيصة ، هذا بالرغم من أن الثمن الأساسي لاقامة أي مفاعل يعتبر باهظاً ، كما أن متوسط تكاليف تشغيله تبلغ ٣٠ مليون دولار سنوياً ، فضلاً عن أن تكاليف التأمين السنوية تبلغ ثلاثة أمثال هذا المبلغ لأن السيطرة على المارد القابع في قلب المفاعل والمتمثل في انطلاق الطاقة من نوى الذرات تكنولوجياً ما زالت معقدة والسيطرة عليها ليست سهلة .

وتشير الاحصائيات إلى أن أسبق دول العالم إلى استخدام الطاقة النووية هي فرنسا ، حيث تعتمد في توليد ٦٥٪ من الطاقة اللازمة لها على المفاعلات النووية ، ويوجد فوق أراضيها حالياً ٤٤ مفاعلاً بينما يوجد (١٧) أخرى تحت الانشاء . ثم تليها فنلندا ثم السويد فاليابان هذا من حيث نسبة توليد

التلوث بالإشعاعات النووية

الطاقة أما من حيث عدد المفاعلات فإن الولايات المتحدة تستخدم ١٠١ مفاعل ولديها ٢٩ تحت الإنشاء والاتحاد السوفيتي لديه ٥١ مفاعلاً و ٣٤ تحت الانشاء ، وانجلترا فيها ٣٧ مفاعلاً ٢ تحت الانشاء .

وأهم العناصر النووية المشعة المستخدمة في أغلب المفاعلات النووية هي « اليورانيوم ـ ٢٣٥ » التي يتم انشطارها انشطارا متسلسلاً في قلب المفاعل ومادة اليورانيوم الموجودة في الطبيعة يكون تركيز عنصر اليورانيوم ـ ٢٣٥ فيها بنسبة أقل من ١٪ ، فاذا زاد تركيزه عن ذلك فإنها تعرف باسم « اليورانيوم المخصب » .

وفي بعض المفاعلات يستخدم كوقود عنصر « يورانيوم ـ ٢٣٨ » فينتج عن ذلك مادة « البلوتونيوم » التي هي في حقيقتها « يورانيوم ـ ٢٣٩ » وهي مادة استراتيجية تستخدم للأغراض العسكرية .

ويتم التحكم في سرعة الانشطار الذي يتم داخل المفاعلات بواسطة قضبان تحكم ، وفي أغلب المفاعلات المستخدمة حالياً لا يستغل أكثر من ١٪ من الطاقة النووية الكامنة في ذرات المواد المنشطرة .

المواد المشعة

المواد المشعة توجد في الطبيعة مختلطة بالصخور في باطن الجبال أو برمال بعض الشواطئ أو الصحاري . وقد عرفت المواد المشعة منذ عام ١٨٩٥ بواسطة العالم الألماني « رونتجن » الذي يرجع إليه فضل معرفة الأشعة السينية أو أشعة اكس المستخدمة في الطب حتى الآن .

ومن بعده كشف العالم الفرنسي (بيكريل) عن الطبيعة المشعة « لعنصر اليورانيوم » عام ١٨٩٦ .

ثم أثبتت مدام كوري وزوجها عام ١٨٩٨ نظرية استخلاص المواد المركزة الاشعاع كالراديوم والتي تزيد اشعاعاتها (٢ ½ مليون) مرة عن اشعاعات اليورانيوم .

وبعد ذلك رسخت المعلومات عن تحول المواد المشعة إلى طاقة بفضل العالم « اينشتين » الذي رسم للبشرية كيف ينطلق المارد من القمقم بحسابه العلاقة بين المادة والطاقة . وأمام هول ما توصل إليه هذا العالم المبرز واكتشافه امكانية استخراج الطاقة من براثن ذرات المادة التي عجز الانسان عن مشاهدتها تحقق حلم قديم .. عبر عنه المثل العامي « يجعل سره في أضعف خلقه » وتمثل ذلك في معادلة بسيطة في مفرداتها وتركيبها هي :

الطاقة الناتجة من تحول المادة = كتلة المادة × مربع سرعة الضوء .

(ط = ك × س^{2})

ونظراً لأن سرعة الضوء هي أكبر سرعة عرفتها البشرية وتعادل ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة ، فإن الطاقة المتولدة من تحول كتلة صغيرة تعتبر مهولة للغاية .

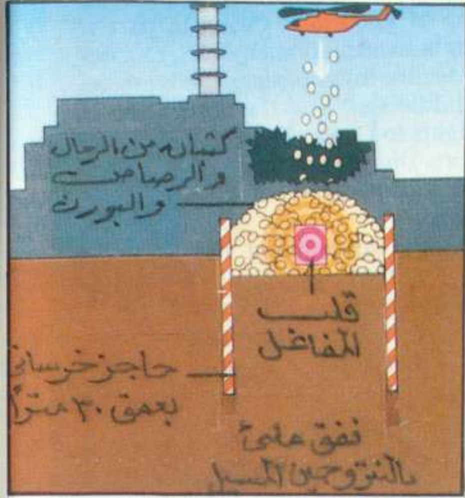
وتمت في الولايات المتحدة تجربة أول قنبلة ذرية في صحراء نيومكسيكو في ١٦ يوليو ١٩٤٥ ، ونتج عنها تدمير شديد وضوء مبهر وحرارة قدرت أنها تفوق أكثر من مليون درجة مئوية . ثم نفذت التجربة في نهاية الحرب العالمية الثانية بانطلاق المارد النووي مزمجراً ومميتاً ومحدثاً خراباً لم يعهده الانسان من قبل على مدى الأجيال السابقة .

فقد محت قنبلتان ذريتان ألقيتا فوق مدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين كل كائن حي فوق رقعة تجاوزت مساحتها ٢٠ كيلو متراً مربعاً وقدر عدد الضحايا بأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ شخص ماتوا لتوهم في المدينتين ، ولكن الذين لقوا حتفهم كانوا أسعد حظاً من الذين بقوا أحياء فهؤلاء قد ذاقوا ألواناً من العذاب وتجرعوا آلاماً لم يعرفها البشر من قبل ، وظل بعضهم يعاني من العذاب والتشوهات عشرات السنوات ، وانتشرت في أغلبهم أورام السرطان ولوكيميا الدم .

ولقد تعارف العلماء على أنواع الاشعاعات التي تصدر من المواد المشعة وهي :

■ العالم اينشتاين هو الذي وضع معادلة استخراج الطاقة من نواة الذَّرّة

■ أخطار الإشعاعات النوويّة تتراوح بين القيء والإسهال والأورام والموت البطيء



المفاعل النووى

أشعة ألفا :

وهي فيض من الجسيمات المحملة بشحنات كهربية موجبة ولها القدرة على النفاذ بضعة سنتيمترات في الهواء ، أو النفاذ بضع ملليمترات في بعض المواد ، وسرعتها تقرب من $\frac{1}{30}$ من سرعة الضوء أي نحو ١٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة .

أشعة بيتا :

وهي فيض من الجسيمات السالبة التكهرب تعرف بدقائق بيتا وسرعتها تقرب من سرعة الضوء ولذلك فهي أكثر قابلية للنفاذ في المواد التي تعترضها ، ويمكن أن تحدث حروقاً جلدية ويمكنها كذلك أن تنفذ من الجسم وتحدث اضراراً في أنسجته ، ولكن إذا وجدت أمامها رقائق من المعدن فانها تستطيع أن توقفها .

أشعة جاما :

ويمكن اعتبارها كسيل من الدقائق المتعادلة كهربياً أو حزمة من الاشعاعات الكهراطيسية



القبة الاحتوائية فوق مفاعل نووى

طولها الموجي غاية في الصغر حتى ولا تتعدى لذلك فإن لها قدرة نفاذ عالية في اختراق الأجسام والاشعة السينية.

ومعنى ذلك أن كل مادة مشعة، تتحول إلى مادة أخرى بعد زمن معين لأن المادة الأصلية يعتريها بعض التحلل، وقديماً حاول العلماء تحويل اليورانيوم إلى راديوم ونجحوا في ذلك، وكذلك حولوا الراديوم إلى رصاص، لأن كل عنصر مشع تتفكك نسبة صغيرة من نوى ذراته في كل ثانية، وتتحول إلى اشعاع، فاذا كان نشاط التحول شديدا فان ذلك يتم خلال ساعات، وإذا كان النشاط صغيراً فإن الاشعاع يظل سنوات أو قروناً.

فالراديوم مثلاً عنصر سريع التفكك، الجرام منه يتحول إلى نصف جرام خلال عام ونصف أما اليورانيوم فيتم ذلك خلال ٤٠٠٠ مليون سنة، وكما أمكن للعلماء معرفة طبيعة الإشعاعات، فقد أمكن أيضاً الحصول عليها صناعياً كما حدث بالنسبة للاشعة السينية (اكس)، فإذا وقعت أشعة ألفا مثلا على ألواح من معدن الالومنيوم، فانه يصدر عن ذلك مجموعة من الجسيمات مكونات ذرية تعرف بالبوزيترونات أي الالكترونات الموجبة، لكن إذا أوقف تسليط أشعة ألفا فان الألومنيوم يظل يشع، ومعنى ذلك أن النشاط الاشعاعي يظل متسلسلاً، لأن ذرات الألومنيوم تحولت من حالة الاستقرار إلى حالة الاشعاع.

التلوث الاشعاعي

يختلف عن عملية الانشطار في المفاعلات النووية ما يقرب من ٣٥ عنصراً في حقيقتها نظائر مشعة مختلطة، وكلها ذات نشاط اشعاعي شديد، وصداها نظائر عناصر الروبيديوم، والسيزيوم والاسترونشيوم، والباريوم والجارولينيوم والزكينيوم والنيوبيوم والموليبدنيوم.

والحقيقة أن نظائر العناصر أصبحت كثيرة العدد وتقرب من ٢٠٠٠ نظير أكثر من ثلاثة أرباعها مشع.

ولقد تعارف العلماء على قياس النشاط الاشعاعي بوحدة يطلق عليها اسم «الرونتنجن» نسبة إلى العالم الألماني مكتشف أشعة اكس.

والمعروف أن هناك اشعاعات طبيعية تأتي من الفضاء الخارجي نتيجة لحدوث الانفجارات في الشمس وملايين النجوم الأخرى التي حولنا وتصل إلى سطح الأرض، وقد اطلق العلماء عليها اسم «الأشعة الكونية» «cosmic rays» ويمكن أن يتحمل جسم الانسان منها ما قدره ٢ رونتنجن بلا ضرر، بينما يتعرض سكان المناطق الجبلية إلى قدر أكبر من هذه الاشعة بين ٢٠، ٤٠ رونتنجن، ومن المعروف أن جسم الانسان يستطيع أن يتحمل جرعات من الاشعاعات الصناعية على فترات متباعدة، ولكن الجرعات المركزة منها تميت.

ولقد توصل العلماء إلى وحدة أخرى تقيس تأثير الأشعة على أنسجة الجسم، وأطلقوا اسم «ريم» (rem) والانسان يمكنه أن يتحمل اشعاعات من الطبيعة تحدث (١٠٠) ريم مضافاً إليها اشعاعات صناعية تحدث (٨٠) ريم، ولكن إذا كثرت الاشعاعات عن (١٠٠) ريم فمن المؤكد أن الجسم يصاب بالأمراض.

ويمكن تقسيم تأثير الاشعاعات الصحية إلى درجات على النحو التالي:

من ١٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ ريم:

تحدث تغيرات جوهرية في الدم تظهر خلال ١٤ يوماً وتكون فرصة الموت محققة بنسبة ١٠٠٪

من ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ ريم:

يحدث انخفاض في عدد كرات الدم البيضاء، وتظهر تسلخات وفقاقيع على الجلد خلال مدة بين ٤، ٦ أسابيع، وتكون احتمالات الموت بين ٨٠، ١٠٠٪

من ٢٠٠ إلى ٦٠٠ريم:

يحدث انخفاض في عدد كرات الدم البيضاء، وتظهر تسلخات على الجلد وتكون احتمالات الموت بنسبة ٥٠٪

من ١٠٠ إلى ٢٠٠ ريم:

ينخفض عدد كرات الدم البيضاء، ولا تظهر أعراض سريعة على الجسم ولكن احتمالات الاصابة بالسرطان بعد مدة طويلة كبير.

أقل من ١٠٠ ريم:

تظهر أعراض الدوخة، والقيء، ولا توجد هناك أخطار.

نخلص من ذلك إلى أن التلوث الاشعاعي أصبح على قمة ألوان التلوث التي تتلف البيئة، لأن عواقبه المرضية وأثره على الصحة وخيم، وتداركه بالعلاج الطبي غير مجد، أو بطيء.

سعد شعبان

هامش

- رئيس تحرير مجلة المهندسين بالقاهرة.
- عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس.
- عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمى بالقاهرة.
- جائزة الدولة في تبسيط العلوم.

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

مدارس للكبار والصغار

الأمهات مدرسة ، والآباء مدرسة ، والأقارب مدرسة ، وسكان الحي مدرسة ، وأهل المدينة والقرية مدرسة ، والعصي مدرسة ، والكتب والصحف والمجلات والاذاعات والتلفزيونات مدرسة .

كل ما هو موجود على سطح الأرض مدرسة لا مهمة لها إلا تعليمنا ، ولم نكن بالكسالى ، انما كنا التلامذة النجباء الذين يهرعون من المهد إلى اللحد من امتحان إلى امتحان ، وعند الامتحان يكرم المواطن أو يهان ، وبعضنا أهين ، وبعضنا لم يكرم .

تعلمنا كيف نتكلم ونزحف ونبصر ونسمع .
تعلمنا كيف نسير على الأقدام والأيدي والرؤوس .

تعلمنا كيف نمضغ الطعام ونطحنه بالأسنان والأضراس ونبتلعه ، فإذا لم نجد أيّ طعام ، لا نتذمر ونحتج ونثور ، انما نأكل الهواء ، والهواء كثير ورخيص الأسعار .

تعلمنا كيف نضحك ، ومتى نضحك ، ولماذا نضحك ، ملتزمين بتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية .

تعلمنا كيف نحب ونعشق ، وتعلمنا الألفاظ الوطنية الحماسية التي يستحسن أن تقال لمن نحب ونعشق .

تعلمنا كيف نمرض ونموت ونستكين ونطيع .
تعلمنا كيف نصفق كأن لكل واحد منا ألف يد .
تعلمنا الكثير ، وكل سنة من سني حياتنا تعلمنا المزيد مما لا نعلم ، وترشدنا إلى ما هو مباح لنا وما هو محظور علينا .

ومن يعرف المباح ينجح في الهرب من تجرع كأس المنايا .

مباح لنا أن نبصر الفيل نملة والنملة فيلا .
مباح لنا التحدث بسوء عن أصدقائنا ، ومباح لأصدقائنا أن يردوا علينا أقسى رد .

مباح لنا أن نختار بحرية مطلقة فريق كرة القدم الذي نرغب في مؤازرته ومتابعة أنباء انتصاراته وهزائمه كأنها أنباء الفتوحات العربية .

مباح لنا أن نندد باسرائيل تنديداً ضارياً يعتمد على اللسان لا على السلاح .
مباح لنا أن نسكت متى نشاء ، ومباح لنا بأن نطالب باصدار قوانين تدفن ما تبقى من حريتنا ، فالحرية تؤدي إلى الفوضى ، والفوضى لا تخدم إلا أعداء البلاد .
مباح لنا أن نبني السجون بوصفها بناء غد أفضل للوطن . مباح لنا أن نهرق دمنا من أجل إلالغاء حقوقنا وزيادة واجباتنا ، فالمواطن الصالح يعطي فقط ولا يأخذ .

الصيف موسم الإجازات

قال صحافي ناشىء شديد الحماسة لمهنته : « لما كان الصيف هو الفصل الذي يختاره كثيرون لنيل ما لهم من إجازات مستحقة وفق العادات والقوانين والأنظمة المعمول بها ، فقد سألت مواطنين ذوي مستويات فكرية وثقافية متباينة ، ويعملون في مهن مختلفة السؤال التالي :
— كيف أمضيتم اجازتكم السنوية ؟
وكانت أجوبتهم كما يلي :
جواب وزير سابق : « أمضيت أجازتي في الصلاة والتضرع إلى الله جلّ جلاله بأن يعيدني إلى الحياة السياسية وزيراً أو رئيس وزراء كي أخدم شعبي وأهلي ووطني ومعارفي وأشارك في خراب البلاد واسعاد العباد » .

جواب مذيعة تلفزيونية تبجل الثياب وتبغض سيبويه وأنصاره وصوتها صوت دجاجة :
« تمتعت هذا الصيف بأجازتي السنوية متعة لا نظير لها ، وهذا ليس بمستغرب ، فأنا جميلة مرحة كريمة وزوجي كريم مقدام متسامح ، وأصدقاء زوجي كرماء أصحاء أقوياء ، وقد تنقلت بين عواصم الدنيا كأني في بيتي أنتقل من مطبخ إلى حمام ، ولكن ضميري يؤنبني الآن لأن المشاهدات من النساء حرمن في أثناء غيابي عن الشاشة الصغيرة مثلهن الأعلى ، وفقدن القدوة الصالحة في ارتداء الأزياء الحديثة من الثياب ، وبات منظورهن كخادمات ارتدين ثياب سيداتهن ، وكثرت حوادث الطلاق . ولا لوم على الرجل ، فالفتنة تضيع قيمتها وينعدم تأثيرها إذا لم يزينها الثوب المناسب . ولا شك في أن الضرر لم يصب النساء فقط ، ولابد من أن المشاهدين المعجبين بي مزقوا الثياب حسرة ولوعة واشتياقاً ، وهل هناك في الزمن الحالي مصاب أكثر هولاً من تمزيق ثياب وشراء بديل عنها ؟ » .

جواب فقير قانط يتناسى انتصارات الشعوب الجمة وهزائم الاستعمار المنكرة : « في كل يوم من أيام اجازتي كنت أزور قبري أبي وأمي ، وأنظر اليهما بحسد » .

جواب صحافي اشتهر بتواضعه الشديد : « لم أنل اجازتي في هذه السنة إذعاناً لمشيئة القراء ، فإذا حرموا مني فمن ذا الذي سيثقفهم ويوعيهم ويرشدهم إلى الطريق المستقيم والطريق المتعرج ؟

إنهم سيصبحون ضحايا لأضاليل الطوابير الخامسة ، وسأكون آنذاك وحدي المسؤول عما حلّ بهم ولن يغفر التاريخ لي » .

جواب ممثل فكاهي : « أنا أحتاج إلى مستشفى مجانين ولا أحتاج إلى إجازة ولا أستحقها لأني فاشل في عملي فشلاً مخزياً ، فما أن أنجح في إضحاك فرد حتى ينجح غيري في إبكاء شعب » .

جواب أديب يكتب وهو نائم : « هذا زمان الاجازات المعجزات ، فأنا أكثر موهبة من تولستوي ومالرو وفولكنر والمتنبي وأنيس منصور ، وألفت من الكتب ما يكفي لتشييد مبنى من طابقين ، ومع ذلك ظلت الشهرة التي أطمع في نيلها بعيدة عني ، ولكن النشاط الابداعي والاعلامي والاعلاني والرياضي لزوجتي ابان شهر الاجازة منحني ما أصبو إليه من شهرة مدوية » .

جواب مطرب جديد : « جئت إلى لندن ، وتبين لي أن ما سمعته عنها ليس كذباً ، فهي العاصمة العربية التي تشجع الفن العربي وترعاه ، فكل من صاح وصرخ عومل فوراً كأشهر مغن ، ووهب ألقاب المغردين ، فهو العندليب والبلبل والشحرور والحسون ، وكانت اجازتي مالاً ودلالا » .

جواب رئيس تحرير موظف : « أنا أرتعد فرقاً وأتأجج غضباً كلما نمى إلى سمعي كلمة « اجازة » ، فمنصب رئيس التحرير أمنية وحلم ومطلب الأنام أجمعين ، وإذا نلتُ اجازتي فقد أعود إلى مكتبي لأجد غيري جالساً على كرسيّ بدلاً مني ، وكل من لا يحرس كرمه ليل نهار ويدافع عن ممتلكاته بكل الأسلحة يغري اللصوص بنهبه والسطو عليه » .

جواب سياسي يؤمن بأن الكلام إذا كان ناجحاً تحول إلى حقائق وأحداث تاريخية : « من المألوف لديّ أن أكرس اجازتي السنوية لأداء المهمات السرية العسيرة ، في اجازتي السابقة ، كنت قائد ثورة أكتوبر الروسية ، وساعدت كاسترو في الاستيلاء على كوبا ، ونحيت الجنرال ديغول عن رئاسة جمهورية فرنسا لأن أنفه ليس وسيماً ، وطردت الأمريكيين من فيتنام ، وفي أجازتي لهذه السنة حررت أفغانستان ، ولم تصل بعد أخبار تحررها إلى أجهزة الاعلام ، وفي أجازتي القادمة سأحرر فلسطين الحبيبة » .

جواب مفكر معجب بزوجة جاره وحكومة بلاده : « الاجازة السنوية ؟! إنها وسيلة من وسائل الامبريالية لإلهاء الشعوب ومنعها من العمل من أجل استكمال بناء استقلالها الاقتصادي والسياسي والثقافي » .

جواب موظف صغير : « اللعنة على الأجازات كافة ! في أجازتي لم أفعل شيئاً سوى الجلوس . جلست في البيت فتشاجرت مع زوجتي وأولادي شجاراً جعلهم ينظرون اليّ على أني بلفور . جلست في المقهى وتناقشت مع أصدقائي حول شؤون سياسية وقلت ما يشبه الصدق ، فابتعدوا عني بفزع كأني مصاب بالكوليرا والايدز . جلست في حديقة عامة ، فظن حارسها أني شحاذ ذو ملابس حسنة » .

جواب أستاذ جامعي مرموق : « الحمد لله لأن اجازتي السنوية طويلة ، ونجحت في تكريسها من أجل دعم موازنة البيت وتطوير ثقافتي كمرب للأجيال الصاعدة ، فاشتغلت شهراً سائق واشتغلت في بقية أيام الاجازة بائع بطيخ » .

جواب زكريا تامر وهو أديب يحارب غباراً : « لو نلت أجازتي السنوية كغيري من عباد الله لفرح قراء « الدوحة » شهراً ولحزنوا أحد عشر شهراً ، ومن المستحسن أن لا يفرحوا ، فالفرح من المبادئ الهدامة المستوردة ، والحزن من تقاليد العرب الأصيلة » .

أما الصحافي الناشيء الذي كتب الأجوبة السابقة ، فقد قال : « ضاعت اجازتي ، وخسرت ورقاً ولم أربح سوى الصداع » .

وطن المقصرين

مساكين نحن . لنا ماض ، ولنا حاضر ، ولا مستقبل لنا لأننا مقصرون ، وأوطاننا أوطان المقصرين .

ولو تولت محكمة نزيهة محاكمتنا لأصدرت علينا أحكاماً قاسية تجعل الأفئدة أقداماً حافية تمشي على شوك .

الأدباء مقصرون ، فهم يصورون الفيل ذيل فأر ، بينما الأديب الملهم يصور ذيل الفأر فيلاشرساً ، سفاكاً للدماء .

قادة الجيوش مقصرون ، فالعدو الذي يستنفر قواه ويهاجمنا حالماً باحتلال مدينة ، يباغت بأنه يحتل مدينتين ، بينما الثقة بالنفس تقضي بإرغامه على احتلال أربع مدن على الأقل ، والمدن العربية كثيرة ، والواهب بسخاء لا يندم إذ يخسر أرضاً يربح الصيت الحسن ، والفارق كبير بين الخسارة والربح .

المسؤولون مقصرون أفدح تقصير ، فالمسؤول غير المقصر تنحصر مهمته في افناء مواطنيه ، وهاهم المواطنون يتزايد عددهم ، وازديادهم يجلب مشاكل لا حل لها حالياً .

الغربان مقصرة لأنها تنعب صائحة : قاق قاق ، ولا تنعب قائلة بحماسة : عاش عاش ، احتراماً لفئة من الناس ، تؤمن بأنها يحق لها وحدها أن تعيش ولا يحق لغيرها إلا الهلاك .

الاذاعات مقصرة ، فهي تحاول اقناع المواطنين بالتخلي عن عقولهم وآذانهم ، ولكن المواطنين ما زالوا يملكون بقايا عقول وبقايا آذان ، تنصت وتفكر وتتعذب .

الصحف والمجلات مقصرة ، فهي تخدم أصحاب النفوذ الكرماء ، ولا تخدم المواطن ، ولو كانت تمارس واجبها الاعلامي المسؤول لتطورت التطور الذي يؤهلها لأن تؤذي المواطن أذى يجعله ينظر إليها نظرة الأشجار الخضراء إلى الجراد .

الجوع مقصر ، فلماذا يميت ويهين ويروض فقط من غير أن يحاول حض ضحاياه على أن تتحول إلى وحوش مفترسة يفترس بعضها بعضها الآخر ؟

المواطنون المعوزون مقصرون لأنهم مزمعون على الاستمرار في الحياة ، ولا شيء في الحياة إلا الغبار والرماد .

العصافير التي تطير مقصرة ، فطيرانها أثار حسد الناس لها ، وكانت السبب في اختراع الطائرات ووفاة عباس بن فرناس ، ولو نبذت أجنحتها وزحفت لتسابقت الدول على منحها الجنسية الفخرية .

الاعلانات مقصرة ، فهي تذل الصحافة من دون أن تجعلها تقدم على الانتحار مبتسمة .

الخراف مقصرة ، فالمواطن الفقير يأكل أحياناً لحومها وعظامها بينما ينبغي للخراف أن تأكله تطبيقا للمبدأ القائل ان البقاء للأقوى .

مربو الأجيال الجديدة مقصرون إذ يكتفون بتحويل المدارس إلى مخافر شرطة ولا يحولونها إلى أماكن لها صفات السجون والملاهي .

رغيف الخبز مقصر ، فهو سيف يستخدم في مطبخ لتقطيع البطاطا والبصل بينما قد وجد ليزهق الأرواح .

المهندسون مقصرون ، فهم يشيدون أبنية تتداعى وتنهار بعد سنة ، ولا تنهار بعد أسبوع .

أزهار الحقول والحدائق مقصرة ، ومن واجبها الاعتذار والاختفاء لتحل محلها الأزهار الصناعية ، وعندئذ تتضاءل البطالة ، ويجد رأس مال ما فرصة مناسبة كي ينمو ويشب .

لون السماء الأزرق مقصر ، وإذا أراد النجاة من تهمة التقصير ، فعليه ارتداء ثياب الحداد تعاطفاً مع قضايا مصيرية لا نصير لها ، وتعادي وتحارب باسم الرغبة في الاستشهاد في سبيلها .

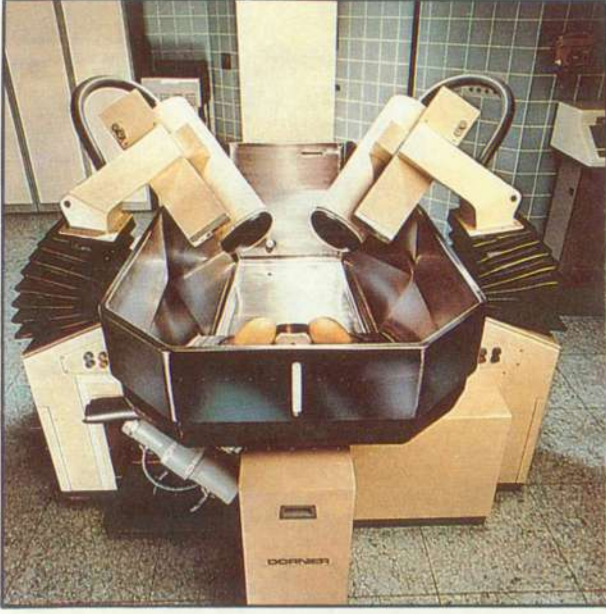
الآباء مقصرون ، فهم يربون أطفالهم تربية تمنحهم القدرة على أن يصبحوا في المستقبل خدماً لقاء أجر بينما التربية المثالية تقضي بأن يكونوا خدماً بلا أجر .

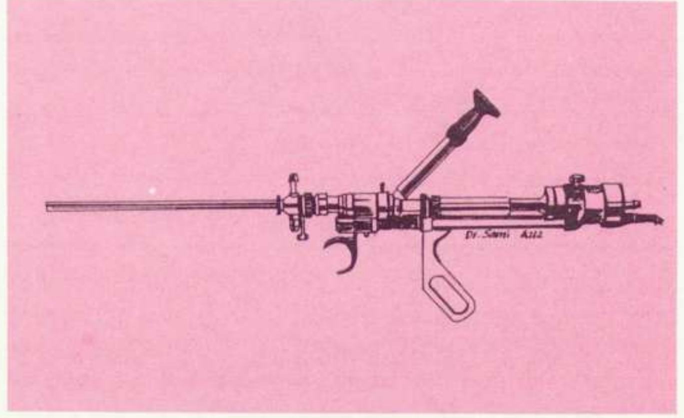
ريغان وغورباتشوف مقصران لأنهما لم يحررا فلسطين ، ولكن بعضنا لا يزال يعتقد بأنهما سيحرران فلسطين والأندلس .

فإلى متى سنظل مقصرين ؟

وهل سننجح يوماً في النجاة من أي اتهام بالتقصير ؟

ولما كانت أية محاولة لايجاد جواب عن هذين السؤالين مضطرة إلى أن تكون مقصرة ، فمن الأفضل الفرار منها ، والفرار أحياناً ليس عاراً .


تحطيم الحصوات بالموجات فوق الصوتية


جهاز تفتيت الحصوة باستخدام الموجات الصدمية

الطب سنة ٢٠٠٠؟

وداعًا لمبْضع الجرَّاح!

بقلم: الدكتور سامي عزيز

في عصر زراعة الأعضاء والقلوب الصناعية، وفي قمة النجاح والسعي نحو المزيد... نجد الطب الحديث وتكنولوجيا العصر يرفضان مبضع الجراحة ويقدمان للمريض حلولا سهلة وبسيطة كبديل للجراحة التقليدية، مثل:

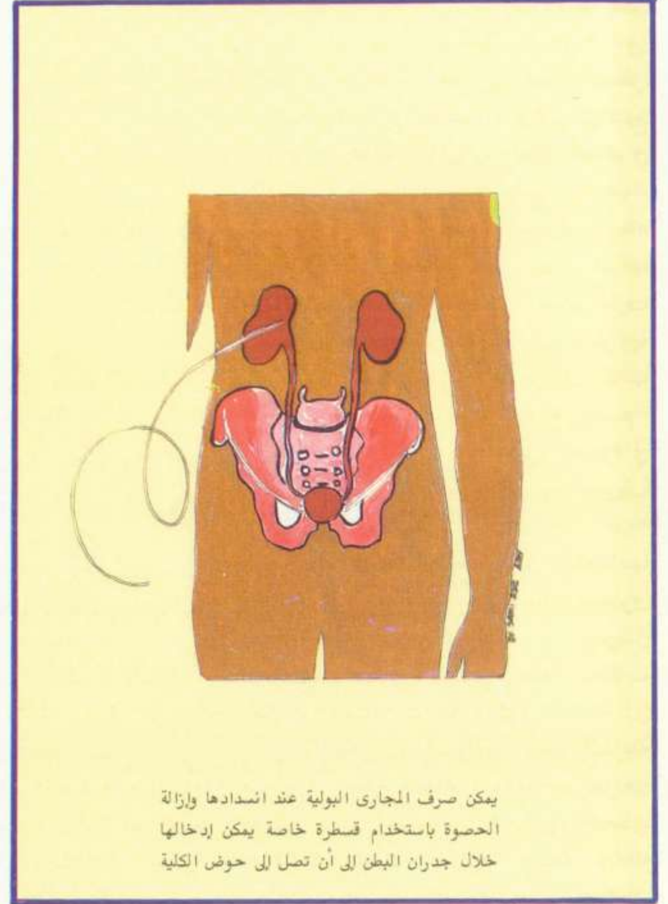
- تفتيت حصى المسالك البولية بالمناظير وباستخدام الموجات الصدمية.
- علاج جلطة الشريان التاجي بالقسطرة وباستخدام مادة الاستربتوكيناز.
- مناظير الألياف الضوئية والعديد من الحلول لمرضى الجهاز الهضمي.
- أشعة الليزر وعالم جديد بلا حدود.
- علاج الانزلاق الغضروفي بالحقن الموضعي كبديل للجراحة.

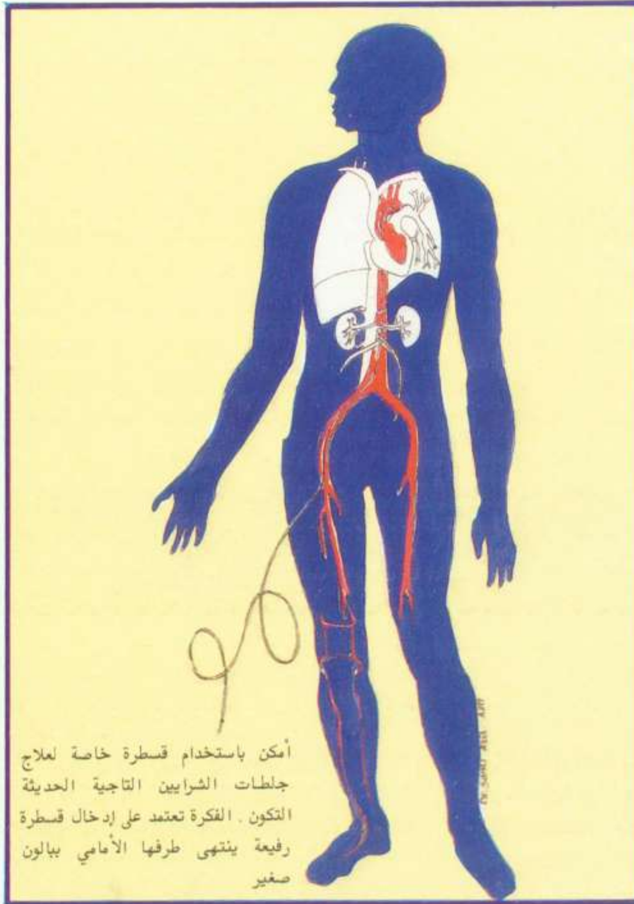
وهى حلول كثيرة أمكن التوصل إليها مؤخرا في مجالات مختلفة دون الحاجة إلى تخدير المريض كُليا أو حتى اضاعة قطرة دم واحدة.. وبدون أى ألم أثناء العملية أو بعدها.

.. ولكن إلى أى مدى يمكن الاعتماد على البدائل الجديدة؟

وهل يمكن تطبيقها في كل الحالات أم أن هناك موانع تتطلب الحل الجراحي؟

ترى كيف يكون الطب الذى يدرس في كلياتنا سنة ٢٠٠٠؟


يمكن صرف المجارى البولية عند انسدادها وإزالة الحصوة باستخدام قسطرة خاصة يمكن إدخالها خلال جدران البطن إلى أن تصل إلى حوض الكلية


أمكن باستخدام قسطرة خاصة لعلاج جلطات الشرايين التاجية الحديثة التكون . الفكرة تعتمد على إدخال قسطرة رفيعة ينتهى طرفها الأمامي ببالون صغير

■ تفتيت حصوات المسالك البولية باستخدام الموجات الصدمية

■ القسطرة تحل مشاكل سرطان البنكرياس وسرطان الحويصلة الصفراوية

تفتيت حصى المسالك البولية

تقدر نسبة الإصابة بحصوات الجهاز البولي في الدول الغربية بنحو ١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ حالة سنويا .. ولأسباب غير معروفة تشير الاحصاءات إلى ارتفاع نسبة حصوات الكلى في الدول المتقدمة ، أما حصوات المثانة البولية فتمثل نسبة عالية فى الدول النامية . ويمثل المغص الكلوى نحو ١,٠٪ من الحالات التى يتم تنويمها في مستشفيات الولايات المتحدة ، ولكن هذه النسبة تعتبر إلى حد ما أقل من المعدلات ، التى نسجلها في مستشفياتنا فى المنطقة العربية (بعض الدراسات أشارت إلى نسبة تعادل ٥,٠٪ ـ ١٪) كما أن الرجال أكثر قابلية من النساء في تكوين حصوات المسالك البولية .

الجديد أنه أمكن مؤخرا التخلص من حصوات المسالك البولية من خلال فتحة صغيرة (٢,٥ سنتيمترا تقريبا) يتم إجراؤها على الجانب المقابل لوجود الحصوة مع الاستعانة بالموجات فوق الصوتية ومصدر للطاقة الكهرومائية ، لتحطيم الحصوات وشفطها للخارج . وتفيد التقارير الصادرة عن مستشفى مايو بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن أكثر من ٩٠٪ من حالات الحصوة التى كانت تعالج في الماضي بالاتجاه الجراحى ، أصبحت الآن تعالج بنجاح بهذه الطريقة الجديدة . والمعروف أن الحصوات المتشعبة الكبيرة ، والتى يصاحب وجودها التهابات المسالك البولية ، يصعب ازالتها جراحيا ، لذلك فالأسلوب الجديد يعتبر بحق ثورة جديدة في عالم الطب . كما أن المريض يمكنه ترك المستشفى بعد ثلاثة أيام ، والعودة للعمل خلال أسبوع من دخوله المستشفى .

في جامعة « ميونيخ » بألمانيا الغربية تم مؤخرا إبتكار طريقة أخرى جديدة لعلاج حصوات المسالك البولية بدون جراحة ..

الفكرة تعتمد على تفتيت الحصوة من خارج الجسم ، باستخدام الموجات الصدمية .. إذ يمكن عند توجيه هذه الموجات على الحصوات تفتيتها إلى مسحوق ناعم يشبه ذرات الرمل ينزل من البول خلال الأيام التالية لعملية التفتيت . وتشير التجارب الأولية إلى أن هذه الموجات قادرة على تفتيت معظم حصوات المسالك البولية بغض النظر عن تركيبها الكيميائى أو درجة تماسك ذراتها .. كما أن معظم أنسجة الجسم وكريات الدم الحمراء والبيضاء ، لا تتأثر بأى ضرر عندما تعترضها هذه الموجات أثناء عملية التفتيت . وغالبا ما

وداعـــا لمبضع الجراح !

يتمكن المريض من مغادرة المستشفى بعد ٣ ـ ٥ أيام من دخوله المستشفى ، وبذلك يمكن بهذه الطريقة التخلص من حصوات المسالك بدون أى تعب أو ألم يذكر ، ودون الحاجة إلى تخدير المريض بمخدر عام ، إذ غالبا ما يتم تخدير المريض نصفياً (لوحة رقم ٢) .

والفكرة الاساسية للموجات الصدمية ترجع الى سنة ١٩٦٦ ، ففي ذلك الوقت وبالتحديد في وزارة الدفاع الألمانية تم دراسة أهمية هذه الموجات فى الاستخدامات العسكرية مثل تأثير قطرات الأمطار المتساقطة بسرعة كبيرة على الطائرات المقاتلة ودراسة تأثير الهبوط المفاجئ فى المناطق الصحراوية في الأيام العاصفة ، حيث تصطدم حبيبات الرمال بجسم الطائرة بسرعة كبيرة قد تفوق سرعة الصوت ، مما يؤدى إلى توليد الموجات الصدمية التى تحدث بدورها ضغوطا وتشققات في جدران الطائرات .

والحقيقة أن الفكرة الأساسية للموجات الصدمية المستخدمة في تفتيت الحصوات لا تختلف عن ذلك كثيرا ، إلا أن العلماء استطاعوا تطويعها والانتقال بها من المجالات العسكرية إلى المجال الطبي ، وبالتحديد تفتيت حصوات المسالك البولية . وتؤكد الدراسات التى أجريت على أن الماء يمثل وسطا ملائما لانتقال الموجات الصدمية ، لذلك يوضع مصدر الموجات الصدمية في هذه الأجهزة تحت الماء كما أن المريض المراد علاجه يرقد في حوض خاص يملأ بالماء .. أما الموجات الصدمية فيتم توليدها بواسطة التفريغ الكهربائى وبواسطة أجهزة خاصة ، يتم تركيز هذه الموجات لتسقط متجمعة على حصاة المريض بالضبط .

أما آخر هذه الاتجاهات الجديدة للتخلص من الحصوات بعيداً عن الاسلوب الجراحي ، فقد توصل إليه مؤخرا العالم الطبيب « جرافيث » وعدد من مساعديه ... إذ أمكن باستخدام حامض « الاسيتو هيدروكسيم » (أحد مثبطات أنزيم اليورياز) التخلص من الحصوات المختلفة خاصة التى يصاحب وجودها التهابات المسالك البولية .. إلا أن التجارب الأولية التى أجريت على العقار الجديد تفيد أن العلاج بالعقار الجديد لا يمكن أن يكون بديلا للأسلوبين السابق ذكرهما ، أو حتى للاتجاه الجراحى التقليدي . كما أن الآثار الجانبية المتعددة التى تصاحب استخدامه تجعلنا مرغمين على عدم تفضيله .

لذلك فأهم الدواعي التى تتطلب استخدام العقار الجديد يمكن تلخيصها في :

(١) الحالات التى لا يمكن علاجها جراحيا .. وذلك بغرض الحد من نمو الحصوات وتشعباتها .

(٢) أيضا يفضل استخدام العقار الجديد فى بعض الحالات بعد إزالة الحصوة جراحيا أو تفتيتها بغرض التخلص من بقايا الحصوة التى قد تبقى فى المسالك البولية وتسبب فى المستقبل حصوات جديدة .

من هنا يبدو واضحا مدى التقدم العلمي الذى تحقق في السنوات القليلة الماضية في مجال تفتيت حصوات المسالك البولية ، خاصة الحصوات الكبيرة والمتشعبة ، والتى كان علاجها في الماضى يعتبر مشكلة محيرة يصعب تذليلها .

الوصـــول إلى داخــل البطن .. بدون جراحة

ويتم ذلك في الأحوال الآتية :

• الحالات المصحوبة بانسداد المجارى الصفراوية كما فى سرطان البنكرياس وسرطان الحويصلة الصفراوية .. كيف يمكن علاجها ؟

الجراحة ليست هى الحل الأمثل .. والسبب حالة المريض السيئة التى لا يمكن معها إجراء أى تدخل جراحي .

• الالتهاب الصديدى لأنسجة الكلية المصحوب بانسداد المجاري البولية .. هل يمكن مواجهة هذه المشكلة فى مريض متقدم السن وفى حالة سيئة تمنعه من إجراء أى عمليات جراحية ؟

• حدوث تجمعات صديدية داخل البطن .. كيف يمكن مواجهة هذه المشكلة فى مريض متقدم فى السن ؟

والواقع أنه أمكن مؤخرا تقديم العديد من البدائل لتحل مكان الاتجاه الجراحي .

فباستخدام قسطرة خاصة يتم إدخالها خلال جدران البطن بواسطة ابرة رفيعة يمكن صرف المجاري الصفراوية المسدودة دون اللجوء إلى جراحة .. وحتى لا تضل القسطرة طريقها إلى المجاري الصفراوية فإنه يمكن تتبع مسارها على شاشة تليفزيونية ويمكن التحكم في طرفها الأمامي بواسطة سلك رفيع يتم إدخاله خلال الطرف الخارجي للقسطرة ، ليمتد بطول تجويفها الداخلي حتى يصل لطرفها الأمامي ، وعند التأكد من وصول طرف القسطرة إلى داخل تفرعات المجاري الصفراوية يتم سحب السلك وترك القسطرة فى مكانها لتصريف العصارة الصفراوية خارج الجسم . وربما يتم زرع الطرف الخارجي للقسطرة في الاثنى عشر ، فيما بعد ، حتى يتم تصريف العصارة داخلياً ..

والواقع أن هذه الطريقة يفضل إستخدامها في الحالات المصحوبة بانسداد المجارى الصفراوية مثل سرطان البنكرياس وسرطان الحوصلة الصفراوية .. فى هذه الحالات يستحيل إجراء جراحة وتكون الحاجة إلى تصريف المجاري الصفراوية بهذه الطريقة ضرورية ، حتى يتخلص المريض من أعراض اليرقان التى تصاحب إنحباس العصارة الصفراوية وأملاحـها في جسمه ويمتاز التصريف بالقسطرة على الأسلوب الجراحي التقليدي بالمميزات الآتية :

(١) نسبة الوفيات فى الجراحة ٢٠٪ ، بينما باستخدام القسطرة لا تزيد عن ٢٪ .

(٢) مدة البقاء في المستشفى بعد الجراحة تصل الى ٤٠ يوما فى المتوسط بينما باستخدام القسطرة لا تتجاوز عشرة أيام .

أما في مجال أمراض الكلى فيمكن إدخال قسطرة خاصة خلال جدران البطن ، الى أن تصل الى حوض الكلية ويتم تتبع مسارها على الشاشة كما سبق وشرحنا . كما أن توجيه طرف القسطرة الداخلي يستلزم وجود السلك الرفيع الذى سبق وتحدثنا عنه من قبل . أما أهم الدواعى التى تستلزم العلاج بهذه الطريقة فهي :

(١) إزالة حصوات الجزء العلوى من المسالك البولية وتؤكد التقارير الطبية الصادرة مؤخرا ، على أن أكثر من ٩٠٪ من هذه الحصوات أمكن إزالتها بنجاح بهذه الطريقة .

(٢) صرف المجارى البولية عند انسدادها . (لوحة رقم ٣) .

وبالنسبة للتجمعات الصديدية التى قد تحدث داخل تجويف البطن أمكن باستخدام أجهزة التصوير المقطعي بالكومبيتر ، أوأجهزة الموجات فوق الصوتية تحديد أى تجمعات

صديدية داخل البطن ، كما أمكن باستخدام نوع خاص من القساطر صرف التجمع الصديدى للخارج دون الحاجة إلى أى جراحة . هذه القساطر يتم إدخالها من خلال جدران البطن ، حتى تصل إلى التجمع الصديدى داخل البطن بنفس الطريقة التى سبق شرحها في صرف المجارى الصفراوية . ويمكن بهذه الطريقة تصريف أى تجمع صديدى داخل البطن مثل خراج الكبد ، الطحال والكلية ، أواي تجمع صديدى تحت الحجاب الحاجز أو حول الكلية ، او تحت الكبد ، وتشير التقارير الصادرة من كلية الطب التابعة لجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن نسبة النجاح باستخدام هذه الطريقة تصل إلى ٨٥٪ .

ويمكن تلخيص مميزات الصرف من خلال جدران البطن بالمقارنة إلى الاتجاه الجراحي كالاتي :

(أ) العلاج بالقسطرة أقل خطورة .

(ب) ليست هناك حاجة لبقاء المريض مدة طويلة فى المستشفى كما هو الحال في الاتجاه الجراحي وبذلك فالعلاج بالقسطرة أقل تكلفة .

(جـ) من جهة الفعالية .. بعض حالات إنسداد المجارى الصفراوية ربما يكون العلاج بالقسطرة أكثر فعالية من الاتجاه الجراحي .

حلول غير جراحية لمرضى القلب

تعتبر أمراض الشرايين التاجية وخاصة جلطة الشريان التاجي من أهم أمراض الدول المتقدمة ، ففي الولايات المتحدة الامريكية وحدها تم خلال سنة ١٩٨٣ تشخيص نحو ١,٣ مليون حالة . وبلغت نسبة الوفيات نحو ٥٠٪ خلال العام الأول لحدوث المرض .

العلاج الحالي لهذه الحالات يتم في وحدات العناية المركزية ويستلزم الأمر استخدام أحد المسكنات القوية كالمورفين لتسكين الألم واستنشاق الأوكسجين والراحة فى الفراش . وقد يلجأ الطبيب إلى إستخدام مضادات التجلط ومضادات دخول الكالسيوم وغيرها . ولكن ما هو الجديد في علاج مثل هذه الحالات ؟ .

(١) إبتكر مؤخرا الدكتور « جرونتزج » من زيورخ بسويسرا طريقة جديدة لعلاج أمراض الشرايين التاجية بدون جراحة . والفكرة تعتمد على إدخال قسطرة رفيعة (ينتهى طرفها الأمامي ببالون صغير) فى الشريان التاجي ، وعندما يصل طرفها الأمامي المنطقة المصابة بالضيق ، يتم نفخ البالون الصغير وبالتالي توسيع أى ضيق بالشريان (لوحة رقم ٤) .

(٢) كما أمكن إبتكار طريقة أخرى جديدة لعلاج جلطات الشرايين التاجية الحديثة التكون ، وذلك بإدخال قسطرة خاصة فى الشريان التاجي المسدود وحقن مادة « الاستربتوكيناز » التى من شأنها إذابة الجلطة ، وبالتالى إعادة الدم والأوكسجين اللازم إلى الجزء المصاب من عضلة القلب .

(٣) بالاضافة إلى ذلك توصل العلماء في جامعة واشنطن بالولايات المتحدة الامريكية إلى عقار جديد لعلاج جلطة الشريان التاجي .. العقار الجديد كما يبدو من اسمه (T-PA) Tissue Plasminogen Activator يعمل على اذابة الجلطة المتكونة ، ويتميز بسرعته الفائقة على إذابة الجلطة (في أقل من ٢٠ دقيقة بعد حقنه فى الوريد) كما أن إستخدامه مأمون الجانب ، ولا يتسبب في حدوث أى مضاعفات كما هو الحال مع عقار « الاستربتوكيناز » أو « اليروكيناز » .. ويؤكد العلماء على أن النجاح الذى حققه العقار الجديد وسهولة استخدامه وكونه مأمون الجانب كل هذا يبشر بانقلاب خطير فى عالم الطب .

هذا بالنسبة لأمراض الشرايين التاجية .. أما فى مجال ضيق صمامات القلب (ضيق الصمام الميترالي مثلا) .. أمكن مؤخرا فى مراكز طبية متعددة علاج مثل هذه الحالات بالطريق غير الجراحي .. الفكرة كلها تعتمد على إدخال قسطرة خاصة حتى يصل طرفها الأمامي داخل حجرات القلب (يمكن تتبع القسطرة وهى فى طريقها إلى حجرات القلب على شاشة التليفزيون) ، حتى إذا وصلت القسطرة إلى البطين الأيسر للقلب فإنه يتم نفخ بالون خاص في مقدمة القسطرة . وعند جذب القسطرة للخارج فإن الضغط الحادث من البالون على الصمام الميترالي يحدث بعض التمزق حول فتحته الضيقة ، وبذلك يسمح الصمام لكمية أكبر من الدم أن تنتقل من الأذين الايسر إلى البطين الأيسر وبالتالي تتحسن حالة المريض .

وهذه الطريقة الجديدة التى أبتكرت مؤخرا كبديل للجراحة تبشر بالأمل لفتح الطريق أمام العديد من العمليات الأخرى في القلب .

■ علاج ضيق الصمام الميترالي في القلب بالطريق غير الجراحي

■ إمكانية استخدام أشعة الليزر في التخلص من جلطة الشريان التاجي

■ إزالة أورام القولون بالمنظار الضوئي والخلاص من الانزلاق الغضروفي بالحقن الموضعي

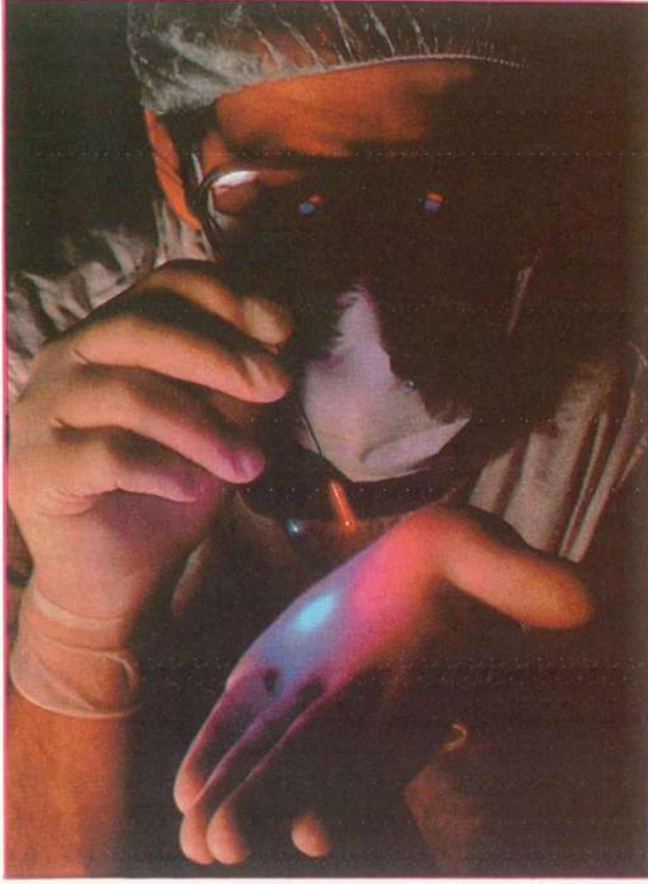
الجديد في أشعة الليزر

ليس المجال هنا التحدث عن أشعة الليزر واستخداماتها ، والمهتم بهذا الموضوع يمكنه مراجعة العديد من المقالات التى نشرت فى المجلات الثقافية المختلفة .. الحديث هنا عن آخر ما نشر عن أشعة الليزر في المجلات والدوريات الطبية ، وهذه الاستخدامات إن دلت على شيء ، فهي تبشر بثورة فى عالم الطب قد تمكنا مع حلول سنة ٢٠٠٠ من التخلص من الاتجاه الجراحي أو على الأقل عدم اللجوء إليه اللهم إلا فى حدود ضيقة جداً .

تؤكد الأبحاث التى نشرت مؤخرا في مجلة « لانست » الطبية على أن أشعة الليزر لها القدرة على تبخير الجلطات الدموية وسدات الأوعية وقد أمكن مؤخرا الاستفادة من هذه الظاهرة ، فباستخدام قسطرة خاصة رفيعة ينتهى طرفها الأمامي ببالون صغير ويمر داخل تجويفها وبطول القسطرة أحد الألياف الضوئية (يصل قطر الليفة الضوئية ٢, ملليمتراً) وعند إدخال مثل هذه القسطرة داخل الوعاء الدموي المراد علاجه ، بحيث يصل طرفها ذو البالون إلى مكان الجلطة ، يُسمح بمرور أشعة الليزر لمدة ٣٠ ثانية بطول الليفة الضوئية .. وتؤكد التجارب الأولية على إمكانية إذابة الجلطات الدموية بهذه الطريقة وإعادة الوعاء الدموى إلى حالته الأولى ، دون الحاجة إلى عمليات جراحية ودون حدوث أى مضاعفات في جدران الوعاء الدموي .

وتجدر الإشارة هنا إلى ما أعلنه مؤخرا مركز القلب التابع لجامعة ستانفورد الامريكية عن إمكانية إستخدام أشعة الليزر فى التخلص من جلطة الشريان التاجي ، ويؤكد الدكتور

وداعـــــا
لمبْضــع الجــرَّاح !



أشعة الليزر لها القدرة على تبخير الجلطات الدموية وسدات الأوعية

« جنزبرج » أستاذ أمراض القلب بالمركز على أن المحاولات الأولى تبشر بالامل . إلا أنه مازالت هناك بعض العقبات التى يجب التغلب عليها قبل تعميم هذه الطريقة الجديدة مثل صعوبة توجيه الأشعة بدقة إلى النقطة المطلوب علاجها دون حدوث ثقب بجدران الشريان التاجي بدلا من تفتيت الجلطة .

كما نشرت « مجلة الجهاز الهضمى الأمريكية » طريقة جديدة لاستخدام أشعة الليزر في علاج نزيف قرحة المعدة والاثنى عشر . والمعروف أن ٤٥٪ إلى ٦٣٪ من هذه الحالات يتحتم مواجهتها بجراحة عاجلة . وتعتمد الطريقة الجديدة على ظاهرة التجلط بالتيار الكهربائى . والمعروف أيضا أن مرور تيار بشدة معينة في النسيج الحي يؤدى إلى تجلط المنطقة المعرضة للتيار مما يوقف أى نزيف منها دون حدوث أى ضرر في الأنسجة المحيطة . وقد أمكن الإستفادة من هذه الظاهرة في علاج نزيف القرحة ، وذلك باستخدام منظار المعدة الضوئى الذى يتم إدخاله من خلال فتحة الفم ، ويمكن بواسطة العدسات المركبة على الطرف الأمامي للمنظار تحديد مكان القرحة ، وحجمها ، وكمية الدم التى تنساب منها . ثم يسمح بمرور أشعة الليزر لمدة معينة بطول الليفة الضوئية المركبة ، مع المنظار ، مما يمكن من ايقاف النزيف . ويعتبر إستخدام أشعة الليزر في هذا المجال من أحدث البدائل التى قدمتها الأبحاث الطبية مؤخرا ويمتاز العلاج بالليزر في قدرته على وقف نزيف القرحة في ٨٠ ــ ٩٠٪ من الحالات .

العلاج بمناظير الألياف الضوئية

الجديد في المناظير الضوئية هو إستخدامها في العلاج كبديل للجراحة فى العديد من أمراض الجهاز الهضمي بالاضافة إلى استخدامها التشخيصى .. والواقع أن العلاج بالمناظير يمتاز على الطرق الجراحية التقليدية بالمميزات الاتية :

(١) يمكن بواسطة المنظار الضوئي الوصول إلى الجزء المصاب وإصلاحه من خلال فتحة طبيعية بالجسم (الفم أو فتحة الشرج) دون اللجوء إلى عمل شق جراحي كما هو الحال فى الاتجاه الجراحي . مما يجعلنا نفضل استخدام المناظير في المسنين أو عند وجود موانع طبية لإجراء الجراحة .

(٢) لا يتطلب إستخدام المنظار الضوئى تخدير المريض كليا .

(٣) إمكانية إستخدام المناظير في وحدات متنقلة دون الحاجة إلى بناء مستشفيات جديدة ، نظراً لأن المريض في معظم الأحيان يعود إلى بيته في نفس اليوم (يمكن إستخدامها في المناطق النائية التى لايوجد بها مستشفيات) .

(٤) يفضلها المريض على الجراحة .

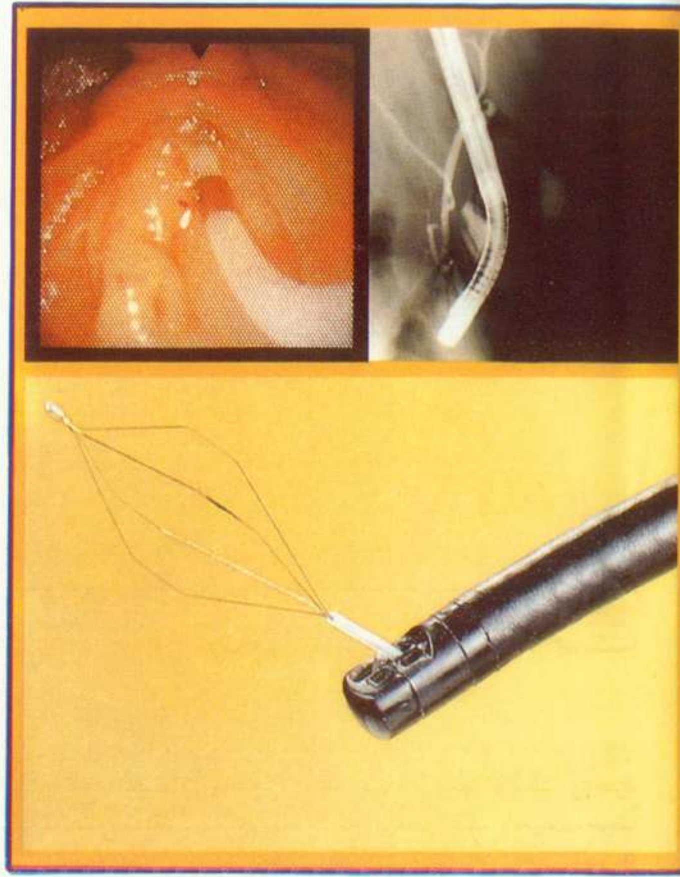
(٥) بالمقارنة إلى الجراحة تعتبر أكثر امانا ومضاعفاتها لا تُذكر من الألياف الزجاجية وسمك الواحدة لا يزيد عن الميكرون (الميكرون = $\frac{1}{1000}$ ملليمتر) ويحيط بجدران الألياف الضوئية من الخارج غلاف من مادة تشبه البلاستيك ومزود عند طرفيه بالعدسات . وتمتاز مناظير الألياف الضوئية عموما بسمكها الصغير (قطرها لا يتجاوز ١٠ ملليمترات) . ويمكن التحكم فى توجيه طرفها الأمامي ، كما أن استخدامها لا يحتاج إلى مخدر عام . وبالمقارنة إلى المناظير المعدنية نجد مناظير الألياف الضوئية قابلة لأن تنثنى مع إنحناءات القناة الهضمية .

أما أهم إستخدامات المنظار العلاجية فيمكن تلخيصها فى الآتي :

أولا : حالات سرطان المرىء المتأخرة ، يمكن باستخدام المنظار توسيع أى ضيق بتجويف المرىء ، كما أمكن مؤخرا باستخدام المنظار وأشعة الليزر التوصل إلى نتائج أفضل خاصة الحالات التى يعاودها الإنسداد بعد إجراء جراحة .

أما حالات نزيف دوالي المرىء فيمكن مواجهتها بنجاح باستخدام المناظير الضوئية ، وذلك بحقنها بمادة خاصة لها تأثير تصلبي مما يعجل بوقف النزيف ، ويمكن إعادة حقن الدوالي مرة أخرى بحسب تقدم الحالة . وتشير التقارير الطبية إلى أن إستخدام هذه الطريقة الجديدة يزيد من معدلات العمر في هؤلاء المرضى بالمقارنة إلى الطرق التقليدية التى كانت تستخدم فى الماضي .

ثانيا : يستخدم منظار الألياف الضوئية



يستخدم منظار الألياف الضوئي حاليا ـ بدلا من الجراحة ـ في علاج إنسداد القناة المرارية (لإزالة حصوات القناة المرارية المشتركة)



أمكن مؤخرا علاج الانزلاق الغضروفي بالحقن الموضعي في الوسادة الغضروفية المصابة

كما سبق وذكرنا في علاج نزيف قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر.

ثالثا: يستخدم منظار الألياف الضوئي حاليا ـ بدلا من الجراحة ـ في علاج إنسداد القناة المرارية (إزالة حصوات القناة المرارية المشتركة) إلا أن إستخدام هذه الطريقة لا يخلو من بعض المضاعفات مثل النزيف أو إلتهاب البنكرياس أو إحداث ثقب بالقناة المرارية أو الإثنى عشر. وتشير الدراسات إلى أن نسبة حدوث المضاعفات في الحالات التي تم علاجها بهذه الطريقة تصل إلى ٧٪، كما أن نسبة الوفيات تصل إلى ١٪ وهى نسبة مقبولة بالطبع.

رابعا: يمكن بواسطة المنظار الضوئي للقولون إزالة أورام القولون الحميدة، وربما إيقاف نزيف القولون.

علاج الإنزلاق الغضروفي بالحقن

أعلن مؤخرا الدكتور «اوجستو سارمنيتو» جراح العظام في جامعة كاليفورنيا الامريكية عن إمكانية علاج الانزلاق الغضروفي بالحقن الموضعي في الوسادة الغضروفية المصابة والمعروف أن هذه الوسائد تسهل حركة الفقرات وتساعد على تثبيتها فوق بعضها كما تفعل المواد اللاصقة التى توضع في البناء. أما أهم وظيفة لهذه الوسائد فهى امتصاص الصدمات التى تصيب العمود الفقري كما في حالات المشى والجري والقفز.

ولكن في بعض الأحيان ومع إشتداد المجهود العضلي وزيادة الثنى والفرد للعمود الفقري قد يحدث تمزق في جدران الغضاريف وتخرج المادة «الهلامية» التى تكون هذه الوسائد عن مكانها فتضغط على العصيبات المكونة «للعصب الوركي» مما يسبب آلاما شديدة تعرف باسم «اللمباجو».

والعلاج التقليدى لهذه الحالات يعتمد على الراحة التامة في الفراش مع تناول بعض العقاقير المسكنة لمدة ثلاثة أسابيع، وقد يحتاج الأمر إلى التدخل الجراحي في الحالات التى لا تتحسن بالعلاج الطبي والطبيعي.

أما الطريقة الجديدة فتعتمد على حقن الوسادة المصابة ببعض الأنزيمات (كيموبابين) التى تعمل على إذابتها مما يخفف الضغط الحادث على العصب، وينهى مشاكل المريض وآلامه.

والواقع أن الطريقة الجديدة تم إستخدامها بالفعل في علاج ٤٠,٠٠٠ حالة، وكانت نسبة النجاح فيها من ٦٠ إلى ٨٠٪. كما أشارت بعض الدراسات الأخرى إلى إستخدام مادة «الكولاجيناز»، ويؤكد الدكتور «جوميتز» أستاذ جراحة الأعصاب في جامعة كولومبيا على أن نسبة النجاح باستخدام المادة الثانية بلغت أكثر من ٨٠٪ كما لم تحدث أى مضاعفات خطيرة من استخدامها.

والواقع أن هذه الابحاث الطبية المتقدمة في مجالات الطب المختلفة تؤكد لنا أن الاتجاه الحالي للعلاج إنتقل من مرحلة الجراحة التقليدية، وأصبحت الوسائل البديلة للعلاج هي شاغل العلماء. فلعلنا نستقبل سنة ٢٠٠٠ مع المزيد والمزيد من هذه الوسائل التى تضمن للمريض الشفاء من مرضه دون أى عناء جراحي.

سامى عزيز

صفحة من تاريخ المافيا

MAFIA

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

لعبت الجمعيات السرية خلال التاريخ أدواراً شتى ، لعل من أبرزها ما قام به أحد أعضاء جمعية اليد السوداء الصربية وهو الطالب جافريلو برتنزيب من اغتيال الأرشيدوق فرانتز فرديناند في النمسا ، مما كان سبباً مباشراً في قيام الحرب العالمية الأولى .

ولقد ظهرت جمعيات سرية كثيرة ، نذكر من بقاياها الجمعيات السرية في ايرلندا الشمالية ، وجمعية كوكلوكس كلان في جنوب الولايات المتحدة .

وبين هذه الجمعيات تقف المافيانسيج وحدها ، فهي تتميز منها في نواح كثيرة ، إذ هي تضم مجموعة عصابات منظمة تفتقد الاشراف المركزي الدقيق ، وتنتظمها علاقات رخوة جداً ، كما أنه لا توجد فيها طقوس للمنتسبين الجدد ، بل يكفي أن يكون المرء قوي الساعد طويل الباع في الاجرام ، ميالاً للقسوة والعنف ، قادراً على أن يضم إليه بعض أنداده ، ليصبح « ذا احترام » ورب أسرة من أسر المافيا . يفرض الأتاوات ويجمع الغرامات ، ويزرع الفساد والارهاب حيث أراد .

ولعل التماثل بين المافيا ومشابهاتها من الجمعيات السرية يبدو في شدة معاقبتها للخونة والخارجين عن سلطاتها وجعلهم أمثولة وعبرة كما يبدو في شدة تعلق أفرادها بمؤامرة الصمت (أوميرتا) .

ولقد نشأت المافيا أول ما نشأت في جزيرة صقلية ، وكان من العوامل المساعدة على تشكلها وجود الاستبداد والطغيان ، وشيوع الفقر والحرمان ، وبسبب المرونة المتأصلة فيها ، استطاعت أن تكبر وتنتشر وتصل إلى العالم الجديد ، الولايات المتحدة ، حتى غدت دولة ضمن الدولة ، مما حدا بالمستر إدجار هوفر رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي ومؤسسه أن ينكر وجودها أصلاً لأنه كان يعلم أن شرطته FBI على كثرة عددها وتنوع عدتها قاصرة عن أن تنتصر في حرب مع المافيا ، ومن هنا كان من الأسهل عليه انكار وجودها وتجاهله .

ومع مرور الأيام أصبحت المافيا واقعاً يعاش ، ونوعاً من الفولكلور ، وظهرت كتب جعلت من رجال المافيا أشخاصاً اسطوريين وأشخاصاً عاديين في آن .

وأذكر من هذه الكتب رواية الأب الروحي أو العراب للمؤلف الايطالي الأصل ماريو بوتزو التي اعتبرت ظاهرة بحد ذاتها . وقد صور كاتب هذه الرواية رجال المافيا على أنهم أشخاص عاديون لا يتمالك القارىء إلا أن يشعر بالتعاطف معهم رغم ما يقومون به من أعمال تخريب وقتل واجرام .

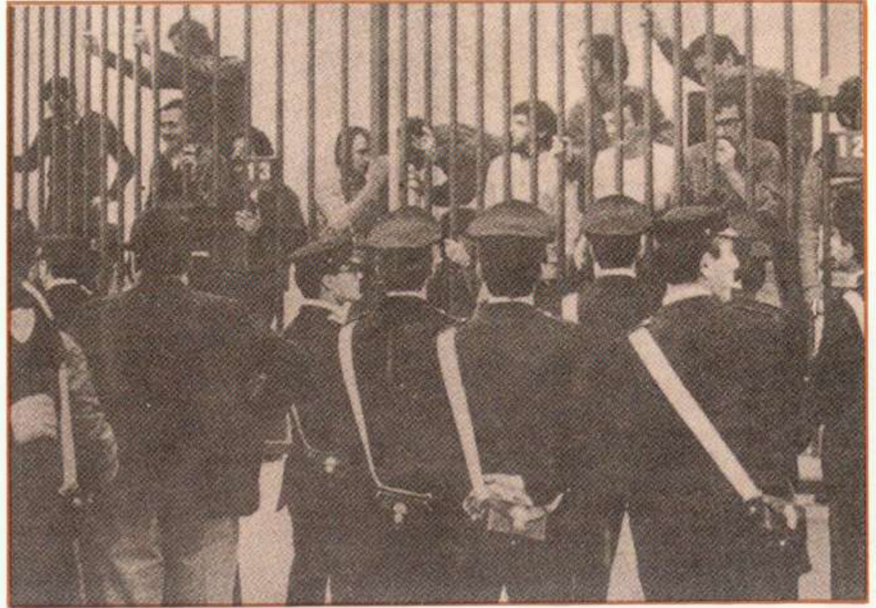
بل إن هذا الكتاب بالخاصة ، أدخل إلى اللغة الأمريكية مصطلحات أصبحت جزءاً من هذه اللغة . منها مثلاً جملة « عرض لا يمكنك رفضه » . وقد وردت هذه الجملة في الكتاب عندما أمسك العراب فيتو كور ليوني مسدساً وجه فوهته إلى صدغ خصمه وقال له بمنتهى الجدية : « أمامك هذه الورقة ، بعد دقيقة واحدة بالتمام سيكون عليها توقيعك أو أجزاء من دماغك » . وسمي ذلك العرض عرضاً لا يمكن رفضه ، حتى أن أحد الوزراء الأمريكيين وهو اليوت ريتشاردسن استعمل هذه الجملة عندما انتدبه الرئيس نيكسون لتسلم وزارة العدل !

وجعل الكاتب أنهاراً من الحكمة والمعرفة بالطبيعة البشرية تسيل من أفواه رجال المافيا ، فعندما أمر العراب الجديد ما يكل كورليوني اتباعه بقتل زوج شقيقته الخائن سأله أحدهم : أما كان من الممكن العفو عنه ؟ . أجاب العراب الجديد : « لقد أذنب في حقنا ، ولو سامحناه نحن فلن يسامح نفسه ، وسوف يظل يسعى ليجلب الضرر علينا ، في ابقائه موتنا وفي موته حياتنا ولابد من قتله » .

وقد غدت رواية العراب والفيلم المقتبس منها ظاهرة خارقة سوف تذكر لأجيال قادمة .

ونعود إلى المافيا ، فقد كان بدء تشكيلها من الحراس المسلحين ، الذين كانوا يستخدمون من قبل ملاك الأراضي لحمايتهم ، وعندما تشتت شمل ملاك الأرض اتخذ الولاة من هؤلاء الحراس حماة لهم وليحافظوا على الأمن ، فكان أن احتكروا وحدهم اللصوصية والاجرام ، وصاروا يجمعون الاتاوات ويرهبون الناس . ومن خالفهم عرض نفسه وممتلكاته وعائلته لأشد الأخطار . فمن اغراق المزروعات واحراقها إلى تدمير البيوت وقتل الآمنين .

وكانت نشأة المافيا في جزيرة صقلية ،



محاكمة المافيا



موسولينى الذى حاول القضاء على المافيا

هاجم موسوليني "المافيا" في أقوى معاقلها ولكنها استعادت نفوذها بعد الحرب العالمية الثانية

حيث تعود الناس على عدم الثقة بسلطة الحكومة من جهة ، كما طال استهدافهم للظلم والطغيان من جهة أخرى . فصار المواطنون يتحدون الحكومة ، ولا يعولون عليها البتة في تحقيق العدالة واحقاق الحق ، وأصبحت مؤامرة الصمت (أوميرتا) أمراً مقدساً من خالفه عرض نفسه لانتقام المافيا ، وأساء إلى سمعته فغدا مذموماً مدحورا ، واعتبر خائناً مارقاً . فكان الواحد من الناس يرى المافيا الرجل « ذا الاحترام » يقتل القتيل أمامه فينكر أنه رأى شيئاً . وكان المواطن يرى عضو المافيا السارق يسرق فيقسم أنه لم يره . وإذا أساء أحد الرجال « المحترمين » إلى شخص ما أسرع هذا الشخص بالاعتذار إليه وكأنه هو المسيء والمذنب .

وهكذا كان المجرم يستطيع أن يرتكب أشنع جريمة أمام الشهود ذوي العدد وهو واثق أكيد أن أحداً منهم لن يتجرأ على التقدم بشهادته إلى الحكومة والقضاء ، وماذا تستطيع الحكومة أن تفعل على كل حال ؟

وجاء موسوليني فقرر أن يستتب الأمن في صقلية ، وأن يقضي على عصابة المافيا فيها قضاء مبرماً . فخول سيزار موري حاكم بالرمو ــ عاصمة صقلية ــ سلطة مطلقة . وارتأى هذا الحاكم أن يهاجم المافيا في أقوى معاقلها ، في القرى الجبلية التي كانت تتخذها بيوتاً وحصوناً ومخازن للمسروقات والتي كانت تحوي الشيء الكثير من الأقبية والمخابىء والسراديب والأبواب السرية . وجند حملة كبيرة أخذت تحاصر هذه القرى وتسد عليها المسالك وأخذت الشرطة تحتل منازل « الرجال المحترمين » وتصادر المسروقات التي تجدها عندهم ، ثم تعرضها للبيع بأبخس الأسعار . وأخذ رجال الشرطة يذبحون الماشية المسروقة ويبيعون لحمها للناس بأثمان مضحكة . وكان الناس بادئ ذي بدء يخافون من الشراء . ثم قويت عزائمهم وأخذوا يقبلون على الشراء وهو يسخرون من رجال المافيا المختبئين في أعالي الجبال ، بينما تستباح أموالهم وممتلكاتهم . وأخذ « الرجال المحترمون » يستسلمون ويتساقطون ، وصار الأهالي يهاجمونهم ويساعدون الحكومة في القبض عليهم ذليلين خائفين وهم الذين طال ما صعروا خدودهم وشمخوا بأنوفهم .

واستسلم الرجال وكادت المافيا أن تختفي من ايطاليا ولكن ذلك كان إلى حين . فقد جاءت الحرب العالمية الثانية واستعان الحلفاء ببعض رجال المافيا الذين كوفئوا بعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء على موسوليني بأن استعادوا بعض مواقعهم السابقة . وفي الوقت نفسه هرب كثير من رجال المافيا إلى العالم الجديد حيث أخذوا يتابعون نشاطاتهم الاجرامية في السيطرة على أوكار القمار وأماكن البغاء وعمليات تهريب المخدرات ، ويفرضون الاتاوات والضرائب ويقومون بأعمالهم خارج نطاق القانون في كل مجال يخطر على البال أولا يخطر .

ثم تطور الوضع وأخذت بعض الأجيال الجديدة من المافيا تسير في ركاب القانون ، وتستثمر الأموال التي اكتسبتها حراماً في مجالات مشروعة قانونية .

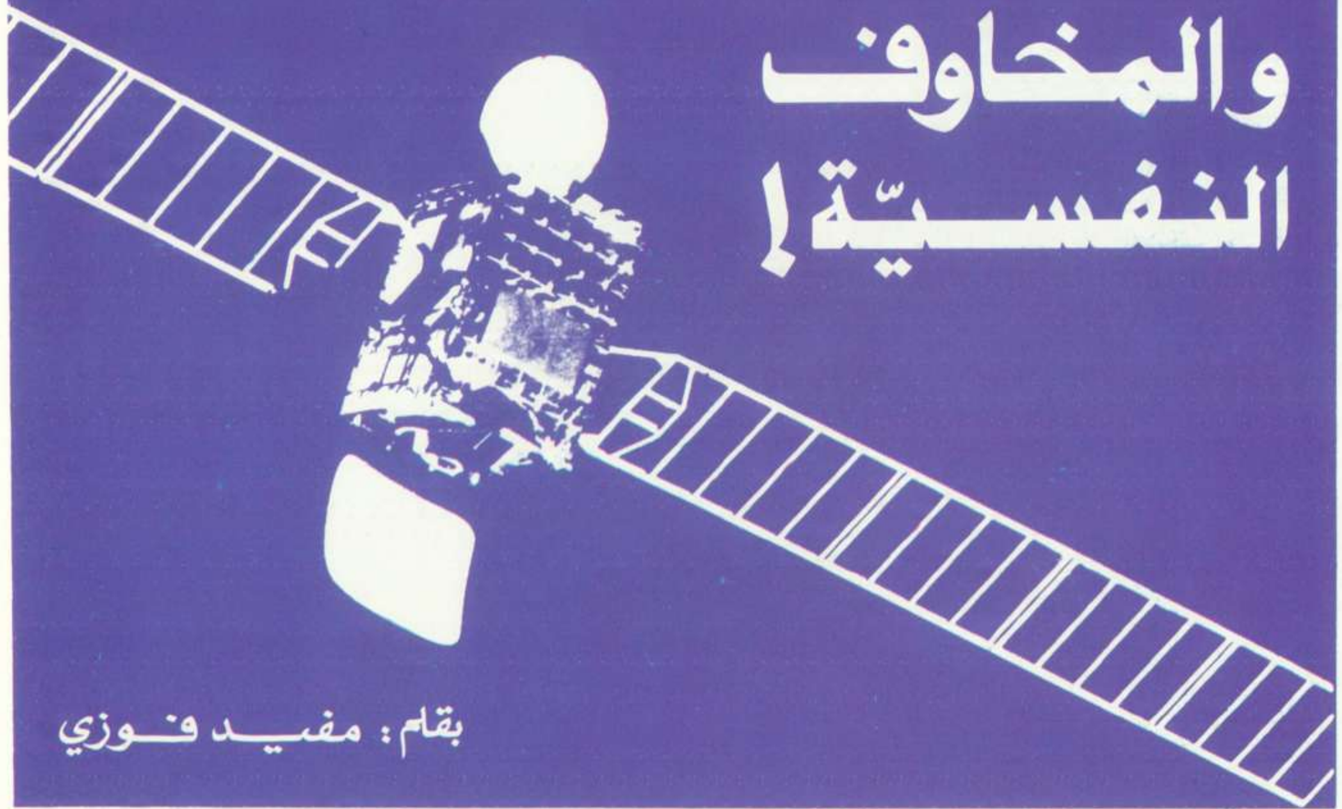
ولكن هل تستطيع المافيا أن تتخلى عن ميولها الاجرامية وتتخلص من ماضيها المظلم ، هل يخرج الظفر من اللحم بسهولة ؟ ذلك ما ستجيب عليه الأيام القادمة .

ولعل أفضل خاتمة لهذه المقالة ، ما قاله أحد زعماء المافيا في حديث صحافي له ، وهو زعيم تعرفه الشرطة ولكنها عاجزة عن اعتقاله ، فلا دليل ولا شهود على اجرامه . قال هذا الرجل : « لو عاد بي الزمن إلى الوراء لما قمت بما قمت به سابقاً ، وصدقوني إن الحصول على درهم بالحرام أصعب كثيراً من الحصول عليه بالحلال .

ولعله لم يقصد بهذا القول الكم ، وانما عني البركة . ولا ريب أن البركة ممحوقة من المال الحرام . ألم يقل تعالى في محكم كتابه : « والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » ؟

قضيــة

القمر الصناعي العربي



«عربسات» في الفضاء

— ١ —

نعم، السماء العربية واحدة، ولكن الأرض العربية ليست واحدة. إنها مفتتة مجزأة، وهذه كلمات مهذبة عن الواقع العربي ولكنها في الواقع «ممزقة»!

في السماء العربية —الآن— قمر صناعي عربي يدعى «عربسات» يجول ويصول ويبث برامجه وعطاءه العلمي لدول عربية..

عربسات كان حلماً وبدأ يتحقق وصادف مشاكل بالجملة وبدأت تتفاهم الدول على عبورها قبل أن تتفاقم!

القمر الصناعي العربي عربسات هو ابن تجارب أخرى دولية في هذا الشأن، لعل أهمها قمر تلستار الأمريكي الذي أطلق عام ١٩٦٢، وتم بواسطته نقل البرامج التليفزيونية من بلد إلى آخر، يومها قال مفكر أمريكي لعله واحد من تلامذة آرثر ميللر إن هذا إيذان بثورة جديدة في مجال الاتصال والاتصالات وأن هذه خطوة باهرة لربط العالم ببعضه بحيث تقوم «القرية الكونية»، كما أطلق عليها المفكر الكندي مارشال كلوهان.

أتوقف لحظة لأقول إن الشق العربي في الموضوع يهم كل عربي في نهاية الأمر. ذلك أن عصر الفضاء ألهب خيال الساسة وصناع القرار ورجال الأعلام في كل مكان. والدليل أنه بعد خمس سنوات من اطلاق القمر الأمريكي «تلستار» واثر نكسة ٦٧ العسكرية اجتمعوا —وأقصد وزراء الإعلام العرب، وبحثوا في أمر استخدام الأقمار الصناعية في الاعلام عن قضايانا التي لقبت وقتئذ

بـ « المشتركة » !

ولكن ماذا في رأس الانسان العربي البسيط عن « الأقمار الصناعية » ؟

إن دراسة قامت بها إحدى الجامعات العربية توصلت إلى عدة نتائج تحدد مفهوم الإنسان العربي للقمر العربي :

١ ـ مثلاً ، انه يبث برامج تليفزيونية واحدة لكل بيت عربي .

٢ ـ إنه يخدم رفاهية الانسان في مشاهدة متعة الصورة عبر الشاشات في وقت واحد .

٣ ـ إنه ينقل أجمل ما في العالم المتقدم من برامج المنوعات ، يشاهدها الفرد وهو جالس في بيته !

كان المفهوم العام تقريباً يدور حول بث البرامج التليفزيونية ولكن أحداً لم ينتبه للبعد الثقافي للأقمار وهو « الثقافات المحلية » ، ولم ينتبه أحد سوى رجل تربوي كبير كالدكتور محيي الدين صابر الى دور الأقمار الصناعية في النهوض بالتربية والتعليم ومحو الأمية ، ولم ينتبه أحد سوى المهندس الكبير صلاح عامر الى أهمية « تعزيز شرايين الاتصالات بين الأقطار العربية » .

والحق يقال إنّ الفكرة كانت تدور حول بث البرامج التليفزيونية باعتبار أن هذه هي الخدمة الشائعة ، ولكن عمق المسألة كان يتركز في خدمة أهداف التنمية .

ـ ٢ ـ

الفكرة كما عبر عنها مؤتمر اليونسكو عام ١٩٦٨ ، والحديث لحمدي قنديل مدير مكتب اعلام الجمهور لمنظمة اليونسكو : إنه إذا أمكن توفير أجهزة استقبال تليفزيونية للتجمعات السكانية فسوف يمكن للارسال الاذاعي المباشر عن طريق الأقمار الصناعية أن يغير تماماً من « وجهات نظر ملايين » من هؤلاء الناس الذين ليس لهم اتصال مباشر بالعالم الخارجي ، وسوف يسهم في دفع التنمية خاصة إذا أرسلت البرامج إلى المعاهد التعليمية والمدارس وإلى المزارعين وربات البيوت .

ولقضية الأقمار الصناعية وجه خاص عند د . محيي الدين صابر ، إن لدور الأقمار بالنسبة للتربية والتعليم بريقاً خاصاً . ويضع أمامي د . صابر حقيقة مخيفة . يقول « البلدان النامية كانت تواجه أزمات كبيرة في الستينات وكان في هذه البلدان نحو ٨٠٠ مليون أمي في ذلك الوقت أي بزيادة قدرها مائة مليون عما كانت عليه قبل عشرين سنة » . والمهارات العلمية اللازمة لإبادة هذه الوصمة نادرة ، والحاجة إلى الفنيين المهرة تتجاوز بكثير طاقة نظم التعليم التقليدية . معنى هذا أنه كانت هنالك حاجة ماسة إلى مستويات أرقى من المهنيين ، ومناهج وأدوات جديدة أكثر تطوراً ولهذا تراءى للكثيرين أن الأقمار الصناعية تشكل طريق الخلاص من عديد من مشكلات الانماء . وانهالت التقارير والدراسات تتحدث عن هذا الأمل . ويواكب هذا التفكير تجارب بلدان مختلفة كالولايات المتحدة والهند في استخدام الأقمار الصناعية للتطبيقات التكنولوجية ، واستخدمت اندونيسيا لهذا الغرض بالذات قمرها الصناعي « بالابا » واستخدمت دول أخرى من دول البحر الكاريبي أقمارها للهدف نفسه ، وإن كانت صورته الأولى هي تبادل المعلومات بين المعاهد التعليمية والمراكز الصحية .

■ متى تمرّ البرامج إلى المشاهدين دون مرور بمصفاة دقيقة ؟



ـ ٣ ـ

ما هو الحال في القمر الصناعي العربي الآن ؟

إن المحاذير السياسية تحكمه ، والمخاوف النفسية تسيطر عليه . فبعد جهاد رهيب استمر أكثر من ١٨ عاماً ، اطلق عربسات في الفضاء عام ٨٥ وكان قمراً عربياً بالاسم فقط .

ولقد أتيح لكاتب هذه السطور بما له من خبرة في مجال الاعداد التليفزيوني ، أن يساهم في اعداد أول سهرة عربية ، ولم تذع ! نعم تفضل تليفزيون الكويت ووجه دعوة لي للنقاش حول مضمون البرنامج الذي كلفت باعداده ليقدمه الفنان العربي دريد لحام والفنانة الكويتية سعاد عبد الله . ولم أجد عند تليفزيون الكويت سوى قائمة بأسماء الدول المشتركة ولا شيء آخر . وأعترف أني وجدت صعوبة هائلة في التفكير ، لأن مثل هذه الأمور لا تحتاج إلى اجتهادات ، إنما هي دراسة وعلم . والكتابة للتليفزيون عملية هامة ، فكيف الكتابة للبث عن طريق القمر الصناعي .

ووجدت ملاحظات تقف على باب عقلي !

ملاحظة تقول : يراعى البعد تماماً عن قضايا السياسة !

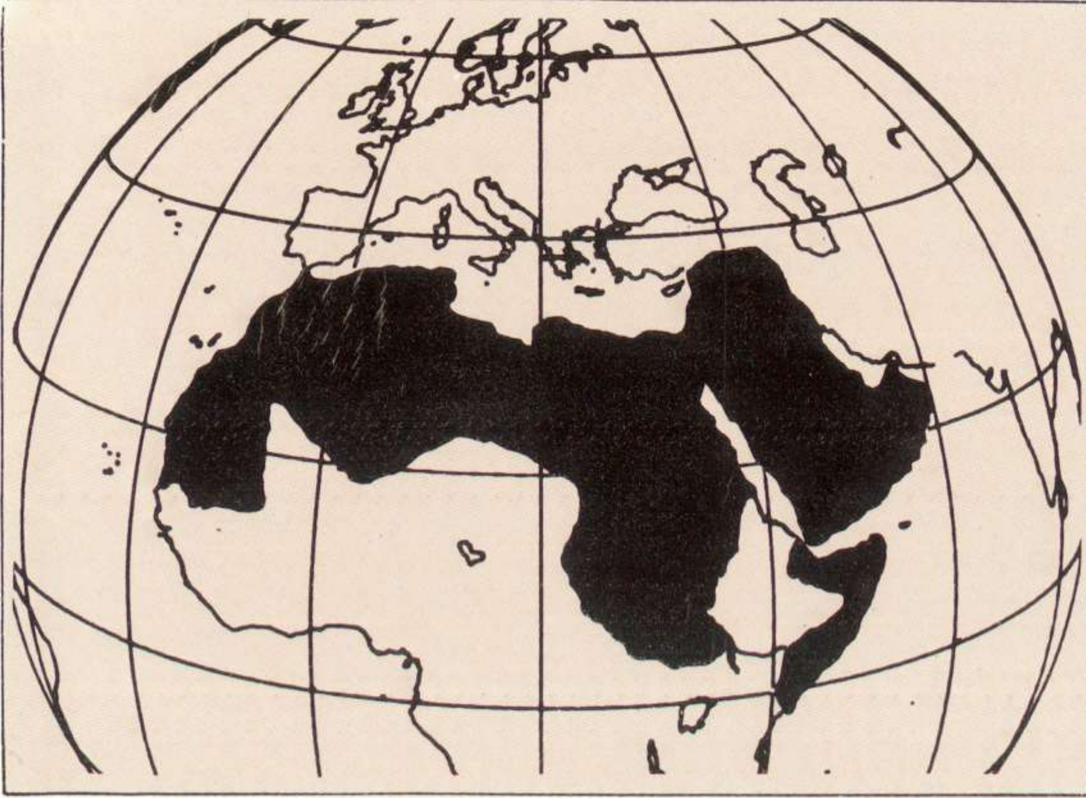
ملاحظة ثانية تقول : لا مبرر لاشتراك أشخاص بعينهم إلا بعد استشارة دولهم في أمر حديثهم عبر القمر الصناعي !

ملاحظة ثالثة : من الضروري الاستفادة بكل بلد ولو ببضع لقطات وتراعى العدالة في ذلك !

ملاحظة رابعة : لا اجتهادات في الأفكار الدينية ، ومن المفضل البعد عن موضوع الموت لاختلاف النظرة إليه !

ملاحظة خامسة : اللغة العربية مطلوبة

القمر الصناعي العربي



خريطة المناطق التي يغطيها القمر الصناعي عربسات

حيث أن التعريب يتعثر في بعض دول شمال افريقيا !

ملاحظة سادسة : ضرورة الاهتمام بالرياضة وبرامج المنوعات ، بحيث تكون السهرة مشوقة !

ملاحظة سابعة : لا ضرورة عن الحديث عن نظام البلاد السياسي حيث أن هذا يدخل في سيادتها !

و .. و .. وملاحظات لم تكن مكتوبة ، ولكنها قيلت شفوياً وكان عليّ أن أبدأ في الاعداد . ورغم هذه المحاذير السياسية والمخاوف النفسية ، فقد كتبت البرنامج وكنت طموحاً ، إذ أن اللقطة الواحدة التي تستغرق دقيقة على الشاشة فيها لقطات من ٥ دول عربية . ويبدو أن التنفيذ كان صعباً ، فظل ما أعددته نموذجاً فريداً ، وضع على الرف وظهرت سهرات عربية أخرى ، لا أظن أنها « تواكب » أسلوب القمر الصناعي ، إذ يمكن أن تعد في محطة ما وتوزع منها نسخ ، وكل دولة تذيع ما تريد بعد « غربلته » في نفس الوقت المحدد للبث . ولكن القمر لا يستخدم أهم إمكاناته وهي « الآنية » ، أي الاذاعة في لحظة واحدة دون « غربلة » مايذاع . باختصار بدون مقص رقابة !

— ٤ —

إن أزمة عربسات الحقيقية هي كما عبر عنها الأمير حسن ولي عهد الأردن والرجل المستنير في ندوة القمر الصناعي العربي وآفاق تنمية الثقافات القومية (مارس ، آذار ٨٦) : « إنها أزمة سياسية وأزمة سياسات ! » نعم ، هي أزمة قضية العروبة والوحدة . ففي السماء قمر صناعي عربي ، والأرض العربية ممزقة الأوصال . وليس هناك من معنى أن تقفز الاشارات من بلد إلى آخر في الفضاء والحدود مغلقة بينهما في الأرض .. وكيف يبث القمر برنامجاً موحداً للأقطار العربية ولم تجتمع هذه الأقطار على شيء واحد ؟!

فاليوم بعد اطلاق القمر الصناعي العربي ، هناك تخوف كبير مما يطلق عليه عملية « دس العبوات السياسية الناسفة في البرامج المتبادلة » ، وهناك خوف البعض من خشية بث مباريات كرة قدم على الهواء مباشرة لأن بعض المعلقين يخرجون عن التعليق الرياضي إلى المحظورات السياسية . ولأن اللافتات التي تعلق في الملاعب لا تعلق بالضرورة عن السجاير التي تلوث الصدر وانما عن الشعارات التي تلوث الفكر .

والذين تعرضوا للقمر الصناعي في بحث جاد أو دراسة مستفيضة وضعوه بين أربعة عناصر : القمر الصناعي العربي بين التكنولوجيا والسياسة وبين القومية والأقليمية والعالمية ، واشكالية الثقافة العربية في اطار التكامل والتعامل مع الواقع العربي والانطلاق

من الأرض إلى الفضاء . وبعد البحث ، توصلوا إلى نقاط للمناقشة أهمها « مدى امكانية الفصل بين السياسة والأبعاد الاقتصادية والثقافية حتى لا تجهض الأولى أي خطوة نحو التكامل تتحقق في المجالات الاقتصادية والثقافية . وانه لابد من طرح منهج للتعامل من واقع التجزئة والتعددية في الأرض العربية . والوصول إلى عدد من المجالات من قطاع الثقافة العربية يصلح للبث المشترك عبر القمر الصناعي (برامج محو الأمية ، برامج فنون ، ثقافات شعبية) فهل هذا في الامكان ؟

هل في الامكان مرور برامج التليفزيون إلى المشاهدين دون مرور بالمصفاة الحكومية .. أي الارسال التليفزيوني الفضائي المباشر ؟ إن هذا في حقيقة الأمر ، أهم الأبعاد الدولية لاستخدام الأقمار الصناعية سواء في مجال التربية والثقافة أو غيرها من مجالات الاتصال . في هذا العام ، ستبدأ أوربا في اطلاق أقمار للإذاعة الخاصة بالبث المباشر وسوف تليها أقمار أخرى ، ربما تدخل بنا دوامة جديدة !

كيف ؟ ربما تهدد ثقافات الدول النامية حين تغرق بمواد إعلامية تحمل قيماً غريبة عنها ، الأمر الذي سيوصف بأنه « غزو اعلامي أو تلوث فكري أو استعمار الكتروني » . ولذلك نادى الكثيرون بقيام نظام عالمي جديد للاعلام والاتصال يحرر الدول النامية من هيمنة القوى الكبرى على وسائل الأخبار والتثقيف والمواصلات .

— ٥ —

انني أتذكر في البرنامج الذي أعددته من « سهرة عربية » أن طرحت ندوة تنقل بالقمر الصناعي ويشترك فيها خمس شخصيات عربية من محل اقامتهم هم د . محمد عبده يماني من السعودية . د . محمد الرميحي من الكويت ، ود . مازن العرموطي من الأردن ، ود . أحمد علي عسكر من الصومال والاستاذ المنصف الدليمي من تونس . وكنت أضع النقاط الثلاث الآتية للحوار الخماسي :

١ — ما هو الأمل الذي تسعى ليحققه عربسات ، في أي مجال ؟

٢ — ما هو التغيير الاجتماعي المرتقب بعد تبادل البرامج عبر شبكة الفضاء ؟

٣ — ما الذي يخيفك من البث الآني عن طريق القمر الصناعي ؟

ولا أدري ، هل كان ترشيح هذه الشخصيات يحتاج إلى اعادة نظر أم أن الموضوع دخل في بند « المحظورات » !

والقضية ليست عربية فقط ، بل عالمية .. إن كندا على سبيل المثال تتخوف من أقمار الولايات المتحدة . ودول أوربا الأصغر تتخوف من دولها الأكبر ، إن فرنسا وألمانيا الغربية تتخوفان من امارة لوكسمبورج لأنها سوف ترسل برامج تليفزيونية مصحوبة باعلانات تجارية قد تهدد بإثارتها وبريقها نظام التليفزيون العام .. بالاضافة إلى ذلك ماذا عن مدى التأثير الذي ستحدثه أقمار البث التليفزيوني المباشر إذا غطى هذا الارسال دولاً تختلف في معتقداتها أو لغاتها وثقافتها .

■ الخوف من دسّ عبوّات سياسية في مباريات الكرة !

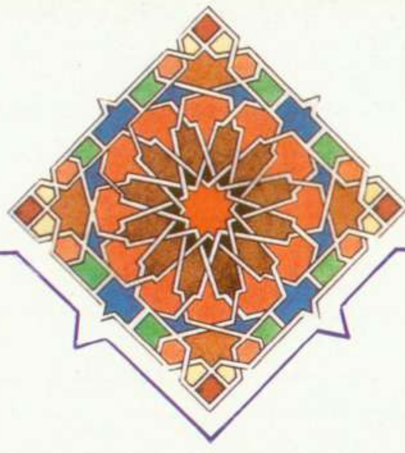
■ حلم قديم في إبادة الأمّيّة عن طريق قمر عربسات

— ٦ —

إن ندوة عمان التي دعى إليها منتدى الفكر العربي لمناقشة آفاق تنمية الثقافة القومية — بالقمر الصناعي — ركزت على موضوع التربية . لقد وجهت الندوة الدعوة إلى ٣٢ شخصية عربية عامة بين مقدمي بحوث ومعقبين .. وافتتح الندوة الأمير حسن بوصفه رئيس مجلس أمناء الفكر العربي . وكانت الندوة التي أدارها الاستاذ الدكور سعد الدين ابراهيم رئيس المنتدى ، نموذجاً للندوة العلمية الجادة . وكان من موضوعات الندوة مثلاً : دراسة هندسية حول عربسات وامكانية تحقيقها الأمل المرجو . والأبعاد الدولية لاستخدامات الأقمار الصناعية في مجال التربية والثقافة والقمر الصناعي العربي واشكالية التكامل ، والقمر الصناعي وتنمية الثقافة العربية وبعض محاور الثقافة لبرامج القمر الصناعي . استغرقت الندوة يومي السبت والأحد من الاسبوع الثاني من آذار ٨٦ وكان من أهم ما توصلت إليه الندوة في هذا المجال أن التعاون بين الاذاعيين والتربويين لا يزال في مستوياته الدنيا .. وأن هناك مشكلات إضافية لاستخدام قناة غزيرة الاشعاع وأساس هذه المشكلات أنه يمكن تلقي البرامج التي تبثها القناة دون أن تمر البرامج بهيئات التلفزيون أي المصفاة الحكومية لتنقيتها — إن أمكن — من الشوائب السياسية أو الأخلاقية وبثها على النحو الذي تراه . وقد لا يفلت مشروع تعليم الكبار من هذه المصفاة !

المهم أن القمر الصناعي العربي عربسات الذي يجول ويصول في السماء العربية يتفرج على برنامج ممتع ومثير من الصراعات الأرضية !

مفيد فوزي



بقلم وعدسة: صبحي الشاروني

اقتناص الفريسة على قدر من الخزف

شاع بين المسلمين كراهية استخدام الأوانى المشكلة من المعادن النفيسة كالذهب والفضة .. لهذا انتشر استخدام الأواني الخزفية في الحياة اليومية، وتفوق الخزافون وتفننوا في زخرفة هذه الأوانى حتى أضافوا اليها قيمة جمالية جعلتها تفوق قيمتها لو كانت من الذهب أو الفضة.

لقد ابتدعوا مايسمى بالبريق المعدنى، واستخدموه في زخرفة المنتجات الخزفية، فتحول الخسيس الى ثمين بين أيديهم، وأضاف البريق المعدنى لونا ذهبيا في أغلب الأحيان، يعوض الاستغناء عن الذهب في صناعة الأواني.

والقدر التي نرى صورتها هي من روائع متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، وترجع الى فترة حكم الفاطميين لمصر خلال القرن الخامس الهجرى ـ الحادي عشر الميلادي ـ وهى من الخزف ذي طلاء زجاجي زبدي اللون غير شفاف، أي تدخل في تركيب طلائه مادة القصدير، أما الرسوم والزخارف على هذا الطلاء فهى ذات بريق معدنى، يميل الى اللون الزيتونى، وتصور كلب صيد يهاجم حيوانا له ذيل ثعلب ورأس وعل. والقدر تم ترميمها، ورقبتها مشكلة بالجص. ويعتقد بعض الأثريين أن هذا الجانب من القدر أعيد رسمه في زمن لاحق لصناعته، لأن لون طلائه يختلف في درجته عن لون بقية الإناء.

ويلاحظ أن القدر تخلو من حلقة القاعدة كما أن بدنها عريض بالنسبة لطولها وهذا يرجح صناعتها في تاريخ مبكر.. حول منظر «اقتناص الفريسة» خلفية مزينة بأفرع نباتية ذات أوراق مخروطية كما يفصل هذا الرسم عن مناظر الصيد على بقية بدن القدر شريطان رأسيان بكل منهما فرع نباتى متموج.

لقد اتجه الفنان الى رسم الحيوانين في تكوين يتفق تماما مع المساحة المحددة بحيث لا يخفى أحدهما الآخر الا في أقل الحدود اللازمة لتأكيد التعبير عن الموضوع، وهو مايسمى في الفن الاسلامى بالتسطيح.

ولعل معالجة مثل هذا الموضوع الذى رسم بطرق مختلفة على العديد من روائع الفن الاسلامى في ذلك العصر، تدلنا على الذوق الغالب عند الطبقة المترفة، كما تنبهنا الى أن استخدام الكلاب في الصيد كان شائعا بين أبناء تلك الطبقة.

لكن السؤال الذى لم نجد له اجابة شافية هو: هل مثل هذا الاناء كان يدخل في الاستخدام اليومى أم كان تحفة للزينة في بيت أحد الأثرياء؟



فكرة هذا المتحف.. هل تجد من يتبناها؟!

بقلم: حازم هاشم

• ما من برنامج زيارة لإسرائيل إلا وتضمن ـ بإلحاح وإصرار ـ المرور بياد فاشيم، وهو الاسم العبري لذلك المتحف الذي أقامه الإسرائيليون لما يسمونه بضحايا النازية الهتلرية ملايين اليهود الذين احتوتهم معسكرات الإعتقال النازي، ثم إعمال القتل والحرق فيهم بالغاز والنار. ورغم أننا هنا لسنا بصدد التدليل على مبالغات الإسرائيليين وتهويل الدعاية الصهيونية حول ضحايا هتلر من اليهود في أوربا، وهو الأمر الذي ظهرت حوله كتابات ـ بل ودراسات جامعية أوربية ـ جعلت وقائع هذه المسألة يحيط بها الكثير من الشكوك بل والكذب، إلا أننا نقرر أن إضطهاد ألمانيا النازية لليهود الأوربيين هو الأمر الذي أحسنت أجهزة الدعاية الصهيونية إستثماره ـ ومازالت ـ في العالم كله، وليست وقائع الحملة الصهيونية ضد السكرتير العام السابق للأمم المتحدة «كورت فالدهايم» وإتهامه بالتعاون مع النازي والعداء للسامية ببعيدة عنا. إن شعب النمسا قد رفض هذا الإبتزاز الصهيوني وحقق إرادته الحرة بانتخاب «فالدهايم» رئيساً للنمسا، ولم يكن الإتهام الصهيوني لفالدهايم مقصوداً به إثبات تورط الرجل، بقدر ما كان هذا الإتهام إرهاباً للآخرين، إذا ما سولت لهم نفوسهم إبداء أدنى تعاطف مع العرب وقضاياهم.

نعود إلى «ياد فاشيم» هذا المبنى الذي أنفقت عليه إسرائيل ملايين الدولارات، وراحت تجمع له آلاف الصور والاسطوانات والوثائق وحتى الخطابات الغرامية من جميع أنحاء العالم، بهدف إقناع أي زائر لياد فاشيم بأن اليهود ـ دون سائر خلق الله ـ هم الذين إضطهدهم هتلر، وأن هذا الزائر مسئول ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ عما حاق بهم!، وأن كل ما تفعله إسرائيل ـ أو فعلته ـ في العالم من أجل ألا تتكرر كارثة اليهود، ثم لا أمن ولا أمان ليهود العالم إلا بالمجيء إلى إسرائيل، وعلى الزائر ألا يقتنع فقط بكل هذا. بل عليه كذلك أن يتألم ويحزن ويبكي، وتتحول مشاعره هذه إلى الفعل الايجابي، بمساعدة إسرائيل ومواطنيه من اليهود على الهجرة إليها، وإذا كان زائر ياد فاشيم من أصحاب النفوذ والتأثير في بلاده ـ وهو غالباً ما يكون هكذا ـ كلما إحتلت زيارة هذا المتحف وقتاً أطول! لكن الزيارة في كل الأحوال ضرورة واجبة!

جو كئيب

والذين دخلوا «ياد فاشيم» يحكون عن هذا الجو الميلودرامي الكئيب الذي فرضه

الإسرائيليون داخل المتحف . فالسواد هو طلاء الجدران . والأضواء خافتة كأنها البصيص . والموسيقى الجنائزية النائحة تتردد في جنبات القاعات ، ثم مرددات نغمية تستصرخ الضمائر من أجل الإنسانية اليهودية المعذبة . ثم آلاف اللوحات للضحايا . ما بين أطفال ونساء وشبان وشيوخ وصبايا ، وليس أفدح تأثيراً من لوحة تحتل حائطاً لعساكر هتلر وهم يصوبون رشاشاتهم إلى رؤوس بضع أطفال من اليهود !

يدور الزائر للمتحف ومرافقوه يفيضون في الشرح . رغم أن كل لوحة أو أثر إستقر بجواره شرح مكتوب . فضلاً عن الشرح المذاع عبر ميكروفونات المكان ، وبأداء درامي مؤثر ، مع هذا الكتيب الصغير المصور – غير ملون – عن المتحف ، وأول جملة في كلماته « إن هذا المتحف قد أنشئ تخليداً لذكرى ستة ملايين يهودي قتلهم هتلر في الفترة ما بين عام ١٩٣٣ وحتى عام ١٩٤٥ » .

وأضافوا « مئات من التجمعات البشرية اليهودية أبيدت ، ونحن نخلد روح المقاومة اليهودية التي ناضلت من أجل الحرية وتقرير المصير . إن معسكرات الإعتقال النازية تشير إلى السابقة الأولى في التاريخ . أن يقوم حزب سياسي في السلطة بعزل فئة من البشر ! ، وتأثيرات ذلك وتفاعلاته له أهمية كبرى عند الشعب اليهودي حالياً ولأجيال يهودية قادمة . لقد فقد الشعب اليهودي إستقلاله على أرضه بعد تدمير هيكل سليمان على يد الرومان عام ٧٠ م . ومن هذا التاريخ عاش اليهود مشتتين في أنحاء العالم ، واندمجوا في بعض المجتمعات . لكنهم في أماكن أخرى كثيرة أرغموا على الحياة داخل « الجيتو » في ظل تدابير إستثنائية واضطهاد ومذابح » .

هذه في إيجاز شديد أهم المعلومات التي عني الإسرائيليون بتقديمها إلى « ياد فاشيم » ، وواضح أن هذا المتحف أريد له توصيل رسالة محددة لهذا الزائر ، دون النظر إلى قيام هذه الرسالة على ركام من الأكاذيب والمبالغات المهولة لما لاقاه بعض اليهود على يد هتلر ، الذي إجتاحت جيوشه العالم بالقوة الغاشمة ، فلم تفرق بين هذا وذاك ، ودمرت بلداناً أوربية تدميراً كاملاً فكان العالم كله ضحية ويلات النازي .

قضية هامة

وليتمهل القارئ قبل أن يقول .. حسناً .. وماذا بعد؟! . فما قصدت أن أعرض لهذا المتحف الصهيوني لمجرد التعريف . بل القصد من وراء ذلك طرح قضية طالما شغلتني . فما الذي يحول حتى الآن بيننا نحن العرب وبين إنشاء مثل هذا المتحف؟! ، ولدينا – والحمد لله – ما لا يحصى من جرائم غاية في الوحشية إرتكبتها إسرائيل ضدنا لم يسلم منها عربي . لسنا في حاجة إلى الكذب أو الإختلاق . فلدينا وثائق مكتوبة وشهود أحياء ، بل وأفلام تسجيلية لبعض من جرائم إسرائيل في حق العرب ، ومنذ قيام الكيان الصهيوني – وحتى الآن – ما زال إعلامنا العربي يقف عاجزاً أو مشلولاً في مواجهة عنف الدعاية الصهيونية ضدنا في أنحاء العالم . حتى كاد باطل إسرائيل أن يصبح حقاً . ونحن بالطبع لا يعوزنا المال ، حتى يكون لنا هذا المتحف العربي تذكيراً لزوارنا بجرائم إسرائيل المستمرة حتى الآن .

مذابح كفر قاسم ودير ياسين وصبرا وشاتيلا والغارات على جنوب لبنان وقصف منظمة التحرير الفلسطينية في تونس . ثم ضحايا الممارسات البربرية الإسرائيلية في مواجهة مواطنينا العرب داخل إسرائيل وفي الأراضي العربية المحتلة . أخشى أن أستسلم للإستطراد لا أنتهي . هل هذه كلها لا يمكن أن تكون مادة نابضة حية في متحف عربي ؟ ، وشاهداً صادقاً على بشاعة إسرائيل ؟! .

لقد فزع العالم لمذبحة صبرا وشاتيلا ، وهذا مثال فقط . لكنه عالم ينسى أو يستدرج إلى النسيان . لكن وقائع المذبحة ما زالت حية . ويمكن جمع شتاتها من شهود عيانها وضحاياها . ألا تغنينا مادة متحفية كهذه عن كثير من الكلام على المنابر أو طباعة كتيبات هزيلة مآلها سلال المهملات ونحن نتوهم أن لنا إعلاماً عربياً فعالاً في مخاطبة العالم ؟!

ولنا أن نتصور مثل هذا المتحف العربي وقد تكررت نسخته في كل قطر عربي . وما أكثر زوارنا الذين سنفلح حتماً في اطلاعهم على متحفنا هذا ، الذي لابد أن ينشأ على علم ودراية بوسائل التأثير والاقناع فقط . فنحن لسنا كعدونا في حاجة لجهد الكذب أو الإختلاق .

ولست أدري أي جهة عربية يمكن لها أن تتبنى هذا المشروع ؟ هل هي الجامعة العربية ؟ ، أم وزراء الإعلام العرب ؟ . أو قمم القادة إذا إنعقدت ! . إنها فكرة تستحق الدراسة . وأضعف الإيمان أن تبادر دولة عربية مقتدرة بتبني هذه الفكرة . التي إذا تحققت فإنها تقدم طرحاً جديداً في أساليب مقاوتنا للعدو الصهيوني . الذي يخدع العالم كل يوم ، حتى أنه ينجح في أحيان كثيرة في تبرير ممارساته الآثمة . ولتكن مخاطبتنا للعالم باللغة التي يفهمها ، وحتى نتوقف عن الأساليب التي طالما إتبعناها في الإعلام عن قضايانا العربية فما كسبنا إلا القليل . فهل من مبادر ؟!

■ إسرائيل أنفقت على « ياد فاشيم » ملايين الدولارات .. فماذا نحن فاعلون؟

دورة الدوحة المسرحية..
وانطلاقة جديدة للمسرح القطري

واكب احتفال دولة قطر بيوم المسرح العالمى تخريج أعضاء دورة الدوحة المسرحية ، وقد بدأت هذه الدورة فى الأول من فبراير الماضى ، واستمرت شهرين ، وشارك فيها خمسة وعشرون مسرحيا من أعضاء فرقتى السد ومسرح الأضواء . وقد أشرف عليها الدكتور عونى كرومى الأستاذ المساعد بأكاديمية الفنون الجميلة (قسم الفنون المسرحية) التابعة لجامعة بغداد ، وقُدِّمتْ من خلالها مسرحيتان هما : الرجال والبحر وآباء وأبناء ..

الرجال والبحر .. وآباء وأمَّهات

بقلم : خالد زيارة

ولقد ركزت دورة الدوحة المسرحية على إعداد الممثل من كل النواحى ، وعلى تدريس القواعد والأسس النظرية الخاصة بهذا الاعداد ، وكانت لها عدة أهداف هامة منها :

• تطوير الكادر الفني في المسرح القطري من ممثلين ومخرجين وكتاب في مجال التمثيل واعداد الممثل والدور.

• تجديد وتنويع وتبادل المعلومات والمعارف عن المسرح وأسلوب الإنتاج والإخراج .

• التعرف على بعض اتجاهات المسرح الحديث في مجال التمثيل والاخراج .

• اعتماد أسلوب المختبر المسرحي للتمرين والتطبيق ومعالجة بعض الظواهر السلبية في عمل الممثل ووظيفته الفنية والاجتماعية .

• دراسة ومعالجة بعض الظواهر المسرحية في مجال اعداد النص وتحديد علاقة الممثل بالعناصر المسرحية مروراً بالمؤلف والمخرج والمشاهد .

• اخراج أعمال تطبيقية تجريبية تشتمل على تحقيق سمات وأفكار الدورة ، وتكون مختبراً ثانيا لتطبيق الأفكار النظرية وتدريب الممثل على جماعية العمل المسرحي .

فائدة الدورة

ولقد أفادت دورة الدوحة المسرحية فى أنها سمحت للممثل أن يكون قادراً على توصيل لحظة الحضور المسرحي التي تتم عبر الرموز التي يقدمها على المسرح ودلالات هذه الرموز ومعانيها عند المشاهد .. وكانت التمارين الجسدية فى هذا الصدد ضرورية ، وهى تبدأ بتمارين سويدية وتنتهي بتمارين الاكتشاف والابتكار والتخيل وسرعة البديهة ، إلى جانب تمارين في استرخاء العضلات وقدرة الانفعال ، وتنمية قدرة التركيز والانتباه وقوة الملاحظة عند الممثل .

ولم تكتف دورة الدوحة المسرحية بهذه المحصلة النظرية والتطبيقية المختبرية ، انما تجاوزتها إلى التطبيق العملي في إنتاج عملين مسرحيين . قدم العمل الأول منهما ضمن فعاليات مهرجان يوم المسرح العالمي ، وكان بعنوان « الرجال والبحر » . وهو مأخوذ عن مسرحية « المهرج والمرآة » للكاتب التونسي محمد العزي ، وقام بالاعداد الدكتور عوني كرومي ، وتولى صياغة الحوار باللهجة القطرية مجموعة من أعضاء الدورة . أما المسرحية الثانية فهي بعنوان « آباء وأبناء » وقام باعدادها الدكتور عوني كرومي والفنان عبدالله أحمد عبدالله وهو أحد أعضاء دورة الدوحة المسرحية .

معاناة الرجال

وتتحدث مسرحية « الرجال والبحر » عن معاناة أربعة من الرجال تركوا البحر وأصبحوا

يعيشون على ذكراه ، متأملين من خلاله رموز الحياة ومعاناتهم الفردية والاجتماعية التى تعبر عن قدرتهم على تحمل الصعاب ، والألم النفسي .. وفي هذا العرض يتعرف المشاهد على القدرات التمثيلية والابداعية لدى الفنان القطري الذي يجرب ويكتشف ذاته وقدرته على الابداع في مجال المسرح ، حيث لا يعتمد في هذا العرض على لغة المسرح العادية المتمثلة في الحوار بقدر اعتماده على لغة الجسد في التعبير وايصال المعاني .

ولأن هذه المسرحية لاتدعي لنفسها صفة المسرح الجماهيرى بل هي تتوجه الى نخبة المثقفين ، اذ أنها عمل تجريبي ، لذا فقد حظيت باهتمام شريحة المثقفين والمتابعين لتطورات المسرح القطري لذلك تم عرضها أيضا في جامعة قطر على قاعة ابن النفيس وشاهدها مجموعة من طلبة الجامعة الذين ابدوا اعجابهم وتقديرهم بهذا العمل ..

وقد عرضت مسرحية الرجال والبحر أيضا على قاعة افريقيا بإمارة الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة ، حيث ذهب فريق العمل بدعوة من الدائرة الثقافية بالشارقة ودارت مناقشات مثمرة بين الحضور ومعظمهم من أهل المسرح في الامارات وفريق العمل ، واشاد الجميع بأداء الممثلين القطريين ، وأبدوا اعجابهم باستعمال الممثلين لكل طاقاتهم الجسدية والصوتية والتمثيلية لإيصال عمل مسرحي من نوع خاص الى جمهور المشاهدين .

الجيل الشاب

وجاءت مسرحية « آباء وأبناء » التي عرضت على هامش فعاليات يوم المسرح العالمي ، وقد سلطت الضوء على مجمل القضايا الاجتماعية بشكل عام وعلى علاقة الجيل

■ المسرحية الأولى نَصٌّ تجريبيٌّ ، يُفجِّر الممثل من خلاله ذاته وقدرته على التعبير الجسدي

■ المسرحية الثانية اجتماعية في منظورها ، فلسفية في أبعادها ، لامعقولة في بنائها



من مسرحية « آباء وأمهات »



من مسرحية الرجال والبحر

الرجال والبحر .. وآباء وأمهات

الشاب بالواقع الاجتماعي وبالأسرة بالذات .. كما أنها سلطت الضوء على التحولات الاجتماعية في السلوك والفكر .. فهي من ناحية مسرحية اجتماعية ، إلا أنها أخذت أسلوب اللعبة المسرحية كوسيلة من وسائل المشاركة مع المشاهد في معالجة الظاهرة الاجتماعية وإيجاد الحلول لها .

وقد أظهرت هذه المسرحية قدرة الفنان القطري على الإعداد والتمثيل ، كما أكدت أن الفنان القطري سوف يقدم لنا مستقبلا حصيلة جيدة مبنية على الخبرة والتجريب .

وفي محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على أبعاد هذين العملين المسرحيين اللذين أنتجا ضمن دورة الدوحة المسرحية ، كان لنا لقاء مع الدكتور عوني كرومي الذي أوضح أن الرجال والبحر نص تجريبي يفجر الممثل من خلاله ذاته وقدراته وخياله والتعبير الجسدي ، في تجسيد جميع الايماءات والرموز في الحكاية ، حتى أصبح هذا التجسيد بمثابة لغة يمكن ان تقدم لنا حكاية خارج أطر الخمس حكايات التي عرضناها .. لان كل عرض مسرحي له حكاية قائمة بذاته وهي الحكاية التي تبدأ باللحظة التي يدخل فيها المشاهد قاعة المسرح فيبدأ المشاهد بسرد كل مايعايشه في القاعة في ذهنه الباطني من أجل اكتشاف ظواهر الحياة عبر العلاقة التي تربط بين المشاهد والممثل والمشاهد والمشاهد نفسه .

لغة انسانية

وقال أيضا إننا اكتشفنا في هذا النص أن هناك لغة انسانية يمكن أن تسقط على الواقع كما يمكن أن تتحول الشخصيات المسرحية إلى شخصيات ملموسة وحية داخل المجتمع . هذه الشخصيات في المسرحية فقدت ارتباطها بالبحر بسبب ظروف اجتماعية وحياتية ، وبدأت تعيش على التذكر والنكوص النفسي وطرح المعاناة الخاصة والعامة .

وقد اعتمد العمل التجريبي المختبري كأسلوب أساسي في إعداد هذا العرض ، مع الاستفادة من شكل وتقاليد وأسس المسرح الشامل والمسرح الحي في عرض النماذج المسرحية ، إلى جانب مشاركة كل ماله علاقة بالنفس البشرية بحيث تصبح الاغنية واللحن والرقصة والصراخ والضحكة دلالة من دلالات الحياة ووسيلة من وسائل مخاطبة الوجدان الانساني عند المشاهد .

أما مسرحية «آباء وأبناء» فهي كما قال الدكتور عوني مسرحية اجتماعية في منظورها فلسفية في أبعادها لا معقولية في بنائها وتركيبها الدرامي ، وتبدأ بفرقة مسرحية تحاول أن تعرض مسرحية ، والشخصيات تحاول أن تمثل حدثاً خرافياً وهمياً يتمثل في أن ابناً مايحاول ان يقتل عائلته . حادث القتل هذا استطعنا من خلاله أن نسلط الضوء على جوانب اجتماعية .. وهذا الحدث الوهمي قادنا لكي نكشف عن البعد النفسي والاجتماعي للشخصيات . ولهذا لم تبدأ المسرحية كأي بداية تقليدية تستعرض الحدث وتقدم الشخصية والمعلومات ثم تطور وتؤزم الفعل الى الذروة ، فالعقدة ثم تنتهي بالحل .

انما بدأت المسرحية من الذروة أي من لحظة التمثل والرغبة في تنفيذ الجريمة . ومن هذه اللحظة بدأ تداعي القصة التي تظهر بشكل سرد قصة ثلاثة شبان يسكنون مع عائلة مكونة من أم وأب ، وهذه العائلة تعيش في مرحلة انتقال وتحول اجتماعي ، وفقدت في هذه اللحظة علاقة الحب والتفاهم ، ولغة التربية والثقة والارادة والامل .. ولم تنته المسرحية بحدث دراماتيكي يسمح للمشاهد أن يتوقف

كيف أفادت الدورة المسرحية المشتركين فيها ، وماهي مُعْطَيَاتُها الحقيقيّة ؟

وتنتهي القصة ، انما القصة بدأت عندما انتهت المسرحية لكي يتأمل كل مشاهد قصة حياته ووجوده ، فليس يكفي أن نعيش الحياة بحسن نية ، بل يجب علينا أن نعيشها بوعي وادراك .

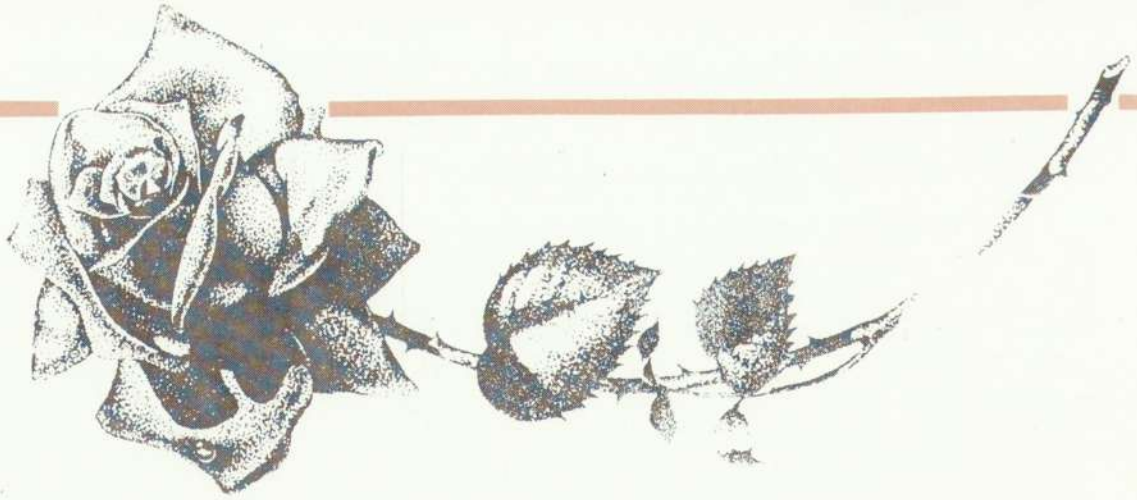
المسرح الشعبي

ويضيف أننا طبقنا في المسرحية سمات المسرح الشعبي الذى هو اللحظة الاحتفالية التي يشارك فيها الممثل والمشاهد في حالة من المتعة والفرح الذي يقود الى الفكرة . فبدأنا بالقاء النكته والتعليق والسخرية ، أي تقديم أحداث المسرحية كعناوين وكموجز للاحداث لكي تبقى هذه الحكاية الكوميدية الساخرة في ذهن المشاهد عندما تظهر بشكلها الدرامي لكي يدرك تناقضها ، ويدرك أن هذه اللحظة الدرامية ماهي الا لحظة كوميدية لأنها تملك تناقضها .

واعتمدنا على بناء المشهد بذاته ، ولم نتقيد بالزمان والمكان ، لم نتقيد بالشخصية وحضورها ولا باللعبة الواقعية بقدر ماقدمنا لعبة مسرحية ، أدخلنا الماضي في الحاضر في المستقبل ، وأنهينا مايسمى بالبناء الدرامي فوضعنا مكانه سرد حكاية ملحمية عبر (القطع) الذي يتمثل في شخصية الراوي أو المعلق أو أحد أعضاء الفرقة ، وكان يقطع في لحظات عندما لاتفهم الاحداث وفي اللحظات التي يجب ان لايندمج المشاهد فيها أو لربط مجمل الحكاية .. ولا توجد في هذه المسرحية حكاية للشخصية بقدر ماتوجد أحداث يمكن أن نجمعها من مجمل العرض المسرحي لكي تحمل لنا فكرة أو معنى . وقد يستنتج المشاهد اكثر من فكرة وأكثر من معنى وقد يتعاطف مع الشخصيات وقد يرفضها ، لأن كل شخصية في حالة تناقض وجدل ، فلا يجد المشاهد فرصة لكي يذوب مع الشخصية انما يبقى على مسافة وبعد مع الشخصية ويتفكر بها .

أما عن ديكور المسرحية الذي قام بتصميمه الفنان القطرى عبد الرحمن المناعي فقد أعطانا مكانية وزمانية الحدث عبر رموز بسيطة وأعطى المنظر الدلالة والتعبير عن الحالة التي تعيشها الشخصية ولم يحاول أن يفرض علينا نموذجاً واقعياً أو طبيعياً بل جعل من المنظر وتركيبته الجمالية عبارة عن إيحاء للتأمل والتفكير بمدلولات الحياة ومعناها وبالذات بمدلولات حرية الانسان وارادته .

خالد زيارة



أبـي..

شـعـر

محمد إبراهيم أبوسـنة

تَفَتَّح زهرُ الكلام على حافة الصمتِ
أورق قلبُ الظلام
وأينع قلبي هنا وردةً من غمامْ
تسيلُ ينابيعُه إثر هذا الصدى
إثر هذا المدى
عبر شوق يطيرُ به كلُّ هذا الحمام
يُضِيءُ حدائق هذي الطفولةِ
بين يديه اللتين
تفوحان بالعطرِ
تلقى على القادمين السلام
وصوتي ينادى : أبى
ثمَّ يرحلُ فى صخر هذى المدينةِ
ــ هذا الحطام المُقام ــ
طوينا مرارة أيامنا
فى اغتراب الأحبة لا نلتقي
غير هذا اللقاء المسافر
بين السهادِ وبين المنام
وأنتَ الذي كنت تدركُ
أنَّ الحياةَ عبورُ قصير
تراشق فيه السهام
وكنت تُضَمِّدُ جرحى
تُقَدس هذي الحياة
وتزهدُ فيها
وتتركها للطَّغَامْ
وكان الكثيرُ قليلا لديك
سوى كلْمةٍ من رقيق الكلامُ
سوى بسمةٍ من فقير
ــ تلح عليه ــ
ليأتي يذوق الطعامْ
وكنت تجالس كل الحزانى الذين
يجيئون يلقون أثقالهم
فى فؤادك
ــ كان الوئامْ ــ
ــ يُظَلِّلُ مجلسك المطمئن
على حافة الرعد والبرقِ
كنت تكفكف ملء حنان التودد
فيض الدموع لهيب الضرام
وما كنتُ أحظى بغير الوداع
لأنك شئت الرحيل
الطويلَ لنا
فى الصبا فى فجاج القتام
فها هو قلبى الذى لم يذق حظه
من حنانك محترق
ليس يعرف غير التجهم
فى لحظة الإبتسام
تثاقل خطو الصبى الذى
يدرك الآن ما كنت تدركه
عن عبور قصيرٍ
تراشقُ فيه السهام
حياة نعيش نقدسها
ثم نزهد فيها
ونلقى بها للطغَامْ
عبرت برازخها وارتحلت
طهورا وديعا كفرخ اليمام
على كل شيء تركتَ السلام
على كل شيء تحب السلامْ

• تذكار من فلسطين

منبر الأقصى المحترق

بقلم: يوسف الخطيب

هذا هو منبر المسجد الأقصى ، ومحرابه ، قبل أن تحرقهما « اسرائيل » في صبيحة ٢١ آب ١٩٦٩ (أي في مثل هذا الشهر قبل سبع عشرة سنة) ، وذلك في نطاق تمثيلية سخيفة ومكشوفة أسندت فيها جريمة الحريق الى شاب استرالي من طائفة مسيحية شبه يهودية ، يدعى « مايكل روهان » ، وقيل عنه في حينها إنه مختل العقل ، وفاقد بالتالي لأية أهلية قانونية !

ولكن قضاء « إسرائيل » الأخرق العدواني لم يجب مطلقاً على تلك الثغرة القانونية الفاضحة — (قطعاً لأن « إسرائيل » في ذاتها هي أكبر عورة صارخة في مجمل التاريخ الحقوقي لبني الإنسان) — وهي كيف يمكن أن يكون « روهان » هذا فاقداً لأهليته القانونية ، في الوقت الذي انقضت عليه سنة كاملة ، قبل الجريمة مباشرة ، بصفة عضو عامل متطوع في إحدى المستعمرات اليهودية العسكرية المعروفة بـ « الكيبوتزات » ، إلا إذا افترض « قضاة إسرائيل » أن جميع أعضاء هذه المستعمرات هم أيضاً من المخبولين فاقدي الأهلية القانونية ! ولعل هذا في الحقيقة هو عين الصواب في التحليل الأخير لوضعية هؤلاء المغفلين المهترئين فكرياً وروحياً ، من حيث حشروا أنفسهم في حالة تصادم مصيري ضد مئتي مليون عربي ، وألف مليون مسلم ، متوهمين ، دون ما أي وعي لحركة التاريخ ، أن الحال سيدوم لهم على هذا المنوال !

لقد تبلغت إطفائية القدس (المُدارةُ يهودياً) بحادث الحريق فور وقوعه مباشرة ، ولكنها مع ذلك تلكأت ثلاث ساعات بطولها قبل أن تصل الى مكان الحريق ، لدرجة أن إطفائية مدينة الخليل ، (على بعد ٣٦ كيلومتراً جنوبي القدس) ، قد سبقت إطفائية القدس نفسها لإنقاذ ما تبقى من الجزء القبلي من المسجد المحترق .. هذا الذي بارك الله حوله .. وأسرى بعبده إليه ليلاً .. ويمثل أولى القبلتين في فجر الإسلام ، وثالث الحرمين حتى يوم الناس هذا .

في الصليبيات الغابرة التي كان فيها الغزاة القدامى يوشحون صدورهم بعلامة الصليب — عوضاً عن نجمة « اسرائيل » المعاصرة — سبق أيضاً لأوباش أوروبا ، ولصوصها ، وتجارها ، أن جعلوا من نصف المسجد الأقصى كنيسة لهم ، ومن نصفه الآخر مستودعاً لذخائرهم ، ومقراً لمن يوصفون بـ « فرسان الهيكل » ، الى أن اقتلعتهم عاصفة صلاح الدين الأيوبي من جذورهم الخبيثة ، فكان أول ما أنجزه المحرر العظيم أن جدد عمارة المسجد ، وأتى بهذا المنبر ذاته الذي عهد لنور الدين محمود بن زنكي بمهمة الإشراف على صنعه في حلب ، فجاء آية لا نظير لها من آيات الفن العربي الإسلامي الرفيع .. ثم لم يلبث (يوم ١٩٦٩/٨/٢١) أن غدا رمادا بنيران الحقد اليهودي المسموم !

ولكن ، لئلا ننسى تفاصيل الجريمة المروعة التي مر بها مجمل إعلامنا العربي



مرور « الكرام ! » فلا بأس من أن نوثقها هنا لقراء « الدوحة » بالحقائق والأرقام :

فلقد أتى حريق « إسرائيل » على ١٥٠٠ متر مربع ، من أصل مساحة المسجد الإجمالية البالغة ٤٤٠٠ متر مربع ..

وقد التهمت ألسنة النيران تحديداً : أولا ، منبر صلاح الدين الأيوبي .. ثانياً ، المحراب .. ثالثاً ، مسجد عمر .. رابعاً ، ثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب إلى الشمال بما فيها من أعمدة وأقواس وزخارف .. خامساً ، جانباً من السقف المزخرف الذي انهال رماداً على الأرض .. سادساً ، عمودين رئيسيين مع أحد الأقواس الحاملة للقبة .. سابعاً ، جانباً من القبة الداخلية الخشبية المزخرفة ..

ثامناً ، كامل الجدار القبلي للمسجد بما عليه من تصفيح رخامي .. تاسعاً ، كل ما على الأرض من سجاد أثري .. عاشراً ، ثمانية وأربعين شباكاً من الجبس والزجاج الملون .. حادي عشر ، نقش سور « الاسراء » من الذهب والفسيفساء فوق المحراب .. ثاني عشر ، آيات قرآنية ، وزخارف عديدة ، في أنحاء متفرقة من المسجد ..

ولئلا ننسى أيضاً .. فهذه هي « اسرائيل » .. لقيطة الولايات المتحدة الأمريكية فوق تراب فلسطين !



من روائـــع
الفن العـــالــمي

بقلم: جمـــال قطـــب

القـــــارئــــــة

لقاءات كثيرة، استعرضنا فيها سوياً روائع عالمية من ابداعات الفنانين التأثيريين لأساطين المدرسة الانطباعية (التأثيرية) من أمثال رينوار - بيسارو - مونيه - مانيه - ديجا، وغيرهم من أصحاب الأسماء الكبيرة في تاريخ الفن الحديث، هذا النهج الذي تمركزت نشاطاته وتحولاته بصفة خاصة في عاصمة النور - باريس - في الثلث الأخير من القرن الماضي. وفصّلنا أكثر من مرة فلسفة التأثيريين في استخدام ألوان الطيف وتحليل أشعة الشمس وتطبيق النظريات الحديثة (آنذاك) فيما يتعلق بقوانين البصريات وفيزيائية الضوء وكيمائية الأصباغ وتطبيقها عمليا، وبفضل هذه الدراسات، استحدث التأثيريون قواعد جديدة لفنهم، وسرعان ما استقطبوا آلاف الفنانين من شتى أنحاء المعمورة إلى حركتهم الوليدة.

إلا أن الوجدان العالمي الذي تربي في أحضان كلاسيكية القرون الماضية، لم يألف الفن الحديث بسهولة، بل وقف التقليديون موقف العداء من هؤلاء الشبان المجددين.. ودارت معركة ضارية لا هوادة فيها بين رجال الأكاديمية الفرنسية والفنانين الأكاديميين من جهة، وجماعة التأثيريين من جهة أخرى. بل ان الأمور ازدادت سوءاً عندما تداخلت أمور السياسة وقتها في أمور الثورة الفنية والتطلعات المستقبلية في شئون الفكر والابداع: فمن المعلوم أنه في عام ١٨٧١ قامت في باريس حكومة تعرف باسم الكومون على أثر توقيع الصلح مع بروسيا، غير أن «البونابرتيين» المحافظين قد تمكنوا بعد قليل من حصار باريس ثم غزوها، ففتكوا بأنصار الحكومة الجديدة فتكاً ذريعاً.. ولكن الشعب الفرنسي وقف في وجه المحافظين. وألف حكومة (الجمهوريين الأحرار) لحكم البلاد، وكانت حكومة معتدلة بين اليمين واليسار. ولم يرض البونابرتيون بذلك، فتحالفوا مع اليمينيين، وألفوا حزباً جديداً سموه (حزب النظام).. وبذلك اندحر الثوار.. واندحرت معهم أفكارهم وشعاراتهم.. ومن الغريب أنهم رأوا كذلك في حركة الفنانين التأثيريين ثورة تناقض التقاليد، فوقفوا لها بالمرصاد، واصمين الفنانين المجددين بأنهم عملاء للثوار (الكومونيين)، وأطلقوا على فنهم أبشع الأوصاف كالفن المنحط.. والارهاب الأحمر! وظلت باريس بين شقي الرحى، وعانى الفنانون من التعسف والاضطهاد!

وبالرغم من هزيمة البونابرتيين في انتخابات ديسمبر ١٨٧٧، إلا ان تهمة (الفن المنحط والارهاب الأحمر) ظلت عالقة بالفنانين التأثيريين أكثر من عام آخر. فكان من جراء ذلك أن سعى تجار الصور والمتاحف إلى التخلص من لوحاتهم بأبخس الأثمان.. ورفض (صالون باريس) - وهو أكبر تجمع فني عالمي - عرض اللوحات التأثيرية الحديثة!

وفي عام ١٨٧٩، انقشعت الغمامة رويداً رويدا، وعندئذ أقبل الجمهور على تذوق اللوحات التأثيرية.. وحل الاستحسان محل السخرية والاستهجان، وسادت النزعة التأثيرية بين كثير من فناني العالم!

وكان الفنان (ديجا Degas) أول من فاز بالشهرة بين جماعة التأثيريين، وقد ابتدع أسلوباً خاصاً في استخدام الألوان المتكسرة التي يزحف بعضها على بعض زحف الأمواج، وقد أكسب هذا الأسلوب الفريد لوحاته شعشعة وتألقاً وشفافية مذهلة. ولا غرو أن يعجب بأسلوبه هذا كثير من الفنانين العظام من أمثال فنانتنا الأمريكية: ماري كاسات Mary Cassatt. وهي فنانة شهيرة عاشت فترة من حياتها في باريس، مشدودة إلى هؤلاء المجددين في عاصمة النور، تواقة إلى دراسة فلسفة النزعة التأثيرية، وبالرغم من أن فنان التأثيرية الأشهر (ديجا) كان له اتباع عديدون، إلا أن رائدين اثنين هما اللذان تأثرا تأثراً شديداً بأسلوبه، وهما: ماري كاسات، وتولوز لوتريك.

وقد حملت ماري على عاتقها اقناع الأمريكيين بقيمة اللوحات التأثيرية لشرائها واقتنائها، كما عملت في الوقت ذاته على نشر الأسلوب التأثيري بين مواطنيها من الفنانين الأمريكيين. ويختلف الأمر هنا بين كفاح التأثيريين الفرنسيين الذين عانوا كثيراً من الاضطهاد والتنكيل بهم، وبين انجازات ماري كاسات، تلك الفتاة الثرية التي تملك وسائل الاقناع والدعاية والانتشار.. فكان والدها من أصحاب البنوك الكبار، واجتذبتها الحركة التأثيرية فعملت في باريس فيما بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٤، وهي فترة الغليان الثوري واحتدام المعارك بين الفنانين التأثيريين ومناهضيهم.

والملاحظ أن ماري (١٨٤٥ - ١٩٢٦) قد اتخذت من رسم الأشخاص منهجاً لها كما فعل ديجا ورينوار، وجعلت المناظر الطبيعية (التي هي الأصل في الحركة التأثيرية) بمثابة خلفية للوحاتها، كما نشاهد على الصفحة المقابلة.. في هذه اللوحة الشهيرة التي أسمتها: القراءة في الحديقة Reading in the garden، ولنتأمل لمساتها التأثيرية المتألقة من حول القارئة الحسناء، واستخداماتها الواعية للألوان المتقابلة كالأحمر والأخضر والأبيض والأسود.. إنها نموذج حي لفلسفة التأثيريين في تناغم الألوان المبهجة المشعة على سطح اللوحة.



رحلة إلى مدينة عاصرت فجر الإسلام واستقبلت المجاهدين الأوائل:

القيروان

يكتبها: السيد حجازي

تصوير: أمين بدوي

« في كل مرة يدخل إمام أراض افريقية يسارع أهلها لاعتناق الإسلام إتقاء لكل خطر ، لكن حالما ينسحب الإمام يرتدون ، ويعودون إلى غيهم . لذلك فإن من رأيي أيها المسلمون أن نشيد مدينة تكون قلعة لجيوش الاسلام حتى آخر الزمان »..

كانت هذه هي الكلمات التي أوردها بعض المؤرخين الأكثر موضوعية ، والتي خاطب بها عقبة بن نافع جيوشه ، في سنة ٦٧١ بعد الميلاد ، معلناً إنشاء أول مدينة إسلامية بالمغرب ، هي « القيروان » والتي تبهر الزائر إليها بفنون العمارة الاسلامية ، وبما تحتويه من تحصينات ودفاعات عسكرية ، هي بمنطق ذلك الزمان وكل زمان دليل على الحنكة والقدرة وبعد النظر..

وما أن نزلنا من السيارة التي أقلتنا من تونس العاصمة إلى « القيروان » ودخلنا من سورها القديم ، حتى احتوانا التاريخ بكل ما يحمل من أسرار وعلامات انبهار . فمنذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان كانت هذه المدينة حية ، قوية ، متوثبة ، بكل قدراتها القتالية العالية ، كما كانت مكاناً تفوح منه روائح الايمان الصادق ، وتنطلق منه إبداعات الفن والشعر ، ويخرج منه أكبر الفقهاء ، وأرق وأظرف الشعراء..

وها نحن منذ اللحظة الأولى لدخولنا المدينة القديمة نسترجع كل هذه الصور الحية ، والمضيئة ونعيش تاريخها منذ ولادته الأولى..

في تلك اللحظات التي خاطب فيها عقبة بن نافع صاحب الرسول جيوشه ، كان قد أوقف فرسانه بمنحدر من الأرض ، تختلط فيه الأحجار بالأعشاب البرية ، ويأوى مختلف الحيوانات المفترسة..

القيروان كما تبدو في الصورة بمبانيها المميزة والعتيقة

ما هي الدلائل ؟

وتأتيني هذه المعلومة في بداية الجولة داخل المدينة على لسان الدليل السياحي العجوز «عم محمد»، الذي يتقن الفرنسية كأهلها، ويحاول أن يوصل إلينا المعلومات بعربية فصحى تختلط بلهجة تونسية محلية، معتذراً أحياناً، مكرراً في أكثر الأحيان..

وأسأله أنا في البداية:

وماهي الدلائل التي تشير إلى وقوف عقبة بن نافع في هذا المنحدر بالذات؟..

ويجيبني بسرعة وكأنما السؤال من الأسئلة المطروحة دائما:

ـ ان ذلك مؤكد حسب وصف قدماء الرحالة..

ويأخذنا إلى ذلك المنحدر..

لقد كان يقع في منتصف الطريق بين السواحل الشرقية تحت سيطرة البيزنطيين، وفيه تمكن البربر من تجميع قواتهم لمواجهة الفاتح عقبة بن نافع..

وكان عقبة قد أمر بمقارعة العدو دون

كان اختيار عقبة بن نافع مكان إقامتها موفقاً إلى حد كبير من الناحية الاستراتيجية

يبرز فن العمارة الاسلامية في كل مساجد المدينة



مهادنة، وأعد قواته إعداداً نفسياً قوياً..

وفي هذا المجال تنطلق روايات عديدة..

فعندما تم العثور على كأس ذهبي مدفون بالأرض، روج أن هذا الكأس فقد بمكة، وعندما تعثر الفرس الذي يركبه القائد وانفجرت بالمكان عين ماء، قال القوم إنها بمثابة بئر مباركة، تحمل الخير للناس..

هنا تظهر بلاغة عقبة بن نافع وقدرته على شرح كثير من الأمور لجنوده، والقيام بعملية الشحن المعنوي، الذي يزيد من حماسة الرجال، وقدراتهم الفائقة على القتال، وتحقيق النصر على العدو..

فقد اعتلى القائد مكاناً مرتفعاً بالمنحدر، ليخطب في الحيوانات الموجودة في المنطقة، ويأمر الأنواع المفترسة منها بأن تغادر مكانها، حتى يستريح القادمون الجدد..

ويجمع المؤرخون ـ كما يقول محدثي الدليل السياحي ـ على أن اختيار عقبة بن نافع لهذا المكان لاقامة المدينة، كان موفقاً إلى حد كبير، من الناحية الاستراتيجية..

فالمدينة تبعد عن موطن القبائل البربرية التي كانت تتخذ الجبال موطناً لها، كما أنها

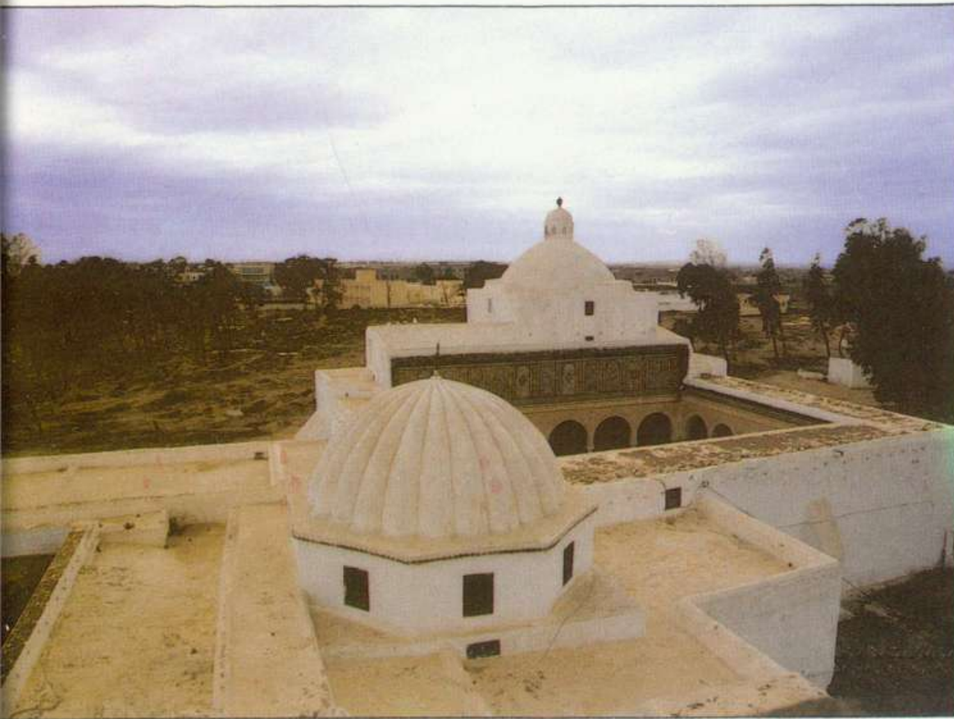
القيروان

تبعد عن الشواطىء ، حيث كان الأسطول البيزنطي الجبار ، ينشر الفوضى والرعب ..

مركز اشعاع حضاري

وتحولت القيروان بعد ذلك من مجرد معسكر للجيوش الفاتحة ، إلى أن أصبحت أكبر مركز اشعاع حضاري بالمغرب ..

صحيح أن هذا التطور قد أصابه نوع من الركود خلال ثورة الخوارج ، الذين نهبوا القيروان من سنة ٧٥٨ إلى ٧٦١ م لكن عادت الصورة إلى سالف عهدها بعد ذلك ..



المآذن المميزة تطالعك في كل مكان

طراز من المباني العتيقة في القيروان



الدخول إلى المدينة من خلال أحد أبوابها السبعة عشر



الله أكبر : تتردد فوق مساجد المدينة

وكان ذلك ملموساً بوجه خاص في عهد الأمراء الأغالبة ، حوالي سنة ٨٠٠ ميلادية ..

لقد شيد هؤلاء الأمراء بالفعل أعظم معالمها التي تعد اليوم مفخرة القيروان ، ومصدر اعتزازها بنفسها ، كمدينة لها تاريخ حافل ، ومضيء .. ولذلك يمكن القول إن القيروان قد عاشت عصرها الذهبي أيام الدولة الأغلبية التي أسسها ابراهيم بن الأغلب في القرن التاسع الميلادي ..

فقد استطاع أقطاب هذه الدولة الحصول على نوع من الاستقلال الموسع عن مركز الخلافة في بغداد ، وفي الوقت نفسه استطاعوا أن يطوروا مختلف النشاطات فيها ...

وهكذا جعلوا من القيروان مدينة تنافس بما وصلت إليه أكبر المراكز الحضارية في حوض البحر الأبيض المتوسط ..

في أيامهم شهد الجامع الأكبر عدة تعديلات وتطويرات ، وتحسينات ، لم تتوقف إلا سنة ١٩٧٠ بعد الانتهاء من أعمال ترميمه الكبيرة والشاملة ..

وللمساجد بالذات في القيروان مكانة خاصة ومميزة ..

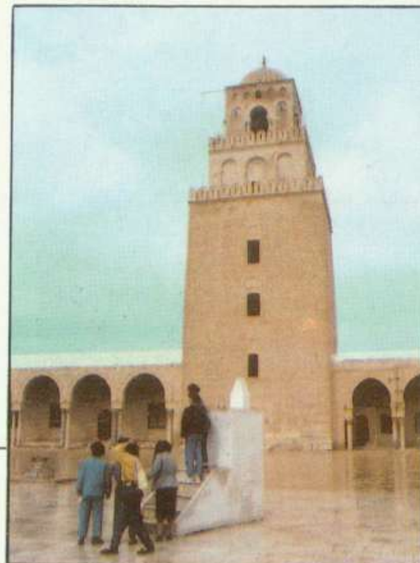
وأينما تجولت فيها فسوف تصادفك باستمرار هذه المساجد ، وبالذات الصغيرة ومقامات الأولياء ..

من هذه المقامات مثلاً مقام سيدي الصحبي بصومعته الأنيقة ورواقه الرائع ، وزخارفه البديعة ..

■ كيف تحولت القيروان من مُجَرَّد معسكر للجيوش الفاتحة إلى أكبر مركز إشعاع حضاري بالمغرب ؟

■ أسوار حامية وصناعات تقليديه ، وتمسك واضح بالدين ، ونساء يرتدين الأزياء المحتشمة

الزوار يتوافدون يوميا على القيروان العتيقة



وحسب بعض الروايات فإن هذا الولي يحتفظ بثلاث شعرات من لحية الرسول ﷺ ، وقد جعلته هذه الصفة يشترك مع سيدي بولبابة ولي قابس في أنه كان حلاق الرسول ..

أما مقام سيدي عمر عبادة فقد شيده أحد الحدادين ، فصنع له أدوات من المعدن كبيرة الحجم ، على هيئة « مراسي » ..

وندخل أحد المساجد الأخرى المميزة ..

إنه مسجد « الأبواب الثلاثة » ، وهو يعتبر في الواقع أحد أهم المعالم القديمة بالقيروان ، ولهذا المسجد واجهة رائعة زينت بالخط العربي وبزخارف بارزة ..

وفي مقام سيدي عبيد الغرياني قضينا وقتاً طويلاً ..

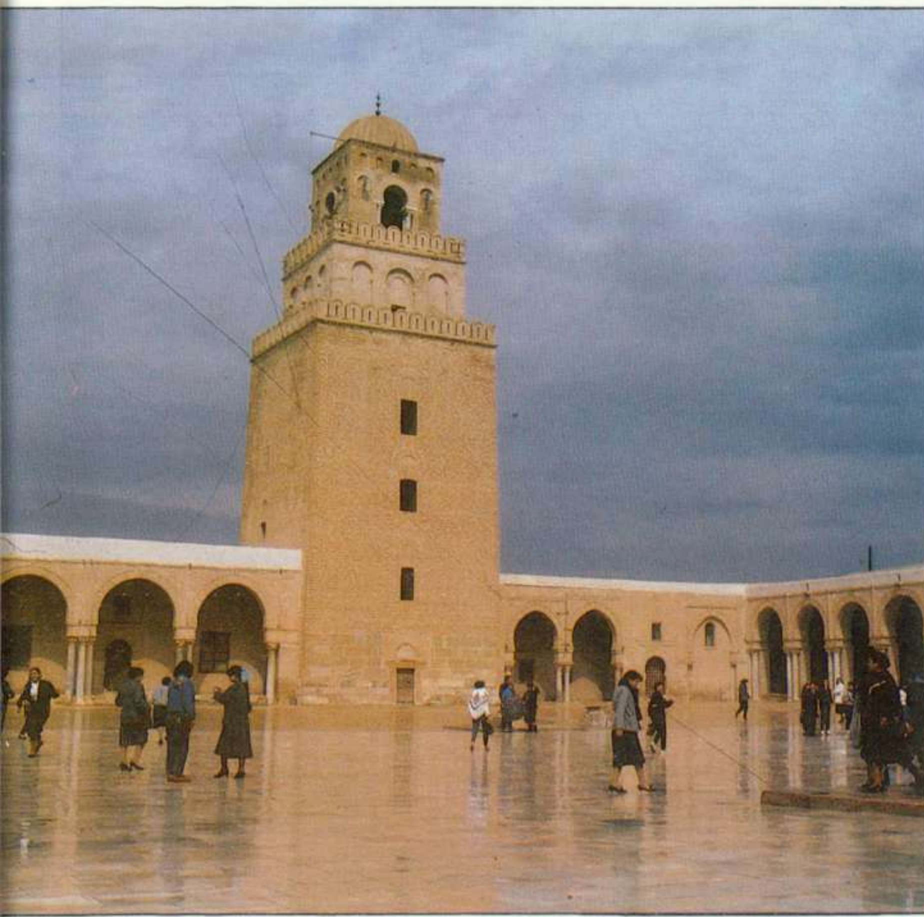
وصاحبه أيضاً رجل صالح عاش خلال القرن الثالث عشر ، ويتميز في الواقع بجمال سقفه المزركش ، ورواقه ذي الطابع العربي ، بسراديبه المرفوعة على أعمدة بيزنطية ..

التمسك بالدين

وكل هذا الاهتمام بإقامة المساجد ، والحرص على تجديدها ، يعكس ارتباط أهل القيروان بالدين الاسلامي ، وحرصهم على التمسك بكل تعاليمه ..

وفي يوم المولد النبوي الشريف بالذات يحتفلون احتفالاً مميزاً ، وخاصاً ، فتلبس

القيروان



سور المدينة من الأسوار التاريخية المعروفة



آثار تشهد بعراقة المدينة وماضيها العريق

القيروان أبهى حللها ، وتضاء الفوانيس ليلاً ونهاراً ، ويحضر الزوار إليها من كل مكان ، من تونس ، ومن غيرها ..

وتعمر المساجد دائماً بالمصلين ، ومرتلي القرآن الكريم من الصغار ، والكبار ..

ويصل عدد هذه المساجد في القيروان ، كما علمت ، حوالي خمسين مسجداً ، موزعة على أنحاء المدينة ، ويحرص أهل القيروان على تأدية الصلاة جماعة ، في كل الأوقات ، وتنطلق أصوات المؤذنين من هذه المساجد ، مرددة في وقت واحد : الله أكبر ..

وفي الجامع الكبير صلينا العصر جماعة ..

وبعد الصلاة وقفنا مشدوهين أمام عمارته المميزة ..

لقد روعي فيه الحرص على الطابع الاسلامي ، وتمثيل مختلف الديار الإسلامية ..

إن أبواب المسجد السبعة عشر ، شيدت من خشب أرز لبنان ، وكل منها متميز برسوم بنقوش ورسوم مختلفة — عن الآخر .. أما خشب « المنبر » فزين بآيات كريمة ونقوش إسلامية أحضرت من الشام ، وأحجار مزخرفة من العراق ، وثريات من المغرب (كانت تضاء بالزيت والآن تضاء بالكهرباء) ..

وأما مئات الأعمدة الرخامية داخل المسجد ، فهي كما هو مسجل ، من غنائم الحرب مع الرومان ..

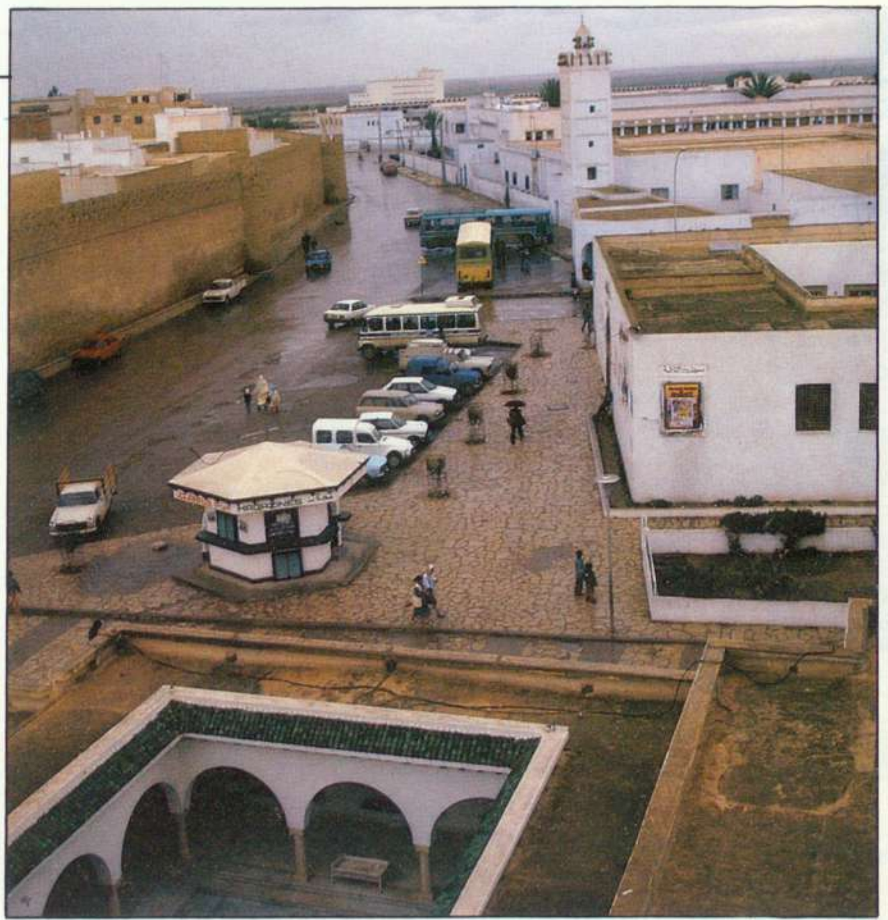
القيروان بكل هذه الصفات والمميزات كانت مصدر الهام لعدد كبير من مشاهير الرسامين في الشرق والغرب ..

وقد ظهر ذلك في الكثير من أعمالهم وإبداعاتهم ..

القيروان بكل هذه الصفات والمميزات شحذت أبناءها للعمل والبناء ، ولم تدفعهم للانطواء والزهو ..

إن المدينة العتيقة عرفت فجر الإسلام ، واستقبلت المجاهدين الأوائل الذين عايشوا الرسول .

ولكن برغم كل هذا الفخر والاعتزاز بماضي المدينة وتاريخها ، فإن أهلها مندفعون في



المدينة تحكي في كل جوانبها فصولا حية من التاريخ

تطويرها، وفي ممارسة كثير من الأعمال اليدوية والفنية الدقيقة، ويغلب على طابعهم السماحة، والتقوى، والرضا، والهدوء..

فالنقاشون والنساجون والسراجون يبعثون حيوية واضحة في أسواق المدينة العتيقة.. وتبرز صناعة «الزربية» بالذات، لتضيف سبباً آخر من أسباب شهرة القيروان، إلى جانب الجامع الكبير، وغيره من المعالم..

وفي بهو كل بيت قيرواني تأخذ البنات والسيدات في انتاج «الزرابي» المميزة، وهي عبارة عن ملابس من الصوف الرفيع، والذي تظهر ألوانه دقيقة، وجميلة، ومزركشة بشكل بديع، يظل وقفاً على أهل قيروان وحدهم..

وهناك صناعات تقليدية أخرى عديدة، مثل الأواني النحاسية، والأسرجة المزخرفة، ونقش الحديد، وصناعة السجاد، والخياطة الرفيعة للبرنس، والجبة الشهيرة بتونس وكافة بلاد المغرب..

الملابس التقليدية

وبهذه المناسبة فإن أهل قيروان، وبخاصة كبار السن منهم، ما زالوا متمسكين بالملابس التقليدية..

■ خمسون مسجدًا يبرز بينها المسجد الكبير بعمارته الإسلامية وأبوابه السبعة عشر

■ كانت القيروان مصدر إلهام لعدد كبير من مشاهير الرسامين العالميين

إن النساء بالذات يرتدين الجبة والحايك وهو عبارة عن عباءة نسائية من الصوف الجيد، يميل لونها في العادة إلى اللون الأصفر..

وفي استطاعتك وأنت تتجول في شوارع المدينة القديمة وطرقاتها، أن ترتشف القهوة العربية في أي مكان، فالكل يرحب بك، ويدعوك لزيارته.. وتبدو القهوة ذات مذاق خاص، فهي معطرة بماء الورد أوالزهر..

وسوف يستوقفك جمع حول بئر، يطوف بها جمل، يقوم حولها بحركة مستمرة وعيناه معصوبتان، ومع هذه الحركة يستخرج ماء صافية، يعتقد أهالي القيروان أنها قادمة بعد رحلة طويلة..

ولابد أن يسأل الزائر للقيروان القديمة مثلما سألت عن هذا السور الكبير الذي يحيط بها..

إنه مشيد بطريقة هندسية ومعمارية تدل على المهارة والتفوق، وبه عدة فتحات هي بمثابة أبواب للمدينة..

هذا السور الذي يعتبر في الواقع عدة أسوار شيدها المعز لدين الله الفاطمي سنة ١٠٥٢ م، ورممها الحسينيون في القرن الثامن عشر، وهي في الواقع كانت تعطي للمدينة في القرون الماضية حضوراً قوياً، حملها إلى التاريخ، وميزها عن كثير من المدن ذات الحضارات الخاصة..

ودخلنا من أحد أبواب السور، لنغادر المدينة العتيقة..

وكان باب تونس..

وقبل أن نصل إلى نهايته شاهدنا «الفسقية الأغلبية»، وهي عبارة عن حوض كبير، شيده الأمير أبو ابراهيم في القرن التاسع الميلادي، وبجواره حوض مضلع الشكل، يبلغ طوله ثمانية وثلاثين متراً.. وهذه الفسقية تعد تحفة جمالية ومعمارية تحمل الكثير من المواصفات الفنية..

ونترك القيروان القديمة، العتيقة، ونخرج من أسوارها التي شهدت تاريخاً حافلا، لننطلق إلى القيروان الحديثة.. المدينة العصرية بكل ما فيها من تقدم عمراني وتجاري وثقافي ملحوظ..

وهكذا فإن المحافظة على القيروان التاريخية كما هي، مع تطويرها والحفاظ على كل مقوماتها وأجوائها، هو عمل يحسب للسياحة في تونس، ويدل على نظرة شمولية تحمل الاعتزاز بنفائس الماضي، والحرص عليها، بنفس القدر الذي نعتز فيه بالحاضر، ونعمل من أجله على تطوير المستقبل..

وهكذا أيضاً فقد تركت زيارة القيروان العتيقة في النفس أثراً لا ينسى، فقد كان الاحساس بالفخر بماضي أمتنا وتفوقها، ولا يزال، هو المسيطر علينا، ويتجدد باستمرار، لنأخذ منه الدفعة التي تقود إلى استلهام بعض ما كان، من أجل أن نكون..

السيد حجازى

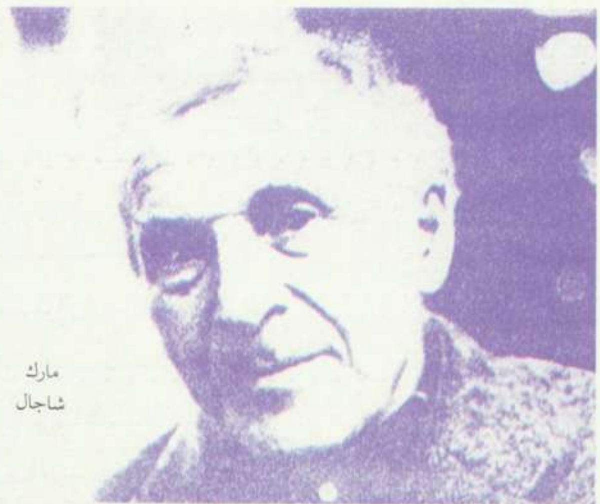
أنا .. والقرية



رسالة لندن

من : سيسيل نجيب

شاجال
فنان الحب والسعادة



مارك شاجال



الرسام .. الى القمر



تاجر المواشي

عندما قارب معرض الفنان مارك شاجال في لندن (الرويال أكاديمي) على الانتهاء ، جاء خبر وفاته عن سبعة وتسعين عاماً بمدينة نيس بفرنسا ، مما دعا إدارة صالة « الرويال أكاديمي » أن تمد العرض لمدة ثلاثة أيام أخرى تكريماً لفنه العظيم .

لقد أطلق على شاجال لقب فنان الحب والسعادة ، بعد أن أثرى العالم بأيقوناته ولوحاته ورسوماته . ولتفهم أعمال هذا الفنان علينا معرفة عالمه الخاص ، وعصره وحياته ، لأن ذلك كله انعكس على أعماله المتنوعة .

ولد الفنان عام ١٨٨٧ ميلادية من عائلة فقيرة بلا جذور فنية ، بمدينة فيشيك ، وكان أكبر اخوته الثمانية ، ودرس الفن بالجمعية الامبراطورية لحماية الفنون « بمدينة بطرسبرج ، وتتلمذ على الفنان ليون باسكيت .

التقى بزوجته عام ١٩٠٩ وشعر منذ اللحظة الأولى أنها خلقت له ، إلا أن طموحها الفني واختلاف الوضع الاجتماعي أخر زواجهما حتى عام ١٩١٥ . كانت بيلا امرأة متحررة فازت بميدالية فنية ، وهي تدرس وتعيش بمفردها في موسكو العاصمة ، كان طموحها أن تكون ممثلة ، وكانت بذكائها وجمالها ، الالهام الفني لشاجال على مدى تسعة وعشرين عاماً حتى توفيت عام ١٩٤٤ .

كان هو قد فرَّ الى باريس عام ١٩١٠ م ليلتحق بالمدارس الفنية هناك ، ولينهل من عاصمة الفنون ، ثم الى برلين عام ١٩١٤ ليشرف على أول معرض له ، وتندلع الحرب العالمية الأولى ، فيعود عام ١٩١٥ ليقابل خطيبته ، فيجند كموظف بسيط بوزارة الاقتصاد الحرب بمدينة بطرسبرج ، ولا تظهر لوحاته الأولى التي رسمها في هذه الفترة تأثير الحرب على البلد والناس ، وإنما يرسم القرية مسقط رأسه بشخصياتها . ونرى هذا متجسداً في لوحته الشهيرة « الميت » التي رسمها عام ١٩٠٨ ، حين كان لا يزال تلميذاً للفنان ليون باسكيت الذي كانت مدرسته رغم الجمالية والتكلف ، تخفق فيها أنفاس أوربا ، ومنها عرف سيزان ومانيه ومونيه وماتيس ، في نفس الوقت الذي أصبح فيه واعياً بالرواد الطليعيين الجدد في روسيا ، الذين قابلت اهتماماتهم اهتماماته والذين رغم تمركزهم في موسكو كانوا يعارضون المناخ الذي ترعرع فيه باكسيت ببدائية وشعبية مقصودة ، مستندين الى الايقونات الروسية والتماثيل والمنحوتات الفولكلورية .

فاللوحة الأولى من أعمال شاجال التي تسجل ظهور موهبة خارقة ، تبدو من وحي



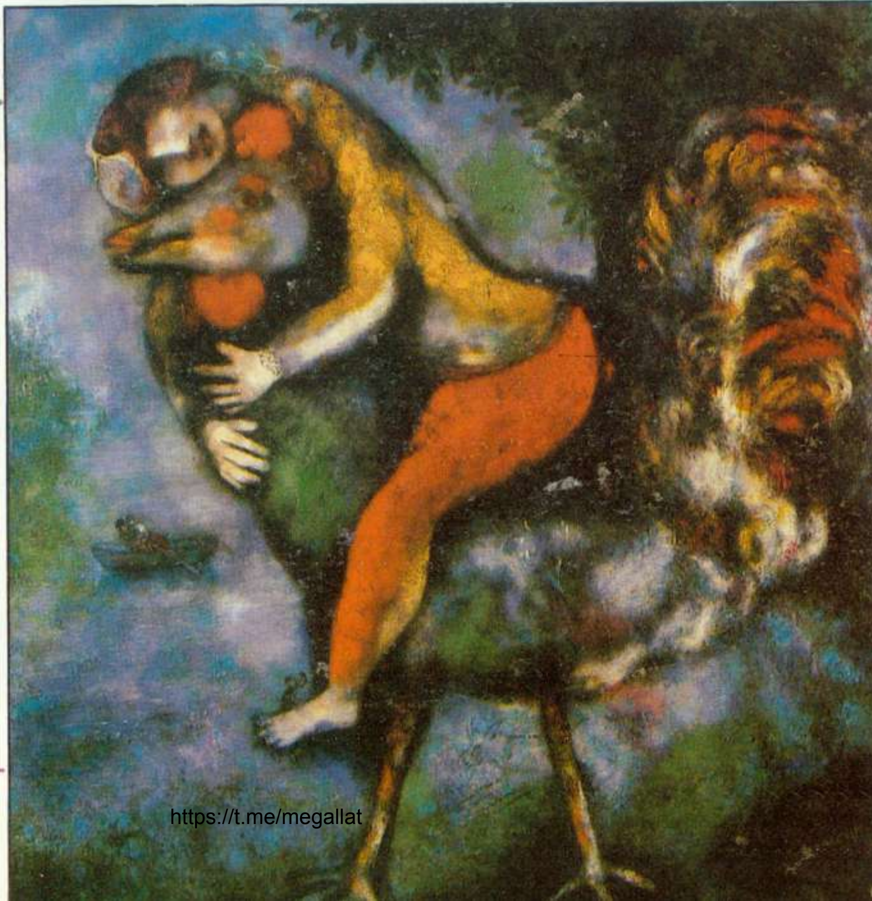
بيلا .. بالياقة البيضاء

شاجال
فنان الحب والسعادة



أنا .. والقرية

المغرور



ذكرياته الخاصة ، فلم يكن من الغريب أن يهرب الناس إلى سطوح منازلهم في حالات الخطر أو السعادة ، أو كما نرى في حديثه في ذكرياته ، من عمه الذي كان يعزف على

قيثارته كالحذاء ... هنا نرى تفسير الحذاء الطويل المعلق من القفاز ، رسمه كفتى صغير يواجه الموت ، « صباح يوم قبل طلوع الفجر

انطلقت الصرخات تملأ الشارع ، واستطعت تمييز امرأة تجري وحدها في الشارع المهجور ، كانت تلوح بذراعيها تشهق وتستحلف السكان

أن يهبوا لانقاذ زوجها . أخذ الناس المذهولون يجرون من كل صوب نحو « الميت » كان الميت مستلقياً على الأرض يلفه السكون ، وتضيء وجهه ست شموع .

هكذا كتب شاجال في مذكراته عن لوحته الأولى .

عيد الميلاد

وفي عام ١٩١٥ رسم مارك شاجال لوحته الشهيرة « عيد الميلاد » ، تصور العالم الخارجي الذي كان شاجال ومحبوبته زوجته بيلا يعيشان فيه .

يتحدث شاجال عن زوجته فيقول : « ما عليّ سوى أن أفتح الباب ، يهب النسيم الأزرق والحب والزهور معها » . وتحكي بيلا قصة هذه اللوحة في مذكراتها التي كتبتها بعد ٣٥ عاما من أول لقاء بينهما ، وتذكر كيف

استطاعت أن تكتشف يوم عيد ميلاده ، فزارته في ذلك اليوم تحمل له الزهور والمأكولات ، في عدد من الحقائب اليدوية المطرزة ، فوضعت هذه الحقائب في الغرفة في أماكن متعددة ، هنا أخذ شاجال يرسم ، فكانت المحصلة مثيرة .. دفقات من الأحمر والأزرق والأبيض والأسود . ولا يهم أن تظهر



انسان وحيد

هذه اللوحة عام ١٩١٥ ، رغم أن هذا الحادث الصغير تم عام ١٩٠٩ ، فالزمن هنا ليس له قيمة ، العمل الفني هو المعجزة الحقيقية .

توفيت بيلا عام ١٩٤٤ ، لكنها تمثلت في لوحاته العديدة التي رسمها بعد ذلك ، فالواقع أن بيلا هي كل فتاة جميلة تظهر في كل لوحة من لوحاته . قال عنها في مذكراته . « حين أنظر إليك أشعر كأنك إحدى لوحاتي » .

عين شاجال مسئولاً عن الفنون في بلدته فيسبك ، فأسس أكاديمية فيسبك في يناير عام ١٩١٩ ، لكنه اختلف مع البيروقراطية ، فانتقل الى موسكو يرسم لوحاته فقط دون أن يضطلع بأي مسئولية . لكنه لم يستطع الاستمرار فهاجر من روسيا الى برلين عام ١٩٢٢ . استأنف هناك حياته الفنية . لوحات ورسوم على حوائط زجاج كاتدرائية نوتردام ، وجامعة نيس بفرنسا . وعاد ليزور بلده عام ١٩٧٣ ، بعد أن نزح منها منذ ٥٣ عاماً . والواقع أن شاجال رغم خروجه وحياته في الغرب ، ظل متأثراً بروسيته . وكان من الغريب أنه لم يطرق أحداث بلاده أيام شبابه ، مهما كان رأيه فيها ، إلا عام ١٩٣٧ ، عندما رسم لوحته : « الثورة » التي جاءت بعد طول انتظار عملاً ضخماً طموحاً . يقول النقاد ان مشاعره المتضاربة تجاه تلك الأحداث قد تجلت في لوحته هذه ، حتى أنه اختار بعد ذلك أن يقسمها إلى ثلاثة أجزاء ، بينما يرى آخرون أن السبب هو في طموح العمل الفني وضخامته .

تزوج شاجال مرة أخرى عام ١٩٥٢ بعد أن بلغ الخامسة والستين ، لكن زوجته الثانية فالنتينا بروديسكى والتى كانت تشبه بيللا — زوجته الأولى — كانت تلعب دور مدير أعماله .

من لوحاته الأخيرة « لوحة السيرك الكبير » التى رسمها عام ١٩٦٨ .

كان شاجال مثله مثل فنانى القرن العشرين الكبار مولعاً بالسيرك وفنونه . يقول : « بالنسبة لى هناك شيء سحرى في السيرك ، هو عالم فى حد ذاته ، أقوى صرخة فى بحث الانسان عن المتعة والترفيه أو السعادة التى كثيراً ما تأخذ شكل أرقى الاشعار »

إن قدرة السيرك على خلق مشاهد تأخذ بلب الجماهير ، شدت شاجال دائماً ، فترددت كثيراً فى لوحاته . وقد بدأ ذلك حين زار السيرك لينتج بعض المطبوعات عنه فى عام ١٩٥٦ ، بعد أن دعي لحضور تصوير فيلم عن السيرك . منذ ذلك الحين تكرر ظهور مشاهد من السيرك في أعماله ، لكن لوحة « السيرك الكبير » اكثرها تأثيراً ، فالايحاء الجمالى والفلسفى يظهر هنا بجلاء ، فإلى جانب الاسود والأبيض ، هناك اللونان الأخضر والازرق اللذان يسودان اللوحة .

الغريب فى الأمر أن معرضه الأخير فى لندن ، والذى توفى فى آخر أيامه ، كان اكبر وأشمل معرض له ، جاء بعد معرض مماثل فى الولايات المتحدة الامريكية .

سيسيل نجيب



لغة الطير والحيوان

للطيور عدة وسائل صوتية للتفاهم والتعارف

بقلم: الدكتور محمد رشاد الطوبي



يحتوي القرآن الكريم على كثير من الحكم والأحاديث التي تمس كل كبيرة وصغيرة في حياتنا اليومية ، كما يحتوي على كثير من البيانات والمعلومات العلمية أو الطبية التي لم يستطع الانسان إدراكها أو التعرف على مدلولاتها إلا في العصر الحديث .

ولا يزال العلماء منذ هذا التاريخ إلى يومنا هذا يعثرون بين دفتي القرآن الكريم على حقائق علمية مثيرة لم يكن من المستطاع التعرف عليها من قبل ، ومنها على سبيل المثال موضوع دوران الأرض ، والجبال التي ترتفع فوق سطحها ويحسبها الانسان ساكنةً « وهي تمر مر السحاب » ، وحركة الشمس التي « تجري لمستقر لها » ، ودورة الماء في الطبيعة بعناصرها الأساسية ، وهي الرياح والسحب والأمطار ، وعن أهمية الماء الذي يهبط من السماء فيحيي « الأرض بعد موتها » ، وتنتج « من كل زوج بهيج » .



قصص القرآن حول لغة النمل ولغة الطيور التي قد تكون على شكل أصوات أو صيحات أو تغريد

هذه اللغة هي وسيلة انتقال المعلومات والمشاعر والاحتياجات الغذائية لتلك الكائنات

ولما كان هذا الكتاب الكريم لم يترك « صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » ، فإننا نجد بين طياته أيضاً ما يشير بشكل واضح إلى « لغة الطير والحيوان » ، وهو ما لم يستطع العلماء إدراكه والتحقق منه إلا في وقت قريب ، وذلك بعد عمل العديد من التجارب والمشاهدات التي تثبت صحة هذا القول .

ومن القصص الطريفة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم عن تلك اللغات قصة النملة التي شاهدت سيدنا سليمان وجُنُوده ، وهم يجتازون الوادي الذي تعيش فيه ، فما كان منها إلا أن طلبت من زملائها الدخول في منازلهم الموجودة تحت سطح الأرض حتى لا تدوسهم الأقدام ، وهو ما يظهر بوضوح كامل في الآية الكريمة التالية :

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمل قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وجُنُودُه وهُمْ لاَ يَشْعُرونَ) صدق الله العظيم

ولما كان سيدنا سليمان عليه السلام على معرفة بلغة الطيور والدواب وغيرها ، فقد فهم قول النملة وتحذيرها لبقية النمل ، ولم يكن منه بعد ذلك إلا أن « تبسم ضاحكاً من قولها » كما تستطرد بقية الآيات .

وهناك أيضاً قصة أخرى تتعلق بتلك اللغات وهي قصة الهدهد فقد كان سيدنا سليمان عليه السلام يتفقد الطيور والحيوانات الأخرى فلم يجد الهدهد بينهم ، وتساءل عن تخلفه كما يتضح من الآية الكريمة التالية :

(وتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لا أرى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الغَائِبِينَ) صدق الله العظيم .

وما هي إلا فترة وجيزة حتى حضر الهدهد ، معتذراً عما بدر منه من التأخر في الحضور ، وموضحاً أن السبب في هذا التأخر كان لأمر عظيم ، فقد شاهد وهو يطير في جو السماء قوماً يعبدون الشمس من دون الله ، وتتولى أمرهم سيدة لها « عرش عظيم » ، وكانت تلك السيدة هي بلقيس ملكة سبأ ، فما كان من سيدنا سليمان إلا أن أمر الهدهد بأن يحمل رسالة يلقيها عليها وعلى أتباعها من القوم الظالمين ، داعياً لهم جميعاً بالهدى والاسلام في قوله الواضح الصريح :

(أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) صدق الله العظيم

وبقية القصة معروفة لا داعي للاسترسال فيها ، وما يهمنا في هذا المجال هو الحديث الذي دار بين سيدنا سليمان والهدهد ، وكان الهدهد بطبيعة الحال يتكلم بلغة الطيور ، وهو ما يوضحه لنا القرآن الكريم على لسان سيدنا سليمان عليه السلام في الآية التالية :

(وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ)

ما المقصود باللغة ؟

وواضح أن منطق الطير هو لغة الطيور . وبذلك يكون قد ورد في القرآن الكريم ما يفيد بأن هناك لغةً للنمل ولغةً أخرى للطيور ، يستطيع أفراد كل منها أن يتعرف على معناها ، ويستجيب لمدلولاتها .

ولا بد لنا قبل الدخول في تفصيلات أخرى

لغة الطير و الحيوان

عالم ألماني يحلّ الرّموز في لغة النحل ، وينبّهنا إلى حركاتها الإيقاعية التي سمّاها "رقص النحل"!

أن نتعرف على المقصود بكلمة « لغة » كما هو وارد في المعاجم ، فقد جاء في المعجم الوسيط على سبيل المثال أن اللغة « هي أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم » ، وجاء في معجم اكسفورد الكبير أن « اللغة هي طريقة التعبير بالكلمات المسموعة » .

يتضح من ذلك أن اللغة الحقيقية تعتمد على عنصرين أساسيين ، وهما صدور الأصوات ، ثم سماع هذه الأصوات ، وفي الانسان يتحقق العنصر الأول باهتزاز « الأحبال الصوتية » الموجودة داخل الحنجرة ، ويقوم اللسان الموجود في أفواهنا بتكييف تلك الأصوات ، عند مرورها عبر تجويف الفم إلى الخارج ، أما سماع هذه الأصوات والاستدلال على مفهومها فهو من وظائف الأذن ، وهي عضو السمع عند الانسان وغيره من الطيور والحيوانات الأخرى .

ولذلك فإن الطفل الصغير المصاب بالصَمَم ، لا يستطيع سَماعَ الأصواتِ أو الكلمات التي نتبادلها فيما بيننا ، ولذلك فإنه يصبح فيما بعد من البُكْم الذين لا يتكلمون ، ولست في حاجة إلى القول بأن الانسان يتعلم في طفولته جميع الكلمات التي ينطق بها كل من حوله من البشر ، أي أنه يتعلم اللغة تعليماً ، ولا يولد على معرفة بها على الاطلاق ، ونستطيع أن نتلمس العلاقة بين الصَمَم والبَكَم في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، ومنها على سبيل المثال :

(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) صدق الله العظيم

والواقع أن البُكْمَ أو الخُرْسَ ، لهم لغةٌ خاصة يتفاهمون بها ، وهي لا تعتمد إطلاقاً على الأصوات ، ولذلك فقد قيل في تعريفها أنها « لغة الأصابع » ، وجاء في قاموس اكسفورد أن « لغة الأصابع » عبارة عن « التفاهم برموز متفق عليها مُسَبَّقاً بواسطة أصابع اليدين » .



الهدهد يتكلم بطبيعة الحال لغة الطيور

ومن هذا المنطلق نستطيع أن ندرك في ايجاز شديد المقصود بلغة « الطير والحيوان » ، فهي تختلف في مفهومها العلمي اختلافات واضحة عن لغة الإنسان ، كما أنها تعتمد على كثير من الوسائل المتباينة ، وتختلف تلك الوسائل في طبيعتها من نوع إلى آخر ، فقد تكون على شكل أصوات أو صيحات أو تغريد .

كما أنها قد لا تكون صوتية على الاطلاق ، بل تستخدم فيها بعض الحواس كالشم واللمس والابصار وغيرها ، كما أنها قد تكون في بعض الأحيان « إشارة ضوئية » ، يطلقها بعض الأفراد ، ليستدل منها الافراد الآخرون على أماكن تواجدها ، ويكون صدورها عن مجموعة الحيوانات التي يطلق عليها اسم « الحيوانات المضيئة » ، وأياً كانت وسيلة هذا التفاهم فقد اعتبرها العلماء المختصون لغة لهذه الحيوانات أو الطيور ، طالما أنها تستخدم في نقل المعلومات والمشاعر والاحتياجات الغذائية أو الجنسية من فرد إلى آخر .

أهمية الاصوات

ويحتوي عالم الحيوان بصفة عامة وعالم الطيور بصفة خاصة على عدد كبير من الأنواع ، يستطيع أفراد كل منها أن يتفاهموا فيما بينهم بوسيلة أو بأخرى من الوسائل التي سبق ذكرها ، وقد استطاع العلماء المختصون بدراسة « سلوك الحيوان » ، أن يوضحوا لنا أن التفاهم الذي يتم بين أفراد النوع الواحد ، قد يكون بقصد التحذير من أخطار تلوح في الأفق ، أو التنبيه إلى وجود مصادر غذائية يتم اكتشافها ، أو للتجمع في قطيع واحد ، أو سرب واحد ، أو لبقاء الأسرة متماسكة حتى لا يضل صغارها في مواسم التكاثر ، أو لغير ذلك من الأسباب .

ومن المعروف ان للطيور عدة وسائل صوتية ، يتم احداثها للتفاهم والتعارف والتآلف ، ومنها على سبيل المثال هديل الحمام واليمام ، وتغريد البلابل والكروان ، وصيحات الطيور البحرية عندما يشاهد البعض منها سرباً من الأسماك عند سطح الماء ، وكذلك صرخات الصقور والنسور وغيرها من جوارح الطير ، ولكل منها دلالات خاصة ومعان محددة من تلك التي سبقت الاشارة إليها .

ولا شك أن للأصوات أهمية فائقة في تجمعات « الطيور المهاجرة » ، وتعيش تلك الطيور طبيعياً في الأقاليم الشمالية الباردة ، من نصف الكرة الشمالي ، في كل من آسيا وأوربا وأمريكا الشمالية ، وهي في الواقع من سكان تلك المناطق ، ولكن عند حلول فصل الشتاء ، تشتد برودة الجو ، ويتساقط الجليد على سطح الأرض ، ويقل الغذاء تدريجياً حتى لا يكاد يوجد على الاطلاق .

ولا تجد تلك الطيور أمامها وسيلة للعيش ، سوى القيام « بهجرة جماعية » نحو الجنوب ، حيث يكون الجو أكثر دفئاً ، والغذاء أكثر وفرة وتنوعاً ، وقد لاحظ علماء الطيور ، أنها تُحْدِث في تلك الفترة من تاريخ حياتها ، كثيراً من الاشارات الصوتية التي تؤدي في النهاية ، إلى تكوين أسراب ضخمة مستعدة للهجرة نحو الجنوب .

ويتكون كل واحد من تلك الأسراب من أعداد ضخمة من الأفراد من نوع واحد فقط ، ويكون لكل منها مرشد أو دليل من أقوى تلك الطيور وأعظمها شأناً ، حيث يسير في مقدمة السرب وكأنه رمز للصمود . والكفاح ، ويقطع البعض من تلك الأسراب المهاجرة آلافاً من الكيلومترات في تلك الرحلة الجماعية ، ولما كانت هناك أنواع من الطيور لا تهاجر إلا ليلاً ، فيكون من الضروري إحداث أصوات مميزة ، ليبقى السرب متماسكاً في طيرانه ، وخصوصاً في الليالي الحالكة الظلام ، التي لا يجدي فيها الابصار . وتكون تلك الأصوات مرشداً هاماً لمختلف الأفراد ، وعلى وجه الخصوص تلك الأفراد التي تتخلف أو تنحرف عن مسار السرب أثناء طيرانه الليلي .

حنجرة الطيور والأصوات الحادة

والأصوات التي تصدرها الطيور على



لغة النحل تعتمد أساسا على حاسة الشم

اختلاف أنواعها ، سواء كانت من الطيور الأوابد (وهي التي لا تغادر أوطانها صيفاً أو شتاء) ، أو من الطيور المهاجرة ، يتم انطلاقها من الحنجرة ، وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن حنجرة الانسان أو أي حيوان آخر ، وذلك لأن حنجرة الانسان تقع في مقدمة القصبة الهوائية ، بعد تجويف الفم مباشرة ، أما حنجرة الطيور فتقع في مؤخرة القصبة الهوائية ، بالقرب من الرئتين ، ولذلك تسمى « الحنجرة السفلية » ، ونظراً لوجودها في هذا المكان العميق داخل الصدر ، فإن الأصوات التي تصدرها ، تمر قبل انطلاقها إلى الخارج ، عبر القصبة الهوائية بأكملها ، وهو ما يجعلها أكثر قوة وبهاء في معظم الحالات ، وخصوصاً عند الطيور المغردة كما هو معروف ومألوف .

وبالاضافة إلى الطيور توجد حيوانات أخرى عديدة تعتمد على اصدار الأصوات في حياتها اليومية ، ومنها الخفافيش (الوطاويط) على سبيل المثال ، والخفافيش ثدييات ليلية ، فهي تختبىء في جحورها أثناء النهار ، فإذا أقبل الليل وأظلمت السماء خرجت من مخابئها سعياً وراء الغذاء ، وقد لاحظ العلماء منذ وقت طويل أن للخفافيش قدرة فائقة على الطيران السريع في الظلام الحالك ، دون أن تصطدم بالأشجار أو الجدران أو الحواجز الأخرى التي تعترض طريقها أثناء هذا الطيران السريع ، ولما كان الابصار لا يجدي في مثل هذا الظلام الحالك ، فقد بدأ العلماء في البحث عن الحاسة التي تعتمد عليها الخفافيش في تحركاتها الليلية السريعة ، وكان من أوائل هؤلاء العلماء وأكثرهم شهرة في هذا المجال العالم الايطالي « سبالنزاني » ، فقد قام بعديد من التجارب ، كان البعض منها يتسم بالقسوة الشديدة مما جعله فيما بعد موضعاً للنقد من جمهرة العلماء ، فقد كان يفقأ عيون الخفافيش حتى لا تبصر على الاطلاق ، ثم يتركها تطير في غرفة متسعة ، مُدَّتْ بها الأحبال في مختلف الاتجاهات ، وقد علقت بها أجراس صغيرة ، حتى إذا لامستها الخفافيش أثناء طيرانها دقت تلك الأجراس ، ثم أظلم الغرفة إظلاماً تاماً ، وقبع في ركن منها دون حراك ، ليرى ما تفعل الخفافيش العمياء أثناء طيرانها في هذا الظلام ، وقد وجد أنها تطير من مكان إلى مكان داخل الغرفة في مختلف الاتجاهات ، دون أن يدق جرس واحد من تلك الأجراس ، وكانت تقترب من وجهه أحياناً ويحس برفيف أجنحتها دون أن تلمسه أو تصطدم به ، وقد عرف فيما بعد أنها تصدر أثناء هذا الطيران بصفة مستمرة أصواتاً حادة « فوق سمعية » (Super – sonic) لا تستطيع الأذن البشرية إدراكها ، وأن هذه الأصوات أو الموجات الصوتية عند اصطدامها بالحواجز تنعكس إلى الاتجاه المضاد فتلتقطه أذن الخفاش ، ويدرك على الفور وجود هذه الحواجز فيتحاشاها ولا يصطدم بها على الاطلاق ، وقد استغلت تلك المعلومات الهامة بعد ذلك في عمل « الرادار » .

لغة الحشرات

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن « لغة الحشرات » لوجدنا أن أهم البحوث التي أجريت في هذا المجال هي بحوث العالم الألماني « فون فريتش » ، فقد أمضى هذا العالم الكبير سنوات عديدة في عمل التجارب والمشاهدات التي تتيح له التعرف على وسائل الاتصال بين مختلف الأفراد في خلية النحل[١] وذلك لأن نظام العمل داخل تلك الخلية دقيق للغاية ، والتفاهم والانسجام بين أفراد المجموعة الواحدة لا يعادلهما إلا ما يحدث بين المجتماعات البشرية التي يسودها النظام والمحافظة على المصلحة المشتركة لجميع السكان .

وقد استطاع « فون فريتش » بعد تلك الدراسات أن يحل كثيراً من الرموز فيما يتعلق « بلغة النحل » ، وهو يحدثنا بأنها تعتمد أساساً على حاسة الشم ، كما تعتمد على نوع من الحركات الايقاعية التي أطلق عليها اسم « رقص النحل » ، فقد وجد على سبيل المثال أن النحلة الشغالة إذا اكتشفت أثناء تجوالها للبحث عن الغذاء إحدى الحدائق أو الحقول المليئة بالزهور ، فإنها تملأ جعبتها من رحيق تلك الزهور وأيضاً من حبوب اللقاح التي تعثر عليها ، ثم تعود بعد ذلك إلى خليتها وقد ملأها الزهو والسرور ، وما أن تدخل الخلية حتى تجد الشغالة الآخرين في انتظارها للتعرف على نتيجة تلك الرحلة الاستكشافية ، وسرعان ما تبدأ النحلة العائدة في ممارسة نوع من « الحركات الايقاعية » التي يفهمها بقية الشغالة ، إذ أنهم يأخذون في هذه الأثناء في ملاحظتها بانتباه شديد ، كما أنهم يتشممون الرائحة التي تنبعث من جسمها ، وهي بطبيعة الحال رائحة الأزهار التي جمعت منها الرحيق ، كما أنها تقوم بعد ذلك بمنح جرعات صغيرة من هذا الرحيق إلى زميلاتها الواحدة بعد الأخرى لتتحقق تماماً أن كلاً منها قد استوعبت تماماً رائحة الأزهار ونوع الرحيق المستمد منها ، وسرعان ما تخرج تلك الشغالة بعد حصولها على تلك المعلومات في أفواج كبيرة متجهة نحو الهدف دون تردد أو ابطاء ، وهناك عديد من الدلالات التي تفسر بوضوح صحة الاستنتاجات التي استخلصها « فون فريتش » فيما يتعلق بلغة النحل والوسائل المتبعة لايصال المعلومات إلى مختلف أفراد الجماعة .

محمد رشاد الطوبي

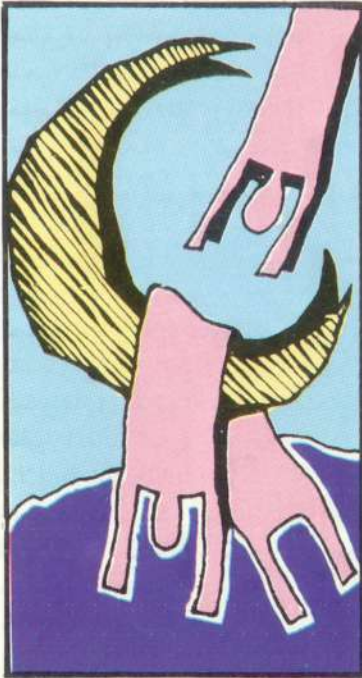
هامش :

(١) تحتوي خلية النحل على ملكة واحدة وعدد قليل من الذكور وبضعة آلاف من الشغالة التي تقوم بجميع الأعمال داخل الخلية أو خارجها .

الجوكر الفلسطيني

شعر: محمد الظاهر

أُحاورُ أوراقَ البلادِ ، فلا أجدْ
عواصمَها إلاّ طريقاً إلى اللغةْ
ولي لغةٌ أُخرى ، نصبتُ موائدي على ملكوتِ الأرضِ ، فليلعبوا على
رهانِ الدمِ المنثورِ في بيرقِ الرصاصْ
ولي طقسي الغيبي أذْهَبُ في المدى ، إلى عتباتِ الصَّحوِ ، أمحو
غبارَها
ولي وطنٌ آخَيْتُهُ بتآلفي معَ الموتِ ، لمْ أَفْتَحْ يَديَّ على مدىً من العمرِ
الا بعدَهُ كانَ شاهداً على شهوتي للموتِ ، نشوةِ لذَّتي ، وقمحِ بقائي
أوْ رحيلي إلى هوىً ، ويقظةِ إحساسٍ ، إلى شمسِ رَغْبَتي
وَجَدْتُ معَ الأمواتِ وجهي ، تَطَلَّعَتْ إليَّ جهاتُ الأرضِ ، هذا زفافُها ، تَفِرُّ
عصافيرٌ وَتَدْنو أصابعي إلى نومِها الفطريِّ ، في اللغةِ التي تُفاجِئُ
سرَّ البرقِ قبلَ انتشارهِ ، بصاعقةِ التَّكوينِ أو زهرةِ الغناءْ
أنا هادمُ اللذاتِ ، زلزالُ عرشِهِمْ ، وقارَبُ أحلامِ الشعوبِ لِما تَشاءْ
خلاصي خلاصُ الكونِ منْ هامشِ المَناصْ
وَقَتْلي بريقُ الحلمِ تفاحةُ اليَقينْ
أُحاصرُهُمْ في لعبةِ الموتِ ، كلَّما أعاقوا انتشاري في التواريخ أيقظَتْ
خطايَ خيولَ الدَّمِ في هيكلِ الرِّمالْ
جنوني لهُ نارُ القبائلِ صفحةٌ ، منَ الوقتِ ، يُصغي للأساطيرِ كلَّما أضاءَتْ
لهُ منْ ساعدِ الطِّفلِ ثورةٌ ، تَجلّى ملاكاً ، واسْتراحَ إلى الأبَدْ
أليسَ غريباً أنْ ينازِعَني أحدْ
على قصعةٍ للموتِ ، أو خندقِ الجسد
رسمتُ حدودَ الآخرينِ فَلا أُحَدْ
وأَغْلَقْتُ في وجهِ الممالكِ دَوْرَتي
أنا قانصُ الأوقاتِ منْ كوكبِ المُحالْ



أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

أبو عبد الله آخر ملوك الأندلس

بقلم: محمد عبد الله عنان

مأساة شهيرة فى التاريخ الاسلامى ، هى مصرع غرناطة آخر معقل للاسلام بالأندلس ، وشخصية محزنة هى شخصية آخر ملك أندلسى مسلم ، طويت على يده تلك الصفحة المجيدة الباهرة التى افتتحها موسى وطارق فى تاريخ الاسلام بأسبانيا قبل ذلك بثمانية قرون .

لبث الاسلام فى اسبانيا خلال هذه القرون الثمانية يغالب النصرانية وتغالبه ، والاسلام مذ انهار صرح الدولة الأموية دائم الخلاف والتفرق ، سائر أبدا فى طريق الضعف والإنحلال ؛ والنصرانية تجتمع دائما على غزوه ونضاله ، وتنتزع منه تباعا قواعده وثغوره ، حتى إذا جاء القرن الثامن لم يبق من دولة الاسلام الشامخة بالأندلس سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، تواجه وحدها داخل الجزيرة عدوها القوى . وسطعت هذه الأندلس الصغيرة مدى حين ، ولكنها لم تنج من خطر التفرق ؛ واسبانيا النصرانية أثناء ذلك متربصة بها تكاد تلتهمها من وقت الى آخر ، لولا أن كانت صولة الاسلام فى الضفة الأخرى من البحر — فى المغرب الأقصى — تروعها وتردها . وكانت مملكة غرناطة كلما تبينت شبح الخطر الداهم تستغيث بجارتها المسلمة القوية فيما وراء البحر ، دولة بنى مرين . ولكن بنى مرين لم يستجيبوا دائما الى دعوة الاسلام المحتضر بالأندلس ، وكانت لهم أحيانا مطامع ومشروعات فى الأندلس ذاتها . وكانت اسبانيا النصرانية كلما استيقنت تصرم العلائق بين الشقيقتين انقضت على الأندلس فاقتطعت منها ثغرا أو قاعدة جديدة . وكان رجالات الأندلس يستشفون من وراء ذلك خطر الفناء المحقق ، بل لقد استشعر به ابن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها الكبير قبل تحققه بأكثر من قرن ، وصرح به فى إحدى رسائله إلى ملك فاس اذ يدعوه إلى غوث الأندلس ونجدتها ويقول : « ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة تأميلكم أو أعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه »[1]

وهكذا نرى الأندلس منذ أوائل القرن التاسع الهجرى تسير بسرعة فى طريق الانحلال والفناء حتى إذا كانت أواخر هذا القرن لم يبق للإسلام فى أسبانيا سوى مملكة

أبو عبدالله آخر ملوك الأندلس

غرناطة الصغيرة وفيها مدن وثغور قلائل تتربص بها النصرانية وتعد العدة لسحقها.

وكان على عرش غرناطة يومئذ السلطان أبو الحسن على بن سعد النصرى الأحمرى. ولى الملك سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦)، ولكنه لم يستخلص الملك لنفسه إلا بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه وعلى رأسهم أخوه أبو عبدالله المعروف «بالزغل». وكانت الحرب الأهلية تضطرم فى مملكة غرناطة كلما لاحت فرصة للتنازع على العرش. فلما استقر أبو الحسن فى عرشه، أبدى همة فائقة فى تحصين المملكة وتنظيم شئونها، وبث فيها روحا جديدا من البأس والطمأنينة، واستطاع ان يسترد عدة من الحصون والقواعد التى افتتحها النصارى، ولاح للنصرانية أن الأندلس المحتضرة تكاد تبدأ حياة جديدة. بيد أن هذا البعث الخلب لم يطل أمده. ذلك أن عوامل الخلاف الخالدة عادت تعمل عملها، وبذر أبو الحسن حوله بذور السخط والغضب بما ارتكبه فى حق الأكابر والقادة من العسف والشدة، وبما اغرق فيه من صنوف اللهو والعبث. وكان أبو الحسن قد اقترن بالأميرة عائشة ابنة عمه السلطان أبى عبدالله الأيسر، ورزق منها ولدين هما محمد ويوسف. ولكنه عاد فاقترن بنصرانية رائعة الحسن تعرف فى الرواية العربية «بثريا الرومية».

وتقول الرواية الأسبانية ان «ثريا» هذه كانت ابنة عظيم من عظماء اسبانيا هو القائد (سانكو كمنيس دى سوليس) وإنها أخذت أسيرة فى بعض المعارك وهى صبية فتية، وألحقت وصيفة بقصر الحمراء، فهام أبو الحسن بجمالها حبا، ولم يلبث أن تزوجها واصطفاها على زوجه الأميرة عائشة المعروفة «بالحرة» تمييزا لها من الجارية الرومية أو إشادة بعفتها وطهرها[٢] ولم يكن اقتران السلطان بنصرانية بدعة، ولكنه تقليد قديم فى قصور الأندلس، وقد ولد كثير من خلفاء الأندلس ورجالها العظام من أمهات من النصارى مثل عبدالرحمن الناصر وحفيده هشام المؤيد. وكان لهذا التقليد أثره السيىء فى انحلال عصبية الدولة الاسلامية، بيد انه كان أشد خطرا وقت الانحلال العام. وكان وجود أميرة أجنبية فى قصر غرناطة تستأثر بالسلطان والنفوذ فى هذا الظرف العصيب، عاملا جديدا فى إذكاء عوامل الخصومة والتنافس. ذلك لأن «ثريا» أعقبت من السلطان أبى الحسن ولدين، وأرادت أن يكون العرش لأحدهما،

وبذلت كل ما استطاعت من الاغراء والدس لابعاد خصيمتها الأميرة عائشة عن كل نفوذ وحظوة، وحرمان ولديها محمد ويوسف من كل حق فى الملك، وكان أكبرهما محمد ولقبه أبو عبدالله ولى العهد المرشح للعرش، فنزل أبو الحسن عند سعى حظيته وأقصى عائشة وولديها عن عطفه ورعايته: ولا زالت ثريا فى سعيها ودسها حتى اعتقلهم أبو الحسن فى أحد أبراج الحمراء وضيق عليهم وأخذ يعاملهم بمنتهى الشدة والقسوة، فأثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها بعطفهم وتأييدهم، وانقسم القصر وانقسم الزعماء والقادة إلى فريقين خصيمين، واضطرمت الأهواء، والشهوات والأحقاد، واشتد السخط على أبى الحسن وحظيته التى أضحت سيدة غرناطة الحقيقية، واستأثرت بكل سلطة ونفوذ.

وكانت الاميرة عائشة امرأة وافرة العزم والشجاعة فلم تستسلم إلى قدرها الجائر، بل عمدت إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها، وأخذت تدبر معهم وسائل الفرار والمقاومة. وفى ذات ليلة استطاعت أن تفر من الحمراء مع ولديها محمد ويوسف بمعاونة بعض الأصدقاء المخلصين. وتقدم الرواية إلينا عن هذا الفرار صورا شائقة، فتقول إن الأميرة استعانت بأغطية الفراش على الهبوط من نوافذ البرج الشاهق فى جوف الليل، وأبدت فى ذلك من الجرأة والشجاعة ما يخلق بأبطال الرجال. وكان ذلك فى ليلة من ليالى جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م). واختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم وظاهرهم فريق كبير من أهل غرناطة، وظهر الأمير الفتى محمد أبو عبدالله فى وادى آش حيث مجمع عصبته وأنصاره ونشبت الثورة وانقضت العاصفة على أبى الحسن، وكانت عصبته أقلية ففر إلى مالقة وكان بها وقتئذ أخوه الأمير أبو عبدالله محمد ابن سعد (المعروف بالزغل) يدافع عنها جيشا جرارا من النصارى سيره ملك قشتالة (فرديناند الخامس) لافتتاحها. وجلس أبو عبدالله محمد بن السلطان مكان أبيه على عرش غرناطة (أواخر سنة ٨٨٧ هـ) وأطاعته غرناطة ووادى آش وأعمالهما وبقيت مالقة وغرب الأندلس على طاعة أبيه. وكان أبو عبدالله يومئذ فتى في نحو الخامسة والعشرين.

وكان ملك قشتالة يرقب سير الحوادث فى مملكة غرناطة بمنتهى الاهتمام. فلما اضطرمت بنار الحرب الأهلية ولاحت له

فرصة الغزو والفتح، سير جيشه الى مال[...] لافتتاحها ولكن المسلمين تأهبوا لرد النصار[...] بعزم وقوة وهزموهم فى عدة مواقع فيما بي[...] مالقة وبلش (فيليز Velez) وهزم النصارى [...] ظاهر مالقة هزيمة ساحقة وقتل وأسر منهم عد[...] آلاف بينهم عدة من الزعماء والأكابر (ص[...] ٨٨٨ هـ — مارس ١٤٨٣ م) وكان منظم ه[...] الدفاع الباهر الامير أبو عبدالله «الزغل[...] فانتعشت آمال المسلمين نوعا وسرت الحماس[...] إلى غرناطة واعتزم ملكها الفتى أن يحذو حذ[...] عمه الباسل فى الجهاد والغزو وأن ينتهز فرص[...] اضطراب النصارى عقب الهزيمة، فخرج [...] قواته فى ربيع الاول من هذا العام (ابري[...] ١٤٨٣) متجهاً نحو حصن قرطبة شما[...] شرقى غرناطة، واجتاح فى طريقة عدداً م[...] الحصون والضياع، ومزق النصارى فى عد[...] معارك محلية، ثم ارتد مثقلا بالغنائم ير[...] العودة فأدركه النصارى فى ظاهر قلعة اللشا[...] (لوتشينا Lucena) وكان يزمع حصارها [...] ونشبت بين الجيشين معركة هائلة ارتد فيه[...] المسلمون إلى ضفاف شنيل والنصارى [...] اثرهم، فهزم المسلمون هزيمة شديدة وغر[...] كثير منهم فى شنيل. وقتل وأسر كثير م[...] قادتهم وفرسانهم، وكان بين الأسرى السلطا[...] أبو عبدالله محمد نفسه، عرفه الجند النصار[...] من الأسرى أو عرفهم بنفسه خشية الاعتدا[...] عليه وأخذوه إلى قائدهم الكونت كابرا [...] فاستقبله بحفاوة وأدب وأنزله بأحد الحصو[...] القريبة تحت رقابة حرس قوى وأخطر [...] الحال ملكى قشتالة بالنبأ السعيد، وعا[...] المسلمون إلى غرناطة دون ملكهم، فارتاع[...] غرناطة للنكبة واضطرب الشعب، واجتم[...] الكبراء والقادة وقرروا استدعاء أبى الحس[...] السلطان المخلوع ليجلس على العرش، ولكن أ[...] الحسن كان قد هدمه الاعياء والمرض وفق[...] بصره ولم يستطع أن يضطلع طويلا بأعب[...] الحكم، فنزل عن العرش لأخيه محمد أب[...] عبدالله «الزغل» حاكم مالقة وارتد الى المنكب[...] فأقام بها حينا حتى توفى، وجلس «الزغل[...] على العرش يدير شئون المملكة وينظم الدفاع ع[...] أطرافها.

أما السلطان أبو عبدالله بن أبى الحس[...] فلبث يرسف فى أسره عند النصارى وأدر[...] ملك قشتالة فى الحال ماللأمير الأسير م[...] الأهمية، وأخذ يدبر أفضل الوسائل للاستعا[...] به فى تحقيق مآربه فى مملكة غرناطة. وبذل أ[...] الحسن حين عوده إلى العرش مجهودا لافتدا[...]

ولده لا حبا فيه وشفقة عليه ، ولكن لكى يحصل فى يده ويأمن بذلك شره ومنافسته ، وعرض على فرديناند نظير تسليمه أن يدفع فدية كبيرة وأن يطلق عددا من أكابر النصارى المأسورين عنده فأبى فرديناند وآثر أن يحتفظ بالأسير الى حين ، وبذلت الأميرة عائشة من جهة أخرى مجهوداً آخر لانقاذ ولدها بمؤازرة الحزب الذى يناصره ، واقترحت على ملك قشتالة معاهدة خلاصتها أن يتولى أبو عبدالله الملك فى طاعة ملك قشتالة ، وأن يدفع له جزية سنوية ، وأن يطلق كل عام عدداً معينا من النصارى ، وأن يدفع مقابل إطلاقه فدية كبيرة وأن يفرج فى الحال عن أربعمائة من أسرى النصارى يختارهم ملكهم ، وأن يقدم المعاونة العسكرية كلما طلبت إليه ، وأن يقدم ابنه الوحيد كفالة مع عدد من أبناء الأسر الكبيرة[3] ومع أن عقد هذه المعاهدة كان خطوة كبيرة فى سبيل القضاء على مملكة غرناطة ، فان فرديناند رأى قبل عقدها أن يستغل أسر ملك غرناطة وأن يستعين به على تنفيذ برنامجه الحربى . وكان أبو عبدالله[4] أميراً ضعيف العزم والارادة ، قليل الحزم والخبرة ، كثير المطامع والأهواء ، ولم يكن يتمتع بشىء من تلك الخلال الباهرة التي امتاز بها أسلافه وأجداده العظام بنو الأحمر ، وكان الملك والحكم غايته يبتغيها بأى الأثمان والوسائل . وقد ألفى ملك قشتالة القوى فى ذلك الأمير الضعيف المستهتر بحقوق أمته ودينه ، أداة صالحة يوجهها كيفما شاء ، فاتخذه وسيلة لبث دعوته بين أنصاره ومؤيديه فى غرناطة وغيرها ، وليقنع المسلمين بأن الصلح مع ملك قشتالة خير وأبقى ، وسير ملك قشتالة فى الوقت نفسه قواته فى أنحاء مملكة غرناطة لكى تنتزع أثناء الاضطراب العام كل ما يمكن انتزاعه من القواعد والحصون الاسلامية ، فاستولت على عدة منها ، ونشبت من جهة أخرى فى غرناطة حرب أهلية لم تكن بعيدة عن وحى أبى عبدالله وحزبه ، وقامت (البيازين) ضاحية غرناطة بدعوته ، وشغل ملك غرناطة (أبو عبدالله الزغل) باخماد الثورة عن مقاتلة النصارى . وفى نفس هذه الآونة العصيبة أطلق فرديناند سراح أبى عبدالله بعد ان ارتضى عقد المعاهدة التى عرضت عليه مع تعديل يسير فى بعض نصوصها ، وبعد لقاء تم بين الملكين فى قرطبة أعلن فيه أبو عبدالله خضوعه وطاعته لملك قشتالة ، واتفق ان تكون الهدنة لعامين وأن تطبق فى جميع الأنحاء التى تدين بالطاعة لأبى عبدالله . وظهر أبو عبدالله يبث دعوته فى الأنحاء الشرقية والحرب الأهلية قائمة فى غرناطة (اوائل سنة ٨٩١ هـ ــ ١٤٨٦ م) .

وبدأت المفاوضة بينه وبين عمه (ملك غرناطة) فى الصلح . ولكن حدث أثناء ذلك أن هاجم النصارى مدينة لوشة جنوب غربى غرناطة واستولوا عليها (جمادى الأولى سنة ٨٩١ هـ) وكان موقف أبى عبدالله أثناء هذه الحوادث مريبا ؛ وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه ، ولم يكن خافيا أنه يستظل بمظاهرة النصارى[5] وفى شوال ٨٩١ ظهر أبو عبدالله فى (البيازين) فجأة واجتمع حوله أنصاره ، واعلن الثورة على عمه ؛ ونشبت بينهما الحرب فى ظاهر غرناطة ، وأمد فرديناند حليفه أبا عبدالله بالجند والذخائر والمؤن . واستمر القتال بينهما مدى أشهر . وفى ربيع الثانى سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م) سير فرديناند قواته الى بلش مالقة (فيليز مالاجا) الواقعة على مقربة من ثغر مالقة ليفتتحها تمهيدا للاستيلاء على مالقة ، وأدرك أبو عبدالله الزغل أهمية بلش الحربية فهرع إلى الدفاع عنها مع بعض قواته ، وترك البعض الآخر لقتال أبى عبدالله وأهل البيازين ولكن إقدام الزغل وعزمه وشجاعته لم تغن شيئا ، وسقطت بلش فى يد النصارى (جمادى الأولى ٨٩٢ ــ ابريل ١٤٨٧) وعاد الزغل بجنده ميمما صوب غرناطة ، ولكنه علم أثناء مسيره أن غرناطة قامت أثناء غيابه بدعوة أبى عبدالله ، وأنه دخلها وتبوأ العرش مكانه (جمادى الأولى) ، فارتد بصحبه إلى وادى آش وامتنع بها ، وانقسمت بذلك مملكة غرناطة الصغيرة إلى شطرين يتربص كل منهما بالآخر : غرناطة وأعمالها ويحكمها أبو عبدالله محمد ، ووادى آش وأعمالها ويحكمها عمه أبو عبدالله الزغل ، وتحقق بذلك ما كان يبتغيه ملك قشتالة من تمزيق شمل البقية الباقية من دولة الاسلام بالأندلس تمهيدا للقضاء عليها .

تبوأ أبو عبدالله عرش غرناطة للمرة الثانية بعد ان قضى فى أسر ملك قشتالة زهاء ثلاثة أعوام . وكانت الخطوب والفتن التى توالت على مملكة غرناطة قد مزقتها حسبما بينا ، فلم يبق منها بيد الاسلام سوى بضع مدن وقواعد متناثرة مختلفة الرأى والكلمة ينضوى بعضها تحت لواء أبى عبدالله والبعض الآخر تحت لواء عمه محمد بن على (الزغل) . وكان واضحا أن مصير غرناطة يهتز فى يد القدر بعد أن نفذت جيوش النصرانية الى قلبها : واستولت على كثير من قواعدها وحصونها الداخلية ، ولم يكن الملك الصغير (ابو عبدالله) طبق المعاهدة التى عقدها مع فرديناند سوى تابع لملكة قشتالة ، يدين لها بالخضوع والطاعة . وكان ملك قشتالة يحرص من جهة أخرى على المضى فى تحقيق خطته لسحق البقية الباقية من دولة الاسلام فى الأندلس قبل أن يعود اليها اتحاد الكلمة ، فيبعث اليها روحا جديدا من العزم والمقاومة ، فبدأ بغزو القواعد الشرقية والجنوبية التى يسيطر عليها مولاى الزغل لأنه كان فى صلح مع غرناطة يمتد الى عامين ، وقد اراد ان يسبغ على عهوده مسحة غادرة من الوفاء ، ولأنه أراد أولا أن يعزل غرناطة ، وأن يطوقها من كل صوب . وزحف فرديناند بادىء بدء على مالقة أمنع ثغور الاندلس وعقد صلتها بالمغرب ، وطوقها بقوات كثيفة من البر والبحر وسقطت مالقة رغم دفاعها المجيد فى شعبان سنة ٨٩٢ هـ (اغسطس ١٤٨٧ م) .

ثم استولى فرديناند على المنكب والمرية (أواخر سنة ٨٩٤ هـ ــ ١٤٨٩ م) ثم على بسطة (المحرم ٨٩٥ هـ ديسمبر ١٤٨٩) ثم قصد الى وادي آش آخر معقل لمولاى الزغل ، ورأى الزغل رغم شجاعته وبسالته أنه يغالب المستحيل وان جيوش النصرانية تحيط به من كل صوب ، فانتهى الى الاذعان والتسليم ، ودخل فرديناند وادى آش فى صفر سنة ٨٩٥هـ (يناير ١٤٩٠ م) واتفق بادىء بدء أن يستمر (الزغل) فى حكم قواعده باسم ملك قشتالة وتحت حمايته ، وان يلقب بملك اندرش ، وان يمنح دخلا سنويا كبيرا ، لكنه لم يلبث ان رأى انه يستحيل عليه الاستمرار فى ذلك الوضع الشاذ ، فباع حقوقه لفرديناند مقابل مبلغ كبير ، وجاز البحر الى المغرب واستقر فى تلمسان يقضى بها بقية حياته فى غمر من الحسرات والعدم ، وجاز معه كثيرون من الكبراء الذين أيقنوا ان نهاية الاسلام بالأندلس قد غدت قضاء محتوما .

ثم جاء دور غرناطة آخر معقل للاسلام بالاندلس . وكانت جميع قواعد الأندلس الأخرى : مالقة والمرية ووادى آش والحامة وبسطة قد غدت نهائيا من املاك مملكة قشتالة

أبو عبدالله آخر ملوك الأندلس

وعين لها حكام من النصارى ، وتدجن أهلها أو غدوا مدجنين يدينون بطاعة ملك النصارى[٦] وذاعت بها الدعوة النصرانية فارتد كثير من المسلمين عن دينهم حرصا على أوطانهم ومصالحهم ، وخشية الريب والمطاردة ؛ وجازت ألوف أخرى ممن خشوا على أنفسهم ودينهم الى المغرب وتفرقوا فى ثغوره ، وهرعت ألوف أخرى الى غرناطة تلوذ بها حتى غدت المدينة تموج بسكانها الجدد . وكان سلطان غرناطة ابو عبدالله يرقب هذه الحوادث جزعا ويشعر انها تسير الى نتيجة محتومة هى سقوط غرناطة فى يد العدو الظافر ، وكان قد تخلص بانسحاب عمه الزغل من الميدان من منافسه القوى ، ولكنه فقد فى نفس الوقت أقوى عضد يمكن الاعتماد عليه فى الدفاع والمقاومة .

وسرعان مابدت طوالع الخطر الداهم ، وبعث فرديناند الى ابى عبدالله يطلب اليه تسليم الحمراء[٧] والبقاء فى غرناطة فى طاعته وتحت حمايته مثلما وقع لعمه الزغل ؛ فثار ابو عبدالله لذلك الغدر ، وأدرك — وربما لأول مرة — فداحة خطئه فى محالفة ذلك الملك الغادر ، وجمع الكبراء ، والقادة ، فأجمعوا على الرفض والدفاع حتى الموت عن وطنهم ودينهم ؛ ودوت غرناطة بصيحة الحرب ؛ وحمل ابو عبدالله بعزم شعبه على القتال والجهاد ، وخرج فى قواته يحاول استرداد القواعد والحصون المسلمة المجاورة ؛ وثار أهل البشرات وما حولها على النصارى ؛ ووقعت بين المسلمين والنصارى عدة مواقع ثبت فيها المسلمون ، واستردوا كثيرا من الحصون والقرى فى تلك المنطقة (اواخر سنة ٨٩٥ هـ) ، وعاد ابو عبدالله الى غرناطة ظافرا ، وانتعشت قلوب الغرناطيين نوعا بذلك النصر الخلب ، وأخذوا يتأهبون للدفاع بعزم . وغضب فرديناند لتلك المفاجأة التى لم يكن يتوقعها واعتزم ان يقوم بضربته الحاسمة فى الحال ؛ فخرج فى ربيع العام التالى (٨٩٦ هـ) فى جيش ضخم مزود بالمدافع والذخائر الوفيرة : وسار توا الى غرناطة ونزل بمرجها الجنوبى وأنشا لجيشه فى تلك البقعة مدينة صغيرة مسورة سميت سانتافى Santa fe (شنتق) او الايمان المقدس رمزا للحرب الدينية ، وهى تقوم حتى اليوم ، وبدأ حصار غرناطة فى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦ هـ (مارس ١٤٩١ م) .

ولسنا نقف طويلا عند حوادث هذا الصراع الأخير بين الاسلام والنصرانية فى الأندلس ؛ فهى تملأ فصولا طويلة مؤثرة فى الروايات العربية والافرنجية[٨] ؛ ويكفى أن نقول ان غرناطة دافعت عن نفسها دفاعا مجيدا ، ولم تدخر لاجتناب قدرها جهدا بشريا ؛ وأن فروستها الشهيرة بذلت بقيادة زعيمها موسى ابن ابى الغسان أشجع فرسان عصره ، ضروبا رائعة من البسالة ، وخرج المسلمون من مدينتهم المحصورة غير مرة وأثخنوا فى النصارى . ولكن الضيق كان يشتد بالمدينة المحصورة يوما فيوما ، وتقل مؤنها شيئا فشيئا ، ويتساقط جندها تباعا . وكانت مدى الربيع والصيف تستمد بعض المؤن من جهة البشرات من طريق جبل شلير (Sierra Nevada) ، فلما دخل الشتاء غطت هذه السهول والشعاب بالثلج الكثيف ؛ وازدادت غرناطة ضيقا ، واشتد بأهلها الجوع والمرض ، وهم ابو عبدالله بمفاوضة فرديناند فى التسليم غير مرة لو لا أن كان يمنعه موسى بن ابى الغسان وتحمله الحماسة العامة . فلما اشتد الخطب تقدم حاكم المدينة ابو القاسم عبدالملك ، وقرر أن المؤن تكاد تنفد ، وان الجوع أخذ يعصف بالشعب ، وان الدفاع عبث لايجدى ؛ واتفقت كلمة الزعماء والقادة على التسليم ؛ وارسل ابو القاسم لمفاوضة فرديناند ؛ فاستقبله بترحاب وحفاوة ، وتم الاتفاق على ان تسلم غرناطة بشروط كثيرة أهمها أن يؤمن المسلمون على أنفسهم ودينهم وأموالهم . وان لاتمس مساجدهم وشعائرهم وشرائعهم وتقاليدهم : وان يجوز منهم الى المغرب من شاء[٩] . وهكذا اذعنت غرناطة وسلمت ، وانتهت دولة الاسلام بالأندلس (صفر ٨٩٧ هـ ديسمبر سنة ١٤٩١ م) وطويت الى الأبد تلك الصفحة المجيدة الرائعة من تاريخ الاسلام ، وقضى على تلك الحضارة الأندلسية الشامخة وآدابها وعلومها وفنونها وكل ذلك التراث الباهر بالفناء والمحو ، ودخل النصارى غرناطة فى الثانى من ربيع الأول سنة ٨٩٧ (٢ يناير سنة ١٤٩٢) واحتلوا حمراءها وباقى قصورها وحصونها وخفق علم النصرانية ظافرا فوق الصرح المنهار .

• • •

اما الملك التعس ابو عبدالله فقد قضت معاهدة التسليم أن يغادر غرناطة مع أسرته الى البشرات وأن يحكم هذه المنطقة باسم ملك قشتالة وفى طاعته وأن يكون مقره فى قرية اندرش . ولما ذاعت أنباء التسليم اضطرم الشعب غضبا وسخطا على أبى عبدالله واعتبره مصدر كل مصائبه ومحنه ؛ فبادر أبو عبدالله بالأهبة للسفر مع أسرته وخاصته وحشمه ، وبعث بأمواله ونفيس متاعه الى مقره الجديد فى اندرش . وفى نفس اليوم الذى دخل النصارى فيه غرناطة ، غادر أبو عبدالله قصره وموطن عزه ومجد آبائه الى الأبد ؛ وخرج للقاء عدوه الظافر فى سرية من الفرسان والخاصة ، فاستقبله فرديناند فى محلته على ضفة شنيل . وتصف الرواية هذا المنظر المؤثر فتقول ان أبا عبدالله حين رأى فرديناند ، هم بترك جواده ، ولكن فرديناند بادر بمنعه وعانقه بعطف ورعاية ؛ ثم قدم اليه أبو عبدالله مفاتيح الحمراء قائلاً : « ان هذه المفاتيح هى الأثر الأخير لدولة العرب فى اسبانيا . وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا . هكذا قضى الله ، فكن فى ظفرك رحيما عادلا » . وسار أبو عبدالله بعد ذلك صحبة فرديناند الى حيث كانت الملكة ايزابيلا ، فقدم اليها تحياته وخضوعه ، ثم انحدر الى طريق البشرات ليلحق بأسرته وخاصته .

وهنا تقول الرواية أن أبا عبدالله أشرف أثناء مسيره فى شعب تل البذول (بادول) على منظر غرناطة فوقف يسرح بصره لآخر مرة فى هاتيك الربوع العزيزة التى ترعرع فيها ، وشهدت مواطن عزه وسلطانه ؛ فانهمر فى الحال دمعه وأجهش بالبكاء ، فصاحت به أمه عائشة : « أجل فلتبك كالنساء مالم تستطع ان تدافع عنه كالرجال » . وتعرف الرواية الاسبانية تلك الأكمة التى كانت مسرحا لذلك المنظر المحزن باسم شعرى مؤثر هو : « زفرة العربى الأخيرة » EL ultimo Sospiro del moro . وما تزال قائمة حتى اليوم يعينها سكان تلك المنطقة للسائح المتجول .

ثم تقول الرواية أيضا ان باب غرناطة الذى خرج منه أبو عبدالله لآخر مرة قد سد عقب خروجه برجاء منه الى ملك قشتالة وبنى مكانه حتى لايجوزه من بعده انسان[١٠] .

• • •

لم يطل مكث أبى عبدالله بمقره الجديد فى اندرش ، ولم تمض أشهر قلائل حتى أدرك عمه من قبل أنه يستحيل عليه البقاء فى هذا الوضع الشاذ كعامل لملك قشتالة ، وكان فرديناند من جانبه ينظر الى وجوده بعين الريب ويخشى أن يكون مثار الفتنة ؛ فعول أبو عبدالله أن يحذو حذو عمه فى الجواز الى افريقية ، ونزل لفرديناند عن حقوقه نظير

مبلغ كبير ، ثم جاز بأسرته وماله ومتاعه من ثغر المرية الى المغرب الأقصى فى سفن أعدت له (١٤٩٣ م) ونزل أولا بمليلة ، ثم قصد الى فاس واستقر بها ، وتقدم الى ملكها السلطان محمد شيخ بنى وطاس الذين خلفوا بنى مرين فى الملك ، مستجيراً به ، مستظلا بلوائه ورعايته ، معتذراً عما أصاب الاسلام فى الأندلس على يده ، متبرئا مما نسب اليه ، وذلك فى كتاب طويل مؤثر كتبه عن لسان كاتبه ووزيره محمد بن عبدالله العربى العقيلى ، وسماه « بالروض العاطر الأنفاس فى التوسل الى المولى الامام سلطان فاس » . وقد افتتحها بعد الديباجة بقصيدة رائعة هذا مطلعها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم
رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن
جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا
وافظع الخطب مايأتى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له
وهل مرد لحكم منه منحتم
كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول
نمنا بها تحت أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى صبت
يرمى بأفجع حتف من بهن رمى
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا
وأى ملك بظل الملك لم ينم

وهى طويلة جدا ، يمتدح فيها ملوك فاس ويشيد بعلائقهم القديمة مع بنى الأحمر : ويشير ابو عبدالله بعد ذلك الى حوادث الأندلس ، ويعتذر عن نكبته ، ويعترف بخطئه . ومن قوله فى ذلك « اللهم لا برىء فاعتذر ، ولاقوى فأنتصر ، ولكنى مستقيل ، مستنبل ، مستغيث ، مستغفر ، وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء » بيد انه يدفع عن نفسه تهم الزيغ والتفريط والخيانة بشدة ، ويقول : « ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها ، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ، مايقنع النفوس ويكفيها ، فلم نر ونحن من سلالة الأحمر مجاورة الصفر ، ولايسوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر ، ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاسعة » ثم يرثى ملكه بعبارات مؤثرة منها : « ثم عزاء حسنا وصبراً جميلا ، عن أرض ورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الأملاء الطويلة سدولا ، سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . فليطر الطائر الوسواس المرفرف مطيرا كان ذلك فى الكتاب مسطورا . لم يستطع غير مورده صدوراً . وكان أمر الله قدراً مقدوراً »[١١] .

واستقر أبو عبدالله فى فاس فى ظل بنى وطاس ، وشيد بها قصوراً على طراز الأندلس رآها وتجول فيها المقرى مؤرخ الأندلس بعد ذلك بنحو قرن (١٠٣٧ هـ — ١٦٢٨ م) ، وقضى أعواما طوالا فى غمر الحسرات والذكريات المفجعة ، وتوفى سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٤)[١٢] ودفن بفاس ، وترك ولدين هما يوسف وأحمد ، واستمر عقبه متصلا معروفا بفاس مدى أحقاب ، ولكنهم انحدروا قبل بعيد الى هاوية البؤس والفاقة ، ويذكر لنا المقرى انه رآهم سنة ١٠٣٧ هـ فقراء معدمين يعيشون من أموال الصدقات[١٣] وفى بعض الروايات الاسبانية أن أبا عبدالله توفى قتيلا فى موقعة نشبت بين السلطان احمد الوساطى وبنى سعد الخوارج عليه فى وادى أبى عقبة وقاتل فيها أبو عبدالله جانب أصدقائه بنى وطاس وذلك سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٦)[١٤] بيد أنها رواية ظاهرة الضعف لان أبا عبدالله يكون فى هذا التاريخ قد جاوز السبعين ، ومن الصعب أن نصدق أنه يخوض مثل هذه المعارك الطاحنة بعد أن هدمه الاعياء والهرم ، هذا الى أن الرواية الاسلامية فى هذا الموطن أدعى الى الترجيح والثقة .

ويعرف أبو عبدالله آخر ملوك الاندلس بالملك الصغير (وبالاسبانية El Rey Chico) تمييزا له من عمه أبى عبدالله الزغل ، ويلقب بالزغيبى ، أو عاثر الحظ تنويها بما أصابه وأصاب الاسلام على يده من الخطوب والمحن .

هذه قصة مصرع الأندلس ، وقصة آخر ملوكها .

وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان

محمد عبدالله عنان
١٩٣٤

هـــوامش

(١) المقري فى أزهار الرياض — (تونس) ص ٥٦

(٢) راجع : Irving : Conquest of Granada : حيث يورد أقوال الرواية الاسبانية عن شخصية ثريا (الفصل التاسع) . ولكن الرواية العربية لاتذكر إلا أن «ثريا» كانت جارية رومية — راجع المقري فى نفح الطيب « ج ٢ ص ٦٠٨» وأخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر » طبعة ميلر» ص ٦ — ويتفق برسكوت مع الرواية العربية Hist' of Ferdinand and Isabella P. 912

(٣) برسكوت — ص ٣٣٤ — وايرفنج (الفصل التاسع عشر) .

(٤) نري أن نشير هنا الى أبا عبدالله يعرف فى الرواية القشتالية والافرنجية عامة باسم « بوبديل » Boabdil وهو تحريف لابي عبدالله .

(٥) راجع اخبار العصر ص ٢٢ و٢٣ — والعتري ج ٢ ص ٦١٢ .

(٦) — المدجنون اوأهل الدجن (الفعل تدجن ومصدره الدجنة) كلمة اطلقت على المسلمين الاندلسين الذين دخلوا فى طاعة ملك النصارى واعترفوا بها ومقابلها الاسباني هو كلمة Mudejares . وقد شاع استعمالها منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) اعنى مذ كثر استيلاء النصارى على قواعد الاندلس .

(٧) هو قصر الحمراء الكبير وما حوله من الحصون والابراج .

(٨) راجع تفاصيل هذه الرواية فى أخبار العصر بانقضاء دولة بنى نصر ص ٤٣ — ٤٨ ، والمقرى فى نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٥ ، وراجع كتابى مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام (الفصل السادس عشر) .

(٩) راجع تفاصيل هذه الشروط فى نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٥ و٦١٦ .

(١٠) برسكوت ص ٢٩٨ و ٢٩٩ — وايرفنج (الفصل التاسع والتسعون) ويذكر ايرفنج فى خاتمة كتابه (فتح غرناطة) أنه توجد فى متحف جنة العرب (جتراليف) بغرناطة صورة لابى عبدالله تمثله بوجه وسيم ولون جميل وشعر أصفر ، ويرتدي فيها ثوباً أصفر يظلله حرير اسود ، وقلنسوة من الحرير الاسود يعلوها التاج . ويوجد فى متحف مدريد الحربى ثوبان درعان يقال انهما كانا لابي عبدالله ، ويبدو من حجمهما أن أبا عبدالله كان كبير القد قوى البنيه ، ويخصص ايرفنج فى كتابه Tales of The Alhambra فصلان للذكريات والآثار الخاصة بابي عبدالله .

(١١) أورد المقري هذا الكتاب بنصه فى نفح الطيب ج ٢ ص ١٧ — ٦٢٨ — وفى ازهار الرياض ص ٦٢ — ٨٧ .

(١٢) وذكر المقرى في أزهار الرياض أنه توفى سنة ٩٢٤ هـ (ص ٥٨) وهى رواية خاطئة .

(١٣) نفح الطيب ج ٢ ص ٨١٧ .

(١٤) راجع ايرفنج — فى الملحق الخاص بنهاية ابى عبدالله — وراجع الاستقصاء فى تاريخ المغرب الاقصى للسلاوي ج ٢ ص ١٦٨ .

يقدمها: طلعت الشايب

صورة جماعية

مع

هاينرش بول



في السادس عشر من الشهر الماضى احتفلت الدوائر الأدبية والثقافية في ألمانيا بشطريها بمرور عام على وفاة الكاتب الألماني الشهير « هاينرش بول » الذي قضى قرابة ٤٠ عاماً في الكتابة الغزيرة في مجالات الرواية والقصة القصيرة والمقال والتمثيلية الإذاعية وطبقت شهرته الآفاق بعد أن ترجمت أعمال كثيرة له إلى لغات متعددة.

ولد « هاينرش بول » في كولونيا عام ١٩١٧ (وهو الابن الأصغر لنجار موبيليا) وقضى شبابه أثناء الأزمة الاقتصادية والسياسية لجمهورية « ويمر » الضعيفة كما عاصر صعود « هتلر » إلى السلطة.

رفض أن يلتحق بالشباب النازي ولكنه أرسل عنوة ليحارب على الجبهتين الشرقية والغربية بعد تجنيده عام ١٩٣٨ وليعاني من « مصير جندي يتمنى أن تنتهي الحرب بالهزيمة » ـ كما يقول ـ وليصاب اربع مرات في ساحة القتال، ويسقط أسيراً في يد القوات الأمريكية ثم يعود الى كولونيا عام ١٩٤٥ « خالي الوفاض إلا من عاطفة جامحة ورغبة قوية في الكتابة ».

صدرت أول رواية له « جاء القطار في موعده » عام ١٩٤٩ وبعدها بعام واحد صدرت مجموعته القصصية « المسافر » وقد قام فيهما بتشريح حاد للانهيار المعنوي والجروح النفسية التي حفرتها تجربة الحرب في وجدان الناس.

ورغم اشادة النقاد بأعماله منذ البداية إلا أنه لم يصبح مشهوراً إلا في عام ١٩٥٤ بعد أن انتشرت أعماله وحققت نجاحاً كبيراً على المستوى الفني والمستوى التجاري أيضاً.

والمادة الأساسية لجميع أعمال « بول » مستقاة من الفترة المضطربة التي عاصرها وكان شاهداً عليها، لذلك يعتبره النقاد راصداً نقدياً لجميع مراحل تطور بلاده فيما بعد سنوات الحرب، فقد سجل في روايته « بلياردو في التاسعة والنصف » ـ ١٩٥٩ ـ ، « المهرج » ـ ١٩٦٣ ـ وقصص مثل « شيء ما لابد ان يحدث » حياة الناس العادية انطلاقاً من أرضية اجتماعية وأدبية حقيقية إثر التحول اللاأخلاقي للمجتمع الألماني إبان حكم النازي والفترة التي تلت الحرب، وقدم تابلوهاً عريضاً وعادياً رسمه بسخرية شديدة وملأه بأهداف شن عليها هجوماً عنيفاً.. وهذه الأهداف هي « لا جدوى الحرب » « افتراس القوي للضعيف » وظهور معشوقة جديدة في حياة البشر هي « المال والنفوذ والسلطة ».

كان « بول » شوكة في جانب شطري ألمانيا في السنوات العشر الأخيرة من حياته كثف

نشاطه السياسي ليهاجم سوء استخدام السلطة في السبعينات وليتهم النظام الألماني بالهستيريا ويشارك في مسيرات الاحتجاج المعارضة لنشر شبكة الصواريخ الأمريكية في أوربا عام ١٩٨٣ .

كما هاجم صحافة ألمانيا – المحافظة – لمواقفها العدائية المسبقة من منظمة « بادر ما ينهوف » وعندما اتهمه معلق إذاعي بدعم وموالاة الإرهاب قاضاه وكسب حكماً وتعويضاً مادياً .

أما في ألمانيا الشرقية وفي سائر الكتلة الشرقية عموماً فقد جعلهم الاعجاب به وبإبداعه يغضون الطرف عن انتقاداته اللاذعة للشمولية بكل صورها وعن دفاعه المستميت عن الذين يعيشون تحت نيرها في أي مكان . في إحدى زياراته للاتحاد السوفيتي استطاع أن يهرب معه مخطوطات لبعض من أعمال الكساندر سولجنستين ، كذلك كان هو الملاذ والملجأ لنفس الكاتب عندما نفي إلى خارج الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٤ .

وفي عام ١٩٧٢ حصل « بول » على جائزة نوبل في الآداب « لدوره البارز في تجديد الأدب الألماني منذ الحرب العالمية الثانية » ، بعد أن نشر روايته الهامة « صورة جماعية مع سيدة » وليكون أول ألماني ينال هذا الشرف بعد « توماس مان » الذي كانت جائزة نوبل من نصيبه عام ١٩٢٩ .

« صورة جماعية مع سيدة » قصة أرملة تطحنها الديون وتعكس حياة ألمانيا على مدى نصف قرن .

ورغم مرض « بول » الذي اشتد عليه في أواخر الأيام فقد كان يعمل بلا توقف سواء بالكتابة أو بإخراج أعمال سينمائية أو تصوير أفلام تسجيلية ، وعند وفاته كان يقوم بمراجعة البروفات النهائية لآخر أعماله وهي رواية بعنوان « نساء أمام منظر طبيعي للنهر » تروي عن « بون » وعن النساء في السياسة الألمانية الغربية .

وفي السادس عشر من يوليو ١٩٨٥ عندما أعلن خبر وفاته اجتاحت موجة الحداد ألمانيا بشطريها ونكست الأعلام في دولتين لم تتفقا على شيء قدر اتفاقهما على تقدير رجل ترك بصمات لا تمحى على تاريخ الأدب الألماني ، ويعتبرونه إلى جانب « جونتر جراس » أعظم من أثروا اللغة الألمانية والأدب الألماني منذ توماس مان حتى اليوم كما يدينون له بفضل انقاذ حروف اللغة من بين رماد وأطلال الحرب العالمية الثانية .

الجليد الثقافي بين العملاقين هل يذوب ؟

يبدو أن الاتفاق الثقافي الذي تم بين كل من الرئيس السوفيتي جورباتشوف والرئيس الأمريكي ريجان بجنيف في نوفمبر الماضي قد بدأ يؤتي ثماره من أجل إذابة الجليد الكثيف الذي جمد العلاقات الثقافية الرسمية بين الدولتين لمدة ٦ سنوات ومنذ أن قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الثقافية والفنية مع موسكو عام ١٩٨٠ احتجاجاً على التدخل السوفيتي في أفغانستان .

في الشهر الماضي كانت صالة مسرح الأطفال والموسيقى في موسكو مليئة بالجمهور الذي أمطر خشبة المسرح بالزهور تعبيراً عن الاعجاب الشديد بالكوميديا الموسيقية « العروسة دوللي » التي كانت مفاوضات طويلة من أجل عرضها استمرت لسنوات وباءت كلها بالفشل .

وفي موسكو قام المخرج بتعديل العمل لكي يناسب ذوق الجمهور السوفيتي لكي تلقي العروسة من وقت لآخر ببعض الكلمات أو العبارات الروسية فتدوي الصالة كل مرة

على الجانب الآخر كانت قاعة « آفري فيشر » في مركز لنكولن للفنون مزدحمة بمتذوقي الموسيقى الراقية وهم يستمعون بأداء « يوري تميركاتوف » و « نيكولاي بتروف » وهما يشاركان أوركسترا نيويورك الفيلهارموني في العزف .

وبعد زيارة لموسكو استمرت ١٠ أيام عاد مدير وكالة الاستعلامات الأمريكية ليعلن أن أوركسترا لينتجراد السيمفوني وأوبرا وباليه البولشوي وباليه كيروف وفرقة ما سيف للرقص الشعبي و ٤٠ لوحة من مقتنيات المتاحف السوفيتية الشهيرة سيزورون الولايات المتحدة .

وقد قدم الاتحاد السوفييتي أيضاً الدعوة لاوركسترا فيلادلفيا من أجل إقامة أربع حفلات هناك في الربيع القادم ، والمعروف أن هذا الأوركسترا كان قد عزف لآخر مرة في موسكو في عام ١٩٥٨ في إطار التبادل الثقافي الذي اتفق عليه كل من أيزنهاور وخروشوف حينذاك .

أما فلاديمير هاروفتش عازف البيانو الروسي الشهير والذي كان قد ترك بلاده منذ ٦١ سنة ليعيش في أمريكا فقد زار موسكو في ابريل الماضي ليعزف أمام جمهور يعشق الموسيقى في بلده الذي وجده « أكثر جمالاً وأكثر رأسمالية » مما كان يتوقع على حد تعبيره .

ولا تعني كل هذه التظاهرات أن جميع الأمور قد أصبحت على ما يرام بين البلدين في اطار التبادل الثقافي ، فكل طرف لديه تحفظاته ومخاوفه وشكوكه في نوايا الآخر .

الصحف الأمريكية تردد بدون توقف النغمة المكرورة بأن موسكو تقيد حركة كل من يدخل ويخرج ، وبأن الكرملين يحدد – وبتدقيق صارم – المادة الثقافية الأمريكية التي يسمح بدخولها إلى البلاد .. « مرحباً بالعروسة دوللي » « لا .. لمادونا ! » مثلاً .

كما أن الصحف السوفييتية أيضاً لا ترحب بالقيم الثقافية الأمريكية وترفض « رامبو » و « روكي IV » وجميع الأعمال السينمائية المشابهة ... « حينما تغري المراهقين وتزين لهم الشر والعدوان فلن تستطيع أية روابط ثقافية تغييرهم بعد ذلك » كما تقول رئيسة قسم أوربا الغربية وأمريكا في وزارة الثقافة السوفييتية .

فهل يستمر باب التبادل الثقافي مفتوحاً بين البلدين ؟ وهل تنجح الثقافة في اصلاح ما أفسدته السياسة ؟ ربما !

حوار مع الأديب والفنان التونسي

عز الدين المدني

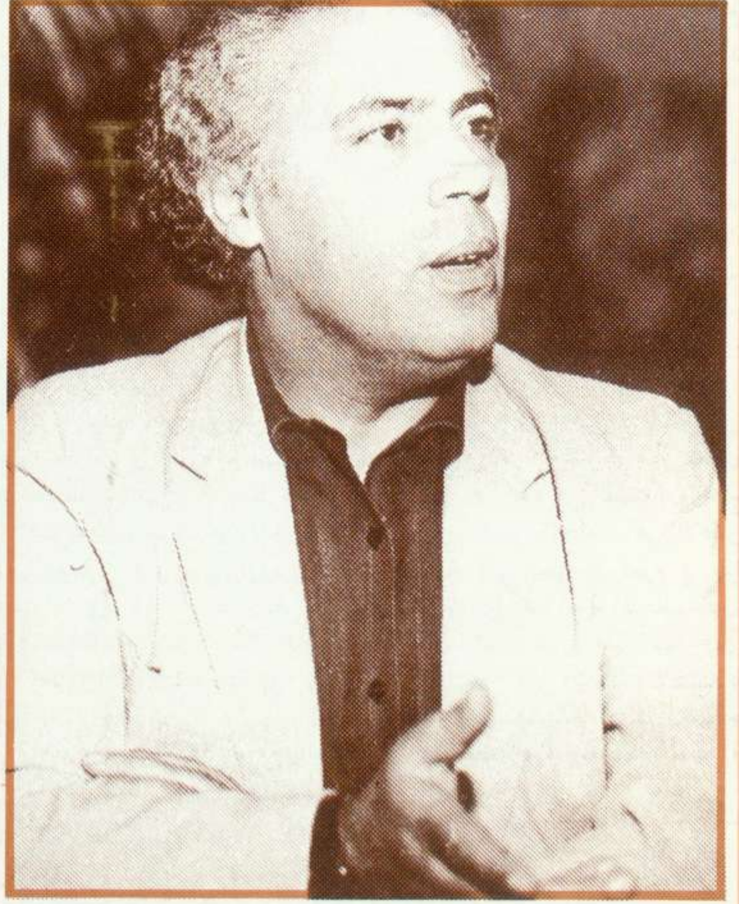
- المسرح العربي رخو يفتقر للإبداع والمغامرة ؟!
- لا توجد زعامة أدبية .. والكتابة العربية مازالت متخلفة
- أصالتنا العربية مُشِعَّة ونَيِّرة
- أبحث وأسعى من أجل شكل مسرحي عربي

عز الدين المدني مفكر وأديب وفنان عربي أصيل في المنبت والنشأة والتكوين والإبداع . فهو ينحدر من عائلة عربية حجازية . وقد ولد في تونس العاصمة سنة ١٩٣٨ ونشأ في بيت اسلامي ، ثم جمع بين الأصالة العربية والحداثة العالمية في دراساته العليا بباريس ، حيث تخصص في اللغة العربية والأدب العربي والفلسفة والأنثروبولوجيا وسوسيولوجية المغرب .

أجرى الحوار : أحمد محمد عطية

وقد شارك المدني في عدد كبير من المؤتمرات والندوات الفكرية والثقافية ، العالمية والعربية . لعل أهمها مؤتمر التراث العربي في الكويت ، ومؤتمر صقر الرشود في الكويت أيضاً ، وندوة الحوار العربي الأوروبي في هامبورج ، ومؤتمر الأدب العربي الحديث بمعهد الدراسات الإفريقية والعربية بجامعة لندن .. وقد انتخب سنة ١٩٧٥ كأكبر كاتب عربي في فرنسا . كما شغل المدني عدة مناصب ثقافية ، محرراً ثقافياً ورئيساً للتحرير ومديراً للمركز الثقافي الدولي . وهو يعمل حالياً مستشاراً لوزارة الشؤون الثقافية بتونس ورئيساً لتحرير صحيفة العمل الثقافي التونسية ، كما يحرر مقالاً ثقافياً أسبوعياً باللغة الفرنسية لمجلة « ديالوج » التونسية .

وقد انعكس هذا كله في أعماله الفكرية والأدبية والفنية . فتميزت بالشمول والتنوع والثراء والأصالة والتجديد والتجريب والمغامرة والتجويد . فكتب عز الدين المدني في القصة القصيرة : « خرافات » و « من حكايات هذا الزمان » ، وفي الرواية : « العدوان » و « افتتاح موسم الصيد » ومسراوية و « الحمال والبنات » . وفي الفكر والنقد الأدبي والتنظيري . « الأدب التجريبي » و « سهرت منه الليالي » عن علي الدوعاجي رائد القصة التونسية ، ودراسة عن الشاعر التونسي الراحل أبوالقاسم الشابي في ذكراه الخمسينية ، ودراسة في الخط العربي عن أعمال الفنان التونسي نجا المهداوي ، وكتاب عن الرسام التونسي عمار فرحات « فنان الشعب » ، وآخر عن الفنان التشكيلي التونسي والمناضل الكبير علي بن سالم ، وكتاب فني عن



عزالدين المدني

« تونس العتيقة » بالحفر على ورق حرير .

مسرح عربي أصيل

غير أن عالمه المسرحي العربي الأصيل هو عالمه الأثير والمتفرد بإحيائه واستلهامه لأشكال وموضوعات وقيم وروح التراث العربي في مسرحه ، وتقديمه للتراث العربي والشخصيات التراثية العربية برؤية نقدية وصور جديدة مبدعة وخلاقة ، ومزجها بقضايا العصر وثقافته وواقعه ، بغية إبداع مسرح عربي أصيل ، متحرر من الأشكال الغربية والمضامين الغربية ، لأنه يرفض كل أنواع التبعية . فالمسرح هو كل حياته ، كما قال لي في حديث سابق (نشر بمجلة « الموقف العربي » عدد يونيو ١٩٨٣) ، وردد بقوة وإصرار : المسرح .. المسرح .. المسرح لا لشيء إلا لأنه كتابة ساخنة ، كتابة حارة ، فيها الفكرة متفاعلة مع الجمهور ، فيها اتصال بالجمهور .. »

ولعل أبلغ تعبير عن إخلاص عزالدين المدني للمسرح العربي ما ذكره في افتتاحية العدد الرابع من مجلة « فضاءات » المسرحية التونسية قائلاً : « أنا أكتب من موقع الكاتب المسرحي الذي عايش الحركة المسرحية التونسية منذ ما يقارب من عشرين سنة متصلة ، وأطلع على الكثير من الاتجاهات في المسرح العربي والأوروبي ، ومارس العمل المسرحي مع المخرجين ومصممي الديكور والأزياء والأضواء والتوضيب ، وقاسم مشاغل الكتاب والممثلين والمخرجين والإداريين في أوقات الفرح الشديد ، وفي فترات العمل المسرحي وقبله وبعده بفكر مجنون ووجدان محموم ... » .

كما عبر المدني عن نهجه العربي الأصيل والحديث ، وعن حرصه على التراث العربي وابداعه وتجديده ومزجه بقضايا العصر وثقافته ، في تقديمه لشخصيات مسرحيته « رحلة الحلاج » ، بقوله : « لقد تدبرت أمر الشخصية في الآداب العربية القديمة ، ووقفت على ما ذكرته المعتزلة في شأن الشخص ، وربطت ذلك بما صرحت به بعض الملل والنحل مثل المجسمة ، وتأملت في عدد من كتابات المعاصرين ، وتتبعت عن كتب علم تحليل النفس ، وتقلباته المستفحلة ، وشاهدت الناس في الشارع ، والبيت ، والمصنع ، والسفر ، ومازلت في ذلك أرقبهم . فطويت جانباً شخصيات كورناي ، واقتفيت أثر شكسبير ، وعرجت على بيرانديللو ، وارتحت لبريشت ، لكني مع ذلك ظللت أبحث عن الشخص ، وأفتش عنه ، وهاإني أنقب عنه في هذه الرحلة المسرحية ، وإني أترك للقارئ وللجمهور استكشافه . »

هذا هو نهج وفكر عزالدين المدني ، الفنان العربي الأصيل المتوهج والمدقق والمجدد والمقل في إبداعه المسرحي ، لأنه يستغرق سنوات وسنوات في كتابة المسرحية الواحدة . فقد ذكر في ختام مسرحيته « الغفران » أنه كتبها « بعد ثمانية أعوام من الطلب والوجع والنقش والمراجعة » . كما قال لي عن أحدث مسرحياته ، « على البحر الوافر » ، إن كتابتها استغرقت خمس سنوات وتطلبت ٢٥ مسودة . ذلك أنه كاتب صبور ومدقق وحريص على أن تأتي الكلمة « كالكريستال » متألقة وثمينة وفي صميم موضوعها . غير أن دأبه وانتظامه وإخلاصه وجنونه بالمسرح العربي أثرى هذا المسرح بمسرحياته التراثية المتعددة والمتميزة : « ثورة صاحب الحمار » ، « ديوان ثورة الزنج » ، « رحلة الحلاج » ، « مولاي السلطان الحسن الحفصي » ، « التربيع والتدوير » ، « تعازي فاطمية » ، « الأسد والثور » ، و « على البحر الوافر » .

الحوار ...

وفي هذا الحوار ، الذي دار في القاهرة لدى مشاركة المدني في احتفالات المسرح القومي

حوار مع الأديب والفنان التونسي

عزالدين المدني

المصري بيوبيله الذهبي، نتعرف على خصائص عالم عزالدين المدني الفكري والفني والأدبي، ونحاول النفاذ إلى جوهر تجربته المسرحية التراثية ومفاهيمه للأصالة والحداثة والمعاصرة، كما نتابع رؤاه لطرق إبداع المسرح العربي الأصيل والحديث، ونطالع آراءه في تجارب تأصيل المسرح العربي المعاصرة وردوده الرصينة على نقاده، في حوار يجمع بين العمق والتنوير والشجاعة في التعبير وقوة الإيمان بالحضارة العربية الإسلامية...

وعندما يتحدث المدني فإنه يبدو كالحالم والسابح مع الرؤى، ولكنه يتكلم بحماسة وإيمان، فتبرق عيناه وتلمعان بذكاء وحيوية، وتعكسان مدى إيمانه وإخلاصه لقضايا العروبة والأصالة العربية الاسلامية .. انه يرد كل شيء إلى العرب القدماء، ولكنه يؤكد على التجديد لاستلهام والخلق والابداع، ويرفض النقل والتقليد والتبعية.

وهذا هو نص حوارنا معا:

الشخصيات التراثية

• في إبداعك المسرحي تظهر الشخصيات التراثية العربية في صور جديدة مغايرة لصورها القديمة الواردة في مصادر التراث العربي، كما هو الحال في مسرحيات «الغفران» و«رحلة الحلاج» و«ثورة صاحب الحمار».. ما هو نهجك ورؤيتك في هذا المضمار؟

ـ الشخصيات المسرحية التي أتناولها في هذه الأعمال لها سمات وخصائص تراثية، صحيح. لكن كيف يمكن لي أن أقرأ التاريخ، هل أقرأه من حيث هو تاريخ؟ أم أفهمه من خلال حاضر أراه؟ إذن فالحاضر هو الذي يتحكم في الماضي، ويتحكم في التاريخ، ويتحكم في التراث. فالحاضر هو الذي يستطيع أن يبين ويفسر ويشرح ويغوص في قضايا كثيرة. إذن، في اعتقادي، أن هذه القضية تستحق الكثير من التحليل. لكني أقول بإيجاز إنّ نظرة الحاضر هي التي تتحكم دائماً وأبداً في الماضي، من حيث تناول الشخصية، من حيث المميزات، من حيث الصفة، من حيث الإبداع بصفة عامة.

الخذلان والتقهقر

• بماذا تفسر سقوط البطل الثوري في مسرحياتك مثل «ثورة صاحب الحمار» و «ديوان ثورة الزنج»، و«رحلة الحلاج»؟

ـ في الحقيقة، في «ثورة صاحب الحمار» هو يشبه نفسه بالثوري، بينما هو ليس كذلك، فهو شخص معزول عن الشعب، عن الارادة الشعبية، فهو ليس ثورياً بالمعنى الحقيقي، بل قام بانتفاضة فقط، والانتفاضات مآلها الفشل. طال الزمن أو قصر. وهذا ماقالته المسرحية في «ثورة صاحب الحمار».

وفي مسرحية «ديوان ثورة الزنج»، علي ابن محمد ليس ثورياً، ولا هو مصمم من حيث المبادئ والقيم. فقد انحرف من أول طريق عن المسار الحقيقي، وتراجع تراجعاً كلياً، واستفاد من الأموال الخارجية، وإذا به يتعاقد مع السيد الذي كان يستولى عليه من قبل.

فهناك خذلان وتقهقر وتراجع. هذه الثورية ليست ثورية في الحقيقة، لكن ممكن أن أسمي شخصيات مسرحياتي بأشباه الثوريين، سقوط أشباه الثوريين، ليس الثوريين الحقيقيين، لأن الثوريين الحقيقيين، سواء كانوا في التاريخ أو حتى في المسرح، هم قليلو العدد. الشيء المتميز الأخاذ، الشيء القوي هذا قليل نادر جداً، في عصر يأتي عبقري واحد أو اثنان فقط، ثوري معناه يمهد الطريق، يعطي الأفكار، يكون مشعاً إشعاعاً، ويكون منصهراً هو وشعبه، وهذا شيء قليل ونادر جداً.

والحلاج شخصية مثيرة، مات في سبيل أفكاره وهو نموذج قليل جداً في الحضارة العربية. وأنا مبهور به إلى يومنا هذا. ولو أن الكتابة تمحو الانبهار. حينما يكتب الانسان كتاباً يتجاوز نظرته. أنا ما زلت إلى يومنا هذا منبهراً بهذه الشخصية. وحاولت بكل وفاء لا أن أكتب عن الحلاج من حيث هو التاريخ، الحلاج التاريخي لا يهمني، ولا يهم المتفرج، لكن الحلاج هذا الذي يعيش في القرن العشرين، هذه هي القضية، الحلاج هذا هو الطرح الذي طرحته، هي الأفكار الثورية المعمقة التي يمكن أن تطرح في بلدان العالم الثالث، في هذا العالم المتخلف الذي يريد أن يكون متقدماً من ناحية القيم، من الناحية الثقافية، من الناحية الاقتصادية، من الناحية الحضارية، هذا شيء مهم جداً. وأنا إلى يومنا هذا معجب شديد الاعجاب بالحلاج.

الأصالة العربية

• في تقديمك لمسرحيتك «ديوان ثورة الزنج» قرنت مصطلح «الأصالة» بكلمة «المزعوم»، فما هو قصدك بهذا التعبير؟ وماهو مفهومك للأصالة؟

ـ الأصالة هي في الحقيقة أصالات: لا توجد أصالة واحدة، هي متعددة، هي مستويات متعددة في الحضارة، متكدسة على بعضها البعض. لكن في آن واحد متطورة تاريخية، نحن أصالتنا من هذا القبيل، من


يوسف ادريس


الطيب الصديقي

هذا النوع . من هذا الحجم أيضاً . أصالتنا العربية ، أصالتنا فيها الأماكن المشعة ، الأماكن النيرة ، والمناطق النيرة . غير مناطق الأصالة التي هي بمعنى التأخر وألا يعيش الانسان في عصره . الأصالة التي أعنيها أنا هي أن يعيش الانسان في صلب عصره ، مندمجاً فيه كل الاندماج . كما عاش العرب مثلاً في عصرهم ، في مختلف العهود ، عاشوا عصرهم وتفاعلوا معه . إذن فأنا أعيش عصري ، لا أقلد الماضي ، بل أنحت في الحاضر وأمشي نحو المستقبل بثبات وصمود وبنضال . هذا المعنى غير معنى الأصالة بمعنى الشيء القديم الرث الشائع المتداول المبتذل ، هذا هو الأساس .

■ يوسف ادريس لم يخلق شكلاً عربيًّا للمسرح !

■ لابُدّ من زرع شجرة الثقافة في كل بلد عربي

■ الطيّب الصّدّيقي فنان كبير .. وليس نصّاباً !

■ في تونس أدباء كبار مثل المسعدي ومحمد مزالي

■ النَّصُّ العربي الأصيل يختلف عن النموذج الغربي

لا زعامة أدبية

• قلت في بيانك الثاني عن الأدب التجريبي : إن المبادئ الأساسية التي يعتمدها الأدب التجريبي هي رفع الحواجز الفكرية التي ظلت تهيمن على القرائح والمواهب طيلة سنوات وتعطلها في سيرها نحو الخلق ، وتبعث فيها عقد النقص ومركبات الاحتقار الذاتي . فهذه الحواجز التي كانت ترد علينا من أوروبا الغربية (وبالخصوص من فرنسا) ومن المشرق العربي هي التي كان لها النصيب الأوفر في تثبيط العزائم الصادقة ، وهتك المواهب الخلاقة ، وتخريب الطاقات المبتكرة ، وهي حواجز لابد من كسرها ورفعها لأنها كانت مهيمنة على الأذهان . وكان من مبادئ البيان الأول لك سلوك طريق ثالثة هي طريق الواقع التونسي ، والمجتمع التونسي ، والتاريخ التونسي ، والمعاصرة التونسية ، والخلق التونسي ، هي طريق التونسية بكل اختصار . وكان من المبادئ أيضاً وما يزال إبراز الشخصية الأساسية التونسية التي وأدها الانحطاط والاستعمار ... فماذا تقصد بهذا الهجوم على الثقافة في المشرق العربي ، وبموازاتها بالثقافة الغربيةالاستعمارية ، وبتأكيدك الإقليمي على التونسية والشخصية التونسية ؟ وهل يتفق هذا مع دعوتك لتأصيل الثقافة العربية ومسرحياتك المستمدة من التراث العربي الواحد ؟

ــ شكراً على هذا السؤال . أنا لازم أضع كلماتي الواردة في هذا السؤال في سياقها التاريخي ، لا أريد أن أبرر الأفكار ، ولكن أريد أن أضع هذه الأفكار ، التي كتبتها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، في نطاقها التاريخي . لم يكن هناك في تونس سوى أدب قليل ، تونسي . كان هنالك رواد ، وكانوا يكافحون ويناضلون من أجل أن تخلق بذرة أدبية فكرية من تونس . فلا مراجع فكرية غير كتب مشرقية وكتب غربية . لا أعني بذلك أني أهاجم الشرق ، لا ليس هذا هو المعنى ، ولكن المعنى هو حين يأتيك ناقد من تونس أو يريد أن يكون ناقداً ، ويقول إنك ليس عندك كلام أمام العقاد وأمام طه حسين وليس عندك أي شخصية . هذه هي القضية الأساسية ، ومعناها تقديم الشرق من خلال بعض الناس المتمشرقين بتحيز لطمس معالم الفكر النابت في تونس .

كانت عملية تغريب ، عملية استلاب ، فكنت أنا أهاجم هذا الاستلاب .. ممكن يكون طه حسين ، ممكن يكون مردم بك في الشام ، ممكن يكون الكتاني في المغرب ، ممكن يكون كاتب ياسين في الجزائر ، في أي مكان ، في ليبيا ، وفي تونس أيضاً .. لنعترف أن في تونس هناك محمود المسعدي ومحمد مزالي ، وأن فيها ناساً مفكرين ، ولكن الاخوان الذين كنت أهاجمهم كانوا يقولون لا محمود المسعدي ولا مزالي ولا شيء مثل هذا . هذه هي القضية الأساسية الجوهرية التي أردت أن أقولها لك لأوضح سر هذه الكتابة من أساسها . لماذا انطلقت لمهاجمة ناس لم تكن لديهم شخصية .

فنحن لا نستطيع أن نكتب الثقافة العربية إلا بجميع روافدها ، هنا رافد مصري ، وهناك رافد تونسي ، وهناك رافد مغربي ، وهناك رافد لبناني .. إلى غير ذلك . لا أقول هناك ثقافة مشرقية فقط عند العرب ، لا ، هذا غلط . إذن هي دعوة ثانية إلى الروافد لبناء شخصية عربية إسلامية في الحاضر ، هذا شيء أساسي . ومن خلال هذه الكتابة تفتحت عيون الكتاب ، من جيلي أنا ، على الواقع المحرق في تونس . ماذا في تونس . صور لي الخباز ، وصور لي العامل ، وصور لي المؤسسة ، وصور لي البيروقراطية ... لأن الواقع في تونس هو جزء من الواقع العربي ...

ثم شيء أخير ، هو الهيمنة والوصاية ، أنا لا أقبل أي وصاية كانت من أي عربي كان ، لأن الزعامة العربية الأدبية فشلت على جميع الأصعدة ، فلا توجد زعامة أدبية ، حتى على أفكار الخلق والابداع . أنا لا أعترف بهذا مطلقاً ، فمعناها أن يأتي واحد ليقول لي ماذا تكتب ، غير معقول الكتابة هي ضد كل وصاية .

• والآن ، هل أنت مصمم على ما جاء في أقوالك هذه التي ذكرتها في سؤالي السابق ؟ أم أنك تجاوزتها ؟

ــ الوضع التاريخي هو الذي تجاوزها ، هو الذي تحرك ، بفضل جهود الكثيرين ، ليس أنا فقط ، جهود محمد مزالي في مجلة « الفكر » مثلاً غيرت الكثير ، معناها أن الأخوان من جيلي أنا ، مثلاً رشيد الذوادي صديقنا ، كتب عن الشخصية التونسية وعن شخصيات أخرى عربية .. مثلاً « علي البهلوان » انسان مفكر كبير ، تونسي عاش في الشرق وكتب كتابات جيدة جداً ، ومن

حوار مع الأديب والفنان التونسي

عزالدين المدني

المؤسف أن هذا المؤلف لا يعرف في المشرق العربي.

أنا متأكد أن ثراء ما يقع في الثقافة العربية، في مختلف الزوايا، هذا شيء يسر، وهو أساسي في تنمية وتطوير الثقافة العربية لتكون ثقافة عالمية، هذا هو الأساس.

النص العربي المبدع

• في بيانك التنظيري «نحو كتابة مسرحية عربية حديثة» تحدثت عن أهمية النص المسرحي، وعن النصوص المحاربة والمناضلة، والنصوص المجنونة، والنصوص المغامرة والمجازفة، والنصوص الأغنام والمدجنة.. وكانت كلماتك موجزة وغامضة. فأرجو أن توضح مفاهيمك عن هذه النصوص. وعن تعريفك للنص المسرحي العربي والنص في التصور العربي؟

ـ والله هذا موضوع كبير جداً. مثلاً النصوص العربية في يومنا هذا التي تعتمد على تقنيات العرب وبناء الشخصيات العربية، انك ترى فيها الشخصية عربية لأنها تتكلم اللغة العربية فقط، أياً كانت اللهجة تونسية أو مصرية أو مغربية.. لا يهم، انما تتكلم العربية، هذا لا يكفي. ثمة أشياء أخرى، دراسة النفسية العربية مثلاً، من ناحية تركيباتها وتعقيداتها، ومن ناحية قضاياها المصيرية أيضاً، ومن ناحية كيفية التحليل فيها.. معناها أن النموذج العربي يختلف عن النموذج الغربي، وهذا يسمى إبداعاً. أما النصوص الأغنام فهي معروفة، وهي تعني التقليد، تقليد بشع، أي تأخذ قالباً من القوالب وتدخل الطين ويخرج شكل من الأشكال، كشكل بيرانديللو أو شكل بيتر فايس أو غيرها من الأشكال المعروفة.

لكن أن يأخذ هو من تربته العربية فهذا هو الابداع من الطراز الأول. ومعناه أن يأخذ من القضايا العربية، من التربة العربية، من التاريخ العربي، من النفسية العربية، من الوضعية العربية، هذا هو الأساس. وهذه تكون نصوصها رائدة، وهي ما زالت قليلة إلى يومنا هذا. وأنا لاادّعي أني نجحت فيها، لا أدعي، وإنما أحاول دائماً وأبداً، وهذا لا يحتاج إلى جهد كاتب واحد، ولكن يحتاج إلى جهود كتاب كثيرين أيضاً موجودين في الوطن العربي من المغرب إلى عمان، ولاتكفي حياة واحدة ولكن حيوات متعددة، لأن المسرح لايمكن له في خمسين سنة أو مائة سنة أن يقدم مسرحيا عبقرياً نابغة عنده موهبة كبيرة جبارة، لا، هذا شيء يأتي مع التطور التاريخي في الواقع العربي إلى يومنا هذا. هذا شيء محقق، أنا أتكلم فيه يقيناً.

وهناك النصوص الأغنام، وهناك النصوص الرائدة أيضاً، وهناك النصوص الكلاب أيضاً، وهي أبشع النصوص، هي التي تحرس، ونصوص، والعياذ بالله، نصوص الخونة، ونصوص حسب العرض والطلب..؟!

أما النص العربي في تصوري، فهو النص الذي يمكن أن يفجر الواقع ويعرفه من جديد. وحينما يدخل مثلاً الجمهور المسرح وبعد ما يشاهد يرسم له في فكره صوراً ثابتة، لكن صوراً توحي له بأفكار عظيمة، أفكار خلاقة، أفكار وصور جميلة جداً. وهذا ليس معناه أن الفكر ليس فرجة أيضاً وأنه قضايا مطروحة فحسب، فحينما تقدم فكراً تقدم فرجة، وبهذا تستطيع أن تقدم شيئاً. ليس معنى الفكر هو الابتئاس واليأس والقنوط والحزن والعبوس، لا ولكن أيضاً أن تقدم الفكر العربي ليكون مبتسماً ومنشرحاً فيه الضحك والنكتة، ولكن فيه الفكر المركز، فكر قوي جبار، هذا هو التحدي.

الترجمة وإعادة الكتابة

• في تقديمك لترجمة مسرحية «اشيل»: «الفرس»، تحدثت عن الترجمة كإعادة للكتابة وكمنافسة. فماذا تقصد بهذين التعبيرين في ضوء تجربتك في إعادة كتابة هذه المسرحية وتجديدها؟

ـ اعادة الكتابة مصطلح يعني بالضبط أن تكون أنت المؤلف الأول. ممكن تعبيري تصوفي، أو فيه شيء من الصوفية.. هي قضية الحلول، أن تحل في بدن الأول وتعيد الكتابة حسب منظار واقعك. هذه هي القضية، مع أنك تأخذ نفس الموضوع. ولكن العرب من قديم قد عالجوا نفس الموضوع بدون أن يقولوا إعادة الكتابة، خذ مثلاً المعارضات في الشعر أو التخميسات، هي نوع من اعادة الكتابة، هذا البيت:

يا ليل الصب متى غده
أقيام الساعة موعده

فكم من نص شعري أيضاً معارض يأخذ من نفس اللغة ونفس البحر ونفس القافية، كثير من القصائد.. أي أن الحصري لم يكن حصرياً واحداً ولكن حصريّين كثيرون.. هذا شيء طريف وميزة من مميزات الأدب العربي، لا نجده مثلاً في الأدب الفرنسي، حسب معلوماتي، وانما هذا يختص به الأدب العربي. أو كتاب يناقض كتاباً مثلاً، ككتب الكندي وسواه، أو نقد كتب الراوندي. ولكن هذا يرينا كيف يعمل التفكير العربي، وأنا أردت أن آخذ منه وأن أقتبس منه.

أما المنافسة، مثلاً، تأخذ مقدمة الجاحظ لكتاب الحيوان. فحينما يتحدث الجاحظ، وأنا لا أحفظ النص ولكن أحفظ المعنى، حينما


الفريد فرج


سعدالله ونوس

مسرح سعدالله ونوس نموذج لبريخت

قاسم محمد ممثل ممتاز وكاتب عربي جيد

يتحدث مثلاً عن مترجم لكتب أرسطو، كما أعتقد، فيشترط الجاحظ أن يكون المترجم من نفس مستوى المؤلف الأصلي للنص. وأنا أراها من هذا الحجم أيضاً. فإذا استطعنا أن نوازن بين المترجم والمؤلف، فهناك أيضاً المنافسة بطبيعة الحال، بذلك تكون الترجمة، كما أراها، منافسة بالدرجة الأولى.

الجاحظ والكتابة العربية

• لك تجارب متميزة في مجالات أدبية وفنية متعددة بالاضافة إلى عالمك المسرحي، في كتابة السناريو السينمائي، وفي القصة والرواية، وفي الفنون التشكيلية والخط العربي، وفي الدراسة الأدبية والنقدية.. أرجو أن تحدثنا عن هذه التجارب وعن مدى تأثيرها في عالمك المسرحي؟

ــ هي قضية ترجع إلى مفهوم الكتابة. الكتابة ليست تخصصاً، في أن تكتب قصة فقط أو تكتب رواية أو مسرحية أو نقداً فنياً، بهذه المصطلحات. الكتابة هي شيء كلي يهتم بالكليات الابداعية. وأنا من الناس الذين دعوا منذ عشرين سنة إلى شمولية الكتابة العربية. أي أن تتضامن النوعيات لخلق شكل وسمات ومميزات عربية، وخصائص تعرفها فتقول هذا شيء عربي. لكن هذا يستحق طول نفس. على كل حال، الكتابة عندي هي المفهوم الأساسي للأدب أو لمشروع ما تكتبه، في النقد الفني أو القصة أو ما إلى ذلك..

الكتابة هي الأساس، ولها مواصفات حديثة غير المواصفات القديمة. مثلاً الايجاز، ليس بالمعنى البلاغي القديم، ولكن بمعنى الإفادة وبمعنى جمال الكلمة، بمعنى الشمول أيضاً. فكيف يكون انسان ولا يكون له إلمام بالفنون التشكيلية أو بقضايا النحت وقضايا السينما؟ تكتب مثلاً لأنك تستفيد من السينما، من حيث القص، من حيث المونتاج، من حيث.. كثير من أنواع الكتابة يمكن أن تستغلها في أعمالك الفنية.

في يومنا هذا، أنا أقول بصراحة الكتابة العربية ما زالت متخلفة. لا توجد كتابة جيدة إلا قليلة ونادرة. وأنا لا أحب أن يفهم القارئ أنني أتحدث عن نفسي، ولكني أتحدث عن كتاب آخرين عرب لهم كتابات قليلة جداً جيدة. أنا أتصور كتاباً مثلاً فيهم هذه الأنواع كلها.. أن تكتب مثلاً مثل السيناريو بتقنياته، أنك تعالج القضايا الأساسية. انك تغوص على عمق الفكر العربي، انك تقدم هذا الشيء على المسرح، شيء آخر.. انك تدخل الكتابة العربية في دورة دموية أخرى، غير الدورة المقسمة المجزأة إلى يومنا هذا حسب أنواع وأجناس أدبية مختصة. بل بالعكس الكتابة هي حرية، لاتعترف بالشيء التخصصي، تخصص في الموضوع.. هذا شيء معقول، لكن تخصص في الابداع.. لا يوجد تخصص في الابداع، أن يكون الانسان مبدعاً أو لايكون مبدعاً. في الحقيقة هذه قضية ألح عليها.

نوعية الكتابة في يومنا هذا، عندما نقرأ كتاباً لهنري ميلر أو لبروست.. هذه الكتب الأدبية التي صدرت في العشرينات أو الأربعينات أو الخمسينات، هي نماذج أوروبية أنا لا أشاطرها، ولكني أشاطر الجاحظ، فهو يكتب في كل موضوع. وأعتبر أن الجاحظ هو أول الكتاب العرب بهذه النظرة هو وأبوحيان التوحيدي، لأنه له نظرة اندماجية للمعرفة، أي أن المعرفة تندمج، فروع المعرفة تندمج. هو يكتب في الحيوان، ويكتب أيضاً في البلاغة وفي النحو وفي الشعر وفي الكاريكاتير وفي القصص وفي الحكايات، هذا شيء بديع جداً.

حينما تصعد الثقافة وتصل إلى مستوى معين من الرفعة، ومن القوة، ومن المناعة، تحس أن هناك كتاباً أيضاً يريدون أن ينشئوا من جديد الكتابة العربية. وكان هذا يحدث في زمن الجاحظ وفي أزمان أخرى، لذلك تفسير الأدب العربي حسب التقنيات القديمة «بايخ جداً»! فهناك تفسيرات أخرى، وتقنيات أخرى، وقراءات أخرى للأدب العربي، لأن المفاهيم التي نعمل من أجلها في يومنا هذا ونسير في سكتها، في السكك الحديدية المرسومة، هذا خطأ.

• وماذا عن تأثير هذا كله في مسرحك؟

ــ عن «البحر الوافر» مثلاً، أنا كتبتها حسب العروض العربي في ستة عشر بحراً، ثم كتبت كتابة عربية موجزة ليس بها بلاغة، ثم كتبتها من الناحية الشكلية سينمائياً، ثم هناك الصورة، مثلاً مستحيل أن تكتب بدون صورة، مستحيل أن تكتب كلام ثرثرة وأن تعيد محاورات أفلاطون من جديد، مستحيل. ولكن معها أيضاً فكر ومادة فكرية. أنا أعتقد أن هذه المسرحية ممتازة، أعالج فيها قضايا كثيرة ومهمة جداً.

مسرح عربي كيف؟

• هل المسرح شكل أوروبي أو إغريقي وانموذج غربي يحتذى، أم أن لنا مسرحنا العربي الأصيل والمتميز؟

ــ المسرح العربي في حالة ميلاد ومخاض. هناك النموذج الأغريقي، ولكن ليس معناه أن نأخذه أو ننسج على منواله.

• هناك من يقول بأن المسرح أوروبي وأن العرب لا علاقة لهم بالمسرح..

ــ هذه مبالغة، فالعرب عرفوا المسرح، بدليل أن محمد بن دانيال خلف نصوصاً موجودة ونشرت هنا في مصر. هذا معناه، من ناحية الوثائق، إن المسرح العربي موجود، وهناك وثائق تاريخية كثيرة جداً موجودة تثبت هذا، ولكن المواصفات للحفل المسرحي الأوروبي، هذا شيء آخر، هذا نحن اقتبسناه، القرداحي وأبو خليل القباني.. هذا شيء آخر. لكن المسرح كشكل، كعرض، كنوع، كجنس أدبي فني موجود في القديم، لكن المواصفات الحديثة هي الأوروبية. فنحن نطمح إلى تغيير هذا النموذج، إلى تغييره حسب مقتضيات الواقع العربي المتشعب في يومنا هذا. معناه أن يكون هناك التحام أكثر بين العرض والجمهور، لا من ناحية الموضوع. فهذا مفروغ منه، لكن من ناحية الشكل، ومن حيث الشخصيات التي تقدم على المسرح، أعتقد أن هذه هي القضية.

شجرة الثقافة

• أرجو أن تحدثنا عن مفاهيمك حول الغزو الثقافي والتبعية الثقافية والاستعمار الثقافي والقطيعة المعرفية، التي ترد كثيراً في كتاباتك؟

ــ الغزو الثقافي هو الاستلاب أو الاغتراب بصفة عامة. وأننا في بلد مثل تونس، والحمد

حوار مع الأديب والفنان التونسي

عزالدين المدني

لله ، خطونا خطوات جبارة نحو محو الاستلاب ، وأنا أقولها بصفة خاصة لأني عشت الثقافة إلى أخمص قدمي ، وأتمنى أن تمحو الأقطار العربية الأخرى هذا الاستلاب ، سواء أتى هذا الاستلاب والغزو من الغرب أو من اسرائيل .. لا توجد ثقافة مستوردة ، الثقافة هي ثقافة أبناء البلد ، كالفلاحة والزراعة ، أقولها بكل فجاجة بالمعاني الرديئة ، تكون كالزراعة ، أن تزرع أنت شجرتك ، لابد من زرع شجرة الثقافة في كل بلد عربي . أما حكاية الاستلاب والغزو الثقافي فقد طواها الزمن . فمن في يومنا هذا يحتمل غزواً ثقافياً إمبريالياً أو صهيونياً ؟!

أما القطيعة المعرفية فإنها تدعو في نطاقها إلى شيئين ، أولاً القطيعة المعرفية هي فهم أسس الثقافة الغربية ومنطلقاتها ووضعيتها الفسيولوجية ، في محاورها الأساسية ومبادئها ، في المسرح .. من أين أتى المسرح الأوروبي ، فيجب أن يكون المثقف العربي ملماً ، أكثر من المثقف الأوروبي ، بالثقافة الأوروبية ، ومن ذلك يستطيع أن ينفصل وأن ينقطع عن هذه الثقافة الأوروبية ، وأن يؤسس الثقافة الوطنية . هذه هي الفكرة الأولى للقطيعة المعرفية . أما الفكرة الثانية فهي الانفصال والانقطاع عن الثقافة التي ترجعنا إلى الماضي وإلى عهود التقهقر والانبتات والاستلاب والدوخة الفكرية المريضة من كل المنطلقات .

تجارب تأصيل المسرح

• ما رأيك في التجارب الحديثة لتأصيل المسرح العربي عند الفريد فرج وسعد الله ونوس وقاسم محمد والطيب الصديقي ؟

ـ الفريد فرج اشتغل كثيراً على التراث العربي ، لكن الشكل لديه في أغلبه وفي بداياته غربي .. مسرحياته الأخيرة أحسن بكثير . الطروحات التي قدمها هي طروحات موضوعية في المحور ، في الشكل ، في البنية الفنية . مثلاً في « الزير سالم » نجد المشاهد كلها ، كل مشهد في « الزير سالم » يرجع إلى مسرحية غربية معينة ، هذا شيء معروف . لكن مع تكدس تجربته الفنية نظر في قضية الشكل ، وفي البنية ، وقدم أشياء ذات أهمية كبيرة ، مثلاً « رسائل قاضي اشبيلية » قرأتها منذ سنوات وهي جيدة .

أما الطيب الصديقي فقد قدم أيضاً مسرحيته « سيدي عبدالرحمن المجذوب » ، وهي من أحسن مسرحياته من الناحية الشكلية ، ومن ناحية العرض ، ومن ناحية الملابس ..

سعدالله ونوس قدم أيضاً مسرحية « الملك هو الملك » . لكن ، أقولها بكل صراحة ، سعد الله ونوس أقل جرأة من الطيب الصديقي ، من ناحية التكنيك ، لم يكسر التقليد ، لم يتجاوز المرحلة بكل جرأة . أما الطيب الصديقي فقد قدم أكثر من مسرحية ممتازة ، وله فخر أنه قدمها بكل جرأة . سعدالله ونوس لديه فكر متقدم ، لكن البنية فيها نموذج خلفي ..

• لبريخت ؟

ـ صحيح ، لبريخت . لقد قدمنا مسرحية « الملك هو الملك » في تونس وهم قدموها في التليفزيون السوري بدمشق . ولكن تسلسل الأحداث فيها يعود إلى تسلسل غربي . بينما في « سيدي عبدالرحمن المجذوب » شيء آخر ، وتقنية أخرى ، ولباس آخر ، وزي آخر ، وشخصيات أخرى . بطبيعة الحال « سيدي عبدالرحمن المجذوب » ليس رجل القرن الخامس عشر ، بل رجلنا الآن .

أما قاسم محمد فقد عمل « بغداد الأزل » ، وهي جيدة جداً ، أما العرض فكان ثقيلاً جداً ، لم يكن في مستواه ! لكن الكتابة جيدة ، كتابة عربية اعتمد فيها على المقولات الشعبية ، وهذا هو الممتاز فيها . قاسم محمد انسان يكتب بمهارة كبيرة جداً ، لأنه ممثل ، وممثل من النوع الممتاز القليل والنادر الموجود في الوطن العربي في يومنا هذا ، فهو من أحسن الممثلين العرب .

المقامات والتأصيل

• هل المقامات وخيال الظل والتعازي والذكر وكتابات النويري والأصفهاني أشكال مسرحية عربية يمكن أن تشكل معالم ودعامات مسرح عربي جديد وأصيل ؟

ـ لا ، هي علامات ، هي خصائص ، الذي ينقص هذا هو الكاتب المبدع ، الذي يأخذ هذا الشيء ويتناوله ويبدع منه شيئاً .

• هل يمكن الانطلاق منها وعمل مسرح عربي أصيل ؟

ـ ممكن ، أنا انطلقت مثلاً من طرق الراوي والرواة العرب ثم تخليت عنها ، لم أجد فيها فائدة . المهم بذل محاولات كثيرة ، لأن هذا يستدعي جهوداً كثيرة لمؤلفين متعددين وتجارب بعد تجارب ... لكن الاقتصار على خيال الظل لا يعطي مسرحاً عربياً في يومنا هذا . فمن يعمل مسرحاً عربياً بخيال الظل في يومنا هذا ؟! هذا غير معقول . لكن ممكن الاستفادة منه .. يبقى دائماً وأبداً باب البحث مفتوحاً وليس مغلقاً .. هذا هو المهم ، أن يستطيع كاتب مبدع أن يفتح نوافذ الابداع ويكتب . ولكني أقول بأن هذه ليست مميزات عربية للمسرح ، لأن الأصول عندما ندرسها ، نجد أن أصول خيال الظل مثلاً تركية أو مغولية أو اندونيسية أو صينية ..

• والمقامات أليست حواريات تمثيلية عربية أصيلة ؟

ـ المقامات يمكن هي السمة العربية الوحيدة ، لكن من ناحية السرد لا من ناحية التمثيل فعندما نقرأ نصوص محمد بن دانيال نجد شيئاً آخر . فالعراق ، في تلك الفترة العسيرة التي مر بها محمد بن دانيال في الموصل ، خلقت أشياء متمازجة ثقافياً ومتعددة ، مع السناجقة والتتار والمغول والصليبيين ، مع الثقافة العربية القديمة والتراث العربي ، ثمة أشياء متعددة ... هذا ليس تبريراً سوسيولوجياً لأعماله ، لكنها العلاقة . ممكن نجد خيال الظل في ثقافات أخرى وحضارات أخرى . تبقى هي المقامة . لكن هل الحريري أو بديع الزمان الهمذاني أو سواهما كتبوا المقامات من ناحية التمثيل ؟ لا أعتقد . ولو أن علي عقلة عرسان كتب الكثير في هذه الموضوعات ، وأراد أن يستدل بالمقامات وبغير المقامات على أنه كان هناك مسرح عربي ، ولكني لا أعتقد بهذا .

شكل مسرحي عربي

• في دراسة لمسرحياتك التراثية قال الأديب التونسي الطاهر قيقة ، أن ما كنت وماتزال تصبو إليه من أشكال مسرحية جديدة طريقة تتلاءم مع المسرح العربي . في مجال

التعبير الجسدي ومجال تعدد الخشبات ومجال التعامل مع الزمن ، لم يحقق بأكمله ، وأنك مازلت تبحث وتبحث .. وأن الهدف واضح لديك ، وهو تخليص المسرح العربي من محاكاة أشكال المسرح الأوروبي التي طغت عليه واستنباط مسرح عربي يستمد جدته من القصة والقصة الشعبية على الخصوص ... ما رأيك فيما قاله الطاهر قيقة ، هل ترى أنك حققت مااستهدفته من ابداع مسرح عربي أصيل وجديد ؟ وما هي خصائص مسرحك العربي الأصيل ؟

ـ خصائص مسرحي مستمدة من التراث كالعروض أو الحكاية الشعبية أو النص العربي القديم أو النصوص التاريخية أو أيضاً من ميكانيزم الفكر العربي القديم أو من الأشياء والعلامات المميزة في التراث العربي الاسلامي . البحث عن الشكل ، هذا صحيح ، أنا إلى يومنا هذا أبحث عن الشكل ، وأحاول وأسعى بكل جهدي أن أكتب وأن أحقق هذا . ولكن كما قلت هذا يستدعي محاولات وتجارب كثيرة جداً . فأنا أكتب مسرحية بعد ست أو سبع سنوات حتى أرتبها ، وممكن عمري لا أعرف كم أعيش حتى أكتب ثلاث أو أربع مسرحيات أخرى ، لا أعرف .

• هل توصلت لهدفك أم مازلت في الطريق إليه ؟

ـ والله النقاد هم الذين يقولون هذا أحسن مني . أنا أحس بنفسي أني لم أتوصل . ممكن أكون خطوت خطوة واحدة ، ثم قد يأتي كاتب بعدي ، بعد ثلاثين سنة أو أربعين سنة ، ويقول : عزالدين المدني هذا ماذا عمل للمسرح العربي ؟! ممكن ، هذا شيء غير مستبعد . أنا أقولها بكل صراحة أنا خطوت خطوة فقط ، ولا أقول عملت أشياء ، والأفضل أن يقولها النقاد .

• في دراسته لمسرحيتك « مولاي السلطان الحسن الحفصي » أخذ الأديب والكاتب المسرحي الليبي عبدالله القويري على هذه المسرحية أنها « نمطية » ، وأنها خلت من الصراع الدرامي ، وأن خاتمتها لم يعقبها حسٌّ مأساويٌ ولم تحدث تطهيراً ، وأنها غيرت من الواقع التاريخي لتونس في القرن السادس عشر ، لأنها فترة خلت من النضال الشعبي .. ما رأيك في أقوال القويري ؟

ـ لا أعتقد هذا ، لأنها تنتمي أولاً إلى رباعية (صاحب الحمار ، الزنج ، الحلاج ، السلطان الحفصي) وهي الرابعة فيها كتتويج للثلاث الأخر . أما الخط الدرامي ، أو الحس كما يقول ، فهو موجود من أول المسرحية إلى آخرها . وهو على مستويين : الأول بين السلطان وابنه حميدة ، والثاني بين السلطان والشعب . وفي النهاية يمتزج المستويان في نقطة معينة من المسرحية ليكون الصراع بين الشعب والغزاة . أما من الناحية التاريخية فهي تحت « الخط العام للتاريخ التونسي » في القرن السادس عشر . وإني أتعجب ، لماذا لم يدرك صديقي القويري الهندسة الداخلية لهذه المسرحية ، فيما أعرف أنه قصاص كبير ومتميز . فهل أحسب نقده هو من نوع نقد الكتاب لزملائهم ؟!

• في دراسته عن « المسرح التراثي » كتب الناقد التونسي الدكتور الحبيب الجنحاني عن مسرحياتك التراثية قائلاً إنك ألفتها دون تأويل أو تحريف في التراث ، وتقديم رؤية جديدة للشخصيات التراثية ؟!

ـ الدكتور الحبيب الجنحاني ، مهنته التاريخ ، ثم هو أيضاً ناقدٌ أدبي وفكري ممتاز وأنا أوافق على رأيه ، ففيه جانب كبير من الصحة . ولكني لا أستطيع أن أعمم ، فهذا حكم عام ينطبق على أشياء ولاينطبق على أشياء أخرى .. مثلاً يوجد تأويل كثير عندي ، وتوجد أيضاً صور أخرى غيرالصورة النموذجية الأولى ، هو ممكن يسميها انحرافا ، ولكن هناك تعديل بالنسبة للواقع . إذن يمكن هو رأي الشخصيات التي تتفق مع اتجاهه الفكري ، وانني لم أقدم تأويلاً ، والتأويل بالنسبة له يعتبر لا شيء .

يوسف ادريس

• كتب يوسف أدريس ، في مقال بجريدة « الأهرام » ، قائلاً إنه أسبق الكتاب العرب المحدثين في مجال تأصيل المسرح العربي ، وضرب المثل على ذلك بمسرحيته « الفرافير » ، ونفى أصالة المخرج والكاتب المسرحي المغربي الطيب الصديقي ، بل لقد وصفه بأنه « نصاب » ؟ ما رأيك في أقوال يوسف إدريس وفي تجربته المسرحية في مجال تأصيل المسرح العربي ؟

ـ هناك ناس آخرون سابقون عليه في الدعوة لتأصيل المسرح العربي . نحن نعرف في التاريخ الأدبي لتونس مثلاً أن هناك دعوات لتأصيل المسرح العربي في الثلاثينات .. طيب ، ولكن هذا شيء ليست له قيمة كبيرة ، لأن الكاتب عندما يدعو فإن هذا يدخل في اطار حركة ثقافية وفكرية عامة ، لكن المهم في الابداع ، هو النجاح في الابداع ، وخصوصاً في المسرح .

ويوسف أدريس لم يبدع مسرحاً عربياً . أما عن أسبقيته في الدعوة لمسرح عربي فأقول بأنه في الأدب والفن لاتوجد أسبقية ولا أقدمية ، لا توجد أقدمية قدماء المحاربين ، لا يوجد هذا المفهوم . هناك انسان ينجح في إبداعه ، فتكون الطينة عربية ، والشخصية عربية ، والنفسية عربية ، والاطار عربي ، والعرض عربي ، والخلفيات عربية ... وهذا كله غير موجود في « الفرافير » ، هذا شيء معروف .

إذن أعتقد أن ما قاله يوسف ادريس غير جيد تماماً . فالطيب الصديقي ليس بنصاب . ولكنه فنان كبير جداً . الطيب الصديقي ليس نصاباً بتاتاً . و « الفرافير » ، كيف تنتمي إلى المسرح العربي ؟! أنا لا أعرف ! ممكن الموضوع فقط ، أما التناول .. فهل لأن الشخصيات تتكلم العربية فقط يمكن أن نسميها عربية ؟! ممكن الشخصيات الأوروبية تتكلم العربية . إذن هي مسرحية غربية وشخصيات غربية .. وممكن شخصيات تسمى عبدالله ومحمد وصالح ، ولكنها تظل غربية تفتقد الروح العربية والخصائص العربية .

المسرح العربي رخو

• هل يمر المسرح العربي الآن بأزمة ، ما هي في رأيك معالم هذه الأزمة وأسبابها ؟!

ـ المسرح العربي يعاني من أزمة نمو ، ومن أزمة نصوص خلاقة ، ومن أزمة كتاب مبدعين مغامرين ، ومن أزمة ممثلين شاملين يتمتعون باللياقة البدنية . وهو مسرح رخو يفتقر إلى العظام وإلى الابداع والخلق والمغامرة ! ولكنه تقدم كثيراً في التقنيات .

ومع هذا فأنا متفائل بمستقبل المسرح العربي ، وحتى هذه الأزمات أراها مفيدة وضرورية ، لأنها تحفزنا على التقدم بالفن المسرحي العربي وتجاوز تلك الأزمات . فالأزمات مفيدة للثقافة ، ومامن ثقافة إلا وتعاني من أزمة

أحمد محمد عطية



فدوى طوقان في رحلتها الصعبة

بقلم : علي الخليلي

ان كتب التاريخ المدرسية لاتذكر الا المفاصل الأساسية فى التاريخ السياسى لفلسطين : وعد بلفور ، ثورة القسّام ، نكبة ١٩٤٨ ، والقليل الباهت من أوراق الأحزاب الأقليمية الوطنية . ولكن .. ماذا عن الناس ؟ ماذا عن الفلاحين ؟ ماذا عن الأسرة ؟ ماذا عن المرأة تحديداً ؟ تأتى رحلة فدوى طوقان لتشرق علينا ونحن فى النفق ، مانزال !

جرزيم وعيبال جبلان يحتضنان مدينة نابلس ويصنعان سيرة « جبل النار »[1] فى الجغرافية الفلسطينية منذ مطلع هذا القرن . أما فدوى طوقان ، فتحتضن هذا الجبل كله ، ليس على مستوى المدينة أو الاقليم ، وانما على مستوى « الوطن » الذى يمتد عبر اللغة العربية كلها ، من ابن الرومي والمتنبى ، حتى أحمد شوقى والشابي وأخيها الغالي ابراهيم ، صاعدة من القمقم المفزع ، حتى أقصى رحاب الروح في « رحلة صعبة — رحلة جبلية »[2] ، سيرة ذاتية ، تماماً كما هي سيرة الجبل ذاته . فاذا كان الجبل فى ثورته انتج ناراً تحرق المعتدين الغاصبين ، وحقق أسطورة الصمود والبقاء والثبات للشعب الفلسطينى ، رغم أقصى الظروف ، فإن فدوى طوقان في قصائدها ، انتجت ثواراً وفدائيين فى « قصة الكفاح مع العطش والصخر — ص ٩ » .

قصة ؟ شاءت فدوى نفسها أن تطلق هذا « المصطلح » على سيرتها الذاتية ، رحلتها مع الحلم والارادة والعمل ، ٢٣٩ صفحة من القطع المتوسط ، اندفاعة من السطر الاول « ظللت طيلة عمري الأدبي أحسّ بانكماش ونفور من الاجابة على الاسئلة ... » الى السطر الأخير : « ملتاعة ، كئيبة ، آملة ، تتطلع الى ما وراء الافق » ، توكيداً للطريق الشائك الصعب .

التوغل فى هذه الرحلة يبدأ فى زمان قاس جداً : الاستعمار البريطانى والهجمة الصهيونية على فلسطين ، وفي مكان أقسى : « سجن الدار » . وقد تداخل هذا السجن الاجتماعى — الذاتي — بالزمان العنيف لتخرج فدوى الى الدنيا دون « شهادة ميلاد » عادية ! حتى انه فى العام ١٩٥٠ ، حين كان عليها أن تستخرج أول جواز سفر لها ، اضطرت لأن تستعين بشاهدة قبر ابن عم أمها لكى تستخرج من تاريخ وفاة هذا الشهيد الذى رافق تاريخ وجودها فى رحم أمها ، شهادة ميلادها !

من اللحظة الأولى ، من الاجهاض الذي حاولته الأم وهى حاملة بفدوى ، حتى شاهدة القبر التى صارت شهادة ميلاد ، وحتى فقدت ابراهيم فى العام ١٩٤١ ، وفقدان الوطن كله تباعاً فى العام ١٩٤٨ ، والعام ١٩٦٧ ، تتحرك قصة كفاح فدوى طوقان ، تحت أفق من الحزن العبقريّ العظيم . ذلك أن احزان فدوى ليست انعكاساً للذات — رغم أهميتها الكبيرة — فحسب ، وانما هى أحزان القضية الفلسطينية أيضا . ان « زمان ومكان » فدوى هما بالضرورة ، وبالشمول ، هذه القضية العربية الكبرى . وقد حرصت الشاعرة على هذا الترابط العميق فى رحلتها : « سجن الدار » من جهة — حيث تفجرت القوة الكامنة في فدوى الشاعرة ضد القهر الاجتماعى ، وسجن الوطن كله من جهة اخرى ، حيث تكامل هذا التفجر بالواقع السياسيّ — الثورى فى فلسطين . ان فدوى المحاصرة بسجن الدار « الحريم » فلا يدرك عنها او منها اخوها أحمد مثلا ، سوى ان تكون « تسلية لزوجته » فى الغربة ، فى مرحلة ثورة ١٩٣٦ — ، تتجاوز هذا الحصار المقيت ، وتكتب « قصيدة مبهورة » عن بطولة القائد فوزي القاوقجي :

« بطل الابطال يازين الشباب
هات حدثنا عن الامر العجاب »

(ص ١٠٣) ، وهو تجاوز هام له دلالته التى اكّدت خلْقَ الشاعرة فى مرحلة تالية . واذا كانت هذه « القصيدة المبهورة » قد ضاعت مع قصائد « المحاولات الفاشلة » كما تقرر الشاعرة (ص ١٠٤) فإنها تبقى المدخل ، لنفهم مغزى إصرار فدوى على ايراد نص الشعر للشاعر ابى سلمى ، فى اشارة منها لوعي « الزمان الجديد » الذى بدأ يأخذ مجراه في حياتها ، رحلتها الصعبة .

ان ذاكرة فدوى طوقان بذلك ليست ذاكرة

فـرديـة ، ولكنهـا ذاكـرة شعب . ان « الزمانكانية » تخرج هنا من إطار المرأة المقموعة والبيت العائلي المتراكم في ادق التفاصيل ، الى إطار مرحلة تاريخية ـ جغرافية هامة جدا من حياة الشعب العربي الفلسطيني ، ومن أرض فلسطين العربية . وأحسب أن السيرة الذاتية لشاعرتنا المبدعة فدوى طوقان في تلك المرحلة بالذات ، تصبح ذات أهمية قصوى ، وهي تتحرك في نفق معتم طويل ، مازال مهملاً ، في كتب التاريخ « الرسمية » حتى الآن .

ان كتب التاريخ المدرسية لاتذكر الاّ « المفاصل » الأساسية في التاريخ السياسيّ لفلسطين : وعد بلفور ، ثورة القسّام ، نكبة ١٩٤٨ ، والقليل الباهت من أوراق الأحزاب الاقليمية الوطنية . ماذا عن الناس ؟ ماذا عن الفلاحين ؟ ماذا عن الاسرة ؟ ماذا عن المرأة تحديداً ؟ تأتي رحلة فدوى لتشرق علينا ، ونحن في النفق ، مانزال !

واذا قالت لنا فدوى : « لم أفتح خزانة حياتي كلها » ص ١٠ ، فقد شاءت أن تتحدث عن « الكفاح » بصدق وشجاعة ، وبحزن عميق أيضا ، أكثر مما شاءت أن تسرد لنا « قصة رحلة » عن امرأة متمردة تتهم كل الرجال بالعداء .. الخ . لم تسرد فدوى شيئاً من ذلك ، ولم تقسم المجتمع الى قسمين متناقضين : رجالي من جانب ، ونسائي من جانب آخر ، كما يفعل بعض السير الذاتية لبعض « الرائدات الاجتماعيات » . ان أحزان فدوى طوقان فوق هذا « التناقض » الثانوي ، وهي حين تناضل ضد التسلط الاجتماعي من قبل الرجل ، الأب والرجل ، الأخ والرجل ابن العم ، لا تنغلق في أية « عقدة » فقد كان ابراهيم رجلاً بالمقابل .

ومع هذا الوجه المشرق وحده ، بدأ نهر الحياة في قلب فدوى يندفع ، ويفيض ، ويكتشف أصالة الدفاع ضد الانتحار ، الذي كان ـ هذا الانتحار ـ هو « الشيء الوحيد الذي يمكنني ان أمارس من خلاله حريتي الشخصية المستلبة » (ص ٥٧) . كان الشعر ، وكانت الشاعرة : « كنت أقوم بأعمال المنزل وبجيبي دائما قصيدة للحفظ ، أكوي قمصان اخوتي وبنطلوناتهم وانا احفظ الشعر ، أرتب الأسرة وانا احفظ الشعر ، أغسل زجاجات مصابيح النفط وأملأ المصابيح بسائل الاشتعال وانا احفظ الشعر ... » (ص ٧٨) .

هذا التثقيف الذاتي المبدع المذهل قصة هامة كواقع مميّز في صناعة الأسس المبكرة للشاعرة . وهو يستحق الدراسة التامة والمستقلة في متابعة داخل هذه الرحلة الصعبة ، لأنه يوفر الشرط الكامن في فهم هذه العبقرية .

لقد صنعت فدوى عبقريتها بإرادة صلبة ، وعمل مستمر . كان يمكن أن يأخذها طاحون عصر الحريم ، وكان يمكن أن تأكلها الأميّة المتفشيّة ، وكان يمكن أن تنتحر ، وكان يمكن أيضا أن يغفلها ابراهيم في غمرة أحداث حياته . ولكن « البذرة التي تشق الأرض » كانت موجودة في فدوى نفسها ، حتى أصبحت فدوى هي البذرة ، وهي الشجرة ، وهي الأرض ، في زمن مفقود وفي مكان مفقود .

« ان حياة الانسان سلسلة متواصلة الحلقات من الفقدان ، بدءاً من اقصائه من ثدي أمه ، وانتهاء بفقدان الحياة ذاتها » (ص ٣٠) . مع ذلك أصبح الشعر موجوداً ، وأصبحت الشاعرة موجودة ، وبالتالي ، عاد للزمن وللمكان وجودهما ، داخل القصيدة ، داخل الصراع .

لقد سقطت « الشيخة صاحبة الهيبة والسلطة والبوليس السريّ الذي يعمل لحساب أرباب العائلة .. » (ص ٣٢) وواصلت بالمقابل تلك الأمنية العميقة في نفس فدوى حياتها الصاخبة لأن تصبح يوماً « جنكية أو راقصة » (ص ٣٧) . كان الوصال في القصيدة ، وهو بالضرورة رقص وغناء ، بقدر ماهو بالضرورة ايضاً ، قضية اجتماعية وسياسية وحضارية كاملة . ان صدق فدوى طوقان هو الذي يقود تلك الامنية ، باخلاص وتفان ، نحو خلود الشاعرة العربية الكبيرة فيها .

لم تتبجح فدوى ، ولم تضخّم « أناها » الى درجة « البطولة » الخارقة : جنكية أو راقصة فحسب ! ، رفضاً قاطعاً للكسل الحريمي الميت بين الجدران . تكتب الشعر من خلال أحزانها . هل هي أحزان « ذاتية صغيرة » ؟ هل تمارس الدجل اذن على مستوى القصيدة ؟ تقول فدوى بصدق باهر : « اذا لم أكن متحررة اجتماعياً فكيف أستطيع أن أكافح بقلمي من أجل التحرر السياسيّ أو العقائدي ، أو الوطني ؟ » (ص ١٣٣ ـ ١٣٤) . لم تكذب في « وحدي مع الأيام » وفي « وجدتها » و « اعطنا حباً » و « أمام الباب المغلق » و « الليل والفرسان » و « على قمة الدنيا وحيداً »[٤] . ان قصائدها في كل مجموعة تؤشر لهذا الصدق الباهر . فقد أعطت في مجموعاتها المبكرة الأولى اشراقات أحزانها داخل السجن الاجتماعي المقيت ، وأعطت في مجموعاتها الأخرى اشراقات روح الثورة ، وقد تكامل لديها الوعي السياسي بالثقافة العميقة ، بالسفر ، بالعلاقات ، بالانتشار ، بالحرية ..

ان « تفجير الحزن » الذي تم على يدي فدوى طوقان ، عبر التفجيرات السياسية ـ الاجتماعية التي زلزلت الواقع العربي كلّه ، جعل منها شاعرة كبيرة من نوع فريد . فهي لم تتكئ على « رأس القضية » لتأخذ شهرتها من هذا الرأس السياسيّ الجاهز في شهرته وعلاقاته وانتشاره . وهي لم تتجمد على « هموم المرأة » لتنال حضورها الاجتماعي الدائم في رحاب « حركة التحرر للمرأة العربية والعالمية » . وانما هي أسست قصيدتها السياسية ـ الاجتماعية بدأب وصبر ، وتطوّر ، واستمرارية فذة دون انقطاع ، من « وحدها » الموحش الكئيب ، حتى الذروة .

ومن الملفت للنظر كثيراً في هذه المسيرة ـ السيرة ـ الرحلة الطويلة الصعبة ، ان فدوى لاتتعلق بـ « الأسماء الكبيرة » حولها . ان شخوص أحداثها تمضي بأجواء شعبية متواضعة محببة ، على حبّة القلب ، تماماً ، من صديقتها الفقيرة الطيبة علياء ، حتى معشوقها الفقير الأسمر الذي طواه الزمن ، دون تذكار واحد ، سوى سمرته وفقره . ان هذه الشخوص الشعبية الطيبة الفقيرة قد أثّرت في صناعة فدوى الشاعرة اكثر مما كان من تأثير النقّاد والناشرين والشعراء الكبار المعاصرين لصبا فدوى . فاذا كان هؤلاء النقاد والناشرون والشعراء قد حققوا صقل اللغة ـ الأداة لدى فدوى . فإن أولئك « الشخوص » وحدهم قد صنعوا « مضامين » قصائد فدوى .

علي الخليلي

هـوامـش :

١ ـ جبل النار ، تسمية نضالية لحقت بجبل نابلس الذي اشعل الثورة باستمرار ضد الغزاة والمعتدين .

٢ ـ « رحلة صعبة ـ رحلة جبلية » ـ فدوى طوقان ـ منشورات دار الاسوار عكا ـ الطبعة الاولى حزيران ١٩٨٥ ، وقد قدم لهذه الطبعة الشاعر سميح القاسم .

٣ ـ من المعروف ان موشيه ديان وزير الحرب الصهيوني الأسبق ، قال « ان قصيدة واحدة لفدوى طوقان كافية لصناعة عشرة فدائيين » .

٤ ـ عناوين مجموعات شعرية للشاعرة فدوى طوقان ، صدرت تباعاً ، وفي مراحل مختلفة .



وثيقة طبية عن السمك

هل أصبح السمك نوعاً من الكماليات في العالم ؟

عرف الإنسان السمك كمصدر غذائي منذ غابر الزمان ، ووجدت أشكاله محفورة على الحفريات والآثار المكتشفة ، ويمثل اليوم غذاءً عالمياً للملايين في مختلف أنحاء العالم ، وبينما كان صيد السمك وتناوله للغالبية القاطنة بقرب السواحل أمراً ميسوراً صار مع مرور الوقت صعباً ، فالزيادة الواضحة في السكان ، مع رغبة الدول في الحصول على مصادر للدخل ، ومع تطور صناعة السمك ، كل ذلك وغيره ، أدى إلى صعوبة الحصول على السمك الطازج وبالأسعار المناسبة ، لدرجة أنه أصبح في غالبية البلدان بمثابة نوع من الكماليات ، فبعض الناس في تلك البلدان ـ للأسف ـ لا يستطيعون تناول حتى سمكة صغيرة ولو مرة واحدة في الأسبوع ، وهذا إضافة إلى أنك لو ذهبت لتناوله في أحد المطاعم في أي مكان فإن أول ما يواجهك هو فرق الأسعار بينه وبين بقية المواد الغذائية !

■ من مشاكل سكان العالم اليوم الحصول على طبق طازج من السمك

■ اتفاقيات الصيد الدولية ستكون وبالاً على المستهلكين

■ السمك الطازج لا يتوفر إلا للصيادين في البحر!





سمك الكنعد

بقلم
الدكتور: عبدالله الباكر

إن مشكلة الحصول على طبق طازج من السمك قد تتفاقم أكثر. فسكان العالم كانوا ٤،٣ بليون شخص في عام ١٩٨٠، ومن المتوقع أن يصلوا إلى ٥،٣ بليون في عام ١٩٩٠، وتقدر كمية السمك التي نستخرجها من البحار والبحيرات والأنهار وبرك السمك وحقول الأرز بما يقارب من ٧٠ مليون طن متري، ولا تزال كما هي منذ سنوات، وهناك نوع من التشاؤم حول امكانية زيادة هذه الكمية، إذ أن هنا كل إحتياجاً إلى زيادة ما يقرب من ١٥ مليون طن في عام ١٩٩٠ لسد النقص، وبالرغم من هذا الاحتياج فإن الرغبة في طرح أكبر كمية من السمك في الأسواق تؤدي إلى ضياع ١٠ ملايين طن كفضلات من جراء التصنيع، ويذهب ٢٠ مليون طن إلى صناعة وجبات الأسماك التجارية المختلفة.

هذا ويعتقد البعض أن مد حقوق الصيد المتفق عليه دولياً إلى ٢٠٠ ميل، والذي قد يساعد الدول الصناعية والشركات التجارية على تحسين دخلها لن يكون إلا وبالاً على المستهلكين في مختلف البلدان، وسيكون أحد أسباب حرمانهم من الحصول على السمك، وسيؤدي إلى استنزاف الثروة السمكية في العالم.

التلف النوعي للأسماك

يتحدث البعض دائماً عن أهمية السمك الطازج وقيمته الغذائية، وفي هذا الصدد لابد أن نقول أنه لا يوجد سمك طازج ١٠٠٪ حسب ما تصفه الكتب إلا أثناء صيده في البحر وأكله في الوقت نفسه، وهذا لا يتوفر فعلاً إلا للصيادين أنفسهم، إذ أن التلف النوعي يبدأ في السمكة منذ اللحظة التي تخرج فيها من الماء، لكننا نستطيع القول أن السمك المبرد أو المجمد يكون طازجاً أيضاً بشرط أن يبرد أو يجمد رأساً وبعد اصطياده، وهذا هو الذي يحدث لسمكنا الطازج هذه الأيام.

فلقد مكن اسلوب التبريد الحديث سواء بماء البحر أو الثلج أساطيل السمك والجرافات من المكوث في البحار مدداً أطول دون أي تلف نوعي في السمك، أما التجميد فقد أطال المدة أكثر ويعتبر في الوقت الحاضر أهم وأحسن الطرق لحفظ السمك، إذا أنه بالامكان إذابة الثلج عنه وإعادة تجميده دون أن يطرأ عليه أي تلف، وهذا هو الذي يحدث في صناعة أصابع السمك «f.f» حيث يخضع إلى عدة عمليات من التجميد والإذابة حتى يصبح في الشكل الذي نراه في البرادات في السوق.

لقد أصبح بالإمكان الآن حفظ السمك الهزيل لأكثر من سنتين والسمك السمين لمدة سنة بالتجميد تحت ـ ٣٠° مئوية، ولربما يكون أكثر بالنسبة للسمك السمين تحت ـ ٤٠° مئوية، والشكل «١» يبين مختلف الدرجات تحت الصفر والمدة التي يمكن أن يخزن فيها السمك.

أما الحفظ بالتبريد فيقاس بالأيام والشكلان (٢، ٣) يوضحان مدة الحفظ في الدرجات المختلفة بالنسبة للنوعين «الهزيل والسمين».

لماذا الحديث عن السمك؟

معروف عن السمك أنه أحد المصادر المهمة للبروتين من الدرجة الأولى، شأنه شأن اللبن ومشتقاته واللحوم والبيض، وهو يحتوي على الأحماض الأمينية الأساسية المهمة لبناء ونمو الجسم وتعويض الأنسجة التالفة في الصحة والمرض.

ويحتوي السمك على عدد من الفيتامينات أهمها فيتامين ا، د وبالذات كبد السمك، ومن الأمثلة المشهورة على ذلك استعمالات زيت كبد الحوت في الأحوال المرضية المعروفة كمرض لين العظام «الكساح» ولهذه الفيتامينات أهمية في الجلد والعيون والأسنان. كذلك فإن السمك غني بفيتامينات «ب» وبالذات «النياسين»، (ب ٦) وتدخل هذه الفيتامينات في العديد من التفاعلات في الجهاز العصبي والجلد وهي مهمة جداً في استقلاب البروتين. ويحتوي السمك ـ أيضا ـ على الفوسفور ويعتبر مصدراً مهماً له، وكذلك يحتوي على الكلسيوم والبوتاسيوم ومعدن السلينيوم الذي يربط الفنلنديين بين نقصه وخطر الإصابة بأمراض القلب والوفاة منها، هذا وتختلف نسب هذه المعادن والفيتامينات

هل أصبح السمك نوعاً من الكماليات في العالم؟

حسب أنواع الأسماك في الوقت الذي يحتوي بعض السمك على ٢٤٠ مجم من الفوسفور نجد أن سمك « التونة » يحتوي على ٧٥٠ مجم منه ..

أما الدهون في السمك فبالرغم من معلوماتنا عنها ، إلا أنها لم تخرج إلى دائرة الضوء إلا في السنين الأخيرة ، ولو فتحت أي كتاب يتحدث عنها فلن يتعدى القول عن كونها تدخل ضمن اضافة سعرات حرارية إلى التغذية ، وأنها تدخل في تكوين الأنسجة ــ وبالذات أغشية الخلايا ــ وفي تكوين الفوسفولبيدات في جدار الخلية ، وسأحاول في هذه الوثيقة أن أدخل في تفاصيلها وعلاقتها بالصحة التي كثر الحديث عنها أخيراً ، فالدهون عموماً تتكون من أحماض دهنية وجليسرين ، هذه الأحماض الدهنية لها دور كبير في اعطاء الدهون طبيعتها ، وعلى أساسها نقسم الدهون حسب تشبعها إلى « دهون مشبعة » وهذه تشكل غالبية الدهون الحيوانية وتوجد في الشكل الجامد الصلب في درجات الحرارة العادية « حرارة الغرفة » ، أما النوع الآخر فهو « الدهون غير المشبعة أو اللامشبعة » وهذه تشكل غالبية الزيوت النباتية ، وتوجد غالباً في شكل سائل في درجات الحرارة العادية ، والدهون اللامشبعة إما أن تكون « أحادية اللاتشبع » مثل حامض الأوليك الذي يعرف به زيت الزيتون والذي يكثر استعماله في منطقة البحر الأبيض المتوسط وجرت حوله كثير من الدراسات التي تربط بين استهلاكه وهبوط نسبة الوفاة بأمراض القلب في هذه المناطق ، أو « عديدة اللاتشبع » والتي من أمثلتها « حامض اللينوليك » والذي غالباً ما يكون في أكثر الزيوت النباتية المصنوعة من البذور ، ويوجد في المرجرين أيضاً و « حامض اللينولينيك » وهو أيضاً زيت نباتي ، ويكثر في النباتات ذات الأوراق الخضراء .

المهم أن الأحماض الدهنية عديدة اللاتشبع « PUFAS » تعتبر « أحماضاً أساسية » أي أنه لا يمكن تصنيعها داخل جسم الانسان ، وتدخل في الأنسجة المهمة مثل الجهاز العصبي والمخ والشبكية وأجهزة الاخصاب والانتاج والأوعية الدموية وغالبية الأعضاء الحيوية ، وعلى سبيل المثال يعتبر ٦٠٪ من وزن المخ مجففاً من الدهون ، وأن ٦٥٪ من المادة الرمادية في المخ مكونة من الدهون ، وأن أهم نوع من الدهون فيه هو النوع (DHA) . وهذا يوجد بكثرة في السمك ، فلا غرابة إذا قيل أن السمك غذاء للمخ ، وتبرز أهمية هذه الأنواع من الدهون نتيجة لدخول مشتقاتها في صناعة مواد مهمة تعرف باسم « البروستاجلنديز » التي تدخل في الكثير من التفاعلات في جسم الانسان وتقوم بتنظيمها فيه ثانية بثانية . هذه المشتقات أيضاً أحماض دهنية أشهرها النوع أو ميغا ــ ٣ « 3 ــ W » وهو نوعان أحدهما حمض ايكوسانبتانويك « EPA » والثاني حمض دكوسا هكسانويك وينتجان من تحول حمض اللينو لينيك في الجسم ولكن بكميات اختيارية .

هذان النوعان يوجدان في الأسماك التي تعتبر أهم مصدر لهما ، ويعتبر الحمض الأول EPA أهمها على الاطلاق ، وهو الذي تدور حوله الدراسات والابحاث في الفترة الأخيرة أما حمض اللينوليك فينتج عنه حمض الارشيدونك (AA) وهو من النوع أوميغا ــ ٦ « 6 ــ W » ويعتبر هذا الحمض الدهني مهما في الجهة المعاكسة للأول ، ويدخل في عمليات التجلط ومختلف الأنسجة والبروستا جلنديز واللوكوترينز الذي تفرزه كرات الدم البيضاء أثناء إثارتها ، حتى يساعد على التصاقها وانتقالها لمحاربة المواد الغريبة داخل الجسم .

■ هل صحيح أن السمك غذاء لمخ الإنسان؟

■ الشعوب التي تعتمد على الأطعمة البحرية نادرة الإصابة بأمراض القلب والشرايين

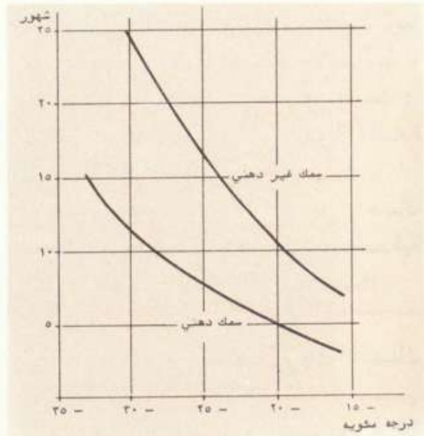
الدهون والسمك

ولكن ما الذي دعى العلماء إلى سبر أغوار هذه الدهون وما هي علاقتها هي والسمك بالصحة ؟

قال الدكتور سنكلير منذ ثلاثين عاماً أن الأمراض التنكسية المزمنة الشائعة في المجتمعات الغربية قد يكون سببها نقص الدهون الأساسية ، وتوالت من بعده الملاحظات والدراسات ، حتى أن المؤتمر الدولي عن الأحماض الدهنية الأساسية الذي عقد في مارس عام ١٩٨٥ ربط الكثير من تلك الأمراض بهذه الدهون .

لقد تكونت على مر السنين قناعة لدى الكثير من الدول الأوروبية وأمريكا بأن هذه الأمراض ومعها القاتل الأول « تصلب الشرايين » والوفاة بأمراض القلب لها علاقة بنسبة الدهون التي وصلت إلى أكثر من ٤٠٪ في الأغذية الحديثة وهي من الأنواع المشبعة بالذات ، ولذا قامت الهيئات الصحية والجمعيات الطبية بدعوة صريحة إلى تقليل نسبة الدهون إلى أقل من ٣٠٪ من الغذاء على أن لا تزيد نسبة الدهون المشبعة والتي تضر ولا تنفع عن ١٠٪ منها والباقي من الدهون الأساسية واللامشبعة ، والأخيرة توجد كما ذكرنا في الزيوت النباتية والمهم والصحي منها يوجد في السمك ، وهكذا سجلت الاحصائيات انخفاضاً في نسبة الوفيات بأمراض القلب في السنوات الأخيرة في أمريكا ، ولكنها سجلت أيضاً في المقابل من ١٩٧٥ ــ ١٩٨٤ انخفاضاً بمقدار ٢٥٪ في استهلاك الكعك والبسكويت والسكر والبيض والمربى والشوربة المعلبة ، وبمقدار ٥٠٪ في استهلاك الزبد وأغذية الأطفال المعلبة ، وسجلت زيادة في استهلاك السمك والدجاج المجمد بنسبة ٢٥٪ ، وبنسبة ٥٠٪ زيادة في استهلاك الخضروات وزيت الطبخ والخبز البني .

وتتابعت الملاحظات حيث جاءت هذه المرة من الدنمارك بعد مراقبة لشعب الاسكيمو في منطقة جرينلند ، فلقد تبين أن الاسكيمو يقل تعرضهم للاصابة بأمراض القلب والشرايين والتخثر والتجلط كتعقيدات لهذه الأمراض . وأنهم سريعو النزف عند تعرضهم للكدمات مع زيادة في زمن النزف ، هذا إلى جانب قلة اصابتهم بارتفاع الضغط ، وتكاد تكون الأمراض المزمنة شبه معدومة . ولقد وجد بالدراسات االتي أجريت عليهم أن الكلسترول والشحوم البروتينية والدهنيات عموماً



الشكل (١) يبين مختلف درجات الحرارة تحت الصفر، والمدة التي يمكن أن يخزن فيها السمك تحت كل درجة

منخفضة لديهم، وأن الشحوم البروتينية عالية الكثافة (HDL) عالية فيهم وهذا مايبرر قلة اصابتهم بأمراض القلب والشرايين، وأن نسبة الدهون (EPA) أعلى من نسبة الدهون « AA » وهذا ما يبرر/سرعة النزف لديهم، إذ أن النوع الأول EPA يمنع تكدس الصفائح بمنافسة النوع « AA » الذي يلعب دوراً كبيراً في التصاق وتكدس الصفائح الدموية.

وتستنتج الدراسات أن هذا الوضع بالنسبة للاسكيمو لا يخضع لتأثيرات جينية ووراثية، ولكن سببه في الغالب التغذية، فهم يعتمدون على المأكولات البحرية من الأسماك والحيتان وحيوان البحر التي تحتوي على كمية من الدهون الأساسية وفي مقدمتها النوع EPA ويقدر استهلاك الزيوت الأساسية في الاسكيمو بسبعة جرامات يومياً.

أما اليابان فلقد وجد أيضاً أن نسبة الوفاة فيها بسبب أمراض الشريان التاجي منخفضة، وربما يكون السبب هو الاستهلاك العالي للسمك نسبياً إذ يقدر استهلاك الشخص اليومي بمائة جرام، وأن أقل نسبة لحالات الوفاة في اليابان نفسها في منطقة أو كيناوا حيث يعتبر معدل استهلاك السمك فيها ضعف معدل استهلاكه في بقية اليابان. ولقد أجريت في اليابان دراسة عن تأثير النوع EPA من الدهون على لزوجة الدم في أشخاص من قرية تعيش على صيد السمك وتمت مقارنتهم بأشخاص من قرية زراعية، فتبين أن لزوجة الدم تقل بشكل ملحوظ في القرية الأولى عنها في القرية الثانية وأن كمية الأسماك التي يتناولها الأشخاص في الأولى يزيد على ضعفي ما يؤكل منها في القرية الزراعية.

وفي تجربة أخرى تم إعطاء مجموعة من المتطوعين ١،٤ غم يومياً من حمض (EPA) مستخلص من زيت السردين وقد انخفضت لزوجة الدم فيهم بشكل ملحوظ بعد أربعة أسابيع، ولوحظ أن الانخفاض كان أكثر في المتطوعين الذين كانت لزوجة دمهم زائدة قبل التجربة، كذلك لوحظ أن هناك فرقاً ملموساً في تكديس صفيحات الدم قبل وبعد إعطاء (EPA) ويستنتج اليابانيون من هذه الدراسات والملاحظات أن تناول الأسماك الغنية بالدهون ربما تكون ذات أهمية حين استعمالها للوقاية من وعلاج مشاكل التخثر.

وتتوالى الدراسات عن تأثير زيت السمك (EPA) على النزف وتكدس صفائح الدم، وتظهر هذه الدراسات أن الأساس هو دخول (EPA) في الفوسفوليبيدات المكونة لأغشية الصفائح وكريات الدم الحمراء، إذ أن التخثر في العادة يبدأ عندما تتكدس الصفائح فتنتج مادة الثرمبوكسان أ ٢ (TXA2) التي تزيد من التصاق الصفائح، وتؤدي إلى زيادة تقلص الأوعية لاستمرار عملية حدوث الجلطة، وهذه المادة تتكون من تفاعلات الحامض الدهني AA والاسبرين الذي يتناوله المرضى الآن ويؤدي إلى زيادة زمن النزف يعمل على منع تكوين TXA2 أما إذا كان الحامض EPA متوفراً فإن تكسر الصفائح ينتج عنه TXA3 وهذا لا يؤدي إلى التصاق الصفائح وفي نفس الوقت ينتج مادة البروستاسيكلين PGI3 التي تمنع تكدس الصفائح وتؤدي إلى توسيع الأوعية الدموية بفعالية واضحة.

وفي دراسة من السويد نشرت عام ١٩٨١ أتضح أن غذاء السمك الذي يحتوي على ٢ ــ ٣ جرام من EPA في اليوم يطيل زمن النزف بنفس المستوى الذي أحدثته حبة الأسبرين، وأن تناول الاثنين « الاسبرين والسمك » أدى إلى اطالة زمن النزف بشكل مضاعف، وأن زمن النزف الذي طال استمر لمدة ٦ ــ ١١ اسبوع حتى بعد توقف التجربة، بينما كانت غالبية الدراسات عن تأثير السمك على المتطوعين من الأصحاء ومدة المتابعة لم تكن تتعدى الثلاثة شهور حتى عام ١٩٨٠، وقد صدرت دراسة من شيفلد استعمل فيها مُركّز من زيت السمك MAX EPA على ١٥٠ شخصا كان من بينهم أشخاص مرضى بالذبحة الصدرية ومرضى مصابين بالاحتشاء القلبي ومجموعة من المتطوعين الأصحاء وتم تتبعهم لمدة ٣ سنوات فتبين أنه بعد عامين من تناول هذه المادة انخفضت نسبة ثلاثي الجليسرايد « الدهون » في الدم إنخفاضاً ملحوظاً في الأسابيع الأولى ثم تدريجياً فيما بعد، وانخفضت ــ كذلك ــ نسبة الكلسترول بشكل ملحوظ بينما ارتفعت نسبة الشحوم البروتينية عالية الكثافة (HDL) وزادت سيولة الدم خاصة في المرضى الذين تناولوا جرعات فوق ٢٠ مللتر، وكان الانخفاض في عدد صفائح الدم ملحوظاً في الستة أسابيع الأولى، واستمر ذلك تدريجياً خلال الستة شهور التي تلتها، ثم عادت الصفائح إلى ما كانت عليه بعد ١٢ شهراً، كما لوحظ في أن المرضى بالذبحة الصدرية قد انخفض استعمالهم لموسعات الشرايين من الأدوية التي توضع تحت اللسان، وأن قدرتهم على الاحتمال أثناء التمرين قد زادت.

واستكمالاً للدراسات على مرضى الشريان التاجي قام الدكتور (E WARREN) من أمريكا باعطاء خمسة من المرضى ٤٠ مللتر يومياً من زيت كبد الحوت على ثلاث جرعات لمدة ستة أسابيع فوجد أن هناك زيادة في الدهون البروتينية العالية الكثافة HDL مثلما يحدث بعد ممارسة التمارين الرياضية، وأن نسبة الكلسترول إلى هذا النوع من الدهون قد انخفضت من ٥،٤ إلى ٤،٧ إذ أن الخطورة تزداد عندما ترتفع النسبة عن (٥)، وأن هناك زيادة في زمن النزف وأن نسبة الدهون EPA إلى الدهون (AA) قد زادت، وهذا يطمئن إذ أن نتاج ذلك سيكون البروستاسيكلين الموسع للأوعية.

وتوالت الدراسات بعد ذلك واشتركت فيها المانيا بدراسات على المتطوعين سواء باعطائهم وجبات من سمك المكاريل « الكنعد »، أو استعمال زيت كبد الحوت فتوصلت إلى نتائج مشابهة، وفي ميونيخ أجريت تجربة مختبرية على الحيوانات فوجد أن التي تتغذى على الدهن (EPA) يقل حجم التلف في عضلات قلبها عندما تصاب بالاحتشاء القلبي، وكذلك الحال بالنسبة للاحتشاء الدماغي.

وقد شهد عام ١٩٨٥ طفرة في هذا المجال حيث صدرت ثلاث دراسات مهمة جداً في هذا المضمار، لا يزال النقاش يدور حولها، وكانت أولى هذه الدراسات هي التي قام بها الدكتور ومهوت D. KROMHONT etal من هولندا حيث درس حياة ٨٥٢ رجل من مدينة واحدة منذ عام ١٩٦٠ وسجل بدقة طرق تغذيتهم بسؤالهم أو سؤال زوجاتهم عن ذلك، وركز بالتحديد على استهلاك السمك في غذائهم، وتتبعهم في دراسة مستقبلية لمدة عشرين عاماً حيث توفي منهم في هذه المدة ٧٨ رجلاً بسبب أمراض الشريان التاجي فاستنتج

هل أصبح السمك
نوعاً من الكماليات في العالم؟

التالي :

١ ـ أن هناك علاقة عكسية بين استهلاك السمك خلال العشرين عاماً وبين الوفاة بسبب أمراض الشريان التاجي .

٢ ـ كانت الوفاة بسبب الشريان التاجى أقل بـ ٥٠٪ في الذين استهلكوا ٣٠ جم من السمك يومياً على الأقل مقارنة بالذين لا يأكلون السمك .

٣ ـ أن كمية ٣٠ جراما بالرغم أنها قليلة مقارنة بالذي يستهلكه الاسكيمو واليابانيون إلا أنها ذات مفعول في الوقاية .

٤ ـ أن أي نوع من السمك ، قد أحدث هذه النتيجة حتى السمك الأبيض والأقل في كمية الدهون والدسم .

وقال في نهاية الدراسة « بالرغم من عدم وجود تفسير شامل للعلاقة بين تناول السمك وقلة الاصابة بأمراض الشريان التاجى ، إلا أن ما يتوفر من معلومات في الوقت الحاضر يدعونا على أساس من الحكمة أن ننصح بتناول وجبتين من السمك أسبوعياً للوقاية من هذا المرض » .

وبعد هذه الدراسة في سبتمبر من نفس العام اتضح للدكتور « شيكل ومجموعته » بناء على ما وجدوه في دراستهم على موظفي شركة الكهرباء الغربية في شيكاغو ولمدة ٢٥ عاماً أن نتائجهم الجديدة والمتجمعة لديهم تؤيد رأي الدكتور كرمهوت في أن السمك له علاقة عكسية بالوفاة بسبب أمراض الشريان التاجي وغيرها من الأسباب .

أما الدراسة الثانية فلم تكن أقل شأنا حيث قدمها الدكتور (B.E.PHILLIPSON etal) من جامعة أوريجون ، وفيها قام بدراسة ٢٠ من المرضى بزيادة ثلاثى الجليسرايد « الدهنيات » « HYPERTRIGLYCERIDEMIA » عشرة منهم مرضهم من الدرجة الثانية المعتدلة والعشرة الآخرين من الدرجة الشديدة أو النوع الخامس ووضعهم على ثلاثة أنواع من الأغذية الدهنية لمدة ٤ أسابيع لكل نوع من الغذاء فوجد أن غذاء السمك قد أثر تأثيراً واضحا فى تخفيض الكلسترول والدهنيات معاً ، وأنه أكثر وضوحاً في تخفيض هذين الاثنين في النوع الشديد من المرض ، وتعتبر هذه الدراسة شيئاً جديداً إذ أن الطرق العلاجية السابقة كانت تدعو إلى منع هؤلاء المرضى من تناول المواد التى تحتوى على الدهون لكن هذه الدراسة تفتح احتمالات علاجية جديدة للمستقبل ، وهي أيضاً فى نفس الوقت متناسقة مع دراسات سابقة بينت أن استهلاك زيت السمك أدى إلى خفض انتاج « الأحماض الدهنية » والشحوم البروتينية الهابطة الكثافة جداً من الكبد بشكل ملحوظ .

أما الدراسة الثالثة التى نشرها (T.H.LEE etal) فهى تختص بعمل إضافى جديد للدهون الأساسية وهو عملها على كرات الدم البيضاء حيث بين أن زيوت السمك تؤدى إلى خفض عمل الكرات البيضاء « المتعددة الأشكال » « POLYMORPHNUCLEAR » « والوحيدة » « MONOCYTE » فى الانسان العادي وقد استند على نفس الفكرة الفسيولوجية فى التفسير ، فالذي يحدث في الصفائح هو أن نتاج دهن (EPA) هو (TXA3) و(PGI3) المضادان لالتصاق الصفائح فإن نتائجه هنا هي نوع من المواد يعرف باسم (اليكوترين ـ ٥) وهذه المادة مشابهة (لليكوترين ـ ٤) الفعالة التى تفرزها كرات الدم البيضاء لكى تساعدها على التصاقها بجدار الأوعية ثم انتقالها إلى مكان الالتهاب أما الليكوترين ـ ٥ فإنها تقلل من هذه الفعاليات ، وبناءً على ذلك استنتج الباحث أن

■ دراسة هامة تنصحك بتناول وجبتين من السمك أسبوعياً للوقاية من أمراض الشريان التاجي

■ زيت السمك يؤدي إلى نقص في نمو خلايا الثدي السرطانية

الغذاء الغني بالسمك أو بزيوت السمك ربما يكون له دور فى مقاومة الانتفاخ والالتهابات ، وبذلك فتح باباً جديداً ، وقد يكون السمك فى المستقبل بديلاً للاسبرين أو الأدوية المضادة للالتهابات كالكورتيزون وغيره .

هناك أيضا دلائل أولية على احتمال استغلال هذا الأمر فى علاج حالات الصدفية والشري الجلدي باستعمال زيت السمك .

أهمية زيت السمك

إن دور زيت السمك فى التأثير على حركة وفعالية الكرات البيضاء في الدم وبالذات الخلايا الوحيدة له دور أيضا في مقاومة تصلب الشرايين ، فالمعروف أن الخلايا الوحيدة عندما تنتقل إلى مكان الالتهاب تنتفخ ويتضاعف حجمها وتتحول بعد ذلك إلى الخلايا البلعمية « MACROPHAGE » ، وهذه الخلايا بدورها تقوم بدور الكنس لجميع المخلفات ، وهذا الذي تصنعه عند وجودها فى جدار الأوعية الدموية حيث ترسب الكلسترول وتجمعه فيها مع بقية الشحوم البروتينية ، وهناك احتمال أيضا ، فى أنها تفرز عوامل لنمو وتكاثر الخلايا العضلية الملساء في جدار الأوعية ، وكل هذه العوامل المساعدة للتصلب ستقل إن لم ينته حدوثها إذا كان تأثير (EPA) على الكرات البيضاء هو فعلاً ما أكدته الدراسة الأخيرة .

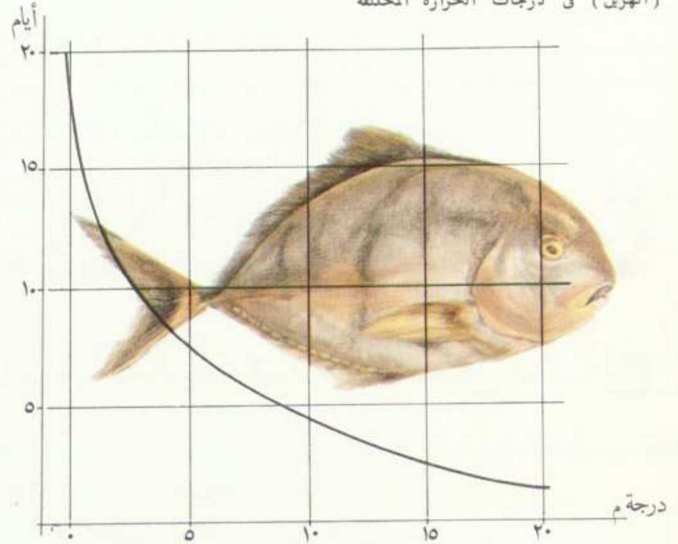
هل ننصح بالسمك ؟

وهكذا يتضح فى أن النتائج التى توصلت إليها غالبية الدراسات سواءً على الحيوانات أو المتطوعين من الأصحاء والمرضى والتغيرات التى سجلت في الحالة الوظيفية أو البيوكيميائية كلها تشير إلى أن للسمك دور صحي وبالذات فى أمراض القلب والشرايين ، فهل ننصح بتناول السمك ؟

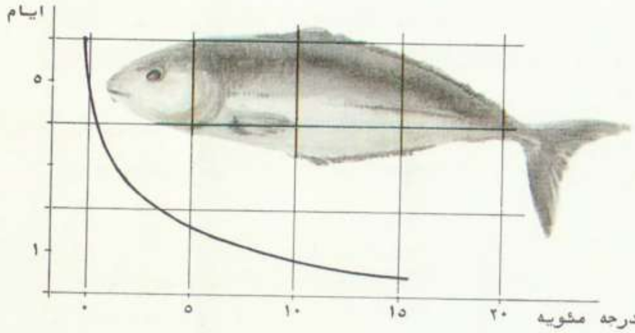
نعم .. يقول ذلك الدكتور وليم هاريس والدكتور وليم كونور وهما من الباحثين البارزين فى مجال الكلسترول وأمراض القلب .

إن وجبة السمك إلى جانب فوائدها الجمة ، فهى سهلة الهضم وينصح بها فى حالات انزال الوزن أو المحافظة عليه ، فهى قليلة السعرات الحرارية ، فعلى سبيل المثال إذا تناولت عصير برتقال يوجد فى كل ١٠٠ جم منه ١٣٣ سعرا حراريا ناتجة من ٣٣ جراما من المواد السكرية و٢,٢ جراما من المواد البروتينية ، وفى ١٠٠ جم من فطيرة الدجاج

الشكل (٢) يبين مدة حفظ السمك غير الدسم (الهزيل) فى درجات الحرارة المختلفة



الشكل (٣) يبين مدة حفظ السمك السمين (الدسم) فى درجات الحرارة المختلفة



٢٣٦ سعرا حراريا من ٢٤ جم من المواد النشوية و٩,٩ جرام بروتين و١٢,٩ جم من الدهون ، بينما تناول ١٠٠ جرام من سمك «الرينبوتراوت» يعطى ١٠٧ سعرات حرارية من ٢٠,٧ جرام بروتين ، وهذه كمية جيدة إذ انها تعادل ثلث احتياجنا اليومى منه وبه ٢,٧ جم من الزيوت والتى لها دور صحى ، لكن إذا أكلت ١٠٠ جرام من أصابع السمك المطبوخ فستحصل على ١٧٩ سعرا حراريا من ١٦,٦ جم بروتين و٦,٥ مواد نشوية «طبعاً مضافة في التحضير» و٨,٩ جم دهون .

السمك وعلاقته بالسرطان

على الرغم من أن بعض الدراسات الوبائية ربطت بين هبوط نسبة الكلسترول والزيادة في سرطان القولون ، إلا أن أغلب الدراسات أظهرت أن تناول الدهون والكلسترول بكميات كبيرة لا تقلل من فرص الإصابة بالسرطان ، وأن مجموعة من الدراسات المجمعة لم تظهر أى ارتباط لهذه العلاقة بل على العكس إن الرأى الذي لا يزال قائما حتى الآن هو أن ارتفاع نسبة السرطان فى القولون سببه هو التغذية الغربية التى تعتمد على نسبة عالية من الكلسترول والدهون المشبعة وقليل من الألياف ، ولهذا السبب أيضاً ترتفع بينهم نسبة الإصابة بأمراض القلب ، وأن بين الاثنين السرطان وأمراض الشريان التاجى عاملاً مشتركاً هو ارتفاع استهلاك الدهون والكسترول .

أما بالنسبة للسمك فإنه على الرغم من أن دراسة (Kronbout) لم تتناول علاقة تناول السمك والأمراض الأخرى غير إصابة الشريان التاجى ، فإننا نستطيع القول أن تناول كميات كبيرة من السمك بقصد منع أمراض الشريان التاجى يمكن أن تكون أيضا مفيدة فى الوقاية من السرطان والوفاة منه ، فقد أشار Kronbout إلى دراسات تذكر أن أكل السمك في جرينلاند واليابان يرتبط أيضاً بمستوى منخفض من اصابات سرطان الثدى بالاضافة إلى انخفاض مستوى اصابات الشريان التاجى ، فمثلاً فى الاسكيمو الذين يعيشون فى جرينلاند تشكل الدهون والتي معظمها من السمك ٧٠٪ من مجموع السعرات الحرارية التي يتناولونها ، وتقل عندهم الاصابة بسرطان الثدى بشكل كبير عن الدانمارك التى تشكل الدهون ٤٠٪ من مجموع السعرات الحرارية والتي معظمها ليست من السمك مثل الأمريكيين ، أما في اليابان التى تعتبر من أقل بلدان العالم اصابة بسرطان الثدى فإن الدهون تشكل ٢٠٪ من مجموع السعرات الحرارية ، ونصف هذه الدهون من السمك . لذلك فإننا نستطيع القول بأن تناول السمك المدهن يقلل من الاصابة بسرطان الثدى .

أما سرطان الأنف والحنجرة والغدد اللعابية في جرينلاند وسرطان المعدة في اليابان فيعتبران من أعلى النسب في العالم ، إلا أنه لا يوجد دليل على أن للسمك علاقة بذلك ولكن قد يكون لطريقة تحضيره مثل السمك المدخن أو المجفف علاقة بالسرطان لوجود مادة النايترات التى إذا تحولت إلى مادة النيتروزمين تصبح مادة مسرطنة .

لقد أثبتت الدراسات المختبرية أن زيت السمك يؤدى إلى نقص فى نمو خلايا الثدى السرطانية ، كما أن زيت السمك وليس لحمه كان فعالاً في تقليل الاصابة بسرطان البنكرياس ، وحسب المعلومات المتوفرة حتى الآن لا يوجد دليل على أن زيت السمك يزيد من الاحتمال بالاصابة في السرطان .

بناءً على الملاحظات والدراسات في السنوات الأخيرة قامت الكثير من الهيئات الصحية بنشر جداول كبيرة عن أنواع السمك الموجودة فيها ، وعن النسب التي تحتويها من البروتينات والزيوت بأنواعها مركزة بالذات على الأنواع التي تحتوى على كمية أكبر من (EPA) وعلى سبيل المثال فإن السردين ، التونة ، السلمون . الحوت ، التروت ، المكاريل «الكنعد» ، الهرنج ، وحيوان البحر تعتبر من الأسماك السمينة الغنية بالزيوت ، أما بقية الأسماك فتحتوى على نسب متفاوتة منه .

بودى بعد أن دونت ما أعتقد أنه يستحق التدوين في هذه الوثيقة عن السمك ، أن أكون قد وضعتك في مكان تستطيع منه أن تجيب بنفسك أو تتحدث مع الذين حولك عن السمك وعن علاقته بالصحة حيث تقع عليك مسئولية المناقشة .. واتمنى بعد تلك المناقشة أن تقول نعم مثلما قالها غيرنا من العارفين لفوائد السمك ، فوقتها سأقول لك : على بركة الله ، وهنيئاً لك ما تختاره من طيب السمك وطازجه من أجل الصحة .

عبد الله الباكر

وصلتنا هذه الرسالة والقصيدة المرفقة بها من الأديب الشاعر «عمار جحيدر» من ليبيا، والدوحة تنشر الرسالة والقصيدة مع اعتزازها بأن يكون بين أصدقائها أمثال الأديب صاحب الرسالة والقصيدة، كما تأخذ الدوحة على نفسها وعداً بأن تعمل على تنفيذ الاقتراحات القيمة الواردة في الرسالة في أعدادها القادمة.

في ظلال الدوحة

رسالة وقصيدة مُهداة إلى روح العالم الفقيد عبد المحسن صالح

تحية عطرة وبعد، فإن أصدق ما أبدأ به سطوري الأولى اليكم هو أنني من قراء الدوحة (العشاق) الذين يجدون في قراءتها تواصلاً أدبياً رفيعاً، إنّ من أمتع الساعات في أيامي تلك التي أجلس فيها إلى كل عدد جديد منها مستغرقاً في مقالاتها وقصائدها وتحقيقاتها الأدبية، ومقالاتها ولوحاتها الفنية الرائعة.. لقد استمتعت حقاً بتلك اللوحات الجميلة، وسرني ما يكتبه الاستاذ الشاروني عن أعلام الفن التشكيلي العرب المعاصرين، وهو ما يقف بجدارة إلى جوار تلك اللوحات العالمية التي يقدمها الفنان الاستاذ جمال قطب. لقد اعتزمت الكتابة اليكم منذ شهور عن (طلب فني أرجو تحقيقه) ولكن الأيام التي تقسو أحياناً صرفتني عن ذلك.. وهاهي الفرصة تسنح في تجربة صادقة مع عشقي لمجلة الدوحة الظليلة، وهو ما سأحكيه أدناه.. وهنا أجدني أقدم ذلك الطلب الفني القديم في السياق.. قلت إنني سررت بمشاهدة بعض اللوحات الفنية (العربية) على صفحات الدوحة، وخاصة في غياب المعارض الفنية وتعذر الوصول إليها، ولست أدري لم استغرقتني تلك اللوحة الآسرة بالذات، أعني (أنشودة الرحيل) المنشورة بالعدد ١١٥ (شوال ١٤٠٥ — يوليو ١٩٨٥، ص ٩٣) للفنان سيد سعد الدين.. ها هي الآن أمامي ماثلة في جلال موضوعها الوفي وخطوطها البينة والوانها المضيئة.. لقد عنَّ لي يومئذ أن أكتب اليكم باقتراح مفيد، فقد تمنيت أن تختار دوحتنا الظليلة في كل عدد لوحة رائعة من لوحات فنانينا العرب، أو من اللوحات العالمية، لتقوم بطبعها في حجم مناسب وتوزيعها هدية مع العدد المصاحب، ولو استدعى الأمر زيادة رمزية في السعر.. لو تحقق ذلك الرجاء، لكان في بيت كل قارىء عربي، مع توالي الشهور معرض فني دائم دائم، يغذي وجدانه ويربي ذوقه ويمنحه المتعة الفنية الأخّاذة.

نحن في حاجة إلى تغذية هذا الوجدان الظمآن، بكل متعة فنية رفيعة.. ولست منغلقاً حين أقول إنه من المناسب حقاً أن تكون لوحاتنا

في ظلال الدوحة

يَا دَوْحَةً فَيحَاءَ لِلْفِكْرِ ... لِلشعْرِ.. وَالألْوَانِ.. وَالنَّثْرِ
كَمْ ذَا تَفَيَّأْتُ الظِّلاَلَ بِهَا ... بِالوَارِف المُخْضَلِّ فِى العُمْرِ
مِنْ كُلِّ رَائعَةٍ مُحلِّقَةٍ ... لِمَدىً بَعِيدِ الشَّأْوِ كَالنِّسْرِ
بِمَقَالَةٍ تَسْمُو بِجِدَّتِهَا ... وَقَصِيدَةٍ مِن أَنْبَلِ الشِّعْرِ
وَبِقَصَّةٍ كَمْ عِشْتُ (حَبْكَتَهَا) ... وَكَأَنَّنِى المَعْنِىُّ بِالأَمْرِ
وَبِلَمْحَةٍ (عِلْمِيَّةٍ) كَشَفَتْ ... أَسْرَارَ مَا فِى الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ
وَبِلَوْحَةٍ فَنِّيَةٍ جَمَعَتْ ... أَطْرَافَ مَا فِى (اللَّوْنِ) مِنْ سِحْرِ
أَكْرِمْ بِذَاكَ العَقْلِ مُعْتَصِراً ... ذَوْبَ الشُّعُورِ وَيَانِعَ الفِكْرِ
وَالشَّاعِرِ الفَنَّانِ فِى أَوَجٍ ... وَالبَوحُ مِنْ عَلْيَائِهِ يَسْرِى
وَالصَّفْحَةِ البَيْضَاءَ فِى أَلَقٍ ... وَالرِّيشَةِ المُلْقَاةِ فِى الحِبْرِ!

• • •

إِنِّى أُبَارِكُهَا مُضَمَّخَةً ... قَارُورَةً مِن أَطْيَبِ العِطْرِ
وَأَرُشُّهَا فِى خَاطِرِى بَرَداً ... لِتُعَانِقَ الأَشْوَاقَ فِى صَدْرِى
كَم ذَا سَعَيتُ وَرَاءَهَا جَزِعاً ... مُتَلَهِّفاً مِنْ حُرْقَةِ الصَّبْرِ
ـ عِنْدَ الصُّدُورِ.. جَدِيدُهَا (عَدَدٌ) ... مُتَرَقَّبٌ فِى أَوَّلِ الشَّهْرِ ـ
وَضَمَمْتُهَا وَمَحَضْتُهَا بَصَرِى ... وَالسَّمعَ وَالوِجْدَانَ لِلذِّكْرِ
وَقَرَأْتُهَا وَالحِسُّ يَغْمُرُنِى ... مَا بَينَ وَقْتِ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ[1]
يَا دَوحَةً ضَمَّتْ بِأَيكَتِهَا ... لِلْمُنْشِدِينَ خُلاَصَةَ الطَّيرِ
وَتَفَتَّحَت فِيهَا عُرُوبَتُنَا ... بِرَوَائِعِ الإِبْدَاعِ كَالزَّهْرِ
أَفْصَحْتِ عَنْ آفَاقٍ جَامِعَةٍ ... مُمْتَدَّةٍ فِى الأَرْضِ وَالدَّهْرِ!

• • •

يَا مُلْهِمَ الأَوْرَاقِ أَحْرُفَهَا ... وَمُنَضِّدَ الكَلِمَاتِ فِى السَّطْرِ
تِلْكَ الرُّؤَى مِنْ كُلِّ شَارِدَةٍ ... سَبَّاحَةٍ فِى لُجَّةِ البَحْرِ

المعلقة على جدران بيوتنا والمنتشرة في الأسواق والمحلات العامة من ابداع هؤلاء الفنانين العرب الذين يمتاحون من بيئتنا الغنية الساحرة ، بدلاً من تلك اللوحات السوقية المقلدة المشوهة المعروضة للبيع بالمحلات .

أما قصتي مع هذا العدد الأخير من مجلتي الأثيرة (العدد ١٢٦ رمضان ١٤٠٦ – يونيو ١٩٨٦) فهي طريفة وصادقة في آن .. وذلك أننا نعاني حقاً من قلة النسخ الموزعة في طرابلس ، وهو ما يجعلني اترقب صدورها في مطلع كل شهر ، لأمرّ على محلات بيع الصحف والمكتبات سائلاً متلهفاً ، ويكلفني الأمر شيئاً من المشقة في بعض الأحيان ، وفي هذا الشهر الأخير فاتني الحصول على نسختي المؤملة منه ، فالححت في السؤال دون جدوى .. ثم لم أجد إلا الكتابة اليكم شاكياً لوّاماً ، لارجوكم زيادة عدد النسخ رفقاً بقراء المجلة ، وكثيراً من أكد لي الأخوة بائعو الصحف والمجلات قلة النسخ الموزعة عليهم منها .. ولكن الأمر لم يمض في هذا السياق ، لأنني كما اسلفت من القراء العشاق ، فإذا بي أجد قلمي يخط بعض الأبيات ، وقد يئست من هذا (العدد) لعلي ألقى فيما أكتب شفاءً مما أجد في نفسي من خيبة المسعى ، وتتوالد الأبيات وتتداعى وقد انطلق الشعر بعد احتباس ليعانق أشواقي الى حركة أدبية سخية بالعطاء ، ذلك ما قرأته من آثارها وثمارها التي أينعت خاصة في النصف الأول من هذا القرن ، ولكن المؤسف أنها بدأت تتقلص شيئاً فشيئاً ، ولقد شهدنا في طرابلس حركة طيبة على صفحات (الاسبوع الثقافي) وخاصة في سنواته الأولى ، في السنوات الأولى من العقد الماضي ، ولكنها لم تلبث أن توقفت عن الصدور . وهانحن نجد في (جامعة العرب الأدبية) دوحاً ظليلاً ملتف الأغصان وارف الظلال يانع الثمر ، يغذي حاجات القراء الأدبية في سهولة ويسر ، مع الاحتفاظ لمجلات مجامعنا العلمية ومراكز البحوث بما تأخذ به نفسها من تخصص أكاديمي .

وصباح هذا اليوم فاجأني صاحب أحد (الأكشاك) وقد عرف حرصي على (الدوحة) وسؤالي الدائم عنها ، بسؤاله هل حصلت على الدوحة ؟ قلت لا ، فقال لقد وجدت لك نسخة ، وكانت فرحتي بها كبيرة وشكرته صادقاً .

بدأت تصفح العدد من أوله ، فاذا بالصفحة الأولى تفاجئني بخبر وفاة ذلك العالم الفقيد الدكتور عبدالمحسن صالح ، وقد شدنا كثيراً بلمحاته العلمية المثيرة ، وقد كان القصد إليه حقاً وصدقاً بهذا البيت من قصيدتي المرفقة :

وبلمحة علمية كشفت
أسرار ما في الكون من سر

ومن صادق الاتفاق ، أنني كنت – عند حصولي على هذا العدد الأخير – قد بلغت في صياغة القصيدة البيت التالي الذي لم يتكامل آنذاك ،

كم كان في الصفحات من قلم
آثاره من أطيب الذخر

لقد قرأت نعيه الوفي بتأثر بالغ ، وأنا أجد في سطور حياته عطاء متصلاً ، فلم أجد إلا هذه التحية الشعرية التي خصصت بها مجلتي الأثيرة فكان من تمام النبل والوفاء أن تهدي الى روح هذا الفقيد من أسرة الدوحة العلمية .

إن الحديث ذو شجون ، ولكن لابد هنا من تحية ظاهرتين طيبتين في حياتنا الثقافية المعاصرة ، أولهما هذا الاتجاه المحمود ، من بعض دول الخليج العربي ، نحو توظيف أموالها وامكانياتها الفكرية والمادية للمساهمة في بناء الحياة الثقافية ،إن تجربة الكويت الرائدة .. ثم تجربة قطر الفتية خير مثل لاحتضان أدوات الفكر ورعايتها .. أما الثانية ، فهي هذا الاجماع الظاهر على أن العطاء العربي الفكري لايمكن أن يؤتي أكله الطيب إلا في جامعة فكرية واسعة الآفاق تجمع الشتات وتقدح العقول وتثير الجدل الخلاّق .

وها أنا أرنو الآن الى هذا العنوان الفرعي لمجلة الدوحة (ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية) .

وفي الختام تحيتي الصادقة أرفعها الى كل الأخوة العاملين في هذه المجلة الأثيرة لا أستثني منهم أحداً .

المخلص عمار جحيدر
طرابلس – ليبيا

جاءتك والآفاق منطلق .. | مهموسة في هدأة السحر
فكسوتها كلما مرصعة | ثوباً من الأصداف للدُّر
وسكبت من فيض ومعرفة | ذوباً من النفثات والفكر
ما أطيب الثمرات من شجر | قد أينعت كالأنجم الزهر !

...

الفكر .. في وثباته قمم | شماء بين السر والجهر
لا تدعي بالقول معرفة | جوفاء مثل النقطة .. الصفر !
لكنها في الصدق معرقة | شتان بين الترب والتبر !
قد تجمع الأيام بينهما | والحق ما تجلوه بالصهر !
الماء .. فوق الأرض مخصبة | لا الموج .. منزلقاً على الصخر !

...

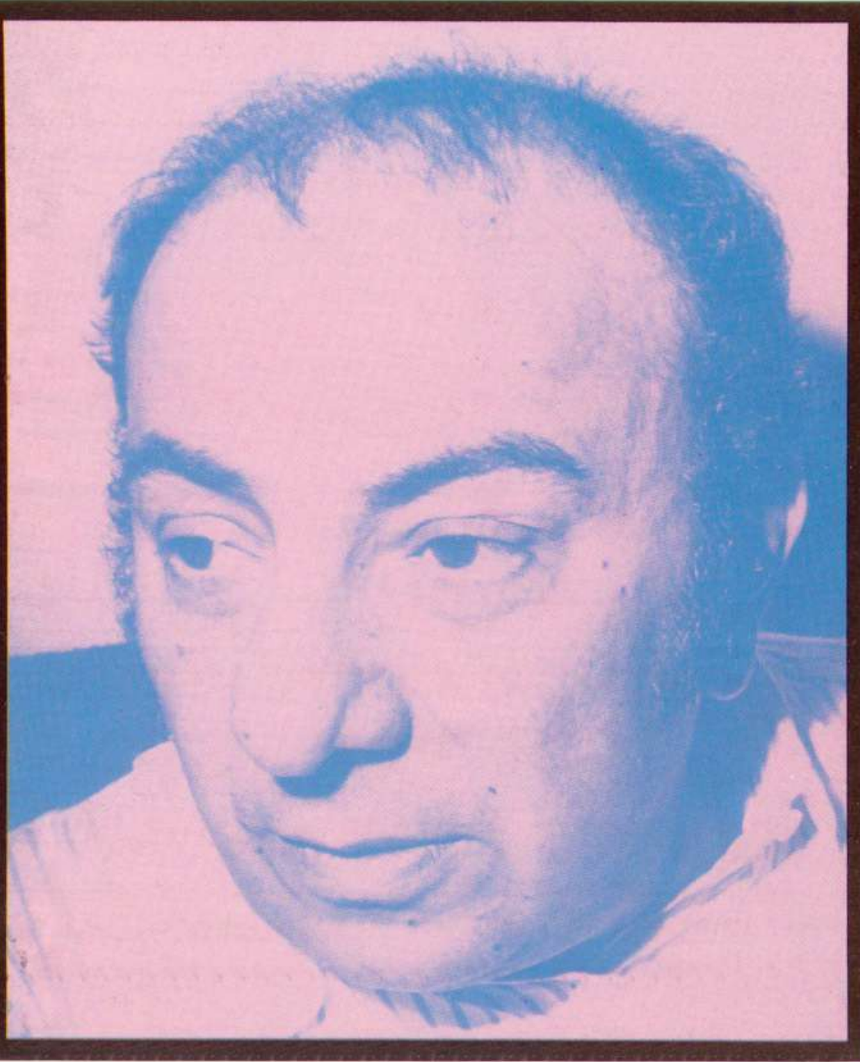
هذا أوان الصدق فانهمري | ياقمة الأشواق في النهر
أين (الكتابات) التي صنعت | أجيالها من حيث لا تدري
كم كان في الأقلام من وهج | كانت به إشراقة العصر
كم كان في العزمات من جلد | لا ينثني في اليسر والعسر
كم كان في الصفحات من قلم | آثاره من أطيب الذخر
ماذا نراه اليوم من عبث | وصفاقة في الشعر والنثر
وكأن في الصفحات متسعاً | للهذي والشطحات والهذر
وصحافة الايام مفلسة | بالغث تدفعه إلى النشر

...

هذا احتراق الحرف .. فاصطبري | نفسي .. على دخانه المر !
لا زال في سمعي وفي بصري | تيار فكر مشرق حر
لم يتخذ إلا شواهده | في الصدق عنواناً إلى الفجر !

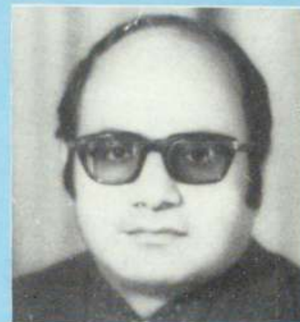
عمّار جحيدر تاجوراء – ليبيا ١٨ يونيه ١٩٨٦ م

(١) لقد عدت مراراً الى بيتي إثر انصراف من العمل ، ومعي عدد جديد من الدوحة لاجلس إليه في تلك السويعات من القيلولة مستظلاً بظلال وارفة من الأدب الندى !



عاصي الرحباني..
عبقرية الموسيقى
والتلحين والشعر
والمسرح والسينما
والعزف والتمثيل

رحيل عاصي الرحباني يعيد كشف سجل:
المدرسة الرحبانية



بقلم: جان الكسان

في اليوم الحادي والعشرين من حزيران «يونيو» ١٩/٨٦، أنهى الموت رحلة الفنان العربي الكبير، عاصي الرحباني، عميد الأسرة الرحبانية، عن عمر يناهز الثالثة والستين، قضى الأعوام الأربعة عشرة الأخيرة منها في معاناة مضاعفات المرض بعد النزف الدموي الحاد الذي أصاب الجزء الأيسر من دماغه في خريف عام ١٩٧٢، وبذل الجراحون من أجله جهوداً استثنائية لانقاذ حياته، حيث قضى هذه الأعوام الأخيرة وهو يعاني من شلل جزئي، ومن فقد بعض ملكاته الدماغية..

فيروز .. الانسانة المتفردة صوتاً وتمثيلاً..



على مدى ثلاثين عاماً

■ إنجاز الرحبانيين: ألف عمل فني، بين أغنية وقصيدة ولحن ومقطوعة واسكتش وحوارية وموشح ومسرحية وتمثيلية إذاعية وفيلم سينمائي وعمل تليفزيوني

■ غنى الرحبانيون: مكة.. والقدس.. وعمان.. والشام ولبنان الأخضر.. ولبنان الذي يحترق

وعلى الرغم من أن اسم عاصي الرحباني، يرتبط، تلقائياً، بالاسرة الرحبانية وبأعمالها وعطاءاتها، وعلى الرغم من هذا التلاحم في العطاء، بين الركنين الأساسيين في هذه الأسرة، الأخوين عاصي ومنصور، إلا أن جميع الذين درسوا هذه التجربة المتميزة في دنيا الموسيقى والألحان، كانوا يشهدون لعاصي بالعبقرية الموسيقية المتميزة، وبخاصة في ألحان الطرب الشرقية، بالاضافة إلى مواهبه في الشعر، والعزف، والتمثيل، والمسرح، والسينما... ولم يحدث في تاريخ الفن العربي، القديم والحديث، أن أعطى فنان كما أعطى عاصي الرحباني، من خلال هذه الجوقة الرحبانية، إذ أن بيادرها تشتمل على ألف عمل فني بين: أغنية، وقصيدة، ولحن، ومقطوعة، واسكتش، وحوارية، وموشح، ومسرحية، وتمثيلية إذاعية، وفيلم سينمائي وعمل تلفزيوني، ليس بينها عمل واحد هابط..

حوار على مدى ١٥ عاماً

وقد أتاحت لي صداقتي مع الأسرة الرحبانية، ولقاءاتي وحواراتي المتواصلة مع أفرادها على مدى خمس عشرة سنة في مواسم معرض دمشق الدولية «منذ منتصف الستينات وحتى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات» أن أدرس تجربتهم الفريدة بشيء من التفصيل، وأن أقف ـ عن كثب ـ على الكثير من كواليس هذه التجربة

كانوا يأتون إلى دمشق كل عام وهم يحملون بجدارة عبء عمل فني جديد يخاطب العقول والقلوب معاً، ويعطر أجواء مدينة معرض دمشق بألف لون ونغم..

وكما الطيور الأليفة تأتي على موعد، وكما مواسم الأرض الطيبة اغمار فوق أغمار.. كما العطاء الأصيل يتجدد ولا يهرم، هكذا كانوا يطلون علينا، وهكذا كنا نلتقي فنهم الذي أصبح علامة كبيرة ومتميزة في مسيرة الفن

المدرسة الرحبانية

العربي المعاصر وذلك على مدى أكثر من ثلاثين عاماً، إذا تجاوزنا مرحلة الارهاصات والبدايات التي تمتد إلى عشر سنوات.

المسرح الغنائي الشامل وليس الأوبريت

في جلسة حوار مع منصور الرحباني في أواخر شهر آب من عام ١٩٧٧ وفي بهو فندق الشرق بدمشق، احتدم الحوار بينه وبين الناقد الموسيقي فاهيه تمزجيان.. وكان الرحبانيون يقدمون في ذلك الموسم مسرحية «بترا».. وفي أعقاب الحوار قلت لمنصور: يطلق البعض على مسرحكم الاسم التقليدي «الأوبريت».. هل توافق على هذه التسمية؟

قال: لا.. لا أوافق.. مطلقاً.. الأوبريت أصبح فناً متخلفاً وقد ذهب عهده.. فللأوبريت مواصفات معينة تجدها في أي قاموس.. إنها عمل موسيقي لها عقدة خفيفة، ومعالجة خفيفة، ومن خصائصها «الفالسات»، كما أنها تمثل مرحلة سقوط الموسيقى الكلاسيكية.. أما الشائع في العالم، وبصورة خاصة في أمريكا والبلاد الانكلوسكسونية، فهو «المسرحية الغنائية»، لأن فيها مقومات مسرحية درامية، كما أن فيها مقومات موسيقية ضمن شروط معينة ومعروفة.. ونحن ننتمي إلى هذا المسرح الغنائي الشامل..

التاريخ ليس حكاية

وقلت لمنصور: لماذا اخترتم بترا وهي مسرحية تاريخية تراجيدية؟

ــ كل قصة في التاريخ يختارها فنان معاصر أوأديب معاصر، يجب أن تحمل بعضاً من هموم الإنسان في هذا العصر، والإسقطات.. وفي المعالجة الدرامية للمسرحية التاريخية يجب أن نحافظ على الأمانة التاريخية، ولكننا نخلق خطوطاً وجواءً هي من جوانئنا المعاصرة..

● قلت لمنصور: لم أجد أن معالجة بترا كانت درامية؟.

أجاب: هذا صحيح.. فمعالجة هذه المسرحية هي من النوع المأساوي التراجيدي الخالص.. أي أنها ليست درامية ولاميلودرامية، وفي المسرح التراجيدي لا يظهر الأبطال عواطفهم وتفجعهم في تفجّر نهائي.. حتى اخراج المسرحيات التراجيدية اليونانية القديمة الآن يتجه هذا الاتجاه، من خلال الرأي القائل «إن عدم تفجر العاطفة إلى النهاية مستحسن في المعالجة التراجيدية»..

وإستدرك عاصي: صدقني إننا أمضينا ثلاث سنوات ونحن ندرس المصادر التاريخية لهذه المسرحية حتى خرجت على هذا الشكل الذي رضينا عنه ورضي عنه الجمهور والنقاد على السواء..

عاصي.. وما وراء الطبيعة

اردت الدخول إلى التجربة الرحبانية من هذا الحوار مع منصور «الناطق المتمكن باسم الأسرة الرحبانية» لأشير إلى مدى احترام الرحبانيين جمهورهم من خلال الجهد الكبير الذي يبذلونه في اعداد الأعمال الكبيرة والصغيرة.. وحول هذا قال لي عاصي مرة، وأذكر كلامه بالحرف الواحد لأنه جزء من حوار منشور معه:

ــ «مسرحنا تجسيد للكلمة الهاربة، المستعصية.. الكلمة الضوء.. المحبة.. الموسيقى.. وهذا كله له وضع خاص في مسرحنا.. له استقلالية.. ومن خلال صوت فيروز المتفرد.. ونحن ننوع في مسرحنا لأن الحياة منوعة.. هناك من يغني عندما يكون حزيناً.. إن الفكرة هي التي تجرنا إلى الكتابة، ومسرحنا مسرح فكرة.. لقطة.. بقعة ضوء»...

في تلك الجلسة «خريف عام ١٩٧١ في قاعة الاستقبال الداخلية بفندق الشرق بدمشق» التفت إلي عاصي فجأة، فقطع حوارنا الفني وسألني:

ــ ماذا يوجد في «الميتافيزيك».. ما وراء الطبيعة؟

كان سؤالاً غير متوقع..

قلت: لا أدري.. الله أعلم...

قال: هذا الموضوع يشغل تفكيري كثيراً.. لدرجة أنني أصاب أحياناً بالأرق وأنا في هذا التفكير..

يومئذ، أذكر أنني قلت لمنصور ممازحاً:

ــ إذا ظل عاصي على هذه الحالة من التفكير فقد ينفجر دماغه...

نزف.. في الدماغ

قد يكون هذا الحوار مجرد مصادفة، ولا علاقة له بالجلطة الدماغية التي أصابته بعد عام واحد، أي في اليوم السادس والعشرين من أيلول ١٩٧٢، حيث نقل إلى مستشفى رزق في حي الأشرفية ببيروت..

كان الخبر صاعقاً.. وراح الناس يتابعون النشرات الطبية عن صحة الموسيقي الكبير..

شخص الأطباء الحالة بأنها «نزف دموي في الجزء الأيسر من الدماغ» وليس هناك حل أمام الطب يكفل الابقاء على الاثنين: عاصي الانسان، وعاصي الفنان.. خاصة وأن مركز النطق اجتاحه أكبر قسم من النزف..

كان هم الأطباء أولاً انقاذ عاصي الانسان.. واستطاع الجراح الفرنسي الكبير البروفسير كلود كرو، الذي أجرى له الداخلة الجراحية أن ينقذ حياة الموسيقار الكبير.. وقد صرح الجراح قائلاً آنذاك: «إن عاصي ضحية نبوغه.. وضحية فنّه الذي يبتغيه كاملاً، وضحية العمل المتواصل، المتعب، المرهق، الذي يدفعه إليه طموحه، وهو بالتالي ضحية المسؤولية الجسيمة التي يلقيها عليه الناس، المعجبون منهم والنقاد.. ومع هذا فإن دماغه الكبير، وذكاءه الحاد، وقوة تركيز الانتباه لديه، تجعلني كثير التفاؤل».

وتحدى عاصي آثار المرض على مدى أربعة عشر عاماً، بل تحدى نفسه ووضع بعض

فيلمون وهبة في مسرح الرحبانيين





عاصي الرحباني يراقب ابنه زياد وهو يعزف على البيانو «العربي» قيثارة دمشق الذي اخترعته العالمة الموسيقية وجيهة عبدالحق في بيتها بدمشق .. وخلفهما يبدو منصور الرحباني وجان الكسان، كاتب المقال، وشقيقة صاحبة البيت.

الألحان» لحن قصيدة الافتتاح التقليدية لموسم الرحبانيين في دمشق عام ١٩٧٧، وقاد الأوركسترا أثناء غناء فيروز».. وتجالد على نفسه وهو يعيش محنة الانفصال الزوجي عن فيروز في السنوات الأخيرة، حيث قدم الرحبانيون بعض الأعمال دون فيروز، وقدمت هي بعض الحفلات مع فرقة خاصة منها حفلتها في مهرجان بصرى الدولي ١٩٨٥، وحفلتها الأخيرة في لندن (حزيران ١٩٨٦).

عاصي .. الموسيقي والشاعر

أدخل عاصي الرحباني إلى الشعر الغنائي العربي الأناقة والسهولة والعذوبة.. ولعله أقدر من يكتب الأغنية التي تتميز بهذه الصفات..

كما أدخل على الأغنية عناصر جديدة ومنها قصر الأغنية.. فقد كانت مدة الأغنية العربية قبل تجربة عاصي ومنصور ربع ساعة فما فوق، وأصبحت الأغنية الرحبانية دقائق قليلة تسحب القلب بلا تكرار.

كما أدخل الأغنية المعربة، ولكن ليس على طريقة صرعة «الفرانكو-آراب».. بالاضافة إلى المواضيع الجديدة، وخاصة في الحب، فلم تعد أغنية الحب هي أغنية التفجع العشقي فقط، بل أصبحت أغنية الأمل في حياة المحبين والمنتجين والمجدين من أبناء الحياة..

أما عن الفولكلور، فقد أدخله عاصي على الأغنية الحديثة والعصرية دون أن يأخذه على أنه تراث يجب أن يحفظ حفظاً متحفياً، بل ينتشر في الحياة ويحفظ من خلالها، ومن هنا كان ما أدخل عليه من تهذيب وتشذيب.

وكانت الأغنية العربية، بصورة عامة، تأتي وتذهب منفردة، فأصبحت جزءاً من السياق لقصة محببة.. وكان ما ألف وغنى الرحابنة للوطن ولفلسطين، وللمدن المقدسة، من أروع ما صدح به مغنون ومنشدون في هذا المجال.. وكلنا يذكر قصائدهم إلى مكة المكرمة، والقدس، وعمان، والشام، ولبنان الأخضر.. ولبنان الذي يحترق..

وكان عاصي أول من إبتكر فكرة الأسكتش، وخاصة في «مسرح الضيعة» كما في: هيفا والديب - مسبح الستات - رابوق - كاسر مزراب العين.. والموسم الأزرق - وورد وشبابيك.. ثم تطور الاسكتش في «عين الرمانه».. وبعد ذلك دخل الرحبانيون ميدان المسرح الغنائي بالاضافة إلى ثلاثة أفلام سينمائية هي: بياع الخواتم - وبنت الحارس - وسفر برلك..

بيادر الرحبانيين

- عام ١٩٦٦: (أيام فخر الدين) في مهرجانات بعلبك
- عام ١٩٦٧: (هالة والملك).. على مسرح قصر البيكاديللي في بيروت، وفي مهرجان الأرز، وفي معرض دمشق الدولي.
- عام ١٩٦٩: مسرحية «الشخص» في البيكاديللي ومعرض (دمشق)، ومسرحية «جبال الصوان» في مهرجانات بعلبك ومعرض دمشق.
- ١٩٧٠: مسرحية «يعيش يعيش» في البيكاديللي
- عام ١٩٧١: مسرحية «صح النوم» في البيكاديللي ومعرض دمشق. ومسرحية «ناس.. من ورق» في أمريكا وفي معرض دمشق
- عام ١٩٧٢: مسرحية ناس من ورق في البيكاديللي ومسرحية «ناطورة المفتاح» في بعلبك ومعرض دمشق.
- عام ١٩٧٣: مسرحية «المحطة» في دمشق وقصيدة حب في بعلبك
- عام ١٩٧٤: مسرحية «لولو» في البيكاديللي ومعرض دمشق.
- عام ١٩٧٥: مسرحية «ميس الريم» في البيكاديللي ومعرض دمشق.
- عام ١٩٧٦: منوعات غنائية في دمشق وعمان ومصر
- عام ١٩٧٧: مسرحية «بترا» في عمان ودمشق.
- عام ١٩٧٨: مسرحية «بترا» في البيكاديللي وكازينو لبنان.
- عام ١٩٨٠: مسرحية «المؤامرة مستمرة» كازينو لبنان، وهي أول مسرحية دون بطولة فيروز.. وكانت من بطولة (رونزا).
- وفي عام ١٩٨٢ قدم الرحبانيون مسرحية «الربيع السابع».. وفي هذه المسرحية حاول الرحبانيون تفكيك «مسرح النجم الواحد» الذي طبع مع فيروز لمدة طويلة، لايجاد مناخ آخر يستطيع مسرحهما أن ينطلق بمعادلة وعمق جديدين كل الجد.. واعتمدا على وجوه غنائية شابة مثل: رونزا، وملحم بركات، وإلى ممثلين لهم حضور واضح مثل فائق حميصي، ويوسف شامل، والوجه الجديد مريام.. بعد أن خسروا فيروز ونصري شمس الدين..

وقد اختلفت الآراء حول هذا العمل، وكانت المقارنة واردة دائماً بينه وبين الأعمال السابقة لهم، إذ أن صوت فيروز وأداءها التمثيلي، وحضورها المتألق كان جزءاً أساسياً وهاماً من أعمالهم المسرحية الغنائية.. ولنسمع إلى منصور الرحباني يتحدث عن فيروز قائلاً:

-«فيروز انسانة متفردة، صوتاً وتمثيلاً.. وهي فنانة مجتهدة بكل ما في الكلمة من معنى.. تحترم فنها، وتحترم جمهورها، وتخلص لعملها بصورة مثالية، ولا تبخل على هذا العمل بكل ما لديها من جهد وطاقة، ولو كان ذلك على حساب أعصابها وعلى حساب راحتها، ولا أعتقد أن

المدرسة الرحبانية

هناك أي ضير فني عندما يكون الانسان متعدد المواهب ، وأن يبدع في أكثر من مجال ، كما ابدعت فيروز في الغناء وفي التمثيل .. أما صوتها ، فمن أوسع الأصوات النسائية ، من حيث الطبقات الصوتية ، وهو يزداد حلاوة عاماً بعد آخر ، أما عن مساحته فهو يتنزّه بين ديوانين ونصف من السلم الموسيقي دون استعمال الصوت المستعار ، وهذه ظاهرة صوتية متميزة » .

الركن الأساسي

وعندما نقول أن عاصي كان الركن الأول في المسيرة الرحبانية فليس لأن هذه الدراسة تأتي بمناسبة وفاته ، فقد كان بالفعل صاحب الدور الأول الفاعل في تشخيص الواقع ، والتعبير عنه ، وتقديمه على المسرح الذي كان نوعاً من المعقولية الواقعية الناهضة على منجزات مسارح أخرى تقدمت عنه في الزمن ولكنه عرف كيف يجددها ، وكيف يطورها بنوع من الترابط بين الواقعية ، والتجريد ، والتعقيد ، والبساطة ، والعمل للقضاء على الخرافة والاسطورة باستخدام الخرافة والاسطورة ، وتشخيص حقيقة النفس البشرية ومشاعرها في صور عفوية ، ساذجة « أحياناً » وواعية ، أو غائبة ، دون أن يكون وراء بنيانها فهم جدلي عقيم للأمور والأشياء ، وعقل لا ينفصل عن الشعور وقد حاول عاصي مرة أن يفلسف رأيه باختصار في الفن والحياة عندما قال : « إن الرائع ما كان منسجماً ، ومتناسقاً مع الطبيعة والحياة .. حتى في طرح التناقضات » . من هنا كان النزوع في ختام المسرحيات إلى نوع من اللمسات الرومانسية :

طـــولت علي غيـــابك
دلـــونــي عليك صحـــابك
بـــيتك طـــال قـــدامــي
ومـا بستــهـدي ع بــابك
قـــالــولي انك جـــايـــة
تـــركت الــدنــي مضوايه
مخجـولـة منك ، بـيـتـي
صغيــر .. قـد الحـكـايـة

الهارموني .. وربع الصوت

شيء آخر هام في مسيرة عاصي الراحل ، انه استطاع أن يدخل الهارموني على ربع الصوت في اللحن العربي ، كما في موشح « اذكريني » .. إذ نجد أن نغمة « البيات » فيه قد عولجت بالعزف الهارموني ، وكذلك نغمة « السيكا » في مقطوعة « السندس » .. أي أنه كان أول من كسر القاعدة القديمة التي تقول « إن التواقعات الأجنبية العالمية لا تنطبق على الأنغام العربية » ..

لم يكن مقلداً ، بل مبتكراً .. ادخل الموسيقى في امكانات لا تحد .. ولهذا دخلت موسيقاه بعشرات النماذج إلى أوركسترات عالمية ، وعزفت من جميع إذاعات الدنيا وعلى مسارحها ..

وكانت لديه روح النكتة في الكتابة الكوميدية .. كان مضحكاً في مواقف حادة ، ولكن ضحك العافية والنقد البناء .

مع السيرة الذاتية

ولد عاصي حنا الرحباني في بلدة انطلياس ، في لبنان ، عام ١٩٢٣ .. وقد تتلمذ



منصور الرحباني :

نحن ننتمي للمسرح الغنائي الشامل ، والتاريخ على المسرح ليس حكاية

على يدي فريد أبو فاضل .. وتعلم العزف على البزق ، ثم درس في الأكاديمية الموسيقية باشراف الكسي بطرس .. ودخل بعد ذلك سلك الشرطة .. وقد تأثر هو ومنصور في طفولتهما وأول شبابهما بجدتهما التي كانت تحفظ جميع طقوس الفولكلور اللبناني وترتجل الشعر الزجلي مع أنها كانت أمية ..

يقول عاصي عن مرحلة البداية : في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات قدمنا إلى الاذاعة اللبنانية ، ولم نجد أحداً يردد معنا في الكورال .. احضرنا اختنا سلوى ، واسميناها « نجوى » وغنت معنا لفترة قصيرة .. كانوا يتهموننا بأننا أصحاب اللهجة الجبلية لأننا ابتكرنا ممفردات شعرية جديدة ، ابتكرنا لغة فيها الشوق وفيها الصخور وحين سمعنا رئيس مصلحة الاذاعة اللبنانية ، فؤاد قاسم ، وكنا نسجل على الهواء مباشرة ، أعجب بنا ، وكان له الفضل في تكريس لغتنا الشعرية وأغانينا القصيرة التي كانت تتراوح بين دقيقتين وثلاث دقائق ، في حين كانت فيه أقصر أغنية ثلث ساعة ، ومفرداتها من الغزل التقليدي ..

ويستدرك عاصي : كنت لا أزال شرطياً ، وكنت أرتدي البنطال القصير ، واهتم بمتابعتنا صبري الشريف من إذاعة الشرق الأدنى ، ووضع أمامنا امكانات كبيرة من أوركسترا وعازفين وتقنيين ..

اللقاء الأول مع فيروز

ويتابع عاصي : في ذلك الوقت كنت أعزف أيضاً على الكمان مع فرقة الإذاعة اللبنانية ، وكانت فيروز مع فرقة من المعهد الموسيقي الوطني التي يقودها محمد فليفل .. وفي يوم استدعاني حليم الرومي وأسمعني صوت فيروز ـ كان اسمها نهاد حداد ـ فاعجبت به ، وبدأت أعلمها أصول الغناء ، وانضمت بعد ذلك إلى كورس الإذاعة .

وكان للاذاعة السورية فضل كبير علينا ، فذهبنا إلى دمشق وقدمنا هناك أغنيات كثيرة مثل : « سمراء مها » و « عتاب » ، و « يا ساحر العينين » ، كما ظهرت في تمثيلياتنا تلك الفترة شخصيات نالت جماهيرية واسعة مثل « سبع » و « مخّول » و « أبو فارس » ، وبدأت بعد ذلك انطلاقتنا الحقيقية حيث كان الفولكلور اللبناني ملهمنا الأول ، ثم قدمنا عدداً من الموشحات مثل : « ارجعي يا ألف ليلة » و « لما بدا يتثنى » و « يا ليل الصب » و « جادك الغيث » .. كما قدمنا بعض ألحان وأغاني سيد درويش مثل « البنت دي قامت



نصر شمس الدين يغني في مسرح الرحبانيين

تعجن بالصبحية » و « زوروني كل سنة مرة » .. ولم تقتصر أغاني فيروز على ألحاننا بل لحن لها آخرون ومنهم محمد عبدالوهاب ، وخاصة فيلمون وهبي الذي لحن كثيراً من أغانيها المعروفة .

سعيد عقل كان وراء زواج عاصي وفيروز

ويعتبر الشاعر سعيد عقل ، الذي لحن له الرحبانيون ، وغنت فيروز ـ عدداً من القصائد والمقطوعات الصديق الوفي لكلا الجانبين ، وقد تحدث كثيراً عن ذكرياته معهم ، وقد كان وراء زواج عاصي وفيروز وحول هذا يقول :

ـ نهاد حداد ، أو فيروز ، اعرفها من بيتها المتواضع هناك في حي البطريركية قرب منزل الصديق الشاعر أمين نخلة .. لقد زرتها هناك مع عاصي ، وكان لا يخفي علي حبه لها ، بل كنت أكتشف أن الفتاة التي يكتب لها أغانيه ليست فتاة خيالية ، وإنما تنطبق عليها أوصاف فيروز ، وان فيروز حينما تغني للرجل في أعمال الأخوين رحباني ، لم تكن تغني لرجل مجهول ، بل تغني لعاصي ، ومن خلال هذه القناعة التي اكسبتني إياها معرفتي بالحب والمحبين ، قلت لعاصي ونحن نعود من زيارة فيروز في بيت أبيها :

ـ ماذا تنتظر يا عاصي حتى تتزوجها ؟ لقد رأيت الحب الخجول في عيني فيروز ، ورأيت حبك لها في عينيك .. في أغانيك ، في اصابعك التي تحترق .. تزوجها يا عاصي ..

ولم يطل أخذ عاصي بنصيحتي لأنه كان ينتظر من يدفعه إلى الخطوة الأولى ..

أنا مستشار للشعر وجورج شحادة للمسرح

ويتابع سعيد عقل : « أنا وجورج شحادة نضع استشارتنا منذ زمن تحت تصرف عاصي ومنصور ، أنا للشعر وجورج للمسرح ، ويخطئ كل من يعتقد أن في أعمال الأخوين رحباني شيئاً من آثارنا ، لقد أشاعوا الكثير عن هذا الجانب في أعمال الرحبانيين ، وهي إشاعات ظالمة ، فالابداع هو لعاصي ومنصور ، ونحن للاستشارة فقط ، ولعل الأمر الوحيد الذي عصاني فيه عاصي ، ولم يقبل بنصيحتي هو حبه المتفاني لعمله حتى الارهاق .. وكان يقول لي دائماً :

ـ ما العمل يا سعيد إذا كان الناس قد وزنوا آذانهم على ألحاننا ؟

ماذا بعد رحيل عاصي؟

تساءل كثيرون بعد رحيل عاصي الرحباني : ماذا عن مصير المدرسة الرحبانية ؟

قد لا يكون في يدنا أمر الجواب .. ولكن الأسرة الرحبانية أفرزت جوقة رائعة ، فبالإضافة إلى ركنها الأساسي الآخر منصور ، هناك الياس الرحباني ، الموسيقار الكبير المبدع ، وهناك زياد الرحباني ، نجل الفنان الراحل الذي أذهل الناس بمسرحه الانتقادي الاستعراضي الغنائي وبألحانه المتطورة ، وهناك مروان ، ابن منصور ، وأخوه ، وهناك هدى شقيقة فيروز .. وهناك قبل جميع هؤلاء : فيروز ..

إنهم مؤهلون لمتابعة مسيرة الأسرة الرحبانية وتطوير عطاءات المدرسة الرحبانية التي أرسى أسسها عاصي الرحباني ، الفنان العبقري الراحل ، والذي جاء موته ، كما تقول فيروز في إحدى أغانيها :

تاري الأحبة .. غفلة بيروحوا
وما بيعطوا خبر .

جان الكسان

دمشق

• مصادر الدراسة :

١ ـ حوارات شخصية بين الكاتب والرحبانيين على مدى خمس عشرة سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٨٢

٢ ـ مجموعة حوارات ولقاءات صحفية « أكثر من عشرين » نشرت على مدى عشر سنوات في مجلة الطليعة ، وجريدة البعث ، ومجلة المرأة العربية وغيرها ..

٣ ـ جريدة الأنوار ـ العدد ٧٤٨٣ تاريخ ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٨١ ـ مقال : مدرسة الرحابنة من وجهة نظر فكرية ـ نسيب نمر

٤ ـ مجلة « الحوادث » ـ العدد ٨٣٠ ـ تاريخ ٦ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢ ـ مقال : الطب يفصل عاصي الانسان عن عاصي الفنان ـ وليد عوض .

٥ ـ جريدة الثورة السورية ـ العدد ٧١١٣ تاريخ ١٦ ـ ٦ ـ ١٩٨٦ ـ مقال : ما مستقبل التجربة الرحبانية ؟ ـ أحمد بوبس

٦ ـ حوار مع منصور الرحباني ـ جريدة البعث ـ تاريخ ٢٨ ـ ٨ ـ ١٩٧٧ .

٧ ـ جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ١٦٦٥ تاريخ ٢٠ ـ ٦ ـ ١٩٨٣ ـ مقال : عاصي الرحباني الذي أقعده المرض .

٨ ـ جريدة الثورة السورية ـ العدد ٧١١٣ تاريخ ٢٦ ـ ٦ ـ ١٩٨٦ ـ مقال : « عاصي الرحباني ـ نجاة قصاب حسن .

٩ ـ برنامج البث المباشر من إذاعة دمشق أيام ٢١ و٢٢ و٢٣ حزيران ١٩٨٦

١٠ ـ جريدة اللواء ـ العدد ٣٨١٤ تاريخ ١ ـ ١١ ـ ١٩٨١ ـ مقال : الربيع السابع ـ غسان حمد

١١ ـ جريدة البعث ـ العدد ٧٠٩٣ تاريخ ٢٤ ـ ٦ ـ ١٩٨٦ ـ مقال : عاصي الرحباني ، نهر الموسيقى الصاعد في الاتجاه الصعب

١٢ ـ مجلة « المستقبل » العدد ٤٨٧ تاريخ ٢١ حزيران ١٩٨٦ ـ حديث فيروز : سنرجع حتماً إلى حينا ..

١٣ ـ مجلة التلفزيون ـ التلفزيون العربي السوري ـ مساء يوم ٢٦ حزيران ١٩٨٦ وحديث كل من الدكتور صباح قباني والمحامي نجاة قصاب حسن .

١٤ ـ أرشيف العالمة الموسيقية وجيهه عبد الحق عن الرحبانيين .

العلم هو المستقبل

تقديم :
لبنى الريدي



كاميرا البوزيترون أثناء تصويرها لخلايا مخ أحد المرضى

الفيزياء النووية في خدمة الطب النفسي

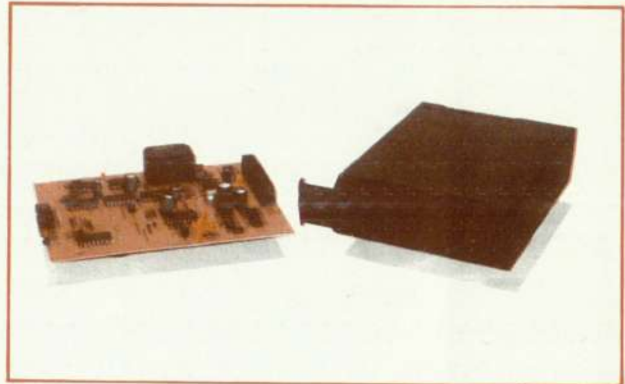
أصبح الطب النفسي اليوم يمتلك أدوات جديدة يستطيع بواسطتها فحص ومراقبة ما يجري داخل خلايا المخ أثناء تأديتها لوظائفها . فمن الأهداف التي يسعى الطب النفسي لتحقيقها بكل الوسائل المتاحة تقييم التغيرات البيولوجية التي تطرأ على خلايا المخ أثناء الاضطراب العقلي أو التي تكون سبباً له . وهي مهمة صعبة ، فحتى وقت قريب لم يكن يمكنا فحص ودراسة العمليات الحيوية في المخ بشكل مباشر ، ولكن بفضل التقدم الذي حدث في مجال تطبيقات الفيزياء النووية والكمبيوتر أصبح لدى الأطباء النفسيين أدوات لا تكتفي بالتسجيل التشريحي لمختلف أجزاء المخ فحسب بل أيضاً توضح فسيولوجيتها أي وظيفة كل منها بحيث يمكن أن تكشف عن وجود خلل في هذه الوظيفة .

ومن أهم هذه الأدوات كاميرا « البوزيترون » والرنين النووي المغناطيسي .

يستطيع الأطباء فهم وتتبع العديد من الظواهر الفسيولوجية للمخ بواسطة كاميرا البوزيترون « التي يمكنها تسجيل مسار المواد المشعة التي تنبعث منها عند تحللها جسيمات نووية مثل « البوزيترون » ـ وهو جسيم نووي له كتلة الالكترون ولكن شحنته موجبة . فعند حقن المريض بمادة مشعة غير ضارة بالانسان مثل الكربون أو الاكسجين المشع يمكن تتبع مسار هذه المادة في خلايا المخ ، وبهذه الطريقة يستطيع الأطباء تتبع مسار الأدوية المهدئة في خلايا المخ ، ومراقبة تأثيرها وتحللها وطريقة عملها وتحديد مواضع استقبالها وتركيزها ، وهي تختلف عند السليم عنها عند المريض .. كما يمكن عن طريق هذه الكاميرا المتطورة مراقبة كيفية تكون البروتينات في خلايا المخ المختلفة .

ويأمل الأطباء النفسيون أن يتوصلوا في المستقبل القريب الى طريقة لقياس ارتفاع وانخفاض التركيز ودرجة التنبه بشكل مباشر لاكتشاف الاختلاف بين معالجة مخ المريض بالاكتئاب للمعلومات التي يستقبلها وبين معالجة غير المريض لها .

مراقب إلكتروني لمحرك السيارة



يراقب هذا الصندوق الالكتروني الصغير كل الوظائف الأساسية لمحرك السيارة ويعتمد عمله على مبدأ تقني جديد يؤكد أن عمر المحرك لا يرتبط بعدد الكيلومترات المقطوعة ولكن بعدد الدورات التي قام بها هذا المحرك . ومن ثم فإن هذا المراقب الالكتروني الصغير (١١ سم × ١٥,٥ سم × ٤ سم) المصنوع من البلاستيك والذي يثبت في تابلوه السيارة يقوم بعد دورات المحرك وتسجيلها في ذاكرته .

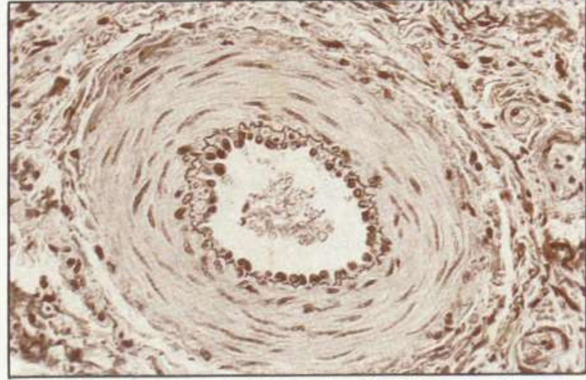
وعندما يصل عدد هذه الدورات الى حد أقصى متعارف عليه يطلق الصندوق اشارة صوتية لتنبيه سائق السيارة إلى ضرورة تغيير زيت المحرك ، وتدوم هذه الاشارة ربع ثانية وتتكرر كل عشرين دقيقة . وفي حالة اهمال السائق لهذا التنبيه تصبح الاشارة الصوتية مستمرة .

كما يراقب هذا الصندوق الالكتروني عمل المحرك نفسه ، فعندما يصل معدل دوران المحرك إلى حده الأقصى وذلك يختلف باختلاف أنواع المحركات فان اشارة صوتية تنبه السائق الى أن محركه يدور بسرعة غير عادية فاذا لم يعر ذلك اهتماماً فإن الانذار الصوتي يصبح مستمراً . ويسجل الصندوق الالكتروني هذا الخلل في ذاكرته .

ويتكرر الشيء نفسه بالنسبة لمراقبة مستوى الزيت ودرجة حرارة الماء وكفاءة تشغيل الفرامل . وتحقق هذه الرقابة الالكترونية توفيراً محسوساً في استهلاك الوقود كما تؤمن حياة أطول للمحرك وتسهل مهمة الصيانة إذ يكفي أن يدخل فني الصيانة بطاقة اختبار في مقدمة الصندوق الالكتروني لتظهر على الفور على اللوحات كل الأعطال أو أوجه الخلل التي اختزنها الصندوق في ذاكرته .

الجينـــة المســؤولة عن أمـــراض القـــلب


الكروموسوم (١١)


قطاع عرضى فى شريان ، حيث تبدأ جزيئات الدهون الواقعة فى المنتصف فى الـــتـــرسب على جـــدرانـــه

أثبت فريق من الأطباء الأمريكيين دور الوراثة في أمراض القلب والجهاز الدوري وذلك باكتشاف الجينة المسئولة عن تصلب الشرايين.

وينتج تصلب الشرايين من ترسب مواد دهنية ـ الكولسترول ـ على الجدار الداخلي للشرايين مما يقلل من مرونتها ويضيق من نصف قطرها ويؤدي هذا التغير الذي يحدث للشرايين ـ خاصة تلك التي تغذي عضلة القلب ـ إلى ارتفاع ضغط الدم وارهاق القلب قبل الأوان ، وكما يهدد بحدوث سكتة قلبية .

ويتم نقل الكولسترول في الدم بواسطة نوعين من الجزيئات البروتينية النوع الأول وهو ذو كثافة كبيرة يمنع ترسيب الكولسترول على الجدران الداخلية للشرايين في حين يقوم النوع الثاني وهو ذو كثافة صغيرة بمساعدة عملية الترسيب . وتكون نسبة هذه الجزيئات عند الشخص الصحيح متساوية بينما تكون نسبة جزيئات البروتين التي تمنع ترسب الدهون على جدار الشرايين عند من يعانون من متاعب الجهاز الدوري قليلة جداً .

ولقد أثبت العلماء أن الجينة المعنية تساهم في تكوين هذا البروتين وأن أي خلل فيها يؤدي إلى نقص في كمية البروتين المتكون . وتتطلب عملية تحديد هذه الجينة من بين عشرات آلاف الجينات التي يتكون منها الحامض النووي للخلية البشرية جهداً وصبراً .

وتكمن أهمية هذا الاكتشاف في أنه يتيح إمكانية تحديد المعرضين للإصابة بأمراض الجهاز الدوري عن طريق رصد هذه الجينة الشاذة بحيث يستطيع الطبيب المعالج اتخاذ التدابير الوقائية المناسبة وتفادي حدوث الاصابة قدر الامكان .

أحدث طريقـــة لزرع الأســـنان

يقدم أطباء الأسنان السويديون طريقة جديدة وناجحة لزرع الأسنان تعتمد على التحام عظام الفك بجذر السن المزروع والمصنوع من فلز التيتان . وتنقسم هذه الطريقة المبتكرة إلى مرحلتين : المرحلة الأولى الخاصة بتثبيت الجذور الاصطناعية ويمكن تلخيصها في الخطوات التالية .

(١) في غرفة العمليات يقوم الجراح بفتح اللثة من ثلاث جهات تحت تخدير موضعي وأحياناً تخدير كامل ، ثم يجري عملية حفر استكشافية للتأكد من نوعية العظمة ، التي سيزرع فيها الجذر المعدني . ويقوم بعد ذلك بتوسيع الحفرة تدريجياً باستخدام آلات حفر بأحجام متزايدة ، ثم يشكل الجزء العلوي من الحفرة بواسطة مخروط خاص ليعطيها الشكل الذي يتناسب مع رأس الجذر المعدني ورأس العمود أيضاً سيثبت عليه السن فيما بعد .

(٢) وتبدأ عندئذ المرحلة الدقيقة من الحفر وهي لولبة الحفرة أي حفرها بشكل لولبي استعداداً لاستقبال الجذر المصنوع من التيتان والذي يتخذ شكل اللولب أو البرغي .

(٣) ولا يبقى بعد ذلك سوى ادخال البرغي المجوف المصنوع من التيتان والذي يمثل جذر السن في الحفرة المعدة له . ويقوم الجراح بربط الجذر في مكانه بيده ثم بمفتاح خاص لاحكام تثبيته . ويقفل رأس الجذر المجوف ببرغي صغير ويعيد اللثة إلى ما كانت عليه ويخيطها مرة أخرى بحيث يعزل موضع الجراحة تماماً عن الفم وما به من بكتريا .

وتبدأ عندئذ مرحلة الالتحام العظمي بين الفك والجذر المعدني وهي تستغرق من ثلاثة إلى أربعة شهور بالنسبة للفك السفلي ومابين ٥ ـ ٦ شهور بالنسبة للفك العلوي . بحيث تلتحم عظمة الفك التحاماً كاملاً بالجذر المزروع وتلتصق بلولباته ويتخلل المناطق المفرغة منه .

وعند اكتمال عملية الالتحام تبدأ المرحلة الثانية والتي تتم أيضاً تحت التخدير الموضعي طبقاً للخطوات التالية :

(١) يحدد الطبيب موقع البرغي الذي يغطي الجذر ويحدث قطع دائري في اللثة بواسطة آلة خاصة فوق هذا البرغي حتى يمكن نزعه من مكانه ووضع بدل منه العمود الذي سيرتكز عليه السن الاصطناعي .

(٢) وهذا العمود عبارة عن اسطوانة مجوفة من التيتان قاعدتها على شكل مسدس بحيث يندمج في رأس الجذر الذي له نفس الشكل ثم يتم ادخال برغي مركزي في العمود لتثبيته في الجذر وبعد ربط البرغي باحكام يخيط جرح اللثة وتوضع ضمادة خاصة عليه للإسراع بالتئامه .

(٣) وبعد التئام الجرح بأسبوعين يتم تركيب السن أو الضرس الاصطناعي في العمود . فلقد زود كل سن بتجويف اسطواني مثبت فيه برغي يتم بواسطته تثبيت السن في العمود وبذلك يصبح السن مثبتاً باحكام في الفك .

الأم حزينة تنتظر في النافذة وصول إبنها الغائب لقطة من فيلم « ريح السد »

الدوحة في مهرجان كان



سينما

بقلم: رءوف توفيق

اضطهاد اليهود مرة أخرى في السينما

وكيف وصل الوباء إلى السينما العربية؟

مرة أخرى .. معاناة اليهود .. وانسانية اليهود .. وبطولة اليهود .. وحق اليهود في الأرض والحياة ..!!

مرة أخرى .. تعود النغمة القديمة، والسخيفة .. لتتردد بشكل صارخ .. وفيما يشبه الحصار المنظم الذي يلتف من حولك، ومن كل جانب!

وتفكر ألف مرة، وتتساءل: ما هي المناسبة لإحياء هذه الدعوة..؟!

ولماذا تكثف الصهيونية العالمية في هذه الأيام، حملتها لتسخير فن السينما ـ أكثر الفنون جاذبية وانتشاراً ـ للاشادة باليهود؟!

من الخطأ، التهوين بالأمر.. أو القول بأنه لا جديد في الموضوع.. فمنذ سنوات طويلة، والصهيونية العالمية تثير نفس الحملة.

ولكن.. ما يحدث خلال هذه الأيام، شيء مختلف.

وليس هناك إلا أحد احتمالين.. الأول، أن هذه الخطة الصهيونية تستغل كل الفرص لاشعال الكراهية ضد العرب، وتصويرهم للعالم بأنهم ارهابيون، يقاتلون بعضهم، ويكرهون السلام.. في مقابل اليهود الطيبين، المكافحين المسالمين دائماً (!!).

والاحتمال الثاني.. أن اسرائيل تستعد لجولة جديدة في الشرق الأوسط، لتحقيق الحلم باسرائيل الكبرى.. والمطلوب تهيئة الرأي العام العالمي لتقليل هذا الوضع.. ومباركة الحلم وأصحابه!

وكلا الاحتمالين قائم.. أو الاثنان معاً!!

مهرجان الأفلام اليهودية

أقول كلمتي هذه.. من واقع النشاط الصهيوني في أجهزة الاعلام الغربي (صحافة وتليفزيون).. والتركيز على مجال السينما، للوصول إلى قاعدة كبيرة من المشاهدين سواء من خلال دور العرض السينمائي.. أو من خلال شاشات التليفزيون وقنواته المتعددة.

وقد أوضحت في العدد الماضي من «الدوحة».. كيف دفعت الصهيونية العالمية بكل ثقلها المادي والمعنوي، للوقوف وراء الإرهابي الاسرائيلي «مناحم جولان» وابن عمه «جلوباس» وشركتهما السينمائية «كانون».. التي جندت ألمع الأسماء من النجوم والمخرجين والكتاب للتعامل معها.. وسيطرت على الأسواق العالمية (الانتاج والتوزيع ودور العرض) في حركة إنقضاض سريعة، لم يشهد لها مثيل من قبل في صناعة السينما العالمية!

واليوم.. استعرض معكم وجهاً آخر من نشاط الصهيونية العالمية في مجال السينما.. حيث تجري الاستعدادات الآن في باريس لاقامة المهرجان الخامس للأفلام اليهودية.

وقد تحدد تاريخ المهرجان من ١٧ ــ ٣٠ سبتمبر القادم.

وهذا المهرجان يقام سنوياً.. وتحت نفس العنوان «الأفلام اليهودية» في محاولة لتجميع كل الجهود السينمائية في أوربا وأمريكا من داخل اسرائيل والتي تناقش كل ما يتعلق «باليهود»!!



المدرسة الفرنسية تتعاطف مع المدرس اليهودي ضد من يضطهدونه، وتساعده مع أهالي القرية على الهرب. لقطة من الفيلم الجزائري «الصورة الأخيرة»

وقد تعودنا أن تكون المهرجانات خاصة بالدول، كأن يكون هناك مهرجان للأفلام الانجليزية أو الأمريكية أو الايطالية.. أو..

أو تكون المهرجانات خاصة بنوعيات الأفلام.. كأن يكون هناك مهرجان لأفلام الخيال العلمي.. أو مهرجان لأفلام الرعب.. أو مهرجان لأفلام الرومانسية.. أو..

أو تكون المهرجانات خاصة بالمدارس السينمائية.. أو بأساليب المخرجين.. أو بتطور الممثلين.. أو..

ولكن هذه هي السابقة الأولى أن يكون هناك مهرجان متعلق بالدين!

وليس هذا مستغرباً على الصهيونية العالمية.. حيث أنها تتعامل مع «اليهودية» على أنها حركة سياسية واقتصادية واجتماعية.. لها جذورها، ومعاركها، وضحاياها.. وأحلامها!!

من هم أعضاء الشرف؟!

ومهرجان الأفلام اليهودية.. هو أحد أنشطة المهرجان الأم والذي يطلق عليه (المهرجان الدولي للثقافة اليهودية).. ومقره باريس.. وترعاه الوزيرة الفرنسية «سيمون فيل»، وقائمة أعضاء الشرف تضم عدداً من أساتذة الاجتماع والتاريخ الذين يدينون لاسرائيل.. وهناك أيضاً عدداً من الفنانين منهم: الممثلة آنول إيميه ــ والمخرجة آريان منو شكين (أبرز افلامها.. فيلم عن حياة موليير).

أما مهرجان الأفلام اليهودية.. فاللجنة التي تشرف عليه تضم المخرج «كوستا جافراس» (وهو موقف غريب للمخرج الذي قدم فيلم «هانا . ك»).. وتضم أيضاً المخرجة

اضطهاد اليهود
مرة أخرى في السينما
وكيف وصل الوباء إلى السينما العربية؟

والكاتبة الفرنسية «مرجريت دوراس».. والمخرج «كلود ليلوش».. والممثلة الفرنسية «ايزابيل هوبير».. وغيرهم.

وخطة هذا العام لمهرجان الأفلام اليهودية.. تدور حول اختيارات الأفلام التي تعرضت لطرد اليهود ونفيهم وتشريدهم.. وقد تم بالفعل اختيار أربعين فيلما طويلاً من الانتاج الأوربي والأمريكي والاسرائيلي.

وتقول النشرة الخاصة بالمهرجان.. موضحة اختيار هذا الموضوع بالذات..: (هدفنا أن نعرض الظروف الإنسانية لعملية نفي اليهود عن أرضهم).

وقد قسموا عمليات النفي الى قسمين.. حددتهما النشرة كالتالي:

النفي باعتبار الظروف العالمية، والأحداث الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى ابعادهم عن الوطن الأم..

والنفي باعتبار العالم الداخلي، والانشقاق الشخصي.

وتواصل نشرة المهرجان.. التأكيد بأن عروض تلك الأفلام سوف تعقبها مناقشات يحضرها الكتاب والفلاسفة وأساتذة التاريخ.. وأيضاً حاخامات اليهود.. بالاضافة إلى المخرجين والمهتمين بصناعة السينما!

أي أن الصهيونية العالمية ستحول هذا الموضوع إلى مظاهرة لاحياء معاناة اليهود.. ومطالبة العالم من جديد بالتكفير عن ذنوبه لما حدث لليهود..!!

لماذا.. اضطهاد اليهود؟

والمثير للدهشة.. أن السينما الصهيونية مازالت حتى هذه اللحظة تستثمر دون كلل.. أحداث اضطهاد اليهود في أيام النازية أثناء الحرب الثانية.. لقد انقضى على هذه الأحداث أكثر من أربعين عاماً.. ولكن ما زالوا يعلقون هذه الأحداث في رقبة العالم أجمع، ويدقون عليها في الحاح عجيب.. وكأنها خطة طويلة المدى لتمرير كل ألاعيب الصهيونية، ومؤامرات اسرائيل وحروبها التوسعية.. فالرد جاهز في كل الحالات: إنهم مساكين.. عانوا الاضطهاد والتشريد «لا تقسوا عليهم» انهم لا يريدون سوى أن يعيشوا على أرضهم في أمان!!

والمطلوب من العالم.. أن يصدقهم وأن يتعاطف معهم..

وقد قدمت السينما الصهيونية مئات الأفلام عن اضطهاد اليهود.. ولكنهم مازالوا يلعبون بنفس الورقة.

ما حدث في مهرجان برلين

في مهرجان برلين هذا العام –٨٦– عرض فيلم مدته تسع ساعات ونصف (!!).. ويتحدث عن اضطهاد اليهود..

مخرج الفيلم «كلود لانزمان» فرنسي، كان يعمل بالصحافة قبل أن يتجه إلى السينما.. وكان أول أفلامه عام ٧٣ بعنوان «اسرائيل.. لماذا؟» ومن عنوان الفيلم تتضح هوية هذا المخرج الذي عاد هذا العام ليقدم ذلك الفيلم الطويل، الطويل – عرض على جزئين – واسم الفيلم «الكارثة»..

والكارثة هي اضطهاد اليهود وتعذيبهم في معسكرات الاعتقال النازي.. ويعتمد الفيلم على شهادة الذين عاصروا تلك الأحداث.

وقد احتفلت الصهيونية العالمية بهذا الفيلم وبمخرجه وسط مظاهرة مبالغ فيها من التكريم والتمجيد. وقال المخرج في حديث صحفي.. انه أراد بفيلمه أن يخلص الألمان من عقدة الذنب التي حملوها منذ الحرب العالمية الثانية!!

وفي نفس مهرجان برلين – وفي المسابقة الرسمية – يتقدم المخرج المجري الشهير «ميكلوش يانشو» بفيلم عنوانه «الفجر» –انتاج فرنسي اسرائيلي– يحكي أيضاً عن اضطهاد اليهود ولكن على أرض فلسطين أمام الاحتلال البريطاني.. (هذا الفيلم اختير للعرض في مهرجان الأفلام اليهودية القادم بباريس).

وكأن مهرجان برلين تحول إلى ساحة مفتوحة للصهيونية العالمية وأفلامها عن اليهود وعذاباتهم وطموحاتهم للسلام.. فهناك الفيلم الاسرائيلي «ابتسامة الحمل» –والفيلم الفرنسي «القبلة الحمراء» – والفيلم الكندي «آن تريستر» –والفيلم المجري «السنوات المائتان الأولى من حياتي» – والفيلم التسجيلي الأمريكي «كنا محبوبين للغاية».

كل هذه الأفلام تعزف نفس المقطوعة القديمة.. وتفتش في كتب التاريخ عن أي حادثة لاضطهاد اليهود، لتتخذ منها ذريعة لالهاب ظهر العالم بالسياط..

وكأن التاريخ توقف عند اليهود فقط!!

ما حدث في مهرجان «كان»

ويأتي مهرجان كان هذا العام –مايو



المدرس اليهودي يحاول الثأر ليهوديته من الذين يضطهدونه. لقطة من فيلم «الصورة الأخيرة» للمخرج الجزائري «الأخضر حامينا»



المذيعة التي اكتشفت أن والدها يهودي في الفيلم الارجنتيني «الفراشة المسكينة»



غلاف كتاب مهرجان الأفلام اليهودية

٨٦ ــ ليقدم داخل المسابقة الرسمية .. الفيلم الأرجنتيني « الفراشة المسكينة » للمخرج « راؤول دي لاتوري » الذي يعرفنا بفيلمه .. فيقول :

« لقد نسينا ما حدث لنا منذ أربعين عاما مضت .. كلفتنا تلك الأحداث كثيراً .. ولهذا فإن تذكر ما حدث ربما يفيدنا للمستقبل » !

وبالطبع ما يقصده المخرج .. هو اضطهاد اليهود !!

والفيلم يبدأ في « بيونس ايرس » ــ اكتوبر ١٩٤٥ .. وأخبار عن سقوط برلين واندحار النازي .. والمظاهرات التي تملأ شوارع بيونس ايرس والتي تقود « بيرون » للحكم في تلك الفترة نتعرف على « الفراشة المسكينة » .. وهي مذيعة في راديو المدينة .. متزوجة ولها بيت وطفلة . وتفاجأ بخبر وفاة والدها .. فتذهب لالقاء نظرة الوداع .. وتكتشف أن والدها كان يهودياً وقد أخفى هذا عن عيون المتربصين باليهود .. وتشعر في مراسم الجنازة والتي تتم حسب الطقوس اليهودية .. أن هناك الكثير من الحذر والخوف .. وزوجها يحاول ابعادها عن هذا الجو .. ولكنها تصمم لمعرفة الحقيقة .. وهل مات والدها بشكل طبيعي .. أم أنه تعرض للقتل لمجرد أنه يهودي ..

وتسألها طفلتها الصغيرة .. لماذا يضطهدون اليهود ..

ويقودها زميلها الشاب .. اليهودي .. لمشاهدة فيلم عن عمليات تعذيب وقتل اليهود في المعتقلات النازية (نفس المشاهد التي تكررت في مئات الأفلام من قبل) ..

ولأنها فراشة ومسكينة .. فهي لا تقتنع أن يظل اليهودي خائفاً من الذين لا يرغبون في بقائه .. ولهذا فهي تجند نفسها لمواصلة دور أبيها .. تذهب إلى منزله .. ومكتبته .. تقرأ .. وتستقبل أصدقاءه .. ويهددها زوجها بأن تكف عن هذه الاتصالات وإلا فسيضطر لقتل ذلك الشاب اليهودي الذي يقودها لعالم اليهود .. ولكنها لا تستجيب لأي تهديدات .. فقد زاد ايمانها بقضية اليهود ..

وتأتي النهاية .. برصاصة مجهولة تغتالها في الطريق العام .. وهي متجهة إلى عملها بالاذاعة .. ونفهم أن هذه الرصاصة أطلقها أعداء اليهود ..

ونستعد لمغادرة قاعة السينما .. فقد انتهى الفيلم ..

ولكن .. لا .. ليس بعد .. فالفراشة المسكينة تظهر لنا على الشاشة وهي تبتسم للمشاهدين وهي تقول « ان الغد سيكون أفضل .. نحن نؤمن بهذا » .

وهكذا .. بمنتهى السذاجة .. يؤكد الفيلم من جديد .. ما يريد أن يقوله أكثر من مرة .. وبكل الوضوح والمباشرة ..

● وفي مهرجان (كان) هذا العام .. تقدم المخرجة الألمانية « مرجريت فون تروتا » فيلماً تشترك به في المسابقة الرسمية ..

والفيلم اسمه « روزا لكمسبورج » وهو عن قصة حياة هذه المرأة البولندية اليهودية .. التي لعبت دوراً بارزاً في بداية هذا القرن بألمانيا من خلال نشاطها في الحزب الاشتراكي وكصحفية ومتحدثة لبقة في الندوات .. وعاشقة لأحد المناضلين .. حتى يصدر الحكم بإعدامها عام ١٩١٨ ..

والفيلم مأخوذ من الخطابات التي كانت ترسلها من السجن لصديقها .. وقد بلغت هذه الخطابات ٢٥٠٠ خطاباً ..

ولا تنسى المخرجة أن تدس بذكاء شديد .. ملامح تلك المرأة اليهودية الأصل .. تعبيراً عن اخلاقيات اليهود .. وتقول المخرجة عنها « لقد أرادت روزا أن تعيش في عالم يمكنها من أن تحب جارها في سلام » .

وتقول أيضاً عنها .. مستخدمة نفس تعبيرات روزا في خطاباتها « إن الكراهية شيء لم أتعلمه أبداً » !

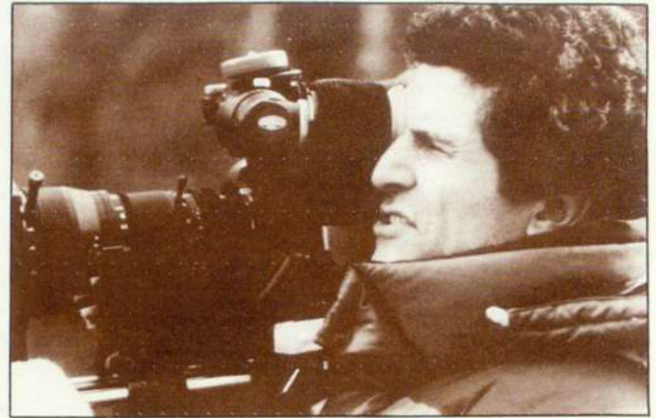
وقد فازت ممثلة الفيلم « بربارا سكوفا » بجائزة أحسن ممثلة عن دورها ــ مناصفة ــ مع ممثلة أخرى برازيلية .

وهكذا اكتسب فيلم « روزا لكمسبورج » جواز مرور إلى الأسواق العالمية ..

وحتى السينما العربية !!

ومع كل هذه الأفلام ــ المتواصلة ــ عن اليهود .. يبقى التساؤل قائماً ما الذي تسعى إليه الصهيونية العالمية من هذا الالحاح المستمر ؟

ويصبح التساؤل أكثر ايلاماً للنفس .. عندما نرى أحد المخرجين العرب ينزلق إلى هذا التيار .. دون سبب مقبول أو مفهوم ..


المخرج كلود ليلوش .. عضو الشرف في مهرجان الأفلام اليهودية


الممثلة أنوك إيميه .. المشاركة في الاشراف على مهرجان الثقافة اليهودية

اضطهاد اليهود مرة أخرى في السينما

وكيف وصل الوباء إلى السينما العربية؟

سوى الحصول على فرصة لعرض الفيلم على الشاشات العالمية ..

وكأن التحدث عن اليهود .. هو التعويذة الأكيدة المفعول لمخاطبة المشاهد الأوربي أو الأمريكي !!

حدث هذا .. مع فيلم «الصورة الأخيرة» للمخرج الجزائري «محمد الأخضر حامينا» .. الذي عرض في المسابقة الرسمية لمهرجان «كان» هذا العام .

وحدث أيضاً .. مع فيلم «ريح السد» للمخرج التونسي «نوري بوزيد» .. والذي عرض في برنامج «نظرة خاصة» ، أحد برامج مهرجان «كان» الأساسية ..

وللأسف الشديد .. كان هذان الفيلمان هما الفيلمان العربيان الوحيدان اللذان مثلا السينما العربية في المهرجان ..

مغازلة المخرج الجزائري

يقدم لنا المخرج الجزائري «الأخضر حامينا» فكرة فيلمه .. بقوله : «لقد كان ابني مروان — ١٤ عاماً — هو المحرك لإيقاظ رغبتي في صنع هذا الفيلم .. فهو دائماً ما يحدثني عن مدرسيه ومدرسته ..

ومنذ عشرين عاماً .. كنت أفكر في هذا الموضوع .. صبي يقع في غرام مدرسة .. ولكن وقتها أحجمت عن التنفيذ ، لاحساسي بسذاجة الفكرة .. ثم تحمست أخيراً لتنفيذها .. وأعتقد أنه بهذا الفيلم الأخير أكون قد انتهيت من ذكرياتي عن عائلتي .. وكان من المفروض أن يكون هذا الفيلم هو أول سلسلة أفلامي .. وليس فيلم رياح الأوراس »

هكذا تحدث «الأخضر حامينا» .. وهكذا يتضح موضوع الفيلم .

الزمن قبل عام ١٩٣٩ .. والمكان قرية جزائرية ..

وأول مشاهد الفيلم مع الأتوبيس المتهالك الذي يربط بين مدن الجزائر .. وبداخل هذا الأتوبيس المزدحم ، نلمح تلك الفرنسية الشابة التي جاءت لتعمل كمدرسة بالقرية .

ومن ذلك المشهد أيضاً .. نلمح الصبي «مولود» — يلعب الدور ابن المخرج حامينا — وهو يقفز على سلم الأتوبيس ملوحاً بيده للمدرسة الشابة التي تبدو أنيقة ورقيقة وسط ركاب الأتوبيس الفقراء أصحاب الوجوه الكادحة .

وتبدأ منذ تلك اللحظة خيوط الفيلم .. التي تتشكل من عالم تلك المدرسة الفرنسية وزملائها في المدرسة . وعالم الصبي وأسرته وزملائه .. وتنشأ تلك العلاقة البكر بين الصبي ومدرسته .. محاولات جذب الانتباه .. والتقرب .. والفضول .. والرغبة .. والحلم المستحيل ..

ويمضي الفيلم متأنياً — وبطيئاً إلى حد كبير — يستعرض نماذج الشخصيات .. والد الصبي ، الطبيب ، الوقور المتدين الذي نراه دائماً يصلي .. شقيق الصبي ، الشاب المراهق المطلوب للتجنيد .. مخبول القرية (يمثل الدور المخرج شخصياً) والذي يتكلم دائماً عن الفقراء والبورجوازية ويعلق في سترته من الداخل صورة لستالين ! .. وهناك أيضاً بعض شخصيات القرية من الفقراء البسطاء .

وفي المقابل شخصيات المدرسة .. التي يمضي عليها المخرج سريعاً (هو كاتب السيناريو) .. ماعدا شخصية المدرس اليهودي الذي يحاول التقرب من المدرسة الفرنسية الجديدة .. وفي نفس الوقت يتعرض لاضطهاد الفرنسيين اتباع المارشال «بيتان» الذين يكرهون اليهود ويطاردونهم .. ويحاول المدرس الهرب منهم .. فيختبئ في بيت المدرسة .. ويساعده أهالي القرية البسطاء على الهرب .. وهو يعلن في تحد للفاشيست أنه يهودي (!!) ويبكيه أهالي القرية .

وترحل المدرسة الفرنسية عائدة إلى وطنها .. ويودعها أهالي القرية في حزن شديد على فراقها .. بينما الصبي لا يحتمل لحظة وداعها .. فيهرب إلى قمة التل الرملي .. ليراقبها من بعيد بالنظارة المكبرة .. وعيونه مبللة بالدموع .. ونسمع صوته وهو يتذكر تلك الأيام الجميلة ..

والغريب في هذا الفيلم .. ذلك التحدي الذي يعلنه المخرج بصراحة .. وهو يقدم باقة ورد وحب للمستعمر الفرنسي — مهما كانت الشخصية التي اختارها لموضوع فيلمه ..



المدرسة الفرنسية عند وصولها إلى القرية الجزائرية من فيلم «الصورة الأخيرة»



«عماد معلال» الممثل التونسى الموهوب الذى قدمه فيلم «ريح السد» وبجواره صاحب ورشة النجارة

متعاطفة مع الجزائريين .. ورقيقة كنسمة هواء .. إلا أنها في النهاية هي صورة من صور الاستعمار الذي جاء بجنوده ومدرسيه ومناهجه ..

ثم ذلك التعاطف الشديد مع الشخصية اليهودية ــ حتى ولو كانت هذه الشخصية تعاني أصلاً من الاضطهاد ..

كل هذا يرسم أكثر من علامة استفهام حول الفيلم .. الذي تكلف انتاجه عشرين مليون فرنك فرنسي .. وشاركت فيه وزارة الثقافة الفرنسية .

هل يريد المخرج أن يغازل فرنسا ؟ وعلى حساب من ؟

سقطة المخرج التونسي

أما الفيلم التونسي « ريح السد » فهو أول تجربة سينمائية للمخرج « نوري بوزيد » .. وقد وقفت الرقابة في تونس ضد النموذج اليهودي الذي قدمه الفيلم ، واعترضت عليه .. ولكن سمحت بعرضه في المهرجانات خارج تونس ..

وهذا النموذج يثير السؤال بشكل أكثر تحديداً .. لماذا يتعمد المخرج الشاب في أول أعماله السينمائية .. أن يغازل ــ بطريقة فجة ــ اليهود .. ويعتبرهم على حد قول بطل الفيلم « أفضل من أبي » ! !

وفيلم « ريح السد » يبدأ من استعدادات الأسرة التونسية لزواج ابنها الشاب .. (بكل طقوس الاستعدادات لهذه المناسبة) .. ولكن الشاب يرفض الزواج .. لا لسبب في العروس .. ولكن لعقدة شخصية في حياته .. انه تعرض للاعتداء من صاحب محل النجارة التي يعمل بها .

حدث الاعتداء منذ سنوات وهو صبي .. وما زال يحمل هذا الألم بداخله .. حتى تفجر بشكل حاد عندما بدأت طقوس الزواج .. ولا أحد يفهم ما سر صمته وحزنه وغضبه .. ويقسو عليه الأب بالكلمات وبالضرب أيضاً .. وتصلي له الأم وتحنو عليه وتستنجد بالشعوذة عندما تستنفذ كل الوسائل لمعرفة حزنه .

والابن في أزمته هذه .. يلجأ الى بيت الأسرة اليهودية التي كانت تربط بهم صداقة قديمة .. ولم يجد من الأسرة سوى الأب وحيداً بعد أن هاجر أبناؤه للخارج ..

والأب اليهودي يبدو في الفيلم طيباً جداً .. وحنوناً .. يعزف على العود ويغني .. ويقدم الشراب لزائره الشاب .. ويمتص كل ما به من حزن وغضب .. فيقول الشاب « أردت أن أحكي معك ، لم أستطع أن أحكي مع أبي .. فجئت لأحكي معك .. »

ويسعد الأب اليهودي بهذه الثقة .. ويواصل الغناء والشراب .. ويجد الشاب نفسه في هذا البيت .. ومع هذه الذكريات القديمة الجميلة .. التي يعتبرها من أزهى سنوات عمره !

ما الذي يقصده المخرج بهذه الشخصية ؟ وما هو المبرر أصلاً لتقديمها ؟

إن بناء الفيلم .. وتكوينات المشاهد .. واختيارات الأماكن .. والايقاع السريع .. كلها علامات تؤكد على موهبة المخرج الفنية وحسه السينمائي المتقدم .. ولكن تأتي مغازلة اليهود ، والتحسر على أيامهم الجميلة .. لتحدث شرخاً في مفهوم العمل السينمائي ككل .

لقد تم بيع الفيلم الى فرنسا بمبلغ أربعين ألف دولار ..

ولكن .. هل هذا هو ثمن الفيلم .. أم ثمن مغازلة اليهود .؟!

وإذا كان هذا هو حال السينما العالمية وما وصل إليه بعض المخرجين العرب .. فكيف تكون الصورة من داخل اسرائيل نفسها ؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه في العدد القادم .

رءوف توفيق



الممثلة الألمانية « باربرا سكوفا » التى نالت جائزة احسن ممثلة (مناصفة) عن دورها كيهودية مناضلة فى الفيلم الألمانى « روزا لوكسمبرج »



« روزالوكسمبرج » تستعد لتنفيذ حكم الاعدام



المخرج الجزائرى « محمد الأخضر حامينا »

جمع المأثورات الشفهية

عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بالدوحة صدر مؤخراً للدكتور سعد العبد الله الصوبان كتاب جديد يحمل عنوان: جمع المأثورات الشفهية يتكون الكتاب من ثلاثة فصول.. الفصل الأول يهدف إلى تعريف القاريء بإحدى الطرق المتبعة في فهرسة تسجيلات المأثور الشعبي، وهو عبارة عن فهرس لأحد الأشرطة المسجلة ضمن مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية.. وتضمن الفصل الثاني صورة من الطلب المقدم إلى مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود لتمويل مشروع جمع الشعر النبطي من مصادره الشفهية وذلك من أجل أن يطلع القارىء على الطلب كنموذج للصيغة التي يقدمها صاحب البحث أو المشروع للجهة الممولة.

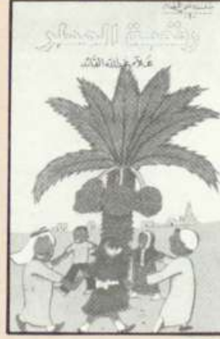
وفي الفصل الثالث من الكتاب يتحدث المؤلف عن مذكراته الميدانية التي دونها خلال رحلته إلى منطقة حائل بالمملكة العربية السعودية.

المسلمون في السنغال

المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل هذا عنوان كتاب جديد صدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر للكاتب السنغالي عبدالقادر محمد سيلا المستشار الثاني لسفارة السنغال بالرياض.

يتكون الكتاب من ستة فصول.. الفصل الأول عن المعطيات الجغرافية والبشرية في السنغال، والفصل الثاني عن طرق انتشار الاسلام في غربي افريقيا، والفصل الثالث عن الاستعمار وانتشار الاسلام في السنغال، والفصل الرابع خصصه المؤلف للحديث عن بعض خصائص الاسلام في السنغال، والفصل الخامس عن حركة الاستغراب في السنغال، وخصص المؤلف الفصل السادس للحديث عن المستقبل المنظور للمنظمات الاسلامية، وختم الكتاب بكلمة عن مستقبل الاسلام في السنغال.

رقصة المطر



ضمن سلسلة أغاني الأطفال صدر للكاتب علام عبدالله بمركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية كتاب جديد بعنوان «رقصة المطر» يحتوي على ثماني قصائد باللهجة العامية الخليجية.. قام بتلحينها الفنان ابراهيم علي.

والكتاب يضم أيضاً شريط كاسيت والنوتة الموسيقية لجميع الأغاني، حتى يستطيع كل طفل أن يتعرف عليها بسهولة ويسر كما يحتوي الكتاب على مجموعة جميلة من الرسومات قام برسمها الفنان القطري القدير محمد علي عبد الله.

ترجمة المؤلفات العربية

الهيئة المصرية العامة للكتاب بدأت في تنفيذ مشروعها الثقافي المهم وهو ترجمة سلسلة من المؤلفات الشعرية والروائية والمسرحية العربية إلى اللغة الانجليزية مع مقدمات ودراسات تتناول الكتاب والشعراء من اصحاب الأعمال المترجمة.. ويشرف على المشروع الثقافي الدكتور سمير سرحان «رئيس الهيئة العامة للكتاب».

ومن الترجمات التي صدرت حتى الآن «محاكمة في منتصف الليل» للروائي محمد جلال «وقائع حارة الزعفراني» للروائي جمال الغيطاني «يحدث في مصر الآن» للكاتب يوسف القعيد، و مختارات من قصائد ٢٠ شاعراً عربياً معاصراً من جيل صلاح عبدالصبور، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السياب.

كتاب العناصر

عن دار ديميتر للنشر صدر ديوان جديد للشاعر التونسي محمد أحمد القابسي بعنوان «كتاب العناصر»، بعد مرور تسع سنوات على صدور ديوانه الأول «البحر في كأس». ويقول الشاعر عن ديوانه الجديد ان مهابة الشاعر لايمكن أن تقاس بالانجازات المطبعية وعدد الدواوين المنشورة، فهم الشاعر الأول هو أن يمتلك بصمته الخاصة ويحقق اضافته النسبية.

والديوان الجديد للشاعر القابسي يشكل اضافة هامة في مسيرته الشعرية.

دليل الباحث القطري



صدر مؤخراً عن إدارة الثقافة والفنون قسم الدراسات والبحوث «دليل الباحث القطري لجمع الفولكلور» تأليف الدكتور مصطفى مبارك، خبير الفولكلور بالإدارة.

يتكون الكتاب من خمسة فصول.. الفصل الأول يتحدث المؤلف فيه عن الوضع الثقافي في دول الخليج العربية، وفي الفصل الثاني يتساءل المؤلف عن ماهية التراث، والتراث في معاجم اللغة العربية وفي الأدب العلمي هو ما ورثناه عن الأجداد.

والفصل الثالث خصصه المؤلف للحديث عن الفولكلور كمصطلح وكمادة، والفصل الرابع عن جمع الفولكلور والفصل الخامس عن أرشيف الفولكلور.

والكتاب من القطع المتوسط وعدد صفحاته ١٠٦ مائة وستة صفحات من الورق العادي.

مواويل ليوسف المالكي



عن قسم الدراسات والبحوث بادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام القطرية صدر حديثاً ديوان جديد « مواويل » لشاعر المواويل القطري يوسف عبدالله المالكي ، ويأتي طباعة هذا الديوان ضمن اهتمامات إدارة الثقافة والفنون القطرية بالشعر والشعراء القطريين ، وسبق للادارة طبع العديد من دواوين الشعر لكبار السن والشعراء القطريين ، ومساعدتهم على تكاليف الطبع وحفظ قصائدهم عن الضياع .

ولد الشاعر يوسف المالكي في مدينة الخور شمال قطر عام ١٩٠٩ وهو من الشعراء المعاصرين الذين يقولون الشعر باللهجة العامية .

منازل في الأفق

ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق صدر حديثاً مجموعة شعرية للشاعر الفلسطيني محمد القيسي تحمل عنوان : « منازل في الأفق » وتحتوي المجموعة على مقطوعات نثرية ومكتوبة على التفعيلة ومقطوعات موزونة .

شخصية هيكل في كتاب



محمد حسنين هيكل .. قصة حياته عنوان الكتاب الذي صدر مؤخراً للكاتب عبد الكريم بيروتي ، ويتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن شخصية هيكل . باعتباره صحفياً عربياً بارزاً ولعب دوراً مهما في تاريخ مصر المعاصر وتحدث الكتاب عن فصول مثيرة في حياة هيكل منذ طفولته ومروراً بالقضايا التي واكبت مسيرته الصحفية .

حب تحت المطر

صدر عن مؤسسة أورينتال للنشر في مدريد كتاب ، « حب تحت المطر » ويتضمن أربع قصائد للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي باللغتين العربية والانجليزية ، وهي تحمل العناوين الآتية : بكائية إلى شمس حزيران ، عين الشمس ، حب تحت المطر ، أولد وأحترق بحبي .

انطباعات مستفزة



صدر للدكتور يوسف ادريس عن مركز الاهرام للترجمة والنشر كتاب جديد يحمل عنوان « انطباعات مستفزة » يحتوي الكتاب على عدد كبير من كتابات يوسف ادريس التي كانت سبباً في اثارة العديد من الزوابع والمعارك الحادة التي تشهدها الساحة الثقافية في مصر والعالم العربي .

الملاح التائه لعلي محمود طه

صدر حديثاً كتاب يحمل عنوان « عن الملاح التائه » علي محمود طه .. تأليف د . عبد الستار الحلوجي يتناول الكتاب من خلال مقدمة وثلاثة فصول متكاملة حياة الشاعر الكبير علي محمود طه .. فيطرح في الفصل الأول ترجمة ذاتية للشاعر منذ لحظة ميلاده في المنصورة ومراحل تطوره الشعري ، ثم هجرته إلى الخارج ، وما واكب هذا من تغيير جذري في رؤيته الشعرية وأخيراً وفاته عام ١٩٤٩ .

أما الفصل الثاني فهو رؤية نقدية لأعماله الشعرية الكاملة وفي الفصل الثالث يناقش المؤلف علاقة أعمال علي محمود طه بالنقاد .

القمر والتشريح

صدرت حديثاً عن نادي مكة المكرمة الأدبي المجموعة القصصية الثانية للقصاص السعودي الدكتور عبدالله أحمد باقازي تحمل عنوان « القمر والتشريح » ، واشتملت المجموعة على إحدى عشرة قصة تميزت بالأسلوب الشيق السلس ، الخالي من الغموض والتعقيدات .

عن الحرية أتحدث

صدر في القاهرة حديثاً كتاب جديداً للمفكر العربي الدكتور زكي نجيب محمود يحمل عنوان « عن الحرية اتحدث »

ويقول المؤلف في مقدمة كتابه « في هذا الكتاب محاولات أردنا بها أن نبين ما ينقصنا في سبيل حياة حرة كريمة بمعناها الأكمل » .

حـــاول أن تعـــرف



الصـــورة الأولـــى

على أنقاض مدينة فيلادلفيا القديمة أقيمت هذه العاصمة العربية الحديثة حيث تمتد على سبعة تلال وكأنها طريق متعرج صاعد وهابط على عكس غيرها من مدن الشرق الأوسط المنبسطة . والمدينة تغص بالآثار الرومانية والعربية وقد نمت عقب الحرب العالمية الثانية نمواً كبيراً . ما هي هذه العاصمة العربية ؟

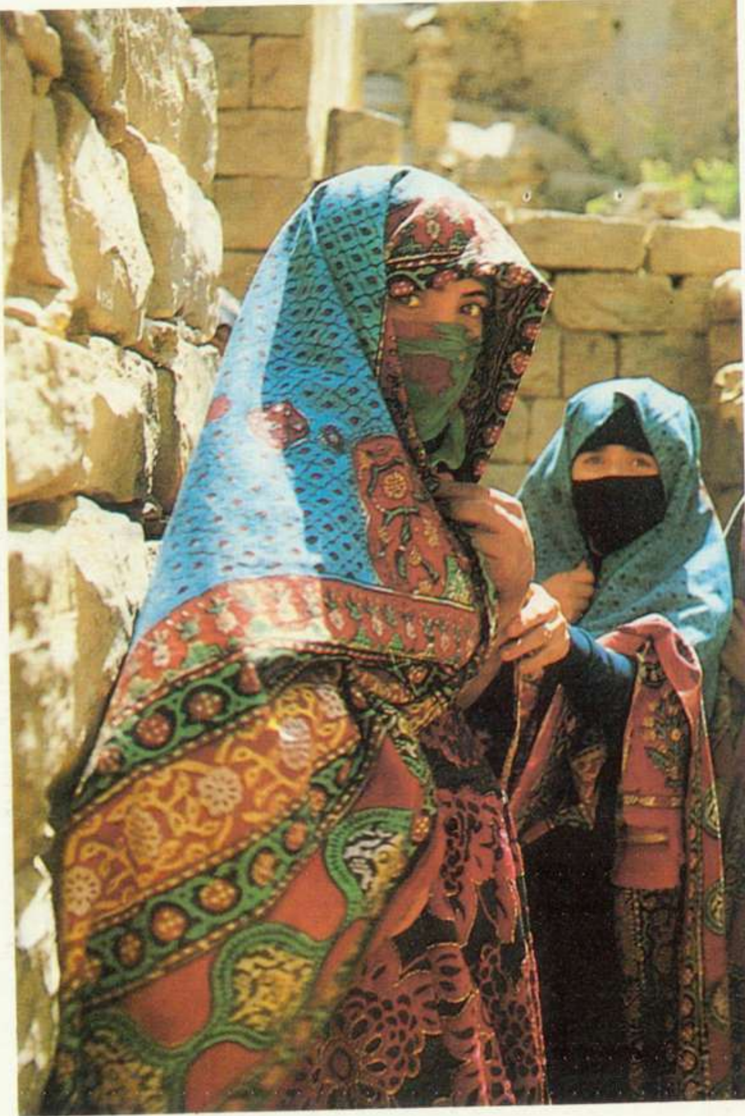
الصـورة الثـانيـة

بتوفيق من الله وفي المحاصرة الثلاثين لعاصمة الامبراطورية البيزنطية استطاع هذا السلطان فتح القسطنطينية بعد حصار دام خمسين يوماً أعدَّ له أعظم مدافع عرفها العالم في ذلك الحين حتى استولى على المدينة وهزم الامبراطور الروماني قسطنطين الحادي عشر وقد اختار كنيسة أيا صوفيا لتكون الجامع الرئيسي بالمدينة . من هو هذا القائد المسلم العظيم ؟ ومتى فتح القسطنطينية ؟

جميع حلول المسابقات ترسل على مجلة « الدوحة » ص . ب (٢٣٢٤) الدوحة ـ قطر ، وحتى تضمن اشتراكك فى المسابقة الرجاء كتابة كلمة « مسابقة » على الظرف بخط واضح .

لقطة الشهر

وجـــه من اليـــمن



المرأة اليمنية بزيها التقليدي .
فاز بجائزة اشتراك لمدة سنة القارئ
عبدالله أحمد عباد ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية

كان الشيخ يعمل في مزرعة يملكها ملك البلاد خارج المدينة ، فمر به جندى يحمل رسالة إلى الملك فسأل الشيخ عن العمران فأشار الشيخ الى مقبرة بجانب المزرعة وقال له : هذا هو العمران ياولدى .. غضب الجندى ونزل من على فرسه وضرب الشيخ ظنا منه أنه يهزأ به ، حتى سال الدم من جبينه ثم واصل السير حتى بلغ المدينة . ولما قابل الملك أبلغه بما حدث مع الشيخ فقال له الملك إنه الشيخ التقى الزاهد ابراهيم بن أدهم ، وأمره أن يعود إليه ويطلب العفو منه .. ذهب الجندى إلى الشيخ وقال له : جئتك أطلب الصفح ياشيخ ابراهيم فقال له الشيخ : أنا ياولدى قد سألت لك الله العفو والمغفرة . قال الجندى : كيف ذلك وقد آذيتك ؟ قال الشيخ : ان اعتداءك علي قدر اراده الله لى وليس من الخير أن تذهب بالشر منى واذهب أنا بالخير منك .

محمد أمين عيســوى
الاسماعيلية ـ جمهورية مصر العربية

الاســـطرلاب العــربي

فى القرن الأول والثانى الهجريين كان الرحالة العربى يتعرف إلى طريقه بدقة تامة بواسطة آلة صغيرة ربما نسيناها الآن ، اسمها الاسطرلاب . وهى آلة تدل على مواقع النجوم ، وعلى الوقت خاصة إذا عرف المسترشد بها على أى خط عرض هو واقف على الكرة الأرضية .

وأخيرا بدأ الغرب بالحديث عن أهمية هذه الآلة ، وعظمتها وأثرها على تطور العلوم الجغرافية والفلكية فى العالم . فهذه الآلة التى اخترعها العرب بين القرنين الأول والثانى الهجريين ، تعتمد مبدأ بسيطا اقتبسه علماء حضارتنا من اليونان ، وطوروه . ولعل أول كتاب غربى يبحث فى هذه الآلة يعود إلى القرن الرابع الميلادى وهو من تأليف فيليبيونوس السكندرى . لكن قصة الاسطرلاب الحقيقية ترجع الى زمن قديم جدا فى الحضارة الانسانية .

ربيع بلخير أحمد مرضام
السعـودية ـ الرياض



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

في أواخر السنة السادسة والثمانين من الهجرة بدأ الخليفة الوليد بن عبدالملك في بناء الجامع الأموي . ويقول المؤرخون إنه أحضر المهندسين والعمال من الروم الوطنيين للعمل في تشييده . وقد بني على أعمدة من الرخام من طبقتين ، الطبقة التحتية أعمدة كبار يعلوها أعمدة صغار . وكان طول الحرم الأصلي من الشرق الى الغرب ٤٠٠ متر وعرضه من الشمال الى الجنوب ٣٠٠ متر وبذلك كانت مساحته تصل الى ربع مساحة دمشق وقتذاك .

وقد أنفق الوليد على إنشائه وتزيينه خراج الشام في عامين ، والذي كان يبلغ ألف ألف ومائتي ألف دينار سنوياً (أي مليوناً ومائتي ألف دينار سنوياً) وانتهى العمل فيه بعد عشر سنوات .

وقد نظم نابغة بني شيبان قصيدة يمدح الوليد فيها ويصف هذا المسجد جاء فيها :

فاليوم فيه صلاة الحق ظاهرة — وصادق من كتاب الله معروفُ
فيه الزبرجد والياقوت مؤتلق — والكلس والذهب العِقْيان[1] ملفوفُ
ترى تهاويله من نحو « المقصود » — يلوح فيه من الألوان تفْويفُ[2]
فيه المثاني وآيات مفصّلة — فيهن من ربّنا وعد وتخويف

(١) العِقيان : الذهب الخالص

(٢) مُفوّف : مُخطّط

« المقصود » أو الكلمة الأصلية عند الشاعر مكونة من ستة أحرف :—

٢ ، ٥ ، ٦ ، ٤ مؤنث بنين .

١ ، ٦ ، ٤ ، ٣ مرتكب جريمة القتل .

ما اسم هذا الرجل؟

في ليلة اليوم التاسع عشر من شهر ابريل عام ١٨٢٤ ، وفي بلدة « ميسولونجي » في اليونان ... تجمع الناس حول منزل صغير يطل على البحر من فوق ربوة متوسطة الارتفاع .. ورغم هبوب عاصفة هوجاء حطمت أغصان الأشجار واقتلعت الشجيرات واهتزت الأكواخ بشدة حتى أوشكت على الانهيار.. وسقطت الأمطار كالسيول فأحالت الطرق الى برك وأوحال .. وارتفعت أمواج البحر حتى كادت تصل الى مستوى المنزل فوق الربوة .. ورغم كل ذلك لم يتحرك الناس من أماكنهم حول المنزل .. بل وقفوا صامدين للأمطار والعاصفة وهم ينتظرون في قلق وترقب أنباء ما يحدث في الداخل .. حيث يرقد في إحدى حجرات المنزل الصغيرة بطلهم المحبوب وهو يعالج سكرات الموت على فراش بسيط وبينه وبين وطنه وعائلته الاف الأميال .. ولم يطل الصّراع .. فقد أسلم الروح في سكون وهدوء .. وبلغ الخبر المجتمعين حول المنزل .. فانهمرت الدموع من عيون رجال لم تعرف الدموع من قبل .

وعندما طلع الصباح .. أطلقت المدافع تحية للراحل العظيم .. وعُطّلت دواوين الحكومة في جميع أنحاء اليونان .. وانتشرت أنباء وفاته في انحاء أوروبا التي عمّها الحزن .. وقام الشباب في فرنسا بوضع شارات الحداد على سُتراتهم .. أما في وطنه انجلترا .. فقد أمضى التلاميذ يوماً حزيناً في قراءة دواوينه وأشعاره .

اسم هذا الرجل الذي يعد من أعظم شعراء القرن التاسع عشر في انجلترا مكون من مقطعين من عشرة حروف :—

٣ ، ٤ ، ٥ أحد شهور التقويم الهجري . ٩ ، ٥ ، ٣ ما يكسو جلد الجمال .

١٠ ، ٦ ، ٨ خلق الله منها إبليس . ٧ ، ١ ، ٢ ، ٥ بمعنى يَتَجوّل .

مسابقة مدن العالم

يافا .. ذلك الميناء الفلسطيني الطبيعي على البحر المتوسط.. مناخها المعتدل يكسبها جمالاً بالاضافة الى بساتين برتقالها الشهير التي تنشر عبير الزهور في أجوائها .

وقبل خمسة آلاف سنة أنشأ العرب الكنعانيون تلك المدينة وأطلقوا عليها « يافي » .. وظل هذا الاسم يطلق عليها على مرّ العصور الى أن تطور في العهد الاسلامي الى « يافا » واستمر حتى اليوم . ولاشك أن العوامل الطبيعية والبشرية لعبت دوراً هاماً في نشأة يافا وتطورها .. فكانت مدينة جميلة تتمتع بالرخاء .. وتميز ابناؤها بالكفاح لتنمية حضارتها .. إذ أنها عندما أنشئت لم تكن إلاّ بلدة صغيرة الحجم تنتشر بيوتها على الهضبة المطلة على البحر .. ولم يمض وقت طويل حتى شمل العمران الهضبة كلها .. ثم أحيطت بسور حجري ضخم لحمايتها .

وقد وجد في الآثار المصرية القديمة نصوص هيروغلوفية ترجع الى حوالي ألفي سنة قبل الميلاد تتغنى بجمال هذه المدينة ونظامها الاجتماعي والسياسي المستقر.

وكلمة يافي التي أطلقها عليها العرب الكنعانيون كان لها معنى خاص في لغتهم آنذاك .. وهذا المعنى مكون من ثلاث مقاطع من خمسة عشر حرفاً :—

١ ، ٦ عكس مَدَحَ .

١٢ ، ١٣ ، ١١ ذكر النّاقة .

٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٥+ة (باضافة ة في آخرها) تُعبّر عن يوم شديد الهول أهلك الله فيه قوم شعيب كما جاء بالآية ١٨٩ من سورة الشعراء .

١٠ ، ١١ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ٩ بمعنى الشَّبيه .

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٣ ، ٢ ، ١٢ ، ٩ بمعنى المحلات التجارية .

فهل عرفت معنى الاسم ؟

جـــــوازســـــفـــــر

هذه بيانات جواز سفر أحد الفقهاء العرب المشهورين . حاول أن تعرف اسمه من المعلومات المذكورة في جواز سفره .. والتي تلقي الضوء على جوانب من حياته :

تاريخ الميلاد : رجب عام ٩٠٩ هجرية (١٥٠٤ ميلادية)

مكان الميلاد : في محلة أبي الهيتم من أعمال الغربية في دلتا النيل بشمال مصر .

ملخص حياته : توفي أبوه وهو ما زال حدثاً .. فتولى تعليمه وتربيته شيخاً أبيه : شمس الدين ابن أبي الحمائل المتوفي سنة ٩٣٢ هـ وهو من المتصوفين المعروفين وكذلك شمس الدين محمد الشناوي .. وقد الحقه الشناوي بمقام السيد أحمد البدوي بمدينة طنطا . ولما أتم فقيهنا تعليمه الأولي ، بعث به سنة ٩٢٤ هـ إلى الجامع الأزهر لإتمام دروسه .. وقد تتلمذ رغم حداثة سنه على كبار شيوخ عصره .. منهم زكريا الأنصاري وعبدالحق السنباطي وشهاب الدين أحمد الرملي وأبي الحسن البكري وغيرهم .. وأظهر نبوغاً في أصول الدين والفقه ، فأذن له ، ولما يناهز العشرين من عمره ، باصدار الفتاوي والقيام بالتدريس .. ثم حج الى بيت الله سنة ٩٣٣ هـ وأمضى هناك السنة التالية حيث بدأ الكتابة في الفقه حتى عاد إلى مصر . وحج مرة أخرى سنة ٩٣٧ هـ وبقي فيها مدة من الزمن بعد الحج .. وعندما حج مرة ثالثة سنة ٩٤٠ هـ.. استقر نهائياً في مكة المكرمة وأوقف حياته فيها على التأليف والتعليم والافتاء .

ومن مصنفاته الكثيرة : « الفتاوي الكبرى الفقهية » ، « الفتاوي الحديثة » ، « الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة »

وفاته : توفي في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ٩٧٤ هـ (٣ فبراير سنة ١٥٦٧ م) ودفن في المَعْلاة بمكة المكرمة ..

..واسم هذا الفقيه مكون من ثلاث مقاطع من ثلاثة عشر حرفاً :

١٠ ، ٥ ، ٩ ، ٦ بمعنى يرفع صوته بالقول .

٤ ، ٥ ، ١ ، ٢ بمعنى سِتْر .

٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١١ ، ٣ ، ٢ ، ٣ لقب شاعر عربي اتُّهِمَ بادعاء النبوة .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٢٦

١ ــ المسابقة الشعرية : ــ

الكلمة المقصودة عند الشاعر أبو عبدالله محمد بن الجرع هي : القرطاس .

٢ ــ جواز سفر : ــ

اسم صاحب الجواز هو فرانسس براون

٣ ــ مسابقة مدن العالم : ــ

مدينة زيورخ

٤ ــ اسم الشهرة : ــ

ابن أبي أصيبعة

أســـماء الفائزيـــــن

١ ــ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطري القارئ الحبيب بن أحمد ضيف الله ــ تونس

٢ ــ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطري القارئ . عبدالمجيد سعيد شيخ ــ السودان

٣ ــ فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطري القارئ محمد أمين عيسوي ــ مصر

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ــ محمد علي عبدالرحمن .... قطر
٢ ــ نيفين حلمي عبدالحميد.......... البحرين
٣ ــ ناول عبدالهادي .... المغرب
٤ ــ وسن أديب .... العراق
٥ ــ يس سليمان الدومه .... السعودية
٦ ــ مبروك بن محمد بن مهدي ..... الجزائر
٧ ــ عصام الدين عثمان الهادي.......... الأردن
٨ ــ عبدالرحمن عبدالسلام الساعدي ..... ليبيا
٩ ــ أمهاوش فريد .... المغرب
١٠ ــ فراس شقير.......... سورية

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٢٦

الصورة الأولى : المسرح الروماني بمدينة قالمة ــ بالجزائر .

الفائز الأول : بودر زقار ــ الجزائر

الفائز الثاني : الصادق نقد محمد نقد ــ السودان

الصورة الثانية : كريستوفر كولومبس

الفائز الأول : عماد عبدالوهاب النادي ــ مصر

الفائز الثاني : عامر جاسم محمد ــ بغداد

حل استراحة الدوحة للعدد ١٢٦

١ ــ أصل وصورة : الشعر ــ العيــن ــ الحاجب ــ الأنف ــ الأذن ــ الفم ــ الرقبة

٢ ــ لأقوياء الملاحظة : جزرة ــ ضفدعة ــ حمامة ــ سمكة ــ نمر ــ كُرة .

٣ ــ لعبة الظلال : رقم (١)

٤ ــ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٥)

٥ ــ لوحة لم تتم : الفنان الراحل محمود شكوكو

٦ ــ المثل يقول : يا قاعدين يكفيكم شر الجايين

اللي يخاف من العفريت يطلع له .

٧ ــ أجمل تعليق : ــ

ــ شهر زاد يا مولاي أنا ريحت نفسي وسجلت لك حكاية ألف ليلة وليلة على شرائط فيديو .

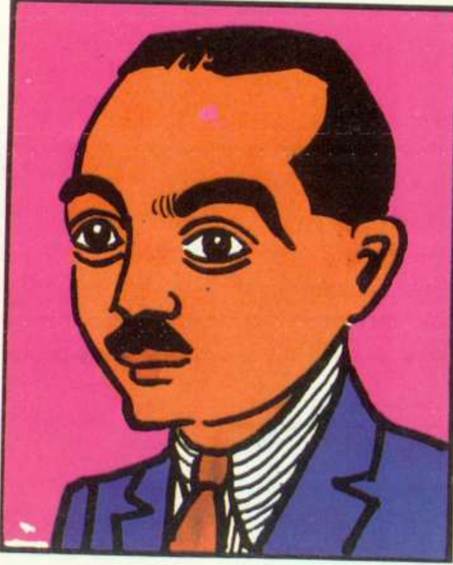
ــ شهر زاد يا مولاي حدد موقفك ناوي تتجوزني صحيح والا بتضيع وقت .

أسماء الفائزين في استراحة الدوحة للعدد ١٢٦

١ ــ عبدالنبي محمد زين .... قطر
٢ ــ مصطفى محمد رفعت .... مصر
٣ ــ جاسم علي عبدالرحمن .... قطر
٤ ــ بكري سيد أحمد موسى .... السعودية
٥ ــ راشد سعيد الشريف .... الإمارات العربية
٦ ــ لارا زهير صادق .... الكويت
٧ ــ عوض الكريم موسي .... السودان
٨ ــ عبد داود سليم .... العراق
٩ ــ محمد حسن المراغي .... مصر
١٠ ــ منقاشي فاطمة .... المغرب
١١ ــ حودة محمد جودة .... مصر
١٢ ــ نبيل بن المبارك .... الجزائر
١٣ ــ سامي رحمة جار النعيم .... السودان
١٤ ــ سوزان وكرد عثمان .... اليمن الديمقراطية

استراحة الدوحة

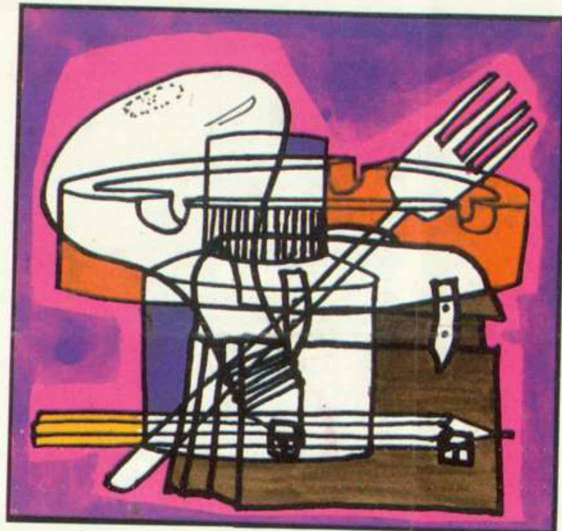
أصل وصورة





• الأصل والصورة للأديب العربي ابراهيم عبد القادر المازني (١٨٨٩ ـ ١٩٤٩) والذى كان يضحك فى كتاباته من كل شيء ، حتى من نفسه .. وبين الأصل والصورة هناك سبعة اختلافات بسيطة .. إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



• أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة التى لم تتم لأديب عربى كبير ، اتجه فى بحوثه الأدبية إلى تخليص تاريخ الأدب من المسلمات التى تبعده عن روح العلم .. أكمل اللوحة وتعرف على صاحبها لتفوز بجائزة .

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: رؤوف

لعبة الظلال



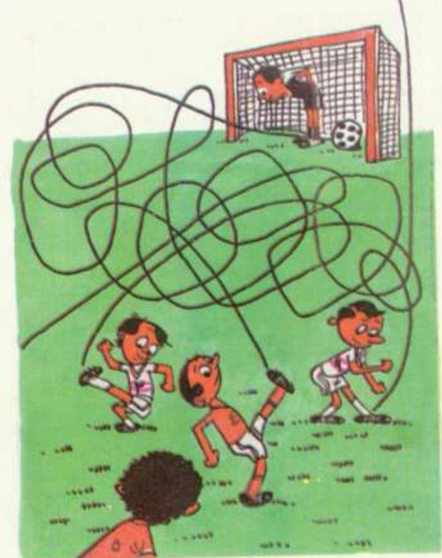
• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى لتحصل على جائزة.

هات أجمل تعليق



• حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتحصل على جائزة.

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هذا الهدف القوى فى مرمى الخصم .. حاول أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة.

يخلق من الشبه أربعين





• الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الأديبة العربية غادة السمان .. ومن بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهها تماما .. وفى البقية إختلافات طفيفة .. هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة؟

صوت

بقلم: مريم آل سعد

هجرة.. أم تهجير؟!

«العقول المهاجرة» ، «الأدمغة الهاربة» ، «الامكانات المبدَّدة» ..الخ ، أوصاف تطلق على بعض نجباء الأمة العربية في الفيزياء والذرة والكيمياء والرياضيات ..الخ ، هذه العناصر العربية المتوهجة التي اجتذبها الخارج فلبّت نداءه ، وغابت في آفاقه ، وانصهرت في نسيجه ، وأصبحت جزءاً من حضارته وغده .

لو أن أوطانهم حققت المستوى المنشود من الرقي ، وبلغت كفايتها من التطور ، وأقامت المصانع وقواعد التسليح ، ووفرت الآلات والاحتياجات التموينية والسلعية الضرورية والكمالية ، واستغلت موارد طاقتها ووظفتها في مواقعها الصحيحة ، وبالأوجه التي تضاعف ريعها ، وتحفظ حقوقها ، وتستثمر ثرواتها .. لو حدث كل ذلك ، لكان تسرب بعض العقول العربية إلى تلك الدول الأجنبية أخف وقعاً ، وأقل صدمة ، ولكن أن يكون حال العرب على ما هو عليه من التبعية والتخلف ، وأن تستعمر أسواقها من قبل تلك الدول الأجنبية وتهدد انتاجها الوطني بالفشل ، وتنافسها في عقر دارها ، وتدفع اقتصادها إلى التقوض والانهيار ، وأن تكون وهي ــ الغنية بثرواتها وامكاناتها ومقدّراتها وحضارتها ــ مجرد أرض بكر تتلاعب بها الموازين العالمية .. فهنا موضع الاعتراض !

هل تلام «الأدمغة العربية» في تشريقها نحو الغرب ؟ وهل يمكن أن تطلق صفة «الهجرة» على هذه الرحلات ؟ لا .. بل هي «طرد» و «تهجير» دفعوا إليها دفعاً بالوسائل الودية والقهرية وربما الارهابية !

لقد أصبح النبوغ تهمة عربية يطارد من أجلها العلماء في مختبراتهم ، ويساءل فيها المخترعون في أبحاثهم ، وتصادر طلاقة المفكرين في دراساتهم ، وتحوّل وجودهم إلى موضع شك وريبة البيروقراطية والنظم المتخلفة ، والأنماط التشويهية التي تحارب التطور وتعتبره ثورة ضد مصالحها ، وإنقلاباً يمس قاعدة بقائها .

عندما يهرب المفكر العربي إلى الغرب فإنه يلجأ إلى الصومعة التي تحتوي نبوغه ، وتدرك مدى قيمته ، والتي تهيء له الحقل الذي يتفرغ فيه لدراساته ، ولا ينشغل عنها بأمور تافهة تنفرد باهتمام من يبقى في الوطن كالمناصب ، والصراع الوظيفي ، والبحث عن النفوذ ، والمكاسب الشخصية ، وركامات هائلة من الروتين والجمود والبلادة والتخلف ، والمعاملات المحنطة بسوء الأداء ، وغياب التخطيط ، وضبابية الرؤية .. الخ ،أو الدخول في معارك خاسرة لاتجيد التعامل مع بقايا المعامل والمختبرات ، التي إما أن يكون الغبار قد علا أجهزتها لعدم وجود العمالة الفنية المختصة لتشغيلها ، وإما أن عدم الصيانة واللا إدراك لقيمتها وما تمثله من بعد علمي سلّمها لبعض الأيدي اللامسئولة التي وأدت ما كان فيها من نبض ، وإما أن عدم اكتمالها أو ضعف الميزانية المخصصة لها ، أو عدم الاقتناع بأهمية تجهيزها أدى إلى تشميعها وتوقيفها عن العمل ، ولو كان الاهتمام بالبحث العلمي وارداً ..فهل سيكون مكانه في آخر قائمة اهتمامات مؤسسات الوطن الكبير؟

مهما كانت فداحة هذه الهجرة على الجسد العربي المشروخ ، فقد أصبحت الصمام الذي ينفس قليلاً عن التناقضات التي يرزح تحتها ، ويضج من قسوتها ورعونتها مبدعوه وصانعو مستقبله العلمي المختنق تحت وطأة اللامبالاة الرسمية والشعبية !

لقد أصبحت مكانة المفكر أو المخترع أقل قيمة اجتماعيا واقتصادياً من المستوى الذي ينعم به التاجر أو الحرفي أو الانتهازي أو أي منضو لأية مهنة تدر ربحاً مادياً أكثر ، ينال بها الحظوة والأهمية والسطوة التي يحرم منها أي موهوب علمياً ليواجه ــ بدلاً من ذلك ــ الازدراء الاجتماعي ، وعدم الفهم والاستيعاب للعمل الخلاّق الذي يسعى لتحقيقه ، وليصارع عدم نضج العقلية البيئية التي لا تدرك مدى الاسهام الذي سيضيفه هذا «العالم» إلى حياتها ، ويغير مصيرها ، ويرفعها إلى ما يزكي اقتصادها ، ويدعم قوتها بين الأمم الأخرى .. !!

فإذا كان اللااحساس بمحاولات النخبة الصاعدة لتغيير الواقع من حولها هو المسيطر والبارز ، وإذا كانت المنغصات تنبئ بتعقد الأمور وعرقلتها وتأخير همتها .. فمن الأفضل إذن أن تشرع أجنحتها وتفر إلى البعيد .. إلى الملاذ الذي يكفل لها الأمان والامكانيات والدعم المعنوي حتى ولو كان غريباً وموحشاً ورطباً .. فبيت العالم هو مختبره ، ورضاؤه يكون في معانقته لأدواته وأقماعه ، وضمان انهماكه في تركيز وسلام على معالجة نظرياته ومعادلاته .

إذا ضجَّ الوطن بهذا العقوق فهو مدعو لولوج معركة التغيير ، والانتصار للأطروحات المستقبلية التي تدحر التخلف والنظرة الضيقة التي تبقي الوطن مكبلاً بالقيود الصدئة لسنوات قادمة جديدة من العبودية والتزعزع والانشطار .

عندما يكون «للعقل العربي» كرامته ، وتكفل له الضمانات التي تحفظ واقعه ومستقبله ، وتعامله كمبدع فاعل له دفقاته المضيئة في كيان أمته ، حينها فقط ستتشبث الحمائم الفزعة بجذورها ، ولن تنطلق أبداً إلى البعيد .

إن وجودهم في تلك الديار الغربية معناه انحيازهم للابداع الإنساني بمعناه الشامل ، والتفرغ لأبحاثهم واكتشافاتهم ، وقد توفرت لديهم الحوافز المعنوية والمادية والمناخ العلمي والفكري الذي يحفظ نبوغهم ، ويعترف بفضله ويهبه ما يستحقه من رعاية وإجلال .

تبقى أم تهاجر .. ؟ تلك المعادلة التي لن يستطيع أن يحل رموزها سوى الوطن الكبير المشتت ، وهو يلعق جراحه ويرقب بأسى تطاحن الأشقاء مخلفين وراءهم أهم ما يجب الالتفات إليه .. نوابغ الوطن ومستقبله العلمي !



من مقتنيات المتحف القطري

قطعة أثرية نادرة من القطع التى عثر عليها فى دولة قطر والمعروضة فى متحف قطر الوطنى .. وقد كشفت الحفريات الحديثة على أن شبه الجزيرة القطرية كانت آهلة بالسكان منذ عصور سحيقة ، وأن موقعها الاستراتيجى بين دول الخليج العربى وطرق المواصلات البرية بين الشرق والغرب ، أكسبها أهمية خاصة ، وتؤكد كتابات المؤرخ الاغريقى « هيرودت » والمؤرخ الرومانى « كلاينوس » اللذين عاشا قبل الميلاد على أن أوائل القبائل العربية التى سكنتها هى القبائل الكنعانية التى اشتهرت بفنون الملاحة البحرية والاتصالات التجارية .

وقد برزت قطر فى العصور الاسلامية ، كبلد بحرى ساهم أبناؤه فى الفتوحات الاسلامية التى أشعت بنورها على معظم بقاع الأرض .

لقطات من الخليج



ابوظبي اثينا اسطنبول البحرين بومباي بانكوك باريس تونس جدة الخرطوم دلهي دكا الدوحة رأس الخيمة الرياض

كراتشي كولومبو الكويت الشارقة فرانكفورت القاهرة لارنكا لندن صلالة صنعاء الظهران عمان مانيلا مسقط هونغ كونغ

التواصل هو لغتنا

عندما تطأ قدماك متن إحدى طائراتنا، يتملكك إحساس للوهلة الاولى بأنك تتعامل مع شركة طيران عالمية.

وينبع هذا الإحساس من مستوى الخدمات القدمة، فهناك أولاً طاقم الطائرة المنتقى بعناية فائقة والذى يتقن أفراده معظم اللغات التى يحتمل وجود من يتحدث بها بين المسافرين.

وهناك أيضاً مطعم الطائرة بأطباقه المتميزة التى لا تقتصر فقط على الأطعمة ذات الطابع الخاص، بل تتميز بالتنوع شرقاً وغرباً. وتقدم هذه الوجبات على أطقم فخمة ذات رونق، تبعث الإحساس بالرضا والرفاهية.

ويضم برنامجنا الترفيهي ١٢ قنـ
تتنوع موسيقاها بتنوع أذواق ركـ
ويشمل البرنامج كذلك أفـ
سينمائية حديثة.

وطوال الرحلة لا تنقطع مضيفاتنا عن
المرطبات مع أجمل الأماني برحلة سـ
كما تتركز الجهود نحو تأمين أقـ
حد من الراحة يمكن أن يتوافر للمسافـ

إننا نضع مسرات الحياة بين يديـ
ونقدم لمسافرينا خدمة لا تضاهيها
أخرى من خلال التواصل الحي بالـ
التى يتحدث بها ركابنا.



رحلات دائمة .. وذكرى متجددة